مجموع كتب

المرشد الجليل حسن حلمي النقشبندي الداغستاني

المتوفى سنة 1356هـ

البروج المشيّد ة
بالنصوص المؤيّدة

ترجمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مولده : ولد في قرية « قَحِبْ » من قضاء شمويل في جبال داغستان سنة ثمان أو تسع وستين ومائتين وألف (١٢٦٨-٩) للهجرة . (١٨٥٢)م .

أسرته :

١- والده ؛ العالم الجليل الفاضل الحاج محمد القحيّ الهدليّ ، كان رجلاً فاضلاً ، وعالماً تقيّاً عاملاً ، توفِّي حاجّاً إلى بيت الله الحرام ، ودفن هناك في جوار أُمِّنا حواء ، فبقي نزيل الحرم إلى أن يبعث آمناً يوم القيامة .

وترك ولده المُتَرْجَم له صبياً في المهد .

٢- أمّه ؛ وكانت أمّه زَهِيدَة امرأةً عاقلة ، سليمة السريرة ، وافرة العقل .

نشأته : نشأ نشأة طيّبة كريمة ، وأُحيط بأحسن رعاية وخير تربية حين أرضعته أمّه أنقى لِبان حتى بلغ السادسة من عمره ، حيث أرسلته لتعلُّم القرآن الكريم ، فأتمَّ قراءته ثم شرع في تحصيل العلوم الشرعية ، غير أن ضيق ذات اليد حَالَ دون إشباع نَهَمِهِ العلمي .

ولم يبلغ سنَّ الرشد وحدَّ التكليف حتى وجد نفسه بهلواناً[1] ولم يعلم هو نفسه كيف وصلت إليه هذه اللعبة ، ولا كيف تدرَّب عليها ! !

وكان قبل صعوده الحبل يقرأ سلسلة المشائخ النقشبندية .

---

(١) هي لعبة الرقص على الحبل .

تعلّمه وتلقّيه : لم يكن خافياً أنّ علمه وتعلّمه كان فتحاً من الله تعالى ، على الرغم من الأسباب التي بذلها لتحصيل العلم ، والاجتهاد في تتبّعه ، فقد قسم ليله ونهاره بين تحصيل معاشه وتعمير معاده ، وكان يقصد الدرس باكراً مع انبثاق الصباح ليخرج عقبه إلى الرعي بالأجرة على سنن المرسلين ، ومتى عاد انكبَّ على دروسه ومطالعاته ؛ ساهراً ليله ، واصلاً غده بأمسه ، حتى غدا محجَّ العلماء ، ومرجع المتفقّهين ، بل الفقهاء ! . وصار عنده جواب كلِّ مشكل ، وحلُّ كلّ مستعصٍ ؛ فتحاً من الله وعلماً لدنيّاً وفيضاً رحمانيّاً .

تسليكه الروحيّ : رغب أولاً - وبمحض التوفيق الإلهي - الاندراج في سلك الشيخ الجليل ذي الجناحين عبد الرحمن العسلي حين جمعه به أحد تلامذة الشيخ ، فسلكه ولقنه أولا الرابطة والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ والذكر ، ثم منحه الإجازة بالتلقين للمريدين ، لكن المترجم له بقي متهيّباً متأدّباً يترقّى تحت أنظار شيخه إلى أن وصل إلى مراقبة السرّ ، فأذن له إذناً مطلقاً بجمع المريدين ، ولأجل اعتقاده بعدم أهليَّته أخفى إجازته هذه ست سنوات زاهداً في الدنيا ، معرضاً عن المظهر الحسن ، وجمع المريدين ، حتى جدَّد له ذو الجناحين الأمر بتسليك المريدين ، وأمره بمظهر حسن وملبس حسن ، واستخلفه لإرشاد الناس بقوله : **أنت خليفتي ، ويدك يدي ، وقبولك قبولبي** . حتى هيَّأ الله لذي الجناحين الحجّ إلى بيت الله فأنابه مكانه وجعله مرشداً كاملاً .

واستمرَّ به الحال هكذا إلى أن انتقل ذو الجناحين إلى دار المقام ، فما كان من المترجَم له إلا أن انضمَّ إلى سلك المربِّي الكبير الشيخ شعيب الباكنيّ القصرخيّ ، فلقَّنه مراقبة (خفي) و(أخفى) وأجاز له بالطريقة النقشبندية العليّة ، وبعد وفاته دخل في تربية قطب الإرشاد سيف الله

القادي فألبسه خلعة علي – رضي الله عنه – سنة ١٣٠٠ .

من كراماته : قصده بعض مريديه في طلب آية منه ، قال : أو لم تؤمن ؟ فأجابه المريد : بلى ولكن ليطمئنّ قلبي . قال : اذهب إلى بيتك تجد امرأة تُجهَّز ، فإذا وضعت في لحدها فاستأذن قريبها ، وارفع واحداً من تلك الاحجار تَرَ آية ، ففعل ، فلما رفع الحجر إذا بالشيخ المترجم جالس عندها ، فخرَّ مغشياً عليه .

ومن كراماته : أنَّ مريداً جاء بفروة يهديها له ، فردَّها ، وبعد إلحاح كبير لم يتراجع الشيخ عن ردِّه ، فتركها المريد وذهب ، فقال لولده بغضب : خذ هذه الفروة واتبع بها صاحبها ، أليس لي عمل إلا حراسة ماشيته ؟ ! فكانت الفروة بقصد حماية الماشية ، كاشف بها صاحبها .

سَمته : كان – رحمه الله – دائري الوجه ، جميل المبسم ، أبيض اللون مشوباً بسواد ، طويل اللحية ، كثيف الشعر ، قويم البدن ، نحيف الجسم ، أنيقاً محبوباً .

خلَّف ولدين أكبرهما : محمد حاجيو ، والثاني القطب الكبير محمد عارف ، وقد قيل في الثاني : إن هذا الولد فاق أباه ، وبلغ رتبة القطبانية .

وفاته : توفِّي رحمه الله سنة خمس أو ست وخمسين وثلاث مائة وألف (١٣٥٥-٦) للهجرة . (١٩٣٧)م . وقد ترك مصنفات تخصّصية وهي :

١ تنبيه السالكين إلى غرور المتشيّخين عرباً وعجماً منظوماً

٢ تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف

٣ خلاصة الأدب لمن أراد فتح الأبواب عجماً منظوماً

٤ البروج المشيّدة بالنصوص المؤيّدة

٥ السفر الأسنى في الرابطة الحسنى

٦ سراج السعادات في سير السادات

٧ الدرّة البيضاء في ردّ البدع والأهواء

٨ جهد المقلّ في ردّ شطحات المنكر المضلّ

٩ فيض الرحمن في كلام عبد الرحمن

١٠ وسائل المريد في رسائل الأستاذ الفريد

١١ الجوهرة النفيسة في إعانة الطريقة النقشبندية

رحمه الله رحمة واسعةً ، وأسكنه فسيح جنته . والحمد لله رب العالمين .

سلسلة المشائخ للطريقة النقشبندية في داغستان

مُحَمَّد ﷺ ١١

أَبُو بَكْر الصديق ١٣	سَلْمَانُ الفارسي ٣٣	قَاسِمُ بن محمد ١٠٦	جَعْفَرُ الصادق ١٤٨	
طَيْفُور أبو يزيد البسطامي ٢٦١	أَبُو الحَسَن الخرقاني ٤٢٥	أَبُو عَلِي الفارمادي	يوسف الهمداني ٥٣٥	عَبْدُ الخَالِق الغجدواني
عَارِف الريوكيري	مَحْمُود الانجير الفغنوي	عَلِي الراميتني ٧١٥	مُحَمَّد بَابَا السماسي	سَيِّد أَمِير الْكُلاَلِيّ
مُحَمَّد النَّقْشَبَنْدِيّ بهاء الدين البخاري ٧٩١	عَلاَء الدِّين العطاري ٧٩٥	يَعْقُوب الجرخي ٨٠٢	عُبَيْد الله السمرقندي ٨٩٥	مُحَمَّد زَاهِد الوخشوَارِي ١٠٠٠
دَرْوِيش مُحَمَّد الامكنكي	خَوَاجَكِي الإِمْكَنْكِي ١٠١٠	مُحَمَّد البَاقِي ١٠٢٢	أَحْمَد الفَارِق الإمام الرباني ١٠٣٤	
مُحَمَّد مَعْصُوم الفاروقي ١٠٧٩	سَيْف الدِّين الفاروقي ١٠٩٥	نُور مُحَمَّد البدواني ١١٣٥	حَبِيب الله ميرا ازجانجاني ١١٩٥	عَبْد الله الدهلوي ١١٧٠
خَالِد شَاه البغدادي ١٢٣٢	إِسْمَاعِيل الكردميري	مُحَمَّد صالح الشرواني ١٢٥٤	إِبْرَاهِيم	يُونُس ١٢٧٧
مَحْمُود أَفَنْدِي ١٢٩٤	جَبْرَائِيل أفندي ١٣٠٧	عَبْدُ الرَّحْمَن حَاج ١٣٠٥	حَسَن حِلْمِي أفندي ١٣٥٦	مُحَمَّد يعسوب
حُمَيْد أَفَنْدِي ١٣٦١	حُسِين مُحَمَّد أَفَنْدِي ١٣٩٢	مُحَمَّد عَارِف أَفَنْدِي ١٣٩٧	مُحَمَّد سَعْد حَاجّ البقلوخي ١٤١٦	
عبد الحميد أفندي ١٣٩٧	حمزة أفندي ١٣٩٧	محمد أفندي الخجدي ١٤٠٦	سعيد أفندي الجركي	

قدس الله أسرارهم ورزقنا من فيوضاتهم . اللهم اجمعنا معهم وارحمنا معهم واحشرنا معهم و ادخلنا معهم في الجنان برحمتك يا أرحم الراحمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أفاض على قلوب أوليائه وأصفيائه أنوار المَعْرفة ، واصطفاهم من بين خلقه بالمواصلة والمشاهدة ، فاستنارت بأنوار علومهم ومعارفهم صدور الخليقة ، وهدى بهم أرباب السلوك إلى معرفة منازل الطريقة ومراتب الحقيقة ، فلولاهم ما سلك أحد من تلك السُبل فِجَاجَهَا[1] ، ولا قوّم سالكوها من ضلع[2] النفوس اعوجاجها ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي يغترف الخاصّ والعامّ من فيض بحره ، ويقتطف الكل من روض مواهبه وأثمار أشجار أسراره ومعارفه ، وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاماً تعدلان صلاة وسلامَ جميع أهل محبّته ، دائمين بدوام ملكه وكلّما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون . آمين .

أما بعد ؛ فيقول العبد المذنب الراجي إلى مغفرة الله سبحانه حسن حلمي ، ولد العالم الحاج محمد القحيّ النقشبنديّ الشاذليّ – سامحه الله تعالى من فرطاته ، وسلك به مسلك أوليائه ؛ آمين – :

قد ورد إليّ أسئلة من طرف العالم القاضي محمد البُرْجِيّ ، فحمدت الله تعالى على وجود مثله في عصري ، وشكرته تعالى على إِلْهَامِه إيّاه أن يسأل تلك المسائل التي كانت متوطّنة في صدري منذ زمان ، لأنها كانت مشكلة لدى كلّ من ليس له نصيب من علم الباطن ، فكانت المسائل تتضمّن مسائل أخرى مشكلة أيضاً لا بدّ من انحلالها والجواب عنها ، فاحتجنا لأجله لجمع كتاب يشتمل على مباحث مستقلّة ، وأجوبة منقولة من كتب متعدّدة ، فلمّا كانت المسائل واردة من رجل برجيّ ، وكانت

---

(١) الفجّ : الطريق الواضح الواسع (هامش الأصل) .
(٢) ضلع : الميل والجنف .

الأجوبة مشيّدة بالنصوص من الكتاب والسنة وآثار السلف والأئمة ، أردت أن أرتّب الكتاب على بُروج ؛ وأن أسمّيه بـ :

« **البروج المشيدة بالنصوص المؤيدة** »

جعله الله تعالى نافعاً للعباد ، ولا جعله سبباً للعناد . آمين .

و قد وقع فيه التكرار في مَوَاضع نادرة ليكون سبباً لفهم الكلام ، أو لوقوع الحاجة ليوافق المرام على مقتضى المقام ، لِما أنّ في كل مَوْضع فائدة مستقلّة ، ولكل مقام حكمة مستبدّة ، ويكفيك ما في القرآن من التكرار كمثل قصص موسى عليه السلام ، وأرجو من كل ناظر أن يصلح ما يراه فيه من الخطأ والتحريف ، ومعلوم أن الإنسان ولو بالغ في التصحيح فقلّ أن يسلم من الخطأ والتصحيف ، ولا ينبغي لمنصف أن يتسارع إلى العتاب إلا بعدَ إِحكام النظر والفكر من أوّل الكتاب إلى آخره ، فإنّي قد حَرَّرْتُ ما فات في مسألة في مَوْضِع آخر مع بيان فائدة زائدة ، ومَنْ رأى فيه خللاً أو أشكل منه شيئاً ! فأسْأله بالله سبحانه أن يراجع به لديّ ما دمت حيّاً لأُوضح له العبارة وأحلّ له المشكلة ، فإن صاحب الكلام أعلم بمراده من غيره ، وقد بَيَّنت فيه مآخذ ونقولاً في كل جواب مع وضع تاريخ الصحيفة مما عندي من الكتب ، وإن وجدتَ فيه موضعاً ذكرت فيه قولاً مّا من عند نفسي فاعلم أن غالب كلامي مقتبس من كلام السادات ، ومنتخب من شِعاع نور الشريعة والطريقة ، نقلته بالمعنى ، لِما أني نسيت لفظه ولم أتذكّر في الحال موضعه ، وإن كان المعنى راسخاً في القلب ومحفوظاً فيه ، وذلك ليس إلاّ نادراً كما ستراه إن شاء الله تعالى .

ثم اعلم أنّ تدوين الكتاب – وإن وقع السائل لذلك سَبَباً أوّلاً – لكن قد ذكرت فيه أشياء مهمّة لا بدّ لسالكي طريق القوم من رعايتها والعمل بها ، وغالب ما فيه كالسلّم لهم للارتقاء إلى سطوح المعارف ، والمرجوُّ

منهم أن يدعوا لهذا المفلس بالمغفرة والوقوف على حدّ الاستقامة ، والله وليُّ التوفيق ، وله الحمد على كل حال وفي كل حين ، ومنه نطلب العون للدخول في دائرة التحقيق .

وقد بنيتُ الكتاب على هذه البروج الآتية :

البرْج الأول : في جواب مسألة : لاَزَمَ واحدٌ عبادةَ الله تعالى جُمعةً وجماعةً ، ذكراً وتلاوةً ، واتخذ من عند نفسه ورداً صباحاً ومساءً ولم يأخذه من شيخ ، فهل يكون سعيه عبثاً ؟ وما يقوله أهل التصوّف : مِن أنّ كل مَن لم يتخذ شيخاً فشيخه الشيطان ، فيحبط عمله وسعيه عبث ، أهو حق أم لا ؟ فإن كان حقاً فما معنى قوله تعالى ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ ؟ وقوله تعالى ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ الآية ؟

البرْج الثاني : في جواب مسألة ذلك السائل بقوله : فحين إرادة الله تعالى جزاء عمل العبد خيره وشره ، ولو مثقال ذرة ، فما معنى تخصيص إحباط العمل بمن ليس له شيخ ؟ !

البرْج الثالث : في جواب مسألة : هل يكون الفرق بين من له شيخ وبين غيره في الخوف من سوء الخاتمة ؟

البرْج الرابع : في بيان درجات شوائب الرياء ، والآفات المكدرة للإخلاص .

البرْج الخامس : في بيان وجوب اتخاذ الشيخ على كل من ليس له قلب سليم .

البرْج السادس : في بيان أن الصحابة – رضي الله عنهم – هم السادات القادات ، وأنهم هم النجوم ومن اقتدى بهم اهتدى ، ومن خرج عن سبيلهم ارتدى ، وأنَّ ما وقع بينهم إنما وقع بالاجتهاد ، لا حِقداً ولا

حسداً ، ولا حبّاً للرياسة وعلوِّ الدرجة .

البرْج السابع : في بيان ما ورد في التلقين وما يترتّب عليه من الفوائد المهمة .

البرْج الثامن : في بيان أفضليّة علماء الباطن على غيرهم .

البرْج التاسع : في بيان كون الشريعة والحقيقة عين الآخر ، ووجوب تعلُّم العلم الباطني ، وبيان من يقول به .

البرْج العاشر : في بيان غرور علماء الظاهر .

البرج الحادي عشر : في بيان جواب مسألة السائل : بأن المريدين يزعمون بعضهم بعضاً ، وينكرون شيخ بعضِهم ، ويكون بينهم التحاسد والتعارض ، والحقد والسبُّ والاستهزاء ، فإذا كان الأمر كذلك ، يغلب على الظن فما فائدة اتخاذ الشيخ ؟ فلم أَرَ أستاذاً أو مريداً لا يهجو آخرَ !

البرْج الثاني عشر : في بيان عدم وقوع التنازع والإنكار بين الصادقَيْن من المشائخ ، وبيان أن ترك الإرشاد بعد التأهُّل والإذن عصيان .

البرْج الثالث عشر : في جواب مسألة حاصلةُ هذا : وكان أبو الحسن الشاذلي يقول : من الشرك اتخاذ الأولياء شفعاء من دون الله . انتهى . وكان يقول أيضاً : من سوء الظن بالله أن يستنصر بغير الله من الخلق . فإذا كان الأمر هكذا ! فماذا يطلبه المريد من أستاذه ؟ وما فائدة الاتخاذ ؟

البرْج الرابع عشر : في بيان جواز التوسُّل بالأنبياء والأولياء .

البرْج الخامس عشر : في بيان أن الإنكار على الصوفية سمٌّ قاتل .

البرْج السادس عشر : في بيان الطرق المشهورة في الديار الداغستانية وذكرها بالإجمال .

البرْج السابع عشر : في ذكر أوصاف الشيخ ، وعدم جواز كون المجذوب المجرَّد مرشداً .

البرْج الثامن عشر : في بيان أنّ الشيخ الكامل في قومه كالنبي في أمّته ، وأنّ متابعته كمتابعته ، لكونه نائباً عنه ﷺ ، وبيان أن محبة الشيخ يجب أن تكون لله لا لغرض سواه .

البرْج التاسع عشر : في بيان مذمَّة علماء السوء الذين هم في أسر محبة الدنيا ، ومدح العلماء الزهَّاد الذين يرغبون عن الدنيا .

البرْج العشرون : في ذكر مجاهدة النفس والهوى وترك الشهوات .

البرْج الحادي والعشرون : في ذكر معاتبة النفس وتوبيخها .

خاتمة : في ذكر أدعية منقولة من كتب الأئمة الصوفية .

تذنيب : في ذكر مكفرات الذنوب ، والأحزاب النافعة لتفريج الكروب ، وذكر سندها وسند أشياخنا في العلوم الظاهرة والباطنة .

فها أنا ذكرت البروج المذكورة بالتفصيل مع الأجوبة لكل مسألة ، مؤيدة بالمآخذ الصحيحة والأقوال الصريحة من كتب الأئمة فقلت حامداً الله تعالى :

البرج الأول

في جواب مسألة : لازَمَ واحدٌ عبادةَ الله تعالى جمعةً وجماعةً ، ذكراً وتلاوةً ، واتخذ من عند نفسه ورداً صباحاً ومساءً ولم يأخذه من شيخ ، فهل يكون سعيه عبثاً ؟ وما يقوله أهل التصوّف من أنّ كل من لم يتَّخذ له شيخاً فشيخه الشيطان فيَحْبطُ عمله ، وسعيه عبثٌ ، أهو حق أم لا ؟ فإن كان حقّاً ! فما معنى قوله تعالى ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ وقوله تعالى ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ الآية ؟!

فنقول وبالله التوفيق ، ومنه نستعين وبه نستمدّ ، وباسمه نَتَبَرَّك ، وله الحمد والمِنَّة :

إنّ مَن أخلص في ذكره وعبادته لا يكون سعيه عبثاً ؛ وإن لم يأخذه من شيخ ، بَيْدَ أن السالك بنفسه لا يهتدي كثيراً إلى إخلاص العمل من الشوائب المحبطة له ، بل يرى أنه أحق بالثواب بعمله وينجو به من عقابه ، و ينسى غالباً فضل الله ورحمته ، ولا يعلم المسكين أنّ كثيراً من أعماله يكون سبباً للعقاب ! لرؤيته عملَهُ وأنّه مخلص فيه ، وإعجابه بما عمله وشهوده أنه خير ممن لايعمل ، والحال أن بعض العارفين قد قال : **من رأى في إخلاصه إخلاصاً يحتاج إخلاصه إلى إخلاص** . كما سيأتي .

ثواب الأعمال بالنِّيَّات لا بمجرد الأعمال

ومن المعلوم أن ترتّب الثواب على العمل منوطٌ بالإخلاص فيه ، و« **إنما الأعمال بالنيات** » كما ورد ؛ أي : إنما ثواب الأعمال بالنيات ، لا بمجرد الأعمال ! وأن مقصود أهل الله لا يكون إلا العبودية المحضة ، وطلب الثواب عندهم كعبادة الأصنام الحسيَّة على حد سواء ، كما ذكره

الشعراني في « لطائف المنن » و« لواقح الأنوار » . **فحسنات الأبرار سيئات المقرّبين** . انتهى .

والسالك الذي سلك في طريق الذكر والرياضة بنفسه قد لا يتنبّه إلى دقائق الرياء ؛ فإنه أخفى من دبيب النمل في الليلة الظلماء ، ويقع في المهالك أحياناً ، ويكون له في كل مقام من مقامات السالكين عمل خاص بذلك المقام لا يجوز له الانتقال إلى غيره ، وإن انتقل يحصل له التنزّل وينقطع عن الترقي ، و« الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدمّ » ، كما ورد ، فيجتهدُ في إغواء العبد وإضلاله ويكون نفسه الأمارة مُعِينة له ، فيُرِي القبيح حسنا فيعمله ، والحسن قبيحاً فيمنعه منه بإلقاء الوساوس ، فحينئذ يبقى بلا وصول ويجرّه الشيطان إلى سبيله ؛ فيكون شيخاً له يتصرّف فيه كيف يشاء ، ويركب عنقه كما يركب الحمار .

وقد قيل : **الرياضة بلا شيخ لا تورث إلا الوسوسة والجزبرة** .

وفي « الفجر المنير » : وكان ؛ يعني : أحمد الرفاعي رضي الله عنه يقول : من طلب الطريق بنفسه تاه في أول قدم . انتهى ٢١ .

وفي « الإحياء » : فكذلك المريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدى به لا محالة ليهديه إلى سواء السبيل ، فإنّ سبيل الدين غامض ، وسُبل الشيطان كثيرة ظاهرة ، فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طرقه لا محالة ، فمن سلك سبل البوادي المهلكة بغير خفير[١] فقد خطر[٢] بنفسه وأهلكها . انتهى ٨١ ج٣ . وما قيل : من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان ! ! حق ثابت في كتب أهل التصوّف ؛ كـ« رسالة » الإمام القشيري و« الإتحاف

---

(١) الخفير : المجير ، وخفرت الرجل : حميته وأجرته من طالبه . « مصباح » . (هامش الأصل) .

(٢) الخطر : الإشراف على الهلاك . « مصباح » (هامش الأصل) .

شرح الإحياء » وغيرهما .

وعلّة إحباط عمل من ليس له شيخ ! عدم خلوصه غالباً من شوائب المحبطات التي هي سبل الشيطان وطرقه ، **والعمل الذي لا إخلاص فيه لا يكون حسناً يثاب عليه** . وسيأتي في البرج الثاني ما يؤيّده ، ومعلوم مشهور أن سلوك الطريق لا يكون إلا بالذكر وتكراره ، كما هو مذكور في الكتب .

وقد قال صاحب « رماح حزب الرحيم » : إن الذكر المعتبر عند أهل الله تعالى - الذي يكون به الفتح والوصول إلى الله تعالى - هو المأخوذ بالإذن والتلقين من شيخ وارث واصل مرشد ؛ تتصل صحبته وطريقته بالحضرة النبوية ، لا ما يأخذه الإنسان بنفسه ! انتهى فراجعه في الفصل السابع والعشرين في ١٨٠ ج١ .

وقال قدس سره بعد ذلك : **اعلم أن الذكر المأخوذ عن غير شيخ ، أو عن شيخ غير مفتوح عليه عارفٍ ، هلاكُ صاحبه أقربُ من سلامته** ، لاسيّما أسماء الله تعالى .

قال الشيخ أحمد بن المبارك : وسمعته - يعني : عبد العزيز رضي الله تعالى عنه - يتكلم على الذين يذكرون أسماء الله تعالى في أورادهم ؛ فقال رضي الله عنه : إن أخذوها عن شيخ عارف لم تضرّهم ، وإن أخذوها عن غير عارف ضرَّتهم ، فقلت : فما السبب في ذلك ؟ قال رضي الله تعالى عنه : الأسماء الحسنى لها أنوار من أنوار الحق سبحانه ، فإذا أردتَ أن تذكر الاسم فإن كان مع الاسم نوره الذي يَحْجبُ من الشيطان وأنت تذكره ! لم يضرَّك ، وإن لم يكن مع الاسم نوره الذي يحجب من الشيطان ! حضر الشيطان وتسبّب في ضرر العبد ، والشيخ إذا كان عارفاً وهو في حضرة الحق دائماً وأراد أن يعطي اسماً من أسماء الله تعالى الحسنى أعطاه

ذلك الاسم مع النور الذي يحجبه ، فيذكره المريد ولا يضرّ . **ثم النفع** به على النية التي أعطاه الشيخ ذلك الاسم بها ، فإن أعطاه بنية إدراك الدنيا أدركها ، أو بنية إدراك الآخرة أدركها ، أو بنية معرفة الله تعالى أدركها ، وأمّا إن كان الشيخ الذي يلقّن الاسم مَحْجُوباً ! فإنه يعطي مجرد الاسم من غير نور حاجب فيها ، فيُهلك المريد ، نسأل الله تعالى السلامة . انتهى .

وقال شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به : فعلى العبد ملازمتها ، أي : الأحكام التكليفية المتفرقة في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والدؤوب على ما يقدر عليه منها ؛ بدوام معانقة الذكر معها ، ونعني بالذكر : الذي يكون بتلقين شيخ واصل ؛ لا الذي يأخذه العبد باختياره ! مع دوام الاستناد بالقلب إلى شيخ واصل ، فإن بدوامه على هذه الأمور يصل العبد إلى أن يَنَالَه السر الرباني بسببه يصل إلى التطهير الأكبر المذكور أوّلاً ، الذي هو غاية الغايات ومنتهى الرغبات ؛ المعبر عنه في الإشارة عن الله تعالى يقال عنه : **من كشفت له عن صفاتي ألزمته الأدب** ، **ومن كشفت له عن ذاتي ألزمته العطب** ؛ وهذا العطب هو غاية منتهى الأَرَب ومنتهى مطلب العبد ، فإن هذا العطب هو محل الاستهلاك في الحق ، حيث يسلُبُ العبد من أوصافه البشرية ، ويلبس خلعة الاتصاف بالأوصاف الربانية . انتهى ما أردنا نقله من كلامه رضي الله تعالى عنه وعنا به . وقال في « تحفة الإخوان والخلان » **الخامس** – يعني : من أصول التقوى الحقيقية – دوام الذكر الذي لقّنه له شيخه لا يتجاوزه إلى غيره إلا بإذنه ، إلا الأوراد المخصوصة بطريق شيخه .

ثم قال بعد كلام : ومنها – أي : من الآداب التي تطلب من المريد في حق الشيخ –ملازمته الورد الذي رتّبه ، **فإن مدد الشيخ في ورده الذي رتبه** ، **فمن تخلف عنه فقد حَرم المدد** ، وهيهات أن يصحّ في الطريق ! !

ثم قال بعد كلام : ومنها – يعني : ومن الآداب التي تتعلق بالمريد

في نفسه – أن يأخذ بالأجود في العبادة ، **لا ينتظر**[1] **بذكره وعبادته ثواباً ولا فتحاً ، وإنما يعبد الله تعالى إلى أن قال : لكنه لا يشتغل إلا بأوراد الطريق وما أذن له فيه الشيخ** . انتهى .

وقال السيّد محمد الغوث رضي الله تعالى عنه في « جواهره » : فذكر العامة : كلمة الشهادة أو غيرها من التسبيحات ، **والذكر الخاص : مما يكون بتلقين شيخ مرشد ؛ عارف بأَدْواء**[2] **النفوس ، يكون أقوى في إزالة الحجب عند الملازمة عن قلب حاضر** . انتهى .

وقال في كتاب « التطورات » : **اعلم أن الصدر** مملو[3] ومحشوّ بالأخلاق الظلمانية التي تظهر بها من بني آدم الآثار الخبيثة ، **فلا بدَّ له أن يزكي صدره بأخذ التلقين من الشيخ الكامل** حتى يدخل في طور[4] القلب الذي هو مستعدّ للتزين بالأخلاق الحميدة والأنوار المشروحة بحسب الاستعداد ، وإليه أشار رب العزة بقوله ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ ومن دخل فيه بالخلاء[5] عن الأخلاق الذميمة بواسطة التوحيد الجهري يرى شجرة التوحيد نوراً مملوءاً بأغصان الأثمار في العَالَم الإنساني بحَسَب الاستعداد ، ثم يرى السماء مصفًّى أو مملوءاً بالنجوم ، والقمر صافياً عن السحاب المعنوي ، ويرى البساتين والجبال مع العيون وغير ذلك ، فلا بد للسالك في وقت الطلب أن يتقي الله تعالى بالتجرد عن الأخلاق الذميمة حتى يتزين قلبه بهذه المذكورات من أنوار ذاته الغيبية ، ويفني بعض أفعاله في نور أفعال الله تعالى ، فيظهر منه آثار الأخلاق الحميدة كالتسليم

---

(١) في نسخة : فلا ينتظر .
(٢) جمع داء .
(٣) في نسخة : مملوء .
(٤) الطور مثل ثوب : الحال والهيئة (ص) (هامش الأصل) .
(٥) أي : البراءة . (هامش الأصل) .

والتفويض وغيرها[1] في طريقه بالنظر إلى بعض المشارب ، ويرى بنظره وتوجهه إلى مِرْآته ماذا كسب من الاستعداد إلى القيامة الوسطى ، أعني : فناء صفاته في نور صفات الله تعالى بل إلى القيامة الكبرى ؛ وهي : الفناء في الله بحسب الاستعداد ، وإليه أشار حبيب[2] رب العزة بقوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ واعلم أن هذا النداء للمؤمنين الطالبين ؛ الدّاخلين في طريق الله تعالى لأجل مشاهدة أنوار الأفعال والصفات وغيرهما بأخذ التلقين من الشيخ المأذون ، إلى أن ينتهي إلى محمد ﷺ . انتهى .

وقال في « الخلاصة المرضية » : قال الشيخ جبريل الخرماباذي رحمه الله تعالى : وههنا أصل أصيل يجب رعايته ، **فإن الذكر بدون رعايته لا يوصل إلى المقصود ؛ وإن كان لا يخلو عن فائدة** ؛ وهو أن يكون تلقين الذكر من شيخ مرشد تتصل صحبته وطريقته بالحضرة النبوية ، **فإن الذكر بدون التلقين مثل النِشَاب[3] الذي يشترى من صانعه ، ومثل الذكر الذي يكون بتلقين مثل النِشَاب الذي يؤخذ من السلطان ، فإنهما وإن تساويا في النشابيّة ودفع الخصم ؛ ولكن أين نشاب النبال[4] من نشاب السلطان في الناس والوقع وحماية صاحبه وولايته وكل من يتعلق به! والله تعالى أعلم** . انتهى .

---

(١) لعله غيرهما (هامش الأصل) .

(٢) أشكل لدي قوله رحمه الله : (وإليه أشار حبيب رب العزة) فمن أزال ذلك فرحم الله عليه . اجعل الإضافة بيانية أو لامية بإرجاع الضمير إلى المضاف إليه أو بجعل الفعيل بمعنى الفاعل ، يرتفع (للكاتب نجل ابن القحي) .

(٣) أي السهام . (قاموس) .

(٤) والنبال بالتشديد الذي يعمل النبل والنبل السهم (هامش الأصل) .

فائدة التلقين

وقال الشيخ أحمد بن المبارك في « الإبريز » : إن شيخه عبد العزيز بن مسعود الدباغ رضي الله عنه سئل وهو حاضر عن فائدة تلقين الورد الذي يعطيه الأشياخ ؟ فقال رضي الله تعالى عنه للسائل : تسألني عن الصادقين ، أو عن الكاذبين ؟ فقال : عن الصادقين . فقال رضي الله تعالى عنه : **فائدته** أنّ الله تعالى حفظ على هذه الأمة دينها بهذه الشريعة المطهرة التي إذا فعلت في الظاهر حفظت الإيمان في الباطن ، وأن الشيخ الصادق معمور الباطن بالمشاهدة مع الحق سبحانه حتى أن المريد إذا قال : لا إله إلا الله ، قبل أن يلقى الشيخ الكامل يقولها بلسانه وقلبه غافل ، والشيخ يقولها بالباطن لعظيم مشاهدته للحق تعالى ، فإذا لقن المريد ! صارت[1] حالته في المريد ، فلا يزال يترقى إلى أن يبلغ مقام الشيخ ؛ إن قدر الله تعالى له ذلك ، ثم ضرب مثلا بالحكاية الشهيرة[2] في دواء ولد الملك بترك اللحم .

حكاية عجيبة في دواء ولد الملك بترك اللحم

فقد وقعت لملك له ولد عزيز عليه ، ثم نزل به ضرر عظيم ، فجمع الأطباء لدواء ولده وتوعّدهم بوعد[3] شديد إن لم يبرئوا ولده ، فاتفق الأطباء على أنّ دواء ولده في عدم أكل اللحم ، فذكروا ذلك للولد فأبى عليه وقال : لا أترك اللحم ولو خرجت روحي في هذه الساعة ! فحار الأطباء ودَهِشُوا في أمرهم ، ونزل بهم ما لا يطيقونه ، حيث امتنع الولد من اتباع سبب الشفاء . وألحّوا عليه المرة بعد المرة ، فلم يزده ذلك إلا نفوراً ، فذهب رجل منهم واغتسل وتضرّع إلى الله تعالى ، ونوى أن

---

(١) لعله سَرَتْ (هامش الأصل) .

(٢) في نسخة : المشهورة .

(٣) الوعد بمعني الوعيد (قاموس) .

لا يأكل اللحم ما دام المريض لا يأكله ، ثم جاء إلى المريض فقال له : لا تأكل اللحم . فامتثل أمره ، وسمع قوله ، وبرئ لحينه ، فتعجّب بقية الأطباء من ذلك ! فأخبرهم بما فعل .

قال رضي الله تعالى عنه : وأيضاً **فإن أهل العرفان من أولياء الله تعالى إذا نظروا إلى ذوات المحجوبين فرأوا ذاتاً طاهرة قابلة لحمل سرّهم مطيقة له؛ فإنهم لا يزالون معها** بالتربية بتلقين الذكر وغيره ، ويكون هذا المطيق للسر هو مقصود الشيخ لا غير ، فإذا جاء إلى الشيخ غيره ممن ليس بمطيق وطلب منه التلقين فإنه لا يمتنع ، لأنه لا يقطع[1] على أحد ،

صفة لواء الحمد

فلذا تجد الشيوخ يلقّنون كل أحد ؛ مطيقا كان[2] أم لا ، مع فائدة أخرى تظهر في الآخرة؛ وذلك **أنه ﷺ يكون بيده يوم القيامة لواء الحمد وهو نور الإيمان** . انتهى .

قال الإمام أبو الحسن علي الصعيدي العدوي في « حاشيته على الخرشي » : ذكر ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن عبد الله بن سلام سأل رسول الله ﷺ عن صفة لواء الحمد ! فقال : « طوله ألف سنة وستمائة سنة ، من ياقوتة حمراء ، وقضيبه من فضة بيضاء ، وزُجّه[3] من زُمُرُّدَةٍ[4] خضراء ، له ثلاث ذوائب ؛ ذُؤابة بالمشرق ، وذؤابة بالمغرب ، وذؤابة

(١) **مهم** : يندفع به تعريض من يعيب على المرشد بتلقين الطريقة المسيئ من السراق والخ (القاض حبيب الله) .

(٢) ويأتي مزيد بيان في حق هذا .

(٣) الزج - بالضم - : الحديدة التي في أسفل الرمح ، وجمعه زجاج ، « مصباح » . (هامش الأصل) .

(٤) عبارة المدابغي وزجه من زمرد خضراء ، والسلام .

وسط الدنيا ، مكتوب عليه ثلاثة أسطر : الأول بسم الله الرحمن الرحيم ، والثاني : الحمد لله رب العالمين ، والثالث لا إله إلا الله محمد رسول الله ، طول كل سَطْر مسيرة ألف عام » قال صدقت يا محمد . ذكره الشهاب في « شرح الشفاء » . انتهى .

للأولياء ألوية وأتباع

ثم قال الشيخ عبد العزيز بن مسعود : وجميع الخلائق خلفه من أمّته ومن غير أمته مع سائر الأنبياء ، وتكون كل أمة تحت لواء نبيها ، ولواء نبيها يستمدّ من لواء النبي ﷺ ، وهم مع أممهم على أحد كتفيه وأمته المطهرة على الكتف الآخر ، وفيها الأولياء بعدد الأنبياء ، ولهم ألوية مثل ما للأنبياء ، ولهم من الأتباع مثل ما للأنبياء ، ويستمدون من النبي ﷺ ، ويستمد أتباعهم منهم كحال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فالمريد إذا لم يكن مطيقاً فإنه[1] ينتفع في الآخرة بشيخه الذي لقنه ، قال رضي الله تعالى عنه : ولا ينتفع منه بمجرد التلقين فقط ومطلق تلفظه بالذكر حتى يتعلم منه كيفية الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله ، وينتفع منه بعض النفع في الباطن . انتهى .

قال القطب الأعظم أحمد ضياء الدين في « جامع الأصول » : إنّ السالك مبتلى بنفسه ، فإذا عمل وحده ! ربما ظفر منه الشيطان بخيالات وأوهام ، وعقائد فاسدة ، وأفكار كاسدة ، وكسل ومكر ، وحيل وزندقة واستدراج وغيرها ؛ ويوهمه أن ذلك من الأحوال والأصول وهو لا يدري ، لا سيّما المبتدئ ! فإنه يشوّش عليه هذه الحالة ، فلا بد من شيخ بشروطه السابقة لينجو من هذه الورطة وعقبات الطريق وتوقّفه .

وأما التلقين وسنده ! فلما كانت الصحبة من لوازمه وشروطه ،

---

(١) مهبّ لأمثالي الحمد لله (حبيب الله) .

وكان الانتساب إلى شيخ إنما يحصل بالتلقين والتعليم من شيخ مأذون إجازته صحيحة مستندة إلى شيخ صاحب طريق وهو إلى النبي عليه السلام ، وكان الذكر لا يفيد فائدة تامة إلا بالتلقين والإذن ، بل جعله الأكثر شرطاً ، **وكان الشيخ في الدين مقدّم النسب على الأب في الطين** كما قال بعضهم :

نسب أقرب في شرع الهوى   بيننا من نسب من أَبَوَي

مطلب : لا بد له من مرشد حسي أو معنوي

وكان السالك لا بد له من مرشد حسي كالشيخ ، أو معنوي كالإلهام وحسن التفقه في الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، مع التيقظ والاعتبار والتفكر بمساعدة التوفيق ، واللطف والعناية ، أو يغنيه الله تعالى عن ذلك كله بمنح من فضله ، وجذبة بها يصل من غير مشقة ، وجب ذكر الأسانيد في كل طرق إلى الرسول عليه السلام .

واعلم أنّ من لا يعرف آباءه وأجداده في الطريق فهو مطرود ، وكلامه دعوى غير مقبولة ؛ وربما انتسب إلى غير أبيه ، لعن الله من انتسب إلى غير أبيه ، **وقد أجمع السلف كلهم على أن من لم يصح له نسب القوم ، ولا أذن في أن يجلس للناس ، لا يجوز له التصدر إلى إرشاد الناس** ، ولا أن يأخذ عليهم عهداً ، ولا أن يلقِّنهم ذكراً ولا شيئاً من الطريق ، إذ السر في التلقين إنما هو ارتباط القلوب بعضها ببعض إلى الرسول عليه السلام إلى حضرة الحق جل جلاله ، فمن لم يدخل سلسلة القوم فهو غير معدود منهم . انتهى ٢١ .

وقد نرى الخيط الممدود الحسي ، والحديد المسلسل المُسَمَّى بلغتنا بـ(تِلْ) كيف يسمع النداء إذا تكلم بوضع الفم عنده من بعيد ،

وهكذا يكون أمر المريد إذا أخذ الورد من الشيخ ! يحصل بين قلبه وقلبه خط نوراني[1] إلى قلب رسول الله ﷺ فيحصل منه المدد ، وأما إذا ترك المريد ذلك الورد ! ينقطع المدد ، كما ينقطع الخبر إذا انقطع خيط (التِّيل) المحسوس ، وبطل استعداده ، وانقطع عليه الطريق ورجع القهقرى ؛ فقد قال صاحب « غرائب القرآن » ما نصه : فإن الإنسان كالبيضة المستعدة لقبول تصرف دجاجة الولاية فيه وخروج الفرخ فيها ، فما لم تتصرف فيها الدجاجة يكون استعداده باقياً ، فإذا تصرف الدجاجة فيها وانقطع تصرفها عنها بإفساد البيضة ! فلا ينفعها التصرفت بعد ذلك لفساد الاستعداد ؛ ولذا قالت المشائخ : **مرتد الطريقة شر من مرتد الشريعة** . انتهى . فراجعه من سورة المؤمنين .

وفي « الصاوي » ما حاصله : من زلّ به القدم في عهد شيخه فنقضه ؛ فإنه مطرود عن طريقه ، ومتى طرد عن طريقه فقد سُلِبَ ما وهبه الله تعالى من النور الإلهي ، فلا يرجى به الفتح في طريقة أخرى ، **لأن غاية الطرق واحدة** ، وهو قد طرد عن الغاية . انتهى فراجعه في سورة النحل .

مهمات لمن نقض عهد شيخه

وفيه أيضا : فالشيخ المتمسك بشرع رسول الله ﷺ القائم بحقوق الله وحقوق عباده إذا أخذ العهد بذلك على إنسان وجب عليه اتباعه ، ونقض عهده إما كفر ! إذا قصد نقض ما هو عليه من التوحيد وغيره ، أو ضلال مبين ! إذا قصد عدم الالتزام بأوراده[2] . وأما من خالف الشرع واتبع هوى نفسه ! فالواجب نقض عهده ، لأنّ من لا عهد له مع الله لا عهد له مع

---

(١) أي بواسطة سلسلة قلوب المشائخ . فافهم ! (منه) . (هامش الأصل) .

(٢) فلا بد للمريد الصادق أن يوافق شيخه في الشريعة والطريقة ، فإن موافقته كموافقة النبي ﷺ . كذا ذكره أحمد الزركراني في « رسالته » . فراجعه قبيل الفصل الثالث . (منه رحم الله إفلاسه) .

خلقه . انتهى . فراجعه .

وقد أوردنا طرفاً من هذا القبيل في تأليفاتنا ، واكتفينا هنا بهذا القدر اليسير استطراداً ، فينبغي للمريد أن يلازم على ما أمره به شيخه ، **فإن حفظ العهد والاشتغال بالورد إقبال على الله تعالى ، ونقضه وترك الورد**[١] **إعراض عنه ، ومن أعرض عن الله أعرض الله عنه** ، والعياذ بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . فافهم ! فإنه مهم لمن له اهتمام .

وفي شرح « تائية السلوك » : من شرط الذكر النافع أن يأخذه المريد بالتلقين من أهل الذكر كما أخذ الصحابة رضي الله تعالى عنهم من رسول الله ﷺ . انتهى ٦٢ .

وفيه : ومن لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه ، لأن النفس التي هي مريدة الشيطان كثيرة التلبيس عظيمة التدليس ، توهم العبد أنه صادق ؛ وهو كاذب ، وأنه مُوفٍ بعهده وهو نَاكِثٌ[٢] ، وأنه زاهد وهو راغب ، وإنما يعرف ذلك من نفسه بتنبيه شيخ يلقي إليه قياده ، أو فقيه يستفتيه في سائر أموره ؛ أو صاحب ناصح ، فالشيخ أوّل[٣] دليل ، وعليه عند القوم التعويل ، فمن استضاء به اهتدى ، ومن ضلّ عنه ارتدى ؛ على حد ما قيل :

مَنْ لَمْ يَكُنْ خَلْفَ الدَّلِيلِ مَسِيرُهُ ... كَثُرَتْ عَــلَيْهِ طَــرَائِقُ الأَوْهَـامِ

---

(١) فالمقبل إلى الله تعالى ، يقبل إليه والدليل قوله تعالى ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ ، ومن أعرض عنه تعالى يعرض عنه وقوله تعالى ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ ﴾ ، شاهد عادلٌ على ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) وفي نسخة : ناكسٌ .

(٣) في نسخة : أدلّ .

وقال آخر :

لا تسلكنَّ طريقاً لستَ تعرفها بلا دليل فتهوي في مهاويها

فلا بدّ للمريد من شيخ كامل يقتدي بآثاره ، ويهتدي بهديه وأنواره ، فإنه واسطة الخير ، والوسيلة إلى المنع من الضير . انتهى ٥٩ .

وفي « الصاوي شرح الجلال » : ما نصه : فلا بدّ فيها - يعني : في الأذكار - من الشيخ العارف ، وإلاّ ! دخلها الشيطان ولم ينتفع صاحبها . انتهى راجعه من سورة الأحزاب .

وفيه أيضاً : فالذكر أفضل الأعمال ، وهو المقصود من تلاوة القرآن ومن الصلاة ، ولذلك ورد عن الجنيد أنه كان يأتيه العصاة يريدون التوبة فيلقنهم الذكر ، ويأمرهم بالإكثار منه ، فتنّور قلوبهم . فراجعه .

نفي الخواطر خير من مطالعة الكتب

وفي « الفتاوى العمرية » : إن قلت : إني لا أتخذ شيخاً ، بل أطالع كتب الشرع والتصوف ، وأتعلم غوائل النفس وأمراض القلب وعلاجها . **قلت : نعم ، ولكن اشتغالك بالذكر والفكر ونفي الخواطر ساعة خير لك من اشتغالك بمطالعة الكتب سنين عديدة .**

قال حضرة خواجه شاه نقشبند قدس سره الأمجد : **أقرب الطرق إلى الله عندنا نفي الوجود ، وإن كان الصلاة والصيام طريقاً إلى الوصول إلى الله تعالى!** لكن لا يتمّ الوصول إلا بنفي الوجود ، وقد قيل : **وجودك ذنب لا يقاس عليه ذنب آخر** . فلذلك كان السالك يجد من المدد في الظاهر ما لا يجده في الصوم والصلاة ، **فلا تلتفت أيها السالك إلى سائر أورادك ما عدا الفرائض والواجبات والرواتب** ، واجتهد لقطع علائق القلب والفناء إن كنت تريد الوصول إلى المقصود .

وقال أبو يزيد البسطامي قدس الله سره السامي : **جلسة خير من ألف حجة** ؛ أي الجلوس ساعة **متفكراً في عظمة الله تعالى** ، **منقطعاً عن سائر الخواطر** ، **خير من ألف حجة في غفلة** ، لأنه ربما يصل الأول إلى الله تعالى في لحظة بسبب التفكر ، **وأما الأخير** ؛ **فكالحمار يحمل أسفارا**[(١)] **يذهب إلى الحج ويرجع** ، ولا يتفكر في شيء من عظمة الله تعالى ووعده ووعيده ، ولا يتخلص عن الأخلاق الذميمة .

إن قلت : فهل لا يمكن الذكر والفكر بلا اتخاذ شيخ وأستاذ ؟

التسليم للشيخ تسليم لله

قلت : نعم ، يمكن إن تعلّمت آدابه وأركانه وأصوله ، ولكن لا تقطع المسافة الروحانية ! كمثل مُرْكَب الرحى يظن أنّه قطع بسيره ومروره مسافة كثيرة مع أنه يدور دائماً حول دائرة الرحى وعيناه مستورتان ، فبركة اليد الصحيحة كثيرة ، ونفع صاحب النسبة وَفِيرَةٌ[(٢)] فلا بد لطالب النجاة ومريد الفوز والسعادة أن يتمسّك بأذيال المشائخ من أهل الطريق ، لقد فاز مَن كان له شيخ يرشده ، وخسِر مَن لم يتخذ له شيخاً ، فلا بُدَّ للطالب من شيخ أديب كامل وأستاذ حاذق ؛ يبصره بعيوب نفسه ، وآفات النفوس ، وفساد الأعمال ، ومداخل العدو ، وينصحه نصيحة الأب بلا غرض ولا عوض ، فإذا وجد مثل هذا فليلازمه وليصحبه وليتأدّب بآدابه ، ليسري من باطنه إلى باطنه حال قوي ؛ كسراج يقتبس من سراج ، ولينسلخ من إرادة نفسه بالكلية ، فإن التسليم له تسليم لله ولرسوله ، لأن سلسلة التسليم ينتهي إلى رسول الله تعالى وإلى الله على مقتضى : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ « روح البيان » انتهى .

---

(١) أي كتباً في عدم انتفاعه بها .

(٢) ورأيت في « رغائب القرآن » ما نصه : وقد ينعكس نور ولاية الشيخ على مرآة قلب المريد الصادق ؛ فينال به مرتبة لم يكن ينالها بمجرد أعماله . انتهى فراجعه من سورة النور . (منه) .

هذا ما عندي في هذا المبحث ، ولعل الأخ البُرْجِيَّ - أدخله الله في الحصن المنجي من آفات النفس والهوى - يرضى بهذا القدر اليسير ، وقد ذكرنا نُبذة منه بالتفصيل في « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » ، وكذا بسطنا الكلام في حقه في « خلاصة الآداب لمن أراد فتح الأبواب » ، فمن راجع إليهما يجني ثمار المعارف ، والله الموفّق للسداد ، ومنه نستمدّ وهو ولي الرشاد .

البرج الثاني

في جواب مسألة ذلك السائل بقوله : فحين إرادة الله تعالى جزاء عمل العبد خيره وشره ولو مثقال ذرة ، فما معنى تخصيص إحباط العمل بمن ليس له شيخ ؟! وما الفرق بين من له شيخ ومن لا ؛ في ذلك ؟

فنقول وبالله الإعانة والتوفيق : الفرق بينهما كالفرق بين الأعمى الذي يمشي بنفسه في الفلاة التي فيها سُبع وأُسد وحيات وعقارب وغيرها من المُضرات ، **وبين الذي يمشي خلف البصير الذي يعلم مواضع الهلكة ليحترز منها** ، ويعلم الطريق الذي ليس فيه شيء منها ، والحال أنه في يده سِلاح جيّد يمنع من ضررها لو لقيها فجأة ، ومما لا يخفى على عاقل أن الأعمى الذي ليس له قائد قد يقع كثيراً في مواضع الهلكة فيهلك فيها ، ولا يصل إلى المقصود فيحبط سعيه وعمله ، بخلاف من يمشي خلف الدليل والقائد ! وهكذا يكون الفرق بين من سلك بنفسه ، ومن سلك بأخذ التلقين من شيخه ، فإن الغالب على العامي أن لا يخلص عمله من شوائب المحبطات ، **فالعمل الذي ليس فيه إخلاص لا يعدُّ من الحسنات** حتى يثاب على فاعله ، بل يعاقب عليه ؛ ويقال له يوم القيامة : خذ أجرك ممّن

عملت له ، كما هو مذكور في الأحاديث . بخلاف السالك ! وقوله تعالى ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[1] شاهد عدل لذلك ، **فافهم** .

وقد قال بعض العارفين ما معناه : يصل السالك بصحبة واحدة مع الشيخ إلى ما لا يصل برياضته وحده ألف سنة . انتهى . وذلك لأن الشيخ يتصرف فيه بتوجهه ، فيزيل منه الحجاب الذي هو سبب لإحباط عمله ، ومن هنا قال الإمام الرباني في بعض مكاتيبه :

مهم

ويعمل توجههم الواحد عمل مائة من الأربعين . كما هو مذكور في « الدرر المكنونات » . فراجعه .

وفي « لطائف المنن » للشعراني : **النظر إلى وجه الولي ساعة واحدة على جهة التعظيم له خير للمريد من عبادته وحده خمسين سنة** . فراجعه من الجزء الأول .

وفي « الصاوي » : حال رجل في ألف رجل أنفع من وعظ ألف رجل في رجل واحد . انتهى فراجعه في سورة الفرقان .

وفي « غرائب القرآن » في تأويل قوله تعالى ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ : فيه أنّ **دَرَجَ الجنات ينالها المرء ببركة جليسه الصالح** ، وقد ينعكس نور ولاية الشيخ على مرآة قلب المريد الصادق ؛ فينال به مرتبة لم يكن يصل إليها بمجرَّد أعماله انتهى . فراجعه في سورة النور .

وأيضاً : إن السالك بنفسه قد يتخذ ورده وسيلة إلى المقصود ، ولا يفعله **غالباً عبودية محضة ، وهذا مما يمنع من الفتح ، أو يُبْقي في طريقه**

(١) قال الإمام محمد بن جرير الطبري في تفسير هذه الآية : لئن أشركت بالله شيئاً يا محمد ليبطلنّ عملك ولا تنال به ثوابا ولا تدرك به جزاءً إلاّ جزاء من أشرك بالله . انتهى (لمحرره العوري غازي محمد) .

زمناً طويلاً . وقد قال الشعراني : وقد كنت قبل اجتماعي بأهل الطريق أتخذ أعمالي وسائل إلى تحصيل أغراض ، فإن حصلت تلك الأغراض ! ثَبَتُّ على ذلك ، وإلاَّ ! تحوَّلت منه ، **فلما اجتمعت بأهل الطريق قالوا لي : اجعل أعمالك كلّها مقاصد لتحضر فيها مع الله تعالى ، ولا تتخذها وسائل فتموت ؛ ولا تصلُ إلى مقصودك ، فقرَّبوا عليّ الطريق ، فلو لم يكن في الاجتماع بهم إلا هذه الخصلة ! لكان فيها كفاية** . انتهى . من « لطائف المنن » ٤٩ ج١ .

وقال الشعراني أيضاً فيه : **ومراد جميع أشياخ الطريق بتسليكهم الناس أن يوصلوا المريد إلى مقام العمل بالإخلاص الذي كان عليه السلف الصالح**[1] ، **أو بعضه لا غير** ، فإن اشتغل أحدهم بعد ذلك بالعلم ، أو صلّى ، أو صام ، أو حجّ ، أو تورّع أو زهد كان محفوظاً من الرعونات التي تجرح مقام الإخلاص ، أو تحبط العمل . انتهى ٤٧ ج١ .

ومن المعلوم أن الإنسان منذ صِبَاهُ ناظر إلى الخلق ، مشحون بالرياء ؛ مداوم على التزيّن والتصنع ، حتى أنه لو رأى على أنفه ووجهه نقطة سوداء ! يسرع في إزالتها لئلا يراه الناس مع هذه النقطة ، وقد صارت هذه الحالة عادة له **فصعب عليه تركه بنفسه ، فكيف ؛ وقد قال بعض العارفين : فطام العادة أصعب من فطام الرضاعة !!**

العوائد[2] قطاع الطريق

وقالوا : العوائد قطاع على طريق البرية ؛ يقطعون الطريق على كل سالك . كما ذكره الشعراني في « المنن » في ٢٨٦ ج١ .

---

(١) الصحابة قبل مائتي سنة يسمون سلفاً . والتابعون بعد مائتي سنة يسمون خلفاً « نور الدين » (هامش الأصل) .

(٢) جمع عادة .

فإذا كان الأمر كذلك ؛ وكان الرياء أخفى من دبيب النمل في الليلة الظلماء لا يعرف دقائقه إلا البصير الناقد ، وكان العمل المشوب به محبطاً لثوابه بالنصوص ، وكان سيما الرياء غالباً على كل من ليس له شيخ كامل ! جاز تخصيص الإحباط بمن لم يتخذ له الشيخ في الطريق ، لأن الحكم يبنى على الغالب الأكثر كما قالوا .

واعلم أيها الأخ العالم محمد دبر البرجي - رزقك الله تعالى التوفيق والاستقامة آمين : **أن أحسن حال مَن ليس له شيخ يريه طرق الإخلاص : أن يعبده لأجل الجنة والفوز بالثواب والدرجة العالية ، والحال أن العارفين ينفرون من أهل الآخرة كما ينفرون من أهل الدنيا** . كما هو مذكور في « الرشحات » ، وقد قال الغزالي في « الإحياء » : **العامل لأجل الجنة عامل لبطنه وفرجه . انتهى** . وقال الشعراني في « لواقح الأنوار » : **ومن لم يسلك على يد شيخ فهو عبد الثواب حتى يموت لا يتخلص منه أبداً** ، فهو كالأجير السوء الذي لا يعمل شيئاً حتى يقول لك : قل لي أيْشْ[(١)] تعطيني قبل أن أتعب ؟ ! فأين هو ممّن تقول له افعل كذا وأنا أعطيك كذا وكذا ! ! فيقول : والله ما قصدي إلا أن أكون من جملة عبيدك ، أو أكون تحت نظرك ، أو أكون في خَدَمِكَ لا غير ! أليس[(٢)] إذا اطلعت على صدقه تقرِّبه وتعطيه فوق ما كان يؤمل لشرف همّته ؟ ! بخلاف من شارطك ! فإنه يثقل عليك ، وتعرف أنت خسّة أصله وقلة مروءته ، ثم بعد ذلك تعطيه أجرته وتصرفه عن حضرتك ، وربما انصرف هو قبل أن تصرفه أنت لعدم رابطة

---

(١) أي : أيّ شيء .

* ولا يقبل من العبد إلا العمل المخلَص قال تعالى ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ ، والإخلاص محلّه القلب لا اللسان . فالقلب محل سرّ الله فلا يقبل الله من عباده عبادة إلا من القلب الذي هو محل نظره تعالى . « توحيد الجرومية » تأليف الشيخ الإمام علي بن ميمون الإدريسي الحسني المغربي .

(٢) لعل في (ليس) ضمير الشأن اسمه ، فراجع .

المحبة التي بينك وبينه ؛ فما أقبل إليك إلا لأجرته ، فلما وصلت إليه ولّى ونسيك ، **ولا هكذا من يخدمك محبة فيك . فاعلم ذلك** .

نية علي الخواص

وسَمِعْتُ سيدي عليّاً الخواص إذا صلى نفلاً يقول : أصلي ركعتين من نِعَمِ الله عليّ في هذا الوقت ، فكان - رضي الله عنه - يرى نفس الركعتين من عين النعمة ؛ لا شكراً لنعمة أخرى ، فقلت له في ذلك ! فقال : ومن أين يكون لمثلي أن يقف بين يدي الله عز وجل ؟ والله إني لأكاد أن أذوب خجلاً وحياءً من الله لما أتعاطاه من سوء الأدب معه حال خطابه في الصلاة ، فإن أمّهات آداب خطابه تعالى مائة ألف أدب ! ما أظن أنني عملت بها بعشرة آداب ، فأنا إذا وقفت بين يديه في صلاة أو غيرها من العبادات إلى العقوبة أقرب ، فكيف أطلب الثواب ؟ !

مطلب

وسمِعْتُه مرة أخرى يقول : يجب على العبد أن يستقلَّ عبادته في جانب الربوبيّة ؛ ولو عَبَد ربّه عبادة الثقلين ! بل ولو عبده هذه العبادة على الجمر من ابتداء الدنيا إلى انتهائها ما أدّى شكر نعمةِ إِذْنِهِ له بالوقوف بين يديه في الصلاة لحظة ، ولو غافلاً ! وكذلك ينبغي له إذا قلّت طاعاته أن يرى مثله لا يستحق ذلك القليل ، **ومَن شهد هذا المشهد حُفِظ من العجب في أعماله** ، وحفظ من القنوط من رحمة الله تعالى . انتهى . من « العهود المحمدية » ٢٠٦ راجعه من هامش « المنن » من الجزء الأول .

مطلب

وقال في « لطائف المنن » : ومما مَنَّ الله تبارك وتعالى به عليّ : عدمُ طلبي الثواب من الله تبارك وتعالى على شيء من الأعمال التي أبرزها عز وجل على شيء من جوارحي ؛ إلا من باب المنة والفضل ، لعلمي

بأن نعم الدنيا والآخرة ما خلقها الله تبارك وتعالى إلا لنا ، لأنه غنيّ عن العالمين ، فمن الأدب طلب ذلك الثواب الذي جعله في مقابلة تلك الطاعة ؛ إظهاراً للفاقة والحاجة ، ومن لم يطلب ذلك الثواب فهو قليل الأدب لإظهاره الغنى عن فضل ربه جل وعلا . **فافهم** .

وَقَدْ شَنَّعَ[1] العارفون – رضي الله تعالى عنهم – على مَن قال : لا يبلغ الفقير مقام الكمال حتى لا يكون له إلى الله حاجة . انتهى ، لأن ظاهره وصول العبد إلى الغنى المطلق ؛ وذلك محال ، إذ العبد لا يستغني عن الله تعالى طرفة عين ، ولو لم يكن إلا خروج النَّفس ودخوله ! فتارك النفس يموت ، ويصح أن يجاب عن ذلك بأن مراده الاكتفاء بعلم الله تعالى فيه وبما قسمه له ، وأن الحق تعالى قد أغناه عن السؤال بالقسمة الإلهية . والله سبحانه وتعالى أعلم .

ووالله إني لأرى الفضل لله تعالى الذي أهّلني للوقوف بين يديه ؛ ولو خَلْفَ جميع العصاة المارقين الفاسقين ؛ رجاء أن يصيبني شيء من الرحمة التي لعلَّها أن تنالهم ، وَأَنّى لمثلي أن يقف بين يدي رب العالمين في صلاة أو غيرها مع جهله بآداب تلك الحضرة المقدسة ! ؟ فالحمد لله الذي لم يطردني كما طرد تاركي الصلاة ، فلم يمكِّن أحداً منهم أن يقف بين يديه .

وفي بعض الكتب الإلهية يقول الله عز وجل : (ومَن أظلم ممّن عبد لي لجنة أو نار ، لو لم أخلق جنة ولا ناراً أَلَمْ أَكُنْ أَهْلاً لأَنْ أُطاعَ) ! ! . انتهى .

وكان سيدي عليُّ الخوَّاص – رحمه الله تعالى – يقول : لا يليق

---

(١) الشناعة : الفضاعة ، فَظُعَ الأمر كَكَرُمَ ؛ اشتد شناعته وجاوز المقدار في ذلك « قاموس » وشنّعتُ عليه الأمر : نسبته إلى الشناعة . (هامش الأصل) .

بأحد من أمثالنا أن يسأل الله تعالى ثواباً على عبادته ، وإنما اللائق به أن يسأل العفو عما جناه في تلك العبادة من سوء الأدب وعدم الخشوع فيها ، لما ورد أن الصلاة إذا لم يكن فيها خشوع تُلفُّ كما يُلَفّ الثوب الخَلِق ، ثم يضرب بها وجه صاحبها .

وسَمِعْتُه أيضاً رضي الله تعالى عنه يقول : لا يصح لعبد أن يسأل ربّه ثواباً على أعماله من باب المنة والفضل ؛ إلا إن أحْكَمَ مقام التوحيد لله تعالى في الفعل ، وإلا ! فمن لازمه غالباً طلب الثواب في مقابلة عمله . كما عليه طائفة العُبَّاد الذين لم يسلكوا الطريق ، فيقول الحق جل وعلا لأحدهم : ادخل الجنة برحمتي . فيقول : بل بعملي ؛ كما ورد . ولو أن أحدهم ذاق التوحيد لم يقل لربه مثل ذلك ! لأنه جهل وخروج عن أداب العبد ، **فإن من شأن العبد أن يخدم سيده قياماً بواجب حق السيادة ، لا لعلة أخرى من علل النفوس!**

وإيضاح ذلك : أن مَن شهد الفعل لله[١] تعالى كشفاً زال عنه طلب الثواب على طاعته جملة واحدة ، لأن أحداً لا يَطْلبُ ثواباً قطّ على فعل غيره .

وسمعته أيضاً – رضي الله تعالى عنه – يقول : إنما شرَع ﷺ للمصلي حين يسلم من صلاته أن يقول : أستغفر الله ، أستغفر الله ، أستغفر الله (ثلاث مرات) ! ليتنبه المصلي على نقص صلاته وعدم الحضور مع الله فيها ، وكثرة الغفلة ، وحديث النفس ، وغير ذلك ، إذ الاستغفار لا يكون إلا عن ذنب ، أقلُّ ما هناك شهوده نسبة الطاعة إليه مع كونه غافلاً عن شهود كون الحق تعالى هو الخالق لها ، وما قال عارف قط : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إلا على وجه التلاوة فقط ؛ لا على وجه كونه له شركة

(١) أي خلقاً لله جملة ، ليس للعبد فيها غير النسبة . كما سيأتي (هامش الأصل) .

في الفعل إلا بقدر نسبة التكليف فقط . تعالى فعلُ الله عز وجل عنده - أي : العارف - عن الشركة . **فافهم** .

وبالجملة فمن تأمَّل وجد حكم وقوف أمثالنا بين يدي الله تبارك وتعالى حكم العبد المجرم الذي فسَق في حريم الوالي وعرضوه عليه ليعاقبه ، فلا يكاد يخطر بباله قط أنه يخلع عليه خلعة ، وإنما يسأل ربَّه عز وجل في العفو عنه وترك العقوبة ، وما أبردها على كبد ذلك المجرم إذا سمع بأن الوالي عفا عنه ، وترك معاقبته ، وحَرْقه بالنار ، ووَضْع الخُوذة المُحمَّاة على رأسه . فالحمد لله رب العالمين . انتهى ١٢٤ ج٢ .

وفي « لطائف المنن » أيضاً في موضع آخر : ومما منّ الله تبارك وتعالى به عليّ : عدمُ اعتمادي على شيء من طاعتي دون الله تبارك وتعالى ، **فإن كل مَن اعتمد غير الله تبارك وتعالى تخلّى عنه في الآخرة** . ووالله ؛ **ثم والله ثم والله إني لأنصرف من صلاتي وأنا في خجل من ربي عز وجل أكثر من خجلي إذا عصيته ، لسوء ما يقع لي في صلاتي من شهودي سوء الأدب والغفلة عما يليق بتلك الحضرة** ، ولا أتجرأ أن أقول في سجودي أو في ركوعي : اللهم لك سجدت وبك آمنت ، أو : اللهم لك ركعت . . . . إلى آخره ، إلا إن أعقبت ذلك بقولي : ركوعاً أو سجوداً أستحق به في اعتقادي المؤاخذة لولا عفوك وحلمك وشفقتك عليّ ؛ ذلك الفضل الذي لم تخسف بي الأرض ، ولم تمسخ صورتي . انتهى .

فلو نظر العبد لوجد سُداه ولحمته ذنوباً بالنظر لما يستحقُّه جلال الله عز وجل ، ومَن كان هذا مشهدُه لا يقدر أن يرفع له بين العباد رأساً .

وفي منظومة الشيخ إسماعيل بن المقري - رضي الله تعالى عنه وأرضاه ونفعنا ببركته وإمداداته - :

ذنوبك في الطاعات وهي كثيرة إذا عُدِّدت تكفيك عن كل زلَّة

تصلِّي بلا قلبٍ صــلاة بمثلــها يــكون الفتــى مـستوجباً للعقوبة
صلاة أقيمـت يعلــم الله أنــها بــفعــلك هـذا طاعة كالخطيئة

إلى آخر ما قاله – رضي الله عنه – .

فعلم أن مَن كان ما ذكرنا مشهده في طاعته ! فهو غائب عن طلب ثواب بفعلها ، بل لا يتجرأ[١] أن يطلب ذلك من الله أبداً ! فحكمه كالمجرم الذي أتوا به بين يدي الوالي بسبب قتل ، أو عمل زغل[٢] ، أو فجور بامرأة أمير ، ونحو ذلك . فافهم يا أخي ذلك ، واعمل على التخلُّق به ترشد . والله تعالى يتولَّى هداك . والحمد لله رب العالمين . انتهى ١٥٨ ج ١ .

وفي « شرح سلك العين » : وفي الطاعات من الآفات ما يغني عن طلب المعاصي في غيرها .

ومن جملة ذنوب الطاعات : استكثارها واستعظامها ، والسكون إلى ما فيها من اللذة والحلاوة . كما قيل : استحلاء المريد الطاعات سموم قاتلات ، ومن ذنوبها طلب الأعواض عليها ، والراحة بها ، والفرح على سبيل الاعتماد والتشوُّق إلى الكرامات العاجلة .

وأما إقامتها بالجهل واستدامتها بالسهو والغفلة وسوء الأدب والهواجس الردية ، وملاحظة الخلق رياء وسمعة ونحو ذلك ! ! **فهذا من كبائر الذنوب عند أرباب القلوب** ، و(حسنات الأبرار سيئات المقربين) ، وفيهم نزل ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ أي : يصلُّون ويصومون ويقومون ؛ ويخافون من الله أن لا يقبل منهم ذلك .

وقيل : **رُبَّ صلاة لو قُسمت ذنوبُ فاعلها على أهل بلد لوسعتهم ،**

(١) في نسخة : لا يجترئ .
(٢) أي الفساد . « صحاح » . (هامش الأصل) .

ولو نزلت عقوبتها على أهل قُطرٍ لعمَّتهم . انتهى .

وفي « شرح الحكم » : قال أبو سليمان – رضي الله تعالى عنه – : ما استحسنتُ من نفسي عملاً فاحتسبته .

وقال علي بن الحسين – رضي الله تعالى عنه – : كل شيء من أفعالك إذا اتصلت به رؤيتك فذلك دليل على أنه لا يقبل ، لأن المقبول مرفوع مغيَّبٌ عنك ، وما انقطعت عنه رؤيتك فذلك دليل على القبول .

دليل القبول

وقد سئل بعض العارفين : ما علامة قبول العمل ؟ ! . قال : نسيانك إياه ، وانقطاع نظرك عنه بالكلية ، بدليل قوله تعالى ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ قال : فعلامة رفع الحق تعالى ذلك العمل : أن لا يبقى عندك منه شيء ، فإنه إذا بقي في نظرك منه شيء لم يرتفع إليه لبينونةٍ بين عنديّتك وعنديّته ، فينبغي للعبد إذا عمل عملاً أن يكون عنده نَسْياً مَنْسِيّاً بما ذكرناه من اتِّهام النفس ، ورؤية التقصير ، حتى يحصل له قبوله . انتهى ٤٢ .

وقال ابن عطاء الله رحمه الله في « لطائف المنن » : وقال في قوله عز وجل ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ كل موضع ذكر فيه المصلين في معرِض المدح فإنما جاء لمن أقام الصلاة ؛ إما بلفظ الإقامة ، أو بمعنى يرجع إليها ، قال الله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ، ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ ، ﴿ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ، ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ، ﴿ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ، ﴿ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ ، ولما ذكر المصلين بالغفلة قال ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ﴾ ولم يقل : فويل للمقيمين الصلاة ! والإقامة هو : أنه إذا صلى المؤمن صلاة فتقبلتْ منه خلق الله تعالى من صلاته صورة في ملكوته راكعةً ساجدة إلى يوم

القيامة ، وثواب ذلك لصاحب الصلاة . انتهى ١٥٨ .

وفي « الشرقاوي في شرح الحكم » لابن عطاء الله قدس سره : لا عمل أرجى للقبول - أي : لقبول الله تعالى له - من عمل يغيب عنك شهوده ؛ بأن تشهد أن الذي وفَّقك له هو الله تعالى ، ولولاه ما صدر منك ذلك العمل ، ويحتقر عندك وجوده ؛ بأن لا تعتمد عليه في تحصيل أمر من الأمور ، كالوصول إلى الله تعالى والقرب منه ونيل الدرجات والمقامات ، لرؤيتك التقصير فيه ، وعدم سلامته من الآفات المانعة من قبوله . انتهى .

من يعبد لغرض فاسد عابد لصنم

وفي « لطائف المنن » للشيخ الشعراني - رضي الله عنه - : وقد سمعت سيدي علياً الخواص - رحمه الله تعالى - **يقول : لا فرق بين عباد الأصنام وبين من يعبد الله تعالى لغرض فاسد ، فإن الأصنام المعنوية كالأصنام الحسيّة على حدّ سواء** ، لأن كلاً من العابدين اتخذ من دون الله ما لم يأذن به الله ، وهم في ذلك على طبقات ؛

فمنهم : مَن قصد بعلمه وعمله وما يقع على يديه من الخيرات حصول المكانة في قلوب الناس ، ودوام الصيت وانتشار الجاه .

ومنهم : مَن يقصد بعلمه وعمله إعلاء الدرجات ، وظهور الكرامات ، والتصريف في الكون ، والمشي على الماء ، والطيران في الهواء وكشف الغيوب .

ومنهم : مَن لم يقصد بعلمه وعمله شيئاً من أمور هذه الدار ، إنما يقصد بذلك الحور الحِسان ودخول الجنان ، وغير ذلك من ثواب الآخرة .

ومنهم : من يقصد بذلك السلامة من النار ، والخوف من الحساب والعقاب ، وما أعدَّه الله تعالى لأهل تلك الدار من النكال والوبال .

ومنهم : من يقصد بعلمه وعمله القرب من الله تعالى ، والرضا عنه والمحبة له .

ومنهم : من لا قصد له في علمه وعمله إلا علمه باستحقاق مولاه العبادة والتذلل والخضوع ، والوقوف عند أمره ونهيه ، قد تبرأ من الاعتماد على حوله وقوته وعلمه وعمله وقصده وإرادته ؛ فأتى بأعماله على وجه الإخلاص وهو خائف من الله تعالى ، لا يرى أنه قام بذرّة واحدة من الأمور التي كُلِّفَ بها على الوجه الذي أُمِر به ، ومن هنا يترقَّى السالك في مراتب إخلاص الخواص التي كل ذرة منها تعدل عبادة ألف سنة من عبادة أهل تلك الأقسام السابقة ؛ فاعلم ذلك ، واعمل به ، والحمد لله رب العالمين . انتهى راجعه في ٣١٣ ج ١ .

وقد كنت نقلته في « تنبيه السالكين » بَيْدَ أنه لما وقع الاحتياج كررته في هذا التأليف ، فتدبّر أيها الأخ السائل في هذه المذكورات لعلك تعرف الفرق بين عبادة مَن له شيخ ومَن لا ! ! والله يتولى هداك . قال تعالى ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ الآية وقد نكّر قوله : (شيئاً) ومن هنا قد تبرَّأ السالكون في طريق الله تعالى عن الالتفات في عملهم إلى السوى ، وخاضوا في طريق الخلاص من اتباع الهوى ، وتجنَّبوا عن الدخول في دائرة قوله تعالى ﴿ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ وشهدوا مآل حديث : « تعس عبد الدينار والدرهم والخميصة » وعلموا حقيقة قوله تعالى ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ ، وأدركوا بمعونة الشيخ ومدده دقائق الإخلاص ومراتبه ، فنجوا بفضل الله تعالى عن رِقيّة السوى ، وأتوا أعمالهم بملاحظة الذات المقدسة ، حتى لم يلاحظوا الصفات والأسماءَ لِعِلمهم بنور بصائرهم مثلاً ؛ إن عبد المنعم لا يكون عبد المنتقم ، ففازوا بالعبودية ، وصاروا من أهل الوصلة ، وظفروا بالمشاهدة التي تصحبها مكالمة .

الإخلاص سرٌّ من أسرار الله تعالى

وفي « المتممات » : وقال النبي – عليه السلام – حكاية عن الله تعالى : « الإخلاص سر من أسراري ، أستودعه[1] قلب مَن أحب من عبادي » فبذا يعلم أن اطلاع سر الله عسير ، ومراتب الإخلاص خفية كثيرة ، فسلوك طريق المشائخ يكون واجباً على كل مَن ليس له قلب سليم بالجذبة الوهبية من باب : (**ما لا يتم الواجب إلا به؛ فهو واجب**) فإن من لم يسلك الطريق ! فالغالب عليه عدم خلوص أعماله من دقائق الرياء وشوائبه ، ولو برؤية إخلاصه في إخلاصه .

وفي « المنن » : وقد أجمع الأشياخ على أن من شهد في نفسه الإخلاص يحتاج إخلاصه[2] إلى إخلاص انتهى ٣١ ج ١ ، **ولا يتخلص العبد من الشيطان إلا بالإخلاص** ، كما صرَّحه الغزالي في « الإحياء » فراجعه ٢٩٤ ج ٤ .

فائدة : قد مرَّ أن الذكر المأخوذ من الشيخ يكون معه نوره ، لكن ينبغي أن يعلم أن القلب لا ينجلي من الحجب إلا بذكر كثير ، وقد قال تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ . وقال بعض العلماء : **إن الذكر الكثير لا يطيق عليه إلا إن أخذه عن الشيخ بالتلقين** . وقال الإمام الرباني – قدس سره – : إن المقصود من السلوك والجذبة تطهيرُ النفس من الأخلاق الردية والأوصاف الرذيلة ، ورأس جميع تلك الذمائم التعلق بالنفس و تحصيل مراداتها وهواها ، فحينئذٍ لا يكون بدٌّ من السير الأنفسي ، ولا مندوحة[3] من الانتقال من الصفات الذميمة إلى الأخلاق الحميدة . انتهى من « المكتوبات » في ٤٧ ج٢ .

---

(١) يقال : استودعه الوديعة : أي استحفظه إياها . (مختار) (هامش الأصل) .

(٢) وبيانه في « الإحياء » (منه) . (هامش الأصل) .

(٣) يقال : لك مندوحة منه بفتح الميم . أي : سعة وفسحة . « مصباح » . (هامش الأصل) .

وفي « تنوير الصدر » ما خلاصته هذا : **إن السير في الشريعة على الاستقامة والإخلاص لا يتمُّ إلا بصحبة شيخ عارف** .

وفي « الجواهر » للشعراني : وسئلت عن الدواء الذي إذا استعمله العبد زال عنه الرياء والإعجاب بنفسه ، فقلت : الإكثار من ذكر الله تعالى حتى يتجلَّى في قلبه التوحيد الحقيقي ، ويرى أعماله خلقاً لله وحده جملة ؛ ليس للعبد فيها غيرُ النسبة ، فهناك لا يصير عنده رياء ولا إعجاب ولا تكبُّر على أحد من العصاة ، لأن العبد لا يرائي قط بعمل غيره ولا يعجب فيه بنفسه ، ولا يحصل عنده دعوى .

فإن قيل : فهل له دواء غير التوحيد من الأعمال ؟

قلت : لا أعلم له دواء أسرع من التوحيد ، وهو الذي وضعه جميع أهل الطريقة للمريدين فطووا به الطريق ، وقد أخطأ طائفة من العبَّاد الذين اشتغلوا[1] نفوسهم بتلاوة القرآن والصلاة والصوم ، وماتوا على ريائهم ورؤية أعمالهم ، ولم يخلصوا في شيء منها ، كما يشهد لذلك حديث العابد الذي يقول له الحق تعالى : « ادخل جنتي برحمتي » ، فيقول : يا رب ؛ بل بعملي . وذلك لعدم فهمهم أن القرآن يتوقف على جلاء القلب ، فحكمُ الذكر كالحصى للنحاس المصْدِيّ[2] ، وحكمُ غيره كالصابون . انتهى . ومثله في « المتممات » .

وفي « المواهب البريقة » : وقد ورد أن عابداً عبد الله في جزيرة سبعين سنة ، وفي رواية خمسمائة سنة ، وأن الحق يقول له يوم القيامة : « أُدخل الجنة برحمتي » . فيقول : يا رب بل بعملي .

فلو أن هذا العابد كان سلك الطريق على يد عارف لعَرف من أول ما

(١) هكذا في الأصل ، لعله أشغلوا .

(٢) وفي نسخة : الصديء .

دخل في الطريق أن العبد لا يدخل الجنة إلا برحمته تعالى ؛ دون عمله ، وإن كان لزم الأدب ! انتهى .

وفي « لواقح الأنوار » : وما لم يكثر العبد من ذكر الله عز وجل لا يحصل له هذا الأنس[1] ، بل يقع في كل معصية كالبهائم السارحة انتهى ٣١٢ . قال تعالى ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي : **أكبر في نفي الكبر والخيلاء ومحو الأوصاف الذميمة الفاحشة كلها** . وذلك مجرَّب عند المشائخ ؛ كذا في « تصديق المعارف » . وقد نقلت هذه المذكورات بالتمام في « تنبيه السالكين » فراجعه .

فمن ظنَّ من الناس أنه قد أخلص عمله لله سبحانه بغير سلوك طريق الإخلاص؛ فقد أخطأ ، إلا إن كان قد حفّته العناية الربانية بالجذبة الموهوبة ! وذا نادر[2] . وقد مرَّ أن الحكم إنما يبنى على الغالب ، وقد رأيت في « الإحياء » وغيره ما حاصله ؛ أو ما هذا معناه : أن واحداً صلى ثلاثين سنة في الصف الأول وقد تأخَّر يوماً فقام في الصف الثاني ، فحصل له الحياء من الناس ، فقضى جميع الصلوات التي صلى فيها لكونه قد أراد أن يراه الناس في الصف الأول ، فجعله من جملة مراتب الرياء ، بيد أني لم أتذكره الآن لتعيين موضعه ، **فافهم** . فمن يتنبَّهُ من الناس لأمثال هذه الدقائق ؟ ! عصمنا الله من شرور أنفسنا ومن سيّئآت قبائح أعمالنا ، وأدخلنا بفضله في دائرة قوله ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ آمين .

فائدة أخرى مهمة ذكرها الخادمي قدس سره في « البريقة » : قال في « الفيض » : فبُعْدُ الشيطان من الإنسان على قدر ذكره ! والناس فيه يتفاوتون .

---

(١) أي : الأنس بالله . راجع (منه) . (هامش الأصل) .

(٢) ندور طالع الكنز ، فراجع كتبهم . والسلام . (هامش الأصل) .

قال أبو سعيد الخرَّاز : رأيت إبليس فأخذ عنّي ناحية فقلت : تعال . فقال : أي شيء أعمل بكم لزمتم الذكر وطرحتم ما أخادع به ؟ ! قلت : ما هو ؟ قال : الدنيا . فولَّى ، ثم التفت ؛ وقال : بقي لي فيكم لطيفةٌ ؛ هي السماع وصحبة الأشرار .

قال الغزالي : مهما غلب على القلب ذكر الدنيا ومقتضيات الهوى ! وجد الشيطان مجالاً فوسوس ، **ومهما انصرف القلب إلى ذكر الله ! ارتحل الشيطان وضاق مجاله .**

وقال الحكيم : قد أُعطي الشيطان وجنده السبيل إلى فتنة الآدمي وتزيين ما في الأرض له طمعاً في غرابته[1] ، فهو يهيِّج النفوسَ إلى تلك الزينة تهييجاً يُزعزع أركان البدن ، ويستقرُّ القلبَ حتى يزعجه عن مقرِّه ، ولا يعتصم بشيء أوثقَ من الذكر ، لأنه إذا هاج الذكر من القلب هاجت الأنوار فاشتعل الصدر بنار الأنوار ، وهيَّج العدوُّ نار الشهوات ، وإذا رأى العدوُّ هيجان الذكر من القلب ولّى هارباً ، وخَمدت نار الشهوات ، وامتلأ الصدر نوراً ؛ فبطل كيده .

وعن ابن عبد العزيز : أن رجلاً سأل ربه أن يُريَه موضع الشيطان من قلب الآدمي ، فرأى في المنام جسد رجل يشبه البلور[2] يُرى داخله من خارجه ، والشيطان بصورة ضفدع قاعد على منكبه الأيسر ؛ له خرطوم طويل أدخله في منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه ، فإذا ذكر الله خنس ! ومثل هذا قد يشاهد في اليقظة ، وقد رآه بعض المكاشفين بصورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس إليها . والقصد أن يصدَّق بأن الشيطان ينكشف لأرباب القلوب ، وكذا المَلك ! انتهى ٥٦٠ ج ١ . فراجعه من شرح حديث

---

(١) وفي نسخة : غوايته .
(٢) البلور : كَسِنَّور . جوهر معروف . « قاموس » . (هامش الأصل) .

« إن الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم ، فإن ذكر الله تعالى خنس[1] ! وإن نسي الله تعالى التقم[2] قلبه » انتهى . من بحث الرياء .

وفي « نشر المحاسن » للإمام اليافعي - رحمه الله تعالى - : وقال بعضهم : **ذكر الله بالقلب سيف المريدين** به يقاتل أعداءهم ، وبه يدفعون الآفات التي تقصدُهم . وقيل : **إذا تمكن الذكر من القلب فإن دنا منه الشيطان يصرع كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان** ، فيجتمع عليه الشياطين فيقولون : ما لهذا ؟ فيقال : قد مسّه الإنس .

وكتبت في كتابنا « تنبيه السالكين » بعد نقل ما مرّ في المنهوات ما نصه :

فالحاصل أن المريد إذا أكثر ذكر الله بالقلب ينفي عنه حديث النفس بالتدريج ، ويرى الإصغاء إليه ذنباً فيتّقيه ، ويتّقد القلب عند هذا الإتقاء بالذكر اتِّقاد الكواكب في كبد السماء ، ويصير القلب محفوظاً بزينة كواكب الذكر ، فإذا صار كذلك ! بَعُدَ الشيطان ، ويندر في حق هذا العبد الخواطر الشيطانية ، ولمّاته ، فراجع « العوارف » .

وأما قطع حديث النفس والخواطر المشغلة عن خطاب الحق جل وعلا بغير سلوك على يد شيخ ناصح مما لا يصحُّ أبداً ! كما هو مذكور في « لواقح الأنوار » ، فراجعه في ٥١ من هامش « المنن الكبرى » من الجزء الأول .

ورأيت في « ترصيع الجواهر » ما لفظه : ثم إن لا إله إلا الله أعظم أنواع الذكر تأثيراً في كنس الأغيار من القلب وإزالة الحجب الظلمانيّة . انتهى ٤١ .

---

(١) خنس : أي تأخر وبعد . « فتاوى الكبرى » لابن حجر .

(٢) يجعل قلبه لقمة في فمه . « بريقة » . (هامش الأصل) .

وقال صاحب « النور الساطع » ما لفظه : ولا إله إلا الله رأس الذكر ، وأنفع ما يعالج به القلب في إصلاحه وإقباله على المذكور ونفي الأغيار ودفع الوساوس والخواطر الردية ، وأقرب وأقطع في انجلاء القلب وصفائه ، ورياضة النفس وتهذيبها ، ولذلك اختارها الصوفية لتربية المريدين وتهذيب نفوسهم[1] . كما نص عليه سيدي علي المرصفي في « منهج السالك » . انتهى فراجعه .

مهم

ولكن من أكابر المشائخ مَن يختار من الأذكار لفظة الجلالة (الله ، الله ، الله) بلا فرق بين المستعدّ وغيره ، كما اختاره الإمام الرباني قدس سره آخراً . وقد فسّر الشيخ علي الخواص لقوله تعالى ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ أي : كرِّروا هذا الاسم كثيراً ، ونظير ذلك قوله تعالى ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ أي : ذكركم الاسم (الله) أكبرُ من ذكركم سائر الأسماء الفروعية الطالبة لوُجود الأغيار ، كالرحمن والغفور والرزَّاق ونحوها ؛ فما في الأذكار أعظم فائدة من ذكر الاسم (الله ، الله) ، لأنه جامع لجميع الحقائق لا يطلب أحداً من الأغيار المشهودة في هذا العالم[2] كما هو مذكور في كتاب « الجواهر والدرر » للشعراني . فراجعه في ٢٨٠ من هامش « الإبريز » وقد بسطنا الكلام في فضائلها في كتابنا « تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف » ، فراجعه من الترغيب الخامس فلو اطَّلعت إلى

---

(١) ولا إله إلا الله ؛ رأس الذكر ولذلك اختارها صفوة هذه الأمة من أصحاب التربية وتأديب المريد لأهل الخلوة ، وأمروهم بالمداومة عليها . وقالوا : أنفع علاج في دفع الوسوسة الإقبال على ذكر الله . « فتاوى » ابن حجر ١٥٠ .

(٢) ولولا أن قول : (الله الله) له حفظ العالم لم يقرن ﷺ زوال الكون بزوال مَن يذكر به ! ولذلك أيضاً اتَّخذه الكمَّل من العارفين ورداً لهم ، لا يخفُّ على لسانهم اسم مثله . انتهى . كتاب : « الجواهر والدرر » . من هامش « الإبريز » ١٨٢ . (هامش الأصل) .

« الرحمة الهابطة » ينشرح صدرك بما فيها من الفوائد والفضائل ، وتعلم سبب اختيار بعض المشائخ كالنقشبنديين هذا الاسم الأعظم من بين سائر الأذكار ، والله ولي التوفيق .

فلما كان في كلام السائل ذكر سوء الخاتمة ؛ وقال : هل يكون الفرق في الخوف من سوء الخاتمة بين مَن له شيخ وبين غيره أم لا ؟ أردت أن أجعله فصلاً مستقلاً من مباحث هذا الكتاب ، فقلت مستعيناً بالله تعالى :

البرج الثالث

في جواب مسألة : هل يكون الفرق بين مَن له شيخ وبين غيره في الخوف من سوء الخاتمة أم لا ؟

اعلم أيها العزيز ، أن الخوف من سوء الخاتمة في السالكين أكثر مما في غيرهم ، لأنهم لما شاهدوا الجلال والعظمة وعلموا أنه تعالى يقول (هؤلاء إلى النار ولا أبالي) ، وتيقَّنوا أن أعمالهم غير صافية من الكدورات ، وأنهم قد عملوا سوءاً في كثير من الأوقات ، يخافون من الله ومن سوء العاقبة كما يخافون من السبع الضاري ، وذا دأبهم بالليل والنهار ! فقد كان أكابر السادات يكادون أن تنقطع أكبادهم بشدة الخوف من سوء الخاتمة ، وذلك لكونهم كلما ترقوا في مقامات الطريق يخافون من إبليس أكثر منه قبل الترقّي ، لعلمهم **أن العبد كلما قرب من حضرة ربّه تشتدُّ عداوة الشيطان له ، ويجمع له الجيوش ولا يرجع عنه ولا تنقطع وساوسه عن متوجّه إلى الله ، وإن دَقَّتْ بحيث لا يكاد يشعرها** .

وقد نبَّه الشعراني في « البحر المورود » إلى ما ذكر ، **وكلما أكثروا قوت الروح ، وهو الذكر ، وأقلُّوا قوت النفس ، وهو الاشتغال بحظوظها ، يرون بالذوق أنهم أذلُّ خلق الله ، ولا يرون لهم قدراً ما** ، فانظر إلى هذا الإمام الرباني أحمد الفاروق الذي قيل فيه : لا أرى في هذه الأمة مثل الإمام الرباني أنه قال بعد ذكره قول بعضهم : **إن المريد الصادق من لا يكتب عليه كاتب شماله شيئاً مدة عشرين سنة**[1] . انتهى . **وهذا الفقير المملوء بالتقصير يجد نفسه بالذوق والوجدان بحيث لا يدري أن كاتب يمينه وجد حسنة يدرجها في صحيفة أعماله منذ عشرين سنة** ، علم الله سبحانه أنه لا يقول هذا الكلام بالتصنّع ، ويجد بالذوق أيضاً أن كفار الإفرنج أفضل منه بمراتب ، فإن سُئل عن لمِّيَّته لا يعجز عن الجواب ، ويرى نفسه أيضاً بطريق الذوق محاطاً بالخطيئات ومشمولاً بالسيئات ، وما وجد فيه من الحسنات يرى أن كاتب شماله أحقُّ بكتابته ، ويرى أن كاتب شماله مشغول أبداً ، وكاتب يمينه مُعَطَّلٌ وفارغ سرمداً ، ويعلم أن صحيفة يمينه خالية ، وصحيفة شماله مملوءة ؛ لا رجاء له سوى الرحمة ، ولا مُمِدَّ له سوى المغفرة .

(دعاء) اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي ، ورحمتك أرجى عندي من عملي ، موافق حاله . انتهى « الدرر المكنونات » من عينه من الجزء الأول في ٢٠٠ .

وقال الإمام الرباني أيضاً في بعض مكاتيبه ، بعد ذكره كلاماً نفيساً : والمقصود من هذا القيل والقال إظهار نعمة الحق سبحانه ، وترغيب طلاب

---

(١) وفي « الطبقات الكبرى » ليس معنى ذلك أن لا يقع منه ذنب عشرين سنة ! وإنما معناه عدم الإصرار ، وكلما أذنب تاب واستغفر على الفور . فراجعه . (منه رحم الله إفلاسه) .

هذه الطريقة ، لا تفضيل نفس على الآخرين ! **ومعرفة الله سبحانه حرام على مَن يرى نفسه أفضل من كفار الإفرنج ، فكيف من أكابر الدين ؟!** انتهى منه في ٢٥٦ ج ١ . ومثل قوله قاله كثير من الأقطاب ، كخالد شاه ، ومحمود أفندي وغيرهما ، ويحتمل أن يكون معنى قول الجنيد (الصوفي كالأرض يطرح عليها كل قبيح ، ولا يخرج منه إلا كل مليح) : أنه لا يرى من نفسه إلا كل قبيح ، وإن خرج منه بالنسبة إلى غيره كل مليح ! فافهم .

و لكن إذا نظرنا إلى الآيات والأحاديث يعلم أن **حسن العاقبة وسوءها منوطان بالأعمال** ، فقد قال الغزالي في « الإحياء » في ٥١٧ ج٤ ما نصه :

فإن قلت : فليت شَعْري ماذا موردي ؟ وإلى ماذا مآلي ومرجعي ؟ وما الذي سبق به القضاء في حقي ؟ فلك علامة تستأنس بها ، وتصدق رجاؤك بسببها ، وهو أن تنظر إلى أحوالك وأعمالك ، فإنّ كلاًّ ميسّر لما خلق له ، فإن كان قد يسّر لك سبيل الخير! فأبشر ، فإنك مبعد من النار ، وإن كنت لا تقصد خيراً إلا وتحيط بك العوائق فتدفعه ، ولا تقصد شراً إلا وتيسر لك أسبابه ، فاعلم أنك مقضيّ عليك[1] ، فإن دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات ، ودَلالة الدخان على النار ، فقد قال الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾ . فاعرض نفسك على الآيتين ، وقد عرفت مستقرّك من الدارين والله أعلم انتهى .

وقد قال الإمام الرباني – قدس سره – : المقصود من سلوك طريق الصوفية ازدياد اليقين بحقيّة المعتقدات الشرعية التي هي حقيقة الإيمان ، وحصول اليسر في أداء الأحكام الشرعية ، لا أمر آخر وراء ذلك . انتهى . كذا في « الدرر المكنونات » .

---

(١) بالنار عله .

مهم

وفي « الرشحات » ما معناه : إن المقصود من سلوك الطريق كون القلب حاضراً بالله على سبيل الذوق . انتهى . يعني : أن يكون الذكر القلبي والحضور الدائمي مع الله تعالى مَلَكة راسخة لا يزول ولا ينقطع ، حتى لو تكلف لإخطار غير الله في البال لم يخطر ، وهذا منهم هو الخوف من سوء المنقلب ، وهو الاستعداد لذلك الوقت ، وقد قالوا : **إن المرء يموت على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه** . فإذا علمت ما ذكر تعلم أن السالكين هم الخائفون ، وغيرهم هم الآمنون[1] ، **والأمن من سوء العاقبة هو سبب سلب الإيمان** ، عياذاً بالله تعالى و﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ الآية .

ومن المعلوم المحسوس أنّ تقوى الله تعالى أكثر في السالكين مما في غيرهم ، ويرجع أمره إلى أن ينجو ممسك عروته من زوال الإيمان ، نظراً إلى ما في الآيات ، فإن مآل كلِّها ومضمونها على حسن حال المتّقي ، قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ وقد فسر : أي : يتم أعمالكم . وقال البعض : يقبل أعمالكم . وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ وقال ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ وقال ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ وقال ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾ وقال ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ وقال ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا[2] ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى﴾ وقال ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ .

---

(١) أي : ولو كانوا خائفين لاستعدّوا ، فافهم . (منه) . (هامش الأصل) .

(٢) أي : يتباعد عن النار .

سبب سوء الخاتمة

وأيضاً إن سبب سوء الخاتمة كثرة الذنوب الظاهرة والباطنة ، والإصرار على الكبائر والصغائر حتى تعلو الظلمة والنكتة على القلب بسببها ، بحيث لا يخاف من الله ومن سوء العاقبة ، قال تعالى ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ . قال الإمام الغزالي - رحمه الله تعالى - في « إحياء علوم الدين » ما نصُّه : فالعاصي بالضرورة ناقص الإيمان ، وليس الإيمان باباً واحداً ! بل هو نيف وسبعون ، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق . ومثاله قول القائل : (ليس الإنسان موجوداً واحداً ! بل هو نيف وسبعون موجوداً ، أعلاها القلب والروح ، وأدناها إماطة الأذى عن البشرة ، بأن يكون مقصوص الشارب ، مقلوم الأظافر ، نقي البشرة عن الخبث ، حتى يتميَّز عن البهائم المرسلة الملوثة بأوراثها المستكرهة الصور بطول مخالبها وأظلافها) ، وهذا مثال مطابق . فالإيمان كالإنسان ، وفقد شهادة التوحيد يوجب البطلان بالكلية ، كفقد الروح ، والذي ليس له إلاّ شهادة التوحيد والرسالة ! هو كإنسان مقطوع الأطراف ، مفقود العينين ، فاقدٍ لجميع أعضائه الباطنة والظاهرة ، لا أصل الروح ! وكما أن مَن هذا حالُه قريبٌ من أن يموت فتزايله الروح الضعيفة المنفردة التي تخلَّف عنها الأعضاء التي تمدُّها وتقوِّيها ، فكذلك مَن ليس له إلا أصل الإيمان ، وهو مقصِّر في الأعمال ، قريب من أن تُقتلَع شجرة إيمانه إذا صدمتها الرياح العاصفة المحرِّكة للإيمان في مقدمة قدوم ملك الموت ووروده ، **فكل إيمان لم يثبت في اليقين أصله ، ولم تنتشر في الأعمال فروعه ، لم يثبت على عواصف الأهوال** عند ظهور ناصية ملك الموت ، وخيف عليه سوء الخاتمة ، إلا ما يبقى بالطاعات على توالي الأيام والساعات حتى رسخ وثبت انتهى . فراجعه في ٦ من الجزء الرابع .

وفيه أيضاً ، في صحيفة ٧ : فالمعاصي للإيمان كالمأكولات

المضرة للأبدان ، فلا تزال تجتمع في الباطن مغيِّرةً مزاج الأخلاط ، وهو لا يشعر بها إلى أن يفسد المزاج ، فيمرض دفعة ثم يموت دفعة ، فكذلك المعاصي . انتهى .

وأما السالكون ! فأول ما يلقّنهم المشائخ : التوبة والاستغفار ، والصلاة على النبي المختار – عليه وعلى آله الصلاة والسلام – ، رجاءَ أن يبدِّل الله سيئاتهم حسنات . كما دل عليه قوله تعالى ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ﴾ . وقوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ﴾ الآية . وقوله تعالى ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ . وقوله ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ وفي الحديث : « أتبع السيئة الحسنة تمحها » . **فالمريد ، وإن عصى وخالف ! فهو يستغفر الله في كل يوم ألف مرة ، أو خمسمائة مرة ، كما كان أشياخنا يأمرونهم بذلك .**

روى ابن ماجه : « لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم عنان السماء ثم تبتم ، لتاب الله عليكم » .

وروى الطبراني والبيهقي : « صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال ، فإذا عمل العبد حسنة كتبها بعشر أمثالها ، وإذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين : أمسك . فيمسك ستّ ساعات ، فإن استغفر الله منها ! لم يكتب عليه شيئاً ، وإن لم يستغفر الله ! كتبها سيئة واحدة » . فهذه نعمة جليلة للمريدين !

الغفلة من أعظم الذنوب

فإن أشياخهم يأمرونهم بعدم غفلتهم عن الله حتى في الخلاء ، فكيف يغفلون عنه تعالى في حالة وقوعهم في المعصية والمخالفة ، مع أنهم يعدّون الغفلة من أعظم الذنوب ! ؟ فالفرقُ بين مَن هذا حالُه ، وبين

من لا يحضر قلبُه مع الله ، ولو في الصلاة المفروضة إلا بالتكلّف بل لحْمَتُهُ وسُدَاهُ غفلة ظاهرٌ لا يخفى .

و في كتاب « الرماح » : فإن مَن اشتغل بها - يعني : بمكفرات الذنوب - مع كثرة ذنوبه خفّت مؤنة الذنوب عليه ، وهو خير من الذي يقتحم الذنوب ولا يأتي بمكفراتها ، قال سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ وقال ﷺ : « إذا أتيت بسيئة فأتبعها بالحسنة » أو كما قال ﷺ مما معناه هذا ، وذلك بمنزلة مَن يسرع له تجديد الجراح بجسده فيسرع له بالدواء ، فكلما وقع عليه جراح أسرع بدوائه ، وهو خير من الذي تنصبُّ عليه الجراح فلا يتداوى . انتهى ٢٥٩ ج٢ . من هامش « جواهر المعاني » . وأيضاً إن المريدين يصلُّون على النبي ﷺ ألف مرة أو خمسمائة مرة بتلقين مشائخهم في كل يوم ، وكونها من المكفرات للذنوب معلومة .

قال في « جواهر المعاني » ما حاصله : أنه سبحانه وتعالى عظيم المحبة والعناية برسوله ﷺ فمن رآه سبحانه وتعالى توجه بالصلاة على حبيبه ﷺ ، اعتنى به لأجل تحبُّبه لحبيبه بالصلاة على حبيبه ، وكانت تلك المحبّة والعناية منه سبحانه وتعالى **إذا ثابر**(١) **على الصلاة عليه ﷺ لو أتاه بذنوب أهل الأرض كلها من أول وجود العالم إلى آخره أضعافاً مضاعفة؛ لأدخلها كلها سبحانه وتعالى في بحر عفوه وفضله** ، وواجهه سبحانه وتعالى في بلوغ أمله في الدار الآخرة ، بتبليغه له في أعلى مراتب رضاه عنه سبحانه وتعالى ، وكان حكمه في الغيب : كلما صعدت الملائكة إلى الله بصحيفة أعماله مملوءة بالسيئات يقول سبحانه وتعالى للملائكة : إن له عناية بحبيبنا ﷺ ، لا تكون سيئاته كسيئات غيره! ولا تقع المؤاخذة عليه كما تقع على غيره من أصحاب السيئات . انتهى ١٣٢ ج١ .

---

(١) المثابرة على الأمر : المواظبة عليه . « مختار » . والملازمة له . « مصباح » . (هامش الأصل) .

و فيه في موضع آخر : إن الصلاة على رسول الله ﷺ في حق الفاسق أنفع له من تلاوة القرآن[1] . انتهى ٢٥٥ ج ٢ .

وفيه أيضاً بُعَيد هذا : فإن الله سبحانه وتعالى ضمن لتاليها[2] أن يصلي عليه ، **ومَن صلى الله عليه مرة لا يعذبه** ، ولا وسيلة عند الله أعظم نفعاً وأرجى في استجلاب رضى الرب عن العبد في حق العامة أكبرُ من الصلاة على النبي ﷺ .

ثواب صلاة الفاتح

و فيه أيضاً : **واعلموا أن الذنوب في هذا الزمان لا قدرة لأحد على الانفصال عنها ، فإنها تنصبُّ على الناس كالمطر الغزير ، لكن أكثروا**

---

(١) وفي « الصاوي حاشية الجلال » في قوله تعالى ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ أي : سل ربك الاستزادة من العلوم بسبب توالي نزول القرآن ، فإنها أفضل ما يسأل ، وأعزُّ ما يطلب ، ومن هنا أمر المشائخ للمريدين بتلاوة القرآن والتعبُّد به بعد كمالهم ونظافة قلوبهم ، وما داموا لم يكملوا ! يأمرونهم بالمجاهدة بالذكر ونحوه لتخلص قلوبهم ، والحكمة في ذلك أن الغفلة في الذكر أخفُّ منها في القرآن ، لما في الأثر : « رُبَّ قاريء للقرآن والقرآن يلعنه » . فجعل العارفون للتوسل للقرآن طرقاً يجاهدون أنفسهم فيها ، ليزدادوا بقراءتهم القرآن علوماً ومعارف وأخلاقاً ، وحينئذ فليس تركهم القراءة في المبدئ لكون غيره أفضل منه ! بل لينظفوا أنفسهم للقراءة . انتهى فراجعه من سورة طه .

وقد بسط الإمام الرباني الكلام في حق هذا في بعض مكاتبه ، فراجعه (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

وكان - أي إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه - يقول : لا ينبغي لحامل القرآن العظيم أن يدنِّس فمه بكلام حرام ، ولا أكل حرام ، في عرض مؤمن ولا مؤمنة . قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ الآية . ومثال مَن ينطق بالقرآن العظيم مع تدنُّس فمه بغيبة أو بهتان أو نميمة مثال مَن وضع المصحف في قاذورة ! وقد قال العلماء بكفره . « الطبقات الكبرى » . ١٥١ ج١ . (هامش الأصل) .

(٢) أي لتالي الصلاة على النبي عليه السلام . (هامش الأصل) .

من مكفرات الذنوب وآكدُ ذلك صلاة الفاتح لما أغلق ، **فإنها لا تترك من الذنوب شاذة ولافاذَّة** . انتهى . وهي : « اللّهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق ، والخاتم لما سبق ، ناصر الحق بالحق ، والهادي إلى صراطك المستقيم ، وعلى آله حقَّ قدره ومقداره العظيم » . وهي الصيغة التي قيل فيها : إن مَن **قرأها في عمره ، ولو مرة واحدة! لا يدخل النار ،** وإنها تعدل[1] بسبعمائة[2] ألف صلاة .

وفي « جواهر المعاني » : واعلم أن كلّ ما تذكره من الأذكار والصلوات على النبي ﷺ والأدعية لو توجّهت بجميعها مائة ألف عام ، كل يوم تذكرها مائة ألف مرة ، وجميع ثواب ذلك كله ، ما بلغ ثواب مرة واحدة من صلاة الفاتح لما أغلق . انتهى . ١٥٧ ج٢ .

وقد ذكرت بعض فضائل صلاة الفاتح لما أغلق في كتابنا « تلخيص المعارف » فلو راجعت إليه ترى العجائب . والسلام على كل مَن اتبع الهدى .

ومن صيغ الصلاة التي ورد : أن مَن قال هذه الصيغة وكان قائماً غفر له قبل أن يقعد ، وإن كان قاعداً غفر له قبل أن يقوم ، هذه الصلاة : « اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » وهي مذكورة في « مناهج السعادات » فراجعه في ٦٧ .

فالملازمة على أمثال هذه المكفرات أكثر في السالكين من غيرهم ، فظهر الفرق بينهم وبين غيرهم من العوام .

---

(١) كما هو مذكور في « أفضل الصلوات » (منه) . (هامش الأصل) .
(٢) وفي نسخة : ستمائة ألف صلاة .

في شفاعة المشائخ

وأيضاً **إن المشائخ يلاحظون أتباعهم في الشدائد والمضائق** ، وينظرون بنور بصائرهم إلى أحوالهم ، ويمدُّونهم بمَدَدِهم ، وقد نقل شيخنا سيف الله – قدس سره – في « كنز المعارف » من الحكم ما لفظه : فإذا رجع المريد إلى شيخه بالصدق وجب على شيخه جبران تقصيره بهمة ، **فإن المريدين عيال على شيوخهم فُرِضَ عليهم أن ينفقوا من قوت أحْوَالهم ما يكون جبراناً لتقصيرهم** . انتهى .

ونقل المحقق محمد طاهر – رحمه الله – في « شرح المفروض » عن « ميزان » الشعراني ما نصُّه : **إن أئمة الفقهاء والصوفية كلهم يشفعون في مقلّديهم** ، ويلاحظون أحدهم عند طلوع روحه ، وعند سؤال منكر ونكير له ، وعند المحشر ، وعند الحشر والنشر والحساب والميزان والصراط ، ولا يغفلون عنهم في موقف من المواقف . انتهى .

وفي « الفجر المنير » : وقال – يعني : أحمد الرفاعي رضي الله عنه – **الشيخ هو الذي يحضر مع مريده ويلاحظه في أربعة مواضع** : **الأول** : حين النزع وخروج الروح من الجسد ، **الثاني** : عند سؤال الملكين منكر ونكير في القبر ، **الثالث** : عند العبور على الصراط والمرور به ، **والرابع** : عند وزن أعماله بالميزان . انتهى ٣٠ .

وقد حكت امرأة صالحة وليّة أنها كانت تذهب وحدها لدى شيخها ذي الجناحين الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره ، فاجتمعت في الطريق مع راكب ، فحمل فروتها على فرسه رحمة بها لعَجْزها وضعفها ، ففارق منها ، ثم اجتمعت مع راكب آخر ، فأركبها على فرسه زمناً يسيراً ، ففارق منها أيضاً ، ثم كانت تمشي هويناً ، فلقيها راكب آخر ، فانزعج فرسه خوفاً منها ، وطرح مِن فرسه ، فغضب عليها وتكلَّم عُنفاً ، فقال : بَزْلْ عَدِنِشْ عَدَمَلْ رَجُنِلْ ؟

فقالت له : عَنْكْ عَدِنْ مُنْكِ وَجُّنِبْ مِخَلْي بَرْ عَدِنْ دُنْكِ يَجِنِ يِكُ خَ دِرْ وَسْ قالت له ذلك بحسب التلاعب معه لإطفاء نار غضبه وتطييب قلبه ، ثم وصلت لدى الشيخ المذكور ، فباتت عنده ، فحين قصدت أن ترجع من لدنه إلى قريتها اهتمَّت واغتمَّت ، فإذا نظر الشيخ إلى همومها وغمومها قال لها : لا تخافي ، فإني أكون مَعَكِ عند المجيء وعند الإياب ، وأنا أيضاً أكون معك في حالة الاحتضار لأدفع عنك الشيطان ، وأكون معك أيضاً عند المسألة في القبر لأجيب الملكين منك وأنت ساكتة . فذكر جميع ما وقع لها مع تلكم الرواكب في الأمس ، فقال : وُكُلِوْ وُكُنْ وُكِشْ دُنْ دُدَ خَدُ ؟ فكانت المرأة العجوز المذكورة تُخبر[١] هذه القصة ، وكانت من الصالحات[٢] العابدات القانتات .

ونقل عن « الأجوبة المرضية » للشعراني : أن للقيامة خمسين موقفاً ، أولها إذا خرج الناس من قبورهم فيقفون ألف سنة ، فليس للشيخ أن يفارق مريده في ذلك الموقف حتى يلقِّنه حجته ، وذلك الخ ، ثم يساق الناس إلى المحشر فيقفون على أرجلهم ألف عام ، فليس للشيخ أن يفارق مريده حتى يجيب عما الخ . وآخر الموقف الصراط ، **فليس للشيخ أن يفارق مريده حتى يجاوز الصراط إلى الجنة** . الخ . فانظر يا أخي نفع المشائخ لمريديهم . والحمد الله رب العالمين . انتهى اختصاراً .

---

(١) وأيضاً قال لي – قدس سره – : يا ولدي ! إن الشيخ لا يكون شيخاً ما لم يقف عند المريد في المواضع المخوفة له في الدنيا ، وعند الأهوال والأنكال له في الآخرة ، مبتدئاً من سؤال القبر ، إلى التجاوز والعبور على الصراط ، وأرجوا أن أكون لكم أكثر وأشدَّ نفعاً في الآخرة مما في الدنيا ، وأرجو أيضاً أن يقوم خليفتي حسن أفندي بعدي مقامي فيما لكم به الضرُّ والنفع بأبلغ وجه . انتهى . فأشار – رحمه الله – بهذا إلى قرب انتقاله إلى دار القرار . نفعنا الله به في الدارين . آمين (لزابره الحقير) .

(٢) وقبرها في غزانش الأعلى ، لدى قبر ولد شيخها العسلي قدس سره . (منه) .

مهم

ومما ينبغي إلحاقه هنا : ما ذكره الشعراني في « البحر المورود » بما هذا نصه : وأُعلِّمك يا أخي طريقاً تملك به قلوب الفقراء ، فلا يتخلَّفون عنك لا في الدنيا ولا في الآخرة ! واعلم يا أخي أن الأولياء أولى الناس بمكافأة مَن أحسن إليهم ، لجودهم وحيائهم فمن دفع لهم هدية ، ولو رغيفاً فقد أدخلهم في منَّته ، ووجب عليهم قضاء حوائجه في الدارين ، ومَن لم يدفع إليهم شيئاً من الهدايا لقضاء حوائجه ليست واجبة عليهم ، وإنما ذلك مستحب . انتهى فراجعه فإنه مهم .

وأيضاً **إن محبة أهل الطريق هي السبب المنجي من سوء العاقبة** ، فإن « المرء يحشر مع من أحب » . فنرجو الله تعالى أن يميت محبَّ أوليائه على الإيمان .

ولولا أن المريد قد صدَّق طريق الولاية لما دخل فيه ! **وتصديق طريقة الولاية ولاية** ؛ كما قاله الجنيد رضي الله عنه ، فالمحبُّ للصوفية والمتشبِّهُ بهم ، والمتشبّه بالمتشبّه بهم واللابس لخرقتهم ، والمتبرِّك بنسبتهم ، والمتصل بسلسلتهم ، والعاشق لهم ، والمحب لطريقتهم ورسومهم أفضلُ من غيره ، لحسن ظنه فيهم ؛ وإن كان خالفاً عنهم ومتخلِّفاً عن فعل مثلهم ومائلاً عن سنن استقامتهم ! فالخالف منهم في بركة السالف ، فمددُ هممهم العالية على من تعلق بهم وصدق في حبهم وصفَّى ودَّهم وتشبه بهم وانتسب إليهم طاميةٌ ، والكل في دوائر نفحات بركاتهم الشاملة ، وحصون عناياتهم الكاملة ؛ كما هو مذكور بلفظه وعبارته في « عقد اليواقيت » في ٥٧ ج١ .

وفيه : ومنهم من يصحبهم ويخالطهم لتناله بركتهم وصالح دعواتهم ؛ من غير أن تكون له نية ولا عزيمة في الاقتداء والتشبه بسيرهم ، فذلك

لا يخلو من بركة وخير كثير ، وهو داخل في عموم ما ورد في الحديث القدسي « هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » انتهى ٥٨ ج ١ .

وفيه : من أحب القوم وكان لا يصرّ على كبيرة فهو محب حقيقة ؛ وإن وقع في ذنب أو عيب يوماً ما ! ففي الحديث الصحيح : قيل : يا رسول الله الرجل يحب القوم ولا يلحق بهم ؟ قال : « أنت مع من أحببت »[(١)] . انتهى .

وفيه : يبلغ المريد بنظر الشيخ إلى ما لم يبلغ بعبادته واجتهاده ألف سنة .

قال سيدنا الشيخ أبو بكر بن سالم باعلوي نفعنا الله به : هذا بنظرة الناظر إليهم ، وأما نظرهم إليه ! فإنهم يصلون به إلى أعلى مقام عند الله تعالى مما لا يمكن تعبيره . انتهى .

قلت : وفي الحديث ورد ذلك في قوله ﷺ : « إن لله عباداً مَن نظر في أحدهم نظرةً سَعِد سعادة لا يشقى بعدها أبداً » . انتهى ٥٩ .

مهم في حُبِّ العلماء والصلحاء

وقال الإمام الرباني – قدس سره – : إن محبة هذه الطائفة رأس كل سعادة دنيوية وأخروية ، والتوفيقُ لإتيان الأحكام الشرعية نتيجةُ هذه

---

(١) وإن أردت أن تعلم معنى المعيَّة في هذا فراجع القسطلاني في ٩٩ من ج٦ (هامش الأصل) .

* **معنى المعيّة في « مع من أحببت »**

قال النبي ﷺ « انت مع من أحببت » بحسب نيّتك من غير زيادة عمل (في الجنة) أي بحيث يتمكّن كل واحد منهما من رؤية الآخر وإن بَعُدَ المكان ، لأن الحجاب إذا زال شاهد بعضهم بعضاً ، وإذا أراد الرؤية وتلقّي قدروا على ذلك . هذا هو المراد من هذه المعيّة لا كونهما في الدرجة الواحدة « قسطلاني » .

المحبة ، وتحصيل جمعية الباطن ثمرة هذه المودَّة ، ولو صُبّت جميع ظلمات العالم وكدوراته في الباطن ، وهذه المحبة قائمة ! ينبغي أن لا يغتمَّ أصلاً ، ولو أُفيضت أمثال الجبال من الأنوار والأحوال على الباطن ، وقد زالت مقدار شعرة من هذه المحبة ! ينبغي أن لا يعتقد ذلك غير الخذلان . انتهى من « الدرر المكنونات » في ٢١٧ .

فانظر أيها الأخ إلى ما يثمر محبة الصالحين ولو لمن لا يعمل بعملهم ! .

ورأيت في « الإحياء » ما حاصله : مَن أحب الخير للمسلمين كان شريكاً في الخير ، ومن فاته اللحاق بدرجة الأكابر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم مهما أحب ذلك . انتهى .

وفيه بُعَيد هذا : وقد قال أعرابي للنبي ﷺ : يا رسول الله ، الرجل يحب القوم ولَمَا يلحقُ بهم ! فقال النبي ﷺ : « المرء مع من أحب » . وقام أعرابي إلى رسول الله ﷺ وهو يخطب فقال : يا رسول الله متى الساعة ؟ فقال : « ما أعددت لها » ؟ قال : ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام إلا أني أحب الله ورسوله ، فقال ﷺ : « أنت مع من أحببت » قال أنس : فما فرح المسلمون بعد إسلامهم كفرحهم يومئذ ، إشارة إلى أن أكثر بغيتهم كانت حبَّ الله ورسوله .

قال أنس : فنحن نحبُّ رسول الله وأبا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ، ونرجو أن نكون معهم .

وقال أبو موسى : قلت : يا رسول الله ! الرجل يحب المصلين ولا يصلي ، ويحب الصُّوَّام ولا يصوم حتى عدَّ أشياء ، فقال النبي ﷺ : « هو مع من أحب »[١] .

---

(١) متَّفق عليه . كذا في « الإتحاف » . راجعه . (منه) .

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز : إنه كان يقول : إن استطعت أن تكون عالماً ، فكن عالماً ، فإن لم تستطع أن تكون عالماً فكن متعلِّماً ، فإن لم تستطع أن تكون متعلِّماً ! فأحبّهم ، فإن لم تستطع فلا تبغضهم ، فقال : سبحان الله ! لقد جعل الله لنا مخرجاً . انتهى١٣٦ ج٣ .

فضيلة مجالسة العالم

وفي « نوادر » العالم العلاَّمة الشيخ أحمد القليوبي - رحمه الله تعالى - : حكي إن كعب الأحبار - رضي الله عنه - قال : إن الله تعالى يحاسب العبد ، فإذا رجحت سيئاته على حسناته يؤمر به إلى النار ، فإذا ذهبوا به إليها يقول الله تعالى لجبريل : أَدْرِك عبدي واسأله : هل جلس في مجلس عالم في الدنيا ؟ فاغفر له بشفاعته . فيسأله جبريل ، فيقول : لا . فيقول جبريل : يا رب ! إنك عالم بحال عبدك إنه قال لا . فيقول : سَلْهُ : هل أحبَّ عالماً ؟ فيقول : لا . فيقول : سَلهُ : هل جلس على مائدة مع عالم ؟ فيقول : لا . فيقول سَلهُ : هل سكن في سِكَّةٍ فيها عالم ؟ فيقول : لا . فيقول : سَلْهُ : هل وافق اسمه اسم عالم ؛ أو نسبه نسب عالم ؟ فيقول : لا . فيقول سلْه : هل يحب رجلاً يحب عالماً ؟ فيقول : نعم . فيقول الله لجبريل : خذ بيده وأدخله الجنة ، فإني قد غفرت له بذلك . انتهى٣٥ .

وقال شيخنا السيد الأمير سيف الله الحسيني - قدس سره - في « كنز المعارف » : ثم اعلم أيها الصادق أن التشبه بالأخيار والصالحين بحسن الظن بهم يورث المحبة ، وأن مَن أحب يكون مع المحبين ، ألا ترى أن الله لما أرسل موسى - على نبينا وعليه السلام - إلى فرعون كان السامري يتشبَّه بموسى بين يدي فرعون ليضحكه ، استهزاء منه واستهانة ، فبسبب هذا التشبُّه على هذا الوجه نجَّاه الله تعالى من الغرق ، فلم يغرق مع فرعون وأصحابه ! ! هذا بمجرد التشبُّه والحال أنه على وجه الاستهانة والاستهزاء ، فكيف إذا كان على غير هذا الوجه ؟ ! وكيف إذا كان بحسن

نية ولو لم يقُم بالعمل ! ؟ قال الشاعر :

فتشبهوا إن لم تكونـــوا مثلَهم إن التـــشبُّه بـــالكـــرام فلاحُ

وقد ورد : « المرء مع من أحب » . فكم موضع ذكرنا هذا ! لما أنهم : « قوم لا يشقى جليسهم » ذكره السيد أحمد بن إدريس في « العقد النفيس » انتهى . من خطه رحمه الله تعالى .

ورأيت في « الصاوي شرح الجلال » في شرح قوله تعالى ﴿وَكَلْبُهُم[1] بَسِطٌ﴾ الخ ما نصه : وهو من جملة الحيوانات التي تدخل الجنة ، وبهذا تعلم أن حبّ الصالحين والتعلُّقَ بهم يورث الخير العظيم ، والفوز بجنات النعيم ، انتهى فراجعه من سورة الكهف .

وأيضاً أنَّ التضَلُّع مِن هذا العلم[2] يقي صاحبه من سوء الخاتمة ، ويحمله على التوبة والإنابة ، وسلوك ما يوجب الفوز بالسعادة ، فقد نقل الشيخ أبو طالب المكيُّ في كتاب « قوت القلوب » ، والإمام أبو حامد في كتابه « الإحياء » عن بعض العارفين أنه قال : **من لم يكن له من هذا العلم – أي : علم الباطن – نصيب أخاف عليه من سوء الخاتمة** . وأدنى النصيب منه : التصديقُ به وتسليمُه لأهله .

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه : **من لم يتغلغل في علمنا هذا مات مصرّاً على الكبائر وهو لا يشعر** . كذا في « منية الفقير المتجرد » .

ورأيت في « أذكار النووي » رحمه الله تعالى ما حاصله : أن تعلم مسألة واحدة من هذا العلم أفضل من عبادة سنة .

(١) أي كلب أصحاب الكهف . (هامش الأصل) .
(٢) أي : علم الباطن (منه) . (هامش الأصل) .

وكتب شيخنا مير سيف الله قدس سره في بعض مكاتيبه : **أن نظر كتب أهل السلوك جند من جنود الله** . انتهى .

فعلم من هذه المنقولات من كتب الأكابر رضي الله عنهم أن محبة أهل الطريق وتسليمهم وتصديقهم ، والتشبه بهم والاشتغال بعلمهم ، من أسباب السعادة وحسن الخاتمة ، وأن ضدها مما يوجب الشقاوة والعياذ بالله ، **فالفرق بين من دخل في الطريقة وبين غيره ظاهر** ، ولعل الأخ السائل العالم البرجي رحمه الله تعالى يرضى بهذا القدر من الجواب .

وصل[(١)] **في ذكر شيء مما يكون سبباً لحسن الخاتمة** - أماتنا الله تعالى مع أهلينا وأولادنا وأحبابنا على دين الإسلام والإيمان آمين - .

قال صاحب « ذخيرة المعاد بشرح راتب الحداد » في ٥٤ من هامش « عقد اليواقيت » ج١ بعد ذكره كلاماً في شرح قول الراتب : (يا ذا الجلال والإكرام أمتنا على دين الإسلام) ما نصه : ثم اعلم أن سيدنا الشيخ عبد الله صاحب الراتب - رضي الله عنه - ؛ من الأئمة العارفين بجلال الله تعالى الفعال لما يريد ، وبيده الخير والشر ، والسعادة والشقاوة ، وأن القدر سر من أسرار الله تعالى ؛ ضربت دونه أستار اختص الله بها ، وحجبها عن عقول خلقه ، حتى الأنبياء والملائكة والأولياء ، ولا ينكشف ذلك إلا بعد الموت على الإسلام - اهتمّ بسؤال الموت على الإسلام ؛ **إذ العارفون أكثر خوفاً من سوء الخاتمة من غيرهم** .

روي أن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه أمرهم أنْ وضّئوه عند الاحتضار ، ثم جعل يعرق ، ثم يفيق فيقول : لا بَعْدُ . لا بَعْدُ . فقال له ابنه : يا أبت ما هذا الذي لهجت به ؟ ! فقال : يا بني إبليس قائم بحذائي

---

(١) وفي نسخة : فصل .

عاضّ بيده يقول : يا أحمد[١] فُتّني[٢] ؟ فأقول : لابعد لابعد حتى أموت . انتهى . فكانوا أعظم الناس خوفاً ، وأكثرهم سؤالاً لحسن الخاتمة . كما بين ذلك في نصائحه .

واعلم - رحمك[٣] الله تعالى - أنه **كلما كان الإيمان أقوى والعمل أصلح كان الخوف أكثر** ، وكلما كان الإيمان أضعف والعمل أسوأ كان الخوف أقلَّ ، والأمن والاغترار أغلب[٤] ، فاعتبر ذلك في نفسك وغيرك تجده بيّناً .

وعلى الجملة : فإن المؤمن الصادق هو الذي يعمل الصالحات ويخلص فيها ، ويرجو القبول والثواب عليها من فضل الله تعالى ، ويجانب السيئات ويبعد عنها ويخاف أن يبتلى بها ، ويخشى العقاب على ما عمله منها ، ويرجو المغفرة من الله تعالى بعد التوبة والإنابة إلى الله تعالى ؛ فمن كان من المؤمنين على غير هذه الأوصاف فهو من المخلطين وأمره في غاية الخطر ، فافهم هذه الجملة وطالب نفسك بها تنج وتفز إن شاء الله تعالى ؛ إلى آخر ما ذكره ، نفع الله به .

وكان قد قال قبل ذلك في مبحث ذكر الإسلام : **ولن يقدر الإنسان على أن يميت نفسه على الإسلام ، ولكن قد جعل الله له سبيلاً إلى ذلك ، إذا أخذ به كان قد أتى بالذي هو عليه ، وامتثل ما أمر به** ؛ وهو أن يختار

---

(١) وقال : تفلت مني يا أحمد . فقلت : لا بعد ؛ ما دام روحي في الجسد فلا أغتر بسلامتي منك . « شرح سلك العين » راجعه ٥٩١ .

(٢) مِنْ فات يفوت .

(٣) كذا في الأصل ولم أفهم (منه) .

(٤) وفي شرح « سلك العين » في شرح قول الناظم (أوصيك من نفسك) الخ بعد أن بين شدة خوف الأنبياء والصحابة والأقطاب من سوء الخاتمة : واعلم أن الخوف بحسب القرب وصفاء القلب لآية ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ ، ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ . فراجعه (لكاتبه الطلقي) .

الموت على الإسلام ويحبه ويتمناه ويعزم عليه ، ويكره الموت على غيره من الأديان ، ولا يزال داعياً ومتضرعاً وسائلاً من الله أن يتوفاه مسلماً ، وبذلك وصف الله أنبياءه والصالحين من عباده فقال مخبراً عن يوسف بن يعقوب عليهما السلام ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ . **قال وعلى الإنسان الاجتهاد في حفظ إسلامه وتقويته ؛ بفعل ما أمر به من طاعة الله تعالى ، فإن المضيّع لأوامر الله تعالى متعرّض للموت على غير الإسلام ، فإن تركه لذلك دليل على استهانته للدين وعلى الاستخفاف به ، فليحذر المسلم من ذلك غاية الحذر ، وعليه أيضا أن يجانب المعاصي والآثام ، فإنها تضعف الإسلام وتوهنه وتزلزل قواعده ، وتعرضه للسلب عند الموت** . كما وقع ذلك – والعياذ بالله – لكثير من الملابسين والمصرين عليها . وفي قوله تعالى ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ ما يدل على ذلك . وخذ نفسك بامتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه ، وإن وقعت في شيء فتب إلى الله منه ، واحذر كل الحذر من الإصرارعليه ؛ ولا تَزَلْ سائلاً من الله تعالى حسن الخاتمة ، فقد بلغنا **أن الشيطان** – لعنه الله – **يقول : قصم ظهري الذي يسأل الله حسن الخاتمة . أقول : متى يعجب**[1] **هذا بعمله أخاف أن قد فطن** . وأكثر من الحمد والشكر على نعمة الإسلام ، فإنها أعظم النعم وأكبرها ، فإن الله تعالى لو أعطى الدنيا بحذافيرها عبداً ومنعه الإسلام لكان ذلك وبالاً عليه ، ولو أعطاه الإسلام ومنعه الدنيا لم يضره ذلك ، لأن الأوّل يموت فيصير إلى النار ، وهذا الثاني يموت فيصير إلى الجنة .

وعليك أن لا تزال خائفاً وجلاً من سوء الخاتمة ؛ فإن الله تعالى مقلّب القلوب يهدي من يشاء ، ويضل من يشاء .

(١) لم أفهم (منه) .

قال : وقد كان السلف الصالح رحمة الله عليهم في غاية الحذر من سوء الخاتمة مع صلاح أعمالهم وقلة ذنوبهم .

الذين يختمون بخاتمة السوء كثير

واعلم أن كثيراً ما يختم بخاتمة السوء للذين يتهاونون بالصلاة المفروضة والزكاة الواجبة ، والذين يتتبّعون عورات المسلمين ، والذين ينقصون المكيال والميزان ، والذين يخدعون المسلمين ويغشّونهم ويلبّسون عليهم في أمور الدين والدنيا ، والذين يكذبون أولياء الله وينكرون عليهم بغير حق ، والذين يدعون أحوال الأولياء ومقاماتهم من غير صدق ، وأشباه ذلك من الأمور الشنيعة .

ومن **أخوف** ما يُخاف على صاحبه سوء الخاتمة ، البدعة في الدين ، وكذلك إضمار الشكّ في الله ورسوله واليوم الآخر ، فليحذر المسلم من ذلك غاية الحذر ، ولا عاصم من أمر الله إلا من رحم ، اللهم يا أرحم الراحمين نسألك بنور وجهك الكريم أن تتوفانا مسلمين ، وأن تلحقنا بالصالحين في عافية يا رب العالمين . انتهى .

أسباب حسن الخاتمة

واعلم أن العلماء نصوا على أن : كل ما ورد فيه من الأخبار ؛ دخول الجنة أو النجاة من النار ، أو الموت على الإسلام ، أو الجواز على الصراط ، أو شفاعة النبي ﷺ أو مرافقته أو الورود على حوضه ﷺ ، **فكل ذلك من أسباب حسن الخاتمة** ، وكذا الشهادة الأخروية ، والموت على الإسلام ، والاستظلال بظل العرش يوم القيامة ، وتفريج كربة من كرباته ، وكل ما تضمن كرامة أخروية .

قال السيد الإمام أحمد بن علوي باحسن باعلوي - نفع الله به - في كتابه المقدم ذكره : وكذا ما يضاهي ذلك من المبشرات بحسن الخاتمة

لمن وفق للعمل بموجبه ، كما نص عليه النووي وغيره من الأئمة ؛ إذ الكرامة ثمة إنما ينالها من مات على الإسلام دون غيره . انتهى .

وذكر من أسباب ذلك هو وغيره : الملازمة بعد كل صلاة قراءة الفاتحة و﴿ أَلَمَ ﴾ إلى ﴿ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ و﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ الآية و« آية الكرسي » و﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ ﴾ إلى آخر السورة ، و﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ إلى ﴿ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ويقول بعده : وأنا أشهد بما شهد الله به ، وأستودع الله هذه الشهادة ، وهي لي عند الله وديعة . ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾[1] إلى ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ والإخلاص عشراً والمعوذتين (مرة مرة) . وذكر ذلك أيضاً السيد العارف بالله تعالى عبد الله ميرغني فإنه ذكر أن هذه الأذكار من الأسباب الخاتمة بحصول حسن الخاتمة .

ومنها : أذكار الوضوء ، ومن ذلك : صدقة السرِّ فإنها تطفىء غضب الرب ، وتدفع ميتة السوء .

ومنه : سبحان الله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وزنة العرش صباحاً ومساء ثلاث مرات .

ومنه : زيارة رسول الله ﷺ وسؤال الوسيلة .

ومنه : السلام في يوم أو ليلة على عشرة أو عشرين مسلماً مجموعين أو فرادى ، وإطعام اليتيم ، وسؤال الجنة ثلاثاً ، والأذان اثني عشر سنة ، وإخراج الأذى من المسجد ، وإسباغ الوضوء في الليلة الباردة ، والإهلال بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى ، **والإتيان بسيد الاستغفار**[2] صباحاً

(١) ومثله في « إعانة الطالبين » مع زيادة ، فراجعه في ٧٨١ ج١ (منه) . (هامش الأصل) .

(٢) وهو ما رواه شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « سيد الاستغفار أن

ومساء ، وإنفاق زوجين في سبيل الله ؛ أي شيئين من كل شيء ، والتحميد والترجيع عند موت الولد ، وموت الطفل للإنسان ، وصلاة مئة شخص ، أو أربعين ثلاثة صفوف على الميت ، والصبر عند الصدمة الأولى ، وصيام ثمانية من شهر رجب ، وصلاة أربع ركعات في الجامع يوم الجمعة بـ« الإخلاص » ؛ في كل ركعة خمسين مرة ، ورمي سهم أو صنعته في سبيل الله تعالى ، وتعلُّم كلمة أو كلمتين أو ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً مما فرض الله تعالى فيتعلّمهنّ أو يعلِّمهنّ .

ومن ذلك : إحسان الوضوء ثم صلاة ركعتين ؛ يقبل بقلبه وبوجهه عليهما ويقول : رضيت بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ، والجلوس في مصلاه بعد صلاة الفجر ذاكراً حتى تطلع الشمس ، وقراءة خواتيم سورة البقرة من ليل أو نهار والموت من يومه أو ليلته ، وقراءة (أسلمت نفسي إليك ، ووجهت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك ؛ رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، ونبيك الذي أرسلت) ، وفي الرواية : « إذا أتيت مضجعك ، فتوضأ ثم اضطجعْ على شقك الأيمن ، ثم قل : اللهم . . . . » إلى آخره ، ويجعلهنّ آخر ما يتكلم به . وفي رواية أخرى بلا ذكر الوضوء ، ومنه : اللهم أعط محمداً الدرجة والوسيلة ، اللهم اجعل في المصطفين صحبته ، وفي العالمين درجته ، وفي المقرّبين ذكره ، وعقب كل صلاة قراءة « قل هو الله أحد » ، والاستغفار في رجب سبعين بالغداة وسبعين

يقول : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذبك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علي ، وأبوء بذنبي ، فاغفرلي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . من قالها في النهار موقناً فمات من يومه قبل أن يمسي ، فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن ، فمات قبل أن يصبح ، فهو من أهل الجنة » . رواه الخاري . كذا في « ذخيرة المعاد » فراجعه في ١٨ من هامش « عقد اليواقيت » ج١ . (منه رحم الله إفلاسه) .

بالعشي بصيغة : (اللهم اغفر لي وارحمني وتب علي) ، والأذان احتساباً سبع سنين ، وعند ختم القرآن : (اللهم اختم لنا بخير وافتح لنا بخير) ، وفي السجود : (يا مقلب القلوب ثبّت قلبي على دينك) إلى غير ذلك ، وللإمام السيوطي رحمه الله تعالى في ذلك مؤلف سماه « أبواب السعادة في أسباب الشهادة » ختم الله لنا بذلك ولأحبابنا والمسلمين بلا محنة ولا فتنة آمين يا رب العالمين . انتهى .

وفي « بغية المسترشدين » ما نصه : فائدة نقل عن القطب الحداد أن مما يوجب حسن الخاتمة عند الموت أن يقول بعد المغرب أربع مرات : أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم الذي لا يموت وأتوب إليه ، رب اغفر لي .

وعن بعض العارفين : من قال بعد صلاة المغرب أيضاً قبل أن يتكلم : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه بعدد كل حرف جرى به القلم (عشر مرات) مات على الإيمان . اهـ « حدائق الأرواح » لباسودان . انتهى في ٤٥ وفيه في ٧٧ في موضع آخر :

فائدة نقلت عن الإمام الشعراني : أن من واظب على هذين البيتين في كل يوم جمعة توفاه الله تعالى على الإسلام من غير شك وهما :

إِلَهِي لَسْتُ لِلْفِرْدَوْسِ أَهْلاً وَلاَ أَقْوَى عَلَى نَارِ الْجَحِيمِ
فَهَبْ لِي تَوْبَةً وَاغْفِرْ ذُنُوبِي فَإِنَّكَ غَافِرُ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ

ونقل عن بعضهم أنهما يقرآن خمس مرات بعد الجمعة . انتهى « باجوري » فراجعه في سنن الجمعة في ٧٧ .

وفيه : **فائدة** : يسن أن يقول بعد تكبيرة الإحرام : اللهم إني أعوذ بك أن تصد عني وجهك يوم القيامة ، اللهم أحيني مسلماً وأمتني مسلماً . وعند ختم القرآن : اللهم اختم لنا بخير وافتح لنا بخير . فكلا هذين ورد

الوعد لفاعلهما بالموت على الإسلام . « حدائق الأرواح » انتهى فراجعه في ٤٠ .

وذكر القطب أحمد ضياء الدين قدس سره في « مجموعة الأحزاب » ما نصه : **هذا حزب دعاء الفرج** لأبي جعفر المنصور بتعليم الخضر عليه السلام ، من دعا بهذا الدعاء صباحاً ومساء هدمت ذنوبه ودام سروره ، ومحيت خطاياه ، واستجيب دعاؤه ، وبسط له في رزقه ، وأُعطي أَمَلَه ، وأعين على عدوه ، وكتب عند الله صديقاً ؛ ولا يموت إلا شهيداً : اللهم كما لطفتَ في عظمتك دون اللُّطَفَاءِ ، وعلوْتَ بقدرتك على العُظَمَاءِ ، وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك ، وكانت وساوس الصدر كالعلانية عندك ، وعلانية القول كالسر في علمك ، فانقاد كل شيء لعظمتك ، وخضع كل ذي سلطان لسلطانك ، وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك ؛ اجعل لي من كل هم وغم أصبحت وأمسيت فيه فرجاً ومخرجاً ، اللهم إن عفوك من ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على عملي أطمعتني أن أسألك ما لا أستوجبه مما قصرت فيه ، أدعوك آمناً وأسألك مستأنساً ، وإنك لمحسن إليَّ وأَنِّي لمسيءٌ إلى نفسي في ما مضى بيني وبينك ، تتودَّدُ إلي بنعمك وأتبغَّض إليك بالمعاصي ، ولكنّ الثقة بك[1] حملتْني على الجُرأَةِ عليك ، فَعُد اللهم بفضلك وإحسانك علي إنك أنت الرؤوف الرحيم . انتهى ٣٥٧ ج١ .

ومن الأسباب التي يسهل بها سكرات الموت ولا يذوق مرارته ما ذكره مؤلف « رماح حزب الرحيم » بما لفظه : وأما « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » فمن بعض فضائله : أن من داوم على قراءته مائة مرة في كل يوم لا يذوق سكرات الموت .

---

(١) في نسخة : منك .

وقد أخبرني سيدي محمد الغالي رضي الله تعالى عنه ؛ وأنا معه في المدينة المنوّرة ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام : أن الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به كان يحض على ذلك والدوام عليه ويقول : إن المداوم عليه لا يذوق مرارة الموت أصلاً . انتهى .

قلت : قد رأيت في بعض الكتب أن بعض الصالحين داوم عليه فمات وهو ساجد في الصلاة . انتهى . ١٠٥ ج٢ .

وفي « المشرع الروي » نقلاً عن القطب سيدي عبد الله العيدروس رضي الله عنه : من قرأ آية الكرسي يثبّت الله بها القلب لا سيّما عند الموت . « تقريب الأصول » ١١٨ .

فائدة : ذكر الشيخ الإمام برهان الدين إبراهيم بن حسن الكوراني – رحمه الله تعالى – في كتاب ذكر فيه جملة من الأذكار والدعوات ، قال : ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن الحكيم الترمذي عن جبريل عليه السلام : « إن ربك يقول : من قال دبر كل صلاة مكتوبة مرة واحدة : (اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولحظة ولمحة وطرفة يطرف بها أهل السماوات وأهل الأرض من كل شيء هو في علمك كائن أو قد كان ؛ أقدم إليك بين يدي ذلك كله ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ إلى ﴿ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ ، فإن الليل والنهار أربعة وعشرون ساعة ليس فيها ساعة إلا يصعد إلي فيها سبعون ألف ألف حسنة حتى ينفخ في الصور ، وتشتغل الملائكة بذلك ؛ وهذا ما وصى به الشيخ محيي الدين قدس سره في الباب السادس والخمسين من « الفتوحات » ؛ قال : وكذلك تقول في إثر كل صلاة فريضة قبل الكلام : اللهمّ إني أقدم إليك بين يدي كل نفس . . . إلى آخر ما مرّ . انتهى . ما ذكره الكوراني[١] .

(١) قاله صاحب « ذخيرة المعاد » في صحيفة ٤٨ . (هامش الأصل) .

وقد وقع السؤال عن قوله : اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس . . .إلى آخره . ما المراد منه ؟

فأجبت : إن المراد تكثيرُ المضاعفة والتحصين ؛ بأن يكون ما ورد في هذه الآية الكريمة من الأجور التي يتعذّر حصرها ، ومن الثواب الجزيل والكرامة لقارئها في الدنيا والآخرة كائن وواقع بين يدي تلك الأزمنة التي لا يكاد يظهر لها تقدير في الزمن ، فتستغرق تلك اللحظات جميع الأوقات في الحفظ ، وما فيها من الثواب من كل ما ورد ، واختصت به مما عُلم ، ومما لم يعلم ، يكون مقدماً بين يدي تلك الدقائق من الزمن لتشمل الإحاطة والتحصن والحفظ والثواب العظيم ، فيكون ذلك معدوداً ومُعَدّاً له بين يدي تلك الآنات والشيئات .

ويؤيد هذا المفهوم ما ذكره أحمد السجاعي المصري في شرحه على « حزب الإمام النووي » على قوله : وأقدم بين يدي وأيديهم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾ . . إلى آخرها ، أي أجعل ذلك مقدماً في التحصن والإحاطة انتهى . « ذخيرة المعاد » ٨٦ راجعه من هامش « عقد اليواقيت » ففيه كلام آخر في ذكر معنى ما ذكر .

وفي « تنوير الصدر شرح حزب البر » : قال الترمذي : خلصنا حساب ليلة ثمانمائة ألف ألف وأربعين ألفاً وبالنهار مثله ، فذلك ألف ألف ألف وست مائة ألف ألف ؛ هذا في اليوم والليلة ، فحقيق أن يشتغل الملائكة بذلك . انتهى . ١٢٣ من هامش « مجموعة الأحزاب » ج١ .

وما قاله الشاذلي في حزب البر هكذا : (وكل شيء هو في علمك . .إلخ) بدل من (كل شيء) في الحديث المذكور ، وفسر لذلك صاحب « تنوير الصدر » هكذا ، وأقدم إليك قبل كل – بالجر عطف على (كل) الأولى – شيء هو في علمك الخ . انتهى . فراجعه وتدبره في ١١٩

من هامش « مجموعة الأحزات » .

هذه فائدة عظيمة :

باسم ربي والصـــلاة والسـلام　　للنبـــيّ ثـــم لـــلآل الكرام
بعد هذا ، فاستمعنا يا هـمـام　　نـــذكـــر تسبيح ربي باهتمام
قد أتينا بالـنقـــول عــن إمـام　　رحــمــة الله عــليه والسلام
قد رأى الله تعـالى في المـنام　　بعــد تـــسعين وتـسع بالتمام
قال فيه : من يســبح يا إمـام　　بالـــغداة والـــعشـــي بالدوام
خالصا تسبيــحَ آت في الكلام　　فـــهو نـــاج من عذاب بالسلام
فهو تاج رأس حــقي والمــرام　　ذكـــر تـسبيح الإله في الختام

هذه هي التسبيحات المنجية[1] : بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الأبدي الأبد ، سبحان الواحد الأحد ، سبحان الفرد الصمد ، سبحان رافع السماء بغير عمد ، سبحان من بسط الأرض على ماء جمد ، سبحان من خلق الخلق فأحصاهم عَدَد[2] ، سبحان من قسم الرزق ولم ينس أحد ، سبحان الذي لم يتخذ صاحبة ؛ ولا ولد[3] ، سبحان الذي لم يلد ولم يولد

---

(١) ومثله بل عينه في « مصباح الظلام » . فراجعه في ٦٣ (منه) .

(٢) كذا في الأصل الخ . وجه الفهم : عله بحذف الحركة والتنوين لضرورة الفاصلة والسجع ؛ إذ الفاصلة في النثر بمنزلة القافية في الشعر . كذا في كتب العروض ، فراجعه .

(٣) ولم ينسى أحد . ولا ولد ؛ كذا في « مصباح الظلام » أي بلا نصب ولعله للموافقة فافهم (منه) .

*هذا الدعاء حفظ الإيمان الوارد عنه ﷺ : اللهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم وأستغفرك مما لا أعلم إنك علام الغيوب « ترصيع الجواهر » ٦٥ .

ومن أدعية حسن الخاتمة : اللهم اختم لي منك بخير في عافية من غير سابقة=

ولم يكن له كفواً أحد . انتهى . من كتاب ألفه سليمان حقي ٤٤ .

وحكي عن إبراهيم بن أدهم عن بعض الأبدال أنه قام ذات ليلة يصلي على شاطىء البحر ، فسمع صوتاً عالياً بالتسبيح ولم ير أحداً فقال : من أنت ؟ أسمع صوتك ولا أرى شخصك ، فقال : أنا ملك من الملائكة موكّل بهذا البحر ، أسبح الله تعالى بهذا التسبيح منذ خلق . فسأله عن ثواب من قال هذا التسبيح ، فقال : من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له ؛ وهو هذا : سبحان الله العلي الديان سبحان الله الشديد الأركان ، سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار ، سبحان من لا يشغله شأن عن شأن ، سبحان الله الحنان المنان ، سبحان الله المسبح في كل مكان . كذا في « مصباح الظلام » فراجعه في ٣٦ .

البُرج الرابع

في بيان درجات شوائب الرياء والآفات المكدرات للإخلاص

فلما كان معرفتها للسالك ولغيره من المهمّات ، وكان ذكر الرياء في مسألة السائل ؛ أردت أن أورد هنا نبذة يسيرة لا بدَّ لكل أحد من اطِّلاعها والتدبّر بما فيها ، فالكتب ؛ وإن كانت مشحونة بذكر الرياء وغيره من الآفات المحبطة للعمل لكنها لا يظفر عليها كل أحد ، وأرجو الله تعالى أن يوصل إلى هذا الكتاب نظرة موفق فيعمل بما فيها ولو بأدنى شيء ، والله الموفِّق لكل خير ، والمحوِّل عن كل شرٍّ .

=عذاب ولا محنة ، ثلاثاً في الصباح وثلاثاً عند النوم . ومنها ما يقال بعد الصلاة الأوابين : اللهم إني أستودعك ديني فاحفظه عليّ في حياتي وعند مماتي وبعد وفاتي ، ومنها ما يقول بين سنة الفجر والفريضة أربعين مرة يا حي يا قيوم يا بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا الله لا إله إلا أنت أسألك أن تحيي قلبي يا الله يا أرحم الراحمين . « ترصيع » ٦٥ .

قال حجة الإسلام الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ في « الإحياء » في ٢٧٣ ج٤ : **اعلم** أن الآفات المشوّشة للإخلاص بعضها جليٌّ وبعضها خفيٌّ ، وبعضها ضعيف مع الجلاء ، وبعضها قويّ مع الخفاء ، ولا يفهم اختلاف درجاتها في الخفاء والجلاء إلا بمثال ، **وأظهر مشوشات الإخلاص الرياء** ، فلنذكر منه مثالاً فنقول :

درجات الرياء

الشيطان يُدْخل الآفةَ على المصلي مهما كان مخلصاً في صلاته ، ثم نظر إليه جماعة أو دخل عليه داخل ، فيقول له : حَسِّنْ صلاتك حتى ينظر إليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح ولا يزدريك ولا يغتابك ، فتخشع جوارحه ، وتسكن أطرافه ، وتحسن صلاته ، وهذا هو الرياء الظاهر ، ولا يخفى ذلك على المبتدئين من المريدين .

الدرجة الثانية : يكون المريد قد فهم هذه الآفة وأخذ منها حذره ، فصار لا يطيع الشيطان فيها ولا يلتفت إليه ويستمرّ في صلاته كما كان ، فيأتيه في معرض الخير ويقول : أنت متبوع ومقتدى بك ومنظورٌ إليك ، وما تفعله يؤثر عنك ويتأسَّى بك غيرك ، فيكون لك ثواب أعمالهم إن أحسنت ، وعليك الوزر إن أسأت ، فأَحْسِنْ عملك بين يديه فعساه يقتدي بك في الخشوع وتحسين العبادة ؛ **وهذا أغمض من الأول** ، وقد ينخدع به من لا ينخدع بالأول ، وهو أيضاً عين الرياء ومبطل للإخلاص ، فإنه إن كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيراً لا يرضى لغيره تركه ، فَلِمَ لم يرتض[1] لنفسه ذلك في الخلوة ؟ ! **ولا يمكن أن تكون نفس غيره أعزَّ عليه من نفسه** ، **فهذا محض التلبيس** ، بل المقتدى به هو الذي استقام في نفسه واستنار قلبه فانتشر نوره إلى غيره ، فيكون له ثواب عليه[2] ، **فأما**

---

(١) وفي نسخة : لم يرض .

(٢) وفي نسخة : عمله .

هذا ! فمحض النفاق والتلبيس فمن اقتدى به أُثيب عليه ، وأما هو فيطلب بتلبيسه ويُعاقَب على إظهاره من نفسه ما ليس متصفاً به .

الدرجة الثالثة ؛ وهي أدقُّ مما قبلها : أن يجرِّب العبد نفسه في ذلك ، ويتنبَّه لكيد الشيطان ، ويعلم ، **أن مخالفته بين الخلوة والمشاهدة للغير محضُ الرياء** ، ويعلم أن الإخلاص في أن تكون صلاته في الخلوة مثل صلاته في الملأ ، ويستحيي من نفسه ومن ربه أن يتخشع لمشاهدة خلقه تخشعاً زائداً على عادته ، فيقبل على نفسه في الخلوة ويحسن صلاته على الوجه الذي يرتضيه في الملأ ، ويصلي في الملأ أيضاً كذلك ، **فهذا أيضاً من الرياء الغامض** ، لأنه حسَّن صلاته في الخلوة لتحسن في الملأ ، فلا يكون قد فرّق بينهما ، فالتفاته في الخلوة والملأ إلى الخلق ، **بل الإخلاص أن تكون مشاهدة البهائم لصلاته ومشاهدة الخلق على وتيرة واحدة** ، فكأن نفس هذا ليست تسمح بإساءة الصلاة بين أظهر الناس ، ثم يستحي من نفسه أن يكون في صورة المرائين ، ويظن أن ذلك يزول بأن تستوي صلاة في الخلاء والملأ وهيهات !! **بل زوال ذلك بأن لا يلتفتَ إلى الخلق كما لا يلتفتُ إلى الجمادات في الخلاء والملأ جميعاً** ، وهذا من شخص مشغولِ الهمِّ بالخلق في الملأ والخلاء جميعاً ، وهذا من المكائد الخفية للشيطان .

الدرجة الرابعة ؛ وهي أدقّ وأخفى : أن ينظر إليه الناس وهو في صلاته فيعجز الشيطان عن أن يقول له : اخشع لأجلهم . فإنه قد عرف أنه تفطَّن لذلك ، فيقول له الشيطان : تفكَّر في عظمة الله تعالى وجلاله ومن أنت واقف بين يديه ، واستحي من أن ينظر الله إلى قلبك وهو غافل عنه ، فيحضر لذلك قلبه وتخشع جوارحه ، ويظن أن ذلك عين الإخلاص ، وهو عين المكر والخداع ، فإن خشوعه لو كان لنظره إلى جلاله لكانت هذه الخطرة تلازمه في الخلوة ، ولكان لا يختص حضورها بحالة حضور غيره ،

وعلامة الأمن من هذه الآفة : أن يكون هذا الخاطر مما يألفه في الخلوة كما يألفه في الجلوة ، ولا يكون حضور الغير هو السبَب في حضور الخاطر ، كما لا يكون حضور البهيمة سبباً ، فما دام يفرِّق في أحواله بين مشاهدة إنسان ومشاهدة بهيمة ؛ فهو بعدُ خارجٌ عن صفو الإخلاص ، مدنّسُ الباطنِ بالشرك الخفي من الرياء ، وهذا الشرك أخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء ؛ كما ورد به الخبر ، ولا يسلم من الشيطان إلا من دقَّ نظره ، وسعد بعصمة الله تعالى وتوفيقه وهدايته ، وإلا ! فالشيطان ملازم للمتشمِّرين لعبادة الله تعالى ، لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الرياء في كل حركة من الحركات ؛ حتى في كحل العين ، وقصِّ الشارب ، وطيب يوم الجمعة ، ولبس الثياب ، فإن هذه سُننٌ في أوقات مخصوصة وللنفس فيها حظ خفي ، لارتباط نظر الخلق بها ، ولاستئناس الطبع بها ، فيدعوه الشيطان إلى فعل ذلك ؛ ويقول : هذه سنة لا ينبغي أن تتركها . ويكون انبعاث القلب باطناً فيها لأجل تلك الشهوة الخفية ، أو مشوبة بها شوباً يخرج عن حد الإخلاص بسببه ، وما لا يسلم عن هذه الآفات كلها فليس بخالص ، بل من يعتكف في مسجد معمور نظيف حسن العمارة يأنس به الطبع ، فالشيطان يرغبه فيه ويكثر عليه من فضائل الاعتكاف ، وقد يكون المحرِّك الخفي في سره وهو الأنس بحسن صورة المسجد واستراحة الطبع إليه ، ويتبين ذلك في ميله إلى أحد المسجدين أو أحد الموضعين إذا كان أحسن من الآخر ، وكل ذلك امتزاج بشوائب الطبع وكدورات النفس ، ومبطل حقيقة الإخلاص . لعمري الغِشّ الذي يمزج بخالص الذهب له درجات متفاوتة ! فمنها ما يغلب ، ومنها ما يقل ، لكن يسهل دركه ، ومنها ما يدق بحيث لا يدركه إلا الناقد البصير ، وغش القلب ، ودَغَل[1] الشيطان ،

---

(١) الدغل : الفساد . « مختار » (هامش الأصل) .

وخبث النفس ، أغمض من ذلك وأدق كثيراً .

ركعتان من عالم أفضل من عبادة سنة من جاهل

ولهذا قيل : **ركعتان من عالم أفضل من عبادة سنة من جاهل** . وأريد به العالم البصير بدقائق آفات الأعمال حتى يخلص عنها ، فإن الجاهل نظره إلى ظاهر العبادة واغتراره بها كنظر السوادي إلى حمرة الدينار المموّه واستدارته ؛ وهو مغشوش زائف في نفسه ، وقيراط من الخالص الذي يرتضيه الناقد البصير خير من دينار يرتضيه الغرُّ الغبيّ ، فهكذا يتفاوت أمر العبادات ، بل أشد وأعظم ، ومداخل الآفات المتطرقة إلى فنون الأعمال لا يمكن حصرها وإحصاؤها ، فلينتفع بما ذكرناه مثالاً ، والفَطِنُ يغنيه القليل عن الكثير ، والبليد لا يغنيه التطويل أيضاً ؛ فلا فائدة في التفصيل انتهى في ٢٧٥ .

كيفية امتزاج الحظوظ

وقال الغزالي أيضاً قبيل هذا : وأقل أموره ما ورد في الخبر : **أن المرائي يُدعى يوم القيامة بأربع أسام : يا مرائي . . يا مخادع . . يا مشرك . . يا كافر** . . وإنما نتكلم الآن فيمن انبعث لقصد التقرب ، ولكن امتزج بهذا الباعث باعث آخر ، إمّا من الرياء ، أو من غيره من حظوظ النفس ، ومثال ذلك : أن يصوم لينتفع بالحمية الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب ، أو يعتق عبداً ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه ، أو يحج ليصح مزاجه بحركة السفر ، أو يتخلص من شرّ يعرض له في بلده ، أو ليهرب عن عدو في منزله ، أو يتبرّم بأهله وولده أو بشغل هو فيه ، فأراد أن يستريح منه أياماً ، أو يغزو ليمارس الحرب ويتعلم أسبابه ويقدر به على تَهيئة العساكر وجرّها ، أو يصلي بالليل وله غرض في دفع النعاس عن نفسه به ليراقب أهله أو رحله ، أو يتعلم العلم ليسهل عليه طلب ما

يكفيه من المال ، أو ليكون عزيزاً بين العشيرة ، أو ليكون عقاره وماله محروساً بعزّ العلم عن الأطماع ، أو اشتغل بالدرس والوعظ ليتخلَّص عن كرب الصمت ويتفرَّج بلذة الحديث ، أو تكفل بخدمة العلماء أو الصوفية لتكون حرمته وافرة عندهم وعند الناس ، أو لينال به رفقاً في الدنيا ، أو كتب مصحفاً ليجوِّد بالمواظبة على الكتابة خطه ، أو حج ماشياً ليخفف عن نفسه الكراء ، أو توضأ ليتنظف أو يتبرَّد ، أو اغتسل لتطيب رائحته ، أو روى الحديث ليُعرَف بعلوّ الإسناد ، أو اعتكف في المسجد ليخفف عليه كراء المسكن ، أو صام ليخفف عن نفسه التردد في طبخ الطعام ، أو ليتفرغ لأشغاله فلا يشغله الأكل عنها ، أو تصدَّق على السائل ليقطع إبرامه في السؤال عن نفسه ، أو يعود مريضاً ليُعاد إذا مَرِض ، أو يشيع جنازة ليشيع جنائز أهله ، أو يفعل شيئاً من ذلك ليعرف بالخير ويذكر به ؛ وينظر إليه بعين الصلاح والوقار . مهما[1] كان باعثه هو التقرب إلى الله تعالى ؛ ولكن انضاف إليه خطر من هذه الخطرات حتى صار العمل أخف عليه بسبب هذه الأمور ، فقد خرج عمله عن حد الإخلاص ، وخرج عن أن يكون خالصاً لله تعالى ، و تطرَّق إليه الشرك ؛ و قد قال تعالى « أنا أغنى الشركاء عن الشركة » انتهى عبارته ٢٩٦ ج ٤ .

فانظر يا أخي إلى دقائق الرياء[2] ، **واعلم أن أهمَّ ما يرشد الشيوخُ أتباعهم إليه هو الاجتنابُ عن ملاحظة الخلق ، وعن طلب الحظوظ النفسانية بأعمالهم دنياً وأخرى** ، بل مقصودهم بجميع مايعالجونهم ؛ دلالتهم إلى أسباب الخلوص منها طلباً لحظ التلذُّذ بمجرد المعرفة

(١) وفي نسخة : ومهما .

(٢) قال الفاضل المفسّر نظام الدين النيسابوري القمي في غرائب القرآن : إن اجتناب الرياء صعب إلا على من راض نفسه وحملها على الإخلاص ، ومن هنا قال رسول الله ﷺ « الرياء أخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة المظلمة على المسح الأسود » . انتهى . (لمحرره العوري) .

والمناجاة والنظر إلى وجه الله تعالى ، فهذا حظ هؤلاء القوم ؛ لا يلتفتون إلى غيرهما من الحظوظات النفسانية في الدنيا والآخرة ، **حتى يرون طلب الشهوات الموصوفة في الجنة عينَ طلب حظ البطن والفرج** ، ولكن أكثر الناس لا يعدُّون التلذُّذ المذكور حظاً ؛ لعدم علمهم بما هنالك .

وأما أهل الطريقة أرباب الوصلة والمشاهدة ؛ **لو عُوّضوا عما هم فيه من لذة الطاعة والمناجاة وملازمة الشهود للحضرة الإلهية سراً وجهراً جميع نعم الجنة لاستحقروه ولم يلتفتوا إليه** ؛ كما أشار إليه الغزالي في « الإحياء » . فقد أخبرني بعض مريدي شيخنا العسوي ـ قدس سره ـ : أنه كان عنده فطرأ عليه حال بتوجُّهه ، وصار في لذة الحضور بحيث ينسى جميعَ اللذات ، فقال له : يا أستاذي هل يكون في الجنة لذة ألذّ من هذا ؟ ! فقال له الشيخ : لا ، ولو دخلت في الجنان الثمانية . انتهى .

وأما هذا الحقير الفقير المفلس فقد ذاق من هذا المقام طعماً ، فحين كان في السلوك طرأ عليه لذة الحضور وقت المراقبة ، فظن أنه لا تكون في الدنيا و لا في الآخرة لذة أشرف من هذا ولا ألذ ، وظن أنه لا يدخل الجنة لو أمره بالدخول إليها بدل هذه ، ولله الحمد و المنة ، وله الشكر على هذه النعمة الجليلة وهي التي يسمونها بـ « **الجنة المعجلة** » .

أيها الأخ المحبوب العالم السائل المرغوب ؛ رزقك الله تعالى أعلى مراتب الإخلاص ، وخلَّصك من أدنى درجات الرياء ، ينبغي لك أن تعلم أن مَن اتخذ له شيخاً يَهديه إلى معرفة مراتب الإخلاص والرياء ، ومن لا يعرف شيئاً منها لا يستويان في هذا الأمر كما لا يخفى على عاقل ، فإن غالب الخلق نراهم كأنهم معجونون بطين الرياء والسمعة ، فإذا نظر المشائخ بعيون أفئدتهم إلى أهل الظلام المنقطعين عن الله سلكوا طريق العلاج لإزالة ظلماتهم ؛ بتلقين الذكر مع نوره الحاجب من الشيطان ،

ويأمرونهم بتكراره ليدركوا بذلك النور ما في قلوبهم من الآفات القادحة للإخلاص ، فيطّلعون تدريجاً إلى دقائق الرياء وأخفاه ، فيجتهدون بعد ذلك في تركه وإخلاص العمل لله تعالى ؛ فإن وقعوا فيه يبادرون إلى التوبة ، بخلاف العوام كالأنعام .

ويشهد لذلك ما في « السير والسلوك » بهذا اللفظ :

وأعظم أسباب الندم المداومةُ على الذكر بكلمة (لا إله إلا الله) . لأنه إذا داوم عليها أوقد الله في قلبه مِصْبَاحاً ملكوتياً ؛ فتزول به ظلمة الباطن فيظهر على ما فيه من النجاسات والآفات القادحة عن نيل السعادات ، وهو وإن كان يعلمها من قبلِ ذلك ، لكن ذلك العلم ليس معه نور فلا يفيد ، وأما مع تلاوة الاسم فيحصل النور ؛ فيحصل الندم الذي هو التوبة .

وقد روي عن سلطان الأولياء وقدوة الأصفياء ، القطب الربّاني والغوث الصمداني ، سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني ـ قدس الله سره ـ أنه كان يأتيه الرجل فيَشكُو ترك الصلاة والتهاون في أدائها ، فيقول له : أكثر من ذكر لا إله إلا الله . ويأتيه آخر فَيَشْكو له الزنا ؛ مثلاً ، أو شرب الخمر ، أو غيرهما من القبائح ، فيأمر بالذكر المذكور ، فما جاءه أحد يشتكي من ترك مأمور أو فعل شيء منهي عنه إلا أمره بالذكر . انتهى عبارته .

ويؤيد هذا ماورد في الحديث : « ذكر الله شفاء القلوب » انتهى .

ومما ينبغي أن يُعلَم : أن العارفين من أهل الطريقة محفوظون من آفة العجب والرياء ؛ لشهودهم بأن أعمالهم وعباداتهم من فعل الله ، كما قال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ .

ويؤيده ما قاله الغزالي في « الإحياء » بما نصه :

مهم

والعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يُبْتَلُونَ بالرياء والغش[1] والإخفاء . انتهى ٧٢ ج٣ .

فإذا نظرنا فيما ذكر ظهر الفرق بين السالك وبين غيره ، لا يستوي الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، والذين هم في غفلة عنه ساهون ؛ فبين جلساء الله سبحانه وبين الذين هم عنه مبعدون بونٌ عظيم ، وقد ورد في الحديث القدسي : « أنا جليس من ذكرني » فافهم وكن من الشاكرين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين .

(١) غشَّه غشّاً : لم ينصحه ، وزيَّن له غير المصلحة . « مصباح » . (هامش الأصل) .

* ثم قال ـ أي النبي ﷺ ـ : « ولا تدعْ أن تقول : أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيُّوم وأتوب إليه . واسأله التوبة والمغفرة ؛ إنه هو التوَّاب الرحيم ؛ مهما رأيت عملك ، أو وقع خلل في كلامك » . هذا منقول من لفظه ـ يعني : أبا المواهب الشاذلي ـ رضي الله عنه . « الطبقات الكبرى » ٦٦ .

* والعارفون يبْتلون بالشهوات ؛ بل بالمعاصي ، ولا يُبْتَلُون بالرّياء والغش والإخفاء . بل كمال العارف أن يترك الشهوات لله تعالى ويظهر من نفسه الشهوة إسقاطاً لمنزلته من قلوب الخلق . وكان بعضهم يشتري الشهوات ويعلّقها في البيت وهو فيها من الزاهدين وإنما يقصد به تلبيس حاله ليصرف عن نفسه قلوب الغافلين حتى لا يشوّشون عليه حاله فنهاية الزهد الزهد في الزهد بإظهار ضدّه وهذا عمل الصديقين الخ « إحياء » ٢٧ ج٣ .

البرج الخامس

في بيان وجوب اتخاذ الشيخ على كل من ليس له قلب سليم

قد سألني الأخ المرجوّ لحوز السلامة في أثناء أسئلته ببيان حقيقة هذه المسألة ؛ فأردت أن أجيبه بما عندي بما علمني ربي سبحانه وتعالى ، فنقول وبالله الإعانة :

قال الغوث الصمداني أحمد ضياء الدين في « المتممات » : وأما اتخاذ الشيخ وأخذ الطريق ولزوم السلوك ، فقالوا : قد جرت العادة وجربت بأن التطهير من النجاسات المعنوية وأدناس الطوية والحضور والخشوع في الصلاة وسائر العبادات بمشهد « أن تعبد الله كأنك تراه » ، المعبر عنه بـ« **مقام الإحسان** » لا يتيسر إلا بالسلوك على يد شيخ كامل ؛ عالم بعلاج هذه الأمراض وحكمة معاملاتها علماً وذوقاً وتجربة ، **بل لو حفظ المبتلى بالأخلاق الذميمة السابقة كتباً متعددة لا يستغني بها عن تربية مثل تربية الشيخ** ، ليخرجه عن رعونات نفسه الأمارة ودسائسها الخفية ، كما نشهده في كثير من المتفقهة المبتلّين بها ، والتجريبات والمشاهدات تلتحق باليقينيات القطعيات ، وقد قال تعالى ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ .

وقال الشعراني في « الأنوار القدسية » : **وقد أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذ**[1] **الإنسان له شيخاً يرشده إلى زوال تلك الصفات التي تمنعه من حضرة الله بقلبه لتصح صلاته ، من باب : (ما لا يتم الواجب**

---

(١) ويجب على من لم يرزق قلباً سليماً أن يتعلم أدوية أمراض القلب ؛ من كبر وعجب ورياء ونحوها ، كما يجب كفايةً تعلم علم الطب . « ابن حجر من السير » (هامش الأصل) .

* وكان أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يقول : من دخل الدنيا ولم يصادف رجلاً كاملاً يربّيه خرج منها وهو متلوّث ولو كان على عبادة الثقلين (طبقات) .

إلا به ؛ **فهو واجب**) . ولا شك أن علاج أمراض الباطن كله واجب ، كما تشهد به الآيات والأحاديث الواردة في تحريمها والوعيد بالعقاب عليها ، فعلم أن كل من لم يتخذ له شيخا يرشده إلى الخروج من هذه الصفات فهو عاص لله ولرسوله ، لأنه لا يهتدي لطريق العلاج ، **ولو تكلف لا ينفع**[1] **بغير شيخ ؛ ولو حفظ ألف كتاب** ، فهو كمن يحفظ كتاباً في الطب ولا يعرف تنزّل الدواء على الداء ، فكل من سمعه وهو يدرس في الكتاب يقول : إنه طبيب عظيم . ومن رآه حين يُسْأل عن اسم المرض وكيفية إزالته قال : إنه جاهل . فاتّخذ لك شيخاً ولا تعص ، وتفكر أبدية الآخرة ، **وإياك أن تقول : طريق الصوفية لم يأت بها كتاب ولا سنة ، فإنه كفر** ، فإنها كلها أخلاق محمدية ، وسيرة أحمدية ، وسنن إلهية . انتهى ١٥٥ .

وفي « المتممات » أيضاً : وقال الشعراني أيضاً في « الأجوبة المرضية » : وقد كان عز الدين بن عبد السلام يقول قبل أن يجتمع بالشيخ أبي الحسن الشاذلي : وهل ثم طريق يقرّب إلى الله تعالى غير ما بأيدينا من الفقه ؟ فلما اجتمع بالشيخ أقرّ طريق القوم بقوله : **من أدل دليل على صحة طريق القوم** ، وأن أهلها قعدوا على القواعد ، وقعد غيرهم على الرسوم : ما يقع على أيدي القوم من الكرامات والخوارق ، ولم يقع على يد فقيه كرامة ، ولو بلغ في العلم ما بلغ ما لم يتبع طريقهم . انتهى .

وقال فيه أيضاً : وكان الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه يقول لولده عبد الله : يا ولدي عليك بالحديث ، وإياك ومجالسة هؤلاء الذين سموا أنفسهم **صوفية** ، فإنهم ربما كان أحدهم جاهلاً بأحكام دينه . فلما صحب أبا حمزة البغدادي ، وعرف أحوال القوم كان يقول لولده : **يا ولدي عليك بمجالسة هؤلاء القوم ؛ فإنهم زادوا علينا بكثرة العلم والمراقبة**

(١) وفي نسخة : لا ينتفع . .

والخشية والزهد وعلو الهمة .

وقال فيه أيضاً : وبلغنا أن الإمام الشافعي رضي الله عنه كان يجالس الصوفية ويقول : يحتاج الفقيه إلى معرفة اصطلاح الصوفية ليفيدوه من العلم ما لم يكن عنده .

وقال فيه أيضاً : فلا يقال : (لو كان علاج هذه الأمراض الباطنة واجباً ؛ لوضع الأئمة من الصحابة والتابعين والمجتهدين في ذلك كتاباً فيه) ؛ لأنا نقول : إن هذه الأمراض التي حدثت فينا لم تكن في عصرهم ، ولو كانت فيهم لاستنبط المجتهدون في ذلك أدوية وكتباً ، وخلصوا الناس من الرياء والنفاق والعجب وغيرها ؛ كما فعلوا ذلك في مسائل الفقه .

ولا يقول عاقل قط : إن أحداً من الأئمة يرى في أحد كبراً أو عجباً أو رياءً أو حسداً أو نفاقاً ويقرّه عليه أبداً ، بل كان يستنبط له الدواء من الكتاب والسنة ليخرجه من إثم ذلك الداء ، فقد بان لك أنه يجب على كل من غلب عليه مرض الباطن أن يطلب شيخاً يخرجه من تلك الورطة ، وإن لم يجد في بلده أو إقليمه ! وجب السفر إليه ، وإن من رزقه الله سلامة الباطن من الأمراض كالمجتهدين وكمل أتباعهم لا يحتاج إلى الشيخ ، وإن احتاج لزيادة الكمال إلى أهل السلوك ، لأن هذا قد عمل بما علم على وجه الإخلاص ؛ وذلك هو حقيقة الصوفي .

أول ظهور الأمراض الباطنة

وقال القشيري : **أول ما حدث ظهور الأمراض الباطنة أواخر المائة الثالثة** ، لقوله عليه السلام : « خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » فمن شهد له رسول الله ﷺ بالخيرية فقد حاز رتبة الكمال كله . انتهى ١٥٦ .

قلت : ومن هنا سألني العالم محمد دبر البرجي[1] بما نصه : ما يقوله أهل المشيخة : (إن اتخاذ شيخ التربية واجب لعلاج الأمراض الباطنة ؛ من حب الدنيا . . . والخ والخ . وإنما لم يضع الأئمة كتاباً في ذلك كما وضعوا مسائل الفقه مع كون هذا من أهم المهمات ، لأن هذه الأمراض لم تكن في عصرهم ، بل حدثت بعدهم) خبر عجيب يبطله ما وقع بين كبراء الصحابة رضوان الله عليهم في قصة علي ومعاوية وغيرهم ؛ من التحاسد والتقاتل بسبب أمر الخلافة ، وإن سلّمنا أنه وقع منهم بالاجتهاد ، فلا مجال لترك الأئمة أن يضعوا باباً في ذلك فلم لم يضعوا في ذلك كتاباً ومسائل ؛ نظراً إلى تلك الأمراض الباطنة التي ستقع في العوام ، كما وضعوا مسائل الفقه لأجل أمور ستحدث في الناس ، فالجواب بمأخذ كتاب انتهى . من خطه .

أقول بالاستعانة بالله تعالى قائلاً : ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ عدُّ ما قاله السادات والأكابر والأقطاب خبراً عجيباً[2] أراه من سوء الأدب معهم ، فحاشاهم أن يقولوا ما لم يتيقنوا عندهم ، ولا يخفى أنهم أعلم بأحوال من قبلهم من الأئمة والتابعين ، **ومن عادة من خَلَص باطنه من السوء أن يرى الغير كأنه مثله خالص منه** ، كما أن من في باطنه سريرة سيّئة يظن أن غيره متصف بها مثله ؛ فالأئمة وإن لم يضعوا كتاباً في الأخلاق وعلاجها ؛ فالكتاب والسنة مشحونتان بذم الذمائم منها ، ومدح المحامد والمحاسن ، وقد كانت الصحابة رضي الله عنهم من أخوف الناس من الله تعالى ، يحترزون من الأقل من ذمائم الأخلاق ، وقد دلهم النبي عليه السلام على العلاج بقوله ﷺ : « جالسوا العلماء ، وزاحموهم بركبكم ، فإن الله يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء » .

---

(١) وهو الذي وقع سبباً للتأليف (منه) .

(٢) وفي نسخة : يبطله شيء ما .

وروي عنه ﷺ : « ما صب الله في صدري شيئاً إلا وصببته في صدر أبي بكر »

نور قلب العارف

وبقوله عليه الصلاة والسلام : « خير جلسائكم من ذكركم الله رؤيته ، وزاد في علمكم منطقه ، وذكركم الآخرة عمله » يعني : أن نور[1] قلب العارف يشرق على وجهه ، فمن رآه رأى نور الحق الساطع من قلبه على وجهه ، فينعكس عليه مافي باطنه . فافهم .

ورأيت في شرح « عين العلم » ما نصه : وقالت صفية : إن امرأة شكت عائشة قساوة قلبها . فقالت : أكثري ذكر الموت يرقّ قلبك . ففعلت ؛ فرق قلبها ، فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها . انتهى ٨٨ ج٢ .

وفي الحديث : « الذكر سيف الله » ، وفيه أيضاً : « الذكر شفاء القلوب » .

ورأيت في « الفتاوى العمرية » ما نصه : ولقد كان عمر رضي الله تعالى عنه – مع جلالة قدره – يجلس بين يدي أنس بن مالك رضي الله عنه ويقول : يا أنس كنت خادم رسول الله ﷺ ومن آل بيته ، والله تعالى أعلمكم شأن المنافقين ، كما قال الله تعالى ﴿ **أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡ** ﴾ . . . الأية . فانظر يا أنس هل تجد في قلبي أثر النفاق ؟ فبكى أنس من شدة خوف عمر من النفاق ، فبكى معه عمر أيضا ؛ ظناً منه أن بكاء أنس لرؤيته النفاق في قلبه ، ثم قال أنس : يا عمر لا تبك ، وإنما بكيت أنا من شدة خوفك من النفاق وعدم أمنك منه ، فقال عمر : يا أنس ، **من أمن من**

---

(١) راجع « تقريب الأصول » في ٤٦ ، و« الرحمة الهابطة » في ٥٦٣ من هامش « الدرر المكنونات » من الجزء الأول ، و« نور الهداية » . (منه ؛ رحم الله إفلاسه) .

النفاق فهو منافق ، فلا يأمن مكر الله إلاّ القوم الخاسرون .

ومعلوم أن هذا نفاق رياء ؛ لا نفاق شرك . انتهى .

وفي « هدية الذاكرين » وقيل : إن هذه القصة مع حذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله ﷺ . انتهى عبارته .

وفي الأثر أن جبرائيل عليه السلام توجه النبي ﷺ في غار جبل حراء والنبي ﷺ توجه أبا بكر رضي الله عنه في غار جبل ثور ، وهذا هو التوجه المعنعن من النبي ﷺ إلى الصديق الأكبر رضي الله عنه ، ومنه إلى المشائخ الكرام قدس الله أسرارهم وهو سحاب الفيوضات ، وقلوبهم ميزابها[(١)] .

مطلب مهم

والمراد من التوجه هو إلقاء الجذبة من القلب إلى القلب ؛ وإخراج الظلمة منه . وتلقين الذكر قد تسلسل سنده إلى رسول الله ﷺ بإسناد صحيح كما هو مذكور في كتب متعددة ، وقد تعنعن أيضاً توجههم المعروف ؛ كما ذكره الزهدي في هامش « نهجة السالكين » في : ٧٧ . وجميع علاجات أمراض الباطن - كما لا يخفى على عالم عاقل - مأخوذة من الكتاب والسنة ، وفي القرآن آيات كثيرة تصرح الأمر بالاقتداء والاتباع بأهل الخير ؛ من ذلك قوله تعالى ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ انتهى ، ومنها قوله ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ ، ومنها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ ومنها ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ الآية . وأمثالها .

وقد يصرح كون الذكر من العلاجات قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ فتدبره .

---

(١) راجع « صحيفة الصفا لأهل الوفا » مع ما في هامشه من صحيفة ٦ (منه رحم الله إفلاسه) .

وقد مر مراراً ما يعلم الفرق بين الذكر الملقن وبين غيره مما يفعله الإنسان بنفسه .

ويؤيد ذلك ما ذكره صاحب « مزكي النفوس » من أن الذكر على نوعين : ذكر التعليم وذكر التلقين .

فذكر التلقين : هو الذي يفيد الطالب ، ويذهب الحجاب من القلب ، ويخرج منه الظلمة والخيالات والوسوسة الشيطانية ، وهو مثل مطر النيسان .

وأما ذكر التعليم : فهو الذي يذكره العوام ، ويعلمه الآباء بلسانهم ، **ولا يدخل ذلك الذكر إلى القلب ولا إلى الروح** . انتهى .

وقال في « **المتممات** » ما معناه : **لا يحصل تصفية القلب وتزكية النفس من ذكر الأسماء الإلهية إلا إذا تلقنها الذاكر من شيخ كامل** . انتهى ملخصاً فراجعه وراجع « الإبريز » في ٢١٦ .

وفي « بيان الأسرار » للإمام السهروردي رحمه الله تعالى : اعلم أن المراتب المذكورة لا تحصل إلا بالتوبة النصوح ، وبالتلقين من أهله ، كما قال الله تعالى ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ أي : لا إله إلا الله . بشرط أخذه من قلب تقي نقي مما سوى الله ؛ لا كل كلمة تسمع من أفواه العامة ، وإن كان اللفظ واحداً ، لكن في المعنى تفاوت ، **لأن القلب إنما يحيى إذا أخذ بذر التوحيد من قلب حي ، فيكون بذراً كاملاً ، وبذر غير البالغ**[1] **لا ينبت** ، ولذلك نزلت كلمة التوحيد في القرآن في موضعين :

أحدهما مقارن بالقول الظاهر كما قال الله تعالى ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ هذا في حق العوام .

---

(١) وفي نسخة : الكامل .

والثاني مقارن بالعلم الحقيقي ؛ قال الله تعالى ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ وهذا التلقين ، سبب نزول هذه الآية لأجل التلقين[1] . انتهى عبارته ، فراجعه في الفصل الخامس ففيه البسط .

وقال القطب أحمد ضياء الدين « في متمماته » : ثم اعلم أن النفس شأنها عظيم ، وأمرها خطير ، وقد جاءت في التحذير منها الآيات والأحاديث ، والحث على تزكيتها والتبري منها والخلاص عنها .

فمن الآيات : قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ ﴾ وقوله ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠ ﴾[2] ، وقوله ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ﴾ وقوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ .

ومن الأحاديث : قوله عليه السلام : « أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك » وقوله : « ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » وعلى جميع المسلمين وجوب مراقبة الله ، وتهذيب النفس وتزكية أخلاقها على كل من لم يرزق[3] قلباً سليماً .

وهذه النفس مذمومة عند كل شخص ، وفي كل زمان ، بل جميع الملل متفقون على ذم النفس والتحذير من مكرها وخداعها ، وعدم الميل إلى غرورها ؛ فلذلك جعل أئمة الطرق أول اشتغال المريد بقهر النفس ورياضتها ومخالفة هواها وقطع مألوفاتها وشهواتها وأمروه بالحذر منها ومن مكرها ، وألزموه بمحاسبتها ، قال عليه السلام : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا » وقال البوصيري :

---

(١) وسيأتي في البرج السابع . فقلبه (منه) .
(٢) أخفاها بالمعصية . « جلال » (هامش الأصل) .
(٣) راجع ابن حجر من باب السير و« روح البيان » (منه) .

وراعها وَهْيَ في الأعمـــال ســائمةٌ   وإن هي استحلت المرعى فلا تُسِمِ
كـــم حَسَّنَـتْ لـذَّةً للـمرء قاتلة   من حيث لم يَدْرِ أن السمّ في الدسمِ

انتهى عبارته ١٥٨ .

وإذا تدبرت فيما ذكرناه تعلم أن السنة والكتاب مشحونتان بذكر العلاج لمرض الباطن ، ولو تتبعنا جميع ما فيها ليطول الكلام ويؤول الأمر إلى الملال .

وأما الأئمة ، وإن لم يضعوا كتاباً خاصاً في ذم الأخلاق ووجوب علاجها لبراءتهم منها ، وظنهم أن أكثر الناس وأغلبهم مثلهم بريئون منها ، لحسن ظنهم بالخلق واشتغالهم بما هو أهم في وقتهم وزمنهم ، لكن كتب مذاهبهم مشحونة بذكرها وكيفية العلاج ووجوبه بالتصريح والتلويح ؛ أليس كلهم ذموا الدنيا وأهلها ، ومدحوا الزهد ومن تركوها ، وذكروا الرياء والكبر والعجب وغيرها ، وأرشدوا إلى كيفية علاجها وأدويتها ؟ ! فعدم تدوينهم كتاباً خاصاً بذكرها لا يلزم منه خلوّ كتبهم من جميعها ، وعدم تصديقهم ما يفعله أطباء القلوب الذين كانوا في عصرهم ،

مهم

فكيف وقد قال في « الفتاوى العمرية » ما نصه :

اعلم أن أبا حنيفة رحمه الله تعالى أخذ الطريق عن تلميذه قبل وفاته بسنتين ، فقال حين وفاته : لولا السنتان لهلك النعمان . كذا في « مكتوبات » الإمام الرباني .

وقد كان الإمام أبو حنيفة يرى بكشفه نجاسة الذنوب تسيل مع ماء الوضوء ، كما ورد في الحديث ، فلأجل ذلك قال بنجاسة الماء المستعمل . كذا في « ميزان » الشعراني .

ورأيت في « نزهة المجالس » ما نصه : وقال الإمام الشافعي : وأنا حُبِّبَ إلي من دنياكم ثلاث : عِشرة الخلق بالتلطف ، وترك ما يؤدي إلى التكلف ، والاقتداء بطريق التصوف . انتهى عبارته ، راجعه في ٦٧ ج١ .

وقال الشعراني في « طبقاته » **كان الإمام الشافعي وأحمد بن حنبل يترددان إلى مجلس الصوفية** ، ويحضران معهم في مجالس ذكرهم فقيل لهما في ذلك : ما لكما تترددان إلى مثل هؤلاء الجهال ؟! فقالا : إن هؤلاء عندهم رأس الأمر ، وهو تقوى الله عز وجل ومحبته ومعرفته . **وقد كان الشافعي يجلس بين يدي شيبان الراعي كالصبي بين يدي المرضعة** .

مسألة الإمام أحمد مع شيبان

وكان الإمام أحمد ابن حنبل جالساً عند الشافعي رحمهما الله تعالى فجاء شيبان الراعي ، فقال أحمد : إن هذا مع نقصان علمه يشتغل بتحصيل علم الباطن ، فإني أسأله من بعض مسائل الفقه ، فقال له الشافعي : لا تفعل . وقال لشيبان : ما تقول فيمن نسي صلاة من الخمس في ليلة ويوم ولا يدري أي الخمس هي ، ماذا يصنع ؟! فقال الشيبان : **قلب غفل عن الله فينبغي أن يؤدب حتى لا يعود . فغشي على أحمد ، فلما أفاق قال له الشافعي : ألم أقل لك لا تتعرض له ؟!**

وسئل أيضاً يوماً عن زكاة الإبل ، فقال : أما عندكم ! فشاة عن كل خمسة إبل ، وأما عندنا ! فالجميع . قيل له : فمن إمامك ودليلك فيه ؟ ! قال : إمامي أبو بكر الصديق حين أتى بجميع ما ملك إلى رسول الله ﷺ ، فإذا قيل : هل بقي لك ولعيالك شيء ؟ ! قال نعم ؛ الله ورسوله . فتعجب السائل من جوابه .

وشيبان الراعي كان أمياً ، فإذا كان حال الأمي هكذا ، فما ظنك بأئمتهم ؟ ! انتهى .

فقد سلك هذا الطريق كثير من العلماء ، كالغزالي ، وألف فيه كتاب « إحياء علوم الدين » فراجعه ، وكابن الهمام ، والسيوطي ، وابن حجر ، وغيرهم .

وقالوا : **علم الباطن ، كالعلم بأمراض القلب من الرياء والعجب والحسد والحرص وسائر الأخلاق الذميمة وما يتولد منها ، والعلم بحدودها وأسبابها وعلاجها ، والعلم بتحصيل أضدادها من قهر النفس وتحقيرها ، والرضاء بالقدر ، وسائر الأخلاق الحميدة فرض عين وحتم لازم على كل من لم يرزق قلباً سليماً[١] ؛ وقليل ما هم .**

وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري : **كل فقيه لا يجتمع بالصوفية فهو كالخبز الجاف بلا إدام** ، لأن العلم رياسة عظيمة ، وللنفس فيه دسائس ، فربما خفيت على العلماء ، فضلاً عن الطلبة .

وقال ابن حجر : فليتخذ ثقة وحجة ، ولا يلتَفِتْ إلى من يتعصب ، فليتحر أورع المشائخ وأعرفهم بقوانين الشريعة والحقيقة ، وليترك رسومه ، وليدخل تحت إشارته .

ومن ظفر شيخاً بهذا الوصف فحرام عليه أن يتركه ، ويدلك عليه الأدلة الأربعة ؛ بل يشهد لذلك الكتب السماوية كلها .

وبالجملة : إنه طريق وعرفان لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وجميع العالم لو اجتهدوا في تغيير وتبديل شيء من أوضاعه لم يجدوا إليه سبيلاً . انتهى كلام ابن حجر معتمد الشافعية في الفقه . إلى هنا كلام « الفتاوى العمرية » بعبارته ، فراجعه .

---

(١) راجع ابن حجر من كتاب « السير » و« روح البيان » . (منه) .

مهم

وفيه بعيد هذا : ولم يكن في عصر من الأعصار شيخ من الشيوخ من هذه الطائفة إلا وأئمة العصر يتواضعون له ، ويتبركون به ، ويقدمونه على أنفسهم ، ولو لا مزية الطريق وأهله ! لكان الأمر بالعكس ، كما تقدم حرمة الإمام الشافعي لشيبان الراعي الأمي . انتهى .

وأيضاً : إن سبب ترك وضع أبعاض من الأئمة كتاباً خاصاً في الأخلاق هو عدم فراغهم لذلك ؛ لاشتغالهم بما هو الأهم من ذلك ؛ من الأحكام الظاهرة التي لا بد من جمعها وتأليفها ؛ نظراً إلى ما يشتد إليه الحاجة في زمنهم ، وعدم سعة عمرهم لجمع الأحكام الباطنيّة ، وذكر العلاج للأمراض القلبية تصريحاً ، التي قيل : إنها لم تكن في عصرهم ، وإنما حدثت بعدهم . بناء على ما قيل : (**إن ترك الأهم والاشتغال بغيره تعطيل**) .

لم يدون الإمام أحمد في الفقه

والأئمة لم يضع جميعهم كتباً في الفقه ، **بل كان فيهم من لم يدون كلاماً فيه ، كالإمام**[1] **أحمد رضي الله عنه** ، وكان يقول : أَوَ لأحدٍ[2] كلام مع الله ورسول الله ﷺ ! ؟ **وجميع مذهبه ملفق من صدور أصحابه** . كما هو مذكور في « لواقح الأنوار » ، فراجعه في ١٦٠ ج٢ .

فيحتمل أن يترك بعض الأئمة وضع كتاب خاص في التصوف ، كما

---

(١) ولم أر في مذهب الإمام أحمد تصنيفاً مع طول إقامتي في المطبعة الإسلامية مدة اثنى عشر عاماً ، وكانت هناك كتبٌ مجلوبة من الاستانة العلية ومصر المحروسة وغيرهما إلا كتاب « زاد المعاد » على هامش الزرقاني على « المواهب اللدنية » (لمحرره العوري غازي محمد) .

(٢) أي هل لأحد (منه) .

ترك هذا الإمام تدوين كلام في الفقه ؛ اعتماداً على ما في كلام الله وكلام رسوله عليه السلام .

ومعلوم أنه لا يلزم من تركهم التأليف في الأخلاق الذميمة وعلاجها عدم كونها في الكتاب والسنة ، مع أنه وإن ترك بعض الأئمة ذلك التصنيف ، فقد ألف كثير منهم كتباً كثيرة ! وبينوا من الكتاب والسنة حججاً ودلائل لتأييد مذهبهم في حق التصوف ؛ ألا ترى أن الإمام الغزالي قد صنف كتاب « الإحياء » و« جواهر القرآن » وغيرهما ، وألف الشيخ أبو طالب المكي كتابه « قوت القلوب » ، وقد صنف الإمام الشعراني فيها كتباً كثيرة ، وألف الإمام القشيري « رسالته » ، وألف الإمام اليافعي كتاب « روض الرياحين » ، و« نشر المحاسن » ، وبسط الكلام فيهما بحيث يقر عين الناظر ، وقد ذكر الشعراني في « العهود المحمدية » : وإنما شيدت كل عهد منه بالأحاديث الشريفة ، إعلاماً لك يا أخي بأن عهود الكتاب مأخوذة من الكتاب والسنة نصاً واستنباطاً ، لئلا يطعن طاعن فيها ، وسداً لباب الدس من الحسدة في هذا الكتاب ، كما وقع لي ذلك في كتاب « البحر المورود في المواثيق والعهود » انتهى٤ من هامش « منن » من ج١ .

وقال في « الطبقات الكبرى » : **إن طريق القوم مشيّدة بالكتاب والسنة** ، وإنها مبنية على سلوك أخلاق الأنبياء والأصفياء . انتهى ٣ ج١ .

وقال أيضاً : **إن علم التصوف عبارة عن علم** انقدح في قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة ، فكل من عمل بهما انقدح له من ذلك علوم وأسرار وحقائق تعجز الألسن عنها ، نظير ما انقدح لعلماء الشريعة من الأحكام حين عملوا بما علموه من أحكامها ، فالتصوف إنما هو زبدة عمل العبد بأحكام الشريعة إذا خلا عمله من العلل وحظوظ النفس . انتهى ٤ .

وقال أيضاً بعيده : ثم إن العبد إذا دخل طريق القوم وتبحر فيه ، أعطاه الله هناك قوة الاستنباط ؛ نظير الأحكام الظاهرة على حد سواء ، فيستنبط في الطريق واجبات ومندوبات ، وآداباً ومحرمات ومكروهات وخلاف الأولى ، نظير ما فعله المجتهدون ، وليس إيجاب مجتهد باجتهاده شيئاً لم تصرح الشريعة بوجوبه أولى من إيجاب ولي الله تعالى حكماً في الطريق لم تصرح الشريعة بوجوبه ، كما صرح بذلك اليافعي وغيره ؛ وإيضاح ذلك : **أنهم كلهم عدول في الشرع** ، اختارهم الله عز وجل لدينه ، فمن دقق النظر علم أنه لا يخرج شيء من علوم أهل الله تعالى عن الشريعة ، وكيف تخرج علومهم عن الشريعة ، والشريعة هي وصلتهم إلى الله عز وجل في كل لحظة ؟ ! ولكن أصل استغراب من لا له إلمام[1] بأهل الطريق أن علم التصوف من عين الشريعة ، كونه لم يتبحر في علم الشريعة ، ولذلك قال الجنيد رحمه الله تعالى : علمنا هذا مشيّد بالكتاب والسنة . ردّاً على من توهّم خروجه عنهما في ذلك الزمان أو غيره . انتهى ٤ ج١ .

ومما يدل على عدم خلو زمن الصحابة والتابعين من أرباب التصوف : ما قاله الغزالي في « الإحياء » في ٥٨ ج١ : ولقد كان الحسن البصري رحمه الله أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وأقربهم هدياً من الصحابة رضي الله عنهم ، اتفقت الكلمة في حقه على ذلك ، وكان أكثر كلامه في خواطر القلوب ، وفساد الأعمال ، ووساوس النفوس ، والصفات الخفية الغامضة من شهوات النفس . وقد قيل له : يا أبا سعيد إنك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك ، فمن أين أخذته ؟ ! قال : من حذيفة بن اليمان . وقيل لحذيفة : نراك تتكلم بكلام لا يسمع من

(١) وألمّ الرجل بالقوم إلماماً : أتاهم فنزل بهم . ومنه قيل : ألمّ بالمعنى ، إذا عرفه ، وألم بالذنب : فعله . وألم الشيء : قرب . « مصباح » (هامش الأصل) .

غيرك من الصحابة ، فمن أين أخذته ؟ ! قال : خصني به رسول الله ﷺ ، كان الناس يسألونه عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه ، وعلمت أن الخير لا يسبقني علمه .

وقال مرة : فعلمت أن من **لا يعرف الشر لا يعرف الخير** . وفي لفظ آخر : كانوا يقولون : يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا ؟ ! يسألونه عن فضائل الأعمال . وكنت أقول : يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا ؟ ! فلما رآني أسأله عن آفات الأعمال خصني بهذا العلم .

كان حذيفة يعلم النفاق وأسبابه

وكان حذيفة رضي الله عنه أيضاً قد خص بعلم المنافقين ، وأفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه ، ودقائق الفتن ، فكان عمر وعثمان وأكابر الصحابة رضي الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة ، وكان يسأل عن المنافقين فيخبر بعدد من بقي منهم ، ولا يخبر بأسمائهم .

وكان عمر رضي الله عنه يسأله عن نفسه ، هل يعلم فيه شيئاً من النفاق ؟ ! فبرَّأه من ذلك ،

وكان عمر رضي الله عنه إذا دعي إلى جنازة ليصلي عليها نظر ، فإن حضر حذيفة ! صلى عليها ، وإلا ! ترك . وكان يسمى صاحب السر .

فالعناية بمقامات القلب وأحواله دأب علماء الآخرة ، لأن القلب هو الساعي إلى قرب الله تعالى ، **وقد صار هذا الفن غريباً مندرساً** . . . إلى آخر ما فيه .

فضائل الحسن البصري وحذيفة رضي الله عنهما

وقال صاحب « القوت » : **والحسن البصري رحمه الله تعالى إمامنا في العلم الذي نتكلم به** ؛ إثره نقفو ، وسبيله نتبع ، ومن مشكاته

نستضيء ، أخذنا ذلك بإذن الله تعالى إماماً عن إمام ، إلى أن ينتهى ذلك إليه ، وكان من خيار التابعين بإحسان .

قيل : مازال يعي الحكمة أربعين سنة حتى نطق بها ، ولقد لقي سبعين بدرياً ، ولقي ثلاث مئة صحابي ، وكانوا يقولون : كنا نشبهه بهدي إبراهيم الخليل صلوات الله عليه في حلمه وخشوعه وشمائله .

وكان أول من أنهج سبيل هذا العلم ، وفتق الألسنة به ، ونطق بمعانيه ، وأظهر أنواره ، وكشف به قناعه ، وكان يتكلم فيه بكلام لم يسمعوه من أحد من إخوانه . انتهى « إتحاف شرح الإحياء » ٤٣٢ .

وفي « الإتحاف أيضاً : ولقد كان الحسن - هو ابن أبي الحسن واسمه يسار - البصري أبو سعيد رحمه الله تعالى - مولى الأنصار[١] ، وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي ﷺ - وُلِدَ[٢] لسنتين بقيتا[٣] من خلافة عمر ، فيذكرون أن أمه ، كانت ربما غابت فيبكي ، فتعطيه أم سلمة ثديها تُعَلِّلُه به إلى أن تجيء أمه ، فدرَّ عليه ثديُها فشربه ، فلذا كان أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء في الحكمة والفصاحة .

ويُرْوى أن ذلك من بركة تلك الشربة .

ونشأ الحسن بوادي القرى ، ورأى علياً وطلحة وعائشة ، ولا يصح له سماع من أحد منهم ، وكان أقربهم هدياً من الصحابة .

يروى أن أم سلمة كانت تخرجه إلى أصحاب رسول الله ﷺ وهو صغير ، وكانوا يدعون له ، فأخرجته إلى عمر ، فدعا له فقال : اللهم فقهه في الدين ، وحببه إلى الناس . انتهى ٤٢٧ .

---

(١) وكان مولى زيد بن ثابت (منه) .
(٢) أي : الحسن البصري .
(٣) وفي نسخة : يقيناً .

وقد رأيت في « الحدائق الوردية » ما حاصله : أن هذه النسبة قد تلقى عالم كبير من كبار التابعين من الإمام علي كرم الله وجهه ، وأعظم من سرى إليهم سرها شيخ هذه السلسلة السنية سيدنا الحسن البصري رضوان الله عليهم[1] .

وفيه أيضاً : ونشأ بوادي القرى ، وكان من أجمل أهل البصرة ، ورأى طلحة بن عبد الله وعائشة ، ولقي علياً بن أبي طالب ، وسمع ابن عمر وأنساً وأبا بكرة وجماعة من الصحابة ، وسمع خلائق من كبار التابعين انتهى ٨١ ، وسيجيء - إن شاء الله تعالى - اتصال نسبة الطريقة به - كرم الله وجهه - وبالصديق أبي بكر رضي الله عنه ، وتفريع جميع الطرق من هاتين النسبتين .

وقال الشعراني في « طبقاته » : ويكفينا مدحاً للقوم إذعان الإمام الشافعي رضي الله عنه لشيبان الراعي الخ عبارته ٤ . وقال أيضاً : وكذلك يكفينا إذعان الإمام أحمد ابن حنبل رضي الله عنه لأبي حمزة البغدادي الصوفي الخ .

وقال فيه أيضاً : وحكى الشيخ قطب الدين بن أيمن : أن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه كان يحث ولده على الاجتماع بصوفية زمانه . انتهى عبارته ٤ .

وقال : وقد أشبع الكلام في مدح القوم وطريقهم الإمام القشيري في

---

(١) وكلامه في التصوف أكثر من أن يحصى ، كما هو معلوم لدى كل من لديه اهتمام بعلوم الدين ، وإن كان علماء الدنيا غافلين عن تفحص أقوال علماء الآخرة ، وسيأتي الكلام في حق الحسن البصري بأبسط من هذا في آخر الكتاب . (منه ؛ رحم الله إفلاسه) .

وقد قدم البصرة من المدينة المنورة بعد قتل عثمان رضي الله عنه ، وسكن فيها ، وتوفي في زمن حكومة هشام ، ودفن فيها . (هامش الأصل) .

« رسالته » ، والإمام عبد الله بن أسعد اليافعي[1] في « روض الرياحين » ، وغيرهما من أهل الطريق ، وكتبهم كلها طافحة بذلك . انتهى عبارته ٤ .

وقال الشعراني قدس سره في « اليواقيت » ما نصه : فإن القوم لما عملوا بما علموا أعطاهم الله تعالى علماً من لدنه بإعلام رباني أنزله في قلوبهم مطابقاً لما جاءت به الشريعة ، لا يخرج عنها ذرة . انتهى عبارته ٢٠ ج١ .

وذكر الشعراني في « الكبريت الأحمر » : أن الشيخ الأكبر قال في « الفتوحات » بما نصه : **وليس عندنا بحمد الله تقليد إلا للشارع** ﷺ ، **وأنه قال : إني لم أقرر بحمد الله في كتابي هذا قط أمرا غير مشروع** ، وما خرجت عن الكتاب والسنة في شيء منه . انتهى فراجعه .

وفي « الحدائق الوردية » في ترجمة الإمام الرباني مجدد الألف الثاني[2] رزقنا الله فيضه آمين ما لفظه : وقال قدس سره : اعلم **أن الشريعة والحقيقة متحدان** في الحقيقة لا تغاير بينهما ولا فرق ، إلا بالإجمال والتفصيل[3] انتهى ١٨٩ . وقد حصل الجواب بمفهوم ومضمون ما ذكر لمسألة السائل ، وعلم أن ما يفعله أهل الطريقة ليس بخارج من عين الشريعة المطهرة . والحمد لله رب العالمين .

ثم إن السائل لما ذكر في كلامه أكابر الصحابة ، ونسب إليهم أن ما وقع بينهم من التقاتل إنما وقع من التحاسد ، احتيج إلى الجواب لهذه المسألة

فنقول :

---

(١) وقلت : وكذا أشبع اليافعي الكلام في « نشر المحاسن » فراجعه . (منه رحمه الله إفلاسه) .

(٢) في ٣ من هامش « اليواقيت » (منه) .

(٣) وراجع « البهجة السنية » و« الدرر المكنونات » (منه) .

البرج السادس

في بيان أن الصحابة رضي الله عنهم هم السادات القادات ، وأنهم هم النجوم ، ومن اقتدى بهم اهتدى ، و من خرج عن سبيلهم ارتدى ، وأن ما وقع بينهم إنما وقع بالاجتهاد ، لا حقداً ولا حسداً ولا حباً للرياسة ولا علواً في الدرجة .

اعلم أيها الأخ أن هذا الحقير المفلس يرى الخير في حفظ اللسان من ذكرخير الناس في القرون الماضية ـ رضي الله عنهم ـ لئلا يقع في سوء الأدب معهم ، فإنهم هم الذين شهد النبي عليه السلام على كونهم على الهدى بقوله : « أصحَابِي كالنجوم ، بأيهم اقتديتم اهتديتم » .

وقال الإمام الرباني ـ قدس سره ـ في المكتوب ١٥١ ج ١ : واعلم أن أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام كلهم كبراءُ عُظماء ينبغي أن يذكر كلُّهم بالتعظيم .

روى الخطيب عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : قال : رسول الله ﷺ : « إن الله اختارني واختار لي أصحاباً ، واختار لي منهم أصهاراً وأنصاراً ، فمن حفظني فيهم حفظه الله ، ومن آذاني فيهم آذاه الله » وروى الطبراني عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال : « من سبّ أصحابي فعليه لَعْنَةُ الله والملائكة والنّاس أجمعين » .

وروى ابن عدي عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قال رسول الله ﷺ : « شرار أمتي أجرؤهم على أصحابي » .

وما وقع بينهم من المنازعات ينبغي صرفها وحملها على محامل حسنة ، وإبعادهم عن الهوى والتعصّب ، فإن تلك المخالفات كانت مبنية على الاجتهاد والتأويل ، لا على الهوى والهَوَس[1] كما أن جمهور أهل

---

(١) الهوس : طرف من الجنون . « مختار » . (هامش الأصل) .

السنة على ذلك[1] ، ولكن ينبغي أن يعلم أن مخالفي الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ كانوا على الخطأ ، وكان الحق في جانبه ، ولكن لما كان هذا الخطأ خطأً اجتهادياً كان صاحبه بعيداً عن الملامة[2] ومرفوعاً عنه المؤاخذة ، كما نقل شارح « المواقف » عن الآمدي أن **وقعة الجمل والصفين كانت على وجه الاجتهاد** . وصرح أبو شكور السَّالمي في « التمهيد » : أن أهل السنة والجماعة ذاهبون إلى أن معاوية مع طائفة من الصحابة الذين كانوا معه كانوا على الخطأ ، وكان خطأهم اجتهادياً .

مطلب

وقال الشيخ ابن حجر في « الصواعق » : إن منازعة معاوية لعليّ رضي الله عنهما كانت على وجه الاجتهاد ، وجعل هذا القول من معتقدات أهل السنة ، وما قال شارح « المواقف » من أن كثيراً من أصحابنا ذهبوا إلى أن تلك المنازعة لم تكن على وجه الاجتهاد ، فمراده من الأصحاب ، أيّ طائفة هو ، فإن أهل السنة حاكمون بخلاف ذلك كما مرّ ، وكتب القوم مشحونة بالقول بالخطأ الاجتهادي ، كما صرح به الغزالي وقاضي أبو بكر وغيرهما ، **فلا يجوز تفسيق مخالفي الإمام علي وتضليلهم** .

قال القاضي في « الشفاء » : قال مالك ـ رضي الله عنه ـ : مَن شتم أحداً من أصحاب النبي ﷺ ؛ أبا بكر وعمر وعثمان ، أو معاوية ، أو عمرو بن العاص رضي الله عنهم ، فإن قال : كانوا على ضلال وكفر ، قتل ،

(١) وقد قال الإمام البوصيري في « الهمزية » :

كلُّهُمْ في أحكامِهِ ذُو اجتِهَادٍ　　وصَوَابٍ ، وكُلُّهُمْ أكفَاءُ

ـ رضي الله عنهم ورضوا عنه ـ فأنَّى يخطوا إلى خطأ . انتهى . (منه)

(٢) فللمصيب من المجتهدين أجران ، وللمخطئ أجر واحد ، فعلى هذا : لعلي رضي الله عنه أجران ـ لأنه المصيب . (منه) ـ ، ولمعاوية أجر واحد ـ لأنه المخطئ . (منه) « الحل اللطيف على الهمزية » . (هامش الأصل) .

وإن سبَّهم بغير هذا من مشاتمة الناس ! نُكِّلَ نكالاً شديداً ، فلا يكون محاربوا علي كفرة ! كما زعمت الغُلاة[1] من الرفضة ، ولا فسقة ! كما زعم البعض ، ونَسَبَهُ شارحُ « المواقف » إلى كثير من أصحابه ؛ كيف وقد كانت الصديقة[2] وطلحة والزبير من الصحابة منهم ؟ ! وقد قُتل طلحةُ والزبيرُ في قتال الجمل مع ثلاثة عشر ألفاً من القتلى قبل خروج معاوية ، فتضليلهم وتفسيقهم مما لا يجترىء عليه مسلم ، إلا أن يكون في قلبه مرض ، وفي باطنه خبث .

وما وقع في عبارة بعض الفقهاء من إطلاق لفظ الجَوْر في حق معاوية ؛ حيث قال : كان معاوية إماماً جائراً . **فمراده بالجور عدم حقيَّة خلافته في زمن خلافة علي ، لا الجور الذي مآله فسق وضلالة !** ليكون موافقاً لأقوال أهل السنة والجماعة ، ومع ذلك يجتنب أرباب الاستقامة إتيان الألفاظ الموهمة خلاف المقصود ، **ولا يجوز الزيادة على القول بالخطأ** ، كيف يكون جائراً **وقد صح أنه كان إماماً عادلاً في حقوق الله سبحانه وحقوق المسلمين** ؟ ! كما في « الصواعق » .

وقد زاد مولانا عبد رحمن الجامي ـ قدس سره ـ في قوله : خطأ منكراً – يعني زاد على ما عليه الجمهور **وكلما زاد على لفظ الخطأ خطأ** . وما قال بعده : فإن كان هو مستحقاً للعن إلخ فهو أيضاً غير مناسب له ، أين محل الترديد ؟ ! وأين محل الاشتباه ؟ ! فإن قال هذا الكلام في حق يزيد ! فله وجه ومساغ ، وأما قوله ذلك في حق معاوية ! فشنيع ، وقد ورد في الأحاديث النبوية بأسانيد الثقات أن النبي ﷺ دعا لمعاوية : « اللهم

---

(١) غلت مثل غلط وزناً ومعنى « مختار » .

(٢) عائشة رضي الله عنها .

* وناهيك ما وقع لأبناء يعقوب مع أخيهم يوسف ، مع كونهم أنبياء وما وقع منهم مع يوسف باجتهاد منهم . (لمحرره العوري) .

علّمهُ الكتاب والحساب وقِهِ العذاب » .

وقال في محلٍّ آخر من دعائه « اللهم اجعله هادياً مَهدِيّاً » . **ودعاؤه ـ عليه الصلاة والسلام ـ مقبول** . والظاهر أن هذا الكلام صدر عن مولانا[1] بطريق السهو والنسيان ، وأيضاً أنه لم يصرِّح باسم أحد في تلك الأبيات ، بل قال : وصحابي آخر . وهذه العبارة أيضاً تنبئ عن الشناعة ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ .

وما نقل عن الإمام الشعبي من ذمِّ معاوية ، وأنه بالغ في مذمَّته وأوصلها إلى ما فوق الفسق ، لم يبلغ مرتبة الثبوت ، والإمام الأعظم من تلامذته ، فعلى تقدير صدق هذا القول لكان هو أحق بنقله !

وحكم الإمام مالك ـ الذي هو من تبع التابعين ومعاصره ـ بقتل شاتم معاوية وعمرو بن العاص كما مرَّ آنفاً ، فإن كان هو مستحقاً للشتم فَلِمَ حَكَمَ بقتل شاتمه ؟ ! فَعُلِمَ أنه اعتقد شتمه من الكبائر ، فحكم بقتل شاتمه[2] وأيضاً أنه جعل شتمه كشتم أبي بكر وعمر وعثمان ، كما مرَّ سابقاً ، **فلا يكون معاوية مستحقاً للشتم والذم** .

أيها الأخ إن معاوية ليس وحده في هذه المعاملة ، بل كان نصف الأصحاب الكرام تخميناً شريكاً له فيها ، **فإن كان محاربوا علي كفرةً أو فسقة زال الاعتقاد عن شطر الدين الذي بلغنا من طريق تبليغهم ، ولا يُجوِّز ذلك إلا زنديق مقصوده إبطال الدين** .

---

(١) أي الجامي .

(٢) ويؤيِّد ذلك أن ابن المبارك ـ وناهيك به إمامة وعلماً ومعرفة ـ سُئل : أيُّهما أفضل ؛ معاوية أو عمر بن عبد العزيز ؟ ! فقال : والله لَلْغبار الذى دخل أنف فرس معاوية مع رسول الله ﷺ خير من مئة واحد مثلِ عمر بن عبد العزيز . يريد بذلك : أن شرف الصحبة والرؤية لرسول الله ﷺ ، وحلول نظره الكريم ، لا يعادله عمل ، ولا يوازنه شرف . « الفتاوى الحديثية » لابن حجر من صحيفة ٣٢٢ فراجعه . (منه) .

أيها الأخ إن منشأ إثارة هذه الفتنة هو قتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ وطلب القصاص من قتلته ، فإن طلحة وزبيراً إنما خرجا أولاً من المدينة بسبب تأخير القصاص ، ووافقتهم الصِدِّيقة في هذا الأمر ، فوقع حرب الجمل التي قتل فيها ثلاثة عشر ألفاً من الصحابة ، وقتل فيها طلحة والزبير اللذان هما من العشرة المبشرة ، ثم خرج معاوية من الشام ، وصار شريكاً لهم ، فوقع حرب الصَفين .

صرَّح الإمام الغزالي أن تلك المنازعة لم تكن لأمر الخلافة ، بل كانت لاستيفاء القصاص في بدء خلافة عليّ .

وعَدَّ ابن حجر هذا القول من معتقدات أهل السنة .

وقال الشيخ أبو شكور السالمي الذي هو من أكابر علماء الحنفية : إن منازعة معاوية لعليّ كانت في أمر الخلافة ، فإن النبي ﷺ قال لمعاوية « إذا مَلَكْتَ[1] النَّاسَ فَارْفقْ بهم »[2] فحصل لمعاوية الطمع في الخلافة من هذا الكلام ، ولكن كان هو مخطئاً في هذا الاجتهاد ، وعلي محقّاً فيه ، فإن الوقت كان وقت خلافة علي . والتوفيق بين هذين القولين هو أن منشأ المنازعة يمكن أن يكون أولاً تأخير القصاص ، ثم بعد ذلك يقع في طمع الخلافة ، وعلى كلٍّ الاجتهاد واقعٌ في محله ، فإنْ مخطئاً فدرجة واحدة من الثواب ، وللمحِقِّ درجتان ، بل عشر درجات .

أيها الأخ ؛ إن الطريق الأسلم في هذا الموطن السكوت عن ذكر مشاجرات أصحاب النبي ﷺ وعلى آله الصلاة والسلام ، والإعراض عن

---

(١) رواه مسلم وابن أبي شيبة ، والطبراني في « الكبير » بهذا اللفظ ، وأحمد عن أبي هريرة بلفظ إن وليت أمراً فاتق الله واعدل (منه) .

(٢) رواه مسلم ، وابن أبي شيبة في « المصنف » والطبراني في « الكبير » بهذا اللفظ ، وأحمد عن أبي هريرة بلفظ : « إن وليتَ أمراً فاتقِ الله واعدل » . (منه قدس سره) .

ذكر منازعتهم ، قال النبي ﷺ : « إياكم وما شجر بين أصحابي »[١] وقال أيضاً : « إذا ذكر أصحابي فأمسكوا »[٢] وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام : « الله[٣] . . الله في أصحابي ! لا تتخذوهم غرضاً »[٤] يعني : احذروا الله واتقوه في حق أصحابي ولاتجعلوهم هدفاً لسهم ملامتكم وطعنكم .

قال الإمام الشافعي ـ وهو منقول عن عمر بن عبد العزيز أيضاً ـ : تلك دماء طهَّر الله تعالى عنها أيدينا ، فَلْنطَهِّر عنها ألسنتنا . ويفهم من هذه العبارة أنه لا ينبغي إجراء خطأهم على اللسان أيضاً ، وأن يذكرهم بغير الخير[٥] ؛ هذا .

ويزيد البعيدُ عن السعادة من زمرة الفسقة ، والتوقُّف في لعنه إنما هو على الأصل المقرر عند أهلِ السنة من أنه : لا يجوز اللعن على شخص معين ، ولو كان كافراً ! إلا أن يُعْلَم موته على الكفر يقيناً ، كأبي لهب الجهمي[٦] ! ؟ وامرأته لا أنه غير مستحق للّعن ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ . انتهى من « الدرر المكنونات » من الجزء الأول فراجعه .

---

(١) أورده ابن الأثير في « النهاية » . (منه) . (هامش الأصل) .

(٢) رواه الطبراني عن ابن مسعود وثوبان ، وابن عدي عن عمر رضي الله عنه . (منه) .

(٣) رواه الترمذي عن عبد الله .

(٤) رواه الترمذي عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه . (منه) .

(٥) ونكفُّ عن ذكر الصحابة إلا بخير ، لما ورد من الأحاديث الصحيحة في مناقبهم ، ووجوبِ الكفِّ عن الطعن فيهم ، كقوله ﷺ : « لا تسبُّوا أصحابي ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ! ما بلغ مُدَّ أحدهم ، ولا نَصيفه ! » . وقوله ﷺ : « أكرموا أصحابي فإنهم خياركم » . . . . .إلخ . « عقائد النسفي » . (هامش الأصل) .

(٦) عله الجهنمي .

البُرج السابع

في بيان ما ورد في التلقين ، وما يترتَّب عليه من الفوائد المهمة

اعلم أيها الأخ إذا نظرت إلى هذه المنقولات من كتب أكابر السادات لا يليق بجنابكم العالي الشأن أن تذكروا ما يفهم منه وقوع التحاسد بين الأصحاب الكرام ، ولا ينبغي لكم أيضاً أن تظنوا أن ما يفعله مشائخ الطريق هو ما لم يكن عليه الصحابة والتابعون **فإن المشائخ إنما أخذوا أمور طرقهم من الكتاب والسنة** ، وما يلقِّنونه من مراتب الذكر فقد وصل إليهم معنعناً مسلسلاً إلى النبي ﷺ ، وقد علمت مما مر **أن الذكر شفاء القلوب ، وأنه سيف الله يقاتلون**[1] **به أعداء السالكين ، من النفس والهوى والشيطان** فلم يبق لأحد مجال لأن يقول : إن استعمال أمور الطريقة لم يكن في زمن الصحابة ولا في زمن الأئمة ، أما كونها في زمن الأئمة ! فقد علم مما مر مراراً .

وأما كونها مما ورد عنه عليه السلام ! فقد روى أحمد والطبراني وغيرهما **أن رسول الله ﷺ لقَّن أصحابه جماعة وفرادى** ؛ فأما تلقينهم جماعة ، فقد قال شداد بن أوس : كنا عند النبي عليه السلام ، فقال عليه السلام « هل فيكم غريب ؟ » يعني : من أهل الكتاب ، قلت : لا . فأمر بغلق الباب وقال : ارفعوا أيديكم وقولوا : لا إله إلا الله ، ثم قال : الحمد لله ، اللهم إنَّك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة وإنَّك لا تخلف الميعاد ، ثم قال : ألا أبشروا فإن الله قد غفر لكم » .

وأما تلقينهم فرادى ! فروى يوسف الكوراني وغيره بسند صحيح أن علياً -رضي الله عنه - سأل النبي ﷺ فقال : دُلَّني على أقرب الطرق إلى الله وأسهلها على عباده وأفضلها عند الله تعالى ، فقال عليه

---

(١) أي : إذا تمكن الذكر من القلب كما يفهم هذا مما سبق ، فليراجعه في ٢٢١ .

السلام : « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله ، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة لرجحت بهم ثم قال عليه السلام : يا علي ، لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله » فقال علي : كيف أذكر يا رسول الله ؟ فقال عليه السلام :غمض عينيك واسمع عني ثلاث مرات ، ثم قل أنت ثلاث مرات ، وأنا أسمع فقال : لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضاً عينيه رافعاً صوته وعلي يسمع ثم قال علي : لا إله إلا الله كذلك والنبي عليه السلام يسمع . **فهذه نسبة عليّ في تلقين الذكر**[١] .

نسبة الصدّيق الأعظم في التلقين

وأما النسبة الباطنية في تلقين الأذكار القلبية ! فذلك بإثبات من غير نفي بلفظ اسم الذات[٢] ؛ لقوله تعالى لرسول الله ﷺ ﴿ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ ﴾ **وهذه نسبة الصديق الأعظم** الذي أخذها باطناً عن النبي ﷺ وهذا هو الذكر الذي وقر في قلبه – رضي الله عنه وعَنِّي به – لقول النبي عليه السلام عن ربه « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ، بل بشيء وقر في قلبه » **وقد تفرعت نسبة جميع الطرق من هاتين النسبتين؛ فهما أصلان ومعهما عَوْنُ الرحمن** . كذا في « جامع أُصول الأولياء » ٢٢ .

---

(١) وعن الأصنع قال : سمعت ابن عباس يقول : قال رسول الله ﷺ « ذكر الله تعالى عبادة وذكري عبادة وذكر علي رضي الله عنه عبادة وذكر الأئمة عبادة ، والذي بعثني بالنبوة وجعلني خير البرية أن الوصي لأفضل الأوصياء وأنه لحجة الله على عباده وخليفته على خلقه ومن ولده الأئمة الهداة بعدي ، بهم يحبس الله العذاب عن أهل الأرض وبهم يمسك السماء أن تقع على الأرض وبهم يمسك الجبال أن تميد بهم وبهم يسقي خلقه الغيث وبهم يخرج النباة أولئك أولياء الله حقاً وخلفاءه صدقاً . عدتهم عدة شهور وهي إثنى عشر شهراً وعدتهم عدة نقباء موسى بن عمران ، ثم تلى هذه الآية ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ﴾ ويعني به السماء وبروجها ، قلت : يا رسول الله ﷺ فما ذاك قال : أما السماء فأنا ، وأما البروج فالأئمة بعدي ، أوّلهم علي وآخرهم المهدي صلوات الله عليهم أجمعين « مجمع البحرين » ٦٥١ من باب ما أوله الباء .

(٢) أي : ونفي وإثبات كما في « الفتاوى العمرية » . (منه) .

مطلب

وفي رسالة أحمد الزركراني رحمه الله تعالى : قال الله تعالى في حق أصحاب الصُفّة ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ[1] وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ وقوله تعالى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ سبب نزوله : روي في « بستان الشريعة » أنّ عليّاً رضي الله عنه جاء إلى النبي والتمس منه أقرب الطرق وأفضلها وأسهلها سلوكاً ، فتوجه النبي فنزل الوحي بقوله تعالى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ مقارناً بالعلم اللدني تنبيهاً أنّ هذه الكلمة مفتاح خزائن الله وعِلم الله ، ثم قعد جبرائيل متربّعاً كالمعلم ، فلقّن النبي ﷺ ثلاث مرات ، ثم أمره أن يلقّن عليّاً لأنه أول من التمس التلقين ، ثم حضره أربع مئة[2] من الصحابة فلقّنهم جميعاً ، ثم قال ﷺ « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » وقال ﷺ : « لا تقوم الساعة على وجه الأرض حتى نفى من قال الله الله » يعني بالقلب الحي ، وينبغي أن يغمض عينيه وينصت حين التلقين والذكر **فجميع المشائخ أخذوا أصولهم من النبي ﷺ ظاهراً وباطناً** . انتهى فراجعه في الفصل الثاني .

ومن المشائخ من يجهر في الذكر ، ويذكر لجوازه وأفضليته بحسب حال المريد في بعض المواضع أدِلّةً .

و منهم من يختار السرّ ، ويمنع الجهر على كل حال وفي كل موضع ؛ كالنقشبنديين ؛ **وطريقتهم هي أفضل الطرق** التي أثنى عليها خاتمة المحققين ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » بأنها هي الطريقة السالمة من

---

(١) أي : لا إله إلا الله .

(٢) وعبارة « بيان الأسرار » : ثم جاء إلى أصحابه فلقنهم جميعاً . انتهى فراجعه من الفصل الخامس (منه) .

كدورات جهلة الصوفية ، كما هو مذكور في آخره .

وقد قال الإمام الرباني قدس سره - : **اعلم أنّ الطريق الذي هو أقرب وأسبق وأوفق وأوثق وأسلم وأحكم وأصدق وأدلّ وأعلى وأجلّ وأرفع وأكمل ، هو الطريقة النقشبندية** قدس الله أرواح أهاليها وأسرار مواليها ، وكل عظمة هذا الطريق وعلو شأن هؤلاء الأكابر بواسطة متابعة السنة السنية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية ، واجتناب البدعة الغير المرضية . انتهى من « الدرر المكنونات » في ٣٣٣ ج١ .

وقال أحمد ضياء الدين : **إنها سلطان الطرق** .

وفي موضع آخر : إنها أم الطرق .

ذكر الجهر

فأرباب هذه الطريقة يعدّون الذكر الجهري بدعة أي محدثة فيها على ما وصل إليهم من الصّدّيق الأكبر ، كما صرحه الإمام الرباني في « المكتوبات » . وقال في مكتوب آخر ما حاصله : إن ذكر الجهر لا يتصور فيه ما فوق الرخصة . انتهى من « الدرر المكنونات » في ٣٢٥ ج١ .

وقال أيضاً : إن إحداث شيء في الطريقة ليس هو عند الفقير بأقلّ من إحداث بدعة في الدين ، **وبركات الطريقة إنما تُفاض وتعود على أهلها ، ما لم يحدث فيها محدث ، فإذا حدث فيه محدث ! ينسدُّ طريق الفيوض والبركات** . انتهى من « الدرر » ٢٨١ ج١ .

سبب تسمية ذكر الجهر بدعة

وقال أيضاً في مكتوب آخر بعد كلام : **ومن ههنا لم يجوِّزوا الرقص والسماع ، ولم يقبلوا الأحوال المترتِّبة عليه باتفاق منهم وإجماع ، بل اعتقدوا ذكر الجهر بدعة ، ومنعوا أصحابهم عنه ولم يلتفتوا إلى ثمرات**

تترتب عليه . انتهى من « الدرر » ٢٧٩ ج ١ .

وقد كتبت في « تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف » ما نصه : فان قلت : فقد قيل : إن للذكر الجهري خاصية ليست في غيره ، ومن المجرب أنه يحصل به الشوق والذوق والوجد فلِمَ منع النقشبنديون أصحابهم عن الذكر الجهري ؟ ! أقول : **إن أئمة الطرق كأئمة المذاهب في الشرع** ، فكما اختلفت مذاهبهم باختلاف أدلتهم ! فكذلك أئمة الطرق اختلفوا فيما يستعملونه في طرقهم ، ولكل منهم وجهة مقبولة ، ولهم دلائل من الكتاب والسنة ، وكلهم على الحق لما أنهم لم يخرجوا من دائرة الاتباع ، فاذا فهمت هذا ! علمت أن لهم مذاهب يستندون إليها ؛ فمذهب النقشبنديين الإخفاء في الذكر ، وقد تسلسل إليهم من منبعها هذا الإخفاء ، وعدّوا ما حدث فيها من البدع الغير المرضية ، وإن كان مستحسناً من وجه آخر ، ولذلك اعتقدوا ذكرالجهر بدعة ، ومنعوا أصحابهم عنه ، ولم يلتفتوا إلى ثمرات تترتب عليه ، لِما أنه لم يرد في طريقهم الخاصة ، وإن ورد في طريقة غيرهم الخاصة بهم ، **وهذا سبب تسميتهم ذكر الجهر بدعة** ، والله أعلم .

وأيضاً إنهم لم ينظروا إلى تلك الثمرات المترتبة على ذكر الجهر ، لاحتمال أن تتطرق إليه الظلمة بالرياء والسمعة ، ويحبط ثوابه بسببهما بالكلية ، فأخذوا حبل الاحتياط ، وتمسّكوا عرى الإخلاص ، ولازموا على إخفاء الذكر الذى لا تسمعه الحفظة ، فيُكتب ولا يطلع عليه الناس فيرائي ويُحْبَط ، ومع ذلك إن لهم ما يقوم مقام الذكر الجهري الذى يقول أرباب الجهر أنه – أي ذكر اللسان – مبدأ الذكر الخفي وأنه وسيلة إليه ، ألآ وهو التوجه المعروف عندهم ؛ المعنعن المسلسل من معدن الرسالة ﷺ فقد قال الإمام الرباني : **فإن توجههم الواحد يعمل ما لا يعمله المجاهدة في سنين عديدة** . انتهى راجعه قبيل الترغيب التاسع تجد فيه ما تقرّ العين .

وإن أردت أن تعلم تفضيل ما يفعله النقشبنديون فارجع إلى مكتوبات الإمام الرباني ، و« البهجة السنية » و« الرشحات » و« الحدائق الوردية » ، فهذه الكتب مشحونة بالمنافع والفوائد فلا بد للسالك من مطالعتها ، رزقنا الله تعالى من فيوضات مؤلفيها ، وأذاقنا حلاوة ما ذاقوه من لذة المعرفة ، وهو على ذلك قدير .

فضائل لا إله إلا الله

فائدة مهمة؛ في الكلام على كلمة الإخلاص لا إله إلا الله : فقد كنا ذكرنا في « الخلاصة » و« التلخيص » و« التنبيه » فضائل لفظة الجلالة والنفي والإثبات وأردنا أن نذكر هنا ما فات فيها من فضائل كلمة التوحيد ، قال الشيخ الإمام العالم العلامة والبحر الفهّامة الشيخ أحمد بن الشيخ حجازي الفشني قدس سره في « المجالس السنية » : اعلم أن الله سبحانه وتعالى أمر عباده أن يعتقدوها ويقولوها ، فقال سبحانه ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ وذمّ مشركي العرب بقوله ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ .

وقال ﷺ لعمه أبي طالب : « قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة » فقال : لولا أن يُعَيّرني قريش لأَقْرَرْتُ بها عينك .

فـ(لا إله إلا الله) كلمة التقوى كما فسّرها ﷺ .

ثواب (لا إله إلا الله)

وفي حديث عثمان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً من قلبه إلا حرّمه الله تعالى على النار » ، فقال عمر رضي الله عنه : أنا أحدّثكم ما هي ؛ هي كلمة الإخلاص التي أُلْزِمَها محمّد وأصحابه .

قال سهل التستري : ليس لقول لا إله إلا الله ثواب إلا النظر إلى وجه الله عزّ وجلّ ، والجنة ثواب الأعمال .

وقيل : إن كلمة التوحيد إذا قالها الكافر تنفي عنه ظلمة الكفر ، وتثبت في قلبه نور التوحيد ، وإذا قالها المؤمن في كل يوم ألف مرة فبكل مرة تنفي عنه شيئاً لم تنفه المرة الأولي ، وهي أفضل الذكر كما قال النبي ﷺ ، وهي دأب الناسكين ، وعمدة السالكين ، وعُدة السائرين ، وتحفة السابقين ، ومفتاح الجنة ، ومفتاح العلوم والمعارف .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : يفتح الله تعالى أبواب الجنة ، وينادي مناد من تحت العرش : أيتها الجنة وكل ما فيك من النِعَم لمن أنت ؟ ! فتنادي الجنة وكل ما فيها : نحن لأهل (لا إله إلا الله) ، ولا نطلب إلا أهل (لا إله إلا الله) ، ولا يدخل علينا إلا أهل (لا إله إلا الله) ، ونحن محرَّمون على من لم يقل : (لا إله إلا الله) . وعند هذا تقول النار وكل ما فيها من العذاب : لا يدخلني إلا من أنكر (لا إله إلا الله) ، ولا أطلب إلا من كذب بـ(لا إله إلا الله) ، وأنا حرام على من قال (لا إله إلا الله) ، ولا أمْتَلئُ إلا بمن جحد (لا إله إلا الله) ، وليس غيظي وزفيري إلا على من أنكر (لا إله إلا الله) .

ثم قال : فتجيء رحمة الله ومغفرته فتقول : أنا لأهل لا إله إلا الله ، وناصرة لمن قال لا إله إلا الله ، والمغفرة من كل ذنب لأهل لا إله إلا الله .

والجنة مباحة ، والرحمة والمغفرة غير محجوبة عن أهل (لا إله إلا الله) .

وقال بعضهم : الحكمة في قوله تعالى ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ٢﴾ أن يوم القيامة يتجلّى نور كلمة (لا إله إلا الله) فيضمحل في ذلك نور الشمس والقمر لأن أنوار تلك أنوار مجازية ، ونور

(لا إله إلا الله) نور حقيقي ذاتي واجب الوجود لذاته تعالى ؛ والمجاز يبطل في مقابلة الحقيقة .

وجاء في الآثار : أن العبد إذا قال (لا إله إلا الله) **أعطاه الله تعالى من الثواب بعدد كل كافر وكافرة** . قيل : والسبب أنه لما قال هذه الكلمة ، فكأنه قد ردّ على كل كافر وكافرة ؛ فلا جرم يستحق الثواب بعددهم .

وسئل بعض العلماء عن معنى قوله تعالى ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ فقال : البئر المعطلة قلب الكافر معطل من قول (لا إله إلا الله) . والقصر المشيد قلب المؤمن معمور بشهادة (لا إله إلا الله) .

وقيل : في قوله تعالى ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ يعني : قولوا (لا إله إلا الله) .

وروي أن النبي ﷺ كان يمشي في الطرق ، ويقول « قولوا لا إله إلا الله تفلحوا »

وقال سفيان بن عيينة : ما أنعم الله على العباد نعمة أفضل من أن عرّفهم (لا إله إلا الله) ، وأن (لا إله إلا الله) لهم في الآخرة كالماء في الدنيا .

وقال سفيان الثوري رحمه الله تعالى إن لذاذة قول (لا إله إلا الله) في الآخرة كلذة شرب الماء البارد في الدنيا .

وذكر مجاهد في تفسير قوله تعالى ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ أنه (لا إله إلا الله) .

وقيل : إن كل كلمة يصعد الملك بها ، إلا قول (لا إله إلا الله) ! فإنها تصعد بنفسها ، دليله قوله تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ أي قول (لا إله إلا الله) ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ أي الملك يرفعه إلى الله تعالى ، حكاه الرازي .

وحكي أيضاً : أنه إذا كان آخر الزمان فليس لشيء من الطاعات فضل كفضل (لا إله إلا الله) ، لأن صلاتهم وصيامهم يشوبهما الرياء والسمعة ، وصدقاتهم يشوبها الحرام ، ولا إخلاص في شيء منها ، أما كلمة (لا إله إلا الله) فهي ذكر الله ، والمؤمن لا يذكرها إلا عن صميم قلبه .

وفي الخبر : يقول الله تعالى : « لا إله إلا الله حصني ، فمن دخل حِصني أَمِنَ من عذابي . » .

ويقال : (لا إله إلا الله محمد رسول الله) سبع كلمات ، وللعبد سبعة أعضاء ، وللنار سبعة أبواب ، فكل كلمة من هذه الكلمات السبع تغلق باباً من أبواب النار السبعة ؛ عن كل عضو من الأعضاء السبعة .

حكاية

حكى الإمام الرازي رحمه الله تعالى : أن رجلاً كان واقفاً بعرفات ، وكان في يده سبعة أحجار ، فقال : يا أيتها الأحجار اشْهدوا لي أني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فنام فرأى في المنام كأن القيامة قد قامت ، وحوسب ذلك الرجل فَوَجبت له النار ، فلما ساقوا به إلى باب من أبواب جهنم جاء حجر من تلك الأحجار السبعة ، وألقى نفسه على ذلك الباب ، فاجتمعت ملائكة العذاب على رفعه فما قدروا ، ثم سيق به إلى الباب الثاني فكان الأمر كذلك ، وهكذ الأبواب السبعة ، فسيق به إلى العرش ، فقال الله سبحانه : عبدي أشهدتَ الأحجار فلم تضيّع حقك ، وأنا شاهد على شهادتك على توحيدي ، ادخل الجنة ، فلما قرب من أبواب الجنان فإذاً أبوابها مغلقة ، فَجَاءَتْ شهادة أن لا إله إلا الله وفتحت الأبواب ودخل الرجل .

وروى الطبراني بسنده أن النبي ﷺ قال : « حضر ملك الموت عليه السلام رجلاً ، فنظر في كل عضو من أعضائه فلم يجد فيه حسنة ، ثم شقّ عن قلبه فلم يجد فيه شيئاً ، ثم فكّ عن لحييه فوجد طرف لسانه

لاصقاً بحنكه يقول : لا إله إلا الله ، فقال : وجبت لك الجنة بقول كلمة الإخلاص ؛ يعني : لا إله إلا الله » .

وفي الحديث : « من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة » .

وفيه أيضاً :« ليس على أهل (لا إله إلا الله) وحشة في قبورهم ، ولا في نشورهم ، وكأني[1] ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن » . والآثار في فضلها كثيرة شهيرة ، وفي هذا القدر كفاية . انتهى ٣١ .

فينبغي للعاقل أن يلازم هذا الذكر ويواظبه إلى أن يفتح الله له ، بعد أخذه من الشيخ الكامل بالتلقين ، فلقد ذكروا في كتبهم بأن تصفية القلب وتزكية النفس لا تحصل بذكر الأسماء الإلهية إلا إذا تلقَّنها من شيخ كامل ؛ كما هو معلوم .

البرج الثامن

في بيان أفضلية علماء الباطن على غيرهم

فلما كان كاتب المسائل من علماء الظاهر ، وكان الغالب على أمثاله أن يقولوا : هَلْ ثَمَّ علم أجل وأفضل مما عندنا ؟ ! وهل ثم طريق غير ما بأيدينا ؟ ! أردت أن أورد هاهنا قدراً يسيراً مما ذكره العلماء في جلالة علم الباطن وأهله .

اعلم أيها الأخ ؛ أن الله تعالى قد قال في كتابه ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ

(١) بأهل لا إله إلا الله ، قد قاموا .

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية . وبالتقوى دخلوا في دائرة قوله تعالي ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ ، وبِذَا زاد أهل الله شرفاً على غيرهم ، فلما صفت قلوبهم عن دنس السوى ، وتزكت نفوسهم عن وسخ الهوى ، انعكست في قلوبهم علوم اللوح ، وأوحى إلى سرائرهم أسرار العلم اللدني ، فحينئذ جاز أن يقال : أخذنا علمنا من الحي الذي لا يموت ، وحصل لهم التمييز ممن يأخذ العلم من إنسان يموت .

إذا دخل النور في القلب عاين الغيب

قال في « الفتاوى العمرية » ؛ نقلاً عن الخادمي : **علم الباطن علم المكاشفة الذي يظهر في القلب نوره ويشاهد به الغيب** ، وهو المَغْنِيُّ والمقصود من قوله عليه السلام – على ما في « جامع الصغير » – : « علم الباطن سرّ من أسرار الله تعالى ، وحكم من أحكام الله يقذفه في قلب من يشاء من عباده » ، ومن قوله عليه السلام ـ على ما في « عين العلم » ـ : « إذا دخل النور في القلب انشرح » أي : عاين الغيب . وقال تعالى ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ وقال في « التتارخانية » : وأما علم المكاشفة فلا يحصل بالتعليم والتعلّم والتدريس ، وإنما يحصل بالمجاهدة التي جعلها الله تعالى مقدّمة للهداية ، أي : في آية ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ .

وقال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ : « حفظت عن رسول الله ﷺ وِعَاءين فأما أحدهما فبثثته ـ أي : نشرته ـ ، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم » أي : الحلقوم ؛ كذا في « صحيح البخاري » .

علماء الظاهر وعلماء الباطن

و في « الفتاوى الحديثية » في ٢٢٦ لابن حجر ـ رضي الله عنه ـ : وسئل ـ رضي الله عنه ونفع به ـ : **أيهما أفضل ؛ علماء الباطن أم علماء**

الظاهر ؟ ! فأجاب بقوله : إن أردت بعلماء الباطن ما هو المتبادر منه عند أهله ؛ وهم العارفون بالله الذين وفقهم الله لأفضل الأعمال ، وحفظهم من سائر المخالفات في كل الأحوال ، ثم كشف لهم الغطاء فعبدوه كأنهم يرونه ، واشتغلوا بمحبته عما سواه ، وأطلعهم على عجائب ملكه وغرائب حكمه ، وقربهم من حضرة قدسه ، وأجلسهم على بساط أنسه ، وملأ قلوبهم بصفات جماله وجلاله ، وجعلها مطالع أنواره ومعادن أسراره ، وخزائن معارفه وكنوز لطائفه ، وأَحْيَا بهم الدين ونفع بهم المريدين ، وأغاث بهم العباد ، وأصلح بهم البلاد . وبعلماء الظاهر الذين عرفوا رسوم العلوم الكسبية ، وعويصات الوقائع الفعلية والقولية ، وغرائب البراهين العقلية والنقلية ، حتى حفظوا سياج الشرع من أن يُلِمَّ[1] به طارق ، أو يخرقه مبتدع مارق[2] فالأولون أفضل ، وإن كان للآخرين فضل عظيم ، بل ربما كانوا أفضل من حيثية ، لا مطلقاً ! و مع ذلك فأفضلية الأولين على حالها **إذ قد يكون في المفضول مزية بل مزايا** ، هذا إن وجدت في هؤلاء

---

(١) أي : ينزل به . « مصباح » (هامش الأصل) .

(٢) مرق من الدين : إذا خرج منه . « مصباح » (هامش الأصل) .

*قال الغزالي في « الإحياء » : فإن كنت مريداً للآخرة ، وطالباً للنجاة ، وهارباً من الهلاك الأبدي فاشتغل بعلم العلل الباطنة ؛ على ما فصلناه في ربع المهلكات ، يعني الحسد والكبر والرياء والعجب والحرص والبخل وغيرها . فإن القلب إذا فرغ من المذموم امتلأ من المحمود ، والأرض إذا نقيت من الحشيش نبت منها أصناف النبات ، فلا تشتغل بفروض الكفايات لا سيما وفي الخلق من قام به ، فإن مهلك نفسه في صلاح غيره سفيهٌ ، فما أشد حماقة من دخلت الأفاعي والعقارب داخلَ ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مذَبَة (آلة يدفع بها الذباب) ويدفع بها الذباب من غيره . فكن مشغولاً بنفسك وإياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك ، فإن كنت مشغولاً بنفسك فلا تشتغل إلا بالعلم الذي هو فرض ، بحسب ما يقتضيه حالك من الإيمان « أصول الدين » .

*فليكن حرصك في طلب السرّ وهو الجوهر النفيس والدر المكنون ؛ يعني هو القلب الطاهر من المهلكات ، والإيمان الصحيح الخالص من الرياء والتردّد والشك . (منه) .

صفة العدالة ، وإلا ! فلا مفاضلة ، إذ لا مشاركة بينهم وبين الأولين في شيء من صفات الكمال ، **لأن رسوم العلوم الخالية عن الأعمال الصالحة في الحقيقة مقت أيّ مقت! وغضب أي غضب !** ومن ثم جاء في الأخبار الصحيحة من عقاب العلماء الذين لم يعملوا بعلمهم ما يدهش اللب ويحيِّر الفكر . هذا هو الحق في هذه المسألة خلافاً لمن أطلق الكلام في تفضيل أحد الشقين . ولم يَبُح[1] هذا التفضيل الذي أبديته ، ولا يرد على ذلك ما وقع لموسى مع الخضر ـ صلي الله على نبينا وعليه وسلم ـ **بناء على ما عليه الجمهور من الصوفية : أن الخضر ولي ، لأن موسى أفضل منه إجماعاً** ، لأنه امتاز على الخضر بخصوصيات لا تحصى ، وإنما غاية ما يتميز به الخضر أنه اطلع على جزئيات من عالم الغيب لم يطلع عليها موسى فتلمذ له لأجلها ، وتأديباً من الله له إذا سئل : من أعلم الناس ؟ ! فقال : أنا . ولم يَرُدَّ العلم إلى الله ، فليست قضيتهما مما نحن فيه بوجه ، خلافاً لليافعي ـ رحمه الله ـ حيث جعلها دليلاً لتفضيل الأولين .

ومما يدل على أفضلية الأولين : ما هو مقرر **أن العلماء إنما يشرفون على قدر شرف معلومهم ، وشرف العلوم تابع لشرف غايتها** ، فعلوم المعارف المتعلقة بالله وأسمائه وصفاته أشرف العلوم ، وأصحابها أشرف العلماء ، ويليها في الشرف علم الفقه ، لأن غايته معرفة أحكام الله وشرعه الذي تعبَّد به عباده .

---

(١) أي : لم يظهره . وباح بسِرِّه : أظهره ، وبابه قال . « مختار »(هامش الأصل) .

❊ وقال القشيري رحمه الله تعالى : وأصل تسمية الصوفية صوفية ؛ كان حين ظهرت الأهواء والبدع في عصر الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، فسموا كل من تمسّك بالكتاب والسنة ، وعمل بهما صوفياً دون غيره . قال : وقد روينا عن الإمام أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه أنه كان يقول : طريقنا هذه مشيّدة بالكتاب والسنة ، فمن لم يقرأ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به فيها . « لطائف المنن » ٤٢ ج١ .

الوصل ؛ وقد يعبر بالوصل عن فناء العبد بأوصافه في أوصاف الحق . « متممات جامع الأصول » .

مطلب

وجميع العلوم وسيلة إلى هذين العلمين المشتملين على معرفة الله ومعرفة عبادته ، لأن الخلق لم يخلقوا إلا لذلك ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ والعبادة تفتقر إلى المعرفة ! ومن فسَّرها بالمعرفة ، فهي مستلزمة للعبادة ، إذ من عرف الله عرف وجوب عبادته وطاعته .

ومما يوضِّحُ لك أن العلوم وسيلة لذينك العلمين أنها وسيلة لمعرفة الفقه ؛ الوسيلة لمعرفة العمل الوسيلة للعمل ، الوسيلة لطاعة الله وقربه ، الوسيلة لمعرفته ، **فمن استعمل هذه الوسائل على وجهها وصل بها إلى المقصود الأعظم ، وإلا! فهو الخاسر الهالك** ، وإن كان بصورة عالم .

ومما يدل على أفضلية علم المعرفة على الفقه وغيره أمور ؛

منها : أن العلوم والمعارف اللدنية يختص بها الأولياء والصديقون ، والعلوم الظاهرة ينالها حتى الفسقة والزنادقة ، ومن ثم قال السهروردي في « عوارفه » : وينبئك على شرف علم الصوفية وزهاد العلماء أن العلوم كلها لا يبعد تحصيلها مع محبة الدنيا والإخلال بحقائق التقوى ، وربما كانت محبة الدنيا عوناً على اكتسابها لأن الاشتغال بها شاق على النفوس فجبلت على محبة الجاه والرفعة ، حتى إذا استشعرت حصول ذلك بحصول العلم أجابت إلى تحمل الكُلَف[1] وسهر الليل ، والصبر على الغربة والأسفار ، وفقد الملاذ والشهوات ؛ وعلوم هؤلاء القوم ـ يعني الصوفية ـ لا تحصل بمحبة الدنيا ، ولا تنكشف إلا بمجانبة الهوى ، ولا تُدرس إلا في مدرسة التقوى ، قال الله تعالى ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ .

ومنها : أن شرف العلم على قدر شرف انتفاع صاحبه ونفعه الغير به ، **والعارفون هم الذين انتفعوا ونفعوا حقاً ، ويكفي في انتفاعهم تطهير**

---

(١) جمع كلفة . وفي نسخة : تكلّف .

قلوبهم مما سوى الله ، وامتلاؤه بمحبته ومعرفته .

ومن نفعهم للخلق أن بركتهم تغيث العباد ، ويدفع بها الفساد ، وإلا لفسدت الأرض ، ويقام بهم الدين ، ويرشد بهم المريدون إلى التطهير من كل خلق دنيء ، والترقي إلى التحلي بكل وصف عليّ .

حكايات

ومن ثَمَّ وقع لعارف أن تلميذه أراد الزنا ، فلما همَّ سمع[1] صوت

---

(١) وفي « الرشحات » : ويلزم أن يكون اعتقاد المريد في شيخه **بأن جميع أحواله ظاهرة لديه ، غير خافية عليه ، وإنما لا يظهر له بعض أحواله لعدم المصلحة في إظهاره** ، بل يجد المريد جواباً من غير وساطة القول واللسان . وقال : كيف يكون الشيخ شيخاً هو مثلاً في المشرق ، وله مريد في المغرب ولا يكون له خِبْر عن جميع أحوال مريده ؟ ! انتهى . فراجعه في ٩٤٢ (منه رحم الله إفلاسه) .

* قال الغزالي : **وعلامة الإخلاص** ؛ أن يكون الخاطر يألف العمل في الخلوة كما يألفه في الملأ ، ولا يكون حضور الغير هو السبب في حضور الخاطر ، كما لا يكون حضور البهيمة سبباً في ذلك ، فما دام يفرق في أحواله بين مشاهدة الإنسان ومشاهدة البهيمة فهو خارج عن صفوة الإخلاص مدنّس الباطن بالشرك الخفي من الرياء ، وهذا الشرك أخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء . « إعانة » ٤٢١ على « فتح المعين » .

* وذكر بعضهم : **إن الصوفية ثلاثة أصناف** ؛ **صوفية الحقائق** ، وحالهم ترك الكدر وامتلاء الفكر واستواء الحجر والمدر ، قيل هو كمال المعاني ، وترك الدعاوى . وهؤلاء هم الصدّيقون والعلماء العارفون . **وصوفيّة الأرزاق** ؛ وهم الذين وقفت عليهم الخوانك والرُبط ، وشرطهم العدالة والتأدب بآداب أهل الطريق ، وهي الآداب الشرعية في غالب الأوقات ، وأن لا يتمسّكوا بفضول الدنيا من التجارات ونحوها . **وصوفية الرسوم** ؛ وهم المقتصرون على لبس زيّ القوم فليس لهم همة إلا في تحصيله وآداب وضعية يتعارفونها فيما بينهم ، ومنزلة هؤلاء من الصوفية منزلة من يلبس ثياب العلماء أو المجاهدين متشبهاً بهم من غير أن يعرف شيئاً من العلم أو الجهاد ، وهؤلاء هم الذين أشار إليهم سيدي أبو مدين قدس سره بقوله : واعلم بأن طريق القوم دارسة* . وحال من يدّعيها اليوم كيف ترى . « فتاوى ابن حجر » ٦٦٢ .

* درس المنزل دروساً : عفا وخفيت آثاره . « مصباح » .

شيخه من بلاد بعيدة يقول : هكذا تفعل يا فلان ؟ ! ففرَّ هارباً .

ووقع لآخر من تلميذه نظير ذلك : أنه ما شعر إذ همَّ إلا والشيخ قد لطمه لطمة أذهبت بصره ، فخرج وأمر من جاء به إلى الشيخ فقال : ادع الله بردِّ بصري ، فإني تائب إلى الله تعالى ، فقال : نعم ، ولكن لا تموت إلا أعمى ، فدعى له فرد عليه بصره ، ثم عمي قبل موته بثلاثة أيام .

وكذلك وقع للشيخ أبي الغيث بن جميل اليمني ـ رحمه الله تعالى ـ : أنه كان له تلميذ بالعجم همّ بالزنا بامرأة ، فضربه الشيخ بقبقابه[1] مع زجر وغضب بحضرة الفقراء ، فلم يدروا ما الخبر ! حتى قَدِمَ الشيخَ العجميُّ بقبقاب الشيخ بعد شهر تائباً .

وكذلك وقع للجيلاني أنه رمى بفردتي قبقابه إثر وضوئه مع صرختين عظيمتين ، فلم تدر الفقراء ما الخبر ، حتى قدمت قافلة بعد ثلاثة وعشرين يوماً فأخبروا أن عرباً نهبوا أموالهم واقتسموها ؛ وهم يَنْظُرُونَ ، فنذروا للشيخ بشيء إن نجوا منهم ، فسمعوا الصرختين ، وجاءهم العرب بأموالهم ، وأخبروهم أن فردتي القبقاب جاءتا إلى كبيرَيْهم فقتلتاهما ، فأخذوهما وهما مبلولتان وقدموا بهما .

ومنها : ما ورد في فضل أويس القرني – رضي الله عنه ونفعنا به ـ ، وكونه أفضل التابعين في بعض روايات « صحيح مسلم » مع ما في التابعين من العلماء الكبار الذين لا يحصون .

ومنها : أن ابن عبد السلام صرَّح بتفضيل العارفين بالله تعالى ، ومن ثم لما سمع إملاء القطب أبي الحسن الشاذلي ـ رحمه الله تعالى – على

---

(١) أي : نعلان من خشب . « تفريج الخاطر » . (هامش الأصل) .

« رسالة القشيري » صار يقول : اسمعوا إلى هذا الكلام العجيب الغريب القريب العهد بربه .

ومنها : قول الأستاذ أبي القاسم الجنيد ـ نفع الله به ـ : **لو علمتُ تحت أديم السماء عِلْماً أشرف من علمنا هذا لسعيتُ إليه وقصدته .**

وقال الشهاب السهروردي : الإشارة في خبر « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم » إلى هذا العلم الذي هو العلم بالله وقوة اليقين ؛ دون علم نحو البيع والطلاق والعتاق .

قال : وقد يكون الإنسان عالماً بالله ذا يقين ؛ وليس عنده علم من فروض الكفايات .

وقد كانت الصحابة – رضي الله عنهم – أعلم من علماء التابعين بحقائق اليقين ودقائق المعرفة ، مع أن من علماء التابعين مَن هو أقوم بعلم الفقه من بعض الصحابة .

قال(١) : **والعلماء الزاهدون بعد الأخذ مما لا بد منه أقبلوا على الله وانقطعوا إليه ، وخَلَصت أرواحهم إلى مقام القرب ، وأفاضت على قلوبهم أنوار الهبات ؛ تهيأت بها لإدراك العلوم الربانية والمعارف الإلهية ،** والله تعالى أعلم . انتهى كلام ابن حجر .

---

(١) والشهاب قليوبي أشار إليه ، حيث فسر العالم بقوله : أي العامل بعلمه ، وصرحه عمدة المحققين ابن حجر في « شرح المنهاج » من أوائله حيث قال : وفضله الوارد فيه الخ ، إنما هو لمن عمل بما علم حتى يتحقق منه وراثة الأنبياء . انتهى والله أعلم .

البرج التاسع
في بيان كون الشريعة والحقيقة عين الآخر ، ووجوب تعلم العلم الباطني ، وبيان مَن يقول به

اعلم أيها الأخ أن هذا الأمر ؛ وإن كان يعلم مما مر في هذا الكتاب من مواضعه ، لكنّي أردت أن أجعله بحثاً مستقلاً ليترتَّب عليه فوائد مهمة .

قال ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » : **وسئل** نفع الله به عن حقيقة الفرق بين الشريعة والحقيقة ؟

فأجاب بقوله : فُرِّق بينهما بفروق ؛

منها : أن الحقيقة هي مشاهدة أسرار الربوبية ، ولها طريقة هي عزائم الشريعة ، **ونهاية الشيء غيرُ مخالفة له** على ما يأتي ، **فالشريعة هي الأصل** ، ومن ثَمَّ شبهت بالبحر والمعدن واللبن والشجرة ، **والحقيقة هي الفرع** المستخرج من الشريعة ، ومن ثم شُبِّهت بالدرّ والتبر والزبد والثمرة ، ومعنى سلب المخالفة لهما المذكور ، **أنه ليس بينهما اختلاف في مجاري أحكام العبودية ؛ وإنما يختلفان في مشاهدة أسرار الربوبية** ، ولا شك أن أهلهما متفاوتون في الاعتناء والاهتمام بعلم صفات القلب والأخذ بعزائم الأحكام ، وليس ذلك[1] اختلافاً بينهما .

وبيَّن ذلك اليافعي رحمه الله تعالى : بأن الشريعة علم وعمل ، والعلم ظاهر وباطن ، والظاهر شرعي وغيره ، والشرعي ؛ فرض ومندوب ، **والفرض عين وكفاية ، والعين علم صفات القلب** ، وعلم أصل وعلم

---

(١) فإن حقيقة الفقيه والصوفي واحدة ، وهو أنه شخص عمل بجميع ما علمه على وجه الإخلاص ، لا غير . كذا ذكره الشيخ الشعراني في « الأجوبة المرضية » فراجعه ففيه بسط زائد (منه رحم الله إفلاسه) .

فرع ، **والعمل** ؛ عزائم ورخص[1] ، **والحقيقة مشتملة أيضاً على قسمين** ؛ علم وعمل ، والعلم ؛ وهبيّ وكسبيّ ، فالوهبيُّ علم المكاشفة ، والكسبيّ ؛ فرض عين وفرض كفاية ، وفرض العين ؛ علم قلب ، وعلم أصل ، وعلم فرع ، فالكسبي الذي هو أحد علم نوعي قسمي الحقيقة هو علم الشريعة ، والعمل الذي هو العزائم مشتمل على سلوك طريق الحقيقة ، والطريقة مشتملة على منازل السالكين ، وتسمى « مقامات اليقين » .

والحقيقة موافقة للشريعة في جميع علمها وعملها ، وأصولها وفروعها ، وفرضها ومندوبها ، ليس بينهما مخالفة أصلاً .

نعم هنا شيئان :

أحدهما : **علمُ صفات القلب** ، فأهل الحقيقة لهم به اعتناء واهتمام جداً ، **وسلوك طريقتهم موقوف على معرفته ، وتبديلِ صفاته الذميمة ، وأكثر أهل الشريعة يهملون ذلك ويتهاونون به ، مع كونه فرض عين في الشريعة والحقيقة بلا خلاف** .

والثاني : الرخص ، فأهل الحقيقة من حيث العلم والاعتقاد لا يشكّون في حقيقتها ؛ وأنها من رحمة الله بعباده ، وأما من حيث عَمَلهم ! فإنما يسلكون شوامخ عزائم الشريعة الغراء إلى الله بتوفيقه وعنايته ، وجميل لطفه وصيانته ، فمنهم من لا يقطعها إلاَّ في سبعين سنة ، ومنهم من يقطعها في ساعة واحدة بحسب معونة الله وتسهيله . انتهى عبارته ٢٢٧ .

والإمام الرباني قدس سره لا يقبل أن يقال فيهما كلام ما يُفهم المخالفة بينهما ، كما صرَّحه بذلك في « مكتوباته » ، بل يقول : **بأن**

---

(١) **وعزيمة الله** : فريضته التي افترضها ، والجمع : عزائم . « مصباح » . والرخصة : التسهيل في الأمر والتيسير . « مصباح » . (هامش الأصل) .

الطريقة والحقيقة متممتان ومكمّلتان للشريعة ؛ كما هو مذكور في « البهجة السنية » .

وفي « جامع الأصول » : **الحقيقة على وزن الشريعة ، والتفرقة بينهما كفر** . انتهى عبارته .

قال أحمد ضياء الدين الكمشخانوي في « المتممات » في ١٦١ : **واعلم أن العلم الباطن - الذي هو من أعظم المنجيات - والسلوك والرياضات والمجاهدات فرض عين على مَن لم يرزق قلباً سليماً بالجذب الإلهي والعلم اللدني والنفس القدسية الفطرية؛ وقليل مَّا هم ، وأحكام الدين إنما تبنى على الأكثر الأغلب** ، وتعلُّم علم الظاهر لا يغني عن استفادته ؛ كما ثبت ذلك عن كثير من العلماء الأكابر المتقدمين والمتأخرين من **الحنفية** ؛ كابن الهمام ، وابن الشبلي ، والشرنبلالي ، وخير الدين الرملي ، والحموي وأمثالهم ، **ومن الشافعية** ؛ كسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام ، والغزالي ، والسبكي ، والسيوطي ، وشيخ الإسلام القاضي زكريا ، والشهاب ابن حجر وأضرابهم ، **ومن المالكية** : كالعارف أبي الحسن الشاذلي ، وخليفته أبي العباس[1] . وخليفته ابن عطاء الله ،

---

(١) وأبو العباس المرسي هو الذي كان يصلي الصلوات الخمس خلف رسول الله ﷺ ، وهو الذي قال : لو احتجب عني رسول الله ﷺ لحظة ما عددت نفسي من جملة المسلمين ، كما هو مذكور في « تنبيه المغترين » للشعراني راجعه في ١٢١ . مات رضي الله عنه سنة ست وثمانين وست مئة (منه) .

وفي « الطبقات الكبرى » للشعراني : أن أبا العباس المرسي رضي الله عنه كان يقول : لي أربعون سنة ما حجبت عن رسول الله ﷺ ، ولو حجبت طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين . وكذلك كان يقول في حق الجنة ، وفي حق الوقوف بعرفة كل سنة . . .إلخ .

وكان يقول رضي الله عنه : والله لو علمت علماء العراق والشام ما تحت هذه الشعرات وأمسك على لحيته لأتوها ولو حبواً على وجوههم . . . إلخ .

وكان يقول : إذا كمل الرجل نطق بجميع اللغات ، وعرف جميع الألسن إلهاماً من

والعارف ابن أبي جمرة ، وناصر الدين ، والزروقي وغيرهم . **ومن الحنابلة :** كالشيخ عبد القادر ، وفخر الإسلام ، والشيخ عبد الله الأنصاري ، وابن النجار ونحوهم ، فإن هؤلاء العلماء الكرام بعد التضلُّع[١] من علوم الظاهر اشتغلوا بتحصيل علوم الباطن ، واستفادتها من أهلها بالصحبة والخدمة والسلوك ، وحسن الاعتقاد والإخلاص ، والتخلية من الرذائل ، والتحلية بالفضائل ، كما نقل بعض العلماء[٢] ، قال : رأيت الغزالي في البرية وعليه مرقعة وبيده عكازة فقلت : يا إمام ؛ أليس التدريس ببغداد أفضل من هذا ؟ ! فنظر إليَّ شَزَراً وقال : لما بزغ[٣] بدر السعادة في تلك[٤] الإرادة ، وجنحت[٥] أصول الوصول جعلت أقول :

تـركتُ هوى ليلي وسعدي بـمعزل   وعدتُ إلى مصحوب أوَّل منزلِ

ونادتْ بِيَ الأشواقُ : مهلاً فهـذهِ   منازل مَـن تهوى رويدك فانزلِ

وقد شهد بوجوب تعلّم علم الباطن كثير من الكتب المعتمدة :

الله عزَّ وجل .

وكان يقول : مَن صحب المشائخ على الصدق ؛ وهو عالم بالظاهر ، ازداد علمه ظهوراً : انتهى ٣١ ج٢ . (زابره) .

وكان يقول : قال لي الشيخ أبو الحسن : يا أبا العباس ما صحبتك إلا لتكون أنت أنا ، وأنا أنت . انتهى . (منه) .

وكان يقال : إنه لم يرث علم الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه غيره ، وهو أجلُّ من أخذ عنه الطريقة . انتهى (منه) .

(١) والضلاعة : القوة . ورجل ضليع : قوي . « مصباح » . (هامش الأصل) .

(٢) هو القاضي أبو بكر بن العربي المالكي رحمه الله تعالى (عبد) .

(٣) أي طلعت .

(٤) وفي نسخة : فلك .

(٥) جنح الليل : أقبل « مصباح » .

قلت : والأصول جمع أصيل وهو شمس الغروب . والله تعالى أعلم . (عبد) .

كـ« تحفة المحتاج » لابن حجر . قال في كتاب السير منها : ويجب على من لم يرزق قلباً سليماً أن يتعلم أدوية أمراض القلب[1] .

وقال الخطيب الشربيني من الشافعية في « شرح الغاية » : وتنقسم الطهارة إلى واجب ومسنون ، ثم الواجب ينقسم إلى واجب بدني وقلبي ، فالقلبي كالحسد والعجب والرياء والكبر ونحوها .

وقال الغزالي : معرفة حدودها وأسبابها وطبّها وعلاجها فرض .

وقال خاتمة المتأخرين الشيخ أبو بكر : **وأما علم الباطن كالعلم بأمراض القلب** ؛ من الرياء والعجب والحسد والكبر والبخل والحرص والحقد وما يتولَّد منها ، **والعلم بحدودها وعلاجها ، والعلم بتحصيل أضدادها** من الرضا بالقدر والقناعة ، وتحقير النفس ، والإخلاص والتواضع ، والصفاء والسخاء . **فقد قال** الغزالي والمتولي والبغوي وشيخه القاضي حسين وغيرهم : إنه **من فروض العين** .

وقال علاء الدين في « الدر المختار » : **واعلم** أن تعلم العلم يكون فرض عين ، وفرض كفاية ، ومندوباً ؛ وهو التبحُّر في علم القلب وعلم الفقه . **قلت** : هذا هو التبحر . وأما أصل علم القلب ! فهو فرض عين .

وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري : **وأما علم القلب! فهو علم ذوقي ووجداني لا يمضغ تحت ألسنة الأقلام** ، ولا تحيط به الدفاتر ، وهو بمقابلة العلم الظاهر بمنزلة الثمر للشجر لا انتفاع إلا بثمره .

أقبح العجب

وقال محمد البركوي : **وأقبح العجب العجب بالرأي الخطأ** فيفرح به ويصرّ عليه ، ولا يسمع نصح ناصح ، بل ينظر إلى غيره بعين الاستجهال ،

---

(١) من الشيخ المرشد . « روح البيان » . (هامش الأصل) .

قال الله تعالى ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾ وقوله ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ ، وجميع أهل البدع والضلالة إنما أصرُّوا عليها لعجبهم بآرائهم . **وعلاج هذا العجب عسير وصعب** ، إذ صاحبه يظنه علماً ؛ لا جهلاً ، ونعمة ؛ لا نقمة ، وصحة ؛ لا مرضاً ، ولا يطلب العلاج ، ولا يستشفي بالأطباء ؛ وهم علماء أهل السنة والجماعة .

قلت : والمراد علماء الآخرة الذين أداموا ذكر الله ولا يشقى جليسهم ، وهم الأولياء الجامعون للعلم الظاهر والباطن ، والشريعة والحقيقة ؛ أكابر الشيوخ من أهل المعرفة[1] ، وإلا ! فالعالم بالعلم الظاهر فقط **لا يقدر على علاج قلبه ، فكيف لغيره ؟!**

الأدناس المعنوية أضرُّ من الحقيقية

وقال الشرنبلالي : شُرِطت الطهارة الشرعية ليصير العبد أهلاً للعبودية ، والقيام بخدمة الربوبية ، ولا ينفعه ذلك حقيقة إلا بإخلاص الطوية ، وتطهيرها من الأدناس المعنوية ، إذ هي أضرُّ من النجاسة الحقيقية ؛ كالغلّ والغشّ ، والحقد والحسد وغيرها ، ويُصلح قلبه ليصلح به سائر الجسد ، فيطهر قلبه عما سوى الله من الكونين ؛ بقطع العلائق عن جملة الخلائق ، وما تطمح إليه النفوس ، فلا يقصد إلا الله ، ويعبده لاستحقاقه العبادة لذاته ، وامتثال أمره ؛ ملاحظاً جلاله وكبرياءه ، **لا رغبة في جنة ، ولا رهبة من نار ، لأنه تعالى من حقه أن يُعبَد** كما قال ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ انتهى عبارته ١٦١ .

وقال الغزالي في « جواهر القرآن » بعد ذكره كلاماً في علم الحدود :

---

(١) **ثم هي – أي : معرفة الله – أبدية ، سرمدية ، لا يقطعها الموت! إذ الموت لا يهدم محلَّ معرفة الله** ؛ ومحلّها الروح الذي هو أمر رباني سماوي ، وإنما الموت يغيِّر أحوالها ، ويقطع شواغلها وعوائقها ، ويخلِّيها عن جنسها . « إحياء علوم الدين » . ٥٥٢ ج٤ . (هامش الأصل) .

وقد ضيعنا شطراً صالحاً من العمر في تصانيف الخلاف فيه ، وقد صرفنا قدراً صالحاً منه إلى تصانيف المذهب وترتيبه إلى « بسيط » و« وسيط » و« وجيز » مع إيغال وإفراط في التشعيب[1] والتقريع . انتهى . فانظر إلى كلام الغزالي : أنه قد عدّ عمره - الذي أشغله في تصنيف هذه الكتب النفيسة التي هي أصول المختصرات كـ« المحرر » و« المنهاج » وخاصة في كتابه « الوجيز » الذي قيل في حقه : لو كان بعد النبي عليه السلام نبيٌّ لكان الإمام الغزالي نبيّاً ، ولو كان نبيّاً لكفى « الوجيز » معجزة - ضائعاً ، إلى أن قال : **ضيّعنا عمرنا في البطالة** . وقال : بعد فراقه من محل التدريس : هذا محلُّ تلاعُبِنا مع الصبيان . كما هو مذكور في « منية الفقير المتجرد » شرح « الآجرومية » في النحو .

وقال الإمام النووي في « أذكاره » في باب المدح : قال أبو حامد الغزالي ؛ بعد أن ذكر ما سبق في أول الباب : فدقائق هذه المعاني ينبغي أن يلحظها من يراعي قلبه ، فإن أعمال الجوارح مع إهمال هذه الدقائق ضُحْكة للشيطان ؛ لكثرة التعب وقلة النفع ، ومثل هذا العلم هو الذي يقال : **إن تعلم مسألة منه أفضل من عبادة سنة** ، إذ بهذا العلم تحيا عبادة العمر ، وبالجهل تموت عبادة العمر وتتعطل ، وبالله التوفيق . انتهى عبارته ١٢٣ .

---

(١) أي تفريق .

البرج العاشر

في بيان غرور علماء الظاهر

اعلم أيها الأخ ؛ لمّا سألتني بعدّة مسائلَ من مسائل علم التصوف ، وكانت في مفهومها ومضمونها ما لا بد من بيانه ؛ ولو بالإجمال ، لما أنه يجوز أن يكون في الخاطر إشكال في حالة السؤال ، أو يحتمل أن يخطره ولو بعد الجواب ، ولذلك احتيج أن أُبيِّن في الكتاب قدراً مِمَّا يرفع به الإشكال ، ويدفع عن الخاطر الاعتراض والإنكار .

اعلم أيها المحبوب ؛ أنّي أشكر الله الذي لا إله إلا هو على وُجْدَان أمثالكم من العلماء ، لأن بهم قوام الدين ، ولولا العلماء لهلك الناس ، لكن ينبغي لكل عاقل أن يعلم ما في نفسه من النية والقصد في جميع ما يرتكبه من العلم والعمل ، لئلا يحبط عمله وعلمه بسوء النية ، وكم من عمل يتصور بصورة أعمال الآخرة ؛ ويصير بسوء النية من أعمال الدنيا !! ورد في الحديث : « النّاس كُلّهُم هَلَكَة[1] إلا العالمون والعالمون كلهم هلكة إلا العاملون ، والعاملون هلكة إلا المخلِصُون ، والمخلصون على خطر عظيم » فالتشمر لإزالة الحجب المانعة من دخول الحضرة الإلهية من أهم المهمات ، وطلب الخلاص من الآفات الباطنية من أوجب الواجبات ؛ بالسلوك في سلك طريق أطباء القلوب ، فإن الأمر منوط بذلك ، فكيف لا ؛ وقد قال صاحب « السير والسلوك » بما نصه :

التخلُّص من الأوصاف الذميمة بغير سلوك محال

وأما من أراد أن يخلص منها - يعني : من الأوصاف الذميمة - بغير سلوك الطريق المذكور فقد طلب المحال ؟! ولذلك ترى الأبرار ؛ وإن سعوا في الخلاص من صفة من الصفات ، وتيسَّر لهم ذلك ، وقعوا في

---

(١) وفي نسخة : هلكى .

صفة أخرى ، وخصلة أقبح من الأولى ، لأنهم لم يسلكوا طريق المقربين المنجي عن جميع الآفات ، فهم على الخطر ؛ وإن أخلصوا ، لقوله ﷺ : « والمخلصون على خطر عظيم »[1] . انتهى .

والتكبر بالعلم غالب ، والرياء في ذلك خفي لا يطّلع عليه إلا الناقد البصير ، وقد قال الشعراني في « تنبيه المغترين » : وكان أبو أيوب السختياني – رحمه الله تعالى – يقول : إن من الرياء بما لا تعمل تطاولك على غيرك بما تحفظه من كلام الناس وأقوالهم في العلم ، فإن ذلك الذي تتطاول به ليس من عملك ولا استنبطته . انتهى ٩ .

وفيه : وقد بلغنا أن عيسى – عليه الصلاة والسلام – كان يقول : **ما أكثر العلوم ! وليس كلها بنافع ، وما أكثر العلماء وليس كلهم برشيد .**

وكان إبراهيم بن عتبة رحمه الله تعالى يقول : أطول الناس ندماً يوم القيامة عالم يتعاظم بعلمه على الناس .

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يقول : أخوف ما أخاف على هذه الأمة من عالم باللسان جاهل بالقلب . انتهى ١٠ .

---

(١) وذلك لأن المخلص يُحِبُّ أن يعرف الناس أنه مخلص ، هذا هو الرياء الخفي ، لا الرياء الجليّ ! كذا في « السير والسلوك » . ومن هنا يعلم الفرق بين طريق المقربين وطريق الأبرار ، **لأن المقربين تيقنوا بالدليل والكشف** أن الله تعالى شرع العبادات ، وجعلها أبواباً يدخل منها من يشاء إلى حضرته ، فدخلوا منها عليه ، متمثلين بين يديه ، ناظرين ببصائرهم إليه ، غير ناظرين إليها ، ولا معتمدين عليها ، ولا معجبين بها ، شاهدين أن المنة لله عليهم حيث فتح لهم أبواب العبادات ، ومكّنهم من الدخول ، وأهّلهم للقبول . ومن كانت هذه أحواله لا يحتاج إلى الإخلاص بل لا يخطر بباله ولا يدري لنفسه عملاً حتى يخلص فيه ، ولا يرى لغير الله فعلاً حتى يتضرر به ، بخلاف السادات الأبرار ؛ فإنهم لم يصلوا إلى هذا الشهود ، فنظروا أنهم قد أوجدوا أعمالهم ، فطولبوا بالإخلاص ، ولم يشهدوا أن الله تعالى خلق الأفعال كلها . هذا ملخص ما في « السير والسلوك » فراجعه . (منه ؛ رحم الله تعالى إفلاسه ، آمين) .

وفيه أيضاً : وكان الربيع بن خيثم - رحمه الله تعالى - يقول : كيف يصح للعالم أن يرائي بعلمه وهو يعلم من نفسه أن تعلمه لغير الله ، وذلك حابط من أصله ؟ ! فكيف يرى نفسه على الناس بما هو حابط ؟ ! .

وقد كان الإمام النووي - رحمه الله تعالى - إذا دخل عليه أمير على غفلة وهو يدرِّس في العلم في المدرسة الأشرفية أو جامع بني أمية يتكدَّر لذلك ، وإذا بلغه أن أحداً من الأكابر قد عزم على زيارته في يوم درسه لا يدرِّس العلم ذلك اليوم ؛ خوفاً أن يراه الأمير وهو في محفله ودرسه العظيم . ويقول : **من علامة المخلص أن يتكدَّر إذا اطَّلع الناسُ على محاسن عمله ؛ كما يتكدَّر إذا اطّلعوا على مساويه** ، فإن فَرَحَ النَّفْس بذلك معصية ، وربما كان الرياء أشدَّ من كثير من المعاصي . انتهى ١٢ .

كل ما ظهر للناس قليل النفع في الآخرة

وفيه : وكان الإمام الشافعي رضي الله عنه يقول : ينبغي للعالم أن يكون له خبيئة من عمل صالح فيما بينه وبين الله تعالى ، فإن كل ما ظهر للناس من علم أو عمل قليل النفع في الآخرة ، **وما رأى أحد أحداً في منامه بعد موته وقال : غفر الله لي بعلمي ، إلا قليل من الناس .**

وقد رؤي الإمام أبو حنيفة - رضي الله عنه - بعد موته فقيل له : كيف حالك ؟ ! قال غفر الله لي ، قيل له : بالعلم ؟ ! فقال : هيهات ! **إن للعلم شروطاً وأفاتٍ قلَّ من ينجو منها .**

قال : ورأى بعضهم الجنيد بعد موته - رحمه الله تعالى - فقال له : ما فعل الله بك ؟ ! فقال : **قد طاحت تلك الإشارات ، وفنيت تلك العبارات ، وما نفعنا إلا بعض ركيعات كنّا نركعها في السَحَر .**

قال : ورأى بعضهم أبا سهل الصُعْلوكي بعد موته - رحمه الله تعالى - فقال له : ماذا صنع علمك ؟ ! فقال : كل ما كان من دقائق العلوم

وجدته هباء منثوراً إلا بعض مسائل سألني عنها العوام . انتهى ١٣ .

قال الشيخ الإمام العالم العلاَّمة الغزالي في كتاب « الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين »[1] : **الصنف الأول** من المغرورين : العلماء ، وهم فرق :

فرقة منهم لما أحكمت العلوم الشرعية والعقلية تعمقوا فيها ، واشتغلوا بها ، وأهملوا تفقد الجوارح وحفظها من المعاصي وإلزامها الطاعات ، واغترُّوا بعلمهم ، وظنُّوا أنهم عند الله بمكان ، وأنهم قد بلغوا من العلم مبلغاً لا يعذب الله مثلهم ، بل يقبل شفاعتهم في الخلق ، ولا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم ، وهم مغرورون ، فإنهم لو نظروا بعين البصيرة لعلموا أن العلم علمان : علم معاملة ، وعلم مكاشفة ؛ وهو العلم بالله تعالى وبصفاته ، فلا بدَّ من علوم المعاملة لتتمَّ الحكمة المقصودة ، وهي المعاملة بمعرفة الحلال والحرام ، ومعرفة أخلاق النفس المذمومة والمحمودة ، ومثلهم مثل طبيب يطبب غيره وهو عليل قادر على طبّ نفسه فلم يفعل ، وهل ينفع الدواء بالوصف ؟! هيهات ! لا ينفع الدواء إلا مَن شربه بعد الحمية ، وغفلوا عن قوله تعالى ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾ ولم يقل من يعلم تزكيتها وكتب علمها وعلّمها الناس ، وغفلوا عن قوله ﷺ : « من ازداد علماً ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعداً » وقوله ﷺ « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » وغير ذلك كثير . وهؤلاء مغرورون – نعوذ بالله من حالهم – ، وإنما غلب عليهم حبُّ الدنيا وحب أنفسهم ، وطلب الراحة العاجلة ، وظنوا أن علمهم يُنجيهم في الآخرة من غير عمل .

وفرقة أخرى أحكموا العلم والعمل الظاهر ، وتركوا المعاصي

---

(١) راجعه في ٤١ من هامش « تنبيه المغترين » (منه) .

الظاهرة ، وغفلوا عن قلوبهم ، فلم يمحوا منها الصفات المذمومةَ عند الله ؛ كالكبر والرياء والحسد وطلب الرياسة والعلوّ وإرادة السوء بالأقران والشركاء وطلب الشهرة في البلاد والعباد ؛ وذلك غرور سببه غفلتهم عن قوله ﷺ « الرياء الشرك الأصغر » ، وقوله ﷺ : « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » ، وقوله ﷺ « حب المال والشرف ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل » . إلى غير ذلك من الأخبار ، وغفلوا عن قوله تعالى ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ فغفلوا عن قلوبهم واشتغلوا بظواهرهم ، **ومن لا يُصفِّي قلبه لا تصح طاعته** ، وهو كمريض ظهر به الجرب فأمره الطبيب بالطلاء وشرب الدواء ، فاشتغل بالطلاء ، وترك شرب الدواء ، فأزال ما بظاهره ولم يزل ما بباطنه ؛ وأصل ما على ظاهره مما في باطنه فلا يزال جربه يزداد أبداً مما في باطنه فلو زال ما في باطنه استراح الظاهر ، فكذلك الخبائث إذا كانت كامنة في القلب يظهر أثرها على الجوارح .

وفرقة أخرى علموا هذه الأخلاق الباطنة ، وعلموا أنها مذمومة من جهة الشرع ، إلا أنهم لأجل تعجّبهم بأنفسهم يظنّون أنهم منفكّون عنها ، وأنهم أرفع عند الله من أن يبتليهم بذلك ، وإنما يُبْتلى به العوام دون من بلغ مبلغهم في العلم ، فأما هم ! فهم أبلغ عند الله من أن يبتليهم بذلك ، وظهرت عليهم مخايل الكبر والرياسة ، وطلب العلوّ والشرف ، وغرورهم أنهم ظنوا أنّ ذلك ليس بكبر ، وإنما هو عزّ الدين وإظهار لشرف العلم ونصرة دين الله ، وغفلوا عن فرح إبليس به ، وعن نصرة النبي ﷺ بماذا كانت ! وبماذا أرْغَمَ الكافرين ؟ ! وغفلوا عن تواضع الصحابة وتذلّلهم وفقرهم ومسكنتهم ، حتى عوتب عمر – رضي الله عنه – على بذاذته عند قدومه الشام ! فقال : **إنّا قوم أعزنا الله بالإسلام ، لا نطلب العزّ في غيره** .

ثم هذا المغرور يطلب عزّ الدين بالثياب الرفيعة ، ويزعم أنه يطلب عزّ العلم وشرف الدين ، ومهما أطلق اللسان بالحسد في أقرانه أو فيمن

ردَّ عليه شيئاً من كلامه ؛ لم يَظُنَّ بنفسه أنّ ذلك حسد ويقول : إنما هو غضب للحق ، وردٌّ على المبطل في عداوته وظلمه . وهذا مغرور ؛ فإنه لو طُعِن على غيره من العلماء من أقرانه ربّما لم يغضب ، بل ربّما يفرح ؛ وإن أظهر الغضب عند الناس فقلبه ربّما يحبه ، وربما يُظهر العلم ويقول : غرضي به أن أفيد الخلق . وهو به مُراءٍ ، **لأنه لو كان غرضُه صلاح الخلق لأحبّ صلاحهم على يد غيره** ممّن هو مثله ، أو فوقه أو دونه ، وربّما يدخل على السلاطين ويتودّد إليهم ويثني عليهم ، فإذا سئل عن ذلك ! قال : إنما غرضي أن أنفع للمسلمين وأدفع عنهم الضرر . وهو مغرور ؛ فلو كان غرضه ذلك لفرح به إذا جرى على يد غيره .

ولو رأى مَنْ هو مثله عند السلطان يشفع في أحد لغضب ، وربما أخذ من أموالهم . فإذا خطر بباله أنه حرام ، قال له الشيطان : هذا مال بلا مالك ، وأنت إمام المسلمين وعالمهم ، وبك قَوَامُ الدين .

وهذه ثلاث تلبيسات : أحدها : أنه مال لا مالك له ، وثاني : أنه لمصالح المسلمين ، والثالث : أنه إمام . **وهل يكون إماماً إلا من أعرض عن الدنيا كالأنبياء والصحابة وأفاضل علماء هذه الأمة .**

مثل العالم السوء

ومثله ؟ ! كما قال عيسى عليه السلام : العالم السوء كصخرة وقعت في فم الوادي ؛ فلا هي تشرب الماء ، ولا هي تترك الماء يخلص إلى الزرع .

وأصناف غرور أهل العلم كثيرة ، وما يفسد هؤلاء أكثر مما يصلحونه .

وفرقة أخرى : أحكموا العلوم ، وطهَّروا الجوارح ، وزيَّنوها

بالطاعات ، واجتنبوا ظاهر المعاصي ، وتفقدوا[1] أخلاق النفس وصفات القلب ؛ من الرياء والحسد ، والكبر والحقد ، وطلب العلو ، وجاهدوا أنفسهم في التبرىء منها ، وقلعوا من القلب منابتها الجلية القوية ، ولكنهم مغرورون !! إذ في زوايا القلب بقايا من خفايا مكائد الشيطان وخبايا خدع النفس ما دقَّ وغمض ؛ فلم يتفطّنوا لها وأهملوها ، ومَثَلهم كَمَثل مَن يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وفتَّش عن كلّ حشيش فقلعه ، إلا أنه لم يفتِّش عمّا لم يخرج رأسه بعدُ من تحت الأرض ، ويظن أنّ الكل قد ظهر وبرز ، فلما غفل عنها ظهرت وأفسدت عليه الزرع ، فهؤلاء إن غيّروا تغيَّروا ، وربما تركوا مخالطة الناس استكباراً عنهم ، وربما نظروا

(١) تفقد : أي طلب .

*وكان - يعني الشاذلي - يقول : كلّ علم يسبق إليك فيه الخواطر وتميل إليه النفس وتلذّ به الطبيعة فارم به وإن كان حقّاً ، وخذ بعلم الله الذي أنزله على رسوله واقتد به وبالخلفاء والصحابة والتابعين من بعدهم وبالأئمة الهداة . . الخ تسلم من الشكوك والظنون والأوهام والدعاوي الكاذبة المضلة عن الهدى وحقائقه . « طبقات الكبرى » ٤ ج١ .

*وكان يقول : **علماء السوء أضرّ على الناس من إبليس** لأن إبليس إذا وسوس للمؤمن ، عرف المؤمن أنه عدوّ مضلّ مبيّن ، فإذا أطاع وسواسه عرف أنه قد عصى ، فأخذ في التوبة من ذنبه والاستغفار لربه . وعلماء السوء يلبّسون الحق بالباطل ، ويزيدون الأحكام على وفق الأغراض والأهواء بزيغهم وجدالهم ، فمن أطاعهم ضلّ سعيه وهو يحسب أنه يحسن صنعاً ، فاستعذ بالله منهم واجتنبهم وكن مع العلماء الصادقين « طبقات الشعراني » ٧٢ ج٢ .

وأما حملة العلم المولّدون للمسائل على وفق الأغراض واتباع الأهواء فليسوا من هذا الأمر في شيء وإنما هم كما وصف ﴿ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ (منه) ١٥ ج٢ .

وكان - يعنى علياً الخواص رضي الله عنه - يقول : **لا يسمى عالماً عندنا** إلا من كان علمه غير مستفاد من نقل أو صدر ، بأن يكون خضري المقام ، وأمّا غير هذا فإنما هو حاك لعلم غيره ، فقط . فله أجر مَنْ حمل العلم حتى أدّاه لا أجر العالم . والله لا يضيع أجر المحسنين « الطبقات الكبرى » ٢٣١ ج٢ .

إلى الخلق بعين الحقارة ، وربما يجتهد بعضهم في تحسين منظره كيلا يُنْظَر إليه بعين الركاكة .

وفرقة أخرى : تركوا المهم من العلوم ، واقتصروا على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات ، وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح المعايش ، وخصَّصوا اسم الفقه ، وسمّوه الفقه وعلم المذهب ، وربما ضيَّعوا مع ذلك علم الأعمال الظاهرة والباطنة ، ولم يتفقَّدوا الجوارح ، ولم يحرسوا اللسان عن الغيبة والبطن من الحرام ، والرجْل عن السعي إلى السلاطين ، وكذا سائر الجوارح ، ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والرياء والحسد وسائر المهلكات ؛ **وهؤلاء مغرورون من وجهين** :

أحدهما : من حيث العمل ، وقد ذكرنا وجه علاجه في كتاب « الإحياء » ، وإنّ مَثَلَهم كَمَثل المريض الذي تعلَّم الدواء من الحكماء ؛ ولم يعلمه أو يعمله ؛ فهؤلاء مشرفون على الهلاك من حيث أنهم تركوا تزكية أنفسهم وتخليتها ، واشتغلوا بكتاب الحيض والديات ، واللعان والظهار ، وضيَّعوا أعمارهم فيها ، وإنما غرَّهم تعظيم الخلق لهم وإكرامهم ، ورجوع أحدهم قاضياً ومفتياً ، ويطعن كل واحد منهم في صاحبه ؛ فإذا اجتمعوا زال الطعن .

والثاني : من حيث العلم ، وذلك لظنِّهم أنه لا علم إلا بذلك ، وأنه الموصل المنجي ، **وإنما الموصِل المُنجي حبُّ الله تعالى ، ولا يُتصوَّر حبُّ الله تعالى إلا بمعرفته** .

ومعرفته ثلاث : معرفة الذات ، ومعرفة الصفات ، ومعرفة الأفعال ، وهؤلاء مثل مَن اقتصر على بيع الزاد في طريق الحج ، **ولم يعلموا أن الفقه هو الفقه عن الله ، ومعرفة صفاته** المخوفة والمزجرة ، ليستشعر

القلبُ الخوفَ ، ويلازم التقوى ، كما قال تعالى ﴿فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ﴾ الآية .

ومن هؤلاء مَن اقتصر من علم الفقه على الخلافيات ، ولم يُهِمَّه إلا تعلّم طريق المجادلة والإلزام ، وإفحام الخصم ، ودفع الحقّ لأجل الغلبة والمباهاة ، فهو طول الليل والنهار في التفتيش في مناقضات أرباب المذاهب ، والتفقد لعيوب الأقران ، وهؤلاء لم يقصدوا العلم ، وإنما قصدوا مباهاة الأقران ، **ولو اشتغلوا بتصفية قلوبهم! كان خيراً لهم من علم لا ينفع إلا في الدنيا ، ونفعه في الدنيا التكبر ، وذلك ينقلب في الآخرة ناراً تلظَّى .**

وأما أدلّة المذهب! فيشتمل عليها كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ ، فما أقبح غرور هؤلاء !

وفرقة أخرى : اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة ، والردِّ على المخالفين وتتبع مناقضاتهم ، واستكثروا من علم المقولات المختلفة ، واشتغلوا بتعليم الطريق في مناظرة أولئك وإفحامهم . ولكنهم على فرقتين ؛ **إحداهما** : ضالَّة مضلَّة ، **والأخرى مُحِقَّة** .

أما غرور الفرقة الضالة ! فلغفلتها عن ضلالتها ، وظنها بنفسها النجاة ، وهم فرق كثيرة يكفِّر بعضهم بعضاً ، وإنما ضلّوا من حيث أنّهم لم يُحكِموا الشروط للأدلة ومنهاجها ، فرأوا الشبهة دليلاً ، والدليل شبهة .

وأما غرور الفرقة المحقة ! فمن حيث أنَّهم ظنوا بالجدل أنَّه أهمّ الأمور وأفضل القربات في دين الله ، وزعموا أنه لا يتمُّ لأحد دينه ما لم يفحص ، ولم يبحث ، وأنّ من صدَّق الله من غير بحث وتحرير لدليل ؛ فليس بمؤمن ولا بكامل ولا بمقرَّب عند الله تعالى ، ولم يلتفتوا إلى القرن الأول ، وأنّ النبي ﷺ شهد لهم بأنَّهم خير الخلق ؛ ولم يطلب منهم الدليل .

وروى أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنّه قال : « ما ضلَّ قَومٌ قَطُّ إلا أُوتُوا الجدل » . انتهى .

وقد اقتصرنا الكلام في بيان الغرور ، ومن أراد الزيادة فليرجع إلى « الإحياء » من ربع المهلكات .

وقال الغزالي فيه – بعد ذكره الأخبار والآثار في آفات العلم – بما نصه : فهذه الأخبار والآثار تبيِّن أنّ العالم الذي هو من أبناء الدنيا أخسُّ حالاً وأشدّ عذاباً من الجاهل ، وأنّ الفائزين المقرّبين هم علماء الآخرة . انتهى ٤٥ ج١ .

وذكر لهم علامات وقال : **ومنها** : أن يكون أكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ، ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه ، وصدق الرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة ، فإن المجاهدة تفضي إلى المشاهدة ، ودقائقُ علوم القلوب تتفجّر بها ينابيع الحكمة من القلب .

الحكمة إنما تنفتح بالمجاهدة

وأما الكتب والتعليم ! فلا تفي بذلك ، بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعدّ إنما تنفتح بالمجاهدة والمراقبة ، ومباشرة الأعمال الظاهرة والباطنة ، والجلوس مع الله عز وجل في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكرة ، والانقطاع إلى الله تعالى عما سواه ، فذلك مفتاح الإلهام ، ومنبع الكشف ، وكم من متعلّم طال تعلّمه ؛ ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة ! وكم من مقتصر على المهمّ في التعلُّم ، ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوي الألباب ! ولذلك قال ﷺ : « من عمل بما علم أورثه الله تعالى علم ما لم يعلم » . انتهى من « الإحياء » فراجعه في ٥٥ من الجزء الأول .

فائدة جليلة : ينبغي لكل عالم مدرِّس أن يتدبر فيها ، ويزن أحوال

نفسه بميزان ما فيها :

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى ونفعنا به ، في « الإحياء » في ٣١١ ج٤ بعد كلام يطول بذكر كله كلام ، ما نصه : بل كل فريق من الناس يغلب عليهم نوع من المعصية ، فينبغي أن يكون تفقّدهم لها وتفكّرهم فيها ؛ لا في معاصٍ هم بمعزل عنها .

مثاله العالم الورع ؛ فإنه لا يخلو في غالب الأمر عن إظهار نفسه بالعلم ، وطلب الشهرة وانتشار الصيت ؛ إما بالتدريس أو بالوعظ ، ومن فعل ذلك تصدَّى لفتنة عظيمة ؛ لا ينجو منها إلا الصِدِّيقون[1] ، فإنه إن كان كلامه مقبولاً حسن الوقع في القلوب ؛ لم ينفكَّ عن الإعجاب والخيلاء ، والتزيّن والتصنّع ، وذلك من المهلكات . وإن رُدَّ كلامه ؛ لم يخلُ عن غيظ وأَنَفَة[2] وحقد على مَن يردّه ، وهو أكثر من غيظه على مَن يردُّ كلام غيره ، وقد يُلَبِّس الشيطان عليه ويقول : غيظك من حيث أنه ردَّ الحق وأنكره ؛ فإن وجد تفرقة بين أن يردّ عليه كلامه ، أو يرد على عالم آخر فهو مغرور وضُحْكة للشيطان .

ثم مهما كان له ارتياح بالقبول ، وفرح بالثناء ، واستنكافٌ من الردّ أو الإعراض ، لم يخلُ عن تكلّف وتصنُّع لتحسين اللفظ والإيراد ، حرصاً على استجلاب الثناء ، والله لا يحبُّ المتكلِّفين ، والشيطان قد يُلبِّس عليه ويقول : إنما حرصك على تحسين الألفاظ والتكلُّف فيها لينتشر الحق ، ويحسن موقعه في القلب ، إعلاءً لدين الله . فإن كان فرحه بحسن ألفاظه ، وثناء الناس عليه أكثر من فرحه بثناء الناس على واحد من أقرانه ! فهو

---

(١) والصدِّيق : هو الذي استقام ظاهره وباطنه مع الحق سبحانه في جميع الأحوال . (هامش الأصل) .

(٢) أي : استكبار .

مخدوع ، وإنما يدورون حول طلب الجاه ، وهو يظن أنّ مطلبه الدين ، ومهما اختلج ضميره بهذه الصفات ظهر على ظاهره ذلك ، حتى يكون للموقِّر له المعتقد لفضله أكثر احتراماً ، ويكون بلقائه أشدَّ فرحاً واستبشاراً ممَّن يَغْلو في موالاة غيره ، وإن كان ذلك الغير مستحقاً للموالاة ، وربما ينتهي الأمر بأهل العلم إلى أن يتغايروا تغاير النساء ! فيشقّ على أحدهم أن يختلف بعض تلامذته إلى غيره ، وإن كان يعلم أنه منتفع بغيره ومستفيد منه في دينه .

فتنة العالم عظيمة

وكل ذلك رشح الصفات المهلكات المستكنة في سرِّ القلب ، التي قد يظن العالم النجاة منها وهو مغرور فيها ، وإنما ينكشف ذلك بهذه العلامات ، ففتنة العالم عظيمة ، **وهو إما مالك ، وإما هالك ، ولا مطمع له في سلامة العوام ، فمن أحسَّ في نفسه بهذه الصفات ؛ فالواجب عليه العزلة والانفراد وطلب الخمول ، والمدافعة للفتاوى مهما سئل ، فقد كان المسجد يحوي في زمن الصحابة رضي الله عنهم جمعاً من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم مفتون ، وكانوا يتدافعون الفتوى ، وكل مَنْ كان يفتي كان يودُّ أن يكفيه غيره ، وعند هذا ينبغي أن يتقي شياطين الإنس إذا قالوا : لا تفعل هذا . فإنَّ هذا الباب لو فتح لاندرست العلوم من بين الخلق** ، وليقل لهم : إن دين الإسلام مستغن عني ، فإنه قد كان معموراً قبلي ، وكذلك يكون بعدي ، ولو متُّ لم تنهدم أركان الإسلام ، فإنَّ الدين مستغنٍ عني ، وأنا فلست مستغنياً عن إصلاح قلبي .

وأمّا أداء ذلك إلى اندراس العلم ! فخيال يدل على غاية الجهل ، فإنَّ الناس لو حُبِسُوا في السجن وقُيِّدوا بالقيود ، وتُوعِّدوا بالنّار على طلب العلم ، لكان حبُّ الرياسة والعلوّ يحملهم على كسر القيود ، وهدم حيطان الحصون ، والخروج منها ، والاشتغال بطلب العلم ، **فالعلم لا يندرس**

ما دام الشيطان يحبِّب إلى الخلق الرياسة ، والشيطان لا يفتر عن عمله إلى يوم القيامة ، بل ينتهض لنشر العلم أقوامٌ لا نصيب لهم في الآخرة ؛ كما قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله لَيُؤَيِّدُ هذا الدِّينَ بأقْوامٍ لا خَلاقَ لهم في الآخرة ، وإن الله لَيُؤيِّدُ هذا الدِّين بالرَّجُل الفاجِرِ » .

حبّ الجاه بذر النفاق

فلا ينبغي أن يغتَرَّ العالم بهذه التلبيسات ؛ فيشتغلَ بمخالطةِ الخلقِ ، حتى يتربَّى في قلبه حُبَّ الجاه والثناء والتعظيم ، **فإنَّ ذلك بَذْرُ النِفاق** .

وقال ﷺ : « حبّ الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل » .

وقال ﷺ : « ما ذئبان ضاريان أُرسِلا في زريبةِ غنم بأكثرَ فساداً فيها من حبّ الجاه والمال في دين المرء المسلم » .

ولا ينقلع حب الجاه من القلب إلا بالاعتزال عن الناس ، والهرب من مخالطتهم ، وترك كل ما يزيد جاهه في قلوبهم ، فليكن فكر العالم في التفطن لخفايا هذه الصفات من قلبه ، وفي استنباط طريق الخلاص منها ، وهذه وظيفة العالم .

فأما أمثالنا ! فينبغي أن يكون تفكرنا فيما يقوِّي إيماننا بيوم الحساب ، إذ لو رآنا السلف الصالحون لقالوا قطعاً إن هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب ! فما أعمالنا أعمال مَنْ يؤمن بالجنة والنار ، فإنَّ من خاف شيئاً هَرَبَ منه ، ومن رجا شيئاً طلبه .

الهرب من النار بترك الشهوات

وقد علمنا أنَّ الهرب من النار بترك الشهوات والحرام ، وبترك المعاصي ، ونحن منهمكون فيها ! وأنَّ طلب الجنة بتكثير نوافل الطاعات ،

ونحن مقصِّرون في الفرائض منها ! فلم يحصل لنا من ثمرة العلم إلا أنَّه يقتدي بنا في الحرص على الدنيا والتكالب عليها ، ويقال : لو كان هذا مذموماً لكان العلماء أحق وأولى باجتنابه منا . فليتنا كنّا كالعوام ؛ إذا مِتْنَا ماتت معنا ذنوبُنا ، فما أعظم الفتنة التي تعرَّضنا لها لو تَفَكَّرنا ! .

فنسأل الله تعالى أن يصلحنا ويصلح بنا ، ويوفّقنا للتوبة قبل أن يتوفانا ، إنَّه الكريم اللطيف المنعم علينا .

مطلب : مجاري أفكار العلماء

فهذه مجاري أفكار العلماء والصالحين في علم المعاملة ، فإن فرغوا منها انقطع التفاتهم عن أنفسهم ، وارتقوا منها إلى التفكُّر في جلال الله وعظمته ، والتنعُّم بمشاهدته بعين القلب ، ولا يتمّ ذلك إلا بعد الانفكاك من جميع المهلكات ، والاتّصاف بجميع المُنْجيات ، وإن ظهر شيء منه قبل ذلك ! كان مدخولاً معلولاً ، مكدراً مقطوعاً ، وكان ضعيفاً كالبرق الخاطف ، لا يثبت ولا يدوم .

الصفات المذمومة حيَّات وعقارب

ويكون كالعاشق الذي خلا بمعشوقه ؛ ولكن تحت ثيابه حيَّات وعقارب تلدغه مرة بعد أخرى ، فتنغِّص عليه لذةَ المشاهدة ، ولا طريق له في كمال التنعُّم إلا بإخراج العقارب والحيَّات من ثيابه ، وهذه الصفات المذمومة عقارب وحيَّات ، وهي مؤذيات مشوِّشات ، وفي القبر يزيد ألم لدغِها على لدغ العقارب والحيَّات ، فهذا القدْر كافٍ في التنبيه على مجاري فكر العبد في صفات نفسه المحبوبة والمكروهة عند ربه تعالى .
انتهى ٣١٢ ج٤ فراجعه في كتاب التفكر من ربع المنجيات .

ترك العمل معصية

وقد ورد في فضائل العلم أحاديث ترغِّب في طلبه ، وورد أيضاً مواعيد لمن لم يعمل به ، وقد يضيق القلب عند ذكرها بحيث يكاد أن ينقطع الرجاء ، بَيْدَ أنَّا اعترفنا يا ربنا بالتقصير ، وما عملنا بما علَّمتنا ، فنسألك اللهم أن تغفر لنا ذنوبنا ، وأن تتجاوز عن خطيئاتنا ، فإنَّا تُبنا إليك فتُبْ علينا ؛ إنَّك أنتَ التوّاب الرحيم .

اللهم مغفرتُك أوسع من ذنوبي ، ورحمتك أرجى عندي من عملي ، فنستغفرك مِن ترك العمل بالعلم ، وترك الإخلاص في العمل ، إنَّك غفور جواد كريم .

مهمَّة مرجوَّة

قال الشعراني في « لواقح الأنوار » : وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول : يتعيَّن على كل من لم يعمل بعلمه أن يُعلِّمه الناس ، ولمن يرجو عمله به .

وسمعته مرة أخرى يقول : **ما ثمَّ عالم إلا وهو يعمل بعلمه ؛ ولو بوجه من الوجوه ؛ ما دام عقله حاضراً** ، وذلك إنْ عمل بالمأمورات الشرعية واجتنب المنهيات فقد عمل بعلمه بيقين إذا رَزَقَه الله الإخلاص فيه ، وإنْ لم يعمل بعلمه كما ذكرنا ؛ فيعرف بالعلم أنَّه خالف أمر الله فيتوب ويندم ، فقد عمل أيضاً بعلمه ، لأنَّه لولا العلم ما اهتدى لكون ترك العمل بالعلم معصية . **فالعلم نافع على كل حال** ، ويُحمَلُ ما ورد في عقوبة مَنْ لم يعمل بعلمه على من لم يتب من ذنوبه . انتهى . **وهو كلام نفيس** .

وملخَّص ذلك : أنه لا يشترط في كون الإنسان عاملاً بعلمه عدم وقوعه في المعصية كما يتبادر إلى الأذهان ، وإنما الشرط عدمُ إصراره على الذنب أو عدم إصراره على الإصرار . انتهى ٣٧ ج١ .

البرج الحادي عشر
في بيان جواب مسألة السائل : بأن المريدين يزعِّمون بعضهم بعضاً ، وينكرون شيخ بعضهم ، ويكون بينهم التحاسد والتعارض والحقد والسبّ والاستهزاء

فإذا كان الأمر كذلك يغلب على الظن ؛ فما فائدة اتخاذ الشيخ ؟ ! فلم أرَ أستاذاً أو مريداً لا يهجو آخر .

اعلم أيها الأخ ؛ زادك الله علماً على علم . آمين ، أن هذا ليس بقارورة[١] كُسِرَت في هذا الوقت ، بل كانت قد كُسِرَت في الأعصار الماضية ، لأنَّه لم يخلُ زمانٌ إلا وفيه مُحِقّ وكاذب ، ومحقَّين وكاذبين[٢] ، فإذا كان الأمر كذلك ! يعلم أن **غالب الإنكار الذي يقع بينهم إنّما هو من القاصر الكاذب** وبين مثله ، أو من الصادق الكامل مع المدَّعي الكذَّاب .

ولا يخفى أنّ الكاذبَين يدَّعيان لِيُثْبتا دعوى كل منها ، وأنّ الكاذب يدَّعي الصادق ليثبت دعواه أيضاً .

ولم أرَ أحداً أصعب لقبول العلاج من هذا ، لأنَّه لمَّا أَلِفَ على الباطل ، وأقرَّه عليه مدَّعي الشيخوخة منذ زمان ، وثبت اعتقاده على أنّ ما عليه أستاذه حق ، لا ينفعه بالوعظ ولا بذكر الأدلة ، ولذا قال لي شيخنا قطب وقته سيف الله الحسيني الأويسي النقشبندي الشاذلي القادري قدس سره : **ياولدي عياذاً بالله من هؤلاء القوم** . **يعني : أنهم لا يخرجون من دعواهم** ؛ لما أنّ عروق أشجار أباطيلهم قد شيدت في أرض قلوبهم . والله أعلم .

---

(١) هي وعاء من الزجاج يحفظ فيه الزيت « القاموس الجديد » . (هامش الأصل) .
(٢) لعله من الناسخ ، وإلا ! فالصواب : محقَّان وكاذبان . إلا على مذهب من يلزم الياء في الأحوال الثلاث .

وشناعة عملهم هذا غَنِيَّة عن البيان ، فإنهم إنما يؤذون الله ورسوله ، ويعترضون بأباطيلهم أولياء الله وطريقهم ، وهم أشرّ الخلق ، وأبعدهم عن باب الحق ، وهم أولياء الشيطان يوحي إليهم بالأقوال المموهات ، ويصرفهم عن اتّباع طريق السادات ، **فبوقوعهم في ورْطة الاعتراض على أهل الحق تسابق إليهم سهام قواطع ، فصاروا فتنة لأهل الطريق ، وهم الذين انتصبوا لإيقاع التهمة في الصادقين** ، فالفرار منهم واجب ، فإنهم أعوان الشياطين .

وأما دعوى الصادق مع الكاذب! فهو من جملة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بل هو الجهاد الأكبر ، وقد قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾ إنّ مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف . انتهى من سورة الفرقان .

ونقل في « الإتحاف شرح الإحياء » من كتاب « الذريعة » أن العالم أفضل المجاهدين الذابين عن الدين ، فالجهاد جهادان : جهادٌ باللسان ، وجهادٌ بالبنان[1] . انتهى ٣١٩ ج١ .

وقال الإمام الرباني قدس سره : إن الجهاد القوليّ أفضل من جهاد القتل . كذا في « الدرر المكنونات » في ٧٧ ج١ .

وفي الحديث : « ما جميع أعمال البرّ والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة[2] في بحر لجي » وفي الحديث :

---

(١) ومثله في « شواهد الحق » ، فراجعه في ٨٢ (منه) .

(٢) هو البصاق اليسير « مصباح » ، (هامش الأصل) .

*وقد يعلّل بعض المريدين بأنّ مثال المريد كزوجة في عقد رجل ، **فكما لا يجوز** أن يكون للزوجة زوجان ، فكذا لا يجوز للمريد أن يكون في تربية شيخين . انتهى . اللهم نعم فنعم هو كذلك لو كان للزوج طاقة لتربية الزوجة بالكسوة والنفقة وإعطائها صداقاً ومهراً ، وأما إنْ لَم يطق أن يعطيها كسوة ونفقة فلها الفراق والفسخ . فمثل هذا=

« ما من صدقة أحبُّ إلى الله من قول الحق ؛ من نحو أمر بالمعروف ، أو نهي عن منكر[١] » . انتهى . « السراج المنير » ٢٦٧ ج٣ .

والذين غلبت عليهم الشهوة والأهواء يدَّعون المشيخة ، والحال أنهم عن الاتصاف بمقامها بريئون ، يخدعون الخلق بأنواع الحيل ، ويستتبعون بعض الجهلة ، ويصيدونهم بالكلمات المزخرفة والأقوال المموَّهة ، ويَمْكُرون بعض أهل الصّدق من الطلبة أيضاً ، ويوهمونهم بأنهم على الحق ، ويحرصونهم على الأخذ منهم والسلوك على يدهم ، فيقطعون عليهم الطريق ويمنعونهم من صحبة أهل الحق ومشائخ الطريقة - عياذاً بالله[٢] مما هم عليه - .

ولذا يجب على كلِّ من عنده علم أن يُنْكِر أهل الدعوى ، **لأن فتنتهم أشبه بفتنة الدجّال** ، وإقرارهم على ما هم عليه عين المداهنة[٣] ،

=أحوال المريدين والمتشيخين في غالبهم في ديارنا ، فإنه ليس في تلكم المتشيخين إذن ولا عهد من مشائخهم **وهما كالنكاح** والمهر والنفقة والكسوة ، فيجوز له فسخ العهد والدخول في عهد شيخ آخر يطيق على التربية وإلخ . . كما يجوز للمرأة أن تفرق الزوج إذا لم يطق تربيتها . وأيضاً إن المرأة مثلاً لو مات عنها زوجها أو طلقها يجوز لها أن تتزوج لزوج آخر ، وهكذا إن المريد إذا مات شيخه أو غاب هو يجوز له أن يذهب لدى شيخ ، فلا مانع منه . فمثال البعض المذكور مثال مع الفارق فتدبره ، مع أنهم جوزوا أن يذهب المريد لدى شيخ ويترك شيخه الأول ، كما هو مذكور في « البهجة » و« النفائس السانحات » وإلخ وإلخ . . فراجع وحرر . فإن العلم علمان : علم الظاهر وعلم الباطن . فكما يجوز للطالب أن يقرأ من كتاب على أستاذ ، ويقرأ أيضاً من أستاذ آخر ، فكذلك في علم الباطن فتدبره ! (هامش الأصل) .

(١) وفي « بغية المسترشدين » : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قطب الدين ، فمن قام به من المسلمين وجب على غيره إعانته ونصرته ، ولا يجوز لأحد التقاعد عن ذلك والتغافل عنه . انتهى ٣٤٢ راجعه .

(٢) راجع « روح البيان » في تفسير قوله تعالى ﴿أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ في ٠٤٣ ج١ . (هامش الأصل) .

(٣) أي : السكوت عند مشاهدة المعاصي مع القدرة على الإنكار « الطريقة المحمدية » . (هامش الأصل) .

والمداهنون يحشرون على صور القردة والخنازير ؛ كما ورد ، **فردُّهم إعانة جانب أكابر الأولياء** ، لما أنهم أحدثوا في طريق الله أموراً ليست فيه ، وحثُّوا الناس إلى بدعتهم ، وأنكروا أهل الله ، ومرَّ ما قاله الإمام الرباني من أن (إحداث شيء في الطريقة ليس هو عند الفقير بأقل من إحداث بدعة في الدين) .

وقد قال سليمان الزهدي في حق أمثال هؤلاء القوم : وهم قطاع طريق الأوَّاب ، ومفرقوا جمع الأحباب ، بل هم أضرّ على الإخوان من المنكِر المغتاب . انتهى . من « مجموعة الرسائل » .

ونقل الخاني في « بهجته » عن الرازي رحمه الله تعالى ، ما نصُّه هذا : ولا يخفى **أن مَن تصدَّر للمشيخة بغير إذن فما يفسده أكثر مما يصلحه ، وعليه إثم قاطع الطريق** . انتهى . فراجعه .

ولعنهم صاحب « البهجة » وقال بعد ذكرهم : لعن الله جميعهم ، وَاحْذَرْ من أن يسكن في قرية فيها واحد منهم . فراجعه .

ومن المعلوم المشهور أن أكثر المتصدرين للإرشاد في ديارنا ليسوا بمأذونين ، ولم أجد في واحد منهم صكّ الإجازة ، ولم أجدهم يفعلون شيئاً ما مما ذكره المشائخ في كتبهم ؛ سواء كان التلقين والأذكار ، أو الوظائف والأدب ، بل وجدنا أكثرهم مبتدعين ! **فإنكارهم من النصيحة .**

وفي « هداية البداية » : إن المبتدع الذي يدعو الناس إلى البِدْعَة ويزعَمُ أنّ ما يدعوه حقّ ، فهو سبب لغواية الخلق ، فشرُّه متعدّ ، **فالاستحباب إظهار بغضه ومعاداته ، والانقطاع عنه وتحقيره ، والتشنيع عليه ببدعته وتنفير الناس عنه** . انتهى . ومثله قال مصطفى محمد العروسي الشافعي في آخر « عقائده » فراجعه .

وفي « روح البيان » : إن من لم تتصل نسبته المعنوية بواحد من أهل

النفس الروحاني ، وادَّعى لنفسه الكمال والتكميل ، فهو زانٍ في الحقيقة ، ومن هو في تربيته هالك ، لأنه ولد الزنا .

وفيه أيضاً في سورة « الفرقان » : وفي الآية إشارة إلى **الأصنام المعنوية** ، وهم المشائخ المدَّعون ، والدجَّالة المتصنِّعون ، فإنهم ليسوا بقادرين على إحياء القلوب وإماتة النفوس ، **فالتابعون لهم في حكم عابد الأوثان** ، فليحذر العاقل من اتخاذ أهل الأهواء متبوعاً . انتهى .

وفيه أيضاً في سورة « آل عمران » : قال الشيخ الصفي قدس سره : إن الذين يدَّعون المعرفة وتمكينهم في مقام الإرشاد ، ويراؤون جلباً لحطام الدنيا ؛ عذابُهم أشدُّ من عذاب النساء الزانيات ، وَلدن أولاداً من الزنا مع وجود أزواجهن وأولادِهنّ سبعين مرة . انتهى . ومثله في « مزكي النفوس » .

فقد علم مما مرَّ أن **الإنكار على المتشيخين المبتدعين من الواجبات** ، والاحتراز عن الوقوع في شبكة أباطيلهم من أهم المهمات ، ورفع اللوم عن الصادق ومريديه ، فوقع إنكارهم ودعواهم على المبطل الكذاب في موضعه ، وهو الإعانة على البر والتقوى .

قال صاحب كتاب « الرماح » بعد قوله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ **ولا معاونة على التقوى أعظم من نصر العلماء العارفين بالله** ؛ لأن من نَصَرهُم فقد نَصَرَ الله ، ومن نصر الله ينصره ، ومن خذلهم فقد خان الله ورسوله . انتهى ١٠ .

وفيه : وإذا كان نصرُهُم من نَصْر الله ! لا شك مَن نَصَرهم ينصر الله تعالى ، قال تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ ، وقال ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ ، وقال ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ . انتهى ١٠ .

البرج الثاني عشر

في بيان عدم وقوع التنازع والإنكار بين الصادقين من المشائخ وبيان أن ترك الإرشاد بعد التأهُّل عصيان

فنقول ؛ وبالله التوفيق : وأمّا الدعوى بين الصادقيْن وأصحابهما ! فهو ممّا لم يقع قط ؛ ولا يقع أبداً ، وكذا المزاحمة على التلقين ، وطلب الأتباع والمريدين ، وقد قال الشعراني في « لطائف المنن » : إن المزاحمة على المشيخة لا تقع قط من عارف بالله تعالى ، وإنما تقع من قاصرَيْن ، ومن قاصر وعارف ، فيريد القاصر أن يكون شيخاً مثل العارف بجهله ، والعارف لا يريد ذلك . انتهى ٢٠٥ ج١ .

فهل سمعت أيها المحترم أنّ الكلام المنكر قد وقع بين الشيخ العارف بالله الحاج جرائيل أفندي وبين الشيخ المشهور أحمد التلالي ؟ ! والشيخ ذي الجناحين الحاج عبد الرحمن العسلي وبين الشيخ العالم العارف مصطفى الغدبري ؟ ! وبين الشيخ الحافظ المرشد الكامل شعيب أفندي الباكني وبين غيرهم من خلفائهم ؟ ! فحاشاهم عن إنكار بعضهم بعضاً ، وحاشاهم عن المزاحمة على المشيخة ، بل كلهم كانوا لأمثالهم الصادقين كاليد اليمنى للشمال ، **وكانوا يُعَوِّلون أمر مريديهم إلى من هو أقرب منهم منزلاً** .

وقد أمرني شيخنا العسلي قدس سره بكتبة الكتاب لدى العالم المحقق حبيب الله بن محمد طاهر القراخي الزلدي بذهابه لدى الشيخ شعيب أفندي الباكني ، لكون قريته قريباً من قريته[1] ، وعوَّل أيضاً جميع

(١) حتى كان الشيخ العسلي قدس سره يذهب لدى أحمد التلالي لطلب الفيض بعد موت شيخه جبرائيل أفندي ، وكان الشيخ الحافظ شعيب الباكني بعد موت شيخه التلالي يذهب لدى الشيخ العسلي ، ويطلب منه سلوكه إلى ما فوق مقامه ، ويقول=

مريديه الكائنين في ناحية هيد إلى هذا الحقير ، وأمرني بذلك مشافهة في مجمع من العلماء .

وهكذا يكون حال الصادقين ! يحمدون الله تعالى على وجود[1]

=له : مَن ينظر إليَّ الآن إلا أنت ؟ ! كما أخبرني بذلك مشافهة .

وكان الشيخ مصطفى أفندي يسأل الشيخ العسلي بمسائل ، ويطلب منه الإرشاد .

وأما هذا الحقير الفقير ! فلي بهم أسوة ، فلما مات شيخي العسلي سلكت على يد الشيخ الباكني ، وعلَّمني مرتبتين من المراقبة ، وأجازني أيضاً ، فلما مات هو وبقيتُ على تلك الحالة ؛ ذهبت لدى قطب الوقت سيف الله الحسيني ، فسلكت على يده سنين ، **وقد كان مراتب مراقباته ومقاماته أزيد وأعلى من مراقبات الشيخين المذكورين بإحدى وعشرين درجة** ، وكان نقشبندياً أويسياً شاذلياً قادرياً ، وأجازني أيضاً بجميع ما أجازه أشياخه ، ومات هو ، فبقيت كالصبي إذا ماتت أمه .

وقد أكَّدني جميعهم بإرشاد الخلق ، فلم يكن لي بدٌّ من امتثال أمرهم ، رزقنا الله الاستقامة . آمين .

فإن قيل : هل يجوز لمريد أن يذهب لدى غير شيخه إذا مات أو غاب ؟ !

فالجواب : يجوز له ذلك في تلك الحالة . فقد قال في كتاب « حزب الرحيم » **وقلما أفلح مريد فطم قبل أوان فطامه** – وفي « الرماح » في ٣٩١ ج٢ : إن هذا الكلام قاله السيد محمد بن المختار الكتاني فراجعه . (منه) . بل متى مات شيخه أو فصله عنه عارض ؛ وكان له نائب أو خليفة تعيَّن عليه ملازمته برسم ما كان عليه مع الشيخ ، ومتى لم يخلِّف نائباً ولا خليفة لزمه الانتقال إلى مرشد أو شيخ يتخذه في بقية سيره . انتهى ١٣١ ج١ .

وقد سمعت شيخنا العسلي قدس سره يقول : إن شيخه قال له : يا ولدي إني أرقيتك إلى كل مقام أعلمه ، فإن وجدت من يعلم ما فوق ذلك ! فلك مني الإذن لذهابك لديه . انتهى .

قال قدس سره : إني قد طلبت في استانبول من يعلم المراقبات المجدَّدية ، فلم أجده فيه ، حتى إني طلبت في مكة فلم أجده ، ووجدته في المدينة ، لكني كنت مريضاً فلم يمكن لي أن أذهب لديه . انتهى .

هذا مما يجوز ، وإنما الممنوع أن يتردَّد المريد لدى هذا ، ولدى هذا ؛ في حالة واحدة . كما بيَّنَّاه في « تنبيه السالكين » والحمد لله رب العالمين . (منه ؛ رحم الله إفلاسه) .

(١) وقد قال شيخنا الباكني مصرحاً لدى مجمع من العلماء وغيرهم : اَللهَ صِن رِصْ بُكُ خَ وَصْ نُجْ عَكِ رَتُنْ رُكِلِلْ نُجِرْ رَخَلْدَ نِجِيْ فِهَلِيَلِ . انتهى (منه) .

غيرهم في البلاد ؛ فكيف لا يفرحون بذلك والحال أنّ مثال المريد كمثال الميت ، ومثال الشيخ كمن وجب عليه حمله ؟ ! فهل يحب العاقل أن يحمل ميتاً مع وجود من يحمله ؟ ! بيد أن من **أمره الشيخ الكامل بإرشاد الخلق إلى طريق الحق لا بدَّ له من ذلك .**

وقد قال محمد بن سليمان البغدادي في « الحديقة الندية » : والمرشد بعد تأهُّله للإرشاد ، وتبحُّره في علوم الشريعة والحقيقة ، وأمرِ أشياخه له بنشر فوائد الطريقة ، ودعوة الخلق إلى الحق على بصيرة باتباع سبيل المبعوث رحمة للخليقة ؛ يحرم عليه الإخفاءُ ، وكتمُ ما عنده من الفوائد والآلاء ، إذ قال ﷺ : « إذا ظَهَرتْ البِدَع أوالفِتَنُ فَلْيُظهِرِ العَالِمُ عِلْمَهُ » الحديث .

وقال : « مَنْ كَتَمَ عِلْماً أُلجِمَ بِلِجَام مِنْ نار يَومَ القيامة » . فالظهور في حق مثل هذا امتثال المأمور ، والإخفَاء عين القصور ، فسبحان من جعل المحاسن مساوىء ، والمساوىء محاسن ؛ في قلوب المنكرين . انتهى ١٠٢ من هامش « أصفى الموارد » .

وقال بُعَيد ذلك : إن **ملخَّص باب المشيخة** هو نصح المسلمين ، ومحبّة الخير لهم ، والترقي لهم ، فالتارك لهذه الأمور عاصٍ لله تعالى ، فكيف يمدح ؟ ! إنما حق هذا الذمُّ إذا كان عارفاً بالطريق ، وأما إذا كان جاهلاً ! فلا تفاضل بينه وبين الأشياخ الجهلة . انتهى ١٠٣ .

مهم : الإسراف السابق لا ينافي الجذب اللاحق

وأما طعن الناس في أهل الإرادة بأنّهم يرون فيهم الإسراف على أنفسهم سابقاً ببعض الذنوب ، وقد يرونه لاحقاً في بعضهم ! فنقول - كما قاله مؤلف « الحديقة الندية » - : **الإسراف السابق لا ينافي الجذب اللاحق ، لأنّ كثيراً من الأولياء الأكابر جذبتهم الواردات الإلهية وهم في الإسراف والمعصية** ، وأما الإسراف اللاحق إذا لم يغلب على الخير بل

كان الأمر بالعكس ! فلا يحكم به على هلاك صاحبه جزماً ، والطعن في حاله[١] ، فضلاً عن شيخه الغير المكلف بِوزرِه ، مع أنّ الخاتمة مجهولة ،

---

(١) **مطلب** : وقد يقوِل أبعاض من رجلة العلماء : **إن تلقين الذكر للعصاة من المحال** . فقد يردُّ أقوالهم كثيرٌ من النقول ، فكيف لا ؟ ! فإن الإرشاد إنما وضع لأجل المعوجِّ ، لا للمستقيم ، كما بيَّنته في « تنبيه السالكين » بالتمام .

وقد ورد عن الإمام الجنيد رضي الله عنه أنه كان يأتيه العصاة يريدون التوبة على يديه ، فيلقِّنهم التوبة (عله الذكر) ، ويأمرهم بالإكثار منه ، فتنوّر قلوبهم . كما هو مذكور في « الصاوي » .

ونقل أيضاً عن القطب الكيلاني مِثْل ما مرَّ ، كما هو مذكور في « السير والسلوك » .

من أهم المهمات .

وجواز التلقين لكل أحد ؛ عاصياً كان أو مطيعاً ، ذكراً كان أو أنثى ، صغيراً كان أو كبيراً ، بل ورود الأمر بذلك مصرَّح في « جواهر المعاني » . والتكلُّم بخلاف ما مرَّ لا أراه إلا عناداً وحسداً ، وتكبُّراً على الحق وحقداً . وراجع « المتممات » للقطب أحمد ضياء الدين ، و« مكتوبات » الإمام الرباني ، و« الحديقة الندية » ، وغيرها من كتب السلوك ، تجد البيان مبسوطاً ، ولا تلتفت إلى قول مَن قال بخلاف ما فيها . والسلام .(منه ؛ رحم الله إفلاسه) .

وكان يقول - أي الشيخ إبراهيم الدسوقي رحمه الله - : يا أولادي لا يسر أحدكم سريرة سيئة فإن الله تعالى سيظهر ما كنتم تكتمون وما كنتم تخفون وما كنتم تستترون . وينادى عليكم بالتصريح والتوبيخ فلانٌ عامل كذا وكذا ، وكان يستتر من الناس ولا يستتر من الله تعالى ، فلان كان يرتكب المحارم والقبائح ويظهر للناس الصلاح زوراً وبهتاناً ، فلان كان يطلق بصره إلى النساء ويدعي أنها نظرة فجاءة وهو يعطف طرفه ويميل كأنه لصّ صارق . فيا فضيحة من تزيّا بزيّ الفقراء وخالف طريقهم . وكان رضي الله عنه يقول : يا أولادي لا تصحبوا غير شيخكم واصبروا على جفاه فإنه ربما امتحنكم ليريد بكم الخير ، وأن تكونوا محلاً لأسراره ومطلعاً لأنواره ليرقيكم بذلك إلى معرفة الله عزّ وجلّ . فمن اشتغل قلبه بمحبة شيخه رقاه الله عز وجل ، ولولا أن الشيخ سلم لترقية المريدين لمقت الله تعالى . كل قلب وجد فيه محبة لسواه فإن الله تعالى غيور . « طبقات الشعراني » ٢٥١ . =

والعبرة بخواتمها انتهى . ١٠٥ .

مَن غلب خيره على شرِّه فهو الكامل

وقال بُعيد هذا : وربما طعن بعضهم في الفقراء بأنهم مسرفون على أنفسهم ، فتراهم يطلبون فقراء في طريق الله تعالى معصومين من الزلل والمعصية ، وهذا لا يكون أبداً ، بل **مَن غلب خيره على شره فهو الكامل** ، بل في الحديث الشريف النبوي ما هو أبلغ من ذلك ، وهو الاكتفاء بالعُشْرِ من الخير ، فضلاً عن غلبته على الشر ، أو كونه نصفاً ؛ أو ربعاً قال ﷺ : « إنَّكم في زَمَانٍ مَنْ تَرَكَ مِنْكُمْ عُشْرَ ما أُمِرَ به هلك ، ثم يأتي زمانٌ من عَمِلَ منهم بِعُشْرِ ما أُمِرَ به نَجَا » رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وذكره السيوطي في « الجامع الصغير » ، وقد حكم ﷺ بالنجاة لمن عمل بالعُشر ، وهي **بشارة عظيمة** لكل مَنْ سَلِم من الكُفرِ والشِّرك إلى آخر الزمان ، وقَلَّ مَنْ يَسْلَم من ذلك في زماننا هذا من كثرة التباس الحق بالباطل على غير أهل التوفيق والعناية ، فقد وجدنا من يَعْتَقِدُ الطاعةَ معصية والمعصية طاعة من كبار عُلماء زمانِنا ؛ فضلاً عن العامة منهم ، ومن بقيَّة الناس ، إلا مَن حَفِظَهُ الله تعالى وهداه . انتهى ١٠٦ من هامش « أصفى الموارد » .

=وكان رضي الله عنه يقول : والله لو هاجر الناس مهاجرة صحيحة ودخلوا تحت الأوامر لاستغنوا عن الأشياخ ، ولكن جاؤوا إلى الطريق بعلل وأمراض ، فاحتاجوا إلى حكيم . **وإذا كان أخذ العهد على فقير يقول له : يا فلان ، اسلك طريق النسك على كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج إلى بيت الله الحرام واتباع جميع** الأوامر المشروعة والأخبار المرضية والاشتغال بطاعة الله قولاً وفعلاً واعتقاداً ، ولا تنظر إلى زخارف الدنيا ومطاياها وملابسها وقماشها ورياشها وحظوظها ، واتبع نبيك محمداً ﷺ في أخلاقه ، فإن لم تستطع فاتّبعْ خُلُقَ شيخك ، فإن نزلتَ عن ذلك هلكتَ « طبقات » ٨٦١ .

العصمة خاصية النبوة

والمريدون ؛ وإن سلكوا في طريق الله لكنهم ليسوا على وتيرة واحدة ، فمنهم المستقيم الأديب ، ومنهم المُخالِفُ الغيرُ المنيب ، **فإنَّ المريد وإن اتخذ له شيخاً يهديه ؛ لكنه لا يحوم حول العصمة ، فإنها خاصيَّة النبوّة** ، وقد كان في أصحاب رسول الله ﷺ مَن كان مطهَّراً من جميع المعاصي كالعشرة المشهود لهم بالجنة ، وكان فيهم مَن يقع في الكبائر كماعز ونُعَيْمان ! فقد قال الشعراني في « لواقح الأنوار » في أثناء ذكره ما كان عليه طبقات الأصحاب بما لفظه : فكان نعيمان كل قليلٍ يأتون به النبي ﷺ وهو سكران فيحدُّه ، وكان نعيمان مضحاكاً يُضحِكُ النبي ﷺ وأصحابه .

حكاية مضحكة

ومن جملة ما وقع لنعيمان : أنه رأى رجلاً أعمى يقول : مَن يقودني إلى البراز[1] ؟ ! فأخذه نعيمان وأجلسه في محراب المسجد ، فَشَمَّر ثيابه للجلوس ، فصاح الناس به : إنك في المسجد ! فقال الأعمى : إن وجدتُ نُعَيْمان لأضربنَّه بالعصا ، فسمع نُعيمان فجاء إليه وقال : هل لك فيمن يدلّك على نعيمان ؟ ! فقاده إلى عثمان بن عفّان وهو ساجد فقال : هذا هو ، فصار الأعمى يضرب عثمان رضي الله عنه ، فصاح الناس بالأعمى : إنك تضرب أمير المؤمنين . وله وقائع كثيرة[2] رضي الله عنه . انتهى ١٢٠ ج٢ . من هامش « المنن » ج٢ .

---

(١) تبرَّز الرجل : خرج إلى البراز للحاجة ، والبراز : الفضاء الواسع . « مختار » . (هامش الأصل) .

(٢) ومما يُضحك به من قصة نعيمان رضي الله عنه : ما رواه أحمد : أن أبا بكر رضي الله عنه خرج تاجراً ومعه بدويان ؛ نعيمان وسُوَيْبط ، فقال له : أطعمني . قال : حتى يجيء أبو بكر . فذهب لأناس ثَمَّ ، وباعه لهم - مورِّياً أنه قِنَّه - بعشر قلائص ، فجاؤوا وجعلوا بعنقه جعلاً وأخذوه ، فبلغ ذلك أبا بكر ، فذهب هو وأصحابه إليهم ، وأخذوه منهم . ثم أخبروا النبي ﷺ فضحك هو وأصحابه من ذلك حتى بدا سنُّه ﷺ . والقصة مذكورة في ابن حجر في كتاب « الدعوى » فراجعه . (منه رحم الله إفلاسه ، آمين) .

مطلب

ثم قال الشعراني بُعيد ما ذكر : فَوَطّنْ يا أخي نفسك أن يقع من أصحابك جميعُ ما تقدم في حق أصحاب رسول الله ﷺ من الأدب معه ، ومن ضده في حقه وحق أصحابه ، وذلك إما لِيَسْتَنَّ بهم مَن بعدهم ؛ وهو اللائق بمقامهم ، وإما أن يكونَ ما وقعَ من سوءِ الأدب في بعض الأوقات بياناً لعدم العصمة ، ثم يتوبون على الفور ، فكيف يطلب مشائخ النصف الثاني من القرن العاشر من تلامذتهم **أن يكونوا معهم على الأدب في جميع أحوالهم ؟! هذا شيء كالمحال** ، فإن شيئاً لم يصحَّ لرسول الله ﷺ من أصحابه ، كيف يصحّ لأحد بعدهم مع أنهم خير القرون ؟ ! ومع شهودهم عُلُوَّ مقامه ﷺ ، وما كان عليه من الزهد والعبادة وكثرة المعجزات ، ومع كونه أرحم بالمؤمنين من أنفسهم ، فلا تطلب يا سيدي الشيخ من تلامذة القرن العاشر أن يكونوا في الأدب فوق أدب الصحابة ! هذا مما لا يكون . والله غفور رحيم . انتهى ١٢٢ .

وقد قال لي شيخنا الحافظ شعيب أفندي الباكني قدس سره : يا أخي قد كان في الزمن الماضي يمتثل المريدون بالمشائخ ، وهذا زمان يمتثل المشائخُ بالمريدين ! انتهى . فإذا حكيته شيخنا سيف الله قدس سره قال : صَدَقَ في قوله يا ولدي . انتهى .

وقد كان شيخنا العسلي قدس سره يقول لي : **يا أخي إنّي أحْمِلُ من المريدين ولا أطردهم** ، فتحمَّل أنت كذلك . انتهى .

فائدة مهمة ينبغي للمريد أن يتنبه إليها ، ويجعلها نُصْبَ عينيه : قد عُلم مما ذكر في مواضع عديدة فوائد اتخاذ الشيخ ، ومن جملتها وأجَلِّها : ما ذكر في « الرماح »[1] بما ملخصه :

---

(١) راجعه ٨٤ ج٢ .

أنّ أهل كلِّ طريقةٍ يدعون يوم القيامة باسم شيخهم ، ويدعونَ إلى مجاورته ، قال تعالى ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ ﴾ **، وأنَّ المريدين يبلغون إلى درجات كُبَرَائِهم وشيوخهم** ما آمنوا بأحوالهم ، وفقهوا كلامهم ، كما قال الله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ . انتهى .

الشيخ لا ينسى مَن سلَّم عليه مرَّة واحدة

وقد نقلت في « التلخيص » مما نقله صاحب « الإتحاف »[1] من « كتاب الشريعة » للشيخ الأكبر[2] بما حاصله : **أنَّ المريد إذا مات قبل تحصيله مقاماً خاصاً يشرع الشيخ في العمل الموصل إلى ذلك المقام نيابة عن المريد الذي مات** ، أو يطلبه له من الله تعالى بهمَّته ، **وأنَّ الشيخ لا ينسى مَن سَلَّم عليه مرة واحدة وعرف وجهه** ، بل لا ينسى مَن يعرف الشيخ ؛ ولا يعرفه الشيخ ، فيسأل الله تعالى أن يغفره ، ويعفو عمن سمع يذكر الشيخ فأثنى عليه ، أو سبَّه ووقع فيه[3] ممن لم

---

(١) راجعه في ٢٢ ج٦ .

(٢) وهو محيي الدين بن العربي قدس سره كذا في « الخزينة » راجعه . (هامش الأصل) .

(٣) أي : اغتابه (منه) .

*أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

ولا تعجل بالقرآن - أي بقراءته - من قبل أن يقضى إليك وحيه - أي يفرغ جبرائيل من إبلاغه « جلال » سورة طه . والحكمة في تلقي رسول الله عن جبريل ظاهراً أنه يكون سنة متبعة لأمته ، فهم مأمورون بالتلقي من أفواه المشائخ ولا يفلح من أخذ العلم أو العمل من السطور بل التلقي له سر آخر « صاوي » .

* وداعياً إلى الله - بطاعته - بإذنه - بأمره « جلال » سورة الأحزاب .

* والحكمة في الإذن تسهيل الأمر وتيسيره ، لأن الدخول في الشيء من غير إذن متعذر ، فإذا حصل الإذن سهل وتيسر . ومن هنا أخذ الأشياخ استعمال الإجازة=

يعرفه الشيخ ، ولا سمع باسمه . انتهى .

لكن **لا ينبغي للمريد أن يكون مغترّاً بمجرد السلوك** مع عدم مبالاته بارتكاب المخالفات ، بل ينبغي أن يكون عاملاً بمقتضى الأحكام الشرعية ، **فإنَّ النجاة والخلاص لا يكون إلا في متابعة صاحب الشريعة عليه الصلاة والسلام** ، فقد قال الإمام الرباني قدس سره : **والأستاذ والشيخ إنما هما للدلالة على الشريعة** ، وليحصل اليسر والسهولة في الاعتقاديات والعمليات ببركتهما ، **لا لأن يفعل المريدون ما أرادوا ، ويأكلوا ما شاؤوا ، ثم يكون الشيخ ستراً لهم عن النار** ويمنع عنهم العذابَ ! فإنَّ هذا المعنى تَمَنٍّ محضٌ ، لا يشفع هناك أحد إلا بإذن الله ، ومن لم يكن ممن ارتضاه ربه لا يشفع فيه أحد ، وإنما يكون مُرتضى إذا كان عاملاً بِمُقْتضى الشريعة ، فحينئذ إذا صدرت عنه زلَّة بمقتضى البشرية فتداركُها يمكن بالشفاعة .

فإن قيل : بأيّ اعتبار يمكن أن يقال للمذنب مرتضى ؟ !

أجيب : إنّ الحق سبحانه إذا أراد مغفرة شخص يبدي وسيلة للعفو عنه ، فهو مرتضى في الحقيقة ؛ وإن كان مذنباً في الظاهر ! انتهى من « الدرر المكنونات » ٥٨ ج٣ .

=للمريدين ، فمن أجازه أشياخه بشيء من العلم والإرشاد فقد سهلت له الطريق وتيسرت ، ومن لم تحصل له الإجازة وتصدر بنفسه فقد عطل نفسه وغيره وانسدت عليه الطرق « صاوي » .

البرج الثالث عشر

في جواب مسألة ذلك العالم بما حاصله هذا :

وكان أبو الحسن الشاذلي يقول : من الشرك اتخاذ الأولياء شفعاءَ من دون الله . إلخ . وكان يقول أيضاً : من سوء الظن بالله أن يستنصر بغير الله من الخلق ، فإذا كان الأمر كذلك ، فماذا يطلبه المريد من أستاذه ؟ ! وما فائدة الاتخاذ ؟ ! انتهى .

الفائدة من إرسال الرسل واتخاذ الشيخ

أقول والله أعلم : من المعلوم المعتقد عندنا أن الفائدة من إرسال الرسل والأنبياء هو الدلالة على الله ، **ولا يخلو الأرض من الأولياء على عددهم ، ولولاهم لما أمطرت السماء ، ولما أنبتت الأرض** ؛ كما هو مذكور في الكتب ، قال تعالى ﴿ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴾ فالمقصود المطلوب من اتخاذ الشيخ هو : الدلالة إلى طريق الوصول إليه . وقد قيل : إن للوسائل حكمَ المقاصد . والفوائد المترتبة على ذلك قد ذكرت مراراً ، فلا نطيل الكلام بتكرارها .

وأما ما قاله الإمام الشاذلي ! فلعله صدر منه في حالة فنائه في التوحيد ، والفاني في الله ينسى ما سواه ، وإلا فهو الذي أمر باتخاذ الوسيلة ! كما سنذكره إن شاء الله تعالى بعين ما قاله قدس سره .

الفناء في الله

وقد قال الإمام الرباني : **اعلم** أن المقصود من الفناء - الذي هو عبارة عن نسيان ما سوى الحق تعالى - : هو زوال تعلق المحبة بما دون الحق سبحانه ، فإنه إذا زالت ذوات الأشياء وصفاتُها وأفعالها عن النظر والإدراك يزول تعلُّق المحبة بها بالضرورة ، ولا بُدَّ في طريق الولاية من

نسيان السوى ، ليزول التعلُّق بما دون الحق جلَّ وعلا ، وفي مدارج قرب النبوة لا حاجة في زوال التعلُّق بالأشياء إلى نسيان الأشياء أصلاً . . . إلى آخر ما قاله « الدرر المكنونات » . ٣٧٠ ج١ .

وعادة المريدين أن ينقلوا من شيخهم كلَّ ما صدر منه من الأقوال ، **والشيخ إذا كان في حالة الفناء يكون كالسكارى** ، وكلامه يصدر منه بحسب حاله ، وكلام السكارى من الأولياء مقبول لا يُعتَرَض عليه ؛ لكونه معذوراً ، لكنه لا يعمُّ ! فالفاني في الله قد يتكلم بالشطحات ، بَيْدَ أنّ أرباب الاستقامة من العلماء لم يجوِّزوا الإنكار على ما صدر من الأولياء ، بل حملوه على أحسن المحامل ، لكونه صادراً في حالة نسيان السوى .

ويؤيده ما في « نور الإنصاف » بهذه العبارات : فإن ما يحصل للعارفين حالة الفناء في محبة الله والاستغراق بذكره حتى تغيب مداركهم ، وتنطمس شواهدهم عن الأغيار ، بل وعن ذواتهم ! فتصدر على ألسنتهم كلمات من مشرب ذلك المقام عند محوهم وسكرهم ، ومتى صحوا أنكروها واستغفروا الله فذلك كلام معفو عنه ؛ ككلام من جُنّ أو خَمِرَ ، أو غلا دَمُه ، أو أغشي عليه ، وهذا المقام عين ما قاله القائل :

عجبت منك ومنّي أفنيتني بك عني

أدنيتني منك حتَّى ظننت أنَّك أنِّي

ومنه قول شيخ الطائفة الإمام الجنيد رضي الله عنه :

رقَّ الزجاج ورقَّ الخمر فتشابها وتشاكل الأمر

فكأنما خمرٌ ولا قَدَحٌ وكأنما قَدَحٌ ولا خمرُ

وهذا الذي غلط به جماعة ، فظنوه من القول بالوحدة المطلقة ، فضلُّوا وأضلُّوا . انتهى . ٣٢ .

الفناء نسيان السوى ، لا ارتفاعه!!

قال الإمام الرباني قدس سره : إن الفناء الذي هو معتبر في الولاية باعتبار الشعور والشهود ؛ فإنه عبارة عن نسيان ما سوى الحق سبحانه لا ارتفاع ما سواه[1] ! غاية ما في الباب : أن صاحب ذلك الفناء ربما يظن في غلبات السكر عدمَ الشعور[2] بالأشياء عدمَ الأشياء[3] ، ويتوهَّم ارتفاع ما سواه تعالى ويتسلَّى بذلك ، فإذا ترقَّى من ذلك بمحض فضله تعالى وتشرَّف بدولة الصحو ، وصار صاحبَ تمييز ؛ يعلم أن ذلك الفناء كان نسيانَ الأشياء ، لا انعدام الأشياء ! فلو زال بسبب هذا النسيان شيء فإنما هو التعلق بالأشياء الذي كان متمكِّناً ومذموماً ؛ لا نفس الأشياء ! فإنها قائمة على صرافتها ، ممتنع نفيها وإعدامها ، (سياهي ازجشي كي رودكي خودرنكسة) فإذا حصل بفضل الله تعالى هذه الرؤية والتمييز زال ذلك التسلِّي ، وقعد مكانه الحزن والغمّ وعدم الاستراحة ، وتيقَّن أنّ وجوده مرضي لا يكون بسعيه واهتمامه معدوماً ، وعلم أن نقص الإمكان وقصور الحدوث لازمان له دائماً ، والعجب أن العارف كلما يترقى إلى فوق ويكون عروجاته أكثر ؛ يكون رؤية النقص والقصور فيه أزيد ! ويكون عديم القرار والراحة . انتهى . « الدرر المكنونات » في ١٨١ ج٣ فراجعه .

---

(١) وفي « عوارف المعارف » : وليس من ضرورة الفناء أن يغيب إحساسه ، وقد يتَّفق غيبة الإحساس لبعض الأشخاص ؛ وليس من ضرورة الفناء على الإطلاق . انتهى ٦٠٣ ج٤ . من هامش « الإحياء » . وفيه : والباقي في مقام لا يحجبه الحق عن الخلق ، ولا الخلق عن الحق ، والفاني محجوب بالحق عن الخلق . انتهى فراجعه ٨٠٣ . (منه ؛ قدس سره) .

(٢) ربما يظن عَدَمَ الشعور بالأشيآء في غلبات السكر عدم الأشياء ؛ لعل العبارات منعكسة ونصب عدم الشعور على نزع الخافض أي لعدم الشعور بالأشياء . .الخ والله أعلم (لمحرره العوري غازي محمد) .

(٣) مفعول ثان لـ(يظن) .

شطحات الأولياء غير معترضة

وقد صدر من بعض الأولياء في حالة غلبة السكر كلمات لا يقبلها ظاهر الشرع ؛ كقول بعضهم (أنا الحق) و(سبحاني) ، وأمثال ذلك ، وصدور ذلك منهم لا يعدُّ نقصاناً منهم .

قال الإمام الرباني : أيها المخدوم ! إن القصور الذي قيل في معنى قوله (سبحاني) الذي صدر عن أبي يزيد البسطامي قدس سره في غلبات السكر لو سُلِّم لا يلزم منه أن يكون ذلك القصور مستقراً ومستمراً في قائله ، حتى يكون غيرهُ أفضلَ منه ، فإن كثيراً من المعارف تصدر في وقت بمقتضى حال ذلك الوقت ، ثم لما ظهر قصور تلك المعرفة بعناية الله تعالى في وقت آخر يترك تلك المعرفة ويترقى إلى مقام فوقاني ، قد اندرج في المكتوب الشريف : أنّ أمثال هذه الكلمات الممزوجة بالشطح لو كتبها أرباب السكر لجاز ، ولكن إظهار أرباب الصحو أمثال هذه الكلمات مستبعد جداً .

السكر مراتب

أيها المخدوم! إن كلّ من كتب هذه الكلمات فمنشؤه السكر لم يحرك القلم في هذا الباب بلا مزج السكر ؛ غاية ما في الباب : أن في السكر مراتب كثيرة ، وكلما كان السكر أغلبَ ، يكون الشطح أغلب وأوفر ، وسكرُ البسطامي هو ما يصدر عنه قول (لوائي أرفع من لواء محمد) بلا تحاش ، فكل من حاله الصحو لا يظن أنه لا سكر معه أصلاً فإنه عين القصور ، لأن الصحو الخالص نصيب العوام .

ومن رجَّح الصحو فمراده غلبة الصحو لا الصّرف ، **وكذلك كلّ من يرجِّح السكر فمراده غلبة السكر ، لا السكر الخالص!** فإنه آفة ، ألا ترى أنّ الجنيد قدس سره مع كونه رئيس أرباب الصحو ، وترجيحه الصحو

على السكر ، له عبارات كثيرة ممزوجة بالسكر يعسر تعدادها ! .

قال : العارف هو المعروف . وقال : لون الماء لون إنائه . وقال : المُحدَث إذا قُرن بالقديم لم يبقَ له أثر .

وصاحب « العوارف » من كمَّل أرباب الصحو ؛ ومع ذلك في كتابه من المعارف السُكرية ما لا يمكن شرحه .

بقايا السكر

وهذا الفقير قد جمع بعض معارفه السُكْرية في ورق ، ومن بقايا السكْر : تجويز إفشاء الأسرار ، ومنه : المباهاة والافتخار ، ومنه : ادعاء المزية على الأغيار ، فلو كان صحوٌ خالص يكون إفشاءُ الأسرار حينئذ كفراً ، واعتقاد الأفضلية على الغير شركاً . وبقية السكر في الصحو كالملح المصلح للطعام ، فلو لم يكن ملح يكون الطعام معطلاً . شعر :

فلو لم يكن عشق وهَيْمانُ عاشقٍ　　　لما كان من يصغي وما كان سامر

وقد حمل صاحب « العوارف » قدس سره قول (قدمي هذه على رقبة كل ولي) الصادر عن الشيخ عبد القادر قدس سره على السكر ، وليس مراده إثبات القصور لهذا القول كما توهم ، فإنه عين محمدة له ، بل بيان الواقع يعني أن صدور مثل هذا الكلام المنبىء عن المباهاة والافتخار ليس هو بلا بقية سكر ، فإن التكلم بأمثال هذا الكلام في الصحو الخالص عسير . انتهى « الدرر المكنونات » ١٧٢ ج١ .

القول في الحلول والاتحاد

وقد صدر من البعض قول (الكل هو) الذي يتحاشى منه علماء الظاهر ، وينسبونه إلى غلطات الصوفية ، لكن الإمام الرباني قد حمله إلى محمل مقبول ؛ وقال : لا يخفى أن عبارة (الكل هو) وإن لم تكن متعارفة

فيما بين قدماء الصوفية قدس الله أسرارهم ، ولكن كان بينهم مثل (أنا الحق) و(سبحاني) و(ما في جبتي سوى الله) وأمثالها مما يعسر تعداده ، ومؤدَّى هذه العبارات وتلك العبارة واحد . شعر :

إذا ما تعدى الماء عن مفرق فلا   تفاوت في مقدار رمح وأرماح

مَثَل موزون مشهور ، وهذه العبارة شائعة ذائعة فيما بين متأخري الصوفية ، ويقولون (الكل هو) بلا تكلُّف ، ويصرُّون على هذا القول ، إلا أن القليل منهم لهم تردد في هذه العبارة وأمثالها ، بل يظهرون صورة الإنكار عليها ، وما يفهمه هذا الفقير من معنى قولهم (الكل هو) : أنّ جميع هذه الجزئيات المتفرقة الحادثة ظهور ذات واحدة تعالت وتقدست ، كما إذا انعكست صورة زيد في مرايا متعددة وظهرت فيها ، فيقال : (الكل هو) يعني أن جميع هذه الصور التي ظهرت في مرايا متعددة ظهور ذات واحدة لزيد ، فهنا أيُّ جزئية واتحاد ؟ ! وأيُّ حلول وتلوُّن ؟ ! بل ذات زيد مع وجود الصور كلها على صرافتها وحالتها الأصلية ما زادت هذه الصور فيها شيئاً وما نقصت ، لا اسم للصور فيما فيه ذات زيد ؛ ولا رسم ، حتى يحصل لها معها نسبة من نسب الجزئية والاتحاد والحلول والسريان ينبغي أن يطلب سرّ الآن كما كان في هذا المكان ، فإن مرتبته سبحانه وتعالى كما لم يكن للعالم فيها مجال قبل الظهور ، لا يكون فيها مجال أيضاً بعد الظهور ، فلا جرم يكون الآن كما كان .

والعجب أن كثيراً من أكابر متقدمي الصوفية فهموا من هذه العبارة الممزوجة بِشَهْد التوحيد معنى الحلول والاتحاد ، وكفَّروا قائليها وضلّلوهم ! ! . وبعضهم يوجه هذه العبارة على نهج لا مُنَاسبَة بمذاق قائليها بوجه ؛ ولا نسبة .

قال صاحب « العوارف » : إنّ صدور (أنا الحق) من حلاج ،

و(سبحاني) من أبي يزيد البسطامي **كان بطريق الحكاية يعني من الحق سبحانه وتعالى** ، فلو لم يكن بطريق الحكاية بل كان فيه شائبة الحلول والاتحاد ! نردُّ قائلي هذه الأقوال كما نردُّ النصارى لقولهم بالحلول والاتحاد .

وقد اتضح من التحقيق السابق أنه لا حلول في هذه العبارة الشبيهة بالشطح والاتحاد ، **والحمل فيها إنما هو باعتبار الظهور والشهود** ، لا باعتبار الوجود ؛ كما فهموا وحملوا على الحلول والاتحاد[1] . انتهى من « الدرر المكنونات » ١١٦ ج ١ .

شطحات الأولياء

قال ابن حجر رحمه الله في « الفتاوى الحديثية » : وسئل نفع الله به بما لفظه :

ما الذي يجاب عما وقع من شطحات الأولياء ؛ كقول أبي يزيد (سبحاني) (ما في الجُبَّة غير الله) وقول الحلاج (أنا الحق) ونحو ذلك مما لا يخفى من كلماتهم وإشاراتهم التي ظاهرها انتقاد ، وباطنها حق إلا عند أهل المقت والعناد ؟ !

فأجاب بقوله : ما وقع لهم رضوان الله عليهم من الشطحات ، للأئمة العلماء العارفين الحكماء ؛ - الذين حماهم الله بالسلامة من حرمان

(١) ولا يُظَنَّ أنَّ السالك إذا وصل إلى تلك المرتبة يحصل له الاتحاد مع الحق سبحانه ، لأن اتحاد الخالق مع المخلوق محال من كل الوجوه ، لأنَّ الاتحاد معناه : أن يصير الشيء بعينه شياً آخر ، فهذا الاتحاد إمَّا في الجسمانية ؛ بأن يكون بالاتصال والامتزاج والتركيب ، وبطلانه ظاهر في حقِّه تعالى ، وإمَّا في المجرَّدات ، وبطلانه ظاهر أيضاً ، لأنَّ الشيئين إذا اتَّحدا فإن بقي أحدهما مع بقاء الآخر ؛ فيتعددان ، فلا اتحاد بينهما فإن بطل أحدهما وبقي الآخر ؛ فلا اتحاد أيضاً ، وإن بطلا فلا وجود لهما . انتهى .

الإنكار ، ومَنَّ عليهم بالاعتقاد في أوليائه ، وحمل ما صدر منهم على أحسن المحامل وأقومها - عنها أجوبة مسكتة ، وتحقيقات مبهتة ، لا يهتدي إليها إلا الموفقون ، ولا يعرض عنها إلا المخذولون ، فاحذر أنت أن تكون ممن يتحسَّى[1] كأس سمّ الإنكار فيهلك لوقته ! وبادر إلى السلامة من غضب الله له .

قال الأئمة : لم ينصب الله تعالى المحاربة لأحد من العصاة إلا للمنكرين على أوليائه ، وآكلي الربا ، ومن حاربه الله لا يفلح أبداً .

أحد تلك المسالك : أن تلك الكلمات حكاية عن حضرة الحق ، ونطق عما يليق وما شاهدوه من أنوارها ، وغلبة التجوُّز في نحو ذلك من مقامات المحبة والعبودية ، والقرب يبسط لهم العذر ، ويرفع عنهم الإصر . ممن اعتمد هذا المسلك : الشهاب السهروردي المجمع على إمامته في العلوم الظاهرة والباطنة في « عوارفه » حيث قال : وما حكي عن أبي يزيد رضي الله عنه من قوله (سبحاني) ! حاشا لله أن يعتقد في أبي يزيد أن يقول مثل ذلك ؛ إلاَّ على معنى الحكاية عن الله تعالى ، قال : وذلك مما ينبغي أن يُعتَقَد في الحلاَّج رحمه الله في قوله (أنا الحق) .

ثانيها : أن ذلك وقع منهم في حال الغيبة والسكر ؛ الناشئَيْن عن الفناء في المحبة والشهود لموارد الأحوال المزعجة للقلب ، الآخذة تمييزه ؛ لشدة تمكُّنها منه ، واستغراقه في فكره وخطرها ، فإنه إذا كان هذا في الأمور السافلة التي لا تقاوم جناح بعوضة ؛ فكيف بواردات الحق على القلوب ؟ ! ولواعج[2] المحبة المذهلة عن كل مطلوب ومرغوب ،

---

(١) حسا الطائر الماء ، يحسوه حسواً ، ولا يقال فيه شرب ! « مصباح » . (هامش الأصل) .

(٢) في الدعاء : لواعج الأمطار ، وعوالجها لواعج الأمطار التي لها تأثير شديد في النبات من لعجة الضرب ؛ إذا آلمه وأحرق جلده . وعوالجها : هي ما تراكم منها ، مثل عوالج الرحال . « مجمع البحرين » . (هامش الأصل) .

وعوالم الملكوت المنكشفة لهم في منازلاتهم ، ومشاهدة عجائب القدرة في ترقياتهم ، فإن ذلك لا يُبقي في القلب شعوراً ولا تمييزاً ، بل يصير صاحبه كالسكران الثمِل[1] ، فحينئذ ينطق بما رسخ في جلده قبل ، ويرجع بطبعه قهراً عليه إلى مكان يلحظه ويعوِّل عليه ، فينطق لسانه بطبق تلك الأحوال ، لكن بعبارات لا يقصد بها ما يوهمه ظاهرها من اتحاد أو حلول أو انحلال . فتأمل ذلك ، وعوّل عليه تسلم ، **وكل سكر نشأ عن سبب جائز فصاحبه غير مكلف** . انتهى ٢٣٩ .

فناء القلب

ورأيت في « جامع أصول الأولياء » ما لفظه : متى تحقق فناء القلب زال من ساحة الصدر التعلُّق العلمي والالتجاء لما سواه ، ولم يظهر خطور السوى ، **وفناء القلب يصير في تجلِّيات الأفعال الإلهية** ، يعني رؤية أفعال ما سوى الحق آثار فعله تعالى . وإذا غلبت هذه الرؤية على السالك يرى أيضاً صفات الممكنات أمواجَ وجوده ، ويرى ذاته تموُّجه في بحر وجود حضرة الحق ، ويقول لهذا أربابُ التوحيد الوجودي : **الفناءَ في الله** .

وإذا استُغرِق السالك في هذا البحر لم يجد لبصيرته مشهوداً سوى البحر ، وكلما نظر إلى كل جانب لا يرى غيرَ البحر وأمواجه ، بل يجد ذاته قطرة من هذا البحر ، ويرتفع من نظره امتياز القطرة أيضاً لكمال استغراقه . انتهى عبارته ٥٦ .

فعلم مما ذكر أن **العبد إذا قوي جذبته غلبتهُ المحبة ، فيلزمها السكر والفناء ، بحيث لا يبقى في نظره سوى المحبوب تعالى** ، فيحكم

---

(١) الثَّمِل - محركة : السكر « مجمع البحرين » (هامش الأصل) .

فيكون الثمل للسكران في قوله كسكران الشمل ، تفسيرياً ، والله أعلم . (المحرره العوري الغازي محمد) .

بنفي ما سواه ، فإذا صحى لا يكون شهود المحبوب مانعاً عن شهود ما سواه ، فيتحاشى عن التكلُّم بكلمات التوحيد الوجودي ، بل يكون سابحاً في بحر التوحيد الشهودي ! ولا يقول شيئاً يخالف ظاهر الشرع .

ورأيت في « الحدائق الوردية » أنّ **مقام الصحو أعلى**[١] **من مقام السكر** . انتهى . أذاقنا الله تعالى شيئاً من مقام الفناء التام ، وشرَّفنا بالوصول إلى البقاء الأتمِّ الأكمل ، وحفظنا من قولٍ لا يُقبل ، وعملٍ لا يُحمد . آمين .

العلم اللَّدُنِّي ، قرب النوافل

وقال صاحب « عطية الوهاب الفاصلة بين الخطأ والصواب » رحمه الله تعالى :

واعلم أن السالك إذا فرغ من السير إلى الله ، وشرع في السير في الله بمتابعته للنبي ﷺ ووساطته ، فإذا جذبه الله إليه بكمال فضله وكرمه **ارتفع الوسائط كلها بينه تعالى وبين**[٢] **هذا المحبوب السالك** ؛ حتى سمعه

---

(١) والباقي في مقام لا يحجبه الحق عن الخلق ولا الخلق عن الحق . والفاني محجوب بالحق عن الخلق . كذا في « عوارف المعارف » فراجعه ، من هامش « الإحياء » ج٤ (منه) .

(٢) لكن ينبغي أن يعلم أن الواسطة هو الذي وصل السالك إلى هذه المرتبة بسببه ، ودوام التوسل به يكون شرطاً في دوامها . فقد قال في كتاب « الرماح » : وكم من متوسّل به إلى مقصود فيحصل ذلك المقصود لطالبه ، ثم تكون طاعة الوسيلة والتزام احترامه ودوام التوسل به شرطاً في دوام ذلك المقصود الحاصل لطالبه ، وذلك كالرسل مع أممهم . فلا شك أنّ المقصود الأعظم من بعث الرسل إلى الخلق بتبليغ أوامر الله تعالى ونواهيه إلى من أرسلوا إليهم ، وأنّ المقصود الأعظم للذين صدّقوا الرسل ، وآمنوا بالله تعالى ، وبكل ما جاؤا به عن الله تعالى أن تدلّهم الرسل على الله تعالى ، وتجمعهم عليه حتى يحصل لهم العلم به تعالى ومعرفته ومعرفة رسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر وجميع ما اشتمل عليه . والإيمان بجميع ما يجب الإيمان به ، ومعرفة أحكامه التكليفية وكيفية التعبّد بها ، ومعرفة ما يقرّب إليه وما يبعّد والعمل بمقتضاه . وإذا حصل ما ذكر فقد حصل لهم المقصود بواسطة الرسل بينهم وبين ربهم ، إلاّ أنّ الانتفاع بما حصلوا مشروط منوط ببقاء توسّلهم=

وبصره ورجله وجميع القوى الظاهرة ، وهي وسائط وآلات ظاهرة ، ومع هذا يرفع الله منه هذه القوى الظاهرة ، فإذا وصل العارف إلى هذه المرتبة يأخذ العلمَ من الله تعالى بلا واسطة ، وهو العلم اللدُنِيّ ، كما كان للخضر عليه السلام ونصيب بعض العارفين بالله تعالى ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ ، ويقال لهذه المرتبة في اصطلاحهم : قرب النوافل . دلَّ عليه : ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ عن الله تعالى « ولا يزال عبدي المؤمن يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته

=بالرسل إلى الممات . ومتى انتقطعت الواسطة بين أحد وبين الرسل يكفر في تلك الساعة ، والعياذ بالله تعالى . وكذلك المريد مع شيخه . فإن المريد إذا انتهى سيره ووصل إلى الحضرة الإلهية ينفصم عنه شيخه ، مع أن فلاح المريد* وانتفاعه بما حصل منوط ببقاء احترامه لشيخه وعدم مقاطعته واستهانته ، مع أنه قد زال تقيّده وصار مستقلاً بنفسه وهو مع ما يلقي الله تعالى إليه إذا تأهل لذلك تأهلاً تاماً كاملاً ، لكن متى زالت حرمة الشيخ من قلبه وتعظيمه خسر في الحال . نسأل الله السلامة والعافية بمنه وكرمه . انتهى عبارته ٤٤١ ج٢ .

* وقد أشبع الكلام في هذا في « المكتوبات » للإمام الرباني . فراجعه (منه) .

ومما رأينا عياناً وسمعنا يقيناً أن واحداً من العباد كان متعلقاً بزيل شيخنا العسلي قدس سره . قال لي الشيخ مشافهة : إنه كان قد لقن له النفي والإثبات بحبس النفس وحصل له الفناء سريعاً ، فظنّ أنه قد وصل إلى أعلىٍ المراتب وقال : إنّي قد سبقت منك في المقام وخرج عن قيد التسليم بالكلية زاعماً بكماله ، فقال له : إن لك بعدُ كذا وكذا مراقبة فلم يستمع قوله ، بل أصرّ على دعواه فقال له الشيخ : إن من سبق منّي لا يليق أن يكون عندي ؛ فقطع عنه النظر وطرّده . فوقتئذ ذهب ذلك الأحمق إلى الخلاء لقضاء الحاجة فلم يجئ ولم يرجع ، فأرسل خلفه واحداً من المريدين فوجده قاعداً في محلّ قضاء الحاجة وقال ما معناه : إن أكابر المشائخ كعبد القادر الكيلاني والرفاعي والبدوي وغيرهم أوقفوني هنا* ، ثم حمله الرسول لدى الشيخ وأرسله إلى قريته ، فطرأ عليه الجنون وتصرف فيه الشياطين فصار الرجل لا يصلّي الفريضة . فالعياذ بالله . هذا ما وقع في عصرنا هذا ، والسلام وأوصيكم بالدعاء .

* أي : إنه توهم ووسوس إليه إن الشياطين الكائنين عنده ؛ هم هؤلاء الأشياخ المذكورون . (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها » الحديث ، وقوله ﷺ « لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ، ولا نبيّ مرسل » . فمن وصل إلى هذه المرتبة يجذبه الله إليه بفضله بأخذ المعارف والأسرار بلا واسطة من الله تعالى ، **فلا يلزمه شيء بقوله « أخذتُ العلم من الله تعالى »** . فمن ينكر هذه المرتبة فهو ينكر الحديث الصحيح . انتهى عبارته ٣٩ من هامش « الدرر المكنونات » ج٣ .

فتفكر أيها الأخ في جميع ما ذكر ، لعلَّك تتيقَّنُ بأن الأولياء يكون لهم مقام يرتفع عنهم في شهودهم الوسائط ، ويتكلَّمون بمقتضى حالهم ، ولعل الشاذلي قدس سره صدر منه ذلك القول على مقتضى المقام ؛ مع كونه من كُمَّل أرباب الصحو بيقين ، وإلا فقد كان اتخذ له الشيخ(١) ، وجعله وسيلة وواسطة إليه تعالى ، حتى كان يأمر باتخاذ الوسيلة .

التوسل بالغزالي لقضاء الحوائج

قال صاحب « تقريب الأصول » : وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي(٢) رضي الله عنه يقول : إذا عرضت لكم إلى الله حاجة ، فتوسَّلوا إليه بالإمام الغزالي . **ويحثُّ على قراءة كتابه « الإحياء » ويقول : إنه يورث العلم .** انتهى عبارته ٤٥ فراجعه .

وقال الشعراني في « طبقاته » : وقيل له - يعني الشاذلي - : من شيخك ؟

---

(١) وهو القطب الحقيقي عبد السلام بن مشيش قدس سره . (منه) . (هامش الأصل) .

(٢) كما كان أبو العباس المرسي يقول كذلك ، كما يأتي إن شاء الله تعالى . (منه) . (هامش الأصل) .

فقال : كنت أنتسب فيما مضى إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش ، وأنا الآن لا أنتسب إلى أحد! **بل أعوم في عشرة أبحر** : محمد ﷺ ، وأبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وجبرائيل ، وميكائيل ، وعزرائيل ، وإسرافيل ، والروح الأكبر . انتهى عبارته ٦ ج٢ ومثله في « جامع الأصول » في ٦ .

وفي « الطبقات » أيضاً : وكان - يعني الشاذلي - يقول : لا يتمُّ للعالم سلوك طريق القوم إلاَّ بصحبة أخ صالح ، أو شيخ ناصح . انتهى عبارته ٥ ج٢ .

وفيه ؛ في ترجمة أبي العباس المرسي رضي الله عنه : وكان شيخه أبو الحسن رضي الله عنه يقول للناس : **عليكم بالشيخ أبي العباس! فوالله إنه ليأتيه البدوي يبول على ساقيه ، فلا يمشي إلا وقد أوصله إلى الله تعالى** . انتهى فراجعه ١٢ ج٢ .

وذكر في « الأنوار القدسية » نقلاً عن أبي العباس المرسي ما لفظه : وكان - يعني أبا الحسن الشاذلي - يقول لي : **إذا عرضت لك حاجة إلى الله فأقسمْ بي عليه** . فكنت والله لا أذكره في شدة إلا تفرَّجت ، ولا أمر صعب إلا هان . وأنت يا أخي إذا كنت في شدة فأقسم على الله به ، وقد نصحتك ، والله يعلم ذلك ، والسلام .

وقال الشيخ أبو عبد الله الشاطبي : كنت أترضَّى عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي في كل ليلة كذا كذا مرة ، وأسأل الله في جميع حوائجي ، فأجد القبول في ذلك معجلاً ، فرأيت[1] رسول الله ﷺ فقلت له : يا سيدي

---

(١) ورأيت في « الصاوي » ما نصُّه : فالأموات لا تعود أجسامهم في الدنيا بأرواحهم كما كانوا أبداً ، وإنما يبعثون يوم القيامة لا فرق بين الأنبياء وغيرهم ، وما ورد عن بعض الصالحين أنهم يجتمعون بالنبي ﷺ يقظة ، فالمراد : أن روحه الشريفة تشكَّلت بصورة جسده الشريف . وكذا يقال في الأولياء والشهداء **لأن أرواح المطيعين مطلقة غير محبوسة** . وأما الكفار ! فأرواحهم محبوسة لا تسعى في الملكوت راجعه في سورة المؤمنين من تفسير قوله تعالى ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ﴾ (منه رحم الله إفلاسه) .

يا رسول الله ؛ إني أَتَرَضَّى عن الشيخ أبي الحسن في كل ليلة بعد صلاتي عليك ، وأسأل الله به في حوائجي ، أفترى عليّ في ذلك شيئاً إذا تعدَّيت ؟ ! فقال لي : **أبو الحسن ولدي حسّاً ومعنى ، والولد جزء من الوالد ، فمن تمسَّك بالجزء فقد تمسَّك بالكل** ، وإذا سألت الله بأبي الحسن فقد سألت بي ﷺ . انتهى عبارته .

فإذا فهمت هذا علمتَ أن الشاذلي كان هو يتّخذ الشفعاء والوسائل من الأولياء والمشائخ ، ويأمر به ، فالقول بخلاف ذلك يعارض لكلام نفسه وفعله ، فوجب حمله على أنه - رضي الله عنه - قال ذلك في حالة الفناء وغلبة السكر .

وقد علم مما مر نقلاً عن الإمام الرباني : أن السكر الممزوج بالصحو لا يكون نقصاً في الكمال ، والتكلم على كلامه فيه خطر عظيم ، ﴿**رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا**﴾ آمين .

ومما ينبغي أن يكتب هنا : ما في « الدرر المكنونات »[1] لمحمد مراد المنزلي معرِّب « المكتوبات » للإمام الرباني رضي الله عنهما مما هذا نصه :

المكتوب الخامس والتسعون إلى مقصود علي التبريزي في جواب سؤاله عن الكفر الحقيقي .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى . وصلت الصحيفة الشريفة ، ووقع فيها الاستفسار عن بعض كلمات الصوفية .

أيها المخدوم ؛ وإن لم يقتض الوقت والمكان قولاً وكتابة ، ولكن

---

(١) من الجزء الثاني ٤٤ . (منه) .

لا بُدَّ للسؤال من الجواب ، فحرَّرت بالضرورة كلمات ، ومجمل الكلام في حلّ جميع تلك المسائل هو : أنه كما أنّ في الشريعة كفراً وإسلاماً ! في الطريقة أيضاً كفر وإسلام ، وكما أن كفر الشريعة شرّ ونقص ، والإسلام كمال ! كذلك كفر الطريقة أيضاً نقص وشرٌّ ، وإسلامها كمال .

وكفر الطريقة عبارة عن مقام الجمع الذي هو الاستتار ، وتمييز الحق من الباطل مفقود في هذا الموطن ، فإن شهود السالك فيه في المرايا الجميلة والرذيلة هو جمال وحدة المحبوب ، فلا يجد الخير والشر ، والكمال والنقص غيرَ مظاهر لتلك الوحدة وظلالها ، فلا جرم يكون نظر الإنكار الذي نشأ عن التمييز معدوماً في حقه ، فبالضرورة يكون مع الكلّ في مقام الصلح ، ويجد الكل على صراط مستقيم ، وأحياناً يرى المُظهِر عينَ الظاهر ، فيظنّ الخلق عين الحق ، والمربوب عين الربّ ، وكل هذه أزهار تتفتق من مرتبة الجمع .

قال الحلاج في هذا المقام . شعر :

كفرت بدين الله والكفر واجب　　　لـــديّ وعـند المسلمين قبيح

ولكفر الطريقة هنا مناسبة تامة بكفر الشريعة ؛ **وإن كان كافر الشريعة مردوداً ومستحقاً للعذاب ، وكافر الطريقة مقبولاً ومستوجباً للدرجات** ؛ فإن هذا الكُفر والاستتار ناشيء **من غلبة محبة المحبوب الحقيقي ، ونسيان غيره كله** ، فيكون مقبولاً ، وذاك الكفر حاصل من استيلاء الجهل والتمرُّد ، فيكون مردوداً بالضرورة .

وإسلام الطريقة عبارة عن مقام الفرق بعد الجمع ؛ الذي هو مقام التمييز ، والحق والخير متميزان هنا من الباطل والشر ، ولإسلام الطريقة هذا[1] مناسبة بإسلام الشريعة ، بل إذا بلغ إسلام الشريعة كماله تحصل له

---

(١) وفي نسخة : هنا مناسبة .

نسبة الاتخاذ[1] بهذا الإسلام ، بل كلا الإسلامين إسلام الشريعة ، والفرق بينهما بظاهر الشريعة ؛ وباطن الشريعة ، وبصورة الشريعة ؛ وحقيقة الشريعة ، ومرتبة كفر الطريقة أعلى من مرتبة إسلام صورة الشريعة ، وإن كانت أدونَ بالنسبة إلى إسلام حقيقة الشريعة ! شعر :

متى قسنا السما بالعرش ينحط   وما أعلاه إن قسنا بأرض

وكل مَن تكلَّم من المشائخ قدس الله أسرارهم ، بالشطحيات من الكلمات المخالفة لظاهر الشريعة ؛ كل ذلك في مقام كفر الطريقة الذي هو موطن السكر وعدم التمييز ، والكبراء الذين تشرَّفوا بدولة إسلام الحقيقة فهم منزَّهون ومبرؤون من أمثال هذه الكلمات ، ومقتدون بالأنبياء ، ومتابعون لهم ظاهراً وباطناً ، فالشخص الذي يتكلم بالشطحيات ، ويكون في مقام الصلح مع الكل ، ويظن الجميع على صراط مستقيم ، ولا يثبت التمييز بين الحقّ والخلق ، ولا يقول بوجود الإثنينية ، فإن وصل هذا الشخص إلى مقام الجمع ، وتحقق بكفر الطريقة ، ونسي السوى ؛ فهو مقبول ، وكلماته ناشئة من السكر ومصروفة عن الظاهر ، وإن تكلم بهذه الكلمات بدون حصول هذا الحال ، وبلا وصول إلى الدرجة الأولى من الكمال ، وزعم الكل على حقّ وعلى صراط مستقيم ؛ ولم يميِّز الباطل من الحق ! فهو من الزنادقة والملاحدة الذين مقصودهم إبطال الشريعة ، ومطلوبهم رفع دعوة الأنبياء الذين هم رحمة للعالمين عليهم الصلوات والتحيات . فهذه الكلمات الخلافية تصدر من المحق ، وتصدر من المبطل ، **وهي للمحقِّ ماء الحياة ، وللمبطل سم قاتل ؛ كماء النيل** حيث كان لبني إسرائيل ماء زلالاً ، وللقبط دماً ونكالاً .

وهذا المقام من مزلة الأقدام ؛ قد انحرف جمّ غفير من أهل الإسلام

(١) وفي نسخة : الاتحاد بهذا الإسلام .

عن الصراط المستقيم بتقليد كلمات أكابر أرباب السكر ، ووقعوا في بوادي الضلالة والخسارة ، وجعلوا دينهم هباءً منثوراً ، **ولم يعلموا أنّ قبول هذا الكلام مشروط بالشرائط** ، وهي موجودة في أرباب السكر ، ومفقودة في هؤلاء ، **ومعظم هذه الشروط نسيان ما سوى الحق** سبحانه الذي هو دهليز القبول ، **ومصداقُ امتياز المحق من المبطل : الاستقامةُ على الشريعة** ، وعدم الاستقامة عليها ، والذي هو محق لا يرتكب خلاف الشريعة مقدار شعرة مع وجود السكر وعدم التمييز . **كان الحلاج مع صدور قول** « **أنا الحق** » **عنه يصلي كل ليلة في السجن خمس مائة ركعة مع قيد** ثقيل ، وكان لا يأكل الطعام الذي مسّه يد الظلمة ؛ ولو كان من وجه حلال ، والذي هو مبطل يكون إتيان الأحكام الشرعية ثقيلاً عليه مثل جبل قاف ﴿**كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ**﴾ علامة حالهم ﴿**رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا**﴾ والسلام على من اتبع الهدى . انتهى عبارته . ١٤٤ ج٢ .

البرج الرابع عشر

في بيان جواز التوسُّل بالأنبياء والأولياء والصالحين

اعلم أيها الأخ قد كان فيما ذكر في البُرْج الذي قبل هذا كفاية لمن تأمّل وتدبّر في جواز التوسّل ؛ بيد أنّ السائل لما أفرد السؤال عن قول صاحب « البغية » لا بدّ من أن يجعل الجواب فصلاً مستقلاًّ .

كتب السائل بهذه العبارات :

قال في « بغية المسترشدين » : وأما جعل الوسائط بين العبد وبين ربّه ! فإن صار يدعوهم كما يدعو الله تعالى في الأمور ، ويعتقد تأثيرهم من دون الله ؛ فهو كفر ، وإن كان مرادُه التوسُّلَ بهم إلى الله تعالى في قضاء

مهماته الدنيوية والأخروية ؛ مع اعتقاد أن الله تعالى هو النافع الضارُّ المؤثّر في الأمور كلها ! فالظاهر عدم كفره ؛ وإن كان هذا الفعل منه قبيحاً . انتهى .

وهذه الصورة الثانية عين ما يكون بين الأستاذ ومريده ، فبين كون هذا قبيحاً وبين وجوب اتخاذ الشيخ تضادٌّ وتعارض ، فهل جميع المشائخ والمريدين على فعل القبيح مع أن قصد جميعهم أنهم على هدى ؟ ! فالجواب لا يُعْقَلُ من عنديته ! ! انتهى .

فنقول في الجواب ـ حامداً لله ، ومصليّاً على نبيه عليه السلام ، ومستعيناً منه سبحانه وتعالى - :

اعلم أيها الأخ المحترم ؛ أن الكلام المذكور قد ذكره صاحب « البغية » في الردة لكن نقلاً عن غيره ، كما أشار إليه بقوله : **مسألة** (ك)[1] - قبل ذلك الكلام إشارة إلى أنه كلام الكردي - ويحتمل أن يكون

---

(١) قوله مسألة (ك) إشارة إلى ما قاله محمد بن سليمان الكردي ، كما بيَّنه مؤلف « بغية » في ديباجه فافهم . (منه رحمه الله إفلاسه) .

* نقل السيد المرتضى في الجزء الثاني من شرح « الإحياء » في الصفحة العاشرة عن الإمام السبكي كلاماً طويلاً في أوصاف الحشوية ؛ من جملته قوله رضي الله عنه في حق ابن تيمية : ثم جاء في أواخر المائة السابعة رجل له فضل ذكاء واطلاع ولم يجد شيخاً يهديه وهو على مذهبهم ، وهو جسور متجرّد لتقرير مذهبه ويجد أموراً بعيدة فبجسارته يلتزمها ، فقال بقيام الحوادث بذات الرب سبحانه وتعالى ، وإن الله سبحانه وتعالى ما زال فاعلاً ، وإن التسلسل ليس بمحال فيما مضى ، كما هو فيما سيأتي وشق العصا ، وشوّش عقائد المسلمين وأغرى بينهم ولم يقتصر على العقائد في علم الكلام حتى تعدّى ، وقال : إن السفر لزيارة قبر النبي ﷺ معصية ، وقال : إنّ الطلاق الثلاث لا يقع ، وإن من حلف بطلاق امراته وحنث لا يقع عليه طلاق . **واتفق العلماء على حبسه الحبس الطويل ، فحبسه السلطان ومنعه من الكتابة في الحبس وأن لا يدخل عليه بدواة ومات في الحبس** . ثم حدث من أصحابه من يشيع عقائده ، ويعلّم مسائله ، ويلقي ذلك إلى الناس سراً ويكتتمه جهراً ، **فعمّ الضرر بذلك** . ثم ذكر الإمام السبكي أنه اطلع على قصيدة نونية طويلة لأحد تلاميذه=

قائله قد صادف شيئاً من بقايا آثار ابن تيمية الذى نقل عنه أنه قال مثل ذلك ، بل أشد منه من الكلمات التي تقشعرّ منه جلود المؤمنين ؛ كما بيَّنَه ابن حجر في خاتمة « الفتاوى » في بيان أقواله المخالفة لأقوال أهل السنة والجماعة ، والعالم العلامة يوسف النبهاني[1] في ديوانه « المدائح

=واسمه ابن زفيل ؛ كفّر فيها غير طائفته من الشافعية والمالكية والحنفية وموافقيهم من الحنابلة . قال السبكي : وهؤلاء مسلمون ، وليسوا بكافرين . فالقول بأنّ جميعهم كفار وحمل الناس على ذلك كيف لا يكون كفراً وقد قال ﷺ : « إذا قال المسلم لإخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما » . ذكر السبكي جميع ذلك في شرحه على قصيدة مذكورة التي ردّ بها ضلال صاحبها عليه . (يوسف النبهاني المصري ثمّ البيروتي رحمه الله تعالى) .

(١) قال المحقق العالم العلامة الرباني المداح الماهر المعاصر يوسف النبهاني في ديوانه المدائح النبوية في قصيدته الهائية في ص ٢١٤ ردّاً على أهل البدع والضلال :

ولابــن تيمية لِلمصطفى خِدَمٌ ... لــكنّه لــم يـوفق في تأدّبه

يقول كالمشركين الـمستغيثُ به ... وقـد عصى زائر يسعى لِيَثْربه

وقد كان ابن تيمية علمه أكبر من عقله ، كما قاله العلماء . ولذلك صدر منه ما صدر ، من قلة الأدب في مسألة الزيارة والإستغاثة في حق سيد الوجود ﷺ . انتهى . وقال أيضاً في شرح البيت الثاني : تعبير ابن تيمية بالمشركين في حق الزوار والمستغيثين قصد به أنهم كالمشركين وإلا فهو لم يكفّرهم بذلك . فجاء من بعده محمد بن عبد الوهاب النجدي شيخ الطائفة الوهابية فتبع ابن تيمية بذلك وزاد عليه هو وطائفته تكفير المسلمين بذلك ، حتى كانوا يجاهدون فيهم في الحجاز وغيره ، كجهادهم بالكفار ، وتبعهم في هذه الأيام على عقيدتهم جماعة فساق مجرمون ، نفتهم مذاهب الأئمة الأربعة أركان الإسلام ، مثل جماعة محمد عبده المصريّ الذين انتشروا في بلاد مصر والشام ، ولم يقتصروا على مذهب الوهابية وبدع ابن تيمية بل زادوا ضلالات كثيرة ، كادوا يخرجون بها من الإسلام . انتهى . وقال المداح المذكور قبل هذا في صحيفة ٣٧٠ من القصيدة الرائية : يرى لفتى تيمية بابتداعه * وزلاته في الدين منقبة كبرى * ويمدح وهابية لمسائل * بها قد أتوا نُكْراً وضلوا بها فكراً .

فتى تيمية هو الإمام تقي الدين بن تيمية صاحب الأراء الفاسدة التي ابتدعها في دين الإسلام ؛ مع كونه من العلماء الأعلام رحمه الله وعفا عنه . والوهابية منسوبون إلى محمد بن عبد الوهاب النجدي التابع لابن تيمية في بدعه التي خالف بها أئمة الإسلام ، وزاد عليه أنه كفّر كل من يستغيث بالأنبياء والأولياء الكرام . كما

النبوية » في قصيدته الهائية في ٤١٢ و« شواهد الحق » ، فتابعه في ذلك واستروح[1] ؛

القول في ابن تيمية

وقد قال ابن جحر في حقه ما نصُّه : **ابن تيمية عبدٌ خذله الله ، وأضله وأعماه ، وأصمَّه وأذله . انتهى .**

وقال أيضاً : **والحاصل أن لا يقام لكلامه وزن ، بل يرمى في كل وعر وحزن ، ويعتقد فيه أنه مبتدع ضالٌّ ومضلٌّ ، جاهل غالٌّ** ، عامله الله بلطفه . انتهى من « الفتاوى الحديثية » راجع في ٨٦ ومثله في « التحفة » ، و« الرملي » ؛ في كتاب الطلاق ، وكيف كان حال قائله ؛ فقد يردُّه ويعارضه كلام مؤلف « بغية المسترشدين » نَفْسِهِ بهذا النص :

ذكره العلماء الأعلام كابن عابدين في « حاشية الدر » والسيد أحمد دحلان في « الفتوحات الإسلامية » وغيرها . وابن تيمية إنما كان يبدّع من استغاث بغير الله ويمنع ذلك منعاً شديداً لا يبلغ به درجة التكفير وإن كان هو أيضاً يسميهم المشركين لكن شرك دون شرك . انتهى . وكان لابي الحسن السبكي كتاباً مسمى بـ« شفاء السقام » في زيارة خير الأنام عليه الصلاة والسلام ، ألّفه في الرد على ابن تيمية وغيره من أئمة بدعة الذين يمنعون الزيارة والإستغاثة به . قال القسطلاني فشفى به صدور المؤمنين كما صرّحه ذلك المداح المذكور . **فالحاصل لم ينكر أحد على الزوارين والمستغيثين بالأنبياء والأولياء وغيرهم إلاّ هذه الطائفة الشنيعة** وقد بقيت شعبتهم في ديار مصر والشام في هذه الأيام والأيام الخالية كمحمد عبده المصري وشيخه جمال الدين الأفغاني ورشيد رضا صاحب « مجلة المنار » وشكري الألوسي البغدادي وعبد الباقي وعلي أفندي ونعمان أفندي وإخوته مصطفى أفندي وعارف أفندي ورشدى أفندي وأضرابهم التابعين بهم إلى يومنا هذا . ولعل السائل البرجي لا يميل قط إلى اعتقاداتهم الفاسدة وأهويتهم الكاسدة . والسلام على من اتبع الهدى (لمحرره العوري غازي محمد) .

(١) من الاستراحة ؛ أي طلب الراحة ؛ باختصار الكلام (مختار) .

جواز التوسُّل بالأنبياء والأولياء

مسألة (ج)[1] : التوسل بالأنبياء والأولياء في حياتهم وبعد مماتهم مباح شرعاً ؛ كما وردت به السنة الصحيحة ؛ كحديث آدم عليه السلام حين عصى ، وحديث من اشتكى عينيه ، وأحاديث الشفاعة .

والذى تلقيناه من مشائخنا ؛ وهم عن مشائخهم ؛ وهلمَّ جرّاً : أن ذلك جائز ثابت في أقطار البلاد ، وكفى بهم أسوة ، وهم الناقلون لنا الشريعة ، وما عرفنا إلا بتعليمهم لنا ، فلو قدَّرنا أن المتقدمين كفروا - كما يزعمه هؤلاء الأغبياء - لبطلت الشريعة المحمدية .

وقول الشخص المؤمن (يا فلان) عند وقوعه في شدة ؛ داخلٌ في التوسُّل بالمدعوّ إلى الله تعالى ، وصرف النداء إليه مجازٌ ؛ لا حقيقة !

والمعنى : يا فلان أتوسَّل بك إلى ربي أن يقيل عثرتي ، أو يردَّ غائبي مثلاً ، فالمسؤول في الحقيقة هو الله تعالى ، وإنما أطلق الاستعانة بالنبيّ أو الوليّ مجازاً ؛ والعلاقة بينهما : أن قصد الشخص التوسلَ بنحو النبي صار كالسبب ، وإطلاقه على المسبَّب جائز شرعاً وعرفاً ، وارد في القرآن والسنة ، كما هو مقرّر في علم المعاني والبيان .

نعم ؛ ينبغي تنبيه العوام على ألفاظ تصدر منهم تدلُّ على القدح في توحيدهم ، فيجب إرشادهم وإعلامهم بأن لا نافع ولا ضارّ إلا الله تعالى ، لا يملك غيره لنفسه ضرّاً ولا نفعاً إلا بإرادة الله تعالى .

قال تعالى لنبيّه عليه الصلاة والسلام ﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ انتهى .

---

(١) قوله مسألة (ج) هو إشارة إلى ما قاله علوي بن سقاف بن محمد الجفري ، كما بيَّنه صاحب « البغية » في ديباجه . فافهم . (منه) .

قلت : وقال بعض المحققين : ولا يظهر لي : أنّ حكمة توسُّل عمر بالعباس - رضي الله عنهما - دون النبي ﷺ هي مشروعية جواز التوسل بغيره عليه السلام ، وذلك لأن التوسل به أمر معلوم محقق عندهم ، فلو توسل بالنبي عليه السلام لأخذ منه عدم جواز التوسّل بغيره ﷺ .

وعبارة (ك) : وأما التوسل بالأنبياء والصالحين ! فهو أمر محبوب ثابت في الأحاديث الصحيحة ، وقد أطبقوا على طلبه ، بل ثبت التوسُّل بالأعمال الصالحة ، وهي أعراض ، فبالذوات أولى ! انتهى عبارته .

ثم ذكر مثل ما مرَّ من الكلام المذكور الذي ذكره في (الردة) فراجعه في ٣٢٩ . هذا كلام صاحب « البغية » ، والحقير لا يرى في الكلامين[١] إلا التعارض الظاهر ، والتخالف البيِّن ، والله أعلم . ونسأله التوفيق .

وأما أقوال سائر الأكابر من العلماء العارفين ! فكثيرة لا تحصى ، فقد قال الشيخ الصاوي - رحمه الله تعالى - في تفسير قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ : فمن الضلال البين والخسران الظاهر ؛ تكفير المسلمين بزيارة أولياء الله ؛ زاعمين أن زيارتهم من عبادة غير الله ، كلا[٢] ! بل هي من جملة المحبة في الله التي قال فيها

---

(١) أي : في الكلام الذي ذكره في الردة ، والكلام الذي ذكره في موضع آخر . (منه) .

(٢) وسئل رضي الله عنه عن زيارة **قبور الأولياء** في زمن معين مع الرحلة إليها : هل يجوز مع أنه يجتمع عند تلك القبور مفاسد كثيرة كاختلاط النساء بالرجال ، وإسراج السراج الكثيرة وغير ذلك ، **فأجاب** بقوله : زيارة **قبور الأولياء قربة** مستحبة وكذا الرحلة إليها . وقول الشيخ أبي محمد : لا تستحب الرحلة إلا لزيارته ﷺ ، ردّه الغزالي بأنه قياس ذلك على منع الرحلة لغير المساجد الثلاثة مع وضوح الفرق ، فإنّ ما عدا تلك المساجد الثلاثة مستوية في الفضل ، فلا فائدة في الرحلة إليها . وأما الأولياء فإنهم متفاوتون في القرب من الله تعالى ونفع الزائرين بحسب معارفهم وأسرارهم ، فكان للرحلة إليهم فائدة أيّ فائدة ، فمن ثم سنت الرحلة إليهم للرجال فقط ، بقصد ذلك . **وانعقد** نذرها كما بسطت الكلام على ذلك في شرح « العباب »=

رسول الله ﷺ : « ألا لا إيمان لمن لا محبة له » . والوسيلة التي قال الله تعالى فيها ﴿ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ انتهى عبارته من سورة المائدة .

وقال الشيخ الصاوي أيضاً في تفسير آية ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَ ﴾ أرباباً « جلال » ؛ من صورة الكهف . وبتفسير[1] (الأولياء) أرباباً رفعت شبهة من يزعم أن محبّة الأولياء وزيارتهم إشراك . واستدلوا بمثل هذه الآية ، فيقال : إن كان اعتقاد الأولياء على سبيل أنهم يضرُّون الخلق وينفعونهم بذواتهم ؛ فمسلَّم أنه إشراك ، وأما إن كان على سبيل أنهم عباد اختاروا خدمة ربهم وعبادته ، واختارهم وأحبَّهم ؛ فهذا الاعتقاد مُنْجٍ من المهالك ، ومورث للفوز بصحبتهم ومرافقتهم في دار السلام ؛ لما ورد « المرء مع من أحب » . انتهى عبارته .

وفي « الصاوي » أيضاً في سورة التوبة في آية ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ

=بما لا فريد على حسنه وتحريره . وما أشار إليه السائل من تلك البدع أو المحرمات فالقربات لا تترك لمثل ذلك بل على إنسان فعلها وإنكار البدع وإزالتها إن أمكنه . وقد ذكر الفقهاء في الطواف المندوب فضلاً عن الواجب : أنه يفعل ولو مع وجود النساء ، وكذا الرملي لكن أمروه بالبعد عنهن . فكذا الزيارة إلا مع وجود تلك المفاسد ، فإن تيسرت مع عدم المفاسد فتارة يقدر على إزالته كلها أو بعضها ، فيتأكد له الزيارة مع وجود تلك المفاسد ليزيل منها ما قدر عليه . وتارة لا يقدر على إزالة شيء منها ، فالأولى له الزيارة في غير زمن تلك المفاسد ، بل لو قيل يمنع منها حينئذ لم يبعد . ومن أطلق المنع من الزيارة خوف ذلك الاختلاط يلزمه إطلاق منع نحو الطواف والرمل بل والوقوف بعرفة أو مزدلفة والرمي إذا خشي الاختلاط أو نحوه ، فلما لم يمنع الأئمة من شيء من ذلك مع أن فيه اختلاط أيّ اختلاط ، وإنما منعوا نفس الاختلاط لا غير ، فكذلك هنا . **ولا تغتر بخلاف من أنكر الزيارة** خشية الاختلاط فإنه يتعين حمل كلامه على ما فصلناه وقررناه ، وإلا لم يكن له وجه . **وزعم : أن زيارة الأولياء بدعة لم تكن في زمن السلف** ، ممنوع . **فبتقدير تسليمه فليس كل بدعة منهياً عنها بل قد تكون البدعة واجبة** فاضلاً عن كونها مندوبة كما صرّحوا به « فتاوى الكبرى » لابن حجر ٣٢ ج٢ .

(١) مقول .

مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ﴾ الآية و(صلوات الرسول) أي: دعواته. لأنه الوسيلة العظمى في كل نعمة، فتجب ملاحظته في كل عمل لله، لأنّ الله تعبَّدنا بالتوسل به، قال تعالى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ فمن زعم أنه يصل إلى رضى الله بدون اتخاذه ﷺ واسطة ووسيلة بينه وبين الله تعالى ضل سعيه.

قال العارف ابن مشيش: **ولا شيء إلا وهو به منوط، إذ لولا الواسطة لذهب - كماقيل - الموسوط.**

و قال بعضهم:

وأنت باب الله أيُّ امرءٍ أتاه من غيرك لا يدخل

حضرة الله وحضرة رسول ﷺ واحدة

فهو باب الله الأعظم وسره الأفخم، والوصول إليه وصول إلى الله، لأنّ الحضرتين واحدة، ومن فرق لم يذق للمعرفة طعماً. انتهى عبارته.

وفيه في تفسير قوله تعالى ﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ من الصنم « جلال » ﴿مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾ الآية، قوله (من الصنم) لامفهوم له، بل مثله كل مخلوق.

والحاصل: **أن العبرة بعموم اللفظ**، لا بخصوص السبب. فهذه الآية تقال أيضاً لمن التجأ للمخلوق وترك الخالق: معتمداً على ذلك المخلوق، **وأما الالتجاء للمخلوق من حيث أنه مهبط الرحمات كمواصلة أهل البيت والأولياء والصالحين ! فهو مطلوب** وهو في الحقيقة التجاء للخالق، يقرب ذلك: أنّ الله تعالى أمرنا بالجلوس في المساجد، والطواف بالبيت، وقيام ليلة القدر ونحوها، وما ذاك إلا للتعرُّض للرحمة النازلة في تلك الأماكن والأزمان، فلا فرق بين الأشخاص وغيرها، فهم مهبط

الرحمات ، لامنشؤها ! ! تأمل . انتهى ، فراجعه في سورة الحج . وقال سيدي عمر بن سعيد الغوثي الطوري الكدوي - رحمه الله - في كتاب « رماح حزب الرحيم » : اعلم أن التعلق بأولياء الله ، واللياذ[1] بجنابهم ، والانحياز إليهم تعلق بجنابه الكريم ، ووقوف ببابه العظيم ، **لأنهم أبواب رحمة** الله تعالى دنياً وأخرى ، وعلى أيديهم تنزل الرحمة من الرحمن إلى كل مرحوم ، وهم الوسائل ، ولولاهم لهلك الكل ؛ كما قيل : **لولا الواسطة لذهب الموسوط** . قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ ﴾ قال الترمذي : **إن أكرمتم أوليائي أكرمتكم** . انتهى . وقال تعالى ﴿وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا ﴾ .

ثواب الدنيا وثواب الآخرة

قال بعض العارفين ؛ على طريق الإشارة ؛ ثواب الدنيا صحبة الأولياء ، وثواب الآخرة صحبة الحق .

وقال تعالى ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ ﴾ .

قال بعضهم : وتعاونوا على البرَّ والتقوى وهو طاعة الأكابر من السادات والمشائخ ، ولا تضيِّعوا حظوظكم منهم ، ومن معاونتهم خدمتهم ، ولا تعاونوا على الإثم ؛ وهو الاشتغال بالدنيا ، والعدوان : موافقة النفس على هواها ومرادها . انتهى ١٨ ج١ .

وقال فيه : وفي « تنبيه المغترين » للشيخ الشعراني : وكان أبو هريرة يقول : يؤتى بالعبد يوم القيامة فيوقف بين يدي الله عز وجل ، فيقول الله عز وجل : هل أحببت لي ولياً حتى أهبك له ؟ ! فأحبوا يا إخواني الصالحين ، واتخذوا عندهم أيادي ، فإنّ لهم دولة يوم القيامة . انتهى .

---

(١) لاذ به : التجأ له « مختار »(هامش الأصل) .

وفي الطبراني : « إن لربكم في أيام دهركم نفحات . ألا فتعرضوا لها ، لعل أن تصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبداً » فيا فوز الذين نهضوا إليها وتعرضوا لها ، واستمدوا من تلك النفحة مدداً .

وإذا كان عند ذكرهم كما في الأثر الموقوف والخبر المعروف تتنزل الرحمات وعواطر النسمات ؛ فما بالك بمحبتهم وخدمتهم ، والانحياز إليهم واللياذ بهم ، ومصاحبتهم ومخالطتهم ، ودوام النظر إلى طلعتهم البهية ؟ ! انتهى ٢٠ ج١ .

وفي« الرماح » أيضاً قبيل هذا : وقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ قال شيخنا - رضي الله تعالى عنه وأرضاه ، وعنا به - : يؤخذ من هذه الآية على طريق أهل الإشارة : وابتغوا إليه الوسيلة التي لا تنقطعون بها عن غيره لتتصلوا به ، **ولا وسيلة أعظم من النبي** ﷺ ، ولا وسيلة إلى النبي ﷺ أعظم من الصلاة عليه ﷺ .

ومن جملة ما يبتغى من الوسيلة إلى الله تعالى : الشيخ الكامل ، فإنه من أعظم الوسائل إلى الله تعالى انتهى . و« المرء مع من أحب »[(١)] ، و« من أحب قوماً فهو معهم » . انتهى ١٩ .

من شرط الشيخ أن يسمع نداء مريده

وفي « الفتاوى العمرية » وأما قوله (يا شيخ عبد القادر) فهو نداء ، وإذا أضيف إليه (لله) ؛ فهو طلب شيء إكراماً لله تعالى ، فما الموجب

---

(١) وقال ﷺ « مثل المؤمن كمثل الروح من الجسد » ومن السنة أن لا يواخي إلا من يثق بدينه وأمانته ، ويعرف صلاحه وتقواه ، فإن المرء مع من أحب وإن لم يلحقه بعمله . وإن الله ربما يرى في قلب وليّه إنساناً فيرحمه ويلحقه به « شرعة الإسلام » . ولا يشترط في الانتفاع بمحبة الصالحين أن يعمل عملهم إذ لو عمل لكان منهم ومثلهم ، ثم إنه لا يلزم من كونه معهم أن يكون منزلته وجزاؤه مثلهم من كلّ وجه ، (شرح (م)) .

لحرمة ذلك ؟« فتاوى خليلي » عبارته .

وفي مناجاة زين العابدين :

فيا أقطاب ويا أوتاد ويا أسياد أجيبونا

ذوي الأمداد . . . . .إلخ

وقد سمعت واحداً يسأل شيخنا العسلي – قدس سره – : هل يجوز نداء المشائخ ؟ فقال : نعم يجوز ، ويسمعون ذلك ويجيبونه . انتهى .

وهو[1] مستنبط مما قيل : من شرط الشيخ أن يسمع نداء مريده ، ولو كان بينه وبينه مسافة ألف سنة ، أو ما هذا معناه .

وقال محمد أبو الهدى ابن السيد حسن وادي الصيادي الرفاعي – رحمه الله تعالى – في « نور الإنصاف في كشف ظلمة الخلاف » : أما الاستغاثة بالنبي ﷺ وبإخوانه النبيين والمرسلين وبالأولياء والصالحين ؟ !

فالجواب : أنه لا يخفى أن الاستغاثة به ﷺ عبارة عن سؤال الشفاعة[2] من الأنبياء والأولياء لقضاء الحوائج ، ودفع النوائب ، وتفريج الكرب ، والأخذ بالثأر ، ولاريب أن كل من يناديهم من أمة محمد ﷺ فهو عالم حق العلم أنه لا يعبد إلا الله ، ولا يدعي للعبادة إلا الله ، ولا يفعل ما يراد ولا يمنح ما يطلب إلا الله .

(١) أي : قوله .

(٢) وقد ورد في الحديث : « استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة » . قال المناوي : فكلما كثرت إخوانكم كثرت شفعاؤكم ، وخرج بالأخيار غيرهم ، فلا يندب مؤاخاتهم ، بل يتعيَّن اجتنابهم ، وبذلك يجمع بين الأخبار . فصحبة الأخيار تورث الخير ، وصحبة الأشرار تورث الشر ؛ كالريح إذا مرت على النتن حملت نتناً ، وإذا مرَّت على الطيب حملت طيباً . كذا في « السراج المنير » في شرح هذا الحديث . راجعه في ٧٩١ ج ١ . (منه رحمه الله إفلاسه ، آمين) .

وقد أرشدنا رسول الله ﷺ للاستعانة بعباد الله ؛ فيما رواه الحافظان الجزري والسيوطي – طاب ثراهما – أن رسول الله ﷺ أمر لمن انفلتت دابته بأرض فلاة أن يقول : يا عباد الله احبسوا . (ثلاث مرات) . وفي رواية أخرى : وإذا أراد عوناً فليقل : يا عباد الله أعينوني .

وأخرج ابن عساكر في « تاريخه » وابن الجوزي في « مثير الغرام » ، وابن النجار بأسانيدهم إلى محمد بن حرب الهلالي قال : أتيت قبر النبي ﷺ فزرته ، فجلست بحذائه ، وذكر نحو ما يأتي .

وروى السمعاني عن أمير المؤمنين سيدنا علي – كرم الله وجهه ، ورضي الله عنه – أنه قال : قدم علينا أعرابي بعدما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام ، فرمى بنفسه على قبره ، وحثا من ترابه على رأسه ، وقال : يا رسول الله ؛ قلت فسمعنا قولك ، ووعيت عن الله سبحانه وما وعينا عنك ، وكان فيما أنزل عليك ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ الآية ، وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي . فنودي من القبر : إنه قد غفر لك .

وقد أطبق المسلمون من عهده عليه الصلاة والسلام على التوسل به ، والالتجاء في المهمات إليه صلوات الله عليه .

هذه السيدة زينب الطاهرة بنت البتول[1] – عليها السلام – لما مرت

(١) والبتول من النساء : العذراء المنقطعة من الأزواج ، وقيل : هي المنقطعة إلى الله تعالى عن الدنيا . « مختار » . (هامش الأصل) .

* فائدة : ورد أنه ﷺ قال « من صلى عليّ في يوم خمسين مرة صافحته يوم القيامة » . وذكر ابن المظفر أنه لو قال : اللهم صلّ على محمد خمسين مرة ؛ أجزأه إن شاء الله تعالى وإن كرر ذلك فهو أحسن . انتهى . قال ع ش : ولم يتعرض لصيغة الصلاة على النبي ﷺ ، وينبغي أن تحصل بأيّ صيغة كانت . « بغية » ٧٧ .

* أوحى الله إلى داود : (ما من عبد يعتصم بي) – أي : يتمسك بي (دون خلقي) – أعرف ذلك من نيته – (فتكيده السموات بمن فيها) – من الملائكة وغيرهم وكذلك الأرض ومن فيها – (إلا جعلت من ذلك مخرجا) – أي : مخلصاً من خداعهم له=

بمصرع الحسين - عليه السلام - صاحت : يا محمداه ! ! صلى عليك ملائكة السماء ، هذا الحسين بالعراء مزيَّل بالدماء . كما ذكر ذلك ابن الأثير وغيره . والقصة شهيرة متواترة ، والقائلة لهذا بنت المصطفى ، وقد شكت الحال لجنابه الكريم ، ونادته واستشفعت به ؛ فغار الله لنبيّه ، وما مضى يسير من الزمان حتى قطع الله دابر أعدائهم ، ومزقهم كل ممزّق ، وثبتت نصرة الله لأوليائه .

وقد استفاض بين المسلمين توسل آل النبي ﷺ ؛ طبقة بعد طبقة به عليه الصلاة والسلام ، وبذريته وآل بيته ، وهم بيت النبوة ، ومعدن أسرار الوحي وكنوز الشريعة[1] .

وقد نقش بعض الأئمة منهم خواتمهم بمثل هذا ، فكتبوا فيها :

ظـــني بـالله حسن   وبالنبي ذي الــمنن
وبالوصي المؤتمــن   وبالحسين والحسن

وما ذلك إلا أنهم جعلوهم شفعائهم ووسائلهم إلى الله سبحانه .

=ومكرهم به - (وما من عبد يعتصم بمخلوق دوني أعرف ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السماء بين يديه) - أي : حجبت ومنعت عنه الطرق والجهات التي يتوصل بها إلى نيل مطلوبه - (وأسخت الهوى من تحت قدميه) - فلا يزال متباعداً عن أسباب الرحمة - (وما من عبد يطيعني) - باجتناب الكبائر - (إلا وأنا معطيه قبل أن يسألني ومستجيب له قبل أن يدعوني ، وغافر له) - ذنوبه الصغائر - (قبل أن يستغفرني) .

* (إن للمسلم حقاً إذا رآه أخوه) - في الدين - (أن يتزحزح له) - أي : يتنحى عن مكانه ويجلسه بجنبه إكراماً له فيندب ذلك سيما للنحو عالم أو صالح أو ذي شرف . « سراج » ١١ ج٢ ، أي : يوسع له ، أي : فينبغي له أن يوسع له وإن كان في المجلس اتساع تعظيماً له لا سيما العلماء والصلحاء إكراماً لهم : وولاة الأمور اتقاء شرّهم ، فإنه ينبغي تعظيمهم بما يرونه تعظيماً لئلا يحقدوا عليه .

(١) ويستحب أن يستسقى بالأكابر وأهل الصلاح لاسيما من أقارب رسول الله ﷺ وأن يذكر كل أحد في نفسه خيراً فعله ويجعله شفيعاً « أنوار » .

قال في « الكشاف » عند الكلام على قوله تعالى ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ ألا كُلُّ ذي لبٍّ إلى الله واسل .

وقد توسل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بنبينا ﷺ قبل خلقه ، كما صحّح ذلك عمدة الثقات ؛ منهم الحاكم وصحح إسناده .

وعن أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما اقترف آدم الخطيئة ، قال يا رب ؛ أسألك بحق محمد لما غفرت لي . فقال الله تعالى : يا آدم ؛ كيف عرفت محمداً ولم أخلقه ! قال : يارب ؛ لأنك لما خلقتني بيدك ، ونفخت فيّ من روحك ، رفعت رأسي ، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فعرفت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحبّ الخلق إليك . فقال الله تعالى : صدقت يا آدم ، إنه لأحبّ الخلق إليّ ، إذا سألتني بحقه[1] فقد غفرت لك ، ولو لا محمد ما خلقتك » . رواه الطبراني وزاد : وهو آخر الأنبياء من ذريتك » .

التوسل بالنبي ﷺ وبمن أحبّه جائز

قلت : ومن هنا يعلم أن التوسل بالنبي ﷺ ، بل وبكل من أحبّه الله تعالى جائز أيضاً ، وهو المقبول المرضي عند الله سبحانه وتعالى ، ولا ريب أن سيد المخلوقين وأكرم المقربين إلى الله إنما هو نبينا المصطفى ﷺ .

ومما يثبت جواز الاستغاثة بعباد الله الصالحين خاصة : ما أخرجه

---

(١) **والمراد بحقه** ﷺ : رتبته ومنزلته لديه تعالى ، أو الحق الذي جعله الله سبحانه وتعالى على الخلق ، أو الحق الذي جعله الله تعالى بفضله له عليه . كذا في « شواهد الحق » . فراجعه في ٦٦ . (منه) .

الطبراني في « الكبير » بسنده إلى عقبة بن غزوان ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا ضلّ أحدكم شيئاً ، أو أراد عوناً ، وهو بأرض ليس بها أنيس ، فليقل (ياعباد الله أعينوني) فإن لله عباداً لا تراهم » . وقد جرب ذلك . انتهى ما قاله الطبراني .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - مرفوعاً « إذا انفلتت دابته فليناد يا عباد الله رحمكم الله » .

ومن الأخبار التي جاءت بالتوسل بالجناب النبوي عليه الصلاة والسلام حال حياته في الدنيا : ما رواه جماعة ؛ منهم النسائي ، والترمذي ؛ في الدعوات ، والبيهقي عن عثمان بن حنيف : أن رجلاً ضريراً أتى النبي ﷺ فقال : ادع الله أن يعافيني . قال : « إن شئت دعوتُ ، وإن شئت صبرتَ ؛ فهو خير لك » قال : فادع . فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء : « اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة ، يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي لتقضى لي ، اللهم شفِّعه فيّ » . فقام وقد أبصر[1] .

وقد توسل ﷺ بنفسه الطاهرة ، وبإخوانه الذين من قبله عليهم الصلاة والسلام ، وذلك فيما أخرجه الطبراني في « الكبير » و« الأوسط »[2] ؛ عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : لما ماتت فاطمة بنت أسد ، دخل عليها رسول الله ﷺ ، فجلس عند رأسها ، فقال : « رحمك الله يا أمي بعد أمي » وذكر ثناء عليها ، وتكفنها ببرده ؛ قال : ثم دعا رسول الله ﷺ أسامة

---

(١) وفي رواية : قال ابن حنيف : فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأن لم يكن به ضرّ قط . وخرّج هذا الحديث البخاري في« تاريخه » ، وابن ماجه ، والحاكم في « المستدرك » بإسناد صحيح . « الأساليب البديعة » . (هامش الأصل) .

(٢) وابن حبان ، والحاكم ، وصححوه . « الأساليب البديعة » ٦٧ .

بن زيد وأبا أيوب الأنصاري ، وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود ، يحفرون فحفروا قبرها فلما بلغوا اللحد ، حفره رسول الله ﷺ بيده ، وأخرج ترابه بيده ، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه ثم قال : « الله الذي يحيي ويميت . وهو حي لا يموت ؛ اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ، ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبله ، فإنك أرحم الراحمين » وكبّر عليها أربعاً ، وأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر الصديق رضي الله عنهم .

أقول : فإذا توسّل هو ﷺ بنفسه الطاهرة وبإخوانه الأنبياء الذين من قبله ، فكيف تمنع أمته ﷺ من التوسل به وبإخوانه النبيّين والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين ؟ !

وأما التوسل به ﷺ بعد وفاته ! فقد سبق لك خبر الأعرابي الذي حثا على رأسه من تراب قبره ﷺ ، وخاطبه من قبره الكريم قائلاً : إنه قد غفر لك . وذلك بمشهد من الصحابة الكرام ، وقد رويت هذه القصة الشريفة بمحاضر أعيانهم ، وأكابر تابعيهم ، فما أنكرها منهم أحد ! مع أنهم أهل الحق ، ولا ينحرفون[1] مقدار شعرة من الصدق .

وروى الطبراني عن عثمان بن حنيف : أن رجلاً كان يختلف[2] إلى عثمان – رضي الله عنه – في حاجة له ، فكان لا يلتفت إليه ، ولا ينظر في حاجته ، فلقي ابن حنيف ، فشكى إليه ذلك ؛ فقال له : ائت الميضأة فتوضأ ، ثم ائت المسجد فصل ركعتين ، ثم قل : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة ، يا محمد ؛ إني أتوجه بك إلى ربك لِتُقْضَى حاجتي ، وتذكر حاجتك . فانطلق الرجل فصنع ما قال ، ثم أتى

---

(١) وفي نسخة : يتحرفون .

(٢) أي : يجيء خلفه .

باب عثمان – رضي الله عنه – فجاءه البواب ، حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان فأجلسه على الطنفسة ؛ فقال : حاجتك ! فذكر حاجته وقضاها له . ثم قال : ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعة ، وقال : ما كانت لك حاجة فاذْكُرْها .

أقول : كان ذلك ببركة توسّله بنبيّنا المكرم الوجيه الوجه عند الله صلى الله عليه وسلم .

وقد أرشدنا المصطفى – عليه الصلاة والسلام – للتوسل والاستعانة بعباد الله الصالحين ، وقد سبق لك أمره ﷺ لمن انفلتت دابته أن يقول : « يا عباد الله احبسوا » . (ثلاثاً) ولمن أراد عوناً : « ياعباد الله أعينوني » . وغير ذلك من الأخبار الشريفة ، والآثار اللطيفة .

قال سيدنا القطب السيد أحمد عز الدين الصياد سبط الإمام الرافعي – رضي الله عنهما – في « الوظائف الأحمدية » : ولا بدع[1] فإن الله يفرِّج كروب المكروبين حرمة لأوليائه وأحبابه ، ويقضي لهم بشفاعتهم عنده حوائجهم .

ونقل عن الخطيب البغدادي – قدس الله روحه – ما رواه بسنده عن الحسن بن إبراهيم الخلال أنه قال : ما همّني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت به ، إلا سهّل الله سبحانه لي ما أحبّ .

جعل الوسيلة إلى الله إعظام لجانب التوحيد

وقال في« الوظائف الأحمدية » : لايخفى عليك أن جعل الوسيلة لله إنما هو من إعظام جانب التوحيد ، فإن العبد يشهد سوء حاله وكثرة ذنوبه ، فلا يجد له وجهاً ولا سبيلاً للسؤال من ربّه الفعال المطلق ، فتجتمع

(١) أي لاشك . (هامش الأصل) .

همته على جعل وسيلة لله من أوليائه وأحبابه ؛ اعترافاً بالذنب ، وانكساراً للرب ، وإعظاماً لقدرته ، وإيماناً بأنه هو الفعَّال لا غيره ، وأحبابه الوسائل المرضية عنده ؛ لاتِّباعهم نبيَّه الكريمَ ، ولوقوفهم عند أمره العظيم .

ثم قال - رضي الله عنه - : وهذا أدب[١] الأحمديين - رضي الله عنهم - ، فلا يخرقون لظاهر الشريعة سياجاً ، ويعتقدون بكرامات الأولياء ، ويجزمون بإكرام الله لهم ، وغيرته لأجلهم ، ولا يقولون بتأثير مخلوق . انتهى .

قلت : يريد أنهم لا يثبتون استبداداً في الأفعال لمخلوق إلا بقدرة الله تعالى ، وإذنه سبحانه ، ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ .

وقد ذكر الإمام ابن الجوزي في « صفوة الصفوة » : أن إبراهيم الحربي كان يقول : قبر معروف الكرخي الترياق المجرب . **أقول** : وذكر مثل هذا الخطيب البغدادي - رحمه الله تعالى - في « تاريخه » .

وصحَّ أن الإمام الشافعي - رضي الله عنه - **قال : قبر موسى الكاظم ترياق مجرب** .

وأما من أفرط ؛ واعتقد أن الأنبياء والأولياء والصالحين متصرفون مستبدون ، قادرون بأنفسهم على الفعل ، والقطع والوصل ، من غير التجاء إلى الله تعالى وتوجه إليه ، فهو ممكور مبعود ، وقوله مردود ، وهو من الضلال بمكان ، والعياذ بالله تعالى .

ومن فرطوا وقاسوا الأنبياء والأولياء والصالحين بالأصنام ، والمسلمين المستمدين منهم الذين اتخذوهم شفعاء إلى الله تعالى بعبدة الأوثان ! فهم أقبح من أولئك ، وأسوأ وأضل سبيلاً ، ويقال بشأن[٢] مثلهم

---

(١) وفي نسخة : دأب .
(٢) وفي نسخة : شأن .

قول القائل : ويل لمن شفعاؤه خصماؤه ! . اللهم إنا نعوذ بك من الشيطان الرجيم ، اهدنا الصراط المستقيم .

وملخَّص ما قاله شيخ الأمة مولانا وسيدنا السيد أحمد الكبير الرفاعي -رضي الله عنه - في « برهانه » و« حكمه » وكثير من كتبه : أنّ التوسّل بالأولياء إنما هو بمحبة الله تعالى لهم ، ومحبة الله لعباده الصالحين صفة له سبحانه ، ونعم الوسيلة إليه تعالى صفته جل وعلا ، وما بقي بعد هذا إلا العناد ، واختراع التأويلات الباطلة على غير المراد .

وأما اطلاع الميت بحاسة بصره وسماعه لكلام الحي!

للميت اطلاع ببصره وسمعه

فالجواب فيه أن ابن الهمام - رحمه الله - ذكر في « فتح القدير » أنهم قالوا في زيارة القبور : الأولى أن يأتي الزائر من قبل رجلي المتوفى ، لا من قبل بصره ، فإنه أتعب لبصر الميت ، بخلاف الأول ، لأنه يكون مقابلاً لبصره ، ناظراً إلى جهة قدميه إذا كان على جنبه[1] . انتهى .

وبهذا أثبت - قدس الله روحه - **للميت اطّلاعاً بحاسة بصره ، وأنّ أطباق الثرى لا تمنع بصره عن رؤية الزائر** ، وعلى هذا فبالأولى أن لا تمنع حاسة السمع ، **لأن حاسة البصر أضعف من حاسة السمع .**

وقد خرج الشيخان عن أنس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال « العبد إذا وضع في قبره وتولّى عنه أصحابه حتى إنه يسمع قرع نعالهم ؛ أتاه ملكان فأقعداه . . . . » . الحديث .

وقد أمر الشارع الكريم عليه الصلاة والسلام بخطاب أهل القبور

(١) وراجع « شواهد الحق » في٦٤ ففيه نظيره ، وإلى « بغية المسترشدين » في ٧٩ ففيه زيادة . (منه) .

بقول : السلام عليكم ، وقد سلّم ﷺ على أهل البقيع ، وحاشا أن يكون من العبث ، ومع كل هذا فالعلم ثابت حصوله ، على أن العلم يكون بالروح ، وهو باق لتعلقه بالروح ، ولا مجال لإنكار سماع الأموات وعلمهم بعد الأدلة الصحيحة المصرّحة بذلك عند أهل السنة والجماعة البتة .

ميت يقرأ القرآن

كيف وقد ثبت للموتى ما هو فوق السماع والإبصار ؛ وهو الكلام وقراءة القرآن ؟ ! فقد ثبت فيما أخرجه الترمذي وحسّنه عن سيدنا عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال : ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباءه على قبر ، وهو لا يحسب أنه قبر ، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ حتى ختمها ، فأتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ؛ إني ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر ، فإذا إنسان يقرأ سورة ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ حتى ختمها ، فقال النبي ﷺ : « هي المانعة ، هي المنجية ؛ تنجيه من عذاب القبر » .

أقول : **وهذا** كاف لإثبات كلام الموتى وشعورهم وقراءتهم القرآن ، وكم من مثل هذا من الأخبار والروايات الوثيقة التي كادت تخرج عن دائرة الحصر ! .

نداء الغائب والميت

وأما جواز نداء غير الله ، وجواز نداء الغائب والميت ، والتوسّل بالنبي ﷺ وبالأنبياء والأولياء ! **فالجواب** : أخرج ابن السني في « عمل اليوم والليلة » عن أبي سعيد - رضي الله عنه - قال : كنت أمشي مع ابن عمر ، فخدرت[١] رجله فجلس ، فقال له رجل : اذكر أحبّ الناس

---

(١) خدر العضو خدراً ؛ من باب تعب : استرخى فلا يستطيع تحريكه . « مصباح » . (هامش الأصل) .

إليك ، فقال : يا محمداه : فقام فمشى .

وأخرج أيضاً عن الهيثم قال : كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص فخدرت رجله ؛ فقال له رجل : اذكر أحب الناس إليك . فقال : يا محمد . فقام كأنما نشط من عقال . فمن هذا وأمثاله يعلم جواز نداء غير الله ، بل وجواز نداء الميت بعد موته ، قريباً كان منه أو بعيداً عنه ، وليعلم أن كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر يتحقق أنه لا يدعي للعبادة إلا الله سبحانه وتعالى ، وإنما المسلمون ينادون من ينادون من أحباب الله وأوليائه على جهة الشفاعة عنده ، ونداء المخلوق للمخلوق سواء كان ميتاً أو حياً ، غائباً أو حاضراً لا بأس به ، **أما نداء الحاضر! فلا يشك في جوازه عاقل .**

وأما نداء الغائب ! فكافٍ في جوازه نداء سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يخطب على منبر المدينة لسارية[(١)] رضي الله عنه وهو غائب في بلاد العجم ، وأمر النبي ﷺ لمن أراد عوناً أن يقول : « يا عباد الله أعينوني » كما سبق .

وأما نداء الميت! فيكفي في جوازه **نداء النبي ﷺ أصحاب القليب**[(٢)] **يوم بدر** بأسمائهم واحداً بعد واحد ، وهو يقول : « إني وجدت ما وعدني ربي حقّاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقّاً ؟ ! » فقيل له عليه الصلاة والسلام : كيف تناديهم وهم أموات ؟ ! فقال : « والذي نفسي بيده ؛ ما أنتم بأسمع لكلامي منهم[(٣)] » .

---

(١) وبينهما مسيرة شهرين . كما في « الصاوي » (منه) .

(٢) القليب : البئر . « قاموس » . (هامش الأصل) .

(٣) وكون الميت لا يقرأ عليه ، ممنوع لبقاء إدراك روحه فهو بنسبة لسماع القرآن وحصول بركته كالحي إلخ ؛ ابن حجر من الجنائز . وسماع الموتى هو الحق ؛ ابن حجر وراجع « البغية » في ٧٩ صحيفة ، ففيه زيادة من الوصية .

مطلب : الفرق بين النداء والدعاء

وهنا سرّ لطيف : وهو أن النداء من المخلوق للمخلوق ليس بعبادة له أصلاً ، والدعاء أخصّ من النداء وهو خاص بالله جل وعلا ، ومثاله قول العبد : يا رب ، يا الله ، ونحو ذلك . والطلب إن كان من المخلوق للخالق تعالى سمي دعاءَ عبادةٍ ، وإن كان من المخلوق لمن هو مثله أو أعلى رتبة من المخلوقين سمي نداء .

نعم؛ يتضمن بعض النداء من المخلوق للمخلوق طلب الإعانة والإغاثة والشفاعة منه ، وهذا لا بأس به أصلاً ، لأن الأحاديث والأخبار قد صرّحت بأن الأنبياء والأولياء لهم الشفاعة عند الله على قدر مراتبهم في الدنيا والآخرة ، ففي الدنيا : بإجابة الدعاء ، ودفع البلاء ، ونزول الغيث ، وحلّ المشكلات . وفي الآخرة : بتفريج كربات القيامة وأهوالها . وكلٌّ ثابتٌ بالأحاديث الشريفة ، والأخبار المنيفة ، قال ﷺ : « إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مئة أهل بيت من جيرانه البلاء » ، فإذا كان الأمر كذلك ، فكيف لا يستشفع بالرجل الصالح في المهمات ؟ !

وفي « الأوسط » قال ﷺ : « لن تخلو الأرض من أربعين رجلاً مثل خليل[1] الرحمن ، فبهم تسقون ، وبهم تنصرون ، ما مات منهم أحد إلا بدّل الله مكانه آخر » .

وبهذا ثبت أن السماء تمطِر ببركاتهم ، والنصرة على الأعداء تحصل بعنايتهم ، فكيف لا يستغاث بهم إلى الله ، ويتوسَّل بجاههم ، ومحبة الله لهم ، وهم أحبابه وأهل حضرته ؟ ! ولم يَرد في الكتاب ولا في السنة أن الله تعالى أو نبيّه الأعظم ﷺ قال : لا تنادوا نبياً ولا ولياً على جهة الشفاعة ، والذي احتجَّ به البعض من قوله تعالى ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ

(١) أي : في المشرب . فافهم ! (منه) .

أَحَدًا ﴾ ، وقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ ، ونحو ذلك من الآيات الكريمة الفرقانية ، فالخطاب فيها للمشركين الذين يدعون مع الله غيره ؛ أي يعبدونه ، ويفسّر هذا قوله تعالى ﴿ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ ، وقد تقدم الفرق بين النداء والدعاء .

وعلى كل حال ؛ فالتوسُّل إلى الله بأنبيائه وأوليائه من سيرة السلف الصالح ، ومن الأسباب المأمور بتعاطيها شرعاً وعقلاً ، **والمؤثر الحقيقي هو الله تعالى ، والأسباب لا تأثير لها** باعتقاد جميع المسلمين ، وما المنادي المتوسِّل إلا كمريض تناول دواء فأكله وهو يعتقد أن الدواء سبب ، والله هو الشافي المعافي حقيقة ، والدواء لا تأثير له البتة .

ولا يقول عاقل من خَدَمَةِ الشريعة في مشارق الأرض ومغاربها لشارب الدواء : أشركتَ . ولا يقدر أن يمنعه عن تناول الدواء .

قول : أدركنا يا رفاعي وأمثاله

وما بقي بعد هذه الأدلة الواضحة إلا الصمم عن الحق ، والانحراف عن الطريق الأحق ، فإن المنادي يقول مثلاً : أدركنا يا رفاعي ، أو أغثنا يا وليَّ الله ، ويعتقد أنه سبب لحصول الخير ، والنجاة من الضرّ ، والله هو المعطي المانع ، الضار النافع ، والوليّ بمنزلة الدواء ، فمن الذي ينقض كلامَه ، أو يُفَرِّقُ له بالطعن سهامه ، والمثال ظاهر لا نزاع فيه ؟

وأما من قال بالنداء معتقداً تأثير المنادى من دون الله ! فهو من الممكورين ، ولا عدوان إلا على الظالمين . انتهى .

ورأيت في « آثار » البراغي قدس سره ما نصّه : ثم إنَّا لما رأينا كثرة التَّباعد والتَّباين بيننا وبين ذلك المَفزع إليه ؛ المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام الأوفي ، قصدنا إهداء المدائح إلى مشائخنا الكرام ، سادتنا

النقشبندية الفخام ؛ بمدح كل واحد منهم توسُّلاً إلى جاه حِبِّنا[1] رسول الثقلين ﷺ ، ثمَّ به إلى حضرة خالق الكونين ؛ اقتداء بقول « البهجة » :

والأفضل استسقاؤهم بالأتقياء   لاسيما مِنْ آل خير الأنبياء

الاستشفاع بفعل الخير

وقد قال الشربيني في « إقناعه » : ويسنّ لكلِّ أحد ممن يستسقي أن يستشفع[2] بما فعله[3] من خير ؛ بأن يذكره في نفسه ؛ فيجعله شافعاً ، لأن ذلك لائق بالشدائد ، كما في خبر الثلاثة[4] الذين أووا إلى الغار . **وأن يستشفع بأهل الصلاح ، لأنَّ دعاءهم أقرب للإجابة ، لا سيما أقارب النبي** ﷺ ، كما استشفع عمر بالعباس رضي الله عنهم فقال : اللهم إنَّا كنا إذا قَحِطنا نتوسَّل إليك بنبيّنا فسقينا ، وإنا نتوسَّل إليك بعمِّ نبينا فاسقنا . قال : فيسقون . رواه الشيخان . انتهى .

وفي « البهجة » قبل البيت المذكور :

ويـــذكر الإنـــسان سرّا عمله   مـــن الجـــمـيل شفيعاً جعله

انتهى

---

(١) الحِب - بالكسر - الحبيب . « مختار » . (هامش الأصل) .

(٢) أي يتوسّل « بجيرمي » ١٠٢ (هامش الأصل) .

(٣) وفي « غرائب القرآن » في قوله تعالى ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ من سورة مريم : ثم إنه توسَّل إلى الله عزَّ وجلَّ بما سلف له معه من الاستجابة قائلاً ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ . كما حُكي أن محتاجاً قال لكريم : أنا الذي أحسنت إليَّ وقت كذا . فقال : مرحباً بمن توسَّل إلينا ، وقضى حاجته .

تقول العرب : سعد فلان ؛ إذا ظفر بها ، وشقي بها ؛ إذا خاب ولم ينلها . ومعنى بدعائك : أي بدعائي إياك . انتهى . فراجعه . (منه رحم الله إفلاسه) .

(٤) وقصّتهم مذكورة في « البجيرمي » فراجعه في صلاة الاستسقاء في ١٠٢ ، وكذا في « البيضاوي » من سورة الكهف فراجعه . (منه) .

وقال الشيخ العارف ؛ الإمام الفقيه المحدِّث ؛ عبد الله اليافعي في « نشر المحاسن » : **قد جرت العادة أنَّ مَن له حاجة قد يتوسَّل بوجيه ، وفوقه مَن هو أوجه منه**[١] ، **ثم يتوسَّل ذلك الوجيه بالأوجه إلى مَنْ يُراد منه قضاء الحاجة** ، كما يتوسَّل إنسان من الرعيَّة بالأمير ، والأمير يتوسَّل بالوزير ، والوزير يَشْفَع عند السلطان في قضاءِ حاجةِ ذلكَ الإنسان ، فكذلك يتوسَّل إلى الله الكريم بنبيِّنا عليه أفضل الصلاة والسلام .

الأولياء يتوسَّلون بالنبي الكريم ﷺ

وقد يتوسَّل بالأولياء في نادر من الأوقات في قضاء بعض الحاجات ، والأولياء يتوسَّلون بالنبي الكريم ﷺ ، فيشفع عند الله عزَّ وجل ، فيسمع الله سبحانه شَفَاعَتَهُ بفضله ويقبل . انتهى عبارته ١٢ .

ومِنْ هَهُنا قال بعض الأولياء : ادعوا الله بلسانٍ لَمْ تعصوا الله به ، يعني - والله أعْلَمُ - : توسَّلوا إلى الله واستشْفِعُوا بالصُلحاء ، فإن أَلْسِنتهم هي التي لَمْ يَعصوا الله بها . فافهم .

وفي « البجيرمي » : وقد روى الطبراني وابن سعد : أنَّ عبد المُطلب استسْقى بالنبي ﷺ حين تَتَابَعَتْ عليهم سنون أهلكتهم ، فَسَمِعوا قائلاً يقول : يا مَعْشَرَ قريش إنَّ فيكم نبيّاً آنَ أوانُ خُروجِه ، به يأتيكم الحيا[٢] والخصب ، فاخرجوا إلى جبل أبي قبيس . فتقدم عبد المطلب ومعه النبي ﷺ ، فرفع يديه يدعو ويطلب الغَوْثَ - أي : الإجابة - بوجه النبي ﷺ - أي : متوسِّلاً به - ، فسقوا . ولذلك يقول فيه عبد المطلب :

---

(١) وراجع « شواهد الحق » . (منه) .
(٢) المطر . (هامش الأصل) .

وأبيض يستسقى الغمام بوجهــه ثِمَال[1] اليَتامى عـصمة للأرامل

انتهى ١٠٢ .

وفي « ترشيح المستفيدين » : ويستشفع كلُّ بخالص عمله ، وبأهل الخير ، سيما أقاربه ﷺ . انتهى ٩٩ فراجعهما من صلاة الاستسقاء .

الغزالي مجاب الدعوة

وقال الشيخ محمد مرتضى الزبيدي النقشبندي قدّس سره في « إتحاف السادة المتقين شرح الإحياء » للإمام الغزالي : وقد كان – يعني : الإمام الغزالي – مُجابَ الدعوة ، مقبولَ الشَّفاعة ، وذكر غير واحد أنَّ من توسَّل به إلى الله تعالى في حاجةٍ قُضِيَت له ، فها أنا متوسِّل به إلى المولى جلَّ شأنُهُ أنْ يُعيدَ عليّ وعلى سائر المسلمين مِنْ بركات هذا الكتاب ، ومؤلفه ، ويميتنا على كلمة الإخلاص إلخ . انتهى فراجعه في ٥٥٧ من الجزء العاشر .

منفعة الدعاء بالنبي ﷺ وبالأولياء

وقال الشَّعراني في « لواقح الأنوار » بعد كلام في إتيان الحمد والصلاة على النبي ﷺ قبل الدعاء : فإذا حمدنا الله تعالى رضي عنّا وإذا صلَّينا على النبي ﷺ شَفِعَ لنا عند الله في قضاء تلك الحاجة ، وقد قال تعالى ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ ، وتأمّل بيوت الحكام تجدها لا بدَّ لك فيها من الواسطة الذي له قُربٌ عند الحكام وإدلال عليه ؛ ليمشي في قضاء حاجَتِكَ ، ولو أنَّك طلبت الوصولَ إليه بلا واسطة لم تصل إلى ذلك . وإيضاح ذلك : أنَّ مَنْ كان قريباً من الملك فهو أعْرَف بالألفاظ التي

---

(١) الثمال – ككتاب – : الغياث ، والذي يقوم بأمر قومه . وقيل : الثمال : المُطعِم في الشدة ، والثمل – محرَّكة – : الشكر . « مجمع البحرين » . (هامش الأصل) .

يُخاطِب بها الملك ، وأعْرَف بوقت قضاء الحوائج . **ففي سؤالنا للوسائط سلوك للأدب معهم ، وسرعة لقضاء حوائِجنا** ، ومن أين لأمثالنا أن يَعْرف أدَبَ خِطاب الله عزَّ وجلّ ؟ ! .

وقد سمعت سيدي عليّاً الخواص رحمه الله يقول : **إذا سألتم الله حاجة فاسألوه بمحمد** ﷺ ، وقولوا : اللهم إنا نسألك بحق محمد أن تفعل لنا كذا وكذا ، فإن لله ملكاً يبلغ ذلك لرسول الله ﷺ ، ويقول له : إن فلاناً سأل الله تعالى بحقك في حاجة كذا ، فيسأل النبي ﷺ ربه في قضاء تلك الحاجة ، فَيُجاب ، **لأن دعاءَه ﷺ لا يُرَدُّ** .

قال : وكذلك القول في سؤالِكم الله تعالى بأوليائه ، فإنَّ الملك يبلغهم ، فيشفعون له في قضاء تلك الحاجة . والله عليم حكيم . انتهى عبارته ٢ ج٢ .

وقد قال مصطفى البكري الصِّدِّيقي في قصيدته اليائية في التوسُّل بالنبي ﷺ وأصحَابِه وآله والأئمَّة وأهل الطريقة ، حتى قال :

بالشاذِليِّ الحبر مَنْ ... أبدى الشموس المغربية
وامــتدَّ نـور طريقه ... فَـهَدى البدور المشرقية
وبـكل من نسبوا له ... حــتى سُمُـوا بالشاذلية

إلى آخره[1] .

وقال تاج الدين السبكي في « القصيدة المنفرجة » :

يارب بهـم وبآلـهم ... عـجِّل بـالنصر وبالفرج

انتهى .

---

(١) من هامش « مجموعة الأحزاب » في ٦٨١ ج٢ . (منه) .

وقال البويصري :

يا أكرم الخَلْقِ مالي مَن ألوذ به　　سواك عند حلول الحادث العمم

انتهى .

وأمثالها في الأحزاب والدعوات كثيرة لا تحصى .

وقال القطب عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه في أبيات له :

فمُريدي إذا دَعَاني بِشرقٍ　　أو بِغَربٍ أو غَار في بحر طامي

فأغيثه لو طار في هواء　　أنا سيف القضاء كل خصامي

أنا عَبْد القادِرِ طابَ[1] وقتي　　جَدِّي المصطفى حبيبي إمامي

انتهى .

وقال رضي الله عنه في قصيدة له أيضاً :

أنا قطب أقطاب الوجود حقيقة　　على سائر الأقطاب قولي وحُرمَتي

تَوَسَّل بنا في كل هولٍ وشدةٍ　　أغيثُكَ في الأشياء دهْراً بِهِمَّتي

أنا لمريدي حافظاً ما يخافه　　وأَحْرُسُهُ في كل شرٍّ وفتنةِ

مُريدي إذا ما كانَ شرقاً ومغرباً　　أغِثْه إذا ما سارَ في أيّ بلدةِ

مرتبة محمد النقشبندي

ورأيت في « مناقب الأحمدية » ما لفظه : وقال - يعني محمد النقشبندي رضي الله عنه - : **أُعطيتُ من الحقِّ سبحانه مرتبة عظيمة؛ تقضى بي الحوائج** ، وتدفع بي البلايا ، فالتجئوا إليّ تقض حوائجُكم بفعلِ الله سبحانه . انتهى عبارته ٦ .

(١) وفي نسخة : قد طاب .

وفي « البريقة المحمودة » في ٣٣٤ ج٢ وجوّز في « البزازية » أن يقول : بحُرمة فلان .

وفي « المنية » وفي « الآثار » ما يدل على الجواز .

أقول : بل الاستِحباب كما نقل عن بعض العارفين : إذا سألتم مِن الله شيئاً فاسألوه بي ، فإنّي أنا الواسطة الآن بينكم وبينه .

وعن أبي العباس المُرسي : **مَن كانت له حاجة إلى الله فليتوسَّل لقضائها بالغزالي** . ونحوه كثير في الكتب كـ« الحصن الحصين » انتهى عبارته .

وفي « الفتاوى العمرية » : وأما التوسُّل بالأنبياء والأولياء والعلماء ؛ فقد نص أئمَّتنا أنه يجوز التوسُّل بأهل الخير والصلاح ؛ سواء كانوا أحياء أو أمواتاً ، **ولا ينكر ذلك إلا من ابتلي بالحرمان وسوء الخاتمة والعقيدة** . انتهى عبارته .

وفي « ذخيرة المعاد » : وقد سئل الإمام عمر بن عبد الكريم بن عبد الرسول العطار المكِّيّ رحمه الله تعالى ، ونَفَع به - عَن التوسُّل بالأنبياء والأولياء والعلماء والصالحين هل هو مُسْتَحَبٌّ ؟ ولا فرق بين كَونِهِم أحياء وأمواتاً ! وهل يجوز إسناد الفعل إليهم مِن غير اعتقاد تأثير ؟ . . . إلخ فأجاب بجوابٍ شافٍ جامع ، نقل فيه من الدلائل الصحيحة الصريحة ، في جواز ذلك ، ومن جملة ما استدلّ به الحديث القدسي : « ما زال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل . . » إلى آخره . ثم قال بعده : ولأن الله تعالى اجتباهم وارتضاهم واصطفاهم ، واختصّهم بكمالات ومعارف ومزيّات لم يجعلها لغيرهم ، فمن قال : « اللهم إنّي أتوسَّل إليك برُسُلِك وأنبيائِك وأوليائِك » ونحو ذلك ، فإنَّما يريد باجتبائك وارتضائِك واصطِفائِك واختصاصِك إياهم بالرسالة والنبوَّة والولاية ، ونحو ذلك ، **وهذه صفات أفعال الله**

تعالى . **فالتوسُّل بها ليس توسُّلاً بغيره تعالى** ، وحينئذٍ فلا فرق بين النبي ﷺ وغيره مِنَ الأنبياء والأولياء ، ولا بين كونهم أحياء وأمواتاً[1] على أن الشهداء أحياءٌ بالنصّ ، **فالأنبياء أولى** . هذا حاصل ما ذكره .

وقال ابن علان رحمه الله تعالى في « حاشية الأذكار النووية » على الكلام على حديث « اللهم إنِّي أسألك بحق السائلين عليك »[2] ، أي : بالحق الذي جعلته لهم عليك من محض فضلك بوعدك الذي لا يخلف ، وفيه التوسُّل بحق أرباب الخير على سبيل العموم من السائلين ، ومثلهم بالأولى الأولياء والمرسلون[3] ، أما السؤال بحق معين ! فمنعه ابن عبد السلام إلا بحقه ﷺ ، لمزيد كرامته دون غيره ، وأجازه آخرون ، وحتى بالأولياء والعارفين .

قال العارف بالله تعالى أبو العباس المرسي : من له إلى الله تعالى حاجة فليتوسَّل[4] إليه بحق حجة الإسلام الغزالي . انتهى[5] عبارته ٣٢ .

أصل مشروعية الزيارة

وفي « ذخيرة المعاد » : أيضاً : والزائر والمزور ينتفعان بالزيارة ،

---

(١) كرامات الأولياء ثابتة ، وتصرُّفهم لا ينقطع بالموت ، ويجوز التوسُّل بهم إلى الله تعالى ، والاستغاثة بالأنبياء والمرسلين وبالعلماء والصالحين بعد موتهم ، لأنّ معجزة الأنبياء وكرامة الأولياء لا تنقطع بعد موتهم . كذا نقله يوسف النبهاني عن الشمس الشوبري في « شواهد الحق » . فراجعه في ٦٥ . (منه) (هامش الأصل) .

(٢) قال صاحب « البريقة » : وقد وقع مثله في بعض الدعوات المأثورة نحو : « اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك ، وبحقّ محمد عليك » آمين . كما في « الحزب الأعظم » لعلي القاري الذي التزم أن لا يجعل فيه شيئاً غير الحديث . انتهى ٣٣٣ ج٢ . (منه رحمه الله إفلاسه) (هامش الأصل) .

(٣) وفي نسخة : المرشدون .

(٤) وهذا القول بعينه مذكور في « الطبقات » أيضاً (منه) .

(٥) من هامش « عقد اليواقيت » .

وفي الجمع أولى ، إذا كان غير مصحوب بشيء من المنكرات ، فقد نقل السيد المذكور وغيره عن الفخر الرازي رحمه الله تعالى في « المطالب » في بيان كيفية الانتفاع بزيارة القبور والموتى : أنَّ الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسانٍ قويّ النفسِ ، كاملِ الجوهرِ ، ووقفَ هناكَ ساعة ، وحصل تأثّر في نفسه من تلكَ التربة ، حتى حصل من نفس الزائر تَعَلُّق بتلك التُربَة .

ولا يخفى أن لنفسِ ذلك الميت تعلقاً بتلك التربة أيضاً ، فحينئذٍ يحصل لنفس الزائر الحي ، ولنفس ذلك الميِّت ملاقاة بسبب اجتماعهما على تلك التربة ، فصار هاتان النفسان شبيهتين بمرآتين صقيلتين وُضِعَتا بحيث ينعكس الشعاع عن كل واحدة منهما إلى الأخرى ، فكل ما حصل في نفس هذا الزائر الحي ؛ من المعارف البُرهانية ، والعلوم الكَسبية ، والأخلاق الفاضلة ، من الخشوع لله ، والرضاء بقضاء الله ؛ ينعكس منه نور إلى روح ذلك الإنسان الميت من العلوم المشرقة ، والآثار القويَّة الكاملة ، ينعكس فيها نور إلى روحِ هذا الزائر الحي .

وبهذه الطريقة تصير تلك الزيارة سبباً لحصول المنفعة الكبرى ، والبهجة العظمى لروح هذا الزائر ، ولروح المزور ، **فهذا السبب والأصل في مشروعية الزيارة** .

ولا يبعد أن يحصل أسرار أخرى أدق وأخفى ، كما ذكرنا . وتمام الحقائق ليس إلا عند الله تعالى . انتهى عبارته ٣٧ .

وقد أطلتُ الكلام في حقِّ هذا الأمر ؛ نظراً إلى أن السائل قد سأل عما ذكر مؤلف « البغية » بما يخالف أقوال السادات[1] ، فوقع الاحتياج لتكثير الأدلَّة ببيان ما قالوه مما يعارضه مِن الكُتب العديدة ، التي صَرَّحَ مؤلفوها بجواز التوسُّل بالأولياء والصالحين . ويكفي للمنصف المحق ما

---

(١) بل يعارض ما ذكره فيه في موضع آخر كما مرّ . (منه) ، (هامش الأصل) .

ذكرناه في هذا البرج .

وأما المعاند المنكر ؛ فلا ينفعه ، ولو قُرِئَ عليه جميع الكتب الإلهية ، والأخبار النبويَّة ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ .

ثمَّ إن كاتب المسائل - أرشده الله تعالى إلى كل ما فيه صلاحه في الدارين . آمين - كتب في آخر مسائله بما لَفْظه : ليس قصدي بهذا - والله - امتحانٌ وعناد إلى هذه الجهة ، بل غاية قصدي إزالة الإشكال ، وتوضيح المقال ؛ من رَشْفَة بحر الحبر الكامل . انتهى عبارته من خطه .

ومن هنا هممْتُ أن أضع نُبْذة مما ذكره المشائخ في كتبهم في المنع عَن الإنكار والاعتراض على الطائفة الصوفية ، فأقول :

البرج الخامس عشر
في بيان أن الإنكار على الصوفية سم قَاتِلٌ

قال العارف بالله القطب الحقيقي أحمد ضياء الدين : واعلم أن الإنكار على السادات الصوفيّة والطريقة العليّة ، المتّبعين للسنةّ السنيّة ، والدافعين للبدعة الرديّة ، خصوصاً أهل العلم النافع ، والعمل الرافع ، والمعارف والأسرار ، والكشف الصحيح والأنوار ، سَمٌّ قاتلٌ ، وهلاك عظيم ، وقد ورد به الوعيد الشديد ، وهو أمر خطير ، وهو علامة إعراض القلب عن الله تعالى وحشوه بالأمراض ، **ويُخْشى على فاعِله سوء الخاتمة** - والعياذ بالله - ، **وهو لا يصدر غالباً إلاّ منْ بعض المُتَفَقِّهَة القاصرين** . كما قال العارف عبد الغني النابلسي .

وقد اعتاد المتفقِّهة في كل زمان على التفتيش عن عيوب الناس

الشرعية ، بحيث لا يؤوِّلون ما يجدونه مخالفاً لعلمهم : وإن كان له ألف تأويل ، بل ينكرون بمقتضى علمهم ما يكون محتملاً للخطأ ؛ ولو بوجه ضعيف ؛ وإن كان صوابه ظاهراً ، بل ربما بعضهم يجهّل مذهب الآخر ، فَيُنْكِر عليه ما خالف مذهبه ، بل ينكرون أصل الطريق وأربابها كلها ! **وهذه طريق المتفقِّه المتعصِّب ، والسفهاء ؛ لا الفقهاء** ، فإنهم قاصرون ؛ مرادهم أن يُعرفوا بين الناس بالعلم والفقه والرياسة لأغراض شيطانيَّة يريدون إنفاذها ، وشهواتٍ نفْسَانية يحاولونَ إيجادها ، فيضطرهم الأمرُ إلى التَّفتيش عن عيوب النّاس ، فكيف يؤوّلون شيئاً مقصودهم التفتيش عليه ؟ ! ومتى ظفروا بوجه فاسدٍ في حال إنسان فكأنهم ظفروا بِمُلك الدُّنيا ، ويفرحون شديداً ؛ إن رأوا حسنةً في الكامل دفنوها ، وإن رأوا سيِّئةً أفشوها ، فمن المحال أن يقبلوا عثرةَ مؤمنٍ ، أو يتغافلوا عن زلّة مسلم ، لأنهم في زعمهم لا يرتقون ولا بشيء لا يرتفعون إلا بإنكار المناكر ؛ خصوصاً على الكامل الخاشع ، والعابد الذاكر ، فيكونون ضالِّين ومضلِّين .

وأمَّا الفقهاء أصحاب القدم الراسخ في العلوم على حسب المذاهب الأربعة ، فإنَّ قلُوبَهم متجافية عن الدُّنيا ، مُقبِلة على الآخرة ، وبسبب ذلك لا حسد عندهم ولا تكبُّر ، ولا عداوة ولا حِقد ، ولا رياء ولا سُمعة ، يعلمون أحكامَ الله تعالى على وجه التحقيق أصولاً وفروعاً . انتهى « متممات » فراجعه ١٩٤ .

المنكر على أولياء الله ساقط من عين الله

وقال عمرو بن سعيد الغوثي الطوري الكدوي - رحمه الله تعالى - في كتابه « رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم » في الفصل السادس :

اعلم أن المُنكر على الأولياء ساقط من عين الله ، وهالك في الدُّنيا والآخرة ، وأنَّه في لعنة الله ومحاربته ، قال الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ ومعنى الآية عند المفسِّرين : أن الذين يؤذون أولِياء الله .

وروى البخاري عن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – أنَّه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى قال من عادى لي وليّاً فقد آذنْته بالحَرْبِ »

وفي « شرح الفشني على الأربعين النّوويّة » : « مَنْ آذى[1] لي وليّاً » أي اتخذه عدوّاً « فقد آذنته بالحرب » : أي أعلمته بأني محارب له عنه ، بمعنى : أني مهلكه . ثم قال بعد كلام :

تنبيه : قال الفاكهاني رحمه الله تعالى : من حاربه الله أهلكه .

وقال غيره : **إيذاء أولياء الله علامة على سوء الخاتمة ، كأكل الربا** – عافانا الله تعالى من ذلك – **فمن والى أولياء الله أكرمه الله ومن عادى أولياء الله أهلكه الله .**

قال أبو تراب النخشبي رحمه الله تعالى : إذا ألف القلب ثمر الإعراض عن أهل الله ؛ صحبته الوقيعة في أولياء الله . ثم ذكر تنبيهاً يناسب المقام .

---

(١) يعني من أغضب وآذى واحداً من أوليائي فقد آذنته ؛ أي أعلمته بأني سأحاربه ؛ أي سأقهره وأعذبه . وأولياء الله هم المطيعون له ، وليس المراد بالولي هنا الولي المعهود بين المشائخ ، بل كلُّ مُتَّق داخل في هذا الحديث لقوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ « مفاتيح شرح المصابيح » .

وضابط الولي : أنه المواظب على فعل الطاعات ، واجتناب المنهيات ، المعرض عن الانهماك في اللذات . انتهى .

قال علي بن أبي طالب : أولياء الله قوم صفر الوجوه من السهر ، عمش العيون من العبر ، خمص البطون من الجوع ، يبس الشفاه من الذكر « مدابغي على فتح المبين » .

قصة جرجيش مع الملك الظالم

روى حاتم الأصم عن جماعة من أصحاب العلم والهمم أن جرجيش نبي من أنبياء بني إسرائيل ، كان في زمانه ملك كثير الفساد ، مصر على مظالم العباد ، فمنع الله عنه المطر ، حتى أشرف هو ومن معه على الهلاك والضرر ، فركب هذا الكافر الظالم الغادر في عساكره حتى أتى جرجيش ، فوجده في صومعته وهو يكثر التسبيح والتقديس ، فقال له : يا جرجيش ؛ إني أحملك رسالة ربك . فقال جرجيش : وما تلك ؟ قال : أن تقول لربك يأتينا بالمطر ، وإلا ! آذيته إذاية يسمعها سائر البشر . فدخل جرجيش في محرابه ، وقد خرس من خوف الله عن جوابه ، فجاء جبريل بأمر الملك الجليل ، فقال له : هات الرسالة التي معك على الوجه الذي قال لك ، فقال : إني أخاف من الله ذي الجلال عند مقال ذلك القول على مقال[1] ، فقال جبريل : يا جرجيش ؛ قل كما قال ، هكذا أمر الملك المتعال . فقال جرجيش : يأتينا بالمطر ، وإلا آذيته إذاية يسمعها سائر البشر . فقال جبريل : يا جرجيش ؛ ربك يقول لك : قل له بم تؤذيه ؟ ! فمضى جرجيش وأعاد الرسالة عليه ، فقال الملك : لا قدرة لي على إذايته إلا من وجه واحد ، لأني ضعيف وهو قوي ، وأنا عاجز وهو قادر ، وإنما أؤذي أحباءه ، ومن آذى أحباءه فقد آذاه . فجاء جبريل عليه السلام فقال : يا جرجيش قل له : لا تفعل ، فنحن نأتيك المطر ، ثم جاءت السماء بالسحاب ، وامتلأت الصحارى بالسيول من كل جانب ، مدة ثلاثة أيام بإذن ربِّ الأرباب . وأَمَرَ الله تعالى النبات في تلك الأيام الثلاثة أن يطلع . فلما طلعت الشمس نظر إلى الحياض مرتعة ، والفلوات مُشرقة ، والزروع إلى صدر الإنسان طالعة ، والرياض مروّقة ، فَرَكِبَ الملك ، وأتى إلى باب جرجيش ، وهو في صومعته يكثر من التسبيح والتقديس ، فخرج إليه

---

(١) وفي نسخة : مقالي .

وقال : يا هذا ؛ ما تريد مني ؛ لِمَ لا تشتغل بملكك عني ؟ لا تحمِّلني مثل تلك الرسالة ؛ فإن فيها فظاعة ! فقال : يا نبي الله ما أتيت حرباً ، فقد أتيت سلماً ، وقد انفتح بصر الضعيف الأعمى ، **فإن من عمل الإحسان مع عدوه لأجل وليه يجب أن تسجد الجبال لعظمته** ، وإني أريد المصالحة ، لتكون صفقتي رابحة ، فقد ظهر لي أن أسرار التوحيد لائحة ، إني أشهد أن لا إله إلا الله ، ولا معبود بحق سواه .

إخواني دَلَّ الحديث الإلهي أن عدوّ وليّ الله عدوٌّ لله ، فمن عاداه كان كمن حاربه ، نعوذ بالله تعالى من الإنكار والحرمان . انتهى كلام الفشني .

وفي « لطائف المنن » : فأصغِ – رحمك الله – إلى ما تضمنه هذا الحديث من غزارة قدر الولي ، وفخامة رتبته ، حتى ينزل الحق سبحانه وتعالى هذه المنزلة ، ويحلّه هذه الرتبة ، فقوله ﷺ عن الله تعالى « **من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب** » لأن الولي خرج عن تدبيره إلى تدبير الله ، وعن انتصاره لنفسه إلى انتصار الله له ، وعن حوله وقوته بصدق التوكّل على الله عز وجل ، فقد قال سبحانه وتعالى ﴿ **وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ** ﴾ ، وقد قال الله عز وجل ﴿ **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ ، وإنما كان ذلك لهم لأنهم جعلوا الله تعالى مكان همومهم ، فدفع عنهم الأغيار ، وقام لهم بوجود الانتصار .

وقال بعد كلام : ولقد سمعت شيخنا أبا العباس رضي الله تعالى عنه يقول : **ولي الله مع الله كولد اللَّبْوة في حجرها ، أتراها تاركة ولدها لمن أراد اغتياله ؟!** ، وقد جاء في بعض الأحاديث : أنه ﷺ كان في بعض غزواته وامرأة تطوف على ولدها الرضيع ، فلما وجدته حنت إليه وألقمته الثدي ، فنظر الصحابة إليها متعجبين ، فقال رسول الله ﷺ : « الله أرحم بعبده المؤمن من هذه بولدها » . ومن هذه الرحمة برز انتصارُ الحق لهم

ومحاربة من عاداهم ، إذ هم حمال أسراره ، ومعادن أنواره ، وقد قال الله سبحانه وتعالى ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ، وقال الله سبحانه لمن آذى أولياءه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ .

مهم

غير أن مقاتلة الحق سبحانه لمن آذى أولياءه ليس يلزم أن تكون معجلة لقصر مدة الدنيا عند الله ، **ولأن الله لَمْ يرض الدنيا أهلاً لعقوبة أعدائه ، كما لم يرضها لإثابة أحبائه .**

وإن كانت معجلة ! فقد تكون قسوة في القلب ، أو جموداً في العين ، أو تعويقاً عن طاعة ، أو وقوعاً في ذنب ، أو فترة في الهمة ، أو سلب لذاذة خدمة .

وقد كان رجل في بني إسرائيل أقبل على الله ثم أعرض عنه ، فقال : يا رب كم أعصيك ولا تعاقبني ! ! فأوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان أن قُلْ لفُلان : **كم عاقبتك ولم تشعر !!** ألم أسلبك حلاوة ذكري ولذاذة مناجاتي ؟ !

قال ابن عطاء الله : وفائدة هذا البيان أن لا يحكم لإنسان آذى وليّاً من أولياء الله تعالى بالسلامة ؛ إذا لم ير عليه محنة في نفسه وماله وولده ؛ فقد تكون محنته أكبر من أن يطلع العباد عليها . انتهى .

وقال ابن عطاء الله في « لطائف المنن » أيضاً وصيَّة وإرشاداً : إياك أيها الأخ ؛ أن تصغي إلى الواقعين في هذه الطائفة والمستهزئين ، لئلا تسقط من عين الله ، وتستوجب المقت من الله ، فإن هؤلاء القوم جلسوا مع الله على حقيقة الصدق وإخلاص الوفاء ، ومراقبة الأنفاس مع الله ، قد سلَّموا قيادهم إليه ، وألقوا أنفسهم سِلْماً بين يديه ، تركوا الانتصار لأنفسهم حياء من ربوبيته لهم ، واكتفوا بقيُّوميته ، فقام لهم بأوفى ما

يقومونَ به لأنفسهم . **وكان هو المحارب عنهم لِمَن حَارَبَهُم** ، والغالب لمن غالبهم ، ولقد ابتلى الله سبحانَه هذه الطائفة بالخلق ، خصوصاً بأهل العلم الظاهر ؛ فقَلَّ أن تجد منهم مَن شرح الله صدْرَه للتصديق بوليّ معيّن ، بل يقول لك : نعم نعلم أن الأولياء موجودون ، ولكن أين هم ؟ ! فلا تذكر له أحداً إلا وأخذ يدفع خصوصية الله فيه طَلْق اللسان بالاحتجاج ، عارياً من وجود نور التصديق ، **فاحذر ممَّن هذا وصفه** ، **وفِرَّ منه فرارك من الأسد** ، جعلنا الله وإياك من المصدِّقين بأوليائه بمنِّه وكرمه ، إنه على كلِّ شيء قدير . انتهى عبارته . ٥٣ ج١ .

وفي « العهود المحمدية » : أخبرني سيِّدي علي الخواص أن شخصاً من القضاة كان يؤذي سيدي إبراهيم المتبولي وينكر عليه ، وكان القاضي سيء الخلق ، فلما مات تصور سوء خلقه كلباً أسود ، فجلس على نعشه والناس ينظرون ، إلى أن نزل معه في القبر . انتهى .

قصة ابن السقا

وفي « حياة الحيوان » للدميري عند ذكر الذباب : وفي « تاريخ ابن خلكان » في ترجمة الإمام يوسف بن أيوب بن زهرة الهمداني الزاهد ؛ صاحب المقامات والكرامات والأحوال الباهرات : أنه جلس يوماً للوعظ ، فاجتمع إليه العالم ، فقام من بينهم فقيه يعرف بابن السقا ، وأتاه وسأله عن مسألة ، **فقال له الإمام يوسف : فإني أجد من كلامك رائحة الكفر ، ولعلك تموت على غير دين الإسلام** ! فقدِمَ رسولُ ملك الروم إلى الخليفة ، فخرج ابن السقا مع الرسول إلى بلاد القسطنطينية فتنصر ومات نصرانيّاً . وكان ابن السقا قارئاً للقرآن ، مجوّداً في تِلاوته ، وحَكى من رآه في القسطنطينية قال : رأيتُه مريضاً ملقى على دكان ، وبيده مِرْوحةٌ[1] يدفع

(١) كمكنسة : آلة يتروّح بها . « قاموس » (هامش الأصل) .

بها الذباب عن وجهه ، فقلت : هل القرآن باق على حفظك ؟ قال : ما أذكر منه إلا آية واحدة وهي : ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ والباقي نسيته . انتهى . نعوذ بالله من سَخَطه وخذْلانه ، ونسأله حسن الخاتمة .

حِراب العلماء العارفين مسمومة

قال : فانظر يا أخي ؛ كيف هلك هذا الرجل ، وخذل بالانتقاد وترك الاعتقاد ؟ ! نسأل الله السلامة . فعليك يا أخي بالاعتقاد على المشائخ العارفين ، والعلماء العاملين والمؤمنين الصالحين ، فإن حرابهم[1] مسمومة ، فقلّ من تعرَّض لها وسَلِمَ ، فسلِّمْ تَسْلَمْ ، ولا تنتقد فتندم ، واقتدِ بإمام العارفين في وقته الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني ، لما عزم على زيارة الغوث بمكة ، وقال رفيقاه : ما بالنا ؟ فقال : أما أنا فذاهب على قدم الزيارة والتبرك ؛ لا على قدم الإنكار والامتحان ، فآل أمره إلى أن قال (قدمي هذه على رقبة كل ولي لله تعالى) ، وآل أمر رفيقِهِ إلى الكفر ، وترك الإيمان بالانتقاد ، وترك الاعتقاد ، كما اتفق في هذه الحكاية . وآل الأمر للآخر اشتغاله بالدنيا ، وترك خدمة المولى ، لقلة التوفيق نسأل الله التوفيق والهداية ، والإماتة على الإيمان به وبرسوله ﷺ ، والاعتقاد الحسن في أوليائِهِ وأصفيائِهِ ، بجاه محمَّد وآله . انتهى . كلام الدميري ٢٣ . « رماح » .

وقد ذكر ابن حجر في خاتمة « الفتاوى » القصة المذكورة بكيفية أخرى بالتمام ، فقال : وحكى إمام الشافعية في زمنه أبو سعيد عبد الله بن أبي عصرون قال : دخلت بغداد في طلب العلم ، فوافقت

---

(١) الحربة : كالرمح ، وتجمع على حراب ، مثل كلبة وكلاب . « مصباح » (هامش الأصل) .

ابن السقا ، ورافقته في طلب العلم بالنظامية ، وكنا نزور الصالحين ، وكان ببغداد رجل[1] يقال له الغوث ؛ يظهر إذا شاء ، ويختفي إذا شاء ، فقصدنا زيارته أنا وابن السقا والشيخ عبد القادر ، وهو يومئذ شاب ، فقال ابن السقا - ونحن سائرون - : لأسألنَّه مسألة لا يدري لها جواباً . وقلت : لأَسْأَلَنَّهُ مسألة وأنظر ماذا يقول فيها ! وقال الشيخ عبد القادر : معاذ الله أن أسأله شيئاً ، أنا بين يديه أنتظر بركة رؤيته . فدخلنا عليه ، فلم نره إلا بعد ساعة ، فنظر الشيخ إلى ابن السقا مغضباً وقال : ويحك يا ابن السقا تسألني مسألة لا أدري لها جواباً ! هي كذا وجوابها كذا . **إني لأرى نار الكفر تلتهب فيك** . ثم نظر إليّ وقال : يا عبد الله أتسألني عن مسألة لتنظر ما أقول فيها ! هي كذا وجوابها كذا . لتخرنّ الدنيا عليك إلى شحمة أذنيك بإساءة أدبك . ثم نظر إلى شيخ عبد القادر وأدناه منه وأكرمه ، وقال : يا عبد القادر **لقد أرضيت الله ورسوله بحسن أدبك ، كأني أراك ببغداد وقد صعدت الكرسي متكلّماً على الملأ ، وقلتَ : قدمي هذه على رقبة كلّ ولي لله** ، وكأني أرى الأولياء في وقتك وقد حنّوا رقابهم إجلالاً لك . ثمَّ غاب عنَّا فلم نره . قال : وأما الشيخ عبد القادر فقد ظهرت أمارات قربه من الله ، وأجمع عليه الخاص والعام . وقال : قدمي . . . . إلخ ، وأقرت الأولياء في وقته له بذلك ، وأما ابن السقا فإنه اشتغل بالعلوم الشرعية حتى برع فيها ، وفاق فيها كثيراً من أهل زمانه ، واشتهر بقطع من يناظره في جميع العلوم ، وكان ذا لسان فصيح ، وسَمْتٍ بهيّ ، فأدناه الخليفة منه ، وبعثه رسولاً إلى ملك الروم ، فرآه ذا فنون وفصاحة وسمت فأعجب به ، وجمع له القسيسين والعلماء بالنصرانية ، فناظرهم وأفحمهم ، وعجزوا ، فعظم عند الملك ، فزادت فتنته ، فتراءت له بنت الملك فأعجبته ، وفُتِنَ بها ، فسأله أن يزوجها له ! فقال : إلا إن تتنصَّر . فَتَنَصَّر وتزوَّجها ، ثُمَّ

---

(١) وهو يوسف الهمداني . (هامش الأصل) .

مرض ، فألقوه بالسوق يسأل القوت فلا يجاب ، وعَلَتْهُ كآبة وسواد ، حتى مر عليه من يعرفه فقال له : ما هذا ؟ قال : فتنة حَلَّت بي بسببها ما ترى . قال له : هل تحفظ شيئاً من القرآن ؟ قال : لا إلا قوله تعالى ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ . قال : ثم خرجت عليه يوماً فرأيته كأنه قد حرق وهو في النزع ، فقلّبته إلى القبلة ، فاستدار إلى الشرق ، فعُدْتُ فعاد ، وهكذا إلى أن خرجت روحه ؛ ووجهه إلى الشرق ، وكان يذكر كلام الغوث ويعلم أنه أصيب بسببه .

قال ابن أبي عصرون : وأما أنا فجئت إلى دمشق ، فأحضرني السلطان الصالح نور الدين الشهيد وأكرهني على ولاية الأوقاف ، فوليتها ، وأقبلت عليّ الدنيا إقبالاً ، فقد صدق قول الغوث فينا كُلِّنا .

وفي هذه الحكاية التي كادت أن تتواتر في المعنى لكثرة ناقليها وعدالتهم ؛ فيها أبلغ زجر ، وآكد ردع عن الإنكار على أولياء الله تعالى ؛ خوفاً من أن يقع المنكر فيما وقع فيه ابن السقا من تلك الفتنة المهلكة الأبدية التي لا أقبح منها ولا أعظم منها . فنعوذ بالله من ذلك ، ونسأله بوجهه الكريم وحبيبه الرؤوف الرحيم أن يؤمننا من ذلك ، ومن كل فتنة ومحنة ، بمنّه وكرمه . وفيها أيضاً أتم حث على اعتقادهم ، والأدب معهم ، وحسن الظن بهم ما أمكن . انتهى عبارته ٢٣١ .

وقال ابن حجر في موضع من « الفتاوى الحديثية » في ٢٤٣ - بعد ذكره طرفاً من هذه القصة المذكورة - : وإن إمام العارفين ، وتاج الخلفاء الوارثين ، محيي الدين عبد القادر الجيلاني رضي الله تعالى عنه وهؤلاء الثلاثة جاؤا للوليّ معاً ، فوقع للأولين ما ذكر ، وأما الشيخ عبد القادر لما تأدب معه دعا له ، ووعده بالولاية ، بل القطبية ! وأن قدمه سيصير على عنق كل ولي لله تعالى ، فانظر شؤم قلة الأدب ، وفائدة الأدب والاعتقاد .

وجاء من المشائخ العارفين والأئمة الوارثين أنهم قالوا : **أقل عقوبة المنكر على الصالحين أن يحرم بركتهم . قالوا : ويخشى عليه من سوء القضاء .**

وقال بعض العارفين : من رأيتموه يؤذي الأولياء ، وينكر مواهب الأصفياء ، فاعلموا أنه محارب لله ، مبعد مطرود عن حقيقة قرب[1] الله .

وقال الإمام المجمع على جلالته وإمامته أبو تراب النخشبي رضي الله عنه إذا ألف القلب الإعراض عن الله صحبته الوقيعة في أولياء الله تعالى .

وقال الإمام شاه بن شجاع الكرماني : **ما تعبد متعبد بأكثر من التحبب إلى أولياء الله ، لأن محبتهم دليل على محبة الله عز وجل** . وقال أبو القاسم القشيري :قبول قلوب المشائخ للمريد أصدق شاهد لسعادته ، ومن ردّه قلب شيخ من الشيوخ فلا محالة يرى غِبّ ذلك ولو بعد حين ، ومن خذل بترك حرمة الشيوخ فقد أظهر رقم شقاوته ، وذلك لا يخطىء . انتهى .

ويكفي في عقوبة المنكر على الأولياء قوله ﷺ في الحديث الصحيح : « من آذى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب » أي : أعلمته أني محارب له ، ومن حاربه الله لا يفلح أبداً .

وقد قال العلماء : لم يحارب الله عاصياً إلا المنكر على الأولياء ، وآكل الربا ، وكل منهما يخشى عليه خشية قريبة جدّاً من سوء الخاتمة ، **إذ لا يحارب الله إلا كافراً** . انتهى عبارته .

---

(١) وراجع « الطبقات » للشعراني في صحيفة ٧٩ وفي ٤٦ (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

حكاية الشيخ الصنعاني

حكاية ينبغي روايتها في هذا الموضع : قال مؤلف « تفريج[1] الخاطر » : ذكروا أن الغوث - يعني عبد القادر الجيلاني - لما قال (قدمي هذه على رقبة كل ولي لله) فبأمر من الله وضع جميع الأولياء الحاضرين والغائبين رقابهم ، تعظيماً لجلاله ، وانقياداً لكماله ، إلا ذلك الرجل الشيخ في أصفهان[2] ، فكشف للغوث عدم انقياده ، فقال في حقه : فعلى رقبة رجل الخنزير[3] . فبعد مدة نوى ذلك الشيخ زيارة بيت الله مع المريدين الكاملين : الشيخ محمود المغربي ، والشيخ محمّد فريد الدين العطار ، فوقع مرورهم على بلدة من بلاد الكفار ، فوقع نظر الشيخ على بنت بديعة الحسن والجمال ، ليس لها شبيه ولا مثال ، قائمة على القصر ، تنظر الأطراف ، وعينها تصيد الأشراف ، فبمجرد رؤيته إياها وقع الشيخ مغشيّاً عليه ، وراح العقل من يديه ، وبمشاهدة حسنها وجمالها لم يطق أن يبرح من مكانه ، فلما رأت البنت محبته ، تمكنت في قلبها مودته ، ولم تبرح هي أيضاً من مكانها ، وانقطعت عن أكلها ومنامها ، فعلم والدها بحالها ، وتفكر كيف يكون بالها ، واضطرب اضطراباً شديداً ، ولم ير غير الازدواج[4] رأياً سديداً ، وأخبر الشيخين بما في باله ، فاختار الشيخ طريق ضلاله ، فأخبره أبوها أن قاعدة ازدواجهم حين إعطاء بنتهم إلى أحد : أن يجعلوه راعي الخنازير ، ويأتي لهم كل يوم بالخِنوص[5] ، ليأكلوا لحمه على شعارهم ، إلى حين الازدواج ، ثم يوقدون السراج ، ويجعلون

---

(١) راجعه في ٧٢ .

(٢) أي : الشيخ الصنعاني . (منه) .

(٣) فعلى رقبة رجل الخنزير : كذا في نسخة التى نقلناه منها فتدبّر . (منه) .

(٤) أي : الاجتماع بالزواج (هامش الأصل) .

(٥) وهو ولد الخنزير (هامش الأصل) .

بإحدى يديه لحم الخنزير مع الشراب ، وبيده الأخرى ذيل العروس بلا حجاب ، ففرح الشيخ ذلك الخبر ، ووَفَّى خدمته بلا حذر[١] ، ووضع الخنوص على رقبته في كل صباح حين إتيانه به إليهم ، فبعد انقضاء المدة جعلوا بإحدى يدي الشيخ لحم الخنزير مع القدح ، وبيده الأخرى ذيل حبيبته بالفرح ، فلما أراد الشيخ أن يشرب الشراب ، ويأكل لحم الخنزير بلا اجتناب ، نادى الشيخ فريد الدين : يا سلطان يا سيدي عبد القادر يروح الشيخ من أيدينا ! ! الأمداد الأمداد يا محيي الدين . فبسماعه النداء وقعت الرعدة في جسده ، وسقط القدح واللحم من يده ، وتنبّه من نوم الغفلة ، وتوجّه إلى الصحراء بلا مهلة ، فسأله الشيخ فريد الدين : إلى أين المفرّ ؟ فأجابه : إلى مَنْ سَهْمُهُ أثَّر ؛ للاعتذار من سوء أدبي ، والاستغفار عند منقلبي ، فلما وصل إلى بغداد سود وجهه بالسواد ، وشد يديه بالشدة ، ووقف مع الخدم في السدة[٢] فتضرع بالقلب قبالة الغوث الأعظم ، فعطف الغوث عليه وعفا عما تقدم ، وأمر بغسل وجهه ، وفك الوثاق من يديه ، وتوجه الغوث إلى الله الكريم أن يغفر ما تقدم من ذنبه العظيم ، فجاءه الخطاب من الله العزيز الوهاب : بإساءة الأدب في حقك صار مردوداً . فتضرَّع الغوث في حقه تضرُّعاً معدوداً ، حتى جاء النداء من الفرد الصمد : لا أقبل شفاعة من أحد . فحينئذ كف يده عن تصرّف أمور الكونيّة ومراسم الغوثية وقال[٣] : إلهي إذا ما قبلت في حقه شفاعتي وشفاعة الأولياء كيف يكون يوم القيامة حال المريد ؟ ولهذا الخطر العظيم منعت نفسي عن مثل هذا الأمر الجسيم ، وفوضت أمور عبادك إليك ، وأنت العليم القادر

---

(١) أي : بلا خوف .
(٢) السدة - بالضم - : العتبة . (هامش الأصل) .
(٣) وقال عبد القادر الجيلاني (هامش الأصل) .

والأمر إليك ، فجاءه الخطاب من الملك المالك[1] : قبلت توبته وعفوت عنه لأجلك ، **وأعطيك عهداً أن لا أخرج أحداً من مريديك من الدنيا بغير توبة من العصيان ، ولا أقبض أرواحهم إلا على الإيمان** . وسمع الحمد من الملكوت للحي الذي لا يموت ، الحمد لله حمداً متوافراً والشكر له شكراً متكاثراً .

وذكر في بعض الرسائل أن الغوث الأعظم لما صار مأموراً أن يقول : (قدمي هذه . . . إلخ) وضع جميع الأولياء رقابهم سوى الشيخ الصنعاني ، وقال : أنا أيضاً من المحبين ، لا يقتضي لي أن أضع رقبتي لقوله ، وكشف للغوث عدم انقياده ، فقال : فعلى رقبة رجل الخنزير . ثم قصد ذلك الشيخ زيارة مكة المعظمة مع أربع مائة من المريدين ، فبتقدير القادر المطلق

---

(١) من مالك الملوك ، عله . (هامش الأصل) .

فهذه مهمات ينبغي للعاقل أن يوقفها قبالة عينه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله

* قال أبو إسحق إبراهيم بن شيبان القرميسيني رحمه الله تعالى : **من ترك حرمة المشائخ ابتلي بالدعاوي الكاذبة فافتضح بها** . « طبقات الكبرى » ج١ في ٧٩ .

* وكان أبو الحسين علي بن هند القرشي الفارسي رضي الله عنه يقول : من أكرمه الله تعالى بحرمة الأكابر أوقع حرمته في قلوب الخلق ، ومن حرم ذلك نزع الله حرمته من قلوب الخلق فلا تراه إلا ممقوتاً وإن حسنت أخلاقه وصلحت أحواله . « الطبقات الكبرى » ٧٩ ج١ .

* وقيل لأحمد بن حنبل رضي الله عنه : إن الحرث المحاسبي يتكلم في علوم الصوفية ويحتج لها بالآي والحديث ، فهل لك أن تسمع كلامه من حيث لا يشعر ؟ فقال : نعم ، فحضر معه ليلة إلى الصباح ولم ينكر من أحواله ولا من أحوال أصحابه شيئاً . « طبقات » عبارته ٤٦ ج١ .

* وكان أبو محمد سهل بن عبد الله رحمه الله يقول : إياكم ومعادات من شهره الله تعالى بالولاية وإنه إن كان بالبصرة وليّ لله تعالى فعاداه قوم وآذوه فغضب الله عليهم ، فأهلكهم أجمعين في ليلة . وكان يقول : طوبى لمن تعرف بالأولياء فإنه إذا عرفهم استدرك ما فاته لأنهم أهل الفتوة . « طبقات » عبارته ٧٩ ج١ .

وقع نظر الشيخ على امرأة نصرانية ، فتعشق ولم يبق له قرار ، ووقع في شدة واضطرار ، وكانت تلك المرأة بائعة للخمور ، وأطاعها الشيخ بالفرح والسرور ، حتى أمرته يوماً برعي الخنازير ، وقالت : أيها الشيخ الكبير ؛ ضع على رقبتك الخنوص ، ليأمن في المشي من الدوس[1] فوفّى هذه الخدمة كما أمرته الحبيبة ، **وتفرقت المريدون عنه حين رأوا هذه الحالة العجيبة ، إلا المريدان الصادقان الكاملان** وهما : الشيخ محمد فريد الدين ، والشيخ محمود المغربي ، وقالا : يلزم إطفاء نار هذا البلاء من مكان اشتعالها ، وكانا يعرفان أن هذه البلية العظيمة بعدم انقياده لقول الغوث الأعظم ، فبقي الشيخ محمود عند شيخه ، وتوجه الشيخ فريد الدين إلى بغداد ، فلما وصل راح إلى التكية العلية ، وفحص عن محل خدمة الشيخ ليخدم ، فلم ير محلاًّ خالياً عن المأمورين ، فاختار أن يحمل سلة[2] البراز[3] ورمي ما فيها إلى الصحراء ولم تقع له تلك الخدمة من المأمورين ، فتربَّص حتى وقعت تلك الخدمة بيده ، وبعد أيام شكا الخدمة المذكورون إلى الغوث الأعظم ؛ بأنْ صِرْنا محرومين من خدمتنا . فقال : أفيكم درويش غريب جاء جديداً ؟ ! قالوا : بلى وأخذ خدمتنا . فقال : هو يكون في هذه الخدمة . فقام الغوث إلى الطهارة ، فرأى شاباً حاملاً فوق رأسه سلة البراز ، والمطر نازل ، والنجاسة تقطر عليه ، فقال الغوث : أنت من ؟ ! فقال : خادم الشيخ الصنعاني . فترفق الغوث بحال الشاب ؛ فقال : اطلب . فقال : أنت أعلم . فقال الغوث : اطلب مقاماً

---

(١) الدائس : الذي يدس الطعام ويدقه ليخرج الحبّ من السنبل ، وهو الدياس ، وداس الشيء برجله يدوسه دياسة فانداس « مجمع البحرين » . فالمعنى : ليأمن في المشي من دوس الناس الخنوص بأرجلهم . والله أعلم . (غازي محمد العوري) . وداس الأرض دوساً : إذا شدد وطأه عليها بقدمه . « مصباح » . (هامش الأصل) .

(٢) هي بلساننا : هِهْ – (عجم) .(هامش الأصل) .

(٣) البراز ؛ ككتاب : الغائط « القاموس المحيط » (هامش الأصل) .

عالياً . فقال الشاب : ليس عندي مقام أعلى من العفو عن شيخي . **فقال الغوث** : عفوت عن شيخك لأجلك . فحينما قال الغوث هذا الكلام تنبه الشيخ الصنعاني من نومة الغفلة ، وسَلاَ عن محبة النصرانية ، ووجد حالته الأوّلية ، وفارق معشوقته العيسوية ، وتعشقت هي بالشيخ وتعلق قلبها به ، واختارت موافقته ، فقال لها الشيخ : لا مناسبة بيننا ، أنت كافرة وأنا مسلم ، **فبمجرد هذا الكلام أسلمت مع جميع أتباعها** ، واختارت خدمة الشيخ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين . انتهى عبارته ٣٠ .

فإن قال قائل : إنك قد ذكرت في هذا الكتاب بوجوب الإنكار والاعتراض على المتشيخ الكذاب ، وبينت ما يترتب عليه من المؤاخذة والعقاب ، وذكرتَ أيضاً في هذا البرج آفة الإنكار على الشيخ الكامل ، فإذا كان الأمر كذلك ، واختلط الكاذب في كل وقت بالصادق ؛ فماذا نفعل الآن ؟ وكيف يتميز بينهما ؟ ! وهل لذلك ميزان ؟ !

أقول – والله أعلم ، ومنه نستمد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم – : اللهم ؛ نعم لذلك ميزان ، ليزن من يريد اتباع الحق أحوال متبوعه ، ولأجل ذلك وقع الاحتياج لوضع البحث المستقل في بيانه ، **فليتدبر** العاقل فيما سنذكره .

البرج السادس عشر

في بيان مراتب الطرق المشهورة في ديارنا

وذكرها بالإجمال ليكون سبباً لمعرفة المتشيخ الغرّار

والشيخ المتحقِّق المتمسِّك بطريق الأبرار

أيها الأخ المحترم ، إن الطرق إلى الله كثيرة ، ولكلِّ سالك فيها أذكار وأوراد والمشهور منها في ديارنا هذه الطرق الآتية :

فأولها وأفضلها وأسهلها وأقربها هي الطريقة النقشبندية العلية ، وأوّل قدم يضعونه فيها في الذكر : القلب بتلقين لفظة الجلالة[1] (الله) ، ثمّ بعد حصول نتيجته ؛ وهي رسوخ الذكر في القلب ؛ بحيث لو تكلّف بإخطار غير الله لا يخطر يلقِّن الشيخ الذكر إلى الروح ، ثمَّ إلى السرِّ ، ثمَّ إلى الخفي ، ثمَّ إلى الأخفى ، ثمَّ إلى لطيفة النفس ، ثمَّ إلى لطيفة الجسد ، فحينئذ تتَّحد اللطائف . وتصير جميع أجزاء البدن تذكر الله تعالى ، حتَّى يجد المريد نفسه وقتئذ تتحرَّك بحركات عجيبة ؛ كالطير المذبوح المطروح إلى الأرض ، **ولا يفهم من كلّ صوت ـ حتى من صوت الكلب النائح ـ إلا الذكر ، ويتخيَّل أيضاً مع كلّ متحرك الذكر القلبي ، فهذه الأمور ممّا لايعرفها بالإخبار أو بالكتبة إلا من ذاقه ،** ثمَّ يلقِّن الشيخ بعد ذلك (لاإله إلا الله) .

وقد كان عادة مشائخنا أنَّهم يأمرون بذلك باللسان إلى أن يبلغ

---

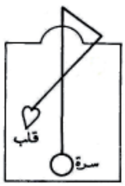
(١) من غير فرق بين مريد ومريد ، على ما اختاره الإمام الرباني أخيراً ، (منه) .

* وفيها أيضاً – أي « الرسالة المدنية »– : إذا تأملت مجرّد ذكر القلب ، لا يعدل عليه شيء . وفيه أيضاً – أي « رسالة المدنية » – : إن عارفاً بالله في شرق الأرض ورجل محبّ له في مغربها لكان له نصيب من ذلك على حسب قسمته وتهذيب محبته . انتهى . « كنز المعارف » ٨٢ .

العدد إلى سبعين ألف مرة ، ثمَّ يلقِّنون ذلك بالقلب مع حبس النَّفس ، وكيفية ذلك : أن يجرَّ (لا) من السرة إلى أم الدماغ ، ويجرَّ (إله) منه إلى الكتف الأيمن[1] ، ومنه يجر (إلا الله) إلى القلب الصنوبري ويضرب لفظة

---

(١) وكيفيته – أي كيفية النفي والإثبات – بالقلب : أن يلصق اللسان بالحنك الأعلى ، وتوضع الأسنان على الأسنان ، والشفة على الشفة كالأول ـ أي : كالكيفية المذكورة في اسم الذات ـ ويحبس النَّفَس تحت السرَّة ـ أي : يحبس الذاكر نفسه في جوفه بحيث لا يضيق عليه حبسه ، ثم إن غمَّض عينيه يكون له أولى ؛ ليحصل له كمال التوجُّه إلى الذكر ، ويتخيل منها ـ أي من السُرَّة ـ من وسط جوفه (لا) بحيث يكون كرسيُّها على السُرَّة ، ويمدُّ طرفيها إلى منتهى الدماغ ، ويلاحظ معها نفي مقصودية ما سوى ذات الحق سبحانه ؛ من حسن وقبيح ، ومنه ـ أي : ثم منتهى الدماغ ـ يتخيل (إله) ، وينزل بها إلى الكتف الأيمن ، ويلاحظ معها انتفاء مقصودية غير ذات الحق وبطلانها ، ومنه ـ أي : ثم من الكتف الأيمن ـ يتخيل (إلا الله) ، وينزل بها بحسب التخيل من عرق نوراني إلي القلب ، ويضربها على رأس القلب بالنَفَس الدائر في الجوف ، ويلاحظ معها مقصودية ذات الحق سبحانه ، فيحيط هذه التخيلات الثلاثة على محالِّ اللطائف كلها بصورة (لا) المعكوسة ـ هكذا ←



ـ التي يكون أحد طرفيها في السُرَّة وطرفها الآخر في القلب ، وكرسيّها بين الدماغ وبين الكتف ، ويلاحظ الذاكر مع هذه التخيلات معناها ـ أي : معنى كلمة (لا إله إلا الله) ـ بأن لا مقصود إلا ذات الله . . . إلخ ، فإن نفي المقصودية أبلغ من نفي المعبودية لأن كل معبود مقصود ، وإن لم ينعكس ، لأن المقصودية أهم من المعبودية ،فنفي الأعمِّ يستلزم نفيَ الأخصِّ ، دون عكسه . . . إلخ ، وفي آخرها ـ أي : وفي آخر كلمة (لا إله إلا الله) ـ يتخيل : (محمد رسول الله) ويريد به التقيُّد بالاتباع ـ أي : باتباع النبي ﷺ بحسب الظاهر والباطن ، في جميع الأحوال والمقامات ، ويكرره ـ أي : يكرر كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) – على قدر قوة النفس على الذكر من غير تضايق النَّفس عن الحبس المخلّ عن الحضور ، ويطلقه عند حضور التضايق المُخلِّ من الفم أوْ من الأنف على الوتر – أي عند وقوفه على العدد الوتر – إلى أحد وعشرين . قال بهاء الدين – قدس سره – :إن حبس النَفَس والوقوف على العدد الوتر ليس بلازم في النفي والإثبات ، وإنما اللازم نفي البشرية ، وهو يحصل بمجرد النفي والإثبات .

وأما فائدة حبس النَفَس : فهي انشراح الصدر ، واطمئنان القلب ، وحصول الحلاوة=

الجلالة عليه ثمَّ إذا حصلت النتيجة من هذا الذكر ؛ **وهي الغيبة والذهول والفناء** ، يلقِّن الشيخ **مراقبة الأحدية** ، وبعد حصول نتيجتها يلقن **المراقبة المعيَّة** ، ثمَّ **مراقبة القلب** ، ثم **مراقبة الروح** ، ثم **مراقبة السرِّ** ، ثمّ **مراقبة الخفي** ، ثمّ **مراقبة الأخفى** ، ثم **المراقبة الأقربية** ، ثمّ وثمَّ وثمّ ويطول الكلام بذكرها وذكر نتائجها . وكلّها مذكورة في الكتب ، معلومة عند أهلها ، مجهولة لدى المتشيِّخين وأصحابهم ، ولا يعلمون ما ذكر القلب وما ذكر اللطائف !! . بل يقول بعضهم : هل للقلب لسان يذكر الله ؟ ! كما

=الروحانية ، ونفي الخواطر .

وأما فائدة مراعاة العدد : فهي جمع الخواطر عن التفرقة .

ويقول بعد إطلاقه نفسه إلهي أنت مقصودي ، ورضاك مطلوبي .« تحفة الأحباب على مسلسلة الذهب » للشيخ محمد مراد (هامش الأصل) .

*** أنواع المراقبات** . ففي **ولاية الصغرى** : مراقبة الأحدية ، ثم مراقبة المعيّة – نوره أخضر – ، ثم مراقبة القلب – آدميّ المشرب ؛ نوره أصفر – ، ثم مراقبة الروح – إبراهيميّ المشرب ؛ نوره أحمر – ، ثم مراقبة السر – موسويّ المشرب ؛ نوره أبيض – ، ثم مراقبة الخفي – عيسوي المشرب ؛ نوره أسود – ، ثم مراقبة الأخفى – محمدي المشرب ؛ نوره أخضر – ، وهذه المراقبات في الولاية الصغرى ، وفي **الولاية الكبرى** : مراقبة أقربية ثم مراقبة محبّة . وفي **الولاية العليا** – وهي ولاية الملائكة – . . إلخ .

ثم اعلم أن كيفية المراقبة أن يكون السالك طاهر البدن والثياب وحضور القلب والفؤاد في مكان طاهر بحيث لا يحصل له أصوات الحيوان ، ولا يدخل فيه الإنسان ثم يجلس فيه على ركبتيه مستقبل القبلة ، مغمض العينين ثم يخرج عن حوله وقوته ، وينسى جميع علمه ومعرفته ، ويعطل حواس ظاهره وفؤاد باطنه ، ثم يتوجّه بالقلب المطلق مع الجذبة إلى جناب ذات الحق سبحانه وتعالى على طريق الاستهلاك فيه ، ولا ينفك عن المراقبة بهذه الكيفية في جميع الأوقات بعد أداء الفرائض والسنن الراتبات حتى تزول عنه تزاحم الخواطر وتثاقل العناصر وتتزكّى نفسه ويعتدل طبعه وتغلب روحانيته على جسمانيته فبعد ذلك إن استقرت فيه تلك الحالة وكانت له كالصفة اللازمة تستحب له مخالطة الناس ويلزم الاشتغال بنوافل الصلاة وتلاوة القرآن . . إلخ . « رسالة » .

قال ذلك واحد منهم لدى هذا الحقير مشافهة ، وأنكَرَ ذكر القلب بأنَّ ذلك مما لا يكون ، فتعجبتُ به وبقوله ؛ مع كونه رجلاً يظن الناس أنَّه قطب ، حتّى قال بلسانه في مجمع من العلماء : لو كان في الأرض أعلى مني في المشيخة فليتقدَّم . فحين رأينا ما حلَّ به[1] من هذه البلية ؛ كِدْنا أن نبكي رحمة عليه .

واجتمعت أيضاً واحداً منهم يظن الناس أنه قطب ، فأقرَّ في مجمع من العلماء بأن شيخه لم يكن لقَّن له شيئاً ما من الطريقة ، بَيْدَ أنَّه قد قيل : أَذِنَ له قُبَيل موته . فتعجبت بقوله هذا ، وتعجب الحاضرون ، لكنْ لم أقل له قولاً ما يردّ كلامه ، بل سَكَتُّ . ولو قيل له : أيّ شيء تُعَلِّم الناسَ ؟ ! وبأيِّ شيء تلقِّنهم مع أن الإذن إنما يكون لتلقين ما لَقَّنَ لك الشيخ ؟ لسكتَ ، ولا يدري ما يقول .

واعلم أيها الأخ أنَّ أكثر المتصدِّرين في ديارنا كأمثال هذين الشخصين المذكورين ، **وكلّ من تصدَّر باسم الشيخوخة قائلاً (إنه مأذون من طرف الثغوري)** ، **فهو مُدّعٍ كذّاب** ، كائناً من كان ، فكيف لا ؛ وقد أخبر واحد منهم بأنَّه ليس بيده إِذن من الشيخ الثغوري ! بيد أنَّه يُعَلِّم الناس الخير ظنّاً منه أن الثغوري لا يسخَط عليه بذلك .

فالحاصل : قد أقرَّ جميعهم بعد التفحُّص لدى مَن يعرف مراتب الطريقة بأنَّهم لا يعلّمون أوراد الطريقة ، بل إنَّهم آمرون بالمعروف . فهذا آخر كلامهم عند من يعلم .

وأمَّا عند الجُهَّال ! فإنهم ينطقون بكل ما سَبَقَ على لسانهم ، ولا يتحاشون عن ذلك ، ولا يخفى على الله شيء ، حتّى **قال الحاج أُذُن السلطي** : إنَّه كان لدى الثغوري قُبَيْل موته وقال : يا ولدي لم يحصل

---

(١) وقد وقع رؤيته ، ورؤية أحواله سبباً لتأليف : « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » وهو كتاب ضخم كالجامي (منه) .

في مريدي من يأخذ عصاي بيده . وأنا الآن قريب إلى الممات ، ثمَّ مات رحمه الله بعد أيام ؛ ولم يأذن[١] لأحد ، هكذا أخبره مُشافهة لدى العلماء[٢] وأخبروني بعين ما قاله .

وأخبرني شيخنا العسلي قدّس سره أنّ أُذُن حاج قال للككني : إنّ الثغوري لم يأذن لأحدٍ ، فلم تفعل هذا الأمر ؟ ! فقال الككني : إنِّي لم أكن أتشيَّخ ، وإنما أنا آمر بالمعروف . فبعد ذلك تصدر أُذُن حاج لفعل ما فعله قائلاً : إني آمر بالمعروف . انتهى .

وأيضاً قد وجد العلماء في أثناء كتاب مَمَّ دبر الروچي قدس سره مكتوباً كتبه الشيخ جمال الدين الغموقي قدس سره بخطه بهذه العبارات : إلى مَمَّ دبر ؛ إنّي إنما قطعت[٣] النظر عن عبد الرحمن الثغوري لاتّباعه الكشف الخديع[٤] . . . إلى آخره . وعندي ذلك المكتوب الذي كتبه بعض العلماء من خطه .

وقد كتبها شيخنا الباكني من خطه[٥] بتمامه في هامش تخميسه على

---

(١) راجع هامش « تنبيه السالكين » .

(٢) منهم العالم محمد شفيع الهژلي والعالم الحاج محمد بن إبراهيم القحيِّ الأسترخاني كما أخبراني بذلك مشافهة (منه) . (هامش الأصل) .

(٣) وفي نسخة : إني قطعت .

(٤) اللهم إني رأيت مكتوباً كتبه واحد من خط السيد أبو عبيدة ابن الشيخ السيد نور الدين الغموقي قدس سره : بأن الشيخ سيدي طه الخالدي النقشبندي أذن للثغوري قدس سره لكن لم نجد في ديارنا من علَّمه الطريقة النقشبندية ؛ ولو لواحد (منه) . (هامش الأصل) .

بيد أني رأيت مكتوباً كتبه الشيخ الثغوري إلى الشيخ الفلاني يشكره على أنّه أذن – الشيخ الفلاني – له – أي الشيخ الثغوري – . ورأيت في « سلم المريد » أنه أذن له اليراغي . ولله الحمد والمنة (منه رحم الله إفلاسه) . (هامش الأصل) .

(٥) أي : من خط جمال الدين قدس سره . (هامش الأصل) .

« سلك العين » فراجعه . وقد حكى العالم محمد شفيع الهزِلي رحمه الله تعالى أنه قال : اجتمع مع واحد من مشائخ بخارى ، وكان شيخاً كبيراً هرماً ، ذا لحية بيضاء ، فقال لي : هل في داغستان مشائخ ؟ فقلت له : نعم . وذكرت له جميع من يتشيخ في ديارنا ؛ بذكر أسماء كلهم : كالحاج محمد الككّني ، وأُذُن السلطي ، ورجبلو الكنوي ، وسراج الدين الإنخوي ، وإلخ إلخ ، فأطرق ذلك الشيخ رأسه ملياً ، وغمَّض عينيه كأنه يتفكر في حقهم ثم نظر وقال : المذكورون أولياء لا مرشدون ليس لهم سلسلة ؛ سوى الحاج عبد الرّحمن العسوي فسلسلته متصلة إلى النبي عليه السلام هكذا - فمد يديه قبالته يشير بذلك[1] إلى استقامة سلسلته ، وكونه مرشداً كاملاً - . انتهى .

واعلم أيها الأخ ؛ أنَّ شيخ الثغوري كان جمال الدين الغموقي رحمه الله تعالى وكان هو نقشبنديّاً وقادريّاً ، وإذا كان الأمر كذلك ! فلم نجد في نواحينا ولو واحداً لُقِّن له شيء ما من أوراد هذين الطريقين ، بل إنما أمروهم[2] بـ(لا إله إلا الله) كما يقول العوام ، لا على الكيفية التي قرَّرَها

---

* لكن ذكر الشيخ إلياس في « سلّم المريد » أنه - أي : الشيخ الثغوري - أذن له - أي : الشيخ إلياس - وكتب الشيخ العالم مَمَّلْ علي الأقوشي بأنه قدس سره أذن له . والله أعلم بحقيقة الحال (منه) . (هامش الأصل) .

(١) أي بمد يدين . (هامش الأصل) .

(٢) أي الزاعمون أنهم خلفاء خلفائه ، فافهم . (هامش الأصل) .

*وقع بيني وبين واحد من المتشيخين كلام في خصوص المشيخة والإجازة على وجه المجادلة في محضر من الناس المحترمين ، فسألته ؛ أيّ شيخ أذن لك لتلقين الذكر ؟ فأجاب : أذِنَتْ لي الحاجة مريم بنت الشيخ عبد الرحمن الثغوري ، فقلتُ له : هل تكون للنساء ولاية ما . فقال : إني سألتها كيفية تلقين أبيها الذكر للمريدين فأخبرتني تلك الكيفية ولي بها أسوة حسنة في التلقين ، ثم قال ذلك المتشيخ بعد كلام كثير وأهل المجلس يضحكون علينا : (هَنْج دِصَكِ تَنَ هِبْ طَرِيقَتْلِ قِّ مَرْيَمْ حَجِلْ بَرْكَتْ شُنْ) فتضاحك المجلس . وإن هذاَ ممن يزعم المشيخةَ زعماً شديداً (لمحرره العوري غازي محمد) . (هامش الأصل) .

المشائخ ! فبهذا الميزان المذكور يعرف الفرق بين الشيخ والمتشيخ في ديارنا .

وأيضاً إن عادة المشائخ كتابة صك الإجازة ، كما ذكره الإمام الرباني في بعض مكاتيبه ، وعثمان الزاخوري في « تحفته » ، فتفحَّص منهم أيها الصديق ، هل في يد واحد منهم صك الإجازة أم لا ؟ ! فإن وجدت ، فقل لهم : إنما يحتاج إلى الإجازة لتلقين أوراد الطريقة ، لا لتلقين ما أَرَدْتُمْ ! فلا يدرون لهذا القول جواباً . وهذا ميزان آخر أيضاً لتعليم المحق والمبطل في هذه الطريقة النقشبندية وفي غيرها .

أوراد الشاذلية

وثانيها : الطريقة الشاذلية

وأورادها – على ما لقننا شيخنا قدّس سره – :

١ – **أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه** (مائة مرة) وهذه الصيغة الشريفة المسماة بـ(روح الصلاة) ؛ كما في « جواهر المعاني » .

٢ – **اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم** (مائة مرة) .

٣ – **ولا إله إلا الله** (مائة مرة) سيدنا محمد رسول الله ﷺ مرة واحدة .

٤ – وقراءة الصلاة المشيشية الممزوجية ويفعلها صباحاً ومساء في المَلَويْن .

ومثله في « النور الساطع » و« الأنوار القدسية » .

ولِلشّاذليّة أوراد أخرى يُلقّنُونها في منازل طريقتهم ، وهي : (لا

إله إلا الله) في النفس الأمارة ، (الله الله) في اللوّامة ، (هُو هُو هُو) في الملهمة ، (حقٌّ حقٌّ حقٌّ) في المطمئنة ، (حيٌّ حيٌّ حيٌّ) في الراضية ، (قيُّوم قيُّوم قيُّوم) في المرضية ، (قهّار قهّار قهّار) في الكاملة .

كتب شيخنا سيف الله قدّس سره في بعض مكاتيبه بعد ذكره هذه الأذكار المذكورة وسَيْرها وعَالَمها هذه العبارات الآتية :

وهذه الأسماء أئمة الأسماء ، ويقال لها الأسماء الإلهية ، وهي أيضاً أصول الأسماء ، فلكل نَفس اسم خاص ، وأصحاب الطرق الذين كانوا للشاذلية كالخلوتية كذلك ، ولكن غنينا عن ذكر البسط لكون ذلك خارجاً عن مرادكم ، وإن بسطنا الكلام لاحتاج إلى أرجوزة مستقلة . انتهى . من خطه .

ولهذا الحقير إجازة في هذه الطريقة ، وهي أفضل الطرق بعد النقشبيدية ، كما ذكره أحمد ضياء الدين قدس سره ، فَزِنْ أيها المخدوم حال مَن لَقِيتَ ممن يزعم أنه شاذلي على هذا الميزان المذكور ؛ تعرف الحقيقة ، ويتبين الصادق والكاذب .

وثالثها : الطريقة القادرية قدس الله أسرار أهلها ، فإذا كان في ديارنا مَن يزعم أنه قادري ، وأن ما يلقنه من أوراد القادرية ، احتجنا أن نذكر طرفاً مما يستعمله أرباب هذه الطريقة العلية قدس الله أسرارهم آمين ، ليكون ميزاناً يعرف به أن يتميَّز المحق والكاذب .

أوراد الطريقة القادرية

قال في « الأنهار الأربعة » **اعلم** أن مشائخ هذه الطريقة قدس الله تعالى أرواحهم يأمرون الطالب أولاً بالذكر جهراً متوسطاً .

وهو على قسمين : اسم الذات ، والنفي والإثبات .

الأول متنوع إلى أربعة أنواع :

النوع الأول : ما كان بضربة واحدة .

وصفته : أن يقول (الله) بالشدِّ والمد ، والجهر بقوة القلب والحلق ، ثم يتوقف حتى يستقر النَّفَس ، ثم يقول أيضاً على طريق المذكور ، ولم يزل هكذا متخذاً ذلك ورداً .

النوع الثاني : ما كان بضربتين .

وطريقه : أن يجلس جلسة الصلاة على ركبتيه ، ويضرب باللفظ المبارك مرة على الركبة اليمنى ، وأخرى القلب ، ويكرر ذلك بلا فصل ، وينبغي أن يكون كل من الضربتين بكمال القوة والشدة ؛ خصوصاً الضربة التي تكون على القلب لتأثر القلب وتحصل الجمعية .

النوع الثالث : ما كان بضربات ثلاث .

وكيفيته : أن يجلس مربعاً ، ويضرب باسم الذات مرة على الركبة اليمنى ، ومرة على الركبة اليسرى ، ومرة على القلب ، وليكن الضربة الثالثة أشد وأجهر .

النوع الرابع : ما كان بضربات أربع ، وفي هذا كذلك : أن يجلس مربعاً ، ويضرب باسم الذات مرة على الركبة اليمنى ، ومرة على الركبة اليسرى ، ومرة في القلب ، ومرة أمامه ، وليكن الرابع أشد وأجهر من الأوليات .

القسم الثاني : النفي والإثبات وهو قولنا (لا إله إلا الله) .

وصفته : أن يجلس على ركبتيه ، متوجهاً إلى القبلة ، ويغمض عينيه ، ويقول : (لا) كأنه يخرجها من سُرَّته ، ثم يمدها حتى يبلغ إلى المنكب الأيمن ، فيقول (إله) كأنه يخرجها من أم الدماغ ، ثم يضرب

(إلاّ الله) بالشدة والقوة على القلب ، ويلاحظ نفي المحبوبية والمقصود والوجود عن غير الله ، وإثباتها له تبارك وتعالى .

واعلم أن الحكمة في اشتراط الضربات الشديدات ومراعاة مواضعها في الذكر ؛ أن الإنسان لما كان مجبولاً على رؤية الجهات الست ، واستماع الأصوات والنغمات ، ومبتلى بخطور الخواطر على قلبه وحديث النفس ، قرَّر مشائخ الطريقة قدس الله تعالى أرواحهم - تلك الشروط والأوضاع ؛ سدّاً للتوجه إلى غير نفسه ، حتى يخلو بذلك من الخطرات الخارجية ، ويتوجه إلى الذات الإلهية .

وينبغي لأهل السلوك أن يجتمعوا ويقعدوا حلقة بعد صلاة العصر ؛ يذكرون الله تعالى على وجه الجمعية ، لأن في الاجتماع فوائدَ كثيرة لا توجد في الانفراد ، فإذا ظهر للسالك أثر الذكر الجلي ، وشوهد فيه نور الذكر متى ما كان نقد وقته الذوق والشوق ، وارتفاع الخواطر ، وانتفاء حديث النفس ، واطمئنان القلب باسم الله تعالى ، وإيثار الحق على كل ما عداه ، فحينئذ يأمره الشيخ بالذكر الخفي ؛ وهو على قسمين :

اسم الذات مع أمهات الصفات **وصفته** : أن يغمض عينيه ، ويضم شفتيه ، ويقول بلسان القلب : (الله سميع ، الله بصير ، الله عليم) ، كأنه يخرجها من سُرَّته إلى صدره ، ومن صدره إلى دماغه ، ومنه إلى العرش ، ثم يقول : (الله عليم ، الله بصير ، الله سميع) ، هابطاً على تلك المنازل كما صعد عليها ، فهذه دورة واحدة ، ثم يفعل هكذا وهكذا . ومن أهل هذا الشأن من يزيد (الله قدير) .

والنفي والإثبات وصفته : إما كما ذكرنا في الجهر ، وإما بأن يكون متيقِّظاً مطَّلعاً على أنفاسه ، فإذا خرج النَّفَس بطبيعته من غير قصده وإرادته قال مع خروجه (لا إله) بلسان القلب ، وإذا دخل قال مع دخوله (إلا الله) وهذا يسميه الأكابر (باش أنفاس) ، وله أثر عظيم في نفي

الخواطر وزوال حديث النفس ، فإذا ظهر أثر الذكر الخفي ، وشوهد في الطالب نوره ؛ يأمره الشيخ بالمراقبة ، والمراد من ظهور هذا الأثر : غلبة الشوق والمحبة ، وانصراف عنان عزيمته إلى الفكر ، وإيثار الله عز وجل ، واجتماع الهمة على طلبه ، ووجدان الحلاوة في السكوت ، وكمال النفرة عن الكلام والاشتغال بأمر الدنيا . انتهى عبارته .

وفي « الأنهار الأربعة » بسط مرضي في كيفية المراقبات فراجعه .

فهذه هي أوراد الطرق المشهورة في ديارنا ، وهي ميزان صادق ، **وقلَّ فينا مَن له إجازة صحيحة فيها من أربابها** ، وقد سألت بعضاً يتصدر لتعليم القادرية : من شيخك ؟ فقال : فلان . فقلت له : ومن شيخه ؟ فقال : عبد القادر الكيلاني . ولم يدْر أن يذكر من سلسلة تلك الطريقة غيرهما ، فكيف يكون الشيخ قادرياً مع عدم استعماله شيئاً ما من أورادها ؟ ! وكيف يكون نقشبنديّاً أو شاذليّاً مَن لا يشتغل بشيء من أذكارهما ؟ ! فكما لا يصير الحنفي شافعيّاً إلا بعد استعماله مذهب الشافعي ؛ فهكذا لا يكون الشخص نقشبنديّاً أو شاذليّاً أو غيرهما إلا بعد أخذ التلقين والعهد من أربابها وقطع منازلها ، إلى أن يصل إلى مقام الإجازة ، ثم إعطاء[1] الإجازة للتلقين والإرشاد ، **فافهم** يا أخي ، ولا تظن أن هذا الحقير الداعي لكم بالخير إنما يتكلم لحظِّ نفس أو غرض من الأغراض ! حاشا ذلك وكلا ، والله على ما يقول شهيد ، بل هو الناصح الأمين للخلق بعد علمه بالعلم اليقيني حقيقة حال أهل الزَعْم ، خوفاً من أن يكون شيطاناً أخرس ، لأنه قد ورد أن : « الساكت عن الحق شيطان أخرس » ، أو ما هذا معناه .

ولعدم شهرة سائر الطرق في نواحينا أعرضت عن ذكرها ، والكتب التي ذكر فيها جميع الطرق فمذكورة في « جامع أصول الأولياء » فراجعه من أوله فهذا والسلام ، وأوصيكم بالدعاء .

---

(١) أي إعطاء الشيخ الإجازة . (منه) (هامش الأصل) .

البرج السابع عشر
في ذكر أوصاف الشيخ المرشد

قال في « الفتاوى العمرية » : وشرط المرشد الذي يصح[1] له الإرشاد : أن يكون عالماً بموجب الشريعة المطهَّرة على وجه الاستقامة ؛ بلا ميل ولا انحراف ولا إعراض ، ويرشد الناس إلى اتباع الشريعة . وذكر الله **مع الحضور** ، وأن ينصح الجميع بما أمكنهم ؛ فيدلَّهم على التقوى والاستقامة ، وينهاهم عن المنكر ، وينظر لكافة الخلق بعين الشفقة والرحمة ، ويرحم صغيرهم ، ويوقِّر كبيرهم ، وأن يكون عالماً بما يحتاج إليه المريدون ؛ من فقه وعقائد التوحيد بقدر ما يزيل به الشبهة التي في البداية تعرض للمريدين ، وأن يستر ما اطَّلع عليه من عيوب المريدين ، وأن يكون عالماً بكمالات القلوب وآدابها ، وآفات النفوس وأمراضها ؛ بالكشف إن كان من أهل الكشف ، أو بالحال الذي يعرض للمريد إن لم يكن له كشف ، أو بالدلائل الخارجية ، وأن يكون في الحالة الوسطى في جميع أحواله - أي : ما بين الإفراط والتفريط - وأن يكون غنيّ النفس ، وحسن الخُلُق ، لا يغضب إلا لله ، وإذا جاءه أحد يريد الإرشاد لا يكون في وجهه عَبْسٌ ، وأن يكون جلاله ممزوجاً بجماله ، وقهره ممزوجاً بلطفه .

والحاصل : أن جميعها يجمع قولنا (الاستقامة) .

وقال الشاذلي[2] : ولا يشترط للشيخ في الطريق سوى ترك المعاصي

---

(١) وفي نسخة : يصلح .

(٢) وكان يقول - يعني : الشاذلي - : لا تُعطى الكراماتُ مَن طلبها وحدَّث بها نفسه ، ولا مَن استعمل نفسه في طلبها ، وإنما يعطاها من لا يرى نفسه ولا عمله ، وهو مشغول بمحابِّ الله تعالى ، ناظر لفضله ، آيس من نفسه وعمله ، وقد تظهر الكرامة على من استقام في ظاهره ، وإن كانت هنات النفس في باطنه . . . إلخ .

وكان يقول : ما ثَمَّ كرامة أعظم من كرامة الإيمان ، ومتابعة السنة ، فمن أعطيهما=

كلها ، والمحافظة على الواجبات وما تيسر من المندوبات ، وذكر الجلالة الشريفة مهما أمكن ، وأقلُّ ذلك ألف مرة في كل يوم ، والاستغفار مائة مرة ، والصلاة على النبي ﷺ مائة مرة . « روح البيان » .

الكرامة ليست بشرط في المرشد

وأما الكرامة ! فليست بشرط للمرشد ، لأن الكرامة ما نقلت عن الصحابة والتابعين ، إلا عن بعضهم نادراً ، حتى لم تنقل من الصِدِّيق الأعظم ، مع أنه أفضل الأمة ! .

والحاصل : أن **أفضل الكرامة الاستقامة** ، كما قالت به رابعة العدوية ، **حتى إن بعض الأولياء لم يقبل الكرامة أصلاً** ، ولم يشرب الماء الذي ارتفع من البئر كرامة له ، وقال : لا أشربه إلا بإخراجي بيدي بالحبل والدلو . « روح اليان » .

وقال عبد الله القرشي : مَن لم يكن كارهاً لظهور الكرامات والآيات وخوارق العادات كراهية ظهور المعاصي فهو حجاب في حقه ، وسترها عنه رحمة ، والخوارق كلها ؛ كما إنها سبب السعادة ؛ فهي أيضاً سبب الشقاوة ، ولذا قيل : **الكرامة**[1] **حيض الرجال** . « روح البيان » .

وفي « طفل المعاني » الولي من أُيِّد بالكرامات وغيب عنها ، لا يرى الإفشاء ، **لأن إفشاء سرّ الربوبية كفر** .

قال في « المرصاد » : **أصحاب الكرامات محجوبون** ، والكرامة

=وجعل يشتاق إلى غيرهما فهو عبد مغترّ كذاب . « طبقات » . (هامش الأصل) .

(١) أي تطلبها والميل إليها حيض الرجال المانع عن القرب إلى الله تعالى . « المشرب النقشبندية » للشيخ الرباني الحاج بالحرمين عبد الرحمن الثغوري رحمه الباري .

حيض الرجال ، **فالولي له ألف مقام** ؛ أوله باب الكرامة ، مَن جاوز منها[١] نال الباقي ، وإلا ؛ فلا[٢] .

قد ذكرنا في كتابنا « تنبيه السالكين » ما نصه : **أن الولي المجذوب الغير السالك لا يجوز أن يكون مرشداً للغير** ، لأنه في قبضته تعالى مسلوب الاختيار عن نفسه ، وإذا كان مسلوبَ الاختيار عن نفسه فلا يصلح أن يكون مربِّياً للغير ، **لأن التصرُّف في غيره يستدعي ولاية التصرُّف في نفسه** ، وهذا الولي مجذوب في نفسه ، مسلوب التصرف في نفسه ، فكان مسلوبَ التصرف في غيره . والكلام على هذا مبسوط في « جامع الأصول » .

و ذكرنا فيه أيضاً ، نقلاً من « المواهب البريقة » : أن المجذوب لايصلح أن يكون مسلكاً للمريدين لجهله بتحقيق مقامات الطريق ، فحكمه كمن خطف من مصر في الهواء فوجد نفسه بمكة ، فإذا سئل من مناهل[٣] الطريق ومراحلها ربما جهل شيئاً منها ،بخلاف من سافر مع دليل الحجاج . انتهى .

ونقلنا فيه أيضاً من « مكتوبات » القطب محمود أفندي قدّس سرّه ما نصه :وإن باشروا – يعني :المجاذيب – إلى التربية يفسدون الطالب بسراية أحوالهم وأخلاقهم الغير المتممة بقوة إخلاص . انتهى . وقد بسطنا الكلام في ذلك الكتاب المذكور في الباب الثاني فراجعه .

---

(١) بترك الإفشاء .

(٢) أي : وإن أفشا فلا ينالها . فافهم . (منه) .

(٣) ويسمى المنازل التي في المفاوز على طرق السُفَّار : مناهل ؛ لأن فيها ماء . « مختار » . والمنهل – بفتح الميم – المورد ؛ وهو عين الماء . « مصباح » . (هامش الأصل) .

ولا يظن عاقل عالم - إن شاء الله - أنَّ هذا الحقير ينفي الولاية بالكلية عن المتشيخين ، فكيف ؛ وفي الحديث القدسي « أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري » بل إنما يقول : إنهم ليسوا من أهل السلوك الذين سلكوا على يد شيخ مربٍّ ، وقطعوا مقامات الطريق إلى أن يصلوا إلى مقام يجوز للشيخ أن يجيز لهم بالإرشاد ؛ وإن جاز أن يكونوا من المجاذيب الذين لا يجوز أن يؤخذ منهم ، ومعلوم أن **العصمة إنما هي من خصائص النبوة** . **فافهم** يا أخي ولا تعجل ، فإن العَجَلَةَ من الشيطان .

فائدة أخرى : قد بسطنا الكلام في ذلك الكتاب المذكور في الباب الثالث نقلاً من كتب السادات بما حاصله :

وربما يجيز الكامل ناقصاً بتعليم الطريقة للطالبين ، **وغرضه من ذلك أن يبلغ الكتابُ الأجلَ باجتماع أهل الذكر عليه** ، كما أجاز خواجه بهاء الدين النقشبندي ليعقوب الجرخي قدّس سرّه قبل الوصول لدرجة الكمال ، وقال : يا يعقوب ؛ ما وصل مني إليك . فليصلْ منك إلى الناس ، ثم تكمّل بعد ذلك على يد حضرة الشيخ علاء الدين . انتهى .

وينبغي أن يُعلم أنَّ النقص ؛ وإن كان ينافي الإجازة لما فيه من ضرر الطالبين ، لكن لمَّا صدر من كامل مكمل يكون هذا نائباً منابه ؛ وتكون يدُه يدَه ، فلا يتعدّى ضرره . انتهى فراجعه .

وأما الأخذ من الشيخ الناقص الذي لم يأذن له الشيخ في التلقين والإرشاد!! فمضرٌّ للطالبين ، كما هو مذكور في الكتب كـ« الإبريز » وغيره ، وقد مرَّت الإشارة إليه في هذا الكتاب .

البرج الثامن عشر

في بيان أن الشيخ الكامل كالنبي في أمته وأن مبايعته كمبايعته ﷺ لكونه نائباً عنه عليه السلام وبيان أن محبة الشيخ يجب أن تكون خالصة لله لا لغرض سواه

قال أحمد الزركراني رحمه الله تعالى في « رسالته » في الفصل التاسع : **الرسل نوعان** : **الرسل الأصلي وهم الأنبياء ، والرسل الفرعي وهم أولياء هذه الأمة** الذين يرسلون من عند الله بأمر الله بواسطة سيد المرسلين ، وقد أضاف الله تعالى إليه رسل عيسى عليه السلام إلى قرية أنطاكية بقوله ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾ انتهى . وقال بُعيد هذا : فيجب الإطاعة لأولياء أمة محمد ﷺ لأمر الله ؛ كما قال الله تعالى ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ **والمراد بأولي الأمر في الحقيقة هم الأولياء المرشدون** ، وللعامة الظاهرة : العلماء والأمراء الظاهرية ، ولأهل الله : العلماء الباطنية من الأولياء السنيين التابعين للنبي ﷺ المشاهدين له في مشاهدهم لصدق أحوالهم . انتهى .

مهم

وقال أيضاً بُعيد هذا : وهم بمنزلة أنبياء بني إسرائيل ، كهارون مع موسى في الدعوة إلى الله بشريعة النبي ﷺ ، كما قال الله تعالى ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ . انتهى عبارته . فراجعه .

وفي « بيان الأسرار » للسهروردي : **فإنَّ الأولياء مرسلون للخواصِّ ؛ لا للعوام! فرقاً بين النبيِّ ﷺ والوليِّ** ، فإنَّ النبيَّ ﷺ يرسل إلى العوام والخواص جميعاً مستقلاًّ بنفسه ، والوليّ المرشد يرسل للخواص غير مستقل بنفسه ، فإنه لا يسعه إلا متابعة النبي ﷺ . انتهى عبارته فراجعه في

الفصل الخامس تجد البسط .

وقال مؤلف « رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم » في الفصل الثامن عشر ما نصه هذا : وقال في « الخلاصة المرضية » : روى السهروردي بسنده أنَّ النبي ﷺ قال : « والذي نفس محمد بيده لئن شئت لأقسمنَّ لكم أنَّ أحَبَّ عبادِ الله إلى الله الذين يحببون اللهَ إلى عباد الله ويحببون عبادَ الله إلى الله ، ويمشون في الأرض بالنصيحة » . قال : وهذا الذي ذكره رسول الله ﷺ هو رتبة المشيخة والدعوة إلى الله ، لأن الشيخ يحبب الله تعالى إلى عباده حقيقة ، ويحبب عبادَ الله إلى الله ، **ورتبة المَشْيَخة من أعلى الرتب في طريق الصوفية ، ونيابة النبوة في الدعاء إلى الله تعالى .**

فأمَّا كون الشيخ يحبب عباد الله تعالى ! فلأن الشيخ يسلك بالمريد طريق الاقتداء برسول الله ﷺ ، ومَن صح اقتداؤه برسول الله ﷺ وأتباعه ، أحبه الله تعالى ، قال الله تعالى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ ووجه كونه يحبِّبُ الله إلى عباده : أنه يسلك بالمريد طريق التزكية والتحلية ، فإذا تزكَّت النفس انجلت مرآة العبد وانعكس فيها أنوار العظمة ، ولاح فيها جمال التوحيد ، فأحبَّ العبدُ ربَّه لا محالة .

والشيخ من جنود الله تعالى يُرشدُ به المريدين ، ويهدي به الطالبين ، فعلى المشائخ وقار الله ، وبهم يتأدب المريد ظاهراً وباطناً . قال الله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ ، فالمشائخ لما اهتدوا أهّلوا للاقتداء بهم ، وجعلوا أئمة للمتقين ، فيسوسُ[1] الشيخ نفوسَ المريدين كما كان يسوس نفسه من قبل بالتأليف والنصح ، فبذلك يصير المريد

(١) ساس زيد الأمر : دبَّره وقام بأمره « مصباح » . وسُسْتُ الرعية : أمرتها وندبتها . « قاموس » . (هامش الأصل) .

كالجزء من الشيخ ، كما أن الولد جزءٌ من الوالد في الولادة الطبيعية ، وتصير هذه الولادة ولادة معنوية ، كما ورد عن عيسى عليه السلام : « لن يلج ملكوت السماء مَن لم يولد مرتين »[1] . ومَن صرف اليقين على الكمال يصل لهذه الولادة ، وبهذه الولادة يستحق ميراث الأنبياء ، ومَن لم يصله ميراث الأنبياء ما وُلِدَ .

وقال بعد كلام : ومن شرط المريد أن لا يصحب من الشيوخ إلا مَن تقع له حرمة في قلبه ، وأن يبايعه على المنشط والمكره . انتهى .

وقال في باب آداب الذكر : الخامس : أن يرى استمداده من شيخه هو استمداده من النبي ﷺ لأنه نائبه . انتهى .

مطلب

وفي « البحر المورود » للشعراني : أُخِذَ علينا العهد أن لا نأخذ العهد على فقير بالسمع والطاعة لما نأمره به من الخير إلا إن كنا نعلم منه يقيناً أنه لا يقدِّم علينا في المحبة أحداً من الخَلْق مطلقاً ؛ حتى أهلَه وولده ! **وراثة نبوية** ؛ لا استقلالاً . قال :

واعلم أنه لولا علم رسول الله ﷺ أن لصُحبةِ الناصح مدخلاً في حصول الهداية والانقياد بسرعة دون بُطْءٍ ؛ ما قال : « لا يؤمن أحدُكم حتى

---

(١) المراد منه : تولد طفل المعاني الروحاني من حقيقة قابلية الإنسان ، وهو سرُّ الإنسان ؛ يظهر علوقه من اجتماع علم الشريعة والحقيقة ، لأن الولد لا يحصل إلا من اجتماع النطفتين من الرجل والمرأة . « بيان الأسرار » .

والمراد من الولادة : هو ظهور طفل المعاني ، والخروج من عالم الجسمانية إلى عالم الروحانية ، وهو سرُّ الإنسان مقابل اللاهوت . إلا نادراً مثل عيسى عليه السلام حصل بلا أب في الظاهر ، بل جبرائيل أب له في المعنى لأنه بنفخه نشأ ، ولذلك قال عيسى عليه السلام حين عروجه : إني ذاهب إلى أبي جبرائيل . « لب الغرائب » (هامش الأصل) .

أكونَ أحبَّ إليه من أهله وولده والنَّاسِ أجْمعين » **ومن المعلوم أن جميع الدُعاة إلى الله تعالى من هذه الأمة إنما هم نوَّاب له** ﷺ ، فلهم من الأدب معهم ، والمحبة لهم - بحكم الإرث - نحو ما كان له ﷺ ، وذلك ليحصل للمريد كمال الانقياد ، ويعتقد في شيخه أنه أشفق عليه من نفسه ، كما أن النبي ﷺ كذلك ، قال الله تعالى ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ .

وأما إذا علم الشيخ من المريد تقديمَ أحد عليه في المحبة نفض يده منه .

ومن كلام العارف بالله تعالى سيدي عدي بن مسافر - أحد أركان الطريق قدّس الله سره - : **اعلم** أنك لا تنتفع قط بالشيخ إلا إن كان اعتقادك فيه فوق اعتقادك في أمثاله ، وهناك يجمعك في حضوره ، ويحفظك في مغيبه ، ويهذِّبك بأخلاقه ، ويؤيِّدُك بإطراقه ، وينوِّرُ باطنك بإشراقه ، وإذا كان اعتقادك فيه ضعيفاً لم تشهد منه شيئاً من ذلك ، بل تنعكس ظلمة باطنك ، فتشهد صفاته هي صفاتك ، فلا تنتفع منه بشيء ، ولو كان من أعلى الأولياء .

قلوب الرجال كالجبال

وقد ذكر سيدي عليّ ابن وفا رحمه الله تعالى . في كتابه المسمى بـ« الوصايا » : **اعلم** أن قلوب الرجال أمثال الجبال ؛ فكما أن الجبال لا يزيلها عن أماكنها إلا الشرك بالله كما قال عز وجل ﴿وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝٩١﴾ فكذلك قلوب الرجال لا سيما الولي لا يزيل قلبه إلا الشرك الواقع من تلامذته[1] معه من إشراك أحد معه في المحبة ، لا

---

(١) وتوحيد قبلة التوجه من الشروط وتفريق التوجه موجب للخسران - عياذاً بالله سبحانه - . وأيضاً إنّي كنت قلت لك مكرراً ومؤكداً : أن قلّل الأشغال ليحصل المقصود بسرعة ، فإن ترك الأمور الضروري والاشتغال بما لا طائل فيه بعيد عن طور العقل ولكنك معتقد برأي نفسك ، قلّ ما يؤثر فيك كلام غيرك ، وأنت تعلم=

يزيله إلا ذلك ، لا تقصيره في الخدمة ولا غير ذلك ، فافهم .

قال الشعراني : ثم لا يخفى عليك أن جميع الأشياخ إنما طلبوا من المريد كثرة الإجلال والتعظيم لهم ، والرضا بكل ما يرونه ؛ تمريناً له وطلباً لترقِّيه ، إذ الشيخ كالسُلَّم للترقي ، يترقى المريد بالأدب معه إلى الأدب مع الله تعالى ، فمَن لم يُحْكِمْ باب الأدب مع شيخه لا يشمّ رائحة الأدب مع الله تعالى ، فيستفيد المريد بالرضا عن شيخه إذا حرمه دنيا كان يترصَّد حصولها - مثلاً - الرضا عن الحق تعالى إذا حرمه رزقاً أو وظيفة ، أو نزل عليه بلاء ، أو أزال عنه نعمة ، ومتى لم يرضَ **فحرمان**[1] **شيخه لا يصح**[2] **له الرضا عن الحق تعالى** إذا حرمه شيئاً كان يحبه . ويستفيد بصبره على تحمُّل غضب شيخه وهجره له وثباته تحت هجره وقطيعته الإدمانَ على تحمُّل ذلك لو وقع من جانب الحق - والعياذ بالله - ويستفيد بمراقبة شيخه له في الخدمة له وعدم غفلته عنها وكثرة ملاحظته له عدم الغفلة عن عبادة الحق جلَّ وعلا ، وكثرة ملاحظته بالقلب . وهكذا .

قال : وينبغي لك يا أخي أن تمتحن نفسك إذا ادَّعت أنها تسمع لشيخها ما يأمرها به كما هو واقع من أكثر المريدين ، فيقولون : نحن أول من يطيع ، ثم إذا قال له شيخه : طلِّق زوجتك التي قلتَ : إنها تشغلك عن الله تعالى ، وتُحوجك إلى تناول الحرام والشبهات . هو خير لك ، أو ائتنا بشطر مالك لنفرِّقَه[3] على إخوانك هؤلاء الفقراء ، أو أسقط حقك من سائر وظائفك من إمامة وخطابة وتدريس ووقادة[4] وفراشة وأذان وخلوة وثياب

=ما على الرسول إلا البلاغ المبين . والسلام كذا في « المكتوبات » في ٣٣١ ج١ (منه رحمه الله) .

(١) عله بحرمان (هامش الأصل) .

(٢) وفي نسخة : يصلح .

(٣) وفي نسخة : لتفرقه .

(٤) هي : إيقاد سرج المسجد وفَرشُه .

ونحو ذلك لا يرضى ، بل يظهر على وجهه العبوسة ، حتى يشهد ذلك منه جميع الحاضرين ويفتضح ، **ولو أنه أجاب شيخه لكان أولى ، فإن الأشياخ لا تغش أبداً** ، وماذا يفوت المريد إذا سمع لشيخه وصار الحق تعالى عوضاً عن كل شيء ؟ ! **وماذا حصل مَن باع جلوسه في حضرة ربه عز وجل بقطعة دبغت بالدم والبول ولا تساوي في السوق درهماً ولا بعضَه إذا قطعتْ ؟ فعُلِم أن مَن لم يعتقد في شيخه أنه أشفق عليه من نفسه ، وأنه لا يأمره قط بترك شيء إلا ليعطيه أنفسَ منه ؛ فمحبته نفاق ، ولا يمكن للشيخ أن يطلعه على سرٍّ من الأسرار** التي يترقى هو بها ، فإن مَن لم يصلح لأن يكون محلاًّ للأسرار المكتومة عند الفقهاء يصير كأنه ما صحبهم ، وكذلك إذا كان الشخص[1] يصحب الشيخ أكثر من ثلاثين سنة لا ينتفع بشيء من أخلاقه .

ثم قال بعد كلام : وقد سئل الشيخ أبو السعود الجارحي رحمه الله تعالى يوماً عن شيء من أسرار الفقراء فقال : والله لا آمنكم على إخراج ريح ، فكيف آمنكم على أسرار أهل الطريق ؟ ! **ولهذا تجد الشيخ يلقن عشرة آلاف نفس وأكثر لا يفلح منهم أحد بعده ؛ لعدم الصدق** . والله تعالى أعلم .

وفي « جواهر المعاني » : وسألته رضي الله عنه عن قولهم رضي الله تعالى ، عنهم **إن دائرة الوليّ أوسع من دائرة النبي ﷺ** : فأجابَ رضي الله تعالى عنه بقوله : المراد بالولي أولياء هذه الأمة فقط ، والمراد منه مَن أُمر بالدعوة إلى الله تعالى من رجالهم ، فهم الذين دوائرهم أوسع من دوائر الأنبياء ، واتساع الدوائر وضيقها باعتبار الطوائف الذين يدعونهم إلى الله تعالى ، فكل رسول من الرسل غير نبينا ﷺ رسالته خاصة بموطن أو

(١) وفي نسخة : المريد .

جنس أو بلد ، لا يتعدى إلى غيره ، ورسالة نبينا ﷺ عامة في سائر البلدان والأقطار ، وفي جميع الأجناس والأمم وفي جميع الأعصار ، فالأولياء الداعون إلى الله تعالى من أمته دعوتهم تعمّ كعموم رسالة نبيهم ﷺ ، فلا تختص ببلد ولا جنس ولا أمة ، بل هي عامة كعموم رسالة نبيهم ﷺ **فهذا اتساع دائرة الولي عن دائرة النبي**[١] ، ثم هذه الدعوة إلى الله تعالى في حق الأولياء هي ملزومة لهم بطريق الشرع الظاهر ، لقوله ﷺ : « مروا بالمعروف وانهَوا عن المُنكَر » لكن هذه الدعوة المذكورة هنا إنما هي بالإذن الخاص كإذن الرسالة ، **فمن نهض**[٢] **إلى الخلق يدعوهم إلى الله تعالى بالإذن الخاص له من الله سرت كلمته في جميع القلوب ، ووقع الإقبال من الخلق عليه ، والاستجابة عنه ، ووقع امتثال أمره ونهيه في الخلق ، وحلا كلامه في القلوب ، ومن نهض إلى دعوة الخلق إلى الله تعالى بالإذن العام ، وليس له شيء من الإذن الخاص ؛ لم يُنْتَفَعْ بكلامه ، ولم يقع عليه إقبال** ، فإن لسان الحق يقول له بلسان الحال في بساط الحقائق : ما أمرناك بهذا ، أو ما أنت له بأهل ، بل إنما أنت فضولي . فمن وقف هذا الموقف ابتلي بحظوظ نفسه من الرياسة والرياء والتصنّع ، وليس من الله في شيء .

قال ابن الفارض رضي الله تعالى عنه :

فعالِمُنا منهم نبيّ ومن دعا　　إلى الحق منّا قام بالرسيلة[٣]

قال ابن عطاء الله : من أُذِنَ له في التعبير فُهِمَتْ في مسامع الخلق عبارته ، وحُلِّتْ لديهم إشارته .

---

(١) يعني : ليس معناه أن الوليّ أفضل من النبي . فافهم . (منه) . (هامش الأصل) .
(٢) أي قام « مختار » .
(٣) وفي « تزيين أسواق في أخبار العشاق » : بالرُسُلية .

وحكاية الشيخ الجيلاني رضي الله تعالى عنه معلومة ؛ قال : قد كنت بالأمس صائماً ، فوضعتْ أم يحيى بُوَيْضَاتٍ إلى فطوري على طرف السرير ، فأتت هرَّةٌ فخطفتها ، فأخذ النساء في البكاء على عادتهن . . . إلى آخر الحكاية ، **ومَن ادعى الإذن الخاص من الله تعالى وهو كاذب ، وانبسط للخلق بالدعوة فإنه يموت كافراً ، إلا أن يتوب** ، نسأل الله تعالى السلامة والعافية بجاه النبي وآله . انتهى .

وقال شيخ الطريقة ، الجامعُ بين الشريعة والحقيقة ، المختار بن أحمد الكتني : وما قيل أنه - يعني : المريد - ، لا اختيار له ! إنما ذلك في الأمور الدنيوية ، فلا يدخل بنفسه ، بل يدخل ما دخله بربّه وشيخه ، فيكون مع سؤاله مفوضاً متأدباً ، غير متكاسل ولا متساهل ، ممتثلاً لأمر الشيخ كائناً ما كان ، وإن رأى فيه العطب ، فإنّ فيه النجاة ، قال الله تعالى ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ** ﴾ .

الوليُّ في قومه كالنبيِّ في أُمَّته

وقد ثبت وصحَّ في الأثر **أنَّ الوليَّ في قومه كالنبيِّ في أمَّته** ، لأنهم ورثتهم ، وللوارث ما للمورِّث[1] .

قال الجنيد : لولا أن الله تبارك وتعالى ستر عن العامة حقائق الأولياء لهلكوا بعدم الاتباع والاقتداء بهم ، ولكانوا عليهم حجة يوم القيامة ، لكن الله تعالى بفضله ورحمته سترهم بهذه الصورة البشرية ، **فلا يعرفهم إلا مَن هو مثلهم ، أو مَن أراد الله أن ينفعه ببركاتهم** ، فيطوي عنه الصورة البشرية ويشهده الحقيقة الربانية ، فيدرك إدراكاً قطعياً ، لا ظنياً ولا حسبانياً ؛ فينتعش بمشاهدته ، وتبقى مسافة المسير إلى الدرجات

---

(١) وفي نسخة : للموروث .

العليَّة ، فتكون سرعتهم على قدر رِقَّة طباعهم وكثافتها ، وعلى قدر المتجليات وهِمَّة الشيخ وإقباله عليهم ، **ولا يكون إقباله عليهم إلا بقدر إقبالهم عليه** .

قال ابن عطاء الله : **لا تطلب من الشيخ أن تكون بباله ، ولكن أُطلبْ من نفسك أن يكون الشيخُ ببالك . فبقدر ما يكون ببالك تكون بباله** ، فذلك أول قدم تضعه في السلوك ، فمنهم مَن يرتقي في ساعة ، ومنهم مَن يرتقي في يوم ، ومنهم مَن يرتقي في شهر ، ومنهم من لا يرتقي إلا في سنة ، ومَن[1] لا يبلغ إلا بعد أمدٍ مديد ، يختصّ برحمته من يشاء ، فمنهم المجذوب والسالك ، ومنهم المطرود والهالك . انتهى عبارته ١٢٩ .

ثم قال صاحب « الرماح »[2] بعد كلام : فإذا ظفر التلميذ بواحد منهم ، فليعلم أنه قد ظفر بمراده ، فلا يبغي به بدلاً ، ومهما مال عن قدوته بظاهره وباطنه ولو لمحة ؛ فإن ذلك وَبالٌ عليه ونقصانٌ له ، وإن محبته لا تصفو ، ولا يستعدُّ باطنه لسراية حال القدوة ، فإن التلميذ كلما أيقن بتفرد الشيخ بالمشيخة عرف فضله ، وقويت محبته . والمحبة هي الواسطة بين القدوة والتلميذ ، فعلى قدر حسن ظنه به تكون محبته ، **وعلى قدر محبته تكون سراية حال الشيخ عنده** ، فالمحبة علامة التعارف الحسي الداعي إلى التأليف المعنوي . وبالله التوفيق . انتهى[3] عبارته ١٣٠ .

قواطع المريد عن أستاذه

وفي « الرماح » أيضاً في الفصل السابع عشر : قال شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به : **وأمَّا ما يقطعه - يعني : المريد - عن أستاذه**

---

(١) وفي نسخة : ومنهم من .

(٢) نقلاً عن « بغية السالك » . (منه) . (هامش الأصل) .

(٣) من هامش « جواهر المعاني » ج١ . (منه) . (هامش الأصل) .

فأمور ؛

منها : الأغراض ؛ سواء كانت دنيوية أو أخروية ، وذلك أن الشيخ لا يُصْحَبُ ولا يُعْرَفُ إلا لله عز وجل ؛ لا لشيء سواه .

وهي - يعني الصحبة - ، في أمرين :

١ - إمَّا أن يواليَهُ لله تعالى بأن يقول : هذا ولي لله ، وأنا أُوَالِيه لله ، وذلك في قوله ﷺ مخبراً عن الله تعالى : « مَنْ عَادَى لي وَليًّا فقد آذنته بالحرب » وفي طيِّه : **من والى لي وَلِيّاً ؛ لأجل أنه وليّ اصطفيته واتخذته وَلِيّاً ، وهذا هو السر الأكبر الجاذب للمريدين إلى حضرة الله تعالى .**

٢ - والأمر الثاني : أن يعلم أنَّ الشيخ من عبيد الحضرة ، ويعلم ما يجب للحضرة من الأدب ، وما يفسد المرءَ فيها من الأوطار والأَرَب ، فإذا علم هذا يصحبه ليدُلَّه على الله تعالى وعلى ما يقرِّبه إليه ، **والصحبة في هذين الأمرين** لا غير .

ومَن صحب لغيرهما خسر الدنيا والآخرة ، فإذا عرفت هذا فاعرف أنَّ الرب سبحانه وتعالى يُعْبَدُ لا لغرض ، بل لكونه إلهاً يستحق الألوهية والعبودية لذاته ؛ لما هو عليه من محامد الصفات العلية ، والأسماء البهية ، وهذه هي العبادة العليا ، وكذلك الشيخ يُصحب لا لغرض ، بل لتجليه[1] موالاته إلى ولاية الله تعالى ، ويتعرف منه الآداب المرضية ، وما يشين العبد في حضرة الله تعالى .

وقال أيضاً رضي الله عنه وأرضاه ، وعنا به ، في قول ابن عطاء رضي الله تعالى عنه : **سبحان مَن لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليلُ عليه ، ولم يوصل إليهم إلا مَن أراد أن يوصله إليه .**

---

(١) وفي نسخة : لتجلية .

ومعنى الحكمة : هو أنه إذا وصّل الله عبداً إلى وليّ ، وأقرَّ سبحانه في قلب ذلك العبد أنَّ هذا من الأولياء قطعاً لا يتردَّد ولا يشكُّ ، ثمّ خَدَمَه بالصدق والأدب ، وأشرقت محبة ذلك الولي في قلبه ، وكانت فيه من حيث أنه من أهل حضرة الله ، وممن اصطفاه الله تعالى لنفسه ، فأحبه لأجل هذا الغرض لا لغرض آخر ؛ فلا شك أن هذا يصل إلى الله ؛ ولو بعد حين .

وأمَّا إذا وصل إلى الولي ، وأقبل على أغراضه وشهواته ، ولم ينل من الولي إلا ما طابق أغراضه ! فليس هذا من أهل الوصول إلى الله تعالى ، ولا من أهل الوصول إلى الولي[1] ، غاية الولي في هذا أنه يديم معاشرته من باب الإحسان إلى الخلق الذي أمره الله تعالى به ، ومعاشرتهم بالمعروف ، ويقبض عنه أسراره ، **فهذا ولو بقي مع الولي ألف عام لم ينل منه شيئاً** ، لأن لسان حال الولي يقول له : ما وصلتنا لله ، ولا وصلتنا لأجلنا ، وإنما وصلتنا لغرضك الذي كنت تناله ، لا نسبة بيننا وبينك . والسلام انتهى عبارته ١٢٢ ج١ . فهذه المذكورات مما يجب على المريد أن يَقِفَها[2] نصب عينه ، فقد رأينا كثيراً من المريدين يضعف طلبهم وإرادتهم يوماً فيوماً لأجل كونهم يطلبون الأحوال ، فإذا لم يحصل لهم شيء منها يفترون في الطلب ، ويرجعون قهقرى ، فكيف يحصل لهم الحال مع أنهم كاذبون في صحبة الشيخ ومحبته لله ؟ ! وقد فُهِم مما ذكرناه أن انعكاس حال الشيخ إلى المريد إنما يكون إذا كانت صحبته ومحبته لله تعالى ، لا لغرض ولا لعوض ، ومن ها هنا قيل : **إنَّ طالب الأحوال ليس بطالب الحق تعالى** .

---

(١) وفي « الطبقات » للشعراني : لا تشمُّ رائحة الولاية ؛ وأنت غير زاهد في الدنيا وأهلها . انتهى . كذا قاله الشيخ أبو الحسن الشاذلي قدس سره . انتهى . راجعه . (هامش الأصل) .

(٢) وفي نسخة : يوقفها .

ومَن صحت نيته لا يفتر في الطلب ، ظهر له الحال أو لم يظهر ، وغياب الحال في حقه أولى وأسلم .

مهم

وقد كتب شيخنا سيف الله قدّس سرّه في مكتوبه : فالعدم المحض أسنى الأحوال . انتهى .

وقد بسطنا الكلام في حق هذا في « تنبيه السالكين » ، ومن أراد الزيادة فليراجع إليه . اللهم اجعلنا من عبادك المخلصين ، ولا تجعلنا عَبَدة الحظوظ والأحوال . آمين .

وقد رأيت في « كنز المعارف »[1] لشيخنا القطب الصمداني سيف الله الحسيني ما لفظه : وقال ابن بنت ميلق قدّس سره :

وليس ينفع قطبُ الوقت ذا خلل ... في الاعتقاد ولا مَن لا يواليه
إلا إذا سبقت للعبد سابقة ... يعود من بعد هذا من يواليه

أي : وليس ينفعك أيها الطالب ملاقاة القطب والاجتماع به إذا لم تنكسر له ، وتخشع بين يديه وتتذلل ، فلذلك قيل : **من أشدّ الحرمان أن تجتمع بالولي ولم ترزق القبول عنده** ، وما ذاك إلا لسوء أدبك في الظاهر والباطن ! ! فإنهم يدخلون في باطن الإنسان ، ويعلمون ما تحويه سرائره من غير أن يشعر ذلك ، فلهذا يجب على الحاضر بين يدي أولياء الله تعالى أن يحفظ سره عما لا يعني ، فكيف بالمعاصي ؟ ! فإذا خطرت ووقعت خطرة من خطرات السوء بين يدي الولي فينبغي للطالب أن يتلافى[2] ذلك ،

---

(١) وهو كتاب نفيس ضخم كـ « المحلي » قد بقي على المسوّدة بموته (منه). (هامش الأصل) .

(٢) تلافاه : تداركه « مختار » . (هامش الأصل) .

ويغسل تلك الخطرة بالاستغفار ، والرجوع إلى مولاه بالذلة والانكسار ، وهذا هو الذي أشار إليه الناظم بقوله :

إلا إذا سبقت للعبد سابقة . . . إلخ إذا سبقت العناية الإلهية للطالب تلافى ذلك الخاطر ، وعالج سوء الأدب الواقع منه بالاستغفار ، والعودة إلى موالاة ذلك الولي وحسن الأدب معه ، **فإن سيماهم السماحة** ، وهم متخلِّقون بأخلاق مولاهم ؛ يحبون التائب ، ويغفرون الذَلَّة[1] ، ويقيلون العثرة .

والحاصل : أن النفع المترتب على الاجتماع بالأولياء إنما يحصل بلزوم الأدب معهم ، وحسن الاعتقاد[2] فيهم . انتهى عبارته من خطه رضي الله عنه .

---

(١) وفي نسخة : الزلة .

(٢) **مهم ؛ أخذ الخير والفيض من الباطن مشروط بالشروط**

وقد رأيت في « طيب الحبيب » ما حاصله : أن أخذ الخير من باطن الغير مشروط ، ومسبوق بحسن الاعتقاد ورعاية الأدب معه ، وعدم الاعتراض عليه ، ووجوب الموافقة العادلة الفاضلة ، وقطُّ لا يسري من باطن إلى باطن شيء من الحقائق إلا برعاية ما ذكرت من الشرائط ، فليلازمها المسترشد العاقل إذا وجد باطناً ذا عقائد . انتهى . فراجعه . (منه ، رحم الله إفلاسه آمين) .

*وكان - يعني الشيخ إبراهيم الدسوقي - يقول : يا ولدي ، إن صح عهدك معي فأنا منك قريب غير بعيد ، وأنا في ذهنك وأنا في سمعك ، وأنا في طرفك ، وأنا في جميع حواسّك الظاهرة والباطنة وإن لم يصح لك عهد لا تشهد منّي إلا البعد . وكان رضي الله عنه يقول : فإذا أخذت يا ولدي وصيتي بالقبول وجاهدت في سرّك وراقبته سمعت كلام شيخك ولو كنت بالمشرق ؛ وهو بالمغرب ورأيت شَبَح شخصه . فمهما ورد عليك من مشكلات سرك أو شيء تستخير فيه ربك أو أحد يقصدك بأذى أو غير ذلك فوجه شيخك وصف سرّك وأطبق عين حسّك وافتح عين قلبك ، فإنك ترى شيخك وتستشيره في جميع أمورك وتطلب منه حاجتك فمهما قال لك فاقبله منه ، وامتثله . « الطبقات الكبرى » ١٥٠ .

البرج التاسع عشر

في بيان مذمَّة علماء السوء الذين هم في أسْرِ محبة الدنيا ومدح العلماء الزهَّاد الذين يرغَبون عن الدنيا

قال الإمام الرباني مجدّد الألف الثاني أحمد الفاروقي السرهندي رضي الله عنه : إن محبة الدنيا من العلماء ورغبتهم فيها كلَفٌ[1] على وجه جمالهم ، وإن كان يحصل منهم فوائد للخلائق ، لكن لا يكون علمهم نافعاً في حقهم ، وإن كان تأييد الشريعة وتقوية الملَّة مرتباً عليهم ، لكن لا اعتبار على ذلك ، **فإن التأييد والتقوية يحصل من أهل الفجور وأرباب الفتور أحياناً** ، كما أخبر سيد الأنبياء - عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات - عن تأييد الفاجر قال : « إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » ، وهم كحجر الفارس ؛ حيث كلما يلصق به من الشيء الأملس والحديد يكون ذهباً ؛ وهو باقٍ على حجريّته ، وكالنار المودعة في الحجر والشجر ، فإنه يحصل منها منافع للعَالَم ؛ ولكن لا نصيب للحجر والشجر من تلك النار المودعة في باطنهما ، بل أقول : إن ذلك العلم مضرٌّ في حقهم ، لأنه به تَمَّتْ الحُجَّةُ عليهم ، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام : « إنَّ أشَدَّ النّاسِ عَذَاباً يومَ القيامة عَالِمٌ لم ينفعه الله بِعِلْمِهِ » فكيف لا يكون مضرّاً ؟ ! فإن العلم الذي هو أعزّ الأشياء عند الله وأشرف الموجودات ، جعلوه وسيلة لجمع حُطَام الدنيا الدنيئة ؛ من المال ، والجاه ، والأحباب ، والحال أن الدنيا ذليلة عند الله تعالى ، وحقيرة ، وأبغض المخلوقات عند الله ، وإذلال ما هو عزيز عند الله ، وإعزاز ما هو ذليل عنده في غاية القباحة ، بل هو معارضة مع الحق سبحانه في الحقيقة ، والتدريس والإفتاء إنما يكونان نافعين إذا كانا خالصَيْن لوجه الله تعالى ، وخاليين عن

---

(١) أي : الوسخ المنتشر على البشرة .

شائبة حب الجاه والرياسة ، وطمع حصول المال والرفعة .

وعلامة خلوِّهما عن تلك المذكورات : الزهد في الدنيا ، وعدم الرغبة فيها .

علماء الدنيا لصوص الدين

فالعلماء الذين هم مبتلون بهذا البلاء ، ومأسورون في أسْرِ محبة الدنيا ، **فهم من علماء الدنيا ، وهم علماء السوء ، وشرار الناس ، ولصوص الدين** ، والحال أنهم يعتقدون أنفسهم مقتدى بهم في الدين ، وأفضل الخلائق أجمعين ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ .

رأى واحدٌ من الأكابر الشيطانَ قاعداً ، فارغ البال عن الإغواء والإضلال ، فسأله عن سرِّ قعوده بفراغ البال ، فقال اللعين : إن علماء السوء في هذا الوقت قد أمدّوني في أمري مدداً عظيماً ، وتكفلوا لي بالإضلال ، حتى جعلوني فارغ البال .

والحق أن كل ضعف ووهن وقع في أمور الشريعة في هذا الزمان ، وكل فتور ظهر في ترويج الملة وتقوية الدين ، إنما هو من شؤم علماء السوء وفساد نيّاتهم .

علماء الآخرة ورثة الأنبياء

نعم ؛ إن كان العلماء راغبين عن الدنيا ، ومحرَّرين من أسر حب الجاه والرياسة ، وطمع المال والرفعة ، **فهم من علماء الآخرة ، وَوَرَثَة الأنبياء** عليهم الصلوات والتسليمات ، **وهم أفضل الخلائق ، وهم الذين يُوزن مِدادُهم يوم القيامة بدم الشهداء** في سبيل الله ، فيترجح مدادهم ،

و« نوم العالم عبادة » متحقق في حقهم ، وهم الذين استحسن في نظرهم جمال الآخرة ونضارتها ، وظهرت قباحة الدنيا وشناعتها ، فنظروا إلى الآخرة بنَظَر البقاء ، ورأوا الدنيا متسمة بسمة الزوال والفناء ، فلا جرم هربوا من الفاني ، وأقبلوا على الباقي ، **وشهودُ عظمة الآخرة إنما هو ثمرة شهود الجلال اللايزالي** ، وإذلال الدنيا وتحقير ما فيها من لوازم شهود عظمة الآخرة ، لأن الدنيا والآخرة ضَرَّتان ؛ إن رضيت إحداهما سخطت الأخرى ، فإن كانت الدنيا عزيزة فالآخرة حقيرة ، وإن كانت الدنيا حقيرة فالآخرة عزيزة ، وجمع هذين الأمرين من قبيل جمع الأضداد .

ما أحسن الدين والدنيا لو اجتمعا . . . . !

نعم ؛ قد اختار جمع من المشائخ الذين تخلَّصوا عن أَسْر نفوسهم ومقتضيات طبائعهم بالكلية صورة أهل الدنيا بواسطة نياتٍ حقَّانية ، تراهم في الظاهر راغبين فيها ، ولكن لا علاقة لهم بها في الحقيقة أصلاً ، بل هم فارغون عن الكل ، ومتخلِّصون عن الجميع ، ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ فلا يمنعهم البيع والشراء عن ذكر الله ، فهم في عين التعلّق بهذه الأمور غيرُ متعلِّقين بشيء .

قال الخواجه بهاء الدين النقشبند قدّس سرّه : **رأيت في سوق منى تاجراً اتَّجر بمقدار خمسين ألف دينار تقريباً ، ولم يغفل قلبه عن الحق سبحانه لحظة** . انتهى « الدرر المكنونات » ٤٧ ج١ .

وفي « الأنوار القدسية » : قال تعالى مادحاً للكمَّل ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ فأخبر أنهم مع قيامهم في الأسباب التي يحجب بها غيرهم لا يغفلون عن ذكر الله تعالى لأنّ الدنيا خرجت من قلوبهم ، وصارت في يدهم ؛ لا غير !

وما ذمَّ الله تعالى حبَّ الدنيا إلا إذا كان حبها بحكم الطبع ، ويبخل

العبد بها عن المحتاجين .

وأما إذا وسَّع بها على المساكين ، وستر بها نفسه ، **وكفَّها بها عن سؤال الناس ؛ فنعمت الدنيا حينئذ ، وبئس رميها** ، ولذلك ما ذمَّ الله تعالى ذات الدنيا ، وإنما ذمَّ الميل إليها فقط ، إذ لو كانت مذمومة لذاتها لم نؤمر بمسكها في حال من الأحوال فافهم .

الدنيا المذمومة هي الزائدة عن الحاجة

ولا يخفى أن مرادَ كلٍّ من ذمَّ الدنيا من الشارع ﷺ أو غيره من صالحي المؤمنين الدنيا الزائدةُ على الحاجة ، أما ما يحتاج إليه ؛ فليس من الدنيا في شيء ، بل هو مطلوب ، إذ النكتة في ذمّ [الدنيا] إنما هو الاشتغال عن عبادة الله عز وجل لا غير ، فمن عصمه الله أو حفظه عن الوقوع فيما يلهي عنه تعالى فلا حرج عليه ، ولذلك طلب أيوب وسليمان الدنيا ، ومعلوم أنهما معصومان من طلب ما يشغلهما عن الله فافهم . انتهى عبارته ١٥٠ ج٢ .

العلم النافع علم الآخرة

اعلم أيها الأخ في الله ، لله بالله ؛ أني ذكرت قبيل البرج الحادي عشر بأنه **ما ثمَّ عالمٌ إلا وهو يعمل بعلمه ولو بوجه من الوجوه** ما دام عقله حاضراً . انتهى . لكن ينبغي أن يعلم أن العلم النافع هو علم الآخرة لا غير ، ومعلِّم هذا العلم هو الذي يُدْعى في ملكوت السماء عظيماً .

التعليم على قصد الدنيا هلاك وإهلاك

قال في « الإحياء » : وإنما المعلِّم هو المفيد للحياة الأخروية الدائمة ؛ أعني معلِّم علوم الآخرة ، أو علوم الدنيا على قصد الآخرة ؛ لا على قصد الدنيا ! **فأما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك وإهلاك** . نعوذ

بالله منه . انتهى عبارته ٤٢ ج١ .

الغرض من طلب العلم هو القرب إلى الله تعالى

وفيه بعيد هذا : ثم ينبهه[(١)] على أن الغرض بطلب العلوم القربُ إلى الله تعالى ، دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ، ويقدم تقبيح ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن ، فليس ما يصلحه العالم الفاجر بأكثرَ مما يفسده ، فإن علم من باطنه أنه لا يطلب العلم إلا للدنيا ؛ نظر إلى العلم الذي يطلبه ، فإن كان هو علم الخلاف في الفقه ، والجدل في الكلام ، والفتاوى في الخصومات والأحكام ؛ فيمنعه من ذلك ، فإن هذه العلوم ليست من علوم الآخرة ، ولا من العلوم التي قيل فيها : (تعلّمنا العلم لغير الله ، فأبى العلم أن يكون إلا لله) . وإنما ذلك علم التفسير ، وعلم الحديث ، وما كان الأولون يشتغلون به من علم الآخرة ، ومعرفة أخلاق النفس وكيفية تهذيبها ، فإذا تعلَّمه الطالب وقصدُه الدنيا ؛ فلا بأس أن يتركه ، فإنه يثمر له طمعاً في الوعظ والاستتباع ، ولكن قد يتنبه في أثناء الأمر أو آخره ، إذ فيه العلوم المخوِّفة من الله تعالى ، المحقِّرة للدنيا ، المعظِّمة للآخرة ، وذلك يوشك أن يؤدي إلى الصواب في الآخرة ، حتى يتعظ بما يعظه غيره ، ويجري حب القبول والجاه مجرى الحب الذي ينثر ويرمي حوالي الفخ[(٢)] ليقتنص[(٣)] به الطير ، وقد فعل الله ذلك بعباده ؛ إذ جعل الشهوة ليصل الخلق بها إلى بقاء النسل ، وخلق الجاه أيضاً ليكون سبباً لإحياء العلوم ، وهذا متوقع في هذه العلوم ، فأما الخلافيات المحضة ، ومجادلات الكلام ، ومعرفة التفاريع الغريبة ! فلا يزيد التجرد لها مع الإعراض عن غيرها إلا قسوة في القلب ، وغفلة عن الله تعالى ، وتمادياً في الضلال ، وطلباً للجاه ، إلا مَنْ

---

(١) يعني ينبّه المعلمُ المتعلم (منه) . (هامش الأصل) .

(٢) الفخ : آلة يصاد بها . « مصباح » . (هامش الأصل) .

(٣) الذى ينصب ليقتنص أي يصطاد . « إتحاف » . (هامش الأصل) .

تداركه الله تعالى برحمته ، أو مزج به غيره من العلوم الدينية . ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة ! فانظر واعتبر واستبصر ؛ لتشاهد تحقيق ذلك في العباد والبلاد . والله المستعان .

وقد رؤي سفيان الثوري رحمه الله حزيناً ، فقيل له : مالَكَ[١] ؟ ! فقال : صِرْنَا متّجراً لأبناء الدنيا ، يلزمنا أحدهم[٢] ، حتى إذا تعلَّم جعل قاضياً أو عاملاً أو قهرماناً . انتهى ٤٣ ج١ .

مهم لنا

ومن أجلِّ العلوم النافعة : **علم السلوك** الذي يعلم به صفات القلب . وقد قال في « شرح سلك العين » : **إن علم السلوك فرض عين بلا خلاف** ، على الذكور والإناث والعبيد والأشراف ، وصرَّح به ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » في ٢٢٨ .

ومن الكتب التي قال ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » في ٢١٦ : (إنها من الكتب النافعة في الدنيا والآخرة) : كتب الغزالي ، وأبي طالب المكي .

قال الشيخ السيد أحمد بن المرحوم سيدي زيني دحلان بعد ذكره كلاماً في المهلكات والمنجيات :

وقد تكفل الإمام الغزالي رضي الله عنه في « إحياء علوم الدين » ببيان ذلك كله ، فذكر حقائقها وأسبابها وعلاجاتها ، فمن أراد كمال معرفة الله ، وسلامة دينه ، فلا بدَّ له من معرفة ذلك .

وطريق السادات الصوفية كلها مبناها على العلم والعمل ، والتخلِّي

(١) أي : لأي شيء أراك محزوناً ؟ ! « إتحاف » . (هامش الأصل) .
(٢) في طلب علم الحديث « إتحاف » . (هامش الأصل) .

من الصفات الذميمة ، والتحلِّي بالصفات الحميدة .

قال الإمام القطب سيدنا عبد الله العيدروس رضي الله عنه : ليس لنا طريق ومنهاج سوى الكتاب والسنة .

فضيلة « الإحياء »

وقد شرح ذلك سيد المصنفين ، وبقية المجتهدين ؛ حجة الإسلام الغزالي في كتابه « أعجوبة الزمان العظيم الشأن » الملقب « إحياء علوم الدين » ؛ الذي هو عبارة عن شرح الكتاب والسنة ، والطريقة والحقيقة ، فعليكم بالكتاب والسنة أولاً وآخراً ، ظاهراً وباطناً ، واعتباراً واعتقاداً . وشرح الكتاب والسنة مستوفى في كتاب « إحياء علوم الدين » .

ولو بعث الله تعالى الموتى لما أوصوا الأحياء إلا بما في « الإحياء » .

وقال : أشهد سرّاً وعلانية **أن مَن طالع « الإحياء » كان من المهتدين** . انتهى ٧ .

وفي « عقد اليواقيت » : وعليك بقراءة كتب الفقه ؛ سيما كتب الشيخ ابن حجر ، والرملي ، و« إحياء علوم الدين » ففيه الخير الكثير ، وبركة فيه كثيرة ، وفتح لأسلافنا ببركة قراءته ونوره .

وقد أطنب فيه سيدنا العيدروس الأكبر ، وبَخْ بَخْ[١] فيه إلى غاية ونهاية ، وهو كما قال بعضهم : **كاد الإحياء أن يكون قرآناً** . وقرىء على الشيخ عَلِيّ أربعين مرة ، وقرأه أربعين مرة ، فيا لها من مزية ، ويا لها من بركة . انتهى عبارته ١١٦ .

---

(١) بخ بخ : كلمة تقال عند الرضى والإعجاب بالشيء أو الفخر والمدح . (القاموس المحيط) .

ورأيت في « تعريف الأحياء فضيلة الإحياء » ما عبارته : وقال السيد الكبير ، العارف بالله الشهير ؛ علي بن أبي بكر ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف : **لو قلّب أوراق « الإحياء » كافر لأسلم ، ففيه سرٌّ خفيٌّ يجذب القلوب شبه المغناطيس** .

قلت : وهو صحيح ، فإني مع خسيس قصدي وقساوة قلبي أجد عند مطالعتي له من انبعاث الهمّة وعزوف النفس عن الدنيا ما لا مزيد عليه ، ثم يفتر برجوعي إلى ما أنا فيه ومخالطة أهل الكثافات ، ولا أجد ذلك عند مطالعة غيره من كتب الوعظ والرقائق ، وما ذاك إلا لشيء أودعه الله فيه ، وسرِّ نفس مصنِّفِهِ ، وحسن قصده .

والمراد بالكافر هنا - فيما يظهر - : الجاهل بعيوب النفس ، المحجوب عن إدراك الحق ، أي : **فبمجرد مطالعته الكتاب المذكور يشرح الله صدره ، وينوِّر قلبه ، وذلك لأن الوعظ إذا صدر عن قلب متَّعظ كان حريّاً أن يتعظ به سامعه** . وكما أن الله تعالى جعل لعباده الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون رتبة فوق غيرهم ؛ كذلك جعل لما يبرز منهم ويؤخذ عنهم بركة زائدة على غيره ، لأن ألسنتهم كريمة ، وأنوار قلوبهم عظيمة ، وهممهم عليَّة ، وإشاراتهم سنية ، حتى يكون للقرآن أثر عظيم عند سماعه منهم ، وللأحاديث بهجة وجلالة زائدة إذا أخذت عنهم ، وللمواعظ منهم تأثير في القلوب ظاهر ، ولعلومهم وفقههم أنوار ونفع متظاهر ، حتى تجد الرجل له العلم القليل وبعد ذلك ينتفع به كثير لحسن نيته ، ووجود بركته ، وغيرُه له أكثر من ذلك العلم ؛ ولم ينتفع به مثلَه ! لأنه دونه في منزلته . ومَن تأمل ذلك وجده أمراً ظاهراً معهوداً ، وشيئاً مجرَّباً موجوداً . انتهى عبرته ٢١ من هامش « الإحياء » ج١ .

وفي « تعريف الأحياء » أيضاً : وقال فيه النووي : **كاد الإحياء**[١] **أن**

---

(١) « إحياء علوم الدين » للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي=

يكون قرآناً .

وقال الشيخ أبو محمد الكازروني : **لو محيت جميع العلوم لاستخرجت من « الإحياء »** . انتهى عبارته ١٤ .

وفيه : ومن كلامه ؛ - يعني : من كلام الشيخ قطب الأولياء عبد الله العيدروس رضي الله عنه - **اعلموا** أن مطالعة « الإحياء » يحضر القلب الغافل في لحظة ؛ كحضور سواد الحبر بوقوع الزاج في العفص[(١)] والماء . وتأثير كتب الغزالي واضح مجرب عند كل مؤمن .

ومن كلامه : **أجمع العلماء العارفون بالله على أنه لا شيء أنفع للقلب وأقرب إلى رضا الرب من متابعة حجة الإسلام الغزالي ، ومن محبة كتبه** ، فإن كتب الإمام الغزالي لُبَاب الكتاب والسنة ، ولباب العقول والمنقول . انتهى عبارته ١٦ .

وفيه : أثنى على « الإحياء » عالَم من علماء الإسلام ، وغير واحد من عارفي الأنام ، بل جميع أقطاب وأفراد . انتهى عبارته ١٣ .

وفيه كلام كثير في الثناء على « إحياء علوم الدين » . وكذا أشبع صاحب « الإتحاف » القول في مدح الغزالي ، ومدح « الإحياء » ، وردّ قول كل معترض عليه بأجوبة مرضية ، فمن طالع إليهما تحصل الرغبة في قراءته ومطالعته .

وقد رأى الحقير من مطالعته أثراً عظيماً ، ونفعاً كثيراً ، ولذا حثّ أولاده وأحبابه على قراءته . رزقنا الله التوفيق والاستقامة .آمين يا مجيب .

=الشافعي ، المتوفَّى بطوس سنة ٥٠٥ خمس وخمس مائة وهو من أجلِّ كتب المواعظ وأعظمها ، حتى قيل فيه : إنه لو ذهبت كتب الإسلام وبقي « الإحياء » لأغنى عما ذهب . « كشف الظنون » ٨٥ ج١ . (هامش الأصل) .

(١) والعَفْصُ : الذي يتّخذ من الحبر مولَّد وليس من كلام أهل البادية .

البرج العشرون

في ذكر مجاهدة النفس والهوى وترك الشهوات

اعلم أن الله تعالى قد جعل الهداية منوطة بالمجاهدة ، وقال ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ الآية ، **والنفس من كل أحد سوى الأنبياء هي الصنم الأكبر ، والهوى إلهٌ يُعْبد ، وأكثر الخلق عن هذا غافلون** . قال تعالى ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ .

وفي « الصاوي » في تفسير قوله تعالى ﴿وَجَـٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ ﴾ الآية : أي أعدائكم الظاهرية والباطنية !

الأعداء الظاهرية والباطنية

فالظاهرية : فِرَق الضلال والكفر ، ومجاهدتها معلومة ، ويُسمى **الجهاد الأصغر** .

والباطنية : النفس والهوى والشيطان ، ومجاهدتها : الامتناع من شهواتها شيئاً فشيئاً ، ويسمى **الجهاد الأكبر** كما في الحديث .

ووجه تسميته أكبر : أن الأعداء الظاهرية تحضر تارة ، وتغيب أخرى ، وتصالح ، وإذا قتلها الشخص أو قتلته فهو في الجنة ، بخلاف الأعداء الباطنية ؛ فلا تغيب أصلاً ، ولا يمكن الصلح معها ، وإذا قتلت صاحبها وغلبته فهو في النار . انتهى عبارته . فراجعه في سورة المؤمنين .

فإذا كان الأمر كذلك ؛ لازم على العبد أن يخالف النفس والهوى ، ويجتنب عن المألوفات والمأنوسات ، كما درج السلف الصالح على عداوتها وعدم موافقتها .

قال الإمام البوصيري رضي الله عنه :

وَالنَفْسُ كَالْطِفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ على   حُـبِّ الرِضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمُ

فاصرفْ هواها وحـاذرْ أَنْ تُـوَلِّيَهُ   إنَّ الهوى ما تولَّى يُصْمِ أو يَصِمِ
وراعِها وَهْي في الأعمـال سـائمةٌ   وإن هي استَحْلَتِ المَرْعَى فلا تُسم

قال الشعراني في « تنبيه المغترين » في ١١١ : ومن أخلاقهم رضي الله عنهم كثرة مجاهدة نفوسهم في العبادات ، وترك الشهوات ، وعدم رضاهم بعد ذلك عنها إلى أن يموتوا . وهذا مجمع عليه عند القوم .

خرق الإجماع حرام

فمن خالفهم في ذلك فقد خرق إجماعهم ، وذلك حرام ؛ لأنه من قاعدة : (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب) .

وقد قالوا : مَن ظن أنه بغير الجهد في الطاعات يبلغ شيئاً من الدرجات ، فقد رام المحال .

وقيل أيضاً : لا تخرق لعبد العادات إلا إن زاد على الناس في العبادات ، وذلك **لأن الكرامات فرع المعجزات** ، فكما تميز النبي ﷺ بكثرة الطاعات والمعجزات ، فكذلك الولي لا يقع له كرامة إلا إن جاوز أقرانه في الجد والطاعات .

وفي الحديث « المجاهد من جاهد نفسه في الله عز وجل » انتهى .

وقد كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول : أول ما تنكرون من الجهاد جهادُ نفوسكم .

وكان أبو مالك الأشعري رضي الله عنه يقول : **ليس عدوك الذي إن قتلته آجرك الله عليه ، ولكن عدوك الذي بين جنبيك - يعني : النفس - وامرأتك التي تضاجعك ، وولدك الذي من صلبك ، فهؤلاء أعدى عدوٍّ لك .**

وكان خضر القارئ رحمه الله تعالى يقول : نحت الجبال بالأظافر

حتى تنقطع الأوصال أهون من مخالفة الهوى إذا تمكَّن في النفس .

ما يفسده قرين السوء

وكان بشر الحافي رحمه الله تعالى يقول : ستون من مردة الشياطين لا يفسدون ما يفسده قرين السوء في لحظة ، وستون من قرناء السوء لا يفسدون ما تفسده النفس في لحظة ، وإذا جعلت الأمور كلها على وفق المراد للعبد أتاه الخلل فيها من قبل نفسه . وقد أجمع سائر الملل على أن رضا الرب جلّ وعلا في مكروه النفس .

وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول : الدنيا كلها محشوة بالعجائب ، وأعجب العجائب نجاة نفوس[1] أمثالنا من النار ، وكيف ينجو من النار مَن كل أعماله تجرُّه إليها ؟ !

وكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول : أصاب شخصاً من الزهاد سهمٌ فذبحه ، فقال : الحمد لله الذي أخذ لي بثأري من نفسي ، فكم ذَبَحَتْني من ذبح ! !

وكان يحيى بن معاذ يقول : أنا أعلم شقاوتي من الآن . فقيل له مرة : وكيف ذلك ؟ قال : لأنهم قالوا : علامة **سعادة المرء أن يكون عدوه عاقلاً** ، **وأنا أرى خصمي لا عقل له** . فقال : ومَن هو خصمك ؟ ! قال : نفسي . فقيل له : أنت بحمد الله ذو عقل . فقال : كيف عقلي وأنا أبيع الجنة بشهوة نومة أو لقمة أو كلمة ؟ ! انتهى .

وكان بشر الحافي رحمه الله تعالى يقول : الهوى كمين في النفس لا نؤمن اتباعه . قال تعالى ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ الآية .

وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول : نحن اليوم لا نرى أحداً يعمل على وفق السنة ، وإنما كلٌّ يعمل على موافقة الهوى ، ما بين عالم

---

(١) وفي (خ) نفوسنا ونفوس أمثالنا .

وجاهل ، وعابد وزاهد ، وشيخ وشاب ، كل يعمل ليحمد على ذلك ؛ إمّا عند الله ، وإما عند الناس ، وكذلك يترك المعاصي خوفاً من ازدراء الناس له ؛ لا خوفاً من الله تعالى . **ومَن ذا الذي منا لا يغضب ممن ذكره بسوء بين الناس ؟! اصطلحنا والله على المداهنة ، وتحاببنا بالألسن ، وتباغضنا بالقلوب ، وطلبنا العلم لغير العمل ، بل للتزيُّن والمباهاة والرياسة على الناس ، لنحن أول مَن تُسَعَّر بهم النار .**

وقد بلغنا أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه الصلاة والسلام : يا داود ؛ إن أردت محبتي لك فعادِ نفسك ووِدّني بعداوتها . انتهى .

وكان عبد العزيز بن أبي رواد رحمه الله تعالى يقول : إذا ذكر أحوال السلف بيننا افتضحنا كلنا .

وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول : والله لو أنكم تجدون للعاصي ريحاً لما استطاع أحد منكم أن يجلس إليَّ من خبث ريحي .

وكان عطاء السلمي رحمه الله تعالى إذا أصاب أهلَ بلدٍ ريحٌ أو غلاء ، أو فناء أو بلاء يقول : كل هذا من أجل ذنوب عطاء ، لو مات عطاء لاستراح الناس منه .

وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى يقول : ينبغي للعبد أن يكون عند الله من أجلِّ الناس ، وعند نفسه من أشرِّهم .

وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول : **كل مَنْ ادَّعى درجة سقط منها** ، وإذا كان الرجل في أعلى درجة فمن حقه أن يحقر نفسه .

وكان أبو معاوية الأسود رحمه الله تعالى يقول : **كل مَنْ فضَّلني على نفسه من أصحابي فهو خير مني .**

وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى إذا جلس إليه أحد وثقل

على قلبه يوبخ نفسه ، ويقول لها : إنك لا تحبين الصالحين ، ولما رأيت هذا خيراً منك كرهته ، وثقل عليك مجالسته .

الفسق أهون من الرياء

وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى كثيراً ما يقول : **مَن أحب أن ينظر إلى مراءٍ فلينظر إليّ** . ثم يمسك لحيته بيده ويبكي ، ويقول : كنت يا فضيل في شبابك فاسقاً ، ثم صِرْت في كُهُولَتِك مرائياً ، والله للفسق أهون من الرياء .

وقد قال شخص مرة لمالك بن دينار رحمه الله تعالى : يا مرائي ؛ فقال له مالك : لقد عرفت يا أخي لقبي الذي أضلَّه أهل البصرة .

وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول : كل مَن زعم أنه يحب الله وهو يحب نفسه فقد كذب .

وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول : لا يكمل العابد حتى يصير يرى إخلاصه رياءً ، والله لو قيل لي : إن الخليفة داخل عليك الساعة . فسوَّيت لحيتي بيدي لقدومه ؛ لخفت أن أكتب في جريدة المنافقين . انتهى .

وأما تَرْكُ القوم رضي الله عنهم للشهوات فدليلهم في ذلك الأخبار من الكتاب والسنة .

وقد كان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول : تصدَّى الشيطان لعنه الله لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فقال : ما أنت صانع بأمة محمد ﷺ إن أنت أدركتهم ؟ ! فقال : أزيّن لهم الدنيا ، حتى يكون الدينار والدرهم أشهى لأحدهم من شهادة أن لا إله إلا الله .

وكان وهيب بن الورد رحمه الله تعالى يقول : **مَنْ غلب شهوتَه فهو خير من الملائكة** ، لأنهم عليهم الصلاة والسلام عقول بلا شهوة ، **ومَن غلبته شهوته فهو شرّ من البهائم** ، لأنهم شهوة بلا عقول .

وكان الأحنف بن قيس رحمه الله تعالى يقول : مَن أكل الشهوات وطلب حفظ فرجه فقد رام المحال .

وقد كان أبو حازم رحمه الله تعالى يمرُّ على الجزَّار ، فيقول له الجزَّار : خذ لك لحماً وأنا أصبر عليك . فيقول له : أنا أولى منك بالصبر على نفسي .

محاربة الزاهدين مع الشهوات

وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول : محاربة الزاهدين تكون مع الشهوات ، ومحاربة التوابين تكون مع السيئات ، ومن أراد حماية نفسه من دخول النار فليترك سائر ما تشتهيه نفسه في الدنيا .

وقد قال عتبة الغلام يوماً لعبد الواحد بن زيد رحمهما الله تعالى : إن فلاناً يصف نفسه بأخلاق لا نذوقها وهو صادق عندنا ، فما سبب عدم فهمنا بحاله ؟ ! فقال : لأنه يأكل خبزة بلا إدام ، وأنتم تأكلونه بالإدام ، وكل ما زاد على الخبز فهو شهوة .

وكان أبو العباس الموصلي رحمه الله تعالى يقول : مَن زعم أن أكل الشهوات لا يضرُّه فقد أعظم الفِرْيَة[١] على الله تعالى .

وكان الداراني رحمه الله تعالى يقول : من المحال أن يجد أحد لذة الطاعات وهو يتناول الشهوات .

---

(١) أي : الكذب . (هامش الأصل) .

الملائكة لا تمرض لعدم الأكل

وقد كان طاووس رحمه الله تعالى يصف للمريض قلة الأكل ، ويقول : لم يجعل الله تعالى لصحيح ولا لمريض دواءً أعظم من ترك الأكل ، وما أتى المرض لمريض إلا من جهة الأكل ، ولذلك كانت الملائكة لا تمرض ؛ لعدم أكلهم عليهم الصلاة والسلام .

وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول : مَن نظر إلى قصر ، أو بستان أو غير ذلك فاستحسنه إلا نقص من عقله بقدر ما استحسن .

وكان وهيب بن الورد رحمه الله تعالى يقول : مَن تناول الشهوات فليتهيأ للذُلّ في الدنيا والآخرة .

وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول : شهوات النفس نيرانها ، وحطبها لذتها ، والجوع ماؤها التي تطفأ به .

وقد كان يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام من أطيب الناس طعاماً ؛ كان يأكل الجراد وقلوب[١] النخل .

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجوّع نفسه ويميتها ، ويقول لها : الأكل أمامك .

وكان بشر بن السَّريِّ رحمه الله تعالى يقول : لأن أترك ذرة من غدائي أو عشائي ؛ أحب إليَّ من عبادة العابدين ، وصلاة المصلين ، وحجِّ الحاجِّين ، وصوم الصائمين ، وجهاد المجاهدين .

الجوع مذهب الصالحين

وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول : مذهب جميع الصالحين

---

(١) قلب النخل بفتح القاف ، وضمها ، وكسرها : لبُّها . « مختار » . (هامش الأصل) .

الجوع ، فمن فرَّ منه فهو من الفاسقين ، ولقد أدركنا العلماء وهم ربيع ، فصاروا الآن مزابل للدنيا ، وإذا رأيتم الزاهد يرخِّص أكل الشهوات فاعلموا أنه قد رجع عن الزهد ، لأنَّ التبسُّط في الدنيا معدود من فسق العارفين . ووالله ما بقي أحد من زهَّاد هذا الزمان تقرُّ العين برؤيته ، ولقد أدركنا أقواماً كانوا يحرصون على ترك الدنيا أكثر مما يحرص هؤلاء على تحصيلها .

واعلموا أن مَن كان شبعه بالطعام لم يزل جائعاً ، ومن كان استناده إلى الخلق دون الله تعالى لم يزل مخذولاً .

وقد كان يزيد الرقاشي رحمه الله تعالى لا يشرب الماء البارد أبداً ، ويقول : أخاف أن أُحْرم شربهُ غداً إن شربته اليوم يعني في الآخرة .

وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول : الناس يقولون : إن مَن ترك اللحم أربعين يوماً قلّ عقله . وإني قد تركته سنين ، وما نقص من عقلي شيء ولله الحمد .

وكان رحمه الله تعالى لا يأكل من رطب البصرة شيئاً ، وإذا مضى زمنه يقول : يا أهل البصرة ؛ هذا بطني ما نقص ترك أكل الرطب منه شيئاً ، ولا زاد في بطونكم شيئاً .

وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول : صاحب الشهوات معذَّب في الدنيا والآخرة ؛ في الدنيا في تحصيلها ، وفي الآخرة في الحساب عليها .

آفات الشبع

واعلموا أن مَن كثر أكله كثر لحم بطنه ، ومن كثر لحم بطنه . كثرت شهواته ، ومن كثرت شهواته كثرت ذنوبه ، ومن كثرت ذنوبه قسا قلبه ، ومن قسا قلبه غرق في الذنوب والآفات ، ومن غرق في الذنوب

والآفات دخل النار .

وقد اشتهى مالك بن دينار رحمه الله تعالى في مرض موته خبزاً أبيض ولبناً ، فلما أتوه به ، نظر إليه وقال : دافعت نفسي عن الشهوات طول عمري ، أفأوافقها في آخره ؟ ! ثم قال : اذهبوا به إلى يتيم بني فلان . ولم يأكله .

وقد مكث معروف الكرخي رحمه الله تعالى ثلاثين سنة يشتهي أن يغمس جزرة في دبس ، ثم مات رحمه الله تعالى ولم يفعل ذلك .

قال : وقُدِّم بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إناء فيه لبن وعسل ، فردَّه ولم يأكل منه ، وقال : تذهب لذته ، وتبقى تبعته .

وقد رأى ابنه عبد لله رضي الله عنهما يوماً يأكل خبزاً وسمناً ، فعَلاَهُ بِالدِرَّة ، وقال له : كل خبزاً وملحاً ، واترك السمن لغيرك . انتهى .

فتأمل يا أخي نفسك ، وابك على حالك ، فإن سُدَاكَ ولحمتك شهوات ، فأنت محجوب عن ربك في عموم الأوقات ، لا تلتذُّ بشيء من العبادات ، ولا تراقب ربّك في الخلوات ، فكيف تدَّعي أنك من الصالحين وأنت قد خالفتهم في جميع أحوالهم ؟ ! فإن لم توافقهم في الأمور الباطنة يا أخي فانزع زيَّهم الظاهر ؛ من عمامة صوف وجبة وعذبة .

وقد رأيت شخصاً بهذه الصفة في وليمة يمدُّ يده يميناً وشمالاً ؛ فيلتقط اللحم وأطايب الطعام من بين يدي إخوانه ، وربما يدعى إلى أكلة واحدة إلى المرطوبة[1] خارج مصر أو بلبيس ، فيسافر إليها ، وربما يدَّعي أنه يفعل ذلك جبراً لخاطر من يدعوه ، لا لأجل شهوة بطنه ! والناقد

---

(١) وفي نسخة : مطربة - مرطبة .

بصير ، والحمد لله رب العالمين . انتهى[1] .

وفي « الإحياء » : **والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات** ، ومنبت الأدواء والآفات . انتهى ٦٤ .

ترك شهوة أنفع من صيام سنة

وفيه : قال سليمان : ترك شهوة من الشهوات أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها . وفقّنا الله تعالى لما يرضيه . انتهى ٧٦ .

وقال بشر : **إن الجوع يُصفِّي الفؤاد ، ويميت الهوى ، ويورث العلم الدقيق** . انتهى « عوارف المعارف » .

وفيه : وقال ذو النون : ما أكلت حتى شبعت ، ولا شربت حتى رويت ، إلا عصيت الله ، أو هممت بمعصية . انتهى .

وفيه : وقال فتح الموصلي : صحبت ثلاثين شيخاً ؛ كلٌّ يوصيني عند مفارقتي إياه بترك عِشْرَة الأحداث[2] ، وقلة الأكل . انتهى .

وفيه : وقال يحيى بن معاذ : إذا ابتلي المريد بكثرة الأكل بكت عليه الملائكة رحمة له .

ومَن ابتلي بحرص الأكل فقد أحرق بنار الشهوة .

مطلب : في نفس الآدمي ألف عضو بيد الشيطان

وفي نفس ابن آدم ألف عضو من الشرِّ ؛ كلها في كفِّ الشيطان متعلق بها ، فإذا جوّع بطنه ، وأخذ حلقه ، وراض نفسه ، يَبِسَ كلُّ عضو واحترق بنار الجوع ، وفرَّ الشيطان من ظلّه . وإذا أشبع بطنه ، وترك حلقه في لذائذ

---

(١) ما قاله الشعراني في « تنبيه المغترين » .
(٢) وهم الأمراد . (هامش الأصل) .

الشهوات ، فقد رطَّب أعضاءه ، وأمكن الشيطان . انتهى عبارته .

وفيه : **وينهزم الشيطان من جائع نائم** ، فكيف إذا كان قائماً ؟ ! **ويعانق الشيطان شبعاناً قائماً** ، فكيف إذا كان نائماً ؟ ! فقلب المريد الصادق يصرخ إلى الله من طلب النفس الطعام والشراب . انتهى عبارته .

وفيه : وقيل : الدنيا بطنك ، فعلى قدر زهدك في بطنك زهدك في الدنيا . انتهى عبارته .

وفيه : وقال بعضهم : أعوذ بالله من زاهد قد أفسدت معدته ألوان الأغذية .

فيكره للمريد أن يوالي في الإفطار أكثر من أربعة أيام ، فإن النفس عند ذلك تركن إلى العادة ، وتتسع بالشهوة . انتهى عبارته .

شهوة الرياء أضرُّ من شهوة الطعام

ومن الدقائق : أن الرجل يأكل الشهوات إذا كان في خلوة عن الناس ، ويتركها عند الناس ، وذلك عين الرياء ! .

فقد قال الغزالي رحمه الله تعالى في « الإحياء » ما لفظه هذا : وبالجملة من ترك شهوة الطعام ، ووقع في شهوة الرياء ، كان كمن هرب من عقرب وفزع إلى حية ، لأن شهوة الرياء أضرُّ كثيراً من شهوة الطعام . والله ولي التوفيق . انتهى عبارته ٧٣ ج ٣ فراجعه .

اللهم إنا نسألك التوفيق لترك الشهوات ، وهجر المألوفات والمأنوسات ، لا طاقة لنا لجهاد هذه النفس الأمَّارة التي هي الصنم الأكبر ؛ إن تكلنا إلى أنفسنا . اللهم اعصمنا من فتنها وغرورها . آمين .

البرج الحادي والعشرون

في ذكر معاتبة النفس وتوبيخها

اعلم أيها الأخ المرجو لحوز السعادة ؛ أن النفس مجبولة على حبِّ الجاه والرياسة ، **وجميع همَّتِها الترفُّع على جميع الأقران ، ومُتَمَنَّاها بالذات أن يكون الخلائق كلُّهم محتاجين إليها** ، ومنقادين إلى أوامرها ونواهيها ، ولا تريد أن تكون هي محتاجة إلى الشيئ ، ومحكومة لأحد أبداً . وهذه كلها دعوى الألوهية منها ، والشركة مع خالقها المُنَزَّه عن المثل والشبه جلَّ سلطانه ، بل هي البعيدة عن السعادة ؛ غير راضية بالشركة ، بل تريد أن تكون هي الحاكمة فقط لا غير . كما قال مثله الإمام الرباني ، وإذا كان الأمر كذلك ؛ ينبغي للعاقل تعجيز هذه النفس الأمَّارة ،وتخريبها باللوم والتوبيخ ؛ بتكرار النظر إلى ما يذكر آنفاً ، وترداد الفكر ، والتدبُّر في هذه المواعظ المهمة .

النفْس الأمَّارة والنفس اللوَّامة

قال الغزالي في « الإحياء[1] » : اعلم أن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك ، وقد خُلِقَت أمَّارة بالسوء ، ميَّالة إلى الشر ، فرَّارة من الخير ، وأُمِرْتَ بتزكيتها وتقويمها ، وقودها بسلاسل القهر إلى عبادة ربها وخالقها ، ومنعها عن شهواتها ، وفطامها عن لذَّاتها ، فإن أهملتها جمحت ولم تظفر بها بعد ذلك ، وإن لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة كانت نفسك هي النفس اللوَّامة التي أقسم الله بها ، ورجوت أن تصير النفس المطمئنة ؛ المدعوَّة إلى أن تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية ، فلا تغفلنّ ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ، ولا تُشغَلنّ بوعظ غيرك ما لم تشتغل أوّلاً بوعظ نفسك .

---

(١) في ٦٢٣ ج ٤ .

أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام : يا ابن مريم ؛ عظ نفسك ،فإن اتَّعظت فعظ الناس ،وإلا ! فاستحي مني . وقال تعالى ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . وسبيلك أن تُقْبِلَ عليها ؛ فتقرر عندها جهلها وغباوتها ، وأنها أبداً تتعزَّز بفطنتها وهدايتها ، ويشتد أَنَفُها واستنكافها إذا نسبت إلى الحمق ، فتقول لها : يا نفس ما أعظم جهلك ؛ تدَّعين الحكمة والذكاء والفطنة وأنت أشد الناس غباوة وحمقاً ، أما تعرفين ما بين يديك من الجنة والنار ، وأنك صائرة إلى إحداهما على القرب ؟ ! فما لك تفرحين وتضحكين ، وتشتغلين باللهو وأنت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم ؟ وعساك اليوم تُختَطَفين ، أو غداً ، فأراك ترين الموت بعيداً ؛ ويراه الله قريباً .

أما تعلمين أن كل ما هو آت قريب ، وأن البعيد ما ليس بآت .

أما تعلمين أن الموت يأتي بغتة من غير تقديم رسول ، ومن غير مواعدة ومواطأة ، وأنه لا يأتي في شيء دون شيء ، ولا في شتاء دون صيف ، ولا في صيف دون شتاء ، ولا في نهار دون ليل ، ولا في ليل دون نهار ، ولا يأتي في الصبا دون الشباب ، ولا في الشباب دون الصبا ، بل كلّ نَفَس من الأنفاس يمكن أن يكون فيه الموت فجأة ، فإن لم يكن الموت فجأة ، فيكون المرض فجأة ثم يفضي إلى الموت ، فما لك لاتستعدِّين للموت وهو أقرب إليك من كل قريب ؟ ! أما تتدبَّرين قوله تعالى ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾ !

ويحك يا نفس ؛ إن كانت جراءتك على معصية الله لاعتقادك أن الله تعالى لا يراك ؛ فما أعظم كفرك ! وإن كان مع علمك باطِّلاعه عليك ؛ فما

أشدَّ وقاحَتَكِ[١] وأقل حياءك .

ويحك يا نفس ؛ لو واجهك عبد من عبيدك ، بل أخ من إخوانك بما تكرهينه ؛ كيف كان غضبك عليه ومقتك له ، فبأي جَسَارة [٢] تتعرَّضين لمقت الله وغضبه وشديد عقابه ؟ ! أفتطيقين عذابه ؟ ! هيهات هيهات ! !جرّبي نفسك إنْ ألهاك البَطَر[٣] عن أليم عذابه ، فاحتبسي ساعة في الشمس ، أو في بيت الحمام ، أو قرّبي إصبعك من النار ؛ لتبيَّن لك قدر طاقتك ، أم تَغْتَرِّين بكرم الله وفضله ، واستغنائه عن طاعتك وعبادتك ؟ ! فما لك لا تعوِّلين على كرم الله تعالى في مُهمَّات دنياك ؟ ! فإذا قصدك عدوٌّ فَلِمَ تستنبطين الحيل في دفعه ، ولا تَكِلِينَه إلى كرم الله تعالى ؟ ! وإذا رَهِقَتك[٤] حاجة إلى شهوة من شهوات الدنيا مما لا ينقضي إلا بالدينار والدرهم ، فما لك تنزعين الروح في طلبها وتحصيلها من وجوه الحيل ؟ فلم لا تُعَوِّلين إلى كرم الله تعالى ؛ حتى يعثر بك على كنز ، أو يسخِّر عبداً من عبيده فيحمل إليك حاجتك ؛ من غير سعي منك ولا طلب ؟ ! أفتحسبين أنَّ الله كريم في الآخرة دون الدنيا ؟ ! وقد عرفت أنَّ سُنَّةَ الله لا تبديل لها ، وأن ربَّ الآخرة والدنيا واحد ، ﴿ **وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ** ﴾ ؟

ويحك يا نفس ؛ ما أعجب نفاقك ودعاويك الباطلة ، فإنك تدَّعين الإيمان بلسانك ، وأثر النفاق ظاهر عليك . ألم يقل لك سيدك ومولاك ﴿ **وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا** ﴾ ؟ ! وقال في أمر الآخرة ﴿ **وَأَن**

---

(١) وَقُحَ الرجل ؛ من باب ظرُفَ : قلّ حياؤه ، فهو وقح . « مختار » . (هامش الأصل) .
(٢) جسارة : شجاعة . (هامش الأصل) .
(٣) البَطَر : كفر النعمة فلم يشكرها . « مصباح » . والبَطَر : الأشَر ، والأشر : البَطَر . (منه) . (هامش الأصل) .
(٤) رَهِقْتَ الشيئ رَهَقاً ـ من باب تعب ، : قربتَ منه . « مصباح » . (هامش الأصل) .

﴿ لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ ؟ ! فقد تكفَّل لك بأمر الدنيا خاصة ، وصرفك عن السعي فيها ، فكذَّبْتِهِ بأفعالك ، وأصبحت تتكالبين[1] على طلبها تكالب المدهوش المستهتر[2] ووكل أمر الآخرة إلى سعيك ، فأعرضت عنها إعراض المغرور المستحقر ، ما هذا من علامة الإيمان ! لو كان الإيمان باللسان ؛ فلم كان المنافقون في الدرك الأسفل من النار ؟ ! ويحك يا نفس ؛ كأنك لا تؤمنين بيوم الحساب ، وتظنين أنك إذا متِّ انفلتِّ[3] وتخلَّصت ، وهيهات ! أتحسبين أنك تتركين سدى ؟ ! ألم تكوني نطفة من منيٍّ يمنى ؟ ! ثم كنت علقة فخلق فسوى ؟ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ؟ !

فإن كان هذا من إضمارك ؛ فما أكفرك ِ وأجهلك !

أما تتفكرين أنه مما ذا خلقك ؟ ! من نطفة خلقك فقدَّرك ، ثم السبيل يسَّرك ، ثم أماتك فأقبرك ، أفتُكذِّبينه في قوله ﴿ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴾ ؟ ! فإن لم تكوني مكذبة ، فما لك[4] لا تأخذين حذرك ؟ !

وإن يهوديّاً أخبرك[5] في ألذِّ أطعمتك بأنه يضرك في مرضك ، لصبرتِ عنه وتركْتِه ، وجاهدتِ نفسك فيه ، أفكان قول الأنبياء المؤيَّدين بالمعجزات ، وقول الله تعالى في كتبه المنزلة ، أقلَّ عندك تأثيراً من قول اليهودي ؛ يخبرك عن حَدْسٍ وتخمين وظنٍّ مع نقصان عقل وقصور علم ؟ !

---

(١) تكالب القوم تكالباً : تجاهروا بالعداوة . « مصباح » . (هامش الأصل) .
(٢) يقال : فلان مستهتر بالشراب ـ بفتح التاءين ـ أي : مولع . (هامش الأصل) .
(٣) انفلت : خرج بسرعة . « مصباح » . (هامش الأصل) .
(٤) وفي نسخة : فما بالك .
(٥) وفي نسخة : لو أخبرك .

مطلب

والعجب أنه لو أخبرك طفل بأن في ثوبك عقرباً ؛ لرميت ثوبك في الحال ، من غير مطالبة له بدليل وبرهان ! أفكان قول الأنبياء والعلماء والحكماء وكافة الأولياء أقل عندك من قول صبيّ من جملة الأغبياء ؟ ! أم صار حرُّ جهنم ، وأغلالها ، وأنكالها ، وزقُّومها ، ومقامعها ، وصديدها ، وسمومها ، وأفاعيها ، وعقاربها ؛ أحقر عندك من عقرب لا تحسِّين بألمها إلا يوماً أو أقل منه ؟ ! ما هذه فِعال العقلاء ! بل لو انكشف للبهائم حالك لضحكوا منك وسخروا من عقلك !

فإن كنت يا نفس قد عرفت جميع ذلك ، وآمنت به ؛ فما لك تُسَوِّفين العمل ، والموت لك بالمرصاد ! ولعله يختطفك من غير مهلة فيما إذا أمنتِ استعجال الآجل ! وهَبْكِ[١] أنك وُعِدْت بالإمهال مائة سنة ، أفتظنين أن مَن يطعم الدابة في حضيض العقبة[٢] يفلح ويقدر على قطع العقبة بها ؟ ! إن ظننت ذلك فما أعظم جهلك !

أرأيت لو سافر رجل ليتفقَّه في الغربة ، فأقام فيها سنين ؛ متعطِّلاً بطّالاً ، يعد نفسه بالتفقُّه في السنة الأخيرة عند رجوعه إلى وطنه ، هل كنتِ تضحكين من عقله وظنه أن تفقيه النفس مما يطمع فيه بمدة قريبة ؟ ! أو حسبانه أن مناصب الفقهاء تنال من غير تفقُّه اعتماداً على كرم الله سبحانه وتعالى ؟ !

ثم هبي أن الجهد في آخر العمر نافع ، وأنه موصل إلى الدرجات العلى ، فلعل اليوم آخر عمرك ! فلم لا تشتغلين فيه بذلك ؟ ! فإن أوحيَ إليك

---

(١) وهَبْكِ : أي احسبي . (هامش الأصل) .

(٢) والعقبة : في الجبل ونحوه ، جمعها : عِقاب . مثل : رقبة ، ورقاب . « مصباح » . (هامش الأصل) .

بالإمهال ، فما المانع من المبادرة ؟ ! وما الباعث لك على التسويف ؟ ! هل له سبب إلا عجزك عن مخالفة شهواتك ؛ لما فيها من التعب والمشقة ؟ ! أفتنتظرين يوماً يأتيك لا تعسر فيه مخالفة الشهوات ؟ ! هذا يوم لم يخلقه الله قط ، ولا يخلقه ، فلا تكون قط إلاّ محفوفة بالمكاره ، ولا تكون المكاره قط خفيفة على النفوس ، وهذا محال وجوده .

مهم : الشهوات كالشجرة الراسخة

أما تتأملين مُذْ كَمْ تَعِدِين نفسك ، وتقولين غداً غداً ؟ فقد جاء الغد ، وصار يوماً ، فكيف وجدته ؟ ! أما علمت أن الغد الذي جاء وصار يوماً كان له حكم الأمس ؟ لا بل تعجزين عنه اليوم ، فأنت غداً عنه أعجز وأعجز ، **لأن الشهوات كالشجرة الراسخة التي تعبّد العبد بقلعها** ، فإذا عجز العبد عن قلعها للضعف وأخَّرها ، كان كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوي ، فأخَّرها إلى سنة ، مع العلم بأن طول المدة يزيد الشجرة قوة ورسوخاً ، ويزيد القالع ضعفاً ووَهَناً ، فما لا يقدر عليه في الشباب لا يقدر عليه قط في المشيب ، **بل من العناء رياضة الهرم** ، ومن التعذيب تهذيب الذيب[1] ، والقضيب الرطب يقبل الانحناء ، فإذا جفَّ وطال عليه الزمان لم يقبل ذلك فإذا كنت ـ أيتها النفس ـ لا تفهمين هذه الأمور الجلية ، وتركنين إلى التسويف ، فما بالك تدَّعين الحكمة ! ؟ وأي حماقة تزيد على هذه الحماقة ! ؟ ولعلك تقولين : ما يمنعني عن الاستقامة إلا حرصي على لذة الشهوات ، وقلة صبري على الآلام والمشقات ، فما أشد غباوتك ، وأقبح اعتذارك ! إن كنت صادقة في ذلك ؛ فاطلبي التنعُّم بالشهوات الصافية عن الكدورات الدائمة أبد الآباد ، ولامطمع في ذلك إلا في الجنة ، فإن كنت ناظرة لشهوتك فالنظر لها في مخالفتها ، **فربَّ أكلة تمنع أكلات** .

---

(١) مخفف ذئب . (مختار) ، (هامش الأصل) .

وما قولكِ في عقل مريض أشار إليه الطبيب بترك الماء البارد ثلاثة أيام ؛ ليصح ويهنأ بشربه طول عمره ، وأخبره أنه إن شرب ذلك مرض مرضاً مزمناً ، وامتنع عليه شربه طول العمر ؟ ! فما مقتضى العقل في قضاء حق الشهوة ، أيصبر ثلاثة أيام ليتنعم طول العمر ؟ ! أم يقضي شهوته في الحال خوفاً من ألم المخالفة ثلاثة أيام ؛ حتى يلزمه ألم المخالفة ثلاث مائة يوم وثلاثة آلاف يوم ؟ وجميع عمرك بالإضافة إلى الأبد ـ الذي هو مدة نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار ـ أقل من ثلاثة أيام بالنسبة إلى جميع العمر ، وإن طالت مدته .

وليت شعري ؛ أَلَمُ الصبر عن الشهوات أعظم شدة وأطول مدة ، أو ألم النار في دركات جهنم ؟ ! **فمن لا يطيق الصبر على ألم المجاهدة ، كيف يطيق ألم عذاب الله ؟!** ما أراك تتوانين عن النظر لنفسك إلاّ لكفر خفيّ ، أو لحمق جليٍّ .

أمّا الكفر الخفيّ : فهو ضعف إيمانك بيوم الحساب ، وقلّة معرفتك بعظم قدر الثواب والعقاب .

وأمّا الحمق الجلي : فاعتمادك على كرم الله تعالى وعفوه ، من غير التفات إلى مكره واستدراجه واستغنائه عن عبادتك ، مع أنك لا تعتمدين على كرمه في لقمة من الخبز ، أو حبّة من المال ، أو كلمة تسمعينها من الخلق ، بل تتوصلين إلى غرضك في ذلك بجميع الحيل ، وبهذا الجهل تستحقين لقب الحماقة من رسول الله ﷺ حيث قال : « الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنّى على الله الأمانيّ » .

ويحك يا نفس ؛ لا ينبغي أن تغرّك الحياة الدنيا ، ولا يغرّنّك بالله الغرور ، فانظري نفسك ، فما أمرك بمهمّ لغيرك ، ولا تضيّعي أوقاتك ، فالأنفاس معدودة ، فإذا مضى منك نفسٌ فقد ذهب بعضك .

فاغتنمي الصحة قبل السقم ، والفراغ قبل الشغل ، والغنى قبل الفقر ، والشباب قبل الهرم ، والحياة قبل الموت ، واستعدِّي للآخرة على قدر بقائك فيها .

يا نفس أما تستعدِّين للشتاء بقدر طول مدته ؟ فتجمعين له القوت ، والكسوة ، والحطب ، وجميع الأسباب ، ولا تتكلين في ذلك على فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البرد من غير جبَّة ولبد وحطب وغير ذلك ؟ ! فإنه قادر على ذلك ، أفتظنين أيتها النفس أنَّ زمهرير جهنم أخفُّ برداً وأقصر مدة من زمهرير الشتاء ؟ أم تظنين أن ذلك دون هذا ؟ كلاَّ أن يكون هذا كذلك ، أو أن يكون بينهما مناسبة في الشدة والبرودة .

الطاعة والمجاهدة هي الطريق إلى النجاة

أفتظنين أن العبد ينجو منها بغير سعي ؟! هيهات! كما لا يندفع برد الشتاء إلاَّ بالجُبَّة والنار وسائر الأسباب ؛ **فلا يندفع حرُّ النار وبردها إلا بحصن التوحيد وخندق الطاعات** ، وإنما كرم الله تعالى في أن عرَّفَكِ طريق التحصُّن ، ويسَّر لك أسبابه ، لا في أن يندفع عنك العذاب دون حصنه ! كما أن كرم الله تعالى في دفع برد الشتاء أن خلق النار ، وهداك لطريق استخراجها من بين حديدة وحجر ، حتى تدفعي بها برد الشتاء عن نفسك ، وكما أن شراء الحطب والجُبَّة مما يستغني عنه خالقك ومولاك ؛ وإنما تشترينه لنفسك إذ خلقه سبباً لاستراحتك ، فطاعاتك ومجاهداتك أيضاً هو مستغن عنها ، وإنما هي طريقك إلى نجاتك ، **فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها ، والله غنيٌّ عن العالمين** .

ويحك يانفس ؛ انزعي عن جهلك ، وقيسي آخرتك بدنياك فـ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ ، و﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ ، و﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ ، وسنة الله تعالى لا تجدين لها تبديلاً ولا تحويلا .

ويحك يا نفس ؛ ما أراك إلا أَلِفتِ الدنيا وأنستِ بها ، فعسر عليك مفارقتها ، وأنت مقبلة على مقاربتها ، وتؤكّدين في نفسك مودَّتها ، فاحسبي أنك غافلة عن عقاب الله وثوابه ، وعن أهوال القيامة وأحوالها ، فما أنت مؤمنة بالموت المفرِّق بينك وبين محابِّك ، أفترين أنَّ مَن يدخل دار ملك ليخرج من الجانب الآخر ، فمدّ بصره إلى وجه مليح يعلم أنه يستغرق ذلك قلبه ، ثم يضطر لا محالة إلى مفارقته ، أهو معدود من العقلاء أم من الحمقى ؟ ! .

الدنيا دار ملك الملوك

أما تعلمين أنَّ الدنيا دار لملك الملوك ، وما لَكِ فيها إلا مجاز ، وكل ما فيها لا يصحب المجتازين بها بعد الموت ؟ ! ولذلك قال سيد البشر ﷺ : « إن روح القدس نفث في روعي : أحبب من أحببت فإنك مفارقه ، واعمل ما شئت فإنك مجزيٌّ به ، وعش ماشئت فإنك ميّت » .

ويحك يا نفس ؛ أما تعلمين أنَّ كل مَن يلتفت إلى ملاذِّ الدنيا ويأنس بها ؛ مع أن الموت من ورائه ، فإنما يستكثر من الحسرة عند المفارقة ، وإنما يتزوَّد من السمِّ المهلك وهو لا يدري ؟ أوما تنظرين إلى الذين مضوا ؛ كيف بنوا وعلوا ، ثم ذهبوا وخلوا ؟ ! وكيف أورث الله أرضهم وديارهم أعداءهم ؟ ! أما ترينهم كيف يجمعون ما لا يأكلون ، ويبنون ما لا يسكنون ، ويأملون ما لا يدركون ؟ ! يبني كل واحد قصراً مرفوعاً إلى جهة السماء ، ومقرُّه قبر محفور تحت الأرض ! فهل في الدنيا حمق وانتكاس[١] أعظم من هذا ؟ ! يعمِّر الواحد دنياه وهو مرتحل عنها يقيناً ، ويخرِّب آخرته وهو صائر إليها قطعاً !

أما تستحين يا نفس من مساعدة هؤلاء الحمقى على حماقتهم ؟ !

---

(١) أي : انقلاب ، كذا يفهم من « مصباح » والله أعلم (هامش الأصل) .

واحسبي أنك لست ذات بصيرة تهتدي إلى هذه الأمور ، وإنما تميلين بالطبع إلى التشبُّه والاقتداء ، فقيسي عقل الأنبياء والعلماء والحكماء بعقل هؤلاء المُكبِّين[1] على الدنيا ، واقتدي من الفريقين بمن هو أعقل عندك ؛ إن كنت تعتقدين في نفسك العقل والذكاء .

يا نفس ؛ ما أعجب أمرك ، وأشد جهلك ، وأظهر طغيانك ! عجباً لك كيف تعمين عن هذه الأمور الواضحة الجليَّة !

معنى الجاه

ولعلك يا نفس أسكرك حبُّ الجاه وأدهشك عن فهمها ، أوما تتفكرين أن الجاه لا معنى له إلا ميل القلوب من بعض الناس إليك ؟ ! فاحسبي أن كلّ مَن على وجه الأرض سجد لك وأطاعك ، أفما تعرفين أنه بعد خمسين سنة لا تبقين أنت ولا أحد ممن على وجه الأرض ممن عبدك وسجد لك ، وسيأتي زمان لا يبقى ذكرك ولا ذكر من ذكرك ، كما أتى على الملوك الذين كانوا من قبلك ؟ ! ﴿ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴾ ؟ ! فكيف تبيعين يا نفس ما يبقى أبد الآباد بما لا يبقى أكثر من خمسين سنة - إن بقي - ؟ ! هذا إن كنت ملكاً من ملوك الأرض سلم لك الشرق والغرب ؛ حتى أذعنت لك الرقاب ، وانتظمت لك الأسباب ، كيف ويأبى إدبارِك وشقاوتك أن يسلم لك أهل محلّتك ؟ ! بل أمر دارك ؛ فضلاً عن محلتك ! ! فإن كنتِ يا نفسُ لا تتركين الدنيا رغبة في الآخرة لجهلك وعمي بصيرتك ، فما لك لا تتركينها ترفُّعاً عن خِسَّة شركائها ، وتنزُّهاً عن كثرة عنائها ، وتوقِّياً من سرعة فنائها ؟ ! أم ما لك لا تزهدين في قليلها بعد أن زهد فيكِ كثيرها ؟ وما لك تفرحين بدنيا إن ساعدتك فلا تخلو بلدك من جماعة من اليهود والمجوس يسبقونك بها ، ويزيدون عليك

---

(١) وأكبَّ على كذا : لازمه . « مصباح » . (هامش الأصل) .

في نعيمها وزينتها ؟ فأفٍّ لدنيا يسبقك بها هؤلاء الأخِسَّاء ، فما أجهلَك وأخَسَّ همَّتَك وأسقط رأيك ؛ إذ رغبت[1] عن أن تكوني في زمرة المقرَّبين من النبيين والصديقين في جوار ربّ العالمين أبد الآبدين ، لتكوني في صف النعال من جملة الحمقى الجاهلين أياماً قلائل ، فيا حسرة عليك إذ خسرت الدنيا والدين !

فبادري - ويحك - يا نفس ! فقد أشرفت على الهلاك ، واقترب الموت ، وورد النذير ، فمَن ذا يصلي عنك بعد الموت ؟ ! ومَن ذا يصوم عنك بعد الموت ؟ ! ومَن ذا يترضى عنك رَبك بعد الموت ؟ ! .

ويحك يا نفس مالك إلا أيام معدودة هي بضاعتك ؛ إن اتَّجرت فيها ، وقد ضيَّعت أكثرها ! فلو بكيت بقية عمرك على ما ضيَّعت منها لكنت مقصِّرة في حق نفسك ، فكيف إذا ضيَّعت البقية وأصررت على عادتك ؟

أما تعلمين يا نفس أن الموت موعدك ، والقبر بيتك ، والتراب فراشك ، والدود أنيسك ، والفزع الأكبر بين يديك .

أما علمت يا نفس أن عسكر الموتى عندك على باب البلد ينتظرونك ، وقد آلوا[2] على أنفسهم كلهم بالأيمان المغلَّظة أنهم لا يبرحون من مكانهم مالم يأخذوك معهم ؟ !

أما تعلمين يا نفس أنهم يتمنَّون الرجعة إلى الدنيا يوماً ليشتغلوا بتدارك ما فرط منهم ، وأنت في أمنيّتهم ؟ ويوم من عمرك لو بيع منهم بالدنيا بحذافيرها لاشتروه لو قدروا عليه ، وأَنْتِ تضيِّعين يوماً في الغفلة والبطالة ؟ ! .

---

(١) رغب عنه : أعرض . « مصباح » . (هامش الأصل) .

(٢) أي : حلفوا . (هامش الأصل) .

ويحك يا نفس ؛ أما تستحين ؟ ! تزيّنين ظاهرك للخلق ، وتبارزين الله في السر بالعظائم ! أفتستحين من الخلق ولا تستحين من الخالق ! ؟ .

ويحك ، أهو أهون الناظرين عليك ؟ ! أتأمرين الناس بالخير وأنت متلطِّخة بالرذائل ؟ تدعين إلى الله وأنت عنه فارَّة ! وتذكِّرين بالله وأنت له ناسية ! ؟

المذنب أنْتن رائحة من العذرة

أما تعلمين يا نفس أن المذنب أنتن من العذرة ، وأن العذرة لا تطهِّر غيرها ؟ ! فلم تطمعين في تطهير غيرك وأنت غير طيبة في نفسك ؟ !

ويحك يا نفس ! لو عرفتِ نفسكِ حق المعرفة لظننت أن الناس ما يصيبهم بلاء إلا بشؤمك .

ويحك يا نفس ؛ قد جعلت نفسك حماراً لإبليس يقودك إلى حيث يريد ويسخر بك ، ومع هذا فتعجبين بعملك ، وفيه من الآفات ما لو نجوت منه رأساً برأس لكان الربح في يديك ! وكيف تعجبين بعملك مع كثرة خطاياك وزللك ؟ !

ولقد لعن الله إبليس بخطيئة واحدة بعد أن عبد مائتي ألف سنة .

وأخرج آدم من الجنة بخطيئة واحدة مع كونه نبيَّه وصفيَّه .

ويحك يا نفس ما أغدرك .

ويحك يا نفس ما أوقحك[1] .

ويحك يا نفس ما أجهلك ! وما أجرأك على المعاصي .

ويحك كم تعقدين فتنقضين .

---

(١) الوقاحة : بالفتح قلّة الحياء . (هامش الأصل) .

ويحك كم تعهدين فتغدرين .

ويحك يا نفس ؛ أتشتغلين مع هذه الخطايا بعمارة دنياك كأنك غير مرتحلة عنها ! ؟

أو ما تنظرين إلى أهل القبور كيف كانوا ؛ جمعوا كثيراً وبنوا مشيّداً ، وأملوا بعيداً ، فأصبح جمعهم بوراً ، وبنيانهم قبوراً ، وأملهم غروراً ! !

ويحك يا نفس ؛ أما لَكِ بهم عبرة ! ؟ أما لكِ إليهم نظرة ؟

أتظنين أنهم دعوا إلى الآخرة وأنت من المخلَّدين ! ؟ هيهات هيهات ! ساء ما تتوهَّمين ، ما أنت إلا في هدم عمركِ منذ سقطتِ من بطن أمك ، فابني على وجه الأرض قصرك ، فإن بطنها عن قليل يكون قبرك .

أما تخافين إذا بلغت النفسُ منك التراقيَ أن تبدُوَ رسل ربك منحدرة إليك بسواد الألوان وكلح الوجوه وبشرى بالعذاب ؟ ! فهل ينفعك حينئذ الندم ، أو يقبل منك الحزن ، أو يرحم منك البكاء ! ؟

والعجب كل العجب منك يا نفس أنك مع هذا تدَّعين البصيرة والفطنة ، ومن فطنتك أنك تفرحين كل يوم بزيادة مالك ، ولا تحزنين بنقصان عمرك ! وما نَفْع مالٍ يزيد وعمرٍ ينقص ! ؟

ويحك يا نفس تعرضين عن الآخرة وهي مقبلة عليك ؛ وتقبلين على الدنيا وهي معرضة عنك ! فكم من مستقبل يوماً لا يستكمله ! وكم من مؤمّل لغد لا يبلغه ! فأنت تشاهدين ذلك في إخوانك وأقاربك وجيرانك فترين تحسُّرهم عند الموت ثم لا ترجعين عن جهالتك .

فاحذري أيتها النفس المسكينة يوماً آلى الله فيه على نفسه أن لا يترك عبداً أمره في الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله ؛ دقيقه وجليله ، سره وعلانيته .

فانظري يا نفس بأي بدن تقفين بين يدي الله ! وبأي لسان تجيبين ! وأعدِّي للسؤال جواباً ، وللجواب صواباً ، واعملي بقية عمرك في أيام قصار لأيام طوال ؛ وفي دار زوال لدار مقامة ، وفي دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود .

اعملي قبل أن لا تعملي ، اخرجي من الدنيا اختياراً خروج الأحرار ، قبل أن تخرجي منها على الاضطرار ، ولا تفرحي بما يساعدك من زهرات الدنيا ، فرُبّ مسرور مغبون ، ورُبَّ مغبون لا يشعر ؛ فويل لمن له الويل ثم لا يشعر ، يضحك ويفرح ، ويلهو ويمْرَح ، ويأكل ويشرب ، وقد حقَّ له في كتاب الله أنه من وقود النار ، فليكن نظركِ يا نفس إلى الدنيا اعتباراً ، وسعيك لها اضطراراً ، ورفضك لها اختياراً ، وطلبك للآخرة ابتداراً ، ولا تكوني ممن يعجز عن شكر ما أوتي ، ويبتغي الزيادة فيما بقي ، وينهى الناس ولا ينتهي .

ما تزول به القساوة

واعلمي يا نفسُ أنه ليس للدين عِوَضٌ ، ولا للإيمان بدل ، ولا للجسد خَلَف ، ومَنْ كانت مطيَّته الليل والنهار فإنه يُسَارُ به وإن لم يسر ! فاتعظي يا نفسُ بهذه الموعظة ، واقبلي هذه النصيحة ، فإن مَن أعرض عن الموعظة فقد رضي بالنار ، وما أراكِ بها راضية ، ولا لهذه الموعظة واعية ، فإن كانت القساوة تمنعك عن قبول الموعظة ، فاستعيني عليها بدوام التهجُّد والقيام ، فإن لم تَزُل ! فبالمواظبة على الصيام ، فإن لم تزل ! فبقلَّة المخالطة والكلام ، فإن لم تزل ! فبصلة الأرحام واللطف بالأيتام ، فإن لم تزل ! **فاعلمي أن الله قد طبع على قلبك ، وأقفل عليه ، وأنه قد تراكمت ظلمة الذنوب على ظاهره وباطنه ، فوطِّني نفسك على النار ، فقد خلق الله الجنة ؛ وخلق لها أهلاً ، وخلق النار ؛ وخلق لها أهلاً** ، « **فَكُلٌّ مُيسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لهُ** » ، فإن لم يبْقَ فيك مجال للوعظ ! فاقنطي من نفسك ؛

والقنوط كبيرة من الكبائر - نعوذ بالله من ذلك - ، فلا سبيل لكِ إلى القنوط ، ولا سبيل لكِ إلى الرجاء مع انسداد طرق الخير عليك ، فإنّ ذلك اغترار وليس برجاء ، فانظري الآن هل يأخذك حزن على هذه المصيبة التي ابتليت بها ؟ ! وهل تسمح عينك بدمعة رحمة منك على نفسك ! ؟ فإن سمحت ، فَمُسْتَقَى الدمْع من بحر الرحمة ، فقد بقي فيك موضع للرجاء ، فواظبي على النياحة والبكاء ، واستغيثي بأرحم الراحمين ، واشتكي إلى أكرم الأكرمين ، وأدمني[1] الاستغاثة ، ولاَ تَملِّي طول الشكاية ، لعله إنْ يرحم ضعفك يغيثكِ ، فإن مصيبتك قد عظمت ، وبليَّتك قد تفاقمت ، وتماديك قد طال ، وقد انقطعت منك الحيل ، وراحت عنك العلل ، فلا مذهب ولا مطلب ، ولا مستغاث ولا مهرب ، ولا ملجأ ولا منجأ إلا إلى مولاك ! فافزعي إليه بالتضرُّع واخشعي في تضرُّعك على قدر عظم جهلك وكثرة ذنوبك ، لأنه يرحم المتضرِّع الذليل ، ويغيث الطالب المتلهف ، ويجيب دعوة المضطر ، وقد أصبحتِ إليه اليوم مضطرة ، إلى رحمته محتاجة ، وقد ضاقت بك السبل ، وانسدَّت عليك الطرق ، وانقطعت منك الحيل ، ولم تنجح فيك العظات ، ولم يكسرك التوبيخ ، فالمطلوب منه كريم ، والمسؤول جواد ، والمستغاث به برٌّ رؤوف ، والرحمة واسعة ، والكرم فائض ، والعفو شامل ، وقولي : يا أرحم الراحمين ، يا رحمن يا رحيم ، يا حليم يا عظيم ، يا كريم ، أنا المذنب المصرُّ ، أنا الجريء[2] الذي لا أقلع ، أنا المتمادي الذي لا أستحي ، هذا مقام المتضرِّع المسكين ، والبائس الفقير ، والضعيف الحقير ، والهالك الغريب ، فعجِّل إغاثتي وفرجي ، وأرني آثار رحمتك ، وأذقني برد عفوك ومغفرتك ، وارزقني قوة عِصْمتك يا أرحم الراحمين . اقتداء بأبيك آدم عليه السلام .

---

(١) وأدمن فلان كذا إدماناً : واظبه ولازمه . « مصباح » . (هامش الأصل) .

(٢) اجترأ على القول - بالهمز : أسرع بالهجوم عليه إلخ . « مصباح » . (هامش الأصل) .

فقد قال وهب بن منبه : لما أهبط الله آدم من الجنة إلى الأرض مكث لا ترقأ[1] له دمعة ، فاطَّلع الله عز وجل عليه في اليوم السابع وهو محزون كئيب كظيم منكس رأسه ، فأوحى الله تعالى إليه : يا آدم ؛ ما هذا الجهد الذي أرى بك ؟ ! قال : يا رب عظمت مصيبتي ، وأحاطت بي خطيئتي ، وأُخرِجتُ من ملكوت ربي ، فصرت في دار الهوان بعد الكرامة ، وفي دار الشقاء بعد السعادة ، وفي دار النصب بعد الراحة ، وفي دار البلاء بعد العافية ، وفي دار الزوال بعد القرار ، وفي دار الموت والفناء بعد الخلود والبقاء ، فكيف لا أبكي على خطيئتي ؟ ! فأوحى الله تعالى إليه : يا آدم ؛ ألم أصطفِكَ لنفسي ، وأحللتك داري ، وخصصتك بكرامتي ، وحذَّرتك سخطي ؟ ! ألم أخلقك بيدي ، ونفخت فيك من روحي ، وأسجدت لك ملائكتي ؛ فعصيت أمري ، ونسيت عهدي ، وتعرضت لسخطي ؟ ! فوعزّتي وجلالي لو ملأت الأرض رجالاً كلهم مثلك يعبدونني ويسبِّحونني ثم عصوني لأنزلتهم منازل العاصين ! فبكى آدم عليه السلام عند ذلك ثلاث مائة سنة .

مناجاة عبيد الله البجلي

وكان عبيد الله البجلي كثير البكاء ، يقول في بكائه طول ليله : إلهي أنا الذي كلما طال عمري زادت ذنوبي ، أنا الذي كلما هممت بترك خطيئة عرضت لي شهوة أخرى ، واعُبيداه ؛ خطيئة لم تبل وصاحبها في طلب أخرى ! واعُبيداه ؛ إن كانت النار لك مقيلاً ومأوى ! واعُبيداه : إن كانت المقامع لرأسك تهيأ ! واعُبيداه ؛ قضيت حوائج الطالبين ولعل حاجتك لا تقضى .

وقال منصور بن عمار : سمعت في بعض الليالي بالكوفة عابداً يناجي وهو يقول : يا رب ؛ وعزتك ما أردت بمعصيتك مخالفتك ، ولا

(١) رقأ الدمع : انقطع . « مصباح » . (هامش الأصل) .

عصيتك إذ عصيتك ؛ وأنا بمكانك جاهل ، ولا لعقوبتك متعرِّض ، ولا لنظرك مستخِفٌّ ، ولكن سوَّلت لي نفسي ، وأعانني على ذلك شقوتي ، وغرَّني سَتْرُكَ المرخى عليَّ ؛ فعصيتك بجهلي ؛ وخالفتك بفِعْلي ، فمن عذابك الآن مَن يستنقذني ؟ ! أو بحبل مَنْ أعتصم إن قطعتَ حبلك عني ؟ ! وَاسوأتاه من الوقوف بين يديك غداً إذا قيل للمخفِّين : جوزوا ، وقيل للمثقلين : حطوا ! أَمَعَ المخفِّين أجوز ؟ ! أم مع المثقلين أحط ؟ ! ويلي ؛ كلما كبرت سني كثرت ذنوبي ! ويْلي ؛ كلما طال عمري كثرت معاصي ! فإلى متى أتوب ، وإلى متى أعود ؟ ! أما آن لي أن أستحيي من ربي ؟ !

فهذه طرق القوم في مناجاة مولاهم ، وفي معاتبة نفوسهم ، وإنما مطلبهم من المناجاة الاسترضاء ، ومقصدهم من المعاتبة التنبيه والاسترعاء ، فمن أهمل المعاتبة والمناجاة لم يكن لنفسه مراعياً ، ويوشك أن لا يكون الله تعالى عنه راضياً . والسلام . انتهى .

فهذه المذكورات وأمثالها مما يلزم العبد تذكيرها للنفس ، وتكريرها عليها ، فإنها لا تطيع إلى خالقها إلا بترغيب وترهيب ، وترجية وتخويف ، فإن الدابة الحرون تحتاج إلى قائد يقودها ، وإلى سائق يسوقها ، فإذا وقعت في مهواة ومهلكة تضرب بالسوط من جانب ، وتلوح وتظهر لها بالشعير من جانب آخر ؛ حتى تنهض وتقوم مما وقعت فيه . فافهم وكن من الشاكرين .

خاتمة

في ذكر أدعية نفيسة منقولة من كتب الأئمة الصوفية

اعلم أيها الأخ المكرَّم ؛ أن أخاك الفقير - غفر الله ذنوبه آمين - لما تفكَّر في نفسه ، ورآها خالية من كل خير وهداية ، ومملوءة بكل شرٍّ ومعصية ، ولم يجد له شيئاً يُرْجَى سوى التضرُّع إلى الله وكثرة الدعوات ؛

أراد أن يكتب هنا نُبْذة من الأدعية التي يتأثَّر القلب بقراءتها فمنها :

حزب التضرُّع للتجاني رحمه الله تعالى

ما ذكره العالم العلاَّمة سيدي علي حرازم ابن العربي بزاده المغربي الفاسي رحمه الله تعالى في « جواهر المعاني » ؛ منقولاً عن الشيخ أبي العباس التجاني رحمه الله تعالى بما نصه : ومن أدعيته رضي الله تعالى عنه :

حزب التضرُّع والابتهال ، وقرع باب الكريم المتعال

قال رضي الله عنه : تقرأ الفاتحة ، بعد البسملة والتعوُّذ أولاً ، ثم صلاة الفاتح لما أغلق . . إلخ (مرة) ، ثم تقول : إلهي وسيّدي ؛ هذا مقام المعترف بكثرة ذنوبه وعصيانه ، وسوء فعله وعدم مراعاة أدبه ، حالي لا يخفى عليك ، وهذا ذلّي ظاهر بين يديك ، ولا عذر لي فأبديه لديك ، ولا حجة لي في دفع ما ارتكبته[(١)] من مناهيك وعدم طاعتك ، وقد ارتكبتُ ما ارْتكَبْتُه غير جاهل بعظمتك وجلالك وسطوة كبريائك ، ولا غافل عن شدّة عقابك وعذابك ، ولقد علمت أني متعرِّضٌ بذلك لسخطك وغضبك ، ولست في ذلك مُضادّاً لك ولا معانداً ، ولا متصاغراً بعظمتك وجلالك ، ولا متهاوناً بعِزِّك وكبريائك ، ولكن غلبت عليَّ شَقْوَتِي ، وأحدقت بي شهوتي ، فارتكبت ما ارتكبته عجزاً عن مدافعة شهوتي ، فحُجَّتك عليَّ ظاهرة ، وحكمك فيَّ نافذ ، وليس لضعفي مَن ينصرني منك غيرك ، وأنت العفو الكريم ، والبرُّ الرحيم ؛ الذي لا تخيِّب سائلاً ، ولا تردُّ قاصداً ، وأنا متذلِّل لك ، متضرِّع لجلالك ، مستمطر جودك ونوالك ، مُسْتَعْطِفاً[(٢)] لعفوك ورحمتك ، فأسألك بما أحاط به علمك من عظمتك وجلالك وكرمك

---

(١) وفي نسخة : أرتكبه .

(٢) وفي نسخة : مُسْتَعْطِفٌ .

ومجدك ، وبمرتبة ألوهيتك الجامعة لجميع صفاتك وأسمائك : أن ترحم ذلّي وفقري ، وتبسط رداء عفوك وحلمك وكرمك ومجدك على كل ما أحاط به علمك مما أنا متصف به من المساوىء والمخالفات ، وعلى كل ما فرَّطت فيه من حقوقك ، فإنك أكرم مَن وقف ببابه السائلون ، وأنت أوسع مجداً وفضلاً من جميع مَن مُدَّت إليه أيدي الفقراء المحتاجين ، وكرمك أوسع ، ومجدك أكبر وأعظم من أن يمُدَّ إليك فقير يده يستمطر عفوك وحلمك عن ذنوبه ومعاصيه فتردَّه خائباً ! فاغفر لي ، واعف عني ، فإنما سألتك من حيث أنت ؛ لاتِّصافك بعلوِّ الكرم والمجد ، وعلوِّ العفو والحلم والحمد .

إلهي لو كان سؤالي من حيث أنا لم أتوجَّه إليك ، ولم أقف ببابك ؛ لعلمي بما أنا عليه من كثرة المساوئ والمخالفات ؛ فلم يكن جزائي في ذلك إلا الطرد واللعن والبعد ، ولكن سألتك من حيث أنت ! معتمداً على ما أنت عليه من صفة المجد والكرم ، والعفو والحلم ، ولما سمت[1] به نفسك من الحياء على لسان رسولك ﷺ ؛ أن تُمَدَّ إليك يدُ فقير فتردَّها صفراء . وإن ذنوبي وإن عظمت ، وأَرْبَتْ[2] على الحصر والعدّ ، فلا نسبة لها في سعة كرمك وعفوك ، ولا تكون نسبتها في كرمك مقدار ما تبلغ هيئة من عظمة كورة[3] العالم .

فبحقِّ كرمك ومجدك ، وعفوك وحلمك ؛ اللواتي جعلتها وسيلة في استمطاري لعفوك وغفرانك اعف عني ، واغفر لي بفضلك وعفوك ، وإن كنت لست أهلاً لذلك ! فإنك أهل أن تعفوَ عمن ليس أهلاً لعفوك

---

(١) بتخفيف الميم فلا إشكال (نجل ابن القحي) .
(٢) الربا : الفضل والزيادة . « مصباح » . (هامش الأصل) .
(٣) كار الرجل العمامة كوراً – من باب قال – : إذا أدارها على رأسه . وكل دور : كور . « مصباح » . (هامش الأصل) .

وكرمك ، فأنت أهل أن تمحو في كل طرفة عين جميع ما لمخلوقاتك من جميع المعاصي والذنوب ، يا مجيد يا كريم ، يا عفوٌّ يا رحيم ، يا ذا الفضل العظيم والطَول الجسيم . انتهى .

ثم صلاة الفاتح لما أغلق إلخ مرة .

ثم قال رضي الله عنه : وآكد التوجُّه به : الثلث الأخير من الليل ، فإنه وقت يبعد فيه الردّ من الله تعالى .

وينبغي أن يدعو به في أوقات الإجابة المعلومة .

وأجاز رضي الله عنه كل مَن يحسن القراءة من أصحابه . انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه ، من حفظه ولفظه بمجلس واحد بدار الصلاة بأبي سمعون ، وأجازنا فيه ، وكتب لنا بخطه في هذا المحلّ رضي الله عنه وأرضاه ومتَّعنا برضاه آمين .

همّة الإنسان قاهرة

وينبغي لمن دعا بهذا الدعاء أن يجمع همَّته ، فقد قال سيدنا رضي الله عنه : **همَّة الإنسان قاهرة لجميع الأكوان**؛ متى تعلَّقت بمطلوب ، وسَعَت في طلب ذلك المطلوب على الجادة المستقيمة ؛ بحيث أن لا ينالها في طلبها سآمة ولا رجوع عن المطلوب ، ولا تصعب عليه صعوبة طلبه ، ولم ينلها شكٌّ ولا تردُّد ، بل باعتقاد جازم أن تناله أو تموت في طلبه ؛ اتصلت بمطلوبها ، ولو كان وراء العرش ! انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه . انتهى عبارته ١٢٤ ج ١ .

ومن الأدعية المؤثِّرة بالتجربة :

حزب عبد المالك الضرير الفاسي الحسني رضي الله عنه

ونقل من « الأذكار الطيبة » وهو هذا :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (ثلاثاً)

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ ﴾ اَللَّهُمَّ إِنَّكَ غَنِيٌّ لاَ غِنًى عَنْكَ ، وَوَلِيٌّ لاَ عِوَضَ مِنْكَ ، ومِفْضَالٌ بِلاَ سَبَبٍ ، وَمَنَّانٌ قَبْلَ الطَّلَبِ ، أَبْرَزْتَ الوُجُودَ مِنْ العَدَمِ ، وَأَوْدَعْتَهُ دَلاَئِلَ القِدَمِ ، وَوَسِعْتَهُ رَحْمَةً وَعِلْماً ، وَأَحَطْتَ بِهِ سُلْطَاناً وَحُكْماً ، فَلَمْ تَغِبْ ذَرَّةٌ مِنْهُ عَنْ عِلْمِكَ ، وَلَمْ تَخْرُجْ لَحْظَةٌ عَنْ حُكْمِكَ ، وَرَبَّيْتَهُ بِرَحْمَانِيَّتِكَ ، وَتَوَلَّيْتَهُ بِقَيُّومِيَّتِكَ وَحَمَلْتَهُ عَلَى مُقْتَضَى اخْتِيَارِكَ وَحِكْمَتِكَ وَأَلْزَمْتَهُ الفَقْرَ الذَاتِيَّ وَالعَجْزَ الأَصْلِيَّ فَكَانَ إِفْتِقَارُهُ فِي نَيْلِ غِنَاكَ ظَاهِراً وَلِسَانُ عَجْزِهِ لِقَيُّومِيَّتِكَ ذَاكِراً ، وَكَمَّلْتَ نَقَائِصَهُ بِدَلاَلَتِهَا عَلَيْكَ ، وَحَسَّنْتَ شَدَائِدَهُ بِسَوْقِهَا إِلَيْكَ ، فَمَا انْفَكَّ وَاقِعٌ عَنْ حِكْمَةٍ ، وَلاَ خَلاَ مَوْجُودٌ مِنْ نِعْمَةٍ ، وَأَجْرَيْتَ القُلُوبَ عَلَى وَفْقِ مُرَادِكَ ، فَحَجَبْتَهَا بِإِرَادَتِهَا عَنْ سَابِقِ مُرَادِكَ ، فَصَارَ العَبْدُ مُثَاباً وَمُعَاقَباً بِذَلِكَ ، وَتَعَرَّفْتَ لَهُمْ بِجَمِيلِ صِفَاتِكَ وَبَاهِرِ آيَاتِكَ ، فَأَبْرَقْتَ لَهُمْ مَحَاسِنَ إِحْسَانِكَ ، وَاسْتَحَثَّهُمْ مُنَادَى امْتِنَانِكَ ، فَطَارَتْ أَرْوَاحُ بِأَجْنِحَةِ ﴿ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ إِلَى بِسَاطِ ﴿ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فَغَابُوا إِذْ شَهِدُوا ، وَجَادُوا إِذْ وَجَدُوا وَسِيقَ آخَرُونَ بِعَصَا الاضْطِرَارِ إِلَى كُنُوزِ الرحْمَةِ وَمَهَبِّ الأَسْرَارِ ، فَحَمِدُوا العَنَا إِذْ ظَفِرُوا بِالمُنَا ، وَاسْتَحْسَنُوا البِدَارَ إِذْ حَامُوا حَوْلَ الدَّارِ ، وَتَاهَ المَخْذُولُونَ فِي مَهَامِهِ الحِيرَةِ ؛ إِذْ حُرِمُوا صَادِقَ الاضْطِرَارِ وَنَافِعَ المَعْذِرَةِ ، وَنَوَّرْتَ بَصَائِرَ المُوَفَّقِينَ بِمَعْرِفَتِكَ فَوَجَدُوكَ فِي كُلِّ جَمِيلٍ ، وَحَمِدُوكَ بِالكَمَالِ وَالتَّكْمِيلِ ، وَانْفَرَدْتَ بِالإمْدَادِ كَمَا انْفَرَدْتَ بِالإِيجَادِ ، وَتَعَالَيْتَ حَتَى عَجَزَ الكُلُّ عَنْكَ وَتَدَانَيْتَ حَتَى لَمْ يَكُنْ أَقْرَبَ مِنْكَ ، وَأَطْمَعَ فَضْلُكَ المُذْنِبِينَ ، وَأَرْجَفَ عَدْلُكَ المُقَرَّبِينَ ، وَاقْتَضَى غِنَاكَ أَنْ خَلَقْتَ الوُجُودَ لِلْجُودِ ، وَزَيَّنْتَ قَهْرَكَ بِالإِحْسَانِ المَشْهُودِ ، وَغَلَبْتَ المَظَاهِرَ حِلْماً وَمَنّاً ، وَجَعَلْتَ رَحْمَتَكَ لِمَا عِنْدِي ثَناً ، وَعَلِمْتَ أَنْ لاَ سَبِيلَ إِلَيْكَ ، وَلاَ غِناً لأَحَدٍ

عَنْكَ ، فَكُنْتَ الدَلِيلَ وَالمَطْلُوبَ ، وَعَظَّمْتَ النِعْمَةَ عَلَى كُلِّ مَرْبُوبٍ ، فَلَمْ يَزَلِ الحَمْدُ لَكَ أَنْ رَحِمْتَ ، وَالحُجَّةُ لَكَ عَلَى مَنْ أَخَذْتَ ، يَا مَنْ لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ .

اللهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ سَبَبَ لِي أَتَمَسَّكُ بِهِ ، وَلاَ حِيلَةَ لِي أَرْجِعُ إِلَيْهَا ، وَلاَ قُوَّةَ لِي أتسلّى بِهَا ، وَلاَ رُكْنَ لِي أَفْزَعُ إِلَيْهِ ، وَلاَ سَنَدَ لِي أَعْتَمِدُ عَلَيْهِ ، فَلاَ تَشَوُّفَ لِي إِلاَّ إِلَيْكَ ، وَلاَ عُذْرَ لِي بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَإِنْ رَدَدْتَنِي لِوَصْفِي فَإِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ الطَرِيدُ ؟ ! وَإِنْ رَحِمْتَنِي عَلَى مَا فِيَّ فَأَنْتَ أَرْأَفُ رَبٍّ بِالعَبِيدِ .

يَا مَنْ لاَ يَمْقُتُ المُتَرَدِّدِينَ ، وَلاَ يَعَافُ المُتَلَوِّثِينَ ، يَا مَنْ لاَ يَتَثَاقَلُ عَنِ المَلْهُوفِينَ ، وَلاَ يَتَبَرَّمُ عَنِ المَصْرُوفِينَ ، يَا مَن لاَ يَنْهَرُ السَائِلِينَ ، وَلاَ يَمَلُّ القَابِلِينَ ، يَا مَنْ لاَ يُهْمِلُ المُحْتَاجِينَ وَلاَ يَعْتَذِرُ لِلرَاجِينَ ، يَا سَمِيعَ أَنِينِ المُنْكَسِرِينَ ، يَا رَحِيمَ حَنِينِ المُضْطَرِينَ ، يَا مَنْ إِغَاثَتُهُ فِي الشَدَائِدِ مَشْهُودَةٌ ، وَأَلْطَافُهُ فِي المَضَايِقِ مَعْهُودَةٌ ، يَا مَنْ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ : كُنْ . فَيَكُون ! ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

إِلَهِي قَدْ اِشْتَدَّ حَبْلُ الاضْطِرَارِ ، وَتَعَذَّرَ إِلاَّ إِلَيْكَ الفِرَارُ ، وَانْقَطَعَ مِنْ سِوَاكَ رَجَائِي ، وَضَاعَ إِلَى غَيْرِكَ الْتِجَائِي ، وَحُرِمْتُ فِي غَيْرِ بَابِكَ فَلاَ تُحْرِمْنِي ، وَأَيِسْتُ مِنْ سِوَاكَ فَلاَ تُؤَيِّسْنِي ، وَغَرِقَتْ نَفْسِي فِي جِنَايَتِي ؛ وَعَجَزَ التَدْبِيرُ ، وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنْ مُؤَاخَذَتِي ؛ وَأَنَا إِلَى عَفْوِكَ فَقِيرٌ ، فَبِغِنَاكَ عَنِّي إِلاَّ رَحِمْتَ فَقْرِي ، وَبِتَمَكُّنِكَ مِنِي إِلاَّ قَبِلْتَ عُذْرِي ، وَبِعَظِيمِ عَفْوِكَ إِلاَّ نَسَخْتَ هَجْرِي ، وَبِضِيَاءِ وَجْهِكَ إِلاَّ أَطْلَعْتَ فَجْرِي .

إِلَهِي لَوْ كُنْتَ لاَ تَرْحَمُ إِلاَّ المُسْتَحِقِّينَ مَا رَجَوْتُكَ ، وَلَوْ كُنْتَ لاَ تَقْبَلُ إِلاَّ المُخْلِصِينَ مَا أَتَيْتُكَ ، وَلَكِنْ عَاقَتْنِي الأَعْمَالُ ، وَخَانَتْنِي الآمَالُ ، وَوَصَلْتَ قَاطِعِي ، وَقَدَّمْتَ مَانِعِي ؛ فَأَوْقَفَتْنِي الذُنُوبُ مَوَاقِفَ الذُلِّ ،

وَأَخْرَجَتْنِي مِنْ حَرَمِ النَجَاةِ إلَى مَخَاوِفِ الحِلِّ ، وَطَمِعَت فِي مَقَاتِلِي سِهَامُ فِعْلِي ، وَأَثْبَتَتْنِي لِلْمَكَارِهِ زَلَّاتُ نَعْلِي ، وَلَيْسَ لِي مِنْ بَعْدِ جَاهِكَ مُشْتَكَى ، وَلاَ مَلاَذٌ يَسْمَعُ مَنْ دَعا ، أَوْ يَرْحَمُ مَنْ بَكَى ، فَإلَى مَنْ أَفِرُّ إنْ لَمْ تَحْمِنِي ؟ ! وَبِمَنْ أَسْتَغِيثُ إنْ لَمْ تُغِثْنِي ؟ ! وَمَنْ أَرْجُوهُ إنْ تُخَيِّبْنِي ؟ ! وَمَنْ أَدْعُوهُ إنْ لَمْ تُجِبْنِي ؟ ! وَمَنْ أَتَضَرَّعُ إلَيْهِ إنْ لَمْ تَرْحَمْنِي ؟ ! وَمَنْ أَتَمَلَّقُ[1] بَيْنَ يَدَيْهِ إنْ لَمْ تَقْبَلْنِي ؟ ! وَبَابَ مَنْ أَقْرَعُ إنْ تَكِلْنِي ؟ ! وَمَنْ بِهِ أَتَمَنَّعُ إنْ لَمْ تَكُنْ لِي ؟ ! .

إلَهِي مَنْ ذَا الَّذِي أَمَّلَكَ فَحَرَمْتَهُ ؟ ! وَمَنْ ذَا الَّذِي تَعَلَّقَ بِكَ فَصَرَمْتَهُ[2] ؟ ! وَمَنْ ذَا الَّذِي تَرَدَّدَ إلَيْكَ فَرَدَدْتَهُ ؟ ! وَمَنْ ذَا الَّذِي نَزَلَ بِكَ فَطَرَدْتَهُ ؟ ! وَمَنْ ذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَ بِكَ فَخَذَلْتَهُ ؟ ! وَمَنْ ذَا الَّذِي تَعَزَّزَ بِكَ فَأَذْلَلْتَهُ ؟ ! وَمَنْ ذَا الَّذِي تَسَتَّرَ بِكَ فَفَضَحْتَهُ ؟ ! ومَنْ ذَا الَّذِي تَطَارَحَ عَلَيْكَ فَطَرَحْتَهُ ؟ ! يَا مَنْ احْتَجَبَ عَنْ الأَبْصَارِ وَلَمْ يَحْتَجِبْ عَنْ حَاجَةِ أَهْلِ الاضْطِرَارِ ، يَا مَنْ غَلَبَتْ رَحْمَتُهُ القَوَاطِعَ وَتَنَزَّهَ بَابُهُ عَنْ المَوَانِعِ ، ضَرَبَتِ المُلُوكُ حِجَابَهَا وأَنْتَ عَنِ المُضْطَرِّينَ غَيْرُ مَحْجُوبٍ ، وسَدَّت الأَغْنِيَاءُ أَبْوَابَهَا وَبَابُكَ عَن الفُقَرَاءِ غَيْرُ مَسْدُودٍ ، وَوَقَّتَت الأَجْوَادُ نَوَالَهَا وَنَوَالُكَ فِي سَائِرِ اللحظَات مَعْهُودٌ ، وَمَقَتَت الكِرَامُ مَنْ يُكْثِرُ سُؤَالَهَا وأَنْتَ لاَ تَمْقُتُ مَنْ يَعُودُ ، وَفَقَدَ المُحْسِنِينَ مَنْ لاَ يُحْسِنُ طَلَبَهُمْ ، وأَنْتَ كَيْفَ مَا طَلَبَكَ السَائِلُ مَوْجُودٌ ، وَأَجْمَعَت الأَسْخِيَاءُ عَلَى مَنْعِ عُصَاتِهَا ، وأَنْتَ دَائِماً عَلَى العُصَاةِ تَجُودُ ، وَصُرِفَت الوُجُوهُ عَنِ المُتَمَلِّقِينَ[3] وَوَجْهُكَ عَن مَنْ يَتَمَلَّقُ إلَيْكَ غَيْرُ مَصْرُوفٍ ، وعُرِفَ المُتَصَدِّقُونَ بِمَنْعِ غَيْرِ المُسْتَحِقِّينَ ؛ وأَنْتَ بِرَحْمَةِ مَنْ لاَ يَسْتَحِقُّهَا مَعْرُوفٌ ، وكَرِهَت الرُحَمَاءُ مَنْ يَدُلُّ عَلَيْهَا ؛ وأَنْتَ تُحِبُّ مَنْ يَدُلُّ عَلَيْكَ ، وأَبْعَدَت العُظَمَاءُ مَنْ يُوَصِّلُ إلَيْهَا وأَنْتَ تُقَرِّبُ مَنْ يُوَصِّلُ إلَيْكَ ، فَكَيْفَ أَجْزَعُ وَقَدْ

---

(١) أي : أتودد . « مصباح » . (هامش الأصل) .

(٢) وفي نسخة : فصرفته .

(٣) أي : المحتاجين . « مصباح » . (هامش الأصل) .

فُتِحَتْ لِي بَابُكَ إِذْ غُلِّقَت الأَبْوَابُ ، ويَسَّرْتَ جَنابَكَ إِذْ تَعَذَّرَ كُلُّ جَنَابٍ ؟ ! وكُلَّمَا أَتَيْتُكَ عَبْداً لَئِيماً وَجَدْتُكَ رَبّاً كَرِيماً ، فَمَا فَارَقْتُ وَصْفِي[١] . وَلاَ فَقَدْتُ جَمِيلَ وَصْفِكَ ، ولاَ غُبِنْتُ فِي شِدَّتِي مِنْ تَدَارُكِ لُطْفِكَ ، حَتَّى مَحَتْ مَحَاسِنُكَ وَهْمَ خَيَالِي ، وأَثْبَتَ جَمِيلُكَ شَمْساً عَلَى رَغْمِ اللَّيَالِي ، فَكَيْفَ أَتَخَلَّى عَنْكَ وأَنْتَ الَّذِي يَسْتَحْيِي أَنْ يُخَيِّبَ يَدَ العُنَاةِ[٢] ؟ ! وكَيْفَ أُسِيءُ بِكَ الظَنَّ وأَنْتَ الَّذِي يَقْبَلُ التَوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ويَعْفُو عَن السَيِّئَاتِ ؟ ! وكَيْفَ أُجِيبُ دَاعِيَ اليَأْسِ مِنْكَ وقَدْ تَكَفَّلْتَ بِالإِجَابَةِ لِلْمُضْطَرِّينَ ؟ ! وكَيْفَ تَقْطَعُنِي عَنْكَ الذُنُوبُ وقَدْ أَدْلَلْتَ عَلَى نَفْسِكَ المُتَحَيِّرِينَ ؟ ! يَا مَنْ قَالَ ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ .

إِلَهِي كُلُّ مَنْ اسْتَشَرْتُهُ يَدُلُّنِي عَلَيْكَ ، وكُلُّ مَنْ قَصَدْتُهُ يَدْفَعُنِي إِلَيْكَ ، وقَدْ آيَسَتْنِي التَجَارِبُ مِنْ سِوَاكَ ، ودَفَعَنِي الاِضْطِرَارُ إِلَى غِنَاكَ ، ورَدَّدَنِي لِبَابِكَ حُسْنُ ظَنِّي فِيكَ ، وأَلْجَأَنِي حَرُّ تَلاَفِي إِلَى ظِلِّ تَلاَفِيكَ ، إِنْ تُقْصِنِي فَمَا لِي مِنْ بَعْدِكَ حَبِيبٌ ! وإِنْ تُدْنِنِي فَمَا ضَرَّنِي أَنْ لاَ يَكُونَ لِي مِنْ غَيْرِكَ نَصِيبٌ ! فَكَيْفَ أَغْتَرُّ بِسِوَاكَ وَهُوَ سَرَابٌ ؟ ! وكَيْفَ أَسْلُو بِهِ ومَا عَلَى التُرَابِ تُرَابٌ ؟ ! وكَيْفَ أَعْتَمِدُ عَلَى غَيْرِكَ وَهُوَ زَائِلٌ ؟ ! وكَيْفَ أَمِيلُ سِوَاكَ وَهُوَ مَائِلٌ ؟ !

إِلَهِي مَا لِشِدَّتِي مِنْ بَعْدِكَ انْفِرَاجٌ ، وَلاَ لِي مِنْ أَسْرِ الذُّنُوبِ إِنْ لَمْ تَمُنَّ إِخْرَاجٌ ، وَلاَ يُرْجَى لِعِلَّتِي غَيْرُ دَوَاكَ ، وَلاَ يُبَرِّدُ حُرْقَتِي شَيْءٌ سِوَاكَ ، وقَدْ رَكِبْتُ عِنْدَ تَمَوُّجِ الزَمَانِ فِيمَا أَخْشَاهُ ، وعَزَّتْ سَوَاحِلُ النَجَاةِ يَا رَبَّاهُ يَا رَبَّاهُ ! !

إِلَهِي كَيْفَ أُضِيعُ وأَنْتَ الرَحِيمُ ؟ ! وكَيْفَ أَخِيبُ وأَنْتَ الكَرِيمُ ؟ !

---

(١) عله شنيع وصفي .

(٢) عَنَا عنواً : خضع وذلَّ . « مصباح » والجمع : عناة . (منه) .

وكَيْفَ أُذَادُ ومَالِي إِلَى غَيْرِكَ وُصُولٌ ؟ ! وكَيْفَ أُضَامُ وَالعَبْدُ بِعِزَّةِ سَيِّدِهِ يَصُولُ ؟ ! وكَيْفَ أَتَعَفَّفُ وأَنْتَ الغَنِيُّ الجَوَّادُ ؟ ! وكَيْفَ لاَ أَعُودُ وأَنْتَ الَّذِي تُحِبُّ العَوَّاد ؟ ! وقَدْ حَمَلَنِي كَرَمُكَ عَلَى طَلَبِكَ ، وعَلَّقَتْ عَوَائِدُ إِحْسَانِكَ القَلْبَ بِكَ ، فَأَبَتِ الرُوحُ أَنْ تَحُنَّ لِغَيْرِكَ ، وَاقْتَضَى فَضْلُكَ أَنْ لاَ أَيْأَسَ مِنْ خَيْرِكَ ، فَلَوْ أَيْأَسْتَنِي لَرَجَوْتُكَ ! فكَيْفَ إِذْ أَطْمَعْتَنِي ؟ ! وَلَوْ طَرَدْتَنِي مَا بَرَحْتُ عَنْكَ ! فكَيْفَ إِذْ آوَيْتَنِي ؟ ! وَلَوْ أَوْحَشْتَنِي لَتَسَلَّيْتُ بِكَ[1] ! فكَيْفَ إِذْ آنَسْتَنِي ؟ ! فَأَنْتَ المَحْمُودُ إِعْطَاءً ومَنْعاً ، والمَحْبُوبُ وَفَاءً وجَمْعاً ، يَا وَلِيِّي فِي غُرْبَتِي ، يَا مُؤْنِسِي فِي وَحْشَتِي ، يَا نُورِي فِي ظُلْمَتِي ، يَا رُكْنِي فِي شِدَّتِي ، يَا كَنْزِي فِي عَيْلَتِي ، يَا رَجَائِي حِينَ تَنْقَطِعُ حِيلَتِي ؛ لاَ تَذَرْنِي فِي حَرِّ الزَمَانِ وأَنْتَ ظِلِّي ، ولاَ فِي وَقْتِ الحِرْمَانِ وأَنْتَ سُؤْلِي ، ولاَ فِي فَقْدِ الهِجْرَانِ وعَلَيْكَ تَلَهُّفِي ، ولاَ فِي صَفْقَةِ الخُسْرَانِ وأَنْتَ تَشَوُّفِي ، ولاَ تَكِلْنِي إِلَى مَنْ لاَ يَرْحَمُ اضْطِرَارِي ولاَ يَقْبَلُ اعْتِذَارِي ، فَلاَ مَفَرَّ لِي مِنْ بَعْدِكَ ، وَلاَ غَوْثَ لِي إِلاَّ مِنْ عِنْدِكَ ، وَقَدْ مَالَ كُلُّ مُؤَمَّلٍ عَنِّي ، وَمَلَّ كُلُّ مُسْتَغَاثٍ مِنِّي ، وَأَنْتَ تُغْنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَلاَ شَيْءَ عَنْكَ يُغْنِي ، وَكَيْفَ لاَ أَفِرُّ لِغِنَاكَ مِنْ فَاقَتِي ؟ ! وَكَيْفَ لاَ أَفْزَعُ لِعِزِّكَ مِنْ ذِلَّتِي ؟ ! وَكَيْفَ لاَ أَسْتَغِيثُ وَقَدْ جَارَ التَلَفُ وَلاَ مُجِيرَ ؟ ! وَكَيْفَ لاَ أُنَادِي وَغَيْرُ عِلاَجِكَ فِي هَذِهِ حَقِيرٌ ؟ ! وَكَيْفَ لاَ يَحْمِلُنِي إِلَى الرُكُونِ إِلَيْكَ انْقِطَاعِي ؟ ! وَكَيْفَ لاَ يُلْجِئُنِي للتَعَلُّقِ بِكَ ضِيَاعِي ؟ ! وَكَيْفَ لاَ يُحْسِنُ إِحْسَانُكَ ظَنِّي ؟ ! وَكَيْفَ لاَ تُذْهِبُ شَوَاهِدُ فَضْلِكَ حُزْنِي ؟ ! فَقَدْ رَحِمْتَنِي عَلَى مَا تَعْلَمُ مِنِّي ، وَأَسْرَفْتُ عَلَى نَفْسِي وَلَمْ تُقَنِّطْنِي ، وَرَأَيْتَنِي عَلَى مَا تَكْرَهُ وَلَمْ تُعَاجِلْنِي ، وَمَدَدْتُ إِلَيْكَ يَدَ الضرَاعَةِ[2] فَلَمْ تُؤَجِّلْنِي ، وَوَسِعَ إِحْسَانُكَ طَمْعِي ، وَضَاعَ ضِيَاعِي إِذْ وَجَدْتُكَ مَعِي ؛ فَلَمْ تُحَوِّجْنِي إِلَى تَرْجُمَانٍ ، وَلاَ تَقَيَّدْتَ لِي بِزَمَانٍ ،

---

(١) في نسخة : بمنِّك .

(٢) ضرع : ذلَّ وخضع . « مختار » . (هامش الأصل) .

فَكَيْفَ يَسَعُنِي إِلَى غَيْرِكَ الفِرَارُ ؛ وَأَنْتَ أَرْحَمُ مَا تَكُونُ عِنْدَ الاِضْطِرَارِ ؟ ! يَا ذَا الجُودِ العَمِيمِ الَّذِي لاَ يَتَقَيَّدُ بِزَمَانٍ ، وَلاَ يَخْتَصُّ بِمَكَانٍ ، يَا ذَا الفَضْلِ العَظِيمِ الَّذِي تُصِيبُ بِهِ مَنْ تَشَآءُ كَيْفَ مَا كَانَ ، رَفَعَت الشدَائِدُ حِجَابَ الأَوْهَامِ ، وَأَزَالَت المَضَايِقُ الخيَالَ عَنْ الأَفْهَامِ ، فَرَأَيْتُ فِي بَيْتِ العَنْكَبُوتِ مَنْ رَكَنَ لِسِوَاكَ ، وَضَلَّ عَنِّي كُلُّ مَنْ أَدْعُوهُ إِلاَّ إِيَّاكَ .

إِلَهِي ؛ كُنْتُ عَدَماً فَأَوْجَدْتَنِي ، وَغَيْباً فَأَشْهَدْتَنِي ، وَحَائِراً فَأَدْلَلْتَنِي ، وَجَاهِلاً فَأَشْعَرْتَنِي ، وَغَافِلاً فَأَلْهَمْتَنِي ، وَآيِساً فَأَطْمَعْتَنِي ، وَمُعْرِضاً فَتَعَرَّضْتَ لِي ، وَمُنْكِراً فَتَعَرَّفْتَ لِي ، وَزَاهِداً فَتَزَيَّنْتَ لِي ، وَنَاقِصاً فَلَمْ يَكُنْ مِنِّي نَقْصٌ إِلاَّ قَابَلَهُ مِنْكَ كَمَالٌ ، حَتَّى نَفِدَتْ نَقَائِصِي وَلاَ نَفَادَ لِكَمَالِكَ ، فَهَا أَنَا أَتَلَوَّنُ فِي امْتِنَانِكَ ، وَأَتَنَزَّهُ فِي سُلْطَانِكَ ، وَأَجِدُكَ مَهْمَا طَلَبْتُكَ ، وَأُشَاهِدُكَ إِذَا ذَكَرْتُكَ ، حَسْبِي عَدَدِي ، عَظُمَتْ نِعْمَتُكَ عَنْ شُكْرِي ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ عَنْ فِكْرِي وَذِكْرِي ، اِجْعَلْ تَعَلُّقِي فِدَاءً عَنْ التَعَلُّقِ بِغَيْرِكَ ، وَافْتِقَارِي إِلَيْكَ مُحَقِّقاً لِلاِسْتِغْنَاءِ بِكَ .

يَا مَنْ خَلَقَ الخَلْقَ لِيَرْبَحُوا عَلَيْهِ ، يَا مَنْ تَعَرَّفَ لَهُمْ بِالرحْمَةِ لِيَرْجِعُوا إِلَيْهِ ، تَعَالَيْتَ عَنْ مَدَارِكِ الأَفْهَامِ ، فَجَعَلْتَ رَحْمَتَكَ إِلَى مَعْرِفَتِكَ سَبِيلاً ؛ وَجَلَّ سَبِيلُ فَضْلِكَ عَنْ الإِمْكَانِ ، فَجَعَلْتَ فَضْلَكَ عَلَى فَضْلِكَ دَلِيلاً ؛ وَتَنَزَّهْتَ فِي تَصَرُّفِكَ عَنْ ثَانٍ فَجَلَّلْتَ البَاطِنَ بِالظاهِرِ تَجْلِيلاً ، وَنَمَتْ عَلَيْكَ ضُرُوبُ الإِحْسَانِ ، فَصَارَ كُلُّ رَجَاءٍ فِي جَنْبِ فَضْلِكَ قَلِيلاً ، وَتَرَدَّدَتْ إِلَيْكَ أَهْلُ العِصْيَانِ ، فَلَمْ يَذْكُرِ الكُلُّ عَنْكَ إِلاَّ جَمِيلاً ، فَلَمْ يَنْقَطِعْ مِنْكَ رَجَاءُ المُقَصِّرِينَ ، وَلاَ تَعَدَّى فَضْلَكَ سُؤَالُ المُجْتَهِدِينَ .

إِلَهِي ؛ إِنْ كُنْتُ أَهْلاً لِلْمَنْعِ فَأَنْتَ أَهْلٌ لِلإِعْطَاءِ ، وَإِنْ كُنْتُ بَادِيَ العَيْبِ فَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ غَطَّى ، وَإِنْ عُرِفْتُ بِالإِسَاءَةِ فَأَنْتَ المَعْرُوفُ بِالإِحْسَانِ ، وَإِنْ عُدْتُ لِلجَهَالَةِ فَأَنْتَ العَوَّادُ بِالْغُفْرَانِ ، وَإِن نَادَيْتُكَ لِفَاقَتِي فَمِنْ أَخلاَقِكَ إِغَاثَةُ اللَّهْفَانِ ، وَإِنْ عَجَزَ عَنِّي فِعْلِي فَأَنْتَ عَلَى رَحْمَتِي قَدِيرٌ ، وَإِنْ صَغُرَ

حَالِي عَنْ سُؤَالِي فَلاَ شَيْءَ عَلَيْكَ كَبِيرٌ . فَإِنْ عَدَلْتَ فَأَنْتَ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ، وَإِنْ تَفَضَّلْتَ فَمَا عَلَيْكَ تَحْجِيرٌ ، فَبَدِّلْ دَمِي مَعَ أَخْلاَقِي بِخُلُقٍ حَمِيدٍ ، وَحَوِّلْنِي عَمَّا تَكْرَهُ إِلَى مَا تُحِبُّ وَتُرِيدُ ، وَأَسْرِجْ بَاطِنِي مِنْ نُورِ اليَقِينِ ، وَزَيِّنْ ظَاهِرِي بِسِمَاتِ الصَادِقِينَ ، وَغَيِّبْ قَبَائِحِي فِي جَمِيلِ أَوْصَافِكَ ، وَتَدَارَكْنِي قَبْلَ نُفُوذِ القَضَاءِ بِأَلْطَافِكَ **يَا لَطِيفُ** (عدد ١٢٩ مرة) ، وَتَوَلَّنِي حِينَ تَنْقَطِعُ الأَسْبَابُ وَالعَلاَئِقُ وَيَسِّرْ لِي الشَهَادَةَ عِنْدَ المَوْتِ بِلاَ عَائِقٍ .

إِلَهِي ؛ إِلَيْكَ أَشْكُو مَا تَنَزَّهَ عَنْ سُؤْلِي[١] ، وَكَبُرَ عَنْ حَالِي ، وَغَلَبَ صَبْرِي ، وَعَلاَ عَنْ ذِكْرِي ، وَإِنْ جَاوَزَ حَدَّ الإِمْكَانِ ؛ فَمَا جَاوَزَ الإِحْسَانَ ، فَإِنْ نَطَقْتُ كَانَ سَفَهاً مِنِّي ، وَإِنْ سَكَتُّ مَا سَكَتَ حُبُّهُ عَنِّي ، وَكُلَّمَا هَجَمَتْ جِنَايَتِي عَلَى نَفْسِي أَبَى فَضْلُكَ أَنْ يَسْتَقِرَّ إِيَاسِي[٢] ، فَكَمْ جَازَ فِي رَجَائِكَ المحَالُ ؛ وَمَا أَثَّرَ فِي فَضْلِكَ سُوءُ حَالٍ !

يَا أَوَّلُ بِغَيْرِ ابْتِدَاء ، يَا آخِرُ بِغَيْرِ انْتِهَاء ، يَا ظَاهِرُ بِلاَ تَكْيِيفٍ ، يَا بَاطِنُ بِلاَ تَشْبِيهٍ ، يَا ذَا القُوَّة المَتِين ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِلاَ مُعِين ، يَا سُبُّوحُ لَهُ تَأْثِيرٌ فِي الأَشْيَاءِ جَلَّ شَأْنُهُ ، يَا قُدُّوسُ عَنْ تَخَيُّلاَتِ الأَوْهَام تَنَزَّهَ سُلْطَانُهُ ، يَا مَنْ ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ (ثلاثاً) أَغْنِنِي عَنْ خَلْقِكَ بِمُشَاهَدَتِكَ فِي رِزْقِكَ ؛ حَتى لاَ أَرَى عَلَيَّ مِنَّةً لِغَيْرِكَ ، وَلاَ تُهِنِّي فِي طَلَبِي ، وَتَوَلَّنِي فِي كَسْبِي ، وَاغْفِرْ لِي مَا رَجَفَ[٣] مِنْهُ قَلْبِي ، وَذَهِلَ مِنْهُ عَقْلِي ، وَبَارَتْ[٤] فِيهِ حِيلَتِي ، وَانْقَطَعَتْ مِنْهُ حُجَّتِي ، وَبَطَلَتْ

---

(١) في نسخة : سؤالي .

(٢) مقلوب من يئس . راجع « المصباح » . (هامش الأصل) .

(٣) رجف الشيء رجفاً ورجيفاً ورجفاناً : تحرك واضطرب . « مصباح » . (هامش الأصل) .

(٤) بار الشيء بواراً : كسد . على الاستعارة ، لأنه إذا ترك صار غير منتفع به ، فأشبه للهالك من هذا الوجه . « مصباح » . (هامش الأصل) .

مِنْهُ مَعْذِرَتِي ، وَسُقِطَ فِي يَدِي ، وَأَيْقَنْتُ أَنْ لاَ مَلْجَأَ إِلاَّ إِلَيْكَ .

يَا مَنْ سَمَّى نَفْسَهُ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مَطْلَعِ شَمْسِ القِدَمِ ، وَفَائِقِ رَتْقِ العَدَمِ ، وَدَلِيلِ الكَنْزِ الأَعْظَمِ ، وَسَبِيلِ الملك الأَرْحَمِ ، وَلِسَانِ عِلْمِ القَلَمِ ، وَإِمَامِ كُلِّ مُقَدَّمٍ ، وَأَصْلِ نِعَمِ العَالَمِ ، الَّذِي جَعَلْتَ بَاطِنَهُ لِوَحْدَتِكَ ، وَظَاهِرَهُ لِرَحْمَتِكَ ، وَآخِرَتَهُ لِشَفَاعَتِكَ : سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وَسَلِّمْ تَسْلِيماً كَثِيراً إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ، وَاغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ ، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ . انتهى .

مناجاة ابن عطاء الله رضي الله عنه

ومن الأدعية النافعة : مناجاة ابن عطاء الله رضي الله عنه .

قال في « تقريب الأصول » : قال بعض العارفين : إنَّ فيها سرّاً عجيباً ، وتأثيراً كبيراً في قلب ذاكرها مع الحضور ، وإذا كان ذلك في وقت السحر يكون أولى ، فإن لم يتيسَّر ! ففي آخر النهار ، أو في أيّ وقت . انتهى عبارته ٢٢٧ .

وهي هذه :

إِلَهِي ؛ أَنَا الفَقِيرُ فِي غِنَايَ ، فَكَيْفَ لاَ أَكُونُ فَقِيراً فِي فَقْرِي ؟ !

إِلَهِي ؛ أَنَا الجَاهِلُ فِي عِلْمِي ، فَكَيْفَ لاَ أَكُونُ جَهُولاً فِي جَهْلِي ؟ !

إِلَهِي ؛ إِنَّ اخْتِلاَفَ تَدْبِيرِكَ ، وَسُرْعَةَ حُلُولِ مَقَادِيرِكَ ، مَنَعَا عِبَادَكَ العَارِفِينَ بِكَ عَنْ السُكُونِ إِلَى عَطَاءٍ ، وَاليَأْسِ مِنْكَ فِي بَلاَءٍ .

إِلَهِي ؛ مِنِّي مَا يَلِيقُ بِلُؤْمِي[١] ، وَمِنْكَ مَا يَلِيقُ بِكَرَمِكَ[٢] .

(١) بلؤمي : وهو مبارزتي إياك بالمعاصي . ولؤم - بضم الهمزة - لؤماً فهو لئيم ، يقال ذلك للشحيح والدنيء والمهين . « مصباح » . (هامش الأصل) .
(٢) وهو التجاوز والعفو ، وقبول الاعتذار . « شرح الحكم » . (هامش الأصل) .

إِلَهِي ؛ وَصَفْتَ نَفْسَكَ بِاللّطْفِ وَالرأفَةِ بِي قَبْلَ وُجُودِ ضُعْفِي ، أَفَتَمْنَعُنِي مِنْهُمَا بَعْدَ وُجُودِ ضُعْفِي ؟ !

إِلَهِي ؛ إِنْ ظَهَرَت المَحَاسِنُ مِنِّي فَبِفَضْلِكَ وَلَكَ المِنَّةُ عَلَيَّ ، وَإِنْ ظَهَرَت المَسَاوِىءُ مِنِّي فَبِعَدْلِكَ وَلَكَ الحُجَّةُ عَلَيَّ[١] .

إِلَهِي ؛ كَيْفَ تَكِلُنِي إِلَى نَفْسِي وَقَدْ تَوَكَّلْتَ لِي ؟ ! وَكَيْفَ أضَامُ وَأَنْتَ النَاصِرُ لِي ؟ ! أَمْ كَيْفَ أُخِيبُ وَأَنْتَ الحَفِيُّ بِي ؟ ! هَا أَنَا أَتوسَّلُ إِلَيْكَ بِفَقْرِي إِلَيْكَ ، وَكَيْفَ أَتَوسَّلُ إِلَيْكَ بِمَا هُوَ مُحَالٌ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ ؟ ! أَمْ كَيْفَ أَشْكُو إِلَيْكَ حَالِي وَهِيَ لاَ تَخْفَى عَلَيْكَ ؟ ! أَمْ كَيْفَ أُتَرْجِمُ لَكَ بِمَقَالِي وَهُوَ مِنْكَ بَرَزَ وَإِلَيْكَ ؟ ! أَمْ كَيْفَ تُخَيِّبُ آمَالِي وَهِيَ قَدْ وَفَدَتْ إِلَيْكَ ؟ ! أَمْ كَيْفَ لاَ تُحْسِنُ أَحْوَالِي وَبِكَ قَامَتْ وَإِلَيْكَ ؟ !

إِلَهِي ؛ مَا أَلْطَفَكَ بِي مَعَ عَظِيمِ جَهْلِي ! وَمَا أَرْحَمَكَ بِي مَعَ قَبِيحِ فِعْلِي !

إِلَهِي ؛ مَا أَقْرَبَكَ مِنِّي وَمَا أَبْعَدَنِي مِنْكَ !

إِلَهِي ؛ مَا أَرْأَفَكَ بِي ، فَمَا الَّذِي يُحْجِبُنِي عَنْكَ ؟ !

إِلَهِي ؛ قَدْ عَلِمْتُ بِاخْتِلاَفِ الآثَارِ ، وَتَنَقُّلاَتِ الأَطْوَارِ ، إِنَّ مُرَادَكَ مِنِي أَنْ تَتَعَرَّفَ إِلَيَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى لاَ أَجْهَلَكَ .

إِلَهِي ؛ كُلَّمَا أَخْرَسَنِي لُؤْمِي أَنْطَقَنِي كَرَمُكَ ، وَكُلَّمَا آيَسَتْنِي أَوْصَافِي أَطْمَعَتْنِي مِنَّتُكَ .

إِلَهِي ؛ مَنْ كَانَتْ مَحَاسِنُهُ مَسَاوِي[٢] ، فَكَيْفَ لاَ تَكُونُ مَسَاوِئُهُ مَسَاوِئَ ؟ ! ومَنْ كَانَتْ حَقَائِقُهُ دَعَاوِيَ ، فَكَيْفَ لاَ تَكُونُ دَعَاوِيهِ دَعَاوِي ؟ !

---

(١) بأن تقول : لم فعلت هذا يا عبدي . (هامش الأصل) .

(٢) في نسخة : مساوئ .

إِلَهِي ؛ حُكْمُكَ النَافِذُ ، وَمَشِيئَتُكَ القَاهِرَةُ ؛ لَمْ يَتْرُكَا لِذِي مَقَالٍ مَقَالاً ، وَلاَ لِذِي حَالٍ حَالاً .

إِلَهِي ؛ كَمْ مِنْ طَاعَةٍ بَنَيْتُهَا وَحَالَةٍ شَيَّدْتُهَا هَدمَ اِعْتِمَادِي عَلَيْهَا عَدْلُكَ ، بَلْ أَقَالَنِي مِنْهَا فَضْلُكَ !

إِلَهِي ؛ أَنْتَ تَعْلَمُ وَإِنْ لَمْ تَدُمِ الطَاعَةُ مِنِّي فِعْلاً جَزْماً فَقَدْ دَامَتْ مَحَبَّةً وَجَزْماً[1] .

إِلَهِي ؛ كَيْفَ أَعْزِمُ[2] وَأَنْتَ القَاهِرُ ؟ ! وكَيْفَ لاَ أَعْزِمُ وأَنْتَ الآمِرُ ؟ !

إِلَهِي ؛ تَرَدُّدِي فِي الآثَارِ يُوجِبُ بُعْدَ المُزَارِ ، فَاجْمَعْنِي عَلَيْكَ بِخِدْمَةٍ تُوصِلُنِي إِلَيْكَ .

إِلَهِي ؛ كَيْفَ يَسْتَدِلُّ عَلَيْكَ بِمَا هُوَ فِي وُجُودِهِ مُفْتَقِرٌ إِلَيْكَ أَيَكُونَ لِغَيْرِكَ مِنَ الظُّهُورِ مَا لَيْسَ لَكَ ، حَتَّى يَكُونَ هُوَ المُظْهِرُ لَكَ ؟ ! مَتَى غِبْتَ حَتَّى تَحْتَاجَ إِلَى دَلِيلٍ يَدُلَّ عَلَيْكَ ؟ ! ومَتَى بَعُدْتَ حَتَّى تَكُونَ الآثَارُ هِيَ الَّتِي تُوصِلُ إِلَيْكَ ؟ !

إِلَهِي ؛ عَمِيَتْ عَيْنٌ لاَ تَرَاكَ عَلَيْهَا رَقِيباً ، وخَسِرَتْ صَفْقَةُ عَبْدٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ حُبِّكَ نَصِيباً .

إِلَهِي ؛ أَمَرْتَ بِالرُّجُوعِ إِلَى الآثَارِ ، فَارْجِعْنِي إِلَيْهَا بِكِسْوَةِ الأَنْوَارِ ، وهِدَايَةِ الاِسْتِبْصَارِ ، حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ مِنْهَا كَمَا دَخَلْتُ إِلَيْكَ مِنْهَا ؛ مَصُونَ السِرِّ عَنِ النَّظْرِ إِلَيْهَا ، ومَرْفُوعَ الهِمَّةِ عَنِ الاِعْتِمَادِ عَلَيْهَا . إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

---

(١) في نسخة : عزماً .

(٢) عزم على الشيء ، وعزمه عزماً ؛ من باب ضرب : عقد ضميره على فعله . وعزم عزيمة وعزمة : اجتهد وجدَّ في أمره . « مصباح » . (هامش الأصل) .

إِلَهِي ؛ هَذَا ذُلِّي ظَاهِرٌ بَيْنَ يَدَيْكَ ، وهَذَا حَالِي لاَيَخْفَى عَلَيْكَ ، مِنْكَ أَطْلُبُ الوُصُولَ إِلَيْكَ ، وبِكَ أَسْتَدِلُّ عَلَيْكَ ، فَاهْدِنِي بِنُورِكَ إِلَيْكَ ، وأَقِمْنِي بِصِدْقِ العُبُودِيَّةِ بَيْنَ يَدَيْكَ .

إِلَهِي ؛ عَلِّمْنِي مِنْ عِلْمِكَ المَخْزُونِ ، وصُنِّي بِسِرِّ اسْمِكَ المَصُونِ .

إِلَهِي ؛ حَقِّقْنِي بِحَقَائِقِ أَهْلِ القُرْبِ ، واسْلُكْ بِي مَسَالِكَ أَهْلِ الجَذْبِ .

إِلَهِي ؛ أَغْنِنِي بِتَدْبِيرِكَ عَنْ تَدْبِيرِي ، وبِاخْتِيَارِكَ لِي عَنْ اِخْتِيَارِي ، وأَوْقِفْنِي عَلَى مَرَاكِزِ[١] اضْطِرَارِي .

إِلَهِي ؛ أَخْرِجْنِي مِنْ ذُلِّ نَفْسِي ، وطَهِّرْنِي مِنْ شَكِّي وشِرْكِي قَبْلَ حُلُولِ رَمْسِي ، بِكَ أَسْتَنْصِرُ فَانْصُرْنِي ، وعَلَيْكَ أَتَوَكَّلُ فَلاَ تَكِلْنِي ، وإِيَّاكَ أَسْأَلُ فَلاَ تُخَيِّبْنِي ، وفِي فَضْلِكَ أَرْغَبُ فَلاَ تَحْرِمْنِي ، ولِجَنَابِكَ أَنْتَسِبُ فَلاَ تُبَعِّدْنِي ، وبِبَابِكَ أَقِفُ فَلاَ تَطْرُدْنِي .

إِلَهِي ؛ تَقَدَّسَ رِضَاكَ عَنْ أَنْ تَكُونَ لَهُ عِلَّةٌ مِنْكَ ، فَكَيْفَ تَكُونُ لَهُ عِلَّةٌ مِنِّي ؟ ! أَنْتَ الغَنِيُّ بِذَاتِكَ عَنْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ النَفْعُ مِنْكَ ، فَكَيْفَ لاَ تَكُونُ غَنِيّاً عَنِّي ؟ !

إِلَهِي ؛ إِنَّ القَضَاءَ والقَدَرَ غَلَبَنِي ، وإِنَّ الهَوَى بِوَثَائِقِ الشَّهْوَةِ أَسَرَنِي ، فَكُنْ أَنْتَ النَصِيرَ لِي حَتَّى تَنْصُرَنِي ، وتَنْصُرَبِي ، وأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ حَتَّى أَسْتَغْنِيَ بِكَ عَنْ طَلَبِي .

أَنْتَ الَّذِي أَشْرَقْتَ الأَنْوَارَ فِي قُلُوبِ أَوْلِيَائِكَ حَتَّى عَرَفُوكَ ووَحَّدُوكَ ، وأَنْتَ الَّذِي أَزَلْتَ الأَغْيَارَ مِنْ قُلُوبِ أَحْبَابِكَ حَتَّى لَمْ يُحِبُّوا سِوَاكَ ، ولَمْ يَلْجَؤُوا إِلَى غَيْرِكَ .

أَنْتَ المُؤْنِسُ لَهُمْ حَيْثُ أَوْحَشَتْهُم العَوَالِمُ ، وأَنْتَ الَّذِي هَدَيْتَهُمْ

---

(١) والمراكز – على وزن مسجد – : موضع الثبوت . « مصباح » . (هامش الأصل) .

حَتَّى اسْتَبَانَتْ لَهُم المَعَالِمُ .

مَاذَا وَجَدَ مَنْ فَقَدَكَ ؟ ! ومَا الَّذِي فَقَدَ مَنْ وَجَدَكَ ؟ !

لَقَدْ خَابَ مَنْ رَضِيَ دُونَكَ بَدَلاً ، ولَقَدْ خسِرَ مَنْ بَغَى عَنْكَ مُتَحَوِّلاً .

إلَهِي ؛ كَيْفَ يُرْجَى سِوَاكَ وأَنْتَ مَا قَطَعْتَ الإِحْسَانَ ؟ ! وكَيفَ يُطْلَبُ مِنْ غَيْرِكَ وأَنْتَ مَا بَدَّلْتَ عَادَةَ الامْتِنَانِ ؟ !

يَا مَنْ أَذَاقَ أَحِبَّاءَهُ حَلاوَةَ مُؤَانَسَتِهِ ؛ فَقَامُوا بَيْنَ يَدَيْهِ مُتَمَلِّقِينَ ، ويَا مَنْ أَلْبَسَ أَوْلِيَاءَهُ مَلاَبِسَ هَيْبَتِهِ ؛ فَقَامُوا بِعِزَّتِهِ مُسْتَعِزِّينَ .

أَنْتَ الذَّاكِرُ مِنْ قِبَلِ الذاكِرِينَ ، وأَنْتَ البَادِىءُ بِالإِحْسَانِ مِنْ قِبَلِ تَوَجُّهِ العَابِدِينَ ، وأَنْتَ الجَوَّادُ بِالعَطَاءِ قَبْلَ طَلَبِ الطالِبِينَ ، وَأَنْتَ الوَهَّابُ ثُمَّ أَنْتَ لِمَا وَهَبْتَنَا مِن المُسْتَقْرِضِينَ .

إلَهِي ؛ اُطْلُبْنِي بِرَحْمَتِكَ ، حَتَّى أَصِلَ إِلَيْكَ وَاجْذِبْ بِي بِمِنَّتِكَ ، حَتَّى أُقْبِلَ عَلَيْكَ .

إلَهِي ؛ إنَّ رَجَائِي لاَ يَنْقَطِعُ عَنْكَ ؛ وَإِنْ عَصَيْتُكَ ! كَمَا أَنَّ خَوْفِي لاَ يُزَايِلُنِي ؛ وَإِنْ أَطَعْتُكَ !

إلَهِي ؛ قَدْ دَفَعَتْنِي العَوَالِمُ إِلَيْكَ ، وَقَدْ أَوْقَفَنِي عِلْمِي بِكَرَمِكَ[١] .
إلَهِي ؛ كَيْفَ أُخِيبُ وَأَنْتَ أَمَلِي ؟ ! أَمْ كَيْفَ أُهَانُ وَعَلَيْكَ مُتَّكِلِي ؟ !

إلَهِي ؛ كَيْفَ أَسْتَعِزُّ وَأَنْتَ فِي الذِّلَّةِ أَرْكَزْتَنِي ؟ ! أَمْ كَيفَ لاَ أَسْتَعِزُّ وَإِلَيْكَ نِسْبَتِي ؟ ! أَمْ كَيْفَ لاَ أَفْتَقِرُ وأَنْتَ الَّذِي فِي الفَقْرِ أَقَمْتَنِي ؟ ! أَمْ كَيْفَ أَفْتَقِرُ وَأَنْتَ الَّذِي بِجُودِكَ أَغْنَيْتَنِي ؟ !

أَنْتَ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُكَ ، تَعَرَّفْتَ لِكُلِّ شَيْءٍ ؛ فَمَا جَهِلَكَ شَيْءٌ ،

---

(١) في نسخة : بكرمك عليك .

وَأَنْتَ الَّذِي تَعَرَّفْتَ إِلَيَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ ؛ فَرَأَيْتُك ظَاهِراً فِي كُلِّ شَيْءٍ ، فَأَنْتَ الظَاهِرُ لِكُلِّ شَيْءٍ .

يَا مَنْ اسْتَوَى بِرَحْمَانِيَّتِهِ عَلَى عَرْشِهِ ؛ فَصَارَ العَرْشُ غَيْباً فِي رَحْمَانِيَّتِهِ ، كَمَا صَارَتْ العَوَالِمُ غَيْباً فِي عَرْشِهِ .

مَحقْتَ الآثَارَ بِالآثَارِ ، وَمَحَوْتَ الأَغْيَارَ بِمُحِيطَاتِ أَفْلاَكِ الأَنْوَارِ .

يَا مَن احْتَجَبَ فِي سُرَادِقَاتِ عِزِّهِ عَنْ أَنْ تُدْرِكَهُ الأَبْصَارُ ، يَا مَنْ تَجَلَّى بِكَمَالِ بَهَائِهِ فَتَحَقَقَتْ عَظَمَته الأَسْرَار .

كَيْفَ تَخْفَى وَأَنْتَ الظَاهِرُ ؟ ! أَمْ كَيْفَ تغِيبُ وَأَنْتَ الرقِيبُ الحَاضِرُ ؟ ! انتهى عبارته .

تذنيب
في ذكر مكفِّرات الذنوب والأحزاب النافعة لتفريج الكروب
وذكر سندها وسند أشياخنا في العلوم الظاهرة والباطنة

ثم اعلمْ أيها الأخ أنَّ ولدي محمد عارف ـ حماه الله من فتن الدارين ـ طلب منِّي أن أكتب في هذا الموضع شيئاً من الأدعية التي تدفع عن قارئها البلايا والمصائب ، فصوَّبت رأيه ، وحسَّنت كلامه ، ولذا شرعت أن أجيب لما طلبه ، وأكتب شيئاً مما أمله ؛ فأقول :

استمع أيها الولد؛ وتيقَّن أن سبب اشتداد الفاقة والبلية بالعباد ، وانقطاع أسباب المعاش والمعاد ، وظهور الفتن في الأرض وتكاثر الفساد ، ووقوع الأمر إلى يد غير أهله من أهل العناد ، إنما هو بما كسبت أيدي الناس من شمول العصيان ، واستيلاء الغفلة على الأفئدة والأركان .

وقد نطق بذلك الآيات والأحاديث ، قال تعالى ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ ، وقال ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ ﴾ .

وورد[1] : « إنَّ سبب المصائب الذنوب » ، وفي الخبر « ما أنكرتم من زمانكم ، فبما غيّرتم من أعمالكم » ، فإذا كان الأمر كذلك ؛ ينبغي أن يُقَدَّم ذكر ما يُكفِّر الذنوب ، ثم يُذكَر بعده شيءٌ من الأحزاب ؛ ليقرأه الولد المذكور أو غيره ، ليكون حرزاً من الآفات .

فمن ذلك : ما قاله صاحب « الإتحاف » في شرح « الإحياء » بما لفظه :

تنبيه ؛ روى ابنُ السني والديلميُ من حديث ابن عباس رفعه : « مَنْ

(١) حفني ٢٤٢ ج٣ .

قال بعد صلاة الجمعة قبل أن يقوم من مجلسه : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم وبحمده ، وأستغفر الله . (مائة مرة) ، غفر الله له مائة ألف ذنب ، ولوالديه أربعة وعشرين ألف ذنب » .

وفي « طبقات الحنفية » للمجد الشيرازي صاحب « القاموس » ما نَصُّه :

روى صاحب « الهداية » عن محمد بن أحمد بن عبد الله الخطيبي حديثاً بسنده :

« من قال بعد أن يصلي الجمعة : سبحان الله العظيم وبحمده . مائة مرة غفر الله له مائة ألف ذنب ، ولوالديه أربعة وعشرين ألفاً » . انتهى عبارته ٢٧١ ج ٣ .

قال العزيزي في « السراج المنير » في شرح حديث : « مَنْ قرأ إذا سلَّم الإمام يوم الجمعة ، قبل أن يثني رجليه ـ أي : قبل أن يصرف رجليه ـ عن حالته التي هو عليها في التَّشَهُّد : فاتحة الكتاب ، وقل هو الله أحد ، وقل أعوذ بربِّ الفلق ، وقل أعوذ بربِّ الناس ، سبعاً من المرات ، غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر »[(١)] .

قال المناوي : أي من الصغائر إذا اجتنبت الكبائر .

قال العلقمي : فائدة : أَلَّفَ الحافظ ابن حجر كتاباً سماه « الخصال

---

(١) وفي رواية : « وقبل أن يتكلَّم ، حفظ له دينه ودنياه ، وأهله وولده » .

قال الغزالي : وقل : اللهم ؛ يا غني يا حميد ، يا مبدئ يا معيد ، يا رحيم يا ودود ، أغنني بحلالك عن حرامك ، وبفضلك عمَّن سواك ، وبطاعتك عن معصيتك . قال الشرقاوي : مَن واظب عليه أربع مرات مع ما تقدَّم أغناه الله ، ورزقه من حيث لا يحتسب ، وغفر له ما تقدَّم وما تأخَّر ، وحفظ له دينه ودنياه ، وأهله وولده . كذا في « ترشيح المستفيدين » فراجعه في ٧٢١ . (منه رحمه الله تعالى) .

المكفِّرة للذنوب المتقدِّمة والمتأخِّرة » وسبقه إلى ذلك الحافظ المنذري .

وقد رأيت أن أُلخِّص الأحاديث هنا لتُسْتفاد .

إسباغ الوضوء

أخرج[١] ابن أبي شيبة في « مسنده » و« مصنفه » ، وأبو بكر بن المِرْوزي في مسند عثمان ، والبزَّار عن عثمان بن عفان : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يسبغ عبدٌ الوضوء إلا غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه ، وما تأخَّر » .

وأخرج أبو عوانة في « صحيحه » عن سعد بن أبي وقاص : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قال حين يسمع المؤذن يقول : (أشهد أن لا إله إلا الله) : رضيت بالله ربّاً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبيّاً ـ وفي لفظ رسولاً ـ ، غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر » .

وأخرج ابن وهب في « مصنفه » عن أبي هريرة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا أمَّنَ الإمام فأمِّنُوا ، فإن الملائكة تؤمِّنُ ، فَمَنْ وافق تأمينُه تأمينَ الملائكة غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه ، وما تأخَّر » .

سبحة الضحى

وأخرج آدم بن أبي إياس في كتاب « الثواب » عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ صلى سبحة[٢] الضحى ركعتين ؛ إيماناً واحتساباً ، غفر له ذنوبه كلها ، ما تقدّم منها ، وما تأخَّر ، إلا القصاص ! » .

---

(١) أي كتب « قاموس » .

(٢) وهو يسبح : أي يصلي . « مصباح » (هامش الأصل) .

قراءة السبعيات

وأخرج أبو الأسعد القشيري في « الأربعين » عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قرأ إذا سلَّم الإمام يوم الجمعة قبل أن يثني رجليه : فاتحة الكتاب ، وقل هو الله أحد ، وقل أعوذ بربِّ الفلق ، وقل أعوذ بربِّ الناس ، سبعاً سبعاً ، غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه وما تأخَّر » .

فضيلة الصيام والقيام

وأخرج أحمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه ، وما تأخَّر » .

وأخرج النسائي في « الكبرى » ، وقاسم بن أصبغ في « مصنفه » عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « مَنْ قام شهر رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه ؛ وما تأخَّر ، ومَنْ قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه ؛ وما تأخَّر » .

وأخرج أبو سعيد النقَّاش الحافظ في « أماليه » عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ صام يوم عرفة غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه ، وما تأخَّر » .

وأخرج أبو داود والبيهقي في « الشعب » عن أم سلمة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أَهَلَّ بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه ، وما تأخَّر ، ووجبت له الجنة » .

وأخرج أبو نعيم في « الحلية » عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَن جاء حاجّاً يريد وجه الله غفر له ما تقدَّم من ذنبه ، وما تأخَّر » .

وأخرج أحمد بن منيع ، وأبو يعلى في مسنديهما عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قضى نسكه ، وسَلِمَ المسلمون من لسانه ويده ، غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه ، وما تأخَّر » .

قراءة آخر سورة الحشر

وأخرج الثعلبي في تفسيره عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قرأ آخر سورة الحشر غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه ، وما تأخَّر » .

وأخرج أبو عبد الله بن ساعدة في « أماليه » عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قاد مكفوفاً[1] أربعين خطوة غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه ، وما تأخَّر » .

وأخرج أبو أحمد الناصح في « فوائده » عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ سعى لأخيه المسلم في حاجة غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه ، وما تأخَّر » .

فضيلة المصافحة

وأخرج الحسن بن سفيان ، وأبو يعلى في مسنديهما عن أنس ؛ عن النبي ﷺ أنه قال : « ما من عبدين يلتقيان ؛ فيتصافحان ، ويصلِّيان على النبي ﷺ لم يتفرَّقا حتى يغفر الله لهما ذنوبهما ؛ ما تقدَّم منها ، وما تأخَّر » .

وأخرج أبو داود عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ أكل طعاماً ثم قال : الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ، ورزقنيه من غير حول منِّي ولا قوة غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه ، وما تأخَّر » .

وقد تلخَّص من هذه الأحاديث الستة عشر ، وقد نظمتها في أبيات على وزن « يا سلسلة الرّسل » :

---

(١) وكف بصره إذا عمي . .الخ مكفوفاً « مصباح » . (هامش الأصل) .

قَدْ جَـاءَ عن الهادي وهوَ خيرُ نبي ... أَخْـــبَارٌ مسانيدُ قَدْ رُوينا بإيصالِ
في فَضْلِ خِصـــالٍ وغافراتِ ذنوبٍ ... مــا قدَّمَ أَوْ أخَّرَ للمماتِ بأفْضَال
حجٌّ ووضوءٌ قيام لــيلـــةِ الـقدر ... والشـــهـر وصومٌ له وَوَقفُه إقبال
آمينُ وقارىءُ آخرِ حشـرٍ ومَنْ قادَ ... لأعمى وشهيدْ إذا المؤذِّنْ قَدْ قال
سَعَى لأخ والضُحى وعـــند لبـــاسٍ ... حمـــدٌ ومـــجيءٌ مِنْ إِيْلِيَاءَ بإهلال
في جُمعةٍ يَقْرأُ قُلْ ويصافحْ عبـــداً ... مَعَ ذكرِ صلاةٍ على النبيْ مَعَ الآل

انتهى عبارته ٣٥٥ ج ٣ .

وقد بسط صاحب « الرماح » الكلام في ذكر مكفِّرات الذنوب ، وقال بعد ذكره أمثال ما تقدَّم من العزيزي رحمه الله :

وأخرج ابن منصور الديلمي ، عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ لله عزَّ وجلَّ بحراً من نور ، حوله ملائكة من نور ، على خيل من نور ، بأيديهم حراب من نور ، يُسبِّحون حول ذلك البحر : سبحان ذي الملك والملكوت ، سبحان ذي العزَّة والجبروت ، سبحان الحيِّ الذي لا يموت ، سبُّوح قدُّوس ربُّ الملائكة والروح . فَمَنْ قالها في يوم مرَّة ، أو في شهر مرَّة ، أو في سنة مرَّة ، أو في عمره مرَّة ، غفر الله تعالى له ما تقدَّم من ذنبه ، وما تأخَّر ، ولو كانت ذنوبه مثل زبد البحر ! ومثل رمل عالج ، أو فَرَّ من الزحف ! ! » انتهى عبارته ٢٦٤ ج ٢ .

فضيلة التسبيح

وقال بعيد هذا : ومن مكفِّرات الذنوب : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم ؛ ملء ما علم ، وعدد ما علم ، وزنة ما علم ، فإن المرَّة الواحدة منها تكفِّر جميع الذنوب ، وتؤمن العبد من عذاب الله تعالى . انتهى عبارته .

وقال أيضاً : ومن مكفِّرات الذنوب دعاء : يا مَنْ أظهر الجميل ، وستر القبيح . . . . إلخ . فإن الخبر ثبت أنه يمحو جميع الذنوب ، ويعطى صاحبُه ثوابَ جميع الخلائق في كل مرَّة منه . انتهى .

وقال فيه : **واعلموا أن الذنوب في هذا الزمان لا قدرة لأحد عن الانفصال عنها ، فإنها تنصبُّ على الناس كالمطر الغزير ، لكن أكثروا من مكفِّراتها ، وآكد ذلك : صلاة الفاتح** لما أغلق . . إلخ ، فإنَّها لا تترك من الذنوب شاذَّة ولا فاذَّة . انتهى عبارته ٢٦٥ ج ٢ نقله من رسالة شيخه ـ رحمه الله تعالى ـ فراجعه .

ومَنْ أراد أن ينجو من البلايا والآفات ؛ فليلازم على التوبة والاستغفار ، وليواظب على الاشتغال بمكفِّرات الذنوب ، **وليعلم أنّ العبد أكثر ما يرد عليه من البلايا من شؤم الذنوب ، فإنَّ الكون كلَّه ظلُّ الشخص ، فإن استقام ! يستقيم ، وإلا ! فلا . فافهم** . وادخل البيوت من أبوابها .

ومما ينبغي أن يكتب هنا ما في « جواهر المعاني » بما نصُّه :

ومما كتب[١] به إلى كافة الإخوان أينما كانوا ونصُّه : قال ـ رضي الله عنه ـ بعد البسملة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ :

وبعد ؛ فأوصيكم بما أوصى الله به ؛ قال سبحانه وتعالى ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ ، وقال سبحانه وتعالى ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾ إلى قوله ﴿ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ ، وقال سبحانه وتعالى ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ ، وقال سبحانه وتعالى ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ إلى قوله ﴿ قَدْرًا ﴾ ، وقال سبحانه وتعالى ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾ إلى قوله ﴿ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾ .

---

(١) يعني : الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه . (منه) . (هامش الأصلِ) .

واعلموا أن التقوى قد صعب مرامها ، وتناءت بُعداً عن أن تمدَّ بيد أحد خطامها واحتكامها ، وكلَّت الهمم دونها ، فلا يصل بيد أحد أساسها واحتكامها ، إلاّ الفرد الشاذُّ النادر ، لما طبعت عليه القلوب والنفوس من الإدبار عن الله وعن أمره بكل وجه واعتبار ، ووَحْلُها في رتع أحوال البشرية وحْلاً لا مطمع لها في الانفكاك عنه ، وهذا حال أهل العصر في كل بلد من كل ما على الأرض ، إلا الشاذّ النادر الذي عصمه الله تعالى ، **وبسبب ما ذكرنا هاج بحر الأهوال والفتن ، وَطَما بحر المصائب والمحن ، وغرق الناس فيه كل الغرق** ، وصار العبد كلما سأل النجاة من مصيبة وعصم منها ؛ اكتَنَفَتْه[1] مصائب ، وفي هذا قيل : سيأتي على الناس زمان تتراكم فيه بحور المحن والفتن ، فلا ينفع فيها إلاّ دعاء كدعاء الغريق .

وليكن ملازمتكم الأمر المنجي لما ذكرنا ، أو مطفيء لأكثر نيرانه ، وهو كثرة الاستغفار ، والصلاة على النبي ﷺ ، وذكر (لا إله إلا الله) مجرَّدة ، وذكر : (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) ، وقول : (حسبنا الله ونعم الوكيل) ، فإنه بقدر الإكثار من الأذكار ؛ تتناءى عن العبد كثرة المصائب وشرور الأوزار ، وبقدر تقليله منها ؛ يقلُّ بعده عن المصائب والشرور .

وليكن لكل واحد منكم قدرٌ من الأذكار على قدر الطاقة ، وعليكم بكثرة التضرُّع والابتهال ، لمَن له كمال العزِّ والجلال ، فإنَّ الله رحيم بعباده ودود ، فإنه أكرم وأعظم فضلاً من أن يتضرَّع إليه متضرِّع أحاطت به المصائب والأحزان ، ومدَّ إليه يديه مستعطفاً نواله ، راجياً كرمه وأفضاله ، أن يردَّه خائباً ، أو يعرض عنه برحمته ، والعاجز مَن عجز حتى

---

(١) واكتنفه القوم : كانوا منه يُمنة ويسرة . « مصباح » . (هامش الأصل) .

عن التضرُّع والابتهال ! **ومَنْ ضَيَّع نَفسه مِنَ الله فلا جابر له** .

وليكن لكم بباب الله لِمَّات[١] ، على مرور الساعات ، وكرور الأوقات ، فإنَّ مَنْ اعتاد ذلك في كرور أوقاته ؛ غشيه من رحمة الله ونفحاته ما يكون ماحقاً لمصائبه وكدوراته ، ومسهِّلاً لثقل أعباء ما ثقل عليه من ملمَّاته ، فإنه سبحانه وتعالى غني كريم ، يستحي لكرمه إذا رأى عبداً قد تعوَّد الوقوف ببابه ؛ ولو في أقلِّ الأوقات ، أن يسلمه للمصائب التي لا مخرج له منها ، أويكدحه[٢] بهلَكَة يعسُرُ عليه الخلاص منها .

احفظوا هذا العهد ، واركضوا[٣] في هذا الميدان ، ولو في أقلِّ قليل من مرور اليوم والليلة ، تجدوا التيسير في جميع الأمور ، والخلاص من كثير من الشرور ، وإن قدر الواحد على أن يكون تضرُّعه في كل ليلة بهذا الدعاء وهو :

إلهنا أنت المحرِّك والمسكِّن لكل ما وقع في الوجود من الخيرات والشرور ، وفي حكمك الحلُّ والعقد لجميع الأمور ، وبيدك وعن مشيئتك تصاريف الأقدار والقضاء المقدور ، وأنت أعلم بعجزنا وضعفنا ، وذهاب حولنا وقوتنا ، عن تباعُدِنا مما يحلُّ بنا من الشرور ، وعن اتصالنا بما نريد الوقوع فيه من الخيرات ، أو ما يلائم أغراضنا في جميع الأمور ، وقد وقفنا ببابك ، والتجأنا بجنابك ، ووقفنا على أعتابك ؛ مستغيثين بك في صرف ما يحلُّ بنا من الشرور ، وما ينزل بنا من الهلاك مما يجري به تعاقب الدُّهور مما لا قدرة لنا على تحمُّله ، ولا قوة بنا على طَلِّه[٤] ؛ فضلاً

---

(١) ألَمَّ بالقوم إلماماً : أتاهم ، ونزل بهم . (منه)

(٢) كدح وجهه : خدش أو عمل به ما يشين ، أو أفسده . « القاموس المحيط » . (هامش الأصل)

(٣) في نسخة : اركزوا .

(٤) شُبْ : (عجم) . (هامش الأصل) .

عن وَبْله[1] ، وأنت العفو الكريم ، والمجيد الرحيم ؛ الذي ما استغاث بك مستغيث إلا أغثته ، ولا توجَّه إليك مكروب يشكو كربه إلا فرَّجته ، ولا ناداك ضرير من أليم بلائه إلا عافيته ورحمته ، وهذا مقام المستغيث بك والملتجيء إليك ، فارحم ذلِّي وتضرُّعي بين يديك ، وكن لي عوناً وناصراً ، ودافعاً لكل ما يحلُّ بي من المصائب والأحزان ، ولا تجعل عظائم ذنوبي حاجبةً لما ينزل إلينا من فضلك ، ولا مانعة لما تتحفنا به من طَوْلك ، وعاملنا في جميع ذنوبنا بعفوك وغفرانك ، وفي جميع زلاَّتنا وعثراتنا برحمتك وإحسانك ، فإنَّا لفضلك راجون ، وعلى كرمك معولون ، ولنوالك سائلون ، ولكمال عزِّك وجلالك متضرِّعون ، فلا تجعل حظَّنا منك الخيبة والحرمان ، ولا نَيْلنا من فضلك الطرد والخذلان ، فإنَّك أكرم مَنْ وقف ببابه السائلون ، وأوسع مجداً من كل مَنْ طمع فيه الطامعون ، فإنَّه لك المنُّ الأعظم ، والجناب الأكرم ، وأنت أعظم كرماً ، وأعلى مجداً من أن يستغيث بك مستغيث فتردَّه خائباً ، أو يستعطف أحدٌ نوالك متضرِّعاً إليك ، فيكون حظُّه منك الحرمان .

لا إله إلا أنت يا عليّ يا عظيم ، يا مجيد يا كريم ، يا واسع الجود ، يا بَرُّ يا رحيم . (عشرين مرة) تذكر هذه الأسماء من قولك لا إله إلا أنت . . . إلخ .

ثم صلاة الفاتح لما أغلق . . . إلخ . عشراً في أوله ، وعشراً في آخره .

فإنَّ المداومة لهذا الدعاء في كل ليلة سبعاً ، أو خمساً ، أو ثلاثاً تدفع عنه كثيراً من المصائب والأحزان ، وإن تحتَّم نزولها ! نزل به لطف عظيم فيها . انتهى من إملائه رضي الله عنه انتهى عبارته ١٤٧ ج ٢ .

---

(١) ثَرْدَ : (عجم) . (هامش الأصل) .

الرياسة مقرُّ الهلاك في الدنيا والآخرة

وفي « جواهر المعاني » في مكتوب آخر كتبه التجاني ـ رضي الله عنه ـ إلى فقراء فاس ما نصُّه : وسلِّموا للعامة وولاة الأمر ما أقامهم الله فيه ، من غير تعرُّض لمنافرة أو تبغيض أو تنكير ، فإنَّ الله هو الذي أقام خلقه فيما أراد ، ولا قدرة لأحد أن يُخرج الخلق عما أقامهم الله فيه ، واتركوا التعرُّض للرياسة وأسبابها ، فإنَّها كعبة تطوف بها جميع الشرور ، وهي مقرُّ الهلاك في الدنيا والآخرة .

ومَنْ ابتلي منكم بمصيبة ، أو نزلت به من الشرور نائبة ، فليصبر ، بانتظار الفرج من الله ، فإنَّ كلَّ شدة لا بُدَّ لها من غاية ، وكل كرب لا بُدَّ له من فرج ، وإن ضاق به الحال ! فعليه بالتضرُّع والابتهال ؛ حتى يبلغ بالفرج من الله غاية الآمال .

ولا تجزعوا من المصائب والبليَّات ؛ فإنَّ الله سبحانه وتعالى ما أنزل العباد في دار الدنيا إلا لتصاريف الأحكام الإلهية ، والأقدار الربانية ، مما تضيق به النفوس ، من أجل البلاء والبؤس ، ولم يجد العباد مصرفاً عن هذا ، ولا إمكان للعبد من التمكُّن من الراحة من كل بلاء في الدنيا ، بل على العاقل أن يعلم أنَّ أحوال الدنيا أبداً متعاقبة بين ساعات انقباضٍ وانبساطٍ ، وخيراتٍ وشرورٍ ، وأفراحٍ وأحزان ، لا يخرج أحد ممن سكن الدنيا عن هذا المقدار ، فإن نزلت مصيبة ، أو ضاقت نائبة ، فليعلم أنَّ لها وقتاً تنتهي إليه ، ثم يعقبها الفرح والسرور ، فإنَّ مَنْ عقل هذا عن الله في تصاريف دنياه تَلقَّى كل مصيبة بالصبر والرضا بالقضاء ، والشكر التامِّ على النعماء . والسلام عليكم ورحمة الله تعالى . من إملائه رضي الله عنه . انتهى ١٤٢ ج ٢ .

وفيه : فيما كتبه ـ قدس سره ـ لكافة الفقراء ما نصُّه : وليكن في

علمكم أنَّ جميع العباد في هذه الدار أغراض لسَهْم مصائب الزمان ؛ إما بمصيبة تنزل ، أو بنعمة تزول ، أو بحبيب يفجع بموته ، أو هلاك ، أو غير ذلك مما لا حدَّ لحَمْله وتفصيله .

فَمَنْ نزل به منكم مثل ذلك ! فالصبر الصبر لتجرُّع مرارتها فإنَّه لذلك نزل العباد في هذه الدار .

للفرج والخلاص من الديون

ومَنْ كَبا[1] بِهِ منكم جواده عن تحمُّل ثقلها ، ومقاومة ما يطرأ عليه من أعبائها ، فعليه بملازمة أحد الأمرين ، أو هما معاً ، وهو أكمل :

الأول : ملازمة (يا لطيف) ألفاً خلف كل صلاة إن قدر ، وإلا ! ألفاً في الصباح ، وألفاً قي المساء ، فإنَّه بذلك يسرع خلاصه من مصيبته .

والثاني : مائة صلاة على النبي ﷺ بالفاتح لما أغلق . . . إلخ . ويهدي ثوابها للنبي ﷺ ، إن قدر مائة خلف كل صلاة ، وإلا ! مائة صباحاً ، ومائة في الليل .

وينوي بهما ـ أعني يا لطيف ، والصلاة على النبي ﷺ التي يهدي ثوابها له ﷺ ـ أن ينقذه الله تعالى من جميع وَحْلَته ، ويعجِّل خلاصه من كُربته ، فإنَّها تسرع له الإغاثة في أسرع وقت .

وكذا مَنْ كثرت عليه الديون وعجز عن أدائها ، أو كثر عياله واشتد فقره وانغلقت عليه أبواب أسباب المعاش ، فليفعل ما ذكرنا من أحد الأمرين ، أو هما معاً ، فإنه يرى الفرج من الله عن قريب .

ومَنْ دهاه خوف هلاك متوقع نزوله ؛ من خوف ظالم ولا يقدر على مقاومته ، أو خوف من صاحب دَيْنٍ لا يجد منه عذراً ولا إمهالاً ولا

---

(١) كبا : كبتُ الإناء – قلبته على رأسه (مصباح) . (هامش الأصل) .

يجد من المال ما يؤديه له ، أو كلا الأمرين ، ومن كل مخوف ، فليلازم ما ذكرنا من أحد الأمرين أو معاً ، فإنه ينقشع[1] عنه عن قريب ، وإن أسرع مع ذلك بصدقة ـ قلَّت أو كثرت ـ بنية دفع ما يتوقعه من المخوف ، أو بنية تعجيل الخلاص من ألمه وكربه ، كانت أجدر في إسراع الخلاص والفرج . إلى آخر ما فيه . انتهى عبارته ١٤٣ ج ٢ .

وفي « جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني »[2] ـ رضي الله عنه ـ للعالم العلاَّمة ، القدوة الفهَّامة ، سيدي علي حرازم ابن العربي بزاده المغربي الفاسي ـ رحمه الله تعالى - :

ومما كتب به إلى كافة تلامذته ، ونصُّه : بعد البسملة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ والحمدلة قال رضي الله عنه : بعد السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، أما بعد ؛ فالذي أوصيكم به وإياي المحافظة على قوله ﷺ : « ثلاث منجيات ، وثلاث مهلكات ، فأما المنجيات ! فهي : تقوى الله في السر والعلانية ، وكلمة الحق في الرضا والغضب ، والقصد في الغنى والفقر . وأما المهلكات ! فشحٌّ مطاع ، وهوى مُتَّبَع ، وإعجاب المرء برأيه » .

وعلى قوله ﷺ : « ما تحت قُبَّة السماء إلهٌ يعبد من دون الله أعظم من هوى مُتَّبَع » .

وعلى قوله ﷺ : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » .

وعلى قوله ﷺ : « لا تَتَمنَّوا لقاء العدو ، واسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا » . . الحديث .

---

(١) قشع – انكشف (مصباح) . (هامش الأصل) .
(٢) في ٧٤١ ج١ . (هامش الأصل) .

وهذا وإن ورد في ميادين الجهاد في قتال الكفَّار ؛ فهو منقلب في هذه الأزمنة في الصفح عن شرِّ الناس ، فمن تمنَّى بقلبه ، أو أراد تحريك الشر منه على الناس ، سلَّطهم الله عليه من وجه لا يقدر على دفعهم .

وعلى العبد أن يسأل الله تعالى العافية من تحريك شر الناس وفتنتهم ، فإن تحرك عليه من غير سبب منه **فالوجه الأعلى الذي تقتضيه رسوم العلم مقابلتهم بالإحسان في إساءتهم** ، فإن لم يقدر ! فبالصفح والعفو عنهم إطفاء لنيران الفتنة ، فإن لم يقدر ! فبالصبر لثبوت مجاري الأقدار ، **ولا يتحرك في شيء من إذايتهم لإساءتهم** ، فإن اشتعلت عليه نيران شرهم ، فليدافع بالتي هي أحسن بلين ورفق ، **فإن لم يُفِدْ ذلك! فعليه بالهرب إن قدر والخروج عن مكانه** ، فإن عَوَّقَت العوائقُ عن الارتحال ولم يجد قدرة ! فليدافع بالأقلِّ فالأقلِّ من الإذاية ؛ فليفعل ذلك ظاهراً ، ويكثر التضرُّع إلى الله تعالى والابتهال سرًّا في رفع شرِّهم عنه ؛ مداوماً ذلك حتى يفرِّج الله عليه ، فإنَّ هذه الوجوه التي ذكرناها هي التي تقتضيها رسوم العلم . والحذر الحذر لمن تحرَّك عليه شرُّ الناس منكم أن يبادر إليه بالتحرك بالشرِّ ؛ لمقتضى حرارة طبعه ، وظلمة جهله ، وعزة نفسه ! فإنَّ المبادر للشرِّ بهذا ـ وإن كان مظلوماً فاضت عليه بحور الشرِّ من الخلق ـ يستحق الهلاك به في الدنيا والآخرة ، وتلك عقوبة لإعراضه عن جناب الله أولاً ، **فإنَّه لو فزع[1] إليه بالتضرُّع والشكاية واعترف بعجزه وضعفه ، لدفع الله عنه ضرر الخلق بلا سبب** ، أو بسبب لا تعب عليه فيه ، أو يشغلهم الله بشاغل يعجزون عنه ، فإما أن يفعل الله له هذا ، وإما أن ينزل عليه اللطف العظيم أو الصبر الجميل ، فيكابد غصص تلك الشرور بما هو فيه من اللطف والصبر ، حتى يَرِد عليه الفرج من الله تعالى ؛ فيكون مثاباً دنيا وأخرى ، أما ثواب الدنيا ! فبحمد العاقبة ، وظهور نصره في الخلق على

---

(١) فزعت إليه : لجأت . « مصباح » . (هامش الأصل) .

قدر رتبته ، وأما ثواب الآخرة ! فبالفوز بما لا غاية له من ثواب الصابرين الذي وعده الله تعالى ، قال سبحانه وتعالى ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾ ، وقال سبحانه وتعالى ﴿ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ ، وقال تعالى حاكياً عن نبيّه يوسف عليه الصلاة والسلام ﴿ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ، وقال تعالى ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات ، ولعدم اعتبار الناس لما ذكرنا ترى الناس أبداً في عذاب عظيم من مكابدة[1] شرور بعضهم بعضاً ، ووقعوا بذلك في المهالك العظام في الدنيا والآخرة ، إلا مَن حَفَّته عناية عظيمة إلهية ، فإن العامَّة لا يرون في تحريك الشرِّ عليهم إلا صورة الشخص الذي حرَّكه عليهم ؛ لغيبتهم عن الله سبحانه وتعالى وعن غالب حكمه ، فنهضوا في مقابلة الشرور ، وحُبسوا في سجن العذاب على تعاقب الدهور ، **فإن الكيِّس العاقل إذا نصب عليه الشرُّ من الناس ، أو تحرَّكوا له به ؛ رآه تجلِّياً إلهياً لا قدرة لأحد على مقاومته إلا بتأييد إلهي** ، فكان مقتضى ما دلَّه عليه علمه وعقله الرجوعَ إلى الله بالهرب ، والالتجاء إليه ، وتتابع التضرُّع والابتهال لديه ، والاعتراف بعجزه وضعفه ، فنهض معتصماً بالله في مقابلة خلقه ، فلا شك أنَّ هذا يدفع عنه الشرور بلا تعب منه ، ولو التهبت عليه نيرانُ الشرور من الخلق لعجزوا عن الوصول إليه ؛ لاعتصامه بالله تعالى ، فإنَّ منْ تعلق بالله تعالى لا يقوى له شيء ، قال سبحانه وتعالى ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ إلى قوله ﴿ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ **وهذا الباب الذي ذكرناه كل الخلق محتاجون إليه في هذا الوقت ، فمن أدام السير على هذا المنهاج سعد في الدنيا والآخرة** ، ومَنْ فارقه وكَلَه الله إلى نفسه ، فنهض إلى مقابلة الشرور بحوله واحتياله ، **فهلك كلَّ الهلاك في عاجله وآجله** ، وفيما ذكرناه كفاية .

---

(١) مكابدة الشيء : تحمل المشاق في فعله « مصباح » . (هامش الأصل) .

الشكر يكون بطاعة الله

وعليكم بشكر النعم الواردة من الله تعالى بسبب أو بلا سبب ، والشكر يكون في مقابلتها بطاعة الله تعالى إن قدر ، على أن تكون كلية ، وإلا ! فالأبقع خير من الأسود ، وأقل ذلك شكر اللسان ، فلا أعجز ممن عجز عن شكر اللسان ، وليكن ذلك بالوجوه الجامعة للشكر ، فأعلى ذلك في شكر اللسان : تلاوة الفاتحة في مقابلة ما أنعم الله عليه شكراً ، وليَنْوِ عند تلاوتها أنه يستغرق شكر جميع ما أحاط به علم الله من نعمه عليه ؛ الظاهرة والباطنة ، والحسية والمعنوية ، والمعلومة عند العبد والمجهولة لديه ، والعاجلة والآجلة ، والمتقدِّمة والمتأخِّرة ، والدائمة والمنقطعة ، **ويتلو بهذه النية ما قدر عليه من الفاتحة من مرة إلى مائة** ، فمن فعل ذلك كتبه الله تعالى شاكراً ، وكان ثوابه المزيد من نعمه على قدر رتبته بحسب وعده الصادق .

أما وجوه المحامد الجامعة ؛ فهي كثيرة لا نطوِّل بذكرها ، مثل قوله ﷺ : « لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك » .

ومنها : « إلهي لك الحمد ، ولك الشكر ، مثل جميع ما أحاط به علمك من صفاتك وأسمائك ، وجميع محامدك التي حمدت بها نفسك بكلامك ، والتي حمدك بها كل فرد من خلقك ؛ بأيِّ لفظ ذكروك به ، كل حمد من ذلك منك ومن جميع خلقك ، عدد ما أحاط به علمك ، على جميع ما أحاط به علمك من نعمك عليَّ » فهو حمد جامع لأنواع المحامد ، مستغرق للشكر على جميع النعم . . . إلخ . انتهى عبارته ١٥٠ .

ورأيت في « الدرّ النظم » ما ينبغي إلحاقه هنا وهو هذا ؛ قال القاضي أبو بكر العربي : الدعاء مناجاة الله تعالى لما يريد العبد من جلب منفعه أو دفع مضرّه . ومن القضاء ردّ البلاء بالدعاء ، فهو سبب لذلك . استجلاب[1]

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعله ولاستجلاب رحمة المولى .

لرحمة المولى كما أنّ الترس سبب لردّ السهم والماء سبب خروج النبات من الأرض والدعاء سلاح المؤمن . فإذا كان العبد دائم الذكر والدعاء والتضرّع إلى الله تعالى ، فإن الملائكة تحفظه من جميع المكاره ، فإذا جاءه ضرر أو مكروه من أحد من المخلوقين منعته الملائكة وصدّت عن وجهه المكاره ، فلا يزال محفوظاً من جميع الجهات إلا من جهة فوق . فإن القضاء والقدر نازلان منه ، فإذا نزل القضاء والقدر أسلمته الملائكة لذلك . فينبغي أن تحرس جهة الفوق بالعمل الصالح ، فإنه لا بدّ لكلّ عبد طريق إلى السماء يصعد منه عمله وينزل منه رزقه ومنه تقبض روحه ومنه تصعد . فإذا كان العبد مواظباً على الطاعات كثير الدعاء مملوءة سبله بالخيرات . فإذا نزل البلاء من السماء نزل على طريقة العبد المعيّنة له فيجدها معمورة بالخيرات مملوءة بالطاعات ، فيحتبس ذلك البلاء عن النزول ولا يجد منفذاً إليه ، فيكون دعاؤه وعلمه قد حجب عنه البلاء لأنّ الدعاء من الله تعالى بالمكان العالي فيتصادم البلاء والدعاء ، فتارة يغلب الدعاء وتارة يغلب البلاء فهما كالمتصارعين ، فإن غلب الدعاء رفع البلاء وخرق السموات وارتقى إلى الله تعالى وإن غلب البلاء أزال الدعاء ونزل على العبد . وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ ﴾ وقال عليه الصلاة والسلام « لا يزال البلاء والدعاء يقتتلان إلى يوم القيامة » فهذا معنى كون الدعاء سبباً لردّ البلاء . وروي « ليس شيء أكرم على الله من الدعاء » . وقال عليه الصلاة والسلام « من لم يسأل الله تعالى يغضب » . وفي الصحيحين : أنّ النبي عليه الصلاة والسلام قال : الدعاء هو العبادة ثم قرأ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ وقال عليه الصلاة والسلام « الدعاء مخ العبادة » . انتهى فراجعه في ١٥٢ فإنّه مهمّ أيّ مهمّ .

وهذا أوان الشروع في ذكر الأحزاب المنجية من شر الأشرار ،

الواقية من الآفات والبليّات ، ولم أكتب منها ما هو المشهور والمكتوب في نسخة « دلائل الخيرات » ، وإن ذكرت خواصها اعتماداً على ما هنالك ، ولكن أردت أن أذكر سندها رجاء أن تحصل البركة بذكر سلسلتها ، جعلنا الله تعالى من الذين يدعون الله تعالى سرّاً وجهراً . آمين .

اعلم أيها الولد أن المشائخ وضعوا أحزاباً لدفع البلايا ورفع الرزايا .

فمن ذلك :

حزب الإمام النووي رضي الله عنه

قال في « مطالع المسرات شرح دلائل الخيرات » بعد قوله[1] : (ولابارّاً ولا فاجراً) هذا نحو ما نقل عن الشيخ القطب جمال الدين ؛ سيدي يوسف بن عبد الله ابن عمر بن علي بن خضر الكوراني العجمي نزيل مصر ؛ فيمن واظب على قراءة حزب النووي بعد الصبح والمغرب ، أو قال بعد الصبح والعشاء ، أنه لا يقدر أن يتصرَّف فيه لا من أهل الباطن أرباب القلوب المتصرِّفين بالحق ـ أو قال بالأحوال الصحيحة ـ ، ولا من أهل الظاهر ؛ أهل الشطارة والسحر والمكر والحرب والخصام والعداوة ، والله تعالى أعلم . انتهى عبارته ٢٦١ .

وهذا الحزب من أجلِّ الأحزاب ، وأوله : بسم الله الرحمن الرحيم ، بسم الله ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر . أقول : . . إلخ . وهو مكتوب على هامش « دلائل الخيرات » ، **ولهذا الحقير إجازة صحيحة لقراءته وتلقينه ، وسلسلته هذه :**

١ ـ الإمام النووي رحمه الله تعالى .

٢ ـ الإمام أبي الخباز .

---

(١)أي : في الدعاء الذي هو في آخر « دلائل الخيرات » . فافهم . (منه) . (هامش الأصل) .

٣ ـ الشيخ زين الدّين الصافي .

٤ ـ الشيخ البرهان أبي شريف المقدسي .

٥ ـ الشيخ البدر الغَزِّي .

٦ ـ الشيخ النجم الغَزِّي ولد الشيخ البدر .

٧ ـ الشيخ عبد الغني النابلسي النقشبندي القادري .

٨ ـ الشيخ المحدِّث عبد الرحمن الكزبري الكبير .

٩ ـ الشيخ مُحدِّث الشام محمد الكزبري . ابن الشيخ عبد الرحمن المذكور .

١٠ ـ الشيخ مولانا خالد قدس سره .

١١ ـ الشيخ أحمد بن سليمان الطرابلسي .

١٢ ـ الشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانوي .

١٣ ـ الشيخ العارف مرشدنا زين الله بن حبيب الله النقشبندي .

١٤ ـ الشيخ سيف الله الحسيني .

٥ ـ عبد الوهّاب الشعراني .

٦ ـ الشيخ علي الشنَّاوي .

٧ ـ الشيخ أحمد بن علي الشناوي .

٨ ـ الشيخ أحمد القشاشي .

٩ ـ الشيخ إبراهيم الكوراني .

١٠ ـ الشيخ العلاَّمة البُدَيْري .

١١ ـ العلاَّمة محمد الحفني .

١٢ ـ الأمير الكبير .

١٣ ـ الشيخ أحمد منَّة الله المالكي .

١٤ ـ الشيخ علي بن ظاهر الوتري المدني .

١٥ ـ الشيخ ملاَّ زين الله بن حبيب الله النقشبندي .

١٦ ـ الشيخ سيف الله الحسيني النثبكري النقشبندي الشاذلي القادري الأويسي .

١٧ ـ وآخرهم الحقير الفقير حسن حلمي القحي رحم الله إفلاسه ، آمين .

حزب البحر

ومن ذلك : حزب البحر للشيخ أبي الحسن الشاذلي الذي اشتهر فضله في الأقطار ، وطار في الآفاق كل مطار ، ويكرِّره الأولياء والصلحاء ، في الحاجات ، وعند الضرورات ، ويستعيذ به العباد عند المخوِّفات ، وقد

ذكر صاحب كتاب « الرماح » أنه هو العُدَّة الوافية ، والجُنَّة الواقية ، التي فيها تفريج الكروب بلطائف الغيوب ، وما قرىء في مكان إلا سلم من الآفات ، وحفظ من حوادث العاهات ، وفي ذكره لأهل البدايات أسرار شافية ، ولأهل النهايات أنوار صافية . انتهى .

وخواصه ومنافعه مذكورة في « المناقب الأحمدية » و« كشف الظنون » و« رماح حزب الرحيم » ، وقد نقلنا ما في جميعها في كتابنا « تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف » ، فمن أراد التفصيل فليراجع إليه ، ففيه ما يشفي العليل .

فمَنْ أراد الأمن من حوادث دهره ، وتسهيل أمور السعادة في حركاته وسكناته ، **فعليه مواظبة قراءة هذا الحزب مع الإذن الصحيح** من أربابه ، ومَن لم يأخذ الإجازة فهو كراكب البحر من غير سفينة ، **فالنفع التام لا يكون إلا بالإذن** ، كما هو مذكور في الكتب .

وهو الحزب الذي أخذه الشاذلي ، وكذا[1] التجاني من النبي ﷺ .

والسلسلة لحزب البحر لسيدنا أبي الحسن الشاذلي قدس الله سره هذه :

١ ـ الشيخ أبو الحسن الشاذلي الحسني[2] علي بن عبد الله بن عبد الجبار .

٢ ـ الشيخ أحمد بن عمر المرسي المشهور بأبي العباس المرسي المدفون في الإسكندرية .

٣ ـ الشيخ أحمد بن عطاء الله المرسي ، مُصَنِّف « الحِكَم العطائية » .

٤ ـ الشيخ تاج الدين بن علي السبكي ، أي : ابن تقي الدين السبكي .

---

(١) كما هو مذكور في « الرماح » . فراجعه . (منه) . (هامش الأصل) .

(٢) في نسخة : حسيني .

٥ ـ الشيخ عبد الرحيم بن خَرَّاط التونسي .
٦ ـ الشيخ شيخ الإسلام زكريا محمد الطرابلسي الأنصاري .
٧ ـ الشيخ نجم الدين محمد الغَيْطي .
٨ ـ الشيخ محمد بن أحمد السالم السُنْهُوري .
٩ ـ الشيخ محمد البابلي .
١٠ ـ الشيخ أحمد(١) النخلي .
١١ ـ الشيخ أبو طاهر المدني الكوراني .
١٢ ـ الشيخ وليُّ الله الدهلوي محدث ديار الهند ، مُصَنِّف « الحجة البالغة » ابن ملا عبد الرحمن تلميذ مرزا زاهد ، وهو تلميذ أبيه محمد أسلم ، وهو تلميذ مولانا كلان .
١٣ ـ الشيخ عبد العزيز الدهلوي ابن وليّ الله الدهلوي المذكور ، مصنف ترجمة « التحفة الاثني عشرية » .
١٤ ـ الشيخ مولانا خالد البغدادي الشامي ، وهو أخذ أيضاً عن عبد الله الدهلوي ، وهو أخذ أيضاً عن عبد العزيز المذكور .
١٥ ـ الشيخ أحمد بن سليمان الطرابلسي .
١٦ ـ الشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانوي الإستنبولي .
١٧ ـ الشيخ مولانا وأولانا ومرشدنا ذو الجناحين زين الله بن حبيب الله الشريفي .
١٨ ـ ملا سيف الله بن ملا حسين الداغستاني .
١٩ ـ **وآخرهم** الفقير حسن أفندي النقشبندي الشاذلي ، سامحه الله تعالى من فرطاته . آمين .

---

(١) في نسخة : محمد .

طريق آخر لحزب البحر

قال شيخنا سيف الله ـ قدس سره ـ وأخذ شيخنا ومولانا :

زين الله بن حبيب الله أيضاً عن الشيخ فتح الله الأورالي ، عن الشيخ محمد صادق الشاشي ، عن الشيخ تاج الدين السمرقندي ، عن الشيخ الدرويش محمد الهندي المشهور بشافعي إيشان المقتول بشهر سبز ، عن الشيخ عبد العزيز الدهلوي . . . إلى آخر السلسلة الأولى .

سلسلة حزب البحر من طريق آخر :

١-الشيخ أبو الحسن الشاذلي قدس الله سره .

٢-الشيخ أبو العباس المرسي .

٣-الإمام الميدومي .

٤-الإمام الواسطي

٥-الحافظ القلقشندي .

٦-النور القرافي .

٧-علي الأجهوري .

٨-محمد الزرقاني .

٩-الأستاذ السكندري الصباغ

١٠-يوسف الشباش .

١١-الضرير محمد البهيسي المالكي .

١٢-الأمير الكبير المالكي المشهور أحمد منَّة الله المالكي .

١٣-السيد علي بن ظاهر الوتري المدني .

١٤-الشيخ الأستاذ زين الله بن حبيب الله الشريفي .

١٥-الشيخ ملا سيف الله الغازي الغموقي طبيب الأجساد والأرواح رضي الله عنه وعن الجميع آمين .

١٦-**خادمهم** وخادم الفقراء حسن ولد محمد القحي رحم الله إفلاسه .

وللشاذلي أحزاب أخر نافعة(١) ، ولنا فيها إجازة .

كتب شيخنا سيف الله ـ قدس سره ـ في الثبت ما يفهم منه هذا الترتيب الآتي في السلسلة : ١- سيف الله قدس سره ، ٢- ملا زين الله رضي الله عنه ، ٣- محمد علي بن ظاهر الوتري المدني ، ٤- الشيخ أحمد مِنَّة الله المالكي ، ٥- الشيخ يوسف الشباش الضرير ، ٦- عن الأستاذ السكندري المعروف بالصَبَّاغ ، ٧- عن سيدي محمد الزرقاني ، ٨- عن العلاَّمة سيدي عليّ الأجهوري ، ٩- عن النور القرافي ، ١٠- عن الحافظ القَلْقَشَنْدي ، ١١- عن الإمام الواسطي ، ١٢- عن الإمام الميدومي ، ١٣- عن سيدي أبي العباس المرسي ، ١٤- عن القطب الشاذلي ، ١٥- وأجاز الشيخ المذكور فيها لهذا العبد الضعيف القحى ، غفر الله له ولأهل بيته وأحبابه . آمين يا مجيب .

خواص حزب الدور الأعلى

ومنها : **حزب الدور الأعلى** للشيخ الأكبر(٢) : وهو حزب نافع لدفع البلاء ، وقهر الأعداء ، والنجاة من الأهوال .

---

(١) منها حزب البر وحزب النصر ، فمن أراد الاطِّلاع عليها فليراجع إلى « مجموعة الأحزاب » للقطب الغوث أحمد ضياء الدين . (هامش الأصل) .

(٢) وهو محيي الدين بن العربي (هامش الأصل) .

قال صاحب « الفيوضات الربانية » : فمَنْ حمله كان آمناً من البليات الأرضية والسماوية ، ومصوناً من جميع البليّات والأذيّات الشيطانية والإنسيَّة ، وينفع من الطعن والطاعون ، ومن الريح الأحمر ، والسحر ، وعسر الولادة ، ولحلِّ المربوط ، **وهو حصن حصين ، وحرز مكين ، وكنف أمين ؛ من كيد الأعداء ، والنصرة عليهم تكون ظاهرة وباطنة ، خصوصاً لمن واظب على قراءته** بعد فريضة الصبح ؛ يفتح له الطاعة من العالم العلوي والسفلي ، ويرى العجائب والعجب من نفوذ الكلمة وتوجُّه الناس إليه ، وإقبالهم عليه بالمحبة والمعزَّة ، والمودة والإجلال والهيبة ، لأنه سرٌّ من أسرار الله العجيبة ، وكنوزه المصونة الغريبة ، **لكن يحتاج وقت قراءته إلى حضور القلب ، وإخلاص النية** ، والمواظبة عليه ، والفوائد في العقائد ! فاعرف قدره تر بركته وخيره إن شاء الله تعالى .

ويحتاج أيضاً قبل الشروع في قراءته أن يقرأ الفاتحة ، وآية الكرسي مرة مرة ، وأول سورة الأنعام ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ إلى . . ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ ، وبعد الختام يقرأ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ﴾ (ثلاثاً) ، ويصلي على النبي ﷺ (ثلاثاً) ، وهو هذا :

الدور المبارك المسمى بـ « الدور الأعلى » :

بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم يا حي يا قيوم بك تحصَّنت ، فاحمني بحماية كفاية وقاية حقيقة برهان حرز أمان سور بسم الله . . . إلى آخره .

وهو أيضاً مكتوب في « دلائل الخيرات » ، فمَنْ أراد الاشتغال بقراءته فليطلب ثمة .

ولهذا الحقير أيضاً إجازة مطلقة في هذا الحزب . والسلسلة هذه :

١- **الشيخ الأكبر محيي الدين العربي رضي الله عنه** .

٢- أبو الحسن علي الواني .

٣- إسماعيل الجبردي .

٤- أبو الفتح المراغي .

٥- زكريا الأنصاري .

٦- عبد الوهَّاب الشعراني .

٧- أحمد بن علي الشناوي .

٨- سيدي أحمد القشاشي .

٩- إبراهيم الكوراني .

١٠- العلاَّمة البُدَيْري .

١١- الأستاذ الحفني .

١٢- العلاَّمة محمد الأمير الكبير .

١٣- العلاَّمة الشيخ أحمد مِنَّة الله المالكي الأزهري .

١٤- الشيخ محمد بن ظاهر الوتري المدني .

١٥- الشيخ قطب وقته زين الله الشريفي .

١٦- ذو الجناحين سيف الله الحسيني قدس الله أرواحهم عن الالتفات إلى ما سواه تعالى . آمين .

١٧- **خادم** الفقراء أضعف العباد أرزل الخلق ، البَهْلَوَان **حسن** القحي الهدلي عفى الله عنه . آمين .

وأحزاب الشاذلي مذكورة بالتمام في « مجموعة الأحزاب » و« الأنوار القدسية » .

وحزب النصر ، وحزب البحر ، وحزب البر ، فهذه الثلاثة وحزب الدور الأعلى مكتوبة في نسخة « دلائل الخيرات » التي جمعها القطب الحقيقي أحمد ضياء الدين[1] الكمشخانوي .

مهم

ومَن أراد قراءة هذه الأحزاب فعليه أن يأخذ الإذن من المجيز المجاز : والعاقل مَنْ أتى البيوت من أبوابها ، فافهم .

ومنها : حزب الحصين للغزالي ـ رضي الله عنه ـ كما نسبه إليه الكمشخانوي في « مجموعة الأحزاب » لكن مؤلف « إغاثة اللهفان » قال بما نصه : وهو من إملاء الشيخ العارف ، الزاهد الناسك ، وحيد دهره ، وفريد عصره ؛ الشيخ سريّ الدين محمّد بن تاج الدين عبد الرزاق المراكسي ، نفعنا الله بعلومه وبركاته في الدنيا والآخرة ، وقال : هذا الحصن لا يسع شرح خواصّه أوراق .

ولكن **من بعض خواصه** : تسهيل طريق الحق عزَّ وجل على العبد ، ووصوله إلى ما لا يصل غيره ـ في سنين عديدة ـ في أربعين يوماً أو أقلّ من ذلك ، وترقِّي روحه في الملكوت الأعلى ، ومصافحة الأملاك ، والتصرُّف التام في الملكوتين ، والحفظ ، والأمن ، والعصمة ، والسلامة ، والبركة في الرزق والعلم ، والتأهُّل للتلقيات الواردة في باب الفيض الأعظم ، والمدد الشريف الأكرم ، وقبولها للقلب بنور الخصوصية

---

(١) مؤلّف « دلائل الخيرات » الشيخ الجزولي وقد جمعه أحمد ضياء الدين – كما جمعه سائر الأحزاب في « مجموعة الأحزاب » فافهم – في جلد وعلى هوامشه الأحزاب المذكورة . ونسخة التي جمعها أحمد ضياء الدين كثيرة منتشرة في جميع بلاد المسلمين . ومرادي من قولي (جمعها أحمد ضياء الدين) هو هذا ؛ وليس مرادي أن أحمد ضياء الدين ألّف الدلائل ، فافهموا ولا تعجلوا . ومعلوم أن تلك الأحزاب ليست في سائر النسخ . ففي الجمع والتأليف فرق في الجملة ، تدبّر ! (قحي) .

والتفهيم ، والحجب عن كل مكروه ، وتملك الخلق أجمعين من جميع العوالم ، **حتى أن الذاكر به إذا دعا طائراً في الجو نزل عليه ، فكيف مَنْ يفهم ويعقل** ؟! ولا يزال ذاكره محبوباً معصوماً ، مؤيَّداً منصوراً ، مهاباً مطاعاً عند جميع خلق الله ، متصرِّفاً فيهم ـ بإذن الله تعالى ـ؛ لايستطيع الواحد منهم أن ينطق في حقه إلا بخير ، ولا يمدَّ يده إلا بخير .

ومن خواصه أيضاً : أنه ما تلي عند مريض أو مسحور إلا عرق ونشط في الحال ، والأسرار عند الأخيار .

وذكرُه عند طلوع الشمس وجوازِ الصلاة مرة واحدة ، ويُذكَرُ أيضاً بعد صلاة العشاء الأخيرة ، وهذا الحدُّ اضطراري ! والاختياري (ثلاث مرات) ؛ بأن يقرأ بعد صلاة الظهر ، وهذا الذكر الشريف كاف عن غيره من الأذكار المطوَّلة والمختصرة ، ولا يخفى ذلك على الطالب المتأهِّل . انتهى عبارته فراجعه ففيه الزيادة .

قال الشيخ أحمد ضياء الدين في « مجموعة الأحزاب » بما لفظه :

حزب الحصين للغزالي

بسم الله الرحمن الرحيم ، بسم الله على يميني ، بسم الله على شمالي ، بسم الله على خلفي ، بسم الله على أمامي ، بسم الله على فوقي ، بسم الله اكتنفت ، وفي حرزه الحصين دخلت ، وبحصنه المنيع احتجبت ، وبأسمائه الحسنى تسَرْبَلْتُ ، وبسرِّ أنوار اسمه الجليل تردَّيت ، وبقوة إمداد أسرار اسمه القوي القاهر عَلَوْتُ ، وغلبت أعدائي من الجن والإنس وسائر المخلوقين[1] ، واحتجبت وقهرت وانتصرت ، وبجلال بهاء سناء اسمه الأعظم الأكبر الحيِّ القيُّوم ذي الجلال والإكرام تدرَّعت ، وببوارق أنوار أسرار كلامه العظيم احتجبت وتمسَّكت ، وبخفيِّ لطفه الحسن الجميل

---

(١) وفي نسخة : وسائر المخلوقات .

تعلَّقت ، وبركنه القوي التجأت واستندت ، سبحانه وبحمده ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[1] ، فتَّاح عليم ، باسط مُعِزٌّ ، جواد كريم ، عليّ عظيم .

اللهم إني أسألك بالكلمات التامَّات ، والأسماء المعظَّمات ، والأحرف النورانيات ، وبما واريت به سرادقات عرشك العظيم من الهيبة والجلال والقدرة والعظمة ، والكتب المنزلات والآيات البينات وبما أودعته في الحروف والأسماء من الخواص والأسرار ، وبالحضرة الشريفة ، والشريعة المطهَّرة ، والصلوات الخمس ، واتصال الأسرار والرحمة للخواص من عبادك ، وأسالك يا رب بما دعاك به أنبياؤك[2] ، وبما يسبِّحك ويمجِّدك حملةُ عرشك والمقرَّبون من ملائكتك ، أن تجعلني محصّناً محفوظاً من كل عدوّ من الجن والإنس وسائر العوالم ؛ ما علمت منها وما لم أعلم ، وأدخلني في سرِّ إمداد أنوار خزائن حرزك العزيز المنيع ، محجوباً عن كل سوء ، مغموساً في بحرٍ من نور هيبتك ، مؤيَّداً منك بروح القدس ، وكن اللهم لي ولياً وناصراً ، وكفيلاً ووكيلاً ، وحسيباً وحفيظاً ، برحمتك وفضلك ، ومَنِّك وطَولك ، واجعل جميع مخلوقاتك طوع يدي ؛ مالكاً أزِمَّة قلوبهم ، محبوباً عندهم ، ومعزَّزاً مكرَّماً مهاباً ، لا يعصون أمري ، ولا أنال منهم مكروهاً أبداً ، معصوماً من أذاهم بشدة المحبة والألفة والمودَّة ، واجعلني في ذلك قريباً من حضرتك الشريفة ، متمسِّكاً بالشريعة المطهَّرة ، متلقِّياً للعلوم والحكمة التي تقذفها بفضلك في قلبي من فيض أنوارك ، واحفظني اللهم من العجب والكبر والرياء والنفاق والشرك الخفي ، وطهِّرني من الدنس والزلاّت والعيوب الباطنة والظاهرة ، واجعلني آمناً من عذاب القبر وفتنته ، واجعل حياتي في طاعتك ، وفهمي

---

(١) في نسخة : السميع العليم .
(٢) في نسخة : أنبياؤك ورسلك .

في علمك اللَّدُنِّي ، واصْحَبْني في عبادك الصالحين ، والأبدال والصِدِّيقين ، واجعلني منهم برحمتك يا أرحم الراحمين .

اللهم عافني من كل بلية ، ونجِّني من كل هَلَكَة ولا تجعلني من السافلين[1] ، واسقني كأساً رويّاً من شراب محبتك ، ولا تجعلني من القانطين ، يا هُو يا هُو يا هُو ، ياهِيّاً شَرا هِيّاً يا ذا الحجة البالغة ، يا ذا العظمة والقدرة ، يا حي يا قيوم ، يا ذا الجلال والإكرام .

إلهي ما أعظم شأنك ، وأعزّ سلطانك ! بك اللهم نزلت وأنت خير المنزلين[2] ، وبك اعتصمت وأنت خير الناصرين ، وبك اهتديت إلى صراطك المستقيم ، فاكفني اللهم شرَّ كل مكروه ، واجعل دعائي مَقْروناً بإجابتك ، مع اللطف والرعاية ، والمِنحِ الجِسام ، والتلقيات الكرام ، وترقيات الوصول إلى حضرتك ، وأهِّلني لسماع الخطاب يا سريع يا بديع ، يا رفيع الدرجات ، ويا سامع الأصوات على اختلاف اللغات ، أسألك العصمة والأمن والسلامة ، واللطف والبركة والقناعة ، وأغننا بفضلك عمَّن سواك يا أرحم الراحمين (ثلاثاً) ، ﴿ سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ ١٦ ، وصلوات الله البرِّ الرحيم على سيدنا محمد ؛ السيد الكامل الفاتح الخاتم ، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرّيّاته ؛ عدد الأنفاس واللحظات ، والقطر[3] والنبات ، وجميع ما في الكائنات ، كلما ذكره الذاكرون ، وكلما غفل عن ذكره الغافلون ، والحمد لله رب العالمين . انتهى عبارته ٢٦٧ ج ١ .

---

(١) وفي نسخة : من الغافلين .
(٢) وفي نسخة : المنزولين .
(٣) وفي نسخة : والقطرات .

ومنها : حزب إبراهيم الدسوقي[1] رضي الله عنه

ذكر صاحب « الإبريز » ـ رضي الله عنه ـ ما نصه : وقد قدم علينا بعض أصحابنا من أخيار تلمسان ، فأخبرني أنه سمع بعض مَنْ حجّ بيتَ الله الحرام يقول : إنه زار قبر سيدي إبراهيم الدسوقي ـ نفعنا الله به ـ ،

(١) **مناقب إبراهيم الدسوقي** – رضي الله عنه – من نسل الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم .

قال المناوي في « طبقاته » : سيدي إبراهيم الدسوقي شيخ الطائفة البرهامية ، صاحب المحاضرات القدسية ، والعلوم اللدُنيَّة ، والأسرار العرفانية ، أحد الأئمة الذين أظهر الله لهم المغيبات ، وخرق لهم العادات ، ذوالباع الطويل ، والتصرُّف النافذ ، واليد البيضاء في أحكام الولاية ، والقدم الراسخ في درجات النهاية ، انتهت إليه رياسة الكلام على خواطر الأنام ، وقد كان يتكلّم بجميع اللغات ؛ من عربي وسرياني وغيرهما ، ويعرف لغات الوحش والطير .

وكان ـ رضي الله عنه ـ يقول : الشريعة أصل ، والحقيقة فرع ، فالشريعة جامعة لكل علم مشروع ، والحقيقة جامعة لكل علم خفيٍّ ، وجميع المقامات مندرجة فيهما .

وكان ـ رضي الله عنه ـ يقول : يجب على المريد أن يأخذ من العلم ما يجب عليه في تأدية فرضه ونفله ، ولا يشتغل بالفصاحة والبلاغة ، فإن ذلك شغل منه عن مراده ، بل يفحص عن آثار الصالحين في العمل ، ويواظب على الذكر . « نور الأبصار » .

وذكر عن سيدي إبراهيم : أنه صام في المهد وأنه ينقل اسم مريده من الشقاوة إلى السعادة ، وأن الدنيا جعلت في يده كخاتم ، وأنه جاوز سدرة المنتهى ، وجالت نفسه في الملكوت ، ووقف بين يدي الله تعالى ، وأنه فكّ الطلسم السبع المثاني ، وأن قدمه لم تسعها الدنيا . وقال رضي الله عنه : ولّيت القطبية فرأيت المشرقين والمغربين وما تحت التخوم ، وصافحت جبريل عليه السلام . « نور الأبصار » .

ومن كلامه – أي : إبراهيم الدسوقي – رضي الله عنه كما في « الطبقات » الشعراني : يجبٍ على المريد أن لا يتكلّم إلاّ بدستور شيخه إن كان جسمه حاضراً ، وإن كان غائباً يستأذنه بالقلب ، وذلك حتى يترقى إلى الوصول إلى هذا المقام في حقّ ربه عزّ وجلّ . فإن الشيخ إذا رأى المريد يراعيه هذه المراعات رباه بلطيف الشراب ، وأسقاه من ماء التربية ولاحظ بالسرّ المعنوي الأولى . فيا سعادة من أحسن الأدب مع مربّيه ، ويا شقاوة من أساه . « نور الأبصار » عبارته ٩١٢ .

فوقف عليه الشيخ سيدي إبراهيم الدسوقي ـ نفعنا الله به ـ وعلّمه دعاءً وهو هذا :

بسم الإله الخالق الأكبر ، وهو حرز مانع مما أخاف منه وأحذر ، لا قدرة لمخلوق مع قدرة الخالق ، يُلجمه بلجام قدرته ، أحمى حميثاً ، أطمى طميساً ، وكان الله قوياً عزيزاً ، (حم عسق) حمايتنا ، (كهيعص) كفايتنا ، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فقال له سيدي إبراهيم : ادع بهذا الدعاء ، ولا تخف من شيء . انتهى ١٠٦ .

وأما في « مجموعة الأحزاب » للشيخ أحمد ضياء الدين ـ قدس سره ـ هكذا : (كهيعص) كفايتنا ، (حمعسق) حمايتنا ، بتقديم وتأخير ، بخلاف ما في « الإبريز » ، والله أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب .

خلاصة الاستقامة

ومما ينبغي أن يكتب في هذا الموضع : ما في « تقريب الأصول » ونَصُّه : وخلاصة الأمر الذي يتم به المراد : **الاستقامة** ، وخلاصتها : امتثال الأمر ، واجتناب النهي ، ورؤية الفضل والمنَّة لله تعالى ، والتبرِّي من الحول والقوة ، والرجوع إلى حول الله وقوته ، وتسليم أمره إلى مولاه ، ويعلم أنَّ الخِيَرة له في جميع ما به يتولاَّه ، وإن خالف ذلك مرادَه وهواه ، فإذا دعا وطلب من مولاه أمراً يرى أن له فيه مصلحة أيقن بالإجابة لا محالة ، قال الله تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ ، وقال تعالى ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ .

وعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله تعالى ما سأل ، أو كفَّ عنه من السوء مثله ، مالم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم ! » .

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : « ما من داع يدعو إلا استجاب الله دعوته ، أو صرف عنه مثلها سوءاً ، أو حطَّ عنه من ذنوبه بقدرها ، مالم يدع بإثمٍ أو قطيعة رحم ! » .

فإذاً : الإجابة المطلقة حاصلة لكل داع بحق ، حسبما ورد الوعد الصدق[1] ، إلا أنَّ الإجابة أمرها إلى الله تعالى يجعلها متى شاء .

وقد يكون المنع وتأخير العطاء إجابة وعطاءً لمن فهم عن الله ذلك ، فلا ييأس العبد من فضل الله تعالى إذا رأى منعاً أو تأخيراً ، وإن ألحَّ في دعائه وسؤاله[2] .

وقد يكون تأخير ذلك إلى الآخرة خيراً له ؛ فقد جاء في بعض الأخبار : « يُبعث عبد ؛ فيقول الله تعالى : ألم آمرك برفع حوائجك إليَّ ؟ ! فيقول : نعم ؛ وقد رفعتها إليك . فيقول الله تعالى : ما سألت شيئاً إلا أجبتك فيه ، ولكن نجَّزت لك البعض في الدنيا ، وما لم أنجِّزه في الدنيا فهو مدَّخر لك ، فخذه الآن . حتى يقول ذلك العبد : ليته لم يقض لي حاجة في الدنيا » .

---

(١) وفي نسخة : الصادق .

(٢) ولا تحرمني وأنا أسألك ، ولا تعذِّبني وأنا أستغفرك . « دلائل الخيرات » وجملة (وأنا أستغفرك) : حالية من (لا تعذِّبني) ، **والحرمان مع السؤال ؛ والعذاب مع الاستغفار ؛ أشدُّ على صاحبه ، وآكد في جفاء فاعله** ، وحاشاه سبحانه من ذلك .

وقد قال فيما روي من كلام إلهيّ : « ومَن أحدث وتوضأ ، وصلَّى ودعا ، ولم أستجب له ؛ فقد جفوته ، ولست بجافٍ »

وقال في « الحكم » : **متى أطلق لسانك بالطلب فاعلم أنه يريد أن يعطيك** .

وقال ﷺ : « ما أذن الله لعبد في الدعاء حتى أذن له في الإجابة » رواه أبو نعيم في « الحلية » عن أنس ، والترمذي عن ابن عمر نحوه . وغير ذلك من الأحاديث الواردة في هذا المعنى ، وفي استجابة الدعاء ، والمغفرة لمن استغفر ، وقبول عذر مَن اعتذر . « مطالع المسرَّات » ٤٤ . (هامش الأصل) .

وقد ورد عن رسول الله ﷺ معنى النهي عن الاستعجال في إجابة الدعاء في قوله : « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، فيقول : قد دعوت فلم يستجب لي » .

كان بين دعاء موسى وإجابته أربعون سنة

وقد دعا موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ على فرعون ـ فيما أخبر الله عنهما ـ حيث قال ﴿ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴾ ، ثم أخبر أنه قد أجاب دعاءهما بقوله سبحانه وتعالى ﴿ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ .

قالوا : **وكان بين قوله تعالى لهما** ﴿ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا ﴾ ، **وهلاك فرعون؛ أربعون سنة** .

قال سيدي أبو الحسن الشاذلي ـ رضي الله عنه ـ في قوله تعالى ﴿فَٱسۡتَقِيمَا﴾ أي : على عدم استعجال ما طلبتما ، ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ هم الذين يستعجلون الإجابة . انتهى ٢٢٧ .

مهم

فالحاصل : أن سبب قبول الدعوة هو إطاعة المولى جلَّ سلطانه كما قيل :

اسم الله الأعظم هو نفس الإنسان ، يعني أنه إذا أطاع الله في الأمر والنهي يطيعه الله تعالى بإجابة ما سأل ، كما يجيب لمن سأله باسمه الأعظم الذي **إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى ، فإن الردّ إنما يكون من البخيل** ! والله تعالى منزَّه عن البخل ، أو ممَّن ليس عنده شيء يعطيه السائل ! والله تعالى أيضاً عنده خزائن السماوات والأرض ، أو لنقصان

شيء بما أعطاه ! والله تعالى أيضاً لا نقص لخزائنه وتعالى عن ذلك .

دعاء الملائكة لا يُردّ

ألا ترى أن الله تعالى لا يردُّ دعاء الملائكة ؛ لكونهم لا يعصون الله ويفعلون ما أمرهم ! **فلم يبق للردِّ سبب إلا العصيان** . أعاذنا الله تعالى من مخالفة أمره ، وجعلنا من المتبعين لأوامره .آمين .

سند المؤلف

ثم اعلم أني أردت أن أذكر سند مشائخي في العلوم والأحاديث :

أما « صحيح » أمير المؤمنين في الحديث أبي عبد الله محمد إسماعيل البخاري ، عليه رحمة الكريم الباري ، فأرويه بأعلى سند يوجد في الدنيا الآن ، كما قال به شيخنا قدس سره ، عن شيخي وسندي ذي الجناحين قطب وقته سيف الله بن حسين الغازي الغموقي الحسيني رضي الله عنه ، عن شيخه زين الله بن حبيب الله التريسكي الشريفي ، عن محمد علي بن ظاهر المدني الوتري ، عن العلامة المحدِّث الرحلة الفهَّامة الشيخ عبد الغني بن أبي سعيد المجدِّدي الفاروقي النقشبندي الديمويّ ثم المدنيّ ، عن العلاَّمة الحافظ الشيخ محمد عابد الأنصاري السندي ثم المدني ، عن خاتمة المحدِّثين الشيخ صالح العمري الفلاَّني ثم المدني ، عن المعمّر العلاَّمة الشيخ محمد بن سِنَّة العمري الفلاَّني ، عن العلاَّمة أبي الوفا أحمد بن العجَل اليمني المكي ، عن مفتي مكة العلاَّمة قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي[١] ، عن العلاَّمة أبي الفتوح أحمد بن عبد الله ابن أبي الفتوح الطاووس ، عن المعمَّر العلامة بابا يوسف الهروي المشهور بـ(صدسال) – أي المعمّر[٢] ثلاثمئة سنة – ، عن المعمّر محمد بن شَاذَ

---

(١) وفي نسخة : النهرواني .

(٢) وذكر صدر الشريعة في « تعديل العلوم » أنَّ مشائخ الحديث مشهورون بطول=

بَخَتْ الفارسي الفرغاني ، عن المعمّر أحد الأبدال بسمرقند أبي لقمان يحيى بن عمار بن مقيل بن شاهان الختلاني ، عن أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفِرَبري ، عن الإمام البخاري .

وأما « مشكاة المصابيح » ؛ فإني أرويها بهذا الإسناد إلى المعمّر الشيخ محمد بن سِنَّة ، عن العلاَّمة برهان الدين إبراهيم الكوراني المدني ، عن العارف بالله العلاَّمة الشيخ أحمد بن محمد الداجاني المدني المعروف بالقشاشي ، عن العارف سيدي أحمد بن علي الشناوي العباسي المدني ، عن العلاَّمة السيد غضنفر بن جعفر الحسيني ، عن شيخ الحرم المكي

=الأعمار .

وذكر السُّبكي في « طبقات الشافعية » أنَّ أبا سهل قال : سمعت ابن الصلاح يقول : شيوخنا يقولون : دليل طول العمر اشتغاله بأحاديث الرسول ﷺ . ويصدِّقه التجربة ؛ فإنَّ أهل الحديث إذا تتبعتَ أعمارَهم تجدها في غاية الطول .

والكتب المصنَّفة في علم الحديث أكثر من أن تحصى ، إلا أنَّ السلف والخلف قد أطبقوا على أن أصحَّ الكتب بعد كتابه سبحانه وتعالى : « صحيح البخاري » ، ثم « صحيح مسلم » ، ثم « الموطَّأ » ، ثم بقية الكتب الستة وهي : سنن أبي داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، والدار قطني ، والمسندات المشهورة . كشف الظنون عن أسامي الكتب « والفنون » ٦٢٤ ج١ للإمام العالم العلامة والبحر الفهامة ملا كاتب چلابي قدس سره .

رمز الحروف للرواة : (خ) للبخاري ، (م) للمسلم ، (ط) للموطأ ، (ت) للترمذي ، (د) لأبي داود

ووضعوا لأصحاب الكتب الستة علامة ورمزاً بالحروف ؛ فجعلوا للبخاري : (خ) لأن نسبته إلى بلده أشهر من اسمه وكنيته ، وليس في حروف باقي الأسماء خاء ، ولمسلم : (م) لأن اسمه أشهر من نسبه وكنيته ، ولمالك : (ط) لأن اشتهار كتابه بـ« الموطأ » أكثر ولأن الميم أول حروف اسمه وقد أعطوها مسلماً وباقي حروفه مشبهة بغيرها ، وللترمذي : (ت) لأن اشتهاره بنسبه أكثر ، ولأبي داود : (د) لأن كنيته أشهر من اسمه ونسبه ؛ والدال أشهر حروفه وأبعدها من الاشتباه ، وللنسائي : (س) لأن نسبه أشهر من اسمه وكنيته ؛ والسين أشهر حروف نسبه . « كشف الظنون » ٥٢٤ ج١ .

محمد سعيد المشهور بـ « مير كلان » بن مولانا خواجه ، عن نسيم الدين ميرك شاه ، عن والده المحدِّث السيد جمال الدين عطاء الله بن غياث الدين فضل الله ، عن عمه السيد أصيل الدين عبد الله بن عبد الرحمن الشيرازي الحسيني ، عن شرف الدين عبد الرحيم بن عبد الكريم الجرهمي الصديقي ، عن العلاَّمة إمام الدين علي بن مبارك شاه الصديقي السادجي ، عن مؤلِّفه وليّ الدين محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي رحمه الله تعالى .

وأما سلسلة الحزب الأعظم والورد الأفخم ؛ فإني أرويه عالياً عن شيخنا سيف الله قدس سره ، عن شيخه زين الله ، عن الشيخ محمد علي بن ظاهر الوتري المدني ، عن عبد الغني المتقدِّم ، عن العلاَّمة الشيخ إسماعيل بن إدريس أفندي المدني ، عن العلاَّمة الشيخ صالح العمري الفلاَّني ثم المدني ، عن المعمّر العلاَّمة الشيخ محمد بن سِنَّة العمري الفُلاَّني ، عن المعمّر مولاي الشريف محمد بن عبد الله الوَوْلاقي المغربي ، عن مفتي مكة العلاَّمة عبد القادر الطبري الحسيني المكي ، عن جامعه الملاَّ علي القاري .

ولنا أيضاً إجازة من طريق آخر لحزب الأعظم بهذا السند : سيف الله ، زين الله ، أحمد ضياء الدين ، الشيخ الحاج إبراهيم خليل القاضي بالقدس الشريف ، ثم بالمدينة المنورة ، ثم بمكة المكرمة ، الشيخ أحمد بن سليمان الخوارزمي ، محمود بن أحمد المرعشي ، الشيخ محمد بن عبد الرحمن الكزبري ، عن الشيخ ابن سليمان ، عن ابن سنبل ، عن أبي الطاهر الكوراني ، عن والده الملا إبراهيم ، عن منلا محمد شريف ابن منلا يوسف الكوراني الصديقي ، عن السيد المعظم الحسيني البلخي ، عن مؤلفه السيد الشيخ منلا علي بن السلطان محمد القاري الهروي المقري بالحرم الشريف المكي . رحمة الله عليهم أجمعين . آمين .

وأما « دلائل الخيرات » فإني أرويها عن طريقين : نازلة وعالية .

أما النازلة ؛ فعن شيخنا سيف الله المذكور ، وهو عن شيخه زين الله ، عن محمد علي بن ظاهر الوتري ، عن الشيخ على أفندي بن يوسف ملك باشلي الحريري المدني ، عن العلاَّمة السيد **محمد بن أحمد الشريف** المُدْغَري ، عن أبي البركات سيدي محمد بن أحمد بن أحمد المثنى ، عن العلاَّمة سيدي أحمد بن الحاج ، عن العلاَّمة سيدي عبد القادر الفاسي ، عن العلاَّمة سيدي أحمد المقريّ ، عن سيدي أحمد بن أبي العباس الصُّمَعي ، عن سيدي أحمد بن موسى السِمْلاني ،عن سيدي عبد العزيز التباعي ، عن مؤلفها سيدي السيد محمد بن سليمان الجزولي الشريف الحسني .

وأما الطريقة العالية ؛ وهي أعلى بدرجتين ، وهو أعلى سند يوجد في الدنيا الآن ، كما أخبر بذلك أرباب هذا الشأن : فعن شيخنا أبي الفتوح سيف الله قدس سره ، عن شيخه زين الله ، عن محمد علي بن ظاهر الوتري ، عن العلاَّمة المتقدم عبد الغني ، عن العلاَّمة إسماعيل أفندي المدني ، عن العلاَّمة محمد أفندي أي خِشْخِوَى ، عن العلاَّمة السيد مرتضى الزبيدي شارح « الإحياء » و« القاموس » ، عن العلامة محيي الدين نور الحق عبد الله الحسيني ، عن السيد سعد الله بن محمد الهندي ، عن المعمّر الشيخ عبد الشكور الحسني ، **عن مؤلفها الشيخ الجزولي** .

ولي طريق آخر في « دلائل الخيرات » ، فإن شيخنا ذا الجناحين الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره لقَّنني « دلائل الخيرات » ، وكان هو مأذوناً لتلقينه من العالم العارف محمد عبده المكي ، فكنت أقرؤه في سنين ، فمات هو قدس سره في جدّة في سفر الحج ، ثم بعد ذلك أجازني العارف المذكور محمد عبده في ذلك ، وكتب لي بخطه صكَّ الإجازة ، وأذن لي بالإذن المطلق العام عن مشائخه ، كما أجاز شيخنا المذكور العسوي رحمهما الله تعالى .

والسلسلة هذه : محمد عبده المكي ، سيدي محمد بن سيد أحمد المذْغريّ الشريف الحسني ، سيد محمد بن أحمد المثنى ، سيد أحمد بن الحاج ، سيد أحمد المقري ، سيد عبد القادر الفاسي ، سيد بن أبي العباس

الصُمَعي ، سيد أحمد بن موسى ، السيد محمد بن السيد السملاني ، عبد العزيز التَباع ، **عن مؤلفها السيد محمد بن سليمان الجزولي ، الشريف الحسني ، القطب الرباني** ، رحمه الله تعالى ونفعنا به . آمين .

وأما « البردة الشريفة » المشهورة بـ :

أمِنْ تَذَ . . . إلخ ، فلي فيها إجازة مطلقة أيضاً ، وإني أرويها بهذا السند عن قطب الوقت المستور ؛ سيف الله المذكور ، قدس سره ، عن شيخه زين الله الشريفي ، عن محمد علي بن ظاهر الوتري المدني ، عن العلاَّمة المحقق الفهَّامة المدقق ، الشيخ منَّة الله المالكي الأزهري ؛ تلميذ الأمير الكبير ، صاحب الثبت الشهير ، عن العلاَّمة الشيخ محمد الهَبي المالكي ، عن العلاَّمة الشيخ يوسف الشباسي الضرير ، عن الأستاذ السكندري المعروف بالصباغ ، عن سيدي عليّ الزرقاني ، عن العلاَّمة سيدي علي الأجهوري ، عن النور القرافي ، عن الحافظ جلال الدين السيوطي ، عن العزِّ عبد الرحيم بن الفرات ، عن العزِّ بن جماعة ، عن ناظمها الإمام البوصيري .

وكتب شيخنا الأمير سيف الله قدس سره في الثبت نقلاً عن ثبت شيخه : وأما بقية أسانيدي في باقي الكتب الستة وغيرها من كتب الحديث وسائر الفنون النقلية والعقلية ؛ فإنها مذكورة في أثبات مشائخي ومشائخهم ؛ كـثبت شيخي المسمى بـ « اليانع الجني من أسانيد الشيخ الغني » ، وثبت شيخه المسمَّى بـ « الحصر الشارد من أسانيد محمد عابد » ، وثبت شيخ مشائخي العلاَّمة محمد الأمير الكبير ، وأجازني بجميع ما يحتوي عليه هذه الأثبات من الكتب والفنون ، وأجازني أيضاً بالحديث المسلسل[1] بالأوَّلية ، أي الحديث الذي قال كل راوٍ : (وهو أول حديث سمعته) من طريقة عالية جداً من طريق الجنّ بهذا السند : عن سيف الله ، عن زين الله ،

(١) وللحديث المسلسل بالأولية طريق آخر ينتهي إلى سفيان بن عُيَيْنَة مذكور في المسلسلات . (من خط زين الله قدس سره) .

عن العلاَّمة عبد الفتاح الكفراوي ، عن شيخ الإسلام عبد الله الشرقاوي ، عن العلاَّمة الأستاذ السيد محمد الحفني الخلوتي الشهير ، عن قاضي الجنّ شمهورش الصّحابي ، قال : حدثني به سيدنا رسول الله ﷺ ، وهو أول حديث سمعته منه أنه قال : « الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ، ارحموا مَنْ في الأرض يرحمكم مَنْ في السماء » . انتهى .

وقد قال كل راو : (وهو أول حديث سمعته منه) ، وقد اقتصرته خوفاً من الإطناب .فافهم .

توفي الشيخ محمد شمس الدين الحِفني الخلوتي الشهير سنة ١١٧٩ وأهل مصر صلّوا جنازته في القرافة ، وهو أخذ من قاضي الجن شمهورش .

نقل شيخنا سيف الله عن خط شيخه بما نصُّه : وسمعت السيد محمد علي الظاهري يقول : إنه - أي : قاضي الجن- توفي في زمن الحفني رحمهم الله تعالى .

وقد روى عنهم[١] الطبراني ، وابن عدي ، وغيرهما ، لكن توقَّف في ذلك بعض الحُفَّاظ . « الفتاوى الحديثية » لابن حجر المكي .

وأما مسلسلات ابن عقيلة ؛ فقد أجازني بها شيخنا مير سيف الله

---

(١) أي : الجن .

* والذي استحسنه العلماء في نية الصلاة من التلفظ باللسان مع وجود إرادة القلب ؛ والحال أنه ما ثبت عنه عليه السلام لا برواية صحيحة ، ولا برواية ضعيفة ، ولا من الصحابة الكرام ، ولا من التابعين العظام ، أنهم أتوا بالنية باللسان ، بل كانوا يكبّرون تكبيرة تحريم حين قاموا إلى صلاة ؛ فالنية باللسان بدعة يسمّونها حسنة .

والفقير يعلم أن هذه البدعة رافعة للغرض فضلاً عن السنة ، فإن أكثر الناس يكتفون في الجواز ذلك باللسان ، ولا يبالون عن غفلة القلب ، فيكون قد ترك في ضمير ذلك غرضاً من فرائض الصلاة الذي هو النيّة بالقلب فيؤدي ذلك لفساد الصلاة ؛ وعلى هذا القياس سائر المبتدعات والمحدثات ، فإنها زيادة على السنة ولو بوجه من الوجوه ، والزيادة نسخ والنسخ رفع ، فعليكم بالاقتصار على متابعة رسول الله ﷺ . « مبدة الرسائل الفاروقية » .

قدس سره بهذا السند : سيف الله ، زين الله ، محمد علي بن ظاهر المدني ، عبد الغني بن أبي سعيد المجدِّدي ، محمد عابد السندي الأنصاري ، المحدِّث عبد الرحمن بن السيد سليمان الأهدل اليمني ، العلاَّمة الشيخ أمر الله المزجاني ، عن جامعها العلاَّمة محمد بن أحمد سعيد المعروف بعقيلة المكي ، عن شيخنا العلاَّمة منَّة الله المالكي ، عن السيد الأمير الكبير ، عن العلاَّمة الصعيدي المالكي ، عن ابن عقيلة . . .إلخ .

وأجازني أيضاً شيخنا المذكور - سيف الله - ، في جميع العلوم النقلية والعقلية ، بناء على أنَّ النفع التام لا يكون في كل شيء إلا بالإذن ، كما هو مذكور في « المكتوبات » للإمام الربَّاني ، وفي « الفتاوى العمرية » .

وكذا الحال في العلم الظاهري ، فإنه لا بدَّ من التكميل ، ثم الإذن من الأستاذ في التدريس . انتهى عبارته .

ونقل شيخنا المذكور قدس سره عن بعض المشائخ أنه قال : **ما هذا معناه : إنَّ ديار داغستان وإن كانت معدن العلم** ! لكن البركة معدومة لعدم الإجازة عن المُجيز المُجَاز .

والسلسلة هذه : سيف الله ، عن زين الله ، قال زين الله : إني أخذت العلم عن داملا أحمد بن خالد المنكاري القزاني ، وهو أخذ عن مولانا قاضي كلان في بخارا ، وملا المولوي محمد شريف السيد مصنف « التكملة » على « التتمة » ، وعن مولانا داملا حسن أخوند البخاري ، وهما أخذا عن أبي قاضي كلان المذكور عطاء الله خواجه ، وهو أخذ عن هادي خواجه وهو المشهور باشان أستاذ ، وهو أخذ عن أخوند فيضي ، عن أخوند شيخ عناية الله البخاري ، عن مولانا السيد محمد شريف الحسيني ، عن مولانا أخوند يوسف القراباغي ، عن ميرزاجان الشيرازي ، عن خواجه جمال ، عن المحقِّق الدواني الجلال الصِدِّيقي ، عن أبيه أسعد الصدِّيقي ، عن مولانا السيد الشريف علي الجرجاني ، وهو أخذ العلوم العقلية عن محمد مبارك شاه ، عن قطب الدين الرازي ، عن العلاَّمة قطب الدين محمود الشيرازي ، عن الكاتبي ، عن الإمام فخر الدين الرازي ، عن أبي

نصر السمناني[1] ، عن محمد بن يحيى النيسابوري ، عن الإمام حجَّة الإسلام محمد الغزالي ، عن إمام الحرمين الجويني ، عن عبد الله أبي محمد الجويني ، عن سهل بن محمد أبي الطيب الصعلوكي ، عن محمد بن سليمان أبي سهل الصعلوكي ، عن إبراهيم أبي إسحق المروزي ، عن أبي العباس أحمد بن سريج ، عن أبي القاسم عثمان الأنماطي ، عن إسماعيل بن إبراهيم المزني ، عن أبي عبد الله محمد بن إدريس الإمام الأجلّ الشافعي رضي الله عنه ، عن الإمام مالك رضي الله عنه ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، وهو عن النبي ﷺ .

وجلال الدين المحقِّق الدواني أخذ أيضاً عن محيي الدين الكشكناري ، وعن مظهر الدين محمد الكاذروني ، وهما أخذا من السيد الشريف ، والسيد الشريف أخذ الفقه والعلوم النقلية عن شارح « الهداية »[2] الشيخ أكمل الدين محمد بن محمد[3] بن محمود البابرتي ، وهو أخذ عن قوام الدين محمد بن محمد الكاكي ، عن حسام الدين السغناقي ، عن حافظ الدين الكبير محمد البخاري ، عن شمس الأئمة محمد بن عبد الستار الكردي ، عن صاحب « الهداية » علي بن أبي بكر ، عن أحمد بن عمر النسفي ، عن أبيه ، عن أبي اليسر محمد البزدوي ، عن أبي يعقوب يوسف السبياري ، عن أبي إسحق النوقدي ، عن هندواني ، عن أبي القاسم الصفَّار ، عن نصير بن يحيى ، عن محمد بن سماعة ، عن أبي يوسف ، عن الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه ، عن حمَّاد ، عن النَّخّعي ، عن علقمة ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبي ﷺ .

وأخذ زين الله قدس سره العلم الظاهر كما أخذ العلم الباطن من مولانا أحمد ضياء الدين الكمشخانوي قدس سره ، وهو أخذ عن مولانا أحمد بن

---

(١) في نسخة : السهناني .

(٢) شرحه مسمى بالعناية . (هامش الأصل) .

(٣) صاحب « الهداية » أخذ عن أحمد بن عمر النسفي وهو عن أبيه عمر النسفي وعن أخي أبيه ابن اليسر محمد البزدوي . .الخ . (هامش الأصل) .

سليمان الطرابلسي ، وهو أخذ عن مولانا محمد بن العابدين ، ومن مولانا أحمد الطحطاوي ، وسندهما مذكور في ديباجة « حاشية الدُّر المختار » .

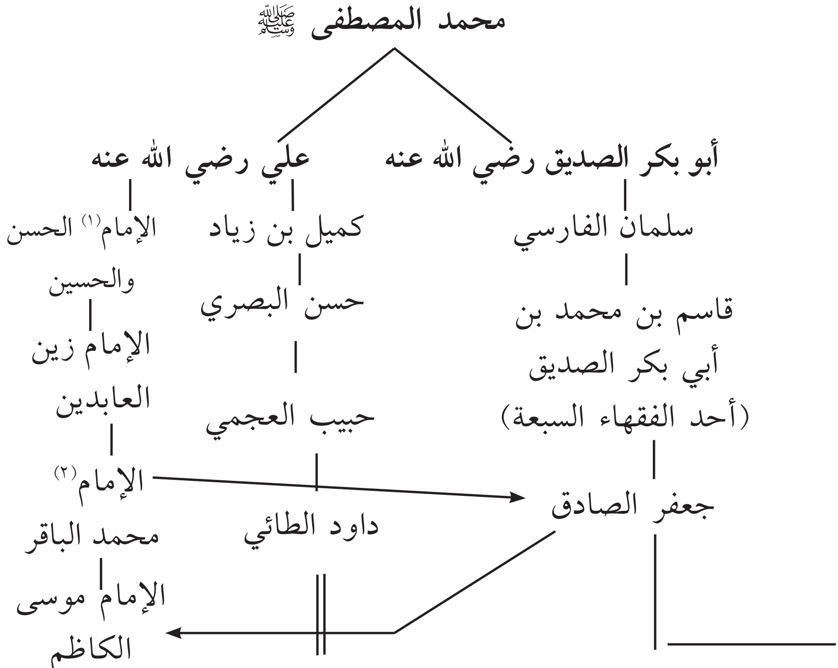
وأخذ الإمام علي البزدوي عن السرخسي ، وهو عن الحلواني ، وهو عن القاضي السبذموني[1] ، وهو عن أبي حفص البخاري ، عن أبيه ، عن الإمام محمد ، عن أبي حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه . إلخ .

وكتب شيخنا سيف الله بما نصُّه : وسندي في العلوم العقلية والفقه إلى ملا جلال المحقِّق الدواني : جلال الدين الدواني الصدِّيقي ، جمال ميرزاجان الشيرازي ، أخوند يوسف مولوي ، شريف أخوند شيخ المولوي ، فيضي هادي خواجه المشهور بإيشان أستاذ ، ابنه خواجه عطاء الله ، ابنه محمد شريف قاضي كلان مُصنِّف « التكملة » ، وداملا حسن أخوند ، داملا أحمد المنكاري ، داملا زين الله الشريفي ، ملاَّ سيف الله بن حسين النزبكري . انتهى من خطه . ملاَّ حسن حلمي القحي رحم الله إفلاسه .

وأما سند مشائخي في الطريقة النقشبندية الصدِّيقيَّة ، قدس الله تعالى أسرار أربابها ، وأفاض علينا من فيوضات أصحابها ، آمين ؛ فقد أخذتها أولاً عن الشيخ العارف بالله تعالى ذي الجناحين عبد الرحمن العسوي رضي الله عنه ، وصحبته سنين عديدة ، ثم صحبت بعد موته خليله وصديقه العارف الحافظ العالم الحاج شعيب أفندي الباكني قدس سره ، وربَّاني ، ثم صحبت بعد انتقاله القطب الربَّاني سيف الله الحسيني النزبكري الغازي غموقي النقشبندي الشاذلي القادري الأويسي قدس سره ، وكان مجازاً من عدة مواضع - كما سبق - في الأمور المتعددة ، وكلهم أجازوا لي في إرشاد الخلق إلى طريق الحق تعالى ، بل أكَّدوا الأمر في ذلك ، وأرجو الله سبحانه أن يرزقني الاستقامة ، كما أوصاني بذلك كلهم ، والسلسلة الجامعة لأسانيدهم على هذه الكيفية الآتية :

---

(١) والسبذمون : قرية من قرى بخارى . (منه) .



(١) **مطلب : للنقشبندية ثلاث سلاسل**

وهذا البيان بناء على أن للنقشبندية ثلاث سلاسل :

السلسلة الأولى : محمد عليه الصلاة والسلام ، علي كرَّم الله وجهه ، حسين رضي الله عنه ، زين العابدين رضي الله عنه ، الإمام الباقر رضي الله عنه ، جعفر الصادق رضي الله عنه ، موسى الكاظم رضي الله عنه ، الإمام علي رضا رضي الله عنه ، معروف الكرخي ، السري السقطي ، جنيد البغدادي ، أبو علي أحمد الروذباري ، أبو علي الكاتب ، أبو عثمان ، أبو القاسم علي الكركاني ، أبو علي الفضل بن محمد الفارمدي .

الثانية : محمدﷺ ، علي رضي الله عنه ، الحسن البصري ، الإمام أبو محمد حبيب الفارسي المعروف بالعجمي ، أبو سليمان داود الطائي الكوفي ، معروف الكرخي .

الثالثة : محمد ﷺ ، أبو بكر ، سلمان . . . .إلى آخر السلسلة . فافهم ! (منه رحم الله إفلاسه) .

(٢) ثم سرى سرُّ هذه النسبة من الإمام الباقر إلى جعفر الصادق . كما هو مذكور في « الحدائق الوردية » ومنه سرى إلى الإمام موسى الكاظم ، ومنه إلى الإمام علي الرضا . (منه) . (هامش الأصل) .

أبو يزيد البسطامي[١]
(طيفور بن عيسى)
أبو الحسن الخرقاني
أبو علي الفارمدي
يوسف الهمداني
عبد الخالق الغجدواني
عارف الريوكري
محمود انجير فغنوي
حضرة عزيزان
علي الرامتيني
محمد بابا السماسي
أمير كلال
شاه نقشبند بهاء الدين البخاري[٢]
علاء الدين العطار الراماد
يعقوب الجرخي

معروف الكرخي
السري السقطي
جنيد البغدادي
أبو علي الروذباري
أبو علي بن أحمد الكاتب المصري
أبو عثمان المغربي
أبو القاسم الكركاني
ومنه إلى أبي علي الفارمدي فافهم

الإمام علي الرضا
ومنه إلى معروف الكرخي إلى آخر السلسلة فافهم

وما قيل : من أن متأخري مشائخ النقشبندية يجرون سلسلة أخذهم إلى أبى بكر الصديق بواسطة سلمان الفارسي رضي الله عنهما ويذكرون ذلك في إجازاتهم ؛ وهذا شيء لم يثبت عند أهل نقل- فمدفوع ومردود عليه . كذا في « الرشحات » مع بسط تام فراجعه في ٧ تجد البيان (منه رحم الله إفلاسه ؛ آمين) .

(١) وما قيل من أن أبا يزيد لم يلق جعفر الصادق بالجسمانية فهو مردود ؛ كما هو مبيّن في « الكشكول » وفي« الفيوضات الخالديّة » بالبسط الشافي فراجعهما (منه ؛ رحم الله إفلاسه آمين) .

(٢) المتوفى سنة إحدى وتسعين وسبعمائة « كشف الظنون » ٧١ ج١ .

خواجه عبيد الله أحرار

محمد زاهد

قاضي محمد

درويش محمد

خواجكي الإمكنكي السمرقندي

مخدوم أعظم كاساني

محمد الباقي

الإمام الرباني أحمد الفاروقي السرهندي مجدِّد الألف الثاني

ابنه ميان محمد معصوم

ابنه محمد سعيد

ابنه عبد الأحد

محمد عابد السنامي ومنه إلى حبيب الله جان جنان إلى آخر سلسلة ، فافهم .

محمد سيف الدين محسن

السيد نور محمد

حبيب الله جان جانان

عبد الله الدهلوي

أحمد المكي حاج الحرمين

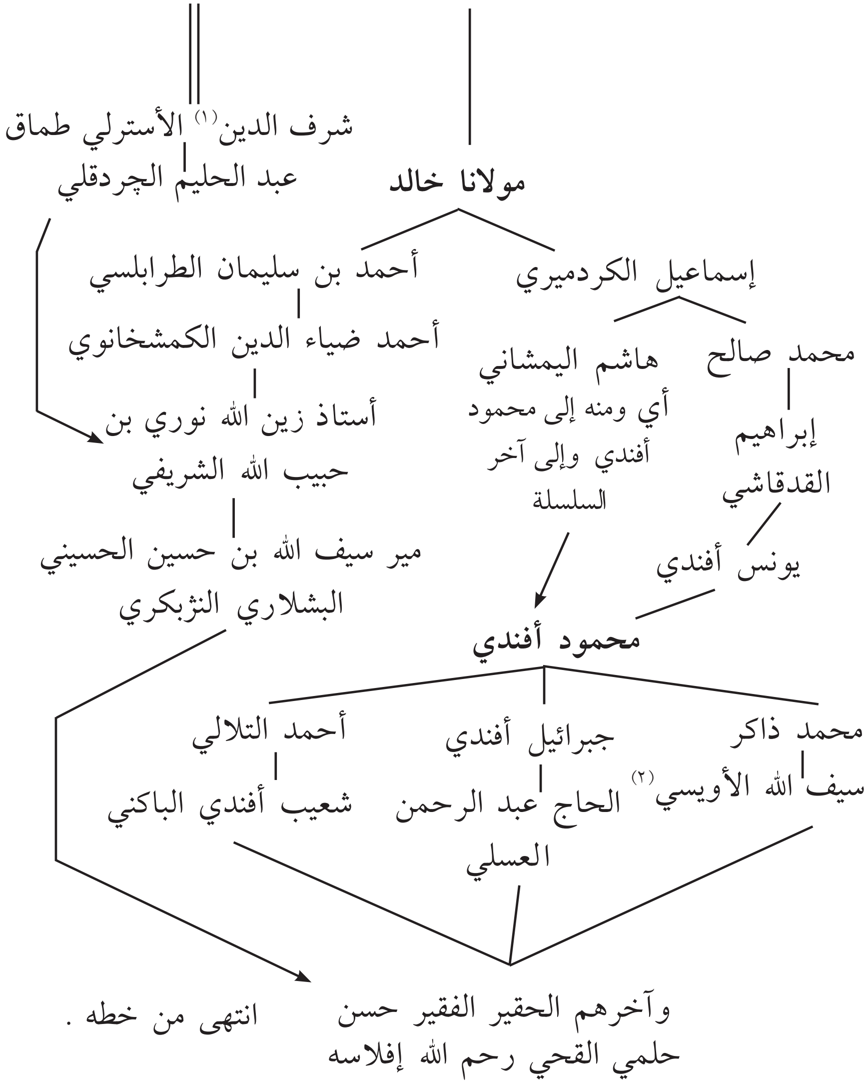
حبيب الله

خداي

محمد عبد قلى

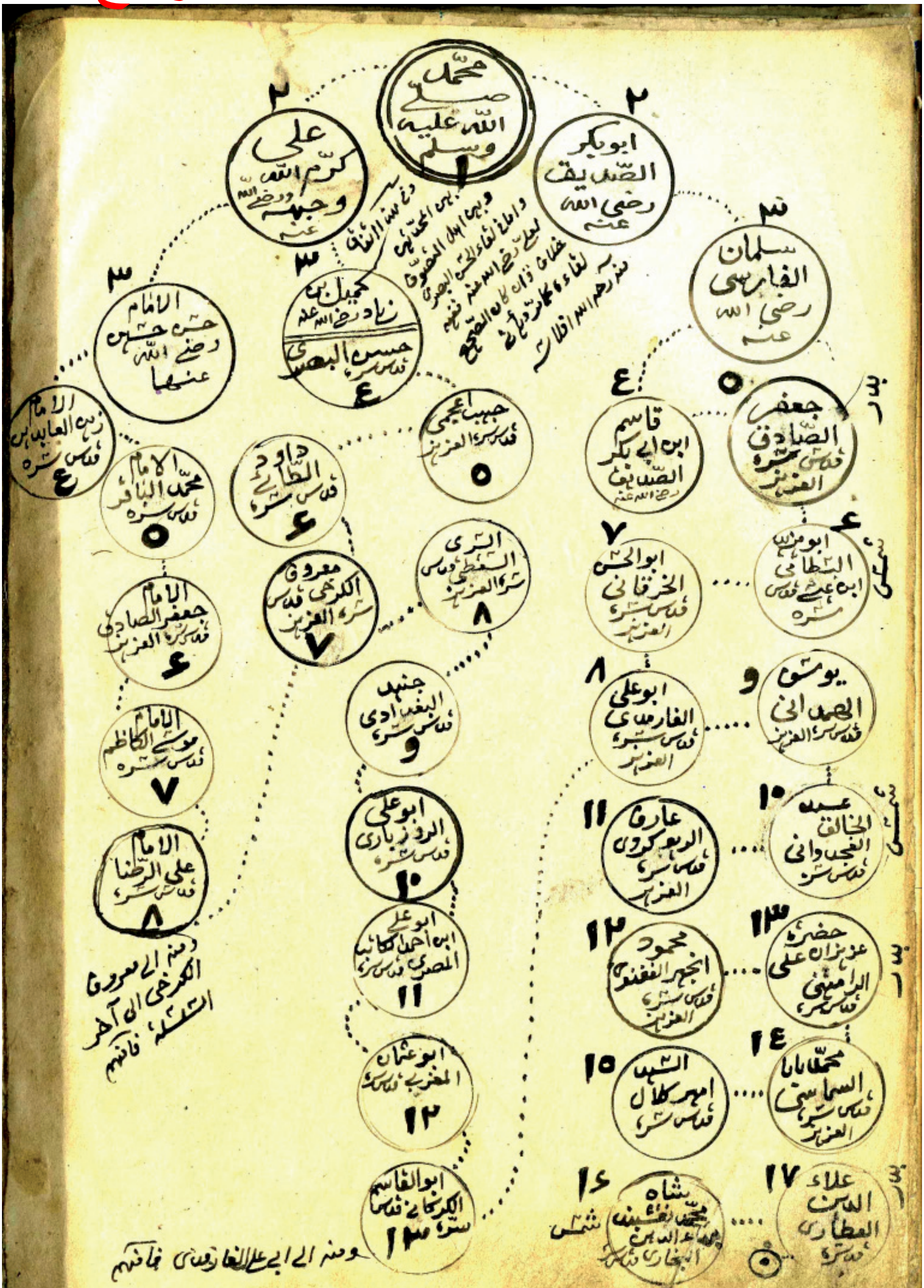
شيخ ملاَّ إدريس

خليفة نيازقلي



(١) وفي نسخة : الأشربي لحماق .

(٢) وكان الشيخ سيف الله مريداً لمحمد ذاكر في ابتداء أمره ، ثم إنه لقي روحانيته بعد موته بروحانية محمد ذاكر ، وأجازه وسمَّاه أويسيّاً . كما كتبه في بعض مكاتيبه إلى هذا الحقير ، وقال لي مشافهة : إني أجزتك يا ولدي في الأويسية وكتب ذلك في آخر مكاتيبه ، ولذا اتصلت سلسلته من هذه الجهة . فافهم ! (منه) .



مأخوذة من الأصل



مأخوذة من الأصل

وأما الشاذلية ؛ فقد أخذتها من الشيخ سيف الله الحسيني ، وأجازني فيها أيضاً بالإجازة المطلقة العامة عن مشائخه ، وأكَّدني الأمر بانتشارها .

والسلسلة فقد نظمها أخونا في الله غازي محمد ، ووضعتها هنا ، ونصُّها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، والعون من الملك العليم ، وأنا المفتقر إلى الباري غازي محمد العوري :

هذه سلسلة السادات الشاذليين ، نظمتها لمن أراد حفظها من إخوان الدين ، وإن كنت أقصَرُ باعاً في هذه الوظيفة ، وأبعد قريحة وملكة عند أهل هذه القضية ، قدس الله تعالى أسرارهم العلية ، وأفاض علينا من فيوضاتهم الجلية ، راجياً إلى بركاتهم ، ومستنجياً بحرمة أنفاسهم :

فحَمْداً لمولانا كثيراً وأكثرا ... صلاة على مَن خصَّه الله بالإسرا
إلهي أُناجيك بهذي الطوائف ... وأوَّلهم طه الذي أحرز الفخرا
محمد المختار في دينه اقتدت ... طرائق أهل الله من نشرها العطرا
قد اكتسبوا من نوره كل نورهم ... فأجروا به ما في طرائقه أجرا
يليه أمير المؤمنين عليُّهم ... قد اختاره المختار عوناً له صهرا
فسبط حبيب اللهِ سيِّدنا الحسنْ ... قريرُ عليٍّ عينُ فاطمة الزهرا
ومن بعده جاء مُحدِّثنا أبو ... محمدْ باسم جابرٍ بينهمْ شُهرا
فقطبٌ سعيدٌ ثم فتح السعود ذا ... كذلك قطبٌ قد غدا ذهباً نضرا
فسعد سعيد ثم مرواني أحمد ... فإبراهيم البصري زاد بهم طورا[1]

---

(١) الطور : الحال والهيئة . (هامش الأصل) .

فقزوينيٌّ زينُ الدين زادت فيوضه كذلك شمس الدين دام به الخيرا
أباهي بتاج الدين كذلك نور الدين وبـــعده فـــخر الدين منّتنا الكبرى
يليه تقيُّ الديـــن قـــبلةُ فيضـــنا كـذا عبد الرحمن بدا أمره إمرا[(١)]
بحرمة هذا القطب عبد السلام مَن أفــاض لأهـــل الله فيضاً معطرا
بسيدنا قطب الأنـام أبـي الحسـن عــلي شاذليِّ غوثنا قد علا قدرا
بحقِّ أبي العباس فابن عـطاء الله وســيدنـا داود يــا حـبّذا البدرا
محمدنا بحر الصفا بن الوفى علي بصحبة يحيى قد وفوا نعمة تترى
فهذا أبو العباس أحـمد فـسيِّدي بزرُّوق يدعـــى أحمد يمطر الدُّرَّا
فعارفنا إبراهيم التـــونـــسي الـذي يليه علي الصنهاجي من فيضهم دَرّا
فمجذوب عبد الرحمن الفاسي يوسفُ كـــذا عبد الرحمن لعمدتنا الكبرى
فـــسيِّدُنا العـــالي مـحمدْ فقاسم خــذوا بأيادينـا إذا استقبح الأمرا
أيا أحمـــــد يا سـيدي العربي ويا أبا الحسن الميمون حازوا[(٢)] المفاخرا
إلهي بحق السيـد العـــربي كــذا مــحمد فنجير جزينـــا بهم خيرا
وزاهدنا الشيخ الحبيب[(٣)] الذي غدا كــأنفَس يـــاقوت ومسك مذَفَّرا[(٤)]
محدِّثنا السامي وسيدنا الجــلـــي محمـــد عـلي الـوتريِّ نعمتنا الغرَّا
وحـــافظنا الحاجُّ محمدُ صـــالح بخوض بحار الفيض استغرق العمرا

---

(١) أي عجباً .
(٢) وفي نسخة : حاز .
(٣) هو حبيب الرحمن الكاظمي الرضوي قدس سره العزيز . (هامش الأصل) .
(٤) والذفر – بالتحريك – : شدَّة ذكاء الريح . « مجمع البحرين » . (هامش الأصل) .

رجائي بسيف الله روحي فــداؤه فكم من بحار العلم قد قذف الدرا
أيا كيمياء الحلم[1] كعبة فـــيضنا لعَلِّي بفضل منك لا يعكس الأمرا
أغثنا بسادات بـــخاتمهم حــــسن بـأنوارهم قـد قلَّدوا الناس جوهرا
فأنتم نجوم للهدى كـل حـــالة ونقفوا بمسراكم فما أحسن المسرا
أيا مَن يروم ديــن طـه مجاهداً بربِّك ذكِّرهـم عسى تنفع الذكرى
صــلاة عــلى خير الأنام محمد وآلٍ وصـحب ما علا أحمدٌ قدرا
فــعند ختام النظم قـــال مُثنِّياً فــحمـداً لــمـولانـا كثيراً وأكثرا

انتهى . فالحمد لله على الدوام

وأما الطريقة القادرية ؛ فقد أجازني فيها الشيخ المذكور قدس سره مشافهة ، وقد كان كتب في بعض مكاتيبه بأنه على قصد إلقاء قلادة تلك الطريقة على عنقي ، بَيْد أنه لما مات ولم يكن كتب سلسلة أربابها وسندها كما كتب في غيرها بقلمه ، لم أُلقِّن لأحد شيئاً من أورادها .

وقد كتب إليَّ قدس سره قبل موته ما نصُّه : ثم اعلم أيها الولد الحبيب أن شأن الدنيا هكذا ؛ كل وقت تؤخِّر المرء عن المطلوب المرغوب ، وعن إظهار محاسنه بالآمال والحرص ، وكانت لي أمور كنت أريد بسطها لكم ، بيد أنَّ الله تعالى أوقع الحيلولة بيني وبينها ، ولم أقدر لإفشاء سرٍّ حفظته في دهري بلَعَلَّ وعسى ، بيْدَ أنَّ الله تعالى جعل في كل شيء حكمة إلهية لا يدركها إلا مَنْ خصَّه الله تعالى لها ، وجميع ما وقر في صدري صببته في صدرك ، وجعلتك وارثي وخليفتي عند الله تعالى في عباده ، وفي جميع الإجازات التي أُجِزْتُ ، فقد أجزتك في جميعها ، وكذا في

(١) العلم .

الثبات العلمية ، والطريقية ، والأويسية ، فإن ساعدني الإله في الأجل - ولو قليلاً- فسأكتبها لكم بقلمي من قلم ساداتنا ؛ كزين الله الشريفي المعموري ، والسيد أحمد الأماسي ، ومحمد صالح الخان كرماني ، ومحمد نور البخاري ، والشيخ حبيب الرحمن الكاظمي المدني .

وما لم تصل لنا الشجرة[١] بالرسم إلا بالقول المحض ؛ فلا نذكره . . . إلخ .

انتهى من خَطِّه نوَّر الله ضريحه ، وأبلَّ مرقده بلطفه الخفيِّ ، آمين .

وكان قدس سره قبل موته بسنين كتب لي بيده الشريفة صَكَّ الإجازة مع بيان الأسانيد ، كما بيَّنتُ ذلك فيما سبق ، وسأذكره بالتمام كما كتبه شيخنا العسوي قدس سره .

وكتب إليّ الباكني قدس سره أيضاً مكتوباً بطلب نظري إلى مريديه ، كما أمرني بذلك مشافهة مع مجمع من العلماء وغيرهم في حجرته . هذا مع كونه قدس سره قد كان كتب لديّ قبل ذلك بما نَصُّه : واعلم يا أخي أنَّ لنا من الإخوان نحو عشرة أو أكثر ممن تكملوا تجلِّيات[٢] الأفعال والصفات[٣] ويظهر له رُوحانية النبي ﷺ ، فلم يصدر لواحد منهم

(١) وهو صكُّ الإجازة . (منه) . (هامش الأصل) .

(٢) **التجلِّي** : ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب ، إنما جمع الغيوب باعتبار تعدُّد موارد التجلي ، فإنَّ لكل اسم إلهي بحسب حيطته ووجوهه تجلِّيات متنوعة . « تعريفات » السيد . (هامش الأصل) .

(٣) التجلِّي الصفاتي : ما يكون مبدؤه صفة من الصفات ؛ من حيث تعيُّنها وامتيازها عن الذات . « تعريفات » (هامش الأصل) .

والتجلِّي الذاتي : ما يكون مبدؤه الذات ، من غير اعتبار صفة من الصفات معها ، وإن كان لا يحصل ذلك إلا بواسطة الأسماء والصفات ! إذ لا يتجلَّي الحقُّ من حيث ذاته على الموجودات إلا من وراء حجاب من الحجب الأسمائية « تعريفات » للسيد الشريف . (هامش الأصل) .

مِنَّا إذنٌ خاص فضلاً عن الإذن المطلق . انتهى من خطه . وكان قدس سره يلاحظني ويلاطفني ويلقِّنني المراقبات كما لقَّنه شيخه أحمد التلالي قدس سره **إلى أن يدخلني في دائرة المشرب المحمدي**[1] ، وقال : إنَّ

---

(١) وقد كان الكل مِن أشياخنا الثلاثة قدس الله أسرارهم محمديّ المشرب ، ولذا نقول : إنهم كانوا أقطاباً بدليل ما قاله الإمام الربَّاني قدس سره في « مكتوباته » بما حاصله : أن القطب يكون محمديّ المشرب ، والمحمديّون لهمٍ التجلِّي الذاتي* . انتهى رجعه في ٥٢٣ ج١ .ولا يلزم أن يكون القطب شريفاً حسينيّاً** ، بل قد يكون من غير هذا القبيل ، كما هو نصٌّ ما في « لطائف المنن » لابن عطاء الله . فراجعه . **لكن كان مراقبات شيخي الأخير سيف الله قدس سره أعلى من مراقبات شيخنا العسلي وشيخنا الباكني بإحدى وعشرين درجة** ، بيد أني سمعت الشيخ الباكني يقول : إنَّ تلك المراقبات تكون مطوية في المشرب المحمدي إجمالاً ، وقد صدَّق قوله شيخُنا سيف الله حين كتبت لديه ما قاله الباكني ، ويؤيِّده ما في « النفائس السانحات » .فراجعه : وما من بلدة إلا وفيها قطب ، كما هو مذكور في « تنوير الصدر » شرح « حزب البرّ » ، (منه رحم الله إفلاسه) .

* التأنيس هو التجلي في الظاهرة الحسية تأنيساً للمريد المبتدىء بالتذكية والتصفية ويسمى التجلي الفعلي لظهوره في صورة الأسباب .

** وفي نسخة : حسبياً .

والتجلي الأول هو **التجلي الذاتي** ، وهو تجلي الذات وحدها لذاتها ، وهي الحضرة الأحدية التي لا نقب فيها ولا رسم إذ الذات وجود الحق المحض لأن ما سوى الوجود من حيث هو وجود الحق ليس إلا العدز المطلق ، وهو اللاشيء المحض إلخ ، والتجلي الثاني هو الذي تظهر به أعيان الممكنات الثابتة التي هو شؤون الذات لذاته تعالى ؛ وهي التعين الأول بصفة العالمية والقابلية لأن الأعيان معلوماته . . إلخ .

التجلِّي الشهودي : هو ظهور الوجود المسمى باسم النور ؛ وهو ظهور الحق بصور أسمائه في الأكوان التي من صورها ، وذلك الظهور هو نفس الرحمن الذي يوجد به الكل . التحقيق : هو شهود الحق في صور أسمائه التي هي الأكوان ؛ فلا يحجب المحقق بالخلق عن الحق وبالحق عن الخلق . انتهى . « متممات جامع الأصول » . ٩٦ .

وفي الحقيقة المحمدية والأحمدية تظهر المحبوبية الذاتية ، ومعنى هذه العبارة : أن=

الشيخ التلاني[1] قال **بأنَّ الشيخ محمود أفندي لم يُعلِّم أحداً ما فوق هذه المراقبة**[2] . انتهى .

=الذات المتعالي كما يحب ذاته يحب صفاته . فالأول يقال له الحقيقة المحمدية ، والثاني نسأله اسم الخلة وإن كان هو الحقيقة الإبراهيمية . وفي هذا المقام يحصل للسالك أنس مع الذات حتى لا يتوجه إلى غير حضرة الذات ولو أسماء وصفات ولا إلى مزارات المشائخ ، ولا يطيب له الاستمداد والاستعانة من غيره تعالى ولو أرواح وملائكة . « جامع الأصول » .

(١) كذا في الأصول بالنون .

(٢) حتى كان الشيخ العسلي قدس سره يذهب لدى أحمد التلالي لطلب الفيض بعد موت شيخه جبرائيل أفندي ، وكان الشيخ الحافظ شعيب الباكني بعد موت شيخه التلالي يذهب لدى الشيخ العسلي ، ويطلب منه سلوكه إلى ما فوق مقامه ، ويقول له : مَنْ ينظرُ إليَّ الآن إلا أنت ؟ ! كما أخبرني بذلك مشافهة .

وكان الشيخ مصطفى أفندي يسأل الشيخ العسلي بمسائل . ويطلب منه الإرشاد .

وأما هذا الحقير الفقير فلي بهم أسوة ، فلمّا مات شيخي العسلي سلكت على يد الشيخ الباكني ، وعلّمني مرتبتين من المراقبة ، وأجازني أيضاً ، فلما مات هو ، وبقيت على تلك الحالة ، ذهبت لدى قطب الوقت سيف الله الحسيني فسلكت على يده سنين ، **وقد كان مراتب مراقباته ومقاماته أزيد دائماً من مراقبات الشيخين المذكورين بإحدى وعشرين درجة** ، وكان نقشبندياً أويسياً شاذلياً قادرياً ، وأجازني أيضاً بجميع ما أجازه أشياخه ، ومات هو فبقيت كالصبي إذا ماتت أمُّه .

وقد أكَّدني جميعهم بإرشاد الخلق ، ولم يكن لي بُدٌّ من امتثال أمرهم . رزقنا الله الاستقامة . آمين .

فإن قيل : هل يجوز لمريد أن يذهب لدى شيخ غيره إذا مات أو غاب ؟ !

فالجواب : يجوز له ذلك في تلك الحالة ، فقد قال في كتاب « حزب الرحيم » : **وقلَّما أفلح** مريد فُطم قبل أوان فطامه ، بل متى مات شيخه أو فَصَله عنه عارض وكان له نائب أو خليفة تعيَّن عليه ملازمته برسم ما كان عليه مع الشيخ ، ومتى لم يُخلِّف نائباً ولا خليفة لزمه الانتقال إلى مرشد أو شيخ يتخذه في بقيَّة سيره . انتهى ١٣١ ج١ .

وقد سمعت شيخنا العسلي قدس سره يقول : إنَّ شيخه قال له : يا ولدي ؛ إنِّي أرقيتك إلى كل مقام أعلمُ ، فإن وجدت مَنْ يعلم فوق ذلك فَلَك منِّي الإذن لذهابك=

وصورة ما كتبه – قدس سره – هذا :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من فقير الله تعالى ، الطويل أملاً ، القصير عملاً ، وأحوجهم إلى من لا مثل له في العلى شعيب الباكني القصرخي ، إلى من اتحدت حقيقته معه في جهة الوحدة الذاتية والعرضية ، وطينته في الصفات الثبوتية والسلبية ، زين أهالي البلاد ، رمد عيون الحُسَّاد والأضداد ، المرشد الكامل ، والفرد الواصل ، أخينا من صميم الفؤاد العالم الألمعي ، حسن أفندي القحي ؛ السلام عليكم ، والرحمة لديكم ، ووفّقكم الله تعالى لقطع مقامات الفناء ، ووصول درجة البقاء ، بفضل ذي العزَّة والكبرياء ، آمين .

أما بعد ؛ فاعلم أيها الأخ العزيز ، والذهب الإبريز أنه قد وصل إلينا رسالتان[1] من جنابكم العالي وطرفكم الغالي ، فبه اطمأنّ قلوبنا ، واستراح نفوسنا ، فرضي الله تعالى عنّا وعنكم وأرضاكم ، وجعل جنّة ملاقاة الله تعالى متقلّبكم ومثواكم .

ثم إعلامٌ لكم بأنّا قد ابتُلينا بمخالطة الإخوان والأضداد ، والدوران في الطول والعرض في البلاد ، فلعلّ الله تعالى يجعل عاقبة أمورنا خيراً ، ويرزق الملاقاة بالأشباح فوراً ، فإن التلاقي بالأرواح متلازمة ومتوافرة ،

=لديه . انتهى .

قال قدس سره : إني طلبت في إستانبول مَنْ يعلم المراقبات المجدِّدية فلم أجده ، حتى أنِّي طلبت في مكة فلم أجده ، ووجدته في المدينة ، لكني كنت مريضاً ، فلم يمكن لي أن أذهب لديه . انتهى .

هذا مما يجوز ، وإنما الممنوع أن يتردَّد المريد لدى هذا ولدى هذا في حالة واحدة ، كما بيَّنّاه في « تنبيه السالكين » . والحمد لله رب العالمين . (منه رحم الله إفلاسه ، ورزقنا أنواره) .

(١) وفي نسخة : رسالات .

والالتفاتات بمعونة المشائخ العظام متظافرة ومتكاثرة ، فلعلّ الله تعالى وأولياءه لايقطعون عنّا وعنكم نظراتهم بالرحمة والشفاعة والبركة ، فإنّه تعالى على ذلك قدير ، وبالإجابة جدير ، فلعلّكم تجتهدون لملازمة مراقباتكم ، وإرشاد الخلق إلى مواصلاتكم ، **فإنّ مواصلتكم ـ إن شاء الله تعالى ـ مواصلة إليه تعالى وقربه** ، ولا تنسونا من دعواتكم المستجابة ، والتفاتكم المتحابة ، وتلتفتون إلى إخواننا في ناحية هيد ، فلعلّهم ينتفعون بكم ، ويتقرَّبون إليه تعالى بواسطتكم ، ونحن ـ إن شاء الله تعالى ـ على قصد الارتحال إلى ولاية چار بعد أيام التشريق ، فلعلّكم تدعون لنا بهدايتنا إلى سواء الطريق ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم . انتهى في ليلة الأحد ٢٤ من ذي القعدة الحرام سنة ١٣٢٨ انتهى . من خطّه قدس سره .

وقال ـ قدس سره ـ في مجلس الاجتماع لقراءة الصلاة على النبى عليه السلام في قرية قَوَخْشُلي : إنّه أذن لي وأجازني ، هكذا كتبه بعض العلماء الكائنين في ذلك المجلس ، وذلك قبيل موته بأيام ، نوّر الله ضريحه ، وحشرنا في زمرته .آمين .

وأما نصُّ ما كتبه العارف محمد عبده المكي[1] ؛ هذا :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ؛ سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أمّا بعد ؛ فإنَّ أحسنَ ما يُهدى من الحرم الشريف المحترم ، وألطف ما يُسدى من الحطيم والملتزم ، سلامٌ لاح برقه من سماء البيت الحرام ، وثناء فاح عطره من جمال زمزم والمقام ، نخصُّ بذلك حضرة أخينا في

(١) وإيَّاك ثم إيَّاك والتوهُّم أنه محمد عبده الذي هو رئيس الوَّهابيَّة !! فحاشا ذلك ثم حاشا ، بل هو من أكابر علماء مكة ، ومن أهل السنَّة والجماعة . فافهم ! (منه) . (هامش الأصل) .

الله سبحانه ، والدَّال عليه ، حسن أفندي القحي الهدلي ، خليفة العالم الربَّاني ، والقطب الصمداني ، المرشد الكامل ، المرحوم المبرور ، الشيخ الحاج عبد الرحمن أفندي العسوي قدس الله سره العزيز ، ونوَّر ضريحه . آمين ، آمين ، آمين .

وبعد إهداء ما يليق من التحية والإكرام ، والدعاء لكم في المشاعر العظام ، قد ورد لنا في هذا العام المبارك أخونا في الله الحاج محمود بن الحاج الطدي الهدلي ، وعرَّفنا أنكم خليفة الشيخ المرشد المرحوم ، وبلَّغنا منكم السلام ، فعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، وسألنا بلسانكم : أهَل تأذن[1] لكم في إجازة « دلائل الخيرات » للأغيار ؟ فنعم ، إننا قد أذنَّا للمرحوم قدس سره أن يأذن لمَنْ كان أهلاً لذلك ، قراءة وإجازة بعد التصحيح والمقابلة ، وقد أذنت لكم بإذني المطلق العام من مشائخي رحمهم الله تعالى أن تأذنوا لكل مَنْ قرأ عليكم « دلائل الخيرات » ، ومَنْ كان أهلاً لذلك ، وأرجوكم أن لا تنسوني من دعائكم الصالح خلف قراءتها والذكر .

ولا يخفاكم أننا كنا معتادين في كل عام بأخذ الأبدال للحج ، وندفعها بمعرفتنا لمَنْ نعتقد دينه وأمانته ، وأنَّ ناساً كثيراً من معارفنا الصلحاء متعوِّدون بأخذها منّا ، حيث أنَّ الدالَّ على الخير كفاعله ، فأريد منكم بتوفيق الله إياكم أن تبعثوا لنا إن شاء الله في كل عام في زمن الحج ما استطعتم من الأبدال مع رجالكم الذين يأتون لأداء الفريضة ، وتوصون مَن تعرفون من رجالكم أن يأتي إلينا في باب السلام ويسأل عنَّا ، والسلام عليكم وعلى جميع المريدين ، ودمتم في مستمد الدعاء . الفقير إلى الله تعالى ، راجي غفران الذنوب والمساوي ، محمد عبده[2] بن الشيخ محمد

---

(١) وفي نسخة : أهل نأذن .

(٢) ومن عجيب كشف محمد عبده : أنه كان في رجال قرية قحه دعوى في حق=

الحضراوي ، بمكة المشرَّفة في باب السلام ، حفظه الله تعالى وحسن رعايته سنة ١٣٢٦ في يوم ١٦ من ذي الحجة ، محمد عبده ، انتهى من خطِّه قدس سره .

وقد كتبنا فيما سبق سلسلته المتصلة به رحمه الله تعالى ، وأفاض علينا من بركات أمثاله . آمين .

وقد سمعت شيخنا العسوي قدس سره يقول : إنه طلب في مكة مَنْ هو الأفضل فيها ، فدلَّه الناسُ إليه ، وأشاروا أنه هو الفاضل ، وأخذ منه الإجازة لـ« دلائل الخيرات » . انتهى .

وصورة ما كتبه شيخنا قطب الإرشاد الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره في صَكِّ الإجازة هذا :

بسم الله خير الأسماء ، ولله الحمد والثناء ، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد ، وعلى آله المُجتبى ، بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين ، الحمد لله الذي خلق الإنسان لمعرفته ، وكرَّمه وخصَّه بالبيان ، ونعَّمه ، وأمره بالعبادة ، وصيَّرها أقوى وأتمَّ وسيلة القربة والمعرفة ،

=إقامة الجمعة في مسجدين في قريتيهم فطال الدعوى في سنين عديدة ، ثم أنه لما قصد أخونا الحاج العالم محمود الطدي إلى سفر الحج جاء لدي للوداع فاخبرته خبر ما قاله شيخنا العسوي في حق محمد عبده المكي ، وأوصيته بزيارته لديه وإبلاغ السلام ، فحين ذهب الحاج محمود بالوداع ، وأخذ اليد قد ظننت وقتئذ خبر الجمعة وندمت على أني نسيت أن أكتب لديه المسألة . قال الحاج محمود : إن محمد عبده قد تفحص من حالي وكتب لديّ الكتاب وسلّم إلى يده رسالة وقال : خذ هذه الرسالة لدى حسن أفندي وهي مني هديّة له ، فقال الحاج محمود : إنه نظر إلى الرسالة فوجده رسالة مؤلفة في حق الجمعة ولذا لم يرض عليها ، وخطر أن يقول له : اعط بدله كتاباً في السلوك ، بيد أنه استحى أن يقول له ذلك ، فأخذها وسلّمها إلى يدي حين رجع من سفره ، فحين نظرت إليها وجدتها رسالة كأنها صنّفت في حق عين ما وقع في قريتنا . فانظر إلى اطلاعه ما خطر في قلبي فقد صدق القائل : **قلوب العارفين لها عيون يرون ما لا يراه الناظرون** . (منه رحم الله إفلاسه ، آمين) .

وعلمها ، وبيَّن له طريق الحقِّ في مسالكه ، ويسَّره ، وأُسلِّم على شرف خلقه محمد خاتم النبيّين وإمام المرسلين ، وعلى آله وأصحابه قدوة السالكين وزبدة الواصلين ، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، وعلى العلماء المجتهدين والأولياء المرشدين .

وبعد ؛ لا يخفى على زمرة أولي الألباب أنَّ مُناسك الشريعة المحمدية ، وسالك الطريقة الأحمدية - أعني به : **الكامل الفاضل ، العالم الحسيب النسيب ؛ حسن ابن محمد القحي** صانه الله تعالى عن مضرَّات الكونين - لما اختار العزلة عن أهل الهوى ، وقصد إلى صحبة الصلحاء والعرفاء رضاء للمولى ، فللَّه الحمد على حصول ما طلب ، وحصول ما عزب[(١)] ، وجهد حتى وجد ، هكذا وجد مَن جهد ، لقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ الآية ، قد نزل[(٢)] إلينا ، وتبيَّن فضله لدينا ، حيث توسَّل إلينا ، واشتغل بالرياضة والعبادة والذكر والسلوك المشهور بيننا ، بعد إنابة منَّا ، ولقَّنَّاه بلفظ الجلال بترتيب اللطائف ، وعلَّمناه رسوم التفريد بالكلمة الطيبة ، وأعلنّاه مراتب التوحيد ، ووصَّيناه أركان السلوك في الطريقة ، مع إمعان النظر في ظاهر الشريعة ، وشرطنا عليه ما هو مشروط على سالك طريقتنا النقشبنديَّة العليَّة ، ورخَّصناه بالتلقين ذكرَ السلوك ، للوصول إلى ملك الملوك ، ويجعل الله تعالى جلَّ سلطانه الطالبين في أمامه كالميت بين يدي الغسَّال ، بفضله المتعال .

والشرط الأهم في وصيَّتنا الاستقامة ، ثم الاستقامة ، وترك الشغل للشغل ، وإحياء السنة واتِّباعه ، والاجتناب عن البدعة والمباح الفضول ، والله الهادي إلى الوصول ، ومنه الرشاد . وسنن التربية مشهور ، ونحن عن كتابتها معذور ، والله الهادي إلى الرُّشد وإليه المآب .

---

(١) في نسخة : ما رغب .
(٢) خبر أنَّ .

وأنا الفقير المسكين الحاج عبد الرحمن النقشبندي العسلي ، حُرِّر في سنة ١٣٢١ . انتهى من خطِّه قدس سره .

وصورة ما كتبه القطب الربَّاني سيف الله الحسيني قدس سره في صَكِّ الإجازة في الشاذلية هذه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، ثقتي بالله تعالى ، حمداً لمن جعل الاستقامة فوق الكرامة ، وجعلها خلاصة للشريعة البيضاء ، ورأس مال للطريقة والحقيقة ، وشكراً لمن ألهمنا الوقوف على بابه ، مستنداً على عظمة ألوهيته بسعة رحمته ، بعد الاعتراف بالعجز عن أداء حمد لم تحصه ألسنة البلغاء ، وحار فيه الأنبياء والأولياء ، حتى أقرَّ أكملُ أفرادهم بعدم إحصاء الثناء .

اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت أنت[1] على نفسك ، والصلاة والسلام على أفضل حظيرة قدسك ، وعلى آله وأصحابه ، ما وصل واصل إلى مغفرتك وأنسك .

وبعد ؛ فلما كانت الإجازة في طريق أهل الله تعالى وفي العلوم أيضاً الموصلة إلى الله سبحانه عز وجل من أنفع ما يكون لمن سلك تلك المسالك في الرياضات ، ودخل في جملة من سَرَتْ أسرارهم إلى حضرة الحضرات ، وخاض في عالم الملكوت ، واطَّلع على لمح من لوامح اللاهوت ، فاشتغل بذكر الملك المتعال ، وصار من أرباب الأحوال ، وسلك في سلك الذاكرين ، وعمل بمقتضى قول رب العالمين ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾ وكان من أحبابنا مَنْ سلك هذا الطريق القويم ، ونهج المنهج الواضح المستقيم ، وشمَّر في طلب الحقِّ عن ساعد الجدِّ والاجتهاد ،

---

(١) في نسخة : كما أثنيت على نفسك .

ولازم الأخذ والتلقين عن أبطال الرجال وأكملهم ذوي البصيرة والأمداد ؛ العالم الكامل النجيب ، والناجح الفاضل الأديب ، الشيخ أبو محمد حسن الحقي بن محمد القحي الهدلي الداغستاني ، أدام الله تعالى له المدد ، وبه النفع لكل أحد . آمين .

وحين مَنَّ الله تعالى بالاجتماع به - نوَّر الله قلبه وقلبي بنور الإيمان والإحسان ، وأفاض الله عليَّ وعليه من بحار الحقائق والمعارف والإيقان - ، حمل حسن نيّته ، وصفاء طويّته ، على أن يستنير هداه بما عند العبد الحقير الذي ليس في العير ولا النفير ، لاستنشاق سرِّه الصافي السديد من كل حسنٍ وكمالٍ بلا ريٍّ بقوله هل من مزيد . **فاستدللت بذلك بعد الاستخارة المعهودة من السادات الصافية على كماله ، واعتنائه بضمّ** ما عند غيره إليه واحتفاله ، لينتظم أيضاً في سلك ساداتنا الأفاضل ، ويتصل سنده ونسبه المعنوي من أكثر الجهات إلى سيّد الأواخر والأوائل ، فأسْعَفْتُهُ بما عندي رجاء للنفع العام ، ورجاءَ الدعوة لي منه بالتوفيق وحسن الختام ، **فأجزته بفضل الله سبحانه وتعالى بالطريقة العلية الشاذلية المدنية** قدس الله أسرار أهاليها ، ونفعنا بخلّص ساداتها .

وبعد أن علمتُ أمانته وصلاحيته في باقي الطرق التي ائتمنوه السادات ، وأجازوه[1] القادات ، بناء على حسن ظنِّنا إليه ، والله علاّم الغيوب ، وستّار العيوب ، وأذنتُ له بجميع ما أجازني بها مشائخنا - قدس الله أسرارهم ، وأعلى الله درجاتهم - من قراءة الوظائف الشاذلية صباحاً ومساء ، التي أوَّلُها الصلاة المشيشية الممزوجة ، وفي قراءة الورد كل يوم بعد صلاة الصبح وبعد الصلاة المغرب إذ هو (لا إله إلا الله) عدد ١٠٠ ، (أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه) عدد ١٠٠ ، (والصلاة) عدد ١٠٠ ،

(١) لعله من قبيل ؛ قتلوني البراغيث ، فافهم .(هامش الأصل) .

والمداومة على ذكر الله تعالى حتى يكون له كالغذاء ، وعلى الطهارة الحِسِّيَّة والمعنوية ، والعفو عن الأُمَّة المحمدية .

وأساس ذلك كله تقوى الله تعالى ، ومراقبته في السّرّ والعلانية ، كما تلقيت ذلك كذلك من السادات أرباب الأحوال العاليات كشيخنا العالم المتبحِّر الأوَّاه أبي إبراهيم محمد صالح الأجُويّ الكرمانخاني ، والعارف بالله تعالى محدِّث الروضة النبويّة في المدينة المنوَّرة ، ذي الجناحين ، سيدي السيِّد محمد علي ظاهر الوتري الحسيني ، وهو عن الزاهد أيضاً المغني عن بيان صفة شهرته لدى الأهل الشيخ سيدي حبيب الرحمن الكاذمي الرَضوي ، إلى منبع[1] السلسلة الشاذليّة المذكورة من قبل[2] .

وقد أجزت الكامل المُومَى إليه بأنْ يجيز بذلك كلَّ مَنْ رأى فيه أهلية الفيض الإلهي إجازة تامَّة ، مطلقة عامة ، في حياتي وبعد مماتي ، ولا ينساني من صالح دعائه عقب الورد ، وفَّقني الله وإيَّاه لما يحبُّه و يرضاه . . . إلخ .

قاله بفمه ، ورقمه بقلمه ، العُبيَدُ الحقير ، المعترف بالعجز والتقصير ، خادم الفقراء وأقلُّهم ، أبو أرسلان خالد سيف الله الشّاذلي النقشبندي الخالدي الأويسي القادري ابن حسين بن الحاج موسى الكاظم بن الموفق المجاهد صاحب المزار غازي بشلاري العلوي النثربكري الداغستاني من داخل غازي غموق ، عفا الله عنهم العافي ، وسامحه[3] من فرطاتهم ، آمين . سنة ألف وثلاث مائة وثلاثة وثلاثين في ٢٨ شهر رجب المرجَّب . انتهى من خطِّه اختصاراً من مواضع .

---

(١) صلى الله عليه وسلم . (هامش الأصل) .

(٢) أي : في نظم العالم غازي محمد العوري (رحمه الله) . (هامش الأصل) .

(٣) في نسخة : وسامحهم ، وفي نسخة : وسامحه من فرطاته .

وكتب في أثناء مكتوب آخر بما نصُّه : فأنت أيها الولد من جهة الفقير أمينٌ ، ومنه تعالى نطلب الفوز ونستعين ، **فيدك يدي** ، **وأمرك أمري** ، **وأنت خليفتي في حياتي وموتي** ، وأرجو منك تقوى الله وإطاعته ، ويقبل الله تعالى فيك دعائي وضراعتي ، انتهى من خطِّه قدس سره .

وكتب في مكتوب آخر ما نَصُّه : لما حسن ظن الفقير فيك ، وكنتَ مجازاً ومأموناً من مرشد كامل ، ائتمنتك على أسراري وإجازتي ، وجعلتك خازن أمانتي ، لعلم علَّمني ربَّي ، بإذن من رسول الله ﷺ .انتهى من خَطِّه .

وكتب أيضاً ما نَصُّه : فيَدُك يدي ، وقبولك قبولي ، والحقُّ دليلي ودليلك ، فأمضِ ما رأيت ، فأنت أمين الطريقة إن شاء الله تعالى ، أبيض العقيدة والغرَّة ، مبارك الناصية ، سعيد الطلعة . انتهى من خطِّه قدس سره .

وهكذا كان مشائخنا يكتبون لدى هذا الحقير الأقلِّ من كلّ قليل ، الخائف من المكر والاستدراج ، ويدارونه ويلاطفونه ويحبُّونه ، وإن كان لائقاً أن لا يذكروه بلفظ ، أو ينظروا إليه بلَحْظ ، فضلاً أن يصاحبوه أو يقبلوه ، أو يكونوا يجيزونه ، ويأذنونه ، بيد أن الله كريم ، وليس كرمه مخصوصاً بمَنْ أطاعه وأقبل عليه ، بل هو مبذول لمن شاء من خلقه ، وإن عصى وخالف ، نسأل الله تعالى أن لا يحرمنا من فضله .

وأما نَصُّ ما أجازه قدس سره لهذا الفقير الذي أجازه شيخه زين الله قدس سره من جهة أخرى غير ما مر في الثبت(١) المذكور ، فصورته

(١) ثبت : بالتحريك ، وبالسكون ، بمعنى ثقة ، يعني ما ثبت به المحدِّث مسموعه .

قال السخاوي : ثبْت بسكون الموحّدة ، الثابت القلب واللسان ، والكتاب ، والحجة ، وأما بالفتح ؛ فما يثبت فيه المحدِّث مسموعه مع أسماء المشاركين له فيه ، لأنه كالحجَّة عند الشخص لسماعه وسماع غيره على القارىء « تحفة الفكر » . من خطِّ المؤلف ، وهو من خطِّ سيف الله ، وهو من خطِّ زين الله . قدس الله أسرارهم . آمين=

هكذا : ثبت أحمد بن سليمان الطرابلسي مختصر ثبت ابن عابدين من خطِّ زين الله قدس سره :

بسم الله الرحمن الرحيم ، حمداً لواصل المنقطعين إليه برحمته ، والرافع على السوى خَدَمة أحاديث نبيّه وشريعته ، وخصَّهم بغاية إمداده ، وأفاض عليهم بركات برِّه وإسعاده ، وأرسل عليهم رحمته مسلسلة وخطبهم بخطابه ، وأسند إليهم خشيته في عزيز كتابه ، وصلاة وسلاماً على نبيِّنا محمد المصطفى سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ؛ فَمِنْ شَرَف هذه الأمّة الإسناد ، وسلوك الطريقة والإرشاد ، وذلك من عهد[(١)] المصطفى الجليل جيلاً بعد جيل[(٢)] .

وقال بعض الفضلاء : الأسانيد أنساب الكتب ، ومَنْ لا سند له فهو لقيط .

هذا ؛ ثم إنَّ العبد الفقير ؛ بل العارف الشهير ، ذو المقامات العليَّة ؛ الشيخ أحمد بن سليمان الحسني[(٣)] الطرابلسي قد أكرمه الحقُّ سبحانه وتعالى ، وأغدق[(٤)] عليه نعمه وإحسانه ، وأوصل خيره العميم إليه ، وضاعف برَّه عليه ، حيث وفقه للاشتغال بأشرف الطاعات ، واستعمله في أعظم العبادات ، وهو طلب العلم الشريف ، إذ به يتميز الإنسان بين

=وثبت الجنان : أي ثابت القلب . والاسم : ثَبَت بفتحتين ، ومنه قيل للحُجَّة ثبت ، ورجل ثَبَت - بفتحتين - إذا كان عدلاً ضابطاً . والجمع أثبات ، مثل : سبب أسباب « مصباح » .

ورجل ثبْت - بالسكون - : متثبِّت في أموره . (منه) .

(١) في نسخة بدون عهد .

(٢) أي : صنف (مختار) .

(٣) وفي نسخة : حسيني .

(٤) الماء الغَدَق - بفتحتين - : الكثير وقد غدقت عين الماء أي : غزرت . « مختار » .

أهل التكليف ، وينال الفضل والتشريف ، إذا كان خالصاً لوجه الملك اللطيف ، سيّما من السمعة والرياء القبيح ، وإلا كان وبالاً لصاحبه على القول الصحيح ، جعلنا الله تعالى ممن عمل بمرضاته ، وسعى في صلاح[1] نفسه ليسلم في حياته ومماته ، وجعل سعينا مشكوراً ، وعملنا مَبْرُوراً ، إنّه على كل شيء قدير ، يغفر الذنوب ويعفو عن التقصير .

وكان من أعظم نعم القدير وتيسيره للخير الكثير ، أن أرشدني لأخذ العلم عن علماء عاملين .

فمن أجلِّهم : من أخذتُ عنه العلم والطريقة والدين ، فهو قطب المرشدين ، مُرَبّي السالكين جامع الكمالات الصورية والمعنوية ؛ ذو الجناحين مولانا ومرشدنا صاحب الفيوضات ، سيدي أحمد ضياء الدين الكمشخانوي الإستانبولي قدس سره العلي ، وهو أخذ عن صاحب الأحوال والمقامات ومعدن الأسرار والفيوضات ذو الجناحين أحمد بن سليمان الطرابلسي النقشبندي الخالدي قدس سره ، وهو أخذ عن قطب العارفين مُرَبِّي المريدين ، مرشد الأصاغر والأكابر ، الذي لا تسع مزاياه وفضائله بطونُ الدفاتر ، من إحياء ما اندرس من علوم الشريعة ، وأظهر ما بطن من معارف الحقيقة ، العالم العامل ، والموصل الواصل ، ذو القرب من حضرة الحق والتداني سيدي الشيخ خالد النقشبندي المجدِّد العثماني ، الملقَّب بضياء الدين ، عليه الرحمة والرضا من رب العالمين .

ومنهم : القطب العارف ، صاحب الفضائل واللطائف ، علاَّمة العصر ، ومرشد إقليم مصر ، ذو الدمع[2] الطليق ، صاحب الفيض والتحقيق ، مربِّي المريدين ، وموصل السالكين ، الذي لذوي القلوب

(١) وفي نسخة : في إصلاح .
(٢) وفي نسخة : ذو الدفع .

يداوي ، سيدي الشيخ أحمد الخلوتي النقشبندي الصاوي .

ومنهم : العلاَّمة النحرير ، والمحدِّث الشهير ، رئيس العلماء المصريين ، قامع أهل البدعة المخالفين ، مَن دام في مراقبة المتعالي ، سيدي الشيخ محمد .

ومنهم : الوليُّ بلا نزاع ، والعالم الورع ذو الفضل والارتفاع ، مَن لم يزل في مرضاة ربه ساري ، سيدي الشيخ علي البخاري .

ومنهم : العلاَّمة المفيد ، صاحب التحريرات والقول السديد ، الذي كان ساعياً في إصلاح أموري ، سيدي الشيخ إبراهيم الباجوري .

ومنهم : الوليُّ مَنْ قرَّبه مولاه ، الجامع بين الشريعة والحقيقة ، سيدي الشيخ فتح الله .

ومنهم : العلاّمة النِحرير ، والفاضل الخبير ، الذي يجعل المعنوي الصوري ، السيد عبد الرحمن المنصوري .

ومنهم : العلامة النِحرير ، والذاكر المذكِّر ، من لم يزل في الكمالات راقي ، الشيخ مصطفى البولاقي .

ومنهم : العالم الفاضل ذو الناموس الإلهي ، سيدي الشيخ أحمد طموسي

ومنهم : العلامة الماهر صاحب الكمالات والمفاخر ، مَن لم يزل في كل خير مساعدي ، سيدي الشيخ مصطفى الأحمدي .

ومنهم : العلامة العالم في المعقولات والمنقولات ، صاحب المفاخر والكمالات ، مَن لم يزل الحضرةَ داني ، سيدي الشيخ حسن البلتاني[1] .

---

(١) في نسخة : بلقاني .

ومنهم : العلامة المحدِّث الذي تمت [به] شؤوني ، سيدي العارف الشيخ عبد الرحمن الأشموني .

ومنهم : شمس المعارف ومنبع اللطائف ، حامل لواء الشريعة الغرَّاء ، صاحب « التنقيح » و« ردّ المختار » ، ومن هو شامة الشام بلا إنكار ، سيدي شمس الملَّة والدين ، الشيخ محمد بن العابدين .

منهم : قدوة المحدِّثين في الديار الشامية ، من ترقى إلى أسنى رتبة سنية ، ذو الفيض الأنوري ، مولانا الشيخ عبد الرحمن الكزبري[1] .

ومنهم : العلامة الكامل ، ذو المعروف الشامل ، صاحب المعارف والأسرار ، سيدي الشيخ حامد العطار .

ومنهم : العالم الكامل المستغرق في حضرة المعيد المبدي ، الشيخ محمد أفندي الرومي النقشبندي .

ومنهم : المرشد الملك[2] ، العلامة شمس الفضل ، الذي لشأننا كشافة ، صاحب الفيوضات والإرشادات والمعاني ، سيدي الشيخ حسين الدجاني .

ومنهم : شيخ الإسلام ، ونافع الأنام ، ذو العلوم الفائضة البهية ، مفتي الديار المصرية ، من كان في العلوم النافعة دليلي ، سيدي الشيخ أحمد الخليلي .

ومنهم : العالم العامل ، والناسك الفاضل ، المفتي الشهباض[3] المجدي سيدي الشيخ عبد الرحمن أفندي بن حسين أفندي .

---

(١) أي : الصغير ، أما عبد الرحمن الكبير فهو جدُّه . (هامش الاصل) .
(٢) وفي نسخة : الكامل .
(٣) في نسخة : شهبا من له المجدي .

ومنهم : العالم العلامة المفيد ، والخبير الفريد ، المتقن المحقق ، والبحر العذب المدقق ، السيد عمر أفندي الفيضي .

ومنهم : العالم المتقن ، واللوذعي[1] الفطن ، الشيخ مصطفى ابن العلامة المقري ، الشيخ عبد الكريم البدري .

ومنهم : الولي العالم ذو المدد ، سيدي الشيخ أحمد .

فهذا ما حضرني الآن من ذكر أشياخي ذوي الإتقان ، من العلماء المصريين ، المحدثين الفضلاء الشاميين ، ونحوهم من العلماء العاملين ، الذين هم من جهات مختلفة ، وأردت أن أذكر بعد الذين أخذت عنهم الطرق من الصالحين ذوي المعرفة من الذين ربوني في صغري من الأولياء الأميين المجذوبين ، وكانوا في بلاد شتى متفرقين ، وأذكر بعضهم تبركاً بهم :

ومنهم : صاحب الكرامات والمكارم ، سيدي الشيخ سالم .

ومنهم : ذي الأيادي ، من رباني من مصر وأنا في بلادي ، سيدي الشيخ عمر البغدادي .

ومنهم : المستغرق الوالي ، سيدي الشيخ علي .

ومنهم : نسل الأولياء ، من استمد بفيضه القريب والنائي ، سيدي الشيخ العلي الوفائي .

ومنهم : صاحب الإحسان ، سيدي الشيخ عثمان .

ومنهم : سيدي الشيخ خالد الصعيدي .

نفعنا الله تعالى بروحانيتهم الطاهرة ، في الدنيا والآخرة ، وحشرني

---

(١) واللوذعي – الزكي والظريف . (هامش الأصل) .

معهم أجمعين ، تحت لواء المصطفى سيد المرسلين ﷺ .

المسلسلات الأوليات

وهذا أوان الشروع في الكلام ، مستعيناً بالملك القدوس السلام :

اعلم أن أصحاب الأثبات ، من المتقدمين والمتأخرين السادات ، قدموا في أثباتهم ذكر حديث الرحمة المسلسل بالأولية ، فقدمته اقتداء بهؤلاء السادات العلية ، ولنُكَتٍ[١] يطول عدها .

منها[٢] : أن الحق سبحانه وتعالى المتين ، خاطب رسوله المصطفى الأمين ، بقوله عز من قائل ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ فخلق الحق تعالى نور نبينا المصطفى ﷺ من نوره سبحانه وتعالى قبل جميع الكائنات ، وخلق منه جميع الموجودات ، فكان أول سلسلة المحدثات ، فناسبه أن يكون حديث الرحمة العام ، المتعلق بمن في الأرض من جميع الأنام ، أول الأحاديث المسلسلة المتصلة بنبينا عليه الصلاة والسلام ، وللحديث القدسي في قول الحق تعالى « سبقت رحمتي غضبي » .

وفي رواية الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما : « أول شيء خطه الله تعالى في الكتاب : إنني أنا الله لا إله إلا أنا سبقت رحمتي غضبي ، فمن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فله الجنة » .

وحديث الرحمة هو المسلسل بقول كل راو : حدثنا فيه فلان ، وهو أوّل حديث سمعته منه . وإسنادي فيه متصل إلى بعض أشياخي المتقدم ذكرهم من أصحاب الأثبات ، إلى عبد الله بن عمرو العاص أن المصطفى ﷺ قال : « الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ، ارحموا

---

(١) و هذه النكت مذكورة في ثبت ابن عابدين (من خط زين الله قدس سره) . (هامش الأصل) .

(٢) أي من النكت .

من في الأرض ، يرحمكم من في السماء » . وقد أخذت هذا الحديث الشريف عن مشائخ كثيرة ممن تقدم ذكرهم من العلماء الصالحين ، كما هو سند بأثباتهم التي لي الإجازة بها منهم فلله الحمد أولاً وآخراً .

وأذكر بعضها تبركاً :

وأذكر أولاً : **أثبات أشياخنا المصريين** نفعنا الله تعالى بهم أجمعين .

منها : ثبت شيخنا الشيخ أحمد التميمي ، وثبت شيخنا الشيخ منصور اليافي[1] ، وثبت شيخنا الشيخ السيد الطحطاوي .

وأثبات مشائخ مشائخنا :

منها : ثبت شمس الدين محمد البدري ، وثبت الشيخ سالم بن عبد الله البصري ، وثبت الشيخ محمد الأمير ، وثبت السيد الشيخ مرتضى .

وأما أثبات مشائخنا الشاميين :

فمنها ثبت شيخنا الشيخ محمد أمين بن عمر العابدين وثبت شيخنا الشيخ الكزبري ، وثبت شيخنا الشيخ العطار .

وأثبات مشائخ مشائخنا منه[2] : وثبت العارف الشيخ عبد الغني النابلسي ، وثبت الشيخ محمد بن علي الكامل ، وثبت الشيخ إسماعيل بن محمد الجراحي الشهير بالعجلوني ، وثبت الشيخ الجينيني وغيرهم من جميع من له ثبت ، إلى حضرة المصطفى ﷺ أفضل أصل وفرع ثبت فللّه الحمد والمنة ، أسأله سبحانه وتعالى أن يجمعنا معهم في الجنة .

وحيث أنني بنيت ثبتي هذا على الاختصار ، فأذكر فيه الكتب محذوفة الأسانيد إلى مؤلفيها ، وكذا الأخبار ، فمن أراد معرفة أسانيدها

---

(١) وفي نسخة : البالقي .

(٢) وفي نسخة : بدون هذا اللفظ .

فليراجع الأثبات الثلاثة التي لمشائخنا الشاميين الأخيار : محمد بن عابدين ، والكزبري ، والعطار .

ثم أردفت حديث الرحمة بأربعة أحاديث مروية عن الخلفاء الأربعة رضي عنهم ربّ البرية :

الأول : كما في « الجامع الصغير » عن أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ :« شيبتني سورة هود وأخواتها قبل المشيب » .

الثاني : كما في البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ! فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

الثالث : كما في صحيح الحاكم عن علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « الدعاء سلاح المؤمن ، وعماد الدين ، ونور السماوات والأرض » .

ثم أتبعت ذلك بالأربعين حديث المسلسلة بالسادات والأشراف ، المتصلة إلى سيدي الإمام حسين الشهيد ، عن أبيه الأسد الفريد .

قال : قال رسول الله ﷺ :

« ليس الخبر كالمعاينة » .

وبهذا الإسناد قال : « الحرب خدعة » .

وبه : « المسلم مرآة المسلم » .

وبه : « المستشار مؤتمن » .

وبه : « الدال على الخير كفاعله » .

وبه : « استعينوا على الحوائج بالكتمان » .

وبه : « اتقوا النار ولو بشق تمرة » .

وبه : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » .

وبه : « الحياء خير كله » .

وبه : « عِدَة المؤمن كأخذ الكف » .

وبه : « لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام » .

وبه : « ليس منا من غشنا » .

وبه : « ما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى » .

وبه : « الراجع في هبته كالراجع في قيئه » .

وبه : « البلاء موكل بالمنطق » .

وبه : « الناس كأسنان المشط » .

وبه : « الغنى غنى النفس » .

وبه : « السعيد من وعظ بغيره » .

وبه : « إن من الشعر لحكمة ، وإن من البيان لسحرا » .

وبه : « عفو الملوك إبقاء للملك » .

وبه : « المرأ مع من أحب » .

وبه : « ما هلك امرؤ عرف قدره » .

وبه : « الولد للفراش ، وللعاهر الحجر » .

وبه : « اليد العليا خير من اليد السفلى » .

وبه : « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » .

وبه : « حبك للشيء يعمي ويصم » .

وبه : « جبلت القلوب على حب من أحسن إليها ، وبغض من أساء إليها » .

وبه : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » .

وبه : « الشاهد يرى ما لا يرى الغائب » .

وبه : « إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه » .

وبه : « اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع » .

وبه : « من قتل دون ماله[١] فهو شهيد » .

وبه : « الأعمال بالنية » .

وبه : « سيد القوم خادمهم » .

وبه : « خير الأمور أوسطها » .

وبه : « اللهم بارك لأمتي في بكورات يوم الخميس » .

وبه : « كاد الفقر أن يكون كفراً » .

وبه : « السفر قطعة من العذاب » .

وبه : « المجالس بالأمانة » .

وبه : « خير الزاد التقوى » .

فهذه أربعون حديثاً من كلام رسول الملك الظاهر عليها أنوار لوائح

---

(١) دون ماله - أي لأجل ماله . (من خط زين الله قدس سره) .

القبول والصدق .

ثم أذكر بعدها مسانيد الأئمة الأربعة :

« المسند » للإمام الأعظم أبي حنيفة نعمان بن ثابت المكرم .

المسند المسمى بـ« الموطأ » للإمام مالك ، السالك أحسن المسالك .

« المسند » للإمام الشافعي محمد بن إدريس ، صاحب العلم النفيس .

« المسند » للإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، العامل بسنة من ليس له في الحسن ثاني .

ثم أذكر بعدها **المسانيد الصحيحة الستة :**

« المسند » للبخاري محمد بن إسماعيل ، خادم سنة رسول الملك الجليل .

« المسند » لمسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري .

« المسند » لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحق الأزدي السجستاني .

« المسند » لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي .

« المسند » لأبي عبد الرحمن أحمد شعيب بن علي النسائي .

« المسند » لأبي عبد الله بن يزيد المعروف بابن ماجه .

ثم أذكر بعدها كتب الحديث وغيرها التي اتصل سندي بها : « المعجم الكبير » ، « المعجم الأوسط » ، « المعجم الصغير » لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، « مسند » الحافظ أبي يعلى أحمد بن علي التميمي الموصلي ، « مسند » أبي داود أيضاً ، « مسند » عبد بن حميد بن نصر

الكسي ، « الحلية » لأبي نعيم ، « مسند الفردوس » للديلمي ، « صحيح أبي حاتم » محمد بن حبان التميمي ، « سنن الدارقطني » ، « المسند » للحاكم أبي عبد الله محمد النيسابوري ، « مشكاة المصابيح » لأبي عبد الله محمد بن عبد الخطيب التبريزي ، « الشمائل » لأبي عيسى الترمذي ، « الشفا » للقاضي عياض بن موسى ، كتاب « إحياء علوم الدين » لأبي حامد محمد الغزالي ، وجميع تأليفاته ، « الفتوحات المكية » لختم الولاية المحمدية لسيدي الشيخ الأكبر محيي الدين ، القطب الأفخر ، وجميع تأليفاته ، « شرح متن الغاية » للقطب الغوث الفرد ذي العز والشرف والمجد ، صاحب السر المحمدي ، السيد أحمد البدوي ، وجميع تأليفاته ، « وصايا » سيدي صاحب العلمين الطائر بالجناحين ، قطب الأقطاب في المشرقين والمغربين ، العالم الأكبر سيدي عبد القادر بن صالح الكيلاني ، صاحب الإشارات والمعاني ، وجميع تأليفاته ، « وصايا » سيدي الذي طاب به مشربي في صباحي وعبوقي ، القطب الجليل سيدي إبراهيم الدسوقي ، « الأحزاب » لسيدي أبي الحسن الشاذلي ، وجميع تأليفاته ، « إسقاط التدبير » لسيدي أحمد بن عطاء الله الإسكندري ، وجميع تأليفاته ، « شروح الحكم » لابن عباد وغيره وخلافه ، « منازل السائرين » لشيخ الإسلام عبد الله بن محمد الأنصاري ، وجميع تصانيفه ، « عوارف المعارف » لشهاب الدين السهروردي ، و« قوت القلوب » لأبي طالب المكي ، « الأذكار » و« رياض الصالحين » و« الأربعون » لسيدي الشيخ النووي ، وجميع مؤلفاته ، « فتح الباري شرح صحيح البخاري » لسيدي أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، وجميع تأليفاته ، « عمدة القاري شرح صحيح البخاري » لسيدي محمود بن محمد العيني وجميع تأليفاته ، « الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري » لسيدي محمود بن يوسف بن محمد الكرماني ، « إرشاد الساري شرح صحيح البخاري » ، و« المواهب

اللدنية » لسيد أحمد بن العسقلاني ، وجميع مصنفاته ، شرحه للبراوي المسمى بـ« اللامع الصبيح تعليق المصابيح على الجامع الصحيح » للدماميني ، وجميع تأليفاته ، شرحه للنووي وشرح مسلم له ، « منحة الباري » لشيخ الإسلام ، شرحه للسيوطي المسمّى بـ« التوشيح » ، شرحه « التنقيح » للزركشي ، وسائر تأليفاته ، شرحه « التوضيح » لابن مالك وجميع مصنفاته ، شرحه « الجاري » للعجلوني ، « إضاءة الدراري » للشهاب أحمد ، وجميع مصنفاته ، « علوم الحديث » لابن الصلاح ، وجميع تأليفاته ، و« ألفية الحديث » للعراقي ، وتأليفاته ، « الجامع الكبير » و« الجامع الصغير » للسيوطي ، وجميع تأليفاته تفسير البغوي المسمى بـ« معالم التنزيل » ، « تفسير الفخر الرازي » ، وسائر مصنفاته ، « تفسير البيضاوي » وجميع مصنفاته ، « تفسير الزمخشري » وتأليفاته ، « تفسير الجلالين » المحلي والسيوطي ، و« الدرر المنثور » للسيوطي ، تفسير شيخ الإسلام أبي السعود ، تفسير الخطيب التبريزي ، وسائر مصنفاته ، « النهاية في غريب الحديث » لابن الأثير ، « الصحاح » للجوهري ، « القاموس » لمجد الدين الفيروزآبادي ، « حياة الحيوان » للدميري ، وجميع تأليفاته ، « كتاب سيبويه » ، « الآجرومية » وشروحها ، « الألفية » وشروحها ، « المغني » وشروحه ، « المفتاح » للسكاكي ، « تلخيص المفتاح » ، و« الإيضاح » للخطيب القزويني ، « مقامات الحريري » وجميع تصانيفه ، « الشاطبية » للشاطبي ، تصانيف عبد الوهاب الشعراني ، وتصانيف نجم الدين الغيطي ، تصانيف ابن حجر المكي ، تصانيف الرملي ، تصانيف السبكي ، تصانيف منلا علي القاري ، تصانيف الشهاب الخفاجي ، تصانيف زين الدين بن نجيم مصنف « البحر الرائق » ، تصانيف أخيه الشيخ عمر ، مصنفات الشرنبلالي ، مصنفات التمرتاشي ، مصنفات خير الدين الرملي ، مصنفات الحصكفي ، مصنفات اللقاني ، مصنفات

المناوي ، مصنفات الحلبي ، مصنفات ابن مالك ، مصنفات ابن هشام ، مصنفات ابن عقيل ، مصنفات الشيخ خالد الأزميري ، مصنفات السيد الشريف ، مصنفات السعد التفتازاني ، مصنفات عصام الدين ، مصنفات منلا جامي ، مصنفات العضد ، مصنفات صدر الشريعة ، مصنفات منلا خسرو ، مصنفات المرغيناني ، شروح « الهداية » للسغناقي ، والسروجي والقرشي[1] ، وغيرها ، مصنفات قاضي خان ، وأ حمد بن علي الساعاتي ، وأبي البقاء ، ومجد الدين الموصلي ، وجمال الدين الموصلي ، وأكمل الدين الرومي ، مصنفات كمال الدين بن الهمام ، مصنفات عبد الله بن أحمد النسفي ، وبرهان الدين بن محمد النسفي ، وأحمد بن عمر النسفي[2] ، وعمر النسفي ، وميمون بن محمد النسفي ، مصنفات القدوري ، مصنفات الماتريدي ، والأشعري .

ثم لما ذكرت مصنفات مشائخ مشائخنا بحسب الإمكان ، أذكر مؤلفات مشائخنا لك الآن : مؤلفات شيخنا الشيخ خالد العثماني النقشبندي المجددي - قدس سره - ، ومؤلفات شيخنا الشيخ أحمد الصاوي - رحمه الله تعالى- ، مؤلفات شيخنا الشيخ محمد الفضالي ، مؤلفات شيخنا الشيخ علي البخاري ، مؤلفات شيخنا الشيخ إبراهيم الباجوري ،مؤلفات شيخنا الأمين الشيخ محمد بن عمر عابدين ، تأليفات شيخنا الشيخ حسين قرة العين ، تأليفات مشائخنا : الكزبري ، والعطار ، والتميمي ، والغيطي ، وجميع من ذكر في هذا الثبت . ثم أذكر الأحاديث التي اعتنت بها أصحاب الأثبات منها :

المسلسل بالأئمة المصريين كما في ثبت شيخنا الشيخ محمد بن عابدين بسنده فيه إلى عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما

---

(١) مخرج أحاديث الهداية أي النهاية . (هامش الأصل) .
(٢) مفتي الثقلين .

– قال : قال رسول الله ﷺ « يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فنشر له تسعة وتسعون سجلاً ، كل سجل منها مد البصر ، ثم يقول الله تعالى : أتنكر من هذا شيئاً ؟ فيقول : لا يا رب . فيقول الله سبحانه : ألك عذر أو حسنة ؟ فيقول : لا يا رب . فيقول عزّ وجل : بلى ؛ إنّ لك عندنا حسنة ، وإنه لا ظلم عليك اليوم ، فيخرج الله تعالى له بطاقة[1] فيها « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله » فيقول : يا ربّ ؛ ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول : يا رب ، إنك لا تظلم . فتوضع تلك السجلات في كفة ، والبطاقة في كفة ، فطاشت[2] السجلات وثقلت البطاقة » .

ومنها المسلسل بالأئمة الشاميين كما في ثبت شيخنا الكزبري الأمين . بسنده فيه إلى أبي ذرّ – رضي الله عنه – عن المصطفى ، فيما يروي عن الله تبارك وتعالى أنه قال : « يا عبادي ؛ إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرَّماً فلا تظالموا ، يا عبادي ؛ كلكم ضالّ إلا من هديته ، فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي ؛ كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي ؛ كلكم عار إلا من كسوته ، فاستكسوني أكسكم ، يا عبادي ؛ إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً ، فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادي ؛ إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي ؛ لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ، يا عبادي ؛ لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، قاموا في صعيد واحد ، فسألوني ، فأعطيت كل إنسان مسألته ، ما نقص ذلك

---

(١) البطاقة – ككتابة : الرقعة الصغيرة المنوطة بالثوب التي فيها رقم ثمنه سميت لأنها تشدّ بطاقة من هرب الثوب (قموس) . (هامش الأصل) .

(٢) الطيش – الخفة (قموس) .(هامش الأصل) .

مما عندي إلا كما ينقص المِخْيَطُ إذا دخل البحر ، يا عبادي ؛ إنما هي أعمالكم ، أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه » .

ومنها المسلسل بالأئمة الحنفية : وسنده في ثبت شيخنا الشيخ محمد بن عابدين إلى الإمام أبي حنيفة النعمان ، عن علقمة بن مرثد ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيشاً أو سرية أوصى إلى صاحبها بتقوى الله في نفسه خاصة ، وأوصى بمن معه من المسلمين خيراً ثم يقول : « اغزوا باسم الله ، قاتلوا من كفر الإسلام ، فإن أسلموا فاقبلوا منهم ، وكفوا عنهم ، وأخبروهم أنهم كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله ، فإن فعلوا فاقبلوا ذلك منهم وكفوا عنهم ، . . . . . » وتمامه فيه .

ومنها المسلسل بالمصافحة : فقد صافحت كثيراً من أشياخنا المتقدِّم ذكرهم ، ولي بهم طرق كثيرة ، منها : إنه صافحنا شيخنا العلاَّمة الشريف عمر أفندي الفيضي ، وروى حديث المصافحة بالسند المتصل في ثبت شيخ مشائخنا السيد محمد مرتضى ، إلى المعمر أبي العباس المَلثم ، وهو عن السيد أحمد البدوي[1] ، قال : صافحني رسول الله ﷺ وقال : « من صافحني ، أو صافح مَن صافحني إلى يوم القيامة دخل الجنة » .

ومنها المسلسل بالمشابكة ، وكل راوٍ يقول : شبك بيدي ، ولي فيه طرق كثيرة ، منها شيخنا المذكور ، فقد شبك بيدي ، وسنده بالثّبت المزبور متصل إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال : شبك أبو القاسم ﷺ وقال : « خلق الله الخلق يوم السبت[2] ، والجبال يوم الأحد ، والشجر

(١) مناقب السيد أحمد البدوي : ومناقب السيد أبي العباس الملثَّم ، مذكورة في « طبقات » الشعراني . (من خط سيف الله قدس سره) . (هامش الأصل) .

(٢) وتحقيق هذه المسألة مذكور في « روح البيان » في سورة يونس . (من خط زين

يوم الإثنين ، والمكروه يوم الثلاثاء ، والنور يوم الأربعاء ، والدواب يوم الخميس ، وآدم عليه السلام يوم الجمعة » .

وله طريق ثاني إلى المصطفى ﷺ من طريق الروحانية ، عن شيخنا المذكور بالسند المزبور ، إلى أبي الحسن علي الباغزاري ، قال : رأيت رسول الله ﷺ في النوم وشبك أصابعه بأصابعي ، وقال : « يا علي ؛ شابكني ، فمن شابكني دخل الجنة » . وما زال بعدُ (أي يكرر هذا القول تأكيداً) حتى وصل إلى سبعة فاستيقظت وأصابعي في أصابع رسول الله ﷺ .

ومنها : **المسلسل بمناوَلة السُّبحة** ، ناولني إيَّاها شيخنا المذكور ، وذكر سندها بالثبت المزبور ، وكل واحد يقول : رأيت سيدي فلان وفي يده سبحة ، إلى الأستاذ عمر المكي قال : رأيت أستاذي الحسن البصري[١] وفي يده سبحة ، فقلت : يا أستاذي ؛ مع عظم شأنك وحسن عبادتك وأنت إلى الآن مع السبحة ؟ فقال : **هذا شيء كُنَّا استعملناه في البدايات ، ما كنا نتركه في النهايات!** أنا أحبُّ ذكر الله في قلبي وبيدي وبلساني .

ومنها : المسلسل بتلقين كلمة (لا إله إلا الله) ، فقد تلقَّنت هذه الكلمة الطيبة التي هي ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ عن مشائخ كثيرين ، ولي فيها أسانيد كثيرة ، وأول من تلقَّنها من المصطفى ﷺ حضرة الإمام علي كرَّم الله وجهه

الله قدس سره) . (هامش الأصل) .

(١) وفي « التحفة المدنية في المسلسلات الوترية » لمحمد علي بن ظاهر الوتري المدني : إن بداية الحسن إنما كانت في زمانهم يعني الصحابة ، فقد رأى عثمان وعليّاً وطلحة ، وكان في يوم بدر ابن أربع عشرة سنة ، وروى عن خلق كثير من الصحابة . فراجعه من الحديث التاسع المسلسل بمناولة السبحة في ٢٢ . فافهم ! (منه) . (هامش الأصل) .

بنسبة الطريق ، وقال : يا رسول الله ؛ دلَّني على أقرب الطرق إلى الله ، وأسهلها عليَّ عبادة . فقال رسول الله ﷺ : « عليك بمداومة ذكر الله تعالى في الخلوة » . فقال عليّ كرَّم الله وجهه : كيف أذكر يا رسول الله ؟ قال المصطفى ﷺ : « غمِّض عينيك واسمع مني » . ثلاث مرات ، فقال ﷺ : (لا إله إلا الله) ثلاثاً وعلي يسمع ، ثم قال علي : (لا إله إلا الله) ثلاثاً ، والمصطفى يسمع .

وآخر مَن تلقَّنها عنه من المشائخ حضرة العالم العامل ، والورع العابد الكامل ، الشريف عمر الفيضي ، وسندي بها يتصل عنه ، كما هو مقرر في ثبت الشيخ محمد مرتضى ، بسنده إلى سيدنا علي رضي الله عنه وكرَّم الله وجهه .

ولي الإجازة في المذاهب الأربعة كذا ، ولو ذكرت أسانيد الأحاديث والعلوم والمذاهب والطرق وما بها من الإجازات لاحتاج في كتابتها إلى مجلدات ، وحيث مالت النفوس إلى المختصرات اختصرت هذا الثبت غاية الاختصار .

وذكرت سندي المتصل بالفقه بالشيخ محمد بن عابدين ، نظماً مختصراً مع التبيين ، وابتدأت جميع هذه الإسنادات بذكر المصطفى سيد السادات ، وقدمت سند الفقه فقلت :

المصطفى وابـــن مـــسعود وعلقمة ... نـــخعي وحَمَّـــاد هذا ثم نعمان
محمَّد وأبو حـــفـــص وعـــدّهـــم ... السبـــذموني البخاري فيه إحسان
أبو علي ثم حلواني كذا ســرخــسي ... وقل البزوري المرغيناني[1] ذاك برهان

(١) أي صاحب « الهداية » وهو أخذ عن أحمد بن عمر النسفي ، وهو أخذ عن أبيه عمر النسفي مفتي الثقلين ، وهو أخذ عن فخر الإسلام . (منه) .

الكزبري النسفي عبد العزيز كذا جلال الدين وسيراجي عمر عانو
ابن الهمام وعبد البر وابن الشلبي[1] وصاحب البحر والتنوير قد دانوا
عبد الغفار ثم الكتبي كذا جَيَنْني بعلي محمد أحمد بانوا

حرَّر هذا الثبت الشيخ الكامل المكمل ذو الجناحين أحمد بن سليمان الطرابلسي النقشبندي الخالدي قدس الله سره ، وأجاز بما في هذا الثبت الشيخ العارف أحمد ضياء الدين الكمشخانوي قدس سره في سنة ١٢٦٨ في إحدى وعشرين خلت من شهر صفر في يوم السبت .

وإنَّ هذا المجاز الشيخ العاكف ، والوليّ العارف ، جامع الكمالات والفيوضات أحمد ضياء الدين المذكور ، أجاز الكامل المتَّقي المحقِّق جامع القطبتين ذو الجناحين[2] ، أبو المواهب أبو عبد الرحمن زين الله ابن حبيب الله بن رسول بن موسى المعموري النقشبندي الخالدي المجدِّدي على أسوة المشائخ السابقين ، بإشارة روحانية من الكُمَّل ، برؤية استقامته وكماله في العلوم الظاهرة والباطنة ، وفَّقه الله تعالى لحوز هدايات وفيوضات وبركات السابقين ، وجعله الله تعالى رحلة للأبدال والصالحين ، ومأوى للعارفين .

وإنَّ هذا المجاز الموفَّق ، جامع القطبتين ، أبو المواهب أبو عبد الرحمن زين الله المذكور أجاز الفقير مير سيف الله الحسيني ، سليل بشلار[3] النثربكري الغازي غموقي ، كما أجازه في باقي المرويات والطرق والعلوم على أسوة المشائخ السابقين ، جعله الله من المؤيَّدين بالتوفيق على

---

(١) وفي نسخة : الشبلي .
(٢) أي : وهو ذو الجناحين . فافهم .
(٣) وهو المجاهد الفاضل والأسد الباسل المشهور في نواحي غازي غموق . (هامش الأصل) .

آداب أشياخه وساداته . آمين . من خطه .

وإنَّ هذا الشيخ الكامل ، والعارف الواصل ، ذا الجناحين سيف الله المذكور النقشبندي الشاذلي القادري - قدس سره ورزقنا فيضه - أجاز الحقير الفقير خادم الفقراء حسن أفندي القحي النقشبندي الشاذلي بجميع ما في هذا الثبت ، كما أجازه في جميع مروياته وأثبات مشائخه ، كثبت محمد علي بن ظاهر المدني الوتري وغيره ، وكما أجازه في جميع ما أجازه مشائخه في سائر الطرق ، وكتب بيده المباركة صَكَّ الإجازة بوضع خاتمه للتصديق ، نوَّر الله مرقده ، وأنالنا فيضه وبركته . آمين يا مجيب السائلين ويا أرحم الراحمين .

وهذا الفقير حسن حلمي رحم الله إفلاسه وإن كان أقلّ باعاً في العلوم ؛ قد سبق الآخرين ممن لهم القدح المُعلَّى في فنون العلوم في عصره بالإجازة فيها وفي سائر الطرق ، فللَّه الحمد والمنَّة ، وله الشكر على هذه النعمة .

وقد أراد أن يجيز في فن العلوم لمَنْ رأى فيه أثر الصلاحية والاستقامة من العلماء العاملين ، لِمَا أن حصول البركة ووصول النفع التام في كل خير منوطان بالإجازة من أهله ، كما أشار إليه الإمام الربَّاني في « مكتوباته » ، فكما لا بُدَّ من الإجازة في تلقين الأذكار وتعليم أمور الطريقة ! فكذا لا بد من الإذن في العلم الظاهري ، كما أشار إليه في « الفتاوى العمرية » .

قال الله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ شَـٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَـذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ﴾ الآية . قال الجلال[1] : بأمره . انتهى .

قال العالم العلاَّمة العارف بالله تعالى الشيخ أحمد الصاوي المالكي قدس سره ورزقنا فيضه وبركته آمين : قوله (بأمره) دُفِعَ بذلك ما يقال :

(١) أي : في تفسير قوله بإذنه ، فافهم . (هامش الأصل) .

إن الإذن حاصل بقوله : (أرسلناك) فأجاب بأن المراد بالإذن : الأَمْرُ ، **والحكمة في الإذن** تسهيل الأمر وتيسيره ، لأن الدخول في الشيء من غير إذن متعذِّر ، فإذا حصل الإذن سهل وتيسَّر ، ومن هنا أخذ المشائخ استعمال الإجازة للمريدين ، فمن أجازه أشياخه بشيء من العلم والإرشاد فقد سهلت له الطريق وتيسَّرت ، ومن لم تحصل له الإجازة وتصدَّر بنفسه فقد عطَّل نفسه وغيره ، وانسدَّت عليه الطرق ، انتهى فراجعه في سورة الأحزاب .

وفي « الصاوي »[1] أيضاً في سورة طه : **والحكمة في تلقِّي رسول الله ﷺ عن جبريل ظاهراً أنه يكون سُنَّة متَّبعة لأمته ، فهم مأمورون بالتلقي من أفواه المشائخ ، ولا يفلح مَن أخذ العلم أو القرآن من السطور ، بل للتلقِّي سرٌّ آخر** ، انتهى فراجعه .

وقال مصطفى الصافي في صَكِّ الإجازة بعد البسملة والحمدلة والتصلية ما نَصُّه : وبعد ؛ فيقول العبد الفقير إلى الله الغني مصطفى الصافي ابن محمود اليكيني عفا عنهما الباري : **إن العلم أعلى الفضائل ، وبه تفاضل جميع الأفاضل** ، حتى ملك به الإنسان الفضل على الملك ، وارتفع قدره بأقل من فلكة المغزل على الفلك ، يرشدك على هذا السرِّ الأسمى قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ ﴾ وناهيك من فضله أنه تعالى قد عدَّه أمراً كبيراً حيث قال ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ وعظَّم شأنه في معظم كلامه حتى قال ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ ويدور عليه سعادة الدارين ، وينزل لديه كرامة المنزلين ، فهو أعظم الميراث ، وميراث الأنبياء عليهم أزكى التحيات ، والفقهاء أمناء الرسل ، والعلماء ورثة الأنبياء ، كما ورد

---

(١) على قوله عزَّ من قائل ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ﴾ . راجعه (هامش الأصل) .

عن سيد الأصفياء أنه قال : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّل الله له طريقاً إلى الجنة ، وإنَّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًى بما يصنع ، وإنَّ العالم يستغفر له من في السموات ومن في الأرض ، حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإنَّ العلماء ورثة الأنبياء ، وإنَّ الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورَّثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظّ وافر » . رواه أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، وابن حبان .

فكما أنَّ الجهل أصل الرذائل ، كذلك العلم أم الفضائل ، فمن ناله قد نال كل الفضائل ، وأين الثريا من يد المتناول ! !

وقال الله تعالى ﴿ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ، وقال الله تعالى ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ وحيث شرَّفه صار سائراً في الأمصار ، وطار في جميع الأقطار كالأمطار ، يعرف[1] العارفون ، بل لا يجهل به الجاهلون .

ولتحصيله أسباب أشتات ، وأقدمها العقل السليم عن الآفات ، ولما كان العقل قد لا يخلص عن عقال الأوهام ، فتراه كثيراً ما قد أخطأ ، أو هام ؛ لم يُقتصر عليه في السمعيات ، سيما في علوم الدين ، **بل لا بُدَّ معه من الإسناد إلى الأستاذ حتى يأتيه اليقين .**

الإسناد من الدين

قال ابن المبارك : والإسناد من الدين ، ولولا الإسناد لقال من شاء بما شاء .

وقال الثوري : الإسناد سلاح المؤمن ، فإذا لم يكن سلاح لم يقدر

---

(١) عله يعرف به .

أن يقاتل .

وقال بقيَّة : ذاكرت حمَّاد بن زيد أحاديث ، فقال : ما أجودها لو كان لها أجنحة ! يعني : الأسانيد .

وقال مطر في قوله تعالى ﴿أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ أي : إسناد الحديث .

قال أحمد بن حنبل : طلب الإسناد العالي سنة صحيحة . وذكر لها أصلاً في الحديث .

والحاصل أنه لا شك في أنه مسنون ، وقد ذهب بعض الكفاة إلى أنه فرض على الكفاية ، وذكروا له أصلاً من الحديث والآية ، ولهذا لم يزل علماء هذه الأمة يطعنون[١] الركاب[٢] ، ويركبون على غاربةِ[٣] الاغتراب ، للتشرُّف بهذا الشرف ، والتدرج إلى مدارج تلك الشُّرف . انتهى . من خط سيف الله قدس سره .

وفي « الفتاوى العمرية » ما يصرح بأنه **لا بُدَّ في العلم الظاهري من التكميل ، ثم الإذن من الأستاذ للتدريس** ، وأيَّد ذلك بنقل ما وقع بين أبي يوسف وبين أبي حنيفة - رحمهما الله تعالى - حين اشتغل أبو يوسف بالتدريس بغير إذن وإجازة . من « روح البيان » و« الأشباه » .

فإذا كان الأمر هكذا ، وكان هذا العبد الضعيف الحقير الفقير مجازاً مأذوناً من الكامل المكمل المُجاز المجيز على أسوة المشائخ العارفين

---

(١) وكل ما أخذت فيه ودخلت فقد طعنت فيه ، وطعن في المفازة طعناً ذهب « مصباح » .

(٢) والركاب بالكسر : المطيّ ، الواحدة راحلة من غير لفظه . « مصباح » (هامش الأصل) .

(٣) واغترب وغرّب بنفسه تغريباً أيضاً وأغرب بالألف دخل في الغربة . الغاربة أعلى كل شيء « مصباح » (هامش الأصل) .

بالله وإن كان أقل علماً أظهر بقلمه هذه النعمة الجليلة مع بيان السند ، رجاء أن يجد بين العلماء مَن يعتني هذا الأمر المهم ؛ الذي نيط به حصول البركة التامة ، والمنفعة العامة ، فيطلب الإذن من المجاز المجيز ليفوز بهذه الفائدة الجليلة ، ويتصل سلسلته بصاحب المعجزات عليه الصلوات والتسليمات ، وقد أجاز الحقير أبعاضاً من العلماء المتورِّعين كأخينا في الله العالم الفقيه الصوفي القاضي حبيب الله ولد العالم العارف عيسى القحي النقشبندي ، وأخيه العالم المدرس محمد رسول ، والعالم الفقيه المتورِّع أصحاب علي القحي ، والعالم المتبحِّر المرجو لحوز السعادة إبراهيم الهؤوري ، والعالم المحقق والفاهم المدقق الفقيه الصوفي محمد الحَرِكُلِي ، والعالم المشهور الخاشع الخائف نور الدين الزُلْدِي القَرَاخِي ، والعالم الفطن اللبيب ذي الطبع السليم حج موسى المروخي القراخي ، والعالم المجرّب ذي الفهم الصائب والذهن الصافي شمخال الههالِي ، والعالم المتواضع المشتغل بفنون العلوم النافعة ولدنا من الرضاع المعنوي القاضي حميد الهَنْدِخِي ، والعالم المشهور ذي الأخلاق الحسنة والمنافع الجليلة مسلم العرادي[1] ، والعالم الكامل معلِّم علماء الوقت خل أحمدلو العرادي ، رحم الله تعالى جميعهم آمين ، وغيرهم ممن يطول الكلام بذكر جميعهم .

ومَنْ طلب الإجازة من علماء الزمان فالحقير لإتمام إربه لبالمرصاد ؛

---

(١) وقد كان مجازاً في فنون العلوم من طرف الشيخ جبرائيل أفندي قدس الله سره قبل هذا ، وقال : والله لم يسأم التعليم والتدريس بعد الإجازة ولو دام على ذلك في الليل والنهار ، ورأى بركتها ، وقال لي أيضاً واحد من المجازين : إنه فتح الله عليه في علوم الحديث وغيره بعد الإذن .

وسألت شيخنا قدس سره بهل يجوز أن يأذن للتدريس لمن يقرأ الدرس بمقابلة العوض ، أو لمن لا يتورع وإن كان في العلوم متبحِّراً ؟ ! فأجاب قدس سره بنعم . ولعله يجرُّ ببركة الإجازة وذكر السند إلى الصلاحية . انتهى (منه رحم الله إفلاسه) .

بالشرط المعتبر لدى أهل الأثر ، والله ولي الرشاد ، والسلام .

ومما أجازني شيخنا سيف الله جميع ما في « التحفة المدنية في المسلسلات الوترية » التي جمعها السيد محمد علي ابن السيد ظاهر الوتري المدني ، خادم العلم الشريف بالمسجد الشريف النبوي ، وهو خمسون مسلسلاً ، وقد تركت ذكرها خوفاً من الإطناب والإطالة ، فإنَّ بذكرها يحتاج إلى جمع كتاب مستقل ، فمن أراد الاطِّلاع إليها فليراجع إلى ذلك الكتاب المذكور ، فجزى الله المؤلف عنا خير الجزاء آمين .

وها هنا انتهى ذكر ما أجازني به أشياخنا في الفنون العلمية ، والطرق العليَّة ، والأحزاب المشهورة السنيَّة .

وقد بقي ذكر إلباس الخرقة التي جرت عادة الصوفية بلبسها ، ولأجل تمام النفع أذكر هنا خبر الخرقة :

قد دعاني الشيخ ذو الجناحين سيف الله قدس سره لديه قبيل موته ، وأقامني قبالته ، وكان قائماً ، ثم ألبسني الخرقة البيضاء التي ألبسها عليه الشيخ الكامل زين الله قدس سره ، وكان في المجلس خواصُّ أصحابنا ، ودعا بـ : اللهم ألبسه لباس التقوى انتهى .

وقال : يا ولدي ؛ هذه خرقة النقشبنديِّين ، وقد ألبسنيها الشيخ محمد مراد مُعرِّب « الرشحات » و« المكتوبات » بأمر الشيخ زين الله قدس سره لعجزه عن القيام لوهن وضعف في بدنه ؛ لهرمه وكبر سنه ، وحكى بأنَّ واحداً قد كان يتشبَّه بموسى قبالة فرعون استهزاء ، فلم يغرق مع فرعون وقومه لمجرَّد التشبُّه ، أو ما هذا معناه .

ثم قال : وستصل إليك الخرقة الشاذلية يا ولدي . فطرأ عليَّ حينئذ حال ، وطرأ على الحاضرين أيضاً حال ، فبكوا وبكى من رأى الخرقة ، وقد صاح بعض العلماء صيحة رفيعة وبكى ، فاعترف الكلُّ

بأنَّ في الخرقة بركة نافذة .

وقال : يا ولدي ؛ إني أكتب لك سند الخرقة وسلستها . ثم إنَّ الشيخ قد أوصى بإعطاء خرقة الشاذليّين إلى يدي ، ومات هو بعد أيام ، نوَّر الله ضريحه ورزقنا بركته آمين .

والحكمة في لبس الخرقة : أنَّ الشيخ إذا ألبسها على المريد يحصل له البركة ، ويسري إليه حاله معها ، ويتزيَّا بزيِّه ويتشبَّه به ، وفيها منافع أخرى .

قال الشيخ أحمد ضياء الدين في « متمماته » ما نصُّه : خرقة التصوف هي ما يلبسه المريد من يد شيخه الذي يدخل في إرادته ويتوب على يده ، لأمور :

منها : التزيّي بزيِّ المراد ، ليلتبس بصفاته ، كما يلبس ظاهره بلباسه ، وهو لباس التقوى ظاهراً وباطناً ، قال الله تعالى ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ .

ومنها : وصول بركة الشيخ الذي ألبسه من يده المباركة إليه .

ومنها : نيل ما يغلب على الشيخ في وقت الإلباس من الحال ، فيرى الشيخ ببصيرته النافذة المنوَّرة بنور القدس أنه يحتاج إليه برفع حجبه العائقة ، وبصفة استعداده ، فإذا وقف على حال مَنْ يتوب على يده علم بنور الحق ما يحتاج إليه ، فيتنزَّل من الله ذلك حتى يتَّصف قلبه به ؛ فيسري من باطنه إلى باطن المريد .

الآباء ثلاثة

ومنها : المواصلة بينه وبين الشيخ ، فيبقى بينهما الاتصال القلبي والمحبة دائماً ، ويذكره الأتباع على الأوقات في طريقته وسيرته وأخلاقه

وأحواله حتى يبلغ مبلغ الرجال ، **فإنه أب حقيقي** ، كما قال عليه السلام « الآباء ثلاثة : أبُ ولدك ، وأبُ علَّمك ، وأبُ ربَّاك » . انتهى عبارته ٧٢ .

سلسلة الخرقة

ثم **اعلم** أيها الأخ أن الشيخ محمد علي بن ظاهر الوتري المدني الذي أجاز الشيخَ[١] زين الله الذي أجاز شيخنا سيف الله قدس الله أسرارهم ذكر سلسلة الخرقة النقشبندية في « التحفة المدنية » على هذا الترتيب الآتي : فقال : ألبسني الخرقة الصوفية النقشبندية شيخنا العلاَّمة المحدث الشيخ عبد الغني المتقدِّم نفعنا الله به وبعلومه ، ثم ذكر السلسة بطولها ، لكن اختصرتها هكذا : الشيخ محمد عابد السندي الأنصاري المدني ، الشيخ محمد زمان السندي ، الشيخ كل[٢] كامل محمد السندي ، الشيخ محمد زمان السندي[٣] ، الشيخ حاجي محمد ، الشيخ محمد زكي ، الشيخ محمد حنيف ، الشيخ عبد الأحد ، الخواجه محمد سعيد ، الإمام الربَّاني ، الخواجه باقي بالله ، الخواجه إمكنكي ، الشيخ مولانا درويش ، الشيخ محمد زاهد ، الخواجه عبيد الله الأحرار ، الشيخ يعقوب الجرخي ، الخواجه محمد بابا السماسي ، الخواجه علي الراميتيني ، الخواجه عارف الريوكري ، الخواجه عبد الخالق الغجدواني ، الخواجه يوسف الهمداني ، الخواجه أبو علي الفارمدي ، أبو القاسم الكركاني ، أبو عثمان المغربي ، أبو علي الكاتب ، أبو علي الروزباري ، جنيد البغدادي ، السريّ السقطي ، معروف الكرخي ، الإمام علي بن موسى الرضا ، الإمام موسى الكاظم ، الإمام جعفر الصادق ، الإمام محمد الباقر ، الإمام زين العابدين ، والده الحسين بن علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه في الجنة ، قال : ألبسني النبي ﷺ . . . .

---

(١) في العلوم والأثبات والمسلسلات . (منه) . (هامش الأصل) .

(٢) وفي نسخة : كامل .

(٣) وفي نسخة لا يتكرر هذا الاسم .

ثم قال محمد علي بن ظاهر بعد ذلك : وقد روى الطبراني في « الكبير » قال : أنا بكر بن سهل بن عبد الله بن يونس ، نا[١] يحيى بن حمزة ، نا عبيد الحميصي عن عبد الله بن بسر رضي الله تعالى عنه قال : بعث رسول الله ﷺ عليًّا بن أبي طالب رضي الله عنه إلى خيبر ، فعمَّمه بعمامة سوداء ، ثم أرسلها من ورائه ، أو قال : على كتفه اليسرى . قال السيوطي في « فتاواه التفسيرية » في آل عمران : رواه في « الكبير » وإسناده حسن ، ونقل ابن شاذان في مشيخته عن علي رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ عمَّمه بيده ، فأرخى ذنب العمامة من ورائه ومن بين يديه ، ثم قال النبي ﷺ : « هكذا يكون تيجان الملائكة » . انتهى ٨٦ من « التحفة المدنية » .

ولأجل كون نسبة أكثر الطرق في التلقين ، ولبس الخرقة إلى رئيس التابعين ؛ الحسن البصري رحمه الله تعالى أردت أن أذكر هنا نبذة يسيرة في بيان كونه في زمن الصحابة ، ليُزيل بذكرها شبهة الخلاف ، كما ذكرت قدراً يسيراً في حقه قدس سره قبيل البرج السادس .

قال الشيخ محمد علي في « التحفة المدنية » ما نصُّه :

تنبيه: أنكر جماعة من الحُفَّاظ سماع الحسن البصري من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه حتى تمسَّك هذا الإنكار بعض المتأخِّرين ، فخدش به في طريق لبس الخرقة والتلقين ، وأثبته جماعة[٢] ،

---

(١) قوله (نا) : أي أخبرنا . فافهم . (هامش الأصل) .

(٢) وقال الشيخ يوسف النبهاني في « شواهد الحق » عند ذكره سلسلة الشاذلية ما نصه : وهو عن سيدنا أبي سعيد الحسن البصري ، وهو عن سيدنا أبي تراب علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرّم وجهه ، كذا فيما ذكره شيخنا العدوي عن شيخه البهلي ، وهو المشهور من أن الحسن البصري أخذ عن سيدنا علي بلا واسطة .

وفي نظم الأمير ذكر سيدنا الحسن بن علي ، فيفهم منه أن الحسن البصري أخذ عنه ، وهو عن أبيه علي ، وهكذا قال بعض العلماء أنَّ الحسن البصري لم يدرك علياً ، وهو مردود كما في « الرشحات » فراجعه في ٠١ (منه) والله أعلم . انتهى فراجعه=

وهو الراجح عند المحقِّقين لوجوه ، ومن جملة مَن رجَّحه الضياء المقدسي في « المختارة » .

ومن تلك الوجوه : أنَّ العلماء ذكروا في الأصول في وجوه الترجيح أن المثبت مقدَّمٌ على النافي ، لأن معه زيادة علم[1] .

ومنها : أنَّ الحسن ولد لسنتين بقيتا[2] من خلافة عمر رضي الله عنه باتفاق ، وكانت أمه خيِّرة مولاة أم سلمة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها تخرجه إلى الصحابة يباركون عليه ، وأخرجته إلى عمر رضي الله عنه فدعا له : اللهم فقهه في الدين ، وحبِّبه إلى الناس . ذكره الحافظ المزي في « التهذيب » .

ذكره الموالي أنه حضر يوم الدار وله أربع عشرة سنة ، ومن المعلوم أنه لما بلغ سبعاً أمر بالصلاة ، فكان يحضر الصلاة فيصلي خلف عثمان رضي الله تعالى عنه إذ ذاك بالمدينة ، فإنَّه لم يخرج منها إلى الكوفة إلا بعد قتل عثمان رضي الله عنه ، فكيف يستنكر سماعه منه وهو كل يوم

=في صحيفة ٢٣٢ . وفي « الفتاوى الكبرى » لابن حجر ما ينبغي مراجعته فافهم . (منه رحم الله إفلاسه) .

(١) صحح الجلال السيوطي قدس سره لبس الحسن البصري رضي الله عنه الخرقة من سيدنا الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، كما صرح بذلك الإمام عبد الوهاب الشعراني في طبقاته الوسطى ، وبطريق الاستئناس ذكر جماعة : أن عمر بن الخطاب وعلياً رضي الله عنهما ألبسا أويساً القرني خرقة بإذن نبوي . قلت : وإن صح هذا فلا يكون إلاّ استئناساً للقوم لأن خرقة الصوفية تصل إليهم أسانيدها من الحسن البصري رضي الله عنه ، فلذلك يكون ما صححه الحافظ السيوطي دليلاً وحجة للقوم ، وذلك لأن علياً كرم الله وجهه كساه رسول الله ﷺ بشيء من أثوابه الشريفة . فعلى هذا اتصلت أسانيد الخرقة . كتاب « العناية الربانية في تلخص الطريقة الرفاعية » ٦ . وفيه حقيقة التزيي بزيّ المرشد في الأفعال والأحوال . فراجعه في ٦ .

(٢) ومثله في « الرشحات » فراجعه في ٠١ (منه) .

يجتمع معه في المسجد خمس مرات ؛ من حين نهض إلى أن بلغ أربع عشرة سنة ؟ ! ولا شكَّ أنَّ عليّاً رضي الله عنه كان يزور أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن ؛ ومنهن أم سلمة رضي الله تعالى عنها ، والحسن في بيتها هو وأمه .

ومنها أنه ورد عن الحسن البصري ما دلَّ على سماعه عن علي رضي الله عنه وكرَّم وجهه ، فمن ذلك ما أورد المزي في « التهذيب » من طريق أبي نعيم : نا أبو القاسم عبد الرحمن بن عباس بن عبد الرحمن بن زكريا ، نا أبو حنيفة محمد بن حنيفة الواسطي ، نا محمد بن موسى الحرشي : نا ثمامة بن عبيدة نا عطية بن محارب : عن موسى بن عبيد قال : قلت للحسن : يا أبا سعيد ؛ إنك تقول : قال رسول الله ﷺ ، وإنك لم تدركه ! ! فقال : يا ابن أخي ؛ لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك ، ولولا منزلتك مني ما أخبرتك ، إني في زمان كما ترى وكان في زمن الحجاج متى سمعتني أقول : قال رسول الله ﷺ ؛ فهو عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، غير أني لا أستطيع أذكر[1] علياً .

ثم قال : ذكر ما وقع لنا من رواية الحسن البصري عن الإمام علي رضي الله تعالى عنه ، فساق عشرة أحاديث مسندة من رواية الحسن البصري عن عليٍّ رضي الله عنه .

ومن ذلك : قال الحافظ ابن حجر : وقع في « مسند أبي يعلى » قال : نا جويرة بن أشوش ، نا عقبة بن أبي الصهبا الباهلي قال : سمعت الحسن يقول : سمعت علياً رضي الله تعالى عنه يقول : قال رسول الله ﷺ « مثل أمتي مثل المطر » الحديث .

قال محمد بن حسن الصيرفي شيخ شيوخنا : هذا نصٌّ صريح في

---

(١) وفي نسخة : أن أذكر .

سماع[1] الحسن من علي رضي الله تعالى عنه ، ورجاله ثقات ؛ جويرة وثَّقه ابن حبان ، وعقبة وثَّقه أحمد بن حنبل وابن معين . انتهى . فانتفى عند ثبوت سماع الحسن خدش الخادشين في ثبوت سلسلة الخرقة الصوفية .

قال الشهاب القسطلاني في « المواهب اللدُنيَّة » بعد نقل خدش الخادشين في اتصال لبس الخرقة من طريق الحسن البصري : وردّ لبسهم لها مع الصحبة المتصلة إلى كميل بن زياد ، وهو صحب علياً بن أبي طالب رضي الله عنه من غير خلف[2] في صحبته بين أئمة الجرح والتعديل ، في بعض الطرق اتصالها بأويس القرني ، وهو اجتمع بعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما ، وهذه صحبة لا مطعن فيها ، وكثير من السادات يكتفي بمجرد الصحبة كالشاذلية ، وشيخنا أبي إسحق إبراهيم المتبولي .

وكان الشيخ يوسف العجمي يجمع بين تلقين الذكر وأخذ العهد واللُبس ، وله في ذلك رسالة « ريحان القلوب » ، قرأتها على ولد ولده العارف المسلك ، مع إلباس الخرقة والتلقين وأخذ العهد . انتهى عبارته ٩٣ .

وقد بُيِّنَ في « التحفة المدنية » سلسلة الخرقة القادرية ، والسهروردية ، والرفاعية ، والخضرية ، لكن أعرضت عن ذكرها .

وقد كان لشيخنا خالد سيف الله قدس سره إجازات كثيرة غير ما ذكرناه من عدَّة مشائخ ، وأجازني في جميعها ، لكن لما كانت الإجازة بالقول المحض لم يبيِّن[3] سلاسلها .

---

(١) راجع الفتاوى الحديثية لابن حجر في ٩٢١ (منه رحم الله إفلاسه آمين) . (هامش الأصل) .

(٢) في نسخة : من غير خلل .

(٣) أي : وأنا على آثاره مقتد . فافهم . (منه) . (هامش الأصل) .

ثم اعلم يا أخي أني إنما ذكرت هذه الأسانيد والإجازات تبرُّكاً وتيمُّناً واستمداداً بذكر أسماء أولئك السادات ، فإن عند **ذكر الصلحاء تنزل الرحمة**[1] ، **وتهبط الهبات والبركات** ، وتحديثاً بالنعمة ؛ امتثالاً لقوله تعالى ﴿ **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** ﴾ لا افتخاراً ولا عجباً ، وتعليماً لإخوان الدين بأنَّ سعيي ليس كسعي غيري من المتصدِّرين بأنفسهم من غير إذن وإجازة ، الذين لعنهم بقول النبي عليه الصلاة والسلام « لعن الله من انتسب إلى غير أبيه » .

فهذا الحقير الفقير وإن كان ناقصاً من كل الجهات فيده يد الكاملين ، وإن كان عاصياً فإنه يحبُّ الصالحين ويبغض الطالحين ، وإن كان منحطّاً عن درجة المرشدين ، لكنَّ تصرفه يكون مستمدّاً من رشحات الصادقين ، ولا يخفى أن مَن كان محروماً من مجالس الأمراء فوقوفه في صف النعال قد يعدُّه الناس قرباً من درجة الكبراء ، ومَن كان خادماً بباب الدار لا يحرم من سواقط موائد من هو في وسط الدار ، و« من تشبه بقوم فهو منهم » كما ورد من سيد الأبرار عليه وعلى آله صلوات الملك الغفَّار ، ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، حمداً يوافي نعمك ، ويكافىء مزيدك ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين . اللهم اجعل عواقب أمورنا خيراً ، وأمتنا على دين الإسلام ، ناطقين بالشهادة ، عالمين بها ، واجعل خير أيامنا يوم نلقاك ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وأستغفر الله الذي لا إله إلا هو من كلّ ما زلَّ به القدم ، وسها عنه القلم ، ومن كل قول لا يوافق العمل ، ومِن كل خطرة دعتني إلى تصنُّع في الألفاظ وتزيُّن في الأقوال ، أو اختصار في الكلام ، أو زيادة شيء عما في

---

(١) وفي نسخة : الرحمات .

أصل الكلام بمقتضى المقام ، ولقد وفينا بالمقصود من الكتاب .

وتمَّ ها هنا ما كان مضمراً في البال من فصل الخطاب ، وكان المقصود من الشروع في جمع الكتاب مجرَّد إيراد الأجوبة للمسائل البرجية ، لا تصديع رأس صاحبها بالإطناب ، بيد أن الكلام جرَّ بعضه إلى بعض ، فطال وزاد فوق المرام ، وإن كان في الاختصار كفاية عند ذوي الأبصار ، لكن وقع الاحتياج إلى تأييد كل جواب بنقل الآيات والأخبار والآثار ، لأنَّ كلام أمثالنا لا يوثق[1] به إلا إن شهد له الكتاب والسنة ، ويحتمل أن يقع في بعضها التكرار[2] ، وكلها إن شاء الله تعالى لا يخلو عن الفائدة ، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبفضله تنزل البركات ، وبرحمته تجاب الدعوات .

اللهم صلِّ على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق ، والخاتم لما سبق ، ناصر الحق بالحق ، والهادي إلى صراطك المستقيم ، وعلى آله وأصحابه

---

(١) مع أنه كان ينبغي أن يقبل الحق من كل من تكلم به . كان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول في كلامه المشهور الذي رواه أبو داود في سننه (اقبلوا الحق من كل من جاء به وإن كان كافراً أو قال فاجراً واحذروا زيغة الحكيم) . قالوا كيف نعلم أن الكافر يقول الحق ، قال « على الحق نور » أو كلاماً هذا معناه (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

(٢) قال الشيخ سليمان البجيرمي في حواشيه على « تحفة الحبيب » في أواخر السلم على قوله (ولايشترط تعيين رأس المال في العقد) ، هذا تقدم فهو مكرر ولا يضر تكرير ذلك لأنه لا يخلوا من فائدة فإنه يزيد في ذلك الطالب رسوخ الحكم لأن ذلك الكتاب أصل وضعه للمبتدئين ؛

قالوا لمسلم فضـل قلت البخاري أعلى
قـالـوا المكرر فيه قلت المكرر أحلى

انتهى

وهكذا المكرر في هذه البروج أحلى وأرسخ في الأذهان (لمحرره العوري غازي محمد) .

حقَّ قَدْرِه ومقداره العظيم .

قد تمَّ بالخير وبالنفع قد يتمُّ إن شاء الله تعالى في ٢٤ من ربيع الأول سنة ١٣٤٠ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

تذييل

في ذكر نظم العالم القاضي ببلات القلزمي رحمه الله تعالى ، الذي نظمه في بيان الطريقة النقشبندية وأحوال من يخالفها من أتباع أهل الزعم والدعوى وذكر ما يوافق قوله من نقول الكتب .

ثم اعلم أيها المأمون في السرِّ المصون ؛ لا يخفى على العلماء أن التكلُّم بالحق والردَّ على الباطل واجبٌ على كل مسلم ، ومَن كتم علماً أُلجم بلجام من النار ، وقد تكلَّمت في حقِّ المتشيخين في تأليفاتي لمجرد النصيحة للخلق ، لا لغرض ولا لحظِّ نفس ؛ يعلم الله تعالى ذلك مني ، ولا يخفى عليه شيء ، وحيث رأيت العلماء ساكتين عن إظهار الحقِّ خوفاً من لومة لائم أظهرت الحقَّ محضاً لوجه الله سبحانه ، وأوقفت نفسي هدفاً لملامة الخلق الذين هم كالأنعام ؛ قائلاً : حسبي الله وحده وهو معيني ، ولا حول ولا قوة إلا به . لكن قد شارك معي للركض في هذا الميدان أخونا في الله ، لله ، بالله ؛ العالم العارف الذي لا يخاف في الله لومة لائم ، ولا يكتم ما يعلمه مخافة الإلجام[(١)] القاضي ببلات أفندي القُلزمي رزقه الله تعالى الاستقامة آمين ، وكتب نظماً نفيساً عجميّاً ، مقتبساً من أعيان الكتب المعتمدة . ولأجل تمام النفع أردت أن أُدْخِله في هذا الموضع ليكون كلام ذلك العالم مؤيّداً لما قلناه . ونص ما قاله رحمه الله تعالى هذا : بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله .

---

(١) أي مخافة إلجام من النار لو كتمه . فافهم . (هامش الأصل) .

نَقْشُبَنْدْ طَرِيقَتِنْ جِـنْدَ اَبُلِبْ طَـــرِيقْ   مَـزَّلِ بُـــطَ هِچِبْ بَلْكُيَبْ ذِكْرُ بُكُ
حَبِيبَصْ صِدِّيقَصْدِ هَبُـرَبْ تَوَجُّهَـلِ   أَبُو بَكَرِلْ رِكِلْ حَبِيبَصْكِ جِبْ طُرَبْ
أَبُو بَكَرْ صِدِّيقَصْ هِدِنْ قُّجِّ لُرَبْ بُكُ   بَهَاءُ الدِّينْ شَيِخَصْ خَدُبْ شُلَ هَبُرَبْ
شِبْنِكِ بِدْعِيَبْ جُ جِنْدَ جَنِبْكِ هِچِّـبْ   أَصْـلُ خِسِزَبِچِّبْ خَّتْ قَّبِ قُّرْدِ هِچِّبْ
طُرُقَزُلْ عَكَـــرَبْ مُرِيـــدَصِ فِهَيَبْ   تَصَرُفْ جَذْبَتَلْدَ جِنْدِرْ مَعْنَى كِ بُكِبْ
جِنْـــدِرْ خِرَلِيَلْدَ عَالِـــمْزَبِ مُكُّرَبْ   هُـــئِنَبْ مَشْرَبْ بُكُ بُقَّــرَصِ هِـــقِز
اِتِّبَاعْ حَصُلْ لِزِ جِبْ هِچُّكُ عُـلَرِبْ   كُـونُوا مَعَ الصَّادِقِينْ اَبُـــنْ آيَةْ بُكِلِلْ
جِنْدَصَ وُصَرَوْ چِ دِينْ حِنْقَرَوْ وُكِلَنْ   بَهَاءُ الدِّينْ شَيِخَصْ شُلَ هَبُنْ خَّنْ بُكُ
قِيَمَصِبْ قُ شِزْ عَنْ شُلِيَبْ حَبْلُ بُكُ   جِبْ خِسِزِ هَبِزِ رِسْكُ هِجِّبْ جُ بُكُ
اَللهْ بَلَهُلِبْ رَكْ بَـــژَّلِـــزِ هَـــبُـــلِبْ   خَـــوَاطِـرَلْ اِنْزَرُنْ حُضُورَلْدِ بَچُنِبْ
رَكَّلُلْ حَقِيقَةْ لِيْ جِنْطَلُنْ حَصُلْ لُلِبْ   بِـــطِـــرْهَـــنْ لِزِكَّنِ طُصِّبِ لِزِ كُلِبْ
هَلْـــدَ اِشْـــكَالْ بُكِوْ چِ بَهْجَتَلْدِ بَلَهِ   بِـــكُنْ لِچِّوْ چِيَصُـلْ اِشْكَالْ كِّزِ بِهُلَ
هِلُلْ خِرَلِ بِـــژُنْ مَـزَّلْدَ حَـــلْ كِّلَرُ   خِرِيَبْ جَوْهَرْ بُكُ بَهَ هَـــبُنْ كُّلَرِبْ
هَبْ طَرِيقَةْ كُّرَصِ كُدِيَبْ رُخِلْ بُكُ   شُلِيَبْ رُكْـــنُ يَـلْدَ وُكَّرَوْ چِ وُكُ هِوْ
هَـــبْ طَرِيقَةْ خِرَلِ لِزِ نُجُـيْ بُقَّـــنِ   مَهْدِى اِمِامَصْ هِبْ كِّيْ عِلَ نُجُيْ دَلِيلْ لُنْ
أَبُو بَكَرْ خِرَلِ جِنْدَلُنْ حَصُلْ لِـرَبْ   رَكَّـلُلْ ذِكْـــرِ بُكِنْ بَلَهِ نُجْ طَكَزْدِى
هِلْ نَقْشُبَنْدِ يَزُلْ طُصِبِصِبْ كَلِ بَيْ   ذِكْرُيَلْدَ بَيْ بِكِ قَلْبُ يَلْدَ لُـــنْ بُـكُ
ژِنْكِ خَدُرْ اَلْطَافَلْ ذِكْرُيَلْطَ لُنْ بُكُ   طِكَلْدَ بُكِبْ كُژَلْ طُـــرَزِ هِـلْ هَـرُلَ
شِـبَـــبْ لَـطِـيفَيَلْدَ مُـــرَاقَـبَه مَـلُلَ   مُشَاهَدَه دُيْ شِـزِ عُـــبُودِيَّةْ حَقْ لِزِ

ژُيْكِ هِزُلْ طُرُقَلْ طَكَزْدَ رِژُنْ رُكْ   هِطِنَبْ وَعْظَ يَلْدَ رِخْصِزِ رِقِلَرُ
فَنَاءْ كِنْ غَيْبَتَلْدِ مُرِيدْ شَرَبْ مِخَصَّ   هِمِخَلْنِ بِهُلَ ذِكْرُ اللِّسَانْ هَبِزِ
وِلاَيَةَلْدَ كَلِ طَمُرَبْ مِخْ بُكُ هِبْ   هِطِنَبْ وِلاَيَةَنْ جِنْدَ ژَّرْكِ اَبُلِبْ
هِبْ طَرِيقَةْ حَلْطُلِلْ هِلْ مَشَائِخْ زَبَزْدِى   ظَنُّ كِشْلُنْ كَّدَرَوْ اِنْكَارْ هَبُنْ كَّلِرَوْ
رُوحْ بَخِيَلْدَ اَسْكُو وِطُنْ كِلَرِنْ اَبُنْ   شَهَادَةْ بِطِزِكِ حَلْكُ كِلَرِنْ اَبُنْ
طَبَقَاةً اَبُلِبْ طِكَّلْدَ بِژُنْ بُكُ   هِبْ نَقْشُبَنْدْ طَرِيقَةْ حَلْ طُلِوْ شَيِخْ كِّجِّوْ
اَللهْ اَوَرَكَصْدِ عَصِيَولَنْ بُكُ   هَنْجِ دِينَلُلْ وَصَّلْ فِكْرُ هَبُنْ عِنْ طَمِ
عَبْدَلْكُ وُكُنِكِ رَعَبَزُخْ بَلَهِ   اِتِّبَاعْ كِ هِجُّنِ حُضُورَلْدِ شِجُّنِ
لِجُّكُ جِوْ عُلَرِوْ بِطِرْ هَنْكِ لِجُّنِ   اَللهَ صْدِ عَصِلُنْ عُمْرُ[1] طَمِزِ كَّنِ
صُنْدِ وِجَرَولَنْ جِنْصَّكُ فِكْرُ هَبِ   إِنْسَانْ وِجِيَلْدَصَنْ مُرَادْكُ شِبْ اَبُنِ
عُبُودِيَةْ طُبِطِ جِنْدَ طَدَبْ كُژَلْدَ   عِشْقُ كِمُ مَحَبَّةْ اِنْقِطَاعَلِ سَبَبْ
عُبُودِيَةْ حَصُلْلِ جِبْ كِيَلْدَ لُنْ جُّلِبْ   عُبُودِيَةْ بُكْ لَرُ عِبَادَةْ هِجُّنَنِ
عِبَادَةْ اَبُلِبْ جُ حُضُورَلْدَ جِّيْ بُكُ   هِبْ كُّدِيَبْ سَعَادَةْ حَصُلْ كُ لُلَرِلَ
جَذْبَةُ اِلَهِيَّةْ جِنْدِيْ هِجِّوْ جِيَصِ   هِبْ جَذْبَةْ حَصُلْ لِزِ بِشُنْ كُّدِيَبْ سَبَبْ
جَذْبَةَ لُلْ شَيِخْ كِّيْ اِصُلْكُنْ صُحْبَةْ هَبِ   تَصَرُّفْ جَذْبَةَ لْدَ جِنْدِزْ مَبْنَى كِ بُكِبْ
هَبْ نَقْشُبَنْدْ طَرِيقَةْ حَلْطِزِ طَلُنْ كَّنَ   اَللهَ صُلْ سُنَّةْ كِ سَبَبْ كُنْ بِلُنِلُلْ
سَبَبَ لْدَ رِكَيَنْ نِلِدَ اَبُلِ لُلْ   هَبْ كُژَلْدَ خِرِيَبْ هِبْ طَرِيقَةْ بُكَدْكُ
هِبْ مَلُلِوْ اُسْتَارْكِ كُدُ شُلَ وُكَدْكُ   نُرْ كِنْ ژَدَخْ اِسْمُ قُّنْ اَللهَ صْدِ رَجُنِو

(١) وفي نسخة : عُمْرُكِ طَعُنْ كَّنِ .

لَطَائِفَلْ كِ رَزُّنْ جُرْخُلِ نُورْكِ طُـلِوْ   حَبِيبَصُلْ طَرِيقَةْ جِنْـصَ چَّـكْ هَبُلِوْ
نَسَبْ جِنْدِرْ بَرَّدَوْ سِـلْسِلَةْ كِ قُطِچَّوْ   هَبْ خَلْقَلِ عُنْ بُكْ عَدَمَلْ كُكُلِوْ جِ
ظَاهِرَلْ كَرَامَتَلْ رِزُنْ جَلْ كَرْكَرْدُلِلْ   شَـيِـخْ زَبِـيَنْ كِـزِ هِلْدَ عُمْرُ طَمُلِلْ
هِلْچِ شَيِخْ لُنْ هَرُنْ خَدُ رِلُنِـــلْ رُكُ   نُورْ هِچِّبْ اِسْـمُ قُلِلْ نَسَبْ جُدِي هِچِّلْ
حَبِيبَصُلْ نُخْ قُطُنْ قُطَّاعَلْ لُنْ لُهَرَلْ   لَـقِيطُ الـطَّـرِيقِ لَـنْ ثُرَّكِ اِزْدَ اَبُلِلْ
هِلْ چِعَزْدَ نَخْ رِلُنْ خَلْقْ يَزِخْ لُلِبْ بُـكُ   هِزْدَ لُنْ هَبْ خَلْقَلِ بُكِبْ ضَرَرْ بِرْنِ
طَـكَّـلْكِ بَطُلْ هَرُنْ كَرْكَرْدِزِ لُـهُـلَ   جَـلْكِ صُـفَـبِ يَـلَنْ دَغْـبَدِزِ رِكَـلَ
اُسْتَـرْكِ ثَّقَـولَـنْ ثَّقْـكُ وِطَـرَوِ لَـنْ   جُـدِصَّ حَلْطُلِبْ جُ بِطَرَبْ طَرِيقِلَنْ
طِـكَّـلْدَ رِقُـنْ بُـكِـنْ طَلَبْكُ هَـــبُلَرُ   صُـفِـزَبِ اَبُــرَبْ ثَّرَلْ عِـيْ هَبُنْ رُكُ
صُفِلِ كِنْ شَيِخْ لِ شِبْـجُ يَلِ لَچُّـكُ   كَـرَامَـتَلْ ظَهِرْلِ مُرْشِدَصِ شَرْطْ كُرُ
اَمْرُكِنْ نَهْيُلَدْ خَدُ وِلِنْ شَرْطْ بُـكُ   طِكَّلْدَ بُكِبْ كُرَلْ طَرِيقَةْكِ حَـلْـطُلِوْ
سِلْسِلَ كِ قُطِچَّوْ مَأْذُونْ لُنْ وُكِ بُكُ   اَخْـلاَقُ ذَمِـيـمَـتَلْ تَـرَوْ وُكِـنِ كَّلَ
اَخْـلاَقُ حَـمِيدَةَ لْ كُّرَوْ وُكِنْزِ كِلَ   شَـرْعَـلْـدَصَ وَخَّـرَوْ وُكِنِكِ وِهْلَرُ
حُجُبَلْ رُرْخِچُّكُ نَفْسَـكِ بَرَّلِچُّـكُ   حَـضْـرَةُ اِلَـهِـيَّةْ هِـوْجِـيَـصِ شُـلَرُ
خَـلِـيفَه لُـنْ وُكِـنِ هِوْ چِكِ وِهُلَرُ   فِـشَـبَزْدِ بَـلَـهِ رَعُـخْ نُـجْ بَـلَـهُـكِ
لِكَلْ كِشَلْ فِشَبْ عِمرَلْ رِزُنْ رُكِنْ   خَـلَ لِـزِ كُـرِلَـنْ خَّـچُّكُ دِصَ تَنِنْ
حُجُبَلْ رُرْخِيَلُلْ عَلاَمَةْ بِرُنْ تِـزِينْ   رَكَلْدَ طَدْ لُهَرَلْ بِرْ لَبِ لُنْ جَـلْ رُكِـلْ
بُـصُـرْمَـنَـوْ كَـفُـرَوْ كِنَوْكُ عَدَمَصِ   حَـتَـى تُشْمَنَ صِكِ هِدِنْكُ حَيْوَنِزِي
ضَرَرْ هِچِّوْلُنْ وُكِنْ هِبْجُ بُكُ عَلاَمَةْ   خَـرِيَـوْ حَـبِيبُ اللهْ هِدِنْ لِدَلْ كَدَرَوْ

كَشْفُ كِمُ كَرَامَةْ ژَّقْ فُلاَنَبْ دَرَجَه ... كُـشُـفَـلْ هِـچِّـوْ وَلِي كَاملَولَنْ بُكُ
هِزْدَ لُِنْكِ خَلْقَلِ كُدِيَبْ ضَـرَرْ بُــكُ ... كَشْفُ بُكِوْ شِنَوْ چِ وَلِـي يِلَنْ هِزْدَ كُنْ
اَهْلُ الظُّلاَمْ اَهْلُ الْحَقْ بَطَ هَرْزِ لُِچُّكِ ... بِـطَـرَبْ أَهْلُ يَلْدِ اَللهَ صْ نُجْ طَمِكِ
فُتُوحَزُلْ بَـلَـهَـلْ عِـمِـرَلْ رِژُنْ رُكُ ... اَللهْ رِخْصِيْ كُـرُكُ رِكِلِ بِچِكِكِ آمِينْ
چِمْـكِ لَـغْ وُكِـولَ اَللهَ صِ وُقَّــرَوْ ... بِطِرْهَنْ جِنْدَ كُرْحُنْ فَتْحُ جِنْدِي هُقَرَوْ
هِدِنْكُ رُكِلِلِ فَـتْـحُ ظَـهِـرَلْ چِــعِ ... اِزْدَ اِلْ دَائِمْ لِدَلْ سِحْرُِنْ جَلْ صِرَرَلْ
اَللهَ صِ رِخَـــرَلْ اِزْدَ دَائِــمْ هَـرُلَ ... هِـزُلْـكِ شَـيْطَدُلْكِ مَشْهَدْ ژُلُِنْ بُكَنَ
قِّـجِدَلْ اِلْ رِلُِنَ رَسْ بَطَلِ هِـچُّـكُ ... هَـلْـدَ اِشْـكَـالْ بُـكِوْ چِ اِبْرِزَلْدِ بَلَهِ
اَللهْ جِنْدَ كُرْحَـرَوْ اَللهَ صْ جِـنْدِ ژَّلَ ... هِـزْدَصَ فِــكْرُ هُقُنْ طَدِعَنْكِ هَوُلَ
كَامِلَلْ أَهْلُ الْحَـقَّ لْ اِزْدَ لُِـنْ كَلِلَرُ ... حَـقَبْ جُـدِدَ بِكْدَلْ بَطُلَبْ رِخُنِلَ
صَادِقِينَ لْ فَتْحُ يَلِ دُنْيَالْ تِيَلْـدِ ژَّلَ ... يَـقِـينَلِـلِ طُـكْ لُِـلَ مُعَامَلَه لِكْ لُِلَ
صَادَقِينَلْ كُرِلَلْ فَتْحُ يَلِ جَـلْ كُكُّـلَ ... شَرْعَلْدَصَ رَخُّلَ حَـبِيبَصُـلْ نُخ تَلَ
أَهْلُ الظُّلاَمْ أَهْلُ الْحَقْ هِلْكِ بَطَ هَرُلَنْ ... لَِـزِ بُـقَّـنِ نُـجُـيْ اِضُـخْ بَـلَهُنْ بِكِّ
فَتْحُ كِ كِكُ بُكُ ظُلْمَـانِيَبْ نُـورِيَبْ ... أَهْلُـكِ بِـجُـنْ بُكُ كِـيَـلِـكُ بَطَيَبْ
أَهْلُ الظُّلاَمْ أَهْلُ الْحَقْ ژَّرْكِ اِزْدَ اَبُلَ ... كِـيَزُلْكُ فَـتْـحُكِ بَـطَ بَطَـيَـبْ بُكُ
بَـطَ هَـرُنْ رِژْنَـزِنْ لَِـزِ بُـقُّـنْ بَـتَنِ ... زُبَلْكِنْ رَقَّلْ رِكِّ جَنِبْ بُكِبْ جُ بِكِّ
لَغْزَدِرلْ فِشَ لَِـيْ اِزُلْ مُـنَـهَـلْ رِكِّ ... دُنْـيَـلَـلْدَ لُِهُنِلْ حَدِيثْ لُِلِلْ جَلْ رِژْ
شِـبَـبْ رَقَّلُِلْ بُكِبْ مَخْلُوقَتْكِ بِكِّلَ ... جِنَـلْ چُّـلِبْ بَكْ لَِلَ اِلْكِ اِزْدَ رِكِّلَ
شَيْـطَبِـلْـكِ رِكِّـلَ اِلْـكِ اِزْدَ رِقِـلَ ... بُـقَّرَبْ جُ هَبِـزِ كُـمَــكْ كِ اِزْ هَبِلَ

هِلْ جَلْ ظُلاَمَلْ رُكُ هِلْ جَلْ بِژْپَبِ رُكُ ... اَللهَ صْـدِ لَغْ شِزِ هُقُلِلْ جَلْ رُكُ هِلْ
بَطُلَبْ اَهْـلُيَلْدَ هِـقِـزِ جَـلْ هَـرُلِـلْ ... أَسْرَارُ الْـحَقَ زْدَصَ اَللهَ صْ جَلْ هُقَرَلْ
فَتْحُ الْحَقَّ لِ قُّلِبْ فَتْـحُ كِ كِكُ بُكُ ... ژُيَبْ صِبِ رِخْصَرَبْ ظُلاَمَزِ جِبْ قُّرَبْ
كِـئَـبِلِـبْ رِخْـصُلِبْ ظُلاَمَزِ قُلَـرِبْ ... ظُلاَ مَزِ جِبْ قُّرَبْ رِخْصَرَبْ فَتْحُ يَلُلْ
أَهْلُ الظُّلاَمْ أَهْلُ الْحَقّْ هِزُلْ بَطَلِ هِجُّ ... كِـيَـزْدَكُ بِـكِّـلَ رَسْ بَـطَـلِ هِجُّكُ
كِنِّكِ هِـبْ قِّـيَـلُلْ مُـرَاذْنِ بَـطَ بُكُ ... اَللهْ كُـرْحُنْ وَتَـكِ فَـتْحُ قُّرَلْ چِـيَزْدَ
أَهْـلُ الظُّـلاَمَـزِ قِّيْ اِسْتِدْرَاجَلِ عُلُ ... أَهْـلُ الْـحَقَّ لِ قُّـلَ دَرَجَـبِ ژِكِـنِ
مَـحَـبَّـةْكِ طُكْ لِزِ جِنْدَ رَكْكِ بُكِّـنِ ... هِلْكِ حِنْقُنْ رُكُنَ هِبْ مَقَامْ قُطِزِعَنْ
أَهْـلُ الظُّلاَمَزْدِ جَلْ اِلْحَاقْ هَرِلِـلِلَنْ ... ظُلْمَةَلُلْ طِـرْكَّرَلْ أَهْـلُ لُِـنْ خُطِلِلَنْ
فَتْحُ ثَانِي رَهْزِعَنْ بُجِ هِزِيْ هِـچِّلَ ... فَتْـحُ الْـحَـقَّلِ قُّـلِبْ كِئَبِلِبْ فَتْحُكِ
اِزُلْ فُتُـوحَلْ رِژُنْ كَلِّيْ هَبِزِينْ دِصَّ ... مَـلاَئِكْ زَبِ رِكِّ هِـزُلْ تَسْبِيحَلْ رَعِ
مُـؤْمِـنْ زَبَزُلْ رُحَـلْ كِرَامُ كَاتِبُونَلْ ... هِـدِنْـكُ وَلِـزَبِ هِزْدَ هِوْ كَرْكَرْدِيكِ
اَلْجَنْ هِصْدَ بِكِّلَ لَوْحَ لْدِ هِـوْ وَكِّلَ ... حَبِيبَصُلْ خُبْ بِكِّ خَبَلَنْ نُورْكِ بِكِّ ي
خِرِيَوْ حَبِيبَصُلْ ذَاتْ كِ هِصْدَ بِكِّلَ ... شَيْطَدَصَ هِوْ بُجِ هِمِخَلِ حَصُلْ لِلَ
هِلْ جَلْ أَنْوَارَلْ رُكُ اَللهَ صْدِ وَچُلِلْ ... أَسْرَارُ الْحَـقَّ لْ رُكُ حَقِيقَةْ لِّيْ بُقَنِ
بِطَـرَبْ اَهْـلُيَلْدَ هِقِـزِ جَـلْ هَـرُلِـلْ ... بَطُلَبْ أَهْـلُ يَـلِ اَللهَ صْ جَـلْ قُّلَرِلْ
كِيَبْكُ فَتْحُ لِرَلْ أَهْلُ الْحَقِّ لَـنْ بُكُ ... فَـتْـحُ أَوَّلْ قُّـرَلَلْ أَهْلُ الظُّلاَمِنْ بُكُ
خَّبْ خِّلْ غِطْ كَلِنِلَ چِنرِدُلْ غِـطَلْدَ ... دُنْـكِ مُنْكِ غِطْ بُكِنْ بَطَلِ شِبِنْ أَبُنْ
غِطْ أَبُرَبْ ژَّرْ بُكِّنْ دُدَكِ دِدَكِ يْـلَنْ ... دُرْكِ دِرْكِ بَـطَلِ شِبْ رَخَّلِ بُكِ بِلَنْ

چِنَرِدُلْ غُطُصَ جَوَابْ بِرْژِنْ هَـبُـنَ   أَيْ مِسْكِينْ مُنْ كُكُّ كِ غِطَنْ اَبُرَبْ ژَّرَلْپْ
قَّلْبَلْ شُلَ هِچُّنِ غُطُلْ فَيْـدَ هِـچِّـبِنْ   غِطَنْ اَبُـنْ شِنَـبْ غِطْ رِلِرَ بُكُنَ رِنْ
خَسَلِلْ هُرَلْ فُيْدَلْ ژُّرُيْكِ طَـدِشِدَلْ   قَّلْ بَلْكِ دُرْ رَخِّـدَلْ طَنْ خَلْكِ دُرْ غِنِدَلْ
هِمِخَلِپْ لِلَ فَقِيرْ مُنْ كُكَّ رَبْ لُِنْ بُكِ   غِطَنْ اَبُـرَبْ ژَّرَلِپْ دُيْ فَيْدَ هَبُنْ كُطِ
قَّلْ بَلْ شُلَ هِـچُّنِ مُـنْ دِدَ رِلُِنْكُـطِ   هِدِنْكُ ظَهِرْ لِلَ هَلْ فَقِيرْ صُوف بَزِي
قِيَمَصِبْ قُيَـصَّ مُـرِيـدْ زَبِ كُـرِلْلِپْ   صُوفِ زَبِ اَبُرَبْ ژَّرَلِپْ جَلْ كُكُّنْ رُكِّ
هَنْجِ هَلْ اُسْتَارْزَبَزْ خَلْقَلِپْ هَبُلِـبْ جُ   بَيَانْ هَبُنْ بِژِنْزِنْ عِنْ طَمُنْ بِكِّ وَصَّلْ
لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهْ كَـلَلِپْ رِخْـصِـي اَبُـلَ   ظَاهِرْكِ بَاطِنْ چُرُنْ اِسْتِعْدَادْ حَصُلْ لِزِ
طَـرِيـقَـةَلْـدَ جَـنِـرْ لُِـهِـنْزِ نِـلِپْ بِهِزِ   ژِنْكِ خَدُبْ طَرِيقَةْ تَلْقِينْ هَبُنْ مَـلِزِي
وَيْ تَـمَـشَ عَـلَـمَـتْ كِدَدَيْ رَژَّلُِلْ   اِسْتِعْدَادْ حَـصُلْ لُِلِبْ زَمَنكُ يِشْ هِچِّبْ
مُرِيـدَصُـلْ اِسْتِعْدَادْ بَلَهِكِنْ بِكِّ چِّوْ   اِصُـلْ مَآلْ حَقِيقَةْ حَقَبْ كُژَلِپْ لِلَرِوْ
هِوْ چِيَصُلْ تَرْبِيَةْ شِبْ رَخَّلَنْ بُكُ نِبْ   ذِكْرُ مَلُِنِلْ اَبُـنْ صُـنْـدِ رَخِـنَـرُ لِـلْ
لُِعلْكُ جِنْدِيْ هِچِّبْ اِسْتِعْدَادِ شْ بُكُنِـبْ   اِسْتِعْدَادْ لَِچِّ وَصِ ذِكْرِ مَلِپْ حَرَامَبْ
لِنْ تُنْ مُرِيدْ قَچَّزِ شَيْدَيْ هِوْ بَرَخْشَرَوْ   غُـدْرُنِرْ رَرَلْ خِنْكَلْ رِكِنِ فِهَ هِچِّشْ
هَنْجِ دِنَلُِلْ وَصَّلْ دِصَّ نُجُيْ بِـژِنْ زِنْ   نُـجِدَ طَـدَبْ بُكُ اُسْـتَارَصْدَ اَبِـزِي
اِسْتِعْدَادْ حَصُلْ لِزِ زَمَـانَـكِ شَـنِـلَنْ   اَللهْ ژُ وُكِـنْ لَِـنِنْ اِشْـكَلْ كِ طَعَنِلَنْ
تَلْقِينْ هَبُـنْ طَـرِيـقَـةْ نِـجِيكِ قِّلَنْ   طِـكَّلْدَ بُكِـبْ كُژَلْپْ مُرِيدْ زَبِ هَرِيَنْ
اُسْتَارْ هِچُّكُ رُكِ بُقُّنْ نِـجِيْ هِچِّلَنْ   هَلْدَ اِشْـكَلْ بَـتَنِ عَالِمْ زَبَزْدَ ژِّخِي
دِدِخُنْ رَكْ كِشْـلُِك لَِـرَبْ جُ بِژُنِلَنْ   طَـكَّـزْ اَبُخِّ هِچِّبْ طَـرِيقَـةْ بِـهُلَرِنْ

طَكَّلْ هِرِصِ هَرُنْ وَحْيُ هَنْجِ رِشْطِنْچِّنْ   شَيْخْ زَبَزُلْ نُخْ كِچّوْ شَيِخْكِ وُكُنَرِنْ

اِصُلْ نُخْ كُنْ وِلِنْزِ اِصْدَكِ طَدَ بُكِنْ   ثِّيَلْ نُخَلْ رَخِّزِ اِخْتِيَارْ نِلِخْ هِچِّنْ

بِدْعِيَبْ نُخَلْدَصَنْ رَخِّنِ بُقَّنَنِ   كِكُنِصِصْ هَرُرَلْ تَقْرِيرَلْ ثَّلِزَرِي

نُجْيْ طَرِيقَةْ هِچِّبْ هِنِصَنْ بَيَانْ لِلَ   هِصْدَنِكِ بُجَ نُجْ دِدَ بُجِچُّنِكِ

نُجِرْ اُسْتَارْ هِوْ لِدَلْ هِصْدِ نِكِ مُطِعْلِ   تَلْقِينْ هَبُنْ اُسْتَارَصْ ذِكْرُ جِنْدِيْ قِچِّصُلْ

اُسْتَارَصُلْ رَكَلْدَ هِصُلْ رَكْ بُكُنَرُ   سِلْسِلَ بَغَزِ هِصِيْ اِلْ هَبُلَرُ

اِصْ هِوْ غُرْلِ قَلَرُ جَوَابْكِ هَبُلَرُ   حَبِيبْ كُنْ اَللهَ صْدِ شِزِ اِزْ هَوُلَرُ

اِزِيْ عُلُ كُرُنِ هُقُّخَّنْ حَجَةْ هِجُّ   هِزُلْ كِنْ رَكَلْ چُرُنْ مَحَبَّةْ حَصُلْ لِنِ

رُوحَلْ رُهُنْ لُلِلَ هَلْمَغْ لِكِ كُلِلَ   نِلِرْ مُرَادْلُِنْ بُكِبْ حَدِيثَلْ بِثُلِلَ

دُنْيَالَلْدَ رَكَّلِ وُقَّرَوْ چِكِنْ ثَدَخْ   قِيَمَصِبْ قُيَلْدَ ثَدَخْ وَخَّنِنْ اَبُنْ

هِلْ سِرِّيَلْ حِكْمَتَلْ هَبْ خَلْقَلْدَ لِلَرُ   لِلِوَصْ رِثَنِكِ هِلْدَكِ بُجُلَرُ

جَاهِلَلْ لُنْكِ رُكُنْ عِلْمُ كِصَنْدَيْ بُكِبْ   عَالِمَصْدَصَنْ كُرِشْ جَاهِلْزَبِ حَلْطُلِلْ

دِصَّنِ رِصْ هَبُلَ وِجَرَوْ اَللهَ صِ   هِزْدَ غُرْلِ دُنْ كِدَلْ بُجَ رُقِّ لِهِنْدَلْ

هِزُلْ اَرْوَاحَزْدَ غُرْلِ دِرْ رُوحْكِ جُبَنْ كِدَلْ   بُجِ بُكِبْ هَلْمَغْلِ دِيِ نَسِبْ هَبِدَلْ

جَقَ خَنِ كَّرِ چُّ مُرَادَلْدِ وَخِنْدَلْ   دِصَّ هَبِزِ كُلِبْ نُخَلْدِ دُنْ وَخِّدَلْ

كَلِچُّكُ وُكِنِ حَلْنِكِ كُلِبْ اَنِ   عِلْمُ بَلْكُ هَبِزِ نُخْنِكِ بُكِبْ اَنِ

بُصُرْبَزْدَ كُرْحُنْ رَكْكِ بُكُنَرِ لُلْ   قَطِ رِخُنْ رِطَنَ ثُدَهَلْكُ جَوْهَرَلْ

اَللهَ صْ تَلِحْ قُّرَصْ قَنْ كُنْ شُلَ هَرِلَ   شِبْكُ اِشْكَالْ جِبْكُ تُنْ تَوْبُ يَلْدِ وُصِنَ

هُيَهَيَى بَچُنِلْ مُتَشَيِخَلْ رُكُ   ذِكْرُ جُدِصَّ مَلِ اِسْتِعْدَادَلِ يِلَنْ

مِصْرِيَلْ خَلْچَّبِكُنْ جَـهِـلْزَبِ كَنْڗُّلَ   جُدِخِّ قُّرَبْ ذِكْرِ تَلْقِينْ هَبُــنْ قُّنِلَنْ

حَبِيبَصُـلْ طَـرِيـقَـةْ هِـرِصِك هَبُلَ   هِـبْ طَرِيقَةْ حَلْطُلِوْ مُرْشِيدْكِ كَكُنْ چُّـلَ

دُنْـيَـلَـلْـدَ فَـصِحَلْ قُرَيْشِيَزْدَ كِّچِّبْ   حَبِيبَصُلْ دِينْ هُقُنْ حَـبِيبْ هِـرِصِ هَوِي

مَوْلِدْ خَيْرَاتْ چِّكُلِبْ هَبْ چُرْفَدُلْ اَهْلُيَلْ   حَـبِـيبَصُلْ طَرِيقَةْ كِنْ هِرِص هَبُلِبْ

هِلْ چِيزِ ڗَّلِزِ ڗِّيَلْ طَـكَّـلْ دِرْ هِـچُّ   صّـرِ كُـصِلْ طَكَّزْدَ هَلْكِ بُجُلِلْ هِچُّ

دِصَّ فَاتِحَةْ طَمُنْ دُعَا هِـزْدِ هَـبُـنَ   إِنَّــا للهِ بَــچَــنَ اَللهَ صْــدِ رِخَــنَ

كَـلِ بَـلِـيْ طَـعَنَ طُكَبْ كَلْ رَهِلَرُ   هَـلْـدِ مُـطِـعْ لِـچِّوْ چِ بُقُّخِّ وُكَ اَبِ

يَهْدِي اللهُ بُقَّرَوْ بِـطَـرَبْ طَرِيـقَـلْدِ   تَـبْـلِـيـغْ طُـبَزِ هَبُنْ ذِمَّتْكِ خَصَرْلِنَ

اِخْـوَانَـزُلْ رَكَـلِ حَـلْكِّ دِصَّ هَبُنَ   اَمَّ ڗُڗُّ هُـرْقُّـصَـنْ اُسْـتَارِنْ دَعْـبَدُلَ

جِوْ كُـرِوْ دُنْـيَالَـلْدَ اُسْتَارْكُ هِچِّولَنْ   نَقْشُبَنْدِ طَـرِيـقَـةْ جِـنْصَّكِ حَلْطُلِبَنْ

حَلْكِّزِعَنْ خَلْقَلْدَ ذِكْرُ اللِّسَانْكِ مَلِّنْ   رِكِـلْ ذِكْـرُ مَـلِّلِـوْ اُسْتَارْكِ هِچِولَنْ

مَلِّنْ اِبْ بَجَـرُلِـوْ مُـرِيـدْكِ هِچِّولَـنْ   هِـبْ رَعِكِ بِڗُنَ ڗُ رَخَلِ خَلْقْ بُجِزِ

حَبِيبَصْ جِنْدِيْ قُّلِبْ لَعَنَكِ كُچُّنْ تُنْ   طَـكَّـزْدَ بُـكِـبْ اَنِ طَـرِيقَتَلِ بُرْجِلْ

بُرْجِلْ طَعَرَلْدَصَن طَرِيقَةْ هِچِّـبِـلَـنْ   يَـلِّـنِ ذِكْـرُ قَـلْـبِـي بَـجَـرُلَـرِبِـلَـنْ

رِكِلْ ذِكْرِ مَـلِزِ رِسْكُ هِچِّبْ جُيلَنْ   ڗُكِـكِ بُـكِـبْ اَنِ ذِكْـرُ خِـسُـلِـبِلَنْ

ذِكْـرُ اللِّـسَـانْ مَـلِزِ طَـدَبْكِ بُكِبِلَنْ   هِـوْ فَـقِـيرَصِ دَلِـيلْ طِكَّلْدَصَ بَتِچُّ

هِصْدَص يَزِخَّبْ جُ دُنْيَالَلْدَ بُـكِنِشْ   ڗُكِ شَـيِخْ كَـلِّلَ هِزْدَ هُرْقُّصَ وَخُّنْ

جِنْصَ مَلِّلِبْ جُكُ شَرِيعَتِـلَـنْ اَبُـنْ   خَـلْـقَـلْـدَ كِ اَبُلَ هِوْ شَيِخَصْ مَلِّلَ

اِتْـنِ رُزْمَنْ سُرْدُيَلِ خَتْمُكِ ڗَّلِيـلَـنْ   رَابِـطَـكِ مَـلِّـلَ جِـنْـدِدِ هَـبِـيِـلَـنْ

هِصْدَ رِلِّـرَوْ ظَـالِمْ دُنْيَاللْدَ رَعَنِشْ　　دِبِـرْزَبَـزُخْ بُـكِـبْ شَـرِيـعَتْكِ بَخُّلَ
شَيِخْ زَبَزُخْ بُكِبْ طَرِيقَتْكِ حَـلْطُـلَ　　نَسَبْ جِنْدِيْ هِـچُّـلِ هِنِصَنْ بَيَانْ هِچِّشْ
هِصُلْ اِشَلْدَ رِقُنْ نَتِيجَةْ ظَهِرْ لِچِّـشْ　　نَـقْـشُـبَـنْـدِيَوِلَـنْ دِصَّــكِ اَبِـلَ اَنْ
نَقِشْ هَبِزِ كُلِبْ هُنَـرْ دِلْ بُـكِـبْ اَنِ　　عَـرَزْ بِـئُـنِـلْ اَبُـنْ بِـرْزِنْـلِ بُـكُنِشْ
نَقِشْ هَبُنْ خَطَلْ خَّنْ قَچَّزِ لِـچُّـنَـنِ　　دَعْـبَ بَـزِ كَّـنَـنِ نُـخَـلْـكِ لِزَ كُّلِلْ
نُـعْ هِچِّوْ دَعْبَدُلَوْ چُحْ بُزْكِ نَخ چَّلِوْ　　تَـبَـرُّكَـلِ عُـلُـنْ ذِكْـرُ قِّـلِـنْ اَبِـــزِ
طَرِيقَتْكُ كُرِبْجُ مَلُِنْ بَـرْكَةْ شُلِـبِـشْ　　حَـتَّـى جِكِكِ مُرِيدْ هَلَكْ لِيِلُلْ كُّلِوْ
نُورْكُنْ هِچِّبْ ذِكْرُيَلْ شَيْطَانْ نَخْ چَّلَرِلُلْ　　عَالِمْ زَبِ طَعَرَبْ طَكَّلْ هِچِّبْ مِخْ اَنِ
دَعْبَ هَبُنْ بَخِزِ شَيِـخْـلِ بِـهِـلَ اَنْ　　يَـلُـنَـنِ طَـرِيـقَةْ قُّچْكُ هِچِّبْ جُ اَنِ
بُـقَّ بُـقَّرَبْ مَـلُـنْ طَـرِيقَةْ لُـهِنَ اَنْ　　طَـرِيـقَـةَ لُلْ قُّچَّلْ صُحْبَةْ كِمُ رَابِطَهْ
هِدِنْـكُ ذِكْـرُ الْقَـلْـبِ تَوَجُّهْ مُرَاقَبَهْ　　هِلْ اُصُولَلْ هِچُّنِ هَبْ رِخْـصَرَبْ كُـژَلْدَ
قُّچْ كُ هِچِّلَنْ اَبُنْ بُكِ لَنْ دَيْ اَبُلِبْ　　هَــبْ خَلْقَلُلْ(١) طَرِيقَةْ طَكَّذْدَ بَتُلَرِنْ
طَكَّلْكِ نَخِّ رِخُنْ عَمَلْ صُنْدَ هَبُلِبْ　　ژِنْكِ بُصُرْمَنَوْ لَغْ شِبِـژُنْ دَيْ كَـلِّلِوْ
نُخَلْ چُّنْتَرَبْ رُسُ رِخُنْ تِيَنْ كُـرُنِ　　شَـيِـخْ اَبُلِـوْ چِـكُ نُخْ مَلُّلِوْ چِ لِدَلْ
نُخْ مَلُّلِوْ هِچُّـنِ شَـزِ هِـوْ قَـرَعَـرَوْ　　اَللهَ صْـدِ شِـيَـلِ بِشُنْ كُدِيَبْ سَبَبْ
رَابِطَه يِلَنْ بُكُ سُـلُـوكَـلُـلْ طَـكَّذْدَ　　غَفْلَةْ كِ نَخِ چَّزِ وَسْوَسْ كِ طَصَ اِنْزِي
شَيِخَصُلْ فَنَالِ جِنْدَلُنْ حَصُلْ لِـزِي　　فَتْحُ كِ حَصُلْ لِزِي فَيِضَلْ كِ چِخزِي
اُنْقَـوْكُ اِمَـامَـصُـلْ اِتِّـفَاقْ بُكُ اِلْدَ　　هِـلْـدَ اِنْـكَـرْ هَـبُـرَوْ قُـسَرَوِلَنْ بُكُ

---

(١) في ديار داغستان .

هِـبْ رَابِـطَـه هَـبُلِوْ شَيخْ لِك قَرَعُنِوْ   اَللهَ صُلِ فَنَالُِنْ شِبْكُ جُ كُجُنْ تَرَوْ[١]

خَـرَوْكِ چَّكُـيَـوْ لِك اِزُلْ بَطَـلِ هِـجُّ   هِـصْدَ رَابِطَ هَـبِ اِلْكِنْ عُدُ چِّيْ بُكُ

طَدِعَنِوْ اَللهْ كِنْ اِصُلْ جُلُوسْ لِك بُكُ   هِصُـلْ جُلُوسْ عِلَرِشْ عَبْدَلْ كُرِوْ چِيَصِ

هِزُلْ صُحْبَةْ رِخِنِشْ رَژَّدَلْ اَرْوَاحَـزِي   رَابَـطه يَلُِـلْ شَـيِـخْ هِـدِنَوْ چِ هِچُّنِ

غَفْلَةْ لِك اُنَرِلَ مُرِيـدْ هَـلَـكْ لُِـلِـلَ   جِنْدِيْكُ هِچِّبْ وُصُولْ چِدَيْ كِنَنْ اِصْ قُّلِبْ

جِنْدِرْكُ ژُّنِچِّبْ رَكْ چِدَلْ كِنِنْ ژُّنُلِبْ   هَـبْ بِژَرَبْ جُيَلُِلْ دُنْكِ مِقْصَ وَتَنِ

فَقِيرْ مِقْصَ كَنِلَنْ دِخْكِ فَاتِحَه طَمِ   دُنْكِ رَضِيَوْ وُكِـنْ بِطَـرَبْ بِژَرَصْـدَ

هَبْ دِصَّ عَدِنْ دَلِيلْ طِكَّلْدَ صَنْ خَّرَصْدَ   فِـقْـهِ ژَّلُـنِـنْ اَبُـنْ تَـصَـوُّفْ بِـچُّلَرُ

سُلُوكَ لُِلْ طَكَّزْدِ بَلَهُنْ كَـلِـيْ هَـبِ   مَـشْـرِقَـلْـدِ وِلِـرَوْ مَـغْـرِبَلْدِ شُلَرِنْ

نُخَلْ بَطَيَلْ رُكِنْ رِطُنْ طَمِ عَـدَمَـلْ   عِـلْـمُ لُِـعُلِبْ هِچِّنْ جَبْكُ تَنِ كُرُنِ

بِطَرَبْ بِژُنِلَـنْ عُـمْـرُكِ خُـلِـبُـكِـنْ   طَكَّذْدِ اِنْكَرْ هَبُنْ خَلْقْكِ قُسُنِبْ بُكِنْ

خَدُرِلِنْ چُّنَنِ رَكْـكِ بَـقَـلِـبْ بُكِـنْ   يَا رَبِّ يَا بِطِرْهَنْ مُنْ رَضِيَبْ عَمَلْ قِّـي

اُسْتَارْ رَضِيَبْ كُژَلْ اِخْوَانَلْ حَلْـطِزَرِي   عُـمْرُكِ خَلَتْ هَبُنْ اُسْتَارْ طَدِعَنْ هَوِي

ژِنْكِ هُرِ بُقُّخِّ كِصَنْ فُنِ كَرْ هِـچِّـنْ   هَبْ كَلاَمْ دِصَ خَّنَ خَلْقَلْدَ ظَهِرْلِزِي

حَبِيبَصُلْ طَرِيقَةْ حَلْطُلِبْ كُژْ بِكِّـزِي   عَالِمَصْـكِ ژُّنِـزِ جَـاهِـلَوْكِ كَنْطِزِي

طِكَّلْدَ بُكِبْ كُژَلْ طَرِيقَةْكِ حَلْطِـزِي   هِلْـدَ طَدْ كَـلِـلِـوْچِ ژَّلَـرَوْچِ وَتَــنِ

يَلِنِ جَحْدَ بُكِـوْ جَـاهِـلْ چِ وَتَـنَـنِ   طِـكْ لِك بُـسُنْ وَخَّ اِوْ مُبَاحَثَه هَبِزِي

جَاهِل زَبِ كُكِّزِ عَالِـمَ صْ بِـهِـلَـرُ   ژُكِ لِك جَـحْـدَ بُـكِـوْ كَـلِلِوْ چِ وَتَنِ

---

(١) يعني من حصل له الفناء والبقاء الأتمّين ، راجع « البهجة » قحيّ .

دِي كِشِزِ يِلَنْ خَلْقَلْدَ كَرْكَرْدُلِوْ — خَلْ چِنْ كِنْ وَخَّ اَبِ مُبَارَزَه هَبِزِي
جَحْدَ كِ ظَهِرْ هَبُنْ فَرَقَةْ چُّنْ بِهْلَرُ — هِبْ كِيَپْلُك كُرُنِ كَلاَمْ كِ طَعِنَرُ
طُبَلَرِبْ رَعُصَ عَدَمْ كِ وُخِلَرُ — يَلُنِ دُنْ جَوْكُ تِ عَالِمَصْكِ نْ جَاهِلَصْ
دِرْ ثَّرْ بَخُّنْ كَلِّكِ جَلْكُ بُقَّخِّنْ رُكَ — دِينَپُلْ اِشْ طُبَزِي طَكَلْكِ رُكُ كُدُرْ
دَنْيَالَپُلْ اِشَلِپ يَرَغْكِ بُكُ بُقُّخْ — دِدَ كُرْحُنْ تَرَصِ رَسْكِ بَرْكَلَّ هِچُّ
هَبْ طَرِيقَةْ چُّنْ تِزِ دُنْ خِزِعَنْ تِلَرُ — بِثُنْ رَعِ خَرَوْ چِ جِوْكُ خَرَوْ چِ وُكُ
خَرَوْ چِيَصِ دَرْمَنْ خَبَلْپِ لِپِيْ كُرِبْ هِچُّ — خَرَوْكِ لَپَنَ دِدَ چَّكُ يَوْكِ وِكَّنَ
اِزُلْ بَاطِنْ بِكِّدَلْ عِمِرَوْكُ وُخَنَ — چَنْكِ عَدَنْ وَتَنَ طَصَنْ هُدُلْپِ هَبُنْ
عَكَرْپِكِنْ هَلْمَغْلِپ طَصَنْ ظَهِرْ هَبُلِوْ — جَنِصَنْ جَحْدَيَپُلْ چُّرَلْ دِدَ رِچُّلِوْ
خِيَانَتَبْ عُمْرُ كِنْ دِدَ خُنْ كَرْكَرْدُلِوْ — شِبَبْ رِصّْ اَللهَ صِ صَلاَةْ اَوَرَكَصْدِي

هِزُلْ دَعْبَ بُصُنِبْ بَكْ حَبِيبَ صْدِ لِپِدَلْ

انتهى ما ظفرته من نظم ذلك العالم المحقّ الراغم أنوف أهل الباطل .

وقد نطق العالم العارف أدرة العرادي في نثره ونظمه كما نطق ذلك الناظم .

وأشبع الكلام شيخنا المحترم المرحوم الباكني في حقِّ هؤلاء القوم في « طبقاته » ، وشيخنا القطب الصمداني الحسيني في « مكتوباته » و« كنزه » وقد كان العالم المشهور المتورع الذي لا يخاف في الله لومة لائم حجيو الخراكي – أبلّ الله مرقده بلطفه الخفي– يجتهد في ردّ ما يفعله هؤلاء الطائفة المخترعة بقوله وفعله ، بل كان يصيح على رؤوس الأشهاد أنهم دجالون متصنّعون ، كما هو معلوم لدى كلّ من يصحبه من الناس . كثَّر الله تعالى أجورهم وشكر سعيهم ، ولا حرمنا من بركاتهم وفيوضاتهم . آمين .

ولو تكلّم العلماء بالحق كما تكلّم هؤلاء المذكورون ؛ لاحترز الخلق من الوقوع في شبكة أهل الدعوى . عصمنا الله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . آمين يا أرحم الراحمين .

ثم اعلم أني لم أقصد بكثرة إقامة البراهين في هذا الكتاب وفي غيره من تأليفاتي على إثبات ما أقوله في الجواب وأُثْبِتُهُ في الخطاب ؛ أن أُقنع بذلك أتباع أهل الدعوى الذين تصدَّروا باسم المشيخة بأنفسهم ؛ مع عدم سلوكهم في الطريق على يد شيخ كامل ، وعدم وضع قدمهم ؛ ولو في أول موضع يضعه السالك المحقق في الطريق ، ومن غذي بلبان بدعتهم من زمن الصغر إلى حالة الشبابة والشيخوخة ؛ فإنّ هؤلاء القوم لا أمل في نجاحهم ، ولا رجاء في قبولهم الحق بعد أن امتزجت بدعتهم الشنيعة في جميع أجزاء بدنهم ، وسرت فيهم سريان الماء في التراب ، وتمكَّن الشيطان منهم تمكُّن الصبي من الكرة التي يلعب بها متى شاء كما شاء .

فهؤلاء لا يرجعون عن مألوفاتهم ، ولا يخرجون عن مأنوساتهم ، ولو تليت عليهم الآيات والآثار ، بل المجادلة والمنازعة وإيثار الإنكار والمنازعة والدوام على أباطيلهم دَيْدَنُهُمْ وعادتهم كما رأيناها منهم ومن أتباعهم ، ووجدنا كلام جميعهم على نمط واحد من التمويه والتلبيس وإلقاء التخيلات في القلوب والتسويس[١] .

وقد اجتمعت كبيرهم وصغيرهم في اعتقادهم ولم نجد أحدهم سلك الطريق ولو بأدنى شغل من أشغاله ، بل علمنا بالعلم اليقيني أن جميعهم مدَّعون كذّابون لا يقبلون الحق ولا يسمعون الدلائل ؛ ولو كانت من القرآن والأحاديث ! وليس لي ولا لغيري في قبولهم الحق ورجوعهم عن مخترعاتهم ومأنوساتهم مطمعٌ أصلاً ، ولذا لم يكن قصدي من

---

(١) أي الإيقاع في الوساوس .

الجواب وتشييده بالنصوص ، وجمع الكتاب وتأييده بالدلائل كالفصوص إلاَّ تفهيمَ من سواهم من المؤمنين والمسلمين عموماً وخصوصاً ؛ أنَّ ما عليه هؤلاء الطائفة المبتدعة مخالف لما عليه جمهور الأمة المحمدية والسلف الصالح من مشائخ الطريقة ، وقد بيَّنا جميعهم مع ما يفعلونه من البدع الغير المرضية ، ورددناها بدلائل من الكتاب والسنة في كتابنا « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » فمن أراد الاطلاع عليها فعليه المراجعة إليه ، فإذا فهمت ما ذكر ؛ فاحترز أيها الأخ أن يخدعك الشيطان أو أحد من أعوانه ممن حقَّت عليه كلمة الخسران من شياطين الإنس .

وقد قيل : إن شيطاناً واحداً من شياطين الإنس أشدُّ فتنة من سبعين شيطاناً من شياطين الجن . فاتق الله في نفسك ، وكن على حذر من الوقوع في شبكتهم الباطلة .

وقد كان شيخنا ذو الجناحين السيد الأمير المستور في قباب الله سيف الله قدس سره يستعيذ منهم ويقول : عياذاً بالله منهم !

وكان يقول ويكتب : لا تسكن في قرية فيها واحد منهم .

وكان يقول : يا ولدي اسعَ في القرى وانشر طريقتك النقشبندية أو الشاذلية بين الناس ليكون سبباً لحفظ الناس من الوقوع لدى هؤلاء القوم المخترعة ، ففي ذلك نفع للناس . انتهى .

فالواجب على كلٍّ من عموم المسلمين أن لا يخالطوا هؤلاء المتشيخين القاصرين ، ومن نحا نحوهم من العلماء الفاسقين[(١)] الذين يشوِّشون في أمور الطريقة ، ويجتهدون في تفريق كلمة أربابها ، ويلقون إليهم من الشُّبَه والدسائس ما يشكِّكُهم في صحة ما هم عليه من اتباع مذاهب السادات أهل السنة والجماعة ، فإن مَن خالطهم يُنْفثون في فيهم

---

(١) في نسخة : وإن نحا نحوهم العلماء الفاسقين . عله الفاسقون .

سَمَّ أباطيلهم ؛ فلا يمضي عليه مدة يسيرة إلا وقد وقع في شباكهم ، وصار مثلهم يدَّعي المشيخة والولاية ويخبر الكشوف المتفعلة ، ولم نرَ فيهم إلا الاعتراض والإنكار على الطريقة وأربابها ، بل رأيناهم يقولون : إنّ أخذ الطريقة وتلقين ذكرها مما لا يجوز إلا لمريد له نفس مطمئنة . فانظر هذا القول العجيب ! فليت شعري ؛ هل وُضِع الإرشاد إلا للمعوّج الضالِّ لتهذيب أخلاقه الذميمة التي هي مقر النفس الأمَّارة إلى أن تصير مطمئنة راضية مرضية .

ولا يخفى أن العلاج إنما يحتاج إليه المريض ! فالقول (إن إعطاء العلاج لا يجوز إلا لصحيح) قولٌ باطل لا يقبله عقل ولا نقل .

وفرقة أخرى منهم ، اتخذوا قول من يزعمون أنه شيخهم الجاهل - الذي يذم العلماء ، ويمنع أصحابه عن أن يُصلُّوا خلف القاضي ؛ وإن كان من أعلم علماء الزمان وأورعهم وأتقاهم - من أنه لا يُجَوِّزُ أخذ الطريقة .

فقد عظم ضرر هؤلاء الفرقة في أطراف القرى التي حولهم على كل من يصحبهم ويخالطهم ويصغي إلى كلامهم ، فانتشر مذهبهم الباطل في الأطراف ، فليس العالم ينكرهم خوفاً من ضررهم ، وليس العاقل يتفكر وينظر هل هم على الحق أم على الباطل ؟ ! فالويل ثم الويل للعلماء الذين يداهنون ، وقد كان الواجب عليهم أن لا يخافوا لومة لائم منهم حين رأوا ما يستعملونه من البدع في الطريقة ، والله أحقُّ أن يخشوه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ومن الكلام الذي نقلوه عن إمامهم[1] الذي يزعمون أنه شيخ شيخهم قوله : فلا يمكن أن يكون مَن له مذهب خاص من أهل الطريقة من حيث هي هي فضلاً عن الحقيقة . انتهى .

---

(١) وهو العبودي رحمه الله تعالى .(منه) .(هامش الأصل) .

وقوله أيضاً : فأكثر العارفين رضي الله تعالى عنهم من أهل المذاهب الأربعة ليسوا من أهل الطريقة حقيقة ، وإن عبدوا عبادة الثقلين وتزهدوا في الدارين . انتهى كما ذكره في شرحه على « المختصر » .

وقد يؤخذ من ظاهر هذا الكلام الأخير أن العارف لا يكون من أهل الطريقة ، مع أن العارف كاملٌ ، وأدنى درجة الكمال إتقان المقام الرابع الذي يسمى النفس فيه بـ« المطمئنة » كما هو مذكور في « السير والسلوك » .

وقد ذكر في شرحه المذكور في موضع آخر أن صاحب النفس المطمئنة هو المأذون المرشد . انتهى .

فبالنظر إلى هذا وإلى ما مرَّ نقلاً من « السير والسلوك » يتعارض بين كلاميه ، لأنه يؤخذ من كلامه أنَّ من له النفس المطمئنة هو المرشد الكامل ، ومن كلامه الآخر أن العارف الكامل ليس من أهل الطريقة . فليتدبَّره العاقل ! مع أنه قال في هامشه على قول شرح المصنف : فهو مبتدع ضال .

إنَّ الطريقة فرض على المؤمنين[1] لتوقّف أداء التكليف على السنة ، والسنة على التربية والصحبة مع المربِّي . انتهى . وأما قوله الأول[2] ! ففيه إشكال أيُّ إشكال ، لأن الإمام الرباني الذي قيل فيه : لا أرى في هذه الأمة مثل الإمام الرباني – والحال أنه مجدِّد الألف الثاني الذي بينه وبين مجدِّد المائة ما بين المائة والألف[3] – كان حنفيّاً خالصاً كما ذكره في « مكتوباته » .

---

(١) أي : وفي المؤمنين مطيع وعاص ، وعامي وخاص ، وناقص وكامل وعارف . فاسم المؤمن يعم الكل . فافهم (منه) .

(٢) وهو قوله : فلا يمكن أن يكون من له مذهب خاص من أهل الطريقة من حيث هي هي فضلا عن الحقيقة . (من الإشارة التي في الأصل) .

(٣) من الفرق . (منه) .

وكذا القطب الحقيقي الشيخ عبد القادر الكيلاني كان حنبليَّ المذهب .

والقطب الكامل رئيس الطائفة الشيخ خالد شاه البغدادي السليماني كان شافعيَّ المذهب .

فهكذا كان كل شيخ مقيَّداً في مذهب إمامه ؛ منسوباً إليه في ذكر مناقبه ، كما هو مذكور في بيان مناقبهم في الكتب .

والتعارض والمخالفة بين كلام ذلك الشيخ المذكور ؛ وبين ما هو مذكور في الكتب بيِّن لا يخفى ! عفا الله عما سلف ، وغفر عما أَتْلَفَ . آمين يا أرحم الراحمين .

فالحاصل لا يجوز أن يكون المراد من أهل الطريقة في قوله السابق المريدين السالكين في الطريقة ، لأنه لو كان المراد منهم جميع من سلك فيها لدخل فيهم المبتدئون ، ولا شكّ أن المبتدئين لا يكونون إلا مقيدين في مذهب خاص ، كمذهب الإمام الشافعي أو الحنفي أوغيرهما رضي الله عنهم وعنا آمين ، ولا يمنعهم المشائخ من ارتكاب الرخص الشرعية ، ولا يؤمرون باتخاذ العزائم ، كما هو مصرح في « البهجة السنية » فراجعه في ٣٠ .

مطلب

في الأخذ بالرُّخص والعمل بالمباح

والحال أنه لو أتى المريد السالك الرخص الشرعية كقصر الصلاة والمسح على الخفين وغيرهما لا يخرج من الطريقة ، فكيف وقد ورد في الحديث : « إن الله يحب إن تُؤتى رُخَصه كما يُحب أن تُؤتى عزائمه » ؟ ! حتى إن الشيخ الكامل لو ارتكب الأمر المباح لا يعترض عليه ، لأنه إذا

لم يمنع مالك الملوك جل سلطانه عن إتيان المباح ؛ ولم يعترض على فاعله ، كيف يسوغ لغيره سبحانه أن يعترض عليه ؟ ! كما صرحه الإمام الرباني في « مكتوباته » فراجع « الدرر المكنونات » في ٣٨٣ من الجزء الأول .

وفي الحديث : « من لم يقبل رخصة الله كان عليه من الإثم مثل جبال عرفة » عن ابن عمر وإسناده صحيح راجع « السراج المنير » في ٣٢٢ ج٣ .

وأما إذا كان المراد[1] ؛ أن من قيّد في مذهب خاص واشتغل بالرخص ولم يتمسَّك حبل العزائم من كل مذهب لا يمكن أن يكون من الذين وصلوا إلى منتهى درجات الولاية العليا ؛ التي هي ولاية الملائكة ، ووصلوا إلى ذروة حقائق ولاية الملأ الأعلى ! ففي ذلك احتمال[2] .

مطلب

مذهب الكامل

فإن الصوفي الواصل الكامل المنتهي لا مذهب له خاصٌّ ، بل عادته التمسك بالعزائم من كل مذهب ليفيد الترقي منه ، لأن العمل بالرخصة حينئذٍ تجذب الإنسان إلى طرف البشرية ، والعمل بالعزيمة يظهر المناسبة بالمَلَكية ، فكلما كانت المناسبة بالملكية تيسَّر سرعة الترقي في هذه الولاية ، فإن الولاية العلياء ولاية الملائكة الأعلى كما ذكره الشيخ أحمد ضياء الدين في « جامع الأصول » فراجعه في ٥٩ .

وأيضاً إن كان مراده – عفا الله عنه – من قوله الآخر : أن أكثر

---

(١) أي : من قول العبودي . (هامش الأصل) .

(٢) وهو اللائق بمقام قائله (منه) .

العارفين من أهل المذاهب الأربعة ليسوا من الذين وصلوا إلى منتهى مراتب الطريقة بالسلوك على يد شيخ ، بل إنما وصلوا إليها بالجذبة الوهبية الإلهية ! فذا مقبول أيضاً لا غبار فيه .

وأما إن كان المراد ما يفهم من ظاهره ! فيردُّه بما ذكر من كون العارفين من أهل الطريقة مقيَّدين في مذهب إمامهم ومنتسبين إليه في ذكر مناقبهم ، فحينئذ يكون ذلك الكلام معدوداً من شطحات الصوفية الصادرة في حالة السكر والغيبة ، ويشهد لذلك ما كان يفعله صاحب الكلام - عفى الله عنه - من تلقينه الأوراد لعوام الناس الذين لا يعلمون شيئاً من أحكام غير إمامهم الشافعي رضي الله عنه كما هو معلوم لا يخفى . وقوْلِهِ بأن الطريقة فرض على المؤمنين كما مرّ ، وذكره في ذلك الكتاب المذكور أوراد النقشبندية والخلوتية ، فافهم وتدبَّر ولا تكن من الغافلين .

مطلب

فالحق الذي يؤخذ من كلام الأكابر : أن الشريعة والطريقة عين الآخر ، والتفرقة بينهما كفر .

وقد لام الإمام الرباني قدس سره على مَن تكلم بما يوهم المخالفة بينهما في « مكتوباته » ، لكن لما كان مقام الشريعة في كثير من الناس سقيماً غيرَ صحيح ، وأخلّوا لذلك في إتيان الأوامر والاجتناب عن النواهي ، وكانت تزكية النفس مقدَّمةً على تحصيل الإيمان اليقيني ، بل كانت الشريعة والإيمان فيهم صُوريّان لا حقيقيّان قبل التصفية والتزكية ! وقع الاحتياج إلى استعمال أدوية الطريقة وأورادها التي هي عينُ ما في الشريعة المحمدية ، وتعلّمها من الشيخ المرشد على ما قرَّره الأكابر في كتبهم ؛ من أنه يجب تعلُّم أدوية أمراض القلب من الشيخ المرشد على كل مَنْ ليس له قلب سليم ، كما هو مذكور في ابن حجر في كتاب

« السير » ، و« روح البيان » ، وغيرهما من كتب السادات ؛ فإنَّ أمورها كلها علاجات لأمراض القلوب ، وشفاءاتٌ لتزكية النفوس عن الأخلاق الذميمة والعيوب ، ومن هنا قيل : الطريقة مقدَّمةٌ على حقيقة الشريعة ، فإنَّ للشريعة صورةً وحقيقة ، كما أنَّ للإيمان صورة وحقيقة ، وصيرورةُ صورتهما حقيقية - التي هي مقدمة المعرفة التي إذا حصلت للسالك يقال له « عارف » - مبنية على استعمال أدوية الطريقة التى باستعمالها تحصل التزكية ، فبناء على الترتيب السابق يكون مقام المعرفة من أعلى المقامات ، ومن وصل إليها يسمى « عارفاً كاملاً » ، فيكون المقصودُ من سلوك طريق الصوفية حصول ازدياد اليقين الذي هو حقيقة الإيمان ، وحصول اليسر في أداء الأحكام الشرعية لا أمر آخر وراء ذلك ! وصيرورة صورة الشريعة والإيمان حقيقة حتى يترسَّخ في مقام المعرفة ، فصارت الطريقة والحقيقة متممتان ومكملتان للشريعة ، والمعرفة نتيجتهما ، فليت شعري ما مقام الطريقة الذي لم يصل إليه أكثر العارفين على ما قاله الشيخ العبودي عفا الله عنه ! ! مع أنَّ العارف كاملٌ حصل له مقامُ المعرفة ؛ الذي هو أعلى المقامات ، ومقصود كل سالك ، ومنتهى مقاماته ، والطريقة والحقيقة وسيلتان إليهما ، عصمنا الله تعالى من شرور الأوهام والخيالات ، ومن التكلُّم بما لا حقيقة له من الشطحات .

وأظن والله أعلم أنَّ الذي جرَّأهم على التكلُّم بالوهميات ، والمخالفة بأصول طريقة الأكابر والسادات ، عدمُ كونهم من فرسان ميدان أولئكم القادات ، وعدم سلوكهم بالترتيب في جميع ما سلكه أصحاب الهمم العاليات ، وإن كانوا عابدين زاهدين عالمين واصلين بالجذبات الوهبيات ، فأرادوا أن يكون لهم حظٌّ من مقام الإرشاد ، بيد أنهم لمَّا لم يذوقوا ما ذاقه أهل الطريقة بالسلوك اخترعوا أوراداً وأذكاراً وسَمَّوها طريقة ، ولأجل أنهم لم يسمعوا غير الطريقة النقشبندية سموها نقشبندية ، فكلا ذلك ثم

كلا ! ! فللنقشبندية أصول لم يسلكوها ، وإنهم غيَّروها وبدَّلوها ، فبذا صاروا مطرودين بدليل ما قاله رئيس الطائفة خالد شاه البغدادي السليماني قدس سره : **من غير أصول طريقتنا فليس منا** .

ولا يخفى أنَّ الحنفي مثلا لا يكون مالكياً إلا باستعمال مذهب المالكي ، فهكذا لا يكون أحد نقشبندياً إلا باستعمال أصول النقشبندية ، ومع هذا ظنَّوا بتلبيس إبليس أنهم بذلك - أي بما يفعلونه مما ليس في أصول الطريقة - يرضون الله ورسوله ، لأنهم يحثُّون الناس إلى ذكر الله ويعلِّمون الأوراد ، وإن لم يكونوا مأذونين للتعليم والتلقين من الكامل المكمَّل ، وما علموا أنهم بذلك صاروا ملعبة للشيطان ، ولعمري إن الشيطان الذي زين لهم هذه الأمور المخترعة لشيطانٌ كبير عارف بطرق الإضلال خبير ! ! إذ خَيَّلَ لهم أنَّ ذلك إرشادٌ للخلق إلى الحق ، ودلالة للناس إلى ذكر الله ، فحاشاهم ! فإنَّ الذكر الخالي عن النور الحاجب عن وسوسة الشيطان لا ينفع ولا يوصل ، بل يضر ! كما بيَّنته في كتبي مع بيان النقول والأدلة ، فبسبب هؤلاء القوم انتشرت الفتن في كثير من نواحي داغستان ، وتصدَّروا بغير إذن وإجازة ، واخترعوا أوراداً يعلِّمونها أتباعهم وسموها طريقة جديدة ، وأنكروا أصول الطريقة الأصلية المعنعنة المسلسلة عن سيد الثقلين عليه الصلاة والسلام فتبعهم كثير من الناس ، ولم ينكرهم أحد من العلماء ؛ خوفاً منهم ومن ضررهم ، فحصل بهم الضرر العام للطريقة وأهلها ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

فإن قال قائل : إنَّ أبعاضاً من المتصدِّرين للإرشاد في ديارنا كانوا علماء وعبَّاداً وزهَّاداً وإذا كانوا كذلك فهم أعلم منك بهذه الأمور التي اخترعوها وخالفوا فيها أكابر السادات ، ولولا أنهم ظهر لهم بطلان ما عليه جمهور أهل الطريقة ، وحسن ما يفعلونه بالنظر إلى أحوال أهل هذه الديار الجبلية ، لما تجاسروا على ما يفعلونه ، ولما خالفوا من سبقهم من

السادات النقشبندية والقادرية والشاذلية ! .

أقول في الجواب : اللهم نعم ؛ كانوا كذلك ، ولا ننكر عبادتهم وعلمهم وزهدهم وولايتهم ، لكن لا معصوم إلا النبي ﷺ ، ولا عاصم إلا الله ، وقد قال النبهاني في « شواهد الحق » : إنَّ أئمة الضلال ورؤساء أهل البدع والأهواء هم أيضاً من أكابر الأئمة وأعلم العلماء ، ولكن الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، ولعلم نبينا ﷺ بتعليم الله تعالى أنه سيقع في أمته اختلاف[1] في الدين أمرنا أن نكون مع السواد الأعظم وهم جمهور المسلمين ؛ وهم أهل المذاهب الأربعة ، وساداتنا الصوفية ، وأكابر المحدِّثين ، فهؤلاء – أي – السادات من أكابر الصوفية الصافية مخالفون لما عليه هؤلاء القوم المدَّعون المتصنِّعون ، الذين تسمّوا باسم الصوفية النقشبندية أو القادرية عفا الله عنهم وعنا . آمين .

ومن المعلوم المتيقَّن أنَّ مَن سبقهم من المشائخ[2] أكثر منهم علماً ، وأدقُّ فهماً ، وأسلم ذوقاً ، وأوسع معرفة ، وأفضل من كل الوجوه علماً وعملاً آلاف ألوف ألوف من عهده ﷺ إلى الآن ، أفيكون هؤلاء على الخطأ ، وتكون الأمة كلها بأسرها ضالَّة ، والمشائخ الذين يزعمون أنهم مأذونون من الشيخ الثغوري والحال أن كلاً منهم يقول : لا ثاني له غيري[3] على الحق والهدى ! ! مع أنه لم يوجد في يد واحد منهم صك الإجازة ولا شاهد له على الإجازة ، هذا مما لا يقبله إلا كل جاهل بهيم ، فاقد العقل

---

(١) وفي الحديث : « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة » انتهى . (منه رحم الله إفلاسه) .

(٢) كالإمام النقشبندي وعبد الخالق القادر (عله عبد القادر) وأبي الحسن الشاذلي وخالد البغدادي وأضرابهم . (منه) . (هامش الأصل) .

(٣) أي : ليس بمأذون غيري فافهم . (منه) . (هامش الأصل) .

والذوق السليم ، ودعوى كونهم من أهل الاجتهاد ! ! فيردّه بنقول كثيرة ، ويكفيك ما قاله يوسف النبهاني رحمه الله تعالى في « شواهد الحق » في ٤ بهذه العبارات :

فأقول اعلم أنه قد انقطع الاجتهاد منذ مئاتٍ من السنين باتفاق علماء المذاهب الذين يعوَّل عليهم وهم سادات الأمة وحماة دينها ، ولم يبق لكل مسلم إلا أن يتبع مذهباً من هذه المذاهب الأربعة لعجزه عن فهم الكتاب والسنة واستنباط الأحكام منهما بنفسه ، فيكون قد اتبع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مقلِّداً في فَهْمِهما ذلك الإمام ومن تبعه من أئمة مذهبه الذين اطَّلعوا على كلامه جيلاً بعد جيل ، وطبقوه على أدلَّة الكتاب والسنة قبيلاً بعد قبيل ، فما رأوه موافقاً لها من أحكام المذهب وأكثره قبلوه وأثبتوه واعتمدوه ، ومارأوه مخالفاً - وهو النزر القليل - زيَّفوه وضعَّفوه جاعلين محطَّ[1] نظرهم كتابَ الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، وما لم يخرج عنهما من الإجماع والقياس بدون محاباة لإمامهم ولمن وافقه على قوله الضعيف ممن جاء بعده من أئمتهم ، فالأمة المحمدية - ولله الحمد - لم يخرج باقتدائها بهؤلاء الأئمة عن اتِّباعها لكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ .

أما الاجتهاد فلا يدَّعيه اليوم إلا مختل العقل والدين . .إلى آخر ما قاله ، فراجعه في : ٤ .

وفي « ديوان المدائح النبوية » للنبهاني :

وكم من قرون قد توالت ولم يَجُل بدعوى اجتهاد مطلقٍ عالمٌ فكرا

انتهى عبارته ٣٥٤ .

وقال في هامشه : قرون مئات من السنين لم يدَّع أحد فيها الاجتهاد

---

(١) في نسخة : محلّ نظرهم .

المطلق ، حتى أنَّ الإمام الغزالي والفخر الرازي – وهما من أهل القرن الخامس – قد صرَّح كل منهما بأنه لايوجد في عصرهما مجتهد مطلق(١) . انتهى فراجعه من هامشه في صفحة ٢٥٤ .

ولافرق بين الاجتهاد في الأحكام الظاهرة والباطنة ، فإذا انقطع الاجتهاد في الظاهرة منذ قرون فانقطاعه في الباطنة يعلم بالطريق الأولى ، فقد كان واحد من أهل العلم طلب منَّا سلوكه في الطريقة النقشبندية فسلَّكناه فيها ولقَّنَّاه الذكر القلبي ، فذهب من ذلك سنون ، ثم جاء لدينا وطلب أيضاً سلوكه في الخلوة والأربعينية فمنعناه منه خوفاً عليه من طُرُوِّ مرض ماليخوليا ، علماً منا أن حاله مستعدٌّ لذلك المرض ، فأساء لدينا أدبه ، وحثّثناه أن يذهب لدى شيخنا سيف الله قدس سره ، فذهب لديه وسلكه في الشاذلية ومضى من ذلك زمان ، ثم أساء معه الأدب أيضاً ، وكتب لديه شيئاً يسوء(٢) به ظن الشيخ ، فقال الشيخ : إنه كتب لديه شيئاً لو أُلقي في البحر لتكدَّر به ، ثم بعد زمان انقطع عنه كما انقطع عنا ، فسلك بنفسه فادَّعى بعد ذلك بأنه قطب ، وأنه خليفة النبي عليه السلام ، وأنَّ طريقته طريقة جذبية ، ونسخت بها جميع الطرق ، كما نسخ كل الأديان بدين نبينا عليه الصلاة والسلام ، وقال : لا يفتح لأحد بعد الآن إلى يوم القيامة إلا بطريقته المخترعة بنفسه ، وادعى القطبانية ، فقد يردُّ دعواه بما قال(٣) الإمام الرباني النقشبندي قدس سره : **نسبتي هذه تبقى بواسطة أولادي إلى يوم القيامة ، حتى أنَّ الإمام المهدي يكون على هذه النسبة الشريفة .**

---

(١) وفي « بغية المسترشدين » في ٧ كلام نفيس في حق انقطاع الاجتهاد ، حتّى أن الإمام السيوطي رحمه الله تعالى لم يدع الاجتهاد الاستقلالي – مع سعة اطلاعه وباعه في العلوم وتفنّنه بما لم يسبق إليه – ، بل النسبي ولم يسلم له . فراجعه . (لكاتبه الطلقي نور محمد رحمه الله تعالى وغفره) .

(٢) في نسخة : يسودّ به .

(٣) في نسخة : ما قاله .

وكان يقول : طريق أكابر النقشبندية كبريت أحمر مبني على متابعة السنة ، فالواجب أن يزين باطنه بنسبتهم ، و يزين ظاهره بمتابعة السنة المطهرة ، كما هو مذكور في « البهجة السنية » فراجعه في ٧٥ .

وفي « شرح سلك العين » : إن الشيخ المهدي وزير عيسى يكون من أهل هذه الطريقة . وناهيك به فخراً . انتهى فراجعه قبيل بيت :

أهل المروّة ماتوا وهي أيضاً . . . . .إلخ .

وقد حصل بهذا الرجل المذكور وبأقواله ضرر عظيم للخلق ، لكن قد جرت عادة الله أن مَن تحلَّى بما ليس فيه يفضحه مجرَّبات الزمان ، وأنه تعالى يُحقُّ الحق ويبطل الباطل .

وأيضاً إن **الطريقة النقشبندية هي طريقة الصحابة رضي الله عنهم الباقية على أصلها من غير زيادة ولا نقصان** ، وواسطتها الصِدِّيق الأكبر أفضل الخلق بعد النبيّين ، رضي الله عنه ، وهي أم الطرق[1] وسلطان الطرق ، وهي أيضاً الطريق الأقرب الأفضل الأقوى الأتم الأكمل الأحكم الأوضح ، والمشرب الأعذب المصون عن كل قادح ، وجميع أركانها وشروطها وآدابها عين الشرع ولبُّ القرآن وحقيقة القرآن ، وفي حقها أدلة جملة وتفصيلاً ، كما ذكر جميع ما ذكر الشيخ أحمد ضياء الدين في « متمماته » في : ٩٧ .

فنسخ هذه الطريقة وتغييرها وتبديلها بطريقة مخترعة باختيار مثل ذلك الرجل المذكور مما لا يقبله عقل ولا نقل ، وقد يعلم مما مرَّ من قول سيد الطائفة خالد البغدادي : (من غيَّر أصول طريقتنا فليس منا) كون أمثاله مطرودين عند المشائخ ومردودين عن طريقتهم . فتدبّر ! !

---

(١) في نسخة : أم الطرائق .

وقد حصل للخلق بظهور هؤلاء الطائفة ضرر عظيم ، وللدين نقص كثير ، وظهرت الفتن بسببهم ، وعمَّت بهم البلواء والمصائب في النفوس والأموال ؛ حتى مسَّت أيدي الأعداء على كلام رب العالمين الذي لا يمسُّه إلا المطهَّرون ، ووطئت أرجلهم على أوراقه ، وأَحْرَقَتْ[1] البيوت والقرى ، وأصاب البنين والبنات الجوع والعري ، **فكل هذه المصائب والفتن إنما عمَّت على الخلق بأقوال أهل الدعوى وأعوانهم** ، إنا لله ، وإنا إليه راجعون . فالحكم لله العلي العظيم . عصمنا الله تعالى من أمثالها بعد الآن ، وغفر لنا ولهم أجمعين .

فإذا كان الحال في أحوال المتشيخين هكذا ، وتفرَّقت أبعاضٌ من الأمة على فرق كما تفرَّقت اليهود والنصارى ؛ وجب على كل مَن له عقل سليم أن يكون مع السواد الأعظم ، ويتبع من تمسَّك بعروة طرق الأئمة ، فالشذوذ منهم ومما تمسَّكوه شذوذ عن دين[2] النبي عليه السلام ، فقد قال يوسف النبهاني قدس سره في « شواهد الحق » ما حاصله : إن نسبة الكفر إلى من شذَّ عن السواد الأعظم أقربُ ، لأنه اتبع غير سبيل المؤمنين ، قال تعالى ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا** ﴾ انتهى عبارته . فراجعه في صحيفة ٨٩ .

فالكل من العلماء يقولون : يجب على الخلق أن يصوموا ويصلُّوا ويُزكّوا ويحجُّوا ويفعلوا كل شيء على وفق ما في الكتب ، فكذلك يجب عليهم أن يقولوا : يجب أن يكون الشيخ كما ذكر الأئمة أوصافه في كتبهم ، وأن يستعمل طريقته وفق ما في الكتب ، ويجب عليهم أن ينكروا على جميع مَن غيَّر الطريقة واختلط فيها البدع الشنيعة .

---

(١) وفي نسخة : واحترقت البيوت .

(٢) وفي نسخة : بدون دين .

وقد قال الإمام الرباني قدس سره : إنَّ إحداث شيء في الطريقة ليس هو عند الفقير بأقل من إحداث بدعة في الدين ، وبركات الطريقة إنما تفاض وتعود على أهلها ما لم يُحدَث فيها مُحْدَث ! فإذا حدث فيه[1] محدث ينسدُّ طريق الفيوض والبركات ، **فحفظ الطريقة من المحدثات من أهم المُهمَّات** ، والاجتناب عن مخالفة الطريقة من الضروريات ، فكل موضع رأيتَ فيه مخالفة الطريقة ينبغي زجره ومنعه بالمبالغة ، والاجتهاد في ترويج الطريقة وتقويتها . والسلام . انتهى عبارته ؛ كذا في « الدرر المكنونات » فراجعه في ٢٨١ ، من الجزء الأول .

ومن البدع التي يستعملونها : **الرقص والسماع والتواجد ورفع الأصوات بالذكر وإنشاد الأشعار والنغمات** مع أنهم يقولون : إنهم نقشبنديون . والحال أنَّ النقشبنديين لم يجوِّزوها ، ولم يقبلوا الأحوال المترتبة عليها باتفاق منهم وإجماع ، بل بالغوا في المنع عن ذكر الجهر ، واعتقدوه بدعة في طريقتهم الخاصة بهم ؛ وإن ورد في طريقة غيرهم ، كما بسط الإمام الرباني الكلام في ذلك في « مكتوباته » ، وذكرنا في « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » باباً مستقلاً في حقه .

فها أنا أذكر نبذة يسيرة ذكرها الإمام الربَّاني في بعض مكاتيبه مما لم أذكره في ذلك الباب في الكتاب المذكور .

قال قدس سره بعد ذكره كلاماً في كون الذكر الجهري بدعة في تلك الطريقة النقشبندية :

واعلم أن الرقص والسماع داخل في الحقيقة في اللهو واللعب ، وقولُه تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ . . . الآية نازل في شأن المنع عن الغناء . كما قال مجاهد الذي هو تلميذ ابن عباس من كبار

---

(١) قوله (فيه) كذا في الأصل (منه) .

التابعين : إن المراد بلهو الحديث الغناء . في « المدارك » لهو الحديث السمر والغناء . وكان ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم يحلفان أنه الغناء .

وقال مجاهد في قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ أي لا يحضرون الغناء .

وحكي عن إمام الهدى أبي منصور الماتريدي : **مَن قال لمقرىء زماننا (أحسنت) عند قراءته! يكفر ، وبانت منه امرأته وأحبط الله كل حسناته .**

وحكي عن أبي نصر الدبوسي ؛ عن القاضي ظهير الدين الخوارزمي : مَن سمع الغناء من المغني وغيره ، أو يرى فعلاً من الحرام فيحسن ذلك باعتقاد ؛ أو بغير اعتقاد يصير مرتدّاً في الحال ، بناء على أنه أبطل حكم الشريعة ، ومَن أبطل حكم الشريعة ؛ فلا يكون مؤمناً عند كل مجتهد ، ولا يقبل الله طاعته ، وأحبط الله كل حسناته[١] . أعاذنا الله سبحانه من ذلك .

والآيات والأحاديث والروايات الفقهية في حرمة الغناء كثيرة جداً ؛ على حدٍّ يتعذَّر إحصاؤها ، ومع هذه كلها لو أورد شخص حديثاً منسوخاً ؛ أو رواية شاذة في إباحة الغناء لا ينبغي اعتباره منه ، فإنه لم يُفْتِ فقيه في وقت من الأوقات بإباحة الغناء ، ولم يجوِّز الرقص والضرب بالأرجل كما هو مذكور في « ملتقط » الإمام الهمام ضياء الدين الشامي ، وعمل الصوفية ليس بسند في الحلِّ والحرمة ، أما يكفيهم أن نعذرهم ولا نلومهم ! ! ونفوِّض أمرهم إلى الله تعالى !

والمعتبر هنا قول الإمام أبي حنيفة والإمام أبي يوسف ، والإمام محمد رحمهم الله تعالى ؛ لا عمل الشبلي وأبي الحسين النووي ! ! وقد

(١) اشترط الإمام الشافعي رضي الله عنه لحبوط الحسنات الموت على الكفر .

جعلت الصوفية القاصرون اليوم السماع والرقص دينهم وملّتهم ، مستندين إلى عمل مشائخهم واتخذوه طاعتهم وعبادتهم أولئك ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا ﴾ ، وقد علم من الرواية السابقة أن مَن استحسن الفعل الحرام فقد خرج من زمرة أهل الإسلام وصار مرتدّاً ؛ فينبغي التأمُّل ماذا يكون شناعة[1] تعظيم مجلس السماع والرقص ، بل اتخاذه طاعة وعبادة ! ؟

ولله سبحانه الحمد والمنَّة لم يقبل مشائخنا بهذا الأمر ، وخلَّصوا أمثالنا المقلِّدين من تقليد هذا الأمر .

وقد نسمع أنَّ المخاديم يميلون إلى السماع ويعقدون مجلس السماع وقراءة القصائد في ليالي الجمعة ، وأكثر الأصحاب يوافقونهم في ذلك الأمر ، والعجب ألف عجب أنَّ مريدي السلاسل الأخرى إنما يرتكبون هذا الأمر مستندين إلى عمل مشائخهم ويدفعون الحرمة الشرعية بعملهم ؛ وإن لم يكونوا مُحِقِّين في هذا الأمر في الحقيقة ! ! وما معذرة أصحابنا في ارتكاب هذا الأمر ، وفيه ارتكاب الحرمة الشرعية من طرف ، وارتكاب مخالفة مشائخ طريقهم من طرف آخر ؟ ! فلا أهل الشريعة راضون عن هذا الفعل ، ولا أهل الطريقة ! فلو لم يكن فيه ارتكاب الحرمة الشرعية ؛ لكان مجرَّدُ إحداث أمر في الطريقة شنيعاً ! فكيف إذا اجتمع معه ارتكاب الحرمة الشرعية ! ! واليقين أن جناب المرزاجيو لا يرضى بهذا الأمر ، ولكن لا يصرح بالمنع أيضاً رعاية للأدب معكم ، ولا ينهى الأصحاب عن هذا الاجتماع أيضاً ، والفقير لما أحسست توقُّفاً في مجيئي كتبت هذه الفقرات وأرسلتها إليكم ، فينبغي قراءتها من أولها إلى آخرها عند المرزاجيو . والسلام . انتهى من « الدرر المكنونات » عبارته . فراجعه في ٢٧٩ من الجزء الأول .

---

(١) وفي نسخة : شفاعة .

وقد سمعنا عن أفواه الثقات أنَّ الرجال والنساء يكونون مختلطين في مجلس السماع والرقص ، بل قال واحد : إنه رأى امرأة تدور كالرحى بخلع ما على رأسها من الخمار تصيح بصيحات ؛ والحال أنَّ وجهها و رأسها منكشفان ، وذوائبها متدلية ، والرجال ينظرون إليها ! ! فشناعة هذا الأمر غني عن البيان ، وتجويز أمثال هذه الأمور القبيحة المحرمة بقول (إن طريقتهم طريقة جذبية) مقلِّدين في ذلك شيخهم المدعي الكذَّاب ! ! لا يقبله كل مَنْ له عقل سليم . أعاذنا الله تعالى وجميع إخواننا من أمثال هذه المذكورات ، وغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات . آمين ؛ يا مجيب الدعوات ، ويا مقيل العثرات .

وقد ألحقت الكلام في حق هذا الشأن بنظم ذلك العالم المحقق ببلات القُلزمي شكر الله سعيه ليكون خدمة له ، وليعلم الناس أنه لم يتكلم من قبل نفسه ، بل تكلَّم بما هو مذكور في الكتب ، ولولا خوف الإطالة والسآمة ؛ لأتيت لكل كلام صدر منه نقولاً ببيان مواضعها ، فجزاه الله عنا خيراً ولا يلقاه بعد الآن ضرّاً . وليكن هذا ذيلاً لهذا الكتاب ، وأرجو الله تعالى أن يكون نافعاً للعباد وسبباً باعثاً لهم للدعاء لهذا الفقير القحي سامحه الله من فرطاته ، ورحم الله إفلاس أعماله . آمين .

انتهى في ١ يوم السبت من ربيع الأول من سنة ١٣٤١ .

تقريظات للمؤلف والكتاب

تقريظ حبيب الله القحي قدس سره

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ بعد الحمدلة والتصلية فلقد نظرت إلى هذا المؤلف العظيم الشأن ، البديع المعاني والبيان مرة بعد مرة ، وكرة بعد كرة فوجدت تحت كلّ كلمة فيه درة ، وفي كل ذرة منه لذة . وقد حرر مؤلفه فيه كل محبوب ، ونقل إليه كل مرغوب ، من أقوال صحاح ، وألفاظ

شراح ، هي خلاصة أنظار أصحاب الصفا ، ونتائج أفكار ألباب الوَفَا ، وأودع فيه الأجوبة المرضية ، والإشارات الصوفية ، والمنافع الأدبية ، والفوائد الأخروية ، وأتى في كلّ جواب بالعجب العجاب ، وبجميع الأهم والصواب ، وغرس شجرة جوده في صحن الصحراء : أصلها ثابت وفرعها في السماء ، ولم يهمل فيه من المحاسن أدناها وأقصاها فلا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، فسبحان من وهب من شاء ما شاء ؛ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وقد طابق اسمه مسماه ووافق داله معناه فهو على علو مؤلفه أدلّ دليل ، ولسان حاله ناطق بالثناء الجميل . فياله من مصنف عزيز المثال غزير المنوال فمن وقف عليه ازداد يقيناً وأخذ في طرد شكوك الأوهام نوراً مبيناً . وبالجملة فلم يصنف على مثاله مصنف ولم يجمع ما جمعه في تلك البروج أحد من سلف وخلف ولقد حق فيه قول من قال :

كتاب لو تدبره ضرير ... لعاد كريمتاه بلا ارتياب
ولو مرت حوامله بقبر ... لصار الميّت حيّاً في التراب
جميع الكتب يدرك من قرأها ... ملال أوفتور أو سآمة
سوى هذا الكتاب فإن فيه ... بدائع لا تملّ إلى القيامة

فنسأل اللهم أن تجعل سيئاتنا سيئات من أحببت ، ولا تجعل سيئاتنا سيئات من أبغضت ؛ والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد المرسلين محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ، ناصر الحق بالحق ، والهادي إلى صراطك المستقيم ، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم .

كتبه الحقير الفقير المغرور القاضي الضروري حبيب الله القحي وإن لم يكن أهلاً في هذا المقام لأن التشبه يكرم الطفيلي في ساحة الكرام لما ورد « من تشبه بقوم فهو منهم » ، كما أنهم قوم لا يشقى بهم جليسهم والسلام على من اتبع الهدى وصدّق بالحسنى . ولإتمام السنة ختمت في اليوم الأول من شهر ربيع الأخير ١٣٤٠ . حبيب الله رحمه الله تعالى .

تقريظ غازي محمد العوري رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم حمداً لمن أنار قلوب أوليائه بأنوار الشوق والشهود ، وأضاء وجوههم بالأنوار الحاصلة من أثر السجود ، وفتح لنوع الإنسان جميع أنواع العلوم والعرفان ؛ وهم عند ربهم في غاية الخوف عن القصور والنقصان . فسبحان من فضّل من شاء بالهداية ، وأضلّ من أراد بالغواية ؛ وصلاة وسلاماً على خير خلق الله محمد حبيب الله .

أما بعد فلقد أقبل عليَّ تأليف شيخي شمس العارفين ، وعمدة السالكين مولانا الشيخ الحليم حسن حلمي أفندي فطالعت فيه مطالعة إجمالية ، ونظرة إهمالية كما هو عادة مثلي القاصر الباع ، الغير المتأهل للخوض في مثل هذا البحر المتلاطمة الأمواج مع وحشة البقاع ووجدتني في هذا المسلك كالمجنون ، ويقال : إنّ الجنون فنون .

ورأيت هذا التصنيف كظرف ياقوت فيه المصباح أنار الآفاق عند الصباح ، أجوبة مسائله كالدرر والمرجان ، طرزت حواشيه بالجواهر والزعفران ، أراضيه مملوّة فجاجاً ، وسمواته مزدحمة بروجاً ، جُدَدُه آمنة عن التهلكة والسباع ، والسائر فيها ناج عن الضياع ولاغرو فكم له مثل هذا من المصنفات البديعة ، والمؤلفات البريعة ، ولم يتخط عما في المسائل من المشكلات ، ولا في الأجوبة من المعضلات ، بل اعتنى في سرد الزوائد للمستفيدين من الأقران والأتراب ، مثل الأدعية المجربة ، وسلاسل الأحزاب لتكون نافلة لمن يطلب بقراءتها اقتباس الأنوار ، ويجتني بأورادها الفواكه والثمار . فلله دره مؤلفاً ما أعظم همته في إحياء هذه الطرائق وبذل روحه - وروحي فداؤه - بما فيه الهداية التامة العامة للخلائق فعلى الله عونه ونصره ، وعلى الناس شكره فجزاه الله عنا وعن جميع المسلمين بأحسن الجزاء ، وأدام نصره ونصر جنده ، وأطال عمره ، وأعلى مقاماته مع الأولياء . آمين يا مجيب السائلين . فقلت :

أمــنكرو هذا السفر ماذا ترونه　　أفيــه كـلام لا يـوافــق نـــقله
كأني إذا ما عاد نظري طروسه　　رأيــت اللآلـــي حسنها لا تمله
عباراته مستجـمـعـات فـرائـداً　　ومـن يـسـتـفد مـنـهـا أتاه نواله
فــفي كـل لفظ منه دعوة جنده　　إلـى حـضرة الرحمن جل جلاله
كـذا إنـه بـحرٌ تـلاطـم مـوجه　　مـن اصـطـاد دُرّاً فـليشمّر ذيوله

فلما كان الطائر لا يطير إلا بجناحيه قوياً أو ضعيفاً ، وكان قلبي في ارتكاب مثل هذا مألوفاً آمل جميع الإخوان في الدين أن يدعوا لنا في المجالس مع الصالحين ، والحمد لله ربّ العالمين . غازي محمد العوري رحمه الله تعالى .

تقريظ جمال الدين نجل ابن قحي

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على النبي ذي الخلق العظيم . فلما أشرق نور السعادة من أفق العلامة صار كل العالم منوّراً مشرقاً فرحاً مستبشراً حامدين شاكرين على زوال ظلمة الليل الداجي بتتابع النور الساري مستمدين من نور تلك السعادة ، ومستنزلين مستزيدين من ضياء تلكم الطلعة البهية والنظرة الحسنة ، صاعدين هابطين من الأفق العالي ليتعجبوا من عجاب المعدن ، وليتلذذوا برؤية جنة العدن ؛ فقوم بظاهرهم ، وجيل بباطنهم مع ظاهرهم ففاح عَطْر أزهار جنان وشم به أرواح حسان فامتلأ باطنهم برائحة مسك وعنبر ، وجلا ظاهرهم بسماتٍ لمن له عِبَرٌ ، ولبس كل من له فقه وعلم حُلَل تلك الجنة العلية ، وفازوا بدرر تلك البهجة السنية وشربوا من عين تسمى سلسبيلاً ، وارتووا من حوض جاء من قوم مسلسلاً ، وعانقوا حوراً ، وجالسوا بدوراً ونسوا بلذة مسامرتهم دُنْياً وأغياراً ، وغرقوا في نعم أبدية ومنح سرمدية ، وخلصوا من محن مهلكة وخُلُق ردية .

فهذا الكتاب قطرة من ضياء هذا شمس الضحى ، وهذا العجاب قطعة من نور هذا بدر الدجى فجاء ببحر فيه الدرر واللآلي كلما غاص فيه وازداد فاز بالنفائس والغوالي ، وكلما أدام السباحة فيه أشرق على سطح قلبه نور الجواهر والعوالي فأوقدت نور درره نار شوق السعي إلى حضرة رب العزة والجلال ، وهُيَام صحبة العارفين بالكمال ، وأفصح ألسنة بلا بَلَهٍ بأن الصحبة : هي صحبة هذا القوم ، والكمال هو كمالهم ، وأن ليس ما سواهم إلا كالأنعام التي هم في أكل وشرب على الدوام ، وإن لم يخلق الإنسان لحظوظ هذه الدنيا الدنيئة بل لاستعداد تلكم الدار العلية فكون من لم يتنبه له عالماً أو جاهلاً أخسّ حالاً ولوكان سيّداً أو مخدوماً فَرَعْوَتُهُ إلى السيادة الأخروية بتوسل هذه الأمّة العلية إذ لا طاقة للعروج إلى السطوح إلا بمعارج أهل الفتوح ولا سبيل إلى ملك الملوك قبل الرقيب ، والحاجب من أهل السلوك فهو شمس أشرق من نوره ، القلب الذي هو العالم الأكبر ، واستنار به هذا العالم الأصغر لا يرى نوره الحسدة ، ولا ينتفع من ضَوْئِهِ الحقدة بل المحصول لهم هو التبكيت والحيرة مع التنكيت بل لو قلب كافر مستور ورقه لأسلم وانفتح قلبه بل هو جوهر ما شبهه جوهر ، وكنز ما مثله كنز ، ودرّة ما يوازيه درّة ، وذهبٌ ما علاه ذهب ، وفضته ما غلاها فضَّة ، ومسك ما على نهج مسك ، وعنبر ما على منهج عَنْبَرٌ ؛ يتعجَّب منه أهل الفطنة والذكاء ، ويعترف به أهل العفة والصفاء ، وينجلي به صدأ قسوة الأذهان ، ويرتدي به حلل جنة بإعلان ، لا يرجع منه لمحة بنظرة إلا مع فوز نعمة ودفع نقمة وكلما كرر النظر إليه فاز عليه من سحائب الرحمة والعرفان ما لا تطيق على إفصاحه ألسنة ، وانصبّ عليه من دلائل العلوم والحكم ما لا يحيط به من الراقم أقلامه .

فهذا التأثير العجيب والتسليم الغريب علامة وَعْظه بِفِعْلِهِ على نهج من وعظ بفعله نفذ سهامه ومن وعظ بقوله ضاع كلامه ؛ على أن التصوف

هو العمل بالعلم وحصول اليقين بالمعتقدات الشرعية واليسر في أداء الأحكام الإلهية . فيعلم به أن نفس صاحبه بدن منيف وجسم شريف له مرابطة بعالم الملكوت ، وملازمة بعالم اللاهوت مع الأرواح المهذبة ، والنفوس المنقدة ؛ فلله الحمد والمنة على وجود مثله لإحياء ما اندرس من علوم الشريعة والطريقة والحقيقة ، ولإرشاد الخلائق الذين كانوا في خداع المتشيخين إلى سبيل العارفين الواصلين الموصلين وفقنا الله تعالى لتصديق طريقهم وتسليم سبيلهم ، وأفاض علينا من فيوضاتهم ، ورجاؤنا أن يجودوا لنا بنظرة عند تموّج أمواج بحور المهاوي والمهالك في عقبات ودركات النفوس والأعادي . من الخادم الملا جمال الدين نجل ابن القحي . انتهى .

تقريظ باي ميرزا الخباري

وهذا الكتاب الذي ألفه العارف حسن حلمي ؛ فيه دلالة واضحة على رفعة شأنه وعلو مقامه وقد عذب مشربه عند كل أحد من ذوى الألباب حتى صار فوق كل كتاب ألّفه المؤلفون في هذا الباب ؛ كيف لا وأكثر ما فيه عين سنة وكتاب موافق لما عليه أعلام الأئمة بلا ارتياب ، ولكن تفرق كلمة الصوفية في هذه الأعصر والأعوام . قد جرح قلوب الخواص وخواطر العوام ، وأوقعهم في مشقة الوساوس والأوهام ، وذلك ظاهر لدى كل أحد من الأنام والعلم الحقيقي عند الملك العلام .

من الفقير إلى رحمة البارى باي ميرزا الخباري .

تقريظ القاضي إبراهيم الهؤوري

بسم الله الرحمن الرحيم : لما طالعت هذه المؤلّفة البديعة والمصنّفة البريعة وجدتها مزيل صدأ الأذهان عن قلوب فقراء الزمان ، ومذهب الداء عن الخواص والعوام ، ومشبع السائل والمحروم مرصعة بالدرر

الحسان ، ومشحونة باللؤلؤ والمرجان ، بلغت الغاية في جمع الفوائد ، وقطعت المسافة في سرد الفرائد . فها هي مع التلخيص والخلاصة والتنبيه والترجمة كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها شهاب في السماء ساطع ، وعلى بساط الأرض لامع ، نور على نور يهدي الله من يشاء لنوره ؛ ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور . فلا أقسم برب المشارق والمغارب أنها لعجب عجاب ، وجرابٌ مخزون ، في صدر حسن ميمون إلى أجلّ معلوم في الحين ، أُبرزت في حينه من الزمان ، فحق فيه ما قال لنبيّه رب العزة والعلى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ بحسن سبكها تنشرح الصدور وتلذ الأعين ، وحلاوة ألفاظها تسر الناظر الغير المكابر ؛ وفيها فليتنافس المتنافسون ، وبمثلها فليسبك السابكون فيا أحسن صنع ولد آدم أدامه الله بمرامه على الدوام ، وعمَّره وأبقاه لهداية الأنام ؛ كيف لا مع أنه يعسوب العلماء الكَمَلَة الخيرية في الأعصار القبلية والبعدية ، وأسبق الأشخاص الإنسانية في العلوم والمعارف الإلهية ، وأسرع الفرسان الداغستانية في إبداع المعارف والمحاسن البشرية ، ومصنفاته شاهدة عليه بالبديهية فليقف عليها من لا يشتبه الرصاص بالفضة في الرواج ؛ ولا يقول للعسل هذا ملح أجاج وليعضّ عليها كلّ منصف صَوَّابٍ ، ولا هو بمُتَعَصِّبٍ عَتَّابٍ ، وذا ليس من شأن خلّص عباد رب الأرباب ؛ جعلها الله تعالى ذخيرة إذا جاءت الطامة وسبباً لرحمته الخاصة والعامة الحمد لله حمداً متوافراً ، والشكر له شكراً متكاثراً : يا ربّنا اغفرلنا ذنوبنا وأنزل علينا من بركات أشياخنا ، وأَفِضْ علينا من فيوضاتهم ، ولا تحرمنا من قبولهم وشفاعتهم ؛ إنك على كل شيء قدير ، وبالإجابة جديرٌ ؛ وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . كتبه أفقر الفقراء القاضي إبراهيم الهؤوري .

عجبت على هذا البروج المشيـدة   فكيف طوى فيه النصوص المؤيّدة
فيا حبّذا هـذا الـمـؤلـف قـدره   فشتان في الأكوان في العلم مثله
فطوبى لأهل العصر أهل زمانه   تــلـقـاه أحـيـانـاً عـليماً بقدره
فويل لمن عاداه جـهـلاً بـقـدره   فـآه على من لم يذق من رحيّته

انتهى .

تقريظ عبد الحفيظ الأحلي

أمـا ذاق عـلـم الـعـارفين وكنهـه   قلوب من الجهل الزميم بها الصدأَا
تبـاعـد درك الـداركـيـن شـأوهـم   وإن كـان فـوق العاليات لهم وطئَا
وها هم رجال الغيب أولو الهدى فما   يـرى أبـداً مـن بـين أظهرهم خطئَا
تـرى حـسـن الـقحي منبع أكـؤس   لـنا من شراب الرشد قد ملئت ملئَا
تعـارف بـيـن الأولـيـــاء فـإنـه   تـلألأ فـيـنـا مـن مـعـارفـه ضوءَا
وها هو شيخ العـالـمـيـن ومـرشـد   رشـيـد لأمـراض القلوب به البرءَا
فكم عالم قد ضلّ في بـحـر علمـه   مـراكـبـه مـن جـهـلـه هدأت هدءَا
فطوبى لمن قد زار نـحـو جـنـابـه   وويـل لـمن وافـاه من جهله هزءَا
وما لامرئ شيخ البسيطة يفـتــرى   ومـا أن رأيـنـا مـن مـثـالـبه شيئَا
فكــذب لـعـمـر الله قـولك مالهم   شـعـور بـشـرع الله كـلا ولا جزءَا

مما أنشأ الطالب الأحقر عبد الحفيظ الأحلي منتصراً للشيخ العارف بالله تعالى المرشد الحق حسن أفندي القحي قدس سره .

تقريظ محمد الشتوطي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم لما طلعت هذه المؤلفة البديعة والمصنفة البريعة وجدتها مزيل صمداء أذهان

رسالة رصعت في عقد جوهرها … عجائب النصح والذكرى مع الأدب
ريحانة نشرت في المغربين سرت … تشمَّ قطّ عبادُ الله في الحُقبِ
جرابة حشية بالمسك لو شممت … رياه محتضر تشفيه من طرب
لا عرق تلفحها لا طيب يعدلها … لا سلك أزهر من جمع ومن سكب
علاج أهل الشقا دواء أهل التقى … ذلال أهل الهدى من عطش ملتهب
يا نعم هذا المنى من مرشد قد بدى … أنواره بين شرق الأرض والغرب
لو رسمت مثلها في صفحة قمر … لنقّشوا رسمهم بالحبر من ذهب
فكيف لا وجماهير النقول لها … أئمة قرروا في العجم والعرب
بل حاز إبراجه جمع شيوخ بما … قد شيدت بالنصوص الفص من ذهب
لله من درّ شيخ العصر مرشدنا … قد منح الواردين العين[1] من وهب
وخاصة في زمان البحر قد غورت … مياهها في غدير الجهل منجرب
تعطلت في أصول الدين أرسمه … وانتقبت ظلمات الغي من نوب
خلاصة الدرك منّا في حقيقة … شمّ رياحين مسك الهند من لهب
لا ندرك الفاني الباقي بل يدركه … ممّن له منح من فيض منجذب

(١) وفي نسخة : الحوض .

فأين معرفة المحجوب عن حضرات   الحق مَنْ عنده في عزة القرب
فمبلغ العلم مني إنه بشر   كساه ثوب التقى والحلم والأدب
قد تنكر الأعين الرمداء الشمس ضحى   يا ويح منكره قد باء بالغضب
جلا المحق لنا عن مبطل كذب   كما انجلى الماء في القيعان من سَرَبٍ
جزاه أفضل من يجزى له عملاً   لما أتى ببديع الفضل من جذب
ثم السلامان من هذا الخسير إلى   من دان حضرته في أقرب الرتب
محمد المصطفى من أشرف النسب   وآله الطيبين الأنجم الشهب
ما دام غيم الحيا في الجو طافقةً   وساق ريح الصبا في الأرض من سُحُبٍ

من أفلس عباد الله الحقير الفقير ذي العجز والتقصير محمد الشتوطي النقشبندي الخالدي في مدح كتاب – أي البروج المشيدة – الشيخ المرشد الكامل سيدي حسن أفندي القحي النقشبندي الشاذلي القادري قدس الله أسرار أهاليها ، ونور الله ضرائحهم وأفاض علينا من فيوضاتهم آمين ، والسلام . وأوصيكم بالدعاء أيها الإخوان .

الفهرس

البرج الرابع

البرج الخامس

البرج الخامس عشر

البرج الحادي والعشرون

تلخيص المعارف

في

ترغيب محمد عارف

تأليف

والده الشَّيْخ المرْشد المجدِّد حسن حِلمي بن محمد القحِيّ

الشاذلي النَّقشبَنْدي القادريّ الأويسيّ

سامحه الله من فرطاته

(١٣٥٦-١٣٦٨) هـ

دار الحكمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الإدارة الدينية لمسلمي داغستان

١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٣م

Dar Al-Hikma

داغستان – مَحَاچ قَلعَة

ترجمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مولده : ولد في قرية « قَحِبْ » من قضاء شمويل في جبال داغستان سنة ثمان أو تسع وستين ومائتين وألف (٩-١٢٦٨) للهجرة . (١٨٥٢)م .

أسرته :

١- والده ؛ العالم الجليل الفاضل الحاج محمد القحيّ الهدليّ ، كان رجلاً فاضلاً ، وعالماً تقيّاً عاملاً ، توفِّي حاجّاً إلى بيت الله الحرام ، ودفن هناك في جوار أُمِّنا حواء ، فبقي نزيل الحرم إلى أن يبعث آمناً يوم القيامة .

وترك ولده المُتَرْجَم له صبياً في المهد .

٢- أمّه ؛ وكانت أمّه زَهِيدَة امرأةً عاقلة ، سليمة السريرة ، وافرة العقل .

نشأته : نشأ نشأة طيّبة كريمة ، وأُحيط بأحسن رعاية وخير تربية حين أرضعته أمّه أنقى لِبان حتى بلغ السادسة من عمره ، حيث أرسلته لتعلُّم القرآن الكريم ، فأتمَّ قراءته ثم شرع في تحصيل العلوم الشرعية ، غير أن ضيق ذات اليد حَالَ دون إشباع نَهَمِهِ العلمي .

ولم يبلغ سنَّ الرشد وحدَّ التكليف حتى وجد نفسه بهلواناً ولم يعلم هو نفسه كيف وصلت إليه هذه اللعبة ، ولا كيف تدرَّب عليها ! !

وكان قبل صعوده الحبل يقرأ سلسلة المشائخ النقشبندية .

تعلّمه وتلقّيه : لم يكن خافياً أنّ علمه وتعلّمه كان فتحاً من الله تعالى ، على الرغم من الأسباب التي بذلها لتحصيل العلم والاجتهاد في تتبّعه ، فقد قسم ليله ونهاره بين تحصيل معاشه وتعمير معاده ، وكان يقصد الدرس باكراً مع انبثاق الصباح ليخرج عقبه إلى الرعي بالأجرة على سنن المرسلين ، ومتى عاد انكبَّ على دروسه ومطالعاته ؛ ساهراً ليله ، واصلاً غده بأمسه ، حتى غدا محجَّ العلماء ، ومرجع المتفقّهين ، بل الفقهاء ! . وصار عنده جواب كلِّ مشكل ، وحلُّ كلّ مستعصٍ ؛ فتحاً من الله وعلماً لدنيّاً وفيضاً رحمانيّاً .

تسليكه الروحيّ : رغب أولاً - وبمحض التوفيق الإلهي - الاندراج في سلك الشيخ الجليل ذي الجناحين عبد الرحمن العسلي حين جمعه به أحد تلامذة الشيخ ، فسلكه ولقنه أولا الرابطة والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ والذكر ، ثم منحه الإجازة بالتلقين للمريدين ، لكن المترجم له بقي متهيّباً متأدّباً يترقّى تحت أنظار شيخه إلى أن وصل إلى مراقبة السرّ ، فأذن له إذناً مطلقاً بجمع المريدين ، ولأجل اعتقاده بعدم أهليَّته أخفى إجازته هذه ست سنوات زاهداً في الدنيا ، معرضاً عن المظهر الحسن ، وجمع المريدين ، حتى جدَّد له ذو الجناحين الأمر بتسليك المريدين ، وأمره بمظهر حسن وملبس حسن ، واستخلفه لإرشاد الناس بقوله : **أنت خليفتي ، ويدك يدي ، وقبولك قبولي** . حتى هيَّأ الله لذي الجناحين الحجّ إلى بيت الله فأنابه مكانه وجعله مرشداً كاملاً .

واستمرَّ به الحال هكذا إلى أن انتقل ذو الجناحين إلى دار المقام ، فما كان من المترجَم له إلا أن انضمَّ إلى سلك المربِّي الكبير الشيخ شعيب

الباكنيّ القصرخيّ ، فلقّنه مراقبة (خفي) و(أخفى) وأجاز له بالطريقة النقشبندية العليّة ، وبعد وفاته دخل في تربية قطب الإرشاد سيف الله قادي فألبسه خلعة علي – رضي الله عنه – سنة ١٣٠٠ .

من كراماته : قصده بعض مريديه في طلب آية منه ، قال : أو لم تؤمن ؟ فأجابه المريد : بلى ولكن ليطمئنّ قلبي . قال : اذهب إلى بيتك تجد امرأة تُجهَّز ، فإذا وضعت في لحدها فاستأذن قريبها ، وارفع واحداً من تلك الاحجار تَرَ آية ، ففعل ، فلما رفع الحجر إذا بالشيخ المترجم جالس عندها ، فخرَّ مغشياً عليه .

ومن كراماته : أنَّ مريداً جاء بفروة يهديها له ، فردَّها ، وبعد إلحاح كبير لم يتراجع الشيخ عن ردِّه ، فتركها المريد وذهب ، فقال لولده بغضب : خذ هذه الفروة واتبع بها صاحبها ، أليس لي عمل إلا حراسة ماشيته ؟ ! فكانت الفروة بقصد حماية الماشية ، كشف بها صاحبها .

سَمته : كان – رحمه الله – دائري الوجه ، جميل المبسم ، أبيض اللون مشوباً بسواد ، طويل اللحية ، كثيف الشعر ، قويم البدن ، نحيف الجسم ، أنيقاً محبوباً .

خلَّف ولدين أكبرهما : محمد حاجيو ، والثاني القطب الكبير محمد عارف ، وقد قيل في الثاني : إن هذا الولد فاق أباه ، وبلغ رتبة القطبانية .

وفاته : توفِّي رحمه الله سنة خمس أو ست وخمسين وثلاث مائة وألف (٦–١٣٥٥) للهجرة . (١٩٣٧)م . وقد ترك مصنفات تخصّصيّة وهي :

١ تنبيه السالكين إلى غرور المتشيّخين بالعربية والعجمية منظوماً
٢ تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف
٣ خلاصة الآداب لمن أراد فتح الأبواب بالعجمية منظوماً
٤ البروج المشيّدة بالنصوص المؤيّدة
٥ السفر الأسنى في الرابطة الحسنى
٦ سراج السعادات في سير السادات
٧ الدرّة البيضاء في ردّ البدع والأهواء
٨ جهد المقلّ في ردّ شطحات المنكر المضلّ
٩ فيض الرحمن في ذكر كلام عبد الرحمن
١٠ وسائل المريد في رسائل الأستاذ الفريد
١١ الجوهرة النفيسة في إعانة الطريقة النقشبندية
١٢ الأجوبة القحية لأسئلة الإهلي
١٣ زبدة فضائل صلاة الفاتح
١٤ تلخيص الكلام الحسن من مقالات حسن أفندى القحي
١٥ مختصر نفائس السانحات في تذييل الباقيات الصالحات
١٦ رسالة إلى العالم الفاضل محمد الحركلي
١٧ مجموعه فتاوى أهل التحقيق في مسألة جمع الثلاث من التطليق
١٨ الملتقطات القحية من رشحات عين الحياة

رحمه الله رحمة واسعةً ، وأسكنه فسيح جنته . والحمد لله رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أمّا بعد فيقول الفقير حسن حلمي القحيُّ غفر الله له قد طلب مني ولدي محمد عارف سلكه الله تعالى بفضله في سلك العارفين آمين أن أجمع له مختصراً في أسرار وظائف الطريقة ليكون له ولغيره ترغيباً فبناءً على ذلك قصدت أن أؤلف كتاباً لطيفاً ملخصاً من كتب السادات على طريق الاختصار وسميته **بـ« تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف »**

لِما أنه وقع سبباً للتأليف وأرجو الله تعالى أن يجعله سبباً لتشميره لحوز الهداية والاجتناب عن الغواية . ورتبته على ترغيبات وخاتمة وتذنيب . **الترغيب الأول** في اتخاذ الشيخ وبيان فوائده ومنافعه . **الترغيب الثاني** في بيان فضائل الاستغفار . **الترغيب الثالث** في بيان فضائل الصلاة على النبي عليه[1] السلام . **الترغيب الرابع** في بيان فضيلة الذكر مطلقاً . **الترغيب الخامس** في بيان فضيلة لفظة الجلالة (الله) . **الترغيب السادس** في بيان فضائل (لا إله إلا الله) . **الترغيب السابع** في بيان وظائف الشاذليين . **الترغيب الثامن** في بيان آداب الذكر . **الترغيب التاسع** في بيان ما في الاجتماع للذكر والجهر به من المنافع والفوائد . **الترغيب العاشر** في بيان فضائل ما يستعمله المشائخ في طريقتهم من ترتيب الشغل ووظائف

(١) وفي نسخة عليه الصلاة والسلام .

الأعمال . **والخاتمة** في الترهيب[١] والتخويف وفي الوصايا التي لابد للمريد من رعايتها .

فأقول وبالله التوفيق

(١) وفيه فضائل الكسب والحرفة . (منه) . (هامش الأصل) .

الترغيب الأول

في بيان وجوب اتخاذ الشيخ وبيان فوائده ومنافعه

اعلم أيها الولد رزقك الله الاستقامة وجعلك من ورثة العلماء العاملين . آمين . أن أول ما يجب على السالك بعد التوبة والندم على ما فرّط في جنب الله تعالى أن يتخذ له شيخاً يرشده ويهديه مع التسليم والانقياد له وسلب الاختيار معه والاعتقاد فيه أنه وليّ الله وأنه دليل له إلى الله ولولاه لَما يصل إلى الله وأنه أشفقُ عليه من نفسه وأنه لا يأمره قط بترك شيء إلا ليعطيه أنفسَ منه فإن لم يعتقده كذلك فمحبته نفاق ولا ينتفع بشيء من أخلاقه وإن صحبه أكثر من ثلاثينَ سنة . هذا حاصل ما « في رماح حزب الرحيم » . راجعه في ١٢٨ من هامش « جواهر المعاني » من الجزء الأوّل .

وينبغي للمريد أن يعتقد ويجزم بأن ما قاله الشيخ ووعده يكون حقاً لا بد من وقوعه فقد نقل عن الشيخ أحمد التجاني ﷺ أنه قال **إذا وعد الصادق أحداً بشيء من أمور الآخرة أو الدنيا فإنْ كان في وقت سماعه للوعد ساكناً مطمئنّاً جازماً بصدق الوعد فهو علامة على أنه يدرك ذلك الشيء لا محالة وإن كان في وقت سماعه للوعد مضطرباً مرتاباً في صدق الوعد فهو علامة على أنه لا يدرك ذلك الشيء** فالجزم علامة أهل الصدق والتحقيق كما هو مذكور في « رماح حزب الرحيم » أيضاً في ١١٥ ج١ .

وقد قال الشعراني في « لطائف المنن » فمن جملة اعتقاد المسلمين فيّ أنني أعطي أحدهم القشّة من الأرض إذا طلب منّي الدّعاء لمريضه

أو كتابة ورقة وأقول له بخّر المريض بها . فيفعل فيحصل له الشفاء بإذن الله تبارك وتعالى فأعرفُ أنه لولا شدّة اعتقاد أحدهم ما شفى الله تعالى مريضه بدخان تلك القشة **فإن الأمور تجري بها المقادير الإلهية بحسب قوّة الاعتقاد وضعفه** حتى أن بعض من لا اعتقاد عنده من المجادلين يأخذ القشة وعنده شك في أن تلك القشة تنفعه فلا تنفعه . انتهى راجعه في ١٧٠ ج١ .

وقد ذكر السادات كلاماً كثيراً في حق وجوب اتخاذ الشيخ ومنافعه ومن ذلك ما في « عقد اليواقيت » راجعه في ١٣٨ ج١ بهذه العبارات

وقال الحجة الغزالي المريد لا غنى له عن شيخ وأستاذ يقتدي به **ومَنْ لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى مهاويه .**

وقال أبو الحسن المرسي من لم يكن له أستاذ يصله بسلسلة الاتباع ويكشف عن قلبه القناع فهو في هذا الشأن لقيط لا أب له وَدَعِيٌّ لا نسب له . وقال أبو يزيد **من لم يكن له أستاذ فأستاذه الشيطان** . انتهى راجعه في ١٣٨ ج١ .

يا ولدي إن أردت الزيادة فراجع « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » فقد بسطت الكلام فيه .

وذكر في « عقد اليواقيت » راجعه في ٥٦ ج١ كلاماً نفيساً طويلاً يحصل به الحث على المجالسة والمصاحبة مع أهل الخير فقال في الباب الثاني فأقول والعبارة لسيّدنا علي بن أبي بكر السّكران باعلوي استعرت بعضها تبركاً وقد حصل لي بحمد الله مع تأخّر عصري وضعف حالي وقِصَر باعي وقلة متاعي اجتماع بشيوخٍ أجلّة وسادات أئمة وصحبة لهم

وصدق محبة ووداد وقربة وكثرة مجالسة وقراءة ومذاكرة وإلباس خرقة مقروناً بالإذن مقدماً باللبس محفوفاً بالأنس كما سيأتي ذكر ذلك فلقد حظيت بقربهم وبلغت آمالي إن شاء الله تعالى بهم وإني وإن كنت خالفاً عنهم ومتخلفاً عن فعلهم ومائلاً عن سنن استقامتهم فأرجو أن يلحقني الله تعالى بهم ويسقيني بكأس شربهم فهم القوم لا يشقى بهم الجليس وإن كان فعله(١) مثلي(٢) دنيء خسيس غير أنَّ لي فيهم إن شاء الله تعالى المحبةَ الصادقة والإيمان بأذواقهم ومواجيدهم الفائقة وقد ورد في الحديث « المرء مع من أحب » وورد أيضاً « المرء من جليسه » و« المرء على دين خليله » والطبع يسرق من الطبع وإن أبت النفس .

وقد قيل **من صحب الأخيار جعله الله من الأخيار وإن كان من الأشرار ومن صحب الأشرار جعله الله تعالى من الأشرار وإن كان من الأخيار .**

قال سيّدنا القطب الأشهر العيدروس الأكبر في كتابه « الكبريت الأحمر » سلوك الطريق على الحقيقة بالعبادات أو بالمقامات أو بالأحوال أو بالأنفاس أو بالمعارف أو بضرب الأمثال وحفظ القلوب أو بالمقابلات أو بالقابليات أو بالمناظرات أو بالمجالسات أو بالمحبات أو بالمخالطات والمودات مع حسن الظن وهو مؤمن بالأخلاق المحمديات أو بالمذاكرات أو بالتصديق والاعتقادات أو بالانقطاع والخدمة أو بالتربية بالعلوم اللّدنيات وهذا لا يمكن إلا بقصد شيخ عالم عارف

---

(١) علّه فعلي

(٢) راجع الى (وسائل المريد) لمؤلفه.

سالك مجذوبٍ واصل محبوب واصل موصول عارف بالنقل والعقل عارف بالله تعالى وبنفسه حاضر غائب في الخلوات والجلوات بقلبه في عوالم الشهادة والغيوب . انتهى .

فقد علمتَ من قوله ﵁ (أو بالمجالسات أو بالمحبات أو بالمخالطات والمودات مع حسن الظن وهو مؤمن بالأخلاق المحمديات) أن ذلك يرفع الوضيع إلى أعالي الدرجات والمَحَالِّ الساميات .

وقال سيّدنا الشيخ علي بن أبي بكر السكران باعلوي في كتابه « البرقة المشيقة في ذكر لبس الخرقة الأنيفة » وبالجملة فالمحب للصوفية والمتشبه بهم والمتشبه بالمتشبه بهم واللابس لخرقتهم والمتبرك بنسبتهم والمتّصل بسلسلتهم والعاشق لهم والمحب لطريقتهم ورسومهم أفضل من غيره لحسن ظنه فيهم وإن كان خالفاً عنهم ومتخلفاً عن فعل مثلهم ومائلاً عن سنن استقامتهم فالخالف منهم في بركة السالف فمدد هممهم العالية على مَن تعلق بهم وصدق في حبهم وصفا ودهم وتشبه بهم وانتسب إليهم طامية والكل في دوائر نفحات بركاتهم الشاملة وحصون عنايتهم الكاملة غمرنا الله بفيض بركاتهم وشملنا بعموم ألطافهم وخصوص رأفاتهم وأحبابنا ومحبينا والمسلمين آمين .

وقال ﵁ **فالصوفية المخلصون الصادقون مع الله تعالى** في جميع الحركات والسكنات في ظواهرهم وبواطنهم هم الذين فازوا بكمال الاقتداء والمتابعة وكظموا على مجامع كمال محاسن الشريعة . وهم أهل الله وخاصَّته وأمناء أسراره وخزائن أنواره وورّاث رسله وغياث خلقه وخلفاؤه في أرضه فطوبى لهم بل طوبى لمن أحبَّهم والتمس بركتهم وخص بدعائهم

وأجاب دعوتهم وبذل الجهد في خدمتهم وحفظ حرمتهم واقتبس من أنوارهم وفيض نفحاتهم ونظر إلى وجوههم وقَبَّل الثرى من تحت أقدامهم ورُزق ودادهم وشَمَّ شذاهم وشام برق سناهم وحام حول حماهم وقَبِل نصحهم وعشق سيرتهم واستنزل الرحمة بذكرهم وارتجى المغفرة بحبّهم واستمدَّ الفيض بودِّهم واستعدَّ بكمال الأدب بقربهم ورعاهم بباطنه وقوة حسن ظنه وصفاء اعتقاده وحفظهم بسرِّ قلبه وظاهره وانقاد لحكمهم في مجامعه وسلّم الأمر لهم جميعاً .

وقال أيضاً بعد كلام طويل يحث فيه ويرغب في انتهاج نهج ذلك الجيل قال وعلى الجملة مَنْ قَرُب إليهم آووْه ومن ركن إليهم حملوه ومن التجأ إليهم جملوه ومن أحبَّهم أحبّوه وبباطن سرهم أمدُّوه وبمدد أنفاسهم أصلحوه وببركاتهم شملوه ومن ألبسوه منهم خرقة فبسلسلة أرباب المواصلة وصلوه وفي حلقة نسبةِ سندِ سلسلتهم أدخلوه .

وقال السيد الإمام عقيل بن عمر باعلوي في كتابه « فتح الكريم الغافر في شرح جَلْبَة المسافر » قصيدة الشيخ العارف سعيد بن عمر المُكَنَّى لحاف حاكياً عن الشيخ أحمد بن علوان اليماني أنه قال **كل يحتاج إلى من هو فوقه** فينبغي أن يكون مفتقراً إليه وإن لم يعرفه كافتقار الأوتاد إلى الأقطاب وافتقار الأبدال إلى الأوتاد وافتقار الصالحين إلى الأبدال وافتقار الجهال إلى الصالحين فينبغي لكل سالك أن يأتمَّ هؤلاء ويحبّهم ويتشفّع إلى الله تعالى بحبّهم ويتمسّك بنسبهم ويتسبّب بسببهم وإن لم يعرفهم فإنّ الله تعالى **إذا عرف ذلك منه أخبرهم عنه فكان على خواطرهم وجملتهم بين يدي رب الأرباب** . انتهى كلام الشيخ أحمد بن علوان .

قال السيد عقيل المذكور **قلت** هذا فيمن لم يعرفهم في الظاهر فما ظنك بمن تقرّب وتحبّب إليهم في الخدمة والصّحبة والمحبّة وأحسن الظن بهم وأدخل السّرور على قلوبهم والانتساب إليهم فكيف لا يكون في خواطرهم ويعتنون به كما روي عن سيّدنا الفقيه المقدّم محمد بن علي باعلوي أنه قيل له أتى خبر وفاة فقير له اسمه أبا خريصة في أرض بعيدة وقد شاع الخبر بموته فأطرق ساعة فقال ان عاده حيٌّ فقيل له في ذلك فقال إني طُفْتُ الجنان ولم أجده **وليس لي فقير يدخل النار** انتهى كلام السيد عقيل .

وقال سيّدنا قطب الإرشاد الحبيب عبد الله الحدّاد مما نقله عنه سيدّنا الحبيب أحمد بن زين في « سفينته » ونقلته هنا بتصرف يسير

فائدة منهم من يصحبهم أي الأكابر ويخالطهم محبّة لما هم عليه من إيثار دين الله وإقامة أمره والاشتغال بطاعته والعمل بما يقرب منه .

ومنهم من يصحبهم ويخالطهم لتناله بركتهم وصالح دعواتهم من غير أن تكون له نية ولا عزيمة في الاقتداء والتشبه بسيرهم فذلك لا يخلو من بركة وخير كثير وهو داخل في عمُوم ما ورد في الحديث القدسي « هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » حتى إن الذي يجالسهم ليتحصن بيُمْنِ صحبتهم وبركتها من الظالمين والمعتدين من شياطين الإنس والجنّ لا يخيب ولا يحرم بركتهم وإنّما يحرمُ ويخيب من تكون نيته في صحبتهم والاختلاط بهم أن يُعْرف بذلك بين الناس فيوصل به إلى شيء من الأمور المحظورة المحرمة في الشرع على توهّم منه وظنّ فاسد أنّ الناس إذا عرفوه بخلطة أهل الخير والصلاح ومحبتهم لا يظنّون به ولا يتوهّمون فيه

أنه يرتكب المحرّمات ويقتحم المحظورات فلا يستبعد مثل ذلك وأنه قد يكون من بعض المخذولين المسخوط عليهم . انتهى .

وقال بعض الأكابر **إنَّ حسن الظن والمحبةَ الصافية يلحقان الأصاغر بالأكابر في إعلاء المقامات العلية .**

وقال الشيخ شاه الكرماني **ما تعبد المتعبدون بأكثر من التحبب إلى أولياء الله تعالى** لأنّ محبة أوليائه دليل على محبته وإذا أحسنت الظن بهم وآنست بطريقهم حصلتَ على الولاية المشار إليها بقول الجنيد رحمه الله تعالى التصديق بعلمنا هذا ولاية .

وقال بعضهم من أحب القوم وكان لا يصرّ على كبيرة فهو محبّ حقيقة وإن وقع في ذنب أو عيب يوماً ففي الحديث « قيل يا رسول الله الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال أنت مع من أحببت » وقد ورد في الحديث عن محبة الأخيار والصالحين الأبرار وصحبتهم من الأحاديث والآثار شيء كثير يعرفه من طالع الأسفار وتتبع الآثار . قال سيدنا الشيخ عبد الله الحداد باعلوي نفع الله تعالى به صحبة أهل الدين وأهل الخير من العلماء العاملين وعباد الله الصالحين ومخالطتهم ومجالستهم محبوبة ومرغّب فيها وفيها منافع عاجلة وآجلة .

وقال رضي الله عنه للصحبة والمخالطة والمجالسة أثر كبير في الصلاح والنفع وكذلك في الفساد والضرر عند مصاحبة ومخالطة ومجالسة الصالحين والأخيار والفاسقين والأشرار ولكن قد لا يظهر مرة واحدة بل بالتدريج وطول زمان الصحبة والخلطة في الخير مع أهله وفي الشر مع أهله .

وقال ﵁ واعلم أن مخالطة أهل الخير ومجالستهم تزرع في القلب محبة الخير وتعين على العمل كما أن مخالطة أهل الشر ومجالستهم تغرس في القلب حبّ الشرّ والعمل به .

وأيضاً مَنْ خالط قوماً وعاشرهم أحبّهم ضرورة سواء كان أخياراً أو أشراراً **والمرء مع من أحب في الدنيا والآخرة** . انتهى .

وممّا لخصته من « العوارف » للشيخ عمر السُهْرَوَرْديّ قال ﵁ الصّحبَة مع الأخيار مؤثّرة جداً والتألُّف والتودد يؤكدان أسباب الصحبَة والمحبة وقد قيل لقاء الإخوان لقاح . ولا شكّ أن البواطن تتلقح ويقوى البعض بالبعض بل مجرد النظر إلى أهل الصّلاح يؤثّر صلاحاً والنظر في الصور يؤثّر أخلاقاً مناسبة لخلق المنظور إليه كدوام النظر إلى المحزون يحزن ودوام النظر إلى المسرور يُسِرُّ .

وقد قيل **من لا ينفعك لحظه لا ينفعك لفظه** والجَمَلُ الشرود يصير ذلولاً بمقارنة الجمل الذلول فالمقارنة لها تأثير في الحيوان والنبات والجماد والماء والهواء يفسدان بمقارنة الجيف والزروع تنقى عن أنواع العروق في الأرض والنبات لموضع الإفساد بالمقارنة وإذا كانت المقارنة مؤثرة في هذه الأشياء ففي النفوس الشريفة البشرية أكثر تأثيراً .

وقيل سُمّي الإنسان إنساناً لأنه يأنس بما يراه من خير وشرّ والتألُّف والتودّد مستجلِب للمزيد . وفائدة الصحبة أنها تفتح مسام الباطن ويكتسب الإنسان بِها علم الحوادث والعوارض . انتهى ما من « العوارف » .

وإذا علمت ذلك وتحققت ما هنالك فعليك بصحبة من يرشدك إلى هذه الطريق كي يزيل من قلبك الحرج والضيق فإنه وإن لم ينفعك بمقاله جذبك إلى مولاك بحسن سيرته وفعاله .

قال بعضهم كنت إذا كسلت في العبادة نظرت إلى محمد بن واسع نظرةً فأعمل بها إلى الأسبوع .

وقال بعضهم دخلت على ذي النون فانتفعت برؤيته قبل أن أتشرف بمخاطبته .

وهكذا كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ينالون المراتب العلية من السلوك برؤيته ﷺ .ولذا قال بعضهم **يبلغ المريد بنظر الشيخ إلى ما لم يبلغ بعبادته واجتهاده ألف سنة** . قال سيّدنا الشيخ أبو بكر بن سالم باعلوي نفعنا الله به هذا بنظرة الناظر إليهم وأمّا نظرُهُم إليه فإنهم يوصلونه إلى أعلى مقام عند الله تعالى مما لا يمكن تعبيره . انتهى .

قلت وفي الحديث وَرد ذلك في قوله ﷺ « **إن لله عباداً من نظر في أحدهم نظرةً سعدَ سعادة لا يشقى بعدها أبداً** » .

وقال بعضهم إن لله عباداً إذا نظروا إلى الشخص أكسبوه السعادة **ورؤية الشيخ وتسمّى الرابطة عند القوم أشد تأثيراً من الذكر** إذا استجمعت شروطها لأن أنوار العارف تسطع في محياه ومن شهد ذلك النور وخضع له أحياه وأشار إلى ذلك الشيخ العارف أحمد بن علوان بقوله

سعدَتْ أَعينٌ رأتك وقرّتْ   وكذا أعين رأت من رآكا

وقال سيّدنا الشيخ علي بن أبي بكر علوي نفع الله به وينتفع المريدون بشيوخهم وإن غابوا بموت أو غيره إذا كانت الروابط كاملة وأسبابُ الاستعداد من الجانبين بصدق الود وشغف الحب واصلة متواصلة .

وقال ﵁ وقد ينتفع المريدون بالشيوخ وإن لم يعرفوهم ويروهم بل بمجرد قوةِ محبةٍ صادقة في الله تعالى معهم وصفوِ عقيدة بهم وقوّة حسنِ الظن بهم وقد يكون التعلق بشيخ كامل قد استولى على قلب المريد **قوة حبِّه وصدق ودِّه وشغف عشقته وكمال صفاء الاعتقاد فيه أقرب في النفع** وأشمل في الدفع وأعمُّ سرايةً في التفرقة والجمع . انتهى .

ومن كلام « الزهر الباسم شرح روض السيد حاتم » للسيد الإمام عبد القادر بن شيخ العَيْدَروس قال **اعلم** أن وجود الشيخ من منح الله تعالى على المريد وهداياه حالاً ومآلاً يؤيِّد به المريد إذا صدق في إرادته وبذل في المناصحة جهد استطاعته ومتى حصلت للمريد من شيخه رشحة نظره أَسْمَى الله تعالى بها قدره ورفع ذكره وأصلح أمره وإن أدرك منه دعوة صالحة صارت مطالبُه ناجحة وتجارته في سوق الآداب رابحة وأنفاس العناية إليه غادية رابحة وريّا القبول لأعماله فاتحة ونسمات تكميل النفس بحسن العمل فيه عليه نافحة .

قال المؤلف ويستفاد من كلام الأستاذ حاتم ﵁ أنّ توجه المريد شرط في الإرادة وأنّ جذبة الشيخ له تكون سابقة على توجهه كالأمر مثلاً يكون في عالم الغيب ثم يظهر في عالم الشهادة وإنه إذا توجه إلى شيخه انتقشت في قلبه المعارف والأسرار كما هي منقوشة في قلب الشيخ وحينئذ يكون الوارث لحاله بحق والنائب عنه في مقامه بصدق .

قال الشيخ محمد بن حسين البجلي رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقلت يا سيدي يا رسول الله أي الأعمال أفضل فقال « **وقوفك بين يدي وليّ لله** » إلخ . قال بعضهم في معنى هذا لأن الواقف بين يدي الوليّ يندرج فيه ويدخل تحت استيلاء شموله فيكون الوليّ واسطته إلى الله تعالى فيحصُل بتلك الوقفة بواسطة الوليّ ما لا يحصل بعبادته حتى تنقطع إرْباً إرْباً .

قال بعض العلماء ويكون الحاصل على قدر استعداد الوليّ **فإن الإمدادات على قدر الاستعدادات** . انتهى .

وسأل سيّدنا الحبيب القطب أحمد بن زين الحبشيّ شيخه إمام الإرشاد عبد الله بن علوي الحدّاد نفعنا الله بهما بما لفظه هل يكون للمتعلق بشيخ من مشائخ الطريق ترقّ بواسطة شيخه من حيث لا يعلم المتعلق فإن كان كذلك فما السبب في ذلك هل هو المحبة للشيخ ولطريقه والميل إلى ما هو عليه من السيرة وشهود الكمال فيه فإن كان كذلك فهل لهذا السبب من مُقوٍّ ومعضدٍ .

فأجابه نعم يترقى بنظره وتعظيمه وحسن الظن فيه من حيث يعلم ومن حيث لا يعلم **وترقِّيه وانتفاعه بذلك أكثر من ترقيه بمجاهداته وأعماله فإذا اجتمعا في المريد كان أجدر في الترقي وأحرى للانتفاع** . وأمّا الذي يقويه فهو أن ينظر المريد فيما يولد اعتقاده وتعظيمه للشيخ من أعماله الصالحة وسيره المرضية .

وبالجملة **فلا أنفع للمريد من انطوائه في الشيخ وكمال حسن الظن والاعتقاد فيه** والقليل من التوجُّه والمجاهدة مع ذلك كثير وبالعكس حكمُ العكس . انتهى .

وطريق الرابطة كما قالوا هي ربط القلب مع الشيخ فرؤيته بمقتضى « الذين إذا رؤوا ذكر الله » تحصل بها الفائدة من الذكر بموجب « هم جلساء الله » **لأن الشيخ كالميزاب ينزل الفيض من البحر المحيط** وإن وجد الفتور في الرابطة فيحفظ صورة شيخه في خياله بموجب « المرء مع من أحب » فبحفظ الصورة يتحقق ويتصف المريد بأوصاف وأحوال الشيخ ما كان له .

قال بعضهم **والركن الأعظم في السلوك ربط القلب بالشيخ على وجه المحبة والتعظيم وملاحظة صورته** . انتهى .

قال الإمام الشعراني وكان أشياخ الطريق يقولون **كل من لم ينتفع برؤية شيخه لم ينتفع بصحبته** . انتهى . من « عقد اليواقيت » راجعه في ٦٠ ج .

وفيه بعيد هذا فإذا فهمت ذلك وتحققت ما هنالك علمتَ أنه كما قالوا « **لا يمكن المريد الصّادق الوصول إلا بشيخ كامل** » لأنه المتخلق بأخلاق الله تعالى متصف بأوصافه ينفّذ أمره ويسوس خلقه ويدبّر أمره فليلزم الحضور معه ولا يفارقه إلا بإذنه فإن قلبه حضرة الله تعالى وحواسّه أبوابها فمن تقرّب منه فتحها ولا تردّ له دعوة عند الله لأن من أرضاه أرضى معروفه ومن أغضبه أغضب معروفه كما جاء في الحديث « إن الله يرضى لرضا عمر ويغضب لغضبه » فكيف يشتغل[1] عن دلالة وصَفَها الحق ببيت

---

(١) قوله فكيف يشتغل إلخ كذا في الأصل الذى نقلناه منه ولعل المراد هكذا (فكيف يشتغل الإنسان) بأمور معرضاً (عن دلالة) من له قلب سليم مما سواه تعالى الذى (وصفها الحق) تعالى بأنّه (بيت وضعه لخلقه) وكل من دخله بحبّه ينظر إليه ويوصله يعنى أن القلب موصوف بأنه بيت الله وعرش الله الذي جعله تعالى محلاًّ لمعرفته ونظره كما ورد « إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم ونياتكم » وفي الحديث القدسي « ما وسعني أرضي ولا

وضعه لخلقه وكيف يفارقه لمواضع آثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام التي هي دونه فالسير إليه قدماً أحسن من مائة فرسخ لغيره إذ هو المحبوب الذي قال فيه رسول الله ﷺ حكاية عن ربه عز وجل « فإذا أحببته كنت سمعه » إلخ . . فعليه أن يعرف قيمة الشيخ ليكون عزيزاً مثله وإذا أفشا سرّه كان معكوساً رجيماً **فمن جعلت له الرحمة في قلب الشيخ لم يحتج إلى معالجة الخلوة والأوراد فإذا كان المريد لا يمكنه الاجتماع بالشيخ أو إخباره بوقائعه فليتوجه إليه بالقلب** لأن الأرواح يستوي عندها جميع الأمكنة ولا يكون بُعْد المريد من الشيخ إلا بسبب إدبار روحانيته عن التعلق بروحانية شيخه **وعلى قدر تعلق الروحانية بالروحانية يأتي المدد** فإذا توجهت روحانية المريد إلى الشيخ حضرت معه روحانية الشيخ ويمد الله روحانية المريد بواسطة روحانية الشيخ فالأمر كلّه لله تعالى ولكن من سرّ حكمته تعالى جعل أرزاقاً جارية على أيدي خلقه فليكن المريد ملازماً للباب الذي رزقه الله تعالى منه وهو شيخه فهو باب عظيم والشيطان قاعد عليه بالمرصاد ليقطعه عليه كما قال الشيخ محمد البكري

واعلم أن الشيطان إذا أحسَّ بإقبالك على من عنده وديعتك ولديه بغيتك يحشد أجناده ويجلب عليك ليصرفك عما يوجب اتصال نفعه إليك حسداً منه وأنفة من أن يصل أحد إلى الحق ويأخذ عنه . انتهى ٦١ ج١ .

وفي « الرسالة العجمية » لشيخنا السيد سيف الله النِّزَبْكري الحسيني قدس الله تعالى سره ونوّر ضريحه آمين ما حاصله

سمائي بل وسعني قلب عبدي المؤمن » انتهى هذا ما فهمت من المراد من هذا الكلام المنقول ويحتمل أن يكون فيه سقط في العبارة بسهو والله أعلم (منه رحم الله إفلاسه) .

اعلم أيها الكريم دام لك النعيم إذا أراد الله تعالى أن يظهر سعادة عبده وأحبَّ أن يهديه إلى سبيله وينفذ إرادته بحكمته المعلومة عنده ألهم الله على قلبه أن يطلب طريق نجاته فيقصد إليه وذلك القصد مما يوجع بطن الشيطان فيجتهد الشيطان أن يعكس ذلك القصد ويصرفه منه إلى أن يصل إليه نظر الشيخ الكامل فإذا وصَلَ إليه نظره يحترق كما يحترق بالرجم . انتهى .

ولأجل هذا كان بعض الشيوخ يبادر النظر إلى المريد حين جاء لديه لطلب الدخول في طريقته خوفاً من أن يصرف الشيطان قصده . انتهى .

وفي « المنن » وقد كان سيدي الشيخ ياقوت العرشي رضي الله عنه يقول **النظر إلى وجه الولي على جهة التعظيم ساعة واحدة خير للمريد من عبادته وحده خمسين سنة** وإن كانت مخالطةُ الصغير للكبير مخاطرةً بالروح ولكن الغالب السلامة بحمد الله تبارك وتعالى . انتهى ١٣٩ ج١ .

وقال أحمد بن علان في شرحه على قصيدة ابن بنت الميلق بعد قوله « إذَا رُؤوا ذُكِرَ المَوْلَى بِرُؤْيَتِهِ » أي إذا رؤي هذا العبد ذكر المولى برؤيته كما ورد في وصف بعض الصالحين الذين إذا رُؤوا ذكر الله لأن نور قلبه مشرق على وجهه ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ فمن رآى نور الحق الساطع من قلبه على وجهه ينعكس عليه ما في باطنه ومن تمَّ له ذلك فاز بالسعد والقرب . قال ابن علوان رضي الله عنه

سَعِدَتْ عَيْنٌ رَأَتْكَ وَقَرَّت وَكَذا عَيْنٌ رَأَت مَنْ رَآكَ

ومثلوا ذلك للشمس إذا أشرقت على الجدار أنار الجدار الآخر لمواجهة تلك الجدار الذي أشرقت عليه الشمس وهذه طريقة معروفة عند المشائخ يسمونَها بالرابطة(١) **وهي رؤية وجه الشيخ فإنها تثمر ما يثمر الذِّكر بل هي أشد تأثيراً من الذكر** لمن عرف شروطها وآدابها وذلك إنما يكون للشيخ الكامل المستشرق بالتجليات الذاتية ومن ذلك كان تربيته ﷺ للصحابة وكانوا يستغنون برؤية طلعته الشريفة عن كل رياضة ومجاهدة وينتفعون بأنوار طلعته السعيدة أكثر ما ينتفعون بالأذكار في مدة مديدة ولهذا كانت درجة الصحابة لا تتضاهى والاجتماع بالمشائخ ولو ساعة مرتبة **بها يتباهى**

---

(١) **ثم اعلم** أن الرابطة في اصطلاح الطريقة النقشبندية عبارة عن ثلاثة أمور عظيمة مقبولة مطلوبة شرعاً وهي رابطة الحضور رابطة الموت رابطة المرشد .

أما رابطة الحضور فهي عبارة عن ربط قلب المريد بالله تعالى على طريق المحبة الكاملة وتفكره معيَّته تعالى وكونه حاضراً وناظراً إليه تعالى وسميعاً عليماً بصيراً على مقتضى « كأنك تراه » ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ عاملاً مضمون الحديث « أفضل الأعمال أن تعلم أن الله تعالى معك حيثما كنت » فهذه أشرف الرابطات الثلاث وأعلاها بل هي المقصود الأصلي وأما الأخريان فهما وسيلتان لتحصيل هذه الرابطة كما سيجيء تفصيلها .

وأما رابطة الموت فهي عبارة عن ربط القلب بالموت والقبر والقيامة وتفكر أهوالها وأحوال نفسه على مقتضى « موتوا قبل أن تموتوا وحاسبوا قبل أن تحاسبوا » « وكن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعدَّ نفسك من أهل القبور » .

وأما رابطة المرشد التي اتخذها بعض العلماء الذين لا حظّ لهم من فيوضات أهل الله المكملين وأكثر الجهلة المقلدين المعترضين هدفاً لاعتراضهم بغير دليل مبين فهي عبارة عن ربط قلب المريد بكمال المحبة والإخلاص على نبيّ من أنبياء الله تعالى أو وليّ من أولياء الله تعالى أو على جميعهم أو على السلسلة المنسوبة المتصلة إليه أو سيدنا ورسولنا محمد ﷺ بلا واسطة إن كان من أهلها أو شيخه و مرشده الكامل الفاني في الله أو على من له حسن ظنه بلا تردد . فهذه الرابطة الحبية ملزوم وأما لازمها فالاستفاضة والاستمداد منهم . انتهى من « السفر الأسنى في الرابطة الحسنى » .

اجتمع شخصان في طريق ضيق فقال أحدهما للآخر تقدم . فقال له بما أستحق التقدُّم قال لأنك صاحبت الجنيد نصف يوم . فجعل مصاحبة الجنيد نصف يوم فضيلةً يستحق بها التقدم عليه وهكذا أهل الإنصاف . انتهى .

وقال أيضاً في ذلك الشرح بعد بيت

وكُـــنْ مُـــحِبَّ مُحِبِّيـه وَنَاصِرَهُمْ وَالزَمْ عَـدَاوَةَ مَـنْ أَضْحَـى يُعَادِيهِ
واعْـــلَمْ يَـقِــيناً بِـــأنّ الله نَاصِرهُ إنْ لَـــمْ تـكـــن نَاصِراً فَـالله يَكْفِيهِ

وقال بعضهم وقع جدب في بعض البلدان فاستسقوا ولم يسقوا فخرج إنسان وقال يا رب بحق ما في هذا الرأس اسقنا . فسقوا وارتووا فقال له بعضهم وما في هذا الرأس قال عينان رأتا أبا يزيد . فقال له ذلك القائل أنا جار أبي يزيد . فقال أنت أحقُّ مني بالإجابة . **فانظر يا أخي** إلى عين رأت الشيخ الكامل كان لها هذا المقام عند الله فكيف بقلب احتشى بحبه وجوارح وحوَاسّ لم تزل ممتلئة بقربه فكيف لا تكون أيها الطالب محبّاً لهياكِلَ تزيَّنت بهذه القلوب ومبغضاً لأبدان حرمت النظر إلى هذه المحاسن وبَعَّدتها الذنوب . انتهى .

وقال رحمه الله بُعَيْد هذا والسعيد من أسعده بخدمتهم ووفقه لنصرهم ومحبتهم .

وَإذا سَـخَّر الإلـه أناسَـاً لِسَـعِـيدٍ فَإِنَّهُـمْ سُـعَدَاءُ

انتهى .

وقال في « الخلاصة المرضية » فالمشائخ لما اهتدوا أُهِّلوا للاقتداء بهم وجعلوا أئمة للمتقين فيسوس الشيخ نفوس المريدين كما يسوس نفسه

من قبل بالتأليف والنصح فبذلك يصير المريد كالجزء من الشيخ كما أن الولد جزء من الوالد في الولادة الطبيعية وتصير هذه الولادة الثانية ولادةً معنوية كما ورد عن عيسى عليه السلام **لن يلج ملكوت السماء من لم يولد مرتين** وصدق اليقين على الكمال يحصل بهذه الولادة وبهذه يستحق ميراث الأنبياء ومن لم يصله ميراث الأنبياء فما ولد . فمن المشائخ من تكثر أولاده ويأخذون عنه العلوم والأحوال ويودعونها غيرهم كما وصلت إليهم من النبي ﷺ بواسطة الصحابة ومنهم من تقلّ أولاده ومنهم من ينقطع نسله . انتهى . كذا في كتاب « رماح حزب الرحيم » في ١٦٠ ج١ فراجعه .

أيها الولد إني ذكرت لك في هذا الباب منافع جمة وأرجوك أن تتدبر فيها وأن تتأدب مع المشائخ فإن النفع لا يحصل إلا بالأدب **وأن تعتقد بأن كل خير يحصلُ لك إنما هو ببركة الشيخ .**

وفي « المنن » إن **من شرط المريد** أن يرى جميع ما هو فيه من الخير ببركة شيخه لأن كل مريد محبوس في دائرة شيخه لا يمكنه أن يتجاوزها فلا يمد بمدد إلا وشيخه واسطة له . انتهى في ١٤٠ ج١ .

وقع واحد من مريدي الشيخ قطب الدين حيدر في رباط الشيخ شهاب الدين السهروردي وكان جائعاً فقلب وجهه نحو قرية شيخه وقال شيئاً لله يا قطب الدين حيدر فاطلع الشيخ شهاب على حاله وأمر خادمه أن يحمل الطعام إليه ولما فرغ الدرويش من الطعام جعل وجهه أيضاً إلى جانب شيخه وقال شيئاً لله يا قطب الدين حيدر لا تحرمنا من بركاتك أصلاً ولا تنسانا حيث ما كنا ولما جاء الخادم عند الشيخ سأله الشيخ كيف وجدت

هذا الدرويش قال أبله يأكل طعامك ويشكر قطب الدين حيدر فقال ينبغي أن تتعلم المريدية منه **حيث يعتقد كل فائدة حصلت أنَّها من شيخه ظاهراً وباطناً من أيّ مكان جاءت تلك الفائدة** . انتهى من « رشحات » ١٩٤ .

واعلم أيها الولد المرجوّ للاستقامة أنَّ حكم الشيخ في سلوكه بالمريد وترقيه بالأعمال كما قاله الشعراني في « العهود المحمدية » كحكم من يمرّ بالمريد على جبال الفلوس الجدد فإذا زَهِدَ فيها سلك به حتى يمرّ به على جبال الفضة فإذا زهد فيها سلك به حتى يمر به على جبال الذهب ثم الجواهر فإذا زهد فيها المريد أوصله إلى حضرة الله فأوقفه بين يديه بلا حجاب . فإذا ذاق ما فيه أهل تلك الحضرة زهد في نعيم الدارين وهناك لا يُقدِم على الوقوف بين يدي الله تعالى شيئاً أبداً **وأما بغير شيخ** فلا يعرف أحد يخرج من ورطات الدنيا ولو كان من أعلم الناس بالنقول في سائر العلوم . انتهى نقله صاحب « رماح حزب الرحيم » . فراجعه في ١٠٥ ج٢ .

يا ولدي إني أُحدثك ما وقع لي مرة حين كنت في الخلوة امتثالاً بقوله تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ لا افتخاراً ولا رياء ولا عجباً قد طرأ عليَّ مرة وقت العصر حضور تام وأنس بالله تعالى وحصل لي وقتئذ لذة عجيبة بحيث لا يمكن تعبيرها ولا إدراكها إلا مَنْ ذاقها وأنعم الله بها فظن والدك حينئذ هل يكون في الدنيا أو في الآخرة **ولو في الجنان لذة ألذ من هذا** وقد ظن في تلك الحال أنه لو أمره بدخول الجنة بَدل هذه اللذة لا يدخل فيها باختياره ولله الحمد والمنة وله الشكر على هذه النعمة وهذه اللذة هي التي يسمونها **بالجنة المعجلة** . وأرجو الله تعالى يا ولدي أن يذيقك منها شيئاً لو دمت على الذكر القلبي .

واعلم أيضاً أنَّه لا يصل السالك إلى حضرة الله وحضرات أسمائه وصفاته ولو جمع علوم الأولين والآخرين وصحب طوائف الناس أجمعين وعبد عبادة الثقلين إلا على أيدي أصحاب الإذن الخاص . كما هو مذكور في كتاب « الرماح » في ١٠٤ ج١ . فإذا كان الأمر **كذلك ينبغي للسالك أن يتكلّف على الحضور والتوجه إلى وسط القلب في دوام الأوقات** ودفع الخواطر عنه بقدر الوسع والطاقة وكثرة الوقوف قبالة الشيخ ليتوجه إليه ويخرج بمِعْول توجهه أوساخ الأغيار وكدورات السّوى ويذهب عنه حديث النفس المذموم فبالدوام على هذه المذكورات يصير القلب بحيث لا يشغله الحق عن الخلق والخلق عن الحق ويتحقق له الخلوة في الجلوة فيصير عرشياً فرشياً وكائناً بائناً . وهذا مقام الكمّل الذين لا يشغلهم الخلق عن الحق تعالى .

قال الشعراني في « العهود المحمدية » فاسلك يا أخي على يد شيخ ناصح يشغلك بالله تعالى حتى يقطع عنك حديث النفس في الصلاة كقولك أروح كذا أفعل كذا أقول كذا ونحو ذلك وإلا فمن لازمك حديث النفس في الصلاة ولا يكاد يسلم لك منه صلاة واحدة لا فرض ولا نفل . **فاعلم ذلك** وإياك أن تريد الوصول إلى ذلك بغير شيخ كما عليه طائفة المجادلين بغير علم فإن ذلك لا يصح لك أبداً . انتهى راجعه ٥١ ج١ من هامش « المنن » .

وأقوال المشائخ في حق اتخاذ الشيخ وما يحصلُ منه للسّالك من المنافع والفوائد كثيرة فلا نطيل بذكرها فمن أراد الزّيادة فليراجع إلى كتب القوم .

يا ولدي لا أرى من المشائخ إلا المنفعة والخير لكل من تعلق بهم أو ذَكَرَهم بخير أو بشرٍّ أو عرفهم فكيف وقد نقل صاحب « الإتحاف » رضي الله عنه في ٢٢ ج٤ عن « كتاب الشريعة » للشيخ الأكبر رضي الله عنه ما حاصله **أن المريد إذا مات قبل تحصيله مقاماً خاصاً يشرع الشيخ في العمل الموصل إلى ذلك المقام نيابة عن المريد الذي مات أو يطلبه له من الله تعالى بهمته وأن الشيخ لا ينسى من سلّم عليه مرة واحدة وعرف وجهه** بل لا ينسى من يعرف الشيخ ولا يعرفه الشيخ فيسأل الله أن يغفره ويعفو عمن سمع يذكر الشيخ فأثنى عليه أو سبَّه ووقع فيه ممن لم يعرفه الشيخ ولا سمع باسمه . انتهى فراجعه ففيه البسط .

قال العلامة الشيخ ابن علان في شرحه على قصيدة ابن بنت الميلق بعد بيت

وِلِلْفَقِيـر وُجُـوه لَيْـسَ يَحْصُرُهَـا   عَـدٌّ وَكُلُّ وُجُـودٍ فَهُـوَ وَادِيـهِ

الفقير هو الفاني الخارج من أوصاف بشريّته المتحقق بعبوديته ومثل هذا تشرق عليه أوصاف الربوبية وتسطع عليه من مشرقة أنوار الخصوصية وتصدر من مظهره القدرة الإلهية ويكون متخلقاً بأوصاف مولاه . كما ورد « تخلّقوا بأخلاق الله تعالى » فَتَعُمُّ رحمته الخلق وتواضعُه لكل فرد حتى **كأنَّ الخلق كلهم أجزاؤه** فيتنعَّم إذا تنعموا ويتألَّم إذا تألموا ويقابل السيئة الحسنة ويصلُ من قطعه ويعطي من حرمه ويعفو عمن ظلمه كما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم حيث شجّ الكفار رأسه الشريف وكسروا رباعيته فقال الصحابة ادعُ عليهم يا رسول الله فقال « اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون » فدعا لهم بالهداية واعتذر عنهم بعدم العلم وكذلك ينبغي لورثته إذا بلغه من أحد

سيئة أن يقول (اللهم اهدِ فلاناً فإنه لا يعلم) فمن اقتدى به ﷺ في مثل هذه الخصلة كان له من الإرث النصيب الوافر ومن تحقق بهذا المقام كانت أوصافه لا تحصر ومحاسنه تتزايد في كل وقت وتظهر . انتهى .

يا ولدي إن والدك الحقير المفلس المقصر قد ورث من مشائخه بفضل الله تعالى هذا الخلق المذكور فقد يحمل من الخلق إذايتهم ولا يقابل سيئاتهم سيئة مثلها أصلاً وإن فعلوا معه كل أذية بل يسأل الله تعالى المغفرة والعفو عمن ظلمه أو اغتابه وذكره بسوء أو نَمَّه فضلاً عمن أحسن إليه قولاً وفعلاً ولم يظهر قط في عمره ولو لأحد من أعدائه وحساده أنه يكرههم ولا يحبهم بل كان يداريهم ويدفع عنه بالحسنة السيئة وأنه يسأل الله تعالى لكل من مات من معارفه وزوَّاره من أهل الإرادة وغيرهم بإعلاء مقامهم ودرجتهم عند الله تعالى والعفو عن زلاتهم . ولله الحمد على ذلك . **فأرجوك يا ولدي** أن ترث هذا الخُلق من أبيك وأن لا تقابل أحداً أبداً بسوء وإن ظلمك أو شتمك أو ضربك أو اغتابك وأن لا تشاهد كل أذيَّة وبلية إلا رشحة سوء أعمالك قال تعالى ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ وقال سبحانه وتعالى ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَ ﴾ الآية بل أحسن إلى المحسن وكافئه بإحسانه بقدر طاقتك وكِلْ أمر المسيء إلى الله تعالى فإن إساءته ستكفيه .

وقد قال بكر بن عبد الله كان رجل يثني بعض الملوك فيقوم بحذائه ويقول أحسن إلى المحسن بإحسانه فإن المسيء ستكفيه إساءته فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به إلى الملك وقال إن هذا الرجل يزعم أن الملك أبخر فقال الملك وكيف يصحّ ذلك عندي قال تدعو به

إليك فانظر فإنه إذا دنا إليك وضع يده على أنفه أن لا يشم ريح البَخَر فخرج من عند الملك فدعا الرجل إلى منزله فأطعمه طعاماً فيه ثوم فخرج الرجل من عنده فقام بحذاء الملك فقال على عادته مثل ما قال فقال له الملك ادن مني . فدنا منه واضعاً يده على فيه مخافة أن يشم الملك منه ريح الثوم فصدق الملك في نفسه قول الساعي .

قال وكان الملك لا يكتب بخطه إلا لجائزة فكتب له كتاباً بخطه إلى عامل له إذا أتاك الرجل فاذبحه واسلخه واحش جلده تبناً وابعث به إليّ فأخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذي سعى به فاستوهب منه ذلك الكتاب فأخذه منه بأنواع التضرع والامتنان ومضى إلى العامل فقال له العامل إن في كتابك أن أذبحك وأسلخك قال إن الكتاب ليس هو لي الله الله في أمري حتى أراجع الملك . قال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبناً وبعث به ثم عاد الرجل كعادته فتعجب منه الملك فقال ما فعلتَ بالكتاب قال لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته . قال الملك إنه ذكر لي أنَّك تزعم أني أبخرُ فقال كلا قال فلِمَ وضعت يدك على أنفكَ قال كان أطعمني طعاماً فيه ثوم فكرهت أن تشمَّه قال صدقت ارجع إلى مكانك فقد كفى المسيء إساءته . كذا في شرح « شرعة الإسلام » و « الإحياء » فراجعهما فتدبر في هذه القصة واعمل بما ذكر .

وأرجو الله تعالى أن يمدك بمدده وأن يوصِّلك إلى ما وصل إليه أولياؤه والله تعالى ولي التوفيق وبيده أزِمة التحقيق . ولأجل كون الاستغفار مما يلقنه المشائخ في أوّل الأمر أردتُ أن أذكر ما فيه من الأحاديث والآثار عقب الترغيب الأول فأقول مستعيناً بالله تعالى

الترغيب الثاني

في بيان فضائل الاستغفار ومنافعه وفوائده

اعلم أيها الولد أن التوبة أول قدم للسالك وأحد مقامات اليقين وأهم قواعد الدين **ولها شروط** . قال شيخنا خالد سيف الله قدس سره في « كنز المعارف » إن شروط التوبة المسقطة للإثم ظناً لا قطعاً أن يندم على فعل الذنب من حيث المعصية وأن يعزم على أن لا يعود إليه أو إلى مثله خالصاً لله تعالى وأن يقلع عنه حالاً إن كان متلبساً به أو مصرّاً على المعاودة إليه وأن يخرج عن المظالم والزكاة إن كانت يردها أو بَدَلَها إن تلفت لمستحقها ما لم يبرئه منها ومنه قضاء صلاة وصوم وإن كثرا **فإن اختل شرط من الشروط المذكورة لم تصح توبته** وأن يستغفر الله تعالى من ذنبه بلسانه ظاهراً وبقلبه باطناً على ما زعمه القاضي حسين والقاضي أبو الطيب المَأوَرْدِيّ . انتهى .

وقال قدس سره تنبيه التوبة واجبة فوراً من كل ذنب ولو صغيراً **فمن أخَّرها زمناً يسعها كان عاصياً بتأخيرها .**

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام وكذلك يتكرر عصيانه بتكرر الأزمنة المتسعة فيحتاج إلى توبة عن تأخيرها كما يحتاج إليها عن الذنب المتقدم **ويجب تجديد التوبة عن المعصية كلما ذكرها بعد التوبة منها** على ما زعمه القاضي أبو بكر الباقلاني فإن لم يجدّدها فقد عصى معصية جديدة تجب التوبة منها . ثم إن علم ذنوبه على التفصيل لزمه التوبة عن آحادها على التفصيل **ولا يكفيه توبة واحدة** . فالتوبة من جملة الذنوب من غير ذكر تفاصيلها غير صحيحة . قال الزركشي هذا ظاهر .

وقال ابن عبد السلام يتذكر من الذنوب السالفة ما أمكن تذكره وما تعذر فلا يلزمه ما لا يقدر عليه .

وقال القاضي أبو بكر **إن لم يتذكّر تفصيل الذنب فليقل إن كان لي ذنب لم أعلمه فإني تائب إلى الله** . انتهى راجعه في فصل التوبة .

وقال الفضيل بن عياض الاستغفارُ بلا إقلاع توبةُ الكذابين .

وقالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير .

وقال بعض الحكماء من قدّم الاستغفار على الندم كان مستهزئاً على الله تعالى وهو لا يعلم .

ومعنى المغفرة ستر القبائح والذنوب بإخفائها وفي الآخرة بالتجاوز عنها وقد أمر سبحانه وتعالى بستر القبائح والذنوب والعورات فهو أولى بذلك من عباده وهو أرحم بهم من أنفسهم ومن أسمائه الغفور الغفار و الغافر والتواب والرحيم . انتهى . « ذخيرة المعاد » في ٢ ج٢ من « عقد اليواقيت » .

وفيه **واعلم** أن توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من غفلة القلوب وتوبة خواص الخواص من كل شيء سوى المحبوب . انتهى في ٤ ج٢ .

وقال الشيخ الشعراني في « اليواقيت » المبحث السادس والخمسون في بيان وجوب التوبة على كل عاص وبيان أنها تصح ولو بعد نقضها وأنها تصحّ من ذنب دون ذنب أي تصح من ذنب ولو كان صغيراً مع الإصرار على ذنب آخر ولو كان كبيراً كما قاله الجلال المحلي – قال **وإذا تاب ثم**

عاود الذنب لم تبطل توبته السابقة بل ذلك ذنب يوجب توبة أخرى . هذا ما عليه جمهور العلماء ونقل عن القاضي أبي بكر الباقلاني أنها لا تصحّ بعد نقضها وهو عوده إلى المتوب منه وقيل إنها لا تصح عن ذنب صغير لتكفيره باجتناب الكبير . وقيل لا تصح مع الإصرار على ذنب كبير .

قالوا ومن المساعد للعبد على حصول التوبة أن يستحضر ما فيها من المحاسن والوصلة بأهل الله تعالى من الأنبياء والأولياء وصالحي المؤمنين وأنه إذا لم يتب اتصل بأعداء الله تعالى من الفسقة والشياطين .

ثم من الواجب الإتيان بشرائط التوبة كلها ولا يكفي الاستغفار باللسان فقط كما هو شأن أكثر الناس .

ومعظم شروطها الندم على المعصية أي من حيث أنها معصية ليخرج **ما لو ندم على شربه الخمر مثلاً من حيث إضراره بالبدن فإنّ ذلك ليس بتوبة .**

وعرّف بعضهم التوبة بأنه تحزُّن وتوجّع لما فعَل وتمن لكونه لم يفعل .

قال الكمال في حاشيته على « شرح جمع الجوامع » ولا يجب عندنا استدامة الندم في جميع الأزمنة بل يكفي استصحاب الندم حكماً بأن لا يصدر منه ما ينافيه لأن الشارع أقام الأمر الثابت حكماً مقام ما هو حاصل بالفعل كما في الإيمان فإن النائم مؤمن بالاتفاق وأيضاً فلِمَا في التكليف بتذكر الندم في جميع الأزمنة من الحرج المنفي في الدين .

قال الجمهور **وتتحقق التوبة بالإقلاع عن المعصية** وعزم أن لا يعود إليها وتدارك ممكنِ التداركِ من الحقوق الناشئة عنها كحد القذف مثلاً فيتدارك بتمكين مستحقه من المقذوف أو وارثه يستوفيه أو يبرىء منه فإن لم يمكن تدارك الحق كأن لم يكن مستحقه موجوداً سقط هذا الشرط كما يسقط أيضاً في توبة العبد عن معصية لا ينشأ عنها حق الآدمي .

قال العلماء وكذلك يسقط شرط الإقلاع في توبة العبد عن معصية بعد الفراغ منها كشرب الخمر مثلاً .

قال الجلال المحلي فالمراد بتحقق التوبة بهذه الأمور أنها لا تخرج فيما تتحقق به عنها لا أنه لا بد منها في كل توبة . انتهى .

قال الكمال في « حاشيته » وقولهم (وتدارك ممكن التدارك) إلى آخره هو المشهور عند أصحابنا والذي جرى عليه الآمديّ وصاحب « المواقف » و« المقاصد » أن التدارك واجب برأسه فمن قتل وظلم أو ضرب فعليه أمران التوبة والخروج من المظلمة وهو تسليم نفسه مع الإمكان ليقتصّ منه ومن أتى بأحد الواجبين لم تكن صحة ما أتى به متوقفة على الإتيان بالواجب الآخر .

وقال في « المقاصد » إنه التحقيق إلا أنه قد لا يصحّ الندم بدونه كردّ المغصوب . انتهى .

قال ابن السبكي وغيره وإذا أحس الإنسان من نفسه عدم الصدق في الاستغفار أتى به وإن احتاج إلى استغفار آخر **لأن اللسان إذا أَلِفَ ذِكراً يوشك أن يألَفه القلب فيوافقه فيه** .

وكان الإمام السهروردي يقول **اعمل وإن خفت العجب مستغفراً** .

قال العلماء ويجب على كل مؤمن مجاهدة نفسه الأمارة بالسوء إذا لم تطاوعه على فعل المأمورات واجتناب المنهيات قالوا وهي أوجب عليك من مجاهدة عدوك الظاهر لأن النفس تريد هلاكك الأبدي باستدراجك من معصية إلى معصية أخرى . وفي الحديث « المعاصي بريد الكفر » أي مقدِّمته فإن غلبتك نفسك الأمارة بالسوء على فعل مذموم فتب وجوباً على الفور ليرتفع عنك أثر فعله بالتوبة إن شاء الله تعالى فإن لم تقلع نفسك عن فعل ذلك المذمومِ لِكَسلٍ يَعوقك عن الخروج منه أو لاستلذاذ به فتذكر هاذم اللذات وهو الموت وفجأته فربما أخذك على غير توبة كما هو مشاهد في كثير من الناس فتخسرَ مع الخاسرين وإن كان عدم إقلاعك لقنوط من رحمة الله تعالى وعفوه لشدة الذنب الذي سبق منك أو لاستحضار عظمة من عصيتَ فخف عقاب ربك على هذا فإنه لا يقنط من رحمة الله تعالى إلا القوم الخاسرون واستحضر سعة رحمة الله تعالى التي لا يحيط بها إلا هو لترجع عن قنوطك فإن جانب رحمته تعالى لعصاة الموحدين أرجَحُ من جانب عقوبته لهم . هذا آخر كلام ابن السبكي رحمه الله تعالى في مبحث التوبة .

واعلم يا أخي أن التوبة من أعظم ما مَنَّ الله تعالى به على عباده فإن لم يقع لنا توبة فالواجب علينا التوبة من ترك التوبة فإن لم يَصحَّ لنا التوبة من ترك التوبة وجب علينا التوبة من الإصرار على ترك التوبة من الإصرار وهكذا أبداً ما عِشْنا وما ثَمَّ لنا دآء بلا دواء أبداً فإن لم يصح لنا شيء من ذلك كله **فلله تعالى رحمة خاصة يمنّ بها على من مات مُصرّاً من أهل الإسلام** .

واعلم أن حقيقة التوبة هي الرجوع إلى شهود أن الله تعالى هو المقدّر على العبد ذلك الذنب قبل أن يخلق ومعنى حديث « إذا أذنب العبد فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به يقول الله عز وجل له في الثانية أو الثالثة أو الرابعة افعل ما شئت فقد غفرت لك » أي افعل ما شئت من المعاصي واندم واستغفرني أغفر لك **فلا يكفيه العلم بأنَّ له رباً يغفر الذنب من غير ندم** فافهم .

قال الشيخ محي الدين في الباب الرابع والسبعين من « الفتوحات » ومن أعظم دليل على وجوب التوبة فوراً قوله تعالى ﴿**وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ . فأمر الله تعالى عباده بالتوبة ثم لقنهم الحجة إذا خالفوا بإعلامهم بمضمون قوله تعالى ﴿**ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ**﴾ ليقولوا إذا سئلوا عن ذلك يوم القيامة لو تبت علينا يا ربنا لتبنا مثل قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ ليقول غرني كرمُك يا رب . فهذا من باب تعليم الكريم الخصم الحجة ليحاجّه بها إذا كان محبوباً وليس هذا التعليم إلا للسعداء خاصة فافهم .

قال **واعلم** أن توبة الله تعالى على العبد مقطوع بها وتوبة العبد في محل الإمكان لما فيها من العلل وعدم العلم باستيفاء حدودها وشروطها والجهل بعلم الله تعالى فيها فكل عارف يسأل ربه تعالى أن يتوب عليه وحظه هو من التوبة الاعتراف والسؤال لا غير فمعنى قوله تعالى ﴿**وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ**﴾ أي ارجعوا إلى الاعتراف والدعاء كما فعل أبوكم آدم عليه الصلاة والسلام تعليماً لكم بالفعل والصورة **لأنه لم يكن قربه من الشجرة عن ميل ولا انتهاك حرمة وإنما كان محض نفوذ أقدار لا غير** .

قال وأما الرجوع إلى الله تعالى بطريق المعاهدة وهو لا يعلم ما في علم الله تعالى ففيه خطر عظيم فإنه إن كان بقي عليه شيء من المخالفات فلا بد من نقضه ذلك العهد فينتظم في سلك من قال الله تعالى فيهم ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ .

ولم يكن أحد أكمل معرفة بمقام التوبة من آدم عليه السلام حتى اعترف بذنبه ودعا ربه **وما نقل أنه عاهد الله تعالى على أنه لا يعود** كما اشترطه بعضهم في صحة التوبة فالناصح لنفسه من سلك طريق أبيه آدم عليه السلام فإن في العزم المصمم عند أهل الكشف ما لا يخفى من ادّعاء القوة ومقاومة الأقدار الإلهية إلا أن يقصد بذلك أنه لا يعود إن وكل الأمر إليه استقلالاً وذلك محال . انتهى . فليتأمل وليحرّر .

وقد وقع لبعض الأكابر من عُبَّاد بني إسرائيل أنه قال يا ربّ لو فرغتني لعبادتك ووكلتني إلى نفسي لأريتك من العبادة ما لم يفعله أحد من العبيد ففتح التوراة ذلك اليوم وأمر أن لا يدخل عليه أحد يشغله عن ربه فما جاء نصف العصر حتى وقع في الخطيئة .

وما قص الله تعالى علينا وقائع الأكابر إلا لنتأدّب بما أدَّبهم الله تعالى به فعلم أن العبد لم يكلَّف إلا بوزن أعماله البارزة على يديه على وفق الكتاب والسنة ويعطي كل فعل حظه فما كان من طاعة فليشكر الله تعالى وما كان من معصية فليستغفر الله تعالى وما كان من مباح فهو فيه بحسب مقامه فإن كان عارفاً قلّب المباح بالنية إلى شيء محمود .

وفي بعض الهواتف الربانية ليس للعبد أن يشغل قلبه بالاختيار لفعل شيء أو تركه في المستقبل وإنما عليه أن يعطي ما أبرزناه على يديه حقه فإن كان طاعة حَمِدَنا على قسمتها له واستغفرَنا من تقصيره فيها وإن كان معصية حَمِدَنا على تقديرنا عليه واستغفَرنا من ارتكابه مخالفة أمرنا وإن كان غفلة وسهواً فعل ما هو اللائق بمقامه . انتهى .

وقوله (ليس للعبد أن يشغل قلبه بالاختيار لفعل شئ أو تركه في المستقبل) لا ينافي مجاهدة النفس وردَّ خواطرها لأن ذلك في الحالة الراهنة لا في مستقبل الزمان لأنها وجدت .

وكذلك لا ينافي الاستخارة لفعل شيء في المستقبل لأن الاستخارة مأمور بها وقس على ذلك كل مأمور والله أعلم .

وقال الشيخ محي الدين في « الفتوحات » بعد كلام طويل وبالجملة فلا يخلو العبد الذي يعاهد ربّه على ترك شيء أو فعله في المستقبل إما أن يكون ممن أطلعه الله تعالى على أنه لا يقع منه زلة في المستقبل أم لا فإن كان ممن أعلمه الحق تعالى بذلك على لسان ملك الإلهام الصحيح فلا فائدة للمعاهدة على عزم أن لا يعود بعد علمه أنه لا يعود وإن كان لم يطلعه الله تعالى على ذلك وعاهد الله تعالى أنه لا يعود فقد يكون ممن قضى الله تعالى عليه أن يعود فيصير ناقضاً عهد الله وميثاقه وإن كان أطلعه الله على أنه يعود فعزمه على أن لا يعود مكابرة ومعارضة للأقدار فعلى كل حال لا فائدة للمعاهدة على ترك الفعل في المستقبل لا الذي عَلِم ولا الذي جهل وليست التوبة التي طلبها الحق تعالى من عباده إلا أن يفعلوا ما فعل أبوهم آدم عليه السلام وما

بقي على العاصي أمر بعد الوقوع يكلّف به إلا عدم الإصرار على الذنب والتوبة منه لإشعاره بالتهاون بأوامر الله عز وجل .

وحدَّ بعضهم الإصرار على الذنب بأن يدخل عليه وقت صلاة أخرى وهو لم يتب .

وقال بعضهم من لم يتب عقب الذنب فوراً فهو مصرٌّ ما عدا ما هو أقل من مدة انتظار الملائكة الكرام الكاتبين فإنه ورد أنهم ينتظرون العاصي ساعة وما عرفنا مقدار هذه الساعة هل هي الفلكية أو غيرها ومما يؤيد عدم وجوب المعاهدة على العزم أن لا يعود ما ورد في حديث « إذا أذنب العبد فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به » إلى آخره فإنه لم يذكر فيه العزم على أن لا يعود ولعل مَنْ شَرَطه رأى أنه من لازم صحة التوبة المشروعة فأفرده بالشرطية كما أفردوا الإقلاع عن الذنب بالشرطية مع أنه من لازم وقوع الذنب وكذلك إفرادهم ردّ المظالم إلى أهلها . والله أعلم . انتهى كلام الشعراني في « اليواقيت » في ١٣٣ ج٢ .

وفيه بُعَيد هذا وقال في الباب السبعين في الزكاة في حديث مسلم « تصدقوا فيوشك الرجل يمشي بصدقته فلا يجد من يقبلها » الحديث فيه الأمر بالمسارعة بالصدقة مبادرة للتوبة فإن التوبة من الفرائض الواجبة حال التكليف فإن أَخَّرها إلى الاحتضار لم تقبل ولهذا لم يقبل إيمان فرعون . انتهى راجعه في ١٣٣ ج٢ .

وفيه وكان الشيخ محي الدين رضى الله تعالى عنه يقول في قوله تعالى ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ﴾ .

اعلم أن من علامة من قبل الله تعالى توبته وبدّل الله سيئاته حسنات أن لا يصير يتذكر شيئاً من ذنوبه لكونها مُحِيَتْ وكل ذنب تذكره العبد فليعلم أنه لم يُبَدَّل . انتهى .

ويؤيده حديث الطبراني « إذا تاب الله تعالى على عبد أنسى حَفظَته ذنبه وأنسى جوارحه ومعالمه من الأرض أن تشهد عليه » وهي قاصمة للظهر فليتأمل ويحرر والله أعلم . انتهى .

ورأيت في « اليواقيت » في موضع آخر من الجزء الثاني ما حاصله إذا اعتنى الله تعالى بعبده وغفر له ذنبه أحال بينه وبين تذكُّره وأنساه إياه لأنه لو تذكره لاستحى **ولا عذاب على النفوس الطاهرة أعظمُ من أن ينعم عليها من هي مسيئة في حقه** . انتهى في ٨ .

وفيه **فإن قلت** فهل يلزم من كون الحق تعالى يُنسي عبده سيئاته أن تكون بدلت بحسنات كما أشار إليه قوله تعالى ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٍ﴾ **فالجواب** لا يلزم ذلك ولكن قال بعض العارفين إن في نسيان العبد ذنوبه بالكلية بشرى عظيمة من الله أنه بدل سيئاته حسنات فإن من علامة التبديل نسيانَ الذنب وذلك أن الذنب إذا بدله الله تعالى بحسنات لم يبق للذنب صورة وجود من الوجودات الأربع . ويؤيد ذلك قول بعض العارفين (**كل ذنب لم يذهب من ذهن الإنسان فليحدث له توبة جديدة فإنه إلى الآن لم يبدَّل وليكثر الاستغفار طول عمره فوالله ما خلقنا إلا لأمر عظيم**) انتهى في ٨

وفيه أيضاً **فإن قلت** ما صورة تبديل السيئات بالحسنات هل تصير نفس المعصية التي وقعت في صحيفة العبد أم يصير العبد يطيع الله تعالى بعد أن كان يعصيه **فالجواب** كما قاله بعض أهل الكشف أن صورة التبديل أن يبدل اسم السيئة في الصحيفة ويكتب مكانها حسنة تشاكلها **فإن كانت المعصية كبيرة كتب مكانها حسنة كبيرة** أو كانت صغيرة كتب موضعها حسنة صغيرة[١] وهذا الأمر أعظم عنايات الله تعالى بالعبد إن صحَّ لأنه يعطي النفس حظها في الشهوات الدنيوية ثم يكتب الله تعالى له في صحيفته أعمالاً صالحة لم يعمل عينها فعلم أن الله تعالى إذا بدل سيئات العارف حسنات رأى ذلك من أكبر النعم[٢] عليه . انتهى في ٩ .

وأما ما حدَّه البركوي رحمه الله تعالى للإصرار هو دوام قصد المعاصي والمناهي ولو صدرت منه أحياناً أو مرة . وقال ولو تخلل الندامة[٣] والرجوع عنها فليس بإصرار ولو صدرت في يوم واحد سبعين مرة . هكذا ورد عن النبي ﷺ « ما أصرَّ من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرّة » . وضرره غني عن البيان ويكفيك جعله الصغيرة كبيرة لورود « أن لا صغيرة مع

(١) وتكون الأعمال الصالحة التى عملها بعد التوبة أرفع درجات عند الله عزّ وجلّ كذا في كتاب « الجواهر » و« الدرر » فراجعه في ١٧٣ من هامش « الإبريز » (منه) .

(٢) ورأيت في « الكبريت الأحمر » ما نصّه وإذا بدل الله سيآت عبده حسنات يودّ أنّه لو أتى بقراب الأرض خطايا أو حمل ذنوب جميع ذنوب البرايا لِمَا يعاينه من حسن التحويل وجميل صور التبديل ففاز هذا في الدنيا باتباع الهوى وفي الآخرة بجنة المأوى وعلى هذا جزاء بعض المذنبين أعظم من جزاء بعض المحسنين فيبدو للمذنبين ما لم يكونوا يحتسبون وأكثر الناس في الدّنيا بهذا لا يشعرون . انتهى ٢٧٧ من « هامش اليواقيت » ج٢ فراجعه . (منه) .

(٣) بينهما . « بريقة » .

الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار » انتهى . قال الخادمي لأنه يجعلها كبيرة بالمواظبة **فعفو كبيرة واحدة لا يتبعها مثلها أرجى من صغيرة يواظب عليها** . انتهى « بريقة » وفيه ثم إن الصغائر إنما تكون واحدة صغيرة إذا كان مستعظماً لفعلها خائفاً من عقابها وأما إذا فعلها متهاوناً بها فكبيرة كما في « الإحياء » **واستخفاف الصغيرة كفر إذا ثبت بقطعي** وإصرار الصغيرة غلبة المعاصي على الطاعات على المعتمد . وقيل المواظبة على صغيرة من نوع أو أنواع . انتهى .

وضده أي الإصرار الإنابة والتوبة وهي الرجوع عن قصد المعصية والعزم على أن لا يعود إليها تعظيماً لله تعالى وخوفاً من عقابه تعالى لا لغرض دنيوي كالضرر لنفسه أو لماله .

اعلم أنه تصحّ التوبة من بعض مع الإصرار على الأخرى وتصح ولو بعد نقضها مراراً .

والكبيرة لا تكفرها إلا التوبة وأما الصغائر فلها مكفرات كالصَّلوات الخمس والجمعة وصوم رمضان والحج والاستغفار واجتناب الكبائر على أحد القولين وقبول التوبة من الكفر قطعي اتفاقاً ومن المعاصي أيضاً عندنا وعند الشافعي ظنيٌّ والأصح أن الحج المبرور لا يكفّر الكبيرة ومراد مَن قال بالتكفير ليس سقوط قضاء العبادات والمظالم والديون بل يكفّر إثم التأخير فإن لم يفعل حين فراغ الحج فقد ارتكب الآن كبيرة وهذا مما يجب حفظه . كذا في « الزينة » أيضاً انتهى « بريقة » في ٢٢٧ ج٢ .

وفيه قال المناوي ورد في الخبر أنه يكفر حتى الدماء والمظالم وأخذ به جمع . انتهى .

ثم اعلم أن المعاصي إما كفر ونفاق وارتداد فتوبته ندم كامل وإسلام خالص فهل يثاب على حسناته حال الكفر بعد إسلامه أو لا قيل نعم لكن بلا تضعيف بعشر حسنات وقيل لا .

وإما بدعة في الاعتقاد فتوبته أيضاً ندم كامل واعتقاد حق .

وإما معاصي فرعية فإن بترك الفرائض كالصلاة ففيه معصيتان معصية التأخير فتوبته ندم كامل ومعصية الترك فتوبتهُ قضاء فوراً فتأخير القضاء معصية أخرى فيتوب له أيضاً . وإن لم يساعده وقته كمرض موته فيوصي بالفدية . **وأما الصلاة التي أديت بالكراهة التحريمية** كترك تعديل الأركان والطمأنينة في القومة والجلسة فقضاؤها ليس بفرض لكن واجب على ما نقل المصنف في « الجلاء » عن « الهداية » والواقع في مواضع من « معدَّل الصلاة » له **اللازم هو الإعادة** فليتأمل . وكذا الصلاة التي أفسدها ولو نفلاً ثم الزكاة وصدقة الفطر والنذور والضحايا فتقضى لكن لا بحيلة إذ الصحيح أنها مكروهة فالتصدق إلى الفقراء ثم الصوم إن قضاه فقط أو مع الكفارة فكذا ثم الحج فعليه الأداء فإن لم يمكن فيوصيه وإن حج لاحتمال صدور الكفر على ما اختاره المصنف لكنه لا يخلو عن خفاء وإن أفلس بعد القدرة فعليه الكسب أو السؤال للحج وإن صدر عنه الكفر اعتقاداً أو عملاً أو قولاً فعليه إعادة الحج دون الزكاة والصوم والصلاة وغيرها فلا تجب بعد الكفر وإن بطل ثوابها

وإن كانت المعاصي بفعل المنهيات فإن مما بينه وبين الله تعالى بلا تعلُّق حقِّ عبد كالقعود في المسجد وقراءة القرآن جنابة وكلام الدنيا والأكل والشرب والنوم لغير المعتكف والمسافِر ومس المصحف بلا وضوء وكضرب الملاهي وشرب الخمر والزنا طوعاً **فيتوب توبة نصوحاً** بلا لزوم أن يفضح نفسه ويهتك ستره ويلتمس من الوالي الاستيفاء بل يستر ويقيم حدوده تعالى على نفسه بالمجاهدات والتضرعات في الخلوات سيما الأسحار ولو رفع أمره إلى الوالي ليقيم عليه الحدّ لكان أفضل كماعز بن مالك رضي الله عنه وإن مما بينه وبين الله تعالى بتعلق حق الحيوان كالوطء والقتل والضرب بلا عذر وكضرب وجهه ولو بعذر والركوب والحمل فوق الطاقة وعدم إعطاء العلف والماء فمشكل جداً فليس له إلا التوبة النصوح والتضرع والبكاء .

وإن بمظلمة العباد فخمسة مالي ونفسي وعِرْضِي ومحرمي وديني .

فالمالي كالسرقة والغصب والغبن وترويج زيف وإتلاف مال الغير باليد أو بشهادة الزور أو بالغمز إلى الظالم أو بالحكم جَوْراً أو بالرشوة وغيرها فيتوب ثم يستحلُّ **ولو حبة أو ذرة وإن صدر حال الصبا إذ الغرامات المالية لازمة على الصبي** فإن لم يسترض في الدنيا فيعطيه في الآخرة فإن مات المالك فيعطيه إلى وارثه وإن لم يوجد أو لم يعلم المالك فيعطيه إلى الفقير بنية وديعة عنده تعالى ويوصلها إلى صاحبها يوم القيامة أو يصرفه إلى المصالح نحو القناطير ولو صرف إلى فقراء الوالدين أو المولودين لكان معذوراً كما قيل وإن عجز فبمشيئة الله تعالى إن شاء يعطي من حسناته أو يحمل سيئاته عليه وإن شاء يرضيه عنه . وأما حق الكافر إن لم يسترض فمشكل جدّاً قيل يجوز إرضاؤه تعالى بتخفيف عذابه .

وأما النفسي فإنْ مما يوجب القود في النفس أو في الأطراف فيتوب أولاً ويسلّم نفسه إلى وليّ الجناية ثانياً إن شاء عفا وإن شاء أخذ حقه وإن شاء صالح على مال وإن مما يوجب الدية فيتوب ويعطي أيضاً أو يستحل .

وأما العِرْضي كالغيبة والبهتان والاستهزاء والشتم فالتوبة والاستحلال وشُرِطَ في البهتان تكذيبُ نفسه عند من بَهَته عندهم ولا يمكن الاستحلال بالوارث في هذا النوع .

وأما المحرمي كالخيانة لأهل الغير أو ولده أو نحو ذلك فيتوب ويستحل وإن خاف تهيُّج فتنةٍ فيتضرع ربَّه ويبكي ويدعو لصاحب الحق ويتصدق له .

وأما الديني كالتكفير والتفسيق فيتوب ويسترضي ويكذِّب نفسه كما مرَّ .

واعلم أن فيما ذكر كله إن لم يعلم ما عليه من الحقوق يقيناً فيعمل بغلبة ظنه من أوان البلوغ أو أوان الوجود في الحقوق المالية إلى أوان التوبة ثم الاستحلال المبهم لا يكفي عند الغزالي ويكفي على الأصح على ما في « الفتاوى » .

وفي « الخلاصة » قال حلِّلني من كل حق لك عليّ فأبرأه فإن علمه صاحب الحق برئ مطلقاً بالإجماع وعليه الفتوى وإلا فبرئ قضاء إجماعاً وأما ديانة فعند محمد لا يبرأ **وعند أبي يوسف يبرأ وعليه الفتوى** . ولهذا قيل الاستحلال المبهم من خواص هذه الأمة .

قال رجل له على آخر دين وهو لا يعلم بجميع ذلك . فقال المديون أبرئني مما عليَّ . فقال أبرأتك . قال النصر لا يبرأ إلا مقدار ما يتوهم أنه له

عليه . وقال محمد بن سلمة يبرأ من الكل . وعن أبي الليث ما قاله النصر حكم الآخرة وما قاله محمد حكم القضاء . قال (أبرأت جميع غرمائي أو كلُّ غريم لي فهو حلّ أو ليس بالدين شيء) لا يبرأ وقيل في المسئلتين يبرأ . وتمام ذلك قبيل الثلاثين من كتاب الاستحسان « للتتارخانية » .

اعلم أن الأفضل هو الإبراء لا سيما المعسر ولذا جاء في الحديث « من أنظر معسراً أو وضع عنه أظلَّه الله تعالى تحت ظل عرشه يوم لا ظلّ إلا ظلّه » انتهى « بريقة محمودة » من الجزء الثاني في ٢٣٠ .

فوائد فيها ترغيب السالك إلى التوبة .

قال شيخنا خالد سيف الله الحسيني النقشبندي القادري الشاذلي في كتابه « كنز المعارف في أسرار اللطائف » وأخرج الشيخان والترمذي عن الحرث بن يزيد قال قال ابن يزيد قال قال ابن مسعود سمعت رسول الله ﷺ يقول « اللهُ أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في أرض وبيئة مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى إذا اشتدّ عليه الحر والعطش أو ما شاء الله تعالى قال أَرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فإذاً راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده » ومسلم « يا أيها الناس توبوا إلى الله تعالى فإني أتوب إليه مائة مرة » .

وابن ماجه « لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب الله تعالى عليكم » .

والطبراني والبيهقي « صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال فإذا عمل العبد حسنة كتبها بعشر أمثالها وإذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين أمسك . فيمسك ست ساعات فإن استغفر الله تعالى منها لم يكتب عليه شيئاً وان لم يستغفر الله تعالى كتب عليه سيئة واحدة » .

وابن أبي حاتم وابن مردويه « التوبة النصوح الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله ثم لا تعود إليه أبداً » .

والطبراني وأبو نعيم « الندامة توبة . والتائب من الذنب كمن لا ذنب له والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزىء بربه » .

والترمذي « إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر » .

ومسلم « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه » .

والشيخان عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أهل العلم فدُلَّ على راهب فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمَّل مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدُلَّ على رجل عالم فقال له إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى فاعبد الله تعالى معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء . فانطلق حتى إذا أنصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاءنا مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى . وقالت ملائكة العذاب ولم يعمل

خيراً قط . فأتاهم ملك في صورة آدمي فحكّموا بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة » .

وفي الحديث الصحيح أنه ﷺ قال « إن المؤمن إذا أذنب نكت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب واستغفر صقل قلبه وإن لم يتب زادت حتى تعلو قلبه أي تغشاه وتغطيه تلك النقطة السوداء فذلك الران الذي ذكره الله تعالى في كتابه ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ اللهم إنَّا نستغفرك ونتوب إليك ونستعينك على أن لا نعود إلى معاصيك . انتهى كلام سيف الله من خطه قدس سره ونوَّر ضريحه آمين .

وفى « **الجامع الصغير** » قال الله تعالى « يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم ولو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم لو أنك لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة » .

وعن الترمذي عن أبي موسى الأشعري أنه قال صلّى الله تعالى عليه وسلم « كان في الأرض أمانان من عذاب الله تعالى فَرُفِع أحدهما فدونكم الآخر فتمسكوا به » . أما المرفوع فرسول الله عليه الصلاة والسلام وأما الباقي منهما فالاستغفار قال الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ انتهى . « بريقة » في ٢٣١ ج٢

وأخرج ابن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال « من قال **أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه** خمس مرات غفر له وإن كان عليه مثل زبد البحر » . انتهى « جواهر المعاني » .

وكان ﷺ يقول « طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً فمن أحب أن تسرَّه صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار » . انتهى « كشف الغمة » .

وفيه وكان ﷺ يقول « ما من عبد ولا أمة يستغفر الله تعالى في يوم سبعين مرة إلا غفر له سبعمائة ذنب وقد خاب عبد أو أمة عمل في يوم وليلة أكثر من سبعمائة ذنب » .

وكان أنس رضي الله عنه يقول جاء رجل إلى رسول ﷺ فقال واذنوباه واذنوباه يقول ذلك مرتين أو ثلاثاً . فقال له رسول الله ﷺ « قل **اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي ورحمتك أرجى عندي من عملي** » . فقالها . فقال له رسول الله ﷺ « قم فقد غفر الله لك » انتهى . راجعه في ٢٨٨ من الجزء الأول .

قال الغزالي في « منهاج العابدين » وكما اتخذت الذنب والعود إليه حرفة فاتخذ التوبة أيضاً والعود إليها حرفة فلا تكن في التوبة أعجز منك في الذنب ولا تيأس ولا يمنعك الشيطان من التوبة بسبب ذلك فإنها دلالة الخير أما تسمع قوله ﷺ « خياركم كل مُفْتَنٍ تواب » أي كثير الابتلاء بالذنب كثير التوبة منه والرجوع إلى الله بالتوبة والاستغفار . وتذكَّر قوله تعالى ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ انتهى . قال الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ الآية .

وقال الغزالي في « منهاجه » ثم عليك يا طالب العبادة وفقك الله تعالى بالتوبة وذلك لأمرين أحدهما ليحصل لك توفيق الطاعة فإن شوم الذنوب يورث الحرمان ويعقب الخذلان وإن قيد الذنوب يمنع من المشي إلى طاعة الله تعالى والمسارعة إلى الخير وخدمته وإن ثقل الذنوب يمنع من الخفة في الخيرات والنشاط إلى الطاعات وإن الإصرار على الذنوب يسوّد القلب فتجده في ظلمة وقساوة ولا خلوص فيها ولا صفاء ولا لذة فيها ولا حلاوة وإن لم يرحم الله تعالى فيستجرُّ صاحبها إلى الكفر والشقاوة فيا عجباً كيف يوفق للطاعة مَن هو في شوم وقسوة وكيف يُدعى للخدمة مَن هو مصرّ على المعصية ومقيم على الجفوة وكيف يقرب للمناجاة من هو متلطّخ بالأقذار والنجاسات ففي الخبر عن الصادق المصدّق رسول الله ﷺ أنه « إذا كذب العبد تنحى الملكان عن نتن ما يخرج من فيه » . وكيف يصلح هذا اللسان لذكر الله عز وجل فلا جرم لا يكاد يجد المصرُّ على العصيان توفيقاً ولا تخفّ أركانه لعبادته فإن اتفق فبكدّ لا حلاوة معه ولا صفوة وكلّ ذلك بشوم الذنوب وترك التوبة .

ولقد صدق من قال إذا لم تقو على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك مكبول قد كبّلتك خطيئتك فهذه هذه .

والثاني من الأمرين إنما يلزمك التوبة لتقبل عنك عبادتك فإن رب الدّيْن لا يقبل الهدية وذلك أن التوبة عن المعاصي وإرضاء الخصوم فرض لازم وعامة العبادة التي تقصدها نفل فكيف يقبل منك تبرعك والدَّين حالّ لم تقضه أم كيف تترك لأجله الحلال والمباح وأنت مُصرّ على فعل المحظور والحرام وكيف تناجيه وتدعوه وتثني عليه وهو والعياذ

بالله عليك غضبان فهذا ظاهر حال العصاة المصرّين على المعصية والله المستعان انتهى

يا ولدي إني جمعت لأجلك في هذا الباب أقوال العلماء الواردة في حق التوبة لتكون سبباً لانتباهك عن سِنة الغفلة وحرصك على التوبة مع أنك في حال القدرة لفعل الذنوب .

يا ولدي اعلم أن التوبة عبارة عن ندم يبعث العزم على الترك فيما يقدر على فعله كما ذكره الغزالي في « الإحياء » « والمنهاج » أيضاً .

فإذا كان أحد يقطع الطريق ويذهب في الفلاة ويأخذ أموال الناس ثم عجز عن أن يذهب إلى الفلاة ويقطع الطريق فتوبته إنما تحصل بترك مثل ذلك القطع منزلة وهو السرقة . كذا قرّره الفلدي في هامش « منهاج العابدين » والبسط في « الإحياء » في ٣٣ ج٤ راجعه .

يا ولدي إنّ رحمة الله تعالى واسعة وقد غفر لكثير من العصاة وجعلهم من أوليائه **فقد كان الفضيل رحمه الله تعالى شاطراً يقطع الطريق** بين أبي ورد وسرجس وكان سبب توبته أنه عشق جارية فبينما هو يترقى في الجدران إليها سمع تالياً يتلو ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ فقال يا رب قد تبت . فرجع فاداه الليل[١] إلى خربة فإذاً فيها رفقة فقال بعضهم نرتحل وقال بعضهم حتى نصبح فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا . قال فتاب الفضيل وآمنهم وجاور الحرم حتى مات . كذا في « البريقة » فصار أمر الفضيل بعد التوبة أنه كان أزهد الناس وأعبدهم

---

(١) فآواه نسخة . (هامش الأصل) .

وأورعهم في زمنه كما هو مذكور في مناقبه . وإن الناس يسألون الله تعالى بحرمته قضاء حوائجهم ويتوسلون به جعلنا الله تعالى في بركته وبركة أمثاله آمين .

يا ولدي يجب على التائب أن يكون الباعث على التوبة تعظيم أمر الله تعالى والخوف من سخطه وأليم عقابه لا رغبة دنياوية أو رهبة من الناس أو طلب ثناء أو صيت أو ضعفاً في النفس أو فقراً أو غير ذلك فلو ندم على الذنب لسقوطه عن الجاه بسبب فعله ذلك الذنب أو ندم على الذنوب لعوده إلى الفقر وإلى عدم المال بسبب إنفاق المال في الذنوب فقط ولم يندم لتعظيم الله وخوف عقابه فإن ذلك لا يكون توبة بلا ريب اللهم ارزقنا ولأولادنا وأحبابنا وزوّارنا وإخواننا في الدين توبة نصوحاً وثبتنا وإياهم عليها إلى الممات واغفر لنا وإياهم آمين .

الترغيب الثالث

في بيان فضائل الصلاة على النبي عليه السلام

اعلم يا ولدي أن فضل الصلاة على النبي ﷺ مشهور ومعلوم والأحاديث الواردة في حقها كثيرة وقد نقل مؤلف « أفضل الصلوات » عن السيد أحمد دحلان ما نصه إن الصلاة على النبي ﷺ نافعة بأي صيغة كانت ولا شيء أنفع لتنوير القلوب ووصول المريدين إلى الله تعالى منها فإن المواظب على الصلاة على النبي ﷺ يحصل له أنوار كثيرة وببركتها يتَّصل بالنبي ﷺ أو يجتمع بمن يوصله إليه خصوصاً إذا كان مع الاستقامة **وخصوصاً في آخر الزمان عند قلَّة المرشدين** والتباس الأمور على الناس **فمن أراد هداية الخلق وإرشادهم** فعليه أن يأمر الناس عوامهم وخواصهم بالاستغفار والصلاة على النبي ﷺ . انتهى ١٥٥ .

وفي « حاشية الباجوري » على متن « السُلَّم » في المنطق والأحاديث في فضل الصلاة عليه ﷺ جملةً وتفصيلاً لا تنضبط وخصائصها لا تنحصر فمن ذلك قضاء الحاجات وكشف الكُرَب المعضلات ونزول الرحمات . **ومن ذلك أيضاً ما جرب من تأثيرها في تنوير القلوب** حتى قيل **أنها تكفي عن الشيخ في الطريق وتقوم مقامه** كما حكاه سيدي أحمد زروق والشيخ السنوسي في شرح « صغرى الصغرى » وأشار له الشيخ أبو العباس أحمد بن موسى اليمني لكن قال الشيخ الملوي المراد أنها تكفي عنه وتقوم مقامه في مجرَّد التنوير **أما الوصول لدرجة الولاية فلا بُدَّ فيه من الشيخ** كما هو معلوم عند أهله . واختصت من

بين الأذكار بأنها تذهب حرارة الطباع بخلاف غيرها فإنه يثيرها . انتهى ١٤ فراجعه .

وفي « تقريب الأصول » نظير ما مرَّ وفيه وإن جميع الأعمال منها المقبول ومنها المردود إلا الصلاة على النبي ﷺ **فإنها مقطوع بقبولها إكراماً له** ﷺ . وحكي اتفاق العلماء على ذلك . انتهى فراجعه في ١٠ .

وقطع الإمام الشاطبي والسنوسي على ذلك **ولو قصد الرياء** كما في « أفضل الصلوات » في ٣٤ لكن ينبغي للعاقل أن لا يقصد بشيء من الصلاة على النبي ﷺ إلا التعظيم والإجلال لله تعالى ولرسوله ﷺ وامتثال أمر الله تعالى فقد رأيت في « رماح حزب الرحيم » ما حاصله أن مَن صلّى على النبي ﷺ بهذه النِّيَّة كانت المرة الواحدة من صلاته لو ضرب العالم في نفسه مائة ألف مرة وقسمت صلاته عليهم لكفَّرت جميع ذنوبهم . انتهى فراجعه في ١٤٥ من الجزء الثاني .

وقد ذكرت نبذة من هذه المذكورات في كتابنا « تنبيه السالكين » في المتن وفي الهامش بالتمام فإن أردت الزيادة فراجعه .

وفي « جواهر المعاني » في ١٣٢ ج١ ثم اعلم أن في الصلاة عليه ﷺ تكفَّل الله بمن صلّى على حبيبه ﷺ أن يصلّي عليه عشر مرات بكل صلاة من تلك الصلوات التي مَنَّ الله عز وجل على العبد .

لها سرّان

السر الأول أن المصلّي عليه ﷺ يجب على نبينا ﷺ مكافأته على مَن صلّى عليه على قاعدة حكم الكرم عند الكريم(١) أن الإحسان إلى الكريم لا يضيع (الإحسان عند الكريم) باطلاً فهو ﷺ بما اتصف من الكرم وجب عليه مكافأة مَن صلّى عليه من هذه الحيثيّة فلما توجَّه عليه ﷺ هذا ناب الحق سبحانه وتعالى عنه في مكافأة من صلّى عليه ﷺ على إحسانه أن يصلّي عليه سبحانه وتعالى بكل واحدة عشراً .

والسر الثاني أنه سبحانه وتعالى عظيم المحبة والعناية برسوله ﷺ فمن رآه سبحانه وتعالى توجّه بالصلاة على حبيبه ﷺ اعتنى به لأجل تحبُّبه لحبيبه بالصلاة على حبيبه ﷺ **وكانت تلك المحبة والعناية منه سبحانه وتعالى** إذا ثابر على الصلاة عليه ﷺ لو أتاه بذنوب أهل الأرض كلها من أول وجود العالم إلى آخره أضعافاً مضاعفة لأدخلها كلها سبحانه وتعالى في بحر عفوه وفضله(٢) وواجهه سبحانه وتعالى في بلوغ أمله في الدار

(١) ومن علامة التقى حسن المقال عند التفرق وجميل البشر عند التقاطع . أنشدنا بعض العلماء الحكماء في معناه

إن الكريـم إذا تقضي وده ... يخفـى القبح ويظهـر الإحسـان
وتـرى اللئيـم إذا انصـرم حبلـه ... يخفـي الجميـل ويظهـر البهتانـاً

فوصف الكريم في هذا المعنى التخلق بخلق الربوبية ألم تستمع إلى الدعاء المأثور عن رسول الله ﷺ في أوله يا من أظهر الجميل وستر القبيح ولم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر فكذلك صفات المؤمنين على معاني اختلاف المؤمن الأعلى « قوت القلوب في معاملة المحبوب » من عينه في ٢١٥ من الفصل الرابع والأربعين في كتاب الأخوة في الله تبارك وتعالى .

(٢) وفي « جواهر المعانى » في ٢٥٥ ج٢ واعلموا أنّ الذّنوب في هذا الزمان لا قدرة لأحد على الانفصال عنها فإنّها تنصب على الناس كالمطر الغزير لكن أكثروا من مكفرات الذنوب وآكد ذلك

الآخرة بتبليغه له في أعلى مراتب رضاه عنه سبحانه وتعالى وكان حكمه في الغيب كلما صعدت الملائكة إلى الله تعالى بصحيفة أعماله مملوءة بالسيئات يقول سبحانه وتعالى للملائكة إن له عناية بحبيبنا ﷺ لا تكون سيئاته كسيئات غيره ولا تقع المؤاخذة عليه في سيئاته كما تقع على غيره من أصحاب السيئات فإذا عرفت هذا عرفت أن الصلاة عليه ﷺ لمثل هذا الوقت أفضل لهم من تلاوة القرآن من هذه الحيثية التي سمعتها فقط لا أنها هي أرفع درجة من القرآن فإن القرآن هو أفضل الدرجات في التقرب إلى الله تعالى لكن لمن صفت أعماله وأحواله مع الله تعالى فيكون تاليه حينئذ من أكبر السابقين وأعظم الفائزين برضاء الله تعالى ولا قدرة لأهل هذا الوقت على هذا فإنه يقع بهم من المقت بتلاوة القرآن ما لا تدركه العقول فإن لله سبحانه وتعالى غيرة على كتابه لكونه حضرة القرب والتداني **فمن خالط كتابه وأساء الأدب معه طرده ومقته** لكونه لم يعط الحضرة حقها فإذا عرفت هذا عرفت النسبة بينه وبين الصلاة عليه ﷺ . انتهى فراجعه .

وفي « جواهر المعاني » في موضع آخر فبان لك أن **الصلاة على رسول الله ﷺ في حق الفاسق أنفع له من تلاوة القرآن** فإن القرآن مرتبته مرتبة النبوة تقتضي الطهارة والصفاء وتوفية الآداب المرضية والتخلق بأخلاق الروحانية فلذا يتضرر العامة بتلاوته لبعدهم عن ذلك وأما الصلاة عليه ﷺ فليس فيها إلا التلفُّظ بها باستصحاب تعظيم النبي ﷺ بحالة تليق

صلاة الفاتح لما اغلق . .الخ فإنها لا تترك من الذنوب شاذة ولا فاذة وكصلاة التسبيح ومما هو في هذا المعنى يلازمه الإنسان في كلّ يوْم ثلاث مرات . اللّهمّ مغفرتك أوسع من ذنوبي ورحمتك أرجى عندي من عملي . انتهى فراجعه (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

بتاليها من الطهارة الحسية ثوباً وجسداً ومكاناً وتلاوتها باللفظ المعهود في الشرع من غير لحن فإن الله سبحانه وتعالى ضمن لتاليها أن يصلّي عليه ومَن صلى الله عليه مرة لا يعذبه .

ولا وسيلة عند الله تعالى أعظم نفعاً وأرجى في استجلاب رضى الربِّ عن العبد في حق العامة أكبر من الصلاة على النبي ﷺ وإن تدافعت العلماء في القطع بقبولها فمن قائل بأن قبولها قطعي ومن قائل بعدم القطع بقبولها كسائر الأعمال **والذي نقول به** بأنها مقبولة قطعاً **والحجة** لنا في ذلك أن الله تعالى يقول للنبي ﷺ « مَن صلّى عليك صلّيت عليه ومن سلّم عليك سلّمت عليه » وهذا الوعد صادق لا يخلف وهو لا من حيثية العبد بل من حيثية العناية سبحانه وتعالى بنبيه ﷺ وقيامه عنه سبحانه وتعالى بالمكافأة لمن صلّى عليه ﷺ لا يترك صلاة العبد تذهب دون شيء **وهو معنى قبول الصلاة من العبد** وبالله التوفيق الخ... انتهى ٢٥٥ ج٢ .

قال الإمام الهمام شيخ الإسلام ومفتي الشافعية ببلد الله الحرام السيد أحمد ابن السيد زيني دحلان في كتابه « تقريب الأصول » في أثناء ذكر كلام لأبي المواهب الشاذلي قدس سره ما نصه وقال رضي الله عنه رأيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله صلاة الله عشراً على مَن صلّى عليك مرة واحدة هل ذلك إن كان حاضر القلب فقال لا بل لكل مصلّ عليّ ولو كان غافل القلب ويعطيه الله تعالى أمثال الجبال من الملائكة تدعو له وتستغفر له وأما إذا كان حاضر القلب فيها فلا يعلم ذلك إلا الله تعالى .

قال بعض العارفين مَن فاته كثرة الصلاة والصيام فليكثر من الصلاة على النبي ﷺ فإنه من صلّى على النبي ﷺ مرة صلى الله تعالى عليه عشراً فلو فعل الإنسان جميع الطاعات وصلى على النبي ﷺ مرة واحدة لرجحت تلك الصلاة الواحدة على كل ما عمله جميع عمره من جميع الطاعات لأنك تصلّي على حسب وسعك والله تعالى يصلّي عليك أي يرحمك على حسب ربوبيته (**عطية القوم على قدر أقدارهم**) . هذا إذا كانت صلاة واحدة فكيف إذا صلّى عليك عشراً بكل صلاة فما أحسن عيش من أطاع الله تعالى بذكره والصلاة على رسوله ﷺ فكم من صنائع صنعت لك وأنت لا تدري .

وفضائل الصلاة على رسول الله ﷺ كثيرة وردت بها أحاديث لا تحصى ويفهم من مجموعها حُصُول فوائد للمصلّي عليه لا تحصى .

فمنها امتثال أمر الله تعالى حيث قال ﴿صَلُّوا۟ عَلَيۡهِ﴾ وهذه الفائدة أعظم الفوائد وهي العبودية المحضة لأنها أشرف مقامات العبد .

ومن فوائد الصلاة على النبي ﷺ موافقة العبد لربه في الصلاة عليه ﷺ وإن اختلف معنى الصلاتين .

ومن فوائدها صلاة ملائكة الله على العبد ما دام يصلّي عليه .

ومنها أنه يحصل للمصلّى عليه عشر حسنات بواحدة وتكفير عشر سيئات ورفع عشر درجات .

ومنها عتق عشر رقاب .

ومنها كونه ﷺ شفيعاً وشهيداً للمصلّين عليه يوم القيامة .

ومنها أن الملائكة يكتبون ذلك بأقلام الذهب وصحائف الفضة ويقولون للمصلّين زيدوا زادكم الله تعالى .

ومنها كتابة براءة من النفاق وبراءة من النار .

ومنها أن المصلّي يُسكنه الله تعالى مع الشهداء يوم القيامة .

ومنها أن كتفه يزاحم كتف النبي ﷺ يوم القيامة .

ومنها أنها زكاة للأعمال وكفارة .

ومنها أن الملائكة تستغفر للمصلّي وتقرُّ بها عينه .

ومنها إذا مات تكون الصلاة عند قبره تستغفر له .

ومنها أن له بالصلاة الواحدة قيراطاً من الأجر كجبل أُحُد .

ومنها أن الملائكة تبلِّغها النبي ﷺ فيردُّ على المصلّي فكل صلاة المصلين تعرض عليه ﷺ .

ومنها أنها تكون سبباً للكيل بالمكيال الأوفى من الثواب .

ومنها أنها سبب لكفاية المهمات في الدنيا والآخرة وقضاء الحاجات وكشف الكربات وغفران الذنوب وإن مَن جعل صلاته كلها للنبي ﷺ كُفِيَ همُّه من أمر دينه ودنياه وغفر ذنبه .

ومنها أنها أفضل من عتق الرقاب ومن ضرب السيف في سبيل الله .

ومنها أنها تكفُّ الكاتبين أن يكتبوا على المصلّي ذنباً .

ومنها أن المصلّي يحفظ من دخول النار وجاء في بعض صيغها أن صلاة واحدة تكفر ذنوب ثمانين سنة .

ومنها أنها سبب لرضاء الله تعالى وسبب لغشيان الرحمة .

ومنها أن الملائكة إذا وجدوا حلقة المصلّين يحفُّون بهم ويغشونهم بالرحمة .

ومنها أنها موجبة للأمن من سخط الله تعالى وسبب لثقل الميزان وللأمن من العطش يوم القيامة .

ومنها أنها تأخذ بيد مَن يعثر على الصراط .

ومنها أن من صلّى على النبي ﷺ في يوم ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة وحتى تبشِّره الملائكة بالجنة .

ومنها أنها تعدل عشرين غزوة في سبيل الله تعالى .

ومنها أنها سبب لتكثير الزوجات في الجنة .

ومنها أنها تقوم مقام الصدقة لمن لم يكن عنده صدقة .

ومنها أن مَن صلّى مائة مرة في كل يوم قضى الله تعالى له مائة حاجة سبعين لأخراه وثلاثين لدنياه .

ومنها أن المداومة عليها كالمداومة على العبادة طول الليل وطول النهار .

ومنها أنها أحبُّ الأعمال إلى الله تعالى وأنها زينة المجالس ونور يوم القيامة ونور على الصراط .

ومنها أنها تنفي الفقر .

ومنها أن المصلّي يكون أولى الناس بالنبي ﷺ يوم القيامة وإن أكثر الناس عليه صلاة أكثرهم نوراً يوم القيامة .

ومنها أن العبد إذا أكثر منها يكون أحب ما يكون إلى الله تعالى وأقربه إليه .

ومنها أن المكثر منها قد لا يسأله الله تعالى يوم القيامة فيما افترض عليه .

ومنها أن مَن صلّى عليه في كل يوم خمسين مرة صافحه النبي ﷺ يوم القيامة .

ومنها جلاء القلوب من الصدأ وطهارتها من النفاق .

ومنها أن الإكثار منها سبب لورود الحوض يوم القيامة .

ومنها أنها سبب لإجابة الدعاء وسبب لنجاة المؤمن من خطئه طريق الجنة .

ومنها أنها سبب للبركة في ذات العبد وعمره وأسباب مصالحه .

ومنها دوام محبته ﷺ وزيادتها ومضاعفتها .

ومنها أنها سبب للنصر على الأعداء .

ومنها أنها سبب لمنع الغيبة من الناس وموجبة لمحبة الناس للمصلّي .

ومنها نمو المال ببركتها ويلقى العبد بسببها وجوه الخير .

كل هذه الفوائد جاءت بها أحاديث ذكرها العلماء في كتبهم وزاد كثير من العارفين **أنها تقوم مقام الشيخ في التربية** وزاد بعض أنها تمنع العطش مطلقاً وكذا في وقت الحمى وغيرها . قال الشيخ عبد الغني النابلسي بشرط أن لا يكون في تلك الصيغة التي يصلي بها ذكر الله تعالى لأنه حارّ ومثل ذلك بأن يقول الصلاة والسلام على سيّدنا محمد خير الأنام . فعليك بالإكثار من الصلاة على النبي ﷺ واتخذها ورداً في ليلك ونهارك تَفز بكل خير في الدنيا والآخرة .

وأسأل الله تعالى التوفيق [لنا] ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات إن الله تعالى على ذلك قدير وبالإجابة جدير وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم انتهى في ٨٤ .

وفى « جواهر المعاني » وأكبر ذكر الله فائدة وأعظمه جدوى وعائدة هي الصلاة على رسول الله ﷺ مع حضور القلب فإنها متكفِّلة بجميع مطالب الدنيا والآخرة دفعاً وجلباً في كل شيء وإن مَن أكثر استعمالها كان من أكبر أصفياء الله تعالى . انتهى . فراجعه في ١٤٤ من الجزء الأول .

وفي « العقد الثمين » وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « مَن حج حجة الإسلام وغزا بعدها غزاة كتب غزاته بأربعمائة حجة » قال فانكسر قلوب قوم لا يقدرون على الجهاد ولا الحج فأوحى الله تعالى عز وجل إليه « ما صلّى عليك أحد إلا كتبت صلاته بأربعمائة غزوة كل غزوة بأربعمائة حجة » أخرجه أبو حفص الميافشي في « المجالس المكية » انتهى ٣٠ .

وكان ﷺ يقول « مَن صلّى عليّ تعظيماً لحقي جعل الله عز وجل من تلك الكلمة ملكاً له جناح في المشرق وجناح في المغرب ورجلاه في تخوم الأرض وعنقه ملتوٍ تحت العرش يقول الله عز وجل له صلّ على عبدي كما صلّى على نبيّي فهو يصلّي إلى يوم القيامة » .

وفي رواية « فما من عبد يصلّي عليّ حبّاً لي إلا انغمس ذلك الملك في الماء ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل قطرة تقطر منه ملكاً يستغفر لذلك المصلّي عليَّ إلى يوم القيامة » . انتهى « كشف الغمة » ٢٧٨ ج١ .

وفيه وكان ﷺ يقول « مَن صلّى عليّ كل يوم ثلاث مرّات وكل ليلة ثلاث مرات كان حقّاً على الله تعالى أن يغفر له تلك الليلة وذلك اليوم » . انتهى .

وفيه وكان ﷺ يقول « الصلاة عليّ أمحق للخطايا من الماء للنار والسلام عليّ أفضل من عتق الرقاب وحُبّي أفضل من مهج الأنفس » أو قال « من ضرب السيف في سبيل الله عز وجل ومَن صلى عليّ واحدة حبّاً لي وشوقاً إليّ أمر الله تعالى حافظيه أن لا يكتبا عنه ذنباً ثلاثة أيام » انتهى ٢٧٩ ج١ .

وفي « مناهج السعادات » وَوَرَدَ « أكثروا من الصلاة عليَّ في يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيداً وشافعاً يوم القيامة » انتهى .

وروي عنه ﷺ أنه قال « مَن صلّى عليّ يوم الجمعة مائة مرة غفر له خطيئة ثمانين سنة » . « دلائل الخيرات » والمراد غفران الصّغائر . انتهى « مناهج السعادات » في ٥ .

وقال الحافظ السخاوي إن امرأة جاءت إلى الحسن البصري فقالت له يا شيخ توفِّيت لي بنيَّة وأريد أن أراها في المنام . فقال لها الحسن البصري صلّي أربع ركعات واقرئي في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وسورة ألهاكم التكاثر مرة وذلك بعد صلاة العشاء الأخيرة ثم اضطجعي وصلّي على النبي ﷺ حتى تنامي . ففعلت ذلك فرأتها في النوم وهي في العقوبة والعذاب وعليها لباس القطران ويداها مغلولة ورجلاها مسلسلة بسلاسل من النار فلما انتبهت جاءت إلى الحسن فأخبرته بالقصة . فقال لها تصدَّقي بصدقة لعل الله تعالى يعفو عنها . ونام الحسن تلك الليلة فرأى كأنه في روضة من رياض الجنة ورأى سريراً منصوباً وعليه جارية حسناء جميلة وعلى رأسها تاج من النور فقالت يا حسن أتعرفني فقال لا . فقالت أنا ابنة تلك المرأة التي أمرتها بالصلاة على النبي ﷺ . فقال لها الحسن إن أمك وصفت لي حالك بغير هذه الرؤية فقالت له هو كما قالت قال فبماذا بلغت هذه المنزلة فقالت كنا سبعين ألف نفس في العقوبة والعذاب كما وصفت لك والدتي فعبر رجل من الصالحين على قبورنا وصلّى على النبي ﷺ مرة وجعل ثوابها لنا فقبلها الله تعالى عز وجل منه وأعتقنا كلنا من تلك العقوبة و ذلك العذاب ببركة الرجل الصالح وبلغ نصيبي ما قد رأيته وشاهدته . ذكرها القرطبي في « التذكرة » بغير هذا اللفظ انتهى . « أفضل الصّلوات » ٥١ .

قال السخاوي ويروى في بعض الأخبار أنه كان في بني إسرائيل عبد مسرف على نفسه فلما مات رَمَوْا به فأوحى الله تعالى إلى نبيّه موسى عليه السلام أن غسّله وصلِّ عليه فإني قد غفرت له . قال يا رب وبماذا قال

إنه فتح التوراة يوماً فوجد فيها اسم محمد ﷺ فصلّى عليه فقد غفرت له بذلك . كذا في « أفضل الصلوات » ٧٧ .

حكى بعضهم أن رجلاً شوهد يكثر الصلاة على النبي ﷺ في مواقف الحج والمطاف فقيل له لم لا تستعمل المأثور الأفضل قال آليت على نفسي أن لا أترك الصلاة على النبي ﷺ على أي حالة كنت . قال وسبب ذلك أنه كشف وجه والده عند الموت فرأى وجهه وجه حمار فحزن عليه فرأى النبي ﷺ فتعلق به مستشفعاً لوالده سائلاً عن سبب حصول حالته المذكورة فقال له إنه كان يأكل الربا . وأن من أكله يقع له ذلك دنياً وأخرى . لكن والدك كان يصلّي علي كل ليلة عند نومه مائة مرة فشفعت فيه . فاستيقظ فرأى وجه والده كالبدر ثم لما دفنه سمع قائلاً يقول سبب العناية بوالدك الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ . ذكره الجريري في « كنز الإدخار » انتهى « العقد الثمين » في ٣٠ . ومثله في « رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم » فراجعه .

يا ولدي انظر إلى عِظَم فائدة الصلاة على النبي ﷺ فقد انتفع بها لمن ارتكب الذنب الذي أيسره كناكح أمه وهو الربا وقد ذكرت نبذة من فضائل الصلاة في كتابنا « خلاصة الآداب » وفي « تنبيه السالكين » فإن أردت الزيادة فعليك بالمراجعة إليهما .

وفي « أدلِّ الخيرات » و« دلائل الخيرات » و« كشف الغمة » أكثر من هذه وفَقك الله تعالى للدّوام على الصلاة عليه ﷺ وجعلك من ورثة أوليائه وأصفيائه آمين .

صلاة الفاتح لما أغلق

فائدة في بيان فضائل صيغ الصلاة عليه ﷺ التي أوردها السادات في كتبهم وذكروا لها الفضائل الكثيرة والأجور العظيمة فمنها صلاة الفاتح لما أغلق وهي هذه **اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق والناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه حقَّ قدره ومقداره العظيم** .

وذكر أن مَن صلّى بها مرة واحدة في عمره لا يدخل النار انتهى . وقال بعضهم المرة منها تعدل عشرة آلاف وقيل ستمائة ألف إلخ كذا في « أفضل الصلوات » راجعه في ١٤٢ .

وأما ما ذكره صاحب « رماح حزب الرحيم » فبهذه الألفاظ **اللهم صلّ على سيِّدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم** انتهى .

وفي « جواهر المعاني » في ٩٥ ج١ وأما فضل صلاة الفاتح لما أغلق . . إلخ . فقد سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول كنت مشتغلاً بذكر صلاة الفاتح لما اغلق . . حين رجعت من الحج إلى تلمسان لما رأيت من فضلها وهو أن المرة الواحدة بستمائة ألف صلاة كما هو في « وردة الجيوب » . وقد ذكر صاحب « الوردة » أن صاحبها سيدي محمد البكري الصديقي رضي الله عنه نزيل مصر وكان قطباً قال إن مَن ذكرها مرة ولم يدخل

الجنة فليقبض صاحبها عند الله وبقيت أذكرها إلى أن رحلت من تلمسان إلى أبي سمعون فلما رأيت الصلاة التي فيها المرة الواحدة بسبعين ألف ختمة من « دلائل الخيرات » تركت الفاتح لما أغلق إلخ . واشتغلت بها وهي **اللهم صلّ على سيّدنا محمد وعلى آله صلاة تعدل جميع صلوات أهل محبتك وسلّم على سيّدنا محمد وعلى آله سلاماً يعدل سلامهم .** لما رأيت فيها من كثرة الفضل ثم أمرني ﷺ بالرجوع إلى صلاة الفاتح لما أغلق فلما أمرني بالرجوع إليها سألته ﷺ عن فضلها فأخبرني أولاً بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات ثم أخبرني ثانياً أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير ومن القرآن ستة آلاف مرة لأنه من الأذكار انتهى .

وفيه بُعيد هذا ثم قال سيّدنا رضي الله عنه وأما صلاة الفاتح لما أغلق إلخ فإني سألته ﷺ فأخبرني أولاً أنها بستمائة ألف صلاة فقلت له هل في جميع تلك الصلوات أجر مَن صلى بصلاة مفردة فقال ﷺ ما معناه نعم يحصل في كل مرة منها أجر مَن صلّى بستمائة ألف صلاة مفردة .

وسألته ﷺ هل يقوم منها طائر واحد على الحدِّ المذكور في الحديث لكل صلاة وهو الطائر الذي له سبعون ألف جناح إلى آخر الحديث أم يقوم منها في كل مرة ستمائة ألف طائر على تلك الصفة وثواب تسبيحهم للمصلي على النبي ﷺ فقال ﷺ « بل يقوم منها في كل مرة ستمائة ألف طائر على تلك الصفة في كل مرة » . ثم قال رضي الله عنه فسألته ﷺ عن حديث أن الصلاة عليه ﷺ مرة تعدل ثواب أربعمائة غزوة كل غزوة تعدل أربعمائة حجة هل صحيح أم لا فقال ﷺ صحيح . فسألته ﷺ عن عدد هذه الغزوات هل يقوم

من صلاة الفاتح لما أغلق إلخ مرة أربعمائة غزوة أم يقوم أربعمائة غزوة لكل صلاة من الستمائة ألف صلاة وكل صلاة على انفرادها أربعمائة غزوة فقال ﷺ « ما معناه » « إن صلاة الفاتح لما أغلق بستمائة ألف صلاة وكل صلاة من الستمائة صلاة بأربعمائة ألف غزوة » . ثم قال بعده ﷺ إن مَن صلّى بها أي بالفاتح لما أغلق إلخ . مرة واحدة حصل له ثواب ما إذا صلّى بكل صلاة وقعت في العالم من كل جن وإنس وملك ستمائة ألف صلاة من أول العالم إلى وقت تلفُّظ الذاكر بها أي كأنه صلّى بكل صلاة ستمائة ألف صلاة من جميع صلاة المصلّين عموماً ملكاً وجنّاً وإنساً وكل صلاة من ذلك بأربعمائة غزوة وكل صلاة من ذلك بزوجة من الحور وعشر حسنات ومحو عشر سيئات ورفع عشر درجات وأن الله تعالى يصلّي عليه وملائكته بكل صلاة عشر مرات .

قال الشيخ رضي الله عنه فإذا تأملت هذا بقلبك علمت أن هذه الصلاة لا تقوم لها عبادة في مرة واحدة فكيف مَن صلّى بها مرات ماذا له من الفضل عند الله تعالى وهذا حاصل في كل مرة منها

ثم قال الشيخ رضي الله عنه وأخبرني ﷺ أنها لم تكن من تأليف البكري أي صلاة الفاتح لما أغلق . . . إلخ ولكنه توجَّه إلى الله تعالى مدة طويلة أن يمنحه صلاة على النبي ﷺ فيها ثواب جميع الصَّلوات وسر جميع الصَّلوات وطال طلبه مدة ثم أجاب الله تعالى دعوته فأتاه الملك بهذه الصلاة مكتوبة في صحيفة من النور . ثم قال الشيخ رضي الله عنه فلما تأملت هذه الصلاة وجدتها لا تزنها عبادةُ جميع الجن والإنس والملائكة انتهى . فراجعه ففيه البسط الزائد وراجع أيضاً إلى كتاب « الرماح » الذي في هامشه ترى العجائب .

وفي « جواهر المعاني » أيضاً **واعلم** أن كل ما تذكره من الأذكار والصلوات على النبي ﷺ والأدعية لو توجَّهت بجميعها مائة ألف عام كل يوم تذكرها مائة ألف مرة وجميع ثواب ذلك كله ما بلغ ثواب مرة واحدة من صلاة الفاتح لما أغلق إلخ .

فإن كنت تريد نفع نفسك للآخرة فاشتغل بها على قدر جهدك فإنها كنز الله الأعظم لمن ذكرها . انتهى . فراجعه في صحيفة ١٥٧ ج٢ .

ومنها صلاة تسمى **بصلاة العالي** وهي **اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي الحبيب العالي القدر العظيم الجاه وعلى آله وصحبه وسلّم** . نقل الشيخ الصاوي في شرحه على صلوات الدردير والعلاّمة محمد الأمير الصغير في ثبته عن الإمام السيوطي أن من لازم عليها كل ليلة جمعة ولو مرة لم يلحده في قبره إلا النبي ﷺ .

وذكر فوائد هذه الصلاة السيد أحمد دحلان في مجموعته بأبسط مما ذكر ونص عبارته ومن الصيغ الفاضلة التي ذكر كثير من العارفين أن مَن داوم عليها ليلة الجمعة ولو مرة واحدة كشف لروحه مثال روح النبي ﷺ عند الموت وعند دخول القبر حتى يرى أن النبي ﷺ هو الذي يلحده .

قال بعض العارفين وينبغي لِمن داوم عليها أن يقرأها كل ليلة عشر مرات وليلة الجمعة مائة مرة حتى يفوز بهذا الفضل والخير الجسيم إن شاء الله تعالى انتهى . « أفضل الصّلوات » ١٥٢ .

وفي « فتح الرسول » مَن قرأها بعد العشاء سبع مرات فهو كمن أحيا تلك الليلة كلها . انتهى . « جواذب » انتهى ٤٦ .

ومنها صلاة تسمى **صلاة السعادة** وهي **اللهم صلّ على سيدّنا مُحمد عدد ما في علم الله صلاة دائمة بدوام ملك الله .**

نقل سيدي أحمد الصاوي عن بعضهم أن هذه الصلاة بستمائة ألف صلاة . انتهى . « أفضل الصّلوات » .

وعن الشيخ منصور بن يوسف المذكور هذه الصلاة المرة الواحدة منها بستمائة ألف مَن قالها كل يوم سبعين مرة تكون له فداء من النار وهي اللهم صلّ على سيّدنا محمد عدد ما في علم الله صلاة دائمة بدوام ملك الله .

وقال سيدي علي الوفائي قدس الله تعالى روحه مَن قالها كل يوم ألف مرة يكون سعيد الدارين .

وأيضاً هذه الصلاة عن سيدي عبد المعطي صاحب « الذخيرة » وهي سبعة وسبعون مجلداً في قطع الربع في الصلاة على النبي ﷺ وهي هذه مَن قالها بعد صلاة العشاء عشر مرات غفر الله له ألف ذنب من الكبائر وهي **اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدّنا محمد وعلى آله عدد كمال الله وكما يليق بكماله سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ألف مرة** . « عقد اليواقيت » ٧٤ ج١ .

ومنها صلاة شريفة قد ذكر مؤلف « الإتحاف » أنه بُشِّر أن قائلها مائة مرة يأمن به الإقليم الذي هو فيه ببركة تلاوته لهذه الصيغة الشريفة وهي هذه **اللهم صل على سيّدنا محمد بكل صلاة تحب أن يصلَّى به عليه في كل وقت يحب أن يُصَلَّى به عليه . اللهم سلّم على سيّدنا محمد بكل سلام تحب أن يسلّم به عليه في كل وقت يحب أن يسلّم به عليه صلاةً**

وسلاماً دائمين بدوامك عدد ما علمت وزِنَةَ ما علمت وملىء ما علمت ومداد كلماتك وأضعاف أضعاف ذلك . اللهم لك الحمد ولك الشكر كذلك على ذلك في كل ذلك وعلى آله وصحبه وإخوانه . انتهى . راجعه في ٢٩٠ ج٣ .

وقال فيه وقد ألهمت هذه الصيغة ووجدت لها من الخواص ما لله المنّة عليّ فيه ببركته ﷺ وعرضتها عليه ﷺ مستأذناً في استعمالها فتبسَّم ﷺ وهي هذه **اللهم صلّ وسلّم على نبيك وحبيبك سيّدنا محمد وعلى إخوانه وآله صلاة وسلاماً نقرع بهما أبواب جنانك ونستجلب بهما أسباب رضوانك ونؤدي بهما حقه علينا بفضلك آمين** انتهى . فراجعه ٢٩٠ .

ومنها صلاة ذكرها صاحب « مناهج السّعادات » بأنه ورد أن مَن قال هذه الصيغة وكان قائماً غفر له قبل أن يقعد وإن كان قاعداً غُفر له قبل أن يقوم وهي هذه **اللهم صلّ على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم** .

ومنها صلاة تسمى **بالكمالية** وهي من أشرف الصيغ قال بعضهم هى بسبعين ألف صلاة وقيل بمائة ألف صلاة وأنها تقرأ بين المغرب والعشاء لدفع النسيان وجلب الحفظ كما هو مذكور في « أفضل الصَّلوات » وهي هذه **اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله كما لا نهاية لكمالك وعدّ كماله** . انتهى .

ومنها صلاة قال صاحب « أفضل الصّلوات » في ١٥٠ إن ثوابها لا نهاية له وإن ثوابها يعدل أربعة عشر ألف صلاة وهي هذه **اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدّنا محمد وعلى آله عدد كمال الله وكما يليق بكماله** انتهى .

ومنها صيغة صلاة على النبي ﷺ . ذكر شيخنا الشهاب أحمد الملوي المصري عن القطب الشاذلي أنها بمائة ألف وأنها تفكُّ الكرب وهي **اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدّنا محمد النور الذاتيّ والسر السّاري سره في جميع الأسماء والصفات** ذكره مؤلف « عقد اليواقيت الجوهرية » فراجعه في ٨٧ ج١ .

وفي « فتح الملك المجيد » فالإكثار من هذه الصيغة ينوِّر البصر والبصيرة انتهى . فراجعه في ٢٨ .

ومنها صلاة منسوبة إلى محي الدين العربي رضي الله عنه قيل فيها أن مَن قرأها مرة واحدة كان له ثواب أفضل من سبعين ألف صلاة ومن قراءة « دلائل الخيرات » كل يوم . نقل هذا من الجامع الأزهر من مصر بيد شافع الثغوري وهي هذه **اللّهمّ صلّ على الذات المطلسم والغيب المطمطم لاهوت الجمال ناسوت الوصال طلعة الحق كثوب إنسان الأزل في نشر مَن لم يزل في قاب ناسوت الوصال الأقرب اللهم صلّ به منه فيه عليه وسلّم** انتهى .

ومنها هذه الصلاة **اللهم صلّ على روح سيّدنا محمد في الأرواح وعلى جسده في الأجساد وعلى قبره في القبور وعلى آله وصحبه وسلم** قال الإمام الشعراني في حقها كان ﷺ يقول « مَن قال هذه الكيفية رآني في منامه ومَن رآني في منامه رآني يوم القيامة ومَن رآني يوم القيامة شفعت له ومَن شفعت له شرب من حوضي وحرّم الله جسده على النار . وذكر ذلك شرَّاح « الدلائل » أيضاً بزيادة سبعين مرة عن الفاكهاني .

قلت وقد جرَّبت هذه الصلاة قبيل النوم حتى نمت فرأيت وجهه الشريف ﷺ في داخل القمر وخاطبته ثم غاب في القمر وأسأل الله العظيم بجاهه عليه الصلاة والتسليم أن يحصّل لي باقي النعم التي وعد بها ﷺ في هذا الحديث الشريف « أفضل الصلوات » ٥٨ .

ومنها صيغة صلاة لها فضل وهي هذه **وصلّى الله على محمد عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون .**

قال في « أفضل الصّلوات » فقد روي عن عبد الله بن الحكم قال إني رأيت الشافعي رضي الله عنه في النوم فقلت له ما فعل الله بك قال رحمني وغفر لي وزفَّت إليَّ الجنة كما يزف العروس . ونثر عليّ كما ينثر العروس فقلت بمَ نِلتَ هذه الحالة فقال لي قائل بقولك في كتاب « الرسالة » **وصلّى الله على محمد عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون** . قال فلما أصبحت نظرت « الرسالة » فوجدت الأمر كما رأيت . انتهى فراجعه في ٧٧ ففيه البسط .

ومنها صلاة قال فيها صاحب « كنوز الأسرار » راجعه في ٢٢ إنها بمنزلة مائة ألف صلاة وهي هذه **اللهم صلّ على سيّدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً بقدر عظمة ذاتك في كل وقت وحين .**

ومنها صلاة قيل فيها أن مَن قرأها مرة واحدة غفر الله له مائة ألف ذنب من الكبائر انتهى . كما هو مذكور في « كنوز الأسرار » أيضاً ٢٩ وهي **اللهم صلّ على سيدّنا محمد السابق للخلق نوره والرحمة للعاملين ظهوره عدد**

مَن مضى من خلقك ومَن بقي ومَن سعد منهم ومَن شقي صلاة تستغرق العدّ وتحيط بالحدِّ صلاة لا غاية لها ولا منتهى ولا انقضاء وتُنِيلُنَا بها منك الرضا صلاة دائمة بدوامك باقية ببقائك اللهم صلّ على سيّدنا محمد الذي ملأت قلبه من جلالك وعينه من جمالك فأصبح فرحاً مؤيداً منصوراً وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً والحمد لله على ذلك . انتهى .

ومنها صلاة تعدل بمائة صلاة كما في « كنوز الأسرار » في ٣٠ وهي هذه **اللهم صلِّ على سيّدنا محمد وعلى آله صلاة تزن الأرضين والسموات وعدد ما في علمك عدد جواهر أفراد كرة العالم وأضعاف ذلك إنك حميد مجيد** . انتهى .

ومنها صلاة مَن قالها يوم الجمعة ألف مرة فإنه يرى في المنام ربه أو نبيه أو منزلته في الجنة فإن لم ير فليفعل إلى خمس جُمَع وجُرب فصح قاله في « كنوز الأسرار » ١٣٠ وهي **اللهم صل علي محمد النبي الأمي جزى الله عنا محمداً ما هو أهله** .

ومنها صلاة روي أنها تعدل خمسمائة صلاة وكانت له فداء من النار كما في « كنوز الأسرار » ٣٠ وهي هذه **اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد الكامل صلاة لا نهاية لها كما لا نهاية لكمالك وعدد كماله** . انتهى .

ومنها صلاة مَن قرأها مرة واحدة فكأنما قرأ « دلائل الخيرات » أربعين مرة . انتهى من « كنوز الأسرار » ٣٣ وهي **اللهم صلّ وسلّم وبارك وكرِّم على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته عدد ما في علمك صلاة دائمة بدوام ملكك** انتهى .

ومنها صلاة المرة منها بخمسمائة صلاة وإذا قالها خمساً كانت له فداءً من النار . انتهى « فتح الرسول » ٤٧ وهي **اللهم صلّ على سيّدنا محمد وعلى آل سيّدنا محمد ما اتّصلت العيون بالنظر وتزخرفت الأرضون بالمطر وحج حاج واعتمر ولبَّى وحلق ونحر وطاف بالبيت العتيق** .

ومنها صلاة المرة منها باثني عشر ألف صلاة وهي هذه **اللهم صلّ على سيدّنا محمد وعلى آله صلاة أنت لها أهل وهو لها أهل** انتهى من « كنوز الأسرار » ٣٩ .

ومنها صلاة عظيمة النفع جليلة القدر قد ذكرها صاحب « فتح الرسول » رحمه الله تعالى وقال إن هذه الصلاة المرةُ منها بعشرة آلاف مرة كما في « القول البديع » وقد كتب إلي سيدي العارف بالله عبد الله المدهر العلوي ما لفظه

وجد بخط سيدي الشريف شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر علوي ما قوله يقول سمعت القاضي العلامة المغربي جمال الدين محمد بن علي الإسكندري يقول كان وِرْده من الصلاة على النبي ﷺ ألف ألف ومائة ألف ألف مرة في اليوم والليلة حتى استغرق ليله ونهاره بهذا الورد فرأى النبي ﷺ فقال إني أُعلّمك كلمات إذا قلتهن كفيت بهن عن وردك ويحصل لك من الأجر مثل ذلك . فقال نعم . فقال قل **اللَهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّد السَّابِقِ لِلخَلْقِ نُورُهُ وَرَحْمَة لِلْعَالَمِيْنَ ظُهُورُهُ عَدَدَ مَنْ مَضي مِنْ خَلْقِكَ ومَنْ بَقِيَ ومَنْ سَعِدَ مِنْهُمْ ومَنْ شَقِيَ صَلاةً تَسْتَغْرِقُ العَدَّ وتُحِيطُ بِالحَدّ صَلاةً لا غَايَةَ لَهَا وَلا انْتِهاءَ وَلا أَمَدَ لَهَا وَلا انْقِضَاءَ**

صَلاةً دَائِمَةً بِدَوَامِكَ بَاقِيَةً بِبَقَائِكَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ كَذَلِك وَالحَمْدُ لله عَلَى ذَلِك اللهمَّ يَا رَبِّ صلِّ عَلَى مُحَمَّد وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَاجْزِ مُحَمَّداً عَنَّا مَا هُوَ أَهْلُهُ اللهمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آل مُحَمّدٍ عددَ مَا عَلِمْتَ وَزِنَةَ مَا عَلِمْتَ ومِلْءَ مَا عَلِمْتَ . اللهمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى كُلِّ نَبِيٍّ وَعَلَى جِبْرِيلَ وَعَلَى كُلِّ مَلَكٍ وَعَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعَلَى كُلِّ وَلِيّ عَشْراً انتهى . فراجعه في ٣١ .

ومنها صلاة لسيدي الشيخ عبد المعطي المالكي نفعنا الله تعالى به ذكر أن المرَّة منها مائة ألف مرة كما في « فتح الرسول » في ٣٠ وهي هذه **اللهم صلّ وسلّم على سيدنا محمد صلاة وسلاماً أنت لهما أهل وهو لهما أهل عدد ما علمت وزنة ما علمت وملء ما علمت وأدِم ذلك أبداً بدوامك وعلى آله وصحبه كذلك والحمد لله على ذلك** .

ومنها صلاة قيل فيها مَن أراد أن يرى النبي ﷺ فليقل **اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما أمرتنا أن نصلّي عليه** إحدى وسبعين مرة . انتهى . كذا في « فتح الرسول » في ٩٥ .

ومنها صلاة يقال لها « **صلاة أولي العزم** » مَن قرأها ثلاث مرات فكأنما ختم الكتاب يعني « دلائل الخيرات » كما هو مذكور في « أفضل الصلوات » في ١٤٨ وهي **اللهم صلّ على سيدنا محمد وآدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وما بينهم من النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين** .

ومنها صلاة القطب العارف أحمد البدوي قدس سره وهي هذه **اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدّنا ومولانا محمد شجرة الأصل النورانية ولمعة القبضة الرحمانية وأفضل الخليقة الإنسانية وأشرف الصورة الجسمانية ومعدن الأسرار الربانية وخزائن العلوم الاصطفائية صاحب القبضة الأصلية والبهجة السنية والرُّتبة العَلية مَن اندرجت النبيون تحت لوائه فهم منه وإليه وصلّ وسلّم وبارك عليه وعلى آله عدد ما خلقت ورزقت وأمتّ وأحييت إلى يوم تبعث فيه من أفنيت وسلّم تسليماً كثيراً والحمد لله رب العالمين** .

وجدتُ في مجموعة العالم محمد طاهر القراخي رحمه الله تعالى ما معناه وحاصله هذا إن سيدي محمد التلمساني قرأ « دلائل الخيرات » مائة ألف مرة فرأى النبي ﷺ في المنام فقال له لو قرأت صلاة السيد أحمد البدوي قدس سره لكفتك عن « الدلائل » ثمان مائة ألف مرة . انتهى باختصار .

ورأيت فيه ما حاصله أيضاً أن قراءتها مائة مرة لأيّ حاجة قضيت . انتهى .

وفي « أفضل الصلوات » قال سيدي أحمد الصاوي ذكر بعضهم أنها تقرأ عقب كل صلاة سبعاً وأن كل مائة منها بثلاثة وثلاثين من « دلائل الخيرات » فراجعه .

وفيه أيضاً ما حاصله أنها سبب لحصول كثير من الأنوار وانكشاف كثير من الأسرار وهي من أعظم الأسباب للاتصال بالنبي ﷺ في المنام واليقظة

وهي سبب في وصول كثير إلى مرتبة القطبانية وفيها أسرار في تسهيل الرزق الظاهري وهي رزق الأشباح والباطني وهي رزق الأرواح أعني العلوم والمعارف و بها يحصل النصر على النفس والشيطان وسائر الأعداء ولها خواص كثيرة لا تعد ولا تحصى وذكروا أن قراءة ثلاث مرات منها بقراءة « دلائل الخيرات » وينبغي لقارئها أن يكون في وقت قراءتها مستحضراً لأنوار النبي ﷺ وعظمته في قلبه وأنه السبب الأعظم في وصول كل خير والواسطة العظمى والنور الأعظم ولا يقرأها الشخص إلا وهو متطهِّر فمن واظب على قراءتها بهذه الشروط في كل يوم مائة مرة واستمر على ذلك أربعين يوماً مع الاستقامة يحصل له من الأنوار والخير ما لا يعلم قدره إلا الله تعالى ومَن واظب على قراءتها كل يوم ثلاث مرات بعد صلاة الصبح وثلاثاً بعد المغرب يرى لها أسراراً كثيرة والله الموفق للصواب انتهى . راجعه ٨٤ .

ومنها صلاة جرت عادة مشائخنا بقراءتها في كل ليلة من ليالي الجمعات مع اجتماع المريدين وقد كان الشيخ الحاج عبد الرحمن العسوي والشيخ الحافظ شعيب الباكني قدس الله أسرارهما يأمران المريدين بقراءتها في تلك الليالي ويأكدان بذلك .

قال في « نهج المتقين » قال علي رضي الله عنه مَن صلّى على النبي ﷺ بهؤلاء الكلمات في كل يوم ثلاث مرات وفي كل جمعة مائة مرة فيقول **صلوات الله وملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه على محمد وعلى آل محمد عليه وعليهم السلام ورحمة الله وبركاته** فقد صلّى بصلوات جميع الخلق وحُشِرَ يوم القيامة في زمرة رسول الله ﷺ يأخذ يده حتى يدخل الجنة . انتهى . ومثله في « نزهة المجالس » في ١٣٠ فراجعه . فلله در هذين الشيخين

المذكورين نوّر الله تعالى ضريحهما آمين حيث وقعا سبباً لقراءة هذه الصلاة الفاضلة فقد يجتمع المريدون في ديارنا وناحيتنا في ليلة الجمعة لقراءتها وفي ذلك بركة عظيمة لا تخفى .

وفي « مطالع المسرات » في ٣٨ روي في الحديث عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه قال ما من موضع يذكر النبي ﷺ ويصلّى عليه فيه إلا قامت منه رائحة تخرق السماوات السبع حتى تنتهي إلى العرش ويجد ريحَها كل من خلق الله تعالى في الأرض إلا الجن والإنس فإنهم لو وجدوا ريحها لشغل كل واحد منهم بلذتها عن معيشته ولا يجد تلك الرائحة ملك ولا خلق من خلق الله تعالى إلا استغفر لأهل المجلس ويكتب لهم بعددهم كلهم حسنات ويرفع لهم بعددهم درجات سواء كان في المجلس واحد أو مائة ألف يأخذ من الأجر هذا العدد وما عند الله خير وأبقى . انتهى . ومثله بل عينه في « إعانة الطالبين » فراجعه .

وقد قال لي العالم المرحوم دبر محمد القحي نور الله تعالى مرقده وغفر ذنبه آمين إن شيخه الحاج العسوي سألني عن ذهابي إلى مجلس قراءة الصلاة المذكورة فقلت له يا أستاذي أذهبُ إليه إلا إذا لم أتفرَّغ في اليوم لفعل وردي فلو ذهبت إلى ذلك المجلس لفاتت مني أورادي في تلك الليلة فلذا أتخلَّف عن الذهاب لهذه العلة . قال الأستاذ رحمه الله تعالى الذهاب إلى ذلك المجلس خير ولو فات الورد . انتهى .

وكان قدس سره يأمرنا بقراءتها ويهدّدنا عن تركها وقلت له يا أستاذي هل في قراءتها منفرداً أو جماعة فرق فقال قدس سره نعم فإن البركة في الجماعة . انتهى .

ومنها صلاة تسمى **بجوهرة الكمال** وهي هذه **اللهم صلّ وسلم على عين الرحمة الربانية والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني ونور الأكوان المتكونة الآدمي صاحب الحق الرباني البرق الأسطع بمزون الأرياح المالئة لكل متعرِّض من البحور والأواني ونورك اللامع الذي ملأتَ به كونك الحائط بأمكنة المكاني اللهم صلّ وسلّم على عين الحق التي تجلى منها عروش الحقائق عين المعارف الأقوم صراطك التام الأسقم إحاطة النور المطلسم اللهم صلّ وسلّم على طلعة الحق بالحق الكنز الأعظم إفاضتك منك إليك إحاطة النور المطلسم صلّى الله عليه وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه** انتهى .

قال في « رماح حزب الرحيم » قال رضي الله عنه وأرضاه وعنا به أعطاني رسول الله ﷺ صلاة تسمى بـ« جوهرة الكمال » مَن ذكرها اثنتي عشرة مرة وقال هذه هدية مني إليك يا رسول الله فكأنما زاره في روضته الشريفة وكأنما زار أولياء الله تعالى والصالحين من أول الوجود إلى وقته . انتهى . فراجعه في ٥٢ ج٢ .

وفيه قال رضي الله عنه إن النبي ﷺ قال « إن مَن لازمها في كل يوم أزيد من سبع مرات فإنه ﷺ يحبُّه محبة خاصة ولا يموت حتى يكون ولياً » . انتهى في ٥٢ .

وفيه أيضاً قال رضي الله عنه وأرضاه وعنّا به أن النبي ﷺ قال « مَن قرأها سبعاً فأكثر يحضره ﷺ والخلفاء الأربعة ما دام يذكرها » انتهى ٥٢ ج٢ .

وفي « الرماح » أيضاً وقال الشيخ رضي الله عنه وأرضاه وعنّا به من داوم عليها سبعاً عند النوم على طهارة كاملة وفراش طاهر يرى النبي ﷺ . انتهى ٩٠ ج٢ .

وفيه في ٢٢ ج١ ولا تقرأ « جوهرة الكمال » إلا بالطهارة المائية من الحدث والخبث وطهارة الثوب والمكان ويكون بها جالساً فإن فقد شرط من هذه الشروط فإنها لا تقرأ في الوظيفة وتقرأ صلاة الفاتح لما أغلق بدلها عشرين مرة . انتهى .

فائدة ذكرها صاحب كتاب « الرماح » قال وأما السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فمن بعض فضائله **أن مَن داوم على قراءته مائة مرة في كل يوم لا يذوق سكرات الموت .**

وقد أخبرني محمد الغالي ﷺ وأنا معه في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام أن الشيخ ﷺ وأرضاه وعنا به كان يحض على ذلك والدوام عليه ويقول إن المداوم عليه لا يذوق مرارة الموت أصلاً . انتهى .

قلت قد رأيت في بعض الكتب أن بعض الصالحين داوم عليه فمات وهو ساجد في الصلاة انتهى . فراجعه في ١٠٥ من هامش « جواهر المعاني » ج٢ .

أيها الولد المحبوب المرجوّ لحوز السلامة والفوز بالهداية إني قد جمعت لك في هذا الكتاب عدة منافع فأرجوك أن تعض عليها نواجذك وأن تتخذها وظيفة لك وورداً فعساك تفوز بالمقامات وتصل إلى أعلى الدرجات ببركة الصلاة على النبي عليه أسنى التحيات وأزكى التسليمات وإياك يا ولدي والتفرط في الصلاة على النبي ﷺ وإياك ثم إياك وتركها بالكلية فإن الصلاة عليه ﷺ عظيمة النفع جليلة القدر . وهي باب الكمال وهي المدخل الأعظم ومَن تركها لا يجد باباً من غيرها يدخل فيه .

يا ولدي أوصيك بالملازمة عليها فعساك تجتمع به ﷺ يقظة أو مناماً .

وقد رأيت في كتاب « الرماح » في ٢٠١ ج١ ما حاصله أن مَن أكثر الصلاة على النبي ﷺ يجتمع به عليه الصلاة و السلام يقظة وأن الأولياء يرونه ﷺ يقظة وأنه ﷺ يحضر كل مجلس أو مكان أراد بجسده وروحه وأنه يتصرَّف ويسير حيث شاء في أقطار الأرض في الملكوت وأنه بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شيء وأنه مُغَيب عن الأبصار كما غُيبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم فإذا أراد الله تعالى أن يراه عبد رفع عنه الحجاب فيراه على هيئته التي كان هو عليها . انتهى ملخصاً رزقنا الله الاستعداد لرؤيته واجتماعه ولا حرمنا من بركته وشفاعته آمين يا مجيب .

الترغيب الرابع

في بيان فضيلة الذكر مطلقاً

اعلم يا ولدي أن الذكر مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح وهو العمدة في الطريق ومعول أهل التحقيق وماهيّته هو التخلص عن الغفلة والنسيان بدوام حضور القلب مع الحق . وقيل ترديد اسم المذكور بالقلب واللسان وسواء في ذلك ذكر الله أو صفة من صفاته أو حكم من أحكامه أو استدلال على شيء من ذلك أو دعاء أو ذكر رسله أو أنبيائه أو أوليائه أو مَن انتسب إليه أو تقرَّب إليه وسبب[1] من الأسباب أو فعل من الأفعال بنحو قراءة أو ذكر أو شعر أو غناء أو محاضرة أو حكاية فالمتكلِّم ذاكر والمدرس ذاكر والمفتي ذاكر والواعظ ذاكر والمتفكِّر في عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته وآياته في أرضه وسَمواته ذاكر والممتثل بما أمر الله به والمنتهي عما نهى عنه ذاكر . هكذا ذكره ابن عطاء الله في « مفتاح الفلاح » .

وقال الإمام الرباني الذكر عبارة عن طرد الغفلة بأيّ وجه تيسَّر لا أن الذكر مقصور على تكرار كلمة النفي والإثبات أو على تكرار اسم الذات فكل ما هو من امتثال الأمر والانتهاء عن النواهي كله داخل في الذكر ولكن الّذي يقع باسم المذكور وصفته سريع التأثير ومورث لمحبة المذكور وقريب الإيصال ووسيلة للذكر الذي يحصل بمراعاة الحدود الشرعية فإن مراعاة الأحكام الشرعية في جميع الأمور غير ميسَّرة بدون محبة تامة لناصب الشرع وهذه المحبة التامة مربوطة بذكر اسمه وصفته تعالى فلا بد

(١) وفي نسخة أو سبب .

أولاً من ذلك الذكر حتى يحصل بسببه هذا الذكر الذي هو امتثال الأوامر والانتهاء عن النواهي . انتهى . « الدرر المكنونات » ٨٠ ج١ .

وفيه أيضاً في ٣٨ ج٣ أنه **لا بدَّ لمبتدئ طلبة هذا الطريق من الذكر فإن ترقيه مربوط بتكرار الذكر بشرط أن يأخذه من الشيخ الكامل المكمّل .** انتهى .

قال ابن عطاء الله في « مفتاح الفلاح » الذكر نار لا تبقي ولا تذر فإذا دخل بيتاً يقول أنا لا غيري وهو من معاني لا إله إلا الله فإن وجد فيه حطباً أحرقه فصار ناراً وإن كان فيه ظلمة كان نوراً فنوَّره وإن كان فيه نور صار نوراً على نور . والذكر مذهب من الجسد الأجزاء الزائدة الحاصلة من الإسراف في الأكل ومن تناول اللقم الحرام وأما الحاصلة من الحلال فلا يَدَ له عليها فإذا احترقت الأجزاء الخبيثة وبقيت الأجزاء الطيبة سمعت من كل جزء ذكراً كأنه ينفخ في البوق .

وأولاً يقع الذكر في دائرة الرأس فتجد فيه صوت البوق والكؤوس **والذكر سلطان** إذا نزل موضعاً نزل ببوقاته وكؤوساته لأن الذكر ضد ما سوى الحق فإذا وقع في موضع اشتغل بنفي الضد كما تجده من اجتماع الماء والنار . انتهى ما هو المقصود فراجعه من أوله .

وقال سيدي عمر بن سعيد الغوثي الطوري الكدوي رحمه الله تعالى في كتاب « رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم » في الفصل الرابع والعشرين في فضل الذكر مطلقاً وفوائده والحثّ عليه والترغيب فيه من غير تعرُّض للاجتماع له والجهر به وغيره فأقول وبالله التوفيق

وهو الهادي إلى سواء الطريق **اعلم أن الذكر أشرف العبادات** لأن سائر العبادات تنقضي بانقضاء الدنيا إلا ذكر الله تعالى .

وفي « لواقح الأنوار في الأدعية والأذكار » لشهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني رضي الله عنه أنهم يعني أهل الجنة مداومون على الذكر فيها لأن سائر العبادات تنقضي بانقضاء الدنيا إلا ذكر الله تعالى فإنه لا ينقضي بل هو مستمر للمؤمنين في الدنيا والآخرة . جعلنا الله تعالى من الذاكرين الفائزين الفرحين المطمئنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

ثم قال بعد كلام كثير وقد روي أن أهل الجنة يلهمون الحمد والتسبيح كما يلهمون النَّفَس يقولون سبحان الله والحمد الله متلذِّذين لا متعبدين كما يتلذَّذ من به داء العطش بالماء البارد .

وقال الإمام فخر الدين الرازي في « أسرار التنزيل » **اعلم أن جميع الطاعات تزول يوم القيامة أما طاعة التهليل والتحميد** فلا تزول عن المؤمن وكيف يمكن زوالهما عنه والقرآن يدلّ على أنهم مواظبون على الحمد والمواظبة على الحمد توجب المواظبة على الذكر والتوحيد وإنما قلنا مواظبون على الحمد لقوله تعالى حكاية عن المؤمنين في الجنة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ وقال ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ﴾ الآية ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ فثبت أنهم مواظبون على الحمد والمواظبة على الحمد مواظبة على الذكر فعلمنا من هذا أن جميع العبادات زائلة عن أهل الجنة إلا طاعة الذكر .

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾ إنها علامة بين أهل الجنة وبين خدمهم في الطعام فإذا أرادوا الطعام قالوا سبحانك اللهم فيحضرون لهم في الوقت ما يشتهون على الموائد كل مائدة ميل في ميل على كل مائدة ألوان من الطعام لا يشبه بعضها بعضاً فإذا فرغوا من الطعام حمدوا الله تعالى قال فذلك قوله تعالى ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ انتهى .

وإذا تقرر هذا **فاعلم** أن الذكر سبب السعادة في الدنيا والآخرة ومطردة الشيطان ويرضي الرب ويجلب الرزق وييسره ويكسو الذاكر مهابة ويورث محبة الله تعالى ومراقبته ويورث الإنابة والقرب من الرب ويفتح باب المغفرة ويورث العبد إجلالاً لربه ويورث ذكر الله تعالى للعبد وبه تحيا القلوب كما يحيا الزرع بالمطر وهو قوت الأرواح وجلاء القلب من الصدأ ويورث النور في الفكر ويَحُط الذنوب ويزيل الوحشة بين العبد والرب (وما يذكره(١) العبد والرب) وما يذكره العبد من نحو تسبيح وتكبير وتهليل وتحميد يذكرن بصاحبهن حول العرش والعبادات كلها تزول عن العبد في الحشر والجنة إلا ذكر الله تعالى والتوحيد والحمد والذكر تقرب إلى الله تعالى وهو للعبد سبب لنزول السكينة عليه وحفوف الملائكة به ونزولها لديه وغشيان الرحمة وهو للإنسان شاغل عن الغيبة والكذب

---

(١) هكذا في نسخة الكتاب الذى بيدنا وأما عبارة « مفتاح الفلاح » ويزيل الاستيحاش الحاصل بين الربّ وبين العبد الغافل وما يذكره العبد من نحو تسبيح إلى آخره فتدبّره ولعل الجملة وقع فيها التكرار (منه) .

وكل باطل والذاكر لا يشقى به جليسه ومجلسه لا يكون عليه حسرة يوم القيامة والذكر مع البكاء سبب لنيل ظل العرش الظليل ومن شغله ذكر الله تعالى عن المسألة أعطي أفضل ما يعطى السائلون وهو غراس الجنان وسبب العتق من النيران والأمان من النسيان وهو نور للعبد في دنياه وقبره ونشره ومنشور الولاية[١] وهو يُرقي العبد إذا رسخ في القلب ويجمع على الذاكر قلبه ويُقرِّبُ من قلبه الآخرة ويبعد عنه الدنيا ويستعدُّ لما هو آت ويثمر المعرفة والولاية والتوفيق والحماية ويعدل عتق الرقاب والجهاد والقتل في سبيل الله وإنفاق الورق والذهب وهو رأس الشكر ويدخل الجنة ويُذهب من القلب القساوة والذكر شفاء القلوب وهو أصل موالاة الله تعالى والغفلة أصل معاداته وهو رافع للنقم وجالب للنعم وموجب لصلاة الله تعالى وملائكته عليك ومجلس الذكر رياض الجنة ويباهي الله تعالى ملائكته بالذاكرين في السماء وهو ينوب عن سائر الأعمال ويقوي الجوارح ويفتح مغلق الأبواب وهو أمن ونجاة وسيف وهو سبب لتصديق الرب لعبده والذكر سدّ بين العبد وبين النار ونار لا تبقي الأجزاء النابتة من الفضول والحرام ويثبت الأنوار في القلوب والملائكة يستغفرون للعبد إذا لزمه والبقاع والجبال تتباهى به إذا مرّ بها وهو شيمة المؤمن وله لذَّة أجلُّ من لذة المطعومات والمشروبات ووجه الذاكر وقلبه يكسى في الدنيا نوراً ونضرة وفي الآخرة يكون وجهه أشد بياضاً من القمر وهو يرفع إلى أعلى الدرجات والذاكر حيّ وإن مات والغافل ميت وإن كان حياً ويورث الريّ من العطش عند الموت قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

(١) اي مرسوم من الله للعبد بالولاية . « لواقح الانوار » .

﴿ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ وقال ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ وقال ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ وقال ﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وقال ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ . . إلى قوله ﴿وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ إلى غير ذلك من الآيات .

روى البخاري ومسلم عنه ﷺ أنه قال « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والوَرِق وخير لكم من أن تلقوا عدوّكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم » قالوا بلى . قال « ذكر الله » .

وروى ابن حبّان والإمام أحمد وأبو يعلى والحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعاً « أكثروا من ذكر الله حتى يقولوا مجنون » .

وروى ابن ماجه وابن حبان في صحيحه مرفوعاً « إن الله عز وجل قال أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت شفتاه » انتهى ١٦٣ ج١ .

وفي « لواقح الأنوار القدسية » وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول ما ثم كرامة للعبد أفضل من ذكر الله تعالى لأنه يصير جليساً للحق كلما ذكره . وقد اختلى مريد سنة كاملة فما رأى نفسه وقعت لها كرامة فذكر ذلك لشيخه فقال أتريد كرامة أعظم من مجالسة الله تعالى ثم قال ما رأيت أكثف حجاباً منك لك في الكرامة العظمى سنة كاملة ولا تشعر بِها انتهى .

وقال القشيري الذكر ركن قوي في طريق الحق بل هو العمدة في ذلك ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر وذكر اللسان يصل به العبد

إلى ذكر القلب فإذا كان العبد ذاكراً بلسانه وقلبه فهو الكامل في حال سلوكه .

وقال أبو علي الدقاق رحمه الله تعالى الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر فقد أعطي المنشور ومن سلب الذكر عزل **وذكر الله تعالى بالقلب سيف المريدين** يقاتلون به أعداءهم وبه يدفعون الآفات التي تقصدهم وإن البلاء إذا أضل العبد فإذا فزع بقلبه إلى الله تعالى يحيد عنه في الحال كل ما يكرهه .

وقال ذو النون المصري من ذكر الله تعالى ذكراً على الحقيقة نسي في جنبه كل شيء وحفظ الله تعالى عليه كل شيء وكان له عوضاً عن كل شيء .

وقال الشبلي رحمه الله تعالى أليس الله تعالى يقول « أنا جليس مَن ذكرني » ما استفدتم من مجالسة الحق

ومن خصائص الذكر أنه غير موقت بل ما من وقت من الأوقات إلا والعبد مأمور بذكر الله تعالى فيه إما فرضاً وإما نفلاً والصلاة وإن كانت أشرف العبادات فلا تجوز في بعض الأوقات والذكر بالقلب مستدام في عموم الحالات قال الله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾ .

ومن خصائص الذكر أنه جعل في مقابلته الذكر قال الله تعالى ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ .

ونقل القشيري أن الملك يستأمر الذاكر في قبض روحه .

وروى السهروردي أن النبي ﷺ قال حاكياً عن ربه « إذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي جعلت همَّه ولذَّته في ذكري فإذا جعلت همَّه ولذَّته في ذكري عشقني وعشقته ورفعت الحجاب فيما بيني وبينه لا يسهو إذا سها الناس أولئك كلامهم كلام الأنبياء أولئك الأبطال الأبدال حقاً أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذاباً ذكرتهم فصرفته عنهم » . انتهى « رماح » ١٦٤ وفيه ١٦٥ .

وقال أبو سليمان الداراني إن في الجنة قيعانا فإذا أخذ الذاكر في الذكر أخذت الملائكة في غرس الأشجار فربما يقف بعض الملائكة فيقال له لم وقفت فيقول فتر صاحبي .

وقال الحكيم الترمذي ذكر الله يرطب القلب ويلينه فإذا خلا عن القلب أصابته حزازة النفس ونار الشهوات فقسى وييس وامتنعت الأعضاء من الطاعة انتهى .

أيها الولد المرجو هداك الله تعالى إلى سبيل التقوى وجنَّبَك عن متابعة الهوى إني اكتفيت في بيان فضائل الذكر بهذا القدر فأرجوك أن تلازمه بقدر الطاقة ولا سيما في الغدوّ والآصال لكن لا تظن أن المواظبة على الذكر صباحاً ومساءً مع الغفلة في طول الليل والنهار يحصل لك بها الترقى وتدبَّر فيما قاله مؤلف « رماح حزب الرحيم » بما نصَّه وقد يقنع بعض المريدين بمجلس الذكر صباحاً ومساء مع الغفلة عن الله تعالى فيما بينهما ويحتجُّ بحديث « إذا ذكر العبد ربه أول النهار ساعة وآخر النهار ساعة غفر له ما بينهما » إذ المغفرة لا ترقي فيها ونهايتها

أن تُلحق المذنب بمن لا يذنب ذلك الذنب لا أنه تُلحقه بمن يفعل الطاعات . فافهم . انتهى ١٦٦ ج١ .

واعلم يا ولدي إن إلحاق المذنب بمن لا يذنب دولة عظمى وإن كان الترقي إلى المقامات درجة أسمى فينبغي للعاقل أن يشتغل في هذين الوقتين بالخيرات ويشتغل فيهما بشيء من مكفرات الذنوب فعساه تصل إليه رشحة من البركات

منها ما في « رماح حزب الرحيم » بِما لفظه وأخرج ابن منصور الديلمي عن أنس بن مالك ﵁ قال قال رسول الله ﷺ « إن لله عز وجل بحراً من نور حوله ملائكة من نور على خيل من نور بأيديهم حراب من نور يسبحون حول ذلك البحر **سبحان ذي الملك والملكوت سبحان ذي العزة والجبروت سبحان الحي الذي لا يموت سبوح قدوس رب الملائكة والروح** . فمن قالها في يوم مرة أو في شهر مرة أو في سنة مرة أو في عمره مرة غفر الله تعالى له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر ولو كانت ذنوبه مثل زبد البحر ومثل رمل عالج أو فرَّ من الزحف » . انتهى في ١٦٥ ج٢ .

ومن مكفرات الذنوب الدوام على قراءة آخر الحشر فإن صاحبها يغفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر .

وكذا من مكفرات الذنوب الصلاةُ عليه ﷺ ثمانين مرة ليلة الجمعة ويومها بعد العصر فإن الثمانين التي في الليل تكفر ذنوب أربع مائة سنة وإن التي في النهار بعد العصر تكفر ذنوب ثمانين سنة . ومن مكفرات الذنوب سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حولا ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

ملء ما علم وعدد ما علم وزنة ما علم فإن المرة الواحدة منها تكفِّر جميع الذنوب وتؤمن العبد من عذاب الله تعالى كذا في « الرماح » ٢٦٤ ج٢ .

وفيه في موضع آخر وأما فضل (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) إلخ . فمن ذكره مرة واحدة يكتب عند الله تعالى من الذاكرين ويكون أفضل من ذكره بالليل والنهار وينظر الله تعالى إليه ومَن نظر الله إليه لم يعذّبه ومحا عنه ذنوبه ويكون له غرساً في الجنة أيضاً وزوَّجه الله من الحور العين . انتهى فراجعه في ١٠٠ ج٢ .

تنبيه اعلم أيها الولد قد وجدنا كثيراً من المريدين يتركون الأذكار الواردة خلف الصلوات المكتوبة معلّلين بما رأوه في الكتب من أن وظيفة المريد أن يواظب بما أمره به شيخه من الذكر لا اشتغال النوافل لكن والدك الحقير سامحه الله من فرطاته آمين يرى الخير في المواظبة على هذه الأذكار الواردة في دبر الصلوات لما فيها من الفضائل والمنافع ولو كان المريد لا يعطل أوقاته عن الأذكار الملقَّنة له إلا في وقت الاشتغال بهذه الدعوات والأذكار لارتقى إلى المقامات العلية لكنه يكون في أوقات كثيرة في الغفلات مشتغلاً بما لا يعنيه من الأقوال والأفعال الغير المرضيات فتفويت فضيلة الاتِّباع بدليل أنه مشتغل بالذكر الذي أمر به شيخه مع كونه في أودية الغفلة في أكثر الأوقات من علامة القصور والفتور والتعطيل ولذلك أوصي الولد بأن يواظب على هذه الأذكار الواردة من سيّد الثقلين عليه الصلاة والسلام ولو بأقل ما ورد لئلا يبقى محروماً من فضائلها . من ذلك ما ذكره الإمام العلامة السيد علوي بن أحمد السقاف شيخ السادات بمكة المكرمة في « الباقيات الصالحات والدروع السابقات » بما **نصه هذا**

النوع الأول في جملة صالحة من أذكار المكتوبات وأدعيتها **يُسَنُ الذكر والدعاء سراً عقبها بحيث لا يفحش الطول بينهما** بل بحيث ينسبان إليها عرفاً **ولا يضر الفصل بالراتبة** لكن الأفضل لغير الحنفي تقديم الوارد منها على رواتب الفرائض البعدية إن كانت واتصال الذكر بسلام الفرائض وبتأخيرها عن ذلك يفوته كمال الفضيلة أما أصلها فلا يفوت ما دام الوقت وأما الحنفي فالأفضل في حقه تأخير الذكر عن راتبة إن كانت ويقتصر قبلها على نحو مقدار (اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام) وإذا صلى جمعاً أَخَّرَ ذِكْر الأولى إلى فراغ الثانية والأكمل أن يأتي لكل منهما بذكر **ويحصل أصل السنة ولو بغير مأثور ولكنه بالمأثور أفضل** فيقدم منه ما معناه أَجَلّ ثم الأصح ثم الأكثر رواية فإذا سَلَّم مسح جبهته بيده اليمنى وقال أستغفر الله ثلاثاً . ثم أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاثاً ويمسح بيمينه على رأسه ويقول باسم الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم اللهم أذهب عني الهم والحزن ثم اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام ثم لا إله إلا الله وحده إلى قدير من غير يحيي ويميت اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ولا حول ولا قوة إلا بالله لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ثم آية الكرسي والإخلاص والمعوذتين ويسبِّح ويحمد ويكبر عشراً عشراً وهو الأقل **والأكمل ثلاثة وثلاثين في كلٍّ وتمام المائة لا إله إلا الله إلى قدير بلا يحي ويميت والأحسن كون التكبير أربعاً وثلاثين** ثم ربِّ اغفر

لي ولوالدي ولمن له حق علي (خمساً) ويزيد بعد الصبح اللهم بك أحاول وبك أصاول وبك أقاتل اللهم إني أسألك علماً نافعاً وعملاً مقبولاً ورزقاً طيباً **وبعده وبعد المغرب** اللهم أجرني من النار (سبعاً) . **وبعدهما وبعد العصر بل بعد جميع المكتوبات** كما في « الجامع الصغير » وأقرّه المناوي قبل أن يثني رجليه بأن يبقى على هيئته في الصلاة وقبل أن يتكلم بغير ذكر ودعاء وقرآن لا إله إلا الله إلى قدير بزيادة يحيي ويميت (عشراً) **ويفوت ذلك وغيره من المشروط بما ذكر بالقيام** ولو لصلاة[(١)] جنازة . كذا في « بشرى الكريم » . وفي « بشرى الأعلام » لشيخنا الأهدل نقلاً عن المناوي عدم الفوات بها . ولو زاد في المشروع على قدر الوارد فإن كان لنحو شك عُذِرَ وإلا فلا يحصل الثواب المترتب عليه . وقال كثيرون يحصل ثواب المشروع وثواب الزيادة .

ثم يدعو الله تعالى بما شاء من خيري الدنيا والآخرة وبمأثوره أولى وهو ما أورده العامري في « بهجته » قال كان عليه الصلاة والسلام يقول دبر المكتوبات « اللهم إني أعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من أن أردَّ إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك اللهم أذهب عني الهمَّ والحزن اللهم اغفر لي ذنوبي وخطاياي كلها اللهم انعشني واجبرني

---

(١) ورأيت في « بغية المسترشدين » ما نصّه هذا ولا تفوت سنة المسبعات والأذكار المأثورة عقب صلاة الجمعة بكلام أو انتقال نعم يفوت ثوابها المخصوص ولو بجعل يمينه للقوم كما نقله الكردي عن ابن حجر وقال وقال بعضهم لا يفوت الثواب بل كماله . انتهى « فتاوى سودان » انتهى فراجعه في ٧٧ . والسلام على من اتبع الهدى (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

واهدني لصالح الأعمال والأخلاق إنّه لا يهدي لصالحها ولا يصرف سيئها إلا أنت اللهم اجعل خير عمري آخره وخير عملي خواتمه وخير أيامي يوم ألقاك اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر سبحان ربك ربّ العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين » . انتهى . وذكر مثله بل عينه في « ترشيح المستفيدين » بعينه .

ومما ينبغي أن يذكر هنا ما ذكره العلامة السيد محمد ابن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بالمرتضى قدس سره في « إتحاف السادة المتقين » شرح « الإحياء » بما لفظه **تنبيه** قال شمس الأئمة الحلواني من أصحابنا لا بأس بقراءة الأوراد بين الفريضة والسنة . قال ابن الهمام في معنى هذا الكلام وإنما قال لا بأس لأن المشهور من هذه العبارة استعمالها فيما يكون خلافهُ أولى منه فكان معناها أن الأولى أن لا يقرأ الأوراد قبل السنة فلو فعل لا بأس به فلا تسقط بقراءته ذلك حتى إذا صلاها بعد الأوراد تقع سنة مؤدَّاة لا على وجه السنة . انتهى .

وقال في « الاختيار شرح المختار » كل صلاة بعدها سنّة يكره القعود بعدها والدعاء بل يشتغل بالسنة وأورد حديث عائشة السابق ذكره[١] ثم قال أي فيندب الفصل بهذا لهذا . انتهى . قال ابن الهمام فمن ادَّعى فصلاً أكثر مما ذكر في حديث عائشة فلينقله ولا يقتضي الأكثر ما ورد من أنه ﷺ كان يقول دبر كل صلاة لا إله إلا الله وحده لا شريك له . . إلخ . والحديث الوارد في الأمر لفقراء المهاجرين بالتسبيح وأخواته دبر كل صلاة ثلاثاً

(١) وهو أنّه ﷺ لم يكن يقعد إلاّ مقدار ما يقول اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام راجعه .

وثلاثين إلى غير ذلك لأنه لا يقتضي وصل هذه الأذكار بالفرض بل كونها عقب السنة من غير اشتغال بما ليس من توابع الصلاة فصحَّ كونها دبرها . ثم قال ابن الهمام **والحاصل** أنه لم يثبت عنه عليه الصلاة و السلام الفصل بالأذكار التي يواظَب عليها في المساجد في عصرنا من قراءة آية الكرسي والتسبيح وأخواته ثلاثاً وثلاثين وغيرها بل ندب هو إليها والقدر المتحقق أن كلاًّ من السنن والأوراد له نسبة إلى الفرائض بالتبعيّة والذي ثبت عنه وهو ما روته عائشة عند مسلم والترمذي وتقدّم ذكره قال فهو نص صريح في المراد وما يتخايل منه أنه يخالفه لم يقوَ قوَّته فوجب اتِّباع هذا النص .

واعلم أن المذكور في حديث عائشة هذا لا يستلزم سنية هذا اللفظ بعينه دبر كل صلاة إذ لم تقل (حتى يقول) و(إلا أن يقول) فيجوز كونه ﷺ كان مرة يقوله ومرة يقول غيره من قوله لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلخ . . ومقتضى العبارة حينئذٍ أن السنة أن يفصل بين الفرض والسنة بذكر قدر ذلك وذلك تقريباً فقد يزيد قليلاً وقد ينقص قليلاً وقد يدرج وقد يترسَّل فأما ما يزيد مثل آية الكرسي وعدد التسبيحات فينبغي استنان تأخيرها عن السنة البتة على أن ثبوت مواظبته ﷺ عليه لا أعلمه بل الثابت عنه ندبه إلى ذلك ولا يلزم من ندبه إلى شيء مواظبته عليه وإلا لم يفرق حينئذ بين السنة والمندوب

وعندي قول الحلواني حكم آخر لا يعارض القولين يفيد عدم سقوط السنة بقراءة الأوراد بين الفرض والسنة فقط . انتهى .

تنبيه آخر قال نجيم من علمائنا في « البحر » **إذا تكلم بكلام كثير أو أكل أو شرب بين الفرض والسنة نقص ثواب السنة ولا تبطل هو الأصح** ولذا لو أخَّر السنة بعد الفرض ثم أداها في آخر الوقت لا تكون سنة وقيل تكون سنة والأفضل في السنن أداؤها في المنزل إلا التراويح وقيل إن الفضيلة لا تختص بوجه دون وجه وهو الأصح ولكن كلما كان أبعد من الرياء وأجمع للخشوع والإخلاص هو الأفضل . كذا في « النهاية » انتهى كلام صاحب « الإتحاف » فراجعه في ٢٠٩ من الجزء الثالث وقال صاحب « ترشيح المستفيدين » بعد ذكره ما ورد من الأذكار في دبر الصلوات المكتوبات **واعلم** أن كل محل طلب فيه ذكر بخصوصه فالاشتغال به أولى من غيره ولو من قرآن أو مأثور آخر كما في « ق ل » على المحلي فاشتغال أقوام بأحزاب ونحوها بعد المكتوبات عن واردها جهل بفضائل الاتّباع وأسرار التوقيفات النبوية ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ انتهى ٧٤ .

قال صاحب « فتح المعين » وقال الشافعي في « الأم » **أختار للإمام والمأموم أن يذكرا الله تعالى بعد السلام من الصلاة ويخفيا الذكر إلا أن يكون إماماً يريد أن يُتعلَّم منه فيجهر حتى يرى أنه قد تُعلِّم منه ثم يُسِرّ فإن الله تعالى يقول** ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ يعني والله أعلم الدعاء ولا تجهر حتى تسمع غيرك ولا تخافت حتى لا تسمع نفسك . انتهى .

فائدة قال شيخنا **أما المبالغة في الجهر بهما في المساجد بحيث يحصل تشويش على مصلٍّ فينبغي حرمتها** . انتهى . راجعه في ٧٤ من هامش « الترشيح » .

ومن الفوائد الجليلة ما في حديث ابن عباس رضي الله عنه عن الحكيم الترمذي عن جبريل عليه السلام إن ربك يقول مَن قال دُبر كل صلاة مكتوبة مرة واحدة اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نَفَس ولحظة ولمحة وطرفة يطرف بها أهل السماوات وأهل الأرض و كل شيء هو في علمك كائن أو قد كان أقدم إليك بين يدي ذلك كله ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ إلى ﴿ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ فإن الليل والنهار أربعة وعشرون ساعة ليس منها ساعة إلا يصعد إليَّ فيها سبعون ألف ألف حسنة حتى ينفخ في الصور وتشتغل الملائكة بذلك . انتهى . كذا نقله صاحب « ذخيرة المعاد » فراجعه في ٨٦ من هامش « عقد اليواقيت » من الجزء الأول . ومثله بل عينه في « تنوير الصدر » .

ثم قال صاحب « الذخيرة » وقد وقع السؤال عن قوله (اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس) . . . إلى آخره ما المراد منه فأجبت أن المراد تكثير المضاعفة والتحصين بأن يكون ما ورد في هذه الآية الكريمة من الأجور التي يتعذر حصرها ومن الثواب الجزيل والكرامة لقارئها في الدنيا والآخرة كائن وواقع بين يدي تلك الأزمنة التي لا يكاد يظهر لها تقدير في الزمن فتستغرق تلك اللحظات جميع الأوقات في الحفظ وما فيها من الثواب من كل ما ورد واختصت به مما علم وما لم يعلم يكون مقدماً بين يدي تلك الدقائق من الزمن لتشتمل الإحاطة والتحصُّن والحفظ والثواب العظيم فيكون ذلك معدوداً ومعدّاً له بين يدي تلك الآنات والشيئات . انتهى ٨٦ .

ومنها ما في الحديث الصحيح « خصلتان لا يحافظ عليهما عبد إلا دخل الجنة ألا وهما يسيرٌ ومَن يعمل بهما قليلٌ يسبح الله تعالى في دبر

كل صلاة عشراً ويحمده عشراً ويكبره عشراً وذلك خمسون ومائة باللسان وألف وخمسمائة في الميزان ويكبر أربعاً وثلاثين إذا دخل مضجعه ويحمد ثلاثاً وثلاثين ويسبح ثلاثاً وثلاثين فتلك مائة باللسان وألف في الميزان فأيُّكم يعمل في اليوم والليلة ألفين وخمسمائة سيئة » حم خد[١] عن أبى عمر . كذا ذكره جلال الدين السيوطي في « الجامع الصغير » وراجع « السراج المنير » في ٢٢٩ من الجزء الثاني .

وأما فضل (لا إله إلا الله وحده) إلخ . . فقد روى الترمذي واللفظ له وقال حسن صحيح - مرفوعاً « مَن قال في دبر صلاة الفجر وهو ثانٍ رجليه قبل أن يتكلم لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير (عشر مرات) كتب الله له عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وكان يومه ذلك كله في حرز من كل مكروه وحرس من الشيطان ولم يتبع بذنب يدركه في ذلك اليوم إلا الشرك بالله تعالى » وزاد فيه النسائي بيده الخير . وزاد في رواية أخرى وكان له بكل واحدة قالها عتق رقبة . وزاد في رواية أخرى له « ومن قالها حين ينصرف من صلاة العصر أُعطيَ مثل ذلك في ليلته » . كذا ذكره الشعراني في « لواقح الأنوار » فراجعه في ٩٧ من هامش المنن ج١ .

وفيه أيضاً وروى النسائي والترمذي وقال حديث حسن مرفوعاً من قال « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير على أثر المغرب بعث الله تعالى له ملائكة مسلحة

(١) حد اي احمد في مسنده ، خد اي البخاري في اداب المفرد .

يحفظونه من الشيطان حتى يصبح وكتب له بها عشر حسنات موجبات ومحى عنه عشر سيئات موبقات وكانت له بعدل عشر رقاب مؤمنات » . انتهى .

فأرجوك يا ولدي أن تسعى بجهدك في حوز هذه الفضائل وإياك ثم إياك والغفلة بالكلية فإنها من أعظم الذنوب عند أهل الله فإن كنت في شكّ من ذلك فتدبر فيما أتلو عليك من المثال لعلك تصدِّق قولي فلو فرضنا ملكاً له جمال باهر وسمت حسن وعلم وعقل وغنى ومال وقد عشقت عليه النساء كلهن ويذكرنه آناء الليل والنهار لا يفترن عن ذكره بألسنتهنَّ وعن فكره بقلوبهن ومع ذلك لو كانت له زوجة تغفل عنه ولا تذكره بل تنظر إلى كل من رأته من الشبان وتعشقهم ألا يكون سعي تلك الزوجة جريمة عظيمة عند الملك بلى والله و تصير مستحقة للطرد والقتل . وهكذا إن الله تعالى غيور لا يحب أن يَرى في قلب عبده غيره وقد قال تعالى ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ الآية فإذا كان كل شيء حتى الجمادات تذكر الله تعالى دائماً مع عدم كونها مكلّفة بالعبادة والطاعة بدليل قوله تعالى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ وكان عبده الذي أمره بذكره وعدم غفلته عنه بقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱذْكُرُوا ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ الآية وقوله تعالى ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ في غفلة عنه تعالى فقد استحق أن يعدَّه من جملة المذنبين وقد كان والدك الحقير غَفر الله له آمين في تحيُّر لا يدرك حقيقة كون الغفلة من الذنوب مع كون الإنسان لا يخلو منها بطبعه بيد أنه قد كشف الله تعالى له بفضله وكرمه في حالة كونه في سلطان الذكر وحصل له الشهود بالذوق بأن

جميع الأشياء تذكر الله وتسبّحه بحمده وكان وقتئذ يسمع أصوات أذكار الجمادات كصوت النهر الجاري وكأصوات النحول في الهواء فعلم بعد ذلك أن كون الغفلة من أعظم الذنوب هو عند أهل الكشف والشهود وإن كان أهل الفتور لا يعرفون ما هنالك فصغائر الأبرار كبائر المقربين . فتيقّظ يا ولدي من سِنَة الغفلة . **واعلم** أن جميع العبادات إنما شرعت لتحصيل وجهة القلب إلى الله وحضوره معه تعالى .

وقد قال شيخنا سيف الله قدس سره ما معناه أنه لا يساويه الدنيا والآخرة . انتهى . يعني أن أجر الحضور والذكر القلبي أعلى وأرفع مما في الدارين ألا وهو المشاهدة والوصول عند مليك مقتدر . أذاقنا الله تعالى وجميع أحبابنا حلاوة هذه المشاهدة والمواصلة آمين .

ولأجل ما ذكر أوصيك يا ولدي بالاشتغال على ما يجلب به الحضور وقت الذكر فإن إحضار القلب عند الذكر مطلوب من الذاكر والحضور لا يمكن إلا بمعرفة معاني الأذكار وهو روح الأعمال فاحتياج الذاكر إلى معرفة معاني ما يذكر إذاً أمر ضروري لا محالة راجع « رماح » في ١٠٧ ج٢ . والفيوضات الربانية غير منقطعة في ليل أو نهار والمانع من إحساسها ووصولها هو الغفلة وعدم التوجُّه إلى نقطة القلب ومن المعلوم أن المطر وإن كان ينزل دائماً لا يصل منه ولو قطرة إلى من وقف تحت السقوف وكذا الشمس وإن كان نورها منتشراً في أقطار الأرض لا يصل إلى دار ليس فيه كوة وكذلك لا يصل الفيض إلى قلب قد طبق عليه سقف الغفلة **فإن للقلب بابيْن باب من جهة الفوق يفتح إذا توجَّه إليه بالحضور ويصل إليه الفيض والنور والبركة** وباب من جهته السفلى

ينفتح بالغفلة ويجد الشيطان إليه حينئذ سبيلاً . **فافهم يا ولدي** وكن من الشاكرين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين .

وأيضاً إن القلب كبلدة بين عسكرين متحاربين عسكر الملائكة وعسكر الشياطين فمتى غفل السالك يظلم القلب فيتبادر إليه عسكر الشياطين فيفتحونه ويجعلونه مسكناً لهم ومعششاً وإذا حضر يحصل للقلب نور فيتبادر إليه الملائكة فيفتحونه وحينئذ يصير القلب محلاً لنزول الفيوضات ومهبطاً لوصول الأسرار والبركات فلذلك يجب عليك يا ولدي ملازمتك على الوقوف القلبي ليحترز قلبك من نزول الشياطين فهذا هو الجهاد الأكبر الذي لا آخر له إلا الموت . عصمنا الله تعالى من شرور أنفسنا وجعلنا من الذين ليس للشيطان عليهم سلطان . آمين .

الترغيب الخامس

في بيان فضيلة لفظة الجلالة الله

اعلم يا ولدي جعل الله تعالى مسماك مطابقاً باسمك آمين أن شيخنا ذا الجناحين الحاج عبد الرحمن قدس سره كان يأمرنا بتكثير لفظة الجلالة وتكريره بالقلب لا باللسان في كل وقت وفي كل حال فامتثالاً بأمره كنا نجتهد في المداومة على الحضور وطرد الغفلة والفتور قياماً وقعوداً وعلى الجنوب كما قال الله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾ . . . الآية وقد فُسِّرت أي على كل حال **وقد رأيت في مريديه من زالت من إصبعه السبابة قطعة من الظفر والجلد على قدر حبة السبحة** ورأيت بعضهم قد تورَّم إصبعه بكثرة طرح حبات السبحة وتكرار حركة الإصبع وقد حصل لهم الحضور بحيث لا يشغلهم الخلق عن الحق والحق عن الخلق فصاروا بذلك عرشيين فرشيين كائنين بائنين وهكذا يجب على السالك أن يلازم الذكر حتى يصير ذا حضور بحيث لا يغفل عن الله تعالى إلا في أوقات نادرة فكن أنت يا ولدي من أهل هذا المقام الرفيع الشأن العظيم البرهان الذي ليس فوقه كرامة أعظم منه ولا أعزّ ولا أرفع منه .

وقد قال واحد من الأكابر حين قيل له ما الكمال عندك أن تكون مع الحق في الباطن مع كونك مع الخلق في الظاهر . أو ما هذا معناه وقد قيل للإمام النقشبندي ماذا طريقك فقال الخلوة في الجلوة .

فإذا فهمت هذا ينبغي لك أن تدوم على تكرار لفظة الله الله الله[١] بالقلب حتى في الخلاء ووقت الجماع **فليس في الأذكار أعظم نفعاً في جلب الحضور وطرد الغفلة من ذكر الاسم الله** لأنه لا يطلب أحداً من الأغيار المشهودة في هذا العالم كما بيّنه الشعراني في كتاب « الجواهر والدرر » وقد فُسِّرَ لقوله تعالى ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ أي كرروا هذا الاسم كثيراً ولقوله تعالى ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ أي ذكركم الاسم الله كما هو مذكور فيه وقد اتخذه الأكابر ورداً لأنه يصقل قذى الأغيار عن وجوه الأسرار كما سيأتي وهو أول ما يلقِّنه النقشبنديون للمريد المستعد وهو عندهم بالقلب .

وقد قال الإمام الرباني قدس سره ما معناه إن ذكر لفظة « الله » يكون في هذا الطريق يعني النقشبندية مناسباً في الابتداء ثم يستعمل بعده النفي والإثبات عكس سائر[٢] الطرق ورأيت في « شموس الأنوار » أنه هو الاسم الأعظم على الأصح .

---

(١) وسئل عن قول القائل في مجلس الذكر الله الله في حال صحوه من استغراق هل يسمى ذكراً أو لا وإذا قلتم بأنه لا يسمى ذكراً هل يثاب عليه أم لا فأجاب بأنه لا يسمى ذكراً عرفاً لعدم إفادته لكنه يثاب لقصد الذكر كما أن ذا الحدث الأكبر آثم بنطقه بحرف واحد من القرآن بقصد القراءة لأنه نوى معصية وشرع فيها وإن لم يسم قارئاً « فتاوى الرملي » عبارته ٣٥٧ من هامش « الفتاوى » لابن حجر ج٤ .

* ولكن الإمام الرباني قدس سره قال الذكر عبارة عن طرد الغفلة . والقول بأنه لا بد أن يكون باللسان أو بجملة اسمية أو فعلية ممنوع . راجع « الحدائق الوردية » و« الرحمة هابطة » والسلام .

(٢) كما هو مبسوط في « مكتوباته » في ٣٧ .

وفيه أنه هو ذكر القطب من أهل الدائرة الربانية . انتهى . وقد ذكرنا كلاماً كثيراً في حقه في « تنبيه السالكين » فراجعه في الباب الرابع عشر تجد البسط التام .

وقال الشعراني قدس سره في « لطائف المنن الكبرى » ومما منَّ الله تبارك وتعالى به عليّ مواظبتي أوائل دخولي في محبتي طريق القوم على ذكر الله تبارك وتعالى **بلفظ الجلالة أربعاً وعشرين ألف مرة كل يوم وليلة عدد الأنفاس الواقعة في الثلاثمائة وستين درجة** وكنت أذكرها تارة في مجلس واحد وتارة في مجالس على نية أن الله تبارك وتعالى يبسطها على جميع الأنفاس الواقعة في الليل والنهار ليكون حكمي إن شاء الله تعالى حكمَ من لم يغفل عن الله عز وجل نَفَساً واحداً ولم أزل على ذلك حتى استحكمَ فيَّ الحضور مع الله تبارك وتعالى في أكثر أوقاتي فكانت لي كالمادة يستمد الإنسان منها المراقبة لله عز وجل والحضور معه تبارك وتعالى طول عمره **فإن الذكر باللسان وسيلة لحضور القلب** لأنه يجلي القلب من الظلمات والأدناس والرعونات[1] المانعة من دخول حضرة الله تبارك وتعالى فإذا انجلى القلب كذلك صار ليلاً ونهاراً يستحضر في نفسه أنه بين يدي الله جل وعلا والله تبارك وتعالى ناظر إليه **فهذا هو الذكر الحقيقي الذي تصل إليه الفقراء في سلوكهم بالذكر والخلوة والرياضة فلا يحتاجون بعد ذلك إلى ذكر اللسان** إنما ذكرهم به تطوّع ليزيّنوا جوارحهم الظاهرة بالذكر أو ليقتدي بهم المريدون وإلا فَمَن

(١) الرعونة الحمق والاسترخاء ورجل أرعن وامرأة رعنآء بيّنا الرعونه « مختار » .

كان يستحضر دائماً أن الله يراه فمِن أدبه الصُمْتُ والهَمْس قال تعالى ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ أي من شدة الهيبة والحضور مع الله تبارك وتعالى فعلم أن مَن لم يحصل له مادة الحضور مع الله تعالى كما ذكرنا فلا يقدر على تكليف نفسه الحضور على الدوام إنما هو تارة وتارة بخلاف من حصل له المادة فإنه لا يتكلَّف للحضور كما أنه لا يتكلَّف لدخول النَّفَس وخروجه .

وقد أرشدت الأخ الشيخ يوسف الطهواني إلى هذا الذكر لما طلب مني الإرشاد وذكر أنه حصل له أمارة **الفتح وهو رسم الجلالة بالنور في مَحل تصوره وحضوره** ثم انتشر من الجلالة نور تتلألأ الأفق أو أكثر من غير وجود شيء آخر معه هذا وهو ملاحِظ للجلالة بعين الروح مع التلاوة لها باللسان حتى يتمكَّن تمكّن الرجال وتنتفي عنه الخواطر والأكدار **إذ الجلالة مصقلة تصقل قذى الأغيار عن وجوه الأسرار** . انتهى فراجعه في ٢٧٣ من الجزء الأول ففيه أزيد من هذا .

وحديث « لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله الله » انتهى يشعر جلالة قدر هذا الاسم الأعظم لأنه لولا أن قدر هذا الاسم عظيماً لَمَّا حفظ الله تعالى العالم من الزوال بمن يذكر به فافهم .

ومن الفوائد أن مَن ذكره سبعين ألف مرة في موضع خال عن الأصوات لا يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه . انتهى كذا في « إعانة الطالبين » في ٦ ج١ .

وفي « فتح الملك المجيد » ومن كتب لفظة الجلالة أي اسم « الله » ستّاً وستين مرة على كأس نظيف ثم يسقيه شفاه الله تعالى من أي مرض كان . انتهى ٨٧ .

وفي « الحدائق الوردية » ما حاصله أن الذكر الخفي وهو ذكر القلب بلا حركة لسان ولا إعانة نَفَس الاسم الأعظم الله فقط بدون ملاحظة أن الاسم الأعظم مبتدأ محذوف الخبر أو منادى بحرف نداء مقدّر أو غير ذلك وهو ذكر جليل له شأن عظيم في تنوير قلب السالك وطي منازل السلوك **وهو أفضل من الجهري بمراحل** . انتهى ٢٩٠ .

يا ولدي أوصيك بأن تلازم على هذا الذكر متى استطعت .

فكيفيته أن تتوجه إلى القلب وأن تجري الاسم المبارك الله عليه[١] ولا تحرك عضواً من أعضائك في هذا الوقت بالقصد إلا الإصبع الذي تجرُّ السبحة واقعد متوجهاً إلى القلب بالكلية ولا تخيل صورة القلب بالقوة المتخيلة أصلاً ولا تلتفت إليها قطعاً فإن المقصود التوجه إلى القلب لا تصور صورته **ولاحظ معنى اللفظ المبارك « الله » بِليس كمثله شيء** ولا تضم إليها شيئاً من ملاحظة الصفات حتى الحاضرية والناظرية . هذا ملخص ما قاله الإمام الرباني في بعض مكاتبه راجعه في ١٦١ ج١ .

يا ولدي إن الوقوف القلبي بمعنى الملاحظة الواحد تعالى لازم في جميع ذكر اللطائف بل في جميع الأزمان والأماكن والأحوال حتى في الحمام ووقت القربان وحتى في الكنيف وفي الخلوة والجلوة **ولكن عند**

---

(١) بأن تفكر اللفظ في القلب أي تخيل جريانه فيه (منه) .

الناس بفتح العين ستراً للحال مع عدم خلوّ البال وهذا المعنى يحصل أولاً بالتكلف من الظاهر وبدون هذا المعنى الذكرُ قليل الجدوى بل لا يوصل إلى مقصود وهو غلبة المذكور واستيلاؤه وهي الذكر الحقيقي والمقصود الأصلي المعبّر عنها تارة بالفناء وتارة بالعبودية كما هو مذكور في « تبصرة المرشدين » فإذا تحرك القلب بالذكر وصار وصفاً لازماً بحيث لا يقدر على إسكانه يلقن الشيخ بهذا الذكر « الله » على لطيفة روح المريد ولقد كان شيخنا العسليّ قدس سره يقول كان الشيخ جبرائيل أفندي قدس سره يقول له اترك الذكر على القلب ولا تنقله إلى الروح إلى أن تنعكس إليك الحرارة الشديدة بحيث يثقل لك حملها من قلب المريد انتهى .

وسمعته رضي الله تعالي عنه يقول **إن الذكر القلبي يكفي لأهل ديارنا الداغستانية** . انتهى . مع أن الانتساب إلى النسبة العلية يكفيه فقط . كما في « تبصرة المرشدين » ولأجل ذلك نترك كثيراً من المريدين المشتغلين بالحرف والصنائع على مجرد لطيفة القلب وذلك لهم أثر عظيم وفي الشغل بذلك نفع جسيم فكيف لا وقد ورد في الحديث « **الذكر الذي لا تسمعه الحفظة يزيد على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفاً** » انتهى .

ورأيت في شرح « تائية السلوك » ما نصه **فرب ذاكر لله تعالى لحظة مع حضور قلب خير ممن ذكره ألف سنة بلا حضور قلب** . انتهى . فما أعظم هذه المنفعة التي هو المقصود من هذا الطريق

وقد قال في « الرشحات » **إن المقصود من هذا الطريق في اعتقادي كون القلب حاضراً بالله تعالى على سبيل الذوق واللذة دائماً** . انتهى ٢٠٢ .

فائدة مهمة غفل عنها أكثر المريدين رأيت في « الرشحات » ما نصُّه ينبغي أن يرى العمل محبوباً دون الحضور والجمعية فإنهما من المواهب وعزيزي الوجود وليسا تحت الاختيار وفقدانهما موجب للكسل والفتور **بخلاف العمل فإنه من المكاسب وتحت الاختيار والمواظبة عليه موجبة للجمعية والحضور** فإن الفتور متطرق إلى الجمعية والحضور وذلك واقع بالخاصية . انتهى ٢٠٢ .

ولقد وجدنا كثيراً من المريدين يطلبون الأحوال ويريدون علم حركة القلب وارتعاشه وحصول الذوق واللذة في الذكر وظهور الأشياء في النظر لكن الإمام الرباني قال إنه[1] داخل في اللعب واللهو **بل كلما توجد المشقة في الذكر يكون أفضل وأنفع** . انتهى . من « مكتوباته » في ١٤ ج٣ .

فينبغي للمريد أن يعلم أن علم الأحوال لا يعطى لكل أحد فمن المريدين من يعلم ومنهم من لا يعلم **وعدم علم الأحوال لا يضر في شيء بل العدم المحض أسنى الأحوال** كما قال به شيخنا سيف الله قدس سره . وقد قيل إن طالب الأحوال ليس بطالب للحق تعالى . وقيل مقصودك[2] معبودك .

---

(١) أي طلب ذلك .

(٢) يعنى إن كان مقصودك الأحوال فأنت عبد الأحوال فافهم (منه) .

وإذا علمت هذا فاللازم عليك يا ولدي أن تذكر الله تعالى لمجرد امتثال أمر الله تعالى لا طلباً للعوض ولا للغرض وكل شغل من أشغال الطريقة كالرابطة والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ ينبغي لك أن تؤدي جميعها بملاحظة امتثال الأمر لا غير ففي جميعها ورد الأمر الإلهي قال تعالى ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾[1] وقال ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ وقال ﴿ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾ إلخ . . وقال ﴿صَلُّواْ عَلَيۡهِ﴾ إلخ . . وقال ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ إلخ .

واعلم يا ولدي أن ذرة واحدة مِن عبادة[2] مَن أخلص عمله لله تعدل عبادة ألف سنة من عبادات أهل الأغراض الذين يقصدون بها الحظوظات النفسانية فالعاقل لا يضيِّعُ الجواهر النفيسة بجوز الأحوال الذي هو الثواب المعجل الذي ينقص به الثواب في الآخرة ولا ريب أنّ من علم الأحوال تلذَّذ بها **وكل من تلذَّذ بشيء في الدنيا ينقص الله تعالى له بقدره الثواب في العقبى**[3] . والله ولي التوفيق .

وأما أقوال العلماء الربانيين في كون لفظة الجلالة ذكراً منفرداً فكثيرة وذكرُ الجميع عسير لكني أذكر هنا نبذة منها فقد قال صاحب « الرحمة الهابطة »[4] وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله » وفي رواية « لا تقوم الساعة

(١) هذا دليل الرابطة فافهم .

(٢) راجع « المنن » .

(٣) كما هو مذكور في « منهاج العابدين » (منه) .

(٤) راجعه في ٢٠٠ من هامش « الدرر » ج١ .

على أحد يقول الله الله » فهذا الحديث مصرّح بأن الله الله من الأقوال التي تقال وأنه إذا انصرم الزمان لم يبق أحد يذكر الله بهذا القول وحينئذٍ تقوم الساعة . انتهى .

وقال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في « الإحياء » في كتاب رياضة النفس عند ذكر فوائد الخلوة وعند ذلك يلقنه أي يلقن الشيخ المريد ذكراً من الأذكار حتى يشتغل به لسانه وقلبه فيجلس مثلاً ويقول (الله الله) أو (سبحان الله) أو ما يراه الشيخ من الكلمات . انتهى .

وفي حزب الإمام النووي الله الله ربي لا أشرك به شيئاً الله الله ربي لا إله إلا الله . انتهى .

وفي الصلاة المشيشية الله الله إن الذي فرض عليك القرآن . . إلخ والكلام على كونه اسماً مفرداً أو جملة كثيرٌ وقولُ بعضهم (الذكر لا بد أن يكون باللسان أو بجملة اسمية أو فعلية حتى يثاب عليه وإلا فلا) ممنوعٌ كما ذكره الخاني في « الحدائق الوردية » في ٢٩٥ .

وفي « الرحمة الهابطة » وقال الإمام الكبير الفخر الرازي في كتابه « أسرار التنزيل » وأما الذين اكتفوا في النهايات بكلمة (الله) فلهم فيه وجوه

الحجة الأولى أن نفي العيب عمن يستحيل عليه العيب عيب .

الحجة الثانية أن مَن قال لا إله إلا الله فلعله حين ذكر كلمة النفي لا يجد من المهلة ما يصل منه إلى الإثبات وحينئذ يبقى في النفي غير منتقل إلى الإثبات وفي الجحود غير منتقل إلى الإقرار .

الحجة الثالثة أن المواصلة على هذه الكلمة متشعبة بتعظيم الحق والاشتغال بنفي الأغيار يرجع في الحقيقة إلى شغل القلب بالأغيار وذلك يمنع من الاستغراق في نور التوحيد فمن قال لا إله إلا الله فهو مشتغل بغير الحق ومن قال الله فهو مشتغل بالحق فأين أحد المقامين من الآخر

الحجة الرابعة أن نفي الشيء إنما يُحتاج إليه عند خَطَران ذلك بالبال وخطور شريك نقصان في الحال فأما الكاملون الذين لا يخطر ببالهم وجود الشريك امتنع أن نكلفهم بنفي الشريك بل هؤلاء لا يخطر ببالهم ولا في خيالهم إلا ذكر الله فلا جرم يكفيهم أن يقولوا (الله) .

الحجة الخامسة قال الله تعالى ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ فأمره بذكره ومنعه من الخوض معهم في أباطيلهم ولعبهم والقول بالشريك من الأباطيل ففيه خوض في ذلك الكلام وكان الأولى الاقتصار على قولنا « الله » . انتهى راجعه في ٢٠٢ من هامش الدرر ج١ .

وقال الشيخ عفيف الدين التلمساني في كتابه « الكبريت الأحمر » العارفون على أن أفضل العبادات حفظ الأنفاس[١] مع الله ويكون دخولها وخروجها بذكر الجلالة وهو قولك (الله الله) و (لا إله إلا الله) وهو الذكر الخفي الذي لا تتحرك به الشفتان . انتهى « الرحمة الهابطة » ٢٠٧ .

---

(١) وإجماع العارفين على هذا وهو صحيح ومعناه ظاهر وهو مقام الكمل وما ذكره النووي أن الأفضل الذكر باللسان والقلب جميعاً فهو مقام دون هذا المقام كما صرحه الإمام الرملي في « فتاواه » فراجعه في ٣٦٢ من هامش « الفتاوى الكبرى » لابن حجر من الجزء الرابع ففيه زيادة . وهذه بشارة عظيمة للنقشبنديين فإن بدايتهم نهاية سائر الطرق . ولله الحمد والمنة وله الشكر على هذه النعمة والسلام « منه رحم الله إفلاسه آمين » .

وفيه أن رجلاً سأل الشبلي لِمَ تقول (الله) ولا تقول (لا إله إلا الله) فقال إن الصديق أعطى ماله فلم يبق معه شيء فتخلل الكساء بين يدي النبي ﷺ فقال له « وما خليت لعيالك » فقال الله . فكذلك أنا أقول الله . فقال السائل أريد أعلى من هذا . فقال الشبلي أستحي من ذكر كلمة النفي في حضرته والكل نوره . فقال السائل أريد أعلى من هذا . فقال الشبلي أخاف أن أموت على الإنكار فلا أصل إلى الإقرار . فقال السائل أريد أعلى من هذا . فقال الشبلي قال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ فقام السائل فزعَق زعقة فقال الشبلي الله . فزعَق ثانياً . فقال الشبلي الله . فزعق ثالثاً ومات فاجتمع أقارب الفتى وتعلَّقوا بالشبلي وادّعوا عليه الدم وحملوه إلى الخليفة فدخلوا عليه وادّعوا الدم فقال الخليفة للشبلي ما جوابك فقال روحٌ حنَّت[١] فرنَّت[٢] وسمّت[٣] فصاحت ودعيت فسمعت فَعلِمَتْ فأجابت فما ذنبي فصاح الخليفة خلّوا سبيله . انتهى ٢١٠ .

يا ولدي إن أردت أن تعلم أزيد من هذا فراجع « الرحمة الهابطة » ففيه البسط الزائد ولم أذكره هنا خوفاً من الإطالة والسآمة فعليك الاشتغال بذكر هذا الاسم الأعظم الذي حصل به الفضل لـ(لا إله إلا الله) فلو قالها مكلف ولم يتمها به عمداً كفر وأَعْرِضْ عمن أنكر وعن الحق استكبر وادع لوالديك واتق الله تعالى ما استطعت ولازم العلم النافع

---

(١) عطف الله قلبه « منجد » .

(٢) رفع صوته بالبكاء (منه) .

(٣) حسن الخلق (منه) .

ودع الناس جانباً ولا تكن من الغافلين . وفقك الله تعالى لاتباع السنة واجتناب البدعة . آمين .

ولم أذكر سائر اللطائف اكتفاءً بما في كتب النقشبنديين ويكفي للمشتغل بذكر اللطائف نفعاً حفظُه من زوال الإيمان كما هو مذكور في هامش « المناقب الأحمدية » . ورفع الحجب السبعين ألفاً بكل لطيفة عشرة آلاف حجاب كما هو مذكور في « الدرر المكنونات » في ١١٦ فراجعهما .

الترغيب السادس

في بيان فضائل (لا إله إلا الله)

قال الشيخ أحمد بن زيني دحلان رحمه الله تعالى في « تقريب الأصول » في ١١٦ وعن محمد بن علي الترمذي قال يأتي العبد يوم القيامة فلا يجد لا إله إلا الله في الميزان فيقول يا رب لا أجدها في ميزاني فيقال له لا يسعها الميزان ولا تسعها السماوات ولا الأرض بدليل قوله ﷺ « سبحان الله وبحمده تملأ ما بين السماء والأرض والحمد لله تملأ الميزان » فإذا امتلأ الميزان « بالحمد لله » لم يسع ما بعدها وما من عبد يقبض إلا شخصت له ملائكة السماوات والأرض تنظر بماذا يختم له فإذا قبض على الإيمان فرحوا . قال ابن عطاء الله وكيف لا يفرحون وقد قال تعالى ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أتحسب أنك إذا قلت لا إله إلا الله تفرغ أو تنقضي آثارها كلا ومثال ذلك كالنجار يعمل الباب ويفرغ منه ويبقى بعد موته دهراً طويلاً فقوة الذكر على حسب الذاكر فإن كانت همته قوية يتوجّه ذكره إلى الله **ليس الشأن لمن اتَّجَر لنفسه بل الشأن لمن اتجر الله له** لأنه يخلق من (لا إله إلا الله) ملائكة ثم يخلق من تلك الملائكة ملائكة آخرين .

قال ابن الصباغ أعرف من يقول (لا إله إلا الله) فتخرج منها دائرة ثم يخرج من الدائرة ملك يقول لا إله إلا الله وعنى به نفسه ولا عبادة أنفع من الذكر لأنه يمكن المريض والشيخ الكبير الذي لا يستطيع القيام والركوع . انتهى .

ورأيت في « جواهر المعاني » أن الحروف اللفظية يوجد منها عالم الأرواح معناه أن كل كلمة تلفَّظ بها خلق منها ملك يسبّح الله تعالى فإن تكلم بكلمة من الخير خلق منها ملك رحمة وإن تكلم بكلمة شر خلق منها ملك عذاب وكان من جملة ملائكة العذاب فإن قدر الله وتاب من تلك القولة خلعت على الملك الذي خلق منها خلعة وانقلب بها مَلَك رحمة . انتهى راجعه في ١٩٩ ج١ .

وقد ذكر الشعراني كلاماً في حق تطور الأعمال في « مننه الكبرى » وقال بعد كلام في ذلك **وسمعته** ﷺ يعني شيخه عليّاً الخواص مرة أخرى يقول لا يكمل إيمان العبد الكمال المتعارف بين القوم حتى يصير يشهد تطور كل حرف يقوله من القرآن أو غيره ملكاً على صورة حاله فى الإخلاص أو الرياء من حسن أو قبح ولا يخلو ذلك من موافقته لأحكام الدين الخمسة فإن المندوب يقارب الواجب في الحسن والمكروه يقارب الحرام في القبح فالملك الحسن الصورة يصعد مستغفراً لمن نطق به والملك القبيح يصعد لاعناً من نطق به .

وسمعته يقول إذا كمل جلاء قلب العبد من الشهوات المذمومة صار يرى تطور الآيات وهي صاعدة حتى أن بعضهم كان يسأل الآية إذا غلط فتردُّ عليه الآية الغَلْطَة .

قال الشيخ وقد رأيت الآية مرة تطورت في صورة أبي قردان فردت عليّ الغلطة فقلت له يا سيدي القرآن كلام الله تعالى فكيف قَبِل الصورة فقال الذي تطور إنَّما هو تلاوتي لا المتلو . انتهى .

ويؤيد ذلك حديث « إذا قال العبد لا إله إلا الله خرج من فيه طائر أبيض فيرفرف[١] تحت العرش فيقال له اسكن . فيقول وعزتك لا أسكن حتى تغفر لقائلها » انتهى في ٢٣٠ ج٢ .

وقال بعيد هذا وأخبرني الشيخ أحمد السروي أنه رأى الملائكة بأقلام من نور يكتبون كل حرف يلفظ به المصلّون على رسول الله ﷺ في صحيفة .

وقال لي مرة أخرى رأيت مرة كل حرف نطق به العبد يتطور ملكاً يذكر الله تعالى بذلك الذكر ثم يتطور كل حرف من أذكار الملك ملكاً كذلك ثم يتطور من أملاك الدور الثالث ملائكة وهكذا فلو كشف للعبد لرأى الجو مملوءاً ملائكة من تطورات أفعاله وأقواله . انتهى في ٢٣١ .

فهذه المذكورات مما ينبغي للمريد أن ينصبها بين عينيه ولا ينساها ولا يغفل عنها وقد كتبتها هنا لكونها من أجلِّ المسائل التي غفل عنها أكثر الناس والله ولي التوفيق .

وقال الشيخ أحمد ضياء الدين في « جامع الأصول » .

وأما خواصها[٢] فروي أن من قالها سبعين ألف مرة فداه الله تعالى من النار .

وقال عليه الصلاة والسلام « ما قال أحد (لا إله إلا الله) مخلصاً من قلبه إلا فتحت له أبواب السماء حتى يفضي إلى العرش ما اجتنب الكبائر » .

---

(١) رفرف الطائر إذا حرك جناحيه حول الشيء يريد أن يقع عليه « مختار » .

(٢) أي لا إله إلا الله

وعن الصحابة مَن قال (لا إله إلا الله) خالصاً من قلبه ومدَّها بالتعظيم غفر له أربعة آلاف ذنب من الكبائر .

ومن كان يخشى شيئاً فليقل بعد صلاة الصبح أستكفي كل شر بـ« لا إله إلا الله » مائة مرة فإنه يكفى ما يخاف .

ومن كتبها على خاتم فضة في الساعة الأولى من يوم الجمعة انشرح صدره وانبسط فكره وتيسَّر أمره وزال همه وانجلى كربه ولا يقع بصر أحد إلا أحبه .

ومن كتبها في جام بعدده ومحاه بماء وشربه على الفطور أحيا الله تعالى قلبه بنور الإيمان وفجَّر من صدره أنوار العرفان .

ومن داوم على شربه وقاه الله تعالى شر قساوة القلب وشرح باطنه لقبول الحقائق الإيمانية(١) والأسرار الروحانية .

٥٢	٥٥	٥٤
٥٧	٥٥	٥٤
٥٧	٥١	٥٨

ومن كتبها على خاتمه وتلا عليه عدده ووضعه تحت رأسه رأى ما رآه في نومه بشرط العزلة والطهارة وهذا وَفقه .

وفي « المعارف » إن من قالها ألف مرة على الطهارة في صبيحة كل يوم يسَّر الله له أسباب الرزق .

ومن قالها عند منامه ألفاً باتت روحه تحت العرش .

ومن قالها عند قوة الشمس ضعف منه شيطان الباطن .

ومن قالها عند رؤية الهلال أَمِنَ من أسقام الأجسام .

(١) وفي نسخة الحقائق الربانية .

ومن قالها عند دخول مدينة أمن من فتنتها .

ومن قالها بجمع فكره وأرسلها لظالم أو لجائر قطعته .

ومن قالها بقصد التطلع إلى العلويات كُشف له عن غيب ما قصده ولها خواص كثيرة وهذه نبذة ترغيب . انتهى ٣٣ .

وفي « النور الساطع » ولا إله إلا الله رأس الذكر وأنفع ما يعالج به القلب في إصلاحه وإقباله على المذكور ونفي الأغيار ودفع الوساوس والخواطر الردية وأقرب وأقطع في انجلاء القلب وصفائه ورياضة النفس وتهذيبها ولذلك اختارها الصوفية لتربية المريدين وتهذيب[1] نفوسهم . كما نص عليه سيدي علي المرصفي في « منهج السالك » انتهى .

وفي « كشف الغمة » وكان ﷺ يقول « قال موسى عليه السلام يا رب علمني شيئاً أذكرك به وأدعوك به . قال قل لا إله إلا الله . قال يا رب كل عبادك يقولون لا إله إلا الله قال قل لا إله إلا الله . قال يا رب إنما أريد شيئاً تخصُّني به قال يا موسى لو أن السماوات السبع والأرضين السبع في كفة[2] ولا إله إلا الله في كفة مالت بهم لا إله إلا الله » . انتهى .

وفيه وكان ﷺ يقول « ما من عبد قال لا إله إلا الله في ساعة من ليل أو نهار إلا طمست ما في الصحيفة من السيئات حتى تسكن إلى مثلها من الحسنات » . انتهى .

---

(١) التهذيب – التنقية ورجل مهذب أي مطهر الأخلاق « مختار » .

(٢) الكف – واحدة الأكُف وكفة الميزان بكسر الكاف وفتحها والجمع كفف بكسر الكاف والكافة الجميع من الناس « مختار » .

وفيه وكان ﷺ يقول « يستخلص الله تعالى رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر حتى إذا ظن أنه هالك أحضرت له بطاقة[١] فيها (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فتوضع في كفة والسجلات في كفة فتطيش[٢] السجلات وتثقل البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء » . وكان ﷺ يقول « لا إله إلا الله لا يسبقها عمل ولا تترك ذنباً » . انتهى فراجعه . من الخاتمة في الجزء الأول .

قال الشيخ في كتاب الوصايا في « الفتوحات » إيّاكم ومعاداة أهل لا إله إلا الله فإن لهم من الله الولاية العامة فهم أولياء الله ولو أخطؤوا وجاؤوا بقراب الأرض خطايا لا يشركون بالله شيئاً فإن الله يتلقى جميعهم بمثلها مغفرة ومن ثبتت ولايته حرمت محاربته وإنما جاز لنا هجر أحد من الذاكرين لله لظاهر الشرع من غير أن نؤذيه أو نزدريه[٣] وأطال في ذلك . ثم قال وإذا عمل أحدكم عملاً توعَّد الله عليه بالنار فليمحه بالتوحيد فان التوحيد يأخذ بيد صاحبه يوم القيامة لا بد من ذلك . والله تعالى أعلم . انتهى « يواقيت » ٤٦ ج١ .

ويؤيده قول الإمام الرازي رحمه الله إن العبد يأتي بسيئات أمثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكر الله تعالى وما اتصل به . انتهى .

---

(١) البطاقة بالكسر رقيعة « مختار » .

(٢) الطيش – الخفة « مص » .

(٣) والإزراء – التهاون بالشيء يقال أزرى به إذا قصر به وازدراه أي حقره « مختار » .

اعلم يا ولدي لما وجدت عادة مشائخنا النقشبندية والشاذلية تلقين الاستغفار والصلاة على النبي ﷺ والذكر بلفظة الجلالة والنفي والإثبات ذكرت ما في جميعها من المنافع والفضائل لتكون سبباً للحث وباعثة للمواظبة عليها وقد أجازني **شيخنا العسلي** في تلقين الطريقة النقشبندية وكذا أجازني السيد الشريف **سيف الله الحسيني** في الشاذلية والنقشبندية[١] وكتب لي صك الإجازة بيده المباركة وأمرني أمراً أكيداً بتلقين الشاذلية خاصة لكونها موافقة لأحوال الناس في هذا الزمان وكذا أجازني في القادرية بالمشافهة وكان قدس سره يقول بلسانه ويكتب إلينا بقلمه ويوصينا بالاجتهاد لإدارة الطريقة النقشبندية والشاذلية خاصة لما أنه لم يكن في ولايتنا من له الإجازة التامة في تلقين الطريقة إلا النادر فالنادر وكان يقول إن ذلك يكون سبباً لمنع الناس عن وقوعهم في شبكة المتشيّخين وقيدهم وكان قدس سره يستعيذ منهم وممن وقع في أيديهم[٢] وقد أمرني بلسانه وكتب إلي بقلمه **الشيخ الحافظ شعيب الباكني** بالنظر والتوجه إلى مريديه والالتفات إليهم ولأجل كوني مأموراً من هؤلاء المشائخ بهداية الخلق إلى طريق الحق وجب عليّ أن أُبيِّن للناس ما يحضُّهم ويرغِّبهم إلى السلوك في سبل الخيرات .

ومما ينبغي أن يعلم أني وإن خاطبت كثيراً في هذا الكتاب لمحمد عارف خاصة لوقوعه سبباً للتأليف لكن يدخل فيه كل من أخذ مني الطريقة

---

(١) وفي نسخة والنقشية .

(٢) فقد جاء لدينا أبعاض من مريدى هؤلاء القوم ولم نجد منهم من حصل له حياة القلب وإن دام على ما علّمه شيخه في زعمه عشرين سنة فهذا علامة عدم كون ذكرهم تلقينيًّا غفر الله لنا ولهم آمين « منه رحم الله إفلاسه آمين » .

لأنه لا فرق بين ولد الجسد وبين ولد الروح والأستاذ في الحقيقة هو الأب الحقيقي بل هو مقدم على أب الجسد لأنه أب الروح كما هو مذكور في الكتب في غير موضع .

وأما بيان كيفية أوراد النقشبندية فقد أعرضت عن كَتْبتها لأني قد بينتها في تأليفاتي بالبسط التام والقادرية قد عرضت إليها في « تنبيه السالكين » .

وأما الشاذلية فأورادها كما في « النور الساطع » (أستغفر الله) مائة مرة (اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم) مائة مرة (لا إله إلا الله) مائة مرة سيدنا محمد رسول الله ﷺ مرة واحدة وذلك مرة في الصباح ومرة في المساء وما كتبه الشيخ بعد المغرب[١] .

وأما الشيخ خالد سيف الله قدس سره كتب في صك الإجازة بدل أستغفر الله (أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه) بغير (العظيم) . انتهى . وذلك هو الأكمل في الاستغفار . وأما في الصلاة فلم يبين الصيغة بل أطلق وقال والصلاة على النبي ﷺ مائة مرة . فهذه الأوراد أراها مثل أوراد الطريقة التجانية بلا فرق كثير فقد قال محمد الغالي في « جواهر المعاني » أما أوراده[٢] رضي الله عنه الذي يلقِّن لكافة الخلق الذي رتَّبه له سيد الوجود وعلم الشهود ﷺ هو أستغفر الله مائة مرة والصلاة على رسول الله ﷺ بأي صيغة كانت ثم الهيللة مائة . وهذه الأذكار بعينها هي

(١) وهو داخل في المساء فإن المساء ما بين العصر ونصف الليل فراجع (منه) .

(٢) أي الشيخ أحمد التجاني .

التي رتب له ﷺ وأمره بتلقينها لكل من طَلَبَه من المسلمين على أي حالة كان كبيراً أو صغيراً ذكراً أو أنثى **طائعاً أو عاصياً** لا يمنعه من أحد طلبه منه وكون الصلاة على رسول الله ﷺ بـ« **صلاة الفاتح لما أغلق** » أفضل وأكمل لما فيها من الفضل العظيم والثواب الجسيم الذي لا يقدر قدره إلا الذي امتنَّ به من فيض فضله العميم وفضلها سيأتي في محله إن شاء الله تعالى وبعدها في الفضل **روح الصلوات** وهي **اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً** ثم **اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله** . فأنت مخير وباجتهاد الملقِّن الذي يلقن الورد فله النظر إن كان مَنْ يأخذ الورد من أهل الدين والصلاح وفيه أهلية ونسبة فيلقنه الفاتح لما أغلق ويأذنه في مرتبتها الظاهرة فقط لا غير وإلا يلقن روح الصلوات ووقته بعد صلاة الصبح إلى وقت الضحى وبعد صلاة العصر إلى صلاة العشاء **ومن فاته في هذين الوقتين لعذر فالنهار كله له وقت والليل كذلك ومن فاته ورد فليتداركه على ممر الدهر ومن أخذ هذا الورد وتركه تركاً كليّاً أو متهاوناً به حلت به عقوبة ويأتيه الهلاك** . انتهى .

وفي كتاب « رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم » ومن ترك هذا الورد ولم يفعله حتى غربت الشمس فلا قضاء عليه ومن أراد أن يقدم ورد الصبح ويفعله وقت السحر فله ذلك وفيه فضل عظيم لأن المرة الواحدة من صلاة الفاتح لما أغلق وقت السحر تعدل خمسمائة مرة منها في غير وقت السحر . انتهى ما هو المقصود فراجعه .

وفيه قال في « جواهر المعاني » وسألته ﵁ فمن احتلم في السفر ولم يقدر على الاغتسال بوجه من الوجوه هل يذكر جميع ما عنده من الأوراد فأجاب ﵁ بقوله أنه يتيمم ويذكر جميع أوراده كالسيفي وغيره إلا الفاتحة بنية الاسم فلا يقرأها ولو طال الحال إلى الأبد إلا بطهارة مائية كاملة . انتهى ٩٠ ج٢ .

وقال في « جواهر المعاني » **ومن ترك الورد فعليه قضاؤه ومن ترك الوظيفة**[١] **فلا قضاء عليه** . انتهى ٨٧ ج١ .

ورأيت في « رماح حزب الرحيم » ما حاصله أن من أراد أن يقدم ورد الصبح ويفعله وقت السحر فله ذلك . انتهى .

ورأيت فيه أيضاً وللمسافر إذا صلى الظهر أن يقدم ورد المساء ويفعله بعد صلاة الظهر لمشقة تداركه في التأخير . انتهى .

قال مؤلف « النور الساطع » قدس سره بعد ذكره ما مر من أوراد الشاذلية فإن تهذبت منه الأخلاق وشد للخدمة النطاق وانشرح للذكر قلبه واطمأن به لبه يلقِّنه حينئذ الذكر الخاص المقصور على الخواص لأن ذاكره يحتاج إلى استعداد كبير وتخلٍّ عن كل ما يشغله من جليل وحقير مع مخالفة هواه ومفارقة ما يهواه وتقليله من لغو الكلام والأكل والشرب ليقل نومه ويخف بدنه فيسهل عليه القيام والتهجد والناس نيام **ويكون في حال الذكر طاهر البدن والثياب على وضوء مستقبل القبلة حاضر القلب مع الله بالحضور التام** مستوحشاً من الخلق مستأنساً بالحق

---

(١) وقراءة الصلاة المشيشية الممزوجية الشاذلية من الوظائف (منه) .

سائراً بالصدق مخلصاً في أعماله إخلاصاً كاملاً لمولاه لا يريد بها سواه صارفاً همّته في الوصول غاضّاً نظره عمن سواه وهو المأمول مشمراً عن ساعد الجد . انتهى .

وفي « الرسالة » في فضائل الذكر و**أجمع العلماء على جواز الذكر بالقلب واللسان للمحدث والجنب والحائض والنفساء** وكذلك التسبيح والتحميد والتهليل . انتهى في١١ .

وفيه في ١٢ فيؤكد ذكر الله تعالى في جميع الأحوال لكن يستثنى من الذكر القرآن حال الجنابة بقصده فإنه حرام ويستثنى من عمومه أيضاً المجامع وقاضي الحاجة فيكره لهما الذكر اللساني **أما القلبي فمستحب على كل حال** . انتهى .

وفيه في ١٣ أن أفضل ما أعطاه الله لعباده في الدنيا الذكر وأفضل ما أعطاهم في العقبى النظر إليه سبحانه وتعالى . **فذكر الله في الدنيا كالنظر إليه في الآخرة .**

وفيه في حديث « اذكر الله فإنه عون لك على ما تطلب » أي لأنه مساعد لك في تحصيل مطلوبك لأنه سبحانه وتعالى يحب أن يذكر ولو من فاسق فإذا ذكره ثم دعاه أعطاه ما تمنّاه ولهذا قال بعض الصوفية الإعراض عن الذكر يشوش الرزق المعنوي ويضيق المعيشة الروحانية . انتهى ١٣ .

وكتب الشيخ خالد سيف الله قدس سره إذا سئل عن الاسم الخاص المذكور آنفاً بما نصه الاسم المفرد الخاص هو الله . ثم اعلم أيها المأمون هو مقام عظيمُ الأَسْمى عليٌّ المرمى يحتاج إلى بسط بسيط فاكتفينا

عن ذكره عملاً بالأسهل لكن نختصر بأخصر عبارة بإتيان بيان قليل وإن كان خارجاً عن المراد إن للأسماء حقائق وخصائص ليس هذا محل ذكرها فالمقامات مثلاً محصولة على سبع وسبعة سير مع أذكار وأسماء .

فالمقام الأول النفس الأمَّارة مقام الظلمات والكدورات المتعلقة للأغيار والذكر في البدن لا إله إلا الله ووارده الشريعة وسيره إلى الله .

والمقام الثاني نفس لوامة مقام الأنوار وذكره الله ووارده الطريقة وصفاته اللوم والحسد عالمه البرزخ حاله المحبة سيره من الله .

والمقام الثالث نفس ملهمة ذكره هو هو هو وارده المعرفة عالمه الأرواح محله الروح سيره على الله وصفاته العلم والسخاء وحاله العشق .

والمقام الرابع مقام كمال نفس مطمئنة ذكره حق حق حق وارده بعض أسرار الشريعة عالمه حقيقة محمدية محله سر ، سيره مع الله حاله الاطمئنانية الصادقة صفاته الجود والإيثار والتوكل .

والمقام الخامس نفس راضية وهو مقام الوصال ذكره حي حي حي ليس له الوارد وعالمه اللاهوت ومحله سر السر وسيره في الله وحاله الفناء .

والمقام السادس نفس مرضية وهو مقام تجليات الأفعال ذكره قيوم قيوم قيوم وارده الشريعة وعالمه الشهادة محله الخفي سيره عن الله وحاله الحيرة وصفاته التخلق بأخلاق الحق .

والمقام السابع نفس كاملة مقام تجليات الصفات والأسماء ذكره قهار قهار قهار وارده هي الواردات التي تبين جميع النفوس وعالمه الكثرة

في الوحدة والوحدة في الكثرة ومحله الأخفى وسيره بالله وحاله البقاء وصفاته هي الأوصاف الحميدة من جميع صفات النفوس .

وهذه الأسماء أئمة الأسماء ويقال لها الأسماء الإلهية وهي أيضاً أصول الأسماء فلكل نفس اسم خاص وأصحاب الطرق الذين كانوا للشاذلية كالخلوتية يستعملون كذلك ولكن غنينا عن ذكر البسط لكون ذلك خارجاً عن مرادكم وإن بسطنا الكلام لاحتاج إلى أرجوزة مستقلة . انتهى من خطه قدس سره .

وأما فضل طريق الإمام الشاذلي فمذكور في الكتب ولأجل الترغيب كتبت هذه الكلمات وفق ما فيها ومن أراد له فوز عز الدارين فليدخل في طريقه يوماً أو يومين وفي رواية عنه من أراد غنى الدارين فليدخل في مذهبنا يومين فطريق الإمام الشاذلي فإنه واضح في الفضل[1] عند من في المشرقين فضع ولو قدماً على ما آثره فإن ذاك كالأخذ منه باليدين وهو أفضل الطرق وأسهلها بعد النقشي[2] عند أرباب العِلْمين[3] ويأخذ يدَ من سلكه سريعاً وليس فيه مشقة الرياضتين[4] وقد قال إن ابتداء طريقه نهاية

---

(١) قال محمد المغربي أعطي الشاذلية ثلاثاً لم تحصل لمن قبلهم ولا لمن بعدهم . الأول أنهم مختارون في اللوح المحفوظ الثاني أن المجذوب منهم يرجع إلى الصحو الثالث أن القطب منهم إلى يوم القيامة .

وقال أي الشيخ الشاذلي قدس سره أعطيت سجلاً مدَ البصر فيه أصحابي وأصحاب أصحابي إلى يوم القيامة عتقاء من النار . « متمات » « جامع الأصول » ١٠٢ .

(٢) أي بعد طريق النقشبندي وأما هو فهو أم الطرق وسلطانها كما هو مذكور في الكتب (منه) .

(٣) أي علم الباطن والظاهر .

(٤) وقال أي الشيخ الشاذلي قدس سره – لقد جئت في هذه الطريق بما لم يأت به أحد لأنه عين

طريق الكيلاني بلا مَيْن[١] فإن طريقه على الشكر مبني ورؤية الفضل والمن وعلى اللين وليس فيه كدُّ المجاهدة ولا عَناءُ رياضةٍ وتعب دفع رَيْن بل الاعتدال في الأمور يصحبها أهل السلوك بغير غبن ولا غين انتفت عن نفسهم هموم الرياضة فينبغي للأحرار المشي إليه بالرِّجْلين فكل صعب في غيره من الطرق ففيه سهل فخذه تملأ اليدين واشكر للخالق حيث أن أُهِّلت له أطعه يطعك واحمده على المنن تمسك بحبهم تشرب من مشربهم ولا تعدُ عنهم عيناً يوماً أو يومين . انتهى .

ولما كان في هذا الطريق السماع والوجد خلاف طريق النقشبندي كتب إلينا الشيخ المحترم سيف الله هذه الأبيات ليقرأها المريدون في مجالس الاجتماع للذكر وأنا أوردها هنا للتبرك وينبغي للسالك أن يحفظها ليقرأها في أثناء الذكر ليزيد بها الشوق والنشاط لأهل المجلس قال ﷺ

ا للهْ ا للهْ ا للهُ ا للهْ ا للهْ ا للهُ ا للهْ ا للهْ ا للهُ ا للهْ ا للهْ ا للهُ

يازُمْـرَةً قَـدْ تَاهُـو قُولُـوا جَمِيعـاً يَاهُـو ا للهْ ا للهْ ا للهُ بالقُـوَّةِ الـقَـلْبِيَّةْ

فَنَحْــنُ الشَــاذِلِيَّةْ كُؤسُـنَــا مَـلِـيَـةْ مِـنْ كَـفِّ شَـاذِلِيِّ حَامِـي حِمَـى البَرِيَّـةْ

غَوْثِـي أَبُــو الحَسَـنِ قُطْـبُ الهُـدى اليَمَنِى سُــلاَلَةُ الـمَدَنِي مِـنْ نَفْحَـةِ السبطِية

يَـا أَبَـا الحَسَـنْ عَلِـي يَـا نُـورَ عَيْـنِ العَلِـي يَـا بَهْجَـةَ البَتُولِـي ذُو الهِمَّـةِ السَّـنِيَّةْ

أَشْعــارُهُ أَسْــرَارٌ آثَــارُهُ أَنْــوَارٌ أَتْبَـاعُـهُ أَبْـــرَارٌ أَعْـلاَمُ الإِسْـلاَمِيَّةْ

دَانَـتْ لَـهُ الرِّقَـابُ وَذَلَّـت الصِّعَـابُ وَزَالَـتِ الـعِتابُ بِالـوَارِدِ الـغَيْبِيَّة

طريق النقشبندية

(١) كذب .

هُنَّا لَـه الأَحْبَابُ وَارْتَفَعَ الخِطَابُ فَدَارَتِ الأَكْوَابُ بِالخَمْرَةِ الهُوِيَّة
بِذِكْرِهِ طَرِبْنَا مِنْ راحِهِ شَرِبْنَا مِنْ حُبِّهِ سَكَرْنَا بِالْجَذْبَةِ الفَيْضِيَّةْ
بِذَوْقِهِمْ قَدْ طَابُوا عَضُّوا لِمَا اسْتَطَابُوا بِوَجْدِهِمْ قَدْ غَابُوا فِي اللَذَّةِ الأُنْسِيَّة
يَا رَبَّنَا وَفِّقْنَا بِقُرْبِكُمْ حقِّقْنَا بِالشَّاذِلِي رَوِّقْنا(٢) شَرَابَ الوَاحِدِيَّة
طَيِّبْ لنَا المُذَاقَا وَزِدْ لَنَا التَّوْفِيقَا وَعَافِنَا النِفَاقَا بِلُطْفِكَ الوَفِيَّة
كَمْ هَامَ فِي هَوَاهُ كَمْ حَامَ فِي حِمَاهُ كَمْ فَازَ مَنْ لاَقَاهُ بِالصُّحْبَةِ المَعِيَّة
كَمْ قَدَّ مَنْ آذَاهُ كم شَذَّ مَنْ شَاذَاهُ كَمْ نَالَ مَنْ وَالَاهُ للحظ القيومية
وَكَمْ لَهُ آيَاتٌ بَدَتْ وَكَرَامَاتٌ وَكُلُّهَا أَثْبَاتٌ بِالغَوْثِ وَالفَرْدِيَّة
يَا رَبَّنَا مَتِّعْنَا فِي فَيْضِ شَاذِلِينَا بِخُلْقِهِ أَيِّدْنَا يَا بَاسِطَ العَلِيَّة
صَلَى اللهُ وَسَلَّمْ عَلَى الهَادِي المُكَرَّمْ مَعْ صَفِّهِ المُفَخَّمْ وَالسَّادَةِ الصُّوفِيَّة
مِسْكِين خَالِد سَيْفُ اللهْ أَقَلُّ عِبَادِ اللهْ رجائُهُ عَفْوُ اللهْ مِنْ فَرْطِه النَّفْسِيَّة

وذيله الحقير بذكر سلسلة المشائخ على وزن نظمه قدس سره فقال:

حَسَنْ حِلْمِي عَبْدُ الله مُحِبُّ رِجَالِ اللهْ مَطْلُوبُهُ فَيْضُ اللهْ بِالرَأْفَةِ الوَهْبِيَّة
وَإِنَّهُ مُفْلِسٌ مِنْ نَفْسِهِ آئِسٌ فِي الوِزْرِ مُنْغَمِسٌ بِالفِطْرَةِ الأَصلِيَّة
لَكِنْ يَرْجُو النَّوَالاَ وَيَطْلُبُ الافْضَالاَ وَيَكْرَهُ الفُضُولاَ بِالهِمَّةِ العَقْلِيَّة
يَا رَبِّ اغْفِرْ أَوْزَارًا وَإِنْ عُدْنَا مِرَارًا وَاقْبَلْ مِنَّا أَعْذَارًا بِحَقِّ الشَّاذِلِيَّة
وَكُنْ لَنَا يَا رَبِّي وَارْضَ عَنَّا المُرَبِّي وَشَيْخَنَا المُذَبِّي وَسْوَسَةً صَدْرِيَّة
وَارْزُقْ لَنَا القَبُولاَ وَدُلَّنَا السَّبِيلاَ وَحَرِّزِ الأَعْمَالاَ عَنْ حَظَّةٍ نَفْسِيَّة
بِجَاهِ مَنْ قَدْ بَدَا مِنْهُ الكَوْنُ وَهَدَى مُحَمَّدٍ قَد عَدَا أَعْدَاءً شَيْطَانِيَّة
عَلَيْهِ أَذْكَى الصَّلاةِ وَالسَّلَامِ وَلاَ تَطْرُدْ لَنَا الأَعْمَالاَ بِالسَّادَةِ العَلِيَّة
بِحَقِّ عَلِيِّن الـعَلِيِّ ثُمَّ ابْنِهِ الـ الحَسَنِ وَالجَابِرِ المَيْمُونِ بِالتَّبْعِيَّة

وَالقُطْبِ الشَّيْخِ سَعِيدْ وَالقُطْبِ فَتْحِ السُّعُودِ وَسَعْدٍ ثُمَّ سَعِيدْ أَكْرِمْنَا بِالفَيْضِيَة
بِأَحْمَدَ المَرْوَانِي وَإِبْرَاهِيمَ البَصْرِي زَيْنِ الدِّينِ القِزْوِينِي قِ الحَالَةَ الفَحْشِيَّة
بِحقِّ شَمْسِ الدِينِ بِحَقِّ تَاجِ الدِينِ عَلِيٍّ نُورِ الدِّينِ جَمِّلْنَا بِالمَرْضِيَّة
بِحُرْمَةِ فَخْرِ الدِّين بِحَقِّ تُقَيِّ الدِّين عَبْدِالرَحْمَانْ مَجْدِالدِّينِ ذِي السُّنَّةِ السَّنِيَّة
وَالقُطْبِ عَبْدِ السَّلَامْ عَلِيٍّ قُطْبِ الأَنَامِ وَالمُرْسِي سَامِي الكَلَامْ أَدِرْ لَنَا العَطِيَّة
ومُظْهِرِ الحِكَمِ مُحَكِّم الكَلِمِ اِبْنِ العَطَا الفَهِمِ ذِي الشِّيَمِ الرَّضِيَّة
وَدَاوُدَ البَاخِلِي فِي فَيْضِهِ أَمَلِي بَدْرِ الرَّشَادِ الجَلِي ذِي الخَصْلَةِ البَهِيَّة
مُحَمَدْ بَحْرُ الصَّفاَ عَلِيٌّ بْنِ الوَفاَ ويَحْيَ زِدْ شَرَفاً ياَ بارِئَ البَرِيَةْ
بِأَبِي العَبَاسِ أَحْمَدْ وَسَيِّدْ زَرُّوقْ أَحْمَدْ إِبْرَاهِيم مُعْطِي المَدَدْ بِالجَذْبَةِ الوَهْبِيَّة
سَيِّد عَلِي الصّنهَاجِي عَبْدِ الرَّحمَنِ النَّاجِي يُوسُفِ الفَاسِي الرَّاجِي لِلرَّحْمَةِ القُدْسِيَّة
عَبْدِ الرَّحمَنِ سَيِّدِي مُحَمَّدْ مُعْتَمَدِي غَوْثِي قَاسِمْ سَنَدِي ذِي الخُلْقَةِ العِلْميَّة
أَبِي العَبَّاسِ أَحْمَدْ سَيِّدِي العَرَبِي قَدْ حَظَى الفَيْضَ وَالمَدَدْ مِنْ حَضْرَةٍ ذَاتِيَّة
بِحَقِّ أَبِي الحَسَنْ أَطْلُبُ مِنْكَ المِنَنْ فَطَيِّب مِنِّي العَلَنْ وَالخَطْرَةَ القَلْبِيَّة
بِسَيِّدِي العَرَبِي وَزِدْ بِكَ جَذَبِي مُحَمَّدْ فِنْجِير أَبِي أَرْوَاحُنَا العُلْوِيَّة
ثُمَّ حَبِيبِ الرَّحْمَنْ بَحْرُ أَهَالِي الإِيمَانْ إِلَيْهِ كُلُّ الأَمَانْ بِالنَظْرَةِ الجَلِيَّة
مُحَمَّدْ عَلِي ظَاهِرْ مُحَمَّدْ صَالِحْ طَاهِرْ وَسَيْفِ اللهِ البَاهِرْ بِالكِسْوَةِ القُطْبِيَّة
وَقَدْ فَازَ سَيْفُ اللهْ حَظّاً من تَجَلِّي اللهِ فَانٍ وَبَاقٍ بِاللهْ بِالرَّحْمَةِ الوُسْعِيَة
وَتَمَّ بَقَاؤُهُ نَقْشُبَنْدِيٌّ وَهُوَ كِيلَانِيٌّ رَبَّاهُ لَاقَاهُ بِالرُّوحِيّة
فَصَارَ أُوَيْسِيّاً رَاضِياً وَمَرْضِيّاً حَازَ حَظّاً وَهبِيّاً فِي الزُّمْرَةِ العُلْوِيَّة
لَكَ الحَمْدُ يَا رَبِّي لَكَ الشُكْرُ يَا رَبِّي وَجِّه لَنَا المُرَبِّي بِالوِجْهَةِ الكُلِّيَّة
وَصَلِّ عَلَى الهَادِي مُحَمَّدٍ سَيِّدِي وَآلِهِ المُهْتَدِي بِالسُّنَّةِ الشَّرعِيَّة

اعلم يا ولدي أن لكل طريق مطلباً خاصّاً ولكل شيخ مقصداً خالصاً فمن المشائخ من يجتنب السماع والرقص والاضطراب كالإمام النقشبندي ﷺ . قال قدس سره ما معناه نحن ما نفعل هذا الأمر لكونه مخالفاً للطريق الخاص بنا ولا ننكره أيضاً لكونه معمولاً عند مشائخ آخر . انتهى . **فينبغي لمن أراد الوصول إلى المطلب الخاص بهذا الطريق**(١) **المتوسط أن يجتنب عن هذه الأمور** ومنهم من يجوزون السماع والتواجد ويجعلون الآثار المترتبة عليهما من المطالب الخاص بطرقهم وينشدون الأبيات والأوزان لما فيها من التأثير ففي « الإحياء » إن لوزن الكلام بذوق الشعر تأثيراً في النفس فليس الصوت الموزون الطيب كالصوت الطيب الذي ليس بموزون وإنما يوجد الوزن في الشعر دون الآيات ولو زحف المغني البيت الذي ينشده أو لحن فيه أو مال عن حد تلك الطريقة في اللحن لاضطرب القلب وتشوش **فالوزن إذن مؤثر فلذلك طاب الشعر** . انتهى ٣٠٠ ج٢ .

وفيه والسماع يؤثر في تصفية القلب . انتهى .

وفيه وينبعث نشاط القلب بقوة السماع . انتهى

وفيه وقال بعضهم نتائج السماع استنهاض العاجز من الرأي واستجلاب العازب من الأفكار وحدة الكال من الأفهام والآراء حتى يثوب(٢) ما عزب(٣)

---

(١) أي الطريق النقشيّ .

(٢) أي يرجع « اتحاف » .

(٣) أي غاب (منه) .

وينهض ما عجز ويصفو ما كدر ويخرج في كل رأي ونية فيصيب ولا يخطىء ويأتي ولا يبطىء . انتهى .

ومن عادات السادات الشاذلية إنشاء الأشعار ليحصل بسماعها الوجد والحال **لكن ينبغي للسالك أن يتفطن وينضبط نفسه مع القدرة إلا عند غلبة الحال** لئلا يقع في التصنع والرياء وهي أن ترى من نفسك حالاً ليست فيك .

وفي « الإحياء » إن ذلك شر من أن تغتاب ثلاثين سنة . فراجعه في ٢٠٤ ج٢ .

وفيه فإن قلت الأفضل هو الذي لا يحركه السماع ولا يؤثر في ظاهره أو الذي يظهر عليه فاعلم أن عدم الظهور تارة يكون لضعف الوارد من الوجد فهو نقصان وتارة يكون مع قوة الوجد في الباطن ولكن لا يظهر لكمال القوة على ضبط الجوارح فهو كمال وتارة يكون لكون حال الوجد ملازماً و مصاحباً في الأحوال كلها فلا يتبين للسماع مزيد تأثير وهو غاية الكمال فإن صاحب الوجد في غالب الأحوال لا يدوم وجده **فمن هو في وجد دائم فهو المرابط للحق والملازم لعين الشهود** فهذا لا تغيره طوارق الأحوال ولا يبعد أن تكون الإشارة بقول الصديق رضي الله عنه كنا[1] كما كنتم ثم قست قلوبنا . معناه قويت قلوبنا واشتدت فصارت تطيق ملازمة الوجد في كل الأحوال فنحن في سماع معاني القرآن على الدوام فلا يكون القرآن جديداً في حقنا طارئاً علينا حتى نتأثر به . انتهى .

---

(١) قال ذلك حيث رأى الأعراب يقدمون من سكان البوادي إلى المدينة فيسمعون القرآن ويبكون (منه) .

وقد أنشدت هذه الأبيات ليقرأها النقيب في مجلس الاجتماع لقراءة ختم الشاذليين فقلت[١] وبالله التوفيق

شَاذِلِي چَكُ وُكِبْ زَمَانْ نِجِي شِجُ ... اِصُلْ هُرْمَدَ بِرْچَنْ فَيْدَ بُسِز شِجُ[٢]

اِصْدِ خُنْ صُحْبَةْ هَبُنْ بَرْكَةْ طَلبْ هَبِزِي ... اِصُلْ زَمَنَيَلْدَ رِجُنْكِ نِجْ رُكِنْجُ[٣]

كِنّكِ اِوْ وُقِيَلِ اِصُلْ اَثَارَلْ هَرُنْ ... بِچَصْدِ عَكَرْ لِزِ اِوْ وَاسِطَه لُِنْ كُّنَ[٤]

يَا أَبَا الحَسَنْ عَلِي اَمَنْ نِجِيْ شَفاعَةْ ... كِعَنْ عَصِيَلْ نِك هَبِ نِجِي كُمَكْ

مُنْكِ رَقُلْ وُقَرَبْ بَيْتُ الْمَالْ هَبْ دُنِيالْ ... بِرْدَ مُنْ وِكُّلَرِبْ چُنْتَرَبْ هَبْ زَمَنَ

اُرْخُّلَ شَهَرَلْدَ شَاذِلِي طَدْ كّدَرَبْ ... عِشْقُلَ دُنْ رَقَلْدِ اَبُو الحَسَنْ وُقَرَبْ[٥]

عَجَبَا هَلْ عُرَلْكُ لِمْ قُنْ رَقَنْ أُنَرِلْ ... فِيضْ شَخُلِبْ رَلِدْ رَقُلِ قَرَلْدَصَ

تَمَشَ هَبْ رَقَلْدَ عُرْشِّنَبْ خِرْ بِجُلِبْ ... بَرْكَةْ شَخُلِبْ سَحَابْ دُنْيَالْ تُنْ نَقْلُ لِدَلْ[٦]

---

(١) هكذا وردت الأبيات في الأصل . ووردت في أصل آخر وتحت كل بيت ترجمته وحرصاً مني على ضبط النص كما ورد مع إكمال الفائدة من الترجمة فقد أوردت ترجمة كل بيت في هذا الهامش هكذا

(٢) وقد قيل النظر إلى وجه الولي على جهة التعظيم له خير للمريد من عبادته وحده خمسين سنة . انتهى من « المنن » ١٣٩ ج١ . وفي الحديث « خياركم الذين إذا رؤوا ذكر الله » . انتهى .

(٣) فقد يصل المريد بصحبة واحدة مع شيخ إلى ما لا يصل إليه بمجاهدته في سنين عديدة لأن الشيخ يتصرف في المريد ويزيل عنه ما يحبط عمله من الرياء والعجب من حيث لا يشعر أو يقله بحسب استعداده وقد قيل إن للصحبة تأثيراً عظيماً والأحوال سارية والطبيعة سارقة . راجع .

(٤) قيل إن محبة الشيخ كافية في الاستفاضة وفي الحديث « المرء مع من أحب » . وقال الشاذلي قدس سره من أراد عز الدارين فليدخل في طريقنا هذا يوماً أو يومين وقال من قرأ حزبنا فله ما لنا وعليه ما علينا . انتهى « أي فله مالنا من الحرمة وعليه ما علينا من الرحمة » « هامش » .

(٥) وذلك أن بركة الولي يصل إلى كل موضع نزل به وقد يتبرك بما مسه أو قعد عليه أو وضع قدمه عليه كما هو مذكور في الكتب ولذا ينبغي أن يغتبط بمكان وصل إليه قدمه و دفن فيه جسده وقد يؤخذ الفيض من القبور ومن الأمكنة التى جلس عليها الأولياء ومن اللباس الذي لبسوه و لذا جرت عادة بإلباس الخرقة كما هو معلوم . انتهى (منه) .

(٦) يعنى إنما تمطر السماء وتنبت الأرض ببركة الأولياء ، وهم يكونون في الدنيا بعدد الأنبياء عليهم الصلاة و السلام ، ولو نقص واحد منهم لما أمطرت السماء قطرة ، ولما أنبتت الأرض ،

اِبِـلْ خُنْ نَخ تَـرَلْ أَيْتَامَلْ عَـدِنْ نِج تُنْ   اَرَوِشْـخَ شَـاذِلِي مَـلأُ الاَعْلَـى يَلْـدِي
بَرْكَ دُي هِبْ أَلْجَنْ شَرَبْ دُيْ هَنْج رَاحَةْ   أَمَنْ نِجِيْ شَفَاعَةْ شَ نِجْكِ دُرْ رَكَلْدِي
يَا رَبِّ نِجرْ اَللّٰهْ شَـاذِلِيَـص عُلُ هَـبْ   نِجرْ مَجْلِسْ دُصَ لِكَبْ مَجْلِسْـــلِنْ هَبِ
كِنَلْـكُ شَـاذِلِيَلْ شَـيِخْ زَبَـــزِ عُـلُ   مُـنْ كُـرِبْ خِيَـالْ دُصَ رَكَلْدِ شِّـزِتُكِ
يَـادَنْ دِلِرَبْ قُوَ رِخْــص نُجُــصَّ اَللّٰهْ   اَللّٰهْ كُـرِبْ كُجُنْ تُـن رُصَ نُجْ اَللّٰهَ صْدِ
مَزَلْـدَ رَكْـكِ رِقُــنْ اَبِ نُـجْ اَللّٰهْ اَللّٰهْ   كَمِلَـبْ حُضُـورْ هَبُـنْ حَلْقَيَلْـدَ دَنْدِلُنْ
سُسَزُلْ(٧) كِرَلــكِ كُّنْ كِـنَــزْكُ اَبِ اَللّٰهْ   بِجَصُلْ حَضْرَتَلْدَ رَخُنْ جُنْ خُشُـوعَلْدَ
غَفْلَـةْ نَخ اِنْزِبُنْ اَحْـدِ نُـجْ اَللّٰهَ صْــدِ   اَللّٰهْ اَللّٰهُ يَاهُـو اَللّٰهْ اَللّٰهُ يَاهُـو
عَلِـي الشَّـاذِلِيَصُلْ بَرْكَـةْ شِّـزَبِ يَاهُو   نِـجْ اِصُـلْ طَرِيقَـلِلِ رِطَنْ جِّـزَرِ يَا هُو
دُيْ عُـلُ دَنْدِلِـرَلْ نِـجْ جُـرُكُ رِشَّــكِ   اِسْـتِقَامَةْ تَوْفِيـقْ قِ يامَنْ لَيْـسَ إلاَّ هُو
اَللّٰهْ اَللّٰهْ اَللّٰهُ اَللّٰهْ اَللّٰهْ اَللّٰهُ   اَللّٰهْ اَللّٰهْ اَللّٰهُ اَللّٰهْ اَللّٰهْ اَللّٰهُ

نظرهم شفاء للعلل المعنوية ، وكلامهم دواء للأمراض الباطنة ، بهم يمطرون ، وبهم يرزقون كما هو مذكور في « الدرر المكنونات » راجعه (منه) .

(٧) لما أن العادة قد جرت بين الشاذليين على أنهم يتحلّقون يذكرون الله بـ(لا إله إلا الله) ثم ينشد واحد منهم شعراً لائقاً بالمجلس ليحصل لهم به النشاط والوجد ثم يذكرون الله تعالى بلفظ الجلالة وبـ(هو هو) والحال أنهم قائمون آخذون بأيدي بعضهم بعضاً وذلك للتفاؤل ليأخذ الناجح* منهم يد الهالك (يوم الفزع الأكبر) كذا ذكره شيخنا خالد سيف الله الحسيني قدس سره و نور ضريحه و رزقنا فيضه وبركته آمين (منه رحم الله إفلاسه) .

وكان أبوهما صالحاً وفيه دليل على أن تقوي الأصول تنفع الفروع « صاوي » عبارته ٩١ .﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ﴾ .. إلخ . والحكمة في تلقي رسول الله عن جبريل ظاهراً أنه يكون سنة متبعة لأمّته فهم مأمورون بالتلقي من أفواه المشائخ ولا يفلح من أخذ العلم والقرآن من السطور بل التلقي له سر آخر . « صاوي » عبارته ١٥ .

الترغيب السابع

في بيان وظائف الشاذليين[١] الذي أجازني فيها الشيخ الكامل خالد سيف الله قدس سره وفي بيان منافعها وخواصها وفضائلها

فمنها حزب[٢] البحر لسيدي أبي الحسن علي الشاذلي نفعنا الله به آمين . قال مؤلف « رماح حزب الرحيم » وأما حزب البحر فهو من إملاء رسول الله ﷺ عن شيخ الطريقة والحقيقة أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه وأرضاه ثم أخذه شيخنا وسندنا أحمد بن محمد التجاني رضي الله عنه عن النبي ﷺ وقيل إن فيه اسم الله الأعظم وفيه خاصية التحصين في البر والبحر مع الإذن الصحيح من أربابه وفيه كيفيات في قراءته وفي تحصينه ومن أرادها فليطلبها من أربابها ويأت[٣] البيوت من أبوابها . انتهى ما في « جواهر المعاني » .

قلت[٤] فها أنا أذكر لك بعض فضائله وخواصه أما فضله فيتبين بوجوه

أولها أن معظمه مأخوذ من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وقد تضمن نحواً من ست وثمانين آية من كتاب الله تعالى ومن الأذكار المذكورة ست أحاديث ونحواً من أربعين اسماً من أسماء الله تعالى وقال بعض أكابر الأولياء إن فيه اسم الله الأعظم في ثلاثة مواضع .

---

(١) غير ما ذكر من الأذكار (منه) .

(٢) الحزب الورد يعتاده الشخص من صلاة وقراءة وغير ذلك . وهو الطائفة من القرآن وغيره يوظّفها على نفسه يقرؤها . « مطالع المسرات » ١٣٤ .

(٣) وفي نسخة ويأتي .

(٤) وفي نسخة انتهى ما في « جواهر المعاني » . قلت . . . إلخ .

وثانيها انتشاره وشهرته في الأقطار حتى لقد أتهم[١] وأنجد وغار وطار في الأفاق كل مطار وشاع في البدو والحضر وسار في الناس مسير الشمس والقمر مشرقاً ومغرباً وشاماً وحجازاً ومصراً وكم ترى من بلدة هو يقرأ في مساجدها ونواحيها وكم من قرية هو مشهور فيها وقد حفظه الكثير من الصالحين والأولياء والصديقين يكررونه في الحاجات وعند الضرورات وفي المساء والبكرات ويستعيذون به عند المخوفات قد حفظه الأكابر والعلماء واعتنى به الأخيار والصلحاء وقد صار تمائم على الصدور وجعل حرزاً على النحور وعلى الدواب والحيوان ومسطوراً في البيوت والجدران وشاع في الناس وذاع وملئت به الأفواه والأسماع والأماكن والبقاع كما قيل

وأتهـم حـزب الأحمدية مشـرقاً ... كـبدر تـمام فـي الأنـام وأنجدا[٢]
وسـار بـه مـن لا يـسيـر مـشـمراً ... وفـاه بـه مـن لا يـفـوه مـردداً
وتسمـعه إن شئـت مـشرقاً ومغرباً ... وشـهـرتـه في الخلق كالنجـم موقداً
وفـي الركـب إن ساروا تلـوه تبـركاً ... وفـي القوم إن خـافوا به يأمـن العِدَا
وفـي الطفل إن يرقى تجـده مبـاركاً ... وفـي الحاج أن برجاً تـرى النجم قد بدا
وفـي البحـر فاذكـره يريك عـجـائباً ... وتـيسيـر أسـبـاب وأمـراً مـسـدداً
تـرى البحر مطواعاً ترى الـريح لـيناً ... ترى اللطف من قرب ترى الوقت مسعداً
فـأكـرم بهـذا مـن دعـاء مبـارك ... عظيم حجـاب ظـاهر النفـع والحدا

(١) (أتهم) أي دخل واشتهر وانتشر في بلدة أَتْهَمَ أي دخل في تهامة
(٢) وانجد أي دخل في نجد . وتهامة ونجد هما بلدتان من بلاد العرب (منه) .

وإنما قلت (وأتهم حزب الأحمدية) مع أن الشارح صاحب القصيدة إنما قال (وأتهم حزب الشاذلية) لكون[١] شيخنا أحمد التجاني ﷺ أخذ هذا الحزب عن النبي ﷺ مشافهة يقظة لا مناماً فلذلك نسبته إليه ﷺ وإلى أهل طريقته رضي الله عنهم أجمعين .

ولهذه الكثرة والانتشار سرٌّ باطن وعناية من الله تعالى ولولا وجود نفع به وتجربة لمنافعه لما كان هذا الانتشار والناس أكيس من أن يمدحوا رجلاً حتى يروا عنده آثار إحسان .

والوجه الثالث تجربته في الحالات وعند الضرورات وهذا باب واسع فكثير من الناس وجدوا البركة وحالة صادقة وأموراً ظاهرة وحكايات تجربته كثيرة منتشرة يضيق الوقت عن ذكرها .

قال بعضهم وقد اتفق لي منه أمور في بعض الحالات ولا سيما في الحروب ما يطول ذكره .

وأما بعض خواصه فقد جاء عن الشيخ أنه قال لو قُرىء حزبي في بغداد لما أُخِذَت وهو العدة[٢] الوافية والجنة[٣] الواقية التي فيها تفريج الكروب بلطائف الغيوب وما قرىء في مكان إلاّ سلم من الآفات وحُفِظَ من حوادث العاهات وفي ذكره لأهل البدايات أسرار شافية ولأهل النهايات أنوار صافية ومَن ذكره كل يوم عند طلوع الشمس

---

(١) وفي نسخة ليكون .

(٢) والعدة ما أعددته لحوادث الدهر من المال والسلاح « مخ » .

(٣) والجنة بالضم ما استتر به من سلاح (منه) .

أجاب الله تعالى دعوته وفرج كربته ورفع بين الناس قدره وشرح بالتوحيد صدره وسهل أمره وييسر عسره وكفاه شر الإنس والجن وأمّنه من شر طوارق الليل والنهار فلا يقع عليه بصر أحد إلا أحبه وإذا قرأه عند جبار أمِنَ من شَره ومن قرأه عقب كل صلاة أغناه الله تعالى عن خلقه وأمّنه من حوادث دهره وييسر عليه أسباب السعادة في حركاته وسكناته ومن أراد أن يبلغ مراده فليقرأ عقب صلاة الصبح سورة يس عشر مرات ثم يقرأ هذا الدعاء سبعين مرة فإن الله تعالى يبلغه مراده بإذنه ومن ذكره في الساعة الأولى من يوم الجمعة ألقى الله تعالى محبته في القلوب .

قال بعض العلماء من كتبه على شيء يكون محفوظاً بحول الله تعالى وقوته ومن استدام قراءته لا يموت غريقاً ولا حريقاً ولا بريقاً ولا شريقاً[١] وإذا احتبس الريح على أهل سفينة وذكروه جاءت الريح الطيبة بإذن الله تعالى ومن كتبه على سور مدينة أو حائط دار مديراً عليها حرس الله تعالى تلك المدينة من شرِّ طوارق الحدثان والآفات .

وله منفعة جليلة في الحروب وهو دعاء النصر والغلبة على سائر الخصوم .

قال الشيخ أحمد زروق **وأما التصرف بهذا الحزب فهو بحسب النية والهمة**[٢] يتصرف به في الجلب والدفع وينوي المراد عند قوله (وسخر لنا

(١) وقد شرق من باب طرب أي غصّ « مخ » .

(٢) الهمة تطلق على العزم القوي فيقال له همة عالية « مصباح » .

هذا البحر) كما قال ابن عباد رحمه الله تعالى فيما رأيته بخطه وهو صحيح ولولا خوف التطويل وإفشاء ما ينبغي كتمه لذكرت هنا العجائب والغرائب وفي ما كتبناه كفاية . انتهى ٩٦ ج٢ .

وفي « كشف الظنون » وهو دعاء مشهور سمي به[١] لأنه وضع في البحر للسلامة فيه حين سافر[٢] في بحر القلزم فتوقف عليهم الريح أياماً فرأى النبي ﷺ في مبشرة فلقنه إياه فقرأه فجاء الريح ويسمى أيضاً (بالحزب الصغير) انتهى ٤٣٤ ج١ .

قال العلامة زين العابدين المناوي في شرحه للحزب المذكور نقل بعض المشائخ الراسخين في تلاوة هذا الحزب أن التأثير موقوف على الإجازة والاستئذان ومن لم يستأذن فهو كالقاصد لجواز البحر من غير سفينة « فتح الملك المجيد » في ٥٧ .

وفي « الفيوضات الربانية » اعلم أن من الشروط في الدعوة بهذا الحزب الشريف التوبة النصوح وتقديم الصدقة بشيء من الحلال وأن يكون على طهارة كاملة هو وثيابه ويقعد مستقبل القبلة بالخضوع والخشوع ويقرأ الحزب بالحضور قبل طلوع الشمس وبعد العصر مرة ويبدأ أولاً بالفاتحة وآية الكرسي والإخلاص ثم قوله تعالى ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ﴾ إلى قوله ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ثم قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ الآية ثم ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ إلى آخر الفتح ثم ﴿لَوْ

(١) أي بحزب البحر .
(٢) شاذلي .

﴿أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ إلى آخر السورة ثم حروف الهجاء ٢٩ حرفاً بنفس واحد وهي أ ب . إلخ ثم أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ثم الصلاة على النبي ﷺ وهي « اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله بعدد العدد والمدد من الأزل إلى الأبد » ثم يستحضر روحانية سيدي الشيخ أبي الحسن الشاذلي قدس الله سره العالي كأنه حاضر لديه ويستمد منه ويسأله العون على كل ما يرضي الله تعالى ورسوله ﷺ ثم يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم يا علي إلخ انتهى ١٠١ .

ورأيت في هامش « مجموعة الأحزاب » ما نصه وكيفية قراءة هذا الحزب أن تستفتح بالآيات الثلاث الآتي بيانها الأولى[١] من الأنعام والثانية[٢] من آل عمران والثالثة من آخر[٣] الفتح ثم تقرأ الحروف التسعة والعشرين ثم يقرأ الحزب المبارك . انتهى .

ورأيت في هامشها أيضاً ما نصه فإذا وصلت إلى قولك حم السبع توجهت إلى الجهات الست يمين وأمام ويسار وخلف وفوق وتحت ثم تقول رفعت بالله كل بلاء يأتي من هذه الجهات الست واستجلبت بها كل خير يأتي من هذه الجهات الست ثم قل حم السابعة وخُط بها نفسك وجوانبك وامسح بها وجهك واستحضر مرادك في قلبك وكذا في موضع الإشارات المشار إليها في الحاشية بـ (قِفْ) . انتهى .

---

(١) ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ﴾ إلخ .
(٢) ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ﴾ إلخ .
(٣) ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ إلخ .

وفي هامشه أيضاً في موضع الحواميم ما نصُّه محل الإجابة يقرأ هنا هذا الدعاء سمعنا من الأستاذ اللهم لا تقتلني بغضبك ولا تهلكني بعذابك وعافني قبل ذلك اللهم لا تؤاخذني بسوء عملي ولا تسلط عليَّ من لا يرحمني وكفّ أيدي الظالمين عني يا حفيظ احفظني ويسر أموري وحصل مرادي .

وفي هامشه أيضاً ثم عند قولك (كهيعص كفايتنا) تضم إصبعاً من أصابع يدك اليمنى عند كل حرف منها وتبتدىء بالخنصر وتجعله للكاف وللهاء البنصر وللوسطى الياء وللسبابة العين وللإبهام الصاد لا تزال ضامّاً للأصابع إلى أن تصل إلى قولك (حمعسق حمايتنا) فتفتح الذي ضممت اخيرا واعتمد على ذلك . انتهى بحروفه .

وسألت شيخنا خالد سيف الله عن القول المار (وخُطَّ بها نفسك) إلخ وعن كيفيته فأمرَّ إصبعه على وسط نفسه ودارت بحم السابعة وخَطَّ بها نفسه كالدائرة . انتهى .

وسألته ﵁ أيضاً عما مرَّ من ضم الأصابع عند قوله (كهيعص) وانفتاحها عند قوله (حمعسق) فقال ما معناه يبتدىء بالضم من الخنصر[1] إلى الإبهام وفي الافتتاح يبتدىء من الإبهام إلى الخنصر . انتهى . لكن المفهوم من « المناقب الأحمدية » أن يبدأ بالخنصر[2] في القبض والبسط كما يأتي .

---

(١) فقال مُسَبِّحَةَ لْطَلُِنْ رَهِ أَبَنْ كِ بُكُ خَ دِرْ وَسْ . انتهى (منه) .

(٢) أي في غير هذا الموضع أي في قوله (كهيعص) (حمعسق) فافهم (منه) .

وأردت أن أورد هنا ما وصل لديَّ من فوائد « حزب البحر » وإن طال الكلام ولعل ذلك لا يخلو عن فائدة .

قال مؤلف « المناقب الأحمدية » في ١١٣ **المقام الرابع** في بيان بعض الفوائد والإشارات في دعاء حزب[١] البحر على ما هو معمول حضرة سيدي الوالد أسكنه الله تعالى في أعلى الدرجات كان يقول ﵁ طريق نصابه أن يقرأ ثلاثمائة وستين مرة وإذا أراد أن يكون عاملاً به فليقرأ في ثلاثة أيام في كل يوم مائة وعشرين مرة مع ترك الحيوانات الجلالية[٢] والجمالية أي اللحم واللبن والسمن والعسل وترك الثوم والبصل وأمثالهما

---

(١) ومما ينبغي أن يعلم أن قراءة الأحزاب ليس من وظائف المريدين بل هي وظيفة الخليفة الذي صار مرجع الطلبة ويفيد بتلك الأحزاب أرباب الحوائج والمضطرّين وأما المريدون فلا يلتفتون إليها إلاّ إذا وقعت الحاجة لدفع مكروه أو جلب محبوب لأن الواجب عليهم الذكر والفكر كما هو المفهوم مما في هامش « المناقب الأحمدية » في ١١٣ .

وفي « تقريب الأصول » ما رأينا قطّ أحداً وصل إلى الله تعالى بمجرّد قراءة الأحزاب والأوراد . انتهى . وفيه أن أمثال أرباب الأحزاب مثال شخص من أسافل الناس اشتغل بالدعاء ليلاً ونهاراً أن الله تعالى يزوجه بنت السلطان . انتهى راجعه في ٩٢ . فالحاصل لا شيء أنفع للمريد المبتدىء من ملازمة الذكر في جميع الأحوال والأوقات . ومما يوضح لك ذلك أن السيد علي بن ميمون المغربي لما تصرف في الشيخ علوان الحموي وهو كان مفتياً مدرساً فنهاه عن الكلّ وأشغله بالذكر فطعن الجهال فيه بأنه أضلّ شيخ الإسلام ومنعه عن نفع الأنام ثم بلغ السيّد أنه يقرأ القرأن أحياناً فمنعه منه فقال الناس أنه زنديق يمنع من تلاوة القرأن الذي هو قطب الإيمان وغوث الإيقان لكن طاوعه المريد إلى أن حصل له المزيد وانجلت مرآة قلبه وحصل له مشاهدة ربه فأذن في قراءة القرآن فلما فتح المصحف فتح عليه الفتوحات الأزلية والأبدية وظهر له كنوز المعارف والعوارف الظاهرية والباطنية فقال السيّد أنا ما كنت أمنعك من القرآن وإنما كنت أمنعك من اللقلقة والغفلة عما فيه من البيان في هذا الشأن والله المستعان . رواه مالك وأحمد والترمذي وابن ماجه انتهى كلام « المرقاة » كذا في « كنز المعارف » للشيخ سيف الله ﷷ من خطه ٣٣٦ .

(٢) قوله (الجلالية) وبالجملة الحيوان جلالي وما يخرج منه جمالي عند المتقدمين من هامش « مناقب الأحمدية » .

وإذا أراد أن يشرع في الحزب المذكور لا بد أن يغتسل أولاً ويستعمل الطيب على بدنه وثوبه ويلبس غير مخيط جديداً كان أو غسيلاً ويشتغل بالقراءة في المسجد معتكفاً صائماً ومستقبلاً فإن سبقه الحدث يتوضأ ويصلي شفعاً ويتم الحزب ويغتسل عند شروعه في كل يوم ويجعله ورداً بالشرائط المذكورة وإلا خيف عليه الرجعة فلا بد أن لا يجعل شرطاً منها مفقوداً إلى إتمام الدعوة وبعد فراغه الأفضل أن يجعل القراءة مقررة في الأوقات الخمسة أي عقيب الصلوات الخمس ولو لم يؤدّ في وقت تداركه في وقت آخر .

وبالجملة لا ينقص من خمس مرات في كل يوم وليلة فلو لم يستطع فلا يجعل أقل من ثلاث مرات بعد صلاة الفجر والعصر والمغرب وإذا وقعت حاجة أحياناً فليقرأ فقرة من الحزب المذكور مناسبة لمطلبه مع اسم من الأسماء الإلهية أو آية من الآيات القرانية ملائماً لمقصوده سبعين مرة ويكررها جاعلاً صورة المطلوب في نظره بأن يشرع في الحزب أولاً وإذا انتهى إلى الفقرة قرأها بالطريق المذكور ثم يتم الحزب هكذا يفعل سبع مرات في الخلوة بعد الغسل والصلاة بالحضور والتوجه التام ليتوجه حين القراءة إلى روح الشيخ أبي الحسن الشاذلي قدس سره مستمدّاً منه حتى يكون مؤثراً تامّاً .

وقال جماعة من أهل الدعوة من أراد العمل في حزب البحر يصوم يوم الأربعاء والخميس والجمعة مع الإعتكاف وترك الحيوانات الجلالية والجمالية بنية النصاب ويقرأ كل يوم بعد الغسل والصلاة مائة وعشرين مرة ويقرأ في اثنى عشر يوماً أيام ازدياد نور القمر [كلّ] يوم ثلاثين مرة .

يقول الفقير عفى الله تعالى عنه اختيار هذا العدد لأجل أن درجات الشمس ثلاث مائة وستين في ضمن المثلثات الأربعة أو البروج الاثني عشرية والله أعلم .

وإذا خاف من السلطان أو السبع فليقرأ هذا الحزب سبع مرات فينفخ على يده اليمنى فيمسح بها جميع بدنه .

ولو تحير في أمر يقرأ في مقام خال نظيف بعد الغسل والصلاة خمس مرات أو سبع مرات . وللحب اثنى عشرة مرة أو سبعة يقرأ على ماء الورد وإذا بلغ إلى قوله (**وهب لنا**) كرر سبعين مرة قوله تعالى ﴿يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾ ثم يقول يا رب اجعل محبة فلان ابن فلان في فلان ابن فلان ويفعل على هذا الترتيب ثلاثة أيام وإذا استقبل ذلك الشخص فليأخذ قليلاً من ماء الورد يدلكه على كفه ويمسح به وجهه .

ولقهر الأعداء يقرأ اثنى عشر يوماً في كل يوم ثلاثاً وعند بلوغه إلى قوله و(**اطمس على وجوه أعدائنا**) و(**شاهت الوجوه**) يشير إلى العدو والله تعالى أعلم .

وأيضاً يقول رضي الله عنه من قوله (**يا علي**) إلى قوله (**رحيم**) هذه الفقرة داخلة في الجمال بمعنى أن للصورة المثالية التي تظهر من طلب هذه الفقرة مناسبة لإصلاح النفوس فالمناسب أنَّه إن كان ملكاً أو رئيساً وكان في خاطره أن لا يخالفه الرعايا بل أن يوافقوه ويحبوه وتظهر تربيته لهم على وفق الشرع والعقل ويتهيأ أموره من الغيب فليداوم على هذه الفقرة وليعتمد عليها .

ومن قوله (**نسألك**) إلى قوله (**الغيوب**) من وقع من حسن الحال إلى خلافه كالتبذير والفسق واللهو والجبن والعي أو يشوِّشه حديث النفس تناسبه هذه الفقرة كثيراً فإكثارها منج من البليات المذكورات .

ومن قوله فقد ﴿ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ إلى ﴿غُرُورٗا﴾ يصلح لمعنيين باعتبار أعمال تصريفه **الأول** أنه يعالج به من ابتلي بحزن القلب وتشتت الخاطر وحديث النفس وهجوم الخواطر فليقرأ هذه الفقرة مع سابقها كثيراً . **والثاني** من وقع في حادثة واتفق أحباؤه مع أعدائه في القيل والقال فأراد تدارك هذا الخلل لا بد من تلاوة تلك الفقرة مع فقرة (**فثبتنا وانصرنا**) مع المبالغة ويتذكر صورة الأحباب ومقاولاتهم عند التلفظ بهذه الفقرة إلى قوله ﴿شَدِيدٗا﴾ و يشير بيده إلى الرد والإبطال ويلاحظ صور الأعداء ومجادلاتهم حين التكلم بقوله ﴿وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾ إلى ﴿غُرُورٗا﴾ مشيراً إلى الرد والإبطال .

ومن قوله (**فثبتنا**) . . إلى ﴿بِكُلِّ شَيۡءٍ﴾ إذا تحارب جمع مع أعدائهم وهيأ كلٌّ عدداً حسب وسعهم طالباً للغلبة على الآخر بجهدهم وهممهم فهذه الفقرة بكثرة تلاوتها صالحة لأن يتحقق حال الحرب لطيفة غيبية ويحصل الفتح على الأعداء وكذا إذا استقبله أمر مغلق عجزوا عن تدبيره أو مرض صعب لا يقدر الأطباء على معالجته فبإكثار تلاوة هذه الفقرة تظهر لطيفة غيبية يحصل حل الأمر المشكل بها والشفاء عن عضال الداء .

ومن قوله ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ إلى ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ هذه الفقرة داخلة في سعادة الزهرة ففي باب الزروع وحسن نبات الأشجار لابد من جعله مكسراً في مثمن ليحصل سعادة المشترى أيضاً وليكتب على لوح من الخشب بالخط الجلي وليعلق على البساتين والزروع في موضع عال وليكتب لثمر الشجر المعين على ورق بعصارة ثمره وللجمال والقبول ولفرح الشخص يكتب على كاغذ بالمسك وماء الورد فيشده على رأسه وإن كانت امرأة تكتب مخمساً بهذه الصفة من (**انصرنا**) إلى (**ارزقنا**) .

ومن قوله ﴿وَهَبۡ لَنَا﴾ . . إلى ﴿قَدِيرٌ﴾ هذه الفقرة بإكثار تلاوتها صالحة لوصول اللطيفة الغيبية في كل وقت ومكان من حيث لا يدري ويكون سبباً للنصرة على أعدائه ولإزالة الآفات والمصائب فإن كان نفقة الغيب فليقرأ أربع عشر مرة (**يا وهّاب**) وثلاثاً ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ﴾ . . إلى ﴿ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ وإن كانت الفراسة[1] والإشراف على القلوب مرغوبة يقول أربع عشر مرة (**يا عليم يا مبين يا خبير**) وثلاثاً ﴿وَنُنَزِّلُ﴾ . . إلى ﴿لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ .

وإن طلب ظهور آثار الرقي والدعاء يقرأ أربع عشر (**يا مجيب**) ثم ثلاثاً ﴿وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦ﴾ .

ومن قوله (**اللهم يسر لنا**) . . إلى (**يرجعون**) هذه الفقرة صالحة لوصول أنواع اليسر لداعيه من الغيب في كل ما توجه إليه وإذا شرع في أمر يقرأ قبله واحداً وألفا في كل مجلس وقعت فيه خصومة في

---

(١) والفراسة بالكسر الاسم من قولك تفرست فيه خيراً . . إلخ . وفي الحديث «اتقوا فراسة المؤمن» «مختار» .

مسألة من المسائل الدينية أو في قضية من القضايا الدنيوية وكان الحق في جانب الداعي والخصم بطلاقة اللسان والجسارة[١] غالب أمره يقرأ ثلاثاً (**واطمس على وجوه أعدائنا**) . . إلى (**ولا يرجعون**) . وينفخ إلى جانب الخصم يظهر الإسكات والتحيُّر والاعتقال فيه .

ومن قوله ﴿يسٓ﴾ . . إلى ﴿ظُلْمًا﴾ . من ابتلي بحزن أو كيفية لا يلائم استقامة النفس كالخوف والغضب والحقد والتشويش في أمر المعاش وغيرها فَلْيَتْلُ منها خمس آيات إلى ﴿غَٰفِلُونَ﴾ وينفخ على قلبه .

وإن أراد عالم أو قاض أن يقع درسه أو قضاؤه على نهج مستقيم فليكتب تلك الآيات في مثمَّن ويحفظ معه ويلازم تلاوتها بعد كل صلاة .

ومن أراد أن يمر بين الأعداء من غير أن يروه ويتعرضوا له فليقرأ ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ . . إلى ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾ وينفخ على الحصى ويرميهم به أو يأفف[٢] نحوهم .

ومن أبق عبده وأراد تحيره فليتل تلك الآيات أو يكتب اسم العبد على ورقة أو خرقة ويكتب حوله تلك الآية بطريق الدائرة ويعلقها في مكان كان العبد فيه أو يلقي في القدر ويجعل اسمه في مُومٍ ويدفن في الخلاء في مقبرة قديمة .

---

(١) وجسر على كذا أقدم يجسر بالضم جسارة بالفتح وتجاسر أيضاً والجسور بالفتح المقدام « مختار » .

(٢) أي ينفخ .

ومن خاصمه أحد بغير حق يقرأ هذه الآيات ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾ . . إلى ﴿ظُلْمًا﴾ سبعاً ويأفف إليه أو يكتب على ثوبه ويدفنه في مقبرة قديمة أو صحراء غير معمورة أو يقرأ على خزف مأخوذ من مقبرة ويلقي في بيته .

وبالجملة أول الآيات إلى ﴿غَـٰفِلُونَ﴾ صورتها المثالية مناسبة لسعادة المشترى وآخرها إلى ﴿ظُلْمًا﴾ مناسبة لنحوسة زحل وفي جميع أعمال المشتري وزحل تستعمل هذه الفقرة .

ومن قوله ﴿طسٓ﴾ . . إلى ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ هذه الفقرة صالحة في أنه إذا وقع التناشز بين الزوجين وأشرف نظم صحبتهما على الانقطاع أو تخاصم الشريكان في المعاملة فبالتمسك بهذه الفقرة تلاوةً وحملاً يسكن الشغب[١] وتحبس الألسن من المخاصمة والمشاتمة .

ومن قوله ﴿حمٓ﴾ . . إلى ﴿لَا يُنصَرُونَ﴾ هذه الفقرة في إسكات الأعداء وطلب الحشمة[٢] والجاه مؤثرة تأثيراً كثيراً يقرأ سبعاً فينفخ إلى الخلق أو على سبع حصاة فيرميها إليهم .

ومن قوله ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ . . إلى (**مصير**) نافع من مكائد الشيطان ولطخات السوء كالسحر وشر العين ولاستمطار الجود الإلهي وكفاية المهمات وتوسيع الرزق ورفع الصيت[٣] وعظم الجاه كآية الكرسي .

---

(١) الشغب بالتسكين – تهييج الشرّ « مختار » .

(٢) أي الحرمة .

(٣) أي ذكر جميل بين الناس .

ومن قوله (**بسم الله بابنا**) . . إلى (**حمايتنا**) هذه الفقرة حصن منيع للداعي من آفات اللصوص والشياطين والظلمة ويتخيل حين القراءة إحاطة نور القرآن وليدير يده على أطرافه وحواليه ويخط بالعصا حول أمتعته .

وإذا ذهب عند ظالم وغلب عليه خوفه وسطوته يقرأ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ وعند كل حرف يقبض إصبعاً من يده اليمنى ويقول (**كفايتنا**) ويقرأ ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ وعند كل حرف يقبض إصبعاً من يده اليسرى ويقول (**حمايتنا**) . فإذا وصل إلى مقابله يفتح يديه ويأفف[1] إليه .

ومن قوله ﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ . . إلى ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ هذه الآية أنفع الأشياء لطلب الكفاية من شر الأعداء فإن كان الداعي ذا حظ من الصلاة يقرأها على نهج صلاة التسبيح في أربع ركعات ثلاثمائة مرة أو في ركعتين في كل ركعة خمسين وإن كان ذا حظ من الذكر يقرأ واحداً وألفاً إلى سبعة أيام وإن لم يتيسر يقرأ بعدد اسم « كافي » مائة وإحدى عشر .

ومن قوله (**ستر العرش**) . . إلى (**محفوظ**) حصن بليغ من شر العين وضرّ الجن والسحر وكل لطخة سوء ومن قوله ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ﴾ . . إلى ﴿ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ أبلغ سبب في حفظ النفس والأموال والأولاد من الشر المتوقع . فمن أراد حفظ متاعه من السوس أو اللصوص فليكسره في مربع على كاغذ أو خزف فيجعله في متاعه . ومن خاف قطاع الطريق أو اللصوص أو ظالم يريد التعدي عليه فإن وجد أكثر الحلاوة في الصلاة يصلي على صفة صلاة التسبيح أربع ركعات ويقرأ هذه الكلمات فيها

---

(١) أي ينفخ .

ثلاثمائة وإن كان لذته أكثر في الذكر يقرأها واحداً وألفاً إلى سبعة أيام وإن قدر كل يوم يقرأ في أحسن الساعات كنصف الليل أو الزوال أو بعد العصر أو قبل الطلوع .

ومن قوله ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾ . . إلى ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ لهذه الآية تأثير بليغ في نفقة الغيب وتحصيل النظام البدني والمنزلي فإن كان الداعي من أهل الصلاة يقرأ على هيئة صلاة التسبيح وإن كان من أهل الذكر يقرأ بعدد اسم (**ولي**) بعد كل صلاة .

ومن قوله ﴿حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾ . . إلى ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ للحفظ من المضار وطلب نفقة الغيب والنصرة على الأعداء هذه الكلمة كيمياء عجيب التأثير يقرأ بعدد (**رزاق**) وبعدد (**كافي**) وبعدد (**حفيظ**) وبعدد (**ناصر**) . وبالجملة بعدد كل اسم مناسب لحاجته مؤثر .

ومن قوله (**بسم الله**) . . إلى (**عليم**) لهذا الدعاء تأثير بليغ في حبس كل ضار عن ضرره كالسبع والهامَّة[1] والماء البارد للمبرود والحار للمحرور ودواء وغذاء يحتمل ضرراً أو عيناً عليه أو السحر والأوجاع والأورام وأمثالها وإن خاف من وقاحة من له سوء الخلق يقرأ ثلاثاً وينفث على ما يخاف منه أو إليه وإن لم يكن حاضراً يستحضر صورته في الخيال ويقرأ بنيته مكرراً .

ومن قوله (**لا حول**) . . إلى (**العظيم**) مؤثر بليغ في رد السحر والعين والرجعة في دعاء السوء وهمة أهل الهمة وأمثالها والتأثير العميق .

---

(١) والهامة من طير اللّيل « مختار » .

(**باسم الله الذي**) إلخ . . في دفع المضار المحسوسة وأغلب تأثير (**لا حول**) في غير المحسوس .

وأيضاً يقول رضي الله عنه يقرأ حروف الهجاء من أولها إلى آخرها بنَفَس واحد ويتصور الشيخ أبا الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى ويستمد منه .

وفي (**سخِّر لنا هذا البحر**) يشير إلى المقصود وإذا قرأ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ كرره ثلاثاً ويضم في المرة الأولى مع كل حرف أصابع يده اليمنى ويتخيل حصول المطلوب ويفتحها في الثانية متخيلاً فتح المطلب ويفعل في الثالثة كالأولى .

وإذا قرأ (**انصُرنا**) فتح الخنصر ويفتح البنصر في آخر (**وافتح لنا**) والوسطى في آخر (**واغفر لنا**) والسبابة في آخر (**وارحمنا**) والإبهام في آخر (**وارزقنا**) وليبدأ بالخنصر في القبض والبسط .

ومن (**واطمس**) . . إلى (**ولا يرجعون**) يشير باليد اليمنى إلى الأعداء والشياطين متخيلاً لهم ويكرر ثلاثاً (**شاهت الوجوه**) ويضرب يده اليمنى على الأرض ملاحظاً هلاكهم ويفتح بـ﴿حمٓ﴾ الأول أمامه والثاني خلفه والثالث يمينه والرابع يساره والخامس فوقه والسادس تحته . ثم يقرأ على نهج الدعاء رافعاً يديه من (**رفعت**) . . إلى (**عاهات**) ويلحظ مطلبه ثم يقرأ سابع الحواميم وينفخ على يده فيمسح تمام ما يصل إليه اليد من البدن .

وفي ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ الثانى يضم أصابع اليد اليمنى بكل حرف فيقول (**كفايتنا**) ويفتحها في ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ بكل حرف فيقول

(حمايتنا) ويكرر ثلاثاً كل واحد من ﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ إلى ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ ومن ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظًا﴾ إلى ﴿ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ ومن ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾ إلى ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ومن ﴿حَسۡبِيَ ٱللَّهُ﴾ إلى ﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾ وعند بعض سبعاً في الآخر وهو أولى ومن (**بسم الله الذي**) إلى (**العليم**) ثلاثاً وكذا من (**لا حول**) إلى (**العظيم**) ويكرر آمين ثلاثاً .

وأيضاً يقول رضي الله عنه **وقدّسنا بسره الأقدس** يقرأ في الأمور الجمالية في الفقرات المناسبة للمطلب الأسماء الجمالية مثل يا ناصر يا فتاح يا غفار يا رحيم يا رزاق يا حافظ يا وهاب وفي الجلالية في الفقرات المناسبة للمطلب الأسماء الجلالية مثل يا قابض يا خافض يا مُذلّ يا جبار يا قهار مثلاً من (**يا علي**) إلى (رحيم) فقرة واسمها « يا كافي المهمات » يقرأ لكفاية المهام سبعين مرة .

ومن (**نسألك**) إلى (**الغيوب**) فقرة والاسم يا حفيظ يقرأ للمحافظة وترقيات الباطن سبعين وكذا (**يا عاصم**) اسم هذه الفقرة يقرأ للعصمة عن المناهي والمعاصي سبعين .

ومن (**فثبتنا**) يا مثبت القلوب للطمأنينة وسكينة القلب . وفي (**انصرنا**) يا ناصر للنصرة سبعين وفي (**سخر لنا**) إلى (**كل شيء**) يا مسخر لتسخير القلوب بالعدد المذكور وفي (**وافتح لنا**) إلى (**الفاتحين**) يا فتاح للفتح بالعدد المذكور وفي (**واغفر لنا**) إلى (**الغافرين**) يا غفار للمغفرة سبعين وفي (**وارحمنا**) إلى (**الراحمين**) يا رحيم للترحّم سبعين وفي (**وارزقنا**) إلى (**الرازقين**) يا رزاق ارزقني للرزق أو آية ﴿رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ أو اسم

(**يا رزاق ارزقني رزقاً طيباً واسعاً بغير حساب**) سبعين وفي (**واحفظنا**) إلى (**حافظين**) فقرة والاسم (**يا حفيظ**) يقرأ سبعين للمحافظة وفي (**واهدنا**) إلى (**الظالمين**) الاسم (**يا هادي**) للهداية (**وهب لنا**) إلى (**قدير**) يا وهَّاب للهبة وإعطاء المقاصد .

وفي (**يسر لنا**) إلى (**أبداننا**) يا ميسر لكلّ عسير لسهولة المشكلات .

وفي (**وكن لنا**) إلى (**أهلنا**) يا حافظ للمحافظة في السفر .

وفي (**واطمس**) إلى (**يرجعون**) (**يا شديد الانتقام**) لهلاك العدو أو (**يا مذل**) للذلة .

وفي (**يس**) إلى (**حم**) (**يا عليم**) لزيادة العلم وفي (**حسبي الله**) إلى (**العليم**) لتليين قلوب المؤمنين .

والعدد في كل واحد سبعون ومن قرأ هذه الفقرة سبعاً في الصبح وسبعاً في المساء لكل قصد جعله الله تعالى صادقاً فيه صادقاً كان أو كاذباً . انتهى ما في « المناقب الأحمدية » ١٢١ .

حزب النصر

ومن وظائف الشاذلية حزب النصر للإمام الشاذلي . **قال رحمه الله تعالى وأمدنا بمدده** من قرأه أو حمله رزقه الله النصرّ على أعدائه وكفَّت أيديهم عن أذيته وعقدت ألسنتهم عن غيبته وطمست قلوبهم عن ذكره وإذا كان في جيش لا ينهزم بإذن الله تعالى كما جرّب وصح ومن قرأه أو حمله فقد نجا من كل بلاء وسوء وله فضائل لا يعلمه إلا الله تعالى . انتهى من خط محمد طاهر القراخي قدس سره .

وفي « الأنوار القدسية » حزب النصر وهو لتدمير الظالم وله سرٌّ عجيب وأمر غريب يقرأ في المهمات وللتبرك في سائر الأوقات . انتهى ٢٢٥ . وله شرح لطيف وخواص كثيرة ولم أذكرها هنا خوف الإطالة والملالة فإن أردت الاطلاع عليها فاطلبها من هامش « مجموعة الأحزاب » للقطب أحمد ضياء الدين قدس سره من الجزء الأول تجد البيان .

الحزب الكبير « حزب البر »

ومن وظائف الشاذلية أيضاً الحزب الكبير المسمى بحزب البر الذي كان الشاذلي يقول في حقه إنه أمان للإقليم الذي يقرأ فيه وقال من قرأ حزبي هذا فله ما لنا وعليه ما علينا .

قال سيدي عبد الله رحمه الله تعالى يعني له ما لنا من الحرمة وعليه ما علينا من الرحمة . انتهى .

وقال من حفظه فإنه من أصحابي . نفعنا الله بِمنّه وكرمه وله شرح نفيس عجيب سمّي بـ« تنوير الصدر » قد جمع فيه مؤلفه رحمه الله من العلوم والفوائد كل مهم وهو مكتوب في هامش « مجموعة الأحزاب » من أول الجزء الأول .

وفي « الإتحاف » شرح « الإحياء » ما يصرح أن لمؤلفه رحمه الله شرحاً لهذا الحزب لكن لم نره ولم نصادفه و للشاذلي أحزاب كثيرة وكلها مجموعة في « الأنوار القدسية » و« مجموعة الأحزاب » فمن أراد فليراجع إليهما .

الصلاة المشيشية

ومن وظائف الشاذليين الصلاة المشيشية المَمزوجية التي جرت عادتهم بقراءتها صباحاً ومساءً وقد أجازني بقراءتها وتلقينها الشيخ المحترم سيف الله قدس سره وكتب لي بذلك مكتوب الإجازة بخطه الشريف . وذكر صاحب « أفضل الصلوات » كلاماً في حق الصلاة المشيشية فقال هذه صلاة سيدي عبد السلام بن مشيش وهي من أفضل الصيغ المشهورة ذات الفضل العظيم .

قال العلاَّمة السيد محمد عابدين صاحب « حاشية الدر » في ثبته صلاة الشيخ الإمام القطب العارف بالله تعالى والدال عليه ذي الطريقة السنية المستقيمة والأحوال السنية العظيمة شريف النسب وأصيل الحسب سيدنا ومولانا السيد الشريف عبد السلام ابن بشيش يقال بالباء فى أوله وبالميم الحسني المغربي التي أولها اللهم صل على مَن منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار . . إلخ . قد أوردها الشهاب أحمد النخلي وتلميذه الشهاب المنيني في ثبتيهما وذكر النخلي أنها أخذها عن الشيخ أحمد البابلي والشيخ عيسى الثعالبي قال وأمراني أن أقرأها بعد صلاة الصبح مرة وبعد صلاة المغرب مرة .

قال ورأيت في بعض التعاليق يقرأ ثلاث مرات بعد الصبح وبعد المغرب وبعد العشاء وفي قراءتها من الأسرار ومن الأنوار ما لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى وبقراءتها المدد الإلهي والفتح الرباني ولم يزل قارئها بصدق وإخلاص مشروح الصدر ميسَّر الأمر محفوظاً بحفظ الله تعالى من جميع الآفات والبليات والأمراض الظاهرة والباطنة منصوراً على جميع الأعداء مؤيداً بتأييد الله تعالى العظيم في جميع أموره ملحوظاً بعين عناية الله الكريم الوهاب وعناية رسوله ﷺ وعلى الآل والأصحاب وتظهر فائدتها بالمداومة عليها مع الصدق والإخلاص والتقوى ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾ انتهى .

وقد زاد بعض أكابر العارفين من مشائخ الطريقة الشاذلية فيها زيادات شريفة مزجها بها وجعلها وظيفة له يقرؤها أهل طريقته العلية صباحاً ومساء نفعنا الله بهم . انتهى ١١٠ .

ورأيت في هامش « دلائل الخيرات » ما لفظه هذا ومن واظب على قراءتها بالنية الخالصة يكون من أهل الحظوة . انتهى .

اعلم أيها الولد جعلك الله ممن يقر عيني به آمين أن الشيخ المحترم خالد سيف الله قدس سره بعد ما أجازني في تلقين الطريقة الشاذلية كتب إليّ مراراً بتلقينها وتكثير أربابها والاجتماع لقراءة أورادها ووظائفها بيد أنّ الناس في ديارنا لما كانوا منذ زمان قد أَلِفوا بالنقشبندية والحال أنهم لم يعرفوا الشاذلية ولم يسمعوها ولأجله كنت قصّرت في إجرائها وتلقينها نظراً إلى قلّة رغبة الطالبين إليها ولعله قدس سره اطلع على هذا بكشفه فحينئذٍ كتب إليَّ ما نصه **واعلم أيها المحبوب أظن أنكم تستقلُّون قدر الشاذلية وتسامحون في إدارتها فأسألكم بالله تعالى أن تجتهدوا في إدارتها وتحضُّوا إليها الناس فشمس هذه الطريقة تطلع وتقوى يوماً فيوماً** ولا تغرب شمسها بعد ويكثر أهلها ومحبّوها ففضائلها غير معدودة وهي معنعنة من الأغواث والأقطاب وفيها فضائل مخصوصة ليست في غيرها وعَضَّ عليها بالنواجذ ولأجل عدم أهلها صارت الآن كعنقاء مغرب فعن قليل يتشعشع نورها ويزيد نماؤها ويكثر أربابها ولعلك لا تترك ختمها بل توسع دائرتها وفق الإمكان والله المستعان . انتهى . من خطه رضي الله عنه .

وسألته رحمه الله تعالى هل يجوز اجتماع الشاذليين والنقشبنديين في مجلس واحد وهل يجوز أن يقرأ كل منهم ختم الآخر أم لا فكتب قدس سره في الجواب بما نصه

ولقد سرّني هذا الخطاب الذي يُعْلن محبة اجتماع بعضهم بعضاً في الذكر لما أنّ ذلك إن شاء الله تعالى من **علامة الجمع والوداد الذي هو رأس الدين الحنيفيّ** الذي قال تعالى في حقهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ إلخ . .

فاعلم أيها الأعز أنَّمَا مرادنا الأهم الجمع لا الفرق فتحرضهم على الجمع كيف كان ليجمع عند الله وعند الناس شملهم[١] **وترخِّص للنقشبنديين للذهاب والجلوس في الختمات مع الشاذليين وبالعكس** فأما ذهاب الشاذليين لختمات النقشبنديين فأمره واسع بل هو مستحسن حيث كانوا من والد واحد خاصة ، ومن آبائنا المعنوية من له الإجازة التامة في خمس طريقة[٢] بل في عشر بل أزيد حتى قال شيخنا وروحي فداه **كان شيخنا سيدي السيد أحمد بن سليمان الطرابلسي الحسني قدس سره مأذوناً في أربعين طريقة** . هكذا سمعت من فمه ومَنْ التقانا من السادات في عدة طرائق كثيرة من مشائخنا وكذا من مريديهم ، وأما في حق ذهاب النقشبنديين لختمات الشاذليين فذلك ليست بمحال بل يحتمل أن يفوزوا بكلتا الحسنيين وينالوا بذلك فوز الدارين ولقد سألت العارف ذا الجناحين الحاج خَصْبُلات أفندي النقشبندي الكُستاكي خليفة القطب محمود الفعال قدس سره عن جلوس المريدين بعد الصلوات المفروضات معه بالحلقة بالذكر الجهري وفيهم الأجنبيون الذين نهى السادات عن دخول أجنبي لكن

---

(١) وجمع الله شمله أي ما تشتت من أمره وفرق الله شمله أي ما اجتمع من أمره . « مختار » .

(٢) عله طرائق (هامش الأصل) .

في الختم وهل لذلك وجه[1] فأجاب لي ولله الحمد وقال سألت شيخنا العارف القطب الغارف من بحر الفيوضات شيخنا ومرشدنا محمود الفعال صدوق المقال قدس سره عن ذلك السؤال بعينه **فأجابه** إن كان المريد أتم أوراده المعتادة فله اختيار حينئذ للجهر والجلوس في الحلقة بإذن الشيخ ورأيه وكفى لنا هذا من هذا العلامة وسوى ذلك أن الشيخ في ذلك أمين وطبيب للقلوب القاسية والقدسية فله أن يأمر المريدين بالمعروف عنده مصلحةً للدين والطريقة .

وأما اصطلاح النقشبنديين بإخراج الأجنبي في الختم فهو أمر ورد من سيد الكائنات ﷺ خوفاً من الأجنبي عن الانتقاد والإنكار ولئلا يقع الاختلاف والطعن بسببهم بين المريدين خوفاً من التلفيق وأما إذا كان مريدو الطرق من منبع واحد وأمن من الوحشة والفرق ولم يخف من الانتقاد فجمعهم هو الجمع الجامع ما لم يخرجوا من اصطلاح القوم بأمثال البدعات المخترعة من أنفسهم . وأنت إن شاء الله أمين في حقهم وفي حق طرقهم ومأذون بالإذن التام المطلق العام وأمرهم مفوّض إليك في

---

(١) ورأيت في هامش « مناقب الأحمدية » ما نصه تنبيه لا يشترط في الختم والتوجه غضّ البصر ولا التخلية من الأغيار لأن الأصل عندهم الخلوة في الجلوة وهي المأثورة عن النبي ﷺ والصحابة وأئمة الطرق قولاً وفعلاً . اللهم إلا أن يشوش الحال ولا تحصل الجمعية التي هي المقصود الأصلي أو يكون موجباً للفتنة في محل . وأظن أن اختراع حضرة مولانا خالد عليه الرحمة إنما يكون لذلك فلا يعمّ فاعرفه فراجعه في ٨٤ . ومعلوم متيقن أن الخلوّ عن الأغيار في الختامات والتوجهات أولى وأنسب في زماننا هذا ولأجل ذلك مشى أشياخنا على ما مشى عليه القطب خالد قدس سره وقد أخذ في جواز منع الأغيار عن مجلس ختماتهم ولو من المساجد فتوى من خاتمة المفسرين محمود الألوسي فإن أردت ذلك فراجع « نور الهداية » في ١١ نسختي لمحمد أسعد قدس سره ففيه البسط التام (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

حق تربيتهم كتربية الطيور نظراً إلى الأحوال والزمان وفقك الله ولأتباعك لما يحبه ويرضاه .

وأما قولكم وإلا[(١)] فينقبضون ويطلبون ببواطنهم دخولهم في سلك النقشبنديين إلخ . . عياذاً بالله تعالى أيها الموفق عن انقباضهم وتركهم الطريقة العلية فمن شذ فقد شاذَّ الشاذلي فكم قتل بأمثال ذلك وكم أمات وأحيا فليتوبوا من ذلك فإنما هو قطعة كبد الرسول ﷺ ونور حدقة عين البتول وملجأ الأقطاب وفصل الخطاب أذاقنا الله تعالى وإياكم من محبته ومحبة محبيه آمين .

وأما المريدون الذين ينقبضون بعدم إدخالهم في الختمة فلا تثريب عليهم لشربهم بالذوق محبة سماع النقشبندية قدس الله أسرار أهاليها ولقرب العهد لهذه الطريقة الشاذلية **فيعلو أمرها ثانياً ويتلذذون يوماً فيوماً** ما دامت نياتهم صحيحة وطويتهم صادقة فيا لله أيها العزيز تجاهد بالله في جمع كلمة المريدين وفق طاقتك بل أرجو أن تقع بينهم محبة راسخة نبوية ما دامت إخلاصهم **فليذهب كل أحد من الطرفين إلى الآخر بلا إنكار** لكن إن قوماً من المبتدعين الدَجَّالين يختمون الختم كيف كان بما رأوا في الكتب ثم يقومون وقد أدوا جميع ما عليهم كأنهم خرجوا من قيد التكليفات فلا يبتئسون بشيء من الذكر وعدمه فبه عليكم تعليم المريدين بأنه يلزم عليهم الاجتهاد في الذكر خاصة بعد الختمات ليكون شكراً لله وذكراً على ما رزقهم من النعم التي لا يقابلها شيء لما **أن الختم كأنه كأداء**

---

(١) أي وإن لم يرخصوا للاجتماع في مجلس النقشبنديين فافهم . (منه) .

الفدية لجبر ما نقص أو أفرط في ذكرهم ليسألوا عند الختم من الله العفو مما أفرطوا في جنبه تعالى وأداء حقوق آداب السادات أدرجهم الله تعالى مدارج الكمالات وأذاقهم حلاوة العرفان والفيوضات وأحيانا الله تعالى وإياكم وحيَّانا بالأعمال الصالحات آمين .

فكن أيها الأعز ضنيناً على الختمات فكما أن الحج من واجبات الإسلام والختم أيضاً من لوازم بعض الطرق ووظائفها على ما تواتر إلينا من السادات باستجاب الدعوة وإجابتها فضلاً من الله تعالى **وهو السبب السني لحضور أرواح السادات** قدس الله أسرارهم آمين إلى مجلس الختمات إن كانت سالمةً من البدع . انتهى من خطه قدس سره .

كيفية ختم الشاذلية

وسألته ﷺ عن ختم الشاذليين وكيفيته فأجاب بما نصه **فاعلم أيها الولد** الأعز نعم إن لهم ختماً وكيفية الختم هكذا قدس الله أسرار أهاليها وذلك أن الختم يكون في يوم الجمعة .

وأكملها أن الشيخ بعد تمام صلاة الصبح يشتغل بالورد وقراءة الصلاة المعهودة فبعد إتمام بالجلوس يقوم الشيخ ويفعل الحلقة مع المريدين وبقيامه في وسط الحلقة يتوجَّه إلى قلب كل أحد من المريدين بالدوران ثم يقول في تلك الحلقة (**لا إله إلا الله**) كم عدد شاء ثم بعد ذلك يقول (**الله الله**) باسم الذات ثم يجلس الشيخ مع أولئك المريدين في الحلقة ويقرأ قدراً من القرآن وبعض ينشد من القصائد اللائقة للمجلس ثم بعد تمام صلاة الجمعة يجتمع الحلقة ويقول (**لا إله إلا الله**) بالإخلاص

قائماً وهم أيضاً يقولون ثم يجلسون بالذكر ثم يقومون ويأخذ كل أحد يد مَنْ يليه ويقومون متحلقين متسلسلين بالأيدي وفي أخذ أيدي بعضهم يد بعض معنى لطيف[١] بينهم ولا يأخذ يد الشيخ أحد ولا الشيخ يأخذ يد أحد لكن الشيخ يكون في الوسط قائماً حينئذ ويكون ذكرهم (**لا إله إلا الله**) ثم (**الله الله**) بقدر الطاقة والشيخ يدور في وسط الحلقة بالذكر المذكور معهم ثم بعد ذلك يجلسون ويقرأ القرآن الكريم مَنْ هو اللائق من بينهم للقراءة ثم بعض منهم برأي الشيخ يقرأ القصائد وينشد أبياتاً لتحريك الشوق مما كانت لائقة بالمجلس كقصائد سادات الطرق يُحرِّض المريدين إلى الشوق والوجد ولا ضرر في ذلك في اصطلاح هؤلاء السادات ثم يتممون أورادهم من بعد صلاة العصر إلى المغرب .

وأما القيام والقعود بعد القيام فمفوض لإرادة الشيخ ورأيه متى شاء يأمرهم بالقيام أو الجلوس . وللشيخ أن يجلس في طرف الحلقة جهة القبلة ناظراً إلى جهة المريدين وإقامة خليفته في الوسط للتوجه إليهم قائماً معهم وهذا القول وإن لم يكن في رسالة الشيخ مذكوراً لكن العمل كان كذلك .

وسادات الطريقة وإن اختلفت اصطلاحاتهم في مقام التربية لاختلاف الأزمنة والأمكنة وأحوال المريدين فالمقصد الجامع واحد وهو الإخلاص

---

(١) وكتب قدس سره في مكتوب آخر بما نصه وإن لهذه الطريقة العلية المدنية يعني الشاذلية قدس الله أسرار أهاليها ختم يوم الجمعة بعد صلاة المغرب أو العصر لكن بالوقوف على الأقدام بربط القلب بأخذ يد كل أحد من المريدين أيدي بعضهم كوضع السلسلة مع وقوف الشيخ في الوسط **وذلك منهم على سبيل التفاؤل** ليأخذ الناجح يوم الفصل الأكبر يد الآخر وقد يحصل هنالك المواجيد والصياحات من البعض كما من المجذوبين فلا تبتئس بما كانوا يعملون انتهى من خطه قدس سره (منه سامحه الله من فرطاته آمين) .

في العبادة لما أن لكل وقت دولة ورجال ولكل مقام مقال ولكل طريقة اصطلاح وقتيٌّ يوضع لمناسبة الزمان والمكان والإخوان ولذلك ترى في كل طريقة ما يخالف الأخرى اصطلاحاً كاختلاف اصطلاح النقشبندية السنية الصديقية قدس الله أسرار أهاليها مع اصطلاح هذه الطرق **وإن كان مرادهم واحداً ألا وهو التقوى** كما ترى ذلك من كتب القوم .

فيلزم علينا وعلى أمثالنا التسليم في حقهم لأنهم عاملوا الله بقلب سليم وما جهلنا من أمرهم أو عثرنا بعدم إدراك العقول يسعه حسن الظن بهم وفوق كل ذي علم عليم . كما قال بعضهم **الاعتقاد ولاية والانتقاد جناية .** نرجو الله أن يجعلنا في سلك مسالكهم ويحفظنا كما حفظهم عن الخروج في رعاية أدبهم . **فعلى العاقل** أن يجتهد في طريق الحق بالأذكار النافعة والأعمال الصالحة إلى أن يصل إلى المقام الحقيقي .

واعلم أيها الأمين أن أكثر أمثالنا جلسوا على بساط التربية بالرسم ورضوا من النسبة بمجرد الاسم وادَّعوا أنهم وصلوا إلى الكمالات وخلصوا من رقِّ الشهوات وإن كانت طريقة القوم مصونة من الآفات ومحفوظة من الدعاوي والارتباكات[١] . ونحن منهم أيضاً بل أدناهم ودونهم إلا أن تداركنا رحمة ربنا بحسن ظننا بالله وبعباده الصالحين فقط . فلأجل ذلك لازمٌ علينا القيام التام على رعاية الأذكار والأوراد مستعدين وفق الطاقة بكمال الاستعداد .

---

(١) وفي نسخة الارتكابات .

ومن الناس من يتعرَّضون عن الطرق بناء على اختلاف الواقع في الطرق كما كان الفقير كذلك مدة إلى أن يمنّ الله لنا حصة حسن الظن لجميعهم وذلك التعرُّض إنما يقع منه[١] سامحهم الله تعالى منهم لجهلهم اصطلاحات أربابها لما أنه يقع الاختلاف في التعليم حتى باختلاف الأقاليم ويحصل النجاح بطريق الاصطلاح وسبب الاختلاف فيه مع انفراد القصد وعدم ما ينافيه هو اتساع المجال في طريق الأعمال خاصة في هذه الطريقة الشاذلية السنية ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ وكلها مقررة في كتب القوم كما قيل

عباراتنا شتى وحسنك واحد ... وكلّ إلى ذاك الجمال يشير

وقد قالوا إن للذاكرين قواعد اصطلاحية فللنقيب أن يراعيها وعلى حالة مرضية وأصول شرعية يلزمه أن يجريها وعلى الخصوص اسم الصدر[٢] يراعي فيه عدم تغيير الاسم ما دام المريد مالكاً لحاله وله قوة على ضبط أحواله وأما إن غلب عليه الغرام وحكم على ذاته سلطان الاصطلام فالأمر واسع عند أربابه وللعارفين حكم على أسبابه فلله درُّ من قال

فإنا إذا طبنا وطابت نفوسنا ... وخامرنا خَمر الغرام تَهتكنا
فلا تلم السكران في حال سكره ... فقد رُفِعَ التكليف في سكرنا عنَّا

وأما إن كان الجمع قليلاً أو حصل مانع فيقتصرون على قراءة الصلاة المشيشية المذكورة ثم يشتغل كلٌّ بورده منفرداً .

---

(١) هكذا في الأصل وفي نسخة (منهم) سامحهم الله تعالى .
(٢) وهو لفظة الجلالة (الله) علّه .

وذكر السر ليس له حدٌّ محدود **ومن استغرق في الذكر فقد استغرق في بحر مدد الله العظيم** ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ﴾ وهكذا مذكور في «الأنوار» والله يحكم في عباده ويختار .

ثم إن من المعلوم لديكم **أن نور الذكر وترقِّيه قدره يكون على قدر حال الذاكر ومقام المريد وترقِّيه يكون بقدر مقام شيخه عنده لما أن مقام المريد عند الشيخ يكون على قدر مقام الشيخ عند المريد بلا فرق** وقد يتعرض المريد على الشيخ بقلة ملكة الشيخ أو بعدم حصول نتيجة ما من الصحبة معه وذلك لجهالته وعدم ذوقه وخراب عقيدته **لما أنه يريد من الشيخ أمانيه ولا يريد تخليص اعتقاده** ومحبته للشيخ إلا أثراً كاذباً من الظاهر **وليس للشيخ أن يوصل المريد إلى الدرجات بمجرد إرادته** مع عدم خلوصه ومع خراب اعتقاده وإنما تحصل النتيجة من استفاضة المريد بالإخلاص فقط واستعداده لذلك بالصدق المرغوب وإلا فلا يحصل له المراد ولا يصل إلى المقام بمجرد المصاحبة بالانتقاد ولو كان شيخه قطباً أو غوثاً فرداً جامعاً ويكفي شاهداً لأمثاله ما شاهد في النبي ﷺ وأصحابه لقد اجتهد ﷺ لإرجاع قومه إلى الإسلام حتى أنزل الله تعالى عليه بقوله عز وجل ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ كيف لم يقدر منه ﷺ إتيانه إلى الحق بذلك الاجتهاد والجهاد العظيم لعدم رؤيتهم إياه رسولاً بل ساحراً أو مجنوناً وكيف فاز من فاز بمجرد رؤيته حتى عُدَّ من أهله كسلمان رضى الله عنه وبمجرد سماعه كأويس القرني حتى صار معشوقاً لرسول ذي الجلال كما قيل

فموسى الذي ربّاه جبريل كافر   وموسى الذي ربَّاه فرعون مرسل

ثم اعلم أيها المأمون أن المحققين من أهل هذه الطائفة قالوا إن وجود الصادقين في هذا الزمان قليل لاختفائهم حذراً من فتنة أبناء الزمان وذلك لكثرة المدعين لهذا الشأن فالمدَّعون كثيرون والمخلصون قليلون ولا نزكي أنفسنا أيضاً وقد اشتبه الأمر على طلابها وتاهوا من الدخول في بابها وعمَّت الفترة وما نفعت الكثرة لأجل استغراقهم في أسباب جمع الحطام حلالاً أو حراماً فإذا كان أكثرهم على هذا فالويل لأمثالنا المفلسين سوى أنا كيف كان لا نيأس من رحمته لمجرد حسن الظن على الله تعالى وعباده فلعل الله تعالى أن يجود لنا بفضله ويعاملنا بكرمه والله تعالى ولي التوفيق .



وقولكم لقَّنت أوراد الشاذلية إلخ لكن علَّمتهم بأنّ كيفية ذكر النفي والإثبات على ما هو المفهوم من كتبهم هكذا مع نقش دائرة هكذا[1]

مثلاً أقول جزاك الله تعالى عني بخير حيث تتبعت آثارهم عند الضرورة بما في كتب القوم بيد أن الفقير معذور عن الإجابة لهذا الأمر لأجل أن ساداتنا لم يفصلوا لي ذلك كذلك ولم أقع على ملخص ذلك في الكتب إلا أن قالوا قولوا (الله الله) أو (لا إله إلا الله) بالقوة القلبية . فأمر ذلك مفوّض إليك فأنت أمين سرّ الله سبحانه وتعالى إن شاء الله تعالى فيما لا يخالف الشرع النبوي عليه الصلاة والسلام . ونسأل الله تعالى ونرجوه بجوده وفضله وكرمه أن يفتح بصائرنا للحق بالحق والصدق ويجعلنا معكم أمناء الدين الحق والله تعالى يهدي السبيل وحسبنا الله ونعم الوكيل .

---

(١) يبتدئ بـ (لا إله) من السُّرَّة إلى الجنب الأيمن ويجرُ منه (إلا الله) ويضربه على القلب كما هو مذكور في « النور الساطع » . (منه) .

ثم إني أوصيكم بما أوصى به ساداتنا بتقوى الله تعالى وطاعته في السر والعلانية ورعاية المداراة التي لا تخالف الشرع مع أبناء الزمان لأجل المصلحة العامة وأن تدعو لولاة الأمور بالتوفيق والنصر وبصلاحية ذات البين والأمر لله تعالى وليس لنا من الأمر شيء يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

وأوصيكم أيضاً بالاجتهاد التام لتوسيع نطاق الحلقة ولو بإقامة آحادٍ من الخلفاء في كل محلَّة مَنْ هو متأهل لذلك لأجل المصلحة وعسى الله تعالى أن يبقي لكم محاسن هذه الطريقة في ديارنا مدى الزمان ويكون سبباً لاندراس طرق المبتدعين والبدع وما ذلك على الله بعزيز .

ولقد كنت من قبل أدعوكم بالله بتقليل الأتباع في الطريقة النقشبندية بناء على قلة رعاتها فضلاً من الخلص الصادقين وذلك لئلا يكثر الشياطين بكثرتهم كما كان أربابها يوصون قبلي بذلك بيد أن **بعض الأحكام يختلف باختلاف الزمان لأجل المصلحة الدينية** وسوى ذلك أن في هذه الطريقة وسعة عظيمة وذلك من الله تعالى فضل ورحمة ومع ذلك لا بدَّ لكم من تلقين النقشبندية ولو لبعض المتأهلين من رأيت لذلك أهلاً بلا تركها بالكلية فساداتهم شموس الهدى وأتباعهم نجوم في الاهتداء . قدس الله أسرارهم وجعلنا في بركاتهم آمين انتهى من خطه رضي الله عنه .

وسألته رضي الله عنه عن ترتيب أوراد الشاذلية من الاستغفار والصلاة على النبي عليه السلام والنفي والإثبات والصلاة المشيشية الممزوجة فبأيّ نبتدىء ونقدم من هذه الأوراد فأجاب بقوله رضي الله عنه **لك اختيار للتقديم والتأخير نظراً إلى حصول الحضور بأيِّ كيفية رأيتها** . ولقد كنت سألت من الشيخ حين

عاهدت معه بتقديم الصلاة المذكورة المعهودة بينهم عن الذكر بالنفي والإثبات فأجاب بأنه ﷺ هو الوسيلة المحمودة إلى ذكر الله تعالى **فتقديم الوسيلة للتوسل إلى ذكر مستحسن** . وكان يقدّم الصلاة من الذكر مرة ويؤخّر مرة . وفي بعض الأوقات كانوا يقدِّمون الصلاة المعهودة[١] من الذكر ثم بعد الذكر كانو يصلّون بالصلاة المعروفة (**اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد وسلم**) . يصلون بها عدداً فأنت تفعل في حق ذلك بما رأيته حسناً . والله ولي التوفيق . انتهى من خطه نفعنا الله تعالى به آمين .

وسألته رضي الله عنه عن كيفية توجُّه الشاذلية . فأجاب بقوله **أقول إنَّ التوجُّه هو التوجه المعروف في النقشبندية** بيد أن الرابطة من خصوصها ولم يأمرني الشيخ بالرابطة في هذه الطريقة سوى قوله ينظر الشيخ بنظر روحانيته إلى روحانية المريدين . ومراده من ذلك توجُّهه بالقلب إلى قلوبهم لما أن **للشيخ وقتاً يفنى في المريد كفنائه في الشيخ** . **وهذا دقيق** فتأمله . انتهى من خطه رحمه الله تعالى .

وسألته رضي الله عنه عن الرابطة في هذا الطريق بذاتِ مَنْ يفعلها المريد فأجاب أما الرابطة بذاتي فحاشا بذلك وأستعيذ بالله تعالى من الاستدراج والأمر بذلك وبأمثاله وإن كنت تريد التوجه كيف كان بالرابطة وإن لم أعهد منهم ذلك فالأليق لك بالقطب الحقيقي أبي الحسن الشاذلي قدس سره العلي فمنه بلوغ المأمول وبواسطته حسن الوصول وصورته في الكتب مسطورة والله تعالى يوفقك إن شاء الله تعالى برؤية روحانيته أو بروحانية جدِّه عليه

---

(١) وهي الصلاة المشيشية .

الصلاة والسلام . وما لي أن أتكلم وراء ذلك لئلا تقع العثرة أو الهفوة إن تجاوزت والله أعلم بالصواب . انتهى من خطه قدس سره .

وسألته ﵁ مرة أخرى عن هذه المسألة المذكورة فقال إني أرابط مرة بالشيخ محمد علي الظاهري الوتري ومرة بالشيخ أبي الحسن قدس سره . انتهى . قال ذلك بفمّه مشافهة .

وسألته ﵁ مرة أخرى عن تلك المسألة وقد كررت السؤال لما أنّ بعض الناس يطلبون الرابطة حين رأوا النقشبنديين يفعلونها . فأجاب رحمه الله تعالى بقوله **وأما ما قلت في حق الرابطة للشاذليين فمستحسن بل هي من محسّناتهم وهي كما عند النقشبنديين** ويرابط السالك إما بذات القطب الغوث الفرد أبي الحسن الشاذلي جعلنا الله تعالى في بركاته أو بذات السيد محمد علي الظاهري الوتري المدني .

وأما قولكم هل لا يجوز لي ولهم أن نفعل الرابطة بذاتي[1] فالجواب لذلك أيها الأمين **إني لا آمر لأحد أن يفعل الرابطة بذاتي ما دمت في قيد الحياة وبعد الممات يفعل المريد على من شاء من السادات بذات من رسخت في قلبه محبته كما قال لي بذلك مولانا زين الله الشريفي المعموري قدس سره** وإني أستعيذ بالله من أمر لم يأمر بها ساداتنا سرج الهدى ومصابيح الطرق فإنما نحن في منهجهم وفق الإمكان ففي ذلك الغنيمة والإحسان . انتهى من خطه رضى الله عنه . **ومن هذا الكلام يفهم كون الإذن لرابطة ذاته قدس سره بعد مماته** . والله أعلم .

---

(١) أي بذات سيف الله (منه) .

ومما ينبغي إيراده هنا وإن كان خارجاً عن المقصود ما كتبه قدس سره إلى الفقير الحقير قال ﷺ في أثناء مكتوبه **ثم اعلم أيها الولد الأمين أن الطريقة العلية النقشبندية أفضل الطرق وأعلاها وأحوط المسالك وأصفاها** لخواصّ اشتهر لأربابها وأمور لا يعرف إلا ذويها لكن مع ذلك طفقت غريبة واقعة بأيدي الجهال مقلوبة وعن مسماها متفرقة بكثرة دعاويها مع عدم معرفة اسمها ومسماها وجهل اصطلاحاتها ورسومها **فلم يبق ظاهراً من أهل هذه الطريقة العلية إلا النادر فالنادر** وذلك مع التسمية لعالمها بالكذّاب الغادر وإنْ اجتهدتم إلى جمع الناس إليها فمحال أن يقبلوا إلا بتخليط بعض البدع المستحسنة من الدجّالين وإلا فلا يقبلون تلك الطريقة بسبيلها الواضح وسندها الناجح إلا الفرد بعد الفرد من الرجال وماذا بعد الحق إلا الضلال فإن صرت لا تقبل إلا المستعد الصادق أو الصالح الصَّفي الفائق فتبقى حميداً وحيداً وعن تربية السالكين جليداً جميداً إلخ . .

وإذا كان الحال كذلك لازم عليكم قطع النظر عن ذلك إلا إلخ . . وتربية الراغبين كيف كان وتكثير السواد منهم بجمعهم على مقتضى الإمكان . وقد كنت نهيتكم عن ذلك من قبلُ رعايةً لآداب أهل العرفان والله تعالى كل يوم في شأن .

ومع ذلك لما كان تلقين الذكر للمريد في هذا الزمان في الطريقة النقشبندية باسم الإرشاد لقلة الصادقين خطراً وتلقين المراقبة لغير أهلها خطأ وعذراً رأيت أن نصحب معها الطريقة العلية الشاذلية الجهرية مستمنحاً من فيض فضله تعالى ونواله بناء على أن سادة القوم ممن

اختصهم الله تعالى بمحبته . وقد وردنا من أشياخنا السادات أن أكثر القوم يعكفون في آخر الوقت إليها لأجل وصول أثرها سريعاً للسالكين المبتدئين لجهرها وسهولة مأخذها إلا لبعض النوادر الصادقين في الاستعداد الذين لهم قوة للخوض في أي بحر شاء .

وقد كنا تربصنا زماناً للجواب لاستعفائي عن إظهار هذه الفضيلة وإشاعة هذه الموهبة **فلما ظهر نور السعادة ولاح وكاد أن يرتفع غيم الظلمة وقرب الصباح بلغني الأمر المهم من سادات القوم بإجراء أمور الشاذلية من طريق الموهبة اللدنية** وإن كانت القسمة الكاملة والإجازة التامة في ذلك أزلية فأردت إظهارها إن شاء الله تعالى لما أن « كلٌّ ميسّر لما خلق له » . **فالتفت يميناً وشمالاً وجرَّبت فحولاً وجيلاً فلم أرَ أميناً لوضع هذه الأمانة وحافظاً لجوهرة هذه القلادة أعزَّ عندي ثقة وخلوصاً منك فوضعت هذه السلسلة على مفاصلك لتؤدي حقوقها رغماً للدهر وأهله وإعانة لمشقة العصر وجورهِ** وأرجو أن تقبلها بقلب صحيح ورأي صميمٍ صريح فخذها نافلة لك عسى أن يبعثك مقاماً محموداً ويجعل سعيك مشكوراً فأنت أيها الولد من جهة الفقير أمين ومنه تعالى نطلب الفوز ونستعين **فيدك يدي وأمرك أمري وأنت خليفتي في حياتي وموتي** . وأرجو منك تقوى الله وإطاعته ويقبل الله تعالى فيك دعائي وضراعتي إلى آخر ما قاله قدس سره من خطه .

وسألته رضي الله عنه حين طلب الناس مني المجيء إلى قراهم للتلقين والتعليم هل يكون الخير في الإجابة أم في القعود في البيت وعدم الإجابة لدعوتهم فكتب في الجواب بهذه العبارات

أقول إني التمست منك ذلك غير مرة وكم مرة كتبت إليكم بهذه العبارات كنت آمركم من قبل بتقليل الأتباع فالآن أسألكم بتكثيرها **فاعلم أيها الولد** أن الأمور مرهونة لأوقاتها وفي كل يوم هو تعالى في شأن وهذا الوقت وقت لا أقدر أن أصفها كما هي بيد أن الفقير يلتمس منك الاجتهاد بالكلية بالسعي والتلقين والتعليم وفق طاقتك **وأن تشمِّر ذيلك في نشر طريقتك ولو بأيِّ جدٍّ لما أن ذلك منك جهاد عظيم خاصة في هذا الزمان الذي آل إلى الفساد والفتن** . فعليك أيها الولد بذلك المهم العظيم وكن مغناطيس الوقت لجذب القلوب إليكم والله تعالى يوفقكم إلى صالح نياتكم . انتهى من خطه نوَّر الله تعالى ضريحه .

ومما كتبه قدس سره هذا المكتوب الآتي وهو آخر مكتوب كتبه بيده الشريفة باسمي وخاتمة رسالة أرسلها لديّ قبيل موته . ختم الله لنا بخير ونوَّر ضريحه وجعله فرطاً لنا ولأحبابنا آمين .

قال قدس سره من العبد الآبق من مولاه خالد سيف الله إلى ولده وقطعة خَلَده أمين سره وسرور قلبه حسن أفندي وإلى حليفه وخليفه ومهربان[1] سره وسروره حبيبنا الحاج حبيب الله وإلى أولادهما وعيالهما والمرادين والمريدين أهل التقى والدين . السلام عليكم ولن يَتِرَكُم أعمالكم وكان الله معكم وجعلكم من شرذمة السادات القادات الذين قال تعالى في حقهم ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ .

---

(١) وفي نسخة قهرمان .

وبعد فإني أستودعكم الله تعالى من كل ما يورث لكم الندامة ومن كل ما يطغيكم وأسأله تعالى أن يجعلكم خلَفاء في الأرض ورثة للأنبياء وأسوة حسنة للمقتدين والمتجردين والصالحين وأوصيكم بالاستقامة وترك الدعاوي بالكرامات فإن نسبتكم السنية النقشبندية والشاذلية تدوم وتنمو يوماً فيوماً وتبقى هاتان النسبتان إلى آخرها صافية عن الكدورات مصونة عن البدعات رغماً لباقي المتشيخين . فإنّ آثارهم عن قليل تزول ولا يحصل لهم منها إلا الفتن والنزول . فاجتهدوا فيما كنتم عليه من الوراثة العظيمة وإن سبب أفول نجوم المتشيخين إنما هو بسبب كثرة دعاويهم بالمشيخة(١) مع عدم الإذن من شيخهم إلا بالافتراء على شيخهم بالأكاذيب القولية والعملية لمجرد حوز الحطام كما هو معلوم لكل أمين لبيب وسيظهر لكم بعد الآن منهم رجلٌ يكون سبباً عظيماً في إبطال الطريقة باختراع بدع فيها ولا يطول أمره أيضاً فأصحابه يكونون فتّانين للخلق زمناً يسيراً والله تعالى يحفظ دينه القويم . ثم اعلم أيها الولد الحبيب أنّ شأن الدنيا هكذا كل وقت تؤخر المرء عن المطلوب المرغوب وعن إظهار محاسنه بالآمال والحرص . وكانت لي أمور كنت أريد بسطها لكم بيد أن الله تعالى أوقع الحيلولة بيني وبينها ولم أقدر لإفشاء سرٍّ حفظته دهري بَلَعَلَّ وعسى بيد أن الله تعالى جعل في كل شيء حكمة إلهية لا يدركها إلا من خصه الله تعالى لها . **وجميع ما وقر في صدري صببته في صدرك وجعلتك وارثي وخليفتي عند الله تعالى في عباده وفي جميع الإجازات التي أجزت فقد أجزتك في جميعها** . وكذا في الثبات العلمية والطريقية

(١) مَشْيَخَة بفتح الميم والياء بوزن متربة . « مختار » .

والأويسية فإن ساعدني الإله في الأجل ولو قليلاً فسأكتبها لكم بقلمي من قلم ساداتنا كزين الله الشريفي المعموري والسيد أحمد الأماسي ومحمد صالح الخان كرماني ومحمد نور البخاري وشيخ حبيب الرحمن الكاظمي المدني وما لم تصل لنا الشجرة[١] بالرسم إلا بالقول المحض فلا نذكره فلا حاجة لذكرها وإطالة القول والله تعالى ولي التوفيق وبيده أزمَّة التحقيق .

ثم إني في هذه الأيام لفي ضعف ووهن والحامل ولدي غَزَمِّ يخبركم عن الحقيقة ولقد هممت غير مرة لدعوتكم لأراكم قبل أن أرتحل من هذه الفانية بيد أن أموراً مَنَعَنِي عن ذلك **ورؤية القلب والبصيرة آكد وأولى من الرؤية بالبصر وأنتم عن فؤادي لا تزالون وفي صميم قلبي نازلون** وقد أودعتكم ولدي أرسلان حسين فكونوا له آباء وإخواناً ولا تقطعوا عنه نصائحكم فعسى الله تعالى أن يجعله من صلحاء الأمة كما أخبرني وبشرني به سيدنا ومولانا الكيلاني قدس سره وعسى الله تعالى أن يظهر سرّه وذلك على الله يسير .

وأما أمور هذا الزمان فهي كالطوفان تعمُّ الخلق ولا يخلص منها إلا النادر الشاذ وأرجو أنكم منهم فكونوا على بصيرة في كل أهبة مع مَن تبعكم كما قال تعالى ﴿حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وإياك والاستعجال بالإجابة بدعوة كل أحد لما أن الداعين ليسوا إلا لأغراضهم الشخصية وعسى أن يدعوكم داعي الحق للحق بالحق والله مع الصابرين . واقتصرت في الكلام بالضرورة لعدم الطاقة لرسمه

---

(١) وهي كناية عن صك الإجازة فافهم . (منه) .

هذا والسلام عليكم ومن العيال ألوف التسليمات وصنوف الدعوات وأوصيكم بالدعاء وباقي الأحوال منوطة للحامل غَزَمِّ يخبركم ثم إن ما كتبت في حق فلان[1] فقد قطعت النظر عن كتبتها فقد ابتلي بالتلبيس عياذاً بالله تعالى ولا يطول أمره بيد أن المداراة مع أمثاله من علاجات أمراض الزمان فافهم . ومني التسليمات لجماعتكم صغاراً وكباراً ذكوراً وإناثاً وأوصيهم بالدعاء . انتهى من خطه قدس سره . فهذا آخر مكتوب كتبه لديَّ قبل وفاته .

لكن لاقيت معه بعد ذلك وألبسني خرقته البيضاء التي أورثها من شيخه قطب الوقت زين الله الشريفي المعموري الترويسكي قدس سره بيده المباركة والحال أنه قائم وأنا أيضاً قائم ودعا لي بـ اللهم ألبسه لباس التقوى ولم أفهم من دعائه إلا هذا اللفظ . وقال بعد ذلك يا ولدي إن واحداً من قوم فرعون لبس عليه مثل لباس موسى عليه السلام استهزاءً به وسخرياً ولأجل ذلك نجا من الغرق حين يغرق

(١) قوله (**فلان**) قد كان الشيخ قدس سره كتبه بذكر اسمه صريحاً لكني كرهتُ أن أذكر اسمه في الكتاب إلاّ بالكناية خوفاً من الفتنة وكان الرجل ممن أخذ عنا أوّلاً بَيْدَ أنّه أسآء معنا الأدب ثم ذهب لدى الشيخ سيف الله قدس سره وعلّمه الشاذلية لكن أسآء أيضاً معه الأدب وقال له لو علمتُ أنّك لا تلقنني إلاّ الشاذلية لما جئتُ لديْك أبداً . وقد رأيت في المكتوب الذى كتبه الشيخ بخطه ما حاصله أنّه تكلم بكلمة لو ألقيت في البحر لا نكدر به . فبشؤم سوء أدبه مع أشياخه قطعوا عنه النظرات فتغيّر حاله وادعى بعد ذلك القطبانية العظمى وزعم أنّه خليفة النبي عليه السلام وتكلّم بكلمات عجيبات مموّهة مزخرفة وارتكب أموراً ليس لها أَصْل ولا أثر . وقال إنّه ليس في الدنيا طريق يفتح به باب الوصول إلا طريقته وإن طريقته ناسخة لجميع الطرق وصَنَّفَ كتاباً كأخبار الجنّ فلذا كنت سألت الشيخ رحمه الله عن أحواله بالقلم فكتب في الجواب هذه العبارات وقد ظهر الآن أمره بين الناس كنار على علم وافتضح وودعه الخلق بالسلام فللّه در القائل (**من تزيّن بما ليس فيه فهو يفضحه**) مجربات الزمان . فنعوذ بالله من تلبيسات الشيطان وتسويلات النفس . (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

فرعون وقومه . قال ذلك لإعلام حصول البركة من لبس تلك الخرقة فحصل لي بعد لبسه حيرة ودهشة وبكى الحاضرون بل بكى بسبب رؤيتها الناظرون وكان هنالك الحاج حبيب الله وسَكِتَوْ وغزم وحين خرجت من المجلس لاقاني أخونا المحبوب العالم القاضي حبيب الله القحي فصاح صيحة وبكى بكاءً . وهكذا قد أثَّر برؤيتها الناس وأقرَّ الكل بتأثيرها . وقال الشيخ قدس سره وقتئذ هذه الخرقة ألبسني الشيخ محمد مراد المنزلوي صاحب « معرب الرشحات والمكتوبات » بأمر الشيخ زين الله المذكور لأنه كان لا يقدر أن يقوم لوهنه وضعفه وقال هذه خرقة النقشبندية وسيصل إليك يا ولدي خرقة الشاذلية . انتهى .

وبعد المفارقة مرض هو في أيام وقال مَن كان معه بأنه لم يزل يذكر هذا الحقير الأقلَّ من كل قليل إلى آخرٍ نَفَسِهِ حتى قال قبيل خروج روحه هَيْ أَمَنْ حسن ما رأيتك جمعنا الله تعالى معك في دار السلام . انتهى . وأوصى قدس سره قبيل الموت بإعطاء تلك الخرقة إلى يد هذا الحقير فجزاه الله تعالى عنا وعن أهلنا وأحبابنا خيراً ولا حرمنا من بركاته وبركات أشياخه آمين . وقد كان قدس سره يَحُلّ[1] لنا كل إشكال ويكتب إلينا الغرائب وينصحنا وعندنا من مكاتبه ما يعسر عدُّها وقد جمعتها في مجلد وكان قدس سره يلاطفنا ويدارينا ويلاحظنا في المضرات والمسرات ويظهر الرضاء عنا وإن كنا غافلين قاصرين . أعاذنا الله تعالى من المكر والاستدراج آمين .

---

(١) حلّ العقدة فتحها فانحلت وبابه ردّ « مختار » .

ومما كتبه قدس سره باسم الفقير الحقير هذه الأبيات الآتية وقد كتبتها هنا للتبرك .

يا حبيب القلب بالي في الخطوب — في أمور ليس لي غير الصعوب
يا أنيس الروح مالي مونس — غيرك المرجوُّ في خطب الكروب
طيفك الميمون في قلبي سرى — سيرك المحمود علام الغيوب
أنت نِعْمَ الِخل يا نجم الهدى — أنت سرِّي أنت مفتاح القلوب
كيف لا أنت سرور الفقراء — يا وَصيَّ القطب مفتاح الشعوب
عجباً كيف أتى تاريخكم — جاء فيَّاضاً لإحياء القلوب
سيفك المغلول ساهٍ بالضنى — يا حبيب القلب بالي في الخطوب

وكتب أيضاً

أنا راض منك يا كلَّ المنى — بالذي تهوى على حكم الغرام
لست أبغي من زماني حاجة — غير أن تحيا سعيداً والسلام

انتهى من خطه

غيره

سلام على شوقي لمن كان غائباً — سلام على صبري وإن ساءه فعلي
سلام على نور الهدى وأمينه — سلام على حاوي المحاسن والفضل
أودِّعكم والقلب غير مودّع — وأدعو لكم بالخير في سَجف الليل

انتهى من خطه .

وقد أكثرت الكلام في هذا الترغيب بكتبة مهمات من مكاتب الشيخ المذكور قدس سره مع أن مقصود الكتاب ليس إلا الترغيب لأن في هذه المذكورات تنبيهات نفيسات لمن تأمَّل وتدبَّر فلعل الولد المعلوم لا يسأم

فإن سآمة الولد لكلام الوالد من علامة سوء الخلق والاعتراض على فعله سمٌّ قاتل من حيث لا يدري وإني ما كتبت في هذا الكتاب شيئا ما إلا لحكمة أعلمها فمن كانت بصيرته صافية يدركها وينتفع بها ومَنْ لا فلا والله ولي الهداية ومولي النعمة ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم .

الترغيب الثامن

في بيان آداب الذكر

أيها الولد قد مرَّ أن الذكر عبارة عن طرد الغفلة وأن الداعي والسائل ذاكر . . وآه وآه فينبغي لك أن تتعلم الآداب وتستعملها في مواضعها سواء كنت في الذكر أو في الدعاء والسؤال أو في التعليم والتعلم أو فى القراءة والتفهم فإن التصوُّف كله أدب وبه وصل من وصل وبتركه حُرِمَ من حُرِم ومن المعلوم أنّ من أساء الأدب عند الملك أو السلطان من خدمائهما رُدَّ إلى الباب ومن أساء عند الباب رُدَّ إلى إصطبل الدواب . فكلَّما يعده الناس أدباً مع الملوك فهو أدب مع الله تعالى وعكسه بالعكس فافهم . فأقول وبالله التوفيق قال سيدي عمر بن سعيد الفوتي رحمه الله تعالى في كتاب « رماح حزب الرحيم » اعلم أن للذكر آداباً لا بد من مراعاتها ثم اعلم أن المراد من الذكر تحقيق الأنس بالله تعالى والوحشة من الخلق . **وآدابه اثنان وعشرون** خمسة منها سابقة على التلفظ بالذكر

أولها التوبة وحقيقتها ترك ما لا يعنيه قولاً وفعلاً وإرادة .

والثاني أن يكون على طهارة كاملة من حدث وخبث .

والثالث السكوت والسكون .

والرابع أن يستمدَّ بقلبه عند شروعه في الذكر همَّة شيخه ويستحضره ويلاحظه ليكون رفيقه في السير إلى الله تعالى وهذا من أهم الآداب ولو نادى شيخه بلسانه بالاستغاثة عند الحاجة جاز . قال الشيخ جبريل

الخرمابازي[١] قدس الله تعالى سره العزيز فإذا ابتدأ بالذكر يحضر صورة شيخه في قلبه ويستمدُّ منه إذ قلب شيخه يحاذي قلب شيخ الشيخ إلى الحضرة النبوية وقلب النبي ﷺ دائم التوجه إلى الحضرة الإلهية فالذاكر إذا تصوَّر شيخه واستمدَّ من ولايته تفيض الإمدادات من الحضرة الإلهية على قلب سيد المرسلين ﷺ ثم تفيض من قلب سيد المرسلين ﷺ على قلوب المشائخ على الترتيب حتى ينتهي إلى شيخه ومن قلب شيخه إلى قلبه فيقوى على استعمال الآلة أي الذكر إذ هو في البداية على مثال الطفل ليس له قوة استعمال الآلة على الوجه الذي يورث[٢] ويقع محصِّلاً للغرض وإن كان بيده سيف الله وهو الذكر قال ﷺ « الذكر سيف الله » ولكن أين للسيف ضرب إلا بقوة مستفادة من حضرة بني السيف فإذا استمد من شيخه جاءه المدد لقوله تعالى ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ .

الخامس أن يرى استمداده من شيخه هو استمداده من النبي ﷺ لأنه نائبه .

واثني عَشر منها في حال الذكر

أولها الجلوس على مكان طاهر متربعاً أو كجلوسه في الصلاة مستقبل القبلة إن كان وحده . وإن كانوا جماعة فيتحلَّقون . وفرَّق بعض المتأخرين بين المبتدىء والمنتهي فقال إن المبتدىء يكون كجلوسه في الصلاة والمنتهي يكون متربعاً .

---

(١) وقد مرّ فى الترغيب الأول . (منه) .

(٢) وهكذا في النسخة التي عندنا ولعله يأثر فافهم . (منه) .

الثاني أن يضع راحتيه على فخذيه .

والثالث تطييب مجلس الذكر والبدن والفم وبعد الرائحة الكريهة لأن مجالس الذكر لا تخلو عن الملائكة وعن مؤمني الجن **والروحانيون لا يقبلون الروائح الكريهة فبانقطاعهم عن مجلس الذكر ينقطع المدد كما هو مشاهد بالذوق** .

والرابع لبس اللباس الطيب حلاًّ ورائحة .

والخامس أن يكون المكان مظلماً حتى أن لو كان هناك سراجاً أطفأه إن كانوا في خاصة أنفسهم وهذا إن أمكن المكان المظلم .

والسادس تغميض العينين لأنه أسرع في تنوير القلب فبتغميض عينيه ينسدُّ عليه طرق الحواس الظاهرة **وانسداد الحواس الظاهرة سبب لفتح حواس القلب** .

والسابع أن يخيِّل خيال شيخه بين عينيه . وهذا آكد الآداب .

والثامن الصدق وهو استواء السر والعلانية .

والتاسع الإخلاص وهو تصفية العمل من كل شَوْب بأن يفرغ قلبه عما سوى الله تعالى حتى لا يطلب دنيا ولا أخرى ولا ثواباً ولا ترقياً وإنما يذكر الله تعالى حباً في الله كما قال

أحبُّك لا لي بل لأنك أهله ... وما لي في شيء سواك مطامع

وبالصدق والإخلاص يصل الذاكر إلى درجة الصِّدِّيقية وهي أن يظهر جميع ما يخطر بقلبه من حسن وقبيح لشيخه وإن لم يظهره كان خائناً(١) والله لا يحب الخائنين .

والعاشر أن يذكر بهمَّة تامة ويميل برأسه إلى الجهة اليمنى بـ(لا) ويرجع بـ(إله) إلى جهة صدره وبـ(إلا الله) إلى جهة القلب وهو اليسار تحت الصدر الأيسر ويقتطفها من سُرَّته إلى قلبه حتى تنزل الجلالة على القلب فتحرق سائر الخواطر الرديّة ويخفف ويمد الألف مداً طبيعياً أو أكثر ويفتح الهاء من (إله) ويسكِّن الهاء من (الله) .

قال الشيخ يوسف العجمي رحمه الله تعالى قد اعترض بعض الفضلاء على الذكر بالجهر مستدلاً بقوله تعالى ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ وقوله ﷺ « خير الذكر ما خفي » وأجاب الشيخ يوسف المذكور فقال إن الله تعالى خاطب عباده بمثل قوله ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ وخاطب الخاصة بقوله تعالى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ وخاطب سيد أهل الحضرة محمد ﷺ بعد أن عرَّفه بنفسه وبربه بقوله تعالى ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾ فمن لا يعرف نفسه ولا ربه فكيف يذكر ربه في نفسه بل هم المخاطبون بقوله تعالى ﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ وأما الذكر الخفي فهو ما خفي عن الحفظة لا ما يخفض به الصوت وهو أيضاً خاص به وبمن له أسوة . وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رجلاً كان يرفع صوته بالذكر فقال رجل لو أن هذا خفض من صوته فقال النبي ﷺ دعه فإنه أوّاه والأوّاه رقيق القلب .

---

(١) وحرم الفتح « متممات » .

وروي أن الناس كانوا يذكرون الله تعالى عند غروب الشمس يرفعون أصواتهم بالذكر فإذا خفيت أرسل إليهم عمر بن الخطاب ﵁ أن قوُّوا الذكر أي ارفعوا أصواتكم . قال الشيخ يوسف المذكور والجمع بين الآية والحديث السابقين اللذين استدل بهما وبين الحديث والأثر أن الذاكرين إذا كانوا مجتمعين على الذكر فالأولى في حقهم رفع الصوت بالذكر والقوة وأما إذا كان الذاكر وحده فإن كان من الخواص فالأولى في حقه الإخفاء وإن كان من العوام فالأولى في حقه رفع الصوت .

والحادي عشر إحضار معنى الذكر بقلبه مع كل مرة ويصغي حال الذكر إلى قلبه مستحضراً للمعنى حتى كأن قلبه هو الذاكر .

والثاني عشر نفي كل موجود من القلب سوى الله تعالى بـ (لا إله إلا الله) ليتمكن تأثير (لا إله إلا الله) بالقلب ويسري إلى الأعضاء .

وخمسة بعد الفراغ من الذكر

الأول أنه إذا ختم سكت وسكن واستحضر الذكر بإجرائه على قلبه مترقباً لوارد الذكر فلعله يرد عليه وارد في لمحة ويغمر وجوده في لحظة ما لا تغمره المجاهدة والرياضة في ثلاثين سنة وهذا الوارد إما وارد زهد أو ورع أو تحمل أذى أو سخاء أو كشف أو محبة أو غير ذلك . فإذا سكت وسكن وختم نفسه مراراً دار الوارد في جميع عوالمه فيجب عليه التمهل حتى يتمكن وإلا ذهب .

والثاني مراقبة الله تعالى كأنه بين يديه .

والثالث أن يجمع حواسه بحيث لا تتحرك منه شعرة كحال الهرة عند اصطياد الفأر .

والرابع يزم نَفَسه مراراً حتى يدور الوارد في جميع عوالمه لأنه أسرع في تنوير البصيرة وكشف الحجب وقطع خواطر النفس والشياطين **لأنه إذا زم نفسه وعطّل حواسّه صار يشبه الميت والشيطان لا يقصد الميت** .

والخامس عدم شرب الماء إثر الذكر ولا في أثنائه لأن للذكر حرارة تجلب الأنوار والتجلّيات والواردات والشوق والتهييج إلى المذكور وشرب الماء يطفيء تلك الحرارة وأقل ذلك أن يصبر نحو نصف ساعة فلكية وكلما كثر كان أحسن حتى إن الصادق لا يكاد يشرب إلا عن ضرورة قوية . انتهى ملخصاً من « الوصايا القدسية » و« تحفة الأحباب والخلان » والله تعالى الموفق بمنه للصواب وإليه سبحانه المرجع والمآب . انتهى ٤ ج٢ .

أقول والله المستعان قول يوسف العجمي المار ذكره آنفاً (وأما الذكر الخفي) إلى (وبمن له أسوة) دليل صريح للنقشبنديين فإن مبنى طريقتهم على إخفاء الذكر ومنع الجهر وقد تعنعن الذكر الخفي من الصِدِّيق الأكبر رضي الله عنه ووصل إلى المشائخ بالتسلسل وبكابر عن كابر وهم الذين لهم أسوة بالنبي عليه السلام وابتداء طريقتهم انتهاء غيرها وقد بقي هذه الطريقة على أصلها لم يزيدوا عليها ولم ينقصوا منها شيئاً وأخذوا العزيمة التي لا إمكان لحصول الآفة فيها بنحو رياء أو عجب ولا مجال لإحباطها وهي الذكر الخفي القلبي الذي يزيد ثوابه على غيره بسبعين ضعفاً كما ورد به الحديث وقد قال صاحب « شرح تائية السلوك » فرُبَّ ذاكر لله تعالى لحظة

مع حضور قلب خير ممن ذكره ألف سنة بلا حضور قلب . انتهى . فإن قلت فقد قيل إن للذكر الجهري خاصية ليست في غيره ومن المجرب أنه يحصل به الشوق والذوق والوجد فلمَ منع النقشبنديون أصحابهم عن الذكر الجهري أقول إن أئمة الطرق كأئمة المذاهب في الشرع فكما اختلفت مذاهبهم باختلاف أدلتهم فكذلك أئمة الطرق اختلفوا فيما يستعملونه في طرقهم ولكل واحد منهم وجهة مقبولة ولهم دلائل من الكتاب والسنة وكلهم على الحق لما أنهم لم يخرجوا من دائرة الاتباع . فإذا فهمت هذا علمت أن لهم مذاهب يستندون إليها فمذهب النقشبنديين الإخفاء في الذكر وقد تسلسل إليهم من منبعها هذا الإخفاء وعدُّوا ما حدث فيها من البدع الغير المرضية وإن كان مستحسناً من وجه أخر ولذلك اعتقدوا ذكر الجهر بدعة ومنعوا(١) أصحابهم عنه ولم يلتفتوا إلى ثمرات تترتب عليه لما أنه لم يرد في طريقتهم الخاصة وإن ورد في طريقة غيرهم الخاصة بهم وهذا سبب تسميتهم ذكر الجهر بدعة . والله أعلم .

وأيضاً أنهم لم ينظروا إلى تلك الثمرات المترتبة على ذكر الجهر(٢) لاحتمال أن تتطرق إليه الظلمة بالرياء والسمعة ويحبط ثوابه بسببهما بالكلية فأخذوا حبل الاحتياط وتمسكوا عرى الإخلاص ولازموا على إخفاء الذكر الذي لا تسمعه الحفظة فيكتب ولا يطلع عليه الناس فيرائي

---

(١) إلى أن يصلوا إلى مرتبة الإخلاص ويأمنوا من الرياء والعجب . وهذه لا تتم إلا في مراقبة الروح وحينئذ يُرخصون للجهر لمن تحقق له تلك المرتبة . والله تعالى أعلم (منه) .

(٢) مع أن طريقتهم ليست طريقة الشوق والوجد ليحتاجوا إلى ما يحركهما بل هي طريقة السكون والحضور وجذبهم وشوقهم مصروفان إلى بواطنهم فمن حضر لا يصيح ولا يتحرك ومن غفل قد يصيح ويتحرك فافهم (منه سامحه الله) .

ويحبط ومع ذلك إن لهم ما يقوم مقام الذكر الجهري الذي يقول أهل الجهر إنه مبدأ الذكر الخفي القلبي وأنه وسيلة إليه ألا وهو التوجه المعروف عندهم المعنعن المسلسل من معدن الرسالة ﷺ فقد قال الإمام الرباني **فإن توجُّههم الواحد يعمل ما لا يعمله المجاهدة في سنين عديدة** أو ما هذا معناه . راجع « المكتوبات » . فبالتوجه يحيى القلب كما يحيى القلب بالملازمة والمداومة على الذكر اللساني ولذلك قيل **إنما يحيى القلب بقلب حي** . وأما الذين يجهرون في الذكر فلهم فيه دلائل يتمسكون بها ومقاصد يعولون عليها فلأجل كوني مأذوناً في الشاذلية[١] وكذا في القادرية اللتين جرت عادة أربابهما باستعمال الذكر الجهري كما كنت أيضاً مأذوناً في النقشبندية أردت أن أذكر هنا كلاماً في الجهري والاجتماع له كما هو المعلوم المشهور في الطريقة العلوية فأقول والله المستعان

(١) من طرف سيف الله . (منه) .

الترغيب التاسع

في بيان ما في الاجتماع للذكر والجهر به من المنافع والفوائد

قال في كتاب « الرماح » اعلم أن الاجتماع للذكر حضَّ عليه الشارع ورغَّب فيه ﷺ وجرى به عمل أهل الطريق من أهل الله شرقاً وغرباً .

وروى البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم مرفوعاً « يقول الله عز وجل أنا عند ظنّ عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه » .

وروى الطبراني بإسناد حسن مرفوعاً قال قال الله جل ذكره « لا يذكرني العبد في نفسه إلا ذكرته في ملأ من الملائكة ولا يذكرني في ملأ إلا ذكرته في الرفيق الأعلى » .

وأخرج الإمام أحمد ورواته ثقات عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفوراً لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات » . ورواه أبو يعلى والبزار والطبراني ورواه البيهقي من حديث عبد الله بن مغفل ورواه الطبراني عن سهل بن حنظلة قال قال رسول الله ﷺ « ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله عز وجل فيه فيقومون حتى يقال لهم قوموا قد غفر الله لكم وبُدّلت سيئاتكم حسنات » .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قلت يا رسول الله ما غنيمة مجالس الذكر قال غنيمة مجالس الذكر الجنة » رواه أحمد بإسناد حسن .

وعن جابر رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله ﷺ فقال « يا أيها الناس إن لله تعالى سرايا من الملائكة تحلُّ وتقف على مجالس الذكر في الأرض فارتعوا في رياض الجنة . قالوا وأين رياض الجنة قال مجالس الذكر فاغدوا وروحوا في ذكر الله واذكروه في أنفسكم . من كان يريد أن يعلم منزلته عند الله تعالى فلينظر منزلة الله تعالى عنده ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه » رواه ابن أبي الدنيا وأبو يعلى والبزار والطبراني والحاكم والبيهقي وقال الحاكم صحيح الإسناد . والرتع هو الأكل والشرب في خصب وسعة .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « ليبعثن الله أقواماً يوم القيامة في وجوههم النور على منابر اللؤلؤ يغبطهم الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء . قال فجثى أعرابي على ركبتيه فقال يا رسول الله صفهم لنا نعرفهم فقال هم المتحابُّون من قبائل شتى وبلاد شتى يجتمعون على ذكر الله تعالى ويذكرونه » . أخرجه الطبراني بإسناد حسن .

وعن عمرو بن عنبسة رضي الله عنه قال سَمعت رسول الله ﷺ يقول « عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين رجال ليسوا بأنبياء ولا بشهداء يغشى بياض وجوههم نظر الناظرين يغبطهم النبيون والشهداء بمقعدهم وقربهم من الله عز وجل . قيل يا رسول الله ﷺ من هم قال هم جماع من نوازع القبائل يجتمعون على ذكر الله تعالى فينتقون أطايب الكلام كما ينتقى الثمر أطايبه » رواه الطبراني وإسناده مقارب لا بأس به وجماع بضم الجيم وتشديد الميم أي أخلاط من قبائل شتى ومواضع مختلفة ونوازع جمع نازع وهو القريب . ومعناه أنهم لم يجتمعوا لقرابة بينهم ولا نسب ولا معرفة وإنما اجتمعوا لذكر الله تعالى .

وعن أنس بن مالك ﵁ أن رسول الله ﷺ قال « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا . قالوا وما رياض الجنة قال حلَقُ الذكر » أخرجه الترمذي .

وأخرج الحسن البصري ﵁ أنه قال ذكر الله خير لا شك فيه يذهب بالذنب ولا ذنب فيه .

وعن عبد الرحمن الجيلي أحد التابعين أنه قال إذا اجتمع قوم على ذكر الله تعالى خرج الشيطان وشيعته على باب المسجد يقول لهم هل قاموا بعد فيقولون لا . فيضرب بيده(١) فيقولون مالك فيقول إنما أخشى عليهم الرحمة أن تنزل فلا يعذبون أبداً .

ويكفي في أفضلية الاجتماع للذكر ما تقدم في الفصل الذي قبل هذا الفصل من أن الجنيد رأى إبليس في المنام فقال هل تقدر أن تمرَّ على مجالس أهل الذكر فقال كما أن أحداً منا يمرُّ على أحد منكم ويمسَّه ويصير مصروعاً ومجنوناً فمنَّا من يمرُّ على مجلس الذكر فيصير مصروعاً ونسميه بيننا مأنوساً كما تسمُّون المصروع بينكم مجنوناً انتهى . وكفى بهذا منقبة لمجلس الذكر والذاكرين جماعة .

وروى الإمام أحمد وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه والبيهقي وغيرهم عن أبي سعيد الخدري ﵁ قال يقول الله عز وجل يوم القيامة « سيعلم أهل الجمع مَنْ أهل الكرم قيل من أهل الكرم يا رسول الله قال أهل مجالس الذكر » .

---

(١) أي كبده .

وعن أبي الدرداء ﵁ حضور مجلس الذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وشهود ألف جنازة وعيادة ألف مريض . انتهى . وعن أبي هريرة ﵁ قال قال رسول الله ﷺ « إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تنادوا هلمُّوا إلى حاجتكم قال فيحفّوُنهم بأجنحتهم إلى سماء الدنيا قال فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم منهم ما يقول عبادي قال فيقولون يسبِّحونك ويكبِّرونك ويَحْمَدُونَكَ ويمجِّدونك . قال فيقول هل رأوني قال فيقولون لا والله ما رأوك . قال فيقول كيف لو رأوني قال يقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشدّ لك تحميداً وأكثر لك تسبيحاً قال فيقول فما يسألونني قال يسألونك الجنة . قال فيقول وهل رأوها قال يقولون لا والله يا ربي ما رأوها . قال يقول فكيف لو رأوها قال يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشدَّ عليها حرصاً وأشدَّ لها طلباً وأعظم فيها رغبة . قال فمِمَّ يتعوذون قال يقولون من النار . قال فيقول فهل رأوها قال يقولون لا والله ما رأوها . قال يقول فكيف لو رأوها قال يقولون لو رأوها كانوا أشدَّ منها فراراً وأشدَّ لها مخافة . قال فيقول فأشهدكم أني قد غفرت لهم . قال يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة . قال هم **الجلساء لا يشقى بهم جليسهم**(١) » رواه البخاري واللفظ له . انتهى ١٦٩ ج٢ .

وقال صاحب « الرماح » أيضاً بعيد هذا في ١٧٠ فأما الجمع للذكر ففي المتفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله تعالي عنه « إن لله ملائكة

---

(١) وفيه أي في هذا الحديث أن مَنْ خالط السادات ينال السيادات ومَنْ جالس أهل السعادات يفوز بالسعادات رسالة في فضائل الذكر عبارته ١٧ .

يطوفون في الطرق يلتمسون حلق الذكر » . الحديث . وفي آخره « فيسألهم ربهم ما يقول عبادي فيقولون يسبّحونك ويحمدونك ويكبّرونك ويهللونك ويمجّدونك » الحديث وهو صريح في باب الجمع لعين الذكر بالترغيب في سياقه وما وقع في آخره من أن فيهم مَنْ ليس منهم . فيقول تعالى هم القوم لايشقى جليسهم . فأخذ منه جواز قصد الاجتماع لعين الذكر بوجه لا يسوغ تأويله كحديث « ما جلس قوم مسلمون مجلساً يذكرون الله فيهم إلا حفت بهم الملائكة وتنزّلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده » والذكر يؤول بالعلم مرة وبذكر الآلاء أخرى وحمل على ظاهره أيضاً فسقط التمسك به في أعيان الأذكار كدلالته على ما تأوّل به لاحتماله .

قال فإن قيل يجتمعون وكلّ على ذكره . فالجواب إن كان سرّاً فجدواه غير ظاهرة وإن كان جهراً فلا يخفى ما فيه من إساءة الأدب بالتخليط وغيره مما لا يسوغ في حديث الناس فضلاً عن ذكر الله تعالى فلزم جوازه بل ندبه بشرطه .

نعم وتأويل التسبيح والتحميد والتمجيد بالتذكار بالتوحيد من أبعد البعيد فتأويله غير معقول لبعده عن الأفكار إذ لا يخطر إلا بالإخطار وذلك من مقاصد الشرع بعيد جداً فافهم .

ثم قال بعد إتمام هذه القاعدة وإتمام قاعدة أخرى فأما قول ابن مسعود ﵁ لقوم وجدهم يذكرون الله تعالى جماعة لقد جئتم ببدعة ظلماً أو لقذفتم[1] أصحاب محمد ﷺ علماً .

(١) كذا في الأصل بحروفه ولم أعلم معناه (منه) . اللهم إلا أنّه في « المصباح » قذف بقوله تكلّم من غير تدبّر انتهى . فبناء على هذا يجوز أن يكون من المراد تكلّمهم في أصحاب محمد من غير

فالجواب عنه أنه لم يبلغه حديث الترغيب فيه أو أنه أنكر الهيئة ونحوها وإلا فلا يصح إنكاره بهذا الوجه بعد صحة الحديث . انتهى ١٧٠ « رماح » .

وقال صاحب كتاب « الرماح » رحمه الله تعالى بعد كلامه ثم قال في « كشف القناع » وسئل الجلال السيوطي رحمه الله تعالى عما اعتاده الصوفية من عقد حلق الذكر والجهر به في المساجد ورفع الصوت بالتهليل هل ذلك مكروه أم لا فأجاب بأنه لا كراهة في شيء من ذلك وقد وردت أحاديث تقتضي استحباب الجهر بالذكر وأحاديث تقتضي استحباب الإسرار بذلك والجمع بينهما أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص كما جمع النووي بذلك بين الأحاديث الواردة باستحباب الجهر بقراءة القرآن والأحاديث الواردة باستحباب الإسرار بها .

قال أي السيوطي بعد أن أورد ما أورده من الأحاديث الواردة باستحباب الجهر إذا تأملت ما أوردناه من الأحاديث عرفت من مجموعها أنه **لا كراهة البتة في الجهر بالذكر** وأما معارضته بحديث « خير الذكر الخفي » فهو نظير معارضة أحاديث الجهر بالقرآن بحديث « المسرُّ بالقرآن كالمسرِّ بالصدقة » . وقد جمع النووي بينهما **بأن الإخفاء أفضل حيث خاف الرياء أو تأذى به مصلون أو نيام والجهر أفضل في غير ذلك** لأن العمل فيه أكثر ولأن فائدته تتعدى إلى السامعين ويوقظ قلب القارىء ويجمع همَّه إلى الحضور ويصرف سمعه إليه ويطرد النوم ويزيد في النشاط .

تدبّر ولا تأمّل فتدبّره . (منه) . وأيضاً في « المختار » القذفة واحدة القذف والقذفات مثل غرفة وغرفات وهي الشرف . انتهى . فبناء على هذا يجوز أن يكون معناه أو لقد شرفتم على أصحاب محمد والله أعلم فتدبر (منه قدس سره) .

قال وقال بعضهم يستحب الجهر ببعض القرآن والإسرار ببعضه لأن المسرَّ قد يملُّ فيأنس بالجهر والجاهر قد يكلُّ فيستريح بالإسرار . قال وكذلك نقول في الذاكر على هذا التفصيل وبه يحصل الجمع بين الأحاديث .

قال **فإن قلت** قد قال الله تعالى ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ وقد قال تعالى ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ وقد فسر الاعتداء بالجهر بالدعاء .

فالجواب في الآية الأولى من ثلاثة أوجه أحدها ما ذكره السادة الصوفية أن الأمر في الآية خاص بالنبي ﷺ الكامل المكمل وأما غيره ممن هو محلّ الوساوس والخواطر الردية فمأمور بالجهر لأنه أشد تأثيراً في دفعها .

والجواب في الآية الثانية من وجهين .

أحدهما أن الراجح في تفسير الاعتداء أن يجاوز المأمور به ويخترع دعوة لا أصل لها في الشرع .

الثاني على تقدير التسليم فالآية في الدعاء لا في الذكر والدعاء بخصوصه الأفضل فيه الإسرار لأنه أقرب إلى الإجابة ومن ثم استحب الإسرار بالاستعاذة في الصلاة اتفاقاً . انتهى .

ومن كلام سيدي علي الخواص ينبغي للمريد أن يذكر بقوة تامة مع الجهر فإنه أشد تأثيراً في جمع شتات قلبه وينبغي له أيضاً أن يذكر مع جماعة فإن ذكر الجماعة أكثر تأثيراً في رفع الحجب لكون الحق تعالى شبه

القلوب بالحجارة ومعلوم أن الحجر لا ينكسر إلا بقوة جماعة فكذلك قساوة القلب لا تزول إلا بذكر جماعة مجتمعين على قلب واحد لأن قوة الجماعة أشد من قوة شخص واحد **وأما من حيث الثواب فلكل ثواب نفسه وثواب سماع رفقته** . انتهى .

وفي « البحر المورود في المواثيق والعهود » للشيخ الشعراني أخذ علينا العهد أن نكون هينين في يد إخواننا المسلمين ما لم يدعونا إلى مذموم شرعاً وفي الحديث الوارد في الأمر بتسوية الصفوف « ولينوا في يد إخوانكم » .

واعلم يا أخي أنك إذا دخلت على جماعة يذكرون الله تعالى على طريقة المغاربة والعجم أو الشناوية أو الرفاعية أو **غيرهم أن تذكر كأحدهم في النغمة والصوت** ولا تخالفهم فتشوِّش عليهم ولا تسكت فيفوتك أجر الذكر . انتهى .

وفيه أخذ علينا العهود أن نبسط لكلِّ من تعرَّف بنا من أبناء الدنيا بساط التشوق إلى طريق الفقراء وإلى محبة ذكر الله تعالى صباحاً ومساءً ليلاً ونهاراً فإن أحب ذلك وواظب عليه قرَّبناه وعددناه من جملة الأصحاب وإن لم يجب لذلك فإن اشتغل في جلوسه معنا في مجالس الذكر ونحوها وتعلَّل بالنوم مثلاً عددناه من معارفنا لا من أصحابنا وذلك لأن الصاحب شرطه أن يشرب من مسقاة صاحبه مع ارتفاع الحاجز بين قلبه وبين صاحبه كما يرتفع الحاجز بين الحوضين ويصيران حوضاً واحداً وماء واحداً . انتهى .

وفيه أخذ علينا العهود إلى أن قال وينبغي للشيخ معاتبة كل من غاب من الفقراء عن صلاة الجماعة أو عن مجلس الذكر ولو بالنوم في البيت بحجة الوفاء بحق العيال **وإذا كان الفقراء في مجلس وردهم فلا ينبغي لأحدهم الانصراف إلا بإشارة شيخ المجلس** ﴿وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُ﴾ ومجلس الذكر أمر جامع بيقين . انتهى .

وفيه أخذ علينا العهود أن نأمر إخواننا بتعظيم الذاكرين الله تعالى والذاكرات من نسبتهم إلى مجالسة الحق عز وجل حال ذكرهم في قوله تعالى « **أنا جليس من ذكرني** » أي أنا معه ومن كان الحق معه لا ينبغي لمن له دين أن يتعرَّض له بأن ينوي له سوءاً في وقت من الأوقات وهذا الأمر وإن كان واجباً في حق المسلمين فهو في حق الذاكر أشد وجوباً . قال **وما رأينا أحداً آذى الفقراء أو الصالحين أو أنكر عليهم بغير طريق شرعي ومات على نعت استقامة أبداً** . وفي الحديث القدسي « من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب » . انتهى .

قال **وعلامة الولي** الذي لا شك فيه أن يكون مكثراً بذكر الله تعالى ويؤيِّده قول أبي على الدقاق رحمه الله تعالى الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر فقد أعطي منشور الولاية . انتهى . قال فعلم أنه **لا ينبغي لأحد أن يمنع الذاكرين من رفع الصوت بالذكر في المساجد ونحوها إلا بطريق شرعي** يسوغ له الإنكار فيها كأن يشوش على نائم أو مصلٍّ أو مطالع في علم شرعي ونحو ذلك فليبتعد المانع لهم نفسه والله بكل شيء عليم . انتهى كلام الشعراني رضي الله عنه وهو نفيس . انتهى .

أيها الولد رزقك الله التوفيق والاستقامة آمين . قد يسأل كثير من الناس هل يجوز أن يذكر الله تعالي في حالة قراءة القرآن في المسجد كما هي العادة الجارية في ديارنا بين المغرب والعشاء أم لا يقول والدك في الجواب قال محمد حقي النازلي في « خزينة الأسرار » إن استماع القرآن من الغير في بعض الأحيان من السنن وأما أنه هل يفرض استماعه كلما قرىء بناءً على قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾ ففي الصلاة نعم وأما خارجها فعامة العلماء على استحبابه . انتهى ٥٤ . وفي فتاوى محمد علي الچوخي رحمه الله تعالى أن استماع القرآن مندوب بشرط كونها صحيحة وصلاة التحية أيضاً مندوب لداخل المسجد فلا يترك مندوب لمندوب آخر على أن الإنصات المأمور به في الآية ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ إنما هو الإنصات بترك الكلام اللغو لا بترك مندوب آخر مثله كالصلاة والقراءة ونحوهما كما صرح به المناوي . انتهى ٥٨ .

والاستماع مستحب لا واجب . رملي . ولا شك أنه يستحب الاستماع والإنصات عند قراءة القرآن . جمالين . وفي « الفتوحات » بسط في ذلك فراجعه .

وفي « رماح حزب الرحيم » وأما قول القائل إذا لم يستمعوا القرآن خالفوا قول الله تعالى ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾ . وقد اختلف العلماء في هذا الأمر هل للوجوب مطلقاً أو للندب أو للوجوب في بعض الصور دون بعض مع اتفاق جمهورهم على أنه مخصوص بحالة الصلاة . وزاد بعضهم وفي الخطبة .

وقال بعضهم إنما ذلك في الصلاة المفروضة . أخرجه ابن جرير الطبراني بإسناد رجاله ثقات . ومن طريق طلحة بن عبد الله بن زكريا قال رأيت عبد الله وعطاء يحدثان والقاصُّ يقصُّ فقلت ألا تستمعان فنظرا إلي ثم حدثا . فقلت ذلك ثلاثاً فقالا إنما ذلك في الصلاة .

وعن بعض الفضلاء أن الأمر خاص بالنبي ﷺ وهو المأمور بالإنصات عند نزول الوحي بقوله تعالى ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ قال ابن عباس أي انصت له فكان بعد ذلك إذا جاء الوحي أنصت له . الحديث . وعلى تقدير حمل الأمر على عمومه فلا يليق بمن له دين أن يعمد إلى الناس في عبادة فيتسبَّب في قطعها عليهم .

وقال العلماء فيمن صلى إلى غير سترة فى طريق المارة وكانت له مندوحة في أن يصلي في غير ذلك المكان أنه لا إثم على المارة لأن المصلي تسبَّب إلى ذلك . فكذلك هنا إذا تعمد قراءة القرآن عند من يذكر الله تعالى لاعتقاده أن استماع القرآن واجب فيقطع الذاكر ذكره ويستمع القرآن لا يجب عليه في هذه الحالة أن يستمع وقد قال العلماء في الداعي المستغرق في الدعاء لا يشرع السلام عليه ولا يجب الردُّ في ذلك الحال . وكذلك هذا الذاكر إذا استغرق في ذكرهِ وإذا سقط عنه ما هو واجب لولا الذكر فيسقط الاستماع عنه وهو واجب عليه في هذه الصورة المذكورة . انتهى ١٧٦ج١ .

وهذا الكلام لخصته من ذلك الكتاب من أجوبة ابن حجر العسقلاني لأسئلة فراجعه .

ووجدت في آخر مجموعة الرسائل لسليمان الزهدي قدس سره ما نصه قال السيد ابن عابدين في « حاشية الدر المختار » وفي شرحه « المنية » والأصل أن الاستماع للقرآن فرض كفاية لأنه لإقامة حقه بأن يكون ملتفتاً إليه غير مضيع وذلك يحصل بإنصات البعض كما في رد السلام . انتهى .

وكذا ذكر في « حاشية الحموي » عن الإمام الشعراني **أجمع العلماء خلفاً وسلفاً على استحباب ذكر الجماعة في المساجد وغيرها إلا أن يشوِّش جهرهم على نائم أو مصلٍّ أو قارىء** . انتهى . راجعه في ١١٠ .

أيها الولد إني ذكرت في هذا الترغيب نبذة قليلة من فضيلة الذكر والاجتماع ولنا في هذا المقام من كلام السادات ما يطول ذكره وقد ذكرنا في كتابنا « تنبيه السالكين » و« خلاصة الآداب » نبذة نافعة أيضاً فإن أردت الزيادة فراجعهما .

يا ولدي أوصيك بملازمة مجالس الذكر ففي تلك المجالس فوائد جليلة وكيف لا وقد ورد في الحديث « المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي ألف مجلس من مجالس السوء » وورد أيضاً « إن أهل الذكر ليجلسون إلى ذكر الله تعالى وإن عليهم من الآثام مثل الجبال وإنهم ليقومون ما عليهم منها شيء » رواه أحمد في الزهد عن ثابت البناني .

يا ولدي إن لك في هذين الحديثين كفاية لو كان فيك شيء ما من العناية . رزقك الله تعالى الهداية والإنابة وجنَّبك عن الضلالة والغواية آمين .

الترغيب العاشر

في بيان فضائل ما يستعمله المشائخ في طريقتهم من ترتيب الشغل ووظائف الأعمال

فاعلم يا ولدي أن أعمال الآخرة كأعمال الدنيا على حد سواء فقد يكون **بعض** العمل الكثير الشاق في الدنيا قليل الأجر بمقابلته والعمل القليل اليسير كثير الأجرة ألا ترى أن النجار أو الحداد مع المشقة التي يذوقانها قد لا يكون لهما إلا اليسير من الأجرة كالدراهم المعدودة أو غيرها وأن الفضاض ومهيئ الساعة قد يأخذان الأجر الكثير مع قلة التعب والعناء وكونه في ظل الدار والبناء فهكذا قد جعل الله تعالى بمنِّه وفضله وجوده الأجر الكثير في مقابلة بعض العمل اليسير . ألا ترى ما ورد في صلاة الفاتح لما أغلق على ما سبق ذكره وسورة الإخلاص أنها تعدل ثلث القرآن .

وقد قال عز الدين بن عبد السلام ما حاصله إن الثواب لا يترتب على قدر النصب في جميع العبادات بل قد يأجر الله تعالى قليل الأعمال أكثر مما يأجر على كثيرها . انتهى . كذا في « الرسالة » في فضائل الذكر فراجعه في ١٢ . فإذا كان الأمر كذلك اختار أشياخ الطريق في طرقهم كل عمل مشقته وعناؤه قليلة يسيرة سهلة وجزاؤه وأجرته عظيمة جليلة كثيرة وذلك أخذاً واستنباطاً من الأحاديث والآثار لا اختراعاً منهم وابتداعاً فجزاهم الله تعالى عنا خيراً آمين . فكم وكم فضيلة سردوا[١] فيها وكم وكم

(١) سردت الحديث سرداً من باب قتل أتيت به على الولاء . « مصباح » .

وظيفة نافعة رتبوها فها أنا أردت أن أبيِّن لك يا ولدي ما في كل شغل من أشغال هذه الطريقة مما بقي ولم أذكره فيما سبق

فأقول وبالله التوفيق فأولاً يأمر الشيخ المريد بإتيان خمسة أو خمسة عشر أو خمس وعشرين من الاستغفار والحكمة في تقديمه هذا أن المتنجس بالأدناس والرذائل لا يصلح له الوقوف بباب الملك فضلاً عن الدخول فحينئذ الخدمة له أولى وأحرى وأما طمعه في دخوله مداخل الخاصة فسوء أدب وجراءة على الملك فكان اللائق بصاحب هذا الحال اشتغاله بما يطهره ويزيل عنه ما عليه من النجاسة والدناسة ليصلح للخدمة ومع هذا لا بد له من الوسيلة والوسيلة لا يجترىء على توصيله إلى الملك وهو متلطخ بالنجاسة والتطهر من تلك النجاسات لا يحصل إلا بالتوبة والاستغفار ولذا أمروا مريدهم بالشروع في الاستغفار .

ثم إنه لما أكمل من الاستغفار وتاب وعلم أن التائب من الذنب كمن لا ذنب له كما ورد قوي رجاؤه على أن يصلح الآن للوقوف بين يدي سيده وخدمته ولكنه مع ذلك في خوف شديد ووجل عظيم لما علم من عظمة هذا الملك وكبريائه وعلو شأنه وكونه مختاراً يفعل ما يشاء ولما علم ذلك خاف من الاستبداد[1] بنفسه والاستقلال بأمره لأن مثله لا يستحق بذلك إلا الطرد والإبعاد من الملك وهذا والعياذ بالله هو الذي كان يخاف أن يلحقه من جناب سيده ولعلمه أنه هو وجميع الخلق في هذا الميدان على حد سواء رجع إلى التوسل إلى الله تعالى برسوله الذي هو وسيلة جميع المخلوقات

---

(١) استبدّ بالأمر انفرد به بغير مشاور له « مصباح » .

إليه تعالى في جميع التوجهات والمطالب لعلمه بعلوِ مقداره عند الله تعالى وشفوف[١] مرتبته لديه وعلوِ اصطفائه على جميع خلقه وعلمه بأن الله تعالى لا يقبل العمل من كل عامل إلا بالتوسل إلى الله تعالى به ﷺ فمن طلب القرب من الله تعالى والتوجُّه إليه دون التوسل به ﷺ معرضاً عن كريم جنابه ومدبراً عن شديد خطابه كان مستوجباً من الله تعالى غاية السخط والغضب وغاية اللعن والطرد والبعد وضلَّ سعيه وخسر عمله ولا وسيلة إلى الله تعالى إلا به ﷺ . فإذا كان الأمر كذلك وخاف المريد أيضاً من أن يجترىء على جنابه ﷺ ويتخذه إلى الله تعالى وسيلة بنفسه وانفراده شرع في التوسل إليه ﷺ بواسطة المشائخ وبالتوجُّه إليهم معتقداً أنهم باب الفيوض وميزابها وأن قلوبهم مجرى الإمداد وقناتها وأن التقرُّب إليه عليه الصلاة و السلام بغير وساطتهم محال وقصد إلى الإلتجاء إلى أبوابهم رجاء أن يكونوا له ممدين فشرع في قراءة الفاتحة مرة وسورة الإخلاص ثلاث مرات لعلمه ما في قراءتها من الثواب العظيم فأهدى ثوابها إلى النبي ﷺ وإلى أرواح أولئك المشائخ امتثالاً بأمر النبي ﷺ بقوله « تهادوا تحابوا » ثم إنه لما قصد التوجُّه إليهم والقرب منهم زاد خوفه فاستغفر الله ثانياً مائة مرة ليستحكم الطهارة عما بقي عليه من الدناسة فلما كان مراده من جميع ما ذكر أن يستفيض من شيخه ويجعله رفيقاً في طريقه ووسيلة إلى الوصول إلى جنابه ﷺ ويطلب غرفاً من فيوضاته وإمداداته ويصير أهلاً ببركة الوسائط للقرب إلى الله تعالى ووصوله مع علمه أن الفيض لا يؤخذ إلا من قلوبهم وأن قلوبهم موازيب الحكمة والمدد وقصد الشروع

---

(١) أي زيادة .

في ربط قلبه بقلب شيخه للاستفاضة ووجد قلبه مملوءاً بالخواطر ومدنَّساً بحديث النفس احتاج لا محالة أن يشتغل أولاً بما يزيلها ليصفو توجُّهه إلى شيخه ويسهل تصوُّر صورته قبالة وجهه ولا شك أن علاج زوالها هو ذكر هاذم اللذات[١] ومكدّر التنعمات ألا وهو الموت الذي هو القيامة الصغرى ومفرق الأحباب . وباب البلية الكبرى . وقد سمعت شيخنا ذا الجناحين الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره يقول **إذا أطاق المريد أن يتصوَّر صورة شيخه كما هي يحضر لديه وإلا فلا** فهذه المذكورات هي الحكمة التي وصل إليها عقل الحقير رحم الله إفلاسه ونوَّر الله تعالى ضرائح مشائخنا حيث أرشدونا إلى هذه المنافع آمين مع ما فيها غير ما سبق من الثواب الجزيل والأجر الكبير . **فتأمل يا ولدي** فيما أتلو عليك فأرجوك أن تكون من الذين يستمعون القول فيتَّبعون أحسنه .

أما فضائل الاستغفار فقد مرَّ في بابه .

فضائل سورة الفاتحة

وأما قراءة الفاتحة ففضائلها كثيرة فمن ذلك ما نقل من عين « الرسالة » من حاشيته روي أنه لما أنزل الله تعالى فاتحة الكتاب على محمد عليه الصلاة والسلام[٢] بكى إبليس بكاءً شديداً حتى اجتمع عليه أولاده قالوا وما يبكيك فقال إن الله تعالى أنزل على محمد وأمته سورة أئشُتُ منهم .

---

(١) ورأيت في « شرح عين العلم » ما نصه وقالت صفية إن امرأة شكت عائشة قساوة قلبها فقالت أكثري ذكر الموت يرقَّ قلبك . ففعلت فرقّ قلبها فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها انتهى ٨٨ ج٢ (منه) .

(٢) وفي نسخة وأمته .

فقالوا لا تغتمَّ إنا نجتهد كل الجهد حتى يتركوا شكر ما أنعم الله عليهم فيعاقبهم الله ويعذبهم كالأمم الماضية . فقال اللعين إذاً لا تقدرون لأن في أول تلك السورة الحمد لله رب العالمين . فقالوا لا تَغتمَّ إنا نجتهد كل الجهد حتى ينكروا البعث فيعاقبهم الله تعالى ويعذبهم كالأمم الماضية . فقال اللعين إذاً لا تقدرون لأن الله تعالى علَّمهم أن يقولوا مالك يوم الدين . فقالوا لا تغتمَّ إنا نجتهد كل الجهد حتى يعبدوا الأوثان فيعاقبهم الله تعالى ويعذبَهم كالأمم الماضية . فقال اللعين إذاً لا تقدرون لأن الله تعالى علَّمهم أن يقولوا إياك نعبد . فقالوا لا تغتمَّ فإنا نجتهد كل الجهد حتى يتكاسلوا ويتركوا ما أمر الله فيعاقبهم ويعذبهم كالأمم الماضية . فقال اللعين إذاً لا تقدرون لأن الله تعالي علمهم أن يقولوا وإياك نستعين فقالوا لا تغتم فإنا نجتهد كل الجهد حتي نضلهم من الطريق فيعاقبهم الله ويعذبهم كالأمم الماضية . فقال اللعين إذاً لا تقدرون لأنهم يقولون اهدنا الصراط المستقيم إلى آخر السورة فقالوا إنهم ليسوا بأفضل من آدم وحواء ومكانهم لا يكون أفضل من الجنة وأنت أخرجت آدم وحواء من الجنة . فصاح صيحة وانغمس في البحر انغماسة ومكث أولاده سنة فخرج من بعد السنة وقال أبشروا يا أولادي جئت بشيء نهلكهم ونضلّهم . فقالوا وماذا قال نزيِّن المعاصي في قلوبهم ونمنع ألسنتهم من الاستغفار فيعاقبهم الله تعالى ويهلكهم كالأمم الماضية . فضحكوا كلهم مسرورين وأرادوا أن يرجعوا مسرورين **فنادى الله تعالى يا لعين إن منعتهم عن الاستغفار فمن يمنعني من الغفران أغفر لهم بقراءة هذه السورة ولا أبالي وإن ماتوا بغير الاستغفار ليعلم عبادي أني أنا الغفور الرحيم** . انتهى .

ورأيت في « ذخيرة المعاد » أنه عليه الصلاة والسلام قال لرجل لأعلمنّك أعظم سورة في القرآن . فسأله عنها . فقال له الحمد لله رب العالمين وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته . انتهى ٦٢ .

وقال في حديث السرية لما رقوا بها الملدوغ وأعطوهم قطيعاً من الغنم ثلاثين شاة « إنها رقية حق حتى اقتسموها واضربوا لي معكم بسهم وإنها شفاء من كل داء » . وفي أخرى « من السمِّ » .

وعن أنس رضي الله عنه أنه قال عليه الصلاة والسلام « إذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد فقد أمنت من كل شيء إلا الموت » . وفي أخرى « من قرأ أم الكتاب وقل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن »وفي أخرى « أنها تعدل ثلثي القرآن » . انتهى « ذخيرة المعاد » ٦٤ .

وفيه وفي حديث آخر « إن الملائكة لا تقرأ من القرآن إلا الفاتحة وإن قراءة القرآن خاصة بالبشر دون الملائكة وأنهم حريصون على سماعه من الإنس » .

فضائل بسم الله الرحمن الرحيم

وقال في فضل البسملة عن جابر بن عبد الله قال لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم هرب الغيم إلى المشرق وسكنت الريح وهاج البحر وأصغت البهائم بآذانها ورجمت الشياطين من السماء **وحلف الله بعزته وجلاله لا يسمى على شيء إلا بارك فيه** .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه **أنه قال** من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) ليجعل الله تعالى بكل حرف منها جُنَّة من كل واحد .

وعن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً « إن المعلم إذا قال للصبي قل بسم الله الرحمن الرحيم . كتب للمعلم وللصبي ولأبويه براءة من النار » . وأخرج الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم كتب له بكل حرف أربعة آلاف حسنة ومحي عنه أربعة آلاف سيئة . ورفع له أربعة آلاف درجة » هذه الأحاديث والآثار ملخصة من « الدر المنثور » . انتهى ٦٤ .

وفيه وقيل خلق الله تعالى ملكاً تحت العرش رأسه كرأس الآدمي له سبعون ألف جناح أمة من الملائكة مكتوب على خدِّه الأيمن آية الكرسي وعلى الأيسر ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ الآية . وعلى جبهته الفاتحة وبين يديه سبعون ألف صف من الملائكة يقرؤون الفاتحة من جبهته فإذا قالوا إياك نعبد وإياك نستعين سجدوا فيقول الله تعالى ارفعوا رؤوسكم فقد رضيت عنكم . فيقولون ربنا ارضَ عمن قرأ الفاتحة من أمة محمد ﷺ فيقول أشْهِدُكم أني قد رضيت عنهم . وقال نجم النسفي رضي الله عنه لما نزلت الفاتحة نزل معها سبعمائة ألف ملك . انتهى ٦٧ .

وفيه فائدة خلق الله تعالى القلم من درَّة بيضاء طوله خمسمائة عام النور منه ينبع كما ينبع المداد من قلم الدنيا ثم أمره أن يكتب « بسم الله الرحمن الرحيم » فكتبها في سبعمائة عام فقال الله تعالى وعزتي وجلالي

من قالها من أمة محمد ﷺ مرة واحدة كتب الله تعالى له ثواب سبعمائة عام . انتهى ٦٨ . قاله النسفي رحمه الله تعالى .

وذكر أيضاً أن النبي ﷺ رأى ليلة المعراج قبّة من درَّة بيضاء لها باب من ذهب وقفل من ذهب لو أن الجن والإنس جلسوا على تلك القبة لكانوا كطير على رأس جبل فأراد أن يرجع فقيل له لِمَ لا تدخلها قال لأنها مقفولة . فقيل مفتاحها معك وهو بسم الله الرحمن الرحيم . فقال بسم الله الرحمن الرحيم فانفتحت فرأى فيها أربعة أنهار من ماء غير آسن أي غير متغير يخرج من ميم بسم الله الرحمن الرحيم ونهر من لبن يخرج من هاء الجلالة ونهر من خمر لذة للشاربين يخرج من ميم الرحمن ونهر من عسل مصفًّى يخرج من ميم الرحيم . فقال الله تعالى يا محمد ﷺ من ذكر بهذه الأسماء من أمتك سقيته من هذه الأنهار الأربعة .

وقد مرّ أن من أسماء الفاتحة « الماحية » لأن فيها خمسة عشر ميماً بالبسملة . فإذا قرأها العبد خرجت الميمات كالطيور فيتعلق بالعرش فيثقل على الحملة فيقولون ربنا ما هذا الثقل فيقول الله تعالى هذا ثواب سورة قرأها عبدي . فتقول الميمات ربنا ما جزاء من قرأنا فيقول الله تعالى انطلقوا إلى ديوانه وكل ميم تمحو عشر سيئات . فيقولون ربنا زدنا فيزيدهم إلى المائة وعشرين سيئة إلى المائة ثم يزدادون فيزيدهم عشرين فيكون جملة ذلك ألفاً وثمانمائة **فيحصل لكل قارىء الفاتحة في اليوم والليلة في الصلوات الخمس ثلاثون ألفاً وستمائة حسنة .**

قال النيسابوري وغيره أسقط الله تعالى من الفاتحة سبعة أحرف الثاء من الثبور والجيم من جهنم والخاء من الخزي والزاء من الزفير والشين من الشهيق والظاء من اللظى والفاء من الفراق ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ فلما أسقطها غلب على الظن أن من قرأها خلَّصه الله تعالى من أبواب جهنم السبعة ولأن آياتها سبع أيضاً . انتهى ٦٩ .

وفيه ما نصه مرَّ أن في وصل البسملة بالحمدلة عن القرطبي أن الله تعالى قال وعزتي وجلالي وجودي وكرمي أن من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم متصلة بالفاتحة مرة واحدة فاشهدوا على أني قد غفرت له وقبلت منه الحسنات وتجاوزت عن السيئات . انتهى ٦٩ .

وفي كتاب « الفيوضات الحسنى من مشاهدة الحبيب الأسنى » للشيخ حسين بن عبد الشكور المدني رحمه الله تعالى يتضمن شرح صلاة أهل القرب وهو شرح قصيدة له سماها « الهدية السنية » وشرحها الأصل « الموارد الهنية » و« الفيوضات » كالحاشية على الشرح وهو كتاب جليل على نمط هو على غير مَنْ لم يعلمه الله تعالى العلم اللدني مستحيل أهداه مؤلفه لشيخنا الإمام الحبيب عمر بن عبد الرحمن البارّ الأخير وقد عده في فهرسة مشائخه .

قال فيه ذكر سيّدي الشيخ الأكبر في كتاب الوصايا من « فتوحاته » نفعنا الله به . **فائدة عظيمة وعائدة عميمة** قال رضي الله عنه وصية إذا قرأت فاتحة الكتاب فَصِلْ بسملتها بها في نَفَسٍ واحد فإني أقول بالله العظيم لقد حدثني أبو الحسن علي بن أبي الفتح المعروف والده بالكتاري بمدينة الموصل

سنة إحدى وست مائة إلى آخر سنده به وكل واحد من الرواة للحديث يقول بالله العظيم لقد سمعت فلاناً يقول إلى أن قال لقد حدثني أنس بن مالك رضي الله عنه لقد حدثني المصطفى ﷺ وقال بالله العظيم لقد حدثني جبريل عليه السلام وقال بالله العظيم لقد حدثني ميكائيل عليه السلام وقال بالله العظيم لقد حدثني إسرافيل عليه السلام وقال بالله العظيم قال الله تعالى يا إسرافيل بعزتي وجلالي وجودي وكرمي من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم متصلة[1] بفاتحة الكتاب مرة واحدة اشهدوا على أني قد غفرت له وقبلت منه الحسنات وتجاوزت عنه السيئات ولا أحرق لسانه بالنار وأجيره من عذاب القبر وعذاب النار وعذاب القيامة والفزع الأكبر ويلقاني قبل الأنبياء والأولياء أجمعين . انتهى « ذخيرة المعاد » ٧١ .

وفي حاشية الشيخ محمد الزرقاني على شرح المنظومة المسماة « بالبيقونية » في مصطلح الحديث قال السخاوي هذا الحديث باطل متناً وتسلسلاً وقد أثبته أهل الكشف وأجاب بعضهم عن أسباب بطلانه . انتهى . فراجعه في ٣٦ . لكن مؤلف « خزينة الأسرار » ذكره في الأحاديث الصحيحة . فراجعه في ١٠٥ .

---

(١) هذا الوصل إنما هو في قراءتها في غير الصلاة وأمَّا فيها فالأفضل الفصل . كذا أفادني شيخنا القحي رحمه الله تعالى وأمرني بتعليقه هنا هكذا والسلام .

وأمَّا ما نقله ابن حجر عن المجموع من أنه يُسنُ وصل البسملة بالحمدلة للإمام وغيره . اتهى . فلم يرض به واعترضه برواية البيهقي والحليمي وغيرهما بأنه يُسنُّ الوقف على رؤوس الآي إلخ انتهى فراجعه (منه) .

وفي « التحفة المدنية في المسلسلات الوترية » لمحمد علي بن ظاهر الوتري المدني كلام كثير في حق الحديث وفيه ما حاصله أن هذا الحديث قد ثبت عند ابن عربي وأضرابه من طريق الكشف . فراجعه في ٥٠ .

وفي « ذخيرة المعاد » أن المتمرِّن على حبس النَفَس في قراءة الفاتحة كلها مع البسملة في نَفَسٍ إذا تمادى عليه توسع له ضيقه فيمكنه أن يقرأ سورة الإخلاص ثلاثاً في نَفَسٍ واحد فيأتي على قراءة الفاتحة في ضمن القرآن لأنها أمه وأوله فاتحة الكتاب ويتحصل له في فضل الله تعالى ما وعده على الفاتحة بكرمه ويرجى له تحصيل قراءة القرآن كله معها في نفس واحد إلخ .

وفيه بعيد هذا وفي الوارد الآخر تجزي ما لا يجزي شيء من القرآن . ولو أن فاتحة الكتاب جعلت في كفة الميزان وجعل القرآن في الأخرى لفضلت فاتحة الكتاب على القرآن سبع مرات في نفس واحد .

ولعل هذا أيضاً مما يرشد إلى حصول بيان شيء من فضل حصر النَفَس بأمِّ القرآن في نفس واحد مع البسملة فتحصل قراءة القرآن سبع مرات للقارىء في نفس واحد . انتهى . ملخصاً في ٧٢ على ما هو المقصود فتدبر فيما ذكر .

ولكن قال في « فتح المعين » ويُسنُّ وقفٌ على رأس كل آية حتى على آخر البسملة خلافاً لجمع . انتهى . قوله ويُسنُّ وقف على رأس كل آية إلخ . وذلك لما صح أنه ﷺ كان يقطع قراءته آية آية يقول بسم الله الرحمن الرحيم ثم يقف الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم

ثم يقف قوله حتى على آخر البسملة غاية لسنية الوقف على ما ذكر وهي للردّ . وقوله خلافاً لجمع أي قائلين إنه يسن وصل البسملة بالحمدلة للإمام وغيره . وتعجب منه في « التحفة » للحديث السابق . انتهى « إعانة الطالبين » ١٤٨ج١ .

قوله حتى في آخر البسملة هو معتمد « التحفة » قوله خلافاً لجمع أي في قولهم يسن وصل البسملة بالحمدلة وهو معتمد « المغني » و« فتح الجواد » . انتهى « ترشيح المستفيدين » ٦٣ .

وفي « جواهر المعاني » وأمّا فضل فاتحة الكتاب فقد ورد في الحديث أنها أعظم من القرآن وهي السبع المثاني والقرآن العظيم إلى غير ذلك مما ورد في فضلها عن سيد الوجود ﷺ . قال رضي الله عنه « وأما الفاتحة فقد ذكر لنا رسول الله ﷺ أن فيها بكل مرة ختمة من القرآن فقلت له ﷺ إنه بلغني في بعض الأخبار أن من تلاها مرة فكأنما سبَّح الله بكل تسبيح سبَّحه به جميع خلقه في كورة العالم فهل يحصل فيها هذا الثواب كله فقال ﷺ أكثر من ذلك ويحصل لتاليها في كل مرة بعدد حروفها وحروف القرآن بكل حرف سبع قصور وسبع حور . قلت وقد قيل إن حروف القرآن ثلاثمائة ألف وإحدى وعشرون ألفاً وخمسة وسبعون فإذا ضربت في سبعة وهي عدد الحور لكل حرف سبعة يخرج ألف ألف ومئتا ألف وسبع وأربعون ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرون حوراً . انتهى .

وفي سورة القدر ثلاثمائة ألف وستون ألفاً لكونها فيها فضل صيام رمضان وكل يوم منه باثني عشر ألفاً وإذا جمع هذا العدد مع الأول يكون

ألفي ألف وستمائة ألف وسبعة آلاف وخمسمائة وخمسة وعشرون . انتهى . فهذا في غير الصلاة وأما في الصلاة فيتضاعف مرتين إن صلى جالساً وأربع مرات إن صلى قائماً وهذا للفذِّ فإذا قرأها في صلاة الجماعة فيتضاعف بمائة وثمان مرات فإذا نظرت إلى عدد ركعات وهي سبعة عشر ركعة بين الليل والنهار يصير ثمانية عشر مائة وستة وثلاثون أعني فضلها المتقدم في عدد الحروف وهو ألفي ألف أعني يتضاعف إلى هذا القدر ومثله تسبيح العالم ومثله قيام ليلة القدر ومثله عبادة سنين ومثله ختمات من القرآن . الحاصل مَنْ قرأها في صلاة الجماعة فيعطى من الأجر في اليوم الواحد **أربعة آلاف ألف ألف** (مرتبتان) **وسبعمائة ألف ألف** (مرتبتان) **وستة وثمانون ألف ألف** (مرتبتان) **وثلاثة وستون ألفاً وتسعمائة حوراء**(١) مع الأجر المتقدم من تسبيح العالم وختمات القرآن إلى غيرها .

قال الشيخ رضي الله عنه وفي الحديث « من صلى خلف الإمام فقراءة الإمام له قراءة » . انتهى . ثم قال سيدنا رضي الله عنه وهذا لمن لم يفهم معنى التفسير وأما من علم التفسير فيتضاعف له الأجر مرتين وهو مئتا حسنة لكل حرف ثم قال سيدنا رضي الله عنه ولا تكتب عليه سيئة في تلك السنة أعني قارىء الفاتحة ثم قال رضي الله عنه وهذا في غير نية الاسم .

وأما قراءة الفاتحة بنيّة الاسم فلا يحيط بفضلها إلا الله تعالى ولا يستعظم هذا في جنب الكريم جل جلاله فإن فضل الله لا حدَّ له والسلام .

---

(١) هو بالرقم الكتابي ٤٨٧٦٠٦٣٩٠٠ .

ثم قال رضي الله عنه قال لي سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ويجاورني في علِيّين .

وهذا الثواب كله لمن تلاها مرة واحدة وأما من تلاها وهو يعتقد أنه يتلو الاسم الأعظم معها لكون حروف الاسم تامة فيها فإنه يحصل له في كل مرة ثواب تلاوة الاسم وثواب تلاوتها وكل من تلاها فقد تلاه معها وهذه الخاصية في الفاتحة فقط دون ما عداها من المتلوات التي كملت فيها حروف الاسم .

واعلم أن من تلاها متعبداً لله من غير شعور بتلاوة الاسم معها كان له الثواب الأول ومن تلاها معتقداً أنه يتلو الاسم معها لوجود كمال حروفها فيها كان له ثواب تلاوتها وتلاوة الاسم في كل مرة لكن مع اعتقاد أنه الاسم الخاص بالذات العلية وليس للذات العلية المنزهة غيره . انتهى .

فهذا ما أبرزه لنا رضي الله عنه وما هو مكتوم فيها فلا يعلم قدره إلا الله تعالى . انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه . انتهى كلام « الجواهر » راجعه في ١٠٧ ج١ .

وأخرج الخلعي في فوائده عن عبد الله بن جابر رضي الله عنه أنه قال عليه الصلاة والسلام « **فاتحة الكتاب شفاء من كل شيء إلا السام** » والسام الموت . انتهى . « خزينة الأسرار » في ٦٤ .

وفيه وأخرج ابن قانع عن رجال الغنوي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « استشفوا بما حمد الله به نفسه قبل أن يحمده خلقه وبما مدح الله به نفسه . قلنا وما ذاك يا نبي الله قال الحمد لله وقل هو الله أحد **فمن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله تعالى** » . انتهى ٦٤ .

وفي تسمية الفاتحة بالسبع المثاني[١] أقوال **فمنها** ما ذكره محمد حقي النازلي قدس سره في « خزينة الأسرار » بما نصه وقيل لأن آياتها سبع وأبواب النيران سبعة فمن قرأها غلقت عليه الأبواب السبعة والدليل عليه ما روي أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ يا محمد كنت أخشى العذاب على أمتك فلما نزلت الفاتحة أمنت . قال لِمَ يا جبريل قال لأن الله تعالى قال ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ وآياتها سبع فمن قرأها صارت كل آية طبقاً على باب من أبواب جهنم فتمرّ أمتك عليها سالمين . انتهى في ٩٤ .

وفيه في ١٠٦ وأخرج أبو عبيد في فضائله عن الحسن قال رسول الله ﷺ « من قرأ فاتحة الكتاب فكأنما قرأ التوراة والإنجيل والزبور والقرآن » انتهى .

وفيه في ١٠٨ وروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ « من قرأ فاتحة الكتاب فكأنما قرأ بالتوراة والإنجيل والزبور والفرقان وكأنما تصدق بكل آية قرأها بملء الأرض ذهباً في سبيل الله وحرَّم الله جسده على النار ولا يدخل الجنة بعد الأنبياء أغنى منه » . انتهى .

---

(١) والمثاني يحتمل أن يكون مشتقاً من الثناء لما فيها من الثناء على الله تعالى ويحتمل أن يكون من الاستثناء لأن الله تعالى استثناها لهذه الأمة ويحتمل أن يكون من التثنية قيل لأنها تثنى في كل ركعة وقيل لأنها نزلت مرتين وقيل لأنها على قسمين ثناء ودعاء وقيل لأنها كلما قرأ العبد منها آية أثنى عليه الله بالإخبار عن فعله وقيل لأنها اجتمع فيها فصاحة المباني وبلاغة المعاني وقيل لأنها مستثناة من سائر الكتب وقيل غير ذلك راجع « خزينة الأسرار » في ٩٤ (منه) .

وفيه في ١٠٩ وروي عن حذيفة اليماني وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنهما مرفوعاً « إن القوم يبعث الله عليهم العذاب حتماً مقضياً فيقرأ صبي من صبيانهم في المكتب الحمد لله رب العالمين فيسمع الله تعالى ويرفع العذاب بسببه أربعين سنة » . كذا في تفسير الفاتحة وتفسير ابن عادل .

وفيه ١٠٩ وروي عن النبي ﷺ أنه قال « من أتى منزله فقرأ سورة الحمد وسورة الإخلاص نفى الله عنه الفقر وكثر خير بيته » كذا في تفسير الفاتحة . انتهى .

وفيه في١١٣ وقال صاحب « درَّة الآفاق في علم الحروف والأوفاق » من داوم على قراءة الفاتحة مع البسملة عقب كل صلاة مكتوبة سبع مرات بعدد آياتها فتح الله عليه أبواب الخيرات ما دام يقرؤها وكفاه الله ما أهمَّه من أمر دينه ودنياه ومن قرأها سبع مرات على قطن يتفل عليه ثم يضعه على جراحة شفاه الله تعالى ببركة الفاتحة .

ومن داوم على قراءتها عقب كل صلاة مكتوبة عشرين مرة يبلغ كل يوم إلى مائة وسَّع الله تعالى رزقه وحسن حاله ونوَّر سرَّه على قدره ويسَّر أمره وفرَّج همَّه وكشف ضرَّه ويعطي قارئها مأموله من العزِّ والهيبة والعلو والرفعة والسيادة وبها تنزل البركات وترفع الحاجات وفيها أسرار لأرباب البدايات وأنوار لأصحاب النهايات وهي تدل على الدين والصدق والإنابة والتوفيق والنصر والقهر والغلبة والطاعة والعطف والمحبة والكفاية والوقاية والأمن والتمليك والإرادة والعلم والبسط والسرور والفهم والزيادة في المال والجاه والأهل والحياة الطيبة وحفظ الخدم والأولاد

من الضرر والفساد والاطِّلاع على لطائف العلوم ودقائق الفهوم بالغرائب والحكمة والتكلُّم بالحقائق والمعرفة وغيرها من المنافع والمراتب كلها ببركة الفاتحة والخصائص فيها وفتح الله عليه أبواب الخيرات بالزيادات ونفذت كلمته في الرياسات وآمنه الله تعالى من حوادث الدهر وشرِّ نكبات الجوع والفقر وألقى محبته في القلوب ولا يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه ما سأل . ولا تحصل هذه الخواصُّ إلا بالمداومة عليها .

وبها الإجازة لمن داوم عليها كما أخذ الإجازة عن المشائخ عند حضرة النبي عليه الصلاة والسلام . وفي رواية إن الفاتحة تقرأ بعد صلاة الصبح ثلاثين مرة وبعد الظهر خمساً وعشرين وبعد العصر عشرين وبعد المغرب خمسة عشر وبعد العشاء عشر مرات تبلغ كلها إلى مائة فاتحة . وكلا الطريقين محمود . ومن داوم على قراءة الفاتحة مائة مرة دبر كل صلاة مكتوبة نال مقصوده سريعاً ومن داوم على قراءتها بعد صلاة الصبح بعدد حروفها وهي مائة وخمس وعشرون مرة أدرك غرضه ونال مطلوبه بلا شك ولا شبهة ولهذا الترتيب خواص عجيبة وأسرار غريبة . انتهى .

وفيه فى ١٤٤ وروي عن الشيخ محي الدين بن عربي قدس سره من كان له حاجة فليقرأ الفاتحة أربعين مرة بعد صلاة المغرب عند الفراغ من الفرض والسنة ولا يقوم من مكانه حتى يفرغ من قراءة الفاتحة وبعده يسأل مراده فإن الله تعالى يقضيه لا محالة . وقد جُرّب فوجدناه نافعاً ثم يقرأ هذا الدعاء بعد الفراغ من قراءة الفاتحة « إلٰهِي عِلْمُكَ كَافٍ عن السُّؤَالِ اِكْفِنِي بحَقِّ الْفَاتِحَةِ سُؤالاً وَكَرَمُكَ كَافٍ عَنِ الْمَقَال أَكْرِمْنِي بِحَقِّ الْفَاتِحَةِ مَقَالاً وَحَصِّل مَا فِي ضمِيري » .

قال رسول الله ﷺ « فاتحة مفتوحة لمقصد المؤمنين ومن قرأها بالوضوء سبعة أيام في كل يوم سبعين مرة ونفخ على ماء طاهر فشربه رزقه الله تعالى بفضله العلم والحكمة وطَهَّر قلبه عن الأفكار الفاسدة وجعله ذكياً لا ينسى أبداً ما سمعه » كذا في « سرِّ الفاتحة » .

فائدة ومن خواص الفاتحة أنها إذا قرأت إحدى وأربعين مرة بين سُنَّة الصبح وفرضه على وجع العين يبرأ بإذن الله تعالى معجلاً وهذا الترتيب في هذا الزمان نافع بليغ للعين وغيرها من الأمراض وذلك قد جُرّب وصح والحمد لله **والسرُّ في ذلك كله حسن الظن من الوجيع والعازم .**

ومن قرأها بالعدد المذكور على الضرس الوجيع يبرأ بإذن الله تعالى .

ومن قرأ بالعدد المذكور في قفا المسافر حفظه الله تعالى وردَّه سالماً إلى وطنه .

فائدة من خواص الفاتحة مَنْ قرأها مائة وإحدى وعشرين مرة وهو مقيد والعياذ بالله تعالى ويتفل بعد القراءة عشر مرات على القيد فان القيد ينفكُّ بإذن الله تعالى . وقد جَرَّبه مَنْ كان مقيداً وعلى الترسم فانفك القيد وخرج والحراس رقود ونجا بلطف الله تعالى وببركة هذه السورة .

ومن خواصها ما روي عن بعض الصالحين أنه قال **من وضع يده على موضع الوجع وقرأ الفاتحة سبع مرات** وقال « **اللهمَّ أَذْهِبْ عنِّي سُوءَ ما أَجدُ وَفُحْشَهُ بدَعْوَةِ نَبيّكَ مُحمدٍ ﷺ اَلْمُبَارِكِ المكين الأَمِينِ عِنْدَكَ** » سبع مرات شفاه الله تعالى . وقد جُرِّب ذلك وصح . كذا في « فتح المجيد » . انتهى .

وقال العلامة ابن القيم في كتابه « كل داء له دواء » وأنا أحسنت المداواة بالفاتحة فوجدت لها تأثيراً عجيباً في الشفاء وذلك أني مكثت بمكة مدة يعتريني أدواء لا أجد لها طبيباً ولا مداوياً فقلت يا نفس دعيني أعالج نفسي بالفاتحة ففعلت فرأيت لها تأثيراً عجيباً وكنت أصف ذلك لمن اشتكى ألماً شديداً فكان كثير منهم يبرؤون سريعاً بمكة ببركة الفاتحة ثم قال **وقد يختلف الشفاء لضعف همَّة الفاعل أو لعدم قبول المحل** أن يتداوى بكتابة الفاتحة أو أن يتداوى بقراءة الفاتحة فكذلك يختلف الشفاء بضعف همة القارىء أو لتغيير القارىء في المخرج والصفات أو لعدم قبول المحل وإلا فالآيات والأدعية في نفسها نافعة شافية .

واعلم أنه قد يعمل كثير من الناس شيئاً من ذلك ولا يقع على مقصوده وغرضه وذلك إنما يكون لأمرين

أحدهما أن يكون العامل من العصاة غير أهل للانفعالات والمكاشفات .

والثاني عمله على سبيل التجربة والشك وأما إذا حدث من آثار النفوس الخبيثة من ذوات السموم القاتلة والعيون المعرِّضة المهلكة أمر وقابلته النفوس الزكية الشريفة بحقائق الفاتحة وأسرارها ومعانيها وما تضمنته من التوحيد والتوكل والثناء على الله سبحانه وتعالى دفعت أثر تلك النفوس الشيطانية وحصل البرء بلا شك ولا شبهة . كذا في « شمس المعارف » . انتهى « خزينة » في ١١٨ .

أيها الولد إن فضائل الفاتحة وخواصها كثيرة وكتبة الجميع عسيرة ولعل في هذا القدر كفاية فإن أردت الزيادة فراجع « فتح الملك المجيد »

و« خزينة الأسرار » و« شمس المعارف » وغيرها . وقد كان شيخنا المرحوم المغفور سيف الله قدس سره أجازني لكتبة الفاتحة مقطعة الأحرف بلا طمس للحروف محواً وتعليقاً لكل داء ومرض وكذا لقراءة يا سلام مائة وعشرين مرة على المريض نافثاً عليه من الريق بعد القراءة للعدد المذكور .

وكتب ﵁ هذه الإجازة بخطه في أثناء صك الإجازة

يا ولدي إن والدك أجازك في هذا كما أجازني به شيخي المذكور رزقك الله تعالى الاعتقاد التام ونفع الله تعالى بك العباد بالنفع العام آمين .

فضائل سورة ا لإخلاص

وأما قراءة سورة الإخلاص ففضائلها أكثر من أن يحصى .

فمن ذلك ما ذكره محمد حقى النازلي قدس سره في « خزينته » في ١٥١ في فصل الأحاديث الصحيحة الواردة في فضائل قراءة سورة الإخلاص إلخ بالسند المتصل إلى أبي الدرداء عن رسول الله ﷺ أنه قال « أيعجز أحدكم أن يقرأ ليلة ثلث القرآن قالوا كيف ذاك يا رسول الله قال اقرؤا قل هو الله أحد يعدل ثلث القرآن » .

وبالسند المتصل إلى أنس ﵁ قال قال رجل لرسول الله ﷺ « إني أحب هذه السورة قل هو الله أحد . قال حبّك إياها أدخلك الجنة » كذا في « المعالم » .

وعن أبي بن كعب ﵁ عن النبي ﷺ قال « من قرأ قل هو الله أحد مرة واحدة أعطاه الله من الأجر كمن آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله

وأُعطي من الأجر كمثل أجر ثواب مائة شهيد » كذا في « التفسير الكبير » .
وأخرج مسلم وغيره عن حديث أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال « قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن » وفي « اللباب » عن جماعة من الصحابة كذا في « الإتقان » . وفي رواية قال رسول الله ﷺ « من قرأ سورة الإخلاص بإخلاص حرَّم الله جسده على النار » .

وأخرج أحمد وأبو داود عن أبي هريرة ﵁ عن النبي عليه الصلاة والسلام قال « من قرأ قل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن » . وأخرج عقيل عن النبي ﷺ قال « من قرأ قل هو الله أحد ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن أجمع » كذا في « الجامع الصغير » . انتهى .

وفي « الخزينة » أيضاً وأخرج مسلم عن معاذ بن جبل وأنس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال « من قرأ قل هو الله أحد عشر مرة بنى الله له بيتاً في الجنة » .

وأخرج الطبراني والدارمي عن أبي هريرة ورواية أخرى عن سعيد بن المسيب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال « من قرأ قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة بني له قصر في الجنة ومن قرأها عشرين مرة بني له قصران في الجنة ومن قرأها ثلاثين مرة بني له ثلاثة قصور في الجنة . فقال عمر بن الخطاب ﵁ والله يا رسول الله إذاً لنكثرنَّ قصورنا فقال عليه الصلاة والسلام رحمة الله واسعة من ذلك » كذا في « تفسير الحنفي » و« مشكاة المصابيح » .

وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال من قرأ قل هو الله أحد بعد صلاة الفجر إحدى عشرة مرة لم يلحقه ذنب يومئذ ولو اجتهد الشيطان . كذا في « روح البيان » .

وأخرج الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال « من قرأ قل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة فكأنما قرأ القرآن أربع مرات وكان أفضل أهل الأرض يومئذ إذا اتقى » كذا في « الإتقان » انتهى ١٥٢ .

وفي « الخزينة » أيضاً ١٥٢ وأخرج ابن نصر عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « من قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة غفر الله له ذنوب خمسين سنة » .

وأخرج الطبراني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ « من قرأ قل هو الله أحد كل يوم خمسين مرة نودي يوم القيامة قم يا مادح الله فادخل الجنة » . وأخرج البيهقي وابن عدي عن أنس رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة غفر الله له خطيئة خمسين عاماً ما اجتنب خصالاً أربعاً الدماء والأموال والفروج والأشربة » كذا في « الجامع الصغير » .

وأخرج الطبراني والديلمي عن النبي ﷺ أنه قال « من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة في الصلاة أو في غيرها كتب الله له براءة من النار » .

وأخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « من قرأ قل هو الله أحد مائتي مرة كل يوم كتب الله له ألفاً وخمسمائة حسنة ومحا عنه ذنوب خمسين سنة إلا أن يكون عليه دين ومَنْ أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرأ قل هو الله أحد مائة مرة فإذا كان يوم القيامة يقول الرب يا عبدي ادخل عن يمينك الجنة » كذا في « الإتقان » .

وأخرج البيهقي عن أنس ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال « من قرأ قل هو الله أحد مائتي مرة غفر الله له ذنوب مائتي سنة » . وأخرج البيهقي وابن عدي عن أنس ﵁ عن النبي ﷺ « من قرأ في يوم قل هو الله أحد مائتي مرة كتب الله له ألفاً وخمسمائة حسنة إلا أن يكون عليه دين » .

وأخرج الخارجي في « فوائده » عن حذيفة ﵁ عن النبي ﷺ « من قرأ قل هو الله أحد ألف مرة فقد اشترى بها نفسه من الله تعالى » كذا في « الجامع الصغير » . انتهى ١٥٢ .

وفي « خزينة الأسرار » ١٥٣ أيضاً وروي عن وكيع عن إسرائيل عن إبراهيم عن عبد الله الأعلى عن ابن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم قال قال رسول الله ﷺ « كنت أخشى العذاب على أمتي بالليل والنهار حتى جاءني جبريل عليه السلام بسورة قل هو الله أحد فعلمت أن الله تبارك وتعالى لا يعذب أمتي بعد نزول قل هو الله أحد لأنها نسبة الله عز وجل فمن تعهَّد قراءتها تناثر البر عن عنان السماء على مفرق رأسه ونزلت عليه السكينة وتغشاه الرحمة وله دويّ حول العرش حتى ينظر الله إلى قارئها فيغفر له مغفرة لا يعذب بعدها أبداً ثم لم يسأله شيئاً إلا أعطاه وجعله في حرزه وكلاءته ويكون له من يوم قراءته إلى يوم القيامة من كل خير أعدَّه الله تعالى لأوليائه وأهل طاعته من خيري الدنيا والآخرة النصيب الوافر ويوسع الله عليه الرزق ويمدُّ له في العمر ويكفيه في المهم من الأمور كلها ولا يذوق سكرات الموت وينجو من عذاب القبر ولا يخاف إذا خاف العباد وإذا وافى للجمع أتوه بنجيبة من درَّة بيضاء فيركبها فيمرّ به حتى يقف بين يدي الله تعالى فينظر الله تعالى إليه بالرحمة ويكرمه بالجنة يتبوأ

منها حيث يشاء فطوبى لقارئها فإنه ما من أحد يقرأ قل هو الله أحد مرة إلا وكَّل الله الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ويستغفرون له ويكتبون له الحسنات إلى يوم يموت ويغرسون له بكل حرف من قل هو الله أحد نخلة طولها ألف فرسخ وعلى كل نخلة ألف شمراخ[1] وعلى كل شمراخ بعدد رمل عالج بُسْرٌ كل بُسْرَةٍ منها مثل قلة من قلال الجبال يضيء بريقها غصناً كما بين السماء والأرض والنخلة من الذهب الأحمر والبسرة درَّة بيضاء مختلفة الألوان حلَلُها وحليُّها ومن قرأ قل هو الله أحد وكّل به ألف ملك يبنون له مدائن وقصوراً ويغرسون حول المدائن والقصور أشجاراً من الرياحين والثمار ويمشي على الأرض والأرض تفرح به ويموت مغفور الذنوب فإذا قام بين يدي الله تعالى يقول له أبشر وقِرَّ عيناً بما لَكَ عندي من الكرامة فيتعجب الملائكة من قربه من الله تعالى وكرامته إياه فيأمر الله تعالى اللوح المحفوظ أن يقرأ عليه ثوابه بقراءته قل هو الله أحد فيقرأ عليه اللوح فيتعجب منه سكان السماء فيقولون سبحان ربنا هل يكون في الجنة مثل هذا فيقول الله تعالى فإني أستعدُّ لعبدي هذا . فارغبوا في قراءة قل هو الله أحد فإن قراءتها براءة من النار فمن قرأ قل هو الله أحد مرة شهد له سبعون ألف ملك بالجنة وكتب له ثواب سبعمائة ألف ملك فيقول الله تعالى انظروا ما يريد عبدي فأعطوه وهو أعلم بحاجته . فمن حافظ على قراءته كتب عند الله تعالى من الفائزين القائمين الصائمين فإذا كان يوم القيامة قالت الملائكة يا رب هذا يحب صفاتك . فيقول لهم لا يبقى منكم ملك إلا شيعه إلى الجنة فيزفُّونه إلى الجنة كما تزفُّ العروس إلى بيت

---

(١) والشمراخ ما يكون فيه الرطب . « مصباح » .

زوجها فإذا دخل الجنة ونظر الملائكة إلى درجاته وقصوره فيقولون يا ربنا ما بال هذا أرفع درجة ومنزلة من الذين كانوا معه فيقرؤون كتابك كله فيقول الله تعالى أرسلت أنبيائي وأنزلت معهم كتبي وبيَّنت لهم ما أنا صانع بمن آمن بي من الكرامة وما أنا معذب لمن كذبني وأنا أجازي كلهم بقدر أعمالهم من الثواب لا صِحاب سورة الإخلاص فإنهم كانوا يحبّون قراءتها آناء الليل والنهار فلذلك فضَّلتهم على سائر أهل الجنة . فمن مات على حبِّ قل هو الله أحد يقول الله تعالى من يقدر على أن يجازي عبدي غيري أنا المليء بجائزته فيقول عبدي ادخل جنتي أَرْضَ عنك . فإذا دخلها يقول ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ إلى ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ فطوبى لمن أحب قراءة قل هو الله أحد فإن من قرأها كل يوم ثلاث مرات يقول الله تعالى عبدي وُفِّقْتَ وأحببتَ ما أردتُ هذه جنتي فادخلها حتى ترى ما أعددت لك من الكرامة والنعيم بقراءتك **قل هو الله أحد** فيدخل فيرى ألف ألف قهرمان على ألف ألف مدينة ما بينها قصور وحدائق . ارغبوا في قراءة سورة الإخلاص فإنه ما من مؤمن يقرأ قل هو الله أحد في كل يوم ثلاث مرات إلى خمس مرات إلا وقد استوجب رضوان الله الأكبر وكان من الذين قال الله تعالى ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ إلى ﴿وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ . ومن قرأها عشرين مرة فله ثواب سبعمائة ألف رجل أهريق دماؤهُم في سبيل الله وبورك عليه وعلى آله وماله وداره .

ومن قرأها ثلاثين مرة بني له ثلاثون ألف قصر في الجنة . ومن قرأها أربعين مرة جاور النبي ﷺ . ومن قرأها خمسين مرة غفر الله له ذنوب

خمسين سنة . ومن قرأها مائة مرة كتب الله له عبادة سنة .ومن قرأها مائتي مرة فكأنما أعتق مائة رقبة . ومن قرأها أربعمائة مرة كان له أجر أربعمائة شهيد . ومن قرأها خمسمائة مرة غفر الله له ولبيته ومَن ولد . ومن قرأها ألف مرة فقد أدَّى دَيْنَهُ إلى الله تعالى وصار عتيقاً من النار .

واعلموا أن خيري الدنيا والآخرة في قراءة قل هو الله أحد **ولا يتعاهد قراءتها إلا السعداء ولا يعجز عن قراءتها إلا الأشقياء** . كذا في « تفسير الحنفي » .

وأخرج الديلمي مرفوعاً « من صلى الفجر في جماعة وجلس في محرابه وقرأ قل هو الله أحد مائة مرة غفرت له الذنوب التي بينه وبين ربه التي لا يطلبها إلا الله » . قال رسول الله ﷺ « من قرأ سورة الإخلاص ألف مرة بُشّر له بالجنة » . كذا رواه أبو عبيدة رضي الله عنه .

وقيل من قرأ قل هو الله أحد في المنام أعطي التوحيد وقلة العيال وكثرة الذكر وكان مستجاب الدعوة .

وأخرج الحافظ أبو محمد بن الحسن بن أحمد السمرقندي رضي الله عنه في فضائل قل هو الله أحد عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من قرأ قل هو الله أحد مرة بورك عليه ومن قرأها مرتين بورك عليه وعلى أهل بيته ومن قرأها ثلاثاً بورك عليه وعلى أهل بيته وجيرانه ومن قرأها اثنتي عشرة مرة بنى الله له في الجنة اثني عشر قصراً ومن قرأها عشرين مرة جاء مع النبيين هكذا وضم الوسطى والتي تلي الإبهام ومن قرأها مائة مرة غفر الله له ذنوب خمس وعشرين سنة إلا الدين والدم ومن قرأها مائتي مرة غفرت

له ذنوب خمسين سنة ومن قرأها أربعمائة مرة كان له أجر أربعمائة شهيد كلّ عقر جواده وأهريق دمه ومن قرأها ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له » . انتهى ١٥٤ .

وفيه في ١٥٥ وأخرج ابن النجّار عن علي ﷺ عن رسول الله ﷺ قال « من أراد سفراً فأخذ بعضادتي[1] منزله فقرأ إحدى عشرة مرة قل هو الله أحد كان الله له حارساً حتى يرجع » .

وأخرج ابن عدي والبيهقي عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال « من قرأ قل هو الله أحد على طهارة مائة مرة كطهارة الصلاة يبدأ بفاتحة الكتاب كتب الله له بكل حرف عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وبنى له مائة قصر في الجنة وكأنما قرأ القرآن ثلاثاً وثلاثين مرة وهي براءة من الشرك ومحضرة للملائكة ومُنَفِّرة للشياطين ولها دويّ حول العرش تذكر بصاحبها حتى ينظر الله تعالى إليه وإذا نظر إليه لم يعذبه أبداً » . انتهى .

وفيه في ١٥٨ وأخرج البيهقي عن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال أتى رسولَ الله ﷺ جبريلُ عليه السلام وهو بتبوك فقال يا محمد اشهد جنازة معاوية ابن معاوية المزني . فخرج رسول الله ﷺ ونزل جبريل في سبعين ألفاً من الملائكة فوضع جناحه الأيمن على الجبال فتواضعت ووضع جناحه الأيسر على الأرضين فارتفعت حتى نظر عليه الصلاة والسلام إلى مكة والمدينة شرفهما الله تعالى إلى دار القيام فصلَّى عليه رسول الله ﷺ

(١) العضادة بالكسر جانب العتبة من الباب « مصباح » .

وجبريل والملائكة عليهم السلام فلما فرغ قال عليه الصلاة والسلام يا جبريل بمَ بلغ معاوية هذه المنزلة قال بقراءة قل هو الله أحد قائماً وراكباً وماشياً » . كذا رواه البيهقي في « الدلائل » انتهى .

وفي « التذكرة » للقرطبي أن رسول الله ﷺ قال « من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره وأَمِنَ من ضغطة القبر وحملته الملائكة بأكفها حتى يجيزوه من الصراط إلى الجنة » . كذا في « الفوائد » قال ﷺ « إن من قرأ قل هو الله أحد ثلاث مرات في مرضه الذي توفي فيه مات شهيداً » . وعدَّه العلماء في الذين ماتوا شهداء لا يسألون في قبورهم ولو لم يقرب موته بل طال مرضه بعد قراءتها . انتهى « خزينة » ١٥٨ .

أيها الولد نفع الله تعالى بك العباد ولا جعلك من أهل العناد آمين . إني ذكرت في فضيلة قل هو الله أحد ما هو الأهم عندي فإن أردت الزيادة فعليك الرجوع إلى الكتب .

وأما إهداء ثواب فاتحة الكتاب وسورة الإخلاص إلى روح النبي ﷺ وإلى أرواح سائر المشائخ والنداء إليهم بـ يا أساتيذي ويا مشائخي أطلب منكم العون لأذهب إلى الله تعالى ويتقبلني الله تعالى فللوسيلة للاستمداد منهم وللقربة والمناسبة لهم وقد ورد في الحديث « تهادوا تحابوا » وطلب المحبة والمودة بين المتلاقيين مرغوب والهدية تذهب الشحناء وتلك الهدية كالصدقة والتصدق قبل النجوى محمود . وقال الله تعالى ﴿إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ الآية . والأدب مع ورثته ﷺ كالأدب معه ﷺ فافهم . ومن المعلوم أنه لو كان واحد يهدي إلى واحد

مثلاً بشيء من الدنيا صباحاً ومساءً ثم إن المهدي لو طلب من المهدى إليه جلب نفع إليه أو دفع ضرٍّ عنه يقصد المهدى إليه بهمَّته لقضاء حاجة المهدي وإن أمور الآخرة عند الأموات أعلى من أمور الدنيا فإن الميت كالغريق ينتظر دعوة ملحقة من أب أو أم أو صديق فإذا لحقته كانت أحبَّ إليه من الدنيا وما فيها والميت قد عرف قدر الطاعة وندم على ما فات منها وأنه يكون حريصاً على الطاعة ومتحسِّراً على ما فرَّط في ذكر الله تعالى وقراءة كلامه فإذا أهدى واحد إليه شيئاً ما مما قرأه من القرآن كان ذلك عنده أحبّ إليه مما طلعت عليه الشمس . والمشائخ رحمهم الله تعالى وإن ماتوا فهم أحياء عند الله ويسمعون نداء الأحياء ويجيبونه ويمدّون لمن طلب منهم المدد .

وقد رأيت في « المنن » ما حاصله ومن شرط الشيخ أن يسمع نداء مريده **وإن كان بينهما مسيرة ألف سنة** أو ما هذا معناه .

وكان شيخنا العسلي قدس سره يأمرنا بأن نقول بعد إهداء ثواب قراءة الفاتحة والإخلاص إلى أرواح المشائخ وبعد ندائهم بيا أساتيذي . .إلخ بيا رب لا تطردني عن بابك بحرمة هؤلاء المشائخ إلخ . . فإذا سأل الله بالنبي ﷺ فإن الملك يبلغه ذلك للنبي عليه السلام ويقول له إن فلاناً سأل الله بحقك في حاجة كذا فيسأل النبي ﷺ ربَّه في قضاء تلك الحاجة فيجاب لأن دعاءه ﷺ لا يردُّ . وكذا السؤال بالأولياء فإن الملك يبلغهم أيضاً فيشفعون له في قضاء تلك الحاجة . كما هو مذكور في « لواقح الأنوار » مبسوطاً فراجعه في ١١ من هامش « المنن » ج٢ .

ولا يخفى عليك أن جعل الوسيلة لله إنما هو من إعظام جانب التوحيد فإن العبد يشهد سوء حاله وكثرة ذنوبه فلا يجد له وجهاً ولا سبيلاً للسؤال من ربه الفعال المطلق فتجتمع همَّته على جعل وسيلة[١] لله من أوليائه وأحبابه اعترافاً بالذنب وانكساراً للرب وإعظاماً لقدره وإيماناً بأنه هو الفعال لا غيره وأحبابه الوسائل المرضية عنده لاتِّباعهم بنبيِّه الكريم ولوقوفهم عند أمره العظيم . وقد ثبت في الأحاديث التوسل به ﷺ وبالنبيين والمرسلين والأولياء والصالحين وفي « نور الإنصاف » بسط فراجعه .

ورأيت في « فتاوى » الرملي ما نصه هذا وسئل عما يقع من العامة من قولهم في الشدائد يا شيخ فلان يا رسول الله ونحو ذلك من الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين فهل ذلك جائز أم لا وهل للرسل والأنبياء والصالحين والمشائخ إغاثة بعد موتهم وماذا يرجح ذلك فأجاب بأن الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء والصالحين جائزة وللرسل والأنبياء والأولياء والصالحين إغاثة بعد موتهم لأن معجزة الأنبياء وكرامات الأولياء لا تنقطع بموتهم . انتهى فراجعه في ٣٨٢ من هامش « فتاوى » ابن حجر من الجزء الرابع . وفي « الفتاوى العمرية » وقوله يا سيدي بدوي ويا شيخ فلان ليس من الإشراك لأن القصد التوسل والاستغاثة . قال الله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ

---

(١) وجوّز في « البزازية » أن يقول بحرمة فلان وفي « المنية » وفي الآثار ما يدل على الجواز . أقول بل الاستحباب . نقل عن بعض العارفين إذا سألتم من الله شيئاً فاسألوه بي فإني أنا الوسيلة أنا بينكم وبينه . وعن أبي العباس المرسي من كانت له حاجة فليتوسل لقضائها بالغزالي . ونحوه كثيرة في الكتب كـ« الحصن الحصين » . « بريقة » عبارته ٣٣٤ .

ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ . انتهى نقله من الشيخ الإمام العلامة أبو العز أحمد العجمي الشافعي الوفائي رحمه الله تعالى .

وفي « الفتاوى العمرية » أيضاً في موضع آخر وأما قوله يا شيخ عبد القادر فهو نداء وإذا أضيف إليه شيء لله فهو طلب شيء إكراماً لله تعالى فما الموجب لحرمة ذلك « فتاوى خليلي » انتهى راجعه تجد البيان .

وقد خطر لي على جواز ذلك دليل قوي لم أر من ذكره وهو أنه ورد في الحديث القدسي « لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها فبي يسمع وبي يبصر » الحديث .

ولا شك أن من يسمع بالله ويبصر بالله يستوي عنده القريب والبعيد من المسموعات والمرئيات إذ الأمر يرجع إلى أنّ الله تعالى يمنّ ذلك السامع وذلك المبصر بقوة عظيمة يسمع بها ويرى البعيد والقريب كما سمع النبي ﷺ الذي استغاث به من بني كنانة وأخبر بكثير من المغيبات التي رآها حتى النار والجنة ومن فيهما رآهما في عرض الحائط كما صح في الحديث . وذلك أيضاً يتفاوت بتفاوت الناس فالأنبياء بذلك أعلى من الأولياء ولهم أيضاً درجات وأعلى درجاتهم سيد الخلق وحبيب الحق ﷺ . « شواهد الحق » ١٥٠ .

وأما التفكر في الموت وما بعده بعد ذلك وقبل تصور صورة الشيخ وربط قلبه بقلبه **فلأنّ قلب المريد مملوء بنقوش الأغيار** ومتدنّس بدنس الأفكار فلا يكاد أن يخطر فيه سواها فلا يصفو له تصور صورة شيخه .

فإذا تفكر في الموت وما بعده تقل عنه الخواطر النفسانية والأفكار الفاسدة الكامنة في وسط القلب أو تنفى بالكلية فيقدر أن يتصوّر صورة الشيخ فإنَّ تذكر الموت علاج لذهاب الخواطر . وفي شرح « عين العلم » وقالت صفية إن امرأة شكت عائشة قساوة قلبها فقالت أكثري ذكر الموت يرقُ قلبك . ففعلت فرقَ قلبها فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها . انتهى ٨٨ ج٢ وعينه في « الإحياء » في باب ذكر الموت .

وفائدة تذكر الموت والتفكر وفضائلهما كثيرة فمنها ما ذكره سليمان الزهدي النقشبندي الخالدي في هامش « صحيفة الصفا لأهل الوفا » بما نصَّه عن مقداد بن أسود رضي الله عنه قال عليه السلام لأبي هريرة رضي الله عنه كيف تفكُّرك وفيماذا قال في قوله ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال عليه الصلاة والسلام تفكُّرك خير من عبادة سنة . ثم سأل عليه الصلاة والسلام ابن عباس رضي الله عنهما عن تفكُّره فقال تفكري في الموت وهول المطلع . قال عليه الصلاة والسلام تفكرك خير من عبادة سبع سنين . ثم قال عليه الصلاة والسلام لأبي بكر رضي الله عنه كيف تفكرك قال تفكري في النار وأهوالها وأقول يا رب اجعلني بحال تملأ النار مني حتى يُصدَّق وعيدك لا تعذب أمة محمد ﷺ . فقال عليه الصلاة والسلام تفكرك خير من عبادة سبعين سنة ثم قال عليه الصلاة والسلام أرأف أمتي بأمتي أبو بكر رضي الله عنه . انتهى في ٥ .

يا ولدي ويا قرة عيني تدبَّر في جميع ما للمريد من المنافع والفضائل بمجرد الاشتغال بمقدمات الرابطة من الاستغفار وقراءة سورة الفاتحة مرة وسورة الإخلاص ثلاث مرات وإهداء ثوابها لروح النبي ﷺ ولأرواح المشائخ والتفكر في الموت وما بعده صباحاً ومساءً في كل يوم مع أنه لا

ينقص له من أجر ما قرأه شيء وإن أهدى إليهم ثوابه كما هو مذكور في « التتارخانية » عن « المحيط » . فكم وكم فضيلة يحوزها المريد فجزى الله تعالى عنا وعن أهلنا المشائخ حيث علمونا أمثال هذه الفوائد ولولاهم لبقينا في واد الجهالة متحيِّرين محرومين عن هذه الفضيلة . فالحمد لله رب العالمين .

وأما الرابطة فقد كان شيخنا العسلي قدس سره يأمرنا بعد إتمام ما ذكر من ترتيب الشغل بالرابطة أي بتصوُّر صورة الشيخ محمود أفندي قدس سره وربط القلب بقلبه للاستفاضة صباحاً ومساءً في كل يوم . وكان يقول **إن حكمة تعيين تينك الوقتين** المذكورتين للرابطة كون أرواح المشائخ فيهما يدورون مشرقاً ومغرباً فإذا وجدوا أحداً يرابط واحداً منهم يقف ذلك الواحد ويتوجه إليه فيقف حينئذٍ كلهم وينظرون ويتوجهون إليه فيحصل لذلك المرابط البركة من جميعهم . انتهى .

وكان رحمه الله تعالى يقول إنه كان يراهم يدورون كذلك في حالة كونه في الخلوة والسلوك . انتهى .

وهذا الحقير الفقير رأى مرة في واقعة كأن النبي ﷺ يطير في الهواء راكباً على الفرس وكان معه وخلفه جمع كثير من المشائخ وكانوا يطيرون كما يطير الطير سريعاً من جهة المشرق إلى جهة المغرب وقد نزل من بينهم واحد منهم إلى منزل واحد من قريتنا وداره فأخبرتُ الشيخ المذكور قدس سره هذه الواقعة . فقال ألم تطر معهم فقلت له لا . انتهى . فما أسرع أرجل فرس النبي ﷺ فقد كانت تسرع بحيث لا تدركها البصر . فحين

سمعت الشيخ قدس سره يقول ما قاله ظننت أن سبب نزول ذلك الواحد منهم إلى دار ذلك الرجل كونه وقتئذ يرابط الشيخ محمود أفندي قدس سره وقد كان الرجل من المريدين المرابطين به والله أعلم .

ومما يؤيّد قول شيخنا المذكور ما قاله شيخ الطائفة بما نصه **واعلم** أن المشائخ **ينظرون بعيون أفئدتهم ويراقبون بنور قلوبهم إلى أحوال المريدين في الأوقات الشريفة كوقت السحر وبعد صلاة الصبح** إلى وقت الإشراق فطوبى ثم طوبى لمن تقدم في هذا الوقت فويل ثم ويل لمن تأخر عن عيون قلوبهم فانظر أيها المريد كيف يكون حالك مع أنك في أودية الغفلة والنعاس وهو مطلع على سريرتك فواخجلتاه ويا حسرتاه من نظر رسول الله ﷺ . انتهى .

وسمعت شيخنا العسلي رضي الله عنه يقول إن الشيخ ينظر إلى المريد وإن كان غائباً فإن وجده في حضور ووقوف فيتوجَّه إليه ويحصل له البركة وإن وجده في غفلة وفتور يتركه كما وجد . انتهى .

يا ولدي إن نظر الشيخ إلى المريد وتوجُّهه على قدر توجه قلب المريد إلى الشيخ ومحبته فذلك التوجه والمحبة هو الذي يجرّ الفيض والمدد من حوض قلب الشيخ إلى قلبه وهما كالمغناطيس يجر الحديد إلى جانبه **فعلى قدر كينونة الشيخ في قلب المريد يكون المريد في قلب الشيخ** وتصرُّف الشيخ يكون بحسب صدق مَنْ توجه إليه . فافهم فإنه نفيس .

ويحتمل أن يكون سبب تعيين وقت الصباح ووقت العصر للرابطة ما ذكره الشعراني في « المنن » راجعه في ٢٦٢ ج١ من أن الأرزاق المحسوسة

تقسم بعد الصبح **والأرزاق المعنوية تقسم بعد العصر** . انتهى . أعني أن الذي يطلب الرزق ويحتاج إليه ينبغي أن يقف في حالة القسمة على الحضور لا على الغفلة والقصور ليكون مستعدّاً لنزوله متأدِّباً متضرعاً بين يدي القاسم . والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب . فإذا كان الأمر كذلك أرجوك أن تلازم على الأوراد والرابطة في وقت الصبح ووقت المساء وأن تطلب من الله تعالى الفيض الخاص الذي يهبه تعالى في هاتين الوقتين خاصاً فإن الفيوض وإن كانت لا تنقطع دائماً لكن لله تعالى في أوقات مخصوصة سيول من الرحمات والنفحات كالأمطار تنزل في أوقات كالسيول وفي أوقات كالقطرات والمتعرِّض للنفحات لا تكاد تخطؤه شآبيب الهبات . والشأن كله في صحة القصد والنية وتزكية الأعمال من الشوائب الردية والأخلاط البشرية فعساه تعالى إن طلبت بعلوِّ الهمَّة وصرف العزمة أن يوصل إليك رشحة من تلك الهبات والفيوضات فالمداومة على ذكر الله تعالى وطاعته مطلوب مع شهود التقصير في التشمير وعدم رؤية الأعمال قليلها والكثير إذ قليل العمل مع شهود ذلك خير من كثير ورؤية الأعمال والإعجاب بها محبطة لها كاسفة لنور البال . وعليك بالصبر والاحتمال وسلامة الصدر وسعة البال والعفو والصفح وكظم الغيظ في كل حال والرحمة والشفقة على عباد الله تعالى **فالراحمون يرحمهم الرحمن** وإنما يرحم الله تعالى من عباده الرحماء « ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » هكذا وردت الأحاديث .

واعلم يا ولدي أن الأبرار والمقربين ما نالوا إلى ما نالوه من الأذواق والمشاهد والمقامات السوامي والفوائد وتلقي الهبات والموارد وغير ذلك

مما يقرب من الصمد الواحد بالترجي والمنا والتكاسل والهوينا بل ببذل المجهود في خدمة المولى الودود فإن أردت اللحوق بذلك الملأ فاسلك طريقهم المُثْلى واتبع منهجهم الأعلى واقتف آثارهم وآدابهم واقتبس من نورهم ونارهم وتشبَّه بهم في شعارهم ودثارهم فمن تشبَّه بقوم فهو منهم وإن بعدت حقيقته منهم ومن أحبَّ قوماً كان منهم ومعهم وإن أردت أن تحظى بقلب منوَّر صافٍ عن غير الله تعالى فلازم ذكره وواظب عليه في الليل والنهار في كل حال باللسان أو بالقلب فإن لازمته بتوجُّه تامّ يظهر لك نور وارد من الله تعالى كنور الشمس ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ الآية . **فذكره تعالى غذاء لكل قلب مهتد وهو دواء لكل قلب موجع** ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ الآية . والكون كله حجاب فبملازمة الذكر يصفو القلب عن نقوشاتها والنظر إليه ورؤيته عماء من الله تعالى وتيقَّن يا ولدي **أن القلب المشحون بالأغيار لا يصلح أن يكون محل نظر الله تعالى** ألم تسمع ما في الحديث « رماح » في ١٧٤ ج١ « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم بل ينظر إلى قلوبكم ونياتكم » **وأن الذاكر لله جليس الحق تعالى** فمن جلس معه فالأدب أن لا يلتفت إلى غيره .

والرابطة من أنفع الوسائل إلى الحضور وأجلِّ ما يدفع به الخواطر فقد مرَّ في الترغيب الأول أنها تثمر ما يثمر الذكر بل هي أشد تأثيراً من الذكر . وقد قال الإمام الرباني قدس سره اعلم أن حصول رابطة الشيخ للمريد بلا تكلُّف وتعمُّل علامة المناسبة التامة بين المرشد والمريد التي هي سبب الإفادة والاستفادة ولا طريق أقرب من طريق الرابطة أصلاً . فيا سعادة من استسعد بهذه الدولة .

أورد حضرة الخواجه أحرار قدس سره في الفقرات أن ظل الدليل أولى من ذكر الحق سبحانه وتعالى باعتبار النفع يعني أن ظل الدليل أولى للمريد من اشتغاله بالذكر فإنه لم تحصل بعد للمريد مناسبة كاملة بالمذكور جل وعلا حتى ينتفع من طريق الذكر انتفاعاً تاماً والسلام أولاً وآخراً . انتهى كذا في « مكتوباته » فراجعه في ١٦٠ ج١ .

يا ولدي أوصيك بالمداومة على الرابطة فإني سمعت شيخنا قدس سره يقول ويأمر أمك داومي على الرابطة بالشيخ محمود أفندي على كل حال وفي كل وقت فلولا كان علم ما في المداومة عليها من النفع لما أمرها بذلك وقد أمرني قدس سره في حالة سلوكي أيضاً بالمداومة عليها وعدم الغفلة عن تصوُّر صورة الشيخ محمود الفعال ولو في وقت ما . انتهى . وكان يقول إنه غفل مرة حين كان في السلوك عن تخيُّل صورته فرأى شيئاً كبيراً كأنه جمل كبير فتذكر وقتئذ صورة محمود أفندي فغاب ثم بعد ذلك غفل عنه ثانياً فقام بين يديه شيء أسود كأنه منبر عظيم فطرأ عليه من ذلك خوف شديد فرجع حالتئذ إلى الحضور فغاب عنه في الوقت . انتهى . يعني أن ما رآه كان من الشيطان وقت غفلته عن الرابطة .

والسرُّ في ذلك أن الشيطان يحترق إذا دنا الشيخ الكامل الفاني الباقي فإذا رابط المريد قلبه به وتخيَّل كأنه بين يديه يحضر لديه روحانية الشيخ أسرع من لمح البصر فيهرب الشيطان حينئذ فهذا من أعظم فوائد الرابطة .

فما أجلّ حال من له شيخ يقتدي وبه يرابط ويقتفي

ولله در سيدي علي وفا رضي الله عنه حيث قال **لا يظفر بأستاذ إلا مخصوص عند الله تعالى** لأنه يوصلك إلى الله تعالى فسلم له إن وجدته تسلم وتغنم . فأستاذك بالنسبة إليك هو فضل الله تعالى عليك ورحمته بك فتحققك به خير من جميع ما استفدته . ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ .

وقال رضي الله عنه من رأيته على عظم مرتبته وعلوِّ قدره عندك يتواضع لعظمة الله تعالى ويتصاغر من خشيته علماً وحكمة **فالزم قدمه** فإنه الذي ينفخ الأنوار في صور صورك وسلام على إسرافيل وما أدراك ما إسرافيل والسلام . انتهى . من « تقريب الأصول » ٧٠ .

وأما الوقوف في الرابطة في قدر ربع ساعة وهو أقلها فالسرُّ فيه أن قلب الشيخ مثل الميزاب . والفيض الجاري منه مثل الماء وقلب المريد مثل الإناء الذي وضع تحته فإن وضع الإناء تحت الميزاب لحظة مثلاً لا يصل إلى الإناء إلا قطرات من الماء لا يكفي للشرب ولا يسع للوضوء وإذا وضع تحته ولو قدر ربع ساعة يصل إلى الإناء ما يكفي للشرب والغسل والوضوء **فهكذا إذا صبر المريد في حالة الرابطة في ذلك القدر المذكور يصل إلى قلبه من الفيض الذي هو النور ما يكون سبباً لطرد الشيطان من الصباح إلى المساء ومن المساء إلى الصباح فإن الشيطان لا يدخل موضعاً فيه النور** لأن مسكنه ليس إلا الظلمة . وإن لم يصبر بل أسرع فيها لا يصل إلى القلب إلا شيئاً يسيراً من النور فيزول سريعاً ويجد الشيطان إلى قلب المريد سبيلاً .

وأيضاً إن مثال ذلك مثال الحطب الجاف الشديد الصلب إذا طرح إلى الماء وخرج منه سريعاً يجف سريعاً ويعود إلى حالته الأولى من الشدة والصلب وإذا تركه فيه زماناً يسري الماء في جميع أجزاء الحطب إلى أن يصل إلى اللب فلا يجف بعد ذلك إلا بعد زمان طويل فكذلك القلب القاسي .

ومثال آخر أن القلب كالأرض الجاف الصلب والفيض كالمطر فإذا نزل إليها الماء زمناً ينبت عليها النبات الحسن وإلا فتبقى الأرض كما هي قبل ذلك . لكن النبات على قدر استعداد الأرض فإن كانت الأرض صلبة لا ينبت عليها إلا بالمطر الكثير والماء الغدير وإن كانت سهلة مستعدة فيكفي لها القدر اليسير من الماء فينبت عليها ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾ الآية . . وهكذا القلب فافهم . وقد سمعت شيخنا قطب الإرشاد العسلي قدس سره يقول **إن سبب عدم وصول الحال إلى قلب المريد تهاونه في الرابطة وعدم صبره فيها** إلى أن يحصل له الغيبة . انتهى .

أقول والله تعالى أعلم إذا وجد المريد في إحضار صورة الشيخ سكراً أو غيبة(١) يترك الالتفات إلى صورته ويكون متوجِهاً إلى ذلك الحال لأن الرابطة وسيلة إليها والغيبة هي المقصود منها ويسمُّونها زمان الوصول(٢) في اصطلاح القوم . فراجع كتبهم .

(١) أي غيبة عما سوى الله (منه) .

(٢) ومما ينبغي أن يعلم أن منفعة الرابطة إنما تحصل إذا رابط المريد قلبه بقلب الشيخ مع ملاحظة صفاته ؛ من كونه فانياً في الله وباقياً به ، وتخلّقه بأخلاق الله وأخلاق رسوله عليه السلام . فإن حصول الأثر بملاحظة الصفات معلوم مشاهد مجرب ، ألا ترى أن واحداً لو تذكر رجلاً مضحكاً بمجرّد ذاته لا يحصل له به الضحك ، ولو تذكر مع ذاته ما يضحك به ، من صفاته وأفعاله وأقواله يحصل له الضحك والتبسّم ، وكذلك الحزن والبكاء . فيقاس على ذلك حال الرابطة ، فافهم فإنه نفيس (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

وفي « المعربات » قال الغوث الصمداني ينبغي أن يعلم أن سلوك هذه الطريقة العلية مربوط بالرابطة بالشيخ المقتدى به ومحبته الذي قطع هذا الطريق بالسير المرادي وانصبغ بقوة الجذبة بهذه الكمالات فنظره شفاء للأمراض القلبية وتوجُّهه رافع للعلل المعنوية . انتهى . فالشيخ بقوة تصرُّفه ترتفع الظلمات البشرية عن المريد وتثبت أنوار الجمال الإلهي . **فمن داوم على الرابطة حصل له جميع أحوال الطريق وكمالات الحقيقة ومن اختلت رابطته انقطعت استفاضته** ولم تحصل له أحوال السلوك ولم تظهر له أسرار الوصول .

ومما ينبغي أن يعلم أن روحانية الشيخ ليست مقيدة بمكان دون مكان ففي أيّ مكان يتصوَّره تحضر فيه روحانيته وينبغي للمريد أن لا يترك الرابطة عند حصول بعض الأحوال قبل أن يتمكن فيه ذلك الحال لأنه إن ترك الرابطة يزول عنه ذلك الحال لأنه من أحوال الشيخ كالعارية عنده وأن يداوم على الرابطة في جميع الأوقات ولا يفارقها أصلاً إلى أن يقدر على الاستفاضة من الله تعالى من غير واسطة . فافهم وراجع وتدبَّر ولا تكن من الجاهلين .

يا ولدي قد سمعت شيخنا العسلي قدس سره يقول إن العلامة التي تحصل وقت الرابطة وحين حضور روحانية محمود أفندي هي الحرارة القلبية أو الارتعاش والحركة أو شمُّ الرائحة الطيبة أو إلخ . ومن المريدين من لا يعلم شيئاً من الأحوال ومنهم من يعلمها بالذوق والوجدان . **وعدم العلم لا يكون نقصاً في الحال** بل العدم المحض أسنى الأحوال كما كتبه شيخنا سيف الله قدس سره بقلمه . فينبغي للمريد أن لا يكون قصده من

الأشغال والوظائف إلا العبودية المحضة فكل شغل من أشغال الطرائق مما ورد به الأمر الإلهي فافهم . فهذه الترغيبات العشرة مما ينبغي اعتناؤها لينبعث عليها طالب السلوك فمن علم ما له فيما يفعله من المنفعة هان عليه السعي في طلبها . والله تعالى ولي التوفيق .

الخاتمة في الترهيب ونبذة من الوصايا

اعلم أيها الولد رزقك الله تعالى التقوى آمين أن الشرع كله قد ورد مبنياً على الترغيب والترهيب فإن الترغيب للعبد كالملح للدابة الجموحة والترهيب كالسوط لها . وقد ذكرت في هذا الكتاب من الترغيبات ما فيها كفاية . وأنا الآن إن شاء الله تعالى أذكر هاهنا شيئاً من الترهيبات ليكونا للسالك كالجناحين للطائر . وكنت كتبت في الترغيب الأول ما في اتخاذ الشيخ من الفوائد لكن لما كان اختلاط الصغير بالكبير لا يخلو من خطر ولو في الجملة أردت أن أنبِّه الولد على كيفية ما يجب عليه من الاحترام وما يطرأ عليه إذا ترك الحرمة .

قال « في رماح حزب الرحيم » في ٣٣ ج١ قال أبو المواهب التونسي وإياك يا أخي أن تحرم احترام أصحاب الوقت فتستوجب الطرد والمقت فإن من أنكر على أهل زمانه حرم بركة أوانه . انتهى . فلهذا قال شيخنا رضي الله عنه كما في « جواهر المعاني » ومن أعرض عن أهل عصره مستغنياً بكلام مَنْ تقدمه من الأولياء الأموات طبع عليه بطابع الحرمان وكان مثله كمن أعرض عن نبيّ زمانه وتشريعه مستغنياً بشرائع النبيين الذين خلوا قبله فيسجل عليه بطابع الكفر . انتهى . وذلك لأن **الشيخ في قومه كالنبيّ في أمته** ومبايعته كمبايعة النبي ﷺ لكونه نائباً عنه ﷺ راجع « رماح » في ١٢٦ ج١ فللمريد من الأدب مع شيخه والمحبة له بحكم الإرث نحو ما كان له ﷺ وذلك ليحصل له كمال الانقياد ويعتقد فيه أنه أشفق عليه من نفسه كما كان النبي ﷺ كذلك . قال تعالى ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ

أَنفُسِهِمْ ﴾ وأما إذا علم الشيخ من المريد تقديم أحد عليه في المحبة نفض يديه[١] منه .

وقد ذكر مثله صاحب كتاب « الرماح » في الفصل الثامن عشر . وفيه ومن كلام العارف بالله تعالى سيدي عديِّ بن مسافر قدس الله سره . اعلم أنك لا تنفع قطّ بالشيخ إلا إن كان اعتقادك فيه فوق اعتقادك في أمثاله وهناك يجمعك في حضوره ويحفظك في مغيبه ويهذِّبك بأخلاقه ويؤيِّدك بإطراقه وينوِّر باطنك بإشراقه وإذا كان اعتقادك فيه ضعيفاً لم تشهد منه شيئاً من ذلك بل تنعكس ظلمة باطنك فتشهد صفاته هي صفاتك فلا تنفع منه بشيء ولو كان من أعلى الأولياء .

وقد ذكر سيدي علي بن وفا رحمه الله تعالى في كتابه المسمى « بالوصايا » . **اعلم** أن قلوب الرجال أمثال الجبال فكما أن الجبال لا يزيلها عن أماكنها إلا الشرك بالله تعالى كما قال عز وجل ﴿وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ

---

(١) وفي « جواهر المعانى » فليكن المريد مع شيخه كما هو مع نبيّه ﷺ في التعظيم والمحبة والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب فلا يعادل به غيره في هذه الأمور ولا يشارك غيره . ومن أكبر القواطع عن الله أن ينسب ما عنده من الفتح والأسرار لغير شيخه لأن تلك الأنوار الإلهية الواردة على العبد بالأسرار والأحوال والمعارف والعلوم والترقي في المقامات كل نور منها يحنّ إلى مركزه وهي الحضرة الألهية التى برز وفيها نشأ . ولكلّ شيخ من أهل الله حضرة لا يشترك فيها غيره فإذا أورد منها نور بأمر من الأمور التى ذكرناها ونسب إلى غير تلك الحضرة الإلهيّة اغتاظ ذلك النور وطار ورجع إلى محلّه وصورة ذلك في نسب الحكمة الإلهيّة أنّ الله قضى في كتابه بنسبة كل واحد إلى أبيه قال تعالى ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ فمن نسب نوراً إلى غير محلّه من الحضرة الإلهيّة فقد أساء الأدب في حضرة الحق وكذّب على الله والحضرة لا تحتمل الكذب فإذاً يطرد ويسلب والعياذ بالله تعالى انتهى ١١٣ من الجزء الأول فراجعه (منه رحم الله إفلاسه) من خطه .

هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ فكذلك قلوب الرجال لا سيما الولي لا يزيل قلبه إلا الشرك الواقع من تلامذته معه من إشراك أحد معه في المحبة لا يزيله إلا ذلك لا تقصير في الخدمة ولا غير ذلك . فافهم . انتهى .

فعلم أن كل من لم يعتقد في شيخه أنه أشفق عليه من نفسه وأنه لا يأمره قطّ بترك شيء إلا ليعطيه أنفس منه فمحبته نفاق ولا يمكن للشيخ أن يطلعه على سرٍّ من الأسرار التي يترقى هو بها فإن مَنْ لم يصلح لأن يكون محلاً للأسرار المكتومة عند الفقهاء يصير كأنه ما صحبهم وكذلك إذا كان الشخص يصحب الشيخ أكثر من ثلاثين سنة لا ينتفع بشيء من أخلاقه .

ثم قال بعد كلام وقد سئل الشيخ أبو السعود الجارحي رحمه الله تعالى يوماً عن شيء من أسرار الفقراء فقال والله لا آمنكم على إخراج ريح فكيف آمنكم على أسرار أهل الطريقة **ولهذا تجد الشيخ يلقن عشرة آلاف نفس وأكثر لا يفلح منهم أحد بعده لعدم الصدق** . والله تعالى أعلم . انتهى من كتاب « الرماح » راجعه في ١٢٨ ففيه بسط وهو منقول من كلام الشعراني .

يا ولدي أعلمك بأن الأولياء لا يعرفهم إلا مَنْ هو مثلهم أو من أراد الله تعالى أن ينفعه ببركاتهم فيستر عنهم الصفة البشرية ويشهد فيهم الحقيقة الربانية فيُقبل حينئذٍ إليهم بالكلية فيقبل إليه الشيخ بعد ذلك بالهمة فينتفع به ويسري إليه حاله .

ويؤيّد ما ذكر قول ابن عطاء الله **لا تطلب من الشيخ أن تكون بباله ولكن اطلب أن يكون الشيخ ببالك** فبقدر ما يكون ببالك تكون بباله . انتهى .

وفي « رماح حزب الرحيم » في ١٣١ اعلم أنه لا شيء أضرُّ على المريد من مخالفة الأشياخ وعدم امتثال أوامرهم والاعتراض عليهم وعلى الأولياء رضي الله عنهم وترك تعظيمهم واحترامهم وعدم قبول إشارتهم فيما يشيرون به . انتهى .

وفيه في ١٣٤ ج١ وإياك أن تعترض عليه في شيء من أقواله ولكن تنظر إليها بالإرادة وحسن الظن وتراعي الأدب ظاهراً وباطناً فإنهم قالوا **الاعتراض على الشيوخ سمّ قاتل** . وإن رأيت من الشيخ ما يتراءى عندك أنه غير مشروع فاتهم نفسك واحمله على قصور علمك ونظرك فإن الشيخ يكون له دليل وبرهان قصر فهمك عن إدراكه .

واعلم أن الشيخ أولى برعاية الشريعة منك وأشد اهتماماً بها من غيره وكلما خطر لك شيء من هذا الجنس تذكَر قصة موسى والخضر عليهما السلام ليندفع عنك الاعتراض . والحق أنك لو طلبت لصحته وجهاً وتفكرت لظفرت به غالباً . انتهى ١٣٤ .

ومن كان مسلِّماً بالظاهر معترضاً بالقلب فيعدّ من جملة الخداعين والمنافقين في الطريقة فيكون مثاله مثال من يتكلم بلسانه **أنا أحبك وأنا معتقد فيك وفي جوفه رجل آخر يقول أنا لا أحبك وأنا لا أعتقد فيك . والمشائخ يطلعون أمثال ذلك ولهم أذن يسمعون كلام الباطن** . فالحذر الحذر من أمثال ذلك يا ولدي فإن بها ينقطع الرابطة بين الشيخ وبين

المريد فلا ينفذ تصرُّفه فيه ولا ينجع كلامه فتزلّ قدمه وينحرف عن جادّة الطريق ويقع في الهلاك فالعياذ بالله تعالى . فينبغي أن يعلم أن من **نظر إلى ظاهر الوليّ يخسر دنياً وأخرى ومن نظر إلى باطنه يفلح ويسعد** فإن في باطنه العجائب والغرائب لا يشغله الحق عن الخلق والخلق عن الحق فيكون عرشيّاً فرشيّاً وكائناً بائناً لا يخرج عن حضرة ربه ولا يزحزحه عن محلّ قربه ولا يحطُه عن كمال أدبه . حققنا الله تعالى هذه المرتبة وأكرمنا بالوصول إلى هذه الدرجة آمين .

وقال الإمام الرباني قدس سره إن إنكار هذه الطائفة سمّ قاتل والاعتراض على أفعال هؤلاء الأكابر وأقوالهم سمُّ الأفعى يؤدي إلى الموت الأبدي ويفضي إلى الهلاك السّرمدي فكيف إذا كان هذا الإنكار والاعتراض راجعاً إلى الشيخ وكان سبباً لإيذائه ومنكر هذه الطائفة محروم من بركاتهم والمعترض عليهم خائب وخاسر في جميع الأوقات وما لم يكن حركات الشيخ وسكناته مستحسنة في نظر المريد لا ينال نصيباً من كمالاته فإن نال يكون استدراجاً ويكون عاقبته هلاكاً وبواراً وفضيحة ودماراً فإن وجد المريد في نفسه مجال الاعتراض على الشيخ مقدار شعرة مع وجود كمال محبته وإخلاصه له فليتيقَّن أن ذلك ليس إلا خيبته وخسارته وحرمانه من كمالات الشيخ أو رذالته[1] فإن خطر في قلب المريد فرضاً شبهة في

(١) ورأيت في كتاب «الرماح» ما نصه وربما وسوس إبليس للمريدين بالأمور المخالفة للآداب مع الشيخ من كل وجه فتعرض للشيخ النفرة منهم فيلتقمهم كما يلتقم التمساح السمكة فيصير يسخر بالشيخ فإنهم قالوا حكم الشيخ حكم الصياد الذي يصطاد المريدين من أفواه الشياطين ويخرجهم من تحت أسنانهم . انتهى . فراجعه في ٢٠١ من الجزء الثاني (منه) .

فعل من أفعال الشيخ ولم يندفع بالدفع فليستفسره عنه على نهج يكون خالياً عن شائبة الاعتراض ومبرءاً عن مظنة الإنكار . وحيث كان المحق والمبطل ممتزجان وملتبسان في هذا الزمان فلو ظهر من الشيخ أمر مخالف للشريعة أحياناً ينبغي للمريدين أن لا يقلِّدوه فيه بل يطلبون له محملاً بحسن الظن مهما أمكن ويبتغون وجه صحّته فإن لم يظهر وجه الصحة ينبغي أن يلتجئوا ويتضرعوا إلى الحق سبحانه وتعالى في دفع هذا الابتلاء عنهم ويطلبوا منه تعالى سلامة الشيخ وعافيته بالبكاء والابتهال فإن عرض للمريد شبهة في حق الشيخ لارتكابه الأمر المباح لا تعتبر تلك الشبهة ولا يُعبأ بها **فإنه إذا لم يمنع مالك الأمور جل سلطانه عن إتيان المباح ولم يعترض على فاعله كيف يسوغ لغيره سبحانه وتعالى أن يعترض عليه من قبل نفسه** وكم من مواضع يكون فيه ترك الأولى أولى من إتيانه . وقد ورد في الحديث « إن الله تعالى يحب أن تؤتى رُخَصُه كما يحب أن تؤتى عزائمه » انتهى . « الدرر المكنونات » في ٣٨٣ ج١ .

يا ولدي قد سمعت ما في اعتراض الشيخ من الضرر وإياك ثم إياك أن تنكر الطريق أيضاً فإن الطريقة والشريعة عين الآخر وهما متلازمان لا فرق بينهما ولو في شيء .

وقد نقل عن سيدي أبي المواهب الشاذلي أنه قال سمعت شيخنا أبا عثمان ﵁ يقول بالدرس على رؤوس الأشهاد لعن الله من أنكر على هذا الطريق ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل لعنة الله عليه . وكان يقول من اعترض هذا الطريق لا يفلح أبداً . انتهى . « تقريب الأصول » ٨١ .

يا ولدي إن أردت الزيادة عمّا ذكرته في هذا الترهيب فراجع تأليف والدك « خلاصة الآداب لمن أراد فتح الأبواب » تجد فيه ما يكفي لك وقد ذكرت فيه قصة ما وقع لابن السَّقا من الشقاوة لمجرد تركه أدب الشيخ يوسف الهمداني قدس سره بكلام واحد فراجعه .

يا ولدي أوصيك بحفظ العين فإنها سبب كل فتنة وآفة وقد روي عن النبي ﷺ « إن النظر إلى محاسن المرأة سهم من سهام إبليس فمن تركها أذاقه الله طعم عبادة تسرُّه » وإن وجدان حلاوة العبادة ولذَّة المناجاة عند العارفين درجة عالية ومن المجرّب أنه إذا امتنع عن النظر إلى ما لا يعنيه يجد لذَّة العبادة وحلاوة الطاعة وللقلب صفوة لم يجدها قبل ذلك كما ذكره الغزالي في « منهاجه » وعليك بصيانة سمعك عن استماع الشر والفضول واعلم أن المستمع شريك القائل وأن الاستماع إلى الخنا والفضول يهيج الخواطر والوساوس في القلب وربما يبقى ما سمعه من الكلام فيه ولا ينساه ولا يصفو القلب عنه ولا يتفرغ لذكر الله تعالى والتفكر في آلائه .

ثم عليك يا ولدي بحفظ اللسان وضبطه وقيده فإنه أشد الأعضاء جماحاً وطغياناً وأكثرها فساداً وعدواناً .

واعلم أن التكلم بما لا يعنيك يورث القساوة في قلبك والوهن في بدنك والحرمان في رزقك فالتكلم باللغو تضييع للوقت وبالغيبة إحباط للعمل فإنها هي الصاعقة المهلكة للطاعات . وفي الصمت سلامة في الدين والدنيا والآخرة .

وأوصيك أيضاً بترك مخالطة الناس إلا بقدر الحاجة الضرورية فإني وجدت **كل الآفات محفوفة بالمعاشرة والمخالطة** وقد جرت عادة المشائخ بمنع المريدين عن مخالطة المريد الغافل فضلاً عن غيره .

فإن قلت أن الطريقة النقشبندية مبنيّة على الخلوة في الجلوة وإن العزلة ليست بشرط فيها .

أقول إن الخلوة في الجلوة لا تكون مع كل أحد بل مع المرشد والإخوان وأما **العزلة عن الأغيار من أهم المهمات** بإجماع المشائخ كما ذكره محمد مراد في « ذيل الرشحات » وقد يمنع المشائخ المريد عن نظره إلى وجوه الغافلين لأن غفلة الغافل تنعكس إليه فيتكدّر بذلك القلب الصافي .

وفي « كنز المعارف » ما حاصله إذا أنت مع شخص جلست ولم تجد حضورك ينمو فاجتنبه وفارق ولا تصحب الأغيار واختر مصاحباً يفيدك جمع[1] القلب من غير عائق . انتهى راجعه ١٩١ .

ورأيت في « الرشحات » ما نصّه إن صحبة أهل هذه النسبة بغير هؤلاء الطائفة الذين غلبت عليهم هذه النسبة في بداية حالهم سبب لفتور عظيم في النسبة ولو كان من أهل الزهد والتقوى . وهذا الكلام ليس بإنكار للزهد والتقوى فإنهما في غاية الصفا والنورانية . ولكن لما كان الغالب على أهلهما نسبتهما تحصل تلك النسبة في صحبتهم لأهل نسبة هؤلاء الطائفة أيضاً فيبقى خالياً عن نسبة هؤلاء الطائفة التي هي فوق

(١) أي مع الله (منه) .

جميع النسَب فإن الحكم للغالب **فإن كان صحبة أهل الزهد والتقوى كذلك فما ظنك في تأثير صحبة الأشقياء والأجانب وفيما يحصل منهم من النسب الظلمانية** انتهى .

وفيه **جالسوا جماعة لا يغلبون عليكم ولا يأكلونكم** يعني لا يكونون أقوى منكم بحسب النفس والهوى ولا يضيعون أوقاتكم ولا يفوتونها فإن من ضاع وقته فقد ضاع هو بنفسه ومات . انتهى .

وقد ذكرت ما في صحبة الأغيار من الضرر في « تنبيه السالكين » فراجعه ففيه ما ينبغي مراجعته .

يا ولدي خذ من العلم ما ينفعك ودع ما سواه والزم العمل بما علمت فإن لم تعمل به فهو حجة عليك ولا يزيدك به إلا العقوبة .

واعلم أن **العلم المجرد عن العمل لا يأخذ يدك يوم القيامة** فـ

عالــم بعلمــه لــم يعملَــنْ مُعــذَّب من قَبْـل عابـد الوثنِ . .

إنتهى .

واذكر ربك كثيراً ولا تغفل عنه لحظة فالغفلة عن الله **من أعظم الذنوب عند أهل الله** والزم الوقوف القلبي فإن فيض الله لا انقطاع له والمانع من وصوله إلى القلب وإحساسه هو الخلوّ عن الوقوف والحضور فإذا حضر وصل وإن غفل رجع والجلسة الواحدة مع الحضور والوقوف خير من عبادة سنين بغير حضور[١] فالعبادة التي خلت عن الوقوف فهي كصورة بلا روح ولا تترك الورد ما استطعت فقد قال في « الرشحات » من أخذ عملاً عن كامل مكمّل فالمواظبة عليه موجبة للوصول إلى درجات عالية انتهى . وتيقَّن أن الذكر بمثابة الفأس يقطع به شوك الخواطر من طريق القلب ودوامُ الحضور منوط بترك المألوفات وهجر المأنوسات والقلب لا ينجلي إلا بذكر كثير ولا تترك السنن فإن كل طالب لا يعدّ السنة فرضاً على نفسه فهو ناقص ليس له في سهام أهل الكمال نصيب ولا تصحب الأغنياء وأرباب التنعم فصحبتهم سمّ قاتل للطالبين ويحصل من صحبتهم سدّ ذي القرنين في مجاري الفيض وتنسدل الحجب الظلمانية الكثيفة على وجه القلب كما قاله صاحب « الرشحات » نقلاً عن بعضهم .

وقد قال الإمام الرباني في بعض مكاتيبه في مذمّة الدنيا والتحذير من صحبة أربابها لا يكونَنَّ ولدي الأرشد مغروراً بهذه الدنية المبغوض عليها ولا يضيعنَّ بضاعة الإقبال إلى جناب قدس الحق جلّ سبحانه ينبغي التفكر أيّ شيء يُباع وأيّ شيء يُشترى تبديلُ الآخرة بالدنيا والامتناع من طلب الحق بالخلق من السفاهة والجهالة والجمع بين الدنيا والآخرة من قبيل الجمع بين الأضداد . ما أحسن الدين والدنيا لو اجتمعا

---

(١) ومر قبيل الترغيب الخامس ما ينبغي مراجعته (منه) .

فاختر ما شئت من هذين الضدين وبع نفسك من أيهما شئت عذاب الآخرة أبدي ومتاع الدنيا قليل والدنيا مبغوض عليها عند الحق سبحانه والآخرة مرضيّة له تعالى وتقدس

عِشْ ما شئت فإنك ميت والزم ما شئت فإنك مفارق

ولا بد من ترك العيال والأولاد أخيراً وتفويضهم إلى الحق سبحانه وتعالى فينبغي لك أن تحسب نفسك اليوم ميتاً وأن تفوضهم إلى الله تعالى ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ نص قاطع . وقد سمعت مكرراً أن نوم الأرنب يعني الغفلة والغرور إلى متى يمتد فلا بد من التنبه والتيقظ .

واعلم أن **صحبة أهل الدنيا والاختلاطَ بهم سمّ قاتل** وقتيل هذا السمّ ميت بالموت الأبدي العاقل تكفيه الإشارة فكيف التصريح مع هذه المبالغة والتأكيد وطعام الملوك وإن كان لذيذاً ولكنه يزيد مرض القلب فكيف يرجى الفلاح والنجاة الحذر الحذر الحذر . شعر

وما هو من شرط البلاغ أقوله فخذ منه نصحاً خالصاً أو ملالة

فِرَّ من صحبتهم أكثر مما تفر من الأسد فإن الفرار منهم وإن أوجب الموت الدنيوي ولكنه قد تفيد في الآخرة واختلاط الملوك يوجب الهلاك الأبدي والخسارة السرمدي فإياك وصحبتهم وإياك ولقمتهم وإياك ومحبتهم وإياك ورؤيتهم وقد ورد في الخبر الصحيح « من تواضع لغنّي لغناه ذهب ثلثا دينه » ينبغي لك الملاحظة أن كل ذلك التواضع والملاينة هل هو من جهة غناهم أو من جهة شيء آخر ولا شك في أنه

من جهة غناهم ونتيجته ذهاب ثلثي الدين فأين أنت من الإسلام وأين أنت من النجاة وكل هذه المبالغة والإبرام ليعلم ولدي أن لقمة غير الجنس وصحبتهم تحجب قلبه عن تذكر المواعظ وتعقُّل النصائح فلا يكاد يتأثر من الكلمة والكلام فالحذر الحذر من صحبتهم والحذر الحذر من رؤيتهم والله سبحانه وتعالى الموفق . نجانا الله تعالى وإياكم عما لا يرضى عنه ربنا المتعالي بحرمة سيد البشر الممدوح بـ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ ﴾ عليه وعلى آله من الصلوات أفضلها ومن التسليمات أكملها والسلام . انتهى في ١٢٩ ج١ « الدرر المكنونات » .

وفيه في ٨٢ ج١ **أيها الولد** إن الدنيا محل الامتحان والابتلاء ظاهرها مموَّه ومزيَّن بأنواع المزخرفات وصورتها منقشة وملونة بالخيلان والخطوط والذوائب والخدود الموهومة حلوة في بادي النظر متخيلة بالطراوة والنضارة في البصر ولكنها في الحقيقة جيفة مرشوش عليها العطر ومزبلة ملآنة بالذباب والدود سراب يرى كالشراب وسمّ في صورة سكر باطنها خراب وأبتر ومعاملتها مع أبنائها مع وجود هذه الدّمامة والوقاحة شر من جميع ما يقال ويذكر عاشقها سفيه ومسحور ومفتونها مجنون ومخدوع من افتتن بظاهرها فقد اتسم بسيمَة الخسارة الأبدية وكل من نظر إلى حلاوتها وطراوتها كان نصيبه الندامة السرمدية قال سيد الكائنات حبيب رب العالمين عليه وعلى آله الصلاة والسلام « ما الدنيا والآخرة إلا ضَرَّتان إن رضيت إحداهما سخطت الأخرى » فمن أرضى الدنيا فقد أسخط الآخرة على نفسه فلا جرم لا يكون له نصيب من الآخرة . أعاذنا الله سبحانه وتعالى وإياكم من محبتها ومحبة أهلها .

أيها الولد هل تدري ما الدنيا كلّ ما يعوقك ويحجبك عن الحق سبحانه وتعالى من النساء والأولاد والأموال والجاه والرياسة واللهو واللعب والاشتغال بما لا يعني فهو داخل في الدنيا والعلوم التي لا دخل لها في علوم الآخرة فهي أيضاً من الدنيا فلو نفع تحصيل علم النجوم والمنطق والهندسة والحساب وأمثالها من العلوم التي لا طائل فيها لكانت الفلاسفة أهل النجاة . قال النبي ﷺ « علامة إعراضه تعالى عن العبد اشتغاله بما لا يعنيه »

شعر

من كـــان فـي قلبه مقـدار خردلة   سـوى هوى الحق فاعلم أنه مَرض

إلى آخر ما قاله قدس سره .

يا ولدي إني إنما أمرتك بقراءة كتاب « إحياء علوم الدين » ومنعتك عن قراءة غيرها من الكتب التي أكثر مسائلها مربوط بالدنيا وأهلها لأجل هذه العلة السابقة فعليك بالمواظبة عليه والعمل[١] بما فيه فإنه كتاب نفيس أثنى عليه أكابر السادات ففي ذلك كفاية لك وفقك الله تعالى للعلم والعمل آمين .

يا ولدي أوصيك أن لا ترى نفسك فوق أحد وكن حقيراً ذليلاً أديباً حسن الخلق كريماً سخيّاً لا شحيحاً بخيلاً ولا تتَّبع الهوى فيضلك عن سبيل الله واحذر من أن تخدعك نفسك فإنها لا تأمر بطبعها إلا بالسوء

---

(١) وقد رأيت في « أذكار النووي » ما نصّه إنّ تعلّم مسألة واحدة من هذا العلم أفضل من عبادة سنة . فراجعه (منه قدس سره) .

والشر ولا تطيع خالقها إلا بالتكلف والمجاهدة وفي القرآن ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ وإذا كان أمر النفس هكذا أردت أن أكتب هنا ما قاله الإمام الرباني قدس سره في بعض مكاتيبه فأرجوك أن تصغي إليه بسمع القبول .

قال رضي الله عنه فاعلم أيها المخدوم المكرم أن النفس الأمارة الإنسانية مجبولة على حب الجاه والرياسة وجميع همتها الترفع على جميع الأقران ومتمنّاها بالذات أن يكون الخلائق كلّهم محتاجين إليها ومنقادين إلى أوامرها ونواهيها ولا تريد أن تكون هي محتاجة إلى شئ ومحكومة لأحد أبداً وهذه كلها هي دعوى الألوهية منها والشركة مع خالقها المنزه عن المثل والشبه جل سلطانه بل هي البعيدة عن السعادة غير راضية بالشركة بل تريد أن تكون هي الحاكمة فقط لا غير ويكون الكلّ تحت حكمها وقد ورد في الحديث القدسي « عادِ نفسك فإنها انتصبت لمعاداتي » فتربية النفس بإعطاء مراداتها من الجاه والرياسة والترفع والتكبر إمدادها في الحقيقة لعداوة الله تعالى عز وجل وتقويتها لذلك فينبغي أن يدرك شناعة هذا الأمر جداً وقد ورد في الحديث القدسي « الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني في شيء منهما أدخلته في ناري ولا أبالي » .

وإنما كانت الدنيا الدنية مبغوضة عند الحق سبحانه وتعالى وملعونة بسبب أن حصولها ممدّ ومعاون في حصول مرادات النفس فمن أمدّ العدو لا جرم يستحق اللعن والطرد **وإنما صار الفقر فخراً**[1] **محمّديّاً** عليه

(١) هو إشارة لما هو دائر بين الناس من قوله ﷺ « الفقر فخري » فافهم .

وعلى آله الصلاة والسلام فإن في الفقر عدم حصول مراد النفس وحصول عجزها .

والمقصود من بعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والحكمة في التكليفات الشرعية هو تعجيز هذه النفس الأمارة وتخريبها وقد وردت الشرائع لرفع الهوى النفساني وكلّما يعمل شيء بمقتضى الشريعة يزول من الهوى النفساني بقدره ولهذا كان فعل شيء من الأحكام الشرعية أفضل في إزالة الهوى النفساني من رياضات ألف سنة ومجاهدتها التي كانت من قبل النفس بل هذه الرياضات والمجاهدات التي لم تقع على مقتضى الشريعة الغرّاء مؤيدة ومقوية للهوى النفساني ولم تقصر البراهمة والجوكية في الرياضات والمجاهدات شيئاً ولكنها لما لم تكن على وفق الشريعة لم ينتفعوا بها أصلاً ولم يحصل لهم غير تقوية النفس وتربيتها فمن صرف مثلاً دانقاً بنية أداء الزكاة التي أمر بها الشرع فهو أنفع في تخريب النفس من صرف ألف دينار من قبل نفسه وكذلك أكل الطعام يوم عيد الفطر بحكم الشريعة أنفع في دفع الهوى من صيام سنين من قبل نفسه وأداء ركعتي الفجر مع الجماعة التي هي سنة من السنن أفضل من قيام تمام الليلة بالنافلة مع ترك الجماعة في الفجر .

وبالجملة إن النفس ما لم تتزك من خبث ماليخوليا دعوى السيادة والرفعة فالنجاة محال ففكر إزالة هذا المرض ضروري كيلا يفضي إلى الموت الأبدي وكلمة (لا إله إلا الله) التي وضعت لنفي الآلهة الآفاقية والأنفسية أنفع في تزكية النفس وأنسب لتطهيرها .

واختار أكابر الطريقة قدّس الله تعالى أسرارهم لتزكية النفس هذه الكلمة الطيبة شعر

ما دمت لم تضرب **بلا** عنق السوى   فـي قصـر **إلا الله** لسـت بواصـل

وما دامت النفس في مقام البغي والعناد ونقض العهد والفساد ينبغي أن يجدد الإيمان بتكرار هذه الكلمة قال ﷺ « جدّدوا إيمانكم بقول لا إله إلا الله » بل لا بد من تكرار هذه الكلمة في جميع الأوقات فإن النفس الأمارة في مقام الخبث دائماً .

وقد ورد عن النبي ﷺ في فضائل هذه الكلمة حديث « لو وضعت السماوات والأرض في كفة الميزان وهذه الكلمة في كفَّة لترجحت هذه الكفة على الأخرى » والسلام على من اتبع الهدى والتزم متابعة المصطفى عليه وعلى آله الصلاة الأكمل والسلام الأوفى . انتهى .

ترغيب في الكسب الحلال

ومما ينبغي أن يكتب هنا ما قاله الشيخ المرحوم خالد سيف الله قدس سره في بعض مكاتيبه إلى واحد من إخوانه في الدين فقال قُدِّسَ سِرُّهُ:

أيها الولد إني أقول لك أن تجتهد أن تكون من القوّامين للتكسُّب لأجلك ولأجل عيالك بالوجه الحلال فذلك مزية عظيمة من الله تعالى لخواص عباده لما أن كمال المقام لا يتحقق إلا بالزهد عمّا في أيدي الناس والكامل من يسلك الناس وهم في حِرَفهم وإنَّ زهد الكمّل ليس بخلوِّ اليدين من الدنيا وإنما الزهد بخلوّ القلب وأكابر الأولياء يسارعون إلى التكسُّب بالتجارة والزراعة والحرفة ليفوزوا بلذة الخطاب[1] لا لعلة أخرى قال تعالى ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ . . إلخ فوصفهم بالرجولية لأجل أكلهم من كسبهم وإقراضهم من فواضل كسبهم كلّ محتاج . مفهومه أن من لا كسب له والناس ينفقون عليه فهو من جنس النساء الحبالى وإن كان له لحية كبيرة وسبحة طويلة وسجادة وعزبة ومرقعة وشفاعات عند الحكام وغير ذلك وليس له في الرجولية نصيب كما قال تعالى ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ فعلم أنه لا يقدح في شيخ الزاوية أن يكون تاجراً أو زراعاً بل ذلك أكمل له فإياك يا أخي أن تنكر على فقير التكسب والتجارة والزراعة أو معاملة الناس أواخر عمره وقد ختم عمره بمحبة الدنيا بعد أن كان زاهداً فيها وفي أهلها فربما

---

(١) أي بقوله تعالى ﴿وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ . . سورة المزمل إلخ فافهم .

يكون مشهد ذلك الفقير ما قلناه أو غير ذلك من النيات الصالحات وإيثار الزهد مع خلو اليدين ربما يكون لعلة الفقد .

وقد قالوا من شرط الداعي إلى الله تعالى أن لا يكون متجرداً عن الدنيا بالكلية بأن يخلو يده منها وذلك لأنه يحتاج ضرورة إلى سؤال الناس إمّا بالحال وإما بالمقال بخلاف ما إذا كان ذا مال يعطي منه المحتاجين من مريديه وغيرهم فإن فقد الحال الذي يميل به قلوب المريدين إليه كان معه المال يميلهم ومن لا حال له ولا مال لا ينفعه المقال وفي الحديث « عزُّ المؤمن استغناؤه عن الناس وشرفه في قيام الليل » انتهى من خطه قدس سره وكلامه هذا زبدة كلام الأكابر وملخص ما ذكروه في كتبهم فجزاه الله عنا خير الجزاء آمين .

وقال صاحب كتاب « الرماح » ٤٣ ج١ رضي الله عنه بعد نقله مثل[١] ما مرّ عن الشعراني قدس سره قلت وفي الحديث أيضاً أن « من طلب الدنيا قليلاً تعففا عن المسألة وسعياً على عياله وتعطفاً على جاره لقي الله تعالى ووجهه كالبدر » .

وفيه أيضاً أنه ﷺ كان جالساً مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذي جلدة وقوة وقد بكَّر يسعى فقالوا يا ويح هذا لو كان جَلَده وشبابه في سبيل الله . فقال ﷺ « لا تقولوا هذا فإنه إن كان يسعى على نفسه ليكفَّها عن المسئلة ويغنِيَها عن الناس فهو في سبيل الله وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله وإن

(١) أي وكلام سيف الله مستنبط من كلام الشعراني وصاحب « الرماح » نقله أيضاً وقال بعد ذلك ما يأتي فافهم (منه) .

كان يسعى تفاخراً وتكاثراً فهو في سبيل الشيطان » . وفيه « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلاً أعطاه الله فيسأَلَهُ أَعْطاه أوْ منعه » .

وقال حذيفة خياركم من لم يدع دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه . وفيه « لا تسبّوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر » . وفيه « اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول[١] » . وفيه « الفارّ من عياله كالفارِّ من الزحف » . وفيه أن الصحابة أثنوا عند رسول الله ﷺ على رجل بالعبادة فقال ﷺ « فمن كان يطعمه ويسقيه ويعلف دابته ويكفيه ضيعته » قالوا نحن يا رسول الله ﷺ . فقال « كلّكم خير منه » وقال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه ليس الشأن أن تصف قدميك للعبادة وغيرك يقوتك إنما الشأن أن تحرز رغيفك في بيتك ثم تغلقه وتصلي فلا تبالي بأيِّ داق للباب بخلاف من قام يصلي في بيته وليس عنده شيء يأكله فيصير كل داق دق الباب يقول إن معه رغيفاً .

وقال الثوري عليكم بالحرفة فإن عامة من أتى أبواب الأمراء إنما أتاهم لحاجة .

وقال عبد الله بن المبارك لا يُخرِجِ العبد من الزهد إمساكُ الدنيا ليصون بها وجهه عن سؤال الناس .

وقال في « عرائس البيان » عند قوله تعالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ ولا تظن يا أخي أن العارف المتمكّن إذا باشر الدنيا وزينتها هو من

---

(١) أي ابدأ بعيالك فافهم .

جملتهم إنه يريد الله برغبة المعرفة والشوق ويريد الدنيا للكفاف والعفاف يرزقه الله حياة حسنة طيبة بأن يجعل الدنيا خادمة له ويبجله في أعين الخلق ويوقع هيبته في قلوب الناس قال الله تعالى ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ .

وقال عليه السلام « من أحسن فقد وقع أجره على الله في عاجل الدنيا وآجل الآخرة » .

وقال لقمان لابنه يا بنيّ حملت الصخور والحديد فلم أرَ شيئاً أثقل من الدين وأكلت الطيب وعانقت الحسان فلم أرَ شيئاً ألذّ من العافية وذقت المرارات كلها فلم أذق شيئاً أمرّ من الحاجة إلى الناس .

وقال الشعراني من أخلاق السلف تقديم الخوف من الحاجة إلى الناس على خوف الحساب من جهة المال الذي ربما دخلته الشبهة .

وقال سفيان الثوري لأنْ أخلف عشرة آلاف درهم أحاسب عليها أحبّ إليّ من أن أحتاج إلى الناس .

وقال المال فيما مضى يكره وأما اليوم فهو ترس المؤمن . وقال حفظك لما في يدك لتقضي به حاجتك أولى من تصدُّقك وطلبِك لما في يد غيرك .

وقال خصلتان لا يزال العبد بخير ما حفظهما درهمه لمعاشه ودينه لمعاده .

وكان قيس بن عاصم مع زهده وورعه يقول لبنيه عليكم بالكسب الحلال فإنه يسرّ الصديق ويكدّ العدو وتستغنون به عن سؤال الناس لا سيّما اللئيم وإياكم وسؤال الناس فإن ذلك كسب العاجز .

وقيل للثوري أيكون الرجل زاهداً ويكون له المال قال نعم إذا ابتلي صبر وإذا أعطي شكر . وقال أبو قلابة لأن أرى في معاشي أحبُّ إليَّ من أن أرى في زوايا المسجد . وقال عليكم بالسوق والصنعة فإنكم لن تزالوا كِراماً على إخوانكم ما لم تحتاجوا إليهم . انتهى .

يا ولدي ذكرت لك هذه الفوائد المتضمنة للترغيب والترهيب لترغب في التكسب والحرفة لتصون وجهك عن التعرض إلى ما بأيدي الناس وتكون على حذر من الإنكار إذا رأيت من مشائخك من يطلب الدنيا ويحفظها وقد عُلِم مما مرَّ **أن زهد العارفين يكون بالقلب ولا يضرُّهم إمساك الدنيا بحذافيرها** فلهم في ذلك نيات صحيحة . و« إنما الأعمال بالنيّات » وكم من عمل يتصور بصورة الدنيا ويصير بحسن النية من أعمال الآخرة كما ورد به الخبر

أيها الولد المتعطش إلى كل عطاء رحيب وفتح قريب من القريب المجيب بواسطة أهل الاختصاص والتقريب قد طلبت كتبة ما ينفعك من أمور الدنيا والدين فاستبشر بها الخاطر وقرَّ بها الناظر وأرجوك أن لا يغرَّنَّك ما ذكرته في حق الدنيا بل لاحظ ما هنا بما مرّ قُبَيْلَهُ وبما يأتي آنفاً وخذ المسائل مع العلل لأن **الحكم تدور مع العلة وجوداً وعدماً** وإياك ثم إياك والانهماكَ في جمع حُطام هذه الفانية وملاذها إلا بقدر الضرورة وهو ما يكفيك ويكفي لمن يجب مؤنته من الزوجة وغيرها فإن الانهماك فيها وفي زخرفها يستر أنوار النفس كما يستر الغمامُ نور الشمس فإذا انقشعت الغمام عن نفسك ظهرت لك العلوم المستورة اللدنية وانتقشت الحقائق في لوح نفسك واللوح إذا كان ملآناً لا ينتقش

فيه غير ما فيه فامح عنه الأخلاق المذمومة وحب الدنيا ترى العجائب من نفسك .

واعلم أنك إذا لم تطلق الدنيا فهي تطلقُك فاتركها عن اختيار ولا تتركها عن إجبار وما الدنيا إلا كظلك إن أردت أخذها عجزت وإن توليت عنه تبعتك وجاءت راغمة كما قال المشرع حاكياً عن ربه « يا دنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه » وبمثله نطق بعض الأكابر وهو عند والدك مجرب صحيح قد سعى خلف الدنيا كثيراً فهربت وولت عنه الأدبار ثم تركها فسعت خلفه والحمد لله الملك الجبار .

يا ولدي لا تترك الكسب والحرفة بل اطلب الدنيا وصحح النية ولا تبخل بها ولا تمنعها عن المحتاجين وفقك الله تعالى لما يحبه ويرضاه آمين .

قال الغزالي في « الإحياء » في بيان فضيلة الكسب أما من الكتاب فقوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ فذكره في معرض الامتنان وقال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ فجعلها ربك نعمة وطلب الشكر عليها وقال تعالى ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وقال تعالى ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ . وقال تعالى ﴿فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ .

وأما الأخبار فقد قال ﷺ « من الذنوب ذنوب لا يكفِّرها إلا الهمُّ في طلب المعيشة » . وقال عليه السلام « من طلب الدنيا حلالاً وتعفُّفاً عن المسئلة وسعياً على عياله وتعطفاً على جاره لقي الله تعالى ووجهه كالقمر ليلة البدر » انتهى ٣٩ ج٢ .

وفيه في ٣٩ ج٢ وقال ﷺ « إن الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغنيَ بها عن الناس ويبغض العبد يتعلم العلم يتخذه مهنة »[١] وفي الخبر « إن الله تعالى يحب العبد المحترف » . وقال ﷺ « أحلُ ما أكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور » وفي خبر آخر « أحلّ ما أكل العبد كسب يد الصانع » . وقال عليه الصلاة والسلام « عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق » . وروي أن عيسى عليه السلام رأى رجلاً فقال ما تصنع قال أتعبَّد . قال من يعولك قال أخي . قال أخوك أعبد منك .

وقال نبينا ﷺ « إني لا أعلم شيئاً يقرِّبكم إلى الجنة ويبعدكم من النار إلا أمرتكم به وإني لا أعلم شيئاً يبعدكم من الجنة ويقرّبكم من النار إلا نهيتكم عنه وإن الروح الأمين نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب » أمر بالإجمال في الطلب ولم يقل اتركوا الطلب . ثم قال في آخره « ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله تعالى فإن الله لا ينال ما عنده بمعصيته » .

وقال ﷺ « الأسواق موائد الله تعالى فمن أتاها أصاب منها » وقال عليه السلام « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من أن يأتي رجلاً أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه » . وقال « من فَتح على نفسه باباً من السؤال فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر » . انتهى ٣٩ ج٢ .

(١) أي لأن العلم من عمل الآخرة فإذا امتهنه ليحصِّل به دنيا فقد وضع الشيء في غير محلّه وقد ورد في ذلك وعيد شديد . ففي « المعجم الكبير » للطبراني من حديث الجارود بن المعلى مرفوعاً « من طلب الدنيا بعمل الآخرة طمس وجهه ومحق ذكره وأثبت اسمه في ديوان أهل النار » والحديث المذكور أورده هكذا صاحب « القوت » . « إتحاف » ٤١٥ ج٥ .

وأما الآثار في حق الكسب فكثيرة واكتفيت بهذا القدر من الأحاديث .

فإن قلت فقد قال ﷺ « ما أوحي إليّ أن اجمع المالَ وكن من التاجرين ولكن أوحيَ إليَّ أن سبّح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » وقيل لسلمان الفارسي أوصِنا فقال من استطاع منكم أن يموت حاجّاً أو غازياً أو عامراً لمسجد ربه فليفعل ولا يموتن تاجراً ولا خائناً .

فالجواب أن وجه الجمع بين هذه الأخبار تفصيل الأحوال فنقول لسنا نقول التجارة أفضل مطلقاً من كل شيء ولكن التجارة إمّا أن تطلب بها الكفاية أو الثروة والزيادة على الكفاية فإن طلب منها الزيادة على الكفاية لاستكثار المال وادّخاره لا ليصرف إلى الخيرات والصدقات فهي مذمومة لأنه إقبال على الدنيا التي حُبها رأس كل خطيئة .

فإن كان مع ذلك ظالماً خائناً فهو ظلم وفسق وهذا ما أراده سلمان بقوله لا تمت تاجراً ولا خائناً . وأراد بالتاجر طالب الزيادة .

فأما إذا طلب بها الكفاية لنفسه وأولاده وكان يقدر على كفايتهم بالسؤال فالتجارة تعففاً عن السؤال وإن كان لا يحتاج إلى السؤال وكان يُعطى من غير سؤال فالكسب أفضل لأنه إنما يُعطى لأنه سائل بلسان حاله ومناد بين الناس بفقره فالتعفف والتستر أولى من البطالة بل من الاشتغال بالعبادات البدنية .

وترك الكسب أفضل لأربعة عابد بالعبادات البدنية أو رجل له سير بالباطن وعملٌ بالقلب في علوم الأحوال والمكاشفات أو عالم مشتغل

بتربية علم الظاهر ومما ينتفع الناس به في دينهم كالمفتي والمفسِّر والمحدث وأمثالهم أو رجل مشتغل بمصالح المسلمين وقد تكفل بأمورهم كالسلطان والقاضي والشاهد فهؤلاء إذا كانوا يكفون من الأموال المرصّدة للمصالح أو الأوقاف المسبلة على الفقراء أو العلماء فإقبالهم على ما هم فيه أفضل من اشتغالهم بالكسب . ولهذا أوحي إلى رسول الله ﷺ أن سبِّح بحمد ربك وكن من الساجدين . ولم يوح إليه أن كن من التاجرين لأنه كان جامعاً لهذه المعاني الأربعة إلى زيادات لا يحيط بِها الوصف . ولهذا أشار الصحابة على أبي بكر رضى الله تعالى عنه بترك التجارة لما ولّيَ الخلافة إذ كان ذلك يشغله عن المصالح وكان يأخذ كفايته من مال المصالح ورأى ذلك أولى . ثم لما توفي أوصى بردّه إلى بيت المال ولكنه رآه في الابتداء أولى « إحياء علوم الدين » ٤٠ ج٢ فراجعه ففيه الزيادة .

وأما قوله عليه الصلاة والسلام « اللهم أحيني مسكيناً وتوفني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين » فقد فسّر الحفني لقوله مسكيناً أي متواضعاً متذلّلاً . انتهى . وقال العزيزي في « السراج المنير » المراد به استكانة القلب لا المسكنة التي هي نوع من الفقر . فراجعه في ٢٧٩ ج١ .

وورد في فضيلة الزراعة والحراثة وسقي الزرع أحاديث منها « إن الله تعالى يطلع كل ليلة على الزرع ويقول باركت عليك وعلى صاحبك ثم يوكِّل الله تعالى على كل ورقة من الزرع ملائكة يسبِّحون الله تعالى ويستغفرون لصاحبه حتى يؤكل » .

ومنها « أول من يكسى يوم القيامة بعد الأنبياء المؤذنون والعلماء والشهداء والحرَّاثون فإن الله تعالى يغفر ذنوب الحرَّاث أول حبته وأول سقي زرعه . ومن سقى زرعه كتب الله تعالى له ما دام زرعه رطباً كل يوم ألف حسنة ومحى عنه ألف سيئة » انتهى .

يا ولدي عليك بحسن الخلق مع الناس وحسن المعاشرة والألفة بين الإخوان والأقران ففي ذلك فضل عظيم . قال الغزالي في « الإحياء » **اعلم** أن الألفة ثمرة حسن الخلق والتفرُّق ثمرة سوء الخلق فحسن الخلق يوجب التحابَّ والتآلف والتوافق وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر ومهما كان المثمر محموداً كانت الثمرة محمودة وحسن الخلق لا تخفى في الدين فضيلته وهو الذي مدح الله سبحانه به نبيه عليه السلام إذ قال ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

وقال النبي ﷺ « أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق » . وقال أسامة بن شريك قلنا يا رسول الله ما خير ما أعطي الإنسان فقال خلق حسن . وقال ﷺ « بعثت لأتمم محاسن الأخلاق » . وقال ﷺ « أثقل ما يوضع في الميزان خلق حسن » . وقال صلى الله تعالى عليه وسلم « ما حسَّن الله خَلْقَ امرئ و خُلُقَه فيطعمه النار » . وقال ﷺ « يا أبا هريرة عليك بحسن الخلق » . قال أبو هريرة رضي الله عنه وما حسن الخلق يا رسول الله قال « تصِلُ مَنْ قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطي مَنْ حرمك » . انتهى ١٠٩ ج٢ .

يا ولدي أوصيك بأن تجتنب عن معاشرة الأضداد وأهل الفساد والضلال لئلا ينعكس إليك أحوالهم الخبيثة وأخلاقهم المذمومة .

وقد قيل ما معناه

لا تسأل عن المرء وأبصر قرينه   فإن القرين بالقرين مقارن

وفي « الإحياء » وكان مالك بن دينار يقول لا يتفق اثنان في عِشْرة إلا وفي أحدهما وصف من الآخر وإن أجناس الناس كأجناس الطير ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران إلا وبينهما مناسبة . قال فرأى يوماً غراباً مع حمامة فعجب من ذلك فقال اتفقا وليسا من شكل واحد ثم طارا فإذاً هما أعرجان فقال من ههنا اتفقا . ولذلك قال بعض الحكماء كلّ إنسان يأنس إلى شكله كما أن كلّ طير يطير مع جنسه . وإذا اصطحب اثنان بُرْهة من زمان ولم يتشاكلا في الحال فلا بد أن يفترقا . انتهى ١١٢ ج٢ .

وفيه في ١١٩ ج٢ وقال بعض العلماء لا تصحب إلا أحد رجلين رجل تتعلم منه شيئاً في أمر دينك فينفعك أو رجل تعلمه شيئاً في أمر دينه فيقبل منك والثالث فاهرب . انتهى ١١٩ .

وفيه وقال جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه لا تصحب خمسةً **الكذاب** فانك منه على غرور وهو مثل السراب يقرِّب منك البعيد ويبعد منك القريب . **والأحمق** فإنك لست منه على شيء يريد أن ينفعك فيضرك . **والبخيل** فإنه يقطع بك أحوج ما تكون . **والجبان** فإنه يسلمك ويفرُّ عند الشدة . **والفاسق** فإنه يبيعك بأكلة أو أقل منها . فقيل وما أقل قال الطمع فيها ثم لا ينالها . وقال الجنيد لأن يصحبني فاسق حسن الخلق أحبُّ إليَّ من أن يصحبني قارئ سيئ الخلق . انتهى ١٩ .

أيها الولد كن مصلحاً بين الناس ولا تكن فتّاناً بينهم ففي الإصلاح فضيلة عظيمة .

روي في الحديث « من أصلح بين اثنين أعطاه الله بكل كلمة عتق رقبة » . وفيه « من أصلح بين المسلمين استوجب أجر شهيد » . وفيه « أفضل الأعمال إدخال السرور على قلوب المؤمنين » وكن أيضاً خادماً لهم وخاصة للعلماء والفقهاء ففي الحديث « من خدم عالماً سبعة أيام فكأنما خدم الله سبعة آلاف سنة وأعطاه بكل يوم ثواب شهيد » وفيه « مَنْ قضى حاجة أخيه المسلم قضى الله له اثني وسبعين حاجة من حوائج الدنيا والآخرة » . وفيه « من خاط ثوب مسلم أو غسله أو خصف على نعليه أو على ثوبه حِسْبَةً لله ضَمِنْتُ له الجنة » وفيه « الخادم في أمان الله تعالى ما دام في خدمة المؤمن وللخادم بخدمته أجر الصائم بالنهار والقائم بالليل وكأجر الحاجِّ والغازي والمرابط في سبيل الله » . وقال ﷺ « يا أنس خادم السوء أفضل عند الله من عابد مجتهد » . وقد بيّنت فضائل الزيارة في « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » نبذة فإن راجعت إليه تجد فيه ما تقر عينك .

وقد قال كعب مَنْ زار فقيراً أو مسكيناً أي زاره يريد تواضعاً وكَّل الله به ألف ملك يستغفرون له إلى أن يمسي . وفي الحديث « من عاد مريضاً فله بكل خطوة يخطو بها سبعون ألف حسنة ومحي عنه سبعون ألف سيئة ورفع له سبعون ألف درجة ويوكل عليه سبعون ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة » .

قال الغزالي في « الإحياء » وأما اليتيم فقال ﷺ « من ضم يتيماً من أبوين مسلمين حتى يستغني فقد وجبت له الجنة البتة » .

وقال عليه السلام « أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين » وهو يشير بإصبعيه . وقال ﷺ « من وضع يده على رأس يتيم ترحُّماً كانت له بكل شعرة تمرُّ عليها يده حسنة » . انتهى ١٤٢ ج٢ .

ياولدي عليك بالنصيحة لكل مسلم والجهد في إدخال السرور على قلبه ففي ذلك منافع . قال ﷺ « المؤمن يحبُّ للمؤمن كما يحبُّ لنفسه » . وقال ﷺ « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » . وقال ﷺ « إن أحدكم مرآة أخيه فإذا رأى فيه شيئاً فليُمِطْه عنه » . وقال ﷺ « من قضى حاجة لأخيه فكأنما خدم الله في عمره » . وقال ﷺ « من أقرَّ عين مؤمن أقرَّ الله عينه يوم القيامة » .وقال ﷺ « من مشى في حاجة أخيه ساعة من ليلٍ أو نهارٍ قضاها أو لم يقضها كان خيراً له من اعتكاف شهرين » . وقال عليه السلام « من فرّج عن مؤمن مغموم أو أعان مظلوماً غفر الله له ثلاثاً وسبعين مغفرة » . انتهى الأحاديث من « الإحياء » فراجعه في ١٤٢ ج٢ . وفي الحديث « إن من موجبات المغفرة إدخال السرور على أخيك المسلم » .

وفيه « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة إصلاح ذات البين » « الجامع الصغير » حتى تكون أحوالكم أحوال صحبةٍ وألفةٍ واتفاق « السراج المنير » .وفيه « خيركم خيركم لأهله » . وفيه « خيركم مَنْ أطعم الطعام للإخوان والجيران والفقراء » . وفيه « خير الأصحاب عند الله خيركم لأصحابه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره » . وفيه « خير الناس أنفعهم للناس » أي بما يقدر عليه من الإحسان بماله وجاهه وعلمه

« سراج » والأحاديث في ذلك كثيرة وأرجوك أن تعمل بها وتكون من المحسنين للناس بالإعانة والإنفاق .

وقد وصف الله تعالى المؤمنين في قوله ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ أي كانوا خلطاء في الأموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض وكان منهم من لا يصحب من قال نعلي لأنه أضافه إلى نفسه . كذا في « الإحياء » .

وفيه قال ابن عمر رضي الله عنهما أهدي لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال أخي فلان أحوج منّي إليه فبعث به إليه فبعثه ذلك الإنسان إلى آخر فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى رجع إلى الأول بعد أن تداوله سبعة .

وروي أن مسروقاً أدان ديناً ثقيلاً وكان على أخيه خيثمة دَيْن قال فذهب مسروق فقضى دَيْن خيثمة وهو لا يعلم وذهب خيثمة فقضى دَين مسروق وهو لا يعلم . انتهى ١٢١ ج٢ . وشكى بعضهم كثرة الفأر في داره فقيل له لو اقتنيت هراً فقال أخشى أن يسمع الفأر صوت الهر فيهرب إلى دور الجيران فأكون قد أحببت لهم ما لا أحبّ لنفسي « إحياء » ١٤٥ ج٢ . وحقوق الجوار مبسوطة فيه فراجعه .

يا ولدي لا يغرّنك حسن خلق المشائخ مع ما فيك من عدم صفاء الاعتقاد والتسليم والانقياد . فإن لهم تلوّنات في الأحوال ففي وقت يتسعون وفي وقت آخر يضيقون . ولذا ينبغي لك أن تحترز من الخطرات النفسانية والشيطانية في حالة صحبتهم .

وقد رأيت في « تقريب الأصول » في ٦١ أن أبا العباس المرسي كان يقول إذا ضاق الوليّ هلك من يؤذيه في الوقت وإذا اتسعت معرفته احتمل أذى الثقلين ولم يحصل لأحد منهم بسببه ضرر . ولحوم الأولياء مسمومة ولو لم يؤاخذوك فإياك ثم إياك . انتهى .

وفيه في ٦٠ أن أبا الحسن الشاذلي قدس سره كان يقول من اعترض على أحوال الرجال فلا بد أن يموت قبل أجله ثلاث موتات أُخَر موت بالذل وموت بالفقر وموت بالحاجة إلى الناس ثم لا يجد من يرحمه منهم . انتهى .ويؤيده ما قاله بعض الأكابر الولي كنيل مصر رحمة للمطيعين وعذاب للمحجوبين . انتهى .

ورأيت في « طبقات » الشعراني في ٧٧ ج٢ ما نصه كل فقير لا يقتل بعدد شعر رأسه من الظلمة فليس بفقير . انتهى .

وإياك ثم إياك يا ولدي أن ترى نفسك فوق أحد من المسلمين فإن رأيت ذلك يسلب منك المشائخ أحوالك . فإنهم كما يقدرون بإذن الله تعالى على إعطاء الأحوال فكذلك يقدرون على سلبها وقد قال الشعراني في « منته الكبرى » في ١١١ ج١ إن كل من رأى نفسه على أحد فقد تعرض للسلب . انتهى . وفيه لا يؤخذ الفقير ويسلب العالم إلا عند رؤية أحدهما نفسه على إخوانه أو غفلته عن الله تعالى انتهى . راجعه في ١١٠ ج١ . وفيه في ٢٠٧ ج١ وكان سيّدي علي المرصفي رضي الله عنه – يقول من شقاء المريد في الدنيا وعنوان شقاوته في الآخرة تهاونه بغضب شيخه عليه وعدم رؤيته على نفسه وجوب المبادرة إلى صلحه والدخول في

طاعته . وقد تهاون جماعة بغيظ أستاذهم عليهم فلم يفلحوا بعدها أبداً لا على يد شيخهم ولا على يد غيرهم . انتهى .

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول من أقلّ ما يحصل من الهلاك لمن خالف أستاذه الاشتغال بالدنيا والإدبار عن الآخرة فيصير مكبّاً على جمع الدنيا من أيّ وجهٍ كان ويعادي كل مَنْ صدّه عنها ولو كان شيخه . وكذلك من أسباب الهلاك قلة ذكره لله تعالى وقلّة تلاوته للقرآن وقلة عمله بالعلم وعدم تقيده بالأوراد وسهر الليالي وقلة المواظبة على صلاة الجماعة في الصلوات الخمس وغير ذلك وربما فارق شيخه وصار مداوماً على الأوراد التي كان عليها حال صحبة شيخه لكنها قليلة النفع فهي في عينه كأمثال الجبال وفي عين المكاشفين بأحوال الآخرة كالذَّرة .

وقد أجمع أشياخ الطريق على أن من لم يقدر على ملاحظة شيخه ومراقبته حال العمل لا يصح له مراقبة الحق تبارك وتعالى في حال طاعته أبداً .

وفي بعض الكتب الإلهية يقول الله عز وجل للملائكة الكرام الكاتبين اكتبوا عمل عبدي فلان واكتبوا أين كان قلبه حال العمل ليأخذ ثوابه ممن كان قلبه حاضراً معه . انتهى .

فَعُلِمَ أن من عقل العاقل أن لا يعتمد بعمل أو كلمة تسبيح أو تهليل مثلاً قالها وقلبه غافل سارح في أودية الدنيا **فإن ذلك غير محسوب له عند الله تبارك وتعالى** .

وقد بلغنا أن بعض السلف الصالح قرأ سورة طه في الليل فجهر بآية منها ليسمع جاره بغير نية صالحة فرأى بعد ذلك أن القيامة قامت ونشرت له صحيفة تلك الليلة فلم ير تلك الآية فيها وقيل له خذ أجرك ممن رفعت صوتك لأجله . انتهى فافهم .

يا ولدي إن والدك قد حمل المشقة لأجلك في جمع هذا الكتاب فعساك أن لا تتخذ نصائحه مهجورة وأن لا تلقيها وراء ظهرك محقورة ويحتمل أن لا ترى والدك إلا بصورته الظاهرة وكونه على تلك الصورة مغموساً في الأخلاق الغير المرضية ومتدنِّساً بأدناس النفس الأمارة بالسوء هو الحق الذي لا ريب فيه وإن انتفاع الولد بتعليم الوالد ومواعظه ونصائحه من النوادر وقَلّ من ينفع بالشيخ من أولاده وأهل بيته وخدَّامه[1] وأقاربه وأهل قريته لما أنهم لا يرون فيه الخصوصية ولا ينظرون إلا إلى ظاهره وأحواله البشرية ولا يعرفون أحوال باطنه بل يجدونه يأكل كما يأكلون ويشرب كما يشربون ويغضب كما يغضبون وينام كما ينامون . فقد يستر الله تعالى عن الأكثر خصوصية أوليائه ويحجب بينهم وبينهم بحجب البشرية بحكمته فلذلك يقلّ نفعهم بالشيخ ولو أنهم نظروا إليه بعين الكمال ولم يَزِنُوا حاله بميزان حالهم وتفكروا فيما ورد في الحديث القدسي « أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري » لكانوا أسبق حالاً وأكثر نفعاً به ولا عجب . وقد قيل معرفة الولي أصعب من معرفة الله تعالى .

(١) وفي « لطائف المنن » والقاعدة أن كل من كثرت مشاهدة الناس له هَانَ في العيون ولذلك قالوا أقل الناس نفعاً بالشيخ زوجته وولده ونقيبه لكثرة مشاهدتهم له ووقوفهم مع ظاهر بشريته دون الوصول إلى معرفة قلبه وما فيه من الأسرار والمشاهدة النفيسة . انتهى فراجعه في ١٠١ من الجزء الأوّل (منه رحمه الله تعالى رحمة واسعة آمين) .

وقالوا في حق سيد الكائنات عليه الصلوات والتسليمات ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ الآية . **فمن نظر إلى الشيخ بعين الإجلال والتعظيم معتقداً رسوخ قدمه في مقام الولاية وأنه صاحب مَدَدٍ ودعاء مستجاب انتفع ووصل إلى رتبة الولاية ومن نظر إليه بأنه فلان ابن فلان يأكل ويشرب وينام ويغضب مثله فلا تحصل له منه فائدة ولا ينتفع به كما لم ينتفع بالنبي ﷺ لأبعاض من أقاربه وعشيرته .**

اعلم يا ولدي أن المراد من القباب في الحديث القدسي الذي مرَّ ذكره آنفاً ليس إلا أوصافهم البشرية فكل ما يحتاج إليه أفراد البشر يحتاج إليه الأولياء والأكابر وكونهم في مقام الولاية لا يخرجهم من الاحتياج المذكور وغضبهم أيضاً مثل غضب سائر الناس وإذا قال سيد البشر عليه الصلاة والسلام « أغضب كما يغضب البشر » كيف لا يصدر من غيره الغضب فالأكل والشرب ومعاشرة الأهل والعيال ومؤانستهم التي هي من لوازم البشر لا تزول عن العوام والخواصّ .

وقد قال تعالى في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ **فمن اقتصر نظره على ظاهر الشيخ صار محروماً من بركته ومن كفَّ نظره عن ظاهره ونفذت حدّة نظره إلى أوصافه الباطنة** واقتصر عليها صار سعيداً ومحتظياً من إمداده وفيوضاته . راجع « رسالة المبدأ والمعاد » تجد البيان مبسوطاً .

وفي « تقريب الأصول » في ذكر كلام سيدي علي وفا و قال رضي الله عنه من كان لا يرى من أستاذه إلا وجه البشرية فلا يزيده ما كشف له من الحق المبين إلا إعراضاً وتكذيباً ونفوراً ومن ثَمَّ لا تجد محققاً يظهر لقوم إلا من

حيث يشهدونه وما دام في ظهور المماثلة لهم لا يكلِّمهم إلا بلسانه ولا يزن منهم إلا بكيلهم وميزانهم .

ومن ثَمَّ قال النبي ﷺ لعموم أصحابه « لا تفضلوني على موسى ولا تفضلوني على يونس » . وقال لخواص أصحابه أنه أفضل من جميع المرسلين والملائكة المقربين .

وهكذا كل وليّ لا يقبل منه إلا ما كان على نهج طريقة النبي ﷺ من تكليمه كل فريق بلسانهم ووزنهم بميزانهم وكيلهم بكيلهم . انتهى ٧١ .

وفيه في ٧٣ و قال رضي الله عنه يوم من أيام الأستاذ عند ربه كألف سنة مما يعدُّ المريدون عند ربهم وأنوار المريدين رقائق أنوار أساتيذهم وأنوار الأستاذين حقائق أنوار مريديهم فكما أنه ليس في مرآة البدر إلا الشمس فيضيء الليل كله كذلك ليس في المريد الكامل إلا أستاذه فيفيده المدد القبولي كله فافهم واعرف والزم تغنم . انتهى .

وفيه أيضاً وقال رضي الله عنه **اطلب من نفسك الصدق في معرفة خصوصية أهل التخصيص ومحبتك لهم تنال منهم ما تريد ولا تطلب منهم أن يشغلوا قلوبهم بك وتهمل أنت أمر نفسك فإن ذلك قليل الجدوى** . انتهى ٦٦ .

لكل وليٍّ أستار

وفي « الطبقات » للشعراني في ٧ من الجزء الأول **لكل وليٍّ أستار فلا يعرف حقيقته** وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يقول لكل وليّ ستر أو أستار نظير السبعين حجاباً التي وردت في حق الحق تعالى حيث أنه تعالى لم يعرف إلا من ورائها فكذلك الولي فمنهم مَنْ يكون ستره بالأسباب

ومنهم من يكون ستره بظهور العزة والسطوة والقهر على حسب ما يتجلّى الحق تعالى لقلبه فيقول الناس حاشا أن يكون هذا وليّاً لله تعالى وهو في هذه النفس وذلك لأنّ الحق تعالى إذا تجلى على قلب العبد بصفة القهر كان قهاراً أو بصفة الانتقام كان منتقماً أو بصفة الرحمة والشفقة كان مشفقاً رحيماً وهكذا . ثم لا يصحب ذلك الولي الذي ظهر بمظهر العز والسطوة والانتقام من المريدين إلا من مَحَقَ الله تعالى نفسه وهواه ولم يزل في كل عصر وأوانٍ أولياء وعلماء تذلّ لهم ملوك الزمان ويعاملونهم بالسمع والطاعة والإذعان

ومنهم من يكون ستره بالاشتغال بالعلم الظاهر والخمول على ظاهر النقول حتى لا تكاد تخرجه عن آحاد طلبة العلم القاصرين .

ومنهم مَنْ يكون ستره بالمزاحمة على الدنيا وتظاهره بحُبِّ الرياسة والملابس الفاخرة وهو على قدم عظيم في الباطن .

ومنهم[1] من يكون ستره كثرة التردد إلى الملوك والأمراء والأغنياء وسؤالهم الدنيا وطلبه الوظائف من تدريس وخطابة وإمامة وعمالة ونحو ذلك فيقوم فيها بالعدل ويتصرَّف في ذلك بالمعروف على الوجه الذي لا يهتدي إلى معرفته غيره من الأمراء والعمال وآحاد الفقهاء ثم لا يأكل هو

(١) ورأيت في كتاب « الجواهر » و« الدرر » للشعراني قدس سره ما لفظه هذا (فيروزج) سمعت شيخنا ﷺ يقول من عباد الله تعالى من لا يستره حجاب ومع ذلك فلا يعرف ما في جيبه وربما يتكلم على الخواطر وما هو على الخاطر وإن من عباد الله من تقودهم المعرفة إليه به وهم يجولون في ميادين المخالفات وإن من عباد الله من تهب على قلوبه منفحات إلهيّة لو نطقوا بها كفَّرهم المؤمن وجهّلهم صاحب الدليل . انتهى . فراجعه في ١٦٩ من هامش « الإبريز » (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

من معلومها شيئاً أو يأكل منه سدّ الرمق لا غير فيقول القاصر في الفهم والإدراك لو كان هذا وليّاً لله عزّ وجلّ ما تردد إلى هؤلاء الأمراء ولجلس في زاويته أو بيته يشتغل بالعلم وبعبادة ربه عزَّ وجل ورحم الله تعالى الأولياء الذين كانوا ونحو ذلك من ألفاظ الجور . ولو استبرأ هذا القائل لدينه وعرضه لتوقَّف وتبصَّر في أمر هؤلاء الأولياء والعلماء قبل أن ينتقد عليهم فربما كان يتردّد إليهم لكشف ضرّ أو خلاص مظلوم من سجن أو قضاء حاجة لأحد من عباد الله تعالى العاجزين الذين لا يستطيعون توصيل حوائجهم إلى تلك الأمراء فيسألون في ذلك مَنْ يعتقد فيه من الأولياء والعلماء فيجب عليهم الدخول لتلك المصالح ويحرم عليهم التخلف عنهم لا سيما إن رأينا ذلك المتردد من الأولياء والعلماء زاهداً فيما في أيديهم متعزّزاً بعزّ الإيمان وقت مجالستهم آمراً لهم بالمعروف ناهيا لهم عن المنكر لا يقبل هدية ممن شفع له عندهم فإن هذا من المحسنين ولا يجوز لأحد الاعتراض عليه بسبب ذلك .

وقد سمعت سيدي عليّاً الخواص رضي الله عنه يقول إذا علم الفقير من أمراء الجور أنهم يقبلون نصحه لهم وشفاعته عندهم وجب عليه صحبتهم والدخول إليهم وصاحب النور يعرف ما يأتي وما يذر . انتهى .

قلت ومن الأولياء من يكون ستره قبوله من الخلق ما يعطونه له من الهدايا والصدقات ثم يخلط عليه من ماله ويعلّم الناس بأن ذلك كله من صدقات الناس الأجانب ويمدح الناس الذين أعطوه بالكرم ويوهم الناس أنه انتقص من ذلك المال لنفسه وعياله من وراء الفقراء أشياء بنحو قوله من يقدر في هذا الزمان أن يأخذ مالاً ويفرقه على الفقراء ولا يحدِّث نفسه

بانتقاص شيء منه ولا يسعنا كلنا إلا العفو ويكون مأكولاً مذموماً وهذا من أكبر أخلاق الرجال الذين أخلصوا في معاملة الله عز وجل فإنه لا يهتدي أحد إلى كماله الذي هو عليه في باطن الحال مع ظهور احتقاره في أعين الناس واستهانتهم به فإن الرجل إذا قبل من الخلق صغر في أعينهم ضرورة كما أن من رَدَّ عليهم كبر في أعينهم ولعلّ ذلك الرادّ إنما ردّ رياء وسمعة واستئلافاً لقلوب الناس عليه ليتوجّهوا إليه بالتعظيم والتبجيل ويطلقوا ألسنتهم فيه بالثناء الحسن .

وقد قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى من طلب الحمد من الناس بتركه الأخذ منهم فإنما يعبد نفسه وهواه وليس من الله في شيء . **قلت** ومعنى يعبد يطيع . وكان يقول أيضاً ينبغي لمن يخاف على نفسه من فتنة الردّ أن يأخذ ثم يعطيه سرّاً لمن يستحقه ولا يأخذ هو لنفسه منه شيئاً فإنه بذلك يأمن من الفتنة إن شاء الله تعالى .

قال الشيخ محي الدين رحمه الله تعالى ومما يفتح باب قلة الاعتقاد في أولياء الله تعالى وقوع زلّة ممن تزيّا بزيّهم وانتسب إلى مثل طريقهم والوقوف مع ذلك من أكبر القواطع عن الله عز وجل وقد قال تعالى ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ وقال تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ فمن أين يلزم من إساءة واحد أن يكون جميع أهل حرفته كذلك ما هذا إلا محض عناد وتعصّب بباطل كما قال بعضم في ذلك شعراً

استتار الرجال في كل عصر ... تحت سوء الظنون قدر جليل
ما يضرُّ الهلال في حندس[1] الليل ... سواد السحاب وهو جميل

(١) والحندس بكسر الحاء والدال الليل الشديد الظلمة « مخ » .

قلت ومن أشد حجاب عن معرفة أولياء الله عزَّ وجلَّ شهود المماثلة والمشاكلة وهو حجاب عظيم وقد حجب الله تعالى به أكثر الأولين والآخرين كما قال تعالى حاكياً عن قوم ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ إلى آخر ما قاله الشعراني في طبقاته فراجعه[١] .

وفي « تقريب الأصول » في ذكر شيء من الحقائق لسيدي أبي العباس الشاذلي رضي الله عنه وكان رضي الله عنه يقول العامّة إذا رأوا إنساناً ينسب إلى الولاية جاء من البراري والقفاري أقبلوا عليه بالتعظيم والتكريم وكم من بدَلٍ ووليّ بين أظهرهم فلا يلقون إليه بالاً مع أن هذا هو الذي يحمل أثقالهم ويدافع الأغيار عنهم فمثلهم في ذلك كمثل حمار الوحش يدخل به البلد فيطوف به الناس متعجبين لتخطيط جلده وحسن صورته والحمر التي بين أظهرهم تحمل أثقالهم إلى موضع أغراضهم وتنقل ترابهم وآلات بنائهم ولا يلتفتون إليها . انتهى ٦٤ .

وفي « طبقات الأولياء » للشعراني في ترجمة الشيخ محمد بن جمرة رضي الله عنه وكان رضي الله عنه يقول ثلاثة لا يفلحون في الغالب **ابن الشيخ وزوجته وخادمه** .أما ابنه فانه يفتح عينه على تقبيل المريدين يده وحمله على أعناقهم والتبرّك به ويطيعونه في كل ما يطلبه فتكبر نفسه ويرضع من حبِّ الرياسة من صغره فتتوالى عليه الصفات المظلمة فلا يؤثر فيه وعظ واعظ ويتجرَّأ على الأكابر وينفي مشيختهم عليه فإن جاء صالحاً فاق والده وانتفع بوالده أكثر من كلّ أحد وأما الزوجة فإنها ترى الشيخ بعين الأزواج

(١) ففيه كلام جليل في حق هذا (منه) .

لا بعين الولاية فتعتقد أنه محتاج إليها في الشهوة فإن نوّر الله تعالى بصرها ورأته بعين الولاية انتفعت به قبل كل أحد لملاصقتها له ليلاً ونهاراً . وأما الخادم فلتكرار رؤية الشيخ واطلاعه على أحواله من المأكل والمشرب والمنام ولذلك قالوا لا ينبغي للشيخ أن يأكل مع المريد ولا يجالسه إلا عند ضرورة خوفاً على المريد من سقوط حرمته من قلبه فيُحرَم بركة الصحبة فإن نظر الخادم إلى الشيخ بالتعظيم انتفع به كذلك وأفلح أكثر من غيره . انتهى ١٣٦ ج١ .

أيها الولد لا تظننَّ أن كلامي هذا إنما أوردته لأجل اعتقادي في نفسي أني رجل معدود من جملة المشائخ وأني أريد منك اعتقادك فيَّ بأني رجل وضع قدمه في دائرة الولاية فحاشا ذلك وكلا بيد أني خادمهم في موائدهم ووزيرهم وشريطهم في عتبة أبوابهم ولكنهم أذنوا لي في تقسيم قطرات موائدهم وكسرات أخبازهم المتساقطة في قصعاتهم وأمروني ورخَصوني بإعطاء تلك الكسرات والقطرات للمحتاجين الطالبين فمثالي مثال من يقسم صدقة الأغنياء في المحافل والمجامع والمساجد ويعطيها إلى أيدي الفقراء والمساكين فمنْ طلبها منه ومدَّ يده إليها يعطيه منها ومَنْ تكبر وافتخر من أن يأخذ تلك الصدقة من يد القاسم بظنّ أنه حقير فقير وأنف منه واستكبر قائلاً إنه لا يأخذ إلا ما أعطته أيدي الأغنياء حُرِمَ منها وخسر . انتهى .

ومثال آخر أن النبي عليه الصلاة والسلام بحر الفيوضات والبركات ومنبع الأسرار والتجليات والمشائخ كالموازيب المصنوعة من الجواهر واليواقيت والذهب والفضة والمعادن النفيسات فلو وضعت الموازيب

المفعولة منها مثلاً في موضع ليجرّ الماء من منبعه إلى موضع آخر وفُقِدَ ميزابٌ واحدٌ من الموازيب النفيسة فصار مكانه بدلاً عنه ميزاب خشب فإن وضع واحد إناءه تحت ذلك الميزاب وإن كان من الخشب يصل إلى الإناء الماء الجاري من تلك الموازيب النفيسة وإن أَنِفَ من أن يأخذ الماء من ميزاب الخشب فيحرم من الماء ويبقى عطشاناً أبداً .

ومثال آخر إن المرأة التي ليس لها ثدي أو التي لها ثدي لكن جفَّ لبنها ومع ذلك ولدت ولداً فإنها تعطي ولدها للرضاع إلى يد المرأة التي في ثديها لبن .

فهكذا أنا الناقص المأذون له من الكامل المكمّل المأمور بإيصال ما وصل إليه منه إلى الخلق ولست صاحب فيض ومَدَد بل أنا كالمرأة المذكورة أَلِدُ الأولاد وأسلِّمهم للتربية إلى يد محمود أفندي ذي الفيوضات فافهم . فكم وكم مرات استعفيت من شيخي العسوي قدس سره وطلبت منه عزلي من هذا الأمر لعلمي نقصي وعجزي وعدم كوني أهلاً لذلك . وكم وكم كرّرت لديه تصريحاً بأني لا أرى نفسي لائقة لتحمُّل أعباء الدعوة بيد أنه قد أكد الأمر بذلك وأذن لي وكتب لي صكَّ الإجازة وقلَّد على عنقي قلادتها . وحين كنت في السلوك رأيت في الواقعة كأني في مزرعة كبيرة محوّطة عندها طريق إلى مكان مرتفع وجبل فصرت أنبش من تلك المزرعة بالمعوال شيئاً يقال له بلغتنا (قَولِ) عجم فوجدته فيها كثيراً ومُلىءَ كيسا جُبَّتي منه وكان ذلك الشيء أجود ما يوجد في المزارع وأحسنه فظننت أني أستره عن الناس فإن أظهرتها لهم يلتجئون إليه وينبشونه بالمعاول ولا يبقى فيها شيء منه فأذهب

غداً مع ولدي محمد حجيو لنخرج منه شيئاً كثيراً وننبشه فوقتئذ صارت المزرعة مملوءة من الناس بحيث لا يحصى عددهم فظهر فيهم النبي عليه الصلاة والسلام فقام على حائط المزرعة الذي يلي الطريق متوجّهاً إلى طرف الطريق وصار الناس يذهبون من تلك المزرعة إلى ذلك الطريق الذي كان النبي عليه الصلاة السلام متوجهاً إليه فجاء لديّ رجل مجهولُ منهم فأمرني بارتقائي إلى سور المزرعة وحائطه وقيامي عند النبيّ عليه السلام فخفت من أن أقف لديه عليه الصلاة والسلام لما أني لم أر أهلاً للقيام معه فأكّد الرجل المذكور الأمر بل أقامني بيده عنده ﷺ فحين رقيت إلى ذلك السور وأقمت عنده ﷺ ظننت أني خليفته فقلت حينئذ يا رب هذا نبيك وهذا خليفته وهذه أمة قليلة فارحمهم . وبكيت بكاء فخطر في قلبي لِمَ أقول هذه أمَّة قليلة مع أن الناس كثيرون فأجبت في نفسي أن مرادي من ذلك أنهم قليلون بالنسبة إلى أمم الأنبياء الماضية لا أنهم قليلون بالنسبة إلى غيرهم . فانتبهت وكتبت الواقعة فأخبرتها الشيخ ذا الجناحين العسليّ نوّر الله ضريحه - آمين فقال إن هذه واقعة حسنة فإن شاء الله تعالى تكون خليفة النبي ﷺ . انتهى .

كتبة صك الإجازة

وأما الشيخ القطب الرباني خالد سيف الله قدس سره كتب إلي بعد كتبة صك الإجازة في الطريقة الشاذلية وشكايتي في حق هذا الأمر المخوف بما حاصله هذا لما حسن ظن الفقير فيك وكنت مجازاً ومأموناً من مرشد كامل ائتمنتك على أسراري وإجازتي وجعلتك خازن أمانتي لعلم علمني ربي بإذن من رسول الله ﷺ إلخ . وقد سألت من شيخنا

وروحي فداه فأجاب الأمين أمين في فعله لا غبار في أمره ونهيه فامض سبيلك لمصلحة الدين وإياك والغش فقد قال سيد الكائنات ﷺ « من غشنا فليس منا » وحين أن كنت متردداً في حق الإجازة مع حسن ظني فيكم رعاية لاصطلاح السادات ففي تلك الليلة حضر روحانيته ﷺ وكرم وعظم وأقامني مقامه وأنا مستحي منه ﷺ ووقعت هنالك مكالمات لا أقدر إفشاء سرّ نبوة مع بشاشة الوجه إلخ . .

فتبع جمع كثير خلفي قائلين أنت المحمد أنت خليفته إلخ . . فلم أقنع بذلك ووقعت في حياء عظيم وتفكر فحضر ﷺ ثانياً وسلّمني خاتمه وكان معه علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه ونظر إلى خط الخاتم اخذاً من يدي بمحضره ﷺ ثم ردَّه إلى يدي بعد القراءة بأمره وملكني عليه **فسررت وحكمت على رضائه ﷺ على إجازتي والحمد لله** ففي ذلك الحال حضرتما[١] لدي مستبشرين بملاقاتي ودخل معكم عليّ واحد من المبتدعين المنكرين فأغلظتما عليه القول وأفحمتما وأرجو الله عن قريب تفوزون إن شاء الله تعالى بدولة رؤيته عليه السلام . انتهى من خطه قدس سره .

وكتب قدس سره بعد ذلك ما حاصله إني كنت كل وقت أنهاكم عن تكثير المريدين وآمركم بتقليل الأتباع إلخ . . والآن أراكم أن لا تردوا أحداً ممن يطلب منكم الإسلاك ولا تنظروا إلى ظواهرهم **وإنما الشيخ إنما هو لأهل التفريط** لإرشادهم إلى الصراط السّوي حتى تجتهدوا لتكثير سوادهم ولو بطلبكم لما أنَّ لكلّ زمان رجال ولكلّ وقت أحوال . انتهى من خطه .

---

(١) يعني الحاج حبيب الله وهذا الحقير الفقير (منه) .

يا ولدي إني أخاف كثيراً من أن أكون سبباً لإتلاف أرض قلب المريد وإفساد بذره فكيف لا وقد قال الإمام الرباني قدس سره

اعلم أيها الأخ القابل لظهور الكمالات أظهر الله سبحانه فعلكم من القوة أن الدنيا مزرعة الآخرة فويل لمن لم يزرع فيها وعطل أرض الاستعداد وأضاع بذر الأعمال . ومما ينبغي أن يعلم أن إضاعة الأرض وتعطيلها إما بأن لا يزرع فيها شيئاً أو أن يلقي فيها بذراً خبيثاً فاسداً . وهذا القسم من الإضاعة أشد مضرة وأكثر فساداً من القسم الأول كما لا يخفى **وخبث البذر وفساده بأن يأخذ الطريق من السالك الناقص** ويسلك مسلكه لأن الناقص صاحب هوى متبع **وما يشوب بالهوى لا يؤثر** وإن أثر أعان على الهوى فيحصل ظلمة على ظلمة لأن الناقص لا يميز بين الطرق الموصلة إلى الله سبحانه و بين الطرق التي لا توصل إليه سبحانه إذ هو غير واصل قط . وكذا لا يميز بين الاستعدادات المختلفة للطلبة . وإذا لم يميز طرق الجذبة عن طرق السلوك فربما يكون استعداد الطالب مناسباً لطريق الجذبة غير مناسب لطريق السلوك ابتداء والناقص لعدم تمييزه بين الطرق وبين الاستعدادات المختلفة يسلكه طريق السلوك ابتداء فأضلّ عن الطريق كما ضلَّ . فالشيخ الكامل المكمل إذا أراد تربية هذا الطالب وتسليكه احتاج أولاً إلى إزالة ما أصاب من السالك الناقص وإصلاح ما فسد بسببه ثم ألقى البذر الصالح المناسب لاستعداده في أرض الاستعداد فينبت نباتاً حسناً ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ فصحبة الشيخ الكامل المكمّل كبريت

أحمر نظره دواء وكلمته شفاء وبدونها خرط القتاد انتهى « الدرر المكنونات » في ٣٢ ج١ .

يا ولدي إن هذا الكلام المذكور قاصم لظهر والدك وكان هذا الكلام سبب ردّه مراراً إجازة شيخه العسلي بيد أنه قدس سره اطّلع على ما في سرّي فسلم إلى يدي كتاباً فنظرت إليه فوجدت فيه ما حاصله أنّ الكامل قد يعطي الإجازة للناقص فلا يحصل منه الضرر لأنّ يده يده وتربيته تربيته . انتهى . فبعد ذلك اطمأن القلب وسكن عن الاضطراب فأسأل الله سبحانه تعالى أن لا يجعلني سبباً لإتلاف استعداد السالكين وإفسادهم وأن لا يحرمني وإياهم من بركة السادات القادات أهل الإرشاد والكمال آمين .

يا ولدي إن والدك لا يرى نفسه فوق أحد فلله الحمد على ذلك بيد أنه يرجو الله تعالى أن يجعله من المتشبهين بالمتشبه وينزله منزلة كلب أصحاب الكهف فإنه قد خطى خطوات خلف من وحد الله تعالى فأكرمه الله لذلك .

ورأيت في « نزهة المجالس » أنّ رجلاً من قوم قارون كان يحاكي عمامة موسى عليه الصلاة والسلام ويلفُّ الصوف على إصبعه فلمَّا خسف الله تعالى بهم الأرض أخَّر ذلك الرجل عن الخسف لمشابهته بموسى في العمامة . انتهى في ١٣٥ ج٢ .

وليس لي عمل مرجو ولا خلق حسن فيما أعلم إلا محبة هؤلاء الصوفية الصافية واعتقاد كلامهم وتصديق علمهم فقد قال الإمام الرباني قدس سره **إن محبة هذه الطائفة رأس كل سعادة** دنيوية وأخروية والتوفيق

لإتيان الأحكام الشرعية نتيجة هذه المحبة وتحصيل جمعية الباطن ثمرة هذه المودة ولو صبّت جميع ظلمات العالم وكدوراته في الباطن وهذه المحبة قائمة ينبغي أن لا يغتمَّ أصلاً بل ينبغي أن يكون راجياً ولو أفيضت أمثال الجبال من الأنوار والأحوال على الباطن وقد زالت مقدار شعرة من هذه المحبة ينبغي أن لا يعتقد ذلك غير الخذلان وينبغي أن يعدَّه استدراجاً . انتهى من « الدرر المكنونات » في ٢١٧ ج١ .

وقال الجنيد **التصديق بعلمنا هذا ولاية** وإذ فاتتك المنة في نفسك فلا يفتك أن تصدق بها غيرك . فان لم يصبها وابل فطل . وقال أبو يزيد **من يؤمن بكلام أهل الطريق فقل له يدعو لك فانه مجاب الدعوة** . انتهى من « منية الفقير المتجرد » . وفيه من **لم يكن له من هذا العلم أي علم الباطن نصيب أخاف عليه من سوء الخاتمة** . **انتهى** . وفيه التصديق بطريق الولاية ولاية . انتهى فراجعه . الحمد لله الذي أنعم علينا بالنعم الجليلة حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده .

يا ولدي أوصيك بملازمة الجمعة والجماعة وأن لا تصلي منفرداً إلا عند الضرورة وأن لا تتساهل في أداء السنن في الصلوات المفروضات .

وقد قال الإمام الرباني قدس سره ما حاصله **أن أداء فرض واحد مع الجماعة أفضل من ألوف من أربعينياتهم** . انتهى من « الدرر » ٢٤٩ ج١ .

وقال أيضاً واعلم أن مقربات الأعمال إما فرائض وإما نوافل فالنوافل لا اعتبار لها في جنب الفرائض أصلاً فإن أداء فرض من الفرائض في وقت من الأوقات أفضل من أداء النوافل ألف سنة وإن أديت بنية خالصة

أيَّ نفل كان من الصلاة والصوم والذكر والفكر وأمثال ذلك بل أقول إن رعاية سنة من السنن وأدب من الآداب حين أداء الفرائض لها ذلك الحكم أيضاً .

نقل أن سيدنا عمر رضي الله عنه صلَّى يوماً صلاة الصبح بجماعة ثم نظر إلى القوم وتفقّدهم فلم يرَ فيهم شخصاً من أصحابه فقال ألم يحضر فلان الجماعة فقيل إنه يسهر أكثر الليل فيحتمل أن يكون قد غلبه النوم في هذا الوقت . فقال لو نام تمام الليلة وصلى صلاة الصبح مع الجماعة لكان أولى وأفضل . فرعاية الأولى والاجتناب عن المكروه وإن كان تنزيهيّاً أولى من الذكر والفكر والمراقبة والتوجه بمراتب كثيرة فكيف إذا كان المكروه تحريميّاً نعم إن جمع هذه الأمور مع هذه الرعاية والاجتناب فقد فاز فوزاً عظيماً وبدونه خرط القتاد . فكما أن تصدق دانقٍ مثلاً في حساب الزكاة أفضل من تصدّق مقدار جبال عظام من ذهب بطريق النفل بمراتب كذلك رعاية أدب في تصدق ذلك الدانق كأن يعطيه إلى فقير مستحق أفضل منه أيضاً بمراتب . انتهى . من « الدرر » في ٣٧ ج١ .

يا ولدي إن زيادة الإطناب موجبة للملالة والسآمة بيد أني لفرط إرادتي حصول المنفعة لك كتبت لأجلك النصائح فأرجوك أن لا تملَّها فلو كنت عطشاناً لا تسأمها بل تقول زدني زدني . هل من مزيد وأحسن ما يملى حديث الأحبة وإلا فكثرة الكلام لا ينفع فأهمّ الأمور ملازمتك على الأوراد من الاستغفار والصلاة على النبيّ عليه السلام ومواظبتك على الذكر القلبيّ فإن الذكر القلبي مؤيّد لإتيان الأحكام الشرعية ودافع لعناد النفس الأمارة وأن لا تحزن على عدم الإطلاع على أحوالك وأن لا

تجعله دليلاً على عدم الحاصل فيك **فإنّ علم الأحوال لا يعطى لكلّ أحدٍ** والمقصود حصولها لا اطّلاعها . **وغياب الحال أكمل في المعرفة وأوفر في الثواب** . فكن عبد الله لا عبد الحال ولا تكن كالصبيّ إن أعطاه السكر والجوز يجيب وإلا فلا

وقد قال الإمام الرباني إن المقصود من حصول الأحوال التعلق والارتباط بمحوّل الأحوال فإذا حصل هذا التعلق فلا ضرر من عدم حصول الأحوال(١) . انتهى من « الدرر » ٢١٩ ج١ .

وفي « الجواهر والدرر » للشعراني . إن ما يقع لبعض الصالحين من نتائج أعمالهم الصالحة في هذه الدار نقص لا سيما إن كان ذلك بميل منهم وذلك لأن الدنيا ليست بمحل لنتيجة الثواب وإنما محلها الدار الآخرة . انتهى ١٨٢ . وفيه غياب الحال عن صاحبه أكمل في المعرفة .

فالحاصل أن ذرّة واحدة من عبادة من لا يعلم حاله ولا يميل إليه أعلى وأفضل رتبة من كثير من عبادة من ظهر له الأحوال ومال إليها . « لواقح » ٢٠٩ ج١ . ولا يخفى أن من ظهر له حاله أَنِسَ به وتلذّذَ فيكون الباعث على ملازمة الذكر ومواظبة الورد هو التلذّذ لا التعبد المحض ولذا عد العارفون التلذذ في العبادة شركاً فافهم .

---

(١) ولا يتسلى بجوز الحال وموزه إلاّ أطفال الطريقة وأما عند رجال الطريقة لا يكون حصول الأحوال محلاًّ للسرور ولا يكون زوالها موجباً للغمّ والانفعال والهموم بل يكونون مُنْتَظِرِينَ للمقصود المنزه عن الكيف والمثال . فإن جعل وجه القلب متوجهاً إلى سوى الحق تعالى يكون أشدّ تكدّراً من كلّ شيء وإن وجّه وجهه نحو الحق سبحانه فيكون أشد صفاء من كل شيء فينبغي الاعتناء لتحصيل حريّة القلب من التعلقات بالسوى والله ولي التوفيق (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

وقد قال الإمام الرباني قدس سره والعبادة التي منشأها الرغبة والرهبة فتلك العبادة هي عبادة النفس في الحقيقة فإن المقصود منها إمّا حصول نجاة النفس أو سرورها . شعر

مادمت مفتوناً بنفسك يا خلي　　　دعوى المحبة منك دعوى كاذب

انتهى « درر » ٨٠ ج١ .

أيها الولد استمع لما أتلو عليك بالتفكُّر والتدبّر بسمع القبول وقد طلبت مني كتبة الوصايا فأرجوك الاتعاظ والقبول فعدم القبول بعد الطلب ليس بلائق بل هو مخلٌّ للشجاعة ومنبئ عن عدم المروءة .

قال الإمام الرباني قدس سره المرء مع من أحب فطوبى لمن لم يبق لقلبه حبّاً إلا مع الله تعالى سبحانه ولم يرد إلا وجهه تعالى وتقدّس فيكون هو مع الله تعالى جلَّ سلطانه وإن كان في ظاهره مع الخلق واشتغل بهم صورة وهو شأن الصوفي الكائن البائن أي الكائن مع الله سبحانه وتعالى والبائن من الخلق حقيقة . أو المراد الكائن مع الخلق صورة والبائن منهم حقيقة . **والقلب لا تتعلق محبته بأكثر من واحد** فما لم يزل التعلق الحبي بذلك الواحد لم يتعلق بما سواه محبته وما يرى من كثرة مراداته وتعلق محبته بالأشياء المتكثرة كالمال والولد والرياسة والمدح والرفعة عند الناس فَثَمّة أيضاً لا يكون محبوبه إلا واحداً وهو نفسه ومحبة هؤلاء فرع محبته لنفسه فإن هؤلاء الأشياء لا يريدها إلا لنفسه لا لأنفسهم فإذا زالت محبته لنفسه زالت محبتهم بالتبعية أيضاً . فلهذا قيل **إن الحجاب بين العبد والرب هو نفس العبد** لا العالم فإن العالم في نفسه غير مراد للعبد حتى يكون حجاباً وإنما مراد العبد هو نفسه فلا جرم يكون الحجاب هو العبد لا

غير . فما لم يخل العبد عن مراد نفسه كلية لا يكون الربُّ مراده ولا يسع قلبه محبته سبحانه وتعالى وهذه الدولة القصوى لا تتحقق إلا بعد الفناء المطلق المنوط بالتجلّي الذاتي فإن رفع الظلمات رأساً لا يتصوّر إلا بطلوع الشمس بازغة . فإذا حصلت تلك المحبة المعبر عنها بالمحبة الذاتية استوى عند المحب إنعام المحبوب وإيلامه فحينئذ حَصَل الإخلاص فلا يعبد ربه إلا له لا لأجل نفسه من طلب الإنعام ودفع الإيلام لأنهما عنده سواء . وهذه مرتبة المقربين **فإن الأبرار إنما يعبدون الله خوفاً وطمعاً** وهما راجعان إلى أنفسهم لعدم فوزهم بسعادة المحبة الذاتية فلا جرم يكون حسنات الأبرار سيئات المقربين فحسنات الأبرار حسنات من وجه وسيئات من وجه وحسنات المقربين حسنات محضة .

نعم من المقربين من يعبد الله خوفاً وطمعاً أيضاً بعد تحققهم بالبقاء الأكمل وتنزُّلهم بعالم الأسباب لكن خوفهم وطمعهم غير راجعين إلى أنفسهم بل إنما يعبدون طمعاً في رضائه سبحانه وتعالى وخوفاً من سخطه تعالى وكذا إنما يطلبون الجنة لأنها محل رضائه تعالى لا لحظوظ أنفسهم وإنما يستعيذون من النار لأنها محل سخطه تعالى . لا لدفع الإيلام عن أنفسهم لأن هؤلاء الأكابر محرَّرون عن رقِّيَّة الأنفس وصاروا خالصين لله سبحانه وتعالى . **وهذه الرتبة أعلى من بين رتب المقربين** ولصاحب هذه المرتبة نصيب تام من كمالات مقام النبوة بعد تحققه بمرتبة الولاية الخاصة ومن لم ينزل إلى عالم الأسباب فهو من الأولياء المستهلكين فلا نصيب له من كمالات مقام النبوة فلا يكون أهلاً للتكميل بخلاف الأول . رزقنا الله سبحانه محبة هؤلاء الأكابر بحرمة سيد البشر عليه وعلى آله

وأتباعه من الصلوات أفضلها ومن التسليمات أكملها فإن المرء مع من أحب . انتهى « الدرر المكنونات » عبارته ٣٤ ج١ .

أيها الولد إن هذا الميدان مما لا مجال لك ولوالدك أن تسرح جواد نفوسنا فيه لكن معرفة مقامات القوم لا تخلو عن فائدة فإن العاجز عن العروج إلى تلك المراقي لا يخلو عن الاعتراف بالتقصير أو التشمُّر للارتقاء إلى ذلك المقام العالي .

واعلم يا ولدي أنه لا بد للإنسان من ثلاثة أشياء حتى تتيسر النجاة الأبدية العلم والعمل والإخلاص . كما قاله الإمام الرباني قدس سره وقال بعد كلام

وبالجملة إن العلم والعمل مستفادان من الشريعة **وتحصيل الإخلاص الذي هو بمنزلة الروح للعلم والعمل مربوط بسلوك الطريق الصوفية** وما لم يقطع السالك مسافة السير إلى الله تعالى ولم يتحقق له السير في الله تعالى فهو بعيد عن حقيقة الإخلاص ومحروم من كمالات المخلصين أهل الاختصاص . نعم قد يتحقق الإخلاص في بعض الأعمال لعامة المؤمنين بالتعمُّل والتكلُّف ولو في الجملة ولكن الإخلاص الذي نحن بصدد بيانه هو الإخلاص في جميع الأفعال والأقوال والحركات والسكنات من غير تعمُّل وتكلُّف فيه . وحصول هذا الإخلاص منوط بانتفاء الآلهة الآفاقية والأنفسية الذي هو مربوط بالفناء والبقاء والوصول بالولاية الخاصة والإخلاص الذي يحتاج فيه إلى التعمُّل والتكلُّف لا يكون له دوام ولا بد من سقوط التكلُّف في حصول الدوام الذي هو مرتبة حق اليقين .

وأولياء الله تعالى كلما يفعلونه يفعلونه لله جل وعلا لا لحظوظ نفوسهم فإن نفوسهم كانت فداء الحق سبحانه ولا حاجة لهم إلى تصحيح النية في حصول الإخلاص فإنّ نيتهم قد صحَّت بالفناء في الله والبقاء بالله **فإن شخصاً مثلاً إذا كان أسيراً في يد نفسه فكلما يفعله يفعله لحظِّ نفسه نوى أو لم ينوِ** . ومتى زال تعلقه بنفسه وتخلص من رقِّيَّتها وحصل بدله التعلق بالحق جلَّ وعلا فلا جرم يفعل كل ما يفعله لله تعالى نوى أو لم ينو فإن النية إنما يحتاج إليها في المحتمل وأما المتعين فلا حاجة فيه إلى التعين ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ .

وصاحب الإخلاص دائماً فهو من المخلَصين بفتح اللام ومن لا دوام في إخلاصه بل هو في كسب الإخلاص دائماً فهو من المخلِصين بكسر اللام وشتان ما بينهما والنفع الذي يحصل في العلم والعمل من طريق الصوفية هو أن يكون العلوم الكلامية الاستدلالية كشفية وأن يحصل اليسر التام في أداء الأعمال وأن يزول الكسل الناشيء من جانب النفس والشيطان . وهَذِي سعادات تكون نصيب من والسلام أولاً وآخراً . انتهى من « الدرر » في ٧١ ج١ .

والمقصود من إظهار أمثال هذه الأحوال والمقامات هو ترغيب الولد الأعزِّ وتنفيره عن الاشتغال بحظِّ النفس في جميع الأعمال

شعر .

من أجل كونك في البداية أحولاً لا بد من شيخ يقودك أولاً

يا ولدي إني كتبت في هذا الكتاب كثيراً من الوصايا رجاء أن تعمل ولو بواحد منها وفقك الله سبحانه للعمل بجميعها آمين . وبنيته على أساس

الترغيب والترهيب لما أنك في الحال مثل الدابة الجموحة فإنها تحتاج مرة لإعطاء الملح والشعير ومرة أخرى لضرب السوط والقضيب لأنها لا تنقاد إلا بهما . وبيّنت لك آنفاً منتهى مقامات الإخلاص لتصرف همَّتك عن الرغبة والرهبة وتطلب الترقي إلى إخلاص أهل القربة والوصلة .

يا ولدي مكّن نفسك في وسط دائرة الاستقامة **ولا كرامة أعلى وأفضل من الاستقامة** وإياك والابتداع وبالابتداع يهبط المرء عن درجة أهل الكمال . رزقنا الله تعالى والمسلمين الهداية والتوفيق آمين .

وإني وإن حرضتك على طلب العلم مراراً لكن ينبغي لك أن تعلم أن فضل العلم لا يكون إلا إذا طلبه الإنسان على وجه الإخلاص فإن طلب العلم على وجه الإخلاص أفضل من صلاة النافلة عند إمامنا الشافعي وإنما أجور الأعمال بالنيات فكلّ ما صلحت فيه النية من الطاعات فهو أولى بالاشتغال به سواء كان علماً أو عملاً .

وفي « لواقح الأنوار » قال داود الطائي رحمه الله تعالى طالب العلم كالمحارب فإذا أفنى عمره في تعليم كيفية القتال فمتى يقاتل فمن عقل العاقل أنه كلما رأى نفسه عملت بكلّ ما علم واحتاجت للعلم أن يقدِّمه على سائر الطاعات التي لم يأمره الشارع بتقديمها عليه وكلّما رأى نفسه مستغنية عن العلم وعلمها زائد على حاجتها أن يقدِّم غيره عليه كما كان عليه السلف الصالح . فلا بدَّ لكلّ إنسان من العلم والعمل والاشتغال بواحد منهما دون الآخر نقص . **واعلم** أن جميع ما ورد في فضل العلم وتعليمه إنما هو في حق المخلصين في ذلك فلا تغالط في ذلك فإن الناقد بصير . انتهى ٦٧ ج ١ .

يا ولدي أوصيك بمطالعة كتب الحديث وكتابته وإسماعه للناس ففي ذلك فوائد عظيمة .

ومن أعظمها الفوز بدعائه ﷺ لمن بلّغ كلامه إلى أمته في قوله « نضّر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأدّاها كما سمعها » ودعاؤه ﷺ مقبول بلا شك إلا ما استثني كعدم إجابته ﷺ في أن الله تعالى لا يجعل بأس أمته فيما بينهم كما ورد .

قال الشعراني ومعنى نضَّر الله الدعاء بالنضارة وهي النعمة والبهجة والحسن تقديره جَمَّلَهُ الله وزيَّنَهُ بالأخلاق الحسنة والأعمال المرضية . وقيل غير ذلك « الأنوار القدسية » عبارته ٣٢ ج١ . وفيه **وناسخ العلم النافع له أجره وأجر مَنْ قرأه أو نسخه أو عمل به من بعده ما بقي خطه والعمل به** لحديث مسلم مرفوعاً « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به » الحديث . انتهى ٣٣ ج١ .

يا ولدي هذا في نسخ العلم النافع وأما نسخ غيره فتضييع للوقت .

قال في « الرشحات » في بيان أقوال سعد الدين الكاشغري قدس سره كان واحدٌ من أصحابه يكتب رسائل في فصل الربيع وكان يخطر بباله أن يتنزه ويتفرج دائماً بعد إتمامها فجاء في ذلك الأثناء صحبته فأنشده هذين البيتين شعر

بادوست باكلذار شدم رهكذري | بركل نظري فكندم ازبيخبري دلدار
باطعنه كفت شرمت بادرا | رخسار من اينجا وتودر كل نكري

ترجمة

دخلت بمن أهوى ببستـــان عــابراً فـكنـت من الغفـلات للـورد ناظراً

فقالت

لـك الـويـلات يـا مـدعي الهـــوى أترمـق ورداً تـاركـاً خــدي زاهراً

ثم قال إذا ذهبت للتفرُّج فإن كنت محتظياً به فأنت غافل عن الحق سبحانه وإن لم تكن محتظياً به فما الفائدة فيه . وتكتب الرسائل فإن أردت العمل بما فيها فتكفيك كلمة وهي **كن مشغولاً بالله** . وإن لم ترد العمل بما فيها فما الفائدة في تحريرها ثم قال يك ني هزارآساني يعني أن في كلمة (لا) وحدها ألف سهولة وهذا الكلام جارٍ في جميع المقام ففي كل شيء غير الحق سبحانه قلت (لا) فقد تخلصت . انتهى .

أيها الولد ينبغي لك أن تصرف وقتك بعد ما سئمت من مطالعة العلم النافع إلى نفي الخواطر والاشتغال بالأسباب الجالبة للحضور والجمعية . وقد قال بعض الأكابر لَحُضورُ قلبي في استغراق نور ربي خير من علوم الأولين والآخرين . انتهى .

بل للسالك إلى الله تعالى بطريق الفكر والمجاهدة والترقي في درجات المعارف في كل لحظة رتبة شهيد وشهداء كما هو نصّ ما في « الإحياء » في ١١٤ من الجزء الرابع .

وقال صاحب « الإتحاف » في تفسير ما ذكر ما نصه ولذا ورد « يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجح مداد العلماء » .

وقال صاحب « القوت » إذا جاوز الخوف الحدَّ خرج إلى أن يسري إلى النفس فيحرقها فيكون له شهادة . وليس هذا بأرفع مقامات الخائفين في باب العلوم والمشاهدات عن مكاشفة تجلي الصفات إلا أنه قد قال بعضهم ما شهداء بدر بأعظم أجراً ممن مات وجداً . وهذه صفات ضعاف المريدين إذ للعلماء المؤمنين بكل شهادة من اليقين أجر شهيد وبكلّ معاينة قدرة من مقتدر ليلة قدر ومن كل قصد محجة بتعظيم حجة وبكلّ عمارة قلبٍ بحال محبة عمرة . انتهى من عبارته فراجعه في ٢٠٢ من ج٩ .

وفي « الرشحات » ولا ينبغي للسالك أن يكون أدون من تلامذة النساج فإن أحدهم يبقى مدة في تعلُّم وصل الخيوط وترتيبها وأين له الاشتغال بأمور أخرى فكذلك ينبغي للطالب أن يسعى بالجدِّ والجهد حتى يكونَ أستاذاً في نفي الخواطر وماهراً في كيفية نفيه ولا ينبغي له في الابتداء الاشتغال بشغل آخر غير نفي الخواطر والذين يطالعون الرسائل ويجمعون منها الكلام فلا نفع لهم منها بل أمثال ذلك كلها تعطيل وتضييع للأوقات فإن طريق الحق سبحانه وأمره سلوك وعمل لا سماع وجدل وتطويل الأمل

فمن كان في بغداد عند السلطان مثلاً وهو قادر أن يجالسه دائماً ومع ذلك يكون مشغولاً بمطالعة مكتوب كتبه واحد من كتَّابه ورعاياه وأرسله إلى الشام ومحتظياً به فهو في غاية الجهل والغواية ونهاية الغفلة والعماية فكيف يبعد إنسان عن حضور السلطان باختياره ويسافر من بغداد إلى الشام لمطالعة مكتوب كُتَّابه انتهى .

وهذا الكلام يشير إلى ما ورد في الحديث القدسي « أنا جليس من ذكرني » فتدبره .

وأهمُ ما أنصح به الولد أن يكون شغله بالله تعالى على الدوام وأن يصرف جميع همَّته وقصده إلى ذكر الله تعالى بلا غفلة عنه لمحة حتى يحصل له الحضور التام ويزول التعلق حبّاً وعلماً بما سواه تعالى من الأنام وأن يواظب على الأوراد وأن لا يتركها إلا عند الضرورة **لأن مدد الشيخ وفيضه في ورده الذي رتَّبه له** فمن تخلّف عنه فقد حرم المدد والفيض وهيهات أن يصح في الطريقِ كما هو مذكور في كتاب « الرماح » في ١٨٠ ج١ نقلاً من « تحفة الإخوان » .

واعلم أن قلب الشيخ مثاله كالحوض وأوراده كالميازيب الموضوعة لجري الماء وقلب المريد كالإناء الذي وضع تحت طرف الميزاب فلو خرج الميزاب الذي هو الورد مثلاً ينقطع جريان الماء الذي هو المدد والفيض بالكلية أو وقع في وسط الميزاب شيء ما من التراب أو الحصاة أو غيرهما يقل جريان الماء إلى ذلك الإناء بحسب ما وقع فيه قلة وكثرة ولطافة وكثافة فلأجل ذلك ينبغي لك أن تلازم الأوراد وأن لا تتركها لئلا ينقطع عنك رشحات الفيوض والأمداد بالكلية وأن تحترز عما يقلُّها أو يكدِّرها أو يقطعها بسدِّ مجاريها وذلك يكون بالوقوع في المخالفات فعلاً أو قولاً أو سمعاً أو نظراً فلا ريب أن نفع الذكر يكون منوطاً بفعل المأمورات واجتناب المنهيات . ثبتنا الله تعالى على جادّة الاستقامة آمين .
وأيضاً قد يكون السبب لانقطاع الفيض أحياناً من طرف الشيخ نفسه لما أنه قد يقع في هفوة أو زلة أو مخالفة للأمر أو قبضة وذلك لظهور بشريته

وغلبة جسمانيته على روحانيته فإن الجبلّة التي جبل عليها الإنسان لا تستأصل بالكلية بل تصير في حالة الاعتدال بكثرة الرياضات والمجاهدات والملازمة على الأذكار والصلوات فربما تظهر تلك الجبلّة في غير الأنبياء عليهم السلام في أوقات نادرة فيقع الخلل حينئذ من جهة الشيخ ويحرم المريد من الفيض وإن كان مستعدّاً لقبوله وأخذه . ألا ترى أن الحوض ربما يقع فيه الخلل ويحصل في أطرافه آثار من الثقب فيخلو عن الماء الذي كان يجري منه الماء إلى الموازيب ومنها إلى الإناء

يا ولدي إن هذا الأمر مما كان والدك في خوف وَوَجل دائماً لكون أحواله في أكثر الأوقات في نقص وتنزُّل فكيف لا وقد كان الشيخ العسوي قدس سره لا يتوجه إلى المريد أحياناً حين طرأ عليه القبض بحصول الكدورة بسبب كثرة التوجهات قائلاً لا نفع حين مات الباطن انتهى . وقد قلت له مرة يا أستاذي إني أكون في أوقات في قبضة وفتور وأخاف حينئذ أن تنعكس للمريد مني تلك القبضة فماذا أفعل في ذلك الوقت فقال قدس سره افعل الرابطة بالشيخ محمود أفندي واعتقد كأنه واقف بينك وبين المريد فحينئذ لا يحصل الضرر لك منه ومنك له . انتهى . فالحمد لله الذي جعل لكل داء دواءً وشفاءً ولكل ضيق وإشكال فرَجاً ومخرجاً .

يا ولدي قد علم مما مرّ أن الوارد لا يكون لمن لا ورد له **ومن ليس له ورد فهو قرد** ليس له نصيب من المدد . وقد رأيت في « النور الساطع » ما حاصله أن ترك الأوراد اختياراً كسلاً فسوق ومن لازم أوراد شيخه فاز بمقاصد الدارين . فراجعه . والقلب المحشوّ بنقوش السّوى لا ينجلي ولا يصفو إلا بملازمة الورد ومداومة على الذكر الكثير .

قال الخواجه محمد پارسا قدس سره إن الحجاب بين الله تعالى وبين العبد هو انتقاش الصور الكونية في القلب لا غير ويزيد هذا الانتقاش بسبب الصحبة مع أرباب التفرقة والتفرجات المتشتة ورؤية الألوان والأشكال المتنوعة ويستقر في القلب فينبغي نفيه بمحنة ومشقة شديدة . وأيضاً قد تزيد تلك النقوش من مطالعة الكتب والتكلم بكلام رسمي وكلمات شتّى وسماعها وتتحرك هذه النقوش وتتموج بمشاهدة الصور الجميلة واستماع الغناء والنغمات المطربة وهذه المذكورات كلها موجبات للبعد والغفلة عن الحق سبحانه فنفيها واجب على الطالب . فينبغي له أن يجتنب عن كل ما يزيد في الخيالات الفارغة ليتوجَّه إلى الله تعالى بقلب صافٍ . وقد جرت سنة الله تعالى بأن لا يحصل ذلك المعنى من غير محنة ومشقة وترك لذات جسمانية وشهوات حسية والراحة المطلوبة إنما هي في دار الآخرة . فإن التزمت مشقة يسيرة في أيام معدودة في الدنيا تسترح في الآخرة أبد الآباد فانه لا قدر لهذا العالم بالنسبة إلى عالم الآخرة وكأنه بذر خشخاش مرميّ في صحراء لا نهاية لها . انتهى من « رشحات » .

يا ولدي اعلم أن قلوب المشائخ تكون مملوءة بالعلوم والمعارف ويجعلون ألسنتهم كشجرة موسى عليه السلام فينطقهم الله تعالى بما يليق بحال الجليس على قدر همَّته واستعداده فإن كان المريد ممن أراد الله تعالى به خيراً ينطقهم الله تعالى بما له فيه المصلحة وإلا تخرس ألسنتهم ولا ينطقون إلا بما فيه طرده ولعنه فالعياذ بالله . ومن هاهنا قيل **الهالك بهذه الطائفة أكثر من الناجي** . وقد ينسد باب المعارف بمصاحبة أهل الاعتراض والإنكار والاحتراز عن الاعتراض واجب . فإن الاعتراض

بالقلب أو باللسان سيف صارم يقطع الحبل بين الشيخ وبين المريد فإن رأى المريد من شيخه ما لا يوافق الشرع ظاهراً أو باطناً فليعلم أن هنالك دقائق بين الشيخ وربه لا يدريها المريد والشيخ يجري على منوالها فكزازة المريد من ظهور بشرية الشيخ من جهله بالله تعالى وبمراتبه الخلقية فينبغي أن يعلم أن الشيخ لا يخرج عن حضرة ربه ولا يزحزحه عن محل قربه ولا يحطُّه عن كمال أدبه وإن ظهر منه شيء من نقصان حاله بظهور بشريته ومن طلب مرتبة لا يكون فيها نقص لا مطمع له في دخول الحضرة لأنّ المراتب لا بد لها من نقص فلا يظهر كمال أصلاً ليس فيه نقص إلا في مرتبة الرسالة والنبوة والقطبانية كما هو مذكور في الكتب .

ومثال الشيخ كقائد الأعمى ومثال المريد كالأعمى فقد تزلُّ قدم القائد فيقع على الطريق مكبّاً ويبقى الأعمى قائماً في الطريق وقد يضرب قدم الأعمى على حجر مرتفع في الطريق فيسقط مكبّاً على وجهه والحال أن يده حينئذ في يد القائد . ومن طلب من القائد أن لا تزلَّ قدمه أصلاً فقد أخطأ ومن ظنَّ أن الأعمى لأجل كون يده في يد القائد لا تزلُّ قدمه أبداً فقد أخطأ أيضاً وما يفعله أرباب الاستقامة من الجانبين هذا أن القائد إذا زلت قدم الأعمى يقيمه ويعينه ويقوده خلفه في الطريق إلى أن يتمَّ أمره ويوصله إلى مآربه وإن الأعمى إذا زلت قدم قائده وسقط على الأرض مكبّاً علي وجهه لا يفارقه بل يأخذ بيده ويتبع خلفه إذا قام إلى أن يصل إلى مقاصده هذا هو الصواب . فافهم هذه الإشارة وكن من الشاكرين .

واعلم أنه ليس من شرط مشائخ الطريق أن يقتدروا على عصمة أتباعهم من المخالفات . كما صرحه يوسف النبهاني في « شواهد الحق »

فراجعه في ١٣٥ . وقد بسط صاحب « الإبريز » الكلام في حق هذا المطلب فجزاهما الله تعالى عنا خيراً .

يا ولدي قد أمرني شيخنا المرحوم قطب هذا الإقليم خالد سيف الله قدس سره بأن أُشْغِلك على طلب العلم النافع وقال يحصل لك الفتح بعد ذلك في سائر العلوم إن شاء الله تعالى . فبناء على أمره أشغلتك بهذا العلم وإياك ثم إياك أن تصرف همّتك عن هذا العلم إلى غيره من علوم الدنيا لكن لا بدَّ لطالب العلم من علم اللغة فقد ذكر في « عقد اليواقيت » ما نصه والحذر الحذر من ترك الاشتغال بعلم اللغة مثل النحو والصرف فإنها أساس العلوم والموصلة لك إلى فهم سائر العلوم . انتهى فراجعه في ٢٤ من الجزء الثاني .

واعلم أن مجرد النظر إلى كتب أهل السلوك جند من جنود الله تعالى وأن التضلُّع من هذا العلم يقي صاحبه من سوء الخاتمة والاشتغال به أولى وأنسب من الاشتغال بغيره والأدب مع المعلم والأستاذ من آكد الأمور وبتركه يحرم الطالب من البركات . فقد كان الإمام زفر أسبق علماً وفهماً من سائر أصحاب أبي حنيفة رضي الله عنه لكن صار مذهبه ضعيفاً لمجرد تركه أدبه مرة واحدة بعدم قيامه له حين جاء لديه بعذر أنه كان حينئذ يتوضَّأ . فتدبَّر فيما حصل له من الضرر بهذا الشيء اليسير . رزقنا الله تعالى التوفيق .

آداب الشيخ

وفي « المناقب الأحمدية » قال المؤلف عفي عنه كتب الإمام الرباني قدس سره في « رسالة المبدأ والمعاد » **إن شرافة العلم ومرتبته بقدر**

شرافة المعلوم[١] فكلما كان المعلوم شريفاً كان العلم به أعلى فالعلم الباطني الذي امتازت به الصوفية أشرف من العلم الظاهري الذي هو نصيب علماء الظاهر على قياس شرافة علم الظاهر على علم الحجامة والحياكة . فلتكن رعاية آداب الشيخ المستفاد منه علم الباطن زائدة أضعافاً عن رعاية آداب الأستاذ المأخوذ منه علم الظاهر وهكذا رعاية أستاذ علم الظاهر زائدة على رعاية أستاذ الحجامة والحياكة وهكذا التفاوت جارٍ في أصناف العلوم الظاهرة فأستاذ علم الكلام والفقه أولى وأقدم من أستاذ علم النحو والصرف وأستاذ علم النحو والصرف أفضل من أستاذ علم الفلاسفة مع أنّ علوم الفلاسفة ليست داخلة في العلوم المعتبرة إذ أكثر مسائلها غير مفيدة ولا طائل تحتها وأقل مسائلها المأخوذة من الكتب الإسلامية المتصرفة فيها ليست خالية عن الجهل المركّب لأنّ العقل لا مجال له هناك فإن طور النبوة فوق طور العقل والنظر . فليعلم أن حقوق الشيخ فوق حقوق سائر أرباب الحقوق بل لا نسبة لحقوق الغير بحقوق الشيخ بعد إنعامات حضرة الحق سبحانه وتعالى وإحسانات رسوله عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات بل الشيخ الحقيقي للكل رسول الله ﷺ **فالمادة الصورية وإن كانت من الوالدين لكن الولادة المعنوية مخصوصة بالشيخ والولادة الصورية لها حياة أيام معدودات وأما الولادة المعنوية فلها الحياة الأبدية** فإن الكَنَّاس للنجاسات المعنوية للمريد هو الشيخ فبقلبه وروحه يكنس ويطهر كرشه

---

(١) وقال الشيخ العلامة السيد محمد حقي النازلي قدس سره في « خزينته » فاعلم أن الذكر والعلم فضلهما يتبع المذكور والمعلوم وكلما كان المذكور أعظم والمعلوم أشرف كان الذكر أعظم والعلم أشرف ولا مذكور أعظم من ربّ العزّة ولا معلوم أشرف منه . انتهى راجعه في ١٢٧ .

ويحسُّ ويدرك في بعض التوجهات الواقعة إلى بعض المسترشدين في تطهير النجاسات الباطنية منهم أنه يحصل التلوث لصاحب التوجه أيضاً ويتكدَّر إلى مدة . فالشيخ يوصل الطالب بتوسُّله إلى ربه عزَّ وجل الذي هو فوق جميع السعادات الدنيوية والأخروية والشيخ بتوسُّله تتزكى النفس الأمارة الخبيثة ذاتاً وتطهر وتخرج من الأماريّة إلى الاطمئنان ومن الكفر الجبليّ إلى الإسلام الحقيقي « كربكويم شرح اين بيحر شوه » .

فليعلم أن سعادته في قبول شيخه وشقاوته في ردِّه . نعوذ بالله سبحانه من ذلك . ورضاء الحق سبحانه خلف سترة رضاء شيخه حتى أن المريد لا يصل إلى مرضيات الحق سبحانه ما لم يجعل نفسه محواً في مراضي شيخه . **وآفة المريد في سخط شيخه وكل زلَّة يمكن تداركها إلا سخط الشيخ فإنه لا يمكن تداركه وسخط الشيخ أصل شقاوة المريد** عياذاً بالله سبحانه من ذلك والخلل في المعتقدات الإسلامية والفتور في إتيان الأحكام الشرعية من نتائجه وثمراته فكيف الأحوال والمواجيد الباطنة وإن بقي أثر الأحوال مع وجود سخط الشيخ فليعدّ ذلك من الاستدراجات يؤول آخره إلى الخراب ولا ينتج شيئاً سوى الضرر . والسلام على من اتبع الهدى . انتهى .

وقال سيدي الوالد رضي الله عنه كان المشائخ الكبار قدس الله أسرارهم إذا رأوا من الطالب سوء الأدب ومزلَّة القدم ينبِّهونه و يعزرونه ولا يلتفتون إليه حتى يتوب توبة نصوحاً ويتضرع تضرعاً كثيراً وإن هذا العبد من غلبة الحياء لا يقول بحسب الظاهر شيئاً ولكن يعرض الباطن عنه حتى يتنبَّه من تغيُّر باطنه وأحواله ويهتدي إلى صراط مستقيم . وإن عاد وأصرَّ

عليه أعرض عنه ظاهراً وباطناً وما أتوجه إليه ما لم يتب وإن تمرّد واستكبر أسلب نسبته وأطرده . معاذ الله تعالى عنه .

وقال رضي الله عنه **ينبغي في تربية الباطن صفتي الجلال والجمال** فالجمال الصرف نقصان كالجلال الصرف . فالشيخ الذي يكون متصفاً بهما على وجه الاعتدال ينفع منه المريدون نفعاً عظيماً ويسلكون سلوكاً سريعاً .

وقال رضي الله عنه **الإشراف على قلوب المريدين من لوازم مقام المشيخة .**

كان حضرة المظهر الشهيد وحضرة شيخنا رضي الله تعالى عنهما ينبِّهون المريدين على خطراتهم ولا يرضون أن يخطر في مجلسهم الشريف خطرة غير الحق سبحانه أصلاً . وهذا الفقير يسامح عن ذلك أيضاً ويمنع بالهمة التامة والتوجه القوي ورود الخطرة على قلب المريد وينبّه أحياناً عند تراكم الخطرات على الطالبين بضرب السبحة أو المروحة على الأرض وأمثال ذلك . انتهى .

يا ولدي قد مرَّ مراراً ما في اقتداء الشيخ من المنافع وفي مخالفة أمره من المضارِّ والمكاره .

فاعلم أن الشيخ الكامل لا يأمر قط بشيء إلا لعلمه بأن ذلك الشيء أصلح وأنفع ولا ينهى عن شيء إلا لعلمه بأنّ فيه الخطر والضرر فتدبَّر فيما حكي أن بعض تلامذة الشيخ النصر استأذن منه ليتزوج فأصرَّ[1] زيادة فمنع الشيخ ثم تزوج بلا إذن فحصل أربع بنات جلسن كلهنَّ في الدكان

(١) أي دام على الإستئذان وزاد فافهم .

للعمل السوء فحمل ذلك على فراسة الشيخ وكرامته . انتهى . كذا في « الخادمي على النصائح الولدية » للغزالي في ١٠٣ .

ضرر ترك أدب الشيخ

يا ولدي اترك الإنكار ظاهراً وباطناً فإن الإنكار يسدُّ باب الفيض فلو تكلَّف في الاستفاضة مع وجود الإنكار لا يستضيء المريد من أنوار الشيخ أصلاً . ومن قال لأستاذه لِمَ لا يفلح أبداً . وما وصل من وصل إلا بالأدب وما سقط من سقط إلا بترك الأدب . وقد كان الشيخ نظام الدين يقرأ « المشارق » على شيخه لكن لغاية سقامة نسخته كان يتكلّف الشيخ ويتعب نفسه فقال نظام الدين يوماً لشيخه نسختك غلط جداً إن تأمرني أطلب من فلان ونسخته صحيحة . فكان ذلك صعباً على الشيخ فغضب عليه قال نظام الدين زال بهذا حالي وسقطت عن مقامي حتى خفت من الإيمان الشرعي فاستشفعت من زوجته فرجعت إلى حالي ومقامي بعده . كذا في الخادمي في ١٠٢ .

وفي « الحدائق الوردية » ما ملخصه زار الشيخ أبو تراب النخشي إلى أبي يزيد قدس سره فقدم له الخادم طعاماً . فقال له أبو تراب اجلس وكل معي . فقال إني صائم . فقال كل ولك ثواب صيام سنة . فأبى . فقال كُل ولك صيام سنتين . فأبى . فقال أبو يزيد دعوا من سقط من عين الله . فانقطع بعد مدة يسيرة وساءت أحواله حتى سرق سرقة قطعت بها يمينه . انتهى راجعه في ١٣٦ .

وقال بعض الأكابر رضي الله عنه الهالك بهذه الطائفة أكثر من الناجي بهم . انتهى من « تقريب الأصول » في ٦٤ .

ورأيت في « الرشحات » ما ملخصه هذا كان للخواجه بهاء الدين قدس سره مريد يقال له مولانا سيف الدين ولكن صدر منه في الآخر ترك أدب موجب لكراهة خاطر حضرة الخواجه وكدورة قلبه الشريف فصار بواسطته محروماً من شرف صحبته وصار مهجوراً ومقهوراً . وصورة الواقعة أن حضرة الخواجه كان يوماً يمشي في بعض أزقَّة بخارى وكان مولانا سيف الدين في الإخانة في ملازمته فلقيه الشيخ محمد الحلاَّج وكان شيخاً معتبراً في زمان حضرة الخواجه بهاء الدين وله مريدون لا يحصون وكان من منكري حضرة الخواجه فلما دنا منه توجه حضرة الخواجه إلى جانبه بموجب كرمه الذاتي ومروَّته وشايَعَهُ خطوات فلم يناسب هذا القدر من التشييع لمولانا سيف الدين ولم يكتف به بل شايعه خطوات أخرى من قبل نفسه فحصلت لحضرة الخواجه غيرة عظيمة من فعله ذلك وتأثَّر غاية التأثُّر وتغيَّر نهاية التغيُّر ولما رجع مولانا سيف الدين إليه قال له حضرة الخواجه عتاباً شايعت الحلاج وجعلت نفسك بسبب ترك الأدب هباء وأخربت بخارا بل جميع العالم . فمات مولانا سيف الدين بعد أيام قلائل من تغيير حضرة الخواجه وقهره وغضبه وجاءت قبيلة توقمق من طائفة أوزبك وحاصرت البخارا وقتلت أناساً كثيرة وأفسدت كثيراً من تلك الناحية بالنهب والتخريب . انتهى .

وفي « الرشحات » أيضاً ما ملخصه هذا كان من أصحاب حضرة الخواجه بهاء الدين قدس سره رجل يقال له أيضاً بمولانا شمس الدين

الخوارزمي وكان في مبادي أحواله من محبي حضرة الخواجه ومخلصيه ولكن صدرت منه أخيراً صورة منافية للأدب مستلزمة لعدم الالتفات فكان مهجوراً ومحروماً من شرف صحبة حضرة الخواجه وصار بعيداً من توجُّه قلبه .

ونقل بعض الأكابر عن حضرة شيخنا سبب حرمانه ومردوديته أنه كان يشتغل أحياناً بالتجارة ولم يكن خالياً عن البخل والإمساك فدعى يوماً حضرة الخواجه مع جماعة من أصحابه إلى منزله للضيافة وكان دأب حضرة الخواجه وأصحابه إحضار شيء من الحلواء أو الفواكه بعد الطعام فإن لم يحضر بعد الطعام شيء من ذلك كانوا يقولون لهذا الطعام ناقصاً وإنه طعام بلا ذنب فلم يتَّفق في هذا اليوم لمولانا سيف الدين إحضار شيء من الحلواء أو الفواكه يعني مع علمه عادة حضرة الخواجه وأصحابه فقال له حضرة الخواجه على وجه الملاطفة والمطايبة يا مولانا سيف الدين إن طعامك هذا ليس له ذنب . فوقعت في قلبه كراهة من هذا الكلام فأشرف حضرة الخواجه على خاطره فقال له كيف أنت إن حصل لك اثنا عشر ألف دينار من النقود وكان في خاطره دائماً أنه نِعْمَ المعيشة إن حصل لي اثنا عشر ألف دينار فأعرض حضرة الخواجه بعد ذلك بخاطره الشريف فلم يبق له ميل وإقبال الى صحبته الشريفة ولم ينجذب إلى مجلسه فآل الأمر إلى أن تكون أحوال باطنه الحرص التام على جمع الحطام والإقبال على الدنيا الدنية متاع اللئام حتى لم يبق له استراحة لأجل طلب الدنيا ولا منام وترك صحبة الخواجه وملازمته وتوجه بالكلية إلى التجارة . انتهى فراجعه ففيه الزيادة .

وفيه أيضاً **ما ملخصه** هذا كان أيضاً من أصحاب حضرة الخواجه بهاء الدين رجل يقال له شمس الدين كان شابّاً طالب علم وكان في خدمة حضرة الخواجه وملازمته ولكن وقع منه مرة قصور في الخدمة وإهمال بسبب الكسالة فسقط بشآمته عن نظر حضرة الخواجه فلم يفلح بعد ذلك ولم يصلح أبداً . **وصورة الحال** أنه قدم يوماً لحضرة الخواجه ضيوف يجب إكرامهم ونزلوا منزله فاحتيج إلى الماء فأمر حضرة الخواجه مولانا شمس الدين أن يسدَّ طريق النهر من طرف آخر وأن يفتح من هذا الطرف ليجري الماء إلى منزله وأمره بالاستعجال فأهمل مولانا شمس الدين في ذلك وتأخَّر ثم جاء بعد مدة عنده وقال لم أقدر أن أسدَّه بسبب الضعف الذي فيّ . فحصلت كراهة عظيمة لحضرة الخواجه من إهماله وتقصيره وقال لو قطعت أوداجك وأجريت دمك من هذا النهر لكان خيراً لك من هذا الكلام . فعرض له بعد ذلك مرض دماغي فترك خدمة الخواجه وذهب إلى « فركت » عند خاله مولانا سيف الدين وعرض عليه حاله فقال له مولانا سيف الدين اذهب عند حضرة الخواجه علاء الدين العطار والتمس منه الشفاعة لك عند حضرة الخواجه فلعله يرحمك ويسأل العفو لك من حضرة الخواجه فعساه يقبل معذرتك ببركة شفاعته فلم يعمل هو بما أمره به خاله بل جاء عند الخواجه محمد پارسا وعرض عليه حاله . فقال إن هذا الأمر لا يفتح من عندنا فعليك أن تذهب عند الخواجه علاء الدين العطار . فلم يعمل هو أيضاً بكلام الخواجه محمد پارسا بل رجع ثانياً إلى بخارا وجاء عند الخواجه محمد پارسا فأحاله أيضاً إلى الخواجه بهاء الدين فلم يعمل بإشارته بل رجع إلى « فركت »

ولم يذهب بعد إلى خاله فكان بعد ذلك مبهوتاً ومدهوشاً وعرض له النسيان وصار بحيث لم يبق في خاطره شيء من معلوماته وبلغ إلى حدٍّ كان لا يعرف أسامي أولاده وكان لمولانا شمس الدين هذا مودة تامة مع الخواجه عماد الملك من أقرباء حضرة شيخنا وسيجيء ذكره وصار لا يعرف اسمه بل كان يقول له آتا .

قال حضرة شيخنا بعد نقل هذه الحكايات **إن حفظ خواطر الأولياء وامتثال أوامرهم والانقياد إلى إشاراتهم واجب على جميع الطالبين الصادقين وتقديم أمرهم على جميع المرادات والمقاصد من أهم المهمات وألزم اللوازم** .

قال مولانا عبد العزيز البخاري عليه الرحمة وكان من أصحاب حضرة الخواجه قدس سره **ينبغي لطالب صحبة حضرة الخواجه وصحبة أصحابه أن يحافظ على ثلاثة آداب**

الأول أنه إذا صدر منه عمل مقبول عندهم ينبغي أن لا يرفع رأس الأنانية وأن لا يرى عمله بل ينبغي أن يتصف بصفة الانعدام والتواضع والانكسار أضعاف ما كان قبل ذلك بألف مرة وأن يطالب نفسه بالزيادة والاجتهاد في العمل وترك الأمل .

الثاني أنه إذا صدر منه عمل موجب للرد عنهم ينبغي أن لا يكون مأيوساً وأن يحفظ نفسه في قبضة تصرُّفه حفظاً بليغاً لئلا يتردد ولا يذهب إلى طرف آخر .

والثالث أنهم إذا أمروا بشيء ينبغي له أن يبادر إليه وأن يقوم به بكمال النشاط والفرح ليبلغ مقصوده وإلا فيبقى بلا حظٍّ ولا نصيب من بركاتهم . انتهى ٦٧ من ترجمة بهاء الدين قدس سره .

أقول ولله الحمد سمعت شيخنا العسلي قدس سره يقول ما حاصله إني أتعجب كيف كان المتقدمون يطردون المريدين هكذا ولعلهم كان المريدون في وقتهم وزمنهم يلازمون الآداب جدّاً فلذا كانوا يرون الأقل من سوء الأدب كثيراً . وكان يقول لي إني أحمل من المريدين أخلاقهم وسوء أدبهم ولا أطردهم فاحمل يا أخي كما أحمل ولا تطردهم كما لا أطرد . انتهى .

وكان الشيخ الحافظ شعيب الباكني قدس سره يقول **كان في الزمان الماضي يمتثل المريدون أوامر شيوخهم ويتبعونهم وأما في هذا الزمان ينبغي للأشياخ أن يتبعوا مريديهم وأن يستعملوا المداراة معهم** يعني ليجروهم إلى الإصلاح تدريجاً . انتهى .

وحين ذكرت ما قاله لدى الشيخ المحترم سيف الله . قال صدق يا ولدي صدق يا ولدي في قوله هذا . وكان رحمه الله تعالى يأمرني بالمداراة والملاطفة مع المريدين لكنه كان ينهى عن كثرة المباسطة معهم **لأن كثرة الانبساط توقع حرمة الشيخ من قلوبهم** فيحرمون من بركته ومدده **ولا بدَّ للمريد من احترام شيخه** وإن بلغ ما بلغ من المراتب وانتهى سيره ووصل إلى الحضرة الإلهية وانفصم عنه شيخه وحصل له الفطام عن رضاع ثدي فيوضاته لأن فلاح المريد وانتفاعه بما حصل منوط ببقاء احترامه شيخه

وعدم مقاطعته واستهانته مع أنه قد زال تقيُّده بالشيخ وصار مستقلاًّ بنفسه وهو مع ما يلقي الله تعالى إليه إذا تأهَّل لذلك تأهُّلاً كاملاً لكن متى زالت حرمة الشيخ من قلبه وتعظيمه خسر في الحال والعياذ بالله تعالى . هذا ملخص ما في « رماح حزب الرحيم » فراجعه في صحيفة ١٤٤ من الجزء الثاني ففيه البسط .

ومما أوصي به الولد الأعز أن يشتغل بخدمة أصحابه ورفقائه وأن يشفق على الخواص والعوام وأن لا يفرق بينهم فإن الله تعالى قد أخفى خاصية ولايته في خلقه . فعسى أن يلقاه من فيه تلك الخاصية فينبغي له أن يرى كل أحدٍ أنه ولي الله وأن يخدمه ويحترمه .

قال واحد من كبار المشائخ ينبغي أن يبذل الهمَّة وأن يصرف الخاطر في الطريقة النقشبندية إلى مقتضى الوقت فوقت الذكر والمراقبة عند عدم خدمة تحصل منها راحة لمسلم فإن الخدمة التي تكون سبباً لقبول القلوب مقدَّمة على الذكر والمراقبة . وزعم البعض أن الاشتغال بعبادة النوافل أفضل من الخدمة وليس كذلك فإن ثمرة الخدمة المحبة والتمكين في القلوب وما قيل جُبلت القلوب على حبِّ من أحسن إليها . مُبيِّن لهذا . ولا مساواة بين النوافل وبين ثمرات الخدمة التي هي محبة المؤمنين أصلاً قال إن سبب عدم قبول حضرة خواجه بهاء الدين وأتباعه قدس سرهم خدمة الناس بسهولة لكون الخدمة والتواضع من جملة الإحسان وحبُّ المحسن ضروري والعلاقة إنما هي على قدر المحبة . ولما كان اشتغالهم بنفي الخلق بتمام الهمَّة وقطع العلاقة عنهم يجتهدون بالضرورة ويهتمون في ذلك بقدر الوسع والطاقة ويمتنعون عن قبول الخدمة وإنما يقبلونها

من شخص يتفرَّسون فيه استعداد الاحتظاظ بطريقتهم وطورهم يوماً فيوماً لتنقيص علائقه بالعالم بسبب قبولهم والتفات قلوبهم فيكون العالم منوَّراً ومعموراً من جمعية باطنه .

وقال أيضاً ما أخذت هذه الطريقة عن كتب الصوفية وإنما أخذتها عن خدمة رجال لا أني أخذتها عنهم بالتعلُّم بل للخدمة تلك الخاصية . كذا في « الرّشحات » فراجعه في ١٧٥ .

وفي « المناقب الأحمدية » إن خدمة المشائخ للمريدين أفضل من نوافل العبادات . انتهى ٨ .

وكان الإمام محمد النقشبندي قدس سره إذا زاره أحد أحبابه تولى خدمته بنفسه واعتنى به كلّ الاعتناء وخدم دابته أحسن خدمة وقدم لها الماء والعلف بيده المباركة لكيلا يكون في قلب الضيف همٌّ منها . كذا في « الحدائق الوردية » فراجعه في ١٧٥ .

أيها الولد اعلم أن الإمام الرباني قال وطريق النجاة والخلاص هي متابعة صاحب الشريعة عليه وعلى آله الصلاة والسلام في الاعتقاد والعمل والأستاذ والشيخ إنما هما للدلالة على الشريعة وليحصل اليسر والسهولة في الاعتقاديات والعمليات ببركتهما لا لأن يفعل المريدون ما أرادوا ويأكلوا ما شاؤا[1] ثم يكون الشيخ ستراً لهم عن النار ويمنع عنهم العذاب فإن هذا المعنى تمنّي محض لا يشفع هناك أحد إلا بإذن الله تعالى . ومن لم يكن ممن ارتضاه ربه لا يشفع فيه أحد . وإنما يكون مرتضى إذا

---

(١) وقد قال بعض العارفين من لعب بالطريق لعبت به الطرق (منه) .

كان عاملاً بمقتضى الشريعة فحينئذ إذا صدرت عنه زلَّة بمقتضى البشرية فتداركها يمكن بالشفاعة .

فإن قيل بأي اعتبار يمكن أن يقال للمذنب مرتضى

أجيب أن الحق تعالى إذا أراد مغفرة شخص يبدي وسيلة للعفو عنه فهو مرتضى في حقيقة وإن كان مذنباً في الظاهر والله سبحانه الموفق . ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ والسلام انتهى . من « الدرر المكنونات » .

أيها الولد نفع الله تعالى بك العباد آمين أوصيك **أن لا تغترَّ بمجرد اسم المريدية واعلم أن الوصول إلى المقامات لا يكون إلا بارتكاب**[١] **المجاهدات ومجرد الانتساب إلى المشائخ مع عدم الاجتهاد قليل الجدوى فجاهد لتصل ولا تعطّل لئلا تُحْرَمَ** وتَفَكر فيما ذاقه الإمام النقشبند قدس سره في ابتداء أمره فقد ذكر صاحب « الحدائق الوردية » أنه قال قدس سره خرجت يوماً في حال غلبة الجذبة والغيبة هائماً على وجهي أذهب كل مذهب ولطالما تجرّحت قدماي من الشوك حتى إذا دنا الليل جذبتني زيارة السيد أمير كلال قدس سره وذلك في فصل الشتاء وشدّة البرد وليس على ظهري إلا فروة عتيقة فلما وصلت إلى منزله وجدته جالساً مع أصحابه فحيث ما أبصرني سأل عنّي فعرّفوه بي . فقال أخرجوه من هذا المنزل . فلما خرجت أوشك أن تنفر نفسي وتطغى وتجذب مني عنان الانقياد والتسليم ولكن تداركتنى عناية الله ورحمته فقلت إني لأتحمل مذلة في

---

(١) وقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ شاهد عادل على ذلك (منه) .

ابتغاء مرضات الله تعالى وهذا هو الباب فلا مندوحة لي عنه ثم وضعت رأس التواضع والانكسار على عتبة العزِّ وقلت لنفسي إني لا أرفع عن هذه العتبة رأسي ولو حصل لي مهما حصل ذلك والثلج ينزل شيئاً فشيئاً عليّ والهواء شديد البرد . ولم أزل كذلك حتى قرب وقت الفجر فخرج السيد قدس سره فوقع قدمه الشريف على رأسي فلما أحسَّ بي رفع رأسي عن العتبة وأدخلني المنزل وبشَّرني فقال لي يا ولدي إن ثوب هذه السعادة على قدر ذاتك . ثم جعل يخرج بيده الشريفة ما في قدمي من الشوك ويمسح ما أصابها من الجراحة ويمدُّني بفيوضاته الوافرة وألطافه الباهرة .

وقال قدس سره كنت في بخارى والسيد كلال في نسف فوجدت في نفسي داعية لزيارته فبادرت لذلك في الحال فلما وصلت إلى مقامه وسلَّمت عليه قال لي **يا ولدي** لقد جئت في وقت الحاجة فإنا هيأنا المطبخ ونريد من يحتطب لنا . فشكرته على هذه الإشارة وذهبت وأتيت بالحطب أحمله على ظهري وفيه من الشوك ما فيه وأنا أنشد ما نشد بيتاً بالفارسية معرَّبه

جمال كعبة مقصودي ينشطني — فالشوك كالخزِّ عندي حين أحمله

انتهى من « الحدائق الوردية » ١٢٧ .

وقال العالم إمام غزالي الهنوخي رحمه الله تعالى إنه سمع الشيخ خالد سيف الله قدس سره يقول إن شخصاً ذهب لدى واحد من المشائخ فطلب منه الإذن ليدخل عليه فلم يأذن له وقال هل يدخل عليَّ راعي المواشي فرجع الرجل وقام راعياً للمواشي سبع سنين يعني كان كذلك متبرِّكاً بما صدر من فم الشيخ . ثم رجع لديه فطلب منه الإذن للدخول عليه فلم

يأذن . وقال أيدخل عليَّ طبيب المواشي فرجع وذهب لدى المواشي فقام بينها طبيبا يداوي مرضاها سبع سنين ثم رجع لدى الشيخ وطلب الإذن للدخول فلم ياذن له الشيخ قائلا هل يدخل عليَّ الكلب فرجع وقام بين الكلاب في أطراف القرية سبع سنين ثم رجع لديه وقال لمن على الباب قل للشيخ إن كلبه قد رجع إليه في هذه المرة فهل له إذن للدخول فأذن له الشيخ فلاحظه وتوجَّه إليه ولاطفه وقبله . انتهى .

وكتب الشيخ المذكور سيف الله قدس سره إلى واحد ما نصه إن النظر إلى كتب السلوك جند من جنود الله واستفادة آداب السادات قسم من سعادة عباد الله ولا بدَّ للسالك الصادق من رعاية الآداب وصونها . اللهم أيِّدنا عليها آمين .

وإن مكث الصادق على الرياضة عمر الدنيا ليس بكثير لمن يرجو لقاء الله **وعمل صالحاً وإن الذهاب خلف المرشد الناصح من المشرق إلى المغرب ليس بكثير** أيضاً ولا أعزَّ لبصير لما يحصل له من الفقراء لله من الحضور الذي لا يساويه الدنيا والآخرة .

ولقد صبر سيدنا ومولانا خالد سليماني قدس سره في البراري والقفاري أزيد من عشرين سنة يتطلع على شيخه وهو يطرده بالشماتة والسبِّ حتى في آخر الأمر بالضرب بأن أخرجه من عنده ومع ذلك لم يكد يختلَّ قلبه بل صبر صبر أولي العزم فنال بذلك المرتبة الأسمى والقطبانية العظمى . انتهى من خطه قدس سره .

وقد وقف إبراهيم ابن أدهم رضي الله عنه مع جلالة قدره ورفعة سلطنته بعد التوبة والرجوع إلى الله تعالى حمَّالاً للحطب وخادماً على باب دار الشيخ في سبع عشرة سنة حتى كانت على ظهره جروح يسيل منها القيح والصديد بكثرة حمل الحطب عليه وذلك رجاء أن يأذن له الشيخ للدخول عليه وقبوله إياه ومع ذلك طرده الشيخ عن بابه وعزله عن تلك الخدمة وذهب إلى سبيله نادما لكن لم يطق أن يصبر عنه ورجع إليه ووقف أصحاب الشيخ على الطرق بأمر منه ليطردوه ويمنعوه عن دخوله قرية الشيخ ولم يطيقوا أن يمنعوه وإن ضربوه وشتموه ثم أخبر الأصحاب حاله لدى الشيخ فحين علم الشيخ صدق إرادته أذن له وقبله . وتوجَّه إليه فوصل ابن أدهم قدس سره إلى الدرجة العليا حتى صار أمره أنه قال لواحد يقع من القنطرة المرتفعة إلى النهر قف . فوقف في الهواء . والقصة بتمامها وطولها مذكورة في « مزكي النفوس » فراجعه .

أيها الولد لا تظننَّ أن الوصول إلى المقامات العاليات سهل يسير ولا يخفى أن الوصول إلى المراتب وإن لم يكن إلا بفضل الله وتوفيقه في الحقيقة لكن التوفيق مع السعي . وآية ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ شاهد عدل على ما ذكر .

أيها الولد أوصيك بقراءة هذا الدعاء المبارك على قدر الطاقة في الصباح والمساء وهو هذا يَا مَنْ أَظْهَرَ الْجَمِيلَ وَسَتَرَ الْقَبِيحَ وَلَمْ يُؤَاخِذْ بِالْجَرِيرَةِ(١) وَلَمْ يَهْتِكِ السَّتْرَ وَيَا عَظِيمَ الْعَفْو وَيَا حَسَنَ التَّجَاوُزِ وَيَا وَاسعَ

---

(١) أي ذنب .

الْمغْفِرَةِ وَيَا بَاسِطَ الْيَدَيْنِ بالرَّحْمَةِ وَيَا سَامِعَ كُلِّ نَجْوَى وَيَا مُنْتَهَى كلِّ شَكْوَى وَيَا كَرِيمَ الصَّفح وَيَا عَظِيمَ الْمَنِّ وَيَا مُقِيلَ العَثراتِ وَيَا مُبْتدئاً بالنِّعَم قَبْلَ اسْتِحْقَاقِهَا يَا رَبِّي وَيَا سَيِّدِي وَيَا مَوْلاَيَ وَيَا غَايَةَ رَغْبَتِي أَسْأَلك أَنْ لاَ تُشَوِّهَ[1] خِلْقَتِي بِبَلاَءِ الدُّنْيَا وَلاَ بعَذَاب النَّارِ . ففي « جواهر المعاني » قال الراوي جاء به جبريل عليه السلام إلَىَ النبي ﷺ وقال له أتيتك بهدية . قال وما تلك الهدية قال فذكر هذا الدعاء . فقال ﷺ ما ثواب هذا الدعاء قال له لو اجتمعت ملائكة السموات السبع على أن يصفوا ما وصفوا إلى يوم القيامة وكل واحد يصفه بما لا يصفه الآخر فلا يقدرون عليه

ومن جملة ذلك أن الله تعالى يقول أعطيه من الثواب بعدد ما خلقت في السموات السبع وفي الجنة والنار والعرش والكرسي وعدد القطر والمطر والبحار وعدد الحصى والرمل . ومن جملتها أيضاً أن الله تعالى يعطيه ثواب جميع الخلائق .

ومن جملتها أيضاً أن الله تعالى يعطيه ثواب سبعين نبيّاً كلهم بلغوا الرسالة إلى غير ذلك . وهذا حديث صحيح ثابت في صحيفة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ هو عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه . صححه الحاكم ورواته كلهم مدنيون . انتهى من « رماح حزب الرحيم » فراجعه في ١٠٠ ج٢ .

وأوصيك أيضاً أن تلازم الباقيات الصالحات لأنهن من المكفرات للعثرات . فقد نقل صاحب « الرماح » راجعه في ١٠٠ ج٢ عن أحمد

(١) أن لا تشوّه أي لا تحقّره .

التجاني رضي الله عنه بأنه قال في رسالته ومن مكفرات الذنوب (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ملء ما علم وعدد ما علم وزنة ما علم) فإن المرة الواحدة منها تكفِّر الذنوب وتؤمن العبد من عذاب الله تعالى .

قال في الرسالة التي أرسلها إلى بعض أحبَّائه من تجار فاس واجعل في اليوم والليلة مائة مرة من قولك (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ملء ما علم وعدد ما علم وزنة ما علم) فمرة واحدة من هذا التسبيح أفضل من استغراقك الليل والنهار في ذكر الله تعالى . انتهى ٧ وقد مر نظيره قبيل الترغيب الخامس فتذكره .

يا ولدي إنّ والدك قد قصد الآن للاستراحة وملّ عن الكتابة فاعلم أنه وإن كان غافلاً عن الله يريد أن تكون حاضراً بالله وإن كان أيضاً مسيئاً يريد أن تكون محسناً . فأرجوك أن لا تذهب عمرك في البطالة وأن لا تضيِّع أوقاتك كما ضيَّع أبوك وقد أمضى عمره في حالة الشباب في البطالة وفي حالة الشيوخة والكهولة هو أيضاً متبع بالنفس الأمارة بالسوء وكأنه لم يشمَّ رائحة الإيمان إلى مشامِّه ولم يتخلص قلبه من التعلق بغير الله وعلمه زائد من عمله وعمله قليل مشوب بحظوظه . وحديث « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » كأنه ورد في حقه .

لكن رجاءه لا ينقطع عن ربه وحسن الظن به يحمله على دعائه وسؤاله فيا ربي إنك تعلم ما في نفسي ولا يخفى عليك شيء من أموري ولا ينقطع منك رجائي ولو بلغت ذنوبي عنان السماء ولكن مغفرتك أوسع من ذنوبي ورحمتك أرجى عندي من عملي ورحمتك سبقت على غضبك

ووسعت كل شيء فكن لي كما كنت لأحبابك وعاملني بما أنت له أهل فإن لم أكن أهلاً لرحمتك فأنت لها أهل فإنك أهل التقوى وأهل المغفرة . اللهم ما كان مني في تأليف هذا الكتاب من تصنُّع أو تزيُّن أو تغيير كلمة عن موضعها مع إبقاء معناها للاختصار أو إيقاع زيادة و إطالة في الكلام لتفهيم المراد فاعف عني واغفر لي إنك على كل شيء قدير . اللهم اجعل كتابي هذا صدقةً جارية إلى يوم الدين وسبباً باعثاً لدعاء الإخوان أهل الدين ولا تؤاخذني بما صدر مني من خطأ وخلل أو تحريف وزلل ولا تجعلني مطروداً عن بابك بحرمة مشائخنا قدس الله أسرارهم واجمعنا معهم في دار السلام وارزق لنا ولأولادنا ولأحبابنا ولمشائخنا ووالدينا خاصة الجنة الفردوس برحمتك يا أرحم الراحمين .

الحمد لله كما يليق لجلال وجهه وعظيم سلطانه وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . ورضي الله عن ساداتنا مشائخ الطريقة النقشبندية والقادرية والشاذلية والچستية والكبروية والسهروردية والخلوتية والتجانية ورزقنا بركة جميعهم وثبتنا على آدابهم آمين .

تذنيب في كيفية التوجه

قد سألني الولد الأعزُّ جعله الله تعالى في دائرة العارفين آمين ـ بعد انتهاء الكتاب عن كيفية التوجُّه وكيفية وقوف المريد قبالة الشيخ للاستفاضة ولأجل ذلك أعقبت ههنا جواب هذه المسألة ليكون تذنيباً للكتاب ومتمماً له وقد كان ذكرها من أهم الأمور التي لا بد للسالك من معرفتها بيد أني غفلت عن ذكرها ولم أتذكر إلا بعد السؤال .

فأقول إن كيفية توجُّه المرشد إلى المريد بنية تلقين الذكر على ما سمعناه من مشائخنا أن يبتدىء بالصلاة على فخر الكائنات عليه الصلاة والسلام ثم يستغفر الله ٢٥ مرة ثم يقرأ الفاتحة مرّة والإخلاص ثلاث مرات ثم يهدي ثوابها إلى روح النبي ﷺ وباقي الأنبياء والمرسلين وأصحابه وأصحابهم وأرواح سادات هذه الطريقة العلية الصديقية وباقي أهالي الطرق ثم يقول يا رب من بحر فيض جودك وكرمك وعنايتك ومن حضرة رسولك الأكرم ﷺ الواصلة إلى قلبي بواسطة قلوب المشائخ الكرام من الفيض وأنوار الذكر فألقها في قلب هذا الطالب بفضلك وعنايتك يا الله .

وبملاحظة هذه الكيفية يتوجَّه الشيخ إلى قلب المريد بالاسم الجامع لجميع الأسماء والصفات مقدار عشرة دقائق ويأمر المريد بجذب أثر هذا التوجُّه بالهمَّة القوية ثم بعد مدة يسيرة يظهر من هذا التوجُّه في قلب الطالب الصادق أثر عظيم ومحبة إلهية بعناية الله تعالى .

وكذلك إنّ الشيخ يجعل لطيفة روحه مقابلاً للطيفة روح المريد كما مر ويؤمر بالتوجُّه والهمَّة هنا وفي باقي اللطائف على المنوال المذكور فإذا تمكَّن

في قلب المريد ولطائفه من الذكر الملقن وتنورت اللطائف بصيرورة الذكر في لطائفه ملكة يلقن الشيخ له بالنفي والإثبات لجمعية النسبة والحضور .

هذا حاصل ما ذكره شيخنا سيف الله قدس سره في « كنزه » .

وأما كيفية ما كان الشيخ العسوي قدس سره يفعله هذا كان يقول حين التلقين بعد الاستغفار وقراءة الفاتحة والإخلاص كما مر وإهداء ثوابها إلى روح النبي عليه السلام وأصحابه الأربعة وأرواح سائر المشائخ يارب دُرْ رَخَلْدَصَنْ دُرْ خِريَوْ أَوَرَكَصُلْ رَخَلْدَصَنْكِ مشائخزَبَزُلْ قُلُوبَلْ وَاسِطَيَلْطَلِّنْ خَصْكُ محمود أفندِيَصُلْ قَلْبُ وَاسِطَيَلْطَلُنْ دِرْ رَكَلْدِ شَرَبْ فيض وأنوار الذكر هَوْ طالِبَصُلْ قَلْبُيَلْدِ شِزِ هَبِ يا محمود الفعال بمحمدٍ ﷺ .

ثم كان يقول للمريد قل ثلاث مرات (الله الله الله) بالقلب ملاصقاً لسانك بالحنك الأعلى وهكذا إلى ثلاث مرات . انتهى .

وأما إن أراد الشيخ إلقاء شيء من الأخلاق المحمودة إلى قلب المريد فكيفيته أن يتوجه إلى قلب المريد بنية إلقاء ذلك الخلق المحمود إلى قلبه سائلاً من الله تعالى إيصاله إلى قلبه ويقف زماناً بملاحظة هذا الأمر بالهمَّة القوية ويقف المريد أمامه بإمالة قلبه إلى قلبه بنفي الخطرات متجرداً عن جميع التعلقات سائلاً بقلبه إيصال النور الكائن في قلب الشيخ إلى قلبه متضرعاً متذلِّلاً متخشعاً فحينئذٍ يتصف المريد بصفة ذلك الخلق المحمود إن شاء الله تعالى على وفق استعداده .

وأما إن أراد الشيخ إخراج الخلق المذموم من قلب المريد فيتوجه إلى قلبه بالتضرع والإلحاح سائلاً من الله بإخراجه من قلبه ويجمع همته وينسى غيره من جميع التعلقات .

وفي « المناقب الأحمدية والمقامات السعيدية » في ١٥٦ أما طريق التوجُّه إلى طالب الحق جلّ وعلا فأن يتوجَّه الشيخ إلى نفسه في النسبة التي قصد إلقائها على الطالب ثم يستعمل همَّة تامة لإلقائها من جانبه إلى الطالب فتنتقل تلك النسبة إلى الطالب على وفق استعداده .

وأما إذا كان غائباً يتصوَّر صورته ثم يتوجه إليه ويبلغ أمره إلى النهاية .

وكذلك كل أمر صعب يعرض فإنهم يجمعون الهمَّة ويسألون الله تعالى حلَّه فيظهر على حسب مُتَمَنَّاهم .

وأما طريق الكشف من نسبة أهل الله فأن يجلس مقابله إن كان حياً وقريباً من قبره إن كان ميتاً ثم يخلِّي نفسه من نسبته ويجعل روحه متصلاً بروحه زماناً ثم يرجع إلى نفسه فكلما وجد في نفسه من الكيفية فهي نسبة ذلك الإنسان .

وأما طريق الإشراف على خاطر إنسان فأن يخلِّي نفسه من كل خاطر ثم يجعل نفسه متصلاً بنفس ذلك الإنسان فإن اختلج في نفسه حديث فهو خاطره ظهر بطريق الانعكاس .

وأما طريق الكشف عن الواقعات المستقبلة فكذلك يخلِّي نفسه من كل شيء سوى الانتظار بمعرفة الواقعة المطلوبة فإذا انقطع عن حديث النفس وتمادى انتظاره كطلب الماء للعطشان يلحق نفسه بالملائكة الكرام فتكشف له الواقعة إن شاء الله تعالى إما بأن يسمعها من الهاتف أو بأن يراها في اليقظة أو المنام .

وأما طريق دفع البليّة النازلة فأن يلاحظ تلك البلية بصورتها المثالية ويتوجه لدفعها بالهمَّة القوية فتندفع بإذن الله تعالى . انتهى .

وأما إن قصد الشيخ إزالة الظلمة من قلب المريد يجمع همته ويتوجَّه بالحضور التام إلى قلب المريد بنية إزالتها .

وقد سمعت شيخنا العسوي قدس سره يقول حين يتوجَّه إلى المريد توجَّهت قلبي إلى قلب شيخي محمود أفندي ومن قلبه إلى قلب هذا الطالب وقصدت إزالة الظلمة من قلبه . انتهى .

وأما المريد يقول توجَّهت قلبي إلى قلب شيخي وقصدت إزالة الظلمة من قلبي ويطلب بهمَّته من الله تعالى إيصال نور الذكر ونور المعرفة من قلب المرشد إلى قلبه وإزالة الظلمة منه .

ويقف المريد قبالة الشيخ ملتصقاً ركبتيه بركبتيه خاشعاً متذلِّلاً كأنه عبد آبق وقف بين يدي سيده ولا يحرك شيئاً من أعضائه ويطلق نَفَسَه من أنفه ولا يجب عليه حبسه لكن يطلقه يسيراً بحيث لا يسمع الشيخ صوته ويكون كالميت بين يدي الغَسَّال ملاحظاً أنه عبد ذليل حقير مفلس لا علم له ولا عمل ولا مقام له ولا حال **ويعتقد أن الشيخ باب الفيوض ولا يصل إليه الفيض إلا منه . والفيض كالماء لا يجري إلا إلى الجهة السفلية فإن رأى المريد لنفسه عند الشيخ قدراً ما لا يصل إليه فيضه . وإن اجتهد الشيخ لإلقائه واجتهد المريد لجرّه كما لا يجري الماء إلى الجهة الأعلى . فافهم .**

قال الشيخ علاء الدين العطار قدس سره إذا خلا قلب المريد بأمر المرشد عما سوى حب المرشد وعما يكون مانعاً من حبه وتمكَّن من محبته يكون

حينئذ قابلاً لورود الفيوضات الإلهية الغير المتناهية عليه فإن القصور لا يكون من الفيوضات بل من الطالب فمتى ارتفعت عنه الموانع لا جرم يصل إليه بهمَّة المرشد حال يتحيَّر في إدراكها من مقولة ربي زدني فيك تحيُّراً .

ثم إنَّ في جعل العبد مختاراً حكماً كثيرة فإنه لما تمكَّنت الموانع الطبيعية منه لزمه أن يلتفت باختياره إلى إزالتها . والملائكة وإن كانوا مجبولين على الطاعة والعبادة معصومين من المخالفة مستغرقين في الخوف والخشية غير أن كمال الاعتبار للاختيار في السعادة والشقاوة والترقِّي والتدلِّي[1] . انتهى . كذا في « الحدائق الوردية » في ١٤٦ و« الرشحات » فراجعهما .

فالحاصل أن الاعتقاد في الشيخ ومحبته كل منهما هو المغناطيس الجالب للفيض .

وفي « الحدائق الوردية » ينبغي للمريد أن يكون راسخ القدم لا يزيحه كل شيء عما هو فيه ولا يتبدل اعتقاده في شيخه بوجه من الوجوه أصلاً **حتى لو رأى الخضر عليه السلام لا يلتفت إليه** . انتهى ١٣٩ .

وفي « الرشحات » وقال قدس سره يعني علاء الدين العطار ينبغي للطالب أن يطالع عجزه وعدم اقتداره عند المرشد دائماً وأن يعلم يقيناً أن الوصول إلى المقصود الحقيقي لا يتيسَّر إلا من جهة المرشد بواسطة تحصيل رضاه وأن يعتقد أن جميع الطرق والأبواب الأخر مسدودة عليه وأن يجعل ظاهره وباطنه بكليته فداءً للمرشد . انتهى فراجعه .

---

(١) وفي نسخة التدني .

ومن العجائب أن بعضاً من المشائخ كان يتحمل الأمراض بتوجُّهه وقد تحمل شيخ عن مريض مرضه فعوفي ومرض الشيخ وتوفى في ذلك المرض . كذا في « الحدائق الوردية » في ١٤٨ .

وكان واحد من المريدين وقع على الفراش قد أخذته الحمى بشدة وجع الأسنان وقد تورَّم طرف واحدٌ من وجهه فتوجَّه إليه شيخه فانتقل المرض من أسنان الغلام إلى أسنانه وتورَّم وجهه من الجانب الذي تورَّم منه وجه المريد فقام مع وجع الأسنان وحرارة الحمى ووجع الضرس وخرج الغلام مع تمام الصحة والعافية لتشييعه إلى باب القصر فكان الشيخ مبتلى بوجع الأسنان مدَّة نصف شهر . كذا في « الرشحات » فراجعه في ٩٥ .

وقد رأيت في كتاب ما حاصله أن المتوجِّه لو توجَّه إلى المريض لتحمُّل مرضه قبل نزول ملك الموت لقبض روح المريض ينتقل إليه المرض ويُعافى المريض وإن توجَّه إليه حالة نزوله يُعافى المريض ويقبض روح الشيخ المتحمِّل مكانه . لكن لا أتذكَّر الآن عين ذلك الكتاب لتعيين موضعه .

ورأيت في « الرشحات » ما حاصله وملخصه أنَّ شيخ الإسلام عصام الدين كان مريضاً حتى أشرف على الموت فجاء أولاده إلى الشيخ نظام الدين وتضرَّعوا لديه والتمسوا منه الحضور عنده فذهب نظام الدين لديه ورآه قد حان أجله فتوقف في تحمُّل مرضه فتجاوز أولاد عصام الدين عن الحدِّ في التضرُّع والابتهال وبالغوا في الإبرام والإلحاح وجعله ملجأً فأثبت نظام الدين نفسه صارفاً خاطره إليه وأخذه في ضمن حياته وأدخله

في نسبته فصحَّ عصام الدين وقام ثم وقع على نظام الدين بعد مدة واقعة عظيمة حتى شدُوا يده في عنقه وكان عصام الدين شيخ الإسلام في سمرقند فلم يقدر أن يشفع له عند المرزا بكلمة ولم يُمِدَّهُ في تلك الشدَّة والنكبة فأخذه القهر والغيرة من صيانة نفسه وجاهه فأخرجه من ضمنه **فلما خرج من النسبة سقط في الحال ومات بلا إمهال** . انتهى باختصار . والقصة بتمامها مذكورة في « الرشحات » فراجعه في ٩٤ .

وأعجب من ذلك ما رأيت في « المناقب الأحمدية » ما حاصله هذا أن شخصاً قال لبهاء الدين النقشبندي قدس سره مات عمِّي . فقال قدس سره لم يمت عمُّك فإني لا أريد موته فأطرق ﵁ رأسه الشريف وقال إحي فقام عمُّ الشخص ثم قال نفعنا الله به أخذت روحه من يد الملك في السماء الرابعة ورددتها إلى جسده . انتهى فراجعه في ٦ . وفيه أيضاً ما حاصله أنه قال لخادمه محمد زاهد مت فمات ثم قال إحي فقام . انتهى في ٦ . فيه قال ﵁ أعطيت من الحق سبحانه مرتبة عظيمة **تُقضى بــي الحوائج وتُدفع بي البلايا . فالتجئوا إليَّ تقضى حوائجكم بفعل الله سبحانه** . انتهى في ٦ .

وقد وقع للغوث عبد القادر الكيلاني نفعنا الله تعالى به مثل ما وقع للنقشبندي . قال في « تفريج الخاطر » في ١٦ روي عن السيد الشيخ الكبير أبي العباس أحمد الرفاعي ﵁ أنه قال توفي أحد خدام الغوث الأعظم وجاءت زوجته إلى الغوث فتضرَّعت والتجأت إليه وطلبت حياة زوجها فتوجه الغوث إلى المراقبة فرأى في عالم الباطن أن ملك الموت عليه السلام يصعد إلى السماء ومعه الأرواح المقبوضة في ذلك اليوم

فقال يا ملك الموت قف وأعطني روح خادمي فلان وسماه باسمه فقال ملك الموت إني أقبض الأرواح بأمر إلهي وأؤديها إلى باب عظمته كيف يمكنني أن أعطيك الروح الذي قبضته بأمر ربي فكرر الغوث عليه إعطاء روح خادمه إليه فامتنع من إعطائه وفي يده ظرف معنوي كهيئة الزنبيل فيه الأرواح المقبوضة في ذلك اليوم فبقوَّة المحبوبيّة جرَّ الزنبيل وأخذه فتفرَّقت الأرواح ورجعت إلى أبدانها فناجى ملك الموت عليه السلام ربه وقال يا رب أنت أعلم بما جرى بيني وبين محبوبك ووليك عبد القادر فبقوة السلطنة والصولة أخذ مني ما قبضته من الأرواح في هذا اليوم . فخاطبه الحق جل جلاله يا ملك الموت إن الغوث الأعظم محبوبي ومطلوبي لِمَ لا أعطيته روح خادمه وقد راحت الأرواح الكثيرة من قبضتك بسبب روح واحد فتندَّم ملك الموت . انتهى .

ومن غريب ما نقل من أثر التوجُّه ما ذكره صاحب « الحدائق الوردية » من أن أحداً من السادات جاء يوماً لزيارته يعني العزيزان علي الراميتني قدس سره ولم يكن عنده شيء يكرم به ضيفه أصلاً فجلس معه وهو مهتمّ لذلك فما لبث أن جاءه أحد مريديه وكان أبوه طبّاخاً بقصعة من ثريد فوضعها بين يدي الشيخ ثم وقف بالذلِّ والانكسار وقال له إني صنعت هذه على اسمك فأرجوك أن تتقبَّلها . فتهلَّل وجه الشيخ قدس سره سروراً بصدق خدمته وانكساره وأكل هو وضيفه منها ثم لما انصرف نادى الغلام وقال له بارك الله لك في رزقك وتقبَّل هديتك . اطلب مني ما تحب فإنه يحصل لك إن شاء الله تعالى . وكانت همَّة الغلام عالية جدّاً فقال له إن أقصى مرادي أن أكون مثلك صورة وسيرة .

فقال الشيخ هذا أمر صعب لا تطيقه . فقال لا أريد غيره . فأخذ الشيخ بيده وأدخله إلى خلوته وتوجَّه إليه بكُلِّيَته وتفضَّل عليه بعليّ همَّته فبعد ساعة خرج الغلام وقد صار كالشيخ صورة وسيرة لا يقدر أحد أن يميز بينهما . وعاش أربعين يوماً وقيل أقل ثم انتقل إلى رحمة الله تعالى عز وجل . انتهى راجعه في ١٢١ .

ومثله في « الرشحات » لكن مع بعض مخالفة في العبارات . وأمثال هذه التأثيرات والتصرُّفات مـما أظهره الله تعالى على أيدي من يشاء من عباده والله على كل شيء قدير .

ورأيت في « صحيفة الصفا » أن التوجُّه وهو أن يلاحظ قلبه يعني المريد تحت قلب المرشد يسيراً ولطائفه كذلك إن أهل لطائف وينتظر بواسطته الفيض و لو أهل نفي وإثبات كذلك . انتهى . ورأيت في هامشه وفي الأثر أن جبرائيل عليه السلام توجَّه النبي ﷺ في غار جبل حراء والنبي ﷺ توجَّه أبا بكر رضي الله عنه في غار جبل ثور .

والحاصل أن التوجُّه المعنعن من النبي ﷺ إلى الصدِّيق الأكبر رضي الله عنه ومنه إلى المشائخ سحاب الفيوضات **وقلوب المشائخ ميزاب الحكمة والعرفان مَنْ انتظر بالصدق وصل ومن انتهى بالغفلة زهل** . انتهى .

ورأيت في هامش « بهجة السالكين » إن أول توجُّه من جبريل إلى النبي ﷺ ثلاث مرات مرة للتخلية ومرة للتحلية ومرة لإلقاء الوحي .

وأما المعنعن فتوجه النبي ﷺ إلى الصِّدِّيق الأكبر في غار ثور . انتهى فراجعه .

وأما التوجُّه من طرف الشيخ فهو عبارة عن إلقاء الجذبة في قلب السالك قبل السلوك وصب ما في صدره إلى صدره أولاً بحكم وراثة الشيخ الكامل عن شيخه كذلك وهكذا إلى سيدنا الصديق الأكبر رضي الله عنه .

ومثله في « نور الهداية » في ٩٢ وفيه والتوجُّه أنواع والذي يوافق مشربي هو أن يتوجه حضرة الشيخ إلى قلب المريد بتوجُّهٍ جذبيٍّ يرفع عن قلبه الظلمة الشيطانية المستكنة فيه . انتهى . فراجعه .

يا ولدي إني ذكرت هنا ما ينبِّهك على معرفة التوجُّه وكيفيته فينبغي لك أن تعلم أن التأثر بالتوجُّه إنما يكون على قدر استعداد الطالب ألا ترى أن الخرقة الجافة المستعدة مثلاً لو وضعت على حجر الزناد وضرب عليه الحديد يخرج من الحجر النار ويقع عليها فيوقد عليها النار ساعتئذ لكونها مستعدة للإيقاد وأما إن كانت الخرقة مبلولة غير مستعدة فلا يوقد عليها النار فهكذا القلب بلا فرق .

ورأيت في « كنز المعارف » لشيخنا المرحوم سيف الله قدس سره ما حاصله أن الطالب الصادق والمريد المتحقق إذا استعدَّ قلبه لكمال النسبة وعرض حاله للمرشد بالهمة الكاملة فما حصل هنالك من توجُّهه فهو الفيض أي يعبّر عن ذلك الأثر الحاصل **بالفيض** وما نسبت إلى المريد أي توجُّهه باستعداده ليأخذ من الشيخ أثراً يعبر عنه **بالاستفاضة** وما نسبت إلى الشيخ بأن يتوجَّه الشيخ إلى الطالب بقوة همَّته بالنظر إلى قلبه وقالبه وتصرُّفه في قلب طالبه يعبّر عنه **بالإفاضة** . وذلك على مثابة الناظورة البلورية إذا نظرها إلى شعاع الشمس ثم أطلق ذلك الشعاع بواسطة تلك الناظورة إلى شيء لين له قابلية لتوقد النار فيحصل من ذلك الشيء أي يظهر منه النار

بمجرد وصول شعاع الشمس فإن كان الشيء الذي وقع عليه شعاع الشمس قوياً صلباً كالحجر والشجر فلا يظهر منه النار غالباً ولا يفيد شيئاً لكن بقوة شعاع الشمس قد يعرض له الحرارة الشديدة . **كذلك إنَّ الشيخ كالناظورة** إذا نظر إلى قلب المريد الذي له الاستعداد الكامل والقابلية يظهر في قلبه من نظر الشيخ نار المحبة الإلهية التي هي سبب الوصول ويسمى له **بالفيض** وإن كان قلب الطالب صلباً أو أقسى وليس له استعداد ولا قابلية فلا يحصل له من النظر نتيجة ما ولا نار الفيض إلا إذا اجتهد بالكلية وجاهد فيمكن منه أن ينتفع بالشيخ كالحرارة الحاصلة من الحجر والشجر بطول وقوع شعاع الشمس بواسطة الناظورة المشهورة « بالپرتوز » فإذا كان الحال كذلك لازم على كل طالب سالك أن يجتهد في إيجاد مرشد كامل لإحياء رسوم قلبه الميتة ليقوم أمامه بجميع قوة استعداده كيف **وإن نظر المرشد إلى المريد نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه ونظر رسول الله ﷺ نظر الله بعينه** فإذا نظر الله إلى قلب عبده بالرحمة فلا بدَّ من حصول نتيجة مطلوبة في قلب العبد . فتفكَّر أيها الأخ السعيد أن النعامة إذا أرادت إنبات أفراخها في البيضة ينظر بهمَّتها إلى بيضتها بقيامها من بعيد على ساقيها فتتولَّد فيها الأفراخ بقدرة الله بمجرد ذلك النظر كذلك إن الله تعالى لما نظر إلى قلب عبده بواسطة الشيخ فيتولَّد في قلب العبد نتيجة المطلوب التي هي نار المحبة والاستقامة وذلك من الله فضل عظيم . انتهى .

فالحاصل أن التوجُّه من الشيخ الكامل لو وقع إلى قلب طالب له استعداد كامل يعمل عمل مائة من الأربعينيات أي الوقوف في الرياضة والمجاهدة في تلك الأيام العديدات . كما قال مثله الإمام الرباني في

بعض مكاتيبه . وقد كان في الزمان الماضي يكفي للمريد التوجُّه الواحد أو الكلام الواحد وكان الشيخ يضع فمه في أذن المريد ويتكلَّم فينعكس إليه أحواله الباطنة وكذا كان يتوجَّه إليه مرة واحدة فيصير المريد بذلك كشيخه في الأخلاق .

وقد سمعت شيخنا العسلي قدس سره يقول **إنه أوصل القطب خالد شاه كذا وكذا مريداً إلى مرتبة الإرشاد بتوجُّه واحد** لكون المريدين في زمنه مستعدين لقبول أثر توجُّهه فانظر الآن إلى قلَّة المرشدين وعدم حصول الاستعداد للمريدين مع هذه الأذكار الكثيرة وملازمة الرابطة الشريفة انتهى .

وقد انقطعت هذه التربية المذكورة في زماننا هذا بالكلية وبقيت التربية باستعمال الأذكار وكثرة الاستغفار والصلاة على النبي المختار عليه وعلى آله الصلاة والسلام .

وقد أجاب عبد العزيز الدباغ قدس سره إذ سئل عن معنى قول الشيخ زروق قدس سره انقطع التربية بالاصطلاح ولم يبق إلا التربية بالهمَّة . . إلخ بأن المقصود من التربية هو تصفية الذات وتطهيرها من رعوناتها حتى تطيق حمل السر وليس ذلك إلا بإزالة الظلام منها وقطع علائق الباطل عن وجهتها ثم قطع الباطل عنها .

تارة يكون بصفائها في أصل خِلْقَتِها بأن يطهرها الله بلا واسطة وهذه حالة القرون الثلاثة الفاضلة الذين هم خير القرون فقد كان الناس في تلك القرون متعلقين بالحق باحثين عليه إذا ناموا ناموا عليه وإذا استيقظوا

استيقظوا عليه وإذا تحركوا تحركوا فيه حتى أن من فتح الله بصيرته ونظر إلى بواطنهم وجد عقولهم إلا النادر متعلقة بالله وبرسوله باحثة عن الوصول إلى مرضاتهما فلهذا كثر فيهم الخير وسطع في ذواتهم نور الحق وظهر فيهم من العلم وبلوغ درجة الاجتهاد ما لا يكيَّف ولا يطاق فكانت التربية في هذه القرون غير محتاج إليها وإنما يلقى الشيخ مريده وصاحب سرِّه ووارث نوره فيكلمه في أذنه فيقع الفتح للمريد بمجرد ذلك لطهارة الذوات وصفاء العقول وتشوُّفها إلى نهج الرشاد .

وتارة يكون بتسبب من الشيخ فيه أعني قطع الظلام من الذوات وذلك فيما بعد القرون الفاضلة حيث فسدت النيات وكسدت الطويات وصارت العقول متعلقة بالدنيا باحثة عن الوصول إلى نيل الشهوات واستيفاء اللذات فصار الشيخ صاحب البصيرة يلقى مريده ووارثه فيعرفه وينظر إليه فيجد عقله متعلِّقاً بالباطل ونيل الشهوات ويجد ذاته تتبع العقل في ذلك فتلهو مع اللاهين وتسهو مع الساهين وتميل مع المبطلين وتتحرك الجوارح في ذلك حركة غير محمودة من حيث أن العقل الذي هو مالكها مربوط بالباطل لا بالحق فإذا وجده على هذه الحالة أمره بالخلوة وبالذكر وبتقليل الأكل فبالخلوة ينقطع عن المبطلين الذين هم في عداد الموتى وبالذكر يزول كلام الباطل واللهو واللغو الذي كان في لسانه وبتقليل الأكل يقلُّ البخار الذي في الدم فتقلُّ الشهوة فيرجع العقل إلى التعلق بالله وبرسوله ﷺ فإذا بلغ المريد إلى هذه الطهارة والصفاء أطاقت ذاته فهذا غرض الشيوخ من التربية . . إلخ كما هو مذكور في « الإبريز » فراجعه في الباب الخامس في ١٧٥ .

وقد ذكرت في هذا التذييل ما يتنبّه به الولد المرجو المحبوب لمعرفة معنى التوجُّه وأنواعه وكيفيته سواء كان من جهة المرشد أو من جهة المريد ومعنى الإفاضة والاستفاضة والفيض وكيفيتها ومعنى الاستعداد وما هو المراد منه وأجبت عن جميعها تصريحاً أو تلويحاً على وفق سؤال الولد المذكور . وأرجوه أن يجني ثمار شجرة الكتاب وأن يهيىء أرض الاستعداد لينبت عليها بذر الفيوضات وأن يجتهد في دفن البذر في خفاء تربة الإخلاص فإن ما ظهر وما لم يدفن من البذر لا ينبت بل يلتقطه الطيور أو يتلف ويفسد **وذرَّة واحدة مـما خفي من الأعمال خير من عدة ألوفٍ مما ظهر** وإبقاء العمل وسلامته من الإحباط أشد وأصعب من العمل . رزقنا الله تعالى التوفيق والإخلاص آمين .

أيها الولد إن والدك قد ألّف الكتاب باسمك وأشار إلى المآخذ في كل مسألة لترجع إليها إن أشكل عليك شيء منها . ومن المعلوم أن الأكثرين من الناس لا يثقون أقوال أمثالنا إلا بالتشييد بالنقول ولو أتينا جميع المسائل بلا ذكر المآخذ بناء على ما فتح الله لنا بمحض فضله وجوده ومَنّه من علمه اللدني لكان جمع الكتاب أيسر وأسهل لكن بينّاها لتكون كالعمود للبنيان وكالأساس للجدران جعلنا الله تعالى من أهل الاستقامة ولا جعلنا من الأئمة الضالين المضلين . آمين يا مجيب .

ورحم الله امرءاً رأى في هذا الكتاب خللاً فأصلح أو عاين زللاً فسمح فإن الخطأ والخلل غير مستغرب من الإنسان المطبوع على عدم الإحسان وخصوصاً من مثلي قليل العلم قصير الباع في الحفظ والفهم . والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

اللهم صلِّ على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم . وقع الفراغ في ١ من شعبان سنة ١٣٣٨ .

بشارة

فحين شرع الحقير الفقير في تأليف هذا الكتاب رأى واحدٌ من المريدين في الواقعة يقظة لا مناماً والحال أنه لم يكن يعلم شروعي في تأليفه رجالاً كثيراً مجتمعين في بيت واسع وكان عند ذلك البيت حجرة صغيرة له باب من جانبه وكان فوق الباب كوة مفتوحة وعلى الكوة سكتو الخلقري وكان في تلك الحجرة النبي عليه السلام . فقال سيّدو إنه عليه السلام يدعو لديه المؤلف[1] فذهب لدى النبي عليه السلام فحين دخل من باب الحجرة انفجر من تحته ماء صافٍ فجاء من لدنه عليه السلام لدى أولئك الرجال الكائنين هنالك مع قدح فيه ماء أبيض وقال إن النبي عليه السلام أمرني أن أقسم هذا الماء بينكم فقسمه بينهم واحداً بعد واحد وشربوه .

وقد أُوِّلَتْ الواقعة على حصول النفع للناس من هذا التأليف فلله الحمد والمِنَّة وله الشكر ومنه النعمة . اللهم اجعل عاقبة أمورنا خيراً ولا تجعل سعينا مكراً واستدراجاً واغفر لنا ولوالدينا ولمشائخنا خاصة ولأحبابنا وأصدقائنا عامة آمين . يا مجيب السائلين ويا أرحم الراحمين . حرر في ١ من شعبان سنة ١٣٣٨ .

---

(١) وكان عليه لباس أبيض (منه) .

الفصل التاسع عشر

في تحذيرهم من مخالفة الشيخ بعد امتثال أوامره حاضراً كان أو غائباً والاعتراض عليه سرّاً وجهراً

فأقول وبالله التوفيق وهو الهادي بمنّه إلى سواء الطريق .

اعلم أنه لا شيئ أضرّ على المريد من مخالفة الأشياخ وعدم امتثال أوامرهم والاعتراض عليهم وعلى الأولياء رضي الله عنهم وترك تعظيمهم واحترامهم و عدم قبول إشارتهم فيما يشيرون به عليه .

قال في « تحفة الإخوان » فالآداب التي تطلب من المريد في حقّ الشيخ أوجبها تعظيمه و توقيره ظاهراً و باطناً وعدم الاعتراض عليه في شيء فَعَلَه ولو كان ظاهره أنه حرام ويؤوّل ما انْبَهَمَ عليه وتقديمه على غيره وعدم الإلتجاء إلى غيره من الصالحين .

ومنها أن لا يقعد وشيخه واقف ولا ينام بحضرته إلا بإذنه في محلّ الضرورات ككونه معه في مكان واحد وأن لا يكثر الكلام بحضرته ولو باسطه ولا يجلس على سجادته و لا يسبّح بسبحته ولا يجلس في المكان المعدّ له ولا يلحّ عليه في أمر ولا يسافر ولا يتزوّج ولا يفعل فعلاً من الأمور المهمّة إلا بإذنه ولا يمسك يده للسلام ويده مشغولة بشيئ كقلم أو أكل أو شرب بل يسلّم بلسانه وينظر بعد ذلك ما يأمره وأن لا يمشي أمامه ولا يساويه إلا بليل مظلم ليكون مشيه أمامه صوناً له عن مصادمة ضرر وأن لا يذكره بخير عند أعدائه خوفاً من أن يكون وسيلة لقدحهم فيه .

ومنها أن يحفظه في غيبته كحفظه في حضوره وأن يلاحظه بقلبه في جميع أحواله سفراً أو حضراً لتَعُمَّهُ بركته .

ومنها أن لا يعاشر من كان الشيخ يكرهه ومن طرّده الشيخ عنه وبالجملة يجب أن يحبّ من أحبّه الشيخ ويكره من يكرهه .

ومنها أن يرى كلّ بركة حصلت له من بركات الدنيا والآخرة فببركته .

ومنها أن يصبر على جفوته وإعراضه عنه ولا يقول لم يفعل لفلان كذا ولم يفعل بي وإلا لم يكن مسلّماً له قياده إذ من أعظم الشروط تسليم قياده له ظاهراً وباطناً أخاطب بذلك أهل الله الصادقين .

ومنها أن يحمل كلامه على ظاهره فيمتثله إلا لقرينة صارفة عن إرادة الظاهر فإذا قال له اقرأ كذا أو صلّ كذا أو صُمْ كذا وجب عليه المبادرة وكذا إذا قال له وهو صائم أفطر وجب الفطر أو قال له لا تصلّ كذا إلى غير ذلك .

واعلم أنّ الشيخ العارف ربما باسط تلامذته وخفّف عليهم العبادة فإذا شمّ منهم رائحة الصدق والاجتهاد ربّما شدّد عليهم وأعرض عنهم وأظهر لهم الجفوة لتموت أنفسهم عن الشهوات وتفني في حبّ الله تعالى وربّما اختبرهم هل يصدّقون معه أو لا

ومنها ملازمة الورد الذي رتّبه **فإن مدد الشيخ في ورده الذي رتبه فمن تخلّف عنه فقد حرم المدد وهيهات أن يصحّ في الطريق .**

ومنها أن لا يتجسّس على أحوال الشيخ من عبادة أو عادة فإن في ذلك هلاكه و الله تعالى أعلم وأن لا يدخل عليه خلوة إلا بإذن ولا يرفع الستّارة التي فيها الشيخ إلا بإذن وإلا هلك كما وقع لكثير وأن لا يزوره إلا وهو على طهارة لأن حضرة الشيخ حضرة الله وأن يحسن به الظنّ في كلّ حال وأن يقدّم محبّته على محبّة غيره ما عدا الله و رسوله فإنهما المقصود بالذات ومحبّة الشيخ تابعة لهما وأن لا يكلّفه شيئاً حتى لو قدم من سفر لكان هو الذي يسعى على الشيخ فلا ينتظر أنّ الشيخ يأتيه للسلام عليه .انتهى .

وفي« الخلاصة المرضية » **ومن شرط المريد** أن لا يصحب من الشيوخ إلا من تقع له حرمة في قلبه وأن يبايعه على المنشط والمكره وأن لا يكتم عن شيخه شيئاً ممّا يخطر له وأن لا يعترض عليه فيما يكون منه . والصدق في طلب الشيخ وأن لا ينظر في أفعال الشيخ ولا يتعدى أمر شيخه ولا يتأوّل عليه كلامه بل يقف عند ظاهر كلامه ولا يطلب علّة الأمر الذي يأمره به بل يبادر إلى امتثال ما أمره به سوآء عقل معناه أو لم يعقل وليفعل ما أمره ومتى تأوّل على الشيخ ما أمره أو يقول تخيّلتُ أنك أردت كذا فليعلم أنه في إدبار فليبك على نفسه فإنه ما أتى على أكثر المريدين إلا من التأويل . ولا يطأ سجادة شيخه برجله ولا يلبس ثوباً لبسه شيخه **إلا إذا كساه الشيخ إياه ولا يسأله عن شيئ سؤالَ من يطلب الجواب منه بل يجب عليه أن يقصّ ما وقع له فإن أجابه كان وإلا فلا** وإن وصف ذلك على أن يجيب عنه الشيخ فقد جعله سؤالاً وإذا جعله سؤالاً فقد أساء الأدب ولا يخون شيخه في أمر مأمور به . ويجب على المريدين أن لا يدخلوا على الشيوخ ولا يقعدوا بين أيديهم إلا على طهارة ظاهراً وباطناً مسلمين مستسلمين هكذا شأنهم .

ومن شرط المريد أن يكون بين يدي الشيخ كالميّت بين يدي الغاسل إن غسل عضوا من أعضائه قبل عضو آخر أو حرّكه أو تصرّف فيه كيف يشاء بما يرى من المصلحة فلا يخطر عليه خاطر اعتراض ولو عاينه قد خالف الشريعة فإن الإنسان ليس بمعصوم ولا يجلس بين يديه إلا مستوفزا كجلوس العبد بين يدي سيده وإذا أمره بفعل شيء فيتثبت فيه حتى يعرف مراده ولا يبادر وهو غير عارف بما أمره به ولا يتحمّل فيه قول قائل وإذا عرف له عَدُوّاً فليهجره في الله تعالى ولا يجالسه ولا يعاشره . **وإذا رأى من يثني عليه ويحبّه فيحبّه ويقضي حوائجه** . وإن طلّق امرأة فمن الأدب أن لا يتزوّجها من غير أن تحرم عليه ويتلمّذ ويخدم كلَّ من قدّمه عليه شيخه وإن كان أقلّ علماً منه ولا يقعد مقعداً حيث كان إلا ويتيقّن أنّ الشيخ يراه فليلزم ذلك ولا يمشي أمامه إلا بليل ولا يديم النظر إليه فإن ذلك يورث قلّة الأدب والحياء ويخرج الاحترام من القلب ولا يكثر مجالسته ولا يقضي لأحد حاجة حتى يشاوره فيها ولا يدخل عليه متى دخل عليه إلا قبّلَ يده وأطرق ويتحبّب إليه بإمتثال أمره ونهيه وليكن حافظاً شحيحاً على عرضه وإذا قدّم إليه طعاماً فليلقه أمامه بجميع ما يحتاج إليه وليقف خلف الباب فإذا دعاه أجابه وإلا فليتركه حتى يفرغ فإذا فرغ أزال المائدة فإن بقي من طعامه شيء وأمره بالأكل فليأكل . **ولا يُؤْثِرُ بنصيبه أحداً** .

وليجتهد أن لا يراه إلا فيما يسرّه ولا يتمنّ عليه وليحذر مكر الشيخ فإنهم يمكرون بالطالب فليحافظ على أنفاسه في الحضور معه فإن وقعت منه زلّة في حقّ أدب مع الشيخ وعرف أنه قد عرف بها وسامحه فيها ولم يعاقبه فليعلم أنه قد مكر به وعلم أنه لا يجيء منه شيء ولهذا سكت عنه

وإذا عاقبه على الخطرة واللحظة وضايق عليه أنفاسه فليستبشر بالقبول والفتح والرضى ولا يُبْدِ الله عليه إلا بسطة له كلما انبسط معه فليزدد في قلبه المهابة والتعظيم والإجلال والاحترام والاحتشام كلّما ازداد بسطة وخشوعاً زاد فيه مهابة وجلالاً .

ومن شرط المريد أن لا يردّ على الشيخ كلامه ولوكان الحقّ بيد المريد فإنّ الشيخ إنما يقول ما فيه مصلحته فليقف عند قوله ولا ينازعه ولا يجادله ولا يماره ومتى وقع في شيء من ذلك أو خطر له نزاعه في خاطره فالنزاع وإن كان في نفسه هو عين الاعتراض **والاعتراض على الشيوخ حرام على المريدين وقوعه فهذا مريد مسخرة للشياطين** ساع في هوى نفسه سَوْئته مكشوفة عند سادات أهل طريق الله تعالى .

ومن شرط المريد إذا وجهه شيخه في أمر أن يمضي لأمره من غير تأمّل ولا توقّف ولا يصرفه عنه صارف حتى قال بعض المشائخ لبعض المريدين أرأيت لو وجهك شيخك في أمر فمررتَ بمسجد تقام فيه الصلاة فما تصنع فقال أمضي لأمر الشيخ ولا أصلي حتى أرجع إليه فقال له أحسنت . ولهم في ذلك خبر يستندون إليه وهذا بشرط أن لا يخرج الوقت فإن خشي خروج الوقت صلى وذهب إليه .

ومن شرط المريد الوفاء بكلّ ما يشترط عليه الشيخ سواء كان ذلك صعباً أو سهلاً . فإن طريق الله تعالى مجاهدة ومكابدة ليس هي طريق الراحة وليس للمريد أن يشترط على الشيخ **وإيّاك أن تعترض عليه في شيء من أقواله ولكن تنظر إليها بالإرادة وحسن الظنّ** وتراعي الأدب ظاهراً وباطناً فإنهم قالوا **الاعتراض على الشيوخ سمّ قاتل** وإن رأيت من

الشيخ ما يترائى عندك أنه غير مشروع فاتّهِمْ نفسك واحمله على قصور علمك ونظرك فإن الشيخ يكون له دليل وبرهان قصر فهمك عن إدراكه .

واعلم أن الشيخ أولى برعاية الشريعة منك وأشدّ اهتماماً بها من غيره وكلّما خطر لك شيء من هذا الجنس تذكّر قصة موسى والخضر عليهما السلام ليندفع عنك الاعتراض والحقُّ أنك لو طلبت لصحته وجهاً وتفكّرت لظفرت به غالباً ولكنّ النفس لا تساعدك على هذا بل تغطي عليك وجه الصحة وإن كان واضحاً بينا وتلقّنك وجه الفساد وتزينه وإن كان ضعيفاً لتستوفي حظّها فلو صدر منك ذلك الفعل بعينه أقمت على صحّته دلائل مثل الجبال الرواسي وتساعد النفس فيه وفوق ما ذكرنا من الاعتراض أن يكون مسلّماً بالظاهر معترضاً بالقلب فتنقطع الرابطة ويقع بينه وبين الشيخ مفارقة معنويّة **فلا ينفعه التسليم باللسان مع وجود الإنكار في الباطن إذ الرابطة أمر معنويّ لا يتعلّق باللسان وإنما يتعلّق بالقلب** . فإذا تمكّن الإنكار فيه زال اتّصال الباطن والمحكوميّة وهو المعنى من الرابطة فلا يبقى بين قلب المريد وبين قلب الشيخ علاقة فينسدّ طريق الفيض الذي يصل إلى قلبه من قلب الشيخ في الحقيقة وإن كان قريباً فكم بينه وبين من يكون بعيداً في الصورة قريباً في الحقيقة هيهات مثل هذه المحبّة لا تزيد إلا شقاوة وردّاً على ردّ فيعود الأمر على موضعه بالنقص ومثل هذا المريد يكون مع الشيخ باللسان وبالقلب مع النفس والشيطان فيعد من جملة الخادعين والمنافقين في الطريقة .

والمريد إنما يتعلّق بإرادة الشيخ ليتخلّص من الكفر الباطنيّ ويشفي من المرض الخفي القلبيّ وإلا فهو مسلم شرعاً لا شكّ في إسلامه وإذا

حققت وجدته ترك الاعتراض على الله تعالى لأنه إذن كان مسلماً للشيخ مطيعاً لحكمه ظاهراً وباطناً فمن حصل عليه خاطر لاعتراض على الله تعالى فالشيخ يخرجه من هذه الورطة بحسن تربيته وإرشاده وإن كان في قلبه نوع إنكار واعتراض على الشيخ فإن وقع في مضيق الاعتراض على الله تعالى كيف يخرج عنه ومن يأخذ بيده فيحصل غرض النفس إذ مقصوده من الاعتراض على الشيخ ليس إلا أن تنقطع الرابطة فإذا دخل عليه خاطر الاعتراض على الله تعالى وأراد الشيخ أن يغيّره عن هذه العقبة لا ينفذ فيه تصرّفه ولا ينجع كلامه فتزلّ قدم المريد وينحرف عن جادة الطريق إذ الثبات ليس إلا بقوة ولاية الشيخ ومحكومية المريد فيكون الأمر كما تحب النفس وتشتهي .انتهى ملخصاً .

وفي« الإبريز » للشيخ أحمد بن المبارك وسمعته يعني القطب عبد العزيز بن مسعود الدباغ رضي الله عنه **يقول لا ينبغي أن ينظر إلى ظاهر الوليّ ويوزن عليه فيخسر الوازن دنيا وأخرى . فإن في باطن الوليّ العجائب والغرائب وما مثاله إلا كخنشة صوف في وسطها خنشة حرير لا تظهر إلا في الآخرة وغير الولي بالعكس خنشة حرير في وسطها خنشة صُوف .** والعياذ بالله تعالى .

قال ولنثبت أسباباً كثيرة في ظهور المخالفات على ظاهر الوليّ سمعناه من الشيخ رضي الله عنه مفرقة فلنجمعها هنا .

فنقول سمعته رضي الله عنه يقول كان لبعض الأولياء الصادقين مريد صادق فكان يحبّه كثيراً وأطلعه الله على أسرار ولايته حتى أفرط في محبته وكاد يتجاوز بشيخه إلى مقام النبوّة فأظهر الله تعالى على الشيخ صورة معصية

الزنا رحمة بالمريد المذكور فلما رآه رجع عن ذلك الإفراط في الاعتقاد ونزل شيخه منزلته ففتح الله حينئذ على المريد قال رضي الله عنه ولو دام على اعتقاده الأول لكان من جملة الكافرين المارقين نسأل الله السلامة

قال رضي الله عنه وهذا أحد الأسرار في الأمور التي كانت تظهر على النبي صلى الله عليه وسلم من نحو قوله في قضيّة تأبير النخل لو لم تفعلوا لصلحت ثم تركوا التأبير فجاءت الثمر شيصاً أي غير صالحة ومن نحو قوله صلى الله عليه وسلم « رأيت في منامي انا ندخل المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلّقين و مقصرين » ثم خرج النبيّ صلى الله عليه وسلم مع أصحابه الكرام رضي الله عنهم فصدّهم المشركون ولم يدخلوا إلا في عام آخر ونحو ذلك ففعل الله سبحانه هذه الأمور مع نبيّه الكريم لئلاّ يعتقد الصحابة فيه الألوهية ولذا قال تعالى ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾ وقال تعالى ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ ونحو ذلك فإنّ المقصود من ذلك كلّه هو الجمع على الله سبحانه والله تعالى أعلم .

قال وسمعته رضي الله عنه يقول إنّ الوليّ الكامل يتلوّن على قلوب القاصدين ونياتهم فمن صفت نيته رآه في عين الكمال وظهر له منه الخوارق وما يسره ومن خبثت نيته كان على الضد من ذلك وفي الحقيقة ما ظهر لكلّ واحدٍ إلا ما في باطنه من حسنٍ وقبح والوليّ بمنزلة المرآة التي تتجلى فيها الصور الحسنة والصور القبيحة فمن ظهر له من وليّ كمال ودلالة على الله تعالى فليحمد الله تعالى ومن ظهر له غير ذلك فليرجع على نفسه .

قال رضي الله عنه وإذا أراد الله شقاوة قوم وعدم انتفاعهم بالوليّ سخر الله سبحانه فيما هم فيه من قبح ومخالفة فيظنّون أنّه على شاكلتهم وليس كذلك حتى

أنّه يتصوّر في صور الولاية أن يقعد الوليّ مع قوم يشربون الخمر وهو يشرب معهم فيظنونه أنه شارب الخمر وإنما تصوّرت روحه في صورة من الصوّر وأظهرت ما أظهرت وفي الحقيقة لا شيء وإنما هو ظلّ ذاته تحرك فيما تحركوا فيه مثل الصورة التي تظهر في المرآة فإنك إذا أخذت في الكلام تكلمتْ وإذا أخذتَ في الأكل أكلتْ وإذا أخذتَ في الشرب شربت وإذا أخذتَ في الضحك ضحكت وإذا أخذتَ في الحركة تحرّكت وتحاكيك في كلّ ما يصدر منك وفي الحقيقة لم يصدر منها أكلٌ ولا غيره لأنها ظلّ ذاتك وليست بذاتك الحقيقيّة فإذا أراد الله تعالى شقاوة قوم ظهر الوليّ معهم بظلّ ذاته وجعل يرتكب ما يرتكبون والله تعالى الموفق .

وقال سمعتُ ﵁ يقول إنّ الوليّ إنما يعتبر من القاصدين إليه باطنهم وأمّا ظاهرهم فلا عبرة به عنده .

والقاصدون على أربعة أقسام

قسمٌ يستوي ظاهره وباطنه في الاعتقاد وهذا أسعدهم . **وقسمٌ** يستوي ظاهره وباطنه في الانتقاد وهذا أبعدهم . **وقسم** ظاهره معتقد وباطنه منتقد وهذا أضرّ الأقسام على الوليّ كالمنافق بالنسبة إلى النبيّ ﷺ لأنه إذا نظر إلى ظاهره يريد نفعه منعه الباطن . وإذا أراد البعد منه حيث ينظر إلى باطنه أطمعه ظاهره .

قال ﵁ **والوليّ يسمع كلام الباطن كما يسمع كلام الظاهر** فيكون هذا القسم عنده بمثابة من جلس إليه رجلان أحدهما في جوف الآخر **فيقول الرجل الظاهر** أنت سيدي وأنا عند أمرك ونهيك وعلى طاعتك وتصييرك

ويقول الذي في الجوف أنت لست بوليّ والناس أخطؤوا فيما يظنون فيك وأنا على شك في أمرك وفيما يقول الناس فيك ونحو هذا . فالجاهل الذي لا يعرف البواطن يستوي في نظره هذا القسم والقسم الأوّل . فإذا رأى القسم الأوّل ربح وحصل له الخير الكثير من الوليّ قال في نفسه ولم لم يربح القسم الثالث مع أنه يتأدّبُ ويخدم بنفسه ويقف عند الأمر والنهي كالأوّل فيقول لعلّ الخلل والنقصان من الوليّ فيكون هذا باباً واسعاً للكلام في الأشياخ ودخول الوسوسة فيهم .

وأما القسم الرابع وهو ما يكون باطنه معتقداً وظاهره منتقداً فلا يتصوّر إلا مع الحسد نسأل الله تعالى السلامة والله تعالى أعلم .

وقال رضي الله عنه إنّ الوليَّ الكامل غائب في مشاهدة الحق سبحانه لا يحجب عنه طرفة عين وظاهره مع الخلق فيستعمل الحق سبحانه ظاهره مع القاصدين بحسب ما سبق لهم في القسمة فمن قسم له منه رحمة أطلق عليه ذلك الظاهر وأنطقه بالعلوم وأظهر له ما لا يكيف من الخيرات ومن أراد به سوءاً ولم يقسم له على يده شيء أمسكه عنه وحجبه عن النطق بالمعارف .

وقال رضي الله عنه وما مثل الوليّ مع القاصدين إلا كحجر بني إسرائيل فإذا كان بين يدي أولياء الله تعالى انفجرت منه اثنتي عشرة عيناً وإذا كان بين أعدائه تعالى لا تخرج منه ولا قطرة واحدة .

وقال رضي الله عنه **إنّ الوليّ الكبير فيما يظهر للناس يعصي وهو ليس بعاص وإنما روحه حجبت ذاته فظهرت في صورتها فإذا أخذت في المعصية فليست بمعصية لأنها إذا أكلت حراماً مثلا فإنها بمجرد جعلها في**

فيها فإنها ترميه إلى حيث شاءت وسببُ هذا المعصية الظاهرة شقاوة الحاضرين والعياذ بالله . فإذا رأيت الوليّ الكبير ظهرت عليه كرامة فاشهد على الحاضرين لأن الله تعالى أراد بهم الخير أو معصية فاشهد بشقاوتهم وكما أن أرواحهم هي التي كراماتهم كذلك هي التي تتولّى معاصيهم الظاهرة والله تعالى أعلم .

وقال رضي الله عنه إنّ الوليّ قد يغلب عليه الشهود فيخاف على ذاته الترابية من التلاشي فيستعمل أموراً تردّه إلى حسه وإن كان فيها ما يعاب عليه من باب إذا التقى ضرران ارتكب أخفهما فإذا رآه شخصٌ ارْتَكَبَ ذلك الأمر ولا يعلم الوجه الذي ارتكبه لأجله . ربما بادر إلى الإنكار عليه فيحرم بركته وقد تقرّرَ في الشرع أي في الشريعة المطهّرة أنّ العضو إذا أصابته الأكلة وخيف على الذات منها فإنه يباح قطعه لتسلم الذات مع أن العضو معصوم ولكنه من باب إذا التقى ضرران ارتكب أخفهما وكذلك الشخص إذا خاف على نفسه الهلاك من شدّة الجوع فإنه يباح أكلة الميتة حتى يشبع ويتزوّد منها وغير ذلك من الفروع الداخلة تحت هذه القاعدة . وهذه الأمور التي تردّ ذات الوليّ إلى حسها هي المعتادة لها قبل الفتح وكل ذات وما اعتادت فافهم بالإشارة ففي التفصيل والتصريح وَحْشَةٌ والله تعالى أعلم . انتهى ملخصاً . وإلى معنى جميع ما تقدم أشار شيخنا رضي الله عنه وأرضاه عنا به كما في « جواهر المعاني » بقوله وأما ما يقطعه يعني المريد عن أستاذه فأمورٌ **منها** الأغراض . **ومنها** الاعتراض بالقلب واللسان . **ومنها** كزازة المريد من ظهور بشرية الشيخ بأمر لا يطابق المعرفة . **ومنها** سقوط حرمته من القلب .

فأما الأغراض سواء كانت دنيوية أو أخرَوية وذلك أنّ الشيخ لا يعرف ولا يصحب إلا لله عزّ وجلّ لا لشيء

والصحبة في أمرين

الأول أن يواليه لله تعالى بأن يقول هذا وليّ الله تعالى وأنا أواليه لله سبحانه وسرّ ذلك في قوله ﷺ مخبراً عن الله تعالى « من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب » وفي طيّه من والى لي وليّاً لأجل أنه وليّ اصطفيته واتخذته وليّاً وهذا هو السر الأكبر الجاذب للمريد إلى حضرة الله تعالى .

والأمرُ الثاني أن يعلم أن الشيخ من عبيد الحضرة ويعلم ما يجبُ للحضرة من الأدب وما يفسد المريد فيها من الأوطار والأرب فإذا علم هذا يصحبه ليدلّه على الله تعالى وعلى ما يقرّبه إليه والصحبة في هذين لا غير **وأما من صحب لغيرهما خسر الدنيا والآخرة .**

فإذا عرفت هذا فاعرف أنّ الرب سبحانه وتعالى يُعْبد لا لغرض بل لكونه إلهاً يستحقّ الألوهيّة والعبودية لذاته لما هو عليه من محامد الصفات العلية والأسماء البهيّة وهذه هي العبادة العليا وكذلك الشيخ يُصْحب لا لغرض بل لتجلبه موالاته إلى ولاية الله تعالى ويتعرّف منه الأدب المرضية وما يشين العبد في حضرة الله تعالى **وكل ما كان من متابعة الهوى ولو كان محموداً فهو شينٌ على العبد في حضرة الله تعالى** ولهذا أمرت الأشياخ بقمع المريدين وزجرهم عن متابعة الهوى في أقلّ قليل **لأنّ المريد في وقت متابعة الهوى كافر بالله تعالى صريحاً لا تلويحاً لكونه نصب نفسه إلهاً وعصى أمر الله تعالى وخالفه فهو يعبد**

غير الله تعالى على الحقيقة ليس من الله في شيء وإن قال لا إله إلا الله في هذا الحال قال له لسان الحال كذبت بل أنت مشرك . ومن هذ القبيل خرج قوله ﷺ « ما تحتَ قبة السماء إله يعبد من دون الله تعالى أعظمُ من هوًى متبع » فإذا عرف المريد هذا فلا يغضب على الشيخ ولا يتغيّر إذا لم يوافق هواهُ في غرضه .

فإنّ الشيخ أعرف بالمصالح وأدرى بوجوه المضار والتلميذ جاهلٌ بذلك فإذا طلب منه غرضاً من أيّ فنّ كان ولم يساعده الشيخ عليه فليعلم أن الشيخ منعه منه لأجل مصلحته ودفع مفسدَته فإذا عوّد نفسه التغير على الشيخ في مثل هذا طرد عن حضرة الله تعالى وانقطع عن الشيخ . فإذا غضب المريد على الشيخ بعد تغيره انقطع انقطاعاً كليّاً لا رجوع له أصلاً .

وأما الاعتراض بالقلب أوْ باللسان فإنه سيف صارم يقطعُ الحبْلَ بين الشيخ ومريده فلا يعترض شيئاً من أمور الشيخ . فإن لم يوافق ما عنده من ظاهر العلم أوباطنه فليعلم أنّ هناك دقائق بين الشيخ ورَبّه لا يدْريها التلميذ والشيخ يجري على منوال تلك الدقائق التي بينه وبين ربه فإذا خالف صُورَة ظاهر الشرع فليعلم أنه في باطن الأمر يجري على منوال الشرع من حيث لا يدريه الخلق .

وأما كزازة المريد من ظهور بشريّة الشيخ فإنها من جهله بالله تعالى وبمراتبه الخلقية وذلك أنّ الله سبحانه وتعالى تجلى في كل مرتبة من مراتب خلقه بأمر وحكم لم يتجلّ به في غيرها من المراتب وذلك التجلّي

تارةً يكون كمالاً في نسبة الحكمة الإلهيّة وتارة تكون صورتها نقص في نسبة الحكمة الإلهية فلا محيد لتلك المراتب من ظهور التجلّي فيها بصورة ذلك النقص لأن ذلك ناشئ عن المشيئة الربانية وكلّ تعلقات المشيئة يستحيل تحولها لغير ما تعلّقت به **فلا بدّ لكل عارف من ظهور النقص في ذاته ثم إن ذلك النقص تارة يلابسه بصورة كمال الدقائق التي بينه وبين رَبّه** وتارة يلابسه معتمداً أنه نقص وليس له في هذه الملابسة إلا معاينة الحكم الإلهي الذي مقتضاه القهر والغلبة بحيث لا محيد للعبد عنه . فإذا رأى المريد من شيخه بشرية تقتضي النقص إما شرعيّاً أو مما يخلّ بالمرُوءة فليلاحظ هذه المعاني التي ذكرناها وليعلم أنّ ذلك لا يخرج الشيخ عن حضرة ربّه ولا يزحزحه عن محلّ قربه ولا يحطّه عن كمال أدبه فإذا عرف هذا فلا يرفض شيخه لظهور البشرية وكلّ مريد يطلب مرتبة من الحق يتعلّق بها للقرب والوُصول يريد أن لا يظهر فيها نقص كان لسان حاله ينادي عليه **لا مطمع لك في دخول حضرة الله تعالى** لأنّ كل المراتب لا بدّ لها من نقص فليس يظهر الكمال صورة ومعنى وحساً بريئاً من النقص بكلّ وجه وبكل اعتبار إلا في ثلاث مراتب فقط لا ما عداها وهي **الرسالة** لمن دخل حضرتها **والنبوّة** لمن دخل حضرتها **والقطبانية** لمن دخل حضرتها فإن هذه الثلاث لا صورة للنقص فيها والباقي من المراتب يظهر فيها النقص في الغالب وقد لا يظهرُ .

فإنّ هذه المراتب الثلاث ولو ظهر للمرءِ فيها صورة النقص **فذلك هو غاية الكمال** وإنما ينتقصها المرء لجهله وإليه يشيرُ قوله ﷺ « ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أفعله فوالله إني لأعلمهم بالله وأخشاهم له » .

وأما سقوط حرمته فهو أكبر قاطع عن الله تعالى وسقوط الحرمة هو عدم ظهُور المبالاة إذا أمرَه أو نهاهُ .

ومن أكبر الشروط الجامعة بين الشيخ ومريده أن لا يشارك في محبته غيره ولا في تعظيمه ولا في الاستمداد منه ولا في الانقطاع إليه بقلبه ويتأملُ ذلك في شريعة نبيّه ﷺ فإنّ من سوّى رتبة نبيّه محمد ﷺ مع رتبة غيره من النبيين والمرسلين في المحبة والتعظيم والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب والتشريع فهو عنوان على أن يموت كافراً إلا أن تدركه عناية ربانية بسبق محبة إلهية .

فإذا عرفت هذا فليكن المريد مع شيخه كما هو مع نبيه ﷺ في المحبة والتعظيم والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب فلا يعادل غيره به في هذه الأمور ولا يشركه .

ومن أكبر القواطع عن الله تعالى أن ينسب ما عندَه من الفتح والأسرار لغير شيخه لأنّ تلك الأنوار الإلهية الواردة على العبد بالأسرار والأحوال والمعارف والعلوم والترقي في المقامات كلّ نورٍ منها يحنّ إلى مركزه وهي الحضرة الإلهية التي منها برز ومنها نشأ ولكل شيخ من أهل الله تعالى حضرة لا يشاركه فيها غيره فإذا ورد منها نور بأمر من الأمور التي ذكرناها ونسب إلى غير تلك الحضرة من الحضرات الإلهية اغتاظ ذلك النور وطار ورجع إلى محلّه . وصورة ذلك في نسبة الحكمة الإلهية أنّ الله قضى في كتابه بنسبة كل ولد إلى أبيه قال تعالى ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ فمن نسب نوراً إلى غير محلّه من الحضرة الإلهية فقد أساء الأدب

في حضرة الحق وكذب على الله تعالى والحضرة لا تحتمل الكذب فلذا يطرد ويسلب والعياذ بالله .انتهى والله تعالى الموفّق بمنّه للصواب وإليه سبحانه المرجع والمآب آمين . « رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم » ١٣٩ ج١ .

ولا تقْـدِمَنْ قـبل اعـتـقـادك أنـه ... مـربّ ولا أولى بـه(١) منه في العصر
فـإن رقـيـب الالـتـفـات لـغيـره ... يقـول لـمحبـوب السراية لا تسري
وإن تسـم نحـو الفقر نفسـك فاطرح ... هـواهـا وجـانـبـه مجانـبـة الـشرّ
وضعها(٢) بحجر الشـيخ طفلاً فما لها ... خـروج بلا فطم عن الحجر والحجر
ومـن لم يكن سـلب الإرادات وصفه ... فـلا يـطـمـعن في شمّ رائحة الفقر
ولا تـعـترض يـومـاً عليـه فـإنـه ... كـفيـل بتشتيت الـمـريد على هجر
ومن يعتـرض والعلم عنه بمعـزل ... يرى النقص في عين الكمال وما يدري
ومن لم يوافق شيخه فـي اعـتقاده ... يظل من الإنكـار فـي لـهب الـجمـر
فذو العقـل لا يرضى سـواه وإن نأى ... عـن الحق نأي الليل عن واضح الفجر
ولا تعرفن في حضرة الشـيخ غيـره ... ولاتـمـلأن عـيناً مـن النـظـر الـشـزر
ولا تنطقـن يـوماً لديـه فـإن دعا ... إلـيـه فـلا تـعـدل عـن الـكـلم النزر
ولا ترفعـوا أصواتـكم فـوق صوتـه ... ولا تـجـهـروا جـهر الذي هو في قفر
ولا تـقـعـدن قدامـه متـربعـاً ... ولا بـاديـاً رجـلاً فـبـادر إلـى الـسـتْر
ولا بـاسـطـاً سـجـادة بحضـوره ... فـلا قـصـد إلا السـعـي لـلـخادم البرّ
وسـجـادة الـصـوفيّ بيت سـكونه ... ولا وكـر إلا أن يـطـيـر عـن الـوكر

(١) وفي نسخة أولى بها .
(٢) وفي نسخة وضعفاً .

وفـرّ إليـه فــي الــمهمات كـلـهــا فـإنّك تـلـقى الـنـصـر فـي ذلك الفر
ولا تـك ممـن يحسـن الفعـل عنـده فيـفـسـد إلا أن يـفـر إلــى الــكـــرّ
ومـن حـلّ مـن صـدق الإنابـة منزلاً يـرى الـعيبَ فــي أفـعاله وهو مستبرّ
« جواهر المعاني » ١٤٤ من الجزء الأوّل .

قال في « الوصايا القدسية » وينبغي أن يكون يعني المريد الذاكر صادقاً يخلص بهمته نفسه من التعلقات بالكائنات والميل إلى المشتهيات والمستلذات التي هي المعبودات الباطلة ومن الميل إلى الكشوفات الكونية والكرامات العيانية فلا طائل تحتها ويطلب الحق وحده وينزه طلبه من المزج بهوى النفس فإن الميل إلى الكشوفات الكونية والكرامات من جملة هوى النفس وهواها ومن التفت إليها وكان مقصده ومطمح نظره في ذكره تلك فهو مدرج فيما بين الممكورين بل وإن وقعت بلا طلب يخاف عليه من الاستدراج . « رماح حزب الرحيم » ١٣٩ ج١ من هامش « جواهر المعاني » من خط أبي حسن أفندي .

فليكن المريد مع شيخه كما هو مع نبيّه ﷺ في التعظيم والمحبة والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب فلا يعادل غيره في هذه الأمور ولا يشارك غيره « جواهر المعاني » ١٣٣ ج١ من خطه رزقنا فيضه .

فهرس

وسائل المريد
في
رسائل الأستاذ الفريد

أَلَّفـــه

العلامة الجليل المرشد حسن
بن محمد حلمي القحي النقشبندي الشاذلي الداغستاني
المتوفى سنة ١٣٥٦ هـ

دار الرسالة

ترجمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مولده : ولد في قرية « قَحِبْ » من قضاء شمويل في جبال داغستان سنة ثمان أو تسع وستين ومائتين وألف (١٢٦٨-٩) للهجرة . (١٨٥٢)م .

أسرته :

١- والده ؛ العالم الجليل الفاضل الحاج محمد القحيّ الهدليّ ، كان رجلاً فاضلاً ، وعالماً تقيّاً عاملاً ، توفِّي حاجّاً إلى بيت الله الحرام ، ودفن هناك في جوار أُمِّنا حواء ، فبقي نزيل الحرم إلى أن يبعث آمناً يوم القيامة .

وترك ولده المُتَرْجَم له صبياً في المهد .

٢- أمّه ؛ وكانت أمّه زَهِيدَة امرأةً عاقلة ، سليمة السريرة ، وافرة العقل .

نشأته : نشأ نشأة طيّبة كريمة ، وأُحيط بأحسن رعاية وخير تربية حين أرضعته أمّه أنقى لِبان حتى بلغ السادسة من عمره ، حيث أرسلته لتعلُّم القرآن الكريم ، فأتمَّ قراءته ثم شرع في تحصيل العلوم الشرعية ، غير أن ضيق ذات اليد حَالَ دون إشباع نَهَمِهِ العلمي .

ولم يبلغ سنَّ الرشد وحدَّ التكليف حتى وجد نفسه بهلواناً[1] ولم يعلم هو نفسه كيف وصلت إليه هذه اللعبة ، ولا كيف تدرَّب عليها ! !

وكان قبل صعوده الحبل يقرأ سلسلة المشائخ النقشبندية .

تعلّمه وتلقّيه : لم يكن خافياً أنّ علمه وتعلّمه كان فتحاً من الله تعالى ، على الرغم من الأسباب التي بذلها لتحصيل العلم ، والاجتهاد في تتبّعه ، فقد

(١) هي لعبة الرقص على الحبل .

قسم ليله ونهاره بين تحصيل معاشه وتعمير معاده ، وكان يقصد الدرس باكراً مع انبثاق الصباح ليخرج عقبه إلى الرعي بالأجرة على سنن المرسلين ، ومتى عاد انكبَّ على دروسه ومطالعاته ؛ ساهراً ليله ، واصلاً غده بأمسه ، حتى غدا محجَّ العلماء ، ومرجع المتفقّهين ، بل الفقهاء ! . وصار عنده جواب كلِّ مشكل ، وحلُّ كلّ مستعصٍ ؛ فتحاً من الله وعلماً لدنيّاً وفيضاً رحمانيّاً .

تسليكه الروحيّ : رغب أولاً – وبمحض التوفيق الإلهي – الاندراج في سلك الشيخ الجليل ذي الجناحين عبد الرحمن العسلي حين جمعه به أحد تلامذة الشيخ ، فسلكه ولقنه أولا الرابطة والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ والذكر ، ثم منحه الإجازة بالتلقين للمريدين ، لكن المترجم له بقي متهيّباً متأدّباً يترقّى تحت أنظار شيخه إلى أن وصل إلى مراقبة السرّ ، فأذن له إذناً مطلقاً بجمع المريدين ، ولأجل اعتقاده بعدم أهليَّته أخفى إجازته هذه ست سنوات زاهداً في الدنيا ، معرضاً عن المظهر الحسن ، وجمع المريدين ، حتى جدَّد له ذو الجناحين الأمر بتسليك المريدين ، وأمره بمظهر حسن وملبس حسن ، واستخلفه لإرشاد الناس بقوله : **أنت خليفتي ، ويدك يدي ، وقبولك قبولي** . حتى هيَّأ الله لذي الجناحين الحجّ إلى بيت الله فأنابه مكانه وجعله مرشداً كاملاً .

واستمرَّ به الحال هكذا إلى أن انتقل ذو الجناحين إلى دار المقام ، فما كان من المترجَم له إلا أن انضمَّ إلى سلك المربِّي الكبير الشيخ شعيب الباكنيّ القصرخيّ ، فلقَّنه مراقبة (خفي) و(أخفى) وأجاز له بالطريقة النقشبندية العليّة ، وبعد وفاته دخل في تربية قطب الإرشاد سيف الله القادي فألبسه خلعة علي – رضي الله عنه – سنة ١٣٠٠ .

من كراماته : قصده بعض مريديه في طلب آية منه ، قال : أو لم تؤمن ؟ فأجابه المريد : بلى ولكن ليطمئنّ قلبي . قال : اذهب إلى بيتك تجد امرأة تُجهَّز ، فإذا وضعت في لحدها فاستأذن قريبها ، وارفع واحداً من تلك الاحجار تَرَ آية ، ففعل ، فلما رفع الحجر إذا بالشيخ المترجم جالس عندها ، فخرَّ مغشياً عليه .

ومن كراماته : أنَّ مريداً جاء بفروة يهديها له ، فردَّها ، وبعد إلحاح كبير لم يتراجع الشيخ عن ردِّه ، فتركها المريد وذهب ، فقال لولده بغضب : خذ هذه الفروة واتبع بها صاحبها ، أليس لي عمل إلا حراسة ماشيته ؟ ! فكانت الفروة بقصد حماية الماشية ، كاشف بها صاحبها .

سَمته : كان – رحمه الله – دائري الوجه ، جميل المبسم ، أبيض اللون مشوباً بسواد ، طويل اللحية ، كثيف الشعر ، قويم البدن ، نحيف الجسم ، أنيقاً محبوباً .

خلَّف ولدين أكبرهما : محمد حاجيو ، والثاني القطب الكبير محمد عارف ، وقد قيل في الثاني : إن هذا الولد فاق أباه ، وبلغ رتبة القطبانية .

وفاته : توفِّي رحمه الله سنة خمس أو ست وخمسين وثلاث مائة وألف (١٣٥٥-٦) للهجرة . (١٩٣٧)م . وقد ترك مصنفات تخصّصيّة وهي :

١ تنبيه السالكين إلى غرور المتشيّخين عرباً وعجماً منظوماً

٢ تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف

٣ خلاصة الأدب لمن أراد فتح الأبواب عجماً منظوماً

٤ البروج المشيّدة بالنصوص المؤيّدة

٥ السفر الأسنى في الرابطة الحسنى

٦ سراج السعادات في سير السادات

٧ الدرّة البيضاء في ردّ البدع والأهواء

٨ جهد المقلّ في ردّ شطحات المنكر المضلّ

٩ فيض الرحمن في ذكر كلام عبد الرحمن

١٠ وسائل المريد في رسائل الأستاذ الفريد

١١ الجوهرة النفيسة في إعانة الطريقة النقشبندية

رحمه الله رحمة واسعةً ، وأسكنه فسيح جنته . والحمد لله رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

الحمد لله[٢] الذي علَّم بالقلم ، علَّم الإنسان ما لم يَعْلم ، وألهم بفضله عبادَهُ المتقين انتقاءَهم سلوكَ سُبل اليقين ، فأشرقت في فؤادهم شموسُ العرفان ، وأيقنوا أنَّ كلَّ من عليها فانٍ ، لذا سارعوا إلى الخلاص ، وهرعوا[٣] لانتهاج

(١) وإنما جمَع بينهما أي : الرحمن الرحيم- إشارةً إلى أنه تعالى كما ينبغي أن يطلب منه النعم العظيمة كذلك ينبغي أن يطلب منه النعم الدقيقة ، فقد أوحى الله إلى موسى : يا موسى لا تخش مني بُخلاً أن تسألني حقيراً ، اطلب مني الدقة والعلف لشاتك ، أما علمت أني خلقت الخردلة فما فوقها ، وأني لم أخلق شيئاً إلاَّ وقد علمت أن الخلق يحتاجون إليه ، فمن سألني مسألة وهو يعلم أني قادر- أُعطِي وأمنع- أعطيته مسألةً مع المغفرة . (من نسخة أخرى ؛ كل موضع كتبنا فيه : نسخة أخرى ، أو وفي نسخة هي نسخة محمد أفندي العكّلچي قدس سره) .

والحاصل رحمته سبحانه وتعالى عامة على جميع مخلوقاته ، فينبغي لكل شخص مريد رحمةَ الله أن يرحم أخاه . قال كعب الأحبار : مكتوب في الإنجيل ، يا ابن آدم كما تَرْحم كذلك تُرْحم ، فكيف ترجو أن يرحمك الله وأنت لا ترحم عباد الله ؟ !

وممَّا ينسب لإبن حجر رحمه الله تعالى :

ارحم – هُديتَ – جميعَ الخلق إنك ما   رحمتَ يرحمك الرحمن فاغتنما

(وله أيضاً) :

ارحم عباد الله يرحمك الذي   عمَّ الخلائقَ جودُه ونواله
فالراحمون لهم نصيب وافر   من رحمة الرحمن جلَّ جلاله

« إعانة » عبارته ١١ ج١ راجعه ، وراجع ص ٣٤٠ ج ٤ .

(٢) يسنُّ افتتاح الدعاء بالحمد لله والصلاة على النبي ﷺ ، والختم بهما وبآمين . . إلخ « فتح المعين » عبارته . وينبغي أن يتحرَّى مجامعِ الحمد وأفضلها : الحمد لله رب العالمين حَمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه على كل حال ، حمداً يوافي نِعمَه ويكافئ مزيده ، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وَجْهك وعظيم سلطانك ، سبحانَك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك . ومجامع الصلاة على النبي ﷺ وأفضلها صلاة التشهد لكن لا سلام فيها ، فيزيد آخرها وسلِّم تسليماً كثيراً طيِّباً مباركاً فيه . « إعانة الطالبين » عبارته ١٧٩ ج ١ وراجعه منه ، ومن ص ٥ ، ومن ص ٣٤١ ج ٤ . ويسن الختم أيضاً بربَّنا تقبَّل منَّا إنَّك أنت السميع العليم ، وتبْ علينا إنك أنت التواب الرحيم ، سبحان ربك ربِّ العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربِّ العالمين . « إعانة » عبارته . (من نسخة أخرى) .

(٣) عدِعَنَ .

مناهج الإخلاص ، فتشبَّثوا بذيل أهل الصدق رجاءَ وصولهم إلى حصول التعلُّق بالحقِّ ، فسبحان من خلق الخلق وأحصاهم عدداً ، وأمدَّ خواصَّ عباده بأمداد فيوض معرفته مدداً .

أشهد أن لا إله إلا الله الهادي للعباد ، وأهّل بعض عباده للإرشاد ، وأقام لإقامة الدين بين الأنام نُوَّاباً لرسله الكرام ، واختار طائفةً من أهل الرعاية والعناية لإنجاد العباد وإخراجهم عن الغواية والعماية ، ذلك من فضل الله علينا أيُّها المؤمنون المُبصرون ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك ولا يشكرون .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المختار من خيار الخيار ، الذي دعى الناس إلى التوحيد ، وبدأ بدعوته وهو وحيد ، دعاهم إلى الله تعالى على بصيرة ، وهم في أيدي رؤساء أبالسة[١] الوثنية أسيرة ، فدمغ جيش الباطل بالحق ، وصيّر أمر الشرك والكفر إلى المحْق ، ورفع راية الإسلام التي يراها كلُّ قاص ودان في أشرف البقاع والبُلدان ، فانتشر منها في طول البسيط والعرض انتشارَ أشعَّة الشمس على وجه الأرض ، فعمَّ دينُه جميعَ المعمور[٢] ، وتمّ به لأهل الإيمان أعظمُ السرور ، كيف لا ؟ ! وقد أقام الله سبحانه علماء أمة هذا النبي الجليل مقام أنبياء بني إسرائيل ! ! وجعل سلسلتهم مسلسلة إلى يوم القيامة ، من تمسَّك بطرفها نجى من الهلاك والطامَّة[٣] ، إذ هم أهل التقوى والاستقامة ، الذَيْن هما كرامتان ما فوقهما من كرامة ، مِنْ أجْل ذلك نَصَبهم هداةً للناس ، وأنقذهم بهم من شر الوسواس الخناس ، فسبحان من سهّل الأسباب والوسائل ، ويسَّر السبيل لنيل أنواع الفضائل ،

اللهم فصلِّ وسلِّم وتكرَّم بأنواع الصلاة والتسليم والتكريم على هذا الرسول المصطفى والنبي الكريم ، وعلى آله وأصحابه والتابعين الذين عَبَدوا خالقهم بإخلاص خاشعين خاضعين .

(١) جمع إبليس .
(٢) فالدِّينُ دَيْنٌ على الإنسان . (من نسخة أخرى) .
(٣) كُدِيَبْ قَوْرِلِ

أما بعد : فلما منَّ الله سبحانه وتعالى على هذا الفقير بسلوك سبيل هذه الطائفة العليَّة[١] ، ورأى أنهم هم البانون على أُسُسٍ قويَّة وقواعدَ أصلية تردّد إلى أبوابهم آناً بعد آن ، ووقف على منابع زلالٍ عرفانهم وقوفَ الظمآن ، فتعارَفَ معهم وتآلفهم ، فالحمد لله الذي ألَّف بيني وبينهم ، إذ هم قومٌ لا يشقى جليسهم ، ولا يُسأم كلامهم وحديثهم ، ففي يوم من الأيام عَرَضَ عليّ قطب هذا الفريق شيخنا في الطريق ؛ الأستاذ الأكبر **حميد أفندي** – حفظه الله تعالى في دائرة الأيادي– إرادَتَهُ السنيَّة التي كانت في صدره الشريف منذ زمان مطوية ، وتلك ترتيبُ مجلّد لطيف ومجموع شريف ، من مكتوبات الأستاذ القطب القحي الحقي قدس سره التي كتبها إلى مريديه الأخيار في الآفاق والأقطار ، وقد كان بعض أهل العلم من مريدي القطب المذكور – رحمة الله عليه – قد جمعها في مجلَّدين ، وكتبها كما وجدها بخطه قدس سره وبخطّ مَنْ نَقَلَ من خطه ، وكنت ظفرت أيضاً في القرى والبلدان عند أهل الإرادة والإيمان عدداً منها غيرما جمعه ذلك العالم الفاضل ، فضممت ما ظفرتُ إلى تلك الرسائل ، بيد أنها كانت تحتاج إلى التلخيص والاختصار ، وحذف الزوائد التي لا تعلُّق بها لمن يستفيد بها من أهل الاستبصار ، وإلى تقديم بعض المكتوبات على بعضٍ ؛ ليجمع مع نظيره في بابه ، وقد كان فيها أيضاً عددٌ كثير قد كتب على ساق العجلة ، فوقع فيه الغلط فكان يحتاج إلى تبديل لفظ بلفظ ، وكلام بكلام[٣] ، من غير إخلال بالمعنى والمرام ، حسبما أعطانا الله تعالى من الفهم

---

(١) الطريقة النقشبندية .

مهم

❁ وكان مظفر القرميسيني ﷺ يقول : أخس الفقراء قيمة من يقبل رفق النسوان ، على أيِّ حال كان ، قلت : لأن الله تعالى يقول ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ ومن رضي لنفسه بقيام المرأة عليه لا يفلح أبداً ، مع أن قبول الرفق يُميل قلب الفقير إلى المرأة زيادة على ميل الوازع الطبيعي فيتلف الفقير بالكليَّة ، والله أعلم . « طبقات الشعراني » عبارته ١١٩ ج ١ . (من نسخة أخرى) .

(٣) وفي نسخة : بمجملات الجملة فرأى الفقير أن يبيّن لفظًا بلفظ وكلامًا بكلام

والإدراك في مقاصد مقالات هؤلاء الأئمة الكرام والأساتذة العظام ، فشرعت في هذا الأمر العظيم معتمداً على الله الكريم ، سائلاً من جناب كرمه النصر والتوفيق ، فإن توفيقه لعبده لَخَيْرُ رفيق ، ومستمدّاً من حضرات سادات السلسلة الشاذلية ، وسادات السلسلة النقشبندية العليَّة قدس الله تعالى أسرارهم ، وأسفر في قلوبنا أنوارهم ، فإنهم ميازيب الإمداد لبلوغ المريد إلى المراد ، فجاء من الله تعالى النصر والتوفيق ، ويسَّر عليَّ أسباب السلوك في هذا الطريق ، مع أني كنتُ متراكمَ الأشغال قبل هذا الحال ، وقد زلّ حمار الحقير في الأوحال ، فالحمد لله ربِّ العالمين على هذا النصر المبين ، وذلك ببركة إشارة الأستاذ المذكور ، وملاحظة السادات المذكورين بلا نكور ،

فلمَّا أتممت ترتيبه وتهذيبه جذبني إلى جنابه العالي الجذبة الإلهيَّة ، ووضعته كالطفل في حجره ، فأمسكه بيده الكريمة واستبشر استبشاراً كبيراً ، وحمد الله تعالى حمداً كثيراً ، وقال لي : يجب عليك يا ولدي[١] أن تحمد الله تعالى دائماً حمداً كثيراً ؛حيث أهَّلك لهذه الخدمة السنيَّة لهذه الطائفة العليّة ، وقد حاول جَمْعَها هكذا غير واحدٍ من أهل العلم ، غير أن الله سبحانه وتعالى قدَّره على يدك ، فإن شاء الله تعالى ينفعك[٢] وينفع به إخوانك من أهل الإرادة ، كما انتفعوا بـ « مكتوبات » الإمام الرباني المجدّد للألف الثاني قدس سره ، ولو أن الأستاذ **حسن أفندي** قدس سره رآه لَسَرَّ به جدّاً ، وسيوفِّقك الله تعالى لأمثاله ، ويمدّك السادات من عندهم في الحَذْو على مثاله . انتهى ما قال ، أو كما قال[٣] .

ولمَّا أنشدت على عالي الجناب بعضَ أبيات منظومات تأتي آخر الكتاب ؛ كان يلوح على وجهه علامةُ الفرح والسرور ، ويلفِظُ مِنْ فيه مستبشراً بكلماتٍ هي كالدرِّ المنثور ، والحمد لله على هذه النعمة التي ما كنت قط لها أهلاً ، ولولا أن منَّ الله علينا بكرمه وفضله ما كان ذلك عليَّ سهلاً .

---

(١) وفي نسخة : يا محمّدُ .
(٢) وفي نسخة : وينتفع به .
(٣) وفي نسخة زيادة : بلَّغه الله جميع الآمال .

نسأل الله تعالى بوجهه الكريم أن لا يحْرِمَنا عن النعيم المقيم ، ونتوسَّلُ إليه بهؤلاء السادات القادات أن يبلِّغنا في الدارين إلى المقاصد والمرادات ، وأن لا يجعل حظِّي من هذا العلم وَصْفِي به للسائرين ، وأنا في العمل به من المقصّرين والقاصرين ، وأن يجعل هذا الجمع النفيس سُلَّماً للسالكين ؛ لترقِّيهم إلى مقام الثبَات والتمكين ، وسمَّيته :

« وسائل المريد في رسائل الأستاذ الفريد »

جعله الله تعالى في الميزان عملاً موجباً للرضوان . آمين .

ورتَّبته على عشرة أبواب بعَدَد المبشَّرين بالجنة دار الثواب ، وفيها- إن شاء الله- إشارة إلى حصول هذه البشارة ، وعسى أن يكون مفتاح الباب للدخول إلى حضرة ربِّ الأرباب ، والحمد لله عدد ما في علم الله .

ونرجو من حضرات إخواننا المطالعين ، وجميع المنتفعين به والسّامعين أن يجودوا بقراءة ما تيسَّر ويدعوا بخير الدعاء لهذا الجامع الفقير الذي هو للمساوئ وِعاء ، فإنه للأعداء الأربعة(٢) أسير ، وهذا الأسير أمره عسيرٌ غير يسير ، وها نحن الآن ندخل من أوَّل الأبواب سائلين من الله تعالى تيسير الأسباب ، فإنه سبحانه هو الموفِّق والمعين ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ ، وإنك لأَنْتَ المقصود ، ورضاك هو المطلوب ، يا من هو قادرٌ على كلِّ شيء ، وغالبٌ غيرُ مغلوب .

---

* اختلف في الصلة ؛ فالجمهور على أنّه لا محلَّ للصلة من الإعراب ، لانَّ الجملَ إنما تقدر لها الإعراب إذا صحَّ وقوع المفرد مقامها ، وعند بعضهم : هيَ معربة بإعراب الموصول اعتقاداً منه أنها صفة الموصول ، وليس بشيئ ؛ لأن الموصولات معارف باتفاق منهم ؛ والجمل لا تقع صفة للمعارف . (حلبي) . (من نسخة أخرى) .

(٢) أشار به إلى البيت القائل :

إبليس والدنيا ونفسي والهوى كيف الخلاص وكلها أعدائي ! !

الباب الأوَّل

في وجوب اتخاذ الشيخ على من لم يُرْزَق له قلبٌ سليم ، وجوازِ دخول الطريقة للمشتغلين بالأسباب والأعمال كالحرف والصنائع ، والردِّ على من أنكر ذلك ، وذكر خصائص الطريقة النقشبندية العلية وفوائدها وفضائلها ، وبيان المراد من الشريعة والطريقة والحقيقة

مكتوب نجم الدين الأواري

كتب قدس سره إلى العالم الشهير نجم الدين بن محمد الأواري الداغستاني رحمه الله :

باسم الله خير الأسماء ، ولله الحمد والثناء ، والصلاة والسلام على سيِّد الأنبياء ، وعلى آله وأصحابه البررة الأتقياء .

إلى حضرة وليّ الصداقة وصديق الشريعة ، وأمين الطريقة ، وسليل الحقيقة ؛ أخينا في الله لله بالله : نجم الدين وشمس الهدى ، ومرغم أنوف العِدَى ، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

وبعد : فإني أسأل الله سبحانه وتعالى لنا ولكم الاستقامة التامة التي هي رأسُ الكرامة ، والصحةَ والسلامة والعفو والعافية ، وأدامكم الله تعالى على ما شئتم إلى يوم القيامة ، ووفَّقكم للسباحة في بحر علوم الشريعة والحقيقة . آمين ، وإن سألتم عن أخيكم الأقلِّ من كلِّ قليل ! ! فهو منغمس في نِعَم الباري ، بحيث لا يطيق أن يكافىء نعمه ويشكر أَيَادِيَه ومِنَنَه ، بل هو خائف من أن يحوّل الله تلك النعم نِقماً ، فكم من نعمة أنعم بها علينا قلَّ له عندها شكرنا ! ! جعلنا الله تعالى وإياكم من الذين يصرفون أعضاءهم إلى ما خلقت له . آمين .

* فائدة : وقد قال الشاذلي قدّس سرّه : اعتقاد طريقتنا هذه ولاية . (من نسخة أخرى) .

فاعلم أيها الأخ العزيز والذهب الإبريز ؛ أنه قد وصل إليَّ من طرفكم العالي وجنابكم الغالي كتابٌ به اطمأنَّ القلب واستراح ، وذهب عنه الظلمة وظهر الضياء ولاح ، فرضي الله عنكم ، وجعل جنة المشاهدة متقَلَّبَكم ومثواكم . آمين ، وشكرتُ هذا الصنيعَ الصادر من قدركم الرفيع ومقامكم المنيع مع هذا العبد الوَضيع[1] الذي إن حَضَرَ لا يلتفت إليه بالفَحص والسؤال ، وإذا غاب لا يخطر من قلّة خطره بالبال ، وتشرَّفتُ برؤية خطِّكم الميمون ، واستحسنتُ جميع ما أسرَّه في أثناء المكتوب من السرّ المصون ، جزاكم الله عنا خيراً ، ولا لقيتم بعد الآن ضَيْراً . . .

ثم إنك أيها المخدوم المكرَّم كتبتَ في رسالتك : لا تظنَّ أن الأبيات المنسوبة إليك ثابتة في الخارج لما أنها مغلوطة تُخِلُّ بالعروض ، فاعلم أن سبب وقوع الشكِّ في ظَنِّ هذا الفقير في صدق نسبتها إليك هو وجدان تلك الأبيات كذلك ، لأني على يقين بيِّن أنك لا تتكلَّم بما يخلُّ أوزان العروض ، وأيضاً أن ظاهر الأبيات يُفهم أنَّ ذكر القلب ليس من الشرع ، وذلك القول لا يَنْسِبُ إليك من له عقلٌ ، **فإنَّ الذكر القلبيّ الذي هو عمدة العمدة في هذه الطريقة النقشبندية من المأمورات الشرعية** ، كما نطق بذلك الإمام الرباني في « مكتوباته » ، والذي وجدته مكتوباً بيدك الشريفة على صدر الكتاب الذي أرسله إليك شيخنا المرحوم العسوي قدس سره هو هذا : إني نظرتُ الكتاب فوجدت فيه حقّاً وباطلاً ، فإن أراد المؤلِّفُ نشره ! فعليه بتصحيحه . انتهى .

فبعد أن حقَّقت النظر إليه وجدته كذلك من مواضع ، وكان الكتاب المذكور قد نسخه رجالٌ متعدِّدون[2] ، ولم يكن في أثناء ما كتب بيدي إلاّ جزءٌ واحدٌ ، فأعرضتُ بالكلية عن حشره[3] ونشره ، وضربتُ بالقلم على جميع سطراته ،

---

(١) وفي الحديث « لو كان الوضيع في قعر بئر بعث الله إليه ريحاً ترفعه » « مجمع البحرين » عبارته ٣٧٢
والتواضع : التذلّل . وفي الحديث « ما تواضع أحد لله إلاّ رفعه الله » فيحتمل رفعه في الدنيا أو في الآخرة أو في كليهما . (منه) عبارته . (من نسخة أخرى) .
(٢) وفي نسخة : معدودون .
(٣) وفي نسخة : إثباته

ثم إنّي لمّا نظرتُ إلى ما يفعله أهلُ الدعوى ، وعلمتُ علم اليقين أن أهل هذه الطريقة [بحاجة][1] إلى تأليف كتاب يُرفع به الشبهة ، ويزال البدعة ، وإن كان جمعُه سبباً لحصول العناد وسوء الظنِّ بين العباد ؛ لِمَا أنّا نرى أنّ هذه النسبة الشريفة صارت بسبب ما يخترعه أهل الدعوى في هذا الآن كعَنْقَاءِ مُغْرِبٍ[2] وآلَ أمرها إلى الاستتار تحت الحجب الكثيفة ، فاحتيج بالضرورة إلى إظهار حقيقتها ، وذكر مبناها ومنتهاها ، وتوضيح أصولها وأوضاعها ، ولذا سلكتُ في جمع كتاب يحوز مسائل الطريقة ومنازلها ، منقولةً من كتب أربابها وأصحابها لمجرّد ابتغاء رضاء خالق البريّة وبارئها ، ولم يكن من تأليفها غرضٌ مّا نفسانيٌّ فيما أعلم سوى الدفع والذبّ عن استعمال البدعة المخترعة في هذه الطريقة الصدِّيقيّة ، التي قال المحقِّق ابن حجر في حقِّها : إنها الطريقة السالمة من كدورات جَهَلة الصوفية ، وإمداد المتمسِّكين بعروة آداب الشريعة وعزائم الحقيقة . وأرجو الله تعالى أن يغفر لي بفضله لو كان فيَّ حظٌّ مّا في جمعه وتأليفه فيما لا أعلم ، فإنَّ الإنسان لا يخلو عن حظِّ النفس إلا مَن اصطفاه الله عزَّ وجلَّ إلى حضرة شهود ذاته تعالت وتقدَّست . رزقنا الله المشاهدة التي تتبعها مكالمة ومحادثة ، وأخرجنا بجوده وكرمه عن دائرة العجب والأنانيَّة . آمين .

ومن الأسباب الباعثة لجمعه أيضاً : أن أرى أبعاضاً من الناس يزعمون بأن في أيديهم الإجازة التامة ، وأنهم نقشبنديّون أو قادريّون ، وقد اجتمعت بواحد[3] منهم يدّعي القطبية الكبرى ، ويقول : بأنه ليس على وجه الأرض أحقُّ منه أن يُتَّبَعَ ، وأقدم منه في المشيخة والخِلافة ، فحين امتحنتُهُ وجدتُه لم يضع قدماً في أوّل مقام من مقامات الطريق ، وأقرَّ بلسانه في مجمع العلماء بأن ليس له شيخ ظاهريّ ، ولم يأخذ عن شيخ ، وإنما شيخُه هو النبي ﷺ لأنه رآه في المنام ، ولذا صار شيخاً .

(١) يوجد سقط في الأصل وبياض بقدر سطر .
(٢) اسم حيوان موهوم لا وجود له . يضرب المثل به لما لا وجود خارجي لحقيقته .
(٣) **قوله** : وقد اجتمعت بواحد . .إلخ . ولعلَّه هو الشيخ الحاج نور محمد الأكندي الذي ألَّف الأستاذ في ردِّه رسالته المسماة « بجهد المقلّ في ردِّ شطحات المنكر المضل » ، « جامع الرسائل » عفى الله عنه ، وراجع « البروج المشيدة » من البرج ١٦ . (من نسخة أخرى) .

وأيضاً أنكر هذا البعض المذكور ذكر القلب ، وقال : إن مريدي الشيخ العسوي قدس سره يقولون : إن القلب يذكر الله تعالى ! ! فهل له فم ولسان لذكره تعالى ؟ ! فكفاك أيها الخليل الروحيّ خرافةُ قوله ، وخساسة حاله ، **فأفٍّ لشيخ لا يعرف حياة القلب ، ولم يذق شيئاً من أحوال القلب** ، حتى يجهل ذكره ، فذكره شيء عجيب ، وإدراك حقيقته لمن لم يذقه أمرٌ غريب ، وذلك مقامٌ أسنى يذوقُه أهل التقوى ؛ وإن كان ذلك البعض عنه أعمى ،

فلما وجدنا أكثرهم هكذا خالين عن نتائج تلك الطريقة ممتثلين ومتمسكين بما اخترعه من سبقهم من المنتحلين ؛ استخرت الله تعالى في ذلك ، وبعد حصول الانشراح وذهاب القبض قصدتُ جمع النقول في ردِّ كلِّ باطل يقوله [(١)] مع إثبات الدلائل لبطلانه ، فصار المجموع منها جزءاً لطيفاً ، فأرَيْتُهُ شيخنا العسويَّ رحمه الله فاستحسنه ، ونسخ منه الشيخ الحافظ العالم العارف شعيب الباكني نسخة وصوَّبه ، ثم بعد انتقال شيخنا المذكور صرتُ أتفكَّر فيما عليه أحوال الورى من إكبابهم على الردى [(٢)] على كلِّ من يتمسّك بالحقِّ بترك الهوى ، ويتّبع الهدى ، ويجتنب عن الردى ، فظهر أنه لا يتمُّ أمر تمييز الحق عن الباطل إلاّ بجمع تسعة وعشرين باباً ببيان ما عليه أهل الزعم والدعوى وما يستعمله أهل الهوى [(٣)] ، وقد زدت عليها تذنيباً في بيان الآداب الواجبة على كل سالك في سلوكه ، فصار جسم الكتاب كجسم « الجامي » ، بل أضخم منه ، فسمَّيته بـ« تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » ، وأظنُّ أن هذا الكتاب لم يصل إلى يدك ! ! وأرسلتُه إلى أهل الذوق والوجدان ، ونظر إليه أرباب الصدق والصواب ، فكتبوا عليه التقريظ والتصويب ، وأثنوا عليه ؛ لما أنهم لم يجدوا فيه سوى ما نقل عن كتب أهل الشرع الشريف ، وقد كان في خاطري استحسان إرساله لدى جنابكم الرفيع ، بيد أني خفت من سطواتكم ، لكونه صادراً من طرف هذا المفلس الوضيع ، مع أني معترف بعدم لياقته لأن ينظر فيه نور عينك الشريفة .

---

(١) وفي نسخة : يقولونه .
(٢) وفي نسخة : الدعوى .
(٣) وفي نسخة : الهدى .

وقد كتبتَ أيها الأخ المحترم : إن مقام التصنيف مقامٌ صعبُ المرتقى لمن لم يُحط بعلوم الكتاب والسنة . . . إلخ ! ! فقد نطقت بالصواب يا أخي ؛ فجزاك الله عني خيراً فما أصوبَ كلامَك[1] ، فحاشا ثمَّ حاشا أن أعُدَّ نفسي من جملة المؤلِّفين ، بيد أني جمعت قول كلِّ قائل أخذاً من الكتب المعتبرة عند أهل التصوُّف وأهل الحقيقة ، وليس لي في ذلك دخلٌ ما سوى تحريك القلم ، وتحرير الكلمة والكلام ، مع بيان المآخذ ، ومواضع المنقولات .

وكتبتَ أيضاً : إني كنتُ قلتُ في نفسي حين رأيت كتابك : وقد أبطل حقّاً وحقَّق باطلاً في بعض مواضعه ، ورأيت مداره على تخطئة من سواكم ؛ ليت أخي ترك هذا البحث الذي لا يأتي منه إلا إيقاع النزاع .

أيها المحبوب المقبول ! أنا وأنت أخوان في الدين ، ولم يرزق لنا الملاقاة بالأشباح إلى الآن ، فلعلَّ الملاقاة بالأرواح متلازمة ومتوافرة ! ! والإلتفات بيننا بمعونة المشائخ العظام متطافرة ومتكاثرة ، فلو أنَّك أظهرتَ ما هو الحق ، وميَّزت الباطل ، وطرحته من أثنائه ، وضربت القلم على حروفه وألفاظه لكان ذلك أحبَّ إليّ من ملءِ الأرض ذهباً وفضة ، وصرتَ عند الله مأجوراً ، وعند الناس مشكوراً ! ! لكنك لم تفعل ذلك ، ولعلك لم تتفرَّغ لأظهار ما هنالك ، فوالله ؛ لو أنك فعلت ذلك ؛ ولو ثقل عليك ، وأظهرتَ ما هو الصدقُ والصواب ، ونقَّيتَ الكتاب عن كلِّ باطل ؛ لكان لأخيكم الداعي لكم بالخير تنبيهٌ عظيم ، وإيقاظٌ من نوم الغفلة ، لكن كان أمر الله قدراً مقدوراً ، وله الأمر من قبلُ ومن بعدُ ! !

أيها الأعزُّ ! إن أفضل الطرق وأسهلها وأقربَها وأسلمها هو الطريقة النقشبنديَّة ، وذلك لخواصّ اشتهرت لأربابها ، وأمور لا يدركها إلا أهل أذواقها ، ولذلك طَفِقَتْ[2] غريبةً تتلاعب بها أيدي الجهلاء فقلَّبُوها عن مُسَمَّاها ، وكَثُر

---

(١) واقتد بهذ السيد أحمد الرفاعي قدّس سرّه ، وقبِّل نعل من يكرهك ويحط عليك إن أردت أن تكون من الصالحين .« منن » ٩٢ ج٢ . (من نسخة أخرى) .

(٢) بَيْ بِكَّنَ – (عجمْ) . (من نسخة أخرى) .

فيها دعوى مُدَّعيها مع معرفة اسمها ومُسَمَّاها وجهل اصطلاحاتها ورسومها ، فلم يبق ظاهراً من أهل هذه الطريقة إلا النادر فالنادر ، وبذلك سَمَّوْا عالمَها بالكذاب الغادر ، فتخطِئَةُ مَنْ غَيَّر أصول هذه النسبة بالكلية ، واخترع فيها أموراً من البدع المانعة من حصول نتائجها وأحوالها ومقاماتها مع بيان سبيلها القويم الواضح وسندها الراجح الناجح يراها أخوك المفلس الحقير غيرةً في الدين ، ويَعدُّ المداهنة ضعفاً في الدين ، فتفكَّرْ في ذلك أيها الكريم ! !

وقد رأيتُ من أذن له شيخه في ظنّه للتلقين والإرشاد ، ولم يحصل لقلبه حياةٌ ، فلما اجتمع بشيخنا المرحوم قدس سره نبَّهه على حاله ، وترك منصبه ودخل في سلسلته ، وبعد ذلك صار يتعجَّبُ من حاله السابقة ، ويَحْمَدُ الله على ما حصل له من الحال اللاحقة .

وأيضاً إن واحداً من العلماء أخبرني بأنه ذكر الله تعالى عشرين ألف مرة في عشر سنين سالكاً على يد بعض المشائخ ، ومع ذلك لم يحصل له حياةُ القلب وذكرُه ؛ إلاّ بعد دخوله في عهد ذلك الشيخ المذكور ، وكان يقول بعد ذلك : أنه لا يفهم من جميع الأصوات حتى من صوت الكلب النابح إلاَّ الذكر بلفظة الجلالة الملقَّنة له .

وقد رأيت كثيرين من الذين دخلوا في دائرة شيخنا وعهد الشيخ شعيب أفندي الباكني – قدس سرهما – يقولون مثل ما قال هذا الرجل المذكور ! !

فانظر الآن بالنظر الصائب ؛ هل يجوز ترجيحُ تقديم المصالح التي تترتَّب على إظهار الحق على المفسدة الظنِّية من وقوع العداوة بين . . .إلخ التي تترتَّب على السكوت والمداهنة ، أم لا ؟ فأنت أعلم وعلمك أربى من علم كلِّ عالم ، فلله الحمد والمنة ، ونحن بكم ولكم ، وأرجو منكم أن لا تقطعوا عنا النصائح ، وأن لا تطرحونا بعد الآن في وادي الحرمان ، واسألوا الله تعالى لمحبّك الكاتب التوفيق لترك المألوفات ، وهجر المأنوسات .

وكتبت أيضاً : وأما ما قلته ، من أنك لم تكتب في تصنيفك شيئاً إلا منقولاً من كتب السادات . انتهى فليس ممَّا يذكر فيما بين أهل العلم إلا إذا

ثبت أن السادات معصومون عن الخطأ ، وهيهات ذلك ! ! فما أحسن ما قلتَ ! ! وما ألذَّ كلامَك ! ففي السادات مخطىء وفيهم المصيب ، وعادة أمثالنا الضعفاء نقلُ الكلمة والكلام من أيّ كتاب قبل التدبُّر فيما صوَّبه الكرام ، ولأجل حُسنِ الظنِّ فيك كنت أريد إرسال الكتاب المذكور لديك ؛ رجاء أن تميّز منه الصواب من الخطأ ، لكن قلتَ في مكتوبك ، وكتبت في مزبورك : فإن كنتَ ممن يريد الحق ؛ فلا ترسل إليَّ كتابك ، بل إن تيسَّر لك الاجتماع بي فافعل ، فإنه أنجح في المطلوب . . . إلخ .

فاعلم أيها المأمون في السرِّ المصون : أني على خطر عظيم في الخروج إلى الخارج ، وإن كان ملاقاة أمثالكم أحبَّ إليَّ من الماء البارد ؛ نظراً إلى حال الدهر ، وجور أهله ، وخوفاً من سعاية الساعين بالنميمة ، وإفشاء السرِّ ، وقد كنت كتبت إليكم بأني على قصد إرساله لديكم لظنِّي أن نظرك إليه قبل الملاقاة يكون سبباً لتسهيل تفهيم الحقيقة لأخيك العابث ، بيد أنّ امتثال أمرك واجبٌ ، وأرى في تقليدكم ثمرات ، وفي الخلاف خطرات ، فمهما ظهر لي ضوء سعادة ولاح ، وارتفع عقيم [١] الظلمة وقرب الصباح ؛ أصِل إليكم إن شاء الله ربنا الفتاح ، ولكل كتابٍ أجلٌ لا يغير ، هدانا الله إلى ما فيه الصلاح والفلاح . آمين .

كتبت : وإياك أن تغترَّ بما يحصل لك من الأحوال . . الخ .

حفظنا الله تعالى وإياكم من أن يجعلنا من المغترّين بالأحوال والأذواق ، والمُبْتلين بطلب المقامات والكرامات ، ورزقنا وإياكم التوفيق والاستقامة ، واتباع السنة ، **وجعلنا من عبيد ذاته تعالت وتقدَّست ، لا من عبيد الأسماء والصفات ، فإنَّ من عبده من أجل أسمائه وصفاته لا يخلو من شرك خفيٍّ ، وحظٍّ دقيق سرّيّ .**

---

(١) وفي نسخة : غيم .

فاعلم أيها المجتهد المحقق ؛ أن الأحوال والأذواق كما تظهر في أثناء الطريق لأهل الصدق والإخلاص تظهر أيضاً لأهل المكر والاستدراج ، كما هو مشاهد عند أهل الكشف والشهود ، فالاغترار بظهورها عينُ القصور ، والأمن من مكر الله من علامة أهل الفتور ، وليس المقصود من سلوك طريق الصوفية مشاهدة الصور والأشكال الغيبية ، ومعاينة الألوان والأنوار اللاَّكَيْفِيَّةِ ، فإنَّ ذلك داخل في اللهو واللعِب ، **بل المقصود ازدياد اليقين بحقية المعتقدات الشرعيَّة الذي هو حقيقة الإيمان ، وحصول اليُسْر في أداء الأحكام الفقهية الشرعية ، لا أمرٌ آخر وراء ذلك ،** فالشريعة والطريقة عينُ الآخر ؛ أعني أنَّ الطريقة عين الشريعة ، والشريعة عين الطريقة والحقيقة ؛ لأنهما متلازمان لا فرق بينهما عند أرباب البصائر ، ومراد من قال : الشريعة قشر الحقيقة ، والحقيقة لُبُّ الشريعة . أنَّ المُجْمَل حكمه بالنسبة إلى المفصّل كحكم القشر بالنسبة إلى اللُبّ ، والاستدلال في جنب الكشف كالقشر في جنب اللُبِّ .

قال الإمام النقشبندي قدس سره إذا سأله سائل : **ما المقصود من السير والسلوك ؟! كونُ المعرفة الإجمالية تفصيليَّة والاستدلالية كشفيَّة** . . . إلخ .

وفي هذا يقع الكلام بين العلماء كثيراً ، فيقول بعضهم :لا يجوز لأحد أن يدخل في الطريقة إلا بعد إتمام الشريعة ، فأسألكم بالله أن تبيِّنوا لي ؛ هل لهذا الكلام نقلٌ عندكم ، أمْ لا ، وما معْنى إتمام الشريعة ؟ ! وماذا يكون بعد تمامها ؟ !

❊ فإن قيل كيف يجوز لهؤلاء السادات النقشبندية . . .إلخ . قولٌ عجيبٌ ؛ وقد رأينا من مريديه من لم يَحْيَ قلبُه وإن ذكر الله بلا إله إلا الله بتلقينه كذا وكذا سنة ، بل لم نجد ولو واحدا لقن له القلبي فإن كان سبب أمره بالذكر اللساني هو حصول الاستعداد . وأنا الحاج محمد الككني قدس سره ورزقنا وله العافية من خط حسن أفيدي قدّس سرّه .

وأيضاً رأيت في كتاب الشيخ العبودي رحمه الله تعالى : أن أكثر العارفين رضي الله تعالى عنهم من أهل المذاهب ليسوا من أهل الطريقة حقيقةً ؛ وإن عبدوا عبادة الثقلين ، وزهدوا في الدارين ؛ فضلاً عن مجرَّد شيوخ الإرشاد . انتهى .

وفيه أيضاً قبيل هذا : لا يكون من له مذهبٌ خاصٌّ من أهل الطريقة . فهل لكلامَيْه عندك نقل ، أم لا ؟ وما معناهما ؟ ولا نجد لهذين الكلامين نقلاً فيما عندنا من كتب الصوفية إلا إن كان لكلاميه تأويل . وظنِّي – والله أعلم– أن أمثال هذا صدر منه في حالة سَكْره[٢] ؛ لا في حالة صَحْوه ، لأن الغالب

---

* قوله : ومحلُّها – أي : النية – القلب . **فائدة** في « الزرقاني على المواهب » ما نصّه وذكر ابن العماد في « كشف الأسرار » أن للقلب أذنين يسمع بهما كما أنَّ في الرأس أذنين ، وللقلب عين كما أن للبَدن عينًا قاله الراغب . انتهى . « حاشية العلامة الجمل على الفتح على المنهج » . عبارته . النظر : بفتح فسكونٍ التأمُّل في الشيء بالعين ، وبفتحتين الفكر في الشيء تقدره و . . .إلخ . (من نسخة أخرى) .
وقال المناوي : النظر إعمال الفكر ومزيد التدبُّر والتأمُّل . قال الراغب : إحالة الخاطر نحوَ المراد لإدراك البصيرة إياه ، **فللقلب عينٌ كما أنَّ للبدن عيناً** . « حاشية ديباجة الجاربردي على الشافية » . عبارته .

* وعن خالد بن معدان رحمه الله تعالى قال : ما من عبد إلا وله عينان في وجهه يبصر بهما أمر الدنيا ، وعينان في قلبه يبصر بهما أمر الآخرة ، فإذا أراد الله بعبد خيراً فتح عينيه اللتين في قلبه فأبصر بهما ما وعد الله تعالى بالغيب ، وإذا أراد الله به غير ذلك تركه على ما فيه ثم قرأ ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ . من « البهجة السنية » . عبارته ٣٧ . (من نسخة أخرى) .
روي عن النبي ﷺ : أن لكلِّ إنسان أربعَ عيون ؛ عينان ظاهران في الرأس ، وعينان باطنان في القلب ، وإنما عمي الباطنان بحب الدنيا وتتبُّع الشهوات وعبادة الهوى والنفس وأودية الظلمات ، وعلاج خلاصه ونجاته من العمى التوبة والتلقين والذكر ظاهراً وباطناً وبالعمل الصالح . « لبّ الغرائب » .
وفي أخبار داود : قل لعبادي المتوجِّهين إلى محبَّتي ما ضرَّكم إذا حجَبْتُكم عن خلقي ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إليّ بعيون قلوبكم . من « فتاوى العلامة الرملي » ، عبارته ١٥١ ج ٤ راجعه (منه) من هامش « الفتاوى الكبرى الحجرية »

(٢) وعند أهل الحقِّ السكر : هو غيبة بوارد قويٍّ ، وهو يعطي الطربَ والالتذاذ ، وهو أقوى من الغَيْبة وأتمُّ منها « تعريفات السيد الشريف » . عبارته . (من نسخة أخرى) .

عليه السكْر ، وقد صادفتُ في ذلك الكتاب عين ما يخالفه ، بل كتب هو في هامشه بأن الطريقة فرضٌ على المؤمنين . . . إلخ .

فالجواب لهذه الأسئلة مطلوبُ أخيكم ، وعدمُ التكبُّر والترافع مأمول فقيركم ، فكم وكم تركت في هذه المرة أدبكم ، ولعلَّ المسامحة لمثله من شِيَمِكم .

وكتبتَ في مكتوبك : ثم اعلم أنه إن كان حصل ؛ ولو لشعرة في جسدك قشعريرة من الأبيات فلا تلْقَنِي . انتهى .

إن ملاقاةَ مَن يقشعرُّ جلده بإظهار أباطيله وكشف ما هو منطو عليه من سَيِّيءِ خلله عين الجفاء ، فهل يجوز لعاقل أن ينقبض من أحد كشفً له عن زلله ، ونبَّهه على خطئه ، وذلك ليس من شِيَمِنا فلله الحمد ، على أنه سبحانه منَّ عليَّ بعدم انبساطي بالمدح ، وعدم انقباضي بالذم(٣) ، وقد قلتُ مرَّة لشيخي

❊ ولا يظن عاقل عالم إن شاء الله أنَّ هذا الحقير ينفي الولاية بالكلية عن المتشيخين ، فكيف ؟ ! وفي الحديث القدسي « أوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيري » بل إنما يقول إنهم ليسوا من أهل السلوك الذين سلكوا على يد شيخ مُرَبٍّ ، وقطعوا مقامات الطريق إلى أن يصلوا إلى مقام يجوز للشيخ أن يجيز لهم بالإرشاد وإن جاز أن يكونوا من المجاذيب الذين لا يجوز أن يؤخذ منهم ، ومعلوم أن العصمة إنما هي من خصائص النبوة ، فافهم يا أخي ! ولا تعجل ، فإن العجلة من الشيطان . من « البروج المشيدة » عبارته من البرج ١٧ . (من نسخة أخرى) .

❊ قال رسول الله ﷺ : « ما من عبد إلا وله أربعة أعين ؛ عينان في رأسه يبصر بهما أمر دنياه ؛ وعينان في قلبه يبصر بهما أمر دينه » . « إحياء » عبارته ٣٣ ج ٣ .

(٣) وقيل له ؛ أي : لجنيد البغدادي رضي الله عنه : متى يستوي عند العبد حَامدُه وذامُّه ؟ فقال : إذا تحقق أنه عبدٌ مخلوق . من « الحدائق الوردية » عبارته ٧٢ .

❊ فمن ملك الحضور حَصل له الرضا والتسليم اللذان هما نهاية العبوديَّة والعبادة ، وكمال الإسلام في التسليم والتفويض ، فإن صاحب التسليم لو طوِّق في رقبته طوق اللعنة كإبليس لكان راضياً من حيث أنه قضاء الحق وتقديره مثل رضائه بإيمانه وإسلامه ؛ لأن الطالب الصادق راضٍ بقضاء الله تعالى وقدره لا بفعل نفسه ، وإذا وقع للطالب مكروهٌ وحصل التفاوت عندهُ فهو عبد نفسه وإن لم يحصل عنده تفاوت فهو عبد ربِّه ، وهذا أصل كلِّ أمرٍ وأساسُه ، فبهذا ينبغي لكَ أيها السالك أن تكون دائماً له عبداً ، كما أنه تعالى وتقدس دائماً لك ربٌّ ، ولله درّ القائل :

إذا كان في مدح وذم تفاوتٌ ... لديك فأصناماً لَعمْريَ تَعْبُد

وهذا أصل اتَّفق عليه أكابر الخواص في سائر الطرق وذكروه في كتبهَم ، كما قاله الشيخ تاج الدين قدس سره . من « البهجة السنية » عبارته ٦١ . (من نسخة أخرى) .

المرحوم[1] : يا أستاذي ، إني أجد جمعاً من الناس يذمُّونني ولا أتأثّر من ذلك ، فأخاف أن أكون لئيماً لا مروَّة له ، وقد أجمع القوم على أن المروَّة شرط في طريق الله ؟ ! ! .

فقال ﷺ : **إن عدم التأثُّر من مثل ذلك يكون خيراً وحسناً** . انتهى . وقال أيضاً : إن الصوفي من يتحرَّكُ بتحريك الله إياه ، فالحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

أيُّها الأخ ! إني أرجوك بعد الآن أن تنبِّهني على نقصي ، وتكشف الغطاء عما أرفع به رأسي ، ولا تقطع عني نظراتك الغيبية ودعواتك في الأوقات الشريفة .[2]

واعلم أن مرادي في هذه الدار الخمولُ ، وأسرُّ الأيام عندي يومٌ لم يدقَّ فيه بابَ حجرتي أحد ؛ وذا نادر ، وأني أغبط المتفرغين للشغل بربِّهم ، ولكن لا ألقى يوماً أتفرّغ فيه لربيّ ! وحالي يزداد نقصاناً يوماً فيوماً ! ! وجوْرُ الزمان يشتدُّ آناً بعد آن ، وكفاك بحال هذا العصر والقرن الأخير الذي عُدَّ فيه أخوك الكاتب الحقير الأقل من النقير والقطمير ، المفلس من أعمال البِرِّ والخير ، الضائع عمره في اللهو والفجور شخصاً يقال له (رجل صالح) ولا عجب في ذلك ! ! فإن زعيم القوم في آخر الزمان يكون أرذلهم ، والله يؤيّد هذا الدين بالرجل الفاجر ! ! أصلح الله أحوالنا ، وبلّغنا مما يرضيه آمالنا ، ورزقنا الملاقاة في أسعد وقت

---

(١) أي : الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره . (هامش الأصل) .
(٢) وكتب قدّس سرّه إلى بعض مريديه - والظن الغالب أنه هو مريده الصادق مُحَمَّدْ عَلِي وأخوه مُحَمَّدْ خَانْ ابنا الحاج محمَّد الأَنْصُكُلِيُّ : وهما من خُلَّص مريديه أيضاً رحمهم الله ، وقبور الثلاثة في المقبرة « أنصكله » بموضع واحد ، (منه عفىَ الله عنه) : وعليكم السلام وعلى أخيكم ، **وبعدُ** : فاعلم أيها الأخ أن المخلص لا يبالي بأقوال الناس ولا يُسيئ قلبه بالذمِّ ، ولا يعجب ولا يفرح بالمدح ، فكن بالقلب مع الله ولا تقصِّر بقدر الطاقة ، وأحسن للخلق واسْعَ في المعيشة لعيالك ولنفسك ، واطلب الحلال حيث وُجد ، واذهب إلى أين شئت لعلك تلقى الخير إن شاء الله وذلك على الله يسير ، والسلام وأوصيكم بالدعاء من (حسن القحي) . (من نسخة أخرى) .
وعلامة المتواضع استواء المدح والذمّ عنده إن كان مع الحق . « وسائل اللبيب » عبارته ٣١ . (من نسخة أخرى) .

مع الحفظ من البليّات والآفات ، وجعلكم وإيانا هادين مهتدين ، غير ضالِّين ؛ ولا مُضلِّين . آمين يا مجيب الدعوات ، ويا مزيلَ[1] السيئات ، ومقيلَ العثرات ، فهذا ؛ والسلام من طرف المرشد المجازي كالقاضي الضروري حسن القحي النقشبندي الشاذلي سامحه الله تعالى من فرطاته .

وبما أني طفقت ابن الأعذار ، ومالي استراحةٌ وقرار ، اقتصرتُ في مكتوبي على هذه المسوَّدة ، وأرجو منكم قبول المعذرة وعدم اتخاذي هدفاً للملامة ، وأسأل الله تعالى لي ولكم العفو والعافية ، فإنه هو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ، وهو وليّ التوفيق والهداية .

ثم إنِّي أيها الأخ الصائب الصادق ، والعالم المجتهد الفائق ، إني أُعرِّض على جنابكم سؤالاً هو شرح حالي وحال نفسي ، وأرجو منكم الجواب فإنك وليّ الصدق والصواب ، وأمين الشرع بلا ارتياب :

ما تقول أيها المرجوُّ للاستقامة ، والمأمول لحوز السعادة والسلامة ؛ في شخص اعتقادُه أشعريٌّ ، ومذهبه شافعي ، قد أخذ العهد على شيخ[2] نقشبندي سلسلةُ نسبتِه وطريقته متَّصلةٌ بالحضرة النبوية ، ولقّنه الأذكار السلوكية على التمام ، فأذاقه نتائج الأذكار طِبْق ما ذكر كيفيَّته السادات الكرام ، وعلَّمه أنواعَ المراقبات المعروفة عند أربابها بعد حصول نتائج كلٍّ منها ، ثم أذن له الشيخ المذكور للتلقين ، وإرشاد الخلق إلى طريق الحقِّ سبحانه وتعالى ، وكتب له صكّ الإجازة وعوّل عليه أمور مريديه في حياته وبعد مماته ، وأمره بالتوجه إليهم وإلقاء الجذبات إلى بواطنهم ولطائفهم ، وفوّض إليه أيضاً شيخٌ آخر مثله[3] . وهو عالم عارف حافظ لكلام الله تعالى لا يشكُّ أحدٌ في فضله وكماله . أمْرَ النظر إلى مريديه ، والتوجه والالتفات إليهم ، وكذا أذن له شيخٌ آخر عالم عارف مثلهما نقشبندي قادري شاذلي حسيني[4] لتلقين أذكار

---

(١) أي : مبدِّل . (من نسخة أخرى) .
(٢) المراد به : الشيخ الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره . (هامش الأصل) .
(٣) وهو الشيخ الحافظ شعيب أفندي الباكني قدس سره . (هامش الأصل) .
(٤) وهو الأستاذ السيد الأمير سيف الله الغازي الغموقي قدس سره . (هامش الأصل) .

الشاذلية ، ومع هذا كله لا يرى نفسه أهلاً لإفشاء هذه الفضيلة ، وإدارة أمر هذه الخلافة العظيمة المخوفة ؛ لما أنه يعلم ويتيقن ، ويشهد بأن نفسه باقية على أمارتها ، وعارية عن الاتصاف بزينة التزكية والاطمئنان ، بناء على ما شرطه العلماء الأعيان ، بيد أنه يعتقد في مشائخه الآذنين له بأنهم لا يغشُّون ، ولا يداهنون ، ولا يفعلون شيئاً إلا لمصلحة مبنيَّة على حكمة ؛ وإن لم يدرك هو حقيقة ما هنالك ، بل يرى ويشهد أن ما فعلوه معه مبنيّة على قاعدة أصلية معلومة مشهورة عند السادات ؛ وهي : **أنهم يجيزون الناقص قبل كماله بعد حصول درجة أو درجتين أو درجات الولاية ؛ لا قبل ذلك ، لأن يده يدهم وتربيته تربيتهم ، فلا يتعدَّى ضرر ذلك الناقص إلى المريدين** ، ويرى أيضاً أن ما يحصل للمريدين بسبب التوجه إليه من حياة قلبه ، وحصول الحرارة ، وجريان الذكر في لطائفه إنما هو من تربيتهم الروحانية ، وتوجُّهاتهم المعنويَّة الغيبيَّة ، وتصرُّفاتهم النافذة لا دخل له في تحصيلها أصلاً ، وأنَّ ما ينعكس إليه من أحوال المريدين قبضاً وبسطاً وحركة وارتعاشاً وحرارة في اللطائف وبرودة ؛ إنما هو شيءٌ لا يُعْتبر وأمر لا يُعْتنى ، وأنَّ أمر الخِلافة أسنى منه وأعلى ، لكن هذا الفقير المفلس المذكور امتثل أمر مشائخه منذ زمان في تلقين الأذكار وتعليم المراقبات لأهلها ، وأمَرَ بالمعروف ونهى عن المنكر بقدر طاقته ، وأمات كلَّ بدعة حدثت في طريقته وأحيى مكانها السنَّةَ ، فالآن قد سئم بقلبه وقالبه استعمال هذه الوظيفة نظراً إلى قلَّة بضاعته وضياعة أحواله وشدة انقباضه ، وفقدان شروط الخلافة في نفسه في ظنه واعتقاده ، وصعوبة حمل الأثقال المنعكسة إليه من أصحابه ، وعدم استقامته في أمور شريعته وطريقته ، وخوفه من أن يكون من الذين يقولون ولا يفعلون ، والانعزال عن تلك الوظيفة مقصوده ومراده لو وجد لذلك مجالٌ ماًّ .

فهل يجب على ذلك الشخص المذكور أن يشتغل بما أمره به مشائخه من أمر الإرشاد ثقةً بمشائخه ؛ مع تيقُّنه عدمَ أهليته لذلك الأمر العظيم ، ونظراً إلى قلَّة من اتصف بالكمال المطلق في أكثر أقطار الديار الداغستانية ، أم لا ؟ أو يجوز ، أو يمتنع ، أو يندب ؟ قياساً على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في وجوبه تارة ، وندبه أخرى ، وكراهيته مرَّة ، وحرمته أخرى ؟

وهل يجوز الإرشاد بلا تصرّف بالمعنى[١] قياساً عليهما ، أم لا ؟ وعلى تقدير أن يشترط في مثل هذا المرشد المذكور أمورٌ أخر غير ما ذكر ؟ فإذا انتفت أيمتنع عن اشتغاله بتلك الوظيفة ، أو يحكم بجوازه عند فقدانها ، كما يجوز لقضاة الضرورة إنفاذ أحكامهم مع عدم جمعهم شرائط القضاء ، أم لا ؟

فالجواب لذلك كلِّه من أهمِّ مقصود هذا المفلس ومطلوب الغادر الكاذب المرشد الناقص المجازي ؛ أخيكم الكاتب الداعي لكم بالاستقامة والتوفيق ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم ، وأسألكم بالله أن لا تُعَاملوا[٢] مع أخيكم الضعيف بصفة الجلال ، فقد ربّاه مشائخه بصفة الجمال ؛ لئلا يصعب عليه حمل ثقل القهر والجلال ، بل تداورونه بلين الكلام ؛ كيلا يتأثَّر قلبه ، فإنَّ قلبَه يَقْظَانٌ ، واليقظان يرتعش ولو بمسِّ أرجل الذباب ، ولا تظنُّوا فيه أنَّ ما كتبه وجمعه من النقول في الكتاب المعلوم إنما هو لرؤية نفسه أهلاً لوضع تاج الخلافة على رأسه ، ولحبّه الرياسةَ على أحد من إخوانه وخُلاَّنه ، بل إنّما جمعه لتصويب ما عليه شيخه ، ولرفع الشبهة عن طريقته حين رأى تعصّب المنكرين عليه ، وسطوتهم لمحض العناد ؛ جلباً للفساد ، لا حبّاً لظهور الحقِّ والصواب ، جعلنا الله تعالى وإياهم من الذين يعرفون أنفسهم فيعرفون ربّهم . آمين ؛ يا مجيب السائلين ، ويا أرحم الراحمين . انتهى .

---

(١) وفي نسخة : باطني .

(٢) قوله : (وأسألكم بالله أن لا تعاملوا . .إلخ) وليس كلامه قدس سره هنا مخالفاً لما سبق منه ؛ من أنه لا يتأثّر من ذمِّ الناس إياه ؛ لأنَّ ما قاله هناك هو بحسب الظاهر ، فلا يظهر لأحد من ذلك شيء ، كما قال في « تلخيص المعارف » إنه لم يُظهر لأحد قطُّ كراهيَّته إياه ، وأمَّا ما هنا فهو بحسب الباطن ؛ لأنَّ المعاملٍ معه بما ذكر على باطل بيقين ، فلا بدَّ أن ينقبض بذلك باطنه ويتأثر قلبه ، فيكون ذلك سبباً لضلال المنكر المعادي – لأنَّ منكره منكر كلِّ تلك الطائفة العلية ، ومنكرهم منكر الرسول ﷺ ، ورضي الله عنهم ، ورحمنا بهم وبكل الأولياء الكرام عليهم رضوان الملك العلاّم آمين . (منه عفي عنه) – وسوء عاقبته ، أعاذنا الله منه ، فإنه قدس سره كما قالوا في حقِّ الإمام الرباني قدس سره النورانيَّ في مقام : لا يحبُّه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق ، عافَانا الله وإخواننا من المكر والاستدراج ، وأعاذنا في طريقتنا من الاعوجاج والانعراج ، آمين . (من نسخة أخرى) .

مكتوب أدرة العرادي

وكتب قدس سره إلى العالم المحقق أدرة العرادي رحمه الأبدي : إلى أبيه الكريم العالم أدرة العرادي

السلام عليكم . . . إلخ . ليس المراد من إرسال هذه الرسالة إليك إلاّ إبلاغ السلام والتحية ، وإظهار أسباب عدم انقطاع المودّة والمحبة ، ورجائي من جنابكم أن لا تَنْسونا في دعائكم ، **فإنَّا راكبون على ظهر الأنانيّة التي انقطع بسببها أكثر الخلق عن باب الله سبحانه** ، ونحن نتوجَّه إلى أحوال مَن حضر لَدَيْنا من مريدي أستاذنا ؛ مع كوننا خائفين من أن نكون من الذين ضاعوا وأضاعوا ، فنرجو من حضرتكم أن تنصحونا آناً بعد آن ولو بسنِّ القلم ، وتنبِّهونا إلى أيّ شيء ظهر لكم منّا مخالفاً لما عليه عَمَلنا ، أثابكم الله تعالى وجزاكم خير الجزاء ، ورزقنا وإيَّاكم الاستقامة ، فإنها هي التي شَيَّبَتْ سيِّدَ الخلق ﷺ ، (وأنا الفقير حسن)

مكتوب آخر

وكتب قدس سره في حق جواز الدخول في الطريق مع الاشتغال بالحرف والصنائع هذه النقول : وممَّا مَنَّ الله تعالى به عليَّ : حثُّ كلِّ مَنْ يجتمع بي من الإخوان على الاشتغال بالحرف والصنائع ، وعلى دوام إقامتهم فيها إن كانوا من أهل الحرف قبل اجتماعهم بي ، وهذا الخُلُق قليلٌ مَن يتنبَّهُ له من متصوِّفة الزمان ، بل يزيِّنون لمن يجتمع بهم ترك الاشتغال بالحرفة ، والاشتغال بأحزابهم وأورادهم . من « المنن الكبرى » عبارته ٢٥٢ ج١ ،و ص ٣٦ ج٢ من نسخة أخرى .

الحاجة إلى الناس تنافي الكمال

وكان أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول : استغناؤكم بالشيء أحسنُ من ادِّعائكم الكمال في الطريق ؛ وأنتم محتاجون إلى الناس ، فإن الحاجة إلى الناس تنافي ادِّعاء الكمال .

وكان يقول : **لا تتركوا الأسباب لما تجدونه من قوّة اليقين ، فإنَّ ذلك لا يدوم ، وربما عاقبكم الله بسلب اليقين . وقد مدح الله تعالى قوماً قاموا في الأسباب ؛ ولم تشغلهم أسبابهم عن ذكر الله عزَّ وجلَّ** بقوله تعالى ﴿**رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ**﴾ . الآية

فإن قيل : إن غالب مشائخ العصر لا حرفة بيدهم فكيف كمالهم ؟ !

فالجواب : إنهم لما اشتغلوا بالله عزَّ وجلَّ كلَّ الاشتغال رَزَقهم من حيث لا يحتسبون مما لا منَّة عليهم به في الدنيا ، ولا حساب عليهم به في العقبى ، فأين أنت منهم يا بَطَّال ! ! فكلامنا مع المريدين ؛ لا مع العارفين ، فافهم ذلك واعمل عليه والحمد لله رب العالمين . انتهى منه عبارته ٢٥٣ج١ .

الفقير والحرفة

وقد كان سيِّدي إبراهيم المتبولي رحمه الله تعالى يقول : حكم الفقير الذي لا حرفة له حكمُ البومة الساكنة في الخراب ؛ ليس فيها نفع لأحد . منه عبارته ٢٥٢ .

وفيه أيضاً : إن واحداً ترك البيع والشراء ، وصار يذكر الله تعالى ، ويأكل من هدايا الظلمة والعمَّال وغيرهم ، فقال له سيدي أفضل الدين رحمه الله تعالى : يا أخي ؛ النصح من الإيمان ، وإنك لم تخلق شيخاً ، فارجع إلى دكانك ، واشتغل بذكر الله تعالى مع الحرفة ، فلم يستمع أبداً ، فكشف الله تبارك وتعالى حال ذلك الفقير بعد شهور ، وما بقيت نفسه بعد المشيخة تنكبس لعمل الحرفة ، فكان كمن تولَّى مشيخة الإسلام ثم عزل ، فما بقي يعمل نائباً ، ولا شاهداً . انتهى عبارته ٣٧ ج٢ .

ويؤخذ من هذه المذكورات جوازُ أخذ الذكر من الشيخ ، والدخول في الطريق مع الاشتغال بالحرف والصنائع ، ويردّ به كلام مَن قال : إن الاشتغال بالأذكار المأخوذة من المشائخ لمن كان أشغاله قليلة ، وغيره من الأذكار اللسانية لمن كان أشغاله كثيرة ، **مع أن الأذكار القلبيّة مما لا مانع منه أصلاً** ،

بل هي جائزة في كلِّ حال ، وفي كلِّ مكان ، وعند كلِّ أحد . فتدبَّره ، ولا يغرَّنَّك ما في تقرير العبودي ، وما في « سُلَّم المريد » لإلياس الزدقاري ، فإنهما تكلَّما بالاسترواح ؛ وقالا بالرأي ، ولم يأتيا بالنقل ، ولم يؤيِّدا ما قالاه بالنصِّ ، والسلام من هذا الفقير حسن القحي رحم الله إفلاسه . وراجع « الأنوار القدسية » ص ٢٠ و« الإبريز »ص وغيرَهما .

مكتوب آخر

وكتب قدس سره في ردِّ ما كتبه الشيخ الحاج محمد العبودي رحمه الله تعالى ما لفظه : قول الشيخ العبودي رحمه الله تعالى : الطريقة والسلوك في هذا الزمان متعذِّرة عند الشريعة وسنة المختار عليه السلام :

لعلَّ السرَّ عنده رحمه الله في كونها متعذرة أحدُ أمور ثلاثة : ١- كثرة الفسق ، والعصيان ، أو ٢- عدم إطاقة استعمال الطريقة النقشبندية ، أو ٣- صعوبة استعمالها ؛ كما قال بكلِّ واحد منها أبعاض من متشيِّخي ديارنا ! ! فإن كانت العلَّة للتعذُّرِ كثرةُ الفسق والعصيان ، والمخالفة ، والطغيان ! ! فليست حجَّة مقبولة لما قاله رحمه الله ؛ لأن معنى الإرشاد عند أهل الإرشاد إرشادُ الضالِّ إلى السداد ، بل إنّما وُضع الإرشاد لأجل المعوجِّ الضالِّ ؛ لا للمستقيم الهادي المهتدي ، وهم لم يحكموا بوجوب اتخاذ الشيخ إلاَّ على مَن ليس له قلبٌ سليم ، كما هو مقرَّر في كتبهم ، ولا معنى للإرشاد لمن كان في الرشاد ! ! كما قاله العالم الرباني والعارف الصمداني الأمير سيف الله الحسيني النثبكري قدس سره ، ولا شكَّ أن الأخلاق المذمومة هي التي تجرُّ صاحبها إلى ارتكاب الفسق والعصيان ، وهي داءٌ والطريقة دواءٌ ، فمن أين يتعذَّر ويمنع إنزال الله تعالى دواء على موضع الداء ! ! مع أنه ؛ أي : الإنزال واجبٌ ، وهكذا الأخلاق المذمومات نجاسات معنوية والطريقة كالماء ، فناسب أن يستعمل الماء على موضع النجاسة . فافهم وراجع « المتممات » ، و« ابن حجر » ، و« الرملي » من كتاب السير ، و« الفتاوى العمرية » ، وغيرها ، والبسط في « الدرة البيضاء » ، و« الجوهرة النفيسة » ، فمن أراد التحقيق فعليه الرجوع إليهما .

ولا يخفى أنَّ هذا وما يأتي مقبول عند الشريعة ، وسنَّة المختار عليه الصلاة والسلام ، فكيف يكون تعليم الطريقة متعذِّراً عندهما مع أنّها إنّما وضعت لتكميلهما ؟ ! حاشا ذلك وكلا ؟ ! بل الشرع والسنة يقبلانِها ، كيف لا ؟ ! مع أنها تجرُّ إليهما تدريجاً ، وتكمّلهما تكميلاً ؟ ! راجع « البهجة » من مناقب الشيخ الإمام الرباني قدس سره لتأخذ منه مضمون ما قلتُه .

يجوز الذكر القلبي في كل موضع وحالة

وإن كانت العلة للتعذُّر : أنَّ قاعدة النقشبندية تلقين الذكر القلبي واستعماله ولا يطيق ذلك مَنْ في زماننا ؛ لأنهم لا يفرغون له من الحرف والصنائع صيفاً وشتاء ؟ !

فتلك أيضاً مما لا يعبأ به ولا تقوم حجة لهذا القائل رحمه الله ، **فإنّ مبنى الطريقة النقشبندية على الخلوة في الجلوة ، ولا شكّ أنّ أربابها عرشيُّون فرشيُّون ، وكائنون بائنون ، وإن استعمال الذكر القلبي يجوز عند كلِّ أحد ، وفي كلِّ موضع ؛ حتَّى في الخلاء ومحلِّ النجاسة ، وفي كل حالة ، وفي كلِّ وقت** ، فقد صار ذلك ممّا لا مانع له في كل وقت وفي كل حال ، فكيف يكون متعذّراً ؟ !

وإن كانت العلَّة أن الذكر القلبي صعبٌ بالنسبة إلى الذكر اللساني ، ولأجله صار متعذّراً ؟ ! فذلك أيضاً قول ساقط ، وحكم بلا علم ، فإنّ الذكر القلبي عندهم تفكُّر اللفظ في القلب ؛ أي : تخيُّل جَرَيانه فيه ، فأيّ صعوبة في ذلك التخيُّل ؟ ! بل هو أسهل الأمور وألذُّها لمن ذاقه وعَرَفه . راجع « تفسير الفاتحة » ، و« الفتاوى العمرية » وغيرهما .

قوله رحمه الله تعالى : كما قال تعالى ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ انتهى . في تفسير السُلَّمي[1] في هذه الآية : قال بعضهم : الحكمة العلم اللدني ، وقيل : الحكمة إشارة لما لا علَّة

(١) هو : بضم المهملة وفتح اللام – أبو عبد الرحمن النيسبوري شيخ الصوفيَّة ، وصاحب تاريخهم وطبقاتهم « مزيل الخفا عن ألفاظ السفا » عبارته . (من نسخة أخرى) .

لها . وقيل : الحكمة إشهاد الحق على جميع الأحوال . وقيل : الحكمة تجريد السرِّ لورود الإلهام والوسواس[1] . وقال أبو عثمان[2] : الحكمة هو النور المفرِّق بين الإلهام والوسواس . انتهى . وقيل : الحكمة أن يحكم عليك خاطرُ الحق ، ولا تحكم عليك شهوتُك ، وقيل : إنها النبوة . وقيل : الحكمة الخشية . وقيل : إنها سرعة الجواب مع إصابة الصواب . اتهى باختصار من عبارته من سورة « البقرة »[3] . فعلى هذا الذي ذكروه في تفسير الحكمة في الآية لا يخفى على مَن له أدنى إدراك أن هذه الآية لا تقوم بها حجة ؛ لتعذُّر الطريقة ! وإن كان القائل يعني بها معنى آخر يستدلُّ به على من قاله ؟ ! فأيُّ مانع لإيتاء الحكمة لأهل هذا الزمان ؟ ! بل هم أهل لايتائها ، بل يدلُّ على كونِ أهل هذا الزمان أهلاً لذلك ما قاله صاحب « تصديق المعارف » ؛ في تفسير قوله تعالى ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ :

اعلم أن سبيل الرب ما يصل إلى الربِّ تعالى ؛ لا ما يصل إلى الدنيا والآخرة ، وذلك هي الطريقة المعروفة عند الصوفية ، والحكمة المذكورة هنا هي فطنة الشيخ المربِّي وفهمُه لكل ما يصلح لكلِّ أحد من المريدين ، فإن طِباعهم مختلفة متباينة بوناً عظيماً ؛ فمنهم مَن يصلُح له كثرة الصوم وقلَّة الصلاة ، ومنهم مَن يصلح له كثرة الصلاة وقلَّة الصوم ، ومنهم مَن يصلُح له القيام والصيام معاً ، ومنهم من لا يصلح له كثرة ذلك ؛ إنما يصلح له كثرة الزهد في الدنيا ، ومنهم مَن يصلح له الكسب ، ومنهم مَن يصلح له الخدمة ، ومنهم مَن يصلح له العنف والشدة في المجاهدة على النفس ، ومنهم مَن يصلح له الترفيه والتسهيل .هذا ![4] .

---

(١) علَّه : وردِّ الوسواس أو نحوه . (هامش الأصل) .
(٢) لعلَّه الحيري ، أحد أعلام . « الرسالة القشيرية » انظر ترجمته هناك .
(٣) في تفسير الحكمة ، وأيضاً راجع « المنن الكبرى » ص ١٥٨ (هامش الأصل) .
(٤) قوله : من يصلح له الكسب ، وقوله : من يصلح له الترفيه والتسهيل ، وقوله : هي استعمالهم في أعمال الطريقة . صريحٌ فيما نحن فيه . فتدبره . (منه قدس سره) . (هامش الأصل) .

وأما الموعظة الحسنة !! فهي استعمالهم في أعمال الطريقة بالمداراة بالرفق والشفقة الكاملة عليهم ، مع إعلامهم بأنه شيخ لا يريد إلاَّ علوَّ مقاماتهم ، وارتفاع درجاتهم ، وإيصالهم إلى نعيم لا عينٌ رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر ببال بشر . انتهى من عبارته . فعلى هذه المذكورات ليس للقول بالتعذُّر مجالٌ ، بل مضمونها يدلُّ على عدم جواز منعهم من تعليم الطريقة ، فاللائق أن يسلِّكَهم ويُداريَهم . فافهم .

قوله رحمه الله : وقد ورد في صحيح السنة : « لا تضعوا الحكمة في غير أهلها [فتظلموها] ، ولا تمنعوها من أهلها فتظلموهم » لو سلمنا أن المراد ؛ لا تضعوا الطريقة في غير أهلها ، فلا نسلِّم عدم أهلية من في زماننا لوضعها ؛ لما مرَّ أن الإرشاد إنما وضعٌ للمعوجِّ الضالِّ ؛ لا للمستقيم الهادي مع أن ذلك المراد بعيد وغير ظاهر من معنى الحديث ، بل الظاهر منه مضمون ما في المحاضرات : **لا تنطقوا بالحكمة عند غير أهلها** . فافهم ، وقد مرّت معاني الحكمة ، فانظر هل يليق هنا ولو واحدٌ من معانيها ! ! ولو سلّمنا عدم أهليَّتهم ؛ ألا يكون فيهم ؛ ولو واحد من الأربعين من يستحق لتلقين الطريقة إياه ؟ ! والحال أن هذا القائل رحمه الله لم يجد ولو واحداً من الناس يصلح أن يعلّمه إياها ، والحكم بالتعذر قولٌ برأي ليس له دليل عقلي ولا نقلي ، بل هو مخالف لما قاله الأئمة من علماء الحقيقة ، ولما قاله الإمام الرباني في « المكتوبات » : ولكن تعليم الطريقة بعد الاستخارات والتوجُّهات أيّاً مَن كان مناسبٌ ؛ بل لازمٌ . انتهى ، ولما في « البهجة » و« المتممات » . راجعهما .

قوله[1] **رحمه الله تعالى :** غير أنها على ضربين : اتباعية ؛ فهي لأهل الخواص[2] والحذَّاق ، فجميع المنكرات والمكروهات ، بل البسط والترفيه في المباح ، ورُخص الفروع لهذه الطريقة كالمحرمات ، كما أن السنة والمندوبات لهم كالفرائض المؤقتة .

---

(١) أي : العبودي .
(٢) صوابه للخواص .(من نسخة أخرى) .

ما لا يدرك كلُّه لا يترك كلُّه

فهذا القول منه رحمه الله تعالى قول صادق ، لكنهم قالوا : **ما لا يُدرك كله لا يترك كله ، ومن لا يستطيع أن يقف في صف القتال لا يمنع من أن يقف في صف النعال** ، ولا يجوز أن توزن أعمال الضعفاء بأعمال الأقوياء من خواصِّ أولياء الله تعالى ، بل اللائق بالشيخ أن يرفق بالضعفاء ، ويرخِّص لهم ، ولا يطرُدَهم من الطريقة ، بل يعلّمهم الطريقة ، ويرغِّبُهم في الاجتناب عن المحرمات والمكروهات ، **فلعلهم ببركة الطريقة يقدرون على أعمال الأقوياء !!** كذا قال الإمام الرباني في بعض مكاتيبه . راجع « الدرر المكنونات » ، و« البهجة السنية » ، و« لطائف المنن » .

وقد قالوا : إن تلقين الذكر لأهل الدنيا من ذوي المناصب والأشراف والمكاسب ثابتٌ من السلف ومجتهدي الطرق على طريق التبرُّك والمحسوبية ؛ لا بإرادة السلوك والتربية قبل ترك الدنيا والمناصب وتبسُّطهم في الملابس والمفارش ، وتلبُّسهم بالمخالفات ، **وذلك أمر حسن وسياسةٌ حميدة من أهل الإرشاد** ، لأنه لو قيل لهم : اتركوا الدنيا ، واخرجوا من كلِّ المظالم ، وصحّحوا التوبة في أول الأمر ، وإلا فلا ألقنكم الذكر ؛ ولا يكون لكم قبول ينتج الهداية . لنفروا واستصعبوا وربما يحصل لهم اليأس .

سياسته ﷺ مع الأشراف والكبار

وهذه السياسة موروثة من فعل الرسول عليه الصلاة والسلام مع الأشراف والرؤساء والكبار ، **فإنه أدخل بعضهم في الإسلام بشرط سقوط الصبح ،**

❊ وأما تعليم الذكر لهنَّ ؛ لعموم الأمر لجميع المؤمنين والمؤمنات بقوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ كالصلاة والصوم والزكاة وغيرها ، وإلخ إلخ ، فعلى العلماء والمشائخ أن يعلّموهم أمر دينهم ولا يمنع العلم عن أحد من المؤمنين والمؤمنات من أهل السنة والجماعة ؛ لأنه وَرَد الوعيد عليه في قوله تعالى . . إلخ إلخ . وقوله ﷺ « لا تمنعوا الحكمة عن أهلها فتظلموهم ولا تضعوها في غير أهلها » أي غير معتقديها « فتظلموها » كذا في « الزواجر » لابن حجر ، « هدية الذاكرين وحجة السالكين » عبارته وراجعه . (من نسخة أخرى) .

وبعضهم بشرط غير ذلك . راجع « المتممات » ، و« قلائد الجواهر » ، و« البهجة » ، و« مكتوبات الإمام الرباني » ، و« لطائف المنن » ، و« تنبيه المغترين » ، و« فتاوى ابن حجر » ، و« الأنوار القدسية » ، و« درر الخواص » ، وكتاب « الجواهر والدرر » .

طرد الضعفاء غير جائز

ففي هذه الكتب صرائح بأنه لا يجوز للشيخ أن يطرد الضعفاء من الدخول في الطريقة ، فمن أراد أن يتبع أصحاب تلك التأليفات ؛ فعليه اتباعهم ، ومن أراد أن يتمسَّك بقول هذا البعض الذي يحكم بتعذّر تعليم الطريقة لأهل زماننا ؛ فليتمسك به ، ولا شك أنَّ تِلْكم الأئمة أعرفُ طريقاً وأعلم شرعاً[1] ، وأتقنُ في التفسير والحديث ! ! فليتدبره العاقل .

قوله رحمه الله تعالى : وأقلُّ ورد هذه الطريقة خمسة آلاف بلفظ الجلالة على القلب ، بتلقين عارف أو مرشد صحيح المقام والإذن من عارف ؛ مع استكمال سير الشيخ ، وتمسُّك السنة واتباع النبي عليه السلام في جميع الأقوال والأفعال ، والامتثال به عليه السلام في جميع المأمورات والمنهيات ؛ لا أكثرها .

فهذا الكلام منه رحمه الله تعالى هو عينُ ما نقول ، فلا غبار عليه فجزاه الله عنا خير الجزاء . آمين .

قوله رحمه الله تعالى : والثاني منها شرعية ، فهي للعوام وأبناء المعاملة والهوى ، فيرخَّص لهم في المناهي والمكروهات ، ورخص الفروع مما أباحه الفقهاء رضي الله عنهم) .

وأقلُّ ورد هذه الطائفة مائة ذكر جهري ، وصلاة كذلك ، ووحده لا . . . إلخ ، والاستغفار كذلك .

وأدنى الكمال خمسمائة ذكر جهري بلفظ (لا إله إلا الله) ، والمذكورات مائة مرة ، وألف ذكر جهري بهذا اللفظ ، وخمسمائة صلاة ، أو مائة وألف في

---

(١) وفي نسخة : بالشرع .

يوم الجمعة وليلتها ، والبواقي مائة مرَّة ، والإشراق والضحى والأوَّابين ؛ ولو أربع ركعات ، وصلاة الوتر ؛ ولو خمس ركعات ، والرواتب ، وصلاة التسبيح في كل جمعة ليلاً ونهاراً ،والأكثر عشرون ألف ذكر جهري بهذا اللفظ ، فمن شاء الخفيّ ؛ فليراع الأدب ، وليجتنب من المكروهات كالمحرمات ، ومن أراد الجهري ؛ فليجتنب عن المحرَّمات . انتهى كلام العبودي رحمه الله .

فالعجب كلَّ العجب كيف يكون ورد مَن يرخّص له في زعم هذا القائل من العوام أكثر ممن لا يرخص لهم ؛ ولو للمباحات الشرعية ! ! وليته كان رخَّص لهم لتقليل هذه الأوراد كما رخَّص لهم لارتكاب المنهيات والمكروهات ، ولقد جرّبنا أن الذكر الخفي القلبي بخمسة آلاف مدَّتُه خمس دقائق ، وجربنا أيضاً أن الثلاثين ألف ذكر قلبيّ بلفظة الجلالة يتمُّ فيما بين العصر والمغرب في حالة البسط ، بعد أن يقدم عليه ثلاث مائة استغفار ، وبعد الرابطة بقدر ربع ساعة ، وجرّبنا أيضاً أن الذكر الخفيّ القلبي بـ (لا إله إلا الله) ألف مرة مع حبس النفس ، ورعاية شروطه وأركانه مدَّتُه قدر ذكره المذكور باللسان مائة مرة ، فما أخفَّ ذكر أهل الذوق والطريق ، وما أقلَّ زمنه ؛ مع كونه أفضل من ذكر اللسان بسبعين مرة ؛ كما ورد في الحديث ! ! راجع « فتاوى ابن حجر » من (الخاتمة) ومع كونه أَنْفع وأفيد في تصقيل القلب ، وحصول النتيجة ؛ كما في « المتممات »[٢] .

ولقد صار كلام هذا القائل – سامحه الله تعالى – سبباً لنزول الناس من الأفضل إلى المفضول ، بل صار سبباً لانقطاع أهل الله عن طريق قال رئيسها محمد نقشبند قدس سره : المعرض عن طريقتنا فهو على خطر في دينه مع أنه

---

* قوله ؛ أي : حاجي محمد الككني : (لأن الذكر القلبي أصعب الأذكار) يردُّه أقوال مشائخ هذه الطريقة العلية ؛ قال الشيخ أحمد ضياء الدين في « المتممات » وفي « رسالة الخادمي » : ولسادات النقشبندية طريقان اسم الذات والنفي والإثبات . **أما الأول** وهو الأقرب والأسهل في حصول المقصود فبان الحق ، انتهى . وقال الأستاذ حسن أفندي القحي قدّس سرّه في مكتوب كتبه لردّ ما يقوله العبودي عفى الله عنا وعنه : والعجب كل العجب كيف يكون ورد من يرخص له . . إلخ . (من نسخة أخرى) .

يفهم مما قاله عدم جواز الذكر اللساني لمن لا يجتنب عن المحرمات ، والذكر القلبي إلا للخواص والحذاق ! ! وذا مما لم يقله أحد من الأئمة ، ومع أنهم لم يطردوا العاصي من تعليمهم إيّاه الطريقة ، **حتى إنَّ منهم مَن خرج مِن موضع الفسق والشرب ؛ فجعله الشيخ وقتئذ شيخ الأبدال**[1] **ومنهم من جعله الشيخ بدلاً من الأبدال ؛ مع كونه نصرانيّاً كافراً لا يعلم الإسلام قبل ذلك! فكيف بالطريق ؟!** فإذاً كان الكافر المجرّد يقبل التصرّف ؛ فقبول التصرُّف في المسلم الذي أبوه مسلم يعلم بالطريق الأولى . راجع « قلائد الجواهر » و« أنيس الجليس » .

وأيّ فرق بين اللسان والقلب لتعذُّر الذكر بأحدهما وجوازه بالآخر للعوام ، وأهل المعاملة ! ! مع أنهما جارحتان من جوارح الإنسان ، ومع أن الذكر القلبي مما لا مانع له في كلِّ وقت ، وفي كلِّ حال ، وفي كلِّ موضع . كما مر .

فإن قال قائل : الفرق في أن الذكر القلبي بتلقين مرشد عارف ، ولذا لا يرخَّص له ، والذكر اللساني يجوز له أن يستعمله بنفسه من غير تلقين ، ولذلك رخص له بالمناهي والمكروهات ؟ ! انتهى .

الرخص عند أهل الطريقة كالحرام

قلنا : إن تلقين الذكر اللساني متواترٌ مشهور يخبره الثقات من ذلك البعض المذكور رحمه الله تعالى ، وبذلك يعلم عدم كون مراده ما ذكر ، ولا فرق في ذم ارتكاب المنهيات والمكروهات بين العوام والخواصِّ ، والرخص عند العوام هي رُخَص عند الخواصّ ، لكن بشدة اعتناء أهل الطريق يعدّون الرُخَص كالحرام ، ولا يرتكبونها[2] إلا عند الضرورة ، ومع هذا يسامحون للضعفاء ، ولا يزنون أعمالهم بأعمال الأقوياء . فافهم .

---

(١) انظر القصة في « حكايا الصوفية » لشيخنا العلامة محمد أبو اليسر عابدين رحمه الله . (من نسخة أخرى) .

(٢) وفي نسخة : ولا يرتكبونه .

ثم إن تقسيم الطريقة إلى اتباعية وشرعية مما لا يدرك سرُّه ، ولم نصادف مَنْ قسمها إلى ذينك القسمين ، فالاتباع شَرْعٌ ، والشرع اتباع ، وما خالف الاتباع فليس بشرع . فتدبر .

ولقد أخبرنا واحدٌ من العلماء الثِقات : أنَّ بعضاً من شيوخ هذا الزمان قال له : إنما نعطي الشريعة ؛ لا الطريقة ، وقال واحد من مريديه : إنه قال له : لو يجوز إعطاء الطريقة لأعطيتُها ، لكنه لا يجوز أن يعطى لأحد إلاّ الشريعة ، وهكذا وعظ واحد منهم على المنبر وقال عين ما مرَّ ، وأنا سمعت واحداً منهم يقول مثله ، فلعلهم أخذوا ما قالوه من هذا التقرير المذكور ! ! وقد اشتهر منهم تسميتهم ذكر اللسان الذي يلقِّنُونه بأنفسهم شريعةً !

فنقول في جوابهم – والله أعلم – : إن الآباء والأمهات قد علَّموا أولادهم الشريعة قبل بلوغهم ، وهم الآن على الشرع يصلّون ويصومون ، ويزكُّون ويحجّون ، ويشهدون بأن الله وحده . . . إلخ ، أي : فمن لم يعرف الشرع وأحكامه فهو عاص ، لكن لما تعذَّر تكميل الشرع وضعت الطريقة لأجله ، فوجب أخذُها من أهلها ؛ **لأن ما لا يتمُّ الواجب إلاّ به فهو واجب** .

والحاصل : أن هؤلاء طردوا الناس عن الشرع الواجب وصاروا قُطَّاع طريقِ الله من حيث لا يشعُرُونَ ، ولا شك أن تعليم أمور الشرع ليس مختصّاً بواحد ، بل هو عامٌّ يجب على كلِّ أحد أن يقوم به ، وأن تلقين أمر الطريقة مختصٌّ بأهله لا يجوز لأحد أن يباشره إلاّ إن كان مأذوناً به من . . . إلخ ، فإن كان الملقِّن أهلاً له فلْيُلَقِّن الذكر الذي في طريقة شيخه بلا تحريف ولا تبديل بما أرادوه ، وإلاّ ! فالتشيُّخ على الناس قائلاً بأنه إنما يُعطي الشريعة ، وتلقين ما أرادوه من الأذكار المخالفة لأصول الطريقة ! فذا مما يخاف عليه من الطرد والإبعاد ، كيف لا ؟ ! وقد قال خالد شاه قدس سره : **من غيَّر أصول طريقتنا فليس منّا** . وقال سليمان الزهدي ما حاصله : المخالفون لأصول الطريقة مبعدون عنها . راجع « مجموعة الرسائل » .

وقد اشتهرت تسمية سائر الطرق التي فيها الأذكار اللسانية طريقةً ، فبناء على ما قالوه يجب أن يسمّوها شريعة[1] ؛ لا طريقة . فافهم ، وميّز الحق من الباطل ؛ والمحقَّ من المُبْطل ، وقد اشتبه بأمثال هذه التمويهات على الخلق الحق الذي يجب أن يتمسك به ، ووقعوا حيارى متردّدين لا يعرفون أن يفرِّقوا بين أقوال أهل الإرشاد وبين أقوال مَن يدعي الإرشاد ، ونحن بحمد الله تعالى لم نترك شيئاً خفيّاً من خفايا الطرائق إلاّ أوضحناه ، ولا واحداً من أصناف المدّعين إلاَّ أظهرناه ، ولا قولاً ما مِن أقوالهم المزخرفة إلا رددناه في كتابيْنا « الدرة البيضاء » و« الجوهرة النفيسة » ، فمن أراد أن يدرك الحق اليقين فليرجع إليهما ، وقد تكلَّمنا فيهما بكلام مَنْ لا يخاف لومة لائم ، لمحض وجه الله تعالى غِيرةً بهذه الطريقة المحمدية ، ومن لم يرجع عن مألوفاته القبليّة من مُتَشَيِّخي هذا الزمان ومريديهم بعدما نظروا إلى ذينك الكتابين ؛ فلا شك أن داءه عُضَال ، وعلى عين بصيرته رَيْنٌ ، والله وليُّ التوفيق . فهذا والسلام .

مكتوب قَدِمُحَمَّدِ الْغُغُولِيِّ

وكتب إليه قدس سره العالم قَدِمُحَمَّدِ الْغُغُولِيُّ : أن بعض مريدي بعض المتشيخين يدَّعي أن شيخه كان يقول : إن تلقين الطريقة لا يصحُّ إلاَّ لمن له حضور تام . فوقع بسببه كلام كثير في مجلس ، وأحبَّ بعض من كان هناك من أهل العلم أن يقف على حقيقة هذا الكلام فرفعته إلى جنابكم ؛ راجياً منكم الجواب بالبيان ، فإني مقرٌّ بقصور خُطَايَ في هذا الميدان . انتهى بحاصله .

فكتب قدس سره في جوابه ما لفظه :

لا شيء أعجب من هذا القول ، فإن مَن حصل له الحضور التامُّ فهو الفاني في الله والباقي بالله ، فما الحاجة إذاً لأخذ الطريقة والسلوك على يد الشيخ . فافهم ، مع أن المرادَ من الطريقة حملُ المريد إلى هذا المقام بتعليمه كيفية الذكر الذي هو الأمر الباعث إلى حصول الحضور التامِّ . انتهى . والذكر في هذا المقام ذنبٌ من الذنوب ، وبيتُ :

---

(١) طريقة لا شريعة . علّه . (هامش الأصل) .

بـذكر الله تـزداد الذنـوب   وتنكشف الرذائل والعيُوب

واردٌ في حق هذا المقام ، ويعلم من أمثال هذه الكلمات الصادرة من أفواه هؤلاء المدّعين عدمُ كون مُقتداهم من أهل الذوق والوجدان .

وفي « المتممات » و« المكتوبات » وغيرها من كتب النقشبنديِّين :إنَّ أوَّل قدم يضعونه في الذكر القلب ، وإن ابتداء سيرهم من عالَم الأمر ؛ وهو اللطائف ، لا من عالم الخلق ؛ وهو البدن العنصري . يعني : أن تحصيل الجذبة القلبية وتعليم الذكر القلبي لإيصال الحضور الدائميّ مقدَّمان في هذه الطريقة النقشبندية ليس فيها الرياضات والمجاهدات البدنية والنفسية ، كما هو مذكور في « الحديقة الندية » ، و« الدرر المكنونات النفيسات » في مواضع كثيرة ، وكلُّ من حصل له الحضور التامُّ فهو الواصل إلى الله تعالى ؛ وهو مقام المُنتهِي ؛ كما هو مذكور في « الرشحات » وغيره .

فالحكم بعدم جواز تلقين الطريقة إلا لهذا الشخص حكمٌ بالرأي ، وقولٌ مخالف للنقل والعقل ، وأظن – والله أعلم – أنَّ مَن يقول هذا الكلام لا يعلم معنى الحضور التام ، بل ولا معنى الحضور ! ! فافهم .

وأيضاً إنهم قالوا بوجوب اتخاذ الشيخ على كلِّ مَنْ ليس له قلبٌ سليمٌ ، بل بفرضيَّته ، فالقول بعدم جوازه ، والحكم بوجوب كون الشخص مشتغلاً بالنوافل قبل حصول مقام الإخلاص وقبل الوصول إلى درجة تصفية القلب من الرذائل واتصافه بالقلب السليم ينتجان بوجوب ترك الفرض بالاشتغال بالسنن والنوافل ؛ كذا قال بعض العارفين في رسالته .

فالحاصل : أن هؤلاء خرقوا سور الإجماع بلا شك . فافهم ، فمن يقول : لا يجوز اتخاذ الشيخ وطلب تلقين الذكر للعوامِّ . فليراجع إلى هذه الكتب في هذه التواريخ ، وأيضاً ينبغي لكلِّ مَن يقول : إن أخذ الطريقة لا يجوز إلا بعد إتمامه منازل الشريعة . أن يراجع إلى هذه الكتب المذكورة « تنوير الصدر على حزب البرِّ » في ص ١٨٥ من هامش « مجموعة الأحزاب » ج ، و« البهجة السنية » في ص ٧٦ ؛ وص ٧٧ ، و« اليواقيت » في ١٠٤ ، و« الطبقات الكبرى »

في ١٤٨ ج١ ، و« لواقح الأنوار » في ص ٣١١ ، و« الدرر المكنونات » في ٨٠ ج٢ ؛ وفي ص ٢٦ جلد ٣ ، وفي ٢٩٧ ج١ ، وفي « تنوير الصدر » أيضاً في ص ١١٠ ؛ من هامش « مجموعة الأحزاب » ، وفي « الدرر المكنونات » أيضاً في ٦٧ ج٢ ؛ وفي ص ١٣١ ج٢ ، وفي « البهجة » أيضاً في ٣٧ ، وفي « لواقح الأنوار » أيضاً ص ٣١٢ ، وفي « عصيدة الشهدة » في ٢٩ ، و« شيخ زاده » في هذا التاريخ ، وفي « البهجة » أيضاً في ٣٨ ، وفي « الدرر المكنونات » في ٣٥ ج١ ، وفيه في ١٤٧ ج٣ ، و« المنن الكبرى » في ١٥٤ ، و« المتممات » في ١٨٤ . و« الحديقة الندية » في ١١٠ من هامش « أصفى الموارد » ، و« الإبريز » في ص ٢١٧ ، و« ترصيع الجواهر » في ١٢ ، و« جامع الأصول » في ١٥ .

وفي « ابن حجر » من كتاب السير ، و« الفتاوى الحديثيَّة » ، له ما يصرّح بوجوب تعلُّم أدوية أمراض القلب من الشيخ المرشد على كلِّ مَن ليس له قلبٌ سليم ، وأما مَن له قلبٌ سليم ! ! فلا ، ولذا قال الشعراني في « لواقح الأنوار » : واعلم أنَّ كلَّ مَن رَزقه الله تعالى السلامة من الأمراض الباطنة كالسلف الصالح ، والأئمَّة المجتهدين ؛ فلا يحتاج إلى شيخ . انتهى فراجعه في ١١ .

وأيضاً قال الإمام الربّاني[1] : إن تعليم الطريقة بعد الاستخارة والتوجهات أيّاً مَن كان ، مناسبٌ ؛ بل لازم . انتهى . كذا في « الدرر » في ١٤٧ ؛ من الجزء الثالث ، فراجعه منه ومن ص٣٨ .

---

(١) **وقد سئل** الإمام الرباني قدّس سرّه : هل يجوز تعليم الطريقة لمن يأكلون ويلبسون من مال لا يخلو من ربا ؟ **فأجاب** بقوله : لقنوهم الذكر ، وعلّموهم ورَغِّبوهم في الاجتناب عن المحرَّم ، ولعلهم يتخلَّصون من ذلك الاشتباه ببركة الطريقة ، كذا في « الدرر » في ١٣١ من الجزء الأول و« البهجة » في ٣٧ فراجعه . وقال الشيخ الشعراني في « لطائف المنن » : إن من الواجب على الشيخ أن يرفق ويلطف بمن كثرت معاصيه ، وقسى قلبه ، وغلب وقوعه في المخالفات ، ولم ينشرح صدره للتوبة ، فإنه كالمريض الذي يشكو أمراضه للطبيب ، فلا ينبغي أن يزجره وينفر منه ، بل يصبر حتى يفرغ من أن يشكو ضرورته ومرضه ، ثم يصف له الدواء . وهذا الخلق قلَّ من يعمل به لا سيما أهل الحدَّة والغيرة على الشريعة ، ولو أنهم نظروا في أخلاقه ﷺ لتلطّفوا بجميع العصاة .

فإيَّاك يا أخي ونَهْرَ أحد من العصاة إذا سألك عن دوائه ، انتهى عبارته فراجعه ، من رسالة ألّفها الأستاذ حلمي حقي حسن أفندي قدس سره جواباً لأسئلة العالم محمد الحريكلي رحمهما الله تعالى . (من نسخة أخرى) .

ومَن يزعم أنَّ المريد يجبُ عليه ترك الدنيا بالكلية ؛ فليراجع إلى هذه الكتب ؛ إلى « المتممات » في ١١١ ، و« لواقح الأنوار » في ٨٧ من هامش « المنن » ج٢ ، و« المتممات » في ١٨٤ ، و« الحديقة الندية » ؛ مبتدئاً من ص١١٠ إلى تمام الكلام من هامش « أصفى الموارد » ، و« الطبقات الكبرى » للشعراني في ٧٧ ج٢ ، و« الرشحات » في ص٢٠٨ .

ومن يزعم أيضاً أن الطريقة النقشبندية لا يُطيق أن يحملها ، ولا يجوز أن يستعملها إلا المعتزل المتجرِّد ، ولا يجوز أيضاً أن يفعل الداخل فيها الرخصةَ فعليه أنْ يرجع إلى « الرشحات » في ١٢٩ وفي ١٢٥ ، و« النفائس السانحات » في ٢٦ ؛ من هامش « الرشحات » ، و« الحدائق الوردية » في ٢٠٣ و« المتممات » في ١٧٩ ، و« البهجة » في ٣٠ ؛ وفي ٣٧ ، و« الحدائق الوردية » ، أيضاً في ٢٠٣ ، ولا أحصي أن أكتب الجميع ، ويكفي للعاقل هذا القدر ، وأسأل بالله وبرسوله أن يترك الإنكار علينا بعد الرجوع إلى هذه النقول ، فلنا من ذلك ضررٌ عظيم ، ولا نعفو عنه بعد ذلك أبداً ، وفي « الدرر » من ص ٢٤٩ ج١ : حصول الطريقة مُقدَّم على حصول حقيقة الشريعة . انتهى وراجعه في ٢٤٨ .

❊ أمر حسن وهو من سياسات الإرشاد . « متممات » . عبارته . وهذه السياسة موروثة من فعل الرسول ﷺ مع الأشراف والرؤساء والكبار ، فإن بعضهم قال : أدخُلُ الإسلام بشرط سقوط الصبح عني ، وبعضهم بشرط غير ذلك ، فقبل منهم سرّاً ليدرِّجهم على تمام الهداية تدريجاً ، فتدرّجوا عليها كما هو مستفيض . من « تنبيه السالكين » عن « المتممات » عبارته أيضاً . (من نسخة أخرى) .

مطلب

الشريعة والطريقة والحقيقة وسرُّ مشروعية كلٍّ منها

الشريعة : أن تعبده ؛أي : الله ، **والطريقة** : أن تحضره ، **والحقيقة** : أن تشهده « جامع الأصول » .

الشريعة كالسفينة ؛ أي : العبادة لله كالسفينة في كون كلٍّ منهما سبباً للنجاة ، والطريقة ؛ أي : الحضورُ في تلك العبادة ، والتجنب عن الغفلة كالبحر ، يعني : أن السفينة ؛ وإن كانت سبباً للنجاة لا تجري في البَرِّ ، ولا يصل الراكب عليها إلى مقصوده الذي هو الدرُّ الذي لا يكون إلاَّ في البحر ، كما قال شيخنا قدس سره في « منظومته » : كَمَ لِكَبْ بُكِنَلْ رَقْدَدَ كَّدُلَرُ[١] . انتهى .

والحقيقة ؛ أي : العبادة مع الحضور ملاحظاً بأن الله تعالى يراه وأنّه ناظرٌ إليه كالدرّ الذي هو المقصودُ المطلوب ، يعني : **أنَّ المقصود من جميع العبادات حصول هذه المشاهدة المذكورة ، وإنما شُرِعت العبادات كلُّها لأجل الوصول إلى هذا المقام الأسنى الذي لا تحصُل المعرفة التامَّة إلاَّ به** ، فمن ترك الترتيب ؛ أي : مَن فَعل العبادة الغير المشروعة لا يصل . . . إلخ ،

ولذا قال في « جامع الأصول » ص٥٣ : فأول شيء واجب على الشخص من المطالب هو الشريعة ، والمراد منها أوامر الله ورسوله ؛ من الغسل ، والوضوء ، والصوم ، والصلاة ، وغير ذلك من الأوامر والنواهي . والطريقة هي : الأخذ بالتقوى ، وما يقرِّبُك إلى الله زلفى ؛ من قطع المنازل[٢] والمقامات ، وأما الحقيقة ! فهي : الوصول إلى المقصد ، ومشاهدة نور التجلّي . انتهى . عبارته .

---

(١) ترجمة العبارة بالعربية : السفينة ولو كانت جيِّدةً ومتينة فهي لا تسير على البر ، ولا تصل إلى مقصودها إلا إن سارت في البحر . (من نسخة أخرى) .

(٢) وأول المنازل في هذه الطريقة هو الذكر القلبي ، كما هو معلوم لدى كل من راجع « الدرر المكنونات » و« جامع الأصول » و« المتممات » وإلخ وإلخ وإلخ . . . (منه قدّس سرّه) .من خطه . (من نسخة أخرى) .

وقال فيه ص ٥٢ : كلُّ شريعة حقيقة ، وكلُّ حقيقة شريعة . انتهى .

وقال أيضاً : **كلُّ طريقة تخالف الشريعة؛ فهي كفر ، وكل حقيقة لا يشهد لها الكتاب والسنة؛ فهي إلحادٌ وزندقة** . انتهى عبارته .

ولا يخفى أن الطريقة النقشبندية ؛ أي : مآلها الخلوة في الجلوة ، أي : الكون في الباطن مع الله ؛ مع الكون في الظاهر مع الخلق ، وهذا الكون المذكور لا تمنعه الشريعة ، بل هو المطلوب الأعظم عند أهل الشريعة ، والوقوع في المعصية إنما هو بالغفلة عن الله وعدم الحضور معه ، **فإذاً يكون الذكر القلبي سبباً باعثاً إلى امتثال الأوامر ، واجتناب النواهي** ، ولذا قال الإمام الرباني قدس سره : الذكر القلبيُّ مؤيِّدٌ لإتيان الأحكام الشرعية ، ودافع لعناد النفس الأمَّارة . انتهى .

وقال صاحب « تنوير الصدر » : إنَّ مَن حارب النفس الأمَّارة باسم الذات ؛ أي : (الله) نجى منها . فراجعه . هذا ما عندي في تحقيق هذا المقام .

فالحاصل : أن الطريقة لتكميل الشريعة ، وأنهما شيء واحد لا مخالفة بينهما أصلاً ، والشخص الذي عَبَد الله تعالى بالإخلاص والحضور والمشاهدة بغير علَّة كما أمره الله تعالى فهو صاحب شريعة ، وطريقة ، وحقيقة ، ولا يحتاج هو إلى الشيخ ، ومَن أخلَّ بشيء من أوامر الشريعة ؛ لعدم خُلُوص نيَّته ، وفساد مقصوده ! فلا بدَّ له من شيخ ؛ ليحمله إلى الإخلاص ، وإصلاح النية ، ولذا قال الإمام الرباني : المقصود من سلوك طريق الصوفية ازدياد اليقين بحقيَّة المعتقدات الشرعية التي هي حقيقةُ الإيمان ، وحصول اليسر في أداء الأحكام الشرعية ، لا أمرٌ آخر وراء ذلك . انتهى .

شرط الاتباع عدم الإصرار لا عدم المعصية

وأيضاً إن كان ما يقوله هؤلاء المدَّعون المنكرون : إن المريد لا يجوز له أن يعصي الله ، وإن عصاه يخرج من الطريقة بالكليّة ! ! **فنقول** له في جوابه : إن الشعراني قال في كتاب « الجواهر والدرر » : **ولا يشترط في مقام الاتباع له عليه السلام عدمُ الوقوع في المعصية ، وإنما الشرط عدم الإصرار** . انتهى فراجعه في ١٤٩ من هامش « الإبريز » .

من غلب خيره فهو الكامل

وفي « الحديقة الندية » ص١٠٥ ؛ من هامش « أصفى الموارد » : وربَّما طعن بعضهم في الفقراء – يعني المريدين – بأنهم مسرفون على أنفسهم ، فتراهم[1] يطلبون فقراء في طريق الله معصومين من الزلل والمعصية ، **وهذا لا يكون أبداً ، بل مَن غلب خيرُه على شره ؛ فهو الكامل ، بل في الحديث الشريف النبوي** ما هو أبلغ من هذا ؛ وهو الاكتفاء بالعشر من الخير ؛ فضلاً عن غلبته على الشرّ ، أو كونه نصفاً أو ربعاً ، قال ﷺ : « إنَّكُمْ في زَمانٍ مَنْ تَرَكَ مِنْكمْ عُشْرَ ما أُمِرَ بِهِ هَلَكَ ثمَّ يأْتِي زَمانٌ مَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِعُشْرِ ما أُمِرَ بِهِ نَجَا » . رواه الترمذي ؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه . وذكر السيوطي في « الجامع الصغير » ، وقد حكم ﷺ بالنجاة لمن عمل العشر ، **وهي بشارة عظيمة لكلِّ مَنْ سَلِم من الكفر والشرك إلى آخر الزمان ، وقلّ مَن يسلم من ذلك في زماننا هذا** ! ! انتهى . من عبارته ، وأيُّ رجل منا خرج من دائرة الشريعة ليقولوا هذا الكلام ؟ ! وهل لسنا من المصلّين والصائمين . . وإلخ . وأيُّ شيء عَلَّمَنا آباؤنا حين الصبا ! ! وقد علّمونا أوّلاً كيفية الإيمان والإسلام وقتَ البلوغ ، ومن ذلك الوقت فنحن على ذلك ، وهل هذا إلاَّ الشريعة ؟ !

---

(١) راجع « خلاصة الأدب » ص ١٧ .

وأما إن كان مرادهم أن من دخل الطريقة لا يجوز له أن يعصي الله ! فقولهم هذا يخرق الإجماع ؛ لأن الإجماع منعقد على أن غير الأنبياء ليسوا بمعصومين . فافهم .

وأيضاً هل في الكتب أنه يجوز لصاحب الشريعة أن يأتي بالمعاصي كائنة ما كانت ؛ وإن صاحب الطريقة يخرجه عصيانه عن الشريعة ؟ ! فافهم أيضاً .

ومن له شبهة ما في حقِّ جواز إعطاء الطريقة للعامي ؛ فليكتبه إلينا مع بيان النقل ، فنحن– إن شاء الله تعالى– نجيبه عن ذلك جواباً شافياً ، لابتغاء مرضاة الله تعالى لا غير ، وأما من دأبه التعصُّب والعناد ، وعدم الامتثال للحقِّ ؛ ولو ظهر له كالشمس ! ! فليس لنا معه كلام إلاّ أن نقول ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي﴾ . . إلخ ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ ، فهذا والسلام . انتهى من خطه قدس سره .

مكتوب الحاج موسى الإنخوي

وكتب قدس سره إلى مريده الصادق الحاج موسى الإنخوي ؛ نقلاً عن « الدرر المكنونات » ما يأتي :

ووقع في عبارة المشائخ : أن الشريعة قشر الحقيقة ، والحقيقة لبُّ الشريعة . وهذا الكلام ؛ وإن كان منبئاً عن عدم استقامة قائله ، ولكن يمكن أن يكون مراده به أن المجمل حكمُه بالنسبة إلى المفصَّل كحكم القشر بالنسبة إلى اللبِّ ، والاستدلال في جنب الكشف ؛ كالقشر في جنب اللب .

وأما الأكابر المستقيموا الأحوال ! فلا يجوِّزون التكلُّم بأمثال هذه العبارة الموهمة للمخالفة ، ولا يثبتون الفرق بينهما غير الإجمال والتفصيل ؛ والاستدلال والكشف « الدرر المكنونات » معرّب « المكتوبات » للإمام الرباني قدس سره ص٢٩٥ ج١ .

حصول الطريقة مقدَّمٌ على حصول حقيقة الشريعة . منه عبارته ٢٤٩ وراجعه ص٢٤٨ .

الطريقة والحقيقة عبارتان عن حقيقة الشريعة . منه عبارته ٦٩ .

الطريقة والشريعة لا مخالفة بينهما مقدار شعرة . منه عبارته ٥٨ .

والمقصود من سلوك طريق الصوفية ازدياد اليقين بالمعتقدات الشرعية التي هي حقيقة الإيمان ، وحصول اليسر أيضاً في أداء الأحكام الفقهية ، لا أنه أمرٌ آخر وراء ذلك . منه عبارته ١٧٥ .

فالمقصود من السير والسلوك ، وتزكية النفس ، وتصفية القلب : هو إزالةُ الآفات المعنوية والأمراض القلبية المشار إليها بقوله تعالى ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ لتحقق حقيقة الإيمان . منه عبارته ٦٢ .

إنَّ كلاً من الشريعة والحقيقة عينُ الآخر لا تمايز بينهما في الحقيقة ؛ غير الإجمال والتفصيل . وإلخ وإلخ . . منه عبارته ٩٥ .

وسمعت حضرة شيخنا يقول : إن الخواجه النقشبند قدّس سرّه جمع علماء بخارى ، وجاء بهم إلى خانقاه[1] شيخه الأمير كلال ؛ ليمنعوهم من ذكر الجهر ، فقال العلماء للأمير : إن ذكر الجهر بدعة ، فلا تفعلوه . فقال في جوابهم : لا أفعل . فإذا صدر من أكابر هذه الطريقة مثل هذه المبالغة في المنع عن ذكر الجهر ؛ فماذا نقول في السماع والرقص[2] ، والوجد والتواجد ، والأحوال والمواجيد التي تترتب على أسباب غير مشروعة ؟ ! فهي من قبيل الاستدراجات عند الفقير . منه عبارته ٢٧٩ .

---

(١) مدرسة الصوفية .

(٢) والسماع والوجد مضر للمبتدئ ، ومناف لعروجه وإن وقع بالشرائط ، وسيحرر نبذة من شرائط السماع ، انتهى . ووَجْد المبتدئ معلُول ، وحَالُه وبَالٌ ، وحركته طبيعية ، وتحرُّكه مَشوبٌ بالهوى النفساني ، وأعني بالمبتدئ ؛ من ليس من أرباب القلوب ، وأرباب القلوب متوسطون بين المبتدئ والمنتهي ، والمنتهي هو الفاني في الله والباقي بالله ، وهو الواصل الكامل . من « مكتوبات الإمام الرباني » عبارته ٣٠٩ ج١ راجعه هناك ، ففيه البيان التام في حكم الوجد والسماع . (من نسخة أخرى) .
وقال أبو عثمان المغربي ﵁ : من لم يسمع من نهيق الحمار ما يسمع من صوت العود ودواخل المغنّين فسماعه معلول . « الحدائق الوردية » عبارته . وقال : من ادعى السماع ولم يستمع من صَوْت الطيور وصَرير الباب وتصفيق الرياح فهو مفتر مدَّع . (منه) عبارته .
الفصل ١٩ في بيان الوجد والصّفاء ، قال الله تعالى : ﴿ تَقْشَعِرُّ ﴾ . . إلخ الآية . انتهى « طفل المعاني » المسمى « ببيان الأسرار » عبارته راجعه منه . (من نسخة أخرى) .

ومبالغة الفقير إنما هي بسبب مخالفة طريقته ، سواء كانت المخالفة بالسماع والرقص ، أو بقراءة المولد . . وإلخ ، ولكل طريق وصول إلى مطلب خاصّ به ، والوصول إلى المطلب الخاصِّ بهذا الطريق المتوسط منوطٌ بترك هذه الأمور . منه عبارته ٢٩٥ .

والذكر القلبي الذي أُجِزْتُمْ به مؤيّد لإتيان الأحكان الشرعية ، ودافعٌ لعناد النفس الأمارة ، فينبغي إجراء هذا الطريق . منه عبارته ٢٩٧ .

ومن ها هنا لم يجوّزُوا الرقص والسماع ، ولم يقبلوا الأحوال المترتبة عليه باتفاق منهم وإجماع ، بل اعتقدوا ذكر الجهر بدعة ، ومنعوا أصحابهم عنه ، ولم يلتفتوا إلى ثمرات تترتب عليه . منه عبارته ٢٧٩ .

والسماع والوجد مُضرٌّ لمبتدئ ومناف لعروجه ؛ وإن وقع بالشرائط ! منه عبارته ٣٠٨ .

وَجد المبتدئ معلولٌ . منه عبارته ٣٠٩ .

ونور هدايته المذكور يسري إلى مريديه بلا واسطة ، أو بواسطة ، أو بوسائط ، ما لم تلوّث طريقته المخصوصة بلوث التغييرات والتبديلات ، ولم تخرَّبْ بإلحاق المخترعات والمبتدعات . منه عبارته ٢٥٣ .

أقرب الطرق

فكلُّ طريق مخالفةُ النفس فيه أكثرُ ؛ فهو أقرب الطرق ، ولا شك أن رعاية مخالفة النفس في طريقة النقشبندية أكثرُ منها في سائر الطرق ، فإن هؤلاء الأكابر اختاروا العمل بالعزيمة ، والاجتناب عن الرخصة ، ومن المعلوم أن كلاًّ من اجتناب المحرم والفضول موجود في العزيمة ومرعيٌّ فيها ، بخلاف الرخصة فإنَّ فيها اجتنابَ المحرَّم فقط .

فإن قيل : يمكن أن يكون المختار عند أرباب سائر الطرق أيضاً العزيمةُ ؟ !

قلت : إن في أكثر الطرق سماعاً ورقصاً ويبلغ الأمر فيه حدَّ الرخصة بعد تحمّل كثير ، وأين فيه المجال للعزيمة ؟ ! وكذلك ذكر الجهر ، لا يتصور فيه ما فوق الرخصة . منه عبارته ٣١٤ .

وسئِلْتُ أيضاً أنه : ما سبب المنع من ذكر الجهر بعلّة البدعة ؛ مع أنه مُورث للذوق والشوق ، وَلِمَ لا يمنع من أمور أخرى لم تكن في زمن النبي ﷺ مثل لبس الفرجيّ[١] والشال والسراويل ؟ !

مطلب

فعله ﷺ على نوعين

أيُّها المخدوم ؛ إن فعله ﷺ على نوعين : فعل على سبيل العبادة ، وفعل على طريق العرف والعادة ، فالفعل الذي صدر عنه على سبيل العبادة نعتقد خلافه بدعة منكرة ، ونبالغ في المنع عنه لكونه إحداثاً في الدين ، وهو مردودٌ ، والفعل الذي صدر عنه ﷺ على طريق العرف والعادة لا نعتقد خلافَه بدعةً منكرة ، ولا نبالغ في المنع عنه ؛ لعدم تعلُّقه بالدين ، بل وجوده وعدمه مبنيّان على العرف والعادة ، لا على الدين والملّة . منه عبارته ٢٠٧ . والجهر ممنوع في هذا الطريق . منه عبارته .

بعد الحمد والثناء ، وتبليغ الدعوات ، ليكن معلوماً للأحباب الحقيقيين والمشتاقين التحقيقيين أنه قد حصل السرور والابتهاج بوصول المكاتيب المُنبئة عن فرط المحبة والاشتياق ، ثبتكم الله سبحانه على هذه المحبة ، وينبغي لكم أن تسألوا الله سبحانه الثبات والاستقامة عليها ؛ معتقدين بأنها رأسُ سعادة دنيوية وأخروية ، والتوفيق لإتيان الأحكام الشرعية نتيجةُ هذه المحبة ، وتحصيلُ جمعيَّة الباطن ثمرةُ هذه المودَّة ، **ولو صُبَّ جميعُ ظلمات العالم وكدوراته في الباطن ؛ وهذه المحبة قائمة ينبغي أن لا يغتمَّ أصلاً ، بل ينبغي أن يكون راجياً** ،

(١) ثوب مفتوح من الأمام يدعى : الصاية .

ولو أفيضت أمثال الجبال من الأنوار والأحوال على الباطن ؛ وقد زالت مقدار شعرة من هذه المحبة ؛ ينبغي أن لا يعتقد ذلك شيئاً غير الخذلان ، وينبغي أن يعدَّه استدراجاً ، وعليكم بالتوجُّه إلى شغلكم متمسكين بحبل هذه المحبة تمسُّكاً شديداً ، دون أن تضيّعوا العمر العزيز بأمور لا طائل فيها . شعر :

وإياكم والاغترار بزخرف　　سريع انتقال لن تروْا نفعَه أصلاً

والسلام على مَنْ اتبع الهدى ، والتزم متابعة المصطفى عليه وعلى آله من الصلوات أتمُّها ومن التسليمات أكملُها . منه عبارته ٢١٧ ج١ ، وراجعه من المكتوب ٢٣٥ .

علوُّ الطريقة ورفعتها

إنَّ علوَّ هذه الطريقة العليّة ، ورفعة الطبقة النقشبندية إنما هي بواسطة التزام السنة السنية ، والاجتناب عن البدعة الشنيعة ، ولهذا اجتنب أكابر هذه الطريقة عن ذكر الجهر ، وأمروا بالذكر القلبي ، ومنعوا من السماع والرقص والوجد وغير ذلك ، مما لم يكن في عصره عليه الصلاة والسلام وعصر الخلفاء الراشدين عليهم الرضوان ، واختاروا الخلوة في الجلوة ، بدل خلوة الأربعين ؛ لعدم كونها في الصدر الأول . انتهى منه عبارته ١٤٧ ج١ .

نسبتنا فوق جميع النسب . منه عبارته ٣٦ .

النفي والإثبات في هذا الطريق بالتخيل ؛ لا دخل فيه للِّسان والحنك أصلاً حتى يشترط مواطأة القلب والقول . منه عبارته ٣٨٢ .

وكتبت أيضاً : إن بعض الطالبين يريدون الطريقة القادرية ! ينبغي أن لا تعلِّم أحداً أصلاً طريقة غير الطريقة النقشبندية ، حتى لا يكون خلط بين الطريقتين . منه عبارته ٢١٩ .

إن المقصود من حصول الأحوال التعلُّق والارتباط بمحوِّل الأحوال ، فإذا حصل هذا التعلُّق ؛ فلا ضرر من عدم حصول الأحوال . منه عبارته ٢١٩ .

مطلب مهم

وأقبح التغني : ما كان في القرآن والذكر والدعاء « طريقة محمدية » عبارته .

وفي « قاضيخان » : رفع الصوت بالذكر حرام ، لقوله ﷺ من[1] رفع صوته بالذكر : « لا تدعون أصمَّ ولا غائباً » ، وقول النبي ﷺ : « خير الذكر الخفي » ، ولأنَّ الإخفاء أبعدُ من الرياء ، وأقرب إلى الخضوع والأدب ، وقد صحَّ أثرٌ عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سمع قوماً اجتمعوا في مسجد يذكرون الله ويصلُّون على النبي عليه الصلاة والسلام ، فراح إليهم ، وقال : ما عهدنا ذلك على عهد النبي ﷺ ، وما أراكم إلاَّ مبتدعين ! ! فما زال يذكر[2] حتَّى أخرجهم من المسجد .

وفي « كبير الحلبي » : الجهرُ بدعةٌ ، **فإن قالوا** بجواز الجهر بما في نحو الأحقاف ؟ **قلتُ** : أدنى درجة الاختلاف إيراث الشبهة ، فينبغي أن يجتنب عنه من ادّعى سلوك طريق الورع ، كما في « ابن مالك » .

وفي حديث البخاري « يا أيها الناس ؛ اربعوا[3] على على أنفسكم إنكم لا تدعون أصمَّ ، ولا غائباً » .

وفي آخر « رسالة أبي السعود » : الجهر بالذكر جائزٌ ، ولكن الإخفاء أفضل ، وهو مراد إمام محمد بما ذكر في « السير الكبير » من كراهة رفع الصوت عند قراءة القرآن والذكر ؛ على ما بيّنه في « الذخيرة » و« المحيط » . ولكن قد يعرض عارضٌ فيكون الجهرُ أفضلَ كدفع الكسل والنوم والخواطر ، وحث الغير والمعاونة .

---

(١) علَّه : فِي حقٍّ . (من نسخة أخرى) .
(٢) ينكر علَّه . (من نسخة أخرى) .
(٣) أي : ارفقوا . راجع « الإعانة » . (منه قدّس سرّه) . (هامش الأصل) .

والحاصل : أن الذكر والقرآن والصدقة سواء في حق جواز الجهر والإخفاء ، وكون الأصل الإخفاء إن لم يعرض عارض « بريقة محمودية ؛ شرح طريقة محمدية » عبارته ١٧٢ ج٢ .

إن إنكار هذه الطريقة سمٌّ قاتل ، والاعتراض على أفعال هؤلاء الأكابر وأقوالهم سمُّ الأفعى يؤدِّي إلى الموت الأبدي ، ويفضي إلى الهلاك السرمدي ؛ فكيف إذا كان هذا الإنكار والاعتراض راجعاً إلى الشيخ ، وكان سبباً لإيذائه ؟ !

ومنكرُ هذه الطائفة محرومٌ من بركاتهم ، والمعترض عليهم خائبٌ وخاسر في جميع الأوقات . « الدرر المكنونات » عبارته ٣٨٢ ج١ .

فتدبَّر يا موسى حجيو ؛ في هذا الكلام ، وفيما عليه أهل زماننا من متشيِّخي ديارنا ، وإنكارهم على هذه الطائفة النقشبندية قائلين : إن ما يعطونه هو الشريعة لا الطريقة ، وإنه لا يجوز إعطاء الطريقة في هذا الوقت ، فهل هذا إلاّ إنكار واعتراض ومخالفة للطريقة وابتداعٌ ؟ ! وقد قال سيّد الطائفة خالد البغدادي قدس سره : **من غيّر أصولَ طريقتنا فليس منا** . انتهى ، وقال الشيخ سليمان الزهدي أيضاً : إن المخالفين لأصول الطريقة مطرودون ، بل هم عنها مبعدون . انتهى .

وقال الإمام الرباني ما حاصله : إن البدعة في الطريقة ليست عند الفقير بأقلَّ من البدعة في الدين ، **وبركات الطريقة إنما تفاض ما لم يحدث فيها محدث** ، فإذا حدث فيها محدثٌ ينسدُّ طريق الفيوض . انتهى . فالعياذ بالله من غرور الشيطان وتسويلات النفس ، فينبغي للمتديّن أن يجتهد لإيقاظ هذه الجماعة من سِنة جهلهم المركّب ، وأن يُعلِّمَهم بأنهم مع تابعيهم مبتدعون ، وفي شبكة الشياطين واقعون ؛ مع أنهم يظنُّون أنَّهم يحسنون صنعاً ! ! وقد قال الإمام الرباني : **الجهاد القوليُّ أفضل من جهاد القتل** ؛ كما في « مكتوباته » قدس سره . فهذا ؛ والسلام ، وأوصيكم بالدعاء بالاستقامة لهذا الكاتب المعلوم ؛ أخيكم الداعي لكم بالخير والصلاح والرشد والهداية : حسن القحي . من خطه قدس سره .

مكتوب آخر لمن ادعى الأخذ عن رسول الله ﷺ مباشرة

وكتب قدس سره في حقِّ مَنْ ادَّعى رؤية النبي ﷺ من متشيخي الزمان ، وأنه ﷺ هو شيخُه :

وقد سمعتُ عليّاً الخواص رحمه الله يقول : بين الفقير وبين مقام الأخذ عن رسول الله ﷺ بلا واسطة مئتا ألف مقام ، وسبعة وأربعون ألف مقام ، وتسعمائة وتسعة وتسعون مقاماً ، وأمَّهاتها مائة ألف مقام وخاصَّتها ألف مقام ، فمن لم يقطع هذه المقامات كلها لا يصح له الأخذ المذكور . انتهى « لطائف المنن الكبرى » للشعراني . فمن ادّعى ذلك طالبناه بهذه المقامات ، فإذا رأيناه لا يعرفها ؛ كَذَّبناه في دعواه ذلك « تنبيه المغترين » عبارته ٦٥ للشعراني قدّس سرّه .

وفي « الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية » له قدس سره : إنَّ من ادّعى الإذن الخاصَّ من النبي ﷺ فكأنَّه ادَّعى أنه القطب الغوث الفرد الجامع . انتهى وراجعه ص٣٩ تجد البيان .

وبعضهم ادّعى أن رسول الله ﷺ أذن له . وهو بعيد ! فإن بين مقام الأخذ عن رسول الله ﷺ كذا وكذا ألف مقام ، ما أظنُّ أن هذا حَصَل له منها مقام واحد ! كما مرَّ تقريره في المقدمة « لطائف المنن » عبارته .

وفي « الفتاوى الحديثية » لابن حجر رحمه الله ما حاصله : رؤيته ﷺ بابٌ ضيِّقٌ وقلّ مَن يقع له ذلك ، إلاّ مَن كان على صفةٍ عزيزٍ وجودُها في هذا الزمان ، بل عُدِمَتْ غالباً . فراجعه ص٢١٨ .

وفي « الرملي » من (الصيام) ص ٣٠٨ ما نصه : ولا اعتبار بقول من ادّعى رؤيته ﷺ ، وأنه أخبره في النوم بأن غداً من رمضان ، فلا يصحُّ الصوم به إجماعاً ؛ لا لشك في رؤيته . انتهى فراجعه ، وراجع « حواشيه » و« ابن حجر » من كتاب الصيام و« البجيرمي » أيضاً ففيه عينُ ما مرَّ ، وراجع « الشهاب » ، و« مغني المحتاج » للخطيب الشربيني من (الصيام) ، فإذا لم يجز العمل بالرؤية في هذا الأمر اليسير ؛ فعدم جوازه في حقِّ الخِلافة التي خطرها جسيمٌ وأمرها عظيم ؛ يعلمُ بالطريق الأوْلى . وراجع « الدرر المكنونات في تعريب المكتوبات » ص٢٩٣ ج١ من المكتوب ٧٣ تَرَ العَجَبَ .

وقال الإمام الرباني قدس سرّه : لا أحدَ محفوظٌ من إلقاء الشيطان ، كيف ؟ ! وإذا كان ذلك متصوّراً في الأنبياء بل متحققاً ! ! فبالطريق الأولى أن يكون في الأولياء ومَن هو الطالب الصادق بَعْدُ . انتهى . فراجعه . وتدبَّر قوله تعالى وسبب نزوله ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾ الآيات الأربع ، فإذا ألقى الشيطان كلامَه الباطل في أثناء قراءته ﷺ فمن أين يدري أن تلك الواقعة محفوظة من تصرُّف الشيطان ومَصونة من تلبيسه ؟ ! مع كونها بعدَ وفاته ﷺ ، فالعياذ بالله من الدعوى ، فما أعظمها وما أعظم جهلَ الخلق وحماقتهم ؟ ! فلقد حقَّ قول القائل : النفس أمارة لا تتبع إلا المنكر المخالف للدين ، وأهل النفوس والحظوظ يجلبون إلى جانبهم أهل النفوس مثلهم كجلب المغناطيس الحديدَ .

وفي « البريقة » : لا مانع من أن يقول الشيطان :أنا رسول الله . فراجعه من الجلد الأول .

معنى القطب والغوث

وأيضاً ينبغي أن يعلم أين موضع الغوث ، وما تعريفه ، وما مقام القطب وما علامته .

فالحاصل أن الغوث هو الفاني في ذات الله تعالى ، وهو المتصرِّفُ في الخلق ، ولا يكون في الدنيا إلاَّ واحداً ؛ وهو قطب الأقطاب ، لكن من شأن القطب الخفاء ؛ لا النداء على رؤوس الأشهاد : أني قطب ؛ وليس في الدنيا أحدٌ مثلي . كما هو مبيَّنٌ في « اليواقيت » للشعراني ، و« تنوير الصدر شرح حزب البرّ » فراجعهما . عَصَمنا الله من شرور أنفسنا .

وفي « جامع الأصول » ص١٩٤ : **وأما الغوث !** فهو عبارة : عن قطب عظيم ورجل عزيز ، وسيد كريم تحتاج إليه الناس عند الاضطرار في تبيين ما خفيَ من الأمور المهمة والأسرار ، ويطلب منه الدعاء ، وهو مستجابُ الدعوة

لو أقسم على الله لأَبَرّه في قَسَمِه مثل أويس القرني في زمان رسول الله ﷺ . انتهى فراجعه .

وأما المجذوب المجرّد! فلا يجوز أن يكون شيخاً ؛ لأنه كالأعمى ، ولا يجوز أن يكون دليل الأعمى أعمى . فراجع « جامع الأصول » ص٥ تجد البيان الشافي .

مطلب

الإلهام لا يكون حُجَّةً

وأيضاً الإلهام لا يكون حُجَّة كما هو مذكور في « ابن حجر » من (كتاب الردة) ، وفي « الفتاوى الحديثية » له بسطٌ في ذلك . فراجعه .

وقال الإمام معصوم في « مكتوباته » ما حاصله : حُرِّرَ أنَّ مَن أذن شيخه له في واقعة ؛ لتلقين الذكر ، وتربية المريدين ؛ وأرواحُ السادات الماضية ظاهرون حاضرون ، هل يجوز لهذا الشخص اعتماداً على هذا تلقين الذكر ، وتربية المريدين ؟

فالجواب : أنَّ الإجازة لتعليم الطريقة أمرٌ عظيم لا تثبت بالواقعة ، ولا يجوز الاعتماد عليه ، إلا أن يكون الإذن في اليقظة من شيخ معتبر مأذون إذناً صحيحاً . انتهى .

وفي « روح البيان » : إنَّ من لم يتصل نسبُه المعنوي بواحد من أهل النفس الرحماني ، وادَّعى لنفسه الكمال والتكميل ؛ فهو زانٍ في الحقيقة ، ومن هو في تربيته هالك[1] ؛ لأنه ولد الزنا ، وربَّما يُكْرِه بعضَ أهل الطلب على التردّد لباب أهل الدعوى ، ويصرفه عن أهل الحق عناداً وغَرَضاً ومرضاً واتباعاً

(١) راجع « خلاصة الآداب » من ص ٥٦ إلى ٥٩ . (من نسخة أخرى) .

لهواه ، فهو إنما يكره على الزنا ؛ لأنه بملازمته بَابَ أهل الباطل يصير المرء هالكاً كولد الزنا . فراجعه .

وفيه أيضاً في تفسير سورة آل عمران : قال الشيخ الصفي قدس سره : إن الذين يدَّعون المعرفة وتمكُّنَهم في مقام الإرشاد ، ويراؤون جلباً لحطام الدنيا عذابهم أشدُّ من عذاب النساء الزانيات ؛ ولَدْن أولاداً من الزنا مع وجود أزواجهنَّ وأولادهن سبعين مرة . فراجعه .

وفي الكتب : إن الجذب لا يكون إلاَّ للناقصين ، لا وجد مع الوجدان ، ولا فقد مع العيان .

ورأيت في « التاتارخانية » ما حاصله :إن الشيطان يضع إصبَعَه في دبر من يحرِّف كلمة التوحيد فيحصل له الحرارة ،فيتواجد ويَصِيح . انتهى بالمعنى .وفي « الإبريز » أيضاً :إنَّ الشيطان ينفخ ويدفع قرونه على قلب من توجَّه قلبه إلى الله تعالى فيصيح ويتواجد .انتهى بالمعنى أيضاً ، فراجعه .وفي الكتب أيضاً ما حاصله :إنَّ الصياحات من علامات الغفلات ، فراجعها . فهذا ؛والسلام عليك أيُّها المخلص المحبوب الحاج موسى . فلمَّا طلب منِّي الحامل كتبة هذه النقول كتبتُ إليك ، وأوصيكَ بالدعاء ، ودُمْ على الحضور ، واحذرْ من الغفلة ،فإنَّ الغفلة عن الله تعالى من أعظم الذنوب عند أهل الله تعالى ، ولم يمكن لي كتبة الكتاب إليك ببسط الأحوال لضيق الوقت فأرجوك . . .إلخ . انتهى من خطِّه قدّس سرّه .

مكتوب لمحمد العسوي

جواباً عمن يقول : الشريعة ثم الحقيقة

وكتب قدس سره إلى ولده الأسبق ما لفظه :

وعليكم السلام ؛ أيُّها الولد المحبوب محمد العسوي ورحمة الله تعالى وبركاته . آمين .

وبعدُ : فصحَّتُكم وعافيتكم ، واجتنابكم عما لا يليق بشأنكم هو المسؤل من الله تعالى ، والملازمة على الذكر والفكر والمراقبة آناء الليل وأطراف النهار هو المطلوب المهم المحبوب لدى هذا الفقير غفر الله ذنوبه . آمين .

ثم إنك سألتني عن معنى قول نجم الدين الكبرى : الشريعة كالسفينة ، والطريقة كالبحر ، والحقيقة كالدرّ ، فمن أراد الدرّ ركب السفينة ، ثم شرع في البحر ، ثم وصل إلى الدرّ ، فمن ترك الترتيب لا يصل إلى الدرّ . انتهى . وعن قول بعض الفقراء العارفين : الحقيقة نتيجة الطريقة ، والطريقة نتيجة الشريعة . انتهى ، وقلتَ : إن أهل الدعوى يتمسّكون بأمثال هذين القولين دليلاً لعدم جواز أخذ الطريقة إلاَّ بعد إتمام أمور الشريعة . انتهى .

اعلم أيها الولد المرجوُّ ؛ أن الشيخ الأكبر قال :

الشريعة : أمر الله ورسوله ؛ من الوضوء والصلاة والصوم وأداء الزكاة والحجِّ ، وترك الحرام وغيرها من الأوامر والنواهي . انتهى ، فمن فعل هذه الأمور كيف كانت ؛ يقال له : إنه في الشريعة . **فإن للشريعة صورة وحقيقة ، فصورتها فعل هذه الأمور ظاهراً ؛ سواء حضر فيها وأخلص ، أو غفل عنها ولم يخلص .**

والطريقة : فعل أمورها على الإخلاص والحضور ، **وأمورُها كلُّها من الأسباب الباعثة على حصولهما وهي عين ما ورد في الشريعة ، لا أمر آخر ليس فيها .**

والحقيقة : فعلها كأنه يرى الله تعالى ، أو أنه تعالى يراه وهو ناظر إليه ، على حدّ قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ .

وقد قال بعضهم : الشريعة : أن تعبده ، والطريقة : أن تحضره ، والحقيقة : أن تشهده . وهو أصدقُ قول قيل في حقيقة هذا الشأن ، وهو يؤيِّد ما قرّرته ، فإذا كان الأمر كذلك ؛ ينبغي أن يعلم أنَّ مَن فعل أمراً أوترك شيأ لم يرد به النصُّ في الكتاب والسنة ، ولم يُصرَّح به في الشريعة التي هي مثل السفينة ، وصار يفعل ما ابتدعه خالصاً لله مع الحضور الذي هو عين ما يَقْصِده أهل الطريقة المشبَّهة بالبحر ؛ لم يصل ذلك المبتدع باستعمال أشغاله المبتدعة إلى المشاهدة التي هي عين حقيقة الشريعة ، ولا يكون قول نجم الدين المذكور دليلاً للمنكرين ، بل يكون حجةً عليهم ؛ لأن السفينة لا تجري على اليَبَس ، بل لا بدَّ لها من وضعها في البحر ، لأن السفينة فائدتها وضعُها في البحر ، وإجراؤها فيه بأسباب وآلاتٍ يديرها قائدها ، ولا يكفي مجرَّد وضعها وجعلها في البحر ، بل لا بدَّ للسفينة من قائد يقودها بالأسباب ويَعرف كيفية جَرَيانها ، **وهكذا لا بدَّ لمن أراد الوصول إلى حقيقة الشريعة والمعرفة من الدخول في الطريقة على يد شيخ عارف بصير واصل موصِل** . فافهم .

وقول القائل : الشريعة كالقشر الأعلى من الجوز ، والطريقة كالقشر الأسفل ، والحقيقة كاللب ، والمعرفة كالدهن) يشبه ما مرّ ؛ من أن الشريعة أن تعبده ، والطريقة أن تحضره . . . إلخ . لكن الإمام الرباني لامَ على من قال أمثال هذه المثالات الموهمة للمخالفة بين الشريعة والحقيقة ، فإنهما عين الآخر لا فرق بينهما ؛ ولو بأدنى شيء ، وهما متلازمان للآخر .

ومن قال : الحقيقة نتيجة الطريقة ، والطريقة نتيجة الشريعة . !! لعلَّ مراده من كلامه هذا أنه لا يصل المريد إلى حقيقة الشريعة إلاَّ بالسلوك في الطريقة على يد شيخ عارف ، كما قيل : الطريقة مقدمة على حقيقة الشريعة . فلما كان مبنى الطريقة على أساس الأمور الشرعية ؛ لا على الأمور البدعيَّة ، جاز أن يقول : إن الطريقة نتيجة الشريعة . بل هي عينها ، **فإن الأوراد التي يستعملها أهل الطريقة هي عين الشرع** ، ولا يخرج شيء منها من نصّ الكتاب والسنة ، وهذا القول أيضاً لا يكون دليلاً للمنكرين ، **فإن الشريعة لمَّا كانت غيرَ صحيحة في الناس غالباً** ، **وكان أهلها متدنِّسين بنقوش السِوى** ، **ومغموسين**

في بحر الهوى التي هي إلهٌ يُعبد ؛ كما قال تعالى ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ ، حتى قال البعض : إن النفس هي الصنم الأكْبَر وقع الاحتياج إلى استعمال العلاج لتحصيل الصحة عن هذه الأمراض المعنوية ؛ والأخلاق المذمومة ، فاختاروا لذلك علاجات من عين الشرع ؛ لا من غيره ، فعلّموا الأذكار وأمروا المريدين بتكرارها وملازمتها ، كما ورد في الحديث « ذكر الله شفاء القلوب » فبتكرارها ومواظبتها ينجلي القلب عن الغفلات ويرى قبائح أعمالها ، ثم يتشمَّر في إزالتها فيصير سليماً ، فبتقديم هذا العلاج الذي هو عين ما ورد في الشرع يصير السالك يُصحِّح الشريعة ، ويمتثل بالمأمورات ، ويجتنب عن المنهيات ،

مهم

ومن المعلوم أن امتثال الأمر ، واجتناب النهي لا يتمَّان إلاَّ إذا كان الآمر والناهي محبوباً عنده ، فمن أراد إتمامهما يجب عليه أن يشتغل بأسباب المحبة ، فالذكر إذاً والدوام عليه ليلاً ونهاراً من أسباب محبَّة الله ، وهو عبارة عن طرد الغفلة ؛ لا أنه مقصورٌ على كلمة النفي والإثبات ، أو كلمة لفظة الجلالة ، فلا بدّ من تقديم الذكر بتكرارهما ؛ ليحصل به الذكر الذي هو بامتثال الأوامر واجتناب النواهي . وقد بسط الإمام الرباني الكلام على هذا المطلب في « مكتوباته » ، ونقلته في « التنبيه » ، و« التلخيص » و« البروج » ، لكن لمَّا كنت في الريف خالياً عن الكتب اقتصرت على ما كان في خاطري من ملخص كلامه ، فأرجوك أن لا تعيبني ! والسلام .

مكتوب في توضيح المصطلحات

وكتب إلى بعض مريديه : فالعبادة بما شرع الله به **شريعةٌ** ، والحضور فيها والخشوع والخضوع طريقةٌ ومشاهدةُ أنّ الله تعالى ناظر إليه وحاضرٌ معه وقت العبادة **حقيقةٌ** وشهودُ أنَّ فاعل العبادة هو الله تعالى **معرفةٌ** . فهذه كلها عين الشريعة تفرَّقت أسماؤها في اصطلاح الصوفية ، ولا مناقشة في الاصطلاح ! ! والله سبحانه وتعالى وليُّ الهداية . فهذا ما عند الحقير القحي ؛ منقولاً من كلام أكابر الصوفية الصافية . والسلام .

وهكذا يقال في كلِّ ما مثّلوه لجميعها لتفهيم المراد من هذه الأسماء المذكورة ؛ من أن الشريعة علمٌ وعمل . . . إلخ ، ومن أنّ الشريعة كالسفينة[(١)] . . . وإلخ . . إلخ أي : فإن العلم والعمل عبادة ، وهي **شريعةٌ** ، والحضور فيها والاشتغال بالأسباب الجالبة للحضور من المواظبة على الوظائف المذكورة في كتب الطريقة طريقةٌ ، وفعلها كأنَّ الله ناظر إليه ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ**﴾ **حقيقةٌ** ، وشهود أن لا فاعل إلا الله **معرفةٌ** . انتهى[(٢)] .

---

(١) أي : أن فعل العبادة المشبَّهة بالسفينة شريعةٌ ، والحضور المشبه بالبحر طريقةٌ ، ومشاهدة أنه تعالى ناظر إليه حقيقةٌ وهو المشبّه بالدرِّ ، وشهود أن لا فاعل إلا الله معرفةٌ . . . وهكذا . . وهكذا في كلِّ مثال . فافهم . (من نسخة أخرى) .
وقول ابن حجر : وإنما يختلفان في مشاهدة أسرار الربوبية . صريح في بيان كون المراد موافقاً لما قلته . فتدبَّر . (من نسخة أخرى) .

(٢) وفي نسخة زيادة هنا :
يقول الحقير جامع هذه الرسائل- عفى الله عنه- لما ظفرت في بعض مكتوبات أهل العلم برسالة للشيخ الأكبر محي الدين العربي قدس سره في بيان المراد من الكلام المذكور للشيخ نجم الدين الكبرى قدّس سرّه ورأيتها نفيسة نافعة للمريدين في هذا الباب أردت أن أنقلها هنا برُمَّتِهَا وهي هذه بحروفها :
بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلقه وآله وصحبه أجمعين .
وبعد : فقال الشيخ المحقِّق نجم الدين الكبرى قدّس سرّه : الشريعة كالسفينة ، والطريقة كالبحر ، والحقيقة كالدرّ ، فمن أراد الدرّ ركب السفينة ، ثمّ شرع في البحر ، ثمّ وصل إلى الدرّ ، فمن ترك الترتيب لم يصل إلى الدرّ ؛ **فأوَّلُ** شيء وجب على الطالب هو الشريعة ،

والمراد من الشريعة أمر الله ورسوله ؛ من الوضوء والصلاة والصوم وأداء الزكاة والحج وترك الحرام وغير ذلك من الأوامر والنواهي ، **والطريقة** هو الأخذ بالتقوى ، وما يقرِّبك إلى المولى من قطع المنازل والمقامات **وأما الحقيقة** فهي الوصول إلى المقصد ومشاهدة نور التجلي ، كما في الصلاة خدمة وقربة ووصلة ، فالخدمة في الشريعة ، والقربة في الطريقة ، والوصلة في الحقيقة ، والصلاة جامعة لهذه الخصائل الثلاثة كما قيل : الشريعة أن تعبده ، والطريقة أن تحضره ، والحقيقة أن تشهده .

قيل ما الخلوة ؟ الخلوة : انقطاع عن الخلق إلى الخالق ؛ لأنه سفر النفس إلى القلب ، ومن القلب إلى الروح ، ومن الروح إلى السر ، ومن السرّ إلى الخالق . ومسافة هذا السفر بعيدة جدّاً بالنسبة إلى النفس ، قريبة جدّاً بالنسبة إلى السر ،

طهارة الشريعة طهارة البدن عن الحدث ، **طهارة الطريقة** التخلية عن الأهواء ، **طهارة الحقيقة** خلوّ القلب عما سوى الله .

صلاة الشريعة بالأركان والأذكار ، **صلاة الطريقة** بالخلاء عن الأكوان والتوجّه بالكليَّة إلى الرحمن واستغراقه في الذات بتوالي المناجات في كل زمان ومكان .

صومِ الشريعة بالإمساك عن الأكل والشرب والجماع ، **وصوم الطريقة** بالإمساك عن الأوهام شغلا بمحبة الأنام .

زكاة الشريعة من كل عشرين مثقالاً نصف مثقال ، **وزكاة الطريقة** بكلِّ المال .

فلو رأيت شخصاً يطير في الهواء ويمشي على البحر ويأكل النار وغير ذلك مما يشبه الكرامات ويترك فرضاً من فرائض الله تعالى وسنة من سنن النبي ﷺ فاعلم أنه كذاب في دعواه وليس فعله كرامات ، انتهت . وراجع كتاب « بيان الأسرار » من الفصل الرابع ، وفي كتاب« لبّ الغرائب » ، قال الجنيد رحمه الله : **الشريعة** ترك الحرام ، **والطريقة** ترك الحلال ، **والحقيقة** ترك النفس ، **والمعرفة** ترك الروح . انتهى .

الباب الثاني

في وجوب تفريد شيخ التلقين وتعظيمه
وتقديمه على شيخ شيخه ،
وبيان شروط الشيخ المرشد ،
وجواز إجازة الكامل للناقص ،
وبيان فوائد صحبة المشائخ ،
وذكر المراد من سلوك الطريقة وفوائدها .

مكتوب أُدرة العرادي

وكتب قدس سره إلى العالم العارف المجوّد أُدُرَةِ العرادي رحمه الله جواباً لكتابه :

وعليكم السلام . . إلخ .

إنّ الذي تسألونني عنه في رسالتكم في حق تفريد الشيخ كنا استشكلناه حتى الآن ، فإن أدركنا حقيقته بنقل صحيح ، أو بإلهام من الله ، فنحن إن شاء الله تعالى نوصله إليكم ، وإلا ! فلا يجوز لنا أن نتكلَّم في مثل ذلك بهوى النفس الأمَّارة . والسلام من طرف الغريق في بحر الذنوب حسن **ولد الحاج حَسَنِلْمحمد القحي** ، وأوصيكم بالدعاء لي بالاستقامة والتوفيق .

مكتوب آخر

وكتب قدس سره إليه ثانياً ما لفظه :

بعد سلام ما المسؤل – يا ولدي – بأعلم في ذلك من السائل ، بيد **أن امتثال الأمر أولى من سلوك الأدب** ، وإطاعة أولى الأمر واجبة ، وأن

الضروراتِ تبيح المحظوراتِ ، فبعون العلاّم نقلتُ ما بَدَا لي **في حق تفريد الشيخ وتقديمه على شيخ** شيخه ، فإن يك صواباً فمن فضل المنّان ، وإلا ! فمن كسب المسكين وكيد الشيطان ، فإن وقع في حَيِّز القبول عندكم فذاك ، وإلا فالشطبُ[1] مطلوب والمحو محبوب ، فعليكم بالإرشاد وعلينا الانقياد ؛

---

(١) طَصَنْ مُخْ ژَرِ – (عجم) .(من نسخة أخرى) .

* وكان الحاج عبد الرحمن العسوي قدّس سرّه يقول : يجوز للمريد أن يرابط بنا حين كان معنا ؛ لأن الشيطان لا يقدر أن يقرب إلى مجلسنا ، وأما إذا غابوا عنا – أي المريدون – فلا يجوز لهم أن يفعلوا الرابطة بذاتنا ؛ لأن الشيطان يقدر أن يتصوّر بصورتنا ، وأما التصور بصورة **محمود أفندي** قدس سره فمما لا طاقة له به . (من نسخة أخرى) .

وأنه كان يقول : لو فعل المريد الرابطة بي متوجِّهاً إلى المشرق أو إلى المغرب لا يقدر الشيطان أن يقف ما بينهما ، فإن وقف يحترق بنوري . « فيض الرحمن في ذكر كلام عبد الرحمن » عبارته . ألَّفه الأستاذ حسن أفندي قدس سره . (من نسخة أخرى) .

وكان ﷺ يقول : لو رأيتم إياي في المنام على الحقيقة تجدون قلوبكم تتحرَّك بالذكر وقت الانتباه ، وأما إذا رأيتم إياي بتصوير الشيطان صورتي فلا . وقال : إن الشيطان لا يقدر أن يتصور بصورة محمود أفندي قدس سره . (من نسخة أخرى) .

وسمعته ﷺ يقول : يجوز فعل الرابطة بالمرشد الذي فني في صفة من صفاته تعالى ، ولا ينفع بها بالتمام إلا برابطة القطب ، وهو الذي فني في جميع صفاته تعالى ، ولا ينفع بها أيضاً بالتمام إلا برابطة الغوث ، وهو الذي فني في ذاته سبحانه وتعالى . وكان يقول : يجوز الرابطة بأنفسنا حين كانوا ، أي : المريدون معنا ؛ لأن الشيطان لا يقدر أن يحضر بمجلسنا ، وأما إذا غابوا عنا فلا ، لإن الشيطان يقدر أن يتمثَّل بصورتنا ، انتهى (منه) عبارته وراجعه ص ٤٠٣ .

مرشد **قطب** **غوث**

وسمعته ﷺ يقول لزوجتي : كوني مرابطة بالشيخ محمود أفندي دائماً بالوضوء أو بغير الوضوء . منه عبارته .

وسمعته ﷺ يقول : إن القلب المقابل بقلب الشيخ محمود أفندي قدس سره لا بدَّ من حياته .

وسمعته ﷺ يقول : إن عدم علم المريد حياة قلبه إنما هو لعدم صبره على الرابطة إلى أن تحصل له الغيبة . (منه) عبارته .

* وكان ﷺ لا يأمر باللسان أحداً بترك شيء منهيٍّ عنه ، بل كان **إذا قيل له** : قل لي بترك المسكر أو الحشيش أو غيرهما **يقول** : إنك تتركه إن حصل لك البركة . لا يزيد على ذلك ، بل كان يخبر ما قاله شيخه بما هذا معناه : لا تقل يا ولدي لأحد ما يكرهه وإن كشف لك أنه يزني بامرأة ويعلوها ، بل ادعُ الله تعالى بتوفيقه إياه لتركه وتوصَّل لذلك بالشيخ محمود أفندي ونَادِهِ . (من نسخة أخرى) .

الأدب مع الشيخ سُلَّم الأدب مع الحق

المريد الذي يدخل في صحبة الشيخ وهو يرى في الوجود شيخاً أفضل أو أكمل من شيخه يبقى متشوّفاً إلى ذلك الأكمل في اعتقاده[١] ، فيراه شيخه متشوّفاً إليه ؛ فيقطع عنه المدَد ، فلا يكون منتفعاً بالأوّل ، ولا بالثاني ؛ لأنه غيَّر قلب شيخه ، وأساء الأدب معه ، فينقطع ترقِّيه ؛ **لأن الأدب مع الشيخ سُلَّم الأدب مع الحق** ، **فلا بدَّ من الوسائل** ، وللوسائل حكم المقاصد ، **فمن لم يتأدّب مع الوسائل لا يشمُّ رائحة التأدّب مع المقاصد** .

ومن الآداب : كثرة المحبة بمرشده حتى يقدِّمه على شيخ شيخه ، بمعنى : **أنَّ ردّ شيخه ردُّه ، وقبول شيخه قبوله** ، وأن من رده شيخه لا يقبل شيخ شيخه ؛ متسَلسَلاً إلى الرسول ، وإلى الحقِّ ، **ولا يطمع أحدٌ في معرفة الحق وهو لا يعرف رسوله ، ولا يطمع في معرفة الرسول وهو لا يعرف شيخه ، ولا يطمع في معرفة شيخه وهو لم يصلِّ على الناس صلاة الجنازة** ، ولا يُزيل الشيخَ عن تربية المريد تركُ إحسان ولا خدمة ، **وإنما يزيله عنه أن يُشرِك به غيرَه ، وإن المُلتفت إلى غيرِ شيخه لا يُفلح أبداً** ، **وشرط الانتفاع بشيخ جزمُ المريد بالتقيُّد في دائرته ، وإن أكبر الكبائر في حقِّ المريد أن تمرَّ عليه ساعة ولا يكون في خاطره شيخه** ، وهذه هي المعصية التي تضرُّه في دينه ودنياه ، ولا يكون المريد مريداً لو غِيبَ عنه مرشدُه طرفة عين ، وإكتساب الفيض لا يحصُل إلاّ من المرشد المختار يداً بيد ، فالأنسَبُ بنا نظراً إلى هذه الملتقطات المقتبسات ، **والأحقُّ في حقِّنا تقديمُ وتفريد محبة شيخنا عبد الرحمن العسلي قدس سره ، وأن نعتقد أن ليس على وجه الأرض**

---

(١) **وأخبرني** واحد أنه قال له : إني لا أطيق أن أترك المسكر . **فقال له** : لا بأس ، لكن لا تترك ما آمركِ به من الأوراد ، وافعلها ولو بعد الصحو من السكر . فقال المريد إنه لم يترك أوراده قط إلاَّ مرة ؛ حين كان في قلعة « أنْجه » ، **فالحكمة** أن تغيير المنكر يكون للعارف بالقلب لا باليد ولا باللسان ، وذلك أضعفَ – (مأخوذ من المضاعفة ، وهي لغة الزيادة والكثرة فليحرِّر .(منه) – الإيمان كما هو مذكور في « لواقح الأنوار » « فيض الرحمن في ذكر كلام عبد الرحمن » عبارته .

أحدٌ يُوصلنا إلى الحق سواه ، وإلاّ! لا يحصل أثر الفيض والمدد منه ومن أشياخه ، ولا ينفع تفريد الشيخ المرابَط إلا بتقديم تفريد الشيخ الملقِّن ، لأنَّ أقلَّ مراتب الشيخ أن يكون كالبوَّاب للملِك ، فمن كان البوَّابُ يكرهه فبعيدٌ أن يصل لدى السلطان ، ولأنه هو الواسطة لارتباط المريد بالأشياخ قبله ، **ولو لا الواسطة لذهب الموسوط** ، ولا مانع فيما نعلم من تفريد وتقديم الشيخ الملقِّن على الشيخ المرابَط ، بل يلزم على المريد تفريد كليهما ، وتفريد أشياخ جميع السلسلة ، وإلا ! لا ينتفع لانقطاع مجرى الفيض والمدد ، **لأن الأشياخ كالقناة** ، وهي إذا انهارَتْ من موضع ينقطع جريُ الماء إلى مجراهُ .

ولو كان تفريد الشيخ المرابط يكفي للمريدين غير تقديم تفريد الشيخ الملقِّن لجَاز لكلِّ أحدٍ أن يتخذ المختارَ ﷺ شيخاً له ، ولَحَصل الفيضُ بلا واسطة ، وذا ممَّا لم يُسْمَعْ ، فلو أنكر واحدٌ منا على أحد من أشياخ سلسلتنا ينقطع عنه المدَدَ ، ولا يصل إلى المراد .

وإنّ من المجرّب ما وقع لبعضٍ من ثِقات مريدي مرشدنا من عدم تفرُّق الجِنِّ عنه في الخلوة بندائه إلى محمود أفندي قدس سره ؛ **إلا بالنداء إلى عبد الرحمن رحمه الرحمن** .

وكنت أحياناً يخطر ببالي أشياء لم أرها ولم أسمعها ، فأرابط الغوث محمود أفندي رحمه الله فلا أطيق تصوُّرَه ، وأُرابط[1] شيخنا فتزول سريعاً به خصَّته[2] لفعل الرابطة معه إذا لم أقدر تصوّره ، وقال : إن الشيطان يتمثَّل بصورتي ولا يتمثل بصورته ، لأنه الفاني في ذات الله تعالى ، فإذا رابط المريد[3] إليه متوجِّهاً إلى المشرق أو المغرب لا يقدر الشيطان أن يقف بينهما وبين المريد ، فيحرق . وأمَّا جبرائيل أفندي رحمه الله ! فلم يأذن للرابطة مع أحد إلاّ مع محمود أفندي قدّس سرّه .

---

(١) راجع « خلاصة الآداب » من ص٣٩ ، فهناك كلام مفصَّل يصحُّ أن يكون شرحاً لما هنا ، كتبه جامع الرسائل عفى الله عنه . (من نسخة أخرى) .

(٢) كذا في الأصل . ولعل خصصته (لكاتبه) . (من نسخة أخرى) .

(٣) كما قاله هو نفسه قدّس سرّه ، (من نسخة أخرى) .

ثم المشهور أن ليس للداعي إلى الله تعالى راحةٌ إلا وقت خُلوِّهِ عن توجُّه المريد ، وأن التحملات[1] التي يُشْرِفُ بها الداعي على[2] الموت لا يقدر على تحمُّلها إلا من انفلتت روحه عن جسده ، وحصل لروحه الإطلاق ، فإنَّه في تربية المريدين دائماً ، ويتصرَّف فيهم حسب استعداداتهم ، ولو كان شيخنا أمر بفعل الرابطة معه صباحاً ومساءً لمَا أطاق القيام من شدَّة تلك التحمُّلات الطارئة عليه بتوجُّهنا ، وظنِّي أن هذا سبب أمر الأستاذ بفعل الرابطة مع محمود الفعال محمود أفندي . اللهم اجعلنا من المقبولين عندهم . والسلام ؛ من الفقير حسن القحي .

مهم جدّاً لمن له علاقة مع الجن

وقد رأيت في واقعة كأنَّ رجالاً كثيراً ذوي لحى اجتمعوا حولي ، وكان بيد كلِّ واحد منهم قصعة من الهريسة ، وأرادوا أن آكل منها شيئاً ، فنظرت إلى وجوههم وتعرَّفتُهم ؛ فلم أجد فيهم أحداً ممن أعرفهم ، فحصل لي دهشة وحيْرة ، وعرفتُ أنهم من رجال الجن ، فناديت أبعاضاً من كبار مشائخ السلسلة النقشبندية ؛ كأبي يزيد ، وشاه نقشبند ، والإمام الربَّاني ، ومحمود أفندي . . . وإلخ وإلخ ، **فدنوا منِّي ولم يهرُبُوا ، ثم ناديت أستاذنا ، وقلت : يا أستاذي عبد الرحمن! فتفرقوا وقتئذ مسرعين ، ولم يبقَ واحدٌ منهم حولي** ، ومثل ذلك وقع[3] لي مرة أخرى . فالحمد لله ربِّ العالمين . فهذا ؛ والسلام . انتهى من خطه قدس سره .

---

(١) الحملات .عبارته كما في (المنن الكبرى) .
(٢) وفي نسخة : إلى .
(٣) فإذا أخبرته تلك الواقعة قال : إنما ذلك لأجل كونك فانياً فيَّ . (منه قدّس سرّه) . (من نسخة أخرى) .

مكتوب

وكتب رحمه الله تعالى أيضاً : أيها الأب الكريم ؛ مِن أعجب ما يكون وما كان تردُّدُ الناس خلفَ من جاء من بعيد أيًّا مَن كان ، وعدم اعتبار مَن كان عندهم ؛ ولو كان من أجلّ العارفين ، ولقد سمعت شيخنا المرحوم قدس سره يقول : إنه ليس أحدٌ أحسَنَ حالاً من الحاج عمر اللِّباخي ، ولكنه جاهل ، **والجهل لا يترك شخصاً إلاّ وضعه** ، وكذا فيكم الحاج هِطِنَوْ مُحَمَّدْ ؛ وهو مأذون حقّ ؛ وإن خالف في سعْيه رَأيَنَا ، لما أنه يأمر بفعل الرابطة إلى نفسه ، وسوى ذلك من الأحوال والأذواق حاصل له ، وقد ذاق من المقامات ما ذاقه النقشبنديون ، ومع هذا لا تعبأون بهما ، ولا تتأدَّبون معهما ، مع أنهما مأذونان من طرف الشيخ الكامل ، بل تلاحظون الجائي من الخارج ، وتتردَّدون إليه ؛ وإن كان أدنى ممَّن عندكم حالاً ومقاماً ، ولا أدري ما الذي جرّكم إلى هذا ، ولعلكم لا تسيؤن الظنون فيّ بهذا الكلام ، وإنما مرادي به إظهار ما في خاطري إليكم لتنبُّهكُمْ . **نعمْ ؛ اللهم نعمْ ، ينبغي لكل أحد أن يعتقد كلَّ من رآه أنه الخضر**[1] ، لكن الاعتقاد فيمن جاء من الخارج والانتقاد فيمن في الداخل ليس بإنصاف . فافهم . انتهى من خطه .

مكتوب

وكتب أيضاً رحمه الله تعالى : اعلم أيها الأخ المحبوب المحترم ؛ **أن طلب أمر المشيخة بالدعوى أراه كطلب الأمراء الرياسة على حدٍّ سواء** ، وأنتم أيها الإخوان يجوز لكم أن تجمعوا أولئك القوم في ذلك المجلس وتمتحنوهم بالسؤال عن طريقتهم ، وعن اسمها وأورادها ؛ من الأذكار والمراقبات ، وأما أني لا أريد أن أدَّعيَ المشيخة ؛ لأني أتيقَّن أني لستُ أهلاً لذلك ، لكن المشائخ أجازوني ؛ بناءً على ما قالوا : **قد يُعطي** الكاملُ الإجازةَ للناقص ؛ لما أنّ يدَه يدُه وتربيتَه تربيتُه ، ومع ذلك علّموني مراتب الطريقة إلى المشرب المحمديّ الذي قالوا : القطبُ لا يكون إلاَّ محمديَّ المشرب .

---

(١) فعلم أن الاعتقاد في القوم مما يستر الله تعالى به عيوب العبد . . .إلخ . حرِّره وكرِّره . (من نسخة أخرى) .

ثم اعلم أيها الأخ ؛ أني لم أقبل هذه الوظيفة إلاّ كُرْهاً ، ولا يومَ أحبُّ إليَّ من يوم لم يطرق بابَ داري أحدٌ ، ولكن من جاء أعلِّمه الطريق إلى الله تعالى ؛ امتثالاً لقوله تعالى ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ ﴾ ، وأنتم تدعون غيري إلى ذلك المجلس ، ثم بعد ذلك فلكم أن تمتحنوا هذا الحقير الفقير بعدما امتحنتموهم ، وتسألوه عن شؤون الطريقة النقشبندية والشاذلية والقادرية ؛ من أولها إلى آخرها ؛ أي : إلى المشرب المحمديّ الذي جميعُ المقامات منطوية فيه ومما فيه ، وحينئذ يجوز لكم أن تدركوا ما فِيَّ من الذوق والوجدان . والسلام ، من خط خطه .

مكتوب

وكتب رحمه الله تعالى : اعلم أن كشف أحوال المريد كلها ليس بشرط في الشيخ ، بل اطلاعه على نتيجة أذكار لطائفه هو الغالب ، فإن كان من أهل الكشف الصحيح ! ! يعمل به ، وإلاّ ؛ بأن لم يكن من أهل الكشف ، أو له كشفٌ ، لكن في كشفه تلوّنٌ يتفحّص عن حال المريد ونتائج ذكره ، ولا يعمل بكشفه المتلوِّن ، بل بقول المريد ، فإنَّ كشفَه قد يخطئ ، والحال أنه يجوز أن يكون السالك المجذوب ، أو المجذوب السالك – بعد وصوله إلى درجة الولاية – شيخاً مرشداً ، **وإن كان لا كشف له ؛ ولا يعرف أحواله ، ولا أحوال مريديه ، بل ولا نتائجه** ، فإن واحداً من خلفاء الإمام الرباني كان لا يعرف أحواله وأحوال مريديه ؛ ومع ذلك كان ينعكس منه إلى مريديه أحوالٌ عجيبة ، كما هو مذكورٌ في « الدرر المكنونات » ، ونقلته في « تنبيه السالكين » . والله أعلم . من الكاتب الحقير القحي .

مكتوب

وكتب – رضي الله تعالى عنه – إلى خليفته اليعسوب العسوي قدس سره :

أيها الولد المحبوب ؛ إنَّ هذا الرجل[١] قد صحب شيخنا أكثر منَّا ، وإنه لا شغل له إلا بالله ليلاً ونهاراً ، وفيه أحوالٌ تصلُ إلى من توجَّه إليه ، بيد أنه لم يَلْقَنا منذ سنين ، **ولعله يظهر فيه أحواله الخفية** ، **فيظن أنه حال مَن توجَّه إليه** . وقد رأيت ذلك مرة ، ومرة من شيخنا المرحوم قدس سره ، ثم بعد التنبيه رجع منه .

واعلم أيها الولد ؛ أنَّ الأستاذ قد يُخْطِئ كشفُه ويُصيب ، ولذلك

لا يجوز أن يعمل بكشفه ، بل يعمل بقول المريد ، فإن تكلّم بالصدق فذا ، وإلا أفسد كذب المريد فسادٌ في الطريق ، وخللٌ فيه .

وسمعت شيخنا يقول : إن مَن ذكره على القلب يصل له البركة ممن ذكره على الروح ، وله ممَّن ذكره على السرِّ . انتهى . ومن هنا كنا قلنا لمن يصحبه لو توجَّه إليه يحصل له منه الحال ، وكذا كنَّا قلنا له وهو في جَچَان بجواز تعليم الرابطة ، وأشرنا إليه أيضاً بجواز تعليم ذكر القلب فقط ، وكتبنا إليه أن شيخنا العسلي قال : **يكفي لأهل ديارنا ذكر القلب** ، لكنه بدّل أمره بخلاف المأمور به ؛ وجهر أمره ، والحال أنه يعلم حالَ العصر ، ولعله توكَّل ، مع **أن التوكل لا يضرّ معه استعمال الأسباب** ، كما قال تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام ﴿يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖ﴾ ونحن إن شاء الله تعالى ننبّهه على نقصه[٢] ، وترك ما يفعله من هذه الأمور . والسلام من خط قدّس سرّه .

---

(١) لعله : الحاج عمر الطبيب الأواري رحمه الله .(كاتبه) . راجع ما يأتي ص١٩٦ (من نسخة أخرى) .

(٢) راجع رسالة الأستاذ إليه في حق ذلك من ص ١٢٦ .

مكتوب في حكم خِلافة النساء

وكتب قدس سره في جواب مَن سأله عن حكم خِلافة النساء ما لفظه :

وأما أمر خلافة النساء ! فمما لم نَسْمَعْه من المتقدِّمين إلى الآن ، ولم نره في الكتب . والسلام . انتهى .

مكتوب لشرح أسباب السلوك

وكتب قدّس سرّه يشرح ما استشكله بعضُ أهل العلم من كلامه الذي أورده في « تلخيص المعارف » من أوائله ما لفظه : سلوك طريقة الصوفية على الحقيقة

١ **بالعبادات** ؛ أي : بفعل العبادات والطاعات بالإخلاص وحسن النيات .

أو ٢ **بالمقامات** ؛ أي : بالاتصاف بمقامات الأبرار والصالحين ؛ كالحِلْم ، وكظم الغيظ ، والرفق ، والتوكُّل وغيرها من أخلاقهم وصفاتهم[١] .

---

(١) من عاش مدارياً عاش شهيداً ؛ لأن مداراة الناس من أخلاق الأنبياء والصديقين . **والمداراةُ** : اللينُ واللطفُ وحسن المعاشرة . والمعنى : أن من يخالط الناس معاملة ومعاشرة فألانَ جانبهم ، وتَلَطَّفَ ولم ينفّرهم كتب له ثواب الشهداء . الديلمي عن جابر ، وفيه أحاديث . « لطائف الحكم شرح غرائب الأحاديث » عبارته ٢٢٦ ، كلاهما للشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانوي قدس سره . (من نسخة أخرى) .
من كان سهلاً هيناً ليناً حرّمه الله على النار ؛ ومن ثمَّ كان عليه السلام في غاية اللين ، وكان إذا ذكر أصحابه الدنيا ذكرها معهم ، وإذا ذكروا الآخرة ذكرها معهم ، وإذا ذكروا الطعام ذكره معهم ، وقال عمر : إنكم بين الشدة والغلظة . وكان عليه السلام مع خادمه وعبيده ، بل مع عامة أصحابه في سهل ورأفة ، وقال تعالى ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ك ق عن أبي هريرة ، وفيه أحاديث ، منه عبارته ٢٢٧ . وفي آية أخرى ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ منه عبارته من هامشه .
من يُحرَم الرفق يحرَم الخير كله ؛ من الحرمان متعد إلى مفعولين ؛ فالأول – لم يدرك الفقير الفرق بينهما ، أظنه أنهما مبنيان للمفعول فحرر ، (كاتبه محمد) – مبني للفاعل والثاني مبني للمفعول ، أي : صار محروماً من الخير ، ولامه للعهد الذهني ؛ وهو الخير الحاصل من الرفق . وفيه فضل الرفق ، وهو ضد العنف والغلظة ؛ ومن ثمه قيل : الرفق في الأمور كالمسك في العطور ، ط حم م ه وابن خزيمة عن جرير . وفيه أحاديث . منه عبارته ٢٣٢ .

أو ٣ **بالأحوال** ، والحال عند أهل الحق : **معنى يَرِدُ على القلب ؛ من غير تصنّع ولا اجتلاب ولا اكتساب ؛ من طَرَبٍ ، أو حزن ، أو قبض ، أو بسط ، أو هَيْبة** ، ويزول بظهور صفات النفس ، سواء يعقبه المثل أولا ، فإذا دام وصار مَلَكة يسمَّى مقاماً .

فالأحوال مواهبُ ؛ والمقامات مكاسب ، فالأحوال تأتي من عين الجود ، والمقامات تحصُل ببذل المجهود .

أو ٤ **بالأنفاس** ؛ أي : بوصول أنفاس الصلحاء ، فقد ينتفع المريد المستعدُّ بمجرَّدِ مُلاقاة نَفَس الصالح ونَظَره وكلامه ورؤيته ، ويَصِل بذلك إلى الله تعالى ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ .

أو ٥ **بالمعارف** ؛ أي : بمعرفة أحوالهم ومعارفهم ومقاماتهم وعلومهم ، فقد يتشوَّق المستعدُّ أيضاً عند سماع معارف الصالحين إلى الاتِّصاف بتلك الصفات ، فيسعى ويتشمَّرُ لذلك فيصل بذلك إلى ما وصلوا إليه ، **ومن طلب وَجَدَّ وَجَدَ** .

أو ٦ **بضرب الأمثال** ؛ فقد يضرب الشيخُ المَثَلَ للمريد ، ويقول مثلاً : إن مَثَل الدنيا كالعجوزة القبيحة المستور حالُها بلباس حسنة مزيَّنة بزينة الحلل والأساوير ، وقد يتشوَّق إليها مَن رأى زينة ظاهرها مع أنه لا يعرف قباحةَ باطنها ، والحال أنه سكران مندهشٌ ، فأكبَّ عليها ومسّها ولامسها وجامعَها ، وقبّل وجهَهَا واضطجع معها في جملة من الليل إلى الصباح ، ثم إذا زال ما به من السكر ، وحَصَل له الصحو ، وأصبح ورأى حقيقةَ باطنها وأبصرها ، وعلم أنَّها عجوزة قبيحةُ المنظر منتنَّةُ الرائحة ، وقد يسيل من فمها الصديدُ والقيحُ والبصاق والمخاط ، فحنئذ يندم على ما فعل حين لا ينفع الندم . فمثل هذه الأمثال يحصل للمريد المستعدّ المتنبّه من سِنَة الغفلة ، ويتشمَّر إلى السلوك في طريق الأبرار ويزهد في الدنيا ، كما وقع أمثالُ ذلك لكثير من الناس ، والله ولي التوفيق والهداية .

و ٧ **حفظ القلوب** ؛ أي : بحفظ قلوب الأبرار والمشائخ على ما تكدَّر ، وذلك بحفظ الآداب أو بخدمة لائقة بهم ، فقد يتأدَّب المريد لدى الشيخ ، أو يخدمه فيميل إليه قلبه ؛ فينجذب إليه قلبه ، فينجذب بمجرَّد ذلك إلى ما انجذب هو إليه ، ويصير ذلك سبباً للوصول ، وباعثاً للحصول .

أو ٨ **بالمقابلات** ؛ أي : بمقابلة القلب بالقلب للاستفاضة ، فقد يقابل القلب الظلماني بالقلب النوراني فينعكس إليه النور ؛ كما ينعكس نور الشمس من الجدار الذي وصل إليه نور الشمس إلى الجدار المقابل به .

أو ٩ **بالقابليَّات** ، وقد يكون في ذات المريد قابلية واستعدادٌ موافقة لحال الشيخ ، وبمجرَّد الملاقاة ينعكس إليه ما في باطن الشيخ من نور المعرفة ، فيصير ذلك سبباً للوصول أو بالمناظرات ؛ وقد يبحث واحد مع واحد من أهل المعرفة ويسأله ويناظره فيسوق إليه من العلوم والمعارف والأسرار ما هو اللائق بحاله ، فإن كان ممن أراد الله به الخير ينتفع ، ويكون سبباً للسلوك إلى طريق الوصول إلى الله تعالى .

أو ١٠ **بالمجالسات ، أو بالمحبَّات ، والمخالطات ، والمودَّات مع حسن الظنِّ** ؛ **وهو مؤمن بالأخلاق المحمديَّات** ؛ وقد يجالس ويخالط واحدٌ بواحد من أهل الخير والصلاح أو يحبّه ويودّهُ فينعكس إليه بسبب ذلك حالُه ، وينجذب إلى الله تعالى قلبه ، **فإن الأحوال ساريةٌ ، والطباع سارقة ، وللصحبة والمخالطة تأثير عظيم** لا يخفى على أهل الذوق والوجدان .

أو ١١ **بالمذاكرات** ؛ أي بذكر أوصاف أهل الخصوصية ومعارفهم ، والمباحثة عن حقيقة أحوالهم وأفعالهم وقصصهم تنبعث بها الهمم ، وإلى الدخول في سيرتهم والسلوك في طريقتهم ، والوصول إلى ما وصلوا إليه .

أو ١٢ **بالتصديق والاعتقادات بطريقتهم وولايتهم** ، وقد قيل : **التصديقُ بطريق الولاية ولايةٌ** . وقال أبو يزيد : **من يؤمن بكلام القوم فقُلْ له يدعو لك ، فإنه مجابُ الدعوة** .

أو ١٣ **بالانقطاع إليهم**؛ بالاجتناب عن مخالطة غيرهم، وملازمة صحبتهم ورؤيتهم وسماع كلامهم، والخدمة لهم، **فإن خدمتهم من أجلِّ ما يُوصِل المرءَ إلى ما وصلوا إليه**، وقد قيل: إن **الخدمة أفضل من نوافل العبادات**.

أو ١٤ **بالتربية بالعلوم اللدنيات**؛ أي: بذكر تلك العلوم على ما ألهمهم الله تعالى وأنطقهم بحسب استعداد الطالبين.

شرائط الشيخ المرشد

وهذا؛ أي: كلُّ ما ذكر لا يمكن إلاَّ بقصد شيخ -١ عالم بأحكام الشرع وأموره التي لا بدَّ للسالك من معرفتها، -٢ عارف بالأخلاق؛ حميدها وذميمها، وما يعالج به ذمائمها، -٣ سالك في مقامات الطريق ذائق نتائجها، -٤ مجذوب؛ حصل له جذبة القلب[1]، وجذبة الروح[2] إليه تعالى، لا يريد شيئاً سواه تعالى في حركاته وسكناته. -٥ واصل محبوب؛ أي: الذي حصل له الوصول بمحبته تعالى إياه، وصيرورته محبوباً؛ لأنه لو لم تتقدم محبَّته تعالى لَمَا أحبَّه، وقولُه تعالى ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ شاهد عدل على ذلك، أو -٥ واصل إليه بالغيبة عما سواه والفناء فيه سبحانه، -٦ موصول إليه بتوالي هباته وتواتر جَذَباته، بذكره إذا ذكره، وإطاعته إذا أطاعه؛ كما قال تعالى ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾، وفي الحديث القدسي: «أنا جليس من ذكرني» فالواصل يكون موصولاً إليه، وملحوظاً بعنايته وحفظه وعونه وتوفيقه، وتلاحق وارداته جزاء وفاقاً على جهده وجهاده، قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾. -٧ عارف بالنقل؛ أي: نقول العلوم الشرعية فيما يحتاج هو إليه؛ ليوافق ما يفعله بالشرع والعقل؛ أي: بالفهم والإدراك بالعقل السليم والذوق الصحيح.

---

(١) التي قد تكون في المبتدئ، وهي المحبَّة الذاتية. (من نسخة أخرى).

(٢) وتكون في المنتهي، فيجتمعان في العارف (محمد الشتوطي)، من خطه. (من نسخة أخرى).

مطلب

أهلية الخلافة

ومن هنا كان الشيخ العسليّ قدس سره يحكي عن شيخه قدس سره أنه كان يقول : **إن هذه الخِلافة أمرٌ لا يجوز أن يودع إلا عند**[1] **مَن له عقلٌ وعلم** . انتهى . ٨ عارف بالله ؛ بأسمائه وصفاته وأفعاله وشؤوناته على حدِّ ما يقدر الإنسان معرفته ، **لكن العجز عن إدراك الذات إدراك** ، وبنفسه بذُلِّها وفقرها ، وعجزها ، واحتقارها ، وعدم إطاقتها لفعل شيء ما إلا بتوفيقه ، وبمعرفتها تحصل معرفته تعالى على حدٍّ . من عرف نفسه فقد عرف ربه .

٩ **حاضر مع الله غائب** عن الخلق **بالقلب** ؛ وإن كان بينهم يبيع ويشتري ، على حدّ قوله تعالى ﴿لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ **في الخلوات** ؛ أي : حين كونه خالياً عنهم ، **والجَلَوات** ؛ أي : حين كونه بين الخلق بقلبه **في عالم الشهادة** التي ترى بعين الرأس ، **والغيوب** التي لا ترى إلاّ بعين البصيرة ؛ يعني أنه يكون حاضراً بالله غيرَ غافل عنه دائماً ؛ إذا فتح العين ونظر إلى الكائنات ، كذا إذا غَمضها ونظر بعين القلب إلى عالم الغيوب ، فهذا ما عند الحقير حسن حلمي القحي في حلِّ هذه المشكلات ، والله تعالى أعلم ، والسلام ، وأوصيكم بالدعاء . سنة ١٣٤٣ هجرية .

---

(١) أن يوضع إلا في يد . عبارته .

❊ ددَ رَعُلبْ بُكْ بَكْ بَكَلْدَصَنْ نُجرْ عَدمَزُلْ بِكّنَلْ ژُيزُلْ نجدَ خَدُبْ مَژْ كَلْ بُكُ أَبُنْ هيِ نَفيسَةْ يَطَلِ نجصَ طَلَبْ هبُلبْ بُكْ أَبُنْ ، هَبْ جُ وَصَّلْ ژَقْ كُديَبْ بُهْتَانْ بُكْ ، نجرْ بكّنَلْ ژُيزْ كدَكْ خيَالْ هَبجَبْ نَخِّك هَبُلَربْ ، هبْ جُيَلْدَصَ نجْ رَژدَل رَتجُنِ هبْ نُجرْ جُجُ لِمَدْ بژُنَبْ نجدَ لِرَبْ بُهْتَانْ كَ بَطُنْ مُحَمَّدْ حَجَ دْكْ دَصَك نُجْ كِيَوْك رُشّبَزُلْ ژَرْ طَمِز وَكيَلْ هَرُنْ ، هَبْكَ نُجيِ عِجُن وَصَّلْ ژُكَ نُجيْ هَبز رَژلِكَ نجدَ لِلَرُ ، إِيْ نَفِيسَةْ نجرْ وَسَص يَجَ . انتهى من قطعة رسالَةَ وجدتَ بخط الأَستاذَ القحَي حسَن أَفندي قدسَ سره نقلتَه ليعتبر بَه المَعتبرون . (من نسخة أخرى) .

مكتوب

وكتب رضي الله تعالى عنه إلى أسبق أولاده المعنويّين محمد اليعسوبيّ العسوي قدس سره ما حاصله :

كتبتَ أيها الولد تسألني عن معنى هذه العبارات التي أوردتُها في « تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف » : وهذا لا يمكن إلا بقصد شيخ عالم عارف ، سالك مجذوب ، واصل محبوب ، واصل موصل ، عارف بالنقل والعقل ، عارف بالله وبنفسه ، حاضر غائب في الخلوات والجلوات بقلبه في عالم الشهادة والغيوب . انتهى .

فاعلم أيها الولد أن معناها : **وهذا لا يمكن إلا بقصد** :

١ **شيخ عالم** بأحكام الشريعة التي يحتاج إليها هو وتابعوه .

٢ **عارف بالأخلاق** المذمومة وعلاجاتها ، والأخلاق المحمودة وكيفية حفظها واعتدالها .

٣ **سالك في مقامات الطريق** على يد شيخ اتصلت نسبته معنعناً بالنبي ﷺ ، ذائق بنتائجها .

٤ **مجذوب** حصل له جذبة القلب ؛ وجذبة الروح إليه تعالى ، لا يريد شيئاً سواه سبحانه في حركاته وسكناته .

٥ **واصل محبوب** ؛ أي : الذي حصل له الوصول بمحبته تعالى إياه وصيرورته محبوباً ؛ لأنه لو لم يتقدَّم محبته تعالى له لَمَا أحبّه سبحانه ، وقوله تعالى ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ دليل على ذلك . فافهم .

❊ وأخبرني أخي محمد بن محمد طاهر : أنه سأل الأستاذ المغربا – بلغه الله مقاصد الدارين – عن الرابطة في الصلاة ، فقال : ذاك حسن ، ثم قال : هل علمت شيئاً في ذلك ؟ فقلت : يحضر القلب بحضور الأستاذ محمود أفندي قدس سره ، فقال : نعم ، ولا يطرأ التثاؤب عند حضوره أيضاً ؛ لإن الشيْطان لا يقدر أن يحضر موضعاً هو فيه حاضرٌ ، أو كما قال . ويقول الفقير عفى الله عنه : وقد رأيت في « مكتوبات » الإمام الرباني قدّس سرّه كلاماً في الرابطة في الصلاة ، وكذا في كتاب « الرحمة الهابطة » . (من نسخة أخرى) .

٦ **واصل إليه تعالى** بالغيبة عما سواه تبارك وتعالى ، **موصول إليه** بتواتر هباته ، وتنزل مِنَحه ، وترادف جذباته ؛ على ما يفهم من كلامه تعالى ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ ، وقوله في الحديث القدسي : « أنا جليس من ذكرني » . فإن مَنْ وصل لا بدَّ أنه يكون موصولاً إليه وملحوظاً بعنايته تعالى ، وحفظه وعونه وتوفيقه ، وتلاحق وارداته جزاءً على جهده وجهاده ، كما قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ الآية ، ومعنى الوصول إليه تعالى هو الوصول إلى العلم به ؛ أي : مشاهدته بعين البصيرة مشاهدة تغني عن الدليل والبرهان ، ويعبّر عن ذلك العلم بالمشاهدة وبعلم اليقين ، وبالتجلِّي وبالفيض الرحمانيّ ، والتعرُّف العياني ، والذوق الوجداني .

❊ ويجوز الاستئجار لقراءة القرآن للميِّت بشرْط أحد أمور ؛ أن ينويها له ، أو يدعو بحصُول مثل ثوابها له ؛ أو بثوابها ؛ لإنه بمعنى مثل ثوابها ، أو يقرأها بحضرته ؛ بأن يجلس عند قبره فيحصل بركة القراءة ، ويجوز الاستئجار لقرائة للحي كذلك ، كما أفتى به شيخنا الرملي شيخ الإسلام . (ابن قاسم على الفتح) من خط الحاج محمد العكلچي رحمه الله . (من نسخة أخرى) .

(٢) أيها العزيز هذا التقرير في كتاب اليعسوبي المسمى « بفوائد الوهبية في رد شبهات الوهابية » راجعه في الفريد الخامس والعشرون ، فيه بيان تام للوصول والاتصال ، وهو كتاب نفيس . من الخادم شمس الدين القحي والسلام والوصية بالدعاء كما كنا لكُم . (من نسخة أخرى) .

❊ **وسئل** أبو علِي الروذباري ﷺ عمن يسمتع الملاهي ويقول : هي لي حلال ؛ لأني وصلت إلى دَرجة لا يؤثِّر فيَّ الاختلاف . **فقال** : نعم قد وصل ولكن إلى سقر . قال السبكي : وقد يتوصل بهذا إلى زعم ؛ أنه كان لا يَرى السماعَ ، والذي يظهر من كلامه أنه إنما أنكر من هذا القائل إظهارَهُ الوصُول إلى هذه الدرجة ، فإن الواصل إليها لا يتظاهر بذلك إلاَّ بأدب ، وليس مراده تحريم السماع ، ولا إنكار : أنَّ بعض الناس لا يؤثر فيه اختلاف الأحوال ، كيف ؟ ! ومن كلامه أيضاً : السماع مكاشفة الأسرار إلى مشاهدة المحبوب . من « الحدائق الوردية » عبارته ٨٣ . (من نسخة أخرى) .

قوله : فقال : نعم قد وصل . . .إلخ ، منه يعلم بطلان ما ذهب إليه بعض المدعين ؛ من أنَّ سماع آلات الملاهي يختلف باختلاف الوارد فيه ، وأنه بحسب ذلك قد يكون طاعة ، **وهذا هو الحق الذي لا محيد عنه** ، فإنه ﷺ حرَّمها وعدَّها من الملاهي ؛ وهو أعلم بجميع الواردات فيها حال السماع ، فاعلمه ولا تغترَّ بقول الجهال ممَّن عادتهم التلبيس على العوام . « نتائج الأفكار القدسية » عبارته١٩١ ج١ . (من نسخة أخرى) .

مطلب

مراتب الوصول

فالوصول ينقسم إلى ثلاث مراتب، كلُّها ذات تجلٍّ وشهود، لكنها اختلفت باختلاف التجلِّي.

فالأول: تجلّي الفعل؛ بأن ينكشف لصاحبها عن صدور الأفعال كلِّها من الله تعالى، فلا يمكنه رؤية الفعل من غيره تعالى.

والثاني: تجلّي الصفات الجمالية؛ من كَرَم وحلم وغيرهما، **والجلالية** من بطش وسطوة وغيرهما، **ومَن كُشِف** لبصيرته عن هذا التجلي يقال له: «صاحب تجريد وتفريد؛ أي: لا يفعل شيئاً من العبادات لأجل الأغراض الدنيوية والأخروية، بل ما كوشف به من العظمة يقتضي أنه يؤدّيها عبودية وانقياداً، ولا يرى نفسه فيما يفعل؛ بل يرى نعمة الله عليه، ويقال له: فَانٍ لفنائه عن السوى وباقٍ لشهوده صفات الحق؛ ولفناء صفاته.

والثالث: تجلّي الذات المقدسة بما يتعامل[1] من تشعشع أنوار قلبه في اليقين، فيستولي على قلبه أنوار الحق حتَّى لا يبقى له هاجسٌ ولا وسواس، وليس من ضرورته الفناء، **بل الكامل في ذلك هو الذي يكون في غاية الصحو يجمع بين الحقِّ والخلق**.

هذا؛ وقد يجوز أن يفسّر للوصل والوصول؛ بأنهما حصول نسبة الحضور بالله للقلب على سبيل الذوق، والذهول عما سواه تعالى، فإن كانت تلك النسبة متصلة فقد تشرَّف صاحبها بدوام الوصل فافهم.

وقد كنتُ بسطت الكلام على هذا في التقرير[2] الذي قررته لبيان ما تحدّى به الشيخ العبودي لمعرفة الشيخ الكامل، فإن راجعته تجد فيه البسط التامّ.

---

(١) وفي نسخة: يتكامل.

(٢) لم نظفر بهذا التقرير إلى اليوم. (عكلچي). ونحن أيضاً لم نَرَ ذلك ولم نظفر به. (نهري). (هامش الأصل).

٧ **عارف بالنقل** ؛ أي : نُقول العلوم الشرعية فيما يحتاج هو ومريدوه إليه ، **وأما الاشتغال بالزوائد الغير المتعلقة بأمور الدين ، فيكون سبباً للانقطاع عن الوصول** كما هو مذكور في الكتب ، **والعقل** ؛ أي : بالفهم والإدراك بالعقل السليم ، والذوق الصحيح .

ومن هنا كان شيخنا قدّس سرّه يقول : إن شيخه الحاج جبرائيل قدس سره كان يقول إن هذه الخلافة أمر عظيم لا يجوز أن تودع إلاَّ عند من بيده علم وعقل . انتهى .

٨ **عارف بالله بأسمائه وأفعاله وصفاته** ، وبنفسه بذُلّها وافتقارها وعجزها عن فعل شيء مَّا إلاَّ بتوفيقه وعونه تعالى ، ومعرفتها مقدَّمة على معرفة الله سبحانه ، وقد وَرَدَ في الأخبار مَنْ عرف نفسه عرف ربَّه .

٩ **حاضر** مع الله بقلبه ، **غائب** عن الخلق بقلبه ؛ وإن كان معهم بالجسم ، أو معناه : حاضر مع الخلق بجسمه غائب عنهم بقلبه **في الخلوات** ، أي : في حالات كونه خالياً عن الناس ، **والجلوات** ؛ أي : في حالات كونه مع الخلق

---

* **سألني** أخي محمد بن محمد طاهر عن مدة وقوف المريد في الرابطة ، وهل تصح الزيادة على ربع الساعة إن وسع الوقت ؟ فأجبْته بما كنت نقلته عن خط الأستاذ محمد الشتوطي : ويستطيل هذه الرابطة حسب طاقته صباحاً ومساءً . انتهى . ثم بعد مدة وجَدْتُني نقلت عن بعض مكاتيب الأستاذ المرشد الحقى قدّس سرّه مجيباً لمثل هذا السؤال ما لفظه : يقف المريد حين يتصور صورة شيخه بقدر ربع ساعة إن وسع وقته ، وإلا فعلى قدر وسعه . انتهى . وما لفظه : ويجوز التفافة المريد . . إلخ ، وأما الرابطة فهي تخيل صورة الشيخ بين عينيه ، فمتى تخيَّل المريد صورة الشيخ يقال له إنه فعل الرابطة . انتهى . (من نسخة أخرى) .

وبذلك علمنا أنه ليس للرابطة زمان ولا مدة فمتى تصور المريد صورة شيخه وتخيَّلَ أنه معه فذا هو الرابطة ، وليس من شرط أن يجلس ويقف ، كما ذكروا في كيفيتها ، بل ذلك هو الكمال ، فحينئذ يجوز الرابطة في كل حال ذهاباً وإياباً ، وقياماً وقعوداً ، وحال مباشرة الأعمال ، والاشتغال بسائر الأشغال ، والله وليُّ التوفيق . (من نسخة أخرى) .

* وقال الأخ المذكور : إنه سأل الأستاذ عن حكم الرابطة في الصلاة ، راجع « الوسائل » ص ١٨٦ **فأجاب** : إن أطاق ذلك فنعما هي . انتهى . وقد رأيت فيه كلاماً نفيساً ، وأظنه في « مكتوبات » الإمام الرباني ، **وحاصله استحسانها فيها** ، ولعلّنا نقف فيه على مبحثه ومحلّه . وراجع « هدية الذاكرين » . (من نسخة أخرى) .

بقلبه في عالم الشهادة؛ وهو : ما يرى بعين الرأس ، **والغيوب**؛ وهو ؛ أي : عالم الغيوب ما يرى بعين القلب والبصيرة فافهم .

مكتوب

وكتبتَ أيضاً ما معنى قولنا فيه ؛ أي : في « تلخيص المعارف » هم الذين فازوا بكمال الاقتداء والمتابعة ، وكظموا على مجامع كمال محاسن الشريعة ، وهم أهل الله وخاصَّتُه . انتهى .

اعلم أيها الولد؛ أن المراد من الكلام : هم الذين فازوا بكمال الاقتداء بالكتاب والمتابعة بالسنة ، ولازموا على جمع الأخلاق المحمودة المعدودة من محاسن الشريعة بالتمام والكمال ؛ فافهم وتدبَّر . وإن كنتَ أشكل عليك معنى الكظم ؛ فاطلبه من كتب الغة . والسلام من الحقير القحيّ الداعي لكم بالخير .

مكتوب إلى مرتضي علي العكّلچي رحمه الله

وكتب رضي الله تعالى عنه إلى العالم المحقق الحاج مُرْتَضَى عَلِي العكَّلچي رحمه الله ما لفظه : **أيها الأخ المحبوب؛ العالم الوَرِعِ المقبول** إن الشيخ قطب الوقت خالد سيف الله كتب إلى بعض الإخوان ما حاصله هذا : **ولو سعى المريد خلف المرشد من المشرق إلى المغرب ليس ذلك بكثير ، ولا أعزّ لبصير ، لما يحصل له منه من الحضور الذي لا يساويه الدنيا والآخرة** .

وقال الشرنوبي قدس سره في « شرح تائية السلوك » ما حاصله : **فربَّ ذاكرٍ لله لحظة مع حضور قلب خيرٌ من ذكره ألف سنة بلا حضور قلب** .

وقد عمَّم ابن حجر التفكُّر في حديث : « فكر ساعة خير من عبادة ستين سنة » إلى ذكر القلب لِمَا أن تعريف ذكر القلب هو : تفكُّر اللفظ في القلب بلفظ الجلالة ، أو بـ(لا إله إلا الله) أو بغير ذلك ، **ولو ملك العبد جميع ما في الجنان لا يعدل ذلك ثوابَ ذكر القلب والحضور** ، لأن نتيجة ذلك هو القربُ

والوصولُ ، والفرق بين لَذَّة أهل الجنة وبين لذَّة أهل القرب والوصلة كما بين لذة مَن يتلذَّذ بالحور العين ؛ وبين مَن يصحب الخنفساء . وقد ذكر الغزالي ما يؤخذ منه مضمون ما ذكر في « إحيائه » .

وسمعت شيخنا يقول : إن الغوث محمود الفعال قدس سره كان يقول : إن قطعة ظُفُر إصبع مَن حَيي قلبُه بالذكر خيرٌ ممن في الدنيا من الخلق ، وما فيها من متاعها وحذافيرها . فإذا كان الأمر كذلك ؛ وكنت ممن لقَّنهم القطبُ الحقيقي أحمد ضياء الدين – رزقنا الله من ميامين أنفاسه آمين – **الذكرَ القلبيَّ ؛ فالمداومة عليه لازمٌ عليك قياماً وقعوداً ، إياباً وذهاباً** .

معنى الخلوة في الجلوة

وقد قال الإمام النقشبندي – إذا سئل : ماذا طريقك ؟– : الخلوة في الجلوة ، فقيل له : ما معناه ؟ فقال : أن تكون مع الحق في الباطن ؛ مع كونك مع الخلق في الظاهر .

الكمال عند البسطامي

وقال واحد عند بعض الأكابر[(١)] : إن فلاناً يمشي على الهواء ! فقال : إن الطيور تمشي كذلك ، فقال له : إن فلاناً يمشي على الماء ! ! فقال : إن ضفدعاً أو حيّة تمشي كذلك ، وقال : إن فلاناً يصل من المشرق إلى المغرب ساعة واحدة ! ! فقال : إن الشيطان يصل كذلك ، فقال له : فما الكمالُ عندك يا سيدي ؟ ! فقال : أن تكون مع الحق في الباطن ؛ وأنت مع الخلق في الظاهر . فهذا حاصل ما في الكتب ، فَعَضَّ عليه بنواجذك ، **ودُم على الذكر ليلاً ونهاراً ، ولا تغفل عن الله ، فإن الغفلة عنه من أعظم الذنوب عند أهل الله ؛ وكن من الشاكرين** ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ ، **وافعل الرابطة بالقطب المذكور ، واستمدَّ منه صباحاً ومساءً ، فبالرابطة يتربّي الشيخُ المريدَ ؛ ولو**

---

(١) هو القطب أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي رضي الله عنه .

كان بينهما بُعْدُ المشرقين ، فإن ساعَدَنا الدهر ووصلنا إلى القرب منكم نتوجَّه إليكم وإلى أحوالكم ، وإلاّ ! فلا أرى لكم المصلحة إلا في المداومة على الذكر القلبي والرابطة بالشيخ . فافهم ، وأرجوا الدعاء منكم بالاستقامة ، والسلام من المرشد المجازي كالقاضي الضروري حسن . من خطه .

والذكر القلبي هو الذي فضّل الصديق الأكبر على جميع الناس بعد الأنبياء . كما هو مذكور في « جامع الأصول » وغيره . اتهى من خطه .

مكتوب إلى الحاج محمد الكراطي

وكتب رحمه الله تعالى و رضي الله عنه إلى العالم الفاضل الحاج محمد الكراطي رحمه الله تعالى ؛ بعد سلام وكلام ما حاصله : لمَّا لاقاني هذا الحامل حملني ذلك إلى أن أكتب إليكم كلمات تكون باعثاً لكم لذهاب القبض ، وحصول البسط ، هداكم الله تعالى إلى سواء السبيل ، **وجنّبكم عما لا يليق برفيع جنابكم المتصل بأذيال المشائخ** ، فقد قيل : **إن صحبة المشائخ درجة تتباهى ، وقبولُ قلوب المشائخ للمريد أدلُ دليل على سعادته** ، رقّاكم ربُّكم إلى درجة الحضور التامِّ ، وأذهب عنكم الرجس ، ودَنَس الغفلات ، **فالغفلة عن الله من أعظم الذنوب عند أهل الله والحضور** ، والذكر القلبيُّ لا يعدله شيءٌ من الدنيا والآخرة ، وتفسير بعضهم لآية ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾ بقوله : أي على كلِّ حالٍ ؛ شاهدٌ عدل على أن المراد به ذكر القلب ، **ودوموا على الخلوة في الجلوة ، فإن مدار هذا الطريق عليه ، وذاكر الله في الغافلين كالمجاهد في الفارّين** ، وقد قال بعض الأكابر : **لو ذهب المريدُ خلف المرشد من المشرق إلى المغرب ليس ذلك كثيراً** ، ولا أعز لبصير ، لما يحصل له من الحضور التامّ الذي لا يساويه الدنيا ولا الآخرة ، وكيف لا يكون كذلك **والحالُ أن جميع العبادات إنما شُرع لتحصيله ، وهو غايةُ مرادِ السالكين ؟! وذلك لا يحصل إلا بمداومة الذكر في كلِّ مكان ، وعلى كلِّ حال ، وعند كلِّ أحد ، لكن ينبغي أن يكون الذاكرُ على الآداب ، فإنه جليسُ الله ، فكما أنه يذكر الله ؛ فالله حينئذ يذكره ، فما أحلى هذا المقام ، وما أرقاه ! !**

ثم إنك أيها الأخ تسعى خلف المريدين فيما أرادوه ، فهذا الزمان ليس كالزمان الماضي ، وحسِّن خُلُقَك معهم ، فإن حسن الخلق أثقل ما يوجد في الميزان ، **وإن الرجل ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم** –كما هو مذكور في الكتب – وَلِنْ لهم ، ولا تكن فظّاً غليظ القلب ؛ لئلا ينفضوا من حولك ، وأنتم لا تتركون الاجتماع لقراءة الختم والصلوات ؛ ليجمع شمل المريدين ، وإياك ثم إياك والإعراضَ عن ذلك ! فإن مَنْ أعرض عن الله أعرض الله عنه ، **وتارك الوِرْد ملعون** ؛ أي : مطرودٌ ومحرومٌ من الثواب الذي كان يحصل له من ذلك الورد ، **والوارد إنما يأتي على قدر الورد** ، ويكفي في فضيلة الاجتماع للذكر قولُه تعالى في الحديث المعلوم : « غشُّوهم برحمتي ، هم القوم لا يشقى جليسهم » وكن كالمغناطيس لجذب القلوب . والسلام من أخيكم الداعي لكم بالخير حسن رحم الله إفلاسه . آمين .

مكتوب في قيمة الطريقة

وكتب إليه أيضاً ما حاصله : **اعلم أيها الأخ** ؛ أن هذه الطريقة العليّة النقشبندية خلاصة الطرق ، وفيها جميع ما في سائر الطرق ، بل وزيادة ؛ كما هو مذكور في « المناقب الأحمدية » ، وهي أيضاً **أم الطرق وسلطانها** ، ونسبتنا فيها أفضل من جميع النسب ، وقد تعنعن إلينا تلك النسبة بواسطة الأقطاب فضلاء الأمّة ؛ إلى الصدِّيق الأكبر الذي قال ﷺ في حقه : « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ، بل بشيء وقر في صدره » أو ما هذا معناه ، وهو الذكر الخفي القلبي الذي قال ﷺ في حقه : « الذكر الذي لا تسمعه الحفظة يزيد على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفاً » ، وقد فسَّر بعض المفسرين لقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾ بقوله : أي : على كلِّ حال . وهو شاهد عدل على أن المراد بهذا الذكر الذكر القلبي ؛ لأن الذكر اللساني لا يجوز أن يفعل في كلِّ حال ، وقد وجدتُني أخطأتُ فيما كتبت إليك سابقاً ، وحقّ العبارة هكذا : شاهد عدل على أن المراد به الذكر القلبي . انتهى .

ولا يخفى عليك أن الإنسان لا يخلو عن خطأ ونسيان ، فإذا كان أمر طريقتنا هذه هكذا ؛ ينبغي لكم أن تتسامحوا في أورادها ، فمن لا وردَ له لا واردَ له ، والمعرضُ عن الله يعرض الله عنه . والسلام . الحقير القحيُّ بالبدار والسرعة .

مكتوب

وكتب ﷺ إلى بعض مريديه ؛ نقلاً عن « الحديقة الندية » : قال – أي : بعض شراح « الحكم العطائية » في شرحه – : **والصحبة** ؛ أي : **صحبة الحق سبحانه وتعالى بقلبك ليس لها قضاء إذا فاتت** ، وهذه إذا تحقَّقت لا تنافي خلوتك ولا جلوتك ، بل تكون مع الناس في الظاهر ، وقلبك مع مولاك بصحبته ظافر ، وهذا هو مبنى الطريقة النقشبندية رضي الله عنهم في ابتدائهم وانتهائهم ، **خلوتُهم في جلوتهم ، يتمُّ سلوك السالك منهم ؛ وهو مع الناس . يعتزلهم بقلبه ويجالسهم بجسمه** ، ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ ، ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ . **فاجتهد أيها الأخ** ؛ في تحصيل هذه المرتبة العلية ، **فإن عمرك لا قيمة له ؛ فلا تنفقه إلا في هذه البضائع السّنيّة** . انتهى .

مهم

وكان أبو المواهب الشاذلي ﷺ يقول : احذَرُوا من قولكم ذهب الأكابر والصادقون من الفقراء ، فإنهم ما ذهبوا حقيقة ، وإنما هم ككنز صَاحب الجبار وقد يعطي الله تعالى من جاء في آخر الزمان ما حجبه عن أهل العصْر الأول ، فإن الله تعالى قد أعطى سيدنا وحبيبنا محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم ما لم يُعط الأنبياءَ قبله ، ثم قدَّمه في المدح عليهم ، ويا لله العجب من كثير من المتفقهة ينكرون ما أَجمَعَ عليه الأولياء ويصدّقون بما وصل إليهم على لسان فقيه واحد ، ورُبما يكون استناده في ذلك القول إلى دليل قياس ضعيف أو إلى شذوذ من القول ، وما ذلك والله إلاّ لغلبة الحرمان ،

ثم مع إنكاره إذا أصَابه همٌّ أو مُصيبة يأتي إلى قبورهم ، فيحملهم الحملة دون الفقيه الذي صدّق قوله وقدّمه عليهم وكان الأمر بالعكس . (من نسخة أخرى) .

فإياك يا أخي أن تحرم احترام أصحاب الوقت فتستوجب الطرد والمقت ؛ فإن من أنكر على أهل زمانه حرمَ بركة أوانه .

وكان يقول : من وقف مع عاداته وعلومه ولم يظن أنَّ فوق علمه علوماً فهو محروم من جميع المواهب ، حتى من أهل مذهبه ، ويسمَّى هذا بالجاهل المركَّب ، فإياك والبحْثَ مع مثل هذا أو الجدال ليرجع ، فإنه لا يرجع ويتسع المجال بينكما ، وربَّما صَارَ يستفتي عليك وينسبك إلى أمور أنت منها بريء حتى يتعب سرّك ، فكفَّ عنه ما دام يرى نفسَه عليك . فإنَّ الجاهل لا ينصف المحقّ أبداً ، لعَدَم ذوقه لحاله ، إلاَّ أن يداركه الله تعالى بالتسليم ، فيؤمن أنَّ فوق كل ذي علم عليم . من « الطبقات الكبرى »عبارته ٨١ ج ٣ للشعراني قدس سره النوراني . (من نسخة أخرى) .

قال العلامة السيد محمود بن أشرف الحسيني النقشبندي في رسالة سماها « نجعة السالكين في ذكر تاج العارفين » : وكان من طريقة الشيخ – أي : شيخه المترجم تاج الدين العثماني الهندي[١] النقشبندي – أن لا يلقِّنَ أحداً إلاّ بعد إدخاله في الخدمات والرياضيات الشاقَّة التي تنكسر بها النفس ، ويحصل بها التزكية ، فإن التزكية مقدَّمة على التصفية عند أكثر المشائخ ، بخلاف النقشبندية ؛ فإن طريقتهم على العكس ، قالوا : بعد ما يتوجّه الإنسان إلى التصفية والتوجُّه إلى الحق بالصدق يحصل له من التزكية بأمداد جذبة من جذبات الرحمن في ساعة ما لا يحصل لغيره من الرياضيات والسياسات في سنين ، بناء على تقديم الجذبة عندهم على السلوك ، فإنَّ سلوكهم مستديرٌ لا مستطيل ، وإنَّ أوَّل قَدَمهم في الحيرة والفناء ، كما قال بهاء الدين النقشبندي قدس سره : **بدايتنا نهاية الطرق الأخر** . وقال أيضاً : **معرفة الحق حرامٌ على بهاء الدين لو لم تكن بدايته نهاية أبي يزيد البسطامي** .

وقد قال الخواجه عبيد الله أحرار : إن اعتقاد السلف قد يذهب بالبعض إلى إنكار هذا الكلام ! ! مع أنه لا ينافي أمراً من أمور الشرع ، بل حديث : « مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره » يدلّ على خلاف ذلك . انتهى .

أقول : ولعل الشيخ تاج الدين قدس سره كان في تقديم إدخال المريد في الخدمات والرياضات الشاقة ، والتزكية على التلقين ؛ بمشرب مشائخه الأول في الطريقة العشقية والكبروية ، ثمَّ لما دخل في الطريقة النقشبندية وسلكها على يد الشيخ الخواجه محمد الباقي النقشبندي قدس سره ، وأذن له

---

(١) الشيخ تاج الدين الهندي كان من قدماء أصحاب مولانا خواجه محمد الباقي بالله وأجلَّة خلفائه ، وقد صحب بعده الإمامَ الرباني ، ثم جاور الحرمين الشريفين واشتهر هناك صيته وشهرته ، وأخذ عنه أكابر أهل الحرمين الطريقةَ النقشبندية كابن علان ، وتوفي في الحرم المكي ، ودفن في جبل « قعيقعان » ، وقبره مشهور معروف هناك من « سراج السعادات في سير السادات »عبارته من ترجمة محمد الباقي قدس الله تعالى أسرارهم ورزقنا من فيوضاتهم آمين . (من نسخة أخرى) .

في الإرشاد فيها أبدل معاملته الأولى بالعكس الذي عليه السادة النقشبندية ، وحَصَر إرشاده وتأديبَه فيها ، كما يشهد بذلك ما في « النجعة » المذكورة من أن الشيخ تاج الدين قال : بعد ما أجازني الخواجه محمد الباقي ، اشتغلنا بالتربية على طريقة الأكابر النقشبندية كنت أقول : لو يأتيني طالبٌ يريد الطريقة العشقية وغيرها ألقِّنُه فيها وأربِّيه ، حتى أن يوماً حضرتْ روحانيةُ الغوث الأعظم الخواجه عبيد الله أحرار للخواجه محمد الباقي ، وقال له : إن الشيخ تاج الدين يأكل من مطبخنا ويشكر غيرَنا ، فأخرجناه من النسبة . وقال الخواجه محمد الباقي للخواجه عبيد الله أحرار : اعفُ عنه هذه المرة حتى أخْبِرَه ، فكتب الخواجه إليَّ هذه الواقعة ، فتركتُ كلَّ ما كان غير هذه السلسلة؛ أي النقشبندية وحَصرتُ التلقينَ والتربية فيها . انتهى كلامه بنقل تلميذه صاحب « النجعة » . انتهى ما نقله قدس سره عن « الحديقة الندية »[(١)] عبارته .

مكتوب سعد الله الأواري

وكتب رضي الله عنه إلى العالم الفاضل المتفنِّن سعد الله بن عبد المجيد الأوَاري بعد سلام وثناء وكلمات في الدعاء ما لفظه :

اعلم أيها الولد المرجوّ للاستقامة ؛ **أنّ أمر حياة القلب شيءٌ عظيم لا يساويه الدنيا والآخرة ، والمراد من سلوك الطريقة ازدياد اليقين بحقيَّة المعتقدات الشرعية التي هي حقيقة الإيمان ، وحصول اليسر في أداء الأحكام الشرعية ، وكون القلب حاضراً بالله غيرَ غافل عنه تعالى على سبيل الذوق** ، لا أمر آخر وراء ذلك ، فقد كان شيخنا العسلي قدس سره يقول : **إن علامة حياة القلب وُجدانه وقت الانتباه من النوم يرتعش ، ويضطرب** ، فقد مَنَّ الله تعالى عليك بهذه الدرجة العالية ، وذلك فضل من الله تعالى ، **بيد أن ذلك** لا يدوم ، بل المشائخ يذيقون المريد في ابتداء أحوالهم طعماً مما في النهاية ، ليكون المريد على نشاط واعتقاد ، **ثم يسلبونه لئلاّ يغتر بذلك ويفرح به** .

(١) وبه يُعْلم فرق ما بين هذه الطريقة النقشبندية العلية ، وبين سائر طرق السادة الصوفية ، قدس الله أسرار الجميع ، ورزقنا من بركات مقامهم الرفيع ، آمين . (من نسخة أخرى) .

ومما ينبغي أن يُعَلم أن الفرح مذمومٌ على كلِّ حال ؛ ولو كان بالله ؛ لأن ذلك حظٌّ من الحظوظ النفسانية .

وأيضاً إن شيوخنا – قدس الله أسرارهم عن الالتفات إلى ما سواه تعالى[1] – كانوا يقولون : إن تلقين الذكر لقلب المريد لا يجوز إلا بعد حياته ، وعلامة الحياة حصولُ الحركة والاضطراب للقلب في النوم أو اليقظة ، أو حصول الحرارة المعهودة وقت الرابطة و . . إلخ .

وأرجو الله سبحانه أن يجعلك من الذين يذكرون الله تعالى ذكراً كثيراً ، وأن يمنَّ عليكم بالقبول والملاحظة لدى السادات ، وقد شممنا من طرفكم رائحة القبول ، وقد قيل : **قبول قلوب المشائخ للمريد أدلُّ شيء على سعادته** . أدامكم الله تعالى على هذا القبول ، ولا حَرَمكم من هذا الفضل الذي يغبط فيه الأولون والآخرون . انتهى بحذف من خطه قدس سره .

مكتوب في المراد من السلوك

وكتب قدس سره إلى بعض مريديه : اعلم أن المراد من سلوك طريق الصوفية كونُ القلب حاضراً مع الله تعالى على الدوام ، وأنه لا عذر في ترك ذكر الله تعالى سبحانه ، والحضور ، وكونه غافلاً بسبب الاشتغال بالحرفة والكسب ، فإن القلب واللسان ليس لهما حرفة ، بل للأعضاء الظاهرة ، والتدرس ذكر الله ، والمراد من ذكر الله : التوفيق للطاعة والعبادة .

قال الإمام الرباني أحمد الفاروقي قدس سره : صحبة الحق تعالى بالقلب لا تنافي خلوتك ولا جلوتك ، بل تكون مع الناس في الظاهر ، وقلبُكَ مع مولاك . . . إلخ . انتهى من خطه .

---

(١) ولعل هذه العبارات زائدة ، أي : عن الالتفات إلى ما سواه تعالى . والصواب أن شيوخنا قدس الله أسرارهم كانوا يقولون . .إلخ والسلام أخوكم (النهري) . (من نسخة أخرى) .

مكتوب المحافظة على حضور القلب

وكتب إلى بعض مريديه بعد كلام : وأوصيكم بالمحافظة على الحضور القلبي ، فإنها دولة عظيمة لا يعطاها إلا الفرد النادر ، وإياكم والغفلةَ ، فإنها من أعظم الذنوب عند أهل الله تعالى كما هو معلوم لديكم ، ومن فاز بدولة الحضور وسار على منهاج الذكر القلبي سَعِد في الدنيا والآخرة ، **ولا يفوز بها إلاّ مَن ترك المألوفات وهجر المأنوسات** . وفّقنا الله تعالى وإياكم لامتثال الأوامر واجتناب النواهي . آمين . انتهى .

مكتوب جمال الدين البقاهچي

وكتب قدس سره إلى العالم الفاضل جمال الدين البقاهچي جواباً لسؤالاته بهذه النقول :

فائدة : سيأتي أنهم أجمعوا على أنه لا يشترط في الشيخ أن يكون يطَّلع على معاصي المريد الباطنة ، حتى يكاد كشفه باستعمال ما يزيلها وشهواتها من قلبه ، وأوجبوا على المريد أن لا يكلِّف شيخه بمثل ذلك ؛ لأنه كشفٌ شيطاني يجب على الشيخ التوبة منه فوراً لو وقع ، **إذ لا يطّلع على عوراتِ الناس إلاَّ الشياطين** ، بل يذكر له ما عنده من الأمراض ليداويه منها ، فلو قُدِّر أن الشيخ اطلع على عورة مريده فهو من قبيل الإلهام من الله تعالى بواسطة صدق المريد في طلب الطريق . « المواهب البريقة » ، ومثله في « لطائف المنن » في صفحة٩٣ من الجلد الثاني .

❊ وروي : « لا يأتي على الميت أشد من الليلة الأولى ، فارحموا موتاكم بالصدقة ، فمن لم يجد فليصل ركعتين يقرأ في كل ركعة منهما ؛ فاتحة الكتاب ، وآية الكرسي ، و﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ، (إحدى عشرة مرة) ويقول : اللهم إني صليت هذه الصلاة وتعلم ما أريد ، اللهم ابعث ثوابها إلى قبر فلان بن فلان ، فيبعث الله من ساعته إلى قبره ألف ملك مع كلِّ ملك نور وهدية يؤنسونه في قبره إلى أن ينفخ في الصور ، ويعطي الله المصلي بعدد ما طلعت عليه الشمس حسنات ، ويرفع الله له أربعين ألف درجة وأربعين ألف حجة وعمرة ، ويبني الله له ألف مدينة في الجنة ، ويعطى ثواب ألف شهيد ويكسى ألف حلة » .
قال المهيعي : ينبغي لكل مسلم أن يصليها كل ليلة لأموات المسلمين . انتهى . وتقدمت في الكلام على النوافل « فتح العلام » ص ١٢٠ ج٢ . (من نسخة أخرى) .

الكرامة ليست بشرط للمرشد

وفي « درر الغواص » في ٨٣ من هامش « الإبريز » : وأمّا الكرامةفليست بشرط للمرشد ؛ لأن الكرامة ما نقلت عن الصحابة والتابعين إلاّ عن بعضهم ، حتى لم تنقل عن الصدِّيق الأعظم ، مع أنه أفضلُ الأمَّة . « الفتاوى العمرية » [1]

ليس ذوو الكرامات أفضل من غيرهم على الإطلاق ، بل قد تنبئ الكرامة عن ضعف يقين أو همّة « الفتاوى » لابن حجر من الجزء الرابع . عبارته .

بل قد تقع الكرامة لمحبٍّ أو زاهد ؛ ولا تقع لعارف ، مع أن المعرفة أفضل من المحبّة عند الأكثرين ، وأفضل من الزهد عند الكلِّ « فتاوى » ابن حجر عبارته من الخاتمة .

وقد يكون من لم ينكشف أفضل ممن انكشف[2] « الرسالة الخالدية » . عبارته .

وليست الكرامة شرطاً في الولاية (منها) . عبارته .

---

(١) **وقد سئل الإمام أحمَدُ** رضي الله عنه : لِمَ لم يشتهر عن الصحَابة من كثرة الكرامات ، كما وقع لمن بعْدهم من الأولياء ؟ **فقال** : إنما لم يشتهر عن الصحَابة كثرة كرامات ؛ لأنَّ إيمانهم كان في غاية القوة بخلاف إيمانِ مَن بَعْدهم ، فكلما ضعف إيمان قوم كثرت كراماتُ أولياء عصْرهم تقويةً ليقين الضعفاءَ منهم . « يواقيت » عبارته من المبحث الخمسين . (من نسخة أخرى) .

فائدة : اعلم أنَّ كرامة الأولياء قد تكون بحسب حاجة الإنسان إليها ، فتجري على يد إنسان ليَقوَى إيمانُه ، ولا تجري على يَدِ أعْلَىَ منه لاستغنائه عنها بعُلوِّ درجته لا لنقص ولايته ، ولذلك كانت في التابعين أقوى منها في الصحَابة . « نوادر العلامة القليوبي » . عبارته ١٢٩ . (من نسخة أخرى) .

(٢) وراجع « خلاصة الأدب » ص ٨ ؛ وهو للمؤلف رحمه الله . (من نسخة أخرى) .

ولما كان الإحياء الجسديُّ معتبراً عند أكثر الناس أعرض عنه أهل الله ، واشتغلوا بالإحياء الروحي ، وتوجّهوا إلى إحياء القلب الميت ، والحقُّ أن الإحياء الجسدي بالنسبة إلى الإحياء القلبي والروحي كالمطروح في الطريق وداخلٌ في العَبث بالنظر إليه ، فإن هذا الإحياء سببُ حياة معدودة ، وذلك الإحياء وسيلة للحياة الدائميّة « الدرر المكنونات النفيسات في تعريب المكتوبات » للإمام الرباني قدّس سرّه ص ١٤٠ من الجزء الثاني . عبارته .

أيها الأخ المحبوب المقبول جمال الدين ؛ كتبت إليكم هذه المذكورات ، وسلَّمتها إلى يد الحامل لتراها ، هذا ؛ والسلام ، وأوصيكم بالدعاء للفقير الحقير أخيكم الداعي لكم بالخير حسن القحي . انتهى من خطه قدس سره .

الباب الثالث

في بيان كيفية الرابطة الشريفة ، ومقدّماتها وفوائدها ، وعلامات حصولها ، وبيان كيفية زيارة الأستاذ وآدابها ، وبيان كيفية التوجه وفوائده ، ويعقبه بيان فوائد التذكير والتعليم والوعظ ، والنصيحة والتحذير عن الجواسيس ، والتحضيض على البُعْد عن الناس وعدم مخالطتهم ، وعلى الخمول والتستّر ، وعدم الثقة بالناس ولو . . . إلخ ، وارتكاب الأسباب مع التوكل ، وفي كلام في الاجتماع الروحاني والجسماني ، وكذا مسائل نفيسة في الباب ، وفي التحذير عن ترك الورد ، وجواز تعليم الطريقة للشبان والشوابّ ، وفي ترتيب أوراد الشاذلية قدس الله أسرارهم ، ومهمات في الزيارة .

مكتوب في كيفية الرابطة

وكتب قدس سره إلى العالم سلطان ابن العالم المحقق الحاج مُرْتَضَعَلِي العكلّچي يُبيِّن له كيفية الرابطة الشريفة ومقدماتها :

(٢٥) أستغفر الله ، (١) فاتحة الكتاب ، (٣) سورة الإخلاص ، ثم يقول : يا رب ؛ تقبّل مني ما قرأته وزده ثواباً ودرجة ، يا رب وهبتُ ثواب ما قرأته من قرآنك المجيد إلى سيدنا محمد ﷺ ، ثم إلى أرواح أصحابه الأربعة رضي الله عنهم ، ثم إلى أرواح مشائخنا مشائخ السلسلة النقشبندية[1] ؛ خصوصاً إلى روح محمد النقشبندي[2] ، ثم إلى روح الإمام الرباني أحمد الفاروقي ، ثم إلى روح خالد شاه البغدادي السُليماني ، ثم إلى روح محمود أفندي الألمالي الأشترخاني ، ثم إلى روح جبرائيل أفندي اللكتيّ الزاخوريّ ، ثم إلى روح

(١) قدس الله أسرارهم . (منه) .
(٢) الأويسي البخاري . مكتوب آخر بخطه . (هامش الأصل) .

الحاج عبد الرحمن العسوي قدس الله أسرارهم . يا أساتيذي ويا مشائخي ؛ أطلب منكم العون لأذهب إلى الله تعالى ، ويتقبَّلني الله تعالى ، يا ربّ لا تطرُدْني عن بابك بحرمة هؤلاء المشائخ ، واقبَلْني ، ولا أحَدَ يقبلني سواك ؛ إن لم تقبلني . آمين .

ثم يستغفر الله (مائة مرة) ، ثم يتخيَّل في الموت وما بعده[١] ثم يفعل الرابطة إلى محمود[٢] أفندي[٣] ملاحظاً أنه واقف قبالته ملتصقاً ركبتيه بركبتيه ويقابل قلبه بقلبه ، ويستفيض منه بقدر ربع ساعة صباحاً ومساء كل يوم ؛ يحصل الفيض والبركة إن شاء الله تعالى .

(٥٠٠) أستغفر الله ، (٥٠٠) اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله ، ويقول : بين كل مائة : إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي .

وصورة محمود أفندي هذه : بَعَرَبْ طَغُرَلْدَ خَحَبْ حِرْمَ قَرَوْ ، عُرْجِّنَبْ اسخَلِ طَدْ لُرَبْ خَبَرْجَ رِطَرَوْ ، طِرنَبْ خَلَدَبْ لَكَ جِرْخَلُلْ خَحْ ژَحلَبْ لِدِرَبْ ، خَلَتَبْ مِكجَلُلْ جَحَ - مَحَيَلْ لِدِرَلْ طَدِ رَيَلُلْ عُجَلْكِ رُكِبْ دَهَبْ بِرَبْ حَلَقَبْ هُمِرَلُلْ[٤] . انتهت .



(١) كأنه مات وغُسِّل وكُفِّن وحُمل إلى القبر ، ودفن ، وفارق من الدنيا والأهل والعيال ، وصار فريداً وحيداً ليس له أنيس ، ثم ، وثم . .إلخ . (منه رحمه الله) عبارته .

(٢) ويجعل قلبه مقابلاً بقلبه ويستفيض منه متخيلاً كأن النور الذي على قلبه ينزل إلى قلبه نزولاً بعد نزول وجرياناً بعد جريان ، إلى أن يحصل له الغيبة أو أثر الجذبة . (منه قدس سره) . **قوله** : كأن النور الذي أي : النور الأبيض ، كما صرح به شيخنا المرحوم حميد أفندي قدس سره في بعض مكاتبه . (كاتبه) .

(٣) ثم يرابط قلبه بقلبه ويستمد منه بقدر ربع ساعة صباحاً ومساء ، يتخيل المريد كأن الشيخ محمود أفندي واقف قبالته ملاصقاً ركبتيه بركبتيه ، ومن جهة يمينه النبي عليه السلام ، ومن جهة يسار خالد شاه ، ويتخيل سائر أرواح المشائخ كأنهم واقفون خلفهم حلقاً ، هكذا فافهم . منه قدّس سرّه جواباً لولده محمَّد عارف حفظه الله .

(٤) **وترجمتها** : يضع قلنسوة حمراء ، ويلفُّ عليها عمامة بيضاء ، ويلبس عباءة قبتها من جلد النعجة ، وهو نحيل الجسم ، طويل القامة ، نحيف الوجه ، عليه آثار اللقح ، وله لحية طويلة بيضاء غير كثيفة . (من نسخة أخرى) .

الذكر بلا رابطة لا ينفع في الإيصال ، **والرابطة وحدها بلا ذكر مع رعاية آداب الصحبة تنفع في الإيصال** ؛ كما هو حاصل ما في « المتممات » لأحمد ضياء الدين فراجعه ص٥٦ .

الرابطة : طريقة مستقلَّة ، كما هو مذكور في غير كتاب فراجع ، وحرِّر ، والسلام ، وأوصيكم بالدعاء . انتهى من خطه قدّس سرّه ما كتبه إلى العالم العكلچي سلطان رحمه الله[(١)] .

مكتوب في جواب مريده عن الرابطة

وكتب قدس سره جواباً لكتاب بعض[(٢)] مريديه ما لفظه :

وعليكم السلام ؛ أيها الولد الأمين ، والجوهر الثمين ؛ جعلني الله تعالى وإياك من المقبولين لدى المشائخ ، والداخلين في وسط دائرة الولاية ، والشاربين من رحيق العناية . آمين .

ولله الحمدُ والمنَّة على ما شرَّفك بظهور أثر الرابطة الشريفة ، فلقد كان شيخنا العسوي قدس سره يقول وقت التوجه : **ألم يحصل لقلبك الانشراح ؟ !** وكان يقول أيضاً : **ألم تحصل لك الحرارة في القلب ؟ !** انتهى .

---

(١) وفي نسخة زيادة هنا :
محمَّد ﷺ * أبو بكر * سلمان * قاسِم * جَعْفر * طيفور * أبو الحسن* أبُو علي يوسف * عبْد الخالق * عارف * محمُودْ * علي * محمّد بابا * أمير كلال * محمّد نقشبنْدْ * علآء الدين * يعقوب * عبيْد الله * محمّد زاهدْ * دَرْويش محمد * خَواجَكي الامكنكي * محمّد باقي * أحمد الفارُوق * محمّد مَعْصُومْ * سيف الدين * نور محمّد * حَبيب الله * عَبْد الله * خالد شاه * إسماعيل * محمّد صَالح * إبراهيم * يونس * محمُودْ أفيدي * جَبْرَائيل أفيدي * عبْد الرحمن حَاجي العسوي * حسن أفيدي القحي * محمّد اليعصوبي * حميد أفيدي الهندخي * محمد أفندي العوري * . . .
(٢) هو العالم الفاضل حَسَّنِلْ محمد القحي ، كما أخبرني به ثقة (منه) . (من نسخة أخرى) .

وسمعت واحداً من المريدين يقول له : إني أجد في فمي حلاوة أخاف من ابتلاع بُصاقي الإفطارَ ، فإنَّ حلاوته حلاوةُ العسل ؟ فقال له الأستاذ : كنت أجدُ ذلك حتَّى أنها لم تنقطع ولم تتغيّر في مرض الحمّى . انتهى .

ثم اعلم أيها الولد ؛ أنهم قالوا في كتبهم : **إن الرابطة للمبتدئ أنفع من الذكر ، وإنها أقربُ الطرق الموصلة إلى الله تعالى** ، فالذكر وحدَه ؛ أي : بلا رابطة معه لا ينفع في الإيصال ، والرابطة وحدَها ؛ أي : بلا ذكر مع رعاية آدابها فكافية في الإيصال .

آثار الرابطة

وكان شيخنا المذكور قدس سره يقول أيضاً : إن علامة حضور روحانية الشيخ لدى المريد في حالة الرابطة حصولُ أثر الحرارة في القلب ، أو شمُّ الرائحة الطيِّبة ، أو تحرُّك القلب وارتعاشه واضطرابه ، وانقباض الجسد . (أي : زُرْخَنْ لِّه)

❊ قال الشيخ أبو نصر محمد بن عبد الرحمن الهمداني رحمه الله تعالى : اعلم أنَّ الخالق البارئ جلَّت قدرته ، وعلت كلمته ، وتوالت آلاؤه ، وتتابَعَت نعماؤه ، زين الأشياء السبْعة ثم زين السبْعة بسبعة أخرى ، ليعلم العَالمون أن للأعْداد السبع عند مالك الضر والنفع خطراً عَظيماً ومَحَلاًّ جَسيماً ؛ **الأول** زين الهواء بسبع سموات ، قال تعالى ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾ الآية . . إلخ ، وزين عمر الآدميِّين بالأحْوال السبْعة في ابتداء الحالة ؛ رضيعٌ ، ثم فطيمٌ ، ثم صَبي ، ثم غلام ، ثم شابّ ، ثم كهْل ، ثم شيخ ، ثم زين هذه الأحْوال السبعة بالكلمات السبْع وهي قوله (لا إله إلا الله محمّد رسول الله) صل الله عليه وسلم ، قال تعالى ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ ﴾ . . إلخ . من كتاب « السبْعيات في مواعظ البريات » عبارته من الديباجة . (من نسخة أخرى) .

أسباب فتح العلم

ورأيت في مَنْهُوَّات[1] « الطبقات الخواجكانيَّة النقشبندية » للشيخ الحافظ شعيب أفندي الباكني قدس سره ما معناه : إني كنتُ ألَقِّنُ طالب العلم الرابطة ، وألَقِّنه ثلاث مائة استغفار ، وثلاث مائة صلاة على النبي المختار ، فيحصل له بذلك الفتحُ في العلم . انتهى .

وهكذا كان الشيخ العسوي قدس سره يفعل مع طالب العلم هذا الصنيع المذكور بلا فرق ، وكان لا يزيد له على ذلك ، وكان يقول لي : **إذا لم تفهم شيئاً مّا من الكتاب ؛ فرابط الشيخ محمود أفندي قدس سره ، فبعد ذلك تنظُرُه فتفهمه** . انتهى .

فضل العالم على غيره

فبناء على هذا ينبغي لك أيها الولد أن تفعل الرابطة في المَلَوين[2] مرَّتين ؛ مرَّة في الصباح ؛ أو في السحر ، ومرة في المساء ؛ أو بعد المغرب والعشاء ، كيفما اتفق لك الفراغ ، ولا أزيدك على هذا ؛ لأن الاشتغال بالتعلُّم والتعليم أفضل لك من غيره ، فكيف لا ؛ وقد روي عنه ﷺ : « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم » ؟ ! ! والسلام .من خطه قدس سرُّه .

مكتوب في التوصية بولده محمد عارف

ثم إنَّه أوصى هذا المرسل إليه بولده محمد عارف خيراً ، ومما كتب إليه في حقِّه : إني يا ولدي ؛ عوَّلت إليك أمره ، فأنت أبوه وأخوه ، فلا تدعْه يفعل ما شاء ، بل احمله تدريجاً إلى كلِّ ما فيه صلاحُه ديناً ودُنيا ، وأدّبه بآداب

---

(١) جمع (منهوة) وهي : تعليقات المؤلف على كتابه التي يختمها بقوله (منه) . أي : من المؤلف علقها على كتابه ، وقد أثبتناها جميعها في طبعنا للطبقات المذكور . (من نسخة أخرى) .
(٢) صباحاً ومساءً . (من نسخة أخرى) .

الصالحين ، فإن الأدب مغناطيس القلوب ، وبه وصل مَن وصل ، وبتركه حُرم مَن حرم . انتهى .

ثم قال بعد كلام كثير : فأفٍّ لعقل لا يتدبّر به عواقب الأمور . انتهى من خطه قدّس سرّه .

مكتوب في إجابة أسئلة خليفته

وكتب إليه أسبقُ أولاده وخليفتُهُ من بعده محمد ابن القاضي نور محمد العسوي الملّقب بـ : (اليعسوب) قدّس الله سرّهما ، ورزقنا بركتهما وبرَّهما . آمين . يسأله عما يأتي :

أيجوز للمريد أن يتصدَّق عن أستاذه وشيخه الحيِّ ؟ وهل له أن يُهلِّل[1] عنه ، ويجعل ثوابه له ؟ ؟

وأخرى[2] : يُلقي الشيطان في قلب هذا الفقير حالةَ الرابطة والذكر تخيُّلات أخروية ودنيوية ، ووهميَّات فاسدة ، فهل لإزالتها علاجٌ سوى أن يقال : يا فعَّال (٧) ، ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ الآية . و(إلهي أنت مقصودي) ؟ ؟

وأخرى : هل يطلق اسم الرابطة على جملة ما يلقِّنُونه المريد ؛ مِن الاستغفار والقراءة والتخيُّل والتفكر ، أو هي خاصة بتخيل صورة الشيخ في اصطلاحهم ؟ !

وأخرى : هل يجوز للمريد أن يفعل الرابطة بعد صلاة العشاء إذا لم يُمكن له فعلُها بعد صلاة العصر والمغرب ؟ وهل لها وقتُ فضيلة وجواز وكراهة ؟ !

(١) يذكر الهيللة ؛ وهي : (لا إله إلا الله) .
(٢) أي : مسألة أخرى .

وأخرى : خرج مريدٌ يزور قبرَ وليٍّ غير شيخه ، واشتغل آخرُ بذكر لفظة الجلالة ، فأيُّهما أكثرُ ثواباً وأحسن عَمَلاً ؟ من هذا الفقير المفلس القاضي ابن القاضي .

فكتب قدس سره في جوابها ما لفظه :

إني وجدت بعضاً من المريدين يهب ثواب ما يقرأه لي ، كما يهب لسائر المشائخ فمنعته منه ، ثم إنه شكى في حقِّ ذلك إلى شيخنا العسلي قدس سره فقال له الأستاذ : **يا أخي ؛ إني آمر أن يهب ثواب القراءة لي!! ولم يزد** .

هبة الثواب للأحياء

وطرقتُ مرَّة إلى مجلس الختم وقت قراءته ، فوجدت الحاج حبيب الله يهب ثوابه لي ويناديني كما ينادي المشائخ ، والحال أنه لا يعرف كوني[1] في ذلك المجلس ، فكدتُ أن يغشى عليَّ بشدة ذلك النداء ، فقلت له : ما هذا النداء ؟ ! مع أني لا أسمعه ؛ والنداء إلى مَن لا يسمع من اللغو ، ومما لا يعني ، فهدّدته في ذلك ، خوفاً أن يكون من الدعاوي والعياذ بالله ، **لكن إهداء الثواب للحيّ والميت مما لا يمنعه الشرع** . فافهم .

علاج ذهاب الخطرات

وعلاجات ذهاب الخطرات كثيرة مذكورة في الكتب ، ومن أعظمها ؛ تذكُّر الموت ، كأنه نازلٌ إليه في الحال ، وأنه مفارق من الدنيا في الوقت ، كما قال لي شيخي قدس سره : فأنت تطالع « الخالدية »[2] وتفعل ما فيه من العلاجات .

---

(١) حضوري . (من نسخة أخرى) .

(٢) ص ٣٤ ، وص ١٢٧ ، ج١ من « الإعانة » ففيه البيان .

معنى الرابطة

وأما الرابطة : فهي تخيُّل صورة الشيخ بين عينيه ، وأما الاستغفار وقراءة الفاتحة والإخلاص فهي خارجة عن حدّ الرابطة ، فمتى تخيَّل المريدُ صورةَ الشيخ ؛ يقال له : إنه فَعَل الرابطة ، وقد سمعت الشيخ يقول : إن القراءة وإهداء الثواب ليس بشرط ، وإنما هي هدية .

وقت الرابطة

ويجوز فعل الرابطة وقت العشاء ؛ إن لم يتفق له الفرصة لفعلها وقت العصر ، وقد سمعتُ الشيخ يقول : إنْ فعل الرابطة في وقت السحَر فتلك الرابطة تكفي له بدل ما يفعل بعد الصبح ، **ولكن الوقت المعيّن لها هو وقت الصبح ووقت العصر** ، لأن ذينك الوقتين وقتُ قسمة الأرزاق الحسيَّة والمعنوية ، وقد ذكرتُ ذلك في « تلخيص المعارف » بالبيان التام . فراجعه .

زيارة الأولياء

وأما الزيارة ! ! فلا يعدلُها شيء إن علم المريد كيفية الذهاب ، وكيفيّة ما يجب عليه وقتَ الزيارة ووقت الانصراف من قبر الوليِّ ؛ بَيْد أنه لا يَعرِف ذلك . **والزيارة**(١) **إنما تفعَل لحصول الحضور بسببها** ، فهي وسيلة إليه وليست مقصودة لذاتها ، والاشتغال بالذكر القلبي ثوابه لا يعدُّ ، ولا يحصى وهو المقصود الذاتيّ . فافهم . وأوصيكم بالدعاء . (حسن) .

مكتوب عن الرابطة بلا قراءة

وكتب قدس سره جواباً لمن سأله عن جواز الرابطة بلا إهداء ثواب القراءة . . وإلخ .

---

(١) راجع « السراج المنير شرح الجامع الصغير » من ص ٢٩٩ إلى ص ٣٠٣ تجد أحاديث شريفة في فضائل زيارة الصالحين . وراجع « الإحياء » أيضاً من باب ص ١٧٦ ج ٦ من هامش « الإتحاف » . (من نسخة أخرى) .

الجواب : جواز الرابطة بلا إهداء ثواب ما قرأه من سورة . . إلخ ، واقتصارُ إهدائه على المشائخ بلا مشاركة الأم والأب وغيرهما . وقد سمعت شيخنا قدس سره يقول : **إني لا أزيد حرفاً على ما علّمني شيخي ؛ ولا أنقصه . انتهى .**

جوابه للشيخ نور محمد العروخي

وكتب قدس سره إلى الشيخ العالم الحاج نور محمد العروخي النهري رحمه الله ما لفظه بعد سلام وكلام :

أما بعد ؛ فقد وصل إليَّ مكتوبُكم الشريف ، وحصل به الفرح والسرور والابتهاج ، وشكرنا الله تعالى بقدر طاقتنا ؛ لا بقدر النعمة ، فللّه الحمد والمنة .

ذكر الشعراني في « المنن الكبرى » أن لأحمدَ الرفاعيِّ رحمه الله قبراً في بلدة « أم عَبيدة » وقبراً آخر في الصحراء التي كان يتعبَّدُ فيها ، والناس يزورون هذا القبر وهذا القبر ، ولكن لا يحصل لهم الهيبة والرعدة إلا عند قبره الذي في البرية . انتهى .

وفيه أيضاً ما حاصله : أن السيدة نفيسة رضي الله عنها أصلُ دفنها كان بالمراغة قريباً من القبر الطويل في الشارع ، ولكن ظهرت في هذا المكان الذي كانت تتعبّدُ فيه ؛ لتعلُّق قلبها به . انتهى .

حكم باب البرزخ

وفيه أيضاً : حكم باب البرزخ حكم التيار الذي يُدَكُّ فيه إنسان فيغطس ، ثم يطفو من موضع آخر ، كما وقع لسيدي أحمد الرفاعي ، والسيدة نفيسة ، ثم إذا نفخ في الصور يوم القيامة يخرج من موضع نزل . انتهى .

إطلاق الموتى

وفيه أيضاً ما يدلُّ على أن للأولياء إطلاقاً وسراحاً ، وعدم التقيُّد في القبر ، بل هم كالأحياء يذهبون حيث شاؤوا ، ويرجعون إلى دارهم . راجعه .

حضور روحانية الشيخ

وكنت رأيت فيه قبلُ ما حاصله : **أن الوليَّ** إذا جلس موضعاً مثلاً تقف فيه روحانيته كذا وكذا مدَّة ، لكن لم أصادف موضعَه رضي الله عنه لأحرِّره بعينه ، فبناء على هذه المذكورات يجوز لشيخنا قدس سره أن تصل روحانيته إلى موضع وُضِعَ فيه النصب ، وقد كان رحمه الله تعالى يومئذ قائماً في ذلك الموضع يَعظ الناس وينصحُهم بكيف يُهيِّج الأوصال ، وحصل للناس بكاء وصراخ ، وبعد ذلك صلَّوا صلاةَ الظهر بإمامته قدس سره ، ولا شكَّ في وصول البركة من ذلك الموضع ، **لكن لا بدَّ** لكلِّ مَن وصل إليه أن يتخيَّل صورته الشريفة بالمحبَّة والشوق ، **وحضورُ روحانية الشيخ بحضور قلب المريد أسرع من لمح البَصر** .

وفي « الإبريز » ما حاصله : أن ذات المريد المحبِّ لشيخه كمشيمة الأم لولدها ؛ تَسكن روحانيته في ذاته . فراجعه ، بل لا يفارق روحانية الشيخ من المريد المقبول ؛ ولو لحظة .

ثم اعلم يا أبي أنَّ محبة هذه الطائفة رأس كل سعادة دنيوية وأخروية ، **والتوفيق لإتيان الأحكام الشرعية نتيجةُ هذه المحبة ، وتحصيلُ جميعيّة الباطن ثمرةُ هذه المودَّة ، فلو صُبَّ جميعُ ظلمات العالَم وكدوراته في الباطن وهذه المحبة قائمة ينبغي أن لا يغتمّ بذلك أصلاً ، بل ينبغي أن يكون راجياً ، ولو أفيضتْ أمثال الجبال من الأنوار والأحوال على الباطن ؛ وقد زال مقدارُ شعرة من هذه المحبة ينبغي أن لا يعتقد في ذلك شيئاً غيرَ الخذلان ، وينبغي أن يَعُدَّه استدراجاً .**

وعليكم بالتوجُّه لشغلكم متمسِّكين بحبل هذه المحبة تمسُّكاً شديداً دون أن تضيّعوا العمر العزيز بأمور لا طائل تحتها .

وإيـاكـم والاغـتـرار بزخـرف　　سريع انتقال لن تروا نفعه أصلاً

هذا حاصل ما قاله الإمام الرباني في بعض مكاتيبه ، فعليكم بالعمل بمضمونه ، وأخبروني أحوالكم أحياناً ؛ ولو بالكتبه ، وأرسلوا أيضاً إليَّ الوقائع المناميّة ، فإن إظهار الأحوال وإخبار الأذواق واجبٌ ، فتفطنوا لهذا الكلام ، ولا تتساهلوا في عمل الرابطة لشيخكم محمود أفندي قدس سره ، فإن من اختلَّت رابطته انقطعت إفاضته .

قال الإمام الرباني : اعلم أن حصول رابطة الشيخ للمريد بلا تكلُّف وتعمُّل علامة المناسبة التامّة بين المرشد والمريد التي هي سببُ الإفادة والاستفادة ، **ولا طريق أقرب من طريق الرابطة أصلاً ، فيا سعادة من استسعد بهذه الدولة**[١] ! ! !

أورد حضرة الخواجه أحرار قدس سره في الفقرات أن ظلَّ الدليل أولى من ذكر الحق سبحانه باعتبار النفع ، يعني : أنَّ ظلَّ الدليل أولى للمريد من اشتغاله بالذكر ، فإنه لم يحصل للمريد بَعدُ مناسبة كاملةٌ بالمذكور جلَّ وعلا ، حتى ينتفع من طريق الذكر انتفاعاً تاماً . انتهى .

نفع المراقبة وطريقها

وأوصيك بدوام المراقبة ، فلا شيء أنفع منها ، **وطريق المراقبة أفضل من طريق الذكر** ، بل أعلى وأكمل ، فكيف لا ؛ وفي الحديث : « فكر ساعة خير من عبادة ستين سنة » ؟ ! ، وفي رواية : « سبعين سنة » وفي رواية

(١) راجع « خلاصة الآداب » ص٣٦ . (هامش الأصل) .

« ألف سنة » أو « سبعين ألف سنة » وهذا الأخير في حقِّ مَن تفكَّر في معرفة الله سبحانه .

واعلم أن مَن كان على المراقبة المعيَّة محسوبٌ في أولياء الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ نصٌّ قاطع يعلم منه مكانةُ مقام الإحسان ، **ولا تظنَّ يا أبي أيّ شيء يكون للإنسان بوقوفه ساكتاً صامتاً ؛ منتظراً إلى قلبه** ؛ مراقباً مع كونه أسهل الأشياء ، بل تفكَّر فيما قيل (جلسة خير من ألف حجة) ! ! وقد قال الشبلي : لحضور قلبي في استغراق نور ربِّي خيرٌ من علوم الأوَّلين والآخرين ! ! وفي الحديث : « جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين » .

واعلم يا أبي ؛ أن أصحاب الحراثة لا يأخذون إلاَّ درهماً واحداً على خدمة يوم كامل مع ما يُعانونه من الشدائد والمشقات ! وأرباب الحرف السنيَّة يأخذون ألوفاً بخدمة ساعة ؛ وهم في حالة راحة ورفاهية ! ! فالمقرَّبون يستحقُّون الألوف على ساعة خدمة الحضور ، ومع ذلك لا تعلُّقَ لهم بتلك الألوف ، فإن غايةَ مرامهم إنما هي القرب من السلطان ، وهكذا فيما نحن فيه ، فعليك ثم عليك بتفهُّم ما لك وعليك من هذه المذكورات ، فإنَّها من لُبّ المعارف لو تدبَّرت[1] ،

وينبغي لكلِّ عاقل أن يعلم أن الدنيا كجناح بعوضة في القلَّة ، وأنها مبغوض عليها ، والآخرة مرضية عند الله تعالى وباقية لا تزول ، وأنَّ نَفَساً واحداً من الذكر والمراقب أفضل من الدنيا وما فيها من « الجواهر » . . . وإلخ ، **ولا بدَّ أن يموت المرء ويفوّض أمر العيال والأولاد إلى الله تعالى ، فعَدُّ نفسِك ميِّتاً حتى الآن ، وتفويضهم إليه تعالى أولى ، والرجوعُ إليه سبحانه بترك الكلِّ والإعراض عنه أحرى** ، والمسؤل من الله سبحانه استقامتُكم ، وثباتُكم على

---

(١) وكان أبو القاسم النصر أباذي يقول : الجذبُ أسرع من السلوك ، فإنَّ كل جذبة من الحق تغني العبد عن أعمال الثقلين . « طبقات الشعراني » عبارته ١٠٠ ج١ . (من نسخة أخرى) .

ما كان أمركم به شيخكم ، وعافيتكم وتوفيقكم وحسنُ وعاقبتكم ، وأوصيكم بالدعاء لهذا الفقير محبّكم : (حسن القحي من خطه) .

مكتوب خليفته اليعسوب

وكتب إليه خليفته اليعسوب قدّس سرّه بما في « الخالدية » ما حاصلُه هذا :

ويوقن المريد بأن روحانية مرشده معه ؛ إذ ليس للروحانية حجاب ، ولا بُعدٌ ولا قرب ، ولا مادَّة ولا مُدَّة ، فحضورها بحضور قلب المريد أسرعُ من لمح البصر ، بل لا تنفكُّ عن المريد . ومثله في مثله في غير موضع ، وبمثل هذا الكلام كان المريدون الذين هم ضعفاء الاعتقاد مطمئِّنين ومستيقنين .

والآن لما رأينا ما كتبتَهُ في « تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف » منقولاً عن شيخنا العسوي قدّس سرّه : أنَّه كان يقول : إذا أطاق المريد أن يتصوَّر صورةَ شيخه كما هي يحضُر لديه ، وإلاَّ ! ! فلا عجزنا عن التلفيق بين القولين ، والحال أن هذا الثانيَ صعبٌ على الضعفاء ، فلعلك تزيل عنَّا ظلمة الغطاء . والسلام من ولدك المنغمس في بحر الخطايا محمد بن نور محمد العسوي .

فكتب قدس سره في جوابه : **حضورُها بحضور قلب المريد يكون إذا أطاق المريد تصوُّرَ صورة الشيخ** ، ولا أدري المخالفةَ بين الكلامين ! ! فتدبَّره . انتهى .

وكتب رحمه الله تعالى أيضاً : مَن لم يَرَ الشيخ ، أو مَنْ رآه لا يقدر على التصوّر حقيقة ؛ إلاّ مَن صفا باطنه ، ويرى الغيوب ، لكن لعلَّ معنى قول الشيخ

العسلي هو تخيُّل صورة الشيخ كما هو عليه ؛ أي : كما نتصوّر صورة القطب محمود أفندي مع إعتقاد أنه قبالته للإستفاضة . وأمّا من لا يعرف صورة الشيخ بالكلية فحضور روحانيّته بمجرَّد تخيّل فلا يحضر ؟ ! والله أعلم .

ومعنى ؛ يجبّ على الشيخ تفقّد حال المريد ، فهو معنى ما كان شيخنا قدّس سرّه يقول :

جَبْرَائِيلْ أَفَنْدِيَصْ أَبُلِبْ بُكَنَ : نِلِرْ خِزَنَزُلْ عَدِنْ خَلْ هِبَزِ كُلَّ مُرِيدَ صُلْ أَبُنْ ،أي . . .[١] . . . يَلُلْ خَلْ هِبَزِ كُلَّ إِبْ طَسَ إِنْزِ هَبِ اَبُنْ اَللهَ صْدَ هَرُنْ اِزُلْ . . . . . . يَلُلْ قَرِلِي بَلَهْ اِنْزِهِبَ إِزُلْ مَقَامْ دَرَجَ ژِّكِّزِ هَبِ إِزُلْ حَال لِكْ هَبِ أَبُنْ أَللهَ صْدَ هَرُنْ[٢] . هذا ؛ والسلام .

(١) بقي في الموضعين بياض لمحو ما في الأصل ، ولعل من عنده علم ما هنا لكان يعلقه بالموضع ، وأجرة على الله . (منه) عفى عنه .

(٢) وترجمتها كاملة : يجب على الشيخ أن يتفقَّد حال أهله ، ويدعو الله أن يدفع عنهم البلايا والمصائب ، وأن يرفع درجاتهم ومقاماتهم ، ويسأل الله لهم أن يصلح أحوالهم ويعطيهم من فضله . (من نسخة أخرى) .

مكتوب جوابه عن حصول الأثر أحياناً

وكتب قدس سره ؛ جواباً لمن سأله عن الحكمة في حصول الأثر عند رؤية الشيخ والتوجُّه إليه مرة ، وعدم حصوله مرَّة ، ما لفظه :

إنَّ معرفة الأثر ليس بشرط ، وإنما الشرط الاعتقادُ بوصول الأثر ؛ عَلِم ذلك أم لم يعلم ، كما هو مذكور في غير موضع من الكتب . انتهى .

زيارة المريد

وكتب قدس سره أيضاً جواباً لمن سأله عمَّن يرابط المريدُ قلبَه حين يذهب لديه ، وإلى من يُهدي ثواب الفاتحة والإخلاص ما لفظه :

إذا قصد المريد الزيارة إلينا يفعل ما يفعل قبل الرابطة ، ويهدي ثواب ما قرأه إلى أرواح السادات ، ثم يخرج من البيت ، ويتخيل كأنَّ محمود أفندي يمشي قَبْلَه ، ويُرابط قلبه بقلبه ، ويعتقد أنه معه ، وأنه شفيعُه ، وقد قال شيخنا مراراً : أن جبرائيل أفندي قال له أكثر من عشر مرَّات : إنه لا يجوز أن يرابطه المريد ، فإذا كان الأمر كذلك ، فالمراد من المرشد هو محمود أفندي ؛ لا غيره .

مدة الزيارة

وكتب أيضاً في جواب مَن سأله عن حكم تحدُّث النفس بالخروج من عند المرشد ، ومدة الجلوس عنده ما لفظه :

يقطع المريد خياله عن حديث النفس بأنه يخرج من عنده ، بل يُنسي كلَّ خطرة سوى الاستفاضة ، وربط قلبه بقلبه ، فإن حديث النفس لدى المرشد يقطعُ الفيض ، ويكون سُدَّةً في مجراه ، لكن إذا استفاض منه لا يطيل الجلوس عنده لئلا يزيل عن قلبه هيبته ومحبَّته ، فإن الهيبة والمحبة تجلُبان الفيض ، وبانقطاعهما ينقطع الفيض . وأيضاً الرابطة بالشيخ من غير توجُّه القلب والنظر إليه بالحضور كافيةٌ في الاستفاضة ، وإذا اجتمعا فهو نور على نور .

فحاصل الكلام : أن مجرّد تخيُّل المريد بأن الشيخ معه يكون سبباً لوصول فيضه إليه ، وأما إذا اجتمع توجُّهه إلى قلبه مع ذلك التخيُّل والربطِ فيكون ذلك أتمَّ في الاستفاضة وزيادة الفيض . فافهم ، والسلام . وأوصيكم بالدعاء . (الحقير حسن) .

مكتوب لولده في علامة الجذب

وكتب إليه ولده محمد عارف رحمهما الله تعالى[1] ما حاصله : رأيت في مكتوبك الحثَّ على المداومة على الرابطة الشريفة حتى يحصل أثر الجذبة ؛ أو الغيبة انتهى . فهل لذلك علامةٌ تنبئ عن حصولهما ؟ !

فكتب في جوابه : العلامة حرارة القلب ، أو حصول الغيبة ، أو حركة القلب . انتهى .

مكتوب آخر لولده في مسّ الجبهة

وكتب إليه أيضاً ما حاصله : كنت قلتَ لي حين ذهابي إلى خالد سيف الله قدس سره بأنه يَحْسُن مني أن تَمَسَّ اليدُ الجبهة ، وأنا لم أدرك معنى هذا الكلام بعد ما تأمَّلتُ ! !

فكتب في جوابه : إن معنى مسِّ جبهة المريد بيد الشيخ الاستفاضة من يده المباركة ؛ أي : طلب نزول البركة من يد الشيخ إلى خزانة الخيال التي هي في وسط الجبهة . والسلام .

مكتوب آخر لولده في أدب الحضور مع المرشد

وكتب إليه أيضاً أيّده الله تعالى بالتوفيق ما حاصله : إلى الأب العزيز ؛ سيدي وسندي : سلام دائم عليكم :

---

(١) وفي نسخة : قدس سره ولده مسمَّى الريوكري رزقنا الله تعالى الاستقامة .

ما كيفيَّة قعود المريد بين يدي المرشد حين التوجه والاستفاضة ؟ وهل يحسن منه حينئذ حبسُ النفَس ؟ وهل إذا قرأ المرشد سلسلة المشائخ يقرأ هو معه ، أو يسكت ؟ !

كيفية المريد حالَ التوجُّه

فأجاب بقوله : يقف المريد قبالة الشيخ ؛ ملصقاً ركبتيه بركبتيه ، متوجِّهاً بقلبه إلى قلبه للاستفاضة ، سائلاً من الله تعالى إيصال الفيض من قلبه إلى قلبه ، قاصداً إزالة الظلمة من قلبه ، مجتهداً بهمَّته لجلب الفيض من حوض قلبه ، ساكناً جوارحه عن التحرُّك ، خارجاً عن اختياره ، فانياً عن مراده ، ولا يحبس نفسه ، بل يتركُه على حالته يدخل ويخرج ؛ بحيث لا يسمع الشيخ صوتَ نفسه ، ويكون المريد حينئذ كالميت بين يدي الغاسل ، يطلب الفيض بهمَّته ؛ كالعطشان يطلب الماء .

وأما قراءة السلسلة مع المرشد ! ! فمما لم يأمر به شيخنا ، **بل كنا نستمعُ إلى قراءته بالتواضع والتذلُّل** ، ويكفي للمريد الاستماع لقراءة المرشد .

هذا ، والسلام . علَّمك الله من العلم اللدنيّ . آمين . من خطه قدّس سرّه .

مكتوب في رابطة الميت

وكتب قدس سره إلى بعض مريديه بعد كلام :

ثم إن ما كتبتَ في خصوص عدم جواز الرابطة بالميِّت منقولاً عن كتاب« التجريد » ، فأنا لا أدري ما العلة لعدم جواز ذلك ! بل الذي فيما عندنا من الكتب العديدة المعتمدة أن **الرابطة بالروحانية أولى** ، فراجع « مجموعة الرسائل » للزهدي .

ولم أرَ إلى الآن كتاب « التجريد » ! ! ولعلّ مؤلفه لم يدرك الحقيقة ! !

وأيضاً مما ينبغي أن يعلم أن مشائخ السلف لم يخلُ واحدٌ منهم عن الحُسَّاد ، لكنَّهم صبروا ، **وكذا ينبغي لنا أن نصبر على أذاهم ، ونكِلَ أمرهم إلى الله تعالى** ، فهو حسبنا ونعم الوكيل ، فإنه أشدُّ بأساً وأشدُّ تنكيلاً .

ولقد أخبرني واحدٌ من مريدي شيخنا سيف الله : أن ولده حسين على قصد وصوله لدينا مع العالم المشهور عليَّ الغموقي ، **فيا ليته لا يأتينا** ، **فإن صحبته لا تسمن ولا تغني من جوع** ، ولكن الله تعالى يتوبُ على مَن تاب ، والله وليُّ التوفيق ، وبأمثاله تضيعُ الأوقات . انتهى .

لا بدَّ لكلِّ موسى من فرعون

ثم قال بعد كلام : والمقصود الصبر ، وتوكيل الأمر إلى الله وهو حسبنا ونعم الوكيل ، **ولا بدَّ لكلِّ موسى من فرعونٍ ، ولكن الله غالبٌ على أمره** ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ . . إلخ . انتهى .

وقد أخبرني سيِّدَوْ أنه لقي حاكمَ ولايتنا وحاكمَ أوَارْ أتَايُوفْ وسمع منهم ما يُهَدِّئ الخواطر ، والله سبحانه هو المتصرِّف وقلوبهم بيده ، ونرجو منه تعالى أنه لا يسلّط علينا جباراً عنيداً ، ولا شيطاناً مريداً ، فإنه على ذلك قدير . انتهى من خطه قدّس سرّه .

وذكر في هذا المكتوب أن اثنين ممَّن شربوا من شراب فضلات الوهابية حضرا لديه بمسائل وشُبَهٍ ؛ فأجاب عنها ، وحلَّها حلاًّ لطيفاً ، ورجعا بالاعتقاد وتركِ الانتقاد . هذا .

مكتوب في الرابطة وأثر الفيض

وكتب قدس سره في جواب مَن سأله عن الرابطة وأثر الفيض ما لفظه :

الرابطة : طلب الفيض من الشيخ ؛ أي : طلب وصول نور الذكر ونور المعرفة من قلبه إلى قلب السالك . فافهم .

وأما أثر الفيض ! فقد سمعت شيخنا قدس سره يقول : أن الحرارة وارتعاش القلب هما من أثر الفيض ، وأثر الجذبة . انتهى .

وقت الوقوف للرابطة

وسئل رحمه الله تعالى عن مدَّة وقوف المريد حالةَ الرابطة ؟ ! فأجاب بقوله : يقفُ المريد حين يتصوّر(١) صورة شيخه **بقدر ربع ساعة إن وسع وقته ، وإلا!! فعلى قَدْر وسعه** . انتهى .

مكتوب إلى محمد عارف في وقت التوجه

وكتب إليه ولده(٢) سمّي العارف الريوكري رجاه الله تعالى بلطفة السرمدي يسألُه عن حكم وجوب المريد قبالة المرشد حين التوجُّه وعدمه ، وعن زمن التوجُّه ؟ !

فأجاب بقوله قدس سره : يجوز استفاضة المريد من شيخه متى شاء بتوجُّه قلبه إلى قلبه مع الحضور التام ، وليس للتوجه زمان ولا مدَّة ، ولا تنقطع نظرات المرشد عن المريد المقبول حاضراً كان معه ؛ أو غائباً عنه ، ونظرة المرشد تكون على قدر نظر المريد . انتهى .

مكتوب في ترك السبحة لدى الشيخ

وسأله أيضاً عن حكمة منع المريد عن إدارة السبحة ؛ وهو لدى الشيخ ؟ ! فأجاب رحمه الله بقوله : لأن الموصل في هذا الطريق هو نفس المرشد ؛ لا نفس الطريق ، فإن الطريق مُمِدٌّ ومعينٌ له ، فإذا كان الأمر كذلك ؛ فالتوجُّه إلى قلب الشيخ والاستمداد والاستفاضة منه يكون أولى للمريد من الذكر ، وقد قيل : الرابطة ؛ أي : رابطة قلب المريد المبتدئ بقلب الشيخ للاستفاضة خيرٌ له من الذكر . انتهى من خطه قدّس سرّه .

---

(١) فقط ، لا مع ما معه من الاستغفار . . . وإلخ ، كما استشكله السائل . كتبه الفقير . (هامش الأصل) .

(٢) وفي نسخة : المغترف من بحر المعارف صديقُ جامع هذه الرسائل (محمد عارف) . (من نسخة أخرى) .

تفريد التوجُّه

وكتب إليه أيضاً ما لفظه : إن **تفريد قبلة التوجه من شرط الإرادة ،** وتشتُّت الخواطر إلى الجهات ، وتفريق المحبَّة من علامة الإفلاس ، ومتى توجَّه الخاطر إلى غير موضع مجرى الفيض ينقطع الفيض بلا ريب .فافهم . انتهى من خطه قدّس سرّه .

التوجه حال قبض المرشد

وكتب قدّس سرّه ما لفظه : سألني الولد عن جواز توجُّه المريد إلى المرشد للاستفاضة حين علم أن الشيخ في قبض وفتور ، وعدمه ؟ ! فأجبته : نعم ؛ يجوز له التوجُّه والاستفاضة وإن كان المرشد في قبض ؛ لأنه قد يستفيض المرشد من المريد الصادق الذي استنار قلبه بنور الحضور كما يستفيض المريد من المرشد ، ويذهب قبضه بانعكاس بسط المريد إليه .

❊ وقد كثر من السواس – جمع سائس الدواب – تعليق حرز يشتمل على بعض آيات القرآن على الخيلِ رجاء الحراسة ، مع أنها تتمرَّغ في النّجاسة . وأفتى الشيخ عز الدين بن عبد السلام بأنَّ ذلك لا يجوز ، وهو بدعة وتعرُّضٌ للكتاب العزيز للإهانة . « معيد النعم ومبيد النقم » .عبارته للتاج السبكي ١٠١ . (من نسخة أخرى) .

❊ نعم العملُ القلبي ، لعدم تصوُّر الرياء فيه أفضل من غيره . « ابن حجر » عبارته . من باب صلاة النفل وراجعه . (منه) . **العملُ القلبي** : وهو الإيمان والمعرفة والفكر والتوكّل والصبر والرضا والخوف والرجاء ، ومحبة الله ، ومحبةِ رسوله ، والتوبة ، والتطهير من الرذائل ، ونحو ذلك ، وأفضلها الإيمان ولا يكون إلاَّ واجباً ، وقد يكون تطوعاً بالتجديد .(كردي) .

❊ وللشيخ وقت يفني في المريد كفنائه في الشيخ ، وهذا دقيق فتأمله . من « مكتوبات » خالد سيف الله عبارته ١١٢ . (من نسخة أخرى) .

❊ روي أنه صلى الله عليه وسلم قال : « لا تفضِّلوني على يونس بن متَّى ، فإنه كان رفع له كل يوم مثل عمل أهل الأرض » ، قيل : ذلك هو التفكر القلبي في شأن الله تعالى وكمال عظمته وكبريائه وسبوغ نعمائه ، ولا يقدر أحد أن يعْمَلَ بجوارحه مثل ما عَمِل فيه جميعُ من في الأرْض . (شيخ) . انتهى من خط العالم المحقق الحاج عمر قاضي سبط العالم المحقق الشهير عمر العكلچي ، وهو من خط خاله قربان علي العكلچي ، ثم العشلطي . (من نسخة أخرى) .

وقد كان شيخنا العسوي قدس سره في قبض ومرض لا يطيق معه أن يتوجّه إلى المريد ، فأراد أن يتوجَّه إليَّ ؛ فقلت له : يا أستاذي ؛ لا تتوجّه إليّ لئلا يحصل لك المرض ، ويزيد فيك القبض ! ! فقال قدس سره : يا أخي ؛ يحصل لي المنفعة بتوجُّهكم . وأما التوجُّه إلى المريد الغافل ! فينعكس إليّ منه الغفلة على غفلتي .انتهى .

التوجُّه ليس أمام المرشد حصراً

ومما ينبغي أن يعلم أن التوجُّه لا ينحصر في الوقوف أمام الشيخ بإلصاق ركبتيه بركبتيه ، بل يجوز أن يتوجَّه كيف كان الشيخ ؛ في أمام أو خلف ، أو يمين أو يسار ، فإن القلب ليس له قفاء ، يجوز أن يتوجَّه إلى أيّ جهة .

وقد أخبرني الأخ الصالح محمد الهؤري رحمه الله تعالى أنَّ الأستاذ قال له : إنه دخل مرَّة لدى الشيخ أحمد التلالي قدس سره في وقت الصبح ، ووقف خلفَه بلا تكلُّم ، وتوجَّه إليه للاستفاضة ، ثم خرج من عنده بلا كلام أيضاً ؛ فقال له ضيفه : لا تذهب إلى أن تشرب الشاي ، فلم يقبل ؛ وإن ألحَّ عليه . فقال الضيف للشيخ أحمد : يا أستاذي إن عبد الرحمن أفندي لا يقبل السكون إلى أنْ يشرب الشاي ؛ فقل له : اُسكن . فقال الشيخ أحمد ما معناه : إنه عَلِمَ الأخذ وعلمتُ الإعطاء ، فاتركه يذهب لسبيله ؛ مع ما حصل له من المدد . انتهى .

وقد كنت أتوجّه إلى الشيخ حين يتكلم ، ولا أصرف عنه وجهة القلب . وكان قدس سره يتوجَّه إليَّ حين يتكلَّم الأغيار .

وقال لي مرة ما معناه : إذا كنتم على الحضور حين أتوجَّه إليكم تذهب منكم الحجُب ذهاباً وإياباً . انتهى من خطه قدس سره .

علامة وصول الفيض

وكتب قدس سره إلى بعض مريديه بعد سلام وكلام :

وبعد : فقد كان شيخنا المرحوم العسوي قدس سره يقول : إن علامة وصول محمود أفندي قدس سره قبالة المريد ارتعاش القلب وحركته ، أو حصول الحرارة للقلب ، أو شمُّ رائحة طيبة ، وحصولُ هذه الأحوال هو المقصودُ الأهمُّ للسالك ، لما أن أخلاقه المذمومة لا تزول إلاَّ بنار تلك الحرارة التي هي أثر الفيض الإلهي ، والمدد الرباني ، ولأجل ذلك قالوا : **لا يشرب المريد الماء عقب الذكر** ، لئلا يزول به الحرارة الحاصلة من الذكر .

فالحاصل : أن اسم (الله) حارٌّ ، ولذا تحصُل الحرارة لقلب السالك ولطائفه ، وبها يحصل له الشوق إلى الله تعالى ، وهو المقصود الأعظم ، بيد أنه يخاف على المريد إن غلب عليه الحرارة من طروّ الحرارة إلى رأسه ، وحصول تغيُّر مزاجه بسببها ، **فيجوز لك تنقيص الرابطة** ، ولا تفعل الاستغفار في مكان واحد بل فرِّقه ؛ أعني : تفعل الاستغفار مائة مرة في وقت ، ومائة أخرى في وقت آخر وهكذا ، وقد كان شيخنا المرحوم يقول : **إن الاستغفار سبب لحصول الحرارة ، والصلاة على النبي ﷺ سببٌ لحصول البرودة** .

هذا ؛ والسلام .

مكتوب إلى صديق ولده في تعلم العلم

وكتب قدس سره إلى صاحب ولده مسمى الريوكري محمد عارف في تعلُّم العلم جواباً لكتابه إليه ما لفظه : وعليكم السلام . . . إلخ ، ثمَّ إنِّي فرحت بما كتبتَ إلينا من أن محمد عارف يلازم الدروس فرحاً شديداً ، ولعل ذلك ببركة صحبتكم ، وحسن تأديبكم ! ! فجزاكم الله عني وعن أهلي خيراً ، ولا لقيتَ بعد الآن ضيراً .

وأرجو منك ثم أرجو أن لا تقصِر في حقِّ تأديبه ، ولا تتركه[1] في البطالة والكسالة ، فإن « الدالُّ على الخير كفاعله » كما ورد في الحديث .[2]

أعمال البر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وورد أيضاً : « ما جَمِيعُ أعْمَالِ البِرِّ وَالجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ عِنْدَ الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ المُنْكَرِ إلاَّ كَنَفْثَةٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ » ، ثم إن أمر الرابطة فلك مني إجازةٌ وإذنٌ لفعلها ، وقد كنتُ قبل الآن أتفكَّر في حقِّك ؛ نظراً إلى ما رأيته في المنام ، وكنتُ أوَّلت رؤياك إلى حسن سلوكك في هذه الطريقة ، بيد أنِّي أظنُّ أن فعل الرابطة في كل يوم صباحاً ومساء يكفيك ! لما قيل : **إن الانتساب إلى النسبة العليَّة يكفيه فقط إن حفظه** ، ولا أزيدك عليها ؛ لأن الزيادة تضرُّ التعلم والتعليم . هذا ؛

الرابطة والذكر مع الحدث

وكتب قدس سره - جواباً لمن سأله عن حكم جواز الرابطة والذكر مع الحدث وعدمه – ما لفظه : أما فعل الرابطة بغير وضوء ! ! فقد قلتُ لأستاذنا

(١) ولا تذَرْه يتعاطى ما يلومه الناس من الدوران إلى بيوت الأغيار ، خاصة إلى بيوت المريدين ، وقل له : إن أمثال ذلك تذهب المروة وتحط من قدرك وقدر أبيك . . . وهكذا . ولكم مني ومن أهل بيتي ألف ألف شكر ، فإنَّ من لم يشكر الناس لم يشكر الله ، والسلام . انتهى من رسالة أخرى إليه أيضاً . (من نسخة أخرى) .

(٢) (**آمراً بالمعروف**) : الشامل للإيمان ، وقول الحق ، ومكارم الأخلاق ، وصلة الرحم ، (ناهياً عن المنكر) : بحسب قدرته مع الأمن على نفسه أو على ماله ، أعلى ذلك إزالته باليد ، وأوسطه باللسان حيث عجز عن الأول ، وأضعَفُه بالقلب حيث عجز عنهما ، وذلك إذا كان المنكر مجمعاً عليه أو اعتقد الفاعل تحريمه . أفاد ذلك الرمل ، (سارعاً في الخيرات) أي : مبادراً وسابقاً إلى أدائها ، (ملازماً للعبادات) ؛ أي : مداوماً على طاعة الله ، فالمداومة عليها تسمَّى بالاستقامة ، (دلاًّ على الخير) أي : مرشداً وكاشفاً عليه ، قال عليه السلام : « من دل على خير فله مثل أجر فاعله » رواه مسلم عن ابن مسعود . وقال أيضاً : « الدال على الخير كفاعله » ، أخرجه البزار وغيره من « مرقاة صعود التصديق في شرح سلم التوفيق » . عبارته ٦٠ . قوله « الدالّ على الخير كفاعله » أي : في حصُول الأجر له ، لكن لا يلزمُ منه التساوي في المقدار . « مناوي » .مدابغي عبارته . (من نسخة أخرى) .

قدّس سرّه : إني أكون في أوقات على حالة لا أقدر معها على المحافظة على الوضوء ، فهل يجوز فعلها على غير وضوء ؟ فقال رحمه الله : لا تأذن لأحد في فعلها مع الحدث ؛ وإن فعلتَ ذلك . انتهى .

وأما المنقول ! ! فالجواز كما يُفهَم من عبارة الزهدي ، ومما وقع للصدِّيق الأكبر ﵁ من أنه كان يستحي عن النبي ﷺ ؛ لعدم انفكاك صورته الشريفة في الخلاء .

وأما جواز الذكر مع الحدث ! ! فمما لا يخفى ، فقد قال الإمام الربَّاني قدس سره ؛ ويشتغل بالذكر بالوضوء ، وبغير الوضوء ؛ قائماً وقاعداً ، ولا يخلو عنه في مجيئه وذهابه ، ووقت أكله ونومه . . . إلى آخر ما قاله ﵁ . انتهى .

الرابطة والذكر من الحائض

وكتب قدس سره في جواب مَنْ سأله عن حكم الحائض ؛ ما لفظه :

الحائض تفعل الذكر ؛ ولا يكره لها ، وكذا الرابطة ، لكن لا تقرأ شيئاً من القرآن ، بل تفعل مجرَّد التخيُّل بأن الشيخ واقف قبالتها ، وتستفيض منه ؛ هكذا سمعته من شيخنا قدس سره . انتهى .

وكتب قدس – في جواب من سأله عن حكم التأدُّب مع المأذون ، وعن زمن الصحبة . . . وإلخ – ما لفظه :

ويجبُ على المريد أن يتأدَّب [مع] المريد الذي أقامه خليفة ومأذوناً كما يتأدَّب [مع] أستاذه بلا فرق ، كما هو مذكور في « الخالدية » ، فراجعها .

من آداب الصحبة

وأمَّا زمن الصحبة ! ! فبقدر ما يأخذ الفيض ، ولا يطوّل الوقوف عنده ، والذهاب للزيارة ينبغي أن يكون في مدَّة أربعين يوماً مرَّة ؛ على ما قالوا : إن صحبة واحدة مع الشيخ تعدل بأربعين يوماً من الخلوة ؛ كما هو مذكور في ذيل ترجمة « الرشحات » . انتهى .

مكتوب في اعتذاره عن رعاية المريدين

وكتب قدس سره ما لفظه : من حسن إلى إخوانه المعنويين ؛ السلام عليكم ؛

اعلموا أنّ التَّوجُّه وإلقاء الجذبات إلى قلوب المريدين مما لا يمكن إلا في حالة البسط ، ومن المعلوم أن البسط والقبض يتعاقبان كتعاقب الليل والنهار ، وأني الآن في قبض شديد لا أكاد أعرف معه أحوال المريدين ؛ ولا ينعكس عليّ من قلوبهم أثر ما من أحوال بواطنهم ، فإذا كان الأمر كذلك ؛ فمجيئي لديكم أراه مما لا فائدة لي ولكم ، فعَدَم المؤاخذة والعفو والصفح مطلوب منكم ، وأوصيكم ، ثم أوصيكم بالمداومة على الذكر ، وطرد الغفلة ، وعدمِ إذهاب الأنفاس النفيسة عبثاً ، فإن نَفَساً واحداً بالحضور مما لا يساويه الدنيا وما فيها ، ولو كان للأموات إمكان للرجوع إلى الدنيا للتنفُّس بالحضور مرَّة واحدة ؛ لاشتروها بملءِ الأرض ذهباً ، ودخلوا في دائرة قوله تعالى ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ وفقنا الله وإياكم للاستقامة . آمين ، وأوصيكم بالدعاء . انتهى .

مكتوب في تجلّي الشيخ بصفة عن الله تعالى

وكتب قدس سره إلى ولده أيده الله تعالى بالتوفيق ما لفظه : ومما ينبغي أن يعلم أن الشيخ قد يتجلّى باسمه تعالى المنتقم والقهار ، فيتَّصف حينئذٍ بتلك الصفة ، فإن رأى المريد من شيخه أثر القهر والغضب والانتقام يلزمه أن يخاف مِن أن يترشَّح منه أثرُ ذلك ، فيستغفر الله تعالى فوراً ممَّا صدر منه ؛ من تركِ مأمورٍ به أو فعل منهي عنه ، ويتذلَّل بين يدي الشيخ ، ويطلب منه التسامح والتجاوز ، وقد رأيتُ في كتاب : أنَّ من فني في اسمه (القهَّار أو المنتقم) ؛ لو نظر في تلك الحالة إلى أحدٍ بالغضب لهلك والعياذ بالله . انتهى من خطه قدّس سرّه .

مكتوبه للقاضي الهؤري

وكتب رحمه الله تعالى إلى العالم القاضي إبراهيم الهؤري رحمه الله كتاباً ينبئ فيه عن صحة حاله مع أهل بيته وأولاده . . .وإلخ . وكتب في آخره ما لفظه :

بيد أن أوقاتي ضائعة وأنفاسي عاطلة ، وأحوالي ذاهبة ، وأنَّ نفسي لأمارة بالسوء ، خوَّانة لربِّها ، غدَّارة لمشائخها ، فما بقي لي إلا التعلُّق بأذيال أمثالكم ، والالتجاء إلى أبواب الإخوان والخلاَّن ، فأتوقَّع منكم العون والنصر والدعاء بالتضرُّع والابتهال ، لعلَّ الله سبحانه وتعالى يرحمني ويوفِّقُني ويسدِّدُني ، ويقيمني على جادّة الاستقامة بدعواتكم وتضرُّعاتكم .

واعلم يا أخي ؛ أني في دائرة آية ﴿**لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ** ﴿٢﴾ **كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ** ﴿٣﴾﴾ ، ولا أدري شيئاً ما أشدَّ وأضرَّ وأخوفَ وأخشى مما أنا فيه ! ! فلعلَّكم أن تلاحظوني بدعواتكم ، ولا تنسوني في توجُّهاتكم ، ولا يخفى عليكم ما كنا عليه قبلُ ؛ من المودَّة والمحبَّة والخُلَّة والصداقة ، **وأكثر ما يحتاج الإنسان إلى الإخوان عند زلَّة الأرجل والأقدام ، والوقوع في الشدائد والنكبات** ، والسلام .

مكتوب في خطر أهلية الطريقة

وكتب رضي الله عنه إلى بعض إخوانِهِ هذه الرسالة :

وعليكم السلام أيها المحبوب ؛ **اعلم أيها الأخ** ؛ أن الهالك من المنتسبين إلى الطريقة أكثَرُ من الناجي ، وأن الناس يثبون إليها وثبةَ الطيور إلى أوكارها ؛ ولا يدرون ما سيحلُّ عليهم من الطرد بسبب ترك الأدب ، وقد قال شيخنا الحسيني قدس سره : إنه لم يندم قطُّ أكثر من الوقوف على باب المشائخ . وذلك منه لما يعلم أن الهالك بهم أكثر من الناجي كما مرَّ ، وقد رأيت في الكتب : أن العارف لا يكمُل حتَّى يقتل من . . . إلخ بعدد شعر رأسه ! ! انتهى .

أيها المحبوب؛ لو كان الأمر بيدنا لتصرّفنا في أهلنا وأولادنا أوّلاً ، وأنت لا يخفى عليك ما قال الله تعالى في كتابه ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ ، وقد كان شيخنا العسوي قدس سره يقول : إني كالوادي الذي يُطرح إليه كلُّ خبيث .

أيُّ رجل جاء لديّ بعد ذهاب الحاج أُذُنْ ، ومَن الذي قلت له ذلك القول الذي لا يقوله صبيٌ عاقل ، فهلا لا يقولون شيئاً يذكرونني بالنقير والقطمير ، فإن القول الذي نُسب إليَّ يطير إلى الأطراف سريعاً طيرانَ الطير في الجوّ والهواء ، فماذا أفعل أيها الأخ ؟ ! وإلى أين أهرب مِن ضرر المريدين ؟ ! . وقد قال لي شيخنا العسوي قدس سره : إنَّ مريداً جاء لديه لأخذ الطريق ، وحين يذهب راجعاً وجد في الطريق غنماً فذبحه ، وأخذ لحمه ، وذهب إلى بيته . فانظره أيها المحترم؛ فإنَّا لله وإنا إليه راجعون ، ثم السلام منا على جميع أهل بيتكم ، وأوصيكم بالوعظ للمريدين ، والتذكير لهم ، وعدم التفوُّه بأمثال هذه المقولات المزوَّرات ، وليعلموا أني أذوب بأمثال هذه الأقوال كما يذوب الرصاص في النار .

حبُّ السكوت

والذي أحبُّه أن يُؤدِّيَ المريدون أورادَهم اللازمة عليهم ، ثم السكوت عن القيل والقال ، فمن لم يحفظ لسانه مثالُه كمن نصب منجنيقاً ؛ ورمي حسناته به شرقاً وغرباً ، فيجبُ عليهم التفكُّر فيما يحلّ عليهم ؛ فهذا والسلام من طرف الداعي لكم بالخير حسن القحي ، من خطه قدس سره .

مكتوب في تجرُّده عن نفسه

وكتب قدّس سرّه إلي إخوانه ما لفظه : اعلمو أيها الأحباب ؛أنّ ما يكون منّي من التصرُّف إن كنت أهلاً له كما تظنُّون كذلك ؛مع أني عن هذا المنصب خالٍ يكون مني إن شاء الله تعالى ، **ولو كنت في البيت** بعد علمي بحقيقة

الحال ؛ لو وافقت مشيئة الله تعالى مشيئتي وإرادتي ، ومن المقرّر في كتب أهل التصوّف أن الأمر تابعٌ للاعتقاد ، وحديث : « لَوْ اعتَقَد أَحَدُكُمْ فِي حَجَرٍ لَنَفَعَهُ » معلوم لديكم ؛ والله وليّ التوفيق .انتهى حسن قدّس سرّه .

وعلق عليه شيخنا العالم العارف الحاج رجب الأواري رحمه الله أن الأستاذ بركة الوقت **حميد أفندي** حفظه الله قال :لا يكون منِّي تصرف لأحد ؛ولو هو عندي ، إذا لم يكن منه صدقٌ إلاّ يسيراً بالتكلُّف . انتهى من خطه قدّس سرّه .

وكتب قدس سره إلى العالم الحاج محمد اللِخي الهدلِي وعليكم السلام . وعليكم السلام . وعليكم السلام ؛ أيها الأخ محمد قاضي كنوخ ؛ جعل الله سبحانه هذه الدنيا الدنيئة حقيرةَ المقدار ،عديمة الاعتبار في نظر همَّتكم ،وجعل جمال الآخرة محلًّى مزيَّناً في مرآة بصيرتكم بحرمة سيِّد البشر المطهَّر عن زيغ البصر عليه وعلى آله من الصلوات أفضلها ، ومن التسليمات أكملها ،وقد وصل مكتوبكم الشريف . . .إلخ .

والنصيحة التي ينصح بها المُحبُّون والمخلصون : هو الترغيبُ في السعي والاجتهاد في تحصيل الإقبال بالكلية إلى جناب قدسه تعالى ، والإعراض عما سواه عزَّ وجلَّ ، ومن المرجوِّ من جنابكم أن لا تتساهلوا في الرابطة والذكر ، وأن تدوموا على نصيحة رعيَّتكم ،و الوعظ لهم بما هو لائق بهم وبحالهم ، وأن تحثُّوهم على فعل الطاعات والعبادات ، وأن تجتهدوا في إقبال على الدروس ، ومطالعة الكتب والطروس ، فهذا هو الأمر المرضيُّ ، والباقي عبث . **فافهم** واجتهد ، ودُمْ ولازِمْ ، واسْعَ في تحصيل زيادة المحبة في الطائفة النقشبندية ، واطلب الإمداد والإعانة من حضراتهم ؛ فهذا والسلام .(حسن القحي) .

مكتوبه إلى قضاة لإحياء السنة

وكتب قدس سره إلى بعض القضاة : وعليكم السلام . . .إلخ .

ثم اعلم أن من أوجب الواجبات علينا وعليكم أن نداوم على الحضور بقدر الطاقة ، وأن نجتهد في إحياء السنة السنيّة على صاحبها الصلاة والسلام

والتحية ، وأن نرى حقارة هذه الدنيا الدنيئة ، ونسعى في عمارة الدار الباقية ، ولا يخفى عليك أيها الأخ المحبوب ، والخليلُ المرغوب : أنَّ الأنفاس معدودة لا تزيد ولا تنقص ، وهذه الدار مزرعة الآخرة ، وأن مَن تعطَّل في أيام الزراعة يندم أيام الحصاد ، وقد قال تعالى ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ ، وقال تعالى أيضاً في حق الرزق والنفقة ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ ، **فالسعي والاجتهاد في طلب ما ضمن الله تعالى ، والتعطيلُ والفتورُ في طلب ما وُكِل إلينا من أعظم الحماقة** ، ولقد علمتم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أفضل الطاعات ، وقد وُلِّيتم اليومَ على منصب القضاء ، ووضع الله تعالى على رأسكم تاجَ الإمارة ، فينبغي لكم أيها المخدوم الكريم أن تجتهدوا في الوعظ والتذكير أيام الجُمع والأعياد ، وأن تحث الناس إلى اتباع الشريعة والحقيقة ، وإحياء السنة السنيَّة ، وأن لا تعلّلو بأن أبعاضاً منهم لا يأتمرون ولا يمتثلون بأوامركم ، ما علينا إلا البلاغ ، على أنَّ **مثل الوعظ كمثل البذر** ، **فما وقع منه في أرض طيبة ينبت ، وما لا ! فلا** ، وكذا لا بدَّ للبذر المطروح من السقي والمطر ، بل المطرُ ينفع المطروح ؛ ولو وقع في أرض سبخة . فافهم وأفْهِم ، وكن آمراً وناهياً ؛ لعلَّك تجني ثمارها اليوم وغداً ! ! ولا حول ولا قوة إلا بالله . فهذا والسلام من أخيكم الداعي لكم بالاستقامة : (حسن القحي) ، وأوصيكم . . .إلخ .

مكتوب اليعسوبي لشرح بعض كلام الصوفية

وكتب إليه ولده المعنوي اليعسوبي قدس سرهما أنه يشكل عليه كلامُ أئمة الصوفية الذي يُورده بعدُ نقلاً عن عيون الكتب ، وذلك أن في كتاب « الأنوار القدسية في تنزيه طرق القوم العلية » ما نصُّه : وقد يختلف التعليم باختلاف الأقاليم ، ويحصل النجاح بطريق الاصطلاح انتهى . قال رحمه الله : فكيف هذا الاختلاف ، وكنت سمعت مثل هذا من بعض المتشيخين في معنى قول الصفدي قدّس سرّه :

إن الحكيم الذي يعطي لكلِّ مقا ... مٍ مـا يـلـيق به من غير خلطات

انتهى .

وأيضاً في كتاب « درر الغوَّاص » ما نصُّه : وسألته ﵁ : هل يصح للذاكر الإقبالُ على الحاضرين ومكالمتُهم ، ويكون مع ذلك حاضراً في عالم الباطن كحضوره في خلوته ! ؟ فقال : لا يصحُّ ذلك لمبتدئ ولا منتهي . .إلخ .

فهذا القول يخالف ما عليه ساداتنا ومشائخنا النقشبنديون ؛ من أن الشيخ يكون كائناً بائناً ؛ عرشيّاً فرشيّاً ، ظاهرُه مع الخلق وباطنُه مع الحقِّ ؛ لا يشغله أحدُهما عن الآخر ، وقد قالوا : إن السالك إذا ارتقى إلى درجة فناء الفناء التي هي عينُ البقاء يكون دائميِّ الحضور ، كما هو نتيجة المراقبة الأقربيَّة ، كما سمعته منكم ! ! ؟

وذكر في الكتاب المذكور أيضاً أنه سأله ﵁ عما يفعله المشائخ ؛ من ترتيب الأوراد للمريدين ؛ هل هو مذهبُكم ؟ فقال : لا ، ذلك مما أكرهه ولا أقول به ، لأن الأوراد تصير حينئذٍ بحكم العادة يمرّ الإنسان عليه بحكم الغفلة والطبع . انتهى من ص ٨٠ .[(١)]

وهذا القول منه قدس سره يخالف ما عليه عمل مشائخنا النقشبندية والشاذلية في رأينا الفاتر ! ! انتهى .

---

(١) ويقول في الروح : أفضْ عليَّ من فيض التجليات الصفاتية الثبوتية الذي وصل من روح نبينا ﷺ إلى روح سيدنا نوح ، وسيدنا إبراهيم عليهما السلام ، جاعلاً روحه في مقابلة روح سيدنا محمد ﷺ ، وهكذا في البواقي ، ويجعل في تلك المراقبة لطائف المشائخ كالمنظرة . من ذيل « الرشحات » المسمّى بـ« النفائس السانحات » من الهامش عبارته ٢٠٩ . (من نسخة أخرى) .

جوابه عن اليعسوبي

فكتب قدس سره في جوابه قوله : (وقد يختلف التعليم . . .)إلخ هكذا بهذا اللفظ كتبه إلينا سيف الله قدس سره ، ولعلَّ المرادَ منه أن قاعدة سائر الطرق الجهر ، فإذا اختلفت قوانين الأقاليم يأمره الشيخ بالإخفاء ، ويجوز أن يكون له معنى آخرُ لعللٍ مثله . والله تعالى أعلم .

وقوله : (لا يصحُّ ذلك لمبتدئ ولا منتهي) . . .إلخ ! ! معناه ظاهر يفهم من حديث : « لي معَ الله وقتٌ لا يسعني فيه غير ربي » فإنَّ المبتدئَ والمنتهي لا يقدران على خلوِّ ذهنهما من غير الله مع الجلوة ، كما يقدران في الخلوة ، بل المنتهي يكون حاضراً بالله لا يغفل عنه ؛ وإن كان مع الخلوة ، بل يقدر أن يجمع بين الخلق والحق . وأما في الخلوة ! ! فلا يشتغل بغير الحق تعالى . فافهم ، وتدبَّر .

قوله (يخالف ما عليه مشائخنا النقشبندية) . انتهى . وأظنُّ أني نقلته في « التنبيه » لأجل المعنى المراد منه ، ولا أعلم في الحال تعيينَ موضعه ، ولم تكن عادةُ النقشبندية العدد في الذكر ، وطرح السبحة في الزمن الأوَّل ، لكنهم عيّنوا ذلك نظراً إلى اختلافِ أحوال الأقاليم وأهلِها ؛ كما هو مذكور في تأليفاتي ؛ نقلاً عن « ذيل ترجمة الرشحات » . فافهم ؛ والسلام .

مكتوب محمد رسول النهري

وكتب قدس سره إلى العالم محمد رسول النهري : إلى ذلك الولد من الرضاع المعنوي القاضي محمد رسول ؛ السلام عليكم . . . وبعدُ . . .إلخ ، ثم اعلم يا ولدي أنك في الحال بمقام يغبطه العلماء العارفون ؛ وهو التمكين للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكيف لا ؛ وقد قال النبي ﷺ « مَا جَمِيعُ أَعْمَالِ البِرِّ والجِهَاد فِي سَبِيلِ الله عِنْدَ الأَمْرِ بالمَعْرُوف والنَهْيِ عَن المُنْكَرِ إلاَّ كَنَفْثةٍ فِي بَحْرٍ لُجِّي » ! ! ولذلك أوصيك بالقيام حسب الطاقة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ لتحوز تلك الدرجة العالية .

مثل القلب والتراب

وأيضاً أرى الخير في ترغيب المريدين في الاجتماع بمجلس الختم والصلوات ، فإن القلب والتراب على حدٍ سواء ، ونحن نرى أنه لو لم تمطر السماء على الأرض لا ينبت عليها الزرع والنبات ، وإن أمطرت ؛ ولو مرة في الأسبوع نبتت ، **وكذا القلب إذا سقي بمطر الفيض والبركة والرحمة التي تحصل في مجلس الاجتماع يحصل له الحضور ، وينبت عليه نبات الجذبة وأزهار الأخلاق المرضية ، وإلاَّ فيقسو ، ويغفل عن الله تعالى** ، ويولي عنه الأدبار ، وفي الحديث : « المَجْلِسُ الصالحُ يُكَفِّرُ عَن المُؤْمِنِ أَلْفَي أَلْفَيْ مَجْلِسٍ من مَجَالِسِ السُوء » . « إحياء » .

وفيه أيضاً : « إنَّ أَهْلَ الذكْرِ لَيَجْلِسُون إلى ذِكْرِ اللهِ تَعالى ؛ وإِنَّ عَلَيهِمْ مِنَ الآثَامِ مِثْلَ الجِبَالِ ، وإِنَّهُمْ لَيَقُومُونَ وَمَا عَلَيْهِمْ مِنْهَا شَيءٌ »[١] . . . ، وأمثال هذه كثيرة وأنت أيها الولد تحثُّهم على الاجتماع ، وترغِّبهم في المواظبة والملازمة على الأذكار والصلوات . ومن المعلوم أن « الدالّ عَلَى الخَيْرِ كَفَاعِلِه » ؛ كما ورد ، و« مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً يَكُونُ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا » ونحن نحتاج بلا ريب إلى إمداد أمثالكم ، كيف لا ؛ وقد قال تعالى لسيد البشر عليه السلام ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ **فإذا وعظ للمريدين أمثالكم يلازمون الأوراد ؛ ولا يتركونها** ، ففي ذلك إمداد وإعانة لنا وللمشائخ ، وفي ذلك خير كثير ، وثوابٌ جزيل للفريقين بلا ريب ، وإن قرأتم في مجلس الختم والصلوات هذه الصلاة ؛ ولو عشراً ففي ذلك ثواب عظيم ، كيف لا ؛ وقد قيل : إن مَن قرأها ولو مرة في عمره لم يدخل النار ، وهي : اللهم ؛ صلِّ على محمد الفاتح لما أُغلِق ، والخاتم لما سبق ، ناصر الحق بالحق ، والهادي إلى صراطك المستقيم ، وعلى آله حقَّ قدره ومقداره العظيم . فهذا . والسلام . انتهى من خطه .

---

(١) رواه أحمد ؛ في الزهد ؛ عن ثابت البناني . « خلاصة الآداب » . (من نسخة أخرى) .

مكتوب إلى اليعسوب

وكتب إلى اليعسوب قدس سره : وعليكم السلام أيها الولد المحبوب ؛ أزيدَ مما أرسلتم إلينا بألوف ، فلقد فرحتُ بسماعِ خبركم ، وشكرتُ الله تعالى على ما وفَّقكم ، بَيْد أنَّ خبر الأهل والأحباب ساءني ، ولا عَجَبَ ، ففي الحديث :

« مَا مِنْ عَامٍ إلاَّ وَالذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ » ، وفيه « مَا أَنْكَرْتُمْ مِنْ زَمَانكم فبما غَيَّرتُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ » ، وفيه : « أَعْمَالُكُمْ عُمَّالُكم » ، فإذا كان الأمر كذلك ؛ فالدعاء بإصلاح الأعمال والتوفيق لامتثال الأوامر ، واجتناب النواهي أولى وأحسنُ ، والشوقُ لرؤيتكم أزيدُ مما فيكم ، بَيْدَ أن ملاقاة الأرواح أولى بنا ، لأنّا في أَعْذارٍ معلومةٍ ، فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ، وادع لنا وللمسلمين بالاستقامة ، ولازم على مراقباتكم ، وقراءةِ أحزابكم ، ونحن بحمد الله في صحَّة ، والسلام ، والوصية بالدعاء . انتهى .

مكتوب آخر يعسوبي

وكتب إلي يعسوب قدس سرهما : واعلم أن كثيراً من الواردين يضيّعون أوقاتنا ؛ لا لنا ولا لهم ، فالحذرَ الحذر من الجواسيس ، فالله خيرٌ حافظاً . . . إلخ ، والمسامحة في المواظبة على المراقبات من وظيفة الحقير ، فإيَّاك ثم إيَّاك أن تكون مثله ، ولا تَثِقنَّ بأحد لا يمتثل أمر الخالق ؛ ولو كان قريباً أو صديقاً ، ولاطِفْ مع كلِّ واحد ، ولا تحسد ، ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ . . الآية ، إياك وإياك ومخالفة أولي الأمر في القول والعمل ، ولا تنسَ الحقير الفقير في الدعوات ، حفظنا الله . . . وإلخ من البليات الباطنية والظاهرية . آمين ، والسلام ، والوصية بالدعاء . انتهى .

جواب اليعسوب

وكتب إليه ولدُه المذكور اليعسوب العسوي يشكوه من عدم علم أحواله ، ويبدي شوقه إلى لقائه ، وأنه ينعدم بسطُه ، وينطبق قبضه ؛ ويقول في نفسه : هل إلى سعاد من سبيل ! ! ويا ليت الأيام التي مضت تعود ، ومن جملةِ ما كتبه ما لفظه :

وفي بعض الوقائع نطّلع على الوقائع الغريبة التي تبيّن أحوال العصر ، فهي من بركات أنفاسكم ، بَيْد أن الحقير معذور عن البيان بما نرى ، ولأجله لم أَبُحْ . انتهى ، فكتب في جوابه :

وعليكم السلام . . . إلخ فبرؤية خطّكم وعلم أحوالكم بسطنا ولله الحمد ، وليس الخبر إلاَّ خيراً ، والقوم الذين هم حوالينا لا نرى منهم إلاَّ الخير ؛ قولاً وفعلاً ، ولله الحمد على كلِّ حال وفي كل حين ، ولو أنك تكتب إلينا الوقائع المرئية ؛ لكان خيراً .

هذا ، وندعو لكم بالاستقامة ، والحفظ من البلية ، بيد أن الوساوس الشيطانية قد تطرأ ، مع أن الله تعالى قال ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ الآية حفظنا الله وإياكم من فتن العصر ، ولنصبر ، فإن مع العسر يُسْرَيْنِ ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ ، وهو على كلِّ شيء قدير ، والسلام ، والوصية بالدعاء . انتهى .

مكتوب حميد أفندي

وكتب قدس سره : إلى أستاذنا أبي الفضل حميد أفندي ونوَّر الله قبره وقدّس سرّه ؛ وعليكم السلام ؛ أيها المحبوب المقبول أزيد مما أرسلتم إليَّ ألفَ مرة ، فأنتم أيها المخدوم تعلمون ما في قريتكم ، وأما نحن فقد تركنا الجمعية منذ زمان ؛ خوفاً من شؤم المعاندين ، فما ذا نفعل ؟ إنَّ هذا آخر الزمان ! ! ولا نجد من يُمدُّنا إلا قليلاً .

مداراة أهل العناد

ويجوز لكم أن تقرأوا الصلاة والختم فرادى في بيوتكم إلى أن يفتح الله تعالى باب الصلح بيننا وبينهم ، **وأنت تجتهد بقدر الطاقة لإلانة القول مع أهل العناد ومداراتهم باللسان** ؛ والسلام .

مكتوب إلى عمر الأواري

وكتب قدس سره إلى العالم الحاج عمر الطبيب الأواري رحمه الله تعالى :

من حسن إلى أخيه المحبوب الحاج عمر : السلام عليكم إلى يوم الدين .

أما بعد ؛ فنسأل الله تعالى لكم العفوَ والعافية والاستقامة الكاملة ، أدامكم الله تعالى على ذكره وفكره ومراقبته ، ولا جعلكم من الغافلين والمدبرين عن حضرة جلاله وجماله . آمين .

البعد عن الناس أنس والقرب فرقة

وأما أمر الوقوف في العزلة ! ! فموكولٌ إليك ، والبعد عن الناس مما يوجب الأُنس بالله ، والقربُ منهم سببُ التفرقة ، كما هو مشاهد معلوم لديكم . ولا يخفى عليك أن أحوال الزمان صارت هكذا ، فقد عمَّت البلايا على عامَّة الخلق ؛ كالطوفان ، ووصلتْ أسباب الفتن إلى الأبواب ، **فلا أرى العلاج للخلاص من هذه المصائب والفتن إلاَّ الدخول** في دائرة قوله عليه السلام : « فَعَلَيْكُمْ بَخُوَيْصةِ أَنْفُسِكُمْ » وأنت تكون على الأدب والحضور بقدر الطاقة ، ولا تنسني في دعائك . فهذا ؛ والسلام على جميعكم .

مكتوب آخر إلى الأواري

وكتب قدّس سرّه إلى العالم الفاضل المأذون الحاج عمر الطبيب الأواري رحمه الله تعالى :

إن المصلحة في الخمول وترك الإظهار والشهرة في كل أمر ؛ نظراً إلى حال العصر وأهله ، وكذا الموافقة في أيّ شيء مع الحكماء والأمراء ، وقبول أوامرهم الغير . . . إلخ ، والخوف مما خوَّفَه الله منه خوف من الله ، وقد سترت في قعر بيتي منذ زمان ، فإن الوقت ليس وقت العلانية والشهرة :

الشهرة آفة وكلٌّ يتمناها والخمول راحة وكلٌّ يتوقاها[1]

قولٌ معروف ، ولا تثقنَّ يا أخي بأحد ، ولعلك لا تجد واحداً من ألف ، ولا تبدّل ذكراً مّا فوق القلب ، فقد سمعت شيخنا قدس سره يقول : يكفي لأهل ديارنا ذكرُ القلب . **فالحاصل والمراد** : الحَذَر الحذر ، وقد قال تعالى ﴿فَٱحۡذَرۡهُمۡ﴾ الآية ، والحذر لا يكون إلا بتعاطي أسبابه ، فتوكَّل على مسبِّب الأسباب بعد ارتكاب الأسباب ، وقد قال يعقوب عليه السلام ﴿يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ﴾ الآية . هذا والسلام .

مكتوب إلى اليعسوب

وكتب إلى اليعسوبي قدس سرهما : إن أمر اللقاء سرّاً هو المحبوب عندي ، بيد أن ذلك مخْطِر ، كيف لا والجواسيسُ محيطون بنا ؟ ! اللهم إلاّ إن لم تقدر على الصبر ؛ فلك الحضور ليلاً مع صحبة واحد من الأصدقاء الذين لهم أمانٌ من إفشاء السر ، وأرسلوا إليّ محمَّد أمين ؛ ليعلمني حضورَكم ، فإن شاء الله تعالى نجتمع ، ونتوكَّل على الله ، ولا حولَ ولا قوَّة إلا بالله العلي العظيم . انتهى .

مكتوب استئذان زيارة

وكتب قدس سره إلى من استأذنه في الزيارة أيام ضغطة الحكومة عليه وعليَّ . . . إلخ : بعد سلام وكلام ما لفظه :

لا يضرُّ بُعْدُ الأشباح

غلقنا بابنا منذ سنين ، ولا يخفى ذلك على أحد ، لكن لا **يضرُّ بُعْد الأشباح مع قرب الأرواح** . أعاذنا الله تعالى من بُعْد الأرواح ، ولا حَرَمنا من ملاقاة الأشباح ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . انتهى من خطه قدس سره .

(١) يتولاها علّه هما صحيحان عند الفقير فتأمل « جامع الرسائل » عفى الله عنه . (من نسخة أخرى) .

وكتب قدّس سرّه في جواب نظير السؤال المذكور ما لفظه : باخ ، ثم إني أرى المصلحة في الصبر ، فاصبر أنت ، وقل لغيرك يصبر ، فالتقرب بالروح يكفي إن شاء الله تعالى . انتهى .

لا ينفع حذر من قدر

وكتب قدس سره أيضاً بعد السلام : أما بعد ؛ فرؤيتكم ولقاؤكم عندي من أهمِّ الأمور ؛ كما هو مأمولكم ، بيد أن الجواسيس علينا وعليكم محفوفون من كلِّ جانب ، ولأجل ذلك نكون حذرين مستورين في قعر البيوت ، ولكن في الحديث « لاَ يَنْفَعُ حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ » .

الأسباب لا تضرُّ بالتوكل

ومن عدم توكلنا على الله ، وعدم ثقتنا بالمقدور المقدَّر صرنا هكذا ، وإن كان ارتكاب الأسباب لا يضرُّ في التوكُّل . كما هو مأخوذ من آية ﴿يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ﴾ . . . إلخ ، نسأل الله تعالى الحفظ والحماية . آمين انتهى .

مكتوب آخر

وكتب أيضاً : وعليكم السلام ، فليس الخبر من كلِّ جهة إلا خيراً ، ولعل الله تعالى يحدث بعد هذا خيراً ، فإنه كريم رحيم حليم ، نرجوه أن لا يَكِلَ أمرنا إلى أحد من خلقه ، وأفوِّض أمري إلى الله ، وحسبنا الله ونعم والوكيل ، كهيعص كفايتنا ، حمصق حمايتنا ، يا عزيز يا حميد ، يا ذا العرش المجيد اصرف عني شرَّ كلِّ جبَّار عنيد . آمين . انتهى .

مكتوب العسوي إلى شيخه المؤلف

وكتب إليه ولده الروحي المعنوي الأستاذ محمد العسوي رحمه الله تعالى ما حاصله :

إلى والدنا وأنيسنا ومنقذنا من موبقات الدهر ومنكرات الأعمال ، محبوبنا وشيخنا الحليم حسن أفندي الأويسيّ المجدّديّ . . السلام عليكم وعلى . . إلخ ، وأدامكم الإله على البقاء التام بعد الفناء العام .

أما بعد : فإن الشوق إلى اللقاء قد بلغ إلى منتهاه ، وصارت الروح لا ترتاح إلاّ برؤية محبوبها بعين الرأس ، وقلقلت الأعضاء بنفاد الصبر عن تأخُّر وصولها إلى مأمولها ، وآلَ أمر الفؤاد إلى القبض والكدورة ، بحيث لا ينبسط إلا بالاجتماع بأنيسه بالأشباح ، **وإن كان الاجتماع الروحيّ أحرى وأقوى ، وآكد وأدوم** ، حتى صار شرح حاله الدعاء بما في قوله تعالى ﴿**رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ**﴾ . . إلخ ، فالإجابة الإجابة ؛ يا أستاذي ، والعجلَ العجل يا ملاذي ، ومع ذلك لي أمورٌ لا بدَّ أن أراجعكم فيها شِفَاها ، وهذا يا روحَ حياتي ؛ وإن أكّدت وكرَّرت القولَ فيه كَرَّاتٍ إنما هو إبلاغُ إجمالِ حالي إليكم ؛ رجاءَ وصولي إلى المثول بين يديكم ، فإن الحقير أسيرُ وُدِّكم ، فهو لا يقدر أن يصبر على بُعْدِكم ، وحاشاني أن أردَّ أمركَم أو أعاكس مرامكم ، بل غاية أمنيَّتي ونهاية سؤلي بخلوص نيَّتي أن تأخذوا مفاتيح أمورنا وأموالنا إلى أيديكم ، وتتركونا مسلوبي الاختيار حتَّى عن النفس ، كما مَنَّ الله تبارك وتعالى به على هذا الحقير أوَّلَ دخوله في طريق القوم ، والحمد لله على ذلك ، وعلى جميع نعمه . هذا ؛ والسلام وأوصيكم ثم أوصيكم بالدعاء .

جواب المؤلف للعسوي

فكتب الشيخ الأستاذ قدس الله سره في جوابه ما لفظه : وعليكم السلام . . . إلخ . .

وبعد : فإني أرى المصلحة في تأخُّرك عن الزيارة ومنعك غيرك منها إلى أن يفتح الطريق . . . وإلخ ، اللهم ؛ إلاّ أن يكون لديك أمرٌ لا بدَّ من إفشائه لي ! فأنت فيه بالخيار ؛ إما لحضورك بنفسك ، وإما لإرسالك إليَّ برسالة من جنابك . فافهم ، والسلام ، والوصية بالدعاء . ونحن في صحة وليس الخبر إلاَّ خيراً ، والله المستعان . انتهى .

مكتوب آخر من اليعسوب

وكتب إليه – أي : إلى اليعسوب – قدس سرهما : وعليكم السلام . . إلخ **فالاجتماع الروحاني يكون يقظة لا مناماً ؛ وهو أشدُّ وأنفع من الاجتماع الجسماني** ، ويقال لمن أخذ بالروحانية إنه (أُوَيسيّ) كما هو معلوم لديك ، وقد ذكر الخانيُّ وأولاده في كتبهم هذا الاتصال الروحاني ، وجعلوه منحصراً في ذلك وأعلى وأرفع من الجسماني ، لكن ليس الأمر كما ذكروا ، بل الحقُّ أن أبا يزيد كان سقّاءً في دار جعفر الصادق ، واجتمعه بالجسمانية كما اجتمع بالروحانية . **فافهم** ، وراجع « الكشْكولي » و« الفيوضات الخالدية » .

الأخذ بالمنام والاجتماع روحانيّاً

واعلم أن الممنوع هو الأخذُ في الوقائع المنامية ، وأمّا الاجتماع بالروحانية ! ! فهو واقع لكثير من الأولياء كما لا يخفى . انتهى . الحقير المعلوم .

اعتذار من اليعسوب

وكتب اليعسوب إليه قدّس سرّهما : إلى سيدي وشيخي وشيخ الخلائق ، ومرشد الأنام إلى سلوك سبيل الوصول إلى الملك العلاَّم ؛ قطب الإرشاد والدي الحقيقي الكريم ؛ حسن حلمي الحليم : السلام عليكم . . . وإلخ .

وبعدُ ؛ فصحَّتُكم وسلامتكم أسنى مرامي ومنتهى آمالي ، ونحن بحمد الله تعالى محفوفون بألطافه ، ومحفوظون بفضله وإحسانه ، ومنغمسون في بركات تربيتكم ، ونسألكم أن لا تقطعوا عنا نظراتكم وتوجُّهاتكم بسوء آدابنا مع حضراتكم ، بيد أن القلب في قلق وقبض ، والفؤاد في اضطراب منذ ما أشرتم إلينا شفاها بالتنزُّل والانحطاط في حالي ، فبيدكم زمامُنا ، وبتقليبكم انقلابنا ، ولا لي حول ولا اختيار ؛ ولو في أدنى شيء ، فأرجو من جنابكم وكرمكم يا حدقة عيني وحياة قلبي ؛ أن ترفع عنا هذا القبض والكدورة الحاصلين من خوفكم ، فإني أكاد أموت حين تذكرت إشارتكم ظنّاً مني أن ذلك لعلَّهُ من

قلَّة أدبنا معكم بما لا يليق بجنابكم من حيث لا أشعره ولا أعرفه ولا أتنبّه له ، **أعاذنا الله من قلّة الأدب مع الأشياخ الموجبة للحرمان والتراخ** ، فإن كان صدر مني قبلُ ، أو فيما أكتبُ إليكم ما يَحُطُّ عن احترامكم ولو مقدار شعرة ، فأرجو منكم يا سيدي العفو والتجاوز ، وأن تجعلونا في سويْدَائكم ، مَنَّ الله تعالى علينا بطول بقائكم . هذا ؛ والسلام ، وأوصيكم بالدعاء .

جوابه لإعتذار اليعسوب

فكتب في جوابه : وعليكم السلام . . . إلخ . إني لا أتنبّه لما كنتُ أشرتُ إليكم به ؛ وإن تدبّرت ، ولعلَّ الله تعالى يذهب عنك القبض ، ثم إنَّك أيها الولد ؛ لو لم ترسل لي الهدية لكان أصلحَ ، **فأنت بعد الآن تقطع عنّي الهدية واسمَها** ، وتضع كل ما زاد من حاجتك أمام أضيافك ، فإنك تحتاج إلى أشياء ، ونحن لا طمع لنا فيما لديك ، فافهم . وبارك الله في بيوتك المبنيّة ، وجعلها مأوى للصالحين ؛ لا منزلاً للطالحين . آمين . انتهى .

مكتوب خليفته لاستفسارات وأجوبة

وكتب إليه خليفته يعسوب العسوي وارث الإرث النبوي قدّس سرّهما : بسم الله الرحمن الرحيم ، وعد الله الصابرين المَخرجَ مما يكرهون ، والرزقَ من حيث لا يحتسبون ، جعلنا الله وإياكم من الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون .

إلى شيخنا قطب الإرشاد ، ومرشد العباد ؛ شيخنا المربي حسن حلمي أفندي النقشبندي الشاذلي القادري المجدّدي ؛ السلام الأسنى والتحيات الحسنى عليكم كل الآنات ، ولا زالت الرحال تشدُّ إلى أبوابكم ، والفيوضاتُ تفيض على الراحلين نحو جنابكم . آمين .

وبعد ؛ فمنذ ما أجزتَ هذا الحقير ؛ لتلقين أوراد السلوك صارت نفسه في ذهول وحيرة ، وغلبَ عليه الحياءُ الشديد ، والخوف الأكيد ، وصار قلبي لا

يفهم[1] ما تُلقونه إليَّ ، ولا يعقل ما أوضحتموه من الفوائد التي هي كالنفائس الفرائد ، وذلك بظهور هيبتكم وجلالتكم ، وبذلك رجوتكم الإشارة بقلمكم الميمون إلى العلاج ، حتى لا يطرأ عليَّ النسيان والضياع والاعوجاج ؛ وإن شقَّ ذلك عليكم وكان سوءَ أَدَب مع جنابكم ، فيا روح جسدي وحياةَ قلبي ؛ كم تركتُ الأدب معكم بحملكم إلى تحريك القلم وكتبة الأجوبة ، وبما أنَّ مِن عندكم إزالةُ ظلمة الجهالة خَرَقتُ عن وجهي نقاب الحياء في هذه المرَّة ؛ طالباً منكم الجواب لهذا ولهذا المسائل الآتية ، وأرجو منكم أيضاً أن تكتبوا أهمَّ ما أنا محتاج إليه في حقِّ التوجُّه ؛ كي لا أخطأ في ذلك ، كما أَخطأَ من ترك السؤال من أخينا المعلوم .

وأرجوكم أيضاً أن تكتبوا إلينا من الوصايا ما لا بدَّ منه لأمثالنا ، وأسألكم أن لا تقطعوا عنا نظراتكم مع الزواجر والتنبيهات على ما رأيتم فينا مما يخالف الشريعة أو الطريقة ، ولو مقدار شعرة ، قولاً أو فعلاً ، والمرجوُّ منكم الدعاء لنا بالتوفيق مع الاستقامة . انتهى . من خطه .

امتزاج الأسئلة بالأجوبة

وهنا ننقل المسائل والأجوبة ممزوجتين حسبما وجد بخط الأستاذ الكامل حسن أفندي قدس سره :

لو حضر إليَّ مَنْ رجع مِن عندكم بعد التوجُّه منكم ، وأراد التوجُّه مني ثانياً ؛ فماذا أفعل ؟

الجواب : إنك تتوجَّه إليه لا تفرق بين أحد منهم .

وأيضاً طلب منِّي مَنْ يقصد إلى جنابكم للزيارة وللتوجُّه التوجُّهَ ، فهل لي ذلك ؟

الجواب : نعم ؛ لا تمنع من التوجُّه أحداً ، سواء خرج قاصداً إلينا ، أم لا .

(١) أي : لا يعي .

وما كيفية التوجُّه إلى من هو في المراقبة المعيَّة ؟ ! .

الجواب : أن تأمره بقراءة المراقبة ، والنظر إلى قلبه مع مقابلة قلبه بقلبك ، وأنت أيضاً تقرأ المراقبة ، وتتوجه وتقابل قلبَك بقلبِه مع ملاحظة أن الله تعالى ناظرٌ إليك وحاضر معك ومعه .

قلت لشيخنا قدّس سرّه مرة : يا أستاذي ؛ كيف نقف قبالتك وقتَ التوجُّه عند المراقبة – وكان هناك بين أيدينا مجلَّدٌ من الكتب – ، فأشار إليه : إن هذا المجلَّد أنت ناظرٌ إليه ؛ وأنا أيضاً ناظر إليه والله تعالى أيضاً ناظر إليه ، **فهكذا تنظر وتتوجّه إلى قلبك مع ملاحظة أني ناظر إليه ، وأن الله تعالى ناظر إليه** . انتهى .

وهل يلزم قراءة الفاتحة والإخلاص (ثلاث مرات) قبل التوجُّه لكلِّ مَن حضر لديَّ ، سواء كان التوجُّه بتلقين الذكر ، أو لمجرَّد قصد إزالة الظلمة ؟ فإن قلتَ : نعم ، فهل تكفي القراءةُ أوَّل التوجُّه وقت التوجُّه إلى المريدين الكثيرين بالنوبة أم لا ؟ !

الرابطة الواحدة لجمع من المريدين

الجواب : إن شيخنا قدس سره أمَرنا أن نقرأ هذه السوَر ونرابط بالشيخ محمود أفندي قدس سره ، ثم نتوجَّه إلى المريد بعد ذلك ، فكنّا نفعل الرابطة لكلِّ فرد فرد ويطول بذلك الزمان ، فقال الشيخ : **ألا يكفي لك رابطة واحدة ، وأنا أكتفي برابطة واحدة** . انتهى ، فيؤخذ من قوله هذا كفاية الرابطة الواحدة ، والحضور الواحد إذا كان المريدون كثيرين . ثم بعد ذلك قال لي شيخي قدس سره : تفعل الرابطة قبل التوجُّه ، أو تقرأ السلسلة لحصول الحضور . انتهى .

حكمة النفخ وقت التوجُّه

وما حكمة النفخ وقت التوجُّه على المريد الذي ذكره على اللطائف ؛ دون من كان ذِكْره بحبس النفَس ومَن فوقه ، وبأيّ نيَّة يَنفخ ؟ !

الجواب : سألتُ شيخنا قدس سره عن ذلك ؛ فقال لي : **أليس يحيى القلبُ بالريح** ! ! ولم يزدْ على ذلك ، لكن رأيت في « المناقب الأحمدية » ما معناه : أن مُحَمَّدْ مُظْهِرْ كان يلقي الفيض إلى المريد[1] ، وينفخ عليه ويحرِّك رأسه قليلاً . بيد أني لا أتذكَّر الآنَ تعيين موضعه .

بين النفخ وحبس النفس

وأما ما كان شيخنا قدس سره يفعله ؛ كان ينفخ من أنفه ، ويتنفَّس وقت التوجُّه في اللطائف ! ! **وحكمة ذلك** – والله أعلم – : إيقاظها وإحياؤها ببركة ذلك النفخ والنفس الحاصل من المرشد الخارج[2] مع الحضور ، فقد كان شيخنا قدس سره يقول : أُسْتَارَصُلْ حُكَّلْ دَرُ ، وِكِّ دَرُ ، هَرَقْ دَرُ ابُنْ هِچِشْ وُجُرُ . انتهى فما أحلى كلامه ، وأطيب مقاله ! ! جزاه الله عنا خيراً .

وأما حكمة عدم النفخ وإلقاءِ النفَس على جسد المريد بعد حبس النفس وبعد تلقين المراقبة ! ! فأظنُّ – والله أعلم – **أن سكون اللطائف من حركاتها مطلوبٌ في حبس النفس** ، والمراقبةُ لا حاجة لإيقاظها وتحريكها .

وسمعت شيخنا قدس سره يقول : **إن حبس النفس يُسكِّن اللطائفَ** . انتهى ، ورأيت مثله في « مقصد الطالبين » فراجعه .

وهل يلزم فعل التوجُّه وقتَ تلقين الذكر للمريدين قبل التلقين ؛ كما يفعل بعده أم لا ؟ .

الجواب : فأوَّلاً تفعل الرابطة لجلب الحضور ، أو تقرأ السلسلة لجلبه ، فإذا حصل لك الحضور ؛ تتوجَّه مع ذلك إلى قلبه كأنَّك تُلقي نور الحضور من قلبك إلى قلبه ، ثم بعد ذلك تلقِّن الذكر . . . إلخ .

---

(١) وفي نسخة : إلى قلب المريد .
(٢) الصادر .

وهل يصحُّ التوجُّه مني إلى كلِّ من حضر لديَّ للزيارة من أيّ النواحي ، أو هو خاصٌّ بمن حضر من ناحيتنا ؟ .

الجواب : أنت تتوجَّه وتلقِّنُ كلَّ مَن حضر لديك ، ولا تفرّق بينهم ، **فلك مني إذنٌ مطلق لا مقيَّد** ، رزقك الله الاستقامة والتوفيق . آمين .

ولو ازدحم المريدون للتوجُّه وكثروا وصَعُب عليَّ تفريقُ أحوالهم ، فهل يصحُّ التوجُّه إليهم بمجرّد قصدِ إزالة الظلمة بلا طلب علم أحوالهم ، أم لا ؟ .

فالجواب : اللهم نعم ، وأنا أفعل كذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وهل يصحُّ التوجُّه للمريد بقصد إلقاء الجذبة عليه ، أم لا ؟

الجواب : نعم يجوز لك ذلك .

وسمعت أنكم تقولون : إن تخيُّل الخطِّ والنقش وقت تلقين الذكر بالنفي والإثبات يكون في نفس المريد ؛ لا في نفسنا ، وهل هو هكذا في كلِّ التوجُّهات التي تكون بعد التلقين ، أم لا ؟ .

الجواب : فأوّلاً تقول (لا إله إلا الله) بحبس النفس بملاحظة الخط بنفس المريد ، ثم تأمُره بأن يقول كذلك بملاحظة الخط والنقش في نفسه وذاته ، ثم تقابل قلبَك بقلبه ؛ مع الحضور التام والذهول عن غيره تعالى ، ولم يأمرنا مشائخنا بشيء مما فوق ذلك .

وبأيِّ قسم من أقسام التوجُّه نتوجَّه كثيراً ؟ .

الجواب : إني أتوجّه بقصد إزالة الظلمة أحياناً ، وبقصد علم حال المريد أحياناً بمجرَّد مقابلة القلب بقلبه ، وبقصد إلقاء الجذبة والحضور إلى قلبه بطلب أن يوصله الله تعالى إلى قلبه ؛ أو يزيل الظلمة والحجاب عن قلبه ، أو يذهب عنه الأخلاق المذمومة ، أو يوصل إليه الأخلاق الحميدة ، على حسب حال المريد . انتهى ، وأوصيكم بالدعاء . كتبته بالسرعة الحقير المعلوم ؛ (حسن) . من خطه قدّس سرّه .

اليعسوب يستفتي شيخه

وكتب اليعسوب العسوي إلى أستاذه قدس الله تعالى أسرارهما : إلى والدي وروح جسدي ؛ سيدي الشيخ حسن حلمي أفندي النقشبندي الشاذلي القادري الأويسي المجدديّ : السلام عليكم وأدامكم على الاستقامة آمين :

١ **إني** تائه في فكري ، ومتحيِّر في أمري ؛ بين أن أعتزل في قعر بيتي وبين الانتقال إلى قرية كذا . فبه أرجو منكم الإرشاد إلى ما هو الأصلح لي ؛ لأن قلب الحقير لا يطمئن إلاَّ بما أشرتَ به ، ولا ينشرح إلاَّ بما أمرتَ به ، لكونه مسلوب الاختيار من نفسه . انتهى .

٢ **وأخرى** : إني أسمع كثيراً من ألسنة المريدين أن التبييت في قرية المرشد من سوء الأدب ؛ فهل هو كذلك ، أم لا ؟

٣ **وأخرى** : إنا نجد من المريدين الشاذليين من لُقِّن لهم الذكر القلبيُّ ، فهل هو لكون الذكر القلبي في طريقهم ، أم بنقلهم إلى الطريقة النقشبندية ؟

٤ **وأيضاً** نجد من المريدين من لُقِّن لهم اسم الذات باللسان مثل خمس مائة ، فكيف ذلك ؟

٥ **وأخرى** في « الفتاوى العمرية » : إن كيفية التلقين بعد ثبوت صدق المريد : أن يأمره الشيخ بالاستخارة ، وهو يستخير أيضاً ، فإن وافقت استخارتهما ! يأمر الشيخ المريدَ أن يغتسل بغسل التوبة ، ثم يصلي المريد . . . إلخ . هذا ؛ ومشائخنا الخَلَف عدلوا عن هذه الكيفية ؛ فكيف ذلك ؟

٦ **وأخرى** في « مجموع الرسائل » لسليمان الزهدي في ٩٤ : النهيُ عن تلقين الأمرد الصبيح من الرجال ؛ فضلاً عن النساء الشابّة .

وفي كتاب مسلم أفندي العرادي نقلاً عن هامش « نهج المتقين » ما لفظه : ومن وصية مولانا قدس سره : أن لا يلقن الطريقة للأمرد الصبيح ؛ ولا المرأة الشابة ، وإذا لُقِّنت ؛ يكون من وراء حجاب بواسطة محرم ، ولا لهنَّ

جمعية ختم ، ولا حلقة توجُّه . . .إلخ ، فكيف جرت عادة مشائخنا النقشبندية والشاذلية قدس الله تعالى أوراحهم الزكية بتلقين الذكر للأمرد وللمرأة الشابَّة ؟

٧ **وأخرى في** مكتوب العالم عبد اللطيف الحزى : إن لعلم كمال الشيخ المرشد ميزاناً حسناً ؛ وهو أنّه إذا أخذ عليه العهد ، وتعيَّن عليه الذكر ؛ فإن أطاق الذكر الكثير وحصل له جذبة لذيذة ! فهو الشيخ المرشد ، وإلا ! ! فهو ليس بشيخ ، فهل يكون الإطاقة والحصول المذكوران ميزاناً حسناً لمعرفة الشيخ المرشد ؛ إن لم تكن الجذبة من توجُّه الشيخ المرشد ؛ أم لا ؟ مع أن معتمد مريدي المتشيخين ذلك القول المذكور ، فإنهم يُخبرون أنهم يقدرون لفعل كذا من الذكر في زمن كذا ، ويجدون لذَّة كذا ، فذا بركة أشياخهم ، وعلامةُ كمالهم ! !

٨ **وأخرى** : ما معنى الولاية الخاصَّة ؟ هذا والسلام ، وأوصيكم بالدعاء من ولدكم الأفلس محمد ابن العالم نور محمد العسوي .

فعلَّق الأستاذ قدس سره أجوبة هذه المسائل بإزائها في الهوامش ، ونحن نورِدُها هنا حسب ترتيب المسائل .

إجابات المؤلف لليعسوب

أما **جواب المسألة الأولى** : يجوز لك الذهاب إلى . . . . إن أردت ذلك ، وإلاّ ! فلا .

وجواب الثانية : إني لم أرَ في ذلك شيئاً في الكتب[1] .

وجواب الثالثة : هو بِصَرْفِهِمْ إلى النقشبندية .

وجواب الرابعة : إني لم ألقِّن ذلك لأحد باللسان .

وجواب الخامسة : إني سألتُ شيخنا[2] عن ذلك ؛ **فأجاب** بقوله : **لا تجبُ الاستخارة لكون التلقين للتبرُّك ؛ لا للسلوك** . انتهى .

---

(١) التبييت في قرية الشيخ ليس من سوء الأدب . (هامش الأصل) .

(٢) أي : الحاج عبد الرحمن قدّس سرّه .(من نسخة أخرى) .

وجواب السادسة : لكن شيخنا كان يلقِّنُها ؛ **ولو للشابَّة** . انتهى .

وجواب السابعة : إني لم أرَ ما قاله في الكتب ، **ولكن ذلك مما ينبغي أن يكون صواباً** ؛ لأنه لو حصل للمريد جذبٌ يطيق الذكر الكثير . والله تعالى أعلم ، **ولكن أمر ذلك يكون مختصّاً بمن له استعدادٌ لتعلُّق ما أمدّه الشيخ من المدد بإذن الله تعالى** ؛ لا مطلقاً . كما هو مذكور في غير كتاب . **فافهم** .

وجواب الثامنة : الولاية العامَّة للمؤمنين ، وأما الولاية الخاصَّة ! ! فهي لخواصِّهم . **فافهم** والله تعالى أعلم . انتهى من خط الحلمي قدس سره .

استدراك اليعسوب

ثم إن اليعسوب العسوي قدس سره كتب في ذيل جواب الأستاذ لتأييد ما كتبه في جواب المسألة الثامنة هذا الآتي ؛ نقلاً عن « الفتاوى العمرية » ونصُّه : سُئِل عن العلماء والسادات الصوفية : هل يقال لهم (أولياء الله تعالى) سواء العامل فيهم ؛ أو غير العامل ؟ أوضحوا لنا الجواب

الولاية : عامَّة وخاصَّة

أجاب : الولايةُ عامَّة وخاصَّة ، فالعامَّة ولاية الإيمان ، كما قال الله تعالى ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ والخاصَّةُ ولاية الأتقياء والمحبِّين ، فالعاملون وغيرهُم يطلَق عليهم أنهم (أولياء الله) . وأما الخاصَّة ! ! فلا يطلق إلا على العلماء العاملين ، أو الصالحين المتورِّعين ، وقال الشافعي : **ما اتخذ الله من وليٍّ جاهل ، ولو اتَّخذه لعلّمه كما علّم أويس القرني** – كما قال تعالى ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ – وشيبان الراعي وغيرَهم من المشائخ الأميِّين ! !

والحاصل : أن الوليَّ من يعرف الله بالربوبية والمحبة ، ويعرفُ نفسَه بالعبودية والأتقاء ؛ كما قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ ؛ أي : العارفون بالله . (الفتاوى العمرية) . انتهى من خطِّ اليعسوبي قدّس سرّه .

مكتوب اليعسوب في ترتيب التلقين

وكتب إليه اليعسوب ما لفظه : إني أجد من المريدين مَن حصل لهم البركة وآثار الجذبة بالرابطة إلى أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه ، وقد لُقِّنوا أوراد الطريقة الشاذلية ، فهل يصحُّ تلقينُهم الذكر القلبي إن رغبوا في ذلك ، أم لا ؟ وكنتُ كتبت إليكم عين هذا ، فلوقوع الاحتياج إليه كرَّرتُه ثانياً ، وأرجو منكم العفو ! !

وأيضاً وجدت في « هدلپ » أيام ذهابي إليه مَن لقَّنتهم ذكر اسم الذات (الله الله) باللسان ، ولهم الأوراد الشاذلية ، فهل يصحُّ هذا ، أم لا ؟ ! والسلام من ولدكم المعلوم الأحقر .

فكتب في جوابه ما لفظه :

وعليكم السلام . . إلخ . ثم اعلم ؛ أن للشاذليين اسمَ الذات كما لهم النفي والإثبات ، بيد أن عادتهم أنَّهم لا يلقِّنونه إلاّ بعد حصول نتيجة النفي والإثبات ، وقد كنتُ كتبتُ عينَ ما كتب إلينا سيف الله - بَلَّ الله مرقده بلطفه الخفي - في « تلخيص المعارف » فاطلبه منه . انتهى .

جواب محمد الطندي

وكتب قدس سره إلى العالم محمد الطندي جواباً لكتابه ما لفظه :

وعليكم السلام . . . إلخ . . اعلم أن تعليم الطريقة للشابَّة العذراء والشابِّ الجميل إنما منعوهم لخوفهم عن عدم استقامتهما ، فإن الغالب عليهما عدمُ الاستقامة ؛ كما هو مشاهد لدينا ، **ونفعُ الذكر منوطٌ بإتيان الأحكام الشرعية ، والرجوعُ عن الطريقة من أعظم الذنوب عند أهلها** ، فقد قالوا : إن مرتدَّ الطريقة أعظمُ ذنباً من مرتد الشريعة . كما هو مذكورٌ في مواضعَ من كتبهم .

فحاصلُ مضمون كلامِهم والله أعلم : **أن مثال مَن يتمسَّك بأمور الشريعة مثلُ خَدَم السلطان في الخارج** ؛ مثلُ رعي الأغنام ، وحمل الماء من بعيد ، وحرث المزارع وحصادِها ونحوها ، ومَنْ دخل في الطريقة يكون مثل جُلَسائه ونُدَمائه ، فعلى هذا المثال إن المقبل إلى الله يُقبِل الله إليه ، والدليل ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ الآية ، **ومن أعرض عن ذكر الله أعرض الله عنه** ، وآية ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ شاهدُ عدلٍ على ذلك . وقد سمعت شيخنا العسلي قدس سره يقول : **إنَّ من ترك ما أمرتُه به من الذكر ؛ فقد حلَّت عليه في الدنيا مصائب شتَّى ، فكيف يكون حالُه في الآخرة ! !** انتهى . فما قاله قدس سره مما رأيناه عياناً ، ولعلَّ علَّة ترك إدخال الشابَّة والشابِّ الجميلين في الطريق هي ما ذكرته سابقاً ، والله تعالى أعلم بحقيقة الأمر ، لكن وجدت بين النساء السالكات في سلك طريقته أبعاضاً من الشُبَّان والشابات ! ! ولعلَّه قدس سره أدخلهم وإيَّاهُنَّ بحسن ظنِّه بهم وبهنَّ أنَّهم لا يتركون ما أمرهم به ! ! والله أعلم . وظن الحقير أن مَنْ خرج من صلبكم من البنين والبنات يحفظهم الله تعالى من الإعراض بعد الإقبال ، ومن الحَور بعد الكور ، وهو على ذلك قدير .

مهمة في ثمرة السلوك

مهمة نفيسة : إني رأيت في أثناء « مكتوبات » مجدِّد الألف الثاني الإمام الرباني – رزقنا الله شفاعته . آمين – ما أجاب به مَنْ سأله : هل يجوز دخول مَن يأكل الربا في الطريقة ؟ **وحاصله** : علِّموهم الطريقَ ورغِّبوهم في الاجتناب عن المحرَّم ، ولعلَّهم يتخلَّصون ببركة الطريقة عن ذلك الاشتباه ، **فإن استقاموا فازوا ، وإلا! فالضرر راجعٌ إليهم ؛ لا إليكم** ، فلله الحمدُ على ذلك .

ثم اعلم أيها المحترم ؛ أن المقصود من سلوك الطريقة ازديادُ اليقين بحقِّيَّة المعتقدات الشرعية التي هيَ حقيقةُ الإيمان ، وحصول اليسر في أداء الأحكام الشرعية ، وكونُ القلب حاضراً بالله على سبيل الذوق ؛ لا أمرٌ آخر وراء ذلك . و« ذِكْرُ الله شِفَاءٌ لِلْقُلُوبِ » ، كما ورد في الحديث ، والعبد إذا أكثر من ذكر

الله يُوقِد في قلبه مصباحاً ملكوتياً فيرى قبائح أعماله ، ثم يَتشتمّر في إزالتها ، ويسعى في أسباب اجتنابها ، **فالتوفيق والحضور يكونان مع السعي** ، والقدرُ وقصد العبد وكسبُه يجريان معاً معيّة ذاتية ، كما هو معلوم لديكم . جعلنا الله تعالى وإيَّاكم في دائرة أهل الاستقامة ، فإنها أجلُّ الكرامات ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأوصيكم بالدعاء . (الحقير المرشد المجازي كالقاضي الضروري أخوكم المعلوم حسن) .

مكتوب إلى اليعسوب في الزيارة والمشاورة

وكتب إلى اليعوسب قدّس سرّهما ما لفظُه :

وأما ما كتبتَ في حقِّ الدخول على الشيخ ! ! فكيفية الزيارة وأدب الدخول مبسوطة في « الرسالة الخالدية » فاطلبها من هناك ، وإني لا أريد الوقوف على الباب بالصمت ، وأرى الخير في طلب الإذن قائماً بأحد جانبي الباب ! ! فإن الوقوفَ صامتاً يكون باعثاً للخروج ، وبه يحصل المشقَّة .

وأما ما كتبتَ في حقِّ المشاورة ! ! **فتلك سنَّة متبعة ، وفيها بركة عظيمة ، وفي المريدين من لا يتحرَّك ولا يسكن إلاَّ بمشاورة شيخه**[١] .

وقد كان شيخنا قدس سره **يأمرنا بالرابطة إلى الشيخ ومقابلة القلب بقلبه ، والمشاورة معه في حق ما يفعل ويترك ، فإن انشرح القلب للفعل أو الترك يعمل به** . انتهى ؛ والسلام .

ترتيب أوراد الشاذلية

وكتب قدس سره : وعليكم السلام ، ترتيبُ أوراد الشاذلية – على ما لقَّنه شيخنا ، وعلى ما في « النور الساطع » و« الأنوار القدسية » من كتبهم :

(١) راجع « خلاصة الآداب » في ص ٢٤ وص ٢١ . (هامش الأصل) .

١ الاستغفار : مائة مرة ، -٢ والصلاة على النبي ﷺ على الكيفية المعهودة : مائة مرة ، -٣ و(لا إله إلا الله) : مائة مرة ، -٤ (سيدنا محمد رسول الله ﷺ) : مرة واحدة . هذا في الصباح والمساء . [١]

ولهم – على ما لقَّنه شيخنا – أورادُ أخَر فوقَها ، لكن قيل في كتبهم : إن الشاذلية وقفوا على (هُو هُو) .

وقد كنت بسطتُ ذلك في « التلخيص » فتفحَّصه منه . أجاركم الله تعالى مع الأهل من فتن الدارين ، وجعلكم من أهل الاستقامة والتوفيق . آمين . انتهى .

وكتب قدّس سرّه إلى بعض مريديه هذه كيفية أوراد الشاذلية أستغفر الله الذي لا إله إلاّ هو الحي القيوم وأتوب إليه (مائة مرة) ، اللّهم صلّ على سيدنا محمّد عبدك ونبيّك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم (مائة مرة) لا إله إلا الله (مائة مرة) ويختمها بقوله سيدنا محمّد رسول الله صلى الله عليه وسلم (مرة واحدة) وقراءة الصلاة المشيشية الممزوجية وذلك[٢] (مرة) في الصباح و(مرة) في المساء . انتهى من خطه قدس سره .

مكتوب جوابي في ركوب الزائر

وكتب قدس سره – في جواب من سأله ؛ عن حكم ركوب الزائر وانفراده ورابطته – ما لفظه :

وعليكم السلام ، **الركوب مما نحبُّه** ؛ لأن الراكب يقدر على دوام الحضور .

---

(١) **أستغفر الله الذي** . . . إلخ مائة مرة ، **اللهم صلى على سيدنا محمد عبدك** . . .إلخ مائة مرة ، **لا إله إلا الله** مائة مرة ، **سيدنا محمد رسول الله** ﷺ مرة واحدة ، صباحاً ومساءً في كل يوم من خطه قدّس سرّه ، أللهم تقبل مني هذا الورد ، وزده ثواباً ودرجة اللهم بلِّغ مثل ثوابه إلى سيدنا محمد ﷺ ، ثم إلى أصحابه أجمعين ، ثم إلى أرواح المشائخ الشاذلية وارزقني بركتهم آمين . (من نسخة أخرى) .

(٢) أي المذكور كلّه . (كاتبه) .

الزائر المنفرد

وسمعتُ واحداً من مريدي شيخنا قدّس سرّه يحكي أنَّه ذهب لديه زائراً منفرداً ، وهو يصلي على النبي ﷺ في طريقه ، فحين وصل لديه قال له : **إن الانفراد للزائر يكون خيراً** ؛ لأنه يشتغل وهو يمشي في الطريق بالصلاة على النبي ﷺ . قال ذلك الحاكي : وذهبتُ إليه مرَّة أخرى ، ملازماً على الرابطة الشريفة في الطريق ، فحين اجتمع به قال له ما معناه : **إن مشيَ الزائر مع دوام الرابطة يكون خيراً له** من أن يصلي كذا وكذا سنة ، أو كما قال قدس سره . انتهى .

وكنت أنا أزوره قدس سره راكباً ، **بل كان يأمرني بذلك** ، ولعلَّه قدس سره أمرني بذلك لما ذكرناه . فافهم . انتهى .

مكتوب اليعسوب مستفهماً عن تقبيل اليد

وكتب إليه اليعسوب العسوي قدس سرهما يطلب منه حكمَ تقبيل الأيدي والوجه ، وكذا المعانقة .

فكتب في جوابه ؛ نقلاً عما وَجَد بخط شيخه العسوي قدس سره وهو عن بعض التآليف ما لفظه :

ويندب تقبيل طفل ؛ ولو لغير شفقة ، ووجه ميت لنحو صلاح ، ويد نحو عالم وصالح[1] ، وصديق وشريف ، لا لأجل الغنى ونحوه والقيام لهم كذلك . وبحث بعضهم وجوبَ ذلك في هذه الأزمنة ؛ لأنَّ تركَه صار قطيعة . انتهى .

تقبيل الوجه والمعانقة

قال قدس سره : وأما تقبيل الوجه والمعانقة ! ! فقد كنتُ رأيت في ذلك بسطاً حسناً في بعض الكتب ، لكن لا فراغَ لي في الحال لمطالعته ، وكِتْبَته .

(١) في « بغية المسترشدين » ص ٣٢٩ كلام نفيس في تقبيل يد السادة ، فراجعه .

نعم ؛ إن شيخنا سيف الله قدس سره **كانت عادتُه عند اللقاء وعند المفارقة تقبيل العين والفم** ، وكلما تعانقنا في هذين الوقتين ؛ فقد كان يقبّل عيني وفمي مراراً ، فيحصل لي به الفرح والسرور(١) . ولله الحمد ، والسلام .

مكتوب عن انفراد المسافر

وكتب قدس سره في جواب مَن سأله عن حكم انفراد الزائر ما لفظه :

كنت رأيت في كتاب ، ولا أعرف الآن تعيين عينه : أن مَن له حالٌ مع الله لا يغفل عنه ! ! فسفره وحده يجوز أو أولى . انتهى بمعناه ، وكنتُ قبلُ متحيِّراً في هذه المسألة ، وسنراجع الآن إلى موضعها ، ونكتبُ اليكم ما ظفرنا به في حقِّها إن شاء الله تعالى ، والسلام .

قال الراوي : فلما سمع ذلك رسول الله ﷺ تبسَّم ضاحكاً من قول الإمام علي كرم الله وجهه ورضي عنه ، ثم أقبل الإمام على النبي ﷺ ووقف بين يديه ، فضمه النبي ﷺ إلى صدره فقبّله بين عينيه وقال : « معاشر المسلمين هذا علي ابن عمي ووارث علمي وزوج إبنتي وحامل رايتي » . انتهى اقتصاراً على مراد ، من « سيرة الإمام علي » عبارته ٨ ، راجعه للإمام العلامة أبي الحسن البكري رحمه الله . .

(١) حدثنا . . .إلخ عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال « من تمام عيادة المريض أن يضع أحدكم يده على جبهته أو يده فيسأله كيف هو ، وتمام تحياتكم بينكم المُصَافحة » مسند الإمام أحمد عبارته ٢٦٠ ج ٥ . (من نسخة أخرى) .

* حدثنا عبدالله . . .إلخ عن رجل من عنز أنه قال لأبي ذر حين سير من الشام ، قال : إني أريد أن أسألك عن حديث من حديث النبي ﷺ ، قال : إذاً أخبرك به إلا أن يكون سرّاً ، فقلت : إنه ليس سراً ، هل كان رسول الله ﷺ يصافحكم إذا لقيتموه ، فقال : ما لقيته قط إلا صافحني ، وبعث إليَّ يوماً ولستُ في البيت ، فلما جئتُ أُخْبِرْتُ برسوله ﷺ فأتيته وهو على سرير له ، فالتزمني فكانت أجود وأجود .(منه) عبارته ١٦٨ ج ٥ **والالتزام** أيضاً : الاعتناق . (من نسخة أخرى) .

مكتوب لصديق ولده تأنيب وعباب

وكتب إلى صديق ورفيق ولده محمد عارف ؛ وهو الطالب محمد بن حسن القحي ، وهما في « هَنْدِيخْ » يطلبان العلم[1] من العلَم العالم الشيخ حميد أفندي ما حاصله :

وعليكم السلام أيها الولد محمد ، ثم إن الآيات التي تقرأ وقت الذهول والغيبة والفناء ؛ يقال لها : الهاميَّات ، كما شافهني به أستاذي العسلي قدس سره ، فيجب عليك حفظُها وكتبتها وإرسالها إليَّ .

ثم إن ما جرى لك عند قبر الشيخ الهندخي ! ! لعلكَ أسأتَ الأدب عنده ! أو ذهبتَ إليه بلا ربط القلب بمحمود أفندي قدس سره ، وبلا توسُّل به إليه حين الذهاب .

ومن المعلوم أن النوم عند الأشياخ من سوءِ الأدب ، وكيفيةُ الزيارة إلى قبور المشائخ مذكورةٌ في « الخالدية » ، و« خلاصة الآداب » فاطلبها منهما ، واستغفر الله من سوء الأدب ، واذهب لدى الشيخ المذكور ، واسألْ منه التجاوز ، وكذا من محمود أفندي قدس سره . أرجو الله تعالى أن يعيدك إلى الحالة الأولى من الأنس بالله والحضور معه .

وقد سمعت من محمد عارف ما هو خلافُ مرادي ، وهو دأبُه معي ، فسيعلم الأحمق ما سيلقاه من سوء الأدب ، **ولا أتذكر أني فعلت إلى وقتي هذا شيئاً إلا بالمشاورة مع شيخي ؛ ولو في أدنى شيء وأقلّه** ، عفى الله عما سلف ، وهداه إلى حسن الأدب فيما يأتي . آمين . والسلام .

(١) وفي نسخة : لدى قاضيهم العالم الشيخ حميد أفندي قدّس سرّه .

مكتوب في الزيارة وفضلها

وكتب قدس سره إلى بعض مريديه في حق الزيارة وفضلها ما لفظه هذا :

مهمَّة في الزيارات

جرت عادة أهالينا أنهم يزورون قبور الأولياء ؛ ليتوسَّلوا بهم في قضاء حوائجهم ، ولهم في ذلك آثار وردت من السادات ، فقد ذكر الشعراني في « لواقح الأنوار » . وسمعتُ سيِّدي عليّاً الخوَّاصَ رحمه الله تعالى يقول : **إذا سألتم الله تعالى حاجة فاسألوه بمحمد ﷺ** ؛ وقولوا : اللهم ؛ إنَّا نسألُك بحقِّ محمَّد ﷺ أن تفعل لنا كذا وكذا ، فيسأل النبي ﷺ ربَّه بقضاء تلك الحاجة فيجاب ؛ لأن دعاءه لا يُرَدُّ . قال : **وكذلك القولُ في سؤالكم الله تعالى بأوليائه ، فإن الملك يبلِّغهم فيشفعون له في قضاء تلك الحاجة** ، والله عليم حكيم . انتهى ص١١ من هامش « المنن » من الجزء الثاني .

وفي « المناقب الأحمدية » وقال – يعني : محمد النقشبندي رضي الله عنه – : أعطيتُ من الحقِّ سبحانه وتعالى مرتبة عظيمة : تقضى بي الحوائج ، وتدفع بي البلايا . فالتجئوا إليَّ تُقضى حوائجكم بفضل الله سبحانه وتعالى .

وأما فضل الزيارة[1] ! ! فقد رأيتُ في « درَّة الناصحين » ما لفظُه : ورويَ أنَّ أخوين في الله التقيا ، فقال أحدهما للآخر : مِن أين أقبلت ؟ قال : حججتُ بيت الله الحرام وزرت قبر النبي ﷺ ، فأنت من أين أقبلت قال : من زيارة أخ أحبُّه في الله . قال : فهل تهبُ لي فضلَ زيارتك حتَّى أهب لك فضل حجي ؟ فأطرق الآخر رأسه مليّاً – أي : زماناً – فإذاً بهاتف يقول : زيارةُ أخٍ في الله أفضلُ عند الله من مائة حجة نافلة (موعظة) . انتهى عبارته ٤٣٠ من نسخة ٢٣٧ وراجعه ففيه الزيادة .

وفي « كشف الغمَّة » : وكان ﷺ يقول : « مَنْ زَارَ أَخَاهُ المسْلِمَ شَيَّعَهُ سَبْعُونَ ألفَ مَلَكٍ » . انتهى .

---

(١) راجع « خلاصة الآداب » ص ٩ . (هامش الأصل) .

الباب الرابع

في المراقبات وكيفيّاتها وفوائدها وما يتعلَّق بها ، وفيه فوائد لطيفة ، وفرائد شريفة ، يحتاج إليها داخل الخلوة وغيره ، وفي علاجات إذهاب القبض والفتور ، ودفع الوساوس والخطرات ، فوائد نفيسة في حق الفناء والبقاء ، وفي أذواق تحصل للسالك المنتهي .

كتاب اليعسوب في الشأن الجامع

وكتب إليه اليعسوب العسوي قدّس سرّهما : إلى حضرة سيدي ؛ سلام الله السرمدي عليكم كلَّ لحظة ، وبعد ؛ فالمسؤول من كرمكم إزالةُ ظلمة الجهالة عنا في حقِّ معنى (شأن جامع) ، وما حقيقته ؟ وبأيِّ كيفية يجب علينا معرفة الشأن الجامع المستفاد من قولها (يا رَبِّ ، هِبْ دُرْ شأنٌ جَامِعٌ تَجَلِّي لِيَلْدَصَنْ بِهَرَبْ فَيِضْ) ؟ وما الأحسن في ترتيب المراقبة على اللطائف ؟ أفْعَلُها في مُدَّة واحدةٍ مثل وقت السَّحَر ، أم فعلها بالقسمة ؛ بأن نفعل مثلاً خلف صلاة الصبح مراقبة المعية ، وخلف الظهر على القلب ، وخلف العصر على الروح ، وخلف المغرب بالسرِّ ، وخلف العشاء بالخفي ، وفي وقت السحر على الأخفى ؟ فإن فعلنا هكذا لا يحصل التساوي بين الألطاف ، فإن المدَّة بعد صلاة الصبح إلى الظهر طويل ، ومثله في سائر الصلوات ، وظنِّي أنَّكم قلتم لي بوجوب التسوية في زمن الوقوف على مراقبات اللطائف ؛ كما في الذكر على اللطائف ! وأيضاً يفهم مما في « المناقب الأحمدية » ومما في هاشمه بما لفظه : وكيفيتها – أي : المراقبة – : أن يجعل قلبه مقابل قلبِ نبينا ﷺ ، طالباً منه سبحانه أن يفيض على قلبه . . .إلخ .أي : ويجعل[1] قلوب المشائخ الكرام الذين هم وسائط فيضِ النبي ﷺ كالمنظرة . كذا قال حضرة الجدِّ . انتهى .

---

(١) ويجعل في تلك المراقبة لطائف الشيخ كالمنظرة . « تنبيه السالكين » عبارته نقلاً عن « النفائس السانحات » وراجعه . (من نسخة أخرى) .

ويفهم منه : أنا نجعل قلبنا مقابلاً بقلب النبي ﷺ ، ونجعل روحانية محمود أفندي بيننا وبينه ﷺ كالمنظرة ؛ معتبراً كأن الفيض يسيل ويفيض من قلب النبي ﷺ إلى قلب الشيخ محمود أفندي ، ومنه إلى قلوبنا وفق ما نقول : (يَا ربِّ هَدَبْ أَوَرَكَصُلْ رَكَلْدَصَنْ مَشَائِخْزَ بَزُلْ رَكَلْدِ شُنْ بُكَرَبْ فَيْضْ مَحْمُودْ أَفَنْدِيَصُلْ رَكَلْدَصَنْ دِرْ رَكَلْدِ شِزِ هَبِ)[1] مثلاً . . . وهكذا في سائر اللطائف .

وكنت رأيت عين هذا مصرّحاً به في كتاب رَجَبِلْ عُمرْ حَجِ الخُنْزَاخِي الذي أرسلتُه إليكم قبلُ ، فهل هو كما فهمتُ أيها الكريم ؟ أم المراد بالقول المذكور غير ما ذكرتُ ؟

يستشيره في تبديل حجرته

وأخرى : كنت أذنت للمريدين للاجتماع للختم والصلاة في حجرتي الجديدة إجابةً إلى طلباتهم وسؤالاتهم المتكررة ، فبسماع عدم اجتماعكم في البيت حسب العادة ، وبورود الأخبار من جناب أخينا المتوطِّن في « دَتُونَهْ » ، بأنه يرى المصلحة في عدم اجتماعنا في تلك الحجرة الجديدة صار بالي لا ينشرح لذلك ، وإن بدأنا بترك الاجتماع المذكور صرنا سبباً لتعطُّل المجالس المنعقدة في سائر القرى ، لأنهم يكونون منتظرين لما نفعله ، حتى يقتدوا بنا في ذلك ، فلا ينشرح صدري إلا بإشارتكم إلى اختيار أحد الأمرين ، وذا من أهمِّ مقصودي من كرمكم !! انتهى .

جواب

فكتب قدس سره في جوابه : وعليكم السلام . . .إلخ .

إنك تفعل المراقباتِ وقتَ الإمكان مجتمعة أو متفرقة ؛ ولا حرج في ذلك ، بيد أني سألت شيخنا العسلي قدس سره عن زمن المراقبة ؟ فقال : (

(١) وترجمتها : يا ربِّ ؛ تلك الفيوض التي وصلت من قلب نبينا ﷺ إلى قلوب المشائخ وإلى قلب محمود أفندي ، أوصلها إلى قلبي . (من نسخة أخرى) .

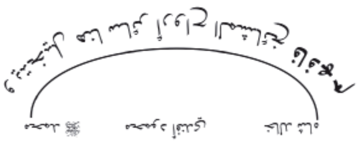
زَمَنْ هِجٌّ ، ذِكْرُيَلِ عَدِنْ) يعني : أن المراقبة تفعل دائماً ؛ كما يفعل الذكر القلبي دائماً . انتهى . وقال شيخنا الباكني قدس سره : **افعل المراقبة بعد الصلوات** . يعني قال : (سُ سُ كَكَلْدَ خَدُبْ سُ مُراقَبَه هَبِ) .

فالحاصل : أنك تفعل المراقبات وقت الإمكان ، وتكون حاضراً بالله بقدر الطاقة ، كأنك بين يديه ونظرِه ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ الآية .

معنى الشأن الجامع

ومعنى « **الشأن الجامع** »[1] ؛ أي : الجامع للشؤونات[2] ، يعني : أن الشؤونات المتفرقات ؛ أي : الأفعال والصفات مجتمعة في حضرة الذات ، **والفيضُ يكون في تجلِّي الذات** رزقنا الله تعالى ، ويكون حينئذ محمديَّ المشرب . والله أعلم .

وأما تخيُّل أرواح المشائخ !! فكما تتخيَّل في الرابطة ، ويقابل كلَّ لطيفة[3] وقت المراقبة بلطيفة النبي عليه السلام ، ويعتقد بأن جميعَ أرواح المشائخ حاضرون كما في الرابطة هكذا[4] :



(١) الشأن الجامع ؛ أي : الجامع للمشارب المتقدمة كلها ، ويكون السالك حينئذ متخلقاً بأخلاق الله تعالى ، راجع « جامع الأصول » . من نسخة محمد الشتوطي رحمه الله .

(٢) أي : الشؤونات الإلهيَّة . « جامع الأصول » عبارته .

(٣) أي : لطيفة المريد التي يراقب فيها (محمد الشتوطي ، من خطه رحمه الله) .

(٤) ما الرابطة ، وما كيفيتها ، وما مقدماتها ، وما وقتها ، وما كيفية الذكر القلبيِّ ، وما صيغة الاستغفار والصلاة ، وما ترتيب كل ما ذكر ؟ فالجواب بالبيان هدية للإخوان : الجواب بحمد الله في « وسائل المريد في رسائل الأستاذ الفريد » الجامع لمكتوبات الأستاذ حسن أفندي قدس سره ما لفظه : وأما الرابطة فهو تخيل صورة الشيخ بين عينيه ، وأما الاستغفار وقراءة الفاتحة والإخلاص فهي خارجة من حدِّ الرابطة ، فمتى تخيَّل المريد صورة الشيخ يقال له أنه فعل الرابطة . وقد سمعت إلى . . وأنَّ الزيارة . انتهى عبارته ٨٩ . وفيه أيضاً جواب لمن سأله . انتهى عبارته ٨٨ ، وفيه أيضاً : وسئل عن مدَّة . انتهى عبارته ١٠٩ . وفي « تلخيص المعارف » : ومما ينبغي أن يعلم أنَّ روحانية الشيخ لا تفارق ، ليست مقيدة بمكان دون مكان . انتهى عبارته ١٥٧ . (من نسخة أخرى) .

وأما الاجتماع في الحجرة الجديدة لقراءة الختم . . .وإلخ !! فتوكَّل على الله ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ولم يأمرونا[١] بعدم جواز ذلك ، فنقول لهم كما كنتُ قلت لك قبل : إن عادة رجالنا هكذا منذ ثلاثين سنة أو أكثر ؛ يجتمعون لقراءة ذلك لسهولتها مع الاجتماع ، فإن أمرونا في ذلك ومنعُونا عنه ؛ فنحن نمتثل أمر الحكماء والرؤساء ؛ ولا نخالفهم ، كما لم نخالف إلى الآن ؛ فافهم . والسلام .

استفهام التلذُّذ بالذكر

وكتب إليه اليعسوب قدس سرهما : هل يقع للمريد التلذُّذ بالذكر ؛ كلذَّة الوقاع ، وخروج المنيِّ به ، مع وصول أثر اللذة لجميع البدن ؟ فإن كان يقع ؛ فهل على الذاكر حرج في ذلك ، فيقطعه ويتركه في بدء شعوره بتلك اللذَّة أم لا ؟ رفعتُ إليك يا أستاذي هذا السؤال برفع نقاب الحياء ، حيث إن الحقير مبتلى به في هذه الآناء ، وليس له بدٌّ من إظهاره إلى جنابكم السامي الشريف ، فلعلك تعفو عني وإن كان سوءَ أدب مع مقامكم المنيف . انتهى .

فكتب قدّس سرّه في جوابه : **اللهم نعم ، يقع مثل ذلك لكثير ، ولله الحمد ، والسؤال من أمثال ذلك واجبٌ على المريد ، ولا يجوز له إخفاء أمثاله** . انتهى . وكتب إليه أيضاً قدس سرهما جواباً لكتابه :

ضياع الوقت موت

وعليكم السلام ؛ أيها الولد المرجوُّ للاستقامة : إنَّ عزلتي ليست كعُزْلة من يقف في الأربعينيات ، ولا أمنع الواردين عليَّ ، بيد أنه لما كثر الواردون ولم يَسَع الوقت للشغل بشغلي في القرية اعتزلت في الريف ؛ رجاء أن يسع لي الوقت ؛ ولو في الصباح والمساء ؛ فلكم الرخصة للزيارة في أيِّ وقت شئت ،

---

(١) أي : الحكام . (هامش الأصل) .

ولكن تشير أنتَ إلى الزائرين **بعدم طول المقام** ، فبذا يضيع الوقت ، ومن ضاع وقته وفات ، فقد مات هو ودار .

مراقبته ﷺ في المعية

ثم إنَّ التوجُّه إلى النبي عليه السلام – على ما أمرني به شيخنا قدس سره – يكون بعد قراءة الآية الشريفة ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ للاستفاضة من ذاته عليه السلام ما حصل له من فيض تلك الآية ، ولم يأمرني بملاحظة المشائخ وقتئذٍ إلاَّ ذات النبيِّ عليه السلام في هذه المراقبة المعية .

مراقبات غير المعية

وأما في مراقبة القلب والروح . . . وإلخ ! فقد أمرني بملاحظتهم ، كما يلاحظهم المريد في الرابطة بلا فرق **وقولكم** : وهل لأقل زمن المراقبة حدٌّ . . . إلخ ، فقد سألت عنه شيخنا قدس سره كما سألتَ ، فأجاب بأنه لا وقت لها كما للذكر ، يعنى : أنه يكون المراقب في المراقبة دائماً قياماً وقعوداً ، وعلى كلِّ حال . وقال لي قدس سره مرَّة ما حاصله : إنك تكون كأنك تسعى بين يدي نظر الله تعالى كما تسعى في نور الشمس .

وقال لي مرة أخرى : إنك تكون ملاحظاً كأنك بين يدي نظر الله ونور رسوله عليه السلام ، أي قال : (الله صُلْكِ أَوَرَكَصُلْكِ جُبَرَبْ نُورَلِّلْ كَّدِلَ وُكوْ لُنْ وُكَ) . وقلت له مرَّة : كيف يجب أن أكون وأنا معك ؛ يا أستاذي ! ! وكان هناك مجلّد من كتاب ؛ فقال : إن هذا المجلّد ؛ الله تعالى ناظرٌ إليه ، وأنت وأنا ناظران إليه ، فهكذا تكون ناظراً إلى قلبك ملاحظاً أن الله تعلى ناظر إليه . وأنا أيضاً ناظرٌ إليه

مراقبة الله حالة الحدث

وسألته رضي الله تعالى عنه : هل يجوز أن يراقب الله تعالى حالةَ الحدث ؟ فقال : لِما لا يجوز ؟ ! ولم يزد على ذلك . وقال لي مرَّة : إنك تلاحظُ في وقت غمض العينين كأن النبي ﷺ واقفٌ أمامك نوراً مجرّداً ، وتطلب من الله تعالى وصولَ الفيض الحاصل من تلك الآية الشريفة من ذاته ، وأما حالة فتحهما ! ! فتلاحظ كل شيء وقع عليه نظرك كأنه بلبِّه ناظر إليه سبحانه وتعالى خاشعاً متذللاً .

وأما الغيبة ، والذهول ، والاستهلاك ، والانمحاق ! فإنَّها أنواع من الفناء ، فأنت تطلبُ التفرقة بينها من « اصطلاح الصوفية » ، ومن « المتممات » ومن « تعريفات السيّد » . **وأما الحضور وقتَ الذكر ؟!** فأن تلاحظَ كأن القلب يذكر الله تعالى بلفظة الجلالة أو . . .إلخ ، **ووقت المراقبة!** كأن الفيض الحاصل من الآية الشريفة يصل إلى قلبه ولطائفه ، ومنبع الفيض ذاتُ النبي ﷺ ، ومَوْرده لطائف الإنسان **ووقت مراقبة القلب!** أن يلاحظ المريد كأن الفيض الواصل من قلب النبي ﷺ إلى قلب آدم عليه السلام ؛ من تجلّيات الأفعال يصل إلى قلبه ، ويسأل الله تعالى إيصاله . . .وهكذا ، وهكذا **للحضور أنواع ومواضع ، ففي كلِّ موضع** يقال (إنه في الحضور) . **وأما الوقوف القلبي!!** فمعناه : توجُّه السالك إلي قلبه بنظر الخيال ، فهو يكون في حالة الذكر والمراقبة ، ويكون أيضاً بلا ذكر ، فإذا نظر السالك إلى قلبه ينفتح مصْراعُه العليا فيصل الفيض ، **وليس الفيض منقطعاً ! بل هو دائماً يسيل كالمطر ، والمانع من وصوله خلوُّ السالك عن الوقوف والتوجُّه إلى القلب .فمثالُه مثالُ من وقف تحت السقف ، والحال أن المطر ينزل وينصبُّ**[(١)] . **فافهم** .

---

(١) وعليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته ؛ عزيزي أنت تنظر بالخيال وقت الذكر في القلب إلى القلب ، وتجمع النظر إلى القلب والروح وقت الذكر في الروح ، كمن ينظر إلى شيئين في حالة واحدة وهكذا في السر . . وإلخ ، فإنَّ الوقوف القلبي شرط في حالة الذكر في اللطائف كلها ، هكذا أفادني شيخنا العسلي قدس سره ؛ وهو عين ما في الكتب . فافهم وأوصيكم بالدعاء . (حسن سامحه الله من فرطاته) .

والمراقبة : ملاحظة الفيض من ذات النبي عليه السلام ، أو من لطائفه بأنواعها .

والرابطة : طلب الفيض من الشيخ ؛ أي : طلب وصول نور الذكر ، ونور المعرفة من قلبه إلى قلب السالك . **فافهم** .

وأما أثر الفيض ! فقد سمعت شيخنا قدس سره يقول : **إن الحرارة وارتعاش القلب هما من أثر الفيض** وأثر الجذبة . هذا ؛ ولم أدْرك تأويل رؤياك لاختلاطها .

العبرة في الاستخارة الانشراح

والحال والحاصل أن الانشراح يكفي بعد الاستخارة ، كما هو مذكورٌ في الكتب ، ولا يشترط في ذلك رؤيةُ ما يدلُّ للخير أو الشر ، فأنت تفعل ما انشرح له صَدْرك ، ومالَ إليه قلبك . فهذا ؛ والسلام من والد روحكم الداعي لكم بالخير . (حسن حلمي سامحه الله من فرطاته . آمين) . انتهى .

ثمَّ إنه قدّس سرّه كتب في هامش هذه الرسالة بإزاء قوله فيها : وأما الغيبة والذهول . . .وإلخ ، فإنها أنواع من الفناء .انتهى ما لفظه :

مقام الصحو أعلى من مقام السكر

فحاصل حقيقة الفناء وفناء الفناء هو هذا : للإنسان خواطر تكون في القلب وفي الدماغ ، وله خواطر لا يَعلم مواضعَها ، فبناءً عليه إذا حَصَل للسالك نَفْيُ ما في القلب من الخواطر يقال له : فَانٍ ، وأما إذا حصل له فناء جميع الخواطر المذكورات ، ونسي نفسَه ؛ يقال له : إنَّه حصل له فناءُ الفناء ، ويقال للفناء : سكْرٌ ، وللبقاء : صَحْو ، **ومقام الصحو أعلى من مقام السّكر بدرجات . فافهم** . أعانك الله للاستقامة . آمين . انتهى .

مكتوب الهندخي لمقابلة القلب

وكتب إليه أستاذنا خليفته الثاني حميد أفندي الهندخي قدس سره :

سلامٌ كثير على مورد الظمآن ، وزلال فؤادنا في كل آن ؛ حسن أفندي القحي .

أما بعد : فقد وصل إلينا محمد عارف ، وأرحناه مع رفيقه في مقرِّه هذا ، ثم إني يا أُستاذي متردِّدٌ في أنَّي بأيِّ القلبين أقابل قلبي في طلب فيض تجلِّي الأفعال ؛ أبقلب النبي الأكرم ﷺ ، أم بقلب الشيخ محمود أفندي قدّس سرّه ؟ انتهى من خط خطه .

جوابه

فكتب في جوابه : وعليكم السلام ، فلكم مني ألف ألفِ شكر ، ومن عيالي وأهلي ، ولعلكم تعلِّمونه الآداب ، وترشدونه إلى كل ما فيه الخير والصلاح ، ثم إنَّ مقابلة القلب في . . .إلخ إنما تكون بقلب نبيِّنا عليه السلام ، لا بقلب الشيخ . **فافهم** ، وأوصيكم بالدعاء . (الفقير حسن . انتهى) .

مكتوب الكزكلي في اختيار الروحانية

وكتب إليه قدّس سرّه العالم الفاضل المريده الصادق عبد اللطيف الكذلكلي الأواري ما لفظه :

إلى الأستاذ حسن ؛ السلام عليكم ، وعلى من أضيف إليكم .

أما بعد : فلو غلب وظهر لمريدٍ هو بشغلِ حبسِ النَفَس وقتَ الرابطة وغيره أثرُ تخيُّل نورِ روحانية النبي ﷺ على أثر تخيُّل نورِ روحانية القطب محمود الفعال قدس سره ، فهل يتوجَّه هو إليه ﷺ ، أو يتوجَّه إلى ذلك القطب بالإعراض عمَّا ظهر ، والتكلُّف على إظهار ما غُلِبَ ، أم إليهما ؟ ؟ والسلام مِن (أسير النفس عبد اللطيف) . انتهى . من خطه رحمه الله .

فكتب قدّس سرّه في جوابه : وعليكم السلام : يتخيل كليهما معاً ، فإن الشيخ المذكور قدس سره واسطةٌ ، ولو لا الواسطة لذهب الموسوط . **فافهم** ، وأوصيكم بالدعاء . . (الحقير القحي) . انتهى . (من نسخة أخرى) . من خطه قدس سره .

مكتوب العرادي وجوابه

وكتب إلى أحد أكابر مريديه وهو الشيخ العالم المحقق المجوِّد أُدُرة العرادي رحمه الله ؛ جواباً لكتابه ما لفظه :

وعليكم السلام ؛ أيها الأب المحبوب المقبول المخدومُ صاحب السرِّ المصون .

وبعد ؛ فقد سَرَّني كلامُكم وزال القبض بخطابكم ، فجزاكم عني خيراً آمين .

ثم إنَّك كتبت : وما كيفية المراقبات في جميع العبادات . . .وإلخ ، اعلم أيها العزيز المكرم أنَّ شيخنا قدس سره كان يقول : **إن المراقبة المعية هي الأصل ، وسائر المراقبات من أنواعها وفروعها** . انتهى .

وقال الشيخ أحمد ضيَاء الدين في « جامع أصول الأولياء » ص ١٨ :

وأما المقامات[١] ! فهو أن تلاحظ حين الذكر وجميع العبادات أنَّ الله تعالى ناظرٌ إليك وحاضرٌ لك ، وهو مقام الإحسان ، لقول سيِّد الأكوان « الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِن لَّمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإِنَّهُ يَرَاكَ » أي : إذا لم يكن لك قوَّة على ملاحظة ؛ أنك ناظر إليه ؛ فاعبده ملاحظاً أنه ناظر إليك ، بأن تلاحظ أنَّ نظره تعالى محيطٌ بك من جميع جهاتك ؛ وأنت في وسط ذلك النظر تذوب وتصغرُ حتى لا يبقى لوجودك أثر . انتهى من عبارته . ومع هذا لو لاحظ المراقبُ في جميع تقلُّباته وتحركاته أنَّ محرِّكَهُ هو الله تعالى على قاعدة قولهم : أنت الذاكر وأنت المذكور . . .إلخ ؛ **لكانت الملاحظة المذكورة حسنة** إن شاء الله تعالى .

(١) المراقبات علّه .(هامش النسخة) .

وأنت يا أبي ؛ لا يخفى عليك فضيلةُ المراقبة والتفكُّر ، وتفضيل العبادات التي لُوحِظ فيها مقامُ الإحسان ، فعليك بالحضور ، وإياك والفتور ، فقد كان عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما يقول : **ركعتان مع حضورِ قلبٍ خيرٌ من ألف ركعة والقلبُ ساهٍ** .

ومما ينبغي أن يلازم رؤيَة القصور ، والنظر إلى قلَّة الحضور ، فكم من عبادة يأتي بها العبد مع سوء الأدب ، فالنظر إلى تلك العبادة برؤية الكمال فيها عين التقصير ، **فيجبُ الانكسار والتذلُّل ، وطلب التوفيق من الله تعالى** ، فقد كان حاتم الأصمُّ رحمه الله تعالى يقول : ما صلَّيت صلاة قطّ ، إلاَّ ورأيت ما أتيت به فيها من سوء الأدب أكثرَ مما فعلتُ فيها من الطاعات . انتهى . فهذا ؛ والسلام ، وأوصيكم بالدعاء لهذا الفقير بحصول الاستقامة والتوفيق . انتهى من خطه قدس سره .

ترتيب الرابطة مع المراقبة

وكتب قدّس سرّه أيضاً جواباً لكتاب : وعليكم السلام ؛ فالرابطة قبل المراقبة لأجل الإمداد من جهتهم ، ثم بعد ذلك تقرأ دعاءَ المراقبة المعيَّة ، وتتخيَّل كأن النبي عليه السلام بين يديك ، وتستفيض من ذاته الشريفة حصول المراقبة المعية ؛ أي : حصوله بواسطته عليه الصلاة والسلام .

مراقبة القلب

وأما أمر مراقبة القلب ! ! فتطلبُ حصُولَه من قلبه بواسطة قلوب المشائخ ، وتقف ناظراً إلى قعر القلب ؛ طالباً من الله تعالى وصولَ الفيض الواصل من قلب النبي ﷺ إلى قلب آدم عليه السلام بواسطة قلوب المشائخ ، ولم يُعلِّمنا مشائخنا غيرَ هذا ، **والمقصود حصولُ الحضور والجمعيَّة القلبيّة ؛ لا غير** . والسلام ، وأوصيكم بالدعاء .

مكتوب إلى العوري

وكتب قدس سره إلى أحد أكابر مريديه وهو الأستاذ محمد من حسين العوري حفظه الله ، وهو مقيم « بغزانش الأعلى » [1] مؤذّناً لهم ما لفظه :

المراقبة تعكس خواطر الناس

أيها الأخ المحبوب المرجوُّ للهداية حُسينِل محمَّد ؛ إني كنتُ نسيت أن أقول لك وقتَ تلقين المراقبة ما كان قال لي شيخنا قدس سره قبلُ ؛ وهو : هَنْجِ وَصْ دُيْ عَدَمَزْدَ صَنْ ضَرَرْ كِّلَ مُنْ حُضُرَلْدَ وُكِنْجُنِ . انتهى . أي : يا أخي يحصل لك الآن ضررٌ من الناس إن لم تحافظ على الحضور ؛ يعني : **أن المراقِبَ ينعكس إليه خواطر الناس وقساوة قلوبهم ، ولو بمجرَّد النظر إلى وجوههم ، فينعكس إلى قلب المراقِب ظلماتُهم المتراكمة في قلوبهم ،** فيحصل له الفتور والقبض ، حتّى أنه قال لي سيف الله قدس سره أيام اجتماعي به في بلدة « شوره » ؛ حين خرجت إلى سوقها : يا ولدي ؛ إنَّ ما زال منك من الحال بسبب خروجك إلى الخارج هنا لا يعود إليك ، في أربعين يوماً ؛ أي : (كِقُكُ قُيَلْ بَجِنَرُخَ دِرْ وَسْ دُدِ هَنِوْ قَطِ وَخُّنْ اَرَبْ حَالْ) . انتهى ، ولأجل تنبيهك إلى هذا كتبت إليك هذه السطور ، **فإن كنت تكون** حين اجتمعت بالناس كأنك بين يدي الله تعالى حاضراً معه بالقلب لا يحصل لك الضرر ، وإلاّ ! فالحجاب يطرأ على قلبك . **فافهم** . انتهى .

مكتوب حُسينل محمد واعتذاره

وكتب إليه قدس سره الأستاذ المذكور حُسينِل محمَّد حفظه الله ما لفظه :

باسم الله خير الأسماء ، ولله الحمدُ والثناء ؛ إلى قطب دائرة معدن الإسلام ، ومنهل أهل التوحيد والعرفان ، المرشد الحقيقي ، مولانا حسن أفندي الحليم الحقي ، وإلى . . إلخ . السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، وأدامكم الله تعالى على الاستقامة ، ومتابعة رسول الله ﷺ .

---

(١) وفي نسخة : العليا .

وبعد : فأبهى مرادي من الله فيكم كونُكم في صحَّة وسلامة ، وعلى استقامة دائماً ، وأما خواطري وظلماتي ! فكالغيوم المتراكمة المترافعة بعضها فوق بعض كما كتبتَ في مكتوبك لكوني غافلاً غيرَ مبال لسدِّ طرق الخواطر ، ولكن أرجو من الله تعالى ومنكم العفوَ والعافية والإعانة ، لدفع تلك الخواطر الظُّلْمانية ، ولحصول الاستقامة والاتباع . هذا ؛ وأنا خادمكم الغير المؤتمِر لأوامركم ، الغيرُ المنتهي عن نواهيكم حُسينِل محمد . انتهى من خطه قدس سره .

جوابه لِحُسينِل محمد

فكتب قدّس سرّه في جوابه : وعليكم السلام ؛ فأنت أيها المحبوب ؛ **تكون دائماً**

مراقباً كأنك تسعى بين يدي الله تعالى كما تسعى بين يدي نور الشمس ، فالعبادةُ التي

تفعلها مع ملاحظة أنَّك بين يديه ؛ وهو ناظر إليك أفضلُ وتزيد بدرجات .

فإن سألت عن أحوالنا ! ! فنحن بحمد الله في صحَّة وسلامة ، وأنت تجمع شملَ المريدين بقدر الطاقة ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ ، وأوصيكم بالدعاء . انتهى .

مكتوب آخر

وكتب الشيخ المذكور محمد بن حسين أيضاً ، إليه يسأله عن كيفية مراقبة الروح فكتب في جوابه ؛ وعليكم السلام . . إلخ .

فأنت تقرأُ مراقبة الروح ، ثم تنظر إلى الروح ؛ وتقابل روحك بروحهﷺ ، وتستفيض

من روحه فيضَ تجلِّيات الصفات الثبوتية إجمالاً ، وتقف كذلك مستفيضاً . انتهى .

مكتوب إلى العوري ؛ الحضّ على المراقبة

وكتب هو أيضاً إليه رحمهما الله : إلى الأخ المحبوب محمد العوري : سلام كثير عليكم . . إلخ . . ثم المقصودُ الأهمُّ منكم أن تلازموا على المراقبات بقدر الوسع والطاقة ، **فإنها من أفضل الطاعات وأجلِّ العبادات** ، ونتيجَتُها مشاهدةٌ ، وتتبعها مكالمة ومحادثة ، وهي منتهى مقاماتِ أهل الطريقة ، فَعَضَّ عليها بالنواجذ لتفوز بلذَّة الجنَّة المعجَّلة في الدنيا ، وتدخل في دائرة قوله تعالى ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ في العقبى ، **وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء** . فهذا ؛ والسلام . الحقير حسن حلمي . انتهى .

مكتوب تلقين المراقبة

وكتب إليه أيضاً يلقِّنه المراقبة ؛ وهي مراقبة المعيَّة ما لفظه[(١)] :

باسم الله خير الأسماء ، ولله الحمد والثناء ، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ ؛ يَا رَبِّ هَبْ خِرِيَبْ آيَتِلْ مَعْنَى يَلْدَ صَنْ حَصُلْ لِرَبْ فَيْض ﷺ مُحَمَّدْ أَوَرَكَصْدَصَنْ دِرْ رَكَلْدِ شِزِ هَبِ[(٢)] يا مَحْمُودَ الفعال بمحمد ﷺ . انتهى .

تلقين المراقبة

وكتبه إليه أيضاً يلقِّنه المراقبة ؛[(٣)] وهي مراقبة القلب : باسم الله خير الأسماء . . . وإلخ ، (يَا رَبِّ هَدَبْ تَجَلِّيَاتُ الأَفعَال لِرْنْ بُكِبْ فَيْضْ ﷺ محمّد المصطَفَى يصُلْ خِرِيَبْ قَلْبُيَلْدَصَنْ آدَمْ عَلَيْهِ السلامَ صُلْ خِرِيَبْ قَلْبُيَلْدِ شُنْ بُكَنَ ، هِبْ فَيْضْ مَشَائِخْزَبَزُلْ قُلُوبَلْ وَاسِطَيَلْدَلِرْنْ خَصْكُ مَحْمُودْ أَفَنْدِي يَصُلْ قَلْبُ وَاسِطَيَلْدَلِرْنْ دِرْ قَلْبُ يَلْدِ شِزِ هَبِ يَا مَحْمُود الفِعَالِ بِمحمَّد ﷺ) . انتهى .

---

(١) وفي نسخة : وكتب إليه أيضاً يلقِّنه المراقبة الأولى ؛ وهي مراقبة المعيَّة ما لفظه .
(٢) ترجمتها : يا رب ؛ أوصل بركة هذه الآية وفيضها من قلب محمد ﷺ إلى قلبي . (من نسخة أخرى) .
(٣) وفي نسخة : المراقبة الثانية .

وكتب إليه أيضاً يلقّنه المراقبة ؛[1] وهي مراقبة الروح : باسم الله . . . وإلخ ، يا ربِّ هَدَبْ تَجَلِّيات الصفات الثُّبُوتِيَةْ[2] لُنْ بُكِبْ فَيْض محمَّد أَوَرَكْ ﷺ صُلْ رُوحَلْدَ صَنْ نُوحْ وَإِبْرَاهِيمْ عليهما السلامَ زُلْ رُوحَلْدِ شُنْ بُكَنَ ، هِبْ فَيضْ مَشَائِخْزَبَزُلْ رُوحَلْ وَاسِطَيَلْدَلُنْ خَصْكُ مَحْمُودْ أَفَنْدِ يَصُلْ رُوحْ وَاسِطَيَلْدَ لُنْ دِرْ رُوحَلْدِ شِزِهَبِ[3] يا مَحْمُود الفِعال بمحمد ﷺ .

ثم[4] يقفُ منتظراً إلى الروح بمقابلة الروح بروح النبي عليه السلام ، ويستفيض . . .إلخ والسلام ، وأوصيكم بالدعاء . انتهى .

مكتوب آخر

وكتب إليه أيضاً يلقّنه المراقبة ؛[5] وهي مراقبة السرِّ : باسم الله خير . . . إلخ . (يا رَبِّ هَدَبْ شُؤُنَاتُ ذَاتِيَّةْ لُنْ بُكِبْ فَيْضْ مُحَمَّدْ أَوَرَكْ ﷺ صُلْ سِرُّ يَلْدَصَنْ مُوسَى عليه السلامَ صُلْ سِرُّ يَلْدِ شُنْ بُكَنَ ، هِبْ فَيضْ مَشَائِخْزَبَزُلْ سِرُّ وَاسِطَيَلْدَ لُن دِرْ سرُّ يَلْدِ شِزِ هَبِ يا محمود الفعال بمحمد ﷺ)[6] .

وكتب إليه أيضاً يلقّنه المراقبة ؛ وهي مراقبة الخفي : باسم الله . . . إلخ ، (إلهِي يا رَبِّ هِبْ دُرْ صِفَاتُ سَلْبِيَّةَ زْدَصَنْ ، بِهَرَبْ فَيْضْ محمد أورك ﷺ

---

(١) وفي نسخة : المراقبة الثالثة .

(٢) الصفات الثبوتية ؛ هي صفات الله تعالى التي ليس فيها معنى السلب ، فراجع . انتهى عبارته (منه) . (من نسخة أخرى) .

(٣) ترجمتها : يا رَبِّ ؛ فيض تجلي الصفات الثبوتية الواصل من روح محمد ﷺ إلى روح نوح وإبراهيم عليهما السلام أوصله إلى روحي بواسطة أرواح المشائخ خاصة روح محمود أفندي . (من نسخة أخرى) .

(٤) ووجد بخطه قدّس سرّه بعد أن كتب إلى بعض مريديه صورة هذه المراقبة بلفظها الذي أورده هنا ما لفظه : ثم ينظر إلى الروح بخزانة الخيال ، ويقابل روحه بروح النبي ﷺ ويستفيض . . .إلخ . (من نسخة أخرى) .

(٥) وفي نسخة : المراقبة الرابعة .

(٦) ترجمتها : يا رب ؛ أوصل فيض تجلِّ الشؤونات الذاتية الواصل من سرِّ محمد ﷺ إلى سرِّ موسى عليه السلام إلى سرِّي بواسطة أسرار المشائخ . (من نسخة أخرى) .

مُحَمَّدْ أَوَرَكَصُلْ خَفِي يَلْدَ صَنْ ، عيسَى عَلَيْهِ السَّلاَمَصُلْ خَفِيَلْدِ رِشْطُنْ بُكَنَ ، هِبْ فَيضْ مَشَائِخْ زَبَزُلْ خَفِي وَاسِطَيَلْدَ لُنْ ، خَصْكُ مَحْمُودْ أَفَنْدِ يَصُلْ خَفِي وَاسِطَيَلْدَ لُنْ دِرْ خَفِي يَلْدِ رِشْطِنْز هَبِ يا محمودَ الفِعالِ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ ﷺ وآله وصحبه)[١] . والسلام والوصية بالدعاء .

ويقابل قلبه بقلب النبيِّ عليه السلام ، ويقابل روحه بروح النبي عليه السلام حين المراقبة ، كذا في الكتب راجع ، انتهى ، كلها من خط المذكور محمد حفظه الله .

مكتوب إلى أستاذه العسلي يستفسر عن الصفات السلبية

وكتب الأستاذ حسن أفندي إلى أستاذه الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سرهما يسأله ما لفظه :

فقد وقع بيني وبين الحاج إبراهيم في خصوص الصفات السلبية كلامٌ ، فبناءً عليه نطلب من جنابكم أن تبيِّنوا لنا بسنّ القلم ما الصفات السلبيَّة ، وكيف نلاحظها في نفس السالك ؛ وفي نفس غيره ؟ هل نلاحظ كما نلاحظ الصفات الثبوتيَّة ؛ كالعلم – مثلاً – يلاحظ السالك أنّ علمه وعلم الخلق من علم الله تعالى . . . وإلخ . **فافهم** واعفُ وتجاوز ، وكمْ تركنا الأدب معكم أيها الأستاذ ! ! انتهى .

---

(١) ترجمتها : يا رب ؛ أوصل إلى خفيِّ فيض تجلِّي الصفات السلبية الواصل من خفيِّ محمد ﷺ إلى خفيِّ عيسى عليه السلام بواسطة خفيِّ المشائخ خاصة خفيِّ محمود أفندي . (من نسخة أخرى) .

جواب العسلي

فكتب الأستاذ العسوي قدس سره في جوابه ما لفظه :

معاني الصفات السلبية

والمراد من الصفات السلبية صفات الله تعالى التي فيها معنى السلب ؛ ككون الله بلا تحيُّز ولا جسم ، ولا مثال ولا مكان ، ومراد السالك بحضورها نفي الأغيار عن قلبه . والله أعلم ، ولم يعلّمنا مشائخنا في ذلك غير هذا . انتهى .

مراقبة المعية

وكتب قدس سره إلى أسبق أولاده وخليفته من بعده محمد العسوي قدّس سرّه يلقّنه المراقبة ؛ وهي : مراقبة المعيّة ما لفظه : باسم الله خير الأسماء ولله الحمد والثناء ، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله المجتبى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ ، يَا ربِّ هَبْ خِرِيَبْ آيَتَلِلْ مَعْنَى يَلْدَصَنْ حَصُلْ لِرَبْ فَيْضْ مُحَمَّد أَوَرَكَصْدَصَنْ دِرْ رَكَلْدِ شِزِ هَبِ يَا مَحْمُودَ الفعال بمحمّد ﷺ .

وأرَّخ المكتوب إليه قدس سره في هامش المكتوب وقت تلقينه إياه هذه المراقبة بهذا التاريخ ؛ في ٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٠ هـ .

❊ الصفات الذاتية ، والفعلية ، والسلبية ، راجع « الإعانة » ص ٣١٢ ج٤ عبارته ، و« جراب الممنون » ص ١٧١ ، و« أساس الدين » للعالم المحقِّق الحاج عبد الرحمن الأختي من أوائله ، ففيه بيان الصفات النفسية والسلبية والثبوتية . (من نسخة أخرى) .

❊ وأما الجلال والإكرام !! قال العلماء رحمهم الله تعالى : الجلالُ : العَظمةُ والعزة ، والإكرام : الكرمُ والكمال ، ومنه الكريم ، أي : عظم عن التشبيه ، وتعالى عن التعطيل ، ولذلك يقال عز وجل ، أي : عزَّ عن التشبيه وجلَّ عن التعطيل ؛ وهو من صفات الذات . وقال بعض المحققين : لله تعالى صفات سلبية ، كأنه تعالى ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ، وإضافية كأنه عالم سميع بصير ، فالأولى صفات الجلال ، والثانية صفات الإكرام ، وهو معنى ذي الجلال والإكرام . « إزهار » . (من نسخة أخرى) .

❊ والأوجه أن من أنس بالله بحيث صار يأنس بالوحدة ، كأنس غيره بالرفقة عَدَمُ الكراهة ، كما لو دَعت للانفراد حاجةٌ . « ابن حجر » عبارته . أي : عدم كراهة سفره وحده من أول صلاة المسافر . (من نسخة أخرى) .

وكتب إليه أيضاً قدس سرهما يلقِّنه المراقبة ؛ وهي مراقبة القلب : باسم الله خير الأسماء . . إلخ : يَا رَبِّ هَدَبْ تَجَلّيات الأفعالْ لُنْ بُكِبْ فَيضْ رَسولُ أَكْرَمْ محمَّد المصطفى ﷺ صُلْ خِرِيَبْ قَلْبُ يَلْدَصَنْ آدَمْ عليه السلامَ صُلْ خِرِيَبْ قَلْبُ يَلْدِ شُنْ بُكَنَ ، هِبْ فَيضْ مَشَائِخْ زَبَزُلْ قُلُوبَلْ وَاسِطَ يَلْدَ لُنْ خَصْكُ مَحْمُودْ أَفَنْدِي يَصُلْ قَلْبُ وَاسِطَه يَلْدَلُنْ دِرْ قَلْبُيَلْدِ شِزِ هَبِ يَا مَحْمُودَ الْفِعَالْ بمحمد ﷺ . انتهى . وأرخه أيضاً بهذا التاريخ ؛ يوم السبت ١٣ من جمادى الأولى سنة ١٣٤١ هـ .

مراقبة الروح

وكتب إليه أيضاً يلقِّنُه المراقبة ؛ وهي مراقبة الروح : باسم الله خير الأسماء . . . وإلخ : يا رَبِّ هَدَبْ تجلِّيَات الصفات الثُبُوتيَّةْ لُنْ بُكِبْ فَيْضْ محمد أَوَرَكَ صُلْ رُوحَلْدَصَنْ نُوحْ وإبراهيم عليهما السلام زُلْ رُحَزْدِ شُنْ بُكَنَ ، هِبْ فَيضْ مَشَائِخْ زَبَزُلْ رُوحَلْ وَاسِطَيَلْدَلُنْ خَصْكُ مَحْمُودْ أَفَنْدِ يَصُلْ رُوحْ وَاسِطَيَلْدَلُنْ دِرْ رُوحَلْدِ شِزِ هَبِ يا محمود الفعال بمحمد ﷺ ، وأرَّخه أيضاً بهذا التاريخ ؛ يوم الثلاثاء الثالث من ذي القعدة سنة ١٣٤٢ هـ .

مراقبة السرّ

وكتب إليه أيضا يلقنه المراقبة ؛ وهي مراقبة السرِّ : باسم الله خير الأسماء . . .وإلخ : يارَبِّ هَدَبْ تجلِّي شُؤونَاتُ ذاتيَّةْ لُنْ بُكِبْ فَيضْ محمد أورك ﷺ صُل سِرُّيَلْدَ صَنْ موس عليه السلام صُلْ سِرُّ يَلْدِ شُنْ بُكَنَ ، هِبْ فَيضْ مَشَائِخْ زَبَزُلْ سِرُّ وَاسِطَيَلْدَلُنْ خَصْكُ مَحْمُودْ أَفَنْدِي يَصُلْ سِرُّ وَاسِطَيَلْدَلُنْ دِرْ سِرُّ يَلْدِ شِزِ هَبِ ، يا محمود الفعال بمحمد ﷺ . انتهى ، وأرَّخه أيضاً ؛ يوم الجمعة ٣ من ربيع الآخر سنة ١٣٤٣ هـ .

مراقبة الخفي

وكتب إليه أيضاً يلقنه المراقبة ؛ وهي **مراقبة الخفي** : باسم الله خير الأسماء ولله الحمد والثناء والصلاة والسلام على رسوله محمَّد وآله وصحبه

أجمعين : (يَا رَبِّ هِبْ دُرْ صِفَاتُ سَلْبِيَّةَ زْدَصَنْ بِهَرَبْ فَيضْ محمد أورك ﷺ محمد أورَكَصُلْ خَفِيَلْدَ صَنْ عِيسَى عليه السلام عيسى أَوَرَكَصُلْ خَفِيَلْدِ شُنْ بُكَنَ هِبْ فَيضْ أَسْتَارْ زَبَزُلْ خَفِيَلْ وَاسِطَ يَلْدَلُنْ خَصْكُ محمود أفندي يَصُلْ خَفِي وَاسِطَ يَلْدَلُنْ دِرْ خَفِيَلْدِ شَخِزِ هَبِ ، يا محمودَ الفعال بحرمة محمد وآله وصحبه أجمعين) ، ثم ينظر إلى لطيفة الخفي . انتهى . وأرَّخه أيضاً ؛ ١٨ جمادى الأولى يوم الخميس في الريف سنة ١٣٤٤ هـ .

مراقبة الأخفى

وكتب إليه يلقنه مراقبة الأخفى : باسم الله خير الأسماء . . . إلخ : (يارَبِّ هِبْ دُرْ شَأنُ جَامِعْ تَجَلِّي لِيَلْدَ صَنْ بِهَرَبْ فَيضْ محمد أوَرَكْ ﷺ محمد أوَرَكَصُلْ أَخْفَى يَلْدِ رِشْطُنْ بُكَنَ ، هِبْ فَيضْ مَشَائِخْ زَبَزُلْ أخفى وَاسِطَيَلْدَ لُنْ خَصْكُ محمودْ أفندي يَصُلْ أَخْفَى واسِطَيَلْدَ لُنْ دِرْ أَخْفَى يَلْدِ شَخِزِ هَبِ[1] يا محمود الفعال بحق محمد ﷺ وآله وصحبه أجمعين) . انتهى بتاريخ ؛ ٧ من جمادى الأولى سنة ١٣٤٥ هـ ، انتهى . كلُّ هذه المراقبات الست من خط الحلمي حسن أفندي قدس سره ، والتواريخ من خط اليعسوب العسوي قدس سره .

المراقبة الأقربية

ثم إنه وجد بخطه ؛ أي : اليعسوب قدس سره هذه المراقبة السادسة[2] ؛ وذكر أنها كتبها في حجرة الشيخ حسن حلمي بأمره عن خط الشيخ شعيب أفندي قدس سره وهذا صورته :

باسم الله خير الأسماء ، ولله الحمدُ والثناء ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين : (إلهي هِب دُرْ شأنُ جامع تجلِّي لِيَلْدَ صَنْ بِهَرَبْ فَيْض خِرِيَوْ محمّد أورك ﷺ هِصُل أخفى يَلْدِ رِشْطُنْ بُكَنَ ، خِرِيَلْ أَسْتَارْزَبَزُلْ

---

(١) ترجمتها : يارب ؛ أوصل فيض تجلِّي الشأن الجامع من أخفى محمد ﷺ بواسطة أخفى المشائخ ، خاصة أخفى محمود أفندي إلى لطيفة الأخفى عندي . (من نسخة أخرى) .

(٢) وفي نسخة : السابعة .

أخْفَى وَاسِطَيَلْدَلِّنْ هِبْ فَيِضْ دِرْ أخْفَى يَلْدِ چَخزِ هَبِ اَللهْ يا محمود الفعال بحقِّ محمد ﷺ وآله) . انتهى .

معنى الفناء

ووجد بخط اليعسوب قدس سره ما لفظه : وسمعتُه ؛ أي : الأستاذ القحي قدّس سرّه يقول :

إنَّ السالك إذا فني في الله ونسي الموجوداتِ والكائنات سوى نفسه ؛ يقال له : إنَّه فانٍ في الله ، وإذا فنيَ عن نفسه ولم يبق له شعور ما ! يقال له : إنه حصل له الفناء الذي هو عين البقاء ، وبعد ذلك يصير السالك دائميَّ الحضور بحيث لا ينساه تعالى ؛ ولو لحظة ؛ لأنه إذا كان قبل ذلك لا ينسى نفسه ، فكيف ينسى مَن هو أقربُ إليه من نفسه ؟ ! كما قال تعالى ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ وهذه المرتبة هي **نتيجةُ مراقبة الاقربية** . انتهى . والحمد لله .

مكتوب في شرح قولهم : الكل هو

وكتب إليه قدس سرهما جواباً لكتابه : وعليكم السلام ؛ إنَّ ما يقوله بعض الأكابر بما نصُّه : الكلُّ هو ! ! معناه : أنَّ كلَّ ما خلقه الله تعالى وكَوَّنه هو مَظْهر جلاله وجماله ، ومَجْلَى نعوت كماله ، كما أنَّ المرايا الكثيرة إذا قابلها وجهُ الإنسان تكون مظهراً لوجهه ، ولا يخفى أنَّ وجهه لا يكون حالاًّ فيها ، ولا هو متَّحدٌ ؛ فلا حلول ولا اتحاد في هذا وهكذا ؛ فيما مرَّ . فافهم .

وجواب ما كتبت من مشاهدة أفعال الله تعالى في الخلق ومشاهدة ما يتجلَّى بها كأنه جَبْر محضٌ .

اعلم أن أهل السنة فارق مذهبهم من مذهب الجبرية بكونهم يثبتون للعباد كسباً ، أي قصداً ، ففعل الله تعالى إنما يُخلق بعد القصد ، فلا يكون ذلك جبراً ؛ كما لا يخفى . فافهم .

الأولياء على أقدام الأنبياء

وأما ما سألتَ من معنى كون الأولياء على أقدام الأنبياء ! ! فمعناه : أنَّ في كلِّ نُبُوَّةٍ ولاية ، فمن تجلّي الله تعالى بالأفعال يقال له : إنه على قدم ولاية آدم عليه السلام ، وإنَّ مشربَه آدميٌّ ، ومن تجلّى الله تعالى بالصفات الثبوتية يقال له : إنه على قدم ولاية نوح وإبراهيم ، وإنه إبراهيميّ المشرب . . . وإلخ ، ومن تجلّى الله تعالى بالشؤونات الذاتية يقال له : إنه تحت قدم ولاية موسى ، وإنه موسويُّ المشرب ، ومن تجلّى الله تعالى بالصفات السلبية يقال له : إنه على قدم ولاية عيسى ، وإنه عيسوي المشرب ، ومن تجلّى الله تعالى بالشأن الجامع يقال له : إنه تحت قدم ولاية محمد عليه وعلى جميعهم الصلاة والسلام .

ومعنى كون الأبدال السبعة على قلوب الأنبياء السبع ! ! لعل المرادَ منه ما مرَّ والله أعلم ، والسلام ، وأوصيكم بالدعاء ، ولم تتفق الفرصة لبسط الكلام ، وأرجوك أن ترضى بهذا القدر ، وتفهم منه الكثير ؛ وإن قلَّ . (الحقير القحي غفر الله له آمين) . انتهى من خطه قدس سره .

وكتب إليه قدّس سرّهما في بيان معنى : إنَّ كلَّ وليّ قدمه على قدم نَبي . ما لفظه :

أي : إنه يذوق ذوق ذلك النبي ، ويتوجَّه توجُّه ذلك النبي من غير إحاطة بما كان عليه ذلك النبي ، بل يحصل له قسط ونصيب مما كان عليه ذلك النبي . انتهى . وراجع « رماح حزب الرحيم » ص ٩٠ ؛ من هامش « جواهر المعاني » .

ثم كتب بياناً بمَثَل على بيان ما لفظه : يعني مثلاً إنَّ آدم عليه السلام كان تَجلّي ولايته من تجلّيات الأفعال ، فمن حصل له قسطٌ ونصيب من ذلك التجلِّي يقال له :

إنه آدمي المشرب . . وهكذا . . وهكذا ، والسلام ، وأوصيكم بالدعاء . (الحقير القحي) . من خطه قدس سره .

نتيجة مراقبة القلب

وكتب قدّس سرّه ما لفظه : (دِدَ اَبُنَ ژُيَصْ دِرْ مُرَاقَبَه خِسَنَ رُحَلْدِ اَبُنْ دِصَّ خَلْ هَبُنَ إِصُلْ اِصْدَ لِلِبْ بَتِجُ مُرَاقَبَةُ الْقَلْب بِسُنْ هَبز ، دِصَّ أُسْتَرَصْدَ بِزَنَ اِصْ اَبُنَ : اِصُلْ خِيَالْ اِخِدِ اُنِبْ بُكِنَ كُرِ اَبُنْ) ثم وقف متفكِّراً ومتوجِّهاً فقال : إِبْكُ مُرَاقَبَه كِ لِزِ هَبُنْ تِ هِوْ دَهَبْ زَمَنَيْلِ اَبُنْ ، أي : إِبْكُ مراقبة الْقَلْبُيَلْدَ فمن ذلك يعلم أنَّ نتيجة تمام مراقبةِ القلب صعودُ الخيال إلى جهة الفوق . فافهم . (قحي رحم الله إفلاسه) .

ملحوظات في التوجُّه

وكتب قدّس سرّه ولعله إلى ولده اليعسوب قدس سره : وعليكم السلام ؛ أيها الولد المحبوب . . . إلخ ، إنك تفعل المراقبتين على الترتيب ، وتتخيَّل المشائخ والنبي عليه السلام ، كما في الرابطة وقت المراقبة القلبية ، وأما في المعية ! ! فلا تتخيلْ إلاّ ذات النبي عليه السلام ، فإن سَوَّيتَ فيهما في القدر والزمن ؛ فهو حسن ، ولا بأس بالزيادة في واحد منهما . **فافهم** .

وقد اقتصرت في الكلام لضيق الوقت ؛ فلا تَلُم . والسلام .

معنى تجلِّيات الأفعال

معنى تجليات الأفعال : شهودُ الذات المقدَّس في أفعال الخلق وحركاتهم ، كأنّه هو الفاعل والمحرِّك . **فافهم** ، أي : (هِبْ اَللهَ صُلْ أَفْعَالَلْ إِزْطَلِّنْ اَللهْ لِيْ ظَهِرْلِ لِنْ بُكِبْ فَيِضْ دِرْ رَكَلْدِ شِزِ هَبِ)[1] إلخ . انتهى .

وكتب قدس سره إلى العالم العارف عبد اللطيف الكذلكلي الأواري ما لفظه : من حسن إلى أخيه المحبوب عبد اللطيف ؛ سلام عليكم ، وبعد ؛ فبشدَّة قبضي وعدم بسطي وقعتُ في الخطأ في كتبة كيفية المراقبة ، فبناء

(١) و ترجمتها : اللّهم أظهر في قلبي الفيض الذي سببه أفعال الله .

على ذلك آمرك أن تحرق تلك القطعة المكتوبة ولا تقرأه كذلك ، بل الصواب هكذا ؛ باسم الله خير الأسماء ولله الحمد والثناء والصلاة والسلام على رسوله ، محمد وآله المجتبى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ ، (يَا رَبِّ هَبْ خِرِيَبْ آيَتَلْلْ مَعْنَى يَلْدَصَنْ حَصُلْ لِرَبْ فَيْضْ مُحَمَّدْ أَوَرَكَصْدَصَنْ دِرْ رَكَلْدِ شِزِ هَبِ يَا مَحْمُودَ الفِعَالْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ) . ثُم تتخيَّل كأنَّ ذات النبي عليه السلام واقف أمامك نوراً محضاً وتنظر إلى نقطة القلب وتستفيض منه . انتهى . فافهم . فهذا ؛ والسلام وأوصيكم بالدعاء ، انتهى من خطه قدس سره .

وكتب إليه قدّس سرّهما ما لفظه : تذكرة الحقير لولده العسلي الموافقَةُ لحاله ، كان مريدٌ يطلب مرتبةً من الحقِّ يتعلَّق بها للقرب والوصول ، يريد أن لا يظهر فيها نقص ، كأنَّ لسانَ حاله ينادي عليه : لا مطمع لك في دخول حضرة الله تعالى ؛ لأنَّ كلَّ المراتب لا بدَّ لها من نقص ، فليس يظهَرُ الكمال صورة ومعنى وحِسّاً ؛ بريئاً من النقص بكلِّ وجه ، وبكل اعتبار إلاَّ في ثلاث مراتب فقط لا ما عداها ، انتهى « رماح حزب الرحيم » ص ١٣٨ ج ٢ . وهي الرسالة والنبوة والقطبانية . راجع . انتهى .

المعرض عن الدنيا

وكتب اليه اليعسوبي قدّس سرّهما : **والخفيّ أعلى من السِّر ، وأقرب إلى الحق .**

وعلامة صاحب الذكر الخفيّ : أن لا يلتفت إلى الدنيا والآخرة . « بداية الذاكرين » عبارته .

كأنه يريد منه بيانَ هذا الكلام على وجهه ، فكتب في جوابه ما لفظه : أي لا يطلب مَنْ يذكر الله تعالى بالذكر الخفيّ شيئاً من حظوظ الدنيا ؛ كإرادة الثناء والمدح وغيرهما ، لأن الناس لا يطلعون على ذلك الذكر الخفي ، بل لا

* المراقبة : علم القلب بنظر الله إليك ، « كفاية الأتقياء » عبارته . قال الزرقاني : قال بعض السادات : المراقبة علم العبد باطّلاع الربِّ ، يوسف النبهاني من هامش . (من نسخة أخرى) .

يجوز أن يكون إلاّ خالصاً لله . ولا من حظوظ الآخرة ؛ لأنَّ الذكر خفية لا يطَّلع عليه الحفظة فيُكتب ويذكر في مَلأٍ من الملائكة ، والخلق في القيامة . فهذا معنى عدم الالتفات إلى الدنيا والآخرة . لا ما يفهمه من لا يعلم حقيقة الكلام من أن صاحبه يجب أن يكون متجرِّداً عن الدنيا بالكلية .

المعرض عن الآخرة

ومعنى عدم الالتفات إلى الآخرة : هو عدم قصد الذاكر شيئاً من حظوظها ، فإن حظوظ الآخرة كحظوظ الدنيا عند العارفين ، فالعامل لأجل الجنة عاملٌ لبطنه وفرجه . فافهم . والسلام . انتهى .

لطائف الإنسان عشرة

وكتب قدس سره : **وبعد** ؛ فاعلم أوّلاً أنَّ للإنسان لطائف عشرة ، كما أفرد بذلك الإمام الرباني مجدِّد ألف الثاني قدس سره ، وهي على قسمين ؛ خمسٌ من عالم الخلق ، وخمس من عالم الأمر .

اللطائف الخمس الأمرية

القسم الأول : النفس الحيواني ، والعناصر الأربعة ؛ وهي : التراب ، والماء ، والهواء ، والنار . . إلخ . « مسيرة الحكم » عبارته . ولا يمكن تصفيتها – أي : النفس – إلاَّ بتصفية اللطائف الخمس الأمرية ؛ وهي : القلب ، والروح ، والسرّ ، والخفيُّ ، والأخفى . « مسيرة الحكم » عبارته .

النفس الحيواني

وأما **النفس الحيواني** ! ! فهي الجوهرةُ البخارية اللطيفة الحاملة لقوَّة الحياة والحسّ والحركة الإرادية وغيرها ، وتسمَّى الروح الحيواني ؛ فهي جوهر مشرق للبدن ، فعند الموت ينقطع ضوءه عن ظاهر البدن وعن باطنه . « مسيرة الحكم » عبارته .

١ القلب

وأما القلب : فلطيفةٌ ربَّانية مودعة في المضغة المعدَّة منبتة في جميع البدن من الأعضاء والأجزاء بواسطة العروق والعصب ؛ **وهو محلُّ النظر الإلهيّ** ، وإلهام الملك ، وإلقاء وسوسة الشيطان ، كما ورد في الأثر : « مَا مِنْ آدَمِيٍّ إلاَّ لِقَلْبِهِ بَيْتَانِ فِي أَحَدِهِمَا مَلَكٌ ؛ وَفِي الآخَرِ شَيْطَانٌ ، فَإذَا ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ ، وَإذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ يَضَعُ مِنْقَارَهُ فِي قَلْبِهِ وَوَسْوَسَ » ؛ أو كما قال ، وكذا حديث اللمَّة .

٢ الروح

وأمَّا الروح : فلطيفةٌ ربَّانيَّة مدركة منطبعة في البدن مودعة في الكبد ، وقد تكون مجرَّدة مشرقة .

٣ السرُّ

وأما السر : فلطيفة ربَّانية مدركة مودعةٌ في الطحال .

٤ الخفي

وأما الخفي : فلطيفة ربَّانيَّة مودعة في المرارة .

٥ الأخفى

وأما الأخفى : فلطيفة ربَّانية مودعة في الكليتين ، وهذه الكيفية بسبب تعلُّق كلٍّ منهما إلى البدن . « مسيرة الحكم » عبارته .

مكتوب اليعسوب

وكتب إليه ولده المعنوي اليعسوب العسوي رحمهما الله تعالى ورحمنا بهما آمين : إلى والدنا وشيخنا ؛ أبي الفيض والفتوح مربِّي السالكين ومنقذ الهالكين ، شيخي وروحي حسن حلمي النقشبندي الشاذليّ القادري

المجدِّدي : السلام عليكم . . . وإلخ . وبعد ؛ فلما خفي عليَّ كيفيةُ جريان الخط في الألطاف في حبس النفس؛ أهِيَ بمجرَّد التخيل ، أو بمعونة بعض النفس المحبوس تحت السّرّة ؟ وكذا الضرب في القلب بأيِّ شيء يكون ؟ كنتُ نظرت في كتب القوم ؛ لتعلُّم الكيفية المذكورة بلا تعرُّض لسؤالكم حياءً منكم ، وتحاشياً عن تكثير الكلام والسؤال عليكم ؛ فوجدت في كتاب « سلسلة الذهب » ، وشرحه « تحفة الأحباب » أن ذلك الضرب يكون بالنفس الدائر في الجوف . وفي كتاب « تبصرة المرشدين » للشيخ الفاني محمد ذاكر : أن جريان الكلمات من محلّ إلى محلّ بمجرَّد الخيال ، حتى لا يكون لحركة الأعضاء والنفس فيها مجال ، ويكون النفَس محبوساً تحت السرة . انتهى . فبه زاد الخفاء على ما كان قبلُ فلم أجدْ بُدّاً من الالتجاء إلى جنابكم ؛ راجياً منكم إزالة ظلمة الإشكال عنا .

وأيضاً : إنَّ جريان الخط واعتبار النقوش يكون بالتعب والكدِّ إن اعتبر الجريان بنفسه بلا معونة شيء ، فلا أقدر وقتئذٍ أن أذكر في نَفَس واحد إلاَّ إحدى وعشرين مرة في نَفَس واحد ، وأما إذا اعتبر جريان الخط والنقش مع حركة الإصبع ، أو طرح السُبْحة ، كما في اسم الذات فيسهل ذلك ، ويجري الخيال بلا تعَب ولا إكراه ، ويسهل فعله في نَفَس واحد كثيراً ، فإن كان يصحُّ فعله هكذا ؛ فذا نهاية المرام ، وفضلُ الملك العلاَّم .

ثم إن أولادكم المشتاقين للقائكم يشتكون إليَّ بفقدان لباسٍ لائق للقائكم بالأدب ؛ لتوَسُّخه وتدنُّسه بالعرق . . . وإلخ وتخرّقه وتمزّقه بتعذّر تبديله بغيره وتغييره ؛ ولو بالغسل لقناعة المنسوج في قُرانا في هذه الأيام . . .إلخ ، وبفقدان ما يلبس على الأرجل من الخفاف . . .وإلخ ، مع أن كشف الأرجل . . .وإلخ عندكم من سوء الأدب ؛ وإن كان هذا الفقير الحقير الذي لا أدب له عندكم ، ولا شمَّةً يتسامح في هذا المذكور ويدور إلى أبوابكم مرات كرات ، مع الخوف من الطرد والإبعاد ، أعاذنا الله منه ومن كل ما يورث للعبد البعاد ، ومن شرور أنفسنا وأعمالنا ، فالعفوُ عنه وعن كثرة التردُّد إليكم لضرورة العلاج

للأمراض المذكورة مرجوٌّ من سماحتكم وحلمكم يا حلمي ، هذا والسلام من ولدكم المنغمس في الخطايا أسير نفسه محمّد بن نور محمّد العسوي الساكن في « هُؤُرْ » .

فكتب قدّس سرّه في جوابه مختصراً ما لفظه : لا تعارض بين الكلاميْن ، فتدبَّر ثانياً وثالثاً تفهم المراد على وجهه . وأما قولكم (فيسهل) ، نعم يسهل ويجوز لك فعله بالسرعة إن جَرى الخط بلا اختيار . وأما فقدان ما يلبس . . . إلخ فلا بأس بترك هذا الأدب اليسير ؛ **فإنَّ الضرورات تبيح المحذورات** . فافهم .

مكتوب اليعسوب

وكتب اليعسوب إليه نظير تلك الأسئلة مرة أخرى ، فكتب في جوابه مطوّلاً ما لفظه : وعليكم السلام أيها الولد المحبوب أزيد مما أرسلت إلينا بألوف ورحمة الله وبركاته ، فقد كتبت في رسالتك عن شكوى المريدين بفقدان لباس . . .إلخ . فاعلم أيها الولد المرجوُّ للاستقامة ، والمأمول لحوز السلامة : **أن المشائخ يتسامحون في أمثال هذه المذكورات ولا يبالون** ، وقد قال لي واحدٌ من المريدين إنه يستعمل الثوم في الطعام ؛ لأجل أنه دواء لرأسه الوجيع ، ويخاف أن يشم رائحته أرواح المشائخ في حالة الرابطة ، فعرضت قوله هذا على الأستاذ ذي الجناحين[(١)] العسلي قدّس سرّه ؛ فأجاب قائلاً :

---

(١) **قوله** : (ذو الجناحين) هو لَقَبُ سيدنا الحاج عبد الرحمن العسوي قدّس سرّه ؛ الذي لقبه به شيخه قطب الإرشاد الحاج جبرائل أفندي اللكتي الزاخوري قدّس سرّه ، وقد يلقبون بذلك اللقب على من ارتقى إلى الولاية العليا . راجع « تبصرة المرشدين » (حسن أفندي قدس سره) .

ثم اعلم أن السير في الولاية الكبرى في الاسم الظاهر ، وهو جناحٌ واحد ، فلا بدَّ من تحصيل جناح آخر للطيران ؛ وهو :السير في الاسم الباطن الذي هو ولاية الملإ الأعلى المسمىَّ بالولاية العليا . « تبصرة المرشدين » عبارته للشيخ محمد ذاكر الجسطاوي خليفة القطب محمود أفندي ، قدّس سرّهما آمين في « بُلْغَارْ وَقَازَانْ » .

وعلم من هذا ، ومن تسمية مرشد الخلائق الحاج جبرائل أفندي على مرشدنا المطلق عبد الرحمن العسوي – رحمه الرحمن الأبدي – بذي الجناحين كونه قدس سره العزيز على هذه

لا بأس بذلك ، أليست روائح الأوساخ والعرق أزيدَ من هذا ؟ ! أو أقرب من هذا . ومن المعلوم أن **المشائخ مجبولون على الرأفة والرحمة والرقَّة ، فإذا رأوا المريد وعليه الثياب البذلة المرقَّعة نظروا إليه بعين الرأفة ، والرحمة ، والرقة ، ويلتفتون إليه بجمع الهمة أكثر ممن يلبس الأثواب الرفيعة الغالية ، فيكون ذلك سبباً لوصول الفيض والبركة ، فإن الفيض مثل الماء ينحدر سريعاً إلى جهة السُفل ، والمريد يكون قلبه منكسراً إذا كان عليه اللباس المرقعة ،** والله تعالى يقول : « أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي » ؛ كما هو عين الحديث القدسي . فافهم ، والله تعالى يتولَّى هداك .

وسألته أيضاً عن جريان خطوط النفي والإثبات ، وكون جريانه ثقيلاً إلاَّ مع إعانة شيء من الحواس ، كرفع الإصبع ، وتحريك الرأس . . . وإلخ وإلخ .

اعلم أيها الولد أنَّ ما قلتَ ونقلتَ من « تحفة الأحباب » ؛ من أنَّ الضرب يكون بالنَفَس الدائر في الجوف ، ومن كتاب « تبصرة المسترشدين » من أنَّ جريان الكلمات من محل إلى محلٍّ بمجرد الخيال حتَّى لا يكون لحركة الأعضاء والنفس فيها مجال ، ويكون النفس محبوساً تحت السرة . انتهى .

أيُّها الولد ؛ إني لا أرى التعارض بين كلاميه ؛ وإن توهَّمتَ المخالفة بينهما ، لأنَ المراد بالنفس الدائر في الجوف أن يكون بالخيال ، ويكون الضرب أيضاً بقوَّة النفس الدائرِ بالخيال ، وإنَّ المراد من كلام « التبصرة » حتى لا يكون لحركة الأعضاء والنفس فيها مجال ، هو النَفَس الخارج من الفم والأنف ، لا النفس المحبوس الدائر بالخيال ، فلا مخالفة . **فافهم** .

الولاية ؛ أي : الولاية العليا . تدبَّر ، ولا يكن في قلبك إنكارٌ ، والسلام . (حسن أفندي من خطه قدّس سرّه .) (من نسخة أخرى) .

تحريك الأعضاء ليس قاعدتنا

وأيضاً ليس تحريك الأعضاء من قاعدة هذه الطائفة ، إلا أنهم يحرِّكون الإصبع بالسُبحة . وأما سائر الأعضاء فتحريكُها ممنوعٌ ، وأنَّ جريان الخطوط بالسرعة والبدار بلا تَكلُّف ، فالظنُّ الغالب هو الجواز ، فكيف لا ؛ وقد سمعت شيخنا يصرِّحُ بجوازه ! ! ويقول : إن ذلك من النتيجة .

وقد كنتُ أجد جريان الخط يدور كالرَحى وقت الانتباه[1] من النوم ، وحينئذٍ يجوز أن يفعل النفي والإثبات بالسرعة ؛ كلفظة الجلالة ، حتى إنِّي كنتُ أقدر أن أفعل في نَفَس واحد أكثر من ثمان مائة ، ومن المريدين مَن يقدر على أكثر من ألف .

الاشتغال بالحاصل بالذكر

أيّها الولد ؛ إنْ حصل الذهول والغيبة أثناء الذكر تترك الذكر ، وتشتغل بالحاصل ، ولا تنقضه بالاختيار ، بل تدومُ عليه وتصبر ، فذا هو المقصود من الذكر ، فإن قدرت على حفظ الحضور ساعة ؛ أو ساعتين ! فذا علامة تمام دائرة الإمكان ؛ وهو علامة حصول نتيجة المراقبة الأحديَّة ، وهي منطوية في حَبْس النفس عند الشيخ محمود أفندي قدس سره ؛ كما شافهني به شيخنا العسلي قدس سره ، فتلاحظ حينئذ كأن نقطة القلب كإنسان العين ، وعليها نور أخضر كالدائرة ، وتقف على الحضور ناظراً إليه بالخيال . فافهم .

وأخبر واحدٌ لدى الأستاذ العسلي رحمه الله : بأن أَبْدَلَّوْ القحي قال : هل يجوز جريان الخطوط بالسرعة ؟ لأنه كان يقدر على ذلك بلا اختيار ولا تكلُّف .

فقال الأستاذ : جُدَ زَلْ كُطِ أَبِ أَبْدَلَصْدَ . انتهى ما أخبرني به ذلك الواحد من المريدين .

وكان أَبْدَلَّوْ المذكور يقول : لو أنه لا يجوز جريانه بالسرعة لما حَصَل للقلب الحرارة ؛ أي : قال بلغتنا : إِبْ ذِكْرُ خِخْ هَبزِ بِهُلَرِبْ جُ بُكِبْ أَنِ رَكَلِ بُحِ

(١) الاستيقاظ . (من نسخة أخرى) .

بَچِنَرُ أَنْ إِلْطَلُنْ إِبْ بُح ژَاقْ بَچُنَ إِدِنْ هَبُرَبْ مِخَلِ . وكان يقول : أَزَرَلْدَ ژُ (لا إله إلا الله) أَبِز كُلَ دِدَ ژُ حُكَّلَلِ[١] . انتهى .

هذا ؛ ولم تتفق الفرصة لتفصيل المراد ، وتبيين الجواب بأكثر من هذا ، ولعلك تفهم المراد ، والسلام . وأوصيكم بالدعاء .

جواب إلى اليعسوب

وكتب إليه ؛ أي : إلى اليعسوب قدّس سرّهما ما لفظُه : وعليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته . فقد سألتُ شيخنا قدس سره عما سألتني في حقِّ المراقبة ، فأجابني بهذه العبارة : (مُراقَبَيَلِ زَمَنْ هِچُ ذِكْرُ يَلِ[٢] عَدِنْ) يعني : أن المراقب يكون دائماً قياماً وقعوداً وعلى كل حال ؛ كأنه بين يدي الله تعالى يعلم سرَّه ونجواه ، وأنه ساع في نظر الله ونوره كما يسعى في نور الشمس .

ترك الرابطة للمراقبة

وأما الرابطة في حقِّ المراقب ، فقد قال لي شيخنا مرة : إني كنتُ أتردَّد في جواز ترك الرابطة للمراقب وعدمه ، حتى رأيت جبرائيل أفندي قدس سره وأنا أضطجع معه ؛ أعانقه ويعانقني ، فقال لي قدس سره حينئذ : يا ولدي ، إن الرابطة شيءٌ وَرَد من السيّد الحسين رضي الله تعالى عنه ؛ فلا يجوز تركه . انتهى . ثم قال : أي : شيخنا رضي الله عنه : لا يجوز ترك الرابطة إلى أن يحصل الفناء في النبي عليه السلام . انتهى .

---

(١) وترجمتها بالترتيب : قل لِأَبْدَلَّوْ ليضرب فرسه بالسوط . وذلك مثال عن سرعة الذكر . وكان يقول : فإني أستطيع أن أقول في نفس واحد ألف مرة ومرة بـ (لا إله إلاّ الله) . لو كان لا يجوز ذكر القلب بالسرعة لم يكن للقلب حرارة عند ما نذكره تعالى بسرعة . (من نسخة أخرى) .

(٢) وفي نسخة ؛ هِچِبْ عَدِنْ .

الرابطة قبل المراقبة

فاعلم أيها الولد : أن تقديم فعل الرابطة قبل المراقبة مستحسن[١] ، وقد صرَّح بذلك الشيخ محمد ذاكر في « تبصرة المرشدين » فراجعه .

الوقوف وقت المراقبة

وكيفية الوقوف وقت المراقبة : أنك تقرأ مقدمة المراقبة ، ثم تنظر إلى نقطة القلب ، وتلاحظ كأنَّ النبي عليه السلام واقفٌ أمامك ، وتستفيض من الله تعالى وصولَ الفيض الحاصل من تلك الآية الشريفة ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ بواسطة ذات النبي عليه السلام ، وتلاحظ ذاتَه نوراً مجرَّداً ، وأما الخطاب بـ (يا محمود الفعال) فهو إلى الله تعالى ، لا إلى غيره .

ذكر اللسان للمراقب

ويجوز للمراقب ذكر اللسان وغيرهُ من جميع العبادات ؛ كقراءة القرآن ، لكن يلاحظ في كلِّها كأنَّه بين يدي الله تعالى وهو ناظر إليه من جميع الجهات ، **وإذا نظر إلى أيِّ شيء يلاحظ كأنَّه متواضع في نظر الله ، ساكن من هيبته تعالى** ، وذكر اللسان بـ (لا إله إلا الله) يعين على حصول نتيجة المراقبة . كذا قيل .

حبس النفس للمراقب

وأما الذكر بحبس النَفَس ! فالقدر الذي أمرني به شيخنا هو ألف مرَّة في المَلَوين[٢] ، ومعلوم أن الزيادة مطلوبة لمن أطاق ما أمكن ، فهذا ، والسلام ، والوصية بالدعاء .

---

(١) أخبرني أخي محمد بن سليمان الأواري : أن الأستاذ الحقي قدس سره قال له : لا تترك الرابطة قبل المراقبة حتى يحصل الفناء في النبيّ ﷺ ، وإن فعل المراقبة بعد كل صلاة يفعل قبله الرابطة . انتهى . (من نسخة أخرى) .

(٢) الليل والنهار .

ولو قرأت مقدمة المراقبة في كلِّ مرة من الغفلة إذا طرأت ! يكون حسناً ، كما إذا غفل الذاكر عن ذكر الله يكون له خيراً أن يقول : إلهي أنت مقصودي . . إلخ . وأنت تكتب إلينا كلَّ واقعة ، وإن قلَّت ، ففيها سرٌّ وحكمة . فافهم .

وأيضاً كان شيخنا يقول لي : لو قرأت المراقبة حين تمشي فنظرت إلى القلب واقفاً زمناً يسيراً يكون خيراً . انتهى .

مكتوب إلى اليعسوب

وكتب قدّس سرّه إلى اليعسوب أيضاً قدّس سرّه جواباً لكتابه : وعليكم السلام وفَّقك الله لما يرضى آمين ، إنك تدوم على الذكر إلى أن يحصل لك الحضور والغيبة والذهول ، فإذا حصل ! تدوم على الوقوف القلبي ، ويصحُّ لك النظر إلى كتب السلوك أحياناً إذا طرأ عليك السآمة . فافهم . وأوصيك بالدعاء . انتهى من نسخة حلمي قدّس سرّه .

وكتب اليعسوب قدس سره بهامش هذه الرسالة : وردَ إليّ هذا الجواب ؛ وأنا في السلوك . انتهى .

مكتوب في جواب اليعسوب

وكتب قدس سره إليه أيضاً جواباً لكتابه : وعليكم السلام أيها الولد ؛ المرجوُّ لحوز السعادة ، فقولكم : هل تصح المراقبة في الصلاة ؟ .

المراقبة في الصلاة

فالجواب : حاصلُ المراقبة أن تعبد الله تعالى كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه . . . إلخ . . ، فإذا كان كذلك ؛ فالمراقبة تكونُ في كلِّ عبادة ؛ صلاة كانت ؛ أو غيرها ، فصلاة واحدة مع المراقبة أفضل من كذا وكذا مرَّة من الصلاة بلا مراقبة .

اعتبار ذات النبي ﷺ نوراً

وقولكم : هل يصحُّ اعتبار صورة النبي عليه السلام نوراً مجرَّداً وقت الصلاة ، أم لا ؟ .

فالجواب : إن المراد من اعتبار ذات النبي عليه السلام هو الاستمداد من ذاته لوصول الفيض الحاصل من الآية الشريفة ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ ، وإذا وقف المريد مستمداً كذلك يحصل له الفيض بفضله تعالى ، ويشهد كأنه مستغرق في نور نظره تعالى ، ولم يقل شيخنا قدس سره باعتبار كونه ﷺ نوراً وقت الصلاة ، لكن المصلي يراقب ويلاحظ كأنه بين يديه تعالى ، وهو ناظر إليه ويعلم سرَّه ونجواه ، وظاهره وباطنه ، وخواطره وهواجسه . ومن المعلوم أن جميع ما يفعل المصلي في الصلاة هو ما فعلهُ النبي عليه السلام ، وإذا كان المصلي يفعل ما كان ﷺ يفعله فمشاهدته حاصلةٌ لازمة لا ينفكُّ عنه مَنْ يصلي بالحضور . وأما الغافل ! فهو بمعزل عما ذكر .

خاصيّة المراقبة

هذا ! والحياءُ والهيبة ، بل وقطع القراءة وقتاً والسكونُ من خاصيَّة المراقبة . **فافهم** . انتهى .

مكتوب آخر لليعسوب

وكتب إليه أيضاً قدس سرهما : وعليكم السلام ؛ أيها الولد المرجوُّ أزيد . . إلخ .

حكاية عن الفناء

أما جواب حصول الفناء في الصلاة ، وجهل ما فعل فيها ! ! فيؤخذ مما قال لي شيخنا العسوي قدّس سرّه ؛ سمعتُه يخبر : بأن إسماعيل السواكلي كان مأذوناً من جمال الدين الغموقي قدس سره ، وأن محمود أفندي طلبه

إليه ، فلم يجئ لديه معلّلاً بأن شيخه كان قطباً ؛ فلا يذهب لدى سواه ، ثم إن محمود أفندي أرسل إليه أنه إن لم يجبْه ولم يجئ إليه ؛ يجيء هو إليه ، فبعد اللتي واللّتيّا جاء إليه إسماعيل المذكور ، فحالما وصل لديه توجّه إليه محمود أفندي فصار مغشيّاً عليه وفانياً ، فرأى كأنه في طرف عال يكاد السقوط ، فنادى شيخه جمال الدين ؛ فحضر لكن وقف بعيداً ، ثم نادى الشيخ محمود أفندي ، فحضر حالاً ، ونجّاه من السقوط ، ثم بعد مدة أفاق ، فأمره محمود أفندي بالوضوء ، وسأله عن الواقعة فأخبرها ، ثم إن محمود أفندي قال له : يا ولدي إن جمال الدين قال لك : إني آخر الأقطاب في « الداغستان » وأنا أسبقُ منه في القطبانية . أو ما هذا معناه .

هذا[1] ! وقد رأيت سؤالاً وجواباً في حقِّ نقض الوضوء حالةَ الفناء في كتاب ، بيد أني في حال كتابتي هذه في الريف المعلوم ، فلم يكن لي إمكان لكتابة ذلك ، وأرجو من الله أن ييسر لي إرساله وإيصاله إليك .[2]

وأما جواز الخروج إلى المفازة ، والنظر إلى الأشياء و . . .إلخ ! ! فجائز ، بيدَ أن المقصود من النظر إليها انعكاسُ أحوالها لا مجرّد النظر إليها ، فالمراقبة ودوامها أولى إن أطاق إدامتها ، فإن حصل القبض ! ! فالنظر المعلومُ وطلبُ انعكاس حضور ومراقبةُ الأكوان مطلوبٌ .

---

(١) وهذه الحكاية ذكرتها في « سراج السعادات » وليس هو عندي في الحال ، ولا آمن من نسيان بعض ما فيها . فراجعه . (منه قدس سره) ، (هامش الأصل) .
(٢) راجع « الحدائق الوردية » ص ١١٠ ، و« غاية تلخيص المراد » من أواخره . (هامش الأصل) .

الرابطة لنفس الشيخ

وأما الرابطة بنفسي ! ! فالعياذ بالله . . . ثم العياذ بالله ، فقد أمرني شيخنا العسلي قدس سره بمنع المريد عن ذلك مراراً ، وطلب مني أن أكتب إلى مَن يأمر من الشيوخ بالرابطة إلى نفسه ببيان عدم جواز رابطة نفسه(١) . فافهم ، والسلام .

فالحاصل أن المطلوب المقصود في حال سلوكك دوامُ المراقبة ليلاً ونهاراً . فافهم . انتهى .

مكتوب في علاج مريد يتألَّم وقت المراقبة

وكتب إليه اليعسوب قدس سره : أن واحداً من المريدين يشتكي بتألُّم لطيفة قلبه ولطائفه كلَّ وقت إن دام على المراقبة ، فنرجو منكم الإجابة ببيان ما نفعل لأمثاله ، والسلام ، وأوصيكم بالدعاء .

فكتب الأستاذ في جوابه ما لفظه : إن تلك الحرارة كانت تحصل لي ، وكنت أريد حصولها ؛ لأنها أثر المراقبة ، وأمَّا إن اشتدَّت الحرارة في لطائف المريد ! ! فعلاجه تقسيم الاستغفار وعدمُ إتيانه على التوالي في مجلس واحد .

الحرارة من الاستغفار والبرودة من الصلاة على النبي ﷺ

وقد قال شيخنا قدس سره : إن الاستغفار يحصل به الحرارة ، وإتيان الصلاة على النبي ﷺ يحصل به البرودة ، وسمعته رضي الله عنه يقول أيضاً : (رُوحْ عِمِرْ بُحِزِ تِزِ بِهْلَرُ خَدُرْ حَلْطُلِلْ لَطَائِفَلْ حَلْطُلِلْ لَزِ تُلَرُ)(٢) ، أو ما هذا معناه .

---

(١) وهذه المسألة قد تاهت فيها بعض أدعياء النقشبندية في عصرنا ، فأمروا مريدهم بالرابطة مع أنفسهم ، حتى أنه داخلها شيء من الشرك الداخلي للشيخ ؛ بربط المريد به وقطعه عن الله تعالى . فانبرى لهم آخرون ومنعوا ذلك أشدّ المنع ، حتى بالغوا ؛ فأنكروا الرابطة أصلا مع ادعاء التزامهم بالطريقة ، فوقع الطرفان في بعضهما ، وقامت منازعات حادَّة وخصومات جائرة ، ولم يتحقق الفريقان في الوقوف على جادَّة الصواب لمعنى الرابطة وحقيقتها . وقد حاول آخرون الردَّ على المنكر ؛ ولكنهم لم يعوا ضلال المتشدِّد ! ! فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . (من نسخة أخرى) .

(٢) وترجمتها : لا يجوز ترك زيادة حرارة الروح كثيراً ، لأنها تمنع معرفة عمل اللطائف بعدُ .

فالعلاج لذلك : أن تأمُر من اشتدَّت عليه الحرارة بفعل الأذكار في مجالس ؛ لا في مجلس واحد ، وتقسيم الاستغفار . أي : سُ سُ نُسْكُ مِخْ مِخَلْدَ هَبِلَ[١] . فافهم ؛ والسلام ، وأوصيكم بالدعاء . انتهى .

ترك الجلالة للنفي والإثبات

وكتب قدّس سرّه إلى بعضهم[٢] ما لفظه :

وأما الذكر بلفظة الجلالة ألفاً في كلِّ لطيفة ! ! فالقاعدة : أن يترك إذا لُقنَ النفي والإثبات بحبس النفس . انتهى .

وكتب قدّس سرّه إلى حسين المحمد ؛ وهو في « غزانش » :

إلى ذلك الأخ المحبوب حسين المحمد سلام عليكم وبعد ؛

فإني علَّمت أخانا قمر الدين كيفية النفي والإثبات بحبس النفس ، لكن لما كنتُ جاهلاً بلغة السهل عوَّلتُ أمره إليك ، فأرجوك أن ترشده إلى ذلك الطريق ، وأن تقول له : إنه يجب عليه أن يقول أولاً : (لا إله إلا الله) مع حبس النفس (ثلاث مرات) ، فإن أطاق ؛ فخمس مرات ، وإن أطاق ؛ فسبعاً ، وهكذا إلى إحدى وعشرين مرة ، ولا يرتقي إلى ما فوق ذلك إلا بإذني .

فالحاصل : ينبغي لك أن تعلِّمه أركان ذلك الذكر وشروطه كما عَلّمتك من قبل . فافهم .

وقد وقع في الحال عينُ ما كان سيف الله قدس سره يقوله بكشفه . فلِلّهِ الحمد والمنة . انتهى .

مكتوب إلى عمر الأواري

وكتب قدس سره إلى شيخي الفاضل الحاج عمر الطبيب الشهير الأواري الخنزاخي رحمه الله تعالى جواباً لكتابه :

---

(١) وترجمتها : أي : يفعلها مائة بعد مائة ، أو خمس مائة في كل مرة .
(٢) أي : مريديه .(من نسخة أخرى) .

في الكشف آفات كثيرة

وعليكم السلام أيها المحبوب الحاج عمر ، فأنت أيها الأخ تكتب إلينا الآية التي تقرأها في حالة الفناء والذهول ، وأيضاً تكتب المنامات والوقائع ، ولا تقلِّل الأكل ، بل اعتدل فيه لئلا يحصل لك الكشف ؛ ففيه آفات كثيرة معلومة عند أهله .

بفتور المراقبة الرجوع إلى الذكر

وأيضاً إن طريق المراقبة أعلى من طريق الذكر بمراتب ، وإكثار المراقبة أولى لك وأحرى ، فإذا حصل لك الفتور في المراقبة ؛ فارجع إلى الذكر بحَبْس النفس حتى يحصل لك الحضور ، فبعد ذلك تدوم على المراقبة على الترتيب .

المراقبة مع العبادات

وأيضاً إن لك سعة في إتيان جميع العبادات ؛ يجوز لك قراءة القرآن ، وإقامة الصلاة النافلة ، وقراءة الأحزاب والأدعية ، لكن لا بدَّ لك أن تراقب وتلاحظ في جميعها كأنك بين يدي الله تعالى ، وأنه ناظر إليك مُطَّلع على خواطرك . فافهم .

رقية للمريض

ثم إنّي أجزتك أن تقول على المريض (يا سلام) مائة وعشرين مرة ، ثم تبصق عليه مع النفخ ، فلعلّه يشفي إن شاء الله . فافهم . والسلام .

مكتوب آخر إلى الأواري

وكتب إليه أيضاً ما مختصره : وعليكم السلام من الملك العلام .

طريق المراقبة أعلى وأنفع

أيها الأخ المحبوب الهمام الحاج عمر الأواري ؛ إني وجدتُ هذه الوقائع كلها من المبشرات ، فعليك بملازمة الذكر ، ومداومة الفكر والمراقبة ؛ لتحوز ثمرات تلك الأشجار ونتائجها ، واعلم أن طريق المراقبة أعلى وأنفع لأهل الجذبة من طريق الذكر ، فدم عليها لعلَّ الله تعالى يجعلك من أهل الخصوص ، ويجنِّبك من كُدُورات أهل الفتور ، وأرسل إليَّ مثل هذه الوقائع بعدُ لأنظر في تأويلاتها . فافهم ، واستغفر للكاتب الحقير المرشد الناقص (حسن) .

سبب المجيء إلى المرشد

وأما أمر المجيء لدي ! فلك الخيار متى شئت ، لكن لا يجب عليك إلاَّ إن طرأ عليك حالٌ جديد لا تعرف سبَبه ، أو حصل لك كشف لا تطيق أن تدفعه .

مراد جميع السادات عدم الكشف

فالحاصل : أن عدم ظهور الكشف هو مرادُ الفقير ، بل هو مراد جميع السادات ، وقد انقطع كثيرون عن الله في مقام الكشف ، فالعياذ بالله ، والسلام ، وأوصيك بالدعاء . انتهى .

مكتوب آخر للأواري

وكتب قدس سره إلى العالم الحاج عمر الطبيب الشهير الأواري شيخ جامع هذه الرسائل رحمه الله ما لفظه : السلام عليكم ، أيها المحبوب المقبول الحاج عمر ، وعلى أهل بيتكم ؛

فأنت أيها الأخ المحترم تلازم المراقبات وتُكثِرها ، فإن طريق المراقبة أعلى وأفضل من طريق الذكر بدرجات ، كما هو مذكور في « المتممات » ؛

مع الذهول والغيبة

فإن حصل لك الذهول والغيبة ؛ فدُم على ذلك ولا تخرج منها بالاختيار ، بل الزم على الوقوف القلبيِّ في كلِّ حالة ، فإن الوقوف من أهم المهمات عند أرباب العناية الإلهيّة ، فلو خلتِ العبادات عن الوقوف القلبي فهي كصورة بلا روح .

تزاحم الخواطر

وإن تزاحمت الخواطرُ على وسط القلب ؟ ! فعليك بإكثار الذكر بحبس النفس على الوجه المعروف عندك ، فإن طرأ عليك الفناء ؛ فذا هو المرام .

تقييد المنامات

وإن رأيت شيئاً ما من الوقائع المنامية فقيّدها بالقلم ، ولا تتركها تنسى ، وأيضاً تلاحظ في كلِّ وقت كأن شيخنا محمود أفندي معك لا يفارقك ، فإنه رفيقُك في السلوك وحافظُك من الوسواس .

علاج الجوع : يا صمد

فإن حصل لك الجوع المفرط ؛ فقل : (يا صمد) وكرّر هذا الاسم المبارك .

وأيضاً يجوز لك أن تدوم وتبقى في السلوك والرياضة إلى مضيّ عشرة أيام من شوّال ؛ إن كنتَ دخلتَ فيه أول ليلة من رمضان ، وإن كنت دخلت فيه بعد مضي عشرين يوماً من شعبان ! ! فيجوز لك الخروج منه يوم العيد .

المراد من السلوك

ثم اعلم أيها الأخ المأمون في السر المصون أنَّ المراد من السلوك حصولُ الحضور القلبي ، وانقطاع الخواطر ؛ لا مشاهدة الصور والأشكال المتنوعة ،

فحفظ الأنفاس من الخواطر عينُ المقصود ، والاجتناب عن الغفلة من أعظم العبادات ، فإن نفساً واحداً بالحضور خيرٌ من دوام العبادات في ظرف ألف سنة بلا حضور ، فقد سلك واحد في الخلوة سنة كاملة ، ولم يحصل له كشف مّا ، فقال لأستاذه : إني دخلت الخلوة سنة ولم أرَ شيئاً مَّا ! ! فقال له شيخه : إني لم أرَ أحداً أكثف منك ، فقد وقَّفتك بين يدي الله تعالى سنةً كاملة ، فأيُّ كرامة أعظمُ من الوقوف بين يدي الله تعالى سنة كاملة ! ! فانتبه المريد . انتهى .

شرط الخلوة

وعدم دخول الغير في الحجرة التي أنت فيها مُخْتَلٍّ شرطٌ من الشروط ، فينبغي لك أن لا تترك أحداً يدخل فيها ؛ سواء من العيال أو . . . إلخ ، فإن قلبك يتكدّر بدخول الغير فيها . فافهم .

ثم إني أرجوك أن لا تنساني وأولادي في الدعوات ، والسلام من الفقير المعلوم .

مكتوب العرادي مستفهما عن مؤلف مرشد

وكتب إليه قدس سره العالم الفاضل الشيخ أدرة العرادي : إلى محبوب قلبي . . إلخ . لما حضر لدينا المرشد الحاج شافع الخشدادي ، ورأيت تصنيفه ، وما بيَّن هو فيه من المقامات الرفيعة والكرامات العظيمة والأذواق العجيبة . . . إلخ أرسلتُ إليك لتجيب بما بدا لك في حقِّه ، والسلام من تراب الأقدام أدرة العرادي .

جوابه للعرادي معرِّضاً بالمسؤول عنه

فكتب في جوابه : وعليكم السلام أيها الأب المحبوب أدرة ؛ فلقد سرَّني كتابكم هذا ، وزاد به شوقُنا إليكم . . . إلخ . وفهمتُ مضمون مكتوبكم ، وبما أني في قبض مشدَّد ، وثقل مزيد وأعذار متراكمة ؛ لم يكن في الإمكان أن أحضر لديكم لرؤية وجوهكم الوجيهيَّة ، وللقاء ذلك المرشد النقشبندي ، وأوصيكم بالدعاء والاستقامة .

الاستقامة والعبودية الخالصة هما الكرامة

ثم اعلم أن الكشوفات السفلية طبيعيَّةٌ غيرُ مقبولة ، وأن الاستقامة والعبودية المحضة هما الكرامة العظمى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ . وقد تُظهرُ الرياضاتُ كشوفاتٍ كثيرةً ، لكن لا يعمل بها ، ولا ثقة بالإلهامات والهواتف لجواز أن تكون من إلقاء الشيطان ، وقد يشهد لذلك قوله تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ الآية ، فهذا في حياته ﷺ ، وفي مجلس أصحابه الكرام ؛ فكيف يكون الأمر في هذا الزمان ! ! فافهم ، وافهم . **والجهل يُردي بالرجل إلى الهلاك كثيراً** . والسلام . انتهى .

تتمة الشكوى منه

وكتب إليه ولده الأسبق ، وخليفته الموفق محمَّد ابن القاضي نور محمّد العسوي قدس سرهما ما لفظه : السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، وأدامكم الله تعالى على ما فيه سعادة الدارين وبعد . . . إلخ .

ثم إن هذا الحامل(١) أخبرني أنه كان ذاهباً لدى ذلك الرجل المعلوم المأذون منك للتلقين والإرشاد ، ولقَّن الأذكار على لطائفه بأسرع زمن إلى أن يلقن الذكر بحبس النفس ، ثم لما وصل إليه مرة أخرى لقَّن الذكر على اللطيفة الأخفى ، وأمره بوصوله وحضوره لديه مرة أخرى من خمسة أيام ، فحضر لديه كما أمر ، فبدَّل ذكره وقتئذ من الأخفى إلى لطيفة النفس ولطيفة الجسد معاً .

---

(١) أي : حامل الكتابة .

❊ والعبودية أفضل من العبادة ، والفرق بينهما ؛ أن العبودية أعمال القلب والعبادة أفعال البدن . من نسخة العالم المرحوم محمد الكبير . . . رحمه الله تعالى على يدي سنة ١٣٩٦ صفر ٢٧ . (من نسخة أخرى) .

❊ وقال : أنت عبدي ورسولي سمّيتك المتوكِّلَ . .إلخ . – أي الخارج عن هوى نفسك في جميع أنفاسك إلى مرضاتي ومقام العبوديَّة هو أعلى المقامات ، والمتوكل الذي اعتمد على الله في تدبيره شؤونه . (من شرحه له رحمه الله) – . (من نسخة أخرى) .

ورأيت كثيرين غيره قد أتمُّوا أذكار لطائفهم في أسرع وقت بتبديله الأذكار من مُدَّة ثلاثة أيام ، ومثل هذا لم أر منكم ! ولم تأذن لي في ذلك ، فبذلك تحيَّرتُ في حقِّه !؟ كيف يصحُّ منه هذه الوظيفة التي لم يسمع من شيخه ؛ ولا من شيخ شيخه ؟! فأرجو منكم إزالة هذا التحيُّر والإشكال ، والسلام من ولدكم المفلس ، رحم الله إفلاسه .

فكتب في جوابه : وعليكم السلام أيها الولد المحبوب المرجو للاستقامة . . . إلخ .

جواب الشكوى

إن هذا الرجل قد أقامه شيخه في الخلوة بـ « أشترخان » مع الحاج حبيب الله ، والحاج محمد الهؤري ، فلقَّنهم ذكر اللطائف في أسرع وقت ، ولعله أخذ هذه الوظيفة ، مما فعله معه شيخه ؛ ولم يَرَ ما في « تبصرة المرشدين » ؛ من أنه **ينبغي للشيخ أن يربِّي المريد في كلِّ لطيفة سنة ؛ أو ستة أشهر** !! مع أنه لم يأمره ، ولم يأذن له في تلقين ما فوق القلب ، وقد أرسل إليه رسالة بهذا ، وكان ذلك الرجل غفر الله له يقول : إنه يرى أنوار اللطائف ، ويجوز أن يظهر أنوار لطائفه حين التوجُّه ، فظنَّ أنها أنوار لطائفه والله أعلم . ولي عدَّة سنين من منذ رأيته . هداه الله إلى ما فيه صلاحه . آمين .

وقد رأيت واحداً قد لقَّنه شيخنا ذكراً على جميع اللطائف بتوجُّه واحد ، وذلك لكونه مستعدّاً . فافهم . انتهى من خطه قدّس سرّه .

مكتوب العوري من « غزانش » في معالجة مريد

وكتب إليه قدس سره بعض أكابر مريديه وهو الشيخ حسينل محمد العوري حفظه الله ؛ وهو مقيم « بغزانش » : أستاذي ؛ إني سمعت أن نَفِيسَة الغموخية قالت : إنها لا يمكن لها الذكر بسبب عروض حرارة في رأسها وقت الذكر !! فبماذا أجيبها لو سألتني عن ذلك ؟

فأجاب قدس سره بما لفظه : إنك تقول لها : أنْ أَقِلِّي الذكر حينئذ ، وأقسمي الاستغفار – أي : بعدم فعله في وقت واحد – بل تفعله متفرقاً . فافهم . والسلام . انتهى من خطه .

توضيح المعالجة

وكتب قدس سره إلى محمد بن حسين العوري مؤذن « غزانش العليا » ما لفظه : من حسن إلى حسينل محمد : سلام عليك ؛ فإني أمرْتُ نفيسة الغموخية زوجة عَلِي دَدَ بالذهاب لديك لتلقين النفي والإثبات بعد حصول سلطان الذكر ، فسلها هل تجدُ نفسَها تتحرَّك وقتَ اليقظة من النوم ؟ فإن قالت نعم ؛ فلقِّنها النفي والإثبات ، وامرْها بالمداومة عليها إلى السبعين ألف مرة باللسان على الكيفية المعروفة ببيان شروطها ، وامرها أيضاً بعدم تركها خمسة آلاف مرَّة من لفظة الجلالة على القلب ، وألف على كلِّ لطيفة . فافهم ؛ والسلام . الحقير حسن حلمي . انتهى .

مكتوب إلى اليعسوب

وكتب إلى اليعسوب قدس سرهما : وعليكم السلام . . إلخ ، أيها الولد المحبوب ؛ إن شيخنا كان يقول : يكفي لأهل الداغستان مجرَّدُ ذكر القلب ، لكن رفعتهم إلى الولاية الصغرى – يعني أبعاضهم – وقد وجدتُ أبعاضاً يتهاونون في حبس النفس ، ويتركون ذكر اللطائف ، فيفوت عنهم نتيجةُ الجانبين .

ذكر القلب على القلب

وأما سيف الله ! فقد كان يقول : ذكر القلب على القلب خمسة آلاف ، وعلى سائر اللطائف ألف ، لا يترك المريد هذا القدر إلى الممات . وكان يقول : إنه يفعل ذلك . انتهى .

وتبديل المراقبات لا يزيد ذلك إلا لمن تيقَّن تمام النتيجة ، وعلمُ ذلك عسير **على مَنْ لا يرى الأنوار ، وعدم رؤيتها من تقصيراتنا ومسامحتنا في**

استعمال الرياضة ، وعدم تركنا الفضول كما ترك مشائخنا . اللهم ؛ نعم كان شيخنا العسليُّ يقول : إنَّ من كان على مراقبة المعية إذا تمَّت نتيجةُ المعية يذهب خياله إلى الجهة السفلى بالكلية ، فإذا تمَّت نتيجة مراقبة القلب يصعد الخيال بالكلية إلى جهة الفوق . وكان يقول : إن الخيال يصعد إلى جهة الفوق إذا كان على الروح .

نتائج اللطائف

فالحاصل : أنَّ نتائج اللطائف حصول تجلِّي الأفعال على القلب ، والصفات السلبية على الروح . . . وهكذا ، وهكذا يعلم ذلك بالانعكاس ، ولكن لا يعمل بالكشف ؛ بل بقول المريد . كما هو مذكور في الكتب . انتهى .

مكتوب لمعالجة حرارة الرأس

وكتب قدس سره إلى مَنْ سأله عن حكم طروِّ الحرارة لرأس امرأة من المريدات ما حاصله :

وعليكم السلام . . . الخ ، اعلموا أيها الأعزَّاء أنَّ الأطباء ذكروا في كتبهم أنه لو طرأ على الإنسان فجأةً فرحٌ شديد أو حزنٌ أكيد ، أو تفكُّر في شيء بغاية التأمُّل ، والتدبُّر ، أو ضرب على الرأس ، أو ضرب الرأس على شيء يحصل للإنسان بسببه مرضٌ كمرض الجنون ، أو الماليخوليا ؛ كما هو معلوم لدى الطبيب الحاج عمر ، فإن سألتموه عن حقيقة مرضِها فلعلّه يخبركم عن حقيقته ، وظنِّي – والله أعلم – أن الحرارة الحاصلة لرأسها ليست من حرارة الذكر ، فإنَّ في أهل الإرادة كثيرين من الأناس يذكرون الله تعالى في اليوم والليلة أكثر من مائة ألف بلفظة الجلالة وأزيد ؛ ولم يقع إلى الآن لواحد منهم حصول نحو تلك الحرارة المعهودة كما حَصَلت لأمِّكم الحليمة أم هانىء ، فالعلاج اللائق بها كيفما كان المرض ، وبأيِّ سبب حصل لها الإغماء هو تبريد الرأس بوضع نحو ثلج أو بَرَد على رأسها ، أو صب الماء ، أو بالحجامة ،

وتسخين رجليها بوضعهما في ماء حار بحيث ينغمس فيه رجلاهما ، وشربها اللبن الحامض ، فهذا ما عندي وقد كتبت هذا السبب ليعلّق على جسدها بعد جعل غلاف نحو الشمع عليه ، وهذا السبب الآخر لمحو ما كتب عليه لتشرَبَه .

هذا ؛ ولا تهملوا أمرها ، وسلوا أخانا الحاج عمر كما قلتُ ، فإنَّ الله تعالى جعل لكلِّ مرض شفاء ، ولكل داء دواء ، ما لم يحضر أجل المريض ، وإذا جاء فلا يؤخِّره دواء ، ولا سببٌ ولا هيكل ، رزقها الله الشفاء التامَّ ، ورزقكم الصبر الجميل .

ثم اعلموا أيها الأحباب ؛ أن ما يكون مني من التصرُّف – إن كنت أهلاً لذلك كما تظنون وإن كنت عند نفسي خالياً عن ذلك – يكون مني إن شاء الله ولو كنت في بيتي ، بعد علمي بحقيقة الحال لو ساعدت مشيئة الله تعالى مشيئتي وإرادتي ، ومن المقرر عندهم أنَّ الأمر تابع للاعتقاد ، والله وليّ التوفيق . انتهى باخ .

المراقبات بلغة السهليَّة

هذه كيفيَّة المراقبات الثلاثة باللغة السهلية التي وجدت بخط الأستاذ المرشد الحاج جبرائيل أفندي قدس سره أدرجتُها هنا تتميماً للفائدة لأهل تلك اللغة :

باسم الله خير الأسماء . . . و . . . و . . .و ، إلهي أُولْ فَيْضْ تَجَلِّى صِفَاتِه سَلْبِيكهِ رسول أَكْرَمْ محمد المصطفى ﷺ حَضْرَةْ لَرِينُونْ خَفِي شَرِيفِنْدَنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُنْ خَفِي شَرِيفِنَه وَاصِلْ أُولْمِشْدِى مَشَائِخْ عِظَامِنْكْ خَفِي لُرِي وَاسِطَه سِيلَهْ أُولْ فَيْضِي مِنِمْ خَفِي مَهْ اِيصَالْ وَاِفَاضَهْ إِيلَهْ(٢) ؛ يا محمود الفعال بمحمد ﷺ . انتهى .

❊ ومن جملة ما كتبه قدّس سرّه إلى اليعسوب : إني كنت أرسلت إلى الأواري أنه تكون المصلحة في عدم تبديل الذكر من القلب إلى لطيفة أخرى ؛ لئلا يقع الخلل في حالة النتيجة . انتهى . (من نسخة أخرى) .

(٢) أي : إيرِيشْدرْ . (منه) .

باسم الله خير الأسماء و . . . و . . . . و . . . إلهي أُولْ فَيْضِي تَجَلِّى أَفْعَالِكِ رسول أَكْرَمْ محمد المصطفى ﷺ حَضْرَةْ لَرِينُونْ قَلْبِ شَرِيفِنْدَنْ آدَمْ عَلَيْهِ السَّلاَمُنْ قَلْبِ شِرِيفِنَه وَاصِلْ أُولْمِشِدِي مَشَائِخْ عِظَامِنْكْ قَلْبَلَرِي وَاسِطَه سِيلَه أُولْ فَيْضِي مَنِمْ قَلْبِمَه إِيصَالْ وإفاضَهْ ايلَهْ[1] يا محمود الفعال بمحمد ﷺ . انتهى .

باسم الله خير الأسماء و . . . و . . . . و . . . إلهي أول فيضي تجلّى صِفَاتِيِيكِهِ رسول أكرم محمّد المصطفى ﷺ حضرة لرينون روح شريفندن نوح وإبراهيم عليهما السلامُنْ روح شريفنه واصل أولمشدي مشائخ غطامنك روح لَري واسطه سيله أول فيضي منم روح مه إيصال وإفاضه إيله يا محمود الفعال بمحمد ﷺ .

المراقبات بلغة الغموقية والأوارية

ووجد بخط الأستاذ المرشد الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره كيفية مراقبة باللغة السهلية (الغموقية) والأوارية معاً هكذا ؛

باسم الله خير الأسماء ، ولله الحمد والثناء والصلاة والسلام على محمَّد وآله المجتبى . إلَهِي اُولْ فَيْضْ تَجَلِّى أَفْعَالِ كِهْ رَسُولُ أَكْرَمْ محمَّد المصطفى ﷺ قَلْبِ شَرِيفِنَهْ وَاصِلْ اُولْمِشْدِي مَشَائِخِ عِظَامِ لَرُنْ قَلْبلَرْ وَاسِطَه صِلَه مِنِمْ قَلْبِمَه إِيصَالْ وَإِفَاضَهْ إِيلَهْ يا محمود الفعال بمحمد ﷺ . يا ربِّ دُبْ مُحَمَّدْ أَوَرَكَصُلْ رَكَلْدَ صَنْ ادَمْ أَوَرَكَصُلْ رَكَلْدِ شُنْ بُكَرَبْ فَيْض مَشَائِخْ زَبَزُلْ رَكَل وَاسِطَيَلْدَ لُنْ دِرْ رَكَلْدِ شِزِ هَبِ يا محمود الفعال بمحمد ﷺ . انتهى .

جواب إلى أدرة العرادي

وكتب قدس سره إلى العالم الفاضل أُدُرَةِ العُرَادِي رحمه الله ما لفظه : إلى حضرة العالم المأمون في السرِّ المصون العبد الصالح التقي ، والمخلص النقي ، المرجوّ للاستقامة أدرة العرادي ، سلام عليكم .

(١) أي : إيرِشْدِرْ .(منه) .

أما بعد ؛ فقد حصل الفرح والسرور بوصول صحيفتكم الشريفة ، وهديَّتكم المقبولة المحبوبة ، فجزاكم الله عنا خيراً ، ولا لقيتم ضيراً ، فإن تفضَّلتم بالسؤال عن هذا العبد الداعي لكم بالخير ، فهو على ما كان عليه قبلُ ؛ من صدْق محبَّتكم وليس يكدِّره اليومَ سوى عدم اكتحال عينه برؤية ذاتكم ، وعدم الإمكان للاجتماع معكم ، فنسأل الله تعالى أن يمنَّ علينا بالتلاقي ، ويطوي شقَّةَ البين والفراق ، فقربكم أشهى للنفوس من المنِّ والسلوى ، وألذُّ في مقلة النائم من الكرى ، والفقير يتضرَّع إلى المولى أن يلحظكم بالعناية والرعاية ، فالله تعالى يحرسك من كيد النفس والشيطان ، ومن الزيغ والضلال ، ويفيض عليك المنن الجسام والنعم العظام .

ثم إنك تلاحظ وقت المراقبة المعيَّة إلى أين يذهب خيالُك ، فإن ذهب الفكر والخيال إلى جهة التحت بلا اختيار منك ؛ فذا علامة حصول المراقبة ، فدُمْ عليه واتركْه يسري ويذهب إلى الجهة التحتانية بالغاً ما بلغ ، وإن كنت لا تستطيع أن تفرِّق بين الذهاب وعدمه ؛ **فالعدم المحضُ أسنى المقامات ، والمحو الصرفُ أرفعُ الأحوال .**

فالحاصل : أنّ الدوام على المراقبة والذكر والفكر على طريق العبودية بمجرَّد الامتثال مقام أعلى ليس فوقه مقام . فافهم ، وادْعُ لهذا الكاتب المعلوم حسن .

من فوائد القهوة

وأرسلتُ إليك القهوة الحقيقيَّة ؛ فلعلك تستعملها ، وعسى أن تنفعك إن شاء الله تعالى ، وهي التي ذكر صاحب « البريقة » منافعها في . . . من الجزء الثاني ؛ كمنع النوم ، وإزالة الغموم ، والتنشيط للعبادة ، وترقيق الغذاء ، وهضم الطعام ، وتسخين البدن ، وتحليل الأخلاط الردية ، إلى غير ذلك . راجعه . وراجع « فتاوى الچوخي » من (الأشربة) . انتهى .

مكتوب الكراطي الأشخي يسأل شيخه

وكتب إليه العالم محمد حاجي الكراطي الأشخي ما حاصله : إلى شيخي وأستاذي حسن حلمي ؛ السلام عليكم ورحمة الله . . إلخ :

اشتغلَ اثنان بذكر الله تعالى وبيد كل واحد منهما سبحة مدة ساعة ، فبلغ ذكر أحدهما إلى ثلاثين ألفاً ، وذكر الآخر إلى ستين ألفاً ، وذلك لكبر حبَّات سُبْحة الأول ، وصغر حبات سبحة الثاني ؛ فهل هما في الثواب سواء أم لا ؟

هذا ، والسلام من تراب أقدام الفقراء حاجي محمد .

جواب سؤال الكراطي

فكتب قدس سره في جوابه : وعليكم السلام . . . وإلخ ؛ إنْ كان المريد لاحظ العدد بطرح كلِّ فرد من الحبَّات ؛ فالكبر والصغر سواء ، وإن كان يطرح الكثير من الحبات بكل حركة من حركات الإصبع ؛ **فالثواب على قدر الحضور ؛ لا على كثرة طرح الحبات** ! والسلام من القحي . انتهى .

مكتوب آخر معنى السير إلى الله

وكتب إليه أيضاً : ما معنى السير إلى الله ؟ والسير من الله ؟ والسير على الله ؟ والسير مع الله ؟ والسير في الله ؟ والسير عن الله ؟ والسير بالله ؟ وما معنى (باسم الله ، وبالله ، ومن الله ، وإلى الله ، وعلى الله ، وفي الله) ؟ من الكاتب الأشخي .

جواب السؤال

فكتب قدس سره في جوابه :

قولهم :السير إلى الله ؛ أي : بترك الحظوظ .

و(السير من الله) ؛أي : بالرجوع إلى دعوة الخلق .

و(السير على الله) ؛ أي : بملاحظة أفعاله وصفاته ، وتجريد الفكر في معرفته .

و(السير مع الله) ؛ بالفناء فيه بنسيان ما سواه تعالى دائماً .

و(السير في الله) ؛ أي : في معرفته ، وتجلِّيه .

و(السير عن الله) ؛ أي : بالرجوع بعد حصول الوصول ، والبقاء بعد الفناء فيه .

و(السير بالله) أي : برؤيته سيره بالذوق ، كأنه ليس إلاَّ بتوفيقه تعالى .

وقولهم (باسم الله) أتبرَّك ، و(بالله) أستعين ، و(من الله) أستمدُّ ، و(إلى الله) اعتمادي ومصيري . و(على الله) توكلي ، و(في الله) دخلتُ في كنف الله . هذا ما عندي ، والله أعلم بمراد قائله ، من القحي رحم الله إفلاسه .

مكتوب في أنواع السير

وكتب قدس سره ما لفظه : قد ألهمني الله تعالى سَحَر الليلة الأولى من رجب سنة ١٣٤٥ أنَّ سير السالك في حق الدنيا على أنواع ، كما أن السير الأنفسي ، والسير الآفاقيّ ، والسير (إلى الله) ، و(في الله) ، و(لله) ، و(عن الله) على أنواع .

فالسير إلى الدنيا هو نصيب العوام وأهل الحجاب ، وهو طلبها لحظٍّ نفسانيٍّ ، فهذا السير حجابٌ محضٌ ، لا نورانية فيه أصلاً ، بل هو مبعد عن الله ؛ وهو رأس الخطيئات .

والسير في الدنيا طلبُ إكثارها وحيازتها بلا تفرقة بين الحلال والحرام ، وهو أيضاً داخل في السير الأول .

والسير من الدنيا : هو تركُها ، وعدمُ طلبها ، لكونها عدوَّةً قاطعة عن الله ؛ وعن السير إليه تعالى . فإذا تحقَّق هذا السير ووصل إلى المشاهدة ، وعلم أن الدنيا مطيَّة الآخرة ؛ رجع إليها ثانياً ، ويحوز منها القليل والكثير ، فهذا الرجوع محمودٌ وأفضل من تركها .

معرفة الله والدنيا

فينبغي أن يعلم أن معرفة[1] الله حرامٌ على شخص يكون في باطنه مقدارُ خردلة من محبَّة الدنيا ، أو من التعلُّق بالدنيا ، أو خطر في باطنه هذا المقدار من خواطر الدنيا ، لكن لما وصل بترك الدنيا إلى الله ، وآثر الآخرة عليها ؛ فيكون حكمُه حينئذ حكمَ من رجع من الآخرة إلى الدنيا واختلط بالناس ، لحصول المناسبة المشروطة في الإفادة والاستفادة ، وتشبُّث هذا الواصل الراجع بأسباب الدنيا لا يكون مذموماً أصلاً ، بل يكون محموداً ! كيف لا ؛ وقد ورد : « **كم من عمل يتصوَّر بصورة الدنيا ، ويصير بحسن النيَّة من أعمال الآخرة** » ، ويعمل بدنياه حينئذ عمل الآخرة ، ويصرفها إلى مصارف الخيرات ، يأكل منها على نيَّة القوَّة على العبادة ، ويلبسها منها على قصد محمود امتثالاً بما ورد : « اِبْدَأْ بِنَفْسِكَ ثُمَّ بِمَنْ تَعُولُ » ، ويعطي ما زاد عن حاجته لمن احتاج إليه من خلق الله تعالى ؛ رجاء أن يدخل في دائرة قوله « الخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ الله ، وَأَحَبُّهُمْ إِلَى الله أَحْسَنُهُمْ لِعِيَالِهِ » . انتهى . فافهم هذه الإشارة ، وكن من الشاكرين . الحقير القحي سامحه الله من فرطاته ، آمين . انتهى من خطِّه قدس سره .

أسئلة من محمد عارف ولده

وكتب إليه ولده محمد عارف : إننا يا والدنا نسمعك تهدي ثواب ما قرأت في مجلس الختم إلى أرواح المشائخ ، وتتوسَّل بهم ، فهل نفعل نحن مثلك ، أم نؤمِّن ؟

وأيضاً لو استمع المريد بالذكر والفكر إلى صوْت نحو الأرياح في مقدار زمنٍ يكفي لنحو عشرين ألفاً بلا مُسبِّحة ، فهل يكفيه ذلك فقط ، أم لا ؟

---

(١) ما أصعب هذا لأمثالنا المغرورين في حيازة هذه الفانية ! (الحقير النهري) ، راجع المنن ص ١٧٤ . (من نسخة أخرى) .

جوابه لولده

فكتب في جوابه قدس سره : المريدُ مخيَّر بين التأمين ، وفعل دعاء التوسل لمرشده .

السبحة للمتهاون كالسوط

والذكر عبارةٌ عن طرد الغفلة ، فإن كان المريد على الحضور ؛ فلا حاجة لطرح السبحة ، فإنَّها كالسوط يُضربُ به الفرس المتهاون في المشي ، وإذا كان يمشي بنفسه ! فلا حاجة لضربه . فافهم . انتهى من خطه قدس سره .

مكتوب اليعسوب يستأذن في العزلة

وكتب إليه اليعسوب العسوي قدس سرهما : إلى والدي وشيخي قطب الإرشاد الشيخ حسن حلمي أفندي النقشبندي الشاذلي القادري : السلام عليكم وأوصلكم إلى أعلى المقامات .

وبعد : فلما غلبني النفس والهوى ، وصرت في نقص وكُدُورة ، أردت أن أعتزل في قعر بيتي بإقامة الجماعة فيه بلا خروج إلى الخارج إلاَّ للجمعة إن أذنتم لذلك ، وأسأل من حضرتكم العون والإمدادَ لما هنالك ، والدعاء لولدكم العاجز عن إتمام حقوق ربِّ البريَّات بأن يسهل له السلوك وقطعَ هذه العقبة الصعبة ، وأنا أسأل الله سبحانه في كل حال ، وعند قراءة كلِّ حزب أن يعينني لذلك ، ولطرد الخَطَرات الشيطانية والغفلات النفسانية ، وأرجو منكم أن تحبسوني في محبس الرياضة ، وتشدَّ على عضدي حبل السلوك بحيث لا أميل بعده إلى المألوفات أبداً ، ولعل الله سبحانه وتعالى يوصلني بفضله وببركات أنفاسكم وجذبات هِممكم إلى الأنس التامِّ وتفريق الظاهر والباطن ، لأنَّ من المعروف عندي أن لا أظفر بمطلوبي ، ولا أفلح بنيل مرغوبي ، وكشف الحجب عن وجه محبوبي ما دمت على هذه الحالة التي أنا عليها عاكف ، لأنِّي في نقص يوماً فيوماً ، هذا . والسلام ، وأوصيكم بالدعاء . من ولدكم الحقير الوضيع المعلوم لديكم . انتهى من خطه رحمه الله .

منامات

رأيت ليلة كأني انظر إلى ذات الله تعالى في جهة السماء ، فعند ظهور أوائل تجلياته تعالى استيقظت من النوم ، وندمتُ على أن استيقظت قبل تمامه .

ورأيت في ليلة أخرى نزلتُ ضيفاً على حضرتكم .

وفي ليلة أخرى رأيتني أقاتل الكلاب ثم غلبتهم . انتهى .

إجابات وتعبيرات

فكتب في جوابه ما لفظه : وعليكم السلام ؛ استخر الله تعالى أولاً ، ثم إن حصل الانشراح تدخل في الخلوة ، فإن شاء الله تعالى يوفِّقُك ، لكن لا يجوز لك حينئذ أن تكون على حَدَث يقظة أو مناماً .

حصول الكشف من خاصيَّة الجوع

ولا تُنقِص الأكل نقصاً ، بل تأكل قدر ما لا يحصل لك معه الجوع الشديد ، كيلا يحصل لك الكشف الخديع ، فإن حصول الكشف من خاصيَّة الجوع ، فأنت تكون على حالة الاعتدال ؛ أي : بين الجوع والشبع .

الخلوُّ عن الدسم يجفف الدماغ

ثم إنك لا تغفل عن كون روحانية محمود أفندي قدس سره حاضرة معك رفيقاً لك ، ومُمِدّاً لسلوكك ، وبهذا كان شيخنا قدس سره يأمرنا ، والمأكولُ يكون دسماً غيرَ حيوان ، **والخلوُّ بالكلية عن الدسم يجفِّف الدماغ ، ويكثر الخطرات والوساوس الشاغلة عن الربِّ سبحانه وتعالى** . فافهم .

ثم اعلم أيها الولد العزيز ؛ إن ظهر لك شيءٌ ما من الكشوفات في الوقائع المناميَّة ، أو وجدت تقرأ شيئاً من القرآن في حالة الذهول والغيبة ؛ يجب عليك أن ترسله إليَّ مع أمينٍ .

الكف عن الكلام معين على السلوك

والكفّ عن الكلام مما يُعين على السلوك :

بالرمز أو بعض لفظ حيث يُغنِ أُجب

البيت

وعلى قدر الكلام يخرج من الباطن النور الحاصل من الرياضات . فافهم أيضاً . ثم بعد تمام عشرين يوماً يجوز لك أن تأكل شيئاً قليلاً من الحيوانيِّ ؛ كقطعة وَدَك أو دُهن ، وبعد العشرين لو أنّك زرت إلينا لننظر إلى الحال يكون خيراً ، كما كان شيخنا قدس سره يأمرنا به . فافهم .

ثم إنك لو ابتدأت للسلوك ببدء شهر رمضان الشريف ؛ كان حسناً ، فإن عشنا إلى ذلك الوقت نجدِّد السلوك إن شاء الله تعالى ، وفقني الله تعالى وإياك لكلِّ خير . آمين . والوقائع أوَّلناها إلى الخير ، والسلام ، وأوصيكم بالدعاء لي ولأوْلادي وأصحابي .

ترك الجماعة لا يجوز

وكتب إليه أيضاً ما لفظه ؛ إنك تصلي الصلوات الخمس جماعة بزوجتك إن كانت حاضرة ، وإلاّ ! فتأمُر واحداً من أحبابك بالحضور لديك وقت الصلاة ، **وتركُ الصلاة في الجماعة لا يجوز** . فافهم .

صنع الطعام بيدِ طاهر

ويكون الطعام مصنوعاً بيدِ طاهر عن الحدث لم ينظر إليه أحدٌ سوى الصانع ، **ويكون الأكل مرَّة واحدة في اليوم والليلة** ، والعسل ليس بحيواني[١] . وقد كان الشيخ قدس سره أذن لنا في استعماله للأدم ، وتأمُرُ صانع الطعام بعدم إيصال النفس إليه ، وبكونه حاضراً بالله غيرَ غافل عنه .

ترك التكلُّف والغضب والخروج

ويجتنب أيضاً عن الغضب والتكلُّف ، بل يفعل الطعام بانشراح صدر ، ولا تخرج إلى الخارج إلاَّ يوم الجمعة لصلاتها ، وبعد السلام ترجعُ إلى البيت ويقرأ الصلوات والختمَ غيرُك .

البعد عن الناس شرط

فالحاصل أن البعد عن الناس بالكلية ، ودوام السكوت بلا كلام إلا بقدر الحاجة الضرورية ، ودوام الذكر والفكر من الشروط . انتهى .

مكتوب للتحذير

وكتب إليه أيضاً : السلام عليكم أيها الولد المرجوُّ للاستقامة محمد العسوي ؛ ثم اعلم أن أمر الخلوة في هذا الوقت مشكل ، واستعمالُ الرياضة

---

(١) **ومن آداب السلوك** ترك الحيواني في الأكل ، ويأكل من النباتي ؛ والعسل نباتي . « نهجة السالكين وبهجة المسلكين » ، عبارته ٢٨ للشيخ سليمان الزهدي الخالدي قدّس سرّه .
ولكن البهائم كلها ظلماني في طبيعتها ؛ والنباتي نورانيٌّ في أصلها . (منه) . من هامش « النهجة » وراجعه ص ٢٨ . (من نسخة أخرى) .

❊ من حسن إلى أخيه المحبوب المرجوِّ للاستقامة محمد الأواري : سلام عليكم آمين ، وبعد ؛ فقد كنت أمْس على قصد حمل السكر وشيء قليل من الوَدَك ، لكنِّي نسيت ذلك وظننت أنَّ السكر قد نَفَد عندك ومضى من السلوك عشرون يوماً ؛ فلذا أرسلت ابنة محمد حج لديك بحملهما ، فإذا مضى عشرون يوماً فأنت تأكل من الحيواني شيئاً ، فأنت تطبخه مع الأدارف ، وإذا لم يمض فلا تأكله إلى مضي ذلك . فافهم ، والسلام وأوصيكم بالدعاء . من خطه قدّس سرّه . (من نسخة أخرى) .

بقلَّة الأكل والشرب في حالة العزلة مخوف أيضاً ، وقد قال لي شيخنا المرحوم قدس سره حين سألته : هل يجوز إدخال المريد الخلوَة ؟ لا يجوز بقلَّة الأكل ونقصانه – يعني – لئلا يحصل له الكشوفات الخديعة المضرَّة ، وعلى هذا ! فلا تنقص من المأكولات إلاَّ بقدر أدرفة واحدة ، أو ربع خبز ، وأكثر الذكر بحبس النفس لإذابة الطعام . فافهم هذا الكلام .

ثم اعلم أن رابطة الشيخ محمود أفندي قدس سره ودوامَها في حالة السلوك من المأمورات والمؤكدات ، وكتبة الوقائع وإرسالها إليَّ من الواجبات ، وفَّقك الله تعالى آمين ، وأوصيكم بالدعاء . انتهى .

مكتوب آخر

وكتب إليه أيضاً جواباً لكتابه : وعليكم السلام ؛ إن دخول الشيخ في الخلوة وصلاته فيها ركعتين قبل دخول المريد . . . إلخ يكون حسناً إن كان الشيخ في الحضر ، وأما إذا كان غائباً ! ! فلعله تكون الرخصة لدخول المريد بنفسه ، **كما كان شيخنا قدس سره أمرنا بذلك قبل أن يدخل هو فيها** . انتهى .

وأما أمر الجوع ! ! فقد كنت رأيت في « المكتوبات » للإمام الرباني قدس سره ما معناه :

الجوع وصفاء القلب والنفس

إن للجوع خاصِّيَّةً يحصل به لقوم صفاء القلب ، ولقوم صفاء النفس ، وسببُ المنع عن الجوع عند المتأخرين هو الخوف من حصول صفاء النفس ، **فإن صفاء النفس يستتبع الضلالة** . فافهم .

فإذا كان الأمر كذلك ! ! لعلَّ المراد من الجوع أن يكون في حالة الاعتدال بين الجوع والشبع ، وبعضُ الكلام يفسِّر بعضاً .

وسمعت شيخنا قدس سره يقول : لا يجوز وقوف المريد في خلوة مع استعمال الجوع . انتهى . يعني : لئلا يحصل له الكشف ، وصفاء النفس ، فيمنع

بذلك عن صفاء القلب الذي يستتبع الهداية . والله أعلم . وسنبيِّن لكم حقيقة الكلام وقت الملاقاة إن شاء الله تعالى ، والسلام ، وأوصيكم بالدعاء . انتهى .

مكتوب آخر في القبض والبسط

وكتب إليه أيضاً جواباً لكتابه : وعليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد ؛ فإن القبض والبسط يتعاقبان ، كتعاقب الليل والنهار ؛ وهما كجناحي الطير للسالك ، فلو دام البسط لحصل الفرح ، والفرح مذموم ولو كان بالله ، ويخاف معه من العُجْب ، ولو دام القبض ؛ لزال النَّشاط بالكلية ، وعدم النشاط للعبادة آفة ، والأكل للسالك يكون مرة واحدة في الملوين[1] .

---

(١) **أما الآفات الحاصلة** من الجوع ؛ فمثل الحدة والشدة والذبول والكلال وملال النفس في تحصيل الكمال ، والخيالات الفاسدة والأوهام الكاسدة . **وأما** الآفات الحاصلة من الشبع ، فكثرة النوم المقتضية للكسل ، وقساوة القلب ، وغفلته وموته بطول الأمل وإطفاء نور اليقين ، وكثرة الشهوات ، وغير ذلك من الغفلات . « خربوتي على البردة » عبارته ٥٠ من شرح بيت :
وَاخْشَ الدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شِبَعٍ . . .إلخ .
وأما من الشبع ؛ فمثل القسوة والغفلة والكسل وغلبة الشهوة وإنطفاء نور اليقين وغير ذلك . **وأما من الجوع** ؛ فمثل الحدة وسوء الخلق وإراءة النحول والذبول ، وحدوث الكلال والملال ، وثوران الخيالات الفاسدة ، وغير ذلك . . إلخ ، وكون المخمصة شراً من التخمة باعتبار الآفات الناشئة من الجوع المفرط ، فإنه يضرُّ بالقلب والروح والدين ، **وأما التخمة** فغالب ضررها على الجسم ، من شرح « شيخ زاده » عبارته ٥٠ باخ . (من نسخة أخرى) .
وإنما كانت المخمصة شراً من التخم ، مع أنَّ اتِّفاق العلماء على شرية شدة الشبع وخيرية الجوع ؛ لأنَّ المخمصة وشدة الجوع تورث الإنسان ضعفاً ؛ حتى لا يقدر على أداء العبادة . قال ﷺ لمعاذ « إن نفسك مطيتك فارفق بها » ، وليس من الرفق أن تجيعها وتذيبها . انتهى « خربوتي » عبارته ٥٢ . (من نسخة أخرى) .
وقد أشار أبو سليمان الداراني إلى ست كلمات في الشبع ، فقال : من شبع لم يجد حلاوة العبادة ، وتعذر عليه حفظ الحكمة ، وحصل له حرمان الشفقة على الخلق ، وثقل عليه العبادة ، وحصل لديه زيادة الشهوة ، وأن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد والشبعان حول المزابل . انتهى منه عبارته . (من نسخة أخرى) .
* ويترتب على الجوع فوائد عديدة ومنافع كثيرة ؛ منها صفاء القلب ، ومنها رفع النوم ودوام السهر ، ومنها تيسُّر المواظبة على العبادة ، ومنها خفة المؤنة ، ومنها التمكن بذلك من الإيثار والتصدق ، وغير ذلك مما لا يتناهى . منه عبارته .

كما قال لي شيخنا المرحوم قدس سره : ويصحُّ أن يظهر له الضوء في الخلوة بقدر ما يبصر قراءة المكتوب .

الادِّهان في الخلوة

والتدهين في الأسبوع مرة سنة ، لكن لا أدري هل هو كذلك للسالك ، أم لا ! ! ولم أرَ من صرّح في ذلك بشيء ، إلا أنهم قالوا بخيرية الاجتناب عن أكل شيء من الحيواني .

قتل القمل

والاشتغالُ بقتل القمل يَشْغَلُ السالك ، فإبدال ثوب بثوب بعد يوم أو يومين يكون خيراً ؛ إن أمكن ، لئلا يقمل الثوب ، فيشغل عن التوجُّه إلى المقصود ، وعن الحضور .

الكلام

والكلام يجوز بقدر الحاجة ، ولا يزيد عليه .

الأكل

وأما الأكل فقد كان شيخنا قدس سره يقول : لا يجوز أن يقف السالك في الخلوة بتقليل المأكول – يعني : لئلا يحصل له الكشف – فيتضرّر به ، ويقطع عن الوصول ، **فيكون الأكل في حالة الاعتدال بين الجوع والشبع** . فافهم .

واعلم أنك تفعل حبس النفس إلى أن يحصل الحضور والغيبة ، فحينئذ تنظر إلى النقطة التي في وسط القلب ، وتلاحظها كأنها تذهب إلى جهة السفل شيئاً فشيئاً ، وتدوم كذلك إلى أن تطرأ عليك الغفلة والفتور ، ثم ترجع إلى الذكر . . . وهكذا ، وهكذا .

والحفظ من الكلام إلا بقدر ما يؤدِّي به المقصود ؛ من أعون شيء على حصول الحضور .

وأما الأشياء المرئيّة في المنام ، أو في وقت الذهول والغيبة ! ! فلا بدَّ لك من كتبتها إلا ما تظهر لك وقائعها ، فافهم ، والسلام وأوصيكم بالدعاء ؛ لي ولأولادي وأصحابي ، وانظر إلى « الرسالة الخالدية » من آداب السلوك والمجاهدة ، وكن متأدِّباً بما فيها من الآداب .

والحاصل أنك لا ترى نفسك إلا كلباً عقوراً ؛ أُدخل في خلوة كيلا يحصل منه للناس ضرَرٌ . والنفس أعدى أعداء الإنسان ؛ وهي الصنم الأكبر ، فالحفظ من مكرها واجب ، ودُم على الرابطة كأن الشيخ محمود أفندي معك رفيقاً لا يفارقك . انتهى .

مكتوب آخر

وكتب قدّس سرّه أيضاً : وعليكم السلام ؛ أيها المحبوب المقبول ، فنحن في الحال بحمد الله في عافية ، ونتوجَّه إلى قلوب الجائين إلينا بجذبها إلى الله تعالى وصرْفها عن حطام الدنيا ، فللَّه الحمد والمنة ، **وإكثارُ (لا إله إلا الله) بحَبْس النفس نافعٌ لذهاب القبض والفتور ، والرابطة الشريفة نافعةٌ له أيضاً**(١) .

(١) وفيها ؛ أي : في « رسالة تاج الدين » : **إذا عرض في أثناء الذكر تفرقة أو وسوسة أو قبض فليغتسل بالماء البارد أو الحارّ ، أو يتوضَّأ ويصلِّي في خلوته صلاة الحاجة** ؛ ويقرأ التحيات ثلاثاً ، ثم يسلِّم ويخطو قدامَه سبْع خطوات ، ثم يقول : (يا حيُّ يا قيُّوم) ، سبعين مرة ، ثم يسجد ويلاحظ روحانية شيخه ، ويستغفر ويدعو بدعاء الفرَج وغيره ، ويتوجَّه إلى ذكره ، وإن لم يندفع فليتخيَّل صورة النبيِّ عليه السلام أو صورة شيخه ، وإن لم يندفع فليقل : (يا فعَّال) ، وإن كان ذلك لتعلُّق الطبيعة بشيء من نحو البيوع ولم يمكن إخراجه عن القلب **فليفعله ويتركه بعدُ** .
ولا تظنَّ أنَّ ذلك يحصل بسهولة ، بل ذلك محتاج إلى ترك النفس ودواعيها والقهر عليها في الأمور كلها ؛ **وذلك لا يحصل إلاَّ بصرف جميع الأوقات إلى ذلك التخيُّل** وبذل كافة الجهد والجدِّ لديه ، ولا يضيع دقيقة من وقته ؛ فإن الوقت سيف قاطعٌ لا يمكن تداركه عند فوته .
« متممات » « جامع الأصول » عبارته ١٠٠ . (من نسخة أخرى) .

سبب الفتور

وسببُ طروِّ الفتور أكلُ أطعمة الناس ، والسكون لديهم ، والنظر إلى وجوههم ، وكثرةُ المجالسة مع أهل الشوق وأهل الغفلة والمباسطة معهم ، فينبغي الحذر منهم ، ومِن كلِّ ما يوجب القبض . فافهم . والسلام[1] . انتهى .

مكتوب آخر

وكتب قدّس سرّه إلى اليعسوب رحمه الله : وأما ما كتبتَ في حقِّ ما يرد من الأثقال والدهشة والحيرة ! ! فتلك من الواردات ؛ فلا بأس به ، ولعلَّ فيه

---

(١) وعن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى أنّه ؛ أي : من حصل له الفتور والغفلة والخطرة يقول : سُبْحَانَ الله المَلك الْخَلاَّق الفَعَّال إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِي بِخَلْق جَدِيد ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى الله بِعَزِيز . وقد جرَّبه الفقير وَوَجَدَهُ إِكْسِيراً لذلك المَضرة في لحظة . « رسالة خالدية » عبارته رَاجِعها . (من نسخة أخرى) .

* ومما كان الشاذلي رضي الله عنه يعلّمه لمريديه وأتباعه ؛ فمن ذلك لدفع الوسواس والخواطر الرديئة ، قال رضي الله عنه : من أحسَّ بذلك فليضع يده اليمنى على صدره يقول : سبحان الملك القدوس الخلاق الفعَّال (سبعا) ، ثم يقول : إن يشأ يذهبكم ويأتي بخلق جديدٍ وما ذلك على الله بعزيز . « الأنوار القدسية » عبارته ١٥٠ . (من نسخة أخرى) .

* إذا وجدت ذلك ؛ يعني : الوسوسة فارفع إصبعك السبابة اليمنى فأطعنه في فخذك اليمنى ، وقل : بسم الله ، فإنه سكين الشيطان . الحكيم وابن وردي . « منتخب كنز العمال » عبارته .

* وكان الأستاذ أبوا الحسن الشاذلي يعلّم أصحابه ما يدفع الوسواس والخواطر الرديئة فكان يقول لهم : من أحسَّ بذلك فليضع يده اليمنى على صدره ويقول : سبحان الملك القدوس الخلاق الفعّال (سبع مرات) ، ثم يقول : إن يشأ يذهبكم ويأتي بخلق جديد ، وما ذلك على الله بعزيز ، **ويقول ذلك المُصَلِّي قبل الإحرام** . من « إعانة الطالبين » عبارته ١٣٧ ج ١ من صفة الصلاة . وراجعه منه ففيه زوائد ، فيها فوائد . (من نسخة أخرى) .

* **فائدة** ؛ ذكر اليافع عن الشاذلي : أن مما يعين على دفع وسوسة الشيطان أنك عند وسوسته لك تضع يدك اليمنى على جانب صدرك الأيسر بحذاء القلب ، وتقول : سبحان الملك القدوس الخلاق الفعَّال (سبع مرات) ، ثم تقرأ قوله تعالى ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾ . انتهى شيخنا « فتوحات » عبارته . (من نسخة أخرى) .

* وعلامات ذهاب الخطرات كثيرة مذكورة في الكتب ؛ ومن أعظمها تذكر الموت كأنه نازل إليه في الحال ، وأنه مفارق من الدنيا في الوقت كما قال لي شيخي قدّس سرّه ، فأنت تطالع « الخالدية » وتفعل ما فيه من العلاجات « وسائل المريد » عبارته ٩٧ . (من نسخة أخرى) .

الخير والمصلحة ، فإن القبض والبسط يتعاقبان كتعاقب الليل والنهار ، وهما كجناحي الطير . فافهم . والسلام .

مكتوب شكوى من محمد عارف

وكتب إليه ولده محمد عارف رحمهما الله تعالى : إنِّي في هذه الأيام مقبوضٌ ، ولا أعرف سببه ! !

علاج القبض

فكتب قدّس سرّه في جوابه : **القبض يذهب بالغسل ، والتوبة** ، وبقوَّة الرابطة ، وبالاستماع إلى صوت الريح والماء ، وبكثرة الذكر فافهم . انتهى .

مكتوب إلى العكلجي لدفع الوسواس

وكتب قدّس سرّه إلى العالم الفاضل الحاج مُرْتَضَى عَلِي العكلجي رحمه الله : **إنَّ المداومة على تكرار (يا فعّال)** بالمدّ نافعٌ لدفع الوسواس والخطرات ، والتنفُّس من الأنف بالعنف والشدَّة مراراً نافعٌ أيضاً لدفع الخطرات ، **فإن كثرت عليك الخطراتُ! فافعل الرابطة ، واستغفر الله تعالى كثيراً** ، وعالج القلب باستعمال هذه المذكورات ، والسلام عليكم وعلى ولدكم سلطان . انتهى من خطه .

مكتوب لليعسوب في عدم إطاقة الذكر

وكتب قدس سره إلى اليعسوبي رحمه الله : وعليكم السلام أيها الولد محمد ؛ فإن كان عدم إطاقة الاشتغال بالذكر الكثير بغلبة حضور القلب والذهول والغيبة ؛ **فذا أنفع من الذكر ، وإن كان سببه كثرة الخواطر الرديئة الدنياوية ؟! فدواؤه وعلاجه تكثير الرابطة ، ودوام الوقوف القلبي ، والخشوع ، والتضرُّع والانكسار ، ومن أعظم ما ينفع به اللطائف كثرةُ الوقوف عليها بعد الفراغ من الذكر** ، والسلام . انتهى . وقد ورد في الحديث كما في « الجامع الصغير » : « إنَّ الله تعالى يُنْزل العبد على قدر همته » . انتهى .

مكتوب لأدرة في مباسطة العوام

وكتب قدّس سرّه إلى العالم المحقق السالك الصادق أُدُرَةْ العرادي رحمه الله تعالى :

من حسن القحي إلى أبيه المحبوب المقبول أدرة : السلام عليكم .

أما بعد : فقد يبلّغني الجاؤن من جهتكم أن العوامَّ يجالسونك ويقفون عندك طويلاً ، ويسيؤون معك الآداب ، بل يدخِّنُ بعضُهم عندك بدخان التنباك الفاحك الفاحش ، فبذا ساء خاطري ، وانقبض باطني ، وعلمت أن ذلك ليس إلاَّ لغلبة صفة الجمال فيك ، والتخلُّق بحسن الخلق معهم ، كما ورد في الحديث : « حسِّنِ خلقك ولو مع الكفار » .

شرط تحصل الإفادة

فاعلم أيها الأب المخدوم ؛ أن المقصود من الاجتماع والصحبة إنما هو الإفادة والاستفادة ، ومهما خلا المجلس عن أحدهما ؛ فالاجتماع أبتر وأخسر ، ومن المعلوم لدينا أن استفادتك ممَّن يحضرُ لديك من المحال الغير الممكن ؛ لما أنَّهم من أهل الغفلة المحضة بيقين ، فينبغي أن تفيدهم بقدر طاقتك ؛ ولو بِذرَّة من الحكمة والموعظة الحسنة ، **والإفادة لا تحصل إلاَّ ممَّن رسخ فيه صفتا الجلال والجمال ، فالجمال الصرفُ نقصانٌ كالجلال الصرف** ، فاللازم عليك أن تستعمل مع الناس **أحياناً صفة الجلال** ، وأن تفعل معهم الغلظة في بعض الأوقات ، فإن تَجْفُهم ! يجفوك بلا شكٍ ، **وأكثر الإفادة والاستفادة في هذا الطريق هو بالسكوت** . وأما الكلمة والكلام ؛ أي : الدنياويَّان ! ! فقد يقع بسببهما بين مجاري الفيض سدٌّ كسدِّ الإسكندر ، وتَنْسدلُ حجب الظلمات الكثيفة على القلب .

صفة هذه الطريقة

أيها الأبُ ؛ إنَّ الإمام الرباني قدس سره قد وصف لهذه الطريقة بأوصاف كثيرة قائلاً : إنَّ الطريق الذي هو أقرب وأسبق ، وأوفق وأوثق ، وأسلم وأحكم ، وأصدق وأدلُّ ، وأعلى وأجلّ ، وأرفعُ وأكمل ؛ هو الطريقة النقشبندية العلية . انتهى .

وقال ابن حجر[1] : إنها هي الطريقة السالمة من كُدُورات جهلة الصوفية . انتهى .

وقال محمد مظهر المدني في « المناقب الأحمدية » : إنه لم يبقَ من السلاسل الأُخَر إلا الاسم والرسم ! ! ومَدَح الطريقة النقشبندية العليَّة مدحاً كثيراً .

وقد أنعم الله سبحانه علينا بهذه الطريقة السنيَّة بفضله ومَنِّه ، وشرَّفنا بتعليم كيفية الجذبة القلبية المشار إليها في حديث : « جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين » .

ومنَّ علينا أيضاً بتحصيل كيفية الدخول في دائرة قولِ بعض العارفين (جلسةٌ خيرٌ من ألف حجة) ، **فلا ينبغي لمن يطيق أن يشتري ألف حجة في جلسة أن يُذهبَها سُدى فيما لا طائل فيه لمحض علَّة المداراة والموافقة ، فالتفطُّن لهذا الباب لازمٌ** ، وحفظ الأنفاس من الغفلات واجبٌ ، وأنت ترى أيها الأبُ ؛ أن كلامَ أكثر الناس لا يُسْمن ولا يغني من جوع ، بل يتكدَّر بسماعه الباطنُ المصفَّى بلا ريب ، **لأنَّ استماع الكلام الصادر عن الغفلة يورث الغفلة** ؛ كما هو معلوم لدى أهل الذوق والوجدان ، **فالحذر الحذر عن أهل الغفلة ، والحذر الحذر عن رؤيتهم** ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ فافهم .

(١) الهيتمي كما مرَّ .

المقام بقدر المصيبة

ثم إن المحبّ يفرح بكلِّ ما صدر من المحبوب ؛ ولو كان كريهاً ومؤلماً ، **فالمصيبة التي صدرت من محبوبك الحقيقي جلَّ وعلا إليك ليست إلاَّ ليرفع قدرك ، ويُنَقِّيَكَ من الرذائل المكنونة فيك** ؛ وأنت تعلم ما قال الصفدي في « سلك العين » :

بِقَدْرِ قَــدْرِكَ عِـنْـدَ اللهِ تُعْـطَ بَلاَ   فَالصَبْرَ وَالصَّبْرَ ؛ يا بَاغِي الكَرَامَاتِ

فالشكر على ما أصابك من الواجبات ، والرضاء بما صدر منه تعالى فرضٌ من الفرائض ، فعسى الله سبحانه أن يجبر كسرك ، ويكثِّر خيرك ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ ﴾ .

ثمَّ إني ؛ وإن كنتُ بعيداً عنكم بجسمي ؛ فإني قريبٌ منك بالباطن ، وأنا مشاركٌ لك في كلِّ ما لك وعليك ، وحصولُ ترقِّيك مطلوبُ الفقير الحقير ، وهو يرجو من جنابكم الدعاء له ولأصحابه بالاستقامة والتوفيق ، والله سبحانه عفوٌّ كريم . فهذا ؛ والسلام من هذا الكاتب الداعي لكم بالخير والفلاح . (حسن) .

مكتوب الغزانشي

وكتب قدّس سرّه إلى العابد التقي قمر الدين الغزانشي والعالم حسينل محمد العوري : إلى الأخ العالم المؤذن محمد بن حسين العوري ، وإلى الأخ المحبوب الحليم قمر الدين الغزانشي ، وإلى أهل بيته وسائر أهل دائرة الختم والصلوات من المريدين السلام عليكم :

شرعت العبادات لتحصيل الحضور

وبعد ؛ فصحَّتكم وسلامتكم وعافيتكم واستقامتكم من أهم المهمات ؛ وهو المسؤول من الله سبحانه في أوقات الإجابة ، **ثمَّ اعلموا أن الغفلة عن الله تعالى من أعظم الذنوب عند أهل الله تعالى ، وإنما شرع جميع العبادات!! لتحصيل الحضور ، وإذهاب الغفلة والفتور** ، والنفس الواحد بالحضور جوهرة

نفيسة لا قيمة لها ، وللعارف بكل نفَس يخرج ويدخل درجة مائة شهيد ، فينبغي لكم أن لا تطرحوا هذه الجوهرة النفيسة في المزابل الخسيسة الخبيثة ، بل احفظوها حفظ إنسان العين ، وشدُّوا عليها بكلتا اليدين ، واعرفوا قدرها ، ولا تغفلوا عن الله ما استطعتم ،**ودوموا**[1] **على الحضور ذهاباً وإياباً ؛ قياماً وقعووداً** ، فإن الطريقة النقشبندية عبارةٌ عن دوام الحضور ، **ومبناها على الخلوة في الجلوة** ، فافهموا هذا ، وتأدَّبُوا مع السيِّد الجليل القدر سيف الله . وفقكم الله ، والسلام من المرشد المجازي .

مكتوب إلى أدرة العرادي

وكتب قدس سره إلى أدرة رحمه الله ما صورته : إلى حضرة محبوبنا العالم العارف بالله سبحانه أدرة العرادي :

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، أما بعد : فإن الحامل أخانا في الدين أوصل إليَّ أسئلتكم وأخبرني صحَّتكم وسلامتكم ، فجزاكم الله عنا خير الجزاء ، ورزقكم الاستقامة في الأقوال والأفعال ، وجعلكم في دائرة أهل التجلِّي الذاتي بفضله ورحمته . آمين .

اعتذار وجواب

ثم اعلم أيها الأب الكريم وإن كنت بعيداً عنكم ؛ فإني قريبٌ منكم في عالم الخيال ، ولولا أعذارٌ تعوقني عن الخروج لخرجتُ لزيارتكم حيناً بعد حين ، وبذا اقتصرتُ على الملاقاة الروحانية .

قولكم : هل لي أن أفعل الذكر القلبي أحياناً أم لا ؟

فالجواب : إني سألتُ شيخنا المرحوم قدس سره بعين مسألتكم ؛ فأجابني : **إن الذكر القلبي بالنفي والإثبات خيرٌ للسالك الذي لُقِّن له النفي والإثبات ، وأفضلُ من لفظة الجلالة** ، وقال أليسَ في الحديث : « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي (لا إله إلا الله) » ! ! انتهى .

---

(١) وكونوا . (من نسخة أخرى) .

وقد قال الإمام الرباني قدس سره ما حاصله : إن ذكر النفي والإثبات يكون في طرق الآخرين مناسباً لحال المبتدئين ، وذكر (الله) الذي هو كلمة الإثبات المحض يكون مناسباً بعد ذلك ، ليحصل بتكرار كلمة الإثبات استقرار واستمرار للمثبت المكشوف ، بخلاف طريقة هؤلاء الأكابر ، يعني النقشبندية ، فإنه على عكس ذلك ؛ لأن فيه إثباتاً أولاً ، ونفيَ ذلك الإثبات ثانياً ، فيكون ذكر اسم (الله) في هذا الطريق مناسباً في الابتداء ، ثم يستعمل بعده النفي والإثبات .

فإن قال ناقصٌ : على هذا التقدير لا يكون لأكابر هذا الطريق نصيبٌ من مقام الإثبات ، ولا يكون بضاعتهم غير النفي ! !

أجيب : أن إثبات الآخرين حاصلٌ في أوائلِ حال هؤلاء الأكابر ، ولكنهم من علوِّ الهمَّة لا يلتفتون إليه ، بل يَرَونه مستحقاً للنفي ، فينفونه ، ويعتقدون المطلوب المثبت وراءه ، فإثبات الآخرين مُيسَّرٌ لهم ، ونفيُ ذلك الإثبات الذي هو مناسبٌ لمقام الكبراء أيضاً حاصلٌ لهم ؛ لا سبيل لكلِّ ناقص إلى أشغالهم وأحوالهم ، وجميع ما ذكر هو نبذة من عدم حصول هؤلاء الأكابر الذي هو عينُ الحصول في ذلك الموطن ، فإن بيّن حصول أكابر الأكابر لَلَحِقَ الخواصُّ بالعوامِّ ، واختار المنتهون تعلّم (أَلِفْ بَا) مثل المبتدئين الأصاغر ، انتهى عبارته ج . . .

المراقبة أعلى من الذكر

وأيضاً : إن طريق المراقبة أعلى جذباً من طريق الذكر . كما ذكره أحمد ضياء الدين قدس سره .

وقال صاحب « الرشحات » : **إن المقصود من هذا الطريق في اعتقادي كونُ القلب حاضراً بالله تعالى ؛ على سبيل الذوق واللذة دائماً** . انتهى .

ولعلَّك تتطلَّع إلى أن يحصل لك اللذَّةُ التي كانت في الابتداء وقت اشتغالك بذكر لفظة الجلالة ، وذا **لا يكون في الانتهاء** ، وقد قيل : التلذُّذ[1] في العبادة شركٌ . انتهى .

(١) أي طلب ذلك وقصده ، لا حصوله ! كما تقدَّم فيمن يشعر في ذكره ورابطته بمثل لذة الوقاع ، إذ ذاك في مقام الحال والغلبة لا الطلب . فافهم . (من نسخة أخرى) .

الذكر الأشدُّ أفضل وأنفع

وممَّا ينبغي أن يعلم أن طلب حصول اللذة في الذكر ، وظهور الأشياء في النظر داخلٌ في اللهو واللعب ، **بل كلَّما توجد المشقة في الذكر يكون أفضل وأنفع** ؛ كذا في « مكتوبات » الإمام الرباني قدّس سرّه .

فاللائق بك أيها الأب الاشتغال بالمراقبة دائماً ، ونفي الخواطر بالجدِّ والجهد ، ودوام توجُّه القلب إلى الله تعالى ، وتنتظر الفيض منه تعالى ، فمن لم ينتظره لا نصيب له ؛ فهو كَمَنْ[1] دخل تحت السقف وقتَ نزول المطر ، ونسبةُ **فيض رحمة الله متساويةٌ للكلِّ ، ولكن النقصان من القابل بعدم استعداد المحلّ ، والفيضُ الإلهي غيرُ منقطع أبداً ، ولكن المانع من إحساسه ووجدانه إنما هو حديثُ النفس** كما هو مذكور في « الرشحات » .

الفرق بين طريقي المراقبة والذكر

والفرق بين طريق المراقبة ، وطريق الذكر : هو فرقُ ما بين التفكُّر وبين غيره ، فلعلك سمعت حديث : « تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة » ! ! لكن الاشتغال بحبس النفس أحياناً ؛ ولو ألف مرة أو أكثر ، من الضروريات إلى أن تحصل النتيجة ، كما أمرنا شيخُنا المرحوم قدس سره . فافهم .

بعض أهل الفناء لا يعلم الفناء

ثم إنك يا أبي تشكو من عَدَم علم الأحوال ! فاعلم أن بعض أهل الفناء لا يعلم فناءه ، فإنَّهم فسَّروا الفناء مطلقاً بزوال العلم في المحمدي وغير المحمَّدي ، لكن لا يلزم منه علم الفاني فناءَه ونسيانه ، فإنه إذا فني قلبُه ينتقل العلم إلى الروح ، وإن فنيَ في الروح ينتقل إلى السرِّ ، ثمَّ . . . وثمَّ . . . كما قال به الإمام المعصوم قدس سره في « مكتوباته » .

---

(١) يعني : أن الفيض الإلهي فائض على الخلق دائماً كالمطر ، فكما لا يصل المطر على من دخل تحت السقف ، فكذا لا يصل الفيض لمن لم ينتظر بالتوجه والوقوف . فافهم . (منه قدس سره) . (هامش الأصل) .

مقاما الفناء والبقاء

وأيضاً : إن الفناء مقام السكر ، والبقاء مقامُ الصحو ، وهو أعلى من مقام السكر بمراتب ؛ كما هو مذكور في الكتب . والفناء نسيان الأشياء في القلب ، والبقاء بقاء الله في القلب مع الأشياء والأكوان ، وعدمُ حصول الضرر بسببها للحضور ، **ولا يشترط في الفناء** فقدانُ الخواطر الكائنة في الدماغ وفقدان الخواطر التي لا تَعْلم مواضعها بالكلية ، بل المرادُ فناء الخواطر الكائنة في القلب فقط . فافهم . والكل منقول من الكتب .

مقام الذوق للسالك

ثمَّ إنه يحصل للسالك المنتهي مقامٌ يشهد في نفسه بالذوق أنَّ كاتب يمينه لا يكتب في صحيفة أعماله حسنةً واحدة مدَّة عشرين سنة ، **وذلك المشهد هو الكمال** ، فإن لطائف الأمر من السالك كلَّما يذهب إلى فوق يكون مناسبته لعالم الخلق أقلّ وأنقص ، وتقلُّلُ تلك المناسبة ، وتنقُّصها يكون سبباً لتنزُّل عالم الخلق ، وكلَّما يتنزَّل عالمُ الخلق ويتسفَّل ، يجعل السالك فاقدَ الحلاوة ، ويزيده رؤية العيوب والنقائص ، ولهذا يتمنَّى المنتهون الالتذاذ الذي كان ميسَّراً لهم في الابتداء ، ثمَّ زال عنهم في الانتهاء ، وعرض مكانه فقدانُ الالتذاذ وعدم الحلاوة ، ولهذا **يرى العارفُ** أن كفَّار الأَفْرنْجْ أفضلُ منه ؛ لأنَّ في الكافر نورانيَّةً بسبب امتزاجِ عالم الأمر فيه بعالم الخلق ، وهذا الامتزاج مفقودٌ في العارف ، بل بقي فيه عالم الخلق الذي يقَع لفظ (أنا) من العارف عليه وحده ، وهو مملوٌّ من ظلمةٍ وكدورةٍ من الرأس إلى القدم ، كما هو مبَّين في « المكتوبات » للإمام الرَّباني قدس سره .

من أحوال المؤلف

وقد يحصل(١) لهذا الفقير الحقير حالٌ يستحي معه أن يسأل الله تعالى قبول الصلاة ، بل يسأله تعالى عدمَ المؤاخذة بها ، وعساك أنَّ عالم الأمر فيك

---

(١) راجع ما مرَّ .

وهو اللطائف ارتقى إلى عَالَمِه ، ولذا يحصل لك اليأس أحياناً ، وترى نفسك مفلساً من الأحوال ، وذا عند أهل الله تعالى **هو المرتبةُ العليا** ؛ فكيف لا ؛ **وقد يعدلُ ذرَّة** واحدة **من عبادةِ مَنْ** هذا حاله بعبادة ألف سنة من غيره . لأنه خالٍ عن الحظوظ ، **وعبادته لا تكون حينئذٍ إلاَّ لمجرَّد الامتثال والتعظيم** ، فافهم . ولا تظنَّ أنَّ هذا الكلامَ خالٍ عن النقل ، فكلّه منقول ! !

التهليل اللساني والمراقبة

ثم اعلم أن التهليل اللساني مع رعاية الوقوف القلبي وملاحظة المعنى بأن يلاحظ وقت النفي نفيَ وجود جميع ما سوى الله تعالى ، أو ما يراد نفيه بخصوصه ، ووقت الإثباتِ إثبات الحق تعالى يوجب الترقي[1] لمن هو على المراقبة ؛ كما هو مذكور في « المناقب الأحمدية » و « النفائس السانحات » و الخ .

ضرورة الذكر

فالحاصل أن الذكر لا بدَّ منه للمبتدىء ولا للمنتهي أصلاً ، فإنَّ الذكر بمثابة الفأس يُقطَع به شوك الخواطر عن القلب ، **وقد يحصل للمنتهي أحياناً القبض المشدَّد ؛ وينزل من مقامه ، ولذا لا بدَّ له من الذكر لنفي ذلك ، ولحصول الحضور** ، ولكن إذا حصل له الحضورُ **فالدوام عليه خيرٌ من الذكر بمراتب ، والجلسة الواحدة وقت الحضور والمشاهدة خير من ألف حجة** . وهذا أيضاً حاصلُ كلام السادات . فافهم . ثم إنه لو يرسل السائل أمثال هذه المسائل لتكون أجوبتها نافقعة لأهل السلوك ، فأنت ترسل يا أبي إليَّ كل مشكل من هذا القبيل لأعلِّق عليه ما يَحُلُّه مما مَنَّ به عليَّ المنَّان الجليل ، فهذا ، والسلام ، وأوصيكم بالدعاء . الفقير الحقير حسن القحي . وقد كتبتُه بسرعة أيِّ سرعة ، ولم يتسع الوقت لتجديد النظر إليه فلعلك تفهمُ المراد . انتهى من خطه قدَّس الله تعالى سرَّه ولا قطع عنا بركته وبرَّه بمنه وكرمه ، الحمد لله .

(١) وأيضاً : إن التهليل اللساني يورث الترقي للمراقب . فافهم ، ويجوز له كل عبادة سواء كان ذكراً ؛ أو قراءة ، أو صلاة . . أو . . إلخ . (منه قدس سره) . (هامش الأصل) .

مكتوب إلى الإنخي

وكتب قدس سره إلى الحاج موسى الإنخي ما لفظه : من هذا الكاتب المرشد المجازي ؛ كالقاضي الضروري : حسن القحي ، إلى حضرة أخينا في الله ؛ لله ؛ بالله الحاج موسى الإنخوي : السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد : فقد وصل إلينا سلامُكم مع الهدية . . إلخ فجزاكم الله عنا خيراً ، ورزقكم الزيادة في معائش الدنيا لأجل الدين ، وفي طاعات الآخرة لأجل رضاء الخالق المعبود بالحق عزَّ وجلَّ ، وجنَّبكم عن كلِّ ما يعوقكم عن الوصول إلى مطالبكم ، وشرَّفكم بدولة دوام التعلُّق بجناب قدسه تعالى ؛ فإن حقيقة الحرية إنما هي في ذلك التحقُّق ، وطلبُ التخلُّص من أسر النفس هو عين العبودية ، وإذا زال التعلُّق بالنفس بالكلية تتخلص من ربقة رؤيتها ، وحصل مكانه التعلُّق بالحق سبحانه وتعالى ، ففي هذا الموطن يحصل الإخلاص في الأعمال ، وينبغي لكم أن تعلموا **أنَّ تكلُّف منع الخواطر هو في مرتبة الطريقة ، والتخلُّص من التكلف إنما يكون في مرتبة الحقيقة** ، فلعلكم تجتهدون في ملازمة المراقبة العلية ، وتسعون لطرد الخواطر الرديئة **عن ساحة الصدر بالكلية ، فلو سَلِم للعبد ساعةٌ واحدة لا يخطر فيها سوى الحق تعالى ؛ فتلك الساعة تساوي إن شاء الله تعالى بألوف من أعمار سائر العباد ، وذرَّة واحدة من أوقات المراقبة خيرٌ من كثير من العبادة الخالية منها** ، ولعلكم سمعْتم قوله ﷺ : « فكر ساعة خيرٌ من عبادة ستين سنة » ،

فداومْ على المراقبة حتى يحصل لك الفناء التامُّ ، فإن حصول الإخلاص منوطٌ بانتفآء الآلهة الآفاقيَّة والأنفسيَّة الذي هو مربوطٌ بالفناء والبقاء ، والوصول إلى الولاية الخاصَّة ، والإخلاص الذي يحتاج فيه إلى التعمل والتكلف لا يكون له دوامٌ ولا بدَّ من سقوط التكلف في حصول الإخلاص الذي هو مرتبةُ حقِّ اليقين .

❊ وسمعت حضرة شيخنا علاء الدين العطار قدس سره يقول : سألت مولانا حسام الدين البلخي ، أنه ما سبب الأمر بالذكر في النهاية في طريقة خواجكان ؟ فقال : إن الذكر في هذا المقام لرفع الدرجات ، لا لقطع المقامات . « رشحات » عبارته ٧٨ . (من نسخة أخرى) .

الدنيا محلُّ الامتحان والابتلاء

واعلم أيها الأخ المحبوب المقبول ؛ **أن الدنيا محلُّ الامتحان والابتلاء** ؛ ظاهرها مموَّه ومزيّن بأنواع المزخرفات وصورتها منقَّشة وملوَّنة بالخيلان ، والخُطوط ، والذوائب والخدود الموهومة ، حلوة في باديء النظر ؛ متخيِّلة بالطراوة والنضارة في البصر ، **ولكنها في الحقيقة جيفة** مرشوش عليها العطر ، ومزبلة ملْآنة بالذباب والدود ، سرابٌ يُرى كالشراب ، وسمٌّ في صورة سُكَّر ، باطنها خراب وأبتر ، ومعاملتُها مع أبنائها مع وجود هذه الدمامة والقباحة شرٌّ من جميع ما يقال ويذكر ، عاشقها سفيهٌ ومسحورٌ ، ومفتونها مجنون ومخدوع ، كلُّ من افتتن بظاهرها فقد اتسم بسمة الخسارة الأبدية ، وكلُّ مَن نظر إلى حلاوتها وطراوتها كان نصيبه الندامةَ السرمديَّة ، **فاجتهد للاجتناب عن خداع هذه الدنيا** الموصوفة بهذه المذكورات ، ولازم الذكر السريَّ الذي ثبت فضله على الجهري بسبعين ضعفاً ، وداومْ المراقبة في كلِّ حال من الأحوال .

المراقبة وقت الحدث

وقد سألت شيخنا المرحوم : هل يجوز المراقبة وقتَ الحدث ؟ فقال : نعم .

وقلت له أيضاً : ففي أي وقت وزمان أراقب يا أستاذي ؟

وقت وزمان المراقبة

فقال : ليس للمراقبة وقت وزمان ، كما أنه ليس للذكر وقت وزمان . انتهى . يعني : **أن دوام المراقبة في جميع الحالات لازمٌ ، كما أن دوام الذكر للسالك لازمٌ** . والله أعلم .

واعلم أيها الأخ؛ أنه لو وجد فيكم من يقصد نحونا بعد الآن فعَلِّمه الرابطة بتمامها ، وأمُرْهُ بفعلها مدّة حتَّى يحصل له بذلك الاستعداد ، ويكون سبباً لتيسير التوجُّه . فافهم ، فهذا ؛ والسلام ، وأوصيكم بالدعاء ، واقرأ مني السلام على الأخ المحبوب الحاج سراج الدين ، وأوصيه بالدعاء . انتهى من خطه قدس سره .

مكتوب لأستاذه العسلي

وكتب قدس سره إلى أستاذه الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره أيام هو مقيم « بدانجه » ، من ولاية « چارْ » ما ملخصه مع تغيير :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي جعل الاستقامة فوق الكرامة ، كيف لا ؛ وقد قال عزَّ من قائل ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي بالرضوان بشَّركم ، وإلى السعادة هداكم ، وعلى آله وأصحابه الذين أيَّدوا دينكم ، وأصلحوا منهاج نبيِّكم ، إلى مَن بدايته النهاية ، ونهايته ليس لها غاية ، إلى محيي سنَّةِ سيد المرسلين ، ومرشد المريدين ، إلى محطِّ رجال أهل الله الصادقين ؛ الحاج عبد الرحمن العسلي ، عامله الله بلطفه الأبديِّ وفيْضه المددي ، وجعله من الآنسين بقربه ، الفائزين بمعرفته وحبِّه ، عليكم السلام والتحية في كلِّ بكرة وعشية . أما بعد حمد الله سبحانه وشكره بقدر طاقتنا ؛ لا بقدر نعمته ، نسأل الله تعالى لكم الصحَّة والسلامة التي هي عين الرحمة والنعمة ، وأن يرقِّيَكم في المقامات إلى أعلى الدرجات ، ويُفيض فيوضاتكم وإمداداتكم إلى أهل إرادتكم ودائرتكم . آمين .

وقد وصل إلينا كتابكم المضنون ، وفهمنا ما فيه من خطابكم الميمون ، وشممنا من روائح عطور فيضكم ، وقبّلنا بالأفواه آثار فضلكم ، والتذَّتْ برؤيته الأعين ، وبسماعه الأذن ، **كلُّ هذا السرور والرضاء بالله ، لله ، من الله سبحانه** ، حيث أنكم لم تنسوا هذا الفقير ولم تضعوه ؛ وهو حقير ، فوجب علينا أن ننشد ما قاله العارف :

ولقد سما الكلب الحقير إلى السما ... لـمــا تـذكرت الأســود بـاسمه

ثم إنه قدس سره ذكر في هذه الرسالة تفصيل أحوال الوطن ، وأخبره عن صحَّة حاله . . . وإلخ ، إلى أن قال : لكن النفس الأمارة هي على حالتها المعلومة لديك ، فهي تعلو علينا يوماً فيوماً ، ولا خلاص لنا من ضررها ؛ ولو في وقت ما .

ثم ذكر له عن الجائين والذاهبين إلى حرب « اليَابَانْ » وقال إنه لم يرجع من قريته إلاّ واحد ، **ولعله رجع بشفاعة صلاته وصومه** فإنه قال وصدَّقه مَنْ

رأى : إنه لم يترك الصلاة ولو في حال الاشتراك في المعركة ، وقال : إنه كان يتوضأ في الغداة ويدوم على تلك الطهارة إلى المساء وإنه كان إصابة البندقة بصَدْره أَحَبَّ إليه من أن يصيبه الحَدَثُ . انتهى .

ثم قال قدِّس سرُّه : وأما حالاتي الباطنة ! ! فهي في نقص وقصور ، ولا أرى من أعمالي ثمرات إلاَّ الحور بعد الكور ، فالمرجوُّ من الله سبحانه أن لا يسلب عنِّي محبَّتكم ومحبة ساداتكم ، إنه هو البر الرحيم .

ثم إن العالم أَصْحَابْ اللِخيّ قد جاء لديَّ مرتين ، فانعكس إليَّ منه أنَّ جميع أجزاء البدن يتحرَّك ويضطرب ، لكن لما كنتَ قلتَ لي : إن صاحب الذكر السلطاني لا يخلو من أن يعرفه مرَّة أو مرتين تركته على حاله ، لأني لم أجده يعرف ذلك .

مدة تبديل الذكر

وأما الآحاد ! فمنْهم من بدَّلتُ ذكرهم من القلب إلى الروح ، ومنهم من بدَّلته من الروح إلى السرِّ ، ومنهم شيخ هرم يشتكي أن الحرارة تشتدُّ عليه بحيث لا يطيق أن يحملها ؛ قائلاً : إنه لا يجوز أن يذكر الله تعالى كثيراً ؛ لطروِّ تلك الحرارة حينئذ ، فإن ذكر الله تعالى فوق العادة يرتفع الذكر حتى إلى ما بين العينين ، فأنا متحيِّر في حقه ، فإنك كنتَ قلتَ لي : لا يجوز تبديل الذكر إلاَّ بعد مضي ثلاثة أشهر ! !

هذا ؛ وقد جاء إليَّ من جناب هادي خواجه الأشترخاني ٣٥ قروشاً ، **وذلك من دائرة بركاتكم لا غير ، والحمد لله** ، وألَّفت بعدك تأليفاً نفيساً لردِّ منكري هذه النسبة العلية ؛ نصرة لها ولطائفتها الطيبة الصفية ، بيد أنه لما كنتَ غريباً غائباً عنا لم يكن في الإمكان أن أشاورك في حقِّه ! !

نعم ؛ استأذنت من حضرتكم وحضرات السادات باطناً ، وناديتُ أصحاب النوبة ؛ فانشرح صدري لذلك ، وليس لي في جمعه نسبة مَّا سوى كونها قطرات رشحت من بحور فيوضكم إلى صدورنا ، مع موافقة الإلهامات بالنقول ، **وكلُّ ذلك ببركاتكم** ، والحمد لله ربِّ العالمين . وكلُّ هذا ظاهر لديكم ، ولكن

الظهور بعد الظهور أوضح وأبْيَنُ ، ولعل الله سبحانه يسامحني من إكثار الكلام إلى هذا الحد ، والمرجوُّ من جنابكم أن لا تطرحونا من نظراتكم ؛ ولو كنا مخالفين . حرَّره الحقير ولدكم خادم المفلسين حسن بن محمد القحي في ٤ محرم سنة :[١]١٣٢٤ .

مكتوب لرؤيا منامية

وكتب إليه أيضاً وهو في « دنچه » ما حاصله : يا أستاذي وروح جسدي ؛ إني رأيت ليلة في المنام كأني أحمل جنازة رسول الله ﷺ على رأسي من جهة رجليه ، ويحمله رجلٌ آخر من جهة رأسه ، وحين ذاك زال الكفن عن ساقيه ﷺ ، وانكشفا ، فسترتهما بيدي بجرِّ الكفن عليهما ، وكان الكفنُ الذي عليه غيرَ جديد .

ورأيت في ليلة أخرى كأن النبي عليه أفضل الصلوات وأكملها وُلد في حجرتي . هذا ؛ والسلام .

مكتوب آخر للعسلي

وكتب إليه أيضاً ما ملخَّصه مع تغيير وتبديل في العبارات : إلى أبي أرواحنا ، وحياة قلوبنا وقرَّة عيوننا ، ومقوِّم أخلاقنا ، ومهذِّب نفوسنا ؛ شيخنا ذي الجناحين الحاج عبد الرحمن العسلي .

أما بعد ؛ فليس المراد من الإرسال إلاّ إعلام الحال ، وتبليغكم شوقنا المزيد لرجوعكم كي نحظى برؤية وجوهكم ، فإنَّا كأطفال تركَتْها أمُّها ، بيد أننا كلُّنا مع مَن في دائرتنا في كنف الله سبحانه ، ونحن نتوجَّه إلى أحوال مَنْ جاء لدينا ممن في دائرتنا ، ونلقِّن مَن أراد التلقين وفق ما أمرتمونا به ، مع كوننا خائفين عن خيبة سعينا بالوقوع فيما نستحق به الطرد والإبعاد ، فالمأمول من كرم سعادتكم أن لا تطرحونا من نظراتكم الفيَّاضة ، ولا تحرمونا من هِمَّاتكم الفعَّالة ، فإنَّ نفوسَنا حتى الآن على ما كانت عليه من الجموح ؛ كأنه لم

---

(١) وفي نسخة أخرى : ١٣٣٤ .

ينقص من أمَّارتها شيء ! ! فلا تزال ترضعُ ثديَ مألوفاتها ، ولا تقدر على هجر مأنوساتها ، فسداها ولحْمتها ؛ بل كلُّها شهوات ، فما أصدق قول القائل :

نَحْت الجبال بالأظافر حتى تنقطع الأوصال أهون من مخالفة الهوى إذا تمكَّن في النفس .

والله المستعان ، وهو ولي التوفيق ، ولا قوة إلاّ به ، وأستغفر الله من كلِّ قول أسأت به الأدب ، والمرجوُّ منكم المسماحة . من طرف خادمكم وولدكم البهلوان حسن بن محمد القحي .

ثم كتب بلغتنا الأوارية هذه الأبيات :

لَجِنْ بَچِنِبْ نُخْطِ طَنْچزُلْ بِـرَلْ عَدِنْ   بَلَهُنْ خُـطُـنْ رُكُ مُـنْ وَچُـنِبْ نُخَلْدِ
إِبلْ خُنْ نَخِّ تَرَلْ عِـصِـنَـلْ لِمَلْ عَدِنْ   عَـجَـائِبَبْ كُـثِـلْـدَ كِنَلْكُ حَيْرَانْ رُكُ
خَلْقُلْ عَالَمْ قَلُلِبْ سَمَاءَلُلْ بَقُـلْ نُـورْ   طِـرْكُـنْ بَكُّنْ كَطِلُ عِمِرْكُ حِنْقُنْ رُكُ
إِخْلَاصَلُلْ أَهْلُيَلِ كَلْ چَنْ هِقُلِبْ زَمْزَمْ   مُـنْ قُـنْ خَـدُ كُرُكُ قِيمَةْ لَنْ بُكُنْ هِچُ
أَللهْ وُقَّنْ شِـنَـصِ وُصِـنِ شَرَبْ كَوْثَرْ   كُـدُصَ مُـنْ إِنْـچُـكُ شُـكْـرُ هَبزِ لَچُ
رَسُولَصُلْ طَرِيقَةْ طُـبِـطَـرَوْ مُـجَـدِّدْ   مُـنْ هِـچِـلُـلْ هَبَكَخْ قُكِ قَصِلُنْ بُكُ
حُضُورْ خِدَلْ كَنْزِزِ أُسْتَارْ مُنْ رِكَّلِدَلْ   غَـفْـلَـتَـلُـلْ حِـجَابَلْ مَعِيَّةْ دَهْلُنْ بُكُ
صُـحْـبَـتَـلْـدَ رُرْتِـزِ عَـكَـرْلُدَ هِچِلُلْ   تَـجَـلِّـيَـاتُ الاَفْـعَـالْ تَـنَـزُّلَـلُـلْ رُكُ
هَـبْ شِـكَـايَةْ دُدِخُنْ أَدِيبَصْ هَبِـلَـرُ   كِـنِّـكِ أَمَّـارَتَـلِ أَحُـلَ بُـقَّـرَلْـدِ
صِدْقُ هِچِبْ كَـلِـمَ كَاذِبَصُلْ جُ بُـكُ   كَـرِيـمَـصْدِ كُّلْ بُكُ عَفْوُ حَصُلْ لِلَنْ
كِنَلْكُ مُـرِيـدْزَبِ زِيَـارَةْ كَـمُـنْ رُكُ   شَـمْـسُ المَعْرِفَتَلْدِ تَوَجُّهْ نُقْصَانْ لِدَلْ
طُـلْـكُ نِـسَـآءَلْـزِنِ شِـكَـايَـتَلُلْ رُكُ   طَـدْ بُـصُـنْ قَمَرْ شَنِ قِيمَةْ ژَقْ هَبِلَنْ
نَظْرَتَـلِ ذَرَّةْ لُـنْ كِـنَـلْـكُ نِـجْ رُكُـنِوْ   مُرْشِدْ دُدِخُنْ كَلَامْ ضُعْفُ الاِعْتِقَادْ بُكُ
حِجَابْ كَثِيفْ لَرَصِ كَرَمْ عَطِدَوْ لِدَلْ   كِـنِّـكِ عَـفْوُ يَلْدِ كُّلْ لُنْ خَّنَ أَلْفَاظَلْ

انتهى

الباب الخامس

في كيفية قراءة الختم والصلوات وآدابها وفوائدها

جوابه للعرادي

وكتب قدس سره جواباً لمن سأله عن كيفية قراءة الختم . . .وإلخ ؛ وهو الشيخ المحقق أدرة العرادي رحمه الله ما لفظه :

كيفيَّة قراءة الختم والصلوات

١ ينوي أوَّلاً قراءةَ الختم لقضاء الحوائج الدنيوية والأخروية .

٢ ثم يقرأ الختم؛ سواء كان ختمَ الخواجكان ، أو ختم الإمام الرباني .

٣ ثم بعد قراءة الختم يذكر لا إله إلا الله (أحد عشر مرة) ، أو (خمس عشرة) ، أو (خمساً وعشرين مرة) .

٤ وبعد ذلك يصلي (ثلاث مرات) بهذه الصلاة : (اللهم صلِّ على سيدنا محمد ، وسيدنا آدم ، وسيدنا نوح ، وسيدنا إبراهيم ، وسيدنا موسى ، وسيدنا عيسى ، وما بينهم من النبيين والمرسلين صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعليهم وعلينا أجمعين) .

٥ ثم يقرأ آية ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ . .إلخ .

٦ ثم يَهَبُ ثواب القراءة إلى روح محمد ﷺ ، وإلى أرواح أصحابه الأربعة ، ثم إلى أرواح مشائخ السلسلة أجمعين ، وعند ذكر أسمائهم يتوسَّل باسم كلِّ واحد منهم لقضاء الجوائج الدنيوية والأخروية .

وفي قراءة الختم للإمام الرباني يقول بعد ذكر اسمه : يا إمام الرباني ؛ أطلبُ منك العون لقضاء حوائجي الدنيوية والأخروية . وهكذا بعد ذكر كلّ من أسماء المشائخ الكائنين بعده . فافهم .

وأما بعد قراءة الصلوات الشريفة يوم الجمعة ؛ أو ليلته ، ولا وقتَ مخصوصٌ لها ليلاً أو نهاراً ! ! فيذكر :

(لا إله إلا الله) (١١) ، أو (١٥) أو (٢٥) .

❊ من هذا العبد الضعيف المرشد المجازي كالقاضي الضروري كاتب الحروف المعلوم إلى ذلك الأخ المشهور القاضي عَرَبِ العكلجي : السلام عليكم ولن يتركم أعمالكم ، وأوصلكم مناكم ، وجعلكم من الذين سبقت لهم من الله الحسنى آمين .
وبعد : فكم وكم مرات يوصل إلينا سلامكم إخوانُنا في الدّين ! ! وكم وكم يقولون : إنكم تذكروننا في المجالس بالذكر الحسن ! ! وذلك **ليس إلا بجذب الروح ؛ وهو من علامة الدين** ، فلله الحمد والمنة ، فقد ورد في الخبر « الأرواحُ جنودٌ مُجَنَّدة فما تَعَارَفَ منْها ائْتَلَفَ وما تَنَاكَرَ منها اخْتَلَفَ » ، فاستحسنَّا هذا الصنيع الناشئ من ذلك القدر الرفيع والمقام المنيع ، مع هذا العبد الضعيف الوضيع ، وكيف لا تستحسن المبادأة بالتواضع من العلماء كالملوك ؟ ! ولا سيما بالنسبة إلى الفقير الصعلوك . ولعمري أن التفقُّد عن أحوال مثلي من أمثالكم لحري بالاستغراب ، وحضور هذا المسكين الخامل ببابكم لَشيء عجاب ، رفعكم الله بهذا التواضع وصانكم عن التكبر ، ورقاكم بفضله يوماً فيوماً في مراقي التمكن والتصدُّر ، فالتواضع من أرباب الشرف شرف وزين ، والتكبُّر – حُفظتم عنه – شرف وشين ، جزاكم الله عنا خيراً ولا لاقكم بعد الآن ضيراً ، وألهمكم رشداً ، وجعل مثواكم ومتقلَّبكم مشهوداً .
وإن سألتم عن أحوالنا فنحن في صحة وسلامة ، **بيد أن بواطننا كالبيت الخراب ، وأحوالها كأحوال بواطن المسلوبين ، ونحن في كل وقت كالحبة المقلية** ؛ لِمَا أنَّ الأكثرين يرمون سهامهم إلى جهتنا دائماً ، ولا نخلو عن اللوم أصلاً . **فنشكر الله سبحانه على ذلك لأن ذلك سنة الله التي قد خلت من قبلُ ، ولا يخلو منه أحد من بعدُ** ، فأسألكم بالله أن تدركوا أخاكم بالدعاء ، وأن تمدوه بالتضرُّع والالتجاء ؛ **فإن الدعاء بظهر الغيب مقبول** إن شاء الله ، والإمداد لإخوان الدين من شيم أمثالكم ، وذلك فضل الله . فقد تصدَّرنا لهذا الأمر المخوف بالأمر المشدَّد من شيخنا المرحوم المغفور له مع اعترافنا بالعجز عن أداء الحقوق ورعاية الاستقامة في جميع الأمور ؛ فيجب عليكم النصر لنا بالدعاء بحصول الاستقامة والتوفيق ، وقد قال تعالى ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ الآية ، فهذا ؛ والسلام وأوصلكم الله إلى المرام . (حسن قدّس سرّه من خطه) .

ثم يصلي (ثلاث مرات) بهذه الصلاة : (اللهم صلِّ على سيدنا محمَّد ، وعلى آل سيدنا محمد بعدد كلِّ داء ودواء ، وبارك وسلم عليه وعليهم كثيراً) ويكرر (كثيراً كثيراً) في الثالثة[1] ، ويقول بعد ذلك : (صلِّ يا ربِّ وسلم على جميع الأنبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين) .

٣ ثم يقرأ آية ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ .وإلخ . هذه كيفية قراءة الختم والصلاة التي علّمنيها شيخنا العسوي قدّس سرّه .

ثم يهب ثواب القراءة لأرواح السلسلة ؛ كما في الرابطة .

تعدُّد الحلقة

ثم اعلم يا أبي أُدُرَةْ أن تعدُّد التلقين والحلقة في بلدة واحدة خلافُ أصول الخالدية ، كما هو مذكور في « مجموعة الرسائل » للزهدي . وقال خالد شاه : من غيَّر أصول طريقتنا فليس منا ، فعليكم بحفظ أصولهم لئلا تصيروا مطرودين . فافهموا .

فالحاصل : يجوز لكم أن تجتمعوا في موضع واحد ، وتقرأوا الختم والصلاة مجتمعين ، وإلا ! فالتعدد ليس بجائز .

ولقد كان شيخنا قدس سره يقول : يجوز قراءة الختم والصلاة بالاجتماع إن وجد بينهم مَن وصل إلى حَبْس النفس ، وإلاّ ! فلا ، **وأما في الانفراد! فيجوز لكلِّ واحد** . انتهى ، فالذي عليه مدار النظام أن يكون اللاحق تابعاً للسابق في التلقين ، أو قراءة الختم والصلاة ، وإلا ! فالاستقلال غيرُ جائز . كما هو مذكور في كلام الزهدي مبسوطاً . فافهم .

---

(١) ويزيد أيضاً – أي : ويقول : وعلى أصحاب سيدنا محمد . (هكذا في الأصل ولعله وعلى آل وأصحاب سيدنا محمد) – بعد : وعلى آل وأصحاب . . . إلخ . (هكذا في الأصل ولعله بعد وعلى آل سيدنا محمد) في الثالثة ، فافهم (منه) . (هامش الأصل) .

* ووجد بِخط السيد الأمير خالد سيف الله الغازي غموقي قدس سره ما لفظه : **وقوف قلبي** : شِبْجُ أَبُنِ ذَاكِرَصُلْ رَكْ مَذْكُورَصُلْ أَيْ حَقُّ تَعَالَى يَصُلْ وُقُوفْ لِيِي بُكْ ، هِبْ حَالَلْدَ

وفي « مجموعة الرسائل » بهامش صحيفة ١٧ وفي سنة ١٢٧٤ أربع وسبعين جاء سيدي الشيخ سليمان لزيارة سيد الكائنات ، عليه أفضل التحيات وعلى آله الطيبات ، فسئل عن الحقير عن جمعيَّتنا وجماعتنا ، فأخبرته وقلت : إذا وجد الماء بطل التيمم ، أنا والجماعة لكم وعلى نظركم . فقال : سمعت الشيخ عبد الله عن مولانا خالد قدِّس سرُّه قال : لو أرسلتُ خليفة إلى بلدة وأمرتُه بالارشاد فيها ؛ ولو دخلتُ فيها لحاجة لا أستقل بالإرشاد فيها لأجل خليفتي الذي أرسلته أوّلاً ، فاستقم كالأوَّل بالختم والتوجهات في الأوقات التي اخترتَهَا ، والإخوان الذين معنا كلهم يحضرون الختم والتوجهات في المحلِّ الذي عيَّنتَهُ ، وأنا عاجز عن مجيء ذلك المحل ، وبعد صلاة العصر كلُّكم تعالوا عندنا في البيت يكون الختم الخواجكان كما في مكة المكرمة ، وعادتنا في المدينة المنوَّرة بين العشاءين عند باب المجيدي في مكتب الصبيان على شروطه . انتهى عبارته ١٨ .

فتدبَّر يا أبي أدرة قولَ الأستاذ لمريده ، وافهم منه ؛ فإذا كان الحال هكذا فالذي يراه الفقير أن ترسلوا الكتاب إلى الشيخ شعيب أفندي الباكني بطلب الإذن منه للاجتماع في مكان واحد ؛ أنتم ومريدوه ، مع أنه لا فرق بيننا وبينه وشيخنا وشيخهم واحد ، أي : ومريدونا ومريدوه كمريدي شيخ واحد فيما أعلم ، فيجوز الإجتماع حينئذ في رأيي ، لكنَّ ما قال الشيخ الباكني هو الصواب ؛ لأنه أعلم في هذا الباب وأسبق منا حالاً ومقاماً ، وهو شيخنا في الحال والمآل إن شاء الله تعالى ، فلك يا أبي أن تكتب إلى الشيخ شعيب ما بدا

اَللهَ ص مُرَاقَبَيلْدَصَنْ بُطَ قِّز حَتَّى مُشَاهَدَ يَلْدَ چز هَبُنْ مَشْغُولْلِپ بُكُ ، شِبَبْ حَالَلْ حَتَّى بَعْضُ السَادَتَزْ أَبُنْ بُكُ : **هَبْ وُقُوَفْ ذِكْرُ يَلُلْ شَرْطْ بُكُ أَبُنْ** . انتهىَ . (من نسخة أخرى) .

❊ ووجد بخط اليعسوب نقلاً عن خط أستاذه الحلمي قدس سرهما ما لفظه : **والوقوف القلبي ؛ ركن الطريقة ، بل هو أساسها ، بل واجبٌ في كل طاعة ، بل كل حالة من القيام والقعود والاضطجاع ، حتى الرواح إلى الخلاء ووقت الجماع ولو حين يغشاها** . « جامع الأصول » عبارته ١٦ . ❊ **وقوف** : رَكَلْدِ بَلَهِ ، من غير ذكر ؛ هذا هو المراد هنا ، وإلاَّ فهو على أنواع . راجع وحرِّر ، والسلام انتهى من خط الأستاذ الأواري وهو من خط اليعسوب . (من نسخة أخرى) .

لك في حق هذا الأمر بالسؤال منه ، وأنت أعلم منا ، والله ولي التوفيق ، وأنا ابنكم حسن وأوصيكم بالدعاء . انتهى .

مكتوب إلى حسين المحمد جواباً عن الكيفية

وكتب قدس سره إلى بعض أكابر مريديه وهو الشيخ العالم حسين المحمد العوري حفظه الله ، جواباً لكتابه : وعليكم السلام . . . إلخ .

ثم الذي رأيناه من مشائخنا في كيفية قراءة الختم والصلوات :

❋ قوله (سيدنا محمّدا عبده ورسوله) قدَّمه امتثالا لما في الحديث الصحيح « ولكن قولوا عبد الله ورسوله » ؛ ولأنه أحب الأسماء إلى الله سبحانه وتعالى وأرفعها إليه ، قال الشيخ أبو علي الدقاق : ليس للعبد صيغة أتمَّ ولا أشرف من العبودية ؛ ولذا أطلقها الباري سبحانه وتعالى على نبيِّه في أشرف المقامات قال تعالى ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ ، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ ، ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ ، وقد حقّق أن عبودية الرسول أكمل من رسالته ؛ لكونها انصرافاً من الخلق إلى الحق ، والرسالة انصراف من الحق إلى الخلق ؛ ولأنَّ العبد يتكفَّل مولاه لإصلاح شأنه ، والرسول يتكفَّل بإصلاح شأن الأمَّة « عطاري على شرح الأزهرية » عبارته ٤ .

أي : « ولكن قولوا عبد الله ورسوله » . هذا ؛ بعض الحديث الذي لفظه « لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ، ولكن قولوا : عبد الله ورسوله » وتطروا ؛ بضم التاء مضارع أطرى ، والإطراء : المبالغة في المدح حتى يخرج عن الحد ، أي : لا تبالغوا في مدحي مجاوزة للحدِّ ، كما بلغت النصارى في المسيح ، حيث أخرجوه من مقام البشرية لمقام الألوهية « حاشية محمد الأنبابي على هامشه » تذكرة ، الشيخ العاجز محمد الشتوطي لابنه العالم محمد العكلچي . (من نسخة أخرى) .

فضائل العبودية على الرسالة

وهي غاية الخضوع والتذلُّل ، وهذا الوصف أشرف أوصاف الإنسان وأرفعها ؛ ولذا وصف رسول الله ﷺ به في المقامات العلية كمقام الإسراء ومقام إنزال القرآن ومقام الدعوة إليه . « باجوري » عبارته ٧٦ على حاشية « سلم المنطق » وراجع « الشهاب » في ديباجة « شرح المحلي » صفر ٢٠ سنة ١٢٣٠ .

وإنما قال (عبده) لأنه من أشرف الصفات ، ولهذا سمّاه الله تعالى عبداً في مواضع كثيرة من القرآن فقال ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ ، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ، ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ ، ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ ، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ ، فانظر إلى تسميته عليه أفضل الصلاة والسلام في هذه المواطن الشريفة بذلك . (من نسخة أخرى) .

الرابطة الشريفةُ أولاً ، ثم الاستغفار (خمساً وعشرين مرة)[1] بعد قراءة ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا ﴾ الآية ، ثم تقول : اللهم يا مقلِّب القلوب . . إلخ ، ثم تقول فاتحة شريفة ، ثم تقرأ أنت والحاضرون فاتحة الكتاب (سبع مرات) مِمَّن كانوا في جهة اليمين ، ثم تقول : صلوات شريفة ، ثم تقول : ألم نشرح شريف[2] . . . إلخ ، ثم تقول : إخلاص شريف[3] . . . إلخ ، ثم تقول فاتحة شريفة . . إلخ ، ثم تقول صلوات شريفة[4] ، ثم تقول أنت والحاضرون : يا قاضيَ الحاجات ، يا كافي المهمَّات ؛ يا دافع البليَّات ، يا رافع الدرجات ، يا شافي الأمراض ، يا مجيب الدعوات ، يا أرحم الراحمين (مائة مرة) ؛ أي : بالتقسيم على الحاضرين ؛ مثلاً إن وُجد في المجلس عشرون رجلاً ؛ يقول كلٌّ منهم هذا الدعاء خمسَ مرات فيصير المجموع مائة . فافهم .

ثم تقول أنت وإيَّاهم : لا إله إلا الله (خمساً وعشرين مرة) ، ثم تقرأ عشر آيات من القرآن ، ثم تهبُ ثواب ذلك كله إلى روح النبي . . . وإلخ ، فافهم . ثم السلام منا على أهل المجلس طُرّاً . وأوصيكم وأوصيهم بالدعاء . فافهم ، والسلام . انتهى من خط حسينل محمد حفظه الله .

مكتوب إلى أدرة بكيفية التوسل

وكتب قدس سره إلى أدرة : وعليكم السلام ؛ فكيفية التوسُّل بالإمام الرباني قدس سره :

قال أبو علي الدقاق : ليس شيء أفضل من العبودية ، ولا اسم أتم للمؤمن من الوصف به . « عمدة المحتاج إلى شرح المنهاج » عبارته من شرح : (وأنَّ محمدا عبده) .

(١) خمساً ، أو خمس عشرة ، أو خمساً وعشرين ، من « خلاصة الآداب » . (هامش الأصل) .
(٢) ٨٩ مرة . (منه ؛ هامش الأصل) .
(٣) ١٠٠١ مرة . (هامش الأصل) .
(٤) ١٠٠ مرة . (منه) . (هامش الأصل) .

أن ينوي مَن أراد قراءة ختمه بما أراده[1] ؛ من شفاء مريض ، أو حصول مقصود ، أو دفع بلاء ، أو . . . إلخ ، ثم يقرأ ختمه بتلك النية ، ويهدي ثوابه بعد قراءة عشر آيات من القرآن إلى روحه ، ويطلب منه حصولَ مراده بإمداده وإعانته ، ثم يسأل الله تعالى حصوله بحرمته قدس سره بالتوجُّه التامِّ ، والإلحاح والتضرُّع . هذا ، والسلام .

وإن قرأت ذلك الختم أحياناً بنيَّة شفاء المريض لعلَّ الله تعالى يشفيه ببركة ذلك الإمام إن شاء الله تعالى ! ! انتهى .

مكتوبه أيام فتنة داغستان

وكتب قدس سره إلى مريديه في الآفاق أيام الفتنة العامة في داغستان عقب حرب العالم الأولى : السلام عليكم ورحمة الله تعالى وركاته ؛ إني أرى الخيرَ والمصلحة ؛ نظراً إلى الزمان قراءة هذا الختم ؛ ولو مرَّة في أسبوع ، وهو ختم الإمام الرباني قدس سره .

وكيفية قراءته : يفعل الرابطة أولاً ، ثم يستغفر الله تعالى (خمساً وعشرين مرة) ، ثم ينوي هكذا : نويت أن أقرأ ختم الإمام الرباني لقضاء حوائجي في الدنيا والآخرة ، ودفع البلايا والفتن . . . وإلخ وإلخ ، ثم يقول : اللهم صل على سيِّدنا محمد وعلى آله (مائة مرة) ، ويزيد في أولها وآخرها : وعلى آل سيدنا محمد وسلم .

---

(١) أي : ينوي ذلك بخصوصه . (منه) . (هامش الأصل) .

❊ اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولحظة ولمحة وطرفة يطرف بها أهل السموات وأهل الأرضين ، وكل شيء هو في علمك كائن أو قد كان أقدم إليك بين يدي ذلك كله : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، (ثلاثا) ، بسم الله الرحمن الرحيم ثم الفاتحة ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ ، وآية الكرسي إلى خالدون ، ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا ﴾ . . .إلخ . من « وفق المراد » عبارته من أوراد الصبح وأذكاره إلى طلوع الشمس . (من نسخة أخرى) .

ثم يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله (خمسمائة مرة) ويزيد في أول كل مائة وآخرها : (العلي العظيم) ، ثم يصلي كذلك (مائة مرة) ، ثم يقرأ ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ . . إلخ ، ثم يَهَبُ ثوابه لروحه ، ويطلب منه الإعانة لقضاء الحوائج ، ودفع البلايا ، ثم يسأل الله تعالى قضاءها ودفعها بحرمته قدس سره ، أو يهب الثواب كما يهب في وقت الرابطة .

ثم إذا وصل إلى الإمام الرباني يناديه هكذا : يا أحمد الفاروقي ؛ نتوسَّل بك إلى الله تعالى لقضاء حوائجي ، ودفع البلايا . . . وإلخ .

ثم يَهَبُ إلى روح خالد شاه ، ويناديه كذلك ، ثم إلى روح محمود أفندي ، ويناديه كذلك . . . وهكذا . . وهكذا ، ثم يقول : يا ربّ ؛ اقض حاجتي[1] وادفع عنا البلايا بحرمة هؤلاء المشائخ ، وخاصَّة بحرمة الإمام الرباني أحمد الفاروقي . فافهموا ، وأوصيكم بالدعاء . انتهى من خطه قدّس سرّه ببعض تغيير .

مكتوب لبعض مريديه

وكتب قدس سره إلى بعض مريديه : السلام عليكم ؛ رابطة شريفة ، ثم تقول : نويت أن أقرأ ختم الإمام الرباني لشفائي ، ويذهب عني دائي ، ثم الصلاة (مائة مرة) ، ثم لا حول ولا قوة إلا بالله (خمسمائة مرة) ، ويزيد (العليّ العظيم) في أوَّل كل مائة ، ثم الصلاة (مائة) ، ثم ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ إلى آخر السورة ، ثم تهب ثوابه لروح الإمام الرباني ، ثم تناديه هكذا : يا إمام رباني أطلب منك العون[2] لذهاب دائي وصحَّة جسدي ، ثم تدعو الله تعالى قائلاً : يا إلهي أذهب عني دائي ، وارزقني الصحة والعافية بحرمة هذا الإمام . آمين .

فافعل هكذا مرة بعد مرة ، وقل لأمِّك تفعل هكذا بنية شفائك ، ونحن نفعل كذلك بتلك النية إن شاء الله . انتهى من خطه معرَّباً .

(١) حوائجنا . (من نسخة أخرى) .
(٢) الإعانة والإمداد . (هامش الأصل) .

وكتب قدّس سرّه في كتابه « خلاصة الآداب » كيفية قراءة ختم خواجكان بالتفصيل ، ثم بيَّن كيفية سائر الختمات فقال : ثم ختم الإمام الربّاني ؛ **لا حول ولا قوَّة إلا بالله** (خمسمائة مرة) ، ويزاد في رأس كل مائة ؛ **العلي العظيم** ، والصلاة في أوله وآخره (مائة) ، ثم يهدي ثوابه إليه ، ثم ختم سيدي محمَّد مظهر وهو المعوّذتان وبينهما الاستغفار بهذه الصيغة ؛ **أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه** (ثلثمائة وعشرين مرة) ، ثم يهدي ثوابه إليه .

وهذه الختمات تستعمل عندنا في حلقة المغرب ، ثم ختم الغوث الجيلاني وهو ؛ **حسبنا الله ونعم الوكيل** (خمسمائة مرة) ، والصلاة في أوَّله وآخره (مائة مرة) ، ثم يهدي ثوابه إليه ، ثم ختم الخواجه النقشبند وهو : **يا خفيّ اللطف أدركني بلطفك الخفيّ** (خمسمائة مرة) ، والصلاة أولاً وآخراً (مائة مرة) ، ثم يهدي ثوابه إليه . ثم ختم محمّد معصوم وهو : **لا إله إلاّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين** (خمسمائة مرة) ، والصلاة والسلام أولاً وآخراً . وهذه الختمات الثلاث تستعمل عندنا في حلقة الصبح . انتهى من « النفائس السانحات » عبارته .

وكان شيخنا الحاج عبد الرحمن العسوي قدّس سرّه يقول : إن قراءة الختم بالجمعية لا تجوز إلا إن كان هناك مَن لقن له النفي والإثبات بحبس النفس ، **وأما في الإنفراد فيجوز لكل مريد** . انتهى . انتهى ما أردنا نقله من « خلاصة الآداب » ونقل فيه غير هذا كلاماً نفيساً ينبغي مراجعته ، فراجعه من ص ٦٢ .

مكتوب في حضور النساء الختم

وكتب إليه العالم إبراهيم الهؤري : بعد سلام يقول : إن طائفة من النساء النقشبندية وغيرهنَّ يحضرن ليلة قراءة الختم إلى مجلسه ، ويقِفْنَ خلف باب البيت المغلق ، فما الأفضل لهنَّ : الموافقةُ في القراءة ؛ أو السكوت بالحضور والوقوف ؟ انتهى .

جوابه

فكتب قدس سره في جوابه : إن كانت ليلة الجمعة ؛ فالموافقة في قراءة الصلوات خيرٌ لهُنَّ ، وأما في الختم ! ! فالزيادة والنقصان فيه مما لا يجوز .

أيها المحبوب ؛ إن عادة المشائخ منعُ الأجنبي عن مجلس الختم ، **وعاداتُهم سيِّدُ العادات** ، ومَن خالف عاداتهم ؛ فقد تخلَّف عن مددهم ، ولما قرأت الصلوات يوم الجمعة الماضية في المسجد مع الأجانب كنتُ خفتُ أن تفعل كما فعلتُ ، وذلك إنما فعلتها كذلك لحكمة لا تعرفها ، وأرى المصلحة في قراءة الختم في البيت مع غلق الأبواب ومنع الأجنبي ، لكن بلغني عن الشيخ شعيب أفندي أنه كان لا يمنع الأجنبيّ من مجلس الصلوات . . . إلخ . وأيضاً إن الناس يسأمون إن أطال القاريءُ القراءة ، وبسآمة الواحد يسأمُ الآخرون **بانعكاس حاله إليهم** ، فأنا أرى الخير في التعجيل ما أمكن بحيث لا يقع اللحن ، ولا ينقص من المدَّات ، ولو أنكم تقرؤون قول (عليه وعليهم السلام ورحمة الله وبركاته) بالتعجيل كما تقرؤون ما قبله كان خيراً لكم وأجلبَ للحضور ، وأدفع للفتور ، وأرجو الله تعالى أن تكون ممن يُهتدى بكم ، وذلك على الله يسير ، ولك أن تُعلِّم أبعاضاً من المريدين كيفية قراءة ختم الإمام النقشبندي ، وتقرؤونه أحياناً ، فإن الحوائج تقضى به . . . إلخ . وكيفيته هكذا : يا خفيّ اللطف أدركني بلطفك الخفيّ (٥٠٠ مرة) ، والصلوات أولاً وآخراً (مائة مرة) . ثم يهدي ثوابه إلى روحه ، ثم يتوسَّل به لقضاء الحوائج . والسلام .

مكتوب آخر باستعمال السبحة

وكتب إليه أيضاً : أيها الأخ المحبوب ؛ إن عادات السادات ساداتُ[1] العادات ، وقد جرت عادتُهم بتقسيم العدد بالحصاة على عدد المجتمعين في المجلس **لا بالسبحات** ، فبناء عليه ينبغي لك أن تعلم أن البركة لنا في موافقة أفعالنا في كل شيء بأفعالهم ؛ لأن البركة لا تحصل إلا بالموافقة ، **ومجاري الفيض تسدُّ بالمخالفة** . فافهم . وتفطَّن وكنْ على يقظة من هذا الأمر وأمثاله ، والسلام .

(١) وفي نسخة أخرى : سيّد العادات .

مكتوب للجمع وعدم التفرقة

وكتب قدس سره إلى بعض مريديه : من حسن إلى ذلك الولد المحبوب : السلام عليكم . . إلخ ، ثم إني سمعتُ أن طائفة من المريدين في قريتكم لا يرضون بالاجتماع في بيت الحاج إبراهيم لقراءة الصلوات والختمات ، وبذلك ضاق صدري ، فاعلم أيها الولد : أنَّ الأجنبي لا يجوز أن يكون في موضع الختم ، فإذا قُرِيء الختم في المعابد العامَّة كالمسجد ؛ لا يخلو مجلسكم عن دخول الأجنبي فيه ، وبِذا يتضرَّر لمجلس الختم ، أو ينكركم ويستهزيء بكم الداخل ؛ فيكفر – والعياذبالله – ، فبناء عليه أرى المصلحة في بقائكم على ما كنتم عليه قبل ، والحاج إبراهيم يعينكم بالسراج وبالبُسُط والحُصُر ، فينبغي لكم أن لا تتفرقوا ، وتمنعوا إخوانكم عن التردُّد إلى الجهات المختلفة ، فجمعُكم في منزل الحاج إبراهيم هو الجمعُ على الله إن شاء الله ، ونرجو من الله تعالى أن يديمكم على ملازمة الذكر والفكر ، وأن يهديكم إلى سواء الصراط ، فإنه على ذلك قدير ، وبالإجابة جدير . فهذا ؛ والسلام ، وأوصيكم بالدعاء . انتهى . من خطه قدس سره .

مكتوب من العكلچي

وكتب إليه قدس سره العالم أحمد العكلچي ما مختصره :

إلى ذلك الأستاذ السُّنيِّ السَّنيِّ ؛ الحِبِّ الحليم الصابر الصفيِّ ، سميّ شقيق السبط الكربلائي . . السلام عليكم ، وبعد ؛ فتسليم . . إلخ وثانياً : إني أقع كثيراً في محافل المجتمعين للتهليل بسبعين ألف كلمة توحيد بالذكر الجهري ، فهل لي أن أوافقهم في ذلك ، أم لا ؟ .

جواب العكلچي

فكتب في جوابه ما ملخصه :

الجواب : أبو محمد أحمد العكلچي ! من خطه . وعليكم السلام أزيد مما أرسلتَ إليَّ أيها الأخ المحبوب بألوف ، ثم إني لم يتفق لي الفرصة . . . إلخ .

وأما جلوسك في موضع ومجلس الذكر الجهريِّ ! ! فمما لا نمنعك منه ؛ لأنَّ الموافقة مع الإخوان خيرٌ وحسن ، **والمخالفة لا خير فيها** أصلاً . . إلخ ، وأوصيك بالدعاء . الفقير الحقير المرشد المجازي القحي . انتهى من خطه قدّس سرّه .

مكتوب إلى الپاخي للموافقة

وكتب قدس سره إلى العالم القاضي حاجي محمد الپاخي :

سلام عليكم . . إلخ ، ثم إنه بلغني أنك تورد صيغة الجمع في صيغة المفرد عند قراءة الصلاة المشيشية ! ! وأنا سمعت شيخنا قدس سره يقرأ كلَّ ما فيه صيغة المفرد مفرداً ، وكلّ ما فيه صيغة الجمع جمعاً ، فينبغي لنا أن نقتديَ به في ذلك ، **فإن البركة في الموافقة** . فافهم ، وأوصيكم بالدعاء . كتب على ساق العجلة ؛ فلا تَعِب . انتهى من خطه قدّس سرّه .

مكتوب إلى سعد الله الأوراي

وكتب قدس سره إلى العالم الفاضل سعد الله بن عبد المجيد الأواري رحمه الله تعالى : وعليكم السلام ؛ أيها الولد المحبوب المرجوُّ للاستقامة ، وحوز السلامة ، ثم اعلم أيها الولد الأمين ؛ أن أمر الدنيا صارَ هكذا ، وأمر الخلق قد تفرَّق كما ترى ، وقد أحلُّوا الحرام ، وحرَّموا الحلال ، وكل ما وقع في هذا الزمان هو عينُ ما ورد في الأحاديث ، جعلنا الله تعالى وإياكم من أهل الاستقامة والتوفيق ؛ ولا جعلنا من الذين ضلُّوا وأضلُّوا .

ثم إن البلايا قد تُردُّ بالدعاء ؛ فعليك بإكثاره ، وبالصدقة ؛ فعليك أيضاً بإنفاقها ، **واقرأ كلَّ يوم ختم الإمام الرباني بنيَّة دفع المصائب والبلايا** ، فافعل أوَّلاً الرابطة الشريفة ، ثم استغفر الله خمساً وعشرين مرة ، ثم انوِ مقصودك من جلب نفع ؛ أو دفع ضرٍّ ، ثمَّ صلِّ على النبي عليه السلام (مائة مرة) .

ثم قل : لا حول ولا قوة إلا بالله (خمسمائة) ولا تزيد : (العلي العظيم) إلا على رأس كل مائة وآخره ، ثم صل على النبي عليه السلام أيضاً (مائة مرة) ، ثم أهدِ ثواب ذلك كلِّه إلى روح الإمام الرباني أحمد الفاروقي ، ثم قل : يا أحمد الفاروقي ؛ إني أتوسل بك إلى الله تعالى لقضاء حوائجي الدنوية والأخروية ، ودفع البلايا والأذية و . . إلخ و . . إلخ .

ثم ادع الله تعالى في قضاء الحاجة بحرمة الإمام الرباني قدّس سرّه ، وجعلنا في دائرته . آمين ، وأرجو الله تعالى أن يدفع البلايا عنك ، وتدخل بعد ذلك في دائرة النجاة . فافهم ، وعضَّ بنواجذك على هذه الخزينة ؛ فإنها من المجربات في قضاء الحاجات ، والحرز من الآفات ، وأيضاً إنك لا تترك الرابطة أصلاً .

والحرارةُ الحاصلة وقتَ الرابطة هي علامةُ الفيض ، وتوسَّلْ إلى الله تعالى في كلِّ الحالات بالقطب محمود أفندي قدس سره .

وأيضاً لك مني الإجازة لقراءة ختم الإمام النقشبندي **بنية قضاء الحوائج ، ودفع البليَّة** ، وهو : الصلاة على النبي عليه السلام (مائة مرة) ، وقراءة : (يا خفيَّ اللطف ؛ أدركني بلطفك الخفي) (خمس مائة مرة) ، والصلاة على النبي عليه السلام أيضاً (مائة مرة) ، ثم تهب ثواب ذلك إلى روح محمد النقشبندي قدس سره ، ثم تتوسَّل به إلى الله تعالى لقضاء الحاجة . . . وإلخ ، وتسأل الله تعالى قضاءها . . وإلخ بحرمته . فافهم .

واعتقد أن حوائجك كلّها مقضيَّةٌ بحرمة هذين الإمامين المذكورين ، وأكثر الاستغفار ليلاً ونهاراً ، ودُمْ على الحضور . فافهم .

ثم اعلم أيها المأمون في السر المصون ؛ أني في دائرة الخمول ؛ ولا أريد الشهرة والخروج من القرية ؛ خوفاً من الآفات التي لا ينجو منها إلاَّ النادر الشاذُّ ، فأرجو الله تعالى أن يذهب عن الخلق الظلمة ، ويطلع عليهم شموس النجاة والعافية ، ونحن الآن في الحال في راحة ورفاهية ، ورؤساؤنا يأمروننا

ليلاً ونهاراً بتمسُّك أمور الشرع ، ويؤكِّدون الأمر بإقامة الصلوات الخمس والتراويح في المساجد بالجماعة ، ويحبسون من قصَّر في الصوم والصلاة في قلعة « غونه » مدَّة شهر .

فالحاصل أنَّ الناس في ولايتنا في راحة كلِّيَّة من جميع الجهات ، وأرجو الله تعالى أن يُديم عبادَه على ذلك ؛ إنه على كلِّ شيء قدير .

فاصبر أيها الولد ؛ ولا يخفى عليك ما فيه من النجاة ، وقد قال تعالى ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ فقد جعل الله تعالى مع عسر واحد يسرين ، فله الحمد على ذلك والشكر والمنة ، والسلام[(١)] . انتهى .

مكتوب من العوري لتغير بعض المعتاد

وكتب إليه قدس سره العالم محمد بن حسين العوري حفظه الله ما حاصله :

إلى مخدومنا ؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، جرت عادتنا هنا في السنين الماضية بالاجتماع للختم والصلاة يوم الجمعة نهاراً بعد انصرافنا من الجمعة ؛ لعدم إمكان الاجتماع في الليل ، والآن رأيتُ أن نترك الاجتماع إلى انسلاخ هذا الشهر الشهير (رمضان) . هذا ؛

جوابه لمكتوب العوري

فكتب قدّس سرّه في جوابه : وعليكم السلام . . . إلخ ، إنكم تكونون على فطنة في أمثال ذلك ؛ نظراً لحال العصر ، مع أنه يجوز لكلِّ واحدٍ أن يقرأ

(١) وصل في أواسط رمضان سنة ١٣٣٨ . انتهى من خطِّ السعد المذكور رحمه الله . (من نسخة أخرى) .

❊ **السرّ** : لطيفة مودعة في القلب كالروح في البدن ؛ وهو محل المشاهدة ، كما أن الروح محل المحبة والقلب محل المعرفة . « تعريفات السيد الشريف » عبارته . (من نسخة أخرى) .

الصلاة منفرداً ، **وكذا ختم الإمام الرباني يجوز قراءته بالتمام** . والسلام من جميعنا إلى جميعكم ، ونوصيكم بالدعاء .

مكتوب في الحض لمريده على الختم

وكتب قدّس سرّه إلى بعض مريديه : السلام عليكم . . . إلخ ؛

ثم إني سمعت أنك لا تحضر إلى مجلس الختم والصلاة إلاَّ نادراً ، ولو أنك تعلم ما في ذلك من الفوائد والخيرات لهَرَعْتَ إليه حافياً ، والناس يشتكون إليَّ من عدم حضورك لقلَّة سائر الحاضرين ، فهم محبُّون حضورَك معهم جداً ، فلو لم يكن لك عذرٌ مقبول فاشتراكك معهم أولى بك ؛ وأحرى ، وأزيدُ خيراً وأكثرُ أجراً ، وفي الحديث : « المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي ألف مجلس من مجالس السوء » . انتهى معرّباً .

وكتب قدّس سرّه إلى بعض مريديه : وعليكم السلام . . . إلخ . وبعد : فيجوز قراءة الختم والصلوات بلا تقسيم للمنفرد في أيِّ وقت شاء ، وبأيِّ نيَّة كانت ؛ ولو كان القارئون ألوفاً في القرية ، ولا يكون ذلك تعدُّداً ، بل الممنوع أن يتعدَّد محلُّ الختم ومجلسه بالاجتماع ؛ لئلا يفتتن ، كما صرَّح به الشيخ سليمان الزهدي قدس سره . فافهم .

الباب السادس

في رسائل جامعة ، ويتلوها وصيَّة جامعة ، ونصيحة نافعة

يحتاج إليها جميع المؤمنين في هذا العصر والحين ،

ورسالة في وصايا ولده محمّد عارف وتحْذيره

مكتوبه إلى القاضي الطلقي

وكتب قدّس سرّه إلى العالم الفاضل محمودِ لْمحمد الطلقي رحمه الله .

موعظة بليغة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاتان على سيد المرسلين .

إلى ذلك الأخ المحبوب المرجوّ للاستقامة ، والحوز للسلامة والسعادة ، العالم القاضي محمودِ لْمحمد الطلقي ؛ السلام العامّ ، والتحية والإكرام عليكم آمين . جعلكم الله تعالى من الذين عرفوا حقيقة هذه الدنيا الدنيئة الحقيرة الخسيسة ، وشهدوا نضارة الآخرة الباقية الأبدية .

ومن المعلوم أن الله تعالى لم ينظر إلى الدنيا مذ خلقها نظر اعتبار واعتناء ، ولا قَدْرَ لها عنده سبحانه وتعالى ؛ ولو قَدَرَ جناح بعوضة ، **وقد قطعَتْ أعناق كثير من الناس وألقتهم في مهاوي الهلكة** ! ! فالعاقل مَن ينظر إليها من حيث كونُها مزرعة الآخرة فلا يعطل أوان الزّراعة ولا يضيِّع دقيقة من عمره ، بل يجني من أوقاته ثمرات ، ومن أنفاسه ياقوتات ، ولعلكم قرأتم

حديث : « لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الجَنَّةِ إلاَّ عَلَى سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ تَعَالَى فِيهَا » ! ! ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ نصٌّ قاطع ينبغي لكلِّ واحد أن يجعل هذه الآية نُصْبَ عينيه .

مرض الدنيا ومرض الآخرة

إن الإنسان إذا طرأ عليه مرضٌ ظاهر ؛ أو عرض لأعضائه آفة ، يسعى سعياً بليغاً لعلاج ذلك المرض وإزالة تلك الآفة ، مع أنَّه لا يبقى عليه ذلك إلاّ في أيام قلائل ؛ لا تعدُّ بالنسبة إلى يوم القيامة إلاَّ يوماً ، أو بعض يوم ، والعجبُ كلَّ العجب أنه – أي : الإنسان – لا يبالي ولو كان قلبه قد استولى عليه المرض القلبي الذي هو عبارة عن تعلُّق القلب بما سوى الله تعالى ، بحيث يوقعه في الموت الأبديِّ ، ويُلقيه في العذاب السرمدي ، ولا يتفكَّر في إزالته أصلاً ، ولا يسعى في قطعه قطعاً ، ولا شك أنَّ مَن هذا شأنُه فهو سفيه محضٌ ؛ أو بليد صِرْف .

تشجيع واعتذار

ولقد كان شيخنا المرحوم قدّس سرّه يقول في حقِّكم كلماتٍ فيها رجاء ، وذلك الرجاء لم ينقطع منكم بَعْدُ ، ولا ينقطع إن شاء الله تعالى ، بَيْد أن أمرَكم صار هكذا ، وأظنُّ أن السبب الظاهر لوقوعكم في تلك الورطة هو نفسي لا غير ، ولم أندم قطُّ على شيءٍ أكثرَ من ندمي على عدم منعي إيَّاكم عن تلك الوظيفة ، لكن الأمر لله من قبلُ ومن بعدُ .

وقد سمعنا أنَّكم بقيتم على أمر القضاء بين العرفاء أهل الديوان ، **فينبغي لكم أن تجتهدوا في منع الغفلات ، ودفع الخطرات ، وجلب الحضور ؛ ولو كنتَ في مجلس الظلمات** ، لتكون مجاهداً في كلِّ الحالات ، وقد قال الخاني قدّس سرّه : إن الذاكر في الغافلين ؛ كالمجاهد في الفارِّين[1] . وعليك أن تدخل نفسك في دائرة قوله سبحانه ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ ، وصُنْ

---

(١) وفي نسخة : في الغازين .

نفسك من الميل إلى مقالات أهل الفتور والغفلة ، والنظر إليهم والمجالسة معهم مهما أمكن ، واستمسك مضمون حديث : « إِنَّمَا مَثَلُ الجَلِيسِ الصالح وَالجَلِيسِ السيِّء ؛ كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ ، فَحَامِلُ المِسْكِ ؛ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رَائِحَةً طَيِّبَةً ، وَنَافِخُ الكِيرِ ؛ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رَائِحَةً كَرِيهَةً » .

وإياك ثم إياك أن تأخذ من الناس من هذه الدنيا إلا ما صرّح الشارع بصحَّته ، **وإياك ثم إياك** من أن تمسَّ يدُك بما اعتاده قضاة الديار على جلبه ونهبه ، وقد زيَّن لهم الشيطان نجاسةً مموَّهةً بالذهب ، وسُمّاً مغلَّفاً بالسكَّر ، والأكل من السمِّ القاتل بطعم السكر الموهوم ، واختيار النجاسة الخبيثة رجاءَ الذهب المتخيل شأنُ السفيه المحض ، والبليد المجرَّد .

ولا يجوز لكم أن تكونوا كالجماعة الذين جعلوا آخرتهم هباءً في جمع حطام الدنيا ، ولم يتفكَّروا ما يحُلّ عليهم بسببه في العقبى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾ فافهم .

أيها المخدوم المحبوب ؛ إن خلاصة المواعظ ، وزبدة النصائح ، أن تسعوا بقَدْر طاقتكم في إحياء الشريعة ، وازدياد السنة السنيَّة ، وإرشادِ الخلق إلى طريق الحقِّ ، والصراط المستقيم ، وحثِّهم إلى فعل الخيرات ، ومواظبة الأذكار والدعوات في السرِّ والعلانية ، ولعلك سمعتَ حديث : « مَا جَمِيعُ أَعْمَالِ البِرِّ وَالجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ عِنْدَ الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ إِلَّا كَنَفْثَةٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ » انتهى ، وقوله تعالى ﴿ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنۡهَا ﴾ آية مشهورة عندكم .

أيها المخدوم ؛ يمنعني الحياء أن أكتب إليكم شيئاً من النصائح مع وجودي في هذه الخرابات والتعلُّقات والتلوُّثات ، وقلَّة البضاعة ، وعدم الحاصل في نفسي ؛ ولو شيئاً من الاتعاظ ، وأن أسطر من هذه المقولة حرفاً بالتصريح أو الإشارة ، ولكن اجترأت على تحرير كلمات لعلك تتعظ بها أيها

الأخ ؛ إنَّ متاع الدنيا قليل جداً ، وقد تلف الأكثر من هذا القليل ، وأيضاً زال أكثرها وبقي الأقل ، ﴿ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ ومدَّتها دائمةٌ أبدية ، وقد جعل الله سبحانه الجزاء الأبديَّ والخلود السرمديَّ مربوطاً بأعمال قليلة في أيام معدودة ، وبعده إما نعيم أبدي ، أو عذاب سرمدي ، وقد مضى وانقضى أشرفُ العمر في الهوى والهَوَس ، وضاع أكثره في تحصيل مراضي أعداء الله ، وبقي أرذلُه وأرْدَأُه ، فإن لم نصرفه اليوم إلى مرضاة الحق تعالى ولم نتلافَ الاشرفا ولم نتداركه ولو في الأرذل ولم نجعل المحنة القليلة وسيلة إلى نيل الراحة الأبدية ، ولم نكفِّر السيئات الكثيرةَ بحسناتٍ يسيرة ، فبأيِّ وجه نلقى الله تعالى غداً ، و بأيِّ عمل نذهب إليه ،وبأيِّ حيلة نتخلَّص من عذابه ! ! فينبغي العمل للنفيس قبل ورود الموت ، والاستعداد بالأعمال والأذكار قبل نزول ملك الموت ، **ولا مجال لصرف الأوقات الشريفة في القيل والقال بين أهل الرسوم والعادات** ، فالاهتمام بعدم التكلُّم بما لا يعني لازم ، والسكوت عما لا يجب عليك لازم[1] ، وطلب واحد يذهب إلى المكتب (الديوان) لكتبة الدفاتر ؛ ولو بالأجرة والإحسان فرضٌ عليك إن كان له إمكان ، وإلاّ ! ! فالمحافظة على الحضور ، والمواظبة على حفظ القلب من الغفلة من الضروريات ؛ لتكون من الذين يذكرون الله تعالى قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم .

مهمٌّ في جواز الذكر القلبي دائماً

ولقد يجوز الذكر القلبي في جميع الحالات والأوقات في كلِّ مكان ؛ بوضوء وبغير وضوء ، فاللوم على مَنْ لا يصرف باله نحو الحضور ، ولا يبالي بالتفرقة بإرخاء عنان القلب خلف خواطر الدنيا الخسيسة ، وقد جعل الله تعالى الفلاح الأخروي مربوطاً ومنوطاً بالذكر الكثير ، وآيةُ ﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ شارحة [2] لهذا المعنى ، فينبغي الاشتغال بالذكر الكثير ،

(١) وفي نسخة : واجب .
(٢) وفي نسخة : شاهد .

ورفضُ كلِّ ما ينافيه ، وعلاج الخلاص عن الغفلات هو هذا ، **ولا ينجلي القلب إلاَّ بذكر كثير** ، فإن اتفق لك الفرصة لإتيان الذكر بالنفي والإثبات بحفظ شروطه ؛ فَدُمْ عليه في جميع الأوقات ؛ ولو بغير حبس النفس بالقلب ، وتعميرُ الباطن مربوطٌ بتكرار الذكر ، وجلاؤه بغيره موقوف .

أَلاَ فأَكْثِرُوا ذِكْرَ الإِلَهِ فَإِنَّهُ جَلاءُ صَدَاً قَلْبٍ غِذَاءٌ لأَرْوَاحِ

وقولُه تعالى ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ نصٌّ قاطع ، **ولا ينجو أحد من الشيطان الخنَّاس الذي إذا ذُكِر الله** خنس ؛ أي : بعد ، وإذا غفل التقم قلبه ، **إلا بذكر الله تعالى** .

ثم اللائقُ بك أن لا تكون متأذِّياً ومتألِّماً من كلمات أهل الخسارة الذين يفسدون أصل هذه النسبة الصدّيقية السالمة بالأقوال المموَّهات التي لا طائل تحتها ، **ولا تتعرَّض لهم بالمجادلة والمجازاة إلاّ بقصد إعلاء كلمات الله تعالى** ، وإعلان الحقِّ ، وتمييزه من الباطل ، وأرجو أن تكون كلماتُهم المتناقضة باعثةً على ظهور سعيهم الفاسد ؛ **فإنَّ مَن تحلَّى بما ليس فيه يفضحه مجرَّبات الزمان** ، ولا يدوم قيامُ الباطل ، بل يدفَعُه الحقُّ ؛ ولو بعد حين ، ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ولا ينفعهم النصحُ ؛ ولو تليت عليهم الكتبُ المنزَّلة ، بل يزيدهم في طغيانهم يعمهون ، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ فاجتهد في إجراء الشغل الذي أنت مأمورٌ به ، ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ .

ومع كونهم على هذه الشنيعة **لا ترى نفسك عليهم ، فإن السالك لو رأى نفسَه أفضل من الكلاب والذباب ؛ فهو محروم من كمالات هؤلاء الأكابر** ، اللهم ؛ **نعم يجوز لك أن تبغضهم لما أنهم تركوا الحق واتبعوا الباطل** وطردوا عن طريق الله سبحانه ، **فذلك بغضٌ في الله في الحال ، لكن من الممكن أن يتوبوا ويرجعوا أخيراً ، ويكونوا أحسن حالاً منَّا** .

ولا ينبغي السكوت رأساً عن إظهار الحق وإعلان الباطل ، فإن الساكت عن الحق شيطانٌ أخرس ، والمداهنون يحشرون على صورة القِرَدة والخنازير ، ولهذا المذكور يجب التبليغ ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ ، ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ وإلا ؛ فـ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ . فافهم .

توجيه مهم لكل طالب علم

وقُم على قدم صدق في ترويج أحكام الشريعة ، وتشييد أساس الطريقة والحقيقة ، **وكن وَجِلاً خائفاً منكسر البال ، دائمَ الخشوع والخضوع** ، واعظاً بالمواعظ النافعة المُعْرِضة عن الدنيا ؛ المقبلة على الآخرة ، **ولكن على الحضور في حالة الوعظ والتذكير** ليترتَّب عليها النفعُ والقبول ، **وألِنْ الكلام** ، واجتنب عن العنف ، وتذكَّر قوله سبحانه ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ الآية ، **ولا تكن كعلماء السوء ، فإنَّهم لصوصُ الدين** مطلبُهم الجاه والرياسة ؛ والمنزلةُ عند الخلق ، **وكن في السرِّ والعلانية على حدٍّ سواء** ، وادخلْ في دائرة العلماء الذين يوزن مدادُهم يوم القيامة بدم الشهداء ؛ فيترجَّح مدادُهم .

صرف المال لنصرة الإسلام

فقد قال الإمام الرباني قدس سره في بعض مكاتيبه : إن الإسلام غريب في هذا الزمان جداً ، فصَرْف فلسٍ واحد في تقوية الإسلام في هذا الزمان يساوي صرف ألوف من الدراهم والدنانير . . .إلخ .

وأْمُرْ بالعرف وانْه عن المنكر ، وخذ من خبر : « الدَّالُّ عَلَى الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ » حظّاً ، **ولا تخفْ من لوم أحدٍ في الدين** ، **واعمل بالعلم** ولو بعُشْر ما تعلم ، فقد روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ مَنْ تَرَكَ مِنْكُمْ عُشْرَ مَا أُمِرَ بِهِ هَلَكَ ، وَسَيَأْتِي زَمَانٌ مَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِعُشْرِ مَا أُمِرَ بِهِ نَجَا » .

فضيلة اتباعه صلى الله عليه وسلم

وقل للمريدين حين اجتمعتم باتِّباع النبي صلى الله عليه وسلم في جميع الحركات والسكنات بقدر طاقتهم ، فقد قال الإمام الرباني قدس سره أيضاً : إنْ تيسَّرتْ عبادة ألف سنة فرضاً مع الرياضات الشاقَّة والمجاهدات الشديدة لا تعدل تلك العبادات بنصف شعيرة ، ولا تساوي الرياضات بالنوم وقتَ الظهيرة اقتداءً بصاحب

الشريعة ، مع كونه غفلة من الأول إلى الآخر ما لم تكن منوَّرة بنور اتِّباع هؤلاء الأكابر في الأمور الخطيرة والحقيرة ، بل هي كسراب بقيعة . انتهى .

أداء الفرائض بأوقاتها

وأمرْهم بالملازمة على أداء الفرائض في أوقاتها ، وعدم التساهل في أدائها بعلَّة إتمام الورد والأذكار ، ففي « المكتوبات » : **إنَّ أداء فرض من الفرائض في وقت من الأوقات أفضلُ من أداء النوافل ألفَ سنة** ، وإن أُدِّيت بنيَّة خالصة ، أيَّ نفل كان ؛ من الصلاة والصوم والذكر والفكر ، وأمثال ذلك .

بل أقول : إن رعايةَ سنَّةٍ من السنن وأدَبٍ من الآداب حين أداء الفرائض تزيد وتفضُل على أداء النوافل بكذا مرَّة . انتهى من الهامش .

وفي موضع آخر : ورد في الحديث : « عَلاَمَةُ إِعْرَاضِ اللهِ تَعَالَى عَن العَبْدِ اشْتِغَالُهُ بِمَا لاَ يَعْنِيهِ » . والاشتغال بنفل من النوافل مع الإعراض عن فرض من الفرائض داخلٌ فيما لا يعني . انتهى .

ويجب عليهم أيضاً أن يجتنبوا عن الاختلاط بالأغيار والمنكرين بقدر الطاقة ؛ لأن صحبتهم سمٌّ قاتل ، ومخالطةُ الغافلين تورث الغفلة والقسوة ، فقد وردَ إليَّ الأمر من طرف السيِّد الأمير سيف الله بحفظهم عن القُرب إليهم والصحبة معهم . فافهم .

❊ **قوله** (قد كتب) إلخ ، ومعلوم أن كلام الأستاذ السيد قدّس سرّه في مريد خرج بقصد السلوك وأخذ العهد ، كما صرح به نفسه ، فالكل متفقون في هذه الصورة على وجوب الاستخارة ، وأما التلقين للتبرك فلا يحتاج فيه إلى الاستخارة ، كما هو ظاهر ، وهو مسألة نفيسة لكون تلك الصورة سالمة من تضرُّر المريد بعَدَم صدْقه ، فإذا لُقِن أولاً للتبرك ؛ فإما أن يظهر صدقه وهو المطلوب ؛ إما بالاستخارة أو بالسر المذكور أو لا ، فيترك على حاله ، ولا يحرم – إن شاء الله – من البركة . هذا ؛ والله تعالى أعلم . كتبه (الفقير محمد) . (من نسخة أخرى) .

وحذّرهم عن ارتكاب المحرمّات ؛ ولو كانت يسيرة ، **فإن القليل يجرُّ إلى الكثير ، وترك ذرَّة من محارم الله تعالى خيرٌ من عبادة الثقلين** ، كما ورد في الحديث .

شرط نفع الذكر

وليعلموا أن نفع الذكر مربوطٌ بإتيان الأحكام الشرعية ، وترتُّب الأثر منوطٌ بإتباع السنَّة السنيَّة ، ولو طرأ على الشخص أحوال عجيبةٌ مع طروِّ النقصان في المتابعة ؛ فهو استدراج ، وما لم يطرأ في المتابعة ومحبَّة الشيخ مع عدم ظهور الأحوال ! فلا ضرر ولا ضرار ؛ كما هو مذكور في الكتب .

مهم لطالبي الأحوال

وفي رسالتنا ترجمة « تنبيه السالكين » في مهمة ؛ في بيان أن عدم ظهور الأحوال أسلَمُ للسالك ما ينبغي أن يُقرأ بين جميع المريدين في مجلس الاجتماع ، فإنَّا نجدُ الكثيرين يطلبون الأحوال خالين عن ملاحظة العبودية بحيث لا مطمع سوى الأحوال ، وطالب الأحوال لا يكون عابداً لله سبحانه وتعالى ، بل عابداً للنفس وطالباً لحظِّها ، فينبغي أن يتفطَّنوا لهذا الأمر الفظيع ، وأن يعلموا **أن المشائخ إنما مرادُهم من تعليمهم الطريقة وتلقينهم الذكر حملُهم إيَّاهم إلى مقام إخلاص العمل لله تعالى ، لا غير** .

الحضُّ على الاستشارة

ثم إنَّك لو كتبت إلينا شيئا من أحوالك ؛ قبضاً وبسطاً يترتَّب عليه الكثير ، ويكون باعثاً إلى كتابة الجواب مع بعض المنافع ، وإنّ قطع السلام والكلمة والكلام غيرُ لائق بكم ، فإني سمعت شيخنا قدس سره يقول : إن عدمَ جوازِ حمل السلام وإيراده بالقلب هو في حقِّ أمثال الشيخ محمود أفندي قدس سره العزيز ، لا في حقِّ أمثالنا . فافهم .

ترك المداراة

ومن أهمِّ ما يليق بجنابك **أن لا تداري قطُّ بمن يطلب العادة والرسم بترك الشرع وراءَ ظهره** ، بل تجرُّه إلى امتثال الشرع بأقوال لائقة ومواعظ زاجرة ، فإن اتَّعظ فلك الأجر . . . وإلخ ، **وإلا! فالإعراض عنهم بالقلب والقالب واجبٌ** ، والبغض عليه بقدر الطاقة لازم ، وعدمُ الميل والركون إليه في وقت من الأوقات فرضٌ ، قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ الآية .

النظر إلى الظلَمة

وفي « الخادمي » : إنَّ النظر إلى وجوه الظلَمة يورث قسوةَ القلب ، والظلم : عبارةٌ عن وضع الشيء في غير موضعه الشرعيّ ، فاستمع واسمع ، واتعظ ثُمَّ عظ ، **ولا تكن لنفسك وكن لربِّك** ، و﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ وكن من الشاكرين ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ .

الاهتمام بالمعيشة

ولا تهتمَّ في أمر المعيشة ، فإن الله تعالى كان لك قبل أن يخلقك ، فحاشا أن ينساك بعد وجودِك في عرصة الظهور ، فما قام به غيرُك لا تقم به ، فإن الله تعالى قال في كتابه ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ .

---

* وأخبرني أخي سعد أنه سأل . . . : أنّ بعض الناس يرسلون السلام معنا إلى جنابكم ، والحال أنهم يعدُّون ذلك من ترك الأدب معكم ، فما ذا نفعل ؟ فقال قدّس سرّه : إن حمل سلام الإخوان مما لا محذور فيه ، وإنما المحذور حمل سلام الأجانب ، فإذا حمل واحد سلام الأجنبيِّ وأوصله إلينا يصل علينا معه رائحة كريهة أو حال لا يحمد ، ولذلك عدُّوا من الأدب عدم حمل سلامهم ، أي : الأجانب ، بخلاف سلام إخواننا ، انتهى ؛ أو كما قال [الله تعالى في الآية] :﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾ . « سورة غافر » . (من نسخة أخرى) .

السعي للعبادة

واسْع إلى عبادة ربك واعبده ، ولا تشرك به شيئاً ، ولا تأمن نفسَك ، فإنها انتصبت لمعاداة الربِّ ، **واخشَ من دسائسها** ، فإنها تجرُّ الشخص إلى المراآت والتصنُّعات في الكلام والكلمات من حيث لا يشعر ؛ فتوقعه في المهلكات .

ورابط قلبك بالشيخ محمود الفِعال قدس سره في جميع الحالات ، فربط القلب بالشيخ من أعظم أركان هذا الطريق ، بل هو أنفعُ في حقِّ المبتديء من الذكر[1] والوقوف ، وأقوى في تصفية مرآةِ القلب من كدورات السوى ، وكن مستمدّاً منه دائماً ، **فإن الموصِل إلى الله في هذا الطريق هو المرشدُ ، لا نفس الطريق! فإنه من المُمِدّات والمعاونات** ، وحصولُ نتيجةِ النفي والإثبات مربوطٌ بشرائطَ متعسِّرةٍ ، وقد يرتفع النقصان بتوجه الشيخ المقتدى وبقوَّة الرابطة والذكر ، فلا مجال لظهور النتيجة من الغيْبة والذهول والفناء والعدم في هذا الزمان الخَؤُن إلا إنْ حفَّت بكم العناية الربانية بتوسُّط هذه المذكورات .

حفظ النفس من الضحك والغضب

ومما ينبغي لكم : أن تحفظوا أنفسكم من الضحك والغضب ، فإنَّهما يتركان المرءَ خالياً عن نور النسبة ، ويميتان القلب بالكليَّة .

أنفع أمور الطالب

ومِن أنفع الأمور للطالب : دوام السكوت ، وملازمةُ البيوت ، والاعتزالُ عن الناس ملاحظاً أنه غيرُ لائق للخروج ، ومعتقداً أنَّه كالكلب العقور ؛ لا متكبِّراً ولا معجباً ، ولا شك أنه لا ينجو أحدٌ من الذنب مع المخالطة ، فإن قدر لحفظ اللّسان فلا بدَّ له من الاستماع ؛ والمستمعُ شريكُ القائل ! !

(١) ومثَّل شيخنا مؤلّف هذه الرسائل قدّس سرّه فيما شافهني به قائلا ؛ إن الفيض الحاصل من الذكر كالرشاش ، وأما من الرابطة فكالبحر ، رزقنا الله تعالى فيضه وفيض أشياخه آمين . كتبه (الحاج الأواري) . (من نسخة أخرى) .

❊ مهم يأتي نظيره .

مهمة الشيخ

واعلم أن الشيخ إنما يكون ليعلِّم الناس طريق الوصول إلى النجاة ، وليدُلَّهم إلى اتباع الشريعة ، وآدابِ الحقيقة ، لا ليفعل المريدون ما شاؤوا من المخالفات ؛ ثم يكون ستراً لهم من النار وحجاباً من العقاب ! حاشا ذلك وكلا ، فلا يكون ذلك أبداً .

فعليكم بحفظ الآداب ، ولاتكونوا ملاعبين في الطريق مثل أكثر مريدي المتشيخين ، فإن مَن **لعب بالطريق لعبت به الطرق** ، وسوف يردى إلى وادي الحرمان والهلاك ، فالعياذُ بالله ، وقد منَّ اللهُ تعالى علينا وعليكم بحصول الاجتماع والملاقاة بشيخ[(١)] حقيقي كامل مكمَّل قدس سره ، ونوّر ضريحه ، فعارٌ علينا ، ثم عار أن ننقضَ عهده ، ونتركَ أدبه بعد موته ، فإنَّه رحمه الله وإن كان عند أهل الحجاب ميتاً فهو عند أهل الكشف حيٌّ إن شاء الله ، **ولا يموتُ العارفون ، بل هم ينقلون من دار إلى دارٍ** ، وآيةُ ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا** ﴾ شاهدٌ لذلك ، بل يكون للعارف بكلِّ نَفَس درجةُ مائة شهيد[(٢)] ، **فأهل المعرفة شهداءُ جهادٍ أكبر ، وغُزاةُ النفس التي هي الصنم الأكبر** ، ولقد أخبرني العالم حجيو البَقَّيْجي أنه رآه بعَين رأسه في موضع زيارته ، وقال آخر[(٣)] : إنه رآه كذلك وكلَّمه ، ثم غاب عنه ، ورآه في المنام يقول : إنّي لستُ بميت .

هذا ؛ فإذا كان الأمر هكذا ؛ **فالشيخ يكون مع المريد الصادق في محبَّته دائماً ، لا يعزبُ عنه لحظةً ، ويستمدُّ المريد منه ساعة فساعة ؛ حيّاً كان الشيخ أو ميتاً** ، فإن الروحانية نورٌ منبسطٌ في جميع الأقطار كنور الشمس ، بل لا حجاب أصلاً ، والآفاق كلُّها مملوءةٌ بفيضه وبركته ، لكن الوصول والحصول

---

(١) الشيخ الحاج عبد الرحمن العسوي قدّس سرّه . (من نسخة أخرى) .
(٢) راجع « الإحياء » ص ٢٤٠ ج١ . (هامش الأصل) .
(٣) لعله هو العالم نور محمد النهري الكاتب ؛ (هامش الأصل) .

موقوفٌ على الطلب بالذلِّ والانكسار ، ومنوطٌ بنظافة الباطن[١] وتمام الاستعداد ، ولا بُخْلَ في الإفاضة والإمداد أبداً ، وإنما القصور في الطلب ، وعدم تصفية الباطن من الشكِّ والارتياب ، وفقد الانقياد والاعتقاد ، **ولا يصلُ الفيض لأحد من أحد ؛ ولو كان قطباً ، أو غوثاً إلا بقوَّة الاعتقاد**[٢] ، **والخلوِّ عن الانتقاد** . فافهم ، وافهم .

ولا تسأم شيئاً من هذا الكلام ، فإن الفقير الحقير مع قلَّة بضاعته كَتَب هذه العبارات ، واضطرّ إلى تصديعكم بهذه الكلمات ؛ لفرط محبَّته إيَّاكم ، والسببُ الباعث للمودّة والمحبة أنَّكُم تمسَّكتم بالحقِّ الذي لا مجال لإبطاله ، ونبذتم الباطل المشهور وراء الظهر ، وصِرْتم مُمدِّين ومعينين لانتظام أمر هذه السلسلة ، ومتوسِّطين لحصول جمعيَّة النسبة النقشبندية التي كانت في هذه الديار غريبةً جدّاً ، وكان أهلها في هذه المملكة قد جاوزوا في القلة حدّاً ، وغالت الطائفة الطاغية المنكرة في هذا الأوان غلوّاً كثيراً ، وعَتَوا عتوّاً كبيراً ، وانتشروا في الآفاق والأكناف ؛ ليفسدوا أصل هذه النسبة بالكلية إفساداً لا يفعله الكفرة الفجرة ، وفسادهم أزْيدُ من فساد الكافر المجرَّد . فحسبنا الله ونعم الوكيل ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ . واعتقادكم كان متوفِّراً في حفظ حدود هذه الطريقة العليَّة واحترام مشائخها ، وصُنْتم عن الانتقاد والإنكار عليها وعلى أهلها ، فلا جرم أن هؤلاء الأكابر يلاحظونكم ، ويُمدُّونكم ، وبركةُ قطب الإرشاد فائضةٌ عليكم إن شاء الله سبحانه وتعالى ، ففي « المكتوبات » الشريفة ما حاصله :

---

(١) علّه ؛ المحلّ .

(٢) كما في الحديث : « لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه » . (منه رحم الله إفلاسه) .

❊ وعن سعدون المجنون أنه كان يكتب في كفه ؛ (الله) ، فقال له : السَّرِيّ السقطي : ما تصنع يا سعدون ، فقال : أنا أحبّ الله تعالى ، وقد كتبت اسم ربِّي في قلبي حتى لا يسكن غيره ، وكتبته على لساني حتى لا يذكر غيره ، والآن كتبته على كفِّي حتى أنظر إليه بعيني فيكون نظري مشغولاً به . « مشكاة الأنوار » « درَّة الناصحين » عبارته ٥٧ . (من نسخة أخرى) .

حاصل الحال بين الطالب والمرشد : إنكاراً وإقراراً

إنَّ الطالب الذي هو متوجِّه إليه ومُخلصٌ له ؛ أو هو متوجِّه إلى الطالب كأنه يفتح وقت التوجُّه روزنة[1] إلى قلب الطالب ، فيصير بهذا الطريق رَيَّانَ من ذلك البحر على قدر توجُّهه وإخلاصه ، وكذلك مَن كان متوجِّهاً إلى ذكر الله تعالى ، ومقبلاً عليه ؛ ولم يكن متوجهاً إلى ذلك القطب أصلاً ؛ لا من جهة الإنكار عليه ! بل لعَدَم معرفته به أصلاً ؛ يحصل له مثل هذه الإفادة ، لكنها في الصورة الأولى أزيَدُ منها في الصورة الثانية ، وأمَّا مَن كان منكراً عليه ، أو هو متأذٍ منه ! ! فهو وإن كان مشغولاً بذكر الله تعالى وتقدس لكنَّه محروم من حقيقة الرشد والهداية ، وإنكاره هذا وأذِيَّتُه يصير سَدَّة في طريق فيضه[2] . انتهى .

فلقد نجَّانا الله وإيَّاكم من إنكار القطب شيخنا ومولانا محمود الفعال وخلفائه ، ولم نُبْتَلَ بما ابتُلِيَ به أكثر ديارنا من الاعتراض عليه ، وعلى طريقته السالمة ، فكان شكرُ هذه النعمة العظمى والدولة القصوى واجباً ، والمسؤولُ من الله سبحانه وتعالى أن يعصم جنابكم عن عموم هذه البلوى ، وأن يحفظ عتبتكم عن شمول هذا الابتلاء بعد الآن ؛ ولو كان لنا في كلِّ مَنْبت شَعْرٍ لسانٌ لوجب علينا الشكرُ به ؛ وكنَّا بعدُ مقصِّرين .

فالحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافيء مزيده وإني وإن كنتُ مُسْتحياً من إظهار أمثال هذه الكلمات لأرباب الفطانة الصحيحة ، وأصحاب العلوم العقلية والنقلية ؛ لكن لما علمت أن هذه وسيلة للتذكُّر والاتعاظ ، وكانت النصيحة كلُّها هو الدين ؛ كان ذلك باعثاً على التصديع ، فعليكم أن لا تملُّوها ، فإنها وإن كانت صادرة من خسيس فلعلَّ منبعها عظيم ، ومصدرها شريف . ولا تتركوا هذا الفقير خالياً من دعواتكم .

---

(١) أي : كوَّة . (هامش الأصل) .
(٢) وأنا الكاتب الفقير على ذلك من الشاهدين . انتهى من خط العالم محمد بن أحمد الخشادي من خلص مريدي المؤلف . (من نسخة أخرى) .

خاتمة

ثم إنَّك ؛ وإن كنتَ لا تتفرَّغُ من الأمور الواجبة عليك ؛ فالزيارة مرَّة في ستَّة أشهر ؛ أو سنة ، خيرٌ لكم إن شاء الله تعالى ، وصيانةُ وظائفكم وأحوالكم عن التغيُّر والانحطاط أليقُ بكم وأولى .

فهذا ؛ والسلام من أخيكم الداعي لكم بالخير حسن القحي . انتهى من خط الفاروق شيخنا الأواري .

مكتوب إلى الهؤري

وكتب قدّس سرّه إلى العالم إبراهيم الهؤري ما صورته : إلى ذلك الأخ الكريم والخليل القديم المرجوّ للاستقامة ؛ العالم القاضي إبراهيم الهؤري ؛ السلام عليكم . .

محبة هذه الطائفة

أما بعد : فإنا يا أخانا العزيز كُنَّا نرى فيك عِرْقاً يقبل المواعظ ، وينجرُّ به قلبك إلى محبَّة هذه الطائفة الفائقة ، والفرقة الراقية ، فالآن ظننَّا أنَّ ذلك العرق رَقَّ ودَقَّ ؛ بحيث يكاد أن ينفد بالكلية والعياذ بالله . وقد قال الإمام الرباني في « مكتوباته » : **إن محبَّة هؤلاء الطائفة رأسُ كلِّ سعادة دنيوية وأخروية ، والتوفيق لإتيان الأحكام الشرعية نتيجة هذه المحبة ، وتحصيل جمعيَّة الباطن ثمرةُ هذه المودة ، ولو صبّت جميع ظلمات العالم وكُدُوراته في الباطن وهذه المحبة قائمة ؛ ينبغي أن لا يغتمَّ أصلاً ، بل ينبغي أن يكون راجياً ، ولو أفيضت أمثالُ الجبال من الأنوار والأحوال على الباطن ؛ وقد زال مقدار شعرة من هذه المحبة ينبغي أن لا يعتقد ذلك شيئاً غير الخذلان ، وينبغي أن يعدَّهُ استدراجاً** . انتهى عبارته .

فإذا كان الأمر هكذا أردتُ أن أبذل لك شيئاً من النصيحة ؛ وإن كنتُ غيرَ لائق بذلك ، **لما أن بابَ المشيخة هو نصحُ المسلمين وإرادة الخير لهم لا** غير ، فماذا أفعل ؟ ! وهل يليقُ بي أن أسكت عن الحق ؟ ! مع أنه ورد : « من سَكَتَ عن الحقِّ فهو شيطان أخرس » فاستمع لما أتلو عليك أيها الخليل ، ولا تسيء ظنَّك بهذا الفقير الحقير .

ينبغي التفكُّر أيُّ شيء يباع ، وأيُّ شيء يشترى ! ! تبديلُ الآخرة بالدنيا ، والاشتغال بالخلق عن طلب الحق من السفاهة والجهالة ، والجمعُ بين الآخرة والدنيا من قبيل الجمع بين الأضداد ، شعر :

ما أحسن الدين والدنيا لو اجتمعا . . . . .

فاختر ما شئتَ من هذين الضدين ، وبعْ نفسَك من أيِّهما شئت ؛ عذاب الآخرة أبديٌّ ، ومتاع الدنيا قليل ، والدنيا مبغوض عليها عند الحقِّ سبحانه ، والآخرة مرضيَّة له تعالى وتقدس ، « عش ما شئت فإنك ميتٌ ، والزم ما شئت فإنك مفارقه » .

ولا بدَّ من ترك العيال والأولاد أخيراً ، وتفويضهم إلى الحق سبحانه ، **فينبغي لك أن تحسب نفسك اليوم ميتاً** ، وأن تفوِّضهم إلى الله تعالى ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ نصٌّ قاطع .

وقد سمعت مراراً : أنَّ نوم الأرنب يعني الغفلة والغرور ؛ إلى متى يمتدُّ ! ! فلا بُدَّ من التنبُّه ، والتيقُّظ .

واعلم أن صحبة أهل الدنيا والاختلاط بهم سمٌّ قاتل ، وقتيل هذا السمِّ ميِّتٌ بالموت الأبدي ، العاقلُ تكفيه الإشارة ، فكيف مع التصريح بهذه المبالغة والتأكيد ؟ !

الأكل الحرام

ثم اعلم أن لقمة الحرام ؛ وإن كان لذيذاً ، لكنه يزيد مرضَ القلب ، ويظلمه ، ويكدِّرُه . فكيف يُرجى الفلاح والنجاة ؟! الحَذَر . . الحَذَر . . الحذر ، فافهم ، وافهم ، وافهم ، وتَيقَّن أنَّ مَثَل مَن يهتم بأمر النفس كمن يُربِّي حيَّة تقتله ، ومثل من أقبل على الدنيا بالإدبار عن أمور الآخرة كمثل كلب أكبَّ على الجيفة المُنْتِنَة .

وقد أُلهِمَ هذا الفقير أنه حان لك أيُّها المخدوم المحبوبُ ؛ أن ترجع إلى الله تعالى بالإعراض عن هذه المزخرفة التي لا طائل تحتها ، والتقرُّب إلى الربِّ تعالى ، والإقبال إليه ما استطعت ، ولا شيءَ للإنسان أعزُّ من النفس ، بل هو جوهرةٌ لا قيمة لها .

تحسُّر أهل الآخرة على الدنيا

وليس يتحسَّر أهل الجنة إلاَّ على ساعة مرَّت بهم لم يذكروا الله تعالى فيها ، ومعلوم أن الأموات لو يحصل لهم ساعةٌ واحدة من الدنيا ليذكروا الله تعالى لاشتروها ولو بجميع ما في الدنيا ! !

واعلم أيها الصديق أن خدمات الربِّ تعالى كثيرة ، بل **العلم وتعليمُه أزيدُ في الفضيلة** ؛ لأن المقصود من الجميع توجُّه القلب إلى الله تعالى ، فإذا لم يحصل منها ذلك التوجُّه فهي كشجرة غيرِ مثمرة ، فأرباب ذكر الله تعالى لا يستند منهم إلاَّ وقد حصل لهم ذلك التوجُّه ، وذكرُ الله منشور الولاية ، ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ نصٌّ صريح في ذلك ، قال تعالى : « أنا جليسُ من ذكرني » ، وقال ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ فأيُّ شيء أكبر من مجالسة الحق تعالى وذكره للعبد ! !

تفاوت الخدمات

أيها الأخ المرجوُّ لقبول النصيحة : الفرق بين خدمة وخدمة كبيرٌ ، ألا ترى أن أرباب الحراثة والزراعة كلُّهم في خدمة السلطان ، ولكن لا مناسبة بين خدمتهم وبين خدمة المقرَّبين منه ! فأهل الحراثة يأخذون درهماً واحداً بخدمة يوم كامل مع غاية المحنة والمشقَّة ؛ والمقرَّبون يستحقُّون الألوف بخدمة ساعة الحضور ، ومع ذلك لا تعلُّق لهم بتلك الألوف ، وغايةُ مَرَامِهم إنَّما هي قربُ السلطان ، **فتدبّر وأنصفْ ، واجتهد لفهم الإشارة** ، ولعلَّك سمعتَ حديث : « إن أهل ذكر الله تعالى ليجلسون إلى ذكر الله ؛ وإنَّ عليهم من الآثام مثل

الجبال ، وإنهم يقومون ؛ وما عليهم منها شيء » ، وكذا حديث « المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي ألف مجلس من مجالس السوء » ! ! فإن كنت يا أخي عاقلاً تختار هذه النفائس ، ولا تُبدِّلها بكسرات خبز أنقعت في الماء .

ثم المأمول منك يا محبوب سرِّي وأنيسي وأليفي في الحضور والغيبة أن لا تطرح مواعظ مُحِبِّك ظهريّاً ، ولا تنسبه إلى ما لا تعلم حقيقته ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ ، وإنك عالم متبحِّر ، وفاهم ذكي في أنواع العلوم ، لكن ينبغي لك أن تعلم أن **العلم المجرَّد عن العمل لا يأخذ يَدَ صاحبه يومَ القيامة** ، وأن **محبَّة الدنيا من العلماء ، ورغبتهم فيها كَلَف**[1] **على وجه جمالهم** ، وإن كان يحصل منهم فوائد للخلق ؛ لكن لا يكون علمُهم نافعاً في حقهم ، وإن كان تأييد الشريعة وتقوية الملّة مرتَّباً عليهم ، لكن لا اعتبار به ، فإن التأييد المذكور والتقويَة يحصلُ من أهل الفجور ، وأرباب الفتور أحياناً ، كما أخبر سيد المرسلين عليه وعليهم السلام عن تأييد الفاجر حيث قال : « إنَّ اللهَ ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » ، وهم كحجر الفارس من حيث أنَّ كلَّ ما يلصق به من الشيء الأملس والحديد يكون ذهباً ، وهو باقٍ على حجريَّته ، وكالنار المُودَعَة في الحجر والشجر ؛ فإنه يحصل منها منافع للعالم ؛ ولكن لا نصيب للحجر والشجر من تلك النار المودعة في باطنها .

مهم جدّاً لطلبة العلم

بل أقول : إنَّ ذلك العلم مُضرٌّ في حقِّهم لأنه به تمَّت الحُجَّة عليهم ، كما قال النبي ﷺ : « إنَّ أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » فكيف لا يكون مضراً ؟ ! فإن العلم الذي هو أعزُّ الأشياء عند الله تعالى ، وأشرفُ الموجودات ، جعلوه وسيلةً لجمع حطام الدنيا الدنيئة ؛ من المال والجاه ، والأهل والأحباب ، والحال أنَّ الدنيا ذليلةٌ عند الله تعالى وحقيرةٌ ، وأبغضُ المخلوقات عند الله ، **وإذلالُ ما هو عزيزٌ عند الله وإعزاز ما هو ذليلٌ عنده**

---

(١) طِفَلُ ، عَجَمْ . (من نسخة أخرى) .

في غاية القباحة ، بل هو معارضة مع الحق سبحانه في الحقيقة ، والتدريسُ والإفتاء إنما يكونان نافعين إذا كانا خالصَيْن لوجه الله تعالى ، وخاليَيْن من شائبة حُبِّ الجاه والرياسة ، وطمع حصول المال والرفعة ، وعلامةُ خُلُوِّهما عن تلك المذكورات الزهدُ في الدنيا ، وعدمُ الرغبة فيها ، فالعلماء الذين هم مبتلون بهذا البلاء ، ومأسورون في أسر محبَّة الدينا هم من علماء الدنيا ، وهم علماء السوء ، وشرارُ الناس ، ولُصوصُ الدين ، والحالُ أنَّهم يعتقدون أنفسهم مقتدى بهم في الدين ، وأفضلُ الخلائق أجمعين ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ .

علماء السوء

رأى واحدٌ من الأكابر الشيطان قاعداً فارغَ البال عن الإغواء والإضلال ، فسأله عن سرِّ قعوده بفراغ البال ، فقال اللعين : إنَّ علماء السوء في هذا الوقت قد أمَدُّوني في أمري مَدَداً عظيماً ، وتكفَّلوا لي بالإضلال ، حتَّى جعلوني فارغ البال .

والحقُّ أنَّ كلَّ ضُعْف ووَهَنٍ وقع في أمور الشريعة في هذا الزمان ، وكلُّ فتور ظهر في ترويج الملة وتقوية الدين إنما هو من شُؤم علماء السوء وفساد نيَّاتهم .

حال العلماء المخلصين

نعم ؛ إن كان العلماء راغبين عن الدنيا ، ومحرَّرين من أسر حُبِّ الجاه والرياسة ، وطمع المال والرفعة ؛ فهم من علماء الآخرة ، وورثةُ الأنبياء ، وهم الذين يوزن مدادهم يَوم القيامة بدم الشهداء في سبيل الله ، فيترجَّحُ مدادهم ، و« نوم العالم عبادةٌ » متحقق في حقِّهم ، **وهم الذين استحسن في نظرهم جمال الآخرة ةونضارتها ، وظهرت قباحةُ الدنيا وشَنَاعَتُها ، فنظروا إلى الآخرة بنظر البقاء ، ورأوا الدنيا متَّسمة بسَمْت الزوال والفناء ، فلا جرم هَرَبوا من الفاني وأقبلوا على الباقي** .

عظمة الآخرة وذلة الدنيا

وشهودُ عظمة الآخرة إنما هو ثمرة شهود الجلال اللاَّيرائى ، وإذلال الدنيا وتحقيرُ ما فيها من لوازم شهود عظمة الآخرة ؛ لأن الدنيا والآخرة ضرتان ؛ إن رضيت إحداهما سخطت الأخرى ، فإن كانت الدنيا عزيزة ؛ فالآخرة حقيرة ، وإن كانت الدنيا حقيرة ؛ فالآخرة عزيزة ، وجمع هذين الأمرين من قبيل جمع الأضداد ، شعر :

ما أحسن الدين والدنيا لو اجتمعا

نعم ؛ اختار جمعٌ من المشائخ الذين تخلَّصوا عن أسرِ نفوسهم ومقتضيات طبائعهم بالكلية صورة أهل الدنيا بواسطة نيَّات حَقَّانيّة ؛ تراهم في الظاهر راغبين فيها ، ولكن لا علاقة لهم بها في الحقيقة أصلاً ، بل هم فارغون عن الكلّ ومتخلِّصون عن الجميع ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ فلا يمنعهم البيع والشراء عن ذكر الله ، فهم في عين التعلّق بهذه الأمور غيرُ متعلِّقين بشيء .

قال الخواجه بهاء الدين النقشبندي قدس سره : **رأيت في سوق** « منى » **تاجراً اتَّجر بمقدار خمسين ألف دينار تقريباً ، ولم يغفل قلبُه عن الحقِّ سبحانه لحظة !!** فهذه هذه .

فضل إرشاد الناس

ثم إنك لا يخفى عليك ما في دلالة الناس إلى الخير ، ولعلَّك سمعتَ خبر : « الدالُّ على الخير كفاعله » ، وحديث « ما جميع أعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لُجِّيٍّ » وحديث : « من سنَّ سنة حسنة فله . . . » إلخ .

مسؤولية الوالي

فأنت وَالٍ في قريتكم ، وفي يدك منصبُ الولاية ومكانةُ إرشاد الناس ، فعليك ؛ ثم عليك أيها المرجوُّ للهداية أن تأمر الناس بالخير ، وتهديهم إلى

سبيل المتابعة ، فلا يعدل بمتابعة النبي ﷺ شيءٌ ! فكيف ؛ وقد قال الإمام الرباني ما حاصله : إنَّ **النوم في نصف النهار على قصد المتابعة أفضل من إحياء ألوف الليالي على** . . . إلخ ! !

وقال أيضاً : **الجهاد القوليُّ أفضل من جهاد القتل** .

وعليك ثمَّ عليك أن لا تفعل ما ينكسر به قلوبُ الدراويش ، بل تدوم بما يقبلك قلوبهم ، وتتوجَّه إليهم ، فإنَّ التوجُّه إليهم رأسُ مال السعادة ، لأنَّهم جلساء الله « وهم القوم لا يشقى جليسهم » .

وعليك ثمَّ عليك أن لا تردِّد خواطرك إلى أطرافٍ لا جدوى فيها أصلاً . واعلم أن **المقيم في محلٍّ في كلِّ محلٍّ ، والمتردِّد بين المحالِّ ليس في محلّ** أصلاً . فافهم .

ثمَّ إنه يجب عليك يا نقطة قلبي ، أن تحفظ جوارحك وبطنك من ارتكاب المحرمات ، وإن لم تُطِق أن تجتنب منها بالكليَّة ؛ **فالاجتناب بين أظهر الناس أولى وأحرى** ؛ لئلا يعود عليك شؤم تقليدهم إيَّاك ، فتحملَ وزرهم على وزرك ، فقد سمعتُ الناس يقولون كثيراً : إن العالم الفلانيَّ يفعل كذا وكذا ، ويأكل ويشرب كذا وكذا . ويتبعون شهواتهم معلِّلين فعل ذلك العالم الفلانيّ ، فقد يموتُ المرء وتبقى ذنوبه تُكتَبُ في

صحيفته ! ! فطوبى لمن إذا مات ماتت ذنوبه معه ، فإن لم تُطِق الاجتناب بالكلية وتضييق ارتكاب الفضول ! فعليك بالندم والاستغفار والالتجاء والتضرُّع إلى الله ، معتقداً أن هذا الارتكاب فتحُ باب الدخول حوالي المقت والحرمان ، فعسى أن تقوم هذه الندامة والاستغفار والالتجاء والتضرُّع مقامَ الاجتناب عن الفضول .

❊ وقد قال الله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ ، وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال « الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » ، وقال « من دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله » ، وقال « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً » من كتاب قطب الإرشاد . عبارته ٣ من ديباجته للعلامة العارف بالله تعالى فقير مولاه الحاج فقير الله ابن عبد الرحمن الحنفي الرتاسي الجلال آبادي الهندي رحمه الله تعالى . (من نسخة أخرى) .

قال واحد من الأعِزَّة : انكسار العاصين أحبُّ إلى الله تعالى من صَوْلة المطيعين .

وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله : رُبَّ معصية أورثت ذلاً وافتقاراً خيرٌ من طاعة أورثت عِزّاً واستكباراً ، وذلك لما جاء في الانكسار ، ولزوم الندم والتوبة ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَـٰتٍ﴾ نص قاطع . وقد كنت كتبت في رسالتي العجمية التي ألفتها ، هذه الأبيات :

بِرْزِنَبْ غِطَلْدَكِ طَدْ فِخْ قُعَبْ بِجلِبْ   زَزِلْ كَـهَـلْدَصَنْكِ هُئِنَبْ سُنُ كُنِبْ

إلى آخر ما فيها فراجعها لنفاستها .

توجيه مرشد

وينبغي أن تكون مولعاً وحريصاً في تقوية الإسلام ، وتقوية وتعليم أمور العقائد بين العوامِّ ، وإصلاح القراءات القرآنية في الصلاة وغيرها ، **ونحن يا أخي في زمان خؤن ؛ لا يجوز لأحد أن يثق بنفسه ، وكيف يثق العاقل عَدُوَّه وعدوَّ الله الناصبَ لعداوة الله سبحانه ، ولا أجد نفسي تعمل بالعلم** ؛ ولو بواحد من ألف ! ! ومع ذلك اجترأتُ على تصديعك بتكثير هذه العبارات الوَعْظِيَّةِ ظنّاً أنَّ ما لا نقبله تقبله ، « عظ نفسك ، فإن اتعظتْ فعظْ الناس ، وإلا ! فاستحي مني » . أثرٌ مشهور ، لكن ورد : « مروا بالمعروف ؛ وإن لم تنتهوا » .

وما هو من شرط البلاغ أقوله   فخذ منه نصحاً خالصاً أو ملامة

❊ والعجب كلَّ العجب أن أحد أدعياء التشيخ قرأ في قوله تعالى ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ﴾ من أشهر آية يحفظها الأطفال ، قرأها بفتح الياء ﴿يحيَطون﴾ ، ولما روجع بها أجاب عنه مريده : إن هذا من الأبدال لا يصحُّ مراجعته ! ! وحسبنا الله ونعم الوكيل .
والأسوء أنه يقرأ في صلاته بقوله تعالى ﴿لِكُلٍّ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةً وَمِنۡهَاجًا﴾ فيقرأها (ومنها جاء) على أن الحق تعالى لعن من غيَّر وحرّف وبدَّل في كلامه ! ! فأين هذه الدعاوى من هذا الذي في الكتب ؟ ! . (من نسخة أخرى) .

اعتذار

وقد كنت يا أخي أُلهمتُ بفضل الله تعالى أن أكتب إليك من لُبِّ المعارف أشياء ، لكن طرقت الأضياف بالباب ، واضطرب قلب الرحيل الحامل ؛ فلم يكن في الإمكان أن أبيّض هذه المسوّدة ، فلعلك لا تتخذني وصنيعي هدفاً للملام ، وتدعو له بالاستقامة .

ثم إني لا أخرج إلى الجماعة إلا نادراً ؛ لما أن الأستاذ كان قال لي مرَّة : **إن كان يكون لك حضورٌ تام في الانفراد يجوز لك الانقطاع عن الجماعة** ، وأظنُّ أني كنت رأيتُ نظيره في « إعانة الطالبين » ، وإن صادفتَ نظيره فيما عندك من الكتب فإرساله من أعلى المقاصد ، والمسؤل من الله تعالى ثباتكم على الحقِّ ، واستقامتكم وتوفيقكم وعافيتكم ، وعدمُ انحراف قلوبكم عن الميل إلى الجهة السفلية ؛ فهذا ، والسلام من طرف المفلس حسن القحي . انتهى من خطه قدس سره ورزقنا بركته وبره .

مكتوب في الانفراد والجماعة

وكتب قدس سره إلى بعض مريديه : وعليكم السلام أيها الولد المحبوب ؛ ثم إني كنت سألت شيخنا العسلي قدس سره بعين هذه المسألة ، فأراني في كتابٍ - وأظنُّ أنه « بغية المسترشدين » - ما معناه : إنَّ صلاة المنفرد أفضل(١) لمن لا يطيق الحضور في جميع صلاته لو صلى في الجماعة . انتهى ، وظنِّي أني رأيت عينه في « إعانة الطالبين » . فانظر إليها لعلك تجد ذلك ! !

ثم قال قدّس سرّه : إذا كان صلاةُ المنفرد الذي يحصل له الحضور بالانفراد أفضلَ من صلاة المصلي في الجماعة إذا لم يقدر على الحضور فيها ، ففي الأكل يكون أولى وأنسب . انتهى بمعناه .

---

(١) وأفتى الغزالي : أولى ، وابن عبد السلام بأولوية الانفراد . .إلخ . وهو حقيق بتصويب خلافه الذي سلكه الأذرعي والزركشي . .إلخ . « إعانة » عبارته ٩ . (من نسخة أخرى) .

ورأيت في « المنن الكبرى » للشعراني قدس سره ما معناه : إنِّي كنتُ أرى اللقمة التي آكلها مع الجماعة نوراً و . . . . فاطلبه منه .

وكذا رأيت في كتاب لا أتذكَّرُ ما هو : إن مَن له حالٌ مع الله لا يغفل عنه ، فسفره وحده يجوز ؛ أو أولى . انتهى بمعناه ، وقد كنتُ تحيَّرتُ في هذه المسألة قبل ، ونحن ننظر إلى الكتب ، ونكتبُ ما بدا لنا إن شاء الله تعالى ، والسلام .

وصية جامعة

وكتب قدّس سرّه إلى بعض إخوانه ؛ نقلاً عن « رماح حزب الرحيم »[١] ص٢٥٥ ج٢ :

هذه الوصية الجامعة والنصيحة النافعة يجب على كلِّ مؤمن أن يجعلها نُصْب عينيه ، ويعمل بها حسب طاقته ، وهي هذا :

ومما كتبه إلى كافة الإخوان أينما كانوا ، ونصُّه :

بعد البسملة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ والحمدلة ؛ قال رضي الله عنه : بعد ؛ السلامُ عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد ؛ فالذي أوصيكم به وإياي المحافظةُ على قوله ﷺ : « ثلاث منجيات ، وثلاث مهلكات :

فأما المنجيات ! فهي تقوى الله تعالى في السر والعلانية ، وكلمة الحق في الرضا والغضب ، والقصد في الفقر والغنا ، وأما المهلكات ! فشحٌّ مطاعٌ ، وهوى مُتَّبَعٌ ، وإعجاب المرء برأيه » . وعلى قوله ﷺ : « لا تتمنوا لقاء العدوِّ ، واسألوا الله تعالى العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا »[٢] . . الحديث .

(١) ونقله الأستاذ اليعسوبي قدس سره في « كنوز الأمان » راجعه ص ١٠٩ . (من نسخة أخرى) .

(٢) متفق عليه : ففي « البخاري » : ٢٩٦٥ ، و« مسلم » : ١٧٤٢- ٢٠ ؛ وغيرهما ؛ عن عبد الله بن أبي أوفى .

ردُّ شرِّ الناس

وهذا ؛ وإن ورد في ميادين جهاد الكفار ؛ فهو متعلق[1] في هذه الأزمنة في الصفح عن شرِّ الناس ، فمن تمنَّى بقلبه ، أو أراد تحريكَ الشرِّ منه على الناس سلَّطهم الله تعالى عليه من وجه لا يقدر على دفعهم ، وعلى العبد أن يسأل الله تعالى العافية من تحريك شرِّ الناس وفتنتهم ، فإن تحرَّك عليه مِن غير سبب منه ! ! فالوجهُ الأعلى الذي تقتضيه رسومُ العلم مقابلَتُهم بالإحسان في إساءتهم ، فإن لم يقدر ! ! فبالصفح والفعو عنهم إطفاءاً لنيران الفتنة ، فإن لم يقدر ! فبالصبر لثبوت مجاري الأقدار ، ولا يتحرَّك في شيء من إذايتهم ، وإن اشتعلت عليه نيرانُ شرهم ! فليدافع بالتي هي أحسن **بلين ورفق** ، فإن لم يقدر ذلك ! ! فعليه بالخروج إن قدر ، والهرب عن مكانه ، فإن عوَّقت العوائقُ عن الارتحال ؛ ولم يجد قدرة فليدافع بالأقلِّ فالأقل من الاذايَة . **فليفعل ذلك ظاهراً ، وليكثر التضرُّع إلى الله تعالى والابتهال سرّاً في دفع شرِّهم عنه** مداوماً على ذلك حتَّى يفرِّج الله تعالى عنه ، فإنَّ هذه الوجوه التي ذكرناها هي التي تقتضيها رسومُ العلم .

والحذر الحذر لمن تحرَّك عليه شرُّ الناس منكم أن يبادر إليه بالتحرك بالشرِّ لمقتضى حرارة طبعه ، وظلمة جهله ، وعزَّة نفسه ، فإن المبادر للشرِّ بهذا ؛ وإن كان مظلوماً فاضَتْ عليه بحورُ الشرِّ من الخلق يستحقُّ بها الهلاك في الدنيا والآخرة ، وَتِلْكَ عقوبته لإعراضه عن جناب الله تعالى أولاً ، **فإنه لو فزع إلى الله تعالى بالتضرُّع والشكاية ، واعترف بعجزه وضعفه لَدَفع الله تعالى عنه ضرر الخلق بلا سبب** ، أو بسبب لا تعب فيه ، أو يشغلهم الله تعالى بشاغل يعجزون عنه ، فإمَّا أن يفعل الله له هذا ، وإما أن ينزل عليه اللطف العظيم ، والصبر الجميل ، فيكابد غصص تلك الشرور بما هو فيه من اللطف والصبر ؛ حتى يَردَ عليه الفَرَجُ من الله تعالى ، فيكون مثاباً دنيا وأخرى ، أما ثواب الدنيا !

(١) وفي نسخة : متقلِّب .

فبحمد العاقبة وظهور تَصَبُّرِه في الخلق على قدر رتبته ، وأما ثواب الآخرة ! فبالفوز بما لا غاية له من ثواب الصابرين الذي وعد الله تعالى ، قال سبحانه وتعالى ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ ، وقال سبحانه وتعالى ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ، وقال تعالى حاكياً عن نبيِّه يوسف عليه السلام ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ، وقال تعالى ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ إلى غير ذلك من الآيات ، ولعَدَم اعتبار الناس لما ذكرنا ترى الناس أبداً في عذاب عظيم من مكابدة شرور بعضهم بعضاً ، وَوَقَعُوا بذلك في المهالك العظام في الدنيا والآخرة ، إلاّ مَن حفَّتهم عنايةٌ عظيمة من الله تعالى إلهيَّةٌ ، فإن العامَّة لا يرون في تحريك الشرّ عليهم إلاّ صورة الشخْص الذي حركه عليهم لغيبتهم عن ذكر الله وعن غالب حكمه فنهضوا في مقابلة الشرور بحولهم واحتيالهم عليهم إلاّ صورة الشخص الذي حرَّكه عليهم ؛ لغيبتهم عن ذكر الله ، وعن غالب حِكَمه ، فنهضوا في مقابلة الشرور بحولهم واحتيالهم وصولة سلطان نفوسهم ، فَطَالَتْ عليهم مكابدةُ الشرور ، وحُبسوا في سجن العذاب على تعاقب الدهور ، **فإنَّ الكيِّسَ العاقل إذا نصب عليه الشرُّ من الناس ، وتحرَّكوا له به ؛ رآه تجلِّياً إلهيّاً لا قدرةَ لأحدٍ على مقاومته إلا بتأييد إلهي** ، فكان مقتضى ما دلَّه عليه علمُه وعقلُه الرجوعُ إلى الله تعالى بالهرب والالتجاء إليه ، وتتابع التضرُّع والابتهال لديه ، والاعتراف بعجزه وضعفه ، فنهض معتصماً بالله تعالى في مقابلة خلقه ، فلا شكَّ أنَّ هذا تُدْفع عنه الشرور بلا تعب منه ،

مهم

ولو التهَبَتْ عليه نيرانُ الشرِّ من الخلق لعجزوا عن الوصول إليه ؛ لاعتصامه بالله تعالى ، فإن مَن تعلَّق بالله تعالى لا يقوى عليه شيءٌ ، قال سبحانه وتعالى ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ . . إلى قوله ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ .

وهذا الباب الذي ذكرناه كلُّ الخلق محتاجون إليه في هذا الوقت ، فمن أدام السيرَ على هذا المنهاج سعد في الدنيا والآخرة ، ومن فارقه وكَّلَه الله تعالى إلى نفسه ، فنهض إلى مقابلة الشرور بحوله واحتياله ، فهلك كلَّ الهلاك في عاجله وآجله ، وفيما ذكرنا كفاية . انتهى إلى هنا ، نقل من « جواهر المعاني » .

مطلوبية الشكر

وعليكم بشكر النعم الواردة من الله تعالى بسبب أو بلا سبب ، والشكر يكون في مقابلتها بطاعة الله تعالى إن قدر على أن تكون كليّة ، وإلا ! فالأبقع خيرٌ من الأسود ! ![1]

باب ما يقول إذا غلبه أمر

قال عليه الصلاة والسلام « إذا وقفتم في الأمر العظيم ، فقولوا حسبنا الله ونعم الوكيل » . وقد روى عبد الله بن يزيد عن أبيه : أنَّ رسول الله ﷺ قال « من قال عشر كلمات عند كل صلاة غداة وجد الله عنده مكفياً وعليه راضياً ؛ خمساً للدنيا ، وخمساً للآخرة ، حسبي الله لديني ، حسبي الله لما أهمني ، حسبي الله لمن بغى عليَّ ، حسبي الله لمن حسدني ، حسبي الله لمن كادني بسوء ، حسبي الله عند الموت ، حسبي الله عند المسألة في القبر ، حسبي الله عند الميزان ، حسبي الله عند الصراط ، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو ربّ العرش العظيمِ وإليه أنيب » . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : « من قال ثلاثاً حين يصبح ، وثلاثاً حين يمسي : حسبي الله ونعم الوكيل لم يزل في أمان الله تعالى وستره وكفايته ما لم يخرق ذلك بكبيرة » . وروي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال « إذا قال العبد : حسبي الله ، (سبع مرات) قال الله تعالى : لأكفينه صادقاً أو كاذباً . من شرح : (حسبنا الله ونعم الوكيل) للشاذلي قدس سره . (من نسخة أخرى) .

❊ وقال الحسن البصري رضي الله عنه : لا يؤمن أحد بهذا القرآن إلا حَزِنَ وذَبَلَ . « الحدائق الوردية » . وقال أبو علي الروذباري : أعظم اليقين ما عظم الحق في عَينيك ، وحقر ما دونه عندك ، وأثبت الرجاء والخوف في قلبك . (منه) .

وقال جنيد : التوحيد الخالص أن يرجع آخر العبد إلى أوله ، فيكون كما كان قبل أن يكون . (منه) . وقال تنتهي عبادة أهل المعرفة إلى الظفر بنفوسهم . (منه) .(من نسخة أخرى) .

❊ عن عوف بن مالك أنَّ النبي ﷺ قضى بين رجلين ، فقال المقضي عليه لما أدبر : حسبي الله ونعم الوكيل . فقال ﷺ « إن الله يلوم على العجز ، ولكن عليك بالكَيْس ، فإذا غلبك أمر فقل حسبي الله ونعمِ الوكيل » . أي : إنَّما قال المقضي عليه هذا الكلام إشارة إلى أنَّ المدّعي أخذ منه المال باطلاً .« مصابيح » قبيل كتاب الجهاد . فقال ﷺ « إنّ الله يلوم على العجز » **يعني : أنت مقصِّر في الاحتياط وترك ما أقام الله لك من الأسباب وترك التدبير بالإشهاد وإقامة الحجة ، وغير ذلك مما يوجب الغلبةَ وثبوتَ الحق . وليس من التوكل ترك الأسباب**

وإغفال الحزم في الأمور ، بل على العاقل أن يتكيَّس في الأمور بأن يتيقظ فيها ويطلب أسباباً جرت عادتهم على ارتباط تلك المطالب بها ، ثم إذا غلب وعسر عليه مطلوبه كان معذوراً فيه ، فليقل : حسبي الله ونعم الوكيل ، قولاً واعتقاداً . « حاشية المصابيح » . وراجع « الأذكار » للنووي من باب : ما يقول إذا غلبه أمر .

وقال ﷺ « إن الله يلوم عبده على العجز ، فأبلغ نفسك عذرها في حجَّتها » . . إلخ . « بستان الفقيه » .

باب ومن يتوكل على الله فهو حسبه

قال الربيع بن خُثَيم : مِن كل ما ضاق على الناس ، حدثني . .إلخ عن ابن عباس أنَّ رسول الله ﷺ قال « يدخل الجنة من إمتي سبعون ألفاً بغير حساب ؛ هم الذين لا يسترقون – بسكون الراء ؛ أي : لا يسترقون مطلقا أو لا يسترقون برقي الجاهلية – ولا يتطيرون – ولا يتشاءمون بالطيور ونحوها كعادتهم قبل الإسلام – وعلى ربِّهم يتوكَّلون » ؛ من « صحيح البخاري » رحمة الله عليه . « قاموس » ،(يفوِّضون إليه) . **والتوكل** هو الاعتماد على الله تعالى وقطع النظر عن الأسباب مع تهيئتها ، ولهذا قال ﷺ « أعقل وتوكَّل » . ويقال هو : كِلَةُ الأمر كله إلى مالكه ، والتعويل على وكالته ؛ يعني : عملاً بقوله تعالى ﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾ وهو فرضٌ على المكلَّف ، قال الله تعالى ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ .

وقضية هذا : أنَّ التوكل من لوازم الإيمان ، فينتفي بانتفائه ؛ إذ الإيمان هو التوحيد ، ومن اعتمد على غير الله لم يوحِّده بالحقيقة ؛ وإن وحَّده باللسان . وليس المراد من التوكل ترك السبب والاعتماد على ما يأتي من المخلوقين ؛ لأنَّ ذلك قد يجرُّ إلى ضدِّ ما يرادُ من التوكل . وقد كان الصحابة يتجرون ويعملون في نخيلهم وهم القدوة وبهم الأسوة . والحديث سبق في الطب مطولاً ، وفي أحاديث الأنبياء مختصراً . « قسطلاني » عبارته ٢٧١ ج٩ . (من نسخة أخرى) .

❋ قال شاذلي رحمه الله : إذا خوَّفك أحد من الجنِّ والإنس فقل : حسبي الله ونعم الوكيل . وإذا أردت الإخلاص فاستعن بسورة الإخلاص, وإذا أردت الحفظ من شرِّ الخلق فعليك بقراءة ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ ، وإذا أردت الحفظ من شرِّ الناس فاستعن بقراءة ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ، وإذا خطر خاطر من عدوّ فقل : ربِّ إني مغلوب فانتصر ، اللهم لا تشغل قلبي بسواك ، وإذا خطر خاطر من قبل الرزق فقل : لا إله إلا الله إنَّ الله يرزق من يشاء بغير حساب . وقال : والله ما بيني وبين الذي يناديني إلا أن أنظر إلى ذاته بنظرة فأغنيه . وقال أيضاً : لو حجب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين . (شرح حسبنا) عبارته . (من نسخة أخرى) .

❋ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال من قال « ثلثاً حين يصبح وثلثاً حين يمسي : حسبي الله ونعم الوكيل ، لم يزل في أمان الله تعالى ، وستره وكفايته ما لم يخرق ذلك بكبيرة » . روي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ « إذا قال العبد حسبي الله سبع مرات قال الله تعالى « لأكْفِيَنَّهُ صادقا أو كاذبا » .

الباب : من أراد أن يكون الله حسيبَه ووكيلَه في جميع أموره ، ويكفيه شرَّ جميع خلقه ، ويؤيده بنصره ، ويلقي محبته في قلوب عباده ، ويغنيه الله من سعة فضله ؛ فليقل كل يوم وليلة : (حسبي الله ونعم الوكيل) بعدد حروفها ؛ وهو ٤٥٠ . ومن قرأ الآية في كلِّ يوم وليلة عددها المتقدم ، ثم بعد العدد المذكور ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾ ، آية ٦ ، ثم في سابع مرة يقول : ﴿وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ إلا كان في حرز الله المنيع وفي ودائعه التي لا تضيع ، وكان ملطوفاً به في جميع حركاته وسكناته ، فحفظ من جميع المؤذيات بإذن الله تعالى ، فدَاوِمْ – وفَّقك الله – على تلاوة : (حسبُنا الله . . إلخ) تفز **مع الفائزين الذين لا خوف عليهم ولاَ هم يحزنون .**

وإذا أردت دفع الملمَّات سريعاً فاتلوا الآيات المذكورة ، ثمَّ تقول بعد فراغك من العدد ومن الآية الشريفة : (عزيز ، كافي ، قوي ، لطيف) ، ٤٥٠ ، ففي ذلك سرٌّ مصون ؛ من داوم على هذا العمل نال ما أراد من النصر على الأعداء ، وأوقع الله المحبة في العالم ، وكان عزيزاً في خلقه ، **وكفته قرائتها على هذا النمط** ؛ تقول بعد البسملة الشريفة : ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ﴾ إلى ﴿ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ ، ثم تقول : حسبنا الله ونعم الوكيل (٥٠ مرة) ، ثم بعد الفراغ من تلاوة الآية الخمسة تتلوا الآية ؛ قوله تعالى ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾﴾ خمس مرة ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ٣ ، ثم تعود إلى تلاوة الآية على النسق المتقدم من التلاوة ٥٠ مرة ، تتلوها ١٠٠ مرة ، ثم تتلو آية ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ﴾ .إلخ كما في أول مرة من العمل (٣) ، تفعل هكذا عند تمام كل مرة تتمُّ عدد الآية الشريفة . من لازم على هذه الكيفية صباحاً ومساء ؛ نال ما تمناه . .إلخ ، وظفر بمراده وكان الله حسيبه في دنياه وأخراه .

ومن أراد أن يصل إلى الأمراء على النحو الذي برجوع العمل (مرة أو ثلثا) بالنهار ومثله بالليل ، وإنْ جعل كله بالليل كان أجود ؛ فما يمضي عليه مدة من الزمان إلاّ اتصل بمقصوده .

ومن أراد العز الدائم والكفاية والوقاية واللطف عند الشدائد ؛ عليه بتجديد الوضوء ، وصلاة ركعتين لله عز وجل ، ثم يقرأ البسملة ٤٥٠ ، ثم يقرأ ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ﴾ إلى ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ ٤٥٠ ، ثم يصلي على النبي ﷺ مثل ذلك ، ثم يقول : يا عزيز يا كافي يا قوي يا لطيف مثل ذلك ، وعند رأس كلِّ مائة يقول ثلاث مرات : (يا عزيز أعزَّ ني ، يا كافي اكفني يا قوي قوِّني يا لطيف الطفْ بي في أموري كلها ، والطفني فيما نزل ، ويذكر حاجته ، ولا يكن همك في دعائك الظفر بقاضاء حاجتك ، فتكون محجوباً عن ربِّك ، وليكن همك مناجاة ربّك ، فإنه يعلم السرّ والأخفى .

وقال أيضاً كما في « التنوير » : لا يكن حظك من الدعاء طلب حاجتك ، بل إظهار فاقتك لإظهار مقام عبوديتك ، « نفحات النبوية » ٩٣ .

ولكن فاعل ذلك يكون صاحب يقين ، لتنفعل له الأشياء على أهم المرادات . قال بعض العارفين : من أراد أن يكفيه الله شرَّ خلقه ، وييسر (علّه ييسر) عليه رزقه ويلقي محبته في

أدنى الشكر شكر اللسان وأعلاه تلاوة الفاتحة

وأدنى ذلك شكر اللسان ، فلا أعجز ممَّن عجز عن شكر اللسان ، وليكن ذلك بالوجوه الجامعة للشكر ، **فأعلى ذلك في شكر اللسان تلاوةُ الفاتحة ؛ في مقابلة ما أنعم الله تعالى عليه شكراً** ، وَلْيَنْوِ عند تلاوتها أنه يستغرق في شكر جميع ما أحاط به علمُ الله من نعمه عليه ؛ الظاهرة والباطنة ، والحسيّة والمعنوية ، والمعلومة عند العبد ، والمجهولة لديه ، والعاجلة والآجلة ، والمتقدِّمة والمتأخِّرة ، والدائمة والمنعدمة ، ويتلو بهذه النية ما قَدَر عليه من الفاتحة من مرة إلى مائة ، فمن فعل ذلك كتبه الله تعالى شاكراً ، أو كان ثوابه المزيدَ من نعمه على قدر نيته بحسب وعده الصادق .

وأما وجوه المحامد الجامعة !! فهي كثيرة لا نطيل بذكرها ، مثل قوله ﷺ : « لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » إلخ . . انتهى ما نقله من « الرماح » ، والحمد لله الملك الفتاح . من خطه قدّس سرّه .

وكتب قدس سره في آخره : أيها الولد ؛ أرسلتُ إليك هذا ليكون تنبيهاً لك . فافهم ، واستغفر ربك ، وكن من الشاكرين ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ والسلام . انتهى .

مهم جدّاً : موعظة في مكتوب إلى ولده محمد عارف

وكتب قدس سره إلى ولده محمد عارف يعظه :

من حسن القحي إلى ولده محمد عارف ؛ السلام على من اتّبع الهدى .

قلوب خلقه ، ويجعل له من كل ضيق مخرجاً فليقرأ الآية الشريفة . .إلخ ٤٥٠ ، ثم يقرأ بعد ذلك قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ﴾ إلى ﴿ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴾ ٧ ، وفي السابعة ﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٍ ﴾ إلى ﴿ عَظِيمٍ ﴾ ، ومن داوم على ذلك كان له سرٌّ عجيب في تسهيل العسر . رحمة الله تعالى على كاتبه أستاذنا العالم الفاضل السالك الواصل الحاج رجب أفندي الخنزاخي الأواري ، ورزقنا حظاً وافراً من العلم النافع والعمل الرافع ، وأفاض علينا من فيوضات مشائخنا الكرام أئمة الإسلام ، آمين . (الفقير محمد العكلچي عفى الله عنه) . في ٣ شوال ، سنة ٣٨١ والحمد لله .

حرص الوالد على ولده

يا ولدي ؛ إني كنتُ إلى الآن أرجوك ، وأقول إن شاء الله تعالى يؤل أمْرُكَ إلى الصلاح ، وكنتُ أدعو الله تعالى أن يرزقك علماً نافعاً وعملاً صالحاً وحالاً طيِّباً ، فالآن كدتُ أن أقع في دائرة اليأس الذي هو من كبائر الذنوب ، **يا ولدي** ؛ إن سفاهتك هذه إلى أيِّ وقت تدوم ! ! **يا ولدي** ؛ إن أكابر العلماء يشاورونني في الأمور ، ويمتثلون إشارتي ، وأما أنت فتخالفني حتَّى في النقير والقطمير ، **يا ولدي** ؛ مَن يُحبُّك أكثرَ مني ؟ ! ومَن يريد المصلحة لك أزيد مني ؟ !

عقوق الوالدين من أكبر الذنوب

يا ولدي ؛ إني خائفٌ عليك أن تصير مجنوناً من المجانين ، وتزيد حمقاً على حمق ما زدتَ في شبابك وكبرتَ في سنِّك ، **يا ولدي** ؛ إن عقوقَ الوالدين من أكبر الذنوب بعد الكفر ، وعقوبتُهما لا يؤجّل جزاؤه ؛ بل يعجل .

قلوب المشائخ

يا ولدي ؛ إنَّ قبول قلوب المشائخ أوَّل شيء على سعادة العبد ، وردُّهم ردُّ الله ؛ كما هو مذكور في الكتب . **يا ولدي** ؛ إذا غَضِبْتُكَ ؛ فمَنْ يَرْحمك من الناس ! ! وإذا علموا أني ساخطٌ عليك ؛ فهل تظنَّ أنهم يحسنون إليك ، أو هم يرضون عنك ! ! **يا ولدي** ؛ إن تحرَّكتَ بعد الآن إلاَّ فيما أذنتك فيه أعزلك من بُنُوَّتي ، وأعلِّم جميع الناس أن مَن نظر إليك منهم بعد الآن نظر اعتبار وانتصار لا يَدُقُّ هو بابي . **يا ولدي** ؛ إذا قلتُ لهم هذا القولَ فلا شكَّ أن جميع الناس يقولون لك (لا مساس) كما قال بنو إسرائيل للسامري .

يا ولدي ؛ اسمع واستجب وأعرض عن عملك تكن من المقبولين ، وإلا ! فأنت من المطرودين .

جحود المعلم

يا ولدي ؛ إني كدتُ أنْ أبكي بعدما سمعت خبرك ، وتركتُ النوم في الليلة بالكلية بزحمة فراقك من رفيقك ، وبشدَّة خوفي من انقطاع بركة معلِّمك .

يا ولدي ؛ هل يليقُ بشأنك أن تقذِّر كلَّ مكان نزلت فيه ، وأن تبول على وجه كلِّ مَن أحسن إليك ! فقد ربّاك القاضي موقَّراً محترماً مدَّة مديدة كولد صُلبه ، مع سوء خلقك وسيرتك ، وغِلَظ طبعك وفظاظتك ، فإذا فَرَرْتَ من عنده بضربك كلَّ ما فعل معك من الإحسان وجْهَهُ ؛ فالمرأة خيرٌ منك ، وأنت إذاً لا تساوي عنده ؛ بل وعند جميع الناس مِلءَ كفٍّ من تراب ، وقد فعلتَ مثلَه مع القاضي أَصْحَابْ عَلِي قبلُ ، فما هذه السفاهة ! ! وإلى متى هذه الحماقة ؟ ! وكيف أَقِفُ أمَامَ الناس ؛ والحال أنَّك توقفني مقاماً لا أحسبني شيئاً مذكوراً ؟ !

شرط طريق الله

يا ولدي؛ أجمع القوم على أن المُرُوَّة ، والشجاعة ، والرجولية ؛ شرطٌ في طريق الله تعالى ، ومع ذلك فقد آثرتَ المهانة والجبن والأنوثة ، ولم تَدْرِ قط قدر الرجولية ، وقد كان منك في « خنزاخ » ما كان ، مما استوجب الذلَّة والهوان ، كيف لم تَسْتَح من أخذ أقراش من . . . إلخ والحال أنك تعرف منِّي أني لا أقبل من الهدايا مع عدم جواز ردِّها في الشرع الشريف إلا أشياء لا يجوز ردُّها ككعك ونحوه مما يستحيي من الناس ردُّه ، وأكافئهم ؛ ولو بشيء قليل بقدر طاقتي ، وأنت خرقت نقاب الحياء بالكلية ؛ ولم تَسْتَح حتى من أراذل الناس ! !

يا ولدي ؛ إني أريد أن أكون كالتيس بترك ما بأيدي الناس ، والإعراض عنه ، ولا أريد أن أكون كالمعز بقبول إحسانهم من متاع دنيا لا تزن بأسرها عند الله جناح بعوضة .

يا ولدي ؛ أسألك بالله تعالى وبرسوله أن لا تتصرَّف في شيء مَّا إلاَّ بأذني ، ولا أحد يعلم مصالحك ويحب الإحسان لك ولنفسك مني .

الصنم الأكبر

يا ولدي ؛ إنَّ النفس لأمَّارة بالسوء ، وإنها هي الصنم الأكبر على التحقيق ، وهي أعدى أعدائك ، **فإطاعة عدوِّك المريد لك الهلاك ، وعدمُ مخالفتك إياه أراه من علامة خذلانك** ، وهَوَانك على الخلق وعلى الله ؛ فالعياذ بالله !

يا ولدي ؛ إني لك ناصح أمين ، وأنت لا تسمع لنصحي ، بل أنت متَّبع بالنفس الأمارة ، ومستمع للشيطان اللعين !

بركة العلم كحال المعلم

يا ولدي ؛ إن بركة العلم تكون على حسب المعلِّم ، فإن كان الأستاذ نحوياً يخرج الطالب نحويّاً ، وإن كان مَحْويّاً يصير هو محويّاً ، ولذلك أريد منك أن لا تفارق من أستاذك ومعلِّمك ، فإن الأحوال ساريةٌ ، والطباعَ سارقة ، فأرجوك أن تصير ببركة صحبة القاضي[١] ، ومعلِّمك الطالب الأديب محمد محويّاً عن رذائل الأخلاق ؛ لا نحوياً إليها وإلى متاع الدنيا وحذافيرها .

حال المستبدل

يا ولدي ؛ إن الله تعالى أنزل على بني إسرائيل مائدة من السماء ، ورزقهم المنَّ والسلوى ؛ ومع ذلك استبدلوا الأدنى بالأعلى ، واختاروا البصل والعدس ونحوهما ، ولا أراك إلاَّ مثلَهم ، فإنَّ الله تعالى رزقك البرَّ الخالص ؛ وأنت تطلب استبداله بالشعير والباقلاء ، وهل هذا إلاّ وظيفة الأحمق ! !

يا ولدي ؛ لو أنَّك كنت رجلاً لما اخترت في هذا الزمان المخوف فراقَ والدك ، بل جلستَ أمامَه ، وألصقْتَ رُكْبَتَيْك بركبتيه حتى يفيض عليك العلوم المعارف بكلتا يديه .

ثقل قلب الوالد

يا ولدي ؛ إن سعيك على خلاف رأي أبيك محضُ ضرر لك ، فلا خير لك في الخلاف أصلاً ، وإن امتثالك بأمره بضدِّ ذلك ؛ وإن كنتَ تجهل ما هنالك ؛ فلا خير لك في الخلاف .

---

(١) لعل الإشارة به إلى الأستاذ الحليم حميد أفندي حفظه الله ، آمين (كاتبه محمد) . (من نسخة أخرى) .
نَعَمْ ؛ أنه هو المذكور . والمعلم : محمد بن حسن القحي . هذا . (النهري) .

يا ولدي ؛ إذا ضاق صدرُ والدك عليك ؛ فاعلم أنَّه يضيق عليك كلُّ شيء ، ولا تحصل على نتيجة ما تفعل ، ولا تجني ثمرة ما تعمل ؛ وإن كانت صورته خيراً .

يا ولدي ؛ إذا عصيتَ أباك ؛ فقد عصيت ربَّك سبحانه ، فلا ينفعك مع ذلك علم ؛ وإن قرأت ألف كتاب ؛ لأن العلم فضل الله وفضله لا يعطى للعاصي[1] ، وإن أُعطي ! يَحُول حجةً عليه ووبالاً .

يا ولدي ؛ إن أخاك الكبير[2] بل إخوانك لم يُضيِّقوا قلبَ أبيك كما ضيّقت في يوم واحد ! ! فما هذه العماية والغفلة والجهالة والسفاهة ؟ ! فمتى تصيرُ رجلاً ! !

يا ولدي ؛ إن كنتَ سئمت في مقامك الحالي ؛ فارجع إلى وطنك الأصلي ، ففيه ما تشتهي نفسك وتلذُّ عينك ، ولا ضيق عليك بالمرَّة ؛ ولو بمثقال ذرَّة .

يا ولدي ؛ إنَّ أمك أصابها من سماع خبرك ما أصابني ، وكفاك هذا مع أمك التي ولدتك وربَّتك وحملتك في بطنها مدَّة تسعة أشهر ! !

يا ولدي ؛ إني أرسلت زمامك ، وألقيت أمرك إلى من لا ملجأ ولا منجا منه إلاّ إليه ، وأسأله سبحانه أن يفعل بك ما هو أصلحُ وأنفع لي ولك ، وهو خير الناصرين . فهذه وصيتي إليك ، فإن عملتَ بها ! فذاك ، وإلا ! فللّه الأمر من قبلُ ومن بعدُ . ونرسل لك . . . إلخ إن قبلت نصيحتي ، وإلا فلستُ لك بعد ذلك من المحسنين ، بل أنت عندي من المُبْعَدين ، وسترى مَغَبَّة ذلك ؛ ولو بعد حين ، ثم تندمُ على ما فعلت حين لا ينفعك الندم .

---

(١) يشير به إلى ما يروى عن الشافعي رضي الله عنه :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأنبأني بأن العلم نور ... ونور الله لا يهدى للعاصي

(٢) للمؤلف رحمه الله ولدان - كما ذكرنا في ترجمته في « البروج المشيدة » وأعدناه هنا والكبير المراد ههنا هو مُحَمَّدْ حَجِيَوْ ، وأصغرهما المخاطب محمد عارف ، ولكن محمد عارف كان فيما بعدُ قطبا ، أعلى حالاً حتى من أبيه ؛ على ما قيل ! ! فلعل هذا الخطاب كان في عنفوان شبابه ! ! رحم الله جميعهم .

يا ولدي ؛ إن أنت خرجت صاحب علم وعمل ؛ فأنت عندي كرُوح جسدي ، وأفديك بروحي وبما عندي ، وإلا ! فأنت عندي أذلُّ من كلِّ ذليل ، وأحقر من كلِّ حقير ، **والموت أحسن من الحياة مع الجهل** ، والعلم مع عدم العمل وبالٌ وبلاء ، نعوذ بالله من جهل لا يرفع ، وعلم لا ينفع ، ونفس لا تشفع ، ومن ولد يشيب والديه . رزقك الله التوفيقَ والاستقامة ، وأيقظك من سنة الغفلة والجهالة ،آمين . إنتهى من خطّه قدّس سرّه ببعض تغيير .

الباب السابع

في إجازات أكابر مريديه من العلماء للتدريس إجازته لمحمد العسوي

وكتب قدّس سرّه في إجازة[1] ولده المعنوي الكامل الفاضل محمد ابن العالم نور محمد العسوي ما لفظه :

وعليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته ، أما بعد : فقد وصل الرسول المرسَل مع الرسالة المنبئة عن طلب الإذن ؛ لتولية العالم المخلص محمد من هذا العبد الضعيف ، وبذا حصل لي حياء وخجل ، فمَنْ أنا حتى يُطلب مني الإذن ، وأكون موضعَ مشاورة في مثله ، أنا دونه بدرجات ، بل هو أرفعُ مني بمعارج ، لكن استحسنت هذا الصنيع الناشىء من ذلك القدر الرفيع ، والمقام المنيع مع هذا العبد الوضيع ، وكيف يستحسن المباداة بالتواضع من العلماء ؛ كالملوك بالنسبة إلى هذا الفقير الصعلوك ، ولعمري إنَّ طلب الإذن من أمثالي لحريّ بالاستغراب ، وحضور هذا المسكين الخامل بباله وخاطره مع

(١) وفي نسخة : أكبر أولاده المعنويِّين لولاية القضاء ، ألا هو الأستاذ الفاضل والملاذ الكامل محمد ابن العالم القاضي نور محمد العسوي الملقب باليعسوبي قدّس سرّه .

ارتدائه[1] برداء العلم والعمل والعقل والإدراك لَشيء عجاب ، رفعه الله تعالى بهذا التواضع إلى أعلى عليّين بحكم : « من تواضع لله رفعه الله ، ومن تكبَّر وضعه الله » ، وبحكم : (التواضُعُ بساط تحت الأرضين السبع ، فمن جلس عليه يرتقي إلى أعلى عليِّين) ، وصانه الله تعالى عن التكبُّر ، ورقَّاه بفضله يوماً فيوماً إلى درجات أهل العرفان ، ومراقي العلماء العاملين . آمين .

فالتواضع من أرباب الملك شرف وزين ، والتكبر من العلماء سرف وشَيْن .

ثم لا يخفى على جنابه أنَّ صلاح الملوك والعلماء - حلاَّهُمُ الله تعالى به - صَلاح البرايا ، وفسادُهم - خلاّهم الله عنه - فسادُ جميع الرعايا ، ولذا أورد الأمر بتعميم الدعاء لهم ، فلا جرم أن شيمة هذا الفقير الاعتناء التام بالدعاء له باستقامته على إنفاذ أمر التولية ، والعدل في الحكم بين الرعية ، وعدم الجور على أحدٍ من أهل القرية بالميل إلى أحد الجانبين ؛ ولو كان من ذوي القرابة وأوصيه بوصية الله ورسوله ؛ **وهي تقوى الله تعالى في السر والعلانية** ، ويجوز له أن يمتثل أمركم ، ويقبل قولكم ، وأرى رأيكم هذا سديداً ، وظنِّي أن الخير والصلاح والمصلحة ينتشر بسببه إن شاء الله سبحانه .

واعلموا **أن القضاء في هذا الزمان هو الذبح بسكِّين تالفٍ** ، بل السعْيُ في أمور الرسم والعادة سمٌّ قاتل للعلماء ، بل هو أشدُّ من سُمِّ الأفعى ، وقتيلُ هذا السمِّ يموتُ بالموت الأبديِّ ، وإنَّ **صلاح الخلق إنما هو بصلاح الولاة والقضاة ، وفسادهم بفسادهم** ، فإذا كان الأمر هكذا ! ينبغي لكم أيها الإخوان أن تُمَحِّضوه للوعظ والتذكير ، وتنفيذ أحكام الشريعة ، ولا تكلِّفوه بما لا طاقة له به ؛ من السعي إلى الديوان والاختلاط بأهله ، واعلموا أنَّ مصلحة هذا التمحيض راجعٌ إليكم ؛ لا إليه ، ولو كان هلاكُه في سعيه المذكور خاصّاً به فقط لأمرناه بهذا الأمر الآخر ؛ لأنَّ الهالك حينئذ هو نفسه ، وجعلناه فداءً للخلق ، لكن نعلم بالمشاهدة والتجربة أنَّ **الوعظ إذا خرج من قلب صاف يقع في قلب سامعه**

---

(١) أي : اليعسوبي فلا إشكال . « جامع الرسائل » . (من نسخة أخرى) .

ويقبله ، وإلاَّ ! فيكون كالضرب في حديد بارد ، فرأيكم هذا – أعني تعيينكم له خادماً يقوم بأمر كتبة الأمور الرسمية ، وتخصيصكم إياه بتنفيذ الأحكام الشرعية – أراه حسناً ؛ رزقكم الله عزَّ وجلَّ منه بركة غيرَ زائلة ، ومنكم له بفضله ومَنِّه ، إنّه هو المدبِّر في الأمور والموفِّق للسداد فهذا ؛ والسلام .

وأوصيكم بالدعاء بالاستقامة (الفقير الحقير حسن القحي) .

إجازته إلى إلياس كِلَچ الطدي

وكتب قدس سره إلى العالم كِلَچ الطدي في إجازته للتدريس ما صورته :

بسم الله الرحمن الرحيم :

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله محمد سيِّد الأنبياء ، وعلى آله وأصحابه النجباء ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وبعد ؛ فقد قال الصاوي رحمه الله : **والحكمة في الإذن** : **تسهيلُ الأمر وتيسيره** ؛ لأن الدخول في الشيء من غير إذن متعذِّرٌ ، فإذا حصل الإذن سهل وتيسَّر ، ومن هنا أخذ المشائخ استعمال الإجازة للمريدين ، فمن أجازه أشياخه بشيء من العلم والإرشاد ؛ فقد سَهُلت له الطريق وتَيَسَّرت ، ومَن لم تحصل له الإجازة ، وتصدَّر بنفسه ؛ فقد عطَّل نفسه وغيره ، وانسدَّت عليه الطرق . انتهى .

وقد قيل : إنه – أي : طلب الإذن – مسنون ، وقد ذهب بعض الكفاة إلى أنه فرض كفاية ، وذكروا له أصلاً من الآية والحديث ، ولأجل هذه المذكورات أَجَزْتُ أخانا في الله العالم المرجوَّ للاستقامة إلياس ؛ الملقب بـ « كلچ الطدي » للتدريس في العلوم العقليَّة والنقليَّة ، وتعليمها للتلامذة ؛ رجاء أن يصل إليه وإلى جميع مَن يأخذ منه العلوم بكلا نوعيه[١] فيوض صاحب لواء الحمد عليه السلام بواسطة أكابر العلماء المتقين .

---

(١) العقلي والنقلي .

سند المؤلف في العلوم

وسندي في العلوم هذا المذكورُ بعدُ :

سنده إلى الإمام الشافعي ﵁

قد أجازني فيها الشيخ سيف الله الحسيني قدس سره ، وهو أخذ الإجازة عن الشيخ زين الله الشريفي المعموري ، وهو عن داملاًّ أحمد بن خالد المنكاري القزَّاني ؛ عن مولانا قاضي كَلاَن في بخارا ، ومَلاًّ المولوي محمد شريف السيد مصنِّف « التكملة » على « التتمة » ، وعن مولانا داملاًّ حسن أخوند البخاري ، وهما أخذا عن أبي قاضي كلان المذكور عطاء الله خواجه ، وهو أخذ عن هادي خواجه ، وهو أخذ عن أخوند فيض ، عن أخوند شيخ عناية الله البخاري ، عن السيد محمد شريف الحسيني ؛ عن أخوند يوسف القراباغي ، عن مرزاجان الشيرانيّ ، عن خواجه جمال ، عن المحقِّق الدواني الصديقي ، عن أبيه أسعد الصديقي ، عن السيد الشريف علي الجرجاني ، وهو أخذ العلوم العقلية عن محمد مبارك شاه ، عن قطب الدين الرازي ، عن أبي نصر ، عن العلامة قطب الدين محمود الشيرازي ، عن الكاتبي ، عن فخر الدين الرازي ، عن أبي نصر السمناني ، عن محمد بن يحيى النيسابوري ، عن الإمام الغزالي ، عن إمام الحرمين ، عن عبد الله أبي محمد الجويني ، عن سهل بن محمد أبي الطيِّب الصعلوكي ، عن محمد بن سليمان أبي سهل الصعلوكي ، عن إبراهيم أبي إسحاق المروزي ، عن أبي العباس أحمد بن سُرَيج ، عن أبي القاسم عثمان الأنماطي ، عن إسماعيل بن إبراهيم المزَني ، عن الإمام الأجلّ أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ، عن الإمام الأعلم مالك ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهم ، عن النبي الأميّ محمد المصطفى ﷺ .

هذا سند العلوم في مذهب الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه .

سنده إلى الإمام الأعظم ﵁

ولنا أيضاً إجازة مستندة إلى الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه ، ومنه إلى حمَّاد ، عن النخعي ، عن علقمة ، عن عبد الله بن مسعود ﵁ عن النبي ﷺ .

شرط الأهم في الإجازة

والشرط الأهم في وصيَّتنا الاستقامة ، وترك الدعاوي ، وأن يقول فيما لا يدري : (لا أدري) ، وأن لا يرى نفسه على أحد مَّا من التلامذة ، بل من كلِّ واحد ، ويخشع ، وأرجوه أن يكون التدريسُ والتعليم أعزَّ لديه من حلاوة العسل المُصَفَّى ، والإفادة للطلبة أحلى عنده من السكر ، وأن يلازم على وظيفة نشر العلم في الليالي والأيام ، وأن لا يتكاسل للإفادة لمن أراد . وفَّقه الله تعالى لمرضيَّاته . آمين ، فهذا ؛ والسلام ، وأوصيه بالدعاء ، **وله الإذن مني لإجازة مَن شاء متى شاء بعد علمه وَرَعَه وصلاحيَّتَه** ، والله وليُّ التوفيق .

وأنا الفقير حسن القحي الهدلي رحم الله إفلاسه ، ولتصديقها ختمتُ بخاتمي :



إجازته لعامر الهندخي

وكتب قدس سره إلى العالم الفاضل عامر أفندي الهندخي في إجازته للتعليم ما صورته :

باسم الله خير الأسماء ، ولله الحمدُ والثناء ، والصلاة والسلام على محمد وآله وأصحابه الأمناء .

أما بعد : فإن العلم أقوى سبب يتوسَّلُ به العاقل اللبيب إلى الكمالات ، وأسنى طريق يسلكها الفاضل الأديب إلى معرفة ربِّ الأرض والسماوات ، وإنَّ الإسناد في العلوم من أجلِّ ما به يُعْتنى ، وأنفس ما يُدَّخر ويُقْتنى ، لكونه – كما قيل – من الدين ، وسنناً مأثوراً للسلف والخلف المهتدين ، فلهذا أظهرت الإرادة والاعتناء للسلوك في طريق التدريس والتعليم من الحسيب الصالح الميمون ؛ والطالب الكامل الورع الممنون عامر أفندي الهندخي الداغستاني كان الله له حيث يكون ، ولَطَف به في كلِّ حركة وسكون ، ولذلك أردت أن أجيزه في تعليم العلوم العقلية والنقلية مع بيان الأسانيد كما أجازني به مشائخنا .

شرط الإجازة

فأجزته لذلك بالشرط المعتبر لدى أهله ؛ وهو كمال التثبُّت والتحرِّي ، وأن يقول فيما لا يدري : (لا أدري) .

وَلي في جميع العلوم مشائخُ أجلَّةٌ ، هم في سماء المعارف نجوم وأهِلَّة ، فلله الحمد والمنة ، وله الشكر على هذه النعمة .

أسانيده في العلوم الفقهية إلى الإمام الأعظم رضي الله عنه

وسأذكر هنا الأسانيد : إني أخذتُ الإجازة في العلم الظاهري ؛ كما أخذتها في الطريقة الشاذلية من قطب الإرشاد العارف بالله السيّد الشريف سيف الله الحسيني النقشبندي الشاذلي القادري الأويسيّ الغازي غموقي النِّژَبكري أطال الله بقاءه وأفاض علينا فيضه وبركته ، آمين .

وهو أخذ من شيخه ذي المواهب زين الله الشريفي المعموري ، وهو أخذ العلم الظاهري عن داملا أحمد ابن خالد المنكاري الغزاني ، وهو عن مولانا قاضي كلان في بخاري وملا المولوي محمد شريف السيِّد مصنِّف « التكملة على التتمة » ، وعن داملا[١] حسن أخوند البخاري ، وهما أخذا عن أبي قاضي كلان المذكور عطاء الله خواجه ، وهو عن هادي[٢] خواجه ، وهو أخذ عن أخوند فيض ، عن أخوند شيخ عناية الله البخاري ، عن السيد محمد شريف الحسيني ، عن أخوند يوسف القراباغي ، عن ميرزاجان الشيرازي ، عن خواجه جمال ، عن المحقق الدواني الجلال الصديقي ، عن أبيه أسعد الصديقي ، عن المحقق السيد الشريف علي الجرجايني ، وهو أخذ العلوم العقلية عن محمد مبارك شاه ، عن قطب الدين الرازي ، عن العلامة قطب الدين محمود الشيراز ، عن الكاتبي ، عن فخر الدين الرازي ، عن أبي نصر السمناني ، عن محمد بن يحيى النيسابوري ، وهو عن الإمام حجة الإسلام الغزالي ، عن إمام الحرمين

(١) وداملا حسن أخذ أيضاً عن ميرك خواجه ، وهو عن عطاء الله .(منه) . (من نسخة أخرى) .
(٢) وهو المشهور بإيشاذ أستاذ .(منه) . (من نسخة أخرى) .

الجويني ، عن عبد الله أبي محمد الجويني ، عن سهل بن محمد أبي الطيب الصعلوكي ، عن محمد بن سليمان أبي سهل الصعلوكي ، عن إبراهيم أبي إسحاف المروزي ، عن أبي العباس أحمد بن سريج ، عن أبي القاسم عثمان الأنماطي ، عن إسماعيل بن إبراهيم المزني ، عن الإمام الأجل أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه ، وهو عن الإمام الأعلم مالك رضي الله عنه ، وهو عن نافع رضي الله عنه ، وهو عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وهو أخذ عن النبيِّ الأمي محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وجلال الدين المحقِّق الدواني أخذ أيضاً عن محيي الدين الكشكناري ؛ وهو عن مظهر الدين محمد الكازروني ، وهما أخذا من السيّد الشريف ، والسيد الشريف أخذ الفقه والعلوم النقليَّة عن شارح « الهداية »[1] الشيخ الكامل أكمل الدين محمد بن محمد بن محمود البابرلي ، وهو عن قوام الدين محمد بن محمد الكاكي[2] ، عن حسام الدين السغناقي ، عن حافظ الدين الكبير محمد البخاري ، عن شمس الأئمة محمد بن عبد الستار الكردري ، عن صاحب « الهداية » علي بن أبي بكر ، عن أحمد بن عمر النسفي ، عن أبيه ، عن أبي اليَسَر محمد البزدوي ، عن أبي يعقوب يوسف السبياري ، عن أبي إسحاق التوقادي ، عن الهندواني ، عن أبي القاسم الصفَّار ، عن نصر بن يحيى ، عن محمد بن سَمَاعه ، عن أبي يوسف ، عن الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه ، عن حمَّاد ، عن النخعي ، عن علقمة ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم وشرّف وكرّم .

طريق أخرى فقهية

وأيضاً أخذ شيخُ شيخنا زين الله المذكور العلم الظاهري ، كما أخذ العلم الباطني من الشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانوي ، وهو أخذ عن السيد

---

(١) وصاحب « الهداية » أخذ عن أحمد بن عمر النسفي ، وعن أخي أبيه : أبي اليسر محمد البزدوي . (منه . هامش الأصل) .
(٢) عله : السكاكي . (من نسخة أخرى) .

أحمد بن سليمان الطرابلسي الحسني ، وهو عن محمد ابن عابدين ، وعن أحمد الطحطاوي ، وسندهما مذكورٌ في ديباجة « الدر المختار » ، وأخذ الإمام علي البزدوي ؛ عن السرخسي ، وهو عن الحَلواني ، عن القاضي علي النسفي ، عن أبي بكر محمد بن الفاضل البخاري ، عن الإمام أبي عبد الله السبذموني - هي قرية من قرى بخارا - عن أبي حَفْص البخاري ، عن أبيه ، عن الإمام محمد ، عن أبي حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنهم .

سند العلوم العقلية والفقه

والسند في العلوم العقلية والفقه إلى المحقق جلال الدين الدواني الصدّيقي خواجه جمال مرزاجان الشيرازي ، أخوند يوسف مولوي شريف أخوند شيخ المولوي فيضي هادي خواجه المشهور بـ (إيشان أستاذ) ، ابنه خواجه عطاء الله ، ابنه محمد شريف قاضي مصنِّف « التكملة » ، داملاَّ حسن أخوند ، داملاَّ أحمد المنكاري ، داملاَّ زين الله الشريفي المعموري ، السيّد الأمير سيف الله الحسيني المومى إليه من قبل ، خادمُهم الحقير حسن بن محمد القحي الهدلي النقشبندي الشاذلي رحم الله إفلاسه .

وقد أجازَ الولد المذكور عامر أفندي بما ذكر في هذا الثبت ، وثوقاً بعلمه وأمنه وأمانته وورعه ، وحُسْن خلقه وحِلْمه ، كما أجازه المشائخ الكرام ، والعلماء الأعلام ، اللهم اجعلنا في بركاتهم ، ونفع الله به وبنا العباد بحرمتهم ، ورزقه وإيانا الاستقامة الكاملة والمتابعة التامَّة . وأوصيه بتقوى الله في السرِّ والعلانية ، وعدم التسامح في الرابطة الشريفة ؛ ولو مرَّة في اليوم والليلة ، وعدم خلوّه عن إتيان الاستغفار والصلاة على النبي ﷺ ولو مائة مرة في المَلَوين ، وإن زاد إلى ثلاثمائة منها ؛ فهو مطلوبٌ مرغوب ، بل هو له محمودٌ ومحبوبٌ ، جعله الله تعالى في زمرة الأولياء .

إجازة في المداواة الروحية

وأجزته أيضاً أن يكتب لكلِّ داء ومرض سورة الفاتحة مقطَّعة الأحرف بلا طمس للحروف ؛ محواً وتعليقاً ، وأن يقول بحضرة المريض (يا سلام) (١٢٠ مرة) نافثاً عليه من ريقه بعد قراءة العدد المذكور .

وأوصيه بنفي الوجود ، والوفاء بالعهود ، والقناعة بالموجود ، والتوكُّل على الربِّ المعبود ، وتصحيح العقيدة على وفق آراء أهل السنة والجماعة ، وأن لا ينساني ومشائخي وأولادي وأصحابي ووالديَّ من صالح الدعوات ، خصوصاً بحسن الخاتمة ، وبترك الدعاوي الكاذبة ، **ودوام رؤية القصور في الأعمال ، وبإخلاص النية ؛ فإنها هي روح العبادة** ، وبقراءة هذا التسبيح ؛ ولو مرَّة في الليل والنهار : (سبحان الله وبحمده عددَ خلقه ، ورضاء نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته ، كلَّما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون) وفَّقه الله تعالى وإيانا لإدامة الأعمال الصالحات ، والعمل بالعلم بحسن النيات ، فهذا ؛ والسلام ، الفقير الحقير المرشد المجازي كالقاضي الضروري حسن القحي النقشبندي الشاذلي .

إجازة مشروطة بقوله (لا أدري) فيما لا يعلمه

وكتب قدس سره إلى . . . . . .[1] السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، إن هذا الفقير الحقير لما صادف مَن يقصدكم ويلقاكم ؛ أراد أن يوصل إليكم التحية والسلام ويوصيكم بخير الدعاء ، أدامكم الله على الصحَّة والعافية ، وأذاقكم لذة اللقاء والمشاهدة .

ثم اعلم أيها الأخ القريب البعيد ؛ أن هذا الأقلَّ من كلِّ قليل قد أجازكم فيما كنتم طلبتموه مني بالإشارة بعد الاستخارة وحصول الاطمئنان ، وانشراح الصدر ، **لكن بشرط أن تقول في كلِّ ما لا تدري (لا أدري)** . جعلكم الله من أهل الاستقامة . آمين .

وقد أهملت في هذه المرَّة أمر كتابة الصكِّ لذلك الأمر المعلوم ، ولعلَّ الله تعالى يوفِّقكم لما فيه رضاه ، ويبلِّغكم إلى ما اقترحتموه ، ويهديكم إلى اتباع السنة . والسلام . انتهى من خطه قدّس سرّه .

---

(١) بياض في الأصل قدر أربع كلمات .

مكتوب لليعسوب يستشيره في إجازة

وكتب إلى أكبر أولاده المعنويين محمد اليعسوبي قدّس سرّه ما لفظه : إلى ولده محمد العسلي : سلام عليكم وبعد فإني أريد أن تستخير الله تعالى في إعطاء الإذن للعالم عبد الجليل القلثرمي ، فإنه رجلٌ مستقيم لا يشتغل بشيء مَّا سوى اشتغاله بأوراده ومراقبته ، **وإني لا أثق بنفسي؛ ولو في أدنى شيء إلا إن شهد لرأيه أمثالكم**؛ فافهم ، والسلام . انتهى .

مكتوب آخر في التحذير من الوعظ قبل أوانه

وكتب قدس سره إليه : وعليكم السلام أيها الولد .

ثم اعلم **أن التصدُّر للوعظ قبل أوانه شيء خطير ، إلاّ أن تعليم آداب الطريقة أرجو أن يكون فيه خيرٌ كثير** ، والأمر بالمعروف والنهيُ عن المنكر واجبٌ على كلِّ واحد ، بل هو من الأعمال المتعدِّية ، ويجوز لك إن شاء الله تعالى أن تنصح لمن طلب النصح ، والعالم والحاج بُدُنْ طبعُه كذلك ، فماذا نفعل ؟ ولو أنه ينصح للخلق لكان لهم منه البركة العامة ؛ لأنه قد وضع قدمه في الولاية وذاق طعماً من أحوال القوم ، **فكلامه شفاءٌ للناس ، إلاّ أنَّه لما كان أستاذي في العلم الظاهر أستحي منه أن آمره بشيء ، أو أنهاه عن شيء** . فافهم ، والسلام من والدكم المعنوي حسن .

مكتوب يأمر فيه بالاستخارة للإجازة

وكتب إلى ولده المعنوي اليعسوبي قدّس سرّهما ما حاصله : السلام عليكم أيها الولد العزيز محمد .

وبعد : فكونكم على الاستقامة هو المراد والمسؤل من الله تعالى ، ثم إني أريد منك أن تستخير الله تعالى مرَّاتٍ في حقِّ إجازة محمد بن حسين العوري المقيم حالاً في « غزانش العليا » ، وتُوصلَ إليَّ ما رأيت في المنام؛ لأني أريد أن يكون في السهل مأذوناً من جهتنا لأجل توسيع دائرة الطريق . فافهم ، والسلام ، وأوصيك بالدعاء .

وهذا من الأسرار المخصوصة بنا ؛ فلا تُفْشه لأحد . انتهى .

جواب لمن سأله الإذن لقراءة « دلائل الخيرات »

وكتب إلى العالم كِلَج الطدي جواباً لكتابه الذي يطلبه فيه الإذن لقراءة « الدلائل » : أخي في الله كِلَج ؛ السلام عليكم ولن يَتِرَكم أعمالكم .

أما بعد : فشرط قراءة « دلائل الخيرات » التلقين من الأستاذ أوَّلا ، ثم تعليم كيفية القراءة ، وإن كنت أردت قراءتها كيفما كان ؛ فلك الإذن لذلك ، **لكن البركة في قراءتها بعد التلقين** .

هذا ؛ **وإن شيخنا العسلي قدس سره لم يأذَنْ هذا الحقير لقراءتها إلا بعد المراقبة ، وقال : إن الصلاة على النبي ﷺ ألف مرة خيرٌ من قراءة « الدلائل » بالتمام** .

وقلتُ له مرَّة : إني أريد قراءتها ؛ لتكون عوناً لي على حصول نتيجة حبس النفس ! !

فقال : **إن حصول النتيجة منوطٌ بتركها وترك غيرها ، والاشتغال بحبس النفس على الدوام** . فافهم ، والسلام ، والوصية بالدعاء . ونحن في صحَّة . انتهى من خطه قدس سره .

إجازته للشتوطي

وكتب إليه قدّس سرّه شيخنا وأستاذنا العالم الفاضل محمَّد الشتوطي - حفظه الله - يطلب منه الإجازة لقراءة الأحزاب ، ولتعليم العلوم و . . . إلخ ؛ فكتب قدّس سرّه في جوابه :

وعليكم السلام أيها الأخ المحبوب المحترم العالم القاضي محمد أزيَدَ مما أرسلتَ إليّ بألوف ، فقد وصل إليّ مكتوبكم مع الهدية المقبولة ، وفهمتُ مضمونه ، فَلَكَ مني إجازة تامَّة مطلقة ؛ لقراءة حزب البر ، وحزب البحر ، وحزب النصر للإمام الشاذليِّ ، وكذا لقراءة حزب الإمام النووي قدس الله أسرارهم .

وقد أجزتك أيضاً في تعليم العلوم النقلية والعقلية وتدريسها ، بيدَ أني معذورٌ في الحال لكتبة الأسانيد ، ولعل الله تعالى يوفقني لكتبتها وقتَ الفراغ ، وأرجوك أن لا تلومني . . . إلخ .

ثم إني - إن شاء الله تعالى - أنظر إلى الطبقات وغيرها ، وأكتبُ إليكم ما بدا لي في إتيان لفظ السيادة ، فهذا ؛ والسلام ، وأوصيكم بالدعاء . الحقير حسن حلمي القحي سامحه الله من فرطاته آمين . حرر في ٢٢ من رمضان سنة ١٣٤١ .

تذييل على إجازته السابقة

ثم إن أستاذنا الشتوطي المذكور وفقه الله كتب بخط يده جميعَ تلك الأسانيد ، فكتب قدس سره في ذيل كلِّ إسناد من تلك الأسانيد إجازته بخط يده المباركة ، وأذن له أن يجيز هو أيضاً من رآه أهلاً لذلك من أهل الخير والصلاح ، وأوصاه بالتقوى ، واتباع السنة ، ومخالفة البدع والهوى ، وبأن لا يتعارف بالمجهول ، ويتجاهل بالمعروف ، ويطلب في الكلِّ مرضاة الله تعالى ، وأن لا ينساه ومشائخه في الدعواته ، ودعا له باللهم فقهه في الدين آمين .

توثيق الثبت

ثم كتب قدس سره بذيل الثَبَت الذي كتبه الأستاذ المذكور من خط الأستاذ السيد سيف الله الغزي غموقي ، وهو الثَبَت الذي أخذه السيِّد المذكور عن شيخه ذي الجناحين أبي المواهب عبد الرحمن زين الله النقشبندي الشريفي المعموري ، وهو عن السيّد محمد علي بن ظاهر الوَتري المدني ، وبما فيه أجاز السيف المذكور أستاذَنا الحقيّ النقشيَّ الخالديَّ قدس الله أسرارهم ما لفظه :

نصُّ الإجازة

وأنا الحقير الفقير حسن حلمي ولد محمد القحي النقشبنديّ الشاذلي رحم الله إفلاسه آمين : أَجَزْتُ الأخ الصالح العالم محمد الشتوطيَّ في جميع ما في هذا الثبَت ، كما أجازني أشياخي ، وفقه الله تعالى للتعلُّم والتعليم ، وإرشاد الخلق إلى السداد آمين ، وأوصيه بتقوى الله تعالى في السرّ والعلانية ، وبالدعاء لي ولأولادي في الأوقات المستجابات . فهذا والسلام . . حرر في ٢١ من ربيع الأول سنة ١٣٤٢ .

ثمَّ إنه أجازه أيضاً خليفة الحلمي الثاني حميد أفندي - حفظه الله تعالى كهفاً للأنام وأماناً من الظلام ، آمين – بما لفظه بخط يده المباركة الكريمة : وأنا الحقير هطنو محمَّد الهندخي أجزت له في ذلك كله . حرر في ٣٠ محرم سنة ١٣٧٠ . انتهى من خطه .

إجازته لمرتضى البوني

وكتب قدس سره في إجازة العالم الفاضل مرتضى علي البوني[١] ما صورته :

باسم الله خير الأسماء ، ولله الحمدُ والثناء ، والصلاة والسلام على رسوله محمد سيّد الأنبياء ، وعلى آله وأصحابه النجباء ، وحسبنا الله ونعم والوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم .

أما بعد : فقد قال الصاويُّ : **والحكمةُ في الإذن تسهيل الأمر وتيسيره** ، لأنَّ الدخول في الشيء من غير إذن متعذِّر ، فإذا حصل الإذن سَهُل وتيَسَّر ، ومن هنا أخذ المشائخ استعمال الإجازة للمريدين ، فمن أجازه أشياخه بشيء من العلم والإرشاد ؛ فقد سهلت له الطريقُ ، وتيسَّرت ، ومَن لم تحصل له الإجازة ، وتصدّر بنفسه ؛ فقد عَطَّل نفسه وغيره ، وانسدَّت عليه الطرق . انتهى .

(١) المُنُوي . (من نسخة أخرى) .

وقد قيل : إنَّه – أي : طلب الإسناد – سنَّةٌ صحيحة ، وذهب بعض الكفاة إلى أنَّه فرض كفاية ، وذكروا له أصلاً في الحديث والآية ، ولأجل هذا أردتُ أن أجيز أخانا في الله لله بالله العالم المشهور المرجوّ للاستقامة مرتضى علي المُنُوي[1] – جعله الله تعالى من العلماء العاملين آمين – بجميع ما أجازني به مشائخنا في العلوم العقلية والنقلية ، رجاء أن يصل إليه وإلى جميع مَنْ يأخذ عنه العلوم قطرة من قطرات فيوض صاحب لواء الحمد ، عليه وعلى آله التسليمات ، بواسطة أكابر العلماء السادات القادات .

بيان سنده في الإجازة

وسندي فيها على هذا الترتيب الآتي : قد أجازني في جميع العلوم العربية وعلوم الأحاديث والتفاسير وغيرها من العلوم العقلية والنقلية شيخُنا وسَنَدنا **سيفُ الله الحسيني الغازي غموقي** النثبكري النقشبندي الشاذلي القادري أبلَّ الله مرقده بلطفه الخفي آمين .وهو أخذ الإجازة عن شيخه زين الله الشريفي وهو عن داملا أحمد بن خالد المنكاري القزاني عن مولانا قاضي كلان في بخاري وملا المولوي محمد شريف السيد مصنف « التكملة على التتمة » وعن مولانا داملا حسن أخوند البخاري ، وهما أخذا عن أبي قاضي كلان المذكور عطاء الله خواجه ، وهو أخذ من هادي خواجه ، وهو أخذ عن أخوند فيضي عن أخوند شيخ عناية الله البخاري عن السيد محمد شريف الحسيني عن أخوند يوسف القراباغي ، عن ميرزاجان الشيرازي ، عن خواجه جمال عن المحقق الدواني الجلال الصديقي عن أبيه أسعد الصديقي عن السيد الشريف علي الجرجاني ، وهو أخذ العلوم العقلية عن محمَّد مبارك شاه ، عن قطب الدين الرازي عن العلامة قطب الدين محمود الشيرازي ، عن الكاتبي عن فخر الدين الرازي ، عن أبي نصر السمناني ، عن محمد بن يحي النيسابوري ، عن الإمام الغزالي عن إمام الحرمين ، عن عبد الله أبي محمد الجويني ، عن سهل بن

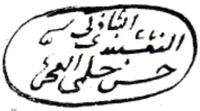
---

(١) سبق أول المكتوب أنه البوني ! ! فليحرر .

محمد أبي الطيب الصّعلوكي ، عن محمد بن سليمان أبي سهل الصّعلوكي ، عن إبراهيم أبي إسحق المروزني ، عن أبي العباس أحمد بن سريج عن أبي القاسم عثمان الأنماطي عن إسمعيل بن إبراهيم المزني ، عن الإمام الأجلّ سيدنا أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ، عن الإمام الأَعْلم مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم ، عن النبي الأمّي المصطفى ﷺ . هذا سند العلوم في مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ، ولنا أيضاً إجازة مستندة إلى الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه ، ومنه إلى حمَّاد ، إلى النخعي ، عن علقمة ، عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ . وله منّي إجازة من هذه الجهة ، بيد أنّي معذورٌ في الحال لكتبة صكّ الإجازة بالتمام بذكر جميع الكتب لضيق الوقت ، وله أن يجيز بما شاء متى شاء لمن شاء ، وفقه الله تعالى للتعليم والتدريس وجعله من العلمآء المتقين ، وأوصيه بالدعآء لي ولأولادي الصلبيّين والمعنويّين ، فهذا ؛ والسلام .

وأنا الفقير الحقير حسن حلمي القحي النقشبندي الشاذلي القادري سامحه الله من فرطاته . آمين .

حرِّر في ٢٧ يوم الجمعة سنة ١٣٤١



مكتوب إلى شمخال الههالِي

وكتب قدس سره إليه[١] وإلى تلميذه العالم شمخال الههالِي ما حاصله مختصراً :

إلى ذلك العالم أخينا في الله لله بالله شمخال الههالِي ، وأستاذه العالم المتورِّع القاضي مرتضى علي المنوي : السلام عليكم . . إلخ .

(١) أي : إلى عالم مرتضى علي المنوي .

أما بعد : فنسأل الله لكم العفو والعافية والتوفيق والاستقامة ، كثّر الله أمثالكم في أقطار الأرض ، وزاد الله أعماركم ، وألهمكم الرشد والهداية . آمين . وقد بلغ أخاكم الدَاعِيَ لكم بالخير أحوالُكم وأخبارُكم فَزَاد الفرح والسرور ، وزال عنه القبض والفتور ، وقد حَمِدْتُ الله تعالى على نجاتكم من هذه الفتن التي عَمَّتْ على العالم كالطوفان ، نجّاكم الله من أمثالها بعد الآن . ومن المعلوم المتيقَّن عند أهل البصيرة **أنَّ الظلمة في الدنيا والزبانية في العقبى على حدٍّ سواء** ؛ من حيث أنهم لا يظلمون إلا بقدر ما يستحقُّه الناس بأعمالهم . وقد قال عليُّ الخواصُّ رضي الله عنه : والله لو تولّى الخضرُ عليه السلام ، أو القطب شيئاً من ولايات هذا الزمان لما قدر أن يفعل مع الناس إلاَّ ما يستحقُّونه بأعمالهم . انتهى ، وحديث : « إنَّما هيَ أعمالكم تردُّ عليكم » شاهد عدل على قوله رضي الله عنه ، وهذا هو الزمان الذي كنا نحذِّره في قول كعب وابن مسعود رضي الله عنهما : لو دام هذا لم نَبْكِ بميت ولم نفرح بمولود . وقد كتبتُ إليكم كلماتٍ لتكون باعثة للتذكر ، وأرجوكم أن لا تنسوا أخاكم في الدعوات ، وأن لا تغفلوا عن الله بالكلية ، فإنَّ الغفلة عن الله من أعظم الذنوب عند أهل الله ، وأن تدوموا على التعلُّم والتعليم ؛ ففضل العالم على العابد كفضل النبي عليه السلام على أدنى الأمة ، وأَخْلِصُوا في التعلّم والتعليم ، فإن ذرة واحدة من الإخلاص خيرٌ من ألوف من الأعمال المشوبات ، كما هو معلومٌ لديكم ، **واعلموا أنَّ بُعْد الأشباح لا يضرُّنا بعد أن حصل القربُ بالأرواح** ، وحديثُ « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » شاهد على ذلك ، جمعنا الله تعالى وإيَّاكم في دار السلام ، وجعلنا من أهل معرفته ومحبَّته ، فإنه على ذلك قدير ، والسلام عليكم وعلى جميع مَن يصطلي بناركم من المؤمنين والمؤمنات . انتهى من خطه قدس سره .

إجازته للإنخوي بحزب النووي

وكتب قدس سره إلى الحاج موسى الإنخوي يجيزه لقراءة حزب الإمام النووي رحمه الله ما حاصله :

من الفقير الحقير الأقلِّ من كلِّ قليل حسن القحي إلى ذلك الأخ المقبول المحبوب الحاج موسى ؛ سلام عليكم .

أما بعد : فقد بلغنا تسليماتكم وتحيَّاتكم ، وأوصل إلينا تحفكم وهداياكم فجزاكم الله . . . إلخ : **وليس لنا شيء نأنسُ به سوى تذكار أخبار الأحباب أمثالكم من أولي الألباب** ، فإن سألتم عنا ؛ فللّه الحمد والمنَّة ، ما لنا ولأحبابنا ما يحصل به القبض من جهة هذه الفانية ، **بيد أن النفوس على جموحها المألوف ، فنطلب من جنابكم الدعاء بحصول التوفيق والاستقامة** .

ثم اعلم أيها المخدوم المكرَّم ؛ **أن حزب قطب الوجود الإمام النووي**[(١)] رضي الله عنه من أعظم الأحزاب الواردة المأثورة ، وأكثرها نفعاً وبركة ، وقد شرحه كثير من الأكابر الأعلام ، ولذلك كان غالبُ مشائخنا الخالديّين يستعملونه ويداومون على قراءته ، وهو هذا : باسم الله ، الله أكبر ؛ الله أكبر ؛ الله أكبر ، أقول على نفسي وعلى ديني . . إلخ . . وهو مكتوب بهامش « دلائل الخيرات » ، وليس بطويل ، وقد قال الشيخ القطب جمال الدين يوسف قدس سره ؛ عن عبد الله بن عمر بن علي بن خضر الكوراني العجمي قدّس سرّه :

مطلب مهم

من واظب على قراءة حزب الإمام النووي رحمه الله تعالى بعد الصبح والمغرب ، أو بعد الصبح والعشاء لا يقدر أحدٌ أن يتصرَّف فيه ؛ لا مِنْ أهل الظاهر ، ولا من أهل الباطن ؛ أرباب القلوب المتصرفين بالحق ، ولا من أهل الظاهر أهل الشطارة والسحر ، والمكر والحرب ، والخصام والعداوة . انتهى .

---

(١) ومن شروحه شرح العلامة المدابغي . (من نسخة أخرى) .

كذا نقله شيخنا سيفُ الله الحسيني الغازي غموقي قدّس سرّه من « مطالع المسرات » .

ويقرأ كلَّ يوم مرة ، فلكم الإجازة مني أيها المأمون لقراءته ، لعلكم تفوزون بخواصِّه ، وفقكم الله تعالى .

سنده

وأنا أبيِّن لكم سلسلته إلى الإمام النوويّ رحمه الله تعالى :

الإمام النووي ، الإمام ابن الخباز ، الشيخ زين الدين الصافي ، الشيخ البرهان زين الدين القباني ، الشيخ البدر الغزي ، الشيخ النجم الغزي (ولد البدر) . الشيخ عبد الغني النابلسي النقشبندي القادري ، الشيخ المحدث عبد الرحمن الكزبري الكبير ، الشيخ محدِّث الشام محمد الكزبري (ابن الشيخ عبد الرحمن المذكور) ، الشيخ مولانا خالد السليماني قدس سره ، الشيخ أحمد بن سليمان الطرابلسي الحسني ، الشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانوي ، الشيخ العارف زين الله الشريفي ، الشيخ العارف سيف الله الباشلاري الحسيني النثبكري الغازي غموقي ، الفقير الحقير حسن القحي ، وهكذا أرويه بهذه الرواية ، وقد كتبته إليكم لتَعْلَم آباءكم المعنويِّن في هذه السلسلة ، وتستفيضَ بذكر أسمائهم أحياناً . فافهم ، وأوصيكم بالدعاء . انتهى من خطه قدّس سرّه .

جواب في دعاء الاستخارة

وكتب قدّس سرّه جواباً لمن طلب منه كيفية الدعاء بعد صلاة الاستخارة عند القوم[١] :

وأما كيفية ما يقرأه هذا الحقير بعد صلاة الاستخارة على ما ذكره أحمد ضياء الدين قدس سره في « المتممات » هذه :

(١) وفي نسخة : بهامش مواقف السادات للسيد سيف الله قدّس سرّه على ما كتبه في كيفية الاستخارة .

اللهم ؛ إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنَّك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنتَ تعلم أنَّ أموري ، وأقوالي ، وأفعالي ، وأحوالي ، وحركاتي وسكناتي ، وأقوال الخلق ؛ وأفعالهم وأحوالهم ، وحركاتهم وسكناتهم من أجلي خير لي في ديني ودنياي ، ومعاشي ، وعاقبة أمري ؛ عاجله وآجله ، فاقدرْه لي ويسِّرْه لي ، ثم بارك لي فيه ، وإن كنت تعلم أنَّ أموري وأقوالي ، وأفعالي ، وأحوالي ، وحركاتي ، وسكناتي ، وأقوال الخلق ؛ وأفعالهم ، وأحوالهم ، وحركاتهم وسكناتهم من أجلي شرٌّ لي في ديني ودنياي ، ومعاشي ، وعاقبة أمري ؛ عاجله وآجله ؛ فاصرفه عني واصرفني عنه ، واقْدُرْ لي الخيرَ حيث كان ، ثم رضِّني به . انتهى . ولا أدري هل يرضى المؤلّف[١] المحترم رحمه الله تعالى ، ورزقنا فيضه وبركته على هذا أم لا ! ! (الحقير القحي)[٢] .

---

(١) هو الشيخ سيف الله قدس سره (هامش الأصل) .

(٢) وفي نسخة زيادة هنا :

مكتوب آخر

وكتب قدّس سرّه إلى ولده مُحَمَّدْ حَج في حقِّ خطبة زوجته الثانية لما وقع في قلبه شيءٌ من ذلك : إلى ولدي محمّد حج . .إلخ . اَعلم أيها الولد أني أُظْهِر لك سرِّي – وإن كان إفشاء سرِّ الربوبية كفراً وجحوداً – أنَّ سبب خطور خطبة تلك الزوجة ؛ أني كنت لدى زوجها المرحوم وقت النزع ، فلما انقطع نَفَسُه صعب عليَّ فراقه وموته جدّاً ، فنادى الهاتف على لطيفة سرِّي بالعجمية ألفاظَ : (هيْك دُصَّكُ يَجن) . انتهى . فهوَّن ذلك مَوْتَه على قلبي فكان هذا الخاطر يتردَّد في الصدر ، وأَتفكَّر أنه لو وَقَعَ الأمر وفق نداء الهاتف كان حسناً ، بيد أنِّي كنت أخاف أن يكون شيطانيّاً لا إلهيّاً ، لأنه لا ثقة بخواطر غير المعصوم ، كما قالوا .

ثمَّ إنِّي رأيت مرة . . إلخ ، ومرة أخرى كأني وإياها مضطجعان في فراش ، وعندنا القاضي أصحاب علي يجمع عورتَيْنا بيده . ومرة . .إلخ ومرة . .إلخ . فاستخرت الله تعالى في ذلك مراراً ، فرأيت مرة كأن الديك الأبيض في يدي . وقد قال ﷺ في حقَّه « إنه حبيبي وحبيب حبيبي جبرائيل » ، وهو أيضاً دليل الخيرات ويوقظ الناس من السِنات ، ويقول في صوته : اذكروا الله .

ورأيت مرة أخرى بعد الاستخارة كأني قاعد بين النبات الأخضر وأنا . .إلخ . وكان في الدعاء في شق الخير : (وأرني بياضاً أو خضرة أو ماءً جارياً) .

تذييل على الاستخارة

وكتب قدس سره إلى بعض مريديه :

وعليكم السلام ؛ فأنت تفعل بعد الاستخارة ما خطر ببالك في حق . . إلخ ، فلعلّ الله تعالى لا يُخسر ميزان سعيك ، وتوكَّل على الله ، ومَن يتوكل على الله فهو حسبه ، وأطع الله ، وكما تطيع تطاع ، فإنَّ الإنسان كظلّ الشاخص ؛ إن استقام يستقيم الظلُّ ، وإن اعْوجَّ يعوجُّ . فافهم .

ولا علم عندنا فيما يأتي من عواقب الأمور . (وأنا حسن) .

جواب في استشارته في تولية القضاء

وكتب في جواب مَن سأله عن قبول تولية القضاء : وعليكم السلام . . . إلخ ، وأما أمر القضاء ! ! فهو موكول إليك ، وصاحبُ الدار أدرى بما فيها ، فافعل ما انشرح إليه قلبُك بعد الاستخارة ، ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾ ويحصِّل لك في المقدور خيراً . والسلام .

ومرة أخر استخرت الله تعالى بواسطة محمود أفندي قدس سره فقرئ ﴿وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ﴾ ، ﴿كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِ ٱلۡمَكۡنُونِ﴾ الآية ، ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ﴾ الآية ، وبعد ذلك استخرت بواسطة شيخنا العسلي قدس سره ، فقرئ كما ذكر بلا فرق . واستخرت مرة أخرى فقرئ ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي﴾ ، ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ الآية ، ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾ .

فأوَّلتها كلها إلى الخير ، فعرضت عليها ذلك بالإشارة ليكون سبباً لقطع الخاطر كيفما وقعت عاقبة الأمر ، وقلت لها : إنْ رأيتِ ذلك حسناً فذا وإلا فنحن نحمد الله على كلّ حال ، ولا نبتئس بذلك أصلاً .

هذا ما وقع ، وبعدَ ذلك تتابع الناسِ فيه ومضغوه علكا في أفواههم . والعجب أنها تقول أنها لم تظهر الأمر ولو لأختيها ، فضلاً عن غيرهما . وقد كنت رأيت في بعض كتب الحديث ما هذا معناه « إنّ لله تعالى ملائكة يطوفون في الطرق يتكلّمون على لسان الخلق » والله أعلم . انتهى مختصراً .

الحديث « إن لله ملائكة في الأرض تنطق على ألسنة بني آدم بما في المرء من الخير والشرّ » الديلمي عن أنس . « الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة » عبارته للسيوطي رحمه الله .

الباب الثامن

في الحث على الصبر على المصائب والبلايا ، وبيان فوائدها ، وفيه بعض التعازي .

تعزية العرادي في فقد بصره

وكتب قدس سره إلى العالم الفاضل والسالك الكامل أدرة العرادي رحمه الله : وعليكم السلام ؛ أيها الأب العالم أدرة ، أزيد مما أرسلت إليَّ ألفَ مرة .

أما بعد ؛ فقد أخبرني ناس أنه قد انقطع نور بصرك ، وضعف ضياء عينك ، فالحمد لله على كل حال ، والآن أحببتُ أن أكتب إليكم كلمات أَوْرَدَها إمامنا الإمام الرباني قدس سره في « مكتوباته » لتكون مؤنسة لك في وحشتك ؛ قال قدس سره في المكتوب ٦٤ من الجزء الأول في ص ٧٦ :

لَذَّة الدنيا وألمها

واعلم أن لَذَّة الدنيا وألمها على قسمين : جسماني ، وروحاني ، **وكلُّ شيء فيه لَذَّة للجسم فيه ألمٌ للروح** ، وكلُّ شيء فيه ألمٌ للجسم فيه التذاذ للروح ، فالروح والجسم ضدّان ، وفي هذه النشأة التي تنزلت[1] الروح فيها إلى مقام الجسم وتعلَّقت به اكتسبت حكم الجسم ؛ فصارت تتلذُّذُ بتلذّذه ، وتتألّم بتألمه ، وهذه هو مرتبة العوام كالأنعام ، وقوله تعالى ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ صادق في شأنهم ، **فآهاً ألف آهٍ لو لم تخلص الروح من هذا التعلق ، ولم ترجع إلى وطنها الأصليّ** ، شعر :

ومرتبة الإنسان في آخر الورى ... لذلك من عز الحضور تَأَخّرَا
فلو لم يَعُدْ مِنْ بُعْده واغترابِهِ ... فلا شيء محرومٌ كإنس من الورى

---

(١) وفي نسخة : نزلت .

والروح من مرضها تزعم ألمها لذَّة ، وتظنُّ لذتها ألماً ، ومَثلها مثل الصفراوي ، حيث لم يجد الحلوَ بواسطة علّة الصفراء مرّاً ، **فالفكر في إزالة هذا المرض لازم للعقلاء حتى يغشاهم الفرح والسرور في الآلام والمصائب الجسمانية** .

من أجل هذا العيش والمعيشة لا بد من شق المرائر يا فتى

فإن لُوحظ ملاحظة جيدة ؛ لتبين أنه لو لم يكن الألم والمصيبة والمرض في الدنيا ؛ لما تساوى بشعيرة ، **فإن الوقائع والحوادث هي التي تزيل ظُلْمَتها ، ومرارة الحوادث مثل مرارة الدواء النافع المزيل للمرض** . انتهى[١] عبارته .

فلعلك أيها الأب المرجوُّ للاستقامة ؛ أن تأخذ من هذه الألفاظ معاني كثيرة في جميع ما أصابك ، وبضيق الوقت لكتبة ما في الخاطر اقتصرت على هذا . فهذا ؛ والسلام ، وأوصيكم بالدعاء . الفقير الحقير الداعي لكم بالخير حسن .

مكتوب إلى العوري تعزية بولده

وكتب قدس سره إلى العالم السالك حسين المحمد العوري ما صورته ملخَّصاً : إلى ذلك الأخ المحبوب الصديق القديم المرجو للاستقامة محمد بن حسين العوري ، وإلى . . . إلخ ؛ السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد ؛ فاعلم أيُّها الأخ المحترم ؛ أن الله تعالى قد مَنَّ عليك بالأهل والأولاد ، وخاصَّة بولد ذَكَر صالح يشتغل بالعلم ، ولا يعصي الله تعالى ، ثم إنَّ الله تعالى اصطفاه لحضرته ، وجذبه إلى حظيرة قدسه ، وقرَّبه إلى مقرِّ أنبيائه وأوليائه ، **وشاركَكَ وشبَّهك بحبيبه عليه الصلاة والسلام** في صفة أكرمه بها ؛ فقد أمات أولاده الذكور ، وأبقى نسله من أولاده الإناث ، **فالمشاركة والتشبه به** ﷺ **من أعلى مراتب النعم** ، ولكن فراق الولد القارئ العالم من أصعب الأمور على أمثالنا الضعفاء ، وأما أنت ! ! فرجائي فيكم أن لا يصعب

---

(١) ما في « المكتوبات » للإمام الرباني .

ذلك عليك بالرضا بقضاء الله تعالى ، وإرادة ما أراده ، فإنَّه الواهب ؛ وهو الآخذ لما وهب ، فطوبى له الجنة ، والنزول إلى مقر الرحمة ، وحبّذا مُعلِّمُوه في مرقده إلى يوم القيامة ؛ وهم الملائكة الكرام البررة ، فسيحشر عالماً يوم الجزاء ، ويبعث عارفاً بالله تعالى في زمرة العلماء ، وطوبى لك أيضاً الشفاعة ، فإن الولد لا يدخل الجنة إلاَّ مع الوالدين ، ففزت بكلتا الحسنيين ، ورزقك المصيبة لتنال بها درجات الدارين ، فإن الولد فتنة الوالدَيْن ، ففزت فقد قال تعالى ﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ وبموته وفراقه والصبر عليه يرتقيان إلى أعلى مراتب الصابرين ، وقد قال تعالى أيضاً ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ فهاتان الآيتان شاهدان عدلان لما قلته آنفاً ؛ بأنك فزْتَ بكلتا الحسنيين ، **وموتُ الولد – ولو كان سقطاً – خيرٌ للوالدين من أن يخلفا مائة من الأولاد كلهم يقاتلون في سبيل الله ! !**

وذكر في « الإحياء » ما يؤخذ منه هذا الكلام : فإذا كان الأمر كذلك وكان أمر الدنيا هكذا كما نرى يؤخِّر المرءَ عن المطلوب المرغوب كلَّ يوم ، وينقص من دينه وقتاً بعد وقت ، ولا يأتي عام إلاّ والذي بعده شرٌ منه ! **فلا أرى انتقال ولدك إلى الملأ الأعلى إلاَّ نعمة يجب عليك وعلى أهل بيتك الشكر عليها ، ولذا لا أعزيك إلاَّ لمجرد امتثال السنة ، فاشكروا الله تعالى ولا تجزعوا .**

واعلموا أن تحت كلِّ نعمةٍ نقمة ، وأن مع العسر يسرين ، واصبروا فإن الصبر عند الصدمة الأولى أحرى وأولى ، فغفر الله له ، وأدخله الجنة ، وحشرنا معه في زمرة الصالحين ، وألهمكم الصبر الجميل على البلاء ، والشكر على النعم ؛ إنه تعالى مولي النعم ، ومزيل العناء ، وبما أنا في أعذار معلومة اقتصرنا على إرسال الكتاب ، وأنتم لا يخفى عليكم مشاركتنا معكم في كل ما لكم وعليكم ، والسلام عليكم ؛ وعلى من اتبع الهدى ورحمة الله تعالى وبركاته . من الحقير حسن حلمي وأهل بيته . انتهى .

وكتب قدّس سرّه إلى الشيخ الصالح قَدِ مُحَمَّد الخنزاخي يعزيه في حليلته المرحومة ما صورته :

من هذا الفقير الحقير المرشد المجازي كالقاضي الضروري حسن القحي إلى ذلك الأب المحبوب قد محمد الأواري ، وإلى ولده النائب العادل مجهول الجسم معروف الاسم والروح شمس الدين ، ثم إلى بنات أمِّنا العفيفة الولية الذاكرة لله تعالى أمّ هانئ وإلى . .إلخ ، السلام التام ، والثناء العام ، عليكم إلى يوم الدين جعل الله تعالى عواقب أموركم خيراً ، ورزقكم عملاً صالحاً ، ووفَّقكم قبل الفوت ، للاستعداد للموت ، آمين .

أما بعد : فإني أحمد الله تعالى على كل حال وأصلي وأسلم على سيِّدنا محمد حائز قصبات الكمال ، وعلى آله وأصحابه أرباب العناية والنوال ، وأسأل الله لكم الرضوان الأكبر وغفر لميِّتكم وصبّركم ، وألهمكم الرشد والهداية ، وجنَّبكم عن الغواية والضلالة ، مع التوفيق لصالح الأعمال على جادة الاستقامة وجعلها رفيقة مشائخها ، وداخلة في أهل دائرة مربِّيها في أعلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ، آمين .

ثم اعلموا أيها الأخوان أنه لا بدَّ للإنسان من الموت تصديقاً لقوله تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ ، فطوبى لمن طال عمره وكثر عمله ، والموت هو الذي يتسلَّى به المشتاقون ، ويتوسل به إلى وصول الحبيب للمحبوب و﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَاتٍ ﴾ الآية ، و« من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه » الحديث .

نَعَمْ ؛ إن أحوال العاجزين المحرومين من دولة الحضور والوصول إلى مطلب الواصلين المحرَّرين عن رقِّيَّة ما سوى الله تعالى خرابٌ وأبترُ . جعلنا الله تعالى وإياكم من أهل الحضور والمشاهدة ، وأيقظنا عن سِنة الفتور والغفلة ، آمين يا مجيب . وقد كانت المرحومة وليَّةَ نعمتكم ، وبركةَ بقيتكم ، وغنيمة أهل بيتكم ، لما أنها كانت حصَّلتْ مقام الذكر القلبي الذي ثبتت

فضيلته على الذكر اللساني بتسعين ضعفاً في الحديث الذي رواه البيهقي عن عائشة رضي الله عنها ، وكانت أيضاً رحيمة حليمة موصوفة بالصفات الحميدة فيما ظهر لنا ونشهد لها أنها كانت سعيدة لا شقية حسبما نعلم ، وكانت أيضاً مقبولة عند مشائخها بالقبول التام ، وقد قالوا : **إن قبول قلوب المشائخ للمريد أدلُّ شيء على سعادته** ، كما هو مذكور في الكتب . ومن العجب أن توجد في نساء العصر بهذه الديار من ذكرت فيه تلك الصفات السنية والأخلاق الحميدة لولا أنه لا عَجَب في صنع الله تعالى وفعله ، ويفعل الله ما يشاء . فإذا كان الأمر هكذا فاللازم عليكم الآن أن تكافؤا إحسانها بالإحسان ، وأنْ تمدُّوها بالدعاء والصدقة آنا بعد آن ، **فإنَّ الميت في قبره كالغريق ينتظر دعوة ملحقة من أب أو أم أو صديق** ، كما ورد في الحديث المروي عن ابن مسعود رضي الله عنه .

وأيضاً ينبغي لكم أن تعتبروا بموتها وتتذكروا موتكم **حتى تُقْبِلُوا إلى مرضيَّات الحق سبحانه بالكلية ، وأن لا تعدُّوا الحياة الدنيوية ، غير متاع الغرور** . ومن المعلوم أنَّ الكأس الذي شربَتْه اليوم لا بد لنا أن نشربه يوماً مّا .

إن الحبيب من الأحباب مختلسٌ — لا يمنع الموتَ بوابٌ ولا حرس
فكيف تفرح بالدنيا ولذتها — يا من يعدُّ عليه اللفظ والنفس
أصبحتَ يا غافلاً في النقص منغمساً — وأنت دهرَك في اللذات منغمسٌ
لا يرحم الموْت ذا جَهْل لعزَّته — ولا الذي كان منه العلم يُقْتبس
كم أخرس الموتُ في قبر وقفْتُ به — عن الجواب لساناً ما به خَرَس
قد كان قصرك معموراً له شرفٌ — فقبرك اليوم في الأجداث مندرس

وأوصيك أيها الأب الحليم قدي محمد خاصة : أن تستعدَّ بعد الآن لحيازة الحسنات قبل أن يصل إليك نوبة ما نال حليلتك ، **فإنَّ الدنيا مزرعة الآخرة ، فمن لم يزرع لم يحصد** ، وقوله سبحانه وتعالى ﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ** ﴾ شاهد عدل لذلك ، ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾** ﴾ .

ومن لم يتَّعظ بالموتى فلا تنفعه موعظة ، ومن ذهب نَفَسُه في غفلة فهو مغرورٌ ، **ومن بكى على غيره ولم يبك على نفسه فهو مجنون** .

وقد كانت هي لك أيها الأب قرينة أنيسة ، وأليفة مؤنسة ، فذهبت لسبيلها مرحومة ، وتركتْ نفسَك حزينة مغمومة ، وصرْتَ كالأسير والحبيس فريداً عن الأليف والأنيس ، **فعليك الآن بتبديل ذلك الأنس الفاني بالأنس بالله تعالى الباقي ، وهجر المأنوسات النفسانية ، وترك الشكايات الشيطانية ، واذكر ركانَ ذكرها ربّاً جليلاً يذكرك متى ذكرته ، وكن صبوراً على البلية شكوراً على النعمة** ، ولعل الله تعالى يبدل عسرك يسراً ووحشتك أُنساً .

وبما أني في الحال في سقم لا أطيق معه الخروج إلى الخارج اكتفينا بالتعزية بالرسالة ، واعلموا أني مشارك لكم فيما لكم أو عليكم ، وقد صلينا عليها مع جماعتنا يوم الجمعة في المسجد الجامع ، وهلَّلنا عن روحها تهليلاً كثيراً ، ووهبنا ثوابه لروح المرحومة ، ودعونا لها بالمغفرة والرحمة وشهدوا كلهم لها بالخير والصلاح ، جعل الله أعمال الكل مقبولة ومساعيهم مشكورة آمين ، والسلام وأوصيكم بالدعاء . انتهى ملخصاً .

كتب قدّس سرّه إلى الشيخ الفاضل الحاج عمر الطبيب الأواري يُعزِّيه في زوجته المرحومة :

من الفقير الحقير حسن إلى ذلك الأخ المحبوب والخليل المقبول الحاج عمر الأواري سلام كثير عليكم إلى يوم الدين .

أما بعد ؛ فنحن نحمد الله تعالى ونشكره على ما جعلنا من أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، رزقكم الله سبحانه الاستقامة على جادة الشريعة على صاحبها الصلاة والتحية .

ثم كتب قدّس سرّه نظير ما كتب في المكتوب الذي قبل هذا ، وكتب في آخرها **ولو أنه كان للتّمتّعات الدنيوية عند الله تعالى مقدار شعرة من الاعتبار ، لما منحها للكفار** ، ولَمَا خلاها للأشرار ، رزقنا الله سبحانه وإياكم الإعراضَ

عما سوى الله تعالى والإقبال على جناب قدسه بحرمة سيد المرسلين عليه وعلى آله من الصلوات أفضلها ، ومن التسليمات أكملها .

ثم ذكر قدس سره في وصفها أنها رحمها الله كانت حازتْ مقام الولاية الخاصة ، ثم قال آخيراً : ثم المطلوب ملازمة الوقوف والحضور والمجانبة عن القصور والفتور ، رزقنا الله وإياكم التوفيق والاستقامة آمين ، والسلام وأوصيكم بالدعاء .

مكتوب العرادي بفقد نظره

وكتب قدّس سرّه إلى الشيخ الفاضل العالم المحقق أدرة العرادي ما لفظه : إلى ذلك الأب المحبوب العالم أدرة ؛

سلام عليكم إلى يوم الدين . . إلخ .

ثم اعلم أيها المخدوم؛ لا ينبغي لك أن تندم كثيراً بذهاب بصركم ، فإن ذهاب البصر لا يضرُّك إن شاء الله تعالى ، بل يزيدك نوراً وقرباً ووصولاً ، فينبغي أن تسأل الله تعالى زيادة نور البصيرة بدل نور العين ، فإن ذلك به تدرك معرفة الله ، ولقد نظرتم إلى الكتب كثيراً وانتفعتم بها ، وحصّلتم علوماً جَمَّةً ، ولعلك لم تصادف فيها شيئاً يقول لك سوى هذه المقالة ؛ يعني : كُن مشغولاً بالله . وكفاك ذلك علماً ، وأنت اليوم في مقام يساوي ساعتك بعبادة ألف سنة ، بل سبعين ألف سنة ، علمتَ ذلك أو لم تعلم . فاغتنمها ! !

التجليات حسب المقامات

واعلم أن التجليات إنما تكون على قدر مقامات السادات باختلاف صور المرئيّ ، **وقد لا يظهر شيءٌ من ذلك ، ولا يكون ذلك نقصاً في الحال ، فالعدم المحض أسنى الأحوال** ، ولا بد من ظهور الأحوال والخوارق مرة ومرة وأغلب ما يكون من ظهورها حين غلب عليكم عدم ظهورها . فافهم ، واشكر مولاك ، وكن على اليقظة ، واجتنب من ندامة الكسَعي ، فالصبر والصبر . . . يا باغ الكرامات ، وادع لهذا الكاتب ولدكم الفقير حسن القحي . انتهى .

مكتوب مؤانسة لمن مرض والدهم

وكتب قدس سره جواباً لمن أرسلوا إليه في حق مرض والدهم : السلام عليكم وعلى والدكم ، وعافاكم عما يسوؤكم [1] ، لما بلغني نبأ مرض والدكم شقَّ على البال وطعن في الفؤاد ، بَيْدَ أن الرضا على صنع الله تعالى واجب على العباد ، ولعلّ الخير والمصلحة فيما وقع ، وأوقات النعم لا تنقلب أوقات نقم ، ولا أوقات النقم أوقات نعم ، وعلى كل حال يجب علينا وعليكم الشكر على المنن ، والصبر على المِحَن ، وأرجو الله سبحانه أن يلهمكم ما فيه شفاء أبيكم ، ويحصل له المعافاة .

وأرى المصلحة في أن تدعو إليه الطبيب ، فإن الله تعالى جعل لكل داء دواء ، فالبدار . . . البدار . . للتداوي ، وقد كنت رأيتُ في الكتب حديثاً حاصله : رأيت رجلاً قد جاءه ملك ، فجاءه دواؤه فمنعه منه . فافهم .

ثم إن إرسالكم الهدايا يعرق به جبيني بشدة الحياء منكم ، فكم وكم أحسنتم إلينا قبل ، فقد كان فيما سبق منكم من الخيرات كفاية ، ولكن الله تعالى جعلكم بفضله مفاتيح الخير ، واستعملتم الشكر بالبرِّ ؛ ففزتم بفضيلة الدارين ، فتقبل الله صدقاتكم ، وجعلها سبباً لحصول الشفاء لأبيكم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ثم إني أكرّر لكم أنَّ أمر أبيكم يؤول إن شاء الله تعالى إلى ما فيه المصلحة ، جعل الله حياته زيادة في الخير ، ومماته – إن كان الأجل جاء – راحة له من كل شر ، وكيفما كان الحال فافعلوا مع أبيكم ما أحبه وأراده ، فافهم . والسلام .

مكتوب سعد الله الأواري

وكتب قدس سره إلى العالم الفاضل سعد الله الأواري منشئ « القصيدة اللاميّة » في السلسلة النقشبندية قدس الله أسرارهم :

---

(١) وفي نسخة : عن مصائبكم .

وعليكم السلام أيها الولد الأعز أزيد مما أرسلتم إلينا بألوف ، جزاك الله عنا خيراً ، ولا لقيتم بعد الآن ضيراً . آمين .

ثم اعلم أيها المأمون في السر المصون ؛ أنَّ شأن الدنيا هكذا ؛ كلَّ وقت بتعويق المرء عن المطلوب المرغوب ، فقد صرنا الآن في زمان كنا نستعيذ منه ، **بيد أنه لا بد لنا من الصبر ؛ كما صبر أولو العزم** ، وليس هذا الأول ثلمة وقعت في الإسلام ، بل هو باب يدخل فيه كلَّ وقت الخاص والعام .

حال الدنيا وأهلها

وليكن في علمكم أنَّ جميع العباد في هذه الفانية الفتانة أغراض لسهام حوادث الزمان ، إما بمصيبة تنزل ، أو بنعمة تزول ، أو بحبيب يفجع ، أو بحسود يحسد ، أو بعدوٍّ يشمت ، أو بنمام يُغْري ، مِمَّا لا حدّ لجمله وتفصيله ، فمن نزل به منكم شيءٌ من مثل هذا **فعليه بالصبر والتجرع لمرارتها** ، فإنه لذلك نزل العباد في هذه الدار ، ولم يزل أولياء الله تعالى مبتلين بأمثال هذا اختباراً وابتلاءً ؛ ليجزيهم الله . . . إلخ .

والانقباض عبث وشغل على الشغل[١] ، فكن أنت أيّها الولد حيثما أراد الله تعالى ، واصبر على ما أصابك ، وشاهد كلَّ شيء برز في الوجود من شئم أعمالك .

واعلم أن الظلمة كالزبانية ؛ لا فرق بينهم أصلاً ؛ يسلطهم الله على العباد بحسب ما هم عليه ، لا يظلمون ولو مثقال ذرة ، كما هو مشاهد لدى أهل البصيرة أولي المعرفة ، **ومن فضل الله تعالى علينا أنه سبحانه جعل في كل نقمة أنوار نعمة** ، كما جعل تحت كل نعمة نيران نقمة ، فحاشا الله سبحانه وتعالى أن يجعل شيئاً مَّا إلاّ لحكمة ، **وأوصيك أن لا ينقبض خاطرك بأفعال الخلق وأوصافهم ، وكِلْ أمورهم إلى بارئهم ، واسأله أن يحفظك مع الأهل والأحباب من إحداق الفتن ، وتطاول أهل الجرأة عليكم** ، وليس لنا مخلص إلا هذا .

---

(١) وفي نسخة : وشغل على الشغل وعن الشغل .

ثم إنَّ ما كتبت من القصيدة[١] ، فنعم ما صنعتَ ، فجزاك الله عنا خيراً ، لكن أخطأت في ذكرك هذا الحقير الأقل من كل قليل بين أولئك السادات ، فهلاّ تركته نسياً منسياً ! ! لأنه ليس أهلاً لأن يُذكر أثناء أمثالهم . جعلنا الله تعالى وإياكم في دائرتهم .

ثم اعلم أن التحفظ بقدر الطاقة مما يفهم أو يشعر نقص أهل الوقت أراه من علاجات أمراض هذا الزمن ، فكن متيقظاً في كل أهبة ، والسلام ، وأوصيكم بالدعاء . انتهى من خطه قدّس سرّه .

تعزية الأواري في شقيقه

وكتب قدس سره إلى العالم الفاضل الحاج عمر الأواري يُعزّيه في شقيق له مات :

إلى ذلك الأخ الأعزِّ محبوب القلب الحاج عمر . . . إلخ السلام عليكم و . . . إلخ .

وبعد ؛ فقد سمعت خبر انتقال أخيكم الحاج درويش محمد من هذه الفانية إلى . . . إلخ .

ثم إنَّ الفقير في أرغد عيش وصحة . . وإلخ ، **بَيْدَ أن نفسه الأمارة تعلو عليه يوماً فيوماً ، فما أطول أملها وأقصر عملها** ، كيف يكون حال من انحطَّ في حضيض الدركات حين ارتقاء أرباب القلوب إلى الدرجات ، فكلُّ مَنْ أراه في الترقي والكمال ، وأنا الفقير في التنزل في جميع الأحوال ، وقد يئس من نفسه الاستقامة والصفاء ، وقد آن له أوانُ التربُّص للنداء ، وذلك بما حلَّ بنا بعد انتقال قطب مدار الدارين والهداية ، وشمع منار الاستقامة شيخنا[٢] المرحوم المغفور له قدس سره . وأوصيكم أيها الخليل بالدعاء لهذا الفقير المفلس .

(١) وهي قصيدة الاستغاثة بسادات السلسلة النقشبندية العلية التي مطلعها : إني إذا فاتني التدبير والحيل ، وحال دون مرامي العجز والخبل . .إلخ . (من نسخة أخرى) .
(٢) وهو حاج عبد الرحمن العسوي . (من نسخة أخرى) .

توصية

وإياك ثم إياك والانقياد للنفس الأمارة ما استطعت ، فكُن دائماً في الذلِّ والانكسار ؛ لا في أهوال الدنيا والاشتهار ، **وذَرْ الدنيا والفخر لأهلها ، وكن على مكارهها وذوق مرارتها ، وكن مُعتبراً بمن مات من الإخوان والخلاّن ، واعلم أنهم لا يزالون عن مكانهم حتى نلحق بهم ونكون معهم** ، والله وليّ التوفيق . من طرف أخيكم الداعي لكم بالخير حسن القحي .

تعزيته للقشري بوفاة الباكني شيخهما

وكتب قدّس سرّه إلى الشيخ الحاج إبراهيم القشري مأذون الشيخ المرحوم الحافظ الحاج شعيب أفندي الباكني رحمهما الله تعالى ما ملخصه : باسم الله خير الأسماء ، وله الحمد والثناء ، والصلاتان على رسوله سيد الأنبياء .

إلى خليفة شيخنا المرحوم المغفور له ؛ أخينا المحبوب ، وخليلنا المقبول ؛ الحاج إبراهيم القشري ، وإلى والده العابد الذاكر ، وإلى أولاده العلماء الحفاظ . . . السلام عليكم . . . وإلخ .

أما بعد : فلما سمعنا خبر انتقال شيخنا وأستاذنا قطب الزمان الحافظ الحاج شعيب أفندي – أذاقه الله تعالى لذة مؤانسته وحلاوة مناجاته – حلَّ بنا من الأسف والندامة ما لا يُكَيَّفُ ، وصرنا حيارى مدهوشين كالمجانين ، لما أنَّ موته موتُ العالم ، وانتقاله انتقال الدين ، العيونُ تبكي وتدمع ، والقلوب تذوب وتفجع ، ولو أصابت هذه المصيبة على الصخور والأحجار ؛ لصارت كالهباء والغبار ، لكن ذلك تقدير العزيز العليم ، والأمرُ الذي هو على كل نفس عميم ، كما قال تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ ، فشكرنا الله تعالى ورضينا بقضائه ، وأتبعنا خلفه الاسترجاع ؛ صابرين محتسبين ، راجين ثوابه ، ممتثلين أمره ، خائفين عقابه ، فغفر الله تعالى له ، وجعله من أقرب المقربين في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

والموت له أيها الإخوان هو الذي يتسلّى به ، بل هو وسيلة وصول الحبيب إلى الحبيب ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَاتٍ﴾ . وقد كان قدس سره حُرّاً منْ رِقِّيَّة السوى ، وأخذ حظاً وافراً من دولة الحضور والجمعية ، فطوبى له ثم طوبى .

بيد أنَّا بقينا الآن كالأيتام ، ولكنَّ الصبر واجبٌ على الأنام ، ولقد كان رحمه الله تعالى وليَّ نعمتكم ، وغنيمة باردة لكم ولنا .

فاللازم علينا وعليكم الآن مكافأة الإحسان بالإحسان ، والإمداد له بالدعوات والصدقات ساعات فساعات ، وينبغي لكم أيضاً أن تعتبروا بموته ، وتتذكروا موتكم من بعده ، وأن تقبلوا على مرضيات الحقِّ سبحانه وتعالى بالكليَّة ، وأن لا تعدُّوا هذه الحياة الدنيوية غيرَ متاع الغرور .

توصية

وأوصيك أيها الأخ المحبوب الحاج إبراهيم بالاستقامة ثم الاستقامة ، وبالتمسُّك بالكتاب والسنة ، وبالاحتراز عن اختراع البدع في هذه الطريقة الصديقية ، وبالاجتهاد لجلب الإخوان إلى دولة الحضور والجمعية ، فإن الراعيَ مسؤول عن رعيَّته ، والله وليّ التوفيق .

أيَّد الله سبحانه وتعالى دينَه بواسطتكم ، كما أيّده بشيخكم قدس سره . آمين .

اعتذار عن حضور التعزية

ثم إنه قدس سره اعتذر عن عدم حضوره للتعزية بأعذار مقبولة ، ورَجا من هذا الخليفة و . . .إلخ أن لا يتخذوه هدفاً للملام ، ثم قال :

وأرجو منكم أن لا تقطعوا عنا النظرات الغيبيَّة ، والتوجُّهات المعنويَّة ، وأن توصوا أولاد الفقير المرحوم بالاجتهاد في طلب العلم ، جعلهم الله سبحانه علماء عاملين ، ورزقهم التوفيق والاستقامة . آمين .

صلاة الغائب على مرشدهم

وقد صلَّينا عليه صلاة الجنازة يوم الجمعة في المسجد الجامع ، ودعونا له ، وقرأنا عن روحه ما استطعنا من القرآن تقبّله الله ، وكنت يا أخي أخاف موته ؛ نظراً لما رأيناه من الوقائع المناميَّة فوقع كما رُئي .

والسلام من طرف أخيكم المنكسر ظهرُه ، المتشقِّق قلبه ، المتفرِّق باله ، المتشتت شملُه : حسن القحي و . . . إلخ .

أهْ بَيْتُ الْمَالْ دُنِيَلْ دُدَصَنْ هِجِبْ خَيرْ   قُطْبُكِ خُنْ خُطَرَبْ دُدَصَنْ بُصَرَبْ رَكْ

اُسْتَارْكِ رَقْلٍ وُقُنْ هَـلْ قُـيَلْ كِنْدَيْ اِنَ   مُـرشِـدْكِ وَطَـلِدَلْ سَرْدَلْ كِنْدَيْ رُهِنَ

. . . إلى آخر الأبيات السبعة . . إلخ .

ثم اعلم أيها الأخ المحبوب الحاج إبراهيم أن ولدي محمد حجيو كان أنشأ قصيدة عجميَّة يرثي بها شيخنا الحاج عبد الرحمن العسوي قدِّس سرُّه ، وكانت من فصَاحتها بحيث لا تمسكُ العيُونُ دُمُوعاً عند سماعهَا ، وكان قدِّس سرُّه كثيراً مَّا أراه في الوقائع المَنَامية وأَتحاوَرُ معه وأُشاوره ، فأقول في نفسي : لا بأس بموْته إذا كان الأمر هكذا ، إذ لا فرق بين كوْنه حيّاً أو ميتاً ، ثم إني قرأت يوماً تلك القصيدة العجمية فبكيت بكاء شديداً ، وتأسَّفتُ أسفاً جديداً ، وكان ذلك دأبي يوماً بعد يوم وأسبُوعاً بعد أسبوع ، فانقطع عني رؤيته ووقع ذلك حجَاباً بيني وبينه ، ولم أَرَه بعد ذلك إلاَّ نادراً ، فالتفطُّن لهذا الأمر لازمٌ عليكم ؛ كيْلا تَقَعُوا فيما وقعتُ فيه .

وقد رأيت شيخنا المرحوم هَذا ، أيْ : شعيب أفندي في المنام وصحبْتُه وتحاورنا وتشاورنا ، وكان بَيْنِي وبينه كلام ، نفعنا الله به حيّاً وميتاً ولا حَجَبنا عن رُؤيته آمين يا مجيب . انتهى .

تعزية لمريده في ابنته

وكتب قدس سره إلى مريده الصادق قمر الدين الغزانشي . . .وإلخ : إلى ذلك الأخ من الرضاع المعنوي قمر الدين وقرينته حوّاء ؛ السلام عليكم .

وبعد ؛ فلما سمعنا خبر انتقال قرَّة عينكم ابنتكم الكريمة . . . إلخ ،

ثم إنه **ينبغي لكم أن تتفكَّروا أن الجزع لا ينفع أبداً** ، وأما الصبر فمآله الفرجُ ، **ففي كلِّ بلاءٍ ونقمة أنوار منَّة ونعمة** ، فإن مع العسر يسرين ، فعسى الله سبحانه أن يرزقكم ولداً صالحاً . . . إلخ .

مما ورد في فقد الأولاد

وقد ورد في موت الأولاد من الثواب ما يعزّى ويتسلَّى به كلُّ مصاب ، قال رسول الله ﷺ : « لأنْ أقدّم سقطاً أحبُّ إليَّ من أن أخلف مائة فارس كلهم يقاتلون في سبيل الله » وإنما ذكر السقط ! ! تنبيهاً بالأدنى على الأعلى ، وإلاّ ! فالثواب على قدْر محلِّ الولد من القلب ، وأيضاً ذكروا أنه قيل لداود عليه السلام حين توفّي ابنه : ما كان عِدْله عندك ؟ فقال : « ملءُ الأرض ذَهَباً » ، فقيل له : **إنَّ لك من الأجر في الآخرة مثلُ ذلك** وأمثال هذه الأخبار والآثار كثيرة شهيرة .

تكميل

فالصبر لازم ، والاعتبار بموتها لموتكم واجبٌ ، فإنَّه لا بدَّ وأن ينزل بكم ما نزل بها ، فالاستعداد لذلك اليوم ، والمداومةُ على ذكر الله تعالى من شأن الصالحين ، وحديث : « جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين » معروف مشهور ، وكذا أَثَرُ « جلسة – أي : بحضور – خير من ألف حجة » ، ويكفي للعاقل إشارة ، فهذا ، والسلام . وأنا الفقير الحقير حسن . حُرِّر في ٢١ شعبان سنة ١٣٢١ .

تعزية جماعية في شهداء وقعة

وكتب قدس سره إلى أهالي « أوار » يعزِّيهم في شُبَّانهم الذين استشهدوا في الوقعة الكبرى ببلدة « أنجه »[1] ضدّ الفراق :

إنه من هذا العبد الحزين حسن القحي إلى جميع أقارب المجاهدين والغزاة المستشهدين ، خاصَّة إلى خواصِّهم ، وعامَّة إلى عوامِّهم ، لا سيما إلى الأخوين ، بل إلى جميع أهالي « أوار » حرسهم الله تعالى من البوار ؛

السلام الشامل والثناء الكامل عليكم أجمعين إلى يوم الدين .

أما بعد : فلما سمعنا خبر انتقال أولئك الأبطال من هذه الدار الدنيئة المحكوم عليها وعلى ما فيها بالزوال ؛ أصابنا من الأسف والندامة ما أصاب ، وإن كان ذلك عبثاً لا يردُّ القضاء ؛ بل يحبط الأجر والثواب ، لكن لما كان من القدر المحكم في الأزل ، استسلمنا لحكمه تعالى ؛ وإن كان من الخطب الجَلَل ، وأتبعنا خلفه الترجيع قائلين : إنا لله وإنا إليه راجعون ، صابرين شاكرين ، راضين عن الله تعالى ، ممتثلين أوامره ، خائفين عقابه ، عالمين حقَّ قوله تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ ، فغفر الله تعالى لموتاكم ، وأحسن عزاءكم ، وصبّركم على البلايا ، فإنها ؛ وإن كانت في الظاهر نقماً فهي في الحقيقة نِعَمٌ ، وذا عند أهل الحقيقة ظاهر ، رزقنا الله تعالى شفاعتهم ، وأيقظنا بحرمتهم عن سِنة الغفلة ، وحشرنا معهم يوم القيامة . آمين .

اعتذار عن مشاركته الشخصية بالعزاء

ولما عرض على القلب بسبب أمثال هذه البلايا القبض ، وطرأ على الروح الفتور ؛ صرت في ضعف وعجز أقعدني عن الخروج إليكم والحضور لديكم للتسلية والتعزية ، واكتفيت بكتابة هذه السطور ؛ إعلاماً بأن الفقير معكم في كلِّ ما لكم وعليكم ، **وقد كنتُ قبل هذا أشير إلى الحاضرين لديَّ**

(١) وفي نسخة : ببلدة « أنجه » في قتال لطرد القزاق من ديارنا الداغستانية .

المشاورين معي بالكفِّ عن الخوض في لجج فتن العصر ، وأظهر لهم خوفي عليهم من وقوعهم في هذه الداهية التي حلَّتْ على المسلمين لكن لما كان قَدَر الله لا يردُّه شيءٌ ، ولا بدَّ من وقوعه في وقته المقدّر ؛ لم يسمعوا قولي ، ولم يفهموا إشارتي ، ولعلَّ من بقيَ منهم فهموا الآن مضمونَ ما كنتُ أقول لهم ، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العليّ العظيم .

ثم السلام الكثير على جلِّ جماعتكم من جماعتنا القحيَّة ، ويعَزُّونكم في موتاكم ، ويشاركونكم في بلواكم ، وهم نادمون على ما أصابكم ، جعل الله عواقب الأمور خيراً . آمين بحرمة الفاتحة . انتهى بحذف واختصار . انتهى .

تعزية الأواري برفيقه العسوي

وكتب قدس سره إلى الشيخ الحاج عمر طبيب الأواري الذي كان رفيق الأستاذ العسوي قدّس سرّه في سفره إلى الحج :

إلى ذلك الأخ الصالح محبوب القلب ومعشوق السرِّ الحاج عمر الأواري ؛ سلام كثير عليكم وعلى جميع مَن في دائرة شيخنا المرحوم .

وبعد : فلقد قامت علينا القيامة بسبب انتقال مرشد الخلائق الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره ، فأعظم الله أجركم ، وغفر ذنوبنا وذنوبه ، وجعله من أقرب المقربين . آمين .

ثم إنك قد أعنته في الشدة والرخاء ، وواسيته في السرَّاء والضرَّاء ، وشَدَّدْتَ عضده ، وعظَّمتَ حرمته ، ولم تضيِّع له حقَّ الأبوَّة المعنوية حتى بعد انتقاله ؛ بل خدمت ولده المرحوم في جميع الأحوال ، فَلَكَ منا ألف ألف بارك الله ، وجزاك الله خير الجزاء ، ورزقك العافية في الدارين بحرمة سيد الكونين ، **فلقد كان رحمه الله تعالى يقول في حقِّك : إنك من الرجال الشجعان ، وفيك مروءة الفتيان ، ولذا كان يحبُّك حبّاً جمّاً ، ويعطفُ عليك عطفاً** ، وقد وافيتَ حقَّ المروَّة ، وواسيته في الحضر والسفر ، فلك الشكر الجزيل ، والثناء الجميل ، تقبّل الله حَجَّكم وعمرتكم ، ورزقكم اللقاء في يوم حشركم .

اعتذار عن المشاركة بالعزاء شخصياً

ثم إنه لم يتفق لي الفرصة للحضور لديكم لتهنئة حجكم وللتعزية ، فلعلكم لا تلومونني على ذلك ! !

فهذا ؛ والسلام من أخيكم الداعي لكم بالخير حسن القحي ، وأوصيكم بالدعاء ، ثم السلام على جميع من يسأل عنا . انتهى من خطه قدّس سرّه .

تعزية للأواري محمد بن سليمان بابنته

وكتب قدس سره إلى العالم محمد بن سليمان الأواري :

من حسن وأولاده وعياله ؛ إلى ذلك الولد الأمين محمد بن سليمان الأواري وأهل بيته طُرّاً : سلام كثير عليكم إلى يوم الدين .

أما بعد : فلما أخبرني الحامل بفراق ابنتكم من هذه الدار الفانية إلى تلك الدار الباقية ؛ **حمدنا الله تعالى وشكرنا ، كيف لا ؟! وقد جعلها لكم سَلَفاً وذخراً** ، وفَرطاً وأجراً ، وقدَّمها لتهيئة منزلكم في دار الجنان مع الحور والغلمان ؟ !

وسألنا الله تعالى إدخاله إياكم في دائرة الصبر الجميل ، فيا بشارتكم أيها الولد بفراقها عنكم ، وعن العناء الذي يعانيه الناس في هذه الدنيا الفتانة الكثيرة البلاء ، وإني لا أرى هذا إلاّ غنيمة وبشارة وسروراً لكم ولها ، **فإن دخول قطعة جسدكم في دار الجنان خيرٌ لكم من ملء الدنيا ديناراً وجوهراً** .

أثابكم الله تعالى على فراقها الفوز بنعيم الجنة ؛ فضلاً منه ومنةً ، وبإعلام مشاركتنا معكم فيما لكم وعليكم كتبنا هذه السطور إليكم ، فهذا ، والسلام . وأوصيكم بالدعاء . انتهى من خطه قدّس سرّه بتغيير يسير .

الباب التاسع

في رسائله إلى الأمراء والولاة . . إلخ .

رسالته للأمير شمخال العكاخي

وكتب قدّس سرّه إلى النَچانِيكْ الشهير شمخال العَكّاخي :

بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة على محمد وآله وصحبه أجمعين .

إلى ذلك الولد المحبوب شمخال العَكَّاخِّي نَچانِيكْ أُوْكرُكْ بَپْخَالْ ؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ورزقكم التوفيق والعدل والإنصاف بين الرعية ، وجنَّبكم عما لا يليق برفيع شأنكم من الزحف والجور والاعتساف .

أما بعد : فنسأل الله تعالى لكم الصحَّة والعافية ، ونطلب من الله أن يديمكم جناحاً للخلق ، ومنجياً لهم من الفتن ، فقد صِرْنا أيها الولد في زمان كنا نحذره في قول كعب وابن مسعود رضي الله تعالى عنهما : (إن دام هذا لم نبك ميتاً ولم نفرح بمولود) . وعمَّت الفتن بين الخلق كالطوفان ، واختلط الحرام بالحلال ، وصار الناس كالسكارى من شدَّة ما بهم من الجوع والعري ، وتَرَك بعضهم أوطانهم ، وصاروا يهربون من وادٍ إلى واد ، ومن قرية إلى قرية ، كأنهم حُمُرٌ وحشيَّة .

أسباب الفتن وثمارها

ومن المعلوم المتيقَّن أن هذه الأمور إنما وقعت هكذا بشؤم مَنْ لعنهم رسول الله ﷺ على لسانه قائلاً : « الفتنة نائمة ، لعن الله من أيقظها » ، وروي عنه ﷺ أيضاً : « الإمام الضعيف ملعون » وكنا كما أخبرناكم وقتَ ملاقاتنا في « خنزاخ » شاورنا شيخنا الشريف سيف الله في شأن الأمور التي ينبغي لنا أن

نسلك سبيلها ، وكنَّا نجتهد لتسكين حركات هؤلاء الأمراء ؛ رعاية لمصالح الرعايا والعامة ، واجتمعنا نحن وشيخنا المذكور المرحوم قدس سره لمحض هذا الغرض برئيس أولئك القوم ، بيد أنه رأى كلامنا ككلام الصبيان ؛ ولم يعبأ به ، ولم يستمع ، فاشتبكوا في الفتنة ، وطارت شرارة نارها على أنفسهم وأوطانهم ، وخرجوا يوقدون النار في كلِّ مكان نزلوا به ، كمن أوقد النار في ذنب هرَّة وأرسلها في مخلاة مملوءة بالحشيش الجافِّ ، **بيدَ أن الله تعالى أجرى عادته أن يدوِّر رحى الفتن على رأس مَنْ حرَّكها** ؛ فقُتِل هو وأولاده ، واستراح الناس من شؤمه وشؤم أمثاله ؛ **وإذا أراد الله إنفاذ أمره سلب من ذوي العقول عقولهم** .

وبسبب شؤمهم أهين كلام الله المجيد ، ودِيسَ تحت الأقدام ، وأهينت العباد ، ودرست البلاد ، وخربت القرى ، وصارت المعابد والمساجد إصطبلات الدواب ، فإنا لله وإنَّا إليه راجعون ، فالحكم لله العليّ الكبير ، ألقَوا الناسَ في هذه المهلكة والفساد زاعمين أنهم يفعلون الشريعة ، حاشا ذلك وكلاّ ! بل قاتلوا الشريعة وأهلها ، واستحلُّوا أموال المسلمين وخلطوها بالحرام ، مع أن كُتبَ الشريعة تصرِّحُ بأن **مصالحة الكفار واجبة إذا ترتَّب على تركها إلحاقُ ضرر بنا** .

ثم اعلم ؛ أيُّها الولد أني لك ناصح أمين ، ويحتمل أن يكون لكَ من يحمدك ويمدحك كثيراً ، وأما أنا ؛ فلا أحمدك ولا أخونك ولا أغشُّك في نفسك ورعيَّتك ، بل أنصحك وأبدي لك ما كَمَن فيك من العيوب كي تتركها وتسعى في الخلاص منها ؛ فتكون من المصلحين العادلين ، فإن الإنسان لا يخلو عن خلل ونقصان ، **والعصمة من خصائص النبوة** ، ولا أقطع نصائحي عنكم بعدُ بما أرى فيه المصالح لكم ولرعيتكم إن شاء الله تعالى ، كلُّ ذلك حفظاً للمعرفة والمودَّة التي كانت بيننا أيام الشبابة .

فالله تعالى أقامك في هذه المنصبة الرفيعة التي يتمكَّن صاحبها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين هما من أفضل الأعمال والعبادات .

وفي الحديث : « ما جميع أعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجي » .

وقال عطاء رضي الله عنه : لَأَنْ يُرائيَ سنين فيكتسب جاهاً يعيش منه مؤمنٌ أتمُّ له من أن يخلص لنجاة نفسه . انتهى ، وفي رواية من الحديث : « عدل ساعة أفضل من عبادة سنة » ، وفي رواية « ستين سنة » .

حال من يتولى أمور الناس

فأنت أيها المحترم في دائرة هذا المقام الرفيع ، وأنت في اختيار لحوْز هذه الفضيلة ، **ومما ينبغي أن يعلم : أنّ من تولّى شيئاً من أمور الناس يجب أن يكون كمربّي الطيور ؛ يُعطي لكلِّ واحد ما يليق بطبعه** ، وأرجوك أن تعامل بالإحسان للمحسن ، وتَكِلَ أمر المسيء إلى الله تعالى فإساءته ستكفيه .

المحسن والمسيء

وأنا أحكي لك هنا حكاية من هذا القبيل ، فلعلك تتدبَّر فيها أوّلاً ، وتعمل بمقتضاها ثانياً :

كان رجل يثني بعضَ الملوك فيقوم بحذائه ، ويقول له : أحسنْ إلى المحسن بإحسانه ، فإن المسيء ستكفيه إساءته . فَحَسَدَهُ رجلٌ على ذلك المقام والكلام ، فسعى به إلى الملك ، وقال : إن هذا الرجلَ يزعمُ أن الملك أَبْخر[1] . فقال الملك : وكيف يصحُّ ذلك عندي ؟ قال : تدعوه إليك ، فانظر ، فإنه إذا دنا منك وضعَ يده على أنفه لئلا يشمَّ منك ريح البخر ، فخرج من عند الملك ودعا الرجل إلى منزله ، فأطعمه طعاماً فيه ثومُ ، فخرج من عنده ودخل على الملك ، وقام بحذائه حسب العادة ، فقال له الملك : ادْنُ مني . فدنا منه واضعاً يده على فيه ؛ مخافة أن يشمَّ الملكُ منه ريح الثوم ، فصدَّق الملك في نفسه قولَ الساعي ، وكان الملك لا يكتب بخطِّه إلاَّ لجائزة ، فكتب له كتاباً بخطّه إلى عامل له : إذا

---

(١) من البخر ؛ وهو : رائحة الفم الكريهة .

أتاك الرجل فاذبحه واسلخه ، وحشّ جلده تبناً وابعث به إليَّ ، فأخذ الكتاب وخرج ، فلقيه الرجل الذي سعى به ، فقال له : ما هذا الكتاب ! ؟ قال : خطّ الملك لي بصِلَةٍ . قال : هَبْهُ لي ، فقال : هو لك . فأخَذَهُ ومضى إلى العامل ، فقال العامل : في كتابك أن أذبحك وأسلخك . فقال : إن الكتاب ليس هو لي ، فالله في أمري ، حتى أرجع الملك ! ! قال : ليس لكتاب الملك مراجعة ، فذبحه وسلخه وحَشّا جلده تبناً ، وبعث به ، ثم عاد الرجل لعادته ، فتعجَّب منه الملك وقال : ما فعلتَ بالكتاب ؟ قال : لقيني فلان فاستوهبها مني فوهبته ، فقال الملك : إنه ذكر لي أنك تزعمُ أنّي أبْخَر ؟ ! فقال : كلا ، قال : فلِمَ وضَعْتَ يدك على أنفك ؟ ! قال : كان أطعمني طعاماً فيه ثومٌ ، فكرهت أن تشمَّه . قال : صدقت ؛ ارجعْ فقد كفاك المسيء إساءته . انتهى .

هذا ؛ وكن يا أخي من الشاكرين ، ولا تغفل عن الله تعالى ، وراقبه في الأحوال والأوقات ، واحفظ نفسك من الظلم ، **فإن المُلك لا يدوم مع الظلم ؛ وإنْ دام مع الكفر** .

الأدب مع العلماء

وتأدَّبْ مع العلماء والصلحاء ، فإنهم مصابيح الدنيا ؛ بهم يمطرون ، وبهم يرزقون ، وأرى أنَّ ما نزل بنجم الدين وغَيْتْمَازْ كان بشؤم ترك أدب القطب المحترم سيف الله الحسيني قدس سره ، فقد خالفا أمره ، وأساءا الأدب معه ، فافهم هذه الإشارة لعلَّك تنتفع به يوماً مَّا .

الأدب مع الرعية

وكُنْ على رعيَّتك رحيماً ، وإلى خلق الله محسناً ، فإنَّ « الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أحسنهم لعياله » كما هو عين ما ورد في الأحاديث ، وحسِّن خُلقك أيضاً معهم ، فحسن الخلق أثقل ما يُوجَد في الميزان ، و« إن الرجل ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم » .

وارفق بهم ، ولا تعنف ، ففي الرفق زين ، وفي العنف شين ، قال رسول الله ﷺ : « إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطي على ما سواه » رواه مسلم .

وفي رواية له : أنه ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها وعن أبويها : « عليك بالرفق ، وإياك والعنف والفحش ، فإنَّ الرفق لا يكون في شيء إلا زين ، ولا ينزع من شيء إلا شين » .

وقال عليه وعلى آله الصلاة والسلام والتحية أيضاً : « من يحرم الرفق يحرم الخير » .

وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً : « إن من أحبكم إليَّ أحسنكم أخلاقاً » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من كظم غيظاً وهو يقدر أن ينفذه ، دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يُخَيِّره في أيِّ الحور شاء » .

وهذه الأحاديث إنما كتبتُها رجاءَ أن تعمل بمقتضاها ، وأن لا تفعل مع الخلق إلاَّ ما فيه صلاحُهم في دينهم ودنياهم ، فعليك باستجماع العقل والفكر ، ولا تركَنْ بالكليّة إلى طراوة الدنيا وزينتها .

حال الدنيا

واعلم أن الدنيا محلُّ الامتحان والابتلاء ؛ ظاهرها مموَّهٌ مزيَّنٌ بأنواع المزخرفات ، ولكنها في الحقيقة جيفة مرشوش عليها العطر ، ومن قصَّر نظره على حلاوتها وطراوتها كان نصيبه الندامة السرمدية .

معاملة الأمير ورعاياه

فأرجوك ثم أرجوك أن تكون للعباد كالأب للأولاد ، وأن ترحم ضعيفهم ، وتوقِّر كبيرهم ، وتمدَّهم وتعينهم فيما فيه صلاحهم حسب طاقتكم ، **وما مثال الخلق في أحوالهم وقلة عقلهم – كما رأيناه عياناً – إلاّ مثال الأغنام السارحة**

الشاردة ، ومثال الوالي إلاّ مثال الراعي الشفيق وهو يسوق أغنامه بالرحمة[1] ، ولا يترك ما شرد منها في البادية .

فهكذا يجب عليك أن تكون بالناس شفيقاً في هذا الزمن الذي هاج فيه بحر الأهوال والفتن ، وهبَّ فيه ريحُ المصائب والمحن ، فصار الناس فيه ما بين غرقى وسكارى ، مَنْ نجا فيه عن مصيبة ؛ اكتنفته[2] مصائب ؛ ففي مثل هذا ورد أنه « سيأتي على الناس زمان تتراكم فيه بحور المحن والفتن ، ولا ينفع فيها إلا دعاء كدعاء الغريق » .

الانتقام بعد المكنة

وأوصيك ، ثم أوصيك أن لا تسعى في الانتقام من المسيء ، **فإنَّ انتقام القادر عن العاجز بَعْدَ أن مَكَّنَهُ الله منه مما يعدُّه العقلاء من الرذائل ، ومن أخلاق الأخسَّاء والجبناء** ، ولا أريد منك أن ينسبك الناس إلى شيء يُخلُّ بالمروّة والشجاعة ، ويُعدُّ من الفظاظة والفظاعة ، بل عليك بالصفح والعفو والتجاوز ، فإنَّ مناقشة الناس ومقاومتهم توجب للعبد البَوَار في الدنيا والآخرة ، فاقبل عذرَ مَنْ جاء يعتذر إليك ، وسَامحْهُ كي يقبل الله عذرك ويسامحك في زلاّتك ، **فإن الجزاء من جنس العمل ؛ جزاءً وفاقاً** ، وشرُّ الناس من لا يقبل عذراً ، ولا يُقيل عثرةً .

ولا يخفى عليك ما وقع بين الخلق بسبب التخالُف وعدم التآلف ، وترك الامتثال لأهل العلم والعقل والكمال ، وذلك لقلة عقولهم ، وترك التفكُّر والتدبُّر فيما يَحُلُّ عليهم بسوء أعمالهم من العاقبة السوء ، فَبَعْدَ أن رأينا ما ذكرنا عياناً عليكم أن تقولوا كما قال النبي ﷺ حين خالفه قومُه وآذوه ، وطلب منه بعض أصحابه أن يدعوَ عليهم : « أللهم ؛ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » .

---

(١) مثل الشيخ المرشد راعي الأغنام ، ومثل الشيخ المغرور مثل الملك الجائر . « رسالة في الخلوة » . (من نسخة أخرى)

(٢) أي : أحاطته من « مختار » عبارته . (من نسخة أخرى) .

واعلم أنك اليوم في فرصة مرتَّبة تتمكَّن بها من الاغتنام بجمع جميع البرور والخيرات ، وقمع جميع الشرور والبليّات ، فراقبْ الله الذي رقَّاك إلى هذه الدرجة الرفيعة راقبه في قلبك في حقِّ هذه الرعية الضعيفة ، وانظر إليهم بعين الشفقة والرحمة ، وخاصَّة إلى ضعيفهم ومسكينهم بمزيد الرأفة ، وعليك بقضاء حوائجهم ، وإيَّاك والاستهزاء والسخرية والتواني في تبليغ أمورهم إلى . . . إلخ ، **فإن لله سبحانه وتعالى نظراً في العبد عند كل نظرة ينظر بها** ؛

فمن رآه من ذوي العلوِّ والارتفاع نظر في خلقه بعين الرأفة والرحمة ، وخفض له جناحه ، ونظر إليهم بعين إضافتهم لله تعالى ، وعَظَّمَهم لذلك النظر ، وسارع في قضاء حوائجهم بما يقدر عليه ، وكان منه ذلك لله تعالى ؛ نظر فيه ربُّنا سبحانه وتعالى بعين الرحمة وعين التكريم والتعظيم ، وسارع له في قضاء حوائجه ، وكَلأَهُ كلاءة الوليد من أبيه ، فيا سعادة من سَعِدَ بهذه النظرة من ربِّه .

ومَن كان على الأخرى – العياذ بالله – من عدم المبالاة بخلق الله ، والتباعد عن قضاء حوائجهم ، والتنائي عن رحمتهم والشفقة عليهم ؛ فجزاؤه ما هو معلومٌ في النار بقوله سبحانه وتعالى فيمن اتَّصف بهذه الصفات ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ﴾ إلى قوله ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ ﴾ ويكفيك هذا إن اتَّعظتَ ، ونسأل الله التوفيق والسداد ، والغرق في بحر الهدى والرشاد ، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه .

سعادة المرء تهيئة ناصح له

ولا تظنَّ أيها الولد ؛ أنَّ كُلاًّ من هذا هو كلامي ، بل اعتقد أن كلامي وقلمي كشجرة موسى عليه السلام ، فخذ من كلامي كما تأخذ من كلام الله ، وحديث رسوله ، وآثار أوليائه ، **فإني لا أتكلّم إلا بما علّمني ربّي من علمه اللدنيّ** ، فللّه الحمد ، وقد مرَّ بي في بعض الكتب ما معناه : **أنَّ الله تعالى إذا أراد سعادة عبده رزقه الله من يَعظِه وينصحه** .

مداهنة العلماء للأمراء

ومن المعلوم أن العلماء وسائر الناس لا يقدرون أن يتكلَّموا لدى أمثالكم بشيء يضيق به صدورُكم ، ولا يَعِظُون الأمراء ولا ينصحونهم ؛ لهيبتهم عندهم ، وخوفهم من سطوتهم ، بل يغشّونهم ويداهنونهم .

فها أنا أيها الولد ؛ آثرتُ معكم وظيفة الموعظة ، وتصدَّرتُ بدلاً عنهم للنصيحة ؛ حفظاً لإخوة والبُنُوَّة الدينية والخلَّة القديمة أيام اشتغالنا بطلب العلم في قرية « هؤر » ، فأرجوك أن لا تسيء الظنَّ بهذا الناصح الأمين .

ولِّ الأمين العادل

ثم إنِّي أُنبهك على أمر لا يجوز لك إغفاله ؛ انظر بسداد النظر إلى رؤساء القرى التي تحت حيطتك ، ولا تولِّ عليهم إلاَّ الأمين العادل العاقل ، المدبِّر بأمورهم أحسن تدبير ، فإنَّ **الرعية تنعكس إليهم الأخلاق والأحوال من ولاتهم** ويكونون على دينهم . **فافهم** .

وقد كنتُ في انقباض وكُدورة بسماع خبر انتشار الظلم والفساد في أهل قرية أستاذي قدس سره ، وبعد قليل بلغني نبأ صلاح حالهم بولاية رجل يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ولا يخاف في الله لومة لائم ؛ فحصل لي الفرح والبشارة ، وشكرت الله تعالى على ذلك .

وهكذا يدبُّ أثر الصلاح أو الفساد على مَن في أقاصي البلاد ؛ فضلاً عن الرعية ، فكن يداً يُمنى لمثل هذا الرجل ، ولا تثق بأقوال أهل النميمة والسعاية في مثل هذا ، **فإن الرجل إذا عدل في الرعية صار نصفُ أهل البلد أعداء له وحساداً** ، فيجتهدون في عزله لأغراضهم الشخصية الخسيسة ، فالتفطُّنُ لمثله واجبٌ عليكم ، وأرجوكم أن لا تنسونا وأولادنا في الدعاء ، وحفظنا الله وإياكم من فتن العصر في جميع الآناء ، وأوصيكم بالعدل والاستقامة أوَّلاً وآخراً ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وأنا الكاتب الحقير حسن النقشبندي الشاذليّ القادريّ سامحه الله من فرطاته . آمين .

مكتوب عبد اللطيف الأواري

وكتب قدس سره إلى العالم الفاضل عبد اللطيف الأواري الكذلكلي رحمه الله ما لفظه :

إنه من الحقير حسن القحي إلى ولد روحه عبد اللطيف ؛

السلام عليكم ؛ إن تلك الفتنة قد تحركت بشؤم مَنْ لَعَنه رسول الله ﷺ بقوله : « الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها » ؛ فقد استحل الناس أموال المسلمين واتخذوها فيما بينهم متجراً ، واستحلوا دماءَهم وعدُّوها بينهم مَفْخَراً ، وصاروا كلهم غرقى في بحر الفتنة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، فهذا :

هو الزمان الذي كنا نحذره ... في قول كعب ، وفي قول ابن مسعود

لو دام هذا ولم يحدث به غيرٌ ... لم يُبك ميتٌ ولم يفرح بمولود

فماذا نفعل ؟ فقد نزل بالناس رشحة من شؤم أعمالهم!! وإن الله سبحانه لا يظلم الناس شيئاً ، ولكنهم أنفسهم يظلمون ؛ جزاهم جزاءً وفاقاً ، فالزبانية في الآخرة والظلمة في الدنيا على حدّ سواء ، وحديث : « كما تكونوا يولى عليكم » شاهد عدل على ذلك .

مِنْ جَوْرِ أعْمَالِهِمْ جَوْرُ الزَمَانِ بَدَا ... كَمَا يَكُونُوا يَـرَوْا أهْـلَ الـوِلاَيَاتِ

والله[1] لو تولَّى الخضر عليه السلام أو القطب شيئاً من ولايات هذا الزمان لما قدر أن يفعل مع الناس إلا ما يستحقُّونه بأعمالهم ، وأكثر الناس عن هذا غافلون ، فهم يعيبون على الغير وينسون أنفسهم وأعمالهم ، إنا لله . . . إلخ . انتهى .

(١) هي من مقالة سيدي علي الخواص ، كما ذكر شعراني في « المنن الكبرى » ص ١٢٣ ج٢ ومرَّ في ٢٩٩ . (من نسخة أخرى) .

وعلّق بذيله أستاذنا الأواري الحاج عمر بن رجب حفظ الله تعالى نقلاً عن « تاج العروس على القاموسي » من مادة غبط ما لفظه في الحديث « يأتي على الناس زمان يُغْبَط الرجل بالوحدة كما يُغْبَط اليوْمَ أبو العشرة » . انتهى عبارته . وكتبه أيضاً عن محمد بن سليمان الأواري وهو عن أستاذ القحي قدس سره أنّه سمعه يقول : وقوع حية في بطن زوجة خير لك اليوم من وقوع ولد ، وقال له أيضاً : لأَنْ تلقى حية خير لك من أن تلقى ولداً . انتهى .

مكتوب إلى هطنو الحدوطي : العقوبة بالذنب

وكتب قدّس سرّه إلى العابد التقي الناسك الحاج هطنو الحدطي ما حاصله إلى الحاج هطنو :

سلام عليكم وبعد : فبسماع ما حلَّ بكم من المصائب ؛ من الأسر والحبس وإتلاف المال وتهديم الدور أصابنا رشحات من ضيق القلب ؛ وسوء الحال ، بيْد أن ذلك لما كان جزاء أعمالنا **وجب علينا الاستغفار ، فكلّ ما في الكون هو ظلُّ ذاتنا ، ولا يظلم الله أحداً في الدنيا ؛ ولا في العقبى** وينبغي أن يعلم **أن الظلمة في الدنيا ، والزبانية في العقبى على حد سواء** ، وعسى الله تعالى أن يجعل ما أصابنا عقوبة معجَّلة ؛ عجَّلها الله لنا بذنوبنا في الدنيا حتى نتخلَّص منها في العقبى ، **وذلك رحمة من الله ، فإن الله لا يثنِّي العقوبة ، فاصبروا** ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ . هذا والسلام من حسن . انتهى .

نحن عَبيد ذي الجلال والجمال فله الحمد في كل حين وحال . ولعل الله سبحانه وتعالى يجعل في نيران النِقَم أنوارَ النعم فاصبروا واسألوه منه سبحانه ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى﴾ . . إلخ . « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم وثم » . . إلخ . اللهم لا تجعلها عذاباً وغضباً واعف عنا واغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين . انتهى بالمعنى من رسالة الأخرى .

وكتب قدس سره جواباً لمن سأله عن معنى قولهم (إن المقرَّبين لا يبتلون) وظنّي – والله أعلم – أنَّ معناه : أنهم ؛ **وإن ابتلوا لا يَرَوْنَ ذلك إلاَّ نعمة ، لما أن البليَّة جاءت من محبوبهم الحقيقي سبحانه وتعالى** ، لا أنهم لا يصيبهم صورة البلاء ، فتفكَّر في هذا ، وفي « أشدُّ الناس بلاء . . . إلخ » والسلام . انتهى .

وصيته إلى أمير « غونه » بَايْ صُغُور

وكتب قدس سره إلى العالم أمير ناحية « غُونِه » بَايْ صُغُور الأواري رحمه الله : باسم الله خير الأسماء ، والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

من هذا الفقير الحقير المرشد المجازي كالقاضي الضروري حسن القحي النقشبندي الشاذلي القادري سامحه الله من فرطاته ؛ إلى ولده المحبوب المرجوّ للاستقامة ، والمأمول للإقامة على العدل والإنصاف بين الرعية ؛ أمير أطراف نواحي « غُونِه » بَايْ صُغُور الأواري الخنزاخي ؛ السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد : فالذي نسأل الله جلَّت عظمته ، وتقدَّست أسماؤه وصفاتُه : أن يُديم لكم هبوب نسيم رياح نصره وتوفيقه وإعانته ، وأن يملأ قلبكم من الخوف من سطوته سبحانه في سرّه وعلانيته ، فإن تلك المرتبة ؛ أي : النصر والتوفيق والخوف ما سعد من سعد في الدارين إلاّ بها ، ولا فاز برضاء الله تعالى من فاز إلا بحيازتها ، حلاّكم الله تعالى بحسن الخلق ، وحفظكم عن سوء الخلق والخرق .

ثم إن الذي أوصيك به أيها الولد المحترم ؛ أن تمسك بحبل الرأفة والرحمة ، والعدل والإنصاف في الرعية ، وأن لا تخالف بقدر طاقتك الأحكام الشرعية ، فهذه وصيتي ونُصحي الشامل ، ما استغنى عنهما كريمٌ ؛ ولا كامل .

واعلم أن الله تعالى قد ولاَّك على خلقه ، وائتمنك على عباده وبلاده ، فأنت أمين من أمناء الله تعالى عليهم ، وهو سبحانه سائلك عن أمانته ، وعمَّا فعلتَ مع خليقته ، فاحذر من الله تعالى أن يجدك حيث نُهيت ، أو يفقدك حيث أمرتَ .

وإياك ثم إياك والظلمَ على خلق الله ، فإنه ليس للمظلومين دونه حجابٌ ، ولا تأمَنْ مَكْرَ الله تعالى في حال من الأحوال ، فإنه تعالى خيرُ الماكرين ، ومُحوِّل الأحوال ، وإن لله تعالى فوق تدبيرنا تقديراً ، فإنه كان بكل شيء خبيراً ؛ لا يهمل صغيراً ولا كبيراً ، ولا يبالي بمخلوق ؛ مأموراً كان أو أميراً .

انظر إلى ما كان عليه غَيْثَمَازْ ونجم الدين من الراحة والرفاهية والرآسة على المسلمين ، وإلى ما آل إليه أمرهما أخيراً ، إنَّ الله تعالى كان بعباده خبيراً بصيراً . أعاذنا الله تعالى من أن نرجع على الأعقاب ، ونكون من المستحقين للعقاب ، وحفظنا من المكر والاستدراج ، وأدامنا على العافية إلى الممات ، فقد صار نجم الدين كما رأيناه عياناً رجماً للدين ، وقد كان سيف الله قدس سره كتب إلينا في حقِّه بهذه العبارات (ذلك العالم فتنةُ العالَمِ ، لا كثَّر الله أمثاله) . انتهى .

مطلب مهم

ثم المرجوُّ من جنابكم أن تكون نظراتُ رأفتكم على الضعفاء والعاجزين ، فإنهم محلُّ نظر الله تعالى ، **فعلى قدر اعتنائك بهم ترتفع رتبتك عند الله تعالى** ، وأوصيك في المظلومين بما روي عن رسول الله ﷺ : « من ولاه الله ملكاً فأتاه ذو الحاجات فاحتجب عنهم احتجب الله عن حاجته ، فلا يلتفت إليه ولا يعبأ بدعائه واستغاثته » . انتهى بمعناه .

وكن للمحسن محسناً ، ولا تقابل إساءة المسيء بالإساءة ، فإن إساءته ستكفيه ، وأنزل الناس مَنَازِلَهُم ، واحترم على الخصوص العلماء والفقهاء ، واحفظ عن أذيَّتهم ، ففي الحديث : « من آذى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب » . والعلماء إذا لم يكونوا أولياء الله فليس لله وليٌّ على وجه الأرض .

ثم اعلم أيّها الولد ؛ أن الغفلة عن الله بالكليَّة هي شأنُ الأراذل ، فلا ينبغي لك أن تكون منهم ؛ وأنت من الأفاضل ، فلا تترك على الأقلِّ في كلِّ صباح ومساء مائة من الاستغفار ، ومائة من الصلاة على النبي ﷺ ، ومائة من الذكر حسبما كنتَ عليه قبلُ ، وأرجو من الله تعالى أن يكفيك ذلك ما بينهما . **فافهم** هذا الكلام ، واعمل عليه ولا تخالفه ، فإن المخالفة شينٌ ، والموافقة زين .

هذا ؛ ونرجوك أن تكون لأهل قُرانا كجناح الطير ، وترفع عن الناس كلَّ شرٍّ وضير ، والله يهدينا وإياكم إلى ما فيه الصلاح ، ويسلك بنا وبكم إلى سبيل الإصلاح ، ويُديم لنا الأمن والأمان ، مع العصمة من عواصف فتن الزمان ، إنه على ذلك قدير . فهذا ؛ والسلام ، وأوصيكم بالدعاء . حرّر في ١ شعبان سنة ١٣٣٩ . انتهى . باخ وتبديل .

الباب العاشر

في مكاتيب منشورة في فوائد منثورة

مكتوب من اليعسوبي في أوراد تقرأ للفتن يريد جمعها

وكتب قدس سره إلى ولده المحبوب اليعسوبي أنه على قصد جمع رسالة جامعة تجمع أحزاب السادات وأورادهم وأدعيتهم التي تُقرأُ للخلاص من الفتن التي عمّت الناس وأدهشتهم ، وتكون أماناً وحرزاً لهم من الحوادث المدلهمة ، وبثَّ إليه الشكوى عن برد الأيام ، وضعف بصره ، ورجا منه الدعاء بالتوفيق لإتمام مأمولاته ، ثم بعد زمان كتب إليه ولده المذكور أنه جمع في ذلك المقصود كتاباً ، وأراد منه أن يسميه بما شاء من الأسماء ، ورجا من الأستاذ قبوله منه .

جواب إلى اليعسوبي

فكتب قدس سره في جوابه يفوِّض إليه أمر التسمية ، ثم قال أخيراً :

ومعلوم أنَّ الثواب لا يفوت لمن أحسن ، **ولا مقصود من التأليف إلاَّ الإحسان للخلق** والاهتمام بأمورهم ، وفي الحديث : « من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منا » . انتهى .

يستأذنه في جمع مكتوباته هذه

وكتب إليه ولده المذكور أنه خطر بباله جمعُ « مكتوباته » مع « مكتوبات » الأستاذ السيد سيف الله الغموقي قدس سره في مجلّد ، ورجا منه أن يأذن له في ذلك .

جوابه الإذن بجمعها

فكتب قدس سره في جوابه : إن ذلك القصد هو الذي انطوى عليه ضميره منذ زمان ، لولا أنه لا يَسَع له وقته للموانع والعوائق ، فأرسل يأذن له في ذلك ، وقال من جملة كلام له :

وأنت تقتصر منها على ما هو المقصود ؛ ولا تُطيل ، بل تكتب هكذا : وكتب قدّس سرّه . . . إلخ ، ما حاصله : انتهى اختصاراً . أو تكتب هكذا : وكتب رحمه الله . . . إلخ . انتهى . إن كان المكتوب لائقاً بكتابة جميعه ، وبعد إتمام مكاتيب السيد قدس سره يجوز لك أن تكتب ما كنتَ جمعته مما سمعتَه من الشيخ العسليّ قدس سره ، وبعد ذلك فَلَكَ أن تكتب ما رأيتَه من مكاتيب الحقير ، ولعلَّ الكتاب يصير نافعاً ! ! انتهى .

اليعسوب : وأوراد لها أسرار مجرّبة

وكتب إليه ولده اليعسوب قدس سره أنه يرى مما لا بدَّ من قراءته في هذا الوقت : « حزبُ الحفظ » الذي في ٦٥ من « مجموعة الأحزاب » ، و« حزب الإخفاء » الذي في ٥٧ ، وأنه جرّب لذهاب القبض الحاصل من أحوال الزمان قراءة « حزب الشكوى » الذي في ٧٩ .

قال : فزدت هذه الأحزاب على ما كنت أقرؤه قبل ، وقد قال تعالى ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ ورأيت في كتاب أظنه « شرح الحكم » : أن الله تعالى لا يفتح للعبد باب الدعاء إلاَّ فتح له باب الإجابة . انتهى .

جواب المؤلف لليعسوب

فكتب في جوابه : إن قراءة الأحزاب تكون **بقصد مجرَّد الامتثال موقناً بالإجابة** ، ففي الحديث : « ليس شيء أكرم على الله من الدعاء » وهو حديث صحيح ، فاقرأ ما ترى لعلك تفوز بما هنالك ، وارتكب على الأسباب . والله الموفق . انتهى .

حسين المحمد العوري يستجيز بالأوراد

وكتب إليه ولده المعنوي حسين المحمد العوري يستأذن منه ، ويستجيز لقراءة الأحزاب .

إجازته بالأوراد المطلوبة

فكتب قدّس سرّه في جوابه : السلام عليكم أيها المحبوب ؛ لك مني الإجازة لقراءة أحزاب الشاذليّ قدّس سرّه ما شئت منها ، ولقراءة حزب الإمام النووي ، وحزب الإمام محيي الدين العربي[1] ، ولك الإجازة أيضاً لتلقين ما شئت منها لمن طلبه منهم ، **وحزب الإمام النووي موافق لحال العصر** . . إلخ والسلام .

أمره بالأوراد أيام الفتنة

ووجد بخط اليعسوبي أن الحقي قدس سره أمره أيام الفتنة العامَّة في داغستان بقراءة هذه الأحزاب التي أُوردت في « مجموعة الأحزاب » :

اللهم ؛ كما لطفت . . . في ٣٥٧ ، هذه حفيظة عظيمة في ٦١ ، حزب الحرس في ١١٦ ، حزب الحجب في ٦٢ ، ومن أدعيته في ١١٩ .

مكتوب إلى الخچادي

وكتب القحي الحقي قدّس سرّه إلى العالم محمد بن أحمد الخچادي بعد سلام وكلام :

وأحبَبْتُ أن تقرأ الأحزاب ؛ نظراً لحال العصر ؛ **فإنها حصُون** ، وقد قال الشاذليّ ﵁ : مَن قرأ حزبنا – أي : حزب البر – فله ما لنا ، وعليه ما علينا ، وكان ﵁ يقول أيضاً : إنه أمان للإقليم الذي يقرأ فيه ، وقال أيضاً : من حفظه فهو من أصحابي . انتهى من خطه .

(١) هو مسمّى بـ « الدور الأعلى » .

حزب الحصين والمصون للغزالي

وكتب قدّس سرّه إلى اليعسوب : أرى المصلحة اليوم في قراءة هذين الحزبين : حزب « الحصين » للإمام الغزالي في ٢٦٧ ، وحزب « المصون » له أيضاً في ٢٧٠ من « مجموعة الأحزاب » . فافهم . انتهى .

الرابطة والأوراد اللائقة

وكتب قدس سره إلى الأواري : إنك تلازم المراقبات بقدر الطاقة ، وتقرؤون من الأحزاب ما هو اللائق بالوقت ؛ حفظنا الله وإياكم من الفتن والمحن . آمين . انتهى .

حزب اللطف

وكتب إليه أيضاً : أرى المصلحة في قراءة حزب « اللطف » صباحاً ومساء ، وهو في « مجموعة الأحزاب » ص ٤٤ ج١ .

فائدة مجموعة الأحزاب

وكتب إلى الحاج عمر الأواري : إلى ذلك الأخ المحبوب المقبول الحاج عمر الأواري : سلام عليكم ؛ فإن « مجموعة الأحزاب » كتاب في مجلدين أولهما ما في يدي ، والثاني : ما في يدك ، فإن أردت أن يكون لك(١) ما في يدي ؛ فاطلبه ، **وإلاّ فيكفي لك ما في يدك للتبرك** ، والحزب الأول من الجزء الأول من « مجموعة الأحزاب » حزبُ الشاذلي ، والحزب الأول من الجزء الثاني منها حزبُ الإمام النقشبندي قدّس الله أسرار جميعهم آمين . **وأيهما كان في الدار من الدور تنزل البركة وتندفع البلية إن شاء الله تعالى** ، وليس بيدي إجازة إلا لقراءة أحزاب الشاذليّ ، وحزب محيي الدين العربي . فافهم ، فهذا ، والسلام الكثير والوصية بالدعاء ونحن في الحال في صحة وسلامة وندعو لكم بحصول الاستقامة والتقوى . الفقير الحقير أخوكم القحي . انتهى من خطه قدس سره .

---

(١) بيد أنه يحصل لكم بسبب جمعهما البركة الزائدة . انتهى من مكتوب آخر (من نسخة أخرى) .

الإجازة والقراءة بغير إجازة

وكتب إليه أيضاً : السلام عليكم وعلى أهليكم أيها الأخ المحبوب والخليل المقبول ، هداكم الله تعالى إلى كل ما فيه صلاحكم ، وألهمكم الرشد إلى جميع ما يرضى الله عنكم ورزقكم العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة ، آمين . ثم إن الولد أخبرني أنكم تطلبون مني الإجازة لقراءة « فتح الرسول »[1] ، والحال أني لم آخذ الإجازة لقراءته من مشائخي قدس الله أسرارهم .

فاعلم أيها الأخ المرجوّ للاستقامة ؛ **أني أقرأ أدعية لم آخذ لقراءتها الإجازة** ، وأقرأ أحياناً وقت الفراغ أحزاباً من « أدلّ الخيرات » ، وأحزاباً من « مجموعة الأحزاب » ومن غيرهما **رجاء أن تكون الإجازة لقراءتها داخلة في الإجازة المطلقة العامة** ، وقد قال في آخر « أدلّ الخيرات » ما نصُّه : وأنا أجزت بقراءته كلَّ مَن وصل إليه راجياً منه الدعاء ، وهذه **الإجازة شبيهة بالمناولة عند المحدثين** . انتهى ٢٠٣ .

وأظن أن ما في « فتح الرسول » لا يخلو مما في « أدلّ الخيرات » ، فلازم الخيرات والدعوات ، وادع للحقير أخيكم الفقير . فهذا ، والسلام . انتهى من خطه قدس سره .

الرخص والعزائم

وكتب قدس سره جواباً لمن سأله عن جواز ارتكاب على الرخص ما لفظه :

إن أهل الله تعالى من أكابر الأولياء لا يمنعون من الرخص ، ولا يكلفون على أخذ العزائم ، بل قد ورد عن النبي ﷺ : « إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه » كما هو مذكور في « الدرر المكنونات » من الجزء الأول قريباً من آخره ، وفي « المتممات » . فراجعهما . انتهى .

---

(١) « فتح الرسول ومفتاح باب الدخول لمن أراد إليه الوصول » تأليف محمد عثمان الميرغني .

جواب سؤال عن تكبير الأذان

وكتب إليه أحدُ مريديه يسأله عن كيفية قراءة (الله أكبر الله أكبر) في الأذان .

فكتب في جوابه : في « فتح المعين »[(١)] ما لفظه : وتسكينُ راء التكبيرة الأولى ، فإن لم يفعل ! فالأفصح الضمُّ . انتهى ٢٤٣ . وفي « الإعانة »[(٢)] : قوله : وتسكين . . . إلخ أي : ويُسَنُّ تسكين راء التكبيرة الأولى من الأذان . انتهى عبارته والسلام .

(١) بشرح « قرة العين » .
(٢) « إعانة الطالبين » .

❊ من حسن إلى الولد المحبوب حَج دَدَ وأهل بيته : سلام عليكم ولن يتركم أعمالكم آمين . **وبعد** : فاعلم أيها الولد **أن صلة الرحم من أعظم ما يجب حفظه ، وقطعه من عظائم الذنوب** ، كما هو معلوم لديكم ، وأن الشيطان ليجري من ابن آدم ، مجرى الدم ، وقد كان الله تعالى أنعم عليكم بالنعم الجليلة ؛ لما أنه جعلكم إلى الآن إخواناً صالحين ، فكفران هذه النعمة غير لائق بجليل جنابكم الرفيع ، **ولا يخفى عليكم أنَّ الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة . والعاقل لا يضيع الآخرة لأجل هذه الفانية** ، وأنتم لا يخفى عليكم أنَّ والدكم من النسب الروحي مائل إليك من بينهم ، بيد **أنه يريد أن تكون أنت وإياهم على حد الاستقامة** ، فالذي أوصيكم به ؛ أن تذهبوا لدى العالم القاضي محمد ، ولا تخالفوا أمره ، فإنه يحكم بينكم بحكم الله ، ومن لم يرض منكم بحكمه فهو الذي لم يرض على حكم الله ، ولا يخفى ما يترتَّب على ذلك ؛ فالعياذ بالله ، ومن المعلوم المتيقن لديكم أنَّ القسمة لم تقع موافقة للشرع فيجب عليكم موافقتها الآن بما شرع الله به ، فتسامحوا في هذا الأمر واعفوا واصفحوا يغفر الله لكم . والسلام وأوصيكم بالدعاء . (من نسخة أخرى)

❊ إلى ذلك العالم المتورّع أخينا في الله حَجيَوْ الأواري ، سلام كثير عليكم إلى يوم الدين ، **أما بعد** ؛ فأهم مقاصد الحقير الفقير كونكم في كنف الله ودوامكم على التوفيق وَالاستقامة ، وملازمتكم على العمل بما علَّمكم الله تعالى . ثم إني أحببت أن أعول أمر هذه المصلحة إليكم ، **إني رجل لا أريد الظهور ، بل أريد الخمول تحت الستور ، ولا أعلم الكلمة والكلام لأتكلَّم بين العوام بما يليق بحالهم** ، ولا أعرف إخوان القاتل ، ولم أرهم إلى الآن قط ، فإن كنتم تريدون أن أكون بينكم فإني لا أكسل أن أصل إليكم ؛ والملاقاة معكم من مطالب أخيكم ، بيد أنِّي عوَّلت أمره إلى الحاج عمر ، وطلبت منه أن يتفحص حقيقة ما في بواطنهم ، **فإنه جاسوس القلوب وإن كنْتم عن حقيقة حاله في غفلة** ، فالعفو والصفح عن هذا الحقير الفقير مرادُ أيّ مراد ، ولعلك تفهم من كلامي كثيراً من الهواجس ، والسلام وأوصيكم بالدعاء . (حسن) . (من نسخة أخرى) .

جوابه في شكوى الأولاد

وكتب قدّس سرّه إلى من يشكو عن أولاده : أمَّا أمر الأولاد ! فلعل في ذلك المصلحة ، ولا عيب على الوالد بارتكاب الأولاد على المحظورات ، لأن ذلك سنَّة الله في أوليائه وأنبيائه ، ويكفي في ذلك آية ﴿سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾ الآية ﴿إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾ ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾ الآية ، وكذا ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ كما هو معلوم لديكم ، والخيرُ فيما وقع إن شاء الله تعالى . انتهى .

جواب لإهدائه « تلخيص المعارف »

وأرسل قدّس سرّه تأليفه « تلخيص المعارف » إلى اليعسوبي ، فكتب إليه قدس سره من جملة كلام : لما طالعتُ تأليفكم « تلخيص المعارف » وجدناه كنزاً مخفيّاً لم يطمسه قبلكم إنسٌ ولا جان ، **وتحقَّق عندي أنَّ كلَّ ما حَصَل لي من مطالعة كتب القوم إلى الآن من الفوائد لا يستوي بما حصل لي منه في هذه الأيام ، فببركة مطالعته عَزَمْتُ على التشمّر في هذه الطريقة العليّة ، وغاب عن قلبي وُدُّ غيركم** ، وصار ما سواكم مبغوضاً عندي ، واستوحشتُ عن مجالسة الناس ؛ شوقاً إليكم ، وإلى مؤلَّفكم النفيس . . . إلى آخر ما قال . انتهى . بالمعنى .

وكتب أيضاً : أنه يتجدَّد حاله ويتأثر فؤاده برؤية خطِّه والنظر إلى مكتوبه ، ويتحوَّل القبضُ بسطاً ، والوحشة أنساً . انتهى ، وفق الله الكل لما فيه رضاه .

التوسل والتسلي بنظم رجال الطريقتين

وكتب اليعسوب إليه قدّس سرّهما أنه لما غلب عليه الحال وطرأ عليه القبض بسبب ما عمَّ على عامة الناس من الفتن التي غشيتهم وأدهشتهم تسلّي بنظم أسماء أُسود الطريقتين العليتين ؛ النقشبندية والشاذلية قدَّس الله أسرارهم ، والتوسّل بهم إلى تسهيل الأمور ، وتيسير الخطوب . السلسلة النقشبندية على قافية

الراء ، والشاذلية على قافية التاء ، وكلاهما من « بحر الطويل » . ومن جملة ما كتبه اليعسوبي إليه في هذا المكتوب ثلاثة أبيات قال : وقلنا في ذلك شعراً :

عَصَيْنَا وَلَمْ نَشْكُرْ حُقُوقَ نِعَيْمِكَا ... ولم نحسب الإقْبَالَ يرتدُّ مدبراً
إلى أنْ تَـوَلَّى عَيْشُنَـا وأَصَـابَنَا ... مـصـائبُ رَدَّتْـنا كَذَاكَ أصَاغراً
رَزَايَـــا أَذَاقَتْنَـا مـلابـسَ ذِلَـةٍ ... ولـم يُـبْـقِ مـنا الدهْرُ إلاَّ تفكُّراً

انتهى .

كيفية النية في الأعمال

وكتب قدّس سرّه جواباً لمن سأله عن كيفية النية في عامة الأعمال ما لفظه :

واعلم أن النية والحضور شرط لكل عمل يقصد به القربة .

إن كان العمل فرضاً ؛ أو واجباً ! ينوي به امتثال أمر الله تعالى واتباع نبيه ، ويشرع لله .

وإنْ من السنن الرواتب والمستحبَّات ! ! فينوي اتباع النبي ﷺ والسلف الصالحين كذلك .

وإن من ضروريَّات البشرية ؛ كالأكل ، والشرب وغيرهما ! **ينوي التقوِّي على الطاعة** . انتهى من « صحيفة الصفا » عبارته . انتهى من خطه قدّس سرّه .

---

* من حسن إلى الأخ المحبوب المقبول الحاج عمر الأواري ؛ سلام كثير عليكم ، **أما بعد** ؛ فنحن في الحال في عافية تامة و . .إلخ ، ثم إن الحامل لما أخبرني بأنك شذذت من موضع الاجتماع ضاق به قلبي وانقبض باطني . **فاعلم أيها الأخ أن سوء الظنِّ بأمثال هذه الواقعة مما لا يليق بأمثالكم الكرام ، مع أنكم أقارب** وأنتم لعمر كالأب ، ومن يقوم له مقام الأب سواكم؟! فاللازم عليكم أيها الصديق **أن تنصحوا له بقول ليِّن وتنبِّهوه إلى ما هو أصلح له ولزوجته** ، وإن فعل في حقها ما لا يليق شرعاً فقل له **ما هو الائق بحاله** ، وإلاَّ **فالحسد والحقد بين الأقارب مما ذمَّه الشرع ويلومه خيار الناس** ، فشذوذكم من موضع الخير مما يثقل على قلوب الإخوان **هذا ما عندي بَيْدَ أن صاحب الدار أدْرَى بما فيها** ، فافهم والسلام . انتهى من خطه قدس سره . (من نسخة أخرى) .

شكره واعتذاره لمن أرسل هدية

وكتب قدّس سرّه إلى القاضي إبراهيم الهؤري ؛ لما أرسل إليه هديَّة ؛

من جملة كلام له : فواخجلتي أيها المحبوب المقبول منك فقد جُدْتَ . . . إلخ ، ففرحنا بذلك ، وإن سال منا عرقُ الحياء منكم ، وقبلناه بالرضاء ، **وأخذناه منه تعالى ؛ لا منك ، ولك ؛ لا لنا ، فنحن إن شاء الله تعالى- نضع صدقتك في أجواف رجال يذكرون الله تعالى ، ليحصل لك أجرُ عبادتهم ، فإنَّ كلَّ عبادة نشأت من لقمة فهي لصاحب اللقمة** ، والحبّة من الصدقة توزن عند الله يوم القيامة بجبال الأجر ، كما نطقت به الكتب . فجزاك الله عنا خيراً ، وزادك شكراً . آمين . انتهى[١] .

مكتوب إلى الهندخي شكراً على هدية

وكتب قدّس سرّه إلى أستاذنا وملاذنا والطبيب عللنا وأمراضنا ، حميد أفندي حفظه الله وعافه الله ورزقه الله حسن الخاتمة ، آمين . وروَّج الله على يديه الشريعة والطريقة والسنّة ، آمين . حين أرسل له ضيفه الأمين (وضيف هذا الفقير جامع هذه الرسائل عفى الله عنه) محمّد ولد سلطانل محمّد فروة جديدة ما حاصله ؛

السلام عليكم ؛ أيها الإخوان الكرام ، فقد أوصَل الحاملان هديَّتكم فقبلناها بالرضاء ، بيد أني أخذتها من الله ؛ لا منكم ، ولا لي ؛ بل لكم ، تقبلها الله . آمين .

---

(١) ما أخوف ما تخاف عليَّ ، فأخذ بلسان نفسه وقال هذا ، ويؤيده أنه أخرج أحمد : « لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه » ، « إذا صلحتْ صلح الجسدُ كلُّه » ، « استقيموا ولن تطيقوا » أي : حق الاستقامة . وقال ابن عباس في قوله تعالى ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ ما نزل على رسول الله عليه سلام في جميع القرآن آية كانت أشد ولا أشق عليه من هذه الآية . (من نسخة أخرى) .

ثم إني أعَوّل عليك يا هِطِنَوْ مُحَمَّدْ دِبِرْ أمرَ مكافأة هذه الهدية ؛ ولو بالقول لمعطي الجلود ضيفنا الأمين محمّد ولد سلطانل محمّد ، لأنَّه ﷺ قال : « إذا أسدى إليكم أحدٌ معروفاً فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئونه فاثنوا عليه خيراً » الحديث ، فجزاه الله عني خيراً ، ووقاه ضَيْراً ، وكثَّر أغنامه ونمَّى ماله . آمين ، فقد غمسني في بحر الحياء . وأجرى على جبيني عَرَقَ القبض والانكسار ، بارك الله في أمواله وأولاده ، وألهمه رشده آمين وفعل ذلك بكل من أعان لعملها غسلاً وخياطة . . . وإلخ ، وغفر ذنوب الجميع ، ورضي عنهم . آمين . والسلام . انتهى .

اعتذاره عن قبول هدية « المسنّ »

وكتب قدّس سرّه إلى من أرسل له مُسِنّاً : السلام عليكم أيها الولد الكريم **وبعد** : فإني لا أعرف علَّةَ إرسال هذا المسنّ لي ! ! فإن كنتَ أرسلتَه بظنٍّ أني رجلٌ من المساكين ؛ فأنت تجدُ يا أخي أكثر مسكنة منِّي كثيراً من الناس ، وإن كنتَ أرسلته بزعم أني رجل صالح ؛ **فأنا لستُ من أهل الصلاح فيما أعلم ، بل أنا من أكبر العاصين على وجه الأرض عندي** ، وعلى كِلاَ الحالين لا يحلُّ المُسِنُّ المُرْسَلُ لي . والسلام . انتهى معرّباً من العجمية[١] .

---

(١) وعن الأستاذ حميد أفندي حفظه الله ؛ أنه كان يقول كثيراً : إن من أكبر ما أفادني من كلامهم قول ابن عطاء الله في « الحكم » : الكون كله ظلمة ، وإنما أناره ظهور الحق فيه . انتهى ، أي : لأنَّ الكون كله دليل على وجود الحق لمن نظر إليه بعين الاعتبار ، فلعله حفظه كان يرى الله تعالى عند كل كون أو أمامه أو معه ، كما كان يقوله بعض الصحابة رضي الله عنهم وعنه وعنا بهم آمين . (من نسخة أخرى) .

❊ ومن أعطي لوصف يظنُّ به ؛ كفقر أو صلاح أو نسب بأن توفَّرت القرائن أنه إنما أعطي بهذا القصد ، وهو باطناً بخلافه حرم عليه الأخذ مطلقاً . انتهى . وحيث حرم الأخذ لم يملك ما أخذه . انتهى . « ابن حجر » من صدقة التطوع عبارته . (من نسخة أخرى) .

مهم

وقد قال الشعراني في بعض كتبه : إني لم أقبل الهدية من أحد ؛ لأني إذا لم أكن كما في ظنِّه فلا يحل لي ما دفعه ، وإن كنت كما في ظنه ، فإني حينئذ أيضاً أكون من

مكتوب لمن أرسل له هديّة

وكتب قدّس سرّه إلى من أرسل له هدية مع السلام : وعليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته وحفظه وحرزه من كل آفة وعاهة وبليَّة ، آمين .

فلقد وصل إلينا هداياكم ، واستحينا منكم بحيث يعرق منابتُ الشعور من الجسد ، **بَيْدَ أنه لما كان من جهة دائرة سخاوتكم قبلناها لكم؛ لا لنا ، ومن الله؛ لا منكم** ، فالحمد لله الذي أنعم عليكم وجعلكم ممن لا بخل في فؤادهم ولا شحَّ في أنفسهم .

ثم اعلم أن الصدقة تردُّ البلايا ، وتمحو الخطايا ، وتُشفي المَرْضَى ، ولا ينقص بها المال ، بل ينمو ويزيد فيه البركة ، **ولذا أسألك أن تجعلها صدقة؛ لا هديَّة ، وأن لا تعطيها بظنّ الصلاح؛ لئلا يكون أكلاً للدين بالدنيا** . فافهم والسلام ، وأوصيكم بالدعاء . انتهى من خطه قدّس سرّه . [(١)]

الذين يأكلون الدنيا بالدين . من مجلة « بيان الحقائق » عبارته . (من نسخة أخرى) .

فإن كان فقيرا يكافئ بالدعاء

« مرجانة » أوصاني شيخي ﵁ ؛ أن لا أبدأ أحداً بهدية ، إلاَّ إن كانت على سبيل تطييب خاطره لجناية سبقت مني عليه أو غير ذلك ، فقلت له : لِمَ ؟ فقال ﵁ : لأنك تعرضه بالهدية لكلفة المكافأة ، فقلت له : فإن كان يكافئ بطيب نفس ؟ ! فقال ﵁ : لا حَرَج ، قلت : فإن كان فقيراً يكافئ بالدعاء ! ، قال ﵁ : مثل هذا يهْدى إليه ، لأن وليَّه الله ، وهو تعالى يكافئ عنه ، والله أعلم . من كتاب « الجواهر والدرر » عبارته ١٣٥ من هامش « الإبريز » . (من نسخة أخرى) .

(١) (ثبت) : بالتحريك وبالسكون بمعنى ثقة ؛ يعني : ما ثبت له المحدث مسموعه . قال السخاوي : **ثبت** بسكون الواحدة ؛ للثابت القلب واللسان والكتاب والحجة ، وأما بالفتح ؛ فما ثبت به المحدث مسموعه ، مع أسماء الشاكرين له فيه ؛ لأنه كالحجة عند الشخص لسماعه وسماع غيره على القارئ . « تحفة الفكر » من خط خط حسن أفندي ، وهو من خط سيف الله ، وهو من خط زين الله ، قدس الله أسرارهم ورزقنا فيوضهم وبركاتهم آمين . (من نسخة أخرى)

❊ **فائدة :** روى ابن منصور أنه ﷺ كان إذا قضى صلاته مسَح جَبهته بكفه اليمنى ، ثم أَمَرَّها على وجهه حتى يأتي بها على لحيته الشريفة ، وقال « باسم الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم ، اللهم أذهب عني الهمَّ والحزن والغمَّ ، اللهم بحمدك انصرفت وبذنبي اعترفت ، أعوذ بك من شرِّ ما اقترفت ، وأعوذ بك من جَهْد بلاء الدنيا

جواب شكوى قساوة القلب

وكتب قدس سره إلى مَن شكا إليه قسوة قلبه :

في « شرح عين العلم » أن صفيَّة قالت : إن امرأة شَكَتْ عائشةَ قساوة قلبها ، فقالت : أكثري ذكر الموت يرقَّ قلبك ، ففعلتْ ؛ فَرَقَّ قلبُها ، فجاءت تشْكر عائشة رضي الله عنها . انتهى عبارته ٨٨ ج٢ . انتهى .

الزيادة في أوراد مأثورة

وكتب إليه بعضهم في حقِّ زيادة (أستغفر الله العظيم . . إلخ) (٣ مرات) بعد السلام من الصلاة حسب العادة المعهودة .

فكتب في جوابه ؛ نقلاً عن كتاب « ترشيح المستفيدين » ما لفظه : فإذا سلّم مسح جبهته بيمينه . وقال : أستغفر الله (ثلاثاً) ، ثم : أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحيّ القيوم وأتوب إليه (ثلاثاً) ، ويمسح بيمينه على رأسه . انتهى عبارته ٧٣ ، وعينُه في « الباقيات الصالحات » في ٤٣٣ فراجعه في آخر « الترشيح » . انتهى من خط قدّس سرّه .

كلام جامع في فضائل الصلاة عليه ﷺ

وطلب منه قدّس سرّه بعضُهم كلاماً جامعاً مختصراً في فضائل الصلاة على النبي ﷺ ؛ فكتب هذا النقل ، وقال ﵁ : رأيت رسول الله ﷺ ؛ فقلت : يا رسول الله ؛ صلاة الله عليك[1] عشراً على مَن صلَّى عليك مرّة واحدة ، هل

وعذاب الآخرة » . « بغية المسترشدين » عبارته ٤٥ . وكان ﷺ إذا صلى وفرغ من صلاته مسح بيمينه على رأسه - أي : مقدم رأسه « الحرز الثمين » - وقال « باسم الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم اللهم أذهبْ عنا الهم والحزن » . (ر طس ي) . « حصن » عبارته . وروينا في كتاب ابن السني عن أنس ﵁ قال كان رسول الله ﷺ إذا قضى صلاته مسح جبْهته بيده اليمنى ثم قال « أشهد أن لا إله إلا الله الرحمن الرحيم اللهم أذهب عنا الهم والغم والحزن » . « أذكار النووي » عبارته . (من نسخة أخرى)

(١) في « تلخيص المعارف » هكذا لعله الأصح : قال الإمام الهمام شيخ الإسلام ومفتي الشافعية ببلد الله الحرام السيد أحمد ابن السيد زيني دحلان في كتابه « تقريب الأصول » في

ذلك لمن كان حاضر القلب ؟ ! فقال : لا ، بل لكلِّ مصلٍّ عليَّ ؛ ولو كان غافل القلب ، ويعطيه الله تعالى أمثال الجبال من الملائكة تدعو له وتستغفر له ، وأما إذا كان حاضر القلب فيها ! ! فلا يعلم ذلك إلاّ الله تعالى .

قال بعض العارفين : مَن فاته كثرةُ الصلاة والصيام ؛ فليكثر من الصلاة على النبي ﷺ ، فإنه مَن صلّى على النبي ﷺ مرَّة صلّى الله عليه عشراً ، فلو فعل الإنسان جميعَ الطاعات طول عمره ، ثم صلَّى على النبي ﷺ مرَّة واحدة لرجحت تلك الصلاة الواحدة على كلِّ ما عمله جميعَ عمره من جميع الطاعات ؛ لأنك تصلِّي على حسب وسعك والله يصلي عليك - أي : يرحمك - على حسب ربوبيَّته ، **عَطِيَّةُ القَوْم على قَدْرِ أقدَارهم** .

هذا إذا كانت صلاة واحدة ، فكيف إذا صلَّى عليك عشراً بكل صلاة ؟ !

انتهى من « تقريب الأصول » عبارته ٨٣ .

أسباب حفظ الإيمان

وكتب قدس سره في أسباب حفظ الإيمان : وممَّا جُرِّب لحفظ الإيمان أن يقرأ قوله تعالى ﴿ **رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ** ﴾ (سبع مرات) خلف كلِّ صلاة .

من « الدليل التام على مرشد الأنام » عبارته من هامش « فتح العلام » .

أثناء ذكر كلام لأبي المواهب الشاذلي قدس سره ما نصه : وقال رضي الله عنه رأيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله صلاة الله عشراً على من صلى عليك مرة واحدة هل ذلك إن كان حاضر القلب ؟ فقال : لا ، بل لكل مصلّ عليَّ ولو كان غافل القلب ، ويعطيه الله تعالى أمثال الجبال من الملائكة تدعو له وتستغفر له ، وإذا كان حاضر القلب فيها فلا يعلم ذلك إلا الله تعالى .

* وقد يسلط الله تعالى أمثال هؤلاء المُعَيِّرين فضلاً من الله لك لتتيقظ بأمثالهم لما خفي لك فيك من دسيسات النفس ، فتصير هفوات أولئكم المتعصِّبين رحمة لك في نفس الأمر ، جزاء وفاقاً رغماً لأهل البواطن الخبيثة ، فكن على كل حال من الشاكرين ، واعبُدْ ربك حتى يأتيك اليقين . من « مكتوبات الأمير السيف قدس سره » صحيفة ١٥٧ ، وراجع ص ٤٢ من المكتوب الثاني عشر . (من نسخة أخرى) .

ومما ذكره مؤلف « بغية المسترشدين » لحفظ الإيمان : قراءةُ : اللهم إني أعوذ بك أن تصدَّ عنِّي وجهَك يوم القيامة ، اللهم ؛ أحْيني مسلماً وأَمِتني مسلماً خلف تكبيرة الإحرام . انتهى .

وكذا يقول عند ختم القرآن اللهم ؛ اختم لنا بخير ، وافتح لنا بخير ، فكلا هذين ورد الوعد لفاعلهما بالموت على الإسلام . « حدائق الأرواح » . انتهى منه عبارته .

لدخول الجنة بغير عذاب

وفي « السراج المنير » للعزيزي على « الجامع الصغير » للجلال السيوطي في ص ٢٢٩ ج٢ : « خصلتان لا يحافظ عليهما – أي : على فعلهما – عبد مسلم إلا دخل الجنة – أي : بغير عذاب – أَلاَ – بالتخفيف : حرف تنبيه – وهما يسير ، ومن يعمل بهما قليل : يسبح الله تعالى في دبر – بضمتين ؛ أي : عقب – كل صلاة مكتوبة عشراً ، ويحمده عشراً ، ويكبره عشراً ، وذلك خمسون ومائة في اليوم والليلة باللسان ، وألف وخمس مائة في الميزان ؛ – لأن الحسنة بعشر أمثالها – ، ويكبر[1] أربعاً وثلاثين إذا أخذ مضجعه ، ويحمد ثلاثا وثلاثين ، ويسبح ثلاثاً وثلاثين ، فتلك مائة باللسان ، وألف في الميزان – لما ذكر – فأيكم يعمل في اليوم والليلة ألفين وخمسمائة سيئة » ؟ ! يعني : إذا عمل هذا العدد من السيئات ؛ وأتى بتلك الأذكار ، صار مغفوراً له . (حم خد) ؛ عن ابن عمر بإسناد صحيح . انتهى عبارته .

قوله : إلا دخل الجنة ، **فالمواظبة على ذلك علامة على دخول الجنة** . ح « الحفني » عليه عبارته .

(١) هذا هي الخصلة ثانية ، « حفني » عبارته .

لاستمرار الحسنات

وفي « نوادر الأصول » : لقي جبرائيل موسى عليه السلام ، فقال جبرائيل : إن ربك يقول : من قال دبر كل صلاة مكتوبة : اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولحظة ولمحة وطرفة يطرف بها أهل السماوات وأهل الأرض ، وكل شيء هو في علمك كائن ؛ أو قد كان ، أقدم إليك بين يدي ذلك كله[1] ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ إلى قوله : ﴿ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ فإنَّ الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ؛ ليس فيها ساعة إلا ويصعد إليَّ منه سبعون ألف حسنة ؛ حتَّى ينفخ في الصور . قال الترمذي : حصلنا حساب ليلة : ثمان مائة ألف ألف ، وأربعين ألفاً ، وبالنهار مثله ، فذلك ألف ألف وألف وستُّ مائة ألف ألف هذا اليوم والليلة ، فحقيق أن يشتغل الملائكة بذلك . من « تنوير الصدر شرح حزب البر » عبارته وهو كتاب نفيس عجيب ، و« ذخيرة المعاد » عبارته .

(وأقدم إليك قبل كل) بالجر عطف على (كل) الأولى ، (شيء هو في علمك) ؛ أي : تعلَّق به العلم مما أبرزه وأظهره للوجود . منه عبارته ١١٩ ج١ ؛ من هامش « مجموعة الأحزاب » .

للموت على الإيمان

للموت على الإيمان خمس مرات بعد الجمعة :

إِلَهِي لَسْتُ لِلْفِرْدَوْسِ أَهْلاً   وَلاَ أَقْوَى عَلَى نَارِ الجَحِيمِ
فَهَبْ لِي تَوْبَةً وَاغْفِرْ ذُنُوبِي   فَإِنَّكَ غَافِرُ الذَنْبِ الْعَظِيمِ

راجع . انتهى من خطه قدّس سرّه .

ووجدت بخط أستاذي الأواري حفظه الله قال : إنه كتبه من خط اليعسوبي ، وهو من خط شيخه الحقي حسن حلمي وهو من خط شيخه السيد سيف الله قدس الله أسرارهم . قال الشيخ أبو العباس المرسي : وأما الخضر عليه

---

(١) بين يدي ذلك كله ؛ (هَبْ صِّبِ رِخصَرَبْ كِنَلْدَكُ صِّبِ) . ويقال : أن بين يدي الساعة أهوالاً ، أي : قدّمها . « مختار » عبارته .

السلام فهو حيٌّ وقد صافحته بكفِّي هذا ، وأخبرني أن من قال كل صباح : اللهم اغفر لأمة محمد ﷺ ، اللهم أصلح أمة محمد ﷺ ، اللهم تجاوز عن أمة محمد ﷺ ، اللهم اجعلنا من أمة محمد ﷺ صار من الأبدال . فعرض بعض الفقراء قوله ذلك على الشيخ أبي الحسن الشاذلي فقال : صدق أبو العباس رضي الله عنه « لطائف المنن »[1] وراجعه عبارته ٨٤ ج٢ .

وكان معروف الكرخي رحمه الله تعالى يقول : من قال كل يوم اللهم ارحم أمة محمد ، اللهم أصلح أمة محمد ، اللهم فرِّج عن أمة محمد كتبه الله من الأبدال . انتهى « تنبيه المغترين » عبارته ٤٥ .

وقال أبو العباس المرسي رضي الله عنه : رأيت ليلة كأنِّي في سماء الدنيا ، وإذاً برجل أسمر اللون قصير الطول كبير اللحية فقال : قل اللهم اغفر لأمة محمد ، اللهم ارحم أمة محمد ، اللهم استر أمة محمد ، اللهم اجبر أمة محمد . هذا دعاء الخضر ، من قاله كل يوم كتب من الأبدال ، فقيل : هذا الشيخ ابن أبي شامة ، فلما انتبهت وأتيت إلى الشيخ أبي الحسن جلست ولم أُخبره بشيء ، فقال : اللهم اغفر لأمة محمد (الدعاء) ، من قاله كل يوم كتب من الأبدال . « لطائف المنن » عبارته ١١٣ ج١ من هامش « المنن الكبرى » لشيخ ابن عطاء الله السكندري رحمه الله .

مكتوب إلى الطدي بدعاء النصف من شعبان

وكتب قدس سره إلى العالم الحاج محمود الطدي : سلام عليكم أيها الأخ المحبوب المقبول الحاج . . . إلخ .

فلقد وجدت شيخنا المرحوم قدّس سرّه يفعل ما ذكروه في كتبهم ؛ من قراءة سورة « يس » (ثلاثاً) ، والدعاء المشهور بعده في ليلة النصف من شعبان ، فلنا به أسوة ، وهو أعلم منا بألوف ، **وإن أهل الكشف يعرفون تمييز الحديث الضعيف من**

(١) ومثله في « المواهب » و« روض الرياحين » و« قول التام » و« زهرة رياض » وراجعه .

الصحيح ، فيجوز أن يكون الحديث الضعيف عند أهل الحديث صحيحاً عندهم . فافهم[١] ، وراجع « الإبريز » ، وكتب الشعراني[٢] . انتهى من خطه .

تأييده لتعدد الأزواج

وكتب قدّس سرّه إلى العالم حسينل محمد العوري وهو في « غزانش العليا » مؤذناً لهم : سلام كثير على ذلك الأخ المحبوب والخليل المقبول . . . إلخ .

أما بعد حمد الله تعالى : فقد سمعنا أنك اجتمعت بامرأة جديدة كالسيد الأمير سيف الله ، فتكونان خادمتين لكما ، فأوجب ذلك لقلبي سروراً شديداً ، وفرحاً أكيداً ، ودعوت الله تعالى لكما ولهما بحصول الألفة والمودَّة والمحبَّة بينكما وبينهما .

أيها الأخ المحبوب؛ إنَّ الرجل يفضل على الآخر بكثرة الأزواج ، ويثاب عليه الثواب الجزيل ، فإن أردت أن تعرف فضيلة كثرة الأزواج؛[٣] فانظر إلى « إحياء علوم الدين » من أوائل كتاب النكاح ، وقل لشيخنا سيف الله قدس سره يطالع ويراجع « الإحياء » من ذلك الموضع تريان عجباً ، ويحصل لكما انبساط تام . فافهم ولا تهمل ، والسلام .

---

(١) لكن لا يحتجون على ذلك ، وإنما لهم العمل به لأنفسهم؛ حفظاً لظاهرِ الشريعة ، ويكون بمثابة المنام في حق صاحبه لا يتعدّاه ؛ احتجاجاً ، أو عملاً ، أو استدلالاً .

(٢) تجد فيها أن أهل الكشف يعرفون تمييز . . . إلخ . (كاتبه) . (من نسخة أخرى) .

(٣) وكان للشيخ – أحمد الرفاعي رضي الله عنه – امْرأة بذيّة اللسان تسفه عليه وتُؤْذيه ، فدخل عليْه الذي رآه في مقعَد صدْق يوْماً ، فوَجَد بيد امرأته محرَاكَ التنُّور وهي تَضْربُهُ به على أكتافه فاسودَّ ثوبهُ وهو ساكتٌ ، فانزعج الرجل وخرج من عنده فاجتمع بأصحابَ الشيخ وقال : يا قوم ، يجري على الشيخ من هذه المرأة هَذا ، وأنتم سُكوتٌ ؟ ! فقال بعضهم : مَهْرُهَا خمسمائة دينار وهو فقيرٌ ، فمضى الرجل وجمَعَ الخمسَمائة دينار وجاء بهَا إلى الشيخ في صينيّة ، فوضعَهَا بين يدَيْه ، فقال له : ما هَذا ؟ فقال : مَهْرُ هذه الشقيَّة التي فعَلتْ بك كذا وكذا ، فتَبسَّمَ وقال : **لو لا صَبْري على ضَرْبهَا ولسانهَا مَا رَأيْتَني في مَقْعَد صدْق** رضي الله عنه . « قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبْد القادر » عبارته ٨٣ . (من نسخة أخرى) .

توصية بحسن العشرة مع الزوجة

وكتب قدس سره إلى سَيِّدَوْ الخلقري الدتوني النهري رحمه الله(١) :

السلام عليكم يا أخي ، وبعد ؛ فأوصيكم بأهلكم خيراً ، حَسِّن خُلُقَك معها ، وَلِنْ لها ، وانبسط معها ، **الناس يعيبون على أمثالنا بأيسر الأشياء وأقلِّها** ، ويرون قليلَ عيبنا كثيراً ، ويعدُّون صغيرَ عملنا كبيراً ، الأمان الأمان ، الحذر . .

---

(١) وفي نسخة : سَيِّدَوْ الخلقري الدتوني رحمه الله .

❋ وصية شيخنا وشيخ شيوخ الأكابر مَولانا ومُرْشدنا العَارف بالله صاحب الفيض القدسي أبو عبْد الرحمن زين الله بن رسول الشريفي المعموري النقشبندي المجدِّدي ، قدس الله سره و رضي الله عنه وعن باقي إخوانه وخلفائه المنتسبين إليْه : شبَبْ كَكْدَ خَدُبْ فاتحة الكتاب ، وآية الكرسيّ ، و﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ ، و﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾ . . إلى ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ، ژَلْ هِزُلْ فَضِيلَةْ عِمرْ بُكُ ؛ هلْدَصَنْ هَنبْك بِژز : **أخرج ابن السني** في « عمل اليوْم والليلة » وأبو منصور الشجاعي في « الأربعين » عن عَلَي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن فاتحة الكتاب ، وآية الكرسي ، والآيتين من آل عمران ؛ ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ . . .إلخ . و﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾ . . إلى ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ هنَّ مُعَلَّقات بالعرش ما بينهن وبين الله حجاب ، يقلن : يا ربِّ تهبطنا إلى أرضك وإلى من يعصيك . قال تعالى : إني حلفت لا يقرؤكنَّ أحدٌ من عبادي دبر كل صلاة - يعني المكتوبة - إلا جعلت الجنَّة مأواه على ما كان فيه ، وإلا أسكنته حظيرة الفردوس القدس ، وإلا نظرتُ إليه كل يوم سبْعين نظرة ، وإلا قضيت له كل يوم سبعين حَاجة أدناها المغفرة ، وإلا أعذته من كل عدوٍّ ونصَرته منه » . « الدر المنثور في التفسير بالمأثور »عبارته للإمام العلامة جلال الدين السيوطي رحمه الله .

❋ **وصية** شيخنا المذكور ونفسي فداؤه : شبَبْ كَكْدَ خَدُبْ ژَلِل فَرضَيَبْ ، ژُك كَلاَمْ هَبزعَنْ : اللهم إني أقدم إليك . .إلخ ، ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ . . إلَى ﴿ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ . وفي « نوادر الأصُول » : لقي جبرائيل عليه السلام موسى عليه السلام فقال جبرائيل عليه السلام : إن ربك يقول : « من قال دبر كل صلاة مكتوبة : اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل) . .إلخ ؛ فإن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ، ليس منها ساعة إلا ويَصْعد إليَّ منه سبعون ألف حسنة حتى ينفخ في الصور . قال الترمذي : خلصنا (- نسخة : حصلنا -) حساب ليلة ثمانمائة ألف ألف وأربعين ألفاً ، وبالنهار مثله ، فذلك ألف ألف وألف وستمائة ألف ، ألفاً هذا اليوم والليلة ، فحقيق أن تشتغل الملائكة بذلك . راجع « ذخيرة المعاد » من هامش « عقد اليواقيت » ، و« تنوير الصدر - هو كتاب نفيس عجيب (منه) - على حزب البر » من هامش « مجموعة الأحزاب » من الجزء الأول . (قحي قدس سره) . (من نسخة أخرى) .

الحذر ممَّا يلومه الناس قولاً وفعلاً ، فكن راضياً أنيساً مؤنساً لقرينتك ، جعل الله عقبى جمعكما إلى خير . آمين والسلام . انتهى معرَّباً . [1]

آخر بحسن العشرة

وكتب إليه أيضاً بعد سلام وكلام :

إنَّا إذا أكثرنا القول مع أزواجنا وأسأنا الكلام معهنَّ ، فإنهنَّ ولا ريب لا يتأدّبننا ولا يحترمْنَنَا ، على أنهنَّ لا يفرغن لخدمتنا ، فسامح وتجاوز ، واعف ، وعِظ وانصَحْ بلطف ورفق ، دون عنف ! فما فَعَلْن يكفينا . والله الموفِّقُ والسلام . انتهى معرَّباً ومطوَّلاً .

معنى المحجة البيضاء

وسأله القاضي كلچ الطدي عن معنى حديث : « تركتكم على المحجة البيضاء . . . إلخ »

فكتب قدس سره إليه ؛ قوله : البيضاء ؛ في « الهمزية البوصيرية » أي : النيرة الواضحة التي لا يضلّ سالكها ، ولا ينقطع ولا يخشى فيها من آفة ، وهذا مقتبس من قوله ﷺ « تركتكم على الواضحة البيضاء ، ليلها كنهارها[2] ، ونهارها كليلها ، لا يزيغ عنها إلاَّ هالك » . « المنح المكية » عبارته ٨٧ .

مهم

أراد بعضهم تطليق زوجته ، فقيل له : ما يسوءك منه ؟ قال : العاقل لا يهتك ستر زوجته . فلما طلقها قيل له : لمَ طلقتها ؟ قال : ما لي وللكلام فيمن صارت أجنبية منِّي . « آداب المريدين » .

فعلم أنَّ من كمال عقل الرجل في هذا الزمان كثرة الاتجاء إلى الله تعالى ؛ بأن يلطف به فيما سبق به علمه ، فإنَّ العبد لا يدري إلى أين مصيره ، ولا هل سبق في علم الله تعالى أن يكون عبرة لمن بعده أم لا ؟ ! والله يتولى هداك ، والحمد لله ربِّ العالمين . من « المنن الكبرى » . عبارته ١١٥ ج٢ . (من نسخة أخرى) .

(٢) أي : باطنها كظاهرها . (من نسخة أخرى) .

وفي « المصابيح » بلفظ : « لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، ولو كان موسى حيّاً لما وَسِعَه إلا اتِّباعي » انتهى عبارته . وفي « المفاتيح » عليه[1] (قوله : لقد جئتكم بها بيضاء نقيّة) منصوبات على الحال ، وكلاهما عبارةٌ عن الظهور والصفاء ، والخلوص عن الشكِّ والشبهة ، يعني : لقد جئتكم بالملَّة الحنيفية في حال كونها أظهر الملل وأطهرها وأيسرها ؛ لا مشقَّة فيها ؛ بخلاف ما كان في دين اليهود من المشقَّةِ العظيمة ؛ لأن دينهم أن يُخرجوا رُبعَ مالهم في الزكاة ، وأن يقطعُوا موضع النجاسة من الثوب ، ولا يجوز غسلُه ، وغير ذلك من العسر . انتهى عبارته .

هذا ما وجدته في تفسير الحديث الذي . . . إلخ ، والسلام عليكم مع العالم عمر لمحمد ، وأنا أخوكم حسن . انتهى من خطه قدس سره .

وكتب قدس سره إلى العالم كلج الطدي : أيها الأخ المرجو للاستقامة القاضي كلج : انظر إلى هذه المكاتيب التي كتبها شيخنا سيف الله قدّس سرّه ، واطلب من أثنائها ما كتبه في خصوص الصلاة المشيشية الممزوجة ، وضُمَّه إلى ما في « الإبريز » في ص ٢٢٢ واجعل الجميع حاشية لتلك الصلاة ، وأرجو الله تعالى أن يجعل ذلك نافعاً للإخوان ، وأما إنّي في الحال وإن كنت على عزم عمل حاشية لها فعاجز فافهم والسلام . انتهى . وقد كنت كتبت معنى (مجامع معالم) . . إلخ بلغتنا أخذاً من أواخر « شرح الحكم » لكني لم أصادف في الحال . انتهى من مكتوب آخر إلى اليعسوبي قدس سرهما .

كتب قدس تسره إلى صاحبه الصادق الحاج حبيب الله رحمه الله حين يذهب قاصداً إلى « عَسَى » أوجِزْ في الوعظ ولا تُطِلْ فإن الناس يسأمون التطويل ، فافهم . انتهى .

---

(١) أي : على « المصابيح » . و« المصابيح » هو : مصابيح السنة للإمام البغوي ، و« المفاتيح » للملا علي القاري المسمّى « مرقاة المفاتيح في شرح المصابيح » وكلاهما مطبوع والأول محقق في بيروت .

حمل آيات لخواصَّ نافعة ومحذورها

وكتب قدّس سرّه إلى العالم القاضي إبراهيم الهؤري بعد سلام : يا أخي ؛ إني أجد في كتب علم الحرف والأوفاق والرقاق خواصَّ عجيبة لحامل بعض الآيات القرآنية وقارئها ، والحال أن كتب الفقه تقول بكراهة حمل ما عليه اسمٌ معظَّم أو . . . إلخ لقاضي الحاجة ، أو الداخل في موضع النجاسة ، والواطىء عليها ، ولهذا الذي ذكرته كنت امتنعتُ عن كتابة أسماء الله تعالى وآياته لمن جاء يستكتبُ منَّا الأسباب والحروز والهياكل ؛ أدباً مع اسم الله وآياته ، فإن ظفرتم في حقِّ جواز تعليقها على الأطفال وغيرهم بنقل مقبول ؛ فإرساله إلينا من أهم مقاصدي ، وإن كان تكليفكم به تركَ أدب معكم . انتهى باخ .

وأيضاً في كتب الفقه التي بأيدينا أنه لا يجوز للمحدث مسُّ صندوقِ مصحف وهو فيه ، فما الفرق بين كونه في صندوق ؛ أو في نحو شمع حتى يجوز هذا الثاني ! ! فافهم منه بالمعنى . انتهى بخطه .

ويحرم حمل[1] المصحف ، ومسّ ورقه وكذا جلده على الصحيح ، وخريطةٌ وصندوق فيهما مصحفٌ ، وما كتب لدرس[2] قرآن ؛ كلوح في الأصحّ ، والأصح حلّ حمله في أمتعة وتفسير ودنانير لا قلب ورقه بعود . « منهاج » عبارته .

قوله : لدرس القرآن ؛ أي : بقصد القرآن وحده ؛ ولو حرفاً واحداً ، وخرج به ما قصد للتميمة

---

(١) أي : يحرم . (من نسخة أخرى) .

(٢) بخلاف ما كتب لغير ذلك كتمائم المعهودة عرفاً . « نهاية » . عبارة « المغني » : أما ما كتب لغير دراسة كالتميمة ؛ وهي : ورقة يكتب فيها شيء من القرآن ويعلق على الرأس مثلاً للتبرك والثياب التي يكتب عليها ، والدراهم كما سيأتي فلا يحرم مسها ولا حملها . وتكره كتابة الحروز ؛ أي : من القرآن وتعليقها إلا إذا جعل عليها شمع أو نحوه . . إلخ . انتهى من « الحواش الحميدية » عبارته . (من نسخة أخرى) .

القرآن كما مر ، فلا يحرم مسها ولا حملها وإن اشتملت على سور ، بل قال الشيخ الخطيب : وإن اشتملت على جميع القرآن ، وخالفه شيخنا الرملي . والعبرة بقصد الكاتب لنفسه أو لغيره بلا أجرة ولا أمر ، وإلاَّ ! فقصد المكتوب له ، ويتغير الحكم بتغير القصد من التميمة إلى الدراسة وعكسه . « شهاب » عبارته .

استشكال التحذير من « الإحياء » والتوصية به

وكتب إليه قدس سره بعض مريديه يستشكل ما في : « الشهاب على شرح المنهاج » من كتاب (الاعتكاف) بما لفظه :

فائدة : ذكر الإمام الشعراني في « المنن » ما نصُّه : ويحذر من مطالعة مواضع من كتاب « إحياء العلوم » للإمام الغزالي و . . إلخ . انتهى عبارته . مع أنه قدس سره أثنى على « الإحياء » كثيراً وأوصى بمطالعته ولدَه وغيرَه ؟ !

فكتب قدّس سرّه : إن ذلك الكلام ليس على إطلاقه ، قال : فإن الشعرانيّ نفسه أثنى على الغزالي كثيراً ، وأجَاب عما في « الإحياء » مما اعترضوا عليه في كتابه « الأجوبة المرضية » ، و« اليواقيت » ، وغيرهما ، وكذا أثنى على « إحيائه » وعلى « قوت القلوب »[1] للمكيِّ الإمامُ ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » ، وكذا صاحب « عقد اليواقيت » ، و« تقريب الأصول » ، بل أَلَّف الشيخ العلامة محي الدين العيدرسي باعلوي مؤلَّفاً مفرداً في فضيلة « الإحياء » مسمَّى بـ « تعريف الأحياء بفضيلة الإحياء » ، بل ذلك غنيٌّ عن البيان ، وما وقع . . . مذكور في ترجمته الموضوعة بذيل نسخة « الإحياء » المطبوعة بـ « مصر » .

وكتب العلامة القدقي على قول الشهاب ؛ نقلاً عن الشعراني ما لفظه : في « شرح الهمزية » لابن حجر : إنَّ هذا محمولٌ على مَن لا يدرك مقاصدهم ، ولا يعرف قواعد اصطلاحهم . فراجعه . انتهى .

---

(١) أي : لأبي طالب المكي الذي هو أصل « الإحياء » . (من نسخة أخرى) .

يقول الحقير جامع هذه الرسائل عفى الله عنه : قد بسط العارف الشعراني قدس سره الكلام على هذا المبحث في « المنن الكبرى » فمن شاءه فليراجعه ص٢٩ ج٢ .

وَيُكْرَهُ كِتَابَةُ الْحُرُوزِ وَتَعْلِيقُهَا إلاَّ إذَا جَعَلَ عَلَيْهَا شَمْعاً[1] أَوْ نَحْوَهُ[2] « إقناع » عبارته .

واختار المصنف : أنه لا يكره حمل الحروز التي كتب فيها شيء من القرآن إذا جعل عليها شمعٌ أو جلدٌ أو نحو ذلك . « النجم الوهاج في شرح المنهاج » للعلامة كمال الدين الدميري رحمه الله تعالى .

فائدة شاملة مجرَّبة للفهم والرزق

وكتب قدّس سرّه إلى العالم محمد بن أحمد الخچادي رحمه الله في « ذيل التذكرة الأنطاكية » ص ١٧٨ :

فائدة لفهم العلم وكثرة المال وسَعَة الرزق ؛ مرويَّة عن الشيخ جلال الدين السيوطي ؛ وهي :

من قال (أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحيّ القيوم ، بديع السماوات والأرض وما بينهما من جميع جُرمي وإسرافي على نفسي وأتوب إليه) ؛ كلَّ يوم بعد صلاة الصبح ، فإنَّ له ما ذُكِر ، وجرّب ذلك مراراً وصَحَّ . انتهى عبارته فراجعه . واستغفر للكاتب أخيك الحقير . انتهى من خطه قدس سره .

فائدة لسَعَة الرزق والغنى

وكتب إليه : وفي « الصاوي » : لسَعَة الرزق قراءة آية ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ (تسع مرَّات) في كلِّ[3] صباح ومساء .

---

(١) أي : خرقة مشمَّعة لأنها تحفظه . « بجيرمي » عبارته . (من نسخة أخرى) .
(٢) كجلد « بجيرمي » عبارته . (من نسخة أخرى) .
(٣) في كل يوم تسع مرات . « صاوي » عبارته . (من نسخة أخرى) .

وفي « الإتحاف شرح الإحياء » وغيره للغنى أن تقول أربعَ مرَّات بعد صلاة الجمعة : اللهم يا غنيّ يا حميد . . . إلخ[1] .

---

(١) مكتوب آخر

وكتب قدّس سرّه إلى من سأله عن أول رمضان عام كذا ما لفظه ؛ إن أول يوم من رمضان يكون يوم كذا نظراً إلى القرائن وإلى حساب الروزنامات ، فإن أكثرها ينبئ عن ذلك ، بيد أن الفقهاء رحمهم الله تعالى لهم تفصيل في حق الصوم عملاً بها ، وأنتهم تعلمون ما هنالك ، وما قالوه في العمل بالرؤية وعدمه . فالحاصل ليس عندي أدلة موافقة للشرع في هذا الأمر لكن الظن الغالب هو ما ذكرته فانظروا وتفحصوا . هدانا الله تعالى إلى ما فيه إصابة الصواب ، وألهمنا التوفيق والاستقامة ، وحفظنا من سوء الأدب في هذا الشهر المبارك آمين . انتهى .

وجدت بخط أستاذي الحاج عمر الأواري حفظه الله ما ملخصه : أن العابد التقي الحاج شيرز العسوي رحمه الله أخبره عما وقع له مرة مع الأستاذ ، قال : إنه خرج قاصداً لزيارة الأستاذ قدس سره في « قحه » ، وكان هو حينئذ معلّماً ومقرئاً القرآن لصبيان « بَقْلَالْ » فتفكر في طريقه سوء حاله ، وما هو عليه من اختلال أعماله وكثرة تقصيراته وتراكم غفلاته فلم يزل يبكي إلى أن يدخل قريته ، وبعد ما توجه الأستاذ إليه قال له : يا أخي إني كنت ذهبت مرة إلى أستاذي الحاج عبد الرحمن قدس سره باكياً منكسر البال من كثرة غفلات وتقصيراتي فلما دخلت عليه قال لي : **لا ينبغي لنا ترك الشكر على ما أنعم الله علينا بمنِّه وفضله سبحانه** ، **فإنه سبحانه وتعالى ألهمنا أن نسلك سبيل هدايته** وأهّلنا أن نستغفره في الملوين كذا وكذا مرة ، وأيضاً نصلي على النبي ﷺ قدر كذا ، ونذكر الله تعالى كذلك ، فلو لم يكن من نعمه تعالى عندنا غير ذلك لكفى ووجب علينا الشكر على هذه النعم دائماً ولو بقينا على ما عليه عامة الناس ؛ من الاشتغال بالأكل والشرب ومصّ التنباك مع ترك الأوامر وارتكاب النواهي وإنفاق العمر العزيز في اللهو واللعب بل في الغيبة والنميمة والاستهزاء والسخرية وإلخ وإلخ . **فماذا كنا نقدر أن نفعل فالشكر على نعم الله تعالى مما لا ينبغي لنا إهماله** ، وقد قال تعالى : ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ . انتهى .

ثم قال الحاج المذكور : إن الأستاذ القحي قدّس سرّه أخبره عن ثواب إهداء ثواب القراءة والدعاء للأموات وفضيلته ، قال : وكنت أكثر الدعاء لهم وأهدي ثواب القراءة لأرواحهم في كل يوم وقت انصرافي من المدرسة .

وذكر الحاج أيضاً : أن الأستاذ قد أكثر من التجربة في حق أخذ الأجرة على التعليم والإقراء ، وقال : **إن الأخذ ، والإعطاء إذا كانا لأجل الله تعالى جائزان** ، فلما قلت له : إني لا آخذه ، ولا مطمع لي فيه ، **فرح بذلك فرحاً شديداً لا يوصف** وقرأ آية . . . . ، ثمَّ دخل علينا واحد من المقرئين مثلي ، فلما عرض عليه أمر أخذ الأجرة أفتى له بالجواز . انتهى والحمد لله .

السؤال بالحال أعظم من السؤال بالقال

وكتب[١] قدّس سرّه إلى واحد من مريديه : أيُّها المحترم[٢] ؛ إني كنتُ منذ زمان في استشراف نفس إلى هذا الكتاب المنظوم المستطاب ، وقد كنت ذكَّرتك إياه في ذلك المجلس الصالح بالبديهة من غير تفكُّر ورَوِيَّة ، لكونه مترسِّخاً في الباطن ، **وقد خِفْتُ من أن يكون ذلك سؤالاً بالحال ؛ وإن لم يكن بالقال ؛ لما أنَّ السؤال واستشرافَ النفس مذمومٌ شرعاً وعقلاً ، ولذا رددته إليك عاجلاً** ؛ مع كونه أحبَّ إليّ مِنْ مِلءِ الأرض ذهباً وفضة ، بَيْدَ أنه لما وقع الكلام بيني وبين الحاج عمر الطبيب الأواري قال لي : لا يجوز لك ردُّ الكتاب ؛ لأن نجم الدين يَسيء خاطره بذلك بلا شكٍّ ، **فقبلته بعد ذلك وأخذتُه من الله ؛ لا منك ، ولك ؛ لا لي** . فجزاك عنِّي خيراً وعافاك . آمين . الفقير الحقير حسن القحي . انتهى من خطه قدّس سرّه .[٣]

---

(١) مهم : وقد قالوا : السؤال بالحال أعظم من السؤال بالقال « المنن الكبرى » عبارته ٤٥١ ج ٢ .

(٢) وفي نسخة : أيُّها المحترم النجيب

(٣) وقرنُ الصور : قرن ينفخ فيه ، قيل : كهيئة البوق . وروي : أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ فقال : ما الصور ؟ قال « قرن ينفخ فيه » . وروي أنه ﷺ قال « كيف أنعم وصاحبُ الصُّور قد التقمه وأصغي سمعه وحتى جبهته ينتظر متى يؤمر » ، فقالوا : يا رسول الله وما تأمرنا ، قال « قولوا **حسبنا الله ونعم الوكيل** » . « زاده علي القاضي » عبارته ٢٦٣ ج٢ ، تأليف الشيخ العلامة العارف بالله تعالى محي الدين محمد ابن الشيخ مصلح الدين الشهير بـ« شيخ زاده » من أكابر علماء الحنيفة ، ألَّفه رحمه الله في ٩٤٣ ، كما في النسخة المذكورة . من تفسير سورة الأنعام . (من نسخة أخرى) .

❊ واعلم أن حج الإنسان عمن لم يحجّ تبرعاً أفضل من حجه عن نفسه تطوّعاً . انتهى . وبأجرة خلاف الأفضل ، لكنه من أطيب المكاسب ، فإنه يحصِّل لغيره هذه العبادة العظيمة ، ويحصل له حضور تلك المشاهد الشريفة ، فنسأل الله من فضله . ومحل كونه خلاف الأفضل إذا قصد بذلك الدنيا ، ، أما إذا قصد الآخرة لاحتياجه للأجرة ليصرفها في واجب أو مندوب ؛ ككفاية أهله والتوسعة عليهم أو على أهل الحرم ، فله الثواب الكامل ؛ لأنه ضمَّ أخرويّاً إلى أخرويّ . « فتح القدير » باختصار متعلقات نسك الأجير ، تأليف العلامة جمال الإسلام محمد بن سليمان الكردي المدني رحمه الله تعالى . (من نسخة أخرى) . .

وعليكم السلام أيها الأخ المحبوب . . .إلخ ، واعلم أيها المحترم إني قريب العهد إلى لقاء الرحمن جل وعز ، وعمري في الحال ثلاث وستون ، ولا أدري كم بقي ، ومن المعلوم أن لا أبقى في هذه الفانية عُشر ما مضى ؛ ولأجله كنت أردت أن يبقى أثري بعد موتي وفوتي رجاء أن يكون سبباً للأجر والثواب وعدم انقطاعهما في خالف الأزمان ، وقد ألهم الله تعالى على قلب هذا الرجل أن يضع كتابنا في المطبعة مع أني لا أعرفه ولم أره . انتهى . ثم إني أرسلت لك . . .إلخ ، وذا من هدايا الله تعالى بواسطة فلان ، وهو رزق ساقه الله إليك ، فلله الحمد على ذلك ، ولي تأليفات آخر نافعة للخلق إن شاء الله تعالى لو طُبعت يحصل بها النفع العام لأهل الله[1] . . . إلخ .

وجد بخط ناسخه تاريخ نسخة واسم الناسخ كما يلي :

في يوم الأربعاء الرابع من صفر ١٣٧٨ هجرية ، قد تم كتبةُ الكتاب المستطاب بعون الله الملك

الوهاب ، بِيَد أحقر العباد محمد ابن العالم عمر ابن العالم الحاج نور محمد

ابن العالم محمد بن عمر النهريين ، غفر الله لهم ولجميع المؤمنين آمين ،

اللهم اجعل سعينا مبروراً ، وعملنا مقبولاً ،

وأفض علينا من فيوضات

السادات الكرام

آمين

---

(١) وفي نسخة زيادة : منها : « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » ، ومنها : « البروج المشيدة بالنصوص المؤيدة » ، ومنها : « السفر الأسنى في الرابطة الحسنى » ، ومنها : « سراج السعادات في سير السادات » ، ومنها : « فيض الرحمن في بيان كلام الشيخ عبد الرحمن » . فاجتهد يا أخي في حث صاحب المطبعة إلى طبعها ، فلك من الله الثواب الجزيل إن شاء الله ، وبلِّغْ سلامي إلى مُحَمَّدْ مِرْزَهْ وأوصيك وأوصيه بالدعاء (الحقير حسن) .

الزيادة التالية من نسخة محمد أفندي العكّلچي قدّس سرّه

يا سيدو ! سلام عليكم ، إنَّ أولئك الناس يطلبونني غير مرة لحضوري لديكم فأنا خائف من الله تعالى أن أردَّهم ، ومستح من جهتهم أن أخيب ظنهم فيَّ ، والحال أني لا أريد الخروج إلى الخارج ، فأستخر الله تعالى في ذلك ، وأرسل ما بدا لك ، فإني متحيِّر في هذا الأمر ، والسلام .

دواء مرض الصدر

وأرسل العالم كلچ الطدي إليه قدس سره يطلب الدواء لمرض أصابه يسمى الحَسَا ؛ أَيْ : كِرِنْ أُنْتِ حَل زِنْ . انتهى .

فكتب قدس سره (كَنْ بُصُنْ لِدَلْ هَلز هَبُنْ هِبْ لِمْ مِخ مخَلْ كَلِب خُنِ لِكَبْ بُكَ حَل زِنَل (مجرَّب) . أُنْتِ زِكَّرَبْ بَكَّلْدَ طَدْ بِ بَخِّجُكْ رَقْدَل لِرَلْ چِّيكِ لِكَبْ بُكُ) . انتهى .

مكتوب آخر

وكتب مأذونه الحاج حبيب الله رحمه الله : وعليكم ألوف السلام . . . إلخ ، إن مرض الصدر مرض يسمى لدى أطباء العرب بـ « نفث الدم » فهذا الدواء الذي أَصِفه بعدُ مجرب لذلك جدّاً ، فإن كان المرض خفيفاً يقتصر على الأطعمة الخفيفة والأشربة المبرّدة مع الراحة التامة ، وإن كان غزيراً ومصحوباً بحرارة وحمى وكان الشخص قوي البنية يفصد بذراعيه فصداً عاماً ويسقي الأشربة المبردة الباردة جدّاً ، وينبغي له الراحة والسكون والصمت بحيث لا يتحرك ولا يتكلم ، ويشرب مَغْلِيَّ الشعير مع النعناع ، وكيفية غليانه ؛ يصب فنجان من الماء الصافي على ملء فنجان واحد من الشعير مع قليل من النعناع فيغلي حتى يقشر الشعير ، ثم يخلطه بقليل من السكر ويشرب ملعقة من ساعة واحدة في اليوم والليلة مرات ، وأوصيكم بالدعاء ؛ هذا ما عندنا ولعل الله تعالى يشفي به مرضكم شفاء لا يغادر سقماً . انتهى . بتغيير يسير في العبارة .

مكتوب آخر

وكتب قدس سره إلى سكتو : ودواء مرض الصدر كما جربته ؛ أكل حَب السفرجل فإنه يلين الصدر ، وأكل البصل المشوي أيضاً دواء للسعال كما في كتب الطب ، وإن الحاج حبيب الله كان يأمر من أصابه ذلك بغسل الزبد ؛ أي : شَرِلْ نَخْ إلى أن يجيء ماء غسالته طاهراً ، ثم يخلط السكر المطحون به فأكله نافع له ، كما في « تذكرة الأنطاكية » وقد جربته مراراً . انتهى .

يا سكتو أرسلت لك هذا أي : مُوميَا (قُرُلْ فِرْ) هِبْ بِ تُلِصِ لِكَبْ بُكُنَ أَبُنْ أَبَلَ ، أُرْهِصَ جَغَلْ لِرَصِك لِكَبْ بُكُلَ هِبْ . انتهى .

أمان الزرع

قال القرطبي : والمستحب لكل من زرع شيئاً أن يقرأ بعد الاستعاذة ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ ، ثم يقول : بل الله الزارع والمنبت والمبلغ ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلِّم ، اللهم ارزقنا ثمره وجنبنا ضرره واجعلنا لأنعمك شاكرين[1] . آمين . ويقال : إنَّ هذا القول أمان لذلك الزرع من جميع الآفات والدود والجراد وغير ذلك ، سمعناه من الثِقات وجربناه فوجدناه كذلك . « شيخ زاده » من خط الحاج الأواري ، وهو من خط اليعسوبي ، وهو من خط شيخه الحقي قدس سره وسره وسره .

---

(١) ولآلائك ذاكرين .

(٢) وقد بيَّن العلامة الشرقاوي انطواء العوالم في الإنسان بقوله : ففيه من صفات الملائكة ؛ العقل ، والمعرفة ، والعبَادة ، ومن صفات الشياطين : الإغوَاء والتمرد والطغيان ، ومن صفات الحيْوانات ؛ أنه في حالة الغَضَب يكون أسداً ، وفي حالة غلبة الشهوة يكون خنزيراً ، لا يبالي أين يلقي نفسه ، وفي حالة الحرص على الدنيا والشره يكون كلباً ، وفي حالة الاحتيال والخداع يكون ذئباً ، ومن صفات النبات والأشجار ؛ أنه يكون في أول مَبْدئه غصْناً طريّاً مترعرعاً ، وفي آخره يابساً أسود ، ومن صفات السماء ؛ أنه محل الأسرار والأنوار ، ومجمع الملائكة ، ومن صفات الأرض ؛ أنه محل لنبات الأخلاق والطباع ، ومنه الليّن والخشن ، ومن صفات العرش ؛ أن قلبه محل التجلي ، واللوحِ أنه خزانة العلوم ، والقلمِ أنه ضابط

فوائد تسريح اللحية

وتسريح اللحية في كل يوم مرة بعد صلاة الصبح ويقرأ عند ذلك فاتحة الكتاب و﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ﴾ فذلك يذهب الهم والغم ، ويطيب النفس ، ويشرح القلب ، وفيه تيسير جميع الأمور . كتاب « الرحمة » عبارته من الباب الثالث من خط الحلمي قدس سره وراجع شرح « تائية السلوك » للشرنوبي . (كاتبه الحقير) .

خاتمة

ولما فاحت فوائح مسك الختام بنفحات قرب اختصار هذه المكتوبات إلى التمام ، وذلك سَحَرَ ليلة الأحد ٢٤ من ربيع الأول سنة ١٣٧١ بالحجرة المباركة فتح شيء من الأنس بفضل الله الملك العلام ، ومن جملته هذه الأُرجوزة والجَوزة التي منحنيها المشائخ الكرام ، فالحمد لله الذي علَّم بالقلم ، علَّم الإنسان ما لم يَعلم ، وذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ، والحمد لله الذي لا تُحْصَى نعمه ولا تُحْصَرُ ، وإياه سبحانه أسأل أن لا يبلو هذا الفقير الحقير ، فإنه لا طاقة له بحمل شيء من ذلك ولو قدر نقير ، فيا ربّ سلِّم سلِّم هذا العَبْد الضعيفَ إلى اللِقاء ، واجعل له في هذه الحياة نصِيباً من مقامَي الفناء والبقاء ، إنَّك ذو الفضل العظيم ، والمنّ الجسيم .

وتلك الأُرجوزةُ والجوزة هي هذه المَنَاظِمُ الموجزة التي جرى بها قلمي من غير فكر وكدّ كالجواد ، ولم يكن لي فيها إلا إجراء القلم على القرطاس بالمداد ، والحمد لله الملهم لمن شاء بما شاء حمداً دائماً في جميع لحظات الأزمان والآناء .

ولله دَرّ من قال مفصحاً بالمقال :

تَقَشَّعَ غَيْمُ الهجر عن قمر الحُبّ ... وأشرق نور الصبح عن طَلْعة الحبّ

وهبَّتْ نسيم الوصل في روضة الرجاء ... فصار الهوى يهتزُّ كالغُصن الرطب

لها ، والجنةِ أنه إذا حسنت أخلاقه تنعَّمَ به جَليسه ، والنار أنه إذا قبحت أخلاقه احترقت به جَليسه . منَ « شرح العلامة الشرنوبي على الحكم » . عبارَته ١٠١ .

وها هي تلك الأرجوزة والقصيدة التي هي في الحلاوة كالعصيدة ، « ببسم ربكمو » . . . إلخ .

بـبـاسـم ربِّكمُو   وحَمْدِ حَقكمو[1]   وبـالصّلاة على   هـادي طريقِكمو
بَدْئِي خِطَابَكـمو   راجـين نظرَكمو   وأن تُفيضوا عَلَيْـ   ـنَا فيضَ فضلكمو
أَحِنَّ نحوَ كـمـو   بـحُـبِّ قرْبكمو   لـكنْ يَحُول رُباً   بـيـنـي وبَـينكمو
قلبي بحُبّـكـمـو   في الحُلم[2] بينكمو   لكنَّـنِـي بـقـصُو   رِي فـي بُعَادكمو
جُودُوا بجُودكمو   جِدُّوا بجُندكـموا   وأَجلِبُوا خَيلكم   عـلـى عَـدُوِّكمو
لا لِي رفيقٌ سوى   ربِّـي وربِّـكـمـو   ولا شفيق من الْـ   ـأقـوام غـيـركمو
أَدْعُوا الإلهَ عَسَى   يَرْحَمْ بجاهكمو   ووَجْهُ قلبي وَجِي[3]   ـهٌ نحوَ وَجهكمو
آهٍ عـلـى عُمُـرٍ   مَـضى ببُعْدكمو   كـيـف القرارُهنا   من بَعدِ عِلمكمو
عِلمِي بحِلمكمو   حكمي برُحمكمو[4]   رَبَّيتُموني على   رُحْم برَحْمَكمو[5]
شوقي يزيد مَدَى   عِـلمي بحَالكمُو   عسى أَحُطَّ رحَا   لِي في رحَالكمُو
حُلّوا قيودَ عـلـو   م غـيْـرِ عـلكمو   فُكّو أوثاق قلو   بِ غـيــر قلبكمو
صُبُّوا فُيوضَكُمُو   علّى ريَاضـكـمو   بـمـا يُـرَوِّي أَرَا   ضِـي أَهْلِ ذُلّكمو
سلوا[6] الإله إلى   تكثير قـومـكـمو   قـومُـوا بقوَّتكم   لـقـهـر غـيـركمُو
غِيرُوا[7] بغَيرتكم   عـلـى بُـغَاتكمو   بِبَغْتَةِ الموت إذ   غَـرُّوا بـحِلمكمو

(١) المراد به هو الله سبحانه . (منه) .
(٢) وفي نسخة : الحكم .
(٣) أي : موجِّه (منه) .
(٤) من الرحمة .
(٥) من الأرحام .
(٦) والباعث للفقير على هذه المبالغة التي تضمنها هذان البيتان ؛ مع أن شأن القوم الرحمة للعامة هو كثرة المنكرين عليه في تلك الأيام ، وخاصة من الجهلة الطغام ، وطائفة الوهابية الذين هم كالعوام ، أعاذنا الله من سوء الفهم ، وإطاعة الوهم ، واتِّباع الهوى بغير علم . آمين . (منه عفى الله عنه) .
(٧) واليوم يقول الفقير المسكين داعياً له وللمنكرين بصالح الدعاء ، راجياً من فضل الله سبحانه وتعالى تَنْبيههم على ما بين أيديهم والوراء ، وطالباً من حضرات القيادات السادات العفو عن أسرآء النفس وعبَّاد العادات : غيروا . .إلخ .

اللهَ اللهَ فِـــــي   حالي وحَالكمـو   أعـاذنـا الله من   عَوْدي وعَودكمو
عـبيـدُكم عَجزُهُ   مَـعـلومُ سرّكمو   بـلـطـفكم مَعَه   سِـيـرُوا بسيْركمو
زِيدُوا كما شِئتمو   هل مِن مَزيدكمو   غُـنّـوا له هـكذا   مَعْ نَغْم[1] عُودكمو
إن لم يكنْ شَرفا   ذُلّي لِـعِـزّكـمـو   فَـمَا هُنَالك إلاَّ   كـذْبُ حُـبِّـكـمـو
لَـوْ أَنَّ ألفَ لِسَا   نٍ شَـاكـرٌ لـكمو   فلستُ أُوفِي لكم   بـحـق شـكـركمو
اليوْم إذ قـد بَدَا   نـورٌ لـعِـلْمِكمو   فلستُ أَقْصِدُ يَوْ   مـاً غـيرَ رِبْعِكمو
وإذْ تـــبَــيَّـنَ أَ   نَّ الأُنْسَ أنسكمو   فقلبِيَ اليوم مَمْـ   ـلُوءٌ بـحَمْدكمو[2]
سَكَتُّ أو قُلْتُ شُغْـ   ـلي عأنكُمْ بكمُو   إذ لستُ أَنْسَى إلَـ   ـهي عنْد ذُكركمو
بذكركمْ أَذكرُ الْـ   ـمَوْلى كذِكركمو   يا حَبّذا أهلُ ذكـ   ـرِ اللهِ مِـثـلُـكمُو
رضاه سُبْحـانـه   قصْدي وقصدُكمو   وقـيـدُ قـــرآنـــه   قَـيـدِي وقَيدُكمو
لازِلْـتـمُ مَـعَـنـا   مع فيض فهمكمو   من مُحْسِنِي سَبْحِ بَحْـ   ـرِ الله ربّـكـمـــو

غيرُوا بغَـيْــرتكـمْ   لنصر عَـبْـدكمو   فإنه اليوم ذُو   حاج لنصركمو – أي حاجة (هامش)
واعفوا عن المنكرين   مـــع ســؤالـكمو   العَفْو والصَّفحَ مع   غـفـران ربّـكـمـو
إعـطـاءُ مَن حرموا   وعـفـوُ مـن ظلموا   إحسان مَنْ قد أساء   فـذاك شـأنـكـمـوا
فـعـلَّـهُـمْ يَـنْـتَـهُو   نَ عَـنْ نكُـوركـمـو   كـمـا انتهى كاتبُ   الآثــار عَـبْـدُكـمـو
كـم مـنـكـر لـكمو   بـفـضــل ربّـكـمـو   قـد صارَ نَاصرَكم   وَمـنْ جـنـودكـمـو
بـل مـنـهـمُّوا ولِـرَ   بِّي الحمد حَمْدَكمو   مَـنِ ارْتـقـيِ رُتْـبَةً   لِـرُشـد أهـلـكـمـو
لـذا يـقـول فـقـيـ   ـرُ دَوْم نـظـركـمو   مُـستمطراً منْكمو   لِـرَوْض حـبِّـكـمـو
خديـمـكـم قـائمٌ   بـبـاب عـزِّكَـمُـو   بـذُلّـه فـعـسـى   أَنـجُـو بـجـدِّكـمُـو
بـكـم جـمـيعاً كذا   أرجُـو بـجَـاهكمو   عـنـد الإلـه سيَهـ   ـديـنـي طَـريـقَكمو
سلـوا الإلـهَ ومقـ   ـبولُ سـؤالكـمـو   لي خالصَ الأمن وال   إيـمـان مـثـلـكـمـو
الــلـــه الــلـــه ر   بِّي ارْحَمْ عُبَيْدَكُمُو   فـــإنـــه واقـــف   بـبـاب قـصـركـمـو
ولا تَـكـلْـه إلـــى   نـفـس بـمـنِّـكـمـو   في طرفةِ العين اذا   سـؤلـي بـبـابـكمو
واقسِمْ له الفَضْلَ من   إفـضال جـودكمو   فـتـرتضي عنه حـ   ـتـىَّ وقـت لـقيكمو
مـا لـي رجـاءٌ ولا   مَـنْـجـىً سواءكمو   فـهـا عُـبَـيْـدَكُمُو   خـلّـص بـفضلكمو
خطاب الجمع (عبيدكموا) مِنْ هنا لله تعالى جلَّ شأنه

(١) وفي نسخة : بنغم .
(٢) وفي نسخة : بمدحكمو .

ولا يــزال بــإذْ ن الله بَـعْـدَكـمـو قـومُ تُـقـوِّمُكم يَـرْعَوْن عَهْدكمو
مَا لِي وللنَّاس إذْ هُـمُ بـحُـكـمـو مـحـكَّمُونَ بإذْ ن الله ربّـكـمـو
رضِـيـتُ بالله رَ بّـاً لِي رضَاءَكمُو وأَرْتضِي دِينَ إسـ ـلام كـمـثلكمو
وبالحبيب نَـبـ ـيّاً حَوْضَ شربكمو وبـالـكَـلام إمَا مـاً لِي كما لَكمُو
بـالله تـوفـيـقُـنَا بـفـيْض نظركمو وكـيفما كان ذَا حَـمْـدِي لربِّكمو
حمدِي لك الله لاَ نحْصِي ثناءَكمو[1] وكيف يُحْصِي عُبَيْـ ـدُ حَـقَّ حَـمدِكم
أنت الحَمِيدُ كما أَثْـنـيـتَ نَفْسَكمو حمدي لك الله دَوْ مـاً مَـعْ خُلُودكمو
حمدي كماشِئتمُو بـحَمْد حَمدكمو حمدي لكمْ حَمْدَمَنْ يَـبْـغِـي رضَاءكم
ثـم الصلاة على مـختار رُسْلِكمو مـحمَّدٍ خير مَنْ أُعْـطِي عَطَاءَكمو
لولاه مَا كَانَ كَوْ نُ غـيـر كَوْنكمو عـليْه والآلِ معْ صَحْب صَلاَتكُمُو
كـمـا يـليق بهمْ عـلـيْهمُو منكمُو مـع السلام كما قـد شـئـتُمُ بكمو
ثم الرضا منكمُو عـلـى عَبيد كمُو مَن صَدّقوا رُسْلَكم وأَخـلَـصُوا لكمو
وليس مقصُودُهم إلاَّ رضَـاءَ كـمُـو يارِبِّ فاجْعل نَصِيـ ـبِـي مـنك ذلكمو
إنِّي رَضِيت بكمْ رَبّاً فعَـبْـدَكـمـو عَبداً لكُمْ فَارْضَهُ بـحقِّ وَجْـهـكمو

آمين آمين آمين والحمد لله رب العالمين

الحمد لله ملءَ ما شاء الله واستغفر الله من كل ما كره الله

ومن ذلك هذه الأبيات في المناجاة إلى مجيب الدعوات وقاضي الحاجات

رجَائيَ من قوم همُ مَنـبَـع[2] الطُّـهْـرِ حُـضـور حقير القدْر في ساعة الدهر
عسى يَرْحَم الـرحـمـنُ يوماً بفضلـه بـذكـر فـقـير الحال عند ذَوِي القدر
أغنّي بذكـراهـم وأَرْجُـو قَـبـولَـهـم فـإن قـبـول الـقـوم من أَحْسَنِ المهْر
هـم الـقـوم نُـوَّاب الـرسـول محمـدٍ فـمـن نـال مـنـهـم صحبة فاز بالظفر

(١) المراد بخطاب الجمع المورد للتعظيم والتفخيم من هنا إلى آخره هو الله سبحانه وتعالى (منه) .
(٢) معدن الذكر .

وَمَنْ مَعهم مَاشَى أوِ اختـار خـدمـةً لـهـم وأَحـبّ الـقـومَ ذا غاية الذخر
إلَهِي حَـبِّـبْـنِـي إلَـى أهْـل حُـبِّـكـم فـإن حـبيبَ القوم مَعْهم لدى الحَشرِ
وحَبِّبْهُمُ لـي حُـبَّ صِـدْق وعَـزْمَـة فـأُوتَـى كـتـابـي بـاليمين لدى النشر
بـحـبِّـهـمُ رَبّي أَنِـلْـنِـي بـمَـنِّـكـم إلـى حُـبـكـم حُبّاً سأنجُو من الخُسْر
إلهِيَ وَفِّـقْـنِـي وحَـقِّـق حَـقـيـقـتـي بـتـحـقـيـق مَا يَحْويه آخرُ والعَصْرِ[١]
ولا تَكِـلَـنِّـي قَـدْرَ لـحـظـةِ سـاعـة إلـى الـنـفـس إنَّ الـنـفْسَ تأمُر بالشرِّ
إلهي واختِمْ لِـي بـأَحْـسَـن خَـتـمـة فـحُـسْـنُ خِتَام المَرْء أَنْهَى مُنَى الخيْر
إلهي لك الحمـد الـذي أنـت أهْـلُـه عـلـى نِـعَـم تنمُو وتَسْمُو على الحَصْر
ومـنـك صـلاةٌ مَـعْ سـلام مُـسَرْمَـدٍ عـلى سـيّـدٍ سَـلَّ الأنـامَ إلـى اليُسْر
وآلٍ وأصـحـابٍ وأربـابِ صَـفْـوةٍ سَـيَـقْـفُـونَ آثـارَ الـنـبـيّ إلى الحَشر
فـيـا ربّ فاجْعَلني بـفـضـلـك مِنْهمُ ووفِّـقْ لـمـا تـرضـى إلى آخر العُمْر
أجبْ يا إلـهـي مَـا أُنَـاجِـي بـدَعْـوة فـإنِّـي مُـقـرٌّ بـالـذنـوب وبـالـوِزْر
وَلا لـي مَـنـجًّـى مـنك ولاَ لِيَ مَلْجَأٌ سوى بابك المفتوح دَوْماً مَدى الدهر
فإن قلتَ لِي ارْجعْ أعوذ بـكـمْ مـنْـه وإن قلتَ فادخُلْ فهْو بُشْرًى على الخير
فيا مَن يرى ضُعفي وعَجْـزي وذِلَّـتـي بـوجـهـك أهّـلْـنـي لـمـعْـرفة السرِّ
عـن الـجُـبْـنِ جَنِّبْني وجَنِّبْ جَهَالتي وجَـرِّدْ جَـمِـيـعِـي فـي متابَعَة السَّيْر

آمين آمين آمين والحمد لله رب العالمين
وأستغفر الله العظيم عن كل ذنب هو به عليم

ثم أنشأتُ أخيراً وأنـشـدتُ بشيراً

بشرى فقد أنـجـز الإقـبـالُ مـا وعَدَا وكـوكـب الـعـلـم في أفق العُلاَ صعدَا

(١) من الذين آمنوا . . إلخ . (منه) .

بشرى فقد تمَّ ما قد كنت أقصِدُه ... وقرّب اللهُ ما قد كان مُبْتعِداً
بشرى فهذا مَنَار العلم مستويا ... قد قام فوق أساس القوم معتضداً
بشرى لكم يا عِطاش القوْم مَنهلكم ... عَذْب المياه فلا ظَمَا لكم أبداً
بشرى لكم زادُ دينٍ لا نَفَادَ له ... رِدُوا كُلُوا كيفما شئتم فلا حَرَدَا[1]
بشرى وبشرى لمن ينحُونَ محْوَهُمُ ... حَظّ الرَدى رَائِدِينَ الطَرْفَ نحوَ هُدَى
بشرى لكم هل لكم مِن بَعْد عِلمكمُ ... سُبْلَ الهدى أن تَرُوحُوا نَحْوَ طُرْقِ رَدى
بشرى مرِيدُ[2] كما ترِيدُ وَافَى[3] فإن ... عَمِلتَ تَظْفَرُ بالعَيْشِ الرَغِيدِ غدا
بشراكم كيف لا وقد ظَفِرتم هنا ... على موائد عَيْشاً طيِّباً رَغَدَا
فكل ذا كل ذا آثارُ فيضهم ... فإنهم أبداً لم يقطعُوا مَدَدَا
من فاز من فيضهم نصِيبَه صَعِدَا ... أعلى المَرَاقِي وفي الدارين قد سَعِدَا
طوبى له كأسُ صَفْو الشرب ممتزجاً ... بنَسْمة السِرِّ يُسْقَى دَائماً أبداً
إخلاص سرٍّ سري في روح جسمهم ... به عبادَتَه[4] لم يُشْركوا أحَداً
وكلّنا كلُّ ما بنا بفضلكمُ ... فالحمد دَوْماً لكمْ ربِّي مَدِيدَ مَدَى
يا رب فاقبَلْ بفضلٍ منك مرتضيا ... هذا الذي كنا منّي في سبيل هُدى
واجعل إلهي[5] وربِّي خدمتي لهمُ ... بقصْد مَرْضاتكم اليوْمَ ثم غدَا
واحشرهمُ واحشُرَنْ هذا الفقيرَ لدى ... حشرٍ ونشرٍ معَ المبعُوثِ عيْنَ هُدَى
واجعل لنا من فيوض الكل أنصِبَةً ... كي لا نحيد عن الهدى طريقَ رَدَى

---

(١) أي : لا منع (منه) .
(٢) أي : يا مريد .
(٣) أي : أتى . (منه) .
(٤) أي : بسببه في عبادته . (منه) .
(٥) أي : يا إلهي . (منه) .

يا رب صـــل وســـلّم دائـمـاً أبـداً علـى حـبـيـبـك خَـيْر كلّ مَنْ عَبَدَا
والآل والصَحْب ثم التابـعـيـن لـهـم لا يُـشـركـون بـكم من خلقكم أحداً

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ .
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وفي هذه الأيام نظمتُ أسماءَ سادة السلسلة النقشبندية العلية - قدس الله أسرارهم - ولعله أخصر ما نظم في الباب . والحمد لله رب الأرباب .

نَـبِـي صِـدِّيـقُ سـلمانُ فقاسمْ فـجـعْـفَرْ ثم طيفورُ طَلاَسِمْ[1]
فخَرقانِي ففَارْمَـدْ ثـمَّ هَـمْـدَانْ فغُجْدُ عَـارفٌ مَـحْمُودْ عزيزانْ
سـمـاسـيُّ كُـلاَلـــيُّ بُـخَارِي عـلاءُ الدينِ يَعْقُوبُ الحصَارِي
عُـبـيْـدٌ زَاهـدٌ درويـشْ محمَّدْ فـخـاجَـكْ ثـمَّ بَاقِي ثمَّ أحْمَدْ
فمعصُومٌ فسيفٌ نُورْ مُـحَـمَّـدْ حَـبِـيـبُ الله عـبـدُ الله خـالـدْ
فَإسْمَاعِيلُ شِـرْوَانِـي مُـحَـمَّـدْ فـإِبْـرَاهِـيـمُ يُـونُسُ ثم مَحْمُودْ
فَجِبْرَائِيـلْ فَـعَـبْـدُ ثُـمَّ حَـقـيّ فـيَـعْـسُـوبٌ حُمَيْدٌ أَهْلِ حَقّ[2]

قدس الله تعالى أسرارهم
ورزقنا من فيوضاتهم
وبركاتهم في الدارين
آمين[3] .

(١) أي : هم . (منه) .
(٢) وفي نسخة : فيه محقي .
(٣) إلى هنا تمّت الزيادة التي من نسخة محمد أفندي العكّلجي قدس سره .

مكتوب الأستاذ حسن أفندي قدس سره

إلى الحافظ شعيب الباكني

بسم الله خير الأسماء ، ولله الحمد والثناء ، والصلاتان على محمد وآله الأتقياء .

إلى شيخه ومرشده قطب الأولياء العارف الحافظ شعيب الباكني ، رزقه الله مشاهدة تامة ومكالمة ومناجات . آمين . فتعرُّض الأحوال لمن غاب عن المرشد لائق ؛ وإنْ كان في ذلك ترك الأدب إلى مقامه .

وقد كنت على قصد الزيارة لديكم بعد أيام الفطر الماضية ، بَيْدَ أن النفس الأمارة علَّلت بعِلَلٍ لا تُقْبَلُ قائلةً : إن لم تجد مرشدك في الحضر لعلَّك ترجع عن الطريق خائباً ، فبهذه التخيُّلات انقطعت عن الزيارة ، وحرمت عن رؤية وجهك الكريم الميمون ، وصرت نادماً بعد ذلك ، فلعلَّ الله يقيم النية مقام العمل ؛ لأن التمني معدود من العمل ، كما قال بذلك الشيخ الأكبر قدّس سرّه .

أيها الأستاذ ! فبعد الرجوع من عندك حصل لي بيُمْنِ توجُّهكم بركاتٍ مَعْلُومات ، ورَجَوْتُ حصولَ الترقي مع دفع التنزُّل والانحطاط ، وكنت على قصد الاجتهاد في شهر رمضان بقدر الطّاقة ، لكنَّ الثقل الحاصل من كثرة تردُّد الناس فاتَتْ منِّي تلك الأيّام الفاضلة بالتعطيل ، وصِرْتُ في الفتور مُعْترفاً بالقصور ، ففي حالة فراغي والحال أنها نادرة كنت أقف مُتوجِّهاً إلى شُغْلي بالمراقبة الخفيَّة ، فيحصل لي بذلك الحرارة الشديدة بحيث لا أطيق أن أحملها ، وكان الخيال يتصاعد إلى جهة الفوق ، يَتعالى إلى مَا فوق السموات . . وإلخ . وكنت حينئذ أسبِّح الله تعالى بلا اختيار بالقلب لا باللّسان بأمثال هذه البعارات : سبحان من ليس كمثله شيء وهو السميع العليم ، وسبحان مَنْ ليس شبيهٌ ولا نظير ، أو سبحان من ليس بجسم ولا جوهر ، أو سبحان من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وأمثالها ، ولا أدري سوى هذا .

فهذا حاصل أحوالي في هذا الوقت ، فتوجُّهك المعنوي هو المطلوب بعد الآن ، وملاحظتك هذا الفقير الحقير ممّا لا يساويه الدنيا والآخرة ، والمرجوُّ من جهتكم المباركة أن لا تقطعوا عنَّا الالتفات ؛ وإن كنَّا مقصِّرين في الخدمة ، وإظهار أحوالاتكم صحةً وسلامة ؛ ولو بيد الأخ المعنوي الحاج إبراهيم القشري من أهمِّ المهمات بهذا والسلم . ،والتوصية بالدعاء بالاستقامة والتوفيق .

ثم إن أخانا الحاج حبيب الله قد قصد إلى جهتكم ، وأَغْبِطُ به ؛ لما أنّه يُرِيكُمْ ، فطوبى لعين رآكم ، ثم طوبى لنفس حصل لها الصحبة معكم ، فلعلكم تلاحظونه وتنظرونه لأجل المودَّة الكائنة بينكم وبين مربِّينا الحاج عبد الرحمن قدس سره .

فيا إبراهيم حَجِيَوْ لو تفضَّلتم علينا بإظهار أحوالكم فأنت تسلّم المكتوب إلى يد الحاج هَدِخَجَ الأشترخاني أو إلى يد الحاج محمَّد القحي ، فإنهما يرسلانه لدينا إن شاء الله . فافهم ، وعليك منّي السلام والتحية والإكرام ، وأوصيك بالدعاء أيها الأخ المحبوب المقبول .

مكتوب الأستاذ حسن أفندي قدس سره

إلى العالم الفاضل محمّد الحركلي رحمه الله

من الفقير حسن القحي إلى أخيه المحبوب محمد الحركلي : سلام كثير عليكم ،

أما بعد : فقد وصل لديَّ مكتوبك الشريف ، وصار ذلك موجباً للفرح والسرور ، جزاك الله عنِّي خيراً ، آمين .

ثم إنه قد سألتَ أنه قد اشتهر بين العلماء ، حتى من سيف الله ؛ أنه لا يصحّ السلوك في الطريقة إلا بعد إتمام الشريعة . . إلخ .

فاعلم أيها الأخ إن كان مرادهم من تمام الشريعة عدم الوقوع في المنهيات والمخالفات أصلاً ، فذا لا يصح لغير الأنبياء أبداً ؛ لأنَّ العصمة من خصائص النبوَّة ، كما هو معلوم لديك ،

وإن كان مرادهم من تمامها إتيانُ الأوامر الشرعيّة ؛ من السنن والمندوبات ، ومن لم يكمِّل المسنونات لا يصح له أن يدخل في الطريقة ، فذلك قوْلٌ بالرأي لا دليل له أصلاً ، وحاشا أن يقول هذا الكلامَ سيفُ الله ، وعندي من مكاتبه ما يخالف ذلك .

فقد قال قدّس سرّه في بعض مكاتبه : إني أرى هذا القائل[١] يأمر بإتيان السنن وينهى عن فعل الفرض والواجب . انتهى . يعني : أن أخذ الطريقة واجب ، بل هو فرض عين على كلِّ من لم يرزق له قلب سليم ، كما هو مذكور في كتب الشعراني . وفي « ابن حجر » و« فتاواه » ما يصرِّح هذا الكلام .

وقال قدّس سرّه أيضاً في ذلك المكتوب بعيد هذا : إن تلقين الذكر على منهاج النقشبنديين برعاية آدابهم خيرٌ من ألفِ ألفِ سنة ابتدعوها وقالوها الخالية عن مؤسِّسٍ ، واصل ؛ لما أنهم يلتجؤن إلى السنن بترك الواجبات . انتهى من خطِّه ؛ يعني : أن الذكر شفاء القلوب ، كما في الحديث ، وأخذه من الكامل المكمل واجب على كلِّ مَن له مرض قلبيٌّ ، والله أعلم .

وفي « الخالدية » ما حاصله : أن الوليَّ لو اقتصر على الفرائض مع ترك المناهي لا ينافي ولايته أيضاً ؛ لما روي في حديث نعمان بن نوفل حيث سأل رسول الله ﷺ : أنه لو اجتنب المنهيات واقتصر على الفرائض هل يدخل الجنة ؟ ، فقال عليه السلام : « نعم » . برواية مسلم . انتهى . راجعه .

وقد قال الرملي في « شرح الزبد » في بيت :

فاعمل ولو بالعشر كالزكاة تخرج بنور العلم من ظلمات

أفاد به أنه ليس على الشخص أن يعمل بما تعلَّمه من مسنونات الشريعة ، فإن لم يعمل بجميعها فليعمل ولو بالعشر منه تخفيفاً عليه ، كما اكتفى الشارع في زكاة النبات . انتهى .

(١) أي : الرجل الذي يقول : إنَّ من لا يفعل السنن لا يجوز له أن يدخل في الطريقة . فافهم . (هامش الأصل) .

وفي « رسالة القشيري » : وليس من آداب المريدين[١] كثرة الأوراد بالظاهر ، فإن القوم[٢] في مكابدة إخلاء خواطرهم ، ومعالجة أخلاقهم ، ونفي الغفلة عن قلوبهم ، لا في تكثير أعمال البر . الذي لا بد لهم منه إقامة الفرائض والسنن الراتبة ، فأما[٣] الزيادات من الصلوات النافلة فاستدامة الذكر بالقلب أتم لهم . انتهى عبارته ٣١٦ .

فلو قال المدعون : نحن نرى من بعض المريدين الإسراف على أنفسهم ببعض الذنوب ، وصدور بعض الذنوب يناقض الخشوع ، ولا يجوز للمذنب أن يدخل في الطريق .

فنقول لهم : إن الذنب لا يخرج الرجل من الإيمان ؛ وإن كان كبيراً .

الذنوب لا يخرج المؤمن عن الإيمان

فقد نقل : أن الإمام الأعظم كان يوما جالساً مع جمع من العلماء ، فجاء شخص فقال : ما تقولون[٤] في حق مؤمن فاسقٍ قتل أباه ، وقطع رأسه ، وشرب الخمر في كأس رأسه ، ثم زنى بأمِّه ، هل هو مؤمن أو كافر ؟ فتكلم كل واحد من العلماء في حقِّه بما ليس بصواب ووقعوا في غلط ، فقال الإمام الأعظم في ذلك الأثناء : إنه مؤمن لم يخرج بارتكاب هذه الكبائر من الإيمان ، فثقل قول الإمام على العلماء ، فأطالوا لسان الطعن فيه والتشنيع عليه ، ولكن لما كان قول الإمام حقاً قبله كلُّهم أخيراً . ذكره الإمام الرباني في بعض مكاتبه .

ومن المعلوم أنَّ آية ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ . . إلخ تدلُّ على أنَّ كلَّ مؤمن ؛ طائعاً أو عاصياً مأمور بكثرة الذكر ، **وليت شعري** هل يمنع الشرع من دُخول المذنب في أوراد الطريقة ؟ ! لا والله ، بل إنما وضع الإرشاد لأجل المعوج الضالِّ .

(١) وفي النسخة : المريد .
(٢) وفي النسخة : العوام .
(٣) وفي النسخة : فإن .
(٤) وفي النسخة : ما تقول .

وقد قال الشيخ الكامل في « الحديقة الندية » : إن الإسراف السابق لا ينافي الجذب اللاحق ، لأنَّ كثيراً من الأولياء الأكابر جذبتهم الواردات الإلهية وهم في الإسراف والمعصية ، وأما الإسراف اللاحق إذا لم يغلب على الخير ، بل كان الأمر بالعكس ، فلا يحكم على هلاك صاحبه جزماً . انتهى عبارته .

بشارة عظيمة . .

وفيه أيضاً : وربما طعن بعضهم في الفقراء ؛ يعني : المريدين ، بأنهم مسرفون على أنفسهم ، فتراهم يطلبون فقراء ، يعني : مريدين في طريق الله معصومين من الزلل والمعصية ، وهذا لا يكون أبداً ، بل من غلب خيره على شرِّه فهو الكامل ، بل في الحديث الشريف النبوي ما هو أبلغ من هذا ، وهو الاكتفاء بالعشر من الخير ، فضلاً عن غلبته على الشر أو كَوْنه نصفاً أو ربعاً ؛ قال ﷺ : « إنكم في زمان من ترك منكم عشر ما أُمِرَ به هلك ، وسيأتي زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا » ، رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وذكره السيوطي في « الجامع الصغير » . وقد حكم ﷺ بالنجاة لمن عمل العُشْر ، وهي بشارة عظيمة لكل من سلم من الكفر والشرك إلى آخر الزمان ، وقلَّ من يسلم من ذلك في زماننا هذا . انتهى . فراجعه في ١٠٥ من هامش « أصفى الموارد » .

وإن كان مرادهم من تمام الشريعة الزهد في الدنيا بالكلية ، فمن لم يزهد الدنيا لا يجوز له الدخول في الطريقة . فيردُّه ما قاله الغوث الأعظم أحمد ضياء الدين في « متمماته » ؛ من أنَّ تلقين الذكر - لبعض أهل المناصب والأشراف والمكاسب والصنائع والملاَّح والتجار والراعي والقروي على طريق التبرُّك وطرد الغفلة عن القلب القاسي ، وتكفير الذنوب ، وتخليص البلايا ، والنجاة من أنواع المكاره والسوء والنقمة حتى يتصقل فيخشع وينيب إلى دار الخلود ويتجافى عن دار الغرور ، فيترقى بالتدريج إلى التوبة فما فوقها ، ويسارق الشيخ نفسه الأمَّارة الآبية بالتدريب والتوطين ؛ لئلا تنفر وتملَّ وتيأس من الإصلاح وتقطع الرجاء فتصرَّ على المعاصي - أمْرٌ حسَنٌ ، وهو من سياسات الإرشاد . انتهى عبارته . فراجعه في ١٨٤ ففيه البسط الزائد .

وقد قال الإمام الرباني قدّس سرّه : إنَّ تعليم الطريقة بعد الاستخارة والتوجهات أيّاً مَنْ كان مناسب ، بل لازمٌ ، كذا في « الدرر » في ١٤٧ من الجزء الثالث .

وقال أيضاً : ينبغي إذا طلبوا تعليمهم الطريق بعد الاستخارة من أرواح السادات الأعيان ، وحصول الاطمئنان ، فإن استقاموا فازوا ، وإلاّ فالضرر راجع إليهم ، لا إليكم . كذا في « البهجة السنية » في ٣٨ ، فراجعه .

وقال الشعراني في « المنن » : وقد قال العارفون رضي الله عنهم : من أراد الآخرة فعليه بالزهد في الدنيا ، ومن أراد الله فعليه بالزهد في نعيم الآخرة ، فيترك الدنيا للآخرة والآخرة لربِّه عز وجل ، ويشتغل بالله وحده خالصاً مخلصاً لا يطلب على عبادته وخدمته عوضاً في الدارين . وسيأتي في هذه « المنن » أن هذه النعمة ؛ يعني : عدم طلب شيء من مناصب الدنيا . . .وإلخ ، لا يعطاها العبد إلا بعد دخوله طريق القوم ، فليس لغير من دخلها قدم في ذوقها ، إنما هو يطلب العوض على عبادته في الدنيا أو الآخرة ، ولذلك كان اسمه عند القوم ؛ عبد الدنيا أو عبد الآخرة ، لا عبد الله جل وعلا . انتهى . فراجعه في ٨٥ من الجزء الأول .

وقال الشعراني أيضاً في « تنبيه المغترين » : إنما أكثر القوم من ذكر الله تعالى ليبعد عنهم الدنيا ، فإنهم إذا ذكروا الله بعدت ، وإذا تفرقوا أخذت بأعناقهم . انتهى عبارته . فراجعه في ٥٢ .

وقال في « لواقح الأنوار » : يجب عليك أن تتخذ لك شيخاً يسلك بك الطريق حتى يخرجك من محبة الدينا . انتهى . فراجعه في ٢٥٣ من هامش « المنن » من الجلد الأول .

وأما قول الإمام القشيري رضي الله عنه في « رسالته » : وما لم يتجرّد المريد عن كل علاقة لا يجوز لشيخه أن يلقنه شيئاً من الأذكار . انتهى . فمعناه على ما حمله بعض العارفين هكذا : وما لم يتجرَّد قصد المريد من دخول الطريقة وطلب

تلقين الذكر عن كل علاقة ؛ كطلب الدنيا ومتاعها ، وإرادة الصيت والجاه ، وحبِّ الرياسة والمكانة في قلوب الناس وحصول الشهرة . . .وإلخ وإلخ ، لا يجوز لشيخه أن . . إلخ . وقال ذلك العارف المذكور : إنَّ حمل كلام القشيري إلى هذا المحمل[1] صادق حسن ، وإلا ، فإن كان المريد متجرداً بالكلية يصير في مقام البقاء بعد الفناء ، وهو مقام الكمل ، فما الحاجة حينئذ إلى التلقين وإلى المرشد ؟ ! وقد قال الإمام القشيري في موضع : لا بدَّ للمريد من مرشد ليخرجه من الأوصاف الردية إلى الأخلاق . . إلخ . وأمثاله كثيرة منه ، فإن كان المراد مثل ما فهم من ظاهره فكيف يخرجه وهو خارج بنفسه ؟ ! . انتهى ما قاله العارف المذكور في بعض رسائله .

وفي « طبقات » الشعراني : إن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه صاحب سرِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : ليس خيركم الذين يتركون الدنيا للآخرة ، ولكن خيركم الذين يتناولون من كل منهما . انتهى . راجعه في ٢٢ من الجلد الأول .

وفيه أيضاً في ٢٦ : إنَّ سعيد بن المسيب رضي الله عنه كان يقول : لا خير فيمن لا يجمع الدنيا يصون بها دينه وجسمه ويصل بها رحمه . انتهى عبارته .

وفي الحديث المروي عن ابن عساكر : « ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة والآخرة للدنيا ، ولكن خيركم من أخذ من هذه لهذه » . وفيه رواية أخرى رواه الديلمي ، وأخرجه الخطيب في « تاريخه » والديلمي من وجه آخر ، وأبو نعيم في « الحلية » . فراجع « الفتاوى الحديثية » لابن حجر في ١٢٥ .

---

(١) مع أنَّ أصول النقشبندية تخالف أصول غيرها ، فإن مبناها على سير القلوب ، ومبنى غيرها على سير الأبدان الذي هو مربوط على المجاهدة والرياضة ، وقطع العلائق النفسانية ، كما يأتي في هذه الرسالة . فافهم . ويجوز أن يكون طريقة الإمام القشيري مبنية على سير الأبدان ، والله أعلم . (منه) . (هامش الأصل) .

الجهاد القولي أفضل

فلو لقيت أيها الأخ المخدوم واحداً يقول : إن الدخول في الطريقة لا يجوز إلا بعد تمام الشريعة ، فقل له : ما تمام الشريعة ؟ فلا بد له من أن يقول : فعل السنن بالتمام ، أو ترك المناهي ، أو الزهد في الدنيا ، فجادل بما ذكرته في هذه الرسالة ، فلعله يسكت ولا يتكلم ويتنبَّه من رقدته ولا يزعم ، فالمجادلة مع هؤلاء عين الجهاد .

فقد قال الإمام الرباني قدس سره في « المكتوبات » : إن الجهاد القولي أفضل من جهاد القتل . فراجعه في ٧٧ من الجزء الأول . وقال القاضي البيضاوي في تفسير قوله تعالى ﴿وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ : إن مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف . فراجعه من سورة الفرقان . منه سامحه الله من فرطاته آمين .

قول عجيب

وكتب واحدٌ من أهل الإنكار : أن الطريقة تكليف أهل الراضية ، وهي المقام الخامس ، ومن لم يصل إلى ذلك المقام لا يجوز له الدخول في الطريقة ، ونقله عن الشيخ العبودي . وذلك قول عجيب ، يعلم منه عدم كون هؤلآء من أهل الذوق والوجدان أيّاً من كان القائل ، وأيّاً ما كان المقول ، وقد يردُّه ما قاله الإمام الربانيُّ قدس سره في « رسالة المبدأ والمعاد » من أن الوصول إلى النفس الراضية لا يكون إلاَّ بتجلِّي الذات ، وحصول مقامات التجليات بالتفصيل والترتيب مخصوص بالسالك المجذوب . انتهى عبارته . يعني : السالك في الطريقة الذي حصل له الجذبة بعد السلوك . ومن المعلوم أن تجلِّي الذات الذي نِيطَ به الوصول إلى الراضية هو المقام الذي ينتهي إليه مقامات أهل الطريق وأرباب السلوك ، وأن جميع منازل الطريقة وسيلة إليه ، ولا أدري معنى طلب الوسيلة لمن بلغ إلى المقصود ! ! فافهمه ولا تكن كهؤلاء المغرورين ، بل كن من الشاكرين ،[1] واحضر الله في القلب ، ولا تكن من الغافلين ، ولا تنكر الحق وأهله لئلا تهلك مع الهالكين .

(١) وفي نسخة : السالكين .

لعن الله من أنكر هذا الطريق

وقد قال أبو عثمان المغربي رضي الله عنه : لعن الله من أنكر هذا الطريق ، ومن كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فليقل : لَعَنه الله . كذا في « تقريب الأصول » في ٨١ .

وفيه أيضاً : من اعترض هذا الطريق لا يفلح أبداً . انتهى عبارته . ومما ينبغي أن يعلم أنَّ الإرشاد إنما وضع لأجل المعوج لا للمهتدي[١] ، وأن السلوك إنما يحتاج إليه من له مرض قلبيٌّ ، وأنَّ جميع ما يلقنه المشائخ من الأذكار إنما هو لتكميل الشريعة وحصول ازدياد الإيمان ؛ فقد قال الإمام الرباني : إن المقصود من سلوك طريق الصوفية حصول ازدياد اليقين بحقيَّة المعتقدات الشرعية الذي هو حقيقة الإيمان وحصول اليسر في أداء الأحكام الشرعية ، لا أمرٌ آخر وراء ذلك . كذا في « الدرر المكنونات » في ١٩٠ فراجعه .

وفيه في ١٠٢ : وكما أنَّ المقصود من خلق الإنسان أداء العبادة المأمور بها ، كذلك المقصود من أداء العبادة تحصيل اليقين الذي هو حقيقة الإيمان ، ويمكن أن يكون في قوله تعالى ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ رمز إلى هذا المعنى ، فإنَّ كلمة حتى كما أنها للغاية تكون للعلّة أيضاً ؛ أي : لأجل أن يأتيك ، وكان الإيمان المتقدم على أداء العبادة صورة الإيمان لا حقيقته التي عبّر عنها باليقين : قال الله عزَّ شأنه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ ﴾ ؛ أي : الذين آمنوا صورة آمنوا حقيقة بأداء وظائف العبادة المأمور بها . انتهى عبارته .

فتفكر أيها الأخ المحبوب في أنَّ الذكر الذي يلقنه المشائخ أهو من العبادة المأمور بها أم لا ؟ ! وهل هو من المأمورات الشرعية أم لا ؟ ! وهل في الطريقة شيء مَّا يمنعه الشرع أم لا ؟ ! ولاَحِظْ ما قاله الإمام الرباني آنفاً مع أقوال المعترضين تجدهم غرقى في بحر العماية والجهالة[٢] ، رزقهم الله تعالى الإنصاف ، وهداهم إلى اتِّباع الحق بترك الاعتساف ، آمين .

---

(١) وقد قال سيف الله : ولا معنى للإرشاد لمن كان في الرشاد . انتهى من خطه قدس سره . (هامش الأصل) .

(٢) وفي نسخة : عمايتهم وجهالتهم .

وقال الإمام الرباني قدس سره : ينبغي أن يعلم كما أن مرض الظاهر موجب للعسرة والتعب في أداء الأحكام الشرعية كذلك مرض الباطن أيضاً مستلذم لذلك ؛ قال الله تعالى ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ ، وقال سبحانه وتعالى ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ والمستلزم لذلك العسر في الظاهر ضعف القوى والجوارح ، وفي الباطن ضعف اليقين ونقص الإيمان ، وإلاَّ فليس في التكاليف الشرعية عسر أصلاً ، بل فيها كلها تخفيف وتمام اليسر والسهولة ، وقوله تعالى ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ ، وقوله تعالى ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ شاهدان عدلان لهذا المعنى شعر :

ما ضر شمس الضحى في الأفق طالعة   أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

فكان فكر إزالة هذا المرض لازماً ، والالتجاء إلى الأطباء الحذاق فرضاً ، وما على الرسول إلا البلاغ . انتهى . كذا في « الدرر » في ١٩١ من الجزء الأول .

وفيه في مكتوب آخر في ١١٠ من الجزء الأول : قد تقرر عند الحكماء أن المريض ما دام مريضاً لا ينفعه غذاء أصلاً ؛ ولو كان من أعز الأكل وأحسنه ، بل هو مقوٍّ لمرضه . عبارته :

أَلاَ كلّ ما نال   العليل عليل

فيشتغلون أولاً في فكر إزالة مرضه ، ثم يجتهدون في تحصيل القوة بأغذية مناسبة لمزاجه وحاله بالتدريج ، فكذلك الإنسان ما دام مُبْتَلاًّ بمرض القلب كما قال تعالى ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ لا تنفعه عبادة وطاعة أصلاً ، بل هي مضرَّة له ، « ربَّ تال للقرآن والقرآن يلعنه » حديث معروف ، و« ربَّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والظمآء » خبر صحيح .

فأطباء القلوب يأمرون أولاً بإزالة المرض ، وذلك المرض عبارة عن تعلق القلب بغير الحق سبحانه ، وتعالى بل هو تعلّق القلب بنفسه ، فإنَّ الإنسان كلَّما يحبُّه ويطلبه إنما يحبه ويطلبه لنفسه ، فإنَّ أحبَّ أولاده يحبهم لنفسه ، وكذلك الأموال والرياسة والجاه ، فمعبوده في الحقيقة هو نفسه ، فما دام الإنسان لم يتخلَّص من هذا التعلق والارتباط لا وجه لرجاء النجاة ، ففكر إزالة هذا المرض لازمٌ للعلماء أولي الألباب ، والحكماء ذوي الأبصار . :

ويكفي من له فهم إشارة

انتهى عبارته .

وفيه أيضاً في ١١٤ : اعلم أن أهل الله أطباء الأمراض القلبية ، وإزالة العلل الباطنية منوطة بتوجُّه هؤلاء الأكابر ، كلامهم دواء ، ونظرهم شفاء ، هم « قوم لا يشقى بهم جليسهم » ، وهم جلساء الله ، بهم يمطرون ، وبهم يُرزقون ، ورأس الأمراض القلبية ورئيس العلل الباطنية هو تعلّق القلب وارتباطه بما دون الحق سبحانه وتعالى ، وما لم يتيسَّر التخلص من هذا التعلق بالتمام فالسلامة محال . انتهى عبارته .

ولا شكَّ أن الدواء الذي يستعمله المشائخ لشفاء العلل المعنوية هو الذكر الكثير ؛ وقد قال الشعراني في « الجواهر » : **وسُئِلْتُ** عن الدواء الذي إذا استعمله العبد زال عنه الرياء والإعجاب بنفسه ، **فقلت** : الإكثار من ذكر الله . . إلخ ، فراجعه .

حكم الذكر كالحصى

وقال فيه : وقد أخطأ ذلك طائفة من العباد الذين اشتغلوا نفوسهم بتلاوة القرآن والصلاة والصوم ، وماتوا على ريائهم ورؤية أعمالهم ، ولم يخلصوا في شيء منها ، كما يشهد لذلك حديث العابد الذي يقول له الحق تعالى : « ادخل جنتي برحمتي ! » فيقول : يا ربِّ بل بعملي . وذلك لعدم فهمهم أن القرآن يتوقَّف على جلاء القلب ، فحكم الذكر كالحصى للنحاس المصدي ، وحكم غيره كالصابون . انتهى . وهكذا في « المتممات » مع زيادة بسط .

فالسالك إذا أكثر الذكر ودام عليه يوقد في قلبه مصباحاً ملكوتياً ، فيرى قبائح أعماله بعين قلبه بعد ما كان في غفلة لا يعرف القبيح من الحسن إلاّ باللسان ، فيتشمَّر حينئذ ويسعى على الخلاص مما فيه من القبائح الظاهرة ؛ كشرب الخمر والزنا ولبس الحرير وغير ذلك ، وعلى إخراج ما فيه من القبائح

الباطنة ، وكلما زاد من الذكر وداوم عليه زادت كراهته الأفعال القبيحة ، وزاد سعيه في الخلاص منها ، والمصباح المذكور هو أوَّل الجذب ، وكلما داوم السالك على الذكر قوي الجذب حتى يصل إلى أعلى درجات الكمال ، فيقوى على حمل الأمانة وعلى المتجليات[1] . كذا في « السير والسلوك » فراجعه ، ففيه أزيد من هذا .

ذكر القلبي سيف المريدين

وفيه أيضاً ما حاصله : أنه لا بد للسالك من سلاح ، وهو الأسماء[2] ليهرب عدوَّيه ، وهما الشيطان والنفس . انتهى عبارته . وفي « نشر المحاسن » : ذكر الله بالقلب سيف المريدين ، به يقاتلون أعداءهم ، وبه يدفعون الآفات التي تقصدهم ، وقيل : إذا تمكن الذكر من القلب ؛ فإن دنا منه الشيطان صرع ، كما يصرع الإنسان إذا دنى منه الشيطان ، فتجتمع عليه الشياطين فيقولون : ما لهذا ؟ فيقال : قد مسَّه الإنسان . انتهى عبارته .

قال الغزالي : مهما غلب على القلب ذكر الدنيا ومقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالاً فوسوس ، ومهما انصرف القلب إلى ذكر الله ارتحل الشيطان وضاق مجاله .

وقال الحكيم : قد أعطي الشيطان وجنده السبيل إلى فتنة الآدمي وتزيين ما في الأرض له طمعاً في غوايته[3] ، فهو يزعجه عن مقره ، ولا يعتصم بشيء أوثق من الذكر ؛ لأنه إذا هاج الذكر من القلب هاجت الأنوار ، فاشتعل الصدر بنار الأنوار وهيَّج العدوُّ نار الشهوات ، وإذا رأى العدوُّ هيجان الذكر من القلب ولَّى هارباً ، وخمدت نار الشهوات ، وامتلأه نوراً فبطل كيده . كذا في « البريقة » في ٥٦ .

---

(١) وفي نسخة : وعلى التجليات .
(٢) أي : أسماء الله تعالى . (هامش الأصل) .
(٣) وفي نسخة : في غرابته .

وفي « العوارف » : وللذكر نور يتّقيه الشيطان كاتّقاء أحدنا النار . انتهى عبارته . فراجعه من هامش « الإحياء » في ١٠٤ من الجلد الرابع .

وفي « منية الفقير المتجرد » : إن الذكر يهذب أخلاق الذاكر وطبائعه المذمومة ويؤدب بآداب السادات . فراجعه في ٣٩ .

فالحاصل : إن المريد إذا أكثر ذكر الله بالقلب ينفي عنه حديث النفس بالتدريج ، ويرى الإصغاء إليه ذنباً من الذنوب فيتَّقيه ، ويتقد القلب عند هذا الاتقاء بالذكر اتقاء الكواكب في كبد السماء ، ويصير القلب محفوظاً بزينة كواكب الذكر ، فإذا صار كذلك بَعُدَ الشيطان ويُنْدَر في حقِّ هذا العبد الخواطر الشيطانية ولمَّاته ، والله أعلم . وراجع « العوارف المعارف » .

وأما قطع حديث النفس والخواطر الشيطانية المشغِلة عن خطاب الحقِّ جلّ وعلا بغير سلوك في الطريقة على يد شيخ ناصح فممَّا لا يصحّ أبداً ، كما هو مذكور في « لواقح الأنوار » للشعراني فراجعه في ٥١ من هامش « المنن الكبرى » من الجلد الأول .

الذكر عبارة عن طرد الغفلة

وقال الإمام الرباني في « مكتوباته » ما حاصله : إن الذكر عبارة عن طرد الغفلة بأيِّ وجه تيسَّر ، لا أن الذكر مقصور على تكرار كلمة النفي والإثبات أو على تكرار اسم الذات ، فكلُّما هو من امتثال الأمر والانتهاء عن النواهي كله داخل في الذكر ، ولكن الذكر الذي يقع باسم المذكور وصفته سريع التأثير ، ومورث لمحبة المذكور ، وقريب الإيصال ، ووسيلة للذكر الذي يحصل بمراعات الحدود الشرعية ، فإنَّ مراعات الأحكام الشرعية في جميع الأمور غير ميسَّرة بدون محبة تامة لناصب الشرع ، وهذه المحبة التامة مربوطة بذكر اسمه وصفته تعالى ، فلا بد أولاً من ذلك الذكر حتى يحصل بسببه هذا الذكر الذي هو امتثال الأوامر والانتهاء عن النواهي . انتهى كذا في « الدرر » في ٨٠ من الجلد الأول .

وفيه أيضاً في ٣٨ من الجلد الثالث : ولا بدَّ لمبتدئ طلبة هذا الطريق من الذكر ، فإنَّ ترقِّيه مربوط بتكرار الذكر ؛ بشرط أن يأخذه من الشيخ الكامل المكمل . انتهى عبارته . وفيه في ٢٦ من الجلد الثالث : أن المقصود الأصلي من الذكر زوال التعلق بما دون الحق سبحانه الذي المرض القلبي عبارة عنه ، وما لم يحصل هذا الزوال لا يكون نصيب من حقيقة الإيمان ، ولا يتيسر اليسر والسهولة في أداء الأحكام الشرعية . انتهى عبارته .

وفيه أيضاً في ٢٩٧ من الجلد الأول ما حاصله : أن الذكر القلبي مؤيِّد لإتيان الأحكام الشرعية ، ودافع لعناد النفس الأمارة ، فينبغي إجراء هذا الطريق . انتهى عبارته . وفي « تنوير الصدر » : أن من حارب النفس باسم الذات ؛ أعني (الله) نجا منها ، فتتصف بالملهمة . فراجعه في ١١٠ من هامش « مجموعة الأحزاب » .

السير لا يتم إلا بصحبة شيخ

وفيه أيضاً في ١٨٥ : إن السير في الشريعة ، على الاستقامة والإخلاص لا يتمُّ إلا بصحبة شيخ . انتهى عبارته .

وقال الإمام الرباني : إن الطريقة والحقيقة خادمان للشريعة ، وتحصيلهما لتكميل الشريعة . وقال أيضاً : لا تحصل حقيقة الإيمان إلا بعد تزكية النفس والاطمئنان . كذا في « البهجة » في ٧٧ فراجعه .

وفي « مسيرة الحكم » : أن تزكية النفس لا تحصل إلا بعد تصفية اللطائف بالأذكار المأخوذة من الشيخ . انتهى . ومثله في « المكتوبات » للإمام الرباني فراجعه من الجزء الأول .

فقد تبيَّن لك أيها الأخ المخدوم محمد الحريكليّ - هداك الله تعالى إلى إتباع الطريق الصديقيِّ أمين - خرافة قول من يقول : لا يجوز تعليم الطريقة إلا بعد تمام الشريعة ، فإن تعليم الطريقة إنما هو لتكميل الشريعة ، بل لتحصيل حقيقة الإيمان ، كما هو المأخود من الكلام السابق واللاحق .

وقد قال الشعراني قدّس سرّه في « اليواقيت » نقلاً عن سيدي إبراهيم الدسوقي : لو أنَّ الفقيهَ أتى العبادات والمأمورات الشرعية بغير علة كما أمره الله تعالى لاستغنى عن الشيخ ، ولكنه أتى العبادات والمأمورات الشرعية بعلل وأمراض ، فلذلك احتاج إلى طبيب يداويه حتى يحصل له الشفاء . انتهى فراجعه في ١٠٤ .

وقال في « لوقح الأنوار » : واعلم أنَّ كل من رزقه الله السلامة من الأمراض الباطنة كالسلف الصالح والأئمة المجتهدين ، فلا يحتاج إلى شيخ . انتهى عبارته ١١ .

فهذه المنقولات تصرِّح أنَّ أخذ الطريقة إنما يحتاج إليه من له خلل ونقصان في الأمور الشرعية ، وأنَّ من كانت أوامر الشرع متمَّمة عنده فلا يحتاج إلى شيخ ، ولا إلى أخذ الطريقة منه ، فهذا هو الحق المبين ، وما يخالف ذلك فليس في شيء من الشرع المتين ،

اللهم وإن وقع في عبارات بعض العلماء : أن الشريعة قشر الحقيقة ، والحقيقة لبُّ الشريعة . لكن الإمام الرباني اعترض على قائله لإيهامه المخالفة بينهما ، وقال : وهذا الكلام وإن كان منبئاً عن عدم استقامة قائله ، ولكن يمكن أن يكون المراد به أن المجمل حكمه بالنسبة إلى المفصَّل كحكم القشر بالنسبة إلى اللبِّ ، والاستدلال في جنب الكشف كالقشر في جنب اللب . وأما الأكابر المستقيموا الأحوال فلا يُجوِّزون التكلّم بأمثال هذه العبارات الموهمةَ للمخالفة ، ولا يثبتون الفرق بينهما غير الإجمال والتفصيل ، والاستدلال والكشف . كذا في « الدرر المكنونات » في ١٦ من الجلد الأول .

وفيه في ١٨٢ : إن طريق القوم خادم للعلوم الشرعية ، لا أنه أمر مباين لها . انتهى عبارته .

وفيه أيضاً في ٢٤٩ من الجلد الأول : إن حصول الطريقة مقدم على حصول حقيقة الشريعة . انتهى عبارته .

من لم يتخذ له شيخا فهو عاص لله ولرسوله

وقال الشعراني في « لواقح الأنوار القدسية » : وقد أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذ الإنسان له شيخاً يرشده إلى زوال تلك الصفات التي تمنعه من حضرة الله تعالى بقلبه لتصح صلاته من باب : ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . ولا شكَّ أنَّ علاج أمراض الباطن كله واجبٌ ، كما تشهده الآيات والأحاديث الواردة في تحريمها والوعيد العقاب عليها ، فعلم أنَّ كل من لم يتخذ له شيخاً يرشده إلى الخروج عن هذه الصفات فهو عاص لله ولرسوله ، لأنه لا يهتدي لطريق العلاج ، ولو تكلَّف لا ينفع بغير شيخ ولو حفظ ألف كتاب ، فهو كمن يحفظ كتاباً في الطبِّ ولا يعرف تنزل الدواء على الداء ، فكلُّ من سمعه وهو يدرس في الكتاب يقول : إنه طبيب عظيم ، ومن رآه حين يسئل عن اسم المرض وكيفية إزالته ، قال : إنه جاهل ، فاتخذ لك شيخاً ولا تُعْص وتفكر أبديَّة الآخرة . وإياك أن تقول : إن طريق الصوفية لم يأت بها كتاب ولا سنة ، فإنه كفر ، فإنها كلها أخلاق محمديَّةﷺ ، وسير أحمدية ، وسنن إلهية ، انتهى ، ونقله أحمد ضياء الدين قدس سره في « المتممات » فراجعه .

وكان الطيبي صاحب حاشية « الكشاف » يقول : لا ينبغي للعالم ولو تبحَّر في العلم حتى صار واحد أهل زمانه أن يقنع بما علمه ، وإنما الواجب عليه الاجتماع بأهل الطريق ليدلُّوه على الصراط المستقيم . . إلخ . كذا في « منية الفقير المتجرد » فراجعه في ٦ .

وفي « الفتاوى الجوخية » : الذي نفعله اتخاذ شيخ مرشد لنا إن ظفرنا به ولو بالسفر إليه بصَرْف ما يجب صرفه لسفر الحج . انتهى عبارته .

وفي شرح « تائية السلوك » :

فمن لم يصاحب شيخ صدق ملقن … يكون له الشيطان شيخاً ملقناً

فراجعه في ٥٢ .

ثم اعلم أيها المأمون أن المراد من الذكر في كلّ موضع من المواضع المذكورات هو الذي لقنه الشيخ المرشد المأذون ، لا الذكر الذي أخذه الشخص من المتشيخ المغرور المفتون . فإن الأسماء الإليهة كالسلاح للسالك ، فإن أخذها من شيخ عارف مأذون يكون معها نورها ، فتكون حجباً يمنع بها الشيطان ومؤثرة تنكسر بها النفس الأمارة الآبية عن كل خير ، فيقوى السالك على الشيطان وعلى النفس ويضعفان ، كما يقوى المقاتل الذي معه سلاح جيِّد وسيف قاطع حَادٌّ على العدو المحارب .

وأما إن أخذها من متشيخ غير مأذون فتكون الأسماء خالية عن الأنوار ، فلا يقوى بها على الشيطان الغرار ، ولا تصير حجباً بينه وبينه ، ولا تكون مؤثرة لانكسار النفس وهواها ، بل يتسبّب الشيطان في إهلاكه ، ويوقعه في العجب والرياء ولو بعد حين من الأحيان .

وقد قال الشعراني في كتاب « الجواهر » و« الدرر » : وقد وقع أن الشيطان قال لعيسى عليه السلام مرة : قل (لا إله إلا الله) فقال عيسى عليه السلام : أقولها لا لقولك (لا إله إلا الله) ، فرجع الشيطان خائباً ، وإنما قال : (لا لقولك) ، لعلمه عليه السلام أن الشيطان ليس غرضه إلاَّ أن يجهل الخلق الخواطر الربانية ويأخذوا منه . انتهى عبارته . ومثله في « خزانة العلوم » .

وفي « تصديق المعارف » في سورة يوسف : ولو كان الشيخ – والعياذ بالله – غير مأذون يكتسب من المريد أوصافاً ذميمة ؛ من غير أن ينتقص من المريد شيء من أوصافه الذميمة ويسلب أوصافه الشريفة ، ويقدمها إلى الضياع والتلاشي ، وهذا مجرب . انتهى عبارته .

وفي « الإبريز » ما حاصله : أن السالك لو أخذ الذكر من شيخ عارف يكون مع الاسم نوره فيحجب العبد من الشيطان ، وإن أخذه من الشيخ الغير العارف لا يكون معه نوره ، فيحضر الشيطان ويتسبب في ضرر العبد . انتهى فراجعه في ١١ .

وفي « الأنهار الخمسة » : وأخذ الطريق من الشيخ الناقص مضرٌّ للطالب ، كما قال الإمام الرباني مجدِّد الألف الثاني قدس سره في مكاتيبه الشريفة . انتهى عبارته .

وفي « مزكي النفوس » ما خلاصته هذا : إن الذكر على قسمين : ذكر التعليم وذكر التلقين ؛ فذكر التلقين هو الذي يفيد الطالب ، ويذهب الحجاب من القلب ، ويخرج منه الظلمة والخيالات والوسوسة الشيطانية ، وهو مثل مطر النَّيْسَان ، وأما ذكر التعليم ! فهو الذي يذكره العوام بلسانهم ويعلمه الآباء أولادهم[1] بلسانهم ، ولا يدخل ذلك الذكر إلى القلب ولا إلى الروح . انتهى عبارته . فراجعه في ٣٣٥ .

وفي « المتممات » ما حاصله : ولا تحصل تصفية القلب عن كدورات السوى ، وتزكية النفس عن رزائل الصفات الحيوانية من الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله) ومن سائر الأسماء الإلهية إلاَّ إذا تلقَّنها الذاكر عن شيخ كامل . وهكذا إلى رسول الله ﷺ . انتهى فراجعه في ١٣٧ . وما لم يكثر العبد من ذكر الله عز وجل لا يحصل له هذا الأنس ، بل يقع في كل معصية كالبهائم السارحة . انتهى « لواقح الأنوار » عبارته ٣١٢ .

وفي « مزكي النفوس » : الذكر أفضل من الصلاة النافلة ؛ لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء الظاهرة ، والذكر تنهى عن الفحشاء الباطنة ، وما يطهر الباطن الذي هو منظر الله ومدرك أمر الدنيا والآخرة يكون أفضل من غيره . انتهى ملخصاً وبالمعنى ، فراجعه .

فائدة مهمة

قد قال بعضهم : الشريعة أن تعبد الله ، والطريقة أن تحضره ، والحقيقة أن تشهده . كذا في « جامع الأصول » ، يعني : أن الشريعة أن تعبد الله تعالى بعبادة مشروعة ولو كان غافلاً ، فالشرع لا يحكم إلا بالظاهر ، فلو صلى واحد

(١) وفي نسخة : لأولادهم .

مثلاً صلاة عند اجتماعه مع الناس خوفاً من مذمتهم أو حياء منهم ، والحال أنه لا يصلي حين كان في خلوة عن الناس ؛ فأهل الشريعة يحكمون بأنه صلّى ؛ لأنهم يقولون : نحن نحكم بالظواهر ، والله يعلم ما في السرائر . وأما أهل الطريقة يحكمون ببطلان صلاته ؛ لأنه صلى لأجل الناس ، لا لله وحده ولم يحضر قلبه مع الله بل حضر مع الناس . وأهل الحقيقة إنَّما يصلُّون مع رؤية : أنهم في حضرة الله ، وهو معهم أينما كانوا ، وأن جميع حركاتهم وسكناتهم إنما كانت بعونه وقوته وخلقه وفعله لا بأنفسهم . فافهم .

وقد قال نجم الدين الكبري : الشريعة كالسفينة ، والطريقة كالبحر ، والحقيقة كالدر ، فمن أراد الدر ركب في السفينة ، ثم شرع في البحر ، ثم وصل إلى الدرر ، فمن ترك هذا الترتيب لا يصل إلى الدرِّ . فأوَّل شيء وجب على الشخص من المطالب هو الشريعة ، والمراد منها أوامر الله ورسوله ؛ من الغسل والوضوء والصوم ، والصلاة وغير ذلك من الأوامر والنواهي . والطريقة هي الأخذ بالتقوى وما يقربك إلى الله زلفى ؛ من قطع المنازل والمقامات ، وأما الحقيقة ! فهي الوصول إلى المقصد ، ومشاهدة نور التجلي ، كما قيل : في الصلاة خدمة وقربة ووصلة ، فالخدمة في الشريعة ، والقربة في الطريقة ، والوصلة في الحقيقة ؛ والصلاة جامعة لهذه الخصال الثلاثة ، كما قيل : الشريعة أن تعبد الله ، والطريقة أن تحضره ، والحقيقة أن تشهده . انتهى . كذا في « جامع الأصول » في ٥٣ .

ولا يجوز أن يؤخذ من هذه الكلمات أنَّ الدخول في الطريقة لا يجوز إلاَّ بعد تمام الشريعة بالمعنى الذي أراده المنكرون ، كما يعلم ذلك مما ذكرته في هذه الكراسة ، بل الذي يفيده هذا الكلام أنَّ المراد من الشريعة أوامر الله ورسوله ؛ من الغسل . . وإلخ . وأنَّ من يعبد الله تعالى ويخدمه بما ورد في الشريعة من الأمور المذكورة فهو صاحب شريعة ، فكلُّنا إذاً في الشريعة إلاَّ أنَّ أعمالنا لما كانت معلولة وجب علينا الدخول في الطريقة ، لتصير الشريعة كاملة بسببها ، فلا يجوز لأحد أن يحكم على من يصلى ويصوم ويحج ويأتي بالشهادة ويزكي أنه ليس في الشريعة ؛ لأنه ليس بعد الشريعة إلا الكفر ، أعاذنا الله تعالى منه .

فالحاصل أنَّ الأخذ في الأعمال الظاهرة يسمى شريعة وديناً ، والأخذ في الأعمال الباطنة وتصفيتها عن كدوراتها يسمى طريقة وتصوفاً ، وعند صفاء الأعمال الظاهرة والأحوال الباطنة والأخذ في طريق المواهب والأحوال يسمى حقيقة ومشاهدة ، والغيبة عن الإحساس يسمى فناء واستغراقاً ، والثبوت معه على الأمر والنهي يسمى بقاء وصحوا . هذا هو الحق الحقيق بالقبول . ومثله في « تقريب الأصول »[1] مذكور فراجعه في ١٨٢ تجد البيان والله يعلم حقائق الأمور .

واعلم أنه لا يشترط في مقام الاتباع له عليه السلام عدم الوقوع في المعصية ، وإنما الشرط عدم الإصرار . كذا قاله الشعراني في كتاب « الدرر » و« الجواهر » فراجعه في ١٤٩ من هامش « الإبريز » .

وأن لأهل (لا إله إلا الله) الولاية العامة ، فهم أولياء الله ولو أخطئوا وجاؤا بقراب الأرض خطايا لا يشركون بالله شيئاً فإن الله يتلقى جميعهم بمثلها مغفرة . كما نقله الشعراني عن الشيخ الأكبر في « اليواقيت » فراجعه في ٤٦ من الجزء الأول . والعبد مأمور بالتقوى في سره وعلانيته ، إلا أنه لا بدَّ أن يقع منه أحياناً تفريط في التقوى ؛ إما بترك بعض المأمورات أو فعل بعض المنهيات ، ومع ذلك لا ينافي وصفه بالتقوى ، كما دلَّ عليه نظم سياق آيات ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ إلى أن قال في وصفهم ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ الآية ، فلذا أمر ﷺ بأن يفعل العبد ما يمحو به ما فرط منه بقوله « وأتبع السيّئة الحسنة تمحها » كما قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ أي : فلا تعجزنَّ أيها الإنسان إذا فرطت منك سيئة أن تتبعها بحسنة ؛ من نحو صلاة أو صيام أو ذكر ؛ وقد ذكر ابن حجر حقيقة هذا الكلام بالتمام في « فتح المبين » ، فراجعه من الحديث الثامن عشر . وقال المحشي الحنفي : إن أصل الولاية تحصل بالشهادة . انتهى ، فراجع شرحه على « المنح المكية » في ٢٤٠ من هامشه .

(١) وفيه في ١٠ : وما شرعه الله يسمى شريعة ، وكذا العلم بالذلك ، فإنه يسمى شريعة ، والعمل بذلك العلم يسمى طريقة . انتهى عبارته . (منه) . (هامش الأصل) .

وفي « إتحاف السادات المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين » في ١٧٨ من الجلد الثالث : أن المؤمن ليس بفاسق أصلاً ، إذ لا يقاوم الإيمان شيء مع وجوده في محلِّ العاصي . انتهى عبارته . ويوافقه ما في « مناهج السعادات » : من أنَّ الصالح يطلق على الفاسق بمجرَّد إيمانه . انتهى . فراجعه في ٣٢ ، وفي ٤٥ من هامش « دلائل الخيرات » ، وفي « الفتاوى العمرية » ، قال الله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ ، ولم يقل : يا أيها الصالحون ، وكذا الخطاب في ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ ولا يترك أفعال الخير لأجل كثرة الذنوب ، فربَّما يحصل له أجر جزيل ، وفي الحديث « إنَّ أهل ذكر الله ليجلسون إلى ذكر الله ؛ وإن عليهم من الأثام مثل الجبال ، وإنهم ليقومون وما عليهم منها شيء » رواه أحمد بن حنبل في « الزهد » انتهى عبارته . وقد روي عن سلطان الأولياء وقدوة الأصفياء القطب الرباني والغوث الصمداني سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني قدّس سرّه : أنه كان يأتيه الرجل فيشكو ترك الصلاة والتهاون في أدائها فيقول له : أكثر من ذكر لا إله إلا الله ، ويأتي آخر فيشكو له الزنا أو شرب الخمر أو غيرهما من القبائح ، فيأمر بالذكر المذكور ، فما جاءه أحد يشتكي من ترك مأمور أو فعل منهي عنه إلا أمره بالذكر . كذا في « السير والسلوك » فراجعه .

وقد سئل الإمام الرباني قدس سره : هل يجوز تعليم الطريقة لمن يأكلون ويلبسون من مال لا يخلو عن ربا ؟ **فأجاب** بقوله : لقنوهم الذكر وعلموهم ورغبوهم في الاجتناب عن المحرم ولعلهم يتخلّصون من ذلك الاشتباه ببركة الطريقة . كذا في « الدرر » في ١٣١ من الجزء الأول و« البهجة » في ٣٧ ، فراجعهما .

المريد كالمريض

وقال الشيخ الشعراني في « لطائف المنن » : إن الواجب على الشيخ أن يرفق ويلطف بمن كثرت معاصيه وقسى قلبه وغلب وقوعه في المخالفات ولم ينشرح صدره للتوبة ، فإنه كالمريض الذي يشكو أمراضه للطبيب ، فلا ينبغي

أن يزجره وينفر منه ، بل يصبر حتى يفرغ من أن يشكو ضرورته ومرضه ، ثم يصف له الدواء . وهذا الخلق قلَّ من يعمل به لا سيَّما أهل الحدة والغيره على الشريعة ، ولو أنهم نظروا في أخلاقه ﷺ لتفطنوا بجميع العصاة ، **فإياك يا أخي** ونهرَ أحد من العصاة إذا سألك عن دوائه . انتهى عبارته . فراجعه . والدواء المذكور هو الذكر كما هو معلوم مما سبق في هذه الكراسة ، والله أعلم .

وقال الشعراني في « تنبيه المغترين » : من لم ينظر للعصاة بعين الرحمة فقد خرج عن الطريق . انتهى عبارته .

وفيه أيضاً : أن الفاسق ضالة كل داع إلى الله ، انتهى . يعني : أينما وجدها يلتقطها ، والله أعلم .

ومن عجيب ما بدا في هذا الزمان أن واحداً من أهل الدعوى كتب إلى هذا الفقير : أنَّ أخذ الطريقة حرام لمن ليس له نفس مطمئنة ، فأجبته بما في « الرسالة المدنية » من أنَّ السالك إذا صارت نفسه مطمئنة يستعدّ لتربية الطالبين وللتوجه ، ويجوز للشيخ أن يأذن له ، لكن لا يصل السالك إلى هذه المرتبة إلا بعد الصحبة الصادقة مع الشيخ الكامل . انتهى .

ومثله في « السير والسلوك » و« ترصيع الجواهر » .

وأعجب منه أنَّ واحداً من المتشيخين ادعى بأنَّ أخذ الطريقة لا يجوز إلا لمن له حضور تام . فأجبته بما قاله الإمام الرباني في « مكتوباته » ؛ من أن الحضور الدائمي لا يكون إلاَّ للمنتهي ، كما هو مذكور في « الدرر » ، فأخذ الطريقة وسيلة إلى الحضور التام الدائمي ، ولا أدري معنى عدم جواز طلب الوسيلة إلا بعد الوصول إلى المقصود . فافهم .

وقد قال سيف الله الحسيني النقشبندي قدّس سرّه في بعض رسائله : إن معنى الإرشاد من أهل الإرشاد إرشاد الضالّ إلى السداد ، لا إرشاد المرشدين ولا المرادين ولا القائمين على حدِّ الرشاد ، ولا معنى للإرشاد لمن كان في الرشاد فهو تحصيل الحاصل المردود عند كل ناقص وكامل ، والنفس من كل

أحد أمارة إلا من خصه الله تعالى من الولادة بالفيض الإلهي بالحط الوهبيِّ ، كيف لا ؟ ! وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ ، وذلك خطاب نبيه عليه السلام الذي لا يبلغ الولي إلى رتبة عشر معشاره ، فحينئذ يكون مراد الإرشاد إخراج طالب السلوك عن رعونة الأمارة وحضيضها إلى سبيل الهداية بواسطة تربيته بتزكية اللطائف حتى تصير الأمارة لوامة ، ثم وثم . . إلى أن تترقى إلى المطمئنة ويصير المريد مراداً ، ويذهب عن النفسانية ، حتى يبقى العبد في الفناء المحض بلا نفس غَيْبَةً عن الوجود . انتهى من خطه قدس سره . فما أَلَذَّ كلامه وما أحلاه ، فجزاه الله عنا خيراً ، آمين . ومما كتبه الشيخ المستور سيف الله المذكور إلى هذا الفقير هذه العبارات : ثم اعلم أيها الموفق إني أشكر الله تعالى على بقاء المحبة الإلهية في هذه الطريقة بين[1] أبناء مولانا محمود الفعال ، وبين أولاد مولانا الشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانوي قدس الله أسرارهم مع إزديادها بينهم يوماً فيوماً . وذلك يُعْلِنُ كمالة المرشدين المذكورين وكونهما في مقام التكميل خلاف أولاد باقي أكثر المشائخ . **فانظر** إلى آداب مدعي المشيخة من أولاد العارف المحقق المحدث الحافظ الحاج عبد الرحمن الثغوري لأجل تركهم أدبه بفعلهم أموراً لم يصدر من شيخهم . ومن أعظم الأمور ادعاءهم على الإذن والمشيخة كل أحد ، فوقع بينهم التعصب البليغ بحيث يكذب أحدهم الآخر ، وليس من بينهم مَنْ يصدق قول الآخر سوى الزعم بكونه أعلى من الجميع مقاماً ، وبعدم أحد مثله .وقد كتبوا خوارق منهم ، كأنها أخبار الجنِّ نسمع ولا نرى ، وليست فتنة وثلمة في الدين إلا بهم وبأتباعهم . انتهى من خطه قدس سرّه .

ومن المعلوم المتيقَّن أنه لم يوجد في الذين يزعمون أنهم مأذونون من الشيخ المذكور ، رحم الله مَن يعلم كيفية الذكر القلبيَّ الذي هو أول قدم يضعونه في الذكر في هذه الطريقة النقشبندية ، فكيف يدرون ما فوقه ؟ ! ومع ذلك نرى منهم ما نرى ، وليس في يد واحد منهم صكُّ الإجازة ، مع أن كتابة

(١) يعني : بين مريديهم . فافهم . (هامش الأصل) .

الإجازة للخلفاء من عادة المشائخ ، كما هو مذكور في « الدرر » في ١٤٩ من الجلد الثالث ، ولا لهم شاهِدٌ ولو واحداً على أن شيخهم أذن لهم ، بل كلهم تصدَّروا بأنفسهم وصاروا قطاعَ الطريق ونوَّابَ الفتنة بين مريدي الحقِّ ، رزقهم الله الإنصاف والتوفيق ، آمين اللهم آمين .

قصَّة عجيبة

فلقد قال لي أخونا في الله حَجِيَوْ البقاچي ، رزقه الله اتباع السنة آمين : إن العالم المشهور الكاتب محمد نبي ولد شَهَوْ الأنصخي أخبره بان اثنين ذهبا لدى الحاج عبد الرحمن الثغوري لطلب الإذن منه للعالم الفلاني ، فطلبا منه الإذن فقال لهما : أَلاَ يجبُ أن يكون الإذن لي ولنفسي يا أولادي ، فكيف أَذِنُ له بما ليس لي ؟ ! فرجعا من عنده ، فقال واحد منهما : نحن نقول لذلك العالم المذكور إنه أذن له ، فقال الآخر : إنِّي لا أطيق أن أكذب ، فقال ذلك الواحد : إنِّي أقول ذلك ، وأما أنت فكن صامتاً ، فقال ذلك الرجل : إنه أذن له ، وسكت الآخر ، وتصدر العالم المذكور بمجرَّد هذا الكلام للإرشاد ، مع أنه لم يعلم من أوراد الطريقة ولو شيئاً مَّا ، بل أمر مريديه بما اخترعه من الأوراد والأذكار ، وصار كالقطب مشهوراً بين الناس وصاروا يلقبونه (بسيدي سيّدي) .

وأخبرني أيضاً العالم المدرس محمد شافع الهژلي رحمه الله : أنَّ واحداً ممن يزعم أنه مريد الشيخ الثغوري ، وأنه يتشيَّخ بعده كأنه بين الناس هو الثغوريُّ ، قال له : إن الثغوري قال له : يا ولدي ، لم يصِرْ عندي من مريدي مَن يجوز له أن يأخذ عصاي ولو واحداً ، ففي أثناء هذا الكلام نادى ابنته إليه : يا أبي إنَّ الأضياف قد جاؤا الآن فوقتئذ تفرقتُ منه ، وبعد مدة قليلة مات الثغوري قدّس سرّه ولم يأذن لأحد قبل موته ، بَيْدَ أنه قال : أمَّا أنِّي فإنما أتشيَّخ لظنِّي أن الشيخ الثغوري يرضى عني ، ولا يغضب عليَّ لكون ما أفعله من الخيرات . انتهى ما قاله العالم المذكور بفمه . وقد قال لي بعينه أخونا العالم الحاج محمد القحي الأشترخاني بلا زيادة ولا نقصان .

وقال لي العالم داود العوري ولد العالم دبر : إنه سأل ابنة الشيخ الثغوري : هل لأبيكِ مأذون أم لا ؟ فقالت لي : يا ولدي إني لا أعلم إلاَّ أنَّ واحداً من تلامذة أبي جاء لديَّ وطلب مني بيع عباءه قدّس سرّه ، فبعتها له بمقابلة أقراش كذا ، فبعد ذلك قال لي : ألا تقولين إنَّ أباك أذن لي ، فقلت له : إني لا أكذب . انتهى ما قالته ابنته الحاجية مَرْيَمْ . وأخبرني العالم شمس الدّين العَرْجُويّ نظير ما ذُكِرَ .

وقد سعى هذا الرجل المذكور مع ما كان في بُعْدٍ وبونٍ عظيم من مقام الإجازة من الشيخ الثغوري خلف المريدين ، ولقن لهم أذكاراً لسانياً ، مع أنه يزعم أنه شيخ نقشبنديّ ، إلاَّ أني سمعت من أفواه الناس أنه تنزل عن مقام الإرشاد وترك التلقين وتعليم الأوراد ، وكتب إليَّ الشيخ الأمير سيف الله بعين ما ذُكِرَ ، والله يعلم حقائق الأمور ولا يخفى عليه بما في الصدور .

وقال العالم العارف المأذون النقشبنديُّ الحاج حبيب الله إنه سأل عن واحد من المنتسبين إلى الشيخ الثغوري ، وعن سبب تصدُّره للإرشاد ، فقال له : يا ولدي ، إني لا أقول إني أعلِّم الشريعة أو ألقِّن أوراد الطريقة ، بَيْدَ أنّي كُنْتُ أظنُّ لِمَ لا يجوز أن يكون لي إذْنٌ منه كما لغيري ؟ ! ، فحين كنت نائماً قال لي : (دُخْكِ) ، أو قال : (دُيْكِ)[1] ، .

فبعد ذلك علَّمت الناس أوراداً ، أو أذكاراً مع أني رأيت في كتاب كذا أنه يجوز للعالم أن يقول لمن جاء لديه : اذكر الله كذا مرَّة . انتهى . فهؤلاء أيها المخدوم المكرّم طبقات شتَّى يزعمون المشيخة ، مع أنهم ليس في أيديهم صكُّ الإجازة[2] ولا من شيخهم أثر مَّا من الإشارة ، فكلُّ فتنة وثلمةٍ في الدّين إنما رشحت في ديارنا من جهتهم ، وكلُّ منهم تعصَّبُوا تعصُّباً بليغاً ، ومنعوا النّاس عن السلوك في سبيل الله منعاً أكيداً ، عافاهم الله أنَّى يؤفكون .

---

(١) عَجَمْ . (هامش الأصل) .
(٢) مع أن كتابة كاغذ الإجازة من عادة المشائخ . (هامش الأصل) .

ومما يعلم عدم كون جميعهم مأذونين من شيخهم الثغوري النقشبندي أنه لو كان قدس سره أذن لهم لكانوا يلقِّنون أذكار السلوك الواردة في أصول الطريقة النقشبندية ؛ لأن الشيخ إنما يأذن لتلقين الطريقة ، لا لتلقين ما ليس في الطريقة ، فهذا من أدلِّ الدلائل على كونهم مدَّعين كذابين ، فافهم ! . فحين سُئلوا : لِمَ لا تعلمون أوراد النقشبندية ؟ يقول بعضهم : إن تعليمها لا يجوز إلا بعد تمام الشريعة ، وبعضهم يقول : إن تلقين الذكر القلبي لا يجوز إلا لمن له نفس مطمئنة ، ويقول بعض آخر منهم : إن تعليم الذكر النقشبندي لا يجوز إلا لمن حصل له الحضور التام .

قد ذكرتُ لك أيها الاخ خرافة أقوالهم بالتفصيل ، ورددْتُ كلامَهم ببيان الدلائل والنقول ، فالحمد لله الذي هدانا إلى هذا الطريق الحقّ ، وجنَّبنا من السعاية خلف الأشياء المخترعة ، كما سعى هؤلاء المذكورون بلا رفيق ، وهو وليُّ الهداية والتوفيق .

ثم إني رأيت في « هدية الذاكرين » كلاماً في حقِّ الأبواب الإلهية فاحببت أن أوردها هنا ، لأنه وإن كان في التكرار تصديعٌ إلا أن الكلام الجديد لا يخلو عن منفعة ، **فالباب الأول** من الأبواب الإلهية الموصلة إليه تعالى : الشريعة ؛ أي : العلم بالشريعة واتباعها لدخول الجنة والنجاة من النار ، **والثاني** منها : الطريقة ، وهي لتكميل تزكية الإيمان والقلب ، **والثالث** : الحقيقة ، وهي لتكميل الانسان وكسب العيان ، **والرابع** : المعرفة ، وهي المطلب الأعلى ، وهي لسلامة القلب والعرفان . انتهى ملخصاً .

قال صاحب « الهداية » : وهذه الأبواب الالهية كلها متلازمات لا تخالف بعضها بعضاً ، فإنه لا ينفع ظاهر إلاَّ بباطن ، ولا يعتبر باطن إلاَّ بظاهر ، لأنه ورد : « إنما الأعمال بالنيات » ، ولا ينفع النية إلاَّ بالعمل ، لأنَّ النية شرطه مثلاً إن الرجل إذا نوى الصلاة فلم يصلِّها لا تجزؤه عن الصلاة ، وكذا الصلاة لا تجوز إلا بالنية ، كما بينه الإمام الشعراني في كتابه « الدر والياقوت » انتهى عبارته .

ومما ينبغي أن يعلم أن الجهر في هذا الطريق النقشبنديِّ ممنوع ، وأنَّ كل ذكر يستعمل باللسان يستعمله المبتدؤن في هذا الطريق بالقلب ، كما هو مذكور في « الدرر » في ١٤ من الجلد الثاني ، وفي ٣٨٢ من الجلد الأول . وقال الإمام الرباني قدّس سرّه : واختيار الطريقة النقشبندية من بين سائر طرق الصوفية أولى وأنسب ، لأنَّ هؤلاء الأكابر قد التزموا متابعة السنة السنية واجتناب البدعة الشنيعة ، ولهذا تراهم يفرحون ويستبشرون إذا كان فيهم دولة المتابعة ؛ وإن لم يكن شيء من الأحوال ، ومتى أحسُّوا فتوراً في المتابعة مع وجود الأحوال لا يقبلون تلك الأحوال ولا يبغونها ، ومن هاهنا لم يجوِّزوا الرقص والسماع ، ولم يقبلوا الأحوال المترتبة عليه باتفاق منهم وإجماع ، بل اعتقدوا ذكر الجهر بدعة ومنعوا أصحابهم عنه ، ولم يلتفتوا إلى ثمرات تترتَّب عليه .

كنت يوماً في مجلس الطعام مع حضرة شيخنا ، فقال الشيخ كمال الذي من مخلصي حضرة شيخنا : بسم الله الرحمن الرحيم ، جهراً حين شرع في الأكل ، فلم يناسب ذلك منه لحضرة شيخنا حتى قال بالزجر البليغ : امنعوه ، لا يحضر مجلس طعامنا .

وسمعت حضرة شيخنا يقول : إن الخواجه النقشبند قدّس سرّه جمع علماء بخارا ، وجاء بهم إلى خانقاه . شيخه الأمير كلال ليمنعوهم من ذكر الجهر ، فقال العلماء للأمير : إن ذكر الجهر بدعة فلا تفعلوه ، فقال في جوابهم : لا أفعل . فإذا صدر من أكابر هذه الطريقة مثل هذه المبالغة في المنع عن ذكر الجهر ، فماذا نقول في السماع الرقص والوجد والتواجد ؟ ! انتهى . كذا في « الدرر » في ٢٧٩ من الجلد الأول ،

وفيه في ٢٠٧ : وسُئلت أيضاً : ما سبب المنع عن ذكر الجهر بعلة البدعة ، مع أنه مورث للذوق والشوق ، ولِمَ لا يمنع من أمور أخرى لم تكن في زمن النبي ﷺ مثل لبس الفرجى والشال والسراويل ؟ أيها المخدوم ، إن فعله ﷺ على نوعين ؛ فعل على سبيل العبادة ، وفعل على طريق العرف والعادة ، فالفعل

الذي صدر عنه على سبيل العبادة نعتقد خلافه بدعة منكرة ، ونبالغ في المنع عنه ، لكونه إحداثاً في الدين ، وهو مردود ، والفعل الذي صدر عنه صلى الله عليه وسلم على طريق العرف والعادة لا نعتقد خلافه بدعة منكرة ولا نبالغ في المنع عنه لعدم تعلّقه بالدين ، بل وجوده وعدمه مبنيان على العرف والعادة لا على الدين والملة .انتهى عبارته .

وفيه في ٣١٤ ما حاصله : أنَّ في أكثر الطرق سماعاً ورقصاً ، ويبلغ الأمر فيه حدّ الرخصة بعد تمحُّل كثير ، وأين فيه المجال للعزيمة بَعْدُ ؟ ! ، وكذلك ذكر الجهر لا يتصوَّر فيه ما فوق الرخصة ، وقد أحدث مشائخ سائر الطرق أموراً محدثة في طرقهم لبَعْض نيات صحيحة ، نهاية التصحيح في تلك الأمور الحكم بالرخصة ، بخلاف أكابر هذه السلسلة[١] العلية ، فإنهم لا يجوِّزون مقدار شعرة من مخالفة السنة ، فتكون مخالفة النفس في هذا الطّريق أتم ، فيكون أقرب الطريق ، فيكون اختيار هذا الطريق أولى وأنسب ؛ لأنَّ الطريق في نهاية الأقربية ، والمطلب في كمال الرفعة .

وقد ترك جماعة من متاخري خلفائهم أوضاع هؤلاء الأكابر ، وأحدثوا في هذا الطريق بعض الأمور ، واختاروا السماع والرقص والجهر ، ومنشأ ذلك عدم الوصول إلى حقيقة نيات أكابر هذه الطّريقة العلية ، فخالوا أنهم يكمِّلون ويتمِّمون هذه الطريقة بهذه المحدثات والمبتدعات ، ولم يدروا أنهم يسعون بها في تخريبها ، ويجتهدون في إضاعتها ، والله يحق الحق وهو يهدي السبيل . انتهى عبارته .

وقد عدل محمود الإنجير فغنوي إلى الذكر الجهري منذ مرض أستاذه ، بمقتضى وقت الخلق ومصلحة حال الطالبين ، واستمرَّ عليه بعد انتقاله ، فسأله واحد من كبار علماء الظاهر : ماذا تنوي بذكر الجهر ؟ فقال له : إيقاظ النائم وتنبيه الغافل ؛ ليتوجَّه إلى الله ، ويقبل على الطريقة ويخلص التوبة إلى الله ، فقال له : إن نيَّتك صحيحة تجيز لك الجهر بالذكر .

---

(١) أي : النقشبندية . (هامش الأصل) .

وطلب منه أيضاً أن يبيِّن له حال من يجوز له ذكر الجهر ليمتاز المحق من المبطل ، فقال : مَنْ وجدتم لسانه مطهراً من الكذب والغيبة ، وجوفَه منزهاً عن الحرام والشبهة ، وقلبه مزكى من الرياء والسمعة ، وسرَّه مبرَّأ من التوجُّه للأغيار فهو المحقُّ ، وذكر العلانية مسلَّم له .

ومن زمنه قدّس سرّه إلى زمن الشيخ أمير كلال كانوا يجتمعون للذكر بالجهر ؛ أي : وكانوا إذا انفردوا يذكرون الله خفية على ما هو الأصل في هذه الطريقة ، فلمَّا ظهر الشيخ محمَّد نقشبند قدّس سرّه اقتصر على الذكر الخفي أخذاً بالعزيمة[1] واجتناباً عن الرخصة[2] ، وذلك بأمر من روحانية الشيخ عبد الخالق الغجدواني قدّس سرّه ، وحين شرع أصحاب الأمير كلال في الذكر الجهري كان محمد النقشبندي يخرج ويقوم من بينهم ، وكان الأصحاب يثقل عليهم ذلك ، لكن الأمير كلال أوصى في مرض موته لجميع أصحابه ومريديه باتباعه ، فقالوا : إن الخواجه نقشبند لا يذكر بذكر الجهر فكيف نتبعه ؟ ! فقال : إن كل ما أعطاه الله تعالى فيه حكمة فلا تخالفوه ، وبعد ذلك تركوا الذكر الجهري ؛ ولو في حالة اجتماعهم ، واستمرُّوا على ما هو الأصل في أوضاع هذه الطريقة الصديقيَّة . انتهى . راجع « الحدائق الوردية » في ١١٩ ، وفي ١٢٨ و« البهجة السنية » في ٦٢ و« الرشحات » في ٣٦ن ، وفي ٥٠ .

الذكر السرّي أقوى

وفي « الحدائق الوردية » في ١٣٣ : إن الإمام النقشبند قدّس سرّه قال لحضرة علي الراميتينيّ : طريقان في الذكر ؛ سر وجهر ، فاخترتُ منهما السر ؛ لأنه أقوى . انتهى عبارته .

---

(١) وهي الذكر الخفي . (هامش الأصل) .
(٢) وهي الذكر الجهري . (هامش الأصل) .

فينبغي أن يتدبره المخالفون لهذه الأصول[1] والأوضاع القائلون : بأنه لا يجوز تلقين الذكر القلبي ، مع أن قولهم هذا خلاف العقل وعكس النقل ، وإني أجدهم مع هذا يقولون إنهم نقشبنديون ، وهذا منهم شيء عجيب ، فكما لا يصير الشافعي حنفياً مثلاً ، إلا باستعماله مذهب الحنفي ، فكذلك لا يصير الشخص نقشبندياً إلا باستعماله ما في الطريقة النقشبندية ، فما بال إضاعتهم هذه الطّريقة التي أثنى عليها معتمد العلماء ابن حجر رحمه الله بأنها ؛ أي : الطريقة السالمة من كدورات جهلة الصوفية ، كما هو مذكور في آخر « الفتاوى الحديثية » ، واختراعهم[2] أشياء ليس لها نصّ ولا أثر .

فضائل الطريقة النقشبندية

وقد قال الإمام الرباني : إنَّ الطريق الذي هو أقرب وأسبق وأوفق وأوثق وأسلم وأحكم وأصدق وأدل وأعلى وأجلّ وأرفع وأكمل هو الطريقة النقشبندية ، قدس الله أرواح أهاليها وأسرار مواليها ، كما هو مذكور في « المكتوبات » في ٣٣٣ من الجلد الأول.

وقال الغوث أحمد ضياء الدّين في « المتممات » : إن طريقة النقشبندي قدس سره هي طريقة الصحابة على أصلها لم تزد ولم تنقص . انتهى عبارته ٩٧ . وفيه أيضاً : أنها أم الطرق . انتهى .

وفيه أيضاً : أنَّ جميع أركانها وشروطها وآدابها عين الشرع ولب القرآن وحقيقة العرفان ، وفي حقها أدلة جملة وتفصيلا . إنتهى عبارته . ٩٧ .

وفي « المناقب الأحمدية » : إنَّ الطريقة النقشبندية خلاصة الطرق ، وأوفق بالكتاب والسنة ، وأنها سالمة من كدورات جهلة الصوفية ، وفيها ما في جميع الطرق وزائد . انتهى فراجعه في ٢ .

وقال الإمام الرباني : طريق أكابر النقشبندية كبريت أحمر مبني على متابعة السنة . انتهى .

---

(١) وقد قال خالد شاه : من غيَّر أصول طريقتنا فليس منا . انتهى ، راجع . (هامش الأصل) .
(٢) أي : فما بال . . .إلخ . فافهم . (هامش الأصل) .

وقال الشاذلي : لقد جئت في هذه الطريقة بما لم يأت به أحد ؛ لأنه عين الطريقة النقشبندية ، وهي سلطان الطرق . انتهى . كذا في « المتممات » .

وفي « البهجة السنية » : إن محمد نقشبند قدّس سرّه قال : طلبت من الله تعالى طريقاً تكون موصلة إلى الله البتة ، وقد أجيبت دعوته ، كما في « الرشحات » . انتهى . وهكذا في « الحدائق الوردية » فراجعه في ١٣٦ .

الإمام المهدي يكون على هذه النسبة

ورأيت في « البهجة » : أن الإمام الرباني قدس سره قال : إن الإمام المهدي يكون على هذه النسبة الشريفة نتهى ، فراجعه .

وفي « البهجة » أيضاً : أنه قدّس سرّه قال : كنت مرة في حلقة أصحابي ، فخطر لي أنِّي في قصور ونقص ، فبينما أنا كذالك إذ أُلقي في سري : أني قد غفرت لك ولمن توسل بك إليَّ بواسطة أو بغيرها إلى يوم القيامة . انتهى . ومثله في « الرسالة المبدأ والمعاد » .

ورأيت في « الحدائق الوردية » : أنّ علاء الدين العطار قدس سره قد زار ضريح سيِّدنا شاه نقشبند رضي الله عنه قبل وفاته بسبع سنين ، ومعه زمرة من أصحابه ، فرأى أحدهم في المنام خيمة كبيرة قد ضربت ، قال : وعلمت أن هذه الخيمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء سيِّدنا النقشبند ومعه الشيخ علاء الدين إلى هذه الخيمة لزيارته صلى الله عليه وسلم ، وخرجا بعد ساعة فرحَيْن شاكرَيْن ، وسيدنا شاه نقشبند يقول : أكرمني الله بأن أشفع إلى مائة فرسخ من جهات قبري الأربع ، والشيخ علاء الدين إلى أربعين فرسخاً ، وأحبائي وأتباعي إلى فرسخ . انتهى ، فراجعه في ١٤٨ .

وقال صاحب « طبقات الخواجكانية » - قدس سره ورزقنا فيضه آمين - بعد ذكره هذه الواقعة **ومنح أصغر محبِّينا وأحقر متابعينا شفاعة مسافة فرسخ من أطراف قبره** . انتهى عبارته .

وفي « مكتوبات » الإمام الرباني قدس سره ما حاصله : أن هذا الطريق موصل البتة ، وعدم الوصول مفقود فيه ، فإنَّ أوَّل قدم هذا الطريق الجذبة التي

هي دهليز الوصول ، وموانع التوقفات أما منازل السلوك أو مواطن الجذبات التي لا تكون متضمنة للسلوك ، وكلا المانعين مرتفعان في هذا الطريق . فإن السلوك طفيلي[1] يحصل في ضمن الجذبة ، فهاهنا ليس سلوك خالص ولا جذبة أبتر حتى يكون الطريق مسدوداً . انتهى عبارته . فراجعه في ٦٥ من الجلد الثاني .

ومعنى **الجذبة** توجُّه القلب إلى الله ، **ومعنى السلوك** تزكية النفس عن الصفات الحيوانية والأخلاق الذميمة الرديئة . فافهم .

وفي « المناقب الأحمدية » : وفي هذه الطريقة بالعمل القليل تفتح فتوحاتِ عظيمة . انتهى عبارته ١١ .

ومبنى هذه الطريقة على سير القلوب الذي هو توجه القلب إلى جناب الحق تعالى ، لا على سير الأبدان الذي هو الرياضات والمجاهدات ، والرياضة فيه تعليق القلب بالله والدوام على ذلك ؛ وإن كان الظاهر غير متلبِّس بكثير من العباداة ، كما هو مبنى الطريقة الشاذلية ، فإنهما عين الآخر ، والله أعلم . وراجع « الإبريز » في ١٧٨ .

محاسن الطريقة النقشبندية

ولو ذكرنا[2] المحاسن التي في هذه الطريقة لطال الكلام ، بيد أني أشير هنا إلى طرف منها .

فمن محاسنها : أنّ تصفية القلب عن الخواطر وتوجُّهه إلى جناب الحق تعالى بالدوام على تكرار اسم الذات (الله) مقدمة فيها على تصفية النفس عن الرذائل ، فتكون خلوة أربابها في جلوتهم ، فكل المجامع لهم زاوية ، يحضرون المجالس وقلوبهم حاضرة مع مولاهم ومن السوى خالية ، كما هو مذكور في عدة كتبهم .

ومنها : جواز الاشتغال بتحصيل نسبتهم التي هي الحضور القلبي في كل مكان ، ومع كلِّ شخص ، وفي كل حال ، كما في « الرشحات » في ١٢٩ .

(١) أي : تبعيّ . فافهم . (هامش الأصل) .
(٢) وفي نسخة : ولو ذكرت .

ومبناها على الخلوة في الجلوة ، يتم سلوك السالك منهم وهو مع الناس ؛ يعتزلهم بقلبه ويجالسهم بجسمه ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ ، كما في « الحدائق الندية » .

ومنها : أن أربابها يتخيلون من جميع الأصوات سواء كانت أصوات المياه والرياح أو أصوات المزامير والطبول ، أو غيرها من أصوات المخلوقات ، وكلامهم الذكر الملقن لهم .

وقد ذكر صاحب « الرشحات » : أن الاشتغال بالطريقة يبلغ مرتبة في مدة يسيرة يتخيل بها جميع الأصوات للمشتغل بها ذكراً ، فراجعه في ٣٣ .

وقال في موضع آخر : يصل السالك إلى هذه المرتبة إذا سعى وجدَّ ولازم الذكر في مدة خمسة أو ستة أيام . انتهى .

ومنها : أن أربابها إذا نظروا إلى ما يتحرك من الأغصان والأوراق والحشيش والنبات وغيرها يتخيَّلون معها الذكر بغير اختيار حين رسخ الذكر في قلوبهم .

ومنها : أن حصول نسبة الحضور يحصل للسالك بطريق الانعكاس ، وبالصب من صدر إلى صدر بتوجه المرشد المقتدى ، وبسببه تنعكس صور المعارف الإلهية من مرآة قلبه إلى قلب السالك .

ومنها : أن توجه أربابها إلى الذات الأحدية ، لا يريدون من الاسم والصفة غير الذات ولا ينزلون من الذات إلى الصفات كغيرهم ، كذا في « المكتوبات » في ٣٦ من الجزء الثاني .

وقال الإمام الرباني في موضع آخر من « مكتوباته » : وينبغي أن تلاحظ معنى اللفظ المبارك (الله) بـ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ وأن لا تضم إليها شيئاً من ملاحظة الصفات حتى الحاضرية والناظرية ، راجعه في ١٦١ من الجزء الأول .

ومنها : أن الحضور والجمعيَّة[١] يحصلان للسالك في هذه الطريقة في وقت يسير لكثير من المستعدين ما لا يحصل للسالك في غيرها في أوقات كثيرة . كذا في « الرشحات » في ١٢٢ .

ومنها أن الوجد والاضطراب لا يكونان قطُّ في السالكين فيها ؛ شيوخاً كانوا أو مريدين ، ولا يتحرك منهم وقت الذكر ولو شعرة إلا الإصبع الذي يجرُّ السبحة ؛ لأن الجذبة فيهم مسلوبة عن الظاهر مصروفة إلى الباطن . وقد رأيت في « المتممات » أن الحركة الاختيارية تنقص من حال كل متحرك منهم شيخاً أو مريداً . انتهى .

أوّل من أحدث الرقص السامري

وفي كتب الفقه كـ « بغية المسترشدين » و« الفتاوى الفقهية الكبرى » لابن حجر و« التحفة » و« الشهاب » و« حاشية عبد الحميد الشرواني على ابن حجر » و« الفتوى الحديثية » لابن حجر كلام كثير في حق الرقص والاهتزاز حالة الذكر ، **فحاصل** مآل كلام ابن حجر عدم الجواز ، كما صرَّح به في « كف الرّعاع عن محرمات اللهو والسماع » ، فقد قال فيه بعد نقله ما قاله الطرطوسي ؛ من أن مذهب السادة الصوفية أن الرقص وضرب الدف والشباب بطالة وضلالة ، وما الإسلام إلا كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري حين اتخذ لهم عجلاً فأتوا يرقصون حوله ويتواجدون ، وهو ؛ أي : الرقص دين الكفار وعباد العجل ، وإنما كان مجلس رسول الله ﷺ مع أصحابه كأنَّ على رؤسهم الطير من الوقار ، فينبغي للسلطان ونوَّابه أن يمنعوهم من المساجد وغيرها ، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم أو يعينهم على باطلهم[٢] ، هذا مذهب الشافعي

---

(١) أي : جمع القلب على الله ، فافهم . (هامش الأصل) .
(٢) على أباطيلهم . عله .

ومالك وأبي حنيفة وغيرهم من أئمة المسلمين . فتأمله[١] ، واحفظه ، فإنه الحق ، وغيره باطل الذي غايته القطيعة والآثام . انتهى من عينه ، فراجعه في ٥١ من هامش « الزواجر » من الجلد الأول .

ونقل صاحب « بغية المسترشدين » عين ما ذكر عن الطرطوسي ، وقال بعد ذلك : وأما الرقص بلا تكسر وتثنٍّ فالذي اعتمده ابن حجر أنه مكروه ، ونقل عن بعض أصحابنا حرمته إن أكثر منه ، أما هو بتكسر وتثنّ فحرام مطلقاً ، حتى على النساء ، كما صرح به في « كف الرعاع » . انتهى فراجعه في ٣٠٢ .

وقال الشهاب ما حاصله : إن الرقص بتكسر يحرم على الرجال والنساء ، وقال بعد ذلك : وما ورد من أنه ﷺ وقف لعائشة يسترها حتى تنظر إلى الحبشة وهم يلعبون ويزفنون - والزفن بالزاي والفاء الرقص - محمول على أنه كان بغير تكسُّر ، وما قيل عن بعض الصوفية بجوازه مع التكسر فهو كذب محض وخيال باطل ، أو محمول على ما ليس بالاختيار . انتهى . فراجعه في ٣٠١ من الجلد الرابع .

وقال ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » مجيباً لمن سأله : هل لرقص الصّوفية أصل أم لا : نَعَمْ له أصل ، فقد روي في الحديث أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه رقص بين يدي النبي ﷺ لما قال له : أشبهت خَلْقي وخُلْقي » ، وذلك من لذة هذا الخطاب ، ولم ينكر عليه السلام ، وقد صحَّ القيام والرقص في مجالس الذكر والسماع عن جماعة من كبار الأئمة ؛ منهم عز الدين شيخ الإسلام ابن عبد السلام . انتهى . في ٢١٧ .

وقال ابن حجر في « التحفة » في شرح قول المنهاج (لا الرقص) : فلا يحرم ولا يكره ؛ لأنَّه مجرد حركات على استقامة أو اعوجاج ، ولأنه ﷺ أقرَّ الحبشة عليه في مسجده يوم عيد ، رواه الشيخان .انتهى عبارته . وفيه كلام كثير في حق الرقص ، فراجعه من كتاب الشهادة .

---

(١) مقول قال . (هامش الأصل) .

وقال ابن حجر أيضاً في « الفتاوى الكبرى » وأما الرقص فلا يحرم لفعل الحبشة له في حضرته ﷺ مع تقريره عليه ، وقال جماعة : يكره لخَرْمِ المرؤة . انتهى عبارته . فراجعه في ٦ من الجلد الرابع .

وقد يتمسَّك بعض العلماء هذه الأقوال دليلاً على جواز رقصهم حالة الذكر لظنِّهم أن الكلام على الإطلاق ، والحال أنه ليس كذلك ، ويفسر الكلام بكلام آخر ، فقد قال المحقق ابن حجر في « كف الرعاع » : يمنع منه منع الرقص ، فقال : قال الأوزعي في « توسطه » : واعلم أنَّ طوائف من المغرمين(١) من المتفقرة ؛ أي : المتصوفة ، ومن حذا حذوهم من المتفقهة تواهموا أن حديث زفن الحبشة بالمسجد - وهو بزاي والفاء والنون الرقص - دليل على جواز الرقص في المساجد مع ضمية الفناء والطارات إليه ، وذلك خطأ صريح وجهل قبيح يعرف ببيان الحديث ، والجواب عنه كما هو مذكور في كلام القرطبي ؛

أما الحديث فالذي رواه البخاري ومسلم فيه أن ذلك كان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب في المسجد ، فقال رسول الله ﷺ لعائشة : تشتهين تنظرين ، فقالت : نعم ، فأقامني رسول الله ﷺ وراءه خدي على خده ، وهو يقول : « دونكم يا بني أرفدة » ، ووجه تمسكهم أنهم رقصوا في المسجد وأمرهم النبي ﷺ ، بل أغراهم بقوله : « دونكم يا بني أرفدة » ، ثم أباح لعائشة النظر إليهم ، فكان دليلاً على إباحة الرقص وجوازه .

والجواب : أن هذا الحديث لا يتناول محل النزاع ، فإن ذلك لم يكن من الحبشة رقصاً على غناء ولا ضرباً بالأقدام ولا إشارة بالأكمام ، بل كان لعباً بالسلاح ، وتأهُّباً للكفاح تدريباً على استعمال السلاح في الحرب ، وتمريناً على الكر والفر والطعن والضرب ، وإذا كان هذا هو الشأن فأين أفعال المخانيث والمخنثين من أفعال الأبطال والشجعان ؟ ! وأما إباحة النظر إليهم ! فلأنه لم

(١) عله : المغرورين .

يكن بحضرتهم منكر يغيّر ، ولا عورة تظهر ، وتمسكوا أيضاً بأنه ﷺ قال لعلي « أنت مني وأنا منك » فحجل ، وقال لزيد : « أنت أخونا ومولانا » فحجل ، وكذالك حجل جعفر لما وصى له بابنة حمزة حين خاصمه فيها علي وزيد ، **والحجل** مشي المقيد وهو وَثْبٌ ، **واهتزاز** وهو الرقص .

والجواب أن هذه كلها أحاديث منكرة وألفاظ موضوعة مزوَّرةٌ ، ولو سلمت صحتها لم تتحقق حجتها أي ؛ لأن المحرم هو الرقص الذي فيه تثن وتكسُّر ، وهذا ليس كذلك .

وبما تقرر في هذا والذي قبله يعلم خطأ صاحب ذلك الكتاب في نقله الاحتجاج على إباحة الرقص بحديث رقص الحبشة في المسجد ، وبأنَّ علياً وجعفراً وزيداً حجلوا لما بشَّرهم النبي ﷺ ، ووجه خطئه ما تقرر من أنَّ رقص الحبشة لم يكن من الرقص المختلف فيه ، وأن ما ذكر هؤلاء[1] الثلاثة رضوان الله عليهم كذب مختلق ، لا تحل روايته ولا الاحتجاج به . . . إذا تقرر فعل الحبشة ليس من المختلف فيه ، وأن ما روي عن أولئك الأئمة كذب ، بطل قول صاحب الكتاب ؛ إن القياس على ذلك حجة على إباحة الرقص . انتهى كلام ابن حجر في « كف الرعاع » فراجعه في ٤٩ من هامش « الزواجر » من الجزء الأول . والكتاب المذكور هو « فرح الإسماع برخص السماع » ألّفه بعض المِصْريّين .

وقد ألّف ابن حجر كتابه « كف الرعاع » في ردِّ جميع ما ذكر فيه من جواز الرقص وغيره ، فافهم .

وقال ابن حجر أيضاً في « كف الرعاع » وأشار القاضي حسين في تعليقه ، والغزالي في « إحيائه » إلى أن محل الخلاف فيمن فعله باختياره ، بخلاف من كان من أهل الأحوال ، فحصل له وجد اضطرَّه إليه ، فإن هذا لا حرمة ولا كراهة عليه اتفاقاً .

---

(١) عله : من هؤلاء . (هامش الأصل) .

وعلى هذه الحالة يحمل ما حكي عن العز بن عبد السلام - رحمه الله ورضي به - أنه كان يرقص في السماع .

ومما يعين هذا الاحتمال المذكور ويردُّ على مَن توهم مِنْ فعله أنه يفعله عن اختياره ، فجعله حجة لدعواه الفاسدة وبضاعته الكاسدة قوله نفسِه في « قواعده » التي لم يصنف مثلها : أما الرقص والتصفيق فخفة ورعونة مشابهة لرعونة الإناث[1] لا يفعلها إلاَّ أَرْعَنُ أو متصنِّع جاهل ، ويدل على جهالة فاعلهما أنَّ الشريعة لم ترد بهما ، لا في كتاب ولا في سنة ، ولا فعل ذلك أحد من الأنبياء ، وإنما يفعله الجهلة السفهاء الذين التبست عليهم الحقائق بالأهواء .

وقد حرم بعض الفقهاء التصفيق على الرجال ؛ لقوله ﷺ « إنما التصفيق للنساء » . انتهى كلامه .

فبعد صدور هذه العبارة منه وهو أخشى لله وأتقاه من أن يتكلم في كتابه الذي هو نتيجة علومه ومعارفه بما يفعل خلافه على رؤس الأشهاد هي لعلّة ، وكيف يتوهم فيه صدور ذلك ؟ ! وبفرض صحته عنه يتعيَّن حمله على أنه إنما فعله اضطراراً لعروض حال أزعجه وأخرجه عن اختياره ، وقد عرفت أن هذه الحالة ليست من محل الخلاف ، فاحفظ ذلك ورُدَّ به مَنْ زلَّ في هذه المسألة قدمه وطغا في حكمها فهمه . انتهى كلام ابن حجر في « كف الرعاع » فراجعه في ٥٦ من هامش « الزواجر » في الجزء الأول منه مع البسط التام .

وقال ابن حجر في « الزواجر » ما حاصله : أن نحو الرقص والدف فيه خلاف ، وأنه لم تأت شريعة قط بأنه قربة ، وأن من قال بحلِّه إنما جعله مباحاً ، وأن من اصطفاه لدينه متعبداً بحضوره فقد باء بحسرة وخسار ، وأن العارف المشتاق إذا هزَّه وَجْدٌ فهام في سكراته لا يلحقه لوم ، بل يحمد حاله لطيب ما يلقاه من اللذات . انتهى عبارته . نقله عن بعض .

ثم قال : وأما سماع أهل الوقت فحرام فلا شك ، ففيه من المنكرات كاختلاط الرجال بالنساء وافتتان العامة باللهو ما لا يحصى ، فالواجب على الإمام قصرهم عنه . انتهى ، فراجعه في ١٧٣ من الجزء الثاني .

(١) وفي نسخة : النساء .

وفي « بغية المسترشدين » : التصفيق باليد وضرب الدف والرقص وضرب الصنج في حال الذكر ليس بمطلوب لا سيَّما حال القراءة ، إلا إن غلبه وخرج عن الاختيار فلا لوم عليه .انتهى عبارته فراجعه في ٣٠٢ .

قال الخادمي في « البريقة » : وعن منيرة ابن الكمال عن « جواهر الفتاوى » : السماع والرقص الذي يفعله الصوفية في زماننا حرام ، ولا يجوز الجلوس معهم في مجلسهم ، والرقص والغناء والمزامير في الحرمة سوآء . انتهى عبارته ٥٧٤ من الجلد الثاني .

وفي « الإحياء » ما حاصله : أن الرقص والتباكي مباح إذا لم يقصد به المراآت . انتهى . راجعه في ٢٢٨ من الجزء الثاني ، إلاّ أنه نقل الخادمي عن « الزخيرة » أن من أباحه من المشائخ فذلك الذي[1] حركاته كحركات المرتعش ؛ أي : ما يكون بلا اختيار ، راجع « البريقة » في ٥٧٤ .

وفيه : ونقل عن « حاوي المنية » الرقص وضرب الرجل على الرجل والمشي في الذكر والدوران كفر . انتهى . لعل مراده استحلاله واعتقاد كونه عبادة .

وعن السهروردي ، وهو عن أبي العباس السقا يقول : تطوف الشياطين عراة بأطراف قوم يشتغلون بالسماع والرقص ويلعبون بينهم وينفخون في فيهم فيتواجدون . انتهى عبارته .

أحكام المذاهب في الغنى والرقص

وفيه أيضاً : قالت الشافعية : الغناء لهو باطل ، أي : يشبه الباطل ، من قال به ترد شهادته .

وقالت المالكية : يجب على ولاة الأمور زجرهم وإخراجهم من المساجد وحبسهم حتى يتوبوا ويرجعوا .

(١) عله : لذي حراكات ، عله . (هامش الأصل) .

وقالت الحنابلة : لا يصلي خلفه ولا يقبل شهادته ولا حكمه .

وقالت الحنفية : الحصير الذي يرقص عليها لا يصلى عليها حتى تغسل ، والأرض التي يرقص عليها لا يصلى عليها حتى يحفر ترابها ويرمى ، والله أعلم . انتهى عبارته ٥٧٥ من الجزء الثاني .

وفيه في ٥٧٦ من الجزء الثاني : وحين أُستفتي من شيخ الإسلام چوى زاده ، أفتى : أن الرقص والدوران حرام في المذاهب الأربعة ، وحرمته بالكتاب والسنة والإجماع ، فيكفر مستحلّه بالاتفاق . انتهى عبارته .

وفي « الطريقة المحمدية » : ورأيت فتوى جلال الملة والدين الكيلاني رحمه الله أن مستحلَّ هذا الرقص كافر . انتهى عبارته .

وقال ابن حجر[1] في « كف الرعاع » : إن التواجد من الذنوب ، فليتق الله ربَّه ، ولا يتحرك إلا إذا صارت حركته كحركة المرتعش الذي لا يجد سبيلا إلى الإمساك . انتهى فراجعه في ٥٨ من هامش « الزواجر » من الجزء الأول .

وقد أجاب سليمان الزهدي الخالدي النقشبندي قدس سره حين سُئل عن جواز الرقص وعدمه بما يشفي الصدور ، وبيَّن أقوال كل فرقة ، ثم قال : وهم ثلاث ، منهم من يجوِّزون الرقص والسماع مطلقاً ، لتحصيل المنافع المعيَّنة عندهم ، وأيَّده بتمايله ﷺ ، ومنهم من يجوّزونهما لعارف مكين لا للمبتدئ[2] ، وأيَّده بقوله (لي مع الله وقت) ، ومنهم من لا يجوِّزونهما كالنقشبندية ، والسائل منهم ، وأيّده بقول الفقهاء : (**فإنَّ دَرْأَ المفسدة مقدم على جلب المصلحة**) ، فكان الجواب كفصل الخطاب ، كذا في « مجموعة الرسائل » في هامشه والكلام في الرقص كثير ، ولعل في هذه المذكورات كفاية .

ثم اعلم يا أخي أن جامع القطبتين محمد ذاكر الچسطاوي قدّس سرّه ، وهو آخر الخلفاء المحموديَّة وأسبقهم مقاماً ، قال في بعض مكاتبه : إن أصول

(١) نقله عن السهروردي قدس سره (منه) . (هامش الأصل) .
(٢) وراجع « المكتوبات » في ٣٨ من الجزء الأول . (منه) . (هامش الأصل) .

الطريقة العلوية تخالف أصول النقشبندية التي هي الطريق الصديقي ، وإن ابتداء سير الطريق النقشبنديّ من عالم الأمر والسير الأنفسي ، والسير الآفاقي يتم في ضمنه على ما قالوا بخلاف سائر الطرق ، فإنَّ ابتداءهم من عالم الخلق ومن السير الآفاقي مقصوداً . انتهى من خط خطه .

والمراد من عالم الأمر هو اللطائف كالقلب والروح وإلخ . والمراد من عالم الخلق هو النفس ، فافهم ؛ يعني : أن تصفية اللطائف بالأذكار مقدمة في الطريقة النقشبندية على تزكية النفس عن الأخلاق الردية ، ولا سلوك عندهم خاص في تزكية النفس ، بل التزكية حاصلة في ضمن تصفية اللطائف وضمن الجذبة ، ولهذا تكون هذه الطريقة أقرب وأسهل ، فافهم .

وقد بين الإمام الرباني في مكتوباته حال الفريقين بالتمام ، وقال : ولما وصل جماعة من سلاك هذا الطريق بالرياضات الشاقة والمجاهدة الشديدة إلى ظل من الظلال ، ظنوا أن الوصول إلى المطلب منوط بالرياضات الشاقة والمجاهدات الشديدة ، ولم يعلموا أنَّ له طريقا آخر أقرب من هذا الطريق ، وموصل إلى نهاية النهاية ، وهو طريق الاجتباء الذي هو منوط بمجرد الفضل[١] والكرم ، والطريق الذي اختاره هؤلاء الجماعة هو طريق الإنابة مربوط بالمجاهدة ، والواصلون من هذا الطريق أقل قليل ، والواصلون من طريق الاجتباء جمٌّ غفير ؛ منهم الأنبياء عليهم السلام ، كلهم ساروا على طريق الاجتباء ، وأصحابهم رضوان الله عليهم أجمعين ، أيضاً وصلوا من طريق الاجتباء بالتبعية والوراثة ، ورياضات أرباب الاجتباء إنما هي لأداء شكر نعمة الوصول ، قال عليه الصلاة والسلام في جواب السائل عن وجه رياضته الشديدة مع كون ذنوبه المتقدمة والمتأخرة مغفورة « أفلا أكون عبداً شكوراً » ، ومجاهدة أهل الإنابة لأجل حصول الوصول شتان ما بينهما .

وطريق الاجتباء الحمل والجذب على الطريق ، وطريق الإنابة السير على الطريق ، وبين الجذب والسير فرق عظيم ، يجذب سريعاً ويوصل به بعيداً ،

---

(١) وهي الطريقة النقشبندية . فافهم . (هامش الأصل) .

والسائر يسير بطيئاً ، وربما يبقى في الطريق ؛ قال حضرة الخواجه بهاء الدين النقشبند قدّس سرّه : نحن المفضلون . نعم ؛ لولا الفضل كيف يمكن أن تكون نهاية غيرهم مندرجة في بدايتهم ، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ . انتهى عبارته فراجعه في ٣٦٥ من الجزء الأول .

ومعنى اندراج النهاية في البداية ؛ أن الجذبة التي هي توجّه القلب إلى جناب الحق تعالى وحضوره التي لا تحصل لغير النقشبندين إلا في النهاية تكون مندرجة لهم في بدايتهم . فافهم .

وسألت أيضاً : هل يجوز الرابطة في الصلاة ليتوسل إلى الحضور ؟ إلخ .

اعلم أيها الأخ : أنَّ الإمام السهروردي قال في « عوارفه » : ويسلم على النبي في (التحيات) ، ويمثله بين عيني قلبه ، ثم يسلم على عباد الله الصالحين . . كذلك .

وفي « تاج العروس » : إذا دخلت في الصلاة فإنك تناجي الله وتكلم رسوله ؛ لأنك تقول : (السلام عليك أيها النبي) ، ولا يقال (أيها الرجل) عند العرب ، إلا لمن يكون حاضراً . انتهى .

وفي « الإحياء » : واحضر في قلبك النبي وشخصه الكريم ثم قل : (السلام عليك أيها النبي) . انتهى .

نَعَمْ ؛ مخاطبة غيره ﷺ في الصلاة مبطلة لها ، وإحضار الصورة فيها والتسليم على صاحبها من خصائص روح الوجود وصاحب المقام المحمود ، كذا في « رسالة الرابطة » لمولانا حضرة خالد ، ولعل معناه أن إحضار صورة[1]

---

(١) وأما الخواطر التي تجيء للإنسان حال كونه في الصلاة ؛ من صورة الممكنات بإرادته أو بغير إرادته ، من غير قصد عبادة لها ؛ فما قال أحد من الفقهاء : مثلها يفسد صلاة المصلّي ، ولا قال : يحرم ، بل مثلها معدودة من تكليف ما لا يطاق ، وأما المفسد اتخاذ واحد معين معبوداً لنفسه ، وإحضاره في نفسه لقصد العبادة له . . إلخ . « تبصيرة الفاصلين عن أصول الواصلين » من عينه بيدي . (هامش الأصل) .

الغير عند خطاب : (السلام عليك) لا يجوز ، وإلاّ فإنَّ مطلق إحضار صور الأولياء في الصلاة لأجل جلب الخشوع والحضور مرغوب مشروع ، كما قال حجة الإسلام الإمام الغزالي في باب الخشوع في « الإحياء » ما معناه : فإن كان المصلي لا يخشع في صلاته فليلاحظ عنده أو خلفه أو أمامه رجلاً صالحاً يستحي منه ، من أستاذه أو شيخه ، وكأنه ناظر إليه ، فحينئذ يتم ركوعه وسجوده وخشوعه وحضوره بسبب اطلاع ذلك الصالح على صلاته ، كذا نقله صاحب « الفتاوى العمرية » قدس سره .

وفيه : وفي الحديث « عند ذكر الصالحاء تنزل الرحمة » وكيف لا يجوز ذكر الصالحين وتذكرهم وتفكرهم ؟ ! مع أنا مأمورون به في قوله تعالى ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ ، ونسلم عليهم ، ونقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فهل يكون القراءة بلا ملاحظة معنى ، بحيث لا يعرف محل توجُّه الضمائر ومرجعها ، فنلاحظهم ونذكرهم بالمحبَّة الكاملة . انتهى عبارته .

وفيه أيضاً : وأما الشيطان في (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ، وكذا اليهود والنصارى في ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ فنذكرهم على طريق العداوة ، ونخيِّل صورهم حين ذكر اسمهم الخبيث بالبغض والنفرة والعداوة . انتهى عبارته .

وفي « رسالة الرابطة » : لفصيح أفندي قدّس سرّه : ثم إذا كان التفكر في آلاء الله تعالى ، وفي خلق السموات والأرض جائزاً ومرغَّباً فيه ، فكيف لا يجوز ذلك في أفضل خلق الله تعالى ، وأشرف آلائه محمد عليه السلام ، وخلفائه وأتباعه الكاملين الذين هم نجوم الهدى في الدين ؟ ! انتهى .

وقال الشيخ حسين الدوسري في « الرحمة الهابطة » : إن استحضار الشيء سببه تعلّق القلب به ، وأهل هذا الفن مع تعلق القلب يتكلّفون استحضار صورة محبوبهم ، ولا يحصل لهم إلاّ بالتكلف ؛ لأنهم دائماً يسعون في تطهير قلوبهم بإزالة ما سوى الله منها بواسطة الرابطة في غير وقت العبادة . انتهى . فراجعه في ٢٣٧ من الجلد الأول من « الدرر المكنونات » .

وأيضا قال فيه بعيد هذا : قد علم وقرر واشتهر أن المصلي يسنُّ له النظر إلى موضع سجوده في جميع صلاته ، ويسن للأعمى ومن هو في ظلمة أن تكون حالته كحالة النظر لمحل سجوده ، والمراد من ذلك جمع القلب والحضور وعدم التفرقة ، وهذا من أنواع الرابطة ، أفلا نجعل تخيل الرابطة كتخيل الأعمى النظر إلى موضع سجوده في جميع صلاته لحصول الفائدة ؟ ! فإن المقصد واحد ، إلا أن أهل الرابطة يفعلونها في غير وقت الصلاة ليحصل لهم جمع القلب على الدوام ، وليتوصَّلوا بها إلى رابطة الصلاة ؛ وهي : أن تعبد الله كأنك تراه . انتهى عبارته .

وفيه أيضاً : وقال الشيخ أحمد بن عبد الحي الحلبي في آداب الصلاة على النبي عليه السلام ، تنبيه : اعلم أنه يتأكَّد على المصلي على النبي عليه السلام أن يتصوَّر وقت الصلاة عليه ﷺ صورته الكريمة في مرآة قلبه . انتهى عبارته ، فراجعه . وقد اكتفيت بهذا القدر اليسير ، ولعلك تفهم المراد فإنك عالم بصير .

ثم اعلم أيها المأمون في السر المصون أني أرجو الله تعالي أن يكون بسببك خير كثير لأهل الإرادة ، فإنهم يدورون خلف ما دار أمثالكم ، يسعون على ما سعى أشباهكم ، فعليك بالاجتهاد لجمعهم في محلِّ قراءة الصلوات والختمات ، ولا ترخِّصهم في تركها إلاَّ إن كانت لهم أعذار معلومات ، واحذر من أن يكون مجلسكم محلاًّ لإنشاد القصص والحكايات ؛ أي : التي ليس فيها حث على العبادات . . .إلخ .

كل شيء يجتمع مع الاجتماع فهو مبارك

ومن المعلوم أن من حسن إسلام المرء اشتغاله بما يعينه وإعراضه عما لا يعنيه ، فلا بدَّ إذاً من حفظ الأوقات لئلا تتلف في الأمور لا طائل فيها ، ففي وقت تشتغل بالتدريس مع حفظ الوقوق القلبي والحضور ، وفي وقت آخر تتوجَّه إلى الشغل بالذكر مع الحذر عن الفتور ، وكن مع الإخوان على حفظ

نسبة الباطن ؛ وهي : الحضور ، لأنَّ اجتماع الأصحاب في هذا الطريق إنما هو لجمعية الباطن لا لتشتيت الخاطر ؛ ولهذا اختاروا الخلطة[١] على الخلوة وطلبوا الجمعية من الاجتماع ، ومتى كان الاجتماع سبباً للتفرقة يلزم التحاشي منه والتباعد ، وكل شيء يجتمع مع الاجتماع فهو مبارك ، وإلا فمشؤم وغير مبارك ، كما نطق بمثل هذا الإمامُ الرباني ، فحفظ المجلس من الغفلة واجبٌ ، وترك الشغل للشغل لازم ، والمجانبة عن كلِّ كلام لا يحصل به الفائدة لأهل المجلس من أهمِّ الأمور ، والمقصود من الملاقاة والاجتماع ، إما الإفادة وإما الاستفادة ، فإذا خلا المجلس من كلا هذين الخصالين فهو خارج عن الاعتداد به ، ولهذا تحثُّ المريدين بملازمة الحضور والوقوف بقدر الطاقة لينعكس حال من يحضر إلى من يغفل عنه تعالى ، فإن الحكم للغالب فافهم ، وزوال الغفلة مطلوب ، وهو مفتاح السعادات ، والحضور روح العبادات ، وزوال الغفلة لا يكون إلا بنزول رحمة الله تعالى على عبده ، ومن أسباب نزول الرحمة ذكر الصالحين ، **وعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة** ؛ ولأجل هذا ينبغي لكم أن تقدموا الرّابطة مع آدابها وقت قراءة الختم والصلوات ، وأن تقرؤا السلسلة الشريفة المُعَنْعَنَة ، فقد كان شيخنا المرحوم قدّس سرّه يأمرنا بذلك ، بل كان يؤكِّدني بعدم أكل شيء لم يقرأ عليه السلسلة العليَّة ، ولا تهتمَّ بعدم ذوق الأحوال ، فقد قال الإمام الرباني : إن عدم وجدان الذوق وفقدان فرصة الفرح فوق وجدان الذوق والفرح . انتهى . فالعدم المحض أسنى الأحوال ، فهذا ؛ والسلام وأوصيكم بالدعاء .

ثم المراد منك أن تأمر تلامذتك أن ينقل واحد منهم ورقاً ، وينقل آخر ورقاً ، وتترك ما كتبوه لديك أو تترك ما كتبتُه عندك وترسل ما كتبوه لديَّ[٢] ، لأن الناس يسألون كثيراً مثل ما سألتَه ، وأحتاجُ إلى كتابة السؤال وتصعب عليَّ كتابته ثانياً ولا أتفرَّغ فافهم ، ولم أتفرغ لنقل هذا المسوَّد إلى البياض لكثرة

(١) أي : مع الأصحاب ، لا مع كل أحد . فافهم . (هامش الأصل) .
(٢) ليكون كلتا النسختين سبباً للدعاء من الطرفين .

الشواغل ، فالصفح مطلوب ، وسبب تأخير إرسال هذه الكراسة لديك فقدان لقاء من يحملها لديك . انتهى .[1]

مكتوب إلى أبي سفيان

بسم الله خير الأسماء ، ولله الحمد والثناء ، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وأصحابه بررة الأتقياء والأصفياء ، آمين . وعليكم التسليمات والدعوات والتحيَّات أزيد مما أرسلتم إلينا بألوف ،

أيها الأخ البعيد القريب العالم المدرِّس أبو سفيان ! فلقد وصل لديَّ رسالتكم مع كتاب العالم محمد العوري الكائن في « غزانش العلى » مؤذناً ، ولعلكم ظننتم أنه كتابنا ، وأنا- إن شاء الله تعالى- أرسله لديه بيد الرحيل .

(١) قال رسول الله ﷺ : « تخللوا فإنه ليس شيء أبغض إلى الملائكة من أن يروا في أسنان العبد طعاماً » .

عن النبي ﷺ : « المتخلِّل من أمتي » . انتهى .

وفي خبر آخر : « إن من حقِّ الضيف أن يُعدَّ له الخلال » . انتهى .

عن سعد بن معاذ رضي الله عنه : « نقُّوا أفواهكم بالخلال ، فإنها مسكن الملكين الحافظين الكاتبين ، وإن مدادهما الريق ، وقلمهما اللسان ، وليس شيء أشد عليهما من فضل الطعام في الفم » . انتهى .

مكارم الأخلاق في الماء المغلى . عنه ﷺ عبارته ٣٦ .

الماء المغلى ينفع من كل شيء ولا يضرُّ من شيء . (منه) عبارته ٤٦ .

قال النبي ﷺ : « يا علي افتتح بالملح ، واختتم به ، فإن فيه شفاء من سبعين داء ؛ منها الجنون ، والجذام ، والبرص ، ووجع الحلق ، ووجع الأضراس ، ووجع البطن » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي ﷺ « ثلاث لقمات بالملح قبل الطعام ، وثلاث بعد الطعام تصرفان سبعين نوعاً من البلاء ، منها : الجنون ، والجذام ، والبرص » . وقال أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه : ابداؤا بالملح في أول الطعام ، فلو علم الناس ما في الملح لاختاروه على الترياق المجرب ، عن أبي عبد الله رضي الله عنه قال : « إنَّا نبدأ بالملح ونختم بالخلِّ » . انتهى (منه) عبارته .

❊ ومما يذهب داء الطعام المغيِّر لمزاج القلب أن يدعو في أول الطعام ، ويسأل الله تعالى أن يجعله عوناً على الطاعة ، ويكون من دعائه : اللهمّ صل على محمد ، وعلى آل محمد ، وما رزقتنا مما نحب اجعله عوناً لنا على ما تحب ، وما زويت عنا مما نحب اجعله فراغاً لنا فيما تحب . « عوارف المعارف » للسهروردي عبارته ٦١٢ .

ثم إنكم كتبتم أنكم نظرتم إليه من أوّله إلى آخره ولم تصادفوا فيه على ما يتكدر القلب فللّه الحمد على ذلك وله المنَّة ، وعرَّضتم فيها بالإشارة بأنكم تريدون أن تفوزوا بإجازة العلوم . اللهم نعَمْ فنعَمْ فنِعْمَ ما ظننتَ ، فنحن- إن شاء الله تعالى- نستخير الله سبحانه في خصُوص ذلك ، فبعد حصول الانشراح ووصول الإشارة نكتب لكم صكّ الإجازة إن شاء الله تعالى ، جزاكم الله عنا خيراً ولا لاقاكم ضرّاً ، فقد يسرّني بسماع خبركم ، ويشرح صدري بذكركم ، جعلكم الله وإيانا من التابعين لسنة النبي المختار ﷺ ، وأيَّدنا على آداب السادات الأبرار الأخيار ،

ثم اعلم أيها الأخ المأمون في السر المصون أنِّي على قصد غلق بابي والاختفاء في قعر داري بحيث لا أدْري ولا أُدْرَى ، وقد كنت منذ زمان أظنّ أنِّي لست أهلاً لهذه الوظيفة الإرشادية والتلقينية ، بيد أنِّي لما رأيت في كتب السادات أن الكامل قد يعطي الإجازة للناقص بعد وصوله درجةً أو درجتين أو ثلاث درجات من درجات الولاية ، فإن يده حينئذ يد الكامل ، وتربيته تربية الكامل ، كما هو مصرَّح في « الرشحات » و« البهجة » و« الدرر المكنونات » وغيرها من كتب السادات .

كنت ظننت أن مشائخنا إنما أجازوا بناء على هذه الكيفية لكنّي لما رأيت ما كتبتم في جرائدكم من شروط الإرشاد شكرت سعيكم ووافقتم رأيي ، وأغْلِقُ باب داري ، وأعلّمكم أني لست أهلاً لهذا ، ولست بمقام مريد ، شكر الله سعيكم حيث دلَّلتم أمثالنا الناقصين على نقصنا ، لكن ظن الحقير لا يسيئ بمشائخه المجيزين له ، ولعلهم أجازوه لعلمٍ عندهم ، والفقير معذور ، ولو لا ثقته بهم لما تصدّر لهذه الوظيفة أصلاً ، فغفرَ الله لنا ولجميع الأمة ، آمين هذا ، والسلام ، وأصيكم بالدعاء لهذا الكاتب المعلوم القحي .

تقريظ محمد الشتوطي

سبحان من وضع الأشياء موضعها ، ورتَّب الخلق في تحكيم حكمتها ، وزيَّن في قلوب المؤمنين الإيمان ، وكرَّه في قلوبهم الكفر والعصيان ، وجعل فيهم نفوساً زكية يفقهون معالم الإيمان ، وحقائق الإيقان .

فنشكره شكراً جميلاً على إيجاد مثل هذا العالم الرشيد الصبور بين طائفة الجهلة الأخيرة التي قلَّ فيهم الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ، وعلى تنبيه مثله إلى حيازة سلائق السادات الأخيار ، في مناهج طوائف التابعين الأبرار ؛ من جمع فرائد الشيخ المرشد القطب الزماني ، كما جمعوا درر الشيخ القطب المجدد للألف الثاني ؛ منبع الفيض الرحماني حضرة الإمام الرباني ، توسعة لدائرة حياض فيضه الصمداني المنصبّ على أفئدة مريديه العطاش من التهاب نيرانه الموقدة ؛ في أحشائهم وأكبادهم ، وتخلية لغطاء الظلمة عن وجوه معضلاتهم .

طوبى لمن ذاق كأساً من محبته ... وأخلص الود في إلحاظ حضرته

فرب من ذاكر قد حاز من نفس ... ألوف جوهره في حال لحظته

فحبذا صنع هذا العبد في وزنه ... يوم الحساب جبال من مثوبته

له على الله أجر المستفيد به ... إلى نفاد الزمان فيض رحمته

جعلنا الله تعالى من المتقين الخالصين المخلصين ، وأفاض علينا فيوضات أولئك المرشدين العارفين . آمين .

(من راجي رحمة ربه المعطي ، محمد بن حجيو الشتوطي) .

تقريظ النهري

بسم الله الرحمن الرحيم

نـعـم الـكتاب كتاب الشيخ مرشدنا	شـمـس الـهـداية وضاح الطريقات
نعم المؤلف مكتوبات سيدنا	بحر العلوم وتصديق المقالات
ما حاز حظّاً من الأبرار في الأكم	مثل العليم الذي زين العبارات
طوبى لكم أسبق الأقران في الحكم	بجمع هذا الذي أنواره تأتي
لعل خالقنا رب الخليقات	يجزيكم بجزاء الخير في الآتي
نرجو الإله بتوفيق لكم أبداً	بجمع أمثالها من المهمات
ثم الصلاة على المختار شافعنا	بأحمد المصطفى خير البريات

الكاتب الحقير النهري

تم ولله الحمد

فهرس

الجوهرة النفيسة في إعانة
الطريقة النقشبندية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي لا يضرُّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم . أعوذ بكلمات الله التامَّات من غضبه وعقابه ، وشرِّ عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون ، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العليّ العظيم ، ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم ، من يهدي الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليّاً مرشداً ، وإن يمسسْك الله بضُرٍّ فلا كاشف له إلاَّ هو ، وإن يمسسْك بخير فهو على كلِّ شيء قدير ، يؤتي الحكمة من يشاء ، ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً .

الحمد لله الذي أنعم علينا بالنعم الظاهرة والباطنة ، وجعلَنا من أُمَّة حبيبه محمد المصطفى ﷺ ، ولم يجعلنا من الكَفَرَةِ الفَجَرَة ، وفضَّلَنا بمحض فضله بالهداية إلى الطريقة السالمة ؛ أَلاَ ! وهي الطريقة النقشبندية الخالصة من البدع الضالة ، والصلاة والسلام على محمد الذي اقتصر[1] الخِلافة الباطنة على أفضل الأمة بعد الأنبياء أبي بكر الصديق عليه الرحمة والرضوان ، وعلى صِهره الذي هو سيّد الشُجْعَان عليّ المرتضى كرَّم الله وجهه .

(١) هكذا في النسخة التي بيدنا ، ولعلّه : أقصر أو قصّر .

❊ **رشحة**

قال قدس سره : إنَّ التعلُّق بالمرشد وإن كان تعلُّقاً بالغير واجب النفي في الأخير لكنَّه في الأوَّل سبب الوصول ونفي التعلق عن ما سوى المرشد من اللوازم .

قال المشائخ قدس الله أرواحهم : التوفيق مع السعي وكذلك يكون مدد روحانية المرشد للطالب على قدر سعيه بأمر المرشد فإنه لا بقاء لهذا المعنى بدون السعي وليس لتوجه المرشد للطالب بقاء فوق أيام قلائل « رشحات » . انتهى اختصاراً عبارته ٦٩ .

وسمعت سيّدي عليّاً الخواص يقول : الحكم في جميع الأعمال الصالحة لغلبة الباعث ؛ فمن غلب عليه تلاوة القرآن لدنيا يصيبها حبط عمله المذكور ، أو للأجر الأخروي فلا حبوط .

قال ومن أراد من الفقراء أخذ الأجرة على القرآن أو العلم من غير نقص الأجر في الآخرة فليعقد نيته على تلاوته تقرُّباً إلى الله عز وجل ، ثم يأخذ تلك الدراهم التي تعطى له على تلاوته على نيّته أنَّ ذلك ابتداء عطاء من الله تعالى لا بيع لقرائة القرآن والعلم بتلك الدراهم . انتهى « لواقح الأنوار القدسية » . عبارته ٢٠٤ ج١ على هامش « المنن الكبرى » . (هامش الأصل) .

فجميع الطرق مع كثرتها ينتهي انشعابها إلى هذين البحرين التيّارين[١] ، وينتمي أنجمها إلى ذينك النَيِّرَيْنِ السيارين ، ونسبة الطريقة مسدودة أبوابها وممنوع انشعابها إلا لهذين الإمامين ، وعلى آله وأصحابه وأولاده وأزواجه أمّهات المؤمنين .

وبعد :

فيقول العاجز عن أداء حقوق الأستاذ فضلاً عن أدآء حقوق الله سبحانه ، الراجي من الله العفوَ والمسامحةَ عمَّا صدر منه في المعاملة **حسن بن العالم الحاج محمد القحي الهدلي** رحمه الله إفلاسه ، وستر عيبه وغفر ذنبه ، آمين اللهم آمين :

لما رأيت - أكثر الخلق في هذه الديار الداغستانية وقعوا في هذه الطريقة حَيَارَى ، لا يعلمون أن يفرِّقوا بين الحقِّ والباطل بكثرة المُنْتَحِلِينَ وأهل الدعوى ، ووجدْتُ الطريقة النقشبندية السالمة - الباقية على أصلها ، من غير زيادة ولا نقصان ، بلا امتزاج البدع والأهواء فيها مُذْ زمن مؤسِّسِها إلى زماننا هذا - محرَّفة عن أصلها ووضعها بإدخال المتشيخين فيها ما أرادوا من الأذكار اللسانية والأوراد الجهرية ، وشَاهَدْتُ من المنتسبين إليهم عدم الإنتاج من تلك الأذكار والأوراد ، بل تحقَّقنا منهم أنَّ هلاكَهم أقرب من سلامتهم ؛ ولو داموا يذكرون الله ليلاً ونهاراً ؛ لأنَّ شرط الذكر النافع الناتج أن يأخذه الذكر[٢] بالتلقين من أهل الذكر الذين رَخَّص لهم شيخه[٣] الكامل العارف المأذون له ، وهو كذلك إلى أن يتَّصل نسبته إلى النبي عليه السلام .

وتَحَقَّقْتُ منهم عدمَ شمِّهم من رائحة الإخلاص شيئاً مّا - **مع أن مراد جميع أشياخ الطريق بتسليكهم الناس أن يوصلوا المريد إلى مقام**

---

(١) التيار : الموج . « صحاح » .
(٢) هكذا في نسخة التي بيدنا ، ولعلَّه : الذاكر .
(٣) ولعله : شيخهم .

العمل بالإخلاص - بزَعْم بعض منهم أنه أخذ الإذن من الروحانية وأنه أُوَيْسِيٌّ ، وبزَعْم بعض آخرَ منهم أنه أخذ من النبي عليه الصلاة والسلام بلا واسطة ، وبزَعْمِ أبعاض منهم أنهم أخذوا كذا وكذا . ولم أجد من ينبِّههم على عدم جواز ما هم عليه - صرْتُ[١] في غيره[٢] ؛ ولأجلها كنت شمَّرت الذيل لتأليف كتاب بُيِّنَ فيه جميع اختراعات أولئك المدّعين ، مع أن[٣] بيان الدلائل والنصوص لردِّ تلك الاختراعات والبدعات .

فبتوفيق الله تعالى وإعانته ، وباستمدادات أرواح ساداتنا النقشبنديين أَتممتُ تأليفَه ، وصار ذلك الكتاب مقبولاً عند قطب الأولياء ذي الجناحين العسليّ قدس سره ، وصدَّقه بأحسن تصديق ، وكذا صدَّقه العلماء الربّانيون ، والعرفاء[٤] النقشبنديُّون ، وغيرهم من علماء الظاهر من الفقهاء ، وكتب عليه صكَّ الإجازة والتصديق ، وسمّيته : « بالدرّة البيضاء في ردّ البدع والأهواء » ، فصار ذلك الكتاب - فالحمد لله رب العالمين - كتاباً حافلاً لجميع قواعد أهل التلقين والإرشاد ، وقواعد الأذكار والأوراد بحيث يُقرُّ له من نظَر إليه بالنظَر الصائب ، ولكن المعاند لا يروِّج الخالص ، ومعلوم مشهور أنَّ من تفرَّد بالفضل والكمال فهو محسود بين الخلق والأنام .

فوقع ذلك الكتاب في يد من كان في عَهْد واحدٍ ؛ لم أكن علمتُ أنه[٥] من جملة هؤلاء المتشيِّخين ، فنسخ ذلك الرجل من ديباجة ذلك الكتاب أَسْطُراً ، وخلطَت الوُشَاةُ[٦] في المحاورة نميمة ممَّا لم أكن قلته ، ولا أنا ظننته ، وأغروه[٧] على كتابة السطور على ذلك الكتاب بالردودات ، وقالوا

---

(١) جواب لمَّا رأيت .
(٢) لعله : في تغييره .
(٣) لعله زائدة .
(٤) العريف والعارف بمعنى ، مثل عليم وعالم ، وقال سيبوَيْه : هو فعيل بمعنى فاعل ، والجمع عرفاء . « تفسير الطبري » .
(٥) أي : الواحد .
(٦) والمشاء : النمام . والمشاة : الوشاة . « القاموس المحيط » .
(٧) أي : ذلك المتشيخ لا المريد .

له : إنّ المراد من بعض من ذكرته في ذلك الكتاب إجمالاً هو نفسه وشخصه . فالتهب وقتئذ من رأس ذلك الواحد المذكور نارُ الغضب والحسد ، وأظهر من نفسه ما كان عنه لدينا مستوراً ، كما يُظهر الغراب وَكْرَه بأصواته ، فشمَّر لتأليف رسالة على ما وقع بيده من تلك الأسطر ما يراد[1] الردودات والاعتراضات بلا بيان النقولات والمأخوذات ، بل بما ظهر له من المسموعات ،

ثم بعد زمان أرسل ذلك الرجلُ الذي أوقع ذلك الأسطرَ إلى يده تلك الرسالة لدينا - فجزاه الله ومؤلِّفَ الرسالة عنّاً خيراً وألهمنا وإياهما رُشداً ، آمين - فوجدتُ فيها أشياء يظنُّ الناس أنها صائبةٌ مع أنها في الحقيقة غيرُ مقبولة ، وعند العرفاء غيرُ مرضيَّةٍ ، فخفت على الخلق من تلبيس إبليس - عليه الطرد واللعنة - لأنه هو المتجرِّد لإغواء الأُمَّة ، والمتفرّد لجلب الغُمَّة ، فرضي الله تعالى عن ذلك الكاتب ؛ وهو : العالم الحاج علي العبوخي ، فقد أصاب وأحسن لو كان قصدُه ونيَّته من كتابتها إظهارَ الحقِّ الذي عنده لمجرَّد وجه الله ، لا للتحاسد والتغاضب . فلا يخيِّب الله سعيَه ، بل يشكر عملَه ؛ لأن أجور الأعمال بالنيات ، والنيات تجب أن تكون خالصاتٍ ، وإلا تكون خاسراتٍ وعن الثواب خالياتٍ ، وإن كان قصدُه غيرَ ذلك فلعلَّ اللهَ تعالى يغفر له وهو الغفور الرحيم ، ذو الفضل العظيم والبِرِّ العميم .

قف على كون الإذن من أرواح المشائخ ومن أصحاب النوبة

فإذا كان الأمر كذلك طلبتُ من أرواح مشائخنا الإذن لتأليف كتاب ببيان ما عليه رَأْيُنا ، وإظهار ما وافق النقول ، وما خالف السنة والنصوص ، واستأذنت أيضاً من أصحاب النوبة واستمددت منهم ، فبعد انشراح الصدر وحصول الفرح شرعت في تأليفه راجياً من الله أن يجعله خالصاً لوجهه وأن يُدخلنا في جملة أحبابه مع من وقع سبباً لهذا التأليف ، **وسميته بـ :**

« الجوهرة النفيسة في إعانة الطريقة العلية »

---

(١) لعله : تراد .

كما سمّيت أصلها بـ « الدرة البيضاء في ردِّ البدع والأهواء » ، فأسأل الله تعالى أن يجعلهما نافعيْن للعباد .

والمطلوبُ من كلّ من وصل إلى يده ذانك الكتابان أن يدْعوَ لي ولشيخي وسندي بالعفو والعافية ، وهما من جوامع الكلم والدعوات ، ولا سيَّما المقصود الأعلى من هذا العالم **الحاج علي** – هداه الله إلى ما يرضاه ، آمين – أن لا يسيئ بنا الظنّ ولا يحسُدنا ، وأن يكون سليم الصدر غيرَ حاقد ، كما كنا كذلك في حقِّه ، وأن يُسلكنا في دعواته وتضرُّعاته ، وأن يكتب على كتابنا هذا ما ظهر عنده من الحقِّ ، وأنا على ذلك راض ، وبظهور الحق – ولو كان عند غيري – فرِحٌ مستبشرٌ .

والمعلوم الظاهر أنَّ هذا الزمان زمان خَؤُون ، وأكثر الناس همَّازون مشَّاؤون ، فلا يجوز لعاقل أن يَثِق أكثر أقوال الوُشاة ؛ فإن الأغلب فيهم انتقال[1] الأقوال ، وإغراء الناس على التباغض والتحاسد . **ولا يخفى أنّ من نمّ لك نمَّ عليك** ، فيجب على من له أدنى نصيب من الإيمان أن يحمل كلام العباد وأقوالهم إلى محمل حسنٍ ، ويجب على من تفجَّر من قلبه على لسانه ينابيع الحكمة أن لا يتكلَّم بين الناس إلا على قدر عقولهم وفهمهم ، وإلاَّ فيحرِّفون الكلِم عن مواضعها ويقلبونها عن مصارفها .

وقد ذكر الخادميّ في شرحه على « النصائح الولدية » للغزالي هذه العبارات : لا تنطقوا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ، ولا تمنعوها عن أهلها ، ولا تطرحوا الدُرّ تحت أرجل الخنازير ، ولا تُعلِّقوها في أعناق الكلاب . فاحتيج في تأليف هذا الكتاب – وفقاً على ما كان الباعث إلى جمعه – إلى تقديم مقدمة ليبني عليه الكلام . **فنقول** : وله الحمد بجميع محامده ، ما علمت منها وما لم أعلم ، على جميع نِعمه ما علمت منها وما لم أعلم ، عدد خلقه كلِّهم ما علمت منهم وما لم أعلم .

---

(١) علَّه : نقل الأقوال .

اعلم أيها الأخ المشرِّح لديباجة كتابي - جزاك الله عنا خيراً وجعلك من أقرب المقرَّبين آمين - أنه ينبغي لكلِّ ذي عقلٍ ودين أن لا يقع في ورْطة الإنكار والاعتراض على هؤلاء القوم من الأولياء ، فإنه السَّمُّ القاتل ، كما شوهد ذلك قديماً وحديثاً ، لكن إذا ظهر واحد يدَّعي الشيخوخة ويزعم مقام الدعوة إلى الله ، يجب على العاقل العالم والجاهل المقصّر أن يتفحَّص من أحواله ، ويتفرَّس من صنيعه ، فإن وجده صادقاً وظهر منه أمارة الصدق ، ووافق ما يفعله فيلقِّنه[1] من الأوراد والأذكار على ما كان عليه أشياخه في زَعمه من غير تحريف ولا تبديل ، ونتج عنده المريدون وفُتح عليهم ، صَدَّقَهُ وأَقَرَّهُ ويجب عليه إعانته وإمداده . وإن وجده على خلاف ما ذُكر يجب عليه أن ينكره ويعترضه ويمنعه عما يفعله ؛ لأنه شيطان في زيِّ شيخ ، وفِتْنته على الخلق أكثر من فتنة الشيطان الحقيقيِّ ؛ وهو قاطع طريق الله ومانع الناس من الوصول إلى حضرة الله .

قال خاتمة المرشدين الكاملين ، وإمام العلماء العاملين ، وقدوة الأولياء الواصلين ، المظهرُ ، الأظهرُ الرحمانيُّ الشيخ محمد بن عبد الله الخاني الخالدي النقشبندي - قدسنا الله بسره وأمدَّنا بمدده رضاه وبرّه - نقلاً من كتاب « الأسفار » شرح « رسالة الأنوار » في أثناء وصاياه في « البهجة السنية » :

وصية : يا أخي - رحمك الله - قد سافرت إلى أقصى البلاد ، وعاشرت أصناف العباد فما رأت عيني ولا سمعت أذني أشرَّ ولا أقبح ولا أبعد عن جناب الله تعالى من طائفة تدَّعي أنها من كُمَّل الصوفية ، وتنسب نفسها إلى الكمل وتظهر بصورتهم ، ومع هذا لا يؤمن بالله ورسله ولا باليوم الآخر ، ولا تتقيَّد بالتكاليف الشرعية ، وتقرر أحوال الرسل وما جاؤا به بوجه لا يرتضيه من في قلبه مثقال ذرَّة من الإيمان ، فكيف من وصل إلى مراتب أهل الكشف والعيان .

(١) هكذا في النسخة التي بيدنا ، ولعل ما يفعله ويلقّنه إلخ . .

لا تسكن في قرية فيها واحد من هؤلاء الطائفة

ورأينا منهم جماعة كثيرة من أكابرهم في بلاد أذربيجان وشيروان وجيلان وخراسان ، لعن الله جميعهم .

فالله الله يا أخي لا تسكن في قرية فيها واحد من هؤلاء الطائفة ، لقوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً ﴾ ، وإن لم يتيسَّر لك أن لا تراهم ولا تجاورهم فكيف أن تعاشرهم وتخالطهم ؟ ! وإن لم تفعل فما نصحتَ نفسك ، والله الهادي . انتهى .

ولقد ورد إلى هذا الفقير رسالةٌ من طرف العالم الربَّاني ، والعارف الصمداني ، صاحب الكشوفات الغريبات ، والفراسات العجيبات ، السيد الأمير سيف الله الغازي الغموقي الحسينيّ النقشبنديّ ، وقال فيها بعد نقله ما ذكر من « البهجة » : ولقد رأيتُ كثيراً منهم في ديار الداغستان يزعمون بالمشيخة مع عدم سلوكهم من شيخ كامل ، زاعمين أنهم أخذوا الإذن من الروحانية أو في النوم ، وليس هذا إلاّ افتراء منهم ، وليس لهم همَّة ولا اعتناء إلا جمع الحطام لأجل هذه الفانية عياذاً بالله منهم . انتهى باختصار .

وورد إليّ من طرفه قدس سره رسالة أخرى ، وكان في أثناء نصائحه ووصاياه هذه العبارات : وإيّاك إيّاك النظَرَ إلى آثار مشائخ هذا العصر ومريدي الدهر ، والحذرَ من الجلوس معهم ، فذلك– والله – هي الفتنة الظاهرة ، وملاقاة الشيطان أسلم من ملاقاتهم ، إلى آخر ما قال .

وقال الغوث الأعظم والقطب الأفخم محمود أفندي في مكتوباته من الفصل السادس : قالوا : المشائخ ؛ أي : ما يطلق عليه اسم الشيخ ثلاثة :

منهم : من ليس في يده تصرُّف في المريد وتأثير فيه ، فهو كالعوام ، بل هم أضلُّ من الأنعام ليس فيهم المَشْيَخة إلا اسمه ورسمه ، كما هو حال أكثر مشائخ الزمان . وقال مولانا خالد السليماني مجدد المائة السابقة :

ويجب الاعتراض على حالهم والإنكار ؛ لأنهم ضاعوا وأضاعوا الناس لحبس الناس عن ذَهابهم باب أهل الكمال ، ومنعهم عنه ، ولكونهم سبب حرمانهم عن الكمال ، وفيهم الوعيد خصوصاً إذا كانوا جاهلين بأمر الدين ، كما سيجيء في هذه الرسالة . انتهى .

وفيه : وقال [في] « روح البيان » في سورة آل عمران : قال الشيخ الصفي قدس سره : إن الذين يدّعون المعرفة وتمْكينهم في مقام الإرشاد ، ويراؤون جلباً لحطام الدنيا ، عذابهم أشدُّ من عذاب النساء الزانيات ولدن أولاداً من الزنا مع وجود أزواجهنَّ وأولادهنَّ سبعين مرة .

فلو نظرتَ إلى شيوخ الزمان وجدتَ أكثرَهم مدَّعين ما لم يتحقَّقوا به ، يُضلِّون الناس بأكاذيب ، ويرون أساليب ليس فيها أثر المعاني والحقيقة ، فعلى العاقل أن لا يغترَّ بظاهرهم ولا يخرج عن المنهاج مقتفياً بآثارهم ، بل يجتهد إلى أن يميِّز بين الحق والباطل والعارف والجاهل ، عصمنا الله تعالى وإياكم من الزيغ وسيئات الأعمال . انتهى كلام « روح البيان » عبارته .

وقد استوعبنا الكلام في حق هذا الباب في رسالتنا المسمَّات بـ« **الدرة البيضاء في ردّ البدع والأهواء** » ولولا ذلك لشرحناه بالبسط التام . فظهر من هذه النقول جواز الإنكار والاعتراض على هذه الطائفة الغارة ، بل تحقَّق وجوب منعهم عن فعلهم لدى من في قلبه شائبة حبٍّ لسنة رسول الله عليه السلام ؛ لأنهم أماتوا السنة الخالصة ، وخرَّبوا الطريقة السالمة بتخليط البدع والاختراعات ، ولأجل ذلك صنَّفنا ذلك الكتاب المذكور[١] ببيان الأصناف من أولئك الطوائف بالإجمال ، لا بالتفصيل .

وقد قال الإمام أبو سعيد الخادمي في « البريقة المحمودة » : إنَّ المداهنةَ في الشرع عدمُ تغيير المنكر مع القدرة عليه ، رعايةً لجانب مرتكبه أو لجانب غيره ، أو لقلّة المبالات بالدين . انتهى . وقال الإمام البركوي في

(١) أي : « الدرة البيضاء » .

« الطريقة المحمدية » : فهذا حرام ، فقد ورد في الخبر « إنَّ الساكت عن الحق شيطان أخرس » . انتهى .

وقال أبو سعيد في « البريقة » : وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قيل أو قلت : يا رسول الله تخسف[1] الأرض وفيها الصالحون ؟ قال « نعم ، بإدهانهم[2] وسكوتهم عن المعاصي » . وعنه عليه الصلاة والسلام « إنَّ ناساً من أمَّتي يُحشرون من قبورهم على صورة القردة والخنازير بما داهنوا ، وآكلوهم وشاربوهم وجالسوهم » .

وعن حسن : التنبيه للنجم الغزي على رواية أبي هريرة « ما أتى الله تعالى عالماً علماً إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ من النبيِّين ؛ من علم علماً فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من النار » ، وقد قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ ، ولهذا كان الثوري إذا رأى المنكر ولا يستطيع أن يغيّره بال دمّاً .

وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه « إن الله تعالى لا يعذِّب العامة بعمل الخاصّة ، ولكن إذا ظهرت المعاصي فلم ينكروا فقد استحقَّ القوم جميعاً العقوبة » . انتهى عبارته .

ولا يخفى على العاقل العالم أنَّ الولي ولو كان أعلى مقاماً وأرفع درجة لا يصل إلى درجة العصمة ، وهي مختصة بالأنبياء ، ولا يستبعد أن يقع في أعظم ذنب يكون على وجه الأرض ، فإن طينة الخلق ما عدا الأنبياءَ والملائكةَ عليه الصلاة والسلام واحدة ، فجائز أن يقع الولي فيما يقع فيه الفاسق ، كما قال ذلك الشعراني في « مننه » .

---

(١) أي : هل تخسف . (الهامش) .
(٢) من المداهنة . (منه) .

فإذا كان الحال في حقِّ المداهنة كذلك ، وجاز أن يقع الوليُّ في الفسق وجب على من له غيرة دينيّة أن يُظهر الحقَّ ويُبطل الباطلَ بما علّمه الله تعالى من العلم . ولا يرد على ما ذكر : أنكم أسأتم الظنّ على المؤمنين وذلك حرام كسوء القول ؛ لأن سوء الظنّ بالمؤمنين حرام بمجرّد الوهم أو الشك بفسادهم وفسقهم من غير علم أو ظنّ ، وأما به فليس بحرام ، بل بغض في الله مأمور به . كذا في « الحاشية » ، لكن قالوا : ينبغي للمسلم إن رأى عيباً في أخيه أن يحسن الظنَّ على المؤمنين ما قَدَرَ بتأويلات ، فعند مطلق الظنّ ينبغي أن لا يتجاسر على المماشات على موجب ظنه ، ويحمل على الصلاح بأدنى إمكان ، إلا إذا اقتضى دواعي الأمر بالمعروف ، والتأديب والتعليم الشرعيّ . كذا في « البريقة » .

وقال الإمام البركوي رحمه الله تعالى في « الطريقة المحمدية » : وأما أهل المعصية والفسق المجاهرون أو دلَّ عليه قرائن تفيد غلبة الظنِّ ، فعلينا أن نبغضهم في الله تعالى ، وليس من سوء الظن في شيء . ويدلّ على هذا قوله تعالى ﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ الآية . انتهى .

كيف يكون كلامنا من قبيل سوء الظن مع أنّنا شاهدنا من هؤلاء المتشيِّخين كلماتٍ تخالف هذه الطريقة ؟ ! وتحققنا من أقوالهم الإنكار الشديد على من استقام بما كان عليه أشياخه الكاملون المكمّلون ؟ ! بل رأينا بعضاً منهم لم يتحقَّق ما يجب عليه من الإيمان ، ومع ذلك يدَّعي الشيخوخة والمكاشفة ، ويخبر الناس ما ظهرله من الكشوفات ، ومع هذا يتصدّر للتلقينات ، ويتخذ له المريدين والمريدات . ووجدنا بعضهم يلقِّن الأذكار ويرتِّب الأوراد ، ويظنّه الناس أنه شيخ الزمان **مع أنه لم يعلم ما القلب وما حياته** .

وقد قال الإمام السهروردي : إنما يحيى القلب بقلب حيّ . وقال أيضاً : يجب على المريد طلب أهل التلقين لحياة القلب . انتهى . فاعتبر بشيخ يطلبه المريد لحياة قلبه وهو لا يعلم ما حياة القلب !

وأخبرني أخونا العالم المرشد الحاج حبيب الله - رزقه الله التوفيق- : أن واحداً ظهر في قرية مِيَرْطَهْ على صفة الشيخوخة بلبس العمامة ، فتفرَّس ذلك العالمُ حبيبُ الله في ذلك الشخص فعلم أنه سارق ، فسُرِقَ في زمانه بساطٌ من مسجد مِيَرْطَهْ ، فتفرَّس ذلك الأخ أنَّ سارقه هوذلك الشخص المذكور ، فأغرى الناس إليه وأظهره وعلَّمهم بأنَّ السارق هو هذا ، فالتجؤوا إليه وحبسوه وخوَّفوه ، فبعد زمان أقرَّ هو على ذلك ، وسلَّم البساط إلى أيديهم ، وأطلقوه إلى سبيله . وهذا عين ما أخبرني ذلك العالم المذكور .

وظهر آخر وادَّعى أنَّ شيخه هو النبي بلا واسطة ، ومع ذلك يقول : لايجوز لأحد الدخولُ في الطريقة ، ويقول : لا يجوز لأحد إلا الشريعة ، وينكر أصل الطريقة ، ويلقِّن أسماء وآيات ممَّا لم نسمعها في طريقة من الطرق ، فاشتهر ذلك بين الورى ، وأقبل إليه الأفراد ممَّن لا معرفة عندهم ، وصار شيخاً عظيماً ، وهو مذكور في رسالتنا « الدرة البيضاء » ، والنقول في ردِّ ما يفعله مسطور فيه ، وكذا أصنافهم مذكورون فيها فرادى مع ما يردُّهم ، فمن أراد أن يظهر الحق من الباطل فليراجع إليه ، فلعلَّه يجد فيه بسطاً شافياً . فهكذا أحوال هذا الخلق ، وهم مغرورون بإظهار أمثال هؤلاء الجماعة بكلمات ؛ ظاهرُها مقبول عند الجهلاء ، وباطنُها مردود لدى العلماء .

قال الإمام الغزاليّ رحمه الله تعالى : إنَّ الشيطان لا يغوي الإنسان إلا بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن ، ولو لا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب . انتهى .

فإن قيل : فما ذا نفعل الآن إذا كان الحال كما ذكر ؟ **قلنا** قال الله تعالى ﴿ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ ، وقال عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ ، وقال سبحانه ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ

تَسْلِيمًا ﴾ ، وقال سبحانه ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ .
وقد قال الأصوليون : إنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

فكان الواجب على كل من له أدنى نصيب من الإيمان وأقلّ غيرة على الطريقة المحمديّة الصدّيقية أن يزن أحوال شيخه وأفعاله إن كان الشيخ ينتسب إلى هذه الطريقة النقشبنديّة العلية بميزان أكابر أربابها المتقدِّمين ؛ فإن وافق فعله وتلقينه بأفعال وتلقينات أهلها ، وكان ذلك الشيخ مأذوناً بالإذن المعتبر من قِبَل شيخه المقبول ، ونتج بما لقنه له ، فذا شيخ مقبول ، ومرشد مرضيّ ، فينبغي لمن انتسبه أن يتعلَّق على ذيله ، وأن يكون بين يديه كالميّت بين يدي الغاسل .

فإن الطريقة النقشبندية باقية على أصلها وسالمة من كدورات البدع والأهواء ، ولكنّ المتصدرون بأنفسهم في زماننا هذا غيّروها عن أصولها ، ولم يبالوا بما يرد عليهم من عقوبة من أمات السنة ، وأحيى البدعة .

قال في « المفاتيح » : **فإن العمل بسنة من سنن رسول الله ﷺ يتضاعف ثوابه وإن كان عبادة قليلة على عبادة ليست بسنّة وإن كانت كثيرة** . انتهى عبارته .
ولهذا قيل : قليل العمل مع العلم كثير ، وكثير العمل مع الجهل قليل .

وقال في « النور الساطع » : ومن المعلوم **أنَّ التقرب [إليه] سبحانه وتعالى إنما يكون بما شرع من الدين بواسطة فخر المرسلين عليه الصلاة والسلام** . انتهى .

وفيه أيضاً : فيلزم وزن أعمال الشيخ بميزان الشرع ، فإن وافقت عُمل وإلا رُدّت ؛ لقوله عليه السلام « كلّ عمل ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ » . انتهى عبارته .

وقال الشعراني في « لواقح الأنوار القدسية » : **إنما التعظيم للأشياخ بعدم مخالفتهم** . انتهى عبارته . ومن خالف أستاذه حَرَمَ بركتَه ومقت بسببه ، فالعياذ بالله من المقت والضلال .

ولا يخفى أن من خالف ما كان عليه الأقطاب من طائفة هذه الطريقة النقشبندية ، واعترض [على] من يعين إقامة طريقتهم على الاستقامة فقد أساء الأدب معهم ، مع أنهم بَنَوْ قواعد أمرهم على أصول صحيحة وسنَّة سنيَّة ، وصانوا فيها من البدع ، وأتوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة .

وإساءةُ الأدب مع الأولياء - فالعياذ بالله - وإيذاؤُهم سبب المقت والحرمان ، فلنورد هنا بعضاً مما وقع للمنكرين بإساءتهم أدبهم مع الأولياء ، لعلَّ من ينظر هذا الكتاب ينتفع به .

مطالب مهمة

قال ابن حجر في « فتاواه » : ويكفي في عقوبة المنكر على الأولياء قوله ﷺ « من آذى وليّاً لي فقد آذنته بالحرب » أي : أعلمته أني محارب له ، **ومن حارب الله لا يفلح أبداً** .

وقد قال العلماء : لم يحارب الله عاصياً إلا المنكر على الأولياء ، وآكل الربا . وكل منهما يخشى عليه خشية قريبة جدّاً من سوء الخاتمة ، **إذ لا يحارب الله إلا كافراً** . انتهى .

وقال الإمام أبو القاسم القشيري : **قبول قلوب المشائخ للمريد أصدق شاهد لسعادته ، ومن ردَّه قلب شيخ من الشيوخ فلا محالة يرى غِبَّ ذلك ولو بعد حين . ومن خذل بترك حرمة المشائخ فقد أظهر رقم شقاوته وذلك لا يخطئ** . انتهى من « الفتاوى » عبارته .

وفيه أيضاً : وحكى إمام الشافعية في زمنه أبو سعيد عبد الله بن أبي عصرون قال : دخلت بغداد في طلب العلم ، فوافقت ابن السقا ورافقته في طلب العلم بالنظاميّة ، وكنا نزور الصالحين ، وكان ببغداد رجل يقال له : الغوث ، يظهر إذا شاء ويختفي إذا شاء ، فقصدنا زيارته ، أنا وابن السقا والشيخ عبد القادر وهو يومئذ شاب ، فقال ابن السقا ونحن سائرون : لأسألنَّه مسألة لا يدري لها جواباً ، وقلت : لأسألنَّه مسألة وأنظر ما يقول فيها ، وقال الشيخ عبد القادر : معاذ الله أن أسأله شيئاً ، أنا بين يديه أنتظر بركة رؤيته . فدخلنا عليه فلم نره إلا بعد ساعة ، فنظر الشيخ إلى ابن السقا مغضباً وقال : ويحك يا ابن السقا تسألني مسألةً لا أدري لها جواباً ؟ ! هي كذا وجوابها كذا ، إني لأرى نار الكفر تلتهب فيك ، ثم نظر إليّ وقال : يا عبد الله أتسألني عن مسألة لتنظر ما أقول فيها ؟ ! هي كذا ، وجوابها كذا ، لتخرنّ الدنيا عليك إلى شحمة أذنيك بإساءة أدبك ، ثم نظر إلى الشيخ عبد القادر ، وأدناه منه وأكرمه وقال : يا عبد القادر لقد أرضيت الله ورسوله بحسن أدبك ، كأني أراك في بغداد وقد صعدت الكرسيّ متكلماً على الملأ ، وقلت : قدمي هذا على رقبة كلّ وليّ لله ، وكأني أرى الأولياء في وقتك وقد حنَّوا رقابهم إجلالاً لك ، ثم غاب عنا فلم نره . قال : وأما الشيخ عبد القادر فقد ظهرت أمارة قربه من الله ، وأجمع عليه الخاص والعام ، وقال : قدمي . . إلخ ، وأقرَت الأولياء في وقته له بذلك . وأما ابن السقا فإنه اشتغل بالعلوم الشرعية حتى برع فيها وفاق فيها كثيراً من أهل زمانه ، واشتهر بقطع من يناظره في جميع العلوم ، وكان ذا لسان فصيح ، وسمت بهيّ ، فأدناه الخليفة منه وبعثه رسولاً إلى ملك الرّوم ، فرآه ذا فنون وفصاحة وسمت فأعجب به ، وجمع له القسّيسين والعلماء بالنصرانيّة فناظرهم وأفحمهم وعجزوا ، فعظم عند الملك فزادت فِتْنته ، فترآءت له بنت الملك ، فأعجبته وفتن بها ، فسأله أن يزوِّجها له ، فقال : إلاَّ إن تنصَّر ، فتنصَّر وتزوَّجها ، ثمَّ مرض ، فألقوه بالسوق يسأل القوت فلا يجاب ، وعلته كآبة وسواد ، حتى مرَّ عليه من يعرفه فقال له :

ما هذا ؟ ! قال : فتنة حلَّت بي سببها ما ترى ، قال له : هل تحفظ شيئاً من القرآن ، قال : لا ، إلاّ قوله تعالى ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ . قال : ثمّ خرجت عليه يوماً فرأيته كأنّه قد حرق وهو في النّزع ، فقلَّبته إلى القبلة فاستدار إلى الشرق فعدت فعاد ، وهكذا إلى أن خرجت روحه ووجهه إلى الشرق . وكان يذكر كلام الغوث ويعلم أنّه أصيب بسببه . قال ابن أبي عصرون : وأمّا أنا فجئت إلى دمشق ، فأحضرني السلطان الصالح نور الدين الشهيد ، وأكرهني على ولاية الأوقاف ، فولّيتها ، وأقبلت عليّ الدنيا إقبالاً كثيراً . فقد صدق قول الغوث فينا كلّنا .

وفي هذه الحكاية التي كادت أن تتواتر في المعنى لكثرة ناقليها وعدالتهم فيها أبلغ زجر وآكد ردع عن الإنكار على أولياء الله تعالى خوفاً من أن يقع المنكر فيما وقع فيه ابن السقا ؛ من تلك الفتنة المهلكة التي لا أقبح منها ولا أعظم منها . نعوذ بالله من ذلك ونسأله بوجهه الكريم وحبيبه الرؤوف الرحيم أن يؤمننا من ذلك ، ومن كلّ فتنة ومحنة بمنّه وكرمه . وفيها أيضاً حثٌّ على اعتقادهم ، والأدب معهم ، وحسن الظنّ بهم ما أمكن . انتهى كلام ابن حجر عينه في صحيفة ٢٣١ .

وفي « الباقيات الصالحات في تعريب الرشحات » قال الأكابر : **إذا حان زمان قطع رأس البقرة فأرسلوها في مزرعة هذه الطائفة ، وإذا آن أوان إحراق السلم فضعوه على جدران هذه الطائفة ، وإذا أردتم صرع أحد فألقوه إلى هذه الطائفة ، يعني : أوقعوه في طعنهم وملامتهم . عياذاً بالله من ذلك** . انتهى عبارته . وفيه في موضع آخر : إنَّ حفظ خواطر الأولياء ، وامتثال أوامرهم ، والانقياد إلى إشاراتهم واجب على جميع الطالبين الصادقين ، وتقديم أمرهم على جميع المرادات والمقاصد من أهمّ المهمّات وألزم اللوازم .

قال مولانا عبد العزيز البخاريّ - عليه الرحمة - وكان من أصحاب حضرة الخواجه قدس سره : ينبغي لطالب صحبة الخواجه وصحبة أصحابه أن يحافظ على ثلاثة آداب :

الأوّل : أنّه إذا صدر منه عمل مقبول عندهم ينبغي له أن لا يرفع رأس الأنانيَّة وأن لا يرى عمله ، بل ينبغي أن يتَّصف بصفة الانعدام والتواضع والانكسار أضعاف ما كان قبل ذلك بألف مرّة ، وأن يطالب نفسه بالزيادة والاجتهاد في العمل وترك الأمل .

الثاني : أنّه إذا صدر منه عمل موجب للردِّ عنهم ينبغي أن يكون مأيوساً ، وأن يحفظ نفسه في قبضة تصرّفه حفظاً بليغاً لئلاَّ يتردَّد ولا يذهب إلى طرف آخر .

والثالث : أنهم إذا أمروا بشيء ينبغي له أن يبادر إليه ، وأن يقوم بكمال النشاط والفرح ليبلغ مقصوده ، وإلاَّ فيبقى بلا حظٍّ ولا نصيب من بركاتهم . انتهى عبارته .

وقال ابن حجر في « خاتمة الفتاوى » : ولقد شاع وذاع أنَّ من أنكر على هذه الطائفة لا ينفع الله بعلمه ، ويبتلى بأفحش الأمراض وأقبحها ، ولقد جرّبنا ذلك في كثير من المنكرين . انتهى . وقال فيه بعيد هذا : **فإن قلت** : من المنكرين من نفع الله بعلمه ؟ ! **قلت** : المنكرون على قسمين : **قسم منهم** : لم يقصدوا بإنكارهم محض النصيحة للمسلمين ، بل محض تعصُّب ، ورأوا ذلك ، وغلب عليهم نوع من الحسد ، وحبّ إبداء خلاف أهل العصر قصداً لتميُّزهم عليهم بالأشياء العزيمة ، والاشتهار عنهم أنّهم ينكرون المنكر ولا يخافون أحداً ، ونحو ذلك من الأغراض الفاسدة التي لم يصحبها نوع إخلاص . . إلخ . **والقسم الثاني :** قوم قصدوا بإنكارهم محض النصيحة للمسلمين وذبّ هؤلاء الجهلة المتصوّفة . انتهى باختصار على المراد .

أقول : وأنا في إنكار الأصناف المذكورين في كتابنا « الدرّة البيضاء في ردِّ البدع والأهواء » من هذا القسم الثاني لا من القسم الأوّل ، فالحمد لله ربّ العالمين . **فإن قيل** : إنَّ منهم علماء أتقياء قوّامون بالليل ، صوّامون بالنهار ، فيجب عليك عدم الإنكار على من صدر منهم تلك العبادات والمجاهدات ؟ !

قلت : إنّي لا أنكرهم إلاّ من جهة أنّهم ادَّعوا على مقام المشيخة ، وأنهم ابتدعوا في أذكار الطريقة السالمة من البدع ، ولا أظنّ فيما سوى ذلك في حقِّهم إلاّ خيراً ، ولا أعتقد فيهم إلاَّ أنَّهم أولياء الله الأبرار ، كيف لا ؟ ! وفي الحديث القدسيّ : « أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري » . وقيل : لا تجتمع ثلاثة إلاّ وفيهم وليٌّ لله . وفي « شرح الحكم » : معرفة الوليّ أصعب من معرفة الله . انتهى .

فتبيَّن ممَّا ذكر أنَّ مرادي من نفي إثباتِ قدمهم في التصوُّف أنهم ليسوا من أهل التربية والاقتداء ، وجعلهم في حيّز المجاذيب الذين يُعتقدون بهم ولا يؤخذ عنهم ، ولا يعدّون من أصحاب المراتب والتصرُّف ، فتأمَّل ذلك فإنّه مهمٌّ ، وإيّاك أن تفهم أنّي أنكر على أحوالهم الباطنة وولايتهم الجائزة ، فإنّ الأمر ليس كذلك . ولا يخفى أنَّ المجاذيب لا يتأهَّلون للمشيخة ، كما علم ذلك من موضعه ، مع أنَّ فيهم من دسُّوا البدعات في تلك الطريقات برأيهم ، بزعم أنّهم في ذلك صائبون . فإذا صار كلامنا في حقّهم موافقاً لحديث « من أعرض عن صاحب بدعة بغضاً له في الله ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً ، ومن انتهر صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر ، ومن أهان صاحب بدعة رفعه الله تعالى في الجنّة مائة درجة ، ومن سلَّم على صاحب بدعة أو لقيه بالبشر أو استقبله بما يسرُّه فقد استخفَّ بما أنزل الله على محمّد ﷺ » . أورده ابن حجر في « الفتاوى » ، وقال فيه : إنّ البدعة الشرعيّة ضلالة . انتهى عبارته .

فلنشرع الآن في تبيين ما عليه الطائفة النقشبنديّة من الأذكار التي يلقِّنونها في طريقتهم من غير تحريف عمّا وصل إليهم من منبع الطرائق **محمّد** عليه الصلاة والسلام بسند صحيح ، جعلنا الله تعالى في زمرة أولئك الأئمّة آمين .

اعلم أنَّ الذكر في طريقة النقشبنديّة على نوعين : اسم الذّات ، وذكر النفي والإثبات . **فذكر اسم الذات** هو الاشتغال بذكر لفظة الجلالة (الله) من اللطائف السبعة على الترتيب المعهود عندهم : **فأوَّلها لطيفة القلب** ، وهي : لطيفة ربَّانيَّة مودعة في الجانب الأيسر مائلة إلى تحت الثدي والجنب بفاصلة إصبعين . وكيفيَّة الاشتغال بالذكر منها أن يخلي القلب عن الخواطر وحديث النفس ، بل عن جميع ما سوى الله تعالى بقدر الإمكان بعد تقديم الرّابطة ، ويقول بلسان الخيال من هذا المحلّ (**الله الله**) ملاحظاً مفهومه ؛ بأنّه ذات موصوفة بجميع صفات الكمال ، ومنزَّهة عن سَمْت النقصان والزّوال ، كما آمنّا به وصدَّقناه من غير أن يتصوَّر صورة قلبه وبلا حبس نفَسِه ، بل يترك نفَسَه على حاله ، ولا يلاحظ صفة من صفاته سبحانه وتعالى ؛ لئلاَّ ينزل عن ذروة الذات إلى وادي الصفات ، فإنّ مطمح نظر هذه الطائفة العليّة هو أحديّة الذات دون الأسماء والصفات ، بخلاف سائر الطرق . ولا يحرّك رأسه وسائر أعضائه باختياره . ولا بدَّ من توجُّه السالك إلى قلبه بكليَّته ، وبقلبه إلى الله تعالى في جميع أنواع الذكر ، فإنَّ حصول النسبة بدون هذين الأمرين محال . ويقال لهذا : **الوقوف القلبيّ** . ويداوم على الذكر على هذا الوجه إلى أن يجري لطيفة قلبه بالذكر ، بمعنى أنّه متى توجَّه إلى قلبه يجده ناطقاً بالذكر وحاضراً بالله ، لا أنّه تحصل الحركة ، فإنَّ ذلك ليس بلازم ولا مستحيل الحصول ، والعمدة في كلِّ الأذكار هي الوقوف القلبيُّ . **وتعيين العدد ليس بشرط ، فإنَّ ذلك لم يرد عن المتقدّمين ، بل اللازم استغراق الأوقات بالذكر ، والمداومة عليه آناء الليل وآناء النهار** . ولكن لما رأى مشائخنا المتأخّرون تقاعد الهمم ، وتكاسل المريدين عن المداومة تداركوا ذلك بتعيين العدد ، واختلفوا في مقداره ؛ فمنهم : من كلَّف بالكثير من غير

فرق بين مستعدٍّ وغيره ، ومنهم : من تمسَّك بقوله عليه الصلاة والسلام « لَنْ يُنْجِيَ أحداً مِنْكم عَمَلُهُ ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا واغْدُوا ورُوحُوا ، وشيء مِن الدُلْجَةِ ، وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا » ، وقوله عليه السلام « سدِّدُوا وقاربوا ، واعلموا أن لنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الجنَّةَ ، وأنَّ أحبَّ الأعْمال إلى الله أَدْوَمُهَا وإنْ قَلَّ » . **وهذا اختيار مشائخنا** قدس الله أسرارهم ، فإنهم كانوا يعاملون مع كلِّ واحد من الطالبين على حسب استعدادهم ، ولكن لا ينبغي أن ينقص من خمسة آلاف في الملوين .

مهم

وينبغي أن يزيد شيئاً فشيئاً بالتدريج ، **وذلك مع مصاحبة حضور القلب ، وبدونها لا فائدة للذكر معتدٌّ بها غير ثواب الآخرة وهو نصيب الأبرار .**

ونظر هذه الطائفة ليس في غير الحق سبحانه ورضائه ، **ورجاء الثواب عندهم يُعَدُّ من الذنوب** ، ولهذا قيل : **حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين** . ويقول بين كلّ مائة وعند طُروّ الغفلة : **إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي** . وليكثر من قوله ، لأنَّ له خاصيَّة في نفي المقاصد والمطالب سوى ذاته تعالى . فإذا حصل للقلب نسبة الحضور مع الله ، وجرى بالذكر كما مرّ فليشتغل من لطيفة الروح على هذا المنوال بأمر شيخه وتلقينه . ولا يسأل ذلك[1] من شيخه ، بل ينتظر أمره فإنّه أعلم بحاله ، وهي : لطيفة مودعة في الجانب الأيمن مائلة إلى تحت الثدي والجنب بفاصلة إصبعين ، وهي في مقابلة لطيفة القلب . ثم بعد تمام أمرها يشتغل من لطيفة السرّ على المنوال السابق بأمر شيخه ، وهي لطيفة مودعة في جنب الثدي الأيسر مائلة منه إلى وسط الصدر بفاصلة أصبعين ، ثم يشتغل من **لطيفة الخفي** وهي : لطيفة

(١) أي : تبديل ذكره . (منه) .

مودعةٌ في جنب الثدي الأيمن مائلة منه إلى وسط الصدر كذلك بفاصلة أصبعين ، ثم من **لطيفة الأخفى** ، وهي : لطيفة مودعة في وسط الصدر . ثم من **لطيفة النفس** وهي : لطيفة مودعة في وسط الجبهة ، ثم من **لطيفة القالب** ، ومحلها تمام البدن حتى يجري الذكر من كل منبت شعرة ، ويقال له : سلطان الأذكار . فحينئذ يعم الذكر على جميع بدن الإنسان ، بأن يسمع ويرى أنَّ جميع بَدَنه يذكر لفظة (الله) ، وعلى جميع الموجودات من الحجر والشجر والمدر وغير ذلك ، فلا يراه إلاّ ذاكراً بلفظة الجلالة . وهذه اللطائف من عالم الأمر ، ولها أصل فوق العرش متعلّق باللاَّمَكَانْ ، وحصل لتلك اللطائف نسيان وذهول عن أصولها بسبب العلائق الجسمانية ، والعوائق الدنياويّة ، والحظوظات النفسانية ، فاحتيج لتذكير أصولها إلى شيخ كامل مكمَّل ، وذكرٍ كثير حتى يحصل لها ميل إلى أصولها ، وتنجذب بالجذبات الإلهيَّة فتصل إلى أصولها ، ثمّ وثمّ إلى أن تصل إلى الذات البَحْتِ من غير احتجاب بالصفات والشؤونات ، ويقال له : التجليات الذاتية ، فيحصل لها الفناء الأتم والبقاء الأكمل ، وأما قبل وصولها إلى أصولها لا تحصل لها الفناء . وهذا علَّة تلقين الذكر لهذه اللطائف المذكورات ، فافهم فإنّه نفيس . أخذ ذلك من « النفائس السانحات » .

ثم بعد عموم الذكر على جميع الإنسان والآفاق يتلقَّن الذكر من الشيخ الكامل بالنفي والإثبات بكلمة (لا إله إلاّ الله) . وكيفيَّته أن يلتصق اللسان بالحنك الأعلى ، وتوضع الأسنان على الأسنان ، والشفة على الشفة كما في اسم الذات ، وينحبس النفس تحت السرة ، ويتخيَّل منه كلمة (لا) ، بحيث يكون كرسيُّها على السرَّة ، ويمدُّ طرفيْها إلى منتهى الدماغ ، ومنه يتخيل (إله) إلى الكتف الأيمن ، ومنه يتخيَّل (إلاّ الله) إلى رأس القلب وإلى قعره مع الضرب الشديد بالنفس الدائر في الجوف ، فتحيط هذه التخيّلات على محال اللطائف كلّها بصورة (لا) المعكوسة ، بحيث يكون أحد طرفيها في السرّة ، وطرفُها الآخر في القلب ، وكرسيُّها بين الدماغ وبين الكتف ،

ويلاحظ مع هذه التخيُّلات معناها على وفق ما أمره شيخه بها من معانيها ، وهي : لا معبودَ إلاّ الله للمبتدئ ، ولا مقصود إلاّ الله للمتوسط ، ولا موجود إلاّ الله للمنتهي ، وفي آخر النَفَسِ محمد رسول الله من الروح إلى القلب على ما اختاره الشيخ محمود الفعال ، وإلا ففيه خلاف ذكر ذلك في « تبصرة المرشدين » . ويريد التقيّد بالاتباع به عليه السلام ، ويكررها على قدرة قوة النفس ، ويطلقه من الفمّ على الوتر المعروف عندهم بالوقوف العددي ، ثم يقول : إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي ، فإذا استراح يشرع بنفس آخر ، لكن يراعي بين النفسين ؛ بأن لا يغفل ، بل يبقى التخيُّل على حاله ؛ لئلا يختلَّ الاستمرار . فإن انتهى العدد إلى إحدى وعشرين تظهر النتيجة ، وهي نسبتهم المعهودة من الذهول والاستهلاك ، وإن لم تظهر فبما وقع من الخلاف في الآداب ، فليستأنف وليطابق الفعل والقول مضمون الذكر عملاً واعتقاداً واتباعاً ، فإنَّ المقصوديَّة فيما سواه إذا كانت باقية أو خلاف الاتباع في شيء كان ثابتاً في الواقع لزم الكذب فليس بصادق . ولا حصر للعدد ، فمن يستعدُّ لتقدُّم الجذبة فله الذكر الأول ، ومن يستعد لتقدُّم السلوك فله الذكر الثاني ، **وكلاهما بالقلب** . فإذا جاهد فيه حق الجهاد وانتفى المنفيّ وثبت المثبت وظهرت النتيجة تصح له المراقبة حينئذ . انتهى .

نقلت هذه المذكورات من كتب النقشبندية وليس في كتبهم ما يخالف ما ذكرنا ؛ ولو في كتاب واحد ، بيد أنّ بعضاً منهم يلقّن اسم الذات أولاً ، بلا فرق بين مستعدٍّ وبين غيره . ولكلٍّ وِجهةٌ هو مولِّيها ، كما هو مذكور في كتبهم .

وشروط النفي والإثبات تسعة(١) :

١ – حبس النفس . ٢ – ذكر (لا إله إلا الله) . ٣ – ملاحظة النقش . ٤ – ملاحظة المعنى . ٥ – الضرب . ٦ – وقوف القلب مع جميعه . ٧ – الوقوف العددي ، بأنْ يكون وتراً . ٨ – ذكر (محمد رسول الله ﷺ) آخراً . ٩ – الرجوع

---

(١) ويأتي بيانها .

إلى الله تعالى بأن يقول : **اللهم**[١] **أنت مقصودي ورضاك مطلوبي** . انتهى من « البهجة » عبارته .

وفيه قال العروة الوثقى رضي الله تعالى عنه مجيباً لمن سأله : إن الذكر مع حبس التنفس بدعة حسنة ، فعلى مسلك المجدّد رضي الله تعالى عنه ليس في بدعة حسن ، فكيف السبيل في هذا العمل إلى الخلاص من البدعة ؟ الذكرُ في حدِّ ذاته حسن ومسنون ، أما الحبس فيه فيتوقف كونه بدعة على عدم ثبوت ذلك في الصدر الأوَّل ، وذلك ممنوع ، وأيضاً الحبس في الذكر علّمه الخضر عليه السلام للخواجه عبد الخالق الغجدواني قدس سره ، ولا يحكم على عمله بالبدعة .

وفي ملفوظات الخواجه عبد الباقي قدس سره : إنَّ الخرقة في سلسلة الچشتية والسهروردیّة معنعنة عن رسول الله ، ولم يبيِّن الذكر المعنعن عنه ﷺ ، ولم يتحقق بخلاف طريقتنا ، فإن الذكر معنعنٌ خال عن الانقطاع في الوسائط من الصديق الأكبر والحيدر الأبهر رضي الله تعالى عنهما إلى يومنا هذا .

فسأله سائل ممن حضر مجلسه : ما تقول أيها الشيخ فيمن يذكر في السلسلة النقشبندية ، وصلة الرابطة عن الصديق الأكبر ، والذكر عن علي رضي الله عنهما ؟ قال : الذكر المسمّى بالوقوف العدديّ الذي يعهد فيه الحبس مع ضمِّ محمد رسول الله ﷺ إليه تعنعن عن الصديق الأكبر رضي الله عنه ، وكذا طريق الصحبة . انتهى .

وقال أحمد ضياء الدين في « جامع الأصول » ما حاصله : إنّ المراد من الشيء الذي في قوله عليه السلام « ما فضلكم أبو بكر بفضل صوم ولا صلاة ، وإنما هو بشيء وقر في قلبه » هو الذكر الذي قال الله تعالى ﴿ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴾ . راجعه عبارته .

---

(١) هكذا في النسخة التي بيدنا .

وفي « معرّب الرشحات » في معنى الآية : إن المراد : كن متوجهاً إلى الذات دون الصفات . راجعه من الفصل الأوّل من ترجمة عبيد الله .

وقال الخاني قدس سره في « البهجة السنية » : ومن تتبع أحاديث رسول الله ﷺ ، وعرف أخباره وأحواله ، وعلم أقواله وأفعاله تبيَّن له أنَّ هذه الطريقة هي التي اختارها ﷺ بعد البعثة ، وبعث أمَّته على هذه الحالة ، وتبعه أكابر الصحابة رضي الله عنهم ، دون ما ابتدعه المبتدعة ؛ ولو كان بعضها مستحسنة في الجملة . انتهى عبارته . وقال فيها إنّها أمّ الطرائق .

وقال أحمد ضياء الدين في « المتممات » : إنها سلطان الطرق ، وأثنى عليها[1] ابن حجر الهيتمي المكي بأنها هي السالمة من كدورات جهلة الصوفية ، ومن أراد التفصيل في تفضيل تلك الطريقة فليراجع « البهجة » و« المتممات » ، وفي رسالتنا « الدرة البيضاء » زيادة بسط بهذا المهمّ .

فعلم من هذه المذكورات حقيَّة تلك الطريقة ، وكونُ أذكارها مقتبسة من مشكاة النبوة بواسطة الصديق الأكبر ، وتحقَّق بل تيقَّن كونها باقية على أصلها ، وسالمة من أوساخ البدعة . ولا يخفى أن من غيَّرها برأيه فهو حادٌّ لله ولرسوله ، فالعياذ بالله إنه هو البرُّ الرحيم .

المراقبات

وأما المراقبات التي يستعملونها فيها ؛ **فأولها** : المراقبة الأحدية . **وثانيها** : المراقبة المعيّة ، ويراقبون في هذه المراقبة بخمس مراقبات على عدد اللطائف الخمسة ؛ القلب ، والروح ، والسرّ ، والخفيّ ، والأخفى ، بحسب المشارب الآدميّة ، والإبراهيميّة ، والموسويّة ، والعيسويّة ، والمحمديّة . ثم بعد ذلك يراقبون بالمراقبة الأقربيّة وهي مقام الولاية الكبرى ، وفوق ذلك مراقبات ، فصَّلها الإمام الرباني وأخرجها من الإجمال . وكلها مذكورة في « تبصرة المرشدين » و« النفائس السانحات » ؛

---

(١) أي : الطريقة النقشبندية . (منه) .

اللهم لا تحرمنا من بركات من ذاقها ، وأذقنا بمنِّك وكرمك برداً من شرابها ، وخلِّصنا وجميع المسلمين من الحقد والحسد بين إخوان الدين والتوفيق والاستقامة ، واغفر لنا ولجميع من ذكرناهم واهدنا وإياهم إلى صراطك المستقيم ، وارزق لأساتيذنا العفو والعافية في الدارين برحمتك يا أرحم الراحمين ، آمين اللهم آمين .

فلقد حان أن نشرع الآن في مقصود الكتاب ، وآل الأمر إلى إظهار ما عندنا من إرادة حقيّة ما كنا كتبناه في رسالتنا « الدرة البيضاء في ردّ البدع والأهواء » .

فنقول – وبالله التوفيق – :

قال العالم الحاج فلان ولد فلان : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين ولا حول ولا قوة إلا بالله ، الحمد لله الذي أنزل على عبده الحق ، وأبان وأظهر على يديه الهمم العالية ، وأعان لبعض خواصّه لإزالة الشبه والبدع ، وأزاح عن الأمّة الغمّة بكشف الحق ، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أقول ، والله أعلم : هذا الحمد من هذا العبد – هداه إلى الصدق والصواب – واقع على غير موضعه ؛ لأن مفهوم عباراته أن إظهار الحق وإزالة الشبه والبدع وغيرها إنما هو على يديه ، وإنَّ ما كتبه على رسالتنا « الدرة البيضاء في ردّ البدع والأهواء » إنما كتبه لإظهار الحق وإزالة البدع مع أنه ليس كذلك ؛ لأنّه قصد بذلك إخفاء الظاهر الحقِّ بكلمات ليس لها نقل ، بل تكلَّم بعبارات تشبه الأعاجيب ، لمجرَّد الاعتراض على من أخبر الحقَّ وأراد تبيين ما أسَّس الصديق الأكبر رضي الله عنه من هذه الطريقة النقشبندية العلية التي أقرّ بفضلها وأقربيّتها علماء الأمة من الأئمة الأربعة محضاً لمجرد وجه الله لا لغرض نفسانية أو عوض دنياوي ، وحسبي الله على ذلك شاهداً ، فسببه صار ذلك العالم المشرّح عندنا ممن حادّ الله ورسوله ، فكان اللائق عليه أن

لا يأتي في هذا الموضع بهذا الحمد ؛ لأنه بمقابلة النعمة ، وتحميده هذا صار بمقابلة المعصية من حيث لا يشعر ، ولا يخفى ما يترتب على ذلك .

قال عفى الله عنه وجعله من المقرّبين : أما بعد ؛ فلما لقينا ممن أحسن فيه الظن ما يسوء به ، ولقيت من أهل السلامة الضلالة ، أردت إظهار الحق ليحق الحق وليبطل الباطل .

أقول - وبالله التوفيق - : ولو بقيتَ أيها الأخ المشرِّح على ما أنت عليه من حسن الظن فينا لكان خيراً لك ، ولو كنت توقفتَ في زمن قليل ، وطلبتَ رسالتَنا لتنظر إليها بتمامها لكان ذلك أنجى لك وأسلم ، بل لو صبرتَ ولم تصدِّق من حرَّف الكلم من موضعه حتى تلقاني لوجدتَ كلامنا في تلك الرسالة واقعاً في موقعه . قال الله تعالى ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ** ﴾ ؛ أي : بخبر كذب ﴿ **فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ** ﴾ .

قال الإمام البركوي في « الطريقة المحمدية » : وإن اشتبه ؛ يعنى : مراد المتكلم من كلامه فعليه الاستفسار ، لا العجلة وسوء الظن . انتهى عبارته . وقال تعالى ﴿ **ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ** ﴾ .

وفي الحديث « حسن الظن من حسن العبادة » ، فوقع كلامك يا أخي ، واعتراضك على مقالاتي من غير تثبُّتٍ وتحقُّق ، وسوء ظنِّك فينا في غير محلِّه .

وفي « لواقح الأنوار » للشعراني : **لو وضعت عبادة الشخص طول عمره في كفَّة ، وسوء الظنَّ بمسلم في كفة لرجح سؤء الظنّ** . انتهى عبارته .

وأما كلامنا فلعله يعدّ من البغض في الله الذي أمِرنا به ، كما مرَّ في هذه الرسالة .

وفي « البريقة » : إنَّ سوء الظنَّ إنما يمْنع عند عدم دليله وقرينته . انتهى عبارته . فقد وجدْنَا القرائن في حقِّهم وما وجدْتَهَا في حقِّنَا .

وأما نِسْبتكم إلينا الضلالة - والعياذ بالله - فليس ذلك بصواب لأنّي لم أقصد - والحمد لله ربّ العالمين - بتأليف ذلك الكتاب إلاَّ ردّ المسلمين عن الضلالة ، وتبيينهم ما هو الحقّ اليقين المتَّفق عليه من قواعد أهل الله . ولا يخفى على من اطلع في ذلك الكتاب من أوله إلى آخره أنّي لم أتكلَّم من قبل نفسي ، بل ببيان نُقُول العلماء في كلِّ ما قلته من ديباجته ، بَيْدَ أن **الإنسان مجبول على محبّة ما صدر منه ولو كان مكروهاً ، ومجَّة ما صدر من غيره ولو كان محبوباً** . وكم من عائب قولاً صحيحاً ، وآفته من الفهم السقيم .

قال - رزقه الله وإيانا الاستقامة - : فمن أقواله الضالة (فلما وجدنا أهل هذه الطريقة النقشبندية العليّة وقعوا في هذه الديار الداغستانية غرباء) . يفهم من هذا القول أن الكاتب القائل به أزال عن الطريقة الغربة ، وهو الآن لم يدخل في الطريقة لأنه في النفس الأمارة راسخ ؛ لأنّه لم يَرَ - ما في داغستان من الشريعة والطريقة والحقيقة بلا إنكار من العلماء الأعلام - بسبب الذي كان فيه من الكبر على الغير ، والعجب في نفسه ، والرياء والحسد لإخوان الدين ، والسمعة وحبِّ الرياسة ، وغير ذلك مما يفهم من هذا وممَّا بعدُ .

أقول : - والله وليّ التوفيق - : أيها الأخ لا نقدر إزالة الغربة عن هذه الطريقة مع وجود قطاعها ، وكثرة منكريها ، وقلَّة من يعين لمن استقام على أصلها ووضعها ، فكيف ؟ ! وأمثالكم يقولون هكذا مع علمكم أن ليس الصواب إلاّ ما قرّرته ؛ من كون أذكارها موافقاً بما ورد عنه عليه السلام ، وأن ما يفعله أهل ديارنا محض ابتداع ومجرَّد افتراء ، وكيف يطاق لإذهاب الغربة من طريقة وقف في وسطها القطاع ؟ !

وكيف يستطاع لإقامة اعوجاجها ومعوّجوها العلماء ؟ ! لا والله ، ولكنّ الغيرة الإلهيّة حملتني على إظهار الصواب من غيره ، وبذلك خرجت من المداهنة و ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾ ، ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ ، و﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ﴾ فستعلمون ما أقول لكم ، وأفوّض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد .

ولقد بيّنت الخالص السالم من هذه الطريقة النقشبنديّة من المغشوش المكدَّر باختيار أهل البدعة ، ولكن عادة المعاند أن لا يروّج الخالص ، قال تعالى ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ ، ﴿وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ .

وفي تفسير سلمى في قوله تعالى﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾ : قال أبو عثمان : إن الدين ما سلم لك من البدع والضلالة والأهواء ، وسلّمت فيه من الرياء والشهوة الخفيَّة ورؤية الخلق وتعظيم الطاعات . انتهى عبارته . فإذا صار العلماء كالصائلين في وسط طريق الله مع هذه الآيات فبان أن الغربة في تلك الطريقة باقية لم تزل ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، فما أعظم ما وقع في هذه الأمّة المحمدية في هذه الديار الجبليّة .

وقولكم – هداك الله – : وهو الآن لم يدخل في الطريقة ؛ لأنه في النفس الأمارة . يفهم منه أنه لا يجوز أن يدخل فيها من له نفس أمارة كما صرَّحتَه فيما بعدُ .

اعلم أيها الأخ أنا مقرٌّ ومعترف بأني في قبض الأمارة القتالة التي هي الصنم الأكبر ، فهل يجوز لمثلي أن يدّعي الخلاص منها مع أن الله تعالى قال حكاية عن نبيّه يوسف عليه السلام ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ﴾ ، وقال تعالى ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ ، وأنا يا أخي منغمسٌ في جميع ما نسبتَ إليّ من تلك الذمائم ، ومع ذلك كانت مخفيّة . فبشدّة صفاء باطنك أدركتَها وأظهرتها ، – جزاك الله عنا خيراً وشكر سعيك –

وأنا لا أطيق أن أكافىء من ينبِّهني على نقائصي ولو خدمت له مدى الدهر ، ومن أجاب عن نفسه فقد هلك مع الهالكين ، ومن رضي عنها فقد خسر خسراناً مبيناً .

ولكنَّ المقصود من تأليف ذلك الكتاب إظهار ما هو الصواب لمجرّد المصلحة لإخوان الدين ، لا للتعصُّب والتفاخر عليهم ، فالحمد لله رب العالمين . وإن كان فيَّ يا أخي جميع ما نسبتَ إلي من تلك الذمائم ، فلا أصدِّق مفهوم قولك : إنه لا يجوز أن يدخل في الطريقة من له أمارة ؛ لأني لو كنت سالماً منها ومن أخلاقها الرديئة لما احتجت إلى اتخاذ الشيخ والدخول في الطريقة ؛ لأن الإرشاد إنما وضع للمعوج الضالّ لا للمستقيم الهادي ، كما قال كذلك أحمد ضياء الدين في « المتممات » ، وكما قال صاحب « روح البيان » : **ويجب تعلُّم أدوية أمراض القلب من الشيخ المرشد لمن ليس له قلب سليم** . وهكذا في « ابن حجر » و« الرملي » من كتاب السير وفتاوى ابن حجر .

والأذكار التي أوردها أئمة الطرق في طرقهم إنما وُضعَتْ لمجرّد إصلاح القلب المريض ، وإماتة النفس الأمارة ، ولا رجاء لإماتتها إلا بإصلاح القلب الذي هو كالمَلِكِ ، ولا تَصْلُحُ الرعيّة إلا إذا صَلُحَ المَلِكُ ، ولا ينجلي القلب بسائر العبادات إلا بإكثار الذكر . ومن شرطه كما قالوا : أن يُؤخَذَ من شيخ عارف مقبول ؛ لأن غيره لا ينفع ولو كان يذكر الله ليلاً ونهاراً ، كما هو مبسوط في كتب التصوف . فلهذا احتيج إلى اتخاذ الشيخ لحياة القلب ، وأخذ الذكر عنه لعلاجه ، فمتى لم يُسْلَمْ القلبُ من الأمراض فالإنسان في قيد الأمارة . **وسلامته من أمراضه بالاستئصال متعذرة ولو في أعلى مقامات العرفان** ، فكيف وقد ورد في الحديث « إذا سمعتم أنّ جبلاً انقلع عن مكانه فصدِّقوه ، وإذا سمعتم أنّ جِبِلّة أحد زالت عنه فلا تصدّقوه » ، **لكنّ الصفات الرذيلة تنكسر قوّتها بعد التصفية والتزكية** . كذا في « النفائس السانحات » . فلزم أن ينزل الدواء ؛ أي : الذكر إلى موضع الداء . فافهم فإنه

مهم . وفي « الشرقاوي » أي : زوال العيوب النفسانيَّة لا يكون في الغالب إلا على يد شيخ كاملٍ ناصح . انتهى عبارته بالمعنى ؛ يعنى : لأنّ الشيخ طبيب للأمراض المعنويَّة ، ولا يعرف كيفيَّة تنزل الدواء على الداء وكيفية الاحتماء إلا الطبيب ، فتدبَّره .

ومن ادّعى أنه خرج من الأمارة ، فهو مغرور جاهل لم يذق من معرفة الله شيئاً ؛ **لأن معرفة النفس مقدّمة على معرفة الله** كما في حديث « من عرف نفسه فقد عرف ربه » ، ومن عرف النفس وخسَّة أخلاقها لا يرى على وجه الأرض أحداً أشرَّ منه ولا أقبح .

قال ابن عطاء الله في « الحكم » : أصل كلّ معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس ، وأصل كلّ طاعة ويقظة وعفّة عدم الرضا منك عنها . انتهى عبارته . وفي شرحه : لا شيء أوجب على العبد من المعرفة بنفسه ، ويلزم من ذلك عدم الرضا عنها . وبقدر تَحقُّق العبد في معرفة نفسه يصلح له حاله ويعلو مقامه . انتهى عبارته .

ومما أوصى به بهاء الدين محمد النقشبندي للسالك كما في « البهجة » هاتان الوصيتان ؛ وهما من أنفس الوصايا لمن تدبّر وتأمّل ؛

أولهما : أنه لو وصل إلى أيِّ محلٍّ وصل ، لا يرى نفسه إلا في أوَّل قدم من الطريق .

وثانيهما : أنه لو نال من السلوك أعلى المراتب لا يرى نفسه إلا أقلَّ من نفس فرعون مائة مرة . انتهى . فبان من هذه المذكورات عدم وضعي قدمي في الطريقة ، وأصاب هذا المحقِّق ، ولزم أن أقول : ﴿ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴾ .

وسمعت شيخنا عبد الرحمن العسليّ قدس سره يقول : **لا يتخلَّص الإنسان من الرياء إلا في مقام يرى السالك أن لا محرِّك إلا الله** . انتهى . **وذلك عند التكمُّل في إبراهيمي المشرب** ، والله أعلم .

فليتفقد العاقل نفسه ولو كان في الاطمئنان ، ولا يثقْ دسائسها ، فأنَّى يحترز منها أمثالنا القائمون على متن الأنانيّة وحبّ الرياسة ، والله وليّ التوفيق . ولا يخرج من النفس بالنفس إلا [إن] حفَّت علينا العناية[1] الربانية . ومن ادعى أنه يرى ما في الداغستان من الشريعة والطريقة والحقيقة والمعرفة ، فلعله لم يُصَلِّ طول عمره ولو صلاة واحدة جمع فيها تلك الأركان الأربعة .

فإن كنْتَ في شكٍّ مما قلناه واستغربته ، فاقرأ قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الآية ، فلعلَّه لم يصلّ هذه الصلاة مدة عمره قط ، فنعوذ بالله من الدعوى والشكوى ، آمين .

قال غفر الله ذنبه : وقوله : (بواسطة شيوخ البدعة) . ومن هذه الشيوخ التي أراده الكاتب أبو الكوثر الحاج عبد الرحمن الثغوري رضي الله عنه ، وهو كما قاله شيخنا وأستاذنا الحاج موسى الغازي الغموقي سماعاً أنه رضي الله عنه كان يربّي المشائخ في المغارب والمشارق ويُصلح العامة في كل بلاد المسلمين ، وكان تربيته وإصلاحه تارة بالهمَّة والتوجُّه وتارة بالدعاء والتضرُّع .

أقول – والله أعلم – : ليس في كتابنا هذه العبارة كما كتب هنا ، بل الذي فيه هكذا : بواسطة شيوع البدعة – بالعيْن المهملة لا بالخاء المعجمة ، وليس مرادنا ممن ذكرناهم في ذلك الكتاب الشيخ الحاج عبد الرحمن الثغوري – قدس سره ورزقنا فيْضه – فالعياذ بالله من أن أقول في حقِّه ما هو عنه بريء ، بل مرادي من الأصناف المذكورين فيه المتشيخون بالدعوى ، المتصدّرون للإرشاد بأنفسهم ، المغيّرون لأصول هذه الطريقة الخالديّة النقشبنديّة ، ولم يغيِّر الشيخ الحاج عبد الرحمن الثغوري شيئاً من ذلك ، وإنما غيَّره مَنْ بَعْدَهُ .

---

(١) لعلّه : ولا يخرج أحدنا من النفس بالنفس إلا إن حفّت علينا . . .

قال – عطَّر الله روحه –: وقال مرة: قصدت الذَهاب إلى حضرة محمود الفعال، واستخار فرأى مكاناً واسعاً خضراً قد ملأ بالزهر فاتحاً[1]، فجاء محمود الفِعال فأراه طريقاً، ثم أيقظ وبعد ذلك استخار في تلك الليلة في طلب حقيقة شيخنا العارف بالله الحاج عبد الرحمن الثغوري ﷺ فرأى ذلك المكان الواسع الخضر، ومشى ووصل إلى حضيض جبلٍ عالٍ، كبيرٍ أسفلُه، رفيع ذِروتُه، فمشى فيه فوجد خلفه إذا نظر العارف بالله تعالى شيخه الحاجَ عبد الرحمن الثغوري ﷺ، فمشى إلى ذروته وكان هو ﷺ خلفه يسوقه، ثم قلّ أثر الطريق وانتفى فنظر خلفه فلم يجده، ثم ندم على ما وقع في نفسه فتاب.

أقول – والله أعلم –: إنَّ ما يفهم من إيراد هذه الواقعة هنا: أن الشيخ الحاج عبد الرحمن الثغوري قدس سره أعلى مقاماً من القطب الأعظم والغوث الأفخم محمود أفندي الألمالي الأشترخاني قدس سره، وليس لأحد أن يثق الوقائع والكشوفات فإنها قد تتلوَّن وتخطأ، وأكثرُها شيطانيَّة كما في «المتممات».

وفي «روح البيان» من سورة النحل: إن الكشوف السفلية بما كان في مرتبة الطبيعة غير مقبولة، وعوام الناس يعَدُّون أصحاب أمثال هذه الكشوفات الأقطابَ؛ لكونهم على الجهل لا يميّزون بين الحقِّ والباطل. انتهى عبارته. وهكذا في مكتوبات محمودِ الفِعال كريم الخِصال، قدس سره؛ ولذلك فاللائق أن لا نتكلَّم في حقّ أمثال هذين العارفين الأمجدين؛ لأنهم عرائس الله، ولا يجوز لأحد أن يتكلم في عرائس الله بما لم يتحقَّقْ، بل السلامة أن لا نذكرهم بمثل هذه الوقائع؛ لأنها تُشعر بأفضليَّة أحدهما، وتنبيء انحطاط مرتبة الآخر. فافهمه، ولاحظه فيما سواهما فإنه مهمٌّ عند من ليس في قلبه وهم.

---

(١) لعلَّه: فاغماً.

قال - **رزقه الله التوفيق ، وهداه إلى أحسن الطريق** - : قوله (فمن ذلك اخترع أبعاض أهالي هذه السلسلة بواسطة قصور نظرهم بدعات) . ومراده من هذا البعض شيخنا العارف بالله تعالى أبو مريم الثغوري ﵁ .

أقول - والله أعلم - : فما أعظمَ ما اجترأتم إلى ارتكاب هذا القول مع أنكم لستم تعلمون الغيب ، فمِنْ أين تيقَّنْتَ يا أخي كون مرادي من ذلك البعض ذلك العارف المحقِّق ، والعالم المدقِّق الحاج عبد الرحمن الثغوري ؟ قدِّس سره وحشَرنا معه آمين . فنعوذ بالله ، فنعوذ بالله ، فنعوذ بالله من إساءة الأدب مع هذا الشيخ ، ولا أعلم أيَّ شيء حملكم إلى هذا القول ، ولا نرى ذلك إلا أنكم قصدتم بذلك عدم ترويج كلامي ، وأردتم تزوير مقالي بهذه الأقوال ، والله أعلم . والمرجوُّ منه العفو عمّن نسب إليَّ ما أنا عنه بريء ، وأن لا يؤاخذ أحداً من أمَّة محمد ﷺ بسبب أنه هو العفوُّ الكريم ، بل مرادي من جميع من ذكرناهم في رسالتنا مَنْ غيَّروا أذكار هذه الطريقة بأذكار اختاروها ودعوات أرادوها ممَّا لم نسمعها في أوراد وأذكار الطرق ولو في واحدة منها . ثم إذا قيل لهم : إلى أيّ طريقة انتسبتم ؟ قالوا : إلى طريقة النقشبنديين . فليتدبره المُنْصِف ، هل هذا إلا الاختراع والابتداع ؟ ! وليطلع إلى كتبهم . وفي ديارنا الداغستانية من كتبهم أكثر من ثلثين كتاباً . فلو كان ناسخ مقالاتي من كتابي نَسَخَ جميعَه بتمام لعلَّك تجد فيه ما يشفي القلب العليل ، ويظهر الحَقُّ من الباطل . فلستُ تكلَّمت في ذلك الكتاب من قبل نفسي ، بل بنقل صريح من كتب أهل الطرائق . فقد خان هذا الناسخ – والله – وأراد الغوغاء بين إخوان الدين – تالله – .

قال رحمه الله : وبيان[1] ؛ أن هذا الشيخ ذهب لأخذ الورد إلى الشيخ جمال الدين ﵁ بعد كمال علمه وفقهه ، فوقع له الجذبة الإلهيّة ثلاثة أيام بلا إفاق ، ثم أعطى له الورد ؛ من خمسة آلاف تهليل ، فوقع بدايةُ هذا الشيخ

---

(١) لعلّه : وبيانه : أنّ . . .

الثغوري نهايةَ الشيخ جمال الدين ﷺ ؛ لأنه كان مجذوباً منيباً إلى ربّه أوّاهاً من حين الطفل ، فإذا سلك بهذا الشيخ الذي وقع له الجذبة بعد السلوك صار بدايتُه نهايتَه ، وبقي هناك ستة أيام أو سبعة أيام ، وبعد ذلك رجع إلى بيته وأقام هناك متعبداً ، فحصل له الجذبة القيوميّة الاتباعيّة الدائمة ، ثم أرسل إلى شيخ شيخه المبارك محمد أفندي اليراغي ﷺ رسالة في طلب بيان ما هو عليه من الحقيقة ، فجاء منه البشارة التامّة مشعراً بأنه الكامل المكمَّل المرشد من الأفراد ، وأنه قد اقتفى بنبيّه المصطفى ﷺ ، وأنه لا يجب اتباع شيخ آخر . ثم أَعْلَمَ أن مبنى طريقة هذا الشيخ على نيّة الاتّباع الدائميّ بمثل نيّة الصحابة رضي الله عنهم ، فلهذا صار قوله (بواسطة قصور نظَرهم بدعاتٍ) راجعاً على قائله كما قال : « المؤمن مرآة المؤمن » . فإنه رأى في نفس المؤمن ما هو كائن في نفسه .

أقول - والله أعلم - : إن حصول المقصود ووقوع الجذبة الإلهيّة جائز للمستعدِّين ، وموقوف على التفاوت[1] مرشد كامل ، ومربوط به ، لكن كلُّ شيء من غير سعي واهتمام لا يكون له بقاء ودوام ، كذا يؤخذ من « الباقيات الصالحات » راجعه من ترجمة علاء الدين الغجدواني قدس سره .

وفيه في موضع آخر : كان الخواجه حسن صاحب جذبة قويَّة ، وكان يتصرَّف بصفة الجذبة أيَّ وقت شاء ، ويوصل من يتصرَّف فيه من مقام الحضور والشعور بهذا العالم إلى كيفية الغيبة وعدم الشعور ، ويذيقه ذوق الغيبة والفناء . انتهى عبارته .

وهكذا وقع لواحد من مريدي الحاج قطب الأولياء الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره ، كان ذلك المريد صاحب رياضات ومجاهدات ، صوَّاماً بالنهار قوَّاماً بالليل ، ذا ذكر كثير ، فدخل في عهد الشيخ العسليّ قدس سره ، فحصل له الفناء التام والغيبة الكليَّة ، وكان يغيب عن إحساسه بعد

(١) علَّه : التعاون ، أو التفات من مرشد .

صلاة الصبح إلى وقت العشاء الأخيرة ، ثم إذا أفاق يقضي الصلوات التي فاتت في ذلك ، وصارت عادته هكذا في زمان ، فأنكر شيخَهُ العسليّ قائلاً : إني صرت فوقك في المقام . وظنَّ ذلك الأحمقُ أنْ ليس فوقه مقام ، وأنَّ ما حصل له من الفناء منتهى المقامات ، ولم يدر أنَّ ذلك من جهة تصرُّف الشيخ العسلي قدس سره ؛ فبذلك سقط ذلك المريد من مقامه ، وتنزَّل إلى حضيض حظِّه ، فنعوذ بالله من الحَوْرِ بعد الكَوْرِ[1] ، ورؤية النفس والإعجاب بالعمل . انتهى .

وأما قولكم : ثم أعطى له الورد ؛ من خمسة ألآف تهليل مشكل جدّاً لا يوافق بما في كتب النقشبنديّة ، بل هو يعارض بما في « الآداب المرضية » لجمال الدين قدس سره ؛ لأنَّ صاحب الجذبة يلقِّن له الشيخ أوَّلاً اسم الذات ، لا النفي والإثبات ؛ لأنه مناسب لصاحب الجذبة ؛ لأنّ قلبه خال عن الأغيار وعن التعلُّقات إلى الأكوان ، فلا يحتاج إلى نفي تلك الأغيار ونفي تلك التعلُّقات ، بل إنما يحتاج إلى ظهور حقيقة جذبة المحبَّة الذاتيَّة ، فهذا يحصل باشتغاله باسم الذات من غير احتياج إلى النفي والإثبات . كذا في « التحفة » و« البهجة » وغيرهما من كتب النقشبندية . فتدبّره .

وأما إعطاء الإجازة ، والبشارة بأن الشيخ الثغوري بأنه الكامل المكمَّل فهو جائز ، بل هو حقٌّ مصدَّق ، إن شاء الله تعالى ، ويوافقه كلام خليفته الشيخ إلياس الزدقاري في « سلّم المريد » كما يأتي ، وأنه يجوز أن يكون فانياً في رسول الله ﷺ ، وبعد الفناء فيه ترتفع الوسائط من البين ، ويكون السالك محفوظاً من الزيغ ، وآمناً من الميل إلى اتباع الشيطان والنفس ، ويصير محبوساً في دائرة الامتثال وحيطان الاتباع .

---

(١) يعني بذلك : من الرجوع إلى الكفر بعد الإيمان (تفسير الطبري) .

فإذا كان حال هذا الشيخ هكذا ، وحكَمتم بأنَّ مبنى طريقته على الاتباع الدائميّ ، فما ذا تقولون فيمن ينتسبون إليه ، ويقولون : إنَّ تلقين الذكر الخفي حرام ، فهل هذا اتباع واقتداء ؟ ! لا والله ، بل هو اختراع وافتراء .

وقد ظهر مما مرّ في المقدمة أنَّ هذه الطريقة النقشبندية هي الباقية على ما ورد ، وأهل هذا الزمان غيَّروها وحرَّفوها عن وضعها ، وافتروا على هذا الشيخ المحقِّق أنه أسَّس فيها ما رآهُ خيراً ، وقالوا : مجدّد[1] في الطريقة ، وله أن يُؤسّس فيها ما أراد ، حاشا ذلك وكلا ! ! ولقد كان في تلك الطريقة مجدِّدون وأئمة مجتهدون فما غيّروها ، بل تركوها على أصلها سالمة من الانحراف خالصة من الابتداع ، وهذا الشيخ لم يغيِّرها ، بل المنتسبون إليه حرّفوها من بعده ، وسيأتي إن شاء الله تعالى كيفيةُ تلقين الثغوري .

وأما قولكم - هداكم الله - : فلهذا صار قوله (بواسطة قصور نظرهم بدعات) راجعاً على قائله فليس واقعاً في موقعه ؛ لأنكم أيها الأخ تعلمون أن ليس في ما نفعل في تلك الطريقة إلا موافقاً ومطابقاً على ما وصل إلينا بواسطة أشياخنا [قدس الله أسرارهم] ، مذ زمن مؤسّسها الصديق الأكبر رضي الله تعالى عنه ، فإن كنتم أدركتم بصفاء بصائركم على ما فينا ؛ من دخول البدعة في تلك الطريقة ، فاظهروها لنا لنتركه ، ونقتفي على من تبع السنة ، ونحن أيها الأخ نقول هكذا ؛ لم يرد من السلف والخلف في هذه الطريقة إلا الأذكار القلبية ، سواء كانت اسم الذات أو النفي والإثبات ، ولا يرخّصون في فعل أورادهم الملقنة للمريدين أن يفعلوها باللسان إلا إذا وصل السالك إلى مراقبة المعيَّة ، كما يأتي تحقيقه إن شاء الله تعالى ، فمن قال غير ذلك فليرنا ذلك ولو في أيِّ كتاب ، وعندنا من كتب النقشبنديَّة كتب لا تحصى ، ولا نجد فيها ما يفعله هؤلاء الجماعة المخترعون ، ونحن - فالحمد لله ربّ العالين - ولو كنا في قيد هذه الطاغوت ، وسجن هذه الصنم الأكبر النفس

(١) أي : هو مجدّد .

الأمارة القتَّالة الخدَّاعة سَالِمُوا الصدر مُنْشَرِحُوا القلب بين إخوان الدين ، وكلامنا في حقِّهم من جملة النصيحة . فلعلَّنا لسنا بحمد الله الذين يرون في نفوس الإخوان ما كان منطوياً في نفوسنا ما لم نتحقَّق الدلائل والقرائن .

قال رحمه الله : قوله (وجذبوا قلوب الناس إلى جوانبهم بعلاقات ارتكاب تلك البدعات ، وظنوا هذا العمل منهم تكميلاً لهذه الطريقة) . فلقد التمس مني شيخي وعمدتي الحاج مُوسَى حَاجِ بعدم إرسال رجل إليه ، ثم قال : إن شيخنا العارف بالله تعالى الحاج عبد الرحمن الثغوري نَهَى نهياً شديداً أكيداً بعدم تعلُّم قدره للأغيار وعدم إرسالهم إليه ، وأما قائل هذا القول فلقد خدع قوماً ، وأراد خداع قوم مطمئنين إلى المشائخ ، فصار قوله عليه ردّاً .

أقول : إنّي أرى كلّ ما تقول في هذه الرسالة من غير تدبُّر وتثبُّت ، فالعَجَلَةُ من الشيطان ، وصرف الكلام من مواضعه بلا دليل يدلُّ على صحة صرفه غير جائز ، فأَخْبِرْني أيَّ رجل خدعْتُهُ ؟ ! وأيَّ مريد جذبته إليَّ ؟ ! ولو لا كنْتُ مأموراً من قِبَل شيخي بالتلقين لَمَا قدرتُ أن أتكلم في حقِّ هذه الطائفة ولو بحرف ، ولو لم أكن متحقِّقاً بحال هؤلاء المتشبِّهين لَمَا أَلَّفتُ تلك الرسالة ولو بجمع لفظ ، وأنا تكلَّمتُ مع من شاورني بما لاح لي من الحق اليقين ، ولقنت الذكر وعلّمت الرابطة على من طلب مني ذلك بالتضرُّع والإلحاح ؛ لأنّي مأمور بذلك . فهل يجوز لمسلم أن يمنع مسلماً أراد سلامتَه ، وطلبَ الحقَّ لِيتَّبعه ؟ ! وهل ينبغي لأحدٍ أن يكتم ما علمه ، ويسكت عن إظهار ما عرفه مع أنَّ المرشد إنما هو الداعي إلى الله والنائب عن رسول الله عليه السلام ؟ ! ولكنّ الدعوة تجب أن تكون خالصة لوجه الله ، صافية عن أوساخ الأغراض والإشراك ، غير مشوبة بالأعواض .

وفي الحديث : « من صمت عن الحق فهو شيطان أخرس » ولقد كان عادة شيخنا قدس سره أن لا يطلب المريد ، بل كان يخاف من كثرة المريدين

لديه ، وإن جاء لديه مريد صادق كان يقبله ولا يمنعه ، وهذا عادتي أيها الأخ ، فأنا بحمد الله لا أطلب مريداً لا بالقلب ولا بالقالب ، ولو علمتُ أنّ أحداً أعرف منّي طريقاً لدلّلتُهُ إليه ، ولا أترك عندي ولو واحداً من المريدين . فالحمد لله ربّ العالمين .

قال الشعراني في « المنن » : وممّا منّ الله تعالى به عليّ عدم مزاحمتي لمشائخ عصري على شيء من أنواع صفات المشيخة ، كتلقين الذكر ، وأخذ العهد ، وإرخاء العذبة لأحد من الناس ، لا سيّما إن كانوا أقدم هجرة منّي في الطريق إذا كبر سنّاً فيها ، ثم إنّي إن رأيت أحدهم أعرف منّي طريقاً تلمَّذت له . انتهى عبارته .

وقال فيها أيضاً : إنّ ممّا أنعم الله تبارك وتعالى عليَّ فَرَحِي بكلِّ شيخ برز في حارتي[1] ، وانقلبت إليه جماعتي ، حتّى لم يبق حولي واحد منهم ، ومن تكدَّر من ذلك فهو خارج عن سياج الفقراء ، ممقوت . انتهى .

وفيه أيضاً : إن المزاحمة على المشيخة لا تقع قط من عارف بالله تعالى ، وإنما تقع من قاصريْن أو قاصر وعارف ، فيريد القاصر أن يكون شيخاً مثلَ العارف ، والعارف لا يريد ذلك . انتهى عبارته . وقد شبَّهَ الغزالي رحمه الله المريدَ بالميّت ، والشيخ كمن وجب عليه حمله ، فالعاقل يشكر ويفرح إذا وجد من يحمل . فافهم فإنّه مهمٌّ نفيس .

قال رحمه الله : وأما جعله أعمال شيخنا أبي مريم رضي الله عنه من قيام ليل وصيام نهار وحفظ كلامه تعالى من البدعات عار ، رادٌّ عليه .

أقول – والله أعلم – : فَمَا أَعْظَمَ هذا البُهْتَانَ مع كوني بريئاً من ذلك ، فالعياذ بالله من أن أذكر الشيخ عبد الرحمن الثغوري بسوء ، فهذا ممَّا لا يطيب القلب أن يعفو عن هذا القائل ، ويتجاوز عن ذلك البهتان ، لكن غلبة الرحمة على هذه [الأمّة] حملتني إلى التجاوز عن زَلاَّتِهم إكراماً لنبيِّهم عليه

(١) حارة : موضع . « المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز » .

السلام ، ولا أرضى أن يؤاخذ الله أحداً بسببي ؛ فالحمد لله على ذلك . **ولا أقول قطّ أن الشيخ الثغوري ارتكب بدعة أو غيَّر طريقاً ، بل كان على ما كان عليه أشياخه النقشبنديون ، ولم يؤسّس فوق ما أسّس الصديق الأكبر رضي الله تعالى عنه ، ومشى عليه أكابر النقشبنديّة مذ زمنه إلى زماننا هذا ، حاشا ذلك وكلاَّ !** ! بل الحقُّ اليقين في حقِّه ما قاله خليفته ومأذونه في مدَّة حياته إلياس الزدقاري قدس سره في كتابه « سلّم المريد » ؛ وهو هذه العبارات : اعلموا أيها الإخوان الأحباء والأصدقاء الأصفياء ! كما كان لشيخي وأستاذي وسندي الحاج عبد الرحمن الثغوري إذنٌ من المشائخ النقشبنديين ، كان له إذنٌ من مشائخ الطريقة القادرية للإرشاد ، ولكن كانت قاعدة تلقينه الذكرَ أن يأمر أوّلاً بالذكر اللساني لا بالجهر لبعض المريدين ، ثم إذا حصلت له بركة وجذبة يلقنه بالذكر القلبيّ ، ثم باللطائف المذكورة . ولبعضهم يلقِّن بالذكر القلبيّ أوّلاً . وكان يأذن لمريديه بالذكر الجهريّ في المساجد والمجامع والموالد ، ولا ينهاهم عنه . انتهى . ثم قال قدس سره بعيد هذا : اعلموا فلقد كان لنا في حياة الشيخ الحاج عبد الرحمن الثغوري المريدون والمريدات ، وأنا كنت أمرت المريدين في فعل أورادهم بما عليه مشائخنا من الذكر الخفيّ إلى آخر ما قال .

وقال فيه في الفصل الثاني : وأمّا للطريقة النقشبنديَّة فاسْمَان : اسم الذات ، والثاني : النفي والإثبات . فالتلقين عندهم على نوعين :

الأوّل : أن يكون المريد من أهل الجذبة ، فيلقِّنه الشيخ اسم الذات ، ثمَّ النفي والإثبات بحبس النفس .

والثاني : أن لا يكون المريد من أهل الجذبة ، فيأمره الشيخ بذكر النفي والإثبات بغير حبس النفس ، فيذكر المريد كذلك حتى تحصل له الجذبة ، وإذا حصلت له الجذبة يلقِّنه الشيخ اسم الذات ، ثم النفي والإثبات بحبس

النفس إلى آخر ما قال ، وكلاهما بالقلب ، كما مرَّ ، وكذا في سائر كتب النقشبنديّة . وهكذا في « الآداب المرضية » لجمال الدين قدس سره .

قال غفر الله ذنبه وعفى عنه : واعلم أنّ هذا الشيخ ﵁ ؛ يعني : الحاج عبد الرحمن الثغوري مجدِّد في الطريقة ، كخالد شاه والإمام الرباني ونقشبند بهاء الدين ، ولا عار عليه فيما أسَّس وأقام .

أقول : وقد علمت أيُّها الأخ من كتاب شيخه جمال الدين ، ومن كتاب خليفته إلياس الزدقاري أنه لم يُؤَسِّسْ خلافَ ما أسَّس الأئمة المجدِّدون المذكورون ، وعلمتَ أيضاً ممَّا مرَّ أنه كان له إذنٌ من القادريَّة ، فإن كان خلفاؤه بزَعْمِهم يَزْعُمون أنّ لهم إذنٌ من طرفه لتلقين الذكر القلبيِّ على قاعدة النقشبندية فليلقّنوا الذكرَ كما كان شيخهم يلقنه كذلك ، ولا يجوز لهم أن يخالفوه ، وإن كانوا يَزْعُمون أنّ لهم إذنٌ منه لتلقين الذكر على قاعدة أحد الطريقين . فمن أراد الاطلاع على كيفية أذكار القادريّة فليراجع إلى كتابنا « الدرة البيضاء » ، وكذا إن كانوا يدَّعون أنَّ تلقينهم على قاعدة سائر الطرق لا على قاعدتهما فيجب الموافقة على قاعدتها ، ولا يوافق كلُّ ما يفعلونه ولو على واحدة منها . فظهر بهذه المذكورات عدم أهليتهم للتلقين والإرشاد وبان بها دعواهم على المشيخة ، وأنَّ ما يصنعونه محض ابتداع وافتراء ، وخلصتُ أن يُرَدَّ عليَّ مآل قولك : رادٌّ عليه .

قال – عفى الله عنه وعنا وعن سائر المسلمين – : قوله (حاشاها وكلاَّ ! بل هؤلاء الجماعة يجتهدون في تخريب هذه الطريقة وتضييعها ، ولم يدركوا حقيقة معاملة أكابر هذه الطائفة ، هداهم الله تعالى إلى كلِّ ما فيه صلاحهم آمين) . إنما خرَّب عقيدة القائل وضيَّع في حقِّهم ، وإنما لم يدرك حقيقة معاملتهم ، فالمشائخ من شيخنا العارف بالله تعالى لهم إذن على قدر مشربهم وتفاوتهم ، ولا يجب إدراك حقيقة أكابر هذه الطائفة ولا حقيقة أصاغرهم إلا ما أدركوا عن شيخهم ؛ فمنهم عال وسافل ، ومستقيم ومريد

للاستقامة ، والشيخ في أمّته كالنبيّ في قومه . فمن المشائخ مَنْ مشربهم على قدم النبيّ عليه الصلاة والسلام أو على قدم موسى أو عيسى . . إلخ عليهم وعلى نبيّنا السلام .

أقول - وبالله التوفيق - : أيها الأخ هداك الله ، فإن كنتم صادقين فيما قلتم ، وممتثلين على ما كان عليه شيخكم ، ومأذونين من طرفه فلم لا تستعملون الأذكار النقشبندية أو القادريّة بلا تغيير ولا تحريف عمَّا كان هو يستعمله ؟ !

وقد علمْتم مما مرّ آنفاً أنه كان مأذوناً من الطريقين ، ووقع الخلاف بين ما تفعلونه وبين ما يفعله شيخكم ، فهل كان إذنٌ لكم أن تضعوا طريقاً جديداً ، وتستعملوا أذكاراً وأوراداً تخالف على ما ورد عنه عليه السلام وكان عليه أئمة الطرائق ؟ ! **لا والله ، بل أنتم وأمثالكم اخترعتم وابتدعتم وخالفتم وغيَّرتم الأصول ، وحرَّفتم الأوضاع ، وخرجتم من دائرة الطريقة النقشبنديّة الخالدية** ؛ لقول سيد هذه الطائفة خالد البغدادي قدس سره : **من غيّر أصول طريقتنا فليس منَّا** .

فتحقَّق بما ذكر أيها الأخ أنكم وأمثالكم لم تدركوا حقيقة أكابر هذه الطائفة كما قلتُ في رسالتي ، وليس مرادي من عدم إدراك الحقيقة عدمُ إدراكهم على حقيقة المشارب الأنبيائية كما فهمتم ، وأنت أيها الأخ قلتَ : إنَّ الشيخ في قومه كالنبيِّ في أمته ، نعم يا أخي هو حديث قيل فيه لا أصل له ، لكن السيوطي رحمه الله قال في « الدر المنتثرة » : قلت : أسنده الديلمي من حديث أبي رافع . انتهى . فأثبت له الإسناد . **فاعلم** إذا كان الشيخ في قومه كالنبيّ في أمَّته ، هل يجوز أن يضع شرعاً جديداً غير شرعه ، أو يسلك طريقاً غير طريقه ؟ ! **لا ولله لا ولله ، لأنَّ الشيخ نائب رسول الله ﷺ وخليفته في أمته . فكل من لم يمش في طريقته على ما مشى عليه أشياخه ، وتشيَّخ**

هو بنفسه فهو كذابٌ مفتر يتخذ إلهه هواه ، ومتّبعٌ على ما أراد منه شيطانُه ، فأغواه وأضلَّه الله على عِلْم ، فأرداه .

وفي « البهجة السنية » قال الرازي رحمه الله تعالى : إنَّ من تصدَّر للمشيخة من غير إذن فما يفسده أكثر مما يصلحه ، وعليه إثم قاطع الطريق . انتهى من عبارته . فستعلمون من خرَّب العقيدة وضيَّع حقوق المشائخ ، ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ ﴾ ، وهو ﴿ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ .

وأظنّ - والله أعلم - أنَّ من خالف الأساتيذ فقد كذَّبهم ، ومن كذَّبهم فقد كذَّب الرسول عليه السلام ، ومن كذَّبه فمأواه النار ، لخبر « من كذب عليَّ متعمِّداً فليتبوَّأ مقعده من النار » ، ولقد علمتم أن الشيخ الحاج عبد الرحمن الثغوري قدس سره لم يُغَيِّر هذه الطريقة ، ومرَّ حقيقته قبيل هذا ، فتدبره . قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ . ويَشْبهُ قولُ من تعصَّب وتخرَّب ولم يتبع الحقَّ إذا ظهر قولَ من قال الله تعالى في حقّهم ﴿ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ ﴾ . قال عز من قائل : ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾ .

قال - رحمه الله ورزقه التوفيق - قوله (وسمعنا أن أكثر المتشيخين - سامحهم الله تعالى - يجرُّون مريدي الأغيار إلى جوانبهم بالأقوال المموَّهات والحِيَل الباطلات ، عياذاً بالله تعالى عن هذه الغرورات) . والمتشيِّخ من يدَّعي الشيخوخة وليس هو منها ، كمثل هذا الكاتب السالك بلا جذبة قبله ولا بعده ، كما أخبر في « إبريز الذهب » . وفي كتب أهالي الطريقة النقشبندية : أن من سلك بلا جذبة قبله ولا بعده فلا يصحّ أن يكون شيخاً مرشداً .

أقول - وبالله التوفيق - : نعم يا أخي هذا عين ما نقول فلا غبار فيه - هداك الله إلى ما يرضاه - ومرادنا من جميع من ذكرناهم المتشيِّخون الذين تصدَّروا بأنفسهم ، لا المشائخ المتحقِّقون ، وأما أنا يا أخي متشيِّخ كما قلتَ ،

بل أنا لست في مقام مريد فضلاً في مقام المشيخة ، فقد أحسنت وأصبت ، والله يصيبك بالخير آمين . ولكنَّ الإنسان مجبول على خُفْيَةِ عيبه ورؤية عيب غيره ، بَيْدَ أنَّ شيخنا قطب الأولياء الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره كان يأمرني بالتوجُّه إلى مريديه سرّاً منهم ؛ أي : بلا إعلامي لهم بأنِّي أتوجَّه إليهم ، وذلك الأمر منه قدس سره ليمتحن لي ؛ هل أطَّلع على أحوالاتهم أم لا ؟ وهل أعلم ترقِّياتهم وتنزُّلاتهم وقبضهم وبسطهم أم لا ؟ فكنت كذلك في مُدَّة ممتثلاً أمره ، ثم بعد زمان رخَّص لي بالتلقين بالذكر القلبي لا مطلقاً ، وقد أحال إليَّ أمر مريديه حين مرض هو أو غاب ، ولقَّنتهم الذكر القلبي إذا ظهر لي منهم أمارة حياة قلوبهم بالانعكاس وبالتفتيش منهم ، وبشَّرني بأن قلوب من لقنتهم متأثِّرة بأثر الحياة .

ثم بعد زمان أذن لي بالإذن المطلق ، ورخَّص لي لتلقين أذكار السلوك كلّها ، وكتب لي صك الإجازة والخِلافة المطلقة ، وختم عليه خاتمه بيده الشريفة ، ووقعت تلك الكتابة والإذن عند العالم الرباني الحاج محمد بن شعبان العسلي ، والعالم الألمعي الحاج حديث القحي رحمهما الله ، وأحال إليّ بعد ذلك أمر مريديه سواء كان حاضراً أو غائباً ، وأمرني بتبديل الذكر من لطيفة إلى لطيفة حين ظهرت النتيجة لتلك اللطيفة القبلية ، ولكن إذا تفكَّرت في نفسي ونظرت في الكتب لم أجد فيَّ من أخلاق القوم أهل الإرشاد إلا الصورة التي لا يعدُّها أهلها شيئاً من الأشياء ، وخفت بعد ذلك من التصدُّر للإرشاد ، وأمهلت أمره حتى أن إخواننا قد شكوا لدى شيخنا قدس سره بأني لا ألقِّن الذكر ولا أمتثل أمره ، بل أمنع من طلب مني التلقين ، فقالوا لي : إنّ الأستاذ قد أغلظ الكلام عندنا في حقِّك وأكَّد ، وقال : قولوا له : لِمَ تقطع الناس عن المنفعة ، وقولوا له : اذهب إلى محلة كذا وكذا ليلقِّن الذكر لمن طلبوه[1] منه ، وكان في تلك المحلَّة أناس يطلبون[2] منِّي التلقين قَبْلُ فمنعتهُم .

---

(١) التلقين . (منه) .

(٢) علّه : طلبوا .

وهكذا أخبرني العالم الحاج عيسى القحي والعالم العارف أبدلو القحي رحمه الله ، فلم أجد لي بُدّاً من الامتثال ، فوجب عليَّ الانقياد ، لكن زاد فيّ الخوف لمخافة أن يكون ذلك من مكر المشائخ ، لأنَّ عادتهم أن يطردوا من أرادوا الطرد من حيث يظن القرب ، كما هو عادة أهل الله ، فالعياذ بالله من الطرد والإبعاد ، ولكن لم أطق أن أردّ الكلام لدى الأستاذ ثانياً وثالثاً ، واستحييت منه فما تجرَّأت أن أقول له : لستُ أهلاً لذلك بعد أن استخلفني ؛ لئلاَّ أكون معترضاً عليه فيما فعل ، لكن تصاغرت وتضائلت لما أعرف من نفسي قصوري عن ذلك وتحيَّرت وترددت .

ثمَّ أرسلت الرسالة لدى العالم الرباني والعارف الصمداني السيد الأمير النقشبندي سيف الله الحسيني الغازي الغموقي قدس سره بالمشاورة معه في حقِّ ذلك الأمر ؛ لأنه أعلم في ذلك الباب .

رسالة سيف الله قدي قدس سره

فرجع منه الكتاب وفي أثنائه هذه العبارات : ثم اعلم أيها الأخ المخدوم إن لله تعالى عباداً صلحاء أقيموا لإقامة هذا الدين ، وجعل أمور الخلق في أيديهم ليفعلوا ما فيه المصلحة للناس على طبق حكمة الله وأمره ، **فكلُّ من يتولَّى على أمرٍ أو يعزل من أمر فإنما هي بتدبيرهم** ، فاحمد الله تعالى حمداً وافراً على ما أولاك به ، واشكر معبودك على نعمته فإنما الشكر سبب لمزيد ، ولازم على ما أمرك به الشيخ وإن خالف أمره اعتقادك ، لما أنه طبيب قلبك يعلم ما أنت لا تعلمه ، وإياك والإنكار عليه وعلى أمثاله فإنهم أمناء الله تعالى في أرضه وعرائسه ، ولا سبيل لأحد أن يَمَسَّ عرائس الله بسوء ظنٍّ أو قول أو إنكار ، فإنَّ ذلك سوء أدب معهم ، فالعياذ بالله من مقته . انتهى من خطِّه .

وهكذا كنت شاورت العالم المحقِّق والعارف المدقِّق أدرة العرادي النقشبندي عند الملاقات في حقِّ ذلك الأمر ، وعرَّضتُ له شكوى ، وأظهرته تردُّدي وتحيُّري . ثم بعد زمان وصل لديَّ مكتوبه بهذه العبارات : فمراد هذا العبد ذي العجز والتقصير إبلاغ السلام إلى حضرة الكرام ، وحفظ حبل المحبة والإخاء مع تجديد عهد الوصية بالدعاء ، وثانياً إني راض عن كلّ ما يصدر منكم على مقتضى مقصود مرشدنا ومراده من إصلاح أمر المريدين والنظَر إليهم بكلِّ ما ينفع لهم ؛ لأني تكلَّمت مع مرشدنا ومولانا قدس سره وروحي فداه فيما لك في حقِّ النظر إليهم من التردُّد والتأدّب على مقتضى ما جرى بيننا يوم اللقاء ، **فاجاب** لي قائلاً : إني رأيت ينفع لهم على حسب ما يحصل له من الفناء . انتهى . فرضي الله عنك وجزى الله سعيك ، ووفَّقك وهداك . انتهى من خطِّه .

ثم بعد ذلك تيقَّنت أن الأستاذ قدس سره لم يفعل إلا ما فيه المصلحة ، لكن اجتهدت أن أدرك النقل الموافق لفعله قدس سره ؛ لِمَا أنّي لم أجد في فعله أو كلامه أو أحواله منذ صَاحَبْته ما لا يوافق النقل ولو في أدنى شيء ، فوجدت في مكتوبات الإمام محمود الفعال قدس سره ما حاصله : **إنه يجوز جلوس السالك الغير المجذوب في مقام المشيخة ، وتربية المريد بإذن شيخه المعتبر إذناً صحيحاً في اليقظة بأنَّ يده يد شيخه ، وأيّد ذلك بما في « الرسالة المدنية » ، وهو ما حاصله : إن بعد اطمئنان النفس يستعدّ المريد لتربية الطالبين وللتوجُّه ، وأمّا قبل هذا فمن قبيل خرط القتاد ومن قبيل جذب الألم إلى نفسه ، كما في أكثر مشائخ الوقت ، وليس إلاَّ إيلام النفس .**

نعم إذا كان بإذن الشيخ ، فإنه حينئذ تربية الشيخ لا تربيته ، إذا كان فانياً في شيخه حيث يدوم له نسبة حضوره ، ثم قال فيها أيضاً : واعلم أنه قد يعطي الكامل للناقص الإجازة لتعليم الطريقة ، وهذا ليس بمناف للإفادة والاستفادة ؛ لأن يد الناقص يد الكامل . انتهى عبارته . وهكذا بل عينه في « البهجة السنية » للخاني قدس سره .

فبهذه المذكورات تبيَّن جواز كوني من أهل الإرشاد وإن خالف رأي هذا الأخ ؛ من كوني متشيّخاً سالكاً بلا جذبة قبله وبعده ، جزاه الله عنَّا خيراً وألهمه رشده دائماً . فكم وكم نقائص في نفسي نبَّهني هذا الأخ إليها بشدَّة صفاء بصيرته ، وكم وكم فوائد دلَّني عليها هذا العالم ، فالحمد لله رب العالمين .

قال رحمه الله : وأخبرني واثق : كان في « بِجْطَه » مريدون للشيخ العسوي ﷺ ، ومريدون للشيخ فِرْمحمد حَاجِيَوْ ﷺ ، فذهبوا إليه فقال : أرسلوا رسالة إلى شيخكم يطلب الإذن فإنه يعطي الإذن ، ثم أرسلوا رسالة إلى الشيخ العسوي ﷺ فأذن لهم . انتهى . فإنَّ مثل هذه لا يصحُّ أن يقال : إجرار مريدي الأغيار إلى جوانبهم .

أقول - والله أعلم - : ومن هذه الحكاية يُعْلم إخلاص كلا الشيخين المذكورين قدس الله سرهما ، وهكذا يجب أن يكون كلَّ شيخ ، ولا يطلب المريد إلا من أحب الرياسة وأقبل على الشهرة ، بل الشيخ الصائب يزيد خوفه بزيادة أتباعه ، كيف لا ؟ ! وقد ورد في بعض الأحاديث « ما ازداد رجل من السلطان قرباً إلا ازداد عن الله بعداً ، ولا كثرت أتباعه إلا كثرت شياطينه ، ولا كثر ماله إلا اشتدَّ عليه حسابه » . وحينئذ لم يبق وجه للميل إلى تكثير السواد بهؤلاء إلا الطمع وحبّ الشهرة والجاه ، وأخذ الدنيا بالدين ، وجميع هذه النيات فسادها غنيٌّ عن البيان .

ولقد أصاب الشيخ الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره فيما فعل وأحسن ، فلعلّه شكر سعي الحاج فرمحمد رحمه الله وفرح بذلك ، لحمله الأثقال التي وجب عليه حملها ، وإراحته له من مشقة تربية أولئك المريدين ، فكم وكم ثقلاً يحمله قدس سره من أثقال هذا الورى ، فكم وكم مرات وجدته قدس سره مريضاً ، بحيث لا يطيق أن يصلي قائماً بكثرة ورود حَمَلاَتِ الناس عليه ، فلو لم يكن للمرشد في هذه الطريقة النقشبندية سوى أن يقول : قل كذا وكذا أو اذكر الله كذا وكذا ، كما ليس سواه لهؤلاء

المدّعين لكان الأمر سهلاً ، **لكن التوجه والتصرُّف بالهمة الفعالة شرط في تلك الطريقة ، وذلك أصعب الأمور ، فما للمرشد وقت ما من الأوقات فيه راحة ، إلا وقت لم يتوجه إليه فيه أحد** ، فكيف ؟ ! أنه تنعكس إليه أمراض المريدين وخطراتهم ، **فإن حصل للمريد بَرْدٌ يبرُد الشيخ أو وقع للمريد غمٌّ وهمٌّ يقع الشيخ فيهما ، حتى إن احتنق المريد أو احتقب يحتنقه ويحتقبه** . وقس عليها سائرها ، وراجع « الرشحات » و« المنن » إن شئت أن تدرك حقيقة ما قلته ، ولا تنكره لكونه ممَّا لم تذق منه شيئاً .

قال الشعراني في « المنن » : وصورة مجموع الأمراض التي تقع لي أيام الحَمَلاَت الثقيلة أنني تارة أحِسُّ بأنَّ شخصاً قوياً يضرب رأسي بطَبَرٍ من حديد ، وتارة تحبس فَضَلاَتي مدة سبعة أيام ، فلا تخرج بدواء ولا غيره ، وتارة يدخل عليَّ غمٌّ وهمٌّ وثقل حتى أصير ألهث مثل الثور إذا تعب ، ويخرج من حلقي رائحة الدخان ، وأطلب الموت فلا أجاب . انتهى من عبارته ٢٣٩ .

ولا أظنُّ أنَّ من هذه البلايا والحملات بعضاً لا يصيب شيخنا العسلي قدس سره ، بل صرَّح كثيراً أنَّ بعضاً منها يذوقه . فالحاصل أنه قدس سره قطب البلاء ، كيف لا ؟ ! وقد قال لي مراراً : **إنّ ما أحمله من حَمَلاَت هذا الخلق وأثقالهم لا يطيق أهل البلدان أن يحملوه** . انتهى .

وقال لي مرة : إنه طلب الموت إذ اشتدَّ عليه تلك الحملات فلم يجب . انتهى .

وقد ذكر الشعراني في « المنن » : أنه كان **إذا دخل في البلاء مع جملة الأولياء يحسُّ بمفاصله ما دام البلاء لم يرفع كأنها تقطعت ، وبعظمه كأنه يدق في الهاون**[1] ، **وبرأسه كأنه يرضح بين حجري مِعْصَرَةٍ لا يكاد يحسُّ بغير ذلك ، ويحسُّ تارة بأنَّ تحت كلِّ شعرة من بدنه مِسماراً من نار يدق** .

---

(١) هاون : وعاء يدقُّ فيه الطعام .

فليراجعه من ١٣٩ . **وليتدبر العاقل** هل يطلب أحد أحداً ليكون مريداً له ويحمل عليه حملاتهم مثل هذه المذكورات ؟ ! لا والله ، لكنّ الذي لم يذق من هذا المقام شيئاً ، ولا يعلم من أحوال القوم إلا الحكايات ، بل عادته أن يقول لمن جاء لديه : أذكر كذا وكذا ذكراً ، وصلِّ على النبي عليه السلام كذا وكذا صلاة أو غيرهما ، يجوز أن يطلب المريدين ، ويحجر عليهم في الاجتماع مع غيره ، ويجوز أن يكون التحجير لدسيسة خفيَّة في قلبه ، والله أعلم .

قال الشعراني قدس سره في « المنن » : وقد أجمع القوم على أن الصادق لا يفرح بالمقبل ، ولا يحزن على المدبر إلا بوجه شرعي . وأنشد سيدي إبراهيم المواهبي رحمه الله تعالى :

كُلُّ مَنْ جَاءَ يَجِيءُ ... وَكُلُّ مَنْ رَاحَ يَرُوحُ
لَيْسَ يَثْبُتُ هُنَا ... غَيْرُ أَهْلِ الفُتُوحِ

انتهى عبارته .

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول : لا ينبغي لفقير أن يتكدَّر من انقطاع الناس عن التردُّد إليه والغفلة عنه ، بل اللائق به الفَرَحُ ؛ لأن أكثر صحبة الناس اليوم تشغل الفقير المبتدىء عن ربه عزّ وجلّ إلى آخر ما قاله من عبارته .

قال رحمه الله وعفى عنه : ولكن قوله صار عليه وبالاً لِخَلْسِهِ مريداً سالماً عالماً الذي وقع نظره من أربعة مشائخ من طريقة ثغراوية ، فبسبب نظرتهم عليه كان يحمل أثقالاً من الخلق ويصير بينهم كالملح في الثريد ، ثم إن هذا المريد غرَّ وصار يجعل الرابطة إلى الشيخ الألمالي رضي الله عنه قائلاً : إنّه يريد الطريق النقشبندية وليس عند غيرهم غير الشريعة ؛ بسبب أنهم قالوا : إنما نعطي الشريعة لا الطريقة .

أقول - والله وليُّ التوفيق- : فالمراد من قولكم هذا هو العالم المحقق محمودِ لْمُحَمد الطليقي - رزقه الله التوفيق وجعله من أهل التحقيق آمين - الذي قال في حقه العالم الرباني والعارف الصمداني صاحب السرّ المصون والكشف الصائب ، ذو الكرامات العجيبات والخوارق الغريبات ، أخونا المعنويّ ، وخليلنا الحسنيّ السيد الأمير سيف الله الحسيني النقشبندي الغازي الغموقي - قدس سره ورزقنا الله تعالى نصيباً من معارفه وفيضاً من فيوضاته ، آمين - إنه العالم العامل بعمل صلحاء الأمَّة مع أنه مجهول الشخص عنده .

نعم يا أخي ، فما المانع من ذلك ؟ ألا يجوز أن يدخل في الطريقة مع أنَّ الأئمة أجمعوا على وجوب اتخاذ الشيخ بلا خلاف منهم ؟ ! ومع أنهم **قالوا : من لم يتخذ له شيخاً ولم يدخل في الطريقة فهو عاص لله ورسوله ؛ لأنَّ الطريقة لتكميل الشريعة ، وتكميلها موقوف على الدخول في الطريقة ؛ لأن الإخلاص في جميع أنواع العبادات الشرعية واجب ، والعبادة التي ليس فيها الحضور والوقوف كصورة بلا روح** ؛ ولذلك كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول : **ركعتان مع حضور قلب خير من ألف ركعة والقلب ساه** . وقد شبّه الغزالي في « جواهر القرآن » **فقد النية والإخلاص والحضور كفقد الروح من الوصيفة**(١) . انتهى .

ومعلوم مشهور أنّ الأعمال والعبادات تُحَفٌ يُتْحِف بها العبد إلى الله ، والمُهدي للجيفة الميتة كالمستهزئ للسلطان فيستحقّ سفك الدم . وفي « مجموعة الرسائل » : إن الطريقة والشريعة توءمان كالروح والجسد ، أحدهما لتحصيل كمال الإخلاص الذي هو عمل القلب ، والآخر لتحصيل أركان الدين بكماله الذي هو العمل بالجوارح ؛ فإنّ الروح بلا جسد ما له قيام ، وإنَّ الجسد بلا روح ما له دوام ، وذلك أمر مشترك بين المكلّفين من الرجال والنساء . انتهى عبارته .

---

(١) الوصيفة : الجارية دون المراهقة ، والجمع : وصفاء ووصائف .

ولهذا وجب على كلِّ مؤمن ومؤمنة أن يتَّصف بصفة الإخلاص والحضور في جميع أنواع العبادات الشرعيّة ، وإذا وجب ذلك وجب أن يزكي القلب عن رذائل الأخلاق المضادَّة للإخلاص والحضور ، وهي مخفيّة جدّاً لا يدركها إلا حديد البصيرة ، وإن أدركها لا يعرف كل أحد أن يُعَالج لإزالتها ؛ قال الغزالي في « الجواهر » : قال الله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ والتزكية : هو التطهير ، قال ﷺ « الطهور شطر الإيمان » فافهم منه ؛ لأنّ كمال الإيمان تزكية القلب عمَّا لا يحبُّه الله ، وتحليته بما يحبُّه الله ، فالتزكية شطر الإيمان ، فكيف يشتغل بالطهارة من لا يعرف النجاسة ؟ ! انتهى من عبارته .

فلذلك احتاج إلى طبيب يعلم الطبَّ الروحاني الذي هو العلم بكمالات القلوب وأمراضها وأدويتها وإلخ ، ليُدَاويَهُ ، ألا وهو الشيخ الذي يُنَزِّل الدّواء على موضع المرض ، وذلك الدواء هو الذكر لا غير . وقد قالوا : إنَّ من شرط الذكر النافع أن يأخذه الذاكر من شيخ مأذون معتبر الذي لم ينقطع إسناده وإسناد ذكره ؛ لأنَّ الذكر لو كان خالياً من نور النسبة الذي يحجب به الشيطان لا ينفع الذاكر ، بل يهلكه ويصيرُ ذلك الذكر كإلقاء السمِّ ليداوي به المريض ، فافهم فإنه نفيس .

وفي « السير والسلوك » : وأما من أراد أن يخلص منها بغير سلوك الطريق المذكور فقد طلب المحال ، ولذلك ترى الأبرار وإن سعوا في الخلوص من الصفات وتيسَّرلهم ذلك وقعوا في صفة أخرى وخصلة أقبح من الأولى . انتهى من عبارته .

فإذا كان الحال كما ذكر وجب على ذلك العالم مَحْمُودِ لْمُحَمَّدِ الْطليقي دخوله في الطريقة ، وأخذُهُ الذكرَ من أهله . ولا يخفى أنّه لا يلزم أن يتقيَّد في أوراد اعترفَ ملقّنوها أنّها ليست بطريقة ، مع أنّه يجوز الانقطاع من شيخ ويتصل بالآخر إذا رأى الطالب رشده عند شيخ آخر . وقد أخذ في

ذلك فتوى من علماء بخارا . وتفصيله في « نفائس السانحات » و« الدرّة البيضاء » و« البهجة » و« المنن » و« البريقة » و« فتاوى » ابن حجر من الخاتمة وغيرها . وقد يكون مريدٌ لا فتح له عند شيخ ويفتح عليه عند شيخ آخر ، وأقلّ ما يحصل لمن يأخذ الذكر من أهله حياة قلب الذاكر ، وهو المطلب الأعلى والمقصد الأسنى ، وإن كان فوقه مقامات لا تحصى . **ومن وقع عليه نظَر المشائخ لا بدّ أن يُحيي قلبَهُ؛ لأنَّ القلب إنّما يحيى بقلب حيٍّ . وهو ميزان صادق ليعرف المريد صدق الشيخ وكذبه** فافهم .

فلو كان ذلك العالم ملحوظاً بنظرات مشائخه القبليَّة لعرف أثر حياة قلبه ؛ وهي : الحركة والاضطراب ، والحرارة المعهودة للطيفة القلب ، أو جريانه بالذكر إذا توجَّه إليه ، ووجدانه ذاكراً لله بلسان خياله . ولو كانوا ينظرون إليه قبل ذلك لوجب عليهم أن ينظروه بعد دخوله في عهد غيرهم بنظر الإمدادات ، ويعتبروه بأشدّ الاعتبارات ؛ لأنّ مقصود جميع المشائخ الكاملين أن يصل العبد إلى الله تعالى ولو كان ذلك الوصول بيد غيرهم ، ولا قصدَ لهم غير ذلك ، حتى أنَّ الكاملين يفرحون بذلك ويشكرون ويمدُّون لذلك الشيخ الآخر ، ويفيضون . ولو فرض أنّه انقطع عن الهداية بالدخول في الطريقة الحقيقة[1] ، والخروج من دائرة طريقة مجازيّة مع أنه بعيد .

فنقول : إنّه لا يجوز لهم انقطاع نظرهم عن ذلك المريد ، بل الواجب عليهم أن يجتهدوا لتخليصه من الانقطاع وإرجاعه ثانياً في دائرتهم بهمم روحانيتهم ؛ فقاعدة المشائخ إذا وقع المريد في أمواج البحار أن يجرّوه إلى ساحل البحر .

---

(١) علَّه : الحقيقيَّة .

وقد قال صاحب « الإبريز » : إنّ المريدين بمثابة أكواب الحمام فهي لمن غلب ، فالشيخ الذي يغضب على مريده حيث يتركه ويذهب لغيره عاجز أو عقيم ، فمن عجزه وعقمه ذهب مريده لغيره . انتهى من عبارته .

ولقد فهمنا من كلامكم أيُّها الأخ أنَّ ما يفعله هؤلاء المنتسبون إلى النقشبنديَّة إنّما هو للتبرّك ، وأنّه يجوز للمريد بعد حصول البركة والجذبة أن يدخل في الطريقة . نعم ، لو كان كلامهم هذا صادقاً فلمَ لا يُدخلونه فيها ، ولِمَ لا يلقنونه الذكر القلبيَّ ، وفي مريديهم من مضى منذ زمن أخذ الذكر منهم عشرون سنة ؟ ! وهو الآن على ما لقّن له يذكر الله أناء الليل وأطراف النهار ، ومع ذلك لم يُحْيِ قلبه . فاعتبر أيها الأخ بطريق لم يحي قلب سالكها في مدَّة عشرين سنة ، وقابِلهُ بطريق يحْيِي قلب الداخل فيها في توجه واحد **إن كان المريد مستعدّاً** ، **أو في شهر واحدٍ إن لم يكن كذلك** ، والفرق بين ذينك الأمرين أنّ هذه الطريقة النقشبنديّة سالمة من البدع والأهواء ، ومعنعنة غير مُنْقَطعة عن الإسناد والاستناد ، ومعها نور النسبة ، فيتوجّه شيخ تلك الطريقة إلى باطن المريد في أوّل دخوله فيها ، ومعه ذلك النور المذكور فيحجُب المريد من الشيطان ويتأثّر في قلبه بمجرّد الدخول فيها .

وتحقيق ذلك ؛ **أن كون المرشد في هذه الطريقة على مقام الولاية الكبرى واجب ؛ لأنَّ التوجّه فيها شرط ؛ لأنها طريق الانعكاس والانصباب من صدر إلى صدر** ، كما روي عنه ﷺ « ما صبّ الله تعالى في صدري شيئاً إلا وصببته في صدر أبي بكر » ولا يقدر من ليس على تلك الولاية أن يتصرّف في باطن المريد بصفة الجذبة .

وأما ما يفعله غيرهم ؛ أن يقولوا لمريديهم اذكر الله كذا وكذا ، ولا يتوجّهون ولا يلقّنونه ، فيصير الذكر خالياً من النور ومنقطعاً عن السند ؛ فلذلك لا ينفع به ولا يُنْتج منه . ولقد صدق قوله عليه السلام « من استغنى برأيه ضلّ » . ولقَّب قطب الأنام الحاج جبرائيل أفندي اللكتي قدس سره

شيخَنا الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره بذي الجناحين وهو اللقب الذي لقِّب سيّد الطائفة خالد البغدادي قدس سره . وعادة هذه الطائفة أن يلقبوا به على من ارتقى إلى الولاية العليا التي ليس فوقها ولاية .

وتصرُّف هذا الشيخ مشهور معلومٌ ، وكون مريديه على الحضور التام ظاهر مجرَّبٌ ، وقطعه مقامات المراقبات التي فصّلها الغوث الأعظم بهاء الدين النقشبندي ممّا لا شكّ فيه ، وتلقينه للمريدين تلك المراقبات كنار على علم ، فلأيِّ شيء تمنعون ذلك العالم المذكور محمودِ لْمحمد الطليقي- هداه الله تعالى- من الدخول في دائرة طريقة قال في حقِّها محمد نقشبند : المعرض عن طريقتنا على خطر من دينه ؟ ! انتهى . فلو قدّرنا وفرضنا أن ذلك العالم كان داخلاً في تربية مشائخه في زعمه فلقد يكون المريد لم يقدّره الله تعالى الفتح عند شيخ وقدَّره عند آخر ، ويكون دخوله في عهد الشيخ الأوّل كالاستعداد لحصول الفتح عند الشيخ الآخر . قال عيسى عليه السلام : لن يدخل ملكوت السماء من لم يولد مرتين . فإذا آن لأَنْ يولد الإنسان بهذه الولاية المعنويَّة أوصله الله تعالى إلى واحد من أشياخ الطريق ، وربَّاه حتى يلتحق بعالَم الأرواح ، ويتلطَّف لطائفه الكثيفة وتتذكّر أصولها .

ومن الأشياخ من يعلم مريديه قبل أن يصل إليه ويأخذ منه ، ولو كان في عهد شيخ آخر ، ثم إذا لقي ذلك المريد تبنّاه ورباه وأشفاه وداواه ، ويكون ذلك المريد كطفل صغير له أب ، ففرق الله بينه وبين أبيه ، فالتقطه آخر وجعل يربّيه ، فكبر الولد ولا يرى غير الرجل الذي كان يربّيه فصار يقول له : أبي ويحنُّ له كما يحنُّ الولد إلى أبيه حتى بقي عنده نحواً من سبع سنين ، ثم جاء أبوه الذي هو ابنه من صلبه ، فوجد الولد جالساً بفناء دار الرجل الذي يربّيه فوقف أمامه ساعة ثم مرَّ عنه ، فإن عروق ذلك الولد تذهب كلّها مع أبيه الذي من صلبه ، ولا يبقى له شيء منها مع الرجل المربّي هو أبوه . انتهى . فعلم من هذا أنّ من كان له شيخ مثلاً ولم يفتح على يده وفتح على يد شيخ آخر ؛ **فالذي وقع الفتح عنده هو شيخه الحقيقي** .

وقد قرّر في كتب النقشبندية أنّ الرابطة وحدها بلا ذكر تنفع في الإيصال . فما تقولون أيها الأخ في طريقة اجتمع فيها أربع طرائق مستقلّة ؛ التوجه ، والرابطه ، والصحبة ، والذكر ، كما هو معلوم من الكتب . فلو كنتم لا تنكرون على هذه الطريقة النفيسة ، ولا تُخربون عقائد هذه الطائفة العليَّة لكان خيراً لكم ، ولو لم تكن أيها الأخ كتبت على رسالتنا هذه الأعاجيب التي لا يقبلها نقل ، ولا يصدِّق أغلبَها عقلٌ لكان ذلك أخْيَرَ لك وأفيد .

فإن دلائل هذه الطائفة ظاهرة كالشمس ، و ما بعد طلوعه ظهور للنجوم ، فإن كنت على قدم الصدق في دعواك أنك أويسيٌّ ، ولاقيت دليلاً من كتب الأئمة على التصدُّر لإرشاد الناس ، ومشيْتَ على قواعد هذه الطائفة بلا تغيير ولا تحريف فيجوز لك ذلك ، وإلاَّ فالمفسدة تغلب على المصلحة ، وتهلك هذه الأمَّة الأحمدية وتستحقُّ الطرد والإبعاد .

فالعياذ بالله ، إنه جواد كريم . عن ابن عمر رضي الله عنهما : « إنما أهلك من كان قبلكم الفرق » . وعن عرفجة بن شريح : « سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ » فتدبَّر هذين الخبرين فإنهما شاملان مثل هذا الذي كلامنا فيه .

الإسناد من الدين

قال – رحمه الله ونفع الله به العباد – : فأقول في جواب قوله ، (وإظهار معنى قولهم : إنما نعطي الشريعة لا الطريقة) أي : لا نعطي طريقة التربية إنما نعطي طريقة التبرّك ، وطريقة التبرّك ليس مختصّاً بشيخ ، بل يصحّ أن يؤخذ من عالم أو وليٍّ أو شيخ .

أقول – والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب – : ولا يخفى على من له أدنى إدراك بقواعد أهل هذه الطائفة ، وممارسة بعلومهم أنَّ ما قاله هذا القائل قول برأيه ، وحكم مخالف لأصول الأئمة ، وقد مرَّ غير مرة أن شرط

الذكر النافع أن يكون بتلقين شيخ مقبول مأذون له من قبل شيخه المعتبر ، وهكذا إلى رسول الله ﷺ ، ولا يجوز لأحد أن يلقِّن الذكر ولو كان للتبرّك إلاّ إن كان عارفاً ؛ يعلم أسرار الأسماء الإليهة غير منقطع الإسناد والاستناد في أذكاره وأشياخه ؛ لما قيل : **الإسناد من الدين ولو لا الإسناد لقال من شاء ما شاء** . فكيف يجوز ذلك ؟ ! وقد قالوا : إنّ غير العارف المأذون له إذناً صحيحاً يعطي للمريد مجرَّد الاسم بلا نور حاجب من الشيطان فيهلكه ، والعارف يكون معه نور الاسم ونور النسبة النبويّة ، فيعطيه له بذلك النور فيحجبه من الشيطان ، ولا يقرب الشيطان من رجل معه نور الذكر ونور النسبة ، ومن لا فالشيطان يلعب به كما يلعب الصبيان بالكرة .

فتحقَّق أن ذكر التبرك المخالف لما ورد غير مبارك ، ولا بركة إلا فيما ورد . فما بال إماتة الطريقة السالمة المعنعنة ، واختراع الأذكار الغير المأثورة في تلك الطريقة قائلين : إنه للتبرّك ، لا والله ، إنّ البركة فيما ورد عنه عليه السلام ، وإنّه أعلم بأسرار الأسماء الإلهية ، وأصلح لهذه الأمة الضعيفة من هؤلاء الملقّنين المدّعين ؛ قال الله تعالى ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾ الآية فيما دعاهم إليه ودعتهم أنفسهم إلى خلافه . انتهى من « الجلال » من سورة الأحزاب من عبارته . وقال الغوث الأعظم أحمد ضياء الدين في « المتممات » : واعلم بأن الشريعة المحمدية - لمن تأمَّل جميع الأحكام المشروعة فيها ، وعمل على الوجه المشروع دون البدعة داعية - إلى تحصيل الجذب الإلهيِّ ، وأما العمل بها على طريق البدعة فهي مبعدة عن الجذبة ، ولذا قبحت البدعة وزاد قبحها على فعل المعصية . انتهى من عبارته .

فالحاصل : إن الخِلافة الباطنية مقتصرة بأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وعليٍّ كرَّم الله وجهه ، وكلِّ من انتسب إلى أيَّة طريقة من طريقتهما ، فلا يجوز له أن يتعمَّل فيها بما اختاره برأيه ، بل يجب عليه أن يتمسَّك بحبل ما جاء به ، **ومن خالف فليس معدوداً من أهل الطريق ، بل هو منقطع من الانتساب** ،

ويصير مبتدعاً في تلك الطريقة ، ومعلوم مشهور ؛ أنَّ أصل الطريقة الصديقية النقشبندية على الذكر الخفي القلبي ، وسيأتي **أن المخالفين لأصول الطريقة خارجون عنها** . . إلخ . وفي الحديث « من عمل ببدعة حلاه الشيطان في العبادة » . . إلخ ، وقال سليمان الزهدي في هامش « نهجة السالكين » بعد هذا الحديث : المراد من البدعة خلاف الشرع ، وخلاف أصول الطريقة . انتهى من عبارته .

ولم ينقل عنه عليه السلام أنه منع الفُسَّاق وأهل الدنيا عن الذكر الوارد ، بل حثَّهم عليها ؛ أخرج الديلمي والبيهقي عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء » . قيل : وما جلاؤها يا رسول الله ؟ قال « ذكر الله ، وتلاوة القرآن ، والصلاة على النبي ، والاستغفار » الحديث . وقد مرَّ شرط الذكر فلا نعيده فافهم .

قال – رحمه الله ، وهداه إلى الصراط المستقيم – :

فإن أراد الافتراق من ورد التبرّك ، يترك الورد ولا يجب عليه ، كما قال إبراهيم القزويني رضي الله عنه ما مفهومه : إنَّ الذي أعطيك من الورد فافعل حين ظننت فعله وأردت وشُقْتَ إليه ، ولو من أسبوع أو شهر . وهو المجاور المدينة المنوَّرة في الحال رضي الله عنه .

أقول ؛ والله أعلم : فإذا جاز ترك الورد ؛ ورد التبرّك فما المانع من جواز الدخول في الطريقة الحقيقة[1] ، وأخذ الورد من أهلها ، وقد فهم من كلامكم من قِبَلُ عدم جوازه ، وجعلتم ذلك العالم المذكور مغروراً ، فإذا جاز الترك رأساً فجواز أخذ الورد مكانه يعلم بالطريق الأولى . وأما تلقين الذكر لأهل الدنيا والمناصب والأمراء وغيرهم ممن لا يطيقون السلوك الحقيقي على طريق التبرُّك والمحسوبية فأمر ثابت من السلف والخلف ، لكن الذي نتعجب به قول من يقول : إن الذكر الذي اختار الملقِّن برأيه يتبرَّك به ؛ والذكر الذي

(١) علَّه : الحقيقيَّة .

اختاره منبع الطرائق والحقائق ومرجع الفيوضات والإمدادات محمد ﷺ ، ووصل إلى المشائخ الكرام بلا انقطاع السلسلة مع النور الحاجب من الشيطان لا يتبرَّك به ، فهذا من أغرب ما سُمع .

وأكثر مشائخ الزمان إنما يلقّنون الذكر بقصد التبرك والمحسوبية لمجرَّد الانتساب إلى النسبة العلية قدس سره ، لكن يجب على الملقِّن أن يلقِّن الذكر الوارد في طريقته ، لا غير ، وإلا لا يقال لمن لُقِّنَ له أنه منتسب إلى المشائخ النقشبندية ، بل هو غير معدود منهم وغير داخل في دائرتهم ، فمن أين يحصل له البركة ؟ ! فافهم ولا تعجل فإن العجلة من الشيطان .

قال رحمه الله : فإن قيل (هذه الطريقة الألمالية والطريقة الثغراوية أيُّهما أقرب إلى رسول الله ﷺ وأحكم استقامة) ؟ فنقول في جوابه : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، فإن وقع جذبة المريد في أوَّل سلوكه وبدايته نهاية سائر الطرق ، فالطريقة الألمالية أولى وأحرى وأقرب إلى حضرة رسول الله ﷺ ، وأحكم استقامة ، فإن لم يقع بداية المريد نهاية سائر الطرق فالطريقة الثغراوية أولى وأحرى للاتِّباع ، وأحكم استقامة ؛ لأنّ للمشائخ الثغراوية رضي الله عنهم نظرتان ؛ من قبل رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام بسبب نسبتهم إلى خلفائه عليه السلام ، ونظرة من قبل حضرة قطب الغوث وأعوانه ، بسبب دعواتهم وتضرُّعاتهم بالإخلاص للعوام والخواص حاضراً وغائباً ، فالفَهِم الذكيّ يُدرِك بنظَرٍ واحد ما لا يدرك البليد بألف شاهد .

أقول – والله أعلم – : فما أعظم ما اجترأتَ أيُّها الأخ للتكلُّم بهذه الكلمات التي لا طائل فيها ! فأيُّ فرق بين طريقة ثغراويَّة وبين طريقة ألماليَّة مع أنها طريقة واحدة مشهورة بالطريقة النقشبندية ؟ ! فلأيِّ شيء تغيّر ذلك الاسم وتُسمِّيها بذينك الاسمين ؟ ! ولقد علمت مما مرَّ نقلاً من « سلم المريد » أنَّ ما كان الشيخ عبد الرحمن الثغوري يفعل غير مخالف لما يفعله المشائخ

النقشبنديون . فإن كنت من أهل الذوق من شراب هذه الطائفة فأنت تعلم أن نتيجة ذكر القلب كذلك ، إلا لجذبه[1] إلى الله تعالى ، وذا عند أهل الذوق هو نهاية سائر الطرق ، فلا مجال أن نحكم بأولوية تلك الطريقة ، لكن غرَّكم عن إدراك حقيقتها الغرور ، وأوردتَ هذه العبارات لمجرَّد تطويل الكلام ، ولا نعلم أحداً وصل إلى الله إلا بواسطة مدد رسول الله عليه السلام ، بل كلّ مدد وفيض حصل للمريد بواسطة المشائخ فإنما هو عليه السلام وقطب الغوث يقسمه بينهم ، فليس ذلك مخصوصاً بأحد الطريقتين . فما أشدَّ بهتانَكم على شيخكم في زعمكم أنه غيّر أسلوب هذه الطريقة ، ووضع طريقاً جديداً مسمَّى بطريقة ثغراوية . فالعياذ بالله من هوى مُتَّبعٍ ، ومن اتباع الرأي وعدم قبول الحقِّ .

وفي « مجموعة الرسائل » : إنهم يحسبون أن الطريقة وضع رسم وتصاوير ، وأن المشيخة تصنُّع وتدابر بكمال جهلهم عن أسرار المشيخة الإلهٰ وقِلَّة عقلهم بما يعينهم إلى الصلاح ، وهم قطاع طريق الأوَّاب ، ومفرِّق جمع الأحباب ، بل هم أضرُّ على الإخوان من المنكر المغتاب ، ووقع شباكهم بعض الحدأة والغراب ، عن أبن عمر رضي الله عنهما « إنما أهلك من كان قبلكم الفرق » . عن عرفجة بن شريح « ستكون هنات وهنات ، فمن أراد أن يُفرِّق أمر هذه الأمة وهو جمع[2] فاضربوه بالسيف كائناً من كان » وهو شامل مثل هذه الفتن والتفريق عصمنا الله بالتوفيق . انتهى من عبارته .

الأصل من مولانا خالد البغدادي قدس سره

وفيه أيضاً ما حاصله : إنَّ المخالفين لأصول الطريقة خارجون منها ، بل معدودون من المبعودين ، ولكن الحقير ما يقول فيهم إلا مثل قول إبراهيم عليه السلام : فمن تبعنا فإنه منا ، فمن يخالف أصولنا فإنك غفور ، وبإصلاحهم قدير وجدير ؛ ربَّنا هَبْ لنا من لدنك رحمة وهيِّئ لنا

(١) لعلَّ هنا سقط .
(٢) وفي نسخة : وهم جمع .

من أمرنا رَشَداً . وهذا الأصل من مولانا خالد البغدادي قدس سره هو أصل في كُلِّ الطرق . انتهى .

وفي كتاب « الجواهر » و« الدرر » للشعراني ما حاصله : إن من أحدث حكماً في دين الله فقد أحدث في نفسه ربوبية ، ومن أحدث في نفسه ربوبية فقد انتقص من عبوديَّته بقدر ذلك الحكم الذي أحدثه ، وإذا انتقضت عبوديَّته انتقض من تجلِّي الحقِّ تعالى له بقدر ما انتقض من عبوديته ، فإن أخلاق العبودية على الضِدِّ من أخلاق الربوبية ، وإذا انتقض من تجلِّي ربِّه له انتقص من علمه بربِّه ، وجهل من معرفته بقدر ما نقص . انتهى .

فليتدبَّر المنصف ما يرد على من قال برأيه ، وغيَّر اسم الطريقة النقشبندية وسماها بطريقة ثغراوية . قال عليه السلام « من استغنى برأيه ضلَّ » ولعل هذا الكلام من هذا العالم – هداه الله إلى الصراط المستقيم ، آمين – محض تعصّب وتحزّب ، وإلاَّ فلا ندري لما قاله نقلاً ولا عقلاً ، ولا يجوز لأحد أن ينكر على أحد بطبعه وفي نفسه أنه أعلم منه ، فيحجب بذلك فيصير علمه جهلاً ، بل اللائق أن يذكر ما عنده إلى من جهله من أمَّته لا منتحلاً شرعاً أو طريقاً بنفسه على غيره ، فإنَّ الأقران قلَّ أن ينقادوا لمن طلب الرياسة عليهم ولو بكلام الشارع ، فكيف بغيره من مثل هذا الكلام الذي ليس لها دليل ؟ ! هذا حاصل ما قاله الشعراني . فمن أراد أن يدرك الحق ، ويطرح غيره فليزن بطريقة المشائخ الذين لم ينقطع سلسلتهم ، فإن وجده موافقاً فليأخذه وإلاَّ فليطرحه . قال الله تعالى ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ الآية .

قال – سامحه الله تعالى ، وعفى عنه ، وجعله من أهل الذوق والوجدان آمين – : فإن قيل (هل يصير طريقة التبرُّك طريقة التربية ؟) فأقول – وبالله التوفيق– : إن كان المنتسبون إليه مشائخ حقيقين بالاعتقاد التام يصير التبرُّك تربية ، كما وقع الهداية لهذا الفقير من التبرُّك ، وأيَّد ذلك التبرُّك بتربية ونظرة الشيخ الحاج موسى حاج ظاهراً ، وأمّا باطناً فمن الشيخ الثغوري ﵁ ، ومن

حضرة شيخنا اليراغي أيّداني بهماتهم الروحانية ، رضي الله عنهم وأرضاهم . ولا يعرف هذا إلا أهل الذوق والإيمان به .

أقول – والله أعلم – : قد يصل العبد إلى الله ببركة الصحبة أو الخدمة أو الرابطة من غير سلوك في مقامات الطريقة ، بل بجذبة إلهيَّة ؛ لأنَّ المشائخ هم القوم لا يشقى بهم جليسهم ، والأحوال سارية ، والطبيعة سارقة ، وهم أهل إذا رؤوا ذكر الله ؛ فلا يخلوا من صحبهم أو خدمهم أو أحبَّهم من لحظات بركاتهم ، لكن الذي لم يسلك في مقامات الطريق ، ولم يعرج إلى معارج الحقيقة بالترتيب والتدريج يقال له مجذوب ، وهو أعمى في الطريق ، ولا يجوز أن يكون دليل الأعمى أعمى في طريقٍ لا يعلم مُهْلكَها من مُسْلَمِها ، فليقف في مقام جذبته ولا يتصدَّر للإرشاد ، ومرَّ مثله فليلاحظه هنا .

ثم إنّي سمعت من الثقات أنَّ هذا العالم قال : إنَّ الرابطة تشبه عبادة الصنم ، ولم يجوِّزها ؛ فلا أعلم بأيِّ شيء حصل له التربية من الروحانية حتى يصل إلى الله ، ويدَّعي أنَّه أويسيٌّ مع أنّه لا شيء يستفيض به من الروحانيات سوى الرابطة ، والله أعلم بالصواب .

قال – **غفر الله ذنبه وستر عيبه** – : وقاعدة حضرة شيخنا الثغوري رضي الله عنه ، كما قاله الشيخ الحاج أذن السلطي رضي الله عنه : تقيّد الرجل بالنوافل ، وإحكام الفرائض ، واتقان الذكر الظاهر ، وإهمال الذكر الباطن حتى يصير حاله الظاهري وعقله غالباً على باطنه ، فحينئذ يُهيِّئ الباطن بالذكر والتوجُّه ، فيبدأ من هناك بداية مريده على سائر نهاية الطرق .

أقول – والله أعلم – : فلا كلام فيما كان الشيخ الثغوري قدس سره يفعله ، فلعلَّه كان اطلع على عدم استعداد الطالبين ولأجله قيَّدهم فيما ذكر ، ومرَّ ما قال خليفته إلياس الزدقاري قدس سره ، فلقد أصاب وصدق قدس سره فيما فعله . فإذا كان كذلك فلِمَ لا يمشي خلفاؤه – لو كانوا صادقين في قولهم إنهم خلفاؤه من بعده – على ما مشى عليه ، ولم نسمع من مريديهم ولو واحداً من حصل له الاستعداد ، ولقن له الذكر القلبي ولو

مضى منذ زمن دخولهم في عهدهم أكثر من خمسة عشر سنة ، فهذا مِمَّا يجب أن يتعجب به ، والله أعلم .

الجذبة والسلوك

والجذبة : هي توجُّه القلب إلى جمال ذات الله لذاته وهي بداية هذه الطريقة النقشبندية .

والسلوك : تزكية النفس من الأخلاق الرذيلة وتحليتها بمحاسن الأخلاق ، وهو مطويّ في معارج الجذبة في هذه الطريقة ، وهو مقدَّم على الجذبة في سائر الطرق ، والجذبة متأخِّرة ، فلهذا يقال : إن بداية النقشبندية نهاية غيرهم ، ونهايتهم لا غاية لها ، كما هو مسطور في كتبهم . وهذه الجذبة قد تحصل لبعض المريدين بتوجُّه واحد من الشيخ الكامل ، وقد لا يحصل إلا بعد زمان ؛ أي : يكون حصولها بحسب استعداد الطالبين سرعة وبطأ ، ولا يشترط أن تحصل دفعة واحدة كما يأتي إن شاء الله . ولم نر في واحد من مريدي أستاذنا قدس سره من لم يحصل له أثر الجذبة في مُدّة شهر ؛ فلله الحمد والمِنَّة .

فلعلَّكم أيها الأخ ترون حصول الجذبة في البداية شيئاً غريباً ، أو لم تدركوا حقيقة الجذبة وماهيَّته ، فالذي يفعله هؤلاء الطائفة أن يذيق الشيخ للمريد شيئاً من أحوال الجذبة الإلهية ليكون المريد على نشاط ، ثم إن كان المريد مستعدّاً لقبول ما ألقي إليه من تلك الجذبة يلقيها الشيخ إليه ، ويتصرَّف في باطنه ويمدُّه بمدده ، بل رأينا في مريدي شيخنا العسلي قدس سره من حَيِيَتْ لطائفه كلُّها بتوجُّه واحد ، وليس الشرط في هذه الطريقة وقوع الجذبة التي هو نهاية الطرق في الابتداء دفعة واحدة ، بل الجذبة تقع تدريجاً مع تعاقب القبض والبسط إلى أن يصير القلب إلى حدّ لو تكلَّف بإخطار غيره تعالى لا يخطر ، صيرورته هكذا هي نهاية الجذبة ، فافهم .

مطالب مهمة

وأما قواعد مشائخ هذه الطريقة النقشبندية وأسلافهم أن يقيِّدوا مريديهم في الذكر الذي لقن لهم ، وأن لا يتركوهم أن ينتقلوا إلى غيره ، لأنَّ الصلاة وظيفة المنتهين ، وقراءة القرآن وظيفة المتوسِّطين ، والذكر وظيفة المبتدئين إلى أن يصلوا إلى المراقبة المعية ، وبعد ذلك يجوِّزون لهم ذكر اللسان وقراءة القرآن وإقامة الصلوات النافلات . فمن أراد التحقيق فليراجع إلى « الدرة البيضاء » و« النفائس السانحات » و« المواهب البريقة » وغيرها من كتب النقشبندية .

قال – هداه الله تعالى إلى ما فيه رضاء الله تعالى آمين – : قوله (خصوصاً لجرِّ الأغنياء لمجرَّد غناهم ، أو لتكثير سواد مريديهم ليشتهر بهم اسْمهم فيما بين الناس ، وأكثرهم يزعمون بالمشيخة مع عدم سلوكهم في الطريقة من شيخ كامل ، وليس في أيديهم صكُّ الإجازة المقبولة ، بل ليس أشياخهم في دعواهم سالكين) . وأمَّا حمل عقول الأغنياء بلا تواضع لهم إليهم لمنعهم من تألّفهم الفساقَ وركونهم إلى الظلمة ، فهو محمود غير مذموم .

أقول – والله أعلم بالصواب – : نعم ، يا أخي لكنَّ اللائق بأمثالنا الضعفاء أن نجتهد اجتهاداً بليغاً لنتفحَّص في قلوبنا هل فيها دسيسة خفيَّة تميل إلى الأغنياء سوى قصد إرشادهم إلى الخير وإرادة إنجائهم من الركون إلى الفسقة والظلمة ؛ لأن النفس قد يحبُّ بطبعها كلّ من أحسن إليها قهراً واضطراراً ، ولذا قيل : **جُبلت القلوب على حبِّ من أحسن إليها** ، وقيل : **الإحسان يستعبد الإنسان** .

ومعلوم أنه لا يغوي الشيطان أحداً إلا بأشياء؛ ظاهرها مقبول وفي باطنها غرور وتلبيس . فاللائق على من يريد صحبة الأغنياء ، ويسلكهم في سلك مريديهم أن يزن قصده بهذا الميزان ؛ لو كان ينشرح صدره بإقبال الأغنياء إليه أكثر من إقبال المساكين والفقراء فقصده معلول ، ودعوته مشوبة بشائبة الأغراض ، وإلاَّ فلا ، فليتدبره العاقل .

وقد قال الإمام الغوث الأعظم خالد شاه قدس سره : إنَّ أحبَّكم إليَّ أقلُّكم أتباعاً وعلاقة بأهل الدنيا . انتهى . ولا ينجو منها إلا واحد من ألف . كذا في « البريقة » من عبارته .

وفيه : وعن أبي الدرداء : لأن أقع من قصر فأتحطّم أحبَّ إليَّ من الغنى ؛ لأني سمعت منه عليه السلام « إياكم ومجالسة الموتى » ؛ يعني : الأغنياء . انتهى من عبارته . ولا يخفى أنَّ للصحبة تأثيراً عظيماً ، والأحوال سارية والطبيعة سارقة ، ولا ينجو من صحب الأغنياء وأرباب التنعُّم من الميل إليهم والتواضع لهم ، إلا الكمَّل من الأولياء الذين إقبال الدنيا وإدبارها عندهم سِيَّان . وفي الحديث « من تواضع لغني لغناه فقد ذهب ثلثا دينه » .

إن صحبة الأغنياء وأرباب التنعُّم سم قاتل

وفي « النفائس السانحات » : إن صحبة الأغنياء وأرباب التنعم سمٌّ قاتل للطالبين ، ويحصل من صحبتهم سدُّ ذي القرنين في مجاري الفيض ، وتنسدل الحجب الظلمانية الكثيفة على وجه القلب ، أما ترى كيف وصى رسول الله ﷺ محبوبته أمّ المؤمنين سيدنا عائشة الصديقة رضي الله عنها وعن أبويها حيث قال « إيّاك ومجالسة الأغنياء ، وأحبِّي المساكين وقرِّبيهم » . انتهى .

فتبيَّن وتحقَّق بهذه المذكورات أنه لم يبق وجه وعلة إلى الميل لتكثير السواد بالأغنياء إلا الطمع وحبُّ الشهرة والرياسة وأكل الدنيا بالدين . فافهمه ولا يخدعنَّك الشيطان بخفايا غروره فإنه قطع أعناق كثير من العباد ، وأرْداهم

في المهالك والمقاطع ، فالعياذ بالله . لكن إن طلبوا الدخول في الطريقة ، وأرادوا الانتساب إلى النسبة العلية لا يجوز للشيخ أن يطردهم آئسين ، بل يسلكهم فيها ويربِّيهم بالجمال ، فحاشا في الأغنياء وأرباب التنعم من يقبل التربية بالجلال ، ولا ينبغي أن يمنعهم من تألفهم في اللذائذ والمفارش ، وتنعمهم في المطاعم والملابس ، بل يداريهم بالأقوال والأفعال ويحسن معهم الأخلاق ويرغبهم إلى الإعراض عن الدنيا تدريجاً ، وفي الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه « ليذكرنَّ الله أقوام في الدنيا على الفرش الممهّدة يدخلون الدرجات العلى » الحديث . ربنا أخرج من قلوبنا حبَّ الدنيا وزينتها ، ولا تجعل أكثر هَمِّنا في تدبير جمعها آمين .

قال – **رزقه الله الجنة المعجلة آمين** – : بل لو لم يكن القائل أرادهما لما قدر الالتجاء كتبة[١] هذه المزخرفة .

أقول – والله اعلم – : نعم أيها الأخ ، هذا قول صادق لا غبار فيه ، وجدْتُ نفسي تميل إلى الدنيا وأهلها ، ولا تحبّ إلا من ينفعها ويمدحها ، وتكره من يذمُّها ويضرُّها ، لكنَّ الله تعالى وفَّقني بالاطلاع إلى كون النفس متَّصفة بالصفات الرديئات والأخلاق الرذيلات ، فلعله سبحانه وتعالى أن يسوق إلى دائرة : ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن ، وتلك مسكن المطمئنة ومرجع مقامات السالكين . وذلك الاطلاع نعمة عظمى ومِنَّةٌ كبرى يجب عليها الشكر دائماً ؛ لأنّي لو لم أكن عارفاً بتلك الذمائم لما شمَّرت الذيل إلى إزالتها ، ومن لم يعرف النجاسة لا يستعمل الطهارة ، والله ولي التوفيق .

يا أخي ، أنا معترف دائماً [بأني] من جملة الفَسَقَةِ الفَجَرَةِ ، أنا كذلك ، أنا دونكم ، أنا طالب بركاتكم وبركات أمثالكم ، والمرجوُّ منكم أيها الأخ أن لا تبخلوا لهذا الفقير العاجز عن أداء الحقوق الربوبية بصدقات دعواتكم ،

(١) علَّه : لمّا قدر الالتجاء إلى كتبة . . إلخ .

وفضلات تضرُّعاتكم ، فعلى المستقيم أن يقيم المعوج ولو بالتضرع بالدعاء إلى الله ، وأرجوا من ساداتنا النقشبندية أن يلاحظوني بنظراتهم ، ويعتبروني بهمَّاتهم ؛ لتصديقي طريقتهم ، وإعانتي لإماتة البدع والشبه الواقعة فيها باختيار أهل الدعوى ، فإن لم أكن أهلاً للسلوك في دائرتهم فلي عزم على محبتهم ، فالحمد لله على ذلك .

وقد قيل : إن المقصّر في سلك المحبين مقبول . وقيل أيضاً : التصديق بطريق الولاية ولاية .

وقال الشيخ الصقلي رحمه الله في كتابه المسمى بـ « أنوار القلوب في العلم الموهوب » : **كل من صدّق بهذا العلم فهو من الخاصة ، وكل من فهمه فهو من خاصة الخاصة ، وكل من عبّر عنه وتكمّل منه فهو النجم الذي لا يدرك والبحر الذي لا يترك** . انتهى . وأقلُّ ما فينا محبتهم ومحبة من استقام في دائرتهم ، وتلك أدنى الدرجات . قال عليه السلام : « من أحبّ قوماً حُشر معهم » . وقال أيضاً : « المرء مع من أحبَّ » ، و« من تشبَّه بقوم فهو منهم » .

وقال الجنيد رضي الله عنه : التصديق بعلمنا هذا ولاية . انتهى . وقال أبو يزيد : من يؤمن بكلام أهل الطريق فقل له يدعو لك فإنه مجاب الدعوة .

فالحاصل : أنهم قوم لا يشقى جليسهم ، ولقد أكرم الله سبحانه وأعزَّ كلباً بمجرَّد سيره مع من وحَّده تعالى بخطوات ، ولعلّي يسلك الله بي بما سلك بذلك الكلب بفضله وكرمه ، إنه هو البَرُّ الرحيم . ومن عجز عن أن يقف في صف القتال فهو معدود من جملة المجاهدين .

قال - **نفع الله به العباد** - : وأما الزعم بالمشيخة مع عدم السلوك من كامل فليس هو شيخ التربية ، بل هو شيخ التبرك ، ولا مانع .

أقول - والله أعلم - : بل له مانع عظيم ؛ لأنهم قالوا : لا يجوز لأحد التصدُّر والجلوس لإرشاد المريدين ، وتلقين الأذكار إلا بعد أخذه آداب

الطريق من شيخ كامل مجمع على جلالته وخبرته في الطريق ، ثم يؤذن له صريحاً بأن يرشد ويلقن بما كان عليه مشائخه من أذكار السلوك المعنعنة ، وأجمعوا على أنَّ من لم يصلح له نسب إلى القوم فهو لقيط في الطريق لا أب له ، بل عدُّوه من ولد الزنا ، كما في « روح البيان » وغيره .

وقالوا أيضاً : إنّ السرّ في التلقين إنما هو ارتباط القلوب بعضها إلى بعض إلى رسول الله عليه السلام ، فمن لم يكن سالكاً في سلسلتهم من شيخ كامل فهو غير معدود منهم ، ولا يجيبه أحد منهم ، ولا يحرّك السلسلة ، ولا يصل إليه نور النسبة الحاجبة من الشيطان ، فيتشيَّخ له ولمن لقنه الشيطان ويهلكهما جميعاً من حيث لا يشعرون . فهذه حاصل ما قاله الشعراني في غير كتاب واحد .

وقد عُلم مما مرَّ أنه لا فرق بين التلقين للتبرك والتلقين للتربية لمن ليس أهلاً له ، وأنَّ من تصدَّر للإرشاد قائلاً : إنه شيخ التبرك ، ولم يمش على ما مشى عليه أشياخه ، ولم يكن بيده إذن صريحٌ ساقطٌ من درجة الإرشاد ، وممنوع عن مقام الدعوة ، فالعياذ بالله من ذلك .

قال - **جزاه الله عنا خيراً** - : وأما صكُّ الإجازة المقبولة فهو علامة لصلاحية الإرشاد لا لكونه مربِّياً .

أقول - والله اعلم - : **صكُّ الإجازة** هو : مكتوب كتب الشيخ للمريد برخصة التلقين وإذن الإرشاد ببيان أهليَّته لذلك ، ليعلم الناس أنه أهل له ، وليكون ذلك الصكّ شاهداً ومصدقاً لصلاحية المريد لذلك(١) . ومن لم يكن بيده ذلك الصك المقبول لتلقين أذكار السلوك ، ودعوة الخلق إلى الله شاهدان عادلان فهو غير مقبول عند علماء الظاهر والباطن بلا خلاف بَيْنهم .

قال - **أعاذه الله من فتن الدارين آمين** - : ولهذا لا يعتبر المشائخ الثغراوية الإجازة الظاهرة .

---

(١) أي : للإرشاد .

أقول – والله اعلم – : **فإذا لم يعتبروا الإجازة الظاهرة فلا يجوز لهم أن يلقِّنوا ذكراً وأن يرشدوا شخصاً ، فهذا القول من أغرب المسموعات وأدلُّ الدلائل على عدم أهليَّتهم للإرشاد** ؛ لأنه إذا لم توجد عندهم الإجازة الظاهرة فمن أين يعلم أنهم مرشدون ، وبأيِّ تصديق يتَّبعهم المريدون ويعتقدونهم ، ولو جاز لأحد أن يتشيَّخ بلا إذن ظاهر صريح مقبول لادعى أكثر الخلق مقام الإرشاد ، بل الأكثر يتشيَّخون ويغشُّون ، حتى وجدنا واحداً منهم لا يعلم أن يفرق اللحن الجلي في القراءة من الصواب ولو في آية ، بل أخبرنا واحد من الثقات على وجه الأرض أنّ اسقاطه آيات الفاتحة عند القراءة معلوم بالتواتر ، كيف لا ؟ ! وهو أميٌّ جاهل تصدَّر وتشيَّخ . وقد قال لي سيف الله الحسيني قدس سره : لم أجد أحداً ألعب بالطريق من هذا . انتهى . ومع هذا يظنُّ الناس فيه ويعتقدون أنه القطب الأعظم ، عياذاً بالله عن هذه الاختراعات والافتراءات ؛ **فلا عيب على الجهال إنما العيب على العلماء لا يفرِّقون الحق من الباطل ، ولا يجتهدون لإظهار الخالص من المغشوش .**

ولقد سمعتم يا إخواني كلام هذا العالم الذي كتب الردودات على كتابي مع أنِّى شيَّدتها بالنصوصات ، فالخير في هذا الزمان الذي أفشي فيه البدع أن يعتزل في البراري ولا يخالط مع هؤلاء المجادلين بلا دليل يدلُّ على تصديق أقوالهم وأفعالهم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . قال الله تعالى ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ الآية . وقد بسطت الكلام في حق هؤلاء في كتابي « الدرة البيضاء » فعلى من أراد أن يُفرِّق الحق من الباطل أن يطالعه .

قال – **رحمة الله عليه رحمة واسعة** – : لكون الإجازة الظاهرة مفسدة للمريد الواصل إلى المطمئنة ، بسبب أنه لا يقدر حفظ قلبه من العجب والكبر والسمعة والشهوة ؛ لأنه في قيد الرجولية الذي أقرب إلى الطفولية فيرجع النفس إلى المؤتلف قَبْلُ سريعاً .

أقول – والله اعلم – : فقد علم مما مرَّ آنفاً أن الإجازة الغير الظاهرة لا تقبل ، وأنتم حكمتم بأنَّ الإجازة الظاهرة مفسدة للمريد فأي إجازة مقبولة غيرها ؟ ! فإذا فسد الطالب الذي أجازه الشيخ الكامل إجازة ظاهرة وشهد له بأهليَّته ، ففساد من ليست بيده الإجازة المذكورة ، ومع ذلك تصدَّر هو بنفسه للإرشاد والتلقين مشهورٌ غير خفي لدى من له أدنى إدراك .

ولقد قالوا : إنَّ الشيخ لا يكون غشاشاً للمريد ، إن كان يصلح للإرشاد يأذن له ، وإلا فيتركه على ما عليه من مقامه ، فكيف ؟ ! وقد قال عليه السلام « من غشَّنا فليس منَّا » . فلو كان الشيخ الكامل يُرخِّص للمريد في مقام يفسد فيه فيكون الشيخ غير ناصح له ، مع أنه ربى ذلك المريد بتعب شديد ونَكَدٍ قويٍّ إلى أن يصل إلى ذلك المقام ، وهل بعد ذلك يفسده الشيخ ويهلكه ؟ ! لا والله ، بل يُمدُّ بمدده أكثر ممَّا قبل ذلك ، ويجتهد لتحذيره من الشيطان ، فإن وقع الطالب في مهلكة فالشيخ يجرُّه إلى موضع السلامة ، فافهم فإنه مهمٌّ .

قال – **أدخله الله الجنة مع الحور والغلمان آمين** – : وإنما يجب بعد الإجازة الاجتهاد والخوف والندم وعدم رؤية النفس .

أقول – والله أعلم – : ومن يعلم ما وقع لإبليس بعد تلك العبادات في تلك المدة الكثيرة حتى روي : أنه عبد الله ثمانين ألف سنة ، ثم بعد ذلك طرده الله عن بابه لمجرَّد قوله عليه اللعنة : أنا خير منه ، فهو جدير أن يخاف من السلب ولو رقى إلى مقامات العرفان . اللهمّ لا تطردنا مع أحبابنا عن بابك يا ذا العظمة والجلال ، وأفض على قلوبنا من فيوضات معرفتك وإمدادات مخافتك يا من يغفر الذنوب جميعاً ، آمين ، اللهم آمين .

قال – **رزقه الله وإيانا الخوف الحقيقي آمين** – : ثم بعد ذلك يصير يطلب قواعد التربية من شيخه وسائر المشائخ ، فإن عرف وأراد الله له إرشاد الخلق ورجوع الخلق إليه . . .

أقول – والله أعلم بمراد هذا القائل من هذا الكلام– : قد فهم من هذه العبارة أن بعد الإجازة يصحُّ للطالب أن يرشد الخلق إلى الحق ، وممَّا مرّ آنفاً أنَّ الإجازة الظاهرة لا تعتبر ، فيتعارض كلاماه ، وليس في قوله غبار سوى التعارض ، فافهم .

قال رحمه الله ، كما قال في « إبريز الذهب » : إن كان الشيخ قد ظهر من قبل نفسه فلا يقدر تربية المريدين بتوفيق إلهي ، وإن كان قد أظهره الله لا من قبل نفسه فيكون التوفيق رفيقَهُ .

أقول – والله وليُّ التوفيق – : هذا الكلام حجة على القائل لا له ؛ لأنه قال فيما قَبْلُ : إن المشيخة مع عدم السلوك من كامل للتبرُّك ، لا مانع منه ، وكذا قال فيما مرَّ قبيله : إنّ التلقين يجوزمن عالم أو وليٍّ أو شيخ . .إلخ ، فليعتبره الناظر .

قال رحمه الله : وأما عدم السلوك فلا يمنع التبرك من المشائخ .

أقول؛ والله أعلم : إن كان التلقين من المشائخ بأذكار السلوك التي وصل إليهم من مشائخهم معنعناً ، وكانوا مأذونين إذناً صحيحاً فيجوز ، وإلا فلا ، ولا يصير ذلك التلقين مباركاً ، بل نحساً ومهلكاً ، كما مرّ في غير موضعٍ واحدٍ مع دلائل .

قال – **هداه الله إلى الحقِّ** – : ولكن آفة التبرُّك بالتقييد به بأنه هو شيخه ومربيه أكثر في هذا الزمان ، ولا يقدرون انفكاك عقولهم إلى شيخ آخر ، فيقعون في ورطة ، ولا إلى طلب علم وحق من عالم ، ففي هنا هوى المشائخ والمريدين كلهم في ديارنا .

أقول – والله ولي التوفيق – : يا أخي أرى في كلامك خلطاً ، فأنت نقضت بكلامك هذا جميع ما قلته فيما قَبْلُ ، فليتدبّره الناظر المنصف المحقُّ .

قال - **غفر الله ذنبه وستر عيبه آمين** -: بل القائل يظنُّ أنّه شيخ التربية ، كلاَّ ثمَّ كلاَّ !! سوف تعلمون ، لو تعلمون الحق والصواب ما تبعتم وما قلتم الباطل ، ولكنّ النفس حمله على التكبُّر على الأقران .

أقول - والله المستعان -: يا أخي لا أظنّ ذلك قطّ ، بل لا أرى أني في مقام مريد ، لكن لما كان بيدي إجازة صحيحة من طرف أشياخي للتصدُّر للإرشاد والتلقين ، ولا بدّ لي من امتثال أمرهم أرجوا أن يكون يدي يدَهُمْ وتربيتي تربيَتَهُمْ ، فإنهم قالوا : إنّ الناقص إذا كان مأذوناً من الكامل فإنَّ يده يد الكامل وتربيته تربيته . راجع المكتوبات للإمام الرباني قدس سره و« البهجة » و« الرسالة المدنية » ومكتوبات محمود الفعال .

وأما التكبُّر على الأقران واتباع الباطل والقول به فهي ممَّا لم أكن أدركتها في نفسي إلى الآن ، ولم يكن قصدي في تأليف كتابي « الدرة البيضاء » إلا إماتة البدعة وإظهار الحق والله يعلم ذلك مني ، فإن وجدتهما بعد الآن بالتفتيش والتفحُّص التام فلعلَّ الله تعالى يوفِّقني على إزالتهما ، وأرجوا من جنابكم أيها الأخ الدعاء .

قال - **هداه الله إلى الحق** -: قوله (ولا مأذونين من شيخهم بيقين ، لكنَّهم تصدروا للإرشاد بأنفسهم) . واعلم أنّ الإذن اليقينيَّ للمشيخة هو أمر إلهيّ وإذنٌ أزليٌّ ، ولا يصير المريد وإن كان متبحِّراً في العلوم العقلية والنقلية شيخاً مرشداً بإكمال التلقينات والألطاف والمراقبات ما لم ينعكس إليه أسرار شيخه ، كما قاله الإمام الرباني ﵁ ، وليس كل من عنده إذن يقينيّ من شيخه مرشداً مربياً كما لم يكن الشيخ الحاج أحمد الثغوري ﵁ ، مع أنه كان مأذوناً من شيخه جمال الليل إذناً يقينيّاً ، وليس كلُّ من ليس عنده إذن ظاهر من شيخه غير مرشد ومربّ ، لما كان شيخنا العارف بالله أبو الكوثر الحاج عبد الرحمن الثغوري ﵁ مرشداً مربّياً مطلقاً مأذوناً من قِبَل المشائخ . وقد قال لي السالك رمضان البختي - ﵁ وروحي فداه - الذي لا يخطىء فراسته حين قلت له : ألم يكن إذن من الشيخ جمال الدين للشيخ الحاج عبد الرحمن

الثغوري رضي الله عنه ؟ فقال : والله يا ولدي لا أعلم ولكن الشيخ الغازي جمال الدين في الحال راض عنه . انتهى . وليس الإذن إلا إطلاق قلوب المشائخ إليه ، فبسبب دعوة الشيخ الحاج عبد الرحمن بالتضرُّع والابتهال للشيخ جمال الدين وأولاده دائماً أطلق قلبه عن القيود في حقِّه ظاهراً وباطناً .

أقول - والله أعلم - : يفهم من هذا الكلام أنَّ من أطلق إليه قلوب المشائخ فهو الجائز للمشيخة على الإطلاق ، أذن له المشائخ أم لا ؟ ! فليس كذلك ، بل الإذن الإلهي لا يظهر إلا من طرف أفواه المشاخ ، ولا يقبل من أحد قولاً ولا دعوى إلا ممَّن بيده الإجازة الصحيحة بشهادة شرعيَّة ، فلو قبل لادّعى كلُّ واحد أنّ له إذناً إلهيّاً ، وأن قلوب المشائخ ناظرون إليه ، وهذا ممَّا لا يقبله عقل ولا نقل . فإن لم يكن من عنده إذنٌ يقينيٌّ مرشداً مربّياً فعدم كون من تصدَّر بنفسه بلا إذنٍ مرشداً مربِّياً يعلم بالطريق الأولى . فهذا كلام لا طائل فيه سوى كثرة القيل والقال . وقد علم في غير موضع فساد هذا القول بالنصوصات والنقولات فلا نعيده ، **بل الحق اليقين أنَّ الشيخ لا يأذن للطالب ولا يرخصه إلا بأمر إلهيّ ، فإذا تحقَّق أهليته لذلك ، وأتى من الله الإذن رخَّص له ، وأذن له ، وألقى إليه أسراره بقدر ما يطيق حملها ، وينصبغ باطنه بصبغ المعارف الإلهية وينعكس إليه الأنوار الربانية ويعلّمه طريق الانصباب والانعكاس .**

وأما إلقاء أسرار الشيخ كلّها إلى المريد ، فلا يجوز ذلك حين حياة الشيخ ؛ لأنَّ المريد لا يطيق حملها . راجع « الذهب الإبريز » و« ترصيع الجواهر » ، عجباً من هذا العالم يدَّعي أنه منتسبٌ إلى الشيخ الثغوري قدس سره ، وأنه أويسيّ حصل له التربية من روحانيته ، ومع ذلك لا يعلم من أين كان الإذن للشيخ الثغوري فيا خجالة من قال برأيه وحرَّف الكلم من مواضعه . عصمنا الله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات قبائح أعمالنا وأقوالنا ، إنه هو الغفور الرحيم ، آمين اللهم آمين .

قال - **عصمه الله ممَّا فيه مقته آمين** - : ولقد قال لي شيخنا الحاج موسى حاج : إنّ ما يفعله أبو أحمد الثغوري ﵁ في « دَرْغُه » من التقدّم للإمامة على الغازي جمال الدين هو شيء مشروع ، إلى آخر ما قاله من ذلك الحكاية التي لا فائدة فيه .

أقول : قال عليه السلام « كفى بالمرء إثماً أن يحدِّث بكلّ ما سمع » ، فليس في إيراد هذه الحكاية نفعاً ما سوى كثرة الكلام ، ولا كلام لي مع ذلك الشيخ الثغوري قدس سره ، ولم أورد في حقِّه في المحافل والمجامع ولو كلمة واحدة فيها رائحة سوء الأدب معه ، وقد مرَّ في هذا الكتاب أن تلقينه وإرشاده كان موافقاً لما عليه السادات النقشبندية ، لكنَّ الوشاة أفشوا مني نميماتٍ مع أني عنه بريء ، ولقد شكرت على ذلك لأني استحققت الأجر على كلّ حال ، فإني عفوت عنهم إكراماً لنبيِّهم عليه السلام ، فلي أجر العفو ؛ قال الله تعالى ﴿ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ الآية ، وإن لم أعف عنهم - وهو اللائق بأهل النميمة - فجميع حسناتهم ينتقل إلى صحائفي وأقتصُّ منهم يوم القيامة .

قال أبو سعيد الخادمي في « البريقة » : إنّ الباعث على النميمة إمّا إرادة السوء بالمحكيّ عنه ، أو إظهار الحب للمحكي له ، أو التفرُّج بالحديث والخوض في الفضول . انتهى من عبارته .

فها أنا أعظ لمن يسعى بالنميمة كي لا يَرْتكب مثل هذه بعد الآن :

قال الله تعالى ﴿ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ﴿١١﴾ ﴾ . وفي الحديث « لا يدخل الجنة قتات » ؛ أي : نمَّام . وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ﷺ « من مشى بين اثنين سلّط الله عليه في قبره ناراً تحرقه إلى يوم القيامة » ، وعن معاذ ﵁ « إنّ النمامين يحشرون يوم القيامة على صورة القردة » ، وفي« الجامع » : النميمة والشيتمة والحميّة في النار ، لا يجتمعن في صدر مؤمن . عن العلاء بن الحارث ﵁ إن رسول الله ﷺ قال

« الهمَّازون واللمَّازون : المشاؤون بالنميمة الباغون البراءَ يحشرهم الله في وجوه الكلاب » ، وعن بعض : **عمل النمام أضرّ من عمل الشيطان** . انتهى من « بريقة » عبارته .

مطلب مهم وهم عنه غافلون

فلو تاب من نمَّ عنِّي وأفشاه بين الورى فأعفو عنه وإلا فلا ؛ لأنَّ إعانة المصرّ على المعصية معصية . اللهم لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ولا تجعلنا سبباً لعقوبة الناس لحرمة نبينا عليه الصلاة والسلام ، آمين .

قال – عفى الله عنه – : قوله (وزعم بعضهم : أن مشيخته من النبي عليه السلام ، وأنه أخذ منه عليه السلام بلا واسطة) . وفي « إبريز الذهب » : إنّ لرؤية النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ثلاث درجات ؛ الأول : في منام والثاني : في الخيال ، والثالث : بالبصر . ولا يصحّ إنكار لمن يقوله ويسلّمه تسليماً . وقد أخبرني الشيخ حاج أحمد الهخالي رضي الله عنه أنه سأل الشيخ المتصرّف من البدلاء عند ملاقاته لدى الشيخ موسى الارفلي رضي الله عنه أن ولداً يجيئ إلينا بأنه أمر النبي عليه أفضل الصلاة والسلام هكذا وهكذا ، هل يجب العمل به أم لا ؟ فقال الشيخ من البدلاء رضي الله عنه : إنّ ذلك القائل يجب أن يعمل به ولكن لا يجب الأغيار العمل به .

وفي كتاب « تنبيه المغترين » للإمام الشعراني رضي الله عنه ما مفهومه : هل يجوز الاقتداء لمن يأخذ عن النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ؟ فقال : يجوز ويكون المقتدي مقلّداً ؛ فبناء على هذه النصوص لا يصح منع مقلّد هذا القائل إلا إن كان ظاهر أحواله مصرّاً على الكبائر .

أقول – والله أعلم – : لا أقول قط يا أخي إن رؤية النبي عليه السلام والأخذ عنه غير جائزة ، لكن الذي أقوله كما قال ابن حجر في « الفتاوى »

والشعراني في « المنن » : إن مقام الأخذ عن رسول الله ﷺ بلا واسطة مقام عزيز ، لا يناله كلُّ أحد .

قال الشعراني في « لطائف المنن » : وقد سمعت سيدي علياً المرصفي رحمه الله تعالى يقول : بين الفقير وبين مقام الأخذ عن رسول الله ﷺ بلا واسطة مائتا ألف مقام وسبعة وأربعون ألف مقام وتسعمائة وتسعة وتسعون مقاماً ، وأمهاتها مائة ألف مقام ، وخاصتها ألف مقام فمن لم يقطع هذه المقامات كلّها فلا يصحّ له الأخذ المذكور . انتهى من عبارته . فحينئذ وجب الإنكار على من لم يضع قدمه في أول مقام من مقامات السلوك ، ومع ذلك يدَّعي أن شيخه هو النبي عليه السلام ، وأنه أخذ منه بلا واسطة ، وغرَّ الناس بهذه الأقوال .

نعم ؛ نصدِّقه إن علم المقام الأوّل من تلك المقامات ، ولا نسأله مقاماً فوقه ، ولو كان هذا المدعي صادقاً في دعوى الأخذ عن النبي ، لما قال : إنّ أخذ الطريقة لا يجوز ، مع أنّه فرض عين على كل من ليس له قلب سليم ، كما هو مبيَّن في موضعه ، فافهمه وراجع « الدرة البيضاء في ردّ البدع والأهواء » .

قال – نفع الله به العباد – : قوله (وبعضهم : أن روحنية الكامل أذن له في المنام) ، هذا الإذن لا يكون إذناً مطلقاً ، بل يصحُّ أن يكون استعداداً ولكن أخبرني أخونا القاضي محمد الغازي الغموقي أن رجلاً هخالياً تقيّاً ذهب إلى الشيخ محمد ذاكر وقال : إني رأيت شيخنا محمود أفندي في المنام يأمرك ويقول لك : أعط الخلافة لي . فقال الشيخ محمد ذاكر : فلو رأيت رسول الله عليه الصلاة والسلام ما أعطي لك ، لأنَّ الهرة يرى في المنام الفأرة ، هذا ؛ إنَّ هذا الإذن لا يعتبر .

أقول – وبالله التوفيق – : نعم نعم ، صَدَقْتَ وأصبتَ وبالحق نطقتَ ، قال الإمام معصوم في مكتوباته ما حاصله : حرّر أنَّ من أَذِنَ له شيخه في واقعة لتلقين

الذكر وتربية المريدين ، وأرواح السادات الماضية ظاهرون حاضرون ، هل يجوز لهذا الشخص اعتماداً على هذا تلقينُ الذكر وتربية المريدين ؟ **فالجواب** : إنّ الإجازة لتعليم الطريقة أمر عظيمٌ لا تثبت بالواقعة ولا يجوز الاعتماد عليه ، إلا أن يكون الإذن في اليقظة من شيخ معتبر مأذون إذناً صحيحاً . انتهى . وهكذا في مكتوبات قطب الأنام محمود أفندي قدس سره ، وما قاله الشيخ محمد ذاكر الجسطاوي القزاني قدس سره يُؤَيِّدُ ذلك .

وقال ابن حجر الهيتمي رحمه الله في « الفتاوى » عند بيان قول الصوفيّة (إنَّ الله يلهمهم في بواطنهم شيئاً وينسبونه إلى الله) : وخالفهم الفقهاء والأصوليّون فيه ، لا لإنكار من أصله ، كيف ؟ ! والحديث الصحيح « إنّ في أمّتي محدّثون أو ملهمون ومنهم عمر رضي الله عنه » ، بل لئلا يدّعيه ويحتجّ به من ليس من أهله ، ولأنه لا ثقة بخواطر غير المعصوم ، فربّما يخطر له في حديث نفسه أنه إلهام وزيَّن الشيطان ذلك بمخايل يظهرها له ، فيظنّ صدْقها فيعتقد حقيّة ذلك الوارد ، وفي الحقيقة ليس هو وارد حقٍّ ، وإنما هو حديث النفس وخاطر شيطاني ، حمله عليه عدم جريانه على قوانين الاستقامة والقيام بالعبوديّة على وجهها الأكمل .

فلما كان للنفس والهوى والشيطان دخْلٌ في تزيين ذلك والتلبيس فيه رأى الفقهاء والأصوليُّون أن المصلحة للناس المتكفّلة بسلامتهم من تغرير الشيطان والوقوع في هفوة الطغيان قَطْعُهُمْ عن الاحتجاج بالإلهامات ، وأن ذلك باب يجب سدُّه على الناس لئلاَّ يترتب على فتحه لهم من المفاسد ما لا يحصى . انتهى كلام ابن حجر . وهو يؤيِّد ما قلناه .

قال – نفع الله به المسلمين أمين – : قوله (وبعضهم يقول : إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كلّ أحد ، وإن ما يفعله من تلقين الأذكار وتعليم أمور الشرع يجوز ، ولا مانع منه) .

فهذا لا يمنعه الشرع الشريف إن كان أمره ونهيه وتعليم أمور الشرع لله بلا هوى النفس والتعصُّب .

أقول - والله ولي الهداية والتوفيق - : إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شيء عظيم ، وأمرٌ عزيزٌ ، وللقائم بهما أجرٌ جزيلٌ ، كيف لا ؟ ! وفي الحديث « ما جميع أعمال البرّ والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجيّ » ، لكن تلقين الأذكار وتعليم الطريقة لا يجوّزونهما إلا لمن سلك في الطريق ، ومشى فيه بقطع المقامات ، وعلم المهالك والمقاطع وكيفية الاحتراز منها ، ثم أذن له شيخه الكامل إذناً صحيحاً بأن يرشد الخلق ويلقِّن الذكر على ما كان عليه المشائخ الكاملون ، وذلك لسرٍّ مرَّ ذكره مراراً . ومن سلك في الطريق من غير شيخ بصير تاه ، وقطع عمره ولم يصل إلى مقصوده ؛ لأنّ مثال الشيخ مثال دليل الحجاج إلى مكة في الليالي المظلمة كذا في « المنن الكبرى » . ولا بد لمن أراد التحقيق أن يرجع إلى كتابنا « الدرة البيضاء » ، و« الذهب الإبريز » و« ترصيع الجواهر » .

قال - هداه الله إلى الحق وجعله من أهل التحقيق - : قوله (وسمعنا أنَّ بعضهم يقول : إنَّ تلقين الذكر القلبيِّ على قاعدة النقشبندية حرام للعوام ، ولا يجوّز ذلك إلا لمن صارت نفسه مطمئنة ، ويكفي الذكر اللساني للعوام ، ولا يجوِّزون لأحد الدخول في الطريقة إلاّ له ، ومع ذلك يلقِّن هو للمريدين الأذكار اللسانيّة ، ويسمّيها شريعة ، ويسمّي الذكر القلبيّ طريقة ، ويمنعه) .

والذكر القلبيُّ حرام لمن له نفس أمارة ، فأيُّ رجل خرج من الأمارة ، فمتى يدخل في النفس اللوامة ؟ !

أقول - والله أعلم - : عجباً من قولكم هذا أيها الأخ ، مع قوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ الآية ، لأنه لم يقل يا أيها الصالحون ، بل عمَّ

الصالح والطالح من المؤمنين ، وعمَّ ذكر اللسان وذكر القلب . وقال الفقهاء في كتبهم : إذا عطس الرجل في موضع النجاسة حمد الله بقلبه ويثاب عليه ، وكذا إذا سمع الأذان أجاب بقلبه ، وكذا إذا توضَّأ في ميضاءة نجسة أتى أذكار الوضوء بقلبه ، ولم يخصّصوا ذلك بمن ليس له نفس أمارة . وذكر في « فتاوى العمرية » وغيره : إنَّ ذكر القلب بتفكر اللفظ مع ملاحظة معناه ، كما قيل : الفكر ذكر القلب . انتهى من عبارته .

الدلائل على جواز تلقين الذكر القلبي

ووردت الأحاديث في فضيلة التفكُّر ، منها : ما رواه أبو الشيخ « فكر ساعة أفضل من عبادة ستين سنة » ، ولا يخفى أنّ مجرّد حركة اللسان بلا تفكر ولا تدبُّر قليل الجدوى .

فالحاصل إن الأئمة المجتهدين والعلماء المقلِّدين لم يقولوا إنَّ الذكر القلبي حرام لمن له نفس أمارة ، ولم نصادف من يقول به وإن تفحَّصنا ؛ ولو في كتاب واحد . **والقول بتحريم ما أحلَّه الله تعالى كفرٌ** . قال صاحب الفتوحات على الجلالين : من اعتقد تحريم شيء أحلَّه الله فقد كفر . انتهى من عبارته .

ومن أدَّل الدلائل على جواز تلقين الذكر القلبي لمن له نفس أمارة قولهم : فمن يستعدُّ لتقديم الجذبة على السلوك فله اسم الذات ، ومن يستعدُّ لتقديم السلوك فله النفي والإثبات ، وكلاهما بالقلب . انتهى . والسلوك في اصطلاحهم تزكية النفس عن أخلاقها الرذيلة الآمرة بالسوء ، وتخليصها عن القيود العنصرية والتعلقات الكونية بالرياضات والمجاهدات .

فلو كان الذكر القلبي حراماً لمن له نفس أمارة لكان الواجب عليهم أن يقولوا : ومن يستعدُّ لتقديم السلوك فله النفي والإثبات باللسان . وفي تصديق

المعارف في قوله تعالى ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من سورة العنكبوت ؛ أي : أكبر في نفي الكبر والخيلاء ، ومحو الأوصاف الذميمة الفاحشة كلها ، وذلك مجرَّب عند المشائخ ، ولا سيَّما ذكر بكلمة (لا إله إلا الله) ، فإني جرَّبتها فوجدتها شيئاً عظيماً ، ورأيت الأوصاف الذميمة عند ذكرها تنقلب كانقلاب الطير من قبضة الصياد على صفة السباع والدواب والهوام والطيور عند صولة هذه الكلمة . فافهم انتهى من عبارته . والاستشهاد في عموم قوله : ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ﴾ ، فإنه إذا أطلق الذكر يعمُّ الذكر باللسان والذكر بالقلب ، فتدبره . وفي « هدية الذاكرين » ما ينبغي أن يلاحظ هنا ، وسيأتي إن شاء الله تعالى .

وفي « الفتاوى العمرية » :

قال الله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ الآية ، والذكر الكثير ليس بالعدد ، بل بالحضور وعدم نسيان الله تعالى على كلِّ حال . انتهى من عبارته . وهكذا في تفسير « سلمى » قوله تعالى ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ الآية .

وفي « الباقيات الصالحات » ما حاصله : إن السيد أمير الكلال كان يخالط أهل البدعة والفساق ويشتغل بالمصارعة ، فيوماً من الأيام نظر إليه محمد بابا وهو في المعركة بين أصحابه ، فوقع إليه نظر الأمير الكلال وجذبته جاذبة نظرة محمد بابا مما كان فيه ، فلما ذهب[1] ترك الأمير معركته من غير اختيار وتوجّه من عقبه ، ولما وصل محمد بابا إلى بيته وأدركه الأمير من عقبه أدخله في محلِّه وعلّمه الطريقة . فلم يره أحد بعد ذلك في المعركة والأسواق وسائر مجامع الفساق . انتهى بالمعنى وباختصار . فلو كان تعليم الطريقة غير جائز إلا بعد الاطمئنان لما علَّمَهُ الطريقة وقتئذ . فافهم منه .

الأصل في الطاعة والعبودية أعمال القلوب

(١) أي : محمد بابا .

يا أخي ولا تقل ما ليس له دليل عقليٌّ ولا نقليٌّ ، وتدبَّر ولا تعجل ، ولا تصدِّق من يقول كذلك ؛ **لأنه لو كانت العلة لعدم جواز تلقين الذكر القلبي كون النفس أمارة ، فلا يجُزْ أيضاً الذكر اللساني ، وأنتم تجوِّزونه دون ما قبله ، أليس القلب واللسان جارحتين من تلك الأمارة ؟! فما الفرق بينهما لمنع الذكر بأحدهما ، وجوازه بالآخر ، مع أنَّ اللسان أكثر ذنباً من القلب ، وأفحش قولاً من الغيبة والنميمة والكذب والبهتان وغيرها من كبائر الذنوب ؟!** فهذا مما لا يقوله عاقل ولم نجد عليه نقلاً ، ولم نَرَ واحداً قال مثل ذلك ولو في كتاب واحدٍ ، وعندنا من كتب أهل التصوُّف ما يكاد البعيران يشقُّ حملها ، ورأينا من كتب النقشبنديَّة ما يقارب إلى ثلاثين كتاباً ، ولم ندرك فيها ما حكمتم به ، بل الحق **أن الأصل في الطاعة والعبوديَّة أعمال القلوب ، ويتفرَّع عليها أعمال الجوارح** . كذا في « شيخ زاده » .

ولا يخفى أنَّ الإرشاد إنما وضع لأجل النفس الأمارة ، ولتصفية القلب عن الأخلاق الذميمة ، ومن له قلب سليم ونفس غير أمارة لا يجب عليه اتخاذ الشيخ كما قالوا .

قال – جعله الله من الذين يتَّبعون الحق آمين – :

وقد نقل أخونا المحقِّق إسماعيل الشلانيُّ فيما كتب إلينا من مهمَّات أمورنا ما لفظه : ونقل من « أنوار العاشقين » ما لفظه : اعلم أنَّ الذكر الخفي مختصٌّ بالأنبياء والتابعين لهم من الأولياء ، والجهر بدعة لهم ، وأما العوام فالجهر سنة والإخفاء بدعة لهم : لأنَّ قلوبهم قاسية لا تلين إلا بالجهر ، فلهذا سنَّ لهم الأوراد عقب الصلوات بالجهر . وما ذكر من البدعة في جهر الأوراد فمختصٌّ بالخواصِّ . انتهى .

أقول – والله وليُّ الهداية والتوفيق – فعادة كلِّ أحد أن يتكلَّم بما ذاقه ولا يعلم إلا هو ؛ فمن أئمة الطرق من يستعملون الأذكار الجهرية في الابتداء ، ثم بعد سراية أثر الذكر من اللسان إلى القلب يشتغلون بذكر القلب ،

ويعدُّون ذكر اللسان بعد ذلك ذنباً من الذنوب ، من قبيل : **حسنات الأبرار سيئات المقربين** . ومنهم من يستعملون الذكر القلبي في الابتداء كالنقشبندية ولا يعلم ما هم عليه إلا من ذاق ما ذاقوه .

همم الرجال تقلع الجبال

فقاعدتهم أن يتوجَّهوا إلى باطن من جاء لديهم من المريدين بجمع الهمة الفعالة فيتصرّفون في بواطنهم ، ويجذبون قلوبهم إلى الله بحسب استعداداتهم ؛ فمنهم من يتأثَّر في توجُّه واحد ، ثم بعد ذلك يلقِّنه الشيخ الذكر القلبي ، فيقوم التوجُّه عند النقشبندية مقام الذكر اللساني عند غيرهم ، وتخرج به قساوة القلوب ، ولذا قيل : همم الرجال تقلع الجبال ، أي : تقلع من القلوب القساوة التي كالجبال ، كذا في « بيان الأسرار » . ولعلَّ صاحب « أنوار العاشقين » كان من غير النقشبندية ولم يذق ما ذاقوه ، ومن أين يعلم ما لم يذقه . فلقد صدَّق القائل ؛ وهو الغزالي : **إن كلام المتصوفة قاصرٌ** .

قال - عفي عنه - : فإن كان هذا الشيخ ممن ينتسب إلى الشيخ الثغوري رضي الله عنه فالجهر عندهم أفضل ؛ لأنّ الجذبة تقع فيه لهم ، والذكر القلبي آخر [ما] يلقِّن ، ويظهر فيه أسرار النفس والفرش والعرش ، هكذا أخبرني الشيخ حاج موسى حاج .

أقول : فلقد مرَّ أنَّ الشيخ الثغوري كان له إذن من طرفي النقشبنديّة والقادرية ، وكانت الأذكار التي يلقنها للمريدين موافقة لما عليه القادريَّة ، فهو مسلَّم ، وإن كان استعمل المشيخة على قاعدة النقشبنديَّة فأفضلية الجهر عندهم غير مسلّم ؛ لأنّ الأذكار الجهريَّة ليست في طريقتهم .

فكيف تفضل على الأذكار القلبية ؟ ! وفي « المتممات » : إنَّ الذكر القلبي أول المرتبة عندهم ، فأول قدم يضعونه في الذكر القلب . انتهى من عبارته . فافهم منه . يا أخي وقد علمت مراراً قاعدة استعمال الشيخ الثغوري في تلقين الأذكار في المقدّمة .

قال – رحم الله عليه رحمة واسعة – : إنَّ الذكر الخفي المعنعن لا يقدر في ديارنا ، كما قال الشيخ ممَّ دبر الروجي ﵁ في كتابه ، وأما مجرَّد حضور الألفاظ فلا يفيد ؛ لأنَّ شروطهم ، كما في كتبهم التوجُّه إلى الذات في الرابطة ، والوقوف القلبيُّ ، ودوام الذكر والزهد في الفاني ولو في الحلال ، فمن فقد هذه الشروط ، فكيف ينتج له محبة ذاتية ؟ ! وإذا لم يظهر محبَّة ذاتية ، فكيف يظهر في أول التلقين نهاية سائر الطرق ؟ ! فاللائق لأهل الطريقة النقشبندية ترك تلقين الذكر الخفي إلاَّ الخواص من المريدين ، كما تقدم من « أنوار العاشقين » . وأما تحرُّك القلب والألطاف ، فليس هذا علامة ذكر الخفي المراد عنه .

أقول : والحمد لله ربّ العالمين أولاً وآخراً والصلاة والسلام على محمد وآله أجمعين ، هذا آخر ما شرحه هذا العالم على ديباجة كتابي « الدرة البيضاء في ردّ البدع والأهواء » جزاه عنا خير الجزاء ، ورزقه التوفيق والاستقامة ، وأدخله الجنة مع الحور والغلمان .

فقولكم أيها الأخ : إن الذكر الخفي المعنعن لا يقدر في ديارنا . . إلخ . فهو كلام غير مقبول ؛ لأنّ أهل هذه الطائفة النقشبندية قد جرَّبوا في مريدي ديارنا فوجدوهم يقبلون الذكر الخفي ولو كانوا من أفسق الفساق ، فلم نلق في مريدينا ومريدي شيخنا العسلي قدس سره ولو واحداً لم يحصل له أثر الجذبة والقابلية في مدة شهر ، فالعجب أيّ العجب إنكاركم على ذلك . فلعلَّكم لم تذوقوا مقام التصرُّف ، ولم تدركوا حقيقة استعمال الهمَّة الفعالة ، وإلا فلا مجال لكم أن تقولوا : إنّ الذكر القلبي حرامٌ لمن له نفس

أمارة ، مع أنها تظهر أحياناً ولو في الراضية . ولقد علم من كتبهم أنّ الموصل في الحقيقة في هذا الطريقة هو المرشد لا نفس الطريقة . كذا في « البهجة » لأنَّ هذا الطريق طريق الانعكاس والانصباغ ، وطريق الانصباب من صدر إلى صدر ، كما روي « ما صبّ الله تعالى إلى صدري شيئاً إلا وصبّبته إلى صدر أبي بكر » . ولقد شاهدنا كثيراً من المريدين في هذه الطريقة النقشبنديّة حصل لهم الجمعيَّة والحضور بتوجُّه واحد .

وقال الإمام الرباني في المكتوبات : ورأيت بنظرهم الواحد ما لا يراه الناس في الأربعين ، ووجدت بكلامهم الواحد ما لا يجده الآخرون في السنين . انتهى من عبارته ٦٩ من الجزء الثاني . وفي « الدرر المكنونات النفيسة » : ويعمل توجُّههم الواحد عمل مائة من الأربعين ، والتفاتهم الواحد يساوي رياضة السنين . انتهى من عبارته ٣٦ من الجزء الثالث . حتى قال لي واحدٌ منهم إنه لا يفهم من أصوات الكلب النابح إلا الذكر فضلاً من صوت غيره ، مع أنّه لم يصل إلى شيخه النقشبنديّ العسليّ قدس سره إلا مرة واحدة . انتهى .

فإذا كان الأمر كذلك وتبيَّن إطاقة أهل الداغستان على الذكر الخفيِّ القلبيِّ بالتواتر ، وتيقَّن وتحقَّق توجُّه القلب إلى جناب الحق تعالى بجريانه بالذكر في الخلاء والملأ لدى العلماء الثقاة ، فالقول بعدم الإطاقة على ذلك يشعر أنّ القائل به لم يذقه ولم يدركه . وأما ما قاله الشيخ مم دِبر الروچيّ فلعلّه قال ذلك لعلّة ؛ وهي أنّه كان شيخاً هرماً ضعيفاً لا يقدر على التوجّهات بجمع الهمّة الفعالة ؛ ولذلك لم يقدر أن يتصرَّف في بواطن المريدين بصفة الجذبات الإلهيّة ، **وإلا فقد لاقينا من لقن لهم الشيخ مم دِبر الروچي قدس سره الذكر القلبيّ من ديارنا الداغستانية ، وهم أحياء في هذا الحال ؛ فلأجل ذلك قال ما قال** . والله أعلم .

قال الشعراني في « لواقح الأنوار القدسيّة » : لا يجتمع ثلاثة إلا وفيهم وليّ لله . انتهى . وإذا كان كذلك لا ينبغي نفي جواز الذكر القلبي لأهالي داغستان بزعم أنهم أصحاب النفوس الأمارات مع أنهم مؤمنون مسلمون . وليت شعري هل ليس فيهم وفي مريدي هؤلاء المدعين ولو واحداً ليس له نفس أمارة فيعطى له الطريقة ، مع أنَّ المجاذيب في المؤمنين أكثر مما لا يحصى ، كما قال الشعراني . ولقد علم من كتب السيَّر أنَّ عمر رضي الله عنه كان يذهب ليقتل النبيّ عليه السلام ، فأُخبِرَ أنَّ أخته وزوجها قد آمنا وأسلما ، فسطا إليهما سطوة غاضباً عليهما ، وكان في بيتهما الحافظ خبَّاب يكتب سورة طه ، فاختفى هو وزوج أخت عمر رضي الله عنه خلف الدلاّب خوفاً منه ، فضرب عمر رضي الله عنه على أختها حتى سالت الدم منها ، لكنّها كلّمت وقوِيَتْ قَلْبَهَا ، فتواجهت إليه وتواجه الحافظ والزوج فاجتمع إليه رضي الله عنه ثلاث توجُّهات ، **فخمد من قلب عمر** رضي الله عنه **نار الكفر ، وأنار بنور الإسلام ، ولان قلبه وذهب غضبه** . فإذا كان قلب الكافر الذي قصد لقتل سيّد المرسلين عليه السلام يتأثَّر بالتوجه ، فلا نعلم شيئاً يمنع التأثير لقلب مسلم وأبوه مسلم ، ولا نجد دليلاً ما على تحريم الذكر القلبي لأهالي داغستان .

وكذا أخبرني بعض العلماء أنه رأى في كتاب « الإبريز » ما حاصله : إن جارية كافرة تكلَّمت بالحكمة بتوجُّه واحد من أهل التصرف . انتهى . لكن لم أصادفه . وفي معرب المكتوبات للإمام الرباني في ١٤٧ من الجزء الثالث : **ولكن تعليم الطريقة أياً من كان بعد الاستخارات والتوجُّهات مناسب بل لازم** . وقد ذكر القطب الأعظم أحمد ضياء الدين الكمشخانوي قدس سره صاحب التأليفات النفيسات كـ« راموز الأحاديث » و« المتممات » و« جامع الأصول » و« نجاة الغافلين » و« روح العارفين » في كتابه « المتممات » ما حاصله : **إنَّ تلقين الذكر لأهل الدنيا من ذوي المناصب والأشراف والمكاسب ثابت من السلف ومجتهدي الطرق على طريق التبرُّك والمحسوبية** . . إلخ .

وقال فيه أيضاً : فليت شعري هل من قائل بكفر الظلمة والفساق حتى يطردوا بالتيائس من علاج أمراضهم القلبية ، وهل وضع الإرشاد والسياسة إلا للمعوج الضال ؟ وهل يلزم أن يكون جميع الملقَّنين بالذكر أهلاً للتبرُّك والتجريد والاستقامة ؟ أم منهم . .إلخ راجعه ، وراجع « الدرة البيضاء » ففيه البسط . وفي « البهجة » ما حاصله : إن الشيخ لا يلقّن التوبة للمريد بالتفصيل ، بل بالإجمال لئلاَّ ينفرَّ ويستصعب ، فراجعه .

وقال الإمام الرباني رضي الله عنه في بعض المكاتبة مجيباً لمن سأله : أن بعض الرجال والنساء يريدون أخذ الطريقة مع أنّ أكلهم ولبسهم من مال لا يخلو عن رباً ، ويظهرون أنَّ هذا الأخذ منهم ليس إلا بالحيلة الشرعيّة ، هل يتأهَّلون هؤلاء لتعليم الطريقة : لقّنوهم الذكر ، وعلّموهم ورغِّبوهم في الاجتناب عن المحرَّم ، ولعلّهم يتخلَّصون من ذلك الاشتباه ببركة الطريقة . معرّب « المكتوبات » من عبارته ١٣١ من الجزء الثاني . انتهى من « البهجة » عبارته .

وقولكم أيها الأخ – **هداك الله** – : وأما مجرَّد حضور الألفاظ فلا يفيد . .إلخ . فهو قول عجيب . فاعلم يا أخي أنه يفيد حضور الألفاظ في القلب ساعة أكثر ممَّا لا تفيده حركة اللسان بها ستين سنة ؛ لما قالوا : إن ذكر القلب هو تفكُّر اللفظ . ولقد عمَّ المحقِّق ابن حجر الهيتمي في « فتاواه » التفكر في حديث « فكر ساعة خير من عبادة ستين سنة » إلى الذكر . فراجعه . وقال في « تحفة »ـه من صلاة النفل : العمل القلبيّ لعدم تصوّر الرياء أفضل من غيره . انتهى . ظاهره وإن قلَّ كتفكُّر ساعة بالنسبة إلى ألف ركعة . انتهى « ابن قاسم » فراجعهما . ويؤيِّده خبر البيهقي : « الذكر الذي لا تسمعه الحفظة يزيد على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفاً » ، « الفتاوى الحديثية » لابن حجر عبارته من ٥٥ .

فإن قلتم أيها الأخ : إنه في حق من ذكر مع حضور المعنى . **قلنا** : فمحالٌ أن يحضر في القلب الاسم ولا يحضر فيه المسمَّى ، مع أنَّ المقصود

من ذكر الاسم هو ذات المسمَّى لا الاسم المجرَّد ، فافهم وراجع « الفتاوى العمرية » وفي « الدرة البيضاء » بسط كثير في حق هذا المطلب ، ومن نظر إليه يجني من ثمراته رطباً جنيّاً . وأما معنى التوجُّه إلى الذات فهو الحضور بالله وطلب رضائه . كذا في « مجموعة الرسائل » عبارته .

ومعلوم مشهور أنَّ الوقوف والرابطة لا يشتغل بهما واحدٌ إلا لطلب رضاء الله ولحصول الحضور به تعالى ، **وللوسائل حكم المقاصد** . وأما المنع من الدخول في الطريقة بزعم أنَّ الداغستان لا يطيق أن يديم الذكر ، ودوامه شرط ، فيعلم فساده بما قالوه من : أنّ أقلّ الذكر في المَلَوَيْنِ خمسة آلاف ذكر ، كما هو مبسوط في غير كتاب . وقال الشيخ محمد ذاكر قدس سره في « تبصرة المرشدين » :

إن الانتساب إلى النسبة العلية تكفيه فقط إن حفظه ، وهكذا في مكتوبات الغوث الأعظم محمود الفعال قدس سره . وأما الزهد في الدنيا ولو في الحلال فليس ذلك شرطاً لجواز الدخول في الطريقة ، لما في « الرشحات » و« المتممات » من أن بهاء الدين النقشبندي قال : كُلْ الطعام جيِّداً واشتغل جيداً . وهذا القدر يكفي للعارف . انتهى من عبارته . ولما قاله الشاذلي : ينبغي للشيخ أن لا يأمر المريد برمي الدنيا . .إلخ . ولما قالوا : لا بأس بتناول بعض الشهوات المباحة . .إلخ من « المتممات » . وهكذا بل عينه في « الأجوبة المرضية » و« المواهب البريقة » و« الدرة البيضاء » .

وقولكم : (فمن فقد هذه الشروط فكيف ينتج له محبة ذاتية ؟) . . إلخ . فالمحبة الذاتية هي الميل والتوجُّه إلى ذاته تعالى لذاته لا غير ، فهذا الميل والتوجُّه ليس شيئاً غريباً ليحكم بفقدانه في أهل ديارنا الداغستانية ، ولا يخفى أنّ أحداً لا يذهب لدى الشيخ لأخذ الطريقة إلا لميل قلبه إلى الله ، وذلك الميل والتوجه موجودٌ في كلّ مريد ، ومن عدَّ هذا شيئاً غريباً ، وادعى

أنه من أهل الإرشاد فهو عند أهل الله منحطٌّ عن درجة الإرادة ، فضلاً عن درجة الولاية .

إن الجذبة مقدَّم في هذه الطريقة على السلوك

وأما معنى ظهور نهاية سائر الطرق في الابتداء في هذه الطريقة النقشبندية ؛ أن الجذبة مقدَّمة على السلوك في تلك خلاف سائر الطرق ، فالسلوك فيها مقدّم على الجذبة ، والجذبة متأخرة : والجذبة إما استغراق في المذكور ، أو غيبة فيه بلا شعور . كذا في « بهجة السالكين » و« بهجة المسلكين » . فالذي يحصل للمريد في بدايته حصول الحضور الدائميِّ للقلب ، بحيث لو تكلَّف بإخطار غيره تعالى لم يخطر ، وليس معناه أنه لا يخطر شيئاً أصلاً ، كما يظنه الجاهلون ، بل معناه لا يخطر شيئاً يضرّ الحضور ويحصل بسببه صرف القلب عن التوجه إلى جنابه تعالى ، بل يصير القلب بحيث يسع كليهما ، ولكن الأغلب المتمكن فيه حضوره . وقد يطرأ للمريد المبتدىء حالة يغيب عن إحساسه ، ولا يعلم ما يفعله ويقوله الحاضرون عنده ، لشدَّة توجُّه قلبه إلى الله تعالى ، ولكنَّه تزول سريعاً وتعود أحياناً . وهذه هي المراد من قولهم : إنَّ الجذبة مقدَّمة في هذه الطريقة على السلوك ، عكس سائر الطرق . وصيرورة القلب على هذه الحالة هي نتيجة كاملة وأمارة تبعة بالذكر ، ودليل تنوّره بالنور الأصفر ، وما لم يحصل للمريد هذه النتيجة لا يصحُّ أن يبدَّل ذكره إلى الروح . وليس الشرط أن يصير القلب على تلك الحالة في أول التلقين ، بل إذا أكثر المريد ذكر ربِّه يصير القلب كذلك بالتدريج . فافهم .

وقد قال الخادمي قدس سره في ١٤٨ في شرحه على « النصائح الولدية » للغزالي قدس سره : والمحبَّة وإن كانت من عطية الربِّ لكن حصولها من جهة العبد بترك ملاحظة غير الله تعالى ؛ بأن يخلو القلب عن كلِّ شيء غيره

تعالى ، فإذا تفكَّر اسمه في القلب وارتسخ ذلك ودام يحصل لذة تنقطع جميع اللذات عندها ، ولا يتعلَّق القلب بالغير ، وإن تكلف أن يخطر الغير لا يمكن ذلك . فهذا غاية طريق المتصوِّفة . انتهى من عبارته ١٤٨ .

فقولكم : فاللائق لأهل الطريقة النقشبندية ترك تلقين الذكر الخفي . . إلخ . فهو قول ساقط عن درجة الاعتبار ؛ لأنَّ العلَّة في تفضيل الذكر الخفيِّ خلوصه عن الرياء والسمعة ، وفي تفضيل الذكر الجهري إنه من الأعمال المتعدِّية ؛ أي : إن الذكر الجهريِّ يفضل لو صدر ممَّن يذكر لمجرَّد وجه الله غير مشوب بشوائب الأغراض والأعواض ؛ لأنَّ منفعته تتعدَّى . ولو صدر ممَّن سداه ولحمته أنانيَّة ، وغرضه وقصده شهرة وسمعة فلا ثواب فيه أصلاً ! فكيف يفضل على الخفي ؟ !

ولقد قلتم أيها الأخ فيما قبلُ : إنّ الذكر القلبي حرام لمن له نفس أمارة . .إلخ ، فاللائق بأحوال أهل الأمارة عندنا بالنظَر إلى أقوال الأئمة إخفاء الذكر وترك الجهر خلاف ما قلتم ، كيف لا ؟ ! وقد كان المشائخ الخواجكانية قدس الله أسرارهم : يجمعون بين الذكر الخفي وذكر العلانية من لدن محمود إنجير الفغنوي قدس سره إلى زمان الأمير كلال ، ولما ظهر الشيخ محمد نقشبند اختار ذكر الخفية واجتنب ذكر العلانية . كذا في « الرشحات » و« البهجة » ؛ أي : كانوا قبل ذلك **يذكرون بالخفيَّة إذا انفردوا ، وبالعلانية إذا اجتمعوا** ، وترك محمد نقشبند العلانية ولو في الاجتماع وذلك بأمر روحانية عبد الخالق الغجدواني قدس سره ، وأقرَّه على ذلك شيخه الكلالي ، وأمر أصحابه بالاتباع على ما أمره . كذا في « الباقيات الصالحات » .

وفيه أيضاً : إن واحداً من العلماء طلب من حضرة محمود قدس سره أنَّ ذكر العلانية مسلَّم ممَّن يكون لسانه طاهراً عن الكذب والغيبة ، وجوفه عن الحرام والشبهة ، وقلبه صافياً عن الرياء والسمعة ، وسرُّه منزَّهاً عن التوجُّه إلى غير جناب الربوبية . انتهى من عبارته . فافهم منه يا أخي . وهذا

حال النقشبندية فإنهم لا يجوِّزون ذكر العلانية إلا إذا وصل المريد إلى مقام المراقبة المعيَّة كما مرَّ . وفي ذلك المقام يرى السالك أنه بين يديه سبحانه وتعالى ، وهو ناظر إليه ومطَّلع على ما في قلبه . ولا يخفى أنَّ من كانت مشاهدته وملاحظته هكذا لا يرائي ، ولا يتوجَّه إلى غير جناب الله تعالى ، ولا يخفى أيضاً أنَّ من كان له نفس أمارة فهو منغمسٌ في الحظوظات ومتزيّن بالمراءات ، ولا قصد له سوى الرؤية والسمعة ، فإذا دخل هذا الشخص في عهد الشيخ ولقنه الذكر الجهري ، وحثَّه على ذلك يظن أنَّ ذلك من الأعمال المتعدّية ، فلا شكَّ أنَّ هذا الشيخ لم ينصح له ، بل ألقاه في المهلكة وزاد مرضاً فوق مرض ، فصار الشيخ غشاشاً لذلك المريد ، وماهية الشيخ أنه العارف بالطبّ الروحاني الذي هو العلم بكمالات القلوب وأمراضها وأدويتها ، وكيفية صحتها واعتدالها ، القادر على الإرشاد .

ومراد جميع الداعين إلى الله تعالى من تسليكهم المريدين في الطريقة أن يحملوهم إلى مقام الإخلاص ، لا غير فافهم . **ولقد صار أهل الداغستان في أيدي الكفرة ، ورأوا ما يفعلونه لأهل الإرشاد ذوي الأذكار الجهريات ، فاللائق لهم الأذكار الخفية مع أنها الأفضل والأقرب بالأدلة والنصوص كما يأتي .**

وقولكم : وأما تحرك القلب والألطاف فليس هذا من علامة الذكر الخفي المراد منه . فهو قول عجيب وكلام غير مقبول ؛ لأنهم قالوا : إذا خرج نور لطيفة القلب من حذاء كتفه وعلا أو حصل فيه اختلاج أو حركة قويَّة فيلقّن الشيخ الذكر بلطيفة الروح ، ثم إذا وقعت الحركة فيها واشتغلت فيلقن بلطيفة السرّ . .إلخ . كذا في « جامع الأصول » وغيره من كتب النقشبندية . قال في « تصديق المعارف » في قوله تعالى من سورة الأنفال ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ الآية . اعلم أن الوجل خوف في اللغة ، وعلى لسان أهل التصوُّف اهتزاز القلب لما سمع

فَرَحاً أو تَرَحاً ، وحمل الآية على هذا أصحّ لأنها إنما نزلت فيما يختص الصوفية به ؛ وهي أحوال القلوب . انتهى من عبارته .

وفي تفسير سلمى في قوله : ﴿ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ ، هاجت من خشية الفراق ، فخشعت الجوارح لله بالخدمة . انتهى عبارته . فهذه المذكورات تدلُّ على أن الاهتزاز من علامة الذكر فافهم ، لكنَّ الحركة والاضطراب ليست بلازم ولا مستحيل الحصول . كذا في « النفائس السانحات » وفي « البهجة السنية » في ٤٧ .

واعلم أنّ المقصود من الذكر حضور القلب مع المذكور لا حركة القلب وقت الذكر ، **فإن الحركة ليست بشرط عندهم** . قال الإمام الرباني قدس سره في بعض مكاتيبه : إن أريد من ذكر القلب تحركه بالذكر فدوامه ليست بشرط ، لا في حالة الفناء ولا في غيرها . والذي يطلب دوامه هو الحضور القلبي والتوجه إلى جناب الحق جلَّ ذكره ، وجد التحرك أو لم يوجد . انتهى من عبارته . وفيه أيضاً : فأمَّا الذكر الأوَّل الوارد معنعناً الخفي القلبي فهو ذكر اسم الذات ، أعني : الجلالة ، وهو لفظة (الله) بالقلب . قال الشيخ الأكبر محيي الدين قدس سره وليكن ذكرك الاسم الجامع هو (الله الله) لا تتعدّ هذا الذكر ، وتحفظ أن يفوّه به لسانك ، وليكن قلبك هو القائل ، ولتكن الأذن مصغية لهذا الذكر حتى ينبعث الناطق من سرك ، فإذا أحسست بظهور الناطق فيك بالذكر فلا تترك حالك التي كنت عليها ، فإنها قوَّة عرضية إن أخللت بجمعيتك لم تلبث أن تزول سريعة . انتهى من عبارته ٤٧ . اعلم أن الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان ، والذي اختاره ساداتنا النقشبندية قدس الله أسرارهم العلية من الأذكار الذكر الخفي القلبي ، ولهم على ذلك دلائل من الكتاب والسنة ، ونقول العلماء الأئمة ؛ فمن الكتاب قوله تعالى ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ ﴾ الآية ، وقوله تعالى ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً ﴾ الآية ، ومن السنة ما ورد في الصحاح عن النبي ﷺ أنه قال : قال الله تعالى « أنا عند ظنّ عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في

نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه » رواه البخاري وغيره . وعن عائشة رضي الله تعالى عنها وعن أبويها قالت : قال رسول الله ﷺ « يفضل الذكر على الذكر بسبعين ضعفاً ، إذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلائق لحسابهم ، وجائت الحفظة بما حفظوا وكتبوا قال الله تعالى : انظروا هل بقي لعبدي من شيء ؟ فيقولون ما تركنا شيئاً ممَّا علمناه وحفظناه إلا وقد أحصيناه وكتبناه ، فيقول الله تعالى : إنَّ لك عندي حسناً وأنا أجزيك به وهو الذكر الخفي » . انتهى من « البهجة » عبارته من ٣٥ بتصرف واختصار . ومثله في « تصديق المعارف » في تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴾ إلخ فراجعه . وقد جاء في تخصيص القلب بالإيمان والخشية والإنابة والذكر والتقوى والسلامة آيات كريمات . قال الله تعالى ﴿ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ ﴾ ، و ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ ، وقال الله تعالى ﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ ، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ ، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ ، ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ .

قال الحرث رحمه الله تعالى : **بلية العبد تعطيل القلب عن الله فحينئذ تحدث الغفلة بالقلب** ، وقد قال الله تعالى ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا ﴾ . وقد كان السلف الصالح يجتهدون في قطع العلائق ورفع الشواغل والعوائق عن القلوب ، ومتى تفرغ القلب عن عوائقه ينتهي بفطرته إلى محبة خالقه . انتهى من « البهجة » من عبارته ٢٦ . وفيه : والذكر ريحانة القلوب ، وبه تحصل الأنس بالمحبوب . قال تعالى ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ ، و ﴿ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ ، وبه تنتفي غفلة القلب عن علام الغيوب . ولما اختص القلب بهذه الخصائص الفائقة ، وتضاعف الذكر فيه بتلك المضاعفة السابقة كان حقيقاً بالاعتناء بشأنه وإصلاحه بالتجرد عن الأغيار وصقله بكثرة الأذكار ؛ لأنه محل نظر الله الغفار ، وموضع الإيمان ومعدن الأسرار ومنبع الأنوار ، وبصَلاحه صلُح الجسد كله ، كما بيَّنه لنا النبيُّ المختار ﷺ ،

كيف لا ؟ ! وعليه بصحة العبادات الاعتقادية والعملية المدار فلا يكون العبد مؤمناً إلا بعقد القلب على ما يجب الإيمان به ، ولا تصحُّ عبادة مقصودة إلا بنية سواء ، كانت العبادة بدنية كالصوم والصلاة ، أو مالية كالزكاة أو مركبة منها كالحج ، لتتميَّز العبادة ، فصار القلب محطّاً لجميع العبادات . انتهى من عبارته ٣٦ . فهذا آخر ما أردنا أن نورده في هذا الكتاب ، فلعل الناظر إليه أن يصلح منها ما زلَّ القلم ، وما سهى عنه الفكر ، ومن دلّنا على ما وقع منَّا من الخطأ والزلل في الأخذ فهو عندنا كروح جسدنا وقُرَّة عيننا ، ولا نطيق أن نكافىء صنيعه ولو خدمْناه مدى الدهر . اللهم اغفرلنا ولجميع أمة محمد ﷺ ، واهدنا وإياهم إلى سواء الطريق ، واجعلنا من الذين يروِّجون الطريق ويتبعون الشريعة بأحسن توفيق ، وارزق أستاذنا ومولانا جميع ما فيه الصلاح والتحقيق ، آمين يا مجيب السائلين ويا أرحم الراحمين .

خاتمة

في ذكر الطرائق المجتمعة في هذه الطريقة النقشبندية العلية

اعلم أنّ طرق الوصول إلى الله تعالى والفناء به عند السادات النقشبندية قدس الله أسرارهم العلية أربعة ؛

الطريقة الأولى : صحبة الشيخ الحقيقي الكامل السالك بطريق الجذب ؛ وهي سببٌ مستقلٌّ في الإيصال إلى المرتبة ، وهي الأعلى الأقوى الأفيد من طرق الوصول ، وهي عند الصوفية من جملة الفرائض ؛ **لأن علم التصوف إنما يكتسب من صحبة المشائخ الكاملين** ، لا من مطالعة الكتب ولا من الرياضات في الليل والنهار ، والرياضة بغير شيخ لا تورث إلا الوسوسة ؛ **فما يحصل للسالك في صحبة الشيخ الكامل في لحظة واحدة لا يحصل له في مطالعة ألف كتاب ولا رياضات ألف سنة** .

وقد أجمع العارفون على أنَّ المريد الصادق إذا دخل في صحبة الشيخ الكامل بالانقياد والتسليم انطبع باطنه بأنوار باطن الشيخ في أول قدومه فيها . .إلخ . ولذا قال بهاء الدين النقشبند قدس سره : طريقتنا الصحبة ، والخير في الجمعية . ولقد تلقَّى أبو بكر ﵁ هذه النسبة التي في هذه الطريقة النقشبندية عنه عليه الصلاة والسلام بمجرَّد الصحبة به في غارة الهجرة . قال في « نزهة المجالس » كما في سلسلة الخواجكان : أنه قال عليه السلام « من أراد الجلوس مع الله فليجلس مع أهل التصوُّف » . انتهى عبارته . ورأى واحدٌ رسول الله ﷺ في المنام فقال : يا سيدي أيُّ الأعمال أفضل ؟ فقال : وقوفك بين يدي وليٍّ من أولياء الله ، كحلب شاة خير لك من أن تعبد الله إرباً إرباً ، فقال : حيّاً أو ميّتاً ، فقال : نعم ، انتهى من « بريقة » ١٨٨ ج٢ .

وللصحبة ثلاث شرائط

الأول : أن يصحب المريد الشيخ خدمة له وانتساباً إليه وافتخاراً به وإقبالاً عليه .

الثاني : أن لا يعترضه ولا ينكر فعلاً من أفعاله مطلقاً ، ظاهراً وباطناً ؛ **ولو رأى منه ما يخالف الشرع** ، ويعدّ خطرات وهمه ذنوباً يستغفر الله تعالى منها ؛ لأنَّ الشيخ بيد الله تعالى ، والله لا يأمر بالفحشاء ، ولكنَّه تعالى يمتحن من أراد من خلقه بالشيخ وغيره . انتهى من « البهجة » عبارته .

فالعارف الكامل إذا وقعت منه مخالفة فهي صورية لا حقيقيَّة قصد بها امتحان من شاهدها واختباره . كان لبعض المشائخ مريد صادق فأراد أن يمتحن صدقه يوماً ، فقال له : يا فلان أتحبُّني ؟ قال : نعم يا سيدي ، فقال له : من تحبُّ أكثر ، أنا أو أبوك ؟ فقال : أنت سيدي ، فقال : أفرأيت إن أمرتك

أن تأتيني برأس أبيك ، أتطيعني ؟ فقال يا سيدي ، فكيف لا أطيعك ؟ ! ولكنَّ الساعة ترى ، فذهب من حينه وكان ذلك بعد أن رقد الناس ، فتسوّر جدار دارهم وعلا فوق السطح ، ثم دخل على أبيه في أمِّه في منزلهما ، فوجد أباه يقضي حاجته من أمه فلم يمهله حتى يفرغ من حاجته ولكن برك[1] عليه وهو فوق أمه ، فقطع رأسه وأتى به إلى الشيخ وطرحه بين يديه فقال له : ويحك أتيتني برأس أبيك ؟ ! فقال : يا سيدي نعم ، أمَا هو هذا ، فقال له : ويحك إنما كنت مازحاً ! فقال له المريد : أمَّا أنا فكلُّ كلامك عندي لا هَزْلَ فيه ، فقال له الشيخ : انظر هل هو رأس أبيك ؟ فنظر المريد فإذا هو ليس برأس أبيه ، فقال له الشيخ : رأس من هو ؟ فقال له : رأس فلان العِلْج ، وكان أهل مدينتهم يتخذون العلوج كثيراً بمنزلة العبيد السودانيين ، قال : وكان أبوه غائباً تلك الليلة فخانته زوجته في الفراش ووعدت عِلْجاً كافراً ، ومكَّنته من نفسها ، وكوشف الشيخ ﵁ بذلك ، فأرسل المريد ليقتله على الصفة السابقة ليمتحن صدقه ، فعلم أنه جبلٌ من الجبال فكان وارث سرِّه ، والمتولّي بعده على فتحه ، والله الموفِّق . انتهى « إبريز » عبارته ٢١٠ .والحكايات في هذه كثيرة ، ويكفي هذا المذكور للمتأمّل المتدبّر ، والله أعلم .

الثالث : أن يكون بين يديه كالميت بين يدي الغسّال لا يخالفه في شيء مطلقاً ، ولا ينتصر لجانب نفسه مع شيخه أبداً . وللصحبة آدابٌ أخر ، لكن المذكور منها يجرّ غيره ، والأخلاق يجلب بعضها بعضاً .

وشيخ الصحبة هو الشيخ الحقيقي الموصل إلى الله تعالى بحاله لا بواسطة شيء آخر كالخرقة أو الذكر ، فإن شيخ الخرقة يسري حاله في الخرقة ، ثم يصل إلى المريد ، وكذلك شيخ الذكر ذكره أمدّه لا شيخه ، فهما شيخان مجازاً ، وهو شيخ حقيقة لعدم الواسطة بين قلبه وقلب المريد . قال العارف عبد الغني النابلسي قدس سره في شرح ابن الفارض قدس سره : ما

---

(١) برك : ثبت .(مختار) .

يتخيَّله السالك من معاني تجلّيات الحضرة الإلهية وقت حضوره معها بها لا بنفسه إنما يكون من المرشد الكامل بطريق التوجُّه الرباني والإمداد الرحماني ، فتارة بالإلقاء الإلهاميّ من القلب إلى القلب مع صدق الحال ، وتارة يأتي بتقرير العبارات وتبيين الإشارات ، وتارة بإلباس خرقة الصوفية المشهورة ، وشرطها كمال الصدق من الطرفين ، فيسري الحال الصادق بأمر الله تعالى في المريد الصادق ، وتارة بنظر الشيخ الصادق من قوله ﷺ حكاية عن ربه « كنت بصره الذي يبصر به » ، في الحديث المشروط بالتقرُّب بالنوافل ، وتارة بنظر المريد الصادق إلى الشيخ من قوله ﷺ « إذا رُؤوا ذُكِرَ الله » ، وهذا الأمر يختلف باختلاف الاستعداد في السرعة والبطء ، والإخلاص في الخدمة ، والأدب مع المشائخ ، وحفظ حرمتهم غيبة وحضوراً .

الطريقة الثانية : الرابطة ، وهي طريقة مستقلّة للوصول ، وعبارةٌ عن ربط القلب بالشيخ الواصل إلى مقام المشاهدة المتحقِّق بالصفات الذاتيّة وحفظ صورته في الخيال ولو بغيبة ، فرؤيته بمقتضى « الذين إذا رؤوا ذكر الله » تحصل بها الفائدة ، كما تحصل من الذكر بموجَب : « هم جلساء الله تعالى » . ولا يخفى ما ورد من الأحاديث في الحثّ على الجليس الصالح ، والشيخ كالميزاب ينزل الفيض من بحره المحيط إلى قلب المريد المرابط ، وإن وجد الفتور في الرابطة يحفظ صورة شيخه في خياله بموجَب : « المرء مع من أحبَّ » ، فبحفظ الصورة يتحقَّق ويتَّصف المريد بأوصاف الشيخ وأحواله التي له . وقيل : الفناء في الشيخ مقدَّمة الفناء في الله . وإن وجد في استحضار الصورة سكراً أو غيبة يترك الالتفات إلى الصورة ويكون متوجِّهاً إلى ذلك الحال ، فإنَّ زمان الغيبة زمان الوصول والشهود .

كيفيَّة الرابطة

وكيفيَّة الرابطة على أقسام :

الأوّل : أن يتصوَّر المريد صورة شيخه الكامل بين عينيه ثم يتوجَّه إلى روحانيته في تلك الصورة ، ولا يزول عن التوجّه إليها حتى يحصل له الغيبة أو أثر الجذبة .

الثاني : أن يتصوَّر صورته بين جنبيه ، ثم يتصوَّر إلى روحانيته في تلك الصورة ، كذلك حتى يحصل الغيبة أو أثر الجذبة ، فبعد حصول الأمرين في الوجهين يترك الرابطة ويشتغل بذلك الأمر الحاصل بالغيبة أو بالجذبة . وكلما يزول عنه ذلك الحاصل من الرابطة يعود إليها حتى يَرْجع إليه ذلك الحال ، فهكذا يداوم على الرابطة حتى يفني عن ذاته وصفاته في صورة الشيخ ، فعند ذلك يشاهد روحانية الشيخ مع كمالاته في صورته ؛ لأنّ الكمالات لا تفارق الروحانية ، **فتُربِّيه روحانية الشيخ إلى أن توصله إلى الله تعالى ، فيكون من الواصلين الكاملين ، فبالرابطة يتربَّى المريد من الشيخ ولو كان أحدهما في المشرق والآخر في المغرب .**

الثالث : أن يتخيَّل صورة شيخه في جبهته ويقرِّرها وسط الجبهة ، وهو أقوى لدفع المخيَّلات من القسمين اللذين قبله .

الرابع : أن يستحضر صورة شيخه في وسط قلبه ، وهو أعون على دفع الخطرات القلبية .

الخامس : أن يتخيَّل الصورة في جبهته وينزل بها إلى وسط قلبه ويقدِّر أن القلب دهليزٌ واسعٌ ، ويقطع الخواطر جملة واحدة . وهذا القسم أنفع الأقسام التي قبله وأصعبها .

السادس : أن ينفي نفسه ويثبت شيخه ، وهو أقوى لدفع البليَّات . فلقد كان شيخنا ذو الجناحين العسلي قدس سره يخبرني أبعاضاً من هذه الأقسام ، ويقول : فبأيّ كيفيّة حصلت لك البركة فاستعمِلْها ، فجزاه الله عنا خير الجزاء آمين .

ثم اعلم أنَّ الرابطة إنّما تفيد إن كانت مع الإنسان الكامل المتصرِّف بقوَّة الولاية ، كالشيخ محمود أفندي الألمالي الأشترخاني ، والشيخ خالد البغدادي قدس الله أسرارهما وأمثالهما ؛ لأنَّ الإنسان الكامل مرآة الحق سبحانه وتعالى ، فمن ينظر إلى روحانيته بعين البصيرة يشاهد الحق فيها ، **فما دام المريد يشهد شيخه ملاحظاً له فهو محفوظ من كلّ آفةٍ ، ومتى غفل عن ذلك جائته الآفات من كلِّ جانب** ، لكنَّ الواجب على المريد اعتقاده على وصول الفيض الإلهيّ بوسطة الشيخ المرابَط ؛ **فالمدار على حسن ظنِّ المريد المتوجِّه للشيخ لا على الشيخ** . وإذا استمرّ توجّه قلب المريد إلى الحق تعالى في كلِّ حركة وسكون من غير علَّة فباب الفتح مفتوح ولا بدَّ ، وما دام العبد متوجِّهاً فالمدد فياض على قلب من أريد له الكمال .

قال العارف عبد العزيز الدباغ لواحد من المريدين ما حاصله : **إنَّ أكبر الكبائر في حقِّك أن تمرَّ عليك ساعة ولا أكون في خاطرك ، فهذه هي المعصية التي تضرُّك في دينك ودنياك** . انتهى من « إبريز » عبارته .

وقال الشعراني في « لواقح الأنوار » : **فإن ظنُّوا بشيخهم أنه يحميهم من إبليس بنظره حماهم ، وإن ظنُّوا أنه لا يقدر على حمايتهم فلا يصحُّ لهم حماية** ، ولذلك أمروا مريدهم أن لا يغفل عن شهود كونه معهم . انتهى من عبارته .

وسمعت شيخنا الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره يقول : إنّ الغوث محمود الفعال قدس سره كان يقول : **إن رابط إليَّ المريد متوجِّهاً إلى المشرق أو المغرب لا يسكن الشيطان ما بينهما وبين المريد** . انتهى .

وأما آداب الرابطة ؛ فهي : أن يعتقد المريد أنَّ كمالات الشيخ لا تفارق روحانيّته ، وأن يعتقد أنَّ تصرُّفات روحانية الشيخ من تصرُّفات الحق سبحانه وتعالى ، وأن يحفظ محبة شيخه ، وأن يراعي نسبته في كلِّ حال ، وأن لا يترك الرابطة عند حصول بعض الأحوال قبل أن يتمكَّن فيه ذلك الحال ؛ لأنّه

إن ترك الرابطة يزول عنه ذلك الحال ؛ **لأنّه من أحوال الشيخ كالعارية عنده** ، وأن يداوم على الرابطة في جميع الأوقات ولا يفارقها أصلاً .

الطريقة الثالثة : الالتزام بما لقَّنه الشيخ من الأذكار ، وهو طريق مستقلٌّ للوصول . انتهى من « البهجة » عبارته . فأما الذكر المعنعن الوارد عندهم : الذكر الخفي القلبي . فهو اسم الذات ، والنفي والإثبات ، فشروط النفي والإثبات عند النقشبنية تسعة : سبعة متَّفق عليه ، واثنان مختلف فيه . وقد مرَّ تحقيقها في المقدَّمة ، لكن كان اللائق بهذا الموضع أن نوردها ونعيدها مع دلائلها لزيادة النفع للإخوان ، فعسى أن يلاحظوني في دعواتهم .

١ - الوقوف القلبي ، لاطلاع القلب . ٢ - حبس النفس ، لدفع الخواطر .٣ - ملاحظة خطٍّ ، لإراءة طريق الذكر .٤ - ملاحظة النقش ، لجريان (لا إله إلاّ الله) .٥ - ملاحظة المعنى ، للوصلة . ٦ - ضرب (لا إله إلا الله) ضرباً شديداً إلى القلب ، لوسعة القلب وقوّته لإخراج الأخلاق الردية الدنيَّة . ٧ - ملاحظة عدد الوتر ، للتميّز . ٨ - ذكر (محمد رسول الله) ، للاتصال إلى ولاية النبوَّة . ٩ - باز كشت ؛ أي : إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي ، لتصحيح النيّة . هذا حاصل ما في « همة المريدين » .

آداب الذكر

وفي « البهجة السنيّة في آداب الطريقة العليَّة النقشبنديَّة » : وقال الإمام الشعراني قدس سره في « نفحات »هـ : وآداب الذكر التي حث عليها القوم ، ورأوها أقرب للفتح على المريدين كثيرة ، ويجمعها كلّها عشرون أدباً : خمسة سابقة على التلفُّظ بالذكر ، واثنا عشر في حالة الذكر ، وثلاثة بعد الفراغ من الذكر . **فأما الخمسة السابقة :**

فأوّلها : التوبة ، وحقيقتها عند القوم أن يتوب عن كلِّ ما لا يعني العبد من قول أو فعل أو إرادة ، ومن لم يتب هذه التوبة وترخَّص فلا يجيء منه

شيء . وكان ذو النون المصري رحمه الله تعالى يقول : من ادّعى حلاوة الذكر مع محبته للدنيا فكذّبوه .

الثاني : الغسل للذكر ، أو الوضوء . وكان أبو يزيد قدس سره يتوضّأ ويغسل فمّه بماء ورد كلما أراد الذكر .

الثالث : السكون والسكوت ، فيحصل بذلك الصدق بأن يشتغل قلبه بـ (الله الله) بالفكر دون اللفظ حتى لا يبقى خاطر مع (الله الله) ، ثم يوافق اللسان القلب بقول : (لا إله إلا الله) .

الرابع : أن يستمدَّ بقلبه عند شروعه في الذكر بهمَّة شيخه .

الخامس : أن يرى استمداده من شيخه هو استمداده حقيقة من النبيِّ ﷺ ؛ لأنه واسطة بينه وبينه .

وأما الاثنى عشر التي هي في حالة الذكر ؛ **فالأوّل :** الجلوس على مكان طاهر كجلوسه في الصلاة . **الثاني :** أن يضع راحتيه على فخذيه . **الثالث :** تطييب مجلس الذكر بالرائحة الطيبة وكذلك ثياب بدنه . **الرابع :** لبس الثياب الطيب الحلال ولو شراميط الكيمان . **الخامس :** اختيار موضع مظلم إن وجد . **السادس :** تغميض العينين ، وذلك لأنه إذا غمض عينه ينسدُّ عليه طرق الحواس الظاهرة ، وسدّها يكون سبباً لفتح حواس القلب . **السابع :** أن يتخيّل صورة شيخه بين عينيه ، وهذا عندهم آكد الأدب . **الثامن** : الصدق في الذكر ، بأن يستوي عنده السر والعلانيَّة . **التاسع** : الإخلاص ، وهي تصفية العمل من كلِّ شوب ، فإن بالذكر والإخلاص يصل الذاكر إلى درجة الصديقية ، بشرط **أن لا يكتم عن شيخه شيئاً من خواطره ولو مذمومة ، فمن كتم شيئاً منها كان خائناً وحرم الفتح** ؛ و﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ ، فإن المريد لا عوْرة بينه وبين شيخه إلا فيما نهاه الشرع . **العاشر** : أن لا يختار من صيغ الذكر شيئاً بنفسه ، بل يشتغل بما لقنه شيخه واختاره له . **الحادي عشر** : إحضار معنى الذكر بقلبه على اختلاف دراجاته في المشاهد ، ويعرض على

شيخه كلَّ ما ترقَّى إليه من الأذواق ، ليعلِّمه طريق الآداب فيه . **الثاني عشر** : نفي كلّ موجود من القلب حال الذكر سوى الله تعالى فإن الله غيور لا يحبُّ أن يرى في قلب عبده غيره ، ولو لا أنَّ الشيخ له مدخل في التربية من حيث كونه واسطة بين المريد وبين ربّه ما شرطوا تخيّله للمريد . قال شيخنا وإنما نفوا من القلب كلَّ ما سوى الله تعالى ، ليتمكَّن تأثير (إلا الله) بالقلب ويسري إلى الأعضاء ، كما أنشدوا في ذلك :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً فارغاً فتمكَّنا

وأما الثلاثة التي بعد الفراغ من الذكر ؛

فأوّلها : أن يسكن إذا سكت ، ويخشع ويحضر مع قلبه مترقباً لوارد الذكر ، فلعلَّه يرد عليه وارد فيعمر وجوده في لحظة أكثر مما تعمره الرياضة والمجاهدة في نحو ثلثين سنة ؛ لأنه إن كان الوارد زهداً في الدنيا فيتمهَّل فيه حتى يستحكم فيه فيصير زاهداً ، وإن كان الوارد الصبر على الأذى فيتمهَّل له حتى يستحكم فيه ، فيصير يتحمَّل الأذى من كلِّ أحد من جميع الأنام . وهكذا في جميع أخلاق القوم ، بخلاف ما إذا فرغ من الذكر ولم يسكن ، فإنَّ الوارد يطرقه ولا يستحكم فيه فلا يثبت له في الوارد قدمٌ .

ثانيها : أن يذمَّ نفْسَه ونَفَسَه مِرَاراً ، وهذا كالمجمع على وجوبه عندهم ؛ لأنّه أسرع في تنوير البصيرة وكشف الحجب وقطع خواطر النفس والشيطان ، قالوا : وأكثر مقدار المرار سبعة أنفاس ؛ **كلُّ نفس أطول ما يحتمل صاحبَهُ** . وعبارة « ترصيع الجواهر المكيّة » هكذا : وثانيها : أن يطرق رأسه ويكتم نَفَسَهُ من أنفه وفمّه خاشعاً ، بحيث لا تتحرَّك منه شعرة مثل سكون الهرّة عند الاصطياد حتى يضيق نفسه ، يفعل ذلك ثلاثة أنفاسٍ أو خمسة أو أكثر . انتهى من عبارته . وهي كالتفسير لما قبله .

ثالثها : منع شرب الماء عقب الذكر ؛ لأنّ الذكر يُورثُ حرقة وشوقاً وتهيُّجاً إلى المذكور ، وذلك هو المطلوب الأعظم من الذكر ، وشرب الماء

عقب الذكر يطفئ ذلك ، فليحرص الذاكر على هذه الآداب الثلاثة . فإنَّ نتيجة الذكر إنّما تظهر بها ، والله أعلم .

الطريقة الرابعة : التوجُّه والمراقبة ، وهي أن يلازم القلب معنى اسم الذات على مفهوم الإيمان على طريق الاستغراق والاستهلاك ، بحيث لا ينفكُّ عنه في أيّ حال ، فإن انتهى أمره إلى انتفاء العلم مطلقاً حصل مبادي الفناء . انتهى من « البهجة » عبارته . وللمراقبة كيفيّات عديدات وأنواع كثيرات وذكرها يجرُّ إلى التطويل ، ومن أراد الاطلاع على تحقيقها فعليه الرجوع إلى « تبصرة المرشدين » و« جامع الأصول » و« النفائس السانحات » وغيرها ، ولا يدرك ماهيَّة المراقبات إلاّ من ذاقها ، رزقنا الله تعالى نصيباً منها بفضله وكرمه إنّه جوّاد كريم ، آمين .

ثمَّ المطلب الأسنى والمقصد الأحرى من جميع العبادات أن يخلص العبد فيها ؛ بأن يأتي العبادات والأذكار محضاً لمجرَّد وجه الله ورضائه ، لا لغرض دنياوي ولا لحظِّ نفساني ، سواء كان الحظ دنياويّاً أو أخراويّاً ، ولا يتخلَّص الإنسان من الشيطان إلاَّ بالإخلاص ، قال الله تعالى ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ والمقام الأعلى من الإخلاص أن يعبد الله تعالى لمجرَّد الامتثال ، وأن لا يكون له قصد في علمه وعمله إلاّ علمه باستحقاق مَوْلاه العبادة ، والتذلل والخضوع والوقوف عند أمره ونهيه ، قد تبرَّأ من الاعتماد على حَوْله وقوَّته وعلمه وعمله وقصده وإرادته ، فأتى بأعماله على وجه الإخلاص وهو خائف من الله تعالى ، لايرى أنّه قام بذرَّة واحدة من الأمور التي كُلِّف بها على الوجه الذي أُمِر به . ومنها يترقَّى السالك في مراتب إخلاص الخواص التي كلُّ ذرَّة منها تعدل عبادة ألف سنة من عبادة غيرهم .

ولا ينبغي لعاقل أن يطلب ظهورَ الأحْوال وحصول الأذواق بالأعمال والأذكار ، وأكثر المريدين يطلبُونها وينقبضون إذا لم يظهر لهم نتيجة الأذكار ، والعارفون منهم يخافون من حال البسط كما يخافون من الأسد ، ويلتذّون

بالقبض ، كما يلتذُّ أهل الدنيا بدنياهم ، وذلك لعلمهم أنَّ في البسط هلاك باطنهم وعمارة ظاهرهم ، وفي القبض هلاك صفة النفس الخبيثة وعمارة الباطن ، ويجوز أن يكون ظهور الأحوال ثواباً معجَّلاً ينقص بها الأجور في الآخرة ، لأنَّ كل من تنعَّم في الدنيا ينقص الله من نعمِهِ في العقبى .

فالحاصل إنَّ عدم ظهور الأحوال أسلم للسالك ، لأنَّ من تطلَّع على شيء منها يسكن إليه قلبه عند حصوله البتّة ، فإذا سكن إليها القلب وقع فيه الحجاب ، والمقصود المهمُّ هو الله تعالى لا غير ، **والأحوال والأذواق بمثابة السكر والزبيب يعطاها أطفال الطريقة ليتسلُّوا بها** ، فكما أنَّ الأطفال لا يعطون السكر والزبيب إلاّ عند بكائهم ، كذلك أطفال الطريقة لا يعطون الأحوال إلاّ ضعاف القلوب منهم دون الأقوياء ، فإنَّ مَطْمَحَ نظرهم وراء الأحوال ، فافهَمْهُ واستغفر لهذا المسكين الواعظ الغير المتَّعظ .

ثم اعلم أنّ الاشتغال بالطريقة النقشبنديَّة يبلغ مرتبة في مدَّة يسيرة يتخيَّل جميع الأصوات للمشتغل بها ذكراً .

وفي « الرشحات » : قال حضرة شيخنا قدس سره يصل السالك بسبب الاشتغال بالذكر بالجدّ والاهتمام في مدة خمسة أو ستة أيام إلى مرتبة يخيل له جميع أقوال الناس وأصوات المخلوقات ذكراً ، بل يخيل له كلام نفسه أيضاً ذكراً ، **لكن لا يحصل ذلك بدون سعي واهتمام** .انتهى من عبارته .

ولا ينبغي لأحد أن يكون مغموماً لعدم حصول هذه الأحوال دفعة واحدة ، بل اللاّزم على السالك أن لا يسأم ولا يضجر عن الطلب ، وأن يدوم على الأذكار ويصبر على الشدائد ويلتزم الباب بكمال الأدب قائلاً :

لن أبرح الباب حتى تصلحوا عوجى   أو تقبلوني على عيبي ونقصاني

ألا ترى أنَّ سائلاً لو قرع باب واحد من كرام الناس وألحَّ في السؤال فلا جرم يستحيي من ردِّه محروماً ، بل يردُّه بكسرة الخبز التي هي مقصوده ،

وما يطلبه الطالب من الطريقة لأهْوَنُ على الله من كسرة خبزٍ بالنسبة إلى هذا الكريم ، فكيف يردُّ طالباً صادقاً وهو أكرم الأكْرمين وأرحم الراحمين ، ولكن لا بدَّ من الجدِّ والصبر . فإنَّ من دام على الذكر والصحبة لا بدَّ مِن أن يحصُل له نسبة الحضور بالله تعالى على سبيل التدريج ، **ولا يشترط أن يحصُل الحضور والجمعيَّة دفعةً واحدة** . وأمَّا من لا بدَّ لهم من ارتكاب الأسباب والحِرَفِ والسعي في جميع المعايش الدنياويَّة فلا يطردهم المرشد من التلقين ، بل يُسْلكهم ويُرَخصهم ولا يزن أحوالهم بميزان أحوال السلوك ، ويلقِّنهم الذكر القلبي ولا حاجة إلى الزيادة ، فلعلهم يصلون إلى مقام الحضور بالله سبحانه تدريجاً ، ويرجعون عن أخلاقهم الرديئة ببركة الأذكار والصحبة ، ومجرَّد الانتساب ؛ أي : النسبة العليَّة إن حفظه يكفيه فقط ، وراجع « المكتوبات » للغوث الأعظم محمود الفعال الألماليّ « وتبصرة المرشدين » للشيخ محمد ذاكر قدس سرهما .

وقال صاحب « هديَّة الذاكرين وحجّة السالكين » : **وأما تعليم** الذكر للعوام فلعموم الخطاب بقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ الآية . . وإلخ . فعلى العلماء والمشائخ أن يعلّموهم أمر دينهم ولا يمنع العلم عن أحد من المؤمنين والمؤمنات من أهل السنَّة والجماعة ، لأنّه ورد الوعيد عليه في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ . . والخ ، وقوله ﷺ « كاتم العلم » أي : عن أهله « يلعنه كلُّ شيء حتَّى الحوت في البحر » . . إلخ . انتهى عبارته .

فائدة يُعْلَمُ بها كون بناء هذه الطائفة النقشبنديّة على أساسٍ صحيح في جميع ما يفعلونه في تلك الطريقة العليَّة .

آداب الذكر

اعلم أنّ آداب ذكر المنتسبين لها التي هي بمنزلة الشروط على ما ذكره صاحب « حجّة الذاكرين » فعشرون ، أربعة عشر منها آداب ، واثنان منها معرفة التأثيرات والواردات بسبب الورد والرابطة ، وأربعة منها أبواب إلهيّة :

الأوّل : الطهارة الكاملة بأن يكون متوضّئاً طاهر البدن والثياب والمكان .

والثاني : استقبال القبلة في مكان خال .

والثالث : الجلوس متورِّكاً على عكس تورُّك الصلاة ؛ بأن يعتمد على وركه الأيمن ويخرج قدم رجله اليمنى من تحت ساق الرجل اليسرى .

والرابع : الاستغفار من جميع المعاصي والمخالفات والغفلات ؛ بأن يقول (أستغفر الله) خمساً أو خمس عشرة أو خمساً وعشرين .

والخامس : قراءة الفاتحة مرَّة ، والإخلاص ثلاث مرات ، وإهداء ثوابها إلى روح سيّدنا محمد ﷺ وإلى أرواح سلسلة الطريقة العليَّة النقشبنديَّة الخالديَّة قدَّس الله تعالى أسرارهم العليَّة .

والسادس : الاستمداد من أرواحهم .

والسابع : تغميض العينين بلا شدَّة ، لاصقاً الأسنان بالأسنان ، والشفة بالشفة ، واللسان بسقف الفم ، منطلق النفس على حاله كما في النوم .

والثامن : رابطة الموت ، وهي عبارة عن ملاحظة الموت وأحواله ، والقبر والسؤال والحساب والقيامة وأهوالها ، كأنَّ الموت قد حلَّ به الآن ، وكأنَّ هذا آخر نفس من أنفاسه في الدنيا .

والتاسع : رابطة المرشد من حيث هو مرشده وأستاذه ، وهي عبارة عن المحبَّة الكاملة له في الله ، وتخيُّل صورَته بين عينيه .

والعاشر : رابطة الحضور ، وهي عبارة عن التفكر بأن الله تعالى حاضِرٌ ناظرٌ محيطٌ ، عالم بك وبجميع العالم بكمال الهَيْبَة والعظمة ، منزَّه عن المكان والجهة والصورة .

والحادي عشر : الوقوف القلبيُّ ، وهو عبارة عن التوجُّه إلى القلب الصَّنوبريِّ بعين الخيال ، وتطهيره عما سوى الله تعالى .

والثاني عشر : الوقوف الذكريّ ، وهو عبارة عن تخيُّل لفظة الجلالة ، أعني لفظة (الله) ، وتخيُّل نقشه على القلب .

والثالث عشر : الوقوف العددي ، وهو عبارة عن ضبط عدد الذكر الذي ذكرته .

والرابع عشر : القول في رأس كلِّ مائة أو عند غلبة الخواطر مما سوى الله تعالى (إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي) ، **ولهذه المذكورات علل ودلائل .**

فوائد الوضوء

أمّا الطهارة الكاملة فلتعظيم الذكر وللسِّلاح على الأعداء ، كما في الصلاة لقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ ، وقوله عليه السلام « إذا توضَّأ العبد تحاتَّ[1] عنه ذنوبه كما تحاتُّ ورقُ هذه الشجرة » . انتهى من « حجة الذاكرين » من عبارته . وروي عنه عليه السلام « إذا توضأ الرجل المسلم خرجت ذنوبه من سمعه وبصره ويديه ورجليه فإن قعد قَعَدَ مغْفوراً له » الحديث من « أسباب الفلاح » عبارته في ٢٥ .

(١) تحاتَّ عنه : تساقطت ، وأصله : تحاتتت : فحذفت إحدى التاءات لتوال الأمثال ، وذلك للتخفيف .

وفي « البريقة » : من داوم على وضوئه أكرمه الله تعالى بسبع خصال : ١ - ترغيب الملائكة في صحبته . ٢ - لا يزال القلم رطباً من كتابة ثوابه . ٣ - تسبيح أعضائه وجوارحه . ٤ - لا يفوته التكبيرة الأولى . ٥ - إذا نام بعث الله ملكاً يحفظه من شرّ الثقلين . ٦ - يسهل الله عليه سكرات الموت . ٧ - وأن يكون في أمان الله تعالى ما دام على الوضوء . انتهى من عبارته في ٦٣ من الجزء الثاني .

وأمّا استقبال القبلة في مكان خال ، فلتعظيم ذكر الله ودفع الشغل وطلب الحضور والفراغ واجتناب الرياء لقوله تعالى ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ ، ولقوله عليه الصلاة والسلام « خير المجالس ما استقبل القبلة » انتهى من « حجة الذاكرين » عبارته . وروى الطبراني باسناد حسن « إنّ لكلّ شيء سيّداً ، وإنّ سيّد المجالس قُبَالَةُ القبلة » ، وفي رواية له أيضاً « إن لكل شيء شرفاً وإنّ شرف المجالس ما استقبل القبلة » . انتهى من « لواقح الأنوار » عبارته .

وقال الشعراني قدس سره فيه : أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن نجعل جلوسنا دائماً للقبلة عملاً بقوله تعالى ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ أي : نحو الكعبة ؛ **اللهم إلاّ أن يكون أحدنا جالساً في حلقة ، فقبلة أحدنا حينئذ وجوه أصحابنا ، من حيث أنّ المؤمن مرآة المؤمن ، ولا يخفى أنّ توجه العبد لأخيه في غير صلاة أفضل من توجُّهه للقبلة ، فإن لم نجد من نستقبله من المسلمين استقبلنا القبلة لأنها تليه في المرتبة** ، والله عليم حكيم . انتهى عبارته .

وأما الكون في مكان خال فلقوله تعالى ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾ الآية ، وقوله عليه الصلاة والسلام « السرّ أفضل من العلانيَّة ، ولمن أراد الاقتداء العلانيّة أفضل من السرّ » ، ولقوله عليه الصلاة والسلام « ذاكر الله خالياً ، كمبارزة إلى الكفّار من بين الصفوف خالياً » ، ولقوله عليه

الصلاة والسلام لعليٍّ كرَّم الله وجهه ورضي الله عنه « عليك بمداومة ذكر الله تعالى في الخلوة » . . إلخ . انتهى من « حجة الذاكرين » عبارته مع تصرُّف في العبارات .

وأمّا الجلوس متوركاً على عكس ما في الصلاة فلاتباع الأصحاب رضي الله عنهم ولاستراحة البدن ، لأنَّ الأصحاب كانوا يجلسون عند النبيّ ﷺ على هذه الهيئة ، واتباع الأصحاب سنة ، وهي أقرب للتواضع ، وأجمع للحواس على القلب ، انتهى منه[1] ، لتأثير القلب سريعاً . انتهى من « مهمّة المريدين » عبارته .

وأمّا الاستغفار فللطهارة من دنس الذنوب مانعة الوصول إلى حضور حضرة ربِّ الأرباب ، والرينِ والحجابِ على القلوب ، وذلك فرض على كلّ مذنب وعاص لقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ ألآية ، ولقوله عليه السلام « ثلاثة معصومون من شرِّ إبليس وجنوده ، الذاكرون الله كثيراً بالليل والنهار ، والمستغفرون بالأسحار ، والباكون من خشية الله » .

وأمّا قراءة الفاتحة والإخلاص وإهداء ثوابها لأرواح السلسلة فللوسلة للاستمداد منهم ، وللقُرْبَة والمناسبة لهم ، لقوله تعالى ﴿إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾ الآية ، ولقوله ﷺ « ابتغوا إلى الله الوسيلة بالصلاة عليَّ » .

وأمّا الاستمداد من أرواحهم فللخلاص من اشتهاء النفس ووسوسة الشيطان ، وهذا أيضاً أمر مسنون لقوله تعالى ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ الآية ، وقوله ﷺ « إذا تحيَّرتم في الأمور فاستعينوا من أهل القبور » ، وقوله ﷺ « إذا انفلت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد : يا عباد الله احبسوا عليّ ، يا عباد الله احبسوا عليّ ، فإنّ لله في الأرض حاضراً سيحبسُهُ عليكم » رواه ابن مسعود رضي الله عنه ، وقوله عليه

(١) أي : « حجة الذاكرين » .

السلام « إذا ضلَّ أحدكم شيئاً أو أراد أحدكم غوثاً وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل : يا عباد الله أغيثوني ، يا عباد الله أغيثوني ، فإنّ لله عباداً لا يراهم » رواه عتبة بن غزوان ، لأنَّ روحانية سيِّدنا محمد ﷺ كجسمانيَّته في الفيض والنصرة والإمداد ، وكذا روحانية الأولياء والصالحين من أمَّته معجزةً له عليه الصلاة والسلام وكرامةً لهم .

وفي « الأمالي » : **كرامات الأولياء بدار الدنيا لها كون ، فهم أهل** النوال . وقال الإمام الغزالي : **والرحلة لزيارة قبور الصالحين مندوبة ، ونفع الزائرين بحسب معارفهم وأسرارهم .**

وقال ابن حجر في « فتاواه » : ولا تترك زيارتهم لما يحصل عندها من المنكرات كاختلاط النساء بالرجال وغير ذلك . .إلخ .

وأما تغميض العينين فلقطع الخواطر التي يوجبها النظر ولكمال الخشوع ، وهذا أيضاً أمر مسنون .

وأما رابطة الموت فلتذلُّل النفس وانكسارها ، وهذه معدودة من الفرائض في رسالة الإمام حسن البصري لقوله تعالى ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ وقوله عليه السلام « أكثروا ذكر الموت ، فما من عبد أكثر ذِكرَهُ إلاّ أحيا الله تعالى قلبه وهوّن عليه الموت » .

وذكر الشيخ سليمان الزهدي قدس سره في هامش كتابه « صحيفة الصفا لأهل الوفا » ما يدل على أفضلية تفكر الموت وتذكُّره ، فلا بد من إيراده في هذا الموضع لنفاسته :

قال قدس سره عن مقداد بن أسود رضي الله عنه : قال عليه السلام لأبي هريرة رضي الله عنه : « كيف تفكرك وفيما ذا ؟ » قال : في قوله تعالى ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ، قال عليه السلام « تفكُّرك خير من عبادة سنة » ثم سأل عليه السلام ابن عباس رضي الله عنهما عن تفكره ، فقال : تفكري في الموت

وهول المطلع ، قال عليه السلام « تفكرك خير من عبادة سبع سنين » ثم قال عليه السلام لأبي بكر ﷺ كيف تفكرك ؟ قال : تفكري في النار وأهوالها ، وأقول : يا ربّ اجعلني بحال تملأ النار مني حتى يُصَدّق وعيدك ، لا تعذب أمة محمد ﷺ فقال عليه السلام « تفكرك خير من عبادة سبعين سنة » ثم قال عليه السلام « أرأف أمتي بأمتي أبو بكر ﷺ » . انتهى عبارته .

وأما رابطة المرشد فلقطع الخواطر والوساوس الشيطانية ، وللوسيلة إلى السير والسلوك ، وهي عبارة عن استحضار صورة مرشده الكامل مع روحانيته ، وتخيله ، والاستمداد منه بالقلب ؛ لأنه النائب عن النبيّ ﷺ في التربية والأمداد والفيض والإرشاد والتبليغ ، وهذا المعنى عبارة عن المحبَّة الكاملة له لله وفي الله ؛ لأنه الواسطة بيننا وبين نبيِّنا عليه الصلاة والسلام ، كما أنه عليه الصلاة والسلام واسطة بيننا وبين الله تعالى .

ولا يجوز لأحدٍ أن ينكر الرابطة ؛ لأنّ الأولياء قد صرحوا بها وبحسنها ، وكذا الأئمة من كلّ مذهب من المذاهب الأربعة قد قالوا بجوازها تصريحاً وتلويحاً ، ومن أراد الاطلاع إلى بيان الرابطة ودلائل جوازها فعليه الرجوع إلى « تبصرة الفاصلين » و« فتاوى عمرية » و« هدية الذاكرين وحجة السالكين » .

وأما رابطة الحضور فلحصول الفناء في الله تعالى ، والانقطاع ممَّا سواه لقوله تعالى ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ وجميع التبتل بالإخلاص والحضور والانقطاع عما سوى المذكور ، ولقوله تعالى ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ وقوله في الحديث القدسي « أنا جليس من ذكرني » . إلخ ، وقوله « تفكُّر ساعة خير من عبادة ستين سنة » ، وهذه الرابطة عبارة عن التفكر في أنّ الله تعالى حاضر بصير ، مطّلع على جميع أحوالك ، عالم محيطٌ بك وبجميع العالم بكمال الهيبة والخوف والعظمة والجلال ، منزَّه عن المكان والجهة والنقائص

والصورة ، كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك ، وكل ما خطر ببالك فهو منزه عن ذلك ، فسبحان من جعل العجز عن درك الإدراك إدراكاً .

وأمّا الوقوف القلبي فلقطع العلائق والحجاب ، وهو عبارة عن النظر والتوجُّه إلى القلب الصنوبري الشكل الذي تحت الثدي الأيسر بقدر أصبعين بعين الخيال ، وتطهيره عما سوى الله تعالى بعد تجريد نفسه عن الجسمانيّة ، ويتصوّر نوراً بسيطاً وحدانيّاً مجرّداً عن الكيفيّات كلّها غير متعلق بشيء ظاهر على العالم الجسمانيّ ، كظهور الشمس على الجسمانيات ، بحيث يكون جميع العالم الجسمانيّ بالنسبة إلى ذلك النور البسيط كالذرة في شعاع الشمس ، ويعلق نظر بصيرته بذلك النور البسيط ، ويداوم على ذلك النظر حتى يستغرق في ذلك النظر بحيث لا يبقى له شعور لغير ذلك .

وصورة أخرى من الوقوف القلبي : أن يتوجه إلى قلبه ويلاحظ فيه أنَّ نظر الله تعالى محيط به من جميع الجهات ، ويجعل قلبه محاطاً بنظر الله تعالى ويستمرَّ على ذلك ، وبالاستمرار على تلك الملاحظة تصغر ذاته تحت نظر الله تعالى حتَّى لا يبقى لها بالتدريج أثر من الوجود ، فعند ذلك يظهر سرُّ قوله تعالى ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ ويكون فانياً عن وجود الإمكان ، ولا يشاهد فيه ولا في الأشياء كلّها إلاّ وجود الحق سبحانه وتعالى فيظهر سرُّ قوله تعالى ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ فيكون واصلاً إلى الله تعالى . كذا في « شرح رسالة الخادمي » . قال الله تعالى ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ أي : من تطهَّر ظاهره بالشريعة وباطنه عما سوى الله تعالى بالكليَّة ﴿وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ ، **وإنّ الله تعالى كما لا يقبل الشريك كذلك الذكر في القلب لا يقبل الشريك** ، لقوله تعالى ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦ﴾ فلهذا يلزم أوّلاً تهيئة المحلِّ بالتخلية لمن أراد الذكر والتحلية .

وأمّا الوقوف الذكريّ ، فللألفة والأنس مع الذكر ، ولدفع الغفلة وجلب الحضور ؛ وهو : عبارة عن تخيل نقش لفظة الجلالة أعني لفظة

(الله) على القلب بقلم النور ، أو تخيل جريان الذكر في القلب بأيِّ كيفيَّة شاء مع ملاحظة المعنى ، وهو الذات بلا مثل المنزَّه عن المكان والجهة والنقائص والصّورة لا شريك له ، لقوله تعالى ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ الآية ، ﴿ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ ﴾ ، وقوله ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ ، وقوله ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴾ ، أي انقطع إليه بمجامع الهمة واستغراق العزيمة في مراقبته ، كذا فسَّره الرازي . وفي الحديث القدسي « أنا جليس من ذكرني » ، وفيه « عبدي إذا ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي » .

وأما الوقوف العددي ، فلتمييز عدد الذكر الذي هو أهمُّ ، وهو عبارة عن ضبط عدد الذكر الذي ذكرته ، وهذا أمر مسنون ، لقوله ﷺ لمعاذ بن جبل « يا معاذ ، كم تذكر كلَّ يوم ، أتذكر عشرة آلاف مرة ؟ ألا أدلّك على كلمات هُنّ أهون عليك وأكبر من عشرة آلاف وعشرة آلاف ؟ » الحديث ، وقوله عليه السلام « نعم المذكِّر التسبيح » .

وجوَّز الفقهاء اتخاذ السبحة ، كذا في « البحر » و« الخزائن » و« الحلية » .

وفي « المصباح » : السبحة خرزات منظومة .

وأما قوله : (إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي) عند غلبة الخواطر وتشتّت النيّة بما سوى الله تعالى أو بلسانه مع ملاحظة المعنى فلتصحيح النيَّة وإخلاص العزيمة ، لقول الله تعالى ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ ، وطلب الرضاء في الأعمال أمر مشروع . انتهى من « هدية » عبارته . وكذا تخليص الأعمال من شوائب الشرك واجبٌ ، قال الله تعالى ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾ الآية ، فليتدبَّر العاقل في عموم قوله ﴿ شَيۡـٔٗا ﴾ ونكارته ، ولهذه الكلمة خاصيَّة ، إذا أكثر المريد ذكرها تنفي المقاصد والمطالب كلها .

وأمّا انتظار الواردات والفيوضات الإلهيَّة على القلوب ؛ من التجلّي والأنوار والسكينة حالة الذكر والرابطة ، وبعد تمام الورد بسبب الذكر والرابطة فللبصيرة واليقظة وللأنس بها وللقيام بشكرها ، وهذا يسمَّى بالمراقبة عند الأكثر ؛ لأنه يرادف معناها ، قال تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ قال عليه الصلاة والسلام « إنّ الله يحبُّ أن يرى أثر نعمته على عبده » انتهى من « هديّة الذاكرين » مع اختصار وتصرف بإيقاع بعض العبارات من نفائس سائر الكتب .

وأما الأبواب الأربعة ، فهي الشريعة ؛ وهي الباب الأول من الأبواب الإلهيَّة الموصلة إليه تعالى لتكميل تزكية الإيمان والقلب ، قال الله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ أي تطهّر ، وقال عليه السلام « الطهور شطر الإيمان » فافهم منه وتذكَّر ما مرَّ نقلاً من « جواهر القرآن » .

قال الشيخ سليمان الزهدي قدس سره في هامش « صحيفة الصفا » على قوله : (واعلم أنَّ النيَّة والحضور شرط لكلِّ عمل يقصد به القربة) : إن كان العمل فرضاً أو واجباً ينوي به امتثال أمر الله واتباع نبيِّه ويشرع لله . انتهى المقول . قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾ الآية ، وقال عليه السلام « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه وإن لم تكن تراه فإنّه يراك » الحديث . **فإن هذا الحضور لا يحصل إلا بعد تصفية القلب وتخليصه عما سواه تعالى ، ولا يحصل التصفية والإخلاص إلا بالطريقة العليَّة ، فإنّهما فرض أوّل بعد الإيمان على العباد من الرجال والنسوان على قول أكثر العلماء** . انتهى من عبارته

مطلب على وجوب مجاهدة النفس

واعلم يا أخي أنّ علماء الشريعة والحقيقة قد أجمعوا على وجوب مجاهدة النفس وتطهُّرها من الأمراض الباطنة ، كالكبر والحسد والغلّ ومحبّة

الدنيا ، **وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب** . قالوا : **ولا طاعة للوالدين في ترك المجاهدة ، ولا يصير الولد بذلك عاقاً لهما كما لا يصير عاقاً بمخالفتهما في تعلم العلم الواجب** . فإن قيل : ما الدليل على وجوب رياضة النفس ومجاهدتها ؟ فالجواب : الدليل على ذلك ما ورد في عقوبة المتكبِّر والحاسد والمعجب والمرائي والمنافق ونحو ذلك ، وما توعَّدَ الله تعالى عبادَه عليه بالعقوبة يجب عليهم الخروج منه في هذه الدنيا ، وإلا فلا يطهرهم من ذلك إلاّ النّار . وأيضاً فإنه كما يجب على العبد الخلوص من الأدناس النجسة في بدنه وثيابه ومكانه قبل دخوله في الصلاة ، فكذلك يجب عليه التطهُّر من صفات الشياطين التي في باطنه ، لتمكنه ملائكة الحضرة الإلهيّة من الوقوف بين يدي الله تعالى ، فإن كان من كان فيه خصلة من النفاق والكبر أو العجب مثلاً لا تمكنه الملائكة من دخول حضرة ربّه أبداً ، لأنها كالنجاسات الظاهرة على حدِّ سواء . انتهى من « المواهب البريقة » عبارته .

مطالب مهمة على وجوب اتخاذ الشيخ

وسمعت سيّدي علياً المرصفي رحمه الله تعالى يقول : يجب على كل مكلَّف أن يُنظِّف ظاهِرَهُ وباطنه من صفات الشياطين ، لتمكّنه الملائكة من دخول حضرة الله تعالى التي لا تصحُّ الصلاة عندهم إلا بدخولها . ومعظم غرض جميع الداعين إلى الله تعالى أنّ العبد يُطَهّر باطنه كما يطهّر ظاهره ، ويطابق في جميع طاعاته بين الظاهر والباطن ، فيخرج عن صفات النفاق ويتخلّص بالإخلاص ؛ فهذا مُعْظَمُ قصدهم من تسليك المريدين ، **وذلك ليلحقوا المريد برائحة التخلُّق بما كان عليه السلف الصالح من الصدق والإخلاص في جميع الأحوال ، واتهام النفوس بعد ذلك بأنها لم تصَدّق ولم تخلص .**

ولا يتم ذلك لأحد إلا على يد شيخ صادق؛ ولو بلغ في العلم الغاية وكان على عبادة الثقلين . فربّما كان الذي لا شيخ له على عبادة الثقلين ، ثم وقع في العجب آخر عمره فحبط عمله كلّه ، فكان حكمه كحكم النحل إذا أشرف على ختام الخلية فسرح على شجر الحنظل ، ثم مجَّ ذلك على الخلية فأفسد كلّ ما فعله تلك السنة . انتهى منه عبارته .

وقد ورد « إنّ عابداً عبد الله تعالى في جزيرة سبعين سنة - وفي رواية خمسمائة سنة - وأن الحق تعالى يقول له يوم القيامة : ادخل الجنة برحمتي ، فيقول : يا ربّي بل بعملي » ! فلو أنّ هذا العابد سلك الطريق على يد عارف ، لعرف من أوّل ما دخل في الطريق أنّ العبد لا يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى دون عمله ، وإن كان لزم العمل مع الله تعالى في جميع أحواله . انتهى منه عبارته .

وفيه : إنَّ أوَّل عمر العبد دخوله في طريق القوم ، ومن لم يدخل فيها فكأنّه لم يولد ، وهو بمثابة الأموات بالنسبة إلى أهل الطريق . وفي كلام عيسى عليه الصلاة والسلام للحواريِّين : بحق أقول لكم لن يلج ملكوت الأرض من لم يولد مرتين . انتهى . وهو إشارة إلى ما ذكرناه . انتهى عبارته .

وكان رضي الله عنه[1] يقول : **لو أنَّ مريداً عبد الله تعالى حتى ملأ ما بين السماء والأرض بغير شيخ فهو كالهباء المنثور**؛ لجهله بمعرفة دسائس الأعمال الظاهرة فضلاً عن الباطنة ، بل ولا يعرف الطريق الموصل إلى ذلك حتى يتطلب معرفة كيفيَّة التطهُّر ، وذلك لأنَّ معظم طريق القوم غيبٌ غير محسوس ، فلا يُدْرِك دسائس أعماله إلا من كشف الله تعالى حجابه . انتهى منه عبارته .

وكان سيِّدي عليُّ الخواص رحمه الله تعالى يقول : لو أنّ عبداً قرأ ألف كتاب في العلم بغير شيخ يفهم معانيها فلا ثمرة لذلك عند القوم . وسمعت

(١) أي : عليّاً المرصفي .

سيّدي عليّاً الخواص رحمه الله تعالى يقول : من لم يكن له شيخ – في هذا الزمان – يخرجه من ظلمة الشكوك والأوهام فبعيد أن يذوق شيئاً من مقام كمال الإخلاص في عبادة من العبادات الخالصة . انتهى منه عبارته .

ومراد جميع أشياخ الطريق بتسليكهم الناس أن يوصلوا المريد إلى مقام العمل بالإخلاص الذي كان عليه السلف الصالح أو بعضه لا غير . انتهى « لطائف المنن » عبارته ٤٧ . وقالوا : من لم يجد له شيخاً في بلده وجب عليه السفر في طلبه . انتهى منه . ومن وصايا الشعراني : فاطلب لك يا أخي شيخاً يبلّغك هذه المآرب ولو كان بينك وبينه بُعْدُ المشرقين . انتهى من « المواهب » عبارته .

وقال العالم المحقِّق محمد علي الجوخي في « فتاواه » ما حاصله : يجب اتخاذ الشيخ ولو بالسفر إليه بصرف ما يجب صرفه لسفر الحجّ . انتهى بالمعنى .

وقال الشعراني في « المنن » : وطلب الإمام الغزالي له شيخاً يدلّه على الطريق مع كونه حجة الإسلام ، وكذلك طلب الشيخ عز الدين بن عبد السلام له شيخاً مع أنّه قد لُقِّب بسلطان العلماء ، فكان شيخ الغزاليّ محمد الباذغاني وشيخ الشيخ عز الدين الشيخ أبو الحسن الشاذلي .

وكان الإمام الغزالي رضي الله عنه يقول لما اجتمع بشيخه المذكور : ضيَّعنا عمرنا في البطالة ، يعني بالنسبة لما ذاقه من أحوال أهل الطريق . وكان الشيخ عز الدين رضي الله تعالى عنه يقول : ما عرفت الإسلام الكامل إلا بعد اجتماعي على الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه وأرضاه . فإذا كان هذان الشيخان قد احتاجا إلى الشيخ مع سعة علمهما بالشريعة . فغيرهما من أمثالنا من باب أولى .

وقد كنت قبل اجتماعي بأهل الطريق أتّخذ أعمالي كلَّها وسائلَ إلى تحصيل أغراض ، فإن حصلت تلك الأغراض ثَبَتُّ على ذلك وإلاّ تحوّلت منه . فلما اجتمعْتُ بأهل الطريق قالوا لي : اجْعَلْ أعمالك كلَّها مقاصد لتحضُرَ فيها مع الله تعالى ، ولا تتّخذْها وسائلاً ، فتموتَ ولا تصل إلى مقصودك ، فقرَّبوا عليَّ الطريق ، فلو لم يكن في الاجتماع بهم إلاّ هذه الخصلة لكان فيها الكفاية . انتهى من عبارته ٤٩ .

وقال فيه أيضاً : وممّا مَنَّ الله تبارك وتعالى به عليَّ بعد المجاهدة أنَّ جميع ما كنت علَّمته من العلوم كلها ليس فيه شيء من الإخلاص ، وإنَّما هو مخلوط بالحظوظ النفسانيَّة . انتهى من عبارته ٥١ .

وفيه وقد بلغنا عن الإمام الغزالي - رحمه الله تعالى رحمة واسعة - أنّه لما دخل طريق القوم كان يقول : قد وجدنا علوم الفقهاء حجاباً فيا ليتنا لم نضيِّع عمرنا فيها . انتهى . وإنما يكون حجاباً على من لم يخلص لله تعالى عز وجل في تعلُّمه وتعليمه . انتهى باختصار على المراد منه عبارته .

وفي « المتممات » لأحمد ضياء الدين : وقال الشعراني في « الأنوار القدسيَّة » : وقد أجمع أهلُ الطريق على وجوب اتخاذ الإنسان له شيخاً يرشده إلى زوال تلك الصفات التي تمنعه من حضرة الله تعالى بقلبه ، لتصحَّ صلاته من باب ؛ **ما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب** ، ولا شكَّ أن علاج أمراض الباطن كلّه واجب كما تشهدُه الآيات والأحاديث الواردة في تحريمها ، والوعيد بالعقاب عليها .

فعلم أنَّ كلَّ من لم يتَّخذ له شيخاً يرشده إلى الخروج عن هذه الصفات فهو عاص لله ولرسوله ؛ لأنه لا يهتدي لطريق العلاج ، ولو تكلَّف لا ينفع بغير شيخ ولو حفظ ألف كتاب ! فهو كمن يحفظ كتاباً في الطب ولا يعرف تنزل الدواء على الداء ، فكلّ مَنْ سمعه وهو يدرِّس في الكتاب يقول : إنّه طبيبٌ

عظيم ، ومَنْ رآه حين يسأل عن اسم للمرض وكيفيّة إزالته قال : إنّه جاهل ، فاتخذ لك شيخاً ولا تعص ، وتفكّر أبديَّة الآخرة ، وإيَّاك أن تقول : إنَّ طريق الصوفيَّة لم يأت بها كتابٌ ولا سنّةٌ ، فإنّه كفر ! ! فإنها كلها أخلاق محمَّدية ، وسيرة أحمديَّة ، وسنن إلهيَّة .

وقال الشعراني أيضاً في « الجواهر » : وسُئِلْتُ عن الدواء الذي إذا استعمله العبد زال عنه الرياء والإعجاب بأعماله . فقلت : الإكثار من ذكر الله تعالى حتى يتجلَّى في قلبه التوحيد الحقيقي ، ويرى أعماله خلقاً لله تعالى وحده جملة ، ليس لعبد فيها غير النسبة ، فهناك لا يصير عنده رياء ولا إعجاب ولا تكبُّر على أحد من العصاة ؛ لأنّ العبد لا يرائي قط بعمل غيره ، ولا يعجب فيه بنفسه ، ولا يحصل عنده دعوى . فإن قيل : فهل له دواء غير التوحيد من الأعمال ؟ قلت : لا أعلم له دواء أسرع من التوحيد ، وهو الذي وضعه جميع أهل الطريقة للمريدين فطوَوْ به الطريق ، **وقد أخطأ ذلك طائفة من العباد الذين أشغلوا نفوسهم بتلاوة القرآن والصلاة والصوم ، وماتوا على ريائهم ورؤية أعمالهم ، ولم يخلصوا في شيء منها** ، كما يشهد لذلك حديث العابد الذي يقول له الحق تعالى « أدخل الجنّة برحمتي » ، فيقول : يا ربّ بل بعملي ! وذلك لعدم فهمهم أنّ القرآن يتوقَّف على جلاء القلب . فحكم الذكر كالحصى للنحاس المصدي وحكم غيره كالصابون . انتهى من عبارته .

يقول الفقير الواعظ الغير المتّعظ : فلو أخلص من ليس له شيخ في عبادته وأتاها سالمة من العجب والرياء وغيرها ، فلا شكَّ أنّه بعد ذلك عبد الثواب لا عَبْدُ الله سبحانه ، لأن غاية أمر من لم يتخذ له شيخاً أن يعبد الله لمجرَّد الثواب .

قال الغزالي في « الإحياء » : **إنَّ العامل لأجل الجنة عامل لبطنه وفرجه** . انتهى عبارته .

وفي « الإبريز » : كلّ ما عملته بقصد الأجور والحسنات فهو عمل لغير الله . انتهى عبارته ١٧٧ .

وفيه أيضاً : وأما المحرومون فهم الذين تكون أعمالهم لنفع نفوسهم ولتحصيل أغراضهم ، ولا تكون لله عزّ وجلّ ، وهذه الأعمال لا تزيد إلا بُعْداً من الله عزّ وجلّ ؛ لأنها مخالفة لسرّ حقيقة الذات ، فإن سرّ حقيقة الذات أنّها ذات مخلوقة لله ، مفعولة له ، مملوكة له ، منسوبة إليه ، لا نسبة لغيره فيها بوجه من الوجوه . فلو جرت أفعالها على هذا السرِّ لكانت كلُّها خالصة ، فكأنّه يقول : لا حظ لي في شيء من أفعالها إذ هي كلها مخلوقة لله ! فتخرج عنه الأعمال عند صدورها على سرِّ حقيقة الذات ، وأما أنّه يقول : ذاتي هي لله وأفعالها لي ، فينويها لنفسه ولتحصيل أغراضه ، فهذا لايجري فعله على سرّ حقيقة ذاته ، ولا يمكنه أبداً أن يُوفي بشيء من حقوق الله ؛ لأنّه يفعل لغرض نفسه لا لقيام بحق الله ، فقد انقطع عن الله في أفعاله فتنقطع عنه العطيَّة من ربِّه عزَّ وجلَّ فيكون محروماً من المحرومين .

فقلت : وَرَدَتْ آيات كثيرة ، وأحاديث لا تحصى في الترغيب بذكر الثواب وجزيل الأجر لمَنْ فعل الفعل ، ولو كان كما قال سيدي عمر ومحمد الهروي لم يرد شيء منها بذلك ، لما فيه من القطع عن الله عز وجل ، فقال رضي الله عنه : لا يرد علينا ما في الآيات والأحاديث ، لأنّه لم يقل فيها : اعملوا لأنفسكم وأنا أثيبكم على أعمالكم في هذه الحالة بجزيل العطيَّة ، وإنما قال : اعبدوني وأخلصوا العبادة وأنا أثيبكم . فنيَّتُنَا في أفعالنا تكون لله عز وجل ولعظمته وكبريائه ، ولما أسدى إلينا من العطايا الجسيمة ، وهو يثيبنا عليها عز وجل فضلاً منه ومنّة ، وإنّما يرد علينا ما في الآيات والأحاديث أن لو كانت العبادة مع الإخلاص لا أجر فيها ولا يثاب العبد عليها ، فحينئذ يرد ما ذكرتم ، وما أقبح العبد وأجهله ! حيث يظن أن يحصِّل الحسنات ويكسب الأجر بأفعاله ، وهو يعلم أنّ أفعاله لم يحصل منها ولا شعرة ، فإذا كانت الذات مخلوقة لله ، والأفعال مخلوقة لله فكيف يسوغ لنا أن نعتمد في

الحسنات على أفعالنا المخلوقة له عزّ وجلّ ، ولا نعتمدَ على مجرَّد فضله ورحمته ؟ ! ولكنَّ الغفلة عن الله تعمي البصائر والعياذ بالله .

قال ﷺ : وقد كان بعض العباد يعبُدُ الله بقصد نفع نفسه وأن يعطيه ما يحب ، فدام على ذلك عشرين سنة ، وكان لحّاحاً في الطلب ، فما ظهر له شيء مما يطلب ، فتحيَّر في أمره ، فقال : كيف يكون هذا ؟ ! أنا أطلب الله في مسألة عشرين سنة ولم يعطني شيئاً ولا رحمني بها ؟ ! فألقى الله عز وجل عليه رحمة ، ورزقه في تلك اللحظة معرفة نفسه وأفعالها ، فقال : إني لأحْمَق ! إذا كان الله سبحانه خلق الذات وخلق أفعالها ، وخلق الصحة وخلق المكان الذي أعبده فيه ، فأي شيء عملت حتى أطلبَ عليه أجراً وأَستحقَّ بسببه ذكراً ؟ ! كلاّ والله ما فعلت شيئاً ، ولكن عمدْتُ إلى أفعال الله فيَّ ، فقطعتها عنه ثم نسبتها إليَّ ، وجعلت أطلب بها عنده ، وأتمنَّى بها عليه حتى صِرْتُ أقول : وَقَفْتُ أنا ببابه عشرين سنة وما أعطاني شيئاً . أنا تائب إليك يا رب ، أنا تائب إليك يا رب ، أنا تائب إليك يا رب . فلمّا تاب إلى الله وعلم منه تعالى التوبة الصحيحة رحمه الله تعالى بأن أعطاه كلَّ ما يتمنَّى وزاده المعرفة به الّتي لا تعارضها جنة ولا غيرها . انتهى كلام « الإبريز » عبارته ١٥٩ .

فلو تدبَّر في هذه المذكورات من ليس له شيخ ، فعساه لم يعبد الله تعالى خالصاً لوجهه ولو مرّة ، بل كانت عبادته مشوبة بأغراض دنياوي أو أعواض أخراوي ، قال الله تعالى ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔا﴾ الآية .

فالحاصل أن تعلُّم العلم الباطني من الشيخ المرشد فرض عين على من لم يرزق له قلباً سليماً بالجذب الإلهيّ والنفس القدسيّة الفطريّة ، وقليل ما هم ! وأحكام الدين إنّما تبنى على الأكثر الأغلب ، وتعلُّم علم الظاهر لا يغني عن استفادته ، كما ثبت ذلك عن كثير من العلماء الأكابر المتقدمين والمتأخِّرين **من الحنفيّة** ؛ كابن الهمام وابن الشلبي ، والشرنبلالي ، وخير الدين الرملي ، والحموي ، وأمثالهم .

ومن الشافعية؛ كسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام، والغزالي، والسبكي، والسيوطي، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، والشهاب ابن حجر، وأضرابهم.

ومن المالكية؛ كالعارف أبي الحسن الشاذلي، وخليفته أبي العباس، وخليفته ابن عطاء الله، والعارف ابن جمرة، وناصر الدين، والزروقيّ.

ومن الحنابلة؛ كالشيخ عبد القادر، وفخر الإسلام، والشيخ عبد الله الأنصاري، وابن النجار، ونحوهم. فإن هؤلاء العلماء الكرام بعد التضلُّع من علوم الظاهر اشتغلوا بتحصيل علوم الباطن واستفادتها من أهلها بالصحبة والخدمة والسلوك، وحسن الاعتقاد والإخلاص، والتخلية من الرذائل، والتحلية بالفضائل، هكذا في «المتممات» و«الفتاوى العمرية» و«الفتاوى الچوخية».

أصناف رجال الله تعالى

ولقد أردنا أن نورد هنا نُبذة تدلُّ على أفضليَّة الطريقة النقشبنديَّة الصديقيَّة، وأفضلية أربابها، وإن مرّت الإشارة إليها سابقاً في هذا الكتاب. قال الشعراني في «منن»ـه: ومما أنعم الله تعالى به عليّ إعطاؤه تبارك وتعالى لي الفرقان بين رجال الله تعالى، فإنه ما كلّ الرجال أعطُوا الفرقان.

وهم ثلاثة أصناف لا رابع لهم، ذكرهم الشيخ محي الدين رحمه الله تعالى في «الفتوتحات»:

الأول: العُبَّاد بضم العين، وهم قوم غلب عليهم الزهد والتبتل والأفعال الظاهرة المحمودة، ومن شأنهم أنهم لا يرون شيئاً فوق ما هم عليه حتى يطلبوا الانتقال إليه، فلا معرفة لهم بالأحوال ولا بالمقامات، ولا رائحة عندهم من العلوم الإلهيّة الوهبيّة ولا مكاشفة لهم، ويخافون من ظهُور أعمالهم أن تُحبَطَ لاعتمادهم عليها دون مطلق فضل الله تعالى.

الصنف الثاني : الصوفيَّة ، وهم رجال فوق هؤلاء العبَّاد ، فإنهم يَرَوْنَ أفعالهم كلها لله تعالى ، مع ما هم عليه من الجدِّ والاجتهاد والورع والزهد والتوكُّل وغير ذلك ، ويَرَوْنَ مع ذلك أيضاً أنّ جميع ما هم فيه بالنظر للمقامات التي فوقهم كَلاَ شَيْءَ ، وفيهم رعونة نفس بالنظر لأهل الطبقة العُلْيا ، فعندهم رائحة دعوى مع حسن أخلاقهم وفتوّتهم .

الصنف الثالث : الملامية ، وهم على قدم السيد أبي بكر الصديق - رضي الله تعالى عنه وأرضاه - ومن شأنهم أنّهم لا يزيدون على الصلوات الخمس إلاّ الرواتب ، ولا يفعلون من العبادات كلّها إلاّ ما لا بدّ منه ، ولا يتميّزون عن غالب الناس بعبادة ، يمشون في الأسواق ويتكلَّمون مع الناس بكلام العامة ، قد انفردوا بقلوبهم مع الله جلّ وعلا لا يتزلزلون عن عبوديّتهم ، ولا يذوقون للرياسة طعماً لاستيلاء عظمة الله تعالى تبارك وتعالى على قلوبهم ، وهؤلاء أعلى الطوائف كلّها مقاماً ، كما فضل أبو بكر الصحابة كلّهم رضوان الله عليهم أجمعين ، فتأمَّل في ذلك واطلب المقامات الثلاثة ، ولا تَقْنَع بشيء دون المقام الثالث ، والحمد لله ربّ العالمين . انتهى من عبارته ٥٢ .

وفي الحديث « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ، بل بشيء وقر في قلبه » . انتهى . وفي « جامع الأصول » : إنّ هذا الذي وقر في قلبه هو الذكر القلبي باسم الذات . انتهى بالمعنى .

وهذا الصنف الأخير الذي ذكره الشعراني هم النقشبنديُّون المنتسبون إلى الصديق الأكبر رضي الله تعالى عنه ، ومرَّ مراراً ما يدلُّ على أفضليَّة طريقتهم ، وأثنى عليها المحقِّق ابن حجر بأنّها السالمة من كدورات جهلة الصوفية ، ومدح بعض من الشاذليين طريقتهم بأنها عين هذه الطريقة النقشبنديَّة ، وقال : إنها سلطان الطرق ، وقد كانت أوضاعها وأصولها على أصل صحيح وأساس قوي ، كيف لا ؟ ! وقد قال القطب الأعظم والغوث الأفخم أحمد ضياء الدين في « المتممات » : إنَّ جميع أركانها وشروطها

وآدابها عين الشرع ، ولبُّ القرآن ، وحقيقة العرفان ، وفي حقِّها أدلّة جملةً وتفصيلاً ، كما سيأتي البيان . انتهى من عبارته ١١١ .

وقال فيه أيضاً : أمّ الطرق . انتهى .

ولقد سمعتم أيّها الإخوان ما أوردناه في هذا الكتاب ، وعلمتم أنّي لم أتكلَّم من قبل نفسي ؛ ومع ذلك صدَّ المتشيِّخون الناس عن أخذ الطريقة عن أهلها وأربابها قائلين : إن استعمال تلك الطريقة لا يقدر في ديارنا الداغستانية ، حتى أنّ واحداً منهم صَعَدَ إلى المنبر في يوم الجمعة في قرية فلانيَّة ووعظ الناس ، وقال : إنّ أخذ الطريقة لا يجوز ، ومع ذلك قد سعى خلف المريدين في القرى ، وتشيَّخ عليهم ، وعلَّمهم الأذكار والأوراد ، ممَّا ليس في طريقة من الطرق ، وبعضهم قد حرَّم الدخول فيها ، وقال : إنّ الذكر القلبي حرام للعوام . والله أعلم بما يترتَّب على صنيعهم ، ولا أعلم دليلاً ما على تصديق ما يقولون ، وتصويب ما يفعلون ، إلاّ أنّهم يصدُّون الناس عن سبيل الله ويبغونها عوجاً .

فالحاصل أن تسميتهم بقطاع الطريق أصوب من تسميتهم باسم المشيخة ، فإنّا لله وإنا إليه راجعون . فلنرجع الآن إلى ما كنَّا بصَدَده .

والحقيقة ؛ وهي ثالث الأبواب الإلهيّة المذكورة الموصلة إليه تعالى لتكميل الإنسان وكسب العيان . انتهى .

وفي « الفتاوى الحديثيّة » لابن حجر الهيتميّ المكيّ قدس سره : وسئل نفع الله به عن حقيقة الفرق بين الشريعة والحقيقة ، فأجاب بقوله : فُرّق بينهما بفروق ؛ منها : **إنّ الحقيقة** هو مشاهدة أسرار الربوبيَّة ، ولها طريقة هي عزائم الشريعة ونهاية الشيء غير مخالفة له ، على ما يأتي . **فالشريعة** هي الأصل ، ومن ثم شبّهت بالبحر والمعدن واللبن والشجرة ، والحقيقة هي الفرع المستخرج من الشريعة ، ومن ثم شبّهت بالدرّ والتبر والزبد ، ومعنى سلب المخالفة لهما المذكور أنّه ليس بينهما اختلاف في مجاري أحكام

العبوديَّة ، وإنَّما يختلفان في مشاهدة الأسرار الربوبيَّة ، ولا شكَّ أنَّ أهلها متفاوتون في الاعتناء والاهتمام بعلم صفات القلب والأخذ بعزائم الأحكام ، وليس ذلك اختلافاً بينهما ،

وبيّن ذلك اليافعي رحمه الله تعالى بأنّ الشريعة علم وعمل ، والعلم ظاهرٌ وباطن ، والظاهر شرعيّ وغيره ، فالشرعيّ فرض ومندوب ، والفرض عين وكفاية ، والعين ؛ علم صفات القلب وعلم أصل وعلم فرع ، والعمل عزائم ورخص ، والحقيقة مشتملة أيضاً على قسمين : علم وعمل ، والعلم وهبيّ وكسبيّ ، فالوهبيّ ؛ علم المكاشفة ، والكسبي فرض عين وفرض كفاية ، وفرض العين علم قلب وعلم أصل وعلم فرع ، فالكسبيّ الذي هو أحد علم نوعي قسمي الحقيقة هو علم الشريعة ، والعمل الذي هو العزائم مشتمل على سلوك طريق الحقيقة ، والطريقة مشتملة على منازل السالكين ، وتسمّى مقامات اليقين ، والحقيقة موافقة للشريعة في جميع علمها وعملها ، وأصولها وفروعها ، وفرضها ومندوبها ، ليس بينهما مخالفة أصلاً .

نعم هنا شيئان ؛

أحدهما : علم صفات القلب ، فأهل الحقيقة لهم به اعتناء واهتمام جدّاً ، وسلوك طريقتهم موقوف على معرفته ، وتبديلِ صفاته الذميمة ، وأكثر أهل الشريعة يهملون ذلك ويتهاونون به ، مع كونه فرض عين في الشريعة والحقيقة بلا خلاف .

والثاني : الرخص ، فأهل الحقيقة من حيث العلم والاعتقاد لا يشكُّون في حقيقتها ، وأنها من رحمة الله على عباده ، وأمَّا من حيث عملهم ! فإنّما يسلكون شوامخ عزائم الشريعة الغراء إلى الله بتوفيقه وعنايته ، وجميل لطفه وصيانته ، فمنهم من لا يقطعها إلاّ في سبعين سنة ، ومنهم من يقطعها في ساعة واحدة بحسب معونة الله وتسهيله . انتهى من عبارته ٢٢٧ .

الشريعة والمعرفة؛ وهي رابع الأبواب الإلهيّة متلازمان لا يخالف بعضها بعضاً ، فإنّه لا ينفع ظاهر إلاّ بباطن ، ولا يعتبر باطن إلاّ بظاهر ، لأنّه ورد « إنّما الأعمال بالنيات » ، ولا تنفع النيّة أيضاً إلاّ بالعمل ، لأنّ النية شرطه ، مثلاً : إنّ الرجل إذا نوى الصلاة فلم يصلّيها لا تجزؤه عن الصلاة ، وكذا الصلاة لا تجوز إلاّ بالنيّة ، كما بيَّنه الإمام الشعراني في كتابه « الدرّ والياقوت » . انتهى من « هدية الذاكرين » عبارته .

وفسَّر صاحب « مهمّة المريدين » قدس سره لهذه الأبواب الأربعة بهذه العبارات : **الشريعة** : إتيان المأمورات وترك المنهيّات ، **الطريقة** : ترك دنيا وعقباً ، **المعرفة** : ترك ما سوى الله تعالى . انتهى من عبارته .

وفي « الباقيات الصالحات » : **رشحة** ، قال : سمعت مولانا نظام الدين عليه الرحمة يقول : يمكن لنا أن نبيّن الشريعة والطريقة والحقيقة في جميع الأشياء ، فإنَّ الكذب مثلاً منهيٌّ عنه ، فمن حفظ لسانه منه بالمجاهدة والسعي على طريقة الاستقامة ، بحيث لا يصدر عن لسانه باختياره وغير اختياره فهذه شريعة ، ولكن يمكن مع ذلك أن تكون في باطنه داعية الكذب ، فالسعي والمجاهدة في دفع هذه الداعية عن باطنه طريقة ، فإن كان بحيث لايصدرُ عنه الكذب باختياره وبغير اختياره ، لا من قلبه ولا من لسانه فهذه حقيقة . وكان حضرة شيخنا ينقل عنه هذا الكلام في أكثر الأوقات ويستحسنه . انتهى من عبارته ١٣ .

وصلٌ في بيان أنَّ ما يفعله أهل هذه الطائفة النقشبنديّة مستندٌ إلى دلائل من الكتاب ، والسنة ، وآثار السلف ، قال صاحب « هديّة الذاكرين » : **اعلم** أنّ الإنابة هي : إما بمعنى الرجوع ؛ أي : الرجوع من الكفر إلى الإيمان ، أو من المعصية والمخالفة إلى الطاعة ، والموافقة لأمر الله تعالى ، أو من الغفلة إلى ذكر الله عز وجل ، وهذا أمر واجب لقوله تعالى ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ ﴾ الآية ، وإما بمعنى المراجعة ؛ أي : رجوع المكلّفين إلى

المشائخ العالمين لتعلّم كيفيّة الإنابة إلى الله تعالى ، وكيفيّة الذكر على الوجه المسنون ، ولتعلّم أمور الدين . وهذا أيضاً أمر مشروع واجب على المكلّفين لقوله ﷺ « طلب العلم فريضة على كلّ مسلم » ، وبهذا المعنى تعبيرُ العوام بأخذ الإنابة من المشائخ ، وكذا الإنابة إليهم لا غير .

وأمّا الانتساب إلى المشائخ فأمرٌ مشروعٌ ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « اقتدوا باللذيْن من بعدي أبي بكر وعمر ، واهتدوا بهدي عمّار ، وتمسَّكوا بعَهْد ابن أمّ عبد » ؛ أي عبد الله بن مسعود ، ولقوله عليه السلام « العلماء ورثة الأنبياء » ، وقوله « اتبعوا العلماء فإنّهم سرج الدنيا ومصابيح الآخرة » ، لأنّ الانتساب بمعنى الاقتداء والاتباع لمن سلك سبيل الهدى ، وهدى إلى صراط مستقيم . انتهى . قال الله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ﴾ وهي إشارة إلى ذلك ، فإنّ المشائخ لما اهتدوا أهّلوا للاقتداء بهم وجعلوا أئمة المتّقين . انتهى من « عوارف المعارف » للسهروردي عبارته . وورد في الخبر عن رسول الله ﷺ « والذي نفس محمد بيده لأقسمنّ لكم أنَّ أحبَّ عباد الله تعالى إلى الله الذين يحبّبون الله إلى عباده ويحبّبون عباد الله إلى الله ، ويمشون على الأرض بالنصيحة » . وهذا الذي ذكره رسول الله ﷺ هو رتبة المشيخة والدعوة إلى الله تعالى ، لأنَّ الشيخ يحبّب الله إلى عباده ويحبب عباد الله إلى الله ، ورتبة المشيخة من أعلى الرتب في طريق الصوفية ، ونيابة النبوة في الدعاء إلى الله . انتهى من « العوارف » عبارته .

وأما النسبة إلى المشائخ وغيرهم على وجه العرف القديم فهي كما قيل لمن آمن بمحمد عليه الصلاة والسلام واتبعه محمّديّ ، ومن اقتدى بمسلك أبي بكر الصديق في الذكر القلبي يقال له صدّيقيّ ، ومن كان على مذهب مجتهد باطني فيه مثل شاه نقشبند يقال له نقشبنديّ ، وكذا من اقتدى بأبي حنيفة في الأحكام والأعمال يقال له حنفيّ ، هكذا ورد في اصطلاح السلف وعُرْفهم . وتجيء النسبة بمعنى الإسناد ، وورد « الإسناد من الدين » لأنّ عليه مدار المجتهدين ، ومن لا سند له فهو لقيط .

وقال عبد الله بن المبارك : **لو لا الإسناد لقال من شاء ما شاء ، فلا بدّ من الوسائط والوسائل ، فلو لا الواسطة لذهب - كما قيل – الموسوط ،** وللوسائل حكم المقاصد .

وأمّا تعلُّم الذكر من المشائخ فأمر مسنون ، وكذا تعليم المشائخ لغيرهم ، فقد علّم النبيّ ﷺ الذكر القلبي لأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، والذكر اللساني عليّاً كرم الله وجهه ، وهما علماء سائر الصحابة والتابعين . والأحاديث في تعليمه عليه السلام الذكر جماعة وفرادى مشهورة ، ولذا أعرضنا عن ذكرها ، ومن أراد التحقيق فليراجع « هديّة الذاكرين » و« جامع الأصول » وغيرهما ، قال عليه السلام « لا ينبغي للعالم أن يسكت على علمه ولا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله » ، بل لا بدَّ أن يتعلم العلم من أهله .

وأما الأخوَّة واتخاذ الأخوة ، فلقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ الآية ، وقوله ﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ ، ولقوله عليه السلام « تواخوا في الله أخوين » وقد آخى النبيّ ﷺ بين سلمان الفارسيّ وأبي الدرداء رضي الله عنهما ، وكذا بين المهاجرين والأنصار ، وكذا بين الأصحاب مرّتين ، فهذه الأخوَّة أخوَّة خاصَّة فوق الأخوّة العامّة ، وكذلك أخوَّة المريدين المَنْسوبين إلى شيخ واحد ! لقوله عليه الصلاة والسلام « أكثروا من الإخوان » الحديث .

وأمّا البيعة ، فهي بمعنى المبايعة ، وهي والمقاومة والمعاهدة بمعنى ، وذلك جائز في المعاملات الشرعيَّة كلّها ، وأمّا المبايعة على فعل الواجبات والسنن ، وترك المنكرات والبدع فمشروع أيضاً ؛ لأنه عليه السلام فعلها مع الأصحاب مراراً ، مع الذكور والإناث ، فرضي الله تعالى عنهم وأعْلَمَهم رضاه بقوله تعالى ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ ﴾ الآية ، وقوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ الآية ، جعل الله النبيّ ﷺ نائباً عنه تعالى ، وجعل الأصحاب نواباً وخلفاء عن النبي ﷺ ، وكذلك من بعدهم كابراً عن كابر إلى يوم القيامة من غير إنكار نكير ممن آمن بالله تعالى من أهل السنة

والجماعة ، فكذلك نبايع أمّة محمد ﷺ على أداء الفرائض والواجبات ، وردّ المظالم ، واستحلال أصحاب الحقوق ، والأخذ بالعزائم ، وترك الرخص ، مع كمال اتباع السنن ، وتمام الاجتناب عن البدع وأهلها ، ودوام الذكر المأمور به من غير ترك .

ثم اعلم أنَّ المبايعين ثلاثة : الرسل ، والشيوخ الورثة ، والسلاطين ، والمبايع في هؤلاء الثلاثة على الحقيقة هو الله تعالى ، وهؤلاء الثلاثة شهود الله تعالى في بيعة هؤلاء الأتباع ، وعلى هؤلاء الثلاثة شروط يَجْمعها القيام بأمر الله تعالى ، وعلى الأتباع شروط يجمعها المتابعة فيما أمروا به . ولا تجوز البيعة على المعصية أصلاً ؛ لأنّه ورد « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » ، كذا في « روح البيان » .

وأمّا المصافحة عند البيعة وغيرها فمسنون ؛ لأنه ﷺ فعلها مع الأصحاب عند البيعة وغيرها ، دلّ عليه قوله تعالى ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ ، وقال ﷺ « تصافحوا فإنّ المصافحة تذهب بالشحناء » وقال عليه السلام « تمام التحيّة الأخذ باليد والمصافحة باليمنى » ، وقال عليه السلام « إذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله تعالى واستغفراه غفر الله لهما » ، وقال عليه الصلاة و السلام « إذا التقى المسلمان فسلم أحدهما على صاحبه كان أحبَّهما إلى الله أحسنهما بشراً لصاحبه ، فإذا تصافحا أنزل الله تعالى عليهما مائة رحمة ؛ للبادئ تسعون وللمصافح عشرة » . وكان عادة الصحابة إذا تفرّقوا تصافحوا ، رضي الله عنهم .

وأمّا مبايعة النساء وتعليم الذكر لهنَّ ، فهي مشروعة مسنونة بشروطها وآدابها ، لقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ﴾ الآية ، وكيفيَّة المبايعة معهنَّ مذكورة في كتب التفاسير والأحاديث ، والأظهر الأشهر ما قالت عائشة رضي الله عنها : والله ما أخذ رسول الله ﷺ على النساء

قط إلا بما أمر الله تعالى ، وما مسَّت كفُّ رسول الله ﷺ كف امرأة قط ، وكان يقول إذا أخذ عليهنّ : « قَدْ بَايَعْتُكُنَّ » كلاماً .

وأما تعليم الذكر لهنَّ ، فلعموم الأمر به لجميع المؤمنين والمؤمنات بقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ الآية ، كالصلاة والزكاة والصوم وغيرها ، وقال تعالى في حقّهنَّ ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ الآية ، وقال في آخرها ، ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ الآية ، وقال ﷺ « يا نساء المؤمنين عليكنّ بالتهليل والتسبيح والتقديس ، ولا تغفلن فتنسين الرحمة ، واعقدن بالأنامل فإنهن مسؤولات مستنطقات » .

وأما تعليم الذكر للعوام ؛ فلعموم الخطاب قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ ، وقال تعالى ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ الآية ، فعلى العلماء والمشائخ أن يعلموهم أمر دينهم ولا يمنع العلم عن أحد من المؤمنين والمؤمنات من أهل السنة والجماعة ؛ لأنه ورد الوعيد عليه في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ الآية ومرّ هذا ، وقوله عليه الصلاة والسلام « من سئل عن علم فكتمه ألجم من نار » ، وقوله « إنّي أعرف ناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء بمنزلتهم يوم القيامة ، الذين يحبُّون الله ويحبِّبونه إلى خلقه ، يأمرونهم بطاعة الله ، فإذا أطاعوا الله أحبَّهم الله » رواه أبو سعيد . **وكثرة الذكر تستلزم محبّة الله وهو من الأمر بالمعروف ، والأمر بالمعروف واجب حتى على الآحاد** . قال تعالى ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ الآية من « هدية الذاكرين » عبارته .

يقول الفقير : إنّ تعليم الذكر وتلقينه أمر خاص بالمشائخ الكاملين المأذونين ، لا يجوز لأحد من غيرهم أن يباشر على ذلك لسرّ في التلقين ،

وقد مرّ مراراً ، فليلاحظه هنا والله تعالى أعلم . وأمّا الذكر مطلقاً سواء كان سرّاً وجهراً باللسان أو بالقلب فمشروع بالاتفاق ، وإنّما الخلاف في الأفضليّة والأولويَّة ، قال عليه السلام « السرّ أفضل من العلانية والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء » رواه ابن عمر .

وأمّا التوجُّه : أي : توجُّه المشائخ إلى المريدين ، فهذا أيضاً أمر مسنون مخصوص كماله بأهل الطريقة وأرباب الحقيقة ، ونفْعُهُ مشهودٌ لأهله ، لقوله عليه الصلاة والسلام « جالسوا العلماء وزاحموهم بركبكم ، فإنَّ الله يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء » ، ولقوله « ما صبّ الله في صدري شيئاً إلاّ وصببته في صدر أبي بكر » ، وقوله عليه الصلاة والسلام « خير جلسائكم من ذكّركم الله رؤيته ، وزاد في علمكم منطقه ، وذكَّركم الآخرة عمله » .

ولقد كان عمر رضي الله تعالى عنه مع جلالة قدره يجلس بين يدي أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ويقول : يا أنس كنتَ خادم رسول الله ﷺ ومن آل بيته ، والله تعالى أعلمكم شأن المنافقين كما قال تعالى ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ** ﴾ الآية ، فانظر يا أنس ، هل تجد في قلبي أثر النفاق ، فبكى أنس من شدَّة خوف عمر من النفاق ، فبكى معه عمر أيضاً ظنّاً منه أنَّ بكاء أنس لرؤية النفاق في قلبه ، ثم قال أنس : يا عمر ! لا تبك ، وإنَّما بكيت أنا من شدَّة خوفك من النفاق وعدم أمْنِكَ منه ، **فقال عمر : يا أنس ! من أَمِنَ من النفاق فهو منافق ، فلا يأمن مكر الله إلاّ القوم الخاسرون** . ومعلوم أنَّ هذا نفاق رياء لا نفاق شرك ، كذا في « الفتاوى العمريّة » . وقيل هذه القصّة مع حذيفة اليمان صاحب سرِّ رسول الله ﷺ .

قف على بيان التوجهات

وقال الشيخ سليمان الزهدي في « صحيفة الصفا لأهل الوفاء » : **التوجّه** ؛ وهو أن يلاحظ قلبه تحت قلب المرشد يسيراً ، ولطائفه كذلك ، أي : أهل لطائف ، وينتظر بواسطته الفيض ، ولو أهل نفي وإثبات كذلك . انتهى من عبارته .

وقال في هامشه : وفي الأثر : « **إنّ جبرائيل عليه السلام توجّه النبيّ ﷺ في غار جبل حراء** » . انتهى عبارته ٦ .

وفيه أيضاً : **والنبيّ ﷺ توجّه أبا بكر ﷺ في غار جبل ثور** .

وفي هامش « نهجة السالكين » : أوّل توجهٍ من جبريل إلى النبي ﷺ ثلاث مرّات ؛ **مرة** للتخلية ، **ومرة** للتحلية ، **ومرّة** لإلقاء الوحي . وفي غار ثور توجَّه النبي ﷺ إلى الصديق الأكبر ﷺ ، وهو التوجُّه الواصل المعنعن إلى السادات النقشبندية . انتهى من عبارته ٢٧ .

والحاصل : إنَّ التوجه من النبي ﷺ إلى الصديق الأكبر ﷺ ، ومنه إلى المشائخ الكرام قدس الله أسرارهم سحاب الفيوضات ، وقلوب المشائخ ميزاب الحكمة والعرفان ، من انتظر بالصدق وصل ومن انتهى بالغفلة زهل . انتهى من عبارته .

وأما الذكر والختم والحلقة بالجمعيَّة والجماعات فمشروعة مسنونة ، لقوله تعالى ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم﴾ ، ولقوله عليه الصلاة والسلام « ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجلَّ لا يريدون بذلك إلا وجه الله إلا ناداهم مناد من السماء : قوموا مغفوراً لكم قد بُدِّلت سيئاتكم حسنات » ، ولقوله « إنّ أهل الذكر ليجلسون إلى ذكر الله تعالى ، وإنَّ عليهم من الآثام مثل الجبال ، وإنهم ليقومون ما عليهم منها شيء » رواه أحمد في الزهد عن ثابت البناني ، ولقوله « إذا مررتم برياض الجنّة فارتعوا » قالوا : يا رسول الله وما رياض الجنّة ؟ قال « حلق الذكر » ، ولقوله « إن لله تعالى

سيارة من الملائكة يطلبون حِلَق الذكر ، فإذا أتوا إليهم حفّوا بهم ، فيقول الله : غشوهم برحمتي فهم الجلساء الذين لا يشقى بهم جليسهم » أخرجه البزار عن أنس ، ولقوله كما في الصحيحين وغيرهما « إنّ لله تعالى ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا : هلمّوا إلى حاجتكم ، قال : فيحفُّونهم بأجنحتهم إلى سماء الدنيا ، فإذا تفرّقوا عرجوا إلى السماء » . الحديث .

وأما تخصيص العدد في الختمات والذكر والصلاة فمشروع أيضاً لقوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل « يا معاذ ، كم تذكر كلَّ يوم ، أتذكر عشرة آلاف مرة ؟ » الحديث . وقوله عليه الصلاة والسلام « من صلى عليَّ في يوم مائة مرَّة قضى الله له مائة حاجة ؛ سبعين منها لآخرته وثلثين منها لدنياه » ، وقوله عليه الصلاة والسلام « من قرأ قل هو الله أحد ألف مرَّة فقد اشترى نفسه من الله عز وجل »[١] .

وأما غلق الأبواب والكوّات عند ختم السادة النقشبندية العلية ؛ فلئلا يشغلهم الناظرون عن الحضور والخضوع والخشوع ، ولدفع الخواطر ، فهذا أمر مسنون لما روى أحمد بن حنبل في مسنده عن شداد بن أوس بإسناد حسن ، قال : كنا عند النبي ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام : « هل فيكم غريب » يعني : أهل الكتاب أو من لم يطَّلع بَعْدُ على أسرار الشريعة . فقلنا : لا يا رسول الله ، فأمر بغلق الباب ، فقال : « ارفعوا أيديكم وقولوا : لا إله إلا الله » فرفعنا أيدينا ساعة ، وقلنا كذلك (لا إله إلا الله) ، ثم وضع رسول الله ﷺ يده ووضعنا ، ثم قال « **الحمد لله اللهمّ إنّك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني**

---

(١) وفي « تحفة المريد » على « جوهرة التوحيد » ما نصه : قد أخرج البزار عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً « من تلا قل هو الله أحد ، مائة ألف مرة ؛ فقد اشترى نفسه من الله تعالى ، ونادى مناد من قبل الله تعالى في سمواته وفي أرضه : ألا إن فلاناً عتيق الله ، فمن له قبله تباعة فليأخذها من الله عز وجل » . وظاهر ذلك تكفير الكبائر بهذا أيضاً ، وهذه هي القيامة الكبرى . انتهى عبارته ١١٠ .

بها ، ووعدتني عليها الجنة ، وإنّك لا تخلف الميعاد » ، **ثم قال « ألا أبْشروا فإنَّ الله عزَّ وجلَّ قد غَفَرَ لكم »** الحديث . وهذا أمر مرغوب في كثير من العبادات ، وذلك أجمع للحواس على القلب وأبلغ في الحضور ، **وكما تكره الصلاة تلقاء وجه الرجل وخلف النائم والمتحدّث عند الحنفيّة والمالكية ، يكره الختم في حضور غير المنتسبين لهذه الطريقة العليّة ، وكذا ترك الأبواب مفتوحة ، وهو من آدابهم القديمة .**

وأمّا منع غير المنتسبين لهذه الطريقة من الختم ؛ فلأن هذا الختم أمر مخصوص مشروط بأهل هذه الطريقة العلية ، ليس لأحدنا تبديل طريقتهم ، وآدابهم ولا تغييرُها ؛ ولأنّ العمل لا ينفع إلا بالعلم ؛ ولأنّه لا فائدة في دخوله الختم من غير تعلّم ورخصة ، **لأنَّ كلَّ واحد يقبل على شغله وذكره ، ويقرأ في نفسه سرّاً ، لا يسمعه غيره حتى يستبعد منه ، بخلاف ختمات سائر الطرق** ، ولأنه لا فائدة لهم في إدخاله الختم ، بل ذلك مضرٌّ له ولهم لعدم رعايتهم الأدب ، وإن كان ممن يقرّ هذه الطريقة ويريد بدخوله العبادة والقربة ! فلا بدَّ له أوّل أمره من الانتساب والتعلُّم من أهله ، وإن كان مراده التفرج وإمرار الوقت وتضييعه فهذا لا يجوز ، وإن كان مراده الاستخفاف والاستهزاء بالذاكرين **فهذا كفر ، وعلى كلِّ حال منعه أولى صيانة له ولهم .** انتهى من « هدية الذاكرين » عبارته .

يقول الفقير : ولهذا دليل آخر لم يذكر صاحب « هديّة الذاكرين » وهو : أنّ الصحبة مع الأجانب والأغيار موجبة لفتور النسبة وحصول الغفلة وظهور التفرقة ، كيف لا ؟ ! وقد قال في « الباقيات الصالحات » : **إنَّ صحبة أهل هذه النسبة بغير هؤلاء الطائفة الذين غلبت عليهم هذه النسبة في بداية حالهم سبب لفتور عظيم في النسبة ، ولو كان من أهل الزهد والتقوى ، وهذا الكلام ليس بإنكار للزهد والتقوى ، فإنهما في غاية الصفا والنورانية . ولكن لما كان الغالب على أهلهما نسبتهما تحصل تلك النسبة في صحبتهم لأهل نسبة هؤلاء الطائفة أيضاً ، فيبقى خالياً عن نسبة هؤلاء الطائفة التي**

هي فوق جميع النسب ، فإنَّ الحكم للغالب . فإن كان حال صحبة أهل الزهد والتقوى كذلك فما ظنُّك في تأثير صحبة الأشقياء والأجانب ، وفيما يحصل منهم من النسب الظلمانيّة ؟! . انتهى من عبارته . حتى أنّ بعض المشائخ كان حين السماع يغلق باب الزاوية ولا يدع أجنبيّاً يحضر معهم وكانت تحصل لهم مواجيد عظيمة . ففي بعض المجالس لم يحصلوا على شيء من ذلك ، فقال لهم الشيخ : انظروا هل فينا أجنبيّ ؟ ! فقالوا : لا ، فقال : هل فينا آثار أجنبيّ ؟ فوجدوا نعلاً مبدلة بنعل الأجنبيّ ، فأخرجوها فعادوا لمواجيدهم . انتهى من هامش « ترصيع الجواهر » عبارته . وهكذا وجد عند آخرين عصا أجنبيّ ، وعند آخرين لباس أجنبيّ ، فتشوّشوا لذلك ، ولم يطيقوا لذلك الجمعيّة وإذهاب التفرقة حتى يطرحوهما خارج الزاوية . وتحقيق ذلك مبسوط في كتاب « سلسلة اليواقيت في سير المشائخ » .

وبيان ترتيب الختم الخواجكانيّة هذا : استغفار ٥ ، رابطة شريفة ، سورة[١] الفاتحة ٧ ، صلواة شريفة ١٠٠ ، ألم نشرح لك ٧٩ ، سورة الإخلاص ، سورة الفاتحة ٧ ، صلواة شريفة ١٠٠ ، بعده عشر شريف[٢] ، بعده دعاء . انتهى من « هديّة الذاكرين » عبارته .

وقال سليمان الزهدي في كتابه « صحيفة الصفا » : ومن المهمات ختم الخواجكان قدس سرهم ، ويكون محلّه مسدوداً بالباب ، ومستوراً عن الناس ، وشرطه بعد الرابطة والوقوف ؛ مراعات الأعداد المعيّنة ، وإذا ذكر اسم السادات في الدعاء يستمدُّ منهم بحصول المقصود من الأعمال والآداب . انتهى من عبارته ٦ .

وقال في هامشه : ولا بدّ من مراعات الأعداد المعينة لنيل المقصود ، فإنها أسنان مفاتح خزائن الغيب ، **وإن كان في محلّ خمسة إخوان فلا**

(١) بقدر سورة .
(٢) قوله (بعده عشر شريف) : لم أفهم المراد من هذه العبارة ولم أجده في سائر الكتب (منه رحم الله إفلاسه) .

يتركوها ، وإن كان أقلَّ منها فمخيّر فيها ، ولا يتعدد محلّ الختم في بلدة واحدة كي لا يفتن ، إلا إذا كانت البلدة كبيرة بحيث لا يمكن الاجتماع في محلٍّ واحدٍ . لا بأس[1] به .

ومبدأ مشائخ الخواجكانيّة من عبد الخالق الغجدواني قدس سرّهم ، فإنهم يجتمعون على قراءة هذه الختمة الشريفة لفتح المهمات ودفع البليات ، فإن أهم المهمات فتح الوجودات الظلمانية الحيوانية ودفع ظلماتها ، وصيرورتها إلى نورانيّ الإنسان الحقيقيّ المرآة الذاتية ، وتوفيق الرضا ، وإذا شرع ينوي بذلك بأمداد السادات الكرام ، وبشفاعة سيد الأنام ، ولا يترك في أوّل السور البسملة الشريفة ، وهي مشتملة على أسرار عجيبة ، ومحاسن غريبة ، ومحتوية لمعان لطيفة في ترتيبها ، ليس هذا محل التفصيل والبيان ، وهي ضيافة الأرواح الفاضلة ، وحلقة البررة الكرام ، وممرُّ الكروبيِّين ، ومنظر القدسيين . من ذاق ما تركها ومن كسل زهلها ، اللهم اجعلنا مستقيماً ولا تجعلنا سقيماً على الحق ، آمين . من عبارته ٧ .

ومما يلزم قراءته في هذه الطريقة ختم الخواجكان ، وفي قراءته فيض كثير وفضل عزيز ، فقد لازم بقراءته الخواجكان قدس الله أسرارهم في كلّ ليلة الاثنين وليلة الجمعة ، وهو مرويّ عن الحسن البصريّ ، **ولكن لملازمة الخواجكان بقراءته أضيف إليهم .**

فشروط قراءته : أن يكون قارئه من أهل هذه الطريقة العليَّة ، أو مأذوناً منهم بقراءته ، وأن يكون متوضئاً جالساً على ركبته في مكان طاهر متوجهاً إلى القبلة ، وأن يراعي الترتيب والعدد بحيث لا يقدم بعض ما يقرأ فيه على البعض ولا يزيد ولا ينقص في العدد ، وإن كان مع الجماعة تقسم العدد عليهم ، وأن يستحضر روحانيّة الخواجكان قبل الشروع فيه ، ويقرأ هذا : اللهمّ يا مفتّح الأبواب ، ويا مقلّب القلوب والأبصار ، ويا خالق

---

(١) وإن كان كذلك لا بأس . علّه .

الليل والنهار ، ويا دليل المتحيِّرين ، ويا غياث المستغيثين ، توكّلت عليك يا ربّ العالمين ، وأفوّض أمري إلى الله إنَّ الله بصير بالعباد ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم ، سبحان ربِّك ربِّ العزّة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربِّ العالمين . ثمَّ يقرأ الفاتحة مع البسملة سبع مرات ، ثمَّ يصلي على النبي ﷺ مائة مرة ، ثمَّ يقرأ سورة ألم نشرح لك مع البسملة تسعاً وتسعين مرة ، ثمّ يقرأ سورة الإخلاص مع البسملة إحدى وألف مرة ، ثم يقرأ الفاتحة مع البسملة سبع مرات أيضاً ، ثم يصلّي على النبي ﷺ مائة مرّة ، ثم يهب ثوابه لرسول الله ﷺ ولأصحابه الخواجكانية النقشبنديّة ، وهذا أحسن ، ثم يرفع يديه ويدعو الله ويتوسَّل به إلى حصول مقصوده ، **ويأكل بعد الفراغ عن الدعاء بعضاً من الحلويات كالتمر والزبيب** . انتهى من « سلسلة الخواجكان » عبارته .

وله آداب؛ منها : تغميض العينين ، والاستغفار خمساً وعشرين مرَّة أوَّله ، والجلوس متوركاً عكس تورك الصلاة . انتهى من « البهجة » عبارته ٥٨ .

والأحسن أن يدعو بالدعاء المنقول عن جناب حضرة سيِّدنا وشيخنا المكرم ، قدس الله تعالى سره وأفاض علينا فيضه وبرَّه ؛ وهو : بسم الله الرحمن الرحيم اللهمّ يا حيُّ يا قيُّوم يا بديع السموات والأرض ، يا مالك الملك ، يا ذا الجلال والإكرام ، صلِّ على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أفضل صلواتك عدد معلوماتك ، وبارك وسلم كذلك ، وأوصل مثل ثواب ما قرأناه وما قرأه أحد من المؤمنين والمؤمنات عموماً ، والمنتسبين إلى الطريقة النقشبندية خصوصاً ، في آفاق العالم ومشارق الأرض ومغاربها ، بعد القبول إلى روح كل من صار سبباً لقراءته ، ولكل من الحُضَّارِ ، وآبائهم وأمهاتهم ، وكل مؤمن ومؤمنة وكل وليٍّ ووليَّة ، وكل من سادة السلسلة النقشبنديَّة والقادريَّة والسهروردیَّة والكبرويَّة والچستيَّة ، وكل من آباء كلّ ، وأمهاته ومشائخه وخلفائه ومريديه ومنسوبيه ومحسوبيه المؤمنين والمؤمنات إلى يوم الدين ، وثواباً مثلَ أضعافا ذلك ، كما تحبّ وترضى إلى ساحة

سيد المرسلين ، وخاتم النبيّين سيِّدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وصحبه وسلم ، وإلى روح كلٍّ من آله وأولاده وأزواجه وأصحابه وإخوانه ، من النبيِّين والصديقين والشهداء والصالحين وآل كل أجمعين ، واحشرنا معهم بفضلك آمين ، برحمتمك يا أرحم الراحمين ، وصلِّ وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أبد الآبدين في كلّ لحظة وحين ، والحمد لله رب العالمين . انتهى من « البهجة » عبارته ٥٨ . ولا يحرك أعضائه حالة الذكر وختم الخواجكان غير الأصبع الذي يجر السبحة به ويعدُّ ، ولا يتأوّه ولا يَأَنُّ .

مطلب مهم غفل عنها بعض المريدين

ولا يصيح بالحالات والفنايات ، وكلُّ ذلك مدخل للشيطان وحظوظ النفس ، وكثير من الناس يحسبون أنها جذبة وليس كذلك كما مرَّ . ويهتمُّ المرشد منع ذلك ، وسبب ذلك إما الجهل عن الأصول أو ادعاء العشق ، وليست طريقتنا طريق العشق والهيجان ، بل طريقتنا طريقة العبودية والسكينة ، وأهلها معشوق ومحبوب للاستقامة في الاتباع والعبودية لذاته ورضائه . انتهى من « نهجة السالكين » و« بهجة المسلكين » عبارته ٢٥ .

عن ابن عباس رضي الله عنهما : « تحريك الأصابع في الصلاة مذعرة[١] للشيطان » ، **وكذلك في الذكر غير الأصبع الذي يجرُّ السبحة** . عن جابر وأبي الدرداء رضي الله عنهما : « من عمل ببدعة حلاه الشيطان في العبادة وألقى عليه الخشوع والبكاء » **المراد بالبدعة مخالف الشرع ، وخلاف أصول الطريقة الخشوع والبكاء ، ومع موافقه الشرع والأدب من الرحمن** . انتهى من هامشه عبارته ٢٧ .

وقد ألجأني إلى تأليف هذا الكتاب أمور ؛

(١) ذعره : أفزعه . « مختار » .

منها : كتابة واحد من العلماء المتنسبين في زعمه إلى هذه الطائفة ردودات في زعمه على ديباجة كتابنا « الدرة البيضاء في ردّ البدع والأهواء » وهو الباعث الأوّل إلى التأليف ، وقد خطِئ ذلك العالم في تلك الردودات ، **فوجب على من أدرك الصواب أن يحاجَّ به على المخطئ** ، كيف لا ؟! وقد قال تعالى ﴿وَجَـٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ . وفي « البيضاوي » في تفسير هذه الآية : لأن مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف . انتهى من عبارته ؛ وهو قول نفيس ، لكن ولو وجدت من يتصدَّر للاحتجاج ، ويُظهر الحق من الباطل والصواب من الخطأ ، لما أظهَرْتُ من نفسي مما عندي من العلوم ولو شيئاً ، ولو لم أجد في الكتب أن الكتاب الذي لم يذكر فيه اسم مؤلفه لا ينتفع به لما كتبت اسمي في صدر الكتاب ، لما أني لم أكن أهلاً للتصنيف .

ومنها : إعانة الإخوان المتنسبين إلى هذه الطريقة في دلالتهم إلى هذه الآداب المذكورة ، وصيانتهم من الشك والشبهة فيها .

ومنها : حماية إخواننا المؤمنين عن الوقوع في الخطأ والطعن في تلك الطريقة وأربابها ، وقد ورد : « لا يطعن في العلماء إلا قلب فاسق » ، وورد في الحديث أيضاً « إذا لعن آخر هذه الأمة أوّلها فمن كان عنده علم فليظهره ، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد » رواه جابر .

ومنها : الذبُّ عن هذه الطريقة وأهلها ما لم يكن أربابها يستعملونها بإظهار ما ورد فيها بلا تغيير ولا تحريف ، وأرجوا من الله تعالى أن يسلكني في سلك من أحيا السنة ، وأمات البدعة ، وهو الجواد الكريم .

قال الشعراني في « لواقح الأنوار » : إنه ﷺ يحب من يُبلِّغ سنته التي اندرست إلى من يجهلها من أمته ، ومن أحبه ﷺ حشر معه ، لقوله ﷺ : « يحشر المرء مع من أحبَّ » ومن حشر مع النبي ﷺ لا يلحقه في مواقف يوم القيامة كُرَبٌ . انتهى من عبارته ٤٩ .

فالآن حان أن نعرض عن الكتابة ، ونفرغ للتوجه إلى الله سبحانه ، وقد كثرت بسبب هذا التأليف الخواطر ، واستولت على سويداء القلب الهواجس ، فأستغفر الله من قول بلا عمل ، ودعوى بلا علم مع تقصير فيه وخلل ، ومن كل خطر دعاني إلى التصنّع والتزيّن في كتاب سطرته أو كلام نظمته أو علم أخذته ، ومن كلّ ما زلّ به القدم ، وطغى به القلم ، وأسأله أن لا يجعله وزراً ووبالاً ، وأن يجعله سبب عفو وغفران ، وحاشا أن أعدَّ لنفسي من المؤلِّفين ، بيد أني جمعت أقوال المصنِّفين ونقول العلماء العارفين ، وليس لي في ذلك نسبة مّا سوى أني حركت القلم ، فالمرجوّ ممن اطلع إلى هذا الكتاب أن يصلح ما خطأ ، ويقيم ما عوج ، ولا ينظر إلى من قال ، وينظر إلى ما قيل ، امتثالاً لما ذكره السيوطي في « الدرر المنتثرة » من أثر : لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال . انتهى من عبارته . وأطلب منه أيضاً الدعاء لي وخاصة لأستاذي ، فإنه روح جسدي ، ونور بصري ، ولا يخفى أنّ كلّ من اطلع هذا الكتاب وتبين جميع ما فيه ولم يرجع بَعْدُ من إنكاره على هذه الطائفة النقشبندية فقد تحقّق أنّ داءه معضل ، ولا علاج له سوى أن نقول له سلام .

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه أجمعين . قد تمّ التأليف في ليلة السبت من محرم هذه السنة ١٣٢٣ ، واستراح القلب من نكدة تزاحم الخطرات ، فأسأل الله تعالى أن يجعله نافعاً للعباد ، ووسيلة للاتصال بمراتب أهل الإيصال ، وليس في انتسابي إلى سلك ساداتنا النقشبندية مناسبة ما قط ، إلا رجائي وحسن ظني بحسن رجائي .

فالحاصل أن شرح أحوالي هذه الأبيات :

لست أهلاً لوصلهم فظلامي　　　حائل أن يحلّ منهم ضياء

هجروني ولست أنكر أني　　　لم أزل مذنباً وكلي خطأ

غير أني التجأت قدماً إليهم ... وعزيز على الكرام التجاء
ورجوت النوال منهم وظني ... بل يقيني أن لا يخيب الرجاء
إن أكن مذنباً فهم أهل عفو ... وعلى الكون إن رضوني العفاء
أو أكن أكدر المحبين قلباً ... فلمثلي منهم يكون الصفاء
أو يكن في الفؤاد داء قديم ... فلديهم لكل داء دواء
أو أكن فاقداً فعال محبّ ... فلقلبي على الوداد احتواء
أو يروْني أفلست من عمل البر ... فمنهم نال الغنى الأغنياء
أو أكن مثرياً ولست بهذا ... فمع الهجر ما يفيد الشراء
أو أكن نازح الديار فمنهم ... لحظات تدنو بها البعداء

فالحمد لله أولاً وآخراً ، سراً وجهاراً ، ليلاً ونهاراً ، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه ، بعدد من صلّى عليه ، وبعدد من لم يصل عليه ، وبعدد ما صلى عليه ، ورضي الله تعالى عن ساداتنا النقشبندية العلية أبي بكر ، سلمان ، قاسم ، جعفر ، طيفور ، أبو الحسن ، أبو علي ، يوسف ، عبد الخالق ، عارف ، محمود ، علي ، محمد بابا ، أمير كلال ، محمد نقشبند ، علاء الدين ، يعقوب ، عبيد الله ، محمد زاهد ، درويش محمد ، خواجكي ، محمد باقي ، أحمد ، محمد معصوم ، سيف الدين ، نور محمد ، حبيب الله ، عبد الله ، خالد شاه ، محمود أفندي ، يونس ، جبرائيل أفندي ، عبد الرحمن العسلي ؛ قدس الله أسرارهم ورزقنا من فيوضاتهم وبركاتهم :

اللهم اجلبنا إلى محبتك ، ومحبّة أوليائك ، وأمتنا على السنة والجماعة ، وارزقنا التوفيق والاستقامة ، واجعلنا مقبولين عند هؤلاء الأكابر بحرمة سيد السادات ، عليه أفضل الصلوات وأزكى التحيات آمين .

يا ربِّ يا وَهَّابُ هَبْ لِي مِثْلَهُمْ ... من الجَذْب والتوْفيقِ والعفو والغفران

يا رَبِّ يا وهَّابُ هَبْ لِي مِثْلَهُمْ من الجَذْب والتوفيق والعِلْم والغُفْرَان

يا ربّ يا وهَّاب هَبْ لِي مِثْلَهُمْ من الجذب والتوفيق والعشق والإحْسَان

يا ربّ يا وهَّاب هَبْ لِي مِثْلَهُمْ وَجَذْبٍ به أسْبَقُ الأحْباب فِي التَّدَانِي

قد وقع الفراغ من كتبة هذا الكتاب المسمى « بالجوهرة النفيسة في إعانة الطريقة النقشبندية »

بيد عبد الفقير محمد ولد العالم المرحوم الحاج أحمد البدوي الخزنوي

في يوم الثلاثاء من شهر صفر ١٣٨٤ سنة .

الفهرس

الدرّة البيضـآء

فى ردّ البدع والأهواء

لحسن أفندي القحيّ

قدس سره

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله خير الأسماء ولله الحمد والثناء والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله المجتبى .

أما بعد فيقول الحقير الفقير حسن ابن العالم الحاج محمد القحي ، خادم فقراء الزاوية ، السالك في سلك أصحاب الشيخ العالم الرباني ، والعارف الصمداني الحاج عبد الرحمن العسلي ، قدس الله سره ورزقه العافية في الدارين آمين .

لما وجدنا أهل هذه الطريقة النقشبندية العلية وقعوا في هذه الديار الداغستانية غرباء بواسطة شيوع البدعة ، فمن ذلك اخترع أبعاض أهالي هذه السلسلة بواسطة قصور نظرهم بدعات ، وجذبوا قلوب الناس إلى جوانبهم بعلاقات ارتكاب تلك البِدَعَات ، وظنوا هذا العمل منهم تكميلاً لهذه الطريقة حاشاه وكلاّ ؟ !

بل هؤلاء الجماعة يجتهدون في تخريب هذه الطريقة وتضييعها ، ولم يدركوا حقيقة معاملة أكابر هذه الطائفة ، هداهم الله تعالى إلى كل ما فيه صلاحهم في الدارين آمين .

وسمعنا أن أكثر المتشيخين - سامحهم الله تعالى عنهم - يجرّون[١] الأغيار إلى جوانبهم بالأقوال المموّهات والحيل الباطلات عياذاً بالله تعالى عن هذه الغرورات ، خصوصاً لجرّ الأغنياء لمجرّد غناهم أو لتكثير سواد مريديهم ليشتهر بهم اسمهم بين الناس ، وأكثرهم يزعمون بالمشيخة مع عدم سلوكهم في الطريقة من شيخ كامل وليس في أيديهم صكّ الإجازة المقبولة ، بل ليس أشياخهم في دعواهم سالكين ومأذونين من شيخهم بيقين ، لكنهم تصدروا للإرشاد بأنفسهم .

(١) وفي نسخة : مريدي الأغيار .

وزعم بعضهم أن مُشَيْخَتَهُ من النبي عليه السلام ، وأنه أخذ منه عليه السلام بلا واسطة .

وبعضهم أن روحانية الكامل أذن له في المنام .

وبعضهم يقول : إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل أحد ، وإن ما يفعله من تلقين الأذكار وتعليم أمور الشرع يجوز ولا مانع منه .

وبعضهم يقول : إن تلقين الذكر القلبي على قاعدة النقشبندية حرام للعوام ، ولا يجوز ذلك إلا لمن صارت نفسه مطمئنة ، ويكفي الذكر اللساني للعوام . ولا يُجَوِّزُ لأحد الدخول فى الطريقة إلا له[1] ومع ذلك يلقن هو للمريدين الأذكار اللسانية ويسمّيها شريعة ، ويسمّي الذكر القلبي طريقة ويمنعه .

وهكذا لما ظهر في ديارنا الداغستانية أبعاض كثير من المتصدرين للإرشاد والمغيرين لأصول الطريقة النقشبندية ؛

فمنهم من يلقن الذكر اللساني ثمّ إذا أنكر عليه الطائفة النقشبندية يقول : إن تلقينه هذا لمجرد حصول الاستعداد للمريدين ، ولا يدعي على أصل الطريقة وأذكارها ، بل يقرّ عليها وعلى جواز تلقين الذكر القلبي وما بعده بعد حصول الاستعداد - وهذا القول من هذا البعض قول صادق مقبول عند النقشبندية ولا يلقنونه ابتداء لكل واحد ، بل يستعدون بعض الطالبين نحو شهر أو أكثر أو أقل على اختلاف مراتبهم بتعليم الرابطة والصلاة والاستغفار ويلقنون لهم بعد ذلك الذكر القلبي - لكن إذا ردّ عليه : كيف لا يتمّ الاستعداد ولو لواحد من المريدين وفيهم من مضى مذ زمن أخذ الطريقة عشر سنين أو أكثر وفيهم المأذون للإرشاد ؟ ! فلا يجد له جواباً بل يسكت ويخرس ، كما يأتي إن شاء الله تعالى .

---

(١) أي : لمن صار نفسه مطمئنة .

ومنهم من يزعم بأن في يده إذن من سادات القادرية مع أن شيخه في زعمه نقشبندي .

ومنهم من استعمل الأذكار على جميع اللطائف بنفسه وادّعى حياتها فتصدر هو بنفسه للتلقين والإرشاد .

ومنهم من تشيّخ بلا دليل مقبُول . وسبب مشيخته هذه : أنّ هذا المسكين سمع أن شيخه مات ثم ذهب إلى قريته للتعزية فتفحّص عن المأذون له فلم يوجد ، ثم قيل له سمعنا أن في ناحيتكم من هو مأذون له من طرفه ولم يعيّنوا ، فظنّ هذا المسكين أن هذا الذي أذن له شخصه ونفسه ثمّ شاور مع عالم من علماء ناحيته في حقه فمنعه ذلك العالم من ذلك فلم يستمع قوله ، فتصدّر لإرشاد الناس وتلقين ما أراده واختاره على خلاف ما كان عليه شيخه النقشبنديّ .

ومنهم من يجوز أن يتصدّر للإرشاد بلا خلاف لأنّه كان عالماً متبحّراً ومأذوناً له من قبل شيخه لكنه لم يمش على ما مشى عليه شيخه النقشبندي ، وتبدّل الأذكار وتغيّر قواعد الأوراد قائلاً : إنه لا يستطيع أن يتوجّه لكلّ من جاءه من المريدين كما هو شرط في الطريقة النقشبندية ، فإن منعهم رجعوا آئسين ، وإن لقن لهم ذكر اللسان رجعوا طامعين مسرورين ظانين أنهم مقبولون وصاروا بذلك مريدين فيتركون المعاصي ويلازمون الأوامر .

ومنهم من يرسل الأوراد إلى البعداء ويلقن الأذكار بخلاف ما كان عليه أهل الإرشاد الصلحاء .

ومنهم من تشيخ بلا حجة مقبولة وسبب مشيخته هذه : أعطى واحد حين موته لولد شيخه عصاه وعباءه ، ثمّ قيل له : إنّه أذن له للتلقين وتلك الوصية أمارة على ذلك ، ولم يكن هذا الولد وقتئذ داخلاً في الطريقة

وعالماً بكيفية التلقين فاهتمّ هذا واغتمّ ثمّ اعتزل عن الناس وراض نفسه وجوّع بطنه وتهيّأ للتصدر والإرشاد ، فجاء واحد لديه ليطلب منه ورداً فتحيّر وتردّد ولم يعلم ما يلقّنه وجهل ما يفعله فسأل أخاً له في الدين أيّ شيء أعلّمه ، وأيّ ورد ألازمه ، فقال : قل له : أذكر لا إله إلا الله كذا وكذا مرة ، واستغفر الله كذا وكذا مرة ، وصلّ على النبي عليه السلام كذا وكذا مرة ، ثم عوّل هذا المسكين أمر تلقين التوبة إلى هذا الأخ المذكور ولقن لهذا الجائي وذهب هو إلى مكانه مسروراً وبعد ذلك اشتهر مشيخته فى النواحي والتجأ إليه الأبعاض من أطراف البوادي واعتقد الناس فيه وظنوا أن ليس على وجه الأرض شيخ مثله هكذا أخبرني من كان معه حين إعطاء العصا والعباءة إلى يده ، وهذا هو الذى شاوره هذا البعض في حق التلقين وعوّل اليه أمر تلقين التوبة لمريده . انتهى .

ومنهم من يلقن الأذكار كما ذكرت ، ويقول إذا قيل له : لقّن الأذكار السلوكية على قاعدة النقشبندية ! : لا إذن لي فى ذلك ولا رخصة ولا يجوز أن أفعل ما لا رخصة لي . انتهى .

فهذا هو أحسنهم قولاً وإن كان فى صنيعه شَيْناً هداه الله تعالى إلى ما يرضاه .

ومنهم من تصدر بلا إذن من الكمّل وأظهر من نفسه الكشف والكرامة ليتوجّه إليه وجوه الناس بالوقارة ويعتقدوا فيه بالخصوصية[١] مع أنه فى الحقيقة لم يشمّ رائحة من الخلوصية ، حتى قال بعض من الثقات فى هذا الزمان أنه كانت له زوجة وكانت تخرج من البيت إذا جاء لديه مريد أو غيره فتمنعه من الدخول عليه فجأة قائلة : إنه على

(١) الخصوصية :ظهور الكرامة على يد واحد من الناس . والخلوصية : الخلوص من شوائب الذمائم القادحة في العبادة والاتصاف بصفة الإخلاص بلا حظّ من الحظوظات . (منه رحمه الله ، إفلاسه) .

ورده فيجب الإمهال إلى فراغه . فتسأله عن اسمه واسم قريته وعن كونه عالماً أو جاهلاً ، ثم كانت تدخل إلى بيت فى جانب حجرته وتخبره مطّلعة من الكوّة أن هذا الرجل الجائي اسمه هذا ، واسم قريته هذا ، وأنه عالم أو جاهل ، ثم يأذن للدخول يقول له : مرحباً يا فلان من قرية فلانية ، و يذكر اسمه واسم قريته ، ويلاقيه بوجه طلْق ، فيظنّ هذا أن ذلك علم بكشفه ، ولا يعلم ما فعلَتْ زوجته فيعتقده ويذكره فى المحافل والمجامع . فهذا أسوؤهم حالاً ، وأغرّهم ناساً ، إنا لله وإنا إليه راجعون . فما أعظم ما حلّ بهذه الأمّة المحمّديّة في هذه الديار الداغستانية بانتشار هذه البدعات والاختراعات كيف لا ؟ ! وقد قال تعالى ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ الآية .

وفي تفسير سلمى في تفسير قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ قال يوسف بن الحسين : **أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة من ادّعى في الله ما لم يكن له ذلك ، أو أظهر من أحواله ما هو خال عنها** . وفي الحديث « من غشنا فليس منا » .

فبظهور هذه الدعاوي من هؤلاء المتشبهين فى هذه النواحي مع أن أكثرهم فى العلوم متبحرون ، وفي العبادات مجتهدون ، وعلى الرياضة مطيقون ، امتنع الصلحاء الأبرار من أخذ الطريق الحقّ من السادات النقشبندية الأخيار ، وانقطعوا عن المنافع الحاصلة لمريديهم كطرد الغفلة من قلوبهم ، ودوام الحضور مع مولاهم ، ظنّاً منهم أن ما أخذوه من هؤلاء المتشيخين هو عين الطريقة النقشبنديّة أو القادريّة أو غيرهما ، وأنّ من أخذ من شيخ لا يجوز له الأخذ من آخر ، مع أنهم لم تحصل النتيجة بما أخذوه منهم ولو كانوا يذكرون الله ليلاً ونهاراً .

أردنا أن نؤلّف كتاباً يعين لإزالة هذه البدعات والمنكرات بنصوص أئمة الطرقات ليرتفع بها الإنكار عن قلوب المعاصرين بحيث لا يقع

بعده الإشكال فى ظنون الناظرين ، وقد كثّرت[١] فيه النقول لردّ جميع ما ذكر من البدعات نصحاً للعباد أهل الريبات ، وحفظاً من الدخول فى وعيد المداهنات ، وقد قال تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ وليكون نصيحة لمحدث البدع في دين ربّ العالمين لكي لا يدوموا على منهاج الشيطان الغرار ، ويخرجوا عن طريق الأئمة الأخيار ، ما لم يكونوا مكتوبين على ذلك الوصف في لوح الجبار شعر

نظمت لؤلؤة بها الهداة لهم ... بالاقتباس من النصوص والحجج

إن حافظوا ضوأها قعر الصّماخ فهم ... في رَحْبَة ليس فيها الشوك والعوَجُ

وداوموا نفعها بها العروج لهم ... إلى المقام العلى من جُمَع النَهج

فالفكر فيها لهم رَغْمٌ لأنُوفهم ... لازِمْ على خزنها إن كنت ذا عَلَج

ولقد ورد في الأحاديث الصحيحة « من أحيا سنة ميتتاً فله ثواب مائة شهيد » كذا في « الدرر المكنونات » .

وسميته بـ « الدرّة البيضاء في ردّ البدع والأهواء » وقصدت أن أنقل لإبطال أقوال وأفعال ومستندات كل من أولئك المذكورين ولإزالة البدعات والمنكرات عن أمثالهم المغرورين مآخذ صريحة وأقوالاً صحيحة متفحّصاً عن كتب المعتمدين وأقوال العلماء المرشدين .

وقال البيضاوي في تفسير قوله تعالى ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ الآية : لأنّ مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف . انتهى من عبارته .

وورد « أن الساكت عن الحق شيطان أخرس » فلعل الناظر أن ينظر إليه بعين الإنصاف متجنّباً عن الاعتساف ، ويعتبر المقول لا القائل ، ولعل

---

(١) وفي نسخة : وقصدت أن أحرر الأجوبة بردّ جميع ما ذكر من البدعات .

الله الملك القادر يحمله إذن أن يقول : إنه زبدة نصوص الأئمة الأخيار ، وحاصل محصول أقوال المجتهدين الأبرار . جعله الله تعالى نافعاً وهادياً إلى الحق بلا عناد ، إنه هو الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب ، وهو وليّ العصمة والتوفيق . فبالنظر إلى أصناف أهل الدعوى وشطحاتهم الفاسدة وجب أن يرتب الكتاب على أبواب :

الباب الأول

في عدم جواز التصدّر على مقام المشيخة لمن لم يأذن له الشيخ الكامل ووجوب الاعتراض على حاله

قال الغوث الأفخم والقطب الأعظم محمود أفندي قدس سره في « المكتوبات » في الفصل السادس : قالوا : المشائخ ؛ أي : ما يطلق عليه اسم الشيخ ثلاثة . منهم من ليس في يده تصرف في المريد وتأثير فيه فهم كالعوام ، بل هم أضلّ من الأنعام ليس فيهم المشيخة إلا اسمه ورسمه كما هو حال أكثر مشائخ الزمان .

وقال مولانا خالد السليمان مجدد المائة السابقة[1] : ويجب الاعتراض على حالهم والإنكار عليهم ، لأنّهم ضاعوا وأضاعوا الناس لحبس الناس عن ذهاب أهل الكمال ومنعهم عنه ، ولكونهم سبب حرمانهم عن الكمال ، وفيهم الوعيد خصوصاً إذا كانوا جاهلين بأمر الدين . انتهى من عبارته .

وقال خاتمة المرشدين محمد بن عبد الله الخاني قدس سره في « البهجة السنية » : قال الرازي رحمه الله تعالى : ولا يخفى أن من تصدّر

(١) وفي نسخة : السابعة .

للمشيخة من غير إذن فما يُفْسده أكثر مما يصلحه ، وعليه إثم قاطع الطريق ، فإنه بمعزل عن رتبة المريدين الصادقين فضلاً عن المشائخ العارفين . قال : وإياك أن تصحب أحداً من المدعين للطريق بلبس الزيّ ، أو تدعهم يأخذون عليك العهد ، فإنهم آذى من الثعبان ، وذلك لأنّك تشهد الأذى من الثعبان فتأخذ منه حذرك ، ولا هكذا من ظهر مظهر الصلاح وهو في الباطن شيطان في زيّ إنسان . انتهى .

وقد كان الجنيد رضي الله عنه يقول : **لا تلتفتوا قطّ لشخص ولو تربع في الهواء إلا إن رأيتموه تقيّد بالشريعة أمراً ونهياً** . انتهى من « البهجة » عبارته .

وورد إلي كتاب من طرف أخينا العالم الأوحدي السيد الشريف الأمير سيف الله الحسينيّ الغازي الغموقي سليل شيخ باشلار الداغستاني قدس سره . ومن جملة ما كان فيه من النصائح هذه العبارات : وأوصيكم أيها الأخ وإن لم أكن أهلاً لذلك فأنت له أهل أن لا تعاشر مع أكثر مشائخ هذا العصر ومريديهم ، والمجادلة معهم **ولقد سافرت أقصى البلاد ، وعاشرت أصناف العباد ، فما رأت عيني ، ولا سمعت أذني ، أشرّ ولا أقبح ولا أبعد من جناب الله تعالى من طائفة تدّعي أنهم من كمل الصوفية ، وتنسب أنفسهم إلى الكمل ، وتظهر بصورتهم ، ومع هذا لا تؤمن بالله ورسله واليوم الآخر** ولا تتعبّد[1] أنفسهم بالتكاليف الشرعيّة ، ولقد رأيت كثيراً منهم في ديار الداغستان يزعمون المشيخة مع عدم سلوكهم من شيخ كامل ، زاعمين أنهم أخذوا الإذن من الروحانية ، أو في النوم ، وليس هذا إلا افتراء منهم لعن الله جميعهم ، **فالله يا أخي لا تسكن في قرية فيها واحد منهم** لقوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً ﴾ وليس لهم همة واعتناء إلا جمع الحطام لأجل هذه الفانية ، عياذاً بالله منهم . انتهى من خطه .

---

(١) وفي نسخة : تَتَقَيَّدَ .

وورد إليّ رسالة أخرى من طرفه قدس سره ، ومن جملتها هذه العبارة : وإياك إياك النظر إلى مشائخ هذا العصر ، ومريدي الدهر ، والحذر من الجلوس معهم ، فذلك والله هي الفتنة الظاهرة ، وملاقات الشيطان أسلم من ملاقاتهم . انتهى من خطه .

وقال في « البهجة » : قال الرازي : ويجب على الطالب الصادق في بدايته أن لا يصحب أكثر مدعي المشيخة في هذا العصر إلا بظهور أمارات الصدق **بإلهام من الله تعالى للطالب أو بشهادة الصادقين من أهل الطريق لذلك الشيخ** ، وكذلك لا ينبغي للشيخ أن يصحب أولاد المشائخ المتشيخين بالآباء والجدود ولبس الزيّ من غير علم ولا عمل . فإنّ التعب مع هؤلاء ضائع . انتهى من عبارته .

وقال الشعراني في « المدارج » : من لم يعلم آباءه وأجداده في الطريق فهو أعمى ، وربما انتسب إلى غير أبيه فيدخل في قوله ﷺ « لعن الله من انتسب إلى غير أبيه » . وقال سيدي عمر الفارض :

نسب أقرب في الشرع الهوى   بيننا مـن نـسـب مـن أبوي

وهكذا بل عينه في « المتممات » . وصرح في « القول المتين في فضل الذكر والتلقين » : إن ذكر سند التلقين مقدم عليه . انتهى من « تحفة السالكين » من ٦٤ .

وقال أحمد ضياء الدين قدس سره في « جامع أصول الأولياء » : وقد أجمع السلف كلهم على أن من لم يصح له نسب القوم ، ولا أذن في أن يجلس للناس لا يجوز له التصدر إلى إرشاد الناس ، ولا أن يأخذ عليهم عهداً ، ولا أن يلقنهم ذكراً ولا شيئاً من الطريق ؛ **إذ السر في الطريق إنما هو ارتباط القلوب بعضها ببعض إلى رسول الله عليه السلام إلى حضرة الحق جل جلاله** ، فمن لم يدخل في سلسلة القوم فهو غير معدود منهم . انتهى من عبارته .

وقال الشعراني في « المدارج » : وأجمعوا كلهم على أن من لم يصح له نسب القوم فهو لقيط في الطريق لا أب له ، ولا يجوز له التصدر والجلوس لإرشاد المريدين إلا بعد أخذه آداب الطريق من شيخ الكامل مجمع على جلالته وخبرته بالطريق ، ثم يؤذن له صريحاً بأن يرشد ويلقن[1] . .الخ . انتهى .

لا يجوز دعوى الإذن من الروحانية في المنام

قوله (صريحاً) إشارة إلى أنه لا يجوز قبول دعوى الإذن من الروحانية في المنام أو في الواقعة ، فليتدبره ، والله أعلم .

ولقد أشكل العالم الأوحدي خلّ أحمدلو العرادي - هداه الله إلى ما يرضاه ورزقه متابعة نبيه عليه السلام في الأفعال والأقوال والأحوال - أي : بما في سلسلة الخواجكان بهذه العبارات : ومن تخلق بمجموع هذه الأخلاق . .الخ فصحّ له دعوة الخلق إلى الشريعة ، وهداية السالكين إلى الحقيقة . انتهى . وبما في « سلك العين » من بيت :

والإذن فَتْحٌ ببسط القلب يفهم ما ... يلقى عليه من أسرار السنيات

أي : فقال ذلك العالم : فلو سلك واحد في سلسلة الشيخ النقشبندي ، وسعى بما أمره ، الشيخ وفتح عليه من الرحمن . .الخ ، ولم يأذن له الشيخ أو كان الشيخ على قصد إعطاء الإذن له ، ففاجأه الموت ، فمات الشيخ قبل الإذن له مع كاغذ الإجازة ، ألا يمكن له إرشاد الخلق واتخاذ المريدين وتعليم الأوراد لهم أم لا ؟ وإن لم يمكن ، فما معنى قول خواجكان ؟ ! والخ . هذا حاصل ما كتبه رحمه الله مستجيباً منّا .

فأردت أن أجيب عنه ، وأدخله في هذا الموضع تتميماً للفائدة وتعليماً للحقيقة ، بإذهاب الإشكال في تلك الدقيقة .

---

(١) وفي نسخة الزيادة : ويلبس الخرقة على شروط ما كان عليه السلف .

فأقول - وبالله التوفيق - : لا يجوز إرشاد الخلق وتعليم الأوراد لمن لم يأذن له الشيخ الكامل ولو مشى على جميع مقامات الطريق بالتفصيل ، وفتح عليه بلا ترديد ، وتخلق بالأخلاق المحمودة بلا تعطيل ، لأنّ الله تعالى أجرى عادته في كشف أسرار أسمائه أن يكون بتلقين عارف يعرف أسرارها ، مأذون من قبل شيخه الكامل المأذون له من قبل شيخه ، وهكذا إلى أن يتصل نسبته إلى النبي عليه السلام . والسر في ذلك ارتباط القلوب بعضها ببعض إلى رسول الله عليه السلام . فلو جلس للإرشاد واحد مثلاً بغير إذن من شيخه لا يجاوبه أرواح المشائخ ، ولا يجذبونه إلى الله ، ولا يحفظونه من وسواس الشيطان ، بل يقطعون عنه المدد ، ولا يفيضون عليه شيئاً من الفيوض ، ويطردونه طرداً بليغاً ، فكيف يصل الفيض والمدد لمن تبعه من مريديه حاشا ذلك وكلا ! ! ولا شك أن الشيخ واسطة بين الله وبين المريد ، ومتى طرد الواسطة لم يبق للمريد سبيل للاتصال بشيء من فيض الموسوط ؛ **وإذا ذهب الواسطة ذهب الموسوط** . فحاصل كلام أئمة أن اسم الولاية يطلق على من تخلى من الأخلاق المذمومات وتحلى بالمحمودات ، ويطلق في اصطلاحهم على الأول[1] أنه فانٍ ، وعلى الثاني[2] أنه باق ، ولا يحصل الفناء والبقاء إلا بالسير الآفاقي والأنفسي ، وبحصوله يحصل نفس الولاية والكمال والاسترشاد ، ثم إن حصل للسالك بعد ذلك سيْرٌ رجوعيّ وهو السير عن الله بالله ، وكذا السير الذي يقال له في اصطلاحهم سير في الأشياء بالله ، فذا لأجل التكميل والإرشاد ، ويقال لمن حصل له السيران الأولان : وَاصِلٌ وَاقِفٌ ، ولمن حصل له السيران الأخيران : واصلٌ راجعٌ إلى دعوة الخلق إلى الحق .

(١) أي : على من تخلى من الأخلاق المذمومات .

(٢) أي : على من تحلّى بالمحمودات .

وهكذا الفتح اثنان : ظلمانيّ ونورانيّ ، وفي الظلماني يشترك أهل الباطل وأهل الحق ، وأكثره شيطانيّ كما وقع ذلك لكثير من الأولياء حتى لقطب الأقطاب غوث الثقلين عبد القادر الكيلاني قدس سره .

ولا يخفى أن الوصول والوقوف أو الرجوع ، وكذا الفتح بالفتح النوراني الرباني الخاص بأهل الحق أو بالظلماني لا مجال لمعرفتها إلا من شيخ كامل مكمّل قد خبر الطريق ، وعرف بالمهالك والمقاطع شيطانية كانت أو نفسانية ، فلا يجوز لأحد أن يثق الوقائع إلا بشهادة الكامل المكمل العارف الخبير ، وليس له إلا بها نصيب من مقام الإرشاد فيقف في مقامه من حضرة الوصول ، ولا يرجع إلى دعوة الخلق ، **فإن رجع هلك هو ومن تبعه** ، والعياذ بالله . وتصدر غير المأذون له للإرشاد مما أجمع القوم على عدم جوازه . فعُلِمَ مما ذكرناه أن الاطلاقات التي في نحو سلسلة الخواجكان **محمولة إلى هذه المقيدات ، وإلا فيخرق بها اجماع القوم ، كما هو معلومٌ لدى من مارس كتبهم** ، وتقييد البعض مقدّم على إطلاق القوم إذا فرع عليه أو كان له دليل ، كما هو مفهوم ما في الشهاب من أوله في ١٢ .

وفي « ح م ر »[(١)] : يجب العمل بإطلاقهم حتى يوجد المقيّد ، بل ظهر لنا ما يخصص ذلك العام بالإجماع كما مر ، راجع « المدارج » و« المواهب البريقة » و« جامع الأصول » و« المتممات » و« درر الغواص » و« البهجة » و« الحدائق الوردية » و« الإبريز » فالكلام المذكور منقول منها من مواضع متفرقة ، والله الهادي إلى سبيل الرشاد ، مع أن التقييد في هذا الذي كلامنا فيه من المجمع عليه فيما بين القوم ، لا من بعضهم .

وفي « الأنوار » وشرح « الروض » : ويرجح أيضاً بالكثرة ، فلوجزم مُصنّفان بشيء وثالث مُسَاوٍ لأحدهما بخلاف رَجّحناهما عليه . انتهى .

---

(١) حاشية محمد الرملي .

وفي « القيلوبي على الشرح التحرير » : وكثرة النَقَلة تفيد الترجيح ، فلا يُعَارضه تصحيح الأقلّ لمقابله . انتهى .

وفي « حاشية زكريّا » على « الجوامع » من بحث التواتر : إنّ ما عليه الأكثر هو الحق . انتهى .

وفي « ابن حجر » من أوائله : الخطأ إلى القليل أقرب منه إلى الكثير . انتهى . فهذا والسلام والوصية بالدعاء لهذا الملام ، واللسان يقصر عن البيان لمن لم يسلك الطريق ؛ إذ من لازمه استشكال الأحكام بعضها بعضاً ، ولو أنه سلك الطريق لم يجد حديثاً ولا أثراً ولا قولاً للأئمة يناقض آخر كما قال كذلك الإمام الشعراني قدس سره[1] .

---

(١) وفي نسخة زيادة في هذا المكان : وفى « البهجة السنية » : ذكر أن واحداً كان فى بدايته عظيم المحبة والاعتقاد فى غوث العالم عبد القادر الجيلاني . قال وكان يظهر له أحياناً ويبشرني بأمور ويعينني بمهماتي فقال لي يوماً فى الواقعة : إنك أخذت مدداً عظيماً ، ولكن لا بدّ من شيخ ظاهر . انتهى باختصار على المراد .

وفى زيل ترجمة « الرشحات » : إن الإستفادة من أهل القبور غير واقع . انتهى . وكذا الإجازة لا تقبل ، لأنه لو قُبلَتْ يدعى كل واحد أن واحداً من الكمل أذن له فى المنام فيتصدّر للإرشاد ، والله أعلم . راجع « الفتاوى الحديثية » لابن حجر ، وفيه ما يؤيّد هذا .

وفى « المتممات » و« البهجة » : إن الكشف قد يخطأ ويتلون فلا يعمل به عند القوم ، راجعهما . وفى الطريقة أمور لا يهتدى إليها إلا بالمشافهة والمكالمة ، ولا يتجاوز المريد عن مقام بلا شيخ ، راجع « الرشحات » و« المنن الكبرى » .

فاندفع بهذه المنقولات دعوى المشيخة لمن ليس له أهلاً ، ولمن لم يؤذن له صريحاً حين حياة شيخه ، وظهر بها أن الأخذ من الروحانية لمن لم يكن له قبل ذلك شيخ فى الظاهر لا يكفي ولا يجوز أن يعتمد عليه ، والله أعلم .

وفى « فتاوى » ابن حجر : رأى الفقهاء والأصوليون أن المصلحة للناس المتكلفة بسلامتهم من تغرير الشيطان والوقوع فى هفوة الطغيان قطعهم عن الاحتجاج بالإلهامات ، وأنّ ذلك باب يجب سدّه على الناس لئلا يترتب على فتحه لهم من المفاسد ما لا يحصى . انتهى .

الباب الثاني

في المجذوب المجرّد

لا يجوز له أن يتشيخ ، ولا أن يكون مربّياً للخلق لأنّه في قبضته سبحانه وتعالى ، مسلوب الاختيار عن نفسه ، وإذا كان مسلوب الاختيار عن نفسه فلا يَصْلح أن يكون مُربّياً للغير ، لأنّ التصرّف في غيره يستدعي ولاية التصرّف في نفسه ، وهذا الوليُّ مجذوب في نفسه ، مسلوب التصرُّف في نفسه ، فكان مسلوب التصرُّف في غيره ، ألا ترى في عرف الشرع أنّ **مَنْ ثبتت له الولاية على نفسه ثبتت له الولاية على غيره ، ومن لا فلا** ، وأنه[١] كالأعمى ، فلا يجوز أن يكون دليلاً لأعمى أعمى فافهم وراجع « جامع أصول الأولياء » ، وفي « الأجوبة المرضية » و« المواهب البريقة » ما حاصله هذا : إن المجذوب لا يصلح أن يكون مسلكاً للمريدين ، لجهله بتحقيق مقامات الطريق ، فحكمه كمن خطف من مصر في الهواء فوجد نفسه بمكة ، فإذا سئل من مناهل الطريق ومراحلها ربما جهل شيئاً منها ، بخلاف من سافر مع دليل أمير الحجاج . فافهم . انتهى راجعهما .

---

(١) أي : المجذوب .

الباب الثالث

في جواز مشيخة من له شيخ كامل لو كان بيده مكتوب الإجازة الصحيحة أو أذن له بمشهد الجماعة العدلاء المتواترة

فيجوز له أن يلقّن ويعلّم ولو كان هو ناقصاً لم يبلغ إلى درجة الكمال ، لأنّه قد يعطي الكامل للناقص الإجازة لتعليم الطريقة ، وهذا ليس بمناف للإفادة والاستفادة ، لأنّ يدَ الناقص يَدُ الكامل وتربيته تربيته ، لأنّه واسطة في الجملة في ارتباط السالك له ، هكذا في « المكتوبات » للغوث الأعظم محمود أفندي قدس سره ، لكن الإمام الرباني شرط في إذن الناقص تأثير المريد في صحبته راجعه .

وفي « البهجة » : وأما الإذن لهم من جناب حضرة شيخنا خالد شاه قدس سره في بعض مكتوباته أيضاً بقوله : وربما يجيز الكامل ناقصاً بتعليم الطريقة للطالبين ، وغرضه من ذلك أن يبلغ كتابه الأجل باجتماع أهل الذكر عليه ، كما أجاز بهاء الدين نقشبند ليعقوب الجرخي قدس سره قبل الوصول لدرجة الكمال ، وقال : يا يعقوب ما وصل مِنّي إليك فليَصِلْ منك إلى الناس ، ثمّ تكمّل بعد ذلك على يد حضرة الشيخ علاء الدين العطاري . انتهى .

وينبغي أن يعلم أنّ النقص وإن كان ينافي الإجازة - لما فيه من ضرر الطالبين - لكن لَمَّا صدر من كامل مكمّل يكون هذا نائباً منابه ، ويكون يدُه يدَه فلا يتعدّى ضرره ، والله سبحانه وتعالى أعلم . انتهى من عبارته مع اختصار على المراد .

فإن كانت الإجازة من كامل مكمل فيجيز لتعليم الطريقة وتلقين الأذكار لا لتبديل أصولها واختراع البدعات في أذكارها وأورادها . فيجب على من أجيز أن يعلّم كما علّم ، ويلقن كما لقن من غير تغيير ولا تبديل

في طريقة شيخه ، فإن خالف وبدل فقد ارتكب كبيراً ، واستحق وعيداً ، ودخل في هذا الحديث دخولاً « من أحدث في أمرنا » وفي رواية « ديننا هذا ما ليس منه فهو رد » أي : مردود على فاعله لبطلانه وعدم الاعتداد به . وأخرج أبو داود عن حذيفة « كل عبادة لم تفعلها الصحابة رضي الله عنهم فلا تفعلوها » .

وروي عنه عليه السلام أنه قال : « عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة » .

وروى مسلم : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا » أي : حكمنا وإذننا « فهو ردّ » أي : مردود عليه ، وإن لم يكن هو المحدث له . . . الأحايث من « فتح المبين » لابن حجر فليتدبره المخالف والمبدّل لطريقة شيخه الكامل ، لأنّها وصلت إليه معنعنة مسلسلة من غير زيادة ولا نقصان من رسول الله ﷺ ، ومَنْ غيّرها فقد أساء الأدب مع شيخه وشيخ شيخه إلى رسول الله عليه السلام ومن أساء الأدب معهم فإنه ينقطع ترقِّيه ، وربّما رجع إلى حالة هي أنقص ممّا كان عليه قبل صحبته له ، **لأن الأدب مع الشيخ سُلّم للأدب مع الحق جلّ وعلا ، فمن لم يتأدب مع الوسائل لا يشمّ رائحة من الأدب مع المقاصد** ، وأقلّ ما يحصل من الهلاك لمن خالف أستاذه الاشتغال بالدنيا والإدبار عن الآخرة . انتهى من « المنن الكبرى » مع تغيّر واختصار من عبارته ، عياذاً بالله من تلك المخالفة إنه ولي التوفيق . وإن لم يكن الإجازة من الكامل المكمّل فأمره معلوم ، ولا يجوز لذلك المجاز له التصدر للإرشاد لئلا يُضَيَّعَ ويُضَيِّعَ ، ويَضلّ ويُضلّ . وفي « جامع الأصول الأولياء » إنّ ذكر الأسانيد في كلّ طرق إلى رسول الله عليه السلام واجب . انتهى من عبارته .

وقد سألت واحداً من هؤلاء المتشيخين : مَنْ شيخك ؟ فقال : فلانٌ ، فقلتُ من شيخه ؟ فانتسب إلى عبد القادر الكيلاني قدس سره ،

وجهل من بينه وبينه . وقال لي السيد الشريف سيف الله الحسيني قدس سره في حق هذا البعض : لم أر أحداً على وجه الأرض ألعب بالطريق من هذا .انتهى . حتى أني رأيته يصلّي ولم أجد بين صلاته وصلاة الرعات فرقاً ما . وسمعته يقرأ فلا يحسن ولو آية بل يلحن لحناً جلياً . وقال السيد الشريف سيف الله المذكور : إنّ هذا المتشيخ طلب منه كتابة صك الإجازة لأولاده مع أنهم لا يعلمون ما الطريق فقال له : وهل ذلك مال لتقسمه بين أولادك بحسب الإرث ومنع هو من الكتابة . انتهى . وبعد ذلك استكتب ذلك من واحد من العلماء ، فكتبه ، وأراني ذلك المكتوب ، وقلت له : هل أولئك الأولاد آخذون منك الطريقة وعالمون أورادها ؟ فقال : لا ، فتحيّرتُ وسكتُّ ، سامحه الله تعالى وإيانا بفضله . وهذا الشيخ عند الورى كالقطب الأعظم . هذا مما لم يسمع إلى الآن من السلف الصالحين والمشائخ الكاملين ، **فوجب على كل من انتسب إلى النقشبندية في ولايتنا الداغستانية أن يتفطنوا لهذا المطلب المذكور** ، لئلا يكونوا من ﴿ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ ﴿أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ ، ولينظروا إلى « الآداب المرضية » لجمال الدين الغموقي قدس سره ، فإنه هو الأصل في مشائخهم ، ولا يجوز لخلفائه وخلفاء خلفائه أن يغيروا ما كان عليه ، ويبدّلوا ما كان السلف الصالحون من مشائخه ، كيف ؟ ! وقد قال رئيس هذه الطريقة خالد شاه : من غيّر أصول طريقتنا فليس منا ، كذا في « مجوعة الرسائل » لسليمان الزهدي قدس سره .

الباب الرابع

في أن دعوى من يقول : إن شيخه هو النبي عليه السلام

وإنه أخذ منه بلا واسطة من المشائخ الكمل باطل مردود

ولا تظنّ أنّ أحداً من هذه المتشيّخين وضع قدماً واحداً في أوّل مقام ارتقى إليه المشائخ الكمل فضلاً في مقام يأخذ عن رسول الله عليه السلاّم . قال الشعراني في « مِنن »ـه : وكان سيدي ياقوت العرشي رحمه الله تعالى يقول : إن ادعى أنه يأخذ عن رسول الله عليه السلام الأدب والعلم فاسألوه عن كيفية ما وقع له ، فإن قال : رأيت نوراً ملأ المشرق والمغرب وسمعت قائلاً يقول لي من ذلك النور في ظاهري وباطنيّ لا يختص بجهة من الجهات : اسمع لما يأمرك به نبيٌّ ورسولٌ . فصدّقوه ، وإلا فهو مفتر كذاب . انتهى . فعلم أنّ مقام الأخذ عن رسول الله ﷺ بلا واسطة مقام عزيز ، لا يناله كلّ أحد .

وقد سمعت سيدي عليّاً المرصفي رحمه الله يقول : بين الفقير وبين مقام الأخذ عن رسول الله عليه السلام بلا واسطة مئتا ألف مَقام وسبعة وأربعون ألف مقام وتسعمائة وتسعة وتسعون مقاماً ، وأمّهاتها مائة ألف مقام ، وخاصّتها ألف مقام ، فمن لم يقطع هذه المقامات كلها فلا يصحّ له الأخذ المذكور . انتهى من عبارته .

وقال فيه في موضع آخر : فإن غالب فقراء الزمان اليوم صاروا يجلسون بلا إذن من شيخهم ، وبعضهم مات شيخه ولم يأذن له ، فادّعى أنه جاءه في المنام فقال له : ابرِزْ للناس . وبعضهم ادّعى أنّ رسول الله ﷺ أذن له ، وهو بعيد ! ! فإنّ بين مقام الأخذ عن رسول الله ﷺ كذا وكذا ألف مقام ما أظنّ أن هذا حصّل منها مقاماً واحداً ! كما مرّ تقريره في المقدّمة . انتهى من عبارته .

وقد ذكرنا قواعد أهل الطريق في رسالة خاصة ، فمن اطلع إليها وجد بعض المشائخ اليوم لم يبلغ درجة مريد . انتهى من عبارته .

وفي « الفتاوى الحديثية » لابن حجر : وفي « المدخل » لابن الحاج المالكي : رؤيته ﷺ في اليقظة باب ضيّق وقلّ من يقع له ذلك إلا من كان على صفة عزيز وُجُودُهَا في هذا الزمان ، بل عدمت غالباً ، مع أننا لا ننكر مَنْ يقع له هذا من الأكابر الذين حفظهُمُ الله تعالى في ظواهرهم وبَواطنهم . انتهى من عبارته ٢١٨ . فليتأمله المنصف الغير المتعصّب ، فإن الإنسان بصير على نفسه ، عليم بحاله ، وإن استمر هذا المدّعي على دعوى قطعه هذه المقامات فيقال له : ما المقام الأول منها ؟ فلعله يجهل ، ولا يتكلم بل يبهت ويسكت ويتحيّر ، فلا يجيب ويفتضح فيخجل .

وأما دعوى أن النبي عليه السلام رؤي في المنام ، وأذن له للتلقين والإرشاد ، فهو غير مقبول ، والله أعلم ؛ لما في « الرملي » من الصيام : ولا اعتبار بقول من ادّعى رؤيته عليه السلام ، وأنه أخبره في النوم بأن غداً من رمضان ، ولا يصح الصوم به إجماعاً لا لشك في رؤيته ، وإنما هو لعدم ضبط النائم . انتهى من عبارته ٣٠٨ .

وهكذا في « ابن حجر » . قال الشَبْرَامُلَّسِي في « ح ر م » زاد حجر : وفيه وجه بالوجوب ككلّ ما يأمر به ولم يخالف ما استقر في شرعه ، لكنه شاذ ، فقد حكى عياض وغيره الإجماع على الأول ؛ أي : وهو عدم العمل بقوله . فلا يعمل به من حيث أنه أخبر ﷺ به ، ثم إن كان له وجه مجوّز للعمل به لكونه نفلاً مندرجاً تحت ما أمر به الشارع أو جوّزه جاز العمل ، وإلا فلا . انتهى من عبارته ٣٠١ .

وفي « البجيرمي على شرح المنهج » : ولا عبرة برؤية نائم له عليه السلام قائلاً له : إن هذا من رمضان أو نحوه من سائر المرائي لأنّ النائم لا يضبط وإن كان الرؤيا حقّاً . « زي » . انتهى من عبارته .

وفي « الشهاب » للقيلوبي : ولا يجوز الصوم بإخبار غير المعصوم في النوم ، لعدم ضبط النائم أفعاله . انتهى من عبارته .

وفي « مغني المحتاج » للخطيب الشربيني قدس سره من الآذان : نظير ما مرّ ، فراجعه . وأما دعوى الإذن بالإلهامات والوقائع فبطلانه أشهر من أن يذكر .

قال ابن حجر في « كتاب الردة » ما حاصله : إن الإلهام ليس بحجّة عند الأئمة ، إذ لا ثقة بخواطر من ليس بمعصوم . راجعه . وسيأتي في الباب السابع عشر ما قاله الإمام معصوم من **أن الإجازة لتعليم الطريقة أمر عظيم لا تثبت بالواقعة** . انتهى ، ومرّ في الباب الأول ما له تعلق بهذه المذكورات ، فليلاحظه هنا .

الباب الخامس

في أن الأمر بالمعروف لا دخل له في أمر التلقين والتعليم

فأما قول من قال : إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب صادق صاف لا غبار فيه ، لكن له شروط ، وللآمرين مراتب : منهم من يغيّر المنكر بيده ، وهم الأمراء والسلاطين . ومنهم من يغيره بلسانه ، وهم العلماء ، فيغيرونه بسياسة ولطف لا بعنف وتكبّر ، ومنهم من يغيره بقلبه ، وهم المشائخ المتصرفون والأولياء الكاملون . **ومن تصدر لتغيير المنكر والأمر بالمعروف قبل فطامه على يد شيخ كامل فما يفسدُه أكثر مما يصلحه** لأنّه لا يهتدي إلى دسائس النفس الأمارة ، ومكائد الشيطان ذي الغواية ، فيأمر لحظّ نفسه ، ويغيّر لا لأجل خالقه سبحانه .

وفي « الرشحات » : جاء شخص عند واحد من الأكابر ، وقال : إني أريد أن اشتغل بالوعظ فبأيّ نية أشتغل به ؟ فقال له ذلك الشيخ جواباً عجيباً : إنّ النية ليست بنافعة في المعصية . وهذا الجواب صحيحٌ ، فإنّ الوعظ والنصيحة قبل أوانهما معصية . انتهى عينه .

وقال[1] بعضهم : يجوز الكلام والتكلّم في وقت بلغ المتكلم فيه درجة كأنّ لسانه نائبٌ عن قلبه ، وقلبه عن الحق سبحانه . انتهى عبارته . فإن كان ذلك الآمر والمغيّر ممن تخلّص عن قيد الوجود ، وانفلت إلى ميدان الإخلاص ، فلا مانع له عن شيء يفعله ويختاره ، وإن كان ممّن هو أسير في يد نفسه ، ومقيد بأنانيّة فكل شيء يفعله فهو عيب وشيْن عليه ، ومن أراد أن يحقق هذا فليطّلع إلى « الإحياء » من كتاب الغرور .

والتلقين : أمر مخصوص بأهله لا يجوز أن يباشره أحدٌ بقوله : إنه آمر بالمعروف . لسرّ في التلقين يعرفه أهله مع أنه في قرانا قضاة نصبوا في المساجد ليعلموا الناس أمور الشرع الشريف ، فأيّ فرق بينه وبينهم ، ولا نعلم في حقه سرّ الخصوصية ، إلا أنه أحبّ الرياسة في معرض الخير والإصلاح ، وذا[2] آخر ما يخرج من قلوب العارفين ، وأنّى يتخلّص منه من سداه ولحمته أنانية ؟ !

---

(١) إذا سئل : متى يكون وقت الكلام ؟ (منه) .

(٢) أي : حب الرياسة .

الباب السادس

في بطلان دعوى حرمة تلقين الأذكار القلبية على قاعدة النقشبندية للعوام

وليس لمن يدّعي عليها نقل من الكتب ، بل النقل على خلافه ، فاستمع لما يتلى عليك إن كنت منصفاً ، واترك التعصّب والدعوى ، لعلّ الله ينزل عليك شيئاً من الرحمة الهابطة ، ويخرجك من مواعيد قطاع طريق الله سبحانه .

قال العالم العلامة البحر الفهّامة يوسف أفندي شوقي الطرابزوني الأوفي الحنفي النقشبندي الخالدي قدس سره في كتابه « هدية الذاكرين وحجة السالكين » : وأما تعليم الذكر للعوام ؛ فلعموم قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ ، وقال تعالى ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ الآية من عبارته . وراجع إن شئت الزيادة .

وقال الغوث الأعظم والقطب الأفخم أحمد ضياء الدين قدس سره في « المتممات » : واعلم أن تلقين الذكر لبعض أهل الدنيا من ذوي المناصب والأشراف والمكاسب ثابت من السلف والخلف ومجتهدي الطرق على طريق التبرّك والمحسوبيّة ، لا بإرادة السلوك والتربية قبل ترك الدنيا والمناصب ، وتبسّطهم في الملابس والمفارش ، وتلبّسهم بالمخالفات .

فنقول : تلقين الذكر لبعض أهل المناصب والأشراف والمكاسب والصنائع والملاح والتجار والراعي والقروي على طريق التبرك ، وطرد الغفلة عن القلب القاسي ، وتكفير الذنوب ، وتخليص البلايا ، والنجاة من أنواع المكاره والسوء والنقمة ، حتى يتصقّل فيخشع وينيب الى دار الخلود ، ويتجافى عن دار الغرور ، فيترقى بالتدريج إلى التوبة فما فوقها ،

وليسارق الشيخ نفسه الأمّارة الآبية بالتدريب والتوطين - لئلا تنفرّ وتملّ وتيأس من الإصلاح ، وتقطع الرجاء فتصرّ على المعاصي - أَمْرٌ حَسَنٌ ، وهو من سياسات الإرشاد ، ولو قال له أوّل الأمر : اترك الدنيا ، واخرج من أكل المظالم ، وصحّح التوبة ، وإلا فلا ألقّنك الذكر ، ولا يكون لك قبولٌ ينتج الهداية لَنَفَرَ لاستصعابه كلّ ذلك ، ويحرم تلك الفائدة ، وربّما يصل إلى حدّ اليأس ، وهذه السياسة موروثة من فعل الرسول ﷺ مع الأشراف والرؤساء والكبار ؛ فإن بعضهم قال : أدخل الإسلام بشرط سقوط الصبح ، وبعضهم بشرط غير ذلك ، فقبل منهم سرّاً ليدرّجهم على تمام الهداية تدريجاً ، فتدرّجوا عليها كما هو مستفيض .

وأوحى الله إلى داود عليه السلام - لمَّا أَنِفَ من مجالسة بعض الفُساق ونهاهم عن مجلس وعظه - : يا داود إن المستقيم لا يحتاج إليك ، والمعوّج إذا لم تُقِمْه فلِمَ أُرْسِلْتَ ! ! فأدخلهم في سلك جلسائه وجماعة[1] إفادته ، فليت شعري هل من قائل بكفر الظلمة والفساق حتى يطردوا باليأس من علاج أمراضهم القلبية ؟ ! **وهل وضع الإرشاد والسياسة إلا للمعوّج الضال ؟ ! وهل يلزم أن يكون جميع المُلَقَّنِينَ بالذكر أهلاً للتبرك والتجريد والاستقامة ؟ ! أم منهم الواصل ، ومنهم المخلص المتوسّل ، ومنهم المتبرّك المتخلّف الساقط ؟ ! . وهذه السياسة الحسنة**

---

(١) وصار يجالس عصاة بني إسرائيل ويحسن إليهم ويتخولهم بالموعظة الحسنة بشفقة ورحمة ، فانقادوا له كلهم إلا من حقت عليهم كلمة العذاب . وعلم مما قرّرناه أن محل قولهم : يحرم إيناس العصاة ومجالستهم . ما إذا لم يكن لغرض شرعي . فافهم انتهى من « المنن » عبارته .

ومن شرط الفقير أن يتواضع لإخوانه المسلمين ، ويرى نفسه دون كل فاسق على وجه الأرض . انتهى (منه) . وفي شرح « شعب الإيمان » للقصري : لا يكمل العارف حتى يرى مرتبته تحت مرتبة الأرضين السفليات . انتهى من « المنن » . (منه رحم الله إفلاسه) .

مشى عليها المشائخ والسلف والمرشدون ، وأطبق عليه المتأخرون لغلبة رأفتهم وتموّج رحمتهم على عامّة المسلمين ، وإن كنت في شكّ مما بيّناه ! ! فارجع في « الإحياء » و« المنن الكبرى » من الجزء الأول في ١٥٤ و« طبقات الصوفية » للشعراني .

وقد كان العارف أبو الحسن الشاذلي قدس سره يقول : ينبغي للشيخ أن لا يأمر المريد برمي الدنيا إلا بعد أن يمهّد له بساطاً قبل ذلك يذكر له فيه ما يحصل له من أنواع القربات الإلهيّة ، واللطائف الرحمانية ، والعلوم اللدنية ، وهناك يتنبّه المريد لطلب ما يدعوا الشيخ إليه ، ويبادر لامتثال أمره ، وتهبّ عليه ريح التوفيق ، فلا يصير يقف مع شيء يَحْجُبُهُ عن حضرة ربّه عز وجلّ .

قلنا : والبساط المذكور يختلف باختلاف استعداد المريدين طولاً وقصْراً ؛ فمنهم من يمهّد له بمدّة قليلة ، ومنهم من لا يتمّ تمهيده إلا بمدّة طويلة بحسب تفرّس الشيخ وتفاوت معالجتهم . وقالوا : لا بأس بتناول بعض الشهوات المباحة للنفس إذا ضَعُفت عن القيام بالعبادة ، كما أنّه لا بأس بلبس الثياب الفاخرة إظهاراً لنعمة الله تعالى ، وكما أنّه لا بأس بأكل الطعام اللذيذ وشرب الماء اللذيذ البارد لأجل استجابة الأعضاء للشكر بعزم وقوّة كما عليه السادت الشاذلية . فقد كان العارف الشاذلي يقول لأصحابه : كلوا من أطيب الطعام ، واشربوا من ألذ الشراب ، وناموا على أوطأ الفراش ، والبسوا ألين الثياب ، وأكثروا من ذكر ربّكم ، فإذا فعل أحدكم ذلك وقال : الحمد لله يستجيب كلّ عضو فيه للشكر ، بخلاف ما إذا لم يفعل ذلك فإنه يقول : الحمد لله ، وعنده اشمئزاز وبعض سخط على مقدور الله .

وقال علي القاري : ليذكرنّ الله أقوام في الدنيا على الفرش الممهّدة يُدخلهم الله الجنات العلى . وفيه دليل على أن الملوك والأمراء ومن يجري

مجراهم لا تمنعهم حشمتهم ورفاهتهم عن ذكر الله تعالى ، وهم في ذلك مأجورون مثابون يدخلهم الله برحمته الجنان العلى ، وفيه إيماء إلى طريقة بعض السادات الصوفية كالنقشبندية والشاذلية والكبروية . انتهى كلام « المتممات » .

وفي « الرشحات » : قال بهاء الدين النقشبند : كُل الطعام جيّداً ، واشتغل جيّداً . وهذا القدر يكفي للعارف . انتهى كلام « المتممات » من عبارته . وقال جامع القطبتين الشيخ الفاني محمد ذاكر في كتابه « تبصرة المرشدين » : ثم يلقّن الذكر باسم الذات من غير فرقٍ بين مريد ومريد على ما اختاره الإمام الرباني في الأخير على ما قرّر في مكتوب العروة الوثقى الإمام محمد معصوم الفاروقي . . الخ . انتهى . وقال الشيخ محمد مراد في « الدرر المكنونات » : إن تعليم الطريقة بعد الاستخارة والتوجهات أيّاً من كان مُناسِبٌ بل لازم . انتهى .

وفي رسالة العالم الرباني سيف الله الحسيني الغازي الغموقي قدس سره : وقال شاه خالد قدس سره في بعض مكاتيبه مجيباً لمن شكى إليه من عدم استقامة الطالبين وتبرّدهم في هذا الطريق : وأكثر الطالبين كذلك وأنّى يوجد الصادقون ؟ ! ينبغي إذا طلبوا تعليمهم الطريقَ بعد الاستخارة من أرواح السادات الأعيان ، وحصول الاطمئنان ، فإن استقاموا فازوا ، وإلا ، فالضرر راجع إليهم ، لا إليكم . انتهى من خط خطه .

فكيف يجوز أن يطرد العاصي لعصيانه من ذكر الله ، فربما يجوز أن يكون ذلك العصيان خيراً له من طاعته . وقد قال ابن عطاء الله في « تاج العروس » : فالمعصية مع الذل والافتقار خير من الطاعة مع العز والاستكبار . انتهى من عبارته . قال ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » - رزقنا الله نصيباً من علومه - وسئل نفع الله تعالى به : هل لقول تاج ابن عطاء الله في « حكمه » : رُبّ معصية أورثت ذلاً وانكساراً خيرٌ من طاعة

أورثت عزاً واستكباراً أصل من السنة ، وكيف يطلق خير على معصية . فأجاب بقوله : نعم ، له أصل من السنة وهو ما أخرجه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب « الثواب » بسنده إلى النبي عليه السلام أنه قال : قال الله عز وجل « لولا أن الذنوب خير لعبد المؤمن من العجب ما خليت بين عبد المؤمن وبين الذنوب » رواه الديلمي في مسند الفردوس بلفظ : « لولا أن المؤمن يعجب بعمله لعصم من الذنب حتى لا يهمّ به ولكن الذنب خير له من العجب » . وأخرج ابن أبي الدنيا وقال غريب تفرد به من اختلف في توثيقه الحديث القدسي المشهور المذكور في تفسير سورة الشعراء من تفسير البغوي وفيه « وإنّ من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة فأكفه عنه أن لا يدخل عجب فيفسده ذلك » وإذا تأملت أن الخيرية في ذلك نسبيّة من حيث الثمرات والغايات المترتبة على ذلك لم يبق عندك الإشكال في إطلاقها على المعصية من رعاية ذلك الأمر النسبيّ فتأمله . انتهى من عبارته ٢١٧ .

وفي « الفتاوى العمرية » : قال الله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ ولم يقل يا أيها الصالحون ، وكذا الخطاب في ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ ولا يترك أفعال الخير لأجل كثرة الذنوب ، فربما يحصل له أجر جزيل . وفي الحديث « إن أهل ذكر الله ليجلسون إلى ذكر الله وإن عليهم من الآثام مثل الجبال وإنهم ليقومون وما عليهم منها شيء » رواه أحمد بن حنبل في « الزهد » . انتهى من عبارته . **يقول** الفقير ذو العجز والتقصير إذا أطلق الذكر يعمّ القلبيّ واللساني ، بل إطلاق الذكر على اللساني مجازي ، فإن حقيقة الذكر : طرد الغفلة ، فافهم وراجع « تفسير سلمى » و« تصديق المعارف » و« الفتاوى » للشيخ عمر الميرطي قدس سره .

وفي « روض الفائق » في ٢٥٨ ما نصه : وعن أبي الأسود الدؤلي : إن أبا ذر رضي الله عنه حدثه أنه قال : أتيت النبيّ ﷺ وهو نائم ، وعليه ثوب أبيض ،

ثم أتيته ثانياً فإذا هو نائم ، ثم أتيته ثالثاً وقد استيقظ فجلست إليه فقال : « ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنّة . قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق : قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ ثلاثاً ، ثم قال في الرابعة : على رغم أنف أبي ذر . فخرج أبو ذرّ وهو يقول : على رغم أنف أبي ذر » انتهى من عبارته .

وفيه أيضاً في ٢٥٧ : وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ ﴾ يعني : لمن يقول (لا إله إلا الله) ﴿ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ ﴾ لمن يقول (لا إله إلا الله) ، شديد العقاب لمن لم يقل (لا إله إلا الله) . انتهى من عبارته . وفي كتاب « السير والسلوك » : **وأعظم أسباب الندم المداومة على ذكر بكلمة (لا إله إلا الله)** لأنّه إذا داوم عليها أوقد الله في قلبه مصباحاً ملكوتياً ، فتزول به ظلمة الباطن ، فيظهر ما فيه من النجاسات والآفات القاطعة عن نيل السعادة ، وهو وإن كان يعلمها من قبل لكن ذلك العلم ليس معه نور فلا يفيد ، وأما مع تلاوة الاسم فيحصل الندم الذي هو التوبة .

وقد روى سلطان الأولياء وقدوة الأصفياء القطب الرباني والغوث الصمداني سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس سره أنه كان يأتيه الرجل فيشكو ترك الصلاة والتهاون في أدائها فيقول له : أكثر (لا إله إلا الله) ، ويأتي آخر ويشكو له الزنا مثلاً أو شرب الخمر أو غيرهما من القبائح فيأمر بالذكر المذكور ، فما جاءه أحد يشتكي من ترك مؤمور أو فعل منهي عنه إلا أمره بالذكر . انتهى من عبارته .

فهذه السياسة الحسنة هي التي مشى عليها المشائخ قديماً وحديثاً ، وهي المعالجة الكبرى من أصحاب الطبّ الروحاني رضي الله عنهم . قال الشيخ زاده في شرحه على « البردة » في ٣٩٠ : فإن تزكية النفس لا تتيسر إلا بنظر نبيّ أو وليّ ذي تجربة في هذا الشأن . انتهى من عبارته .

وقال الخربوتي في « عصيدة الشهدة شرح قصيدة البردة » في ٢٩ : إن للمرشد إرشاد كلّ من استغرق في الهوى ، ولم يعلم ذلك إلا النبيّ أو الوليّ ، وبه يكون أكثر الفاسقين صالحاً وأوفر العاصين زاهداً ، بل كل رجل يلزم له أن ينيب إلى مرشد كامل . انتهى من عبارته . ولا شكّ أن ما يستعمله مشائخ الطريقة لشفاء العِلَلِ المعنوية أوالحسية هو الذكر الكثير ، ولذا قال الشعراني في « الجواهر » : وسُئِلْتُ عن الدواء الذي إذا استعمله العبد زال عنه الرياء والإعجاب بنفسه . فقلت : الإكثار من ذكر الله حتى يتجلى في قلبه التوحيد الحقيقيّ ، ويرى أعماله خلقاً لله وحده جملة ، ليس لعبد فيها غير النسبة ، فهناك لا يصير عنده رياء ولا إعجاب ولا تكبّر على أحد من العصاة ، لأنّ العبد لا يرائي قطّ بعمل غيره ، ولا يعجب فيه بنفسه ، ولا يحصل عنده دعوى .

فإن قيل : فهل له دواء غير التوحيد من الأعمال ؟ **قلت** : لا أعلم له دواء أسرع من التوحيد ، وهو الذي وضعه جميع أهل الطريقة للمريدين فَطَوَوْا به الطريق ، وقد أخطأ ذلك طائفة من العباد الذين أشغلوا نفوسهم بتلاوة القرآن والصلاة والصوم ، وماتوا على ريائهم ورؤية أعمالهم ، ولم يخلصوا في شيء منها ، كما يشهد لذلك حديث العابد الذي يقوله الحق تعالى « ادخل جنتي برحمتي » ، فيقول : يا ربّ بل بعملي . وذلك لعدم فهمهم أن القرآن يتوقّف على جلاء القلب ، فحكم الذكر كالحصى للنحاس المصديّ[1] وحكم غيره كالصابون . انتهى . وهكذا في « المتممات » .

وفي « المواهب البريقة » : وقد ورد أن عابداً عبد الله في جزيرة سبعين سنة ، وفي رواية : خمسمائة سنة ، وإن الحق تعالى يقول له يوم القيامة : ادخل الجنة برحمتي . فيقول : يا ربّ بل بعملي ، فلو أن هذا

---

(١) وفي نسخة : الصديء .

العابد كان سلك الطريق على يد عارف لعرف من أوّل ما دخل في الطريق أن العبد لا يدخل الجنة إلا برحمته تعالى دون عمله وإن كان لزم الأدب مع الله تعالى في جميع أحواله . انتهى من عبارته .

وقال الشعراني في « لواقح الأنوار القدسية » في ٣١٢ : وسمعتُ سيدي علياً الخواص رحمه الله يقول : مراد الشارع عليه السلام ومشائخ الطريق من مريديهم ، إذا أكثر من ذكر اللسان والقلب أن يحصل له الأنس ، ويصيرَ قلبه لا يغفل ولا يتكلّف للذكر ، بل يكون الحق مشهودَه على الدوام ، تارة يشهد بقلبه وتارة يشهد هو أنه في حضرة الله ، وأنّ الله يراه ، وكلا الحالين إذا دام يمنع العبد من وقوعه في المعاصي وسوء الأدب مع الله تعالى ، **وما لم يكثر العبد من ذكر الله عز وجلّ لا يحصل له هذا الأنس** ، بل يقع في كل معصية كالبهائم السارحة .

خاصية تمكّن الذكر في القلب

وسمعته مرة أخرى يقول : خاصيّة تمكّن الذكر من القلب أن يهذّب أخلاق صاحبه ، فمن لم يتهذب فكأنه لم يذكر ، فهذا مقصود الشارع والأشياخ بأمرهم المريد بإكثاره من الذكر ، والله عليم حكيم . انتهى من عبارته .

وفي « تصديق المعارف » في تفسير قوله تعالى ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من سورة العنكبوت : أي : أكبر في نفي الكبر والخيلاء ومحو الأوصاف الذميمة الفاحشة كلها ، وذلك مجرّب عند المشائخ ، ولاسيّما ذكر الله بكلمة لا إله إلا الله ، فإني جرّبتها شيئاً عظيماً ، ورأيت الأوصاف الذميمة عند ذكرها ينقلب من البدن كانقلاب الطير من قبضة الصياد على صفة السباع والدواب والهوام والطيور عند صولة هذه الكلمة ، فافهم . انتهى من عبارته .

وفي « السير والسلوك » : فالسالك إذا كان في المقام الأوّل ؛ يعني : نفس الأمارة وتلقن الاسم الأوّل من السالك ، وداوم على تلاوته مع الإكثار آناء الليل والنهار ، جهراً وسرّاً ، قياماً وقعوداً ، أوقد الله تعالى في باطنه ببركة هذا الاسم مصباحاً ملكوتيّاً ، فيرى بعين قلبه القبائح التي هو منطوٍ عليها كارهاً متنكراً اتّصافها ، متحسّراً على ما فاته من الأوقات بعد ما كان في غفلة ، لا يعرف القبيح من الحسن إلا باللسان ، فيتشمّر حينئذ ويَسْعى على الخلاص مما فيه من القبائح الظاهرة ؛ كشرب الخمر والزنا ولبس الحرير وغير ذلك ، وعلى إخراج ما فيه من القبائح الباطنة ؛ كالكبر والحقد والشحناء وأمثال ذلك ، وكلما زاد من الذكر ، وداوم عليه زادت كراهته الأفعال القبيحة ، وزاد سعيه في الخلاص منها ، وهذا الأمر متحقّق لا ينكره إلا من لا يجرِّبُهُ . وهذا أوّل كرامة يكرم بها الله تعالى هذا السالك ، يستعينُ على قطع الطريق وله في كل مقام كرامة ، بل كرامات ليثبت ، والمصباح المذكور هو أول الجذبة الرحمانيّة ، وكل ما داوم السالك على الذكر مع المجاهدة قوي الجذب ، حتى يصل إلى أعلى درجات الكمال ، فيقوي على حمل الأمانات وعلى المتجلّيات . انتهى من عبارته .

وفيه في ٣ ما حاصله : أنه لا بدّ للسالك من سلاح ؛ وهو : الأسماء ليُهْرب عَدُوَّيْهِ ؛ وهما : الشيطان والنفس . انتهى من عبارته .

وقال الإمام اليافعي في « نشر المحاسن » : وقال بعضهم : ذكر الله تعالى بالقلب سيف المريدين ، به يقاتلون أعدائهم ، وبه يدفعون الأفات التي تقصدهم .

وقيل : إذا تمكن الذكر من القلب فإن دنا منه الشيطان ، صَرَعَ كما يَصْرَعُ الإنسان إذا دنا منه الشيطان ، فيجتمع عليه الشياطين فيقولون : ما لهذا ؟ فيقال : قد مسَّه الإنسُ . انتهى من عبارته .

فيقول هذا الفقير : أخذاً من هذه المذكورات آنفاً ، ومما يأتي في الباب الخامس عشر نقلاً من « الإبريز » وغيره : إذا كانت الأسماء الإلهية للسالك كالسلاح ، فإن أخذها من شيخ عارف مأذون يكون معها نورها ، فتكون حُجُباً يمنع بها الشيطان ، ومؤثّرة تنكسر بها النفس الأمارة الآبية ، فيقوى السالك على الشيطان ، وعلى النفس ، ويَضْعُفَانِ ، كما يقوى المقاتل الذي معه سلاحٌ جيّدٌ وسيف قاطعٌ حادٌّ على العدوّ المحارب ، وإن أخذها من غير عارف مأذون تكون الأسماء خالية عن النور ، فلا يقوى بها على الشيطان الغرّار ، ولا تصير تلك الأسماء حُجُباً بينه ، ولا تكون مؤثّرة لانكسار النفس وهواها ، بل يتسبّب الشيطان في إهلاكه ، ويُوقعه في العجب والرياء بحيث يظن أنه على شيء حسن من العبادة ولو بعد حين .

وفي « المواهب البريقة » نقلاً عن الشعراني : فربما كان الذي لا شيخ له على عبادة الثقلين ، ثم وقع في عجب في آخر عمره فحبط عمله كلّه ، فكان حكمه كحكم النحل إذا أشرف على ختام الخلية ، فسرح على شجر الحنظل سرحة ثم مَجَّ ذلك على الخلية ، فأفسد كل ما فعله تلك السنة . انتهى من عبارته .

وقد سألني بعض العلماء منكراً على شيخنا قطب الأولياء بركة الزمان ذي الجناحين الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره : هل يجوز تعليم الذكر للعِرّيف ؟ .

فقلت له : إذا أراد الكافر أنْ يسلم فأيّ شيء يجب عليه أولاً ؟ فقال أن يقول (لا إله إلا الله) ! فقلت له : فهل يكفي له أن يذكره باللسان بلا تصديق بالقلب ولا إذعان أم لا ؟ فقال : يجب عليه أن يذكره باللسان مع موافقة القلب ، فقلتُ :إذاً يُعْلم بالطريق الأولى جواز الذكر بكلا نَوْعين لمسلم نشأ في الإسلام . فتحيّر وتدبّر ، ولكن قال : هل يجوز أن يذكر الله

بتلقين شيخ مع رابطة ؟ فقلت : نعم ، إنما وضع الإرشاد لأجل المعوجّ ، والأذكار الملقّنة أشدّ تأثيراً وأكثر نفعاً ، وبها يصير المعوجّ مستقيماً . فسكت مَلِيّاً ، ثم أورد عليه ما في « الإحياء » قبيل بيان الدواء النافع في حضور القلب في ١٣٠ من الجزء الأول .

وروي أن الله تعالى أوحى إليه ؛ يعني إلى موسى عليه السلام : « قل لعُصاة أمتك لا يذكروني ، فأنّي آليْتُ على نفسي أنّ من ذَكَرَنِي ذكرْتُهُ ، فإذا ذكروني ذكرتُهُمْ باللعنة » . انتهى من عبارته . فقال : فما تقولون في هذا ؟ فقلت : لعلّ ذلك في حقّ قوم مخصوصين قد ذكروا الله تعالى استهزاءً وسخريّاً مع إصرارهم على المعاصي ، وعدم مبالاتهم بارتكاب المناهي وقد كان الله تعالى شدّد لأمم بعض الأنبياء بأشياء لا طاقة لهم ، وقد رفع ذلك التشديد عن هذه الأمة المحمديّة المرحومة ، كما هو مفهوم قوله تعالى ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ الآية ، وإلا فيعارض كلام « الإحياء » على كثير من الأحاديث والآيات ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ .

وقد أمر الله تعالى بإقامة الصلاة على كلّ مؤمن عاصياً كان أو مطيعاً . والصلاة ذكرٌ بدليل قوله تعالى ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ الآية ، فلو كان الله تعالى يلعن الذاكر العاصي ، وأمره بعدم ذكره إيّاه لما جاز للعصاة والفساق من المؤمنين أن يقيموا الصلاة ، ولم يقل به أحدٌ من الأئمة ، مع أن المشائخ قدس الله أسرارهم لا يلقنون الذكر إلا بعد تلقين التوبة ، وتعليم الإنابة احتياطاً ، فإن استقام المريدون فازوا ونالوا ، وإلا فالضرر راجع إليهم ، لا إلى المشائخ ، فأيّ رجل خرج من العِصْيان مع أنّ العصمة من خصائص النبوّة . انتهى . وبعد ذلك لم يورد إليّ سؤالاً ما ، فلا أدري أَرَضِيَ بالجواب أم لا . فالحمد لله رب العالمين .

قال الشعراني في « لواقح الأنوار » : أخذ علينا العهود عن رسول الله ﷺ أن نحفظ لساننا في كل مجلس نجلسه عن كلام اللغو ما أمكن ، وإن وقعنا في ذلك فلا نصرف حتى نذكر الله تعالى ، بما ورد أنه يكفّر ما وقع في المجلس ، وذلك أنّ الملك لا يكتب ما عمله العبد من السيئات إلا بعد ساعة أو ثلاث ساعات كما ورد ، فإن استغفر لم يكتبها ، وإن لم يستغفر يكتبها ، وهذا من جملة رحمة الله تعالى بعباده ، من حيث كون رحمته وحلمه سبق غضبَهُ وانتقامَهُ . فإذا وقع العبد في معصية تسابق إليه أسماء الرحمة والانتقام ، ومعلوم أن أسماء الرحمة أسبق ، فتأتي أسماء الانتقام فتجد أسماء الرحمة قد سبقتها إلى محل الانتقام ، فرجعت أسماء الانتقام بلا تأثير ، والحمد لله رب العالمين .

وكان الشيخ محي الدين العربي يقول : إذا عَصَيْتَ الله تعالى في الأرض فلا تفارقها حتى تعمل فيها خيراً ، كقولك (لا إله إلا الله) ، أو (سبحان الله) أو(الحمد لله) فكما صارت البقعة تشهد عليك ، كذلك صارت تشهد لك يوم القيامة ، والله يحفظ من يشاء كيف يشاء .

وروى أبو داود والترمذي واللفظ له والنسائي وابن حبّان في « صحيحه » والحاكم ، وقال الترمذي : حديث حسن مرفوعاً « من جلس مجلساً كثر فيه لغطه ، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك اللهُمَّ وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك » . انتهى من عبارته ١١٦ .

ولقد أمر الله تعالى في مواضع عديدة من القرآن بالاستغفار ، والاستغفار ذكرٌ ، تدبّره .

فالحاصل أن العبد مأمور بتقوى الله في سرّه وعلانيته ، لكن لا بدّ أن يقع منه أحياناً تفريطٌ في التقوى ، إمّا بترك بعض المأمورات أو

فعل بعض المنهيات ، ومع ذلك لا ينافي وصفه بالتقوى ، كما دلّ عليه سياق أيات ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ إلى أن قال في وصفهم ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ ﴾ الخ فلذا أمر ﷺ بأن يفعل العبد ما يمحو به ما فرّط منه بقوله عليه السلام « وأتبع السيئة الحسنة تَمْحُها » كما قال الله تعالى ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ أي فلا تعجزن أيها الإنسان إذا فرطت منك سيّئة أن تتبعها بحسنة ، من نحو صلاة أو صدقة أو ذكر ، وفي الحديث « كنت جالساً عند رسول الله ﷺ فجاءه رجل فقال : يا رسول الله ، إني أصبت حدّاً فأقمْهُ عليَّ ، فأعرض عنه ، ثم كرّر ذلك مراراً ، وهو يعرض عنه ، فقال : يا رسول الله إنه أتتني امرأة أجنبيّة تشتري منّي تمراً ، فأدخلْتُهَا البيتَ فأصبت منها ما يصيب الرجل من امرأته ، غيرَ أني لم أجامعْهَا ، فقال له رسول الله ﷺ : توضأ وضوءاً حسناً ، فتوضأ وصلّى مع النبي عليه السلام فنزل قوله تعالى ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴾ أي عظة لمن اتّعظ فقال معاذ : يا رسول الله هذا له خاصة أم للناس عامة ؟ فقال : « بل للناس عامة » . انتهى من « فتح المبين » ملخصاً . وبالمعنى من الحديث الثامن عشر عبارته ١٤٦ راجعه إن أردت البسط الزائد .

وأمثال هذه المذكورات الدالة على جواز ذكر الله لكلّ واحدٍ من المؤمنين من غير فرق بين صالح وفاسق كثير في الكتب ؛ والمشائخ هم الأطباء بالطب الروحاني معالجون المرضى بالأمراض المعنوية بأدوية الأذكار الواردة عن سيد البشر عليه الصلاة والسلام .

والقول بعدم جواز إنزال الدواء على موضع الداء مما لا يقبله عقل ، ولا نقل ، فها أنا طويت لك في هذه الألوكة[1] عدّة منافع فعليك الاستغفار لهذا المذنب الخاطئ واشكر مولاك وهو الغني الحميد .

---

(١) أي : الرسالة .

فصل في بيان رفق المشائخ وملاطفتهم لضعفاء المريدين ومسامحتهم لمن لا يقدر منهم العزيمة .

قال في « الحديقة الوردية » : العمل بالعزيمة في هذا الزمان صعبٌ جدّاً لفساد المعاملات ، وعدم إمكان تطبيقها على قواعد الشريعة ، فالأخذ بظاهر الفتوى مع اجتناب البدعة غنيمة عظيمة . انتهى من عبارته ٢٠٣ .

قال الخاني في « البهجة » في ٣٠ : ينبغي للشيخ أن يرفق بضعفاء الطريقة ، فإذا رأى الشيخ في باطن المريد ضعفاً لا يقدر على عمل العزيمة ومخالفة النفس وترك المألوفات فيُسامحه ، ولا يردّه عن الطريق ولا يثبت رقم الشقاوة على جبينه ، لأنّه مَنْ جلس معه بالصدق والصفاء لا يكون شقيّاً ، إن لم يتصل بمقام الكمَّل فهُمْ قوم لا يشقى بهم جليسهم ، فينبغي أن يأمره بالرخصة فيمنعه من الرياضة الشاقة حتى لا ينفر من صحبة السعداء ، فيجلسه باللطف والكرم ، فبصحبتهم وكثرة المخالطة معهم يَتَأَّثر وتقوى همته . وبحكم المناسبة والمجالسة تحصل له المحبة وداعي تحمّل المشقّة والرياضة والمجاهدة ، فيَرْتقي من حضيض الرخصة إلى ذِرْوَةِ العزيمة ، ويحمل جميع المشاق ، كما قيل : جاء رجل من أبناء الملوك إلى شيخ ، وخرج من جميع المال والأسباب كلّها مرّة واحدة ، فتفرّس الشيخ بفراسته ضعف حاله ، فبحسب الأوقات كان يحضر له الطعام اللذيذ ويقول الشيخ : تربيته كانت بالنعمة ، وتأنس بها ، فلا بدّ من الرفق به ، ولا ينبغي المنع من حظوظات النفس من الحلال حتى تحصل له الرغبة إلى المجاهدات ومخالفة النفس . انتهى من عبارته .

ورأيت في منهوّات « ترصيع الجواهر » من كتب الطريقة العلية الخلوتية : أن بعض المشائخ يربّون تلامذتهم بالشهوات . انتهى من عبارته .

وفي ذلك الكتاب ما حاصله : إن المشائخ مأمورون باستمالة قلوب الناسِ ، ولو قلب كافر ، وأما الأمر بإهانة الكافر والعاصي

المجاهر فهو في حق غير المرشد ، ولذا قال سيِّدنا عبد القادر : لا يضحك في وجه الفاسق غير العارف ، يضحك في وجهه ليتألَّفه ويخلِّصه من فسقه . فراجعه .

وفي « المنن » : **لا ينبغي أن يتواضع للعصاة إلا الدعاة** . انتهى من عبارته .

وفي « البهجة السنية » : ويقدّم الشيخ بعد الاستخارة تعليم التوبة ويكتفي فيها بالإجمال من غير تفصيل الذنوب والمعاصي ، فإنّ الهمم في هذا الزمان قاصرة والتكليف بالتفصيل يقتضي مدة ، فالأولى إهمال ذلك إلى مرور الأيام . قال عبد الراجي رحمه الله إفلاسه : إن للشيوخ الكرام قُدِّسَتْ أسرارهم في هذا الأمر اقتداء برسول الله ﷺ حيث ثبت أنّ بعض المبايعين أرادوا المبايعة له عليه السلام على أربع صلوات أو على أقلّ من ذلك فبايعه على ذلك وقال : « الصلاة لا تُتْرَكُ » فكذلك الشيوخ يقنعون في بداية الأمر بالإجمال من التوبة اعتماداً منهم على أنّ النور الإلهيّ إذا تمكّن من قلبه يأبى أن يكون كلّ حَرَكة وسكنة منه إلا بالله سبحانه وتعالى ، ثم يُلقِّنه ذكراً مناسباً لحاله ويُمدُّه في ذلك بتوجّهه وهمّته ، ويُبيّن له آداب الطريق وشرائطه ، ويرغِّبُه في متابعة الكتاب والسنة ، ويقطع عنه الكلمة بأنّ الوصول إلى المطلوب (الله) لا يمكن إلا بهذه المتابعة ، وينبّهه على أن الوقائع والكشوف المخالفةَ أدنى مخالفة للكتاب والسنة لا يلتفت إليها أولوا الأبصار ، ولا توزن بميزان الاعتبار . انتهى من عبارته ٣٧ .

وقال الإمام الرباني رضي الله عنه في بعض مكاتبه مجيباً لمن سأله : إنّ بعض الرجال والنساء يريدون أخذ الطريقة مع أن أكلهم ولبسهم من مال لا يخلو عن رِباً ، ويظهرون أن هذا الأخذ منهم ليس إلا بالحيلة الشرعيّة ، هل يتأهلون لتعليم الطريقة ؟ : لقِّنوهم الذكر وعلّموهم ورَغِّبُوهم في الاجتناب

عن المحرّم . انتهى . المعنى في هذا أيضاً ما قد سبق عن النبي ﷺ . ومن هنا قالوا : إن الطالب إذا وجد في طاعته وعبادته اختلاج الباطن بشيء من السمْعة والرياء لا يترك العبادة ، بل يستغفر الله تبارك وتعالى . انتهى منه عبارته ٣٧ بتصّرف .

وقد قيل : إن الرياء قنطرة الإخلاص ، ولهذا قد تحمل المشائخ المريدَ إلى الرياء في العبادة ليجرُّوه تدريجاً إلى الإخلاص . هكذا قال لي شيخنا ذو الجناحين الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره .

وفي « المنن » للشعراني قدس سره : ولمّا ظهر رسول الله ﷺ بالرسالة لم يأمر أحداً بترك الحرفة ، بل أقرّهم على حِرَفِهم ، وأمرهم بالنُصح فيها . وكان سيدي عليّ الخواص رحمه الله تعلى يقول : الكامل من يسلك الناس وهم في حرفهم . انتهى .

فالواجب على الشيخ أن يرفق ويلطف بمن كثرت معاصيه وقسى قلبه ، وغلب وقوعه في المخالفات ، ولم ينشرح صَدْره للتوبة ، فإنه كالمريض الذي يشكوا أمراضه للطبيب ، فلا ينبغي له أن يزجره وينفرّ منه بل يصبر عليه حتى يفرغ من أن يَشْكو ضرورته ومرضه ، ثم يصف له الدواء ، وهذا الخُلق قلّ من يعمل به لاسيما أهل الحدة والغِيرة على الشريعة ، ولو أنهم نظروا في أخلاقه ﷺ لتلطّفوا بجميع العصاة . فإياك يا أخي ونهر أحد من العصاة إذا سألك عن دوائه ، ولا يمتحنهم الشيخ في الصدق ، لأنّ الامتحان إنما يكون إذا تمكنوا في الطريق ، وعلقت بهم صنارتها .

وأما قبل ذلك فربّما امتحنهم الشيخ ، فرجعُوا عما كانوا قصدوه وقالوا : ما لنا ولهذا الطريق ؟ ! وفترت همّتهم . انتهى من عبارته من مواضع متفرقة .

وفي « الفتاوى » لابن حجر : إن النبيّ ﷺ كان يُلَيِّنُ القول لمن يَرْجُو إسلامَه لأنّه أرجى للهداية . انتهى من عبارته .

من لم ينظر للعصاة بعين الرحمة فقد خرج عن الطريق

وفي « تنبيه المغترين » من لم ينظر للعُصاة بعين الرحمة فقد خرج عن الطريق . انتهى من عبارته . وفيه أيضاً : الفاسق ضالة كل داع إلى الله ، أَيْنَمَا وجدها يلتقطها . انتهى بالمعنى .

وفي « الأنوار القدسية » لخليفة شيخ الخنكار الأعظم – نصره الله – : وكان أبو الحسن الشاذلي لا يأمر أحداً بترك حرفته وتجارته بل يعرّفه الطريق وهو باق على حرفته . انتهى من عبارته .

فعامل يا أخي إخوانك في هذا الزمان كما تعامل الأطفال الذين ليس لهم عُقولٌ ، ولا تُقِمْ عليهم ميزان الصدق فينفرّوا كلّهم من صُحْبتك . انتهى من « المنن » عبارته .

وفيه : أنه لا لوم على الدعاة إلى الله تعالى من العلماء العاملين في تليينهم الكلام للفسقة بقصد صحيح ؛ كأنْ يقصِدُوا من ذلك تمييلَ قلوبهم إلى محبتهم حتى يَصْغَوْا لِنُصْحهم ، فإن التكبّر على الفسقة وإظهار احتقارهم مما ينفرّ قلوبهم ، وتأمل يا أخي الصيادَ إذا اصْطادَ سمكة كبيرة وخاف على خيْطه أن ينقطع كيف يخدعها ويرخي لها الخيط على تَبَعُّدٍ ثم يَسْحبها مسارقة شيئاً فشيئاً حتى تدخل تحت يده ويقبض عليها ، وكذلك العصاة . انتهى من عبارته .

وفى « درر الغواص » على « فتاوى علي الخواص » للشعراني : فقلت له فما مذهبكم فى المعاهدة للمريد أنه لا يعود يعصي الله عز وجل ، فقال : هو أيضاً مما نكرهه ، لأنّه لا يؤمن متعاطى ذلك من الوقوع في الخيانة ، فيصير عليه إثم المعصية وإثم خيانة العهد ، ولو أنه لم يقع

فى معاهدة لكان عليه إثمٌ واحدٌ . فالأحسن للشيخ أن يأمر المريد بفعل الأوامر واجتناب النواهي من غير معاهدة انتهى . من عبارته .

وفى كتاب « الجواهر » و« الدرر » للشعراني : فقلت له فما تقولون فى ترتيب الأوراد المشروعة ، وأخذ العهد على المريدين أن يوفوا بها ، فقال ﵁ هو مما نكرهه ولا نفعله . فقلت لم ذلك ؟ فقال ﵁ لا يأمن صاحب المعاهدة من عدم الوفاء والخيانة فيقع فى كفة الخسران .انتهى .

ومشى شيخنا ومولنا وسيدنا قطب الأولياء وبرهان الأصفياء ذو الجناحين الحاج عبد الرحمن العسلي رزقه الله ما فيه صلاحه فى الدارين والدين آمين على هذه السياسة الحسنة .

وقد قال المحققون : من شرط الداعي إلى طريق الله تعالى معرفته السياسة قبل الدعاء ليدعوا كل إنسان من الطريق التي يسهل عليه انقياده له منها . انتهى ، ومرّ أنه لا ينبغي أن يتواضع للعصاة إلا الدعاة إلى الله تعالى . انتهى .

ولا يجوز تغيير المنكر للمشائخ والداعين إلى الله تعالى إلا بالقلب والهمة ، هكذا قال لي شيخنا المذكور قدس سره ، ويوافق قوله بما في « لواقح الأنوار » و« المنن » فراجعهما .

بعض الخير يجرّ إلى الخير

وإنما الداعي إلى الإطالة في هذا المطلب بتحرير النقول الكثيرة كثرة طَعْنِ الناس فيما يفعله شيخنا العسليّ قدس سره ؛ من تلقينه للحشاشين وأهلِ السعوط وغيرهم من شربة النبيذ ممن لا يطيقون ترك المعاصي رأساً ، فقد رأيتهم بعد ذلك التلقين منّاعِينَ للشرور والمعاصي ، وطمّاعِينَ إلي أعمال الأبرار بعد ما كانوا عاصين قبل ذلك التلقين . فتدرّجو إلي الخيرات ، وتسارعوا إلى الحسنات ، وتيقنوا بركة الأذكار فى جميع

الأوقات ، وما زالوا يذكرون الله تعالى بالقلب واللسان ، فلو كان قدس سره مَنَعَهم لفاتت عنهم تلك المنافع ، واستمروا على فعل المعاصي ، **وبعض الخير يجرّ إلى الخير**[1] **كما أنّ بعض الشرّ يجرّ إلى الكل** فافهم . ولو كان تلقين الأذكار القلبية حراماً للعوام ، كما قال البعض من هؤلاء المدعين لما قال هؤلاء الأقطاب النقشبنديون وغيرهم هذه الأقوال النافعة فى تلك الكتب[2] .

الباب السابع

في أن اطمئنان النفس ليس شرطاً لجواز التلقين

كما زعم عليه البعض المذكور ، وإنما هو شرط للإذن بالإرشاد كما قال الغوث الأعظم محمود أفندي قدس سره نقلاً من « الرسالة المدنية » : فلا يصل[3] السالك إلى هذه المرتبة إلاّ بعد الصحبة الصادقة مع الشيخ الكامل ، وبعد هذه يستعدّ لتربية الطالبين وللتوجه . انتهى من « مكتوباته » .

وفي « ترصيع الجواهر » ما يؤخذ منه إن السالك إذا صارت نفسه مطمئنة يجوز أن يؤذن له بالإرشاد . فراجعه من الباب الثامن .

فالحق الذي يتمسّك به ، وما يحتجّ به المدعي ما في « المكتوبات » للإمام الرباني قدس سره في ٣٨ من الجزء الثالث أنه : لا بد لمبتدئي طلبة هذا الطريق من الذكر ، **فإنّ ترقِّيه مربوطٌ بتكرار الذكر بشرط أن**

---

(١) وفي نسخة : ولا شك أن بعض الخير . .الخ .

(٢) وفي نسخة : في تلك الكتب النقشبندية وغيرها .

(٣) وهذه الرتبة لا يكون إلا بواسطة مرشد كامل مكمّل أمرناه ، على أن الشيخ في وقته كالنبيّ عليه السلام في زمانه . (سيف الله النثزبكري رحمه الله) عبارته .

يأخذه من الشيخ الكامل المكمّل ، **فإن لم يكن بهذا الشرط فكثيراً ما يكون من قبيل أوراد الأبرار الّتي نتيجتها الثواب ، لا درجة القرب التي تتعلّق بالمقربين** ، فإذا تمّت المعاملة التي كانت مَرْبُوطة بالذكر بفضل الله سبحانه ، وتيسّر الخلاص من التعلق بآلهة الهوى ، وصارت الأمارة مُطْمئنّةً ، فحينئذ لا يحصل الترقي من الذكر ويكون حكم الذكر حكم أوراد الأبرار ، وقطعُ مراتب القرب في ذلك الموطن مرْبُوطٌ بتلاوة القرآن وأداء الصلاة بطول القنوت ، ولكلٍّ عملٍ مقام وموسم ،فإن أدّي في موسمه يكون له حُسن وملاحة ، وإلا فكيثراً ما يكون خطأً ، وإن كان حسنة في ذاته ، ألا ترى أن قراءة الفاتحة في التشهّد خطأ ، وإن كانت أمّ الكتاب ، فكان الشيخ في هذا الطريق من الضروريّات ، وتعليمُهُ من أهمّ المهمّات ، وبدونه خَرَط القتّاد ، قال واحد من الأعزة شعراً :

من أجل كونك في البداية أحـــولا لا بـد مـــن شيخ يـقـــودك أوّلا

انتهى باختصار على المراد من عينه .

ولقد قال أخونا مير سيف الله الغازي الغموقي قدس سره : إن معنى الارشاد من أهل الإرشاد إرشاد الضالّ إلى السداد ، لا إرشاد المرشدين والمريدين ولا القائمين على حدّ الرشاد ، ولا معنى للإرشاد لمن كان في الرشاد ، فهو تحصيل الحاصل المردود عند كل ناقص وكامل ، والنفس من كلّ أحد أمّارة إلا من خصّه الله تعالى من الولادة بالفيض الإلهيّ بالحظ الوهبيّ ، كيف لا ؟ ! وقد قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ وذلك خطاب لنبيه عليه السلام الذي لا يبلغ الوليّ رتبته عُشْرِ معاشره ، فحينئذ يكون مراد الإرشاد إخراجَ طالب السلوك عن رعونة الأمّارة وحضيضِها إلى سبيل الهداية بواسطة تَرْبيته بتزكية اللطائف حتى تصير الأمارة لوّامة ، ثم وثم إلى أن تترقى إلى المطمئنة ، ويصير المريد مُراداً ، ويذهب عن النفسانية حتى يبقى العبد في الفناء المحض بلا نفس غيبةً عن الوجود . انتهى من خطه رحمه الله .

وليت شعري هل من واحد وصل إلى هذا المقام[1] إلاّ بعد مضي الزمان مذ زمن الأخذ من الشيخ المرشد ، وهل كان جميع الطالبين في زمن السلف الصالحين على هذا المقام الذى يُرْجى إليه كل من المريدين أم لا ؟ ! فوالله إنّ القلب لتصديق هؤلاء الأقطاب النقشبندية وغيرهم أميل من تصديق كلام مخالفيهم ، والحق أحق أن يُتَّبع كيف لا ؟ ! وفي ديارنا الداغستانية أبعاض لقن لهم الذكر القلبي ، وأخذوا الطريقة النقشبندية من الغوث الأعظم والقطب الأكرم أحمد ضياء الدين الكمشخانوي ذي التأليفات النفيسات كـ « جامع أصول الأولياء » و« المتممات » و« نجاة الغافلين » و« روح العارفين » و« رموز الأحاديث » ، وكذا من الشيخ جمال الدين الغموقي قدس سره ، ولاقيت من لقن له الذكر وأخذ الطريقة من الشيخ ممّ دبر الروشيّ قدس سره ، وكذا من الشيخ الحاج[2] عبد الرحمن الثغوري قدس سره .

قال الشيخ إلياس الزدقاري قدس سره الذى كان خليفته في مدة حياته في كتابه « سلّم المريد » : اعلموا أيها الإخوان الأحبّاء والأصدقاء الأصفياء كان لشيخي وأستاذي وسندي الحاج عبد الرحمن الثغوري إذْنٌ من المشائخ النقشبنديّين ، كان له إذن من مشائخ الطريقة القادرية ، ولكن كانت قاعدة تلقينه الذكر أن يأمر أوّلاً بالذكر اللساني لا بالجهر لبعض[3] المريدين ، ثم إذا حصلت له بركة وجذبة يلقِّنه بالذكر القلبيّ ،

---

(١) أي : المطمئنة .

(٢) وما كان الشيخ الحاج عبد الرحمن الثغوري يفعله هو عين ما يفعله شيخنا الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سرهما لكنه يزيد تعليم الرابطة إلى الغوث محمود الفعال . (منه) .

(٣) وليت شعري : هل كان الناس في مدة حياتهم مسلمين خالصين ، وبعد انتقالهم من الدنيا صاروا كافرين مشركين ؟ ! ليمنع مشائخ هذا الزمان تلقين الذكر القلبيّ ، قائلين : إنه حرام كما صرّح به بعضهم ، وردّدته بالنصوصات في كتابي « الجوهرة النفيسة في إعانة الطريقة النقشبيدية » . (منه رحمه الله إفلاسه وغفر ذنبه آمين) .

ثمّ باللطائف المذكورة ، ولبعضهم يلقن الذكر القلبيّ أوّلاً ، وكان يأذن لمريديه بالذكر الجهري في المساجد والمجامع والمواليد ولا ينهاهم عنه . انتهى من عبارته .

ثم قال بعيد هذا : فلقد كان لنا في حياة الشيخ الحاج عبد الرحمن الثغوري المريدون والمريدات ، وأنا كنتُ أمرت المريدين في فَعْلِ أورادهم بما عليه مشائخنا من الذكر الخفيّ الخ . انتهى من عبارته فافهم منه وتدبّره .

وهذه البدعات الحاصلة في ولايتنا في هذه الطريقة قد ظهرت بعد انتقال هؤلاء المشائخ المذكورين قدس الله تعالى أسرارهم العلية ، ولم تكن مدة حياتهم فيما علمناه ، ولكنّ المتأخرين أحدثوا هذه الاختراعات في هذه الطريقة زاعمين أنّهم آمرون بالمعروف وقائمون على انتشار الدين ، ولم يتفطنوا لما يترتّب على صنيعهم من المفاسد ؛ كطرد الناس عن أبواب أهل الكمال ، وإضاعتهم من أخذوا منهم بتوقفهم عن حصول نتائج الأذكار التي هي من خصائص التلقين من أهل التكميل ، لا من أرباب التعطيل . فهذا مما عمّت به البلوى وبثّت به الشكوى في المدائن[1] .

---

*وأما ما – :أي الذكر– لقنه أهل الدعوى فلا يجري بذلك المدد منه عليه السلام ويتبرك به ، لأنه منقطع السلسلة وليس معه نور النسبة الحاجبة من الشيطان ، فافهم وراجع في كتاب « الجوهر النفيسة » لعلك تجد فيه ما يصفي القلب العليل في حق هذا المطلب النفيس (منه رحم الله إفلاسه)

(١) وفي نسخة زيادة في هذا المكان : في المدائن والقرى ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون .

الباب الثامن

في بيان أن غالب مشائخ الزمان إنما يلقنون الذكر بقصد التبرك لا للسلوك بعدم تأهّلهم له

وهذه مشيخة صورية بمعنى الرواية لا الدراية ، وفائدتها دخول المريد في سلسلة القوم لحصول محبتهم والتسليم والاعتقاد لمقالاتهم ، وارتباط القلوب بعضها ببَعضٍ إلى رسول الله ﷺ وبذلك يجري المدد للمريدين من الحضرة المحمدية ،ولا يجوز لهم التلقين على غير هذا الوجه ، بل يجب عليهم إعلام من أراد الأخذ عنهم بأنهم متشبِّهون بأهل الطريق ، لا متحقّقون بهم . هذا حاصل ما في « الترصيع الجواهر المكية » مع ما في هامشه ، ومع هذا لا يجوز تلقين الذكر لمن ليس في يده إذنٌ من المشائخ الكمّل ولو كان للتبرك والتشبه كما يأتي والله أعلم[1] . وأقل ما يفوّت هؤلاء المتصدرون بأنفسهم الصادون الناس عن أبواب الكمل محبتهم والتبرك و التشبه بهم مع ما في هذه الأشياء منافع محمودة في الشرع ؛

قال ابن حجر في « الفتاوى » ما حاصله : إنّ المتشبه بهم ، وإن كان على قصوره عن القيام بما هو عليه يكون معهم لموضع إرادته ومحبّته ، وقد ورد عنه عليه السلام أنه قال « المرء مع من أحب » فقال : أبو ذرّ : يا رسول الله ، الرجل يحب القوم ، ولا يستطيع أن يعمل كعملهم قال « يا أبا ذرّ ، أنت مع من أحببت » ، قال : فإني أحبّ الله ورسوله ، قال « فإنك مع من أحببت » .

قال الشهاب السهروردي : جاء فتى إلى الشيخ أحمد الغزالي (ابن أخي حجة الإسلام) يريد منه أن يلبسه الخرقة ، فأرسله إلى شيخنا ؛

---

(١) وفي نسخة زيادة في هذا المكان : لأن ذلك سرّ مخصوص بأهله ، كما يأتي تحقيقه إن شاء الله تعالى .

أي : والظاهر أنه عمّه أبو النجيب ليذكر له معنى الخرقة ، فجاء إليه فذكر للمبتدئ له شروطها وآدابها وحقوقها ، فجَبُنَ الرجل عن ذلك ، ورجع الغزاليَّ فاستحضره ، وقال له : ما ذكرتَه صحيح ، ولكن إذا ألزمنا المبتدئ بذلك نفر وعجز عن القيام به ، فنحن نلبسه الخرقة حتى يتشبّه بالقوم ويتزيّا بزيّهم ، فيقرِّبه ذلك من مجالسهم ومحافلهم ، فببركة مخالطته بهم ونظره إلى أحوال القوم وسيرهم ، يحبّ أن يسلك مسلكهم ، ويصل بذلك إلى شيء من أحوالهم .

قال الشهاب السهورورديّ : فالمتشبه الحقيقي له إيمان بطريق القوم وعملٌ بمقتضاه وسلوكٌ واجتهاد ، لأنّه صاحب مجاهدة ومحاسبة كما مرّ ، ثم يصير متصوّفاً صاحب مراقبة ، ثم يصير صوفيّاً صاحب مشاهدة ، فأما من لم يقصد أوائل مقاصدهم بل هو على مجرّد تشبّه ظاهر من ظاهر التشبّه والمشاركة في الزيّ والصورة دون السيرة والصفة فليس متشبّهاً بالصوفية ، لأنّه غير محاكٍ لهم في الدخول في بداياتهم ، فإذاً هو متشبّه بالمتشبه يعزى[1] إلى القوم بمجرد لبسه ، ومع ذلك « هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » وقد ورد « من تشبه بقوم فهو منهم » . انتهى كلام ابن حجر عينه .

وفي « منية الفقير المتجرّد[2] » ما يليق إيراده في هذا الموضع ، لنفاسته وزخارته وهو هذه العبارات : المقصد الأوّل فيما يوجب الاغتباط بهذا العلم ، وأنه أحق ما يوجّه إليه الفكر والعزم يكفي في ذلك أمران : **أحدهما** : أن التضلّع من هذا العلم يقي صاحبه سوء الخاتمة ، ويحمله على التوبة والإنابة وسلوك ما يوجب الفوز بالسعادة .

---

(١) أي : ينسب .

(٢) وهو شرح « أجرومية العوامل » وهو كتاب نفيس قد أخذ مؤلفه من كلّ ما فيه معنى في التصوف . فما أغور كلامه وما أدق ذكائه ، رزقنا الله تعالى من معاريفه . انتهى (منه رحم الله إفلاسه) .

فقد نقل الشيخ أبو طالب المكي في كتابه « قوت القلوب » والإمام أبو حامد الغزالي في كتابه « الإحياء » عن بعض العارفين أنه قال : من لم يكن له نصيب من هذا العلم ؛ أي : علم الباطن أخاف عليه سوء الخاتمة ، وأدنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله .

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﵁ : من لم يتغلغل في علمنا هذا مات مصرّاً على الكبائر ؛ وهو لا يشعر .

الثاني : أنه سبب كل خير وفوز وفتح ونور ، وبه يكثر الحسنات ويرتقي بفضل الله إلى أعلى الدرجات ، لأنّ الاشتغال بطريق القوم سبب التصديق بهم ، وهو سبب محبّتهم ، ومحبّتهم تؤدّي إلى الشوق إلى مجالستهم ، ومجالستهم تؤدّي إلى النظر في وجوههم ، وفي هذا من الفضل ما لا يخفى ؛

أما التصديق بطريقتهم فقد تضمّن ولاية الله لعبده ، لقول إمام الطريقة أبي القاسم الجنيد ﵁ : التصديق بطريق الولاية ولاية .

وأما محبتهم فقد تضمّنت الحشر معهم ، لقوله ﷺ « من أحبّ قوماً حشر معهم » ، وقوله « المرء مع من أحبّ » .

وأما الشوق إلى مجالستهم فقد تضمّن الاتصاف بسيرتهم ، لقوله ﷺ « المرء على دين خليله » لأنّ الطباع تسرق الطباع . **وأما** النظر إلى وجوههم على وجه المحبة فقد تضمّن خير أجر عبادة العابدين ، لقوله ﷺ « نظرة في وجه أخ في الله على شوق إليه خير من أجر من اعتكف في مسجدي هذا أربعين سنة » . انتهى .

وعن بعضهم أنه رأى النبي ﷺ في المنام ، قال : فقلت له : أنا المتطفّلُ في هذا العلم يا رسول الله ، قال : اقرأ كلام القوم ، فإن المتطفّل على هذا العلم هو الوليّ ، وأما العامل به فهو النجم الذى لا يُدْرَك .

وقال الجنيد ﷺ : التصديق بعلمنا هذا ولاية ، وإذا فاتتك المنة في نفسك فلا يفتك أن تصدق بها غَيْرَكَ ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ ، وقال أبو يزيد : من يؤمن بكلام أهل الطريق فقُلْ له يدعو لك ، فإنه مجاب الدعوة . انتهى من عبارته .

وفي « المنن » للشعراني : النظر إلى وجه الوليّ على جهة التعظيم ساعةً واحدةً خيرٌ للمريد من عبادته وحده خمسين سنة . انتهى من عبارته .

كلمتان تحت العرش

عن كعب الأحبار ﷺ أنه قال : إن الله تعالى كتب كلمتين ووضعهما تحت العرش قبل أن يخلق الأرض ، لم تعلم الملائكة من علمهما ، وأنا أعلم بهما . قيل له : يا أبا إسحاق ، وما هما ؟ قال : **أحدهما** : أيّما رجل يعمل عمل العالمين بعد أن يكون صحبته مع الفجّار وهو يحبّهم فإنّي أجعل عمله إثماً ، وأحشره مع الفجار . **والآخر** : لو أنّ رجلاً عمل عمل الأشرار بعد أن يكون صحبته مع الصالحين والأبرار وهو يحبّهم ، فإني أجعل سيّئاته حسنات وأحشره يوم القيامة مع الأبرار . انتهى « مرشد السالكين » عبارته .

وهذه المذكورات من أجلّ المنافع لمن تدبرها بعين الإنصاف ، لاحظها واعتبرها جعلنا الله تعالى من المتشبهين بهؤلاء القوم ، ونستحي أن نسأله أن يجعلنا من السالكين في سلكهم ولكنّ فضل الله عظيم[1] .

---

(١) وفي نسخة : وهو ولي الهداية والتوفيق .

الباب التاسع

في بطلان تخصيص تسمية ذكر اللسان شريعة ، ودفع دعوى من يقول : يجوز تلقينه بنفسه وإن لم يكن هو سالكاً ومأذوناً من شيخ حقيقي مأذون له من طرف شيخه

وقد مرّ ما يردّه ولا نعلم دليلاً ما لتخصيص تسمية ذكر اللسان شريعة . وكتب بعض من مشائخ ديارنا تقريراً في إثبات ما يفعله من تلقين الذكر الجهري ، وعدم جواز تلقين الذكر الخفي لأهل داغستان ، فجميع ما فيه يرده بكلامه فيه ، ولا حاجة لتطويل الكلام بذكره هنا ، فليتدبره من وصل إلى يده ذلك التقرير ، ورأيت في « الأعمال المنقذة عن قوارع البرزخ والقيامة » أنهم ردوا قول بعضهم باختصاص ثواب الأذكار لمجتنب الكبائر ومؤدي الفرائض بعموم الأخبار إلى غيرهما . انتهى من عبارته .

فالحق الحاصل أن القلب واللسان جارحتان من جوارح الإنسان ، والأمر بالذكر واردٌ في الكتاب والسنة بكلا نوعيه ، وفي المؤمنين صالح وطالح ، وقد قال الله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ فَشَمَلَتهما وعمّت ، فيجوز الذكر بكليهما لصالح وغيره ، ويجوز التلقين بذكر اللسان لمن في طريقته ذكر اللسان ، وبذكر القلب لمن في طريقته ذكر القلب ، ولا مخصص لتسمية أحدهما شريعة والأخر طريقة ، مع أنهما شيء واحد لا يقوم أحدهما بدون الآخر ، راجع « مجموعة الرسائل » و« الفتاوى العمرية » و« هدية الذاكرين » و« تصديق المعارف » في تفسير هذه[1] و« تفسير سلمى » و « الفتاوى الحديثية » لابن حجر .

(١) وفي نسخة زيادة : من هذه الآية المذكورة وغيرها ، والله أعلم كتاب .

وأما تلقين ذكر اللسان إن كان من شيخ عارف لأجل الاستعداد لتلقين ذكر القلب فجائز ، وإن كان من غير عارف فلا ، يأتى قريباً ، وإن كان ذلك الملقن عارفاً ومأذوناً فتبديله أذكار الاستعداد عما كان عليه شيخه ، وتغيير أذكارها وتلقينها على خلاف ما عليه اتفق أهلها فهو مما لم يسمع من المشائخ السلف والخلف ، وإنما المسموع منهم تلقينهم الاستغفار والصلاة ، وتعليمهم الرابطة الشريفة لمن ليس له استعداد ، **فيتم استعدادهم في نحو شهر أو أقل ، ثم يلقن لهم الذكر القلبيّ** ، وأما أصحاب هذا فلم نجد منهم ولم نسمع وإن تفحّصنا من لقن له الذكر القلبيّ ولو للمجتهدين منهم للذكر أناء الليل وأطراف النهار أو لمن أذن له للإرشاد ، فإذا رد عليهم بهذا القول فلا يدرون ما يقولون .

الباب العاشر

في رد من يزعم بأنّ في يده إذن من طرف القادرية وأن تلقينه أذكار اللسان موافق لما عليه القادرية

فإن لم يكن في قوله هذا صادقاً فيدخلٍ في قوله عليه السلام « لعن الله من انتسب إلى غير أبيه » ، وإن كان صادقاً وكان بيده إذن من المشائخ القادرية فتلقين النفي والإثبات أوّلاً خلاف ما عليه القادرية ؛

قال صاحب « الأنهار الأربعة » : اعلم أن مشائخ هذه الطريقة ؛ أي : القادرية قدس الله أرواحهم يأمرون الطالب أوّلاً بالذكر جهراً متوسطاً ، وهو على قسمين : اسم الذات ، والنفي والإثبات .

الأول متنوع على أربعة أنواع :

النوع الأول : ما كان بضربة واحدة ؛ وصفته : أن يقول (الله) بالشدة والمدّ والجهر بقوة القلب والحلق ثم يتوقّف حتى يستقرّ النفس ، ثم يقول أيضاً على الطريق المذكور ولم يزل هكذا متخذاً ورداً .

النوع الثاني : ما كان بضربتين ؛ وطريقه : أن يجلس جلسة الصلاة على ركبتيه ، ويضرب باللفظ المبارك مرة على الركبة اليمنى وأخرى على القلب ، ويكرّر ذلك بلا فصل . وينبغي أن يكون كلٌّ من الضربتين بكمال القوّة والشدّة خصوصاً الضربة التى تكون على القلب لتأثر القلب وتحصّل الجمعيّة .

النوع الثالث : ما كان بضربات ثلاث ؛ وكيفيته : أن يجلس متربّعاً ، ويضرب باسم الذات مرّة على الركبة اليمنى ، ومرة على الركبة اليسرى ، ومرّة على القلب ، ولتكن الضربة الثالثة أشدّ وأجهَرَ .

النوع الرابع : ماكان بضربات أربع ؛ وفي هذا كذلك يجلس متربّعاً ، ويضرب باسم الذات مرّة على الركبة اليمنى ، ومرة على الركبة اليسرى ، ومرة في القلب ، ومرة أمامه ، وليكن الرابع أشدّ وأجهر من الأوليّات .

القسم الثاني : النفي والإثبات ، وهو قولنا (لا اله الا الله) ، وصفته : أن يجلس متوجهاً إلى القبلة ، ويغمض عينيه ، ويقول (لا) كأنه يخرجها من سرّته ، ثم يمدّها حتى يبلغ إلى المنكب الأيمن فيقول (إله) كأنه يخرجها من أمّ الدماغ ، ثم يضرب (إلا الله) بالشدّة والقوّة على القلب ، ويلاحظ نفي المحبوبية والمقصود والوجود عن غير الله تعالى وإثباتها له تبارك وتعالى . انتهى من عبارته .

وفي ذلك الكتاب حكمة تلك الضربات ، وقاعدة الأذكار القلبيّة بعد حصول نتائج هذه الأذكار اللسانية ، وبعد ذلك يأمرون[1] بالمراقبة فراجعه ففيه البسط الزائد . فتبيّن مما ذكر أنّ تلقين (لا إله إلا الله) للمريدين أوّل[2] مرّة ليس في الطريقة القادرية ، وبطل ما كانوا يعملون ، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين .

---

(١) أي : القادرية .

(٢) أي : في الابتداء .

وأخبرني قطب الأولياء ذو الجناحين العسلي - قدس سره ورزقه الله ما يرضاه - أن خليفة شيخ الخنكار الأعظم نصره الله تعالى قال له : إن صاحب هذه الدعاوي الأخيرة قد كان جائياً لديه ، وإن طريقته ليست بطريقتنا النقشبندية ، ولا هي طريقة نعلمها بعَينها . انتهى . ولكنه[1] قد أذن في رسالته المسمات بـ « نجم الأنام » لأخذ مريديه حين غاب هو ، وقال فيه : إذا وجدت من يدلك على الله فعلّق على ذيله ولا تفارقه فإنه شيخك وأستاذك لا فرق بيني وبينه . انتهى بتصرف واختصار ، فلعل الله يغفر له ما جناه ، ويعفو عما أبداه من البدعة في هذه الطريقة ، لأنّه لم يمنع أصحابه عن الخيرات ، بل حث عليها بتلك العبارات .

مهم لأبناء هذا العصر

وهكذا يجب أن يقول كلّ داع إلى الله ، ولا يتحجّر على المريد إلا من غلب على قلبه حبّ الشهرة والرياسة ، ولا يخلو منه إلا العارفون ، ولا يبالي المخلص اهتدى الناس بهداه أم بهدى غيره ، بل يفرح ويشكر على الهادي والمهتدي ، كيف لا ؟! وقد شبّه الغزالي في « الإحياء » المريد بالميت المطروح ، والشيخ كمن وجب عليه حمله ، فاللازم على الشيخ أن يفرح ويشكر إذا وجد من يحمل ميّتاً وجب عليه حمله .

وعلامة الصدق في دعوة الخلق إلى الله تعالى والإخلاص في تلقين الأذكار أنه لو ظهر غيره ممّن هو في زمنه أعرف طريقاً وأرشد خلقاً ، ووقع ذلك الغير موقع القبول في قلوب الناس ، وظهر به أثر الصلاح ، فينبغي أن يفرح به ويشكر الله تعالى على كفايته هذا المهمّ ، كمن وجب عليه أن يعالج مريضاً ضائعاً فقام بمعالجته غيره فإنه يعظم به فرحه ، فإن كان يصادف في قلبه ترجيحاً لدعوته وإرشاده على دعوة غيره وإرشاده فهو مغرور ، ودعوته معلول ، فليتفطن لهذا المطلب العزيز ، وليتدبره[2] .

---

(١) أي : صاحب هذه الدعاوي الآخيرة .

(٢) وفي نسخة زيادة : المنصف فإنه ميزان صادق .

وفي « المنن » : إن المزاحمة على المشيخة لا تقع قط من عارف بالله ، وإنما تقع من قاصرين ، ومن قاصر وعارف . انتهى .

وقال بعض الأكابر : اصحبوني ولا أمنعكم أن تصحبوا غيري ، فإن وجدتم مَنْهَلاً أعذب من هذا المنهل فردوا . انتهى . « الأنوار القدسية » . وأمثال هذا كثير في كتب الشعراني فليراجعها .

الباب الحادي عشر

في بيان أن انقطاع المريد من شيخ ودخوله في عهد شيخ آخر وأخذه منه حين غاب هو أو مات أو كان حيّاً وحاضراً فهو جائز بشرطه

فإني أرسلت المكتوب بهذه المسألة إلى العالم الرباني السيد الشريف الأمير سيف الله الغازي الغموقي الحسينيّ رزقنا الله تعالى من معارفه نصيباً ، وجمعنا وإيّاه في دار السلام ، فأجاب رحمه الله في رسالته إلى هذا الفقير بهذه العبارات :

يجوز لمن له شيخ الأخذ من شيخ آخر

واعلم يا أخي أن المقصود الأصلي هو الحق سبحانه وتعالى ، **والشيخ وسيلة الوصول إلى جناب الحق تعالى** ، فإن رأى الطالب رشده عند شيخ آخر ، ووجد قلبه في صحبته حاضراً مع الحق ، يجوز أن يحضر عنده في حياة شيخه الأوّل بلا إذنه ويطلب منه رشده ، **ولكن ينبغي أن لا ينكر شيخه الأوّل** ، **ولا يذكره إلا بخير خصوصاً في هذا الوقت** ، **فإنه لم يَبْقَ فيه المريديّة والشيخوخة غير الرسم والعادة** ، فإذا لم يكن لشيوخ هذا الوقت خبر عن أنفسهم ، ولا يقدرون أن يفرقوا بين الإيمان

والكفر فكيف يكون لهم خبر عن الله عزّ وجلّ ؟ ! وعلى أيّ طريق يدلّون المريد ؟ ! نسأل الله تعالى ترقياتكم الصورية والمعنوية ، فإن خيريتكم وصلاحكم متضمنة لجمعية جميع المسلمين ورفاهيتهم ، والدعاء لكم دعاء لجميع المسلمين ، سلّمكم الله سبحانه وتعالى عما لا يليق بجنابكم بحرمة سيد المرسلين عليه وعليهم الصلوات والتسليمات إلى يوم الدين . انتهى كلامه قدس سره .

وفي « الرشحات » إذا وجد المريد الصادق شيخاً أكمل من شيخه يجوز له أن ينقطع عن الشيخ الكامل ويتصل بالشيخ الأكمل ، فراجعه .

وقد كتب الإمام الرباني قدس سره في بعض مكاتيبه : إن الطالب إذا لم يجد رشداً عند شيخ ، ورآه عند شيخ آخر يسوغ له أن يذهب إلى خدمته من غير إنكار على شيخه الأوّل . وأيّد ذلك بنقل من خواجه بهاء الدين قدس سره ، وقال : إنه أخذ في ذلك فتوى من علماء بخارى . انتهى من عين « النفائس السانحات في تذييل الباقيات الصالحات » راجعه ، وهكذا في « البهجة السنية » .

وقال الشيخ الأكبر قدس سره : يجب على الشيخ إذا رأى شيخاً آخر فوقه أن ينصح نفسه ، ويلزم خدمة ذلك الشيخ هو وتلامذته ، فإنه صلاح وسعادة في حقه وحق أصحابه ، ومتى لم يفعل هذا فليس بمنصفٍ وناصح نفسه ، ولا صاحب همّة ، بل هو ساقط الهمّة وضعيفها ، بل ربّما يكون محبّاً للرياسة والتقدّمِ وهذا في طريق الله نقص ، ألا ترى قوله عليه السلام « لو كان موسى حيّاً ما وسعه إلا اتباعي » وإلياس وعيسى بل كل الأنبياء تحت حكم شريعة رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة تحت لوائه ، وشريعته قط لا يُغَير ، هكذا ينبغي أن تكون شيوخ الطريقة .

وقال الشعراني قدس سره : ثم إني إذا رأيت أحدهم أعرف منِّي بالطريق تتلمذت له ولو كنت مؤذوناً لي قبل ذلك من شيخ آخر ، لأنّ المقامات ليس لها حدٌّ يقف عليه العبد .

قلت : فإذا وجب على الشيخ لزوم خدمة الشيخ الأكمل منه ، وكان حال الشيوخ التتلْمذ لمن هو أعرف منهم في الطريق ولو كانوا مأذونين من شيخ آخر كحال موسى مع خضر عليهما السلام ، فما تقول فيمن لم يشمّ رائحة من أسرار الطريق ، أو شمّ وهو ناقص عن ذروة التحقيق ؟ ! فتبصّر فأنصف . انتهى « متممات » .

وفي « البهجة » : وتقدّم عن سيدي يوسف العجميّ أنه كان عندهم في بلاد العجم شيخ ، فبرع له تلميذ وفاق شيخه ، فرجع شيخه وأخذ عنه وترقَّى على يديه وصار يخدمه كآحاد المريدين ، أفاده العارف الشعراني قدس سره في « النفحات القدسية » . انتهى من عبارته ، وراجع « المنن » و« شرح تائية السلوك » و« البريقة المحمدية » من الجزء الثاني .

مطلب

وسمعت شيخنا ومولانا ذا الجناحين العسلي قدس سره يقول : **العلم علمان علم الظاهر وعلم الباطن ، فكما يجوز تعلّم العلم الظاهر من آخر ، فكذلك يجوز أخذ الطريقة وعلم الباطن من شيخ آخر ، ولا مانع منه** . انتهى

وفي « الحدائق الوردية » في ٢١٠ ما حاصله : أن شيخ عبد الله الدهلوي قدس سره أخذ الطريقة القادرية من الشيخ حبيب الله ، ثم بعد زمان أخذ منه الطريقة النقشبندية ، قال : وقد تردّدت أوّل الأمر في أنه هل يرضى الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه أن أشتغل في الطريقة النقشبندية أم لا ، فرأيته في واقعة جالساً في مكان ، وحضرة الشاه تلقاءه ، فخطر لي حينئذ أن أحضر عند شاه نقشبند ، فقال الغوث الجيلاني في الحال : المقصود هو الله تعالى فلا مضايقة . انتهى من عبارته بتصرف واختصار .

فنقول – والله أعلم – أخذاً مما في « المنن » في الجزء الأوّل : إن الممنوع أن يتردّد المريد لدى هذا ويأخذ منه ، ولدى هذا فيأخذ منه

فيتخذ له كليهما شيخاً معاً ، فمثل هذا لا يصل إليه الفيض والمدد من الجانبين ، ويسقط من قلبي الاثنين . فتدبره . لأنّ الأمر في وصول الفيض تابع لاعتقاد المريد لا للمشائخ ، فالتردد إلى الشيخين معاً علامة تردّد الاعتقاد في الطرفين ، وعدم توفّره في أحد من الجانبين ، وتفريد الاعتقاد في الشيخ واجب .

فلأجل هذه المنقولات ولِفَقْدِ الشيخوخة في هذه الديار الجبليّة غير الرسم والعادة ، ولاختلاط الأبعاض في هذه الطريقة بدعات مما لم يجدوا لها نصوصات قَبِل شيخنا ومرشدنا الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره مريدي الأغيار ، ولقّن لهم الذكر السلوكي ، فارتقى أكثرهم إلى مقامات الولاية الصغرى ، فلعلّ الله تعالى أن يرزقهم الكبرى والعليا وهو خير وأبقى ، فأقرّ جميعهم ، وتحقّقوا ورأوا تأثيراته وتصرفاته وتيقّنوا وعلموا حال كلا التلقينين وميّزوا ، بل قالوا : ضيّعنا عمرنا في البطالة وشهدوا ، ولا شك أن حال الشيء لا يعرف إلا بالنسبة إلى ضدّه ، وإذا قابلوا أدركوا ، وظهر عندهم حقيقة الأمرين ، وعاينوا هذا بعد ما كانوا منكرين قبل ما دخلوا ، وكانوا يقولون : هل ثمّ طريق غير ما بأيدينا ، وهل ثمّ شيخ غير شيخنا ، فالحمد لله رب العالمين .

وقال لي واحد من العلماء العاملين المنتسب مرّة إلى الشيخ عمر العندي ، ومرّة إلى الشيخ محمد الككني سامحهم الله : إنه اجتمع مع سيدي الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره فوقع بينهما كلام في الطريقة ، وقال له سيدي الحاج عبد الرحمن : ألا تنظرون في الكتب لتعلموا هل أنتم سالكون في الطريقة أم لا ؟ ! وهل مشائخكم لقنوا لكم أذكار الطريقة أم لا ، وأنتم علماء عقلاء ؟ ! وبعد ذلك اجتهد هذا العالم ، وكان حينئذ كالقطب في اعتقاد الناس ، وطلب كتب النقشبندية والقادرية وغيرهما من كتب أئمة الطرق ، فلم يجد ما لقن له ولغيره مشائخهم موافقاً بما في الكتب كلها ، فدار في القرى الدغستانية الجبلية والسهلية ، وذهب

لدى كلّ من سمع أنه يتشيّخ ، وتفحّص عنهم كيفية أورادهم الملقّنة لمريديهم وعن شيوخهم وطريقة شيوخهم ، فلم يجد كلَّ ما يفعلونه ويلقنونه موافقاً على ما في الكتب النقشبندية أوغيرها ، فاذا سألهم عن كيفية عدم الموافقة أقرّوا وتحيّروا ، وعلى ما في الكتب لم ينكروا ، وأيّ شيءٍ يقولون لم يعلموا ، ثم تنبّه وتيقظ ، ورجع لدى سيّدي عبد الرحمن قدس سره وتفحّص كذلك منه ، فأخبر جميع ما سئل ، وأجاب الكلّ وما خجل ، فوجد تلقينه وتعليمَه وأذكاره وأوراده لا يخالف الكتب ولو ذرّة واحدة ، فترك ما كان أخذه من الشيخين السابقين ، ودخل في عهده ، ثمّ توجّه إليه سيّدي عبد الرحمن قدس سره ، فقال لي صاحب الواقعة رحمه الله : إنه حصل له من الأحوال بتلك التوجّه الواحد ما لم يحصل له ولو بالدخول في الخلوة في ثمانية أشهر بإشارة شيخه القبليّ مع الرياضة الشاقة والمجاهدة التامة[1] .

وكيفية مجاهدته ورياضته ؛ كان يأكل شيئاً قليلاً من السويق الذي اختلط فيه صمغ الصنوبر[2] ، وكان يعلّق الحبل في سقف خلوته ويربط نفسه به من وسطه لئلا يقع على الأرض عند غلبة النوم ، وكان يجتهد في الأذكار والقراءات والدعوات لا يفتر عنها في الليل والنهار ، ومع هذا لم يحصل له من أحوال القوم ولو ذرّة ، ولم يذق مما ذاقه هؤلاء النقشبنديّون ولو طُعْمة إلى أن يتوجه إليه سيدي عبد الرحمن العسلي قدس سره ، وهو الآن يستغفر الله تعالى عن الحالة التي كان عليها قبل ذلك كما يستغفر من كبائر ذنوبه[3] مع كونه قبل ذلك معدوداً من الأولياء الله الخيار في

---

(١) فاعتبر بطريقة يحصل لمن دخل فيها بتوجّه واحدٍ من شيخنا ما لا يحصل بالرياضة في الخلوة في ثمانية أشهر من غيره .

(٢) رُكِلْ فِزْ . (هامش الأصل) .

(٣) أي : عدّ رحمه الله ما كان أخذه من أولئك المتشيخين بالنسبة إلى ما أخذه من هذ الشيخ المذكور ذنباً من الذنوب من قبيل (حسنات الأبرار سيئات المقربين) والله أعلم .

اعتقاد الناس ، حتى قال لي بعض الإخوان : إنه كان يعتقد في هذا الرجل المذكور ، ويراه كاملاً ، ويرى قطب الأولياء العسلي قدس سره أنه بمقام مريد ، وكان ذلك البعض ممن أخذ من متشيّخ فاجتمع بهذ القطب[١] وكلمه بكلام جاف ، ولكن حفته العناية الربانيّة ، فأخذ منه الطريقة وقال بعد ذلك الأخذ : هذا هو الحق المبين ، وليس غيره إلا إضاعة العمر العزيز ، وصار بعد ذلك كما صار من قبله من أخص أصحابه المخلصين رحمهما الله تعالى .

واقعة عجيبة

ومن غريب ما وقع لبعض المأذونين من طرف الشيخ رحمه الله تعالى أنه قال : رأيت في المنام كأن الغوث محمود أفندي والشيخ الحاج جبرائل أفندي قدس الله أسرارهما قد أتيا إلى محلّته ، وتوجّه إليه واحد منهما ولقّن له الذكر القلبي ، فانتبه خائفاً ، فوجد قلبه حيّاً يذكر بلفظة الجلالة بحيث يعجبه ، مع أنّ قلبه لم يكن قبل ذلك يذكره . انتهى باختصار على المراد ، وبعد ذلك أخذ الطريقة من الشيخ عبد الرحمن العسلي قدس سره وحَسُنَ حاله ، وارتقى إلى مقام المراقبة ، وهوالعالم الرباني أخونا المعنوي أدرة العرديّ رزقه الله التوفيق والاستقامة وهداه إلى كلّ ما فيه صلاحه في الدارين آمين .

وأغرب منه ما وقع لمريد آخر في عهد سراج الدين الإنخوي رحمه الله تعالى عليه رحمة واسعة وألهمه رشده بمحمد أفضل الخليقة عليه السلام والتحية آمين . سألني عن أحوال الحاج عبد الرحمن وطريقته وعن ورده الذى يضع على مريده ، فقلت له : إنه يلقن الذكر أوّلاً على القلب فيذكر الله تعالى ، ثم إذا حصلت النتيجة للقلب يبدّل الذكر إلى الروح ، ثم إلى السرّ ، ثم إلى الخفي ، ثم إلى الأخفى ، ثم إلى لطيفة النفس ،

---

(١) أي : العسلي قدس سره .

وأريته مواضع اللطائف بوضع الإصبع ، فتعجّب وتحيّر وظنّ أن ذلك مما لا يكون أبداً ، ثم تفرقت منه وذهب هو إلى المسجد ، فاجتمعته بعد ذلك وهو مسرور فرح ، وقال لي : إنه توجه إلى قلبه ونظر فوجد قلبه يذكر بلفظة الجلالة ، ثم توجه إلى اللطائف الأخر فوجدها كذلك ، وقال لي : إنه[1] من بركتك ، وشكر لي وأثنى عليّ ، فقلتُ له : لا بل بتوجه روحانية الحاج عبد الرحمن قدس سره ، فحثثته إليه ، وطلبت منه الذهاب لديه ، فذهب إلى حضرته العلية ثم إذا توجه إليه الشيخ المذكور وجد جميع لطائفه بحيث تقبل التلقين ، فلقن له الأذكار على جميعها مرة واحدة بتوجه واحد ، فصار حال صاحب هذه الواقعة بعد ذلك إلى أن تضطرب أجزاء جسده بالذكر ، حتى كان يجد نفسه إذا انتبه من النوم تهتزّ وتتحرّك بجريان الذكر في جزئيات أعضاء بدنه[2] كالطير المذبوح المطروح قبل خروج الروح . انتهى .

ولو كان غيرهم من المتشيخين في هذه الديار يتدبرون ، وينظرون في كتب أهل التصوف ولا يكسلون ، ويفعلون كما فعل هؤلاء ، ويتلمذون للكامل المكمل كما تلمذوا ، لكان خيراً لهم ، ولكن انهمكوا فيما هم فيه ألفوا ، وما زالوا عما هم به أنسوا ، وزين لهم الشيطان ما ابتدعوا ، أصلح الله أحوالهم ، وألهمهم رشدهم ، وغفرنا وإياهم إنّه هو الغفور الرحيم ، فرضي الله تعالى عن سيدي ابن الفارض حيث قال :

تعـرض قـوم للغرام وأعــرضـوا ... بجانبهم عـن صحّتـي فيه واعتلوا
رضوا بـالأماني وابتلّوا بحظوظهـم ... وخاضوا بحار الحب دعوى فما ابتلّوا
فهم في السُّرى لم يبرحوا من مكانهم ... وما ظعنوا في السّير عنه وقد كلّوا
وعن مذهبي لمّا استحبـوا العـمـى ... على الهدى حسداً من عند أنفسهم ضلّوا

انتهى من ديوانه في ١٠١ .

---

(١) أي : ما حصل له من تلك الأحوال (منه) .
(٢) أي : جسده .

فنرجع الآن إلى المقصود .

وقال الشيخ سليمان الزهدي خليفة قطب الأولياء خالد شاه في « مجموعة الرسائل » :

اعلم : أن الطريقة الموصولة المشهورة المعنعنة من السلف إلى الخلف كالمذاهب الأربعة المقبولة يجوز الانتقال من مذهب إلى مذهب آخر مطلقاً من غير تلفيق للعاميّ ، وكذلك الانتقال من طريقة إلى طريقة أخرى بشرط الوفاء فيما دخل فيه والاستقامة بآدابه ، **ولكن يجب على الإنسان دخول طريقة سالمة عن البدع المنكرة** . انتهى عبارته .

الباب الثاني عشر

في بيان أن الطريقة النقشبندية سالمة من البدع ، باقية على أصلها ، وأنها أقرب الطرق وأسهلها[1]

ذكر العلاّمة المتبحر ابن حجر الهيتمي المكي رحمه الله تعالى في« خاتمة الفتاوى » في٢٤٦ مستطردّاً من بحث آخر معبّراً عنها بقوله : الطريقة العلية السالمة من كدورات جهلة الصوفية هي الطريقة النقشبندية . انتهى .

وناهيك بمثل هذا التعبير من مثل هذا النحرير . انتهى من « البهجة » عبارته . وكان الإمام الرباني من أكابر النقشبندية - وهو الذي كتب له النبي عليه السلام خط الإرشاد بيده الشريفه قائلاً : لم أكتب قبلُ لأحد مثله .

وقال : **أَلْقِيَ في سري أني قد غفرت لك ولمن توسل بك إليّ بواسطة أو بغيرها إلى يوم القيامة** - مأذوناً له بالإرشاد في الطريقة

(١) وفي نسخة : فإن قيل : ما الطريقة السالمة عنها نقول .

الثلاث القادرية والسُهروَرْديّة والچشتية ، ومع ذلك اجتهد لتحصيل نسبة الطريقة النقشبندية ، لعلمه بفضلها على سائر الطرق ، حتى قال : إنّ الإمام المهدي يكون على هذه النسبة الشريفة . وكان يقول : طريق أكابر النقشبندية كبريت أحمر مبنيّ على متابعة السنة . انتهى .

وقال شاه نقشبند – الذي قال : معرفة الحق حرام على قلب بهاء الدين لو لم تكن بدايته نهاية أبي يزيد . – : المعرض عن طريقتنا فهو على خطر في دينه . انتهى من « البهجة » عبارته . من مواضع متفرقة مع تصرف في العبارات واختصار .

ومن « النفائس السانحات » وفي « البهجة » أيضاً : أن الطريقة النقشبندية قدس الله أسرار أهاليها طريقة الصحابة رضي الله عنهم على أصلها لم يزيدوا ولم ينقصوا . انتهى من عبارته . وهكذا في « المتممات » وغيره من كتب النقشبندية ؛كـ « جوهرة نفيسة » لا يعرف ثمنها إلا المنصف الحاذق كيف ؟ ! ومؤسسها بالتهذيب والتنقيح أفضل الأمة بعد الأنبياء على التحقيق . انتهى . فهي الطريق الأقرب الأسلم الأحكم الأوضح والمشرب الأعذب الأصفى المصون عن قدح كل قادح ، بيت :

لا يُدرك الواصف المُطْرِي خصائصه   وإن يـكن سابقاً في كل ما وصفا

انتهى منه .

وقال الشاذلي لقد جئت في هذه الطريقة[1] بما لم يأت به أحد ، لأنّه عين الطريقة النقشبندية وهي سلطان الطرق . انتهى من « المتممات » عبارته .

وقال الإمام أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى : إن هذا الطريق ليس في طوله وقصره مثل المساحات التى تسلكه الأنفس ، فتقطعها

---

(١) أي : في طريقة شاذلية .

بالأفكار على حسب العقائد والبصائر ، وأصله نورٌ سماويّ ، ونظر إلهيّ ، يقع في قلب العبد فينظر به أمر الدارين بالحقيقة ، ثم هذا النور ربّما يطلبه الشخص مائة سنة ويصرخ فيها ويبكي فلا يجده ولا أثراً منه . انتهى منه عبارته . فأقرب الطرق وأسهلها على المريد للوصول إلى درجات التوحيد الطريقة النقشبندية . انتهى « البهجة » عبارته .

وقال الشاه نقشبند قدس سره : طريقتنا أقرب الطرق ، وقال أيضاً : طلبت من الله تعالى طريقة تكون موصلة البتة ، وقد أجيبت دعوته كما في « الرشحات » عن عبيد الله أحرار قدس سره . وكيف لا تكون أقرب وموصلة وانتهاؤها مندرج في ابتدائها . انتهى من « البهجة » عبارته .

وفي « الحدائق الوردية » وقال قدس سره : قيل لي في بداية الجذبة : كيف تدخل في هذا الطريق ؟ فقلت : على أن يكون كل ما أقوله وأريده . فقيل لي : كل ما نحن نقوله يجب أن يفعل ! فقلت : لا أطيق ذلك ، بل إن كان كل ما أقوله يصير أضع قدمي في هذا الطريق ، وإلا فلا . وتكرر ذلك مرتين ثم تركوني ونفسي خمسة عشر يوماً فحصل لي يأس عظيم ثم بعد ذلك قيل لي : إنّ الذي تريده يكون . فقلت : أريد طريقة كل من دخلها تشرّف بمقام الوصول . انتهى عبارته .

وفيه أيضاً في ترجمة علاء الدين العطار : وكان قدس سره قد زار ضريح سيدنا شاه نقشبندي رضي الله عنه قبل وفاته بسبع سنين و معه زمرة من أصحابه ، فرأى أحدهم في المنام خيمة كبيرة قد ضربت ، قال : وعلمت أن هذه الخيمة لرسول الله ﷺ ، فجاء سيدنا النقشبند ومعه الشيخ علاء الدين إلى هذه الخيمة لزيارته ﷺ ، وخرجا بعد ساعة فرحين شاكرين ، وسيدنا شاه نقشبند يقول : **أكرمني الله بأن أشفع إلى مائة فرسخ من جهات قبري الأربع ، والشيخ علاء الدين إلى أربعين فرسخاً ، وأحبّائي وأتباعي إلى فرسخ** . انتهى عبارته .

وفيه قال قطب أهل العزلة بركة أهل الزمان الشيخ عبد الوهاب قدس سره لما دفن حضرة الشيخ ﵁ فتح من جهة وجهه المبارك له طاقة إلى الجنة كما ورد « القبر روضة من رياض الجنة » فدخلت عليه حوريتان وسلمتا عليه ، وقالتا له : نحن منذ خلقنا أكرم الكرماء لك ننتظر خدمتك فقال قدس سره : عاهدت الله تعالى أن لا ألتفت إلى شيء ما من الأشياء ما لم أتشرّف برؤيته التي بلا كيف ولا مثال ، وأشفع بجميع من اتصل بي ، وسمع مني القول الحق وعمل به . انتهى . وفي « البهجة » في ترجمة الإمام الرباني قدس سره يقول : كنت مرة في حلقة أصحابي فخطر لي أني في قصور ونقص ، فبينما أنا كذلك إذا ألقيَ في سري : **أني قد غفرت لك ولمن توسل بك إليّ بواسطة أو بغيرها إلى يوم القيمة .** انتهى من عبارته . فهذه المذكورات بشارة أيّ بشارة لمن تمسك بزيل هذه الطريقة النقشبندية العلية جعلنا الله تعالى مقبولين آمين .

وَصْلٌ في بيان لطائف الطريقة النقشبندية .

من خصائصها وجدان الحلاوة واللذة في الابتداء وفقدانهما في الانتهاء .

ومن خصائصها تقدم الجذبة فيها على السلوك ، وكون سيرها من عالم الأمر لا من عالم الخلق بخلاف أكثر الطرق ، وكون قطع منازل السلوك فيها مندرجاً في ضمن طيّ معارج الجذبة ، وتيسر سير عالم الخلق في سير عالم الأمر(١) ، وسير الابتداء في هذا الطريق في سير الانتهاء .

ومن محاسنها التي ليست لغيرها من الطرق حصول الاشتغال بتحصيل نسبتهم في كلّ مكان مع كل شخص وفي كل حال ، والخلوة

(١) وهو عالم الملائكة فإن الذكر القلبي الذي يلقنونه النقشبنديّون في الابتداء مخفي من الملائكة ، ولا يطلعون عليه ، ولا يسمعونه ، فلذلك صار ابتداء سيرها من عالم الأمر والله أعلم (منه رحم الله إفلاسه) .

فيها[1] في الجلوة ، فكل مجمع لأربابها زاوية ، يحضرون في المجالس وقلوبهم مع مولاهم حاضرة ، ومن سوى الله سبحانه خالية ، فهم ممن قال الله تعالى في شأنهم ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ . وما أحسن ما كانت تنشده السيدة رابعة العَدوية رضي الله تعالى عنها في هذا المعنى .

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي وابحث جسمي من أراد جلوسي
فالجسم مني للجليس مؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

ومن لم يصل فعليه التصديق والإيمان لتحصل له الولاية الصغرى كما قال سيّدنا الجنيد ﷺ : **التصديق بطريقتنا هذه ولاية صغرى** . كذا في « الحدائق الوردية » .

ومن محاسنها أن أربابها لا يفهمون من جميع الأصوات سواء كانت أصوات المياه والرياح وأصوات المزامير والطبول وغيرها من أصوات المخلوقات وكلامهم إلا الذكر الملقن[2] لهم ، حتى قال بعضٌ من مريدي الحاج عبد الرحمن العسليّ - قدس سره ورزقنا فيضه - : إنه لا يفهم من صوت الكلب النائح إلا الذكر بلفظ الجلالة . انتهى . بل يصل السالك إلى هذه المرتبة إذا سعى وجدّ ولازم الذكر واجتهد في مدّة خمسة أو ستة أيّام كذا في « الرشحات » .

ومن محاسنها أن أربابها إذا نظروا إلى ما يتحرك من الأغصان والأوراق والحشيش والنبات يتخيّلون معها الذكر ، ولا يرون تلك الأشياء المتحركة إلا ذاكرة لله سبحانه . فهذه مما يحصل للسالك اذا رسخ الذكر في قلبه ، وصار الحضور له ملكة بحيث لا يقدر أن يخطر في قلبه سواه

(١) أي : في الطريقة النقشبندية .
(٢) راجع « الرشحات » في ١٨١ .

تعالى ولو تكلف . وصيرورة القلب على هذه الحالة شرط لتبديل الذكر إلى لطيفة الروح ، ثم إذا حصلت النتيجة لها يتبدل الذكر إلى السرّ ، ثم إلى الخفي ، ثم إلى الأخفى ، ثم إلى لطيفة النفس والجسد ، فحينئذ يتحرك الجسد من أسفله إلى أعلاه بالذكر بسبب جريان الذكر في جميع أجزاء البدن ومنابت الشعر وذرّات البشر حتى يعم الذكر إلى جميع ذرات الآفاق فلا يرى حجراً ولا مدراً ولا شجراً ولا غيرها إلا ويراها تذكر الله تعالى . فإن قيل : كيف تذكر تلك الأشياء ، وهل لها ألسن ، أم كيف نسمع أصواتها ؟ قلنا : ذلك مما لا يعرف كنهها إلا من ذاقها ، ولا مجال للتعبير عن ماهيتها وكيفيتها . قال صاحب « الإبريز » نقلاً عن شيخه : إن للجمادات لغات وألسن تليق بذواتها وجماداتها وسماعنا لها يكون بالذات كلها لا بالأذن التي في الرأس فقط ثم قال ﷺ : وهذا المشهد إنما يكون للوليّ في حال بدايته ، وأما بعد ذلك فإنما يشاهد الفعل من الخالق سبحانه ، فيشاهد الخالق سبحانه يخلق فيها كلاماً وتسبيحاً وغير ذلك مما يكون فيها ، ويشاهدها ظروفاً خاوية ، وصوراً فارغة راجعه في ١٠٢ .

وفيه أيضاً : وكنت ذات يوم خارج باب الفتوح بناحية ضريح سيدي أحمد اليمنيّ رحمه الله تعالى جالساً تحت زيتونة ، فبينما أنا كذلك إذاً بجميع الحجر صغيره وكبيره والأشجار والأغصان تسبح الله تبارك وتعالى بلغاتها ، فَكِدْتُ أَهْرُبُ ممّا سمعتُ ، قال : وجعلت أصغي إلى بعض الحجر فأسمع منه أصواتاً عديدة ، فقلت : حجرٌ واحد وله أَصْوَاتٌ عَدِيدَةٌ ؟ فتأملته فإذاً هو معجونٌ ، اجتمعتْ فيه عدّة أحجار ، فلذلك تعدّدت الأصوات فيه . انتهى من عبارته ١٠٢ .

وفيه أيضاً : وسمعته ﷺ يقول : كم أذهب لأقضي حاجتي في بيت الوضوء ، فأرجع من غير قضائها لما أسمع من ذكر الماء بإسم الجلالة . انتهى من عبارته ١٠٣ .

ونظيره في « تحفة الأحباب » وغيره فراجع ، فهذه هي النعمة العظمى والدولة الكبرى ينبغي أن يشكر عليها ليلاً ونهاراً ، ولكنّ الإنسان لا يعرف قدر النعمة إلا بعد زوالها والله ولي التوفيق .

وقال لي شيخنا العسلي قدس سره : يرى الإنسان ما عنده من النعمة قليلةً ، ويرى ما عند غيره عظيمةً ، فلعلّ ﷺ قال ذلك حين علم عدم شكري لهذه النعمة والله أعلم .

وقال العالم الرباني أدرة العردي رحمه الله : إنه كان على شوق لحصول هذه النسبة ، فإذا حصلت فلا قدر لها عنده . انتهى .

ثم يلقن الشيخ النفي والإثبات على القاعدة المشهورة عندهم مع الشروط والأركان .

ثم إذا حصلت نتيجة ذلك الذكر يعلّم الشيخُ المريدَ كيفيةَ المراقبة الأحدية ثم بعد حصول نتيجتها يعلّم المراقبة المعيّة ثمّ وثمّ إلى آخر المراقبات .

وثمرات المراقبة عجيبة ، ونتائجها نفيسة ، لا يعرف كنهها إلا من ذاق حتى قال لي بعض الإخوان : **إني لأرحم من مات ولم يذق لذّة من نتيجة المراقبة المعيّة** . انتهى . رزقنا الله تعالى تلك اللذات ، وجعلنا من أهل الشهود بإذاقة هذه الحلاوات . آمين .

ورأيت في « مسيرة الحكم » أن الدنيا وما فيها والسموات السبع والكرسيّ والعرش والجنة والنار عند من كان على المراقبة المعيّة كالذرة في شعاع الشمس . انتهى بتصرف . **فالواجب على من لم يشمَّ رائحة هذه المذكورات التسليم لمن شمّها ، والإعراض عن التكلم خلف من يطلبها** .

وقد قيل : إنّ من أنكر شيئاً من أحوال القوم حرّ[1] من ذوقها عقوبة عليه ، فإن من أعمى الله بصيرته فهو محروم عن درك هذه الأسرار ، ولا يذوقها إلا من صحب الرجال ، وقبّل التراب تحت أقدامهم ، ومن لم يقدر على هذا فليسلّم للرجال فيما رمزوا به وأشاروا إليه :

وإذا لم تر الهلال فسلّم   لأناس رأوه بالأبصـار

ومن محاسنها أنه يستوي في استفاضة هذه الطريقة الشيوخ الذين بلغوا إلى حدّ الشيب ، والصبيان الذين لم يبلغوا إلى حد البلوغ ، لأنّ هذه الطريقة طريقة الجذبة الذاتية الروحانية من غير توقف على العبادات الجسمانية ، يستوي في استفاضتها المكلّف وغير المكلف لإمكان استفاضتها بالروحانية .

ومن محاسنها أنه يستوي في إفاضتها الأحياء والأموات ، لأنّه قد تفيض الأموات هذه الطريقة العلية إلى المستعدّين من حيث الروحانية ، كما تفيض الأحياء إليهم من حيث الجسمانية .

ومن محاسنها أنها طريق الانعكاس والانصباغ ، لأنّ نسبتها المعهودة فيها لا تحصل إلا بالصبّ والتوجّه ، وهما شرطان فيها ، وبهما تنعكس صور المعارف الإلهيّة من مرايا قلوب الواصلين إلى قلوب السالكين كما تنعكس الصورة المحسوسة إلى الذوات الصقيلة ، وتنصبغ صدور المريدين بأنوار معارف صدور المشائخ العارفين . وروي « ما صب الله تعالى شيئاً في صدري إلا وصببته في صدر أبي بكر » وهو ﵁ مؤسّس هذه الطريقة ، ولذلك كانت هذه النسبة فوق سائر النسب .

---

(١) أي : صار محروماً . وفي نسخة : حرم .

فيَا أَسَفي عَلَى عُمْر قد ضيَّعْتُهُ

ويصدّق هذه المذكورات بما في « ترجمة الرشحات » :أنه لما حضرت الوفات لمولانا حميد الدين دخل عليه ولده مولانا حسام الدين ووجده في غاية التشويش ونهاية الاضطراب ، فقال : يا أبَتِ ، ما هذا التشويش ؟ فقال : يا بنيّ يطلبُون منّي ما لا أملكه ولا أعلم طريق تحصيله ، يطلبون مني قلباً سليماً ، فقال مولانا حسام الدين : **كن حاضراً معي لحظة ؛ يعني : كن متوجّهاً إليّ يكون الحال مَعْلُوماً لك ، ثم توجّه إلى والده فوجد مولانا حميد الدين بعد ساعة اطمئناناً في باطنه وسكونة في قلبه ، ففتح عَيْنَيْهِ وقال : يا بُنَيَّ جزاك الله عني خيراً ، ولقد كان اللازم عليّ أن أصْرِف جميعَ عمري لتحصيل هذه الطريقة . فيا أسَفِي على عمرٍ قد ضيّعته!** فارتحل عن الدنيا بجمعيّة تامّة ببركة الولد الصالح . انتهى من عبارته .

وبالجملة أنّ نظر همم أهل هذه الطريقة عَالٍ جِدّاً ، لا نسبة لكل زرّاق ورقاص إليهم ، ولهذا صارت نهاية الآخرين مندرجة في بدايتهم ، ونال مُبْتَدِؤُا طريقتهم حكم منتهى طرق أخرى ، وتقرّر سفرهم في الوطن من ابتداء الأمر ، وحصلت لهم الخلوة في الجلوة ، وكان دوام الحضور نَقْدَ وقتهم ورأس بضاعتهم ، وهم الذين صارت تربية الطالبين مَرْبُوطَةً بصحبتهم العلية ، وكان تكميل الناقصين منوطاً بتوجّهاتهم الشريفة ، نظَرهم[1] شفاء الأمراض القلبيّة ، والتفاتهم دافعٌ لِلْعِلَلِ المعنويّة ، ويعمل توجّههم الواحد عمل مائة من الأربعين ، والتفاتهم الواحد يساوي رياضة السنين ، شعر :

(١) وفيه أيضاً في موضع آخر ورأيت بنظرهم الواحد ما لا يراه الناس في الأربعين ، ووجدت بكلامهم الواحد ما لا يجده الآخرون في السنين . انتهى راجعه من ٦٦ من ج٢ (منه رحم الله إفلاسه) .

مـا أحسن النقشبنديين سـيـرتـهـم　　　يمشون بالركـب مخفيّين بـالـحرم

انتهى من « مكتوبات » الإمام الربانيّ من عبارته من ج ٢ في ٣٦ راجعه .

ومن محاسنها أن الوجد والاضطراب لا يكونان قطّ في أربابها شيوخاً كانوا أو مريدين ، ولا يتحرّك منهم وقت الذكر ولو شعرة إلا الإصبع الذى يجرّ السبحة ، **لأنّ الجذبة فيها مسلوبة عن الظاهر مصروفة إلى الباطن بالصبّ من صدر إلى صدر والتوجّه من قلب إلى قلب** ، ولذا لا يظهر أثرها على الظواهر سواء بالاضطراب والحركات أو بالصيحة والنغمات ، لأنّها من علامات الغفلات وأهل هذه الطريقة هم أهل الحضور واليقظات ولا يدري ذلك إلا أصحاب الفراسة والادراكات ، **والحركة الاختيارية تنقص من حال كل متحرك منهم شيخاً أو مريداً** وهي عندهم حرام .

وفي « بهجة السالكين » : وكل ذلك مدخل للشيطان وحظوظ للنفس وكثير من الناس يحسبون أنها جذبة وليس كذلك ، ويهتم المرشد منع ذلك ، وسبب ذلك إما الجهل عن الأصول أو ادعاء العشق ، **وليس طريقتنا طريق العشق والهيجان ، بل طريقتنا طريقة العبودية والسكينة ، وأهلها معشوق ومحبوب للاستقامة في الاتباع والعبودية**[1] **ورضائه تعالى** . انتهى من عبارته .

فالحاصل لا وَجْدَ مع الوُجْدَانِ ، ولا خبر مع العيان ، فالوَجْدُ بعَرْضيّة الزوال والوجود ثابت بثبوت الجبال . فافهم ، وفي ذلك قيل :

قد كان يَطْرِبُنِي وَجْدي فَأَقْعَدَنِـــي　　　عن رؤية الوجْدِ مَنْ في الوجدِ مَوْجُودُ

والوجد يَطْرِبُ مَنْ في الوجد رَاحَتُهُ　　　والوجـد عـند حضور الحق مفقود

البيت من « عوارف المعارف » عبارته .

---

(١) وفي نسخة : لذاته .

ومن أعظم محاسنها أنّ توجّه أربابها الكبراء إلى الأحديّة تعالت وتقدست ، لا يريدون من الاسم والصفة غير الذات تعالت وتقدست ، ولا ينزلون من الذات إلى الصفات كغيرهم . كذا في « المكتوبات » للإمام الرباني قدس سره في ٣٦ من ج٢ .

ومما اختص بها هذه الطريقة النقشبندية من بين سائر الطرق العلية أنها باقية على أصلها من غير نقص ولا زيادة وسالمة من كدورات البدع كما قال به ابن حجر في خاتمة « فتاواه » وغيره ، وأنها وصلت إلى المشائخ بواسطة أفضل الأمة أبي بكر ﷺ بخلاف غيرها كما هو معلوم مذكور في كتبهم .

ومن خصائصها أن الولاية الكبرى إنما تعطى فيها ، وفي غيرها إنما تعطى الولاية الصغرى فقط ، لما فيه من المخالفة في آداب السنة . هكذ في « سلسلة الخواجكان » .

ومن خصائصها أنه لا بد من تصرف الشيخ الكامل للطالب[1] ، لأنّ الطالب فيها لا يحصل له شيء بدون تصرفه ، لأنّ اندراج النهاية في البداية الذي من خصائصها أيضاً أثر توجه الشيخ ، وهو شرط فيها ، ومعنى الاندراج أن يذيق الشيخ من نهاية حاله شيئاً للمريد المبتدئ حتى يكون على جدّ ، كذا في « المواهب البريقة » ، لكن في « البهجة » ما حاصله : لا ينبغي أن يتوجه لورود الحال لئلا يحمل استعداده ذلك الحال ، ويزول عقله .

وفيه أيضاً فإن كان استعداده قويّاً ، وسلك السلوك سريعاً فيمنعه من سلوكه ، يعني : يضع على استعداده ظلمة حتى يسكن عن الترقي . راجعه في ١٣٠ .

---

(١) بالتوجه .

ومن محاسنها أنه يحصل في هذه الطريقة الحضور والجمعية في وقت يسير لكثير من المستعدّين ما لا يحصل في غيرها في أوقات كثيرة ، كما في ترجمة « الرشحات » في ١٢٢ .

وفيه ما رأيت في طريقة خواجكان قدس الله أرواحهم من ليس له ذوق وقبول إلا قليلاً ، فإن بداية هؤلاء الأكابر نهاية الآخرين . انتهى عبارته . **بل أقول** : إن هذا الطريق موصل البتة ، واحتمال عدم الوصول مفقودٌ فيه . انتهى من « معرب المكتوبات » في ج٢ في ٦٠ .

ومن خصائصها إن خلوتهم في الجلوة ، لأنّ خلوتهم من حيث الباطن عند جمعيّة الناس كما قال الخواجه بهاء الدين النقشبند قدس الله سره العزيز : طريقتنا الصحبة والخيرُ في الجمعيّة ، وإنما اختاروا هذه الخلوة اتباعاً للسنة ، لأنّ النبي ﷺ اختار الجمعيّة على الخلوة ، وقال : « المؤمن الذى يخالط الناس ، ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذى لايخالط الناس » .

وقال الشيخ أبو سعيد الخراز قدس سره : ليس الكامل من صدر منه أنواع الكرامات ، وإنما الكامل الذى يقعد بين الخلق يبيع ويشتري معهم ويتزوّج ويختلط بالناس ، ولا يغفل عن الله لحظة واحدة ، وهذه هي الخلوة الحقيقية المشار إليها في قوله تعالى ﴿**رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ**﴾ هكذا في « البهجة السنية » .

قيل للشيخ أبي سعيد قدس سره : إنّ فلاناً يمشي على الماء ، قال : إنّ السمك والضفدع كذلك ، وقيل : إنّ فلاناً يطير في الهواء ، فقال : إن الطيور كذلك ، وقيل : إنّ فلاناً يصل إلى المشرق والمغرب في آنٍ واحد ، فقال : إنّ إبليس كذلك ، فقيل : فما الكمال عندك ؟ قال : **أن تكون في الظاهر مع الخلق ، وفي الباطن مع الحق** . انتهى « خزينة الأسرار » في ٢٤ .

وقد كنت مرة في الخلوة[1] بأمر أستاذي قدس سره ، لكن لم أطق أن أصْبِرَ فيها لصُعُوبة أمرها على النفس الأمارة ، فأرسلت الرسالة لديه بطلب الإذن للخروج منها ، فورد إليّ رسالته الشريفة المكتوبة بخطّه المبارك بهذه العبارات : وعليكم السلام أزيد ممّا أرسلتَ إليّ ألف مرّة ، **وبعد** ؛ فإذا كان الحال كما أنبأتَ وأخبرت ، لا خير لك في تلك الخلوة والعزلة ، وافعل الخلوة بالقلب ؛ أي : كُنْ مع الحضور في كلّ الحال ، واخلط الناس ، ليكون ظاهرك مع الناس وباطنك مع الله ، كما قال : الوليّ كائن[2] ، بائن[3] ، وكما قال : خلِّ قلبك من الأغيار ، فلا حاجة لطلب المحبوب[4] ، القلب بيت الله ، القلب عرش الله .

وقال عبد الخالق الغجدواني : حرست قلبي عشرين ليلة ، فحرسني قلبي عشرين سنة ، احفظ قلبك من الخواطر ليكون جهادك[5] . أي : جهاداً كبيراً[6] ، هذا ، والسلام ، وأنا داعيكم بالخير عبد الرحمن . انتهى من خطه قدس سره .

فقد تحقق وتيقن بهذه المنقولات والنصوصات أفضلية هذه الطريقة النقشبندية العلية من سائر الطرق الباقية ، ولا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، ولو اجتمع جميع العالم في تغيير وتبديل شيء من أوضاعها وأصولها لم يجدُوا إليها سبيلاً ، ولكل شيئ يفعلونه فيها من الآداب والأركان[7] والشروط أدلة موافقة بالمذاهب الأربعة ، وإنها لبّ

---

(١) خلوة حسن أفندي حين دخل الخلوة ، وصعب أمرها على النفس الأمارة . انتهى .

(٢) مع الله .

(٣) من الخلق .

(٤) أي : الله .

(٥) وفي نسخة : مع الشيطان .

(٦) وفي نسخة : أكبر .

(٧) ومن أراد إدراكها فليراجع إلى « حجة الذاكرين » و« هداية الواصلين » (منه) .

القرآن وحقيقة العرفان ، فلا جرم ترى المنكرين لاستقامتها واعتدالها لها مذعنين فضلاً عن الموافقين المذعنين ، سقانا الله تعالى من رحيقها المختوم بطابع أنوار أسرار العلوم ، ورحم الله امرأً عرف الحق فأنصف ، ووقف على الحدود وما تعسّف ، فإن الحقّ أحقّ أن يتّبع ، والباطل عن هؤلاء قد اندفع ، وَوَصْفها يكلّ عنه اللسان ، فمن أراد الزيادة على ذلك فعليه بكتب أهلها فلعلّه يجني من ثمار الفوائد رطباً جنيّاً .

الباب الثالث عشر

في بيان أفضلية الذكر السريّ على الذكر الجهريّ ، وأفضلية الأعمال الباطنة على الأعمال الظاهرة فمشهور معلوم بالآيات القرآنية والآحاديث النبويّة

ونحن إن شاء الله تعالى نذكر هنا بعضاً منها ليكون للمنصف المحق نافعاً ، وللمحبّ العاشق داوياً ، وللمنكر الحاسد قاطعاً وراغماً ، فنقول قال الله تعالى ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ ﴾ .

قال في تفسير سلمى في تفسير هذه الآية : لا تظهر ذكرك فتطلب به عوضاً ، وأشرف الذكر ما لا يشرف عليه إلا الحق تعالى ، وما خفي من الأذكار أشرف مما ظهر .

وفي « تصديق المعارف » في تلك الآية ؛ أي : اذكر الله تعالى بقلبك لا بلسانك . وفسّر صاحب « تصديق المعارف » أيضاً لقوله تعالى ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾ أي : عن ذكر الله في الباطن . انتهى عبارته .

وقال البيضاوي ؛ في قوله تعالى ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً ﴾ أي : ذَوُوا تضرّع وخفية ، فإنّ الإخفاء دليل الإخلاص ، عبارته .

وقال ابن حجر في « التحفة » : نعم العمل القلبي لعدم تصوّر الرياء فيه أفضل من غيره . انتهى عبارته . من صلاة النافلة . ظاهره : وإن قلّ كتفكر ساعة مع[1] صلاة ألف ركعة ، « ابن قاسم » . عبارته .

وقال أبو سعيد الخادمي في « البريقة المحمدية » : عبادة السرّ تفضل على عبادة الجهر بدرجات . انتهى .

وفي « الحدائق الوردية » : وهو أي : ذكر القلب أفضل من الجهري بمراحل . انتهى . وفيه : أن الجنيد قدس سره قال : **من الأعمال ما لا يطلع عليه الحفظة ، وهو ذكر الله بالقلب** . انتهى من عبارته في ٢٩٠ .

وفي « مختصر التذكرة » للشعراني : والمدار على القلب ، وعمل القلب هو الذي ينظر فيه وتكون به النجاة . **وأما** حركة اللسان فإنما هي ترجمة عما في القلب ، وإلا فلا فائدة فيه . انتهى عبارته ١٠ .

وفي الخبر العام : « يفضل عمل السرّ على عمل العلانية سبعين ضعفاً » . انتهى . من « الإحياء » في ٢١٦ من الجزء الأول .

وعن جمادى المكيّ أنه قال : ذكر القلب يضاعف سبعين ضعفاً على ذكر اللسان ، وقال عليه السلام « الذكر الذي لا تَسْمَعُهُ الحفظة يزيد على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفاً » . أخرجه البيهقي عن عائشة . وقال عليه السلام « خير الذكر الخفي » .

وقال أحمد ضياء الدين في تفسير هذا الحديث : والمعنى فيه أنه أخلصُ لله ، وأبعد عن الرياء ، وأكثر فائدة ، وأفيد ثَمْرَة بالتجربة ، وأعظم وأقوم وأسعد أجراً وذخراً ، وأتمّ درجة ، وأكمل مقاماً ، وأزكى طهارة ، وأسرع نجاة ، وأسبغ رضًى وأجزل معرفة وأبلغ وُصلاً . انتهى من « المتممات » عبارته .

---

(١) وفي نسخة : بالنسبة ألف ركعة .

وقال عليه السلام « أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لاتدعون أصمَّ ولا غائباً » الحديث .

قال أبو التراب : ليس من العبادة شيء أنفعَ من إخلاص القلب عن الخواطر . وقال ذو النون : صلاح القلب ساعة أفضل من عبادة الثقلين . وقال الحصري[1] : جلسةٌ خيرٌ من ألف حجّة .

وفي « تصديق المعارف » في تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢ ﴾ يعني : أن الملائكة الحفظة ، يكتبون ما تكلّم به العبد ، وسمع أذنه ، وحرك به شفتيه ، وعمل العمل ، فإذا ذكر الله تعالى سرّاً لم يكتبه الملائكة ، فأدخل الجنة ، قال : عبدي ، إنّ لك كنزاً وأنا أجزيك ، قال : يا رب ، وأيّ خير لم تعطنيه ، قال : فيعطيه من الثواب ما يحتقر به ما كان أعطاه قبل ذلك بذكر الله تعالى في نفسه سرّاً . هكذا روى جرير عن الضحّاك عن ابن عبّاس رضي الله عنهم . انتهى عبارته .

وفي « أسباب الفلاح » : وذكر القلب فهو غير ملفوظ باللسان ولا مسموع بالآذان ، بل فكر وملاحظة قلب ، وهو أعلى مراتب الذكر . انتهى من عبارته ١٧ .

وقال صاحب « تفسير سلمى » في قوله تعالى ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ . قال الجنيد : الذكر الكثير هو دوام المراقبة في جميع الأحوال ، وطرد الغفلة عن القلب ، قال أبو يزيد : الذكر الكثير ليس بالعدد ، لكنه بالحضور . انتهى عبارته .

---

(١) أي : بجمع الهمة بوصف الشهود كما هو معلوم لدى الطائفة النقشبندية (منه رحمه الله) .

وفي « الحدائق الورديّة » : إنّ القلب إذا تأثر بالذكر صارت جميع أجزائه ذاكرة ، فحينئذ يتحقق الذكر الكثير ، فتكون أعمال يوم واحد منه بمقدار عمل سنة من غيره . انتهى من عبارته ١٢٠ .

وفي كتاب « بغية أولي النهي شرح غاية القصوى » - عند قول الماتن : صلاة التطوّع أفضل تطوّع بدن لا قلب : وقوله : لا قلب ، إشارة إلى أنّ عمل القلب أفضل . انتهى . وهكذا في « البهجة » راجعه .

مطلب

سلطان الأسماء والاسم الأعظم

فالاسم المفرد (الله) وهو[1] سلطان الأسماء وهو اسم الله الأعظم ، فلا يزال المريد يذكره بلسانه ويَهْتَزُّ به حتى يمتزج بلحمه ودمه ، ويسري أنواره في كليّاته وجزئياته ، فيتحد الذاكر والمذكور ، فينتقل الذكر إلى القلب ثم إلى الروح ثم إلى السر ، ثم يخرس اللسان ويحصل على محلّ الشهود والعيان ، فيصير ذكر اللسان ذنباً من الذنوب عند مشاهدة علام الغيوب (حسنات الأبرار سيئات المقربين) . انتهى « منية الفقير » عبارته ١٩ .

وفي « سلسلة الخواجكان » : فقلَّ ما وقع المرء بالذكر إلا وقد وصل ، ولا سيّما بالذكر القلبي الذي هو شهود وزلفى ، وحضور وقربى ، وهو ذكر حقيقي يبدّل الغيبة بالحضور ، ويفني الذاكر في المذكور ، **لكن مع هذا لا بد أن يكون الذكر بتلقين الشيخ الكامل الذى عرف أسرار الأذكار وخواصّها بتلقين شيخ ، وهو كذلك إلى رسول الله ﷺ** . . الخ راجعه .

(١) لعله : هو ، بدون واو .

مطلب مهم

وفي بعض مكاتب قطب الأقطاب وغوث الأنام خالد البغدادي قدس سره : اعلموا أنه ثبت بالكشف الصحيح ، والوجدان الصريح ، عند جهابذة الكشف والشهود وبَذَلَة الروح ونقاد الوجود ، أنّ أجلّ السعادة وأفضل العبادات بعد تصحيح العقائد عن تُرَّهات أهل الفساد والقيام بالفرائض على مذهب أحد الأمجاد المواظبة على الذكر الخفي مع دوام العلم بأنه سبحانه وتعالى يراك ، وإن لم تكن تراه إلى آخر ما قال من هامش « مجموعة الرسائل » عبارته .

وفي « فتح الأسنى » : حظُّ العبدِ من هذا الوصف أن يكون قلبه حيّاً بذكر الله على الدوام ، فإنّ الذاكر لله بين الغافلين كالحيّ بين الأموات ، وليس ذكر الله بلقلقة اللسان . . إلى آخر ما قال .

وفيه أيضاً : أنّ موت القلب هو الغفلة عن الله تعالى . انتهى عبارته بالمعنى .

وفي ترجمة « الرشحات » : كما أن الاجتناب عن المعاصي واجب على العامّة كذلك الاحتراز عن الغفلة لازم على الخواصِّ ، كما أنّ العامة يؤاخذون على المعصية كذلك الخواصّ يعاتبون على الغفلة . انتهى من عبارته ١٤٢ .

وقال العلامة الشيخ علي القاري الحنفي في شرح حديث « من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير . كتب الله ألف ألف حسنة ، ومحا عنه ألف ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة » من « الحصن الحصين » . ولعلّ وجه هذه الفضيلة لخصوص السوق أنها محل الغفلة ، فإن الذاكر فيهم كالمجاهد في الفارين . وهذا دليل لما

اختاره السادة النقشبندية من أكابر الصوفية حيث قالوا : الخلوة في الجلوة والعزلة في الخلطة . فالصوفي كائن بائن وغريب قريب وعرشيّ فرشيّ ونحو ذلك من عباراتهم نفعنا الله ببركاتهم انتهى « بهجة » عبارته .

واعلم أن من المشائخ الصوفية مَنْ يختار الجهر لدفع الوساوس الرديئة والكيفيات النفسانية وإيقاظ القلوب الغافلة وإظهار الأعمال الكاملة ، **ومنهم** من يختار الإسرار بمجاهدة النفس وتعليمها طرق الإخلاص وإيثارها الخمول .

وقد ورد أنّ عمر ﵁ كان يجهر ، وأبو بكر كان يسرّ ، فسألهما النبي ﷺ ، فأجاب كلٌّ منهما بنحو ما ذكر ، فأقرّهُما . هكذا في « الفتاوى الحديثيّة » لابن حجر ، فراجعه في ٥٧ .

ومبنى الطريقة النقشبندية على الأخذ بالعزيمة والأحوط ، ومعلوم أن الإسرار عزيمة وهو في حقنا أهلِ الديار الداغستانية أحوط ، لما في الجهر من خوف الرياء وغيره ، ودرء المفاسد مقدم على جلب المنافع[١] ، وفي « الإحياء » هذه العبارات : والثانية أن يراقب قلبه ، فإنه ربما يكون فيه حُبّ الرياء الخفي فيدعوه إلى الإظهار بعُذْرِ الاقْتِدَاء ، وإنما شهوته التجمّل بالعمل وبكونه مقتدى به ، وهذا حال كل من يظهر أعماله إلا الأقوياء المخلصين . وقليل ما هم ، فلا ينبغي أن يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر ، فإنّ الضعيف مثاله مثال الغريق الذي يحسن سباحة ضعيفة فنظر إلى جماعة من الغرقى فرحمهم ، فأقبل عليهم حتى يتشبثوا[٢] به ؛ فهلكوا وهلك ، والغرق بالماء في الدنيا أَلَمُهُ ساعة ، وليت كان الهلاك بالرياء مثله ! ! لا ، بل عذابه دائم مدّة مديدة ،

---

(١) وفي نسخة : على جلب المصالح والمنافع

(٢) وتشبث به أي علق (مص) .

وهذه مزلة أقدام العباد والعلماء ، فإنهم يتشبهون بالأقوياء في الإظهار ولا تقوى قلوبهم على الإخلاص ، فتحبط أجورهم بالرياء ، والتفطّن لذلك غامضٌ ، ومِحكّ ذلك أن يعرض على نفسه أنه لو قيل له : أخف العمل حتى يقتدي الناس بعابدٍ آخر من أقرانك ويكون لك في السرّ مثل أجر الإعلان ، فإنْ مال قلبه إلى أن يكون هو المقتدى به ، وهو المظهر للعمل ، فباعثه الرياء ، دون طلب الأجر واقتداء الناس به ورغبتهم في الخير ، فإنّهم قد رغبوا في الخير بالنظر إلى غيره ، وأجرهُ قد توفَّر عليه مع إسراره ، فما بال قلبه يميل إلى الإظهار لولا ملاحظته لأعين الخلق ومراءاتهم ؟ ! فليحذر العبد خدع النفس ، لأنّ النفس خَدُوع ، والشَّيْطَانَ مُتَرَصِّدٌ ، وحبّ الجاه على القلب غَالِبٌ ، وقلّما تسلم الأعمال الظاهرة عن الآفات ، فلا ينبغي أن يعدل بالسلامة شيئاً والسلامة في الإخفاء ، وفي الإظهار من الأخطار ما لا يقوى عليه أمثالنا ، فالحذر من الإظهار أولى بنا وبأمثالنا الضعفاء . انتهى من عبارته .

فإذا قال الغزالي هكذا ، فهو لنا أولى فأولى ، بل هو في زماننا هذا أوْجَبُ وأحرى ، والله أعلم .

وقال ابن حجر في « الفتاوى » : إنّ ما كانت مصلحة فيها أرجح كان أفضل . انتهى ، وقال أيضاً « وما سبقكم أبو بكر بصوم ولا صلاة ولكن بشيء[1] وقر في صدره » ولا يخفى أن أفضلية الرجل بأفضلية أعماله ، وأنّ المصلحة في الذكر السري أرجح في حق أمثالنا ، فكان ذلك أفضل ، فتدبره فإنه نفيس .

وفي تفسير « سلمى » : في تفسير قوله تعالى ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ حقيقة الذكر الإعراض عن الذكر ونسيانه والقيام بالمذكور ، وفيه أيضاً : حقيقة الذكر أن ينسى كل شيء سوى مذكوره لاستغراقه .

---

(١) وهو الذكر القلبي ، كما قال بذلك أحمد ضياء الدين في « جامع الأصول » . (منه رحم الله إفلاسه) .

مطلب

أنواع الذكر ثلاثة

وفي « المتممات » لأحمد ضياء الدين قدس سره : إن الذكر على ثلاثة أنواع :

ذكر اللسان مع غفلة القلب ، ويسمّى ذكر العادة ؛ وهو ذكر العوام ، وثمرته العقاب ، لأنّه ذنب .

وذكر باللسان مع حضور القلب ، ويسمى ذكر العبادة ؛ وهو ذكر الخواص ، وثمرته الثواب .

وذكر بجميع الجوارح والأعضاء ، ويسمى ذكر المحبّة والمعرفة ، وهو ذكر خواصِّ الخواصِّ ، وثمرته لا يمكن التعبير عنها ولا يعلم قدر ذلك الذكر إلا الله . انتهى عبارته . قوله (وثمرته العقاب) لأنّه ذنب أي : بالنسبة إلى حسنات المقربين ، لأنّ الغفلة عن الله عندهم من أعظم الذنوب ، والله أعلم .

وفي « منية الفقير المتجرد وسيرة المريد المتفرد » ما يدلّ على أفضلية الأعمال القلبية ؛ وهو أنه وقع للرجل الذي سمع القائل :

إذ العشرون من شعبان ولّت فواصل شُرْبَ ليلك بالنهار

ولا تشرب بأقداح صغار فقد ضاق الزمانُ على الصغار

فهام على وجهه ، وذهب إلى مكة ، فبقي بها مجاوراً حتى مات ﵁ ، فهمّ أنّ العمر إذا ذهب جلّه فقد قرب الأجل وضاق الزمان على العبادة الصغرى ، فطلب الموضع الذي تكون فيه العبادة الكبرى ، فيضاعف فيه الأعمال ، وهذا الرجل كان من العلماء المجتهدين ، ولو كان من العارفين لما احتاج إلى ذهاب مكة ، بل عبادة القلوب مضاعفة بأضعاف كثيرة في

أيّ موضع كانت ، ولذلك قال بعضهم : **الذرة من أعمال القلوب أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح** . وقال عليه الصلاة والسلام « ركعة من عالم بالله أفضل من ألف ركعة من جاهل بالله » انتهى عبارته ، وراجع « الإحياء » في بيان ترك التداوي في ٢٢٣ من الجزء الرابع .

الباب الرابع عشر

في بيان أفضلية ذكر لفظة الجلالة من سائر الأسماء الإلهية ، وبيان الاختلافات في أنّ الذكر القلبي هل يثاب أم لا ؟

ففي الحديث : « لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض مَنْ يقول : الله ، الله » ذكر الشعراني في كتاب « الجواهر » و« الدرر » : ولولا أن قول (الله ، الله) له حفظ العالم لم يقرن ﷺ زوال الكون بزوال من يذكر به ، ولذلك أيضاً اتخذه الكمّل من العارفين ورداً لهم ، لا يخفُّ على لسانهم اسم مثله ، لأنّهم لا يشهدون شيئاً من الأسماء لا يفرق قلوبهم غيره . انتهى من عبارته . وقد فسّر لقوله تعالى ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ أي : كرّروا هذا الاسم كثيراً ، ونظيره قوله تعالى ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾ أي : ذكركم الاسم (الله) أكبر من ذكركم سائر الأسماء الفروعيّة الطالبة لوجود الأغيار ، كالرحمن والغفور والرزاق ونحوها ، فما في الأذكار أعظم فائدة من ذكر الاسم الله ، لأنّه جامع لجميع الحقائق ، لا يطلب أحداً من الأغيار المشهورة في هذا العالم . انتهى من عبارته كتاب « الجواهر » و« الدرر » بتصرف واختصار .

ولا شك أنّ كل ما أدّى إلى خلوّ القلب عن الأغيار خيرٌ مما لم يؤدّ لذلك ، إذ روح العبادة هو الحضور ، وبذلك يدرك مَعْرفة الله تعالى ، ومعرفته هي المقصودة من جميع العبادات ، فليتدبر .

وفي « الحدائق الوردية » وذكر اسم الذات ؛ أي : الله ، هو مذهب الإمام أبي حامد الغزالي ، وعلى ذلك أيضاً جميع شيوخ الرسالة كالجنيد البغدادي ، وشيخه سري السقطي ، ومعروف الكرخي ، وداود الطائي ، وإبراهيم بن أدهم ، وعبد الله بن حنيف ، وفُضيل بن عياض ، والمحاسبي ، والحافي ، وغيرهم قدس الله أسرارهم . انتهى من عبارته ٢٩٣ . وهذا الاسم الشريف هو الذي اختاره الطائفة النقشبندية ، وهو أوّل ما يلقّنونه للمريد من غير فرق بين مريد ، كما في « تبصرة المرشدين » وغيره .

نعم ذهب بعضهم إلى أن من يستعد لتقديم الجذبة على السلوك فله اسم الذات ، ومن يستعدّ لتقديم السلوك على الجذبة فله النفي والإثبات من غير حبس النفس ، وكلاهما بالقلب إلى أن يستعدّ للجذبة ، وبعد ذلك يتلقن باسم الذات كمن يتلقن به في ابتداء الأمر ، ولكل وجهة ، راجع « تحفة الأحباب » و« خواجكان » .

قال الشيخ الأكبر في « الفتوحات المكية » في الباب ٤٦٢ : ثم إنّ الله تعالى جعل العالم الجسمي والجسماني في مَنْزِلَيْن ، منزلٌ يسمّى الدنيا ، ومَنْزل يسمّى الآخرة ، وجعل سكانهما الإنس والجان ، والمعتبر فيهما الإنس ، والمعتبر من الإنس الكمّل لا غير ، وهم الذين ذِكْرُهُمْ (الله) لا يزيدون عليه في نفوسهم ، هذا ذكرهم في نفوسهم . انتهى .

وفيه أيضاً في ٣٦١ : فَاتَّخَذَهُ ، أي : ذكر لفظة (الله) أهل الله ذكراً وحده ، فأنتج لهم في قلوبهم أمراً عظيماً لم ينتجه غيره من الأسماء . انتهى .

وفي « الحدائق الوردية » : وقال في كتابه « كيمياء السعادة » : ولا تظنّ أنّ هذه الطاقة تنفتح من عين القلب بالنوم والموت فقط ، بل تنفتح باليقظة أيضاً لمن أخلص الجهاد والرياضة ، وخرج عن أسْر الشهوة ،

فإذا جلس في مكان خال مع تعطيل الحواس وفتح العين والسمع الباطنين وقال دائماً : الله ، الله ، بالقلب دون اللسان إلى أن يصير لا خَبَرَ له من نفسه ولا من العالم ، وبقي لا يرى إلا الله ، انفتحت طاقة في القلب ، يرى فيها يقظة ما يرى في النوم من أرواح الملائكة والأولياء والصور الحسناء وما لا يمكن شرحه ، وهو أيضاً مذهب جماعة ، ولقيتهم على ذلك الذكر (الله ، الله) وأمروني به . انتهى من عبارته ٢٩٢ راجعه ، ففيه البسط الأهمّ .

وفي « شمس المعارف الكبرى » : أنّ هذا الاسم يعني (الله) هو اسم الله الأعظم باتفاق جمهور العلماء المتقدمين والمتأخرين . انتهى من عبارته ٢٤ من جزء ٢ . وذكره بالقلب فضيلة عظيمة على هذه الفضيلة ، فتدبره .

وقال المحقق ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » في ٤٥ : وذكر لا إله إلا الله أفضل من ذكر الجلالة مطلقاً ، هذا بلسان أئمة الظاهر ، وأما عند أهل الباطن ! ! فالحال يختلف باختلاف أحوال السالك ، فمن هو في ابتداء أمره ومقاساته لشهود الأغيار وعدم انفكاكه عن التعلّق بها وعن إرادته وشهوته وبقائه مع نفسه يحتاج إلى إدمان الإثبات بعد النفي حتى يستوليَ عليه سلطان الذكر وجواذب الحقّ المرتّبة على ذلك ، فإذا استولت عليه تلك الجواذبُ حَتى أخرَجتهُ عن شَهَوَاتِهِ وإرادته وحُظُوظِهِ وجميع أغراض نفسه صارَ بعيداً عن شهُود الأغيار ، واستولى عليه مُراقبة الحق أو شهُوده ، فحينئذ يكون مستغرقاً في حَقائق الجمع الأحديّ ، والشهُود السرْمَديّ الفرديّ . فالأنسَبُ بحاله الإعراض عمّا يذكره بالأغيار ، والاستغراق فيما يناسب حاله من ذكر الجلالة فقط ، لأنّ ذلك فيه تمام لذّته ودوام مسرّته ونعمته ومنتهى أربه[1] ومحبته ، بل إذا وَصَل السالك

---

(١) الأرب . . الخ . الحاجة (مص) .

لهذا المقام وأراد قهرَ نفسه إلى الرجوع إلى شهود غيره حتى يُنْفيه أو يتعلّق به خاطره لا تطاوعه نفسه المطمئنة ، لما شاهدت من الحقائق الوهبيّة والمعارف الذوقية والعوارف اللدنية ، وقد فتحنا لك باباً تستدلّ بما ذكرناه في فتحه على ما وراءه ، فافهم مقاصد القوم السالكين من كل محذور ولوم ، وسلّم لهم تَسْلَمْ ، ولا تَنْتَقِدْ حقيقة من حقائقهم تندَمْ ، بل قل فيما لم يظهَرْ لك : الله أعلم .

وكذا يقال في الذكر باللسان وبالقلب ، أو بالقلب فقط ، فبلسان أهل الظاهر ذكر اللسان والقلب أفضلِ مطلقاً . وعند أهل الطريقة في ذلك تفصيل تَفْهَمُهُ ممّا قبله إن وَعَيْتَهُ وتَأَمَّلْتَهُ ، فإن المستغرق قد يعرض له من الأحوال ما يلتجمُ به لسانه ويصير في غاية من مقام الحيرة والدهش ، فلا يستطيع نطقاً أو يتفرق بسبب نطقه مُتمثّل له من معالي تلك الأحْوال ، وما هو مستغرق فيه من بحار العرفان والكمال .

والحاصل : أن الأولى بالسالك قبل الوصول إلى هذه المعارف أن يكون مُديماً لما يأمره به أستاذه الجامع لطرفي الشريعة والحقيقة ، فإنه هو الطبيبُ الأعظم ، فبمقتضى مَعارفه الذوقية وحِكَمه الربانية يعطي كلّ بَدَن ونفس ما يراه هو اللائق بشفائها والمصلح لغذائها ، فإن لم يكن له أستاذ كذلك فلا يَعْدِلُ عن ذكر (لا إله إلا الله) بلسانه وقلبه ، بل يديم ذلك إلى أن يفتح الله له ما يَعْلَمُ به خير الأمرين في الترقي إلى شهود العين ، حَقّق الله لنا ذلك بمنه وكرمه ، آمين .

والذكر الخفي قد يطلق ويُرَادُ به ما هو بالقلب فقط ، وما هو بالقلب واللسان ، بحيث يسمع نفسه ولا يسمعه غيره ، ومنه : « خير الذكر الخفي » أي : لأنّه لا يتطرق إليه الرياء ، وأمّا حيث لم يسمع نفسه ! ! فلا يعتدّ بحركة لسانه ، وإنما العبرة بما في قلبه ، على أنّ جماعة من أئمتنا وغيرهم يقولون : لا ثواب في ذكر القلب وحده ، ولا مع اللسان حيث لم يسمع نفسه ، وينبغي حمله على أنه لا ثواب عليه من حيث الذكر المخصوص .

أما اشتغال القلب بذلك وتأمُّل مَعانيه واستغراقه في شهودها ! !
فلا شك أنه بمقتضى الأدلّة يُثاب عليه من هذه الحيثيّة الثواب الجزيل .
ويؤيّده خبر البيهقيّ : « الذكر الذي لا تسمَعُهُ الحفظة يزيد على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفاً » هذا . انتهى كلام ابن حجر عبارته .

أقول : إنّ هذه الزيادة من جهة الفضيلة والتأثير ، لأنّ الحضور التام للذاكر إنما يحصل بالذكر القلبي غالباً ، وإن كان بالذكر اللساني نفع عظيم إلا أنّ الحضور قَلَّ ما يحصل به كما هو معلوم لدى الذاكرين المستغرقين . انتهى من تفسير الفاتحة المسمى بـ « مرآة الحامدين » .
فتأمله فإنه كلام لذيذ ينحل به الإشكال عن قلوب علماء الظاهر .

وفي الحديث « فكر ساعة خير من عبادة ستين سنة » وهذا حديث أدّل الدلائل على أفضلية الذكر القلبي ،

الفكر ذكر القلب

لأنّه ذكر في « الفتاوى العمرية » : إن ذكر القلب بتفكر اللفظ مع ملاحظة معناه ، كما قيل : الفكر ذكر القلب . فراجعه . وهكذا في « المرآة الحامدين » وقال الشبليّ قدس سره : والذي نفسي بيده لَحُضُورُ قلبي في استغراق نور ربّي خَيْرٌ من علوم الأولين والآخرين . انتهى عبارة « الفتاوى العمرية » و« ماهية التصوف » .

وفي « الفتاوى العمرية » في تفسير « خير الذكر الذي » . .الخ يعني :

أنّ الذكر القلبي الذي لا تسمعه الكرام الكاتبون مِن الملائكة يزيد ثوابه على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفاً ، وذلك لبعده عن الرياء والسمعة ، وخلوصه عن كثير من الخواطر الدنيويّة ، بسبب الجمعيّة القلبيّة ، وقصر الهمّة على الذات الأقدس بالملاحظة التامّة .

لا يصل أحد إلى الله إلا بدوام الذكر .

وفي « الرسالة القشيرية » : قال الأستاذ : **الذكر ركنٌ قويّ في طريق الحق سبحانه وتعالى ، بل هو العمدة في هذا الطريق ، ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر .**

والذكر على ضربين : ذكر اللسان وذكر القلب .

فذكر اللسان به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب ، والتأثير لذكر القلب ، فإذا كان العبد ذاكراً بلسانه وقلبه فهو الكامل في وصفه في حال سلوكه . انتهى .

وقال شيخ الإسلام زكريّا الأنصاري ﵁ في شرحه على « رسالة القشيرية » : قوله : وذكر القلب . فإن اقتصر على أحدهما فالثاني[1] أفضل ، انتهى . من شرحه على « الرسالة القشيرية » ، وفيه : إنّ الذكر الكامل هو الاستغراق في المذكور . انتهى بتصرف فراجعه .

وفي « الفتاوى الحديثية » في ٣٦ لابن حجر : وسئل ﵁ عن قول النووي – لطف الله به – في آخر باب مجالس الذكر ؛ من « شرح مسلم » : ذكر اللسان مع حضور القلب أفضل من ذكر القلب . انتهى ، فهل يُؤْخَذُ من كلامه أنّه إذا ذكر الله بقلبه دون لسانه أنه ينال الفضيلة إذا كان معذورا أم لا ؟ وهل إذا قرأ بقلبه دون لسانه من غير عذر ينال الفضيلة أم لا ؟

أجاب بقوله : الذكر بالقلب لا فضيلة فيه من حيث كونه ذكراً متعبّداً بلفظه ، وإنّما فيه فضيلة من حيث استحضاره لمعناه من تنزيه الله وإجلاله ، وبهذا يجمع بين قول النووي المذكور وقولهم : ذكر القلب لا ثواب فيه ، فمن نفى عنه الثواب أراد من حيث لفظه ، ومن أثبت فيه ثواباً أراد من حيث حضوره بقلبه ، كما ذكرناه ، فتأمّل ذلك فإنّه مهمّ ، ولا فرق في جميع ذلك بين المعذور وغيره ، والله سبحانه وتعالى أعلم . انتهى .

---

(١) أي : ذكر القلب .

وفي « إظهار الحق » نقلاً من « شرح المشكاة » لابن حجر : ونفي الثواب فيه أي : في الذكر القلبي المحض من حيث الذكر أي : من حيث الذكر الذي ورد الشرع بذكره باللسان لا ينافي حصوله من حيث المراقبة وحضور القلب فيه ثواب أيُّ ثواب . انتهى فليراجعه .

مطلب مهم

وقد قال الغزالي : حركة اللسان بالذكر مع الغفلة عنه يحصل الثواب ، لأنّه خير من حركة اللسان بالغيبة ، بل هو خير من السكوت مطلقاً . أي : المجرّد عن التفكّر ، قال : وإنما هو ناقص بالنسبة إلى عمل القلب . انتهى .

وفي « الأذكار النووية » : فضل الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان ، والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جميعاً ، فإن اقتصر على أحدهما ! فالقلب أفضل . انتهى عبارته .

وفي شرحه للعلامة ابن علان رحمه الله تعالى قوله (فالقلب أفضل) ، قال المصنف في « شرح مسلم » نقلاً عن القاضي عياض : ذكر ابن جرير الطبريّ أنه اختلف السلف في ذكر اللسان والقلب أيّهما أفضل ؟ قال القاضي عياض : وإنما يتصوّر الخلاف عندي في مجرّد الذكر الخفي الذي ذكرناه ، فذلك لا يقاربه ذكر اللسان ، فكيف يفاضله ! ؟ والمراد بذكر اللسان مع حضور القلب ، وإن كان لاهياً فلا ، واحتج من رجَّح ذكر القلب بأنّ عمل السرّ أفضل ، ومن رجَّح عمل اللسان قال : إن العمل فيه أكثر ، لأنّه زاد باستعمال اللسان ، فاقتضى زيادة أجر[1] .

---

(١) ولأنّ فائدته تتعدى إلى السامعين فاقتضى زيادة أجر . والصحيح الأول ، لبعده وخلاصه عن الرياء . أقول : وهذا يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال ، كما تقدم ذكره . وأما الأذكار التي وردت فيها الأخبار والآثار كالتسبيح والتحميد والتكبير عقب المفروضات ، فلا بد من تلفظها باللسان . انتهى نووي . أقول : وكذا قراءة=

قال القاضي : فاختلفوا هل تكتب الملائكة ذكر القلب ، فقيل : تكتبه ، ويجعل الله لهم علامة يعرفونه بها ، وقيل : لا تكتبونه ، لأنّه لا يطّلع عليه إلا الله تعالى .

قال المصنف في « شرح مسلم » : الأصحّ أنّهم يكتبونه ، وإنّ ذكر اللسان مع حضور القلب أفضل[١] ، والله أعلم . وقول القاضي : (وإن كان لاهياً فلا) ! مراده : فلا خلاف في فضل الذكر بالقلب حينئذ ، وليس مراده : فلا فضل فيه ، لأنّه قال قبله : وأما ذكر اللسان مجرّداً فهو أضعف الأذكار ، وفيه فضل عظيم كما جاءت به الأحاديث . انتهى عبارته . ونقله المصنف في « شرح مسلم » . انتهى كلام ابن علان .

وفي « البجيرمي » قوله : حمد الله بقلبه ، أي : ويثاب عليه كما مرّ ، وقولهم : الذكر القلبيّ لا ثواب فيه محمول على ما لم يطلب بخصوصه ، وهذا مطلوبٌ فيه بخصوصه ، « ع ش » على « م ر » .

قال بعضهم : يؤخذ من هذا صحّة ما ذهب إليه السادة الصوفية من جواز الذكر بالقلب والثواب عليه ، بل هو أفضل من ذكر اللسان لخلوصه من الرياء ، ولو لم يكن فيه ثواب لما أمر السادة الفقهاء بالحمد به في المواضع المكروه فيها ذكر اللسان ، وهو الحق الذي ينبغي اعتقاده .

وفيه : إنّ ما قاله الفقهاء إنما هو في الموضع الذي يكره ذكر اللسان ، وأجاب الشهاب ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » بقوله : الذكر بالقلب لا فضيلة فيه من حيث كونه ذكراً متعبّداً بلفظه إلى آخر ما قال .

=القرآن والتسابيح والتكبيرات في الصلاة ، وكذا تشميت العاطس ، وإجابة المؤذن ، والسلام مع عدم العذر ، وإلاّ فبالقلب فقط . كما في الخلاء ومحل النجاسات ، كما في « الباجوري » في آداب الخلاء ، وأما غير المأثورات فجائز مطلقاً . انتهى من « الفتاوى العمرية » راجعه . (منه رحم الله افلاسه) .

(١) لعلّه عند أهل الظاهر أخذاً مما مرّ عن ابن حجر وغيره ، وليتذكره . (منه) .

ومرّ في هذه الرسالة نقلاً من عين « الفتاوى » فليتذكر .

وفي « حسب حال السالك » : الذكر قسمان :

الأول : التذكر وهو التكلّف ؛ أي : تكلف السالك على لسانه ذكر الله .

والثاني : الذكر الحقيقي ، وهو : جريان القلب بالذكر دون اللسان ، فتسمية الأول بالذكر مجازٌ من قبيل تسمية السبب باسم المسبّب ، وأكثر الناس عنه غافلون . انتهى من « فتاوى عمريّة » عبارته .

وفيه : وفي « روح البيان » : الذكر على مراتب ، والذكر اللسانيّ بالنسبة إلى ذكر القلبيّ تنزّلٌ . انتهى من عبارته .

وحاصل المنقولات والاختلافات أن أفضلية الأذكار اللسانية إنما هو عند أهل الظاهر ، وأما عند أهل الباطن فالأذكار اللسانية بالنسبة إلى الأذكار القلبيّة مما يعدونها نزولاً عن المقام الأسنى والدرجة العليا ، ولكنهم إذا تنزلوا عن ذلك المقام توسلوا إليه بالأذكار اللسانية . وفي « مرآة الحامدين » : إن ذكر اللسان لتحصيل ذكر القلب . انتهى عبارته . وأحياناً يستعملون الذكر باللسان ليقتدي بهم غيرهم ، وينتفع بهم سواهم ، وإذا تجلّى الله لهم بالمعيّة ، وحصلت لهم أعلام المشاهدة ، سقط الذكر سواء كان باللسان أو بالقلب ويعدّونه حينئذ ذنباً من الذنوب فيكون الذكر وقتئذ حجاباً راجع « جواهر القرآن » للغزالي وفي ذلك أنشدوا :

بذكر الله تزداد الذنوب ... وتنكشف الرذائل والعُيُوبُ

وترك الذكر أفضل كل شيء ... وشمس الذات ليس لها مغيب

وأنشدوا أيضاً :

لا يترك الذكر إلاّ من يُشاهدُهُ ... وليس يَشْهَدُهُ مَنْ لَيْسَ يَذْكُرُهُ

والذكر سَتْرٌ على مذكوره أبداً فحين أذكره في الحال يستره
فلا أزال مع الأحوال أَشْهَدُه ولا أزال مع الأنفاس أذكره

الأبيات من « كشف الحجاب » للشعراني .

وفيه : أنّ الذكر دليل ، فإذا جَمَعَك المَدْلُولُ سقط شهود الدليل من قلبك . انتهى عبارته .

وفي « ميزان » الشعراني :ويؤيّد ذلك قول الشبلي رحمه الله حين قالوا له متى : تستريح ؟ فقال : إذا لم أرَ لله تعالى ذاكراً ، أي لأنّ الذكر لا يكون إلا في حال الحجاب عن شهود المذكور ، فما تمنّى الشبليّ إلاّ حضرة الشهود ، لأنّها هي الّتي لا يرى لله تعالى فيها ذاكراً بلسانه اكتفاء بمشاهدته تعالى ومُناجاته بالقلب ، وحضرة الحق هي حضرة بُهْت وخرس[1] . قال الله تعالى ﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا﴾ انتهى . وانشدوا أيضاً :

فترك الذكر أولى بالشهود وذكر الله أولى بالوجود
فكن إن شئت وُجْدان الوجود وكن إن شئت في فضل الشهود

انتهى .

وفي « الإحياء » في ٢٤١ : وكذا في « عوارف المعارف » في ٣٠٠ . قال بعضهم : إني أقول يا ربّ يا الله فأجد ذلك على قلبي أثقل من الجبال ، لأنّ النداء يكون من وراء الحجاب . وهل رأيت جليساً ينادي جليسه . انتهى عبارته .

وفي « الإحياء »في ٢٤١ من الجزء الرابع أيضاً : إذا بلغ الرجل في هذا العلم الغاية ، رَمَاهُ الخلق بالحجارة أي : يخرج كلامه عن حدِّ

---

(١) وفي نسخة زيادة : لشدة ما يطرق أهلها من الهيبة والتجلي .

عقولهم ، فَيَرَوْنَ ما يقوله جُنوناً وكُفْراً ، فمقصَدُ العارفين كلهم وصلُهُ ولقاؤه فقط ، فهي قرّة العين التي لا تعلم نَفْسٌ ما أخْفِيَ لهم منها ، وإذا حصلت انمحقت الهُمُوم والشهوات كلّها ، وصار القلب مستغرَقاً بنعيمها .

مهم

فلو ألقي في النار لم يُحسّ بها لاستغراقه ، ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت إليه لكمال نعيمه وبُلُوغه الغاية التي ليسَ فوقها غاية . انتهى عبارته . ولذلك قال بعضهم :

وهجره أعظم مـن نـــاره   ووُصْلُهُ أطيب من جنَّته .

انتهى منه .

وقال أبو يزيد : لو عذبني الله تعالى يوم القيمة لحبسني في جنة . انتهى . يعني : عدّه ذلك حجاباً عن الله مع أن الجنة مقصد العباد ومطلب الزهاد[1] ، والله أعلم .

وهذه أحوال أرباب المشاهدة من العارفين الذين يؤثرون التبتّل والتفرُّد والفكر والذكر حتى ينغمسوا في بحار المشاهدة ، ويَدْخلوا في جنّة المعرفة التي ثمارها غير مقطوعة ولا ممنوعة ، بل هي أبدية سرمديّة لا يقطعها الموت ، إذ الموت لا يَهْدِم محلَّ مَعرفة الله تعالى . قال تعالى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ ﴾ الآية . قال الإمام الغزالي في « الإحياء » في ٢٤٠ من عبارته : ولا تظننّ أن هذا مخصوص بالمقتول في المعركة ، فإن للعارف بكل نَفَسٍ دَرَجَةُ ألف شهيد . انتهى .

وفيه أيضاً : أنّ جميع أقطار ملكوت السموات والأرض مَيْدانُ العارف ، يتبوَّأ منها حيث شاء من غير حاجة إلى أن يتحرك إليها بجسمه وشخصه . انتهى من عبارته .

---

(١) ووقوع الحجب عند أهل الله تعالى أشد عذاباً من دخول النار ، راجع . (منه) .

وفي « الإحياء » في ٢٢٩ من ج١ : وقال أبو الدرداء : قال رسول الله ﷺ : « ألا أنبّئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إعطاء الورق والذهب ، وخيرٌ لكم من أن تلقوا عدوّكم ، فتضربون أعناقهم ويضربون أعناقكم ؟ قالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ ، قال : ذكر الله عز وجلّ دائماً » انتهى من عبارته .

وفيه أيضاً في ٢٣٣ : فإن قلتَ : فما بال ذكر الله سبحانه مع خِفَّته على اللسان وقلة التعب فيه صار أفضل وأنفع من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها ؟

فاعلم أنّ تحقيق هذا لا يليق إلا بعلم المكاشفة ، والقدر الذي يسمح بذكره في علم المعاملة أن المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب ، فأما الذكر باللسان والقلبُ لاهٍ فهو قليل الجدوى .

وفي الأخبار ما يدلّ عليه أيضاً ، وحضور القلب في لحظة بالذكر ، والذهول عن الله عز وجلّ مع الاشتغال بالدنيا أيضاً قليل الجدوى ،

الحضور ثمرة العبادات العملية

بل حضور القلب مع الله تعالى على الدوام ، أو في أكثر الأوقات هو المقدم على العبادات ، بل به تشرف سائر العبادات ، وهو غاية ثمرة العبادات العمليّة ، وللذكر أوّل وآخر ، فأوّله يوجبُ الأنسَ والحبَّ ، وآخره يوجبه الأنسُ والحبُّ ، ويصدر عنه ، والمطلوب ذلك الأنس والحبّ ، **فإن المريد في بداية أمره قد يكون متكلِّفاً بصَرف قلبه ولسانه عن الوسواس إلى ذكر الله عز وجل ، فإن وُفِّقَ للمداومة أنس ، وانغرس في قلبه حبّ المذكور** . الخ ، ثم إذا حصل الأنس بذكر الله سبحانه انقطع عن غير ذكر الله ، وما سوى الله عز وجل هو الذي يفارقه عند الموت ، فلا يبقى معه في القبر أهل ولا مال ، ولا ولد ولا ولاية ، ولا

يبقى إلا ذكر الله عز وجل ، فإن كان قد أنس به تمتّع به وتلذَّذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه ، إذ ضرورات الحاجات في الحيات الدنيا تصدُّ عن ذكر الله عز وجل ، ولا يبقى بعد الموت عائقٌ ، فكأنّه خلى بينه وبين مَحْبوبه ، فعظمت غبطته ، وتخلّص من السجن الذي كان ممنوعاً فيه عمّا به أنسه . .الخ . وهذا الأنس يتلذَّذ به العبد بعد موته إلى أن ينزل في جوار الله عز وجل ، ويترقى من الذكر إلى اللقاء ، وذلك بعد أن يُبَعْثَرَ ما في القبور ، ويحصَّل ما في الصدور ، ولا ينكر بقاء ذكر الله عز وجل معه بعد الموت فيقول : إنه أعدم ، فكيف يبقى معه ذكر الله عز وجل ؟ ! فإنه لم يَعْدِمْ عدماً يمنع الذكر ، بل عدماً من الدنيا وعالم الملك والشهادة ، لا من عالَم الملكوت . .الخ . ولأجل شرف ذكر الله عز وجل عظمت رتبة الشهادة ، لأنّ المطلوب الخاتمة ، ونعني بالخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله ، والقلب مستغرق بالله عز وجل ، منقطع العلائق عن غيره ، فإن قدر عبد أن يجعل همَّه مستغرقاً بالله عز وجل فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة إلا في صفّ القتال ، فإنه قطعَ الطمع عن مُهْجَتِهِ وأهله ومالِهِ وولده بل من الدنيا كلها ، فإنه يريدها لحياته ، وقد هوَّن على قلبه حياته في حبّ الله عز وجل ، وطلب مرضاته ، فلا تجرُّد لله أعظم من ذلك ، ولذلك عظم أمر الشهادة ، وورد فيه من الفضائل ما لا يحصى . .الخ .

وفي « بيان الأسرار » للسُهْروردِيّ قدس سره في الفصل الرابع عشر : والقلب لا ينام ولا يموت ، وهو مشغول في النوم واليقظة بحياة القلب بلا صوت ولا قيام ولا قعود ، فهو يخاطب الله تعالى بقوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ متابعاً للنبيّ ﷺ : قال في تفسير القاضي : في هذه الآية إشارة إلى حال العارف وانتقاله من حالة الغيب إلى الحضرة .

مهم

واستحق بمثل هذا الخطاب كما قال النبيّ ﷺ : « الأنبياء والأولياء يصلُّون في قبورهم كما يصلُّون في بيوتهم » أي مشغولون بالله ومناجاته بحيات قلوبهم . انتهى من عبارته اختصاراً .

ولقد أخبرنا ثقات أنّ امرأة مَنْسُوبَةً إلى طريقة شيخنا الحاج عبد الرحمن العسليّ قدس سره ماتت ، فوضعت امرأة على قلبها يدها ، فوجدت قلبها تتحرك ، ثم وضعت امرأة أخرى فوجدتها كذلك ، ثم وضع رجال آخرون[1] فوجدوا كذلك ، فغفر الله لها ولنا ، وأدخلنا وإيّاها في دار الجنان بفضله وكرمه آمين . فإذا وقعت المكالمة في حَقّ هذه المرأة لدى شيخنا العسليّ قدس سره استكتب منا من كتاب « مزكي النفوس » بما مُعَرَّبه هذا :

مهمات عجيبات

مات في زمان رسول الله ﷺ رجلٌ من أهل الذكر ، فأراد أصحابه أن يغسلوه ، فقال عمر رضي الله عنه : أنا أغسله . وقال أنس رضي الله عنه : أنا أغسله ، وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : أنا أغسله ، ثم قال عليه السلام : إنه كان من أهل الذكر فيغسله أهل الذكر ، فأين سلمان الفارسي ؟ فقالوا : إنه مشغول بالذكر في بيته ، فأرسل عليه السلام واحداً لِيَدْعُوَهُ إليه فقال عليه السلام له : « يا سلمان ، إن هذا الرجل من أهل الذكر ، وأنت من أهل الذكر فاغسله بحمله إلى الخلوة ، أنت من أهل التجربة[2] وهو من أهل التجربة ، ويظهر لأهل الذكر من خوارق العادات وأنت تطلع عليه ، فاغسله في الخلوة ، لئلا يطّلع عليه غيرك » ، فحمله سلمان رضي الله عنه إلى الخلوة ، وخلع

(١) وفي « تنبيه السالكين » : فوضع أخوها .
(٢) وفي « تنبيه السالكين » : التجريد .

منه لباسه ، وألقى على عورته منديله ، ثم مَدَّ يَدَهُ تحت المنديل إلى العورة ليغسلها ، فطرّد الميت المذكور يدَ سلمان من عورته ، فوقع سلمان على صدره باكياً متعجباً ، فوجد قلب الميت يذكر الله تعالى ، وإذا سمع ذلك بكى بكاء شديداً ، وتعجَّب عليه ، وقال : كيف يتحرك الميت ؟ ! وكيف يذكر قلب الميت الله تعالى ؟ ! فحينئذ فتح الميت عَيْنه ، وقال : يا سلمان ، هل يموت الكائنون مع الله ؟ ! فالذين حَيِيَتْ قلوبهم بذكر الله ، تموت أجسامهم ، ولا تموت قلوبهم ، وأنا لست بميت ، وحصل لقلبي حياة ، فتفرَّقْ منّي بعد تجهيزك إيّاي ، ثم إذا أخبر تلك الواقعة للنبيّ عليه السلام قال : « المؤمنون لا يموتون ، بل ينقلون من دار الفناء إلى دار البقاء » . انتهى .

ومما يؤيّد هذا ، ما قاله الإمام اليافعي رحمه الله تعالى ، في « نشر المحاسن » : من أن السيد الجليل العارف بالله نجم الدين الأصبهاني رضي الله عنه طلع مع جماعة جنازة بعض الصالحين ، فلما جلس بعض الناس من أهل العلم يُلَقِّن الميت ، ضحك الشيخ نجم الدين ، ولم يكن الضحك عادته ، فَسُئِلَ عن ذلك ، فقال : سمعت صاحب القبر يقول : ألا تعجَبون من ميت يلقِّن حيّاً ؟ ! انتهى من عبارته .

وقال الإمام السهروردي رحمه الله تعالى في « طفل المعان » : فكما لا ينام القلب الحيّ ، فكذلك لا يموت ، كما قال النبيّ عليه السلام : « تنام عيني ولا ينام قلبي » انتهى من عبارته .

وقال فيه أيضاً : فالواجب طلب الحياة القلبيّة الأخرويّة من أهل التلقين في الدنيا قبل فوت الوقت ، فإنّ الدنيا مزرعة الآخرة ، فإذا لم يزرع في هذه لم يحصد في الآخرة ، والمراد من المزرعة أرض الوجود ، لا آفاقي . انتهى عبارته ، راجعه في الفصل الثامن في بيان شروط الذكر .

واعلم يا أخي ، أنّ الداعي إلى إكثار الكلام في حق هذا المهمّ ، كثرة القيل والقال بين علماء الظاهر ، ووُجْداني إيّاهم يتكلّمون بما رأوْهم في الكتب ، ظانّين أنْ ليس فيها سواه .

فها أنا أطنبت الكلام ، وطولت النقول والمقال في حق ذلك بالتقرير والتحرير ، فعليهم أن يأخذوها من هذه الجَرَّة[١] الصافية الدُهْنَ الخالص بلا شائبة ، فالحمد لله ربّ العالمين .

ولا يخفى أنه لم يَصِلْ أحد إلى هذه المعارف الإلهية ، والأسرار الربانية ، إلا بالأعمال القلبية ، والعمل الذي يُتَوَسَّلُ به إلى النفائس فهو نفيس . فلعلّ هذه المنقولات من كتب الثقات تكون عوناً لتحقيق ما يفعله السادة النقشبندية من اختيارهم الأذكار القلبية ، ولعلّ من يعترض عليهم من العلماء يتوب إلى الله ، إنه هو التواب الرحيم ، ولو لم يخرج عن إنكاره بعد ما تبيّن له الحق وظهر الأمر ، فلا كلام معه سوى أنْ يقال له : سلام .

وأوّل ما يحصل لهم من نتيجة ذكر هذا الاسم المبارك (الله الله) بالقلب أن يصل القلب إلى حدّ لو تكلّف بإخطار غيره لا يخطر ، ولا يجوز أن ينتقل الذكر إلى ما فوقه مدة ما لم يحصل له هذه النتيجة ، وهذا أمر متحقق لا ينكره إلا من لا يجرّبه ، فوالله لو يعلم المنكرون ما عليه هؤلاء السادة النقشبندية لضاربوهم بالسيوف ، كيف لا ؟ ! وقد يرد عليهم من لذة أحوالهم ما لو قيل لهم : اخرجوا من هذه الشغل لِتَدْخُلوا الجنّة ، لا يخرجون ولله درّ القائل : لو بِعْتُ لحظة من لَذَّة سَحَرٍ بملك قارون[٢] ، في عمر نوح لكنتُ مغبوناً .

---

(١) أي : من اللبن الكائن في الجرة . (منه) .

(٢) ومع هذا للنقشبدية مقام يعدون هذه اللذة المطلوبة من الشرك ولا يفهم حقيقته إلا من ذاق . (منه رحم الله إفلاسه) .

ولقد قال واحدٌ من مريدي شيخنا قدس سره : إنِّي كنتُ لدى شيخي ، فطرأ عليَّ لذّة من غلبة الحال ، بحيث ينسى جميع اللذات بالنسبة إليها ، ثم قلت للشيخ : هل يكون في الجنة لذة مثل هذه يا أستاذ ؟ فقال لي : لو فتحت أبواب الجنان الثمانية ، ورأى جميع ما فيها من النعم ، لا تصل لذّة ذلك إلى هذه اللذة . انتهى . وهذه هي التي يسمونها (بالجنة المعجلة) رزقنا الله نصيباً منها ، ولا يُدرك كنهها إلاّ من ذاق ، وهلْ يعلم حلاوة العسل سوى من ذاق ، وكيف يظهر على السطوح غير مَنْ راق ، ولا يعرف ذا الفضل إلا من فاق ، وما بعد ظهور الشمس ضياء باق ، وقد ينكر الأعمى أنوار يوم برّاق ، ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ لا يجد له واق . فعلم مما ذكرناه أفضلية الطريقة النقشبندية ، وأفضلية أذكارها .

ولا شك أن مَنْ أنكرها وأنكر أهلها ، وتبدّل أذكارها بأذكار اختارها ، ومنع الناس عن الدخول في عهد أربابها ، فهو شيطان في زيِّ شيخ ، وذئبٌ من الذئاب ، ولكن عليه ثياب ، وإن كان عالماً وعليه عباء . وهذا هو الذي حذَّر منه رسول الله ﷺ في قوله : « أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان جاهل القلب » .

وقد قسم العارفون الناس إلى أربعة رجال ، وهذا الذي ذكرناه هو أحدهم وأبعدهم من الله من حيث لا يشعر ، وهَرْوِلْ يا أخي ولا تقرب منه لئلا يخطفك بحلاوة لسانه ، ويحرقك بنار معاصيه التي ظنّ أنها حسنات ، ويقتلك بنتن قلبه الذي ملئ بحبّ الرياسات .

وفي بعض الآثار : لا تقوم الساعة حتى تجلس الشياطين على الكراسي ويعظوا الناس ، والناس لا يشعرون أنّ ذلك الواعظ شيطان . انتهى من « المنن » عبارته .

وقد لقيت واحداً منهم ، وصرّح بأنّ الدخول في الطريقة النقشبندية مما لا يجوز ، وأخبرني واحد من المعتقدين به : أنه طلب منه الرخصة للدخول في عهد الشيخ النقشبنديّ ، فقال : أنت إذاً على قصد شراء الكبريت الأخسّ بدل الذهب الإبريز .

وسمعت أيضاً هذا البعض المذكور يقول : إن شيخه في زعمه كان يقول : إنِّي أريد أنْ أقتل مريدي الذي ذهب لدى شيخ آخر غيري قبل أن أقتل سلداتاً كافراً . انتهى .

وقد قال هذا الكلام مراراً في مجمع من العلماء ، فتعجّبوا به ، ولعلّه افتراء محض على شيخه ، أو كان ذلك الشيخ على حدّ الاستقامة ، وكان غيره على نهج الابتداع والضلالة بمجرد التعصّب والدعوى ، ولذلك قال ذلك تهديداً وترويعاً وتنفيراً وتحذيراً ، وإلا فلا مجال للشيخ أن يقول ذلك ، ولا أن يحجر على المريد ، وقد يجب على الشيخ المرشد أن يرى نفسه أقلّ من مريده ، وأعصى وأفسق منه ، بيد أنّه ينصحه امتثالاً للأمر الإلهي ، مع شهود أنّه أحسن منه حالاً ، وأكثر متشيخة هذا الزمان يهجرون مريدَهم إذا انتقل إلى شيخ آخر ، ويحطّون فيه ، ويقولون : إنّه صار مرتدّاً . ومن هذا حاله ما مشى على قواعد أهل الطريق ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . وما ألذّ ما قاله الشعراني في « المنن الكبرى » في ١٥٠ من الجزء الثاني ، وما أصدقه ، وما أحسنه : ومما أنعم الله تعالى به عليّ ، شهودي كثرة غِشِّي لأصحابي كلما كثروا ، لأني لو نصحتهم لَفَرُّوا منّي ، ولم يبق معي إلا القليل ، وهذا الخُلُقُ قلّ من يتنبه له من الفقراء ، بل ربّما يرى مقامه يعظم بكثرة المريدين والمعتقدين ، فليتفقد الفقير نفسه ، ولا يغترّ ، لانّه لولا مسامحته التلامذة بالإخلال بآداب الطريق ما كثروا حوله ، بل سمعتُ سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول : **مَنْ خطر في باله أنّ إخوانه وتلامذته أدنى مَرْتبة منه عند الله ، وأنه أعرف منهم بالطريق ، فقد خرج عن الطريق ، وهم أحسن حالاً منه** ، أي : من الشيخ ، لأنّهم لم يخطر لهم أبداً أنّه تلميذهم .

المتكبِّر عند الله لا يصلح أن يكون داعياً له

وسمعتُ سيدي الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول : متى رأى الفقير أنّ له تلميذاً دُونَهُ في الدرجة فقد ادّعى الكِبْر ، والمتكبِّر عند الله لا يصلح أن يكون داعياً له ، فقلت له : فما يُخَلِّصه من ذلك ؟ فقال : أن ينصح أخاه مع شهوده أن أخاه أحسن حالاً منه ، وأكثر طاعة لله منه . انتهى .

وسمعته مراراً يقول : **من شرط الصادق أن يرى غير جماعته بالعين التي يرى بها تلامذته على حدٍّ سواء** ، ومتى رجَّح نسبة تلامذته إليه على نسبة تلامذة غيره إليه فقد خرج من مراسم أهل الطريق . انتهى . وهذا الأمر لا يتنبّه له إلا قليل من الناس . انتهى عبارته .

ولقد وقع الكلام بيننا وبين واحد يدّعي أن شيخه هو النبي ﷺ بلا واسطة ، فتفحصت من حقيقة ذلك ، فقال : إني رأيت النبيّ ﷺ في المنام ولقّنني ، وفي الحديث « من رآني في المنام فقد رآني » الحديث ، وحلف بالحلف المشدّد لدى مجمع من الناس بتأييد مشيخته بذلك الرؤيا ، فرددتُ كلامه بما في « مغني المحتاج » وغيره : أن الحكم لا يثبت بالرؤيا ، وبما في « البريقة » : لا مانع من أن يقول الشيطان : أنا رسول الله . وبما مرّ قبيل الباب الخامس .

وقلت : فما المقام الأوّل من المقامات التي شَرَطَ العارفون للأخذ عنه عليه السلام ؟ فقال : هو المحبة والجذبة ، ثم رددت كلامه بدلائل ونصوص ، وبعد ذلك لم يجد له بدّاً إلا أن يقول : لا يعمل بالكتب إلا العوام ، وأما أهل الكشف فإنما عملهم بما كشف لهم ، ويتركون المذاهب الأربعة ، فرددتُ مقالته هذا بنقول معتمدة فقال : لا يكون الوليّ وليّاً إلا إن رأى الله سبحانه في كل ليلة وكلّمه ، ورأى اللوح المحفوظ ، فمن هذا حاله لا يحتاج إلى الكتب ، ولا إلى العمل بما فيها ، ولم يقبل

كلامي ، وبعد ذلك أيّد مشيخته بكثرة الأتباع ، فقلت له : لو كان الأمر في كثرة الأتباعِ ، لما سبق أحد في المشيخة من الشيطان ، فإنه ليس لغيره تابعٌ إلا واحداً من ألفٍ ، ثم قال : ليس على وجه الأرض أحدٌ أحقّ منّي في المشيخة ، وأقدم مني رُتْبة في الولاية ، وتكلّم بكلمات عجيبات ، ظاهرها يكفّر الرجل[1] ، والعياذ بالله . وأخبر مجاهدتَه من زمن صباه ، ومدح نفسه بكثرة الرياضات ، وشِدَّة الملازمة على الطاعات ، والزهد في الدنيا ، فلاَطَفْتُهُ بالكلام ، واعترف بأن لا شيخ له في الطريق سوى النبيّ عليه السلام ، إلى أنّه أخبر رؤياه المذكور للحاج محمد العبودي رحمه الله تعالى ، فقبّله واعتنقه بَيْدَ أنّه انتسب سلسلته إليه ، فكدت أن أبكي ندماً على ما حلّ به من هذه البلية العظمى ، بايقاع الشيطان له في هذه الورطة الكبرى ، فكلّ من كان في ذلك المجمع من العلماء تيقنوا حقيقته ، وتبيَّنوا أنّه مدّع كذّاب ، وأبعاض آخرون من الجهال[2] انتفخوا واستكبروا وفرحوا وافتخروا ، وبعض آخر من مريديه تدارك به اللطف الإلهي وتحقق بفطانته حقيقة حاله ، وقصد الانقطاع من دائرته ، وزاد شوقه للاتصال بزيل الشيخ جامع القطبتين ذي الجناحين العسلي قدس سره ، ثم بعد المفارقة من موضع المكالمة تكلّم هذا المدّعي بكلمات يحطّ بها سواه من مشائخ الديار ، ونسبهم إلى النقائص ، وعدَّ ما كنا نَرْتَكِبُهُ في حالة الشباب من المنكرات البَهْلَوَانيّة ، وظنّ أن الفضل الإلهي خاصّ بأمثاله المجتهدين ، لا نصيب منه لأحد لأمثالنا العاصين المقصِّرين ، وتكبّر علينا وعلى جميع مشائخ الطريقة بكثرة زهده ، وملازمة عبادته ، وصرّح ذلك في المجامع والمحافل ، رزقه الله الإنابة من هذه الجناية ، وهدانا وإياه إلى أحسن طريق ، بلطفه ومَنِّهِ ، إنه هو الجواد الكريم .

---

(١) وضعت في حق هذا البعض رسالة لطيفة ، ورددتُ فيها كلّ ما صدر منه من الشطحات ، وسميتها بـ« جهد المقل في ردّ شطحات المنكر المضل » فمن أراد إدراك الحق وتمييزه من الباطل فليقف عليها . (منه رحم الله إفلاسه) .

(٢) من المريدين .

قال الإمام البوصيري رحمه الله تعالى :

صاح لا تأس إن ضعفت عن الطا ـعة واستأثرتْ بها الأقوياء

إنّ لله رحمة وأحقُّ الناس منه بالرحمة الضعفاء

فابق في العرج عند منقلب الذو دففي العود تسبق العرجاء

انتهى همزية .

قال ابن حجر في « المنح المكية » في شرحه : فكذلك تأخرك عن كثير من الطاعات ربّما أوجب لك سبق المكثر منها ، لأنّه قد يَصْحَبُك من الذل والافتقار والإخلاص ما يخلف تأخرك ، بخلاف المكثر ، قد يَصْحبه من العجب والافتخار ما يوجب تَأَخُّرَهُ . انتهى عبارته ٦٧٥ .

أخرج الطبراني عن معاوية بن حيدة عن النبيّ ﷺ أنه قال « إنّ الله عز وجلّ خلق مائة رحمة ، رحمة بين خلقه يتراحمون بها ، وادخر لأوليائه تسعة وتسعين »[1] . انتهى من « البدور السافرة » للسيوطي . والظاهر أنّ مراد الشارح بالرحمة المدّخرة العامة لمن ذكرهم هي الرحمة التي ذكرها في الحديث « بين خلقه » حاشية « حفني » على « المنح » ٦٧٤٤ .

وفيه : ومن مقام العارفين ما حُكي عن الإمام أبي محمّد النيسَابُورِي أنه دخل المسجد مرّة يعتكف في رَمَضان ، فرأى المتعبِّدين يجتهدون ، والقرَّاء يقرؤون ، فقطع الاعتكاف وخرج ، فقيل له في ذلك ؟ فقال : لمّا رأيتُ تعظيمهم بعبادتهم ، واعتمادهم عليها دُونَ الله ، لم يسعني إلاّ الخروج ، خوفاً من نزول البلاء عليهم . انتهى من عبارته ٦٧٥ ، وفي « المنح المكية » أيضاً : فقد يُنتج القليل ما لا يُنْتِجُهُ الكثير ، بواسطة مزيد إخلاص وانكسار . انتهى من صحيفة ٢٧٦ راجعه .

---

(١) وفي كتاب آخر : « إنّ الله عزّوجلّ خلق مائة رحمة ، فمنها رحمة يتراحم بها الخلق ، فبها تعطف الوحوش على أولادها وأخّر تسعة وتسعون إلى يوم القيامة » .

قال الشعراني في « المنن الكبرى » في ١٧٧ من ج ٢ : **وقد أجمع العارفون بالله تعالى ، على أن العبد ما دام يشهد نفسه فوق أحد من المسلمين ، فلا يصحّ له دُخُول حضرة الله تعالى أبداً ، لأنّها محرّمة على مَنْ فيه شيء من الكِبْرِ بإجماع** . انتهى عبارته .

شرط العمل الصالح

وقال في « لواقح الأنوار القدسيّة » في ١٧٧ : من شرط العمل الصالح ، أن لا يرى نفسه على أحد من خلق الله تعالى ، فمتى رأى له به فضلاً على أحد خرج عن كونه صالحاً . انتهى عبارته .

وفيه أيضاً : الظهور يقطع الظهور ، ورُبّما استوفى من أظهرَ صلاحه في هذه الدار جزاء أعماله كلّها ؛ من كثرة الاعتقاد فيه وقضاء حوائجه ، وإرسال الهدايا له ونحو ذلك ، فيذهب إلى الآخرة صُفْرَ اليَدَيْنِ من الأعمال الصالحة . انتهى عبارته .

ولا يخفى على كل عالم أنّ الذنب قد يكون للعَبْدِ خيراً من طاعته لئلا يعجب بعمله ، ولو كان هذا العابد الزاهد المدّعي المذكور قد وقع في المعاصي لما ادّعى هذه الخلافة العظيمة بهذه الأكاذيب ، ولما جرّ الناس إلى جانبه بذكر هذه الأعاجيب ، فإنه سامحه الله تعالى لم يعرف أن صورة الطاعة قد تكون مَعْصِيَةً ، فأيّ معصية أكبر مما طرّد به إبليس عليه اللعنة عن باب الله تعالى بسببه ؟ ! كما هو مذكور في كلام الله عز وجلّ .

قال الشعراني في « لواقح الأنوار القدسية » في ٦٦ : أخذ علينا العهد من رسول الله أن نُرَغِّبَ جميع أهل المعاصي في التوبة ، ونخبرهم بسعة رحمة الله لهم إذا تابوا ، وأنه لا يتعاظم عليه تعالى ذَنْبٌ أن يغفره ما عَدا الشرك ، ونلين لهم الكلام ، ونحسن إليهم كل الإحسان ، حتّى يحكوا ذلك لِرفقَتِهِمْ في المعاصي ، فلعلّ قلوبهم تلين بالتوبة ، وكذلك

لا نؤيِّس أيضاً أن نخاطب التائبين بالألفاظ الحسنة المميلة لخاطرهم كلفظ السيادة ، ونراهم أطهرَ منّا قلباً ؛ لأنّهم قَريبُوا عَهْدٍ بتوبة ، وهي تجبّ ما قبلها من الذنوب بنصّ الحديث ، بخلافِنا ، فرُبَّما كان أحدُنا بعيدَ عهْدٍ بالوقوع في معصية ، أو كثير الطاعات المتوالية ، فيقول في نفسه : بَعِيدٌ أن الله تعالى يُعذِّب مثلي ، وغاب عنه أنّه في تلك الحالة من أبْعَدِ الأبعَدِين عن حضرة الله عزّ وجلّ ؛ لعدم انكسار قلبه ، وأن الله يقول : « أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي » أي : من أجل مخافتهم لأمري ، ودخول النقص في طاعاتهم ، فهم لا يَرَوْنَ لهم وَجْهاً عندي .

وسمعت سيدي عليّاً الخواص يقول : إنما بَدَأَ الإمام القشيري في رسالته - لمّا ذكر رجال الطريق - بابن أدهم والفضيل بن عياض ! تقويةً لقلب المريدين ، لكَوْن ابن أدهم والفضيل سبق لهما زَمَنٌ قَطِيعَةٍ ، فكأن الشيخ بذلك يقول : إنّ مَنْ سبقت له العناية لا تضرّه الجناية ، حتى لا يستبعد المريد الذي سبق له زمن قطيعة ، بكثرة الفتح عليه من الله ، ومحو تلك الذنوب كلها . انتهى .

مطلب مهم

كمال المرشد وُقوعه في البداية ولو في نيَّة المخالفات

وسمعته مرة أخرى يقول : كل من لم يذق من الفقراء مَرَارة القطيعة لا يَعْرف مقدار حلاوة الوِصال ، فكان من كمال حال الفقير الذي أراد الله أن يُؤهِّله لِتَرْبِيَةِ المريدين وإرشادهم وقوعه في بداية أمره ولو في نيَّة المخالفات ، وذلك لِيَصيرَ عنده حلمٌ على العُصات ، وصَبْرٌ على تقويم عوجهم ، وأيضاً أنّه بوقوعه في المعصية يَزُولُ عنه الإعجاب بعمله ، ويعرف سَعَة حلم الله عليه ، ويقوم بين يَدَيْهِ بالذلّ والإطراق والأدب الذي هو مَهْرُ دُخُول الحضرة الإلهية ، ولو أنّه لم يسبق له معصية لم

يَعْرف ذلك ، وكان يسبق له مثل ما وقع في الإدلال على الله بعمله ، كما هو مُشاهد فيمن تربَّي على تورُّع ، وعَدَم ابتلائه بشيء من القاذُورات ، فتراه يرى الخلق كلّهم هالكين إلاّ هو ، هذا عَيْنُ الكبر الذي أدخل به المتكبرين النار .

ويؤيّد ذلك حديث العابد الذي عبد الله تعالى في جزيرة في البحر خمسمائة سنة ، وأن الله تعالى يقول له يوم القيامة : ادْخل الجنّة برحمتي ، فيقول : يا ربّ ، بل بعملي ، فيقول الله تعالى للملائكة : قايسُوا بين عبادته الخمسمائة سنة ، وبين نِعْمَةِ البصر ، ففعَلُوا ، فرجحت نعمة البصر ، فأمر به إلى النار ، فقال : يا ربّ ، أَدْخِلْني برَحْمَتِكَ ، فأدخله .

مطلب : حكم المعاصي حكم الزبل

وسمعت أخي أفضل الدين يقول : حكم المعاصي حكم الزبل الذي يوضع في أرض شجر الفواكه ، فيحلِّيها ويطيب طُعْمها ، أو كحكم الأنفحة للبن ، فإنه مع حلاوته وطيب طُعْمه يحتاج إلى الأنفحة المنتنة الخبيثة الطُّعم لِتُثبته ، وتصونَه عن الفساد . فعلى العاقل أن يتفكَّر في حكم مصنوعاتِ الله تعالى عزّ وجلّ ، ويعطي كلّ فعل حَقَّه على الميزان الشرعي .

حكاية مهمة

وقد مكث شخصٌ من أهل الجدال في سُوق أمير الجيوش في حانوتٍ ، فصار يُنْكر على أهل السوق من تُجَّار ودلاَّلّين ، ويحكم ببُطلان بَيْعهم وشرائهم ؛ بأشياء لم ترد صريحة في الشريعة ، ممّا يخفى على كثير من الناس ، فشَكَوْا ذلك لي بحَضْرة أخي أفضل الدين ، فقلت لهم : إن شاء الله أُكَلِّمه لكم ، فقال أخي أفضل الدين : الكلام لا يُؤَثِّر في مثل هذا ، إنما يؤثر فيه صدمَةٌ إلهيّة ! ففي تلك الليلة وجدوه مع جارية جاره ،

فقبضوا عليه بالوالي ، وأرادوا يَجْرسونه[1] بها وهي راكبة على ظهره ، فاجتمع عليه التجَّار والدلاّلون ، وشفعوا وخلَّصوه بعد علقة شديدة ، وغرامة فلوس ، فمن ذلك اليوم سكت عن الإنكار ، وصار هو يطلب منهم السكوت عنه ، فقال سيدي أفضل الدين : **وعزَّة ربّي هذه الذلّة أنفع له من عبادته التي كان يتكبّر بها على الناس .**

فإياك يا أخي وتَنْفير مَنْ تاب من العصاة بكلامك الجافي ، وعدم إحسانك إليهم ، فإنّ إبليس ربّما قال لهم : أيّ فائدة لكم في صُحْبة هؤلاء الفقهاء ؟ ! وتَرَكْتُمْ أصحابَكُم الذين كانوا يحبّونكم ، ويسترون عليكم زلاَّتكم ، وجئتم إلى مَنْ يحتقركم ويزدريكم ويكشف عَوْراتكم ، ويجيء لكم بحيلة الوالي ، فإذا صَغَوْا إلى كلام إبليس طَلَبُوا الرجوعَ إلى حالتهم الأولى ضرورة ، فَرغِّبْ يا أخي مَنْ تاب من إخوانك في التوبة كلّ الترغيب ، وأحْسِنْ إليه كلّ الإحسان ، واذكُرْ له ما وَرَدَ في قبول التوبة من الآيات والأخبار ،تَكُنْ حكيم الزمان . والله يتولّى هداك . انتهى عبارته .

ولقد طَوى هذا العارف الشعْراني قدس سره في هذه العبارات عدَّة منافع ، فعلى المتفطِّن البصير أنْ يتدبَّر بما فيها كلّ التدبُّر ، ولا يأمَنَ من مكر الله ولو كان على عبادة الثقلين ، ولا ييأس من رحمته ولو بلغت الذنوبُ عنان السماء ، فالحمد لله ربّ العالمين .

وسمعت شيْخَنا العالم الرباني والعارف الصمداني ، الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره يوصي مُريديه بالدعاء له ، بل رأيْتُهُ يقبّل على يد بعض مريديه ، وكان قدس سره يقوم دائماً إذا جاء لديه مريدُه ، وكانت عادته أن يُشَيِّعه قليلاً حين يرجع مِنْ لَدُنْهُ ، وكان يخدم بنفسه ، وهذه الأخلاق المرضيّة تشعر بأنّ صاحبَها يرى نفسه في نظره أقلّ من مريده . فجزاه الله عنّا وعن أهلنا خَيْرَ الجزاء ، ورزقه العافية إلى يوم اللقاء ، آمين .

---

(١) أي : يفتضحون .

وقد سمعته رضي الله عنه **يُصرِّح بأنّه يكون خائفاً من أن يكون من الذين يأمرون الناس بالبرّ ويَنْسَوْنَ أنفسهم** ، كان يقرأ قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾ وقوله ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ ﴾ ، وقوله تعالى لداود عليه السلام « عظ نفسك فإن اتعظت ، وإلا ! فاستحي مني » . وقراءة هذه تشعر ما رسخ في قلبه من رؤية حقارة نفسه ، وعظمة خوفه من مولاه .

وسمعته رضي الله عنه يقول : لو أكبّ جميع الناس على عُتْبَتِي أو رجع جميع مَنْ في دائرتي إلى شيخ آخر لا أبالي بهما ولا أتأثر . فالعياذ بالله من التفرقة بينهما . انتهى .

وسمعته رضي الله عنه يقول : الأنانية هي التي تمنع الرجل من الارتقاء إلى المقامات ، ويسقط بها من الأحوالات . انتهى .

وأخبرني واحد من أخصِّ أصحابه أنه قال له : إنّي أريد لو كنت مريداً ، والمريدون يريدون أن يكونوا شيوخاً .

وكان رضي الله عنه يُهَدِّدنا بالإشارة من طلب المريدين ، وطلب الشُهرة ، ولم أسمعْ منه قطّ ولو كلمة واحدة فيها رائحة كبر وإعجاب ، بل كان سُدَاهُ ولحمتُهُ تواضع وخشوع ، وله مريدون علومهم كالجبال الشامخات ، ومعارفهم كالأمطار الجاريات ، وأنا لم أسمَعْهُ يذكرهم ولو مرة ، بل إنما عَرَفْتهم من جهة أنفسهم . رزقه الله التوفيق للتخلّق بأمثال هذه المحامد يوماً فيوماً ، آمين . ولا هكذا[1] أحوال أهل الدعوى من رجال هذا الورى في عصرنا هذا .

ولقد لقيتُ واحداً منهم ، فسمعْتُهُ يقول : إنّ من مريديه مَنْ يجتمع مع الخضر عليه السلام ، ومنهم مَنْ يرى بعينيه النبي ﷺ ، ومنهم مَن يذكر الله تعالى ستين ألف مرّة في الملوين . انتهى .

---

(١) أي : كقواعد أهل الطريق . (منه) .

وسمعته يقول : إنه شيخ ديار كذا وكذا وإقليم كذا ، أي : قال ذلك على قَصْد المَدْحِ والثناء ، ظانّاً منه أنهم بذلك القول يعتقدونه .

وسمعته يقول : إنّ له إذناً من طرف أربعة مشائخ ، ومع ذلك قد وَجَدْته عند التجربة لم يضع قدماً واحداً في موضع الإرادة ، فضلاً عن موضع المشيخة ، حتى أنّي وجدته لا يعرف مواضع اللطائف وما هي ، وما كيفية جريان الأذكار بها ، مع أنّه يدّعي أنّه شيخ نقشبندي ، وقد أقْبَلَ إلَيَّ إقبالاً أكيداً ، وطلب منّي أن أكونَ مريداً له ، فلاطفته بالقول ، وألَنْتُ له الكلام ، لأسارق أحواله تدريجاً ، وأقرَّني آخراً أنه لا يعلم قواعد النقشبندية ، وآل أمرُهُ إلى أن يَرْجع إلى العتبة العليّة ، صاحب المعارف السنية ، سيّدي الحاج عبد الرحمن العسليّ قدس سره ، ووعدني بذلك ، والله أعلم بحقيقة ما سيقع في حقِّه ، غفر الله لنا وله ، وسامحنا وإيّاه بجاه نبيّه عليه أفضل الصلاة ، وأزكى التحيّات ، آمين . فكم وكم مرَّاتٍ طَرَّدوا الناس عن أبواب الصادقين ، وكم وكم بليّة أفشَوْا في هذا الورى في حقّ هذا الدين السليم ، فوالله إنّهم ألفَوا أمثالهم مكبّين على هذه المفاسد ، ظانّين أنهم هادُونَ مهتدون ، وهم على آثارهم مقتدون ، يعتقدون أنهم إلى ربّهم يرشدون . كلاّ وكلاّ ! بل إنهم ليصدّونهم عن السبيل ، ويحسبون أنهم مهتدون ، عافاهم الله أنّى يؤفكون .

وزعم بعضهم أنّهم من السادات القادرية ، لمّا عجزوا عن فهم اصْطلاحات السادات النقشبندية ، ويفعلون أموراً لم يرد بها نصٌّ ولا حديث ، حاشا عن صدورها من السادات ، وما ذلك إلا بمجرّد جَلْبِ ما عند الناس من هذه الفانية ، ولا يَدْرون أنّ ذلك أشدّ من قبضة النار ، وخَرَط القتاد دونه ، ويكثرون بهذه المموهات سوادَهم ، ويزعمون أنهم على شيء ، وأنّهم إلى الله راشدون . وزعم بعضهم أنّهم أويْسيّون لما عجزوا عن الجواب إذا سئلوا : من أين أخذوا الطريقة ، وإلى أيّ شيخ

انتسبوا ؟ مع أنّهم لا يدرون معنى الأويسيّة ، وكيف التلقّي مع الروحانيّة ، وبأيّ شيء صَدَّرُوا طريقتَهم من الروحانية ؟ فما مَبْدَأ طريقتهم وما منتهاها ؟ ومتى يستحق للإذن والتصرف ؟ وما اصطلاح الروحانيّين في تلقينهم الطريقة ، ولازم أن يكون التلقين مُرْتَبطاً بالنبيّ ﷺ فإن كنت في شكٍّ ممّا قلناه فاسألهم عن هذه الأشياء ، وجَرِّبْهم ليطمئنّ قلبك بمَعْرفة ما عندهم ، فلعلّهم لا يدرون عن أيّ شيء يجيبون ، بل إنّهم لا يكادون يفقهون قولاً ، وهم عن أمر ربّهم معرضون ، وإنّهم في رَيْبهم يتردّدون ، وبالمَجْهول يعملون ، وفي غفلتهم يَعْمهون ، وعن دخول الناس في طريق الله يطردون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وورد إليّ من طرف أخينا العالم الرباني ، مير سيف الله الحسيني الغازي الغموقي النّزبكري النقشبنديّ مكتوبٌ ، وكان فيه هذه العبارات : ثم اعلم يا أخي في الدين ، ومُوَاخى في طلب اليقين ، أوصيكم عن المخالطة مع هذه الطائفة يعني : المتشيّخين بنفوسهم بالدعوى وأحذّركم منهم ، لِمَا أنّ أكثر الفتن في هذا الزمان في الدين والدنيا منهم ، وثُلْمَة الإسلام بهم ، والجهلاء يتمايلون معهم تمايل الغصن ، والنفس أمّارة لا تتبع إلا المنكر المخالف للدين ، وإيّاك والمجادلة معهم ، والاستماع لخزَعْبلاتهم ، والوثوق لأحد في حقّهم ، والقرب معهم ، والنصيحة لهم ، فإنهم لا يُطِيْعون لأحد ولو أوحي إليهم من ربّهم ، إلى آخر ما قال قدس سره .

ولقد صعد[١] واحدٌ منهم على منبر ، ووعظ الناس ، وقال في أثناء وعظه : لا يجوز أخذ الطريقة ، ومع ذلك علّم هو الأذكار ، ولقّن الأوراد لمن جاء لديه في تلك القرية بما اختار في رأيه ، وتشيّخ على الناس ،

---

(١) وهو الذي مرّ ذكره ، وأيّد شيخوخته بكثرة الأتباع ورؤية النبيّ عليه السلام في المنام . (منه) .

وصار في اعتقادهم كالقطب ، لكنّ المتدبر[1] العاقل علم بالنظر إلى مخالفة قوله أن ذلك الواعظ ليس شيخاً ، بل هو متشيّخ متصنع .

وقد أخبرني بعض العلماء ، ممّن أَثِقُ به رحمه الله تعالى ، أنّ واحداً من مريدي هذا المتشيخ المذكور حلف بطلاق زوجته طلاقاً بائناً ؛ أنّ ما يفعَلُهُ شيخنا العسليّ قدس سره من تلقين أذكار الطريقة النقشبندية ، وما يفعله مريدوه من الامتثال بما أمرهم به فهو مما لا يجوز .

وهكذا كان واحدٌ ممن يتشيّخون ، قال لواحد من العلماء : افعل كذا وكذا ورداً ، واقرأ سورة الإخلاص كذا وكذا مرة ، من غير أن يطلب ذلك العالم منه ، وكان من المتفطنين العارفين أحوال المشائخ وأوراد طريقتهم ، فلذا لم يمتثل بما أمره هذا المتشيّخ ، ثم بعد زمان أخذ الطريقة النقشبندية من واحد من المأذونين وفعل الرابطة إلى الغوث الأعظم محمود الفعال قدّس سره ، فتكلّم ذلك المتشيّخ خلف هذا العالم بكلام جاف توبيخاً له وعتاباً في مجمع من الناس ، ثمّ بعد ذلك أرسل إليه مكتوباً يصرّح بأنّ ذلك العالم صار[2] من المجرمين ، يعني : لمجرد دخوله في تلك الطريقة ، وقد رأيت ذلك المكتوب بعيني رأسي ، وسلمته إلى يد العلماء الربانيّين فتعجّبوا به وبكاتبه ، وحكموا بالنظر إلى جميع ما فيها من الكلمات التي كالأعاجيب بأن ليس ذلك الكاتب من أهل الذوق والوجدان ، غفر الله له ولنا ، آمين .

ولا يخفى أنْ ليس هذه من أحوال أهل الطريق ، وأخلاق أرباب التحقيق ، عصمنا الله تعالى من أمثال ذلك بمنّه وكرمه .

---

(١) أي : من آحاد أهل تلك القرية . (هامش الأصل) .

(٢) وسبب ذلك أن هذا البعض كان يظن أن ذلك العالم المذكور صار من مريديه ، وأنه يمتثل بما أمر به . (منه) .

ولو لم يكن فيما فعلوا إلا طرد الناس عن أخذ الطريق الحق عن الكاملين المكملين لكان الأمر عليهم سهلاً ، ولكن تلقينهم الذكر المختار في رأيهم خلاف ما ورد عن رسول الله ﷺ ، ووصل عنه إلى المشائخ معنعناً مسلسلاً لمجرد جلب الناس إلى جوانبهم طمعاً بما في أيديهم ، أو حبّاً لاشتهارهم بينهم ، فذا أشدّ وأبغض ، وبذلك الذكر يهلك المنتسبون إليهم من حيث لا يشعرون ، ولا تحصل لهم النتيجة ، ولا يصلون ، ويتعدّى إليهم جميع ما في بواطنهم من المذمومات ، لأنّ للصحبة تأثيراً عظيماً ، والأحوال سارية والطبيعة سارقة ، ولا يتدبرون ما يترتّب على ما فعلوا ، بل يظنّون أنهم على إحياء الطريقة قائمون ، وعلى انتشار الدين مجتهدون حاشا ذلك وكلا ! فسيعلمون أيّ منقلب ينقلبون ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ .

الباب الخامس عشر

في بيان النقل الصريح من كتب أهل التحقيق

لإهلاك الذكر[1] – الملقن المأخوذ من غير أهل التلقين – من يذكر به

قال الشعراني في كتاب « الجواهر » و« الدرر » : وقد وقع أن الشيطان قال لعيسى عليه السلام مرة : يا عيسى قل : لا إله إلا الله ، فقال عيسى عليه السلام : أقولها لا لقولك لا إله إلا الله ، فرجع الشيطان خائباً .

وإنّما قال : لا لقولك ، لعلمه عليه السلام أن الشيطان ليس غرضه إلا أن يجهِّل الخلق الخواطر الربانية ، ويأخذوا منه . انتهى عبارته . ومثله في « خزانة العلوم » فافهم منه وتدبّره .

---

(١) إضافة إلى الفاعل .

وقال نجم العرفان الحافظ سيد أحمد بن المبارك ، عن قطب الواصلين سيدي عبد العزيز الدباغ ، رزقنا الله تعالى من معارفهما نصيباً في كتاب « الإبريز »(١) .

مهم

وسمعته ﵁ يتكلم على أسمائه تعالى ، وعلى الذين يذكرونها في أورادهم ، فقال ﵁ : إن أخذوها عن شيخ عارف لم تضرّهم ، وإن أخذوها عن غير عارف ضرّتهم ، فقلت : فما السبب في ذلك ؟ فقال ﵁ : الأسماء الحسنى لها أنوار من أنوار الحق سبحانه وتعالى ، فإذا أردت أن تذكر الاسم ؛ فإن كان مع الاسم نوره وأنت تذكره لم يضرّه ، وإن لم يكن مع الاسم نوره الذي يحجب العبد من الشيطان ، حضر الشيطان وتسبّب في ضرر العبد ، والشيخ إذا كان عارفاً ، وهو في حضرة الحق دائماً ، وإذا أراد أن يعطي إسماً من أسماء الله الحسنى لمريده أعطاه ذلك النور الذي يحجبه ، فيذكره المريد ولا يضره ، ثم إنّ النفع به على النية التي أعطاه الشيخ ذلك الاسم بها ، فإن أعطاه بنيّة إدراك الدنيا أدركها ، أو بنيّة إدراك الآخرة أدركها ، أو بنيّة معرفة الله تعالى أدركها .

وأما إن كان الشيخ الذي يلقِّن الاسم محجوباً فإنّه يعطي مريدَهُ مجرّد الاسم من غير نور حاجب فيهلك المريد ، نسأل الله السلامة . **فقلت** : فالقرآن العزيز فيه الأسماء الحسنى ، وحملتُهُ يَتْلُونه ويتلون الأسماء الحسنى التي فيه دائماً ولا تضرّهم ، فما السبب في ذلك مع أنهم لا يأخذونها من شيخ عارف ؟ فقال ﵁ : سيّدنا ونبيّنا ومولانا محمد ﷺ أرْسَلَهُ الله بالقرآن لكلّ من بلغه القرآن من زمانه ﷺ إلى يوم القيامة ، فكلّ تالٍ للقرآن فشيخه فيه هو النبيّ ﷺ ، فهذا سبب حجب حملة القرآن

---

(١) وهو كتاب نفيس لم أرى إلى الآن مثله فلله درّ مؤلّفه .

نفعنا الله بهم ثم هو ﷺ لم يعط لأمّته الشريفة القرآن إلا بقدر ما يطيقونه ويَعْرفونه من الأمور الظاهرة التي يفهمونها ، ولم يعطهم القرآن بجميع أسراره وأنواره وأنوار الأسماء التي فيه ، ولو كان أعطاهم ذلك بأنواره لما عصى أحدٌ من أمّته الشريفة ، ولكانوا كلّهم أقطاباً ، ولما تضرّر أحدٌ بالأسماء قطّ . انتهى .

وفي « ترصيع الجواهر » : إنّ السلوك في الطريق لا يكون إلا بواسطة الذكر ، وهو لا يفيد إفادة تامّة إلا إذا أخذه من تلقين مرشد كامل لسرٍّ في التلقين يعرفه أهله ، ولعله هو الذي أشار إليه في « الذهب الإبريز » من أنّه يُعْطي الاسم بنوره فيعمل في تنوير القلب عمله ، وإذا كان الاسم خالياً عن النور لا يكون له ذلك التأثير ، حتى أنّه إذا وقع قرطاس عليه اسم الله تعالى على الأرض سارعت الملائكة لأخذ النور الذي فيه ، ولو لا ذلك لهلك من وطأ عليه في الحال . انتهى عبارته[1] في ١١ .

الباب السادس عشر
في بيان جواز الذكر بلا انتساب إلى شيخ مرشد
وبيان أن شرط الذكر النافع أخذه من أهله

قال صاحب « المجالس الإرشادية » من المجلس السادس والخمسين : فإن قيل : هل يجوز الذكر بلا إذن ولا انتساب إلى الشيخ ؟ **قلنا** : الأفضل الإذن والانتساب إلى شيخ مرشد إن وجد ، وإذا لم يوجدْ فجائز . انتهى عبارته .

(١) وفي نسخة زيادة في هذا المكان : فليتدبره فليستنبط منه ، والله وليّ التوفيق وهو يتولّى الصالحين .

المعنى في هذا ما مرّ آنفاً ؛ أنّ كلّ تال للقرآن فشيخه فيه هو النبي عليه السلام فافهم .

وفي شرح « تائيّة السلوك » **أن شرط الذكر النافع المفيد أن يأخذه المريدون من أهل الذكر كما أخذته الصحابة رضي الله عنهم من رسول الله ﷺ ، ولقّن الصحابة التابعين ، ولقّن التابعون المشائخ شيخاً بعد شيخ إلى عصرنا هذا وإلى أن تقوم الساعة** . انتهى عبارته . وهكذا في « المتممات » و« النور الساطع » .

وفي « جامع الأصول الأولياء » : أنّ الذكر لا يفيد فائدة تامّة إلا بالتلقين والإذن ، بل جعله الأكثر شرطاً . انتهى عبارته .

ولا تحصل تصفية القلب بالأذكار السلوكية إلا إذا تلقّنها من شيخ عارف . انتهى عبارته راجع « المتممات » .

وفي « الفتاوى العمرية » : إن قلت : هل يمكن الذكر والفكر بلا اتخاذ شيخ واستاذ ؟ قلت : نعم ! يمكن إن تعلّمت آدابه وأركانه وأصوله ، ولكن لا تقطع المسافة الروحانية كمثل مُرْكَب الرحى يظنّ أنه قطع بسيره ومروره مسافة كثيرة ، مع أنه يدور دائماً حول دائرة الرحى وعيناه مستورتان ، فبركة اليد الصحيحة كثيرة ، ونفع صاحب النسبة وفيرة . انتهى عبارته .

وفي « تعريف الأحياء بفضائل الإحياء » : وكما أنّ الله تعالى جعل لعباده الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون رُتْبة فوق غيرهم ، كذلك جعل لِمَا يبرز منهم ويؤخذ عنهم بركة زائدة على غيره ، لأنّ ألسنتهم كريمة ، وأنوار قلوبهم عظيمة ، وهممهم عليّة ، وإشاراتهم سَنيّة ، حتى يكون للقرآن أثرٌ عظيم عند سماعه منهم ، وللأحاديث بهجة وحَلاوة ، وللمواعيظ منهم تأثير في القلوب ظاهر ، ولعلومهم وفقههم أنوارٌ ونفع متظاهر . انتهى عبارته في ١١ .

إذا لم يأخذ الإنسان الذكر من شيخ مرشد لا يستحضره عند الموت

وقال العلامة الشيخ محمد بن يحيى التادني الحنبلي رحمه الله في « قلائد الجواهر » : قال سيدنا الشيخ عبد القادر ﷺ : إن الإنسان إذا لم يكن تلقّن الذكر الشريف الذي هو التوحيد من شيخ مرشد له نسبة متّصلة بالنبي عليه السلام وإلا فبعيدٌ أن يستحضره عند الحاجة إليه في وقت مصيبة الموت . ولهذا كان الشيخ ﷺ كثيراً ما ينشد :

مليحة التكــرار والتثنّــي ... لا تغفلين في الوداع عنّي

وقال علي ﷺ هذه الأبيات :

إذ المَرْءُ ربّــى نـفـسه بــمُـرَاده ... لــقــد شـاد بُنْيـاناً على غير أسِّه

ومــن لـم تربّه الـرجــال وتُسْقِـهِ ... لـبـانـاً لـهم قَدْ ردّ من ثدي قدسه

فذاك لقيــط مـا لـه نسبة الــورى ... ولــن يـتـعـدّى غـيـر أبناء جنسه

إذ المرءُ لم يرتد رداء من التُـقـى ... عـلـى يـد أسـتـاذ خـبـيـر بـنفسه

يُريـه رعــونـات النفوس وكيدهـا ... ويشهده المحجوب عـنـه بـحـسّه

ولم يك مجذوباً عـلـى يـد قـدرة ... وتـحـفـظه الألطاف من غير لُبْسه

ويَبْدو له المكنون مـن سرّ كَـوْنــه ... وتجلّى له الكأسات في حال أنسه

ويحسن منه الخَلق والخُلْق والحجى ... ويــثـمـر مـعـنـاه بــإيناع غرسه

فذاك لعمري ناقص الحظِّ عـاجـز ... يـريـد سـبيلاً وهـو يـأتي بعكسه

أقل مبادي القـوم أن يـك هـكـذا ... ومَـنْ جـاء بـالـبهتان راح بجنسه

انتهى .

الباب السابع عشر

في بيان أن الأخذ من الناقص مضر للآخذ والناقص كليهما ، وفي ذكر المواعيد الماثورة من السلف لمن جلس في مقام المشيخة بالدعوى ، وفي بيان من يصلح للإرشاد ومن لا يصلح له

ولقد علم أنّهم أجمعوا على وجوب اتخاذ الإنسان شيخاً يرشده[١] ، حتى قال الإمام الأوحدي محمد علي الچوخي رحمه الله في « الفتاوى » مجيباً لمن سأله .

أقول : والذي نفعله هو اتخاذ شيخ مرشد لنا إن ظفرنا به ، ولو بالسفر إليه بصرف ما يجب صرفه في سفر الحج ، فراجعه .

وفي وصايا الشعراني : فاطلب لك شيخاً يرشدك ولو كان بينه وبينك بعد المشرقين . انتهى من « المواهب البريقة » عبارته . لكن يجب أن يكون ذلك الشيخ المرشد مأذوناً بالإذن الصريح من قبل شيخه الكامل ؛ بأن يرشد ويلقن على شروط ما كان عليه السلف رضي الله عنهم أجمعين . ولا يجوز أن يتصدّر لمن لا استناد له إلى السلسلة العليّة ، لما قيل : الإسناد من الدين ، ولو لا الإسناد لقال من شاء ما شاء ، والإسناد سلاح المؤمن ، والإسناد سنّة من السلف . قال أحمد بن حنبل[٢] : وأخذ الطريق من الناقص مضرٌّ للطالب ، كما قال الإمام الرباني مجدّد الألف الثاني قدس سره ، ويضرّ الناقص لأنّه قال[٣] في « تصديق المعارف » في تفسير قوله تعالى ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ من سورة يوسف : ولو كان الشيخ والعياذ بالله غير مأذون يكتسب من المريد أوصافاً ذميمة من غير

---

(١) وفي نسخة : وقال الشعراني : وقد أجمع أهل الطريق . . .الخ .

(٢) وفي نسخة : انتهى من « فتاوى العمرية » .

(٣) وفي نسخة : لما في « تصديق المعارف » .

أن ينتقص من المريد شيء من أوصافه الذميمة ، ويسلب أوصافه الشريفة ويقدّمها إلى الضياع والتلاشي ، وهذا مجرّب . انتهى عبارته .

من لم يتصل نسبته المعنوي بواحد من أهل النفس الرحمانيّ ، وادعى لنفسه الكمال فهو زانٍ .

وقال في « روح البيان » : إنّ من لم تتصل نسبته المعنويّ بواحد من أهل النفس الرحمنيّ ، وادّعى لنفسه الكمال والتكميل فهو زانٍ في الحقيقة ، ومن هو تحت تربيته هالكٌ لأنّه ولد الزنا .

وربّما يكره بعض أهل الطلب على التردّد لباب أهل الدعوى ، ويصرفه عن أهل الحق عناداً وغرضاً ومرضاً ، واتباعاً لهواه ، فهو إنما يُكْرِهه على الزنا ، لأنّه بملازمة باب أهل الباطل يصير المرءُ هالكاً كولد الزنا ، إذ يفسد استعداده فساد البيضة ، نسأل الله تعالى أن يحفظنا من مكر الماكرين . انتهى كلام « روح البيان » .

وفيه أيضاً في سورة الفرقان ، وفي الآية إشارة إلى الأصنام المعنويّة ؛ وهم المشائخ المدّعون ، والدجالة المتصنعون ، فإنّهم ليسوا بقادرين على إحياء القلوب وإماتة النفوس ، فالتابعون لهم في حكم عابد الأوثان ، فليحذر العاقل من اتخاذ أهل الأهواء متبوعاً ، فإنّ الموت الأكبر الذي هو الجهل إنما يزول بالحياة الأشرف الذي هو العلم ، فإن كان للعبد مدخلٌ في إفادة الخلق بالعلم النافع ودعائهم إلى الله تعالى على بصيرة فهو الذي يُرْقي غَيْرَهُ من الجهل إلى المعرفة ، وأنشأه بنشأة أخرى ، وأحياه حياة طيبّة بإذن الله تعالى ، وهم رتبة الأنبياء[1] .

وفيه أيضاً في سورة آل عمران : قال الشيخ الصفيّ قدس سره : إن الذين يدّعون المعرفة وتمكينهم في مقام الإرشاد ويراؤون جلباً لحطام

---

(١) وفي نسخة : وهم رتبة الأنبياء ، ومَنْ يَرِثُهُمْ من العلماء العاملين . انتهى .

الدنيا عذابهم أشد من عذاب النساء الزانيات ولدْنَ أولاداً من الزنا مع وجود أزواجهن وأولادهنّ سبعين مرّة . فلو نظرت إلى شيوخ الزمان وجدت أكثرهم مدّعين ما لم يتحقّقوا به ، يضلّون الناس بالأكاذيب ، ويرون أساليب ليس فيها أثر المعاني والحقيقة ، فعلى العاقل أن لا يغترّ بظاهرهم ، ولا يخرج عن المنهاج مقتفياً بآثارهم ، بل يجتهد إلى أن يميز بين الحق والباطل ، والعارف والجاهل ، عصمنا الله تعالى وإياكم من الزيغ وسيئات الأعمال . انتهى كلام « روح البيان » عبارته .

وفي مكتوبات محمود الفعال أفندي : وقال في « عوارف المعارف » في فصل شرح رتبة المشيخة : إن الصالحين ، والسالكين ينقسم على أربعة أقسام :

سالك ، ومجذوب ، وسالك متدارك بالجذبة ، ومجذوب متدارك بالسلوك ، **فالسالك المجرد لا يؤهَّل للمشيخة** ، ولا يبلغها لبقاء صفة نفسه عليه ، فيقف عند حظِّه من رحمة الله تعالى عليه في مقام المعاملة والرياضة ، **والمجذوب المجرّد من غير سلوك لا يؤهّل للمشيخة** ، فيقف عند حظّه من رحمة الله تعالى ، **والسالك الذي هو متدارك بالجذبة يؤهّل للمشيخة** لأنّه أخذ في طريق المحبّين في حال من أحوال المقربّين بعد ما دخل من طريق أعمال الأبرار والصالحين ، ويمكن للأتباع أن ينقل منه إليهم علوم ، ويظهر بطريقته بركة ، ولكن قد يكون محبوساً في حاله محكماً حاله فيه ، لا يطلق من وثاق الحال ، ولا يبلغ كمال النوال ، يقف عند حظّه ، وهو حظٌّ وافر ، وأمر ثنيٌّ قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ ،

ولكنّ المقام الأبلغ الأكمل في المشيخة القسم الرابع : **وهو المجذوب المتدارك بالسلوك** ، يبادئُهُ الحق بالكشف وأنوار اليقين ، ويرفع عن قلبه الحجب ، ويستنير بأنوار المشاهدة ، وينشرح صدره ،

وينفسخ ، ويتجافى عن دار الغرور ، وينسب إلى دار الخلود ، ويرتوي من بحر الحال ، ويتخلّص من الأغلال والأعلال ، ثم يفيض من باطنه على ظاهره ، وتجري عليه صورة المجاهدة والمعاملة من غير مكابدة وعناء ، بل بلذة وهناء ، ويكسو قالبه بصفة قلبه لامتلاء قلبه بحبِّ ربّه ، ويلين جلده كما لان قلبه ، وعلامة لين جلده إجابة قالبه للعمل كإجابة قلبه ، فيريده الله تعالى إرادةً خاصة ، ويرزقه محبّةً خاصّةً من محبّة المحبوبين المرادين ، قال الله تعالى ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أخبر أنّ الجلود تلين كما أنّ القلوب تلين ، ولا يكون هذا إلا حال المحبوب المراد . انتهى كلام « المعارف » بأدنى اختصار .

لكنّ الكلام والحكمة مملوّ فيها ، لأنّ شيخنا وسيدنا ممّن وافق اسمه مسماه ، وهو أعلم في هذا الباب جوّز جلوس السالك الغير المجذوب في مقام المشيخة وتربية المريد بإذن شيخه المعتبر إذناً صحيحاً في اليقظة ، بأنّ يدَه يد شيخه . انتهى كلام المكتوبات .

وقال الإمام المعصوم في مكتوباته ما حاصله : حرّر أنّ من أذن شيخه له في واقعة لتلقين الذكر وتربية المريدين ، وأرواح السادات الماضية ظاهرون حاضرون ، هل يجوز لهذا الشخص اعتماداً على هذا ، تلقين الذكر وتربية المريدين ؟ **فالجواب** : إنّ الإجازة لتعليم الطريقة أمر عظيم لا تثبت بالواقعة ، ولا يجوز الاعتماد عليه ، إلا أن يكون الإذن في اليقظة من شيخ معتبر مأذون إذناً صحيحاً . انتهى .

الباب الثامن عشر

في بيان السبب لعدم اعتقاد الناس في الشيخ الكامل ولاعتقادهم في المتشيخ الناقص

وفي بيان كون الأمور كلّها تابعة لاعتقاد المريدين لا للمشائخ ولو كانوا من أقرب المقربين ، فلقد وجدنا هذا الخلق لا يفرّقون بين المحقِّ والمبطل ، وبين الصالح للإرشاد وغيره ، بل وجدنا أكثرهم يميلون إلى جوانب أهل الدعوى[١] ، ويأخذون منهم ما لا أصل له في طريقة ما من الطرق ، ولا يقربون إلى أبواب أرباب الكمال والتكميل زاعمين أنهم ليسوا بمقام مريدٍ من مريدي أشياخهم في زعمهم .

وأظنّ - والله أعلم - أنّ سبب ذلك كون الكامل كصورة العوام لا يتميّز منهم ، ولو بشيء من الأعمال والأقوال ، وهذا[٢] حاله في الظاهر ، لأنّ نهاية كل عارف ترجع إلى صورة بدايته . كذا في « المنن » .

وقد يتلوّن الشيخ بحسب الجالسين معه .

وفي « الذهب الإبريز » : إن الوليّ الكامل يتلوّن على قلوب القاصدين ونيّاتهم ، فمن صفتْ نيّته رآه في عين الكمال وظهر له منه الخوارق ، ومن خَبُثَتْ نيَّته كان على الضدّ من ذلك ، وفي الحقيقة ما ظهر لكلّ واحد إلا ما في باطنه من حسن وقبح ، والوليُّ بمنزلة المرآة التي تتجلّى فيها الصور الحسنة والصور القبيحة ، فمن ظهر له من وليّ كمالٌ ودلالةعلى الله فليحمد الله تبارك وتعالى ، ومن ظهر له غير ذلك فليراجع على نفسه .

---

(١) ومن أراد أن يدرك معنى هذا الكلام فعليه الرجوع إلى « لطائف المنن » من صحيفة ٢٣ من الجزء الأول . (منه رحم الله إفلاسه) .

(٢) أي : كونه كصورة العوام . (هامش الأصل) .

مطلب مهم

قال ﵁ : وإذا أراد الله شقاوة قوم وعدم انتفاعهم بالوليّ سخَّرهم الحقُّ فيما هم فيه من قبح ومخالفة ، فيظنُّون أنه على شاكلتهم ، وليس كذلك حتّى أنّه يتصوّر في طور الولاية أن يقعد الولي مع قوم يشربون الخمر وهو يشرب معهم فيظنّون أنّه شارب الخمر ، وإنّما تصوَّرت روحه في صورة من الصور وأظهرت ما ظهرت ، وفي الحقيقة لا شيء ، وإنّما هو ظلّ ذاته . تتحرّك فيما تحرَّكوا فيه ، مثل الصورة التي تظهر في المرآة ، فإنك إذا أخذت في الكلام تكلَّمت ، وإذا أخذت في الأكل أكَلَتْ ، وإذا أخذت في الشرب شربت ، وإذا أخذت في الضحك ضحكت ، وإذا أخذت في الحركة تحرَّكت ، وتحاكيك في كلّ ما يصدر منك ، وفي الحقيقة لم يصدر منها أكلٌ ولا غيره ، لأنّها ظلّ ذاتك ، وليست بذاتك الحقيقية ، فإذا أراد الله شقاوة قوم ظهر الوليّ معهم بظل ذاته ويجعل يرتكب ما يرتكبون ، والله الموفق . انتهى عبارته ٢٢٠ فتدبره ، فإنّه كلام نفيس قلّ من يتفطّن له في هذا الزمان .

وفي « الفيوضات الإحسانية » : روي أنّ محمود الغازي دخل على الشيخ أبي الحسن قدس سره لزيارته ، وجلس ساعة ثم قال : يا شيخ ، ما تقول في حق أبي يزيد البسطامي ؟ فقال : هو رجل من اتبعه اهتدى واتصل بالسعادة الأبديّة . فقال محمود : وكيف ذلك ؟ وأبو جهل رأى رسول الله ﷺ ولم يخلص من الشقاوة ؟ ! فقال الشيخ في جوابه : إن أبا جهل ما رأى رسول الله ﷺ ، وإنما رأى محمد ﷺ ابن عبد الله يتيم أبي طالب ، ولو كان رأى رسول الله ﷺ لخرج من الشقاوة ودخل في السعادة ، ثم قال : ومِصْدَاق ذلك قوله تعالى ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴾ فالنظر بعين الرأس لا يوجب السعادة ، بل النظر بعين السرّ والقلب والمتابعة التامّة تورث ذلك . . الخ . فمن نظر شيخه بعين الإجلال والتعظيم معتقداً

رسوخ قدمه في مقام الولاية ، وأنه صاحب مدد ودعاء مستجاب انتفع به ووصل إلى مقام الولاية ورتبة الصلاح ، ومَنْ نظره بأنه فلان ابن فلان يأكل ويشرب مثله فلا تحصل له منه فائدة ، ولا ينتفع به كما في الحديث : « لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه » . انتهى .

ما دام المريد يشهد شيخه ملاحظاً فهو محفوظ من كل آفة ، ومتى غفل جاءته الآفات من كلّ جانب

وفي « لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية » للشعراني قدس سرّه ما يليق إيراده هنا وهو هذه العبارات : وقد مشى الصادقون من المريدين على هذه القاعدة[1] مع أشياخهم ، فإن ظنُّوا بشيخهم أنه يحميهم من إبليس بنظره حماهم ، وإن ظنُّوا بشيخهم أنه لا يقدر على حمايتهم فلا يصحّ لهم حماية ، ولذلك أمروا مريدهم أن لا يغفل عن شهود كونه معه لأنّه ما دام يشهد شيخه ملاحظاً له فهو محفوظ من كل آفة ، ومتى غفل جاءته الآفات من كلّ جانب . ومما جربناه نحن أن من كان اعتقاده فينا مُتَوَفِّراً مهما طلب من الحوائج قضي له ، ومَنْ لم يكن اعتقاده فينا متوفِّراً لم تقض له ولو كنَّا أقطاباً ، فالمدار على حسن ظنّ المتوجّه لا على الشيخ ! وربّما تقضى حاجة المعتقد ولم يكن يعلمها الشيخ إلا إن أَعْلمه بها المتوجّه إليه . انتهى عبارته . فهو كلام نفيس مهمّ أيَّ مهمّ .

ومن هنا قالوا : كلّ من رأيته فاعتقده خضراً . وقالوا أيضاً : الأمر تابع لاعتقاد المريدين لا للمشائخ . والله الموفِّق للاستقامة ، وإليه يرجع الأمر كلّه وهو وليّ الهداية .

---

(١) أي : حسن ظنّ بشيخهم .

قصة مهمة

وممّا يدلّ على هذا ما وقع لامرأة مع قطب الأقطاب عبد القادر الكيلاني قدس سره قال في « منتخب جواهر القلائد » : جاءت امرأة ذات يوم إلى حضرة الغوث والتمست من حضرته الدعاء ليعطيها الله ولداً ، فراقب وشاهد اللوح المحفوظ فلم يَرَ لها ولداً مكتوباً فيه ، فسأل الله أن يعطيها ولدين ، فجاءه النداء من الله ليس لها ولد مكتوب في اللوح فأنت تطلب لها ولدين ! فسأل أن يعطيها ثلاثة أولاد ، فجاءه النداء أيضاً مثل الأوّل ، فسأل أن يعطيها أربعة أولاد ، فجاءه النداء أيضاً مثله ، فسأل أن يعطيها خمسة أولاد ، فجاءه النداء مثله ، فسأل أن يعطيها ستة أولاد ، فجاءه النداء كالسابق ، فسأل أن يعطيها سبعة أولاد ، فجاءه النداه : يكفي يا غوث ، لا تطلب الزيادة . فبهذه الإشارة جاءت البشارة إليها بإعطاء الله لها سبعة أولاد ذكور ، فأعطاها الغوث مقداراً من التراب ، وكانت تلك المرأة حينئذ كاملة الصدق في حضرة الغوث ، فوضعت تلك التراب في فضة وعلَّقتها في عنقها كالتعويذة ، فأكرمها الله بسبعة أولاد ذكور ، وبعد مدة فسد اعتقادها في حق الغوث وقالت : التراب الذي أعطانيه الغوث أيّ فائدة تحصل منه ، فبمجرَّد تفوّهها بهذا الكلام مات أولادها ، فجاءت إلى الغوث باكية وتضرعت فقالت : يا غوث ، أغثني . فقال الغوث : كان ذاك الزمان زمانه ، ففي هذا الزمان ليس فيه فائدة . وفي رواية : قال لها الغوث : ارجع إلى بيتك ، فبأيّ نية جئت بها إلينا تجديهم . فراحتْ إلى بيتها فوجدتهم أحياء ، فشكرت الله تعالى . أللهم انفعنا ببركاته آمين ﵁ . انتهى من « تفريج الخاطر في مناقب الشيخ عبد القادر » من عينه في ٣٨ من المنقبة السادسة والأربعين .

وقال الشعرانيّ في « المنن الكبرى » في الجزء الأول في ١٧٠ : فمن جملة اعتقاد المسلمين فيّ أنّني أعطي أحدهم القَشَّة من الأرض إذا طلب

منّي الدعاء لمريضه أو كتابة ورقة ، وأقول له : بخّر المريض بها . فيفعل فيحصل له الشفاء بإذن الله تبارك تعالى ، فأعْرِفُ أنّه لولا شدّة اعتقاد أحدهم ما شفى الله تعالى مريضهم بدخان تلك القشة ؛ فإن الأمور تجري بها المقادير الإلهيّة سُرْعَة وبُطْأً بحسب قوّة الاعتقاد وضعفه ، حتى أنّ بعض من لا اعتقاد عنده من المجادلين يأخذ القشة وعنده شك في أنّ تلك القشة تنفعه فلا تنفعه ، وقد جاءني مرّة فقيه يأخذني سياقاً لصهره لما غضبت زوجته ، وكان قد جعل لها خمسين ديناراً فلم يرضوا أن يردوها له ، فقلتُ له : خذ هذه القشة وأعطها لصهرك فإنّه يردّها لك بلا فلوس . فقال لي : لا تمزح معي فإنّي مكروب . فلا زال الفقراء به حتى حصل عنده بعض الاعتقاد ، فأخذ القشة ، فبمجرد ما اعطاه لصهره قال له : اذهب فخذ امرأتك . فتعجّب الفقيه من ذلك وقال : **أحوال الفقراء لا تدخل تحت حكم العقل** . انتهى من عبارته .

فإذا كان حال الشيخ الكامل المكمّل رجوعه إلى صورة بدايته ، وكانت عادته تلوّنه بلون جلسائه ، ينظر الخلق إلى الكامل فيرونه يتكلّم ويتبسّم وينبسط ، ولا ينقبض كالعوام ، ولا يعلمون ما في باطنه من دوام الحضور والمراقبة ، وكونه مع الحق تعالى في الباطن مع كونه مع الخلق في الظاهر كما هو شأن الكامل ، وكونه في مقام لا يشغله الحقّ عن الخلق والخلق عن الحقّ ، وينظرون إلى الناقص المدّعي الغرار الطمّاع الجرار فيَرَوْنَهُ على صورة شيخ كأنّه حزينٌ عاشق إلى مولاه ، متفكِّر في أمر أخراه ، مُدْبرٌ عن أمر دنياه ، خالص من أسر شهواه ، مُنْفَلِتٌ عن سجن هواه ، ويراقب ذلك الغرار ، على ترك ما ينقصه لدى الحاضرين معه ، ويطأ رأسه كأنّه مهموم مغموم ، متدبّر في جلال الله وجماله ، والله خبير بما في قلبه ، مطّلع على ما في سريرته ، ويجهر صوته بالأذكار ، ويصيح بصيحات ، ويتحرّك بحركات ويدعولهم بدعوات ، بحيث يسمعهم

بالأصوات ، فيظنّون حينئذٍ أنه هو الكامل الفريد ، مع أنّه عند الكامل في الحقيقة ليس بمقام مريد ، وقد مرّ ما وقع لبعض الإخوان من اعتقاده فيمن لم يضع قدمه في الطريق ، وسوء ظنّه في قطب الأولياء الحاج عبد الرحمن العسليّ قدس سره .

وسألني بعض إخواننا المعنويّين رحمه الله : ما السرُّ في ميل الناس إلى الأخذ عن شيخ يجهر بالأذكار ، ويبتدع بالأوراد ، مع أنّه لم يكن شيخاً أذن له شيخ ؟ وعدم ميلهم إلى الأخذ ممّن لا يجهر مع أنه أفضل وأحق وأقدم رتبة في مقام المشيخة ؟ **فقلت له** : السرّ فيه وجود الحظوظات النفسانية في الأذكار اللسانية والدعوات الجهرية ، وتخليط البدعات في تلك الطريقات ، وإذا ابتدع في العبادات[1] حلاّه الشيطان كما ورد في الحديث : « من عمل ببدعة حلاه الشيطان في العبادة ، وألقى عليه الخشوع والبكاء » ، فقال : صدقْتَ والله ! . ومرّ ما قاله عمدة العلماء مير سيف الله الحسيني قدس سره في بعض مكاتبه : والنفس أمّارة لا تتبع إلا المنكر المخالف للدين . انتهى . فما أصدق ما قاله ، جزاه الله عنا خير الجزاء ، ورزقه الاستقامة إلى يوم اللقاء ، آمين يا مجيب .

---

(١) وفي نسخة : والدين .

الباب التاسع عشر
في بيان غرور الشيطان في إظهار التواجد من حيث يظن الناس أنهم على شيء

قال الغوث الأعظم أحمد ضياء الدين في « المتممات » : وللشيطان وساوس كثيرة ، فإنه يحسن لبعض الناس إظهار التواجد عند الذكر أو سماع القرآن ، ويدخل عليه بصورة نصيحة ، وهو أنّك إذا تشبهت بالواجدين تكون منهم ، ويتلو له البيت الذي قال بعضهم :

وتشبَّهوا إن لم تكونوا مثلهم   إن التشبّه بالرجـــال فـلاح

ثم إذا تواجد وتبع ما أمر به الشيطان تجلى له من المِصْرَاعِ السفلي ، فينفخ فيه ، فيحصل له حرارة فيسوّل له أن هذا من تجلي حضرة الحق فيصرخ ، فيحصل الانقباض لمن سمعه من أهل الباطن ، وعلامة ذلك ؛ لو كان وجده صحيحاً لأثَّر في جميع من كان حاضراً ، نعوذ بالله من اتباع الشيطان . انتهى من عبارته .

وفي « الإبريز » ما ينبغي أن يورد هنا لنفاسته ، ولعل الإخوان ينتفعون به وهو هذه العبارة : وكنت معه[1] ﵁ ذات يوم بموضع فجلس معنا رجل ، وبينما الشيخ ﵁ يتكلّم إذ جعل الرجل يصيح صياحاً منكراً . وطال ذلك من أمره ، فقال لي الشيخ ﵁ بعد ذلك : هو شيء كبير لولا أن الشياطين تلعب به ويفسدون عليه صلاته ، فقلت : يا سيدي وكيف ؟

---

(١) أي : مع عبد العزيز الدباغ ، رزقنا الله شفاعته يوم القيامة ،آمين .

❊ وفي « البهجة » : قالوا : عمل المريد يسير وإن كان كأمثال الجبال ، وعمل العارف كثير وإن كان كمثقال ذرّة . انتهى عبارته .

مطلب مهم

فقال ﷺ : إن وجهة القلوب إلى الله تعالى هي صلاتها ، كما أنّ ركوع الذات وسجودها هو صلاتها ، وإنّما شرعت الصلاة وسائر الطاعات لتحصّل هذه الوجهة ، فهي نتيجة العبادات ، وفاكهتها التي هي سبب ربح العبد ورحمته ، فإذا رأت الشياطين شخصاً أراد أن تحصل له هذه الوجهة من ذكر أو سماع كلام رقيق أو نحو ذلك نفذوا على قلبه فأفسدوا عليه وجهته حَسَداً لبني آدم وبُغْضاً فيهم ، فتحصل لهذا الصائح مفاسد ؛ منها فساد الوجهة التي هي سبب ربحه ، ومنها أن يظنّ أنه على شيء ، ومنها ما يخشى عليه من الانقطاع ، لأنّه بذلك الصياح يظنّ أنه على شيء ، وكذلك الناس يظنون أنه على شيء فيشيرون إليه ، **وويل لمن أشارت إليه الأصابع**[١] .

قلت : ومما يؤيّد هذه ، الحكاية التي ذكرها الشيخ زروق ﷺ ، وملخّصها أنّ قوماً من الفقراء كانت عندهم بفاس مبيتة فكلّموا[٢] شخصاً صادقاً في الذهاب معهم وكان أعمى ، فذهب معهم إلى الموضع ، فبينما هم يذكرون إذ قال الشيخ الأعمى ﷺ : يا قوم قد دخل عليكم الشيطان في صورة عنز بقرونها ، ثم قال : فمن هو صاحب الغفارة الحمارة منكم ؟ فإنيّ رأيت الشيطان يشمّه شمّاً عنيفاً ، ثمّ صاح الأعمى وقال : إنه نطحه بقرونه حتى غاصت فيه ، فلم يفرغ من كلامه حتى صاح صاحب الغفارة

---

(١) فحركات الوجد نوعان : اختيارية كحركة الإنسان الصحيح ، فهذا غير مشروعة ، وعلامته أن ينقبض أهل الباطن بسماع صوت صاحبه ، وهو مجرب عندي . واضطرارية : وهي التي لا يقدر النفس على منعه كما لا يقدر النفس أن يمنع الحمى إذا غلب . وهذ الوجد حقيقي ، وعلامته أن يتأثر جميع من في المجلس . أخذ بعضها من « بيان الأسرار » وبعضها من « المتممات » ، راجعهما . (منه رحم الله إفلاسه) .

(٢) وفي نسخة : فتكلّموا .

وخرج من حسِّه ، ثم قال الأعمى : ومن هو صاحب اللباس الفلاني فيكم ، فإنّي رأيت الشيطان قد انتقل إليه يشمّه ، ثم صاح لقد نطحه والله بقرونه نطحة منكرة ، فصاح المشموم وغاب عن حسِّه . انظر تمام الحكاية ، فافتضحوا بحضور ذلك الصادق معهم ، وكانوا قبله يحسبون أنهم على شيء ، فكانوا على جهل مركّب .

وقد اتّفق أنه صاح بعض الناس بحضرة شيخ عارف ، فقال له الشيخ : إني تبعتُ صَيْحَتَكَ حتى دخلتْ إلى قبر بمقبرة كذا . فقال الصائح : ولم يكن من أصحاب ذلك الشيخ : صدقتَ يا سيدي لما مررْتُ بكم فوجدتكم تذكرون محبوبكم ذكرت أنا محبوبتي ، وكانت ابنة عمّ لي ماتت ، وذلك هو قبرها ، فلما تذكّرْتها صحْتُ من أَلَمِ فراقها ، والله أعلم . انتهى من عبارته ١٧١ .

وهكذا أحوال هذا الخلق في هذه الديار الجبليّة ، يظنّون أنّ ما حصل لهم من الخشوع والبكاء والتأوُّه والصياح والحركة والاضطراب وَقْتَ الذكر في المجامع والمحافل هو من الله ، مع أنّ أكثرها في الحقيقة من الشيطان ، أو من تسويلات النفس ، وأكثر شغل مشائخهم بزعمهم الوعظ والنصيحة في المساجد والمجالس ، وهذا شيء مخوّف أيضاً ينبغي للمشتغل أن يتفطّن لئلا يكون سعيه تابعاً لمكائد الشيطان وتزييناته من حيث لا يشعر .

وفي « خزانة العلوم » : ومن مكائد الشيطان أن يعرض الشرّ في معرض الخير ، كما يقول للعالم بطريق الوعظ : أما تنظر إلى الخلق وهم موتى من الجهل ، هلكى من الغفلة ، مَا لَكَ رحمةٌ على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك ! ! وقدا أنعم الله عليك بقلب بهير ولسان ذلق ، فكيف تكفر نعمته ! ! وتسكت عن إشاعة العلم ، ودعوةً خلق الله إلى الصراط المستقيم ؟ ! فكذلك لا يزال يستجرّه بلطائف الحيل ، إلى

أن يشتغل بوعظ الناس ، ثمّ يدعوه إلى أن يتزيّن ويتصنع ، وهو في أثناء ذلك يؤكّد فيه شوائب الرياء ، وقبول الخلق ، ولذّة الجاه ، والتعزّز بكبر العلم ، واحتقار الخلق ، فيستدرج المسكين بالنصح إلى الهلاك ، وهو يظنّ قصده الخير ، وإنما قصده الجاه والقبول ، ويظنّ أنه عند الله بمكان وهو عنده ممّن قال فيهم رسول الله ﷺ : « إن الله ليؤيّد هذا الدين بالرجل الفاجر » . انتهى عبارته .

الباب العشرون

في أن إرسال الأوراد إلى البعداء كما هو شأن الأبعاض من المتشيخة في ديارنا والتلقين بالوكيل ليس بجائز ، لأنه لم ينقل من السلف أنهم فعلوهما ، ولم نجد له دليلاً ما في الكتب

قال سليمان الزهدي خليفة الشيخ خالد البغداديّ قدس الله أسرارهما في « مجموعة الرسائل » : وكتب الشيخ أسري لسيدي الشيخ سليمان إلى الطائف : طائفة من الحجاج يريدون الانتساب ويرجون أن تأمر لوكيلهم أن يلقن الذكر لهم . وأجاب : إن تيسّر الطلوع إلى الطائف فنِعْمَ ، فإن لم يتيسّر فيأخذونها من خلفاء بلادهم ، فكلّنا واحدٌ ، فلا يمكن بالوكيل . انتهى .

وهكذا سمعت شيخنا قطب الأولياء الحاج عبد الرحمن العسلي – رزقه الله تعالى ما فيه صلاحه في الدارين ، آمين – يقول : إن التلقين بالوكيل لا يجوز **وإنما يحيى القلب بقلب حيّ** . انتهى .

الباب الحادي والعشرون
في قاعدة التلقين وبيان كيفية أخذ الذكر

فهو أن يستخير المريد والشيخ أو أحدهما فقط لحديث « ما خاب من استخار » فإذا وافقت استخارتهما فذلك ؛ وهو المطلوب ، أو صحّت أحدهما فيستدلّ به على الإذن من حضرة علام الغيوب ، وحينئذ يُجْلسُ الشيخ المريد بين يديه بعد أن تكون الطهارة كاملة لديه ، ويلصق ركبتيه إلى ركبتيه كما فعل جبرائيل عليه السلام مع النبيّ عليه السلام ،ثم يأخذ بيده اليمنى كالمصافح ، ثم يستتيبه عن جميع المخالفات[1] والمعاصي والقبائح ، ويأمره بالاستحلال مع أرباب الحقوق ، وردّ المظالم ، وترك البدعة والعمل بالسنة ، واجتناب الرخصة ، والأخذ بالعزائم ، ثم يقرأ معاً هاتين الآيتين بنيّة التوبة من جميع ما يخالف الله ، كما قال موسى ويونس : (سبحانك تبت إليك ، وأنا أوّل المؤمنين لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) ، ثم يغمض المريد عينيه ، والشيخ يتكلم بالتهليل ثلاثاً ، كما علّم النبي عليه السلام لعليّ ، ثم يقرأ قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ الآية للتبرّك وللإشارة إلى أنّه كأنما يبايع لرسول الله ﷺ ، ثم يضع[2] الشيخ أيديهما على ركبتيهما ، ثم يذكر الشيخ بقلبه اسم الذات على نيّة التلقين والتعليم لقلب المريد ثلاثاً بالمدّ والحضور ، كأنه يشاهد الملك الغفور ، ثم يأمر بالاستغفار والفاتحة والإخلاص[3] إلى السلسلة ،

---

(١) ومن سياسة بعض المشائخ أن يكتفي في تعليم التوبة للمريد بالإجمال ، لئلا ينفر ويستصعب ، وهكذا أن لا يعاهده على أنه لا يعصي الله ويوفي ما أمره به من الأوراد ، لأنه إن عاهد على ذلك ونقضه المريد يقع في الإثمين . ومر ذلك في هذا كتاب . (منه رحمه الله) .

(٢) هذا كيفية تلقين اسم الذات إن كان الشيخ نقشبنديّاً . (منه) .

(٣) هكذا في النسخة التي بيدنا ، ولعله : وإهداء ثوابها إلى السلسلة .

والرابطة لشيخه بشرط أن يعتقد أنه خليفة النبي عليه السلام في الفيض والإمداد ، وأنه نائب عنه في تربية الخلق والإرشاد . انتهى « متممات » من عبارته .

وفي « حسبحال السالك » : إن احتاج الشيخ إلى التوجه إلى المريد ، يصلي أولاً على النبي ﷺ ، ويقرأ الإخلاص ثلاث مرات ، والفاتحة مرة ، فبعد إعطاء ثوابها لروح النبي ﷺ ، ولأرواح أصحابه ، ولأرواح مشائخ الطريقة الصديقيّة وسائر مشائخ الطريقة ، يقول : يا رب ! من جنابك الشريف ، وجناب حبيبك الشريف أَوْصِلْ الفيض ونور الذكر الذي حصل لي بواسطة المشائخ الكرام وَوَصل إلى قلبي ، إلى قلب هذا المريد وأعِنْهُ ، فيرمي بتلك النيّة إلى قلب المريد اسم الذات المستجمع للأسماء والصفات بالتوجه مقدار عشرة دقائق ، فبهذا الأسلوب يتأثّر قلب الطالب في توجُّه واحد بعناية الله تعالى ، ويفيد محبَّة الله تعالى ، وهكذا ينظر الشيخ إلى سائر الألطاف بتقابل روحه بروح المريد ، ويتوجّه كما سبق . ثم إذا جرى الذكر على القلب أو على سائر اللطائف يُلقِّن الذكر بالنفي والإثبات ، ويتوجَّه إليه بالجمعية والحضور . انتهى من عبارته .

وفيه أيضاً في موضع آخر : ثمّ إنّ الشيخ يُلَقِّن على قلب الطالب ، ويتوجّه إليه به قدر ربع ساعة أو ثُمن ساعة ، فحينئذ يحصل له أثر الذكر ، وإنّ المريد يخلص قلبه عن الأشغال بإمالة قلبه إلى قلب الشيخ ، فبعد ذلك يديم على الذكر بلا تغافل ولا تكاسل ، وبلا انقطاع التوجه إلى الشيخ . انتهى من عبارته .

الباب الثاني والعشرون
إن الكرامة ليست بشرط في كون الإنسان وليّاً مرشداً
وإن ظهورها محلّ الفتنة والانقطاع والعياذ بالله سبحانه

فظهور الكرامات والكشوفات على أيدي هؤلاء المتشيخين فيخبره المنتسبون إليهم ، ولكن لا نجد من رآه منهم بعينه . ولو سلّم ظهورها على أيديهم فلا نسلّم أهليّتهم للإرشاد ، لأنّه لا يصير الشخص شيخاً بالكشف وخرق العادة ، فإن للشيطان كشوفاتٍ وخوارق ! فليس هو بمكان عند الله ، بل هو أبْغَضُ خلق الله إليه تعالى وأبعدهم من جنابه ، وليست الكرامة شرطاً في الولاية ، وقد يكون من لم ينكشف أفضل ممن انكشف كما في « رسالة الخالدية » و« أعلام الهدى » و« الفتاوى الحديثية » لابن حجر .

وفي « بيان الأسرار » : فإنّ كرامة الأولياء وأحوالهم غير مأمونة من المكر والاستدراج . انتهى من عبارته . وفي « ترصيع الجواهر » : إنّ تعلّق القلب بالكرامة سبب البعد عن الله تعالى ، انتهى بالمعنى ، وفيه **أنّ العبودية مع استقامة خير من ألف كشف وكرامة** . انتهى . فراجعه من الباب السابع .

وفي « روح البيان » في سورة النحل : إن الكشوف السفلية بما كان في مرتبة الطبيعة غير مقبولة ، وعوام الناس يعدّون أصحاب أمثال هذه الكشوفات الأقطابَ ، لكونهم على الجهل لا يميِّزون بين الخير والشرّ . انتهى .

وقال الخادمي في شرح « النصائح الولديّة » للغزالي ، كما حكي في « الفوائح » : إن جماعة هربوا من عبد الواحد لقوّة تكليفه إيّاهم بالمجاهدة ، فرأى أحدهم بعد مُدّة فقال : أين كنت ؟ فقال : نحن كل ليلة ندخل الجنة ونأكل نعيمها ، فقال : خذوني الليلة معكم ، فأخرجوه معهم إلى الفضاء ، فلمّا جنَّ الليل إذاً بقوم عليهم ثياب خضرٌ وإذاً بساتين

وفواكه ، فلما أرادوا أن يتفرّقوا قال لهم : أين تذهبون ؟ أليس الجنة دار خلود كإدريس عليه السلام ؟ فلمّا أصبحوا إذاً هم في مزبلة بين روْثِ الدواب فتابوا كلهم .

وفيه أيضاً عن الديلمي : إن واحداً من السالكين رأى في بريّة طريق مصر الشيطان على عرش[1] بين السماء والأرض فسجد له ، فظنّ أنّه الربّ تعالى ، ثم حكاه بجماعة من المشائخ فقالوا : هو الشيطان لحديث : « إن للشيطان عرشاً بين السماء والأرض » . . . الحديث ، فالرجل أعاد صلواته وجدد إيمانه ، ثم عاد إلى المكان الذي رآه فيه ، ولعنه وأنكر عليه . انتهى من عبارته ٦٩ .

وفي « الإبريز » : وسألته ﷺ عن فلان من أهل القرن العاشر ، فقال ﷺ : إنه فتح عليه ووقف به الحال ، فرجع ساحراً من جملة السحرة . فقلت : وكيف ذلك ؟ فقال ﷺ : أوّل ما يفتح على العبد يرى معاصي العباد وأسبابها ، وكيف يقعون فيها ، والضبابة الظلمانية التي تستمدونها ذوات أهل الظلام - والعياذ بالله - ونحو هذه الأمور . فإذا أراد الله بصاحب هذا الفتح شرّاً ركن عقله إليها وأدام الفكر فيها ، فإن وقف به الفكر ساعة واحدة انقطع عن الله - والعياذ بالله - فلا يبقى في نظره سوى ما سبق ذكره في الفتح ، وذلك الذي سبق هو مخيَّم الشياطين ، ومحلُّ فتنتهم لبني آدم ، فيصير مشهده ومشهد الشياطين واحداً ، فيصيرون معه يداً بيدٍ ، فيسخِّر على يده ويرْجع من جملة السحرة ، وإذا أراد الله بصاحب الفتح خيراً فتح عليه ما يشغل فكره عما سبق ، وهكذا لا يزال يُرْقيه في كلّ لحظة إلى ما لا نهايةَ ، والله أعلم . انتهى عبارته .

---

(١) هكذا في النسخة التي في يدنا ، لعله : العرش .

وفي « الفتاوى العمرية » : وأما الكرامة فليست بشرط للمرشد ، لأنّ الكرامة ما نقلت عن الصحابة والتابعين إلا عن بعضهم حتى لم ينقل من الصديق الأعظم مع أنّه أفضل الأمّة .

والحاصل أنّ أفضل الكرامة هو الاستقامة ، كما قالت به رابعة العدوية ؛ حتّى أنّ بعض الأولياء لم يقبل الكرامة أصلاً ، ولم يشرب الماء الذي ارتفع من البئر كرامة له ، وقال : لا أشربه إلا بإخراجي بيدي بالحبل والدلو . « روح البيان » عبارته .

وقد قال عبد الله القروشي : من لم يكن كارهاً لظهور الكرامات والآيات فهي أيضاً سببٌ للشقاوة ، ولذا قيل : الكرامة حيض الرجال . « روح البيان » . انتهى كلام « الفتاوى العمرية » ، وراجع « الفتاوى » لابن حجر ، ففيه البسط السديد في حق هذا المطلب .

ولقد قال لي واحد : إن شخصاً من مريدي متشيِّخ كان داخلاً في الخلوة بأمره ، فإذا خرج من الخلوة قال لي : إنّي رأيت جميع من مات ممّن كنتُ أعْرِفهم في مدّة حياتهم ! وحكاه متعجِّباً به ، وظنّ أنّه من علامة الخصوصية وأمارة الخلوصية ، فقلت له : ليس ذلك من علامة الخير ، بل هو من علامة الانقطاع عن الله ، لأنّه إذا كانت هذه الأشياء الظاهرة الدنياويّة والمخلوقات المرئية حجاباً عن الله وسبباً شاغلاً عن توجّه القلب إلى ذاته عزّ وجل ، فظهور الأموات وأحوالهم والكشف عما هم فيه من الأمور الأخرويّة يكون سبباً لزيادة الحجُب فوق الحجب والخطرات فوق الخطرات . **وإنما الكرامات قلّة الحجب القلبيّة ، وحصول الجمعيّة**[1] **بربّ البريّة** ، والغيبَةُ عما سوى الله بمحْوِ الكون كلّه عن صفحة القلب ، فانتبه القائل ورجع عما كان متعجِّباً به وصدَّق قولي .

---

(١) أي : جمع قلب .

مثال من وقف عندما ظهر له من الكرامات

وفي « السير والسلوك » وقد مثّلوا حال مَنْ وقف عند ما ظهر من الكرامات بحال مَنْ طلب بيت الله الحرام ، وسار مع الحجاج وقطع من الطريق أكثره ، فعند ذلك عرضتْ امرأة حسناء لم ير الراؤون مثلها ، فأدْهَشَتْهُ وأخذت عقلَه ، فأراد الإقامة عندها ليمتلىء بها ويواصلها ، فقام إليه أمير الحجاج وقال له : لا تقُمْ هنا فتنقطع عن الحاج ولكن اذهب معنا وزرْ بيت الله ، فإذا رجعْنا نقعد عقادك وتدخل عليها بالحلال ، وإن أقمْتَ فلا يحصل لك الوصال ، وإذا وصل ولا بد فبالحرام لا بالحلال ! فتنقطع عن بيت الله وتعصيه ، فغلب عليه هَوَاه وانقطع عن رفقته ، فدلّى[1] منها ، وأزال البَرْقع عن وجهها ، فإذا هي عجوزة مقلقلة الأسنان ، قبيحة المنظر منتنة الفمّ ، فندم حيث لا ينفعه الندم ، فأراد أن يلحق رفقته فما قدر ، فصار يبكي الليل والنهار ، فالمرأة مَثَلٌ للكرامات التي يطلبها السالك في سلوكه ، وبيت الله الحرام مثلٌ لحضرة القرب ، وطريق الحج مثال لطريق القوم رضي الله عنهم .

فالسالك لا شكّ أنّه إذا وصل إلى حضرة القرب تصير الكرامات كلّها طَوْعَ يديه ، وإن غلب هوى السالك عليه فطلب الشيء قبل أوَانِه وتعرَّض لطلب الكرامات أتْعَبَ نفسه فيما لا يعنيه ، وانقطع عن مطلبه ، فإذا حصلت له الكرامة وجدها كوناً من الأكوان لا تنفعه في الدنيا ولا في الآخرة ، فإذا عرف حقيقتها ندم وبكى لأنّه تَقَهْقَرَ عن مقامه الذي تعب عليه حتّى حَصَّلَه . انتهى من عبارته .

فاللائق بمَنْ ظهر على يديه أنواع الكرامات وأصناف الكشوفات أن لا يغترّ بها ، لأنّه لا يصير الإنسان شيخاً مرشداً إلا إن سلك مقامات

---

(١) أي : تحيّر .

الطريق ،وأذن له شيخه للإرشاد بالإذن الصريح ، ولو وقع على يده الكشف بأكثر من ألوفٍ ، والله أعلم .

وقال الإمام الرباني في بعض مكاتيبه :

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، لِيَطِبْ قلب الأخ الأعزِّ السيد مير محمد نعمان ، وليعلم أنّ ظهور الخوارق والكرامات ليس من شرط الولاية ، وكما أن العلماء ليسوا مكلّفين بحصول الخوارق ، والأولياء أيضاً ليسوا مكلَّفين بظهور الخوارق ! فإنّ الولاية عِبارة عن قرب إلهيٍّ جلّ سلطانه ، يكرم بها أولياؤه بعد نسيان السوى ؛ شخص يعطى هذا القرب ولا يعطى الاطلاع على المغيَّبات والمحدثات ، وشخص ثان يعطى هذا القرب ويعطى الاطلاع على المغيبات والمحدثات ، وشخص ثالث لا يعطى من القرب شيئاً ! ويعطى الاطلاع على مغيبات ، وهذا الشخصُ الثالث من أهل الاستدراج ، وجعله صفاء النفس مُبْتلى بكشف المغيَّبات وألقاه في الضلالة ، وآية ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ۝١٨ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَـٰنِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ۝١٩﴾ علامة حالهم ، والشخص الأوّل والشخص الثاني اللذان مشرفان بدوْلة القرب من أولياء الله تعالى لا يزيد كشف المغيبات شيئاً في ولايتهم ولا ينقص عدم الكشف شيئاً من ولايتهم ، والتفاوت بينهم إنما هو باعتبار درجات القرب ، وكثيراً ما يكون صاحب عدم كشف الصور الغيبيّة أفضل من صاحب كشف تلك الصور ، وأسبق منه قدماً بواسطة مزيّة القرب الحاصل له . صرّح بهذا المعنى صاحب « العوارف » الذي هو شيخ الشيوخ ومقبول عند جميع الطوائف في كتابه « العوارف » ، فمن لم يصدِّق هذا الكلام مني فليراجع ذلك الكتاب فإنه ذكر فيه بعد ذكر الكرامات والخوارق ، وكلّ هذه مواهب الله تعالى ، وقد يكاشف بها قوم ويعطى ، وقد يكون فوق هؤلاء من لا يكون له شيءٌ من هذا ، لأنّ هذه

كلّها تقوية اليقين ، ومن مُنح صرف اليقين لا حاجة له إلى شيء من هذا ، فكلّ هذه الكرامات دُون ما ذكرناه من تَجَوْهُرِ الذكر في القلب ووجود ذكر الذات . انتهى .

قال إمام هذه الطائفة الخواجه عبد الله الأنصاري الملقب بـ « شيخ الإسلام » في كتابه « منازل السائرين » : إنّ الفراسة على نوعين : فراسة أهل المعرفة ، وفراسة أهل الجوع والرياضة :

فراسة أهل المعرفة في تمييزهم من يصلح لحضرة الله جلَّ وعلا ممّن لا يصلح ، ومعرفتهم أهل الاستعداد الذين اشتغلوا بذكر الله سبحانه ووصلوا إلى حضرة الجمع .

وفراسة أهل الرياضة وأرباب الجوع مخصوصة بكشف الصور والإخبار عن المغيَّبات المختصة بالمخلوقات ، ولما كان العالم أكثرهم أهلَ انقطاع عن الله سبحانه واشتغالٍ بالدنيا مالت قلوبهم إلى أهل كشف الصور والأخبار عمّا غاب من أحوال المخلوقات ؛ فعظّموهم واعتقدوا أنهم أولياء الله وخاصته ، وأعرضوا عن كشف أهل الحقيقة واتّهموهم فيما يخبرونه عن الله سبحانه ، وقالوا : لو كان هؤلاء أهلَ الله كما يزعمون لأخبرونا عن أحوالنا الغيبيّة وأحوال سائر المخلوقات ، وإذا كانوا لا يقدرون على كشف أحوال المخلوقات فكيف يقدرون على كشف أمور أعلى من هذه ؟ ! وكذّبوهم في فراستهم المتعلقة بذات الواجب ، وصفاته جلَّ وعلا بهذا القياس الفاسد ، وعميت عليهم الأنباء الصحيحة ، ولم يعلموا أنّ الله قد حمى هؤلاء عن ملاحظة الخلق وخصّهم بجناب قدسه ، وشغلهم عما سواه حماية لهم وغيرة عليهم ، ولو كانوا ممّن يتعرّضون لأحوال الخلق ما صلحوا للحق سبحانه . انتهى كلامه .

وقال كلمات آخر أيضاً أمثال ذلك . وإنما سمعت حضرة شيخ قدس سره يقول : كتب الشيخ محيي الدين بن العربي أنّ بعض الأولياء

الكرام الذي ظهرت منه كرامات وخوارق كثيرة ندم في آخر النفس من ظهور تلك الكرامات ، وقال تمنِّياً : ياليت هذه الكرامات لم تظهر منّي ! فلو كان التفاضل باعتبار كثرة ظهور الخوارق لا يكون للندامة على ذلك الطور مَعْنى .

فإن قيل : إذا لم يكن ظهور الخوارق شرطاً في الولاية كيف يتميّز الوليّ من غير الوليّ ؟ وكيف يتبيّن المحق من المبطل ؟

أجيب : لا يلزم التمييز ، بل يكون المحقّ ممتزجاً بالمبطل فإنّ اختلاط الحق بالباطل لازم لهذه النشأة الدنيويّة ، **والعلمُ بولاية وليٍّ ليس بلازم أصلاً** ، وكثير من أولياء الله تعالى لا اطلاع لهم في ولايتهم ، فكيف يكون الاطلاع على ولايتهم لازماً لغيرهم .

وفي النبيّ لا بد من الخوارق ليتميّز النبي من غير النبيّ ، فإن العلم بنبوّة نبيٍّ واجب . والوليّ لما كان داعياً إلى شريعة نبيّه كفاه معجزة نبيّه ، فلو كان الولي يدعو إلى ما وراء الشريعة لما كان له بدٌّ من خارق ، وحيث كانت دعوته مخصوصة بشريعة نبيّ لا يلزم الخارق أصلاً ، العلماء يدعون إلى ظاهر الشريعة ، والأولياء يدعون إلى ظاهر الشريعة وباطن الشريعة ، يدلّون المريدين والطالبين أوّلاً على توبة والإنابة ، ويرغِّبونهم في إتيان الأحكام الشرعية ، ويهدونهم ثانياً إلى طريق ذكر الحق جلَّ وعلا ، يؤكّدون في استغراق جميع أوقاتهم بالذكر الإلهيّ جل سلطانه ، إلى أن يستولي الذكر ولا يبقى في القلب غير المذكور أصلاً ليحصل النسيان عن جميع ما سوى المذكور ، حتى لو كلّف بتذكّر الأشياء لا يكاد يتذكَّر .

ومن اليقين أنّه لا حاجة للوليّ لأجل هذه الدعوة التي تتعلّق بظاهر الشريعة وباطنها إلى الخوارق أصلاً ، والشيخوخة والمريديّة عبارتان عن

الدعوة التي لا تعلّق لها بالخوارق ، ولا مساس لها بالكرامة ، مع أنّا نقول : إن المريد الرشيد والطالب المستعد يحسّ في كل ساعة في أثناء سلوك الطريق خوارق شيخه وكراماته ، ويستمدُّ منه في المعاملة الغيبيّة في كلّ زمان ويجد منه فيها مدداً ، وظهور الخوارق بالنسبة إلى الأغيار ليس بلازم .

الإحياء الجسدي بالنسبة إلى الإحياء القلبي والروحي كالمطروح في الطريق

وأمّا بالنسبة إلى المريدين فكراماتٌ في كراماتٍ ، وخوارق في خوارق ، **وكيف لا يحسّ المريد خوارق الشيخ ؟! فإن الشيخ أحيا القلب الميّت ، وأوصل إلى المكاشفة والمشاهدة ، فإذا كان عند العوام الإحياء الجسديّ عظيم الشأن ، فعند الخواص الإحياء القلبيّ والروحيّ برهان رفيع البنيان .**

كتب الخواجه محمد پارسا قدس سره في « الرسالة القدسيّة » :

فلما كان الإحياء الجسدي معتبراً عند أكثر الناس أعرض عنه أهل الله ، واشتغلوا بالإحياء الروحيّ ، وتوجَّهوا إلى إحياء القلب الميّت ، والحقُّ أنّ الإحياء الجسديّ بالنسبة إلى الإحياء القلبيّ والروحيّ كالمطروح في الطريق ، وداخل في العبث بالنظر إليه ، فإنّ هذا الإحياء سبب حياة أيام معدودة ، وذاك الإحياءُ وسيلة للحياة الدائمة ، بل نقول : **إنّ وجود أهل الله في الحقيقة كرامة من الكرامات ، ودعوتهم الخلق إلى الحق جلّ سلطانه رحمة من رحمات الله تعالى ، وإحياءَهُمْ القلوبَ الميتةَ آيةٌ من الآيات العظمى ، وهم أمان أهل الأرض ، وغنائم الأيام ؛ بهم يُمْطرون ، وبهم يُرْزَقُون** واردٌ في شأنهم ، كلامهم دواء ، ونظرهم شفاء ، هم جلساء الله ، وهم قوم لا يشقى جليسهم ولا يخيب أنيسهم ، والعلامة التي نتميّز

بها المحقّ هذه الطائفة من مبطلهم هي : أنّه إذا كان شخصٌ له استقامة على الشريعة ، ويحصل للقلب في مجلسه مَيْلٌ وتوجُّه إلى الحق سبحانه وتعالى ، ويُفْهَم حصولُ بُرُودة عما سواه تعالى ، فذلك الشخص شخصٌ محقٌّ ، ولأنْ يُعَدَّ من الأولياء على تفاوت درجاتهم مستحق ، وهذا أيضاً بالنظر إلى أرباب المناسبة ، والذي لا مناسبة له فهو محض محروم مطلق . شعر :

من لم يكن في نفسه مَيْلُ الهـدى   فَشُهُودُه وَجْـهَ الـنـبـيّ لا يـنـفـعه

انتهى « الدرر المكنونات النفيسة » من عبارته من ١٤٠ من الجزء الثاني .

الباب الثالث والعشرون

في ردّ دعوى من يقول : لا يجوز اتخاذ الشيخ ويطعن على مريدين ويستهزئ بهم ، والعياذ بالله

فتلك المذكورات شأن بعض العلماء من ديار عصرنا - سامحه الله تعالى وألهمه رشده ، وهداه إلى ما يرضاه ، آمين - وهي مما يتوجَّه إليه ضرره دنيا وأخرى ، لأنّه قد ارتكب كبيراً ، وأنكر مجمَعاً ، وصرّح بالرأي قولاً ، كيف لا ؟ **وقد قال بوجوبه**[1] **أئمة من المذاهب الأربعة ، وأجمع عليه العلماء السلف والخلف ، وقد حكموا بكفر من أنكر على ما أجمع عليه الأئمة** ، والله أعلم . حتى أنّ أبا حنيفة رحمه الله تعالى أخذ الطريقة عن تلميذه قبل وفاته بسَنَتَيْنِ فقال حين وفاته : **لولا السنتان لهلك النعمان** .

(١) أي : اتخاذ الشيخ .

وقد كان الإمام أبو حنيفة يَرَى بكشفه نجاسة الذنوب التي تسيل مع ماء الوضوء كما ورد في الحديث ، فلأجل ذلك قال بنجاسة الماء المستعمل . كذا في « ميزان » الشعراني ، ومع ذلك أخذ الطريق .

وكان الشافعي ﵁ يجلس بين يدي شيبان الراعي الأميّ كالصبيّ بين يدي المرضعة .

وكان الإمام ابن حنبل ﵁ يقول لولده لمّا صحب أبا حمزة البغدادي وعرف أحوال القوم : يا ولدي ! **عليك بمُجالسة هؤلاء القوم ، فإنهم زادوا علينا بكثرة العلم والمراقبة والخشية والزهد وعلوّ الهمة .** انتهى بعضها من « الفتاوى العمرية » ، وبعضها من « مكتوبات » الإمام الرباني ، فراجعها .

وكان شيخنا قدس سره يستكتب منّا أشياء من كتاب « مزكي النفوس » ، ومن جملتها هذه العبارات : يجوز الذهاب في طريق في موضع له زمان ومكان ، وقد يقع المريد في وقتٍ من الأوقات في درجة ليس فيها مكان ولا زمان ولا علامة ، وإذا وقع في ذلك الدرجة التي ليس فيها مكان ولا زمان ولا علامة ولا طريق ولا رفيق يلزم عليه بالضرورة أن يصحب بالرجل الكامل ، والمرشد ، والمربّي الذي ذهب ورفق مع المرشد كرَّات ومرَّات بجذب إلهيٍ وتوفيق ، وموافقة مرشد .

ثم العشق درجة لا مكان ، وجذبة الحق كذلك لا مكان ، وتوفيق إلهيّ لا علامة ؛ أي : هي أشياء لا يتصرَّف فيها النفس والعقل والحال والروح ، وتصرُّفها في عالم البشر ، يعني : في عالم الظاهر ، وأمّا تصرف العشق فهو فوق عالم البشرية ، ومَنْ أراد أن يذهب في هذا الطريق الذي ليس له مكان ولا زمان ولا علامة لا بدَّ من أن يذهب إلى مرشد كامل ، وهو الذي وقع في عالم العشق ، لِيُفْنِيَ ذلك المرشد بشريَّته بتلقين الذكر

والتربية ، فلو ذهب واحد إلى طريق ليس فيه علامة فيبقى بلا وصول إلى الله تعالى ، فوَقْتاً يصل من الله تعالى ما يعجز عنه المخلوقات ، ولا يعلمه إلا الله تعالى ، ثم يقع سير الطالب إلى عالم الأنفس ، ويبقى فيها مغروراً بذوقه ، ويذهب أكثرون في عالم الأنفس إلى الكفر والعياذ بالله تعالى ، وكذلك لا يكون الهمَّة لمن يبقى في عالم الأنفس ، وقد يحصل لهم الترقِّي في وقت ما ، لكن تغلب عليهم الأنفس فلا يصلون ولا يقفون في عالم الأرواح ، فلو أرادوا أن يصلوا إلى عالم الأرواح ينبغي لهم أن يتخذوا مرشداً كاملاً . انتهى .

وفي « حسبحال السالك » ما حاصله : إن لم يسلّم المريد نفسه إلى المرشد باقتدائه عقل غيره لا يصل إلى مقصوده ، ويبتلى بسوء حاله .

فإن قيل : القرآن وعلم الشريعة قد بيّنا سبيل الطريق ، والمرشد إلى هذا الطريق هو النبيّ عليه السلام ولطف الله ، فكيف الاحتياج إلى اتخاذ الشيخ ؟

فالجواب : المرشد في الحقيقة هو القرآن ، وعلم الشريعة ، والنبي عليه السلام ولطف الله ، **لكنّ المريد في أوّل الأمر كالمريض الذي قرأ علم الطبّ وجمع الأدوية والمعجونات لمرضه ، وزاد مرضه بها لكون بعض الأدوية مما يهلك بها الإنسان ، فاحتاج إلى غيره من الأطباء** ، فكذلك الداخل في طريق السلوك يحتاج إلى الشيخ لإزالة المهالك المعنويّة . انتهى .

ومن ليس له شيخ مرشد وقعوا في الشبهة ،

وماتوا على سوء الخاتمة

واستكتب شيخنا قدس سره أيضاً من ذلك الكتاب ما حاصله هذا : لاحظوا إلى حكم الله تعالى ؛ أنّ الخضر عليه السلام أدنى مقاماً من موسى

عليه السلام بدرجات ، ومع ذلك ذهب هو لديه لطلب العلم اللَدنيِّ ، والمستحيون حرموا من العلم اللَدني ، وأنت تقول مع كونك عالماً كبيراً : ما الحاجة إلى الذهاب لدى المرشد ؟ فجميع الأنبياء الذين بعثوا من لدن آدم إلى نبينا عليهم السلام ، والأولياء الذين جاؤوا بعدهم سَعَوْا على هذا التوحيد ، لكن لم يذهب منهم إلى هذا الطريق ولو واحداً بغير مرشد ، وكل مَنْ قصَدوا أن يذهبوا إلى هذا الطريق بغير مرشد وقعوا في الشبهة ، وماتوا على سوء الخاتمة ، نعوذ بالله ، وكلهم صاروا ضالِّين ومضلِّين .

وإذا كان الحال كذلك ! يجب على الطالب البتّة طلب الشيخ المرشد المأذون الذي إجازته صحيحة ، ولا يكون الوصول بكثرة العلم والعقل ، ألا ترى أنّ كلب الصيد المعلّم إن دلّ خلف الصيد بقول « بسم الله » يجوز عند الحنفيّ أكل لحم ما قتله من الصيد ، وإن لم يكن الكلب مُعَلّماً يكون ما قتله نجساً ؛ ولا يجوز أكل لحمه ، وهكذا كل مَنْ لم يصل إلى المرشد يكون كذلك ، انتهى .

وقال في « الحديقة النديّة » : اعلم - أسعَدَك الله بالتوفيق وحلاّك بالتصديق - أنّ تَعلُّم علم الباطن ؛ من المهلكات والمنجيات وآداب السلوك والمعاملات فرضُ[1] عينٍ على كل مَنْ لم يرزق قلباً سليماً بالجذب الإلهيّ ، والعلم اللَدنيِّ ، والنفس القدسيّة الفطريّة ، وقليلٌ ما هم ، وأحكام الدين إنّما تُبْنَى على الأكثر الأغلب ، وتعلُّم علم الظاهر لا يُغْنِي عن استفادته كما ثبت ذلك عن كثير من العلماء الأكابر المتقدّمين والمتأخرين من الحنفيّة ؛ كابن الهمام وابن الشبلي والشرنبلالي وخير الدين الرملي والحموي مُحشي « الأشباه » وأمثالهم .

---

(١) وهكذا في « ابن حجر » و« الرملي » من كتاب سير . (منه) .

ومن الشافعية ؛ كسلطان العلماء العزّ بن عبد السلام والإمام الغزالي وتاج الدين السبكي والسيوطي وشيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاري والعلامة الشهاب ابن حجر الهيتمي المكي .

ومن المالكية ؛ كالعارف أبي الحسن الشاذلي وخليفته الشيخ أبي العباس المرسي وخليفته الشيخ ابن عطاء الله الإسكندري والعارف ابن أبي جمرة وناصر الدين اللقاني والشيخ العلاّمة المحقق العارف أحمد زروق البرنسي وغيرهم .

ومن الحنابلة ؛ كالشيخ عبد القادر الجيلي وشيخ الإسلام الشيخ عبد الله الأنصاري الهروي والشيخ ابن النجار الفتوحي وغيرهم ؛ فإنّ هؤلاء العلماء الأجلّة بعد التضلُّع من علوم الظاهر اشتغلوا بتحصيل علوم الباطن واستفادتها من أهلها بالصحبة والخدمة ، والسلوك وحسن الاعتقاد والإخلاص ، والتخلية عن الرزائل ، والتحلية بالفضائل ، انتهى . وراجع « البهجة » في ٤ .

قال الفخر الرازي : ولمّا قال الله تعالى : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ لم يقتصر عليه بل قال : ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ وهذا يدل على أنّ المريد لا سبيل له إلى الوصول إلى مقامات الهداية والمكاشفة إلاّ إذا اقتدى بشيخ يَهْديه إلى سواء الصراط ، ويجنِّبه عن الأغلاط والأضاليل ، وذلك لأنّ النقص غالب على أكثر الخلق ، وعقولهم غير وافية بإدراك الحقِّ ، وتمييز الصواب عن الغلط ، فلا بدّ من كامل يقتدي به الناقص حتى يتقوَّى عقل ذلك الناقص بنور عقل ذلك الكامل ، فحينئذ يصل إلى مَدارج السعادات ومعارج الكرامات . فراجع « تفسير الكبير » ؛ انتهى . من « الفتاوى العمرية » .

ونحن سمعنا هذا المنكر كثيراً يعظُ الناس في المحافل والمجامع ، ويحثهم على كثرة ذكر الله تعالى ، ويخبرهم فضائل الأذكار والأوراد .

فليت شعري هل يفعل المريدون إلا ما حثَّ الناس إليه من ذكر الله ؟ ! ، وأيّ شيء يقول لمن قال له : نحن نتبع أمرك ونقبل وعظك ، وقد أمرنا شيخنا بما أمرتنا به فشيخنا معينك ومصدّقك فلعلّه لا يدري ما يقول .

ومن أراد أن يعلم بيان وجوب اتخاذ الشيخ الكامل لكلّ فرد من أفراد الرجال والنساء ، ووجوب تعلّم علم الباطن من الشيخ المرشد فليطلع على كتب أهل التحقيق من الفقهاء والصوفية ، فقد بسطوا في حقها الكلام ، وأثبتوا فيها الدلائل والنصوصات بحيث لا يبقى بعدها إنكار ، ولا يأتي من بين يديها ولا من خلفها إشكال ، كـ « التحفة » لابن حجر من كتاب (السير) والرملي منه و« فتاوى » ابن حجر في ٥٧ و« المتممات » و« جامع أصول الأولياء » و« لطائف المنن » و« الميزان الكبرى » و« الميزان الصغرى » و« لواقح الأنوار القدسية » و« الأجوبة المرضية » للشعراني و« الفتوحات الإلهية » لزكريا الأنصاري و« الفتاوى العمريّة » و« رسالة عبد اللطيف » و« الفتاوى » لمحمد علي الجوخيّ قدس سره ، فقد بسط الكلام بأحسن بساط ، و« النور الساطع » و« الأنوار القدسية » و« عوارف المعارف » و« الإحياء » و« البهجة السنيّة » و« المواهب البريقة » و« مجموعة الرسائل » و« شرح تائية السلوك » و« ترجمة الرشحات » و« النفائس السانحات » و« روح البيان » و« سلك العين » وشرحه و« تصديق المعارف » و« بيان الأسرار » و« الخادمي على النصائح الولدية » و« الرسالة الخالدية » و« الذهب الإبريز » وغيرها ، فهذه الكتب المذكورات ممّا قلّبنا أوراقها ، ورأينا أعْيانها ، وتحقَّقنا بما فيها في تقرير هذه المسألة ، فليراجع المنصف إليها .

وقد قصَدْتُ مرة أنْ أحْصي ما أوصى به الشعراني في حقِّ اتخاذ الشيخ في كتابه « لواقح الأنوار » فلم أطِقْ على إحصائه وحصره لكثرته ، فهذا سلطان العارفين ، وعمدة العلماء العاملين في المذاهب الأربعة

يُوصي بذلك ، فكيف يسوغ لمن أضاع عمره في الغفلات ، وخرّب أوقاته في الفلوات ، وصار حَيْران والِهاً ينبغي أن يبكي على ما فرّط في حقِّ الله تعالى وحَقِّ عباده من أمثالنا أن ينكر على ما أجمع عليه أصحاب هذه التأليفات ؟ ! وما اتَّفق عليه علماء المذاهب الأربعة المتفقات قديماً وحديثاً ؟ ! رزقنا الله والمنكرين التوفيق ، وهدانا وإياهم إلى سواء الطريق ، فكم وكم مرّات تكلَّم هذا الفقيه في حقِّ الفقراء الصادقين بما تقشعرُّ به جُلُودهم ، وكم وكم افترى هذا المسكين على هذه الطائفة النقشبندية بما لم يتحقَّق منهم من الأكاذيب ، فيغفر الله لنا وإياهم آمين .

الباب الرابع والعشرون

في وجوب ملازمة المريد على ما أمر به شيخه من الذكر

ولقد سمعْنا أنّ واحداً من العلماء قد طعن فيمن لازم على ما وضع عليه أستاذه الجامع لطرفي الشريعة والحقيقة ، ولا ينتقل إلى الأذكار والدعوات خلف الصلوات ، قائلاً : إنّي أبارز وأباحث على مَنْ أمَرَ بتلك الملازمة ، وأسْألهُ من أين أخذ هذا الأمْرَ ؟ وفي أيّ كتاب وجَدَه ؟ ! **فقد تحقّق وتبيَّن قول مَنْ قال : مَنْ اكتفى بالفقه تفسَّق**(١) ! ولله درّ ابن الفارض رضي الله عنه حيث قال في تائيته :

ونهج سبيلي واضح لمن اهتدى　　ولكنها الأهواء عمّت فأعمت

انتهى .

أي : وطريقته المستقيمة التي هي فناء الوجود واضحة لمن اهتدى بالنور الأزليّ الذي رشّ على الخلق ، فمن أصابه منه اهتدى ، ولكن أهواء

---

(١) ومن أراد إدراك حقيقة هذا القول فعليه بمطالعة « فتاوى » ابن حجر في ٢١٧ .

النفس عَمَّتك ، فأعمتك عن رؤية تلك الطريق ، لأنها مبنية على مخالفة النفس . وهواها يعمي البصر كما ورد « حبّك الشيء يعمي ويصم » . انتهى من « كشف الوجوه الغرّ » عبارته ١١٣ .

قال ابن الفارض ﷺ في ديوانه أيضاً :

وعن مذهبي لما استحبّوا العـمـى   على الهدى حسداً من عند أنفسهم ضلّوا

انتهى

المعنى هنا : زيادة الغفلة في النفس والقلب ، وعدم التيقظ لأمر الله تعالى والانهماك في عمل الجوارح بالقوى النفسانية مع الإعراض عن الله تعالى وعدم الالتفات إلى تجلياته وظهوراته في آثار قدرته الكلية . انتهى من « شرح الديوان » في ١٠١ لعبد الغنيّ النابلسيّ قدس سره .

فنقول وبالله التوفيق : قال الشيخ الإمام التاج الدين ابن عطاء الله في كتاب « تاج العروس » : **ولا تكن كمن يريد أن يحفر بئراً فيحفر ذراعاً هنا وذراعاً هنا ، فلا ينبع له ماءٌ أبداً ، بل احفر في مكان واحد فينبع لك الماء** . انتهى عبارته . هذا الكلام منه ﷺ إشارة إلى الملازمة على ذكر اسم واحدٍ ، وتكثير ذكره من غير أن ينقل إلى غيره . وراجع « ماهية التصوفً » لأبي سعيد الخادمي و« المتممات » فالأولى والأصلح لمن له شيخ أن يلازم على ما أمر به شيخه ، ولا ينتقل إلى غيره .

وفي « الباقيات الصالحات » : أنّه وقعت المباحثة بين شخصين ، قال أحدهما : الذكر أفضل من تلاوة القرآن ، وقال الآخر : التلاوة أفضل من الذكر ، فخرج شيخنا في ذلك الأثناء ، وقال ، فيما ذا كنتم تتكلمون ؟ فعرضوا عليه المباحثة ، فقال : **الكون مع الله أفضل من الكلّ** .انتهى عبارته ١٤٠ . يعني : أن ما يؤدي إلى وجهة القلب إلى الله والحضور معه فهو أفضل . ولا شك أنّ ملازمة الذكر أشدّ جلباً ممّا سواه لصرف القلب إلى الكون مع الله ، فافهم والله أعلم .

وفي « النفائس السانحات » في تذييل « الباقيات الصالحات » : أن المداومة على الذكر من فرائض طريق أولياء الله ، تعالى **فينبغي الإكثار من الذكر بترك جميع مرادات النفس ، فإنّ القلب لا ينجلي من غير ذكر كثير** . انتهى .

وفيه أيضاً في موضع آخر : ينبغي للسالك أن يعمّر أوقاته ويستغرقها بالذكر والعبادة ، وحفظ مداركته عن الالتفات إلى السوى ، وصون سرّه وهمّته عن التوجه إلى غير مفهوم لفظة الجلالة حتى تكون ملكة حضوره . انتهى عبارته .

وفيه أيضاً : إن التكثير من تكرار اسم الذات مثمرٌ لنسبة الجذبة الإلهيّة . انتهى .

وكذا في « الباقيات الصالحات » : جاء مولانا يوماً حجرتي ورأى مصحفاً في الرفّ ، فقال : ما هذا الكتاب ؟ قلت : هو مصحف ، قال : إن ذلك من علامة البطالة ، يعني : أن وظيفة المتبدئ في بداية سلوكه الاشتغال بالنفي والإثبات . وقال : إن تلاوة القرآن من وظيفة المتوسطين ، والصلاة شغل المنتهين ، وأهم المهمات للمبتدئين الاشتغال بالنفي والإثبات . وترك الأهم والاشتغال بغيره بطالة ، كمن يقرأ الفاتحة في قعوده زعماً منه أنها أم القرآن . انتهى عبارته فتدبره .

وقال الشيخ مم دبر الروشيّ قدس سره في كتابه « إظهار الحق » نقلاً عن الشعراني . وقال أيضاً سمعت سيدي عليّاً المرصفي رحمه الله تعالى يقول : إياكم وأن تنكروا على شيخ أمر مريدَهُ بتقديم صلاة النافلة أو الذكر مثلاً على طلب العلم أو عكسه ، فإنّ في ذلك مشاهدة صحيحة للأشياخ ، وكذلك لا ينبغي لكم الإنكار على شيخ ينهى مريده عن صلاة النافلة أو العلم ، ويأمره بالذكر ، فإنّه ربّما رأى نيّته في العلم فاسدة بالكشف والقرائن ، ورأى عنده جهلاً بالله تعالى لغلظ حجابه ، فأمره بالذكر .

إذا رأيتم المريد يكثر من النافلة ويقلّل من الذكر فاعلموا أنه بطّال لا يجيء منه شيء في الطريق ، لأنّ الصلاة النافلة من صلاة الكمل لا المريدين . انتهى من عبارته .

وفي « الفتاوى العمريّة » : **اعلم أنّ الذكر هو العُمْدة في جميع الطرق العليّة ، فلا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر والفكر ، والحضور والمراقبة** ، وذلك أفضل العبادات ، وأقرب الطاعات والقربات في الطرقات ، بعد أداء الفرائض والواجبات والسنن المؤكّدات ، لأنّ العابدين لو اشتغلوا بجميع الطاعات سوى ذكر الله تعالى ليلاً ونهاراً قلّما يحصل لهم تزكية النفوس وتصفية القلوب ، وهو مأمورٌ وثابت بالأدلة الأربعة ، وأفضليته ثابت بقوله تعالى ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ أي : ولذكر الله أكبر في إزالة مرض القلب من الصلاة وتلاوة القرآن ، فإن الصلاة وإن كانت تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وكذا التلاوة ، لا توصلان إلى الله تعالى ، بل توصلان إلى الجنة والثواب العظيم ، **وأما الذكر** فهو موصل إلى الله[1] تعالى ، فبينهما فرق عظيم ، لأنّ قيمة الذكر بقدر المذكور ، فحينئذ فذكر الله أكبر من تلاوة القرآن وصلوات النوافل . « روح البيان » ملخصاً .

اعلم أن الذكر من الواجبات ، لأنّ الأمر إذا تكرّر يكون للوجوب على قاعدة الأصوليّين ، وقد تكرّر الأمر في القرآن والحديث في مواضع لا تحصى . « هدية الذاكرين » . انتهى من عبارته .

---

(١) هذا عند أهل الباطن والسالكين ، وأما عند علماء الظاهر أن قراءة القرآن أفضل ، كما صرّح بذلك عمدة المذاهب الإمام النووي في « التبيان » قبيل الباب الثالث وفي « فتاوى الرملي » وسائر الكتب الفقهية ، والسلام . (هامش الأصل) .

وقد يكون الذكر حديث نفسٍ بالنسبة إلى غيره[١] ، فافهمه .

وقد قال العالم الرباني أدرة العرادي النقشبنديّ - رحمه الله تعالى ، ورزقه ما فيه صلاحه في الدارين آمين - : **إن الشيخ طبيبٌ والمريد مريضٌ ، والطبيب يعطي المريض ما يوافق مرضه من المأكولات ،** ويمنعه من غيره وإن كان من أشرف المطعومات . انتهى ما قاله في حق حثِّ الأشياخ المريدين على ملازمة الأذكار لا على قراءة القرآن ، وذلك القول منه رحمه الله في غاية التحقيق ، لأنّ المريد مريض بمرض الغفلة بسبب كثرة الخطرات ، فقد مسّت الحاجة لدفع مرض الغفلة بكثرة الذكر في جميع الأوقات . وقد شبّه صاحب « الرشحات » الذكرَ بالفأس يقطع به شوك الخواطر . فراجعه .

وقراءة القرآن قد تحمل قارئه مرّة إلى التفكر في الجنان ، ومرة إلى التخيل في النيران ، ومرة في التدبر في قصص الأنبياء والآخرة ، فناسب لمن غلب على قلبه الغفلات أن يلازم الأذكار الملقنات لا بالقراءة والدعوات لئلا تكون سبباً لزيادة الخطرات إلى أن يصير الحضور القلبيّ ملكة راسخة ، لا يشغله شيء من الأغيار ، ويصير كالبحر يحمل كلّ ما ألقي إليه ، ولا يتكدّر .

وقال الغزالي في « جواهر القرآن » : **إن الذكر أفضل من قراءة القرآن للذاهب[٢] إلى الله** . انتهى بالمعنى وباختصار .

---

(١) يعني : أنّ الذكر بالأسمآء الفروعيّة كالغفور والرحمن يطلب الأغيار كالمغفور والمرحوم كما مر في الباب الرابع عشر ، ولذا قال الشعراني في كتاب « الجواهر والدرر » : فما في الأذكار أعظم فائدة من ذكر الاسم (الله ، الله) لأنّه لا يطلب أحداً من الأغيار .

(٢) فاللائق لقارئ القرآن حال قراءته أن يقف مع صاحب الكلام لا مع ما يدل عليه الكلام . وهذا دقيق لا يفهمه إلا حاذق . (منه رحمه الله) .

وفيه أيضاً في موضع آخر : إن كنت ذاهباً إلى الله مستغرقاً به لم تفتقر إلى ترتيب الأوراد بَلْ وِرْدك واحدٌ ، وهو ملازمة الذكر . انتهى عبارته .

فما في الأذكار أعظم فائدة لطرد الغفلة عن القلب من ذكر الاسم (الله الله) لأنّه لا يطلب أحداً من الأغيار كما يطلب قراءة القرآن والدعوات وسائر الأسماء الإلهية ، فتدبره فإنه نفيس لا ينكره إلا خسيس .

الباب الخامس والعشرون

في بيان من يجوز أن يرابط به ومن لا

وأما ما يفعله بعض الأولياء الذي أجازه شيخه الكامل - رحمه الله تعالى وجعلنا معهما في دار الجنان - من أمره بفَعْلِ الرابطة على نفسه مع كون شيخه لا يأمر بذلك ولو إلى نفسه ، بل يفعل هو ومريده الرابطة الشريفة إلى روحانية الغوث الأعظم محمود الفعال الألمالي قدس سره ، فالقلب يتردد فيه ويتحيّر ، والمطلوب من الله العفو والمسامحة إن كان في ذلك التردّد والتحير زلّةٌ .

فقد قال الخاني في « البهجة السنية » : ثم اعلم أن الرابطة إنما تفيد إن كان مع الإنسان الكامل المتصرف بقوّة الولاية ، لأنّ الإنسان الكامل مِرآة الحق سبحانه وتعالى ، **فمن ينظر إلى روحانيّته بعين البصيرة يشاهد الحق فيها** . وأطال فيها الكلام ، ثم قال : **تنبيه** : قد علم مما تقرّر أن المراد بالمرشد الكامل الذي يصلح أن يجعل رابطة للمتوسلين به هو الذي حصل له مقام البقآء بعد الفناء في الله تعالى الأتمين ، ولكن هنا مزلَّة الأقدام ، لأنَّ هذه الطريقة العلية مندرجة بدايتها في نهايتها ، ونهايتها في بدايتها ، فربّما يحصل للمريد بعضُ أحوال قبل فنائه ، فضلاً عن حصول

بقائه ، فيظنّ كمال نفسه ويأذن للمريدين في أن يَجْعَلُوهُ رابطة فيخسر هو ومن رابطه ، فلا بدّ أن يشهد له بحصول الكمال وأنّه بلغ مبلغ الرجال أهل الفضل والعرفان كشيخه ومرشده الكامل ، ويأمره بذلك . وقد أخلّ بهذا الشرط في هذا الزمان أكثر أصحابنا الذين حصل لهم الإذن بتلقين الذكر من جناب حضرة سيّدنا وسندنا ونور أبصارنا وضياء قلوبنا ، أبي البهآء ضياء الدين شيخنا الشيخ خالد النقشبندي المجدديّ ، قدس الله تعالى سرّه ، وأمرهم أن يلقّنوا رابطةَ نفسه للمريدين ، لأنّه مشهود له بالكمال ، ومأذون له بذلك من قِبَلِ مرشده الكامل المشهود له كذلك ، فبعضهم في حياة شيخنا ـ قدس سره ـ أَخَلُّوا بهذا الشرط ، وأمروا المريدين الذين دخلوا الطريقة عندهم بأن يرابطوا بهم ، مع نهيه وزجره لهم عن ذلك ، كما يشهد بذلك كتابه – قدس سره – إلى خادم بابه وقدوة أحبابه الشيخ فلان ، عصمه الله عمّا وَصَمَه ، وصَانَهُ عمّا شانه ، آمين .

أما بعد : فقد قال كثير من نجوم الاهتدآء ومصابيح الاقتداء : بأنّ الكفران هو نسيان المنعم بسبب الاشتغال بنعمه . وصرَّح محقّقوا طريقتنا بأنَّ رابطة مَنْ لم يفن عن وجوده لا تورث الفنآء للسالك ، بل قد تورِّطُه المهالك ، وأنتم ما كان المأمول منكم أن تقطعوا عنّا السّلام والكلام ، بل كمال المروءة والوفاء كان مقتضياً أن تُواجهُونا أحياناً بأنفسكم ، وإلاّ فتراجعونا بالنّقير والقطمير ! وتذكّرونا دائماً بالتحرير مع السفير ! ومن خدّامنا من هو أبعد شقة منكم ، وأقدم صحبة وأكثر خِدْمَةً ، لا يتحرّك بدون إشارتنا . ولا تَقِسْ هذه الطريقة بخُزَعْبَلاَت متشيّخي العصر ، وتُرَّهَات أرباب الخدع والمكر ، **فالشيخ المحقق واسطة بين المريد وربِّه ، والإعراض عنه إعراض عنه ، فلا تعلّموا رابطة صورتكم لأحد ، ولو ظهرت له فإنّه من تلبيس إبليس ، ولا تستخلفوا أحداً إلاّ بأمري ، فضلاً عن مزاحمتهم لخلفآء الأطراف** من نحو أرزنجان وبدليس ، ولئن تماديتم

في التغافل الذي تستعملونه ! لنُعرض عنكم بالكلية ، وخَرْطُ القتاد دونه ، ومن أنذر فقد أعذر ، والسلام ختام . قاله بلسانه ، ورقمه ببنانه ، حضرة العبد المسكين خالد النقشبندي المجددي الكردي العثماني . انتهى .

وقال فيه أيضاً بعد نقل صورة الإجازة : والمقصود من ذلك أن حضرة سيّدنا ومولانا الشيخ خالد قدس سره لم يأمر المريدين أن يرابطوا بصورته المباركة إلا بعد أمر شيخه له بذلك ، وشهادته له بالكمال والوصول إلى الفناء والبقاء الأتمين ، ومن كان كذلك فيسوغ له ذلك . والعجب العجيب أنّ بعض مريدي هذا المنهيّ المزجور هم كذلك يأمرون المنتسبين إليهم بأن يرابطوا بهم ، فلا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم . وبعضهم بعد وفاته وانتقاله إلى الدار الآخرة أمروا المنتسبين إليهم بأن يرابطوا بهم ، وادَّعى بعضهم أنّ الميّت إذا انتقل إلى دار الآخرة لم يبق له التفاتٌ إلى الدنيا ، وهذا القائل خطؤه أشدّ من خطأ مدّعي الكمال في نفسه ، لأنّه يفهم من قوله إِنْكَارُ تصرّف الأولياء بعد موتهم ـ نعوذ بالله من ذلك ـ وكأنّه غفل عمّا هو متّفق عليه بين أهل الطريق .

ثم قال بعد كلام قليل : واعلم أن جناب سيّدنا وشيخنا ضياء الدين الشيخ خالد النقشبندي المجددي ـ قدس سره ـ خرجت روحه الزكيّة من الدنيا إلى المقامات العليّة من الآخرة ، ولم يشهد لأحد من أصحابه بالكمال ، ولم يأذن لأحد بأن يجعل نفسه رابطة فيما نعلم ، بل كان ينهى عن ذلك أشدّ النهي كما قدّمنا لك بعضه .

وكان إذا سئل عن حال المريدين يقول : ما عندي مريدٌ ، بل إسماعيل نصف مريد ، يعني : جناب سيّدنا وشيخنا الشيخ إسماعيل القائم مقامه بعد وفاته ـ قدس سره ـ وجناب سيدنا الشيخ إسماعيل خرج من الدنيا ولم يأذن لأحد أن يرابط بصورته الشريفة ، مع أنّه مشهود له ببعض الكمالات من مرشده الكامل ، ومنصوبٌ مقامَه .

وكذلك جناب سيّدنا ومولانا وشيخنا الشيخ عبد الله الهروي ـ قدس سرّه ـ لمّا جلس مجلس الكمال بعد سيّدنا الشيخ إسماعيل ـ قدس سره الجليل ـ لم يأذن لأحد أن يرابط بصورته حتى انتقل إلى دار البقاء .

فانظر أيّها الأخ إلى أدب هؤلاء السادات الكرام الذين هم أخصّ رجال الطريقة العلية النقشبندية الخالدية .

وأنا الفقير إلى الله أقول : لي بِهِمْ أُسْوَةٌ ، لا أرضى لأحد ممّن يحبّنا أن يرابط بغير حضرة سيّدنا قطب العارفين الشيخ خالد ـ قدس سره العزيز ـ وقد أطلنا الكلام هنا لأجل التنبيه والتحذير من الاغترار بذلك ، لأنّ ضرره عظيم على المريدين ،

مهم

لأن المقصود من الرابطة طرد الغفلة ودفع الظلمة عن القلب ، وإبعاد وساوس الشيطان عنه ، والناقص هو عاجزٌ عن دفع الغفلة والظلمة ، وطرد الشيطان عن قلبه ، فكيف بمن يستحضره ؟ ! ويُدلّك على أنّ سبب ادِّعاء الرابطة من بعض الناقصين حصول الأحوال في الابتداء ما ذكره الغوث الصمداني مجدد الألف الثاني ـ قدس سره ـ في بعض مكتوباته بقوله : ولمّا كان في هذه الطريقة العلية اندراج النهاية في البداية ظهر للمبتدئين في هذه الطريقة أحوالٌ تشبه أحوال المنتهين ؛ بحيث لا يفرّق بين هذين النّوعَيْن من الأحوال إلاّ عارفٌ حديد البصر من الرجال ، فعلى هذا التقدير لا ينبغي أنْ يجازَ صاحب تلك الأحوال ، فإنّ في هذه الصورة ضرر صاحب تلك الأحْوال أكثر من ضرر من يصير مريداً له ، إذ يحتمل أن يمنعه **تخيُّل الكمال عن الترقيات ، بل يمكن أن يوقِعه حصول الجاه والرياسة الّتي هي من لوازم مقام الإرشاد في البلاء ، فإنّ امارته بعد باقية على كفرها** ، ولم تجد التزكية سبيلاً إليها ، ولا للقلب سياسة عليها . انتهى الخاني في « البهجة السنية »

الباب السادس والعشرون

في بيان أن الجاهل لا يجوز أن يكون داعياً إلى الله تعالى ، وبيان بعض أوصاف الشيخ المرشد

سمعت شيخنا يحكي عن شيخه العالم الرباني الحاج جبرائيل أفندي قدس سرهما أنه قال : إن الخلافة أمرٌ عظيم لا يجوز أن توضع إلا فيمن اجتمع فيه العقل والعلم معاً ، ولا يجتمعان في شخص واحد إلا نادراً . انتهى .

وسمعته ﵁ يقول في حق واحد من المأذونين : ليس في ديارنا أحد أحسن أحوالاً منه إلا أنه جاهل ، والجهل لا يترك شخصاً إلا نقص منه شيئاً . انتهى .

وسمعته ﵁ يعيب على شيخ أَذِنَ لجاهلٍ ولو كان مشى على المقامات . وما قاله ﵁ يوافق بما في كتب أهل التّحقيق .

قال الغزالي في « النصائح الولدية » : **وشرط الشيخ الذي يصلح أن يكون نائباً للرسول ﷺ ، أن يكون عالماً** . انتهى من عبارته . أي : بعلوم الشرائع والأخلاق ، وبصيراً بعيوب النفس . انتهى « خادمي » من عبارته . **لا أنّ كلّ عالم يصلح له** . انتهى . أي : أن يتخذ شيخاً يقتدى به ومرشداً . انتهى « خادمي » عبارته .

وفي « ترصيع الجواهر » : وأما الصفات يعني : صفات الشيخ المرشد فهي أن يكون عالماً بالشريعة على قدر ما يحتاجه المريد من الفقه وعقائد التوحيد ، بحيث يزيل الشبه التي تعرض للمريد في البداية وإن لم يكن متبحراً . ويكون عالماً كمالات القلوب وآفات النفوس وأمراضها وأدويتها وكيفيّة حفظ صحتها واعتدالها ، وأن يكون على

اعتقاد أهل السنة والجماعة ، وأن يكون عاقلاً بالعقل الديني والمعاشي ، وشجاعاً وعفيف النفس ، بل قال بعضهم أنه يجب على الشيخ أن يتعفّف عن مال المريد إلا من علم أنه يفرح ويستبشر بقبول ماله ، وأن يكون عالي الهمّة مشفقاً على المريد ، وحليماً وعفوّاً وحسن الخلق وصاحب إيثار ، وكريماً ومتوكلاً ومسلماً وساكناً في الحركات ، وثابت القدم في الإرادات ، وصاحب هيبة . فالموصوف بهذه الصفات متخلّق بأخلاق الله تعالى ، فيوصل المريد إلى الحق بإذنه في مدة قصيرة بشرط أن يكون المريد قابلاً . انتهى عبارته .

الشيوخ نواب الله تعالى في العالم

وفيه قبيل هذا : والحاصل أنّ الشيوخ نوّاب الله تعالى في العالم كالرسل عليهم الصلاة والسلام ، فلهم حفظ الشريعة وحفظ القلوب ، ومراعاة الآداب ، وَحَظ الشيخوخة من العلم بالله تعالى أن يعرف من الناس موارد حركاتهم ومصادرها ، والعلم بالخواطر مذمومها ومحمودها ، وموضع اللبس الداخل فيها من ظهور الخاطر المذموم في صورة المحمود ، ويَعْرف ما لهم ، وما يَحْوُون عليه من الخير الذي يُرْضيه تعالى ، ومن الشر الذي يسخطه ، ويعرف العلل والأدوية ، ويعرف الأزمنة والسنين والأمكنة والأغذية ، وما يصلح المزاج وما يزعجه ويفسده ، ويعرف الفرق بين الكشف الحقيقي والكشف الخياليّ ، ويعلم التجلّي الإلهيّ والتخيُّل الشيطاني ، ويعرف التربية كما ذاق ، ويعرف انتقال المريد من الطفوليّة إلى الشباب إلى الكُهُولة ، ويعلم متى يترك التحكم في طبيعة المريد ويحكم في عقله ، ومتى تصدق خواطر المريد ، ويعلم ما للنفس من الأحكام ، وما للشيطان من الأحكام والأوهام ، وما تحت قدرة الشيطان ، ويعرف الحجب التى تعصم الإنسان من إلقاء الشيطان في قلبه ، ويعلم ما تكنه نفس المريد مما لا يشعر به المريد ، ويفرّق للمريد إذا فتح عليه في

باطنه بين الفتح الرحماني والفتح الشيطاني ، ويعلم بالتوسم أهل الطريق الذين يصلحون والذين لا يصلحون ، ويعلم التحلية التي تحلَّى بها نفوس المريدين الذين هم عرائس الحق وهم له كالماشطة تزيّنها ، فهم أدباء الله ، عالمون بآداب الحضرة وما تستحقه من الحرمة .

وبالجملة فالشيخ الكامل هو الجامع ما يحتاج إليه المريد السالك في حال تربيته وسلوكه وكشفه إلى أنْ يتأهّل للمشيخة ، ومهما نقص شيئاً مما يحتاج اليه المريد فلا يحلُّ له أن يقعد على منصبة الشيخوخة ، وإذا تصدَّى للتسليك والحالة هذه **كان ضالاً مضلاً كالطبيب الجاهل يمرِّض الصحيح ويقتل المريض ويفسد أكثر مما يصلح** .انتهى من عبارته ١٢ . نعم السالك الناقص الذي أذن له شيخه الكامل المتصف بما ذكر لعله يجوز له ذلك ، لأنّ يدَه يدُ الكامل وتربيته وتصرفه تربية الكامل وتصرفه كما مرّ في الباب الثالث والله أعلم .

قال في « قلائد الجواهر » في ١٢ : ومما ينسب إليه ـ يعني عبد القادر الجيلاني ﵁ هذه الأبيات :

إذا لم يكـن للشيخ خـمـس فوائد	وإلا فـقـد جـال يقود إلى الجهل
عليمٌ بأحكـــام الشريـعـة ظـاهـراً	ويبحث عن علم الحقيقة عن أصل
ويظـهـر لـلوُرَّاد بـالبشر والقِـرى	ويـخضـع للمسكين بالقول والفعل
فذاك هـو الشـيـخ الـمـعظم قدره	عليم بـأحـكـام الـحرام من الحلّ
يُهذِّب طـــلاب الطـريـق ونفسـه	مـهَّـذبة مـن قبل ذو كـرم كـلـي

وقال ﵁ : وصفة المقتدى به للسلوك أن يكون عارفاً بالعلوم الشرعية والطِبيَّة ، ومصطلح السادة الصّوفية ، ولا يستغني عن ذلك . انتهى من عبارته .

وفي « شرح تائية السلوك » للعلامة الوحيد عبد المجيد الشرنوبي الأزهري قدس سره : وكان سيد هذه الطائفة الإمام الجنيد يقول : لا يستحق الرجل أن يكون شيخاً حتى يأخذ حظّاً من كل علم شرعيّ ، ويتورَّع عن جميع المحارم ، وأن يزهد في الدنيا ، وأن لا يشرع في مُدَاوَاة غيره إلاّ بعد فراغه من مداواة نفسه ، ثم قال : وإياك ومتابعة من لم يكن على هذه الأوصاف ! فإنه من جنود الشيطان ، واعْتَبِرْ أقواله وأفعاله وأحواله ، وزِنْها بميزان الشريعة والطريقة ، فإن رأيت شيئاً مخالفاً لهما فردَّه ، فإن كان صاحب حال صحيح وردّدْته ! فما عليك من ردِّه بحكم الشرع ، ولا تتخذْه شيخاً ومرشداً . انتهى من عبارته ٢٠ .

وقال صاحب « الرائية » :

وللشيخ آيات إذا لم تكن له ... فما هو إلاّ في ليالي الهوى يَسْرِي
إذا لم يكنْ علم لدَيْه بظاهر ... ولا باطن فاضرب به لجج البحر
وإن كان إلاّ أنه غيرُ جامع ... لوصفيهما جمعاً على أكمل الأمر
فأقربُ أحوال العليل إلى الردى ... إذا لم يكن منه الطبيبُ على خبر

انتهى .

وفي « تنبيه المغترين » للشعراني قدس سره : إن الجاهل لا يجوز الاقتداء به لا في طريق الظاهر ! ولا في طريق الباطن راجعه وفي « المنن » في ٢٥ ج ١ .

وسمعت سيدي عليّاً الخواص ـ رحمه الله تعالى ـ يقول : قد أجمع أشياخ الطريق على أنّه لا يجوز لأحدٍ التصدُّر لتربية المريدين إلا بعد تبحُّره في الشريعة وآلاتها . انتهى راجعه .

وفيه أيضاً في موضع آخر في ٦٨ : فمن أراد من الفقهاء أن يصحب أحداً من هؤلاء القوم فليعاشره وينظر ، فإن رأى أفعاله وأقوالَه[1] على الكتاب والسنة ! وعقيدة صحيحة ! فليصحبه ، وإلاّ ! فليتركه بعد أن ينصحه . انتهى .

وفيه أيضاً قبيل هذا ما معناه : إنما كرامة الولي الاستقامة على الشريعة لا غير ، فهذه هي أعظم الكرامات . **ولقد** رأيت في عصرنا هذا شيخاً أُمِّيّاً يتكلَّم في الكشوفات والكرامات ، ويخبر ما ظهر له من خوارق العادات ، **وأظن ـ والله أعلم ـ أنّ سبب شيخوخة أكثر المتصدِّرين للإرشاد في ديارنا من طرف الكشف والكرامة ، فإذا ظهر لهم منها شيء ظنُّوا أنهم صاروا من الخواص** ؛ مع أنهم لم يضعوا قدماً واحداً في أوّل مقام من مقامات الإرادة ، فضلاً في مقام المشيخة .

ورأيت في هامش « ترصيع الجواهر » من منهوّاته هذه العبارة : وقد قسم الكشف في « الذهب الإبريز » إلى قسمين : نورانيّ وظلمانيّ ، وفرّق بينهما :

بأنّ **النوراني** هو الاطلاع على الأشياء الباقية كالجنة واللوح المحفوظ .

وأما **الظلمانيّ** فهو الاطّلاع على الأشياء الفانية ، كأن يطَّلع على ما في دور الناس من طعام وغيره ، وهذا النوع قد يحصل بالرياضة ، وهو غير مُعتَدٍّ به ، والسالكون يستجيرون منه . انتهى ، وقد مر الكلام في « الكشوفات » مبسوطاً في الباب الثاني والعشرون . فينبغي للعاقل أن لا يغترَّ بها ، والله وليّ التوفيق .

وسمعت شيخنا الحاج عبد الرحمن العسوي ـ قدس سره ـ يحكي عن شيخه الحاج جبرائيل أفندي روح الله روحه أنّه قال : إنّ مهماتي

---

(١) هكذا في النسخة التي بيدنا ، ولعلّ : موافقة على الكتاب .

وتصرُّفي استطاعتي على منع ظهور الكشف للمريد ، وعلى سلب الوجد والجذبة ممّن يظهر عليه . انتهى .

يعني : أنّ أكثرهما من الشيطان ، وأغلبهما من الحظوظات . فافهم .

البَابُ السّابعُ والعِشْرُونَ

في مسائل مُتفرّقة متعلّقة بأَحْوالِ المتشيّخةِجرّهم الله تعالى وإياي إلى طريق الحق ، وسامحهم الله بحرمة السادات

وقد قصدت الآن أن أقصّر جُهْدَ المقلّ في ردّ شطحات المنكر المضل على هذا الباب تبركاً بالعدد الوتري ؛ لما أنّ الله وترٌ يحب الوتر .

قال الشعراني في « المنن » في الجزء الأول في ٦٨ : ومراد جميع أشياخ الطريق بتسليكهم النّاس ! أن يوصلوا المريد إلى مقام العمل بالإخلاص الذي كان عليه السلف الصالح ، أو بَعْضه لا غَيْرُ ، فإن اشتغل أحدهم بعد ذلك بالعلم أو صلّى أو صام أو حج أو تورّع أو زهد كان محفوظاً من الرّعونات التي تجرح مقام الإخلاص ، أو تحبط العمل . انتهى عبارته .

ولا يخفى أنّ تكميل الغير فرْع كمال الإنسان نفسه ، وهو درجة الولاية الخاصّة ، فمتى طلب الشيخ من دَعْوَته وتلقينه وإرشاده عوَضاً أو غرضاً أو حَظاً من حُظُوظات النفس ! فلا شك أنّ المريد يتبعه بالضرورة ، ولا يخلص في العبادة ، لأنّ للصّحبة تأثيراً عظيماً : وقد يسرق الطبع بالطبع : والمرء على دين خليله ، وقد صار اتباع المريد بمن لا يخلص في إرشاد الناس إلى الحق سبباً لهلاكه ، لإنّه قد يحصل التأثير في الأشياء بما عليه مُباشرها عند المباشرة ، شرّاً كان أو خيْراً ، بل ينتقل ذلك التأثير إلى الجمادات والمطعُومات ، ويسري منها ذلك التأثير إلى مَنْ يتعاطى

بها ، ولقد أردت أن نبيّن ذلك بأبلغ بسط بإيراد المنافع النفيسة التي أكثر الخلق عنها غافلون .

قال عبد المجيد الخاني في « الحدائق الوردية » في ١٦١ في ترجمة عبيد الله أحرار قدس سره في قوله تعالى ﴿ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ : هذه المعية ؛

إما حسية ؛ وهي مصاحبتهم ومجالستهم فمن داوم على ذلك نوّر الله قلبه بأنوار باطنهم ، وأنعم عليه بالتحقيق بأخلاقهم .

وإما معنوية : أن يكون متوجهاً لروحانيتهم رابطاً قلبه بهم ، بحيث يكون مستحضراً لهم غيبة وحضوراً ، فإنه إذا أحكم هذا الارتباط القلبيّ انعكس عليه جميع أسرارهم أو المراد من هذا الأمر الواجب الامتثال أن الطالب ينبغي أن يرابط قلبه بالصادق ؛ وهو من تنزّه عن الغير والسوى : يقال رمح صدوق أي : لا انحراف فيه ولا اعوجاج ، أي : فلا ينبغي أن يلتفت إلى شيء آخر حتى التجليات الأسمائية والصفاتية ، أو المراد كن عاشقاً واصحب ، لا غير ، فإن كان استاذك نحويّاً فلا بدّ أن تصير نحويًّا ، أو محويّاً فمحويّاً ، جليس إمام النحو - في النحو يرتع ، وصاحب قيس المحو - يبرع في المحو ، لأنّ الله تعالى قد أعطى الإنسان صفة التأثير والتأثر بالصحبة ، ولهذا أمر بها فلا عمل أنفع ولا أجذب للأحوال منها بدليل : جذبة من جذبات الحق توارى عمل الثقلين . انتهى من عبارته .

وذكر محمد خاني في « البهجة » في ٥٢ والشيخ عبد المجيد الخاني في « الحدائق الوردية » في ١١٣ : **أنّ النظر إلى وجوه أصحاب الأخلاق الذميمة والأفكار الفاسدة ينطبع في القلوب الصافية بما في قلوبهم بمجرد ذلك النظر** راجعهما .

قال عبد المجيد : وقال الغزالي في « جواهر القرآن » : واعلم أن المقصود من طهارة الثوب وهو القشر الخارج - ثم من طهارة البدن وهو

القشر القريب - طهارة القلب ، وهو اللب الباطن . وطهارة القلب عن نجسات الأخلاق أهم الطهارات كما سنذكره في القسم الثالث ، ولكن لا يبعد أن يكون لطهارة الظاهر أيضاً تأثير في إشراق نورٍ مّا على القلب ، فإنك إذا أسبغت الوضوء واستشعرت في نظافة ظاهرك صادفت في قلبك انشراحاً وصفاء كنت لا تصادفه قبله ، وذلك لسر العلاقة التي بين عالم الشهادة وعالم الملكوت ، فإن ظاهر البدن من عالم الشهادة والقلب من عالم الملكوت بأصل فطرته وأما هبوطه إلى عالم الشهادة كمثل الغريب عن خلته ، وكما ينحدر من معارف القلب آثار إلى الجوارح ، فكذلك قد يرتفع من أحوال الجوارح التي من عالم الشهادة ، وكذلك جعلها رسول الله ﷺ في الدنيا ومن الدنيا وقال « حبّب إليّ من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة » ولا تستبعد أن يفيض من طهارة الظاهر أثر على الباطن ففي بدائع صنع الله أمورٌ أعجب من هذا ، **إذ قد عرف بالتجربة أن الجَامِعَ في حال مباشرته لو أدمن النظر إلى بياض مشرق أو حمرة فانية**[1] **حتى غلبت تلك الصورة على نفسه مال لون المولود إلى ذلك اللون الذي غلب عليه** ، وأنّ الجنين وقت ما يتحرك في البطن تميل صورته إلى الحسن إن كان الأم مشاهدة في تلك الحالة لصورة حسنة بحيث غلبت تلك الصورة على نفسها ، ولذلك أمر رسول الله ﷺ المباشر عند مباشرته أن يحضر في قلبه إرادة صلاح المولود ويدعوا الله بذلك فيقول : اللهمّ جنّبنا الشيطان وجنّب الشيطان ما رزقتنا ، حتى يفيض الله مبادي الصلاح على الروح التي يخلقها عند القاء البذر في محل الحرث بواسطة الصلاح الغالب على قلب الحارث كما يفيض الله نور المرآة المحاذية للشمس على بعض الأجسام المحاذية للمرآة . انتهى من عبارته .

وفي « **الشرعة** » : ويمثل بين عينيه صورة رجل على أحسن خلقة وأقوم جثة ثم يطأ . انتهى أي : لأنّ الولد يصير على صورة ما عليه المجامع والله أعلم . وهكذا في شرح « شرعة الإسلام » .

---

(١) أي : صافية .

وقال الشعراني في « المنن » : ومما أنعم الله تعالى به عليّ كثرة شفقتي على ذريتي من قبل أن تحمل بهم أمهم ، **وذلك إني لا أجامع أمهم قط وأنا غافل عن الله تعالى وتبارك ، كما مر في نعمة قبله ، ولا أجامعها وأنا غضبان** ، ولا أنا مقبل على الدنيا ، ولا أنا مخاصم أحداً لحظ نفس ، ولا أنا حسود أو متكبّر على أحد من المسلمين ، وذلك كله عملاً بقول بعض [أهل] الكشف : إن الولد يكوّنه الله تعالى بقدرته على صورة الحال التي كان عليها والده حال الجماع : من باب ربط الأسباب بالمسببات . وهذا وإن لم يصح فيه شيء من الشارع ﷺ **فالتحرز منه أولى عملاً بكلام أهل الكشف** ، والله غالب أمره ، فلا أثر للطبيعة في تخليق الولد فافهم . فعلى ما قاله أهل الكشف ينبغي لمن كان متلطخاً بشيء من الصفات المذمومة شرعاً أن لا يجامع زوجته أيام توقع الحمل إلا بعد أن يتوب من كلّ ذنب توبة خالصة ، ثم يجامع .

وكان الشيخ أحمد بن عاشر المغربي شيخ تربة السلطان قايتباي رحمه الله تعالى لا يجامع زوجته من حين تحمل حتى تضع حملها وتعظمه خوفاً من الولد من القيلة الواردة في الحديث ، وإن قيل بنسخ ذلك ، وكان إذا مدحوه على ذلك يقول : وهل ذلك إلا خلق البهائم ، فإن البهيمة بمجرد ما تحمل لا تمكن الفحل يعلوها أبداً . انتهى .

وكان سيدي عليّاً الخواص رحمه الله تعالى يقول : ليتأمل الشخص في صفات أولاده ، فإن وجد صفاتهم حسنة فهي أخلاقه أو سيئة فهي أخلاقه ، من حيث النطفة نزلت من ظهْرِه بتلك الصفات ، فلا يلومنّ إلا نفسه . انتهى من عبارته .

وفي « شرح الفصوص » : والصور التي تشهدها المرأة أو تخيلها حال المواقعة لها تأثير عظيم في صورة الولد . قيل : إن امرأة ولدت ولداً صورته صورة البشر وجسمه جسم الحيّة ، ولما سئلت عنها أخبرت بأنها حين المواقعة رأت حيّة . انتهى عبارته .

وفي « الباقيات الصالحات » : وقال قدس سره في بيان كون الصحبة مع الأجانب والأغيار موجبة لفتور النسبة : وقع يوماً فتور على وقت الشيخ أبي يزيد البسطامي قدس سره فقال لأصحابه : قد دخل في مجلسنا هذا أجنبي قد طار عليّ فتور بسببه ، فالتمسوه ، فقال الأصحاب بعد تفتيش بليغ : ليس في المجلس أجنبي فقال : التمسوه من بيت العصا ، فالتمسوه منهُ فوجدوا عصاً أجنبية فرموها بعيداً ، فإن الشيخ واجداً[1] لوقته في الحال ، وتبدلت تفرقة بجمعية وانشراح البال . انتهى .

وفيه أيضاً : وقع الفتور على واحد لأجل نعل أجنبية في صف النعال ، فرموها خارج البيت فحصلت الجمعية وهكذا في « ترصيع الجواهر » راجعه .

وفي « الباقيات الصالحات » أيضاً :وقال قدس سره : إن تأثير الجمادات من أعمال الناس وأخلاقهم أمر مقرّر عند أرباب التحقيق . انتهى عبارته .

وفي « النفائس السانحات » أن السيد نور محمد البداوي قدس سره كان لا يأكل طعام الأغنياء أصلاً لعدم خلو أكثره من ظلمة الشبهة .

جاء طعام من بيت واحدٍ من أهل الدنيا فقال : تظهر منه ظلمة ثم قال لمولانا مرزاجان جان قدس سره على وجه الالتفات : أمعن النظر في هذا الطعام ، فتوجه إليه امتثالاً لأمره ، ثم قال : إن الطعام من وجه الحلّ ، ولكن تطرقت إليه الظلمة والعفونة بسبب الرياء فيه .

وإذا استعار كتاباً من أبناء الدنيا كان لا يطالعه إلى ثلاثة أيام قائلاً : بأن ظلمة صحبة الأغنياء غشيت غلافه وجلده ، فإذا زالت ببركة صحبته كان يطالعه حينئذ . انتهى من عبارته .

---

(١) هكذا في نسخة التي بيدنا ، ولعله : وجد .

وفي « الرشحات » : إن الاحتياط في اللقمة من اللوازم ، حتى ينبغي كون من يطبخ الطعام على طهارة كاملة ، وأن يوقد النار بالحضور والشعور .

وكان حضرة الخواجه بهاء الدين قدس سره لا يأكل من طعام صدر عند طبخه غضب أو كلام فاحش ، وكان يقول : إن لهذا الطعام ظلمة لا يجوز لنا أكله .

وخرج حضرة شيخنا مرة وقت السحر للتوضؤ في قرية « تل كلاغلان » وهي قرية واقعة على فرسخين من سمرقند ، وكان في غاية البرد من فصل الشتاء ، وقد وقع ثلج عظيم ، ومرّ بباب المطبخ ورأى فيه غلامين قد ملأ القدور الكبار بالماء ، وسخناها لطهارة الأصحاب ، ويتكلمان في ذلك الأثناء بالهزل ، فوقف ودعاهما وغضب عليهما وطلب العصا ليضربهما وعاتبهما كثيراً ، وقال : ألم تعرفا أنه ينبغي أن يحضر القلب وقت تسخين الماء وطبخ الطعام ، وأن يحفظ اللسان عما لا يعني من فضول الكلام حتى يظهر نور الحضور في قلب من توضأ بهذا الماء أو أكل من ذلك الطعام ، **فإن الماء المسخن بالغفلة ، والطعام المطبوخ بالفترة تحصل منهما ظلمة في الباطن وغفلة** ، فشفع لهم مولانا لطف الله الذي من مقرّب الأصحاب ومقبول الأحباب فعفى عنهما ، ومضى لسبيله . انتهى من عبارته .

وفي « الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية » للفاني في الله الشيخ عبد المجيد بن محمد الخاني الخالدي النقشبندي عفى الله عنه في ترجمة رئيس الطريقة بهاء الدين محمد نقشبند قدس سره : وكان يصنع الطعام للفقراء بيده المباركة ، ويخدم مائدتهم بنفسه الشريفة ، وإذا اجتمعوا للطعام يوصيهم بالمحافظة على الحضور ، ويؤكّد عليهم في ذلك أشدّ التأكيد ، وكلّما أراد أحدهم أن يتناول لقمة مع الغفلة

ينبّهه من طريق الكشف عليها ، ويمنعه من أكلها ويقول :صدور الأعمال الصالحة إنما هو من الطعام الحلال إذا أكل مع الحضور ، ولا يحصل العبد الحضور في جميع الأوقات لاسيّما أوقات الصلاة إلا بهذا . وكان إذا قدم إليه طعام في حال غضب أو كراهية أو حصل فيه أدنى مشقة ، بل لو كان وضع فيه أحد مِلْعقة على هذا الحالة لا يمدّ يده إليه ولا يدع أحداً ممن معه أن يتناول منه شيئاً .

وروي أنه ذهب مرة إلى « غزيوت » فقدم إليه أحد مريده طعاماً فقال له : كان صانعه منذ عجن عجينته إلى أن تمّ طبخه في حال غضب فلا يليق بنا أن نأكل منه ، فإن كلّ ما جعل في مثل هذه الأحوال لا خير فيه ولا بركة ، بل يجد الشيطان فيه سبيلاً فكيف ينتج . انتهى من عبارته في ٣٥ .

وفي « الرسالة الخالدية » وكذا في « المتممات » : **لقمة الحضور تورث الحضور ، ولقمة الغفلة تورث الغفلة** .انتهى .

ولقد كان شيخنا ذوالجناحين الحاج عبد الرحمن العسليّ يهدّدنا من أكل الطعام المفعول بيد الحائضة, وكنا لا نأكل ذلك الطعام ، ولانترك أحداً من أضيافنا أن يأكل منه ، بل نسعى أن نفعله بيدنا ، فالحمد لله رب العالمين .

ضرر طعام الحائضة والغافلة

وقد كنت مرّة في حجرة عند مسجد في قرية « عَسَبْ » وكان بي من الأحوال ما يعجبني حتى كنت وقتئذ بحيث لا أفهم من أصوات الناس وقت محاورتهم ومكالمتهم إلا ذكر بلفظة الجلالة وكنت أجد جميع لطائفي تتحرك بحركات عجيبة بالذكر بحيث لا أطيق أن أسكنها ولو في الخلاء ومحلّ النجاسة . ففي ليلة سلب عنّي تلك الأحوال ، ولم أشعر سببه ،

فطرأ عليّ من الندامة ما لا يوصف ، ثم عرَّفْتُ ما وقع لي الشيخَ المذكور قدس سره ، فقال : لعلك أكلتَ طعاماً صنعَ بيد الحائضة ، وتوجه إليّ وقال : قد حصل لك قبض عظيم . انتهى . وهذا بشؤم مباشرة شيء مسّ به يد تاركة الصلاة .

ورأيت في « تسهيل المنافع » : أن المرأة الطامة يعني : الحائضة تدنو من إناء اللبن تَسُوطه فيفسد ، وما ذلك إلا لشيء فصل عنها فوصل إلى اللبن ، وقد تدخل البستان فتضر كثيراً من الفرس من غير أن تمسه . انتهى ١٧٤ .

وقد نهانا الشارع ﷺ عن الأكل من طعام المتكلّفين والمتباهين ، والمتفاخرين . كذا في « المنن » . ولعلّ سرّ النهي أنّ النبيّ ﷺ قال « طعام البخيل داء » لأنّ البخيل يعطيه وفي قلبه ثقل فيورث للآكل منه ثقلاً ، وهكذا المتكلّف يصنع الطعام وفيه ثقل فاتحد العلتان . فافهمه . ومن أكل من طعام المتفاخرين يحصل منه التفاخر والتباهي بلا شكّ . وكذا تهدّدوا من أكل طعام من يأكله بدينه أي : لئلا يصل للآكل أثر شؤم أكل الدنيا بالدين ، وهو أقبح من أكلها بالدنيا ، فليتدبر العاقل المنصف الغير المتعصب المتعسف كيف يكون حال من يأكلون الدنيا بدينهم من متشيخة هذا الزمان ، ويجعلون دعوتهم وإرشادهم شبكة لاصطياد الدنيا من أبنائها .

ولقد قال الفضيل رضي الله عنه : لأنْ آكل الدنيا بالطبل والمزمار أحبّ إليّ من أن آكلها بديني . انتهى .

مهم فيمن أكل الدنيا بالدين

ولقد لقيت واحداً منهم ، فكان الناس يَدُورُونَ حَوْله دوران الرحى ، ويُقَبِّلُونَ يده ويصافحونه ويُعْطُونه دراهم مَعْدُودَة ، حتّى قال لي من كان

معه وقتئذ : لعلّه وصل في كيسه عشرة تَوَامِينَ ، وهو سامحه الله تعالى وَجَدْتُهُ جاهلاً بالطريق جَهْلاً مُرَكّباً ، ولو علم الناسُ ما علمتُ منه لَمَا أَعْطَوْهُ ولو فلساً واحداً ، وقد أوصيته بالدعاء فقال لي : إن المبالات بالدعاء لا تقع من القلب إلا في دائرته ، وقال لي : اذكر (لا إله إلا الله) عشر مرات و(صلّ على النبيّ عليه السلام) كذا ، فقلت في سرّي : أقولها لا لقولك ، كما قال كذلك عيسى عليه السلام للشيطان ، وفارَقْتُ مِنْهُ بالوداع وداع مَنْ لا يرجع إليه ثانياً . ولا يخلو حال أمثاله من أمْرَيْن : إما أن يكونوا صالحين في نفس الأمر ، أو غير صالحين ،

فإن كانوا صالحين ومُرْشدين كاملين ! فقد أكلُوا بدينهم ، وإن كانوا غير صالحين فقد أكلوا حراماً بالشرع ، لأنّ الناس لو اطلعوا إلى أنّهم ليسوا من أهل التربية والإرشاد لم يعتقدوهم أبداً ، ولم يعطوهم شيئاً ، بل ربّما يبصقونهم على وجوههم ولم يجالسوهم .

وفي « تنبيه المغترين » للشعراني : وكان وهب بن منبه يقول : من طلب الدنيا بعمل الآخرة نكس الله قلبه ، وكتب اسمه في ديوان أهل النار . انتهى من عبارته .

وفيه أيضاً : وقد قيل لابن مبارك رحمه الله تعالى : مَنِ الناسُ عندَك ؟ فقال : العلماء العاملون المخلصون . قيل : له فمن الملُوكَ ؟ قال : الزهاد في الدنيا . قيل له : فمن السفلة ؟ قال : الذين يأكلون الدنيا بعلمهم وعملهم ودينهم . انتهى من عبارته .

وفيه : وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول : إذا طلب العالم الدنيا ذهب بهاؤه .

وكان الحسن البصري يقول : عقوبة العلماء تكون بموت قلوبهم ، وموت قلوبهم يكون بطلبهم الدنيا بعمل الآخرة ، فيتقربون بذلك من أبناء الدنيا . انتهى .

وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول : قرأت في بعض الكتب المنزّلة أنّ أَهْوَن ما أنا صانع بالعالِم إذا طلب الدنيا بعلمه أن أحرمه لذيذ مُناجاتي .

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ يَقول : إذا رأيتم العالم يحبّ الدنيا فاتَّهِمُوه في دينه ، فإنّ كل محبٍّ يخوض فيما أحبّ . انتهى من عبارته .

وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول : لولا نقصٌ دخل على أهل القرآن والحديث لكانوا خيار الناس ، ولكنهم اتّخذُوا علمهم حرْفة ومَعَاشاً ، ولذلك هانوا في ملكوت السموات والأرض . انتهى « تنبيه المغترين » عبارته .

وقال الشعراني : ولو جُعْتُ وعرَيْت لا آكل ولا ألبس بالدين . انتهى راجع « المنن » ، قال الله تعالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

قال الإمام البركوي رحه الله تعالى في تفسير قوله تعالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي : بعمل الآخرة . انتهى .

مهم
فيمن تسميته باسم الشيطانية أليق من تسميته باسم المشيخة

ولا شك أن من طلبَ الدنيا بدينه ، وجرَّ الناسَ إلى جانبه بغُرورِ حِيَلِهِ محضاً لجلب الدراهم والدنانير لا طلباً لرضاء خالقه وامتثالِ أمْره ، فَتسْمِيَتُهُ باسم الشيطنة أَلْيَقُ من تسميته باسم المشيخة ، ويَدْخل كلّ مَنْ لم يَعْترضه في وعيد المداهنة ، ولا يجوز لأحد أن يُصاحبَه بالمُداراة ، إلاّ إن كان قصْدُه بالمُصاحبة ، أن يجرَّه تدريجاً إلى الحق بالمسارقة ،

ويخرجَه عمّا هو فيه بالمناصحة ، عافاهم الله تعالى وإيانا عمّا لا يليق بشأن الربوبية ، فبالنظر إلى ما مرّ من هذه النقولات تيقّن تأثُّر الجمادات بأحْوالِ مَنْ يَصْحَبُها بالمباشرة .

ولا يخفى أنّ التابعين لهؤلاء المتشيّخة ، مع اتحاد جنسيّتهم يُوقعُونهم في المهلكة ، مع أنّهم ظانون أنّهم على حالة مَرْضِيّة ، لأنّهم بصُحْبتهم يسارقون أحوالهم السيّئة ، ويتعدَّى منهم إليهم ما في بَواطنهم من حُبّ هذه الفانية ، ويتصرّف فيهم الشيطان كما يتصرف الصبْيَان في الكرّة ، مع أنه ليس معهم نُورٌ إلهيٌّ بلا مِرْيَة ، لأنّ تلقينهم لهم صار خالياً عن نور النسبة والمَعْرِفة ، فلذا تسبّب الشَيْطَانُ في إهلاكهم بقوّته الغضبيّة ، وقد هداهم إلى رؤية أنفسهم الأمَّارة قائلاً : إنّكم على شيء عظيم من العُبُوديّة ، وغَيْرُكُمْ أدْنى مَقاماً منكم ، وأنتم الأعلون بالخصوصيّة ، كلاّ وكلاّ ! بل أرْداهُمْ في مهلكة العُجْب والأنانيّة ، بحيث لا رجاء للخلاص منها ولو بشيء من الحيلة ، ولعلّهم صاروا بكثرة صَلاتهم وعباداتهم وأذكارهم المأخوذة من شيوخهم في زُعْمهم مُعْجبينَ[1] مدلين وقد جَهلُوا ما ورد في الخبر : « إنّ صَلاة المدل لا ترفع فوق رَأْسه ولأنْ تضحك وأنت مُعْترفٌ بذنبك خيرٌ من أن تبكي وأنت مدلٌّ » ولقد كانوا قبل الأخذ منهم خائفين من الله منكسري القلوب ، ظانّين أنهم من المستحقين لعذاب الله ، نادمين على ما فعَلوه من مخالفة أمْرِ الله ، ولا يخفى[2] أنّ هذا خيْرٌ لعباد الله ، من أن يَعْبُدُوه عبادة الثقلين مُعْتَقدين أنهم بمكان عند الله ،

(١) والعجب : هو استعظام النعمة ، والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم ، فإن انضاف إلى ذلك إن غلب على نفسه أنّ له عند الله حقّاً وأنّه منه بمكان حتى يتوقع بعمله كرامة في الدنيا ، واستبعد أن يجري عليه مكروه استبعاداً يزيد على استبعاده ما يجري على الفساق ، يسمّى هذا إدلالاً بالعمل فكأنه يرى لنفسه على الله دالّة . كذا في « الإحياء » في ٢٨١ من ربع المهلكات ، راجعه (منه) .

(٢) أي : الكون على هذا الحال والخوف . (منه) .

كيف لا ؟ ! وقد قال التاج ابن عطاء الله في « حِكَمِه » : معصية أورثت ذلاًّ وافتقاراً خيرٌ من طاعة أورثت عزّاً واستكباراً ، ولا شكّ أنّ شيخَهُمْ في زعمهم هو السبب الظاهر لوُقوعهم في هذه الورطة ، لأنّهم استكبَرُوا به استكباراً ، وظنوا أنهم بتعلّقهم به صارُوا آمنين من عذاب الله تعالى ، وبعباداتهم المخلوطة بالشوائب المحبطة عُدُّوا من أخصّ الخواص من أهل الله ، حاشا ذلك وكلاّ ! بل شيْخُهُمْ في زعمهم أرْداهُمْ في المهالك ، وسَلَّمَهم إلى أيدي الشياطين[1] ليتصرّفوا فيهم بما أرادُو منهم ، وجرَّهم الإبليس بحبل غروره إلى ذَنْبٍ طرّده الله عن رحمته لأجله ، وحَثّهم إلى أن يقول كلّ منهم : أنا خيْرٌ منه . ولم يُبالوا سوى كثرة العبادات ، بل اعتقدوا في نفوسهم أنهم من خيْرِ عباد الله ، مع أنهم في الحقيقة عبدة الحظوظات . **وأحسن أحوالهم أن يعبدوه تعالى للخوف من النار أو للطمع في نعيم الجنان ، فلا شك أنّهم صاروا عبدة الثواب** .

وقد قال الغزاليّ في « الإحياء » : إن العامل لأجل الجنّة عامل لبطنه وفرجه . انتهى . فما أخص همّة من يعبد الله تعالى لأجل الجنّة مع أنّ الله تعالى يقول ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔا ﴾ الآية فانظر إلى نكارة قوله ﴿ شَيۡـًٔا ﴾ وكن عالي الهمّة ، لعلّ الله ينزل بك شيئاً من الرحمة الهابطة ، وسيأتي إن شاء الله تعالى أن الأصنام المعنوي كالأصنام الحسيّة على حد السواء . وقد صدق القائل في حق هؤلاء المدّعين : أنّهم قطاع طريق الله ، كيف لا وقد دلّوهم إلى أن يعبدوا لأنفسهم ويتخذوا أهْواءَهم آلهة ، وهم يحسبونَ أنهم يحسنون صُنْعاً ، والمقصود من إيجاب الله تعالى جميعَ العبادات على عباده تعالى أنْ يُقرُّوا له بالذلِّ والافتقار ، وأن يخضعوا رقابهم له مُعْترفين بالربوبيّة ، فإذا فقد هذا فأيّ فائدة من العبادة ؟ ! وأيّ ثمرة من الرياضة ؟ ! وإنّما الثمرات منها هي مَحْوُ البشريّة

---

(١) كيف لا ، وقد قالوا : ومَنْ ليس له شيخ فشيخه الشيطان ؛ فافهم ! (منه) .

باستيلاء أوصاف الربوبيّة ، وخروج النفس من الأنانيّة ؛ ولا نفع في شجرة لا تجنى منها ثمرة . والله ولي التوفيق .

وقد روي أنّ إبليس عَبَدَ الله تعالى ثمانين ألف سنة ، ثم بعد ذلك تَكَبَّر وقال : أنا خَيْرٌ منه ؛ وبذلك وقع فيما وقع ، ولقد وَجَدْنا في مريدي مُتشيّخي زماننا رَوَائح رؤية نفوسهم على من سواهم ، بل علمنا منهم أنّهم يظنّون بهم[1] خيْراً ، ويُسِيئُون بغيرهم ظنّاً . وأخبرنا بعض الثقات أنّ شيْخَهم في زَعْمهم هدَّد لهم من الاجتماع بالطائفة النقشبندية ، ولو علم هذا البعض - سامحه الله تعالى وإيانا بفضله ، وهدانا وإياه إلى سبيله - ما عليه النقشبنديّة من الحضور الدائم ! لأمَرَهُمْ بعدم افتراقهم منهم أبداً ؛ ليأخذوا من أنوار قلوبهم حَظّاً .

وهذا التهديد من علامة الجهل المركب ، بتراكم الرَّيْنِ على القلب ، ولعلّه تعصّب وتخرّب ، وكان سرَّه قد تخرَّب ، ولم يذق ما ذاقه أهل الله ، وما جرَّب ، ولو كان شيخاً ما تحجَّر وما تعصَّب ، ولا يتحجَّر على المريد إلاّ من أحبّ الجاه ولم يحسن ظنّه بمَنْ أناب .

وأخبرنا أخونا العالم الرباني المأذون الحاج حبيب الله - رزقه الله الاستقامة دائماً ووفقنا وله سرمداً - إني اجتمعت مرّة مع الاثنين من متشيخة الزمان ، في ذلك المجلس واحد من مريدي قطب الأولياء سيدي الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره - وجعلنا الله تعالى مقبولين عنده اللهم آمين - فإذا توجهت قلبي إلى قلوبهما كنت تنعكس إليّ الخطرات المتراكمات والهواجس المتزاحمات ، وإذا توجّهت قلبي بقلب ذلك المريد كنت ينعكس إليّ الحضور بحيث أكاد أفني الوجود . انتهى .

وماهية الشيخ : هو الدليل إلى الله تعالى ، فمن أراد أن يعرف الشيخ الكامل ، ويميّزه من غيره فليقابل قلبه بقلبه ، فإن انتفى عنه الخواطر

---

(١) أي : بأنفسهم .

أو نقص فهو الشيخ الكامل ، وإن زاد على قلبه خطرات فهو الناقص المنتحل ، وهذا من دلائل معرفة الشيخ . كذا ذكره الخادمي في شرحه على « النصائح الولديّة » للغزالي قدس سرهما .

وقال لي أبونا العالم الرباني أدرة العرادي – أدخله الله بُحْبُوحَةَ الجنّة المعجّلة آمين – : إنّ الناسَ يظنّون أنْ ليس في قلوبهم شيءٌ من محبطات الأعمال من الرياء وغيره ، وليس كما ظنّوا ! بل إنهم لا يَعْرِفُونها ، ولا يتفحَّصُون عنها ، وكذا لم يُدْرِكُوها ، وظنّوا أنهم خالصون منها . انتهى .

وهو كما قال – ﵁ وجزاه عنا خير الجزاء – : لأنّ أكثرهم لا يعرفون القلب ولاَ مَحَلَّهُ ، حَتّى أن أبعاضاً منهم لا يجوزونَ استعمال الذكر بالقلب ! ولا يخفى أنّ القلب مَنْبَتُ الأخلاق المَذْموماتِ ، ومنبع المهلكات الموبقات ، ومحلّ النجاسات المعنويّات ، فلا شك أنّ مَنْ لا ينظر إلى النجاسة ولا إلى محلّها لا يبصرها ، ومن لا يَعْرِفُ محلّها لا يغْسِلها ، ولا يمكنُ تطهيرُها إلاّ باستعمال الماء على مَوْضعها ، فافهمه ! .

ومن يدّعي على خلاصه من شوائب المهلكات الباطنيّة ولو كان على شيء من العبادات البدنيّة فهو في غرور ، وعن إدراك الحق في ذهول ، وكيف لا ؟ ! وقد كان سلطان العارفين وملجأ العلماء مذهب الأئمة المجتهدين عبد الوهاب الشعرانيّ يجاهد نفسه قبل اتخاذ الشيخ له ، ومن جملة مجاهدته ﵁ بغير إرشاد من الشيخ **أنه كان يجعل حبلا في سقف البيت محررا** على عنقه إذا جلس لئلا يصل إلى الأرض **لو اضطجع ، فكان يجعله في عنقه من العشاء إلى الفجر ، فكان على ذلك سنين ، ولم يكن له علاقة دنيوية** تعوقه عن المجاهدة والوصول إلى المقصود سوى كثرة وجود العلل في أعماله ، وكانت القناعة من الدنيا باليسير سداه ولحمته ، وكان يعرضون عليه ألف دينار أو أكثر ، فكان يردّها ولا يقبلها ، وكانت المباشرون والتجار يأتون بالذهب والفضة

فينشرهما في صحن جامع الغمري ، فيلتقطهما المجاورون ، وترك أكل لذيذ الطعام ، ولبس الخَشِن والمرقعات من شراميط الكيمان نحو سنتين ، ولم يباشر حرفة ، ولا وظيفة له معلوم دنيويّ من منذ بلغ ، وأكل التراب لما فقد الحلال نحو شهرين ، وكان لا يأكل طعام أمير ولا مباشر ولا تاجر يبيع على الظلمة ، ولا فقيه لا يسدّ في وظيفته ويأكل معلوماً ، ولا غيرهم من المتهوّرين في كسبهم ، ونفر من جميع الناس ونفروا عنه ، وكان يقيم في المساجد المهجورة والأبراج الخراب مدّة طويلة ، وأقام في البرج الذي فوق السور من خرابة الأحمديّ مدّة سنة ، وقال قدس سره : وما رأيت أصفى من تلك الأيّام . وكان يطوي ثلاثة أيام أو أكثر ، ثم يفطر على نحو أوقية من غير زيادة ، وضعف بشريته ، وقويت روحانيته حتّى كان يصعد بالهمّة في الهواء إلى الصاري[١] المنصوب على صحن جامع الغمري فيجلس عليه الليل والناس نائمون ، ثم إذا نزل من السلم إلى الجامع كان ينزل بجُهْدٍ وتعب لغلبة روحانيّته وطلبها الصعود إلى عالمها ، فإنّه لا يثقل الإنسان في الأرض إلا كثرة الشهوات ، وكان لا يأكل قط طعام فقير لا كسب له من المتعبّدين في الزوايا من غير كبير اشتغال خشيةً أن يكون ممّن يأكل بدينه وهو لا يشعر ، وكان لا يأكل إلا عند أوائل درجة الاضطرار ، وذلك حين لا تجد أمعاءه شيئاً تشتغل به فيلذغ[٢] بعضها بعضاً ، وكان إذا افتتح مجلس الذكر بعد العشاء لا يختمه إلا عند طلوع الفجر ، ثم كان يصلّي الفجر ويذكر إلى ضحوة النهار ، ثمّ يصلّي الضحى ويدخل الظهر فيصلي الظهر ، ثم يذكر إلى العصر ، ومنه إلى المغرب ، ومن صلاة المغرب إلى العشاء ، وهكذا فمكث على ذلك نحو سنة ، وكان كثيراً ما يصلي بربع القرآن بين المغرب والعشاء ،

---

(١) الصاري : الخشبة .

(٢) بمعنى يلدغ .

ثم يتهجّد بباقيه فيختمه قبل الفجر ، وربّما كان يصلّي بالقرآن كلّه في ركعة ، وكان نومه غلبة ، وإذا غلب عليه النوم كان كثيراً ما يضرب أفخاذه بالسوط وينزل ثيابه في الماء البارد في الشتاء حتى لا يأخذه نوم ، وبالغ في الورع حتى كان لا يأكل من فراغ الحمام لأكلها من زرع الناس ما قد لا تسمح نفوسهم ، وكان لا يمشي في ظلّ عمارة أحد من الولاة وأعوانهم . وهذه المذكورات نبذة من أنواع مجاهدته ورياضاته ، فمن أراد الزيادة فليراجع إلى « المنن الكبرى » .

ثم قال رحمه الله تعالى مع كونه على هذه العبادات : وقد كنت قبل اجتماعي بأهل الطريق أتخذ أعمالي كلّها وسائل إلى تحصيل أغراضي ، فإن حصلت تلك الأغراض ثبت على ذلك ، وإلا تحوّلت منه ، فلما اجتمعت بأهل الطريق قالوا لي : اجعل أعمالك مقاصد لتحضر فيها مع الله تعالى ، ولا تتّخذها وسائل فتموت ولا تصل إلى مقصودك ، فقرّبوا عليّ الطريق ، فلو لم يكن في الاجتماع بهم إلا هذه الخصلة لكان فيها كفاية . انتهى من « المنن » عبارته .

وهكذا كان الإمام الغزاليّ مع كونه حجّة الإسلام بعد اجتماعه مع شيخه محمد الباذغاني قدس سرهما يقول : ضيّعنا عمرنا في البطالة ؛ وترك محلّ التدريس قائلاً : هذا محلّ تلاعبنا مع الصبيان .

وقال : العلم حجاب ، يعني : لعدم وجدان فيه الإخلاص قبل الاجتماع بأشياخ الطريق ، وإلا فالعلم كله موصل إلى الله .

وقد نقل القشيريّ رحمه الله : فلو أنّ رجلاً جمع العلوم كلها ، وصحب طوائف الناس كلّهم لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ أو إمام أو مؤدّب ناصح . ومن لم يأخذ أدبه من أستاذ يريه عيوب أعماله ورعونات نفسه لا يحل الاقتداء به في تصحيح المعاملات . انتهى .

وكان الشيخ عز الدين مع أنّه لقب بسلطان العلماء يقول : ما عرفت الإسلام الكامل إلاّ بعد اجتماعي على الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه وأرضاه .

وقال الشعراني رضي الله عنه : ولم أتحقق بأن الإنسان لا بدّ له من شيخ إلا حين اجتمعت بهؤلاء المشائخ ، وكنت قبلُ أقول كما قال غيري : وهل ثمّ طريق توصل حضرة الله تبارك وتعالى غير العمل بما بأيدينا من الشريعة ، يعني : على مصطلح غير القوم حتى وجدت الأمر بخلاف ذلك . انتهى من « المنن » .

ولا تظن يا أخي أنّهم كانوا يعملون خلاف ما عملوا من علوم الشريعة ، أو أنهم ضمّوا تلك العلوم وماعملوا بها ، ولذا قالوا ما قالوا ، بل كانوا على حدّ الاستقامة وفق الشريعة المحمّديّة ، لكنهم لم يعرفوا ما في عباداتهم ورياضاتهم وعلومهم من العلل القادحة في الإخلاص ، ثمّ بعد ذلك لما اقتدوا بالشيوخ وجدوا أعمالهم مشوبة بشوائب الأغراض والحظوظ ، وعرفوا أنّ الخلاص للإنسان بالإخلاص ، ولذا قالوا ما قالوا ، فافهم .

و لقد قيل في « الإحياء » ما معناه : لو سلم له من عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله نجا ، وذا لعزة الإخلاص ولعسر تنقية الأعمال من شوائب الرياء .

وفي « الإبريز » : قال الشيخ رضي الله عنه : وأن ترتفع همّتك إلى طريق الفقر - وهو طريق التصوّف - فاطْرَحْ هَوى نفسك فيما تختاره لنفسها من وُجُوه التعبّدات وأنواع القربات دون أن يأمر بها الشيخ ، وباعد هواها في ذلك مُبَاعَدَتك للشرّ . يريدُ : أنّ فلاح المريدِ فيما يختاره له الشيخ ، لا فيما يختاره لنفسه وإن كان يختار هو لنفسه هلك .

قلت : وكم من مريد سقط من هذا الباب ؟ ! لأنّ المريد قبل الفتح عليه إذا اختارت له نفسه الإكثار من النوافل والصيام والقيام فربّما كان

ذلك لشهوة السُمْعَة والرياء ، فيصيرُ عمله لغير الله عزّ وجلّ ، فإذا رحمه الله بالشيخ المربّي ، وجمعَه به فإنّه يرى تلك العلّة فيه ، فيُريد نقله عنها ، فإنْ ساعفه المريد وسبقت له العناية من الله تعالى دَلَّهُ على ما يليق به ، وانتقل به إلى حالة مَرْضيّة عند الله تعالى ، وإن لم يساعفه المريد وقال : جئناه ليزيد ، وجَعَل ينْقصُنا ! وخسرت نيّته في شيخه المربّي ! فهذا قد استحوَذ عليه الشيطان واستحكمت فيه علّة الرياء والخسران ، نسأل الله تعالى السلامة والعافية بمنّه وكرمه . انتهى من عبارته .

وفيه أيضاً : وقد رأيت بَعْضهم جاء إلى شيخ ﷺ ، وأراد أن يتخذه وسيلة ، وكان على غاية الإكثار من العبادة ، حتى أنّه يقرأ في كل ليلة ختمة من القرآن ، ويقرأ دَلائل الخيرات في النهار عدّة مرات ، ويصوم الدهر ، ولا تلقاه إلاّ أصْفَرَ اللون كأنّه من أهل القبور ، فلم يزل الشيخ ﷺ ينقله عن درجة إلى درجة ومن حالة إلى حالة حتى رَدّه إلى مقام التوسط ، ثمّ قال له الشيخ ﷺ ذات يوم : كمْ مِنْ تَعْب أراحك منه يا فلان فقال : جزاك الله عَنّا خيْراً يا سيدي ، فإنّما كانت أعمالنا رياء ، فلغير الله كنا نعبد ، وأراحنا الله من ذلك ببركتك .

وقال لي الشيخ ﷺ يَوْماً : إنّ هذه النوافل إذا لم يفعلها الشخص فإنّها لا يحاسب عليها ، وإنْ فعَلها بنيّة أن يراه الناس ويمدحوه عليها فإنّه يعاقب عليها في الآخرة ويخلى دار أبيه عليها . قلت : لأنّ الرياء معْصية .

وسمعته ﷺ يقول : إنّ المحجوبَ لا يَخْلُو من الرياء والسمعة إلاّ إذا كان يرى في كلّ لحظة أنّ أفعاله مخلوقة له تعالى ، لا يغيب عنه ذلك في حالة الفعل ، ومَهْما غاب عنه طرفة عين وقع في الرياء والسمعة والعجب . انتهى من عبارته .

ولقد قال شيخنا ذو الجناحين العسوي قدس سره : **لا يخلو الإنسان من الرياء إلاّ إذا وصل إلى مقام يشهَدُ فيه أن لا فاعل ولا محرّك في الوُجود إلاّ الله سبحانه** . انتهى .

قلت : وذلك المشهد يَحْصُلُ للسّالك في مُراقبةٍ ، وحينئذ يضمحلّ كسب العبد لظهور خلق الخالق تعالى على كسبه ، والله أعلم بالصواب .

ولكن قال جامع القطبتين الشيخ محمّد ذاكر قدس سره في « تبصرة المرشدين » في بيان المراقبات : ثم بمراقبة الروح ، وصفائه بظهوره بالنور الأصفر في عالم المثال عند البعض ، وبالأحمر كما في « المكتوبات » وكماله وبتجلي الصفات الثبوتية ، فحينئذ لا يضيف العبد كمالاته إلى نفسه ، بل إلى الله تعالى ، فيأمن من العجب ونحوه من المهلكات . انتهى من عبارته .

فعلى العاقل أن يتدبر في نفسه ويَعْتَبِرَ هل هو مُتَّصَفٌ بذلك المشهد أم لا ؟ فإن كان متصفاً به ! فيجب عليه الشكر دائماً ، وإلاّ ! فاللاّئق له ترك الدعوى وطلبُ مَنْ يدلّه إلى كَسْب ذلك المقام الأسْنى .

ونقل المحقق محمّد علي الجوخي في « فتاواه » من كتاب « أدل الخيرات » أشياء نافعة ، ومن جملتها :

وينبغي للعاقل أن يصحّح نيّة العبادة المحضة لله تعالى حتى ينخرط في سلك المقرّبين ، لأنّهم عبدوا الله تعالى خاصّة من غير عوض ولا غرض ، نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم بجاه النبي ﷺ . انتهى .

وفيه أيضاً في أول الكتاب ما لفظه : منها ؛ أي : من فوائد الصلاة وفضائلها ، امتثال أمر الله تعالى ، وهذه الفائدة أعظم الفوائد ، وهي العبودية المحضة ، لأنّها أشرف مقامات العبد ، إلى آخر ما ذكر فيه فراجع .

وعبارة الإمام السنوسي في « شرح أم البراهين » بعد ذكره فضائل الذكر والصلاة ونحوها : وليقصد بذلك كله امتثال أمر الله تعالى وطلب رضائه . انتهى عبارته .

وكتب عليه العلامة الدسوقي ما لفظه : ولا يقصد أن يكون وليّاً ! لأنّه لا ينبغي ، بل قال بعضهم : من قصد بالذكر أن يكون وليّاً كانت عبدة الأوثان أحسن منه من هذه الحيثيّة ، لأنّ عبدة الأوثان يقصدون بعباداتهم التقرّب إلى الله تعالى وطلب رضاه ، وهذا الشخص إنّما يقصد منفعة نفسه ، لا لِامتثال أمر مَوْلاه ورضاه ! انتهى عبارته .

وفي كتاب « الجواهر والدرر » ما له بهذا المذكور شَبِيهٌ فراجعْهُ .

وقال الشعراني في « لطائف المنن » : وقد سمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول : **لا فرق بين عبّاد الأصنام وبين مَنْ يعبد الله تعالى لغرض فاسد ، فإنّ الأصنام المعنويّة كالأصنام الحسيّة على حدّ سواء ، لأن كلاًّ من العابدين اتخذ من دون الله تعالى ما لم يأذن به الله** ، وهم في ذلك على طبقات :

فمنهم من قصَدَ بعلمه وعمله وما يقع على يديه من الخيرات حصول المكانة في قلوب الناس ، ودوام الصيت وانتشار الجاه .

ومنهم مَنْ يقصد بعلمه وعمله إعلاءَ الدرجات ، وظهورَ الكرامات ، والتصْريفَ في الكون ، والمشي على الماء ، والطيرانَ في الهواء ، وكشفَ الغيُوب .

ومنهم مَنْ لم يقصد بعلمه وعمله شيئاً من أمور هذه الدار ، إنّما يَقْصد بذلك الحورَ الحسان ، ودُخولَ الجنان ، وغير ذلك من ثواب الآخرة .

ومنهم مَنْ يقصد بذلك السلامةَ من النار ، والخوفَ من الحساب والعقاب ، وما أعده الله تعالى لأهل تلك الدار من النكال والوبال .

ومنهم من يقصد بعلمه وعمله التقربَ إلى الله تعالى ، والرضاء عنه ، والمحبة له .

ومنهم مَنْ لا قصد له في علمه وعمله إلاّ علمه باستحقاقِ مَولاه العبادة والتذلّل والخضوع ، والوقوف عند أمْره ونهيه ، قد تبرّأ من الاعتماد على حوله وقوّته ، وعلمه وعمله ، وقصده وإرادته ، فأتى بأعماله على وجه الإخلاص ، وهو خائف من الله تعالى ، لا يرى أنّه قام بذرَّة واحدة من الأمور الّتي كُلِّف بها على الوَجه الذي أمِرَ به . ومن هنا يترقى السالك في مراتب إخلاص الخواص التي كلّ ذرّة منها تعدل عبادة ألف سنة من عبادة أهل تلك الأقسام السابقة . فاعلم ذلك ، واعمل به ، والحمد لله رب العالمين . انتهى ٣١٣ .

مهم

قال الشيخ مَوْلانا الجامي في « شرح الفصوص » :

واعلم أنّ عباد الله الذين ليس للشيطان عليهم سلطان هم العارفون الذين يَعْرِفُونَ مَداخِلَهُ ، الواقفون مع الأمر الإلهي لا يبعدون عنه ، والموحِّدون الذين لا يرون لغير الله وُجُوداً ، لا يعلمون الأشياء إلاّ مظاهره ومخاليه ، فتكون عبادتهم وحَركاتهم وسكناتهم كلها بالله لله ، من الله إلى الله ، قال تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ والذين يعبدون الله من حيث أُلوهِيَّتِهِ وذاته المستحق للعبادة ، لا من حيث أنّه مُنْعِمٌ أو رحيم ، فإنّ عبد المنعم لا يكون عبد المنتقم ، وعبد الرحيم لا يكون عبد القهّار ، ولا لدُخول الجنة ولا للخلاص من النار ، فإنّه حينئذ عبد حظه وأسيرُ نَفْسه ، فلا يكون عبد الله ، لذلك أضافهم الحق إلى نفسه في قوله تعالى ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ .

وفيه أقول :

وعشنا زماناً نعبد الحق للهوى ... من الجنة الأعلى وحسن ثوابه
فلمّا تجلّى نوره في قلوبنا ... عبدْنا رجاء في اللقاء وخطابه

فـمـزج أنـواع العبوديّة لـلـهَــوى   سـوى مـن يـكـن عَبْداً لعزِّ جنابه
ونعبده من غير شيء مـن الـهـوى   ولا لـلـنـوى مـن نـاره وعـقـابـه

ولا بدّ أن تعلم أنّ هؤلاء محفوظُونَ من الأعمال الشيطانيّة ، لا من الإلقاءات والخواطر كما قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾ الآية . انتهى من عبارته .

ولقد لقن بعض المأذونين الذكر القلبيّ لبعض من العلماء الذين كان[1] في دائرة بعض من المتصدرين للإرشاد ، ثم إذا علم ذلك البعض المتصدّر دخوله في عهد ذلك المأذون النقشبنديّ أظهر بين الناس قوته الغضبية ، وهجر منهما ، وتكلّم خلفهما بكلام جاف مغضباً عليهما ، وكتب إلى ذلك المريد مكتوباً بأنّه صار من المجرمين المنكرين ، يعني : لخروجه من دائرته ، ودخوله في طريقة[2] . قال رئيسها وإمامها الغوث الأعظم محمّد نقشبند قدس سره : **المعرض عن طريقتنا فهو على خطر من دينه** ، ونمّ على ذلك الملقن نميمات هو عنها بريء ، وأفشاها في الورى عند الخواص والعوام . وهذا ليس من أخلاق الكاملين ، بل يجب على كلّ أحد أن يحبّ كل من أطاع الله ولو كان بمصاحبة غيره .

قال الشعراني في « المنن » : ومما منّ الله تبارك وتعالى به عليّ محبّتي لكلّ مَنْ كان أكثر طاعة لله تعالى مِنّي **وترجيح محبّته على محبّتي لنفسي** محبّةً في رَبّي عزّ وجلّ ، لأنّي أعلم أنّ من كان أكثر طاعة لله تعالى فهو أحبُّ إليه ، ومن أدب كلّ عبد أن يحبَّ كلّ مَنْ يحبُّه سيّده ، وهذا خلق غريبٌ لا يثبت فيه إلاّ مَنْ خرج عن حُبّ الرياسة ونَشْرِ الصيت ، وأمّا مَنْ يحبُّ انفراده بالصيت فلا يكاد يحبُّ أحداً من المطيعين والمتقين خوفاً منهم أن يُطْفِؤا صيتَهُ ، وكفى بذلك مَقْتاً من الله تعالى ، وما يضرّ

---

(١) هكذا في النسخة التي بيدنا ، ولعله : كانوا .
(٢) هكذا في النسخة التي بيدنا ، ولعله : الطريقة .

العبد أن لو كان الناس كلّهم صالحين عالمين عاملين وَرعين زاهدين ، فإنّ في ذلك الشرف العظيم لدين محمد ﷺ .

فليمتحن مَنْ يدَّعي الإخلاص نفسه بما إذا فارقه تلميذه الذي يزعم أنّه كان يحبّه ويخدمه سنين ولم يُفتح عليه ، ثم إنّه اجتمع بأحد من الأقران ففتح عليه ، فإن رأى نفسه تنشرح لذلك فليشكر الله تعالى ، وإلاّ ! فليحكم على نفسه بالرياء والنفاق ، فإنّ المخلص يفرح بهداية الناس بأيّ وجه كان ، لا سيّما إنْ قالوا : إنما لم يفتح لذلك الفقير على يَدِ فلان لكون فلان ليس له قدم في الطريق . فإنّ المرائي يكاد يتميَّز من الغيظ بخلاف المخلص ، **وفي الحقيقة الهداية بيد الله ليست بيد أحد من العباد ، وجميع من فتح عليه على يد فقير إنما كان ذلك من باب تعليق الأسباب على المسبّبات** . انتهى من عبارته .

وقال فيه أيضاً : وسمعت أخي سيدي أفضل الدين – رحمه الله تعالى – يقول : **من علامة المرائي أن لا ينشرح لكثرة المتقين ، إلاّ إنْ كانوا تلامذةً له ، فيفرح حين يَسْمَعُ الناس يقولونَ عنه : فلانٌ أحْيَا الطريق بعد أستاذه ، ولم يحيها أحد ممّن أخذ عن شيخه غيره** ، وانظروا إلى جماعته ، كلّهُمْ مُتأدِّبُونَ صالحون ، عليهم سكينةٌ ووقار ، بخلاف جماعة فلان . فمتى صَغَى بقلبه إلى ذلك فهو مُراء دقّ المطرقة ، كما أنّه متى انقبض لمدحه ومدح تلامذته دُونَ أقرانه فهو دليل على إخلاصه ، كما أنّه إذا انقبض لذمّه وذمِّ تلامذته ونسبتهم إلى الرياء والنفاق فهو دليل على عدم إخلاصه كذلك ! فاعلم ذلك . انتهى عبارته .

وفيه أيضاً : وسمعت أخي سيدي الشيخ أفضل الدين رحمه الله يقول : من علامة الْمُتَشَيخين بأنفسهم بالدعوى عدم صفاء قلوبهم لبعْضهم بَعْضاً ، لأنّ كل واحد منهم يعتقد في نفسه أنّه هو الشيخ الحقيقيّ ، وأنّ أخاه هو المدّعي للمشيخة بغير حق ، ويُصدّقُهُ أصحابه على ذلك ، وفي

الآخرة يصلح الله تعالى بينهما ، ويكشف لكلّ واحد منهما أنّه ليس بشيخ ، ولا شمَّ للطريق رائحة . انتهى .

وكان رحمه الله تعالى يقول : **لا ينبغي إخراج هؤلاء المدّعين للصلاح بغَيْرِ حَقٍّ في الاستسقاء** ، لأنّه رُبّما منع الناس السقيا بحضورهم ، إلاّ أنْ يَتُوبُوا ويَرَوْا نفوسهم أحقر الناس ، وربّما كان هؤلاء يدَّعُونَ المشيخة ، ولا يعدّون الكبر الذي في نفوسهم مَعْصِيَةً وهو من أكبر المعاصي .

وكان رحمه الله تعالى يقول : ما دامت نفوس هؤلاء المدّعين لا تنكبسُ لأنْ يتلمّذُوا لأقرانهم ويأخذُوا عنهم الطريق ولو كانوا غير صادقين فالكِبْرُ باقٍ في صُدُورهم ، لأنّ الصادق لا تأبى نفسه من التلمذ للكاذب ولو صورة ، بل يُبادر إلى ذلك لاحتمال أن يصلح الله به حال ذلك الكاذب إذا سارقه بتعليم آداب الطريق شيئاً فشيئاً ، فليتنبّه الفقير لمثل ذلك . انتهى عبارته .

ولقد مشى هذا الفقير – رحمه الله تعالى إفلاسه – مَرَّةً على هذه السياسة إذا لقي بواحِدٍ من المدَّعين فتلمذ له صُورةً لِيُسارقه تدريجاً ، ولاطفه بالكلام لِيُنَبِّهه على نقصه ، ويُعَلِّمَهُ قواعد أهل الطريق ، فاعترف ذلك المدّعي بأنّه لا يَعْرف كيفيّة تلقين النقشبنديّين وكيفيّة استعمال أذكارهم على اللطائف ، بَلْ وَجَدَهُ جاهلاً بها وبِمَحَالِّها مع أنّه قبل ذلك يدّعي أنّه شيخ نقشبندي مَشْهُورٌ في الأقاليم ، والحمد لله رب العالمين .

وقال العالم أخونا الحاج حبيب الله – هداه الله تعالى إلى ما يَرْضاه – : إنّي تكلَّمْتُ مع شيخين يزعمان أنهما نقشبنديّان مع عدم مَشْيِهِمَا على مصطلح النقشبنديّة ، ثم بَعْدَ إظهار الحق لَهُمَا أقَرَّا واعْترفا ، ثم قالا : ألاَ نرتقي إلى مقام يجوز لنا فيه أن نعلّم الطريقة النقشبنديّة للمُريدين لَوْ جئْنَا لدى الشيخ العسلي قدس سره ليتلمّذا له ويروّضا ويجاهدا عنده ؟

انتهى . فإذا أخبر ذلك الأخ ما قالاهُ لهذا الفقير رحم الله إفلاسه قال له : لا والله ! ولو عَبَدَا الله تعالى بالإقامة عنده ألف سنة ! لأنّهما قصَدَا بتلك الإقامة والرياضة أن يكونا شيْخَيْنِ نقشبنديّين ، ومُريدُ هذا الطريق يجبُ أن يكون عَبْداً بلا عِلَّةٍ ، فما أخسَّ همّتهما ! سامحَهما الله تعالى وألهمهما رشدَهُمَا آمين .

وأكثر متشيّخة زماننا في ديارنا إذا سئلوا : إلى أيّة طريقة انْتَسَبْتُمْ ؟ قالوا إلى الطريقة النقشبنديّة ، مع أنّهم لا يستعملُونَ من أصولها وفروعها ولو شيئاً واحداً ، **فكما لا يصيرُ الحنفي مثلاً شافعيّاً إلاّ باستعماله مذهب الشافعيّ ! فكذلك لا يصيرُ الشخص نقشبنديّاً إلاّ بالدخُول في طريقتهم ، واستعمال تلقيناتهم ، فهذا مما لا يخفى على عاقل .**

وليس في ديارنا الداغستانيّة أحدٌ يدّعي أنّه شيخ طريقة ما من الطرق ، سوى الطريقة النقشبنديّة أو القادرية ، وأكثر كلامنا في هذا الكتاب مبنيّ على ردّ دعوى من ينتسب إليهما ، ولو ظهر فيهم من يقول أنّه شيخ طريقة من الطرق الباقية سواهما ، **وكان ما يفعله موافقاً بما عليه أرباب تلك الطريقة ، وعلّم ذكر الأسانيد مبتدئاً من أوّلها إلى منتهاها ، وكان بيده الإذن الصحيح المقبول فلا كلام بل نصدّقه ونعترفه ونمدّه بقدر طاقتنا ، ونعينه ، وإلا فمفتر كذاب** ، يجب على كل أحد أن ينكره ويعترضه لأنّه ضال مضلّ مفسد متلف .

فحاصل محصول كلامنا في كتابنا هذا : ولم نجد كلّ ما يفعل أهل الدعوى مطابقاً ولو بواحدة من الطرق المعلومة لدينا ، ولذلك أنكرناهم واعترضناهم .

فإن كنتم أيها الإخوان في شك مما قلنا فعليكم الرجوع إلى هذه الكتب الآتية لعلكم تعرفون صدق كلامنا في حقّهم ، ولا تسيّئون بنا ظنونكم .

فأما الطريقة النقشبنديّة فمذكورة في « الرشحات » و« مكتوبات » الإمام الرباني ، و« النفحات » و« الرسالة القدسيّة » و« التاجية » و« الخادمي » والخطاب » لمحمد پارسا ، و« مفتاح المعية » وكذا في « الرسالة الخالدية » و« سلسلة الخواجكان » و« سلسلة الذهب » وشرحه « تحفة الأحباب » و« النفائس السانحات » و« الآداب المرضية » للشيخ جمال الدين الغموقي ، و« سلّم المريد » للشيخ إلياس الزدقاري خليفة الشيخ عبد الرحمن حجيوْ الثغوري ، و« تحفة الصفاء لأهل الوفاء » و« بهجة السالكين » و« بهجة المسلكين » و« الحدائق الوردية » و« الحديقة الندية » و« جامع أصول الأولياء » و« المتممات » و« البهجة السنيّة » و« ماهيّة التصوّف » و« تبصرة المرشدين » و« مكتوبات » محمود الفعال ، و« تبصرة الفاصلين عن أصول الواصلين » و« الأنهار الأربعة » و« الدرة المختار » و« الفتوحات الوهبيّة » و« مسيرة الحكم » .

وأما القادرية : ففي « بهجة الأسرار » و« الغنية » و« قلائد الجواهر » و« فتوحات الغيب » و« نفحات القدس » و« المناقب » و« القوسية » . وكذا في « الأنهار الأربعة » ففيه البسط السديد ، و« الفتوحات الوهبيّة » .

وأما الشاذليّة : ففي « المفاخر العلية » و« الكواكب الزاهرة » و« المناقب » و« الواردات » وكذا في « الفتوحات الوهبيّة » و« الأنهار الأربعة » .

وأما الرفاعيّة : ففي « بهجة الرفاع » و« الوصايا » و« المناقب » .

وأما الأحمدية : ففي « بهجة البدوي » وشرح « متن الغاية » و« الوصايا » .

وأما الدسوقية : ففي « الوصايا » و« المناقب » . **وأمّا الأكبريّة** : ففي « الفتوحات المكية » و« الحلية » و« التدبيرات » و« حوض الحيات » و« المناقب » و« الفصوص » . **وأما المولوية** : ففي « المثنوي »

و« السواقب » والمناقب » وفيه ما فيه . **وأمّا الكبروية :** ففي « فقرات نجم الدين » و« التأويلات » و« المناقب » . **وأما السهروردية :** ففي « العوارف » و« تعرّف علم التصوف » ، وكذا في « بيان الأسرار » . **وأما الخلوتية :** ففي « معيار العلوم » وشرحه لعمر الفؤادي, و« ترجمة الحال » ، و« المناقب » وكذا في « ترصيع الجواهر » . **وأما الجلوتية :** ففي « خطاب الحفني » و« مجالس الأربعين » و« المسئلة » و« الجاودات » و« المناقب » . **وأما الغزاليّة :** ففي « الإحياء » و« الحجة » و« المناقب » . **وأما الرومية :** ففي « مزكي النفوس » و« المناقب » . **وأما السعدية : والجشتية ، والشعبانية ، والكثنية ، والخمروية ، والبرامية ، والعشاقية ، والبكرية ، والعمرية ، والعثمانية ، والعلوية ، والعباسية ، والزينية ، والعيسوية المغربية ، والبحورية ، والحدادية ، والغيبيّة ، والخضرية ، والشطارية ، والملاميّة ، والعيدرسية ، والمتبولية ، والسنبليّة** ، وسائر الأكابر والأولياء ، فمذكورة في « الكواكب الدريّة » و« نفحات الانس » و« تذكرة الأولياء » و« القاشني » و« طبقات الشعراني » و« نفحات القدسية » و« منقبة الأولياء » و« طبقات القاضي زكريا » و« رسالة القشيري » و« طبقات المشائخ » و« مقامات العارفين » و« كتاب التجلي » و« لطائف الأعلام » و« اصطلاحات الصوفية » و« شمس النوني » و« كشف الواردات » و« درة الموحّدين » و« حقائق الدقائق » و« أسرار السرور » و« محاضرة الأبرار » و« التجلّيات الإلهيّة » و« وصايا قدسية » و« كتاب الأسرى » و« التمهيد » و« مفتاح الغيب » و« مصباح الأنس » و« إنسان كامل » و« منازل السائرين » و« مدارج السالكين » و« كشف الحقائق » و« حدائق الحدائق » و« خالصة الحقائق » و« الميزان » للشعراني ، و« التميز » و« مرآة الأصفياء » و« وصايا إلهيّة » و« كشف الأسرار الأزليّة » و« حاوي الأرواح » و« مقامات بدر الدين » و« روضة الواصلين » و« نبذة الحقائق » . وهذه الطرق المذكورة أكثرها

مما لم يشتهر ، بل مما لم تُسْمَعْ في ديارنا الداغستانية ، وإنما الطريقتان فينا طريقتي النقشبندية والقادرية ، لكن الطرق المسموعة عند القائل في النواحي الجبلية : الطريقة الجستية والسهروردية والعلوية والشاذلية ، وكلها مذكوة في « الفتوحات الوهبيّة » و« المنحات الكسبيّة » ، وأربعة منها مذكورة في « الأنهار الأربعة » فمن أراد التفصيل فعليه الرجوع إلى أعيانها .

فهذا آخر ما كنا أردنا أن نكتب في هذه الألوكة ، فإن يك صواباً فذا من فضل الله ، وإن يك غيره فمن عذر كسب الفقير ، والعذر عند كرام الناس مقبول ، فالمرجوّ ممن اطلع على عذره إصلاحه لمجرد وجه الله تعالى ، فوالله ثم والله أن لا فرق عندنا في أن يظهر الحق بيدنا أو بيد غيرنا ، ونحن نصافح ونقبل من أظهر الحق وأبطل الباطل ، بل نعانقه ونشكره ، ولا نطيق أن نكافئ من ينصحنا ويَعِظُنا ولو خدمناه مدى الدهر .

فلما صارت البدعة في هذه الطريقة في ديارنا الداغستانية كأنها سنّة ، وصارت أصولها الموافقة بالسنّة كأنّها بدعة لتطاول زمن العمل بالبدع وفُقْدَانِ من يظهرها من العلماء ، ولا شكَّ أنّ هذا زمان قرب القيامة بدلالة حديث « لا تقوم الساعة حتى تصير السنة بدعة » فإذا تُرِكَتْ البدعة يقول الناس تركت السنة ، وأحدث أبعاض أهالي سلسلة هذه الطريقة النقشبيدية من عند أنفسهم بوهميّاتهم الفاسدة مخترعات ، وظنوا أنهم على النهج القويم والطريق المستقم في تحقيق طريقة العزيز العليم ، بسبب تخيّلهم الهوى والشيطان أنهم الأئمة العظام ، وأزمَّة الإسلام في دين الملك العلام ، مع أنّ أمْرَهُمْ معكوسٌ لَدَى ذوي العلم والعرفان من الأنام ، وبسبب قصور نظرهم في نصوص الأئمة المجتهدين وأيات الجبار بإستنادهم على واهيات الأوهام ، وسواقط الأعذار ، ولم نجد من ينبّههم على نقصهم ولو واحداً من العلماء الأبرار ، ألجأني الغيرة إلى تأليف هذا

الكتاب مع علمي عدم أهليّتي لذلك ، امتثالاً بما قاله الإمام الرباني في بعض مكاتبه من أنه لا بدّ من ملاحظة جانب الأكابر فإنها ضروريّة ، فإن تتكلّموا في محدثات المدّعين ومخترعاتهم فله مساغ ، وطمعاً في ما ورد في الأحاديث الصحيحة « من أحيا سنة ميتة فله ثواب ألف شهيد » ، فلو راينا في واحد شيئاً يخالف ميزان الشريعة يجوز لنا أن ننكره ونردّه نصرة للشريعة الغراء لا لغرض سواها ، فإن كان صاحب حال صحيح ورددناه فما علينا من ردّه بحكم الشرع . كذا في شرح « تائية السلوك » نقلاً عن إمام الطائفة جنيد البغدادي قدس سره ، ويدلّ عليه إنكار موسى على الخضر عليهما السلام فيما فعله خلاف شريعته في الظاهر .

وفي « المنن الكبرى » في ٢٤٢ من الجزء الأول ما حاصله : يجب الردّ على مَن خالف كلامه صريح السنة المحمدية أو قواعد علمائها . انتهى .

ونقل الشيخ محي الدين العربي في « الفتوحات المكيّة » إجماع المحققين على أن من شرط الكامل أن لا يكون عنده شطح عن ظاهر الشريعة أبداً . انتهى منه عبارته ٢٤٢ .

وما تكلّمت في حقّ هؤلاء المشائخ طعناً في ولايتهم ، فكيف وقد قال الله تعالى « أوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيري » ، وذكر الشعراني في « لواقح الأنوار » : لا تجتمع ثلاثة إلاّ وفيهم وليّ لله ، فأعاذنا الله من ذلك بل نعتقد في جميعهم أنهم أولياء أبرار وصلحاء أخيار ، ولكنّ الولاية لا تورث العصمة ، وهي من خصائص النبوّة لا من خصائص الولاية . وقد يخطأ الوليّ والصالح ، فالواجب على من اطلع على خطأ أخيه أن ينبهه على خطئه ويقيمه عن عوجه ، كما هو المرجوّ من كلّ أحد في حقّنا ،

وإنما مرادي من ذكر أصناف المتشيخين المذكورين في هذا الكتاب إعلام أهل الله أنّهم ليسوا من أهل التربية والإرشاد ، وإن جاز أن يكونوا

من المجاذيب الذين يُعْتَقَدُونَ ولا يؤخذ عنهم ! ولم أقلْ في حقهم قولاً ما سبّاً لهم وعِتاباً ، بل إنما ذكرتهم تنبيهاً وتحذيراً لهم ولمن تبعهم ، ومن هذه الحيثيّة يجوز ذكر أوصاف الناس ، فلا يدخل ذلك في تعريف الغيبة ، ويباح ذكر العيوب إجمالاً وتفصيلاً بقصد النصح والتحذير ، وراجع شرح « سلك العين » من بيت : تحذيراً اسمع ولا سباً أروم . . الخ ، بل قد يجب ذلك على أحد .

ولا أقول قطّ في حق المشائخ الصادقين شيئاً ما فيه رائحة ترك أدبهم تعصّباً بشيخي أو تفاخراً به ، بل أنا أُقَبِّلُ التراب من تحت أقدامهم ، ولا أميّز بين أولياء الله ، بَيْدَ أنه لمّا كان لتقديم تفريد الشيخ حَقٌّ على المريد ، بل كان الأمر كله مَبْنياً على اعتقاده فيه ! مَالَ الأمر إلى تصديق مَا يفعله شَيْخِي ، وتكثير ما يَقُوله ، ولو وَجَدْنا ولو واحداً قام على نهج الاستقامة في تلك الطريقة النقشبندية مثله فَنَحْنُ في إعَانَتِهِ قائمون ، وعلى تصديقه مائلون ، والله يهدي من يشاء ، وهو يتولّى الصالحين . جعلنا الله تعالى وجميع من ذكرناهم من الذين فَنَوْا فَبَقَوْا ، ونظروا فتحقّقوا ، واجتهدوا فغابوا في الوجود ، ونالوا بالشهود . آمين يا مجيب السائلين ويا أرحم الراحمين .

قد تمّ الكتاب بعون الله سبحانه وتعالى في . . .

اللهم لا تجعله سبباً لزيادة الوزر على وزري ، واجعله سبباً للمغفرة بدعاء الإخوان ونافعاً لجميع الأمّة ، وهادياً لهم إلى الخير والرشاد ، آمين بحرمة ساداتنا سلسلة الطريقة النقشبيدية العلية قدس الله أسرارهم المجللة ، ونور ضريحتهم المبجلة

آمين .

قول الشيخ العبودي رحمه الله تعالى : الطريقة والسلوك في هذا الزمان متعذرة عند الشريعة وسنة المختار عليه السلام . ولعل السرّ عنده رحمه الله تعالى لكونها متعذراً أحد الأمور الثلاثة : كثرة الفسق والعصيان ، أو عدم إطاقة استعمال الطريقة النقشبندية ، أو صعوبة استعمالها . كما قال بكلّ واحد منها أبعاض من متشيخي ديارنا .

فإن كانت العلة للتعذر كثرة الفسق والعصيان أو المخالفة والطغيان ، فليست حجة مقبولة ، لما قاله رحمه الله تعالى : **لأنّ معنى الإرشاد عند أهل الإرشاد إرشاد الضالّ إلى السداد** ، بل إنما وضع الإرشاد لأجل المعوّج الضالّ لا للمستقيم الهادي المهتدي ، ولم يحكموا بوجوب اتخاذ الشيخ إلا على من ليس له قلب سليم ، كما هو مقرّر في كتبهم ، ولا معنى للإرشاد لمن كان في الرشاد ، كذا قاله العالم الرباني والعارف الصمداني الأمير سيف الله الحسيني النزبكري قدس سره .

ولا شك أن الأخلاق المذمومات هي التي تجر صاحبها إلى ارتكاب الفسق والعصيان ، وهي داء والطريقة دواءٌ ، فمِنْ أين يتعذر إنزال الدواء على موضع الداء ، مع أنه - أي الإنزال - واجب . وهكذا الأخلاق المذمومات نجاسات معنوية ، والطريقة كالماء فناسب أن يستعمل الماء على موضع النجاسة فافهم ، وراجع « المتممات » و« ابن حجر » من كتاب سير و« الرملي » منه و« الفتاى العمرية » وغيرها ، والبسط في « الدرة البيضاء » و« الجوهرة النفيسة » فمن أراد التحقيق فعليه الرجوع إليهما .

ولا يخفى أن هذا وما يأتي مقبول عند الشريعة وسنّة المختار عليه السلام ، فكيف يكون تعليم الطريقة متعذراً عندهما ؟ مع أنها إنما وضعت لتكميلها حاشا ذلك وكلا ! بل الشرع والسنة يقبلانها فكيف لا ! لأنّ بها تجرّ إليهما تدريجاً ، وتكملهما تكميلاً ، راجع « البهجة » من مناقب الشيخ الإمام الرباني قدس سره لتأخذ منه مضمون ما قُلْتُهُ .

وإن كانت العلة له[1] أن قاعدة النقشبندية تلقين الذكر القلبي واستعماله ، ولا يطيق ذلك مَنْ في زماننا لأنّهم لا يفرغون له من الحرف والصنائع صيفاً وشتاءً ؟ !

فتلك أيضاً مما لا يعبأ بها ، ولا تقوم حجة لهذا القائل رحمه الله تعالى ، **فإن مبنى الطريقة النقشبندية على الخلوة في الجلوة ، ولا شك أن أربابها عرشيُّون فرشيُّون ، وكائنون بائنون** ، لأنّ استعمال الذكر القلبيّ يجوز عند كل **وفي كل موضع ، حتى في الخلاء ومحل النجاسة** ، وفي كل حالة ، وفي كلّ وقت . كذا في كتب النقشبندية ، فقد صار ذلك مما لا مانع له في كلّ وقت من كل حال فكيف تكون متعذرة ؟ !

وإن كان العلة له أن الذكر القلبيّ صعبٌ بالنسبة إلى الذكر اللساني ، ولأجله صار متعذراً ، كما قال كذلك بعض آخر من مشائخ ديارنا في تقريره ، فذلك قول ساقط وحكم بلا علم ، بل هو دليل على عدم الذوق للقائل به ، لأنّ الذكر القلبيّ عندهم تفكّر اللفظ الله في القلب أي : تخيّل جريانه فيه ، فأيّ صعوبة لذلك التخيل ؟ بل هو أسهل الأمور وألذّها لمن ذاقها وعرفها ، راجع تفسير الفاتحة و« الفتاوى العمرية » .

قوله رحمه الله تعالى كما قال تعالى ﴿**يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا**﴾ وفي تفسير سلمى في تفسير تلك الآية : قال بعضهم : الحكمة العلم اللدني ، **وقيل** : الحكمة إشارة لما لا علّة لها . **وقيل : الحكمة** إشهاد الحق على جميع الأحوال . وقيل : الحكمة تجريد السرّ لورود الإلهام والوسواس .

وقال أبو عثمان :الحكمة هي النور المفرق بين الإلهام والوسواس . وقيل : الحكمة أن يحكم عليك خاطر الحق ، ولا تحكم عليك شهوتك .

---

(١) أي : للتعذر .

وقيل : إنها نبويّة ، وقيل : الحكمة هي الخشية . **وقيل** : إنها سرعة الجواب ، مع إصابة الصواب . انتهى مع اختصار من سورة البقرة .

فبناء على ما ذكروا في تفسير الحكمة في هذه الآية لا يخفى على من له أدنى إدراك أنّ هذه الآية لا تقوم بها حجة على تعذر الطريقة ، وإن كان للقائل معنى آخر هنا يستدل به على ما قاله ، فلأي شيء يمنع به إعطاء الحكمة لاهل هذا الزمان ، بل هم لإعطائها أهلٌ ، كما مرّ آنفاً ، حتى يدلّ على كون أهل الزمان أهلاً لها . ما قال صاحب « تصديق المعارف » في تفسير قوله تعالى ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ الآية : اعلم أنّ سبيل الربّ ما يوصل إلى الربّ ، لا ما يصل إلى الدنيا والآخرة ، وذلك هي الطريقة المعروفة عند الصوفية ، والحكمة المذكورة هنا هي : فطنة الشيخ المربى وفهمُه لكلِّ ما يصلح لكلّ أحد من المريدين ، فإنّ طباعهم مختلفة متبائنة بوناً عظيماً ، **فمنهم** مَن يصلح له كثرة الصوم وقلّة الصلاة ، **ومنهم** من يصلح له كثرة الصلاة وقلّة الصوم ، **ومنهم** من يصلح له القيام والصيام معاً ، **ومنهم** من لا يصلح له كثرة ذلك ؛ إنما يصلح له كثرة الزهد عن الدنيا ، **ومنهم** من لا يصلح له الكسب ، **ومنهم** من يصلح له الخدمة ، **ومنهم** من يصلح له العُنْفُ والشدّة في المجاهدة على النفس ، **ومنهم** من يصلح له التَرفيه ، والتسهيل ، هذا .

وأما الموعظة الحسنة ، هي : استعمالهم في أعمال الطريقة بالمدارات بالرفق والشفقة الكاملة عليهم ، مع إعلامهم بأنه لا يريد[1] إلا علوّ مقاماتهم وارتفاع درجاتهم وإيصالهم إلى نعيم : لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر ببال بشر . انتهى من عبارته .

فبناءً على هذه المذكورات ليس للقول بالتعذر مجالٌ ، بل مضمونها يدلّ على عدم جواز منعهم من تعليم الطريقة ، بل اللائق أن يسلكهم ويداريهم ، فافهم .

---

(١) الشيخ .

قوله رحمه الله : وقد ورد في صحيح السند « لا تضعوا الحكمة في غير أهلها فتظلموها ، ولا تمنعوها من أهلها فتظلموهم » . فلو سلّمنا أنّ المراد : لا تضعوا الطريقة في غير أهلها . .الخ ، فلا نسلّم عدم أهليّة من في زماننا لوضعها ، لما مرّ أنّ الإرشاد إنما وضع للمعوّج الضالّ ، لا للمستقيم الهادي ، مع كون ذلك المراد بعيداً وغير ظاهر من معنى الحديث ، بل الظاهر منه مضمون ما في المحاضرات : لا تنطقوا بالحكمة عند غير أهلها ، فافهم ، وقد مرتْ معاني الحكمة فتدبّر هل يليق هنا ولو واحدة من معانيها ؟ ولو سلمنا عدم أهليتهم أليس[1] فيهم ولو واحداً من الأربعين من يستحق لإعطاء[2] الطريقة له ؟ والحال أنّ هذا القائل رحمه الله تعالى لم يجد ولو واحداً من الناس يصلح أن يعلّمه إياها . والحكم بالتعذّر قولٌ برأي ليس له دليل عقلي ولا نقليّ ، بل هو مخالف لما قاله الأئمة من علماء الحقيقة ، ولما قال الإمام الرباني في « المكتوبات » : إنّ[3] تعليم الطريقة بعد الاستخارة والتوجهات أياً من كان مناسبٌ ، بل لازم ، ولما في « البهجة » و« المتممات » فراجعها .

قوله رحمه الله تعالى : غير أنها على ضربين :

اتباعيّة : فهي لأهل الخواص الحذاق فجميع المنكرات والمكروهات ، بل البسط والزينة[4] في الملابس ، ورخص الفروع لهذه الطريقة كالمحرمات الصريحة ، كما أنّ السنة والمندوبات لهم كالفرائض الموقتة .

فهذا قول منه رحمه الله تعالى قولٌ صادقٌ ، لكنهم قالوا : ما لا يدرك كله لا يترك كله ، ومن لا يستطيع أن يقف في صف القتال فلا يجوز

---

(١) وفي نسخة : ألا يكون .
(٢) وفي نسخة : لتلقين .
(٣) وفي نسخة : ولكن تعليم .
(٤) وفي نسخة : والترفيه في المباح .

منعه من أن يقف في صفّ النعال . ولا يجوز أن توزن أعمال الضعفاء بأعمال الأقوياء ، من خواص أولياء الله تعالى ، بل اللائق بالشيخ أن يرفق بالضعفاء ، ويرخّص لهم ، ولا يطردهم من الطريقة ، بل يعلّمهم الطريقة ، ويرغبهم في الاجتناب عن المحرمات والمكروهات فلعلهم ببركة الطريقة يقدرون على أعمال الأقوياء . كذا قال الإمام الرباني في بعض مكاتبه ، راجع « الدرر المكنونات » و« البهجة السنية » و« لطائف المنن » وقد قالوا : إن تلقين الذكر لأهل الدنيا من ذوي المناصب والأشراف والمكاسب ثابت من السلف ومجتهدي الطرق على طريق التبرك والمحسوبيّة ، لا بإرادة السلوك والتربية قبل ترك الدنيا والمناصب وتبسطهم في الملابس والمفارش وتلبسهم بالمخالفات ، وذلك أمرٌ حسن ، وسياسة حميدة من أهل الإرشاد ، لأنّه لو قيل لهم : اتركوا الدنيا واخرجوا من كل المظالم وصححوا التوبة في أوّل الأمر ، وإلاّ فلا ألقنكم الذكر ، ولا يكون لكم قبول ينتج الهداية ؛ لنفروا واستصعبوا ، وربما يحصل لهم اليأس .

وهذه السياية موروثة من فعل الرسول عليه الصلاة والسلام مع الأشراف والرؤساء والكبار ، فإنه دخل[(١)] بعضهم في الإسلام بشرط سقوط الصبح ، وبعضهم بشرط غير ذلك ، راجع « المتممات » و« قلائد الجواهر » و« البهجة » و« مكتوبات » الإمام الرباني ، و« لطائف المنن » و« تنبيه المغترين » و« فتاوى » ابن حجر و« الأنوار القدسية » و« درر الغواص » و« كتاب الجواهر » و« الدرر » .

ففي هذه الكتب صرائح بأنه لا يجوز للشيخ أن يطرد الضعفاء من الدخول في الطريقة ، فمن أراد أن يتبع أصحاب تلك التأليفات فعليه اتباعهم ، ومن أراد أن يتمسّك بقول هذا البعض الذي يحكم بتعذّر تعليم الطريقة لأهلٍ زماننا فليتمسك به ، ولا شك **أنّ تلك الأئمة أعرف طريقاً وأعلم شرعاً** وأتقن في التفسير والحديث فليتدبره العاقل .

---

(١) وفي نسخة : أدخل .

قوله رحمه الله تعالى : وأقل ورد هذه الطريقة هو خمسة آلاف بلفظ الجلالة على القلب بتلقين عارف مرشد صحيح المقام والإذن ، وعارف مع استكمال سير الشيخ وتمسك السنة واتباع النبي عليه السلام في جميع الأقوال والأفعال ، والامتثال به عليه السلام في جميع المأمورات والمنهيات ، ولا نهاية لأكثرها .

فهذه الكلام منه رحمه الله تعالى هو عين ما قلناه فلا غبار فيه فجزاه الله عنا خير الجزاء ، آمين .

قوله رحمه الله تعالى : **والثاني** منها : شرعية فهي لأهل العوام وأبناء المعاملة والهوى ، فيرخص لهم المناهي والمكروهات ، ورخص الفروع مما أباحه الفقهاء رضي الله عنهم .

وأقل ورد هذه الطائفة مائة ذكر جهري ، وصلاة كذلك ووحده . . الخ ، والاستغفار كذلك . وأدنى الكمال خمسمائة ذكر جهري بلفظ (لا إله إلا الله) ، والمذكورات مائة مرة ، وألف ذكر بهذا اللفظ وخمسمائة صلاة أو مائة وألف في يوم الجمعة وليلتها ، والبواقي مائة ، والإشراق ، والضحى ، والأوابين ولو أربع ركعات ، وصلاة الوتر ولو خمس ركعات ، والرواتب ، وصلاة التسبيح في كل جمعة ليلاً ونهاراً ؛

والأكثر عشرون ألف ذكر جهري بهذا اللفظ ، فمن شاء الخفي فليراع الأدب وليجتنب من المكروهات كالمحرّمات ، ومن أراد الجهري فليجتنب عن المحرمات . عبودي رحمه الله تعالى . انتهى .

فالعجب كلّ العجب ! كيف يكون ورد من يرخص له في زعم هذا القائل من العوام أكثر مما[1] لا يرخص لهم ولو للمباحات الشرعيّة ؟ !

---

(١) وفي نسخة : ممن .

وكيف[1] كان رخص لهم لتقليل هذه الأوراد كما رخص لهم لارتكاب المنهيات والمكروهات .

ولقد جرّبنا أن الذكر الخفي القلبيّ بخمسة آلاف ، مدّته خمسة دقائق .

وجربنا أيضاً أن الثلاثين ألف ذكر قلبي بلفظة الجلالة يتمّ فيما بين العصر والمغرب في حالة البسط ، بعد أن يقدّم عليه ثلاث مائة استغفارٍ ، وبعد الرابطة بقدر ربع ساعة .

وجربنا أيضاً مراراً أن الذكر الخفيّ القلبيّ بلا إله إلا الله ألف مرة بحبس النفس ، مع رعاية شروطه وأركانه مدّته قدر ذكره المذكور باللسان مائة مرة ، فما أخف ذكر أهل الذوق والطريق ! وما أقلّ زمنه ، مع كونه أفضل من ذكر اللسان بسبعين مرة ، كما ورد في الحديث - وراجع فتاوى ابن حجر من الخاتمة - ومع كونه أنفع وأفيد في تصقيل القلب وحصول النتيجة كما في « المتممات » .

ولقد صار كلام هذا القائل سامحه الله تعالى سبباً لنزول الناس من الأفضل إلى المفضول ، بل صار سبباً لانقطاع أهل الله عن طريق .قال رئيسها محمد نقشبند قدس سره : المعرض عن طريقتنا فهو على خطر من دينه ؛ مع أنه يفهم مما قاله عدم جواز الذكر اللساني لمن لا يجتنب من المحرمات ، والذكر القلبيّ إلا للخواص والحذاق ، وذا مما لم يقله أحد من الأئمة ، ومع أنهم لم يطردوا العاصي من تعليمهم إياه الطريقة ؛ حتى أن منهم من خرج من موضع الفسق والشرب فجعله الشيخ وقتئذ شيخ الأبدال . ومنهم من جعله الشيخ بدلاً من الأبدال ، مع كونه نصرانياً محضاً[2] لا يعلم الإسلام قبل ذلك ، فكيف بالطريق ؟ ! فإذا كان الكافر

---

(١) وفي نسخة : وَلَيْتَهُ .

(٢) وفي نسخة كافراً .

المجرد يقبل التصرف فقبول التصرف في المسلم الذي أبوه مسلم يعلم بالطريق الأولى ، راجع « قلائد الجواهر » و« الآداب المرضية » و« أنيس الجليس » وأيّ فرق بين اللسان والقلب لتعذّر الذكر بأحدهما ، وجوازه بالآخر للعوام وأهل المعاملة مع أنهما جارحتان من جوارح الإنسان ، ومع أنّ الذكر القلبي مما لا مانع له في كلّ وقت وفي كل حال وفي كل موضع ، كما مرّ .

فإن قال قائل : إن الفرق في أنّ الذكر القلبي بتلقين مرشد عارف ولذا لا يرخص له ، والذكر اللساني يجوز له أن يستعمله بنفسه من غير تلقين ، ولذلك رخص له بالمناهي والمكروهات .

قلنا : إن تلقين الذكر اللساني متواتر مشهور يخبره الثقات من هذا البعض المذكور رحمه الله تعالى ، ولذلك يعلم عدم كون مراده ما ذكر . ولا فرق في ذمّ ارتكاب المنهيّات والمكروهات بين العوام والخواص ، والرخص عند العوام هي رخصٌ عند الخواص ، لكن بشدة اعتناء أهل الطريق يعدّون الرخص كالحرام ولا يرتكبونها إلا عند الضرورة ، ومع هذا يسامحونه للضعفاء ، ولا يزنون أعمالهم بأعمال الأقوياء ، فافهم .

ثمّ إنّ تقسيم الطريقة إلى اتباعية وشرعية مما لا يُدْرك سرّه ولم نصادف من قسّمها إلى ذينك القسمين ؛ فالاتباع شرع ، والشرع اتباع ، وما خالف الاتباع فليس بشرع ، فافهم .

ولقد أخبرنا واحدٌ من العلماء الثقات أن بعضاً من شيوخ هذا الزمان قال له : إنما نعطي الشريعة لا الطريقة .

وقال واحد من مريديه : إنّه قال له : لو جاز إعطاء الطريقة لأعطيتها ، لكنّه لا يجوز أن يعطى لأحد إلا الشريعة . وهكذا وعظ واحد منهم على المنبر وقال عين ما مرّ .

وأنا سمعت واحداً منهم يقول مثله ، فلعلّهم أخذوا ما قالوه من هذا التقرير المذكور ، وقد اشتهر منهم تسميتهم ذكر اللسان الذي يلقنونه بأنفسهم شريعة .

فنقول(١) ، والله أعلم : إن الأباء والأمهات قد علّموا الشريعة أولادهم قبل بلوغهم ، وهم الآن على الشرع يصلّون ويصومون ويزكون ويحجّون ويشهدون بأن الله واحد لا شريك له . . والخ والخ والخ أي : فمن لم يعرف الشرع وأحكامه فهو عاص . فلما تعذر تكميل الشرع وضعت الطريقة لأجله فوجب أخذها من أهلها ، **لأنّ ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، وصاروا قطاع طريق الله من حيث لا يشعرون .**

فالحاصل أنّ هؤلاء طردوا الناس عن الشرع الواجب ، فافهم .
ولا شك أن تعليم أمور الشرع ليس مختصّاً بواحد ، بل هو عامّ يجب على كلّ واحد أن يقوم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشروطهما ، وأن التلقين أمر الطريقة مختص بأهله لا يجوز لأحد أن يباشره إلا إن كان مأذوناً من أهله ، فإن كان الملقّن أهلاً له فليلقّن الذكر الذي في طريقة شيخه بلا تحريف ولا تبديل بما أرادوه ، وإلا فالتشيّخ على الناس قائلاً بأنه إنما يعطي الشريعة ، وتلقين ما أراده من الأذكار فذا مما يخاف عليه من الطرد ، والعياذ بالله تعالى ، وقد اشتهر تسمية سائر الطرق التي فيها الأذكار اللسانية طريقة . فبناء على ما قاله هؤلاء يجب أن تسمّونها بالشريعة لا بالطريقة ، فافهم ، وميّز الحقَّ من الباطل والمحق من المبطل .

وقد أشكل الخلق بأمثال هذه التمويهات الحق الذي يجب أن يتمسك به ، ووقعوا حيارى متردّدين لا يعرفون أن يفرقوا بين أقوال أهل الإرشاد وبين أقوال من يدّعي الإرشاد ، ونحن بحمد الله تعالى لم نترك

---

(١) جوابهم .

شيئاً خفيّاً من خفايا الطرائق إلا أوضحناه ، ولا واحداً من أصناف المدّعين إلا أظهرناه ، ولا قولاً ما من أقوالهم إلا رددناه في كتابنا « الدرة اليضاء » و« الجوهرة النفيسة » فمن أراد أن يدرك الحق اليقين فليراجع إليهما ، وقد تكلمنا فيهما بكلام من لا يخاف لومة لائم محضاً لوجه الله وغيرة بهذا الطريقة المحمديّة . ومن لم يرجع عن مألوفاتهم القبلية من متشيخي هذا الزمان ومريدهم بعد ما نظر إلى ذينك الكتابين ، فلا شكّ أنّ داءه عُضَال وعلى عين بصيرته رين؛ والله ولي التوفيق . من هذا الكاتب المفلس الناصب نفسه عرضة لسهام هذا الخلق : حسن القحيّ رحم الله إفلاسه ، آمين يا مجيب .

هذا الحليم حسن قد حسّن الحججا ... وردّ منكرات الدين والبدعا
بالصدق قد نطقا والحق قد لفظا ... والحقد والاعتساف والهوى بعّدا
صارت أحاديثه في نظم أقوالهم ... كقطر صار في الأصداف درّاً لهم
هذا التأليف له كبحر من زئبق ... لازم على ذوقها بالسوق والقلق
مثل نجم الهدى للاهتداء لنا ... ما دام شمس الضحى في وسط هذا السماء
له درة نظمت في سرد هذا الفتى ... ولؤلؤ علقت في سلكه يا فتى
سداه من ذهب لحمته جوهر ... كيف الإلهام له يا رب ذي القدر
وللإله الكريم دَرُّ هذا العليم ... وسعى هذا العارف إلى نعيم العليم
لنيل مثل هذا فليعمل العاملون ... ونظم مثل هذا فليصنع الصانعون
تبتْ يدا طاعن الا يغير بالحسد ... وشلّ رجلا رجال قصدهم حقده

تقريظ الفقير غازي محمد العوري

ولد محمد علي بن أمير خان العوري

وأوصيكم بالدعاء لي ولوالدي . بسم الله الرحمن الرحيم والهادي إلى الصراط المستقيم .

هذا الكتاب « الدرة البيضاء في رد البدع والأهواء » قد جاء بحمد الله سبحانه وتعالى سبكاً عجيباً ، وسار بمنه تعالى سفراً مطوياً ، فلذلك زال الزيغ عن أفئدة المنكرين سوى من هو رئيس الحاسدين . فللّه درّ مؤلفه ما أحسن تصنيفه ما أحسن تصنيفه . فقلت في حقه بالشوق الظاهر من البحر الوافر .

يجازي الله قوماً منكرينا	لهذا الكنز بالنار الحريق
وأصبح دعوى كل الحاسدين	كأصوات البهائم والنعيق
لما استنشق الحبر القحي	مياها عذبها مثل الرحيق
مشائخه جبال راسيات	لإهداء الخلائق للطريق
كأن كتابه بحر محيط	بعيد قعره للمستفيق
فوائده نصوص وافرات	فرائده جواهر للوميق
كتابته هداية للأنام	وعط فاح كالمسك العبيق
فيا لله من فرد عليّ	حليمٍ سالكٍ حسّر وثيقٍ
فهذا للفقير أبي حميد	عوريّ عاطل طاش عويق

تقريظ العالم العارف أدرة العرادي الهدلي رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم وبه توفيق ما أقول وهو السميع العليم .

الحمد لله على الإنعام   أزكى الصلاة أفضل السلام
على محمد خير الأنام   وآله وصحبه الكرام
وبعد فالدرّة ثم الجوهرة   كلتاهما من الكنوز الفاخرة
وفيهما من العلوم الباهرة   للمفسدين في السلوك زاجرة
عن محدثات هذا العصر رادعة   وعن محرفات قوم مانعة
ومنهما تمييز شيخ كامل   عمن تشيخوا بدعوى باطل
لله درّ الحسن المُحْي لنا   مندرسات علمهم في وقتنا
أهدى الورى لأوضح الطريق   أبدى لهم مراتب الفريق
وفّقْ له اللّهمّ للإفادة   لمن أراد الفوز بالسعادة
بحملهم لأصلح المصالح   وهَدْيهم بأبلغ النصائح
لكنّما الجهال في غرورهم   أيضاً وأهل العلم في قصورهم
لا يحفظون حرمة الشريعة   ولن يبالوا فتنة الطريقة
كم بدعة فيها لا يعبؤون   وخِدْعَةٍ بها هم يرتضون
بل كلّ مُنْكَرٍ بلا اعتبار   ولا نصيحة ولا إنكار
لأجله المعروف أضحى باطلاً   وصار وجه الحق أيضاً عاطلاً
لو لم يسامحوا فيما ذكرته   ولم يداهنوا لمن أشرْتُهُ
ما كان أَهْلُ وَقْتِنَا في فِتْنَةٍ   والكلّ كان سالماً عن محنة

لمثلهم هذا من الفضيحة ... وينبغي لهم بَذْلُ النصيحة
لله والكتاب والأئمة ... وللرسول ثالثاً والأمّة
من كان منكم مخلصاً لله ... وعاملاً بالعلم غير لاه
كُنْ عن جميع المنكرات ناه ... على عباد الله غير باه
وبالمعروف آمراً للناس ... وعن مساويهم فكن كالناسي
من بعده أخذه لأجل الدين ... بالأحْوط الأتمّ والمتين
هذا الذي ذكرته نصيحتي ... كذا لكلّ سامع وصيَّتي
تذكرة لتذكرون حَسْرَتي ... على هبات أهل الدين إخوتي
وحاجتي إلى دعاء صالح ... بلا تكاسُلٍ ولا تسامح
وفّقْ لنا اللّهمّ للإنابة ... ولجميع الخير والإصابة
مع كلّ مَنْ بدعوةٍ أوْصَاني ... أيضاً ومن فيها فلا يَنْسَاني
وإنّني أُدُورة العرادي ... فارحمه ربي أنت اعتمادي
بهاء المرء علم فاغتنمْهُ ... وما في العلم فاعمل وانتشرْه
ورأس المال إخلاص فَقِفْهُ ... وعن خلقٍ ذميمٍ فَاجْتَنِبْهُ
ودع شيئاً يُرِيبُك فرّ منه ... إلى ما لا يريبُك فاتّخذه
فقل حَقّاً يقيناً وامتثلْه ... ودع قولاً ضعيفاً لا تُشِعْه
ونفسُكْ عن هواها فَامْتَنِعْهُ ... فمن ينطق به جَهْلاً يُهِنْهُ
وبالمعروف فَأمُرْ وَاتَّبِعْهُ ... وَعَنْ أَمْرٍ كَرِيهٍ فانْهَ عَنْهُ
وهذا ما أمَرْتُك فأتَمِرْه ... وآخر ما نصحتك فاحتفظه

كَفَــاكْ بـــما وَعظْتُـكْ فاتّعظْـهُ ... وهـــذا أدورَةٌ فَــلْتَسْتَمِعْــــــهُ

ويــوصي بــــالدُعا فـــلا تدعْـه ... وقـــل فَــارْحَــمْ واغـفر وامتثلْه

من خط خطه .

نعمت الرسالة هذه رسالة عن فهم حقائق معانيها ودقائق رموزها ، ووفّقه الله تعالى للعمل والتمسك ولو بمعشار أعشار ما فيها ؛

ربّ وفق ويسر يا معين وصلى الله وسلّم على رسوله محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، آمين . اللهم اغفر لمؤلّف هذا الكتاب القحي ولوالديه ولجميع أمة محمد ﷺ ، ولمن قال آمين آمين آمين .

السِّفْرُ الأسنى

في

الرَّابطة الحسنى

تأليف

المرْشد المجدد حسن حلمي بن محمد القَحِيّ
الشَاذلي النقَّشبنْديّ القَادريّ الأويسيّ
سَامحه الله من فرطاته
(١٢٦٨-١٣٥٦هـ)

دار الحكمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الإدارة الدينية لمسلمي داغستان

١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٤م

Dar Al-Hikma

داغستان - محَاج قلعَة

بســم الله الرحمن الرحيم

ترجمة المؤلف

الشيخ حسن حلمي بن محمد الداغستانِي رحمه الله تعالى

« ١٢٦٨ – ١٣٥٦ هـ »

هو العلّامةُ الرَّبّاني قطبُ الإرشادِ ، وشيخُ مشايخنا حسن حلمي بنُ محمدِ بنِ حسين القَحِيُّ النَّقشبَنديُّ الخالديُّ الشّاذليُّ الدَّاغستانيُّ ، قَدس الله سرَّه وأفاض علينا من فيوضاتِه ، آمين .

مولدُه :

وُلدَ في قريةِ « قَحِبْ » من قُرى مِنْطقةِ شمويل لجمهوريّةِ داغستان ، سنةَ ثمانٍ أو تسعٍ وستّينَ ومائتَينِ وأَلفٍ « ٩ – ١٢٦٨هـ » .

نشأتُه :

وكانَ ابناً مسعوداً ، وطفلاً محموداً ، مباركاً ميموناً ، ذا أَحوالٍ حميدة ، وشمائلَ جميلةٍ ، ذا عقلٍ وفطنةٍ قريحةٍ ، يَغبطُه كلُّ مَن رَآه ، ويُحبُّه كلُّ مَن لَاقَاه ، وكانَ ذا أَدب بلا تَأديبٍ ولا مؤدّبٍ ، وإنّ أباه الحاج محمد كانَ رجلاً فاضلاً ، وعالما تَقيّا عاملا ، وقد ماتَ وهو في المهدِ في سفرِ الحجّ في بلدةِ جِدّة وقتَ الإيابِ ، ودُفنَ فيها قربَ قبرِ أُمّنا وأُم بَني آدم حوّاء رضي الله عنها ، وصارَ رحمه الله تعالى يَتيما في تربيةِ الوالدةِ جَزاها الله تعالى خيراً التي رَبّتْه بأكمل تربيةٍ ، وتَرعرَعَ في نظرتِها الحسنةِ العفيفة .

تَلقّيه العلوم :

فلَمّا بَلغَ سبعَ سنينَ ابتدأ بقراءةِ القرآنِ بنفسِه بلا داعٍ ولا موجّه إليها ، فبعدَ إتمامِ فرائضِها وتصحيحِها ابتَدأ بطلبِ العلمِ ، واختارَ للتَّدريسِ العالمَ الورعَ المخلصَ والدَ صاحبتِه القاضي حسن بيك ، وكانَ يقرأُ الدَّرسَ معه صَبيحةَ كلِّ يومٍ ، ويَذهبُ إلى الفضاءِ راعيا للأنعام ، ويَأخذُ الكتابَ معه ، ثمَّ إذا رَجعَ إلى البيتِ لا يَخرجُ مع أَقرانِه إلى الأسواقِ ، ولا يضيعُ أوقاتَه بالتَّعطيلِ مع الصِّبيانِ ، وكان يكتب الدرس الذي يقرأ له في الصباح ، وكان له خطٌّ جسيم حسن جداً ، وكتب كلّ ما قرأه من الكتب بخطه .

وكانَ لا ينامُ إلّا قليلاً ، ويَسهَرُ اللَّيالي كثيراً ، وكانَ لا ينامُ تحتَ اللّحافِ واللّفافِ ، بل يَضطجعُ في حالةٍ يكونُ نصفُ جسدِه عارياً ؛ كي يسهلَ له القيامُ في السَّحرِ .

وإنّه أَيضاً طَلبَ العلمَ من العلماءِ الأَجلّةِ المخلصينَ ، فصارَ ماهراً حاذقاً ؛ بحيثُ يَعترفُ له فحولُ العلماءِ والعقلاءِ لذكاءِ فهمِه وعلمِه وعقلِه .

طريقُ سلوكِه :

ثمَّ بَدا له داعيةُ الدُّخولِ في سلكِ ساداتِ الصّوفيّة ، وانْبعثَ من باطنه شوقُ صحبةِ الأَولياءِ الكرامِ والمشايخِ العظامِ ؛ أَهلِ الطريقةِ المحمّديّةِ ذَوي الاحترامِ ، ففي يوم ذَهبَ لَدى واحدٍ من مريدِي الشّيخِ المرشد الحاج عبدِ الرَّحمن العَسَلي لتعليمِ الدَّرسِ ، فوَجَدَه يَذكرُ الله تعالى بالذِّكرِ الخفيّ القلبيّ ،

وقالَ له : إن شئتَ أَدلُّك إلى مَن يُرشدُك إلى هذه المرتبةِ ، فاشتاقَ بفضلِه تعالى إلى لقائِه وقَصدَ الترحّلَ إلى حضرتِه ، ففي تلك اللَّيلةِ استخارَ الله تعالى في حقِّ ذَهابِه لديه ، فبعدَ صبحِ ذلك اليومِ خَرَجَ باكراً زائراً إلى جنابِ حضرةِ الخليفةِ من ساداتِ الصُّوفيّةِ قطبِ الإرشادِ الحاج عبدِ الرَّحمن العَسلي ، ولَاقاه بالفرحِ والمباشرةِ ببَسطِ الوجهِ ، وقالَ الشّيخُ قُدّسَ سرُّه : لم أفرحْ في عمري أَزيدَ من هذا اليومِ ؛ لاطِّلاعِه على أحوالِه الباطنيّةِ والظَّاهريّةِ ، إنّ الله يُعطي الحكمةَ مَن يشاءُ ، وما أَحسنَ وأَعجبَ فراسةَ الشّيخِ ؟ ! قد عَلِمَ من أَوّلِ رُؤيتِه قَدْرَه وجلالتَه ، وعَلّمَ الرَّابطةَ الشَّريفةَ والاستغفارَ والصّلاةَ علَى كيفيّةِ النَّقشبنديّينَ ، فبعدَ أيّامٍ قلائلَ ذَهبَ ثانياً لدى حضرةِ الشّيخِ ، ولَقّنَه الذِّكرَ القلبيَّ ، وكانَ المرشدُ العَسلي قُدّسَ سرُّه يُربّيه أَحسنَ تربيةٍ ويُلاطفُه .

فبعدَ مدّةٍ أَجازَه بالإجازةِ المطلقةِ في الطَّريقةِ النَّقشبنديَّةِ الصِّدّيقيّةِ في مجمعٍ للعلماءِ والعارفينَ من مريدِيه ، وأَظهرَ علوَّ مقامِه وكرامتَه في هذا المجلسِ مع كونِه علَى خَجلٍ ووَجلٍ ، وكانَ خائفاً كارهاً أمرَ الإرشادِ والخلافة ، لكونِه رَأى فيه عدمَ الأهليّةِ لذلك المنصبِ العظيم ، وكانَ يقولُ : فلولا أنّ أَمرَ الشَّيخِ من واجبِ الاقتداءِ لما أَجبتُه لذلك ، ولا قبلتُه ، بيدَ أنه لم يصحَّ ردّ ما أَلزمَه الشَّيخُ ، فقَبلَه علَى استحياءٍ شديدٍ ، فأَمضى من بعدِه زمناً مديداً نحوَ سبعِ سنينَ بإخفاءِ هذا التَّصدّرِ عن الناسِ ، وتَزهّدَ في ذلك الزمنِ ولم يَطلبْ من الدُّنيا إلا قدراً يسيراً ؛ بحيثُ يسدُّ الرَّمق ، ونَهى النفسَ عن الهوى ، وانعزلَ عن الناسِ ولازمَ البيتَ ، وكانَ هو فقيراً ذا عيالٍ ، وعَلِمَ

الشيخُ حقيقتَه ودَعاه لديه فقالَ : إني جَعلتُك خليفتِي وخليفةَ الرسولِ صلى الله عليه وسلم ، وسلطانَ السّلاطين وأَميرَ الأمراءِ ، وأَعطيتُك الدُّنيا والآخرةَ ، فأَمرَ بالإرشادِ وأَكّدَ الأَمرَ به ، واسْتعفى كرَّاتٍ ومرّاتٍ وكانَ يردُّه ، وقالَ : يا أُستاذي لو رَددتَ عنّي هذا الأَمرَ العظيمَ لكنتُ في كهفٍ خالٍ عن الناسِ مع العيالِ بتركِ العقارِ والمنقولِ ، وأَكّدَ الأمرَ ثانياً ؛ بحيثُ لا يكون له بدٌّ لردّه ، وامْتثلَ أَمرَه ، وقَبِلَ ذلك المنصبَ العظيمَ ، فبعدَ ذلك ابتدأَ بإرشادِ الخلقِ ، وقَعدَ علَى سجادةِ الخلافةِ مستعيناً بالله العظيم ، ومستفيضاً من الرسولِ الكريمِ ، ومتوسّلاً بالسّاداتِ الكرامِ ، أَهلِ الطَّريقةِ ذَوي الاحترامِ .

واشتهرَ أَمرُه ، وارْتحلَ إليه كلُّ مَن أَرادَ السلوكَ إلى سبيلِ الحقّ حتَّى من أَقصى البلادِ ، فبعدَ ذلك قد كَثرَ المريدونَ الوافدونَ ، وسَعى إليه الطَّالبون من كلِّ جانبٍ ، وجاؤُوا من القُرى البعيدةِ والبلادِ الشَّاسعةِ حتى صارَ الوافدونَ في كلِّ يوم جمّاً غفيراً ، واجتهدَ لهدايةِ مَن لاقَاه من الطَّالبينَ السّالكين وتربيتِه لله تعالى ولأجل رسولِه صلى الله عليه وسلم امتثالاً لقولِه تعالى : ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾ .

فبعدَ تَرصُّدِه علَى هذا المنصبِ العظيم ذَهبَ الشّيخُ الحاج عبدُ الرَّحمن العَسلي قُدّسَ سرُّه إلى الحجّ ، وفَوَّضَ أَمرَ الإرشادِ إليه ، ومات هو رحمه الله في جدة بعدَ تمامِ الحجِّ ، ودُفِنَ فيها عندَ قبرِ حوّاء .

ثمَّ بعدَ انتقالِه إلى جوارِ ربّ البريةِ ذَهبَ لدى الشّيخِ الحاج شعيب أَفندي الباكِني قُدّسَ سرُّه ، وقَبلَه بالتَّحيّةِ والإكرامِ ، ورَبّاه بأحسن تَربيةٍ ، فلقّنه مراقبة

« خفي » و « أخفى » وأَذنَ له بالإذنِ الصَّحيح ، وأَجازهُ بالإجازة المطلقةِ ، وكَتبَ له صكَّ الإجازةِ في الطَّريقة النَّقشبَنديَّةِ العليّةِ ، ثُمّ بعدَ انتقالِ الشّيخِ الباكني إلى جوارِ ربِّ العزّةِ ذَهبَ لدى حضرةِ القطبِ المستور مِير سيف الله النَّقشبَندي الشّاذلي القادري الأُويسي الحسينيّ النزبكري الغازي الغُمُوقي قُدّسَ سرُّه العزيز ، وقَبلَه قبولا حسنا ، وصبَّ ذلك القطبُ الأَعظمُ والشّيخُ الأَكبرُ ما في صدرِه إلى صدرِ الشّيخِ حسن حلمي أَفندي ، وقالَ : صَببتُ ما في صدرِي إلى صدرِك ، وأَجازَ له في الطَّريقةِ الصدّيقيَّةِ العليّةِ ، والشَّاذليّةِ السنيّةِ ، والقادريّةِ الجليّةِ ، وفي جميع العلوم الظاهرة والباطنة ، والأحزاب المأثورة من أئمة الصوفية ، وفي « صحيح البخاري » و« مشكاة المصابيح » ، وفي « الحزب الأعظم والورد الأفخم » ، وفي « دلائل الخيرات » و« الطريق العالية من البردة الشريفة » ، والأحزاب المنسوبة إلى العارف الشاذلي ، و« حزب الإمام النووي » و« حزب الدور الأعلى » للشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي ، وسائر الفنون النقلية والعقلية ، وكتب الأحاديث الصحيحة المسلسلة ، وفي الطريقة العلية من طريق الحسن ؛ كما هو مذكور في الثبت ، وفي سائر العلوم والأحاديث ؛ حتى لكتابة التمائم والأسباب فيما لا يحصى عدُّه ، وأوصله إلى الدرجة العلية والمراقبات الأقربية ، وصار هو كائناً بائناً ، عرشياً فرشياً ، فانياً باقياً .

فبعدَ انتقالِ الشَّيخ الأَكبرِ سيف الله قُدّسَ سرُّه من هذه الفانيةِ إلى الدّارِ الأَبديّةِ الباقيةِ . . تَفرّدَ في ديارِ داغستانَ في المشيخةِ الصّادقةِ الصِّديقيّةِ ، وتَوحّدَ في الطَّريقةِ الشّاذليّةِ الحسنيّةِ العليّةِ ، ولكن لم يُظهرِ الطَّريقةَ القادريّةَ

الجليّةَ ؛ لعدمِ وصولِ صكِّ الإجازةِ من الشّيخِ المذكورِ المرحومِ المغفور له وإن كانَ مجازاً فيها بالإجازةِ الصَّحيحةِ المطلقةِ ، وذلك لشدَّةِ إنصافِه وصفائِه في الطَّريقةِ النَّبويّةِ ، وإنّ الوثيقةَ وصكَّ الإجازةِ ولُبسَ الخرقةِ ممّا جَرتْ به عاداتُ ساداتِ الصّوفيّةِ .

أَخلاقُه :

وكانَ يَتكلّمُ مع مَن جاء لديه بالمداراةِ ، ويُحسنُ أَخلاقَه ؛ بحيثُ يُوافقُ حالَه ومآلَه ، وكان وَرِعاً لم يُرَ منه ما يُخالفُ الشَّريعةَ ولو أَدنى شيءٍ ، وكانَ ذا أَخلاقٍ حميدةٍ ومناقبَ سديدةٍ ، وطبع حليم وحياءٍ جسيم ، بارعاً حاذقاً في جميعِ العلوم نثراً ونظماً ، عربيّاً وعجميّاً ، وكانَ بسيطَ الوجهِ نشيطَ النّطقِ ، يُحبُّه كلُّ من رآه ، وقوراً حليماً ، سخيّاً جواداً ، مطابقاً مسمّاه باسمِه ، معرضاً عن حبِّ الدُّنيا وحبِّ الجاهِ .

وكانَ شديدَ المنَّةِ ، كثيرَ العفّةِ ، وكانَ يزجرُ الأَولادَ والأحبابَ عن قبولِ الهدايا والإحسانات ، ويقولُ لهم : إنّي أُريد أَن أَكونَ كالتّيسِ ولا أُريد أن أَكونَ كالمعزِ ، الإنسانُ عبدُ الإحسانِ .

ومن كراماته:

إقرار العلماء الأعلام . وكان علماء عصره راجعين على عتبة بابه ، داخلين في دائرة تربيته ، طالبين منه الإجازة للتدريس في العلوم الظاهرة كما هو مذكور في مصنّفاته ببيان أسمائهم ، وكان لا يخالف الشريعة الأحمدية .

ومن أعظم كراماته كونُه خليفةً ومأذوناً من السادات المذكورين قبلُ ، وإن القطب المستور السيد الأمير سيف الله النژبكري قدس سره قد أثنى له بالعبارات التي تدهش العقول بسماعها ، وتتحير الأفكار بتفكّرها ، وتنشق القلوب بقراءتها ، وأنه قدس سره كتب إليه مكاتيب عديدة بحيث لا تحصى بالنظم والنثر ؛ ثناءً عليه ، وقال :

يا حبيـبَ القلـبِ بالي فـي الخطوبِ ... فـي أُمـورٍ ليـس لـي غيـرُ الصُّعـوبِ
يـا أَنِيـسَ الـروحِ مـا لـي مؤنـسٌ ... غيـرُك المرجـوّ فـي خطـبِ الكروبِ
طيفُـك الميمـونُ فـي قَلبـي سَـرَى ... سـيرك المحمـود عـلّامُ الغيـوبِ
أَنـتَ نعـمَ الخِـلُّ يـا نجـمَ الهـدى ... أَنـت سـري أَنـتَ مفتـاحُ القلـوبِ
كيـف لا أنـت سـرورُ الفقـرَا ... يـا وصـيَّ القطـبِ مفتـاح الشُّـعوبِ
عجبـاً كيـف أَتَـى تاريخُكـم ... جـاء فيَّاضـاً لإحيـاءِ القلـوبِ
سـيفُك المفلـولُ سـاهٍ بالضّنـى ... يا حبيـبَ القلـبِ بالي فـي الخطوبِ

مؤلَّفاتُه :

وأنه رحمه الله تعالى شيّد مصنّفاته بالمآخذ والنقول من الكتب المعتمدة المأثورة من أئمة الفقهاء والصوفية ، لكن لم يشر عليها بالمطالعة على الكتب ، بل بما فتح الله له من العلم اللدني .

وقد تَركَ مؤلَّفاتٍ عديدةً ، منها :

١ تنبيه السالكين إلى غرور المتشيّخين بالعربية والعجمية منظوماً ومنثوراً

٢ تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف

٣ خلاصة الآداب لمن أراد فتح الأبواب بالعجمية منظوماً

٤ البروج المشيّدة بالنصوص المؤيّدة

٥ السفر الأسنى في الرابطة الحسنى

٦ سراج السعادات في سير السادات

٧ الدرّة البيضاء في ردّ البدع والأهواء

٨ جهد المقلّ في ردّ شطحات المنكر المضلّ

٩ فيض الرحمن في ذكر كلام عبد الرحمن

١٠ وسائل المريد في رسائل الأستاذ الفريد

١١ الجوهرة النفيسة في إعانة الطريقة النقشبندية

١٢ الأجوبة القحية لأسئلة الإهلي

١٣ زبدة فضائل صلاة الفاتح

١٤ تلخيص الكلام الحسن من مقالات حسن أفندى القحي

١٥ مختصر نفائس السانحات في تذييل الباقيات الصالحات

١٦ رسالة إلى العالم الفاضل محمد الحركلي

١٧ مجموعة فتاوى أهل التحقيق في مسألة جمع الثلاث من التطليق

١٨ الملتقطات القحية من رشحات عين الحياة

فبسبب تلكم المصنفات النفيسات اشتهرت طريقته في البلاد ، وتواترت أخباره بالإرشاد ، وتنوّر العالم بيُمْن توجُّهاته العلية وأحواله السنيّة ، وزالت ظلمات الجهل والبدع بظهور تأليفاته المستطابات بعد ما غشيت الأقطار والبلاد بالأهواء والمخترعات في الطرق المنيرات المصطفويات بزخارف المعاندين المنكرين المبتدعين المتشيّخين المارقين ، وببركة علومه وآثار أنوار معارفه قلّت البدعات وانهدمت المبطلات .

وفاته :

توفِّي رحمه الله سنة ست وخمسين وثلاث مائة وألف

(١٣٥٦) للهجرة . (١٩٣٧) م .

رحمه الله رحمة واسعةً ، وأسكنه فسيح جنته .

والحمد لله رب العالمين .

سبب التأليف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزَّل الكتاب ولم يَذَرْ رَطْباً ولا يابساً ولا شيئاً ممّا كان ويكون إلاّ أدْخل فيه والصلاة والسلام على محمد الذي نزّل إليه ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فيقول الفقير حسن القحيّ رحم الله إفلاسه . آمين

قد ورد إلينا كواغذ من طرف واحد من طلبة العلم الذي كان في سَالِفِ السنين في دائرة طريقتنا والحال أنّه ينصحنا وينصح سائر المسلمين بما عنده من العلم وإن كان ما يعلمه من جملة ما لا يفهمه وهو عند أرباب العلم اليقينيِّ من المشتبهات .

فكتب أوّلاً بأن زيارة قبور الصالحين ممّا لا يجوز والزوَّار مشركون وكتب له نقلاً ممّا قاله ابن القيم (تلميذ ابن تيمية) في « إغاثة اللهفان في بيان مصائد الشيطان » مع أن ذلك خلاف النقل والعقل . وأطبق علماء الأمة من المذاهب الأربعة على ردّ ذلك القول الظاهر الخطأ .

وأخذ أيضاً من ذلك القول أن رابطة أهل التصوف عين ما قاله من أنَّه مشرك بذلك وأيّد قوله أيضاً بما في « المجالس الإرشادية » بأنّ رابطة الصوفية خطأ . والحال أن مؤلّفه إنما قال ذلك لعدم علمه معنى الرابطة في اصطلاحهم ولو علم لما قال ذلك بل كان يقول بحسنها واستحبابها .

وكتب أيضاً على قول القطب عُبَيْد الله الأحرار في تفسير قوله تعالى ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾[١] أن تفسيره تفسير بالرأي مع أن ذلك التفسير قد صرّحه غيره قدس سره .

وكتب أيضاً على قول قطب الأنام خالد البغدادي قدس سره وتفسيره لقوله تعالى ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ بأن الرابطة من أقرب الوسائل أن المراد منه ليس ذلك بل هي الطاعة والعبادة مع أنّ غيره من أصحاب التفسير عَمَّه والرابطة تدخل في العموم وقد جعل « الصاوي » تلك الآية حجَّة على من يمنع التوسل وزيارة أولياء الله ويَزْعُمُ أنَّ زيارَتهم من عبادة غير الله .

وكتب أيضاً بأن الاستدلال بأقوال العلماء عبث لا فائدة فيه .

وكتب أيضاً إنّي لا أقبل شيئاً ممّا لا دليل عليه من الكتاب والسنة وإن أطبق على استحسانها من على وجه الأرض .

وكتب أيضاً أني لا أتّخذ العلماء والمشائخ أرباباً أطيعهم في كل ما أمروا به وأَنْتَهِي عن كل ما نهوا عنه إلى آخر ما قاله من الكلام الذي لا يصدر من فم رجل له عقل سليم .

---

[١] بل الحضور المعنوي من منطوق لفظ (مع) في قوله تعالى ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ إذ ثالث معاني (مع) مرادفة (عند) وهي تكون للحضور المعنوي كما تكون للحضور الحسي . قال « مغني اللبيب » الثالث مرادفة (عند) . انتهى . وقال أيضاً **عند** – اسم للحضور **الحسي** نحو ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ **والمعنوي** نحو ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ **وللقرب** كذلك نحو ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ إلخ .فليتأمل من ينكر الاستنباط . (هامش الأصل) .

وأخبرني الثقاة أنَّ هذا الرجل قد قام لإبطال ما يفعله أهل الطريقة ويمنع الناس من اتباعهم وقد صدقوا فيما قالوه فإنه كتب إليّ أيضاً ما معناه بأنّه ليس للطريقة النقشبندية دليل من الكتاب والحديث مع أنّها هي عين الشرع ولبّ الكتاب والحديث كما قالوا .

وإذا كان الأمر كذلك قصدتُ لكتبة كتابٍ حافلٍ لجميع أقوال العلماء المشيَّدة بنصوص الآيات والأحاديث لكن لمّا استخرت الله تعالى في ذلك وَقَعَت الإشارةُ بقوله تعالى ﴿وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾ فأعرضت عن ذلك ظنّاً مني أن تلك الآية إشارة إلى عدم حصول المنفعة له بأقوال العلماء التي كنت قصدتُ جَمْعَها .

ثم إني لمّا سمعتُ ما يحصل لأهل الدين من الضرر بأقوال هذا الرجل عفا الله عنه آمين ورأيت كلامه يخدِش كلامَ الأكابر ويضرّ أرواحَهم شمّرتُ الذيل لكتبة ما يرُدّ أقوالَه وينصر أقوالَهم .

وقد طلب منّي إخوانُ الدين جمعَ رسالة في حقّه وحقّ ما يقول إخوانه الناصرون لانتشار بدع المبتدعين **فوجب** علينا النصرة والإمداد للسادات امتثالاً بأمر الله في قوله ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾ الآية .

وأرجو الله تعالى أن يكون سعيي محضاً لوجهه وأن يغفر منّي ما كان فيّ من حظ النفس وأنا لا أشعر ولا أعلم وهو حسبي ونعم الوكيل .

وسمَّيْتُ هذه الرسالة بـ« **السفر الأسنى في الرابطة الحسنى** » جعلها الله تعالى سبباً لنزول المواهب اللدُنيَّة على قلوب أهل الإرادة والإنابة ولا جعلها سبباً لزيادة الحسد والعناد في هذه الطائفة العلية وعفا الله عنّا وعن جميع الأمّة المحمديّة آمين .

اعلم أيها الولد قد كنتَ أوّلاً صرتَ من أحبابنا بل من جملة إخواننا من الرضاع المعنويّ وولداً مقبولاً من النسب الروحيّ فما حَمَلَك على هذا العقوق والتقدُّم من بين العلماء على الإنكار بما كان يفعله أصحاب طريقتنا وكنّا نقتدي بأثرهم لا نزيد ولا ننقص شيئاً ممّا بيّنوه وصرّحوه في كتبهم وأمرونا باتباعهم في ذلك .

ألم تر شيئاً ما في الخلق منكراً في الشرع غير هذا لتنصحَهم وتكون آمراً لهم بالمعروف وناهياً عن المنكر بدل هذا ولا أرى منك هذا الالتجاءَ إلا أن الشيطان سوّل لك سبيله فاتَّبَعْتَ مكره ومكائده فلو تدبَّرت لتنبَّهت وإلا تكون مُعِيناً وناصراً للشيطان وتفرّحه ويسخط عليك أهل العرفان . فالعياذ بالله .

أيها الولد فهل تظنّ أنك أعلم بالكتاب والسنة ومعانيها من العلماء المتقين الماضين والأئمة والأقطاب المجتهدين الذين يعلمون العربية ومعاني الآيات والأحاديث التي هي بِلُغَتِهم فحاشا ذلك ثم حاشا فالتفرُّد عن أولئك القوم والالتجاء إلى إنكارهم لا يكون أصلاً إلا ممّن ليس له عقل سليم وطبع صحيح وقد صرَّحت آيات القرآن بالاتباع قال تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ وقال ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ

مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ وقال ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ والقرآن من أوّله إلى آخره ناطق بذكر الصالحين والأمر باتباعهم وأما أنت فقد صرّحت بعدم إطاعتك إيّاهم وذا منك رؤيتك نفسك خيراً منهم والحال أنّ إبليس إنما لُعِنَ بقوله أنا خير منه .

وقد قيل **إنّ من رأى نفسه خيراً من فرعون فهو متكبِّر** والله لا يحبّ المتكبرين . فهلاَّ صبرت حتى تسأل علماء الطريقة والحقيقة عن معنى الرابطة في اصطلاحهم

فينبغي لك أن تعلم أن معنى الرابطة ليس إلا تخيُّل صورة الصالحين بمحبَّتهم وسؤال الله تعالى بإيصاله ما رزقهم بفضله من نور معرفته وذكره بل هو دعاء محض والحبّ في الله لا غير والدعاء عبادة بل هو مُخّها كما ورد[1] وقد قال تعالى ﴿ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ فصار السؤال والدعاء بهذا النصّ امتثالاً بالأمر وقال تعالى ﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ ﴾ والاتباع صار أيضاً امتثالاً بالأمر أيضاً ولا يخفى **أن قلب التابع لا يخلو عن تخيّل المتبوع وقت المتابعة** . وذلك التخيل من اللوازم لأنه إذا لم يتخيل التابع المتبوع في حالة المتابعة لا يعدّ ذلك اتباعاً أصلاً بل يكون عبثاً . ألا ترى أن من توضّأ بنيّة التبرّد بغير نيّة المتابعة بالنبيّ عليه السلام لا يكون ذلك اتّباعاً ولا يثاب عليه كما بيّنه الفقهاء[2]

---

(١) بقوله ﷺ « الدعاء مخ العبادة » أخرجه الترمذي عن أنس رضي الله عنه .

(٢) أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن نسبغ الوضوء صيفاً وشتاءً امتثالاً لأمر الله واغتناماً للأجر الوارد في ذلك في الشتاء ولأنه ربما استلذّت الأعضاء بالماء البارد في الصيف فيبالغ المتوضئ

وقد اعترضت أيها الولد على القطب المشهور عبيد الله الأحرار على ما فسّره لقوله تعالى ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ واستدلاله به لإثبات الرابطة وقلت بأنّ معناه كونوا مصاحبين لهم في الغزوات وسائر الأعمال . اللهمّ نَعَمْ فنَعَمْ هذا التفسير أيضاً حجة عليك لا لك لأنّ كون المريد مع الشيخ الصادق في الجهاد الأكبر الذي هو القتال مع النفس الأمّارة التي هي الصنم الأكبر في الحقيقة واِتّباعه به في الأعمال الصالحات والأخلاق المرضيات الإلهية التي أمر النبيّ عليه السلام بقوله « تَخَلَّقُوا بِأَخْلاَقِ اللهِ »لا يتصوّر أصلاً بعدم تخيّله وتفكّره وتصوّره ومحبّته كما لا يخفى على عاقل سليم الفطرة وذا عينُ الرابطة .

وأيضاً تفسيرك لقوله تعالى ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ هي الطاعة والعبادة هو أيضاً حجّة عليك لأنّ السؤال والدعاء بأن يرزقه الله تعالى الفيض الإلهيّ ونور المعرفة والذكر الذي أفاضه الله سبحانه إلى قلب وليّه عبادة وتخيّله حينئذٍ لازم ضروريّ وذا أيضاً عين الرابطة في اصطلاح الصوفيّة .

في الإسباغ لحظّ نفسه فينبغي أن يتنبّه المتوضئ لمثل ذلك ويسبغ امتثالاً للأمر لا لاستلذاذ الأعضاء بالماء . وهذا سرّ أمر الشارع لنا بالوضوء ليقول العبد لنفسه إذا استلذّ بالماء في الصيف وادّعت أنها مخلصة في ذلك إنما هذا لحظّ نفسك بدليل نفرتك من إسباغ الوضوء في الشتاء فلو كان إسباغك الوضوء في الصيف امتثالاً لأمر الله لكنتِ تسبغين ذلك في الشتاء من باب أولى لأنه [أي الشارع] وعدك بالأجر عليه أكثر . وهذا الأمر يجري مع العبد في أكثر المأمورات الشرعية فيفعلها العبد بحكم العادة مع غفلته عن امتثال الأمر وعن شهود الشارع فيفوته معظم الغرض الذي شرعت تلك الطاعة له وهو الفوز بمجالسة الشارع في امتثال أوامره واجتناب نواهيه . انتهى « لواقح الأنوار القدسية » ص ١٥ . (هامش الأصل) .

وسيأتي إن شاء الله تعالى ما يؤيّد ذلك من أقوال العلماء وما قاله جماهير المفسرين في قوله تعالى ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ الآية من كونه دليلاً صريحاً للرابطة[١] .

ورد في الحديث « [مَثَلُ] المُؤْمِنِ مَثَلُ النَخْلَةِ مَا أَخَذْتَ مِنْهَا مِنْ شَيْءٍ نَفَعَكَ » . قال العزيزيّ وجه الشبه بينهما أن أصل دين الإسلام ثابت وأن ما يصدر عنه من العلوم والخير قوت للأرواح مستطاب وأنه لا يزال مستوراً بدينه وأنه ينتفع بكل ما يصدر عنه حيّاً وميّتاً . انتهى من « السراج المنير » ٢٧٧ .

وقال أيضاً **فمعاشرة المؤمن الكامل الإيمان تنفع في الدارين** . انتهى .

فينبغي أن يعلم أنّ تلك المعاشرة تكون بالجسم كما إذا كان المتعلم أيضاً يقرأ الدرس على أستاذه ويسمع قوله ويتصوَّر صورته وتكون أيضاً بالرّوح كما إذا كان يطالع درسه ويقرر علمه وينظر ويتفكّر فيما قاله ابن حجر أو المحلي أو الرملي مثلاً والحال أنّه يتخيّل فيهم ولا ينفكّ خاطره عن تصوّرهم وطلب إفاضته تعالى اليه ما أفاضهم من العلوم[٢]

---

[١] قال ابن عباس مثل له يعقوب فضرب صدره فخرجت شهوته من أنامله . تفسير « الجلالين » .

[٢] ورأيت فى « الفتاوى العمرية » ما حاصله أن الحكماء الفلسفية كانوا يلقّون العلوم العقلية كالمنطق والحكمة إلى الطلبة بتوجه الأستاذ إليهم وإلقاءها بالهمَّة إلى قلوبهم بعد رياضة تامة فاذا ثبت هذا من الكفرة فلا مجال للإنكار على ثبوت التصرف ونفع التوجه من قلوب أولياء الله تعالى والعلماء العارفين فى قلوب المريدين بل معلوم عند كل أحد من الجهلاء فضلاً عن العلماء نفع التوجه والنظر الظاهري لأنّ المتكلم إذا ألقى الخطاب إلى المخاطب بالمواجهة لا بالمدابرة له تأثير عظيم ألا يُرَى أن الطلبة ينظرون ويتوجهون إلى وجه الأستاذ وفمه حتى يقرّر الدرس فلو كان

فهذا أيضاً عين الرابطة . ومن يدوم على هذا في كل حالة وقت المطالعة إلى الكتب ولا يَعد ذلك من الشرك بل يحسّنه ويحمده ومع ذلك ينكر أهلَ الله على تخيّل صورة متبوعهم الذي تخلَّق بأخلاق الله واتبع رسوله وفَنِيَ في التوحيد وحصل له الشهود الذاتي وبقي بالله ويصرّح بأنه شرك ومذموم فعساه لم يدرك حقيقة معنى الرابطة في اصطلاح العارفين وأنّ ذلك منه صلابة في الدين .

وأرجوه أنه لا يستقرّ فيما ظنّه من الشبهة بل يرجع إن شاء الله إذا ظهر له الحقيقة ولا يليق بعاقل أن يخرج من اتباع أقوال العلماء والأئمة المتقين والفقهاء الصالحين الذين عِلْمُنا بالنسبة إلى علومهم كذرّة بالنسبة إلى العرش وما فيه .

يقرّر الدرس بالمدابرة لما يجلس في درسه أحد وهذا بَدِيهيّ . فافهم جدّاً . انتهى ملخصاً فراجعه . وفي « تبصرة الفاصلين وحجة الواصلين » للزهدي قدس سره وأما الخواطر التي تجيء للإنسان حال كونه في الصلاة من صور الممكنات بإرادته وبغير إرادته من غير قصد عبادة لها فما قال أحد من الفقهاء مثلها تفسد صلاة المصلي ولا قال يحرم بل مثلها معدودة من تكليف ما لا يطاق وأما المفسد اتخاذ واحد معيّن معبوداً لنفسه وإحضاره في نفسه لقصد العبادة له وذلك الاعتقاد والنية مخرج عن الدين ومبطل للعمل وظاهر الشريعة لا يحكم بالكفر بل هو منافق . وأما الصلاة إلى وجه الإنسان فمكروه للمشابهة لا إلى جنبيه . وفي غير الصلاة من العبادة كالتدريس والوعظ والنصح والخطبة وكتعليم الذكر وتلقينه فالمواجهة من الطرفين مستحبة لأجل الإفادة والاستفادة ظاهراً وباطناً **والرابطة من المريد لاستفادة النسبة الباطنيّ والمعنويّ لا لشيء آخر** . وشرط الاستفادة التوجه التام وجمع الخاطر بالاهتمام وبهما ينفتح باب الإفادة وبعدمهما ينسدُّ . انتهى . وأثبت الزهدي فيه استحسان الرابطة بدلائل من الكتاب والسنة والإجماع والقياس لكن كتبة جميعها في هذا المختصر صعب فمن أراد أن يعلم الحقيقة فليراجع إليه وذا كتاب نفيس . (منه) .

صرّح ابن حجر في « الفتاوى الكبرى » بوجوب اتباعهم . وقال بعد كلام في غير هذا بما لفظه فيجب الأخذ بأقاويلهم **لأنهم عَلَمُ الأمة واختيارهم لنا خير من اختيارنا لأنفسنا ومن خالفهم متّبع لهواه .** انتهى . فراجعه ٢٠٣ ج١ .

و في الحديث « اِقْتَدُوا باللذَيْن مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمّارٍ وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابْنِ أُمّ عَبْدٍ » أي عبد الله بن مسعود .

وفيه « اِتبعوا العُلَمَاءَ فَإِنَّهُمْ سُرُجُ الدنيا وَمَصَابِيحُ الآخِرَةِ » .

ومع هذا صرت تنكر السواد الأعظم من الأمّة المحمدية الذين أمر النبي عليه السلام بالكون معهم بقوله « عَلَيْكُمْ بِالسَوَادِ الأَعْظَمِ » وقلتَ والاستدلال بأقوال العلماء والمشائخ عبث لا فائدة فيه وصرت داخلاً بلا ريب في دائرة قوله عليه السلام « مَثَلُ الذِي يُعِينُ قَوْمَهُ عَلَى غَيْرِ الحَقّ مَثَلُ بَعِيرٍ تَرَدَّى وَهُوَ يُجَرُّ بِذَنبِهِ » قال العزيزي معناه أنه وقع في الإثم وهلك كالبعير إذا تردّى في البئر فصار ينزع بذَنَبِهِ ولا يمكنه الخلاص . انتهى ١٧٧ ج٣ . وقال الحفني أي لكونه تردى بمقدم بدنه فلا يمكنه الخلاص لأن الذنب لا قوّة له على جذب جميع الجثّة . انتهى .

وقال العزيزي في تفسير حديث « مَثَلُ الجَلِيسِ الصَالِحِ وَالجَلِيسِ السُوءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ المِسْكِ وَكِيرِ الحَدَّادِ » . . . إلخ . وفي الحديث النهي عن مجالسة من يُتَأَذَّى بمجالسته في الدين والدنيا والترغيب فيمن ينتفع بمجالسته فيهما . انتهى ٢٧٥ .

فتفكر أنت أيها الولد أنّ أرباب الطريقة أخذوا أصولهم من الكتاب والسنّة وأنهم لا يجوّزون شيئاً مّا يخالفهما أصلاً **وقد كان الإمام الشافعيّ والإمام أبو حنيفة وغيرهما يتواضعون لأهل وقتهم ويتبرّكون بهم** كما هو مذكور في كتب الشعراني **وإنَّ الإمام الرباني قدّس سرّه هو الذي قيل في حقّه إنّي لا أرى في هذه الأمة مثل الإمام الرباني . وهو المجدِّد الألف الثاني القائل بيني وبين مجدّد المائة من الفرق ما بين المائة والألف صرّح في « مكتوباته » بالرابطة واستحسنها** . وغيره من العارفين والعلماء العاملين قالوا بحسنها . وسأذكر لك إن شاء الله تعالى أسماء من يقول باستحبابها مع بيان الكتب .

دعوى الاجتهاد

واعلم أيها الولد إن كنت تزعم الاجتهاد وأنت تعرف معاني الآيات والأحاديث منطوقها ومفهومها فما أعظم قلّة عقلك وخرافة ذهنك ألم تدر أنّ العلماء بل العوام الذين هم كالهوامِّ يضحك عليك وتصير عندهم ذليلاً لا حرمة لك عندهم لما أنك صرّحت كلاماً لو ألقي في البحر لتكدر وردّدت أقوال الأغواث والأقطاب كخالد البغدادي الذي تضلّع بجميع العلوم العقلية والنقلية وقد صرّحوا في مناقبه أنّه **كان يقوم له خمسمائة عالم بأرجلهم يخدمونه ويحترمونه وكان في زمانه يقطع الحجّة في كل العلوم ولا يساويه في البحث أحد من علماء وقته وقد عَدُّوا من أجلّ كراماته التي لم تحصل لأحد غيره من قبلُ ومن بعدُ إطاعة علماء الظاهر له** .

وفضل الغزالي والشعراني والسيوطي والرازي وغيرهم من أكابر العارفين الذين استحبّوا واستحسنوا التوسّل بالأنبياء والصالحين والرابطة بهم للاستفاضة مشهور غنيّ عن البيان **ومخالفة هؤلاء مخالفة السواد الأعظم من الأمة المحمّديّة** .

قال السيد الشريف العالم العلامة الفقيه الكامل مفتي الديار الحضرمية عبد الرحمن بن محمّد بن حسين بن عمر المشهور (باعلوي) رحمه الله تعالى في كتابه « بغية المسترشدين » بما نصّه .

مسألة (ك)[1] . شخص طلب العلم وأكثر من مطالعة الكتب المؤلفة من التفسير والحديث والفقه وكان ذا فهم وذكاء فتحكَّم في رأيه أنّ جملة هذه الأمّة ضلّوا وأضلّوا عن أصل الدين وطريق سيد المرسلين ﷺ فرفض جميع مؤلفات أهل العلم ولم يلتزم مذهباً بل عدل إلى الاجتهاد وادعى الاستنباط من الكتاب والسنة بزَعْمه وليس فيه شروط الاجتهاد المعتبرة عند أهل العلم ومع ذلك يُلزم الأمّة الأخذ بقوله ويوجب متابعته فهذا الشخص المذكور المدعي الاجتهاد يجب عليه الرجوع إلى الحقّ ورفض الدعاوى الباطلة . وإذا طرح مؤلفات أهل الشرع فليت شعري بما ذا يتمسك فإنه لم يدرك النبي عليه الصلاة والسلام ولا أحداً من أصحابه رضوان الله عليهم فإن كان عنده شيء من العلم فهو من مؤلفات أهل الشرع وحيث كانت على ضلالة فمن أين يقع الهدى فليبيّنه لنا فإن

[1] أي مسألة الكردي .

كتب الأئمة الأربعة رضوان الله عليهم ومقلّديهم جلُّ مآخذها من الكتاب والسنّة وكيف أخذ هو ما يخالفها .

ودعواه الاجتهاد اليوم في غاية البعد كيف وقد قال الشيخان وسبقهما الفخر الرازي **الناس اليوم كالمجمعين على أنه لا مجتهد .**

ونقل ابن حجر عن بعض الأصوليّين **أنه لم يوجد بعد عصر الشافعي مجتهد** أي مستقلّ وهذا الإمام السيوطي مع سعة اطلاعه وباعه في العلوم وتفنّنه بما لم يسبق إليه ادّعى الاجتهاد النسبيّ لا الاستقلاليّ فلم يسلم له وقد فاقت مؤلفاته على الخمسمائة .

وأما حمل الناس على مذهبه فغير جائز وإن فرض أنه مجتهد مستقلّ ككلّ مجتهد . انتهى ٧ . وقال قبيل هذا بما لفظه قال في « فتاوى » ابن حجر **ليس لمن قرأ كتاباً أو كتباً ولم يتأهّل للإفتاء أن يفتي إلا فيما علم من مذهبه علماً جازماً** . انتهى ٦ .

واعلم يا ولدي لا أرى هذه المسألة والجواب إلا عين ما تفعله من الدعاوى الباطلة التي لا يقبلها عاقل عالم ولا جاهل له أدنى إدراك لأن الناس لا يعتقدون ولا يظنون بل ولا يوهمون أن علماء الأمّة المحمّدية مخطئون والاستدلال بأقوالهم عبث لا فائدة فيه والمنكر لهم ومخالفهم الذي نشأ في هذه الأمكنة البعيدة من الديار الإسلامية وأضرابه محقّون مصيبون **فيا ليتك يا ولدي** لم تقل هذه الأقوال الشنيعة التي تقشعرّ بسماعها جلود أهل الله ولا أراك إلا محارباً للإسلام والمسلمين وقد

تجاوزت إلى من قبلنا من أئمّة الهدى والصحابة رضي الله عنهم أجمعين لأنك أنكرتَ التوسل بالأنبياء والصالحين بالكليّة وعدّدت من يزورهم ويزور قبورهم من المشركين .

وقد قال في « بغية المسترشدين » ما نصّه وقد ورد في الأثر عن سيد البشر ﷺ أنه قال « مَنْ وَرَّخَ مؤمناً فَكَأَنَّمَا أَحْيَاهُ وَمَنْ قَرَأَ تَارِيخَهُ فَكَأَنَّمَا زَارَهُ وَمَنْ زَارَهُ فَقَد اسْتَوْجَبَ رِضْوَانَ اللهِ تَعَالَى فِي حَرُورِ الجَنَّةِ وَحَقٌّ عَلَى المَرْءِ أَنْ يُكْرِمَ زَائِرَهُ » .انتهى . (مشرع) .

وفي « شرح السُحيمي على الجوهرة » حديث « مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ عند قَبْرِ مَيّته (اللّهُمَّ بِحَقّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ ﷺ لا تُعَذّبْ هذَا المَيّتَ) إِلاَّ رُفِعَ عَنْهُ العَذَابُ إِلَى يَوْم يُنْفَخُ فِي الصُورِ » اهـ .

فائدة زيارة القبور لمجرّد تذكّر الموت والآخرة فتكون برؤية من غير معرفة أصحابها أو لنحو دعاء فتسنّ لكل مسلم أو للتبرّك فتُسنّ لأهل الخير لأن لهم في برازخهم تصرّفات وبركات لا يحصى مددها أو لأداء حقٍّ كصديق ووالد لخبر « مَنْ زَارَ قَبْرَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدِهِمَا يَوْمَ الجُمُعَةِ كَانَ كَحَجَّةٍ » وفي رواية « غُفِرَ لَهُ وَكُتِبَ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النَارِ » أو رحمةً وتأنيساً لما روي « آنَسُ ما يكون الميت في قبره إذا زاره من كان أحبّه في الدنيا » . اهـ « إيعاب » . اهـ ٨٨ .

وفي « الصاوي » في تفسير آية ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ من سورة (الجاثية) وأما زيارة الصالحين والأنبياء فليس من قبيل العبادة لهم بل

هي من التسبّب في نفع الغير لأن الترضي عن الأولياء والصلاة والسلام على الأنبياء دعاء للغير بذلك ولا شكّ ذلك الغير ينتفع به والمتسبّب له مثله لما ورد أن الملك يقول له (وَلَكَ مِثْلُ ذَلِكَ) . فآل الأمر إلى **أن زيارة الصالحين والتوسّل بهم من جملة طاعة الله وصاحبها محبوب لله لأنّ أحبّ عباد الله أنفعهم لعباده** وصدق عليهم أنهم يَصِلُونَ ما أمر الله به أن يوصل فليست معصية فضلاً عن كونها شركاً كما اعتقده ذو الجهل المركّب والعقيدة الزائغة . انتهى ٥٥ .

وإن أردتَ يا ولدي أن تدرك الأحاديث الواردة في حقّ التوسُّل في حياته عليه السلام وبعد مماته وجواز التوسّل بالصالحين الأحياء والأموات فراجع « نور الإنصاف » و« شواهد الحقّ » وقد أشبعنا الكلام في ذلك في كتابنا « البروج المشيّدة بالنصوص المؤيدة » .

قال العالم العلامة يوسف النبهاني في « المدائح النبوية » واعلم أن هؤلاء المَفتونين[1] يدّعون الاجتهاد المطلق واستنباط الأحكام من الكتاب والسنة ويرفضون المذاهب الأربعة مع جهلهم المركّب وفِسْقهم المحقَّق وتهّتكهم في أنواع المعاصي من الكبائر والصغائر وسائر المعاصي وتركهم ما عدا الشهادتين من أركان الإسلام فلا صلاة ولا زكاة ولا حجّ ولا صيام ومع كونهم كالأنعام أو أضلّ من الأنعام يدّعي كلّ أحد منهم أنّه من أئمة الإسلام ويدعو الناس إلى الاجتهاد في الدين حتى العوام

---

[1] أي الوهابية المتمسّكة ببدع ابن تيمية عفا الله عنهم . (هامش الأصل) .

وهم مع كلّ ذلك لا يتقيَّدون بالحلال والحرام وإنّما دينهم كلام في كلام فصارت أحكام الدين عندهم ما خطر ببالهم ووافق أغراضهم وجرى على ألسنتهم وأقلامهم من الألفاظ المنمَّقة الملفَّقة . انتهى .

وقال بُعيده **فنصحي لكل المسلمين أن لا يلتفتوا إلى كلامهم ويعتقدوا أنهم في هذا العصر من أعدى عُداة الإسلام** . انتهى .

وقال بُعيد هذا **أمّا أئمّة الإسلام فلم يزيدوا على الكتاب والسنة شيئاً من عند أنفسهم بل جميع أحكام المذاهب الأربعة إمّا مأخوذة من صريح الكتاب والسنّة** وهو أكثر الأحكام أو مستندة إلى الإجماع الذي هو مستند إليهما أو إلى أحدهما ولا بدّ أو مستندة إلى القياس الصحيح عليهما أو على أحدهما **فليس هناك حكم في المذاهب الأربعة خارجاً من الكتاب والسنة من كل الوجوه** ولا يمكن أن يستعملوا القياس إلا إذا لم توجد آية أو حديث للاستدلال . انتهى .

وأطال في حقّ هؤلاء الطائفة فراجعه . ففيه كلام كثير في الردّ على هؤلاء القوم .

و في « شواهد الحقّ » بما نصّه قال بل نقل ابن الصلاح عن بعض الأصوليّين أنه **لم يوجد بعد عصر الشافعي مجتهد مستقلّ** .

ثمّ قال الشهاب ابن حجر **إذا كان بين الأئمّة نزاع طويل في أنّ إمام الحرمين وحجَّة الإسلام الغزالي وناهيك بهما هل هما من أصحاب**

الوجوه أو لا فما ظنّك بغيرهما بل قال الأئمّة في الروياني[١] صاحب « البحر » أنه لم يكن من أصحاب الوجوه . هذا مع قوله **لو ضاعت نصوص الشافعي لأمليتها من صدري .**

فإذا لم يتأهّل هؤلاء الأكابر لمرتبة الاجتهاد المذهبيّ فكيف يسوغ لمن لم يفهم أكثر عباراتهم على وجهها أن يدّعي ما هو أعلى من ذلك وهو الاجتهاد المطلق سبحانك هذا بهتان عظيم . انتهى .

وفي « الأنوار » عن الإمام الرافعي الشافعي **القوم كالمُجْمِعين على أنه لا مجتهد اليوم** . انتهى ٤ .

وفيه وقد صرّح حجة الإسلام الغزالي بِخُلُوِّ عصره من مجتهد حيث قال في « الإحياء » في تقسيمه للمناظرات ما نصّه أمّا من ليس له رتبة الاجتهاد وهو حكم كلّ أهل العصر فإنما يفتي فيه ناقلاً عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يتركه .

وقال في « البسيط » هذه الشروط يعني شروط الاجتهاد المعتبرة في القاضي قد تعذّرت في عصرنا . انتهى ٥ .

ونقل النبهاني عن الكردي ما حاصله الاستنباط من الكتاب والسنّة لا يجوز إلا لمن بلغ رتبة الاجتهاد كما نصّوا عليه . انتهى .

---

[١] فخر الإسلام أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل الروياني « بلدة بنواحي طبرستان » من أكابر أعيان الشافعية له كتب عديدة منها « بحر المذهب » يعدُّ من أطول كتب الشافعي كانت له حظوة عند الملوك فتعصب عليه جماعة وقتلوه بعد مجلس إملائه في (آمل) سنة اثنتين وخمس مائة .

وقال بعد ذلك إذا علمت ذلك تعلم أن ما يهذي به الآن بعض طلبة العلم من بلوغهم درجة الاجتهاد المطلق وأنهم تأهّلوا لاستنباط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنّة بأنفسهم ولم يبق لهم حاجة إلى تقليد أحد من الأئمة الأربعة حتى تركوا مذاهبهم التي نشؤوا عليها وصاروا يعترضون بأفهامهم السقيمة على المذاهب ويقولون نحن لا نعمل بآراء الرجال وما أشبه ذلك من عبارات المغرورين الجهال هو من الوساوس الشيطانية والدعاوى النفسانية التي حملهم عليها قلة العقل والدين ورضاهم عن نفوسهم وجهلهم بما انطوت عليه من العيوب . وقد انعكس عليهم ما أرادوه من هذا الهوس والحماقة والوقاحة فلم يحصّلوا مطلوبهم[١] من علوّ المنزلة عند الناس ومقتهم الله وكرّه فيهم خلقه فصاروا عندهم مرذولين يهزؤون بهم .

وَمَنْ جَهلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرُهُ مِنْهُ مَا لاَ يَرَى

وقد رأيت بعضهم يدعو عوام الناس إلى استنباط الأحكام الشرعية من القرآن و« صحيح البخاري » فانظر هذا الجهل العظيم والضلال المبين .

---

[١] قال الإمام الرباني قدس سره وكما أنّ الاعتقاد بموجب الكتاب والسنة ضروريّ كذلك العمل بمقتضاهما على نهج استنبطه المجتهدون منهما واستخرجوا الأحكام عنهما من الحلال والحرام والفرض والواجب والسنة والمستحب والمكروه والمشتبه والعلم بهذه الأحكام ضروري ولا يجوز للمقلد أخذ الأحكام من الكتاب والسنة على خلاف رأي المجتهدين وأن يعمل بها . انتهى « الدرر المكنونات » ٣١٣ ج ١ .

وفيه قبيله فتقديم الكشف على أقوال العلماء تقديم له في الحقيقة على الأحكام القطعية المنزلة وهو عين الضلالة ومحض الخسارة . انتهى . فراجعه (منه رحم الله إفلاسه آمين) .(هامش الأصل) .

فإيّاك يا أخي من الاجتماع على أمثال هؤلاء الحمقى والزم مذهبك وقلِّد أيَّ إمام شئت من الأئمّة الأربعة بدون تتّبع الرخص والتلفيق في الأحكام بحيث يحصل من ذلك هيئة لا يقول بها إمام منهم فإن ذلك ممنوع .

وممّن يدّعون الاجتهاد علماء صالحون ولكنّهم مغفَّلون يعرفون شيئاً من الحديث والعربية وبعض العلوم المتداولة معرفة متوسّطة تُجوِّز في هذا العصر السافل إطلاقَ لفظ العالم على أحدهم وهم مع ذلك **بينهم وبين درجة الاجتهاد في أحكام الدين كما بين الشرطة والسلاطين** إن لم نقل كما بين الملائكة والشياطين ولكن لغفلتهم وقلّة عقولهم ورضاهم عن نفوسهم وظنّهم فيها الكمال ظنّاً ظاهر الزلل واضح الخطأ والخطل[١] سوّل لهم الشيطان أنهم أهل لهذه الدعاوى الكاذبة . وإنما دخل عليهم هذا اللعين من باب دعوى التقوى والتحرّي في الدين وأنّه لا يجوز لهم لسلامة دينهم تقليد أحد من المجتهدين وأن الواجب عليهم أن يأخذوا دينهم من الكتاب والسنّة رأساً بدون واسطة أحد وقد قرؤوا في بعض الكتب ذمّ الرأي والتحريض على اتباع الكتاب والسنة فاتخذوه حجّة لما ثبت في نفوسهم من ذلك وما علموا من غفلتهم أن الرأي المذموم هو الرأي مع وجود النصّ من القرآن أو الحديث في تلك المسألة بعينها . وهذا لا يقول به أحد من المجتهدين وتابعيهم وكيف وقد روي عن كل أحد منهم قوله **إذا صحّ الحديث فهو مذهبي** .

---

[١] اي الفساد .

وهذا إمامنا الشافعي كثيراً ما يكرّر في « الرسالة » و« الأمّ » كما قرأته بنفسي فيهما قوله ﵁ وهل لأحد قول مع رسول الله ﷺ فداه أبي وأمّي فالذي يقول هذا القول ويؤيّده بالفعل في كتبه بالاستدلال بالكتاب والسنّة ما أمكن الاستدلال بهما ووجد فيهما دليل على المسألة هل يقال في حقّه أنه يقول في دين الله برأي حاشاه من ذلك وهكذا باقي الأئمة **حتى الإمام أبو حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم الذين اشتهروا بأصحاب الرأي يقدّمون العمل بالحديث الضعيف إذا لم يوجد للمسألة دليل غيره على القياس**كما قاله الإمام الشعراني ومن راجع تخريج أحاديث « الهداية » للإمام الزيلعي يتحقّق أنَّ مذهب الإمام أبي حنيفة ﵁ هو أيضاً مذهب أهل الحديث كباقي المذاهب **إذ القاعدة عند جميعهم الاستدلال على المسألة من القرآن فإن لم يوجد فيه دليل لها فمن الحديث فإن لم يوجد فمن الإجماع فإن لم يوجد فحينئذ يقيسون المسائل على أقرب المسائل إليها وأشبهها ممّا ثبت دليله بالكتاب أو السنّة أو الإجماع .**

وهو أي القياس كما قال الإمام الشافعي ﵁ في « الرسالة » أن يكون الله تعالى أو رسوله ﷺ حرّم الشيء منصوصاً أو أحلّه لمعنى فإذا وجدنا ما في مثل ذلك المعنى فيما لم ينصَّ فيه بعينه كتابُ الله ولا السنّة أحللناه أو حرّمناه لأنه في معنى الحلال أو الحرام[١] . فاعلم ذلك

---

(١) وقال الإمام الرباني وأما القياس بالاجتهاد فليس من البدعة في شيء فإنّه مُظْهِرٌ لمعنى النصوص لا أنه مثبت لأمر زائد فاعتبروا يا أولي الأبصار . انتهى من « الدرر المكنونات » فراجعه في ١٦٠ من الجزء الأول . (منه رحم الله إفلاسه) . (هامش الأصل) .

وقلِّد مَن شئت من أئمة المذاهب الأربعة واجعلهم بينك وبين الله تعالى فإنَّهم كلَّهم هداةٌ مهتدون ولا تدع للشيطان عليك سبيلاً فإنه يضلّك عن الهدى ويوقعك في مواقع الردى ويعينك على ذلك معرفتُك الحقّ لأهله وعدم رضاك عن نفسك واعترافك بقصورها ونظرك في العلماء الأعلام من أئمة الإسلام من عصرك إلى عصر الأئمة المجتهدين وتقليدهم إيّاهم وعدم خروجهم عن مذاهبهم مع أنهم كانوا من أفراد العالَم في العلم **وما ادَّعى أحد منهم الاجتهاد المطلق فكيف تدّعيه أنت وأمثالك من القاصرين المغرورين الذين صاروا سخريّة للناس وملعبةً للشياطين** فاترك ما أنت عليه من الهوس والهذيان وقلّد من شئت من أئمة المذاهب الأربعة كسائر علماء الأمَّة وعوامِّها من عصرهم إلى الآن فذلك هو سبيل المؤمنين الذي اتِّباعُه ألزمُ وأولى وقد قال الله تعالى ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ ﴾ . . إلخ . انتهى . وأطال في ذلك فراجعه في ٦ .

وفيه ما حاصله من أقبح الجنون جنون من ادّعى الاجتهاد في هذا الزمان . انتهى .

وذكر الباجوري في أوائل شرحه على « فتح القريب » أنّ **مجتهد المذهب** هو من يستنبط الأحكام من قواعد إمامه كالمزني و**مجتهد الفتوى** هو من يقدر على الترجيح في الأقوال كالرافعي والنووي لا كالرملي وابن حجر بل هما مقلّدان فقط .

وقال بعضهم بل لهما ترجيح في بعض المسائل بل وللشَبْرَامُلَّسِي أيضاً .

وعبارة « الفتاوى » والمتبحر في الفقه من أحاط بأصول إمامه في كل باب من أبواب الفقه بحيث يقيس ما لا نصّ فيه عليه . انتهى « فتاوى الچوخي » .

وفيه بعيد ذلك بل جميع علمائنا مقلِّدون فقط كيف لا وقد قالوا ذلك في « ابن حجر » و« الرملي » فما ظنّك بغيرهما مِمّن بعدهما وخاصة بعلماء ديارنا فتدبّر ولا تغفل والله تعالى أعلم . انتهى ٢٧٤ .

ونقل في « الآيات البيِّنات » بعد قول « شرح جمع الجوامع » (ويجوز خلوّ الزمان عن مجتهد أي أن لا يبقى فيه مجتهد) عن الكوارني بما نصه لو ادّعى إنسان وقوعَ الخلوّ عن المجتهد يجب أن لا يخالفه أحد لأن مثل إمام الحرمين والغزالي لم يُعَدَّا من أصحاب الوجوه فضلاً عن رتبة الاجتهاد ومَن بعدهما لا يلحق غبارهما إلاّ أن ابن دقيق العيد كان يزعم الاجتهاد لنفسه فأظهر كلاماً مخيلاً لا حاصل له . انتهى . ثمّ قال بعيده وأما ما ذكره مِن أنّ مَن بعد إمام الحرمين والغزالي لا يلحق غبارهما فهو ممّا لا ينبغي الشكّ من العاقل . انتهى . فراجعه .

فتدبّر أيُّها الولد فيما ذُكِر وتنبَّه من رَقْدتك ولا تنظر إلى كتب ابن التيمية وأتباعه فإنَّها محشوَّة مشهورة بالحشو وتخليط البدع المخالفة لأهل المذاهب . وقد صرّح العالم الشيخ النبهاني في « شواهد الحقّ »

بما نصه يجب عليك الحذر التام من مطالعة كتب الإمام ابن تيمية وجماعته المتعلقة بالعقائد . انتهى ١٠٥ . وقال قبله وبعده كلاماً كثيراً في حقه .

وذكر واتفق العلماء على حبسه الحبس الطويل فحبسه السلطان ومنعه من الكتابة في الحبس وأن لا يدخل عليه بِدَوَاةٍ ومات في الحبس . ثمّ حدث من أصحابه من يشيع عقائده ويعلم مسائله ويلقي ذلك إلى الناس سرّاً ويكتمه جهراً فعمّ الضرر بذلك . . . إلخ . انتهى ١٠٥ .

والفرقة الوهابية الذين هم على عقيدته المخالفة لأهل السنّة والجماعة والمانعون من زيارة قبره عليه السلام وقبور الصالحين إنما نشأت على مذهبه ومذهب تلميذه ابن القيم[١] . فإنْ أردت أيها الولد عفا الله عنك آمين

---

[١] والشيخ الأفغاني وابن عبد الوهاب ورشيد رضا ومحمد عبده وأضرابهم . (منه) . (هامش الأصل) .

* وسئل – أي ابن حجر نفع الله به بما لفظه لابن تيمية اعتراض على متأخري الصوفية وله خوارق في الفقه والأصول فما محصَّل ذلك . **فأجاب** بقوله **ابن تيمية عبد خذله الله وأضلّه وأعماه وأصمَّه وأذلّه وبذلك صرّح الأئمة الذين بينوا فساد أحواله وكذب أقواله** . ومن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد المتفق على إمامته وجلالته وبلوغه مرتبة الاجتهاد أبي الحسن السبكي وولده التاج والشيخ الإمام العز بن جماعة وأهل عصرهم وغيرهم من الشافعية والمالكية والحنفية ولم يقصر اعتراضه على متأخري الصوفية بل اعترض على مثل عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهما كما يأتي .

والحاصل أنه لا يقام لكلامه وَزْن بل يرمى في كل وَعْر وحَزْنٍ ويعتقد فيه أنه مبتدع ضال ومضلّ جاهل غال عامله الله بعدله وأجارنا من مثل طريقته وعقيدته وفعله آمين . انتهى . « فتاوى الحديثية » لابن حجر ٨٤ .

وأخبرني عنه السلف أنه ذُكر علي بن أبي طالب ﷺ في مجلس آخر فقال إنّ عليّاً أخطأ في أكثر من ثلاث مائة مكان . فيا ليت شعري من أين يحصل لك الثواب إذا أخطأ علي بزعمك كرم الله وجهه وعمر بن الخطاب والآن قد بلغ هذا الحال إلى منتهاه والأمر إلى مقتضاه [ولا ينفعني] إلا القيام في أمرك ودفع شرّك لأنك قد أفرطت في الغيّ ووصل آذاك إلى كل ميّت وحيّ وتلزمني الغيرة شرعاً لله

أن تعرف الأجوبة عن شُبه هؤلاء الطائفة الذين يستدلّون بها من الكتاب والسنة ويؤوِّلونها على غير محامله فراجع « شواهد الحق » و« نور الإنصاف » و« المدائح النبوية » ترى العجب ولعلّك تخرج بعد ذلك ممّا أنت فيه من الإنكار والاعتراض وأنا أنصحك بالحق الحقيق كما نصحتني بالقلم بما هو على الرد بالنصوص حَقِيقٌ .

وأنت أيها الولد كتبتَ بأنّ ما قاله القطب المشهور عبيد الله في تفسير آية ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ هو تفسير بالرأي فلعلّك قصّرت في طلبه وَاسْتَرْوَحْتَ فانظر إلى كتب التفسير لعلّك تجد ما يشفي غليل صدرك وقد ذكر ذلك التفسير صاحب « الرشحات » والعالم العلامة الحبر البحر الفهامة الشيخ يوسف أفندي شوقي الطرابزوني في « هدية الذاكرين وحجة الواصلين » وراجع « الرحمة الهابطة » و« نور الهداية » .

ومعلوم مشهور **أنَّ الخارج من كونه معهم بالقلب بترك محبّتهم هو الخارج من دائرة الشريعة بلا ريب** لأنه لو كان محبّاً لمحبوب الله لما ترك تخيُّله وذلك الترك هو البغض بما أمر الله ورسوله به فانظر إلى قوله عليه السلام « لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكونَ أَحَبَّ إِليهِ مِنْ نَفْسِهِ » **وإلخ وبغض العلم والعلماء كفر** كما هو مذكور في « البريقة المحمودة » فراجعه .

ولرسوله ويلزم ذلك جميع المؤمنين وسائر عباد الله المسلمين بحكم ما يقوله العلماء وهم أهل الشرع وأرباب السيف الذي بهم الوصل والقطع إلى أن يحصل منك الكفّ عن أعراض الصالحين رضي الله عنهم أجمعين . انتهى . « فتاوى الحديثية » ٨٥ راجعه . ففيه في هذا التاريخ بسط وزيادة ببيان المسائل التي خالف الناس . انتهى . (هامش الأصل) .

فإذا كان الأمر كذلك وجب أن نكون مع الصادقين في فعل ما فعلوه وترك ما تركوه من المخالفات وهذا يورث ربط القلب بهم بالضرورة فعلم أن تفسير الآية ليس برأي وبعض الكلام يفسّر بعضاً . قال تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ .

وقولك أيها الولد لم يوجب الله تعالى عليَّ الاعتقاد في الأولياء قولٌ يُخافُ على قائله من سوء العاقبة فعجباً على من يدعي الاجتهاد ومع ذلك يجهل ما يلزمه بهذا الكلام البارد فينبغي له أن يعلم أن من لم يعتقد في أولياء الله يؤذيهم بالقول أو بالفعل ومن آذاهم فقد تعرّض لمحاربة الله بشهادة « مَنْ آذَى وَلِيّاً لِي فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ » والله تعالى لا يحارب إلا كافراً كما صرّح بذلك ابن حجر في « الفتاوى » .

وفي « جامع أصول الأولياء » للقطب أحمد ضياء الدين ما حاصله ما من نبيّ ولا رسول إلاّ وله من هذه الأمّة وارث . . إلخ فكما أمر الله تعالى بالاعتقاد في الأنبياء والمرسلين كذلك يجب على كل مؤمن أن يعتقد في الأولياء وكراماتهم . فراجع « العقائد » .

وأيضاً أن من لا يعتقدهم يحتقرهم **واحتقار أهل العلم من كبائر الذنوب** هذا إن لم يستحلّ آذاهم واحتقارَهم عالماً بذلك وإلاّ فهو مرتدّ يقتل بردّته إذا لم يتب كما هو مصرّح في « تلخيص المراد » في ٣٠٥ .

وفيه **وقد جُرِّب أنَّ مَنْ وقع في العلماء أو طلبة العلم امتُحِنَ بسوء الخاتمة** والعياذ بالله . انتهى فراجعه .

فينبغي أن يعلم المنكرُ المعترض أن إذايتهم إنما تكون بعدم محبّتهم وعدم محبّتهم إنما يكون بعدم اعتقادهم فوجب اعتقادهم ومحبّتهم ليحترز من الدخول في هذا الوعيد الشديد فكما يجب أن يحبّ رسول الله ﷺ ويعتقده ولا يبغضه فكذا يجب حبّ تابعيه وعدم بغضهم[١] .

وأيضاً تكلَّمتَ على كلام الغوث الأعظم[٢] وقصدت بجهدك لردّ كلامه ولا أدري ما الذي حملك على هذا وقد نفيتَ ولاية الله عن الأقطاب والأوتاد وصرّحت أنّ الاستدلال بأقوالهم عبثٌ لا فائدة فيه مع أنّ أقوالهم مشيّدة بصريح الكتاب ومستنبطةٌ من الأحاديث الصحيحة فهذا القول من أعظم الأمور الفاضحة فيا ليتك لم تتفوَّه بهذا . عفا الله عنك بفضله وكرمه وجعلك من المتأدّبين بآداب أوليائه آمين .

وقد رأيت في « شواهد الحقّ » ما نصّه وقد تصدّى شخص للردّ على الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه وأرضاه وعمل في ذلك كراسة وأتى بها إليّ يعرضُها عليّ فطردته ولم أُصغ إلى قوله ففارقني ووقع من سُلَّمِ بيته وكان عالياً فانكسر صُلْبُه وخرج زرّ وَرَكِه[٣] من مكانه فهو إلى الآن مكسور يبول ويتغوّط على نفسه نسأل الله العافية . وقد أرسل لي مرّات أنّي أعوده[٤] فلم أفعل أدباً مع الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه أَنْ أُوَالِيَ من أساء الأدب معه . انتهى نقله عن الشعراني فراجعه ٢٨٨ .

---

[١] فإنّ بغض العلماء كفر كما في « البريقة » . (هامش الأصل) .

[٢] خالد شاه

[٣] وفي نسخة وخرج وركه من مكانه .

[٤] وفي نسخة أنّي أدعو له وفي نسخة أن أعوده .

وفيه بُعيده وكان سيدي علي ابن وفا رضي الله عنه يقول **التسليم للقوم أسلم والاعتقاد فيهم أغنمُ والإنكار عليهم سمّ ساعة في إذهاب الدين** وربّما تنصَّر بعض المنكرين ومات على ذلك نسأل الله العافية .

قال الإمام الشعراني رضي الله عنه فإن أردت يا أخي عدم الإنكار فاجْلِ مرآة قلبك فإنّك تشهد الصوفية من خيار الناس ويقلّ إنكارك وإلاّ فمِنْ لازمك كثرة الإنكار لأنك لا تنظر في مرآتك إلا صورتك . انتهى . فراجعه ١٣٩ .

وقد قال واحد حين يزور يوسف الهمداني إني لأسألنّه شيئاً لا يدري جوابه أصلاً وكان من أجلّ علماء زمانه وأقدمهم فتنصّر ومات على ذلك فالعياذ بالله كما هو مذكور في « الفتاوى الحديثية » لابن حجر .

وقد كان في زماننا هذا عالم ذو جاه لا يفوت منه شيء من فنون العلوم العقلية والنقلية وكان ذا مال كثير بيد أنّه أنكر قطب وقته فغضب عليه وقال انظروا ما ذا يقع له ولماله وغناه فصار أمر ذلك العالم بحيث يرحم عليه كل أحد ونفد ماله وصار مبتلى من كلّ الجهات . عفا الله عنَّا وعنه . آمين .

وكان واحد من أكابر العلماء ينكر شيخنا العسلي قدس سرّه وكان ذا جاه ومنصب أيضاً فغضب عليه فبعد ذلك عزل عن منصبه العليّ وطرأ عليه الجنون ومرض الماليخوليا فصار أمره إلى أسوأ حال ومات على ذلك غفر الله له ولنا . آمين .

وكان في ديارنا أيضاً رجل له علم وذكاء ولم يكن في ناحيته أعلم منه في فنون العلوم فأنكر الشيخ المذكور وكتب إليه كتاباً بكلمات باردة وأقوال فاسدة

لا تصدر قط من أديب فطرأ عليه مرض الارتعاش فصارت أعضاء جسده تتحرّك ليلاً ونهاراً كآلة المخياط وكان لا يقدر أن يحلّ ويعقد حَبْلَ إزاره في وقت قضاء حاجته وساء معه ظنون أهله وأولاده وصار بعد ذلك من أذلِّ الناس وأرذلهم عندهم ومات مطروحاً من طرف الغرفة عفا الله عنَّا وعنه .

وأخبرني بعض من الثقاة من قريته أنّ ذلك العالم لم يقدر يدُهُ بعد ذلك أنْ يأخذ القلم ويكتب به شيئاً .

وكان فينا أيضاً عالم فقيه مشهور فقال لواحد قولاً بارداً في حق الشيخ المذكور قدّس سرّه فقلت لواحد أُنظر ما ذا يحلّ على هذا الفقيه من البلايا فطرأ عليه بعيد ذلك بلايا ومصائب عامة في أمواله وأولاده وعمي ومرض كلّ من الذكور والإناث من أولاده بمرض الماليخوليا ثمّ تنبّه ذلك العالم بفضله تعالى وتاب لدينا وسلك في الطريقة بعد موت الشيخ المذكور قدّس سرّه وحسن حاله ويقول أهل قريته[١] لم يبق أحد من حساده ومنكريه إلاّ وأصابه مصائب جَمّة فهذه من علامة اعتنائه تعالى بأوليائه وأحبابه على وفق ما ورد في الحديث القدسي « مَنْ آذَى وَلِيّاً لِي فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ » . انتهى .

وذكر النبهاني في « شواهد الحقّ » بعد ذكره كلام المعتزلة وإنما العجب من قوم تسمّوا بأهل السنة وزعموا أنهم من حملة تلك المنّة ومع ذلك يبالغون في الإنكار لأنّ كلمة الإنكار حقّت عليهم إلى أنْ ألحقتهم بأهل البوار وأوجبت لهم نوعاً من الوبال والخسار وهؤلاء أقسام .

---

[١] أي الشيخ العسلي .(هامش الأصل) .

فمنهم من ينكر على مشائخ الصوفية ومتابعيهم **ومنهم** من يعتقدهم إجمالاً وأنّ لهم كرامات ومتى عيّن له أحد منهم أو رأى كرامة أنكر ذلك لما خيّله له الشيطان أنهم انقطعوا وأنّه لم يبق إلاّ ملبّس مغرور احتوى عليه الشيطان ولبّس عليه وهؤلاء من العناد والحرمان بمكان أيضاً . وقد تهوّر ابن الجوزي بالوقوع في خطرهم إلا أن تكون له نية صالحة كقصده قمع مبتدعة في زمانه وذلك أنّه صنّف كتاباً سماه « تلبيس الإبليس » تكلّم فيه على شيوخ الصوفية وطريقهم وزعم أنّ إبليس لبّس عليهم .

قال اليافعي ولم يدر أنّه هو الذي لبّس عليه في كلامه هذا واعتقاده فيهم وهو لا يشعر والعجب كلّ العجب منه في إنكاره على سادات ما بين أوتاد وأبدال وصدّيقين وعارفين بالله تعالى قد ملؤوا الوجود كرامات وأنواراً ومعارفَ أعرضوا في بدايتهم عما سوى الله فحصل لهم في نهايتهم من فضل الله ما لا يعلمه إلا الله .

فقول الصغير منهم (**وقفت على باب قلبي عشرين سنة ما جاز به شيء لغير الله إلاّ رددته**) هذا . وهو يعني ابن الجوزي يطول كلامه بحكاياتهم وينفق بضاعته بمحاسن صفاتهم فهلا أخلى كتبه من ذكرهم إخلاءً عامّاً ولا يكون ممّن يحلّونه عامّاً ويحرّمونه عامّاً أَمَا عَلِمَ أنّ علماء أعلام الأمة من المجتهدين ومن بعدهم من الأئمة لم يزالوا قديماً وحديثاً يعتقدون الصوفية ويتبرّكون بهم ويستمدّون منهم ولقد وقع للتقي ابن دقيق العيد أنّه قال في حقّ فقير يعتقده ويخضع له **هو عندي خير من مائة فقيه أو من ألف فقيه** . ونقل ابن حجر عبارة اليافعي إلى آخرها . انتهى ٢٤٢ .

قال الإمام الرباني وإن كان الاعتراض مقدار حبّة خردل فإنّه لا نتيجة للاعتراض غير الحرمان **وأشقى جميع الخلائق وأبعدهم عن السعادة الذين يرون عيوب هذه الطائفة** . انتهى . « الدرر المكنونات » ٣٤٧ . ج ١ . فراجعه .

فيا عجباً لمن يقول على كلام رئيس الطائفة القطب خالد[١] لم[٢] يأمر الله تعالى باعتقاد الأولياء ويردّ كلامه بما لا طائل تحته مع أنّ هؤلاء الأئمة المذكورين كانوا يعتقدون في أولياء زمانهم ويطلبون التبرّك بهم وبرؤيتهم وصحبتهم .

وذكر في « المدائح النبوية » ما نصّه مات جمال الدين الأفغاني في القسطنطينية مفلوجاً بلسانه وكذلك مات بعده بسنوات محمد عبده في

---

[١] أي في قوله في رسالته وإن كان ممن يعتقد أولياء الله . . الخ .(هامش الأصل) .

[٢] وقال جلال الدين السيوطي في رسالته « قمع المعارض » هذا ما اخترته من المقال مما يناسب المقام والتقطته من المظان لهذا النظام تنبيهاً على مقام الأولياء وإشارة إلى علوّ رتبة الأصفياء وتحذيراً مما تأتيه طائفة الأغبياء الظانون أنهم في عداد الأذكياء القادحون بأفهامهم الفاسدة فيما لا يفهمون والخائضون بقلّة تقوّيهم فيما لا يعلمون لا هم وقفوا عند نص القرآن ولا هم امتثلوا ما روي عن سيد ولد عدنان لا هم عملوا بما قرّره أئمة الشأن ولا هم جنحوا إلى طريقة جارية على قانون الحق والعرفان . قال الله تعالى فيما روي في الأحاديث القدسية بين حفاظ الشرق والغرب « من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب » وفي لفظ « من آذى وليّاً فقد استعجل محاربتي وأنّى بالسلامة » وفي حديث مرفوع « من عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة » رواه أهل الأمانة وفي آخر قدسي « من أخاف وليّاً فقد بارزني بالعداوة وأنا الثائر لأوليائي يوم القيامة » . وفيما أوحى الله إلى موسى عليه السلام « من أهان وليّاً أو أخافه فقد بارزني بالمحاربة وباراني وعرض لي نفسه ودعاني إليها وأنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي فيظن الذي يحاربني أن يقوم لي أو يظن الذي يعاديني أن يعجز لي أو يظنّ الذي يبارزني أن يسبقني أو يفوتني وكيف وأنا الثائر لهم في الدنيا والآخرة لا أكِلُ نصرتهم إلى غيري . انتهى من « هامش الدرر المكنونات » في ٢٨٠ ج١ . (هامش الأصل) .

الإسكندرية مفلوجاً بلسانه وعظم الداء فيهما حتّى قطع لسان كلّ منهما ولم يحصل فائدة حتى ماتا[١] شرّ ميتة على أسوأ الأحوال نسأل الله العافية ومع ذلك لم يعتبر بهما هؤلاء الجهال الذين اتبعوهما على الضلال والإضلال . انتهى ٣٧٧ .

وفيه أيضاً قد رأيت في منامي منذ سنوات الشيخ رشيد رضا هذا وهو أسود اللون بلون الحبشي وعرفت أنا في المنام أنّ هذا من الغضب الإلهي عليه وأنّه حصل له بسبب جريدة « المنار » فنصحته في المنام بتركها وقلت له تقدر أنْ تستفيد ما تستفيده منها من الدنيا بجريدة أخبارية تُنْشِؤُها عوضاً عنها فلم يردّ عليّ جواباً في المنام ثم استيقظت وجاء إلى بيروت بعد سنوات من رؤياي هذه فأخبرته بها فما أثّرت فيه شيئاً . انتهى .

وفيه لا يخلو كتاب من كتب ابن تيمية من شيء يدلُّ على أنّه من الحشوية ومخالف لأهل السنة . انتهى ٤١٥ . **وأظنّ** أن سبب اعتراضك على هذه الطائفة الصوفية إنما ظهر من النظر إلى كتب الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم[٢] وأتباعه .

---

[١] وهما من أتباع ابن تيمية في انتشار بدعه عفا الله عنهم آمين .

[٢] ورأيت في « الفتاوى الحديثية » لابن حجر ما يصرّح بعدم الإصغاء إلى ما في كتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم فراجعه وفي « الرسالة الزينية » ما ينشرح به الصدور ويردُّ كلامهما فحرّر والله الموفق للصواب . (منه) .

فلئن كان للعلم حرمة فللعلماء أيضاً حرمة والمؤمن يلتمس المعاذير والمنافق يتبع العيوب بل يحدث بها بغير حق ولا أجهل ممن يتعصب بالباطل وينكر لما هو به جاهل . من هامش « الدرر المكنونات » في ٨٨ ج١ .

. . . .

وقال الشيخ الشعراني رحمه الله في « لطائف المنن » وقد يكون سبب الإنكار جهل المنكر بمصطلح القوم وعدم ذوقه لمقاماتهم فالعاقل من ترك الإنكار وجعل ما لم يفهمه من جملة مجهولاته لا سيّما ولم يبلغنا عن أحد منهم ما يخالف الشريعة أبداً وربّما تكلّم العارف في شعره أو غيره على لسان الحق تعالى وربّما تكلم على لسان رسوله ﷺ وربّما تكلم على لسان القطب فيظن بعضهم أن ذلك على لسانه هو فيبادر على الإنكار .

وقد سمعت سيدي علياً الخواص يقول أقلّ درجات الأدب مع القوم أن يجعلهم المنكر كأهل الكتاب لا يصدقهم ولا يكذبهم . وكان سيدي علي وفا يقول التسليم للقوم أسلم والاعتقاد فيهم أغنم والإنكار عليهم سمّ ساعة في ذهاب الدين وربّما تنصّر بعض المنكرين ومات على ذلك نسأل الله تعالى العافية . انتهى .

فإن أردت يا أخي عدم الإنكار فأَجْلِ مرآة قلبك فأنت تشهدهم من خيار الناس ويقِلّ إنكارك وإلا فمن لازمك كثرة الإنكار لأنك لا تنظر في مرآتك إلا صورة نفسك فافهم . انتهى مختصراً في١٠٧ .

وقال في مقدمة « شرح تائية » للإمام العارف الصفديّ ويجب تحسين الظن بأولياء الله تعالى فإنّ إساءة الظن بعموم المؤمنين حرام فكيف بأولياء الله تعالى ولله في خلقه أسرار لا اطلاع للعوام عليها بل يطلع عليها من شاء من خاصته . انظر إلى ما وقع من الخضر عليه السلام من خرق السفينة وقتل الغلام وقوله بعد ذلك ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ فسلّم لهم حالهم ولا تتابعهم فيما لا يوافق ظاهر الشرع وشرط جواز الاعتراض أن يكون ممن أحاط بهم بعلم الظاهر والباطن وإلا فهو قاصر فيسعى في إصلاح نفسه أوّلاً . انتهى في ١٠٨ ج١ .وقد صرح غير واحد بأنّ الجاهل باصطلاح الصوفية لا يجوز له أن يخوض في كلامهم لأنّ ذلك يوقعه في رمي أولياء الله تعالى بالكفر والزندقة كما وقع ذلك لغير واحد . في ١٢٤ ج١ .

والمعاند يرغب في إخراج المسلمين من الإسلام بأدنى شبهة لاسيّما قوماً مشهورين بالصلاح يرشدون العباد إلى الله تعالى . في ١٢٨ ج١ .

فعلى الحكام وولاة الأمور أن يسعوا في تأديب أمثال هؤلاء المتجرئين بالسعي المَوْفور وأن لا يخلوهم في ضلالهم القديم بل ينبغي أن يهتموا في التأديب والزجر بالاهتمام العظيم حتى ينقطع القيل والقال بين الآحاد وينسدّ باب التعصب والتجرؤ وينعدم الفساد . في ١٥٤ ج١ . فوجب على كل من بيده القلم والسيف أن ينصر الإسلام والمسلمين ويؤيّد أولياء الله تعالى فهم في الحقيقة هم العلماء العاملون في١٥٧ ج١ . ولا يتكلف في حمل الكلام على أمر بعيد من مخالفة الشرع وإيجاب التكفير الشديد والتكفير أمر عظيم لا يتجرأ عليه إلا من هو غافل أوجاهل لئيم . قال في « البحر » والذي تحرّر أنه لا

أيها الولد إنّ الكتب من كتب أئمتنا كثيرة فيا ليتك تقتصر النظر إليها ففيها ما يكفيك في الدين والدنيا ولا تنظر إلى كتب هؤلاء القوم الذين صرفوا آيات القرآن عن مصارفها وحملوها إلى مقاصدهم الفاسدة الكاسدة ويا ليتك تنظر إلى غيرها من الكتب التي ردّ مؤلّفوها جميع ما أثبت أولئك القوم المخطئون كـ« شواهد الحقّ » وكتب الإمام السبكي و« الفتاوى الحديثية » و« الفتاوى الكبرى » لابن حجر وغيرها . وأرجو الله تعالى أن يصرف همتك إلى أحسن الأحوال وأن يخرجك عن هذه الورطات وهو على ذلك قدير وبالإجابة جدير .

يفتى بتكفير مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن أو كان في كفره اختلاف ولو رواية ضعيفة . انتهى . وباب التأويل لكلام الأولياء مفتوح ولا خير في الحكم بكفر مسلم فكيف بوليّ من أولياء الله تعالى في١٦٣ ج١ .

الرابطة

ثم اعلم أيها الولد لما كتبت لدينا ما بَدَا لك في حقّ الرابطة وعدّدْتَ من يفعلها من المشركين لا بدّ لنا من أن نكتب ما ظهر لنا من الأدلة في إثباتها .

قال الإمام الرباني في « مكتوباته » اعلم أنَّ حصول رابطة الشيخ للمريد بلا تكلّف وتعمّلٍ علامة المناسبة التامّة بين المرشد والمريد التي هي سبب الإفادة والاستفادة ولا طريق أقرب من طريق الرابطة أصلاً فيا سعادة من استسعد بهذه الدولة .

أورد حضرة الخواجه أحرار قدّس سرّه في « الفقرات » إنّ ظلّ الدليل أولى من ذكر الحقّ سبحانه باعتبار النفع يعني إن ظلّ الدليل أولى للمريد من اشتغاله بالذكر فإنه لم تحصل بعد للمريد مناسبة كاملة بالمذكور جلّ وعلا حتى ينتفع من طريق الذكر انتفاعاً تامّاً . انتهى . فراجع « الدرر المكنونات » في ١٦٠ من الجزء الأول .

وفي « جامع أصول الأولياء » ما نصه الرّابطة هي أقرب الطرق ومنشأ ظهور العجائب والغرائب فالذكر وحده بلا رابطة وبلا فناء في الشيخ ليس موصلاً وأما الرابطة وحدها مع رعاية آداب الصحبة فكافية في الاتصال . انتهى ٥٦ .

ونقل مؤلف « الفتاوى العمرية » قدّس سرّه عن « شرح العباب » لابن حجر رحمه الله تعالى بما نصّه وخوطب النبيّ عليه السلام كأنه الحاضر

ليكون حضوره سبباً لمزيد الخشوع . انتهى ويسلّم على نبينا ﷺ ويمثله بَيْنَ عَيْني قَلْبِهِ . وقد رأى ابن عباس صورة رسول الله ﷺ حين نظر إلى المرآة دون صورة نفسه بفنائه في الرابطة . « شرح الشمائل » لابن حجر ملخصاً .

ومن آداب الذاكر أن يخيّل شخص شيخه بين عينه . وهذا من آكد الآداب « نفحات القدسية » للشعراني .

وفي « الفتاوى العمرية » **ثم اعلم** أنّ الرابطة في اصطلاح الطريقة النقشبندية عبارة عن ثلاثة أمور عظيمة مقبولة مطلوبة شرعاً وهي رابطة الحضور رابطة الموت رابطة المرشد .

أما الرابطة الحضور فهي عبارة عن ربط قلب المريد بالله تعالى على طريق المحبة الكاملة وتفكُّره معيَّتَه تعالى وكونه حاضراً وناظراً إليه وسميعاً عليماً بصيراً على مقتضى « كَأَنَّكَ تَرَاهُ » ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ عاملاً مضمون الحديث « أَفْضَلُ الأَعْمَالِ أَنْ تَعْلَمَ أَنّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ » . فهذه أشرف الرابطات الثلاث وأعلاها بل هي المقصود الأصلي . وأما الأخريان فهما وسيلتان لتحصيل هذه الرابطة كما سيجيء تفصيلها .

وأما رابطة الموت فهي عبارة عن ربط القلب بالموت والقبر والقيامة وتفكر أهوالها وأحوال نفسه على مقتضى « مُوتُوا قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا » « وحَاسِبُوا قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا » « وَكُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ وَعُدَّ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِ القُبُورِ » .

وأما رابطة المرشد التي اتخذها بعض العلماء الذين لا حظّ لهم من فيوضات أهل الله الكمّلين وأكثر الجهلة المقلدين المعترضين هدفاً لاعتراضهم بغير دليل مبين .

فهي عبارة عن ربط قلب المريد بكمال المحبة والإخلاص على نبي من أنبياء الله تعالى أو وليٍّ من أوليائه تعالى أو على جميعهم أو على السلسلة المنسوبة المتصلة إليه أو سيدنا ورسولنا محمد ﷺ بلا واسطة إن كان من أهلها أو شيخه ومرشده الكامل الفاني في الله أو على من له حسن ظنّه بلا تردّد فهذه الرابطة الحبية ملزوم **وأما لازمها فالاستفاضة والاستمداد منهم وتخيّل صورهم أو صور روحانيتهم** . وذلك أن المريد إذا ربط قلبه بهم بالمحبة الكاملة بحيث كأنه حاضر معهم في مجلسهم وناظر إليهم على مقتضى ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ أي جسماً إن أمكن أو روحاً إن لم يمكن يلزم عليه تخيل صورهم وتذكرهم وتخطرهم جسماً أو روحاً بالضرورة والطبيعة لأن المحبة عبارة عن توجه القلب وميله نحو المحبوب وطول الفكر في محاسن المحبوب وصفاته الجميلة حتى يصير بينهما الائتلاف الروحاني ثم تتأكد المحبة فتصير خُلَّة ثم تتقوَّى فتصير هوىً ثم يزيد الهوى فيصير عشقاً وهو إفراط المحبة حتى لا يخلو العاشق من تخيل معشوقه وذكره وفكره ولا يغيب عن خاطره وذهنه كما قال اليافعي:

الحب نار سوى المحبوب تحرقه فيعقب البرد من عذب الوصالات

فإذا تمّت الرابطة وحصلت الائتلاف الروحاني بين السالك المرابط وبين المرابط عليه فله أن يستمدّ من روحانيته ويستفيض من فيضه وبركته ويتوسل به إلى الله تعالى وكذا يطلب الشفاعة والهمة والإعانة به وحينئذ يستفيض منهم في الغيبة كالحضور وينزجر عن المعاصي والشرور فهذه هي الرابطة عندنا **بل الرابطة موجودة في قلب كلّ مؤمن ومؤمنة يحبُّ الله ورسوله ويحب أولياء الله بالضرورة والطبيعة على حسب محبته واستعداده وقابليته** كما هي مشاهدة في حقّ النبي عليه السلام وسائر الصحابة حتى ينبغي لكلّ مؤمن أن يلاحظ ممدوداً من النور كالتلغراف من قلبه إلى قلب النبي عليه السلام ويستفيض منه في كل وقت وعلى كلّ حال وكذا تخيّل شخصه الكريم حتّى في تحيَّةِ الصلاة المفروضة . كما قال الغزالي في « الإحياء » وأحضر في قلبك النبي عليه السلام وشخصه الكريم ثم قل (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله) وليصدق أملك في أنه بلغه ويردّ عليك ما هو أوفى منه . انتهى قول الغزالي ملخصاً .

ثمّ اعلم أن الرابطة الحُبّية القلبية كانت تحصل للصحابة والتابعين وأتباعهم بلا احتياج إلى التكلّف والتنبيه منهم على وجه الاضطرار ثمّ لمّا تمادى الزمان وتكدّرت القلوب وقلّت المحبة احتاج المشائخ إلى التنبيه عليها والتصريح بها فأمر الخلفاء المرشدون السالكين بالتكلف فيها لجمع قلوبهم وتأليفها لأجل الاستفاضة ثمّ عبّروا عن هذه المحبة بالرابطة **لأنّ العشق والمحبة يربط القلب المحب بالمحبوب ويقيِّد به فيحصل الارتباط الروحاني بينهما** وقد يسمّونها نسبة ويسمّى طريقهم طريق العشق والمحبة رضاءً لله تعالى لا لغرض سواه كما في الحديث « أَفْضَلُ الأَعْمَالِ الحُبُّ فِي اللهِ وَالبُغْضُ فِي الله » .

وهذه المحبة اختيارية وعقلية لأنه يختار بحكم العقل منفعته بخلاف محبة الأولاد فإنها طبيعيّة وشهوتيّة **وقد تنقلب الاختيارية اضطرارية وذلك بعد حصول الاتحاد الروحاني بينهما** .

ثم إنّ الرابطة والمحبة أصالة لرسول الله عليه السلام وتبعٌ لورثته الكاملين فكيف لا وقد قال الله تعالى ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ الآية . فانظر كيف أشركهم في الدعوة والإرشاد فكما جازت الصلاة والسلام عليهم تبعاً جازت الرابطة إليهم تبعاً . « رسالة الرابطة » لأخينا فصيح أفندي البغدادي . ً فيلاحظ صورة النبي عليه السلام أو روحانيته بالملاحظة الإجمالية إن لم يمكن له ضبط شمائله الشريفة وحليته المنيفة على ما بُيّن في الكتب فالاستحضار بقدر الإمكان مع ربط القلب بحضرته العلية بالمحبة الكاملة يكفي في تحصيل المناسبة الروحانية إلى ذاته العلية ثم إذا حصل الاستعداد وترقى الحال والمقام عسى أن يتجلّى له روحانيته العلية فيحصل المرام **ومن هنا احتاج السالك إلى انتساب المرشد الحي الذي هو نائبه عليه السلام ليتوجه عليه بواسطة شيخه الفاني في الرسول وفي الله** فإن لم يجد مرشداً حيّاً فيتوجه أوّلاً إلى روحانية شيخ من المشائخ المشهورين بالإرشاد كعبد القادر وشاه نقشبند وجلال الدين الرومي أو غيرهم أو يتوجه إلى النبي عليه السلام بلا واسطة على قدر الإمكان بالضرورة . « رسالة الرابطة » لأخينا فصيح أفندي . قال الفاسي في شرح « دلائل الخيرات » في شرح حديث « إنَّ أَوْلَى النَّاس بِي أَكثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلاَةً » لأن كثرة الصلاة تدلّ على شدة حبّه وقوّة متابعته لأنّ « مَنْ أَحَبَّ شَيْئاً أَكْثَرَ ذِكْرَهُ » « والمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ »

وإنّ المحبَّ لمن يحبّ مطيع[١] . فحينئذ قرب روحه من روحه عليه السلام وحصل بينهما التعارف والائتلاف والارتباط والمناسبة فكان أولى الناس به .

من أجلّ الفوائد الصلاة علي النبي ﷺ

ومن أجلّ الفوائد المكتسبة في الصلاة عليه السّلام انطباع صورته الكريمة في النفس انطباعاً ثابتاً متأصلاً متصلاً حتى يُمكَّن حبّه من الباطن تمكّناً صادقاً خالصاً يصل بين نفس الذاكر ونفس النبي عليه السّلام ويُؤْلف بينهما في محلّ القرب لأن الحب يوجب الاتباع للمحبوب والاتباع يؤذن بالقرب والوصال ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ .

وفي الحديث « الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وما تَنَاكَرَ منها اخْتَلَفَ » . انتهى كلام الفاسي رحمه الله .

فكما لا تقبل الصلاة إلاّ بالتوجه إلى الكعبة لا يحصل التوجه إلى الله تعالى إلاّ باتباع رسوله عليه السلام وربط القلب به وبنبوّته وأنه هو الواسطة بينه وبين الله تعالى دون غيره من الأنبياء لأنهم وإن كانوا أنبياء لكن لا يحصل فيض منهم إلاّ بعد ارتباط القلب بمحمّد ﷺ كما لم يحصل الإيمان والفيض لليهود بمجرّد ربط قلوبهم بموسى عليه السلام مع أنهم يقرّون وحدانية الله

---

[١] عجز لبيتين من الشعر هما

تعصـي الإله وأنت تـظهر حُبَّه ... هــذا لعمري في القياس شـنيع
لو كنت صــادق حُبّهِ لأطـعته ... إنَّ الـمُـحِبَّ لمـن يحبُّ مطيع

تعالى وفي الحديث « لَوْ كَانَ مُوسَى حَيّاً لَمَا وَسِعَهُ إِلاَّ اتِّبَاعِي » ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا ﴾ . . إلخ الآية .

وحقيقة الرابطة إلى رسول الله ﷺ أنْ يتوجّه السالك ويقابل لطائفه لطائف الرسول عليه السّلام ويستفيض منه بكمال الأدب والتضرُّع بلا واسطة إن كان من أهله وإلاّ فبواسطة المرشد « فتاوى العمرية » .

اعلم أنّ من جُمْلَة الأدلة الوَاضِحة في إثبات الرابطة قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ لأنّ الصلاة عليه لاستجلاب رحمة على أنفسنا وابتغاء الوسيلة إلينا كما ورد في الحديث « اِبْتَغُوا إِلَى اللهِ تعالى الوَسِيلَةَ بِالصَلاَةِ عَلَيَّ » .

قال عياض الصلاة من الله رحمة لمن دون النبي وأما للنبي ﷺ فهي زيادة مكرمة وتشريف « شفاء شريف » . الصلاة من الله وصلة ومن الملائكة رفعة ومن الأمّة متابعة ومحبّة .

حكمة مشروعية الصلاة على النبي ﷺ

وحكمة مشروعية الصلاة عليه لأنّ الاستفاضة في اقتباس العلوم اللدنية والمعارف الإلهية من روح رسول الله عليه السّلام تتوقف على حصول المناسبة الروحانية بين المستفيض وبينه عليه السّلام إذ هي أمور روحانية فلا بدّ من حصولها بينهما ولذلك شرعها فإنّ الصلاة والتسليم عليه بحضور القلب والمحبة الكاملة مع تدبّر معناهما والتفكّر في أنه على من يصلّي ويسلّم تستلزم التوجه إليه وتصوّره وتخيله بوجه مّا وربط القلب به لا محالة وهذا بَدِيهِيٌّ عند كل من له عقل سليم وطبع مستقيم إلاّ أن يكون القارئ جاهلاً لا يفهم ما يقول ولا يعرف اسم الرسول لأنّه إذا ذكر اسم شيء مّا أو رؤي بالعين عنده لا بدّ من تخيل مسمّاه وتصوّره سواء كان خيراً أو شرّاً وسواء كان بطريق المحبة أو بطريق البغض والعداوة لأنّ الإنسان إذا ذكر عنده واحد أو رؤي مثلاً كالسلطان أو العالم الفلاني أو الشيخ الفلاني أو البنت الفلانية أو اليهودي الفلاني لا بدّ من تخيّل صورة ذلك المذكور في قلب الإنسان أو في خزانة الخيال التي في ناصية الإنسان بين عينيه ودخول صورة شخصه فيه بحيث لا يمكن دفعه في ذلك الوقت أصلاً .

لكن إن كان التخطّر والتخيّل والتفكّر بطريق الشهوة والمحبّة المجازية تتولّد منه حرارة الشهوة حتّى يكاد ينزل المني بل ينزل بدوام تفكر المحبوبة وتخيلها كأنه جامعها .

وإن كان بطريق العداوة يتولّد منه البغض ويتزايد كلما خطر بباله وخياله وتنفر منه الطبع وتنقبض ويؤثّر في القلب تأثيراً بحيث يظهر تأثيره المضرّ إلى ظاهر البدن حتّى يمرض بسببه كما هو مشاهد .

وإن كان التخيّل والتصوّر والتذكّر والتفكّر بطريق الحبّ في الله والاستفاضة والاستمداد والتوسّل والتوسّط وطلب انعكاس الفيوضات الإلهية من قلبه إلى قلب المرابط المستفيض يتولّد منه أمور عظيمة روحانية مقبولة مرضية عند الله تعالى من الإعراض عن الدنيا والإقبال على الله وانعكاس الفيوضات الإلهية والتخلّق بأخلاق شيخه ومرشده وتزايد المحبّة الإلهية والقرب إلى الله تعالى والوصلة والفناء في الله بعد الفناء في شيخه يعني بعد التخلّق بجميع أخلاق شيخه المستقيم المرشد وتحصيل رضاء الله تعالى لأنّ المريد إنما يحبّ شيخه بحبّ الله تعالى **فلو أعرض شيخه عن الصراط المستقيم أو ارتدّ والعياذ بالله فلا يُحِبُّه أصلاً بل يبغضه** .

حقيقة الرابطة

فإذا تحقّق هذا فقد تحققت الرابطة وحصلت **إذ هي عبارة عن المحبّة الكاملة** فيستلزم عليها بالضرورة التوجّه والتصوّر وربط القلب به وتذكّره على مقتضى « إذا أحبّ شيئاً أكثر ذكره » مع أنّ الصحابة كانوا عارفين شخصه الكريم بالمشاهدة وعالمين بمعنى اللغة والكلام فهل يُتصوَّر منهم أن يُصلُّوا على النبي عليه السّلام غافلين من غير تخيّل جماله واستحضار شخصه الكريم في قلوبهم وهو قرّة عيونهم وروح أنفسهم وهذا من قبيل المحال . كما

قال أهل النظر **الطلب بلا تصوّر محال** لأنّه توجه القلب إلى المطلوب . كما قال الغزالي في « الإحياء » في باب ما ينبغي الاستحضار في أركان الصلاة وأحضر في قلبك النبي ﷺ وشخصه الكريم وقل السلام عليك وليصدق أملك في أنّه يبلغه ويردّ عليك ما هو أوفى منه .

وأما الصلاة على النبي ﷺ بلا محبة ولا استحضار شخصه ولا ملاحظة ذاته الكريم فقليل الفائدة بل كمشي الهائم . انتهى « الفتاوى العمرية » .

وفيه نعم مخاطبة غيره ﷺ في الصلاة مبطلة لها وإحضار الصورة فيها والتسليم على صاحبها من خصائص روح الوجود وصاحب المقام المحمود كذا في « رسالة الرابطة » لمولانا خالد .ولعلّ معناه انّ إحضار صورة الغير عند خطاب (السلام عليك) وإلاّ **فإن مطلق إحضار صور الأولياء في الصلاة لأجل جلب الخشوع والحضور مطلوب مرغوب** كما قال حجة الإسلام الغزالي في باب الخشوع من « الإحياء » ما معناه فإن كان المصلّي لا يخشع في صلاته فَلْيُلاَحِظْ عنده أو خلفه أو أمامه رجلاً صالحاً يستحي منه من أستاذه أو شيخه وكأنه ناظر إليه فحينئذٍ يتمّ ركوعه وسجوده وخشوعه وحضوره بسبب اطلاع ذلك الصالح على صلاته . « إحياء العلوم » فراجعه إن كنت من المذكّرين .

وفي الحديث « اِسْتَحْيِ مِنَ اللهِ اسْتِحْيَائَك مِنْ رَجُلَيْنِ مِنْ صَالِحِي عَشيرَتِكَ » .

وفي الحديث « عِنْدَ ذِكْرِ الصَالِحِينَ تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ » . فكيف لا يجوز ذكر الصالحين وتفكرهم مع أنّا مأمورون به في قوله تعالى ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ .

ونقول **السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين** فهل تكون القراءة بلا ملاحظة معنى بحيث لا يعرف توجُّه الضمائر ومرجعها فنلاحظهم ونذكرهم بالمحبّة الكاملة . وأما الشيطان في **أعوذ بالله من الشيطان الرجيم** وكذا اليهود والنصارى في ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ فنذكرهم على طريق العداوة ونخيل صورهم حين ذكر اسمهم بالبغض والنفرة . انتهى .

وقال الشيخ سليمان الزهدي قدّس سرّه في « تبصرة الفاصلين عن أصول الواصلين » بما نصّه هذا **واعلم** أنّ معاشر النقشبندية والخواجكانية متفقون على أنّ الرابطة[1] أصل من أصول طريقتهم المنتسبة إلى الصديق الأكبر رضي الله عنه معنعناً وهم أهل الله الكرام وأهل الأمانة والإحسان وصاحب الحقّ اليقين . انتهى .

وقال القطب الحقيقي خالد البغدادي في « رسالته » بعد كلام بما نصّه كلا إنّها يعني الرابطة أصل عظيم من أصول طريقتنا العلية النقشبنديّة بل أعظم أسباب الوصول بعد التمسّك التّامّ بالكتاب العزيز وسنة الرسول عليه السّلام . **ومن ساداتنا** من يقتصر في السلوك والتسليك عليها . **ومنهم** من كان

[1] فالربط بالقلب مع الشيخ أصل كبير في الاستفاضة بل هو أصل الأصول « رماح حزب الرحيم » ١٦٣ ج٢ . من هامش « جواهر المعاني » فراجعه . وفيه في الفصل الخامس والثلاثين ما ينبغي مراجعته . فراجعه في ٢ من الجزء الثاني . (منه) .

يأمر بغيرها مع التنصيص على أنها أقرب الطرق إلى الفناء في الشيخ الذي هو مقدّمة الفناء في الله تعالى . **ومنهم** من أثبتها بنصّ قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ .

فقال من ساداتنا الكبار الشيخ عبيد الله المشهور بخواجه أحرار قدّس سرّه ما حاصله **إنّ الكينونة مع الصادقين المأمور بها في كلام ربّ العالمين الكون معهم صورة ومعنى** ثمّ فسّر الكينونة المعنوية بالرابطة وهو عند أهله مشهور . وفي كتاب « الرشحات » بالتفصيل مسطور فكأنّهم لم يتصوَّروا معنى الرابطة اصطلاحاً وإلاّ لما وسعهم إنكارها إذ هي في الطريقة عبارة عن استمداد المريد من روحانية شيخه الكامل الفاني في الله بكثرة رعاية صورته ليتأدّب معه ويستفيض منه في الغيبة كالحضور ويتمّ له باستحضارها الحضور والنور وينزجر بسببها عن سفاسف الأمور وهو أمر معلوم لا يتصوّر جحوده إلاّ ممّن كتب الله تعالى في جبهته الخسران واتّسم والعياذ بالله تعالى بالمقت والحرمان لأنّه إن كان ممن يعتقد بالأولياء فقد صرّحوا بحسنها وعظم نفعها بل واتّفقوا عليها كما لا يخفى على من تتبع كلماتهم القدسية واستنشق نفحاتهم الأُنسية **وإلاّ فلا بدّ أن يعتقد بكلام أئمة الشرع وأساطين الأصل والفرع فقد قال بها مِن كلِّ مذهب من المذاهب الأربعة أئمةٌ تصريحاً وتلويحاً** . انتهى .

ثم ذكر وسَرَد بعده كل من قال بها من أئمة المذاهب مع تعيين المواضع ليراجع إليها من ليس في قلبه مرض وأطال في ذلك .

وقال العالم محمّد الحلمي (المدرّس بمدينة كوملجنه) وإن أخذ هذا القائل من الرابطة التي هي الاستمداد من شيخه ظاهراً وباطناً والمحبة الكاملة له معنى اتخاذ الشيخ مرشداً ومعبوداً بالذات ومقصوداً للمريد فهذا قول نشأ من عدم فرقه بين الرابطة المشروعة المقبولة عند أرباب الطريقة والشريعة وبين الرابطة المردودة التي سوَّاها بالصنم .

نعم إن كان معنى الرابطة بهذا المعنى فنحن معه في مردوديَّته وإيجاب الكفر لكن الرابطة التي من آداب الطريقة بمعنى ربط القلب ظاهراً وباطناً بشيخه ومرشده القريب وبواسطته إلى مرشد مرشده وبواسطته إلى مرشد جميع المرشدين نبينا محمد ﷺ وبواسطته إلى خالقنا وهادينا بالذات **لأنّ مقصود جميع المريدين والمسلمين الوصولُ إليه** والكلام في هذا المرام كثيرٌ لكن العارف المنصف يكفيه القليل والجاهل المعاند لا يقبل الحقّ وإن تُلي عليه الفرقان والتوراة والزبور والإنجيل . انتهى . فراجع « هدية الذاكرين » من هامشه .

وفي « الرحمة الهابطة » وقد ورد عليّ السؤال من بعض المعترضين وهو أن الرابطة التي تأمرون المريد بها لا تخلو بقرينة الأمر بها من أن يكون حكمها الإيجاب أو الندب وهما أمران شرعيان لا بدّ لهما من دليل والأدلّة الكتاب والسنة والإجماع والقياس وغيرها من الأدلّة راجعٌ إليها فما الدليل[1] على

---

[1] والطريقة عين الاتباع وعين الشريعة لا يحتاج [إلى] السند والدليل من غيرهم فإنَّ رجال الطريقة العلية ثقاة . « مجموعة الرسائل » . (ببلات القلزمي) .(هامش الأصل) .

* وقال ﷺ في « لواقح الأنوار القدسية » وهي العهود الكبرى أُخِذَ علينا العهْد التامُّ العامُّ من رسول الله ﷺ أن لا نقبل من أحد من الأشرار هديَّةً كالظلمة وأهل البدع فضلاً عن الكفار « لأَنَّ المَرْءَ مَعَ

ندب الرابطة أو وجوبها وأيضاً لا شكّ أنّ النبي ﷺ شيخ الصحابة لأنّهم أخذوا عنه الأذكار وغيرها فلم يبلغنا أنه أمرهم[١] بتصوّر صورته التي هي أكمل الصور الإنسانية فلو أمرهم لنقل لا سيّما إذا كان ذلك واجباً لأنّ الواجب ممّا تتوافر الدواعي على نقله . انتهى .

فأقول الجواب عن هذا السؤال من وجوه

الأول أنّ الرابطة التي نأمر المريد بأمر السادة النقشبندية (الذين هم قال الشهاب ابن حجر في « الفتاوى الصغرى » عن طريقهم إنها الطريقة السالمة من كُدُورات جَهَلة الصوفية) مندوبة لأنها من الوسائل الموجبة لدفع الخطرات ونفي الغفلة والوسائل لها حكم المقاصد والأمر الذي لم يَنْهَ عنه الشرع يَسُوغ فعلُه إما على طريق الإباحة إن أدى إلى مباح أو الندب إن أوجب مندوباً أو الوجوب إن حصّل واجباً لا يحصل بغيره فقد حصل لنا بالتجربة ونحن قوم

مَنْ أَحَبَّ » ولا نُحِبُّ أنْ نُحْشَرَ مع ظالم أو مبتدع ولا كافر . فإنَّ مَنْ قبل هديَّةَ هؤلاء مال بقلبه إلَيْهم ضرورةً إلاّ أن تحفه العناية بالسلوك علَى يد شيخٍ ناصحٍ يسلك به في حضرات التوحيد حتى يصير يشهد المُلْكَ لله عزَّ وجلَّ وحده ويتحقَّق بذلك ذوقاً أنَّه إذا تنزَّل لِنسب الشرائع بكسر النون أضاف الأمور إلى الخلق من غير وقوف معهم وما لم يسلك العبد على يد شيخ لا يشهد الملك ببادي الرأي إلاَّ للخلق ولا المنَّة في ذلك إلا لهم دون الله تعالى ولا يكاد يشهد المنَّة لله تعالى إلاَّ بعد تأمل وتفكر . . إلخ . « سبيل النجاة » ١٥ للنبهاني قدس سره .

* روى ابن حبان وأبو الشيخ عن أنس ﷺ قال « قال رسول الله ﷺ المؤمنون بعضهم [لبعض] نَصَحَةٌ وادّون وإن بعدت منازلهم وأبدانهم والفَجَرَةُ بعضهم لبعض غَشَشَةٌ متخاونون وإن قربت منازلُهم وأبدانُهم » . « سبيل النجاة » ١٠ (هامش الأصل) .

[١] وأيّ أمر أبلغ من قوله عليه الصلاة والسلام « وكونوا عباد الله إخواناً » أي تعاونوا وتحابوا . « البخاري » . والمحبة ملزوم والرابطة لازمها على مقتضى « إذا أحب شيئاً أكثر ذكره » . فقولنا رابطة شريفة من قبيل ذكر اللازم وإرادة الملزوم . (ببلاة القلزمي) . (هامش الأصل) .

أكثر من عدد التواتر أنا إذا تَصَوَّرْنَا الرابطة انتفت عنّا الأغيار كلّها وبقي هذا الغير وحده فنعرض عنه حينئذ وهذا مثل إنسان له أعداء فَتَوَدَّد إلى بعضهم وسلّطه على باقيهم فإذا أهلكهم عنه لم يبق إلاّ واحد فيقدر إزالته فيزيله وهذا وجه ينبغي للمنصف أن يتأمّله فإنه ظاهر الحسن مطابق للواقع **لأن الرابطة ليست مرادة لعينها بل مرادةٌ لغيرها** .

الثاني قولكم (لا تخلو بقرينة الأمر بها من أن يكون حكمها الإيجاب أو الندب) .

أقول لا نُسَلِّمُ أنّ غير الشارع إذا أمر بأمر أن يكون حكمه الإيجاب أو الندب وأن الإنسان قد يأمر غيره بفعل مباح لغرض مّا من الأغراض له أو للمأمور وقد يأمر الطبيب المريض بشرب بعض الأدوية فإن كان امتثال أمر الطبيب واجباً أو مندوباً فما نستعمله من قبيله .

الثالث قولكم (وهما شرعيّان لا بدّ لهما من دليل)

أقول هذا بناء على قولنا (أنّ الرابطة توصل إلى أمر مندوب وما أوصل إلى المندوب مندوب) فالدليل موجود لا على قولكم (كل مأمور به لا يخلو من أن يكون حكمه الإيجاب أو الندب) لما ذكرنا من أن غير أمر الشارع قد يخلو منهما ويكون لغرض مّا .

الرابع قولكم (والأدلة الكتاب) .

أقول وهل يَعْزب عن الكتاب شيء وهو قد جمع كل رطب ويابس . قال الله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ والوسيلة

بالأعمال الصالحة ولا تكون الأعمال صالحة إلا بالإخلاص ولا يكون العمل خالصاً إلا إذا خلا عن الشوائب وقد حصل لنا بالتجربة أنّا إذا اشتغلنا بالرابطة خَلتْ أعمالنا عن شوائب الغفلة **والعمل في الغفلة غير مُعْتَدٍّ به** لأنه لا يُكْتَبُ للعبد من صلاته إلا ما عقل منها فهي من الوسائل الموجبة لزوال الغفلة **وزوال الغفلة مقصود** وما أوصل إلى المقصود مقصود ومن لوازم زوال الغفلة الحضور وهو من أشرف الوسائل فالرابطة الموجبة لزوال الغفلة الموجب للحضور من أشرف الوسائل[١] .

الخامس قولكم (والسنة) .

أقول وهل يشذُّ عن كلام النبي ﷺ وتحت كل كلمة من كلامه من بحار المعاني ما يتوصّل به إلى خير قال ﷺ « إِنَّما الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى » . والأعمال بدنية وقلبية فالحركات والتصوّرات المباحة إذا نوى بها الإنسان الطاعة أو التقوّي بها عليها فله ما نوى ولو لم يدرك مراده فكيف إذا تحقّق له حصول المراد ولا يخفى أن قول الجائع للشبعان أنت جائع مثلاً لا يوجب له جوعاً فكذلك قول المعترض ما نرى صحة ما ترونه ما يوجب عدم صحّة رؤيتنا فعليه أن يقول ما تدّعونه حقّاً فأنتم وشأنكم ولا يسوغ له غير ذلك إن نصح نفسه

---

[١] من قبيل ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . (ببلات القلزمي) . (هامش الأصل) .

السادس قولكم (والإجماع) .

أقول قد أجمع أهل من التصوف على عمل الرابطة وقرّره منهم الجمّ الغفير وهو عندهم طريق مشهور **وإجماعهم على عمل في مذهبهم حجة يجب قبولها على من تمذهب بمذهبهم** وسنورد أقاويلهم إن شاء الله ولا يسوغ لغيرهم الاعتراض عليهم بما لم يحط به علماً .

السابع قولكم (والقياس) .

أقول قال الفقهاء يسنُّ للمصلي أن لا يجاوز بصره إشارته وذلك لأنه أجمع للهَمِّ وأدفع للتفرق . فكذلك الرابطة تستعمل لدفع الأغيار واستجلاب الحضور .

الثامن قولكم (فما الدليل على ندب الرابطة . . إلخ) .

أقول الدليل يطلب من المجتهد لا من المقلد وإنما على المقلد تصحيح النقل فإن طلبتم دليلاً من كلام أهل الفن فسيأتي على أنه لا يلزمه إيراد غير كلام النقشبندية كما أنه لا يلزمنا لو طلب منا نصّ لمسألة في الفقه إيراد غير كلام الشافعية .

التاسع قولكم (لم يبلغنا . إلخ) .

أقول ما يلزم من عدم بلوغه إيّاكم عدم ثبوته ولا يلزم من جهلكم به عدم علم غيركم به ولعله بلغكم وجهلتموه ومرّ عليكم ولم تعرفوه وهل للصحبة معنى سوى انطباع صورة النبي ﷺ في مرآة القلب الذي رآه مؤمناً أو انطباع

صورة الشخص المؤمن في ذهن النبي ﷺ ولولا ذلك لم يعدّ في الصحابة من رآه النبي ﷺ وهل أمر أوضح من دعاء النبي ﷺ إلى مبايعته المستلزمة للرؤية المستلزمة لانطباع الصورة وإذا انطبعت الصورة في الذهن ظهرت لرائيها في مخيلته مهما تذكّر المرئي شاء أو أبى ولو كان عدوًّا فاستحضار صورة النبي ﷺ وتخيُّلها الذي هو المراد بقولنا تصورها محبةً له واشتياقاً إليه لا يقول بمنعها إلا أحمق خبيث **فالأمر بمستلزِمٍ شيئاً مستلزماً شيئاً آخر أمر بذلك الشيء الآخر** .

العاشر قولكم (لا سيما إذا كان واجباً)

أقول لم يقل أحد من أهل التصوّف بوجوب الرابطة ولا باستحبابها لذاتها بل لما توصل إليه من المحابّ والمريد يلقَّنُ الرابطة وهو مخير في فعلها وتركها فإن ظهرت له فائدتها تأكّد عليه فعلها وإن تركها فقد ترك أدباً من الآداب هذا كلّه في البدايات وأما في النهايات فلا رابطة له سوى استغراقه في شهود من ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ فما هو صورة تمثَّل ولا تقابل ولا تقبّل .

الحادي عشر قدرنا مع هذا كله أنه لا دليل لنا ولا عمِل بهذا العمل أحد قبلنا وإنما نحن عملنا لما نرى من فائدته فهل ورد فيمن تصوّر صورة محبوبه وتخيّل أنه يقبّل يده أو رجله أو يضعه على رأسه أو جبهته أو يعتنقه أو يدخله في قلبه نهي من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس شعر

لِـي سَـادةٌ مِـنْ عِزِّهِـمْ أَقْـدَامُهُمْ فَـوْقَ الجِبَـاهْ
إنْ لَـمْ أَكُـنْ مِنْهُـمْ فَلِـي فِـي حُبِّهِـمْ عِـزٌّ وَجـاه

وإذا تقرّر عندنا أنه يحصل بواسطة الرابطة انتفاء الغفلة فالاشتغال بها من مهمات آداب الطريق إذ من المعلوم أنّ زوال الغفلة مطلوب وهو مفتاح السعادات وأن الحضور روح العبادات وزوال الغفلة لا يكون إلاّ بنزول رحمة الله تعالى على عبده **ومن أسباب نزول الرحمة ذكر الصالحين وَ« عِنْدَ ذِكْرِ الصَّالِحِينَ تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ »** وذكرهم من لوازم محبَّتهم ومحبتهم فرض لقوله عليه السّلام « وَهَل الدينُ إلاّ الحُبُّ فِي اللهِ وَالبُغْضُ فِي الله » الحديث ومحبتهم محبة الله لقوله ﷺ حاكياً عن الله تعالى « أَوْجَبْتُ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ . . . » الحديث وعداوتهم محاربة مع الله لقوله تعالى على لسان نبيّه ﷺ « مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ » الحديث فما استعمله الصفوة من عباد الله عين ما حكاه ﷺ . فالذي أرى أنك تصم سمعك عن الافتراء ولا تصحب من كذب وافترى وتصون لسانك عن المراء وتنقاد للحق وتخضع وفي رَدِّي عن طريقي لا تطمع وإن تعدل كلَّ عدل لا ينفع . انتهى ٢٢٧ .

ورأيت في « جواهر المعاني » ما نصه **فليكن المريد مع شيخه كما هو مع نبيّه ﷺ في التعظيم والمحبة والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب فلا يعادل غيره في هذه الأمور ولا يشارك غيره** . انتهى ١٣٣ ج١ .

وفي هذا إشارة إلى معنى الرابطة فتدبّره .

وفي « الرسالة الخالدية » في الآداب ثمّ يتوسل إلى مرشده ويتخيّله مُواجهاً وناظراً بجبهته إلى وجهه الشريف بل إلى ما بين عيْنيه لأنه محلّ الفيض ولا

يقطع النظر عنه إما بالرؤية إن كان من أهل الرؤية أو بالوجدان والإيقان إن لم يكن من أهل الرؤية **ثمّ لو لاحظ دخول الرابطة إلى خزانة الخيال وحفظ هنالك كربع ساعة لكان أقوى ولو لاحظ وجهه الشريف محاذياً إلى قلبه ونفسه ناظر إلى نفسه في وقت الذكر لكان أجمع وأبعد عن التفرقة**

ويسمّى ذلك التخيل الرابطة الشريفة كما مرّ ذكره في الباب الأوّل وهو الركن الأعظم ومهذّب النفس ومهرب للشيطان ومنبع للفيض الإلهيّ من الفياض الحقيقي وواسطة للوصول إلى ربّه جلّ شأنه .

وقد قال بعض المحققين الرابطة خير من الذكر . أي بنسبة إلى حال بعض المبتدئين فلا بدّ من غاية الاعتقاد إلى حدّ لو يقبلني هو يقبلني الله تعالى ولو يطردني يطردني الله تعالى فلا نجاة لي في شيء غير قبوله ولا بدّ أيضاً من دوام التضرّع والالتجاء إليه للامتداد والقبول ولو أنزل الرابطة إلى قلبه لجاز أيضاً كما مرّ .

وبعد الرابطة (البازكشت) وهو أن يقول بالقلب أو مع اللسان أيضاً (**إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي**) ثلاثاً بكمال ملاحظة معناه ويتحرّى للصدق في ذلك القول وليستغفر من قول لو كان من الكاذبين . انتهى .

وفيه بعد ذلك وإن لم تندفع يعني الخطرة والوسوسة فيتوسّل بالرابطة واضعاً قدمه الشريف على قلبه لدفع تلك الوسوسة . انتهى .

وقال الغوث الأعظم الإمام الرباني أحمد الفاروقي مجدّد الألف الثاني

وينبغي أن يعلم أن سلوك هذا الطريق العالي برابطة المحبة للشيخ المقتدى به الذي سار في هذا الطريق بالسير المرادي وانصبغ بقوّة الجذبة بهذه الكمالات وصاحب هذه الكمالات إمام الوقت وخليفة الزمان نظره شفاء الأمراض القلبية وتوجّهه رافع العلل المعنوية الأقطاب والبدلاء فرحون بظِلال مقاماته والأوتاد والنجباء قانعون بقطرة من بحار كمالاته نور هدايته وإرشاده فائض على جميع الأشخاص كنور الشمس بلا إرادته فكيف إذا أراد . . إلخ . انتهى . من « الدرر المكنونات » في ٢٥٢ من الجزء الأول .

وفي « نور الهداية » ما نصّه والرابطة الشريفة عند هؤلاء السادة الأبرار والقادة الأخيار طريق مشهور وسنن بألسنة أهل السنة مشكور وقد قال عليه الصلاة والسّلام « لاَ تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلاَلَةٍ » وقال ﷺ « مَا رَآهُ المُؤْمِنُونَ حَسَناً فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ » رواه ابن مسعود مرفوعاً وموقوفاً . على أنه لا يجب علينا الاستدلال على الرابطة الشريفة بدليل لأن دليل من قلّدناه من العلماء العاملين والأولياء العارفين كافٍ وافٍ بالمقصود كما أن الأئمة المجتهدين أساطين الدين المتين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين لا يلزم من قلدهم أن يطلب منهم الدليل باتفاق المحقِّقين .

ولا يخفى على اللبيب المنصف أنّ **ما استعمله الصفوة من عباد الله وأجمعوا عليه عين ما حثّ عليه سيّدنا رسول الله** ﷺ فهو حجّة لكل من انتظم في سلكهم واستوى في ركوب بحر الحقيقة على فلكهم فكيف يسوغ اعتراض الأخ المنكر لها تاب الله عليه على هؤلاء القوم منهم الجنيد والجيلي

والدسوقي والغزالي وأضرابهم ممن علا قدره ونما ذكره فإنهم في الحقيقة هم الذين قرّروا الرابطة الشريفة واستنبطوها بكيفيتها المنيفة وشيّدوها بالأدلة العقلية والبراهين النقلية لما ثبت عندهم بالوجدان الصحيح والنقل الصريح بأنها أقرب الطرق إلى الفناء في الشيخ الذي هو مقدّمة الفناء في الله تعالى .

قال سيدنا سفيان الثوري رضي الله عنه لا نجاة يوم يخسر المبطلون إلاّ للنبي أو تابع النبي أو محبّ له ولو أنّ عارفاً بالله تعالى في مشرق الشمس ينطق بحقيقة ورجل محبٌّ له في مغربها لكان له نصيب من ذلك على حسب قسمته وتهذيب محبته وأنّ رجلاً ليعانق الرجل وإنّ بينه وبينه لأبْعَدَ ما بين المشرق والمغرب وقلب العارفين يكتب وقلب المريدين يكتب فيه . نقله الشيخ المحقّق حسين الدوسري البصري في « الرحمة الهابطة » .

وقال القطب الأعظم والغوث الأفخم سيدي إبراهيم الدسوقي قدّس الله سرّه **يا أولادي** إن صحَّ عهدكم معي فأنا قريب منكم فإن أخذتم عهدي وعملتم بوصيّتي وسمعتم كلامي فلو كان أحدكم بالمشرق وأنا بالمغرب وورد عليكم من المشكلات شيء تستخيرون به ربّكم فوجِّهوا وجوهكم إليّ وأطبقوا أعين حسِّكم وافتحوا أعين قلبكم فإنكم تروني جهاراً وتستشيروني في جميع أموركم فمهما قلته لكم فاقبلوه وامتثلوه وليس هذا خاصّاً بي هو لكلّ شيخ صدقتم في محبّته قد يعلم ذلكم شيخكم وقد لا يعلمه هكذا جرت سنّة الله تعالى مع أوليائه . انتهى نقله الشيخ حسين الدّوسري في « الرحمة الهابطة » . وأقرّه الشعراني في « الطبقات الكبرى » .

وقال إمام العلماء وقدوة الأصفياء سيّد الطائفتين ومستند الفرقتين الجنيد قدّس الله سرّه في بيان شروط الخلوة ما نصّه **وأقرب الطرق إلى حصول المقصود دوام ربط القلب بالشيخ واستفادة علم الوقائع منه حتّى يفني بصره في تصرّف الشيخ** . انتهى . نقله الإمام العارف الشيخ محمود عزيز الرومي الاسكداري المشتهر بالهدائي قدّس الله سرّه في كتابه « جامع الفضائل وقامع الرذائل » .

وقال حجة الإسلام وقدوة الأنام سيدنا أبو حامد الغزالي قدّس سرّه في كتابه « المضنون الكبير »[1] في فصل الثامن من الركن الرابع ما نصّه **فصل**

---

[1] ويتوسّل إلى الله تعالى بأنبيائه والصالحين « بريقة » ١٨٥ ج٢ . وجوَّز في « البزازية » أن يقول بحرمة فلان وفي « المنية » وفي الآثار ما يدل على الجواز . أقول بل الاستحباب كما نقل عن بعض العارفين إذا سألتم من الله شيئاً فاسئلوه بي فإني أنا الواسطة الآن بينكم وبينه . وعن أبي العباس المرسي من كانت له حاجة إلى الله فليتوسل لقضائها بالغزالي . ونحوه كثير في الكتب كـ« الحصن الحصين » . « بريقة » ٣٣٤ ج٢ .

والحكم خطاب الله المتعلق بفعل المكلّف . « الجوامع » . ويتناول الفعل القلبي الاعتقادي والقولي (منه) . ومن ثم لا حكم إلا لله . (منه) . فإن اقتضى الخطاب أي طلب كلام الله النفسي الفعل اقتضاء جازماً بأن لم يجوّز تركه **فإيجاب** أي فهذا الخطاب يسمّى إيجاباً أو اقتضاء غير جازم بأن جوَّز تركه **فندب** أو اقتضى الترك لشيء اقتضاء جازماً بأن لم يجوّز فعله **فتحريم** أو اقتضاء غير جازم بنَهْي مخصوص بالشيء **فكراهة** أو بغير مخصوص **فخلاف الأولى** أو اقتضى الخطاب التخيير **فإباحة والإباحة** حكم شرعي إذ هي التخيير بين الفعل والترك . (منه) .

والفعل كالطهارة سبباً كان أو شرطاً المقدور للمكلَّف الذي لا يتمّ أي لا يوجد الواجب كالصلاة المطلق إلا به واجب إذ لو لم يجب لجاز ترك الواجب المتوقِّف عليه . « جوامع » . وقال ﷺ « إنما الأعمال بالنيات وإنّما لكل امرئ ما نوى » والأعمال بدنية وقلبية .

والنص ما أفاد معنى لا يحتمل غيره كزيد فإنه مفيد للذات المشخَّصة من غير احتمال لغيرها . **والظاهر** ما احتمل مرجوحاً كالأسد . « جوامع » **ومدلول اللفظ** إما معنى جزئي أو كليّ . **الأول** ما يمنع

أمّا التقرّب لمشاهد الأنبياء والأئمة عليهم الصلاة والسّلام فإن المقصود منه الزيارة والاستمداد من سؤال المغفرة وقضاء الحوائج من أرواح الأنبياء عليهم السّلام والعبارة عن هذا الإمداد الشفاعة وهذا يحصل من جهتين الاستمداد من هذا الجانب والإمداد من الجانب الآخر ولزيارة المشاهد أثر عظيم في هذين الركنين .

أما الاستمداد فهو بصرف همّة صاحب الحاجة باستلاء ذكر الشفيع والمزور على الخاطر حتى تصير كلية همَّته مستغرقة في ذلك ويُقبل بكليته على ذكره وخطوره بباله وهذه الحالة سببٌ منبّه لروح ذلك الشفيع أو المزور حتى تمدّه تلك الروح الطيّبة بما يستمدّ منها ومن أقبل في الدنيا بهمّته وكليّته على إنسان في دار الدنيا فإن ذلك الإنسان يحسّ بإقبال ذلك المقبل عليه ويخبره بذلك فمن لم يكن في هذا العالم فهو أولى بالتنبّه وهو مهيّء بذلك التنبيه فإن إطلاع من هو خارج عن أحوال العالم إلى بعض أحوال العالم ممكن كما يطلع في المنام على أحوال من هو في الآخرة هل هو مثاب أو معاقب فإن النوم صِنْو الموت وأخوه فبسبب النّوم صرنا مستعدِّين لمعرفة أحوال لم نكن مستعدّين في حالة اليقظة لها فكذلك من وصل إلى الدار الآخرة ومات موتاً حقيقيّاً كان بالاطلاع على هذا العالم أولى وأحرى وكما تؤثّر مشاهدة صورة الحيّ في حضور ذكره وخطور نفسه بالبال فكذلك تؤثّر مشاهدة ذلك

تصوره من شركة فيه **والثاني** ما لا يمنع كمدلول الإنسان . « جوامع » . **ولم يقل أحد من أهل التصوف بوجوب الرابطة ولا باستحبابها لذاتها بل لما توصّل إليه من المحاب فهل ورد فيمن تصور صورة محبوبه نهي من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس . (قحي رحمه الله تعالى)** .

الميّت ومشاهدة تربته التي هي حجاب قالبه فإنّ أثر ذلك الميّت في النفس عند غيبة قالبه ومشهده ليس كأثره في حال حضوره ومشاهدة قالبه ومشهده ومن ظنّ أنّه قادر على أن يُحضر في نفسه ذلك الميت عند غيبة مشهده كما يحضر عند مشاهدة مشهده فذلك ظنّ خطأ فإنّ للمشاهدة أثراً بيّناً ليس للغيبة مثله ومن استعان في الغيبة بذلك الميت لم تكن هذه الاستعانة أيضاً جزافاً ولا تخلو عن أثر مّا كما قال عليه الصلاة والسّلام « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّيتُ عَلَيْهِ عَشْراً » و« مَنْ أَجَابَ المُؤْذِّنَ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي » و« مَنْ زَارَ قَبْرِي حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي » انتهى باختصار .

فإن قال المنكر لها – تاب الله عليه إنّ هذا النقل يوجب الارتباط بمن هو حيّ ويضعف الارتباط بغيره .

قلنا الارتباط إنما يكون بمن هو فان عن وجوده والارتباط بغيره لا يورث الفناء للسالك بل قد يورطه في المعاطب والمهالك كما أفاده حضرة سيدي العم في بعض مكتوباته فحيث تحقّقنا الفناء في شخص ارتبطنا به سواء كان حيّاً أو ميّتاً ولا فرق في ذلك عندنا إلاّ بمقدار ما ذكره حجة الإسلام فليعلم ذلك .

وممّا يؤيّد هذا ما قاله الإمام المحقق الشاه أحمد وليّ الله المحدِّث الدهلوي في « الحجة البالغة » إنّ الإنسان إذا مات كان لنسمته نشأة أخرى فينشئ قبض الروح الإلهي فيها قوةً فيما بقي من الحس المشترك تكفي كفاية السمع والبصر والكلام بمدد من عالم المثال أعني القوة المتوسطة بين المجرَّد

والمحسوس المنبثة في الأفلاك كشيء واحد وربما تستعدّ النسمة حينئذ للباس نورانيّ أو ظلمانيّ بمدد من عالم المثال ومن هناك تتولّد عجائب عالم البرزخ . انتهى .

كلام الإمام الرباني في الرابطة

وبرشح ما ذكره العلامة العارف الشيخ يونس الكردي الإيراني في « معرَّباته » (مراسلات برهان الولاية المحمدية وحجة الشريعة الأحمدية المبعوث الرحماني لتجديد الألف الثاني شيخ مشائخنا أحمد الفاروقي السرهندي) المعروف بـ(الإمام الرباني) ما نصّه فيستوي في هذه الطريقة في إفادتها الأحياء والأموات وفي استفادتها الشيوخ والصبيان **وذلك لأنّ سلوك هذه الطريقة العلية مربوط بالرابطة بالشيخ المقتدى به ومحبته الذي قطع هذا الطريق بالسير المرادي والتصبّغ بقوة الجذبة بهذه الكمالات** فنظره شاف للأمراض القلبية وتوجّهه دافع للعلل المعنوية وارتباطنا حبِّيٌّ ونسبتنا انعكاسي وانصباغي لا يتفاوت في القرب والبعد وإذا كانت الإفادة والاستفادة في هذا الطريق حُبِّيّاً وانعكاسيّاً وانصباغيّاً فينصبغ المريد في هذا الطريق برابطة المحبة بالشيخ المقتدى به بلونه وصبغه ساعة فساعة ويتنوّر بطريق الانعكاس بأنواره . انتهى ملخصاً .

وقال الإمام العارف بالله تعالى سيدي مصطفى البكري الصدّيق قدّس الله سرّه في « المنهل العذب » ما نصّه وحيث كان مقصود أهل الطريق من هذا الورد أي الستار المشاهدةَ والمراقبةَ وحصولَ الجمعيّة الباطنة بواسطة

الجمعية الظاهرة فاستماعه أرفع من قراءته وحده فإنّ تلاوته ذكر لسانيّ وذكر القلب أرفع منه وثمرته المشاهدة وهي المقصودة من المجاهدة وفي جمع الظاهر والباطن على الله تعالى سرٌّ كبيرٌ .

وقد أسَّس السادة النقشبندية طريقتهم على هذه الجمعية فيجتمعون على الشيخ ويتعلّقون بباطنه تعلّق الرضيع بأمِّه ويُقْبِلُونَ عليه ويتحلّقون بين يديه حتى يجعلونه فيهم قلباً ويتعشَّقون جميلَ صفاته وتختلف منهم المراقبة باختلاف الأحوال فمنهم المراقب لباطن الشيخ بشهود الحضرة ومنهم المشاهد لظاهره ومنهم المشاهد لخياله .

ويشتغل الشيخ لشهود الحضرة المحمّديّة والذات العلية الأقدسية ويستمدّ منها بواسطة النبي ﷺ ويفيض على حُضَّار مجلسه اللابسين من أثوابه وملبسه فعند ذلك تشرق فيهم تلك الإمدادات الربانية وتبرق عليهم بوارق هاتيك اللمحات الأقدسية فيستغرقون في حضور هذا المجلس المختصّ بالتطهير والتقديس عن رؤية أهل الكائنات **فهذه** جلسة المريد الصادق مع شيخه والإخوان كذا ذكره العالم الرباني سيدي الشيخ عمر جعفر الشبراوي قدّس الله سرّه في كتابه الجليل المسمّى بـ « مفتاح الأسرار على ورد الستار » .

وقال العالم الإمام والمحدِّث العارف الهمام سيدي الشيخ تاج الدين بن زكريا الهندي العثماني معرِّب « النفحات » و« الرشحات » قدّس الله سرّه في رسالته المشهورة بـ « التاجية الصغرى » ما نصّه وإذا فرغ من مهماته الدنيوية

يتوضّأ يعني المريد وضوءً جديداً ويدخل خلوته وأوّل ما يجلس يستحضر صورة شيخه . انتهى .

قال العالم العلامة قدوة العارفين وزبدة المحقّقين سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي قدّس الله سرّه في شرحه للرسالة المذكورة المسمّى بـ « مفتاح المعيّة » عند قول الماتن يستحضر صورة شيخه على أكمل الأحوال ليحصل له المدد منه فإنّ شيخه بابه إلى حضرة الله تعالى ووسيلته إليه كما قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ وقال تعالى ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ ولا قدرة للسالك في ابتداء سلوكه أن يعرف ربّه حتى يسقط الواسطة بين الله وبينه وإذا لم يعرف ربّه لا يمكنه أن يشهده بقلبه إلاّ مخلوقاً حادثاً فإن شهده على أنه ربّه فهو من الكافرين نعوذ بالله تعالى فالواجب عليه أن يشهد شيخه ويتصوّر صورته حتى يستمدّ من الله تعالى بسبب تعظيم صورة شيخه المستمدّ منه تعالى ويبقى على ذلك حتى يحصل له الفتح الإلهي ونحن لا ننكر أن إسقاط الواسطة للمريد واستحضاره ربّه هو الأكمل ولكن نعلم عن يقين علماً ذوقيّاً وجدانيّاً بحسب ما كنّا عليه أن هذا لا يمكن للمريد في ابتداء سلوكه أبداً بالضرورة فإنّ جميع الخواطر والمقاصد لا تقع إلاّ على مخلوق حادث يعرفه العارف ويجهله الجاهل وذلك المخلوق الحادث هو الربّ عند الجاهل لعدم معرفته ولا عذر في الكفر **فيجب عليه اتخاذ الوسيلة** ليفرق بين الحادث المقدور على إدراكه والقديم المعجوز عن إدراكه فرقاً شهوديّاً ذوقيّاً لا خياليّاً ثم بعد ذلك يسقط الواسطة . ولهذا قالوا (**من لا شيخ له فشيخه الشيطان**) . ومتى كان شيخه الشيطان كان في الكفر حتى يتّخذ له شيخاً متخلّقاً

بأخلاق الرحمن قال تعالى ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ انتهى .

وقال القيوم الرباني مجدد الألف الثاني سيدنا الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي قدّس الله سرّه في المجلد الأول من كتاباته الفارسية ما هذا ترجمته **اعلم أن المقصد الأقصى والمطلب الأسنى الوصول إلى جناب القدس جلّ وعلا** ولما كان الطالب في الابتداء بواسطة تعلقات شتى في غاية التدنس والتنزل وجناب قدسه تعالى في كمال التقديس والتنزيه والمناسبة التي هي سبب الإفاضة والاستفاضة بين الطالب والمطلوب مسلوبة فلا جرم أنه لا بدّ من مرشد كامل بصير بالطريق يكون برزخاً ويكون له حظّ وافر من الطرفين حتى يصير واسطة لوصول الطالب إلى المطلوب وبقدر ما يحصِّل الطالب المناسبة بينه وبين المطلوب يخرج المرشد بذلك المقدار نفسه من البين ومتى حصل للطالب المناسبة التامة خرج المرشد من البين بالكلية وأوصله إلى المطلوب من غير توسّطه ففي الابتداء والوسط لا يمكن شهود المطلوب دون مرآة المرشد وفي الانتهاء يتجلّى له جمال المحبوب دون واسطته ويحصل له الوصل العريان والذي قال لو خطر المرشد في ذلك الوقت لقطعت رأسه من جسده من الجنون فإن أرباب الاستقامة لا يقولون ذلك ولا يسيئون الأدب هنالك بل يطلبون مراداتهم من بركات المرشد . انتهى من « زبدة الوسائل الفاروقية وعمدة المسائل الصوفية » أعني معربات العارف الكبير الشيخ يونس بن عبد الرحمن الكردي الإيراني نزيل دمشق الشام قدّس الله سرّه .

وقال القطب الغارف[1] من بحر حقّ اليقين ابن عطاء الله الإسكندري والإمام تاج الدين الشاذلي قدّس الله سرّه في كتابه « مفتاح الفلاح » في آداب الذكر قالوا يعني المشائخ وإن كان أي المريد تحت نظر شيخ يخيل شيخه بين عينيه فإنه رفيقه في طريقه وهاديه و(أن) يستمدّ أول شروعه في الذكر من همته معتقداً أن استمداده منه هو استمداده من النبي ﷺ لأنه نائبه . انتهى . نقله الدوسري في « الرحمة الهابطة » .

التصور والتصوير

وقال العالم الإمام والفاضل الهمام مولانا الشيخ أحمد سعيد صاحب زاده المجددي قدّس الله سرّه في كتابه « الفوائد الضابطة في إثبات الرابطة » الذي ترجمه من اللغة الفارسية حفيده العارف المحقق مولانا محمد معصوم نجل الشيخ عبد الرشيد العمري المجددي قدّس الله سرّهما ما نصه **اعلم** أن التصوير في الشريعة المحمدية ممنوع والتصوّر محمود والمنع من التصوّر ما وجدناه في كتاب قطّ بل حصول العلم بأسرها موقوف على التصوّر كما لا يخفى على الأذكياء **وفي حفظ صورة الشيخ في حال الذكر عين حكمة التذكير لأنّ المذكر واقف لديه لا يتركه غافلاً عن الله سبحانه وتعالى لمحة واحدة** ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ .

وقال المحقق الشيخ عبد الحق الدهلوي في رسالته **الرابع** أن يستمدّ بقلبه عند شروعه في الذكر بهمة شيخه ولو نادى شيخاً بلسانه في الاستعانة جاز . انتهى .

---

[1] وفي نسخة العارف .

قال الشيخ جبرائيل الحزب أبادي إذا ابتدأ بالذكر يحضر صورة شيخه في قلبه ويستمدّ منه إذ قلب شيخه يحاذي قلب شيخ الشيخ إلى الحضرة النبوية وقلب النبيّ ﷺ دائم التوجّه إلى الحضرة الإلهية فالذاكر إذا صوّر صورة شيخه في قلبه تفيض الأمداد من الحضرة الإلهية على قلب سيّد المرسلين ومن قلب سيّد المرسلين على قلوب المشائخ على الترتيب حتى ينتهي إلى شيخه ومن قلب شيخه إلى قلبه فيقوى على قلبه استعمال الآلة **إذ هو في البداية على مثال الطفل ليس له قوة استعمال الآلة على الوجه الذي يؤثّر ويقع محصلاً للغرض وإن كان بيده سيف الله وهو الذكر** قال ﷺ « الذكْرُ سَيْفُ اللهِ » ولكن ليس للسيف ضارب إلاّ لقوة مستفادة من حضرة بني السيف فإذا استمدّ من شيخه جاءه المدد لقوله تعالى ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾ .

الخامس أن يرى استمداده من شيخه وهو استمداده من النبي ﷺ لأنه نائبه . انتهى من عينه .

وقال نور سلالة الهاشمية الكامل السيد مشيخ بن السيد صادق باعبود الباعلوي قدّس الله سرّه المتوفى سنة سبعين ومائة وألف في رسالته « النفحة المحمّدية » في الباب الثاني منها ما نصّه فإن حصل للمريد فتور فليجدِّد الرابطة بالشيخ الذي وصل إلى مقام المشاهدة وتحقق بالتجلي الذاتي فإن رؤيته بمقتضى « هُم الذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ الله تَعَالَى » تفيد فائدة الذكر وصحبته بموجب « هُمْ جُلَسَاءُ اللهِ تَعَالَى » تنتج صحبة المذكور وإذا تيسّرت صحبة مثل هذا العزيز الوجود ورأى المريد أثره في نفسه فينبغي أن يحفظ ذلك الأثر

المذكور وإن لم يحصل المريد من صحبة ذلك الشيخ أثراً في نفسه ولكن حصل له محبّة وانجذاب إلى الله تعالى فينبغي للمريد أن يحفظ صورة شيخه في الخيال ويتوجَّه إلى القلب الصنوبري حتى تحصل له الغيبة والفناء عن النفس . انتهى .

وقال العالم الإمام والكامل الهمام الشيخ محمّد بن سليمان الحنفي البغدادي في كتابه « الحديقة الندية والبهجة الخالدية » عند بيانه طرق الوصول إلى الله تعالى والفناء عند الأئمة النقشبندية ما نصّه **الطريقة الثانية الرابطة** وهي طريق مستقل للوصول وهو عبارة عن ربط القلب بالشيخ الواصل إلى مقام المشاهدة المتحقق بالصفات الذاتية وحفظ صورته في الخيال ولو بغيبته فرؤيته بمقتضى « هُم الذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ الله تَعَالَى » تحصل بها الفائدة كما تحصل من الذكر بموجب « هم جلساء الله تعالى » ولا يخفى ما ورد من الأحاديث في الحثّ على الجليس الصالح .

والشيخ كالميزاب ينزل الفيض من بحره المحيط إلى قلب المريد المرابط وإن وجد الفتور في الرابطة يحفظ صورة شيخه في خياله بموجب « المَرْء مَعَ مَنْ أَحَبَّ » فبحفظه الصورة يتحقق ويتصف المريد بأوصاف الشيخ وأحواله .

وقيل الفناء في الشيخ مقدمة الفناء في الله تعالى وإن وجد في استحضار الصورة سكراً وغيبة يترك الالتفات إلى الصورة فيكون متوجّهاً إلى ذلك الحال كما نقل في مقامات الإمام نقشبند قدّس الله سرّه أنه كان واحد من الصوفية مشغولاً بطريق الرابطة وكان يوماً في مجلسه متوجّهاً إلى الصورة

فوجد أثر الغيبة وما التفت إلى الغيبة فقال حضرة الخواجه نقشبند خَلني وكن متوجّهاً إلى تلك الغيبة لأنّ زمان الغيبة عما سوى الله تعالى يسمّونه **زمان الوصول والشهود في اصطلاح القوم . انتهى .**

قلت ومما يرشح هذا أيضاً ما نقله الإمام العارف الخواجه صلاح بن المبارك في كتابه « المقامات البهائية » عن قطب البلاد وغوث العباد صاحب العلم والبَنْد مولانا وسيدنا الشيخ محمّد بهاء الدين المعروف بشاه النقشبند قدّس الله سرّه أنه كان يقول **الطريقة كلها أدب وشرط طالب هذا الطريق ثلاثة** آداب .

أدب بالنسبة إلى الحق سبحانه وتعالى وأدب بالنسبة إلى حضرة الرسول ﷺ وأدب بالنسبة إلى مشائخ الطريق .

أما الأدب الذي بالنسبة إلى الحق تعالى فهو أن يكون في الظاهر والباطن مستكملاً للعبودية بامتثال الأوامر واجتناب النواهي معرضاً عن السوى بالكلية .

وأما الأدب الذي بالنسبة إلى حضرة الرسول ﷺ فهو أن تدخل نفسك بالكلية إلى مقام ﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾ وتُرَاعِيَ ذلك في جميع الأحوال على سبيل الوجوب وتعلم أنه واسطة الحق تعالى في جميع الموجودات كلّ شيء وكلّ أحد منطرح على أعتاب عزّته .

وأما الأدب الذي بالنسبة إلى مشائخ الطريقة فهو واجب ولازم على الطالبين لأنهم رضي الله تعالى عنهم بواسطة متابعة النبي صلّى الله تعالى عليه

وسلّم وصلوا إلى مقام الدعوة إلى الحق فينبغي للمريد أن يكون في الغيبة والحضور مراعياً لأحوالهم مقتدياً بهم متمسكاً بأذيالهم . انتهى .

وقال المحقق الهمام والمدقق المقدام قطب العارفين سيدي الشيخ زين الدين الحافي قدّس الله سرّه في كتابه « الوصايا القدسية » ما نصه **والثاني** دوام الخلوة يدخل فيها كما يدخل في المسجد مُبَسْمِلاً مستعيناً من أرواح المشائخ بواسطة شيخه مخلصاً لله منقطعاً عما سواه إليه بجعل الخلوة كأنها قبره يدخل فيها ذاهباً إلى الله تاركاً ما سواه بقلبه أيضاً ويقعد مربعاً أو كما يقعد في التشهد أو محتبّياً حَسْبُمَا يستريح قلبه دون تألّم الأعضاء المشوّشِ للقلب متوجّهاً إلى القبلة غير مستند إلى جدار الخلوة ولا مُتَّكِئ مطرقاً رأسه تعظيماً مغمضاً عينيه ملاحظاً قوله تعالى « أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي » ثم جعل خيال شيخه بين عينيه فإنه رفيقه في طريقه وهو معه بمعناه وروحانيته فإنَّ من هو شيخ حقيقة **فلروحانيته رفيقية متعلقة بروحانية كل واحد من مريديه ولو كانوا ألوفاً**

ثمّ قال بعد كلام . **والسابع** دوام ربط القلب بالشيخ بالاعتقاد والاستمداد على وصف التسليم والمحبة والتحكيم ويكون في اعتقاده أنّ هذا المظهر هو الذي عيّنه الحق سبحانه وتعالى للإفاضة عليّ ولا يحصل لي الفيض إلاّ بواسطته دون غيره ولو كانت الدنيا من المشائخ مملوءة **ومتى ما يكون في باطن المريد تطلّع إلى غير شيخه لم ينفتح باطنه إلى الحضرة الوحدانية** فالإنسان في الجهات وله بدن وروح والله سبحانه وتعالى منزّه عن الجهات في حكمته اقتضت الاستفاضة ممن في الجهة عن الفياض الحقّ الذي ليس في الجهة أنْ

عيّن للبدن الإنساني المركّب من الكثرات الكثيرة جهة واحدة يكون توجّهه من تلك الجهة الواحدة إلى الحضرة الواحدية وهي الكعبة في عالم الأجسام والأبدان وعيّن للروح الإنساني الذي هو مهبط أنوار الصفات الإلهية جهة واحدة يكون توجّهه إليه تعالى من تلك الجهة وتلك الجهة هي روحانية رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم في عالم الأرواح وكما لا تقبل الصلاة إلاّ بالتوجه إلى الكعبة لا يحصل التوجّه إلى الله تعالى إلاّ باتباع رسوله والتسليم له وربط القلب بنبوّته وأنه هو الواسطة بينه وبين الله تعالى دون غيره من الأنبياء وأنهم وإن كانوا أنبياء الله **وكلهم على الحق ولكن لا يحصل من الله تعالى فيض إلاّ من ارتباط القلب بمحمّد** ﷺ فبتوجّه البدن إلى الجهة الواحدة وبتوجّه الروح إلى الجهة الواحدة حصل للإنسان استعداد استفاضته من الحضرة الوحدانية .

ومن هاهنا يعرف أن المناسبة بين المفيض والمستفيض فيما يتعلّق بالاستفاضة شرط وقد ورد في بعض الأحاديث على ما أثبت المشائخ في كتبهم « إن الشيخ في قومه كالنبي في أمته » **فلا بدّ للمريد أن يتوجه إلى شيخه بربط قلبه معه ويتحقق أنّ الفيض لا يجيئ إلاّ بواسطته** وإن كان الأولياء كلهم هادين مهتدين يعتقد بهم كلهم ويدعو لهم لكن استمداده الخاصّ واستفاضته يكون من روحانية شيخه وحده ويعلم أن استمداده من شيخه استمداده من النبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم فإنّ شيخه متعلق مستمدّ بشيخه وشيخُه أيضاً هكذا إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم فهو مستمد من رسول الله ﷺ حقيقة وهو من الحق جلّ اسمه . هكذا جرت سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

فالربط بالقلب مع الشيخ أصل كبير في الاستفاضة بل هو أصل الأصول ولهذا بالغ المشائخ قدّس الله أرواحهم في رعاية هذا الشرط حتى قال نجم الدين قدّس الله سرّه أنه كالأستاذ بالنسبة إلى الأدوات في صنعة المرآة وكما أن المطرقة والسندال والمنفخ والنار وغيرها إذا جمعت ولا يكون ثَمَّة أستاذ يصنع المرآة لا يتحقق وجود المرآة كذلك الشرائط السبعة (الجنيدية) للخلوة لا يتصفّى بها مرآة القلب بدون ربط القلب مع الشيخ **وقد جرّبناها فوجدناها كما قال قدّس الله سرّه وأكثر المريدين إذا انقطعوا عن الفيض والترقي لا ينقطعون إلاّ من هذه الجهة أعني عدم ربط القلب بالشيخ بالتسليم والإذعان والمحبة الصادقة** والامتنان . والاعتراض يسدُّ باب الفيض . انتهى .

وقال العالم الباهر والعامل الفاخر الخواجه محمّد باقر بن شرف الدين الحسيني العباسي اللاهوري في كتابه « كنز الهدايات » نقلاً عن قطب دائرة العلوم ومركز إحاطة المنطوق والمفهوم منار الأولياء العروة الوثقى شيخ مشائخنا مولانا وسيدنا الخواجه محمد الفاروقي المجددي المشهور بالإمام معصوم قدّس الله سرّهما ما هذه ترجمته **مدار الوصول**[١] **إلى درجة الكمال مربوط برابطة المحبة للشيخ المقتدى به** فإن الطالب الصادق من طريق محبّة شيخه يأخذ من باطنه الفيوض والبركات وينصبغ ساعة فساعة بلون الشيخ وبتلك المناسبة المعنويّة قالوا **الفناء في الشيخ مقدمة الفناء الحقيقي** والذكر المجرّد عن الرابطة المسطورة وعن الفناء في الشيخ ليس موصلاً

---

[١] الرابطة بلا ذكر توصل إلى الله والذكر بلا رابطة لا توصل .

وإن كان الذكر من أسباب الوصول ولكنه في الغالب مشروط برابطة المحبة للشيخ والفناء فيه .

نعم هذه الرابطة وحدها مع رعاية آداب الصحبة وتوجّه الشيخ والتفاته من غير التزام طريق الذكر موصلة

وأما في السلوك والتسليك الاختياريَّيْن المربوطَيْنِ بطريق آخر فمدار الأمر في ذلك على الوظائف والأوراد والأذكار وابتناء المعاملة على الرياضات والأربعينيات فليس للطالبين رجوع إلى شيخ الطريقة بتلك المثابة .

وأما في هذه الطريقة التي هي طريقة الصحابة الكرام عليهم الرضوان فالإفادة والاستفادة انعكاسيان فيكفي في ذلك صحبة الشيخ المقتدى مع رعاية الآداب .

وأمّا وظائف الأذكار والطاعات فمن الممدّات والمعاونات **وقد كانت صحبة خير البشر صلّى الله تعالى عليه وسلّم بشرط الإيمان والتسليم والانقياد كافِيَةً في حصول الكمالات** ولأجل ذلك صار الوصول في هذه الطريقة أقرب وتساوت في أخذ الفيوض والبركات من الشيخ الكامل الصبيانُ والكهولُ والشيوخُ والأحياء والأموات والرياضة في هذه الطريقة العالية المتضمّنة اندراج النهاية في البداية إنما هي **اتباع السنّة السَنِيَّة واجتناب البدعة غير المرضية . انتهى .**

وقال الإمام العالم المحقق والهمام العامل المدقِّق تفتازانيُّ أَوَانِهِ وجرجاني زمانه ضوء الشمس والقمر الشيخ نعمة الله بن عمر في رسالته التي أَلّفها في

زمان دولة ساكن الجنان المرحوم السلطان سليم خان لإسعاف العارف الإمام والعلاّمة الهمام السيد أحمد المدني الشهير بجَمَل الليل المسمّاة بـ « الرسالة المدنية في طريقة السادة النقشبندية » ما نصّه فإن خطر في قلب المريد صورة الشيخ في أثناء الذكر بسبب كثرة المحبّة له فليجعل صورته أيضاً في القلب لأنه يضمحلّ ويمحو بسبب غلبة الذكر الإلهي ويبقى الذكر فقط ثم يحصل فيه الحضور والنسبة الذاتية بسبب التوجه إليه . فهذه النعمة منوطة بكثرة الصحبة مع الشيخ وبالرابطة له فلا يفارق عن صحبته إلاّ بإذنه . **وإذا تأمّلت مجرّد ذكر القلب لا يعدل عليه الشيء** فهذه النعمة ستحصل بالمحبّة بين المريد وشيخه من الجانبين **لأنّ الفناء في الشيخ مقدّمة على الفناء في الرّسول عليه السّلام والفناء في الرسول عليه السّلام مقدّمة على الفناء في الله والبقاء بالله** . انتهى .

وقال العالم العامل والإنسان الكامل صاحب التأليفات العديدة والتصنيفات المفيدة التي هي تنوف عن المائة والثلاثين تأليفاً كما نصّ على ذلك هو بخطّه مولانا الشيخ أحمد بن سليمان الطرابلسي الأروادي في كتابه « مرآة العرفان ولبّه » شرح رسالة « مَنْ عَرَفَ نَفْسَه فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ » للشيخ الأكبر قدّس الله سرّهما بعد ذكر كيفية قطع صفات النفس السبعة في الطريقة النقشبندية ما نصّه وقطعها في بعض الطرق بالتنقل في الأسماء السبعة وفي بعضها بتوجه الشيخ للمريد كطريقة الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه الأفخر وفي بعضها بنظر الشيخ للمريد نظر محبّة كطريقة سيّدي الشريف العلوي والقطب النبوي السيد أحمد البدوي قدّس الله تعالى سرّه وفي بعضها بفيضان العلم

بالمحاذات التامة الصحيحة كالطريقة الأحمدية والخالدية فيمتلئ المريد علماً بالمحاذات وإن لم يسمع ما يقوله الشيخ كما كان يقع وقت حضور درس العلم عند شيخنا العارف بالله تعالى الشيخ خالد ضياء الدين فكنت أَسْتَغْرِقُ في حضرته لا أسمع ولا أرى وعند حضوري إلى المدرسة البدرئية في دمشق المحمية يسألني بعض العلماء عما قرّره الشيخ في الدرس فأجد ما قاله وزيادة في حفظي فأقرِّر له ذلك فيتعجب . انتهى .

وقال العالم العارف علي بن عبد النبي العشاقي في رسالته « الحبل المتين الموصل للطالب إلى رضا ربّ العالمين » مانصّه **الطريق الثالث طريق** الرابطة **وهي أن يربط السالك قلبه إلى مرشد كامل عالم عامل** ويكون كامل المحبة تام الإخلاص والانقياد له فإنه رفيقه ودليله والهادي له إلى الحق والسالك يُطْلَب منه أن ينقاد إليه ولا يعترض عليه بما لا يظهر له سرّه فإنّ ملاقاة المريد للشيخ كملاقاة موسى للخضر على نبيّنا وعليهما الصلاة والسّلام وحالهما فلا ينبغي له أن يعارضه فيما ظهر له حتى تلوح له الحكمة منه على أن الشيخ الكامل بسبب علمه وعمله وقرب منزلته عند الله تعالى بمنزلة البحر فلا يتكدّر بشيء . وأما المريد فهو كالحوض الصغير يتكدّر ويتغيّر بأدنى الشيء فلا يستنكر صورة مّا من الشيخ بل يسلّم له جميعَ ما يصدر منه حتى يكشف الله تعالى له عن سرّ ذلك وسببه ومتى ظهر السبب بطل العجب .

ولا بدّ للسالك أن يقدم أستاذه على أبيه ويحبّه فوق محبة أبيه وقد قال بعض الفضلاء **حق الأستاذ آكد من حق الوالد فإن الوالد وسيلة إلى وجود صورة الإنسان والأستاذ وسيلة إلى التحقق بحقيقة كمال الإيمان** . انتهى .

وقال العلامة المتبحر الشهاب أحمد بن حجر المكي الهيتمي في شرح « الهمزية » عند قول الناظم

وَاملأ السَّمْـعَ مِـنْ مَحَاسِنَ يـمْـلي هَـا عَـلَـيْـكَ الإِنْـشَـادُ وَالإِنْـشَـاءُ

ما نصه فإنها تحدث للسامع سكراً ورائحة وطرباً وتحرِّك النفسَ إلى جهة محبوبها فيحصل بتلك الحركة والشوق تخيُّلُ المحبوب وإحضاره في الذهن وقرب صورته من القلب واستلاؤها على الفكر فيحصل للروح ما هو أعجب من سكر الشراب وألذّ من عناق الشواب . انتهى .

أقول وقد جرى على ذلك أيضاً الإمام الكبير والمفسّر الشهير الشيخ سليمان الجمل في حاشيته « الفتوحات الأحمدية على متن الهمزية » عند قول الماتن البيت المذكور بما نصّه **أحدهما** أنها في نفسها توجب لذة قوية **الثانى** أنها تحرّك النفس إلى جهة محبوبها فيحصل الميل للمحبوب وإحضاره في الذهن وقرب صورته من القلب واستلاؤها على الفكر فيحصل للروح ما هو أعجب من سكر الشراب وأقوى من لذّة عناق الشواب . انتهى . وناهيك بهذين الإمامين من حجّة وأيّ حجّة فإنّ من تأمّل تقريرهما بعين الإنصاف ظهر له أنهما كماء نيسان[1] لأولياء الرابطة الشريفة في قلب الصَدَف وكما يحصل في قلب الأفاعي لمنكريها ممن صدّ عنها وصدف فلا تغفل .

---

[1] من الأمثال المشهورة (ماء نيسان يحيي الإنسان) وهو ينبت اللؤلؤ في الصدف .

وأيضاً فقد ذكر شيخنا الجليل القاضي الشرعي النبيل أستاذنا السيد الشيخ محمد مرشد عابدين حفظه الله وأمتع بحياته في كتابه « الأدعية والأوراد والذكر » ما نصُّه في كتاب « الدور العالي شرح إرشاد المتجلّي عن سنن النبي العالي » للشيخ عثمان وهبي الفونبوي عنوان

وقال العالم الرباني والعارف الصمداني سيدي الشيخ محمد المفتي الخادمي قدّس الله سرّه في رسالته العلية في آداب الطريقة عازياً إلى « التاجية » بما نصّه إذا عرض لقلب الذاكر في أثناء ذكره تفرقة أو وسوسة أو قبض فيغتسل بالماء البارد أو يتوضّأ ويصلي في خلوته صلاة الحاجة ويستغفر ويدعو ويتوجّه لحاله وإن لم يندفع فيتخيل صورة النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم أو صورة شيخه . انتهى .

قال العالم الإمام والكامل الهمام المحقق البياني وحياة سرّ روح المعاني مفتي الأنام المستمدّ من الفيض القدوسي[١] خاتمة المفسّرين أبو الثناء الشهاب محمود الآلوسي في كتابه « الفيض الوارد على روض مرثية مولانا خالد » مستطرداً من بحث يتعلّق بنفي الخواطر عند قول الناظم

وَمَـنْ قُـدْوَةُ التعْرِيفِ وَالكَشْـفِ بَعْدَهُ وَمَـــنْ لأَبَالِيـــسِ المَـخَـايِـــلِ طَـارِدُ

فائدة جليلة في ماء نيسان نَسيان (بالفتح) سابع الأشهر الرومية محسوب من تشرين الأول عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال بينما نحن جلوس ذات يوم إذ دخل علينا رسول الله ﷺ فقال « ألا أعلِّمكم دواءً علَّمني إيّاه أخي جبريل عليه السلام حيث لا تحتاجون معه إلى طبيب » فقال أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسلمان الفارسي وبقية الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فما ذلك الدواء يا رسول الله فقال لنا « تأخذون من ماء نَيسان ويقرأ عليه فاتحة الكتاب سبعين مرَّة وآية الكرسي سبعين مرَّة وقل يا أيّها الكافرون سبعين مرّة وقل هو الله أحد سبعين مرَّة وقل أعوذ بربّ الفلق سبعين مرَّة وقل أعوذ بربِّ الناس سبعين مرة و(سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العليّ العظيم) سبعين مرَّةويصلّي على النبيّ ﷺ سبعين مرَّة ويشرب من ذلك الماء سبعة أيام متوالية بكرةً وعشيَّة والذي بعثني بالحقّ نبيّاً لقد أخبرني جبريل عليه السلام عن الذي يشرب من ذلك الماء أنه يذهب كل داء من جسده ويخرج الأذى من عروقه وأعضائه وعظامه وإن كان به صداع وإن كان به وجع العين يقطر فيه من ذلك الماء . وإن شربت منه امرأة عقيمة حملت بإذن الله تعالى » . انتهى .

[١] وفي نسخة القدسي .

ما نصّه وأما خاطر الشيخ فهو إمداد صاحب الشيخ يصل إلى قلب المريد الطالب مشتملاً على كشف معضل وحلِّ مشكل في وقت استكشاف المريد باستمداد من ضمير الشيخ وذلك داخل تحت الخاطر الحقّاني **لأنّ قلب الشيخ بمثابة باب مفتوح إلى عالم الغيب وكل لحظة يصل إمداد فيض الحقّ سبحانه وتعالى على قلب المريد بواسطة الشيخ .**

ثمّ قال بعد كلام **ولنفي الخواطر أسباب كثيرة .**

منها إحضار صورة الشيخ على الوجه الذي سمّوه بالرابطة قيل هو من أعظم الأسباب

ومنها إدامة النظر إلى شيء واحد فإن ذلك يورث الذهول وفيه سدّ لباب الخطرات إلى غير ذلك . انتهى .

قلت فانظر إلى هذا التحرير من هذا الإمام النحرير ومن تأمّل ذلك وتحقّق ما هنالك أسقط ما وقع من سؤال نجله وتبيّن له حقيقة انحرافه وميله وعلم أنّ ذلك ما هو إلاّ نزغة وَهَّابِيَّة وتسويلات غير مرضية وحسبك دليلاً على تخطئته ولو رجع إلى أقوال والده قدّس الله روحه لكان في غنى عن السؤال والجواب والظاهر أنه لم يحط به علماً وأغرب من هذا كلّه صدور ذلك السؤال بهذا التعبير من مثل هذا الماجد إلى أمير « بهوبال » الذي شذّ عن مذاهب الأئمة وذهب إلى الحجاز معرضاً عن زيارة شفيع الأمة كما أفاده الإمام الهمام المولوي عبد الحقّ الكنهوري في كتابه « تذكرة الراشد بردّ تبصرة الناقد » في ردّ على تلفيقات صديق حسن خان . ومن كان في ريب من

حقيقة حاله وهو لما بيّناه جاحد فليرجع إلى الكتاب المذكور ليكون بشأنه خبيراً بصيراً وكفى بربّك هادياً ونصيراً .

وقال الإمام المحدّث الشاه أحمد وليّ الله الدِّهلوي في رسالته « القول الجميل » ما يناقض ما نقله عنه صاحب التاج المكلّل من الرسالة المذكورة أيضاً في موضعين فلا بأس بإيراد شيء منها ليكون المطلع على بصيرة ويتَّضح له الرشد من الغيّ . وهذه عبارته **وثالثها** الرابطة بشيخه **وشرطها** أن يكون الشيخ قويّ التوجّه (دائم البادداشت) أي دائم الحضور مع الله تعالى . فإذا صحبه المريد خلّى نفسه عن كلّ شيء إلاّ صحبته وينتظر ما يفيض منه ويغمض عينيه ويفتحها وينظر بين عيني الشيخ فإذا أفاض شيء فليتّبعه بمجامع قلبه وليحافظ عليه وإذا غاب الشيخ عنه تخيّل صورته بين عينيه بوصف المحبّة والتعظيم فتفيد صورته ما تفيد صحبته .

سمعت سيّدي الوالد يقول يجب على السالك إذا كان على هيئة وحصل له شيء من هذا المعنى أن لا يغيّر تلك الهيئة فإن كان قائماً لا يقعد وإن كان قاعداً لا يقوم . انتهى بحروفه .

قلت وقد شيّد أركان هذا التقرير نَجْلُهُ العالم المحقق والعامل المدقق محدّث الديار الهندية وصاحب « التحفة الإثنى عشرية » المفسِّر الوجيز مولانا الشاه عبد العزيز قدّس الله سره كما نقله عنه الفاضل الشيخ صادق المدارسي الهندي في زوائده الواقعة على « القول الجميل » بما نصّه فالحقّ أنّ هذه الطريقة أقرب للمريد ولو لم يكن هو صاحب علم وفهم فيتصرّف فيه

شيخه بمزيد محبّته فيه ورابطته معه لأنه قال مشائخ الطريقة **كن مع الله وإن لم تكن كن مع من كان مع الله** وقال تبارك وتعالى في كلامه المجيد ﴿كُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ فيها إشارة إلى الرابطة بشيخه إذا كان الشيخ كاملاً واصلاً للشهود الذاتي **فيحصل بتوجّهه في أقرب زمن بأسهل طريق ما لا يحصل في الزمن الطويل بعد كلّ صعب** . انتهى . **فانظر** رحمك الله إلى هذا الكلام من هذا العالم الهمام .

وإذا تأمّلت هذا المقال وأمعنت فيما قال أسقطت ما تورّك عليه صاحب « التاج المكلل » وعدلت إلى القول الثاني وهجرت القول الأول ونحن إن أخذنا بكلامه وعملنا بمقصده ومرامه نأخذ بالثاني وإلاّ فلا . فتأمّل .

وقال الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة الأردبيلي شارح « المشكاة » في « رسالته المكية » ما نصّه **الشرط السابع** دوام ربطة القلب بالشيخ واستفادة علم الواقعات منه من جهة الإرادة التامة لأنه الرفيق في الطريق . قال الله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ وقال تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ وَقال تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ .

ثمّ قال فصل على المريد أن يتيقن أنّ روحانية الشيخ غير متحيّزة بموضع دون موضع وكل ما لا يكون متحيّزاً استوت عليه الأمكنة كلها ففي أيّ موضع يكون المريد لا تفارقه روحانية الشيخ وإن كانت تفارقه شخصيّتها والبعد إنما يتعلق بالمريد فإذا تذكّر المريد بقلبه الشيخ قرب إليه

فتعلّق به قلبه فاستفاد منه وإذا احتاج المريد الشيخَ ليحلّ له إشكال واقعته يستحضره بقلبه ويسأله عما يشاء هذا لا بلسان الظاهر بل بلسان القلب فيلهمه روح الشيخ معنى الواقعة عقب السؤال وإنما تيسّر له ذلك بواسطة ربط قلبه بالشيخ ومن هذا الوجه يفصح له لسان القلب وينفتح له طريق القرب إلى الله تعالى فيجعله محدّثاً . انتهى . نقله الإمام الدوسري قدّس الله سرّه في « الرحمة الهابطة » .

وقال الإمام الأوحد والعالم المفرد المحقق السري سيدي الشيخ حسين بن أحمد الخالدي الدوسري قدّس الله سرّه في الرسالة المذكورة ما نصّه **اعلم** أيها الأخ وفّقك الله لسلوك الصراط المستقيم وعصمني وإيّاك من الشيطان الرجيم **أن الرابطة عبارة عن تعلّق القلب بشيء على وجه المحبّة** وهذا التعلّق تارة يكون محموداً وتارة يكون مذموماً وتارة يكون مباحاً لأنه لا يخلو إما أن يكون مأموراً به أوْ لا . **فالأوّل المحمود** كحبّ الله وحبّ رسوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم والحبّ في الله وحبّ ما يقرّب إليه . **والثاني** إما أن يكون منهيّاً عنه أو لا . **فالأوّل مذموم** كحبّ المحرمات والمكروهات وإن لم يترتب على المكروهات عقاب لأنه يترتب عليها عتاب . **والثانى المباح كحبّ الإنسان أهله وولده بالطبع الجبليّ لا انفكاك لأحد عنه .**

فقد شمل هذا التقسيم الأحكام الخمسة فإن المحمود يندرج فيه الواجب والمندوب والمذموم يتضمّن الحرام والمكروه والمباح معلوم دخوله تحت غير المنهي عنه وهو قولنا (أوْ لا) فتعلّق القلب حاصل لكلّ إنسان فلو تنبّه

المنكر لعلم أن ما ينكره عين ما يستحضره وأنّ الذي يجهله هو الذي يفعله بل ما يفعله من الرابطة التي ينفي ثبوتها مع فعله إيّاها من إساءة الأدب مع الله تعالى ما لا يمكن جحده ولعلم أنه يتأكد عليه أن يعمل عملاً يزيل عنه هذا البلاء الذي أهلكه من حيث لا يشعر لشدّة سكره في غفلته وذلك أنه إذا كبّر تكبيرة الإحرام سرح في أودية الأفكار والأوهام وأعرض عن ربّه ونسي نفسه ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡ﴾ واشتغل إما برابطة وقفه أو ملكه أو حرفته أو زوجته إن كانت نفسه مفتونة بها أو ولده أو تقرير مسألة يلقيها إبليس عليه ليخرجه من صلاته مفلساً أو مخاطبة من يرتجي منه زكاة أو صدقة فيقول ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ وهو مقبل على معبوده الشهودي ورابطته التي هي نصب عينيه ويستمرّ على هذه الحال حتى يسلّم فإذا سلم التسليمة الأولى شرع بالإنكار على الرابطة التي يفعلها العلماء والعارفون في وقت مخصوص ليحصل بواسطتها انتفاء الغفلة حتى يقبلوا على ربّهم في صلاتهم وذكرهم بقلب حاضر . انتهى .

وقال الشيخ الإمام والعارف الهمام أحمد بن إبراهيم بن علاّن الصديقي قدّس الله سرّه في شرح قصيدة الشيخ ابن عبد الدائم الأنصاري رحمه الله تعالى التي أوّلها

مَــنْ ذَاقَ طَعْـمَ شَـرَاب القـوم يَدْرِيهِ وَمَــنْ دَرَاهُ غَــدَا بــالرُوح يَـشْـريـه

عند قول الناظم (**إذا رؤي ذكر المولى برؤيته** . .) ما نصّه أي إذا رؤي هذا العبد ذكر المولى برؤيته كما ورد في وصف الصالحين « الذين إذا رأوا

ذكر الله تعالى » لأنّ نور قلبه مشرق على وجهه ﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم﴾ فمن رآه رأى نور الحق الساطع من قلبه على وجهه ومن له ذلك فاز بالسعد والقرب .

قال ابن علوان رحمه الله تعالى

سَعِدَتْ أَعْيُنٌ رَأَتْكَ وَقَرَّتْ وَكَذَا عَيْنُ مَنْ رَأَتْ مَنْ رَآكَا

ومثل ذلك الشمس إذا أشرقت على الجدار وفي مقابلة ذلك الجدار جدار آخر فيشرق ذلك الجدار الآخر لمواجهته للجدار الذي أشرقت عليه الشمس وعنده أي الناظم طريقة معروفة عند المشائخ يسمّونها **بالرابطة** وهي **رؤية وجه الشيخ فإنها تُثْمِرُ ما يثمر الذكر بل هي أشدُّ تأثيراً من الذكر لِمَنْ عرف شرطها وآدابها** .

ومن ذلك كانت تربية النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم للصحابة رضي الله عنهم فكانوا يشتغلون برؤية طلعته السعيدة وينتفعون بها أكثر مما ينتفعون بالأذكار في مدّة مديدة ولهذا كانت درجة الصحبة لا تضاهى والاجتماع بالمشائخ ولو ساعة مرتبة بها يتباهى . انتهى .

وقال العلاّمة المحقق والفهامة المدقق سليل السادة الأمجاد ابن أبي داود الحنبلي صاحب كتاب « تحفة العباد » في كتابه آداب المريد ما نصّه **وعلامة صحّة إرادة المريد** تعلق قلبه بشيخه واستغراقه في مشاهدته في الغيبة والحضور حتى لا يشاهد معه من الخلق أحداً غيره فإذا صحّ له هذا المشهد انتقل منه إلى مشهد الجمال السَّرْمَدِي وهذا الذي لا يشهده إلاّ أهل المعرفة

بالله تعالى لا الغبيُّ الجاهلُ المفتون بشهوة نفسه الأمّارة بالسوء الذي ليس عنده شيء من الروحانية

قال بعضهم

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْشَـقْ وَلَـمْ تَدْرِ مَا الهَوَى فَكُنْ حَجَراً مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ جَلْمَدا

انتهى

وقال العالم الذي يبهر بفضله الرائي الشيخ إبراهيم بن عمر المنلا الأحسائي في رسالته ما نصه فإن لم تمكِنْه مصاحبة الشيخ لتعذّره ببعده عنه فعليه باستحضاره في خياله ويعتقد أنه في صحبته وحضرته ويتصوّر نفسه كأنها بين يديه ويحفظ ذلك التصوّر في خياله ويفني في وجود الشيخ بكليّته ثمّ يتوجّه الشيخ إلى الله تعالى ويتكلّف ذلك ويكرّره مرّة بعد أخرى إلى أن يشرق النور الإلهي على لطيفته إشراقاً يكشف الغطاء عن أسرار معاني فيكون بالله لا بغيره ولا بنفسه . انتهى .

وقال العالم الراسخ الناقد والماجد الشامخ العابد ذو الأيادي البوادي لدى الحاضر والبادي السيد إبراهيم فصيح الحيدري البغدادي في كتابه « المجد التالد في مناقب مولانا خالد » ما نصّه **اعلم** أن الرابطة هي **عبارة عن ربط القلب بالشيخ الواصل إلى مقام الشهود** فإن الشيخ كالميزاب ينزل الفيض من بحره إلى قلب المرابط فإن وجد فتوراً في الرابطة فليحفظ صورة الشيخ في خياله فإنه بحفظ الصورة يتّصف المريد بأوصاف الشيخ وأحواله ولها أصل من الكتاب وبها قال علماء الأئمة الأربعة المجتهدين رضي الله تعالى عنهم والمنكر لها جاهل بأقوال أعلام الأمة المحمدية . انتهى ملخّصاً « نور الهداية »

وفيه فإن كانت الرغبة في سلوك سبيل أهل المعرفة والتوحيد فألق سمعك لما نتلوه عليك وأنت شهيد وافتح عينيك لتبصر ما نطلعك عليه من نفائس العرفان وما ينتج من مجالسة أعيان أهل الشهود والعيان .

قال سيّد العرب والعجم صلّى الله تعالى عليه وسلّم « إنمَا مَثَلُ الجِلَيسِ الصَالِحِ والجِلَيسِ السوءِ كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكير فَحَامِلُ المِسْكِ إِمَّا أَنْ يُجْدِيَكَ وَإِمَّا أن تبتاعَ منه وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً وَنَافِخُ الكِيرَ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً خَبِيثَةً » . رواه الشيخان عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه .

وعن أنس رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم « مَثَلُ الجَلِيسِ الصَالِحِ كَمَثَلِ صَاحِبِ المِسْكِ إِن لَمْ يُصِبْكَ مِنْهُ شَيْءٌ أَصَابَكَ مِنْ رِيحه ومَثَلُ الجَلِيسِ السُّوءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الكِيرِ إِن لَمْ يُصِبْكَ مِنْ سَوَادِهِ أَصَابَكَ مِنْ دُخَانِهِ » . قال الإمام المنذري في « الترغيب والترهيب » رواه أبو داود والنسائي .

وهذان الحديثان الشريفان يصلحان أن يكونا دليلاً للتوجّه والرابطة أيضاً لأنّ من لفظهما ومعناهما ما هو مطابق للواقع فإنه صلّى الله تعالى عليه وسلّم شبّه الجليس الصالح بحامل المسك ثمّ ذكر أنه يحصل من مجالسته إحدى ثلاث فوائد واحدة مقطوع بها وهو وجدان الريح إذ لا مانع منها فقال صلّى الله تعالى عليه وسلّم « إِمَّا أَنْ يُجدِيكَ » أي يعطيك بلا عوض والعطاء هنا على سبيل الإشارة إفادة علم أو حال بتوجّه أحد

أرباب الكمال ويكون منه هذا الفضل الموهوب للمراد الذي سبقت إليه السعادة والمحبوب

ونظرة منه إن صحّت إليه على سبيل ودٍّ بإذن الله تغنيه

وقوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم « وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ » أي تقدّم له عوضاً على ذلك من نوافل الخيرات وفواضل المبرّات وهذا شأن المريد السالك وقد يكون ذلك بمجرّد طلب اللسان أو استمداد الجنان فيلحظك بعين عنايته ويمدّك بلطائف روحانيته وهذا الأخذ والعطاء المعنويّان مدرك عند أهلهما بالوجدان فإنكار من لم يسلك سبيلهم لا يلتفت إليه ولا يعوّل عليه إذ لا يستوي الأعمى والبصير كما لا يستوي حامل المسك ونافخ الكير .

وَمَن يَقُلْ لِلْمِسْكِ أَيْنَ الشَّذَا كَذَّبَهُ فِي الحَالِ مَنْ شَمَّا

ولله درّ قائل

دَلاَئِلُ العِشْقِ لاَ تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ   كَحَامِلِ المسْكِ لاَ يَخْلُو مِنَ العَبَقِ

وأما قوله ﷺ « وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً » أي يسري إليك من حاله ما تنتفع به وهذه الجملة مطابق ظاهرها فعل التوجّه إذ هو انعكاس حاصل تارة بالفعل من غير استدعاء وإليه الإشارة بـ « تبتاع منه » وتارة بانعكاس من غير استدعاء ولا فعل وإليه الإشارة بـ « تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً » .

وعبّر بالوجدان دون غيره من الألفاظ لأن الجليس يدرك بذوقه ما يسري إليه من قلب جليسه الصالح وفي الحديث « تَعَلَّمُوا اليَقِينَ بِمُجَالَسَةِ أَهْلِ اليَقِينِ » . والجليس إما أن يكون ناطقاً أو صامتاً وحصول الفائدة من الصامت لا معنى لها سوى سريان حاله في جليسه قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم « خِيَارُكُمْ الذِينَ إِذَا رُؤوا ذُكِرَ اللهُ » فإنه إذا رؤي المنسوب ذكر المنسوب إليه لا سيما إذا كانت رؤيتهم على طريق المحبّة والاعتقاد الصحيح فإنه يحصل بها عن القلب رفع الحجاب فينتقش فيه ذكر الكريم الوهّاب فإذا كانت رؤيتهم ومجالستهم منتجة ذكر علاّم الغيوب فالتوجّه أبلغ في حصول الذكر بسبب انعكاس أنوار القلوب فقل لمن لم يسلك هذا السبيل ولم يذق من شرابه السلسبيل

عَلَى نَفْسِهِ فَلْيَبْكِ مَنْ ضَاعَ عُمْرُهُ   وَلَيْسَ لَهُ فِيهَا نَصِيبٌ وَلاَ سَهْمُ

وهذه الكيفية عليها مدار أهل الطريق لأنها أقرب في إيصال المريد إلى الدرجة العليا من درجات التوحيد على التحقيق . « نور الهداية » .

وفيه وقال أحمد بن حضرويه **القلوب أوعية** فإذا امتلأت من الباطل أظهرت زيادة ظلمتها على الجوارح وقال أبو تراب **ليس من العبادات شيء أنفع من إصلاح خواطر القلوب** . انتهى .

وإصلاح الخواطر منتجة تطهير البواطن وتطهير الباطن لا يتأتّى بدون توجّه الشيخ الكامل وتوجّهه عبارة عن إلقاء الجذبة في قلب السالك قبل السلوك وصبّ ما في صدره أوّلاً بحكم وراثة الشيخ الكامل عن شيخه كذلك وهكذا إلى سيّدنا الصدّيق الأكبر لقوله ﷺ « مَا صَبَّ اللهُ فِي صَدْرِي شيئاً إِلاَّ وقد صَبَبْتُهُ فِي صَدْرِ أَبِي بَكْرٍ » وأبو بكر رضي الله تعالى عنه هو الواسطة في هذه الطريقة العلية الصدّيقيّة النقشبندية المجدديّة الخالدية ولم تزل مشائخ هذه السلسلة الذهبية تتوارث الصبّ المذكور كابراً عن كابر إلى يومنا هذا لا زالت مرسومة على جبهة الدهر بأحرف نورانية تزيل عن قلوب سالكيها الحجب الظلمانية . انتهى « نور الهداية والعرفان » للشيخ محمد أسعد صاحب زاده النقشبندي الخالدي العثماني شيخ السجادة الخالدية وقائم مقام أبيه وعمّه في دمشق الشام المحميّة . أمدّنا الله بمدده وأفاض علينا من بركاته . آمين .

علماء المذاهب الأربعة والرابطة

فيكفي للمنصف ما ذكره فيه ولا يحتاج بعد ذلك لزيادة أقوال غيره لكن أردت أن أذكر هنا أسماء أكابر السادات القائلين باستحسان الرابطة مع بيان كتبهم والإعراض عن ذكر أقوالهم بعينها لما أن في ذلك طول كلام والطول لا يحتمل هذا المختصر **ولا يخفى أنّ كثرة القائلين تنبئ حقية الأمر فأقول وبالله التوفيق من الذين** يقولون بحسن الرابطة من **العلماء الحنفيّة** العالم كمال الدين البابرتي في « شرح المشارق » في حديث « من رآني فقد رآني » **ومنهم** الإمام العارف بالله عبيد الله الأحرار السمرقندي في تفسير قوله تعالى ﴿**وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ**﴾ . وصرّح الإمام المحقق الشريف الجرجاني الحنفي في أواخر « شرح المواقف » وأوائل حواشيه على « شرح المطالع » بصحة ظهور صور الأولياء للمريدين وأخذهم الفيض منها حتى بعد الموت

ومنهم العالم العلاّمة مولانا عبد الرحمن الجامي قدّس سرّه في « شرح الرباعيات » وفي « النفحات » وفي رسالة توجُّه الخواجكان

ومنهم العالم العلاّمة محمد بن سعيد الخادمي شارح الطريقة في رسالته النقشبندية

ومنهم شارح « الأشباه » الإمام العلامة الحموي في « نفحات القرب »

ومنهم الإمام فخر الدين الرازي في « المطالب العالية » في بيان كيفية الانتفاع بزيارة الموتى

ومنهم الإمام العارف بالله تاج الدين الحنفي في رسالته المعروفة « بالتاجية »

ومنهم صاحب القاموس في « مقدمة البصائر » وقال الشيخ المحقق الإمام نجم الدين الكبري فالرابطة بالقلب أصل كبير في الاستفاضة بل لا تتصفَّى مرآة القلب بدون رابطة القلب بالشيخ . انتهى

ومنهم قدوة المحققين زبدة المتأخرين عبد الغني النابلسي شارح الطريقة في شرحه على التاجية

ومنهم عبد الحكيم السيلكوتي وهو أخذ هذه الطريقة عن الإمام الرباني وله قصّة نفيسة وقعت معه وهي مذكورة في « مرآة الحامدين » فراجعه

ومنهم العالم العارف بالله تعالى إسماعيل حقي البروسي في عدّة كتبه وفي « التحفة الوسمية »

ومنهم العالم العارف بالله تعالى إبراهيم حقي الأرضرومي في « معرفة نامته »

ومنهم الإمام العالم العلاّمة الإمام الرباني السيد أحمد الفاروقي السرهندي المجدد الألف الثاني في « مكتوباته » وقد ذكرنا ما قاله في موضعين فقلّبه . وكذا ابنه الإمام معصوم العروة الوثقى الحنفي في « المكتوبات »

ومنهم أشرف زاده عبد الله الرومي في « مزكّي النفوس »

ومنهم محمد مراد الكابلي الحنفي في « رسالته النقشبندية » . قال فيها كلاماً نفيساً فراجعه

ومنهم الإمام العارف محمد جلال الدين الرومي في « المثنوي » هؤلاء من الحنفيّة .

ومن الأئمة الشافعية

الإمام الغزالي في « الإحياء » في بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في قلب عند كلّ ركن من الصلاة وقد مرّ ما ذكره في كتابه « المضنون الكبير »

ومنهم العالم المحقق شهاب الدين ابن حجر المكي في « شرح العباب » في بيان معاني كلمة التشهد وفي « شرح الشمائل » ومرّ ما قاله في « شرح الهمزية »

ومنهم خاتمة المحدّثين العلاّمة الحافظ جلال الدين السيوطي في « تنوير الحَلَك في رؤية النبي والملك » . وقال أيضاً في « كتاب المنجلي في تطوّر الوليّ » كلاماً ينبغي مراجعته وملاحظته هنا نقلاً عن الإمام السبكي فراجعه

ومنهم الإمام العالم العلاّمة العارف بالله الشعراني في « نفحاته القدسية » وفي « لطائف المنن » و« لواقح الأنوار القدسية » و« الأجوبة المرضية »

ومنهم العالم العلاّمة السفيري الحلبي الشافعي في شرحه على « البخاري » في حديث « ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ »

ومنهم الإمام السهروردي في « عوارف المعارف » . قال زين الدين الخوافي رحمه الله في « وصاياه » عند عدّه وشرحِه الشروطَ الثمانية الجنيدية قال و**الشرط السابع** دوام ربط القلب بالشيخ بالاعتقاد والاستمداد على وصف التسليم والمحبة والتحكيم . . . إلى آخره

ومنهم الإمام السبكي في « الطبقات الكبرى » وغيرهم

ومنهم القطب المشهور خالد البغدادي في رسالتيه في الآداب والرابطة .

ومن الأئمة المالكية

صاحب المختصر المشهور جليل العلاّمة الشيخ جليل من أجلّ فقهاء المالكية

ومنهم الشيخ أبو العبّاس المرسي

ومنهم الإمام العالم العلاّمة ابن عطاء الله الإسكندري في كتابه « تاج العروس » . وقد مرّ ما ذكره في « مفتاح السعادة »

ومنهم من تلقى العلوم اللدنية بلا واسطة من الحي الباقي محي الدّين العربي في باب الثلاثين من « الفتوحات »

ومنهم العلاّمة الفاسي في « شرح دلائل الخيرات » في عدّة مواضع فراجعه ففيها مهمات نفيسات وقد ذكرها بالتمام مؤلّف « هدية الذاكرين »

ومن الأئمة الحنابلة الإمام العالم العلاّمة شمس الدين بن القيم في كتاب « الروح »

ومنهم الغوث الأعظم السلطان عبد القادر الكيلاني قدّس سرّه قال ما معناه إن للفقير السالك طريقَ القوم رابطة قلبية مع الأولياء فيستفيد منهم بسبب تلك الرابطة باطناً فلا بأس بعدم إكرامه ظاهراً بخلاف الأجنبي الذي ليس له رابطة معهم فيجب إكرامه ظاهراً . انتهى نقلاً عن الإمام السهروردي في « عوارف المعارف » في باب آداب المريدين مع شيخهم وغيرهم .

التصانيف في الرابطة

وقد ألّف في الرابطة العالم فصيح أفندي رسالة نفيسة وكذا ألّف فيها رسالة العالم الفاضل وحيد الدهر محمد فوزي أفندي المشهور بمفتي « أدرنه » السابق ردّاً للمنكر المتعصب سيد خواجه وكذا فيها رسالة لملا جامي وكذا فيها رسالة لمولانا حضرة خالد قدّس سرّه وشرح عليها الشيخ سليمان الزهدي شرحاً نفيساً سمّاه بـ« تبصرة الفاصلين عن أصول الواصلين » وكذا فيها رسالة لعبد الغني النابلسي وكذا للخادمي وغيرهم فراجعها .

وبسط مؤلّف « الفتاوى العمرية » وصاحب « الرحمة الهابطة » الكلام في ثبوتها وحسنها .

وفي « تصديق المعارف » في تفسير قوله تعالى ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ قال بعضهم الوسيلة في الأحياء الشيخ والنبي عليه السلام أهدى وأرشد ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ أي في سبيل الله هذا أمر بمجاهدة الصوفية فافهم ولأنه يدلّ على تصور التوسل إلى الله وهذا مما عرفه العرفاء عياناً . فراجعه من سورة المائدة .

واستدلّ للرابطة مؤلف « هدية الذاكرين » بقوله تعالى ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ وقوله تعالى ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ وقوله ﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ وقوله ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ وقوله ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ وقوله عليه السّلام « تَفَكَّرُوا فِي آلاَءِ اللهِ ولاَ تَتَفَكَّرُوا فِي ذَاتِهِ » الحديث وقوله « تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللهِ وَلاَ تَتَفَكَّرُوا فِي الخَالِقِ فَإِنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُون قَدْرَه » . . . وأطال . ثمّ قال وإذا كان التفكر في آلاء الله تعالى وفي خلق السموات والأرض جائزاً ومرغّباً فيه فكيف لا يجوز في أفضل خلقه وأشرف آلائه وحبيبه محمد الذي هدانا به إلى الصراط المستقيم وفي خلفائه وأتباعه الكاملين وقال ﷺ في حديث الأبدال « بِهِمْ تَقُومُ الأَرْضُ وَبِهِمْ تُمْطَرُونَ وَبِهِمْ تُنصَرُونَ » وقال « ذِكْرُ الأَنْبِيَاءِ مِنَ العِبَادَةِ وَذِكْرُ الصَالِحِينَ كَفَّارَةُ الذُنُوبِ وَذِكْرُ المَوْتِ صَدَقَةٌ » الحديث ولا يمكن ذكر الشيء إلاّ بإحضار صورة المذكور في القلب والخيال بالضرورة .

وقيل **عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة** قيل هذا من كلام سفيان بن عيينة وقيل حديث مرفوع له أصل وقال عليه الصلاة والسّلام « بجِّلُوا المَشَائخَ فَإِنَّ تَبْجِيلَ المَشَائخِ مِنْ إِجْلاَلِ اللهِ تَعَالَى فَمَنْ لم يُبَجِّلْهُمْ فَلَيْسَ مِنِّي » رواه أنس وقال « مَن لم يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَلَمْ يُوَقِّرْ كَبِيرَنَا فَلَيْسَ مِنَّا » قال شراح الحديث مَن لم يعظم حرمة من يؤدّبه حرم بركته ومن اعترض شيخه لا يفلح أبداً .

وقال عليه الصّلاة والسّلام « خَمْسٌ مِنَ العِبَادَةِ قِلَّةُ الطعام والقُعُودُ فِي المَسَاجِدِ وَالنظْرُ إِلَى الكَعْبَةِ وَالنَظْرُ فِي المُصْحَفِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْرَأَ وَالنَظْرُ إِلَى وَجْهِ العَالِمِ » صدق رسول الله فيما قال .

وهذه الرابطة واقعة في الصحابة من شدّة محبّتهم واتباعهم له ﷺ وكذلك في التابعين وأتباعهم ويكفي لذلك شاهداً ما حصل لأبي بكر الصدّيق ﵁ حيث لم يجد محلاًّ خالياً من رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم حين أراد قضاء حاجته البشرية فاشتكى من هذه الحالة إلى النبي ﷺ فرخّص له فيه وما حصل أيضاً للإمام الأعظم أبي حنيفة ﵁ في مناجاته عند روضة رسول الله ﷺ حيث قال

وَإِذَا سَـمِعْتُ فَعَنْـكَ قَـوْلاً طَيِّبـاً   وَإِذَا نَظَـرْتُ فَمَـا أَرَى إِلاَّ كَا

انتهى وأطال في ذلك

وقال والصلاة على النبي ﷺ وعلى آله والسلام على عباد الله الصالحين في الصلاة مشروعة مسنونة والآل كلّ تقيّ . وإذا كان في الصلاة كذلك فكيف يتصوّر كفر من أحبّ أستاذه وتخيّله في قلبه لشدّة محبّته له حالة الذكر والقراءة والصلوات الشريفة ليكون وسيلة إلى الخضوع والخشوع والحضور ودفعاً للخواطر والوساوس الشيطانية وهذا أمر مشروع مقبول **وأمّا تفكّر** صورة أستاذه وتخيّله واتخاذه معبوداً من دون الله تعالى واختصاصه بالعبودية أمر لا يفعله الكفرة من أهل الكتاب **وأما تكفير من أحبّ أستاذه من حيث أنه أستاذه في الدين فكفر لأنه تكفير لأهل القبلة والدين ولهؤلاء**

الأئمة المذكورين إلى أن ينتهي إلى الأصحاب حتى النبي ﷺ فحاشا ثم حاشا اللّهمّ لا هادي لمن أضللت ولا مضلّ لمن هديت ولا حول ولا قوّة إلاّ بك .

فيا عجباً للقائل بحرمة الرابطة وتكفير أهلها هل أخذ من معناها اللغوي أو الاصطلاحي أو هل وجدها في الكتب المنزلة فليتّق الله وليحذر من أن يحرّم ما أحلّ الله ويحلّ ما حرّم الله ويقع في الخطأ العظيم فيوقع غيره ويمنع الناس عن المعروف ثم ليتّق الله ولا يكفّر أحداً من أهل القبلة فيرجع عليه قال تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ صدق الله العظيم .

والحاصل أنه ليس في الكتب المنزلة ولا في الأحاديث النبوية ولا في الكتب المعتبرة عبارة تفيد حرمة الرابطة المعتبرة في اصطلاح القوم لا صراحة ولا دلالة بل فيها إباحتها واستحبابها صراحة ودلالة قال البوصيري

لا تَعْجَبَنْ لِـحَـسـودٍ رَاحَ يُنْكِـرهـا   تَجَاهُلاً وهـو عَـيْنُ الحَـاذِقِ الفَهِمِ
قد تُنْكِر العينُ ضوءَ الشـمْس مِنْ رَمَد   ويُنْكِرُ الـفـمُ طـعْـمَ الماءِ مِنْ سَقَم

لكن الشمس شمس وإن لم يرها الضرير .

وأما قول بعض أهل الأغراض بحرمة الرابطة وتكفير صاحبها فهو من جهله بمعنى الرابطة وسوء ظنّه بأهل الذكر والطريقة وأرباب الشريعة حيث أوقعه جهله وحسده وغرضه في تكفير أهل الطريقة والذكر من المشائخ والمريدين والأئمة من الصحابة والتابعين . فنعوذ بالله تعالى .

وأما قول القائل بأن الرابطة بدعة فبدعة متوعّد قائله بالخذلان .

وأما تشبيه الرابطة بالصنم وأهل الرابطة بأهل الصنم فهذا ضلال ما قاله أحد من الأئمة من أهل السنة والجماعة .

وأما خطأه في بيان الأدلّة النقلية والعقلية لإثبات زعمه فظاهر لأرباب الفهم لأن أدلّته النقلية قوله تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ الآية وقوله ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ الآية وقوله عليه الصّلاة والسّلام « وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا » الحديث وعدم دلالة هذه الأدلّة على حرمة الرابطة المشروعة ظاهر كما لا يخفى على أهل الإنصاف والنظر وعلى من تتبع معنى هذه الأدلة ومعاني الرابطة قال تعالى ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ وقال تعالى ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ .

وأما أدلته العقلية باللسان التركي فمعناه بالعربية أن الرجل إذا عمل الرابطة بالشيطان يحصل له ما يحصل له من الرابطة بالمرشد وبالشيخ وقد أخطأ بهذا القول خطأ ظاهراً بيّناً لأنه سوّى بين مرابطة الشيطان المنهيّ عنها وبين رابطة الأنبياء والأولياء المأمور بها وخالف قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ وقوله ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ ﴾ الآية وقوله ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وقوله تعالى ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ وقوله تعالى ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ الآية .

وأما من حصل له الرابطة مع الشيطان فقد استحوذ عليه الشيطان فأنساه ذكر الله فيدخل تحت قوله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ .

وأما من حصل له الرابطة مع الأنبياء والأولياء فيكون من جملة حزب الله ﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ لأنهم إذا رؤوا ذكر الله .

وبتلك الأدلة ظهر عدم فرقه وتمييزه بين الحقّ والباطل فرأى الباطل بنظر الحق والله تعالى أمرنا وأوجب علينا الحبّ في الله والبغض في الله وظهر أيضاً عدم فرقه بين الشهوة النفسانية والقوة الروحانية فإنه يحصل للرجل اللذة بالزنا كما تحصل بزوجته ويحصل الطرب باستماع الغناء وآلات اللهو كما يحصل باستماع القرآن والذكر وتحصل الشهوة والمحبة بملاحظة صورة الشابة الحسناء الجميلة وكثيراً ما يقع به الإنزال والاحتلام كما تحصل المحبة والحضور وتأدب النفس وحياة القلب والروح بملاحظة صور الأنبياء والأولياء فأحد الشقَّين يردّ إلى أسفل السافلين والآخر يرفعه إلى أعلى العليين وأحدها ينعش النفس ويقوّيها وإنّ النفس لأمّارة بالسوء والآخر يحيي الروح والإيمان ويقوّيهما كما لا يخفى على أرباب الفهم ولعلّ ذلك المعترض تاب ورجع عن خطئه ولكنَّه كان فتنة للناس حيث منع كثيراً منهم عن ذكر الله تعالى وأوقعهم في سوء الظنّ بأهل الذكر والطريقة وتكفيرهم لهم والحال أن تكفير أهل القبلة كفر صريح فنعوذ بالله من الشكّ بعد اليقين ومن الضلالة بعد الهدى ومن ضرّاء مضرّة وفتنة مضلّة . اللهُمَّ ارزُقْنَا حُبَّك وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ

وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنَا إِلى حُبِّكَ . آمين بحرمة النبيّ الأمين عليه السّلام . انتهى ما قاله العلاّمة الشيخ يوسف أفندي شوقي الطرابزوني الأوفي الحنفي النقشبندي في « هديّة الذاكرين » فجزاه الله عنا وعن أهلنا فقد صرّح ما كان واجباً علينا أن نصرّحه في جواب مسائل المنكر في عصرنا هذا .

ونقل الشيخ عمر الميرطي رحمه الله في « فتاويه » ما نصه **والثالث** محبة الشيخ الكامل وحسن صحبته وخدمته ولا يعترض عليه في شيء ولا ينكر ويكون بين يديه كالميت بين يدي الغسال كما قال الله تعالى ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ﴾ ويرابطه وهو عبارة عن ربط القلب بالشيخ الواصل إلى مقام المشاهدة المتحقق بالصفات الذاتية وحفظ صورته في الخيال ولو بغيبته ورؤيته بمقتضى « هُمُ الذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ » بها تحصل الفائدة كما تحصل من الذكر بموجب « هم جلساء الله تعالى » ولا يخفى ما ورد من الأحاديث في الحث على الجليس الصالح .

والشيخ كالميزاب ينزل الفيض والنور من قلب الرسول عليه السّلام الذي هو كالبحر المحيط النوري إلى قلب المريد المرابط الذي بمثابة الحوض الصغير النوري **وأما قلوب المشائخ فكالبحر الذي له ساحل** فتنزل الفيوضات الإلهية من طرف الله إلى قلب الرسول عليه السّلام ثم إلى المشائخ ثمّ إلى قلب المريد بواسطتهم وإن وجد الفتور في الذكر فليحفظ صورة الشيخ في خياله بموجب ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ و« المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » .

وقيل **الفناء في الشيخ مقدّمة الفناء في الرسول والفناء في الرسول مقدّمة الفناء في الله** وذلك باتّصافه بصفة الشيخ وتخلّقه بأخلاقه **وهذا هو الطريقُ المستقلُّ للوصول إلى الله عزّ وجلّ** . « حديقة شعراني » .

إن قلت ما الفرق بين المحبة والرابطة

قلت المحبّة ملزوم والرابطة لازم فقولنا (رابطة شريفة) من قَبِيلِ ذكر اللازم وإرادة الملزوم **فافهم جدّاً** كما قال إسماعيل حقي قدّس الله سرّه الجليل **الرابطة اثنان رابطة الحق ورابطة الطبع** فمحبة أولياء الله رابطة الحق ومحبة الأولاد والأهل والأقرباء رابطة الطبع . وكذا قال في قوله تعالى ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ أي من غير رابطة قرابة أو رحم . « روح البيان » .

قال النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم « والذِي نَفسِي بِيَدِهِ لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ وَأَبَوَيْهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ والنَاسِ أَجْمَعِينَ » وفي حديث آخر « الآنَ كَمُلَ إِيمَانُكَ يَا عُمَر » حين قال عمر يا رسول الله إني أُحِبُّك من نفسي .

روي أن النبي ﷺ قال « مَنْ أَحَبَّنِي فَقَدْ أَحَبَّ اللهَ وَمَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ » فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد إلاّ أن نتّخذه ربّاً كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ لأنه في الحقيقة مبلّغ والآمر هو الله تعالى **فعلى المرء أن يحبّ النبي ويتّبعه ويتّبع أولياء الله تعالى** فالاتباع لهم لا يخلو عن الاتباع للرسول « المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » . « روح البيان » . انتهى .

وقد نقلت منه ما بعد هذا من قبل من الأدلة الواضحة لإثبات الرابطة فلا نعيده .

وفي « الفتاوى العمرية » وقد صرّح التصرّف والإمداد جماهير المفسّرين في قوله تعالى ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ أي مثل له يعقوب عليه السّلام عاضّاً على أنملته وقيل ضرب بيده في صدره فسكن شهوته فلم يقربها ولولا أن رآى ذلك البرهان ليحتمل أن يجامع كما قيل جواب لولا في الآية محذوف وهو لجامع . تفسير « الكشاف » .

وإذا تحقق ولاية الولي يتصوّر في صور عديدة وليس ذلك بمحال لأنّ المتعدد هو الصورة الروحانية وقد اشتهر ذلك عند العارفين بالله تعالى . كتاب « المنجلي » للسيوطي .

فإن الأولياء يظهرون في صور متعددة بسبب غلبة روحانيتهم على جسمانيتهم ويقع منهم التصرّف في الحياة وبعد الممات . الحموي في « نفحات القرب » .

الروح تظهر في الدنيا في سبعين ألف صورة ففي البرزخ من باب الأولى . « رسالة الرابطة » لحضرة خالد .

إنّ الشيطان كما لا يتمثل بصورة النبي لا يقدر أن يتمثَّل بصورة الولي الكامل أيضاً بشرط ذكره ثمه . « فتح الباري » شرح البخاري عند قوله ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ . انتهى .

وفيه بعيد ذلك **والحاصل** أن تخييل صورة الشخص بين الحاجبين أو بين العينين أو بين عيني القلب أو في خزانة الخيال أو غيرها على اختلاف الأقوال في تعيين محل القوة المفكرة إنما يحصل ذلك بسبب فرط المحبة أو فرط العداوة أو فرط الشهوة وذلك موجود في جميع بني آدم حتى ترى نفسك ينزل منها المني بتخيّل صورة المحبوبة أو الغلام المحبوب في محلّ الخيال وترى نفسك أيضاً ترابط الأجنبيَّة الحسناء وتخيّلها بين حاجبيك حتى تجامع زوجتك كأنها هي الأجنبية الجميلة كما بيّن حكمته الفقهاء بأنّ تخيُّل صورة الأجنبية حالة الجماع قيل مكروه وقيل لا يكره لازدياد لذّة الجماع وكذا ترى نفسك ترابط العدوّ حتى يعرق بذلك من تجسّم صورة العدوّ بين عينيك فإذا كان الأمر في الأمور الظلمانية هكذا فكيف لا تخاف من الله تعالى أن تحكم بأنّ الرابطة على الأنبياء والأولياء الذين هم محلّ اقتباس الفيوضات الإلهية شركاً أو حراماً حسبنا الله ونعم الوكيل .

وقد اتّفق أهل المذاهب الأربعة على جواز التوسّل بالأنبياء والأولياء أحياءً وأمواتاً وكذا التوجّه إلى قبور الأنبياء والأولياء والتوسّل بهم والاستغاثة بهم . انتهى . ويتأدّب الزائر مثل ما لو كانوا أحياء **وكذا قراءة الفاتحة بعد الدعاء** وقول بعضهم (للنبي أو لفلان) جائز بل مطلوب شرعاً كما ثبت الزيارة إلى الروضة المطهرة بلا منكر ولا نكير وكذا الاستمداد والاستشفاع من روحه ﷺ وكذا الزيارة للخلفاء الأربعة وسائر الصحابة والاستمداد منهم والاستشفاع من أرواحهم وتقبيل ضرائحهم للتبرك غير ممنوع « فتاوى خليلي » .

ويجوز تقبيل ضرائح الأنبياء والأولياء تبركاً « باجوري » .

الاجتماع بالشخص جائز وواقع يقظة ومناماً لحصول ما به الاتحاد وقد تقوى المحبة بحيث يكاد الشخصان لا يفترقان ومن حصّل الأصول الخمسة أي الاشتراك في الذوات وفي الصفات وفي الأفعال وفي الأحوال وفي المراتب وثبت المناسبة بينه وبين أرواح الكمل الماضين اجتمع بهم متى شاء « شرح المشارق » في حديث « من رآني . . . إلخ » .

الانتفاع بزيارة الموتى والقبور

قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله في « المطالب العالية » سألني الملك الصالح غوري بيان كيفية الانتفاع بزيارة الموتى والقبور فكتبت له فيها رسالة وأنا أذكر هنا ملخّص ذلك الكلام فنقول الكلام فيه مبني على مقدمات وأطال فيها الكلام وخلاصة خلاصته إنا قد دلّلنا على أنّ النفوس البشرية باقية بعد مفارقة الأبدان مدركة للجزئيات بل هي أقوى من هذه النفوس المتعلقة بالأبدان من بعض الوجوه لزوال الغطاء والوطاء ولانكشاف لها عالم الغيب وأسرار منازل الآخرة فصارت العلوم البرهانية ضرورية وكانت تلك النفوس الروحانية تحت غبار وبخار فلما زال البدن أشرقت تلك النفوس وتجلّت وتلألأت فحصل لها نوع من الكمال . . إلى أن قال فإذا عرفتَ هذه المقدمات فنقول

إنّ الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسان قَوِيّ النفس أي الروح كامل الجوهر شديد التأثير ووقف هنالك ساعة تأثَّرت نفسه من تلك التربة وحصل لنفس هذا الزائر ولنفس ذلك الإنسان الميت ملاقاة بسبب اجتماعهما على تلك

التربة فصارت هاتان النفسان شبيهتين بمرآتين وُضِعتا بحيث ينعكس الشعاع من كل واحدة منهما إلى الأخرى فينعكس نور هذا إلى ذاك ونور ذلك إلى هذا وبهذا الطريق يصير تلك الزيارة سبباً لحصول المنفعة والبهجة العظمى لروح الزائر ولروح المزور **وهذا** هو السبب الأصلي في شرعية الزيارة ولا يبعد أن يحصل فيها أسرار أخرى أدقّ وأحقّ بما ذكرناه وتمام العلم بالحقائق ليس إلاّ عند الله تعالى . انتهى كلام فخر الدين الرازي ملخصاً .

وأما حديث « لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلاَّ إلى ثلاَثَةِ مَسَاجِدَ » فالمراد منه المساجد لا المقابر .

وفي الحديث « مَنْ زَارَنِي بَعْدَ مَوْتِي فَكَأَنَّمَا زَارَنِي في حَيَاتِي » وفي الحديث « المُؤْمِنُ مِرْآةُ المُؤْمِنِ » أي ينعكس من مرآة قلب أحدهما إلى الآخر ما في القلوب فربّما ينعكس نور الذكر من مرآة القلب إلى ما يحاذيها من الحيوانات والجمادات فتنطقه بالذكر كما وقع لداود عليه السّلام كما قال الله تعالى ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ إلى ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ وكما وقع لسلمان وأبي الدرداء قال كنا نأكل الطعام ونسمع تسبيحه .

ولِهِمَّةِ أهل الله وتوجّههم وأنفاسهم ومسّهم وصحبتهم تأثير عظيم فمن ذاق يعرفه ومن لم يذق لم يعرف . انتهى . وأطال في ذلك .

وقد تكلّم واحد على كلام ذلك الإمام فخر الدين الرازي المذكور وعدَّ تلك الزيارة من الشرك وقال وهذا سرُّ عبادة الأصنام وذلك مُنبئٌ عن شذوذ قائله من دائرة أهل السنة والجماعة وبناء على هذا كتب إليّ من وقع سبباً

للتأليف بأنّ الرابطة عين الشرك . فحاشا ذلك وكلاّ **وكلام الوهابية وأتباع ابن تيمية** يُرْمى في كل وَعْر وحَزْن ولا يقام لكلامهم وَزْن وقد ردّ النبهاني قدّس سرّه شبهات أولئك القوم في « شواهد الحق » فمن أراد الاطلاع فعليه الرجوع إليه وإلى « الفتاوى الحديثية » لابن حجر « والفتاوى الكبرى » و« نور الإنصاف » .

وقد نقلنا منها أقوالاً شافية لمرض القلوب ودلائل كافية في إثبات ما أجمع عليه علماء الأمة حديثاً وقديماً في « البروج المشيدة بالنصوص المؤيَّدة » فراجعه .

قال مؤلف « الرحمة الهابطة » بعد ذكره حديث « إِنَّما مَثَلُ الجَلِيسِ الصَالِحِ وَالجَلِيسِ السُوءِ كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِير فَحَامِلُ المِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رَائِحَةً طَيِّبَةً وَنَافِخُ الكِيرِ إِمَّا أَن يَحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً خبيثةً » وحديث « خِيَارُكُمْ الذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ » ما نصّه وهذان الحديثان يصلحان أن يكونا دليلاً للتوجُّه والرابطة لأنّ من ألفاظهما ومعانيهما ما هو مطابق للواقع كما أنهما يرغّبان في صحبة الصالحين . انتهى . وأطال في ذلك . فراجعه في ١٩١ من هامش « الدرر المكنونات » .

ثمّ قال لأنّ الجليس يدرك بذوقه ما يسري إليه من قلب جليسه الصالح وإذا كانت الطِباع تسرقُ فمن باب أولى أنّ القلوب المنيرة تسرق وتحصل الفائدة من الجليس الصامت ولا معنى لها سوى سريان حاله في جليسه

ومن المعلوم أن من جالس شخصاً سيما إذا كان الجلوس على طريق المحبة والاعتقاد لا بدّ أن ترسم صورته في ذهنه فمهما تذكّره تخيّل صورته فإن كان الشخص من أحباب الله فتخيّل صورته يدعو إلى محبّته والشوق إليه ومحبته مطلوبة والشوق إليه محبوب فتخيل صورته محبوب إذ من تصوّر موصوفاً تصوّر صفاته فإذا كانت صفاته محبوبة عند الله فتصوّره الموجب لتصوُّر صفاته المحبوبة محبوبٌ ولا معنى للرابطة سوى هذا ولا يرتاب عاقل في أن الإنسان مختار في حركاته الظاهرة وتصوّراته الباطنة إذ لا حجرَ عليه من جهة الشارع إلاّ إن تحرَّكَ في معصية أو إلى معصية وكذا إن تصوَّر فعلَ معصية كمن تصوّر أنه يزني فهذا محظور بخلاف من تصوّر أنه يأتي حرثه فلا منع من ذلك وإنّ قوله ﷺ « خِيَارُكُمْ الذين إِذَا رُؤُا ذُكِرَ اللهُ » فهذا كالشرح لقوله « أَوْ تجدُ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً » جعل مجرّد رؤيتهم محصِّلة لذكر الله وذلك لأنهم منسوبون إلى ذكر الله وإذا رأى المنسوبَ ذكر المنسوب إليه وهو عين الذكر لا سيَّما إذا كانت رؤيتهم على طريق المحبّة والاعتقاد الصحيح فإنه يحصل بها رفع الحجاب عن القلب فينتقش فيه ذكر الله فإن كانت مع مجالسة فهذه أبلغ من حصول الذكر بسبب انعكاس أنوار القلوب .

ولتتيقّن يا أخي وتجزم بأني لم أذكر لك جميع ذلك عن ظنّ وتخمين لا والذي وسعت رحمته كلّ شيء بل عن تجربة وتحقيق والشفيق يجتهد في النصيحة فقل لمن لم يسلك هذا السبيل ولم يذق من شرابه السلسبيل

عَلَى نَفْسِهِ فَلْيَبْكِ مَــنْ ضَــاعَ عُمْرُهُ وَلَيْسَ لَــهُ فِـيـهَــا نَصِيبٌ وَلاَ سَـهْمُ

والحاصل أنّ صحبة الصالحين محتاج إليها وقد قالوا الرفيق قبل الطريق وتطهير القلب عن الصفات المذمومة كالكبر والعجب والرياء ومحبة الدنيا ونحوها فرض على كل مسلم بإجماع العلماء لأن جميع الطاعات يترتب وجودها والإحسان فيها على تطهير القلب ويكفيك قوله ﷺ « إِنَّ فِي الجَسَدِ لَمُضْغَةً إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الجَسَدُ كُلُّهُ » الحديث وتطهير القلب لا يحصل على وجه المراد إلاّ بصحبة مرشد كامل . وتأمّلْ « عهود الشعراني الكبرى » يتحقق عندك صحة هذا القول . انتهى . وأطال في ذلك فراجعه في ١٩٥ وفي ١٩٤ من هامش « الدرر المكنونات » ج١ .

وقد أثبت فيها الرابطة بدلائل من الكتاب والأحاديث والإجماع والقياس وأطال القال والقيل في ذلك بالبسط التام .

وقال إنّ الرابطة من جملة الوسائل الموصلة إلى الحضور في عبادة الله **والوسائل لها حكم المقاصد** . انتهى .

وقال في آية ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ والوسيلة بالأعمال الصالحة ولا تكون الأعمال صالحة إلاّ بالإخلاص ولا يكون العمل خالصاً إلاّ إذا خلا عن الشوائب وقد حصل لنا بالتجربة . أنا إذا اشتغلنا بالرابطة خلت أعمالنا عن شوائب الغفلة والعمل في الغفلة غير معتدّ به لأنه يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها **فهي من الوسائل الموجبة لزوال الغفلة وزوال الغفلة مقصود وما أوصل إلى المقصود مقصود** ومن لوازم زوال الغفلة الحضور وهو من

أشرف الوسائل فالرابطة الموجبة لزوال الغفلة الموجب للحضور من أشرف الوسائل . انتهى ٢٢٢ .

وفيه ما نصه قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني في رسالته « مدارج السالكين » **الأدب السابع** أن يخيّل خيال شيخه بين عينيه وهو عندهم من أهم الآداب وآكدها .

وقال أيضاً في « البحر المورود » اعلم يا أخي أن ربط أحدنا قلبه بشيخه حيّ أو ميّت ينفعنا ولو لم يكن ذلك الشيخ في علم الله شيخاً لأنّ ربطنا حقيقة إنما هو لاستناده إلى الله لا لذاته ومحالٌ أن يوجد الحق تعالى عند السراب الذي ظنّه الظمآن ماءً ويفقد عند عبد من عباده مشهور بالصلاح حقيقة مع ان السراب ليس له حقيقة بخلاف الصالح له وجود وحقيقة . فافهم . انتهى . في ٢٦٧ ج١ .

وذكر فيها[١] ما قاله العلماء الأعلام في حقها وأطال وَبَسط وقال فيها أيضاً ما نصّه **اعلم أيها الأخ** أرشدك الله أن الرابطة من جملة الوسائل الموصلة إلى الحضور في عبادة الله والوسائل لها حكم المقاصد . قال سيّدي الحبيب عبد الله باعلوي الحدّاد في كتابه « إتحاف السائل » الحضور مع الله روح العبادات وهو المقصود منها وبه يعبأ المحققون والأعمال التي تصدر مع الغفلة يرونها إلى العقوبة والحجاب أقرب منها إلى المكاشفة والثواب **فالرابطة تفيد رفع** الحجاب ورفع الحجاب مطلوب وكل ما أفاد المطلوب مطلوب فالرابطة

---

[١] أي في « الرحمة الهابطة » .(هامش الأصل) .

مطلوبة فقد هلك من لا رابطة له وكل إنسان له رابطة لكن شواهد الرحمة الهابطة ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ . **فرابطة رسول الله ﷺ دائمة وأسناها وأسماها قولُه ﷺ « لِي وَقتٌ لاَ يَسَعُني فِيه غَيْرُ رَبِّي » . ورابطة الأولياء** قوله ﷺ حاكياً عن الله تعالى « مَا وَسِعَنِي أَرْضي وَلاَ سَمَاواتي » . الحديث . **ورابطة المريدين** قوله ﷺ حاكياً عن ربه تعالى أيضاً « وَجَبت مَحَبَّتِي » . الحديث . وهذا أمر لا يدركه الإنسان إلاّ بالذوق والوجدان فإن أحببت يا أخي أن تسلك سبيل الرحمة الهابطة وتكون لك على التقوى مرابطة فعليك بطريق الرابطة فإنها تعلّق القلب **وتعلّق القلب بطاعة الله ورسوله منتج لمحبّة الله ورسوله والرابطة يحصل بها زوال الغفلة وجمع القلب على الله** وذهاب القسوة من القلب والخشوع ونزول الرحمة وكل ذلك يثمر المحبّة . انتهى راجعه في ٢٣٠ من هامش « الدرر المكنونات » من الجزأ الأول .

وكان محمد النقشبندي يفعل الرابطة إلى عبد الخالق الغجدواني وإن كان أستاذه الأميركلال وكان أبو يزيد البسطامي يفعل الرابطة إلى جعفر الصادق بلا رؤيته قدّس سرّه (من خط الشيخ العسلي قدّس سرّه) .

والمراد من ربط قلب المريد بشيخه واستحضار روحانيته معه إنما هو لدفع وسوسة الشيطان وترك الإثم والعدوان فإنه إذا همّ بمعصية يتمثّل له الشيخ فينزجر عن فعلها إن كان ربطه كاملاً على محبّة دائماً كما أخبر الحق تعالى عن يوسف عليه السّلام بقوله ﴿ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ وهو أنه مثّل له أبوه يعقوب عليه السّلام عاضّاً على أنملته « جامع الأصول » من خطه قدّس سرّه .

وقال مولانا جلال الدين الرومي قدّس سرّه **كل واسطة ورابطة حجاب بين الطالب والمطلوب إلاّ رابطة الأنبياء والأولياء الذين أفناهم الله عنهم وأبقاهم به وتخلّقوا بأخلاقه** بل هي خارقة الحجاب قاطعة التعلق والأسباب **فالرابطة معجزة نفيسة لرسول الله عليه السلام باقية مستمرّة إلى يوم القيامة** وكرامة الخلفاء المرشدين الكاملين متجدّدة في قلوبهم وفي قلوب السالكين لكلّ وقت وحين . « مثنوي » .

حكي أن شيخاً من الشيوخ سافر مع أحد من مريديه فاعترض على طريقهما ماء كالبحر فقال الشيخ أنا أدخل على الماء وأقول يا الله وَادْخُلْ أنت وقل أنت يا شيخ يا شيخ . فلما بلغا وسط الماء قال المريد يا الله فتسفّل في الماء فقال الشيخ قل يا شيخ يا شيخ فقال يا شيخ يا شيخ فعلا على الماء فلما جاوزا قال يا شيخ ما السرّ في هذا قال الشيخ لأنّك لا مناسبة بينك وبين ربّك في وصول الفيض منه إليك فما دام جعلتني واسطة وصل منه إليّ ومنّي إليك فلما أخرجتني انقطع الفيض فتسفّلت . « مشكاة » من خط العسلي قدّس سرّه .

ورأيت في « الإبريز » ما حاصله ومُلخَّصه هذا إنّ مؤلِّفه قال لشيخه – يعني القطب عبد العزيز الدباغ ذات يوم إني أخاف من الله من أمور فعلتُها فقال لي ما هي فذكرت له ما حصل فقال لي رضي الله عنه لا تخف من هذه الأشياء ولكن أكبر الكبائر في حقِّك أن تمرَّ عليك ساعةٌ ولا أكون في خاطرك فهذه هي المعصية التي تضرّك في دينك ودنياك . انتهى راجعه ٢١٣ .

وفيه قبيل هذا قال في « العوارف » وليعتقد المريد أن الشيخ باب فتحه الله إلى جناب كرمه منه يدخل ومنه يخرج وإليه يرجع وينزل بالشيخ حوائجه ومهمّاته الدينية والدنيوية ويعتقد أن الشيخ ينزل بالله الكريم ما ينزل المريد به ويرجع في ذلك إلى الله للمريد كما يرجع المريد إليه وللشيخ باب مفتوح من المكالمة والمحادثة في النوم واليقظة فلا يتصرّف الشيخ في المريد بهواه فهو أمانة الله عنده ويستغيث إلى الله بحوائج المريد كما يستغيث بحوائج نفسه ومَهَامِّ دينه ودنياه . انتهى .

وفي « الرحمة الهابطة » **فإن قال الأخ المنكر** تاب الله عليه قد عرفنا على هذا القول أن الرابطة تعلق القلب وهذا لا نقول بمنعه والحب في الله واجب ومحبة الصالحين ثابتة لكن من أين لكم أنّ استحضار صورة رجل في الذهن ولو كان من الصالحين تحصل به هذه المطالب كلها وأنّ استحضاركم بسبب تعلق القلب وأنه جائز

والجواب عن هذا من وجوه **الأوّل** قولك من أين لكم أنّ استحضار صورة رجل في الذهن تحصل به هذه المطالب كلها .

أقول إنّ هذه المطالب تحصل لنا بما ذكرناه كما حصلت لك أضدادها باستغراقك في معبودك الذي نبّهناك عليه ولكنها ﴿لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ ألا ترى أنك إذا كبّرت تكبيرة الإحرام اشتغلت برابطة التاجر الذي يعطيك زكاة أو صدقة أو برابطة الحاكم أو الوزير أو الملك أو أهلك أو بكلٍّ في ركعة وسجدة وتنسى مَن أنت واقف بين يديه ولا تستحي

منه وتنسى نفسك وتخرج من الصلاة ولا تدري أيّ شيء قلت أتنكر ذلك ما أراك تجحد ذلك .

الثاني قولك أنّ استحضاركم بسبب تعلّق القلب .

أقول لا يخفى أنّ استحضار الشيء سببه تعلق القلب به وأهل هذا الفن مع تعلق القلب يتكلّفون استحضار صورة محبوبهم ولا يحصل لهم إلاّ بالتكلف لأنهم يسعون في تطهير قلوبهم بإزالة ما سوى الله منها بواسطة الرابطة في غير وقت العبادة ومن كان شغله نفي ما سوى الله لا جرم أنه لا يستحضر أحداً إلاّ بسبب تعلق القلب مع التكلف للفائدة التي ذكرناها وأنت تشهد أنّ سببه تعلق بالقلب ولا تكتموا الشهادة . وذلك لأنّك شديد الاعتناء بتحصيل مقاصدك فإذا كبّرت للصلاة ظهرت لك صورها وصارت قبلتك التي تسجد إليها ونسيت ما سواها لتعلق قلبك بها واستيلائها عليه وانتقاشها في نفسك فإنه يحصل لك ويجوز لك استحضار المطالب وأنت محق ونحن المبطلون أهكذا يكون الإنصاف ما هذا إلاّ الاعتداء والخلاف .

والثالث قولك أنه جائز .

أقول من المعلوم أن الأصل في الأشياء الحل ما لم تثبت به الحرمة **فكل شيء لم ينه الشرع عنه فهو مباح** و**فعله جائز** فحركات الإنسان وتصوُّراته المباحةُ فعلها جائزٌ فإن أوصلت إلى مندوب ففعلها مندوب فالرابطة فعلها باعتبار الأصل جائز وباعتبار ما توصل إليه مندوب .

الرابع عدم علمك بحصول مطالبنا ما يجوّز لك سلبنا ولا الإنكارعلينا بما لم تحط به علماً كما لا يلزم من جهلك عدم وقوع مقصودنا .

الخامس قد علم وقرّر واشتهر أنّ المصلّي يسنّ له النظر إلى موضع سجوده في جميع صلاته ويسن للأعمى ومن هو في ظلمة أن تكون حالته كحالة النظر لمحلّ سجوده والمراد من ذلك جمع القلب والحضور وعدم التفرقة وهذا من أنواع الرابطة أفلا تجعل تخيّل الرابطة كتخيّل الأعمى النظر إلى موضع سجوده في جميع صلاته لحصول الفائدة فإنّ المقصد واحد إلاّ أنّ أهل الرابطة يفعلونها في غير وقت الصلاة ليحصل لهم جمع القلب على الدوام وليتوسّلوا بها إلى رابطة الصلاة وهي أن تعبد الله كأنك تراه .

السادس إذا عمل قوم بلغ عددهم التواتر عملاً وأثبت كل منهم فائدته وقرّر منفعته فهل يجوز لأحد تكذيبهم مع استحالة تواطئهم على الكذب ومع أن عيونهم عيون الناس أهل العلم والفضل وما أنت وعلمك بالنسبة إليهم إلاّ كفحام عند جوهري أو كمن يحفظ حروف الهجاء ليناظر بها الفخر الرازي فالأولى أنّك تعترف لهم فإذا فاتتك صحبتهم لا تفوتك محبتهم وإذا لم تحبّهم فلا تسبّهم . شعر

وَإِذَا كُنْتَ بِالـمَـدَارِكِ غُـرّاً ... ثُـمَّ أَبْـصَرْتَ حَاذِقـاً لاَ تُمَـارِ
وَإِذَا لَـمْ تَـرَ الـهِـلاَلَ فَـسَلِّمْ ... لأُنَـاسٍ رَأَوْهُ بِـالأَبْـصَـارِ

السابع قد علمت أنّ أحكام الشرع لا تثبت إلاّ بدليل وأن يكون نصّاً لا محتملاً ولا عاماً مخصوصاً كـ« كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ » لما يلزم عليه من الفساد إذ من البدعة ما هو واجب ولو تنزلنا وفرضنا أن عمل الرابطة لا دليل لنا عليه

وإنما فعلناه لما حصل لنا من الفائدة بالتجربة فالإنكار علينا من أيّ وجه وما دليله ولقد أصبت بقولي في الرسالة المهملة شعري

حَسَدَ المرء والمراد مراد الله   ما لإمرئٍ سواه عماد
ما أراد الإله إسعَاد مَمْلُو   كٍ وأَرْدَى مُرَادَهُ الحُسَّادُ

الثامن وهو ضرب مثل أمر الملك طبيبه الحاذق الحكيم بمداواة أهل مملكته من أمراض غلبت على أكثرهم أضرُّها البطن حتى آلت بالأكثر إلى عدم القيام بالخدمة وكان الطبيب حكيماً ماهراً وعالماً راسخاً وعارفاً كاملاً ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ فقال في نفسه تنفيذُ هذا الأمر من أهمّ المهمّات وأوجب الواجبات وتعليمه لمن يتأهّل للقيام بعمله موجب لدوام الأجر والمثوبات و« خَيْرُ العَمَلِ مَا نَفَعَ » و« إِذَا مَاتَ ابنُ آدم انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ أحدها عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ . . . » .

فقصد إلى بعض المرضى ممن تفرَّس فيه وعرف أنه يكون أهلاً للقيام بهذه الوظيفة وتنفيذها على وجه المراد إذا عوفي فعالجه حتى عوفي ثم علّمه الطبّ والحكمة وأخبره بالأدوية وخواصها وأعطاه دواء البطن وقال له خذ هذا الدواء وانفع به الناس ولا تسأل عليه أجراً وكن محتسباً لتكون لك المنزلة الرفيعة عند الملك فإنّ أحبّ الأعمال إلى الملك عملُك هذا . فقال سمعاً وطاعةً . فنظر النائب بعد خروجه من عند الحكيم في دواء البطن ما هو فإذا هو عسل أبيض فقال الحمد لله فيه شفاء للناس . فأتاه شخص أحمق مثلك أيها الأخ بصّرك الله بعيبك ووفّقك لترقيع جيبك فقال ما هذا الذي عندك فقال

دواء البطن للمبطونين فقال أرني إيّاه فأظهره له في ظرف مختوم على فيه فاشتمَّه من قبله فقال له ما هذا دواء البطن هذا سمٌّ أتيت تهلك الناس به هذا سمّ ساعة فقال يا أخي هذا عسل مصفّى هذا ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًى﴾ فذقه حتى تعلمَ فقال له ما أنت أعلم به منّي ولا أعرف منّي من ذاق هذا هلك .

أيها الناس هذا ما أنزل الله به من سلطان . وأكثر الناس حمقى **وشبه الشيء منجذب إليه** فترك الناس التداوي به مع شدّة حاجتهم إليه بسبب كلام هذا الأحمق المغرور . فلا يزال يتكلّم في ذم الدواء والمداوي والمتداوي ويصدّ عنه من أراد شفاء مرضه الذي عطّله عن خدمة الملك و﴿فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡ﴾ ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ﴾ .

التاسع من المعلوم أنا لم نبتكر شيئاً جديداً وإنما قلّدنا من تقدّمنا من العلماء العاملين والأكابر العارفين من أهل المذاهب الأربعة كما سترى تقريرهم الرابطة وكيفيّاتها بل أقسم أن جميع حركاتي وسكناتي في الطريقة هو ما عليه أئمة مذهبي الشافعية وقد استوفت كتبهم جميع ما نتعاطاه من الأعمال المخصوصة فما وجه الإنكار علينا مع اتباعنا أئمة الدين والعلماء العاملين كالغزالي والنووي والقاضي زكريّا وابن حجر والشعراني والمناوي أتظنّ أن إنكارك ما يتوجّه على أولئك السادة الأبرار والأولياء الأخيار وأولي الأنوار والأسرار أما تخشى محاربة الواحد القهّار أما علمت أن الإنكار عليهم يؤول بصاحبه إلى سوء الخاتمة ودخول النار أتظن أنّ إنكارك ظاهراً

واعترافك باطناً ليس من التلبيس ومشاكلة إبليس ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ تنبّه لنفسك أيها المغرور واخش عواقب الأمور ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ **وإنما** أوردناها نصيحة وإفادة وترغيباً وترهيباً و« لكلِّ امرِئٍ مَا نَوَى » ونسأل الله أن يمنّ عليك بالهداية وأن يجنّبك الإصرار في سبيل الأشرار .

اعلم يا أخي أن سبب الإنكار أحد الأمرين لا يخلو من أحدهما كلّ منكر الجهل وهو الأكثر وعدم العمل بالعلم وهو الأغلب على من ينتسب إليه فإن كنت جاهلاً يا أخي فلا تقف ما ليس لك به علم فتقع في الظلم ولا تقل (هذا حلال وهذا حرام) لتحكم بغير ما أنزل الله به ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ وإن كنت عالماً فاعمل يا أخي بعلمك ولا تتبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله . انتهى .

فما أحسن هذا الكلام وما أصدقه فلم يبق بعد ذلك لقائل منكر إلاّ الإقرار والاعتراف ولا لمجيب للسائل إلاّ السكوت والاكتفاء به فجزى الله تعالى لمؤلّفه خير الجزاء . آمين يا مجيب السائلين ويا أرحم الراحمين .

وفي « البهجة السنية » **ثم اعلم** أن الرابطة إنما تفيد إن كانت مع الإنسان الكامل المتصرّف بقوّة الولاية لأنّ الإنسان الكامل مرآة الحق سبحانه وتعالى فمن ينظر إلى روحانيته بعين البصيرة يشاهد الحق فيها فبالرابطة يستفيد الشيوخ عن الصبيان الكاملين ويستفيض الأحياء عن الأموات المتصرّفين لأن الرابطة تدخل المستفيض تحت تصرّف ولاية روحانية المفيض وتتصرّف فيه الروحانية

وتفيض عليه من الكمالات الإلهية والتجليات الربانية وتبلّغه إلى الحضرات العلية سواء كان المفيض ميتاً أو حيّاً وسواء عرف ذلك أم لم يعرف .

ثم اعلم أن كيفية الرابطة مع الأموات أن يجرد المريد نفسه عن العلائق العنصرية ويطلق باطنه عن القيودات الطبيعية ويعري قلبه عن العلوم والنقوش والخواطر الكونية ثم يتصوّر روحانية ذلك الميت نوراً مجرّداً عن الكيفيات المحسوسة ويحفظ ذلك النور في قلبه حتى يحصل فيه فيض من فيوضات ذلك الميت أو حال من أحواله لأن روحانية الكاملين منبع الفيوضات فمن أدخل المنبع في قلبه ينال فيضه البتة .

وأما إن كانت الرابطة عند قبر ميت فلا بدّ أن يسلّم على صاحب ذلك القبر ثم يقف في طرف اليمين قريباً من رجله ويضع يده اليمنى على اليسرى فوق سرّته ويطرق رأسه على صدره ثم يقرأ سورة الفاتحة (مرة) وسورة الإخلاص (إحدى عشرة مرة) وآية الكرسي (مرة) ويهب ثوابها لذلك الميت ثم يجلس عنده ويتوجه إلى روحانية ذلك الميت في القبر بطريق الاستفاضة كذلك لقوله ﷺ « إِذَا تَحَيَّرْتُمْ فِي الأُمُورِ فَاسْتَعِينُوا مِنْ أَهْلِ القُبُورِ » فمن توجه من محله إلى روحانية النبي ﷺ في قبره الشريف في المدينة المنورة يستفيض منه وكذلك إذا توجه أحد من محله إلى روحانية الأولياء في قبورهم ينتفع بهم **فالرابطة من غير توجُّه كافية في الاستفاضة** نعم إذا اجتمعت الرابطة مع التوجه فنور على النور لكن المدار على قوة الرابطة فمن داوم عليها حصل له جميع أحوال الطريقة وكمالات الحقيقة ومن اختلّت رابطته انقطعت استفاضته ولم تحصل له أحوال السلوك ولم تظهر له أسرار الوصول .

آداب الرابطة

وأما آداب الرابطة فهي

أن يعتقد المريد أنّ كمالات الشيخ لا تفارق روحانيته وأنّ روحانيته ليست مقيدة بمكان دون مكان ففي أيّ مكان يتصوّره تحضر فيه روحانيته . وأن يعتقد أن تصرفات روحانية الشيخ من تصرفات الحق سبحانه وتعالى . وأن يحفظ محبة شيخه . وأن يراعي نسبته في كل حال . وأن لا يترك الرابطة عند حصول بعض الأحوال قبل أن يتمكّن فيه ذلك الحال لأنه إن ترك الرابطة يزول عنه ذلك الحال لأنه من أحوال الشيخ كالعارية عنده . وأن يداوم على الرابطة في جميع الأوقات ولا يفارقها أصلاً .

ثم اعلم أن المريد إنما يحتاج إلى الرابطة إن لم يقدر على الاستفاضة من الله تعالى من غير واسطة فإن قدر عليه يجب عليه أن يترك الرابطة لأنّ الاشتغال بالرابطة حينئذ اعتبار التنزل عن الترقي وترجيح مرتبة الحجاب على مقام الشهود وذلك إعراض عن الله تعالى ولكن لا يترك محبة الشيخ ولا يترك نسبته لأنّ حفظ المحبة والنسبة يزيد المشاهدة ويقرب السالك إلى مقام الأنس والمحادثة .

تنبيه قد علم مما تقرّر أن المراد بالمرشد الكامل الذي يصلح أن يجعل رابطة للمتوسلين له هو الذي حصل له مقام البقاء بعد الفناء في الله تعالى الأَتَمَّيْنِ ولكن هنا مزلة الأقدام لأن هذه الطريقة العلية مندرجة بدايتها في نهايتها

ونهايتها في بدايتها فربما يحصل للمريد بعض أحوال قبل فنائه فضلاً عن حصول بقائه فيظن كمال نفسه ويأذن للمريدين في أن يجعلوه رابطة فيخسر هو ومن رابطه به فلا بدَّ أن يشهد له بحصول الكمال وأنه بلغ مبلغ الرجال أهل الفضل والعرفان كشيخه ومرشده الكامل ويأمره بذلك . انتهى ٤١ .

وفي أثناء مكتوب القطب خالد شاه ما نصّه وصرّح محققو طريقتنا بأنّ رابطة من لم يَفْنَ عن وجوده لا تورث الفناء للسالك بل قد تورّطه المهالك . . إلخ . فراجع « البهجة » في ٤٢ تجد المكتوب فيه بالتمام .

وفيه إن حضرة سيدنا ومولانا الشيخ خالد قدّس سرّه لم يأمر المريدين أن يرابطوا بصورته المباركة إلاّ بعد أمر شيخه له بذلك وشهادته له بالكمال والوصول إلى الفناء والبقاء الأَتَمَّيْنِ ومن كان كذلك فيسوغ له ذلك . انتهى ٤٣ .

وفيه وقد قدّمنا أن حضرة إمام الطريقة المعروف بـ (شاه النقشبند) قدّس سرّه تربّى من روحانية سيدنا وإمامنا الشيخ عبد الخالق الغجدواني قدّس سرّه وبينهما خمسة وسائط وكذلك أبو الحسن الخرقاني قدّس سرّه لم يدرك أبا يزيد البسطامي قدّس سرّه بل ولد بعد وفاته وأبو يزيد أيضاً لم يدرك القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي تعالى الله عنهم أجمعين وعنّا بهم بل ولد بعد وفاته بزمان طويل كما قدمنا ذلك مفصّلاً .

واعلم أن جناب سيدنا وشيخنا ضياء الدين الشيخ خالد النقشبندي المجددي قدّس سرّه خرجت روحه الزكية من الدنيا إلى المقامات العليَّة من الآخرة ولم يشهد لأحد من أصحابه بالكمال ولم يأذن لأحد بأن يجعل

نفسه رابطة فيما نعلم بل كان ينهى عن ذلك أشدّ النهي كما قدمنا لك بعضه وكان إذا سئل عن حال المريدين يقول ما عندي مريد بل إسماعيل نصف مريد - يعني جناب سيدنا وشيخنا الشيخ إسماعيل القائم مقامه بعد وفاته قدّس سرّه وجناب سيدنا الشيخ إسماعيل خرج من الدنيا ولم يأذن لأحد أن يرابط بصورته الشريفة مع أنه مشهود له ببعض الكمال من مرشده الكامل ومنصوب مقامه . انتهى ٤٣ .

وقد استوفيت في « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » ما وقع لبعض خلفاء خالد قدّس سرّه إذا أمر المريدين برابطة نفسه من غير إذنه . فراجعه .

ومن هنا أمرني شيخنا الحاج عبد الرحمن العسوي قدّس سرّه بكتبة الكتاب لدى الشيخ موسى القراني عفا الله عنه حين سمع أنه يأمر المريدين برابطة نفسه بأن ذلك ممّا لا يجوز فكتبته لديه فترك الأمر برابطة نفسه بعده . وأيضاً كان واحد من خلفاء أحمد التلالي قدّس سرّه يأمر المريدين برابطة نفسه فأنكر عليه شيخنا قدّس سرّه إنكاراً ظاهراً ونصحه نصحاً بليغاً لكنَّه لم يقبل نصيحته بل استمرّ على ذلك فلم ينتج لأحد من مريديه بشيء عفا الله عنه آمين .

وكان شيخنا المذكور يقول إن شيخه الحاج جبرائيل أفندي قال له عشر مرّات يا ولدي لا تسلّط الشياطين على المريدين بأمرك إيّاهم برابطة نفسك وقد قلت له ألا يجوز لنا رابطة نفسك فقال لا .

وقال لي مرة يجوز الرابطة بنفسنا حين كان المريد عندنا لأن الشيطان لا يقدر أن يقرب بمكان كنا فيه وأما إذا غاب المريد فلا يجوز له الرابطة بنا لأنّ الشيطان يقدر أن يتصوّر بصورتنا .

وأما سبب رابطة الشيخ محمود أفندي قدّس سرّه فقد سمعت شيخنا قدّس سرّه يقول إنه كان هو ومريدوه يرابطون بالشيخ خالد قدّس سرّه لكنه قال يا أولادي حصل لي الكمال بالشيخ خالد والشيخ محمد نقشبند وحصل لي الكمال بالنبي ﷺ وأرى الخضر عليه السّلام دائماً فالآن كملت عن الشيخ خالد فرابطوا الآن بنفسي . فبعد ذلك قال له المريدون إن البركة تحصل لنا برابطة نفسك فأقرّهم على ذلك . انتهى .

وسمعته يحكي عن الشيخ محمود أفندي أنه كان يقول لو رابط إليّ المريد متوجّهاً إلى المشرق أو إلى المغرب لا يقدر الشيطان أن يقف ما بينه وبينهما فإن وقف يحترق بنوري . انتهى .

وكان يقول إنه كان في الخلوة فحين خرجت للوضوء وقف قبالتي شيء عظيم له قرون مرفوعة إلى السماء فعلمت أنه الشيطان فرابطت بالشيخ محمود قدّس سرّه فزال في الوقت وغاب عني ثم بعد ذلك وقف قبالتي أيضاً شيء عظيم أسود كالمنبر العظيم فرابطته قدّس سرّه فغاب في الحال . انتهى .

وهذا الحقير الفقير قد كان في السلوك فرأى في الواقعة كأنّ الشياطين داروا حوله فحين علم أنهم شياطين قرأ السلسلة الشريفة فحين ذكر اسم الشيخ عبد الرحمن المذكور تفرّقوا عني وبعدوا فحين أخبره الواقعة قال لي

ذا لأجل كونك فانياً فيّ . ولم يزد على ذلك ثم أخبرني ما مرّ من وقائعه قدّس سرّه .

وكان قدّس سرّه يقول لي إن أطقْتَ أن تفني نفسك في ذات الشيخ محمود أفندي وتتوجَّه إلى المريد وقت التلقين ووقت التوجّه فذا وإلاّ فتصوّر صورة روحانيته قبالتك أي بينك وبين المريد ثم تلقّن وتتوجّه . انتهى .

فائدة لا بدّ من كتابته هنا ذكر الخاني في « الحدائق الوردية » ما حاصله أنّ سلطان العارفين أبا يزيد طيفور البسطامي قدّس سرّه تلقّى سرّ هذه النسبة الشريفة بالروحانية من الإمام جعفر الصادق ﵁ لكن الشيخ محمد أسعد تكلم على ذلك في « الفيوضات الخالدية » فقال **أبو يزيد وهو عن جسمانية إمام الأئمة الذي هو بالحق ناطق سيدنا الإمام جعفر بن الإمام محمد الصادق رضي الله تعالى عنهما لا عن روحانيته فقط** كما أورد كثير من المتأخرين فزعم بذلك بعض المعاصرين انقطاع يد السلسلة النقشبندية ونسبه للواسطي في « روضة الناظرين » المنسوبة للشيخ الوتري . والله أعلم بحقيقة الحال **وإنها بحمده تعالى واصلة للحضرة الصديقية** فإن ملاقات أبي يزيد البسطامي لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق رضي الله تعالى عنهما وكونه سقاء في داره أوردها جماعة من أصحاب التاريخ وأوردها الفخر الرازي في كثير من كتبه الكلامية والرضيُّ في « كتاب الطرائق » والعلاّمة الحلبي في شرحه على « التجريد » وبعد شهادة هؤلاء بذلك لا عبرة بما في بعض الكتب كـ « شرح المواقف » فقفا ذلك كثير من المتأخرين كالعلاّمة محمد بن سليمان البغدادي

صاحب « الحديقة » والحيدري والخاني في « بهجته » كحفيده وأضرابهم حتى تسبّبوا فى القول المدسوس على الواسطي من أنها انقطعت يد السلسلة النقشبندية والمتسبب كالقائل وعدم التثبُّت يوقع في أعظمَ من هذا ونظير هذا إقرار الخاني القصيدة القافية التي مطلعها

تَبَـدَّتْ لَنَـا أَعْـلامُ عِلْمِ الهُـدَى صِدْقَا فَصَـارَ لِشَـمْسِ الدِّيـنِ مَغْرِبُنَا مشـرقَا

مع أنّ القصيدة في بهجة سيدنا الغوث الجيلاني رضي الله تعالى عنه في مدح سيدنا أبي مدين الغوث رضي الله تعالى عنه إلاّ بيتين منها صدرهما

أَيَا خَالِدٌ . . . إلخ

مع أن بين المؤلفين أحقاباً ولولا ما زعمه أولاده من خلافة أبيهم في الطريقة القادرية وارتقائه على سددها استعذر عنه بعدم وقوفه عليها فتبايُنُ الحالين يوجب إحدى الوصمتين ثم ربّما يرفع التنافي بين كلام « شرح المواقف » فقط وكلام غيره من البين بجعل المسمّى بهذا الاسم اثنين أحدهما طيفور السقاء الذي صحب سيدنا الإمام جعفر الصادق وخدمه والآخر شخص غيره .

قال ابن زهرة الأندلسي في تاريخه أبو يزيد البسطامي خدم أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق رضي الله تعالى عنه سنين عديدة وكان يسمّيه طيفور السقَّا لأنه كان سقاء داره ثم رخص له في الرجوع إلى بسطام . هذا وقد وقع الاشتراك في الأسماء في كثير . انتهى فراجع في ٣٩ من هامش « نور الهداية » .

وأما اجتماع الحسن البصري بعليّ المرتضى كرّم الله وجهه فقد بسطت الكلام في ذلك في كتابنا « البروج المشيدة بالنصوص المؤيدة » في موضعين وأثْبتُّ ذلك بالنقول الموثوقة فإن أردت الوقوف عليه فعليك بالمراجعة إليه .

وللنقشبندية ثلاث سلاسل

الأولى هي المتصلة من النبي عليه السلام إلى الإمام عليّ رضي الله عنه ومنه إلى الإمام حسين رضي الله عنه ومنه إلى سيدنا الإمام زين العابدين ومنه إلى الإمام محمد الباقي ومنه إلى الإمام جعفر الصادق ومنه إلى الإمام موسى الكاظم إلى علي الرضا إلى معروف الكرخي إلى سري السقطي إلى جنيد البغدادي إلى أبي علي الروزباري إلى أبي علي الكاتب إلى أبي عثمان المغربي إلى أبي القاسم الكركاني إلى أبي علي الفارمدي شيخ السلسلة الثالثة .

السلسلة الثانية وهي المتصلة من النبي عليه السلام إلى علي المرتضى رضي الله عنه إلى الحسن البصري إلى حبيب العجمي إلى داود الطائي إلى معروف الكرخي شيخ السلسلة الأولى .

السلسلة الثالثة وهي السلسلة المتصلة من النبي عليه السّلام إلى الصديق الأكبر رضي الله عنه ومنه إلى سلمان الفارسي إلى سيدنا القاسم حفيد أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى جعفر الصادق إلى أبي يزيد البسطامي إلى أبي الحسن الخرقاني إلى أبي علي الفارمدي إلى يوسف الهمداني إلى عبد الخالق الغجدواني إلى عارف الريوكري إلى آخر السلسة . **فبهذا** السند وصل إلينا هذا الطريق العالي فلله الحمد والمنة ورزقنا التوفيق والاستقامة . آمين .

ويكفي للمنصف الغير المتعصب ما ذكرته والمعاند المتعصب لا يرجع عن تعصّبه أصلاً . وقد مرّ أنّي حين استخرت الله تعالى في جمع كتاب في بيان أقوال الأكابر في استحسان الرابطة وقعت الإشارة بقوله تعالى ﴿وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾ الآية . فحصل لي بذلك قبض شديد خوفاً من دوام الولد العالم السائل على اعتراضه وإنكاره لكن الرجاء لا ينقطع ولا ييأس من رحمة الله إلاّ القوم الخاسرون .

فتدبّر أيها الولد في جميع ما ذكرته في هذه الرسالة واحسب علمك وعلم هؤلاء السادات القادات أكابر العلماء أهل السعادات تجِدْ ما عندك من العلم كقطرة بالنسبة إلى البحر .

ومن المتيقن المعلوم لدى كلّ عالم عاقل أن هؤلاء الأئمة المذكورين القائلين بحسن الرابطة أعلم منّا بمعاني الكتاب والسنة بآلاف ألوف ألوف .

واعلم أيها الولد إنما كتبت لك هذا لمجرّد النصيحة لك ولجميع المسلمين لا عناداً ولا حسداً فنعوذ بالله من ذلك وأنت إن شاء الله تعالى تعلم لو كنتَ ممّن أراد الله بهم الهداية أنّ ما كتبتَ إليّ من الشبه بتحرير الآيات ونقل ما في « إغاثة اللهفان » لابن القيم ليس ذلك واقعاً في موقعه بل جميعها شبهات مصروفة من ظواهرها والآيات التي أوردها المانعون من التوسّل في إثبات دعواهم واردة في حقّ الكفّار وعبّاد الأصنام لا في حق الموحّدين كما بسط النبهاني الكلام فيها في « شواهد الحق » والفقهاء الأعلام المتّقون في كتبهم في مواضع عديدة . عصمنا الله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيّئات

قبائح أعمالنا . آمين . فإن كان لك بعد الآن شبهة مّا في حق ما كان مشائخنا المتقدّمون يفعلونه فاكتبها إلينا لننظر إليها ونجيبه بعون الله .

وقد كتبتَ إليّ أيضاً أنك لا تقبل ما يفعله النقشبنديّون إلاّ بحديث صحيح بل خرّبت نسبتهم بالكلية فشوم هذا القول قد وصلت قطرته إلى جميع السلسلة كما رشح الضرر إليهم بما كتبته في حق الرابطة بل أنت نفيت جميع ما استدلّ به العلماء من المذاهب الأربعة وقلت إنّ ذلك عبث لا فائدة فيه وصرّحت بأنك لا تطيعهم فيما أمرهم ونهاهم فهلاّ تركت هذا التصريح وصدّقتَهم وامتثلتهم ولم تستقلّ بعقلك وعلمك ورأيك ففي ذلك خير كثير فكيف لا وقد قيل التصديق بطريق الولاية ولاية .

وفي « لطائف المنن » لابن عطاء الله وإذا أراد الله بعبد خيراً جعله من المصدّقين لأولياء الله تعالى فيما جاؤوا به وإن قصر عقله عن إدراك ذلك . انتهى .

وقد مرّ ما قاله ابن حجر من أنّه يجب الأخذ بأقوالهم يعني أقوال العلماء المتقين والفقهاء الصالحين لأنهم علم الأمة واختيارهم لنا خير من اختيارنا لأنفسنا ومن خالفهم متّبع هواه . انتهى .

أيها الولد إنّك كنت من قبل سلكت على يدنا في تلك الطريقة فماذا رأيت فيها من الخيانة والحال أنّ تلك الطريقة هي التي قد شهدها ابن حجر[١] بأنّها الطريقة السالمة من كدورات جهلة الصوفية كما في « الفتاوى الحديثية » .

---

[١] مع أنه من القادريّة . (منه) .

وقد قال القطب الأعظم أحمد ضياء الدين في « جامع أصول الأولياء » في حقها وأما شرعيّتها وتطبيقها على المذهب فجميع أركانها وشروطها وآدابها عين الشرع ولبّ القرآن وحقيقة العرفان وفي حقها أدلة جملة وتفصيلاً كما سيأتي البيان . انتهى في ١١١ .

وفيه أيضاً وبالجملة إنه طريق وعلم وعرفان وشأن وكمال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولا عوج في بدايته ونهايته ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًا ﴾ . انتهى في ١١٢ .

قال الإمام الرباني **اعلم** أنّ الطريق الذي هو أقرب وأسبق وأوفق وأوثق وأسلم وأحكم وأصدق وأدلّ وأعلى وأجلّ وأرفع وأكمل هو الطريقة النقشبندية العلية قدّس الله أرواح أهاليها وأسرار مواليها وكل عظمة هذا الطريق وعلوّ شأن هؤلاء الأكابر بواسطةِ التزام متابعة السنة السنية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية واجتنابِ البدعة الغير المرضية وهم الذين اندرجت نهاية الأمر في بدايتهم كالأصحاب الكرام عليهم الرضوان من الملك المنّان وكان شعورهم وحضورهم على سبيل الدوام وصار فوق شعور الآخرين بعد الوصول إلى درجة الكمال . انتهى . كذا في « مكتوباته » .

وقد قالوا في حقها أيضاً **انها هي الطريقة الباقية على أصلها لم ينقصوا منها ولم يزيدوا شيئاً** كما هو مذكور في غير كتاب من كتبهم . وقد مدح الشاذليون طريقتهم بكونها عين الطريقة النقشبندية وقالوا إنها أمّ الطرق وسلطان الطرق كما هو مذكور أيضاً في الكتب .

وقد كنت كتبت إليك ما ورد في حقها من الأحاديث في حق تلقينه عليه السّلام جماعة وفرادى المرويّ بسند صحيح الذي رواه مسلم وأحمد بن حنبل عن أنس والحديث الذي أخرج ابن حنبل أيضاً في مسنده عن شدّاد بن أوس بسند حسن .

وكنت كتبت إليك أيضاً أن النسبة الباطنية في تلقين الأذكار القلبية التي أخذها الصديق الأكبر ﵁ بالتوجه عن رسول الله عليه السّلام وذلك لتعلم أن لهم نسبة صحيحة وسنداً حسناً وسلسلتهم متصلة لا منقطعة وليكون جواباً لاعتراضك عليها بعدم كون الحديث لها وأنكرت علماء الأمة أجمعين ولم يشف قلبك بشيء أثبتها المشائخ وأكابر العارفين الذين أذهبوا أعمارهم في إحياء سنن سيد المرسلين فيا ليتك لم تتكلم خلف هؤلاء الصالحين ويا ليتك لم تدخل مداخل المنكرين المحرومين .

ألم تَرَ ما قاله بعض الأكابر **وأشقى الخلائق الطاعن بهذه الطائفة** . انتهى . وكذا ما قاله ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » فاحذر أن تكون ممن يتحسَّى كأس سمّ الإنكار فيهلك لوقته وبادر إلى السلامة من غضب الله ومحاربته ومقته فقد قال على لسان الصادق المصدق « مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ » أي أعلمته أنّي محاربٌ له .

قال الأئمة ولم ينصب الله تعالى المحاربة لأحد من العصاة إلاّ للمنكرين على أوليائه وآكلي الربا **ومن حاربه الله لايفلح أبداً** . انتهى ٢٣٩ .

فما لك أن تنكر جميع العلماء الصالحين وتعترض على أولياء الله المتقين أليس النبي عليه السّلام قد قال « عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيل » ولكل نبي نظير في أمّته ونظير أمّتي العلماء كما قال الله تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ . وقال النبي ﷺ « العُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاء » .

ثمّ الورثة على ثلاثة أقسام

فالعلماء الظاهرية المحضة بمنزلة ذوي الأرحام

والعلماء الباطنية بمنزلة ذوي الفروض

والعلماء الجامعة للظاهر والباطن بمنزلة العصبات الكاملة الأقرب فالأقرب **القطب** بمنزلة الابن الصلبي **وقطب الأنبياء** عليهم السّلام **محمد المصطفى** ﷺ لأنه خاتم النبيين **وقطب الأولياء عليّ** رضي الله عنه لأنه خاتم الخلفاء الأربعة الكاملين . فسلسلة التلقين الأصلي من نبينا محمد ﷺ إلى عليّ ومنه إلى المشائخ واحداً بعد واحد على ما بيّنه أحمد الزركراني في رسالته في الفصل الرابع .

وقال رحمه الله تعالى ما نصه هذا **الفصل الثاني** في بيان إثبات الطريقة بالتلقين بالكتاب والسنة وإجماع الخواص من لدن رسول الله ﷺ إلى وقت الساعة قال الله تعالى في حق أصحاب الصفة ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ وقوله تعالى ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ .

سبب نزولها روي في « بستان الشريعة » أن علياً رضي الله عنه جاء إلى النبي ﷺ والتمس منه أقرب الطرق وأفضلها وأسهلها سلوكاً فتوجّه النبي ﷺ فنزل الوحي

بقوله تعالى ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ مقارناً بالعلم اللدني تنبيهاً على أن هذه الكلمة مفتاح خزائن الله وعلم الله ثمّ قعد جبرائيل مربّعاً كالمعلِّم فلقّن النبي ﷺ « لا إله إلاّ الله » (ثلاث مرات) ثمّ أمره أن يلقّن عليّاً لأنه أوّل من التمس التلقين ثمّ حضره أربعمائة من الصحابة فلقّنهم جميعاً ثمّ قال ﷺ « رَجَعْنَا مِنْ الجِهَادِ الأَصْغَرِ إِلَى الجِهَادِ الأَكْبَرِ » وقال عليه السّلام « لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ حَتَى نَفي مَنْ قَال الله الله » يعني بالقلب الحي **وينبغي أن يغمض عينيه وينصت حين التلقين والذكر** فجميع المشائخ أخذوا أصولهم من النبي ﷺ ظاهراً وباطناً . انتهى .

هذا دليل المشائخ واتصل سلسلتهم بسيد الإنس والجان عليه الصّلاة والسّلام فتدبّر في هذا وفيما يأتي تعلم خرافة قولك بأنك لا تقبل اتصال سندهم ونسبتهم أيها الولد المرجوّ للرجوع عن هذه الخرافات .

وفي « الفتاوى العمرية » وأما تلقين المشائخ الذكر على المريدين فحسن محبوب وثابت بالأدلة الأربعة على وفق السنة المحمدية فقد أخرج أحمد بن حنبل في « مسنده » أن رسول الله ﷺ لقن أصحابه الذكر جماعة وفرادى .

فأما تلقينهم فرادى

فقد روى يوسف الكوراني وغيره بسند صحيح أن عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه سأل النبي ﷺ دلني على أقرب الطرق إلى الله تعالى وأسهلها على عباد الله تعالى وأفضلها عند الله عزّ وجلّ فقال عليه السّلام « يَا عَلِيُّ عَلَيْكَ بِمُدَاوَمَةِ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى فِي الخَلوَاتِ وَالجَلْوَاتِ » فقال عليّ كيف أذكر فقال ﷺ « غَمِّضْ عَيْنَيْكَ وَاسْمَعْ مِنِّي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ قُلْ أَنْتَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ وَأَنَا أَسْمَعُ » فقال عليه السلام « لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله » ثلاث مرات مُغْمِضاً عَيْنَيْهِ رَافِعاً صَوْتَهُ وَعَلِيّ يَسْمَعُ . ثم قال عليّ رضي الله عنه **لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله** ثلاث مرات مُغْمِضاً عَيْنَيْهِ رَافعاً صَوْتَهُ وَالنَّبِيُّ صلى الله تعالى عليه وسلم يَسْمَعُ . قال النبي ﷺ « أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَبِيُّونَ مِن قَبْلِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله ولاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لاَ يُقَال فِي الأَرْضِ الله الله » رواه مسلم وأحمد بن حنبل عن أنس[١] .

فهذه نسبة عليّ كرّم الله وجهه في تلقين الأذكار الجهرية . « فتاوى الخليلي » .

وأما النسبة الباطنية في تلقين الأذكار القلبية أي سواء كان لفظة (الله الله) أو النفي والإثبات والمراقبة والحضور من غير حركة اللسان وهي نسبة الصدّيق الأعظم التي اختصّ بها الصدّيق دون سائر الصحابة أخذها باطناً بالتوجّه عن رسول الله ﷺ لقوله عليه السّلام « مَا صَبَّ الله فِي صَدْرِي شَيئاً

---

[١] وأعقب مؤلّف « هدية الذاكرين » بعد هذا بما نصه هذا وكذا تعليمه لغيره مثل أبي بكر الصديق فراجعه . (منه) .

إلاّ وصَبَبْتُهُ فِي صَدْرِ أَبِي بَكْرٍ » وكذا قوله عليه السّلام من ربّه « مَا فَضَلَكُمْ أَبُو بَكْرٍ بِكَثْرَةِ صَوْمٍ وَلاَ صَلاَةٍ بَل بِشَيْءٍ[١] وقر فِي قَلْبِهِ » .

فالحديث الأول دليل السادات النقشبندية لثبوت التوجه وإلقاء الذكر والمحبّة والجذبة في قلب المريد ودليلهم أيضاً للذكر القلبي والحضور والمراقبة **وقد تفرعت نسبة جميع الطرق من هاتين النسبتين** الصديقية والعلوية فهما أصلان وعليهما عون الرحمن .

وأما تلقينهم جماعة

فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده عن شداد بن أوس رضي الله تعالى عنه أنه قال كنا عند النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم فقال « هَلْ فِيكُمْ غَرِيبٌ » يعني أهل الكتاب أو من لم يطّلع على أسرار الشريعة فقلنا لا يا رسول الله فأمر بغلق الباب فقال « ارْفَعُوا أَيْدِيكُمْ وَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله » فرفعنا أيدينا ساعة وقلنا كذلك لا إله إلاّ الله ثم وضع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يده ووضعنا ثمّ قال « الحَمْدُ للهِ أَللهُمَّ إِنَّكَ بَعَثْتَنِي بِهذِهِ الكَلِمَةِ وَأَمَرْتَنِي بها وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهَا الجَنَّةَ وَإِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ المِيعَادَ » ثم قال عليه السّلام[٢] « أَلاَ أَبْشِرُوا فَإِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ » . قال المنذري إسناده حسن « مسند إمام حنبلي » . انتهى .

---

[١] وهو الذكر القلبي كذا في « جامع أصول الأولياء » . (منه) .

[٢] وهذا الحديث ذكره الشعراني في « النفحات » ونقل في « الحدائق الوردية » برواية الطبراني والإمام أحمد والبزاز وغيرهم بإسناد حسن فراجعه . منه في ٦ .

وهكذا بل عينه ذكره مؤلّف « هدية الذاكرين » وذكره أيضاً أحمد ضياء الدين في « جامع أصول الأولياء » .

وقال الشيخ سليمان الزهدي **والحاصل** أن التوجُّه الملقَّن المعنعن من النبي ﷺ إلى الصديق الأكبر رضي الله عنه ومنه إلى المشائخ الكبار قدّس سرّهم سحاب الفيوضات **وقلوب المشائخ ميزاب الحكمة والعرفان من انتظر بالصدق وصل ومن انتهى بالغفلة غفل** . انتهى . فراجع « صحيفة الصفا لأهل الوفا » لسليمان الزهدي .

وقال الشيخ الزهدي أيضاً أوَّل توجه من جبريل إلى النبي ﷺ ثلاث مرات مرة للتخلية ومرة للتحلية ومرة لإلقاء الوحي والرسالة في غار جبل حراء .

وفي غار ثور توجه النبي ﷺ إلى الصديق الأكبر رضي الله عنه وهو التوجه الواصل المعنعن إلى السادات النقشبندية . انتهى . فراجع « نهجة السالكين » من هامش في ٢٧ من « مجموعة الرسائل » ومثله ذكره في هامش « صحيفة الصفا » في ٦ فراجعهما .

وقال الشيخ سليمان الزهدي قدّس سرّه بعد ذكره كلاماً وما ذكر بلفظ منه لم يكن دليلاً لأصول الطريقة العلية بل بياناً على أن الطريقة عين الاتباع وعين الشريعة وأنها تلقين خاصٌّ إلى أهله لا شعور للعوام على ذلك الأصول من أجل ذلك لا يحتاج السند والدليل من غيرهم . فإنّ رجال الطريقة العلية ثقاة وصلت هذه الأصول والتلقين من النبي ﷺ إلى الصديق الأكبر رضي الله عنه ومنه إلى الرجال الثقات ذوي الجناحين المجردة عن الكدورات البشرية والنفسية وهم

البررة الكرام صاحب الأمانة معنعناً مسلسلاً وصلة تامّة إلى الآن وإلى آخر الزمان إن شاء الله تعالى . والأحاديث المذكورة من الكتب المعتبرة المشهورة بعضها من تفسير « روح البيان » ومن كتاب « كشف الأسرار » ومن « حكمة الإشراق » وأكثرها من « الجامع الصغير » وكلها مستندة في أصلها السلام على من له الهداية والدراية . انتهى . راجع « مجموعة الرسائل » في ١٢ .

فثبت من هذه المذكورات كون سلسلة السادات النقشبندية متصلة وكون الأحاديث الواردة في حق التعليم والتلقين صحيحة وحسنة فبطل به قول من كتب إلينا بما نصه يسلسل النقشبنديون سلسلتهم إلى النبي ﷺ وأبي بكر ﷺ وسلمان الفارسي ﷺ ويقولون أن النبي ﷺ لقَّن أبا بكر ﷺ الذكر ممتازاً عما سواه وأن أبا بكر لقن أيضاً سلمان ﷺ . وأقول لا بأس أنه مما يجوز أن يكون ولكن لا نقبل ذلك إلاّ بسند صحيح فهلاّ يأتي النقشبنديون بسند نقبله . انتهى .

ولعلّ هذا القائل قد رأى ما قاله البعض بـ(أن ليس لأهل الطريقة سند) ولم يدر أن لهم سنداً صحيحاً وأنهم لم يخترعوا شيئاً ما برأيهم ولا يخفى أنه لا يلزم من عدم كون الشخص لا يعرف السند عدم كونه معلوماً عند غيره ولا يحيط بجميع ما ورد كل أحد وما يجهله أحد يعلمه غيره فانظر ما ذا ترى في جميع ما دوّنته في هذه الكرَّاسة ولا تقف ما ليس لك به علم **واعلم** أن نور الله لا يطفأ بنفخ بل الله يؤيّد دينه ولو كره المبطلون وينصر من ينصره ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ الآية والطريقة وما يستعمله المشائخ كلها أنوار والمنكرون يريدون إطفاءها والله متمّ نوره ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ الآية .

واعلم أن المنكر المتعصِّب لو كان بذل جهده وطاقته لإطفاء ظلمات الخلق وتصفية كدورات الناس وأنكر بدل هذا الإنكار[1] على شارب المسكر وشارب الدخان والحشيش ومرتكب الحرام والمكروه والخسيس وغيرها من اللمم والفواحش لكان خيراً له وأصلحَ لدينه ودنياه وآخرته لكنه التجأ على هؤلاء السادات وأنكر جميعَهم من أولهم إلى آخرهم واجتهد في ردّ الناس عن الخيرات وأدخلهم بقوله في زمرة المشركين . عفا الله عنه وعنّا آمين .

وأيضاً قد كان في ديارنا متشيّخون كذّابون يفعلون ما لا أصل له ويعلّمون الناس أموراً مخترعة ويتصدّرون للإرشاد بأنفسهم بلا إجازة من المشائخ وقد عمّت بهم البلوى في الدين والدنيا بحيث لا يخفى على عاقل ومع ذلك سكت هذا المنكر وأضرابه عن إظهار الحق وإبطال الباطل ولم يقل لهؤلاء القوم ولو حرفاً مّا على قصد النصيحة بل داراهم ما كان في دارهم ووافقهم في أغراضهم الباطلة . وأمّا نحن وإن كنّا ناقصين فقد سلكنا في مسالك الطريقة إلى مقام المشرب المحمديّ وأجازنا مشائخنا ولا نفعل شيئاً مّا يخالف أصولهم فالإنكار علينا والسكوت عن هؤلاء ليس من الإنصاف ولا عجب ولم يخل عصر من الأعصار إلاّ وفيه الحسّاد والمعاندون لهذه الطائفة لكن الله تعالى أيّدهم بفضله وزاد أنوارهم فلله الحمد .

---

[1] أي إنكار أهل الطريقة . (منه) .

فهذا رئيس الطائفة خالد البغدادي الذي أقرّ بفضله وقطبيّته علماء عصره لم يخل في ابتداء حاله من حاسد وإن كان الكل من علماء وقته بعد ذلك يحترمونه فقام عليه أهل العناد ينحون الناس عن طرق السداد لأنه لا بدّ للوليّ من خوارق العادات وقد أعماهم الحسد عن تلك الآيات فكتب حضرة الإمام الماجد هذا الخطاب المستطاب **ما قول** مشائخ الإسلام والعلماء الأعلام من أهل الحديث والتصوف والقضاء والإفتاء والتدريس والأحكام نفع الله تعالى بعلومهم وبركات أنفاسهم الأنام وأحلّهم أعلى فراديس دار السلام فيمن كان أشعري الاعتقاد شافعيّ المذهب نقشبنديّاً وقادريّاً في المشرب حاثّاً على اتباع السنة السنية النبوية محذِّراً عن كل بدعة غير مرضية مقتفياً ما استطاع على آثار السلف الصالحين معرضاً عن الدنيا وأهلها لا تأخذه لومة لائم في الدين يحبّب الله إلى عباده ويسلكهم طريق عباده يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ومن تردّد إليه بحسن النية استيقظ من سِنَةِ الغفلة وبدوام الذكر تجلّى وتذكّر وله في الباطن قوّة تصرّف يقتدر بها بعون الله تعالى على التأثير في المريدين وإلقاء الجذبات الإلهية في قلوب المسترشدين ورفع الحجب ونفي ما سوى الله تعالى أو تقليله عن قلوبهم مع أمور اخر من أسرار الطريقة مما ينبغي كتمه على غير أهله وحبّ العبادة والشوق إليها مع الخشوع والمواظبة على أداء الفرائض بالجماعة وعلى سنن الرواتب والإشراق والضحى والأوّابين والتهجُّد وقلَّة الهجوع وكثرة الجوع ولا أقلّ فيهم من المداومة على الذكر الخفي الثابت فضله على الجهري بسبعين درجة على الوجه الواضح الوفي وكان مأذوناً

بل مأموراً من طرف شيخه المأمور كذلك وهكذا بتلقين الذكر والإرشاد للطالبين وتعليمهم آداب الطريقة النقشبندية والطريقة العلية القادرية على سنن الأسلاف الماضين وحثّهم على اتباع الشرع الشريف والسنن النبوية وتحذيرهم عن البدع الرديّة فهل يكتفي حينئذ لجواز التلقين والإرشاد بما تقدّم من المكارم والسداد أم يشترط مع ذلك كله بعض خوارق كونية وكرامات حسيّة ممّا ألفت طباع العوام بطلبه من المشائخ كالمشي على الماء والطيران في الهواء والإنفاق من الغيب وعلى جواز إرشاده للمسلمين من غير اشتراط تلك الأمور على ما هو المقرّر عند أساطين الكشف وأئمة الوجدان من المتقدّمين والمتأخرين فهل يحكم بوجوب الإرشاد نظراً إلى قلّة هذه الأمور النفيسة وانتفائها ظاهراً في أكثر أقطار الإسلام أو مندوبة كما هو ظاهر أو بجوازه مطلقاً أو بتغيره بالنسبة إلى أشخاص المريدين قياساً على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في وجوبه تارة وندبه أخرى وكراهته مرّة وحرمته أخرى وهل يجوز الإرشاد بلا تصرّف باطني قياساً عليهما وعلى تقدير أن يشترط في حقيقة الإرشاد أمور فإذا انتفت أيمتنع أو يحكم بجوازه عند فقدانها كقضاة الضّرورة الموجودين الآن المحكوم بنفوذ أحكامهم مع عدم جمعهم شرائط القضاة أم لا أفتونا مأجورين بردّ الجواب واضحاً على الوجه الصواب لا زلتم موفّقين لمرضاة العليم الوهاب . انتهى من « الفيوضات الخالدية »[1]

---

[1] فائدة جاء في الحديث عن النبي ﷺ « من أراد الجلوس مع الله فليجلس مع أهل التصوف » وقال رجل لإمام أحمد بن حنبل هؤلاء الصوفية جلسوا في المسجد بلا علم فقال العلم أجلسهم في المسجد

فهذا الحقير المؤلّف المرشد المجازي كالقاضي الضروري يقول ما قاله هذا القطب المذكور وإن كان خالفاً عن التخلق بأدنى شيء ممّا ذكره بيد أنه قد أجازه مشائخه في تلقين الأذكار في الطريقة النقشبندية والشاذلية والقادرية واحد منهم في الثلاثة واثنان في النقشبندية خاصة وله في فنون العلوم النقلية والعقلية وعلوم التفاسير والأحاديث فنّاً بعد فنٍّ إجازة صحيحة . وقد أمره أولائك المشائخ بالأمر الأكيد بالاجتهاد لهداية الخلق إلى طريق الحق وإن طلب منهم بجهده بإلقائهم هذا الثقل عن ظهره وتركهم إيّاه في قعر بيته لا يَدْري ولا يُدْرَى . وقد قال مرّة لشيخه إنّي أقول يا أستاذي لو أنك تتركني على حالي وتأخذ منّي الإجازة وتنفي بعد ذلك أملاكي وأموالي وتؤويني إلى كهف من الكهوف بحيث لا مال ولا بنون لكان ذلك أحبّ إليّ فأجاب بعد ذلك لا يجوز لك أن تترك الإرشاد ألا تعلّمهم الاستغفار المحض ومجرّد ذلك شيء عظيم .

إخواني إنّي أريد أن أكون في قعر حجرتي بغلق الباب ولا أطلب المريدين أصلاً لكنّهم لا يتركونني على حالي ظنّاً منهم أني أهل لذلك مع أنّي في اعتقادي لست بمقام مريد فضلاً في مقام شيخ ولا يكون لي بدّ من تعليمهم وتلقينهم مع ما فيّ من المخافة ولولا أنهم يعتقدونني لمّا نزلوا بساحة داري ولو لم يكن ظنّهم في الله حسناً بأن الله تعالى يدخلهم في فضله بواسطتي لمّا طلبوا منّي السلوك فبناء على ذلك ألقّنهم الاستغفار والصلوات ألفاً ألفاً في

إنّ أحدهم يرضى بكسرة وما أحسن من يرضى من الدنيا بكسرة فقال إنهم يرقصون ويتواجدون قال من فرحهم بالله تعالى . « نزهة المجالس » ٧٩ .

المَلَوين أو خمسمائة منهما على وفق حال المريدين وأعلّمُهم كيفية الرابطة الشريفة كما علّمني أشياخي وأتركهم على تلك الحالة مدّة شهر أو شهرين ثمّ بعد حصول الاستعداد لهم ألقّنهم الذكر القلبي بلفظة الجلالة (الله الله الله) وآمرهم بعدم غفلتهم عن تخيّل جريان هذا الذكر المبارك قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم **وأعلّمهم أنّ الغفلة عن الله تعالى من أعظم الذنوب عند أهل الله وأحثّهم على الاستغفار عن الغفلة كما يستغفرون عن المعصية .**

فهذا أقلّ ما آمرهم به وأرشدهم إليه ومن آثر منهم الآخرة على الدنيا وأراد أن ينيب إلى الله ولازم الذكر وترك الهوى ألقّنه الذكر على اللطائف بالترتيب بعد حصول النتيجة على ما هو معلوم عند أهله فيسري ذكره في جميع أجزاء البدن ويحصل له سلطان الذكر ثمّ بعد ذلك ألقّنهم النفي والإثبات فإذا حصل لهم نتيجته أعلّمهم المراقبة ثمّ وثمّ . . إلى آخر ما نعلّمه من أمور الطريقة وذلك كلّه رجاء أن يكون الله معهم لحسن ظنّهم به تعالى واعتقادهم فيّ وفي مشائخي بأنه تعالى يوصلهم إليه بواسطتهم على ما ورد في الحديث « لَو اعْتَقَدَ أَحَدُكُمْ فِي حَجَرٍ لَنَفَعَه » . قال الشعراني في « العهود المحمدية » وقد حثّنا الله تعالى على حسن الظنّ به بقوله « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنَّ بِي خَيْراً » فمن لم يظنّ بالله خيراً فقد عصى أمر الله تعالى وقد مشى الصادقون من المريدين على هذه القاعدة مع أشياخهم **فإن ظنّوا بشيخهم أنه يحميهم من إبليس بنظره حماهم وإن ظنّوا أنه لا يقدر على حمايتهم فلا يصحّ لهم حماية** فلذلك أمروا مريدهم أن لا يغفل عن شهود كونه معه لأنه ما دام يشهد شيخه ملاحظاً له فهو محفوظ من كلّ آفة ومتى غفل عن ذلك جاءته الآفات

من كلّ جانب وممّا جرّبناه نحن أنّ من كان اعتقاده فينا متوفّراً مهما طلب من الحوائج قضي له ومن لم يكن اعتقاده فينا متوفّراً لم تقض له حاجة ولو كنّا أقطاباً **فالمدار على حسن ظنّ المتوجّه للشيخ لا على الشيخ** وربّما تقضى حاجةُ المعتقد ولم يكن يعلمها الشيخ إلاّ إن أعلمه بها المتوجّه إليه . انتهى فراجعه في ١٣١ من هامش « لطائف المنن » ج ٢ .

وما قاله قدّس سرّه هو الذي يحصل للمرابط من المنافع والفوائد فالشيخ الفاني في الذات لو قرب إليه الشياطين يحترقون بنوره وإذا تخيّل المريد صورته يحضر روحانيته لديه أسرع من لمح البصر فيكون حضوره سبباً لانقطاع الخواطر والوساوس . فافهم .

أيها العلماء والفقهاء إن كنتم ترون فيما نفعله من هذه الأمور شيئاً ما يخالف الشريعة فنحن مترقّبون للامتثال بأوامر من ينصحنا ويدلّنا على ما خفي فينا من العيوب ونشكره وندعوه بالخير وإن ارتكب أتباعنا على المنهيّات لا نرضى على صنيعه أبداً بل ننصحه بالإشارة وباللطف لا بالعنف على وفق قوله تعالى ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا ﴾ وآية ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ﴾ . ولكن لا طاقة لنا لامتناعه عن بعض المعاصي وذلك ليس من شروط الشيخ وما لم يصحّ لرسول الله عليه السّلام من أصحابه لا يصحّ لأحد من بعده كما ذكره الشعراني في « العهود المحمدية » بالبسط التامّ .

وقد قال النبهاني في « شواهد الحقّ بالاستغاثة بسيد الخلق » ما نصّه هذا وليس من شرط مشائخ الطريق أن يقتدروا على عصمة أتباعهم من المخالفات فالمنصف يؤدّي كلّ ذي حقّ حقّه فحقّ الشيخ وأتباعه الراشدين الثناء الجميل عليهم فيلزمنا أن نؤديه إليهم وحقّ أولائك المارقين أن ننكر عليهم ونوجِّه المذام إليهم ونبين لهم الحلال والحرام وما هو مشروع في دين الإسلام فإذا قبلوا وتابوا حصل من إنكارنا عليهم المرام وإذا أصرّوا على ضلالتهم نصر على الاعتراض عليهم ولا عتاب حينئذ ولا ملام . انتهى . في ٢٣٥ .

ومن المعلوم أن المريد المعصوم لا يكون أبداً . كما بيّنه مؤلّف « الحديقة الندية » ولا يخفى على الحقير أن حاله ناقص عن درجة المرشدين ولكن لمّا أجاز له المشائخ الكاملون لا بدّ له من امتثال أمرهم وإن كان ناقصاً لما أنهم قالوا وقد يعطي الكامل الإجازة للناقص لأنَّ يَدَهُ يَدُهُ وتربيته تربيته كما هو مذكور في غير كتاب واحد .

وفي « البهجة السنيّة » وأما الإذن لهم من جناب حضرة شيخنا قدّس سرّه بالإرشاد مع نقصان فهو جائز من الكامل المكمل . انتهى في ٤٤ .

وفي « التحفة » ولم تكن الإجازة موقوفة على الكمال المطلق . انتهى . والكلام على هذا كثير .

وكتب القاضي ببلات رحمه الله ما هذا نصّه ولا يأذن لأحد في الجلوس للمشيخة إلاّ بعد الإذن له من رسول الله ﷺ . « خالدية » .

فيا عجباً على عظم هذا القول فالحمد لله على ذلك دائماً . انتهى من خطّه .

وكتب أيضاً وأما الحكايات المذكورات في رسائل القوم من أن كلّ مُسَلِّك لا يكون يقدر على استنباط الأحكام والآداب من الكتاب والسنة لو فقدت جميع الكتب النقلية فليس بمسلك ومن كونهم يعطون كلّ جليس حقّه ويعرفون من يفتح لهم على يدهم وكونهم يراعون تلميذهم وهو في الأصلاب ونظره أحوال مريده من حين كان في عالم الذّر **وأنّ من جالس ولازمه وراعى الأدب ظاهراً وباطناً معه انتفع من لحظه واسترزق من رزقه المكنون في لفظه من الأنوار والأسرار ووجد تأثير ذلك في الحال إلى غير ذلك** فإنما هي حكايات الأولياء الكاملين من الرجال أصحاب الأنفاس ومرتبتهم ولكن ليس الاقتاداء مختصّاً بهم كما سنذكره الآن بهذه العبارات والله أعلم .

وتخصيص هؤلاء المذكورين بذلك[١] إنما هو لكونهم كانوا مجتمعين اجتماعاً مخصوصاً في عصر واحد لا لنفي الاقتداء عن غيرهم إذ الجامعون بين العلمين كثيرون على أن تخصيص الاقتداء بالجامعين بين العلمين المذكورين إنما هو لبيان الأكمل إذ لا خلاف بينهم أن جميع السالكين العارفين بالله تعالى يجوز الاقتداء بهم سواء حصل السلوك قبل الجذبة أو بعدها وسواء علموا جميع علوم الشريعة المفروضة والمندوبة أم لم يعرفوا سوى فرض العين الذي لا بدّ لكلّ مكلّف منه أو لبيان من يقتدي في العلمين « الفتاوى الحديثية » .

---

(١) أي بالاقتداء .

ومثله من أن المتصدي الآن لهذا الباب على غير بصيرة من أمره إن لم يكن يرى ذلك ابتلاء من الله تعالى فهو قليل الأدب مع الله تعالى ولذلك تراه يلقّن الألف مثلا أو أكثر ولا ينتج منهم واحد كما هو مشاهد .

واعلم أنه ليس في هذا الباب الذي خشينا عليه ترك الذكر والتلقين كما توهم ذلك الضعفاء بل المراد منه أن كلّ من يفتح له هذا الباب ينبغي له أن يرى ذلك بلاء ويعتقد أنه ليس بأهل للمشيخة والسلوك وأن في ذلك هلاكه فينبغي لمن يلقن الناس الآن أن يراه ابتلاء من الله تعالى ويلقّن على سبيل التشبّه بالمتشبّهين بالمتشبّهين بالمتشبّهين (ست مرّات) . « الأنوار القدسية » ٤١ .

ومشائخ هذا الزمان يلقّنون كذلك بلا خلاف وإنهم أشدّ خوفاً ممّن قبلهم . . إلى آخر ما كتبه . انتهى من خطّه فجزاه الله عنّا خيراً فقد حلّ ما كان مشكلاً منذ زمان . فبناء على ما ذكر لا بدّ لنا من التصدّر لإرشاد الخلق وتعليمهم آداب الطريقة وتلقينهم أذكارها وأورادها وكيفية الرابطة وآدابها ومعلوم مشهور **أنّ ذلك ليس باختيار منّا بل بأمر وإذن من مشائخنا فما العيب علينا** وقد علم ممّا مرّ في حقّ الرابطة كونها محبوباً ومستحسناً عند العلماء وأكابر العارفين فرفع عنّا اللوم والعتاب ولله الحمد والمنة وله الشكر على هذه النعمة .

فائدة نفيسة غفل عنها أكثر الخلق قد مرّ ما قاله القطب الشيخ خالد قدّس سرّه ما لفظه أم يشترط مع ذلك كلّه بعض خوارق كونية . . . إلخ

فالجواب لا يشترط ذلك في الشيخ . فقد سمعت شيخنا العسلي قدّس سرّه يخبر نقلاً من كتاب يقول لا يكون الشيخ شيخاً بكشفه العرش والكرسي والسموات السبع والأرضين السبع وما فيها بل الشيخ الذي يكشف له أحوال مريده . انتهى .

وفي « الرسالة الخالدية » ما حاصله **الكرامة ليست بشرط الولاية ولا من علامة الأفضلية** . كما صرّح به الشيخ ابن حجر في « الخاتمة » وربّما تكون له تلك الكرامات لكنه غير مأذون بإظهارها وقد يؤذن به لكن لا يعدّه مصلحة انتهى .

نقل الخاني في « الحدائق الوردية » عن الإمام الرباني قدّس سرّه ما هذا نصّه وقال قدّس الله سرّه **اعلم** أن الولاية عبارة عن الفناء والبقاء والخوارق من لوازمها ولكن ما كل من كانت خوارقه أكثر يكون ولايته أتمّ وأكمل بل تكون خوارقه أقلّ وولايته أتمّ وأكمل ومدار كثرة الخوارق على شيئين وهما أن يكون الصعود في وقت العروج أكثر والهبوط في وقت النزول أقلّ بل الأصل العظيم في كثرة ظهور الخوارق هو قلة النزول كيف ما كان العروج لأن صاحب النزول ينزل إلى عالم الأسباب فيجد الأشياء مربوطة بها ويرى فعل المسبّب من ورائها والذي لم ينزل أو نزل ولكنّه لم يصل إلى الأسباب فنظره مقصور على مسبب الأسباب والأسباب قد ارتفعت عن نظره **والحق سبحانه يعامل كلّ أحد على حسب ظنّه** فيقضي أمر من يرى الأسباب بها ويقضي أمر من لا يرى الأسباب بدونها قال تعالى في الحديث القدسي « أَنَا

عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي » ولطالما كان يخطر ببالي أنه ما السبب في كون الخوارق التي ظهرت على يد الشيخ عبد القادر ﷺ لم تظهر على يد كثير من كمل الأولياء السابقين حتى أطلعني الله تعالى على سرّ ذلك وهو أنه كان عروجه أعلى من أكثر الأولياء وفي جانب النزول كان نزوله إلى مقام الروح الذي هو فوق عالم الأسباب .

وممّا يناسب هذا المقام ما حكى الحسن البصري ﷺ كان واقفاً على شاطئ النهر ينتظر السفينة فجاء حبيب العجمي ﷺ فوجده واقفاً فقال له ماذا تنظر قال السفينة فقال له وأيّ حاجة إلى السفينة أما لك يقين فقال الحسن أما لك علم ثمّ مشى حبيب على الماء وبقي الحسن حتى ركب السفينة فلمّا كان الحسن نازلاً إلى عالم الأسباب عاملوه بها وحبيب لم ينزل فعاملوه بدونها **والفضل للحسن فإنه صاحب علم جَمَع بين علم اليقين وعرف الأشياء** كما هي وفي نفس الأمر جعلت القدرة مستورة خلف الحكمة وحبيب العجمي صاحب سكر وله يقين بالفاعل الحقيقي من غير أن يرى للأسباب مدخلاً وهذه الرؤية غير مطابقة لما في الواقع فإن توسُّط الأسباب كائن وحاصل .

وأما شأن التكميل والإرشاد فهو عكس طريق ظهور الخوارق فإن في مقام الإرشاد كلما كان نزوله أكثر كان في الإرشاد أكمل لأنه لا بدّ من حصول المناسبة بين المرشد والمسترشد وذلك منوط بالنزول .

واعلم **أنه كلّما كان الصعود أعلى يكون الهبوط أنزل** فلهذا لمّا كان ترقي نبينا عليه الصّلاة والسّلام أعلى وأرقى من ترقي جميع الأنبياء عليهم الصّلاة

والسّلام كان نزوله أقوى من الجميع فكانت دعوته أتمّ ولذلك أرسل إلى كافة الأنام فإنه بسبب نهاية النزول حصل المناسبة بالجميع فصار طريق الإفادة فيه أتمّ وربّما **تحصل الإفادة من المتوسطين في هذا الطريق أكثر من المنتهين الذين ما رجعوا** لأن مناسبة المتوسّط للمبتدئ أكثر من ذاك فمدار كثرة الإفادة وقلّتها على الهبوط والرجوع لا على الانتهاء وعدمه .

وههنا دقيقة وهي كما أنه **ليس من شرط الولاية علم الوليّ بنفس ولايته** كما هو مشهور كذلك ليس من شرطها علمه بخوارقه فربّما ينقل الناس عنه خوارق شتّى وهو لا علم له بها .

وكان شيخنا قدّس سرّه يقول **والعجب** أنّ الناس يأتون إليّ من الأكناف والأطراف فبعضهم يقول رأيناك في مكّة وبعضهم يقول رأيناك في بغداد فيظهرون الصحبة والمعرفة والحال أنّي ما خرجت من بيتي فما هذا الافتراء انتهى ١٨٦ .

وممّا ينبغي أن يكتب هاهنا ما قاله الإمام الرباني في بعض مكاتبه بما هذا نصّه بعد الحمد والصلوات . . . ليعلم الأخ الأعزّ المير محبّ الله **أن الإيمان بالغيب بوجود الواجب تعالى وسائر صفاته نصيب الأنبياء وأصحابهم عليهم الصّلاة والسّلام ونصيب الأولياء الذين ثبت لهم الرجوع بالكلية** ونسبتهم نسبة الأصحاب وإن كان هؤلاء قليلين بل أقلّ ونصيب العلماء ونصيب عامة المؤمنين أيضاً والإيمان الشهودي نصيب عامة الصوفية سواء كانوا من أرباب العزلة أو من أصحاب العشرة فإن أصحاب العشرة وإن كانوا مرجوعين

لكنهم ما رجعوا بالكلية بل باطنهم مستشرف إلى الفوق ومنجذب إليه دائماً فهم بالظاهر مع الخلق وبالباطن مع الحق جلّ سلطانه فالإيمان الشهودي نصيبهم دائماً والأنبياء عليهم السلام لما كانوا مَرْجُوعين بالكلية متوجّهين ظاهراً وباطناً إلى دعوة الخلق بالحق جلّ وعلا كان الإيمان الغيبيّ نصيبهم بالضرورة وقد حقّق هذا الفقير في بعض رسائله أن التوجه نحو الفوق مع وجود الرجوع من علامة النقص وعدم الوصول إلى نهاية الأمر والرجوع بالكلية علامة الوصول إلى نهاية النهاية .

والصوفية زعموا أن الكمال إنما هو في الجمع بين التوجهين **وعدّوا الجامع بين التشبيه والتنزيه من الكمل .**

وللناس فيما يَعْشقون مذاهب

فاذا فرغ الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام من وظيفة الدعوة وتوجّهوا نحو عالم البقاء وتمّت مصلحة الرجوع يكونون متوجّهين بكليتهم إلى الحق جلّ شأنه قائلين بتمام الشوق الرفيق الأعلى متبخترين في مراتب القرب . شعر

هَنِيئاً لأرْبَابِ النَّعِيمِ نَعِيمُهَا وَلِلعَاشِقِ المِسْكِينِ مَا يَتَجَرَّعُ

والكمال عند الفقير هو أن ترتفع الكثرة[١] وقت العروج عن النظر بالكلية حتى لا تكون الأسماء والصفات أيضاً ملحوظة ولا يكون غير الأحدية المجرّدة مشهوداً ثم يعامل معه ما يعامل معه وأن يقع النظر وقت الرجوع إلى

[١] والمراد من الكثرة كلّ ما سوى الله .فافهم .

الكثرة ولا يكون شهوده كعامة المؤمنين غير الخلق ولا يكون شغله دائماً غيرَ أداء الطاعة ودعوةِ الخلق إلى الحق جلّ وعلا .

فإذا تمّ أمر الدعوة وودع العالم الفاني يتوجَّه بكليته إلى جناب قدسه تعالى ويحول رحله من الغيب إلى الشهادة ويبدل معاملة المراسلة بمعاملة المعانقة ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ .

ولا يتخيلن الناقص أن الرجوع الكلي نقصٌ ولا يَزْعُمَنَّ أن التوجه بالباطن إلى الحق جلّ وعلا أفضل من التوجّه إلى الخلق لدعوتهم وتكميلهم فإن صاحب الرجوع ما جاء إلى مقام الرجوع باختيار نفسه بل نزل من أعلى إلى أسفل بإرادة الحق جلّ سلطانه ورضي لنفسه بالهجر عن الوصول فصاحب الرجوع قائم بمراد الحق جلّ شأنه وفانٍ عن مراد نفسه وصاحب التوجه محظوظ بالوصل والشهود ومسرور بالقرب والمعية .

شعر

إِذَا أَرْضَى منا قَلْبِي بعادي فَهَذَا الهَجْرُ أَحْظَى مِنْ وِصَالِي
لأَنِّي في الوِصَال عَبْدُ نَفْسِي وَفِي الهُجْرَانِ مَوْلَى لِلْمَوَالِي
وَشُغْلِي بَالحَبِيبِ بكُلِّ حَالٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ شُغلِي بِحَالِي

وفضائل الرجوع وكمالاتُه كثيرة وصاحب التوجّه بالنسبة إلى صاحب الرجوع قطرة بالنسبة إلى البحر المحيط[(١)] . وهذا الرجوع من فضائل النبوة

(١) وحكي أن الشيخ أحمد التلاني حصل له الفناء ولم يفق مدة ثمانية أيام وكان وقتئذ في إستنبول فلما أفاق قال له الحاضرون إنك بقيت في الفناء في مدة ثمانية أيام فأعظم ذلك وأعجبه ثم

وذاك التوجه من آثار الولاية شتان ما بينهما ولكن لا يدرك هذا الكمال منهم كلّ أحد . ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ راجع « الدرر المكنونات » في ٢٨٤ ج١ .

فالحمد لله ثم الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه جزيلاً جميلاً فقد كان الفقير خائفاً من هذه الجهة لعدم فراغه للشغل بالله بالكلية بسبب كثرة الشغل بالخلق .

فائدة أخرى قد يظنّ الناس أن المشائخ يجب أن يكونوا يقتدرون على منع عصيان مريديهم مع أنه قد مرّ أن ذلك ليس من شرط الشيخ وأيضاً يظنُّون أن المشائخ يجب أن يكونوا معصومين من الزلل والعصيان مع أن العصمة من شرط النبوّة وذلك الظنُّ منهم إنما حصل لسماعهم أنَّ بعض الأولياء منعوا مريدهم عن الفاحشة إذا همّ بها وأمثال ذلك ممّا ذكروه في كتبهم . ولكن ينبغي أن يعلم **أن وقوع ذلك من بعض المشائخ لا يوجب أن يقع في كلّ واحد منهم .**

وفي « الإبريز » وسمعته رضي الله عنه يقول إن الذين ألَّفوا في كرامات الأولياء رضي الله عنهم وإن نفعوا الناس من حيث التعريف بالأولياء فقد أضرّوا بهم كثيراً

اجتمع بالشيخ محمود أفندي ولعله اجتمع معه في الواقعة فقال له يا ولدي إن في الأولياء من لا يفيق عن فنائه في مدة شهر أو شهرين أو سنةٍ ومنهم من لا يتنفس في العمر إلا واحدة فهاهنا أي في محلة كذا رجل لا يتنفس في سنة إلا مرّة فذهب الشيخ أحمد لطلب ذلك الرجل فوجده كذلك وأخبر رقيبه أنه لا يفيق ولا يتنفّس في السنة إلا مرّة واحدة ثم قال له الشيخ محمود أفندي يا ولدي إن ولقوله هذا دلائل من الأحاديث هداية رجل واحد خير مِنْ أنْ يكون فانياً في جميع العمر مثله فافهم . والله أعلم . (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

من حيث أنهم اقتصروا على ذكر الكرامات ولم يذكروا شيئاً من الأمور الفانية التي تقع من الأولياء الذين لهم تلك الكرامات حتى أنّ الواقف على كلامهم إذا رأى كرامة على كرامة وتصرّفاً على تصرّف وكشفاً على كشف توهَّم أن الوليّ لا يعجز في أمر يطلب فيه ولا يصدر منه شيء من المخالفات ولو ظاهراً فيقع في جهل عظيم لأنه يظنّ أن الوليّ موصوف بوصف من أوصاف الربوبية وهو أنه يفعل ما يشاء ولا يلحقه عجز ويوصف من أوصاف النبوّة وهو العصمة والأمر الأول من خصائص الربوبية ولم يعطه الله تعالى لرسله الكرام فكيف بالأولياء قال الله تعالى لنبيّه ﷺ ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ وقال ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ وقال ﷺ « سألت ربّي عزّ وجلّ اثنين فأعْطانِيهما وسألته اثنين فَمَنَعَنِيهِمَا » **قال تعالى** ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ فقلت « أعوذ بوجهك الكريم » **فقال قد فعلتُ** ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ فقلت « أعوذ بوجهك » فقال قد فعلتُ ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ فقلت « أعوذ بوجهك » **فقال قد سبق القضاء** ﴿ وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ فقلت « أعوذ بوجهك » **فقال سبق القضاء** .

وقال تعالى في سؤال نوح نجاةَ ابنه من الغرق ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ وقال تعالى ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ .

والناس اليوم إذا رأوا وليّاً دعا فلم يستجب له أو رأوا ولده على غير طريق أو امرأته لا تتقي الله قالوا ليس بوليّ إذ لو كان وليّاً لاستجاب الله دعاءه ولو كان وليّاً لأصلح أهل داره ويظنّون أن الوليّ يصلح غيره وهو لا يقدر على إصلاح نفسه قال تعالى ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ .

وأما الأمر الثاني وهو العصمة فهو من خصائص النبوة والولاية لا تزاحم النبوّة . قال رضي الله عنه **والخير الذي يظهر على يد الوليّ إنما هو من بركته** صلى الله عليه وسلم إذ الإيمان الذي هو السبب في ذلك الخير إنما وصل إليه بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم أما ذات الوليّ فإنها كسائر الذوات بخلاف الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام فإنهم جُبلوا على العصمة وفُطروا على معرفة الله تعالى وتقواه بحيث أنهم لا يحتاجون إلى شرع يتبعونه ولا إلى معلم يستفيدون منه والحق الساكن في ذواتهم وهو حرف النبوّة الذي طبعوا عليه يسلك بهم النهج القويم والطريق المستقيم قال رضي الله عنه لو أن الناس الذين ألفوا مع الكرامات قصدوا إلى شرح حال الوليّ الذي وقع التأليف فيه فيذكرون ما وقع له بعد الفتح من الأمور الباقية الصالحة والأمور الفانية لعلم الناس الأولياء على الحقيقة فيعلمون أن الوليّ يدعو تارة فيستجاب له وتارة لا يستجاب له ويريد الأمر فتارة يقضى وتارة لا يقضى كما وقع للأنبياء والرسل الكرام عليهم الصّلاة والسّلام ويريد الوليّ بأن تظهر الطاعة على جوارحه وتارة تظهر المخالفة عليها كسائر الناس وإنما امتاز الوليّ عنهم بأمر واحد وهو ما خصّه الله تعالى به من المعارف ومنحه من الفتوحات ومع ذلك فالمخالفة لمن ظهرت عليه إنما هي بحسب ما يظهر لنا

لا في الحقيقة لأن المشاهدة التي هو فيها تأبى المخالفة وتمنع من المعصية منعاً لا ينتهي إلى حدِّ العصمة حتى تزاحم الولايةُ النبوّةَ فإن المنع عن المعصية ذاتيٌّ في الأنبياء عرضيّ في الأولياء فيمكن زواله في الأولياء ولا يمكن زواله في الأنبياء وسرّه ما سبق وهو أنّ خير الأنبياء من ذواتهم وخير الأولياء من غير ذواتهم فعصمة الأنبياء ذاتية وعصمة الأولياء عرضية فإن العارف الكامل إذا وقعت منه مخالفة فهي صوريّة لا حقيقية قصد بها امتحان مَنْ شاهدها واختباره ولذلك أسرار فنطلب من الله تعالى أن يوفِّقنا للإيمان بأوليائه كما وفَّقنا للإيمان بأنبيائه عليهم الصّلاة والسّلام . انتهى في ١٩٠ فراجعه .

فائدة أخرى نفيسة وبشارة عظيمة قال العالم يوسف النبهاني في كتابه « سبيل النجاة » بعد كلام كثير في الحبّ في الله والبغض في الله ولا شكّ أن قول النبي ﷺ « المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » جواباً لقول القائل يا رسول الله المَرْء يحبّ قوماً ولمّا يلحق بهم وفي حديث أبي ذرّ « وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْمَلَ بِعَمَلِهِمْ » دليل على **أن المحبّ لقوم معهم وإن قصر عنهم في الأعمال والأحوال** ولذلك اشتدّ فرح المسلمين بذلك كما قال أنس رضي الله عنه **فما فرحنا بشيء فَرَحَنا بقول النبي** ﷺ « أنت مع مَنْ أحببت » قال أنس فأنا كنت أحبّ النبي ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما وأرجو أن أكون معهم .

وروى ابن أبي الدنيا في « كتاب المحتضرين » عن عبد الرحمن بن صالح العجلي قال قال ابن السماك عند وفاته اللّهمّ إنك تعلم أنّي كنت إذا عصيتك فإني كنت أحبُّ من يطيعك فاجعل ذلك قربة لي إليك .

وجعل النجم الغزِيُّ رحمه الله محبّة الظلمة للصالحين من القبيل الأول أي من قبيل محبّة الموافقين في أصل الإيمان والمخالفين في غيره من الطاعات ومكارم الأخلاق مع الرغبة عنها والأنفة منها والمحبة لما سواها حيث قال ومن هذا القبيل محبّة الظَلَمة والفسقة للصالحين وتقرُّبهم من المباركين بعرض أموالهم عليهم وإرسال الهدايا إليهم وهم مكبّون على ظلمهم للناس وإسرافهم على أنفسهم فهؤلاء لا تنفعهم محبّة الصالحين ولا تلحق بهم . انتهى كلامه .

قال العارف النابلسي بعده قلت بل الإنصاف أن تجعل محبة الظلمة والفسقة للصالحين وتقرُّبَهم من المباركين من القبيل الثاني أي من قبيل محبّة الموافقين في أصل الإيمان والمخالفين لهم في غيره من الطاعات لكن لا على طريقة الرغبة عن أخلاقهم ولا على سبيل الأنفة من أحوالهم ولهذا تقرَّبوا إليْهم وأحبُّوهم وأحبّوا طريقتهم وتبرَّكوا بهم ولو كان لهم رغبة عن أخلاقهم وأنفة عن أحوالهم لبعدوا عنهم ولم يشاكلوهم أصلاً مثل غيرهم من بقيَّة الظلمة بل ذلك على سبيل العجز والتقصير عن بلوغ درجاتهم والانحطاط عن علوّ هممهم مع الاعتراف بأنهم ظالمون لأنفسهم مسرفون عليها واقعون في الذنوب والخطايا والآثام يصرّحون بذلك بألسنتهم ويضمرونه في قلوبهم ويطلبون من الصالحين الدّعاء بتيسير التوبة والتخلّص ممّا هم واقعون فيه ولو تيسَّر للواحد منهم اللحاق بهم في وصف من الأوصاف لم يتأخَّر عن الاتصاف به وإنما عاقهم عن ذلك ميل نفوسهم مع جواذب الهوى والطبيعة وكون أمور العامة متعلقة بهم منوط بأنظارهم وهم مبتلون بكلّ ذلك جمعاً

وصرفاً كما كانت هي حالة ابن السمَّاك في حال صدور المعصية كما أخبر هو عن نفسه في وقت وفاته بقوله كما قدمناه اللّهمّ إنك تعلم أنّي كنت إذا عصيتك فإنّي كنت أحبّ من يطيعك فاجعل ذلك قربة لي إليك .

وهؤلاء كذلك في حال عصيانهم لله تعالى واعترافهم بذلك يحبّون من يطيع الله تعالى ومن يتوهَّمون أنه صالح ويتقرَّبون إليه ويتأدَّبون معه ويطلبون منه الدعاء ويهدون إليه أشرف ما عندهم وهو المال رغبة في حصول دعائهم لهم فلعلّ الله تعالى يجعله سبباً لنجاتهم في الآخرة وليس هذا الوصف في جميع الظلمة والفسقة وإنما هذا في طائفة منهم يرون قُبْح ما هم فيه من الأحوال وحسنَ ما في أهل الخير والهدى من الصلاح وهم مسلمون مؤمنون من أهل الكتاب والسنة غير أن الله تعالى ابتلاهم بنفوسهم المنهمكة في جمع حطام الدنيا وأخذ كلّ ما قدروا عليه من أموال الناس والتبسط في أنواع الشهوات فالله تعالى يتوب علينا وعليهم ويصلح أحوالنا وأحوالهم وأحوال المسلمين أجمعين . آمين . انتهى . كلام العارف بالله سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي رضي الله عنه . انتهى .

هذا ما تيسّر لنا جمعه ووفّقنا الله تعالى نقله فمن لم يرض بهذا القدر فعليه الرجوع إلى المطوَّلات فالحمد لله أوّلاً وآخراً والصّلاة والسّلام على رسوله وآله وصحبه ليلاً ونهاراً .

اللّهمّ إنّي أسألك الثبات على حدّ الاستقامة وأن تجعلنا من جملة الهادين المهتدين لا من زمرة الضالّين المضلّين .

اللّهمّ اجعل آخر كلامنا (لا إله إلاّ الله) وآخر دعوانا (أن الحمد لله) واجعل سعينا هذا مشكوراً وعملنا مقبولاً واجعله سبباً لهداية الخلق إلى طريق السداد لا سبباً باعثاً لزيادة الحسد والعناد فإنك على ذلك قدير وبالإجابة جدير .

فرغ الفقير من تأليفه في يوم الاثنين الثاني والعشرين من شعبان هذه السنة ١٣٤١ وفّقه الله تعالى لاتمام سائر مراداته وقضاء حوائجه . آمين .

يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين

تذنيب

فبعد أيام من بعد انتهاء الكتاب وصل لديّ ما كتبه العالم الفقيه الصوفي القاضي ببلات القلزمي النقشبندي رحمه الله تعالى فأحببت أن ألحقه هنا ليكون كلامه تأييداً لما نقلته شكر الله سبحانه سعيه حيث نطق بالصواب ولم يداهن وقد أظهر الحق ولم يخف من لومة لائم ولعله رحمه الله تعالى سمع ما يقوله المنكرون لأهل الطريقة والمعاندون لأرباب الرابطة القائلون بعدم وجوب المتابعة لأهل العلم من المذاهب الأربعة المدّعون بأنهم أهلٌ للاجتهاد ولهم قدرة على أخذ الأحكام من الكتاب والسنة

قال رحمة الله عليه رحمة واسعة وكتب بما هذا نصه ورأيت في بعض المجاميع أن الشافعي رضي الله عنه كان يجلس لشيبان الراعي ويسأله عن مسائل فقيل له مثلك يسأل هذا البدوي فيقول لهم هذا وُفِّقَ لما علمناه . وكان شيبان أميّاً

وإذا كان محلّ الأمي منهم من العلم هكذا فما ظنُّك بأئمتهم **وقد كان الأئمة المجتهدون كالشافعي وغيره رضي الله عنهم يعترفون بوفور فضل علماء الباطن** . « حياة الحيوان » .

فالعناية بمقامات القلب وأحواله دأب علماء الآخرة لأنّ القلب هو الساعي إلى قرب الله تعالى وقد صار هذا الفنّ غريباً مندرساً وإذا تعرّض العالم لشيء منه استغرب واستبعد . « إحياء » .

وغالب الإنكار الذي يقع بين الفقهاء والصوفية إنما هو بين القاصر من كل منهما وبين مثله وإلا فالكامل من الفقهاء يسلّم للعارفين والعارفون يسلّم للعلماء . « لطائف المنن » .

فهي أم الطرائق ومعدن الأسرار الصديقية والحقائق وهي مما جرى على قبوله الوفاق وأقرّ بفضله علماء الأفاق . والآن ولله الحمد قد تقرّر الطريق وانخذل أهل الحسد والعناد والتعويق . « بهجة » .

وأمّا مشروعيّتها وتطبيقها على المذهب فجميع أركانها وشروطها وآدابها عين الشرع ولبّ[1] القرآن وحقيقة العرفان وفي حقّها أدلّة جملة وتفصيلاً كما سيأتي البيان . « جامع الأصول » ٣ .

وقد كان الشيخ النووي رضي الله عنه يخرج لظاهر دمشق لشيخه المراكشي رحمه الله يعرّض عليه مسائل يقف في فهمها عند نقلها فلو كان الفقراء لا يفهمون أسرار الشريعة أكثر من علماء الشريعة لما راجع النووي مع

---

[1] ولعل المنكرون لا ينكرون وعلى ما قالوه يندمون . (هامش الأصل) .

جلالته وقوة اعتقاده وصلاحه ووفور علمه شيخه المذكور في الأحكام « أنوار القدسية » .

وبالحقيقة الفقهاء هم الصوفية لو عملوا بما يعلمون فإنّ الأولياء إنما تميزوا عنهم بالعمل فأنتجهم بذلك قوّة العلم والفهم عن الله تعالى دونهم ففارقوهم به فلذلك وقع التنازع بينهم من المقصّرين . فحكمهم مع الأولياء حكم الرصاص[1] في دائرة شبكة الصياد والأولياء قانصون حبل الشبكة فإذا جذبوا الحبل انجرّ جميع الرصاص فالقاصرون من باطنهم ولا عكس وقال الله تعالى ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ وليس أهله إلا الأولياء والعلماء الراسخون ونحن مأمورون باتباعهم لأنهم ورثة الأنبياء وأمناء الله تعالى على أسراره فإذا قالوا شيئاً وجب علينا اتّباعه . « الأنوار القدسية »

فإذا وصل العارف إلى هذه المرتبة يأخذ العلم من الله تعالى بلا واسطة وهو العلم اللدنيّ كما كان للخضر عليه السلام ونصيب بعض العارفين بالله تعالى ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمًا﴾ ويقال لهذه المرتبة في اصطلاحهم قرب النوافل دلّ عليه ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ عن الله « ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها » . إلخ وقوله ﷺ « لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبيّ مرسل » .

---

[1] فمن لم يكفه هذا لم يكفه غيره . (منه) .

فمن وصل إلى هذه المرتبة يجذبه الله إليه بفضله ويأخذ المعارف والأسرار بلا واسطة من الله تعالى فلا يلزمه شيء بقوله أخذت العلم من الله تعالى بلا واسطة **فمن ينكر هذه المرتبة فهو ينكر الحديث الصحيح**[(١)] . « مكتوبات » . ويالله العجب من المتفقِّهين الذين ينكرون ما قاله الأولياء ويصدِّقون بما وصل إليهم من فقيه واحد وربما يكون إسناده في ذلك القول إلى دليل ضعيف وما ذلك والله إلا الحرمان . « مكتوبات » .

وكان ﵁ يقول في قصّة موسى والخضر يعني أنّ للحقّ عباداً أقامهم لبيان المكتسبات وعباداً أقامهم لبيان الموهوبات **ليس لأحدهما أن يعترض على الآخر** ولا يشاركهم فيما أقيم فيه وإن كان أحدهما نبيّاً والآخر وليّاً . « طبقات » .

إذا كمل العارف في مقام العرفان أورثه الله علماً بلا واسطة وأخذ العلوم المكتوبة في ألواح المعاني ففهم رموزها وعرف كنوزها وأطلعه الله تعالى على العلوم المودعة في النقط ولو لا خوف الإنكار لنطقوا بما يبهَر العقول **وأسرارهم موضع سرّ الله** . « طبقات الشعراني » وكلّ أصناف هذه العلوم عند الأقطاب علوم إلهية ما أخذوها إلا عن الله سبحانه وتعالى . « مكتوبات » .

ونحن نتعجّب على اعتراضات المعترضين وكيف يقبل الناس كلامهمْ ولا يزجرونهم . « مكتوبات » .

---

(١) فتفكّروا في مآل إنكاركم أعاذنا الله تعالى من سوء العاقبة . (منه) .

فعُلم أنه ليس فهم كلام المتكلّم أن تعلم وجوه ما تضمَّنته تلك الكلمة بطريق الحصر بما تحوي عليه مما تواطأ عليه أهل ذلك اللسان **إنما الفهم أن يفهم ما قصده المتكلم بذلك الكلام من قصد جميع الوجوه أو بعضها** فينبعي لك أن تفرق بين الفهم للكلام والفهم عن المتكلم وهو المطلوب . فالفهم عن المتكلّم ما يعلمه إلا مَنْ أنزل القرآن على قلبه وأما الفهم للكلام فهو للعامة فكلّ من فهم من العارفين عن المتكلّم فقد فهم الكلام وما كلّ من فهم الكلام فهم عن المتكلّم . « أنوار القدسية » .

بسم الله الذي يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء .

والرابطة عند الفقراء هي تخيّل صورة الشيخ لحظة ليس إلاّ **لما أنه آكد الآداب عندهم ولوكان التخيل**[1] **المذكور كفراً** كما تقولون فكيف حال من يتخيّل صورة البنات والأرامل ويكون قلبه دائماً في خيالات شتى وتصورات تَتْرَى فيلزم منه كفركم وكفر العوام فتفكروا في مآله وعاقبته وكونوا صامتين وعن اللغو معرضين ثم على الحق تابعين وعلى أنفسكم راقبين .

ومقصودهم بذلك طرد الغفلة وإبعاد وساوس الشيطان عن القلب لا غير فمن ذاق يدري ومن لا فلا .

ثم أنتم أيها المنكرون للرابطة بيّنوا لنا بطلانها ومخالفة فَاعِلِيهَا للكتاب والسنة بأدلة سمعية صريحة وعدم جواز العمل على كلام الأولياء والعارفين وكون الأئمة والمفسرين الذين أثبتوا الرابطة على ضلالة وشرك فإنا لله وإنا

---

[1] والإنكار على التصوّر تصور ، فمن يخرج من التصور والتخيّل . (هامش الأصل) .

إليه راجعون كيف لا تتقون الله تعالى لتكفير هؤلاء أهل الله تعالى مع أن الأولياء تميّزوا عن غيرهم بعلوم لا يشاركهم فيها أحد كما نطق به الشعراني [قدس سره] بهذه العبارة .

وفي « لطائف المنن » هذه العبارة وقد أغلق الله تعالى باب تنزل الأحكام الشرعية بموت محمد ﷺ وما أغلق باب التنزل بالعلم بها على قلوب أوليائه **فالتنزُّل الروحانيُّ بالعلم بها باق لهم ليكونوا على بصيرة في دعائهم إلى الله تعالى بها** . انتهى ٥١ .

وفيه أيضاً **تفسير أهل الكشف أعلى من تفسير غيرهم** لأنّ الكشف إخبار بالأمور على ما هي عليه في نفسها لا يتغيّر دنياً ولا أخرى بخلاف تفسير أهل الفكر والوهم .

وفي « ميزان الشعراني » والولي الكامل لا يكون مقلّداً وإنما يأخذ علمه من العين التى أخذ منها المجتهدون مذاهبهم . وفي كتاب « أنوار القدسية » وحرام على الفقيه أن يتكدّر من نصح الولي **لأنه أعلى منه فهماً في أحكام الله تعالى** ولا يتوهّم أنّ علم الأولياء وغوصهم في فهم الأحكام يتوقّف على الآلات عند غيرهم كالنحو واللغة والمعاني ونحو ذلك . فإنَّ الحق سبحانه وتعالى لا تقييد عليه فيعطي من شاء ما شاء كيف شاء فافهم . وجميع المذاهب من باطنهم . انتهى .

وفي كتاب « البهجة » إن العلوم بالنسبة إلى العلماء نظرية واستدلالية وبالنسبة إليهم كشفية وضرورية . انتهى .

وفي كتاب « الطبقات الكبرى » للشعراني وكفى شرفاً بعلم القوم قول موسى عليه السلام للخضر ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ وهذا أعظم دليل على وجوب طلب علم الحقيقة كما يجب طلب علم الشريعة وكلّ عن مقامه يتكلّم قال الله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي أطلعناهم على العلوم المتعلّقة بالعلويّات والسفليّات وأسرار الجبروت وأنوار الملك والملكوت وقال تعالى ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ والرزق نوعان روحاني وجسماني وقال تعالى ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي يعلّمكم ما لم تكونوا تعلمونه بالوسائط من العلوم الإلهية .

فعليك يا أخي بالتصديق والتسليم لهذه الطائفة ولا تتوّهم فيما يفسرونه به الكتاب والسنة أن ذلك إحالة للظاهر عن ظاهره ولكن لظاهر الآية والحديث مفهوم بحسب الناس وتفاوتهم في الفهم . فمن المفهوم ما جلب له الآية والحديث ودلت عليه في عرف اللسان . وثَمَّ أفهام أخرى باطنة تُفهم عند الآية أو الحديث لمن فتح الله تعالى عليه إذ قد ورد في الحديث النبوي « إنّ لكل آية ظاهراً وباطناً » **والباطن** هو المعارف الإلهية . والمطلع هو معنى يتحد فيه الظاهر والباطن والحد فيكون طريقاً إلى الشهود الكلي الذاتي فافهم يا أخي .

ولا يصدّنّك عن تلقي هذه المعاني الغريبة عن فهم العموم من هذه الطائفة الشريفة قولُ ذي جدل ومعارضة إنّ هذا إحالة لكلام الله تعالى وكلام رسول

الله ﷺ . فإنه ليس بإحالة وإنما يكون إحالة لو قالوا لا معنى للآية الشريفة أو الحديث إلا هذا الذي قلناه وهم لم يقولوا ذلك بل يقرّون الظواهر على ظواهرها مراداً بها موضوعاتها ويفهمون عن الله تعالى في نفوسهم ما يُفهمهم بفضله ويفتحه على قلوبهم برَحْمته ومنّته .

ومعنى الفتح في كلام هؤلاء القوم حيث أطلقوه كشف حجاب النفس أو القلب أو الروح أو السرّ لما جاء به رسول الله ﷺ من الكتاب العزيز والأحاديث الشريفة إذ الولي لا يأتي بشرع جديد وإنما يأتي بالفهم الجديد في الكتاب والسنة لم يكن يعرف أحد قبله ولذلك يستغربه كلّ الاستغراب من لا إيمان له بأهل الطريق ويقول هذا لم يقله أحد على وجه الذم وكان الأولى أخذه منه على وجه الاعتقاد . « الطبقات الكبرى » .

وإنما نهى القوم عن المنازعة لأن علومهم مواجيد لا نقل فيها . ومن كان يخبر عما يعاين ويشاهد لايجوز للسامع منازعته فيما أتى به بل يجب التصديق به . (منه)

فإن علوم القوم لا تقبل المنازعة لأنها وراثة نبويّة ونهى ﷺ عن الجدال وقال في المجادل « فليتبوّأ مقعده من النار » والله تعالى هو المحارب عنهم لمن حاربهم والغالب لمن غالبهم . منه

والحق أن كلام أهل الحق حقّ ومقتبس من مشكاة النبوة « مكتوبات الرباني » .

والعلم اللدني[١] عند الأولياء للورثة الكاملين للنبي ﷺ وظاهر النبوة المحمدية خُتمت به **وباطنها لا يختم إلى يوم القيامة** وهو الولاية عموماً وخصوصاً قال تعالى ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ وقال تعالى ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ . « سلسة الأرواح »

مقدمة في بيان أنّ طريق القوم مشيدة بالكتاب والسنة وأنها مبنيّة على سلوك أخلاق الأنبياء والأصفياء وبيان أنها لا تكون مذمومة **إلا إن خالفت صريح القرآن أو السنة أو الإجماع لا غير** . وأما إذا لم تخالف فغاية الكلام أنه فهم أوتيه رجل مسلم فمن شاء فيعمل به ومن شاء تركه . وما بقي باب للإنكار إلاّ سوء الظنّ بهم وحملهم على الرياء وذلك لا يجوز شرعاً فمن جعل علم التصوف علماً مستقلاًّ صَدَقَ ومن جعله من عين أحكام الشريعة صَدَقَ لكن لا يَشْرَفُ على ذوقِ أنَّ علم التصوّف تفرّعُ من عين الشريعة إلاّ مَنْ تبحّر في علم الشريعة حتى بلغ إلى الغاية .

وبالجملة فما أنكر أحوال الصوفية إلا من جهل حالهم . « طبقات » .
فويل لقاصر النظَر على جرأتهم حيث ينسبون قصورهم إلى الغير .

لو عـابهم قاصـر طعناً بهم سـفهاً ... برِأتْ سـاحتهم عـن أفحش الكلم
هـل يقطع الثعلب المحتال سلسلة ... قيّدت بـهـا أسـد الدنيا بـأسرهِـم

---

[١] والعجب من العلماء علماء الظاهر أنهم لا يقبلون علوماً معلومة بنور الفراسة والكشف الصحيح أخبر بها من عاينها وشاهدها وبلغ مرتبة اليقين بالكشف الصحيح . (منه) .

وويل لهم ألف مرة على تعصُّباتهم الباردة وأنظارهم الفاسدة يَنفون ما وراء معلومهم ويجعلون ما لم يثبت عندهم منفيّاً . « الطبقات الكبرى » . ومنه

تـركـنا الـبـحـار الزاخرات وراءنا فمـن أين يدري الناس أيـن تَوَجَّهْنَا

انتهى .

ومنه أيضاً

ولا أحـد يـصطـاد عنقاء فـاسترح وإلاّ تـكـون حـال الـفـخ دائـمـاً

انتهى . فلله درّه .

ثم إن العبد إذا دخل طريق القوم وتبحّر فيه أعطاه الله تعالى هناك قوّة الاستنباط نظير الأحكام الظاهرة على حدّ سواء فيستنبط في الطريق واجبات ومندوبات وآداباً ومحرمات ومكروهات وخلاف الأولى نظير ما فعله المجتهدون وليس إيجاب مجتهد باجتهاده شيئاً مما لم تصرّح الشريعة بوجوبه أولى من إيجاب وليّ الله تعالى حكماً في الطريق لم تصرّح الشريعة بوجوبه .

وإيضاح ذلك أنهم كلّهم عدول في الشرع اختارهم الله تعالى لدينه فمن دقّق النظَر علم أنه لا يخرج شيء من علوم أهل الله تعالى عن الشريعة وكيف يخرج علومهم عن الشريعة والشريعة هي وُصْلَتهم إلى الله عزّ وجلّ في كل لحظة . ولكن أصل استغراب من لا له إلمامٌ بأهل الطريق أنّ علم التصوف من عين الشريعة كونُه لم يتبحر في علم الشريعة ولذلك قال الجنيد رحمه الله تعالى علمنا هذا مشيّد بالكتاب والسنة ردّاً على من توهّم خروجه عنهما في ذلك الزمان أو غيره . « طبقات » وقال القشيري لم يكن

عصر في مدَّة الإسلام وفيه شيخ من هذه الطائفة إلاّ وأئمة ذلك الوقت من العلماء قد استسلموا لذلك الشيخ وتواضعوا له وتبرّكوا به ولولا مزيّة وخصوصيّة للقوم لكان الأمر بالعكس .

قلت ويكفينا للقوم مدحاً إذعان الإمام الشافعي رضي الله عنه لشيبان الراعي . كان يجلس بين يديه كما يقعد الصبي في المكتب ويسأله كيف يفعل في كذا وكذا وإذعان الإمام أحمد بن حنبل لشيبان كذلك وإذعان أبي العباس للجنيد وقد كان الإمام أبو تراب النخشي أحد رجال الطريق رضي الله عنه يقول إذا ألف العبد الإعراض عن الله تعالى صحبته الوقيعة في أولياء الله تعالى . « طبقات الكبرى » .

هيهات هيهات قد اندرس علم الدين بتلبيس العلماء السوء فالله المستعان وإليه الملاذ في أن يعيذنا من هذا الغرور الذي يسخط الرحمن ويضحك الشيطان . « إحياء »

كان الفتوى والعمل على الفقهاء والعارفون تبعهم قبل القرن العاشر ثم بعده فالعمل والفتوى على العارفين والفقهاء تبعهم للآية الكريمة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ ولخبر ورد في المعرفة « وأعرِّفه سري الذي أسررته على خلقي » . « كنز الدرر »

ثم إذا وصل العبد إلى معرفة الله تعالى فليس وراء الله مرمى ولا مرقى بعد ذلك فهناك يطلع كشفاً ويقيناً على حضرات الأسماء الإلهية ويرتفع الخلاف عنده في جميع مذاهب المجتهدين .

والله تعالى يقذف في سرّ خواص عباده ما لا يطّلع عليه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل . « إحياء »

فقد أفلح المصدقون وخاب المستهزؤون . « طبقات الكبرى » .

وبغية طلبة العلم كثيراً الاعتراض على الذاكرين ويقولون الاشتغال بالعلم أفضل ولا يتأمّلون المراد من العلم ماذا وأيّ غرور فوق هذا . « أنوار القدسية » .

وتعصّبات الفقهاء على الفقراء لم تزل من عصر ذي النون المصري وأبي يزيد البسطامي ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ ﴿وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا﴾ فأعاذنا الله تعالى من صحبة أهل الوقيعة فيهم ومجالستهم كما قال سيّدنا علي الخواص **إياك أن تصغي لقول مُنكِر على أحد من طائفة العلماء فتسقط من عين رعاية الله تعالى وتستوجب المقت من الله** . « طبقات الكبرى » فالأدب الوقوف عن تكفير أهل الأهواء والبدع والتسليم للقوم في كلّ شيء قالوه مما لا يخالف صريح النصوص . انتهى كلام السبكي . « طبقات الشعراني » .

ويجب الإطاعة لأولياء أمة محمد ﷺ لقوله تعالى ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ لأنّ المراد من أولي الأمر في الحقيقة هم الأولياء المرشدون . « سلسلة الأرواح » .

إن كنتم لا تعملون كلام الأولياء و[تقولون] لايصحّ العمل به فلِمَ تعملون في فضائل الأعمال بقراءة أبيات كذا وكذا لنيل فضيلة كذا وكذا ذكرها في

« شرح البردة » و« شرح نظم أسماء الله الحسنى » ونحوهما وما دليلكم لذلك والحال أنّ تلكم الأبيات حادثة بعد زمن النبي ﷺ وزمن الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين ومن أخبرهم بذلك وهل نزل بهم وحي به انتهى .

ليس علم المذكورات وأمثالها إلا بإخبار الأئمة الأخيار والأولياء الأبرار وكرامات الأولياء حقٌّ صادق يجب الاعتقاد به ولا تنكروا على ما نقل عنهم . « فتاوى الچوخي »

ثم إن كنتم ولا بُدّ منكرين للأولياء والعارفين فتفكّروا في آيات الله ﴿ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ من أهل العلوم الظاهرة بالعلم ويباهون به العلماء ويمارون به السفهاء لا تتزكى أنفسهم بمجرّد تعلم العلم بل تزيد صفاتهم المذمومة مثل المباهات والممارات والمجادلة والمفاخرة والكبر والعجب والحسد والرياء وحبّ الجاه والرياسة وطلب الاستيلاء والغلبة على الأقران والأمثال ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ التزكيةَ ويتهيَّأُ لها بتسليم النفس إلى أرباب التزكية وهم العلماء الراسخون والمشائخ المحققون كما يسلم الجلد إلى الدباغ ليجعله أديماً . والمزكّي هو النبي ﷺ في أيام حياته كما قال تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ الآية وبعده هم العلماء الذين أخذوا التزكية ممن أخذوا منه قرناً بعد قرن من الصحابة والذين اتّبعوهم بإحسان إلى يومنا هذا . « روح البيان »

وكان شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رضي الله عنه يقول الاعتقاد إن لم ينفع ما يضر والفقيه إذا لم يكن له إلمام بطريقة القوم [وملاحظهم واصطلاحهم ومؤاخذاتهم فهو جاف] . « الأنوار القدسيّة » .

وكلمات أولياء الله تعالى مقتبسة من مشكاة الحقيقة المحمدية ﷺ فكما أن تعظيم القرآن والحديث النبوي واجب على عامة الأمة كذلك تعظيم كلام أولياء الله تعالى لازم أيضاً . « طبقات » .

فما بقي وجه الإنكار إلا على مواجيدهم وأفهامهم وتلك أمور لا تعارض شيئاً من صريح السنة والأمر في ذلك سهل **فمن شاء فليصدقّهم ويقتدي بهم كمقلدي المذاهب ومن شاء فليسكت ولا ينكر لأنهم مجتهدون في الطريق والمجتهد لا يقدح إنكاره على مجتهد آخر** . « طبقات الشعراني » . وأحوالهم من وراء النقل والعقل ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ . « أنوار القدسية » . ولا ينكر على الفقراء إلا محرّماً مجمعاً على تحريمه . « حديقة الندية » و« بغية »

فكما يقال إنّ جميع ما رواه المحدّثون بالسند الصحيح المتّصل ينتهي سنده إلى حضرة الحقّ جلّ وعلا فكذلك ينبعي أن يقال فيما نقله أهل الكشف الصحيح من علم الحقيقة وذلك لأنّ جميع مصابيح علماء الظاهر والباطن قد اتقدت من نور الشريعة ولا شكّ عندنا في ذلك . « ميزان الشعراني » ٣٥ .

ومن تمسّك بأذيالهم أفلح وأدرك ومن قابلهم بالاعتراض انقطع وهلك . « إبريز »

فإنه ما ثَمَّ لنا دليل واضح يردّ كلام أهل الكشف أبداً لا عقلاً ولا نقلاً ولا شرعاً لأنّ الكشف لا يأتي إلا مؤيداً بالشريعة دائماً إذ هو إخبار بالأمر على ما هو عليه في نفسه وهذا هو عين الشريعة . « ميزان الشعراني » ٢٤ .

وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى أيضاً يقول لا يكمل مقام العالم عندنا في العلم حتى يردّ سائر أقوال المجتهدين ومقلديهم في سائر الأَدْوار إلى الكتاب والسنة ولا يصير عنده جهل بمنزع قول واحد منها لو عرض عليه وهناك يخرج عن مقام العوام يستحقّ له التلقيب بالعالم وهو أوّل مرتبة تكون للعلماء بالله تعالى . « ميزان الشعراني » ٥٩ . **والعاميّ ليس من مرتبة الإنكار على العلماء لأنه جاهل** . « ميزان الشعراني » ٥٩ .

وكما حرّم العلماء على الرعيّة الطعن على إمامهم الأعظم إلا بدليل واضح كالشمس فكذلك يحرم على المقلّدين الاعتراض والطعن على أئمّتهم في الدين إلا بنَصٍّ واضح لايحتمل التأويل . « ميزان الشعراني » ٥١ .

معنى الرابطة

والرابطة عبارة عن المحبّة . والمحبة يربط قلب المحب بالمحبوب فيحصل الارتباط الروحاني بينهما ويستفيض الأرواح . وفي الحديث « أفضل الأعمال الحبّ في الله والبغض في الله » . « فتاوى عمريّة » .

و الشيء إنما يكون شيئاً بماهيّته وليس للرابطة ماهيّة عندنا غير هذا ولا غرض لنا بها إلا هذا .

واحضر في قلبك النبيّ ﷺ وشخصه الكريم ثم قلْ السلام عليك أيها النبي .

ومطلق إحضار صور الأولياء في الصلاة لأجل جلب الخشوع والحضور مطلوب مرغوب مشروع وكيف لا يجوز ذكر الصالحين وتذكّرهم وتفكّرهم

مع أنّا مأمورون به في قوله تعالى ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ . وإذا غلب على الذاكر التفكر الغير المشروع في الله تعالى يصرف باله نحو نائبه وخليفته تعالى فيأمن منه **فهذه من جملة فوائد الرابطة** .

وفي الحديث « عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة » . وفي الحديث « كن مع الله وإن لم تكن فكن مع من كان مع الله فإنه يوصلك إلى الله إن كنت معه » . « خزينة الأسرار » .

وإذا كان التفكر في آلاء الله تعالى وفي خلق السموات والأرض جائزاً ومرغّباً فيه فكيف لا يجوز ذلك في أفضل خلق الله وأشرف الأمة محمدٍ ﷺ وخلفائه وأتباعه الكاملين الذين هم نجوم الهدى في الدين

وكيف لا تخافون من الله تعالى أن تحكموا بأنَّ الرابطة على الأنبياء والأولياء الذين هم محلّ اقتباس الفيوضات الإلهية شركاً أو حراماً . حسبنا الله ونعم الوكيل فقد اتفق أهل المذاهب الأربعة على جواز التوسل بالأنبياء والأولياء أحياءً وأمواتاً . « فتاوى عمرية »

وقد قال الغزالي في « الإحياء » في باب ما ينبغي الاستحضار في أركان الصلاة واحضر في قلبك النبي وشخصه الكريم وقل السلام عليك . « فتاوى عمرية »

وهو أمر لا يتصوّر جحوده إلا ممّن كتب الله تعالى في جبهته الخسران واتّسم والعياذ بالله بالمقت والحرمان لأنه إن كان ممن يعتقد بالأولياء فقد

صرّحوا بحسنها وعظم نفعها بل واتفقوا عليها كما لا يخفى على من تتبّع كلماتهم القدسية واستنشق نفحاتهم الأنسيّة وإلا فلا بدّ أن يعتقد بكلام أئمة الشرع وأساطين الأصل والفرع **فقد قال بها من كلّ مذهب من المذاهب الأربعة أئمةٌ تصريحاً وتلويحاً** . فالرابطة أفضل الوسائل لأنه إما النبي ﷺ وإما النائبون منابه وقال الله تعالى ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ ففيه إشارة إلى الرابطة لأن الاتباع يقتضي رؤية المتبوع حساً أو تخيّله معنى وهو غرضنا من الرابطة وإلا فلا يُعدُّ اتباعاً .

وأما السنة فقد ذكر البخاري أن سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه شكا للنبي ﷺ عدم انفكاكه ﷺ عنه حتى في الخلاء أي بحسب الروحانية وكان أبو بكر كرم الله وجهه يأخذه الحياء منه ﷺ . « بهجة السنية » ٤٤ .

ونسبة هذه الطائفة النقشبندية إلى الصديق الأكبر الذي هو أفضل البشر المبشَّر بالجنة وأجلسه الصحابة مكان النبيّ بعده وخلق من طينته وقُبِرَ عند قبره فإذا رموه بالكفر والضلالة فما ذا يقال لهم وكيف أجلسوا مكانه ضالاً ومضلاًّ وماذا أكتبُ زيادة على ذلك . رزق الله سبحانه لهؤلاء المنكرين الإنصاف حتى يكفّوا ألسنتهم عن الطعن في أكابر الدين .

ولا أقول لكم أيها المنكرون أنكم لا تعلمون ما علمنا وأنتم جهلاء منّا وليس لنا مع كل أحد من المسلمين سوء ظنّ وحقد فضلاً مع أمثالكم بل أنتم تنسبون إلينا الجهل والفجور ومقصودكم بذلك إيقاع الخصومة والاختلاف بين أتباع الشيوخ وإساءة ظنونهم في حق شيوخهم ولا عيب

عليكم إلا إفشاء هذا الاختلاف بين الخلق فانتهوا رحمكم الله عن هذا المقام لعلكم ترحمون .

وليس غرضنا منكم ومن غيركم ومن كتبة هذه السطور إلا قطع الفتن من بين الخلق ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ﴾ ولا يخفى الضمائر والسرائر وأنتم تظهرون أقوال المنازعين الضالين قبلكم وتكتمون جوابهم من الصادقين السالفين .

وقد أدخلتم نفوسكم في زمرة المعترضين السابقين بلا باعث ولا طائل ولا تنتهون عما لا يعنيكم وتظنون أنكم تحسنون صنعاً جميلاً ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡ﴾ هذا والسلام (وأنا الحقير القلزمي القاضي الضروري ببلات) .

والسنة لإثبات الرابطة فقد ذكر البخاري أن سيدنا أبا بكر كرم الله وجهه شكا إلى النبي ﷺ عدم انفكاكه عنه في الخلاء أي بحسب الروحانية وكان يأخذه الحياء منه . « البهجة السنية »

وخبر البيهقي أنه تعالى قال ليلة الإسراء « يا محمد سل تعط » فقال « يا رب إنك اتخذت إبراهيم خليلاً وكلمتَ موسى تكليماً فقال « ألم أعطك خيراً من هذا واتخذتك حبيباً فكان قاب قوسين أو أدنى » . « فتح المبين » ١٧ .

وقال النبي ﷺ « ألا وأنا حبيب الله ولا فخر » . « فتح المبين » ١٦ .

وقال آدم يا ربّ أسألك بحق محمد إلا ما غفرت لي قال الله تعالى « صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إليّ وإذا سألتني بحق محمد قد غفرت لك » . « منح المكية »

و الله تعالى يحبّ التوابين والمتطهرين والصابرين والمحسنين والمتقين والمقسطين وما المانع لنا من حبّهم .

واعلم أن أفضل الأعمال وأشرفها وسيلة هو محبة نبينا محمد ﷺ فإنها سبب لكلّ خير دنيوي وأخروي وحينئذ فعليك أن تكون ممّن امتلأ قلبه بحبّ النبي ﷺ . « منح المكية » .

وقال النبي ﷺ « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من نفسه وأبويه وأهله وولده والناس أجمعين » وفي حديث آخر « الآن كمل إيمانك يا عمر » حيث قال عمر يا رسول الله إني أحبك من نفسي وقال ﷺ « من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع الله والمرء مع من أحب » . وقال ﷺ « لي وقت لا يسعني فيه غير ربي » وعلى المرء أن يحبّ النبيّ ويتّبعه ويتّبع أولياء الله تعالى . « روح البيان »

« كل المسلم على المسلم حرام عِرضه وماله ودمه » . « فتح المبين » وفيه أيضاً بلفظ حديث « لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً » أي تعاونوا وتحابوا فيما بينكم . « فتح المبين » وأما محبة الصالحين سواهم فزين في الدنيا ونور في الآخرة . « مظهر » .

والرابطة عندنا محبة الأولياء والعارفين وربط قلوبنا عليهم وتخيّل صورهم برهة قليلة كأنهم عندنا ونحن عندهم ثم محبة النبي ﷺ وربط قلوبنا عليه وتخيّله كذلك ثم النظر إلى القلوب بترك التخيل المذكور وذكر الله تعالى بالقلب بالتفكر ليس إلاّ . فبعد أن ثبت هكذا أولاً محبة الله لرسوله بإتخاذه حبيباً ومحبة الرسول لربه تعالى ثانياً بحديثه ومحبة الصديق لرسوله ثالثاً بحيث لا ينفكّ عنه حتى في الخلاء بفنائه فيه وبعد أن ثبت عن النبي ﷺ بوقوف محبة الله تعالى على محبته ووقوف كمال الإيمان على محبته بحديثه . وكذا بعد أمره ﷺ بمحبة عباد الله بقوله « وكونوا عباد الله إخوانا » أي بتعاونهم وتحابّهم فتُدخِلوا محبَّتنا هذا في البدعة المذمومة كيف تُدخِلونها فليس في رابطتنا شيء أحدثناه واخترعناه إلا هذه المحبة المذكورة التى هي أفضل الأعمال ولا بأس لنا ببدعتكم إياها ولا لنا إلا اقتداء ربّنا ورسولنا في قولنا ولا في فعلنا هذا والحمد لله على ذلك غير إن كنتم تعلمون معنى الرابطة غير هذا وكيْفيتها دونها وتدخلونها في البدعة المذمومة وتظنون أنها رابطتنا فبيّنوه لنا لا عيب عليكم فوالله العظيم لا أريد أن أكون من المبتدعين الضالين وليس لنا رابطة غير هذا وإلا فالسلامة لكم في السكوت .

وإن كنتم تطلبون لمحبة الله تعالى ورسوله والصالحين دلائل سمعية غير هذه الأدلة ولا تكتفون بهؤلاء الأدلة لاجرم تحتاجون لغيرها إلى الأدلة من الكتب الأربعة ومن يطيقها لا فائدة في الكلام معكم فماذا نقول لكم وماذا تقولون اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين واغفر لنا من تضييع

الوقت بطول الكلام بعد علم الحقيقة . ولو لم يكن لكم عناد لكنتم صامتين وعن الغيبة معرضين أو كنتم تريدون علم حقيقة الطريقة والرابطة لذهبتم لدى من في يده زمامها كما هو دأب غير المعاندين غيركم وأيّ عناد وحسد أعظم من إنكار ما نقله أهل الكشف الصحيح الذين يغترفون أقوالهم من عين الشريعة الأولى ونسبتِهم إلى ضلالة وكفر يغفر الله لي ولكم أجمعين (وأنا الحقير القلزمي القاضي الضروري ببلات) .

واعلم أنك عاجز عن الإحاطة بفهم كلام جنسك من البشر فكيف لا تعجز عن فهم كلام رب العالمين **فلا ينبغي أن يفسر كلام الله تعالى إلا كُمَّلُ ورثة الأنبياء عليهم الصلاة السلام المبرئين من الهوى ومتابعته** تسلم من الشكوك والظنون والأوهام والدعاوى الكاذبة المضلّة عن الهدى وحقائقه . « أنوار القدسية » .

ونظرهم لحقائق الأمور ترى[1] . .

لا لظاهر معاني الألفاظ لأنها من العلوم الرسمية المجازية لا الحقيقية لأن العلوم عندهم ما لم يسبق إليها أحد سوى الله تعالى تدبّر ولا تعجلوا أيها العلماء المجازيون الذين ينكرون حقائق المعاني للكتاب والسنة الأصول . . إلخ . (منه) .

---

[1] للمخمِّس شعيب أفندي الباكني قدس سره .

فإن كنتم مقلّدين فدليلكم قول المجتهد ليس إلا وإن كنتم مجتهدين بزعمكم وتبطلونها ولا تجيزونها وتخالفون المجتهدين الماضين فتلك رحمة للعالمين ولا يختصّ العمل باجتهادكم فما ذا حصل بإنكاركم فلستم متبحّرين فضلاً [عن] مجتهدين ولستُمْ أتقياء فضلاً [عن] أولياء بل أنتم ونحن مقلّدون بل من بينهم مقصّرون ونحن وأنتم شهود لذلك فالسلامة لنا ولكم في السكوت والخروج عن الغيبة المذمومة وإعطاء القوس إلى أربابها ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ وليس علينا إلا اتباع أقوال المجتهدين والعارفين وإذا جاء الصواب ذهب الجواب . والسلام على من اتبع الهدى . انتهى ما كتبه ذلك العالم الفقيه الصوفي ببلات رزقه الله الاستقامة والتوفيق آمين .

وقد كان قد ذكر هاهنا أقوال العلماء من المذاهب الأربعة في إثبات استحسان الرابطة الشريفة مع بيان الكتب لكن لما كنت بسطت الكلام من قبل لم أُكرّرْ هَاهنا فالحمد لله الذي أوْجَدَ في عصرنا هذا مثله أطال الله بَقَاءَهُ وجزاه الله عن المسلمين خيراً آمين . فهذا والسلام وأصيكم بالدعاء . اللهم ربنا لك الحمد كما يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله وصحبه حقّ قدره ومقداره العظيم .

وممّا كتبه ذلك العالم ببلات القلزمي أبلّ الله مرقده بلطفه الخفي هذه العبارات الآتية قال رحمه الله وليس الوصول إليه تعالى بالهبوط والصعود

بل يكون العبد في التوجه إليه تعالى فانياً [١] عما سواه . « تحفة الأحباب الخالدية » .

وفلاح[٢] الدنيا هو الوصول إلى الله تعالى . « تحفة الأحباب » . ٤ . ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد لما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه فهو ممّن قال الله تعالى ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾[٣] . « إحياء » .

واعلم أن حفظ القلب عن دخول الخواطر ولو ربع ساعة أمر عظيم عند الصوفية لأن من قدر على ذلك فقد تصرف لأنّ التصرف هو القدرة على حفظ القلب عن دخول الخواطر فيه وتعطيله عن الأفكار فمن قدر على هذين الأمرين فقد عرف[٤] حقيقة قلبه ومن عرف حقيقة قلبه فقد عرف ربّه كما قال ﷺ « من عرف نفسه فقد عرف ربه » . « البهجة السنية » .

---

[١] وذلك الفناء بالرابطة وبالوقوف القلبي وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من ذاق يدري ومن لا فلا وقال تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾ .

[٢] فأهل الرابطة هم المفلحون يعني أن الرابطة وسيلة الفناء في الشيخ وهي مقدمة الفناء في النبي عليه السلام والفناء فيه عليه السلام مقدّمة الفناء في الله والبقاء بالله ومن فاز بهذا فقد فاز بالوصول والمشاهدة وأفلح . فافهم . (قحي) .

[٣] وبالرابطة نجاة من الفسق يعني أن الرابطة سبب الغيبة والذهول فإذا حصل له الغيبة عما سوى الله يحصل له النجاة عن الفسق فتدبر . (قحي رحم الله إفلاسه آمين) .

[٤] وبالرابطة معرفة قلبه وحفظه ولاَزِمه مذكور وثبت بهذا أن معرفة القلب بحفظ القلب عن الخواطر المتحقق بالوقوف القلبي وبمعرفته تحصل معرفة الله تدبر . (قحي) .

وحماية القلب عن وساوس الشيطان واجب وهو فرض عين على كل مكلّف وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . « إحياء » .

ومن داوم على المراقبة يحصل له دوام جمعية[١] الخاطر ودوام قبول القلوب ويقال له في اصطلاح الصوفية الجمع والقبول . « جامع الأصول »

والجمعية اجتماع الهمم في التوجّه إلى الله والاشتغال به عما سواه . « جامع الأصول »

واعلم أن المراقبة أصل كلّ خير وسعادة ونجاة ولا يصل العبد إلى مقام المراقبة إلا بعد محاسبة نفسه على ما مضى وإصلاح[٢] وقته الحاضر . « جامع الأصول »

والحضور وسيلة إلى المراقبة . « فتاوى عمرية » . والرابطة تجرّ إلى مراقبة ربّه . « جامع الأصول »

ومآل معاني القرآن كلها إلى شيئيْن[٣] حفظ آداب العبودية وتعظيم حقّ الربوبية . « جامع الأصول » .

---

[١] والرابطة عين الجمعية المذكورة يعني أن الرابطة سبب الحضور وجمعية القلب مع الله بالغيبة والذهول عما سواه تعالى فتدبر . (قحي) .

[٢] وبهذا ثبت أن تحقّق المراقبة المفسر بها بالإحسان الصادر من فم الرسول عليه السلام بتحقق الرابطة الشريفة (أي بحديث « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه » . . وإلخ . « قحي ») لأنّ بها إمساك القلب عن الغفلات الذي به إصلاح وقته الحاضر ولأن الغفلة والمراقبة لا يجتمعان في القلب فطرد الغفلة بالرابطة مقدّم على مراقبة الله تعالى . (هامش الأصل) .

[٣] وكلاهما في الرابطة . (هامش الأصل) .

فكيف[١] يشرق قلب مَنْ صُوَرُ الأكوان منطبقةٌ في مرآته أم كيف يرتحل إلى الله وهو مكبّد بشهواته أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهّر من جناب غفلاته « جامع الأصول »

واعلم أن مخالفة[٢] **النفس ومدافعة مرادها فرض عين وجهاد عظيم وأمر فخيم** قال تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ إلخ . وبالجملة فبمقدار أجنبيّته عن نفسه تحصل معرفته[٣] بربّه . « جامع الأصول »

وقد كان[٤] السلف يجتهدون في قطع الخلائق ورفع الشواغل والعلائق عن القلوب وفي تفرّغ القلب عن عوائقه ينتهي[٥] بفطرته إلى محبّة خالقه . « جامع الأصول » لأن التعطيل في حقّ القلب مفقود فإذا سدّ عليه طريق ما سوى الله فلا جرم يتوجّه إلى المطلوب . « رسالة »

---

[١] وقد ثبت في الوجه التاسع أن الغفلة معصية بل هو أصل الخطيئات وإذا ثبت أن الغفلة أصل الخطيئات فالرابطة المذهبة للغفلة أصل الحسنات . (هامش الأصل) .

[٢] ففي الرابطة مخالفة النفس . (هامش الأصل) .

[٣] فبالرابطة معرفة الربّ لأن بها مخالفة النفس . (هامش الأصل) .

[٤] فنحن على إثرهم بالرابطة . (هامش الأصل) .

[٥] وبالرابطة ينتهي القلب بفطرته الأصلية إلى محبّة خالقه لأن بها فراغ القلب عن العوائق . (هامش الأصل) .

وليس[١] من العبادة شيء أنفع من إخلاص القلب عن الخواطر . « جامع الأصول »

وقال تعالى ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ وعلامة السلامة من ذلك نسيان[٢] السوى فما دام له شعور بالغير فبعيد عن السلامة وقريب من الوقوع في الضيْر فمن سلّم أمره لمولاه فلا بد له من السعي حتى يتشرف بسلامة القلب والدخول في الرضوان . « جامع الأصول »

والغفلة معصية بل هو أصل الخطيئات فلا بدّ من الملاحظة[٣] لإحاطة الألوهية وعظمته في كل وقت وحين . « جامع الأصول » فإنَّ لكل وقت سهماً في العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية . « جامع الأصول » ٤٣ .

وصلاح[٤] القلوب ساعة أفضل من عبادة الثقلين . « جامع الأصول »

وقال الحصرمي جلسة[٥] خير من ألف حجة أراد جلسة بجمع الهمّ بوصف الشهود خير من ألف حجة بوصف الغيبة . « جامع الأصول » ١٢٤ .

---

[١] فالرابطة تخلص القلب عن الخواطر وتفرغه عن العوائق وتوصله إلى المطلوب فهي مفتاح الحضور الذي هو روح العبادة والمعبر عنه بالإحسان وبها عبادة الرحمن على طريق الإحسان . (هامش الأصل) .

[٢] وبالرابطة نسيان السوى وسلامة القلب والسعي له . (هامش الأصل) .

[٣] وتلك الملاحظة بالرابطة فيا بشرى من أدى حق الله تعالى في كل الأوقات . (هامش الأصل) .

[٤] فبالرابطة صلاح القلوب . (هامش الأصل) .

[٥] وجلسة الرابطة عين هذه الجلسة . (هامش الأصل) .

فحجاب[١] النفس عن كمالاتها العلمية إنما هو اشتغالها بالأمور البدنية والقوى العنصرية فحينئذ لا بدّ لمن أراد أن يعرف نفسه ويشاهد أنوار ربّه أن يجرّد نفسه عن التعلّق بالقوى البَدَنيّة والتقييد بالحواس الجسمانية . « جامع الأصول » ١٥٦ .

وإذا تذكّر القلب باطلاع الربّ[٢] أناب وقال تعالى ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾[٣] « طهارة القلوب » والمجاهدة[٤] منع النفس عن المألوفات وقال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ وعلاج[٥] النفس هو كفّها عما تريده من النقائص والغفلات حتى لا تقع فيه وتطهيرها عما وقعت فيه حتى يزول . « جامع الأصول » ١٦٧ .

وأفضل العبادات ما يوصل[٦] إلى الله تعالى . « جامع الأصول »

---

[١] فبالرابطة رفع حجاب النفس ومعرفة النفس ومعرفة الربّ لأنها تجرد النفس عن التعلق البدنية من ذاق يدري ومن لا فلا . (هامش الأصل) .

[٢] أي إطلاعه ونظره إليه .(قحيّ) . (هامش الأصل) .

[٣] والرابطة عين الإنابة . (هامش الأصل) .

[٤] والرابطة عين الجهاد . (هامش الأصل) .

[٥] فالرابطة علاج النفس ودوائها . (هامش الأصل) .

[٦] والرابطة سبب باطن للوصول إلى الله تعالى . (هامش الأصل) .

والتقوى[1] وصية الله تعالى للأولين والآخرين لقوله تعالى ﴿لَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فالمجاهدة في طلبها والقيام بحقّها والعناية في تحصيلها لَفِعْلٌ كبيرٌ وشأنٌ عظيم . « منهاج العابدين »

واعلم أن التقوى من أعظم أركان الدين وأجل مقامات السالكين وقد كرر الله تعالى في كتابه الكريم الوصيّة بالتقوى وهو عند أهل الحقيقة التنزُّه عما يشغل سره عن الحق والتبتل إليه . وقيل هو أن يجتنب العبد عما سوى الله . « جامع الأصول » ٢٦٧ .

وأما المعرفة فهي ما قطعك عن غير الله تعالى وردّك إلى الله . « جامع الأصول » ٥١٢ **وغاية المعرفة** دوام الحضور مع الله في جميع الأوقات . (منه) .

وحق **التوكل** صرف القلب عن كل شيء سوى الله .

وحقيقة الزهد فراغ القلب عما سوى الله تعالى . **وحقيقة الورع** إمساك العين عن التلذذ بالزهرات والنفس عن الشهوات والقلب عن الغفلات . « جامع الأصول » ٥٤٦ .

والمعرفة إنما تحصل بكشف حجاب النفس عن مرآة القلب وتصفيته . « طفل المعاني » ومن كان على مكارم الأخلاق كان على شرع من ربّه . « الأنوارالقدسية » **فالرابطة** عين المذكورات في الآيات وغيرها كلّها من

---

[1] ففي الرابطة حفظ وصية الله تعالى والمجاهدة في طلبها يعني إن حفظ العبد عما يخالف أمر الله تعالى وخَوْفه واتقاءَهُ عن سخطه عز وجلّ يكون بتوجه القلب إلى الله تعالى ومحبته إياه تعالى وكلها نتيجة الرابطة وهي وسيلة إليها فصارتْ أمر الرابطة شأناً عظيماً وفعلاً كبيراً فافهم . (قحي رحم الله إفلاسه) .

التوكل والتبتّل والمراقبة والمعرفة والتوكل والزهد والورع وكذا عين الحذر والفرار إلى الله وعين التوبة وقتل النفس والاصطبار وعين المجاهدة التي هي مقدمة الهداية وهل يجب ذكرها في القرآن والحديث صريحاً مع دخولها في الآيات المذكورات المأمورات بها واتحادها معها في مرادها ومع « من سنّ سنة » الحديث وأجاز عليه السلام استنان ما هو حسن وجعل فيه الأجر وحق أن يقال في المجادلين ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ ﴾ ﴿ أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ تَعۡجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضۡحَكُونَ وَلَا تَبۡكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعۡبُدُواْ ۩ ﴾ . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وبمشاهدة الله تعالى دون ما سواه يكون العبد ممتثلاً لقوله عز وجل ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ولقوله تعالى ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ فمن لم يره في كل شيء فقد رأى غيره وكل ما التفت إليه العبد سوى الله تعالى ضمن التفاته شيئاً من الشرك الخفي « إحياء » .

ولا بدَّ للعبد من امتثال أمر السيد والتأدب بآدابه وإلا فيكون سَيِّءَ الأدب يحجب ولايؤذن له في حضور المجلس والثبوت بالحضرة . « منهاج العابدين »

والحاصل أن قطع القلب عن العلائق المألوفة وقطع النفس عن العادات الراسخة لأَمْرٌ عظيم وعلاج شديد وحمل ثقيل فلذلك يفرّ عنه الطباع ولا يقبلها .

وقال هل تدري ما علاج من انقطع عن المعاملات ولم يتحقق بحقائق المشاهدة علاجه أربعة[١] . . إلخ . « جامع الأصول »

وصفاء القلب أن يصفي قلبه من الكدورات البشرية مثل الغفلات التي تحصل في القلب والخشية لا تكون إلا بعد انتباه القلب من نوم الغفلة وتصقيله[٢] . « طفل المعاني » .

وتصفية القلوب مأمور بها[٣] **بالأدلة الأربعة** . « فتاوى عمرية » . من أعظم أبواب الفتح يقظة العبد من غفلته . « طبقات » . ففي الرابطة مشاهدة الله تعالى وامتثال لقوله ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ ﴾ . . إلخ . وخروج من الشرك الخفي ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ .

وإذا صحّحت الرابطة وكملت تخرب خواطر القلوب وغفلاتها وتجردها عن التعلق بما دون الحق سبحانه وتعالى كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا﴾ الآية . فبالرابطة حفظ القلوب من الخواطر فصارت سبباً لحفظ أدب الله تعالى وواجباً وجوب **ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب** .

قال تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾ فوجب علينا حفظ أدبه ظاهراً وباطناً فالأدب الظاهر بحفظ الجوارح عن المعاصي والآثام والأدب الباطن بحفظ قلبك من خطور الأغيار سواء كان خيراً أو شرّاً فإنَّهُمَا في الحجاب سواء . « بهجة السنية » .

---

[١] فالرابطة علاج المشاهدة . (هامش الأصل) .

[٢] فبالرابطة رقة القلب وصفوته والخشية فالرابطة باب عظيم من أبواب الفتح (هامش الأصل) .

[٣] فالرابطة مأمور بها لأن بها تصفية القلوب (هامش الأصل) .

وقال تعالى « أنا جليس من ذكرني »[١] يعني ذكرني على وجه الأدب والحضور ولا يصل إلى حضرة الله تعالى إلا من صحبه الأدب والمراد منه انكشاف الحجب للعبد كأنّه بين يدي ربّه جل وعلا وهو يراه ومطلع عليه . فمتى أدام العبد هذا الشهود فهو جليس الله تعالى في حضرته الخاصة . « أدب المرضية »

وأما مهمّات المريد فأمور عشرة العاشر عمارة القلب بما يحييه بدلاً عن نقيضه وله أربعة[٢] أسباب **أولها** ذكر غربتك في الدنيا **وثانيها** ذكر مصرعه عند الموت . **وثالثها** ذكر وحشة القبر . **ورابعها** ذكر وقوفه بين يدي الله تعالى . فإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وإياكم وترّهات الباطلين الذين يئيّسونكم من الله ويعوّجون عليكم طريقكم فما هي إلا الفرائض المشهورة تؤدى والمحرمات المعلومة تترك والسنن المأثورة تتبع ومحبة الأولياء تؤخذ . « جامع الأصول » ١٦ .

وحصون القلب من الشر أربعة ارتباط القلب مع الله وبغض الدنيا وأن لا تنظر بعينك إلى ما حرّم الله وأن لا تنقل قدميك حيث لا ترجو ثواب الله .
« جامع الأصول »

---

[١] فأهل الرابطة جلساء الله تعالى يعني أن الرابطة وسيلة الحضور وذكر القلب وقد قال تعالى « أنا جليس من ذكرني » فافهم . (قحي)

[٢] والرابطة عندنا عمارة قلوبنا بالأربعة المذكورة ومحبة الأولياء ثم ربط القلب مع الله لا غير . (هامش الأصل) .

وأصل[١] **الدين التوقي من الشرّ** . « إحياء » .

وأهل[٢] **الله** فهم قوم جذبهم الله عن الشر وأصوله واستعملهم بالخير وفروعه وفتح إليهم سبل المناجات والهدايات وهداهم السبيل إليه فسلكوه ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ « جامع الأصول » ٤٦ .

وأما الشفاعة[٣] فاعلم أنّ الشفاعة انصباب النور على جوهر النبوة فتنبسط جوهر النبوة إلى الأنبياء والأولياء وتندفع الأنوار من الأنبياء والأولياء إلى الخلق . « جامع الأصول »

وأما الشرك[٤] **بالله** قال اتخاذ الأولياء والشفعاء دون الله ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ﴾ وقال عليه السلام « اشفعوا تؤجروا في حقٍّ بحقٍّ » . « جامع الأصول » **ماء القدس**[٥] هو العلم الذي يطهّر النفس من دنس الطباع ونجس الرذائل . « جامع الأصول »

---

[١] فالرابطة أصل الدين وحصن القلب بارتباطه مع الله .

[٢] فأهل الرابطة أهل الله . (هامش الأصل) .

[٣] ورأس مالنا كلّه بالرابطة الشفاعة المذكورة ونحن نُحقها ولا نبطلها .

[٤] ونحن نعلم الشرك المذكور ولا نتخذه ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ .

[٥] وهذا أليق الأسماء بالرابطة وإنما سمّيت بذلك . فطوبى لمن شرب منه ودام ولم يقطع عنه . ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ .

وقال ذو النون **الصحبة**[١] **مع الله بالمرافقة ومع الخلق بالمناصحة ومع النفس بالمخالفة ومع الشيطان بالعداوة** . « جامع الأصول » ١٤٨ . والصحبة[٢] مع الله فريضة . « طبقات » .

والطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق[٣] ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ « وكل مُيَسّرٌ لما خُلِقَ له » فلا ينبغي لأحد أن يعترض على أحد فيما هو منسوب إلى الحق . « الأنوار القدسية »

والغاية القصوى من سرّ الإيجاد إنما هو التحقّق بكمال الإيمان والإسلام المعبّر عنه بحقّ اليقين المحقّق لدوام العبودية على طريق الاستهلاك « جامع الأصول » ١٧٦ .

فأهل الرابطة في خوف من الله ونظَر إلى نفوسهم وحذر منها وفي فرار إلى الله تعالى وتوبة إليه تعالى وقتل في نفوسهم واصطبار بالعبادة بالرابطة والمراقبة على ما أمرهم الله تعالى في الآيات المذكورات . فهل يستوي من عمي قلبه عن طريق الرجوع إلى مولاه ومن وُفّق فأبصر الطريق وسلكه

---

[١] فبالرابطة صحبته مع الله ومخالفة النفس وعداوة مع الشيطان ومن يطيق . .

[٢] وكل ما يتوقف عليه فرض فهو فرض فالرابطة فريضة . وحكم الرابطة في الدين كالدهن في اللبن وكالماء للسمك . هذا آخر الكلام في حقها ولا يطاق بكتبتها الأقلام . فهل بقي بعد علم المذكورات كلها إشكال مّا على ثبوت الرابطة في ديننا المتين وعلى كونه من مهمات المسلمين لحصن قلوبهم من الشرّ وارتباطها مع الله كلاّ لا ينكر ذلك إلا من عدم عقله أو غلب عليه هواه وجهله . ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ .

[٣] والرابطة طريقة من الطرق إلى الله تعالى وفي ضمن دوام الحضور معنى دوام العبودية ففي الرابطة دوام العبودية .

وهل يستوي الغافل والذاكر وهل يستوي من هو مع نفسه ومن هو مع الله وهل يستوي الإعراض والإقبال وهل يستوي الهجران والوصال وهل يستوي الأعمى والبصير وهل يستوي الظلمات والنور فامنن علينا يا ربنا باشتغال القلب عن كل شيء دونك واغفرلنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيا ندامة من أنفق أيامه في ذكر لَيْلَى وسُعْدَى ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ ويا خجلة من نظر إليه مولاه وقد أعرض عن المراقبة ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ فسبحان من بيده الهدى والضلال . (ببلات القلزمي) .

كيفيّة الرابطة

وإن أردتم بيان كيفية الرابطة التي يتوسّل بها الصوفية إلى الله تعالى فأوّلاً يقول **إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي** متوجهاً إلى القبلة على طهارة كاملة طاهرة ثم يتوجَّه إلى طهارة باطنة أي إلى تطهير الباطن بإتيان الشهادتين ثم الاستغفار خمسة عشر ويقرأ سورة الفاتحة مرة وسورة الإخلاص ثلاثاً والمعوذتين مرة ويهدي ثواب مثل المذكورات إلى روح النبي ﷺ وأهله وأصحابه أوّلاً ثم إلى أرواح مشائخ النقشبندية كلها ويدعو إلى الله تعالى بقبول توبته وبإيصال بركاتهم وفيوضاتهم ثم تفكّر الموت والقبر والقيامة وأهوالها كأنه مات وكفّن ودفن وليس له ملجأ من الله إلا إليه مغمضاً عينيه متذلّلاً بين يديه على مقتضى قوله « موتوا قبل أن تموتوا » و« حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا » و« عُدَّ نفسك من أهل القبور »

ثم ربط القلب بمرشد الرابطة وسلسلته ورسوله كأنه حاضر في مجلسهم وناظر إليه برهة قليلة على مقتضى ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ جسماً إن أمكن أو روحاً إن لم يمكن على وجه المحبة الكاملة ويلاحظ انصباب الفيض من الله إلى قلب الرسول عليه السلام ومنه إلى السلسلة ومنها إلى قلب أستاذه في الرابطة ومنه إلى قلبه ثم ينظر إلى القلب بنفي الخواطر كلها وربطه بالله تعالى كأنه ناظر إليه على مقتضى « كأنك تراه » ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾ وكأنّ القلب ينطق بلسان القلب بلفظ اسم الذات (الله) ويستمرّ على ذلك فانياً في الله وناسياً سواه حسب الطاقة ويقول في آخرها **إلهي أنت مقصودي ورضاك**

مطلوبي انتهى كيفيتها . وقد قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ أي ليعرفونِ .

والمعرفة ما قطعك عن غير الله ودوام مناجاته في السرّ . وغاية المعرفة دوام الحضور مع الله في جميع الأوقات . والمعرفة فعل القلب والتبتُّل إلى الله بانقطاعه عما سوى الله بالتوجه إليه والمراقبة والحضور معه في أيّ حال كان قال عليه السلام « لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل » .

والعبودية لله تعالى ثابت على العبد دائماً غير مختصّ بوقت دون وقت ولكل وقت سهم في العبودية يقتضيه الحقّ منك بحكم الربوبية فلا بدّ لك من الملاحظة لإحاطة الألوهية وعظمته في كل وقت وحين بردّ الجوارح كلّها إلى ما خلق له وخاصة بردّ قلبه إلى الله تعالى الذي هو ملك الأعضاء كلّها فرابطتنا هكذا ورأس مالنا بالرابطة ربط قلوبنا آخراً على الله تعالى كما ذكر في الترتيب وتعمير أوقاتنا كذلك بإصلاح قلوبنا وتطهيرها عن الخواطر .

وأفضل العبادات ما يوصل إلى الله وبمقدار أجنبيته عن نفسه تحصل معرفة ربّه وأهل الرابطة يفعلونها دائماً حسب طاقتهم ليتوسّلوا بها إلى رابطة الصلاة وهي « أن تعبد ربك كأنّك تراه » إلخ . فمن ظفر في هذه الرابطة خللاً مَّا للدين فَلْيُصْلِحْهُ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ وإن ظنوا أنهم من المصلحين وكذا بيّن لكم مقصود الطائفة العلية من الرابطة وما يقولونه في ثمراتها هو طرد الغفلة ودفع الظلمة عن القلب وإبعاد وساوس الشيطان عنه وجمع القلب مع الله تعالى والحضور معه وكذا يقولون أن روحانية الكاملين

منبع الفيوضات فمن أدخل المنبع في قلبه ينال الفيض البتة وتتصرف فينا الروحانية وتفيض علينا من الكمالات الإلهية والتجليات الربانية وتبلغنا إلى الحضرات العلية وببركة صحبتهم توصلنا إلى صحبة الله تعالى وعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة وأن طريقتهم طريق الانصباغ والانعكاس بكمال ارتباطهم حبّاً مَنْ ذاق يدري ومن لا فلا .

وإذا لم تر الهلال فسلّم لأناس رأوْه بالأبصار غير إنْ لم يكونوا صادقين في الواقع فيما يقولونه هذا ولم ينتفع لنا بالرابطة كما يقولون . فما المانع من الرابطة المحضة على الكيفية المذكورة بيّنوا لنا ذلك . ثم اعلموا أنّ هذه الرابطة إنما يحتاج إليها السالك قبل أن يقدر على ربط القلب بالله تعالى بلا واسطة الرابطة هذه فإذا قدر عليه تسقط الرابطة ويشتغل بربط القلب على الله تعالى بلا واسطة وهذه معلوم ومشهور لدى أهل الرابطة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . (ببلات) فتدبره .

فهرس

السفر الأسنى

في الرابطة الحسنى

أَلَّفَهُ

العلامة الجليل المرشد

حسن بن محمد حلمي القحي النقشبندي الشاذلي الداغستاني

المتوفى سنة ١٣٥٦هـ

دار الرسالة

داغستان - محاج قلعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزَّل الكتاب ، ولم يَذَرْ[1] رَطْباً ولا يابساً ولا شيئاً ممّا كان ويكون إلاّ أدْخل فيه ، والصلاة والسلام على محمد الذي نزّل إليه ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ؛ فيقول الفقير حسن القحيّ رحم الله إفلاسه . آمين :

سبب تأليف الكتاب

قد ورد إلينا كواغذ من طرف واحد من طلبة العلم الذي كان في سَالِفِ السنين في دائرة طريقتنا ، والحال أنّه ينصحنا وينصح سائر المسلمين بما عنده من العلم ، وإن كان ما يعلمه من جملة ما لا يفهمه ، وهو عند أرباب العلم اليقينيِّ من المشتبهات .

فكتب أوّلاً : بأن زيارة قبور الصالحين ممّا لا يجوز ، والزوَّار مشركون ، وكتب له نقلاً ممّا قاله ابن القيم ، (تلميذ ابن تيمية) في « إغاثة اللهفان في بيان مصائد الشيطان » ، مع أن ذلك خلاف النقل والعقل . وأطبق علماء الأمة من المذاهب الأربعة على ردّ ذلك القول الظاهر الخطأ .

وأخذ أيضاً من ذلك القول : أن رابطة أهل التصوف عين ما قاله ؛ من أنَّه مشرك بذلك ، وأيّد قوله أيضاً بما في « المجالس الإرشادية » بأنّ رابطة الصوفية خطأ . والحال أن مؤلّفه إنما قال ذلك لعدم علمه معنى الرابطة في اصطلاحهم ، ولو علم لما قال ذلك ، بل كان يقول بحسنها واستحبابها .

---

(١) أي : لم يترك . (هامش الأصل) .

وكتب أيضاً على قول القطب عُبَيْد الله الأحرار في تفسير قوله تعالى ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾[1] : أن تفسيره تفسير بالرأي ؛ مع أن ذلك التفسير قد صرّحه غيره قدس سره .

وكتب - أيضاً على قول قطب الأنام خالد البغدادي قدس سره وتفسيره لقوله تعالى ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ : بأن الرابطة من أقرب الوسائل :- أن المراد منه ليس ذلك ، بل هي الطاعة والعبادة ؛ مع أنّ غيره من أصحاب التفسير عَمَّه ، والرابطة تدخل في العموم[2] ، وقد جعل « الصاوي » تلك الآية حجَّة على من يمنع التوسل وزيارة أولياء الله ، ويَزْعُمَ أنَّ زيارَتهم من عبادة غير الله .

وكتب أيضاً بأن الاستدلال بأقوال العلماء عبث لا فائدة فيه .

---

(١) بل الحضور المعنوي من منطوق لفظ (مع) في قوله تعالى : ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ إذ ثالث معاني (مع) مرادفة (عند) وهي تكون للحضور المعنوي كما تكون للحضور الحسي . قال « مغني اللبيب » : الثالث مرادفة (عند) . انتهى . وقال أيضاً : **عند** - اسم للحضور **الحسي** نحو : ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ ﴾ ، **والمعنوي** نحو : ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ ، **وللقرب** كذلك نحو : ﴿ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾ إلخ العبارة .فليتأمل من ينكر الاستنباط . (هامش الأصل) .

(٢) نظير قوله تعال ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ فقال ﷺ : ما ذكره الشيخ أبو الحسن وغيره من الصوفية في المكالمة حقّ لا شك فيه ، ولا يعارض ذلك الآية الشريفة **إذ لا حصر فيها** « إبريز » .

ونحن نقول في هذا ؛ أي : كلام الله العام وأمثاله : إن الكلام يكون عامّاً ، ونشاشيب النور التي تكون فيه تخصّ بعض أفراده دون بعض ، فالعارف إذا سمع اللفظ العامّ نظر إلى تلك النشاشيب ، فإن رآها نزلت على فلان وفلان وزيد وعمرو فقط علم أنهم المرادون فقط دون غيرهم ، فلا دخول له فى الكلام ، وإن كان اللفظ عامّاً ونظر إلى النشاشيب فرآها نزلت على جميع الأفراد ولم يشذ منها فرد علم أن الجميع مراد . **قلت** يشير ﷺ إلى العام الذى أريد به الخصوص والعام الذى بقي على عمومه « إبريز » عبارته ١٥٦ . فمن له علم بالخصوص والعموم كما ذكر يصحّ له التكلم على كلام الله تعالى العام . فيه فيه فيه أنّى ذلك ؟ ! (وأنا الحقير القاضي ببلات) .

وكتب أيضاً : إنّي لا أقبل شيئاً ممّا لا دليل عليه من الكتاب والسنة ، وإن أطبق على استحسانها من على وجه الأرض .

وكتب أيضاً : أني لا أتّخذ العلماء والمشائخ أرباباً أطيعهم في كل ما أمروا به ، وأَنْتَهِي عن كل ما نهوا عنه إلى آخر ما قاله من الكلام الذى لا يصدر من فم رجل له عقل سليم .

وأخبرني الثقاة : أنَّ هذا الرجل قد قام لإبطال ما يفعله أهل الطريقة ، ويمنع الناس من اتباعهم ، وقد صدقوا فيما قالوه ، فإنه كتب إليّ أيضاً ما معناه : بأنّه ليس للطريقة النقشبندية دليل من الكتاب والحديث ؛ مع أنّها هي عين الشرع ، ولبّ الكتاب والحديث كما قالوا .

وإذا كان الأمر كذلك : قصدتُ لكتبة كتابٍ حافلٍ لجميع أقوال العلماء المشيَّدة بنصوص الآيات والأحاديث ، لكن لمّا استخرتُ الله تعالى في ذلك وَقَعَتْ الإشارةُ بقوله تعالى ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾ فأعرضت عن ذلك ، ظنّاً مني أن تلك الآية إشارة إلى عدم حصول المنفعة له بأقوال العلماء التي كنت قصدتُ جَمْعَها .

ثم إني لمّا سمعتُ ما يحصل لأهل الدين من الضرر بأقوال هذا الرجل- عفى الله عنه آمين- ورأيت كلامه يخدِش كلامَ الأكابر ويضرّ أرواحَهم ، شمّرتُ الزيل لكتبة ما يرُدّ أقوالَه وينصر أقوالَهم .

وقد طلب منّي إخوانُ الدين جمعَ رسالة في حقّه وحقّ ما يقول إخوانه الناصرون ، لانتشار بدع المبتدعين ، فوجب علينا النصرة والإمداد للسادات ، امتثالاً بأمر الله في قوله ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ الآية .

وأرجوا الله تعالى أن يكون سعيي محضاً لوجهه ، وأن يغفر منّي ما كان فيّ من حظ النفس وأنا لا أشعر ولا أعلم ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

تسمية الكتاب

وسمَّيْتُ هذه الرسالة بـ« **السفر الأسنى في الرابطة الحسنى** »[1] جعلها الله تعالى سبباً لنزول المواهب اللدُنيَّة على قلوب أهل الإرادة والإنابة ، ولا جعلها سبباً لزيادة الحسد والعناد في هذه الطائفة العلية ، وعفى الله عنّا وعن جميع الأمّة المحمديّة ، آمين .

الشروع في المقصود

اعلم أيها الولد ، قد كنتَ أوّلاً صرتَ من أحبابنا ، بل من جملة إخواننا من الرضاع المعنويّ ، وولداً مقبولاً من النسب الروحيّ ، فما حَمَلَك على هذا العقوق والتقدُّم من بين العلماء على الإنكار بما كان يفعله أصحاب طريقتنا ؟ ! وكنّا نقتدي بأثرهم ؛ لا نزيد ولا ننقص شيئاً ممّا بيّنوه وصرّحوه في كتبهم ، وأمرونا باتباعهم في ذلك .

ألم تر شيئاً ما في الخلق منكراً في الشرع غير هذا ؛ لتنصحَهم ، وتكون آمراً لهم بالمعروف ، وناهياً عن المنكر بدل هذا ؟ ! ولا أرى منك هذا الالتجاءَ إلا أن الشيطان سوّل لك سبيله ، فاتَّبَعْتَ مكره ومكائده ، فلو تدبَّرت لتنبَّهت ، وإلا تكون مُعِيناً وناصراً للشيطان ، وتفرّحه ويسخط عليك أهل العرفان . فالعياذ بالله .

أيها الولد ؛ فهل تظنّ أنك أعلم بالكتاب والسنة ومعانيها من العلماء المتقين الماضين ، والأئمة والأقطاب المجتهدين ، الذين يعلمون العربية ومعاني الآيات والأحاديث التي هي بِلُغَتِهم ؟ فحاشا ذلك ثم حاشا ! فالتفرُّد عن أولئك القوم ، والالتجاء إلى إنكارهم ، لا يكون أصلاً إلا ممّن ليس له عقل سليم وطبع صحيح ، وقد صرَّحت آيات القرآن بالاتباع ؛ قال الله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ ، وقال ﴿ قَالَ لَهُۥ

---

(١) السِفْرُ : بالكسر ، الكتاب . « مختار الصحاح » . (هامش الأصل) .

مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ ، وقال ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ ، والقرآن من أوّله إلى آخره ناطق بذكر الصالحين والأمر باتباعهم ، وأما أنت فقد صرّحت بعدم إطاعتك إيّاهم ، وذا منك رؤيتك نفسك خيراً منهم ، والحال أنّ إبليس إنما لُعِنَ بقوله : أنا خير منه[١] .

وقد قيل : **إنّ من رأى نفسه خيراً من فرعون فهو متكبِّر** ، والله لا يحبّ المتكبرين . فهلاَّ صبرت حتى تسأل علماء الطريقة والحقيقة عن معنى الرابطة في اصطلاحهم ؟ !

مهم

فينبغي لك أن تعلم أن معنى الرابطة ليس إلا تخيُّل صورة الصالحين بمحبَّتهم ، وسؤال الله تعالى بإيصاله ما رزقهم بفضله من نور معرفته وذكره ، بل هو دعاء محض والحبّ في الله لا غير ، والدعاء عبادة ، بل هو مُخّها كما ورد[٢] ، وقد قال الله تعالى ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فصار السؤال والدعاء بهذا النصّ امتثالاً بالأمر ، وقال تعالى ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ﴾ إلخ والاتباع صار أيضاً امتثالاً بالأمر أيضاً ، ولا يخفى **أن قلب التابع لا يخلو عن تخيّل المتبوع وقت المتابعة** . وذلك التخيل من اللوازم ، لأنه إذا لم يتخيل التابع المتبوع في حالة المتابعة لا يعدّ ذلك اتباعاً أصلاً ، بل يكون عبثاً . ألا ترى أن من توضّأ بنيّة التبرّد ، بغير نيّة المتابعة بالنبيّ عليه السلام لا يكون ذلك اتّباعاً ، ولا يثاب عليه كما بيّنه الفقهاء[٣] !

---

(١) كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم بقوله ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ .

(٢) بقوله ﷺ : « الدعاء مخ العبادة » أخرجه الترمذي عن أنس ﷺ .

(٣) أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن نسبغ الوضوء صيفاً وشتاءً امتثالاً لأمر الله ، واغتناماً للأجر الوارد في ذلك في الشتاء ، ولأنه ربما استلذّت الأعضاء بالماء البارد في الصيف فيبالغ المتوضئ في الإسباغ لحظ نفسه ، فينبغي أن يتنبّه المتوضئ لمثل ذلك=

وقد اعترضتَ أيها الولد على القطب المشهور عبيد الله الأحرار على ما فسّره لقوله تعالى ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ واستدلاله به لإثبات الرابطة ، وقلت : بأنّ معناه كونوا مصاحبين لهم في الغزوات وسائر الأعمال . أللهمّ نَعَمْ فنَعَمْ ، هذا التفسير أيضاً حجة عليك ؛ لا لك ، لأنّ كون المريد مع الشيخ الصادق في الجهاد الأكبر الذي هو القتال مع النفس الأمّارة التي هي الصنم الأكبر في الحقيقة ، واتّباعه به في الأعمال الصالحات والأخلاق المرضيات الإلهية التي أمر النبيّ عليه السلام بقوله : « تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللهِ »لا يتصوّر أصلاً بعدم تخيّله وتفكّره ، وتصوّره ومحبّته ، كما لا يخفى على عاقل سليم الفطرة ، وذا عينُ الرابطة .

وأيضاً تفسيرك لقوله تعالى ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِـيلَةَ ﴾ هي الطاعة والعبادة ، هو أيضاً حجّة عليك ؛ لأنّ السؤال والدعاء بأن يرزقه الله تعالى الفيض الإلهيّ ، ونور المعرفة ، والذكر الذي أفاضه الله سبحانه إلى قلب وليّه عبادة ، وتخيّله حينئذٍ لازم ضروريّ ، وذا أيضاً عين الرابطة في اصطلاح الصوفيّة .

وسيأتي إن شاء الله تعالى ما يؤيّد ذلك من أقوال العلماء ، وما قاله جماهير المفسرين في قوله تعالى ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ الآية ، من كونه دليلاً صريحاً للرابطة[1] .

=ويسبغ امتثالاً للأمر لا لاستلذاذ الأعضاء بالماء . وهذا سرّ أمر الشارع لنا بالوضوء ، ليقول العبد لنفسه إذا استلذّ بالماء في الصيف ، وادّعت أنها مخلصة في ذلك : إنما هذا لحظ نفسك بدليل نفرتك من إسباغ الوضوء في الشتاء ، فلو كان إسباغك الوضوء في الصيف امتثالاً لأمر الله لكنتِ تسبغين ذلك في الشتاء من باب أولى ، لأنه [أي : الشارع] وعدك بالأجر عليه أكثر . وهذا الأمر يجري مع العبد في أكثر المأمورات الشرعية ، فيفعلها العبد بحكم العادة مع غفلته عن امتثال الأمر ، وعن شهود الشارع ، فيفوته معظم الغرض الذي شرعت تلك الطاعة له ، وهو الفوز بمجالسة الشارع في امتثال أوامره واجتناب نواهيه . انتهى « لواقح الأنوار القدسية » ص ١٥ . (هامش الأصل) .

(١) قال ابن عباس : مَثَلَ له يعقوب فضرب صدره فخرجت شهوته من أنامله . تفسيره « الجلالين » .

ورد في الحديث : « [مَثَلُ] المُؤْمِنِ مَثَلُ النَخْلَةِ ، مَا أَخَذْتَ مِنْهَا مِنْ شَيْءٍ نَفَعَكَ » . قال العزيزيّ : وجه الشبه بينهما : أن أصل دين الإسلام ثابت ، وأن ما يصدر عنه من العلوم والخير قوت للأرواح مستطاب ، وأنه لا يزال مستوراً بدينه ، وأنه ينتفع بكل ما يصدر عنه حيّاً وميّتاً . انتهى عبارته من « السراج المنير » ٢٧٧ .

وقال أيضاً : **فمعاشرة المؤمن الكامل الإيمان تنفع في الدارين** . انتهى .

فينبغي أن يعلم أنّ تلك المعاشرة تكون بالجسم ، كما إذا كان المتعلم أيضاً يقرأ الدرس على أستاذه ، ويسمع قوله ، ويتصوَّر صورته ، وتكون أيضاً بالرّوح ، كما إذا كان يطالع درسه ويقرر علمه ، وينظر ويتفكّر فيما قاله ابن حجر ، أو المحلي ، أو الرملي مثلاً ، والحال أنّه يتخيّل فيهم ، ولا ينفكّ خاطره عن تصوّرهم ، وطلب إفاضته تعالى ما أفاضهم من العلوم[1] ، فهذا أيضاً عين الرابطة . ومن يدوم على هذا في

---

(١) ورأيت في « الفتاوى العمرية » ما حاصله : أن الحكماء الفلسفية كانوا يلقّون العلوم العقلية ، كالمنطق والحكمة إلى الطلبة بتوجه الأستاذ إليهم وإلقاءها بالهمَّة إلى قلوبهم بعد رياضة تامة ، فاذا ثبت هذا من الكفرة فلا مجال للإنكار على ثبوت التصرف ونفع التوجه من قلوب أولياء الله تعالى والعلماء العارفين في قلوب المريدين ، بل معلوم عند كل أحد من الجهلاء فضلاً عن العلماء نفع التوجه والنظر الظاهري ، لأنّ المتكلم إذا ألقى الخطاب إلى المخاطب بالمواجهة لا بالمدابرة له تأثير عظيم ، ألا يُرَى أن الطلبة ينظرون ويتوجهون إلى وجه الأستاذ وفمه حتى يقرّر الدرس ، فلو كان يقرّر الدرس ، بالمدابرة لما يجلس في درسه أحد ، وهذا بَدِيهيّ . فافهم جدّاً . انتهى ملخصاً ، فراجعه . وفي « تبصرة الفاصلين وحجة الواصلين » للزهدي قدس سره : وأما الخواطر التي تجيء للإنسان حال كونه في الصلاة من صور الممكنات ، بإرادته وبغير إرادته من غير قصد عبادة لها ، فما قال أحد من الفقهاء مثلها تفسد صلاة المصلي ، ولا قال يحرم ، بل مثلها معدودة من التكليف ما لا يطاق ، وأما المفسد اتخاذ واحد معيّن معبوداً لنفسه ، وإحضاره في نفسه لقصد العبادة له ؛ وذلك الاعتقاد والنية مخرج عن الدين ومبطل للعمل ، وظاهر الشريعة لا يحكم بالكفر ، بل هو منافق . وأما الصلاة إلى وجه الإنسان فمكروه للمشابهة=

كل حالة وقت المطالعة إلى الكتب ، ولا يَعدّ ذلك من الشرك ، بل يحسّنه ويحمده ، ومع ذلك ينكر أهلَ الله على تخيّل صورة متبوعهم الذي تخلّق بأخلاق الله ، واتبع رسوله وفَنِيَ في التوحيد ، وحصل له الشهود الذاتي ، وبقي بالله ، ويصرّح بأنه شرك ومذموم ، فعساه لم يدرك حقيقة معنى الرابطة في اصطلاح العارفين ، وأنّ ذلك منه صلابة في الدين .

وأرجوه أنه لا يستقرّ فيما ظنّه من الشبهة ، بل يرج إن شاء الله إذا ظهر له الحقيقة ، ولا يليق بعاقل أن يخرج من اتباع أقوال العلماء والأئمة المتقين ، والفقهاء الصالحين ، الذين عِلْمُنا بالنسبة إلى علومهم كذرّة بالنسبة إلى العرش وما فيه .

صرّح ابن حجر في « الفتاوى الكبرى » بوجوب اتباعهم . وقال بعد كلام في غير هذا بما لفظه : فيجب الأخذ بأقاويلهم ، **لأنهم عَلَمُ الأمة ، واختيارهم لنا خير من اختيارنا لأنفسنا ، ومن خالفهم متّبع لهواه** . انتهى . فراجعه ٢٠٣ ج١ .

و في الحديث : « اِقْتَدُوا باللذَيْن مِنْ بَعْدِي ؛ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمّارٍ ، وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ » أي : عبد الله بن مسعود .

وفيه : « اِتْبَعُوا العُلَمَاءَ ، فَإِنَّهُمْ سُرُجُ الدنيا ، وَمَصَابِيحُ الآخِرَةِ » .

=لا إلى جنبيه . وفي غير الصلاة من العبادة كالتدريس والوعظ والنصح والخطبة وكتعليم الذكر وتلقينه فالمواجهة من الطرفين مستحبة لأجل الإفادة والاستفادة ظاهراً وباطناً ، **والرابطة من المريد لاستفادة النسبة الباطنيّ والمعنويّ لا لشيء آخر** . وشرط الاستفادة التوجه التام وجمع الخاطر بالاهتمام ، وبهما ينفتح باب الإفادة وبعدمهما ينسدُّ . انتهى عبارته . وأثبت الزهدي فيه استحسان الرابطة بدلائل من الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، لكن كتبة جميعها في هذا المختصر صعب ، فمن أراد أن يعلم الحقيقة فليراجع إليه ، وذا كتاب نفيس . (منه) .

ومع هذا صرت تنكر السواد الأعظم ، من الأمّة المحمدية الذين أمر النبي عليه السلام بالكون معهم بقوله : « عَلَيْكُمْ بِالسَوَادِ الأَعْظَمِ » ، وقلتَ : والاستدلال بأقوال العلماء والمشائخ عبث لا فائدة فيه ، وصرت داخلاً بلا ريب في دائرة قوله عليه السلام : « مَثَلُ الذِي يُعِينُ قَوْمَهُ عَلَى غَيْرِ الحَقِّ مَثَلُ بَعِيرٍ تَرَدَّى[1] وَهُوَ يُجَرُّ بِذَنبِهِ » قال العزيزي : معناه : أنه وقع في الإثم وهلك ؛ كالبعير إذا تردّى في البئر فصار ينزع بذَنَبِهِ ، ولا يمكنه الخلاص . انتهى عبارته ١٧٧ ج٣ . وقال الحفني : أي لكونه تردى بمقدم بدنه ، فلا يمكنه الخلاص ، لأن الذنب لا قوّة له على جذب جميع الجثّة . انتهى عبارته .

وقال العزيزي في تفسير حديث : « مَثَلُ الجَلِيسِ الصَالِحِ وَالجَلِيسِ السُوءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ المِسْكِ وَكِيرِ الحَدَّادِ » . . . إلخ . وفي الحديث النهي عن مجالسة من يُتَأَذّى بمجالسته في الدين والدنيا ، والترغيب فيمن ينتفع بمجالسته فيهما . انتهى عبارته ٢٧٥ .

---

(١) عن ابن مسعود عن النبي ﷺ « من نصر قومه على غير الحق فهو كالبعير الذى تردى فهو ينزع بذَنَبِهِ » « مصباح » . تردّى : إذا هلك ، قال الخطابي معناه : وقع في الإثم وهلك كالبعير وقع على رأسه فينزع بذنبه ؛ أي : ينزع الناس ذنبه ليخرجوه من البئر . « مفاتيح » عبارته . تردّى في البئر ؛ أي : وقع فيها منكوثاً ولا علاقة لإخراجه إلا ذنبه . وقيل : القوم كالبعير المتردّى وناصرهم على غير الحق كذَنَبِه . قوله عليه السلام « على غير الحق » يخرج الناصر بالحق بالمفهوم ، وسيأتي المنطوق بذلك . (تذكرة الفقير علي العوري) .

* قال النبي ﷺ « إياكم ومحدثات الأمور فإنّ كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة » . وهذا وأمثاله أحاديث البدعة يستدلّ المنكرون بها لإبطال الرابطة ، وقد فتحوا أفواههم بهذه العلل الغير المستلزمة للمعلول ، والحمد لله على ذلك . أيها المرشد الحقيقي حسن أفندي القحي فإنهم يصطادون العَنقاء ونحن نأكل الحلواء ، وليكن منك النظر والدعاء إليّ بالعلم والعمل ، فأمر المنكرين سهل عليّ إن شاء الله تعالى ، هذا والسلام . (وأنا الحقير القلزمي القاضي ببلات) .

فتفكر أنت أيها الولد ؛ أنّ أرباب الطريقة أخذوا أصولهم من الكتاب والسنّة ، وأنهم لا يجوّزون شيئاً مّا يخالفهما أصلاً ! وقد كان الإمام الشافعيّ والإمام أبو حنيفة وغيرهما يتواضعون لأهل وقتهم ، ويتبرّكون بهم ، كما هو مذكور في كتب الشعراني ، وإنَّ الإمام الرباني قدّس سرّه هو الذي قيل في حقّه : إنّي لا أرى في هذه الأمة مثل الإمام الرباني . وهو المجدِّد الألف الثاني القائل : بيني وبين مجدّد المائة من الفرق ما بين المائة والألف ، صرّح في « مكتوباته » بالرابطة ، واستحسنها . وغيره من العارفين والعلماء العاملين قالوا بحسنها . وسأذكر لك إن شاء الله تعالى أسماء من يقول باستحبابها ، مع بيان الكتب .

واعلم أيها الولد ، إن كنت تزعم الاجتهاد ، وأنت تعرف معاني الآيات والأحاديث ، منطوقها ومفهومها ، فما أعظم قلّة عقلك ، وخرافة ذهنك ؟ ! ألم تدر أنّ العلماء ، بل العوام الذين هم كالهوامِّ يضحك عليك ، وتصير عندهم ذليلاً لا حرمة لك عندهم ؟ ! لما أنك صرّحت كلاماً لو ألقي في البحر لتكدّر ، ورددت أقوال الأغواث والأقطاب ، كخالد البغدادي الذي تضلّع بجميع العلوم العقلية والنقلية ، وقد صرّحوا في مناقبه أنّه كان يقوم له خمسمائة عالم بأرجلهم ، يخدمونه ويحترمونه ، وكان في زمانه يقطع الحجّة في كل العلوم ، ولا يساويه في البحث أحد من علماء وقته ، وقد عَدُّوا من أجلّ كراماته التي لم تحصل لأحد غيره من قبلُ ، ومن بعدُ إطاعة[1] علماء الظاهر له .

وفضل الغزالي والشعراني والسيوطي والرازي وغيرهم من أكابر العارفين الذين استحبّوا واستحسنوا التوسّل بالأنبياء والصالحين والرابطة بهم للاستفاضة مشهور ، غنيّ عن البيان ، ومخالفة هؤلاء مخالفة السواد الأعظم من الأمة المحمّديّة .

---

(١) مفعول عَدُّوا . فافهم . (هامش الأصل) .

دعوى الاجتهاد

قال السيد الشريف العالم العلامة الفقيه الكامل مفتي الديار الحضرمية عبد الرحمن بن محمّد بن حسين بن عمر المشهور (باعلوي) - رحمه الله تعالى - في كتابه « بغية المسترشدين » بما نصّه :

مسألة (ك)[1] . شخص طلب العلم ، وأكثر من مطالعة الكتب المؤلفة ؛ من التفسير والحديث والفقه ، وكان ذا فهم وذكاء ، فتحكَّم في رأيه أنّ جملة هذه الأمّة ضلّوا وأضلّوا عن أصل الدين ، وطريق سيد المرسلين ﷺ ، فرفض جميع مؤلفات أهل العلم ، ولم يلتزم مذهباً ، بل عدل إلى الاجتهاد ، وادعى الاستنباط من الكتاب والسنة بزَعْمه ، وليس فيه شروط الاجتهاد المعتبرة عند أهل العلم ، ومع ذلك يُلزم الأمّة الأخذ بقوله ، ويوجب متابعته ؟ فهذا الشخص المذكور المدعي الاجتهاد يجب عليه الرجوع إلى الحقّ ، ورفض الدعاوى الباطلة . وإذا طرح مؤلفات أهل الشرع ، فليت شعري بما ذا يتمسك ؟ ! فإنه لم يدرك النبي عليه الصلاة والسلام ، ولا أحداً من أصحابه - رضوان الله عليهم - ، فإن كان عنده شيء من العلم ! فهو من مؤلفات أهل الشرع ، وحيث كانت على ضلالة فمن أين يقع الهدى ؟ ! فليبيّنه لنا ، فإن كتب الأئمة الأربعة - رضوان الله عليهم - ومقلّديهم جلُّ مآخذها من الكتاب والسنّة ، وكيف أخذ هو ما يخالفها ؟ !

مطلب مهم

ودعواه الاجتهاد اليوم في غاية البعد ، كيف وقد قال الشيخان وسبقهما الفخر الرازي : **الناس اليوم كالمجمعين على أنه لا مجتهد** .

---

(١) أي : مسألة الكردي .

ونقل ابن حجر عن بعض الأصوليّين : **أنه لم يوجد بعد عصر الشافعي مجتهد** - أي : مستقلّ - وهذا الإمام السيوطي[١] مع سعة إطلاعه وباعه في العلوم ، وتفنّنه بما لم يسبق إليه ادّعى الاجتهاد النسبيّ ، لا الاستقلاليّ ! فلم يسلم له ، وقد فاقت مؤلفاته على الخمسمائة ! !

وأما حمل الناس على مذهبه ! فغير جائز ، وإن فرض أنه مجتهد مستقلّ ، ككلّ مجتهد . انتهى عبارته ٧ . وقال قبيل هذا بما لفظه : قال في « فتاوى » ابن حجر : **ليس لمن قرأ كتاباً أو كتباً ولم يتأهّل للإفتاء أن يفتي إلا فيما علم من مذهبه علماً جازماً** . انتهى عبارته ٦ .

واعلم يا ولدي ؛ لا أرى هذه المسئلة والجواب إلا عين ما تفعله من الدعاوى الباطلة ؛ التي لا يقبلها عاقل عالم ، ولا جاهل ، له أدنى إدراك ؛ لأن الناس لا يعتقدون ولا يظنون ، بل ولا يوهمون أن علماء الأمّة المحمّدية مخطئون ، والاستدلال بأقوالهم عبث لا فائدة فيه ، والمنكر لهم ومخالفهم الذي نشأ في هذه الأمكنة البعيدة من الديار الإسلامية وأضرابه محقّون مصيبون ، **فيا ليتك يا ولدي** لم تقل هذه الأقوال الشنيعة ، التي تقشعرّ بسماعها جلود أهل الله ، ولا أراك إلا محارباً للإسلام والمسلمين ، وقد تجاوزت إلى من قبلنا من أئمّة الهدى والصحابة - رضي الله عنهم أجمعين - ، لأنك أنكرتَ التوسل بالأنبياء والصالحين بالكليّة ، وعدّدت من يزورهم ويزور قبورهم من المشركين .

وقد قال في « بغية المسترشدين » ما نصّه : وقد ورد في الأثر عن سيد البشر ﷺ أنه قال « مَنْ وَرَّخَ مؤمناً فَكَأَنَّمَا أَحْيَاهُ ، وَمَنْ قَرَأَ تَارِيخَهُ فَكَأَنَّمَا زَارَهُ ، وَمَنْ زَارَهُ فَقَد اسْتَوْجَبَ رِضْوَانَ اللهِ تَعَالَى فِي حَرُورِ الجَنَّةِ ، وَحَقٌّ عَلَى المَرْءِ أَنْ يُكْرِمَ زَائِرَهُ » . . إلخ . (شرع) .

---

(١) وأين مرتبة السيوطي من مرتبة الإمام الغزالي ؟ ! في الفقه وآلاته وقوة الذهن والتصرف ونحو ذلك ، « الآيات البينات » . (هامش الأصل) .

وفي « شرح السُحيمي على الجوهرة » حديث : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ عند قَبْرِ مَيِّته (أَللّهُمَّ بِحَقِّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ ﷺ لا تُعَذِّبْ هذَا المَيِّتَ) إلاَّ رُفِعَ عَنْهُ العَذَابُ إِلَى يَوْم يُنْفَخُ فِي الصُورِ » .

فائدة : زيارة القبور ؛ لمجرّد تذكّر الموت والآخرة ، فتكون برؤية من غير معرفة أصحابها ، أو لنحو دعاء ، فتسنّ لكل مسلم ، أو للتبرّك فتُسنّ لأهل الخير ، لأن لهم في برازخهم تصرّفات وبركات لا يحصى مددها ، أو لأداء حقٍّ كصديق ووالد ، لخبر : « مَنْ زَارَ قَبْرَ وَالِدَيْهِ ، أَوْ أَحَدِهِمَا يَوْمَ الجُمُعَةِ كَانَ كَحَجَّةٍ » ، وفي رواية : « غُفِرَ لَهُ ، وَكُتِبَ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النَارِ » ، أو رحمةً وتأنيساً لما روي : « آنَسُ ما يكون الميت في قبره إذا زاره من كان أحبّه في الدنيا » . انتهى « إيعاب » . انتهى عبارته ٨٨ .

وفي « الصاوي » في تفسير آية ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ من سورة (الجاثية) : وأما زيارة الصالحين والأنبياء ؛ فليس من قبيل العبادة لهم ، بل هي من التسبّب في نفع الغير ، لأن الترضي عن الأولياء ، والصلاة والسلام على الأنبياء دعاء للغير بذلك ، ولا شكّ ذلك الغير ينتفع به ، والمتسبّب له مثله ، لما ورد أن الملك يقول له : (وَلَكَ مِثْلُ ذَلِكَ)[1] . فآل الأمر إلى **أن زيارة الصالحين والتوسّل بهم من جملة طاعة الله ، وصاحبها محبوب لله ؛ لأنّ أحبّ عباد الله أنفعهم لعباده** ، وصدق عليهم أنهم يَصِلُونَ ما أمر الله به أن يوصل ، فليست معصية فضلاً عن كونه شركاً ،كما اعتقده ذو الجهل المركّب والعقيدة[2] الزائغة . انتهى عبارته ٥٥ .

وإن أردتَ يا ولدي أن تدرك الأحاديث الواردة في حقّ التوسُّل في حياته عليه السلام وبعد مماته ، وجواز التوسّل بالصالحين الأحياء

(١) تقوله الملائكة للداعي لأخيه المؤمن بظهر الغيب .

(٢) وفي« الفتاوى الكبرى » لابن حجر بسط زائد في إثبات هذا المطلب فراجعه . (منه) .

والأموات ، فراجع « نور الإنصاف » ، و« شواهد الحقّ » ، وقد أشبعنا الكلام في ذلك في كتابنا « البروج المشيّدة بالنصوص المؤيدة » .

قال العالم العلامة يوسف النبهاني في « المدائح النبوية » : واعلم أن هؤلاء المَفتونين[1] يدّعون الاجتهاد المطلق ، واستنباط الأحكام من الكتاب والسنة ، ويرفضون المذاهب الأربعة ؛ مع جهلهم المركّب ، وفِسْقهم المحقَّق ، وتهّتكهم في أنواع المعاصي ؛ من الكبائر والصغائر وسائر المعاصي ، وتركهم ما عدا الشهادتين من أركان الإسلام ؛ فلا صلاة ، ولا زكاة ، ولا حجّ ، ولا صيام ، ومع كونهم كالأنعام ، أو أضلّ من الأنعام ، يدّعي كلّ أحد منهم أنّه من أئمة الإسلام ، ويدعو الناس إلى الاجتهاد في الدين ؛ حتى العوام ! وهم مع كلّ ذلك لا يتقيَّدون بالحلال والحرام ، وإنّما دينهم كلام في كلام ، فصارت أحكام الدين عندهم ما خطر ببالهم ، ووافق أغراضهم ، وجرى على ألسنتهم وأقلامهم من الألفاظ المنمَّقة الملفَّقة . انتهى . عبارته .

وقال بُعيده : **فنصحي لكل المسلمين أن لا يلتفتوا إلى كلامهم ، ويعتقدوا أنهم في هذا العصر من أعدى عُداة الإسلام** . انتهى عبارته .

وقال بُعيد هذا : **أمّا أئمّة الإسلام ؛ فلم يزيدوا على الكتاب والسنة شيئاً من عند أنفسهم ، بل جميع أحكام المذاهب الأربعة ؛ إمّا مأخوذة من صريح الكتاب والسنّة** ، وهو أكثر الأحكام ، أو مستندة إلى الإجماع الذي هو مستند إليهما ، أو إلى أحدهما ولا بدّ ، أو مستندة إلى القياس الصحيح عليهما ، أو على أحدهما ، **فليس هناك حكم في المذاهب الأربعة خارجاً من الكتاب والسنة من كل الوجوه** ، ولا يمكن أن يستعملوا القياس إلا إذا لم توجد آية أو حديث للاستدلال . انتهى .

---

(١) أي : الوهابية المتمسّكة ببدع ابن تيمية ، عفى الله عنهم . (هامش الأصل) .

وأطال في حقّ هؤلاء الطائفة ، فراجعه . ففيه كلام كثير في الردّ على هؤلاء القوم .

و في « شواهد الحقّ » بما نصّه : قال : بل نقل ابن الصلاح عن بعض الأصوليّين أنه **لم يوجد بعد عصر الشافعي مجتهد مستقلّ** .

ثمّ قال الشهاب ابن حجر : **إذا كان بين الأئمّة نزاع طويل في أنّ إمام الحرمين**[1] **، وحجّة الإسلام الغزالي - وناهيك بهما - هل هما من أصحاب الوجوه**[2] **أو لا ؟! فما ظنّك بغيرهما**[3] **؟!** ، بل قال الأئمّة في الروياني[4] صاحب « البحر » : أنه لم يكن من أصحاب الوجوه . هذا مع قوله : **لو ضاعت نصوص الشافعي لأمليتها من صدري** .

---

(١) ركن الدين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني - نسبة إلى مسقط رأسه (جُوَيْن) - من أعيان متأخري الشافعية ، بُنيت (النظامية) ببغداد ليَدرس فيها ، فحضر دروسه كبار العلماء ، من كتبه الكثيرة : « نهاية المطلب في دراية المذهب » اثنا عشر مجلداً . جاور أربع سنين فلقب « إمام الحرمين » قيل عنه : الفقه فقه الشافعي ، والأدب أدب الأصمعي ، وفي الوعظ الحسن البصري ، توفّي (بنَيْسابور) سنة ثمان وسبعين وأربع مائة .

(٢) المراد استخراج وجوه المسائل الفقهية من قواعدها الأصولية ، وأدلتها الأصلية وهذا ما يعرف بتخريج الفروع على الأصول . وهو إحدى طبقات الفقهاء (الرابعة منها) .

(٣) والحال أن من بعدهما لا يلحق غبارهما كما في « الآيات البينات » . (هامش الأصل) .

(٤) فخر الإسلام أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل الروياني « بلدة بنواحي طبرستان » من أكابر أعيان الشافعية له كتب عديدة ، منها : « بحر المذهب » يعدّ من أطول كتب الشافعي ، كانت له حظوة عند الملوك ، فتعصب عليه جماعة وقتلوه بعد مجلس إملائه في (آمل) سنة : اثنتين وخمس مائة .

مهم

فإذا لم يتأهّل هؤلاء الأكابر لمرتبة الاجتهاد المذهبيّ ، فكيف يسوغ لمن لم يفهم أكثر عباراتهم على وجهها أن يدّعي ما هو أعلى من ذلك وهو الاجتهاد المطلق ؟ ! سبحانك هذا بهتان عظيم . انتهى .

وفي « الأنوار »[١] عن الإمام الرافعي الشافعي : **القوم كالمُجْمِعين على أنه لا مجتهد اليوم** . انتهى عبارته ٤ .

وفيه : وقد صرّح حجة الإسلام الغزالي بِخُلُوِّ عصره من مجتهد ، حيث قال في « الإحياء » في تقسيمه للمناظرات ما نصّه : أمّا من ليس له رتبة الاجتهاد ، وهو حكم كلّ أهل العصر ، فإنما يفتي فيه ناقلاً عن مذهب صاحبه ، فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يتركه .

وقال في « البسيط »[٢] : هذه الشروط ؛ يعني : شروط الاجتهاد المعتبرة في القاضي - قد تعذّرت في عصرنا . انتهى عبارته ٥ .

ونقل النبهاني ، عن الكردي ما حاصله : الاستنباط من الكتاب والسنّة لا يجوز إلا لمن بلغ رتبة الاجتهاد ، كما نصّوا عليه . انتهى .

وقال بعد ذلك : إذا علمت ذلك : تعلم أن ما يهذي به الآن بعض طلبة العلم من بلوغهم درجة الاجتهاد المطلق ، وأنهم تأهّلوا لاستنباط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنّة بأنفسهم ، ولم يبق لهم حاجة إلى تقليد أحد من الأئمة الأربعة ، حتى تركوا مذاهبهم التي نشؤوا عليها ، وصاروا يعترضون بأفهامهم السقيمة على المذاهب ، ويقولون : نحن لا

---

(١) للأردبيلي مطبوع في مجلدين .

(٢) أحد أهم أربعة كتب صنفها الغزالي - رحمه الله - ، جعلها فاصلاً بين كتب المتقدمين وكتب المتأخرين - كالنووي وغيره - فكانت عالة عليها وهي : « بسيط » و« وسيط » و« خلاصة » و« وجيز » .

نعمل بآراء الرجال ، وما أشبه ذلك من عبارات المغرورين الجهال ، هو من الوساوس الشيطانية ، والدعاوى النفسانية ، التي حملهم عليها قلة العقل والدين ، ورضاهم عن نفوسهم ، وجهلهم بما انطوت عليه من العيوب . وقد انعكس عليهم ما أرادوه من هذا الهوس والحماقة والوقاحة ، فلم يحصّلوا مطلوبهم[1] من علوّ المنزلة عند الناس ، ومَقَتَهم الله وكرّه فيهم خلقه ، فصاروا عندهم مرذولين يهزؤون بهم .

وَمَنْ جَهلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرُهُ مِنْهُ مَا لاَ يَرَى

وقد رأيت بعضهم يدعو عوام الناس إلى استنباط الأحكام الشرعية من القرآن و« صحيح البخاري » ، فانظر هذا الجهل العظيم ، والضلال المبين . فإيّاك يا أخي من الاجتماع على أمثال هؤلاء الحمقى ، والزم مذهبك ، وقلّد أيَّ إمام شئت من الأئمّة الأربعة بدون تتّبع الرخص والتلفيق في الأحكام ؛ بحيث يحصل من ذلك هيئة لا يقول بها إمام منهم ، فإن ذلك ممنوع .

وممّن يدّعون الاجتهاد علماء صالحون ، ولكنّهم مغفّلون ، يعرفون شيئاً من الحديث والعربية ، وبعض العلوم المتداولة معرفة متوسّطة ، تُجوِّز في هذا العصر السافل إطلاقَ لفظ العالم على أحدهم ، وهم مع ذلك

---

(١) قال الإمام الرباني قدس سره : وكما أنّ الاعتقاد بموجب الكتاب والسنة ضروريّ ، كذلك العمل بمقتضاهما على نهج استنبطه المجتهدون منهما واستخرجوا الأحكام عنهما ؛ من الحلال والحرام والفرض والواجب والسنة والمستحب والمكروه والمشتبه ، والعلم بهذه الأحكام ضروري ، ولا يجوز للمقلد أخذ الأحكام من الكتاب والسنة على خلاف رأي المجتهدين وأن يعمل بها . انتهى « الدرر المكنونات » عبارته ٣١٣ ج ١ .

وفيه قبيله : فتقديم الكشف على أقوال العلماء ، تقديم له في الحقيقة على الأحكام القطعية المنزلة ، وهو عين الضلالة ، ومحض الخسارة . انتهى عبارته . فراجعه ، (منه رحم الله إفلاسه آمين) .(هامش الأصل) .

بينهم وبين درجة الاجتهاد في أحكام الدين كما بين الشرطة والسلاطين، إن لم نقل كما بين الملائكة والشياطين، ولكن لغفلتهم، وقلّة عقولهم، ورضاهم عن نفوسهم، وظنّهم فيها الكمال، ظنّاً ظاهر الزلل، واضح الخطأ والخطل[1]، سوّل لهم الشيطان أنهم أهل لهذه الدعاوى الكاذبة. وإنما دخل عليهم هذا اللعين من باب دعوى التقوى والتحرّي في الدين، وأنّه لا يجوز لهم لسلامة دينهم تقليد أحد من المجتهدين، وأن الواجب عليهم أن يأخذوا دينهم من الكتاب والسنّة رأساً بدون واسطة أحد. وقد قرؤوا في بعض الكتب ذمّ الرأي، والتحريض على اتباع الكتاب والسنة، فاتخذوه حجّة لما ثبت في نفوسهم من ذلك، وما علموا من غفلتهم أن الرأي المذموم هو الرأي مع وجود النصّ من القرآن أو الحديث في تلك المسئلة بعينها. وهذا لا يقول به أحد من المجتهدين وتابعيهم، وكيف؟! وقد روي عن كل أحد منهم قوله: **إذا صحّ الحديث فهو مذهبي**[2]!؟

وهذا إمامنا الشافعي كثيراً ما يكرّر في «الرسالة»، و«الأمّ» كما قرأته بنفسي فيهما قوله ﷺ: وهل لأحد قول مع رسول الله ﷺ فداه أبي وأمّي؟! فالذي يقول هذا القول، ويؤيّده بالفعل في كتبه؛ بالاستدلال بالكتاب والسنّة ما أمكن الاستدلال بهما، ووجد فيهما دليل على المسألة، هل يقال في حقّه أنه يقول في دين الله برأي؟! حاشاه من ذلك! وهكذا باقي الأئمة؛ **حتى الإمام أبو حنيفة وأصحابه - رضي الله عنهم - الذين اشتهروا بأصحاب الرأي؛ يقدّمون العمل بالحديث الضعيف - إذا لم يوجد للمسألة دليل غيره - على القياس**، كما قاله الإمام الشعراني، ومن راجع تخريج أحاديث «الهداية» للإمام الزيلعي[3] يتحقّق أنَّ مذهب

---

(١) الفساد.

(٢) وقد ألف فيه تقي الدين السبكي كتاباً لإمامه سمّاه «معنى قول الإمام المطلبي: إذا صحَّ..» مطبوع بتحقيق الأخ علي بقاعي ونشر دار البشائر الإسلامية.

(٣) المسمى «نصب الراية لتخريج أحاديث الهداية» (ط) وهي في أدلة فقه الحنفية.

الإمام أبي حنيفة ﷺ هو أيضاً مذهب أهل الحديث كباقي المذاهب ، إذ القاعدة عند جميعهم : الاستدلال على المسألة من القرآن ، فإن لم يوجد فيه دليل لها ! فمن الحديث ، فإن لم يوجد ! فمن الإجماع ، فإن لم يوجد ! فحينئذ يقيسون المسائل على أقرب المسائل إليها وأشبهها ممّا ثبت دليله بالكتاب أو السنّة أو الإجماع .

وهو ؛ أي : القياس كما قال الإمام الشافعي ﷺ في « الرسالة » : أن يكون الله تعالى أو رسوله ﷺ حرّم الشيء منصوصاً ، أو أحلّه لمعنى ، فإذا وجدنا ما في مثل ذلك المعنى فيما لم ينصَّ فيه بعينه كتابُ الله ولا السنّة أحللناه ، أو حرّمناه ؛ لأنه في معنى الحلال أو الحرام[1] . فاعلم ذلك ، وقلِّد مَن شئت من أئمة المذاهب الأربعة ، واجعلهم بينك وبين الله تعالى ، فإنَّهم كلَّهم هداةٌ مهتدون ، ولا تدع للشيطان عليك سبيلاً ، فإنه يضلّك عن الهدى ، ويوقعك في مواقع الردى ، ويعينك على ذلك معرفتُك الحقّ لأهله ، وعدم رضاك عن نفسك ، واعترافك بقصورها ، ونظرك في العلماء الأعلام من أئمة الإسلام من عصرك إلى عصر الأئمة المجتهدين ، وتقليدهم إيّاهم[2] وعدم خروجهم عن مذاهبهم ؛ مع أنهم كانوا من أفراد العالَم في العلم ، وما ادَّعى أحد منهم الاجتهاد المطلق ! فكيف تدّعيه أنت وأمثالك من القاصرين المغرورين ، الذين صاروا سخريّة للناس ، وملعبةً للشياطين ؟! فاترك ما أنت عليه من الهوس والهذيان ، وقلّد من

---

(١) وقال الإمام الرباني : وأما القياس بالاجتهاد فليس من البدعة في شيء ، فإنّه مُظْهِرٌ لمعنى النصوص لا أنه مثبت لأمر زائد ، فاعتبروا يا أولي الأبصار . انتهى من « الدَرر المكنونات » فراجعه في ١٦٠ من الجزء الأول . (منه رحم الله إفلاسه) . (هامش الأصل) .

(٢) الضمير الأول (تقليدهم) عائد على العلماء الأعلام من عصرك إلى عصر الأئمة المجتهدين من إضافة الشيء إلى فاعله ، والآخر عائد على الأئمة الأربعة - رضي الله عنهم - وكذا فيما بعده (خروجهم) ، (مذاهبهم) .

شئت من أئمة المذاهب الأربعة ، كسائر علماء الأمَّة وعوامِّها من عصرهم إلى الآن ، فذلك هو سبيل المؤمنين الذي اتِّباعُه ألزمُ وأولى ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ ﴾ . . إلخ . انتهى عبارته . وأطال في ذلك فراجعه في ٦ .

مهم

وفيه ما حاصله : من أقبح الجنون جنون من ادّعى الاجتهاد في هذا الزمان . انتهى .

وذكر الباجوري في أوائل شرحه على « فتح القريب » : أنّ **مجتهد المذهب** : هو من يستنبط الأحكام من قواعد إمامه ؛ كالمزني ، و**مجتهد الفتوى** : هو من يقدر على الترجيح في الأقوال ؛ كالرافعي والنووي ، لا كالرملي وابن حجر ! بل هما مقلّدان فقط .

وقال بعضهم : بل لهما ترجيح في بعض المسائل ، بل وللشَبْرَامُلّسِي أيضاً .

وعبارة « الفتاوى » : **والمتبحر في الفقه** : من أحاط بأصول إمامه في كل باب من أبواب الفقه بحيث يقيس ما لا نصّ فيه عليه . انتهى « فتاوى الجوخي » عبارته .

وفيه بعيد ذلك : **بل جميع علمائنا مقلِّدون فقط** ، وكيف لا وقد قالوا ذلك في « ابن حجر » و« الرملي » ؟ ! فما ظنّك بغيرهما مِمّن بعدهما ؛ وخاصة بعلماء ديارنا ؟ ! فتدبّر ولا تغفل ، والله تعالى أعلم . انتهى عبارته ٢٧٤ .

ونقل في « الآيات البيّنات » بعد قول « شرح جمع الجوامع » : (ويجوز خلوّ الزمان عن مجتهد ؛ أي : أن لا يبقى فيه مجتهد) ، عن الكوارني بما نصه :

لو ادّعى إنسان وقوعَ الخلوّ عن المجتهد يجب أن لا يخالفه أحد؛ لأن مثل إمام الحرمين والغزالي لم يُعَدّا من أصحاب الوجوه، فضلاً عن رتبة الاجتهاد، ومَن بعدهما لا يلحق غبارهما، إلاّ أن ابن دقيق العيد كان يزعم الاجتهاد لنفسه فأظهر كلاماً مخيلاً لا حاصل له. انتهى. ثمّ قال بعيده: وأما ما ذكره مِن أنّ مَن بعد إمام الحرمين والغزالي لا يلحق غبارهما! فهو ممّا لا ينبغي الشكّ من العاقل. انتهى عبارته. فراجعه.

مخالفوا أهل السنة

فتدبّر أيُّها الولد فيما ذُكِر، وتنبّه من رَقْدتك، ولا تنظر إلى كتب ابن التيمية واتباعه، فإنَّها محشوَّة، مشهورة بالحشو وتخليط البدع المخالفة لأهل المذاهب.

وقد صرّح العالم الشيخ النبهاني في «شواهد الحقّ» بما نصه:

يجب عليك الحذر التام من مطالعة كتب الإمام ابن تيمية وجماعته المتعلقة بالعقائد. انتهى عبارته ١٠٥. وقال قبله وبعده كلاماً كثيراً في حقه.

وذكر: واتفق العلماء على حبسه الحبس الطويل، فحبسه السلطان ومنعه من الكتابة في الحبس، وأن لا يدخل عليه بدَوَاةٍ، ومات في الحبس. ثمّ حدث من أصحابه من يشيِّع عقائده، ويُعَلِّمُ مسائله، ويلقي ذلك إلى الناس سرّاً ويكتمه جهراً، فعمّ الضرر بذلك... إلخ. انتهى عبارته ١٠٥.

والفرقة الوهابية؛ الذين هم على عقيدته المخالفة لأهل السنّة والجماعة؛ والمانعون من زيارة قبره عليه السلام وقبور الصالحين، إنما نشأت على مذهبه، ومذهب تلميذه ابن القيم[1]. فإنْ أردت، أيها الولد

(١) والشيخ الأفغاني، وابن عبد الوهاب، ورشيد رضا، ومحمد عبده، وأضرابهم. (منه). (هامش الأصل).

- عفى الله عنك آمين - أن تعرف الأجوبة عن شُبه هؤلاء الطائفة الذين يستدلّون بها من الكتاب والسنة، ويؤوِّلونها على غير محامله فراجع «شواهد الحق»، و«نور الإنصاف» و«المدائح النبوية» ترى العجب، ولعلّك تخرج بعد ذلك ممّا أنت فيه من الإنكار والاعتراض، وأنا أنصحك بالحق الحقيق كما نصحتني بالقلم بما هو على الرد بالنصوص حَقِيقٌ.

---

* وسئل - أي: ابن حجر - نفع الله به بما لفظه: لابن تيمية اعتراض على متأخري الصوفية، وله خوارق في الفقه والأصول، فما محصَّل ذلك. **فأجاب** بقوله: **ابن تيمية عبد خذله الله وأضلّه وأعماه وأصمّه وأذلّه، وبذلك صرّح الأئمة الذين بينوا فساد أحواله وكذب أقواله**. ومن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد المتفق على إمامته وجلالته وبلوغه مرتبة الاجتهاد أبي الحسن السبكي، وولده التاج، والشيخ الإمام العز بن جماعة، وأهل عصرهم، وغيرهم من الشافعية والمالكية والحنفية، ولم يقصر اعتراضه على متأخري الصوفية، بل اعترض على مثل عمر بن الخطاب، وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهما، كما يأتي.

مطلب مهم

والحاصل أنه لا يقام لكلامه وَزْن، بل يرمى في كل وَعْر وحَزْنٍ، ويعتقد فيه أنه مبتدع ضال ومضلّ، جاهل غال، عامله الله بعدله، وأجارنا من مثل طريقته وعقيدته وفعله، آمين. انتهى. «فتاوى الحديثية» لابن حجر عبارته ٨٤.

وأخبرني عنه السلف أنه ذُكر علي بن أبي طالب ﷺ في مجلس آخر، فقال: إنّ علياً أخطأ في أكثر من ثلاث مائة مكان. فيا ليت شعري من أين يحصل لك الثواب إذا أخطأ علي بزعمك كرم الله وجهه وعمر بن الخطاب؟! والآن قد بلغ هذا الحال إلى منتهاه، والأمر إلى مقتضاه [ولا ينفعني] إلا القيام في أمرك ودفع شرّك، لأنك قد أفرطت في الغيّ، ووصل آذاك إلى كل ميّت وحيّ، وتلزمنى الغيرة شرعاً لله ولرسوله، ويلزم ذلك جميع المؤمنين، وسائر عباد الله المسلمين بحكم ما يقوله العلماء، وهم أهل الشرع، وأرباب السيف الذي بهم الوصل والقطع إلى أن يحصل منك الكفّ عن أعراض الصالحين رضي الله عنهم أجمعين. انتهى. «فتاواى الحديثية» عبارته ٨٥ راجعه. ففيه في هذا التاريخ بسط وزيادة ببيان المسائل التي خالف الناس. انتهى. (هامش الأصل).

الجواب عن عبيد الله أحرار

وأنت ، أيها الولد ، كتبتَ بأنّ ما قاله القطب المشهور عبيد الله في تفسير آية ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ : هو تفسير بالرأي ، **فلعلّك قصّرت** في طلبه وَاسْتَرْوَحْتَ ، فانظر إلى كتب التفسير لعلّك تجد ما يشفي غليل صدرك ، وقد ذكر ذلك التفسير صاحب « الرشحات » ، والعالم العلامة الحبر البحر الفهامة الشيخ يوسف أفندي شوقي الطرابزوني في « هدية الذاكرين وحجة الواصلين » ، وراجع « الرحمة الهابطة » و« نور الهداية » .

ومعلوم مشهور : **أنَّ الخارج من كونه معهم بالقلب بترك محبّتهم هو الخارج من دائرة الشريعة بلا ريب** ؛ لأنه لو كان محبّاً لمحبوب الله لما ترك تخيُّله ، وذلك الترك هو البغض بما أمر الله ورسوله به ، فانظر إلى قوله عليه السلام « لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكونَ أَحَبَّ إِليهِ مِنْ نَفْسِهِ » وإلخ ، **وبغض العلم والعلماء كفر** ، كما هو مذكور في « البريقة المحمودة » فراجعه .

فاذا كان الأمر كذلك ؛ وجب أن نكون مع الصادقين ؛ في فعل ما فعلوه[1] ، وترك ما تركوه من المخالفات ، وهذا يورث ربط القلب بهم بالضرورة ، فعلم أن تفسير الآية ليس برأي ، وبعض الكلام يفسّر بعضاً . قال تعالى ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ .

وقولك أيها الولد : لم يوجب الله تعالى عليَّ الاعتقاد في الأولياء ؛ قولٌ يُخافُ على قائله من سوء العاقبة ، فعجباً على من يدعي الاجتهاد ، ومع ذلك يجهل ما يلزمه بهذا الكلام البارد ! ! فينبغي له أن يعلم أن من لم يعتقد في أولياء الله يؤذيهم بالقول أو بالفعل ، ومن آذاهم فقد تعرّض لمحاربة الله ، بشهادة : « مَنْ آذَى وَلِيّاً لِي فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ » والله تعالى لا يحارب إلا كافراً ، كما صرّح بذلك ابن حجر في « الفتاوى » .

---

(١) من المأمورات الشرعية . (هامش الأصل) .

وفي « جامع أصول الأولياء » للقطب أحمد ضياء الدين ما حاصله : ما من نبيّ ولا رسول إلاّ وله من هذه الأمّة وارث . . إلخ ، فكما أمر الله تعالى بالاعتقاد في الأنبياء والمرسلين ، كذلك يجب على كل مؤمن أن يعتقد في الأولياء وكراماتهم . فراجع « العقائد » .

وأيضاً : أن من لايعتقدهم يحتقرهم ، **واحتقار أهل العلم من كبائر الذنوب** ، هذا إن لم يستحلّ آذاهم واحتقارَهم عالماً بذلك ، وإلاّ ! فهو مرتدّ ، يقتل بردّته إذا لم يتب ، كما هو مصرّح في « تلخيص المراد » في ٣٠٥ .

وفيه : **وقد جُرِّب أنَّ مَنْ وقع في العلماء أو طلبة العلم امتُحِنَ بسوء الخاتمة** ، والعياذ بالله . انتهى فراجعه .

فينبغي أن يعلم المنكرُ المعترض أن إذايتهم إنما تكون بعدم محبّتهم ، وعدم محبّتهم إنما يكون بعدم اعتقادهم ، فوجب اعتقادهم ومحبّتهم ؛ ليحترز من الدخول في هذا الوعيد الشديد ، فكما يجب أن يحبّ رسول الله ﷺ ويعتقده ولا يبغضه ، فكذا يجب حبّ تابعيه وعدم بغضهم(١) .

وأيضاً تكلَّمتَ على كلام الغوث الأعظم خالد شاه ، وقصدت بجهدك لردّ كلامه ، ولا أدري ما الذي حملك على هذا ؟ ! وقد نفيتَ ولاية الله عن الأقطاب والأوتاد ، وصرّحت أنّ الاستدلال بأقوالهم عبثٌ لا فائدة فيه ، مع أنّ أقوالهم مشيّدة بصريح الكتاب ، ومستنبطةٌ من الأحاديث الصحيحة ، فهذا القول من أعظم الأمور الفاضحة ، فيا ليتك لم تتفوَّه بهذا . عفى الله عنك بفضله وكرمه ، وجعلك من المتأدّبين بآداب أوليائه آمين .

وقد رأيت في « شواهد الحقّ » ما نصّه : وقد تصدّى شخص للردّ على الإمام أبي حنيفة ﷺ وأرضاه ، وعمل في ذلك كراسة ، وأتى بها

---

(١) فإنّ بغض العلماء كفر ، كما في « البريقة » . (هامش الأصل) .

إليّ يعرضُها عليّ ، فطردته ، ولم أُصغ إلى قوله ، ففارقني ، ووقع من سُلَّم بيته - وكان عالياً - فانكسر صُلْبُه ، وخرج زرّ وَرَكِه[1] من مكانه ، فهو إلى الآن مكسور ، يبول ويتغوّط على نفسه ، نسأل الله العافية . وقد أرسل لي مرّات أنّي أعوده[2] ، فلم أفعل ؛ أدباً مع الإمام أبي حنيفة ﷺ ؛ أَنْ أُوَالِيَ من أساء الأدب معه . انتهى نقله عن الشعراني فراجعه ٢٨٨ .

وفيه بُعيده : وكان سيدي علي ابن وفا ﷺ يقول : **التسليم للقوم أسلم ، والاعتقاد فيهم أغنمُ ، والإنكار عليهم سمّ ساعة في إذهاب الدين** ، وربّما تنصَّر بعض المنكرين ومات على ذلك ، نسأل الله العافية .

مطلب مهم

قال الإمام الشعراني ﷺ : فإن أردت يا أخي عدم الإنكار فاجْلِ مرآة قلبك ، فإنّك تشهد الصوفية من خيار الناس ، ويقلّ إنكارك ، وإلاّ فمِنْ لازمك كثرة الإنكار ؛ لأنك لا تنظر في مرآتك إلا صورتك . انتهى . فراجعه ١٣٩ .

وقد قال واحد حين يزور يوسف الهمداني : إني لأسألنّه شيئاً لا يدري جوابه أصلاً ، وكان من أجلّ علماء زمانه وأقدمهم ، فتنصّر ومات على ذلك فالعياذ بالله ، كما هو مذكور في « الفتاوى الحديثية » لابن حجر . وقد كان في زماننا هذا عالم ذو جاه ، لا يفوت منه شيء من فنون العلوم العقلية والنقلية ، وكان ذا مال كثير ، بيد أنّه أنكر قطب وقته ، فغضب عليه ؛ وقال : انظروا ما ذا يقع له ولماله وغناه ، فصار أمر ذلك العالم بحيث يرحم عليه كل أحد ، ونفد ماله ، وصار مبتلى من كلّ الجهات . عفى الله عنّا وعنه . آمين .

---

(١) وفي نسخة : وخرج وركه من مكانه .

(٢) وفي نسخة : أنّي أدعو له ، ولعله : أن أعوده .

وكان واحد من أكابر العلماء ينكر شيخنا العسلي قدس سرّه ، وكان ذا جاه ومنصب أيضاً ، فغضب عليه ، فبعد ذلك عزل عن منصبه العليّ ، وطرأ عليه الجنون ومرض الماليخوليا ، فصار أمره إلى أسوأ حال ومات على ذلك ، غفر الله له ولنا . آمين .

وكان في ديارنا أيضاً رجل له علم وذكاء ، ولم يكن في ناحيته أعلم منه في فنون العلوم ، فأنكر الشيخ المذكور ، وكتب إليه كتاباً بكلمات باردة ، وأقوال فاسدة ، لا تصدر قط من أديب ، فطرأ عليه مرض الارتعاش ، فصارت أعضاء جسده تتحرّك ليلاً ونهاراً كآلة المخياط ، وكان لا يقدر أن يحلّ ويعقد حَبْلَ إزاره في وقت قضاء حاجته ، وساء معه ظنون أهله وأولاده ، وصار بعد ذلك من أذلّ الناس وأرذلهم عندهم ، ومات مطروحاً من[1] طرف الغرفة ، عفى الله عنَّا وعنه .

وأخبرني بعض من الثقاة من قريته : أنّ ذلك العالم لم يقدر يدُهُ بعد ذلك أنْ يأخذ القلم ويكتب به شيئاً .

وكان فينا أيضاً عالم فقيه مشهور ، فقال لواحد قولاً بارداً في حق الشيخ المذكور قدّس سرّه ، فقلت لواحد : أُنظر ما ذا يحلّ على هذا الفقيه من البلايا ! فطرأ عليه بعيد ذلك بلايا ومصائب عامة في أمواله وأولاده ، وعمي ، ومرض كلّ من الذكور والإناث من أولاده بمرض الماليخوليا ، ثمّ تنبّه ذلك العالم بفضله تعالى ، وتاب لدينا ، وسلك في الطريقة بعد موت الشيخ المذكور قدّس سرّه وحسن حاله ، ويقول أهل قريته[2] : لم يبق أحد من حساده ومنكريه إلاّ وأصابه مصائب جَمّة ، فهذه من علامة اعتنائه تعالى بأوليائه وأحبابه على وفق ما ورد في الحديث القدسي : « مَنْ آذَى وَلِيّاً لِي فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ » . انتهى .

---

(١) وفي نسخة : في طرف الغرفة .

(٢) أي : الشيخ العسلي .(هامش الأصل) .

وذكر النبهاني في « شواهد الحقّ » بعد ذكره كلام المعتزلة : وإنما العجب من قوم تسمّوا بأهل السنة ، وزعموا أنهم من حملة تلك المنّة ، ومع ذلك يبالغون في الإنكار ؛ لأنّ كلمة الإنكار حقّت عليهم إلى أنْ ألحقتهم بأهل البوار ، وأوجبت لهم نوعاً من الوبال والخسار ، وهؤلاء أقسام :

فمنهم من ينكر على مشائخ الصوفية ومتابعيهم ، **ومنهم** من يعتقدهم إجمالاً وأنّ لهم كرامات ؛ ومتى عيّن له أحد منهم أو رأى كرامة أنكر ذلك ، لما خيّله له الشيطان أنهم انقطعوا ، وأنّه لم يبق إلاّ ملبّس مغرور احتوى عليه الشيطان ولبّس عليه ، وهؤلاء من العناد والحرمان بمكان أيضاً . وقد تهوّر ابن الجوزي بالوقوع في خطرهم إلا أن تكون له نية صالحة ، كقصده قمع مبتدعة في زمانه ، وذلك أنّه صنّف كتاباً سماه « تلبيس الإبليس » ، تكلّم فيه على شيوخ الصوفية وطريقهم ، وزعم أنّ إبليس لبّس عليهم .

قال اليافعي : ولم يدر أنّه هو الذي لبّس عليه في كلامه هذا واعتقاده فيهم وهو لا يشعر ، والعجب كلّ العجب منه في إنكاره على سادات ؛ ما بين أوتاد وأبدال وصدّيقين وعارفين بالله تعالى ؛ قد ملؤوا الوجود كرامات وأنواراً ومعارفَ ، أعرضوا في بدايتهم عما سوى الله ، فحصل لهم في نهايتهم من فضل الله ما لا يعلمه إلا الله .

مهم

فقول الصغير منهم (**وقفت على باب قلبي عشرين سنة ما جاز به شيء لغير الله إلاّ رددته**) هذا . وهو ؛ يعني : ابن الجوزي يطول كلامه بحكاياتهم ، وينفق بضاعته بمحاسن صفاتهم ، فهلا أخلى كتبه من ذكرهم إخلاءً عامّاً ! ! ولا يكون ممّن يحلّونه عامّاً ويحرّمونه عامّاً ! أَمَا عَلِمَ أنّ

علماء أعلام الأمة من المجتهدين ومن بعدهم من الأئمة لم يزالوا قديماً وحديثاً يعتقدون الصوفية ويتبرّكون بهم ويستمدّون منهم ؟ ! ولقد وقع للتقي ابن دقيق العيد أنّه قال في حقّ فقير يعتقده ويخضع له : **هو عندي خير من مائة فقيه أو من ألف فقيه** . ونقل ابن حجر عبارة اليافعي إلى آخرها . انتهى عبارته ٢٤٢ .

مهم

قال الإمام الرباني : وإن كان الاعتراض مقدار حبّة خردل فإنّه لا نتيجة للاعتراض غير الحرمان ، **وأشقى جميع الخلائق وأبعدهم عن السعادة الذين يرون عيوب هذه الطائفة** . انتهى . « الدرر المكنونات » ٣٤٧ . ج ١ . فراجعه .

فيا عجباً لمن يقول على كلام رئيس الطائفة القطب خالد[١] : لم[٢]

---

(١) أي : في قوله في رسالته ؛ وإن كان ممن يعتقد أولياء الله . . الخ .(هامش الأصل) .

(٢) مقول . (هامش الأصل) .

* وقال جلال الدين السيوطي في رسالته « قمع المعارض » : هذا ما اخترته من المقال مما يناسب المقام ، والتقطته من المظان لهذا النظام تنبيهاً على مقام الأولياء ، وإشارة إلى علوّ رتبة الأصفياء ، وتحذيراً مما تأتيه طائفة الأغبياء الظانون أنهم في عداد الأزكياء ، القادحون بأفهامهم الفاسدة فيما لا يفهمون ، والخائضون بقلّة تقوّيهم فيما لا يعلمون ، لا هم وقفوا عند نص القرآن ولا هم امتثلوا ما روي عن سيد ولد عدنان ، لا هم عملوا بما قرّره أئمة الشأن ، ولا هم جنحوا إلى طريقة جارية على قانون الحق والعرفان . قال الله تعالى فيما روي فى الأحاديث القدسية بين حفاظ الشرق والغرب « من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب » ، وفي لفظ « من آذى وليّاً فقد استعجل محاربتي وأنّى بالسلامة » ، وفي حديث مرفوع « من عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة » رواه أهل الأمانة ، وفي آخر قدسي « من أخاف وليّاً فقد بارزني بالعداوة وأنا الثائر لأوليائي يوم القيامة » . وفيما أوحى الله إلى موسى عليه السلام « من أهان وليّاً ، أو أخافه فقد بارزني بالمحاربة ، وباراني ، وعرض لي نفسه ، ودعاني إليها ، وأنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي ، فيظن الذي يحاربني أن يقوم لي أو يظن الذي يعاديني أن يعجز لي ، أو يظنّ الذي يبارزني أن=

يأمر الله تعالى باعتقاد الأولياء ، ويردّ كلامه بما لا طائل تحته ؛ مع أنّ هؤلاء الأئمة المذكورين كانوا يعتقدون في أولياء زمانهم ويطلبون التبرّك بهم وبرؤيتهم وصحبتهم !!

موت الأفغاني وتلميذه

وذكر في « المدائح النبوية » ما نصّه : مات جمال الدين الأفغاني في القسطنطينية مفلوجاً بلسانه ، وكذلك مات بعده بسنوات محمد عبده في الإسكندرية مفلوجاً بلسانه ، وعظم الداء فيهما حتّى قطع لسان كلّ منهما ولم يحصل فائدة حتى ماتا[1] شرّ ميتة ، على أسوأ الأحوال - نسأل الله العافية - ومع ذلك لم يعتبر بهما هؤلاء الجهال الذين اتبعوهما على الضلال والإضلال . انتهى عبارته ٣٧٧ .

منام مع رشيد رضا

وفيه أيضاً : قد رأيت في منامي منذ سنوات الشيخ رشيد رضا هذا ، وهو أسود اللون بلون الحبشي ، وعرفت أنا في المنام أنّ هذا من الغضب الإلهي عليه ، وأنّه حصل له بسبب جريدة « المنار » ، فنصحته في المنام بتركها ، وقلت له : تقدر أنْ تستفيد ما تستفيده منها من الدنيا بجريدة أخبارية تُنْشِؤُها عوضاً عنها ، فلم يردّ عليّ جواباً في المنام ، ثم استيقظت ، وجاء إلى بيروت بعد سنوات من رؤياي هذه فأخبرته بها ، فما أثّرت فيه شيئاً . انتهى .

وفيه : لا يخلو كتاب من كتب ابن تيمية من شيء يدلُّ على أنّه من الحشوية ، ومخالف لأهل السنة . انتهى عبارته ٤١٥ . **وأظنّ** أن سبب

=يسبقني ، أو يفوتني ، وكيف وأنا الثائر لهم في الدنيا والآخرة ؟ ! لا أَكِلُ نصرتهم إلى غيري . انتهى من « هامش الدرر المكنونات » في ٢٨٠ ج١ . (هامش الأصل) .

(١) وهما من أتباع ابن تيمية في انتشار بدعه - عفى الله عنهم - آمين .

اعتراضك على هذه الطائفة الصوفية إنما ظهر من النظر إلى كتب الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم[1] وأتباعه .

---

(١) ورأيت في « الفتاوى الحديثية » لابن حجر ما يصرّح بعدم [جواز] الإصغاء إلى ما في كتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، فراجعه وفي « الرسالة الزينية » ما ينشرح به الصدور ويردُّ كلامهما ، فحرّر والله الموفق للصواب . (منه) .

فلئن كان للعلم حرمة فللعلماء أيضاً حرمة ، والمؤمن يلتمس المعاذير ، والمنافق يتبع العيوب ، بل يحدث بها بغير حق ؛ ولا أجهل ممن يتعصب بالباطل وينكر لما هو به جاهل . من هامش « الدرر المكنونات » في ٨٨ ج١ .

وقال الشيخ الشعراني رحمه الله في « لطائف المنن » : وقد يكون سبب الإنكار جهل المنكر بمصطلح القوم وعدم ذوقه لمقاماتهم ، فالعاقل من ترك الإنكار ، وجعل ما لم يفهمه من جملة مجهولاته ، لاسيّما ومن يُبلغنا عن أحد منهم ما يخالف الشريعة أبداً ، وربّما تكلّم العارف في شعره ، أو غيره على لسان الحق تعالى ، وربّما تكلم على لسان رسوله ﷺ ، وربّما تكلم على لسان القطب ، فيظن بعضهم أن ذلك على لسانه هو ، فيبادر على الإنكار .

وقد سمعت سيدي علياً الخواص يقول : أقلّ درجات الأدب مع القوم أن يجعلهم المنكر كأهل الكتاب ، لا يصدقهم ولا يكذبهم . وكان سيدي علي وفا يقول : التسليم للقوم أسلم ، والاعتقاد فيهم أغنم ، والإنكار عليهم سمّ ساعة في ذهاب الدين ، وربّما تنصّر بعض المنكرين ومات على ذلك - نسأل الله تعالى العافية - . انتهى .

فإن أردت يا أخي عدم الإنكار فاجْلِ مرآة قلبك فأنت تشهدهم من خيار الناس ، ويقِلّ إنكارك وإلا فمنٍ لازمك كثرة الإنكار لأنك لا تنظر في مرآتك إلا صورة نفسك فافهم . انتهى مختصراً في١٠٧ .

وقال في مقدمة « شرح تائية » للإمام العارف الصفديّ : ويجب تحسين الظن بأولياء الله تعالى ، فإنّ إساءة الظن بعموم المؤمنين حرام ، فكيف بأولياء الله تعالى ؟ ! ولله في خلقه أسرار لا اطلاع للعوام عليها ، بل يطلع عليها من شاء من خاصته . انظر إلى ما وقع من الخضر عليه السلام من خرق السفينة وقتل الغلام ، وقوله بعد ذلك : ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي﴾ ، فسلّم لهم حالهم ، ولا تتابعهم فيما لا يوافق ظاهر الشرع ، وشرط جواز الاعتراض أن يكونٍ ممن أحاط بهم بعلم الظاهر والباطن ، وإلا فهو قاصر فيسعى في إصلاح نفسه أوّلاً . انتهى في ١٠٨ ج١ . =

أيها الولد ؛ إنّ الكتب من كتب أئمتنا كثيرة ، فيا ليتك تقتصر النظر إليها ففيها ما يكفيك في الدين والدنيا ، ولا تنظر إلى كتب هؤلاء القوم الذين صرفوا آيات القرآن عن مصارفها ، وحملوها إلى مقاصدهم الفاسدة الكاسدة ، ويا ليتك تنظر إلى غيرها من الكتب التي ردّ مؤلّفوها جميع ما أثبت أولئك القوم المخطئون ؛ كـ« شواهد الحقّ » وكتب الإمام السبكي ، و« الفتاوى الحديثية » ، و« الفتاوى الكبرى » لابن حجر وغيرها . وأرجوا الله تعالى أن يصرف همتك إلى أحسن الأحوال ، وأن يخرجك عن هذه الورطات ، وهو على ذلك قدير وبالإجابة جدير .

=وقد صرح غير واحد بأنّ الجاهل باصطلاح الصوفية لا يجوز له أن يخوض في كلامهم ؛ لأنّ ذلك يوقعه في رمي أولياء الله تعالى بالكفر والزندقة ، كما وقع ذلك لغير واحد . في ١٢٤ ج١ .

والمعاند يرغب في إخراج المسلمين من الإسلام بأدنى شبهة ، لاسيّما قوماً مشهورين بالصلاح يرشدون العباد إلى الله تعالى . في ١٢٨ ج١ .

فعلى الحكام وولاة الأمور أن يسعوا في تأديب أمثال هؤلاء المتجرئين بالسعي المَوْفور ، وأن لا يخلوهم في ضلالهم القديم ، بل ينبغي أن يهتموا في التأديب والزجر بالاهتمام العظيم ، حتى ينقطع القيل والقال بين الآحاد ، وينسدّ باب التعصب والتجرؤ ، وينعدم الفساد . في ١٥٤ ج١ . فوجب على كل من بيده القلم والسيف أن ينصر الإسلام والمسلمين ، ويؤيّد أولياء الله تعالى ، فهم في الحقيقة هم العلماء العاملون في١٥٧ ج١ . ولا يتكلف في حمل الكلام على أمر بعيد ؛ من مخالفة الشرع ، وإيجاب التكفير الشديد ؛ والتكفير أمر عظيم لا يتجرأ عليه إلا من هو غافل أوجاهل لئيم . قال في « البحر » : والذي تحرّر أنه لا يفتى بتكفير مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن أو كان في كفره اختلاف ولو رواية ضعيفة . انتهى . وباب التأويل لكلام الأولياء مفتوح ، ولا خير في الحكم بكفر مسلم ، فكيف بوليّ من أولياء الله تعالى ؟ ! في١٦٣ ج١ .

مهم في الرابطة

ثم اعلم ، أيها الولد ؛ لما كتبت لدينا ما بَدَا لك في حقّ الرابطة ، وعدّدْتَ من يفعلها من المشركين ؛ لا بدّ لنا من أن نكتب ما ظهر لنا من الأدلة في إثباتها .

قال الإمام الرباني في « مكتوباته » : اعلم أنَّ حصول رابطة الشيخ للمريد بلا تكلّف وتعمّلٍ علامة المناسبة التامّة بين المرشد والمريد التي هي سبب الإفادة والاستفادة ، ولا طريق أقرب من طريق الرابطة أصلاً ، فيا سعادة من استسعد بهذه الدولة .

أورد حضرة الخواجه أحرار قدّس سرّه في « الفقرات » : إنّ ظلّ الدليل أولى من ذكر الحقّ سبحانه باعتبار النفع ، يعني : إن ظلّ الدليل أولى للمريد من اشتغاله بالذكر ، فإنه لم تحصل بعد للمريد مناسبة كاملة بالمذكور جلّ وعلا حتى ينتفع من طريق الذكر انتفاعاً تامّاً . انتهى عبارته . فراجع « الدرر المكنونات » في ١٦٠ من الجزء الأول .

وفي « جامع أصول الأولياء » ما نصه : الرّابطة هي أقرب الطرق ، ومنشأ ظهور العجائب والغرائب ، فالذكر وحده بلا رابطة وبلا فناء في الشيخ ليس موصلاً ، وأما الرابطة وحدها مع رعاية آداب الصحبة ! فكافية في الاتصال . انتهى عبارته ٥٦ .

ونقل مؤلف « الفتاوى العمرية » قدّس سرّه ، عن « شرح العباب » لابن حجر رحمه الله تعالى بما نصّه : ويخاطب النبيّ عليه السلام كأنه الحاضر ، ليكون حضوره سبباً لمزيد الخشوع . انتهى عبارته . ويسلّم النبي ويمثله بَيْنَ عَيْني قَلْبِهِ . وقد رأى ابن عباس صورة رسول الله ﷺ حين نظر إلى المرآة دون صورة نفسه بفنائه في الرابطة . « شرح الشمائل » لابن حجر ملخصاً .

ومن آداب الذاكر : أن يخيّل شخص شيخه بين عينه . وهذا من آكد الآداب « نفحات القدسية » للشعراني .

وفي « الفتاوى العمرية » : **ثم اعلم** أنّ الرابطة في اصطلاح الطريقة النقشبندية عبارة عن ثلاثة أمور عظيمة مقبولة مطلوبة شرعاً ؛ وهي : رابطة الحضور ، رابطة الموت ، رابطة المرشد .

أما الرابطة الحضور؛ فهي : عبارة عن ربط قلب المريد بالله تعالى على طريق المحبة الكاملة ، وتفكُّره معيَّتَه تعالى ، وكونه حاضراً وناظراً إليه ، وسميعاً عليماً بصيراً ، على مقتضى : « كَأَنَّكَ تَرَاهُ »[1] ، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ عاملاً مضمون الحديث : « أَفْضَلُ الأَعْمَالِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ » . فهذه أشرف الرابطات الثلاث وأعلاها ، بل هي المقصود الأصلي .

وأما الأخريان فهما وسيلتان لتحصيل هذه الرابطة كما سيجيء تفصيلها .

وأما رابطة الموت؛ فهي : عبارة عن ربط القلب بالموت والقبر والقيامة ، وتفكر أهوالها وأحوال نفسه ، على مقتضى : « مُوتُوا قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا » ، « وحَاسِبُوا قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا » ، « وَكُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ ، وَعُدَّ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِ القُبُورِ » .

وأما رابطة المرشد؛ التي اتخذها بعض العلماء الذين لا حظّ لهم من فيوضات أهل الله الكاملين ، وأكثر الجهلة المقلدين المعترضين هدفاً لاعتراضهم بغير دليل مبين ! !

---

(١) المشار إليه في حديث عمر رضي الله عنه : (بينما نحن جلوس . . . وفيه : الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » . أخرجه البخاري : ٥٠ ، ومسلم : ٧ - ١٠ وغيرهما . . .

فهي : عبارة عن ربط قلب المريد بكمال المحبة والإخلاص على نبي من أنبياء الله تعالى ، أو وليٍّ من أوليائه تعالى ، أو على جميعهم ، أو على السلسلة المنسوبة المتصلة إليه ، أو سيدنا ورسولنا محمد ﷺ بلا واسطة إن كان من أهلها ، أو شيخه ، ومرشده الكامل الفاني في الله ، أو على من له حسن ظنّه بلا تردّد ، فهذه الرابطة الحبيبة[1] ملزوم ، **وأما لازمها ! فالاستفاضة والاستمداد منهم ، وتخيّل صورهم أو صور روحانيتهم** . وذلك أن المريد إذا ربط قلبه بهم بالمحبة الكاملة بحيث كأنه حاضر معهم في مجلسهم وناظر إليهم ؛ على مقتضى ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ ، أي : جسماً إن أمكن ، وروحاً إن لم يمكن ، يلزم عليه تخيل صورهم ، وتذكرهم وتخطرهم جسماً أو روحاً بالضرورة والطبيعة ؛ لأن المحبة عبارة عن توجه القلب وميله نحو المحبوب ، وطول الفكر في محاسن المحبوب وصفاته[2] الجميلة ؛ حتى يصير بينهما الائتلاف الروحاني ، ثم تتأكد المحبة فتصير خُلَّة ، ثم تتقوَّى فتصير هوىً ، ثم يزيد الهوى فيصير عشقاً ؛ وهو : إفراط المحبة حتى لا يخلو العاشق من تخيل معشوقه وذكره وفكره ، ولا يغيب عن خاطره وذهنه ، كما قال اليافعي :

الحب نار سوى المحبوب تحـرقـه   فيعـقب البرد من عذب الوصالات

فإذا تمّت الرابطة وحصلت الائتلاف الروحاني بين السالك المرابط ، وبين المرابط عليه ؛ فله أن يستمدّ من روحانيته ، ويستفيض من فيضه وبركته ، ويتوسل به إلى الله تعالى ، وكذا يطلب الشفاعة والهمة والإعانة به ، وحينئذ يستفيض منهم في الغيبة كالحضور ، وينزجر عن المعاصي والشرور ، فهذه هي الرابطة عندنا ، **بل الرابطة موجودة في قلب كلّ**

---

(١) كذا في الأصل ، ولعله : الحبيَّة .

(٢) وفي نسخة : أوصافه .

مؤمن ومؤمنة يحبُّ الله ورسوله ، ويحب أولياء الله بالضرورة والطبيعة على حسب محبته واستعداده وقابليته ؛ كما هي مشاهدة في حقّ النبي عليه السلام وسائر الصحابة ، حتى ينبغي لكلّ مؤمن أن يلاحظ ممدوداً من النور كالتلغراف من قلبه إلى قلب النبي عليه السلام ، ويستفيض منه في كل وقت وعلى كلّ حال ، وكذا تخيّل شخصه الكريم حتّى في تحيَّةِ الصلاة المفروضة .

مطلب مهم

كما قال الغزالي في « الإحياء » : وأحضر في قلبك النبي عليه السلام وشخصه الكريم ، ثم قل : (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله) ، وليصدق أملك في أنه بلغه ، ويردّ عليك ما هو أوفى منه . انتهى قول الغزالي ملخصاً .

ثمّ اعلم أن الرابطة الحُبِّيّة القلبية كانت تحصل للصحابة والتابعين وأتباعهم بلا احتياج إلى التكلّف والتنبيه منهم على وجه الاضطرار ، ثمّ لمّا تمادى الزمان ، وتكدّرت القلوب ، وقلّت المحبة ؛ احتاج المشائخ إلى التنبيه عليها والتصريح بها ، فأمر الخلفاء المرشدون السالكين بالتكلف فيها لجمع قلوبهم وتأليفها لأجل الاستفاضة ، ثمّ عبّروا عن هذه المحبة بالرابطة ؛ **لأنّ العشق والمحبة يربط القلب بالمحبوب ويقيِّد به ، فيحصل الارتباط الروحاني بينهما** ، وقد يسمّونها نسبة ، ويسمّى طريقهم طريق العشق والمحبة رضاءً لله تعالى ؛ لا لغرض سواه ، كما في الحديث : « أَفْضَلُ الأَعْمَالِ الحُبُّ فِي اللهِ وَالبُغْضُ فِي اللهِ » .

المحبة : اختيارية واضطرارية

وهذه المحبة اختيارية وعقلية ؛ لأنه يختار بحكم العقل منفعته ، بخلاف محبة الأولاد ؛ فإنها طبيعيّة وشهوتيّة ، **وقد تنقلب الاختيارية اضطرارية ، وذلك بعد حصول الاتحاد الروحاني بينهما .**

ثم إنّ الرابطة والمحبة أصالةٌ لرسول الله عليه السلام ، وتبعٌ لورثته الكاملين ، فكيف لا ؟ ! وقد قال الله تعالى ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ . . . الآية . فانظر كيف أشركهم في الدعوة والإرشاد ! ! فكما جازت الصلاة والسلام عليهم تبعاً ؛ جازت الرابطة إليهم تبعاً . « رسالة الرابطة » لأخينا فصيح أفندي البغدادي . « الفتاوى العمرية » عبارته .

وفيه أيضاً : فيلاحظ صورة النبي عليه السلام ؛ أو روحانيته بالملاحظة الإجمالية ؛ إن لم يمكن له ضبط شمائله الشريفة وجليّته(١) المنيفة على ما بيّن في الكتب ، فالاستحضار بقدر الإمكان مع ربط القلب بحضرته العلية بالمحبة الكاملة يكفي في تحصيل المناسبة الروحانية إلى ذاته العلية ، ثم إذا حصل الاستعداد ، وترقى الحال والمقام عسى أن يتجلّى له روحانيته العلية ، فيحصل المرام ، **ومن هنا احتاج السالك إلى انتساب المرشد الحي الذي هو نائبه عليه السلام ؛ ليتوجه عليه بواسطة شيخه الفاني في الرسول وفي الله** ، فإن لم يجد مرشداً حيّاً ! فيتوجه أوّلاً إلى روحانية شيخ من المشائخ المشهورين بالإرشاد كعبد القادر ، وشاه نقشبند ، وجلال الدين الرومي ، أو غيرهم ، أو يتوجه إلى النبي عليه السلام بلا واسطة على قدر الإمكان بالضرورة . « رسالة الرابطة » لأخينا فصيح أفندي .

قال الفاسي في شرح « دلائل الخيرات » في شرح حديث « إنَّ أَوْلَى النَّاس بِي أَكثرُهُمْ عَلَيَّ صَلاَةً » : لأن كثرة الصلاة تدلّ على شدة حبّه وقوّة متابعته ، لأنّ : « مَنْ أَحبَّ شَيْئاً أَكْثَرَ ذِكْرَهُ » ، « والمَرْءُ مَعَ مَنْ

---

(١) وفي نسخة : حِلْيَته .

أَحَبَّ » وإنّ المحبَّ لمن يحبّ مطيع[1] . فحينئذ قرب روحه من روحه عليه السلام ، وحصل بينهما التعارف والائتلاف والارتباط والمناسبة ، فكان أولى الناس به .

من أجلّ فوائد الصلاة على النبي ﷺ

ومن أجلّ الفوائد المكتسبة في الصلاة عليه السّلام : انطباع صورته الكريمة في النفس انطباعاً ثابتاً متأصلاً متصلاً حتى يُمكَّن حبّه من الباطن تمكّناً صادقاً خالصاً يصل بين نفس الذاكر ونفس النبي عليه السّلام ، ويُؤْلف بينهما في محلّ القرب ؛ لأن الحب يوجب الاتباع للمحبوب ، والاتباع يؤذن بالقرب والوصال ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ .

وفي الحديث « الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجنَّدَةٌ ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ ، وما تَنَاكَرَ منها اخْتَلَفَ » . انتهى كلام الفاسي رحمه الله .

فكما لا تقبل الصلاة إلاّ بالتوجه إلى الكعبة ؛ لا يحصل التوجه إلى الله إلاّ باتباع رسوله عليه السلام ، وربط القلب به وبنبوّته ، وأنه هو الواسطة بينه وبين الله تعالى ؛ دون غيره من الأنبياء ، لأنهم ؛ وإن كانوا أنبياء لكن لا يحصل فيض منهم إلاّ بعد ارتباط القلب بمحمّد ﷺ ، كما لم يحصل الإيمان والفيض لليهود بمجرّد ربط قلوبهم بموسى عليه السلام ، مع أنهم يقرّون وحدانية الله تعالى ! ! وفي الحديث : « لَوْ كَانَ مُوسَى حَيّاً لَمَا وَسِعَهُ إِلاَّ اتِّبَاعِي » ، ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا ﴾ . . إلخ الآية .

---

(١) عجز لبيتين من الشعر هما :

تعصي الإله وأنت تظهر حُبَّه … هـذا لعمري في القياس شنيع
لو كنت صـادق حُبّه لأطـعته … إنَّ الـمُـحِبَّ لمن يحبُّ مطيع

وحقيقة الرابطة إلى رسول الله ﷺ : أنْ يتوجّه السالك ويقابل لطائفه لطائف الرسول عليه السّلام ، ويستفيض منه بكمال الأدب والتضرُّع بلا واسطة ؛ إن كان من أهله ، وإلاّ ! فبواسطة المرشد . « فتاوى العمرية » عبارته .

من أدلة الرابطة

اعلم أنّ من جُمْلَة الأدلة الوَاضِحة في إثبات الرابطة قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ ؛ لأنّ الصلاة عليه لاستجلاب رحمة على أنفسنا وابتغاء الوسيلة إلينا ، كما ورد في الحديث : « اِبْتَغُوا إِلَى اللهِ الوَسِيلَةَ بِالصَلاَةِ عَلَيَّ » .

قال عياض : الصلاة من الله رحمة لمن دون النبي ، وأما للنبي ! فهي زيادة مكرمة وتشريف « شفاء شريف » . الصلاة من الله وصلة ، ومن الملائكة رفعة ، ومن الأمّة متابعة ومحبّة .

حكمة مشروعية الصلاة على النبي ﷺ

وحكمة مشروعية الصلاة عليه ! لأنّ الاستفاضة في اقتباس العلوم اللدنية والمعارف الإلهية من روح رسول الله عليه السّلام تتوقف على حصول المناسبة الروحانية بين المستفيض وبينه عليه السّلام ، إذ هي أمور روحانية فلا بدّ من حصولها بينهما ، ولذلك شرعها ، فإنّ الصلاة والتسليم عليه بحضور القلب والمحبة الكاملة مع تدبّر معناهما والتفكّر في أنه على من يصلّي ويسلّم ، تستلزم التوجه إليه وتصوّره وتخيله بوجه مّا ؛ وربط القلب به لا محالة ، وهذا بَدِيهِيٌّ عند كل من له عقل سليم وطبع مستقيم ، إلاّ أن يكون القارئ جاهلاً لا يفهم ما يقول ، ولا يعرف اسم الرسول ؛ لأنّه إذا ذكر اسم شيء مّا ، أو رؤي بالعين عنده لا بدّ

من تخيل مسمّاه وتصوّره ، سواء كان خيراً أو شرّاً ، وسواء كان بطريق المحبة ؛ أو بطريق البغض والعداوة ، لأنّ الإنسان إذا ذكر عنده واحد أو رؤي مثلاً ؛ كالسلطان ، أو العالم الفلاني ، أو الشيخ الفلاني ، أو البنت الفلانية ، أو اليهودي الفلاني ؛ لا بدّ من تخيّل صورة ذلك المذكور في قلب الإنسان ، أو في خزانة الخيال التي في ناصية الإنسان بين عينيه ، ودخول صورة شخصه فيه بحيث لا يمكن دفعه في ذلك الوقت أصلاً .

لكن إن كان التخطّر والتخيّل والتفكّر بطريق الشهوة والمحبّة المجازية ! تتولّد منه حرارة الشهوة ، حتّى يكاد ينزل المني ، بل ينزل بدوام تفكر المحبوبة وتخيلها كأنه جامعها .

وإن كان بطريق العداوة ! ! يتولّد منه البغض ويتزايد كلما خطر بباله وخياله ، وينفّر منه الطبع وينقبض ، ويؤثّر في القلب تأثيراً بحيث يظهر تأثيره المضرّ إلى ظاهر البدن حتّى يمرض بسببه كما هو مشاهد .

مهم

وإن كان التخيّل والتصوّر والتذكّر والتفكّر بطريق الحبّ في الله ، والاستفاضة والاستمداد والتوسّل والتوسّط ، وطلب انعكاس الفيوضات الإلهية من قلبه إلى قلب المرابط المستفيض ! يتولّد منه أمور عظيمة روحانية مقبولة مرضية عند الله تعالى ؛ من الإعراض عن الدنيا ، والإقبال على الله ، وانعكاس الفيوضات الإلهية ، والتخلّق بأخلاق شيخه ومرشده ، وتزايد المحبّة الإلهية ، والقرب إلى الله تعالى ، والوصلة والفناء في الله بعد الفناء في شيخه ؛ يعني : بعد التخلّق بجميع أخلاق شيخه المستقيم المرشد ، وتحصيل رضاء الله تعالى ؛ لأنّ المريد إنما يحبّ شيخه بحبّ الله تعالى ، **فلو أعرض شيخه عن الصراط المستقيم ، أو ارتدّ والعياذ بالله فلا يُحِبُّه أصلاً ، بل يبغضه .**

فإذا تحقّق هذا فقد تحققت الرابطة وحصلت ، **إذ هي عبارة عن المحبّة الكاملة** ، فيستلزم عليها بالضرورة التوجّه والتصوّر وربط القلب به ، وتذكّره على مقتضى « إذا أحبّ شيئاً أكثر ذكره » ، مع أنّ الصحابة كانوا عارفين شخصه الكريم بالمشاهدة ، وعالمين بمعنى اللغة والكلام ، فهل يُتصوَّر منهم أن يُصلُّوا على النبي عليه السّلام غافلين من غير تخيّل جماله واستحضار شخصه الكريم في قلوبهم ، وهو قرّة عيونهم وروح أنفسهم ؟ ! وهذا من قبيل المحال . كما قال أهل النظر : **الطلب بلا تصوّر محال** ؛ لأنّ توجه القلب إلى المطلوب . كما قال الغزالي في « الإحياء » في باب ما ينبغي الاستحضار في أركان الصلاة : واحضر في قلبك النبي وشخصه الكريم ، وقل : السلام عليك ، وليصدق أملك في أنّه يبلغه ويردّ عليك ما هو أوفى منه .

وأما الصلاة على النبي بلا محبة ولا استحضار شخصه ولا ملاحظة ذاته الكريم فقليل الفائدة ، بل كمشي البهائم . انتهى « الفتاوى العمرية » عبارته .

وفيه : نعم ؛ مخاطبة غيره ﷺ في الصلاة مبطلة لها ، وإحضار الصورة فيها والتسليم على صاحبها من خصائص روح الوجود وصاحب المقام المحمود ، كذا في « رسالة الرابطة » لمولانا خالد .

ولعلّ معناه : أنّ إحضار صورة الغير عند خطاب (السلام عليك) - [مبطل] ، وإلاّ ؛ **فإن مطلق إحضار صور الأولياء في الصلاة لأجل جلب الخشوع والحضور مطلوب مرغوب** ، كما قال حجة الإسلام الغزالي في باب الخشوع من « الإحياء » ما معناه :

فإن كان المصلّي لا يخشع في صلاته ؛ فَلْيُلاَحِظْ عنده أو خلفه أو أمامه رجلاً صالحاً يستحي منه ؛ من أستاذه أو شيخه ؛ وكأنه ناظر إليه ،

فحينئذٍ يتمّ ركوعه وسجوده وخشوعه وحضوره بسبب اطلاع ذلك الصالح على صلاته . « إحياء العلوم » ، فراجعه إن كنت من المذكّرين .

وفي الحديث : « إِسْتَحْيِ مِنَ اللهِ اسْتِحْيَائَك مِنْ رَجُلَيْنِ مِنْ صَالِحِي عَشِيرَتِكَ » .

وفي الحديث « عِنْدَ ذِكْرِ الصَّالِحِينَ تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ » . فكيف لا يجوز ذكر الصالحين وتفكرهم مع أنّا مأمورون به في قوله تعالى ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ .

ونقول : **السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين** ، فهل تكون القراءة بلا ملاحظة معنى بحيث لا يعرف توجُّه الضمائر ومرجعها فنلاحظهم ونذكرهم بالمحبّة الكاملة . وأما الشيطان في **أعوذ بالله من الشيطان الرجيم** وكذا اليهود والنصارى في ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ فنذكرهم على طريق العداوة ، ونخيل صورهم حين ذكر اسمهم بالبغض والنفرة . انتهى عبارته .

وقال الشيخ سليمان الزهدي قدّس سرّه في « تبصرة الفاصلين عن أصول الواصلين » بما نصّه هذا :

واعلم أنّ معاشر النقشبندية والخواجكانية متفقون على أنّ الرابطة[1] أصل من أصول طريقتهم المنتسبة إلى الصديق الأكبر ﷺ معنعناً ، وهم أهل الله الكرام ، وأهل الأمانة والإحسان وصاحب الحقّ اليقين . انتهى عبارته .

وقال القطب الحقيقي خالد البغدادي في « رسالته » بعد كلام بما نصّه : كلا إنّها - يعني الرابطة - أصل عظيم من أصول طريقتنا العلية

---

(١) فالربط بالقلب مع الشيخ أصل كبير في الاستفاضة ، بل هو أصل الأصول « رماح حزب الرحيم » عبارته ١٦٣ ج٢ . من هامش « جواهر المعاني » فراجعه . وفيه في الفصل الخامس والثلاثون ما ينبغي مراجعته . فراجعه في ٢ من الجزء الثاني . (منه) .

النقشبنديّة ، بل أعظم أسباب الوصول بعد التمسّك التّامّ بالكتاب العزيز وسنة الرسول عليه السّلام .

ومن ساداتنا من يقتصر في السلوك والتسليك عليها .

ومنهم من كان يأمر بغيرها ، مع التنصيص على أنها أقرب الطرق إلى الفناء في الشيخ الذي هو مقدّمة الفناء في الله تعالى .

ومنهم من أثبتها بنصّ قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ .

مهم

فقال من ساداتنا الكبار الشيخ عبيد الله المشهور بخواجه أحرار قدّس سرّه ما حاصله :

إنّ الكينونة مع الصادقين المأمور بها في كلام ربّ العالمين : الكون معهم صورة ومعنى ، ثمّ فسّر الكينونة المعنوية بالرابطة ، وهو عند أهله مشهور .

وفي كتاب « الرشحات » بالتفصيل مسطور : فكأنّهم لم يتصوَّروا معنى الرابطة اصطلاحاً ، وإلاّ لما وسعهم إنكارها ، إذ هي في الطريقة عبارة عن استمداد المريد من روحانية شيخه الكامل الفاني في الله بكثرة رعاية صورته ، ليتأدّب معه ، ويستفيض منه في الغيبة كالحضور ، ويتمّ له باستحضارها الحضور والنور ، وينزجر بسببها عن سفاسف الأمور ، وهو أمر معلوم لا يتصوّر جحوده إلاّ ممّن كتب الله تعالى في جبهته الخسران [1] ، واتّسم - والعياذ بالله تعالى - بالمقت والحرمان ، لأنّه إن كان ممن يعتقد بالأولياء ! فقد صرّحوا بحسنها وعظم نفعها ، بل واتّفقوا

---

(١) كذا في « البهجة » . (هامش الأصل) .

عليها ، كما لا يخفى على من تتبع كلماتهم القدسية ، واستنشق نفحاتهم الأُنسية ، وإلاّ ! فلا بدّ أن يعتقد بكلام أئمة الشرع ، **وأساطين الأصل والفرع ، فقد قال بها مِن كلِّ مذهب من المذاهب الأربعة أئمةٌ تصريحاً وتلويحاً** . انتهى .

ثم ذكر وسَرَد بعده كل من قال بها من أئمة المذاهب ، مع تعيين المواضع ، ليراجع إليها من ليس في قلبه مرض ، وأطال في ذلك .

وقال العالم محمّد الحلمي (المدرّس بمدينة كوملجنه) : وإن أخذ هذا القائل من الرابطة - التي هي الاستمداد من شيخه ظاهراً وباطناً ، والمحبة الكاملة له - معنى اتخاذ الشيخ مرشداً ومعبوداً بالذات ومقصوداً للمريد ، فهذا قول نشأ من عدم فرقه بين الرابطة المشروعة المقبولة عند أرباب الطريقة والشريعة وبين الرابطة المردودة التي سوَّاها بالصنم .

نعم؛ إن كان معنى الرابطة بهذا المعنى ! فنحن معه في مردوديَّته وإيجاب الكفر ، لكن الرابطة التي من آداب الطريقة بمعنى ربط القلب ظاهراً وباطناً بشيخه ومرشده القريب ، وبواسطته إلى مرشد مرشده ، وبواسطته إلى مرشد جميع المرشدين نبينا محمد ﷺ ، وبواسطته إلى خالقنا وهادينا بالذات ، **لأنّ مقصود جميع المريدين والمسلمين الوصولُ إليه** ، والكلام في هذا المرام كثيرٌ ، لكن العارف المنصف يكفيه القليل ، والجاهل المعاند لا يقبل الحقّ وإن تُلي عليه الفرقان والتوراة والزبور والإنجيل . انتهى . فراجع « هدية الذاكرين » من هامشه .

وفي « الرحمة الهابطة » : وقد ورد عليّ السؤال من بعض المعترضين وهو : أن الرابطة التي تأمرون المريد(١) بها لا تخلو بقرينة الأمر بها من أن يكون حكمها الإيجاب ، أو الندب ، وهما أمران شرعيان لا بدّ لهما

---

(١) وفي نسخة : المريدين .

من دليل ، والأدلّة : الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والقياس ، وغيرها من الأدلّة راجعٌ إليها ، فما الدليل[1] على ندب الرابطة ، أو وجوبها ؟ وأيضاً لا شكّ أنّ النبي ﷺ شيخ الصحابة ، لأنّهم أخذوا عنه الأذكار وغيرها ، فلم يبلغنا أنه أمرهم[2] بتصوّر صورته التي هي أكمل الصور الإنسانية ، فلو أمرهم لنقل ، لا سيّما إذا كان ذلك واجباً ؛ لأنّ الواجب ممّا تتوافر الدواعي على نقله . انتهى .

فأقول : الجواب عن هذا السؤال من وجوه :

الأول : أنّ الرابطة التي نأمر المريد بأمر السادة النقشبندية (الذين [طريقهم كما] قال الشهاب ابن حجر في « الفتاوى الصغرى » : إنها الطريقة

---

(١) والطريقة عين الاتباع وعين الشريعة لا يحتاج [إلى] السند والدليل من غيرهم ، فإنَّ رجال الطريقة العلية ثقاة . « مجموعة الرسائل » . (ببلات القلزمي) .(هامش الأصل) .

* وقال ﷺ في « لواقح الأنوار القدسية » ؛ وهي العهود الكبرى : أُخذَ علينا العهْد التامُّ العامُّ من رسول الله ﷺ أن لا نقبل من أحد من الأشرار هديَّةً ؛ كالظلَمة ، وأهل البدع ، فضلاً عن الكفار ؛ « لأَنَّ المَرْءَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » ولا نُحِبُّ أَنْ نُحْشَرَ مع ظالم أو مبتدع ، ولا كافر . فإنَّ مَنْ قبل هديَّةَ هؤلاء مال بقلبه إلَيْهم ضرورةً إلاّ أنَّ تحفه العنَاية بالسلوك على يد شيخ ناصح يسلك به في حضرات التوحيد ، حتى يصير يشهد المُلْكَ لله عزَّ وجلَّ وحده ، ويتحقَّق بذلك ذوقاً أنَّه إذا تنزَّل لِنسب الشرائع - بكسر النون - أضاف الأمور إلى الخلق من غير وقوف معهم ، وما لم يسلك العبد على يد شيخ لا يشهد الملك ببادي الرأي إلاّ للخلق ، ولا المنَّة في ذلك إلا لهم دون الله تعالى ، ولا يكاد يشهد المنَّة لله تعالى إلا بعد تأمل وتفكر . . إلخ . « سبيل النجاة » عبارته ١٥ للنبهاني قدس سره .

* روى ابن حبان وأبو الشيخ عن أنس ﷺ قال : « قال رسول الله ﷺ المؤمنون بعضهم [لبعض] نَصَحَةٌ وادّون ، وإن بعدت منازلهم ، وأبدانهم ، والفَجَرَةُ بعضهم لبعض غَشَشَةٌ متخاونون ، وإن قربت منازلهم وأبدانُهم » . « سبيل النجاة » عبارته ١٠ (هامش الأصل) .

(٢) وأيّ أمر أبلغ من قوله عليه الصلاة والسلام « وكونوا عباد الله إخواناً » أي : تعاونوا وتحابوا . « البخاري » عبارته . والمحبة ملزوم والرابطة لازمها على مقتضى « إذا أحب شيئاً أكثر ذكره » . فقولنا : رابطة شريفة من قبيل ذكر اللازم وإرادة الملزوم . (ببلاة القلزمي) . (هامش الأصل) .

السالمة من كُدُورات جَهَلة الصوفية) مندوبة ؛ لأنها من الوسائل الموجبة لدفع الخطرات ونفي الغفلة ، والوسائل لها حكم المقاصد ، والأمر الذي لم يَنْهَ عنه الشرع يَسُوغ فعلُه ، إما على طريق الإباحة ؛ إن أدى إلى مباح ، أو الندب ؛ إن أوجب مندوباً ؛ أو الوجوب ؛ إن حصّل واجباً لا يحصل بغيره ، فقد حصل لنا بالتجربة - ونحن قوم أكثر من عدد التواتر - أنا إذا تَصَوَّرْنَا الرابطة انتفت عنّا الأغيار كلّها وبقي هذا الغير وحده ، فنعرض عنه حينئذ ، وهذا مثل إنسان له أعداء ، فَتَوَدَّد إلى بعضهم وسلّطه على باقيهم ، فإذا أهلكهم عنه لم يبق إلاّ واحد ، فيقدر [على] إزالته فيزيله ، وهذا وجه ينبغي للمنصف أن يتأمّله ، فإنه ظاهر الحسن مطابق للواقع ، **لأن الرابطة ليست مرادة لعينها ، بل مرادةٌ لغيرها .**

الثاني : قولكم (لا تخلو بقرينة الأمر بها ، من أن يكون حكمها الإيجاب أو الندب) .

أقول : لا نُسَلِّمُ أنّ غير الشارع إذا أمر بأمر أن يكون حكمه الإيجاب أو الندب ، وأن الإنسان قد يأمر غيره بفعل مباح لغرض مّا من الأغراض له أو للمأمور ، وقد يأمر الطبيب المريض بشرب بعض الأدوية ، فإن كان امتثال أمر الطبيب واجباً ؛ أو مندوباً ، فما نستعمله من قبيله .

الثالث : قولكم (وهما الشرعيّان لا بدّ لهما من دليل) ! !

أقول : هذا بناء على قولنا (أنّ الرابطة توصل إلى أمر مندوب ، وما أوصل إلى المندوب مندوب) فالدليل موجود ، لا على قولكم (كل مأمور به لا يخلو من أن يكون حكمه الإيجاب أو الندب) لما ذكرنا من أن غير أمر الشارع قد يخلو منهما ويكون لغرض مّا .

الرابع : قولكم (والأدلة الكتاب) .

أقول : وهل يَغزب عن الكتاب شيء ! وهو قد جمع كل رطب ويابس . قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ ، والوسيلة بالأعمال الصالحة ، ولا تكون الأعمال صالحة إلا بالإخلاص ، ولا يكون العمل خالصاً إلا إذا خلا عن الشوائب ، وقد حصل لنا بالتجربة أنّا إذا اشتغلنا بالرابطة خَلَّتْ أعمالنا عن شوائب الغفلة ، **والعمل في الغفلة غير مُعْتَدٍّ به** ؛ لأنه لا يُكْتَبُ للعبد من صلاته إلا ما عقل[1] منها ، فهي من الوسائل الموجبة لزوال الغفلة ، **وزوال الغفلة مقصود** ، وما أوصل إلى المقصود مقصود ، ومن لوازم زوال الغفلة الحضور ، وهو من أشرف الوسائل ، فالرابطة الموجبة لزوال الغفلة الموجب للحضور من أشرف الوسائل[2] .

الخامس : قولكم (والسنة) .

أقول : وهل يشذُّ عن كلام النبي ﷺ شيء وتحت كل كلمة من كلامه من بحار المعاني ما يتوصّل به إلى خير ، قال ﷺ : « إِنَّما الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى » . والأعمال بدنية وقلبية ، فالحركات والتصوّرات المباحة إذا نوى بها الإنسان الطاعة أو التقوّي بها عليها فله ما نوى ؛ ولو لم يدرك مراده ، فكيف إذا تحقّق له حصول المراد ؟ ! ولا يخفى أن قول الجائع للشبعان : أنت جائع - مثلاً - لا يوجب له جوعاً ، فكذلك قول المعترض : ما نرى صحة ما ترونه ، لا يوجب عدم صحّة رؤيتنا ، فعليه أن يقول : ما تدَّعونه حقّاً ؛ فأنتم وشأنكم ، ولا يسوغ له غير ذلك إن نصح نفسه ! !

السادس : قولكم (والإجماع) .

---

(١) يشير إلى قوله ﷺ : « ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت » .

(٢) من قبيل : ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . (ببلات القلزمي) . (هامش الأصل) .

أقول : قد أجمع أهل من التصوف على عمل الرابطة ، وقرّره منهم الجمّ الغفير ، وهو عندهم طريق مشهور ، **وإجماعهم على عمل في مذهبهم حجة يجب قبولها على من تمذهب بمذهبهم** ، وسنورد أقاويلهم إن شاء الله ، ولا يسوغ لغيرهم الاعتراض عليهم بما لم يحط به علماً .

السابع : قولكم (والقياس) .

أقول : قال الفقهاء : يسنُّ للمصلي أن لا يجاوز بصره إشارته ، وذلك لأنه أجمع للهَمِّ وأدفع للتفرقة . فكذلك الرابطة تستعمل لدفع الأغيار واستجلاب الحضور .

الثامن : قولكم (فما الدليل على ندب الرابطة ؟ . . إلخ) .

مطلب مهم

أقول : الدليل يطلب من المجتهد لا من المقلد ، وإنما على المقلد تصحيح النقل ، فإن طلبتم دليلاً من كلام أهل الفن فسيأتي على أنه لا يلزمه إيراد غير كلام النقشبندية ، كما أنه لا يلزمنا لو طلب منا نصّ لمسألة في الفقه إراد [غير] كلام الشافعية .

التاسع : قولكم (لم يبلغنا . . . إلخ) .

أقول : ما يلزم من عدم بلوغه إيّاكم عدم ثبوته ، ولا يلزم من جهلكم به عدم علم غيركم به ، ولعله بلغكم ؛ وجهلتموه ! ومرّ عليكم ؛ ولم تعرفوه ! ! وهل للصحبة معنى سوى انطباع صورة النبي ﷺ في مرآة القلب الذي رآه مؤمناً ، أو انطباع صورة الشخص المؤمن في ذهن النبي ﷺ ، ولولا ذلك لم يعدّ من الصحابة من رآه النبي ﷺ ، وهل أمر أوضح من دعاء النبي ﷺ إلى مبايعته المستلزمة للرؤية ؛ المستلزمة لانطباع الصورة ؟ ! وإذا انطبعت الصورة في الذهن ظهرت لرائيها في مخيلته

مهما تذكّر المرئي ؛ شاء أو أبى ، ولو كان عدوًّا ! فاستحضار صورة[1] النبي ﷺ وتخيُّلها الذي هو المراد بقولنا : تصوّرْها محبةً له واشتياقاً إليه ، لا يقول بمنعها إلا أحمق خبيث . **فالأمر بمستلزِمٍ شيئاً مستلزماً شيئاً آخر أمر بذلك الشيء الآخر** .

العاشر : قولكم : (لا سيما إذا كان واجباً) ؛

أقول : لم يقل أحد من أهل التصوّف بوجوب الرابطة ؛ ولا باستحبابها لذاتها ، بل لما توصل إليه من المحابّ ، والمريد يلقَّنُ الرابطة وهو مخير في فعلها وتركها ، فإن ظهرت له فائدتها تأكّد عليه فعلها ، وإن تركها فقد ترك أدباً من الآداب ، هذا كلّه في البدايات ، وأما في النهايات ! فلا رابطة له سوى استغراقه في شهود من ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ، فما هو صورة تمثُّل ، ولا تقابل ، ولا تقبّل .

الحادي عشر : قدرنا مع هذا كله أنه لا دليل لنا ، ولا عمِل بهذا العمل أحد قبلنا ، وإنما نحن عملنا لما نرى من فائدته ! فهل ورد فيمن تصوّر صورة محبوبه وتخيّل أنه يقبّل يده ، أو رجله ، أو يضعه على رأسه ، أو جبهته ، أو يعتنقه ، أو يدخله في قلبه ، نهي من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس ؟ ! شعر :

---

(١) الرابطة عبارة عن المحبة الكاملة ، فيستلزم عليها بالضرورة التوجه والتصور وربط القلب به وتذكره على مقتضى : إذا أحب شيئاً كثر ذكره ، مع أن الصحابة كانوا عارفين شخصه الكريم بالمشاهدة وعالمين بمعنى اللغة والكلام ، فهل يتصور منهم أن يصلّوا على النبي غافلين ؟ من غير تخيل جماله واستحضار شخصه الكريم في قلوبهم وهو قرة عيونهم وروح أنفسهم ، وهذا من قبيل المحال ، كما قال أهل النظر : الطلب بلا تصور محال ، لأنه توجه القلب نحو المطلوب ، كما قال الغزالي في « الإحياء » في باب ما ينبغي الاستحضار في أركان الصلاة : واحضر في قلبك النبي وشخصه الكريم وقل السلام عليك . « فتاوى العمرية » . (وأنا الحقير القاضي ببلات القلزمي) . (هامش الأصل) .

لِي سَادةٌ مِـنْ عِزِّهِـمْ　　أَقْـدَامُهُمْ فَوْقَ الجِبَاهْ
إنْ لَمْ أَكُنْ مِنْهُمْ فَلِي　　فِـي حُبِّهِمْ عِزٌّ وَجاه

وإذا تقرّر عندنا أنه يحصل بواسطة الرابطة انتفاء الغفلة ؛ فالاشتغال بها من مهمات آداب الطريق ؛ إذ من المعلوم أنّ زوال الغفلة مطلوب ، وهو مفتاح السعادات ، وأن الحضور روح العبادات ، وزوال الغفلة لا يكون إلاّ بنزول رحمة الله تعالى على عبده ، **ومن أسباب نزول الرحمة : ذكر الصالحين ، و« عِنْدَ ذِكْرِ الصَّالِحِينَ تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ »** ، وذكرهم من لوازم محبّتهم ، ومحبتهم فرض لقوله عليه السّلام : « وَهَل الدينُ إلاّ الحُبُّ فِي اللهِ وَالبُغْضُ فِي الله ! ! » الحديث ، ومحبتهم محبة الله ، لقوله ﷺ حاكياً عن الله تعالى : « أَوْجَبْتُ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ . . . » الحديث ، وعداوتهم محاربة مع الله ، لقوله تعالى على لسان نبيّه ﷺ « مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ » الحديث ، فما استعمله الصفوة من عباد الله عين ما حكاه ﷺ . فالذي أرى أن تصمَّ سمعك عن الافتراء ، ولا تصحب من كذب وافترى ، وتصون لسانك عن المراء ، وتنقاد للحق وتخضع ، وفي رَدِّي عن طريقي لا تطمع ، وإن تعدل كلَّ عدل لا ينفع . انتهى عبارته ٢٢٧ .

ورأيت في « جواهر المعاني » ما نصه : **فليكن المريد مع شيخه كما هو مع نبيّه ﷺ في التعظيم ، والمحبة ، والاستمداد ، والانقطاع إليه بالقلب ، فلا يعادل غيره في هذه الأمور ، ولا يشارك غيره** . انتهى عبارته ١٣٣ ، ج١ .

وفي هذا إشارة إلى معنى الرابطة ، فتدبّره .

وفي « الرسالة الخالدية » في الآداب : ثمّ يتوسل إلى مرشده ويتخيّله مُواجهاً وناظراً بجبهته إلى وجهه الشريف ، بل إلى ما بين عيْنيه لأنه محلّ الفيض ، ولا يقطع النظر عنه ؛ إما بالرؤية إن كان من أهل الرؤية ، أو

بالوجدان والإيقان إن لم يكن من أهل الرؤية ، **ثمّ لو لاحظ دخول الرابطة إلى خزانة الخيال وحفظ هنالك كربع ساعة لكان أقوى ، ولو لاحظ وجهه الشريف محاذياً إلى قلبه ونفسه ناظر[1] إلى نفسه في وقت الذكر ، لكان أجمع وأبعد عن التفرقة ،**

مهم

ويسمّى ذلك التخيل الرابطة الشريفة ، كما مرّ ذكره في الباب الأوّل ، وهو الركن الأعظم ، ومهذّب النفس ، ومهرب للشيطان ، ومنبع للفيض الإلهيّ من الفياض الحقيقي ، وواسطة للوصول إلى ربّه جلّ شأنه .

وقد قال بعض المحققين : الرابطة خير من الذكر . أي : بنسبة إلى حال بعض المبتدئين ، فلا بدّ من غاية الاعتقاد إلى حدّ : لو يقبلني هو يقبلني الله تعالى ، ولو يطردني يطردني الله تعالى ، فلا نجاة لي في شيء غير قبوله ، ولا بدّ أيضاً من دوام التضرّع والالتجاء إليه للامتداد والقبول ، ولو أنزل الرابطة إلى قلبه لجاز أيضاً كما مرّ .

وبعد الرابطة : (البازكشت) ؛ وهو : أن يقول بالقلب أو مع اللسان أيضاً (**إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي**) ثلاثاً بكمال ملاحظة معناه ، ويتحرّى للصدق في ذلك القول ، وليستغفر من قول لو كان من الكاذبين . انتهى .

وفيه بعد ذلك : وإن لم تندفع - يعني الخطرة والوسوسة - فيتوسّل بالرابطة ؛ واضعاً قدمه الشريف على قلبه لدفع تلك الوسوسة . انتهى عبارته .

وقال الغوث الأعظم الإمام الرباني أحمد الفاروقي مجدّد الألف الثاني :

---

(١) لعل الصواب : ناظراً .

وينبغي أن يعلم أن سلوك هذا الطريق العالي برابطة المحبة للشيخ المقتدى به الذي سار في هذا الطريق بالسير المرادي ، وانصبغ بقوّة الجذبة بهذه الكمالات ، وصاحب هذه الكمالات إمام الوقت وخليفة الزمان ، نظره شفاء الأمراض القلبية ، وتوجّهه رافع العلل المعنوية ، الأقطاب والبدلاء فرحون بظِلال مقاماته ، والأوتاد والنجباء قانعون بقطرة من بحار كمالاته ، نور هدايته وإرشاده فائض على جميع الأشخاص ، كنور الشمس بلا إرادته ، فكيف إذا أراد ؟ ! . . إلخ . انتهى عبارته . من « الدرر المكنونات » في ٢٥٢ من الجزء الأول .

وفي « نور الهداية » ما نصّه : والرابطة الشريفة عند هؤلاء السادة الأبرار والقادة الأخيار طريق مشهور ، وسنن بألسنة أهل السنة مشكور ، وقد قال عليه الصلاة والسّلام : « لاَ تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلاَلَةٍ » ، وقال ﷺ : « مَا رَآهُ المُؤْمِنُونَ حَسَناً فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ » رواه ابن مسعود مرفوعاً وموقوفاً .

على أنه لا يجب علينا الاستدلال على الرابطة الشريفة بدليل ؛ لأن دليل من قلّدناه من العلماء العاملينً والأولياء العارفين كافٍ وافٍ بالمقصود ، كما أن الأئمة المجتهدين أساطين الدين المتين - رضوان الله تعالى عليهم أجمعين - لا يلزم من قلدهم أن يطلب منهم الدليل باتفاق المحقّقِّين .

ولا يخفى على اللبيب المنصف أنّ ما استعمله الصفوة من عباد الله وأجمعوا عليه عين ما حثّ عليه سيّدنا رسول الله ﷺ ، فهو حجّة لكل من انتظم في سلكهم ، واستوى في ركوب بحر الحقيقة على فلكهم ، فكيف يسوغ اعتراض الأخ المنكر لها - تاب الله عليه - على هؤلاء القوم ؛ منهم : الجنيد ، والجيلي ، والدسوقي ، والغزالي وأضرابهم ممن علا قدره ونما ذكره ، فإنهم في الحقيقة هم الذين قرّروا الرابطة الشريفة ،

واستنبطوها بكيفيتها المنيفة ، وشيّدوها بالأدلة العقلية والبراهين النقلية ، لما ثبت عندهم بالوجدان الصحيح والنقل الصريح ، بأنها أقرب الطرق إلى الفناء في الشيخ الذي هو مقدّمة الفناء في الله تعالى .

قال سيدنا سفيان الثوري ﷺ : لا نجاة يوم يخسر المبطلون إلاّ للنبي ، أو تابع النبي ، أو محبّ له ، ولو أنّ عارفاً بالله تعالى في مشرق الشمس ينطق بحقيقة ورجل محبٌّ له في مغربها ، لكان له نصيب من ذلك على حسب قسمته وتهذيب محبته ، وأنّ رجلاً ليعانق الرجل ، وإنّ بينه وبينه لأبْعَدَ ما بين المشرق والمغرب ! وقلب العارفين يكتب ، وقلب المريدين يكتب فيه . نقله الشيخ المحقّق حسين الدوسري البصري في « الرحمة الهابطة » .

وقال القطب الأعظم والغوث الأفخم سيدي إبراهيم الدسوقي قدّس الله سرّه : **يا أولادي** ؛ إن صحَّ عهدكم معي فأنا قريب منكم ، فإن أخذتم عهدي وعملتم بوصيّتي وسمعتم كلامي ؛ فلو كان أحدكم بالمشرق وأنا بالمغرب وورد عليكم من المشكلات شيء تستخيرون به ربّكم ؛ فوجِّهوا وجوهكم إليّ ، وأطبقوا أعين حسِّكم وافتحوا أعين قلبكم ، فإنكم تروني جهاراً ، وتستشيروني في جميع أموركم ، فمهما قلته لكم فاقبلوه وامتثلوه ، وليس هذا خاصّاً بي ، هو لكلّ شيخ ، صدقتم في محبّته قد يعلم ذلكم شيخكم ؛ وقد لا يعلمه ، هكذا جرت سنّة الله تعالى مع أوليائه . انتهى نقله الشيخ حسين الدّوسري في « الرحمة الهابطة » . وأقرّه الشعراني في « الطبقات الكبرى » .

مطلب مفيد

وقال إمام العلماء وقدوة الأصفياء ، سيّد الطائفتين ومستند الفرقتين ؛ الجنيد قدّس الله سرّه في بيان شروط الخلوة ما نصّه : **وأقرب الطرق إلى حصول المقصود دوام ربط القلب بالشيخ ، واستفادة علم الوقائع منه**

حتّى يفني بصره في تصرّف الشيخ . انتهى . نقله الإمام العارف الشيخ محمود عزيز الرومي الإسكداري المشتهر بالهدائي قدّس الله سرّه في كتابه « جامع الفضائل وقامع الرزائل » .

وقال حجة الإسلام وقدوة الأنام سيدنا أبو حامد الغزالي قدّس سرّه في كتابه « المصون الكبير »[1] في فصل الثامن ؛ من الركن الرابع ما نصّه :

---

(١) وفي النسخة : « المضنون الكبير » .

* ويتوسّل إلى الله تعالى بأنبيائه والصالحين « بريقة » عبارته ١٨٥ ج٢ . وجوَّز في « البزازية » أن يقول : بحرمة فلان ، وفي « المنية » : وفي الآثار ما يدل على الجواز . أقول : بل الاستحباب ، كما نقل عن بعض العارفين : إذا سألتم من الله شيئاً فاسئلوه بي ، فإني أنا الواسطة الآن بينكم وبينه . وعن أبي العباس المرسي : من كانت له حاجة إلى الله فليتوسل لقضائها بالغزالي . ونحوه كثير في الكتب كـ « الحصن الحصين » . « بريقة » عبارته ٣٣٤ ج٢ .

* **الفقه** : العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية ، كقوله تعالى ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ ﴾ . « جوامع » .

أقسام الحكم الشرعي

والحكم : خطاب الله المتعلق بفعل المكلّف . « الجوامع » . ويتناول الفعل القلبي الاعتقادي والقولي (منه) . ومن ثم لا حكم إلا لله . (منه) . فإن اقتضى الخطاب ؛ أي : طلب كلام الله النفسي الفعل اقتضاء جازماً بأن لم يجوّز تركه **فإيجاب** ، أي : فهذا الخطاب يسمّى إيجاباً ، أو اقتضاء غير جازم بأن جوَّز تركه **فندب** ، أو اقتضى الترك لشيء اقتضاء جازماً بأن لم يجوّز فعله **فتحريم** ، أو اقتضاء غير جازم بنَهْي مخصوص بالشيء **فكراهة** ، أو بغير مخصوص **فخلاف الأولى** ، أو اقتضى الخطاب التخيير **فإباحة** ، **والإباحة** : حكم شرعي ، إذ هي التخيير بين الفعل والترك . (منه) .

والفعل- كالطهارة ، سبباً كان أو شرطاً - المقدور للمكلّف الذي لا يتمّ أي لا يوجد الواجب - كالصلاة - المطلق إلا به واجب ، إذ لو لم يجب لجاز ترك الواجب المتوقّف عليه . « جوامع » . وقال ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنّما لكل امرئ ما نوى » ، والأعمال بدنية وقلبية .

والنص : ما أفاد معنى لا يحتمل غيره كزيد ، فإنه مفيد للذات المشخّصة من غير احتمال لغيرها . **والظاهر** : ما احتمل مرجوحاً كالأسد . « جوامع » . =

فصل ؛ أمّا التقرّب لمشاهدة الأنبياء والأئمة عليهم الصلاة والسّلام ! فإن المقصود منه الزيارة والاستمداد من سؤال المغفرة وقضاء الحوائج من أرواح الأنبياء عليهم السّلام ، والعبارة عن هذه الإمداد الشفاعة ، وهذا يحصل من جهتين : الاستمداد من هذا الجانب ، والإمداد من الجانب الآخر ، ولزيارة المشاهد أثر عظيم في هذين الركنين .

أما الاستمداد ! فهو بصرف همّة صاحب الحاجة باستلاء ذكر الشفيع والمزور على الخاطر حتى تصير كلية همَّته مستغرقة في ذلك ، ويُقبل بالكليته على ذكره وخطوره بباله ، وهذه الحالة سببٌ منبّه لروح ذلك الشفيع أو المزور ؛ حتى تمدّه تلك الروح الطيّبة بما يستمدّ منها ، ومن أقبل في الدنيا بهمّته وكليّته على إنسان في دار الدنيا ، فإن ذلك الإنسان يحسّ بإقبال ذلك المقبل عليه ويخبره بذلك ، فمن لم يكن في هذا العالم ؛ فهو أولى بالتنبّه وهو مهيّء بذلك التنبيه ، فإن إطلاع من هو خارج عن أحوال العالم إلى بعض أحوال العالم ممكن ، كما يطلع في المنام على أحوال من هو في الآخرة ؛ هل هو مثاب أو معاقب ؟ فإن النوم صِنْو الموت وأخوه ، فبسبب النّوم صرنا مستعدِّين لمعرفة أحوال لم نكن مستعدّين في حالة اليقظة لها ، فكذلك من وصل إلى الدار الآخرة ومات موتاً حقيقيّاً كان بالاطلاع على هذا العالم أولى وأحرى ، وكما

=**ومدلول اللفظ** : إما معنى جزئي أو كليّ . **الأول** : ما يمنع تصوره من شركة فيه ، **والثاني** : ما لا يمنع كمدلول الإنسان . « جوامع » . **ولم يقل أحد من أهل التصوف بوجوب الرابطة ولا باستحبابها لذاتها ، بل لما توصّل إليه من المحاب ، فهل ورد فيمن تصور صورة محبوبه نهي من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس . (قحي رحمه الله تعالى) . فإن كانت محبة الله ورسوله ومحبة الأولياء والعارفين وربط القلب بهم واجبة ، فلتكن الرابطة واجبة ، أو مندوبة فمندوبة ، أو محرّمة فمحرَّمة ، أو مباحة فمباحة ، ليس إلا . ومن لم يرض على هذا فليكن صامتاً أو ناطقاً ، وهذا حاصل كلامنا وفعلنا ، والحمد لله على ذلك . والرابطة : فعل قلبي موصل إلى ربط القلب بالله تعالى وبرسوله ﷺ . (وأنا الحقير القلزمي القاضي ببلات) .**

تؤثّر مشاهدة صورة الحيّ في حضور ذكره وخطور نفسه بالبال ، فكذلك تؤثّر مشاهدة ذلك الميّت ومشاهدة تربته التي هي حجاب قالبه ؛ فإنّ أثر ذلك الميّت في النفس عند غيبة قالبه ومشهده ليس كأثره في حال حضوره ومشاهدة قالبه ومشهده ، ومن ظنّ أنّه قادر على أن يُحضر في نفس ذلك الميت عند غيبة مشهده كما يحضر عند مشاهدة مشهده ؛ فذلك ظنّ خطأ ، فإنّ للمشاهدة أثراً بيّناً ليس للغيبة مثله ، ومن استعان في الغيبة بذلك الميت لم تكن هذه الاستعانة أيضاً جزافاً ، ولا تخلو عن أثر مّا ، كما قال عليه الصلاة والسّلام : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّيتُ عَلَيْهِ عَشْراً » و« مَنْ أَجَابَ المُؤَذِّنَ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي » و« مَنْ زَارَ قَبْرِي حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي » انتهى باختصار .

فإن قال المنكر لها[1] - تاب الله عليه - : إنّ هذا النقل يوجب الارتباط بمن هو حيّ ويضعف الارتباط بغيره !

قلنا : الارتباط إنما يكون بمن هو فان عن وجوده ، والارتباط بغيره لا يوجب الفناء للسالك ، بل قد يورطه في المعاطب والمهالك ، كما أفاده حضرة سيدي العم في بعض مكتوباته ، فحيث تحقّقنا الفناء في شخص ارتبطنا به ؛ سواء كان حيّاً ، أو ميّتاً ، ولا فرق في ذلك عندنا إلاّ بمقدار ما ذكره حجة الإسلام ، فليعلم ذلك !

وممّا يؤيّد هذا ما قاله الإمام المحقق الشاه أحمد وليّ الله المحدّث الدهلوي في « الحجة البالغة » : إنّ الإنسان إذا مات كان لنسمته نشأة أخرى ، فينشئ قبض الروح الإلهي فيها قوةً فيما بقي من الحس المشترك تكفي كفاية السمع والبصر والكلام بمدد من عالم المثال ، أعني : القوة المتوسطة بين المجرّد والمحسوس المنبثة في الأفلاك كشيء واحد ، وربما تستعدّ النسمة حينئذ للباس نورانيّ أو ظلمانيّ بمدد من عالم المثال ، ومن هناك تتولّد عجائب عالم البرزخ . انتهى .

---

(١) أي : الرابطة . (هامش الأصل) .

كلام الإمام الرباني في الرابطة

ويرشِّح ما ذكره العلامة العارف الشيخ يونس الكردي الإيراني في «معرَّباته» (مراسلات برهان الولاية المحمدية، وحجة الشريعة الأحمدية، المبعوث الرحماني لتجديد الألف الثاني شيخ مشائخنا أحمد الفاروقي السرهندي) المعروف بـ(الإمام الرباني) ما نصّه: فيستوي في هذه الطريقة في إفادتها الأحياء والأموات، وفي استفادتها الشيوخ والصبيان، **وذلك لأنّ سلوك هذه الطريقة العلية مربوط بالرابطة بالشيخ المقتدى به ومحبته الذي قطع هذا الطريق بالسير المرادي، والتصبّغ بقوة الجذبة بهذه الكمالات**، فنظره شاف للأمراض القلبية، وتوجّهه دافع للعلل المعنوية، وارتباطنا حبّيٌّ، ونسبتنا انعكاسي وانصباغي، لا يتفاوت في القرب والبعد، وإذا كان الإفادة والاستفادة في هذا الطريق حُبّيّاً وانعكاسيّاً وانصباغيّاً؛ فينصبغ المريد في هذا الطريق برابطة المحبة بالشيخ المقتدى به بلونه وصبغه ساعة فساعة، ويتنوّر بطريق الانعكاس بأنواره. انتهى ملخصاً.

وقال الإمام العارف بالله تعالى سيدي المصطفى البكري الصدّيق قدّس الله سرّه في «المنهل العذب» ما نصّه:

وحيث كان مقصود أهل الطريق من هذا الورد - أي الستار - المشاهدةَ والمراقبةَ وحصولَ الجمعيّة الباطنة بواسطة الجمعية الظاهرة؛ فاستماعه أرفع من قراءته وحده، فإنّ تلاوته ذكر لسانيّ، وذكر القلب أرفع منه، وثمرته المشاهدة، وهي المقصودة من المجاهدة، وفي جمع الظاهر والباطن على الله تعالى سرٌّ كبيرٌ.

وقد أسَّس السادة النقشبندية طريقتهم على هذه الجمعية؛ فيجتمعون على الشيخ، ويتعلّقون بباطنه تعلّق الرضيع بأمّه، ويُقْبِلُونَ عليه ويتحلّقون

بين يديه حتى يجعلونه فيهم قلباً ، ويتعشّقون جميلَ صفاته ، وتختلف منهم المراقبة باختلاف الأحوال ؛ فمنهم المراقب لباطن الشيخ بشهود الحضرة ، ومنهم المشاهد لظاهره ، ومنهم المشاهد لخياله .

ويشتغل الشيخ لشهود الحضرة المحمّديّة والذات العلية الأقدسية ، ويستمدّ منها بواسطة النبي ﷺ ، ويفيض على حُضّار مجلسه اللابسين من أثوابه وملبسه ، فعند ذلك تشرق فيهم تلك الإمدادات الربانية ، وتبرق عليهم بوارق هاتيك اللمحات الأقدسية ، فيستغرقون في حضور هذا المجلس المختصّ بالتطهير والتقديس عن رؤية أهل الكائنات ، **فهذه** جلسة المريد الصادق مع شيخه والإخوان ، كذا ذكره العالم الرباني سيدي الشيخ عمر جعفر الشبراوي - قدّس الله سرّه - في كتابه الجليل المسمّى بـ « مفتاح الأسرار على ورد الستار » .

وقال العالم الإمام ، والمحدِّث العارف الهمام ؛ سيدي الشيخ تاج الدين بن زكريا العهندي العثماني معرِّب « النفحات » و« الرشحات » قدّس الله سرّه في رسالته المشهورة بـ « التاجية الصغرى » ما نصّه : وإذا فرغ من مهماته الدنيوية يتوضّأ - يعني المريد - وضوءً جديداً ، ويدخل خلوته ، وأوّل ما يجلس يستحضر صورة شيخه . انتهى .

مهم أيّ مهم

وقال العالم العلامة قدوة العارفين ، وزبدة المحقّقين ؛ سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي قدّس الله سرّه في شرحه للرسالة المذكورة المسمّى بـ « مفتاح المعيّة » عند قول الماتن : يستحضر صورة شيخه على أكمل الأحوال ليحصل له المدد منه ، فإنّ شيخه بابه إلى حضرة الله تعالى ، ووسيلته إليه ، كما قال الله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ وقال تعالى ﴿وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ ولا قدرة للسالك

في ابتداء سلوكه أن يعرف ربّه حتى يسقط الواسطة بين الله وبينه ، وإذا لم يعرف ربّه لا يمكنه أن يشهده بقلبه إلاّ مخلوقاً حادثاً ، فإن شهده على أنه ربّه فهو من الكافرين - نعوذ بالله - فالواجب عليه أن يشهد شيخه ويتصوّر صورته حتى يستمدّ من الله تعالى بسبب تعظيم صورة شيخه المستمدّ منه تعالى ، ويبقى على ذلك حتى يحصل له الفتح الإلهي ، ونحن لا ننكر أن إسقاط الواسطة للمريد واستحضاره ربّه هو الأكمل ، ولكن نعلم عن يقين علماً ذوقيّاً وجدانيّاً بحسب ما كنّا عليه أن هذا لا يمكن للمريد في ابتداء سلوكه أبداً بالضرورة ، فإنّ جميع الخواطر والمقاصد لا تقع إلاّ على مخلوق حادث ؛ يعرفه العارف ويجهله الجاهل ، وذلك المخلوق الحادث هو الربّ عند الجاهل ؛ لعدم معرفته ، ولا عذر في الكفر ، **فيجب عليه اتخاذ الوسيلة** ليفرق بين الحادث المقدور على إدراكه ؛ والقديم المعجوز عن إدراكه ، فرقاً شهوديّاً ذوقيّاً ؛ لا خياليّاً !

ثم بعد ذلك يسقط الواسطة . ولهذا قالوا : (**من لا شيخ له فشيخه الشيطان**) . ومتى كان شيخه الشيطان كان في الكفر ، حتى يتّخذ له شيخاً متخلّقاً بأخلاق الرحمن ، قال الله تعالى ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ انتهى .

مطلب

وقال القيوم الرباني مجدد الألف الثاني سيدنا الشيخ أحمد الفاروقي السهرندي قدّس الله سرّه في المجلد الأول من كتاباته الفارسية ما هذا ترجمته :

اعلم أن المقصد الأقصى ، والمطلب الأسنى الوصول إلى جناب القدس جلّ وعلا ، ولما كان الطالب في الابتداء - بواسطة تعلقات شتى -

في غاية التدنس والتنزل ، وجناب قدسه تعالى في كمال التقديس والتنزيه ، والمناسبة التي هي سبب الإفاضة والاستفاضة بين الطالب والمطلوب مسلوبة ، فلا جرم أنه لا بدّ من مرشد كامل بصير بالطريق يكون برزخاً ، ويكون له حظّ وافر من الطرفين ؛ حتى يصير واسطة لوصول الطالب إلى المطلوب ، وبقدر ما يحصّل الطالب المناسبة بينه وبين المطلوب يخرج المرشد بذلك المقدار نفسه من البين ، ومتى حصل للطالب المناسبة التامة خرج المرشد من البين بالكلية ، وأوصله إلى المطلوب من غير توسّطه ، ففي الابتداء والوسط لا يمكن شهود المطلوب دون مرآة المرشد ، وفي الانتهاء يتجلّى له جمال المحبوب دون واسطته ، ويحصل له الوصل العريان ، والذي قال : لو خطر المرشد في ذلك الوقت لقطعت رأسه من جسده من الجنون ، فإن أرباب الاستقامة لا يقولون ذلك ، ولا يسيئون الأدب هنالك ، بل يطلبون مراداتهم من بركات المرشد . انتهى من «زبدة الوسائل الفاروقية وعمدة المسائل الصوفية» ، أعني : معربات العارف الكبير الشيخ يونس بن عبد الرحمن الكردي الإيراني نزيل دمشق الشام قدّس الله سرّه .

وقال القطب العارف(١) من بحر حقّ اليقين ابن عطاء الله الإسكندري ، والإمام تاج الدين الشاذلي قدّس الله سرّه في كتابه «مفتاح الفلاح» في آداب الذكر : قالوا - يعني المشائخ - : وإن كان ، أي : المريد ، تحت نظر شيخ يخيل شيخه بين عينيه ، فإنه رفيقه في طريقه ، وهاديه ، وأن يستمدّ أول شروعه في الذكر من همته ، معتقداً أن استمداده منه هو استمداده من النبي ﷺ؛ لأنه نائبه . انتهى . نقله الدوسري في «الرحمة الهابطة» .

---

(١) وفي نسخة : الغارف .

التصور والتصوير

وقال العالم الإمام ، والفاضل الهمام ؛ مولانا الشيخ أحمد سعيد صاحب زاده المجددي قدّس الله سرّه في كتابه « الفوائد الضابطة في إثبات الرابطة » الذي ترجّمه من اللغة الفارسية حفيده العارف المحقق مولانا محمد معصوم نجل الشيخ عبد الرشيد العمري المجددي قدّس الله سرّهما ما نصه :

اعلم أن التصوير في الشريعة المحمدية ممنوع ، والتصوّر محمود ، والمنع من التصوّر ما وجدناه في كتاب قطّ ، بل حصول العلم بأسرها موقوف على التصوّر ، كما لا يخفى على الأذكياء ، **وفي حفظ صورة الشيخ حال الذكر عين حكمة التذكير ، لأنّ المذكر واقف لديه لا يتركه غافلاً عن الله سبحانه وتعالى لمحة واحدة** ، ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ .

وقال المحقق الشيخ عبد الحق الدهلوي في رسالته :

الرابع : أن يستمدّ بقلبه عند شروعه في الذكر بهمة شيخه ، ولو نادى شيخاً بلسانه في الاستعانة جاز . انتهى .

قال الشيخ جبرائيل الحزب أبادي : إذا ابتدأ بالذكر يحضر صورة شيخه في قلبه ويستمدّ منه ، إذ قلب شيخه يحاذي قلب شيخ الشيخ ، إلى الحضرة النبوية ، وقلب النبيّ ﷺ دائم التوجّه إلى الحضرة الإلهية ، فالذاكر إذا صوّر صورة شيخه في قلبه تفيض الأمداد من الحضرة الإلهية على قلب سيّد المرسلين ، ومن قلب سيّد المرسلين على قلوب المشائخ على الترتيب ، حتى ينتهي إلى شيخه ، ومن قلب شيخه إلى قلبه ، فيقوى على قلبه استعمال الآلة ، **إذ هو في البداية على مثال الطفل ليس له قوة استعمال الآلة على وجه الذي يؤثّر ويقع محصلاً للغرض** ، وإن كان بيده

سيف الله وهو الذكر ، قال ﷺ : « الذكْرُ سَيْفُ اللهِ » ، ولكن ليس للسيف ضارب إلاّ لقوة مستفادة من حضرة بنيّ السيف ، فإذا استمدّ من شيخه جاءه المدد ، لقوله تعالى ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ .

الخامس : أن يرى استمداده من شيخه ، هو استمداده من النبي ﷺ ؛ لأنه نائبه . انتهى من عينه .

وقال نور سلالة الهاشمية الكامل السيد مشيخ بن السيد صادق باعبود الباعلوي قدّس الله سرّه المتوفى سنة سبعين ومائة وألف في رسالته « النفحة المحمّدية » في الباب الثاني منها ما نصّه :

فإن حصل للمريد فتور ! ! فليجدِّد الرابطة بالشيخ الذي وصل إلى مقام المشاهدة وتحقق بالتجلي الذاتي ، فإن رؤيته بمقتضى « هُم الذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ الله تَعَالَى » تفيد فائدة الذكر ، وصحبته بموجب « هُمْ جُلَسَاءُ اللهِ تَعَالَى » تنتج صحبة المذكور ، وإذا تيسّرت صحبة مثل هذا العزيز الوجود ، ورأى المريد أثره في نفسه ؛ فينبغي أن يحفظ ذلك الأثر المذكور ، وإن لم يحصِّل لمريد من صحبة ذلك الشيخ أثراً في نفسه ؛ ولكن حصل له محبّة وانجذاب إلى الله تعالى ! فينبغي للمريد أن يحفظ صورة شيخه في الخيال ، ويتوجَّه إلى القلب الصنوبري حتى تحصل له الغيبة والفناء عن النفس . انتهى .

وقال العالم الإمام الكامل الهمام ؛ الشيخ محمّد بن سليمان الحنفي البغدادي في كتابه « الحديقة الندية والبهجة الخالدية » عند بيانه طرق الوصول إلى الله تعالى والفناء عند الأئمة النقشبندية ما نصّه :

الطريقة الثانية : الرابطة ؛ وهي : طريق مستقل للوصول ، وهو عبارة عن ربط القلب بالشيخ الواصل إلى مقام المشاهدة المتحقق بالصفات الذاتية ، وحفظ صورته في الخيال ولو بغيبته ، فرؤيته بمقتضى « هُم

الذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ الله تَعَالَى » تحصل بها الفائدة ، كما تحصل من الذكر بموجب « هم جلساء الله تعالى » ، ولا يخفى ما ورد من الأحاديث في الحثّ على الجليس الصالح .

والشيخ كالميزاب ينزل الفيض من بحره المحيط إلى قلب المريد المرابط ، وإن وجد الفتور في الرابطة ، يحفظ صورة شيخه في خياله بموجب : « المَرْء مَعَ مَنْ أَحَبَّ » فبحفظه الصورة يتحقق ويتصف المريد بأوصاف الشيخ وأحواله .

وقيل : **الفناء في الشيخ مقدمة الفناء في الله تعالى** ، وإن وجد في استحضار الصورة سكراً وغيبة يترك الالتفات إلى الصورة ؛ فيكون متوجّهاً إلى ذلك الحال ، كما نقل في مقامات الإمام نقشبند قدّس الله سرّه : أنه كان واحد من الصوفية مشغولاً بطريق الرابطة ، وكان يوماً في مجلسه متوجّهاً إلى الصورة ؛ فوجد أثر الغيبة ، وما التفت إلى الغيبة ، فقال حضرة الخواجه نقشبند : خَلْني ، وكن متوجّهاً إلى تلك الغيبة ؛ لأنّ زمان الغيبة عما سوى الله تعالى يسمّونه **زمان الوصول والشهود في اصطلاح القوم . انتهى** .

آداب هذا الطريق ثلاثة

قلت : ومما يرشح هذا أيضاً ما نقله الإمام العارف الخواجه صلاح بن المبارك في كتابه « المقامات البهائية » ؛ عن قطب البلاد وغوث العباد ؛ صاحب العَلَم والبَنْد ؛ مولانا وسيدنا الشيخ محمّد بهاء الدين المعروف بشاه النقشبند قدّس الله سرّه أنه كان يقول : **الطريقة كلها أدب ، وشرط طالب هذا الطريق ثلاثة** آداب :

أدب بالنسبة إلى الحق سبحانه وتعالى ، وأدب بالنسبة إلى حضرة الرسول ﷺ ، وأدب بالنسبة إلى مشائخ الطريق .

أما الأدب الذي بالنسبة إلى الحق تعالى ! فهو أن يكون في الظاهر والباطن مستكملاً للعبودية بامتثال الأوامر واجتناب النواهي معرضاً عن السوى بالكلية .

وأما الأدب الذي بالنسبة إلى حضرة الرسول ﷺ! فهو أن تدخل نفسك بالكلية إلى مقام ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ ، وتُرَاعِيَ ذلك في جميع الأحوال على سبيل الوجوب ، وتعلم أنه واسطة الحق تعالى في جميع الموجودات ، كلّ شيء وكلّ أحد منطرح على أعتاب عزّته .

وأما الأدب الذي بالنسبة إلى مشائخ الطريقة ! فهو واجب ولازم على الطالبين ، لأنهم - رضي الله تعالى عنهم - بواسطة متابعة النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم وصلوا إلى مقام الدعوة إلى الحق ؛ فينبغي للمريد أن يكون في الغيبة والحضور مراعياً لأحوالهم ، مقتدياً بهم ، متمسكاً بأزيالهم . انتهى .

الخلوة

وقال المحقق الهمام ، والمدقق المقدام ؛ قطب العارفين سيدي الشيخ زين الدين الحافي قدّس الله سرّه في كتابه «الوصايا القدسية » ما نصه :

والثاني : دوام الخلوة ، يدخل فيها كما يدخل في المسجد ؛ مُبَسْمِلاً ، مستعيناً من أرواح المشائخ بواسطة شيخه ، مخلصاً لله ، منقطعاً عما سواه إليه ، بجعل الخلوة كأنها قبره يدخل فيها ؛ ذاهباً إلى الله تاركاً ما سواه بقلبه أيضاً ، ويقعد مربعاً ، أو كما يقعد في التشهد ، أو محتبياً ؛ حَسْبَمَا يستريح قلبه دون تألّم الأعضاء المشوِّش للقلب ، متوجّهاً إلى القبلة ، غير مستند إلى جدار الخلوة ؛ ولا مُتَّكِئٍ ، مطرقاً رأسه تعظيماً ، مغمضاً عينيه ، ملاحظاً قوله تعالى : «أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي »، ثم جعل

خيال شيخه بين عينيه ، فإنه رفيقه في طريقه وهو بمعناه وروحانيته ، **فإنَّ من هو شيخ حقيقة فلروحانيته رفيقية متعلقة بروحانية كل واحد من مريديه؛ ولو كانوا ألوفاً** ، ثمّ قال بعد كلام :

والسابع : دوام ربط القلب بالشيخ بالاعتقاد والاستمداد على وصف التسليم والمحبة والتحكيم ، ويكون في اعتقاده : أنّ هذا المظهر هو الذى عيّنه الحق سبحانه وتعالى للإفاضة عليّ ، ولا يحصل لي الفيض إلاّ بواسطته ؛ دون غيره ، ولو كانت الدنيا من المشائخ مملوءة ، **ومتى ما يكون في باطن المريد تطلّع إلى غير شيخه لم ينفتح باطنه إلى الحضرة الوحدانية** ، فالإنسان في الجهات ، وله بدن وروح ، والله سبحانه تعالى منزّه عن الجهات ، في حكمته اقتضت الاستفاضة ممن في الجهة عن الفياض الحقّ الذي ليس في الجهة ؛ أنْ عيّن للبدن الإنساني المركّب من الكثرات الكثيرة جهة واحدة يكون توجّهه من تلك الجهة الواحدة إلى الحضرة الواحدية ؛ وهي الكعبة في عالم الأجسام والأبدان ، وعيّن للروح الإنساني الذي هو مهبط أنوار الصفات الإلهية جهة واحدة يكون توجّهه إليه تعالى من تلك الجهة ، وتلك الجهة هي روحانية رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم في عالم الأرواح ، وكما لا تقبل الصلاة إلاّ بالتوجه إلى الكعبة ؛ لا يحصل التوجّه إلى الله تعالى إلاّ باتباع رسوله والتسليم له ، وربط القلب بنبوّته ، وأنه هو الواسطة بينه وبين الله تعالى ، دون غيره من الأنبياء ، وأنهم وإن كانوا أنبياء الله **وكلهم على الحق ؛ ولكن لا يحصل من الله تعالى فيض إلاّ من ارتباط القلب بمحمّد ﷺ** ، فبتوجّه البدن إلى الجهة الواحدة ، وبالتوجّه الروح إلى الجهة الواحدة حصل للإنسان استعداد استفاضته من الحضرة الوحدانية .

ومن ههنا يعرف أن المناسبة بين المفيض والمستفيض فيما يتعلّق بالاستفاضة شرط ، وقد ورد في بعض الأحاديث على ما أثبت المشائخ

في كتبهم : « إن الشيخ في قومه كالنبي في أمته » ، **فلا بدّ للمريد أن يتوجه إلى شيخه بربط قلبه معه ، ويتحقق أنّ الفيض لا يجيئ إلاّ بواسطته** ؛ وإن كان الأولياء كلهم هادين مهتدين ، يعتقد[1] بهم كلهم ويدعو لهم ، لكن استمداده الخاصّ واستفاضته يكون من روحانية شيخه وحده ، ويعلم أن استمداده من شيخه استمداده من النبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم ، فإنّ شيخه متعلق مستمدّ بشيخه ، وشيخُه أيضاً ، هكذا إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم حقيقة وهو من الحق جلّ اسمه . هكذا جرت سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

فالربط بالقلب مع الشيخ أصل كبير في الاستفاضة ، بل هو أصل الأصول ، ولهذا بالغ المشائخ قدّس الله أرواحهم في رعاية هذا الشرط ، حتى قال نجم الدين قدّس الله سرّه : أنه كالأستاذ بالنسبة إلى الأدوات في صنعة المرآة ، وكما أن المطرقة والسندال والمنفخ والنار وغيرها إذا جمعت ولا يكون ثَمّة أستاذ يصنع المرآة لا يتحقق وجود المرآة ؛ كذلك الشرائط السبعة (الجنيدية) للخلوة لا يتصفّى بها مرآة القلب بدون ربط القلب مع الشيخ ، وقد جرّبناها فوجدناها كما قال قدّس الله سرّه : **وأكثر المريدين إذا انقطعوا عن الفيض والترقي لا ينقطعون إلاّ من هذا الجهة ، أعني : عدم ربط القلب بالشيخ ، بالتسليم والإذعان ، والمحبة الصادقة** ، والامتنان . والاعتراض يسدُّ باب الفيض . انتهى .

مطلب مهم

الرابطة بلا ذكر توصل إلى الله ، والذكر بلا رابطة لا توصل

وقال العالم الباهر ، والعامل الفاخر ؛ الخواجه محمّد باقر بن شرف الدين الحسيني العباسي اللاهوري ؛ في كتابه « كنز الهدايات » نقلاً عن

(١) وفي النسخة : يقتديهم .

قطب دائرة العلوم ، ومركز إحاطة المنطوق والمفهوم ، منار الأولياء ، العروة الوثقى ، شيخ مشائخنا مولانا وسيدنا الخواجه محمد الفاروقي المجددي المشهور بالإمام معصوم قدّس سرّهما ما هذه ترجمته :

مدار الوصول إلى درجة الكمال مربوط برابطة المحبة للشيخ المقتدى به ، فإن الطالب الصادق من طريق محبّة شيخه يأخذ من باطنه الفيوض والبركات ، وينصبغ ساعة فساعة بلون الشيخ . وبتلك المناسبة المعنويّة قالوا : **الفناء في الشيخ مقدمة الفناء الحقيقي** ، والذكر المجرّد عن الرابطة المسطورة ، وعن الفناء في الشيخ ليس موصلاً ، وإن كان الذكر من أسباب الوصول ، ولكنه في الغالب مشروط برابطة المحبة للشيخ ، والفناء فيه .

نعم ، هذه الرابطة وحدها مع رعاية آداب الصحبة وتوجّه الشيخ والتفاته من غير التزام طريق الذكر موصلة ،

وأما في السلوك والتسليك الاختياريَّيْن المربوطَيْنِ بطريق آخر ! فمدار الأمر في ذلك على الوظائف والأوراد والأذكار ، وابتناء المعاملة على الرياضات والأربعينيات ، فليس للطالبين رجوع إلى شيخ الطريقة بتلك المثابات .

وأما في هذه الطريقة التي هي طريقة الصحابة الكرام عليهم الرضوان ! فالإفادة والاستفادة انعكاسيان ، فيكفي في ذلك صحبة الشيخ المقتدى مع رعاية الآداب .

مهم أيّ مهم

وأمّا وظائف الأذكار والطاعات فمن الممدّات والمعاونات ، **وقد كانت صحبة خير البشر صلّى الله تعالى عليه وسلّم بشرط الإيمان والتسليم والانقياد كافِيَةً في حصول الكمالات** ، ولأجل ذلك صار

الوصول في هذه الطريقة أقرب ، وتساوت في أخذ الفيوض والبركات من الشيخ الكامل الصبيانُ والكهولُ والشيوخُ ، والأحياء والأموات ، والرياضة في هذه الطريقة العالية المتضمّنة اندراج النهاية في البداية إنما هي اتباع السنّة السَنِيَّة ، واجتناب البدعة غير المرضية . انتهى .

وقال الإمام العالم المحقق ، الهمام العامل المدقّق ؛ تفتازانيُّ أوَانِهِ ، جرجاني زمانِهِ ، ضوء الشمس والقمر ؛ الشيخ نعمة الله بن عمر في رسالته التي ألّفها في زمان دولة ساكن الجنان ، المرحوم السلطان سليم خان ، لإسعاف العارف الإمام ، والعلاّمة الهمام السيد أحمد المدني الشهير بجَمَل الليل المسمّات بـ « الرسالة المدنية في طريقة السادة النقشبندية » ما نصّه :

فإن خطر في قلب المريد صورة الشيخ في أثناء الذكر بسبب كثرة المحبّة له ؛ فليجعل صورته أيضاً في القلب لأنه يضمحلّ ويمحو بسبب غلبة الذكر الإلهي ويبقى الذكر فقط ، ثم يحصل فيه الحضور والنسبة الذاتية بسبب التوجه إليه . فهذه النعمة منوطة بكثرة الصحبة مع الشيخ وبالرابطة له ، فلا يفارق عن صحبته إلاّ بإذنه .

وإذا تأمّلت مجرّد ذكر القلب لا يعدل عليه الشيء ، فهذه النعمة ستحصل بالمحبّة بين المريد وشيخه من الجانبين ، **لأنّ الفناء في الشيخ مقدّمة على الفناء في الرّسول عليه السّلام ، والفناء في الرسول عليه السّلام مقدّمة على الفناء في الله والبقاء بالله** . انتهى .

وقال العالم العامل ، والإنسان الكامل ، صاحب التأليفات العديدة ، والتصنيفات المفيدة ؛ التي هي تفوق عن المائة والثلاثين تأليفاً ؛ كما نصّ على ذلك هو بخطّه ؛ مولانا الشيخ أحمد بن سليمان الطرابلسي الأروادي في كتابه « مرآة العرفان ولبّه » شرح رسالة « مَنْ عَرَفَ نَفْسَه فَقَدْ عَرَفَ

رَبَّهُ » للشيخ الأكبر قدّس الله سرّهما ؛ بعد ذكر كيفية قطع صفات النفس السبعة في الطريقة النقشبندية ما نصّه :

وقطعها في بعض الطرق بالتنقل في الأسماء السبعة ، وفي بعضها بتوجه الشيخ للمريد كطريقة الشيخ الأكبر قدّس الله سرّه الأفخر ، وفي بعضها بنظر الشيخ للمريد نظر محبّة كطريقة سيّدي الشريف العلوي ، والقطب النبوي السيد أحمد البدوي قدّس الله تعالى سرّه ، وفي بعضها بفيضان العلم بالمحاذات التامة الصحيحة ؛ كالطريقة الأحمدية والخالدية ، فيمتلئ المريد علماً بالمحاذات ؛ وإن لم يسمع ما يقوله الشيخ ، كما كان يقع وقت حضور درس العلم عند شيخنا العارف بالله تعالى الشيخ خالد ضياء الدين ، فكنت أَسْتَغْرِقُ في حضرته لا أسمع ولا أرى ، وعند حضوري إلى المدرسة البدرية في دمشق المحمية يسألني بعض العلماء عما قرّره الشيخ في الدرس ؛ فأجد ما قاله وزيادة في حفظي ، فأقرِّر له ذلك ، فيتعجب . انتهى .

وقال العالم العارف علي بن عبد النبي العشاقي في رسالته « الحبل المتين الموصل للطالب إلى رضا ربّ العالمين » مانصّه :

الطريق الثالث : الرابطة ، وهي : **أن يربط السالك قلبه إلى مرشد كامل** ، **عالم عامل** ، ويكون كامل المحبة تام الإخلاص والانقياد له ، فإنه رفيقه ودليله ، والهادي له إلى الحق ، والسالك يُطْلَب منه أن ينقاد إليه ، ولا يعترض عليه بما لا يظهر له سرّه ، فإنّ ملاقاة المريد للشيخ كملاقاة موسى للخضر - على نبيّنا وعليهما الصلاة والسّلام - وحالهما ، فلا ينبغي له أن يعارضه فيما ظهر له حتى تلوح له الحكمة منه ؛ على أن الشيخ الكامل بسبب علمه وعمله وقرب منزلته عند الله تعالى بمنزلة البحر ، فلا يتكدّر بشيء . وأما المريد ! فهو كالحوض الصغير يتكدّر

ويتغيّر بأدنى الشيء ، فلا يستنكر صورة مّا من الشيخ ، بل يسلّم له جميعَ ما يصدر منه ، حتى يكشف الله تعالى له عن سرّ ذلك وسببه ، ومتى ظهر السبب بطل العجب .

ولا بدّ للسالك أن يقدم أستاذه على أبيه ، ويحبّه فوق محبة أبيه ، وقد قال بعض الفضلاء : **حق الأستاذ آكد من حق الوالد ، فإن الوالد وسيلة إلى وجود صورة الإنسان ، والأستاذ وسيلة إلى التحقق بحقيقة كمال الإيمان .** انتهى .

وقال العلامة المتبحر الشهاب أحمد بن حجر المكي الهيتمي في شرح « الهمزية » عند قول الناظم :

وَاملأ السَّمْـعَ مِـنْ مَحَاسِنَ يـمْـلي ... هَـا عَـلَـيْـكَ الإنْـشَـادُ وَالإنْـشَـاءُ

ما نصه : فإنها تحدث للسامع سكراً ورائحة وطرباً ، وتحرِّك النفسَ إلى جهة محبوبها ، فيحصل بتلك الحركة والشوق تخيُّلُ المحبوب وإحضاره في الذهن ، وقرب صورته من القلب واستلاؤها على الفكر ، فيحصل للروح ما هو أعجب من سكر الشراب ، وألذّ من عناق الشواب . انتهى .

أقول : وقد جرى على ذلك أيضاً الإمام الكبير والمفسّر الشهير الشيخ سليمان الجمل ، في حاشيته « الفتوحات الأحمدية على متن الهمزية » عند قول الماتن البيت المذكور بما نصّه :

أحدهما : أنها في نفسها توجب لذة قوية ، **الثاني** : أنها تحرّك النفس إلى جهة محبوبها ، فيحصل الميل للمحبوب وإحضاره في الذهن ، وقرب صورته من القلب ، واستلائها على الفكر ، فيحصل للروح ما هو أعجب من سكر الشراب ، وأقوى من لذّة عناق الشواب . انتهى . وناهيك بهذين الإمامين من حجّة وأيّ حجّة ! فإنّ من تأمّل تقريرهما بعين الإنصاف ظهر

له أنهما كماء نيسان[1] لأولياء الرابطة الشريفة في قلب الصَدَف ، وكما يحصل في قلب الأفاعي لمنكريها ممن صدّ عنها وصدف ، فلا تغفل .

وقال العالم الرباني ، والعارف الصمداني ؛ سيدي الشيخ محمد المفتي الخادمي قدّس الله سرّه في رسالته العلية في آداب الطريقة ، عازياً إلى « التاجية » بما نصّه :

إذا عرض لقلب الذاكر في أثناء ذكره تفرقة ، أو وسوسة ، أو قبض ؛ فيغتسل بالماء البارد ، أو يتوضّأ ويصلي في خلوته صلاة الحاجة ،

---

(١) من الأمثال المشهورة (ماء نيسان يحيي الإنسان) وهو ينبت اللؤلؤ في الصدف .

وأيضاً : فقد ذكر شيخنا الجليل ، القاضي الشرعي النبيل ، أستاذنا السيد الشيخ محمد مرشد عابدين حفظه الله وأمتع بحياته في كتابه « الأدعية والأوراد والذكر » ما نصُّه :

في كتاب « الدور العالي شرح إرشاد المتجلّي عن سنن النبي العالي » للشيخ عثمان وهبي الفونبوي عنوان :

فائدة جليلة في ماء نيسان : نَسيان (بالفتح) : سابع الأشهر الرومية ، محسوب من تشرين الأول ، عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : بينما نحن جلوس ذات يوم ؛ إذ دخل علينا رسول الله ﷺ فقال : « ألا أعلِّمكم دواءً علّمني إيّاه أخي جبريل عليه السلام ، حيث لا تحتاجون معه إلى طبيب » ! فقال أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسلمان الفارسي وبقية الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين : فما ذلك الدواء يا رسول الله ؟ ! فقال لنا : « تأخذون من ماء نَيسان ، ويقرأ عليه فاتحة الكتاب سبعين مرَّة ، وآية الكرسي سبعين مرَّة ، وقل يا أيّها الكافرون سبعين مرّة ، وقل هو الله أحد سبعين مرَّة ، وقل أعوذ بربِّ الفلق سبعين مرَّة ، وقل أعوذ بربِّ الناس سبعين مرة ، و(سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليِّ العظيم) سبعين مرَّة ،ويصلّي على النبيِّ ﷺ سبعين مرَّة ، ويشرب من ذلك الماء سبعة أيام متوالية بكرة وعشيَّة ، والذي بعثني بالحقِّ نبيّاً ؛ لقد أخبرني جبريل عليه السلام عن الذي يشرب من ذلك الماء أنه يذهب كل داء من جسده ، ويخرج الأذى من عروقه وأعضائه وعظامه ، وإن كان به صداع ، وإن كان به وجع العين ؛ يقطر فيه من ذلك الماء . وإن شربت منه امرأة عقيمة حملت بإذن الله تعالى » . انتهى .

ويستغفر ويدعو ، ويتوجّه لحاله ، وإن لم يندفع ! فيتخيل صورة النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم ، أو صورة شيخه . انتهى .

قال العالم الإمام ، والكامل الهمام ، المحقق البياني ، وحياة سرّ روح المعاني ، مفتي الأنام المستمدّ من الفيض القدوسي (١) ، خاتمة المفسّرين ، أبو الثناء الشهاب محمود الآلوسي في كتابه « الفيض الوارد على روض مرثية مولانا خالد » مستطرداً من بحث يتعلّق بنفي الخواطر عند قول الناظم :

وَمَنْ قُدْوَةُ التعْرِيفِ وَالكَشْفِ بَعْدَهُ ... وَمَـنْ لأَبَالِيسِ المَـخَـايِـلِ طَـارِدُ

ما نصّه : وأما خاطر الشيخ ! فهو إمداد صاحب الشيخ يصل إلى قلب المريد الطالب ؛ مشتملاً على كشف معضل وحلّ مشكل ، في وقت استكشاف المريد باستمداد من ضمير الشيخ ، وذلك داخل تحت الخاطر الحقّاني ، **لأنّ قلب الشيخ بمثابة باب مفتوح إلى عالم الغيب ، وكل لحظة يصل إمداد فيض الحقّ سبحانه وتعالى على قلب المريد بواسطة الشيخ .**

أسباب نفي الخواطر

ثمّ قال بعد كلام : **ولنفي الخواطر أسباب كثيرة .**

منها : إحضار صورة الشيخ على الوجه الذي سمّوه بالرابطة ، قيل هو من أعظم الأسباب ؛

ومنها : إدامة النظر إلى شيء واحد ، فإن ذلك يورث الذهول وفيه سدّ لباب الخطرات ، إلى غير ذلك . انتهى .

قلت : فانظر إلى هذا التحرير من هذا الإمام النحرير ، ومن تأمّل ذلك وتحقّق ما هنالك أسقط ما وقع من سؤال نجله ، وتبيّن له حقيقة

---

(١) وفي نسخة : القدسي .

انحرافه وميله ، وعلم أنّ ذلك ما هو إلاّ نزغة وَهَّابِيَّة ، وتسويلات غير مرضية ، وحسبك دليلاً على تخطئته ، ولو رجع إلى أقوال والده قدّس الله روحه لكان في غنى عن السؤال والجواب ، والظاهر أنه لم يحط به علماً ، وأغرب من هذا كلّه صدور ذلك السؤال بهذا التعبير من مثل هذا الماجد إلى أمير « بهوبال » الذي شذّ عن مذاهب الأئمة ، وذهب إلى الحجاز معرضاً عن زيارة شفيع الأمة ، كما أفاده الإمام الهمام المولوي عبد الحقّ الكنهوري في كتابه « تذكرة الراشد بردّ تبصرة الناقد » في ردّ على تلفيقات صديق حسن خان . ومن كان في ريب من حقيقة حاله ، وهو لما بيّنّاه جاحد ؛ فليرجع إلى الكتاب المذكور ليكون بشأنه خبيراً بصيراً وكفى بربّك هادياً ونصيراً .

وقال الإمام المحدّث الشاه أحمد وليّ الله الدِّهلوي في رسالته « القول الجميل » ما يناقض ما نقله عنه صاحب التاج المكلّل من الرسالة المذكورة أيضاً في موضعين ، فلا بأس بإيراد شيء منها ، ليكون المطلع على بصيرة ، ويتَّضح له الرشد من الغيّ . وهذه عبارته :

شرط الرابطة

وثالثها الرابطة بشيخه ، **وشرطها** : أن يكون الشيخ قويّ التوجّه (دائم الباد داشث)[1] أي دائم الحضور مع الله تعالى . فإذا صحبه المريد خلّى نفسه عن كلّ شيء إلاّ صحبته ، وينتظر ما يفيض منه ، ويغمض عينيه ويفتحها ، وينظر بين عيني الشيخ ، فإذا أفاض شيء فليتّبعه بمجامع قلبه ، وليحافظ عليه ، وإذا غاب الشيخ عنه تخيّل صورته بين عينيه بوصف المحبّة والتعظيم ، فتفيد صورته ما تفيد صحبته .

سمعت سيّدي الوالد يقول : يجب على السالك إذا كان على هيئة وحصل له شيء من هذا المعنى أن لا يغيّر عن تلك الهيئة ، فإن كان قائماً لا يقعد ، وإن كان قاعداً لا يقوم . انتهى بحروفه .

---

(١) للاستزادة ؛ انظر « طبقات الخواجكان النقشبندية » .

قلت : وقد شيّد أركان هذا التقرير نَجْلُهُ[1] العالم المحقق ، والعامل المدقق ، محدّث الديار الهندية ، وصاحب « التحفة الأثنى العشرية » المفسّر الوجيز ؛ مولانا الشاه عبد العزيز قدّس الله سره ، كما نقله عنه الفاضل الشيخ صادق المدارسي الهندي في زوائده الواقعة على « القول الجميل » بما نصّه :

فالحقّ أنّ هذه الطريقة أقرب للمريد ؛ ولو لم يكن هو صاحب علم وفهم ، فيتصرّف فيه شيخه بمزيد محبّته فيه ورابطته معه ، لأنه قال مشائخ الطريقة : **كن مع الله ، وإن لم تكن كن مع من كان مع الله** ، وقال تبارك وتعالى في كلامه المجيد ﴿كُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيها إشارة إلى الرابطة بشيخه إذا كان الشيخ كاملاً واصلاً للشهود الذاتي ، **فيحصل بتوجّهه في أقرب زمن بأسهل طريق ما لا يحصل في الزمن الطويل بعد كلّ صعب** . انتهى . **فانظر** رحمك الله إلى هذا الكلام من هذا العالم الهمام .

وإذا تأمّلت هذا المقال ، وأمعنت [النظر] فيما قال ؛ أسقطت ما تورّك عليه صاحب « التاج المكلل » ، وعدلت إلى القول الثاني وهجرت القول الأول ، ونحن إن أخذنا بكلامه وعملنا بمقصده ومراده نأخذ بالثاني ، وإلاّ ! فلا . فتأمّل .

وقال الإمام العالم العلامة ، والحبر البحر الفهامة الأردبيلي شارح « المشكاة » في « رسالته المكية » ما نصّه : **الشرط السابع** : دوام رابطة القلب بالشيخ واستفادة علم الواقعات منه من جهة الإرادة التامة ، لأنه الرفيق في الطريق . قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ ، وقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ وقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ .

---

(١) أي : ابنه .

مهم وأيّ مهم

ثمّ قال : **فصل** : على المريد أن يتيقن أنّ روحانية الشيخ غير متحيّزة بموضع دون موضع ، وكل ما لا يكون متحيّزاً استوت عليه الأمكنة كلها ، ففي أيّ موضع يكون المريد لا تفارقه روحانية الشيخ ، وإن كانت تفارقه شخصيّتها ! والبعد إنما يتعلق بالمريد ، فإذا تذكّر المريد بقلبه الشيخ قرب إليه فتعلّق به قلبه فاستفاد منه ، وإذا احتاج المريد الشيخَ ليحلّ له إشكال واقعته ! يستحضره بقلبه ، ويسأله عما يشاء ، هذا لا بلسان الظاهر ، بل بلسان القلب ، فيلهمه روح الشيخ معنى الواقعة عقب السؤال ، وإنما تيسّر له ذلك بواسطة ربط قلبه بالشيخ ، ومن هذا الوجه يفصح له لسان القلب ، وينفتح له طريق القرب إلى الله تعالى ، فيجعله محدّثاً . انتهى . نقله الإمام الدوسري قدّس الله سرّه في « الرحمة الهابطة » .

تعلق المحبة

وقال الإمام الأوحد ، والعالم المفرد ، المحقق السري ، سيدي الشيخ حسين بن أحمد الخالدي الدوسري قدّس الله سرّه في الرسالة المذكورة ما نصّه :

اعلم أيها الأخ ؛ وفّقك الله لسلوك الصراط المستقيم ، وعصمني وإيّاك من الشيطان الرجيم :

أن الرابطة عبارة عن تعلّق القلب بشيء على وجه المحبّة ، وهذا التعلّق تارة يكون محموداً ، وتارة يكون مذموماً ، وتارة يكون مباحاً ، لأنه لا يخلو ؛ إما أن يكون مأموراً به ، أوْ لا .

فالأوّل المحمود : كحبّ الله ، وحبّ رسوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم ، والحبّ في الله ، وحبّ ما يقرّب إليه .

والثاني : إما أن يكون منهيّاً عنه ، أو لا .

فالأوّل مذموم : كحبّ المحرمات والمكروهات ؛ وإن لم يترتب على المكروهات عقاب ، لأنه يترتب عليها عتاب .

والثاني : المباح ؛ كحبّ الإنسان أهله وولده بالطبع الجبليّ لا انفكاك لأحد عنه .

فقد شمل هذا التقسيم الأحكام الخمسة ، فإن المحمود يندرج فيه الواجب والمندوب ، والمذموم يتضمّن الحرام والمكروه ، والمباح معلوم دخوله تحت غير المنهي عنه ؛ وهو قولنا : (أوْ لا) فتعلّق القلب حاصل لكلّ إنسان ، فلو تنبّه المنكر لعلم أن ما ينكره عين ما يستحضره ، وأنّ الذي يجهله هو الذي يفعله ، بل ما يفعله من الرابطة التي ينفي ثبوتها مع فعله إيّاها من إساءة الأدب مع الله تعالى ، ما لا يمكن جحده ، ولعلم أنه يتأكد عليه أن يعمل عملاً يزيل عنه هذا البلاء الذي أهلكه من حيث لا يشعر لشدّة سكره في غفلته ، وذلك أنه إذا كبّر تكبيرة الإحرام سرح في أودية الأفكار والأوهام ، وأعرض عن ربّه ونسي نفسه : ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡ﴾ ؛ واشتغل إما برابطة وقفه ، أو ملكه ، أو حرفته ، أو زوجته ؛ إن كانت نفسه مفتونة بها ، أو ولده ، أو تقرير مسئلة يلقيها إبليس عليه ليخرجه من صلاته مفلساً ، أو مخاطبة من يرتجي منه زكاة أو صدقة ، فيقول : ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ وهو مقبل على معبوده الشهودي ، ورابطته التي هي نصب عينيه ، ويستمرّ على هذه الحال حتى يسلّم ، فإذا سلم التسليمة الأولى شرع بالإنكار على الرابطة التي يفعلها العلماء والعارفون في وقت مخصوص ليحصل بواسطتها انتفاء الغفلة ؛ حتى يقبلوا على ربّهم في صلاتهم وذكرهم بقلب حاضر ! ! . انتهى .

وقال الشيخ الإمام ، والعارف الهمام ، أحمد بن إبراهيم بن علاّن الصديقي قدّس الله سرّه في شرح قصيدة الشيخ ابن عبد الدائم الأنصاري رحمه الله تعالى التي أوّلها :

مَـنْ ذَاقَ طَعْمَ شَرَابِ القوم يَدْرِيهِ وَمَـنْ دَرَاهُ غَـدَا بـالرُّوحِ يَـشْـرِيـه

عند قول الناظم : (**إذا رؤي ذكر المولى برؤيته . .**) ، ما نصّه : أي إذا رؤي هذا العبد ذكر المولى برؤيته ، كما ورد وصف الصالحين : « الذين إذا رأوا ذكر الله تعالى » ، لأنّ نور قلبه مشرق على وجهه ﴿**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم**﴾ ، فمن رآه رأى نور الحق الساطع من قلبه على وجهه ، ومن له ذلك فاز بالسعد والقرب .

قال ابن علوان رحمه الله تعالى :

سَعِدَتْ أَعْيُنٌ رَأَتْـكَ وَقَـرَّتْ وَكَذَا عَيْنُ مَنْ رَأَتْ مَنْ رَآكَا

ومثل ذلك الشمس إذا أشرقت على الجدار ، وفي مقابلة ذلك الجدار جدار آخر ، فيشرق ذلك الجدار الآخر لمواجهته للجدار الذي أشرقت عليه الشمس ، وعنده - أي الناظم - طريقة معروفة عند المشائخ ، يسمّونها **بالرابطة** ، وهي : **رؤية وجه الشيخ ، فإنها تُثْمِرُ ما يثمر الذكر ، بل هي أشدُّ تأثيراً من الذكر لِمَنْ عرف شرطها وآدابها** .

ومن ذلك كانت تربية النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم للصحابة رضي الله عنهم ، فكانوا يشتغلون برؤية طلعته السعيدة ، وينتفعون بها أكثر مما ينتفعون بالأذكار في مدّة مديدة ، ولهذا كانت درجة الصحبة لا تضاهى ، والاجتماع بالمشائخ ولو ساعة ؛ مترتبة بها يتباهى . انتهى .

وقال العلاّمة المحقق ، والفهامة المدقق ، سليل السادة الأمجاد ابن أبي داود الحنبلي صاحب كتاب « تحفة العباد » في كتابه آداب المريد ما نصّه :

وعلامة صحّة إرادة المريد : تعلق قلبه بشيخه ، واستغراقه في مشاهدته في الغيبة والحضور حتى لا يشاهد معه من الخلق أحداً غيره ،

فإذا صحّ له هذا المشهد انتقل منه إلى مشهد الجمال السَّرْمَدِي ، وهذا الذي لا يشهده إلاّ أهل المعرفة بالله تعالى ؛ لا الغبيُّ الجاهلُ المفتون بشهوة نفسه الأمّارة بالسوء الذي ليس عنده شيء من الروحانية !

قال بعضهم :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْشَقْ وَلَمْ تَدْرِ مَا الهَوَى   فَكُنْ حَجَراً مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ جَلْمَدا

انتهى

وقال العالم الذي يبهر بفضله الرائي ؛ الشيخ إبراهيم بن عمر المنلا الإحسائي في رسالته ما نصه :

فإن لم تمكِنْه مصاحبة الشيخ ؛ لتعذّره ببعده عنه ؛ فعليه باستحضاره في خياله ، ويعتقد أنه في صحبته وحضرته ، ويتصوّر نفسه كأنها بين يديه ، ويحفظ ذلك التصوّر في خياله ، ويفني في وجود الشيخ بكليّته ، ثمّ يتوجّه الشيخ إلى الله تعالى ، ويتكلّف ذلك ويكرّره مرّة بعد أخرى ، إلى أن يشرق النور الإلهي على لطيفته إشراقاً يكشف الغطاء عن أسرار معاني ، فيكون بالله ؛ لا بغيره ، ولا بنفسه . انتهى .

وقال العالم الراسخ الناقد ، والماجد الشامخ العابد ، ذو الأيادي البوادي لدى الحاضر والبادي ؛ السيد إبراهيم فصيح الحيدري البغدادي في كتابه « المجد التالد في مناقب مولانا خالد » ما نصّه :

اعلم أن الرابطة هي : **عبارة عن ربط القلب بالشيخ الواصل إلى مقام الشهود** ، فإن الشيخ كالميزاب ينزل الفيض من بحره إلى قلب المرابط ، فإن وجد فتوراً في الرابطة ! فليحفظ صورة الشيخ في خياله ، فإنه بحفظ الصورة يتّصف المريد بأوصاف الشيخ وأحواله ، ولها أصل من الكتاب ، وبها قال علماء الأئمة الأربعة المجتهدين رضي الله تعالى عنهم ، والمنكر لها جاهل بأقوال أعلام الأمة المحمدية . انتهى ملخّصاً « نور الهداية » عبارته .

وفيه : فإن كانت الرغبة في سلوك سبيل أهل المعرفة والتوحيد! فألق سمعك لما نتلوه عليك وأنت شهيد ، وافتح عينيك لتبصر ما نطلعك عليه من نفائس العرفان ، وما ينتج من مجالسة أعيان أهل الشهود والعيان .

قال سيّد العرب والعجم صلّى الله تعالى عليه وسلّم : « إنمَا مَثَلُ الجِلَيْسِ السوءِ كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكير ، فَحَامِلُ المِسْكِ ؛ إمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ ، وَإمَّا أن تبتاعَ منه ، وَإمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً ، وَنَافِخُ الكِيرَ ؛ إمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ ، وَإمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً خَبِيثَةً » . رواه الشيخان عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه .

وعن أنس ﷺ أنه قال : قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم : « مَثَلُ الجَلِيسِ الصَالِحِ كَمَثَلِ صَاحِبِ المِسْكِ إن لَمْ يُصِبْكَ مِنْهُ شَيْءٌ أَصَابَكَ مِنْ رِيحه ، ومَثَلُ الجَلِيسِ السُّوءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الكِيرِ ؛ إن لَمْ يُصِبْكَ مِنْ سَوَادِهِ أَصَابَكَ مِنْ دُخَانِهِ » .

قال الإمام المنذري في « الترغيب والترهيب » : رواه أبو داود والنسائي .

وهذان الحديثان الشريفان يصلحان أن يكونا دليلاً للتوجّه والرابطة أيضاً ، لأنّ من لفظهما ومعناهما ما هو مطابق للواقع ، فإنه صلّى الله تعالى عليه وسلّم شبّه الجليس الصالح بحامل المسك ، ثمّ ذكر أنه يحصل من مجالسته إحدى ثلاث فوائد ، واحدة مقطوع بها ، وهو وجدان الريح ، إذ لا مانع منها ، فقال صلّى الله تعالى عليه وسلّم « إمَّا أَنْ يُحذِيكَ » أي : يعطيك بلا عوض ، والعطاء هنا على سبيل الإشارة : إفادة علم أو حال ؛ بتوجّه أحد أرباب الكمال ، ويكون منه هذا الفضل الموهوب للمراد الذي سبقت إليه السعادة والمحبوب :

ونظرة منه إن صحّت إليه على ... سبيل ودٍّ بإذن الله تغنيه

وقوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم : « وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ » أي : تقدّم له عوضاً على ذلك من نوافل الخيرات وفواضل المبرّات ، وهذا شأن المريد السالك ، وقد يكون ذلك بمجرّد طلب اللسان ، أو استمداد الجنان ، فيلحظك بعين عنايته ، ويمدّك بلطائف روحانيته ، وهذا الأخذ والعطاء المعنويّان مدرك عند أهلهما بالوجدان ، فإنكار من لم يسلك سبيلهم لا يلتفت إليه ولا يعوّل عليه ، إذ لا يستوي الأعمى والبصير ، كما لا يستوي حامل المسك ونافخ الكير .

وَمَن يَقُلْ لِلْمِسْكِ أَيْنَ الشَّذَا   كَـذَّبَـهُ فِـي الحَالِ مَنْ شَمَّا

ولله درّ قائل :

دَلاَئِـلُ العِشْقِ لاَ تَـخْفَى عَلَى أَحَدٍ   كَحَامِلِ المسْكِ لاَ يَخْلُو مِنَ العَبَقِ

وأما قوله ﷺ : « وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً » أي : يسري إليك من حاله ما تنتفع به ، وهذه الجملة مطابق ظاهرها ، فلعلّ التوجّه إذ هو انعكاس حاصل تارة بالفعل من غير استدعاء ، وإليه الإشارة بـ « تبتاع منه » ، وتارة بانعكاس من غير استدعاء ولا فعل ، وإليه الإشارة بـ « تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً » .

وعبّر بالوجدان دون غيره من الألفاظ ! ! لأن الجليس يدرك بذوقه ما يسري إليه من قلب جليسه الصالح ، وفي الحديث « تَعَلَّمُوا اليَقِينَ بِمُجَالَسَةِ أَهْلِ اليَقِينِ » . والجليس إما أن يكون ناطقاً ؛ أو صامتاً ، وحصول الفائدة من الصامت لا معنى لها سوى سريان حاله في جليسه ، قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم : « خِيَارُكُمْ الذِينَ إِذَا رُأُوا ذُكِرَ اللهُ » ، فإنه إذا رؤي المنسوب ذكر المنسوب إليه - لا سيما إذا كانت رؤيتهم على طريق المحبّة والاعتقاد الصحيح - فإنه يحصل بها عن القلب رفع الحجاب ، فينتقش فيه ذكر الكريم الوهّاب ، فإذا كانت رؤيتهم ومجالستهم منتجة

ذكر علاّم الغيوب ؛ فالتوجّه أبلغ في حصول الذكر بسبب انعكاس أنوار القلوب ، فقل لمن لم يسلك هذا السبيل ، ولم يذق من شرابه السلسبيل :

عَلَى نَفْسِهِ فَلْيَبْكِ مَـنْ ضَاعَ عُمْرُهُ وَلَيْسَ لَـهُ فِيهَا نَصيبٌ وَلاَ سَهْمٌ

وهذه الكيفية عليها مدار أهل الطريق ، لأنها أقرب في إيصال المريد إلى الدرجة العليا من درجات التوحيد على التحقيق . «نور الهداية » عبارته .

وفيه : قال أحمد بن حضرويه : **القلوب أوعية** ، فإذا امتلأت من الباطل أظهرت زيادة ظلمتها على الجوارح ، وقال أبو تراب : **ليس من العبادات شيء أنفع من إصلاح خواطر القلوب** . انتهى .

وإصلاح الخواطر منتجة تطهير البواطن ، وتطهير الباطن لا يتأتّى بدون توجّه الشيخ الكامل ، وتوجّهه عبارة عن إلقاء الجذبة في قلب السالك قبل السلوك ، وصبّ ما في صدره أوّلاً بحكم وراثة الشيخ الكامل عن شيخه كذلك ، وهكذا إلى سيّدنا الصدّيق الأكبر لقوله ﷺ: «مَا صَبَّ اللهُ فِي صَدْرِي شيئاً إلاَّ وَصَبَبْتُهُ فِي صَدْرِ أَبِي بَكْرٍ »، وأبو بكر رضي الله تعالى عنه هو الواسطة في هذه الطريقة العلية الصدّيقيّة النقشبندية المجدديّة الخالدية ، ولم تزل مشائخ هذه السلسلة الذهبية تتوارث الصبّ المذكور كابراً عن كابر إلى يومنا هذا ، لا زالت مرسومة على جبهة الدهر بأحرف نورانية تزيل عن قلوب سالكيها الحجب الظلمانية . انتهى «نور الهداية والعرفان » للشيخ محمد أسعد صاحب زاده النقشبندي الخالدي العثماني شيخ السجادة الخالدية ، وقائم مقام أبيه وعمّه في دمشق الشام المحميّة . أمدّنا الله بمدده ، وأفاض علينا من بركاته . آمين .

علماء المذاهب الأربعة ، والرابطة

فيكفي للمنصف ما ذكره فيه ، ولا يحتاج بعد ذلك لزيادة أقوال غيره ، لكن أردت أن أذكر هنا أسماء أكابرالسادات القائلين باستحسان الرابطة ، مع بيان كتبهم ، والإعراض عن ذكر أقوالهم بعينها ، لما أن في ذلك طول كلام ، والطول لا يحتمل هذا المختصر ، **ولا يخفى أنّ كثرة القائلين تنبئ حقية الأمر ؛ فأقول وبالله التوفيق :**

من الذين يقولون بحسن الرابطة من **العلماء الحنفيّة** العالم كمال الدين البابرتي في « شرح المشارق » في حديث : « من رآني فقد رآني » ؛ **ومنهم** الإمام العارف بالله عبيد الله الأحرار السمرقندي في تفسير قوله تعالى ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ . وصرّح الإمام المحقق الشريف الجرجاني الحنفي في أواخر « شرح المواقف » ، وأوائل حواشيه على « شرح المطالع » بصحة ظهور صور الأولياء للمريدين ؛ وأخذهم الفيض منها حتى بعد الموت ؛

ومنهم العالم العلاّمة مولانا عبد الرحمن الجامي قدّس سرّه في « شرح الرباعيات » وفي « النفحات » وفي رسالة توجُّه الخواجكان ؛

ومنهم العالم العلاّمة محمد بن سعيد الخادمي شارح الطريقة في رسالته النقشبندية ؛

ومنهم شارح « الأشباه » الإمام العلامة الحموي في « نفحات القرب » ؛

ومنهم الإمام فخر الدين الرازي في « المطالب العالية » في بيان كيفية الانتفاع بزيارة الموتى ؛

ومنهم الإمام العارف بالله تاجد الدين الحنفي في رسالته المعروفة « بالتاجية » ؛

ومنهم صاحب القاموس في « مقدمة البصائر » ، وقال الشيخ المحقق الإمام نجم الدين الكبري : فالرابطة بالقلب أصل كبير في الاستفاضة ، بل لا تتصفَّى مرآة القلب بدون رابطة القلب بالشيخ . انتهى ؛

ومنهم قدوة المحققين زبدة المتأخرين عبد الغني النابلسي شارح الطريقة في شرحه على التاجية ؛

ومنهم عبد الحكيم السيلكوتي وهو أخذ هذه الطريقة عن الإمام الرباني ، وله قصّة نفيسة وقعت معه ، وهي مذكورة في « مرآة الحامدين » ، فراجعه ؛

ومنهم العالم العارف بالله تعالى إسماعيل حقي البروسي في عدّة كتبه وفي « التحفة الوسمية » ؛

ومنهم العالم العارف بالله تعالى إبراهيم حقي الأرضرومي في « معرفة نامته » ؛

ومنهم الإمام العالم العلاّمة الإمام الرباني السيد أحمد الفاروقي السرهندي المجدد الألف الثاني في « مكتوباته » في مواضع منه . وقد ذكرنا ما قاله في موضعين فقلّبه . وكذا ابنه الإمام معصوم العروة الوثقى الحنفي في « المكتوبات » ؛

ومنهم أشرف زاده عبد الله الرومي في « مزكّي النفوس » ؛

ومنهم محمد مراد الكابلي الحنفي في « رسالته النقشبندية » . قال فيها كلاماً نفيساً ، فراجعه ؛

ومنهم الإمام العارف محمد جلال الدين الرومي في « المثنوي » ؛

هؤلاء من الحنفيّة .

ومن الأئمة الشافعية :

الإمام الغزالي في « الإحياء » ؛ في بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في قلب عند كلّ ركن من الصلاة ، وقد مرّ ما ذكره في كتابه « المصون الكبير » ؛

ومنهم العالم المحقق شهاب الدين ابن حجر المكي في « شرح العباب » في بيان معاني كلمة التشهد ، وفي « شرح الشمائل » ، ومرّ ما قاله في « شرح الهمزية » ؛

ومنهم خاتمة المحدّثين العلاّمة الحافظ جلال الدين السيوطي في « تنوير الحَلَك في رؤية النبي والملك » . وقال أيضاً في « كتاب المنجلي في تطوّر الوليّ » كلاماً ينبغي مراجعته وملاحظته هنا ، نقلاً عن الإمام السبكي ، فراجعه ؛

ومنهم الإمام العالم العلاّمة العارف بالله الشعراني[(١)] في « نفحاته القدسية » وفي « لطائف المنن » و« لواقح الأنوار القدسية » و« الأجوبة المرضية » ؛

ومنهم العالم العلاّمة السفيري الحلبي الشافعي في شرحه على « البخاري » في حديث « ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ » ؛

ومنهم الإمام السهروردي في « عوارف المعارف » . قال زين الدين الخوافي رحمه الله في « وصاياه » عند عدّه وشرحِه الشروطَ الثمانية الجنيدية قال : والشرط السابع دوام ربط القلب بالشيخ بالاعتقاد والاستمداد على وصف التسليم والمحبة والتحكيم . . . إلى آخره ؛

---

(١) الذي اطلع على عين الشريعة الأولى ذوقاً وكشفاً ويقيناً ، وأخذ « الميزان » عن الخضر عليه السلام ، كما صرح به في « ميزانه » . (ببلات القلزمي) .

ومنهم الإمام السبكي في « الطبقات الكبرى » وغيرهم ؛

ومنهم القطب المشهور خالد البغدادي في رسالتيه في الآداب والرابطة .

ومن الأئمة المالكية :

صاحب المختصر المشهور خليل العلاّمة الشيخ جليل من أجلّ فقهاء المالكية ؛

ومنهم الشيخ أبو العبّاس المرسي ؛

ومنهم الإمام العالم العلاّمة ابن عطاء الله الإسكندري في كتابه « تاج العروس » . وقد مرّ ما ذكره في « مفتاح السعادة » ؛

ومنهم من تلقى العلوم اللدنية بلا واسطة من الحي الباقي محي الدّين العربي في باب الثلاثين من « الفتوحات » ؛

ومنهم العلاّمة الفاسي في « شرح دلائل الخيرات » في عدّة مواضع فراجعه ، ففيها مهمات نفيسات ، وقد ذكرها بالتمام مؤلّف « هدية الذاكرين » ؛

ومن الأئمة الحنابلة : الإمام العالم العلاّمة شمس الدين بن القيم في « كتاب الروح » ؛

ومنهم الغوث الأعظم السلطان عبد القادر الكيلاني قدّس سرّه ؛ قال ما معناه : إن للفقير السالك طريقَ القوم رابطة قلبية مع الأولياء ، فيستفيد منهم بسبب تلك الرابطة باطناً ، فلا بأس بعدم إكرامه ظاهراً ، بخلاف الذي ليس له رابطة معهم ؛ فيجب إكرامه ظاهراً . انتهى نقلاً عن الإمام السهروردي في « عوارف المعارف » في باب أداب المريدين مع شيخهم وغيرهم .

التصانيف في الرابطة

وقد ألّف في الرابطة العالم فصيح أفندي رسالة نفيسة ، وكذا ألّف فيها رسالة العالم الفاضل وحيد الدهر محمد فوز[1] أفندي المشهور بـ « أدرنه » مفتي السابق ردّاً للمنكر المتعصب سيد خواجه ، وكذا فيها رسالة لملا جامي ، وكذا فيها رسالة لمولانا حضرة خالد قدّس سرّه ؛ وشرح عليها الشيخ سليمان الزهدي شرحاً نفيساً سمّاه بـ « تبصرة الفاصلين عن أصول الواصلين » ، وكذا فيها رسالة لعبد الغني النابلسي ، وكذا للخادمي وغيرهم ، فراجعها .

وبسط مؤلّف « الفتاوى العمرية » ، وصاحب « الرحمة الهابطة » الكلام في ثبوتها وحسنها .

وفي « تصديق المعارف » ؛ في تفسير قوله تعالى ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ قال بعضهم : الوسيلة في الأحياء الشيخ ، والنبي عليه السلام وأهدى وأرشد ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ أي : في سبيل الله ، هذا أمر بمجاهدة الصوفية ، فافهم ، ولأنه يدلّ على تصور التوسل إلى الله ، وهذا مما عرفه العرفاء عياناً . فراجعه من سورة المائدة .

واستدلّ للرابطة مؤلف « هدية الذاكرين » بقوله تعالى : ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ ، وقوله تعالى ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ، وقوله ﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ ، وقوله ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ، وقوله ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ، وقوله عليه السّلام « تَفَكَّرُوا فِي آلاَءِ اللهِ ولاَ تَتَفَكَّرُوا فِي ذَاتِهِ » الحديث ، وقوله « تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللهِ وَلاَ تَتَفَكَّرُوا فِي الخَالِقِ فَإِنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُون قَدْرَه » . . . وأطال . ثمّ قال : وإذا كان التفكر في آلاء الله تعالى وفي خلق السموات

(١) وفي النسخة : محمود فوز .

والأرض جائزاً ومرغّباً فيه ، فكيف لا يجوز في أفضل خلقه وأشرف آلائه وحبيبه محمد الذي هدانا به إلى الصراط المستقيم ، وفي خلفائه وأتباعه الكاملين ! ! وقال ﷺ في حديث الأبدال : « بِهِمْ تَقُومُ الأَرْضُ ، وَبِهِمْ تُمْطَرُونَ ، وَبِهِمْ تُنصَرُونَ » ، وقال : « ذِكْرُ الأَنْبِيَاءِ مِنَ العِبَادَةِ ، وَذِكْرُ الصَّالِحِينَ كَفَّارَةُ الذُّنُوبِ ، وَذِكْرُ المَوْتِ صَدَقَةٌ » الحديث ، ولا يمكن ذكر الشيء إلاّ بإحضار صورة المذكور في القلب والخيال بالضرورة .

وقيل : **عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة** ، قيل : هذا من كلام سفيان بن عيينة ، وقيل : حديث مرفوع له أصل ، وقال عليه الصلاة السّلام : « بجِّلُوا المَشَائخَ ، فَإِنَّ تَبْجِيلَ المَشَائِخ مِنْ إِجْلاَلِ اللهِ تَعَالَى ؛ فَمَنْ لم يُبَجِّلْهُمْ فَلَيْسَ مِنِّي » رواه أنس ، وقال : « مَن لم يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَلَمْ يُوَقِّرْ كَبِيرَنَا[1] فَلَيْسَ مِنَّا » قال شراح الحديث : مَن لم يعظم حرمة من يؤدّبه حرم بركته ، ومن اعترض شيخه لا يفلح أبداً .

وقال عليه الصّلاة والسّلام : « خَمْسٌ مِنَ العِبَادَةِ : قِلَّةُ الطعم ، والقُعُودُ فِي المَسَاجِدِ ، وَالنظْرُ إِلَى الكَعْبَةِ ، وَالنَّظْرُ فِي المُصْحَفِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْرَأَ ، وَالنَظْرُ إِلَى وَجْهِ العَالِمِ » صدق رسول الله فيما قال .

مهم

وهذه الرابطة واقعة في الصحابة من شدّة محبّتهم واتباعهم له ﷺ ، وكذلك في التابعين وأتباعهم ، ويكفي لذلك شاهداً ما حصل لأبي بكر الصدّيق ﷺ حيث لم يجد محلاًّ خالياً من رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم حين أراد قضاء الحاجة البشرية ؛ فاشتكى من هذه الحالة إلى النبي ﷺ فرخّص له فيه ، وما حصل أيضاً للإمام الأعظم أبي حنيفة رحمه الله في مناجاته عند روضة رسول الله ﷺ حيث قال :

---

(١) سناً أو علماً « السراج المنير » عبارته ٣٦٢ ج٣ .

وَإِذَا سَمِعْتُ فَعَنْكَ قَوْلاً طَيِّباً وَإِذَا نَظَرْتُ فَمَا أَرَى إِلاَّ كَا

انتهى عبارته .

وأطال في ذلك ، وقال : والصلاة على النبي ﷺ وعلى آله ، والسلام على عباد الله الصالحين في الصلاة مشروعة مسنونة ، والآل كلّ تقيّ . وإذا كان في الصلاة كذلك ؛ فكيف يتصوّر كفر من أحبّ أستاذه وتخيّله في قلبه لشدّة محبّته له حالة الذكر والقراءة والصلوات الشريفة ؛ ليكون وسيلة إلى الخضوع والخشوع والحضور ، ودفعاً للخواطر والوساوس الشيطانية ، وهذا أمر مشروع مقبول ؟ ! وأمّا تفكّر صورة أستاذه وتخيّله واتخاذه معبوداً من دون الله واختصاصه بالعبودية ! ! أمر لا يفعله إلا الكفرة من أهل الكتاب ، وأما **تكفير من أحبّ أستاذه من حيث أنه أستاذه في الدين ! فكفر ، لأنه تكفير لأهل القبلة والدين** ، ولهؤلاء الأئمة المذكورين ، إلى أن ينتهي إلى الأصحاب حتى النبي ﷺ، فحاشا ثم حاشا ، اللّهمّ لا هادي لمن أضللت ، ولا مضلّ لمن هديت ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بك .

فيا عجباً للقائل بحرمة الرابطة وتكفير أهلها ، هل أخذ من معناها اللغوي ، أو الاصطلاحي ؟ ! أو هل وجدها في الكتب المنزلة ! فليتّق الله ، وليحذر من أن يحرّم ما أحلّ الله ، ويحلّ ما حرّم الله ، ويقع في الخطأ العظيم فيوقع غيره ويمنع الناس عن المعروف ، ثم ليتّق الله ، ولا يكفّر أحداً من أهل القبلة ؛ فيرجع عليه ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ صدق الله العظيم .

والحاصل : أنه ليس في الكتب المنزلة ، ولا في الأحاديث النبوية ، ولا في الكتب المعتبرة عبارة تفيد حرمة الرابطة المعتبرة في اصطلاح القوم ؛ لا صراحة ولا دلالة ، بل فيها إباحتها واستحبابها صراحة ودلالة ، قال البويصري :

لا تَعْجَبَنْ لِحَسودٍ رَاحَ يُنْكِرها تَجَاهُلاً وهو عَيْنُ الحَاذِقِ الفَهِمِ
قد تُنْكِر العينُ ضوءَ الشمْس مِنْ رَمَد ويُنْكِرُ الفَمُ طعْمَ الماءِ مِنْ سَقَم

لكن الشمس شمس ؛ وإن لم يرها الضرير .

وأما قول بعض أهل الأغراض بحرمة الرابطة وتكفير صاحبها ! ! فهو من جهله بمعنى الرابطة ، وسوء ظنّه بأهل الذكر والطريقة وأرباب الشريعة ؛ حيث أوقعه جهله وحسده وغرضه في تكفير أهل الطريقة والذكر من المشائخ والمريدين ، والأئمة من الصحابة والتابعين . فنعوذ بالله تعالى .

وأما قول القائل بأن الرابطة بدعة !! فبدعة متوعّد قائله بالخذلان[1] .

وأما تشبيه الرابطة بالصنم ، وأهل الرابطة بأهل الصنم ! ! فهذا ضلال ، ما قاله أحد من الأئمة من أهل السنة والجماعة .

وأما خطأه في بيان أدلّة النقلية والعقلية لإثبات زعمه ! ! فظاهر لأرباب الفهم ، لأن أدلّته النقلية قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ الآية ، وقوله ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ الآية ، وقوله عليه الصّلاة والسّلام : « وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا » الحديث ، وعدم دلالة هذه الأدلّة على حرمة الرابطة المشروعة ظاهر ، كما لا يخفى على أهل الإنصاف والنظر ، وعلى من تتبع معاني هذه الأدلة ومعاني الرابطة ، قال تعالى : ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ ، وقال تعالى ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ .

---

(١) وقول مؤلف « المحاسن الإرشادية » : إن رابطة الصوفية خطأ ، لجهله معنى الرابطة في الاصطلاح - كما جهله غيره من المنكرين - ، ولو علم ذلك لما قال ذلك ، بل استحسنها . (منه) .(هامش الأصل) .

رابطة الرحمن ورابطة الشيطان

وأما أدلته العقلية باللسان التركي فمعناه بالعربية : أن الرجل إذا عمل الرابطة بالشيطان يحصل له ما يحصل له من الرابطة بالمرشد وبالشيخ ، وقد أخطأ بهذا القول خطأ ظاهراً بيّناً ؛ لأنه سوّى بين رابطة الشيطان المنهيّ عنها ، وبين رابطة الأنبياء والأولياء المأمور بها ، وخالف قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ ، وقوله ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ ﴾ الآية ، وقوله ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ ، و قوله تعالى ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ الآية .

وأما من حصل له الرابطة مع الشيطان ؛ فقد استحوذ عليه الشيطان فأنساه ذكر الله ، فيدخل تحت قوله تعالى : ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ .

وأما من حصل له الرابطة مع الأنبياء والأولياء فيكون من جملة حزب الله : ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ ؛ لأنهم إذا رؤوا ذكر الله .

وبتلك الأدلة ظهر عدم فرقه وتمييزه بين الحقّ والباطل ، فرأى الباطل بنظر الحق ! والله تعالى أمرنا وأوجب علينا الحبّ في الله والبغض في الله ، وظهر أيضاً عدم فرقه بين الشهوة النفسانية والقوة الروحانية ، فإنه يحصل للرجل اللذة بالزنا ؛ كما تحصل بزوجته ، ويحصل الطرب باستماع الغناء وآلات اللهو ؛ كما يحصل باستماع القرآن والذكر ، وتحصل الشهوة والمحبة بملاحظة صورة الشابة الحسناء الجميلة ، وكثيراً ما يقع به الإنزال والاحتلام ؛ كما تحصل المحبة والحضور وتأدب النفس وحياة القلب والروح بملاحظة صور الأنبياء والأولياء ، فأحد الشقّين يردّ

إلى أسفل السافلين ، والآخر يرفعه إلى أعلى العليين ، وأحدها ينعش النفس ويقوّيها ؛ وإنّ النفس لأمّارة بالسوء ، والآخر يحيي الروح والإيمان ويقوّيهما ؛ كما لا يخفى على أرباب الفهم ، ولعلّ ذلك المعترض تاب ورجع عن خطئه ، ولكنّه كان فتنة للناس ، حيث منع كثيراً منهم عن ذكر الله تعالى ، وأوقعهم في سوء الظنّ بأهل الذكر والطريقة ، وتكفيرهم لهم ، والحال أن تكفير أهل القبلة كفر صريح ، فنعوذ بالله من الشكّ بعد اليقين ، ومن الضلالة بعد الهدى ، ومن ضرّاء مضرّة وفتنة مضلّة . اللهُمَّ ارزُقْنَا حُبَّك وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنَا إِلى حُبِّكَ . آمين بحرمة النبيّ الأمين(١) عليه السّلام . انتهى ما قاله العلاّمة الشيخ يوسف أفندي شوقي الطرابزوني الأوفي الحنفي النقشبندي في « هديّة الذاكرين » فجزاه الله عنا وعن أهلنا ، فقد صرّح ما كان واجباً علينا أن نصرّحه في جواب مسائل المنكر في عصرنا هذا .

ونقل الشيخ عمر الميرطي رحمه الله في « فتاويه » ما نصه :

والثالث : محبة الشيخ الكامل ، وحسن صحبته وخدمته ، ولا يعترض عليه في شيء ولا ينكر ، ويكون بين يديه كالميت بين يدي الغسال ، كما قال الله تعالى : ﴿ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ ﴾ ويرابطه ؛ وهو : عبارة عن ربط القلب بالشيخ الواصل إلى مقام المشاهدة المتحقق بالصفات الذاتية ، وحفظ صورته في الخيال ؛ ولو بغيبته ، ورؤيته بمقتضى « هُمُ الذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ » .

والجليس الصالح والشيخ كالميزاب ينزل الفيض والنور من قلب الرسول عليه السّلام الذي هوكالبحر المحيط النوري إلى قلب المريد المرابط الذي بمثابة الحوض الصغير النوري ، **وأما قلوب المشائخ !**

---

(١) وفي نسخة : الأميّ .

فكالبحر الذي له ساحل ، فتنزل الفيوضات الإلهية من طرف الله إلى قلب الرسول عليه السّلام ، ثم إلى المشائخ ، ثمّ إلى قلب المريد بواسطتهم ، وإن وجد الفتور في الذكر ! فليحفظ صورة الشيخ في خياله بموجب ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ ، و« الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » .

وقيل : **الفناء في الشيخ مقدّمة الفناء في الرسول ، والفناء في الرسول مقدّمة الفناء في الله** ، وذلك باتّصافه بصفة الشيخ وتخلّقه بأخلاقه ، **وهذا هو الطريقُ المستقلُّ للوصول إلى الله عزّ وجلّ** . « حديقة شعراني » .

الفرق بين المحبة والرابطة

إن قلت : ما الفرق بين المحبة والرابطة ؟

قلت : المحبّة ملزوم ، والرابطة لازم ، فقولنا (رابطة شريفة) من قَبيلِ ذكر اللازم وإرادة الملزوم ، **فافهم جدّاً** ، كما قال إسماعيل حقي قدّس الله سرّه الجليل : **الرابطة اثنان : رابطة الحق ، ورابطة الطبع** ؛ فمحبة أولياء الله رابطة الحق ، ومحبة الأولاد والأهل والأقرباء رابطة الطبع . وكذا قال في قوله تعالى ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ ؛ أي : من غير رابطة قرابة ، أو رحم . « روح البيان » .

قال النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم : « والذي نَفسِي بِيَدِهِ ؛ لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ وَأَبَوَيْهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ والنَّاس أَجْمَعِينَ » ، وفي حديث آخر « الآنَ كَمُلَ إِيمَانُكَ يَا عُمَر » ، حين قال عمر : يا رسول الله ؛ إني أُحِبُّك من نفسي .

روي أن النبي ﷺ قال : « مَنْ أَحَبَّنِي فَقَدْ أَحَبَّ اللهَ ، وَمَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ » فقال المنافقون : لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ، ما يريد إلاّ أن نتّخذه ربّاً كما اتخذت النصارى عيسى ! ! فنزلت ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ لأنه في الحقيقة مبلّغ ، والآمر هو الله تعالى ، فعلى المرء

أن يحبّ النبي ويتّبعه ويتّبع أولياء الله تعالى ، فالاتباع لهم لا يخلو عن الاتباع للرسول « المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » . « روح البيان » . انتهى عبارته .

وقد نقلت منه ما بعد هذا من قبل من الأدلة الواضحة لإثبات الرابطة فلا نعيده .

وفي « الفتاوى العمرية » : وقد صرّح التصرّف والإمداد جماهير المفسّرين ؛ في قوله تعالى : ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ ، أي : مَثَلَ له يعقوب عليه السّلام عاضّاً على أنملته ، وقيل : ضرب بيده في صدره فسكن شهوته ؛ فلم يقربها ، ولولا أن رآى ذلك البرهان ليحتمل أن يجامع ، كما قيل : جواب لولا في الآية محذوف ؛ وهو : لجامع . تفسير « الكشاف » .

تعدُّد صورة الولي

وإذا تحقق ولاية الولي يتصوّر في صور عديدة ؛ وليس ذلك بمحال ، لأنّ المتعدد هو الصورة الروحانية ، وقد اشتهر ذلك عند العارفين بالله تعالى . « كتاب المنجلى » للسيوطي .

فإن الأولياء يظهرون في صور متعددة بسبب غلبة روحانيتهم على جسمانيتهم ، ويقع منهم التصرّف في الحياة وبعد الممات . حموي في « نفحات القرب » .

الروح تظهر في الدنيا في سبعين ألف صورة ، ففي البرزخ من باب الأولى . « رسالة الرابطة » لحضرة خالد .

إنّ **الشيطان** كما لا يتمثل بصورة النبي لا يقدر أن يتمثَّل بصورة الولي الكامل أيضاً بشرط ذكره ثمه .

« فتح الباري » ، شرح البخاري ؛ عند قوله : ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ . انتهى عبارته .

وفيه بعيد ذلك : **والحاصل** : أن تخييل صورة الشخص بين الحاجبين ، أو بين العينين ، أو بين عيني القلب ، أو في خزانة الخيال ؛ أو

غيرها على اختلاف الأقوال في تعيين محل القوة المفكرة ؛ إنما يحصل ذلك بسبب فرط المحبة ، أو فرط العداوة ، أو فرط الشهوة ، وذلك موجود في جميع بني آدم ؛ حتى ترى نفسك ينزل منها المني بتخيّل صورة المحبوبة ، أو الغلام المحبوب في محلّ الخيال ، وترى نفسك أيضاً ترابط الأجنبيَّة الحسناء ، وتخيّلها بين حاجبيك حتى تجامع زوجتك كأنها الأجنبية الجميلة ؛ كما بيّن حكمته الفقهاء بأنّ تخيُّل صورة الأجنبية حالة الجماع قيل : مكروه ، وقيل : لا يكره ؛ لازدياد لذّة الجماع ، وكذا ترى نفسك ترابط العدوّ ، حتى يفرق بذلك من تجسّم صورة العدوّ بين عينيك ، فإذا كان الأمر في الأمور الظلمانية هكذا ؛ فكيف لا تخاف من الله تعالى أن تحكم بأنّ الرابطة على الأنبياء والأولياء الذين هم محلّ اقتباس الفيوضات الإلهية شركاً أو حراماً ؟ ! حسبنا الله ونعم الوكيل .

مهم

وقد اتّفق أهل المذاهب الأربعة على جواز التوسّل بالأنبياء والأولياء أحياءً وأمواتاً ، وكذا التوجّه إلى قبور الأنبياء والأولياء والتوسّل بهم والاستغاثة بهم . انتهى . ويتأدّب الزائر مثل ما لو كانوا أحياء ، **وكذا قراءة الفاتحة بعد الدعاء** ، وقول بعضهم (للنبي أو لفلان) جائز ، بل مطلوب شرعاً ، كما ثبت الزيارة إلى الروضة المطهرة ؛ بلا منكر ولا نكير ، وكذا الاستمداد والاستشفاع من روحه ﷺ ، وكذا الزيارة للخلفاء الأربعة ، وسائر الصحابة ، والاستمداد منهم ، والاستشفاع من أرواحهم ، وتقبيل ضرائحهم للتبرك غير ممنوع « فتاوى خليلي » .

ويجوز تقبيل ضرائح الأنبياء والأولياء تبركاً « باجوري » .

الاجتماع بالشخص جائز وواقع يقظة ومناماً ، لحصول ما به الاتحاد ، وقد تقوي المحبة بحيث يكاد الشخصان لا يفترقان ، ومن

حصّل الأصول الخمسة - أي : الاشتراك في الذوات ، وفي الصفات ، وفي الأفعال ، وفي الأحوال ، وفي المراتب - وثبت المناسبة بينه وبين أرواح الكمل الماضين ، اجتمع بهم متى شاء « شرح المشارق » في حديث « من رآني . . . إلخ » .

كيفية الانتفاع بزيارة الموتى والقبور

قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله في « المطالب العالية » : سألني الملك الصالح غوري بيان كيفية الانتفاع بزيارة الموتى والقبور ؟ فكتبت له فيها رسالة ، وأنا أذكر هنا ، ملخّص ذلك الكلام فيه مبني على مقدمات ، وأطال فيها الكلام ، وخلاصته : إنا قد دلّلنا على أنّ النفوس البشرية باقية بعد مفارقة الأبدان مدركة للجزئيات ، بل هي أقوى من هذه النفوس المتعلقة بالأبدان من بعض الوجوه لزوال الغطاء والوطاء ، ولانكشاف لها عالم الغيب وأسرار منازل الآخرة ، فصارت العلوم البرهانية ضرورية ، وكانت تلك النفوس الروحانية تحت غبار وبخار ، فلما زال البدن أشرقت تلك النفوس وتجلّت وتلألأت ، فحصل لها نوع من الكمال . . إلى أن قال : فإذا عرفتَ هذه المقدمات فنقول :

إنّ الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسان قَوِيِّ النفس - أي الروح - كامل الجوهر ، شديد التأثير ، ووقف هنالك ساعة تأثَّرت نفسه من تلك التربة ، وحصل لنفس هذا الزائر ولنفس ذلك الإنسان الميت ملاقات بسبب اجتماعهما على تلك التربة ، فصارت هاتان النفسان شبيهتين بمرآتين وُضِعتا بحيث ينعكس الشعاع من كل واحدة منهما إلى الأخرى ، فينعكس نور هذا إلى ذاك ؛ ونور ذلك إلى هذا ، وبهذا الطريق يصير تلك الزيارة سبباً لحصول المنفعة والبهجة العظمى لروح الزائر ولروح المزور ، **وهذا** هو السبب الأصلي في شرعية الزيارة ، ولا يبعد أن يحصل فيها أسرار أخرى أدقّ وأحقّ بما ذكرناه ، وتمام العلم بالحقائق ليس إلاّ عند الله تعالى . انتهى كلام فخر الدين الرازي ملخصاً .

وأما حديث : « لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ » ؟! فالمراد منه : المساجد ؛ لا المقابر .

وفي الحديث : « مَنْ زَارَنِي بَعْدَ مَوْتِي فَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي » وفي الحديث : « المُؤْمِنُ مِرْآةُ المُؤْمِنِ » أي : ينعكس من مرآة قلب أحدهما إلى الآخر ما في القلوب ، فربّما ينعكس نور الذكر من مرآة القلب إلى ما يحاذيها من الحيوانات والجمادات فتنطقه بالذكر ، كما وقع لداود عليه السّلام ؛ كما قال الله تعالى ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ إلى ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ ، وكما وقع لسلمان وأبي الدرداء قال : كنا نأكل الطعام ونسمع تسبيحه .

ولِهِمَّةِ أهل الله وتوجّههم وأنفاسهم ومسّهم وصحبتهم تأثير عظيم ، فمن ذاق يعرفه ، ومن لم يذق لم يعرف . انتهى . وأطال في ذلك .

وقد تكلّم واحد على كلام ذلك الإمام فخر الدين الرازي المذكور ، وعدَّ تلك الزيارة من الشرك ، وقال : وهذا سرُّ عبادة الأصنام ، وذلك مُنبئٌ على شذوذ قائله من دائرة أهل السنة والجماعة ، وبناء على هذا كتب إليّ من وقع سبباً للتأليف ؛ بأنّ الرابطة عين الشرك . فحاشا ذلك وكلاّ ! وكلام الوهابية وأتباع ابن تيمية يُرْمى في كل وَعْر وحَزْن ، ولا يقام لكلامهم وَزْن ، وقد ردّ النبهاني قدّس سرّه شبهات أولئك القوم في « شواهد الحق » ، فمن أراد الاطلاع فعليه الرجوع إليه ، وإلى « فتاوى الحديثية » لابن حجر « والفتاوى الكبرى » ، و« نور الإنصاف » .

وقد نقلنا منها أقوالاً شافية لمرض القلوب ، ودلائل كافية في إثبات ما أجمع عليه علماء الأمة حديثاً وقديماً في « البروج المشيدة بالنصوص المؤيَّدة » فراجعه .

قال مؤلف « الرحمة الهابطة » بعد ذكره حديث : « إِنَّما مَثَلُ الجَلِيسِ الصَالِحِ وَالجَلِيسِ السُوءِ كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ . فَحَامِلُ المِسْكِ ؛ إِمَّا

أَنْ يُحْذِيَكَ ، وَإِمَا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رَائِحَةً طَيِّبَةً ، وَنَافِخُ الكِيرِ إِمَّا أَن يَحْرِقَ ثِيَابَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ ريحاً خبيثةً » ، وحديث : « خِيَارُكُمْ الذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ » ما نصّه : وهذان الحديثان يصلحان أن يكونا دليلاً للتوجُّه والرابطة ، لأنّ من ألفاظهما ومعانيهما ما هو مطابق للواقع ، كما أنهما يرغّبان في صحبة الصالحين . انتهى عبارته . وأطال في ذلك . فراجعه في ١٩١ من هامش « الدرر المكنونات » .

ثمّ قال : لأنّ الجليس يدرك بذوقه ما يسري إليه من قلب جليسه الصالح ، وإذا كانت الطِباع تسرقُ ؛ فمن باب أولى أنّ القلوب المنيرة تسرق وتحصل الفائدة من الجليس الصامت ، ولا معنى لها سوى سريان حاله في جليسه ، ومن المعلوم أن من جالس شخصاً - سيما إذا كان الجلوس على طريق المحبة والاعتقاد - لا بدّ أن ترسم صورته في ذهنه ، فمهما تذكّره تخيّل صورته ، فإن كان الشخص من أحباب الله ! فتخيّل صورته يدعو إلى محبّته ، والشوق إليه محبوب ، فتخيل صورته محبوب ، إذ من تصوّر موصوفاً تصوّر صفاته ، فإذا كانت صفاته محبوبة عند الله فتصوّره الموجب لتصوُّر صفاته المحبوبة محبوبٌ ، ولا معنى للرابطة سوى هذا ، ولا يرتاب عاقل في أن الإنسان مختار في حركاته الظاهرة وتصوّراته الباطنة ، إذ لا حجرَ عليه من جهة الشارع إلاّ إن تحرَّكَ في معصية ؛ أو إلى معصية ، وكذا إن تصوَّر فعلَ المعصية ، كمن يصوّر أنه يزني ، فهذا محظور ، بخلاف من تصوّر أنه يأتي حرثه ، فلا منع من ذلك ، وإنّ قوله ﷺ « خِيَارُكُمْ إِذَا رُؤُا ذُكِرَ اللهُ » ، فهذا كالشرح لقوله : « أَوْ تَجِد مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً » ؛ جعل مجرّد رؤيتهم محصِّلة لذكر الله ، وذلك لأنهم منسوبون إلى ذكر الله ، وإذا رأى المنسوبَ ذكر المنسوب إليه ، وهو عين الذكر ، لا سيّما إذا كانت رؤيتهم على طريق المحبّة والاعتقاد الصحيح ، فإنه يحصل بها رفع الحجاب عن القلب ، فينتقش فيه ذكر الله ،

فإن كانت مع مجالسة ! ! فهذه أبلغ من حصول الذكر ؛ بسبب انعكاس أنوار القلوب .

ولتتيقّن يا أخي وتجزم ؛ بأني لم أذكر لك جميع ذلك عن ظنّ وتخمين ، لا والذي وسعت رحمته كلّ شيء ، بل عن تجربة وتحقيق ، والشفيق يجتهد في النصيحة ، فقل لمن لم يسلك هذا السبيل ؛ ولم يذق من شرابه السلسبيل :

عَلَى نَفْسِهِ فَلْيَبْكِ مَنْ ضَاعَ عُمْرُهُ وَلَيْسَ لَهُ فِيهَا نَصِيبٌ وَلاَ سَهْمٌ

والحاصل : أنّ صحبة الصالحين محتاج إليها ، وقد قالوا : الرفيق قبل الطريق ، وتطهير القلب عن الصفات المذمومة كالكبر والعجب والرياء ومحبة الدنيا ونحوها فرض على كل مسلم بإجماع العلماء ، لأن جميع الطاعات يترتب وجودها والإحسان فيها على تطهير القلب ، ويكفيك قوله ﷺ : « إِنَّ فِي الجَسَدِ لَمُضْغَةً ؛ إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الجَسَدُ كُلُّهُ » الحديث ، وتطهير القلب لا يحصل على وجه المراد إلاّ بصحبة مرشد كامل . وتأمّلْ « عهود الشعراني الكبرى » يتحقق عندك صحة هذا القول . انتهى عبارته . وأطال في ذلك فراجعه في ١٩٥ ، وفي ١٩٤ من هامش « الدرر المكنونات » ج١ .

وقد أثبت فيها[1] الرابطة بدلائل من الكتاب والأحاديث والإجماع والقياس ، وأطال القال والقيل في ذلك بالبسط التام .

مهم

وقال : إنّ الرابطة من جملة الوسائل الموصلة إلى الحضور في عبادة الله ، **والوسائل لها حكم المقاصد** . انتهى عبارته .

---

(١) أي : في « الرحمة الهابطة » .(هامش الأصل) .

وقال في آية ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ : والوسيلة بالأعمال الصالحة ، ولا تكون الأعمال صالحة إلاّ بالإخلاص ، ولا يكون العمل خالصاً إلاّ إذا خلا عن الشوائب ، وقد حصل لنا بالتجربة .

أنا إذا اشتغلنا بالرابطة خلت أعمالنا عن شوائب الغفلة ، والعمل في الغفلة غير معتدّ به ؛ لأنه يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها ، **فهي من الوسائل الموجبة لزوال الغفلة ، وزوال الغفلة مقصود ، وما أوصل إلى المقصود مقصود** ، ومن لوازم زوال الغفلة الحضور ، وهو من أشرف الوسائل ، فالرابطة الموجبة لزوال الغفلة الموجب للحضور من أشرف الوسائل . انتهى عبارته ٢٢٢ .

وفيه ما نصه : قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني في رسالته « مدارج السالكين » :

الأدب السابع : أن يخيّل خيال شيخه بين عينيه ، وهو عندهم من أهم الآداب وآكدها .

وقال أيضاً في « البحر المورود » : اعلم يا أخي ؛ أن ربط أحدنا قلبه بشيخه حيّ أو ميّت ينفعنا ؛ ولو لم يكن ذلك الشيخ في علم الله شيخاً ، لأنّ ربطنا حقيقة إنما هو لاستناده إلى الله ؛ لا لذاته ، ومحالٌ أن يوجد الحق تعالى عند السراب الذي ظنّه الظمآن ماءً ، ويفقد عند عبد من عباده مشهور بالصلاح حقيقة ، بخلاف الصالح له وجوه وحقيقة . فافهم . انتهى عبارته . في ٢٦٧ ج١ .

وذكر فيها[1] ما قاله العلماء الأعلام في حقها ، وأطال وَبَسط وقال فيها أيضاً ما نصّه : **اعلم أيها الأخ** أرشدك الله ، أن الرابطة من جملة الوسائل الموصلة إلى الحضور في عبادة الله ، والوسائل لها حكم

(١) أي : في « الرحمة الهابطة » .(هامش الأصل) .

المقاصد . قال سيّدي الحبيب عبد الله باعلوي الحدّاد في كتابه « إتحاف السائل » : الحضور مع الله روح العبادات ، وهو المقصود منها ، وبه يعبأ المحققون ، والأعمال التي تصدر مع الغفلة يرونها إلى العقوبة والحجاب أقرب منها إلى المكاشفة والثواب ، **فالرابطة تفيد رفع الحجاب** ، ورفع الحجاب مطلوب ، وكل ما أفاد المطلوب مطلوب ، فالرابطة مطلوبة ، فقد هلك من لا رابطة له ، وكل إنسان له رابطة ، ولكن شواهد « الرحمة الهابطة » ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ .

فرابطة رسول الله ﷺ دائمة ، وأسناها وأسماها قولُه ﷺ : « لِي وَقتٌ لاَ يَسَعُني فِيه غَيْرُ رَبِّي » .

ورابطة الأولياء قوله ﷺ حاكياً عن الله تعالى : « مَا وَسِعَنِي أَرْضي وَلاَ سَمَاواتي » . الحديث .

ورابطة المريدين قوله ﷺ حاكياً عن ربه تعالى أيضاً « وَجَبْت مَحَبَّتِي » . الحديث .

وهذا أمر لا يدركه الإنسان إلاّ بالذوق والوجدان ، فإن أحببت يا أخي أن تسلك سبيل الرحمة الهابطة ، وتكون لك على التقوى مرابطة ، فعليك بطريق الرابطة ، فإنها تعلّق القلب ، **وتعلّق القلب بطاعة الله ورسوله منتج لمحبّة الله ورسوله ، والرابطة يحصل بها زوال الغفلة ، وجمع القلب على الله** ، وذهاب القسوة من القلب ، والخشوع ، ونزول الرحمة ، وكل ذلك يثمر المحبّة . انتهى عبارته ، راجعه في ٢٣٠ من هامش « الدرر المكنونات » من الجزأ الأول .

مهم

وكان محمد النقشبندي يفعل الرابطة إلى عبد الخالق الغجدواني ؛ وإن كان أستاذه الأميركلال ، وكان أبو يزيد البسطامي يفعل الرابطة إلى جعفر الصادق بلا رؤيته قدّس سرّه (من خط الشيخ العسلي قدّس سرّه) .

والمراد من ربط قلب المريد بشيخه واستحضار روحانيته معه إنما هو لدفع وسوسة الشيطان، وترك الإثم والعدوان، فإنه إذا همّ بمعصية يتمثّل له الشيخ فينزجر عن فعلها؛ إن كان ربطه كاملاً على محبّة دائماً، كما أخبر الحق تعالى عن يوسف عليه السّلام بقوله ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ وهو أنه مثّل له أبوه يعقوب عليه السّلام عاضّاً على أنملته، « جامع الأصول » من خطه قدّس سرّه.

وقال مولانا جلال الدين الرومي قدّس سرّه: **كل واسطة ورابطة حجاب بين الطالب والمطلوب، إلاّ رابطة الأنبياء والأولياء الذين أفناهم الله عنهم وأبقاهم به، وتخلّقوا بأخلاقه**، بل هي خارقة الحجاب، قاطعة التعلق والأسباب، **فالرابطة معجزة نفيسة لرسول الله عليه السلام باقية مستمرّة إلى يوم القيامة**، وكرامة الخلفاء المرشدين الكاملين متجدّدة في قلوبهم، وفي قلوب السالكين لكلّ وقت وحين. « مثنوي ».

حكي: أن شيخاً من الشيوخ سافر مع أحد من مريديه، فاعترض على طريقهما ماء كالبحر، فقال الشيخ: أنا أدخل على الماء؛ وأقول: يا الله، وَادْخُلْ أنت وقل أنت: يا شيخ يا شيخ. فلما بلغا وسط الماء، قال المريد: يا الله، فتسفّل في الماء، فقال الشيخ: قل: يا شيخ يا شيخ، فقال: يا شيخ يا شيخ، فعلا على الماء، فلما جاوزا؛ قال: يا شيخ؛ ما سرّ في هذا؟ قال الشيخ: لأنّك لا مناسبة بينك وبين ربّك في وصول الفيض منه إليك، فما دام جعلتني واسطة وصل منه إليّ ومنّي إليك، فلما أخرجتني انقطع الفيض فتسفّلت. « مشكاة » من خط العسلي قدّس سرّه.

ورأيت في « الإبريز » ما حاصله ومُلخّصه هذا: إنّ مؤلّفه قال لشيخه - يعني: القطب عبد العزيز الدباغ - ذات يوم: إني أخاف من الله من أمور فعلتُها، فقال لي: ما هي؟ فذكرت له ما حصل، فقال

لي ﷺ : لا تخف من هذه الأشياء ، ولكن أكبر الكبائر في حقِّك أن تمرَّ عليك ساعةٌ ؛ ولا أكون في خاطرك ، فهذه هي المعصية التي تضرّك في دينك ودنياك . انتهى راجعه في ٢١٣ .

وفيه قبيل هذا : قال في « العوارف » : وليعتقد المريد أن الشيخ باب فتحه الله إلى جناب كرمه ، منه يدخل ومنه يخرج ، وإليه يرجع ، وينزل بالشيخ حوائجه ومهمّاته الدينية والدنيوية ، ويعتقد أن الشيخ ينزل بالله الكريم ما ينزل المريد به في ذلك إلى الله للمريد كما يرجع المريد إليه ، وللشيخ باب مفتوح من المكالمة والمحادثة في النوم واليقظة ، فلا يتصرّف الشيخ في المريد بهواه ، فهو أمانة الله عنده ، ويستغيث إلى الله بحوائج المريد كما يستغيث بحوائج نفسه ومَهَامِّ دينه ودنياه . انتهى عبارته .

وفي « الرحمة الهابطة » : **فإن قال الأخ المنكر** - تاب الله عليه - : قد عرفنا على هذا القول أن الرابطة تعلق القلب ، وهذا لا نقول بمنعه ، والحب في الله واجب ، ومحبة الصالحين ثابتة ، لكن أين لكم أنّ استحضار صورة رجل في الذهن ؛ ولو كان من الصالحين تحصل به هذه المطالب كلها ؟ وأنّ استحضاركم بسبب تعلق القلب ، وأنه جائز ؟

والجواب عن هذا من وجوه :

الأوّل : قولك : من أين لكم أنّ استحضار صورة رجل في الذهن تحصل به هذه المطالب كلها .

أقول : إنّ هذه المطالب تحصل لنا بما ذكرناه ، كما حصلت لك أضدادها باستغراقك في معبودك الذي نبّهناك عليه ، ولكنها ﴿لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ ألا ترى أنك إذا كبّرت تكبيرة الإحرام اشتغلت برابطة التاجر الذي يعطيك زكاة ، أو صدقة ، أو برابطة الحاكم ، أو الوزير ، أو الملك ، أو أهلك ، أو بكلٍّ في ركعة وسجدة ،

وتنسى مَن أنت واقف بين يديه ، ولا تستحي منه ، وتنسى نفسك ، وتخرج من الصلاة ؛ ولا تدري أيّ شيء قلت ، أتنكر ذلك ! ! ما أراك تجحد ذلك ! !

الثاني : قولك : أنّ استحضاركم بسبب تعلّق القلب .

أقول : لا يخفى أنّ استحضار الشيء بسبب تعلق القلب به ، وأهل هذا الفن مع تعلق القلب يتكلّفون استحضار صورة محبوبهم ، ولا يحصل لهم إلاّ بالتكلف ، لأنهم يسعون في تطهير قلوبهم بإزالة ما سوى الله منها بواسطة الرابطة في غير وقت العبادة ، ومن كان شغله نفي ما سوى الله لا جرم أنه لا يستحضر أحداً إلاّ بسبب تعلق القلب ؛ مع التكلف للفائدة التي ذكرناها ، وأنت تشهد أنّ سببه تعلق بالقلب ، ولا تكتموا الشهادة . وذلك لأنّك شديد الاعتناء بتحصيل مقاصدك ، فإذا كبّرت للصلاة ظهرت لك صورها ؛ وصارت قبلتك التي تسجد إليها ، ونسيت ما سواها لتعلق قلبك بها واستيلائها عليه ، وانتقاشها في نفسك ، فإنه يحصل لك ، ويجوز لك استحضار المطالب وأنت محق ؛ ونحن المبطلون ، أهكذا يكون الإنصاف ؟ ما هذا إلاّ الاعتداء والخلاف .

والثالث : قولك : أنه جائز .

أقول : من المعلوم أن الأصل في الأشياء الحل ما لم تثبت به الحرمة ، **فكل شيء لم ينه الشرع عنه ؛ فهو مباح** ، وفعله **جائز** ، فحركات الإنسان وتصوُّراته المباحةُ فعلها جائزٌ ، فإن أوصلت إلى مندوب ففعلها مندوب ، فالرابطة فعلها باعتبار الأصل جائز ، وباعتبار ما توصل إليه مندوب .

الرابع : عدم علمك بحصول مطالبنا ما يجوّز لك سلبنا ، ولا الإنكار علينا بما لم تحط به علماً ، كما لا يلزم من جهلك عدم وقوع مقصودنا .

الخامس : قد علم وقرّر واشتهر أنّ المصلّي يسنّ له النظر إلى موضع سجوده في جميع صلاته ، ويسن للأعمى ومن هو في ظلمة أن تكون حالته كحالة النظر لمحلّ سجوده ، والمراد من ذلك جمع القلب والحضور وعدم التفرقة ، وهذا من أنواع الرابطة ، أفلا تجعل تخيّل الرابطة كتخيّل الأعمى النظر إلى موضع سجوده في جميع صلاته لحصول الفائدة ! ! فإنّ المقصد واحد ، إلاّ أنّ أهل الرابطة يفعلونها في غير وقت الصلاة ليحصل لهم جمع القلب على الدوام ، وليتوسّلوا بها إلى رابطة الصلاة ؛ وهي أن تعبد الله كأنك تراه .

السادس : إذا عمل قوم بلغ عددهم التواتر عملاً وأثبت كل منهم فائدته ، وقرّر منفعته ؛ فهل يجوز لأحد تكذيبهم ؛ مع استحالة تواطئهم على الكذب ؟ مع أن عيونهم عيون الناس أهل العلم والفضل ، وما أنت وعلمك بنسبة إليهم إلاّ كفحام عند جوهري ، أو كمن يحفظ حروف الهجاء ليناظر بها الفخر الرازي ، فالأولى أنّك تعترف لهم ، فإذا فاتتك صحبتهم لا تفوتك محبتهم ، وإذا لم تحبّهم فلا تسبّهم . شعر :

وَإِذَا كُنْتَ بِـالْـمَـدَارِكِ غُـرّاً ... ثُـمَّ أَبْـصَـرْتَ حَاذِقاً لاَ تُمَارِ
وَإِذَا لَمْ تَـرَ الْـهِـلاَلَ فَـسَلِّمْ ... لأُنَـاسٍ رَأَوْهُ بِـالأَبْـصَـارِ

السابع : قد علمت أنّ أحكام الشرع لا تثبت إلاّ بدليل ، وأن يكون نصّاً ؛ لا محتملاً ، ولا عاماً مخصوصاً ؛ كـ« كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ » لما يلزم عليه من الفساد ، إذ من البدعة ما هو واجب ، ولو تنزلنا وفرضنا أن عمل الرابطة لا دليل لنا عليه ؛ وإنما فعلناه لما حصل لنا من الفائدة بالتجربة ! ! فالإنكار علينا من أيّ وجه ، وما دليله ؟ ! ولقد أصبت بقولي في الرسالة المهملة شعري :

حَسَدَ المرء والمراد مراد الله ... مـا لإمـرئٍ سـواه عـمـاد
مـا أراد الإلـه إسـعَاد مَمْلُو ... كٍ وأردَى مُـرَادَهُ الـحُـسَّادُ

الثامن : وهو ضرب مثل : أمر الملك طبيبه الحاذق الحكيم بمداواة أهل مملكته من أمراض غلبت على أكثرهم ، أضرُّها البطن ، حتى آلت بالأكثر إلى عدم القيام بالخدمة ، وكان الطبيب حكيماً ماهراً ، وعالماً راسخاً ، وعارفاً كاملاً ، ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ فقال في نفسه : تنفيذُ هذا الأمر من أهمّ المهمّات وأوجب الواجبات ، وتعليمه لمن يتأهّل للقيام بعمله موجب لدوام الأجر والمثوبات ، و« خَيْرُ العَمَلِ مَا نَفَعَ » ، و« إِذَا مَاتَ ابنُ آدم انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ ؛ أحدها عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ . . . » .

فقصد إلى بعض المرضى ، ممن تفرّس فيه وعرف أنه يكون أهلاً للقيام بهذه الوظيفة وتنفيذها على وجه المراد إذا عوفي ، فعالجه حتى عوفي ، ثم علّمه الطبّ والحكمة ، وأخبره بالأدوية وخواصها ، وأعطاه دواء البطن ، وقال له : خذ هذا الدواء وانفع به الناس ، ولا تسأل عليه أجراً ، وكن محتسباً لتكون لك المنزلة الرفيعة عند الملك ، فإنّ أحبّ الأعمال إلى الملك عملُك هذا . فقال : سمعاً وطاعةً . فنظر النائب بعد خروجه من عند الحكيم في دواء البطن ما هو فإذا هو عسل أبيض ، فقال : الحمد لله ؛ فيه شفاء للناس . فأتاه شخص أحمق مثلك أيها الأخ - بصّرك الله بعيبك ، ووفّقك لترقيع جيبك - ؛ فقال : ما هذا الذي عندك ؟ فقال : دواء البطن للمبطونين ، فقال : أرني إيّاه ، فأظهره له في ظرف مختوم على فيه ، فاشتمَّه من قبله ، فقال له : ما هذا دواء البطن ! هذا سمٌّ أتيت تهلك الناس به ، هذا سمّ ساعة ، فقال : يا أخي هذا عسل مصفّى ، هذا ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ فذقه حتى تعلمَ ، فقال له : ما أنت أعلم به منّي ؛ ولا أعرف منّي ، من ذاق هذا هلك .

أيها الناس ؛ هذا ما أنزل الله به من سلطان . وأكثر الناس حمقى ، وشبه الشيء منجذب إليه ، فترك الناس التداوي به مع شدّة حاجتهم إليه بسبب كلام هذا الأحمق المغرور . فلا يزال يتكلّم في ذم الدواء ، والمداوي والمتداوي ، ويصدّ عنه من أراد شفاء مرضه الذي عطّله عن خدمة الملك و﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ﴾ ، ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴾ .

التاسع : من المعلوم أنا لم نبتكر شيئاً جديداً ، وإنما قلّدنا من تقدّمنا من العلماء العاملين ، والأكابر العارفين ؛ من أهل المذاهب الأربعة ، كما سترى تقريرهم الرابطة ، وكيفيّاتها ، بل أقسم أن جميع حركاتي وسكناتي في الطريقة هو ما عليه أئمة مذهبي الشافعية ، وقد استوفت كتبهم جميع ما نتعاطاه من الأعمال المخصوصة ، فما وجه الإنكار علينا مع اتباعنا أئمة الدين والعلماء العاملين ؛ كالغزالي والنووي ، والقاضي زكريّا وابن حجر ، والشعراني ، والمناوي ؟ ! أتظنّ أن إنكارك ما يتوجّه على أولئك السادة الأبرار ، والأولياء الأخيار ، وأولي الأنوار والأسرار ، أما تخشى محاربة الواحد القهّار ؟ ! أما علمت أن إنكار عليهم يؤول بصاحبه إلى سوء الخاتمة ودخول النار ؟ أتظن أنّ إنكارك ظاهراً واعترافك باطناً ليس من التلبيس ومشاكلة إبليس ؟ ! ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ تنبّه لنفسك أيها المغرور ، واخش عواقب الأمور ، ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ **وإنما** أوردناها نصيحة وإفادة ، وترغيباً وترهيباً ، و« لكلِّ امرِئٍ مَا نَوَى » ، ونسأل الله أن يمنّ عليك بالهداية ، وأن يجنّبك الإصرار في سبيل الأشرار .

سبب الإنكار أحد أمرين

ثم اعلم يا أخي ؛ أن سبب الإنكار أحد الأمرين ؛ لا يخلو من أحدهما كلّ منكر : الجهل ، وهو الأكثر ، وعدم العمل بالعلم ؛ وهو الأغلب على من ينتسب إليه ، فإن كنت جاهلاً يا أخي ! فلا تقف ما ليس

لك به علم ، فتقع في الظلم ، ولا تقل (هذا حلال وهذا حرام) ، لتحكم بغير ما أنزل الله به ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ، وإن كنت عالماً ، فاعمل يا أخي بعلمك ولا تتبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله . انتهى عبارته .

فما أحسن هذا الكلام ! ! وما أصدقه ! فلم يبق بعد ذلك لقائل منكر إلاّ الإقرار والاعتراف ، ولا لمجيب للسائل إلاّ السكوت والاكتفاء به ، فجزى الله تعالى لمؤلّفه خير الجزاء . آمين يا مجيب السائلين ، ويا أرحم الراحمين .

وفي « البهجة السنية » : **ثم اعلم** أن الرابطة إنما تفيد إن كانت مع الإنسان الكامل المتصرّف بقوّة الولاية ، لأنّ الإنسان الكامل مرآة الحق سبحانه وتعالى ، فمن ينظر إلى روحانيته بعين البصيرة يشاهد الحق فيها ، فبالرابطة يستفيد الشيوخ عن الصبيان الكاملين ، ويستفيض الأحياء عن الأموات المتصرّفين ، لأن الرابطة تدخل المستفيض تحت تصرّف ولاية روحانية المفيض ، وتتصرّف فيه الروحانية ، وتفيض عليه من الكمالات الإلهية والتجليات الربانية ، وتبلّغه إلى الحضرات العلية ، سواء كان المفيض ميتاً أو حيّاً ، وسواء عرف ذلك أو لم يعرف .

ثم اعلم أن كيفية الرابطة مع الأموات : أن يجرد المريد نفسه عن العلائق العنصرية ، ويطلق باطنه عن القيودات الطبيعية ، ويعري قلبه عن العلوم والنقوش والخواطر الكونية ، ثم يتصوّر روحانية ذلك الميت نوراً مجرّداً عن الكيفيات المحسوسة ، ويحفظ ذلك النور في قلبه حتى يحصل فيه فيض من فيوضات ذلك الميت ، أو حال من أحواله ، لأن روحانية الكاملين منبع الفيوضات ، فمن أدخل المنبع في قلبه ينال فيضه البتة .

مطلب : الرابط عند قبر الميت

وأما إن كانت الرابطة عند قبر ميت ! فلا بدّ أن يسلّم على صاحب ذلك القبر ، ثم يقف في طرف اليمين قريباً من رجله ، ويضع يده اليمنى على اليسرى فوق سرّته ، ويطرق رأسه على صدره ، ثم يقرأ سورة الفاتحة (مرة) ، وسورة الإخلاص (إحدى عشرة مرة) ، وآية الكرسي (مرة) ، ويهب ثوابها لذلك الميت ، ثم يجلس عنده ، ويتوجه إلى روحانية ذلك الميت في القبر بطريق الاستفاضة كذلك ، لقوله ﷺ : « إِذَا تَحَيَّرْتُمْ فِي الأُمُورِ فَاسْتَعِينُوا مِنْ أَهْلِ القُبُورِ » فمن توجه من محله إلى روحانية النبي ﷺ في قبره الشريف في المدينة المنورة يستفيض منه ، وكذلك إذا توجه أحد من محله إلى روحانية الأولياء في قبورهم ينتفع بهم ، **فالرابطة من غير توجُّه كافية في الاستفاضة** ، نعم ؛ إذا اجتمعت الرابطة مع التوجه ! فنور على النور ، لكن المدار على قوة الرابطة ، فمن داوم عليها حصل له جميع أحوال الطريقة ، وكمالات الحقيقة ، ومن اختلّت رابطته انقطعت استفاضته ، ولم تحصل له أحوال السلوك ، ولم تظهر له أسرار الوصول .

آداب الرابطة

وأما آداب الرابطة! فهي :

١- أن يعتقد المريد أنّ كمالات الشيخ لا تفارق روحانيته ، وأنّ روحانيته ليست مقيدة بمكان دون مكان ، ففي أيّ مكان يتصوّره تحضر فيه روحانيته .

٢- وأن يعتقد أن تصرفات روحانية الشيخ من تصرفات الحق سبحانه وتعالى .

٣- وأن يحفظ محبة شيخه .

٤- وأن يراعي نسبته في كل حال .

٥- وأن لا يترك الرابطة عند حصول بعض الأحوال قبل أن يتمكّن فيه ذلك الحال ؛ لأنه إن ترك الرابطة يزول عنه ذلك الحال ؛ لأنه من أحوال الشيخ كالعارية عنده .

٦- وأن يداوم على الرابطة في جميع الأوقات ، ولا يفارقها أصلاً .

ترك الرابطة

ثم اعلم أن المريد إنما يحتاج إلى الرابطة إن لم يقدر على الاستفاضة من الله تعالى ؛ من غير واسطة ، فإن قدر عليه ! يجب عليه أن يترك الرابطة ، لأنّ اشتغال الرابطة حينئذ اعتبار التنزل عن الترقي ، وترجيح مرتبة الحجاب على مقام الشهود ؛ وذلك اعراض عن الله تعالى ، ولكن لا يترك محبة الشيخ ، ولا يترك نسبته ، لأنّ حفظ المحبة والنسبة يزيد المشاهدة ، ويقرب السالك إلى مقام الأنس والمحادثة .

تنبيه : قد علم مما تقرّر أن المراد بالمرشد الكامل الذي يصلح أن يجعل رابطة للمتوسلين له : هو الذي حصل له مقام البقاء بعد الفناء في الله تعالى الأَتَمَّيْنِ ، ولكن هنا مزلة الأقدام ؛ لأن هذه الطريقة العلية مندرجة بدايتها في نهايتها ؛ ونهايتها في بدايتها ، فربما يحصل للمريد بعض أحوال قبل فنائه ؛ فضلاً عن حصول بقائه ، فيظن كمال نفسه ، ويأذن للمريدين في أن يجعلوه رابطة ؛ فيخسر هو ومن رابطه به ، فلا بدَّ أن يشهد له بحصول الكمال ، وأنه بلغ مبلغ الرجال أهل الفضل والعرفان ، كشيخه ومرشده الكامل ويأمره بذلك . انتهى عبارته ٤١ .

وفي أثناء مكتوب القطب خالد شاه ما نصّه : وصرّح محققوا طريقتنا بأنّ رابطة من لم يَفْنَ عن وجوده لا تورث الفناء للسالك ، بل قد تورّطه المهالك . . إلخ . فراجع « البهجة » في ٤٢ تجد المكتوب فيه بالتمام .

وفيه : إن حضرة سيدنا ومولانا الشيخ خالد قدّس سرّه لم يأمر المريدين أن يرابطوا بصورته المباركة إلاّ بعد أمر شيخه له بذلك ، وشهادته له بالكمال والوصول إلى الفناء والبقاء الأَتَمَّيْنِ ، ومن كان كذلك ؛ فيسوغ له ذلك . انتهى عبارته ٤٣ .

وفيه : وقد قدّمنا أن حضرة إمام الطريقة المعروف بـ (شاه النقشبند) قدّس سرّه تربّى من روحانية سيدنا وإمامنا الشيخ عبد الخالق الغجدواني[١] قدّس سرّه ، وبينهما خمسة وسائط ، وكذلك أبو الحسن الخرقاني قدّس سرّه لم يدرك أبا يزيد البسطامي قدّس سرّه ، بل ولد بعد وفاته ، وأبو يزيد أيضاً لم يدرك القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي تعالى الله عنهم أجمعين وعنّا بهم ، بل ولد بعد وفاته بزمان طويل ؛ كما قدمنا ذلك مفصّلاً .

خالد النقشبندي واستخلاف مريدين

واعلم أن جناب سيدنا وشيخنا ضياء الدين الشيخ خالد النقشبندي المجددي قدّس سرّه خرجت روحه الزكية من الدنيا إلى المقامات العليّة من الآخرة ؛ ولم يشهد لأحد من أصحابه بالكمال ، ولم يأذن لأحد بأن يجعل نفسه رابطة - فيما نعلم - ، بل كان ينهى عن ذلك أشدّ النهي كما قدمنا لك بعضه ، وكان إذا سئل عن حال المريدين يقول : ما عندي مريد ، بل إسماعيل نصف مريد - يعني : جناب سيدنا وشيخنا الشيخ إسماعيل القائم مقامه بعد وفاته قدّس سرّه - وجناب سيدنا الشيخ إسماعيل خرج من الدنيا ولم يأذن لأحد أن يرابط بصورته الشريفة ؛ مع أنه مشهود له ببعض الكمال من مرشده الكامل ومنصوب مقامه . انتهى عبارته ٤٣ .

---

(١) يعني : أنهم كانوا يرابطون أرواحهم فيربونهم بذلك ، فافهم . (هامش الأصل) .

وقد استوفيت في « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » ما وقع لبعض خلفاء خالد قدّس سرّه إذا أمر المريدين برابطة نفسه من غير إذنه . فراجعه .

ومن هنا أمرني شيخنا الحاج عبد الرحمن العسوي قدّس سرّه بكتبة الكتاب لدى الشيخ موسى القراني عفى الله عنه ؛ حين سمع أنه يأمر المريدين برابطة نفسه ؛ بأن ذلك ممّا لا يجوز ، فكتبته لديه ، فترك الأمر برابطة نفسه بعده . وأيضاً كان واحد من خلفاء أحمد التلالي قدّس سرّه يأمر المريدين برابطة نفسه ، فأنكر عليه شيخنا قدّس سرّه إنكاراً ظاهراً ، ونصحه نصحاً بليغاً ، لكنَّه لم يقبل نصيحته ، بل استمرّ على ذلك ، فلم ينتج لأحد من مريديه بشيء عفى الله عنه آمين .

رابطة شيخ المؤلف

وكان شيخنا المذكور يقول : إن شيخه الحاج جبرائيل أفندي قال له عشر مرّات : يا ولدي ؛ لا تسلّط الشياطين على المريدين بأمرك إيّاهم برابطة نفسك ! وقد قلت له : ألا يجوز لنا رابطة نفسك ؟ ! فقال : لا .

وقال لي مرة : يجوز الرابطة بنفسنا حين كان المريد عندنا ؛ لأن الشيطان لا يقدر أن يقرب بمكان كنا فيه ، وأما إذا غاب المريد ! ! فلا يجوز له الرابطة بنا ؛ لأنّ الشيطان يقدر أن يتصوّر بصورتنا .

سبب رابطة الشيخ محمود أفندي

وأما سبب رابطة الشيخ محمود أفندي قدّس سرّه ! ! فقد سمعت شيخنا قدّس سرّه يقول : إنه كان هو ومريدوه يرابطون بالشيخ خالد قدّس سرّه ، لكنه قال : يا أولادي ؛ حصل لي الكمال بالشيخ خالد ، والشيخ محمد النقشبند ، وحصل لي الكمال بالنبي ﷺ ، وأرى الخضر عليه السّلام دائماً ، فالآن كملت عن الشيخ خالد ، فرابطوا الآن بنفسي . فبعد ذلك قال له المريدون : إن البركة تحصل لنا برابطة نفسك ، فأقرّهم على ذلك . انتهى .

وسمعته يحكي عن الشيخ محمود أفندي أنه كان يقول : لو رابط إليّ المريد متوجّهاً إلى المشرق أو إلى المغرب ؛ لا يقدر الشيطان أن يقف ما بينه وبينهما ، فإن وقف يحترق بنوري . انتهى .

وكان يقول : إنه كان في الخلوة ، فحين خرجت للوضوء وقف قبالتي شيء عظيم له قرون مرفوعة إلى السماء ، فعلمت أنه الشيطان ؛ فرابطت بالشيخ محمود قدّس سرّه فزال في الوقت ، وغاب عني ، ثم بعد ذلك وقف قبالتي أيضاً شيء عظيم أسود كالمنبر العظيم ؛ فرابطته قدّس سرّه فغاب في الحال . انتهى .

وهذا الحقير الفقير قد كان في السلوك ، فرأى في الواقعة كأنّ الشياطين داروا حوله ، فحين علم أنهم شياطين قرأ السلسلة الشريفة ، فحين ذكر اسم الشيخ عبد الرحمن المذكور تفرّقوا عني وبعدوا ، فحين أخبره الواقعة قال لي : ذا لأجل كونك فانياً فيّ . ولم يزد على ذلك ، ثم أخبرني ما مرّ من وقائعه قدّس سرّه .

وكان قدّس سرّه يقول لي : إن أطقْتَ أن تفني نفسك في ذات الشيخ محمود أفندي وتتوجَّه إلى المريد وقت التلقين ووقت التوجّه فذا ، وإلاّ فتصوّر صورة روحانيته قبالتك أي : بينك وبين المريد ، ثم تلقّن وتتوجّه . انتهى .

فائدة لا بدّ من كتابته هنا : ذكر الخاني في « الحدائق الوردية » ما حاصله :

أنّ سلطان العارفين أبا يزيد ؛ طيفور البسطامي قدّس سرّه تلقّى سرّ هذه النسبة الشريفة بالروحانية من الإمام جعفر الصادق ﷺ ، لكن الشيخ محمد أسعد تكلم على ذلك في « الفيوضات الخالدية » ؛ فقال : **أبو يزيد؛ وهو عن جسمانية إمام الأئمة الذي هو بالحق ناطق سيدنا الإمام جعفر**

بن الإمام محمد الصادق رضي الله تعالى عنهما ؛ لا عن روحانيته فقط ، كما أورد كثير من المتأخرين ، فزعم بذلك بعض المعاصرين انقطاع يد السلسلة النقشبندية ؛ ونسبه للواسطي في « روضة الناظرين » المنسوبة للشيخ الوتري . والله أعلم بحقيقة الحال ، **وإنها**[1] **بحمده تعالى واصلة للحضرة الصديقية** ، فإن ملاقات أبي يزيد البسطامي لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق رضي الله تعالى عنهما وكونه سقاء في داره ؛ أوردها جماعة من أصحاب التاريخ ، وأوردها الفخر الرازي في كثير من كتبه الكلامية ، والرضيُّ في « كتاب الطرائق » ، والعلاّمة الحلبي في شرحه على « التجريد » ، وبعد شهادة هؤلاء بذلك لا عبرة بما في بعض الكتب ، كـ « شرح المواقف » ، فقفا ذلك كثير من المتأخرين كالعلاّمة محمد بن سليمان البغدادي صاحب « الحديقة » ، والحيدري ، والخاني ؛ في « بهجته » كحفيده وأضرابهم ، حتى تسبّبوا في القول المدسوس ؛ على الواسطي من أنها انقطعت يد السلسلة النقشبندية ، والمتسبب كالقائل ، وعدم التثبُّت يوقع في أعظمَ من هذا ، ونظير هذا إقرار الخاني القصيدة القافية التي مطلعها :

تَبَدَّتْ لَنَا أَعْلامُ عِلْمِ الهُدَى صِدْقَا فَصَارَ لِشَمْسِ الدِّينِ مَغْرِبُنَا مشرقَا

مع أنّ القصيدة في بهجة سيدنا الغوث الجيلاني رضي الله تعالى عنه في مدح سيدنا أبي مدين الغوث رضي الله تعالى عنه إلاّ بيتين منها صدرهما :

أَيَا خَالِدٌ . . . إلخ

مع أن بين المؤلفين أحقاباً ، ولو لا ما زعمه أولاده من خلافة أبيهم في الطريقة القادرية وارتقائه على سددها استعذر عنه بعدم وقوفه عليها ،

---

(١) وعينه في « الكسكول » ، فراجعه . (منه) .

فتبايُنُ الحالين يوجب إحدى الوصمتين ، ثم ربّما يرفع التنافي بين كلام « شرح المواقف » فقط وكلام غيره من البين بجعل المسمّى بهذا الاسم اثنين ، أحدهما طيفور السقاء الذي صحب سيدنا الإمام جعفر الصادق وخدمه ، والآخر شخص غيره .

قال ابن زهرة الأندلسي في تاريخه : أبو يزيد البسطامي خدم أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق رضي الله تعالى عنه سنين عديدة ، وكان يسمّيه طيفور السقَّا ، لأنه كان سقاء داره ، ثم رخص له في الرجوع إلى بسطام .

هذا ؛ وقد وقع الاشتراك في الأسماء في كثير . انتهى عبارته ، فراجع في ٣٩ من هامش « نور الهداية » .

وأما اجتماع الحسن البصري بعليّ المرتضى - كرّم الله وجهه - ! ! فقد بسطت الكلام في ذلك في كتابنا « البروج المشيدة بالنصوص المسنّدة » في موضعين ، وأثْبتُّ ذلك بالنقول الموثوقة ، فإن أردت الوقوف عليه ؛ فعليك بالمراجعة إليه .

سلسلات النقشبندية

وللنقشبندية ثلاث سلاسل :

الأولى : هي المتصلة من النبي عليه السلام إلى الإمام عليّ ﷺ ، ومنه إلى الإمام حسين ﷺ ، ومنه إلى سيدنا الإمام زين العابدين ، ومنه إلى الإمام محمد الباقي ، ومنه إلى الإمام جعفر الصادق ، ومنه إلى الإمام موسى الكاظم ، إلى علي الرضا ، إلى معروف الكرخي ، إلى سري السقطي ، إلى جنيد البغدادي ، إلى أبي علي الروزباري ، إلى أبي علي الكاتب ، إلى أبي عثمان المغربي ، إلى أبي القاسم الكركاني ، إلى أبي علي الفرمدي شيخ السلسلة الثالثة .

السلسلة الثانية : وهي المتصلة من النبي عليه السلام إلى علي المرتضى ﷺ ، إلى الحسن البصري ، إلى حبيب العجمي ، إلى داود الطائي ، إلى معروف الكرخي شيخ السلسلة الأولي .

السلسلة الثالثة : وهي السلسلة المتصلة من النبي عليه السّلام ، إلى الصديق الأكبر ﷺ ، ومنه إلى سلمان الفارسي ، إلى سيدنا القاسم حفيد أبي بكر الصديق ﷺ ، إلى جعفر الصادق ، إلى أبي يزيد البسطامي ، إلى أبي الحسن الخرقاني ، إلى أبي علي الفرمادي ، إلى يوسف الهمداني ، إلى عبد الخالق الغجدواني ، إلى عارف الريوكري ، إلى آخر السلسة . **فبهذا** السند وصل إلينا هذا الطريق العالي ، فلله الحمد والمنة ورزقنا التوفيق والاستقامة . آمين .

ويكفي للمنصف الغير المتعصب ما ذكرته ، والمعاند المتعصب لا يرجع عن تعصّبه أصلاً . وقد مرّ أنّي حين استخرت الله تعالى في جمع كتاب في بيان أقوال الأكابر في استحسان الرابطة وقعت الإشارة بقوله تعالى ﴿وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا﴾ الآية . فحصل لي بذلك قبض شديد خوفاً من دوام الولد العالم السائل على اعتراضه وإنكاره ، لكن الرجاء لا ينقطع ، ولا ييأس من رحمة الله إلاّ القوم الخاسرون .

فتدبّر أيها الولد في جميع ما ذكرته في هذه الرسالة ، واحسب علمك وعلم هؤلاء السادات القادات أكابر العلماء أهل السعادات ؛ تجِدْ ما عندك من العلم كقطرة بالنسبة إلى البحر .

ومن المتيقن المعلوم لدى كلّ عالم عاقل أن هؤلاء الأئمة المذكورين القائلين بحسن الرابطة أعلم منّا بمعاني الكتاب والسنة بآلاف ألوف ألوف .

واعلم أيها الولد ؛ إنما كتبت لك هذا لمجرّد النصيحة لك ولجميع المسلمين ؛ لا عناداً ، ولا حسداً ، فنعوذ بالله من ذلك ، وأنت إن شاء الله

تعالى تعلم لو كنتَ ممّن أراد الله بهم الهداية أنّ ما كتبتَ إليّ من الشبه بتحرير الآيات ونقل ما في « إغاثة اللهفان » لابن القيم ليس ذلك واقعاً في موقعه ، بل جميعها شبهات مصروفة من ظواهرها ، والآيات التي أوردها المانعون من التوسّل في إثبات دعواهم واردة في حقّ الكفّار وعبّاد الأصنام ، لا في حق الموحّدين ! كما بسط النبهاني الكلام فيها في « شواهد الحق » ، والفقهاء الأعلام المتّقون في كتبهم في مواضع عديدة . عصّمنا الله تعالى من شرور أنفسنا ، ومن سيّئات قبائح أعمالنا . آمين . فإن كان لك بعد الآن شبهة مّا في حق ما كان مشائخنا المتقدّمون يفعلونه ؛ فاكتبها إلينا لننظر إليها ، ونجيبه بعون الله .

وقد كتبتَ إليّ أيضاً أنك لا تقبل ما يفعله النقشبنديّون إلاّ بحديث صحيح ، بل خربت نسبتهم بالكلية ، فشؤم هذا القول قد وصلت قطرته إلى جميع السلسلة ، كما رشح الضرر إليهم بما كتبته في حق الرابطة ، بل أنت نفيت جميع ما استدلّ به العلماء من المذاهب الأربعة ؛ وقلت : إنّ ذلك عبث لا فائدة فيه ، وصرّحت بأنك لا تطيعهم فيما أمرهم ونهاهم ، فهلاّ تركت هذا التصريح وصدّقتَهم وامتثلتهم ؛ ولم تستقلّ بعقلك وعلمك ورأيك ! ! ففي ذلك خير كثير ، فكيف لا ؛ وقد قيل : التصديق بطريق الولاية ولاية .

وفي « لطائف المنن » لابن عطاء الله : وإذا أراد الله بعبد خيراً جعله من المصدّقين لأولياء الله تعالى فيما جاؤا به ، وإن قصر عقله عن إدراك ذلك . انتهى عبارته .

وقد مرّ ما قاله ابن حجر من أنّه يجب الأخذ بأقوالهم - يعني : أقوال العلماء المتقين والفقهاء الصالحين - ؛ لأنهم علم الأمة ، واختيارهم لنا خير من اختيارنا لأنفسنا ، ومن خالفهم متّبع هواه . انتهى .

أيها الولد؛ **إنّك** كنت من قبل سلكت على يدنا في تلك الطريقة، فما ذا رأيت فيها من الخيانة، والحال أنّ تلك الطريقة هي التي قد شهدها ابن حجر[1]؛ بأنّها الطريقة السالمة من كدورات جهلة الصوفية، كما في «الفتاوى الحديثية».

وقد قال القطب الأعظم أحمد ضياء الدين في «جامع أصول الأولياء» في حقها:

وأما شرعيّتها وتطبيقها على المذهب! فجميع أركانها وشروطها وآدابها عين الشرع ولبّ القرآن وحقيقة العرفان، وفي حقها أدلة جملة وتفصيلاً؛ كما سيأتي البيان. انتهى عبارته في ١١١.

وفيه أيضاً: وبالجملة إنه طريق وعلم وعرفان وشأن وكمال؛ لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، ولا عوج في بدايته ونهايته ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًا﴾. انتهى عبارته في ١١٢.

مهم

قال الإمام الرباني: **اعلم** أنّ الطريق الذي هو أقرب، وأسبق، وأوفق، وأسلم، وأحكم، وأصدق، وأدلّ، وأعلى، وأجلّ، وأرفع، وأكمل، هو الطريقة النقشبندية العلية قدّس الله أرواح أهاليها وأسرار مواليها، وكل عظمة هذا الطريق، وعلوّ شأن هؤلاء الأكابر: بواسطةِ التزام متابعة السنة السنية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية، واجتنابِ البدعة الغير المرضية، وهم الذين اندرجت نهاية الأمر في بدايتهم، كالأصحاب الكرام عليهم الرضوان من الملك المنّان، وكان شعورهم وحضورهم على سبيل الدوام، وصار فوق شعور الآخرين بعد الوصول إلى درجة الكمال. انتهى. كذا في «مكتوباته»[2].

---

(١) مع أنه من القادريّة. (منه).

(٢) راجع «الدرر». في ٢٢٣ ج١.

وقد قالوا في حقها أيضاً : **أنها هي الطريقة الباقية على أصلها ؛ لم ينقصوا منها ، ولم يزيدوا شيئاً** - كما هو مذكور في غير كتاب من كتبهم . وقد مدح الشاذليون طريقتهم بكونها عين الطريقة النقشبندية ، وقالوا : إنها أمّ الطرق ، وسلطان الطرق ، كما هو مذكور أيضاً في الكتب .

وقد كنت كتبت إليك ما ورد في حقها من الأحاديث في حق تلقينه عليه السّلام جماعة وفرادى المرويّ بسند صحيح ، الذي رواه مسلم وأحمد بن حنبل عن أنس ، والحديث الذي أخرج ابن حنبل أيضاً في مسنده عن شدّاد بن أوس بسند حسن .

وكنت كتبت إليك أيضاً : أن النسبة الباطنية في تلقين الأذكار القلبية التي أخذها الصديق الأكبر ﷺ بالتوجه عن رسول الله عليه السّلام ، وذلك لتعلم أن لهم نسبة صحيحة وسنداً حسناً ، وسلسلتهم متصلة ؛ لا منقطعة ، وليكون جواباً لاعتراضك عليها بعدم كون الحديث لها ، وأنكرت علماء الأمة أجمعين ، ولم يشف قلبك بشيء أثبتها المشائخ ، وأكابر العارفين ، الذين أذهبوا أعمارهم في إحياء سنن سيد المرسلين ، فيا ليتك لم تتكلم خلف هؤلاء الصالحين ، ويا ليتك لم تدخل مداخل المنكرين المحرومين .

ألم تَرَ ما قاله بعض الأكابر : **وأشقى الخلائق الطاعن بهذه الطائفة** . انتهى . وكذا قال ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » : فاحذر أن تكون ممن يتحسَّى كأس سمّ الإنكار فيهلك لوقته ، وبادر إلى السلامة من غضب الله ومحاربته ومقته ، فقد قال على لسان الصادق المصدق : « مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ » ، أي : أعلمته أنّي محاربٌ له .

قال الأئمة : ولم ينصب الله تعالى المحاربة لأحد من العصاة إلاّ للمنكرين على أوليائه وآكلي الربا ، **ومن حاربه الله لايفلح أبداً** . انتهى عبارته ٢٣٩ .

فما لك أن تنكر جميع العلماء الصالحين ، وتعترض على أولياء الله المتقين ، أليس النبي عليه السّلام قد قال : « عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيل » ، ولكل نبي نظير في أمّته ونظير أمّتي العلماء ، كما قال الله تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ . وقال النبي ﷺ « العُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاء » .

طبقات الوراثة النبوية

ثمّ الورثة على ثلاثة أقسام :

فالعلماء الظاهرية المحضة بمنزلة ذوي الأرحام ؛

والعلماء الباطنية بمنزلة ذوي الفروض ؛

والعلماء الجامعة للظاهر والباطن بمنزلة العصبات الكاملة ، الأقرب فالأقرب ؛ **القطب** بمنزلة الابن الصلبي ، **وقطب الأنبياء** عليهم السّلام **محمد المصطفى** ﷺ لأنه خاتم النبيين ، **وقطب الأولياء علي** رضي الله عنه لأنه خاتم الخلفاء الأربعة الكاملين . فسلسلة التلقين الأصلي من نبينا محمد ﷺ إلى عليّ ، ومنه إلى المشائخ واحداً بعد واحد على ما بيّنه أحمد الزركراني في رسالته في الفصل الرابع .

وقال رحمه الله تعالى ما نصه : هذا **الفصل الثاني** في بيان إثبات الطريقة بالتلقين بالكتاب والسنة ، وإجماع الخواص من لدن رسول الله ﷺ إلى وقت الساعة ، قال الله تعالى في حق أصحاب الصفة ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ ، وقوله تعالى ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ .

سبب نزولها : روي في « بستان الشريعة » أن علياً رضي الله عنه جاء إلى النبي ﷺ والتمس منه أقرب الطرق وأفضلها وأسهلها سلوكاً ، فتوجّه النبي ﷺ فنزل الوحي بقوله تعالى ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ

لِذَنْبِكَ ﴾ مقارناً بالعلم اللدني ؛ تنبيهاً على أن هذه الكلمة مفتاح خزائن الله وعلم الله ، ثمّ قعد جبرائيل مربّعاً كالمعلِّم ، فلقّن النبي ﷺ : « لا إله إلاّ الله » (ثلث مرات) ، ثمّ أمره أن يلقّن عليّاً ؛ لأنه أوّل من التمس التلقين ، ثمّ حضره أربعمائة من الصحابة ، فلقّنهم جميعاً ، ثمّ قال ﷺ : « رَجَعْنَا مِنْ الجِهَادِ الأَصْغَرِ إِلَى الجِهَادِ الأَكْبَرِ » ، وقال عليه السّلام : « لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ حَتَى نَفي مَنْ قَال : الله الله » يعني بالقلب الحي ، **وينبغي أن يغمض عينيه وينصت حين التلقين والذكر** ، فجميع المشائخ أخذوا أصولهم من النبي ﷺ ظاهراً وباطناً . انتهى عبارته .

هذا دليل المشائخ ، واتصل سلسلتهم بسيد الإنس والجان عليه الصّلاة والسّلام ، فتدبّر في هذا ؛ وفيما يأتي تعلم خرافة قولك بأنك لا تقبل اتصال سندهم ونسبتهم ؛ أيها الولد المرجوّ للرجوع عن هذه الخرافات .

وفي « الفتاوى العمرية » : وأما تلقين المشائخ الذكر على المريدين ؛ فحسن محبوب وثابت بالأدلة الأربعة على وفق السنة المحمدية ، فقد أخرج أحمد بن حنبل في « مسنده » أن رسول الله ﷺ لقن أصحابه الذكر جماعة وفرادى .

التلقين الفردي من السنّة المطهرة

فأما تلقينهم فرادى ! فقد روى يوسف الكوراني وغيره بسند صحيح : أن عليّاً بن أبي طالب كرّم الله وجهه سأل النبي ﷺ : دلني على أقرب الطرق إلى الله تعالى وأسهلها على عباد الله تعالى ، وأفضلها عند الله عزّ وجلّ ؟ فقال عليه السّلام « يَا عَلِيُّ ؛ عَلَيْكَ بِمُدَاوَمَةِ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى فِي الخَلْوَاتِ وَالجَلْوَاتِ » ، فقال عليّ :كيف أذكر ؟ فقال ﷺ « غَمِّضْ عَيْنَيْكَ وَاسْمَعْ مِنِّي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ قُلْ أَنْتَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ وَأَنَا أَسْمَعُ » فقال عليه السلام « لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله » ثلاث مرات ، مُغْمِضاً عَيْنَيْهِ رَافِعاً صَوْتَهُ ؛ وَعَلِيّ

يَسْمَعُ . ثم قال عليّ ﷺ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله ثلاث مرات ، مُغْمِضاً عَيْنَيْهِ رَافعاً صَوْتَهُ ، وَالنَّبِيُّ صلى الله تعالى عليه وسلم يَسْمَعُ . قال النبي ﷺ « أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَبِيُّونَ مِن قَبْلِي : لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله ، ولاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لاَ يُقَالُ فِي الأَرْضِ : الله الله » رواه مسلم وأحمد بن حنبل عن أنس[١] .

فهذه نسبة عليّ كرّم الله وجهه في تلقين الأذكار الجهرية . « فتاوى الخليلي » .

وأما النسبة الباطنية في تلقين الأذكار القلبية ، أي : سواء كان لفظة (الله الله) أو النفي والإثبات والمراقبة ، والحضور ؛ من غير حركة اللسان ، وهي نسبة الصدّيق الأعظم التي اختصّ بها الصدّيق دون سائر الصحابة ؛ أخذها باطناً بالتوجّه عن رسول الله ﷺ لقوله عليه السّلام : « مَا صَبَّ الله فِي صَدْرِي شَيئاً إلاّ وصَبَبْتُهُ فِي صَدْرِ أَبِي بَكْرٍ » ، وكذا قوله عليه السّلام من ربّه : « مَا فَضَلَكُمْ أَبُو بَكْرٍ بِكَثْرَةِ صَوْمٍ وَلاَ صَلاَةٍ بَل بِشَيْءٍ[٢] وقر فِي قَلْبِهِ » .

فالحديث الأول : دليل السادات النقشبندية ؛ لثبوت التوجه ، وإلقاء الذكر والمحبّة والجذبة في قلب المريد ، ودليلهم أيضاً للذكر القلبي والحضور والمراقبة ، **وقد تفرعت نسبة جميع الطرق من هاتين النسبتين :** الصديقية والعلوية ، فهما أصلان ، وعليهما عون الرحمن .

التلقين الجماعي من السنة المطهرة

وأما تلقينهم جماعة ! فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده عن شداد بن أوس رضي الله تعالى عنه أنه قال : كنا عند النبي رسول الله صلّى

---

(١) وأعقب مؤلّف « هدية الذاكرين » بعد هذا بما نصه هذا : وكذا تعليمه لغيره ، مثل أبي بكر الصديق ، فراجعه . (منه) .

(٢) وهو الذكر القلبي ، كذا في « جامع أصول الأولياء » . (منه) .

الله تعالى عليه وسلّم فقال : « هَلْ فِيكُمْ غَرِيبٌ ؟ » - يعني أهل الكتاب ، أو من لم يطّلع على أسرار الشريعة - فقلنا : لا يا رسول الله ، فأمر بغلق الباب ، فقال : « اِرْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ ، وَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله » فرفعنا أيدينا ساعة ، وقلنا كذلك لآ إله إلاّ الله ، ثم وضع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يده ووضعنا ، ثمّ قال : « الحَمْدُ لله ، أَللهُمَّ إِنَّكَ بَعَثْتَنِي بِهذِهِ الكَلِمَةِ ، وَأَمَرْتَنِي بِها ، وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهَا الجَنَّةَ ، وَإِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ المِيعَادَ » ، ثم قال عليه السّلام[1] : « أَلاَ أَبْشِرُوا ؛ فَإِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ » . قال المنذري : إسناده حسن « مسند إمام حنبلي » . انتهى عبارته .

وهكذا بل عينه ذكره مؤلّف « هدية الذاكرين » ، وذكره أيضاً أحمد ضياء الدين في « جامع أصول الأولياء » .

وقال الشيخ سليمان الزهدي : **والحاصل** أن التوجُّه الملقَّن المعنعن من النبي ﷺ إلى الصديق الأكبر ﷺ ، ومنه إلى المشائخ الكبار قدّس سرّهم سحاب الفيوضات ، **وقلوب المشائخ ميزاب الحكمة والعرفان ؛ من انتظر بالصدق وصل ، ومن انتهى بالغفلة غفل** . انتهى . فراجع « صحيفة الصفا لأهل الوفا » لسليمان الزهدي .

توجُّهات جبريل إلى سيدنا رسول الله ﷺ

وتوجهه إلى أبي بكر

وقال الشيخ الزهدي أيضاً : أوّل توجه من جبريل إلى النبي ﷺ ثلاث مرات : مرة للتخلية ، ومرة للتحلية ، ومرة لإلقاء الوحي والرسالة في غار جبل حراء .

---

(١) وهذا الحديث ذكره الشعراني في « النفحات » ونقل في« الحدائق الوردية » برواية الطبراني والإمام أحمد والبزاز وغيرهم بإسناد حسن فراجعه . منه في ٦ .

وفي غار ثور توجه النبي ﷺ إلى الصديق الأكبر ﷺ ، وهو التوجه الواصل المعنعن إلى السادات النقشبندية . انتهى . فراجع « نهجة السالكين » من هامش في ٢٧ من « مجموعة الرسائل » ، ومثله ذكره في هامش « صحيفة الصفا » في ٦ فراجعهما .

وقال الشيخ سليمان الزهدي قدّس سرّه بعد ذكره كلاماً : وما ذكر بلفظ منه لم يكن دليلاً لأصول الطريقة العلية ، بل بياناً على أن الطريقة عين الاتباع وعين الشريعة ، وأنها تلقين خاصٌّ إلى أهله ، لا شعور للعوام على تلك الأصول ، من أجل ذلك لا يحتاج السند والدليل من غيرهم . فإنّ رجال الطريقة العلية ثقاة ؛ وصل هذه الأصول والتلقين من النبي ﷺ إلى الصديق الأكبر ﷺ ، ومنه إلى الرجال الثقات ذوي الجناحين المجردة عن الكدورات البشرية والنفسية ، وهم البررة الكرام صاحب الأمانة معنعناً مسلسلاً وصلة تامّة إلى الآن وإلى آخر الزمان إن شاء الله تعالى . والأحاديث المذكورة من الكتب المعتبرة المشهورة بعضها من تفسير « روح البيان » ومن كتاب « كشف الأسرار » ومن « حكمة الإشراق » ، وأكثرها من « الجامع الصغير » ، وكلها مستندة في أصلها ، السلام على من له الهداية والدراية . انتهى . راجع « مجموعة الرسائل » عبارته في ١٢ .

فثبت من هذه المذكورات كون سلسلة السادات النقشبندية متصلة ، وكون الأحاديث الواردة في حق التعليم والتلقين صحيحة وحسنة ، فبطل به قول من كتب إلينا بما نصه : يسلسل النقشبنديون سلسلتهم إلى النبي ﷺ ، وأبي بكر ﷺ ، وسلمان الفارسي ﷺ ، ويقولون : أن النبي ﷺ لقَّن أبا بكر ﷺ الذكر ممتازاً عما سواه ، وأن أبا بكر لقن أيضاً سلمان ﷺ . وأقول : لا بأس أنه مما يجوز أن يكون ؛ ولكن لا نقبل ذلك إلاّ بسند صحيح ، فهلاّ يأتي النقشبنديون بسند نقبله ؟ ! . انتهى .

ولعلّ هذا القائل قد رأى ما قاله البعض بـ(أن ليس لأهل الطريقة سند) ؛ ولم يدر أن لهم سنداً صحيحاً ! وأنهم لم يخترعوا شيئاً ما برأيهم ، ولا يخفى أنه لا يلزم من عدم كون الشخص لا يعرف السند عدم كونه معلوماً عند غيره ، ولا يحيط بجميع ما ورد كل أحد ، وما يجهله أحد يعلمه غيره ، فانظر ما ذا ترى في جميع ما دوّنته في هذه الكرّاسة ، ولا تقف ما ليس لك به علم ، **واعلم** أن نور الله لا يطفأ بنفخ ، بل الله يؤيّد دينه ؛ ولو كره المبطلون ، وينصر من ينصره ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ الآية ، والطريقة وما يستعمله المشائخ كلها أنوار ، والمنكرون يريدون إطفائها ، والله متمّ نوره ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ الآية .

واعلم أن المنكر المتعصِّب لو كان بذل جهده وطاقته لإطفاء ظلمات الخلق ، وتصفية كدورات الناس ، وأنكر بدل هذا الإنكار[1]؛ على شارب المسكر ، وشارب الدخان ، والحشيش ، ومرتكب الحرام والمكروه ، والخسيس ، وغيرها من اللمم والفواحش ؛ لكان خيراً له ، وأصلحَ لدينه ودنياه وآخرته ، لكنه إلتجأ على هؤلاء السادات ، وأنكر جميعَهم من أولهم إلى آخرهم ، واجتهد في ردّ الناس عن الخيرات ، وأدخلهم بقوله في زمرة المشركين . عفى الله عنه وعنّا آمين .

وأيضاً قد كان في ديارنا متشيّخون كذّابون ؛ يفعلون ما لا أصل له ، ويعلّمون الناس أموراً مخترعة ، ويتصدّرون للإرشاد بأنفسهم بلا إجازة من المشائخ ، وقد عمّت بهم البلوى في الدين والدنيا ؛ بحيث لا يخفى على عاقل ، ومع ذلك سكت هذا المنكر وأضرابه عن إظهار الحق ، وإبطال الباطل ، ولم يقل لهؤلاء القوم ولو حرفاً مّا على قصد النصيحة ، بل ،

---

(١) أي : إنكار أهل الطريقة . (منه) .

داراهم ما كان في دارهم ، ووافقهم في أغراضهم الباطلة . وأمّا نحن ؛ - وإن كنّا ناقصين - فقد سلكنا في مسالك الطريقة إلى مقام المشرب المحمديّ ، وأجازنا مشائخنا ، ولا نفعل شيئاً مّا يخالف أصولهم ، فالإنكار علينا والسكوت عن هؤلاء ليس من الإنصاف ! ولا عجب ! ! ولم يخل عصر من الأعصار إلاّ وفيه الحسّاد والمعاندون لهذه الطائفة ، ولكن الله تعالى أيّدهم بفضله ، وزاد أنوارهم ، فلله الحمد ، فهذا رئيس الطائفة خالد البغدادي الذي أقرّ بفضله وقطبيّته علماء عصره لم يخل في ابتداء حاله من حاسد ، وإن كان الكل من علماء وقته بعد ذلك يحترمونه ، فقام عليه أهل العناد ينحون الناس عن طرق السداد ، لأنه لا بدّ للوليّ من خوارق العادات ، وقد أعماهم الحسد عن تلك الآيات ، فكتب حضرة الإمام الماجد هذا الخطاب المستطاب :

ما قول مشائخ الإسلام والعلماء الأعلام ؛ من أهل الحديث ، والتصوف ، والقضاء والإفتاء ، والتدريس ، والأحكام - نفع الله تعالى بعلومهم وبركات أنفاسهم الأنام ، وأحلّهم أعلى فراديس دار السلام - فيمن كان أشعري الاعتقاد ، شافعيّ المذهب ؛ نقشبنديّاً وقادريّاً في المشرب ، حاثّاً على اتباع السنة السنية النبوية ، محذِّراً عن كل بدعة غير مرضية ، مقتفياً ما استطاع على آثار السلف الصالحين ، معرضاً عن الدنيا وأهلها ، لا تأخذه لومة لائم في الدين ، يحبّب الله إلى عباده ، ويسلكهم طريق العباد ، يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ومن تردّد إليه بحسن النية استيقظ من سِنَةِ الغفلة ، وبدوام الذكر تجلّى وتذكَّر ، وله في الباطن قوّة تصرّف يقتدر بها بعون الله تعالى على التأثير في المريدين ، وإلقاء الجذبات الإلهية في قلوب المسترشدين ، ورفع الحجب ونفي ما سوى الله تعالى أو تقليله عن قلوبهم ، مع أمور آخر من أسرار الطريقة مما ينبغي كتمه على غير أهله ، وحبّ العبادة والشوق إليها مع الخشوع ،

والمواظبة على أداء الفرائض بالجماعة ، وعلى سنن الرواتب والإشراق والضحى ، والأوّابين ، والتهجُّد ، وقلَّة الهجوع ، وكثرة الجوع ، ولا أقلّ فيهم من المداومة على الذكر الخفي ؛ الثابت فضله على الجهري بسبعين درجة على الوجه الواضح الوفي ، وكان مأذوناً ، بل مأموراً من طرف شيخه المأمور كذلك ، وهكذا بالتلقين الذكر والإرشاد للطالبين ، وتعليمهم آداب الطريقة النقشبندية ، والطريقة العلية القادرية على سنن الأسلاف الماضين ، وحثّهم على اتباع الشرع الشريف ، والسنن النبوية ، وتحذيرهم عن البدع الرديّة ، فهل يكتفي حينئذ لجواز التلقين والإرشاد بما تقدّم من المكارم والسداد ؟ أم يشترط مع ذلك كله بعض خوارق كونية ، وكرامات حسيّة ، ممّا ألفت طباع العوام بطلبه من المشائخ ؛ كالمشي على الماء ، والطيران في الهواء ، والإنفاق من الغيب ، وعلى جواز إرشاده للمسلمين من غير اشتراط تلك الأمور على ما هو المقرّر عند أساطين الكشف وأئمة الوجدان من المتقدّمين والمتأخرين ، فهل يحكم بوجوب الإرشاد نظراً إلى قلّة هذه الأمور النفيسة ، وانتفائها ظاهراً في أكثر أقطار الإسلام ؟ أو مندوبة ؛ كما هو ظاهر ، أو بجوازه مطلقاً ؟ أو بتغيره بالنسبة إلى أشخاص المريدين قياساً على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في وجوبه تارة ؛ وندبه أخرى ، وكراهته مرّة ؛ وحرمته أخرى ؟ وهل يجوز الإرشاد بلا تصرّف باطني ؛ قياساً عليهما ؟ وعلى تقدير أن يشترط في حقيقة الإرشاد أمور ؛ فإذا انتفت أيمتنع ، أو يحكم بجوازه عند فقدانها كقضاة الضّرورة الموجودين الآن المحكوم بنفوذ أحكامهم مع عدم جمعهم شرائط القضاة أم لا ؟ أفتونا مأجورين بردّ الجواب واضحاً على الوجه الصواب ، لا زلتم موفّقين لمرضاة العليم الوهاب . انتهى من « الفيوضات الخالدية »[1] عبارته .

---

(١) في٦٨ من هامش « نور الهداية » .

فهذا الحقير المؤلّف المرشد المجازي ؛ كالقاضي الضروري يقول ما قاله هذا القطب المذكور ، وإن كان خالفاً عن التخلق بأدنى شيء ممّا ذكره ، بيد أنه قد أجازه مشائخه في تلقين الأذكار في الطريقة النقشبندية والشاذلية والقادرية ، واحد منهم في الثلاثة ، واثنان في النقشبندية خاصة ، وله في فنون العلوم النقلية والعقلية ، وعلوم التفاسير والأحاديث فنّاً بعد فنٍّ إجازة صحيحة . وقد أمره أولائك المشائخ بالأمر الأكيد بالاجتهاد لهداية الخلق إلى طريق الحق ، وإن طلب منهم بجهده بإلقائهم هذا الثقل عن ظهره ، وتركهم إيّاه في قعر بيته لا يَدْري ولا يُدْرَى . وقد قال مرّة لشيخه : إنّي أقول يا أستاذي ؛ لو أنك تتركني على حالي ، وتأخذ منّي الإجازة ، وتنفي بعد ذلك أملاكي وأموالي ، وتؤويني إلى كهف من الكهوف بحيث لا مال ولا بنون ؛ لكان ذلك أحبّ إليّ ! فأجاب بعد ذلك : لا يجوز لك أن تترك الإرشاد ، ألا تعلّمهم الاستغفار المحض ! ومجرّد ذلك شيء عظيم .

إخواني ؛ إنّي أريد أن أكون في قعر حجرتي بغلق الباب ، ولا أطلب المريدين أصلاً ، لكنّهم لا يتركونني على حالي ، ظنّاً منهم أني أهل لذلك ، مع أنّي في اعتقادي لست بمقام مريد ؛ فضلاً في مقام شيخ ، ولا يكون لي بدّ من تعليمهم وتلقينهم ؛ مع ما فيّ من المخافة ، ولولا أنهم يعتقدونني ؛ لمّا نزلوا بساحة داري ، ولو لم يكن ظنّهم في الله حسناً ؛ بأن الله تعالى يدخلهم في فضله بواسطتي لمّا طلبوا منّي السلوك ، فبناء على ذلك ألقّنهم الاستغفار والصلوات ألفاً ألفاً في المَلَوين[1] ، أو خمسمائة

---

* فائدة : جاء في الحديث عن النبي ﷺ « من أراد الجلوس مع الله فليجلس مع أهل التصوف » وقال رجل لإمام أحمد بن حنبل : هؤلاء الصوفية جلسوا في المجلس بلا علم ، فقال : العلم أجلسهم في المسجد ، إنّ أحدهم يرضى بكسرة ، وما أحسن من يرضى من الدنيا بكسرة ، فقال : أنهم يرقصون ويتواجدون ، قال : من فرحهم بالله تعالى . « نزهة المجالس » عبارته ٧٩ .

(١) المَلَوين : الليل والنهار .

منهما ؛ على وفق حال المريدين ، وأعلّمُهم كيفية الرابطة الشريفة كما علّمني أشياخي ، وأتركهم على تلك الحالة مدّة شهر أو شهرين ، ثمّ بعد حصول الاستعداد لهم ألقّنهم الذكر القلبي بلفظة الجلالة (الله الله) ، وآمرهم بعدم غفلتهم عن تخيّل جريان هذا الذكر المبارك قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، **وأعلّمهم أنّ الغفلة عن الله تعالى من أعظم الذنوب عند أهل الله ، وأحثّهم على الاستغفار عن الغفلة كما يستغفرون عن المعصية ،**

فهذا أقلّ ما آمرهم به ، وأرشدهم إليه ، ومن آثر منهم الآخرة على الدنيا ، وأراد أن ينيب إلى الله ، ولازم الذكر وترك الهوى ؛ ألقّنه الذكر على اللطائف بترتيب ، بعد حصول النتيجة على ما هو معلوم عند أهله ، فيسري ذكره في جميع أجزاء البدن ، ويحصل له سلطان الذكر ، ثمّ بعد ذلك ألقّنهم النفي والإثبات ، فإذا حصل لهم نتيجته ؛ أعلّمهم المراقبة ، ثمّ وثمّ . . إلى آخر ما نعلّمه من أمور الطريقة ، وذلك كلّه رجاء أن يكون الله معهم لحسن ظنّهم به تعالى ، واعتقادهم فيّ وفي مشائخي ؛ بأنه تعالى يوصلهم إليه بواسطتهم ، على ما ورد في الحديث : « لَو اعْتَقَدَ أَحَدُكُمْ فِي حَجَرٍ لَنَفَعَه » . قال الشعراني في « العهود المحمدية » : وقد حثّنا الله تعالى على حسن الظنّ به بقوله : « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، فَلْيَظُنَّ بِي خَيْراً » فمن لم يظنّ بالله خيراً فقد عصى أمر الله تعالى ، وقد مشى الصادقون من المريدين على هذه القاعدة مع أشياخهم ، **فإن ظنّوا بشيخهم أنه يحميهم من إبليس بنظره حماهم ، وإن ظنّوا أنه لا يقدر على حمايتهم ؛ فلا يصحّ لهم حماية** ، فلذلك أمروا مريدهم أن لا يغفل عن شهود كونه معه ؛ لأنه ما دام يشهد شيخه ملاحظاً له ؛ فهو محفوظ من كلّ آفة ، ومتى غفل عن ذلك جاءته الآفات من كلّ جانب ، وممّا جرّبناه نحن أنّ من كان اعتقاده فينا متوفراً مهما طلب من الحوائج قضي له ، ومن

لم يكن اعتقاده فينا متوفّراً لم تقض له حاجة ؛ ولو كنّا أقطاباً ، **فالمدار على حسن الظنّ المتوجّه للشيخ ؛ لا على الشيخ** ، وربّما تقضى حاجةُ المعتقد ؛ ولم يكن يعلمها الشيخ ، إلاّ إن أعلم به المتوجّه إليه . انتهى عبارته فراجعه في ١٣١ من هامش « لطائف المنن » ج ٢ .

وما قاله قدّس سرّه هو الذي يحصل للمرابط من المنافع والفوائد ، فالشيخ الفاني في الذات لو قرب إليه الشياطين يحترقون بنوره ، وإذا تخيّل المريد صورته يحضر روحانيته لديه أسرع من لمح البصر ، فيكون حضوره سبباً لانقطاع الخواطر والوساوس . فافهم .

أيها العلماء والفقهاء ؛ إن كنتم ترون فيما نفعله من هذه الأمور شيئاً ما يخالف الشريعة ؛ فنحن مترقّبون للامتثال بأوامر من ينصحنا ويدلّنا على ما خفي فينا من العيوب ، ونشكره وندعوه بالخير ، وإن ارتكب أتباعنا على المنهيّات لا نرضى على صنيعه أبداً ، بل ننصحه بالإشارة وباللطف ؛ لا بالعنف ، على وفق قوله تعالى : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا ﴾ ؛ وآية ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ﴾ . ولكن لا طاقة لنا لامتناعه عن بعض المعاصي ، وذلك ليس من شروط الشيخ ، وما لم يصحّ لرسول الله عليه السّلام من أصحابه لا يصحّ لأحد من بعده ؛ كما ذكره الشعراني في « العهود المحمدية » بالبسط التامّ .

وقد قال النبهاني في « شواهد الحقّ بالاستغاثة بسيد الخلق » ما نصّه هذا : وليس من شروط مشائخ الطريق أن يقتدروا على عصمة أتباعهم من المخالفات ، فالمنصف يؤدّي كلّ ذي حقّ حقّه ، فحقّ الشيخ وأتباعه الراشدين الثناء الجميل عليهم ، فيلزمنا أن نؤديه إليهم ، وحقّ أولائك المارقين أن ننكر عليهم ، ونوجّه المذام إليهم ، ونبين لهم الحلال والحرام ، وما هو مشروع في دين الإسلام ، فإذا قبلوا وتابوا حصل من إنكارنا عليهم المرام ، وإذا أصرّوا على ضلالتهم نُصِرَّ على الاعتراض عليهم ، ولا عتاب حينئذ ولا ملام . انتهى عبارته . في ٢٣٥ .

ومن المعلوم أن المريد المعصوم لا يكون أبداً . كما بيّنه مؤلّف « الحديقة الندية » ، ولا يخفى على الحقير[1] أن حاله ناقص عن درجة المرشدين ، ولكن لمّا أجاز له المشائخ الكاملون ؛ لا بدّ له من امتثال أمرهم وإن كان ناقصاً ، لما أنهم قالوا : وقد يعطي الكامل الإجازة للناقص لأنَّ يَدَهُ يَدُهُ ، وتربيّتَه تربيّتُه ؛ كما هو مذكور في غير كتاب واحد .

وفي « البهجة السنيّة » : وأما الإذن لهم من جناب حضرة شيخنا قدّس سرّه بالإرشاد ! ! مع نقصان فهو جائز من الكامل المكمَّل . انتهى عبارته في ٤٤ .

وفي « التحفة » : ولم تكن الإجازة موقوفة على الكمال المطلق . انتهى عبارته . والكلام على هذا كثير .

وكتب القاضي ببلات رحمه الله ما هذا نصّه : ولا يأذن لأحد في الجلوس للمشيخة إلاّ بعد الإذن له من رسول الله ﷺ . « خالدية » .

فيا عجباً على عظم هذا القول فالحمد لله على ذلك دائماً . انتهى من خطّه .

وكتب أيضاً : وأما الحكايات المذكورات في رسائل القوم من أن كلّ مُسَلِّك لا يكون يقدر على استنباط الأحكام والآداب من الكتاب والسنة لو فقدت جميع الكتب النقلية فليس بمسلك ، ومن كونهم يعطون كلّ جليس حقّه ، ويعرفون من يفتح لهم على يدهم ، وكونهم يراعون تلميذهم ؛ وهو في الأصلاب ، ونظره أحوال مريده ؛ من حين كان في عالم الذّر ، وأنّ من جالس ولازمه وراعى الأدب ظاهراً وباطناً معه انتفع من لَحْظه ، واسترزق من رزقه المكنون في لفظه من الأنوار والأسرار ، ووجد تأثير ذلك في الحال إلى غير ذلك ! ! فإنما هي حكايات الأولياء

(١) أي : المؤلف .

الكاملين من الرجال أصحاب الأنفاس ومرتبتهم ، ولكن ليس الاقتداء مختصّاً بهم ؛ كما سنذكره الآن بهذه العبارات ، والله أعلم .

وتخصيص هؤلاء المذكورين بذلك[1]!! إنما هو لكونهم كانوا مجتمعين اجتماعاً مخصوصاً في عصر واحد ، لا لنفي الاقتداء عن غيرهم ، إذ الجامعون بين العِلْمين كثيرون ، على أن تخصيص الاقتداء بالجامعين بين العِلْمين المذكورين إنما هو لبيان الأكمل ، إذ لا خلاف بينهم أن جميع السالكين العارفين بالله تعالى يجوز الاقتداء بهم ، سواء حصل السلوك قبل الجذبة ؛ أو بعدها ، وسواء علموا جميع علوم الشريعة المفروضة والمندوبة ؛ أم لم يعرفوا سوى فرض العين الذي لا بدّ لكلّ مكلّف منه ، أو لبيان من يقتدي في العلمين . « الفتاوى الحديثية » عبارته .

ومثله من أن المتصدي الآن لهذا الباب على غير بصيرة من أمره ، إن لم يكن يرى ذلك ابتلاء من الله تعالى ؛ فهو قليل الأدب مع الله تعالى ، ولذلك تراه يلقّن الألف أو أكثر ولا ينتج منهم واحد ، كما هو مشاهد .

واعلم أنه ليس في هذا الباب الذي خشينا عليه ترك الذكر والتلقين ، كما توهم ذلك الضعفاء ، بل المراد منه أن كلّ من يفتح له هذا الباب ينبغي له أن يرى ذلك بلاء ، ويعتقد أنه ليس بأهل للمشيخة والسلوك ، وأن في ذلك هلاكه ، فينبغي لمن يلقن الناس الآن أن يراه ابتلاء من الله تعالى ، ويلقّن على سبيل التشبّه بالمتشبّهين . . . بالمتشبّهين . . . بالمتشبّهين (ست مرّات) . « الأنوار القدسية » عبارته ٤١ .

ومشائخ هذا الزمان يلقّنون كذلك بلا خلاف ، وإنهم أشدّ خوفاً ممّن قبلهم . . إلى آخر ما كتبه . انتهى من خطّه ، فجزاه الله عنّا خيراً ، فقد حلّ ما كان مشكلاً منذ زمان . فبناء على ما ذكر لا بدّ لنا من التصدّر

---

(١) أي : بالاقتداء .

لإرشاد الخلق وتعليمهم آداب الطريقة وتلقينهم أذكارها وأورادها ، وكيفية الرابطة وآدابها ، ومعلوم مشهور أنّ **ذلك ليس باختيار منّا ، بل بأمر وإذن من مشائخنا ، فما العيب علينا !!** وقد علم ممّا مرّ في حقّ الرابطة كونها محبوباً مستحسناً عند العلماء والأكابر العارفين ، فرفع عنّا اللوم والعتاب ، ولله الحمد والمنة ، وله الشكر على هذه النعمة .

فائدة نفيسة غفل عنها أكثر الخلق : قد مرّ ما قاله القطب الشيخ خالد قدّس سرّه ما لفظه : أم يشترط مع ذلك كلّه بعض خوارق كونية . . . إلخ ! !

فالجواب : لا يشترط ذلك في الشيخ . فقد سمعت شيخنا العسلي قدّس سرّه يخبر نقلاً من كتاب يقول : لا يكون الشيخ شيخاً بكشفه العرش والكرسي والسموات السبع والأرضين السبع وما فيها ، بل الشيخ الذي يكشف له أحوال مريده . انتهى .

وفي « الرسالة الخالدية » ما حاصله : **الكرامة ليست بشرط الولاية ، ولا من علامة الأفضلية** . كما صرّح به الشيخ ابن حجر في « الخاتمة » ، وربّما تكون له تلك الكرامات لكنه غير مأذون بإظهارها ، فقد يؤذن به لكن لا يعدّه مصلحة ! ! انتهى عبارته .

نقل الخاني في « الحدائق الوردية » ؛ عن الإمام الرباني قدّس سرّه ما هذا نصّه :

وقال قدّس سرّه : **اعلم** أن الولاية عبارة عن الفناء والبقاء ، والخوارق من لوازمها ، ولكن ما كل من كانت خوارقه أكثر يكون ولايته أتمّ وأكمل ، بل تكون خوارقه أقلّ وولايته أتمّ وأكمل ، ومدار كثرة الخوارق على شيئين وهما :

أن يكون الصعود في وقت العروج أكثر ؛ والهبوط في وقت النزول أقلّ ، بل الأصل العظيم في كثرة ظهور الخوارق هو قلة النزول كيف ما كان العروج ، لأن صاحب النزول ينزل إلى عالم الأسباب فيجد الأشياء مربوطة بها ، ويرى فعل المسبّب من ورائها ، والذي لم ينزل أو نزل ، ولكنّه لم يصل إلى الأسباب ؛ فنظره مقصور على مسبب الأسباب ، والأسباب قد ارتفعت عن نظره ، **والحق سبحانه يعامل كلّ أحد على حسب ظنّه** ، فيقضي أمر من يرى الأسباب بها ، ويقضي أمر من لا يرى الأسباب بدونها ، قال تعالى في الحديث القدسي : « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي » ولطالماً كان يخطر ببالي أنه ما السبب في كون الخوارق التي ظهرت على يد الشيخ عبد القادر ﷺ لم تظهر على يد كثير من كمل الأولياء السابقين ! ! حتى أطلعني الله تعالى على سرّ ذلك ؛ وهو أنه كان عروجه أعلى من أكثر الأولياء ، وفي جانب النزول كان نزوله إلى مقام الروح الذي هو فوق عالم الأسباب .

وممّا يناسب هذا المقام ما حكى الحسن البصري ﷺ : كان واقفاً على شاطئ النهر ينتظر السفينة ، فجاء حبيب العجمي ﷺ ؛ فوجده واقفاً ، فقال له : ماذا تنظر ؟ قال : السفينة ، فقال له : وأيّ حاجة إلى السفينة ! ! أما لك يقين ؟ فقال الحسن : أما لك علم ! ! ثمّ مشى حبيب على الماء وبقي الحسن حتى ركب السفينة ؛ فلمّا كان الحسن نازلاً إلى عالم الأسباب عاملوه بها ، وحبيب لم ينزل ؛ فعاملوه بدونها ، **والفضل للحسن ؛ فإنه صاحب علم جَمَع بين علم اليقين وعرف الأشياء** كما هي ، وفي نفس الأمر جعلت القدرة مستورة خلف الحكمة ، وحبيب العجمي صاحب سكر ، وله يقين بالفاعل الحقيقي من غير أن يرى للأسباب مدخلاً ، وهذه الرؤية غير مطابقة لما في الواقع ، فإن توسُّط الأسباب كائن وحاصل .

وأما **شأن** التكميل والإرشاد ! ! فهو عكس طريق ظهور الخوارق ، فإن في مقام الإرشاد كلما كان نزوله أكثر كان في الإرشاد أكمل ، لأنه لا بدّ من حصول المناسبة بين المرشد والمسترشد ؛ وذلك منوط بالنزول .

واعلم أنه كلّ ما كان **الصعود أعلى يكون الهبوط أنزل** ، فلهذا لمّا كان ترقي نبينا عليه الصّلاة والسّلام أعلى وأرقى من ترقي جميع الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام ، كان نزوله أقوى من الجميع ، فكان دعوته أتمّ ، ولذلك أرسل إلى كافة الأنام ، فإنه بسبب نهاية النزول حصل المناسبة بالجميع ؛ فصار طريق الإفادة فيه أتمّ ، **وربّما تحصل الإفادة من المتوسطين في هذا الطريق أكثر من المنتهين الذين ما رجعوا** ؛ لأن مناسبة المتوسّط للمبتدئ أكثر من ذاك ، فمدار كثرة الإفادة وقلّتها على الهبوط والرجوع ؛ لا على الانتهاء وعدمه .

وههنا دقيقة ؛ وهي : كما أنه **ليس من شرط الولاية علم الوليّ بنفس ولايته** - كما هو مشهور - كذلك ليس من شرطها علمه بخوارقه ، فربّما ينقل الناس عنه خوارق الشتّى وهو لا علم له بها .

وكان شيخنا قدّس سرّه يقول : **والعجب** أنّ الناس يأتون إليّ من الأكناف والأطراف ، فبعضهم يقول : رأيناك في مكّة ، وبعضهم يقول : رأيناك في بغداد ، فيظهرون الصحبة والمعرفة ، والحال أنّي ما خرجت من بيتي ! ! فما هذا الافتراء ؟ ! انتهى عبارته ١٨٦ .

وممّا ينبغي أن يكتب هاهنا ما قاله الإمام الرباني في بعض مكاتبه بما هذا نصّه :

بعد الحمد والصلوات . . . ليعلم الأخ الأعزّ المير محبّ الله ؛ **أن الإيمان بالغيب بوجود الواجب تعالى وسائر صفاته نصيب الأنبياء وأصحابهم عليهم الصّلاة والسّلام ، ونصيب الأولياء الذين ثبت لهم**

الرجوع بالكلية ، ونسبتهم نسبة الأصحاب ؛ وإن كان هؤلاء قليلين ؛ بل أقلّ ، ونصيب العلماء ، ونصيب عامة المؤمنين أيضاً ، والإيمان الشهودي نصيب عامة الصوفية ؛ سواء كانوا من أرباب العزلة ، أو من أصحاب العشرة ، فإن أصحاب العشرة ؛ وإن كانوا مرجوعين لكنهم ما رجعوا بالكلية ، بل باطنهم مستشرف إلى الفوق ، ومنجذب إليه دائماً ، فهم بالظاهر مع الخلق وبالباطن مع الحق جلّ سلطانه ، فالإيمان الشهودي نصيبهم دائماً ، والأنبياء عليهم السلام لما كانوا مَرْجُوعين بالكلية متوجّهين ظاهراً وباطناً إلى دعوة الخلق بالحق جلّ وعلا ؛ كان الإيمان الغيبيّ نصيبهم بالضرورة ، وقد حقّق هذا الفقير في بعض رسائله أن التوجه نحو الفوق مع وجود الرجوع من علامة النقص ، وعدم الوصول إلى نهاية الأمر والرجوع بالكلية علامة الوصول إلى نهاية النهاية .

والصوفية زعموا أن الكمال إنما هو في الجمع بين التوجهين ، **وعدّوا الجامع بين التشبيه والتنزيه من الكمل** .

وللناس فيما يَعْشقون مذاهب !!

أفرغ[1] الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام من وظيفة الدعوة ، وتوجّهوا نحو عالم البقاء وتمّت مصلحة الرجوع يكونون متوجّهين بكليتهم إلى الحق جلّ شأنه قائلين بتمام الشوق الرفيق الأعلى متبخترين في مراتب القرب . شعر :

هَنِيئاً لأَرْبَابِ النَّعِيمِ نَعِيمُهَا وَلِلعَاشِقِ المِسْكِينِ مَا يَتَجَرَّعُ

والكمال عند الفقير هو : أن ترتفع الكثرة[2] وقت العروج عن النظر بالكلية ، حتى لا تكون الأسماء والصفات أيضاً ملحوظة ، ولا يكون غير

---

(١) هكذا في النسخة التي بيدنا ، ولعله : فرغ .

(٢) والمراد من الكثرة : كلّ ما سوى الله .فافهم .

الأحدية المجرّدة مشهوداً ، ثم يعامل معه ما يعامل معه ، وأن يقع النظر وقت الرجوع إلى الكثرة ، ولا يكون شهوده كعامة المؤمنين غير الخلق ، ولا يكون شغله دائماً غيرَ أداء الطاعة ، ودعوةِ الخلق إلى الحق جلّ وعلا .

فإذا تمّ أمر الدعوة وودع العالم الفاني يتوجَّه بكليته إلى جناب قدسه تعالى ، ويحول رحله من الغيب إلى الشهادة ، ويبدل معاملة المراسلة بمعاملة المعانقة ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ .

صاحب التوجه وصاحب الرجوع

ولا يخيلن[1] الناقص أن الرجوع الكلي نقصٌ ، ولا يَزْعُمَنَّ أن التوجه بالباطن إلى الحق جلّ وعلا أفضل من التوجّه إلى الخلق لدعوتهم وتكميلهم ، فإن صاحب الرجوع ما جاء إلى مقام الرجوع باختيار نفسه ، بل نزل من أعلى إلى أسفل بإرادة الحق جلّ سلطانه ، ورضي لنفسه بالهجر عن الوصول ، فصاحب الرجوع قائم بمراد الحق جلّ شأنه وفانٍ عن مراد نفسه ، وصاحب التوجه محظوظ بالوصل والشهود ، ومسرور بالقرب والمعية .

شعر :

إِذَا أَرْضَى منا قَلْبِي بعادي ... فَهَذَا الهَجْرُ أحْظَى مِنْ وِصَالِي
لأَنِّي في الوِصَال عَبْدُ نَفْسِي ... وَفِي الهُجْرَانِ مَوْلَى لِلْمَوَالِي
وَشُغْلِي بَالحَبِيبِ بِكُلِّ حَالٍ ... أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ شُغْلِي بِحَالِي

وفضائل الرجوع وكمالاتُه كثيرة ، وصاحب التوجّه بالنسبة إلى صاحب الرجوع قطرة بالنسبة إلى البحر المحيط[2] . وهذا الرجوع من

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعله يَخالنّ .

(٢) وحكي أن الشيخ أحمد التلاني حصل له الفناء ، ولم يفق مدة ثمانية أيام ، وكان وقتئذ في إستنبول ، فلما أفاق قال له الحاضرون : إنك بقيت في الفناء في مدة ثمانية=

فضائل النبوة ، وذاك التوجه من آثار الولاية ، شتان ما بينهما ! ! ولكن لا يدرك هذا الكمال منهم كلّ أحد . ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ راجع « الدرر المكنونات » في ٢٨٤ ج١ .

فالحمد لله ثم الحمد لله ؛ حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، جزيلاً جميلاً ، فقد كان الفقير خائفاً من هذه الجهة ، لعدم فراغه للشغل بالله بالكلية بسبب كثرة الشغل بالخلق .

مهمات غفل عنها الخلق

فائدة أخرى : قد يظنّ الناس أن المشائخ يجب أن يكونوا يقتدرون على منع عصيان مريديهم ! ! مع أنه قد مرّ أن ذلك ليس من شرط الشيخ ، وأيضاً يظنُّون أن المشائخ يجب أن يكونوا معصومين من الزلل والعصيان ، مع أن العصمة من شرط النبوّة ! ! وذلك الظنُّ منهم إنما حصل لسماعهم أنَّ بعض الأولياء منعوا مريدهم عن الفاحشة إذا همّ بها وأمثال ذلك ممّا ذكروه في كتبهم .

ولكن ينبغي أن يعلم **أن وقوع ذلك من بعض المشائخ لا يوجب أن يقع في كلّ واحد منهم .**

وفي « الإبريز » : وسمعته ﷺ يقول : إن الذين ألَّفوا في كرامات الأولياء رضي الله عنهم ، وإن نفعوا الناس من حيث التعريف بالأولياء ،

=أيام ، فأعظم ذلك وأعجبه ، ثم اجتمع بالشيخ محمود أفندي ، ولعله اجتمع معه في الواقعة ، فقال له : يا ولدي ، إن في الأولياء من لا يفيق عن فنائه في مدة شهر أو شهرين أو سنة ، ومنهم من لا يتنفس في العمر إلا واحدة ، فهاهنا - أي : في محلة كذا - رجل لا يتنفس في سنة إلا مرّة ، فذهب الشيخ أحمد لطلب ذلك الرجل فوجده كذلك ، وأخبر رقيبه أنه لا يفيق ولا يتنفّس في السنة إلا مرّة واحدة ، ثم قال له الشيخ محمود أفندي : ياولدي ، إن - ولقوله هذا دلائل من الأحاديث - هداية رجل واحد خير مِنْ أنْ يكون فانياً في جميع العمر مثله ، فافهم . والله أعلم . (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

فقد أضرّوا بهم كثيراً؛ من حيث أنهم اقتصروا على ذكر الكرامات؛ ولم يذكروا شيئاً من الأمور الفانية التي تقع من الأولياء الذين لهم تلك الكرامات، حتى أنّ الواقف على كلامهم إذا رأى كرامة على كرامة، وتصرّفاً على تصرّف، وكشفاً على كشف، توهَّم أن الوليّ لا يعجز في أمر يطلب فيه، ولا يصدر منه شيء من المخالفات؛ ولو ظاهراً، فيقع في جهل عظيم، لأنه يظنّ أن الوليّ موصوف بوصف من أوصاف الربوبية؛ وهو أنه يفعل ما يشاء، ولا يلحقه عجز، ويوصف من أوصاف النبوّة؛ وهو العصمة، والأمر الأول من خصائص الربوبية، ولم يعطه الله تعالى لرسله الكرام؛ فكيف بالأولياء!! قال الله تعالى لنبيّه ﷺ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾، وقال ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾، وقال ﷺ: «سألت ربّي عزّ وجلّ اثنين فأعْطانيهما وسألته اثنين فَمَنَعَنيهمَا»، **قال تعالى** ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾، فقلت: «أعوذ بوجهك الكريم» **فقال: قد فعلتُ** ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، فقلت: «أعوذ بوجهك» فقال: قد فعلتُ ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ فقلت: «أعوذ بوجهك»، **فقال قد سبق القضاء** ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ فقلت: «أعوذ بوجهك» **فقال: سبق القضاء**.

وقال تعالى في سؤال نوح نجاةَ ابنه من الغرق ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ وقال تعالى ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾.

والناس اليوم إذا رأوا وليّاً دعا؛ فلم يستجب له، أو رأوا ولده على غير طريق، أو امرأته لا تتقي الله؛ قالوا: ليس بوليّ، إذ لو كان وليّاً لاستجاب الله دعائه، ولو كان وليّاً لأصلح أهل داره، ويظنّون أن الوليّ

يصلح غيره ؛ وهو لا يقدر على إصلاح نفسه ، قال تعالى ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ .

حفظ الأولياء وعصمة الأنبياء

وأما أمر الثاني ؛ وهو العصمة !! فهو من خصائص النبوة ، والولاية لا تزاحم النبوّة . قال ﷺ : **والخير الذي يظهر على يد الوليّ إنما هو من بركته** ﷺ ؛ إذ الإيمان الذي هو السبب في ذلك الخير إنما وصل إليه بواسطة النبي ﷺ ، أما ذات الوليّ ! فإنها كسائر الذوات ؛ بخلاف الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام ، فإنهم جُبلوا على العصمة ، وفُطروا على معرفة الله تعالى وتقواه ؛ بحيث أنهم لا يحتاجون إلى شرع يتبعونه ، ولا إلى معلم يستفيدون منه ، والحق الساكن[1] في ذواتهم ؛ وهو حرف النبوّة الذي طبعوا عليه يسلك بهم النهج القويم والطريق المستقيم ، قال ﷺ : لو أن الناس الذين ألفوا مع الكرامات قصدوا إلى شرح حال الوليّ الذي وقع التأليف فيه ، فيذكرون ما وقع له بعد الفتح من الأمور الباقية الصالحة والأمور الفانية ؛ لعلم الناس الأولياء على الحقيقة ، فيعلمون أن الوليّ يدعو تارة فيستجاب له ؛ وتارة لا يستجاب له ، ويريد الأمر ؛ فتارة يقضى ، وتارة لا يقضى ، كما وقع للأنبياء والرسل الكرام عليهم الصّلاة والسّلام ، ويريد الوليّ بأن تظهر الطاعة على جوارحه ، وتارة تظهر المخالفة عليها كسائر الناس ، وإنما امتاز الوليّ عنهم بأمر واحد ، وهو ما خصّه الله تعالى به من المعارف ومنحه من الفتوحات ، ومع ذلك فالمخالفة لمن ظهرت عليه إنما هي بحسب ما يظهر لنا ؛ لا في الحقيقة ، لأن المشاهدة التي هو فيها تأبى المخالفة ، وتمنع من المعصية منعاً لا ينتهي إلى حدِّ العصمة حتى تزاحم الولايةُ النبوّةَ ، فإن المنع عن المعصية ذاتيٌّ في الأنبياء عرضيّ في الأولياء ، فيمكن زواله في الأولياء ؛ ولا

---

(١) لعله : ساكن .

يمكن زواله في الأنبياء ، وسرّه ما سبق ؛ وهو أنّ خير الأنبياء من ذواتهم ، وخير الأولياء من غير ذواتهم ، فعصمة الأنبياء ذاتية ، وعصمة الأولياء عرضية ، فإن العارف الكامل إذا وقعت منه مخالفة فهي صوريّة ؛ لا حقيقية ، قصد بها امتحان مَنْ شاهدها واختباره ، ولذلك أسرار ، فنطلب من الله تعالى أن يوفِّقنا للإيمان بأوليائه ؛ كما وفَّقنا للإيمان بأنبيائه عليهم الصّلاة والسّلام . انتهى عبارته في ١٩٠ ، فراجعه .

فائدة أخرى نفيسة وبشارة عظيمة : قال العالم يوسف النبهاني في كتابه « سبيل النجاة »[١] بعد كلام كثير في الحبّ في الله والبغض في الله : ولا شكّ أن قول النبي ﷺ : « المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » جواباً لقول القائل : يا رسول الله المَرْء يحبّ قوماً ؛ ولمّا يلحق بهم ! ! وفي حديث أبي ذرّ : « وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْمَلَ بِعَمَلِهِمْ » ، دليل على **أن المحبّ لقوم معهم ؛ وإن قصر عنهم في الأعمال والأحوال** ، ولذلك اشتدّ فرح المسلمين بذلك ، كما قال أنس رضي الله عنه : **فما فرحنا بشيء فَرَحَنا بقول النبي** ﷺ : « أنت مع مَنْ أحببت » ، قال أنس : فأنا كنت أحبّ النبي ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما وأرجو أن أكون معهم .

وروى ابن أبي الدنيا في « كتاب المحتضرين » ؛ عن عبد الرحمن بن صالح العجلي قال : قال ابن السماك عند وفاته : أللّهمّ ؛ إنك تعلم أنّي كنت إذا عصيتك فإني كنت أحبُّ من يطيعك ، فاجعل ذلك قربة لي إليك .

وجعل النجم الغزيُّ رحمه الله محبّة الظلمة للصالحين من القبيل الأول ؛ أي : من قبيل محبّة الموافقين في أصل الإيمان والمخالفين في غيره من الطاعات ومكارم الأخلاق ؛ مع الرغبة عنها والأنفة منها ، والمحبة لما سواها حيث قال : ومن هذا القبيل محبّة الظَلَمة والفسقة للصالحين ، وتقرُّبهم من المباركين بعرض أموالهم عليهم ، وإرسال الهدايا إليهم ؛

(١) في ١٧ ، راجعه .

وهم مكبّون على ظلمهم للناس ، وإسرافهم على أنفسهم ، فهؤلاء لا تنفعهم محبّة الصالحين ولا تلحق بهم . انتهى كلامه .

قال العارف النابلسي بعده : قلت : بل الإنصاف أن تجعل محبة الظلمة والفسقة للصالحين وتقرُّبَهم من المباركين من القبيل الثاني ؛ أي : من قبيل محبّة الموافقين في أصل الإيمان والمخالفين لهم في غيره من الطاعات ، لكن لا على طريقة الرغبة عن أخلاقهم ، ولا على سبيل الأنفة من أحوالهم ، ولهذا تقرَّبوا إليْهم وأحبُّوهم ، وأحبّوا طريقتهم وتبرَّكوا بهم ، ولو كان لهم رغبة عن أخلاقهم وأنفة عن أحوالهم لبعدوا عنهم ولم يشاكلوهم أصلاً مثل غيرهم من بقيَّة الظلمة ، بل ذلك على سبيل العجز والتقصير عن بلوغ درجاتهم والانحطاط عن علوّ هممهم ، مع الاعتراف بأنهم ظالمون لأنفسهم ، مسرفون عليها ، واقعون في الذنوب والخطايا والآثام ، يصرّحون بذلك بألسنتهم ويضمرونه في قلوبهم ، ويطلبون من الصالحين الدّعاء بتيسير التوبة والتخلّص ممّا هم واقعون فيه ، ولو تيسَّر للواحد منهم اللحاق بهم في وصف من الأوصاف لم يتأخَّر عن الاتصاف به ، وإنما عاقهم عن ذلك ميل نفوسهم مع جواذب الهوى والطبيعة ، وكون أمور العامة متعلقة بهم منوط بأنظارهم ؛ وهم مبتلون بكلّ ذلك جمعاً وصرفاً ، كما كانت هي حالة ابن السمَّاك في حال صدور المعصية ، كما أخبر هو عن نفسه في وقت وفاته ؛ بقوله كما قدمناه : أللّهمّ إنك تعلم أنّي كنت إذا عصيتك ؛ فإنّي كنت أحبّ من يطيعك ، فاجعل ذلك قربة لي إليك .

وهؤلاء كذلك في حال عصيانهم لله تعالى واعترافهم بذلك ؛ يحبّون من يطيع الله تعالى ومن يتوهَّمون أنه صالح ، ويتقرَّبون إليه ، ويتأدَّبون معه ، ويطلبون منه الدعاء ، ويهدون إليه أشرف ما عندهم ، وهو المال ، رغبة في حصول دعائهم لهم ، فلعلّ الله تعالى يجعله سبباً لنجاتهم في

الآخرة ، وليس هذا الوصف في جميع الظلمة والفسقة ، وإنما هذا في طائفة منهم يرون قُبْح ما هم فيه من الأحوال وحسنَ ما في أهل الخير والهدى من الصلاح ، وهم مسلمون مؤمنون من أهل الكتاب والسنة ، غير أن الله تعالى ابتلاهم بنفوسهم المنهمكة في جمع حطام الدنيا ، وأخذ كلّ ما قدروا عليه من أموال الناس ، والتبسط في أنواع الشهوات ، فالله تعالى يتوب علينا وعليهم ، ويصلح أحوالنا وأحوالهم وأحوال المسلمين أجمعين . آمين . انتهى . كلام العارف بالله سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي ﷺ . انتهى عبارته .

خاتمة التصنيف

هذا ما تيسّر لنا جمعه ، ووفّقنا الله تعالى نقله ، فمن لم يرض بهذا القدر ! فعليه الرجوع إلى المطوّلات ، فالحمد لله أوّلاً وآخراً ، والصّلاة والسّلام على رسوله وآله وصحبه ؛ ليلاً ونهاراً .

أللّهمّ ؛ إنّي أسألك الثبات على حدّ الاستقامة ، وأن تجعلنا من جملة الهادين المهتدين ؛ لا من زمرة الضالّين المضلّين .

أللّهمّ ؛ اجعل آخر كلامنا (لا إله إلاّ الله) ، وآخر دعوانا (أن الحمد لله) ، واجعل سعينا هذا مشكوراً ، وعملنا مقبولاً ، واجعله سبباً لهداية الخلق إلى طريق السداد ، لا سبباً باعثاً لزيادة الحسد والعناد ؛ فإنك على ذلك قدير ، وبالإجابة جدير !

فرغ الفقير من تأليفه في يوم الاثنين الثاني والعشرين من شعبان هذه السنة ١٣٤١ وفّقه الله تعالى لاتمام سائر مراداته وقضاء حوائجه . آمين .

يا أرحم الراحمين ، يا أرحم الراحمين ، يا أرحم الراحمين !

تذنيب

فبعد أيام من بعد انتهاء الكتاب وصل لديّ ما كتبه العالم الفقيه الصوفي القاضي ببلات القلزمي النقشبندي رحمه الله تعالى ، فأحببت أن ألحقه هنا ليكون كلامه تأييداً لما نقلته شكر الله سبحانه سعيه ، حيث نطق بالصواب ولم يداهن ، وقد أظهر الحق ولم يخف من لومة لائم ، ولعله رحمه الله تعالى سمع ما يقوله المنكرون لأهل الطريقة ، والمعاندون لأرباب الرابطة القائلون بعدم وجوب المتابعة لأهل العلم من المذاهب الأربعة ، المدّعون بأنهم أهلٌ للاجتهاد ، ولهم قدرة على أخذ الأحكام من الكتاب والسنة ،

قال رحمة الله عليه رحمة واسعة ، وكتب بما هذا نصه :

ورأيت في بعض المجاميع أن الشافعي ﷺ كان يجلس لشيبان الراعي ويسأله عن مسائل ، فقيل له : مثلك يسأل هذا البدوي ؟ فيقول لهم : هذا وُفِّقَ لما علمناه . وكان شيبان أميّاً ، وإذا كان محلّ الأمي منهم من العلم هكذا ، فما ظنُّك بأئمتهم ؟ ! **وقد كان الأئمة المجتهدون كالشافعي وغيره رضي الله عنهم يعترفون**[1] **بوفور فضل علماء الباطن** . « حياة الحيوان » عبارته .

فالعناية بمقامات القلب وأحواله دأب علماء الآخرة ، لأنّ القلب هو الساعي إلى قرب الله تعالى ، وقد صار هذا الفنّ غريباً مندرساً ، وإذا تعرّض العالم لشيء منه استغرب واستبعد . « إحياء » عبارته .

وغالب الإنكار الذي يقع بين الفقهاء والصوفية ، إنما هو بين القاصر من كل منهما وبين مثله ، وإلا فالكامل من الفقهاء يسلّم للعارفين ، والعارفون يسلّم للعلماء . « لطائف المنن » عبارته .

---

(١) فالحمد لله على ذلك . (هامش الأصل) .

فهي[1] أم الطرائق ، ومعدن الأسرار الصديقية والحقائق ، وهي مما جرى على قبوله الوفاق ، وأقرّ بفضله علماء الأفاق . والآن - ولله الحمد - قد تقرّر الطريق وانخذل أهل الحسد والعناد والتعويق . « بهجة » عبارته .

وأمّا مشروعيّتها وتطبيقها على المذهب ، فجميع أركانها وشروطها وآدابها عين الشرع ، ولبّ[2] القرآن ، وحقيقة العرفان ، وفي حقّها أدلّة جملة وتفصيلاً ، كما سيأتي البيان . « جامع الأصول » عبارته ٣ .

مُهِمٌّ

وقد كان الشيخ النووي ﷺ يخرج لظاهر دمشق لشيخه المراكشي رحمه الله يعرّض عليه مسائل يقف في فهمها عند نقلها ، فلو كان الفقراء لا يفهمون أسرار الشريعة أكثر من علماء الشريعة لما راجع النووي مع جلالته ، وقوة اعتقاده وصلاحه ، ووفور علمه ، شيخه المذكور في الأحكام ! « أنوار القدسية » .

وبالحقيقة الفقهاء هم الصوفية لو عملوا بما يعلمون ، فإنّ الأولياء إنما تميزوا عنهم بالعمل ، فأنتجهم بذلك قوّة العلم والفهم عن الله تعالى دونهم ، ففارقوهم به ؛ فلذلك وقع التنازع بينهم من المقصّرين . فحكمهم مع الأولياء حكم الرصاص[3] في دائرة شبكة الصياد ، والأولياء قانصون حبل الشبكة ، فاذا جذبوا الحبل انجرّ جميع الرصاص ، فالقاصرون من باطنهم ولا عكس ، وقال الله تعالى ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وليس أهله إلا الأولياء والعلماء الراسخون ، ونحن مأمورون باتباعهم ، لأنهم ورثة الأنبياء وأمناء الله تعالى على أسراره ، فإذا قالوا شيئاً وجب علينا اتّباعه . « الأنوار القدسية » عبارته .

---

(١) أي : الطريقة النقشبندية .(هامش الأصل) .

(٢) ولعل المنكرون لا ينكرون ، وعلى ما قالوه يندمون . (هامش الأصل) .

(٣) فمن لم يكفه هذا لم يكفه غيره . (منه) .

فإذا وصل العارف إلى هذه المرتبة يأخذ العلم من الله تعالى بلا واسطة ، وهو العلم اللدنيّ ، كما كان للخضر عليه السلام ، ونصيب بعض العارفين بالله تعالى ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ ، ويقال لهذه المرتبة في اصطلاحهم : قرب النوافل ، دلّ عليه ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ عن الله « ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها » . إلخ ، وقوله ﷺ « لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبيّ مرسل » .

فمن وصل إلى هذه المرتبة يجذبه الله إليه بفضله ، ويأخذ المعارف والأسرار بلا واسطة من الله تعالى ، فلا يلزمه شيء بقوله : أخذت العلم من الله تعالى بلا واسطة ، **فمن ينكر هذه المرتبة فهو ينكر الحديث الصحيح**[1] . « مكتوبات » . ويالله العجب من المتفقّهين الذين ينكرون ما قاله الأولياء ، ويصدِّقون بما وصل إليهم من فقيه واحد ، وربما يكون إسناده في ذلك القول إلى دليل ضعيف ، وما ذلك والله إلا الحرمان . « مكتوبات » عبارته .

وكان ﷺ يقول في قصّة موسى والخضر يعني : أنّ للحقّ عباداً أقامهم لبيان المكتسبات ، وعباداً أقامهم لبيان الموهوبات **ليس لأحدهما أن يعترض على الآخر** ، ولا يشاركهم فيما أقيم فيه ، وإن كان أحدهما نبيّاً والآخر وليّاً . « طبقات » .

إذا كمل العارف في مقام العرفان أورثه الله علماً بلا واسطة ، وأخذ العلوم المكتوبة في ألواح المعاني ، ففهم رموزها وعرف كنوزها ، وأطلعه الله تعالى على العلوم المودعة في النقط ، ولو لا خوف الإنكار

---

(١) فتفكّروا في مآل إنكاركم ، أعاذنا الله تعالى من سوء العاقبة . (منه) .

لنطقوا بما يبهَر العقول ، وأسرارهم موضع سرّ الله . « طبقات الشعراني » عبارته . وكلّ أصناف هذه العلوم عند الأقطاب علوم إلهية ، ما أخذوها إلا عن الله سبحانه وتعالى . « مكتوبات » عبارته .

ونحن نتعجّب على اعتراضات المعترضين ، وكيف يقبل الناس كلامهمْ ولا يزجرونهم ؟ ! . « مكتوبات » عبارته .

فعُلم أنه ليس فهم كلام المتكلّم أن تعلم وجوه ما تضمَّنته تلك الكلمة بطريق الحصر بما تحوي عليه مما تواطأ عليه أهل ذلك اللسان ، **إنما الفهم أن يفهم ما قصده المتكلم بذلك الكلام من قصد جميع الوجوه أو بعضها** ، فينبغي لك أن تفرق بين الفهم للكلام والفهم عن المتكلم ، وهو المطلوب . فالفهم عن المتكلّم ما يعلمه إلا مَنْ أنزل القرآن على قلبه ، وأما الفهم للكلام فهو للعامة ؛ فكلّ من فهم من العارفين عن المتكلّم فقد فهم الكلام ، وما كلّ من فهم الكلام فهم عن المتكلّم . « أنوار القدسية » عبارته .

بسم الله الذي يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء .

والرابطة عند الفقراء هي تخيّل صورة الشيخ لحظة[١] ليس إلاّ ، **لما أنه[٢] آكد[٣] الآداب عندهم ؛ ولوكان [مثل] التخيل[٤] المذكور كفراً** كما تقولون : فكيف حال من يتخيّل صورة البنات والأرامل ، ويكون قلبه دائماً في خيالات شتى وتصورات تَتْرَى ؟ ! فيلزم منه كفركم وكفر العوام ، فتفكروا في مآله وعاقبته ! وكونوا صامتين ، وعن اللغو معرضين ، ثم على الحق تابعين وعلى أنفسكم راقبين .

---

(١) أي : بُرْهة قليلة .

(٢) أي : التخيّل .

(٣) قبل الذكر .

(٤) وإنكار على التصوّر تصور ، فمن يخرج من التصور والتخيّل . (هامش الأصل) .

ومقصودهم بذلك طرد الغفلة وإبعاد وساوس الشيطان عن القلب لا غير ، فمن ذاق يدري ومن لا فلا .

ثم أنتم أيها المنكرون للرابطة بيّنوا لنا بطلانها ؟ ! ومخالفة فَاعِلِيهَا للكتاب والسنة بأدلة سمعية صريحة ، وعدم جواز العمل على كلام الأولياء والعارفين ، وكون الأئمة والمفسرين الذين أثبتوا الرابطة على ضلالة وشرك ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، كيف لا تتقون الله تعالى لتكفير هؤلاء أهل[1] الله تعالى ؟ ! مع أن الأولياء تميّزوا عن غيرهم بعلوم لا يشاركهم فيها أحد ، كما نطق به الشعراني[2] [قدس سره] بهذه العبارة .

وفي « لطائف المنن » هذه العبارة : وقد أغلق الله تعالى باب تنزل الأحكام الشرعية بموت محمد ﷺ ، وما أغلق باب التنزل بالعلم بها على قلوب أوليائه ، **فالتنزُّل الروحانيُّ بالعلم بها باق لهم ، ليكونوا على بصيرة في دعائهم إلى الله تعالى بها** . انتهى عبارته ٥١ .

---

(١) وكان حقّاً علينا نصر المؤمنين والكفّ عن تكفير المسلمين (ومع أنه لا يكفر بالمحتمل) وحمل كلامهم على سبعين محملاً ، إنا لله وإنا إليه راجعون . « مكتوبات » . (هامش الأصل) .

(٢) الذي اطّلع على عين الشريعة الأولى ذوقاً وكشفاً ويقيناً ، وأخذ الميزان عن الخضر عليه السلام ، كما صرّح به في « ميزانه » . (منه) .

وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن علم المنقول والمعقول والأثر إلى عين اليقين ، فالذي للناس لهم غيوب فلهم ظهور وشهود ، فالناسِ أهل التقليد والاستدلال ، وهم أهل التحقيق والوصال . « روح البيان » عبارته ، (فَاتِحَة) .

ومن أنكر طور الولاية ألزمه أن ينكر طور النبوة ، وقد خلق الخلق أطواراً ، فلا ينبغي أن ينكر كل واحد ما وراء درجته . « إحياء » عبارته . وإياك أن تقول : طريق الصوفية لم يأت بها كتاب ولا سنة ؛ فإنه كفر ، فإنها كلها أخلاق محمدية . « بهجة » عبارته ٤ . (هامش الأصل) .

مهم

وفيه أيضاً: **تفسير أهل الكشف أعلى من تفسير غيرهم**، لأنّ الكشف إخبار بالأمور على ما هي عليه في نفسها لا يتغيّر دنياً ولا أخرى، بخلاف تفسير أهل الفكر والوهم.

وفي «ميزان الشعرني»: والولي الكامل لا يكون مقلّداً، وإنما يأخذ علمه من العين التى أخذ منها المجتهدون مذاهبهم. وفي كتاب «أنوار القدسية»: وحرام على الفقيه أن يتكدّر من نصح الولي، **لأنه أعلى منه فهماً في أحكام الله تعالى**، ولا يتوهّم أنّ علم الأولياء وغوصهم في فهم الأحكام يتوقّف على الآلات عند غيرهم؛ كالنحو واللغة والمعاني ونحو ذلك. فإنَّ الحق سبحانه وتعالى لا تقييد عليه، فيعطي من شاء ما شاء كيف شاء، فافهم. وجميع المذاهب من باطنهم. انتهى عبارته.

وفي كتاب «البهجة»: إن العلوم بالنسبة إلى العلماء نظرية واستدلالية، وبالنسبة إليهم كشفية وضرورية. انتهى عبارته.

وفي كتاب «الطبقات الكبرى» للشعراني: وكفى شرفاً بعلم القوم قول موسى عليه السلام للخضر ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾، وهذا أعظم دليل على وجوب طلب علم الحقيقة، كما يجب طلب علم الشريعة: وكلّ عن مقامه يتكلّم، قال الله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي أطلعناهم[1] على العلوم المتعلّقة بالعلويّات والسفليّات، وأسرار الجبروت وأنوار الملك والملكوت، وقال تعالى ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، والرزق نوعان:

روحاني وجسماني، وقال تعالى ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: يعلّمكم ما لم تكونوا تعلمونه بالوسائط من العلوم الإلهية.

---

(١) أفأنتم تنكرونه وتمنعونه خلاف آيات الله تعالى. انتهى. (هامش الأصل).

فعليك يا أخي بالتصديق والتسليم لهذه الطائفة ، ولا تتوّهم فيما يفسرونه به الكتاب والسنة أن ذلك إحالة للظاهر عن ظاهره ، ولكن لظاهر الآية والحديث مفهوم بحسب الناس وتفاوتهم في الفهم . فمن المفهوم ما جلب له الآية والحديث ، ودلت عليه في عرف اللسان . وثَمَّ أفهام أخرى باطنة تُفهم عند الآية أو الحديث لمن فتح الله تعالى عليه ، إذ قد ورد في الحديث النبوي « إنّ لكل آية ظاهراً وباطناً »[1] **والباطن** هو المعارف الإلهية . والمطلع هو معنى يتحد فيه الظاهر والباطن والحد ، فيكون طريقاً إلى الشهود الكلي الذاتي ، فافهم يا أخي .

ولا يصدّنّك عن تلقي هذه المعاني الغريبة عن فهم العموم من هذه الطائفة الشريفة قولُ ذي جدل ومعارضة [أمثالكم] : إنّ هذا إحالة لكلام الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ . فإنه ليس بإحالة ، وإنما يكون إحالة لو قالوا : لا معنى للآية الشريفة أو الحديث إلا هذا الذى قلناه ، وهم لم يقولوا ذلك ، بل يقرّون الظواهر على ظواهرها مراداً بها موضوعاتها ، ويفهمون عن الله تعالى في نفوسهم ما يُفهمهم بفضله ، ويفتحه على قلوبهم برَحْمته ومنّته .

ومعنى الفتح في كلام هؤلاء القوم حيث أطلقوه كشف حجاب النفس أو القلب أو الروح أو السرّ ، لما جاء به رسول الله ﷺ من الكتاب العزيز والأحاديث الشريفة ، إذ الولي لا يأت بشرع جديد وإنما يأتي بالفهم الجديد في الكتاب والسنة لم يكن يعرف أحد قبله ، ولذلك يستغربه كلّ الاستغراب من لا إيمان[2] له بأهل الطريق ، ويقول : هذا لم يقله أحد .

---

(١) إلى سبعة أبطن أو إلى سبعين . (منه) .

(٢) مثلكم . (هامش الأصل) .

على وجه الذم ، وكان الأولى أخذه منه على وجه الاعتقاد . « الطبقات الكبرى » عبارته .

وإنما نهى القوم عن المنازعة لأن علومهم مواجيد[1] لا نقل فيها . ومن كان يخبر عما يعاين ويشاهد لايجوز للسامع منازعته فيما أتى به ، بل يجب التصديق به . منه عبارته . فإن علوم القوم لا تقبل المنازعة ، لأنها وراثة نبويّة ، ونهى ﷺ عن الجدال ، وقال في المجادل « فليتبوّأ مقعده من النار »[2] والله تعالى هو المحارب عنهم لمن حاربهم ، والغالب[3] لمن غالبهم . منه عبارته .

والحق أن كلام أهل الحق حقّ ومقتبس من مشكاة النبوة « مكتوبات الرباني » عبارته .

والعلم اللدني عند الأولياء للورثة الكاملين للنبي ﷺ ، وظاهر النبوة المحمدية خُتمت به ، **وباطنها لا يختم إلى يوم القيامة** ، وهو الولاية

---

* والعجب من العلماء علماءِ الظاهر أنهم لا يقبلون علوماً معلومة بنور الفراسة والكشف الصحيح ، أخبر بها من عاينها وشاهدها (وبلغ مرتبة اليقين بالكشف الصحيح) . (منه) ، ويطلبون إثباتها بأدلّة ظنية متردّدة بين الخطاء والصواب ، أخذها المجتهدون من أهل الظاهر . وأيّ حاجة لإثبات اليقين بالظنون والعمل على السامع بترك المخبر المعاين ؟ ! وأنّ الظن لا يغني من الحق شيئاً ، ومآل دعواهم إلى ذلك (أي : إثباة اليقين بالظنون) ، فماذا يقال لهم ؟ ! ليس إلاّ هذا . من لم يكن في نفسه مَيْل الهدى * فشهوده وجه النبيّ لا ينفعه * ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ * ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ .

ومن لم يعلم الفرق بين الظنون واليقينيّات لا يعلم الفرق بين الأرض والسموات . ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ، والسلام على من اتّبع الهدى ، والتزم متابعة المصطفى . (من الحقير الفقير ببلات) .

(١) فلم يبق لإنكارهم سبيل ، فالحمد لله . انتهى . (هامش الأصل) .

(٢) وناهيكم بهذا المقعد . (منه) .

(٣) فتنبهوا أيها العلماء . ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ . انتهى . (هامش الأصل) .

عموماً وخصوصاً قال تعالى ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ وقال تعالى ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ . « سلسة الأرواح » عبارته .

مقدمة : في بيان أنّ طريق القوم مشيدة بالكتاب والسنة ، وأنها مبنيّة على سلوك أخلاق الأنبياء والأصفياء ، وبيان أنها لا تكون مذمومة **إلا إن خالفت صريح**[1] **القرآن أو السنة أو الإجماع لا غير** . وأما إذا لم تخالف ؟ فغاية الكلام أنه فهم أوتيه رجل مسلم ، فمن شاء فيعمل به ومن شاء تركه . وما بقي باب للإنكار إلاّ سوء الظنّ بهم وحملهم على الرياء ، وذلك لا يجوز شرعاً ، فمن جعل علم التصوف علماً مستقلاً صَدَقَ ، ومن جعله من عين أحكام الشريعة صَدَقَ ، لكن لا يَشْرَفُ على ذوقِ أنَّ علم التصوّف تفرّعُ من عين الشريعة إلاّ مَنْ تبحّر[2] في علم الشريعة حتى بلغ إلى الغاية .

وبالجملة فما أنكر أحوال الصوفية إلا من جهل حالهم . « طبقات » . فويل لقاصر النظَر على جرأتهم ، حيث ينسبون قصورهم إلى الغير .

لو عابهم قاصر طع ناً بهم سفهاً ... برِأتْ ساحتهم عن أفحش الكلم
هل يقطع الثعلب المحتال سلسلة ... قيّدت بها أسد الدنيا بأسرهِم

وويل لهم ألف مرة على تعصّباتهم الباردة وأنظارهم الفاسدة ، يَنفون ما وراء معلومهم ، ويجعلون ما لم يثبت عندهم منفيّاً . « الطبقات الكبرى » عبارته . ومنه :

تركنا البحار الزاخرات وراءنا ... فمن أين يدري الناس أين تَوَجَّهْنَا

انتهى .

---

(١) فأنتم تبيّنون الصرائح ، ولا بد لكم من ذلك ! انتهى . (ببلات) .
(٢) يكفي لكم هذا القول . انتهى . (ببلات) .

ومنه أيضاً :

ولا أحد يصطاد عنقاء فاسترح وإلاّ تكون حال الفخ دائماً

انتهى . فلله درّه .

ثم إن العبد إذا دخل طريق القوم وتبحّر فيه ، أعطاه الله تعالى هناك قوّة الاستنباط ؛ نظير الأحكام الظاهرة على حدّ سواء ، فيستنبط في الطريق واجبات ومندوبات ، وآداباً ومحرمات ومكروهات وخلاف الأولى ، نظير ما فعله المجتهدون ، وليس إيجاب مجتهد باجتهاده شيئاً مما لم تصرّح الشريعة بوجوبه أولى من إيجاب وليّ الله تعالى حكماً في الطريق لم تصرّح الشريعة بوجوبه .

وإيضاح ذلك : أنهم كلّهم عدول في الشرع ، اختارهم الله تعالى لدينه ، فمن دقّق النظَر علم أنه لا يخرج شيء من علوم أهل الله تعالى عن الشريعة ، وكيف يخرج علومهم عن الشريعة ؟ ! والشريعة هي وُصْلَتهم إلى الله عزّ وجلّ في كل لحظة . ولكن أصل استغراب من لا له إلمامٌ بأهل الطريق أنّ علم التصوف من عين الشريعة ، كونُه لم يتبحر في علم[1] الشريعة ، ولذلك قال الجنيد رحمه الله تعالى : علمنا هذا مشيّد بالكتاب والسنة ردّاً على من توهّم خروجه عنهما في ذلك الزمان أو غيره . « طبقات » عبارته . وقال القشيري : لم يكن عصر في مدَّة الإسلام وفيه شيخ من هذه الطائفة إلاّ وأئمة ذلك الوقت من العلماء قد استسلموا لذلك الشيخ ، وتواضعوا له ، وتبرّكوا به[2] ولولا مزيّة وخصوصيّة للقوم لكان الأمر بالعكس .

---

(١) فبارك الله لكم في هذا الأصل الذي أنتم فيه . خطاب للمنكرين . (ببلات) .
(٢) فتبرّكوا أيها العلماء كما تبرك من قبلكم . انتهى . (ببلات) .

قلت : ويكفينا للقوم مدحاً إذعان الإمام[1] الشافعي ﷺ لشيبان الراعي . كان يجلس بين يديه كما يقعد الصبي في المكتب ، ويسأله كيف يفعل في كذا وكذا ، وإذعان الإمام أحمد بن حنبل لشيبان كذلك ، وإذعان أبي العباس للجنيد ، وقد كان الإمام أبو تراب النخشي أحد رجال الطريق ﷺ يقول : إذا ألف العبد الإعراض[2] عن الله تعالى صحبته الوقيعة في أولياء الله تعالى . « طبقات الكبرى » عبارته .

هيهات هيهات ! ! قد اندرس علم الدين بتلبيس العلماء السوء ، فالله المستعان ، وإليه الملاذ في أن يعيذنا من هذا الغرور الذي يسخط الرحمن ويضحك الشيطان . « إحياء » عبارته .

كان الفتوى والعمل على الفقهاء ، والعارفون تبعهم قبل القرن العاشر ، ثم بعده فالعمل والفتوى على العارفين ، والفقهاء تبعهم[3] للآية الكريمة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ ولخبر ورد في المعرفة « وأعرِّفه سري الذي أسررته على خلقي » . « كنز الدرر » عبارته .

ثم إذا وصل العبد إلى معرفة الله تعالى فليس وراء الله مرمى ولا مرقى بعد ذلك ، فهناك يطلع كشفاً ويقيناً على حضرات الأسماء الإلهية ، ويرتفع الخلاف عنده في جميع مذاهب المجتهدين .

---

(١) وأيّ اعتبار في إنكاركم مع هذه الإذعانات من هؤلاء الأكابر ؟ ! (منه) .

(٢) فإن لم تبكوا ، فتباكوا على هذا القول أيها المنكرون . انتهى . (هامش الأصل) .

(٣) لأنّ من كان على بصيرة لا يتطرّق إليه تهمة ، لأنه ليس عن فكر ولا نظَر ، فعلمهم لا يزلزله تجدّد نظَر ، إذ هو حقّ اليقين . فلا علم إلا ما كان عن كشف وشهود ، لا عن نظَر وفكر . « الأنوار القدسية » . وهو مشهد ذوقي لا يدركه إلا أهله . « طفل المعاني » . وعلماء الظاهر قاصرون في دركها . « مكتوبات » . والفرق واضح بين منٍ علم وجود النار بوجود الدخان ، ومن علم وجود النار برؤية الدخان ، فإن هناك علماً بالدليل ، وهنا رؤية الدليل ، أي معناه : إن اليقين الثاني أتمّ من اليقين الأول لقوّة دليله . (ببلات رحمه الله آمين) .

والله تعالى يقذف في سرّ خواص عباده ما لا يطّلع عليه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل . « إحياء » عبارته .

فقد أفلح المصدقون وخاب المستهزؤون . « طبقات الكبرى » عبارته .

وبغية طلبة العلم كثيراً الاعتراض على الذاكرين ، ويقولون : الاشتغال بالعلم أفضل ، ولا يتأمّلون المراد من العلم ماذا ، وأيّ غرور فوق هذا . « أنوار القدسية » .

وتعصّبات الفقهاء على الفقراء لم تزل من عصر ذي النون المصري وأبي يزيد البسطامي ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ ، ﴿وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا﴾ فأعاذنا الله تعالى من صحبة أهل الوقيعة فيهم ومجالستهم ، كما قال سيّدنا علي الخواص : **إياك أن تصغي لقول مُنكِر على أحد من طائفة العلماء ، فتسقط من عين رعاية الله تعالى وتستوجب[1] المقت من الله** . « طبقات الكبرى » عبارته . فالأدب الوقوف عن تكفير أهل الأهواء والبدع ، والتسليم للقوم في كلّ شيء قالوه مما لا يخالف صريح النصوص . انتهى كلام السبكي . « طبقات الشعراني » عبارته .

ويجب الإطاعة لإولياء أمة محمد ﷺ لقوله تعالى ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ لأنّ المراد من أولي الأمر في الحقيقة هم الأولياء المرشدون . « سلسلة الأرواح » .

[و]إن كنتم لا تعملون كلام الأولياء ، و[تقولون] : لايصحّ العمل به ؛ فلِمَ تعملون في فضائل الأعمال بقراءة أبيات كذا وكذا ، لنيل فضيلة كذا وكذا ؟ ! ذكرها[2] في « شرح البردة » و« شرح نظم أسماء الله الحسنى »

---

(١) ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ والله خبير بما يصنعون .
(٢) أي : الأبيات .

ونحوهما ، وما دليلكم لذلك ؟ ! والحال أنّ تلكم الأبيات حادثة بعد زمن النبي ﷺ وزمن الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين ، ومن أخبرهم بذلك وهل نزل بهم وحي به ؟ ! انتهى .

ليس علم المذكورات وأمثالها إلا بإخبار الأئمة الأخيار والأولياء الأبرار ، وكرامات الأولياء حقٌّ صادق يجب الاعتقاد به ، ولا تنكروا على ما نقل عنهم . « فتاوى الچخي » عبارته .

ثم إن كنتم - ولا بُدّ - منكرين للأولياء والعارفين فتفكّروا في آيات الله ﴿ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ من أهل العلوم الظاهرة بالعلم ، ويباهون به العلماء ، ويمارون به السفهاء ، لا تتزكى أنفسهم بمجرّد تعلم العلم ، بل تزيد صفاتهم المذمومة مثل المباهات والممارات والمجادلة والمفاخرة والكبر والعجب والحسد والرياء وحبّ الجاه والرياسة وطلب الاستيلاء والغلبة على الأقران والأمثال ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ التزكيةَ ، ويتهيّأُ لها بتسليم النفس إلى أرباب التزكية ، وهم العلماء الراسخون والمشائخ المحققون ، كما يسلم الجلد إلى الدباغ ليجعله أديماً .

والمزكّي هو النبي ﷺ في أيام حياته كما قال تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ﴾ الآية ، وبعده هم العلماء الذين أخذوا التزكية ممن أخذوا منه ، قرناً بعد قرن من الصحابة والذين اتّبعوهم بإحسان إلى يومنا هذا[(١)] . « روح البيان » عبارته .

وكان شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رضي الله عنه يقول : الاعتقاد إن لم ينفع ، لا يضر ، والفقيه إذا لم يكن له إلمام[(٢)] بطريقة القوم ، [وملاحظهم ، واصطلاحهم ، ومؤاخذاتهم ، فهو جاف] . « الأنوار القدسيّة » .

---

(١) فهل المفسّر في هذه الآية على ضلالة وأنتم على هداية ، فالإنصاف ثم الإنصاف . (القاضي ببلات رحمه الله تعالى) .

(٢) وألمّ الرجل بالقوم إلماماً : أتاهم فنزل بهم ، ومنه قيل : ألم بالمعنى ، إذا عرفه ، وألم بالذنب ، إذا فعله ، وألم الشيء ، إذا قرب . « م ص » .

وكلمات أولياء الله تعالى مقتبسة من مشكاة الحقيقة المحمدية ﷺ ، فكما أن تعظيم القرآن والحديث النبوي واجب على عامة الأمة ، كذلك تعظيم كلام أولياء الله تعالى لازم أيضاً . « طبقات » .

فما بقي وجه الإنكار إلا على مواجيدهم وأفهامهم ، وتلك أمور لا تعارض شيئاً من صريح السنة ، والأمر في ذلك سهل ، **فمن شاء فليصدّقهم ويقتدي بهم كمقلدي المذاهب ، ومن شاء فليسكت ولا ينكر لأنهم مجتهدون في الطريق ، والمجتهد لا يقدح إنكاره على مجتهد آخر** . « طبقات الشعراني » عبارته . وأحوالهم من وراء النقل[1] والعقل ؛ ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ . « أنوار القدسية » . ولا ينكر على الفقراء إلا محرّماً[2] مجمعاً على تحريمه . « حديقة الندية » و« بغية » عبارته .

فكما يقال : إنّ جميع ما رواه المحدّثون بالسند الصحيح المتّصل ينتهي سنده إلى حضرة الحقّ جلّ وعلا ، فكذلك ينبعي أن يقال فيما نقله أهل الكشف الصحيح من علم الحقيقة ، وذلك ؛ لأنّ جميع مصابيح علماء الظاهر والباطن قد اتقدت من نور الشريعة ، ولا شكّ عندنا في ذلك . « ميزان الشعراني » عبارته ٣٥ .

ومن تمسّك بأذيالهم أفلح وأدرك ، ومن قابلهم بالاعتراض انقطع وهلك . « إبريز » عبارته .

مُهِمٌّ

فإنه ما ثَمَّ لنا دليل واضح يردّ كلام أهل الكشف أبداً لا عقلاً ولا نقلاً ولا شرعاً ، لأنّ الكشف لا يأتي إلا مؤيداً بالشريعة دائماً ، إذ هو إخبار بالأمر على ما هو عليه في نفسه ، وهذا هو عين الشريعة . « ميزان الشعراني » عبارته ٢٤ .

---

(١) فانتهى القيل والقال على هذا القول بلا امتراء .

(٢) فبينوا لنا الإجماع أيها المنكرون . (هامش الأصل) .

وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى أيضاً يقول : لا يكمل مقام العالم عندنا في العلم حتى يردّ سائر أقوال المجتهدين ومقلديهم في سائر الأَدْوار إلى الكتاب والسنة ، ولا يصير عنده جهل بمنزع قول واحد منها لو عرض عليه ، وهناك يخرج عن مقام العوام ، يستحقّ له التلقيب[1] بالعالم ، وهو أوّل مرتبة تكون للعلماء بالله تعالى . « ميزان الشعراني » عبارته ٥٩ . **والعاميّ ليس من مرتبة الإنكار على العلماء لأنه جاهل** . « ميزان الشعراني » عبارته ٥٩ .

وكما حرّم العلماء على الرعيّة الطعن على إمامهم الأعظم إلا بدليل واضح كالشمس ، فكذلك يحرم على المقلّدين الاعتراض والطعن على أئمّتهم في الدين إلا بنَصٍّ واضح لايحتمل التأويل . « ميزان الشعراني » ٥١ .

معنى الرابطة

والرابطة عبارة عن المحبّة . « فتاوى عمريّة » . والمحبة يربط قلب[2] المحب بالمحبوب فيحصل الارتباط الروحاني بينهما ويستفيض الأرواح . (منه)[3] . وفي الحديث « أفضل الأعمال الحبّ في الله والبغض في الله » .

و الشيء إنما يكون شيئاً بماهيّته ، وليس للرابطة ماهيّة عندنا غير هذا ، ولا غرض لنا بها إلا هذا .

---

(١) ويستحقّ التلقيب علّه

(٢) كأنه حاضر معهم وناظر إليهم على مقتضى ﴿كُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ أي جسماً إن أمكن ، أو روحا إن لم يمكن ، والمحبة عبارة عن توجّه القلب ومَيْله نحوَ المحبوب . « فتاوى عمرية » . (هامش الأصل) .

(٣) أي : « فتاوى عمرية » .

واحضر قلبك[١] النبيّ وشخصه الكريم ، ثم قلْ : السلام عليك أيها النبي .

ومطلق إحضار صور الأولياء في الصلاة لأجل جلب الخشوع والحضور مطلوب مرغوب مشروع ، وكيف لا يجوز ذكر الصالحين وتذكّرهم وتفكّرهم ؟ ! مع أنّا مأمورون به في قوله تعالى ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ . وإذا غلب على الذاكر التفكر الغير المشروع في الله تعالى يصرف باله نحو نائبه وخليفته تعالى فيأمن منه ، **فهذه من جملة فوائد الرابطة** .

وفي الحديث « عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة » . وفي الحديث : « كن مع الله ، وإن لم تكن ، فكن مع من كان مع الله ، فإنه يوصلك إلى الله إن كنت معه » . « خزينة الأسرار » .

وإذا كان التفكر في آلاء الله تعالى ، وفي خلق السموات والأرض جائزاً ومرغّباً فيه ، فكيف لا يجوز ذلك في أفضل خلق الله ، وأشرف الأمة محمدٍ ﷺ ، وخلفائه وأتباعه الكاملين الذين هم نجوم الهدى في الدين ؟ !

وكيف لا تخافون من الله تعالى أن تحكموا بأنَّ الرابطة على الأنبياء والأولياء الذين هم محلّ اقتباس الفيوضات الإلهية شركاً أو حراماً . حسبنا الله ونعم الوكيل ، فقد اتفق أهل المذاهب الأربعة على جواز التوسل بالأنبياء والأولياء أحياءً وأمواتاً . « فتاوى عمرية » عبارته .

وقد قال الغزالي في « الإحياء » في باب ما ينبغي الاستحضار في أركان الصلاة : واحضر[٢] في قلبك النبي وشخصه الكريم ، وقل : السلام عليك . « فتاوى عمرية » عبارته .

---

(١) ويمثله بين عيني قلبه (منه) لعلّ هذا في التشهّد .

(٢) وإذا جاز هذا التذكر في الصلاة ، فما بالكم في غيرها أيها المؤمنون . (هامش الأصل) .

وهو أمر لا يتصوّر جحوده إلا ممّن كتب الله تعالى في جبهته الخسران واتّسم - والعياذ بالله - بالمقت والحرمان ، لأنه إن كان ممن يعتقد بالأولياء فقد صرّحوا بحسنها وعظم نفعها ، بل واتفقوا عليها ، كما لا يخفى على من تتبّع كلماتهم القدسية ، واستنشق نفحاتهم الأنسيّة ، وإلا فلا بدّ أن يعتقد بكلام أئمة الشرع وأساطين الأصل والفرع ، فقد قال بها من كلّ مذهب من المذاهب الأربعة أئمةٌ تصريحاً وتلويحاً .
فالرابطة أفضل الوسائل لأنه إما النبي ﷺ ، وإما النائبون منابه ، وقال الله تعالى ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ ففيه إشارة إلى الرابطة ، لأن الاتباع يقتضي رؤية المتبوع حساً أو تخيّله معنى ، وهو غرضنا من الرابطة ، وإلا فلا يُعدُّ اتباعاً .

مهمّ جدّاً

وأما السنة فقد ذكر البخاري أن سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه شكا للنبي ﷺ عدم انفكاكه ﷺ عنه ، حتى في الخلاء ، أي بحسب الروحانية ، وكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه يأخذه الحياء منه ﷺ . « بهجة السنية » ٤٤ .

ونسبة هذه الطائفة النقشبندية إلى الصديق الأكبر الذي هو أفضل البشر المبشَّر بالجنة ، وأجلسه الصحابة مكان النبيّ بعده ، وخلق من طينته ، وقُبِرَ عند قبره ، فإذا رموه بالكفر والضلالة فما ذا يقال لهم ، وكيف أجلسوا مكانه ضالاً ومضلاً ؟ ! وماذا أكتبُ زيادة على ذلك . رزق الله سبحانه لهؤلاء المنكرين الإنصاف حتى يكفّوا ألسنتهم عن الطعن في أكابر الدين .

ولا أقول لكم أيها المنكرون أنكم لا تعلمون ما علمنا ، وأنتم جهلاء منّا ، وليس لنا مع كل أحد من المسلمين سوء ظنّ ، وحقد ، فضلاً مع أمثالكم ، بل أنتم تنسبون إلينا الجهل والفجور ، ومقصودكم بذلك

إيقاع الخصومة والاختلاف بين أتباع الشيوخ ، وإيساءة ظنونهم في حقّ شيوخهم ، ولا عيب عليكم إلا إفشاء هذا الاختلاف بين الخلق[1] ؛ فانتهوا - رحمكم الله - عن هذا المقام لعلكم ترحمون .

وليس غرضنا منكم ، ومن غيركم ، ومن كتبة هذه السطور إلا قطع الفتن من بين الخلق ، ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ﴾ ، ولا يخفى الضمائر والسرائر ، وأنتم تظهرون أقوال المنازعين الضالين قبلكم[2] ، وتكتمون جوابهم من الصادقين السالفين .

وقد أدخلتم نفوسكم في زمرة المعترضين السابقين بلا باعث ولا طائلٍ ، و لا تنهون عما لا يعنيكم ، وتظنون أنكم تحسنون صنعاً جميلاً : ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ ، ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡ﴾ ، هذا والسلام (وأنا الحقير القلزمي القاضي الضروري ببلات) .

والسنة لإثبات الرابطة ؛ فقد ذكر البخاري أن سيدنا أبا بكر ﷺ شكى إلى النبي ﷺ عدم انفكاكه عنه [حتّى] في الخلاء ، أي بحسب الروحانية ، وكان يأخذ الحياء منه . « البهجة السنية » عبارته .

وخبر البيهقي أنه تعالى قال ليلة الإسراء « يا محمد ، سل تعط » فقال : « يا رب ، إنك اتخذت إبراهيم خليلاً ، وكلمتَ موسى تكليماً ، فقال « ألم أعطك خيراً من هذا واتخذتك حبيباً ، فكان قاب قوسين أو أدنى » . « فتح المبين » عبارته ١٧ .

وقال النبي ﷺ « ألا وأنا حبيب الله ولا فخر » . « فتح المبين » عبارته ١٦ .

---

(١) وسدّ طرق السالكين سبيل أهل الله . (هامش الأصل) .

(٢) وتعصبات الفقهاء على الفقراء ، التي لم تزل من عصر ذي النون المصري وأبي يزيد المسطامي . (منه) .

وقال آدم : يا ربّ أسألك بحق محمد إلا ما غفرت لي ، قال الله تعالى « صدقت يا آدم ، إنه لأحب الخلق إليّ ، وإذا سئلتني بحق محمد قد غفرت لك » . « منح المكية » عبارته .

و الله تعالى يحبّ التوابين والمتطهرين والصابرين والمحسنين والمتقين والمقسطين ، وما المانع لنا من حبّهم .

واعلم أن أفضل الأعمال وأشرفها وسيلة هو محبة نبينا محمد ﷺ ، فإنها سبب لكلّ خير دنيوي وأخروي ، وحينئذ فعليك أن تكون ممّن امتلأ قلبه بحبّ النبي ﷺ . « منح المكية » .

وقال النبي ﷺ « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من نفسه ، وأبويه ، وأهله ، وولده ، والناس أجمعين » وفي حديث آخر « الآن كمل إيمانك يا عمر » حيث قال عمر : يا رسول الله ، إني أحبك من نفسي ، وقال ﷺ « من أحبني فقد أحب الله ، ومن أطاعني فقد أطاع الله ، والمرء مع من أحب » . وقال ﷺ « لي وقت لا يسعني فيه غير ربي » وعلى المرء أن يحبّ النبيّ ويتّبعه ، ويتّبع أولياء الله تعالى . « روح البيان » عبارته .

« كل المسلم على المسلم حرام ، عِرضه وماله ودمه » . « فتح المبين » عبارته . وفيه أيضاً بلفظ حديث : « لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً » أي : تعاونوا وتحابوا فيما بينكم . « فتح المبين » عبارته . وأما محبة الصالحين سواهم ، فزين في الدنيا ونور في الآخرة . « مظهر » .

والرابطة عندنا محبة الأولياء والعارفين ، وربط قلوبنا عليهم ، وتخيّل صورهم برهة قليلة ، كأنهم عندنا ونحن عندهم ، ثم محبة النبي ﷺ ، وربط قلوبنا عليه وتخيّله كذلك ، ثم النظر إلى القلوب بترك التخيل المذكور ،

وذكر الله تعالى بالقلب بالتفكر ، ليس إلاّ . فبعد أن ثبت هكذا ؛ أولاً محبة الله لرسوله بإتخاذه حبيباً ، ومحبة الرسول لربه تعالى ثانياً بحديثه ، ومحبة الصديق لرسوله ثالثاً ، بحيث لا ينفكّ عنه حتى في الخلاء بفنائه فيه ، وبعد أن ثبت عن النبي ﷺ بوقوف محبة الله تعالى على محبته ، ووقوف كمال الإيمان على محبته بحديثه .

وكذا بعد أمره[1] ﷺ بمحبة عباد الله بقوله « وكونوا عباد الله إخوانا » أي بتعاونهم وتحابّهم ، فتُدخِلوا محبّتنا هذا في البدعة المذمومة ، كيف تُدخِلونها ؟ ! فليس في رابطتنا شيء أحدثناه واخترعناه إلا هذه المحبة المذكورة التي هي أفضل الأعمال ، ولا بأس لنا ببدعتكم إياها ، ولا لنا إلا اقتداء ربّنا ورسولنا في قولنا ولا في فعلنا هذا ، والحمد لله على ذلك ، غير إن كنتم تعلمون معنى الرابطة غير هذا وكيْفيتها دونها ، وتدخلونها في البدعة المذمومة ، وتظنون أنها رابطتنا ، فبيّنوه لنا ، لا عيب عليكم ، فوالله العظيم لا أريد أن أكون من المبتدعين الضالين ، وليس لنا رابطة غير هذا ، وإلا فالسلامة لكم في السكوت .

وإن كنتم تطلبون لمحبة الله تعالى ورسوله والصالحين دلائل سمعية غير هذه الأدلة ، ولا تكتفون بهذه الأدلة ، لاجرم تحتاجون لغيرها إلى الأدلة من الكتب الأربعة ، ومن يطيقها لا فائدة في الكلام معكم ، فماذا نقول لكم وماذا تقولون ، اللهم اسقنا الغيث[2] ولا تجعلنا من القانطين ، واغفر لنا من تضييع الوقت بطول الكلام بعد علم الحقيقة . ولو لم يكن لكم عناد لكنتم صامتين ، وعن الغيبة معرضين ؛ أو كنتم تريدون علم حقيقة الطريقة والرابطة لذهبتم لدى من في يده زمامها ، كما هو دأب غير

---

(١) وقوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ أي : بعد أمره تعالى باقتداء المهتدين ، وكذا بالإتباع بهم بقوله ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ ﴾ . والخ والخ .

(٢) من قلوب المشائخ . (هامش الأصل) .

المعاندين غيركم ، وأيّ عناد وحسد أعظم من إنكار ما نقله أهل الكشف الصحيح الذين يغترفون أقوالهم من عين الشريعة الأولى ، ونسبتِهم إلى ضلالة وكفر ؟ ! يغفر الله لي ولكم أجمعين (وأنا الحقير القلؤمي القاضي الضروري ببلات) .

واعلم أنك عاجز عن الإحاطة بفهم كلام جنسك من البشر ، فكيف لا تعجز عن فهم كلام رب العالمين ؟ ! **فلا ينبغي أن يفسر كلام الله تعالى إلا كُمَّلُ ورثة الأنبياء عليهم الصلاة السلام المبرئين من الهوى ومتابعته** ؛ تسلم[1] من الشكوك والظنون والأوهام والدعاوى الكاذبة المضلّة عن الهدى وحقائقه . « أنوار القدسية » عبارته .

ونظرهم لحقائق الأمور ترى . .

للمخمِّس شعيب أفندي الباكني قدس سره ، لا لظاهر معاني الألفاظ ؛ لأنها من العلوم الرسمية المجازية لا الحقيقية ، لأن العلوم عندهم ما لم يسبق إليها أحد سوى الله تعالى ، تدبّر ؛ ولا تعجلوا أيها العلماء المجازيون الذين ينكرون حقائق المعاني للكتاب والسنة الأصول . . إلخ . (منه) .

فإن كنتم مقلّدين فدليلكم قول المجتهد ليس إلا[2] ، وإن كنتم مجتهدين بزعمكم وتبطلونها[3] ولا تجيزونها ، وتخالفون المجتهدين الماضين فتلك رحمة للعالمين ، ولا يختصّ العمل باجتهادكم ، فما ذا حصل بإنكاركم[4] ، فلستم متبحّرين فضلاً [عن] مجتهدين ، ولستُمْ أتقياء فضلاً [عن] أولياء ، بل أنتم ونحن مقلّدون ، بل من بينهم مقصّرون ، ونحن وأنتم شهود لذلك ، فالسلامة لنا ولكم في السكوت والخروج عن

---

(١) وأنتم تقعونها فإنا لله . (هامش الأصل) .

(٢) ومجتهدوا الطريقة يثبتونها ، وأئمة الشرع كذلك . (منه) .

(٣) أي : الرابطة . (هامش الأصل) .

(٤) ومع أن المجتهد لا ينكر على مجتهد . « ميزان الشعراني » عبارته .

الغيبة المذمومة ، وإعطاء القوس إلى أربابها : ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ ، وليس علينا إلا اتباع[1] أقوال المجتهدين[2] والعارفين ، وإذا جاء الصواب ذهب الجواب . والسلام على من اتبع الهدى . انتهى ما كتبه ذلك العالم الفقيه الصوفي ببلات[3] ، رزقه الله الاستقامة والتوفيق آمين .

وقد كان قد ذكر هاهنا أقوال العلماء من المذاهب الأربعة في إثبات استحسان الرابطة الشريفة ، مع بيان الكتب ، لكن لما كنت بسطت الكلام

---

(١) والبكاء على علمنا بلا عمل منا . (هامش الأصل) .

(٢) أهل الظاهر والباطن . (هامش الأصل) .

(٣) وله تقرير نفيس باللغة العجمية ، والفقير على قصد إلحاقه في زيل الكتاب إن شاء الله تعالى . (منه) .

* **فإن قلت** : فما المراد بحديث ؟ « إن لله عباداً ليسوا بأنبياء يغبطهم النبيون بمقامهم وقربهم من ربهم » . **فالجواب** : المراد بهم أرباب العلوم ، وأرباب السلوك الذين اهتدوا بهدي أنبيائهم ، ولكن ليس لهم اتباع لعلوّ مقامهم ، فهم مستريحون يوم القيامة ، لا يحزنهم الفزع الأكبر ، ولا يخافون على أنفسهم لما عندهم من الاستقامة ، ولا على غيرهم لأنهم ليس لهم اتباع ، ذكره الشيخ في الباب المذكور أيضاً . « يواقيت » . عبارته ٢٣٨ ج٢ .

والفرق بين علماء الكلام والعارفين أن المتكلم تغيب عنه علومه بالذات والصفات في أكثر الأوقات ، فلا تدوم له تلك الأحوال ، ولو دامت لكان من العارفين ، لأنه يشاركهم في العرفان الموجب للأحوال الموجبة للاستقامة . **وكيف يساوى بين العارفين والفقهاء ؟! والعارفون أفضل الخلق وأتقاهم لله تعالى** . والله سبحانه وتعالى يقول ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ ومَدْحه تعالى في كتابه للمتقين أكثر من مدحه للعالمين ، والعارفون هم المراد في قوله عز قائلاً ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ دون العلماء بمجرّد الأحكام ، لأن الغالب عليهم عدم الخشية . انتهى « فتاوى الحديثية » عبارته ٩٤ .

وممّا يدلّ على فضلهم ؛ أي : العارفين على الفقهاء ما تكرّم الله به عليهم من الكرامات الخارقة للعادة ، ولايجري شيء من ذلك على أيدي الفقهاء ، إلا إن سلكوا طريق العارفين واتّصفوا بأوصافهم : « وما سبقكم أبو بكر بصوم ولا صلاة ، ولكن بشيء وقر في صدره » . « فتاوي الحديثية » ٩٥ .

من قبل لم أُكرّرْ هَاهنا ، فالحمد لله الذي أوْجَدَ في عصرنا هذا مثله ، أطال الله بَقَاءَهُ ، وجزاه الله عن المسلمين خيراً ، آمين . فهذا والسلام وأصيكم بالدعاء . اللهم ربنا لك الحمد كما يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك ، اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ، ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله وصحبه حقّ قدره ومقداره العظيم .

وممّا كتبه ذلك العالم ببلات القلزمي – أبلّ الله مرقده بلطفه الخفي – هذه العبارات الآتية قال رحمه الله :

أوليس الوصول إليه تعالى بالهبوط والصعود ، بل يكون العبد في التوجه إليه تعالى فانياً [1] عما سواه . « تحفة الأحباب الخالدية » .

وفلاح[2] الدنيا هو الوصول إلى الله تعالى . « تحفة الأحباب » . ٤ . ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ، ويراعيه ، ويترصد لما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه ، فهو ممّن قال الله تعالى ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾[3] . « إحياء » .

واعلم أن حفظ القلب عن دخول الخواطر ولو ربع ساعة أمر عظيم عند الصوفية ، لأن من قدر على ذلك فقد تصرف ، لأنّ التصرف هو

---

(١) وذلك الفناء بالرابطة ، وبالوقوف القلبي ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ؛ من ذاق يدري ومن لا فلا ، وقال تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ .

(٢) فأهل الرابطة هم المفلحون ، يعني : أن الرابطة وسيلة الفناء في الشيخ ، وهي مقدمة الفناء في النبي عليه السلام ، والفناء فيه عليه السلام مقدّمة الفناء في الله والبقاء بالله ، ومن فاز بهذا فقد فاز بالوصول والمشاهدة ، وأفلح . فافهم . (قحي) .

(٣) وبالرابطة نجاة من الفسق ، يعني : أن الرابطة سبب الغيبة والذهول ، فإذا حصل له الغيبة عما سوى الله يحصل له النجاة عن الفسق ، فتدبر . (قحي رحم الله إفلاسه آمين) .

القدرة على حفظ القلب عن دخول الخواطر فيه ، وتعطيله عن الأفكار ، فمن قدر على هذين الأمرين فقد عرف[1] حقيقة قلبه ، ومن عرف حقيقة قلبه فقد عرف ربّه ، كما قال ﷺ « من عرف نفسه فقد عرف ربه » . « البهجة السنية » .

وحماية القلب عن وساوس الشيطان واجب ، وهو فرض عين على كل مكلّف ؛ وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . « إحياء » .

ومن داوم على المراقبة يحصل له دوام جمعية[2] الخاطر ، ودوام قبول القلوب ، ويقال له في اصطلاح الصوفية : الجمع والقبول . « جامع الأصول » عبارته .

والجمعية : اجتماع الهمم في التوجّه إلى الله ، والاشتغال به عما سواه . « جامع الأصول » عبارته .

واعلم أن المراقبة أصل كلّ خير وسعادة ونجاة ، ولا يصل العبد إلى مقام المراقبة إلا بعد محاسبة نفسه على ما مضى ، وإصلاح[3] وقته الحاضر . « جامع الأصول » عبارته .

---

(١) وبالرابطة معرفة قلبه وحفظه ، ولاَزَمه مذكور ، وثبت بهذا أن معرفة القلب بحفظ القلب عن الخواطر المتحقق بالوقوف القلبي ؛ وبمعرفته تحصل معرفة الله ، تدبر . (قحي) .

(٢) والرابطة عين الجمعية المذكورة ، يعني : أن الرابطة سبب الحضور وجمعية القلب مع الله بالغيبة والذهول عما سواه تعالى ، فتدبر . (قحي) .

(٣) وبهذا ثبت أن تحقّق المراقبة المفسر به بالإحسان الصادر من فم الرسول بتحقق الرابطة الشريفة (أي : بحديث : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه » . . وإلخ . « قحي ») ، لأنّ بها إمساك القلب عن الغفلات الذي به إصلاح وقته الحاضر ، ولأن الغفلة والمراقبة لا يجتمعان في القلب ، فطرد الغفلة بالرابطة مقدّم على مراقبة الله تعالى . (هامش الأصل) .

والحضور وسيلة إلى المراقبة . « فتاوى عمرية » . والرابطة[١] تجرّ إلى مراقبة ربّه . « جامع الأصول » عبارته .

ومآل معاني القرآن كلها إلى شيئين[٢] : حفظ آداب العبودية ، وتعظيم حقّ الربوبية . « جامع الأصول » . عبارته .

فكيف[٣] يشرق قلب مَنْ صُوَرُ الأكوان منطبقةٌ في مرآته ، أم كيف يرتحل إلى الله وهو مكبّد بشهواته ، أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهّر من جناب غفلاته ؟ ! « جامع الأصول » عبارته .

واعلم أن مخالفة[٤] النفس ، ومدافعة مرادها فرض عين ، وجهاد عظيم ، وأمر فخيم ، قال تعالى :﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ إلخ . وبالجملة : فبمقدار أجنبيّته عن نفسه تحصل معرفته[٥] بربّه . « جامع الأصول » عبارته .

وقد كان[٦] السلف يجتهدون في قطع الخلائق ، ورفع الشواغل والعلائق عن القلوب ، وفي تفرّغ القلب عن عوائقه ينتهي[٧] بفطرته إلى محبّة خالقه . « جامع الأصول » عبارته ؛ لأن التعطيل في حقّ القلب مفقود ، فإذا سدّ عليه طريق ما سوى الله فلا جرم يتوجّه إلى المطلوب . « رسالة » عبارته .

---

(١) فالرابطة وسيلة إلى المراقبة . (هامش الأصل) .

(٢) وكلاهما في الرابطة . (هامش الأصل) .

(٣) وقد ثبت في الوجه التاسع أن الغفلة معصية ، بل هو أصل الخطيئات ، وإذا ثبت أن الغفلة أصل الخطيئات فالرابطة المذهبة للغفلة أصل الحسنات . (هامش الأصل) .

(٤) ففي الرابطة مخالفة النفس . (هامش الأصل) .

(٥) فبالرابطة معرفة الربّ ، لأن بها مخالفة النفس . (هامش الأصل) .

(٦) فنحن على إثرهم بالرابطة . (هامش الأصل) .

(٧) وبالرابطة ينتهي القلب بفطرته الأصلية إلى محبّة خالقه ، لأن بها فراغ القلب عن العوائق . (هامش الأصل) .

وليس[1] **من العبادة شيء أنفع من إخلاص القلب عن الخواطر** . « جامع الأصول » عبارته .

وقال تعالى ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ وعلامة السلامة من ذلك نسيان[2] السوى ، فما دام له شعور بالغير فبعيد عن السلامة وقريب من الوقوع في الضيْر ، فمن سلّم أمره لمولاه فلا بد له من السعي حتى يتشرف بسلامة القلب والدخول في الرضوان . « جامع الأصول » عبارته .

والغفلة معصية ، بل هو أصل الخطيئات فلا بدّ من الملاحظة[3] **لإحاطة الألوهية وعظمته في كل وقت وحين** . « جامع الأصول » عبارته .

فإنَّ لكل وقت سهماً في العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية . « جامع الأصول » عبارته ٤٣ .

وصلاح[4] **القلوب ساعة أفضل من عبادة الثقلين** . « جامع الأصول » عبارته .

وقال الحصرمي : جلسة[5] خير من ألف حجة ؛ أراد جلسة بجمع الهمّ بوصف الشهود خير من ألف حجة بوصف الغيبة . « جامع الأصول » عبارته ١٢٤ .

---

(١) فالرابطة تخلص القلب عن الخواطر ، وتفرغه عن العوائق ، وتوصله إلى المطلوب ، فهي مفتاح الحضور الذي هو روح العبادة ، والمعبر عنه الإحسان ، وبها عبادة الرحمن على طريق الإحسان . (هامش الأصل) .

(٢) وبالرابطة نسيان السوى ، وسلامة القلب والسعي له . (هامش الأصل) .

(٣) وتلك الملاحظة بالرابطة ، فيا بشرى من أدى حق الله تعالى في كل الأوقات . (هامش الأصل) .

(٤) فبالرابطة صلاح القلوب . (هامش الأصل) .

(٥) وجلسة الرابطة عين هذه الجلسة . (هامش الأصل) .

فحجاب[١] النفس عن كمالاتها العلمية إنما هو اشتغالها بالأمور البدنية والقوى العنصرية ، فحينئذ لا بدّ لمن أراد أن يعرف نفسه ويشاهد أنوار ربّه أن يجرّد نفسه عن التعلّق بالقوى البَدَنيّة ، والتقييد بالحواس الجسمانية . « جامع الأصول » عبارته ١٥٦ .

وإذا تذكّر القلب باطلاع الربّ[٢] أناب ، وقال تعالى :﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ ﴾[٣] « طهارة القلوب » عبارته .

والمجاهدة[٤] : منع النفس عن المألوفات وقال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ وعلاج[٥] النفس هو كفّها عما تريده من النقائص والغفلات حتى لا تقع فيه ، وتطهرها عما وقعت فيه حتى يزول . « جامع الأصول » عبارته ١٦٧ .

وأفضل العبادات ما يوصل[٦] إلى الله تعالى . « جامع الأصول » عبارته .

والتقوى[٧] وصية الله تعالى للأولين والآخرين ؛ لقوله تعالى ﴿لَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ فالمجاهدة في طلبها

---

(١) فبالرابطة رفع حجاب النفس ، ومعرفة النفس ، ومعرفة الربّ ، لأنها تجرد النفس عن التعلق البدنية : من ذاق يدري ومن لا فلا . (هامش الأصل) .

(٢) أي : إطلاعه ونظره إليه .(قحيّ) . (هامش الأصل) .

(٣) والرابطة عين الإنابة . (هامش الأصل) .

(٤) والرابطة عين الجهاد . (هامش الأصل) .

(٥) فالرابطة علاج النفس ودوائها . (هامش الأصل) .

(٦) والرابطة سبب باطن للوصول إلى الله تعالى . (هامش الأصل) .

(٧) ففي الرابطة حفظ وصية الله تعالى والمجاهدة في طلبها ، يعني : إن حفظ العبد عما يخالف أمر الله تعالى وخَوْفه واتقاءَهُ عن سخطه عز وجلّ يكون بتوجه القلب إلى الله تعالى ، ومحبته إياه تعالى ، وكلها نتيجة الرابطة ، وهي وسيلة إليها ، فصارتْ أمر الرابطة شأناً عظيماً وفعلاً كبيراً فافهم . (قحي رحم الله إفلاسه) .

والقيام بحقّها ، والعناية في تحصيلها لَفِعْلٌ كبيرٌ ، وشأنٌ عظيم . « منهاج العابدين » عبارته .

واعلم أن التقوى من أعظم أركان الدين ، وأجل مقامات السالكين ، وقد كرر الله تعالى في كتابه الكريم الوصيّة بالتقوى ، وهو عند أهل الحقيقة التنزُّه عما يشغل سره عن الحق ، والتبتل إليه . وقيل : هو أن يجتنب العبد عما سوى الله . « جامع الأصول » عبارته ٢٦٧ .

وأما المعرفة فهي : ما قطعك عن غير الله تعالى وردّك إلى الله . « جامع الأصول » عبارته ٥١٢ ، **وغاية المعرفة** دوام الحضور مع الله في جميع الأوقات . (منه) .

وحق **التوكل** صرف القلب عن كل شيء سوى الله .

وحقيقة الزهد : فراغ القلب عما سوى الله تعالى . **وحقيقة الورع** : إمساك العين عن التلذذ بالزهرات ، والنفس عن الشهوات ، والقلب عن الغفلات . « جامع الأصول » عبارته . ٥٤٦ .

والمعرفة إنما تحصل بكشف حجاب النفس عن مرآة القلب وتصفيته . « طفل المعاني » عبارته .

ومن كان على مكارم الأخلاق كان على شرع من ربّه . « الأنوارالقدسية » عبارته .

فالرابطة عين المذكورات في الآيات ، وغيرها كلّها ؛ من التوكل والتبتّل والمراقبة والمعرفة والتوكل والزهد والورع ، وكذا عين الحذر والفرار إلى الله وعين التوبة وقتل النفس والاصطبار وعين المجاهدة التي هي مقدمة الهداية وهل يجب ذكرها في القرآن والحديث صريحاً مع دخولها في الآيات المذكورات المأمورات بها واتحادها معها في مرادها

ومع « من سنّ سنة » الحديث ، وأجاز عليه السلام استنان ما هو حسن وجعل فيه الأجر ، وحق أن يقال في المجادلين ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَـٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ ﴿ أَفَمِنْ هَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَـٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾ ﴾ . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وبمشاهدة الله تعالى دون ما سواه يكون العبد ممتثلاً لقوله عز وجل ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ولقوله تعالى ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ﴾ فمن لم يره في كل شيء فقد رأى غيره ، وكل ما التفت إليه العبد سوى الله تعالى ضمن التفاته شيئاً من الشرك الخفي « إحياء » .

ولا بدَّ للعبد من امتثال أمر السيد والتأدب بآدابه ، وإلا فيكون سَيِّءَ الأدب ، يحجب ولايؤذن له في حضور المجلس والثبوت بالحضرة . « منهاج العابدين » عبارته .

والحاصل أن قطع القلب عن العلائق المألوفة ، وقطع النفس عن العادات الراسخة لأَمْرٌ عظيم ، وعلاج شديد ، وحمل ثقيل ، فلذلك يفرّ عنه الطباع ولا يقبلها .

وقال هل تدري ما علاج [1]من انقطع عن المعاملات ، ولم يتحقق بحقائق المشاهدة ؟ علاجه أربعة . . إلخ . « جامع الأصول » عبارته .

وصفاء القلب : أن يصفي قلبه من الكدورات البشرية ، مثل الغفلات التي تحصل في القلب ، والخشية لا تكون إلا بعد انتباه القلب من نوم الغفلة وتصقيله[2] . « طفل المعاني » .

---

(١) فالرابطة علاج المشاهدة . (هامش الأصل) .

(٢) فبالرابطة رقة القلب وصفوته والخشية . فالرابطة باب عظيم من أبواب الفتح . (هامش الأصل) .

وتصفية القلوب مأمور به[1] بالأدلة الأربعة . « فتاوى عمرية » .

من أعظم أبواب الفتح يقظة العبد من غفلته . « طبقات » . ففي الرابطة مشاهدة الله تعالى ، وامتثال لقوله : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ، ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ ﴾ . . إلخ . وخروج من الشرك الخفي ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ .

وإذا صحّحت الرابطة وكملت تخرب خواطر القلوب وغفلاتها ، وتجردها عن التعلق بما دون الحق سبحانه وتعالى كما قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾ الآية . فبالرابطة حفظ القلوب من الخواطر ، فصارت سبباً لحفظ أدب الله تعالى وواجباً وجوب : **ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .**

مهم

قال تعالى عز وجل : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ فوجب علينا حفظ أدبه ظاهراً وباطناً ؛ فالأدب الظاهر بحفظ الجوارح عن المعاصي والآثام ؛ والأدب الباطن بحفظ قلبك من خطور الأغيار ، سواء كان خيراً أو شرّاً ، فإنَّهُمَا في الحجاب سواء . « بهجة السنية » .

وقال تعالى [في الحديث القدسي] : « أنا جليس من ذكرني » [2] يعني : ذكرني على وجه الأدب والحضور ، ولا يصل إلى حضرة الله تعالى إلا من صحبه الأدب ، والمراد منه انكشاف الحجب للعبد ، كأنّه يدري[3] ربّه جل وعلا ، وهو يراه ومطلع عليه . فمتى أدام العبد هذا الشهود فهو جليس الله تعالى في حضرته الخاصة . « أدب المرضية » عبارته .

---

(١) فالرابطة مأمور بها لأن بها تصفية القلوب . (هامش الأصل) .

(٢) فأهل الرابطة جلساء الله تعالى ؛ يعني : أن الرابطة وسيلة الحضور وذكر القلب وقد قال تعالى « أنا جليس من ذكرني » فافهم . (قحي) . (هامش الأصل) .

(٣) هكذا في الأصل ، ولعلّه : يرى .

وأما مهمّات المريد فأمور عشرة ؛ العاشر : عمارة القلب بما يحييه بدلاً عن نقيضه وله أربعة[١] أسباب ؛ **أولها** : ذكر غربتك في الدنيا ، **وثانيها** : ذكر مصرعه عند الموت . **وثالثها** : ذكر وحشة القبر . **ورابعها** : ذكر وقوفه بين يدي الله تعالى . فإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وإياكم وترّهات الباطلين الذين يئيّسونكم من الله ويعوّجون عليكم طريقكم ، فما هي إلا الفرائض المشهورة تؤدى ، والمحرمات المعلومة تترك ، والسنن المأثورة تتبع ، ومحبة الأولياء تؤخذ . « جامع الأصول » عبارته ١٦ .

وحصون القلب من الشر أربعة : ارتباط القلب مع الله ، وبغض الدنيا ، وأن لا تنظر بعينك إلى ما حرّم الله ، وأن لا تنقل قدميك حيث لا ترجوا ثواب الله . « جامع الأصول » عبارته .

وأصل[٢] الدين التوقي من الشرّ . « إحياء » .

أهل الرابطة أهل الله

وأهل[٣] الله : فهم قوم جذبهم الله عن الشر وأصوله ، واستعملهم بالخير وفروعه ، وفتح إليهم سبل المناجات والهدايات ، وهداهم السبيل إليه فسلكوه ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ « جامع الأصول » عبارته ٤٦ .

وأما الشفاعة[4] ؛ فاعلم أنّ الشفاعة انصباب النور على جوهر النبوة ، فتنبسط جوهر النبوة إلى الأنبياء والأولياء وتندفع الأنوار من الأنبياء والأولياء إلى الخلق . « جامع الأصول » عبارته .

---

(١) والرابطة عندنا عمارة قلوبنا بالأربعة المذكورة ومحبة الأولياء ، ثم ربط القلب مع الله لا غير . (هامش الأصل) .

(٢) فالرابطة أصل الدين ، وحصن القلب بارتباطه مع الله .

(٣) فأهل الرابطة أهل الله . (هامش الأصل) .

(٤) ورأس مالنا كلّه بالرابطة : الشفاعة المذكورة ونحن نُحققها ولا نبطلها .

وأما الشرك[1] بالله ؛ قال : اتخاذ الأولياء والشفعاء دون الله ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ﴾ وقال عليه السلام « اشفعوا تؤجروا في حقٍّ بحقٍّ » . « جامع الأصول » عبارته .

ماء القدس[2] : هو العلم الذي يطهّر النفس من دنس الطباع ونجس الرزائل . « جامع الأصول » عبارته .

وقال ذوا النون : **الصحبة[3] مع الله بالمرافقة ، ومع الخلق بالمناصحة ومع النفس بالمخالفة ، ومع الشيطان بالعداوة** . « جامع الأصول » عبارته ١٤٨ . والصحبة[4] مع الله فريضة . « طبقات » .

---

(١) ونحن نعلم الشرك المذكور ولا نتخذه ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ .

(٢) وهذا أليق الأسماء بالرابطة وإنما سمّيت بذلك . فطوبى لمن شرب منه ودام ولم يقطع عنه . ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ .

(٣) فبالرابطة صحبته مع الله ، ومخالفة النفس ، وعداوة مع الشيطان ، ومن يطيق . .

* **فإن قلت** : فما حكم من أكل الحلال وترك المعاصي وسلك بنفسه من غير شيخ ، فهل يصل إلى هذا المقام من الوقوف على العين الأولى للشريعة ؟ **فالجواب** : لا يصح لعبد الوصول إلى المقامات العالية إلا بالجذب الإلهي ، أو بالسلوك على يد الأشياخ الصادقين لما في أعمال العباد من العلل .انتهى « ميزان الشعراني » عبارته ١٨ ج١ .

* **فعلم من جميع ما قررناه وجوب اتخاذ الشيخ لكل عالم طلب الوصول إلى عين الشريعة الكبرى؛ ولو أجمع جميع أقرانه على علمه وعمله وزهده وورعه ، ولقبوه بالقطبية الكبرى؛ فإنّ لطريق القوم شروطاً لا يعرفها إلا المحققون منهم ، دون الدخيل فيهم بالدعاوى والأوهام** . « ميزان » عبارته ١٩ .

* ومن أعظم فتنة تكون على الأمة قوم يقيسون في الأمور برأيهم ، فيحرّمون ما أحلّ الله ويحلّون ما حرّم الله . وكان الشعبي يقول سيجيئ قوم يقيسون الأمور برأيهم فينهدم الإسلام بذلك وينثلم . « ميزان الشعراني » عبارته ٤٥ .

(٤) وكلما يتوقف عليه فرض ، فهو فرض فالرابطة فريضة . وحكم الرابطة في الدين كالدهن في اللبن ، وكالماء للسمك . هذا آخر الكلام في حقها ، ولا يطاق بكتبتها الأقلام . فهل بقي بعد علم المذكورات كلها إشكال مّا على ثبوت الرابطة في ديننا=

والطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق[1] ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ « وكل مُيَسّرٌ لما خُلِقَ له » فلا ينبغي لأحد أن يعترض على أحد فيما هو منسوب إليه إلى الحق . « الأنوار القدسية » عبارته .

والغاية القصوى من سرّ الإيجاد إنما هو التحقّق بكمال الإيمان والإسلام المعبّر عنه بحقّ اليقين ، المحقّق لدوام العبودية على طريق الاستهلاك « جامع الأصول » عبارته ١٧٦ .

فأهل الرابطة في خوف من الله ، ونظَر إلى نفوسهم ، وحذر منها ، وفي فرار إلى الله تعالى ، وتوبة إليه تعالى ، وقتل في نفوسهم ، واصطبار بالعبادة بالرابطة والمراقبة على ما أمرهم الله تعالى في الآيات المذكورات . فهل يستوي من عمي قلبه عن طريق الرجوع إلى مولاه ؛ ومن وُفّق فأبصر الطريق وسلكه ؟ ! وهل يستوي الغافل والذاكر ؟ ! وهل يستوي من هو مع نفسه؛ ومن هو مع الله ؟ ! وهل يستوي الإعراض والإقبال ؟ ! وهل يستوي الهجران والوصال ؟ ! وهل يستوي الأعمى والبصير ؟ ! وهل يستوي الظلمات والنور ؟ ! فامنن علينا يا ربنا باشتغال القلب عن كل شيء دونك ، واغفرلنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك ، فيا ندامة من أنفق أيامه في ذكر لَيْلَى وسُعْدَى ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ ؛ ويا خجلة من نظر إليه مولاه وقد أعرض عن المراقبة ، ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ فسبحان من بيده الهدى والضلال . (ببلات القلزمي) .

=المتين ؟ وعلى كونه من مهمات المسلمين ، لحصون قلوبهم من الشرّ وارتباطها مع الله ؟ ! كلاّ ! ! لا ينكر ذلك إلا من عدم عقله أو غلب عليه هواه وجهله .﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ .

(١) والرابطة طريقة من الطرق إلى الله تعالى ، وفي ضمن دوام الحضور معنى دوام العبودية ، ففي الرابطة دوام العبودية .

كيفيّة الرابطة

وإن أردتم بيان كيفية الرابطة التي يتوسّل بها الصوفية إلى الله تعالى ، فأوّلاً يقول : **إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي** ، متوجهاً إلى القبلة على طهارة كاملة طاهرة ، ثم يتوجَّه إلى طهارة باطنة ؛ أي : إلى تطهير الباطن بإتيان الشهادتين ، ثم الاستغفار خمسة عشر ، ويقرأ سورة الفاتحة مرة ، وسورة الإخلاص ثلاثاً ، والمعوذتين مرة ، ويهدي ثواب مثل المذكورات إلى روح النبي ﷺ وأهله وأصحابه أوّلاً ، ثم إلى أرواح مشائخ النقشبندية كلها ، ويدعو إلى الله تعالى بقبول توبته وبإيصال بركاتهم وفيوضاتهم ، ثم تفكّر الموت والقبر والقيامة وأهوالها ؛ كأنه مات وكفّن ودفن ، وليس له ملجأ من الله إلا إليه ، مغمضاً عينيه ، متذلّلاً بين يديه على مقتضى قوله ؛ « موتوا قبل أن تموتوا » ، و« حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا » ، و« عُدَّ نفسك من أهل القبور » ؛

ثم ربط[1] القلب بمرشد الرابطة وسلسلته ورسوله ، كأنه حاضر في مجلسهم وناظر إليه برهة قليلة على مقتضى ﴿ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ جسماً إن أمكن ، أو روحاً إن لم يمكن على وجه المحبة الكاملة ، ويلاحظ انصباب الفيض من الله إلى قلب الرسول عليه السلام ، ومنه إلى السلسلة ، ومنها إلى قلب أستاذه في الرابطة ، ومنه إلى قلبه ، ثم ينظر إلى القلب بنفي الخواطر كلها ، وربطه بالله تعالى كأنه ناظر إليه على مقتضى : « كأنك تراه » ، ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ ، وكأنّ القلب ينطق بلسان القلب بلفظ اسم الذات (الله) ، ويستمرّ على ذلك فانياً في الله وناسياً سواه حسب الطاقة ويقول في آخرها : **إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي** ، انتهى كيفيتها . وقد قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ أي : ليعرفونِ .

---

(١) لعله : يربط .

والمعرفة : ما قطعك عن غير الله ، ودوام مناجاته في السرّ . وغاية المعرفة دوام الحضور مع الله في جميع الأوقات . والمعرفة : فعل القلب ، والتبتُّل إلى الله بانقطاعه عما سوى الله بالتوجه إليه والمراقبة والحضور معه في أيّ حال كان ، قال عليه السلام « لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل » .

والعبودية لله تعالى ثابت على العبد دائماً ، غير مختصّ بوقت دون وقت ، ولكل وقت سهماً[1] في العبودية يقتضيه الحقّ منك بحكم الربوبية ، فلا بدّ لك من الملاحظة لإحاطة الألوهية وعظمته في كل وقت وحين بردّ الجوارح كلّها إلى ما خلق له ، وخاصة بردّ قلبه إلى الله تعالى الذي هو ملك الأعضاء كلّها ، فرابطتنا هكذا ، ورأس مالنا بالرابطة ربط قلوبنا آخراً على الله تعالى ، كما ذكر في الترتيب ، وتعمير أوقاتنا ، كذلك بإصلاح قلوبنا وتطهيرها عن الخواطر .

وأفضل العبادات ما يوصل إلى الله ، وبمقدار اجتنابه عن نفسه تحصل معرفة ربّه ، وأهل الرابطة يفعلونها دائماً حسب طاقتهم ، ليتوسّلوا بها إلى رابطة الصلاة وهي : « أن تعبد ربك كأنّك تراه » إلخ . فمن ظفر في هذه الرابطة خللاً مّا للدين فليُصْلِحُهُ ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ وإن ظنوا أنهم من المصلحين ، وكذا بيّن لكم مقصود الطائفة العلية من الرابطة ، وما يقولونه في ثمراتها هو : طرد الغفلة ، ودفع الظلمة عن القلب ، وإبعاد وساوس الشيطان عنه ، وجمع القلب مع الله تعالى والحضور معه ، وكذا يقولون : أن روحانية الكاملين منبع الفيوضات ، فمن أدخل المنبع في قلبه ينال الفيض البتة ، وتتصرف فينا الروحانية ، وتفيض علينا من الكمالات الإلهية والتجليات الربانية ، وتبلغنا إلى

---

(١) علّه : سهمٌ .

الحضرات العلية ، وببركة صحبتهم توصلنا إلى صحبة الله تعالى ، وعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ، وأن طريقتهم طريق الانصباغ والانعكاس بكمال ارتباطهم حبّاً ، مَنْ ذاق يدري ومن لا فلا .

وإذا لم تر الهلال فسلّم لأناس رأوْه بالأبصار ، غير إنْ لم يكونوا صادقين في الواقع فيما يقولونه هذا : ولم ينتفع لنا بالرابطة كما يقولون . فما لمانع من الرابطة المحضة على الكيفية المذكورة بيّنوا لنا ذلك . ثم اعلموا أنّ هذه الرابطة إنما يحتاج إليها السالك قبل أن يقدر[1] على ربط القلب بالله تعالى بلا واسطة الرابطة هذه ، فإذا قدر عليه تسقط الرابطة ، ويشتغل بربط القلب على الله تعالى بلا واسطة ، وهذه معلوم ومشهور لدى أهل الرابطة ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . (ببلات) فتدبره .

وأيضاً أن المراد من تلقين الذكر حمل الملقَّنِ على مقام الإخلاص ، فالمريد كالمريض ، والذكر كالدواء ، فكل من اشتغل بالنوافل والسنن مع عدم خلوّ باطنه من الرياء والسمعة ، كالعليل الذي يأكل الأطعمة التي تضرّ علّته ، بل تزيد مرضه حتى يكاد تهلكه ، ولا يخفى أن عادة الأطباء أن يأمروا المرضى بالاحتماء عما يضرّ الداء ، ولا يرخصون لأكل بعض الأطعمة وإن كان لذيذاً .

وقد قال المشائخ في كتبهم : ليس شيء من العبادات أنفع لنفي الإعجاب والرياء وغيرها من المذمومات من الذكر الكثير ، ولم يأمروا المريدين بالاشتغال بالنوافل إلا السنن المؤكدة إلى أن يحصل لهم مقام الإخلاص ، كما هومسطور في كتب عديدة .

فائدة يشعر بها كون الشيخ العبودي يوافق شيخنا العسوي قدس الله سرهما في تلقينه الأذكار السلوكية للعوام والخواص .

---

(١) لأنها وسيلة له . (هامش الأصل) .

قال شيخنا المذكور - وكان معه العالم الرباني شَعْبَانِلْ محمد العسوي رحمه الله - للشيخ العبودي : لِمَ لا تلقّن الذكر موافقاً باصطلاح النقشبنديين ؟ فقال رحمه الله : يا ولدي إني لا أقدر أن أتوجّه إلى الناس ؛ يعني : أن التوجه شرط في طريقتهم ، وهو أمر عسير يحصل للمتوجّه بسببه ثقل عظيم ، كما هو معلوم عند أهل الذوق والوجدان . فلو مَنَعْتهم صرفوا آئسين منكسري القلوب ، ولذا أقول لهم بالذكر اللساني ، فيظنون أنهم صاروا بسبب ذلك من المريدين فيتركون المعاصي ويلازمون الحسنات . انتهى .

قال شيخنا : إنّه قال في ذلك المجلس : ليس لي مريدون في داغستان إلا أربعة رجال . انتهى . ثم بعد ذلك أرشد العبودي الناس إلى شيخنا العسوي ، وأمر من جاء لديه بذهابه إليه وبأخذ الطريق منه ، وعلّمهم بأنه المرشد النقشبندي ، يتوجّه إلى المريد ، ويتصرّف في البواطن بشيء من الأمداد ، وأظهره إظهاراً شائعاً ، ومع ذلك أنكر هذا البعض المنكر المذكور - عفى الله عنه وجعله من المقبولين - شيخَنا المذكور ، وكتب إليّ أنّه لم يكن مرشداً ، فهل هذا إنصاف ؟ ! وقد كان ﷺ يلقّن الأذكار لكلّ من جاء لديه من العوام ويتوجه إليهم ، ولا يأمرهم بترك شيء من المخالفات وإن علم منهم ما علم ، بل كان يتركهم يتردَّدون إليه ، فيسارقهم وطبعهم تدريجاً ، فيحسن حالهم بِيُمْنِ تَصَرُّفه الباطني قريباً ، حتى قال لي قدس سره : إنه جاء لديه سارق وطلب منه الورد ، ثم بعد رجوعه من موضع الأستاذ وجد في طريقه معز واحد فسرقه وذبحه وحمل لحمه إلى قريته ، ولم يقل له الشيخ شيئاً مّا وإن كان يعلمه يقيناً ، وترك ليتردد إليه ولاطفه وألان له الكلام ، وتصرّف في باطنه بالتدريج ، فصار أمر السارق أنه ترك السرقة بالكلية وصار من جملة أهل الإرادة والمحبّين ، هذا .

وأيضاً جاء لديه رجل يترك الصلاة بالكلية ، فلاطفه بحيث يظنّ الناس أنّه من أحبّ مريديه وأسبقهم ، فصار الرجل يصلي ويقضي ما فات منها ، وحسن حاله . فأمثال هذين قد وقع في الناس في حياته رحمه الله كثيراً ، ولوكان لم يستعمل هذه السياسة لفاتت هذه الفائدة ، فافهم . ويوافقه ما في « الطبقات الكبرى » في ٥٩ من الجزء الثاني : من سياسة الداعي إلى الله أن يُؤْلِفَ الناس عليه أوّلاً بالإحسان وطيب الكلام وتخفيف المأمورات ، فإذا رسخوا فله التحكّم فيهم كيف شاء . انتهى من عبارته .

فائدة أخرى : قد رأينا عياناً وتحقّقنا يقيناً أنّ كلّ من اعترض على شيخنا المذكور قدس سره قد طرأ عليهم الأمراض الشنيعة أو البلايا العامة . فقد أنكره عالم كذا وآذاه أذًى ، فعزل من منصبه المحبوب ، وطرأ عليه ماليخوليا ، فصار أحمق كالمجنون ، فمات في أسوأ حال .

وكذا كتب إليه عالم آخر كتاباً بأنه لا يجوز له تلقين الذكر للعوام ، وكتب فيه كلاماً بارداً ، فطرأ عليه مرض الارتعاش وصار أمره بحيث لا يطيق أن يأخذ الكوز بيده للوضوء ولا لغيره ، ولا يطيق أن يربط حبل إزاره ، وصار جميع أعضائه تتحرّك بحركات عجيبة ، قال أهل جماعة ذلك العالم المذكور : إنّ يده لم يطق أن يمسك القلم بعد كتابة ذلك الكتاب وقد بقي المكتوب المذكور بلا إتمام ، ورأيته فوجدته كذلك . وأيضاً قد تكلّم في حقه واحد من العلماء ، وقال : إنّه جاهل ، وهل يكون كلامه إلا جاهلاً ؟ ! فقلت لواحد : فانظر ماذا يحلّ لهذا العالم . فوالله قد طرأ عليه بعد ذلك مصائب كثيرة في البدن والأولاد بحيث يرحمه كلّ من يحبّه . وقال بعض العارفين رحمه الله الذي لايعرف ما قال في حقّ شيخنا : ولم يقع التنبيه له[1] إلا لمجرّد عدم صلاحية قلبه لورثة السادات

---

(١) أي : لَمْ تَطْرَأ عَلَيْهِ المَصَائِبُ .

باستحسانه ما يقوله علماء الظاهر .انتهى . وهكذا هلك بسببه المعترضون ، واهتدى بهديه المعتقدون . ولله در القائل : الولي كنيل مصر ، رحمة للمطيعين وعذاب للمحجوبين وفي « الطبقات الكبرى » في ٧٧ . من الجزء الثاني ، كلّ فقير لا يُقتل بعدد شعر رأسه من الظلمة فليس بفقير .انتهى عبارته .

وفي الحديث القدسي « من آذى وليّاً لي فقد آذنته بالحرب » .

فالعاقل من اشتغل بتدبير نفسه ولم يعترض الأولياء بما عنده من ظاهر علمه ، فإنّ لهم مقاماً يفنون في اسم (الرحمن) وذلك الغالب عليهم ، ولا يجوز أن يكون الشيخ مرشداً وهادياً ما لم يفن في هذا الاسم ، وقد يطرأ عليهم حال يفنون في اسمه (المنتقم) أو (القهّار) ففي تلك الحالة يهلك كلّ مَنْ أنكر عليهم وآذاهم ، فالعياذ بالله . وقد ينتقم الله[1] لوليّه بغير علمه .

فائدة أخرى : إن واحداً من العلماء لقي شيخنا المذكور ، فوجده قد كاد إلى الهلاك لكونه يعبد الله بغير شيخ حيّ ، فقال له : إنك في بَحْرٍ ، فخِفْتُ عليك من الهلاك . فقال الرجل : أخرجني منه ، ولا تتركني للغرق والهلاك . فدخل في دائرته ، وكان ذا استعدادٍ عالٍ ، فلقَّن له الأذكار بجميع اللطائف ، وعلَّمه كيفية الذكر بحبس النَّفَس ، فحصل له الفناء في أقرب زمانٍ ، ثم إنّ ذلك الرجل ظنّ أن أمْرَهُ قد تمَّ - ولعلّه ظن ذلك لما رأى في الكتب هذه العبارة : فأذا حصل الفناء فقد تمّ الأمر - . والحال أنه في حق المريد . فقال للشيخ : إني تقدمت منك في المقام ، فقال الشيخ : إنّ في الطريقة مقامات كذائية ، ونصحَ له كثيراً ، فلم يخرج من ظنّه الفاسد ، فكلّمه بكلام جاف ، وقال له مثل ما قال أوّلاً ، بل أزيد وأعجب من ذلك ، فمقته شيخنا حينئذ ، وقال له : إنّ مَنْ تقدَّم منّي لا يليق أن يكون عندي . فطرده عن بابه وأرسله إلى مكانه وقطع عنه النظر .

---

(١) راجع « السير والسلوك » . (منه) . (هامش الأصل) .

قال الشيخ رحمه الله : لو انقاد إليّ واستسلم لأسْلِبُ منه الفناء ، ولكنه اعترض ولم يطع ، ولذا حوّل حاله . انتهى . يعني : أنّ الشيخ وإن كان قطباً أو غوثاً لا يقدر أن يتصرف في من ليس له تسليم وانقياد ، كما قال نظيره الشعراني في « لواقح الأنوار » .

وترك واحد من العلماء الرابطة التي أمره بها الشيخ المذكور مع ما لقنه من الأذكار واشتغل بقراءة القرآن زماناً فطرأ عليه الجنون ، وحوّل حاله ، ولم يمتثل بعد ذلك أمره ، فصار بحيث لا يُرْجى له الإصلاح إلا إنْ حفَّته العناية الربانية .

وحكمة هذا الكلام أنّ من دخل الطريقة يصير عدوّاً للشياطين ، فيحتاج إلى حارس يحرسُهُ منهم دائماً ، فلذا يأمره الشيخ بفعل الرابطة إلى الشيخ الكامل الذي لو قرب إليه الشياطين لكادوا أن يحترقوا بنوره ، ليكون له حارساً ورقيباً يحفظه [1] من نزغاتهم ووساوسهم ، فحين علم الشياطين أن لا مجال لهم لإهلاكه ، وأنّهم يحترقُونَ إذا قربوا إلى ذلك المريد الذي دامتْ رابطته بشيخه الكامل يتركونه على حاله ؛ آيسين من إطاقة إهلاكه ، ثم إن ترك المريد تلك الرابطة بالكلية وخرج من دآئرة حفظ الشيخ بقي وحيداً فريداً بغير حارس ، فيدخل عليه الشياطين ويهلكونه ، فالشيخ يكون مع المريد ما دام يلاحظه ويحضره بحضور قلبه أسرع من لَمْح البصر ، وإذا ترك المريد تلك الملاحظة وفسد اعتقاده في شيخه انعكس الأَمْرُ ، ولا يقدر الشيخ بعد ذلك على حمايته من الشياطين ؛ كما قال نظيره الشعراني في « لواقح الأنوار » راجعه في ١٣١ من هامش « المنن » من الجزء الثاني .

---

(١) ومعنى حفظه : أن العبد إذا أطاع الله يطيعه فيما يريده ويحبه ، فالشيخ سبب عادي كالدواء والسلاح . (منه رحمه الله) والمؤثر هو الله ، وهو الحافظ الرقيب المحيط ، وقد يعطي الله تعالى لوليه قول : كن ، فيكون عنده ما يريده إكراماً له ، فراجع « مزكي النفوس » وهو كتاب نفيس و« جواهر المعاني » . (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

سراج السعادات

في سير السادات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه وأتباعه أجمعين[1] .

أما بعد : فيقول العبد الجاني على نفسه ، المقصر في عمله ، المفتقر إلى عناية ربه ، حسن بن محمد القحي :

لما أفلس في أعماله ولم يبق عنده سوى مجرد اسم الإسلام وضيع عمره في حالة الشبابة في البطالة والصنعة البهلوانية ، ولم يجد ما يورّق أغصان آماله إلا محبة المشائخ والأولياء والاعتقاد في طرقهم وصحبة العلماء الأمناء ، التجأ إلى الوقوف على أعتابهم الواسعة ، وطلب الدخول في طريقتهم ، وسلك في سلسلة الشيخ ذي الجناحين قطب الإرشاد الحاج العارف عبد الرحمن العسوي قدس سره فأراد أن يذكر مناقب سلسلة مشائخه ، رجاء أن تصل إليه قطرة من بركاتهم ، ورشحة من فيوضاتهم ، وأرجو الله تعالى أن يكون الكتاب مسرة لأعقابنا ومونسة لأتباعنا ، وسبباً باعثاً لدعاء الإخوان بمغفرة ذنوبنا ، وسميته بـ :

« سراج السعادات في سِيَرِ السادات »

---

(١) سَادَاتَلْ رِخْصِزِ صِوْ چِكِ دُنْ وُكِنْچُ خَا — كِنِّك اِزُلْ بَرْكَةْ شِيَلْدِ كُلْ پُنَ خَا
صُلَحَاءَلْ رِخْصَنِ رَحْمَتَلْ رِشْطُلِلَنْ — طَكَزْدَ بَتُلِپُلْ بِسَنَ اِزُلْ سِيرَةْ
أَصْحَابُ الْكَهْفَ زُلْ هِي اِزْدَ خَدُبْ بِلِنْدَلْ — بِچِصْ اِبْ كُّدُ هَبُنْ اِلِپي سَعَادَةْ شِدَلْ
اِبْ هِدُلْ مَنْزِلَلْدَ هَــوِيَلْدَ كُّــلْ پِدَلْ — مَشَائِخَزُلْ بِسُنْ هَبُنَ كِتَابْ دَنْدِي
يَا رَبِّ دُصَ اَللهُ اِزُلْ بَــرْكَــةْ شِزَبِي — حُسْنُ الْخَاتِمَةْ كِ قُنْ إِيمَانَلْدَ خِزَرِي
آمين آمين آمين .

* « ليذكرنّ الله عز وجل قوم في الدنيا على الفرش الممهّدة يُدْخلهم الدراجات العلا* »* (بسبب مداومتهم على الذكر . « سراج » . ٢١٤ ج٣) ، « جامع الصغير » . عن أبي سعيد قال الشيخ حديث حسن . « سراج » .

جعلنا الله تعالى من أرباب الفيوضات والسعادات ، ولا جعلنا من أهل العناد والشقاوات آمين .

فأقول وبالله التوفيق : لقد منّ الله تعالى عليّ من محض فضله بتلقي هذه النسبة النقشبندية التي أثنى عليها خاتمة العلماء ابن حجر بأنها الطريقة السالمة من كدورات جهلة الصوفية عن الشيخ المذكور قدس سره ، وبعد انتقاله من الدنيا سلكت في سلك مريدي الشيخ الحافظ شعيب أفندي الباكني قدس سره .

وبعد موته سلكت على يد السيّد الأمير خالد سيف الله النثربكري الحسينيّ النقشبندي القادري الشاذلي قدس سره .

وأجاز لي الشيخان السابقان في النقشبندية خاصة ، والشيخ الأخير في جميع ما أجازه أشياخه عامّة ، ولذا أردت أن أذكر مناقبهم ، وأكتب ما ظهر لديّ من كراماتهم ، وكشوفاتهم ، كما ستقف عليها في تراجمهم .

ولقد سبقت تلك الحسنى من مجلاها ومنبعها محمد ﷺ وهو روح الوجود وأصل الكائنات علواً وسفلاً ومدار السعود دنيا وأخرى ، وهو علة الكون ، ولو لاه لدامت الأشياء في غيبها ، وإنه منتهى الفضل في جميع العوالم ، وكل فضل الورى لفضله جزء ، حتى أودع الله فيه كلّ كمال ، ومنه قسم في العوالم نذراً قليلاً ، كل فضل في الناس فرد ألوف نالها من هباته الأولياء .

ومعجزاته مشهورة ، ومناقبه في كتب السير مسطورة ، والقول البالغ في حقه ما قاله صاحب الهمزية قدس سره :

هــو بَعْدَ الله العظيم عظيـم ... دون أدنـــى مـقامه العظماء

هو أدنى عبيدِ مـولاه مـنـه ... مـا لـعـبـد لـــم يُدْنِهِ إدناء

مـن أراد الـدخول لله من با ... بٍ سـواه جـزاؤه الإقصاء

يرجع الحب منه فيه إلى الله تعالى ومنه فيه القلاء
من يحب الحبيب فَهْوَ حبيب وعداة الحبيب هم أعداء

اللهم يا مولانا صل عليه وعلى آله وأصحابه بعدد معلوماتك ، واجعلنا من أمته وأهل شفاعته آمين .

وقد خصّ النبي عليه السلام الذكر الخفي بأبي بكر ﵁ من بين الصحابة ، وصبّ في صدره جميع المعارف الإلهية ، لكونه في المرتبة الصديقية التي هي أقرب المراتب إلى المرتبة النبوية ، ومنه ﵁ تسلسلت هذه النسبة الشريفة إلى المشائخ النقشبندية ، وفاقت بذلك على جميع النِسَب ، ولله الحمد .

أبُو بكْر ﵁

وهو أول من آمن برسول الله ﷺ على الإطلاق ، أو من الرجال على اختلاف من الأقوال ، **وأفضل الناس جميعاً بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام** ، واسمه : عبد الله ، سماه النبي ﷺ بعد إسلامه ، وكان اسمه في الجاهلية عبد رب الكعبة ، ووصفه : العتيق ، ولقبه : الصديق ، آمن بالنبي ﷺ في أوّل أمره ، ثم دعا الناس إلى الإيمان به ، فاستجاب له طلحة ، وعثمان ، والزُّبير بن العوام ، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين .

بلال عتيق الصديق ﵁

كان ﵁ يكسب المعدوم ، ويعين الضعفاء ، ويواسي الفقراء ، وقد أعتق ستّ رقاب في الإسلام قبل أن يهاجر ، وبلال ﵁ سابعهم ، وأن النبي ﵁ لما اختفى في الغار من الكفار كان مطلعاً على أبي بكر الصديق

ﷺ في سرّه وإعلانه ، وأنه من المؤمنين الصادقين الصديقين المخلصين ، فاختار صحبته في ذلك المكان المخوف لعلمه بحاله ، وأن الله عاتب أهل الأرض بقوله تعالى : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ ، سوى أبي بكر الصديق ، ولم يتخلف ﷺ عن رسول الله ﷺ في سفره وحضره ، بل كان ملازماً له ، وكان يؤانس للنبي عليه السلام ، ويبذل نفسه له وكان ثاني رسول الله عليه الصلاة والسلام في أكثر الأحوال .

منها : أنّ النبي ﷺ دعا الخلق للإيمان به فكان أبو بكر أوّل من آمن ، فكان ثانيه في الإيمان ، ثم دعا أبو بكر إلى الإيمان بالله ورسوله ، فاستجاب له جماعة ، فكان ثانيه في الدعوة .

ومنها : أن النبي ﷺ لم يقف في موقف من غزواته إلا وأبو بكر معه في ذلك الموقف .

ومنها : أنه لما مرض رسول الله ﷺ قام مقامه في الإمامة ، فكان ثانيه فيها .

ومنها : أنه ثانيه في تربته ﷺ .

ومنها : أن الله سبحانه نصّ على صحبته دون غيره بقوله تعالى : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ ﴾ .

ومنها : أن الله تعالى كان ثالثهما ، ومن كان الله معه لا يشكُّ في فضله وشرفه على غيره .

ومنها :إنزال السكينة على أبي بكر الصديق واختصاصه بها دليل على فضله ، يعني في قوله تعالى : ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ ﴾ . قال ابن عباس ﷺ : أنزل السكينة على أبي بكر لأنّ النبي ﷺ كان على السكينة من قبل ذلك . انتهى .

ومما نقل عن أبي بكر الصديق ﵁ في وقفة الغار قوله :

قــال الـنـبيّ ولـم يـجزع يوقرني ... ونـحـن في سدف من ظلمة الغار
لا تـخْـشَ شـيـئاً فـإنّ الله ثـالـثنا ... وقـد تـكـفّل لـي مـنـه بـإظـهار
وإنـمـا كـيـد مـن تـخشـى بوادره ... كــسيّد الشياطين وقد كادت لكفار
الله مهلكــهـم طُرّاً بـمـا صـنـعـوا ... وجـاعـل المنتهى منهم إلى الغار

ولو لم يرد في صفته ﵁ سوى حديث الهجرة لكفى ذلك دليلاً على رفعة رتبته وعُلوّ منزلته على من سواه ، ولذلك قال عمر بن الخطاب ﵁ حين ذكر عنده أبو بكر الصديق ﵁ : وددت أن عملي كله مثل عمله يوماً واحداً من أيامه ، وليلة واحدة من لياليه ، أما ليلته : فليلة سار مع رسول الله ﷺ إلى الغار ، فلما انتهيا إليه قال : والله لا تدخل حتى أدخل قبلك ، فإن كان فيه شيء أصابني دونك ؛ فدخل فكنسه ووجد في جوانبه ثقباً ، فشقَّ رداءه وسدَّها به ، ووضع رأسه في حجره ونام ، فلدغ أبو بكر في رجله من الحجر ولم يتحرك مخافة أن ينتبه رسول الله ﷺ ، فسقط دموعه على وجه رسول الله ﷺ ، فقال : « ما لك يا أبا بكر ؟ » فقال : لُدِغْتُ فداك أبي وأمي . فتفل عليه رسول الله ﷺ فذهب ما يجده ، ثم انتقض عليه فكان سبب موته .

وأما يومه : فلما قُبِضَ رسول الله ﷺ ارتدّت العربُ ، وقالوا : لا نؤدي الزكاة ، فقال : لو منعوني عقالاً لجاهدتهم عليه ، فقلت : يا خليفة رسول الله ! تألف الناس وارفق بهم ، فقال لي : أجبّار في الجاهلية خوَّار[1] في الإسلام ، إنه قد انقطع الوحي ، وتمّ الدين ، أينقص وأنا حيّ . أخرجه في « جامع الأصول » ، ولم يرقم عليه علامة لأحد . انتهى من « الخازن » منتخباً .

---

(١) أرض خوارة : لينة . « مصباح » .

وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه عاصباً رأسه بخرقة فقعد على المنبر ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، ثمّ قال : « إنه ليس من الناس أحد أمنَّ عليّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قُحافَة ، ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، لكن خلة الإسلام أفضل ، سدّوا عني كل خَوْخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر » انتهى .

وفي « طبقات » ابن سعد عن معاوية بن صالح : أنّ ناساً قالوا : أغْلِق أبوابنا وترك باب خليله ، فقال رسول الله ﷺ : « قد بلغني الذي قُلْتم في باب أبي بكر ، وإنّي أرى على باب أبي بكر نوراً وعلى أبوابهم ظلمة » انتهى .

قال أهل الحقيقة ومشائخ الطريقة قدس الله أسرارهم : فيه إشارة إلى الخِلافة الباطنية ، وأن لأبي بكر ﷺ كمال النسبة الحبية إلى رسول الله ﷺ ، فأشار النبي ﷺ في هذا الحديث إلى أن جميع النِسَب والطرق مسدودة في جنب النسبة الحبية ، وما هو الموصل إلى المقصود ليس إلا هذه النسبة الحبية ، والرابطة المعروفة عند أربابها عبارة عن تلك النسبة الحبيّة إلى صاحب دولة لائقة بالوساطة ، وانتساب الطريقة النقشبندية قدس الله أسرار أهلها إلى أبي بكر الصديق ﷺ من حيثية هذه النسبة لاختصاصها بها دون غيرها ، وطريقة هؤلاء الأكابر هي المحافظة على تلك النسبة الشريفة .

ويؤيّد ما اختاره أهل الحقيقة ما ورد في باب علي كرّم الله وجهه من الأحاديث ، منها : حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ « أمر رسول الله ﷺ بسدّ الأبواب الشارعة في المسجد وترك باب علي » . أخرجه أحمد والنسائي ، وسنده قوي . زاد الطبراني في الأوسط ورجاله ثقاة : فقالوا : يا رسول الله ! سددت أبوابنا ؟ ! فقال : « ما أنا سددتها ، ولكن الله تعالى سدّها » انتهى .

وجه التأييد أن الخلافة غير مختصة بأبي بكر وعليّ رضي الله عنهما ، بخلاف نسبة الطريقة والخلافة الباطنة ، فإنها مع كثرة طرقها ينتهي[1] انشعابها إلى هذين البحرين التيارين ، وينتمي أنجمها إلى ذينك النيرين السيارين دون غيرهما ، مع تحقق اتصافهم بأقصى مراتب الولاية وبلوغهم في ذلك وراء الغاية ، كما لا يخفى على أربابها ، فصحّت الإشارة بأن الخلافة المعنوية ، ونسبة الطريقة مسدودة أبوابها ، وممنوع انشعابها إلا لهذين الإمامين ، قد علم كل أناس مشربهم ، واستطاب كل فريق مأدبهم ، وفوق كلّ ذي علم عليم .

وذهبت طائفة أخرى من العلماء إلى أن الإشارة في الحديث السابقة إلى غير ما ذكر ، فمن أراد الاطلاع على ذلك فليراجع « الباقيات الصالحات في تعريب الرشحات » ، إلى هنا من ترجمة « الرشحات » منتخباً مختصراً .

وقال الشعراني قدس سره في كتاب « اليواقيت والجواهر » في الجزء الثاني نقلاً عن الشيخ محي الدين العربي قدس سره مما يدل على فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه على غيره كونه كان مع النبي ﷺ كالمريد الصادق إذا كمل فتحه مع شيخه ، وبذلك استحق الخلافة ، **فما مات رسول الله ﷺ حتى تجرد أبو بكر إلى جانب الحق جلّ وعلا** ، ورأى رسول الله ﷺ عبداً مخلصاً ليس له مع الله تعالى حركة ولا سكون إلا بإذن من الله تعالى .

وقال أبو السعود بن الشبلي رحمه الله : ما مات رسول الله ﷺ حتى صار أبو بكر متعهداً على الله دون رسول الله ﷺ ، فكان يأخذ كل شيء يأتيه من الأحكام من الله على لسان رسول الله ﷺ ، ولذلك لما مات رسول الله ﷺ لم يتأثر كلّ ذلك التأثر كما وقع لغيره ، فإنه ما من أحد من

---

(١) فيه إشارة إلى أنّ مرادهم ليس نفي الخلافة الباطنية عن غيرهم مطلقاً ، بل نذكرها بحيث تنتشر منهم نسبة . انتهى من هامش ترجمة « الرشحات » .

الصحابة إلا واضطرب ذلك اليوم وقال ما لا ينبغي سماعه ، وشهد على نفسه في ذلك اليوم بقصوره وعدم معرفته بحال رسوله الذي اتبعه .

وأما أبو بكر فكان يعلم حقائق الأمور ، ولذلك صعد المنبر وقرأ : ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ** ﴾ الآية ، فتراجع من كان حكم عليه وهمه ، وعرف الناس حينئذ فضله على الجماعة حينئذ ، فاستحق الإمامة والتقدم ، فما بايعه من بايعه سُدى ، وما تخلف عن بيعته إلا من جهل منه ما كان يجهل من رسول الله ﷺ أو من كان في محلّ نظر من ذلك ، أو متأولاً .

فإنّ رسول الله ﷺ قد شهد له في حياته بفضله على الجماعة بالسرّ الذي وقر في صدره ، فظهر حكم ذلك السر يوم موته ﷺ ، وليس السرّ إلا ما ذكرناه من استيفائه مقام العبودية ، بحيث إنه لم يخل منه شيء في حقّه ولا في حقّ رسول الله ﷺ .

قال : وكان رسول الله ﷺ قد علم من أبي بكر أنه صار مع الله لا مع رسوله ﷺ إلا بحكم أنه كان يرى ما نخاطبه به الحق تعالى على لسان محمد ﷺ في كل خطاب سمعه منه ، وكان لأبي بكر ميزان في نفسه يعلم ما يقبل من خطابه في حقه وما لا يقبل . انتهى .

فالحاصل أن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه وأعاد علينا من فيوضاته العاطرة آمين - أفضل من سائر الأمة المحمدية ، وسائر أمم الأنبياء وأصحابهم . هكذا ذكره الشعراني في « اليواقيت » في ٨٢ .

ويدل عليه ما ورد في حقه : « ما صبّ الله[1] تعالى شيئاً في صدري إلا وصببته في صدر أبي بكر » الحديث .

---

(١) فهذا الحديث وإن كان فيه كلام لأهل الحديث ، لكن أثبت أكابر الصوفية في كتبهم ، كالإمام الرباني وأحمد ضياء الدين وغيرهما ، فراجع . (منه) .

توفّي ﷺ في المدينة بين المغرب والعشاء في ٢٢ من جمادى الأولى سنة ١٣ من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة رضي الله تعالى عنه وعن سائر الصحابة أجمعين .

سابق الفُرسان سيّدُنا سَلمان الفارِسيّ رضي الله عنه

كان أبوه من أعيان قرية بنواحي أصبهان ، وكان مجوسياً ، فصادف ممر سلمان رضي الله عنه لكنيسة من كنائس النصارى القاطنين(١) في تلك القرية ، فاستحسن دينهم لما رأى فيهم قراءة الإنجيل والخشوع والخضوع ، ورغب قلبه عن عبادة النار والدين المجوس ، فأظهر لهم رغبته في دين النصارى وعجزه عنه لمنع أبيه ، فأخرجوه إلى الشام ، فأقام هناك مدة ، وخالط كبار الرهبان وخدمهم ولما قرب وفاة من صحبه أخيراً استفسره عمن يصحبه بعده ، فقال : والله لا أدري الآن أحداً أدلّك عليه ، ولكن قد قرب زمان بعثة نبي آخر الزمان ، فأخبره بعلامته وشمائله ومبعثه ومحل هجرته ، ودلائل نبوّته ، فصحب قافلة بعد وفاة الأسقف تريد الحجاز ، وأعطى أهلها جميع ما عنده ، ولما وصلوا إلى وادي القرى غدروا به وباعوه من يهودي يُسَمَّى بعبد الأشهل ، ثم ابتاعه منه ابن عمه ، وحمله إلى المدينة ، وقد شرّفها النبي ﷺ بنزوله فيها ، فوصل إلى مجلسه ﷺ وتيقّن بالعلامات التي أخبر بها الأسقف أنه نبي مرسل ، فأسلم ، وحكى له ﷺ قصته ، وما جرى عليه في الطلب ، فتعجب النبي ﷺ منه وأمر أصحابه باستماع قصته ، وذلك في سنة خمس من الهجرة .

فقال له النبي ﷺ : « خلّص نفسك من رقبة المخلوق » ،

فالتمس ذلك من سيّده ، فتقرّر الأمر بعد قيل وقال على أن يغرس لسيده ثلاثمائة نخلة ويربيها حتى تثمر ، وأن يعطيه أربعين أوقية

---

(١) قطن بالمكان : أقام به . « مصباح » .

ذهباً ، فأخبر النبي ﷺ بذلك ، فقال لأصحابه : أعينوا أخاكم ، فجمعوا له ثلاثمائة نخلة **فغرسها النبي ﷺ بيده الشريفة ، إلا واحدة ، فإنها غرسها عمر بن الخطاب** رضي الله عنه ، فأثمرت كلها في تلك السنة بإذن الله تعالى إلا ما غرسها عمر رضي الله عنه ، فقلعها النبي ﷺ وغرسها بيده فأثمرت في حالتها ، فسلمها لسيده ، وأعطاه النبي ﷺ مقدار بيضة الدجاجة من الذهب من مال الغنيمة فسلمه لسيده ، وخلص نفسه من الرقة ، ثم حضر مع النبي ﷺ الغزوات وشهد الوقائع .

قيل : إنه بيع إلى سبعة عشر شخصاً ، واختلف فيه المهاجرون والأنصار أنه من أي الفريقين ، فقال النبي ﷺ : « سلمان منا أهل البيت » ، **وكفى بذلك شرفاً** ، ولذلك قيل شعر :

لَعمرك ما الأنسان إلا ابــن دينــه   فلا تترك التقوى اتّكالاً على النسب

فقد فاز بالإســلام سلمــان فارس   وقد حط بالجهل الشريف أبو لهب

ولما سمع النبي ﷺ تحزب الأحزاب[1] أشار إليه سلمان بحفر الخندق في أطراف المدينة ، فقبله النبي ﷺ وعمل فيه بنفسه الكريمة رغبةً في أجره وترغيباً لغيره ، فعرضت لسلمان رضي الله عنه فيه صخرة كبيرة فأعجزته ورسول الله ﷺ قريب منه ، فلما رأى رسول الله ﷺ شدة المكان وعجزه نزل الخندق وأخذ المعول من يده فضربه ضربةً فلمعت تحت المعول برقة ، ثمّ ضرب به ضربةً أخرى فلمعت تحته برقة أخرى ، ثمّ ضرب به ثالثةً فلمعت لمعة أخرى ، فقال سلمان رضي الله عنه : بأبي أنت وأمّي يا رسول الله ! ما هذا الذي رأيت من البرق واللمعان تحت المعول حين ضربت ؟ قال : « أو قد رأيت ذلك يا سلمان ! ؟ » قال : نعم ، قال : « أما

(١) وتحزبوا : اجتمعوا . والأحزاب الطوائف التي تجتمع على محاربة الأنبياء عليه الصلاة والسلام . الحزب : الطائفة ، والجمع أحزاب ، وتحزب القوم : صاروا أحزاباً . « مصباح » . وحزبهم أمراً إلخ : أصابهم . ويوم الأحزاب هو يوم الخندق . « مصباح » .

الأولى : فقد فتح الله لي بها اليمن ، وأمّا الثانية : فقد فتح الله لي بها الشام والمغرب ، وأمّا الثالثة : فقد فتح الله لي بها المشرق » .

ولا يخفى ما في ضمن هذا الحديث من البشارة لأرباب الإشارة من أنه لا بد في هذا الطريق الموروث من صاحب الترجمة من وجود المجاهدات والمشاق ومقاسات الشدائد في أوّلها ، وظهور التجليات في آخرها وترقّب الفتوحات عليها .

ولما فتحت بلاد العجم ، واستولى جيوش الإسلام على مدائن كسرى سلم ولايتها لسلمان الفارسي ﵁ ، فكان بقيّة عمره والياً هناك ، وكان يأكل من شغل يديه ، وقد كان أميراً على ثلاثين ألفاً من المسلمين ، وعطاؤه خمسة آلاف ، وكان يخطب الناس في عبائة يفرش بعضها ويلبس بعضها ، **ولم يكن له بيت ، بل كان يستظل بالفيء حيثما دار** ، وكان يعجن عن الخادم حين يرسله لحاجة ، ويقول : لا يجمع عليه عملين ، وكان لا يأكل من صدقات الناس ، بل كان لا يكاتب عبداً إذا لم يكن عنده كسب ، ويقول : أتريد أن تطعمني أوساخ الناس ؟ وكان يقول : **عجباً لمؤمل الدنيا والموت يطلبه ، وغافل وليس بمغفول عنه ، وضاحك لا يدري أربّه راض عنه أم ساخط** .

وكان ﵁ يقول : عهد إلينا رسول الله ﷺ وقال : « ليكن بلغة أحدكم مثل زاد المراكب » .

ولما وقع الحريق مرةً في المدائن أخذ سيفه ومصحفه وسجادته ، وخرج مسرعاً ، وقال : كذلك ينجو المخفون .

عاش ﵁ **مائتين وخمسين سنة** ، وقيل غير ذلك . وتوفيّ في خلافة عثمان ﵁ ، وقيل في سنة ثلاث وثلاثين ، والله أعلم . كلها من الباقيات الصالحات بتمام العبارات .

الإمام أبو عبد الرحمن قاسِم بن محمّد بن أبي بكْر الصِّدّيق رضي الله عنه

أحد الفقهاء السبعة المشهورين بالمدينة . قيل : أمّه من ملوك العجم ، وذلك أنه لما أتى عمر رضي الله عنه ببنات يَزْدَجِرد ابن شهريار مسبيات أراد بيعهن ، فأعطاهنّ على يد دلّال ينادي عليهن في السوق ، فقال عليّ رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين ! إن رسول الله ﷺ قال : « أكرموا كريم قوم ذلّ ، وغنيّاً افتقر » ، إن بنات الملوك لا يُبَعْن في الأسواق مثل غيرهنّ من بنات السوقة ، لكن قوّموهنّ فيشتريهن من يختارهن . فقُوِّمْنَ ، فأعطى عليّ أثمانهن ، وقسمهن بين الحسين بن علي ، ومحمد بن أبي بكر ، وعبد الله بن عمر ، فولدن ثلاثة هم خيار أهل زمانهم ، أعني : الإمامَ عليّاً زين العابدين بن الإمام حسين ، والإمامَ قاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله رضي الله عنهم .

قال ابن رافع : إنه ثقة رفيع عالم فقيه إمام ورع كثير الحديث .

وقال يحيى بن سعيد : ما أدركْنا بالمدينة أحداً نفضله عليه .

وقال أبو الزناد : ما رأيت أحداً أعلم بالسنة منه .

وقال أبو نعيم في « الحلية » : كان لغوامض الأحكام فائقاً ، وإلى محاسن الأخلاق سابقاً . وفيها أيضاً عن أيوب قال : سمعت القاسم يُسْأل بمنى فيقول : لا أدري لا أعلم . فلما أكثروا عليه قال : والله لا نعلم كل ما تسألون عنه ، لو علمناه ما كتمناه عنكم ، ولا يحل لنا أن نكتم .

وفيها أيضاً عن يحيى بن سعيد : سمعت القاسم يقول : ما نعلم كل ما نُسْأل عنه ، **ولأن يعيش الرجل جاهلاً بعد أن يعرف حقّ الله عليه ، خير له من أن يقول ما لا يعلم .**

وفيها عن محمد بن إسحاق : جاء أعرابي إلى القاسم بن محمد فقال : أنت أعلم أو سَالِم ؟ قال : ذاك منزل سالم . فلم يزده عليها ، حتى قام الأعرابي : قال محمد بن إسحاق : كره أن يقول هو أعلم منّي فيكذب ، أو يقول أنا أعلم فيزكي نفسه .

وفيها أيضاً عن رجا بن أبي سلمة قال : مات القاسم بن محمد بين مكة والمدينة حاجّاً أو معتمراً ، فقال لابنه : سنّ[1] عليّ التراب سناً وسوِّ على قبري ، ثمّ الحق بأهلك ، وإيّاك أن تقول : كان كان .

ووفاته ﵁ سنة ست ومائة على الصحيح . وذكر صاحب « تحفة الأحباب » أنه ﵁ توفي بالمدينة المنورة سنة ١٠٨ ، ودفن بالبقيع . انتهى .

الإمام الحاذق سيدنا جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام حسين رضي الله عنهم

ولد ﵁ سنة ثمانين ، وقيل : ثامن رمضان من سنة ثلاث وثمانين .

وأقبل ﵁ على العبادة والخضوع ، وآثر العزلة والخشوع ، وأعرض عن الرياسة والجموع .

عن عمر بن أبي المقدام قال : كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيّين .

وقال مالك بن أنس : قال جعفر بن محمد لسفيان الثوري حين قال : لا أقوم حتى تحدثني : أنا أحدثك - وما كثرة الحديث لك بخير - :

---

(١) وعبارة « الحدائق الوردية » : شنّ تراب علي شناً وشق على قبري . انتهى . وسلنت الماء على الوجه : صببته صباً سهلاً . « مصباح » .

يا سفيان ! **إذا أنعم الله عليك بنعمة ، فأحببت بقاءها ودوامها فأكثر من الحمد والشكر عليها** ، فإن الله عز وجل قال في كتابه : ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار ، فإن الله تعالى قال في كتابه : ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ الآيات .

يا سفيان : إذا أحزنك أمر من سلطان أو غيره فأكثر : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها مفتاح الفَرَج ، و كنز من كنوز الجنة ، فعقد سفيان بيده وقال : ثلاث وأيّ ثلاث . قال جعفر : عقلها والله أبو عبد الله ، ولينتفعن بها .

وقال سفيان ثوري : دخلت على جعفر بن محمد وعليه جُبَّة خزّ ، فجعلت أنظر إليه ، متعجباً ، فقال لي : يا ثوري ! ما لك تنظر إلينا ولعلك تعجبت مما رأيت ؟ قلت : يا ابن رسول الله ، ليس هذا من لباسك ولا لباس آبائك ! فقال لي : ياثوري ! كان ذلك زماناً مقفراً ، وكانوا يعملون على قدر أفقاره وأقتاره ، وهذا زمان أقبل كل شيء فيه عزّ إليه ، ثم حسر[1] عن ردن[2] جبته ، فإذاً تحتها جبة صوف بيضاء ، فقال لي : يا ثوري ! لبسنا هذا لله وهذا لكم ، فما كان لله أخفيناه ، وما كان لكم أبديناه .

ومن كلامه رضي الله عنه : **أوحى الله تعالى إلى الدنيا أن اخْدِمي من خَدِمني ، وأتعبي[3] من خدمكِ** .

وقال : الصلاة قربان كل تقي ، والحج جهاد كل ضعيف ، وزكاة البدن الصيام ، والراجي بلا عمل كالرامي بلا وتر ، استنزلوا الرزق بالصدقة ، وحصِّنوا أموالكم بالزكاة ، وما غالى من اقتصد ، والتدبير من نصف العيش ، والتؤدة نصف العقل ، وقلة العيال إحدى اليسارين ، ومن

---

(١) عن زراعيه إلخ : كشف . « مصباح » .
(٢) الردن بالضم : أصل الكمّ ، يقال : قميس واسع الردن . « مختار » .
(٣) لعله : وأبقي أي : اهْرِبي . « الحاج » . (هامش الأصل) .

حزَّن والديه فقد عقهما ، ومن ضرب بيده على فخذيه عند مصيبة حبط أجره ، والصنيعة لا تكون صنيعةً إلا عند ذي حسب ودين ، والله منزّل الصبر على قدر المصيبة ، ومنزل الرزق بقدر المؤنة .

وقال : الفقهاء أمناء الرسل ، فإذا رأيتم الفقهاء قد ركنوا إلى السلاطين فانهوهم .

وقال : لا زاد أفضل من التقوى ، ولا شيء أحسن من الصمت ، ولا عدوّ أضرّ من الجهل ، ولا داء أودى من الكذب .

وقال : إذا بلغك من أخيك ما تكرهه فاطلب له من عذر واحد إلى سبعين عذراً ، فإن لم تجد له عذراً فقل : لعل له عذراً لا أعرفه .

وصية حسنة

وممّا أوصى ابنه الإمام موسى الكاظم رضي الله عنهما : يا بُنيَّ ! من رضي بما قُسم له استغنى ، ومن مدّ عينيه إلى ما في يد غيره مات فقيراً ، ومن لم يرض بما قسم الله له اتّهم اللهَ في قضائه ، ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره ، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه .

يا بنيَّ ! من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته ، ومن سلّ سيف البغي قُتِلَ به ، ومن احتفر بئراً لأخيه سقط فيه ، ومن داخل السفهاء حقر ، ومن خالط العلماء وقر ، ومن دخل مداخل السوء اتّهم .

يا بنيَّ ! إيّاك أن تزري[1] بالرجل فيزريَ بك ، وإياك والدخول فيما لا يعنيك فتذلّ بذلك .

يا بنيَّ ! قل الحقَّ لك أو عليك تُسْتشار من بين أقرانك .

---

(١) زرى عليه فعله : عابه « مختار » عبارته .

يا بنيَّ ! كن لكتاب الله تالياً ، وللسلام فاشياً ، وبالمعروف آمراً ، وعن المنكر ناهياً ، ولمن قطعك واصلاً ، ولمن سكت عنك مبتدئاً ، ولمن سألك معطياً .

وإيّاك والنميمة ، فإنّها تزرع الشحناء في قلوب الرجال والتعرض لعيوب الناس ، فمنزلة المتعرض لعيوب الناس بمنزلة الهدف .

ومن دعائه ﵁ : اللهم أعِزَّني بطاعتك ، ولا تخذلني بمعصيتك ، اللهم ارزقني مواساة من قترت عليه رزقك بما وسعت عليّ من فضلك . انتهى من « الباقيات الصالحات » مع اختصار .

وفي « تحفة الأحباب » : أنه ﵁ وُلِدَ بالمدينة في ثمانين من الهجرة .

وكان أفضل العلماء وأعلمهم ، وقد روى عنه أبو حنيفة ، ومالك وغيرهما من المجتهدين ، وتوفّي بالمدينة المنورة في شوال سنة ١٤٨ ، ودفن بالبقيع مع أبيه وجده . انتهى .

سلطان العارفين أبو يَزِيد البِسْطَاميّ ﵁

اسمه : طيفور بن عيسى بن آدم كان جده نصرانيّاً فأسلم ، كان قدس سره من أقران أبي حفص الحداد ، ويحيى بن معاذ ، ولقي الشقيق البلخي .

قال قدِّس سرّه : ما زلت أسوق نفسي إلى الله تعالى وهي تبكي إلى أن سقتها وهي تضحك .

وقال : رأيت رب العزة في المنام فقلت : كيف الطريق إليك يا رب ؟ فقال : إن تركت نفسك فقد وصلت .

وسئل : بأي شي وجدت هذه المعرفة ؟ فقال : ببطن جائع ، وبدن عار .

وقيل له : ما أشد ما لقيت في سبيل الله تعالى ؟ فقال : لا يمكن وصفه ؛ فقيل : ما أهون ما لقيت نفسك منك ؟ فقال : أما هذا فنعم ، دعوتها إلى شيء من الطاعات فلم تجبني ، فمنعتها عن الماء سنة .

وقال : الناس كلهم يهربون عن الحساب ويتجافون عنه ، وأنا أسأل الله تعالى أن يحاسبني ؛ فقيل له : لِمَ ذلك ؟ فقال : لعلّه يقول : فيما ذاك يا عبدي ؟ فأقول : لبّيك .

وسمع مرّةً قارئاً يقرأ هذه لآية : ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ فبكى حتى جرى الدمع على المنبر ، وصاح قائلاً : يا عجباً كيف يحشر إليه من كان جليسه !

وقال له رجل : دُلَّني على عمل أتقرب به إلى ربّي ، فقال : **أحِبَّ أولياء الله ليحبّوك ، فإن الله تعالى ينظر إلى قلوب أوليائه ، فلعلّه ينظر إليك في قلب وليّ فيغفر لك .**

وسئل عن المحبة فقال : هي استقلال الكثير من نفسك ، واستكثار القليل من حبيبك .

قف على معنى : خضت في بحر وقف الأنبياء على ساحله

وقال العارف الجامي في شرح « اللمعات » أن أبا يزيد كان من الواصلين الواقفين ، فإنه لمّا وصل إلى سمعه خطاب : ارجع ، غشي عليه من خوف الفرقة ، فجاء الخطاب : أن ردّوا إلي حبيبي ، فإنه لا صبر له عني ، ولذلك قال : خضتُ في بحر وقف الأنبياء على ساحله ، يعني : رجع الأنبياء ، وكذلك كمل الأولياء لإرشاد الخلق إلى الساحل بعد الوصول .

وأما من لم يرجع فيُقال له : واصل واقف ، ولذا قيل : النهاية هو الرجوع إلى البداية . فحال الواقف أصفى وأحلى ، وحال الثاني أوفى وأعلى .

رآه واحد في المنام بعد موته ، فقال : كيف كان حالك بعد الموت ؟ فقال : قيل لي :ما ذا جئت به إلينا يا شيخ ؟ فقلت : إذا جاء فقير بباب الملك لا يُقال له ما ذا جئت به إلينا ، بل يقال له : ما تريد .

واختلف في لقائه الإمام جعفر الصادق ﷺ ، والصحيح الذي ذهب إليه المحققون أنه لم يره ، بل ولد بعد وفاة الإمام بمدّة .

منهم : الخواجه محمد پارسا والسيد الشريف الجرجاني ، ومال إليه صاحب « الرشحات » ، وإنما كان تربيته من روحانية[1] الإمام . انتهى من « رشحات » في ١٤ ، وهو أويسي كما في « تحفة الأحباب » .

وكان لقبه عند الصوفية بسلطان العارفين .

وقد وصل في العلوم الشرعية إلى درجة الاستنباط ،فلما كشف الله تعالى له المعارف الإلهية ترك الاستنباط واشتغل بعلم التوحيد .

وقد توفي ﷺ على الصحيح في سنة ٢٦١ ، وقيل :في سنة ٢٣٤ .

تعدد المزارات بتعدد المقامات

ودُفِن بوصيته تحت قدم شيخه الأجلّ المشهور بالكردي ، ولكن اشتهر مزارته في مواضع عديدة ، ولعلها مقاماته . انتهى من « التحفة » .

وقال في مرض موته : إلهي ما ذكرتك إلا عن غفلة ، وما خدمتك إلا عن فترة ؛ قال ذلك ومات ﷺ . انتهى من « رشحات » ١٤ .

وفي كتاب « اليواقيت » للشعراني : أنّه ﷺ كان يقول خطاباً للمنكرين عليه في زمانه : قد أخذتم علمكم ميتاً عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت . انتهى .

---

(١) بل بجسمانية كما في « الكشكول » و« الفيوضات الخالدية » . فإن كونه سقاء في دار جعفر أثبته المحققون . فراجعهما . (منه رحمه الله إفلاسه) .

ومما قاله ﵁ : عملت في المجاهدة ثلاثين سنة ، فما وجدت شيئاً أشدّ عليّ من العلم و متابعته ، ولو لا اختلاف العلماء لبقيت . . . . ، واختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد . انتهى من « الرسالة القشيرية » في ١٦ .

وقال شيخ الإسلام زكريّا الأنصاريّ في شرحه على تلك الرسالة على قوله (من العلم ومتابعته) ، أي : بالأعمال ، لأنّهما لا يتمان للعبد إلا بمخالفة هواه ، واجتهاده في تقواه ، وفي ذلك من المشقة ما لا يخفى ، لا سيّما العلم المتعلق بالقلب من الرياء والعجب والكبر وغيرها من الأخلاق الذميمة ، والورع والزهد والإخلاص وغيرها من الأخلاق الحميدة . انتهى .

وعلى قوله : (ولو لا اختلاف العلماء) ، أي : في المسائل ، (لبقيت) ، أي على اجتهاد واحد وهو ما اتّفقوا عليه ، وكنْتُ في مشية زائدة بالملازمة لنوع واحد .

وفي نسخة : (لتعبت) ، أي : زيادة تعب بذلك . انتهى .

وسُئِل ﵁ عن ابتدائه وزهده ، فقال : ليس للزهد منزلة ، فقلت : لماذا ؟ فقال :لأني كنت ثلاثة أيام في الزهد ، فلما كان اليوم الرابع خرجت منه ، اليوم الأول زهدت في الدنيا وما فيها ، واليوم الثاني زهدت في الآخرة وما فيها ، واليوم الثالث زهدت فيما سوى الله ، فلما كان اليوم الرابع لم يبق سوى الله فهمت ، فسمعت هاتفاً يقول : يا أبا يزيد ! لا تقوى معنا ، فقلت : هذا الذي أريد ، فسمعت قائلاً يقول : وجدت وجدت .

وقال ﵁ : منذ ثلاثين سنة أصلّي واعتقادي في نفسي عند كل صلاة أصليها كأني مجوسي أريد أن أقطع زناري .

وذهب ﷺ ليلة إلى الرباط ليذكر الله تعالى على سور الرباط ، فبقي إلى الصباح لم يذكر ، فقيل له في ذلك ، فقال : تذكّرت كلمة جرت على لساني في حال صبايَ فاحتشمت أن أذكره سبحانه وتعالى . انتهى من « الرسالة القشيرية » في ١٦ مع اختصار وتصرف في العبارة .

الشيخ أبو الحسن الخرقانيّ ﷺ

اسمه : علي بن جعفر ، كان قدِّس سره أوحد زمانه ، وغوث أوانه ، وكانت الرحلة في وقته إليه .

قال الشيخ أبو العباس القصاب : قد وقعت سويقتنا هذه إلى خرقان ؛ يعني أن الرحلة والزيارة صارت إلى خرقان ، فكان كذلك ، فإن رحلة الطالبين وقعت إلى خرقان للشيخ أبي الحسن بعد وفاة الشيخ أبي العباس القصاب قدِّس سرِّهما .

أفضل الأشياء

وانتسابه في التصوف إلى الشيخ أبي يزيد البسطامي قدِّس سرّه ، وكانت تربيته إيّاه بحسب الروحانية[1] كما مرّ ، قال يوماً لأصحابه : ما أفضل الأشياء ؟ قالوا : السماع من الشيخ أولى ، قال : القلب الذي ملئ من ذكر الله تعالى .

وسُئِل ﷺ عن الصوفي ، فقال : الصوفي لا يكون صوفيّاً بالمُرَقَّع ولا بالسجادة ، ولا بإجراء الرسوم والعادة ، بل **الصوفي من كان فانياً عن وجوده في عالم الشهادة .**

---

(١) لأنه كانت ولادته بعد وفاة البسطامي بزمان ، وهو أويسي ، راجع « تحفة الأحباب » (منه رحمه الله إفلاسه) .

وقال : إن الصوفي لا يحتاج إلى الشمس في النهار ، ولا يحتاج إلى النجوم والقمر في الليل ، بل **هو عدم محض لا يحتاج إلى وجود** لاستغراقه في بحر الشهود .

وسئل : إن الإنسان من أين يعرف أنه غافل أم يقظان ؟ قال : إذا ذكر الله سبحانه وتعالى فكان من الفَرْق إلى القدم من خشية الله مَلآن فهو يقظان .

وسئل عن الصدق ؟ فقال : الصدق أن يتكلم بالجنان ، يعني : يترجم لسانه ما في جنانه .

وسئل : لمن يجوز أن يتكلم في الفناء والبقاء ؟ قال : لمن إذا علقوه بشعرة في الهواء فجاءت ريح شديدة بحيث تقلع الأشجار ، وتهدم الجدار ، وتكدر البحار ، وتحرك الجبال والأحجار ، ولا تقدر أن تحركه من مكانه قيد أشبار يعني : لا يترك ما هو فيه وإن عظمت المصيبة ، وعمّت الحوادث ، لقوّة يقينه .

وقال : لا تصاحبوا شخصاً إن أنتم تقولون : الله ، هو يقول شيئاً آخر .

وقال : إن وارث رسول الله ﷺ شخص يكون مقتدياً بفعله ، ومُتَّبِعاً لأثره ﷺ ، لا من يسوِّد وجه الورق .

وقال : قال الشبلي : إذا قيل لي اختر ، أختار أن لا أختار ، وهذه أيضاً اختيار .

وقال : أنا منذ أربعين سنة على حال واحد ، وينظر الله سبحانه وتعالى إلى قلبي ، فلا يرى فيه غيره .

وقال : **تريد نفسي من منذ أربعين سنة شربة من الماء البارد ، واللبن الحامض ، فلم أعطها إلى الآن** .

وقال :إن العلماء والعباد كثيرون في الدنيا ، لكن ينبغي أن يكون من الذين يُمْسُون بما يرضى الله سبحانه ، ويصبحون كذلك بما يرضى الله تعالى .

وقال :إنّ أنْوَرَ القلوب قلبٌ لا يكون فيه ما سواه تعالى ، وأفضل الأعمال عمل لا يكون فيه فكر رؤية المخلوقين ، وأطيب الرزق ما يكون بسعيك ، وأفضل الرفقاء من يكون عيشه بالله .

توفِّي قدِّس سرّه يوم عاشوراء[١] سنة ٤٢٥ ، رضي الله عنه وأرضاه آمين .

الشيخ أبو علي الفارمديّ قدِّس سرّه

اسمه : فُضيْل بن محمد ، كان فريد وقته ، وشيخ الشيوخ في خراسان في طريقته الخاصة ، وكان تلميذ الإمام أبي القاسم القشيري قدِّس سرّه في الوعظ والتذكير .

وانتسابه في التصوف إلى الطرفين ، أحدهما : الشيخ أبو القاسم الجرجاني ، والثاني : أبو الحسن الخرقاني .

قال قدِّس سرّه :كنت في ابتداء أمري مشغولاً بطلب العلم في نيسابور ، فسمعت أنّ الشيخ أبا سعيد أبا الخير قد قدم إلى نيسابور ، وفتح مجلس الوعظ ، فذهبت عنده لأراه ، فلما وقع نظري على جماله صرت عاشقاً له ، وزادت محبة هذه الطائفة في قلبي ، وكنت يوماً قاعداً في حجرتي بالمدرسة ، فظهر فيّ شوق رؤية الشيخ ، ولم يكن إذ ذاك وقت خروج الشيخ ، فأردت أن أصبر إلى وقت خروجه ، فلم أقدر ، فقمت وخرجت ، ولما وصلت السوق رأيت الشيخ يذهب مع جمع كثير ، ومشيت أيضاً من أثرهم ، فوصلوا إلى محل ، فجلس الشيخ والجماعة

---

(١) في ليلة الثلثاء . « تحفة » .

حوله ، وجلست أنا في ناحية بحيث لا يراني الشيخ ، ولما شرعوا في السماع وطاب وقت الشيخ وظهر فيه أثر الوجد وشق الجبة ، وفرغوا من السماع ، وقسموا الجبة ، أخذ الشيخ قطعةً منها ، ووضعها بين يديه وقال : يا أبا علي الطوسي ! أين أنت ؟ فلم أجب ، وقلت : لا يراني ولا يعرفني ، ولعل في مريديه من يُسمّى بهذا الاسم ، فنادى ثانياً ، فلم أجب ، ثم نادى ثالثاً ، فقال جمع من أصحابه : إنّ الشيخ يعرفك ، فقمت من مكاني وجئت عنده ، فأعطاني القطعة ، وقال : هذه لك ، فلففتها بشيء ووضعت في محل نظيف ، وكنت أجيء في خدمته على الدوام ، فحصلتْ لي في خدمته فوائد جمّة ، وشاهدت في نفسي أنوارًا ، وظهرت الأحوال ولما خرج الشيخ من نيسابور حضرت عند الأستاذ أبي القاسم القشيري وقلت له : ما ظهر لي من الأحوال ، فقال : اذهب واشتغل بطلب العلم ، ففعلت ما أمرني به ، وكانت تلك الأنوار تزيد يوماً فيوماً ، فاشتغلت بالتحصيل ثلاث سنين أخرى ، حتى أخرجت القلم من المحبرة فخرج أبيض ، فقمت وجئت عند الإمام أبي القاسم القشيري ، وقصصت عليه القصة ، فقال : لما أعرض العلم عنك أعرض أنت عنه واشتغل بالشغل الباطني ، فتحولت من المدرسة إلى الخانقاه ، واشتغلت بخدمة الأستاذ الإمام .

وقال : دخل الأستاذ مرّةً الحمام وحده ، فذهبت وصببت الماء دلاء من الماء الحار في الحمام ، ولما خرج الأستاذ من الحمام وصلى الصلاة قال : من صبّ الماء في الحمام ؟ فسكتّ وقلت في نفسي : أخطأت في هذا حيث اجترأت على صب الماء من غير إذنه ، فأعاد ثانياً ، فلم أجب ، ولما قال ثالثاً قلت : أنا ، فقال يا أبا علي ! قد وجدت بدلو واحد ما لم يجده أبو القاسم في سبعين سنة .

فكنت عند الإمام مدّةً ، واشتغلت بالمجاهدات حتى ظهرت يوماً حالة قوية ، بحيث غبت عن نفسي ، وصرت مضمحلاً ومتلاشياً في تلك

الحالة ، فقصصتها على الأستاذ الإمام ، فقال : يا أبا علي ! إن جياد فكري لم يتجاوز عن هذا المحال ، وما كان فوق ذلك لا أعرف طريقة ، فتفكرت في نفسي أني قد احتجت إذاً إلى شيخ يرقيني إلى مقام أعلى من هذا المقام حتى تزيد تلك الحالة ، وقد كنت سمعت اسم الشيخ أبي القاسم الجرجاني ، فتوجّهت إلى طوس .

ولما وصلت هناك سألت عن منزل الشيخ ، فدلّوني عليه ، ولما دخلت وجدته قاعداً في المسجد مع جماعة من مريديه ، فصليت ركعتين تحية المسجد ، ثم جئت عنده ، فأطرق قليلاً ثمّ رفع رأسه وقال : تعال يا أبا علي وهات ما عندك . فسلمت عليه وقعدت بين يديه وقلت له واقعتي ، فقال : نعم ، يبارك لك الابتداء ، ولم تصل إلى درجة بعد ، لكن إن صادفت التربية تصل إلى درجة عالية ، فقلت في نفسي : إنّ شيخي هو هذا ، فأقمت عنده ، فأمر لي بالرياضات والمجاهدات مدة مديدة ، ثم عقد لي مجلس الوعظ والتذكير ، وزوّجني كريمته .

قال الإمام حجة الأسلام الغزالي قدِّس سرّه : سمعت الشيخ أبا علي الفارمدي قدِّس سرّه يقول نقلاً عن شيخه أبي القاسم الجرجاني قدِّس سرّه : أنّ الأسماء التسعة والتسعين تصير أوصافاً للعبد السالك ، وهو بعد في سلوكه غير واصل . انتهى عن « الباقيات الصالحات في تعريب الرشحات » .

الشيخ الخواجه يُوسُف أبو يَعْقوب الهَمدانيّ قدِّس سرّه

لما بلغ سنُّه ثمانية عشر سنة سافر إلى بغداد وتفقه على الشيخ أبي إسحاق ، وبلغ درجة الكمال في علم النظر ، وكان على مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى ، واشتغل أيضاً بالتحصيل في بخارا ،

وأصفهان ، وكان مقبولاً في بلاد العراق وخراسان وخوارزم وما وراء النهر ، وأقام مدّةً في جبل زر ، ولبس الخرقة من يد الشيخ عبد الله الجويني ، وانتسب في التصوف إليه وإلى الشيخ حسن السمناني ، والشيخ أبي علي الفارمدي رحمهم الله تعالى .

وكان ولادته في سنة ٤٤٠ ، ووفاته في سنة ٥٣٥ ، وكان ﷺ صاحب الأحوال والكرامات .

واستفاد في بغداد ، وأصفهان ، والعراق ، وخراسان ، وسمرقند ، وبخارا ، وأفاد وتعلَّم علم الحديث ، وكان واعظاً ، وانتفع به خلق كثير ، ونزل في مرو وأقام فيه مدةً ، ثم ذهب منه إلى هراة وجلس فيها زماناً ، ثم رجع ثانياً إلى مرو ، ثم خرج بعد مدّة إلى هرات وسكن فيها برهةً ، ثم عزم ثالثاً إلى مرو ، وتوفي في الطريق ، ودفن في موضع وفاته .

وقيل :إن مريده ابن النجار نقل جسده المبارك من مدفنه إلى مرو ، وقبره الآن فيه يُزار ، ويتبرك به .

وحكي أنه لما وصل الخواجه حسن الأندقي[1] إلى ملازمة الخواجه يوسف الهمداني قدِّس سرّه وأخذ منه الطريقة ، وصل حاله من دوام الاشتغال بالذكر والفكر في مدة يسيرة إلى مرتبة صار فيها مغلوب الحال .

ووقع كثير من مهماته الضرورية في التعويق والاختلال ، ولم يتيسّر له كفاية معاش الأولاد والعيال ، فقال له شيخه الخواجه يوسف : إنك محتاج وصاحب عيال ، ومباشرة بعض الأمور ضرورية ، والإهمال فيه والإمهال غير جائز شرعاً وعقلاً . فقال له في جوابه : إن حالي على وجه ليس لي معه مجال مباشرة أمر آخر .

---

(١) وهو ثاني خلفاء الشيخ يوسف الهمداني . (منه رحمه الله تعالى) .

فحصل لخواجه يوسف من هذا الكلام غيرة فعاتبه ، فرأى ليلته في منامه ربّ العزة وهو سبحانه وتعالى يقول : يا يوسف ! إنّا أعطيناك البصارة والبصيرة . المراد من البصارة عين العقل ، ومن البصيرة عين القلب ، فأكرمه الخواجه يوسف بعد ذلك غاية الإكرام ، ولم يكلّفه بشيء من أمور الدنيا . انتهى من ترجمة « الرشحات » .

ورُوِيَ : أن خواجه يوسف ومشائخه قدّس الله تعالى أسرارهم كانوا من أهل الذكر الجهري ، لكنّه لم يعلم الخواجه عبد الخالق بالذكر الجهري ، بل تركه على ما علّمه الخضر عليه السلام من الذكر الخفي ، فلذا قيل : إن الخضر عليه السلام شيخه بحسب تعليم الذكر ، والخواجه يوسف شيخه بحسب التربية والصحبة . انتهى من « تحفة الأحباب » .

خواجه عبد الخَالِق الغجْدَوانيّ قدس سرّه

هو الرابع من خلفاء خواجه يوسف الهمداني قدِّس سرّه ، وقدوة طبقات خواجكان ، ورئيس السلسلة النقشبندية قدَّس الله أرواحهم وروّح أشباحهم .

مولده ومدفنه قرية غجدوان ، وهي قرية كبيرة تقارب البلد على ستة فراسخ[1] من بخارا .

واسم والده : الشريف عبد الجميل ، وعُرِف بالإمام عبد الجميل ، وهو من أولاد الإمام مالك إمام دار الهجرة رضي الله عنه ، وكان مقتدى وقته ، وعالماً بعلوم الظاهر والباطن ، وكان أولاً ساكناً في ملاطية من بلاد الروم ، وكانت زوجته والدة خواجه عبد الخالق من بنات بعض ملوك الروم .

---

(١) فرسخ الطريق : ثلاثة أميال هاشمية أو اثنى عشر ألف ذراع أو عشرة آلاف ذراع . « قاموس » ، وهي ثمانية كلامتراً « منجد » .

قيل : **إن الإمام عبد الجميل تشرف بصحبة الخضر عليه السلام ، وبشّره الخضر بوجود حضرة خواجه ، وسماه بعبد الخالق** ، ولما ارتحل الإمام بسبب حوادث الأيام من بلاد الروم والشام إلى ديار ما وراء النهر مع متعلقاته من الخاص والعام قدم ولاية بخارا ، واختار للإقامة قرية غجدوان ، فولد له فيها حضرة خواجه ، ونشأ بها ، واشتغل في مبادئ حاله بتحصيل العلوم في بخارا .

مهم

ولما بلغ قوله تعالى : ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ الآية ، وقت اشتغاله بقراءة التفسير سئله عن حقيقة هذه الخفية وطريقتها ، وكيفية تحصيلها ، وقال : إن الذاكر إذا ذكر بلسانه جهراً ، أو تحرك شيء من أعضائه وقت الذكر يطلع عليه الأغيار ، وإن ذكر بقلبه فبمقتضى هذا الحديث : « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » يطلع عليه الشيطان فلا تتحقق الخفية في حال من الأحوال ، فقال أستاذه : إنّ هذا علم لدني ، فإذا أراد الله لك ذلك يوصلك إلى واحد من أهل الله فيعلّمك كيفيتها وحقيقتها .

فكان حضرة الخواجه بعد ذلك منتظراً لقاء أحد من أهل الله سبحانه وتعالى ، حتى لقي الخضر عليه السلام ، فعلّمه الوقوف العددي ، وذكر في فصل الخطاب أن كيفية اشتغال خواجه عبد الخالق الغجدواني حجة في الطريقة ، ومقبولة عند جميع الفرق .

كان قدِّس سرّه مداوماً على طريق الصدق والصفا ، ومتابعة الشريعة وسنة نبينا محمد المصطفى ﷺ ومجانباً للنفس ، ومخالفاً لهواها ، وكان يستر سيرته السنية عن نظر الأغيار .

تلقن الذكر القلبي أيّام شبابه عن الخضر عليه السلام ، وكان يواظب على الذكر المذكور ، وقبله حضرة الخضر عليه السلام للولدية وأمره بأن يخوض في الحوض[١] وأن يقول بقلبه تحت الماء : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ففعله الخواجه ، وأخذ منه ذلك ، واشتغل به هنالك ، ففتح له أنواع الفتوح والترقيات فوق إدراك المدارك ، وكان كيفية اشتغاله من أوّل حاله إلى آخر أمره ومآله ونهاية كماله مقبولة ومحبوبة عند جميع الخلق . ولما قدم الخواجه يوسف الهمداني قدِّس سرّه إلى بخارا حضر الخواجه عبد الخالق صحبته ، وعلم أن له أيضاً اشتغالاً بالذكر القلبي ، فاغتنم صحبته ، ولازمه مدة إقامته ببخارا .

ولذا قيل : إن الخضر عليه السلام شيخه في التعليم والتلقين ، والخواجه يوسف شيخه في الصحبة . وطريقة خواجه يوسف ومشائخه قدس الله أسرارهم ، وإن كانت علانية لكن لما أخذ الخواجه عبد الخالق الذكر الخفي عن الخضر عليه السلام وأمر بذلك ، لم يغيّره شيخه الخواجه يوسف ، بل أمره أن يشتغل على الوجه الذي كان مأموراً به من الخضر عليه السلام .

وذكر في بعض تحريرات الخواجه عبد الخالق قدِّس سرّه : لما بلغت من العمر اثنتين وعشرين سنة فوَّضني محي القلوب الميتة الخضر عليه السلام إلى الشيخ الكبير العارف الرباني يوسف الهمداني قدِّس سرّه ، ووصاه بتربيتي ؛ فما دام ساكناً في ما وراء النهر كنت في خدمته ، وملازمته ، واستفدت منه ، واستفضت ، ثم لما رجع خواجه يوسف إلى خراسان اشتغل خواجه عبد الخالق بالرياضات ، وستر أحواله عن الأغيار ، وبلغ ولايته وكرامته مرتبة كان يذهب إلى مكة في كل وقت من أوقات الصلاة ويرجع .

---

(١) ولعل الأمر بغوص الماء لحفظ النفس والاحتياط فيحسبه « البهجة السنية » عبارته .

وظهر له في ولاية الشام مريدون لا يحصون ، وبُنِيَت رباطات فيها على اسمه ، وجلس مدةً في مقام الإرشاد ودعوة الخلق ، ودلالة الطالبين على طريق الحق . وله رسالة الوصية في آداب الطريقة ، كتبها لأجل ولده المعنوي خواجه أوليا كبير قدِّس سرّه ، مشتملة على فوائد جزيلة ، وعوائد جليلة ، لا بد منها لجميع السالكين والمريدين .

ومن جملتها هذه الفقرات الجامعة نوردها للتبرك والتيمن .

وصية نفيسة مهمة

رشحة ، قال قدِّس سرّه : أوصيك يا بنيّ بتعلم العلم والأدب ، والتقوى في جميع الأحوال ، وعليك بأن تتبع آثار السلف ، وأن تلازم السنة والجماعة ، وتعلم الفقه والحديث ، واجتنب الصوفي الجاهل ، وصلّ الصلوات بالجماعة على الدوام بشرط أن لا تقبل شيئاً من وظائف الإمامة والأذان ، وإيّاك وطلب الشهرة ، فإن في الشهرة آفات ، ولا تكن مقيّداً بمنصب ، واختر الخمولة دائماً ، ولا تكتب اسمك في الحجج والوثائق ، ولا تحضر محكمة القضاء ، ولا تكن كفيلاً لأحد ، ولا تدخل في وصايا الناس ، ولا تصحب الملوك وأبناءهم ، ولا تبن رباطاً ، ولا تقعد فيه ، ولا تكثر السماع فإن الإكثار منه يورث النفاق ويميت القلب ، ولا تنكر السماع ، فإن أصحاب السماع كثير .

وكن قليل الكلام وقليل الطعام وقليل المنام ، وفرّ من الخلق فرارك من الأسد ، والزم الخلوة ، ولا تصحب الولدان والنسوان والمبتدعين والأغنياء المتكبرين والعوام كالأنعام ، وكل من الحلال ، واحذر من الشبهة .

ولا تتزوج ما استطعت فتطلب الدنيا ، ويكون دينك هباء في طلب الدنيا ، ولا تكثر الضحك ، واحذر في الضحك من القهقهة ، فإن كثرة

الضحك تميت القلب ، وانظر إلى كل أحد بعين الشفقة ، ولا تحقر أحداً ولا تزين ظاهرك فإن تزيين الظاهر ينبئ عن خراب الباطن ولا تجادل مع الخلق ولا تطلب شيئاً من أحد ولا تأمر أحداً بالخدمة ، واخدم المشائخ بالمال والبدن والروح ، ولا تنكر على أفعالهم ، فإن منكر المشائخ لا يفلح أبداً .

ولا تكن مغروراً بالدنيا ، ولا بأهلها ، وينبغي أن تكون مغموم القلب دائماً ، وأن يكون بدنك مريضاً ، وعينك باكية ، وعملك خالصاً ، ودعاؤك مقروناً بالتضرع ، ولباسك خَلِقاً ، ورفيقك طالباً صادقاً ، ورأس مالك فقراً ، وبيتك مسجداً ، ومونسك الحقّ سبحانه وتعالى . انتهى من ترجمة « الرشحات » .

وذكر في « تحفة الأحباب » : أنه حصلت له[1] الجذبة القيومية بفعل ما أمر به الخضر عليه السلام ، ثم تسلسلت الجذبة بالذكر الخفي في هذه الطريقة عند الخواجكان ، فهو أول من اشتغل بالذكر الخفي في هذه الطريقة ، فلذلك كان رئيس الطريقة في الذكر الخفي . انتهى .

الخواجه عَارِف الريوكريّ قدّس الله تعالى سره

فهو الرابع من خلفاء الخواجه عبد الخالق قدِّس سرّه ، مولده ومدفنه ريوكر وهي قرية من قرى بخارا على ستة فراسخ منه ، ومنها إلى غجدوان فرسخ شرعي .

وسلسلة نسبة حضرة خواجه بهاء الدين قدَّس الله تعالى سرّه ، تتصل به من بين خلفاء الخواجه عبد الخالق قدِّس سرّه . انتهى من ترجمة « الرشحات » .

ولم يبلغنا من كراماته ومناقبه شيء ، فلعلّ من ظفر بها أن يلحقها هنا .

---

(١) أي : لعبد الخالق .

الخواجه محْمُود الإنجير فغنوي قدّس الله سرّه

هو أفضل أصحاب الخواجه عارف عليه الرحمة وأكملهم ، وامتاز من بين الأصحاب بالخلافة والإرشاد .

مولده : إنجير فغنى قرية من مضافات وابكن ، وهي قرية كبيرة من قرى بخارا ، مشتملة على قرى كثيرة ومزارع جزيلة على ثلاثة فراسخ من بخارا ، وكان مقيماً بها ودفن فيها .

وكان نجّارا ، وبه كان يحصل كفاية معاشه .

ولما تشرف من حضرة الخواجه بإجازة الإرشاد ، وصار ممتازاً بدعوة الخلق إلى طريق الرشاد ، افتتح بذكر العلانية[1] بمقتضى الوقت ومصلحة حالة الطالبين ، وكان أول اشتغاله به في مرض موت خواجه عارف قبيل احتضاره فوق تل رِيَوْكِر ، فقال الخواجه عارف في هذا الوقت : هذا وقت قد أشاروا به إليّ قبْلُ ، ثم اشتغل به بعد وفاته في مسجد على باب قلعة وابكن .

واستفسره مولانا حافظ الدين الذي هو من كبار علماء وقته ، ومن أجداد الخواجه محمد پارسا قدِّس سرّه بإشارة أستاذ العلماء شمس الأئمة الحلواني رحمهما الله تعالى ببخارا عند جمع كثير من الأئمة وعلماء الزمان : إنكم بأيّ نية تشتغلون بذكر العلانية ؟ فقال : بنية إيقاظ النائم وتنبيه الغافل أخي البهائم ، حتى يُقْبِل على الطريقة ، ويستقيم على الشريعة ويرغب في الحقيقة ، فيصير سبباً لتوبته وإنابته التي هي مفتاح جميع الخيرات ، وأصل كل السعادات . فقال له مولانا حافظ الدين : إذاً نيّتكم صحيحة ، فيحلّ لكم الاشتغال به .

(١) كان ابتداء الذكر الجهري من الخواجه محمود قدس سره . هكذا في « تحفة الأحباب » .(منه) .

مهم : حدّ ذكر العلانية

ثم التمس منه في هذا الوقت أن يبيّن حدّ ذكر العلانية ليمتاز الحقيقة بذلك الحدّ عن المجاز . فقال الخواجه : **إن ذكر العلانية مُسَلَّم ممن يكون لسانه طاهراً عن الكذب والغيبة ، وحلقه عن الحرام والشبهة ، وقلبه صافياً عن الرياء والسمعة ، وسرّه منزهاً عن التوجه إلى غير جناب الحقّ .**

قال الخواجه علي الرامتني الآتي ذكره : رأى واحد من الفقراء الخضر عليه السلام في عهد خواجه محمود ، فسأله عن شيخ ثابت جادة الاستقامة من بين مشائخ زمنه ، ليتمسك بزيل إرادته ومتابعته ويقتدي به ؛ فقال له الخضر عليه السلام : إن الموصوف بهذه الصفة الآن هو الخواجه محمود الأنجير فغنوي .

وقال بعض أصحاب خواجه علي : إن الفقير الذي رأى الخضر عليه السلام هو الخواجه علي نفسه ، لكنه تحاشا عن التصريح بأنه رأى الخضر عليه السلام ، فعبَّر عن نفسه بواحد من الفقراء .

كرامة محمود أنجير فغنوي

قيل : إن الخواجه علياً كان يوماً مشغولاً بالذكر في بادية رامتين مع سائر أصحاب خواجه محمود ، فرأوا طائراً كبيراً أبيض يطير في الهواء ، فلما حاذاهم نادى بلسان فصيح : يا علي ! كن رجلاً كاملاً . فحصل للأصحاب من رؤية ذلك الطائر وسماع كلامه كيفية عجيبة ، حتى غابوا عن أنفسهم ، فلما أفاقوا سألوه عن الطائر وكلامه ، فقال : هو خواجه محمود أكرمه الله تعالى بهذه الكرامة يطير دائماً في مقام كلّم الله تعالى فيه موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام بألوف من الكلام ، وكان الآن ذاهباً لعيادة الخواجه دهقان القلتي المار ذكره ، فإنه لما احتضر سأل الله سبحانه أن يوصل إليه أحداً من أوليائه في آخر نفسه ليكون عوناً له في ذلك الوقت ، فذهب إليه الخواجه محمود لهذا السبب . انتهى من ترجمة « الرشحات » .

وفيما ذكر من مناقب الخواجه محمود قدِّس سرّه ، ما يؤخذ به منقبة الخواجه علي قدس سره وإن لم نذكره في ترجمته على حِدَة ، فلتدبره .

الخواجه علي الراميتني قدِّس سرّه العزيز

هو الثاني(١) من خليفتي الخواجه محمود ، ولقبه في سلسلة النقشبندية : عزيزان ، قيل : إنه لما قربت وفاة الخواجه محمود أحال أمر الخلافة إلى حضرة عزيزان وفوّض سائر الأصحاب إليه .

وسلسلة نسبة خواجه بهاء الدين تتصل به من بين أصحاب خواجه محمود بواسطتين ، وله مقامات رفيعة ، وكرامات عجيبة ، وكان نساجاً .

سأله قدِّس سرّه واحد من أكابر علماء زمانه : إنكم بأيّ نية تشتغلون بذكر الجهر ؟ فقال : إن تلقين المحتضر كلمة : (لا إله إلا الله) جهراً جائز بإجماع العلماء ، لحديث : « لقِّنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله » ، وكل نفسٍ نفسٌ أخير عند الصوفية ، فهم في حكم المحتضر .

وسأله أيضاً واحد : إنا سمعنا أنكم تشتغلون بذكر الجهر ، فكيف هذا ؟ فقال : ونحن أيضاً سمعنا أنكم تشتغلون بالذكر الخفي ، فكان ذكركم أيضاً جهراً .

وسُئل قدِّس سرّه : إن الذكر الذي أمرنا به من عند الحق سبحانه حيث قال عزّ من قائل : ﴿ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ هل هو ذكر اللسان أو ذكر القلب ؟ فقال : هو في حقّ المبتدئ ذكر اللسان ، وفي حقّ المنتهي ذكر القلب ، فإن المبتدئ يتكلّف في الذكر دائماً ، ويتعمّل ويبذل روحه ؛ وأما المنتهي : فإنه إذا وصل أثر الذكر إلى قلبه يكون

---

(١) وخليفته الأول هو الأمير خورد الوابكندي قدس سره ، وهو مذكور في ترجمة « الرشحات » . (منه غفر الله ذنبه آمين) .

جميع أعضائه وجوارحه وعروقه ومفاصله ذاكرة ، فيتحقّق الذاكر في ذلك الوقت لكونه ذاكراً بالذكر الكثير ، **ويكون يومه الواحد في ذلك الحال مساوياً لسنة غيره من الرجال .**

مهم

قال قدِّس سرّه في معنى قولهم : **إن الله ينظر في اليوم والليلة إلى قلب المؤمن بنظر الرحمة ثلاثمائة وستين نظرة** : هو أن للقلب ثلاثمائة وستين روزنة إلى جميع الأعضاء ، **وهي عبارة عن ثلاثمائة وستين عِرْقاً في البدن من الأوردة متصلة بالقلب** ، فإذا تأثّر القلب من الذكر وبلغ مرتبة يكون منظوراً إليه بنظر خاصٍّ من الحقّ سبحانه تنشعب حينئذ آثار ذلك النظر من القلب إلى جميع الأعضاء حتى يشتغل كل عضو من الأعضاء بطاعة لائقة بحاله ، فيصل الفيض الحاصل من تلك الطاعة إلى القلب ، وذلك الفيض هو المراد بنظر الرحمة .

وقال قدِّس سرّه : في هذه الآية الكريمة - أعني قوله تعالى : ﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ -إشارة وبشارة ، أما الإشارة : فهي التوبة والرجوع ، وأما البشارة : فقبول التوبة ، فإنه تعالى لو لم يقبل التوبة لما أمر بها ، **والأمر دليل القبول ، لكن مع رؤية التقصير .**

وقال قدِّس سرّه : ينبغي أن يعمل ويعتقد أنه لم يعمل ، وأن يرى نفسه مقصِّراً في العمل ، وأن يستأنفه من الأول .

مطلب

وقال : حافظوا على أنفسكم في وقتين : وقت الكلام ، ووقت الطعام .

قال : جاء الخضر عليه السلام عند الخواجه عبد الخالق مرّةً ، فجاءه الخواجه بقرصين من خبز الشعير من بيته ، فلم يأكله الخضر عليه

السلام ، فقال الخواجه : لِمَا لا تأكل فإنه حلال ؟ فقال الخضر : نعم ، ولكن العاجن عجنه على غير طهارة ، فلا يجوز لنا أكله .

وقال : ينبغي لمن جلس في محلّ الإرشاد ودعوة الخلق إلى الحقّ أن يكون مثل من يربّي الطيور ، فكما أنه يعرف طبيعة كل واحد من الطيور فيطعمه ما هو موافق لمزاجه وطبعه ، فكذلك المرشد ينبغي له أن يربّي الطالبين الصادقين على قدر قابليتهم واستعدادهم .

وقال : ينبغي لأهل الطريقة أن يكثر من الرياضة والمجاهدة حتى يصل إلى مرتبة ومقام ، **لكن للسالكين طريق آخر أقرب من جميع الطرق يمكن أن يصل منه إلى المقصود سريعاً ، وهو أن يجتهد الطالب في أن يتمكّن في قلب واحد من أرباب القلوب بواسطة خُلُق حسن ، أو خدمة لائقة به ، فإنّ قلب هذه الطائفة مورد لنظر الحق سبحانه ، فيكون له نصيب منه .**

وقال : ادعوا الله تعالى بلسان لم تعصوا به الله ، حتى يترتب عليه الإجابة ، يعني : تواضعوا أولياء الله تعالى ، وأَظْهِروا لهم الانكسار والافتقار حتى يدعوا لكم فيُسْتَجاب . انتهى من ترجمة « الرشحات » بتصرّف واختصار .

حكاية عجيبة

ومن خوارقه العادات قدِّس سرّه : واعلم أنه كان معاصراً لسيد آتا المار ذكره[1] ، ووقعت بينهما ملاقات ومراسلات كما تقدم - يعني في « الباقيات الصالحات » - وكان لسيد آتا في حقه مناقشة ومناظرة في مبادئ حاله ، فصدرت مرّةً من سيّد آتا صورة مُنافية للأدب في حق عزيزان فاتفق أنّ جميعاً من أتراك دشت قيچاق نهبوا في تلك الأيام أموالاً كثيرة

---

(١) أي : في « الباقيات الصالحات في تعريب الرشحات » . (منه)

من نواحي سيد آتا ، وأسروا ولده ، فتنبّه السيد وتيقَّن أنّ هذه الحادثة إنما حدثت بسبب ارتكابه سوء الأدب ، فتندَّمَ على ما تقدّم وأحضر الطعام ودعا حضرة عزيزان على غرض السيد ، وقبل التماسه ، وحضر مجلسه ، وكان ذلك المجلس مملوءاً من الأكابر والعلماء والمشائخ ، وكان في ذلك اليوم لحضرة عزيزان كيفية عزيمة وبسط تام ، فلما مدّ السماط وحضر الطعام قال حضرة عزيزان : إن عليّاً لا يذوق الملح ولا يمدّ يده إلى الطعام حتى يحضر ولد سيد آتا ، ثم سكت لحظة ، وانتظر الحاضرون ظهور أثر هذا النفس ، فدخل ولد سيد آتا من الباب في هذا الوقت بغتة ، فقام من ذلك المجلس صياح ونياح برؤية هذا الحال ، وتحيّر كلهم ، وتعجبوا ، فسألوه عن كيفية نجاته من يد الأشرار ووصوله إلى تلك الديار ؟ فقال : إني كنت الآن أسيراً في يد جمع من الأتراك مربوط اليد والرجل بالحبال ، والآن أرى نفسي حاضراً عندكم ، ولا أعلم أزْيَدَ من ذلك فحصل اليقين لأهل المجلس أن هذا كان تصرّفاً من حضرة عزيزان ، فوضع الكل رؤوسهم على قدميه وسلموا يد الإرادة إليه .

نقل : أنه جاء يوماً لحضرة عزيزان ضيوف لازموا الإكرام ولم يحضر في بيته في ذلك الوقت شيء من الطعام ، فصار من ذلك الحال منكسر البال فخرج من بيته ، فصادف غلاماً من مخلصيه كان يبيع الأكارع ومعه قدر مملوء من الأكارع ، فتواضع لحضرة عزيزان وقال : قد طبخت هذا الطعام لأجل ملازمي العتبة العلية من الأحباب والخُدَّام ، فيُرْجى قبوله ، فاغتنم حضرة عزيزان حضور الغلام بهذا الطعام في هذا الحال وطاب وقته وصار منشرح البال ، وأثنى على الغلام خيراً ، فأطعمه للأضياف ، ثم طلب الغلام وقال : إن خدمتَك هذه قد بلغت من الحسن الغاية ووقعت من القبول في النهاية ، فاطلب الآن منِّي أيّ مراد شئت تنلْ مقصودك ؛ وكان الغلام عاقلاً ذكياً ، فقال : إنّي أريد أن أكون مثلك ؛ فقال عزيزان :

إنّ هذا أمر صعب يقع عليك حمل لا تطيقه ؛ فقال الغلام بالتواضع والانكسار : إن مرادي هو هذا ولا أريد غيره ؛ فقال حضرة عزيزان : تكون كذلك ، فأخذ بيده وأدخله في خلوته الخاصّة وتوجه إليه بحسن التوجه ، فوقع بعد ساعة شبْحُ[1] الشيخ على الغلام ، فصار في الحال في صورته وسيرته ظاهراً وباطناً ، بحيث لا يعرف الفرق في البين ولا يمتاز المثل من العين ، وعاش الغلام بعد هذه أربعين يوماً ثم تخلص طير روحه من قفص البدن ، وطار نحو حظيرة القدس ، ولحق برحمة ربه ذي المنن ، رحمة الله عليه رحمةً واسعةً .

مطلب مهم

قيل :إن حضرة عزيزان لما توجه من ولاية بخارا إلى خوارزم بإشارة غيبية ووصل إلى باب البلد وقف هناك وأرسل اثنين من أصحابه إلى خوارزم شاه ، وقال لهما : قولا لخوارزم شاه : إن نساجاً قدم بلدك يريد الإقامة فيه ، فإن أذن له الملك يدخل ، وإلا فيرجع من حيث جاء ، وقال لهما : فإن أذن الملك فخذوا منه حجةً مختومةً بختمه ، فلما دخلا على الملك وعرضا عليه حاجتهما ضحك الملك وأركان الدولة ، وقالوا : إن هؤلاء قوم غلبت عليهم البلاهة والجهالة ، فكتبوا لهما ورقة الإذن على وفق مرامهم استهزاءً بهم ، وختمها الملك وأعطوها لهما .

فجاءا بهما عند حضرة عزيزان ، فدخل البلد وقعد في زاوية ، واشتغل بطريق خواجكان قدّس الله أرواحهم ، **وكان يذهب في كل صباح عند موقف العمال يأخذ أجيراً أو أجيرين ويجيء به في بيته ويقول له : توضأ وضوءاً كاملاً واقعد معي اليوم على الطهارة إلى وقت العصر ، فنذكر الله سبحانه ، ثم خذ مني أجرك ، ثمّ اذهب حيث شئت ؛ فاغْتَنَمَ**

---

(١) والشبح : الشخص . « مصباح » .

العمال ذلك وصاروا يشتغلون في صحبة عزيزان بالذكر إلى وقت العصر بطيب القلب والنشاط ، وصار كل من اشتغل في صحبته يوماً واحداً في هذا الطريق يحصل له حالة عجيبة ببركة صحبته الشريفة ، وتأثير الذكر وتصرفه في باطنه ، بحيث كان لا يقدر في اليوم الثاني مفارقة صحبته ، ولا يمكن له الذهاب من عنده .

حتى مضت مدّة مديدة على هذا المنوال ، فدخل أكثر أهل تلك الديار في طريقته ، فكان الطالبون في بابه لا يحصون كثيرةً ؛ فلما زاد الازدحام سعى اللئام إلى خوازم شاه بأنه ظهر شيخ في تلك الديار ، ودخل في طريقته وربقة إرادته كثيرون من الأنام ، وقاموا في ملازمته وخدمته على الأقدام ، فيخشى من كثرة أتباعه أن يحدث خلل في المملكة العلية ، وزلل للسلطنة ، أو تقع فتنة لا يمكن تسكينها .

فتأثر الملك من هذا الخبر المفزع ، وعزم أن يخرج حضرة عزيزان من بلاده ، فأرسل حضرة عزيزان الشخصين المذكورين بالورقة المكتوبة المختومة بختمه إليه ، وقال : قولا له : نحن ما دخلنا هذا البلد إلا بإذن منك ، فإن بدلت الآن رأيك وغيرت كلامك ونقضت حكمك نخرج من بلادك .

فصار الملك وأركان الدولة خجلين منفعلين من الصورة المذكورة فوق الغاية ، وذهبوا إلى صحبته لملازمته ، وكان من جملة المحبين والمخلصين له .

قيل : إن عمره بلغ مائة وثلاثين سنة .

وكان له ولدان أمجدان عالمان عاملان عارفان كاملان ، وكان لهما من أعلى مراتب الولاية نصيب تام ، وهما : الخواجه خورد ، واسمه محمد ؛ والخواجه إبراهيم رحمهما الله تعالى ، وهو أصغر سنّاً منه ، وأعطى إجازة الإرشاد له وإن كان أصغر ، لما علم أن الخواجه خورد لا يمكث في الدنيا إلا قليلاً .

توفي حضرة عزيزان بين الصلاتين يوم الاثنين الثامن والعشرين من ذي القعدة سنة ٧١٥ ، والله أعلم .

وتوفي ولده المذكور الخواجه خورد ضحى يوم الاثنين السابع عشر من ذي الحجة من السنة المذكورة بعد تسعة عشر يوماً من وفاة حضرة عزيزان .

وتوفي ولده الصغير الخواجه إبراهيم المجاز له في شهور ثلاث وتسعين وسبعمائة .

وكان لحضرة عزيزان خلفاء[١] أربعة غيره ، يسمى كل منهم محمداً . انتهى من « الباقيات الصالحات » بتصرف واختصار .

الخواجه محمَّد بابا السّماسيّ رحمه الله تعالى

هو أكمل أصحاب حضرة عزيزان وأفضلهم ، مولده قرية سماس وهي من جملة قرى راميتن على بعد فرسخ شرعي منه ، ومنها إلى بخارا ثلاثة فراسخ ، وقبره أيضاً هناك .

نُقِلَ : أنه لما قربت وفاة حضرة عزيزان اختار الخواجه محمد بابا السماسي من بين الأصحاب لمقام الإرشاد ، وفوّض إليه أمر الخلافة والنيابة وأمر باقي الأصحاب بمتابعته وملازمته .

وحصل لحضرة الخواجه بهاء الدين قدّس سرّه نظر القبول بالولدية منه .

---

(١) وهم مذكورون في ذلك الكتاب ، أي : في « الباقيات الصالحات » ، فليراجعه . (منه) .

مهم

وكان قدِّس سرّه كلَّما يمرّ بقصر هندوان قبل ولادة الخواجه بهاء الدين يقول : يفوح من هذه الأرض رائحة رجل ، وسيصير قصر هندوان قصر عارفان .

فلما مرّ به يوماً قال : قد ازدادت تلك الرائحة ، أظن أنّه قد وُلِد ذلك الرجل .

وكان قد مضى في ذلك الوقت ثلاثة أيام من ولادة خواجه بهاء الدين ، فوضع جدّه هدية على صدره الشريف ، وجاء به عند خواجه باب ، فقال : إنه ولدنا ، ونحن قبلناه ؛ وقال لأصحابه : إن هذا المولود هو الذي كنت أشمّ رائحته ، فيوشك أن يكون مقتدى وقته . ثم التفت إلى خليفته الجليل السيد الأمير كلال وقال : لا تقصر في تربية ولدي بهاء الدين وشفقته ، ولا أجعلك في حلّ مني إن كنت مقصراً ؛ فقام الأمير على قدمه ووضع يده على صدره ، وقال : **لا أكون رجلاً إن كنت مقصراً** .

وما بقي من تلك الحكاية وكيفية تربية الأمير لحضرة الخواجه مذكور في « مقامات الخواجه بهاء الدين » بالتفصيل .

قال حضرة شيخنا : كان لخواجه محمد بابا بستان صغير في قرية سماس ، وكان يباشر إصلاحه بنفسه أحياناً ، وينقيه بيده الكريمة ، وكان يمتد إصلاحه إلى زمان طويل ، **وذلك أنه كلما وضع المنشار على غصن من الأغصان كان يغلبه الحال ويغيب عن نفسه ، ويسقط المنشار من يده ، ويبقى في غيبته زماناً** . انتهى من « الباقيات الصالحات » .

السيد الأمير كلال قدِّس سرّه

هو أفضل أصحاب الخواجه محمد بابا ، وأكمل خلفائه ، وفيه شرف السيادة ، مولده ومدفنه سوخار ، وكان يصنع الكيزان ، ويُقال في لغة أهل بخارا لمن يصنع الكيزان : كلال .

وذكر في « المقامات » أن والدته الشريفة كانت تقول : إذا أكلت لقمة ذات شبهة مدة حملي بالأمير كلال ، كان يعرض لي وجع البطن بالشدة ، فلما تكرَّر ذلك علمت أنّه بسبب ذلك الجنين ، فكنت بعد ذلك أحتاط في اللقمة راجياً خير ذلك الجنين .

فلما بلغ السيد أمير كلال سن الشباب اشتغل بالمصارعة ، وكان يجتمع حوله جمع كثير للتفرّج ، فخطر يوماً على قلب رجل في ذلك الاجتماع أنه كيف يليق بالسادة الشرفاء أن يشتغل بمثل هذه الصنعة وأن يسلك طريق أهل البدعة ، **فغلبه النوم في الحال ، ورأى في المنام أن قد قامت القيامة ، ورأى نفسه مغموراً في الطين إلى صدره وقد عجز عن الخروج منه ، فبينما هو متحيّر في تلك الحالة إذ ظهر السيّد وأخذ بيده وأخرجه من الطين بسهولة ، فلما انتبه التفت إليه حضرة الأمير في ذلك الاجتماع وقال : نحن إنما نتدرّب[1] المصارعة ونتمرن[2] المجاسرة والتجبر لمثل هذا اليوم .**

روي أن الخواجه محمد بابا مرّ يوماً بمعركة السيد ، فوقف برهةً يتفرج ، فخطر علي خاطر بعض أصحابه أنه كيف ينظر حضرة الخواجه إلى هؤلاء المبتدعة ، فأشرف حضرة الخواجه على خاطره ، وقال : **إن في تلك المعركة رجلاً يصل في صحبته رجال كثيرون إلى**

---

(١) الدارب : الحاذق بصناعته . « مصباح » . (هامش الأصل) .

(٢) مرنت على الشيء إلخ : اعتدته وداومته . (مصباح) .

درجة الكمال؛ ونظرنا هذا إنما هو لأجله ، ونريد أنْ نصيِّده ، فوقع نظر الأمير في هذا الحال على حضرة الخواجه ، وجذبته جاذبة نظر الخواجه مما كان فيه ، فلما ذهب الخواجه ترك الأمير معركته من غير اختيار ، وتوجه من عقبه ، ولما وصل الخواجه إلى بيته وأدركه الأمير من عقبه أدخله في محلّه وعلّمه الطريقة وقبله للولديّة ، فلم يره أحدٌ بعد ذلك في المعركة والأسواق وسائر مجامع الفساق ، وكان في خدمته وملازمته مدة عشرين سنة متصلة ، وكان يجيء في كل يوم الاثنين والخميس من قرية سوخار إلى قرية سماس لملازمته ، ويرجع من يومه ، ومسافة ما بينهما خمسة فراسخ[١] . **واشتغل مدة ملازمته بطريقة خواجكان قدّس الله تعالى أرواحهم ، بحيث لم يطلع أحد من الأغيار على حاله حتى وصل في ظل تربية الخواجه إلى مقام التكميل والإرشاد .**

ونسبة صحبة الخواجه بهاء الدين وتعلمه الطريقة وآداب سلوكه كانت إليه قدِّس سرّه .

وله أربعة أولاد ، وأربعة[٢] خلفاء ، كان كلهم من أرباب الكمال وأصحاب الوقت والحال . وأحال تربية كل من أولاده على كل واحد من خلفائه . انتهى من « الباقيات الصالحات » بعباراته .

وكان أكبر أولاده الأمير برهان صاحب سكر وجذبة قوية ، وكان طريقته وسيرته الانزواء[٣] والانقطاع عن الخلق ، ولم يأنس في عمره بأحد أبداً ، ولم يمل قلبه إلى الألفة سرمداً ، ولم يطلع أحد على أطواره وأحواله ، وكان في قوة الباطن بمرتبة كان ينهب من أصحاب حضرة الخواجه أحوالهم الباطنة ، ويتركهم عارين عن اللباس المعنوي .

---

(١) الفرسخ : ثمانية كيلومترات . « منجد » .

(٢) وقيل : للأمير أربعة عشر خليفة . انتهى من ترجمة « رشحات » .

(٣) انزوا : نحاه . « قاموس » ، أي : صرفه . « مختار » .

وحكي الشيخ نيكروز الذي هو من أجلة أصحاب الخواجه بهاء الدين قدِّس سرّه أنه كلما وقعت لي الملاقاة مع الأمير برهان كان يسلب مني أحوالي الباطنية ، ويتركني خالياً عن النسبة متفرق الباطن .

فلما وقع ذلك منه كرّاتٍ ومرات أردت أن أعرض ما في بالي من أخذ الأمير أحوالي على حضرة الخواجه ، فجئت عنده بهذه النية ، فلما وقع نظره عليّ قال : لعلك جئت للشكاية من الأمير برهان ؟ قلت : نعم ، فقال : **متى توجّه إليك لسلب أحوالك توجّه أنت إليّ وقل من قلبك : لست أنا بل هو ، يعني حضرة الخواجه** ؛ فلما لقيت الأمير برهان بعد هذا التعليم وأراد أن يشتغل بسلب أحوالي على عادته القديمة ، توجّهت في الحال إلى حضرة الخواجه ببالي ، وأحضرت صورته الشريفة في خيالي ، وقلت : لست أنا بل حضرة الخواجه ، فرأيته في الحال متغير الأحوال ، حتى سقط في الأرض مغشيّاً عليه ، فلم يكن بعد ذلك متوجهاً إليّ بطريق التصرف . انتهى منه بتصرف قليل .

واعلم أنه يؤخذ من هذه الحكاية أن المريد إذا وقع في صحبة من خاف منه من أن يسلب أحواله الباطنية فاللائق به أن يجتهد في حفظ صورة شيخه في خياله لئلا تنسلب أحواله ، فافهم[١] .

---

(١) وقد قال لي شيخنا العسوي قدسر سره مرة : إنّي أذنت لك أن تذهب إلى زيارة الشيخ زين الله المعموري الترويسكي قدس سره ، فقلت له : كيف أقف لديه يا أستاذي إذا زرته ؟ فقال لي قدس سره : كن عنده على الحضور أكثر مما تكون عندي عشر مرات . انتهى . (منه) .

رئيس هذه الطريقة بهاء الحَقّ والدِّين محمّد المشتهر بالنّقْشبند قدَّسَ الله تعالى سرّه

ولادته في محرم سنة ٧١٨ ، في عهد حضرة عزيزان خواجه علي الراميتني عليه الرحمة ، على قول من قال أن وفاته في شهور سنة ٧٢١ .

مولده ومدفنه قصر عارفان ، وهي قرية على فرسخ من بخارا .

وكانت آثار الولاية واضحة في وجهه ، وأنوار الكرامة لائحة من جبينه في طفوليته . نقل عن والدته أنها قالت : **كان ولدي بهاء الدين ابن أربع سنين ، فأشار إلى بقرة من بقراتنا ، وقال : إنّ بقرتنا هذه تلد عجلاً أغرّ الجبين ، فولدت بعد أشهر عجلاً موصوفاً بالصفة المذكورة** .

وكان لحضرة خواجه نظر القبول للولدية من حضرة الخواجه محمد بابا السماسي حين كان طفلاً ، وكان تعلمه لآدب الطريقة بحسب الصورة من الأمير كلال ، كما أشرنا إليه عند ذكر محمد بابا السماسي .

وأما بحسب الحقيقة فهو أويسي تربى من روحانية الخواجه عبد الخالق الغجدواني كما هو معلوم من واقعته التي رآها في مبادئ أحواله ، وتفصيلها مذكور في المقامات . لا يخفى أن جمعاً من مشائخ سلسلة خواجكان قدَّس الله أسرارهم جمعوا بين الذكر الخفي وذكر العلانية ، وذلك من لدن الخواجه محمود الإنجير فغنوي إلى زمان الأمير كلال ، رحمهما الله ، ويقال لهم في هذه السلسلة الشريفة العلانيون .

ولما كان زمان ظهور حضرة الجواجه بهاء الدين قدِّس سرّه ، وكان مأموراً من روحانية الخواجه عبد الخالق بالعزيمة في العمل اختار ذكر الخفية واجتنب ذكر العلانية ، وكلما شرع أصحاب الأمير كلال في الذكر الجهري كان حضرة الخواجه يقوم عن هذا المجلس ويخرج ، وكان ذلك يثقل على خاطر سائر الأصحاب ، وكان حضرة الخواجه لا يلتفت إليه

ولا يتقيّد برفع هذا الثقل عن خواطرهم ؛ ولكن كان لا يترك دقيقة من خدمة الأمير كلال وملازمته ، ولا يخرج رأس التسليم والإرادة من ربقة متابعته .

وكان التفات الأمير إلى حضرة الخواجه في الزيادة يوماً فيوماً ، فخاض بعض الأصحاب في طعن حضرة الخواجه وعرضوا على الأمير بعض أحواله وصفاته في صورة القصور والنقصان ، فلم يردهم الأمير بشيء في هذه النوبة ، حتى اجتمع الأصحاب كبارهم وصغارهم زهاء خمسمائة نفس في قرية سخار لعمارة المسجد والرباط ومنازل أخرى ، فلما تمّ أمر العمارة اجتمع الأصحاب كلهم عند الأمير ، فتوجّه الأمير إلى الطاعنين في حضرة الخواجه وقال : إنكم أسأتم الظنّ في حق ولدي بهاء الدين ، وأخطأتم في نسبة أحواله إلى القصور ، وأنتم لا تعرفون أمره ولا تقدرون قدره ، فإن نظر الحقّ سبحانه شامل لحاله دائماً ، ونظر خواص عباد الله تابع لنظره سبحانه وتعالى ، وليس لي صنع واختيار في مزيد النظر في حقه .

وكان حضرة الخواجه في ذلك الوقت مشغولاً بنقل الآجر ، فطلبه الأمير وتوجه إليه في هذا المجمع ، **فقال : يا ولدي بهاء الدين !** إني قمت بموجب أمر محمد بابا في حقك ، حيث قال : كما أني بذلت جهدي في تربيتك كذلك لا تقصّر أنت في تربية ولدي بهاء الدين ، ففعلت ما أُمِرتُ ؛ ثمّ أشار إلى صدره الشريف وقال : قد أفرغت ثدي العرفان لأجلك ، فتخلص طائر روحانيتك من بيضة البشرية ، ولكنّ باز همتك عالية الطيران ، فأجزتك الآن أن تطوف في البلدان ، فإذا وصل إلى مشَامك رائحة المعارف من الترك والتاجك فاطلبها منه ، ولا تقصِّر في أمر الطلب بموجب همتك ، يعني كما في « البهجة السنية » : إن تجد المشائخ فاطلب منهم على حسب استعدادك . انتهى .

قال حضرة الخواجه : إن صدور هذا الكلام من حضرة الأمير كلال كان سبباً لابتلائي ، فإنّي لو كنت في صورة المتابعة المعهودة للأمير لكنت أبعد من البلاء وأقرب إلى السلامة .

فصحب بعد ذلك مولانا عارفاً سبع سنين ، ثم وصل إلى ملازمة الشيخ قثم وخليل آتا ، وصاحب خليل آتا اثنتي عشرة سنة .

وسافر إلى الحجاز مرتين ، وسافر معه الخواجه محمد[١] پارسا قدّس سرّه في المرة الثانية ، ولما وصلوا إلى خراسان أرسل الخواجه محمد پارسا مع سائر أصحابه من طريق بأورد إلى نيسابور ، وتوجّه بنفسه إلى هرات لملاقاة مولانا زين الدين أبي بكر التايبادي ، وصاحبه ثلاثة أيام في تايباد ، ثم توجه إلى الحجاز ولحق الأصحاب في نيسابور ، وأقام مدة في مروَ بعد رجوعه من الحجاز ، ثم قدم بخارا ، فأقام بها إلى آخر عمره .

وتفصيل أحواله مذكورة في مقاماته .

ولما أشار الأمير كلال في مرض موته إلى أصحابه بمتابعته قال الأصحاب : إنّه لم يتابعك في ذكر العلانية ، فكيف نتابعه ؟ فقال الأمير : **كل عمل صدر عنه فهو مبني على الحكمة الإلهية ، وليس له اختيار فيه ،** يعني كما في « البهجة » : فلا تخالفوه . انتهى .

قال مولانا علاء الدين الغجدواني قدس سره : كنت حاضراً عند حضرة الخواجه - يعني بهاء الدين النقشبند قدس سره - في مرضه

---

(١) وهو من خلفائه قدس سره . (منه) .

* التدبير نصف العيش ، والتؤدة نصف العقل ؛ والله منزل الصبر على قدر المصيبة ، ومنزل الرزق بقدر المؤنة ؛ اختر الخمولة ولا تكن مقيّداً بمنصب ، ولا تكتب اسمك في الحجج والوثائق ؛ ولا تخف أحداً ولا تطلب شيئاً من أحد ، ولا تكن كفيلاً لأحد ، ولا تصحب الملوك وأبناءهم ، ولا تدخل في وصايا الناس .

الأخير ، فدخلت عليه في حالة النزع ، فلما رآني قال : يا علا ! خذ السفرة وكل الطعام ، وكان دائماً يناديني بعلاَ ، فأكلت لقمتين أو ثلاثاً امتثالاً بأمره ، وما كنت قادراً على أكل طعام في تلك الحالة ، ثم رفعت السفرة ، ففتح عينيه ورآني قد رفعت السفرة ، قال : خذ السفرة وكل الطعام ، ينبغي أن تأكل الطعام كثيراً ويشتغل كثيراً ، قال ذلك أربع مرات ، وكان خاطر الأصحاب مشغولاً في هذا الوقت بأن حضرة الخواجه إلى من يفوّض أمر الإرشاد ، وإلى من يسلم أمور الفقراء ، فأشرف حضرة الخواجه على خواطرهم ، وقال : ليش[١] تشوشونني في هذا الوقت ؟ ليس هذا الأمر في يدي ؟ فإن الحاكم هو الله سبحانه ، فإذا أراد الله أن يشرفكم بهذه الحالة يشير إليكم بها .

قال الخواجه علي داماد الذي هو من جملة خدام حضرة الخواجه قدِّس سرّه : أمرني حضرة الخواجه في مرضه الأخير بحفر القبر الذي هو مرقده المنوَّر ، فلما أتممت جئت عنده ، فخطر في قلبي أنه إلى من يحيل أمر الإرشاد بعده ؟ فرفع رأسه المبارك ، وقال الكلام هو الذي قلته في سفر الحجاز[٢] ، وأتممْته : **كل من أراد أن ينظر إليَّ فلينظر إلى الخواجه محمد پارسا** ، فانتقل في اليوم الثاني بعد هذا الكلام إلى جوار رحمة الله سبحانه .

---

(١) أي : لأيّ شيء . (منه) .

(٢) يعني من يريد أن يلحقني فليلحق بالخواجه محمد پارسا . انتهى من « البهجة » . وهكذا ما قاله قدس سره في سفر الحجاز ، مذكور في ترجمة « الرشحات » ، وملخصه أنه قدس سره قال في أثناء وصايا ، مخاطباً لخليفته الثاني من خلفائه محمّد پارسا : إن كل حق وأمانة وصل إلى هذا الضعيف من خلفاء خواجكان قدس الله أرواحهم ، وما كسبته في هذه الطريقة فوّضت كلها إليك ، كما فوّضها أخي في الدين مولانا عارف ، فينبغي لك أن تقبلها وتوصلها إلى خلق الله سبحانه ، فقبلها ذلك المخلص بالتواضع . انتهى . وفيها أيضاً : أن أفضل خلفائه وأكمل أصحابه الخواجه علاء الدين العطار والخواجه محمد پارسا قدس سرهما ، وأصحابه وخدامه لا يضبطهم الحد والعدّ . انتهى باختصار . (منه غفر الله ذنبه ، آمين) .

قال حضرة الخواجه علاء الدين العطار قدس سره : قرأت سورة « يس » وقت نزع حضرة الخواجه ، فلما وصلت إلى نصف السورة أخذت الأنوار في الظهور ، فاشتغلت بالكلمة الطيبة ، فانقطع بعد ذلك نفس الخواجه قدِّس سره ، وقد بلغ سنه الشريف ثلاثاً وسبعين سنةً ، وشرع في الرابعة والسبعين ، وتوفي ليلة الاثنين الثالثة من ربيع الأول سنة ٧٩١ . انتهى من « الباقيات الصالحات » مع اختصار من مواضع .

وفيه أيضاً : إنه لما احتضر رفع يديه إلى السماء بالدعاء في نفَسِه الأخير ، ودعا مدةً مديدة ، ثمّ مسح يديه الكريمتين وجهه الشريف ، وانتقل من العالم في تلك الحالة . انتهى .

ومرَّ في ترجمة الخواجه محمد بابا قدس سره أن بهاء الدين النقشبند قدِّس سره تشرّف في أيام الطفولية بنظره وقبوله للولدية إياه ، **وأنّ محمد بابا أخبر أن رائحته كان يفوح قبل ولادته قدس سره** ، فليراجعها .

نقل الخواجه علاء الدين : عطر الله تربته من لفظ حضرة الخواجه المبارك قدس الله روحه ، أنه قال : إن مبتدأ يقظتي وانتباهي وتوبتي وإنابتي إني كنت في خلوة مع شخص يميل خاطري إليه ، وأنا ألتفت إليه وأكلمه فوقع في سمعي صوت : أما آن وقت أن ترجع عن الكل وتتوجه بوجهك إلى حضرتنا ، فحصل لي حال آخر من ذلك الصوت ، فخرجت من ذلك البيت وليس لي قرار ، وكان في ذلك القرب ماء ، فاغتسلت منه ، وغسلت ثيابي ، وفي حال ذلك الانكسار صليت ركعتين ، ومر بعد تلك الصلاة سنون وأنا أرجو أن يحصل لي مثل تلك الصلاة ، فلم أقدر على ذلك .

نُقِل عن حضرة الخواجه قدس سره أنه قال : **قيل لي في بداية الجذبة : كيف تدخل في هذا الطريق ؟ فقلت : على أن يكون كل ما أقول وأريد ، فوصل الخطاب : إن كل ما تقول ينبغي أن يفعل ، فقلت :**

ما لي طاقة على هذا إن كان كل شيء أقوله يصير ، يمكنني أن أضع في هذا الطريق قدمي وإن لم يكن كذلك فلا أقدر ، وقع السؤال والجواب على هذا الوجه مرّتيْن وبعد ذلك تركوني ونفسي إلى مدة خمسة عشر يوماً فخربتْ أحوالي ويئست من نفسي ، فبعد ذلك اليأس وقع الخطاب : الذي تريده يكون .

وفي بعض الروايات : **أنّ حضرة الخواجه قال بعد ذلك : أريد طريقة كل من دخلها تشرف بمقام الوصول ، وفي ذلك بشرى عظيمة للمتمسّك بطريقته** . انتهى من « البهجة السنية » .

وقال قدس سره : المعرض عن طريقتنا على خطر من دينه .

مهم

وقال قدِّس سره : معرفة الحق حرام على قلب بهاء الدين لو لم تكن بدايته نهاية أبي يزيد البسطامي قدس سره .

وقال أيضاً : طريقنا من أقرب الطرق .

وقال أيضاً : طلبت من الله تعالى طريقاً تكون موصلة البتة . وقد أجيبت دعوته ، كما في « الرشحات » عن عبيد الله أحرار قدس سره ، انتهى من « البهجة » من المقدمة .

نقل عن حضرة الخواجه قدس سره : أني في أوائل حالي في الجذبة كنت قريباً من مزار مُزْدخان ومعي الدرويش محمد زاهد ، وكان متكئاً ، ففي ذلك الحال فارقت روحي قلبي[١] وذهبت إلى طرف السماء وهي بتلك الصفة وصلت إلى السماء الأولى ومن هناك إلى السماء الثانية والثالثة والرابعة ، وكذلك رجعت إلى الأرض ، ودخلت في قالبي ، وليس لمحمد زاهد خبر عن هذه الأحوال .

---

(١) وفي نسخة : من قلبي .

ونقل حضرة الخواجه علاء الدين قدس سره عن حضرة الخواجه قدس سره : أني كنت في مبادئ الأحوال في مسجد زيورتون ، وكنت متوجهاً عند الأسطوانة لجهة القبلة ، فشرع أثر غيبة الفناء يظهر ، واستولّى عليّ قليلاً قليلاً حتى انمحيت عني بالكلية ، وفي حالة ذلك المحو والفناء الكليّ قالوا لي : استيقظ ، فإنك حصلت ما هو المقصود والمطلوب ، ووصلت إلى ذلك ، وبعد مدة ردوني من تلك الحالة إلى وجودي .

نقل حضرة الخواجه علاء الدين العطار عطر الله روضته عن حضرة الخواجه قدس سره : أنه كان يقول كثيراً : إن فعل سالك الطريق البذل والمسكنة وعلو الهمة أنا أدخلوني من هذا الباب ، وكلّما لقيته لقيته من هنا .

وقال قدس سره بيتاً بالفارسي ، معناه :

إنّ الهمة توصلك إلى شرفات الكبرياء ، لا تطلب لهذا السقف أحسن من هذا السلم .

قال قدس سره : **كنا مائتي شخص وضعنا القدم في الطريق ، وكان في همتي أني أجاوز الجميع ، فوصلت عناية الحق إليّ فجاوزتني عن الجميع وأوصلتني إلى المقصود .**

ونقل عنه قدس سره أنه قال : في هذا الطريق نفي الوجود وعدم رؤية النفس أمر عظيم ، وهو رأس مال دولة الوصول والقبول ، وأنا في هذا الطور نسبت نفسي إلى كل طبقة من طبقات الموجودات ، فرأيت كل واحد منهم أحسن مني في الحقيقة ، حتى وصلت إلى طبقة الفضلات ، فرأيت فيها منفعة ، ولم أرَ في نفسي منفعة ، فوصلت إلى فضلة الكلب ، فقلت : لا تكون فيها منفعة ، فقررت في نفسي ذلك فعلمت في آخر الأمر أن فيها أيضاً منفعة ، وعلمت بالتحقيق أنه ليس فيّ منفعة أصلاً . انتهى .

وله قدس سره بيت بالفارسي ، معناه :

إنّ الكلب أحسن حالاً من شخص يرى لروحه محلاً ولقلبه قدراً . انتهى .

وكان قدس سره يعلّم السالكين علو الهمة ، ويقول : أنا لا أحلّ لكم إلا أن تكون همتكم في طلب المقصود أن تضعوا أقدامكم على رأسي وتتجاوزوا . انتهى .

هذا إشارة إلى أنّ الشيخ بحسب الظاهر والباطن في جميع المقامات والمنازل معراج للمريد فالترقي من كل حال وصفة الواقع للمريد بواسطة مرقاة الشيخ ولطفه الظاهر والباطن ، لأنّ همَّته متوجهة أن يركب المريد على براق الهمة ، ويصعد به من حضيض البشرية إلى أوج البقاع الملكية .

وقد أمر النبي ﷺ أمير المؤمنين علياً رضي الله تعالى عنه بأن يضع قدمه على كتفه المبارك ليرمي الصنم من جدار الكعبة ، وفيه إشارة إلى هذا المعنى . انتهى .

نقل الخواجه علاء الدين - روّح الله روحه - عن حضرة الخواجه قدس سره أنه قال : من كلام كبراء الحقيقة : **إن سالك الطريق إن لم يرَ نفسه أقل من نفس فرعون وأخبث منها مائة مرة فليس هو في الطريق** .

وكان قدس سره يشتغل بتحصيل جبر الخواطر وخدمة المطروحين والضعفاء والمنكسرين والذين لا يلتفت إليهم أحد من الخلق .

وكان قدس سره يخدم الحيوانات ، وإن رأى جراحة أو قرحة على ظهر واحد منهم يجتهد في علاجه وواظب على ذلك مدة ؛ **وكان إذا لاقاه حيوان وقف حتى يمر هو أولاً ولا يتقدم عليه؛ وكان يقوم في خدمة تلك الحيوانات على طريق المسكنة والإخلاص** ؛ ومكث على ذلك سبع

سنين ؛ حتى كان قدس سره يخدم الكلاب بالإخلاص والانكسار ، ويطلب منها المدد ، ثم مكث بخدمة الطرق ، فكان كلّما رأى شيئاً في الطريق مما يكرهه الخلق ينظفه ويرفعه ، ومكث في هذا الشغل سبع سنين ، لم يكن في وقت كمُّهُ وزيله خالياً من التراب الذي نظفه عن الطرق .

فانظر يا أخي إلى هذا السلوك ، وتأمّل هذه الشمائل ، وتحلّ بذرّة منها تنال شمة من هذا الطريق ، فإن هذه طريق لا تُنالُ بكثرة صلاة ولا صيام ، وإنما تنال بالفناء التام وقطع العلائق .

وانظر يا أخي هذا التواضع العظيم من هذا الرجل العظيم ، وبهذا نال ما نال وارتقى إلى ما ارتقى ، ومبنى طريقه على ذلك .

وقد أشار الشيخ أبو مدين إلى هذا المعنى في حكمه حيث قال : من طلب لنفسه حالاً أو مقاماً فهو بعيد عن طرقات المعاملة . انتهى .

نقل عن حضرة الخواجه قدس سره أنه قال : كنت في تلك الجذبات والغيبات أذهب إلى كلّ ناحية ، وتجرحت رجلي من الشوك ، وكان على كتفي فِرْو عتيق ، فاتفق أن كان فصل الشتاء والهواء في غاية البرودة ، فحصلت لي ليلة جاذبةُ صحبة السيد كلال رحمه الله ، فلما وصلت إلى المنزل كان السيد والفقراء جالسين في موضع ، ولما وقع نظره المبارك عليّ سأل : مَنْ هذا ؟ فلما عرفني أشار أن أخرجوه من هذا المنزل سريعاً ، فلما خرجت من المنزل قاربت نفسي أن ترفع رأسها وتعصي ، وتأخذ مني عنان التسليم والإرادة ، فصاحبتني في تلك الحالة إرادة الله وعنايته ، فقلت : هذا الذل أحتمله لرضاء الحقّ سبحانه وتعالى ، الباب هو هذا وليس عن هذا الباب مندوحة ، فوضعت رأس التواضع والانكسار على عتبة العزّ ، وقلت : أيّ حال يقع لا أرفع رأسي عن هذه العتبة ، وكان الثلج يجيء قليلاً قليلاً ، والهواء في غاية البرودة ، فلما قرب الصبح

خرج السيد كلال من المنزل ووضع قدمه على رأسي ورفع رأسي عن العتبة ، ودخل المنزل وأدخلني معه ، وبشّرني وقال : يا ولدي ! لباس هذه السعادة على قدمك[1] ، وبيده الشريفة أخرج ما في رجلي من الشوك والقشاش ، ونظر الجراحات ، ونظر إليّ بعين اللطف كثيراً . انتهى .

نقل عن حضرة الخواجه علاء الدين طيَّب الله مرقده عن حضرة الخواجه قدس سره : **أنه لما كان يحكي عن رياضاته ومجاهداته أنه ذكر فتور الطالبين ، وقال في الآخر : كل صبح إذا خرجت من المنزل أقول : لعل طالباً يكون واضعاً رأسه على الأعتاب فأجد العالم كلهم شيوخاً ليس فيهم مريد .**

أشار الخواجه رضي الله تعالى عنه إلى أن شرط المريد وآدابه أن يكون بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل ليس له إرادة ولا اختيار ، بل يدع نفسه للشيخ يتصرف فيه كتصرف الغاسل في الميت ، حتى يتنظف من الأوساخ الظاهرة والباطنة ، **وهذا المعنى في المريدين أعزّ من الكبريت الأحمر ، فلذلك لا ينتج ويسير في السلوك إلا الفرد بعد الفرد ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .**

والحكاية السابقة عن حضرة الخواجه تؤيّد وتوضّح هذا المعنى ، **فما لم يكن المريد على هذا الوصف فهو بمعزل عن الإرادة ، وأكثر المريدين متمسكون بخيالات اعتقادات ، فإذا وجدوا من المشائخ خلاف معتقدهم أنكروا وخالفوا ، ففي الحقيقة هم مريدوا معتقداتهم ومتخيلاتهم ، لا مريدوا مشائخهم ، ومن كان كذلك كان شيخاً لا مريداً ، ولذلك قال قدس سره : كلهم شيوخ ليس فيهم مريد .**

---

(١) القدّ : الشق طولاً ، وبابه ردّ ، والقدّ أيضاً القامة . انتهى « مختار » .

نقل عن حضرة الخواجه قدس سره أنه قال : كنت في بخارا ، وكان حضرة السيد كلال في نسف ، فحصلت لي جاذبة صحبته الشريفة ، فتوجهت إلى جهة نسف ، فلما وصلت إلى خدمته قال لي : يا ولدي ! جئت في وقت مليح ، قد هيأنا المطبخ ونريد من يجمع لنا الحطب ، فشكرت هذه الإشارة وذهبت أحطب ، وجئت بالحطب المشتمل على شوك على ظهري إلى المطبخ وذكر بيتاً بالفارسي معناه : إنّ جمال كعبة المقصود كان يجري بي بالنشاط حتى أني أحس بخشونة شوك الحطب كأنه حرير .

وهذا منه قدس سره موضّح ومبيِّن لما مرّ من الآداب حيث حمل بمجرد إشارة الشيخ الحطب المشتمل على الشوك على ظهره وهو فَرِحٌ مسرور بذلك ، يراه كأنه حرير ، ولذلك نال ما نال وارتفع وترقّى حتى عرج به إلى سماء الوصال ، فإن لم تستطع يا أخي أن تسلك هذه المسالك فتضرّع وانكسر بين أيديهم بظاهرك وباطنك ، واغسل نجاسة المخالفات بماء الاستغفار ، وتحلّ بحلية الاعتذار ، فما لا يدرك كلّه لا يترك كله . انتهى من « البهجة السنية » باختصار من مواضع عديدة وتصرّف في العبارات لتوافق الاختصار ، فمن أراد أكثر من هذه المذكورات فليراجعها .

وفي « الرشحات » : لما توفي حضرة الخواجه بهاء الدين قدس سره بايع أصحابه كلهم حضرة الخواجه علاء الدين ، حتى الخواجه محمد پارسا قدس سره لكمال علوّ مقامه .

حضرة الخَواجه علاء الدّين محمّد العطّار قدّس الله سرّه

اسمه : محمد بن محمد البخاري ، كان أصله من خوارزم ، وكان لوالده خواجه محمد ثلاثة أولاد : خواجه شهاب الدين ، وخواجه مبارك ، وخواجه علاء الدين ، ولما توفي أبوهم الخواجه محمد لم يأخذ خواجه علاء الدين من ميراثه شيئاً واشتغل بتحصيل العلوم في واحدة من مدارس بخارا على التجريد ، وكان لحضرة بهاء الدين صبية ، فقال لوالدتها : إذا بلغت حد البلوغ أخبريني في تلك الساعة ، فلما بلغت أخبرته ،

مهم

فجاء حضرة الخواجه من قصر عارفان إلى بخارا ودخل حجرة الخواجه علاء الدين في المدرسة ، فرأى فيها حصيراً مشقوقاً مفروشاً ، كان الخواجه علاء الدين يضع عليه جنبه أحياناً ، ولبنتيْن كان يتوسدهما ، وقمقمة مكسورة يتوضأ بها ، فلما رآه الخواجه علاء الدين قام من مكانه ووضع رأسه على قدمه تواضعاً وتعظيماً ، فقال له : حضرة الخواجه : إنّ لي صبية وقد بلغت في هذه الليلة ، وأنا مأمور بأن أزوّجكها ؛ فقال الخواجه علاء الدين متواضعاً : إنّ هذه سعادة عظيمة توجّهت إليّ من محض لطف الحقّ سبحانه ، ولكن ليس لي شيء من أسباب الدنيا حتى أصرفه في لوازم الازدواج ، والحال ما تراه وتشاهده ؛ فقال حضرة الخواجه : إنّ لك ولها رزقاً مُقَدَّراً ومقرَّراً عند الله تعالى لا حاجة إلى الفكر والتشويش من هذه الجهة ؛ فتحقق العقد ، فولد له منها بعد زمان خواجه حسن العطار قدس سره ؛

وسمعت من بعض الأكابر أنه لما قبل حضرة الخواجه علاء الدين العطار للولدية أخرجه من المدرسة وأمر بكسر رعونته المولوية ، أو لحكمة أخرى ، بأن يضع مقداراً من التفاح في طبق من طين ، وأن

يحمله فوق رأسه ويبيعه في أسواق بخارا ماشياً حافياً طائفاً في أزقة بخارا بصوت عال ، فقام الخواجه علاء الدين بهذا الأمر على الذوق والنشاط التام بلا تأخير .

وكان أخواه الخواجه شهاب الدين والخواجه مبارك صاحبي عار وناموس ، فحصلت لهما من ذلك غاية الخجلة ونهاية الانفعال ، فلما أخبروا حضرة الخواجه بذلك قال له : اذهب وضعْ الطبق على جنب دكان أخويك وبع هناك بصوت عالٍ ؛ ففعل ، وبقي على ذلك مدّةً ، ثم علّمه حضرة الخواجه الطريقة وأمره بشغل الباطن .

وذكر في « المقامات » : أنّ حضرة الخواجه **كان يجلس الخواجه علاء الدين في المجالس قريباً منه ، وكان يتوجه إليه آناً فآناً ، فسأله بعض الأكابر عن سرّه ؟ فقال : إنما أجلسه إلى جنبي لئلا يأكله الذئب ،** فإنّ ذئب نفسه في كمينه دائماً ، فأتفحص عن حاله في كلّ لحظة ليكون مظهراً للأسرار الإلهية .

قال الخواجه علاء الدين : سألني الشيخ محمد في راميتن في بداية ملازمتي حضرة الخواجه عن كيفية القلب ، قلت : إنّ كيفيته ليست بمعلومة عندي ، فقال : إن القلب عندي مثل الهلال في اليوم الثالث ، فعرضت تعريفه وتمثيله للقلب على حضرة الخواجه ، فقال : إنه إنما بين نسبة حاله فقط ، وكان حضرة الخواجه قائماً في ذلك الوقت ، فوضع قدمه المبارك على ظهر قدمي ، فظهرت فيّ كيفية عظيمة ، حتى شاهدت جميع الموجودات فيّ ، فلما رجعت إلى حالي الأوّل قال : إن النسبة هي هذه لا ذاك ، فكيف تقدر أن تدرك حال القلب ، فإنّ عظمة القلب يضيق عنها نطاق البيان .

وسرّ حديث : « لا يسعني أرضي ولا سمائي ، ولكن يسعني قلب عبدي » من الغوامض ، فمن عرف القلب فقد عرف هذا السرّ .

وأحال حضرة الخواجه تربية كثير من الطالبين في حياته إلى حضرة الخواجه علاء الدين قدِّس سره ، وكان يقول : إن علاء الدين قد خفّف عنّي كثيراً من الأثقال والأحمال ، فلا جرم ظهر فيه أنوار الولاية وآثار الهداية على الوجه الأتمّ والأكمل ، ووصل كثير من الطالبين بيمن صحبته ، وحسن تربيته إلى أوْج القرب والكمال ، ونالوا مرتبة التكميل والإكمال .

نقل : أنّه وقع مرَّةً اختلاف بين طائفة من علماء بخارا في مسألة رؤيته تعالى ، أنها جائزة أم لا ، وكان لهم اعتقاد تام في حق الخواجه علاء الدين ، فجاءوا عنده وعرضوا عليه المسألة ، وقالوا : أنت الحكم فاحكم بيننا بالحق ، فقال حضرة الخواجه لمنكري الرؤية ميلاً منهم إلى مذهب المعتزلة : احْضُرُوا عندي إلى ثلاثة أيام متصلاً ، واقعدوا معي في الصحبة على طهارة كاملة ساكتين ، فأحكم بعد ذلك .

ففعلوا ، فوقعت عليهم كيفية عظيمة في اليوم الأخير ، حتى غشيتهم الغيبة ، وصاروا يتمرغون في الأرض ، فلما أفاقوا قاموا وقالوا بغاية التوضع[1] والانكسار : آمنّا وصدَّقنا أنّ رؤية الله تعالى حق ، والتزموا بعد ذلك صحبته واعتكفوا .

ورأيت بخط الخواجه محمد پارسا قدِّس سره : قال حضرة الخواجه علاء الدين قدس سره في مرضه الأخير : لو أردت أن يصل جميع الخلق إلى المقصود الحقيقي لوصلوا بعناية الله سبحانه وتعالى .

مهم : الشعور والوقوف أتمّ وأكمل من الغيبة

قال حضرة شيخنا – يعني عبيد الله الأحرار – : كانت الغيبة غالبة على حضرة الخواجه محمد في التوجيهات والمراقبات .

---

(١) وفي نسخة : الذلّ .

وكان لحضرة الخواجه علاء الدين شعور كامل ووقوف تام ، وتلك الصفة - أعني : الشعور والوقوف - أتمّ وأكمل عند أهل التحقيق .

وقال حضرة شيخنا : لما توفي حضرة الخواجه بهاء الدين قدس سره بايع أصحابه كلهم حضرة الخواجه علاء الدين ، حتى الخواجه محمد پارسا قدس سره لكمال علوّ شأنه .

ومن كلماته القدسية التي حكي عنه قدس سره هذه المقولات نوردها هنا للتبرك والتيمن :

قال قدس سره : إنّ المقصود من الرياضات إنما هو نفي التعلقات الجسمانية بالكلية ، والتوجه الكليّ إلى عالم الأرواح ، وعالم الحقيقة ، والمقصود من السلوك : أن يتخلّص العبد باختياره وكسبه عن هذه التعلقات التي هي مانعة للعبد عن الطريقة ، وأن يُعْرِض كل واحد من تلك التعلقات على نفسه .

فإن كان قادراً على تركه فليعلم أنّ هذه التعلّق ليس بمانع عن الحقّ ، ولم يغلب عليه ؛ فإن لم يكن قادراً على تركه ، ورأى قلبه مربوطاً به ، فليعلم أنه مانع له عن الطريقة ، فليتشبث بتدبير قطعه وقلعه عنه .

وقد كان حضرة الخواجه إذا لبس ثوباً جديداً يقول أولاً للاحتياط : إن هذا حقّ فلان ؛ ويلبسه مثل ثوب العارية .

مهم

وقال قدس سره : إن التعلق بالمرشد وإن كان تعلّقاً بالغير واجب النفي في الأخير ، لكنه في الأوّل سبب الوصول ؛ ونفي التعلق عن ما سوى المرشد من اللوازم ، وينبغي للطالب أن يطلب وجوده ورضاه ، وينفي ما سواه تعالى في محله - يعني في الانتهاء - **فإن النفي في غير محله ليس بمفيد** .

وقال قدس سره : قال المشائخ قدس الله أسرارهم : التوفيق مع السعي ، وكذلك يكون مدد روحانية المرشد للطالب على قدر سعيه بأمر المرشد ، فإنه لا بقاء لهذا المعنى بدون السعي ، وليس لتوجه المرشد للطالب بقاء فوق أيام قلائل ، فإن من المعلوم أن المرشد إلى متى يتوجه إلى الغير ، وكان من اللطف الإلهي أن مولانا دادرك أمرني أولاً بالسعي ، وكان التوفيق رفيقاً حتى صارت أوقاتنا كلها مصروفة في السعي في صحبة حضرة الخواجه قدس سره ، وأنا لا أعرف من كان يوماً واحداً بتمامه في السعي من أصحاب حضرة الخواجه إلا قليلاً .

وقال قدس سره : قد تظهر في أثناء السعي والتوجه أحياناً حالة للطالب ، ويراها الطالب ، ولكن لا يعلم أنه ماذا يرى ، فينظر إلى نفسه فيرى نفسه معدوماً ، فيقع في الحيرة ثم يحتجب عنه تلك الحالة بعد زمان ، ويكون طلوعها سبباً لحديث النفس ، فينبعي للطالب في هذا الحال أن يرى قصور نفسه ، ومطالعة نقصانه ، وأن يكون راضياً باحتجاب تلك الحال من حيث أنه رضا المحبوب ، ومقتضى عزته ، وأن لا يتقيّد بربطها ، فإنّ فخ البشر[1] غير لائق بهذا الصيد ، إلا أن تطلع ثانياً وتكون قوية وباقية ، فيجتهد بالجد التام وكمال الاهتمام ويلتزم المشقة والسعي ثلاثة أيام لا أكثر ، فيكون السعي بعد ذلك ملكة له حتى يصل الطالب باختياره إلى الفناء وفناء الفناء

قال قدس سره : إذا استتر الملك والملكوت عن الطالب ونسيهما الطالب يكون ذلك فناءً ، وإذا استتر وجود السالك عن نفسه يكون ذلك فناء الفناء . امتحن فلان في هذا المعنى ، فاستولت عليه الهيبة ، وتضرع حتى ارتفعت ، لم يجوِّز الأكابر امتحان هذه الطائفة .

---

(١) وفي نسخة : فخ البشرية .

مهم : لا قصور في الفيض الإلهي وإنما القصور في الطالب

وقال قدس سره : إذا جعل الطالب نفسه خالياً بأمر المرشد ومدده عن كل ما يكون مانعاً من محبة الشيخ الذي تمكن في قلبه ، يصير حينئذ قابلاً للفيض الإلهي ، ومحلاً للوارد الغير المتناهي ، ولا قصور في الحقيقة في الفيض الإلهي ، وإنما القصور في طرف الطالب ، فإذا رفع الطالب موانع الفيض عن نفسه يطلع له حال البتة بواسطة روحانية المرشد ، ويكون ذلك الحال سبباً لحيرته ، ولا يمكن إدراك وجوده وحقيقته بوجه من الوجوه ، مصراع : ربّ زدني تحيراً منك[1] .

وحكمة وجود الاختيار في الإنسان كثيرة .

ولما كانت الموانع الطبيعيّة أصلاً في الإنسان ينبغي أن يرفع تلك الموانع بقوة الاختيار والجهد الكثير ؛ والملائكة وإن كانوا مجبولين على الطاعة ، ومعصومين عن المخالفة قصداً وفعلاً ، لكنهم في الخشية والخوف والاعتبار التام في السعادة والشقاوة ، والترقي والتنزّل ، إنما هو للاختيار .

قال قدس سره : ينبغي للطالب أن يطالع عجزه وعدم اقتداره عند المرشد دائماً ، **وأن يعلم يقيناً أن الوصول إلى المقصود الحقيقي لا يتيسّر إلا من جهة المرشد بواسطة تحصيل رضاه** ، وأن يعتقد أن جميع الطرق والأبواب الأخر مسدودة عليه ، وأن يجعل ظاهره وباطنه بكليته فداءً للمرشد .

---

(١) وفي نسخة : فيك .

علامة المرشد الكامل

وعلامة المرشد الكامل : أن الطالب لو كان عالماً وعارفاً وساعياً في السلوك بتمام قدرته ، وكمال علمه ، ثم إذا توجّه لروحانية المرشد في حضوره أو غيبته تكون تلك الكمالات والاجتهادات متلاشيةً ومضمحلةً بالكلية ، ويتيقّن أن ما كان حاصلاً له قبل التوجه إلى المرشد ليس بشيء ، بل ليس له حاصل قبل هذا ، ويعلم ذلك بالوجدان ، ويشاهده على التحقيق ، ويرى أن ما قطع من المنازل والمراحل في غاية القلة في جنب مطالعة كمال المرشد ، وقوة سيره وروحانيته التي كانت مبدّلة بالطير عدد الجذبات الإلهية ، بحيث إنّ سَيْرَ سنواته لا يساوي سير ساعة المرشد .

وقال قدس سره : لا رجاء غير مشاهدة قصور الأفعال دائماً في كلّ لحظة ، ينبغي أن يدْخل من باب القصور وأن يلاحظ كرمه تعالى وألطافه مع عدم استعداده وبعده ، وهجرانه ، وأن يلتجئ إلى محض لطفه وعنايته . أمَرَني حضرة الخواجه بهاء الدين قدس سره بهذه الصفة وأمسكني عليها دائماً .

وقال قدس سره : ينبغي لطالب أن يسعى دائماً في طلب رضا المرشد ظاهراً وباطناً في حضوره وغيبته ، وأن يعلم محلّ نظر رضاه بمحض عناية الله تعالى ومعرفة محلّ نَظْرِ رضا المرشد والعمل بموجبه بحيث يقع في محل نظر رضاه ، ومعرفة بقاء نظر رضاه ودوامه في غاية العسرة ، ولكن إذا كان توفيق الحقّ سبحانه رفيق عبده فهو سهل ، وإنه ليسير لمن يسره الله تعالى .

وقال قدس سره : اللازم على الطالب أن يكون بلا اختيار في جميع أموره الدينية والدنيوية ، والكلية والجزئية بالنسبة إلى المرشد ؛ واللازم على المرشد أن يتفحّص أحواله ، وأن يأمر بما يصلح له بالنسبة إلى الزمان والوقت ، وأن يعين أمره حتى يشرع فيه باختيار المرشد .

في مخالطة الأولياء بغير أدب مخاطرة

وقال قدس سره : ينبغي رعاية جانب أهل العلم ، وستر حال نفسه ، والتكلم مع كل واحد من أهل الطريقة بحسب حاله ، وأن يراعي الخواطر والاحتراز عن إيذاء أهل القلوب ، والاختلاط بهذه الطائفة يعسر الأمور ، فإن أحوالهم الباطنية دقيقة جداً ، وإنّما تفيد مخالطتهم ومجالستهم ، وتكون سبباً لزيادة الأحوال إذا حصلت زيادة علم بآداب صحبتهم بواسطة تلك المخالطة وأزادت[1] رعايتهم ، وإلا فالمخالطة تكون سبباً لزيادة المخاطرة ، لا ضرر لمن لا أدب له ، إنما الضرر للأديب ، وضرر الأدب ظهور حظ نفسه بأن يرى نفسه أديباً .

وقال قدس سره : إن أفضل الأحوال الظاهرية والباطنية ، وأكملها : الاجتهاد في التفويض المناسب للحال ، وكان جميع الأنبياء والأولياء على ذلك بأسرهم .

وينبغي للعبد أن يجتهد في كل لحظة دائماً في كسب التفويض بباطنه بالنسبة إلى أحواله الظاهرية والباطنية ؛ وأن يمحو وينفي عنه[2] نفسه جميع أنواع الاختيار الذي يظهر منه بكسب التفويض بحسب أحواله الباطنية ؛ يعني : لا ينبغي للطالب أن يختار شيئاً من أحوال الباطن وأن يريد حصولها ، **بل ينبغي له تفويض اختياره وإرادته لمرشده في حضوره وغيبته** .

وقال قدس سره : إن المقصود من رؤية صفة الجبار ظهور وصف التضرع والانكسار والتوبة والإنابة إلى العزيز الغفار ، وعلامة صحة هذه الرؤية الميل إلى المناجاة لقاضي الحاجات ، والإعراض عن الخرافات ، ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ ؛ والحكمة في ذلك : أن العبد

---

(١) لعله : ازدادت .

(٢) لعله : عن نفسه .

إذا شاهد في نفسه ميلاً إلى ما فيه رضاء مولاه فيشكر ويتوجّه إليه ، وإن رأى ميلاً في نفسه إلى ما ليس رضا مولاه فيتضرع ويرجع إلى ربه ، ويخاف من صفة الاستغناء .

قال قدس سره : ينبغي للعبد أن يرى سبقة العناية الأزلية أولاً ، وأن لا يغفل عن طلب تلك العناية لحظة ، وأن يحفظ نفسه عن الاستغناء ، وأن يعد قليل نعمة الحق سبحانه وتعالى عظيمة وكثيرةً وأن يكون خائفاً ومشفقاً على نفسه عن ظهور الاستغناء الحقيقي .

وقال قدس سره : إن الولاية تكون ثابتة في شخص لا يتركون بنفسه ، فإن ظهر منه قصور ما فإنما يكون ذلك لعذر ، ثم يبادر إلى الاعتذار .

وقال في توجيه هذه الآية : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ : ليس عليهم خوف ظهور الطبيعة بحكم قولهم : الفاني لا يردّ إلى أوصافه .

وقال قدس سره : ينبغي للطالب أن يكون في الباطن معتصماً بالله ، وفي الظاهر معتصماً بحبل الله ، والجمع بين هاتين كمال .

وقال قدس سره : إن زائر مشاهد المشائخ الكرام يقدر أن يأخذ عنهم الفيض بقدر ما يعرف صفة المزور ، ويتوجّه إليه بتلك الصفة ويحضر عنده بها ، وأن القرب الصوري في زيارة المشاهد المقدسة وإن كانت له آثار كثيرة ، ولكن لا يمنع البعد الصوري في الحقيقة عن التوجّه إلى الأرواح المقدسة ، وفي قوله ﷺ : « صلّوا عليّ حيث ما كنتم » بيان وبرهان لهذا المعنى ، ومشاهدة الصور المثالية لأهل القبور عند التوجّه والزيارة ليس لها كثير اعتبار في جنب معرفة صفاتهم ، ومع ذلك كله قال الخواجه بهاء الدين قدِّس سره :إن مجاورة الله أحق وأولى من مجاورة خلق الله عز وجل ؛ وكثيراً ما كان يجري على لسانه المبارك هذا البيت :

توتاكي كور مرد انراپرستي بكرد كار مردان كرد رستي

ترجمه :

كم تعبدن مراقد الأموات قُمْ وانتهج في منهج السادات .

وينبغي أن يكون مقصود زائر مشاهد الأكابر رضي الله عنهم التوجه إلى الله سبحانه وتعالى ، وأن يجعل روح ذلك الولي الذي اجتباه الله إليه وسيلة لكمال التوجه كما أن التواضع للخلق ، وإن كان في الظاهر تواضعاً لهم ينبغي أن يكون المقصود من التواضع في الحقيقة التواضع لله تعالى ، فإن التواضع إنما يكون محموداً إذا كان لله تعالى خاصةً ، بمعنى أنه يرى الخلق مظاهرَ لآثار قدرة الله تعالى وحكمته ، وإلاَّ فيكون تصنّعاً وتكلّفاً وسمعةً وضعةً لا تواضعاً ، ويكون مذموماً جدّاً ، كما ورد في الحديث : « من تواضع لغني لغناه ذهب ثلث دينه » ، وفي رواية : « ثلثا دينه » .

وقال بعض أكابر المشائخ قدس الله سرهم : هذا إذا تواضع بظاهره ، وأما إذا تواضع بباطنه فيذهب دينه كله .

قال قدس سره : إن طريقة المراقبة أعلى وأقرب إلى الجذبة من طريق النفي والإثبات ، ويمكن الوصول من طريق المراقبة إلى مرتبة الوزارة والتصرف في الملك والملكوت والإشراف على الخواطر والنظر بنظر الموهبة وتنوير البواطن ، كل ذلك من دوام المراقبة ، ويحصل من ملكة المراقبة دوام الجمعية ، ودوام قبول القلوب ، ويسمى ذلك بالجمع والقبول .

وقال : لما ذهبت في الابتداء إلى خوارزم كنت مشتغلاً بحسب الباطن مع كل من الأصحاب باختيار باطنه ليعلم أنه هل لهذه الصفة بقاء أمْ لا ، فحصلت من ذلك الاشتغال فائدة عظيمة ، وبقيت تلك الملكة .

وقال قدس سره : ينبغي في السكوت أن لا يخلو عن أحد الأوصاف الثلاثة : إما المحافظة على الخطرات ، وإما مطالعة ذكر القلب إن كان جارياً بالذكر ، وإما مشاهدة أحوال القلب التي تمرّ عليه .

وقال قدس سره : لا تكون الخطرات مانعة ، فإن الاحتراز عنها متعسّر ، وإني كنت في نفي الاختيار الطبيعي مدة عشرين سنةً ، فمرّت خطرة على النسبة ، ولكنها لم تستقر ، فمنع الخطرات بالكلية أمرٌ قويٌّ عسير ؛

مهمات

وذهب البعض إلى أن الخطرات لا اعتبار لها ، ولكن لا ينبغي أن يتركها حتى تصير متمكّنة فإنَّ بتمكنها تحصل السدة في مجاري الفيض ، ولهذا يلزم على السالك التفحص عن أحواله الباطنية دائماً ، وجعل السالك نفسه خالياً بإخراج النفس ظاهراً بأمر المرشد في حضوره وغيبته ، إنما هو لأجل نفي الخطرات التي تمكنت في الباطن ، وسبب تخلية السالك نفسه أن لكل معنى صورةً وهو متلبس بها ، ونفي الخطرات معنى من المعاني ، وله صورة وهي تخلية السالك نفسه بإخراج النفس ، ولذلك ينبغي للسالك أن يخلي نفسه دائماً بإخراج النفس من الخطرات والموانع التي تمكنت فيه .

وكان قدس سره ينقل عن الخواجه بهاء الدين قدس سره دائماً هذه الكلمات : **العبادة عشرة أجزاء ، تسعة منها طلب الحلال ؛ وقال : إن الزراعة والاشتغال بالبساتين أقرب إلى الحلال بعد التجارة في هذا الزمان .**

وقال قدس سره : الصحبة سُنَّة مؤكّدة ، ينبغي أن يكون في صحبة هذه الطائفة في كل يوم ، أو في يومين مرّة ، وأن يحافظ على آدابهم ؛ فإن وقع للطالب بُعْد صوريّ ينبغي أن يعلّم أحواله الباطنية والظاهرية في كل شهر أو شهرين بالكتابة إما صراحة وإما إشارة ، وأن يكون مشغولاً بهم في منزله لئلا تقع غيبة كلية .

قيل في صحبة الخواجه[1] علاء الدين قدس سره : إن المطلوب في نهاية العظمة وليس لنا لسان الطلب ، وذلك الطلب أيضاً من عنايتك .

فقال : إن التأخير من جهة زمان القابلية يجدون ويضيّعون ولا يعرفون أنه من أين .

وقال قدس سره : أنا ضامن لمن دخل في هذه الطريقة تقليداً أن يصل إلى مرتبة التحقيق البتة .

وقال : أمرني حضرة الخواجه بتقليده ، وكل شيء قلدته فيه وأقلده الآن أشاهد أثره ونتيجته على التحقيق البتة . انتهى من « الباقيات الصالحات » باختصار من مواضع كثيرة ، وبتصرف في عبارات عديدة .

وفيه أيضاً أنّه قدس سره قال للأصحاب في مرض موته : اتركوا الرسم والعادة وافعلوا خلاف ما هو رسم الخلق وعادة العامة ، وليوافق بعضكم بعضاً ؛ وحكمة بعثة النبي ﷺ إنما هي لإبطال العادات ورسوم البشرية ، وليكن كل واحد منكم مقيماً في جنب الآخر وجواره ، بنفي نفسه وإثبات صاحبه ؛ واعملوا في جميع الأمور بالعزيمة ولا تعدلوا عنها ما استطعتم ؛ والصحبة سنّة مؤكّدة فداوموا على تلك السنة خصوصاً وعموماً ، ولا تتركوها البتة .

فإن استقمتم على هذه الأمور التي أمرتكم بها يحصل لكم على استقامة لحظة ما حصل لي في جميع عمري ، وتكون أحوالكم في التزايد ؛ وإن تركتم هذه الوصايا وخالفتموها تكونوا أذلاء متفرقين . ثم شرع في ذلك الأثناء في تكرار كلمة التوحيد بصوت عال . انتهى .

---

(١) وعبارة صاحب « الحدائق الوردية » هكذا : وقال له بعض أصحابه يوماً : إنّ المطلوب في غاية العظمة ، وما لنا للطلب لسان إلا أن تتفضل علينا به أنت . فقال : الإبطاء من القابلية فإنكم تجدون وتضيّعون ولا تتقيّدون ومن أين جاء لا تعلمون . انتهى عبارته ، فراجعه في ١٤٧ . (منه سامحه الله من فرطاته) .

وكان مرضه الصداع ، ووجع القلب والخاصرة ؛ وكان ابتداء مرضه يوم الاثنين ثاني رجب سنة ٨٠٢ ، وارتحاله إلى دار القرار بعد عشاء ليلة الأربعاء من رجب . ومرقده المنور في قرية نَوَ من قرى حصار .

ورأى فقير من فقرائه في المنام في ليلة العيد خيمةً مضروبة في غاية العظمة ، ورأى حضرة الخواجه بهاء الدين وخواجه علاء الدين قدس سرهما في قربها ، ثم صار له معلوماً أن تلك الخيمة هي خيمة النبي ﷺ فدخل حضرة الخواجه فيها لملاقاة النبي ﷺ ، ثم خرج بعد زمان بكمال البشاشة والبسط التام ، وقال : **قد أكرموني بالشفاعة لمن دفن في أطراف قبري إلى مائة فرسخٍ ، وأعطي العطار الشفاعة من دفن في أطراف قبره إلى أربعين فرسخاً بإذن الله ، ومُنِح أصغر محبينا وأحقر متابعينا شفاعة مسافة فرسخ من أطراف قبره** . انتهى منه .

اللهم إنا نرفع إليك أكفّ الضراعة والابتهال نسألك أن تدخلنا في شفاعتهم ، يا ذا العظمة والجلال آمين يا أرحم الراحمين(١) .

حضرة مولانا يَعْقوب الچرخيّ قدّس الله تعالى سرّه

هو من كبار أصحاب حضرة الخواجه علاء الدين قدس سره ، وكان عالماً في العلوم الظاهرية والباطنية ، وأصله من چرخ قرية ولاية غزنين ، وقبره المبارك في هلفتو قرية من قرى حَصار .

قال قدس سره : كنت قبل وصولي إلى صحبة حضرة الخواجه قدس سره محبّاً له - وكان في إخلاص تام له - ولما أخذت الإجازة من علماء

---

(١) وقال رضي الله عنه - أي الشيخ محمد السروي- : يجب على الفقير أن يذكر لشيخه أمْراضه الباطنة وإن كانت قبيحة ، ليدلّه على طريق شفائه منها ، وإن لم يفعل وترك ذلك حياء طبْع فربّما مات بدائه . « تقريب » عبارته ٩٤ .

بخارا للفتيا والإفتاء عزمت أن أرجع إلى وطني الأصلي ، فحصل لي الملاقاة يوماً بحضرة الخواجه ، فأظهرت له التواضع والتضرع ، وتمنيت منه التوجه بخاطره العاطر ، فقال : تحضر عندي الآن في وقت السفر ؛ فقلت : إني أحب جنابك ؛ فقال : من أيّ حيثية ؟ قلت : من حيث إنك عظيم القدر ومقبول عند جميع الخلق ؛ فقال : لا بد من دليل أقوى من هذا ، فإن هذا القبول يحتمل أن يكون شيطانياً ؛ قلت : قد ثبت في الحديث الصحيح أنه « إذا أحب الله عبداً يوقع في قلوب عباده محبته فيحبونه » ، فتبسم وقال : نحن العزيزان ؛ فتغير عليّ الحال من هذا المقال ، فإني قد كنت رأيت في المنام قبل هذا بشهر قائلاً يقول لي : كن مريداً لعزيزان ، وكنت نسيته ، فلما قال ذلك الكلام تذكرته ، ثم قلت له ثانياً : توجه إليّ بحسب الباطن ؛ فقال : طلب شخص توجه الخاطر من حضرة عزيزان ؛ فقال : ما بقي في الخاطر محل للغير ، فاترك عندي شيئاً نتذكرك برؤيته ؛ ثم قال :

وليس عندك شيء تتركه عندي ، فخذ هذه الكوفية واحفظها ، فكلما رأيته تتذكرني ، ولما تذكرتني وجدتني ؛ ثم قال : عليك بزيارة مولانا تاج الدين الدشت كولكي في سفرك هذا ، فإنه من أولياء الله .

فخطر في قلبي بأني متوجه إلى طرف بَلْخ ، ومنه إلى الوطن ، وأين الدشت كولكي من بلخ ، ولما توجهت تلقاء بلخ اتفق لي بالضرورة أن أذهب من بلخ إلى الدشت كولكي ، فتوجهت هناك وتذكرت إشارة حضرة الخواجه وتعجبت من هذا الاتفاق ، ووصلت إلى صحبة مولانا تاج الدين ، فقويت رابطة المحبة لحضرة الخواجه بعد رؤيته ، ووقع سبب المراجعة إلى بخارا ثانياً ، فرجعت وحضرت صحبة الخواجه ، ووقع في قلبي أن أسلّم يد الإرادة إلى حضرة الخواجه ، وكان في بخارا مجذوب ، وكنت معتقده فرأيته قاعداً في الطريق فقلت له : أنا أذهب ، فقال :اذهب واعجل ؛ وكان قد خط بين يديه خطوطاً كثيرة ، فقلت في

نفسي : أعدّ تلك الخطوط ، فإن كانت فرداً فهو دليل على حقيقة هذا القصد بدليل أن الله فرد يحب الفرد ، فعددتها فكانت فرداً فهو دليل على حقية هذا اليقين ، وأظهرت له الإرادة ، ولقنني الوقوف العددي ، وقال : كن مراعياً للعدد الفرد ما استطعت ؛ وكأنه أشار بهذا القول إلى الخطوط الفرد التي جعلتها دليلاً على حقية أمري .

وكتب مولانا يعقوب الجرخي قدِّس سره في بعض مصنفاته : لما ظهرت في هذا الفقير داعية الطلب بعناية الله سبحانه قادني الفضل الإلهي وحداني الكرم الغير المتناهي إلى صحبة الخواجه بهاء الحق والدين قدس سره ، فصحبته في بخارا ووجدت من كرمه العميم التفاتاً كثيرة ، فحصل لي اليقين بأنه من خواص أولياء الله تعالى ، وأنه كامل مكمل وتفاءلت بكلام الله تعالى بعد إشارة غيبية ، وواقعات عديدة ، فجاءت هذه الآية الكريمة : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ .

وكنت قاعداً في آخر أيام التردد للإنابة في فتح آباد وببخارا الذي فيه مسكن الفقير متوجهاً إلى مرقد الشيخ سيف الدين ، فبلغ إليّ رسول قبول الحق ، وظهر بباطني القلق والاضطراب ، فقصدت حضرة الخواجه ، فلما وصلت إلى منزله الشريف بقصر عارفان رأيته منتظراً في الطريق ، فتلقاني بالإحسان ، وجلس معي بعد الصلاة وقد استولت هيبته عليّ بحيث لم يبق فيّ مجال النطق ، فقال في أثناء الصحبة : قد ورد في الأخبار : « العلم علمان : علم القلب فذلك علم نافع ، علم الأنبياء والمرسلون ، وعلم اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم » ، والمرجو أن يكون لك نصيب من علم الباطن .

وقال : قد ورد في الخبر : « إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق ، فإنهم جواسيس القلوب يدخلون في قلوبكم وينظرون إلى هممكم » ، وأنا مأمور لا أقبل أحداً باختياري وصنعي ، فننظر بماذا تكون

الإشارة في تلك الليلة ، فإن قبلوك نقبلك ؛ فمرّت تلك الليلة عليّ في غاية الصعوبة بحيث لم أر في عمري أصعب منها من خوف فتح باب الرد عليّ ، فلما صليت معه صلاة الصبح قال :

أبشر فقد حصلت الإشارة بالقبول ، وإني أقبل الناس قليلاً وأتاني في قبوله حين قبلته ، وأنظر كيف يجيء الناس وكيف يكون الوقت .

ثم بين سلسلته - قدس الله أسرارهم - إلى حضرة الخواجه عبد الخالق الغجدواني قدس سره ، وأمرني بالوقوف العددي ، وقال : إنّ مرتبة العلم اللدني هو هذا الدرس الذي علمه حضرة الخضر عليه السلام الخواجه عبد الخالق قدس سره ، فكنت بعد ذلك في صحبته أوقاتاً كثيرةً إلى أن صدرت لي الإجازة بالسفر من بخارا ، فقال وقت السفر : كل ما وصل إليك مني بلّغه عباد الله تعالى ، فيكون ذلك سبباً لسعادتك .

قال حضرة شيخنا - يعني عبيد الله الأحرار - : قال مولانا يعقوب الجرخي عليه الرحمة : أمرني حضرة الخواجه أن أصاحب الخواجه علاء الدين العطار ؛ فأقمت بعد وفاته مدةً في بدخشان ، وكان الخواجه علاء الدين العطار متوطناً في صغانيان ، فكتب إليّ أن حضرة الخواجه قد وصّاك بأن تكون في صحبتي ، فماذا ترى الآن من المصلحة ؟ فلما اطّلعت على مضمونه جئت إلى صغانيان ، وكنت في ملازمته إلى أن توفي ، فسافرت بعد ثلاثة أيام وجئت إلى هلفتو . انتهى .

ومما قال قدس سره : إن السالك إذا وقع في الحرام رجع القهقرى رجوع الميشوم[1] إلى طبعه ، ويرجع إلى طبيعته ، وينحرف عن الصراط المستقيم . انتهى من « الرشحات » باختصار في هذا الأخير .

---

(١) ويقولون : يسشوم ، والصواب مشؤوم . « تصحيح التصحيف وتحرير التحريف » .

مُروّج الدِّين ومقوّي المَشْرب النّقْشبنديّ
عُبَيد الله السَّمرقنديّ قدِّس سرّه

المعروف بخواجه أحرار بإضافة خواجه إلى أحرار ، وفي هذا اللقب مدح عظيم قد أفادته الإضافة ، وأحرار جمع حرّ ، والحرّ عند أهل الله تعالى من أقام حدود العبودية على وجه الكمال ، وخرج عن رقّة الأغيار .

وكان مولده في تاشكند في رمضان سنة ٨٠٦ ، وقد توفي إلى رحمة الله تعالى في سنة ٨٩٥ ، ودفن في كشغير في موضع كان اسم ذلك الموضع محوطة ملايان . انتهى من « تحفة الأحبّاب » .

قال بعض الأعزة الذي كانت له قرابة قريبة لحضرة شيخنا - يعني عبيد الله قدس سره - وكان من بني أعمامه : **إنه لما وُلِد حضرة شيخنا لم يقبل ثدي أمه حتى تطهر من النفاس وتغتسل ، ولم يرضع من لبنها مدة أربعين يوماً** .

قال حضرة شيخنا : لما كنت ابن سنة وأرادوا حلق رأسي وأولموا ، وقع خبر موت تيمور الأعرج بين الناس ، فاضطرب الناس اضطراباً شديداً ، حتى لم يبق لهم مجال أكل الطعام الحاضر ، فأفرغوا القدور وهربوا إلى رؤوس الجبال .

وكان آباؤه الكرام في تلك الأيام في قرية باغستان ، وكان آثار الرشد وسيماء السعادة ، وأنوار القبول والعناية من الله تعالى ظاهرة وباهرة في جبينه من زمان صباه وصغر سنه .

وكان على وجه إذا وقع نظر شخص على جماله المبارك كان يثني عليه ويدعو له بلا اختيار . شعر :

فإذا رأى ملك السماء جبينه   أثنى عليه جميعهم وكواكبه

وكانت نسبة الحضور بالله حاصلة له في صغر سنه .

قال : كنت أحضر في المكتب في طفوليتي وكان قلبي حاضراً بالحقّ سبحانه في جميع الأوقات ، وكان اعتقادي في ذلك الوقت أن كل من في الدنيا من الصغار والكبار على هذا الوجه ، ودخل رجلي مرةً في طين ، وسقط نعلي وبقي فيه ، وكان الوقت فصل الشتاء والهواء كان بارداً وأنا وقتئذ في الصحراء ، فعرضت لي غفلة مانعة عن نسبة الحضور ، فلُمْتُ نفسي في الحال ، وكنت مكسور الخاطر ، متأثّر البال حتى غلب عليّ البكاء من غير إمهال ، وكان في تلك النواحي غلام يزرع ، فقلت في نفسي : انظر إلى هذا الغلام كيف لا يغفل عن نسبة الحضور بالله مع أنه مشغول بسوق البقر وشق الأرض ، وأنت غفلت عن النسبة بهذا القدر اليسير من الشغل ، وكان ظني في ذلك الوقت أن هذه النسبة حاصلة لكل أشخاص في كل أوقات .

وقال : ما لم أبلغ ببُلوغ شرعيّ ما كنت أعلم أن للناس غفلة .

وقال مولانا جعفر الآتي ذكره : قال حضرة شيخنا : **لما كنت ابن اثنتي عشرة سنة ما كنت أظن أن أحداً يكون غافلاً عن الحقّ سبحانه ، وكان ظني أن الله تعالى خلق الخلق كلهم على وجه لا يغفلون عنه لحظة ، ثم صار معلوماً لي أن هذا الحضور إنما هو عناية من الله تعالى** يختص بها البعض ويتيسر لبعض آخر برياضات شاقة واجتهاد كثير ، ولا يتيسر لبعض آخر بذلك أيضاً .

نُقِل عن حضرة خواجه إسحاق ابن عمّ حضرة شيخنا أنه قال : كلما أردنا مع الأطفال في صغر السن أن نشغله ببعض الأفعال واللعب بمقتضى عادة الصبيان لم يتيسر أصلاً ، وكان يرى نفسه أولاً كأنه سيشتغل فإذا جاء وقت اللعب كان يهرب ، وكان يشاهد فيه معنى العصمة دائماً .

قال حضرة شيخنا : رأيت سيدنا عيسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - في المنام في صغر سنّي قائماً على مرقد الشيخ أبي بكر الشاشي رحمه الله ، فرميت نفسي على قدمه ، فرفع رأسي عن التراب وقال : لا تحزن فإني أريد أن أربيك ، فوقع على خاطري نوع من تعبير هذه الرؤيا ، ثم قصصتها على بعض أصحابي ، فعبرها بالطب ، يعني قال : يكون لك نصيب من علم الطب ، فلم أرض بهذا وقلت : إن تعبيرك هذا ليس بمرضيّ عندي ، وأنا عبرتها بوجه آخر وهو أنّ سيدنا عيسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - كان مظهراً للإحياء ، وكل من ظهر من الأولياء بصفة الإحياء يقال له أنه في هذا الزمان عيسوي المشهد ، ولما التزم سيدنا عيسى تربية هذا الفقير فلا جرم تحصل لهذا الفقير صفة إحياء القلوب الميتة .

وقال : فشرفني الله سبحانه بعد مدّة يسيرة بموجب هذا التعبير بحالة وقوة حتى ظهر هذا المعنى في عرصة الوجود ، ووصل كثير من الرجال عن مضيق الغفلة إلى فضاء الحضور والشهود . يعني بواسطة صحبته .

وقال : رأيت النبي ﷺ في المنام في مبادئ الحال واقفاً تحت جبل عال ومعه جمع عظيم من الصحابة وغيرهم من الرجال ، فأشار إلى الفقير وقال : تعال ارفعني ، واصعد بي على رأس هذا الجبل ، فحملته ﷺ على رقبتي وصعدت به على قلة الجبل ، فاستحسن النبي ﷺ مني ذلك وقال : أنا كنت أعلم أن لك قوة على هذا ، وإن هذا الأمر يحصل منك ، لكن أردت إعلام ذلك للناس . انتهى من « رشحات » .

قال : كانت لوالدي زراعة في كلس في مبادئ الحال ، فأرسل مرةً عندي غلة مع واحد من الأتراك لأضعها في الأنبار ، فكنت مشغولاً بضبط الغلة ، وانصرف التركي في ذلك الأثناء ، ولما أُخْبِرت بانصرافه ظهر في باطني اضطراب عظيم ، ولمت نفسي على فوت التماس بذل الهمة

منه وعدم تضرع إليه ، ووجدت في نفسي حزناً قوياً على هذا التقصير ، فتركت الغلة على ما هي عليه وتوجهت من خلفه بتمام السرعة ، فلحقته في نصف طريق البلد ، وقمت على ممره بالتواضع والتضرع ، والتمست منه توجه الخاطر والنظر في أحوالي بنظر الالتفات ، وقلت : عسى الله أن يرحمني ببركتك وتنحلّ عقدتي ؛ فقال التركي متعجباً ومتحيراً : أظنك تعمل بقول مشائخ الترك حيث قالوا :

هركم كورسك خضربيل   هرتون كورسك قدربيل

يعني :

مطلب مهم

كل من رأيته اعتقده خضراً ، وكل ليال أدركته اعتقده قدراً ؛ وإلا فأنا رجل من الأتراك أسكن البادية ، ليس لي حاصل ، حتى لا أغسل وجهي إلا عن ضرورة ، وليس خبر من المعاني التي أنت طالبها ؛ ولما كثر تضرعي وانكساري ظهر في التركي أثر وكيفية ، فرفع يديه للدعاء ودعا لي بأدعية ، فشاهدت في باطني من أثر دعائه فتوحات كثيرة . انتهى منه .

وقال : إن منتسبي طريقة الخواجه عبد الخالق الغجدواني روح الله روحه يسمعون الذكر من كل أصوات حين يمشون في الأسواق ، ولا يسمعون شيئاً غير الذكر ، **وقد غلب الذكر عليّ في مبادئ الأحوال بحيث كان يخيل لي الأصوات كلها ذكراً أيّ صوت كان** .

أَوْلَمَ رجل من أهل تاشكند يقال له محمد جهانكير ، وكان رجلاً غنيّاً وصاحب جاه ، وأرسل قاصداً إلى سمرقند يجيء بالعواد والزمار والدفاف من تلك الولاية ، وكنت نازلاً في محل قريب منه بضرورة موافقة شخص في ليلة كانت لهم فيها جمعية عظيمة ، فصار يصل إلى أذني صوت ذكر من جميع أصوات المغنيين والأعواد والمزامير والدفوف في ذلك المجلس ، وما كنت أسمع شيئاً غير الذكر ، **وكنت في ذلك الوقت ابن ثمان عشرة سنة** .

قال قدس سره : كنت في هراة في زمن السلطان شاهرخ ، لم أكن مالكاً لفلس ، وكانت لي عمامة خلقة ذات خروق كثيرة بحيث إذا ربطت شقة منها تنسدل الأخرى ، وكنت يوماً مارّاً من سوق الملك ، فسألني سائل شيئاً لله ، ولم يكن عندي شيء أعطيه فأخذت تلك العمامة من رأسي ورميتها إلى طباخ وقلت : إنها طاهرة ، فخذها تمسح بها القدور والأواني ، وأعط في مقابلتها شيئاً لهذا المسكين ، فأعطى الطباخ شيئاً للمسكين وأرضاه ، وردّ العمامة عليّ بتمام الأدب فلم أقبلها ، ومضيت لسبيلي . انتهى من « الباقيات الصالحات » .

وفيه في ١٧٣ : أنه قدس سره لم يقبل هدية أحد من ابتداء عمره إلى انتهائه . انتهى .

وكان غناؤه وتموله في نهاية كماله قدس سره أكثر من أن يحصى ، **حتى كان**[١] **له ألف وثلاثمائة مزرعة** . راجع « الرشحات » ففيه البسط في مقالة غنائه قدس سره .

قال حضرة شيخنا يوماً في معنى قوله تعالى : ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ : قال المحققون في تفسير هذه الآية : ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ : يعني إنا أعطيناك شهود الأحدية في الكثرة ، **فمن كان مقامه هذا المشهد لا جرم يكون له كل ذرة من ذرات الكائنات مرآتاً يشاهد فيها جمال الوجه الباقي ، ويكون المسمى بالسوى لمثل هذا الشخص سبباً لمزيد الشهود ، وباعثاً على تجلي الوجود ، فكيف تكون الأسباب الدنيوية حجاباً بالجمال المقصود ، وكيف يتصور المحجوبية والاحتجاب لجمال المحبوب المحمود** .

---

(١) انظر إلى غنى من لم يكن في ابتداء أمره مالكاً للفلس . (هامش الأصل) .

مهمة في خدمة عبيد الله للناس

قال : حين كنت في مدرسة مولانا قطب الدين الصدر بسمرقند كنت أتعهّد اثنين أو ثلاثة أشخاص كانوا مبتلين بمرض الحَصْبة ، ولم يكون لهم شعور لشدة مرضهم ، فيتلوث ثيابهم وفراشهم بنجاسة ، وكنت[1] أغسلها وأدفع عنهم الأذى ، وكان يقع ذلك مراراً ومتعاقباً ، حتى ابتليت أيضاً بمرض الحصبة بسبب تمريضهم ولوازمه ، وكنت محموماً في ليلة ، وجئت بأربعة كيزان من الماء في تلك الليلة وغسلت أثوابهم .

قال : كنت أذهب في الأسحار إلى حمام شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري الهروي قدس سره حين إقامتي بهراة ، وأخدم فيها للناس ، وكان يتفق لي أحياناً خدمة خمسة عشر أو ستة عشر رجلاً وما كنت أفرق في تلك الجذبة بين الصالح والطالح ، والأبيض والأسود ، والأحرار والعبيد ، وكنت أخدم في البيت الحار من الحمام خمسة أو ستة من الناس ، **وكنت أهرب منهم عقب الخدمة خوفاً من إعطاء الأجرة في مقابلة الخدمة** . انتهى .

وكان قدس سره حريصاً ومولعاً بخدمة الأحباب والأجانب ، ومبادراً إلى شفقتهم وإعانتهم ورعايتهم في ابتداء حاله وانتهاء مراتب كماله .

قال : ينبغي أن يبذل الهمة وأن يصرف الخاطر في الطريقة النقشبندية إلى مقتضى الوقت ، **فوَقْت الذكر والمراقبة عند عدم خدمة تحصل منها راحة لمسلم ، فإن الخدمة التي تكون سبباً لقبول القلوب مقدّمة على الذكر والمراقبة** . وزعم البعض أن الاشتغال بعبادة النوافل أفضل من الخدمة ، وليس كذلك ، فإن ثمرة الخدمة المحبة والتمكين في القلوب ، وما قيل : جبلت القلوب على حبّ من أحسن إليها مبَيِّنٌ لهذا ، ولا مساواة بين ثمرات النوافل وبين ثمرات الخدمة التي هي محبة المؤمنين أصلاً .

---

(١) سبحان الله ما أعظم خُلُق هذا الرجل . (هامش الأصل) .

قال : إن سبب عدم قبول حضرة خواجه بهاء الدين وأتباعه قدس سره خدمة الناس بسهولة لكون الخدمة والتواضع من جملة الإحسان ، **وحب المحسن ضروري ، والعلاقة إنما هي على قدر المحبة** ، ولما كان اشتغالهم بنفي الخلق بتمام الهمة وقطع العلائق عنهم يجتهدون بالضرورة في الخدمة ويهتمون في ذلك بقدر الوسع والطاقة ، ويمتنعون عن قبول الخدمة وإنما يقبلونها من شخص يتفرسون فيه استعداد الاحتظاظ بطريقتهم وطورهم يوماً فيوماً لتنقيص علائقه بالعالم بسبب قبولهم والتفات قلوبهم ، فيكون العالم منوّراً ومعموراً من جمعيّة باطنه .

وقال : **ما أخذت هذه الطريقة عن كتب الصوفية ، وإنما أخذتها عن خدمة رجال لا أني أخذتها عنهم بالتعلم ، بل للخدمة تلك الخاصية** .

وقال : قد أدخلوا كل شخص من باب وأدخلوني من باب الخدمة ، ولذلك كانت الخدمة مرضية ، ومختارة لديّ ، وكل من أتوسّم فيه الخير آمره بالخدمة ؛ ثم أنشد هذا البيت ، شعر :

وترقى علـــى أوج المـعالي بـهمة   فليس لـــه سـوى ذلـــك سـلـمـا

وقال : أنا أقول هكذا :

وترقى على أوج المعالي بخدمة . انتهى .

وتوجه قدس سره إلى ولاية كش ومعه جمع من أصحابه وخدمه ، وكان الوقت حينئذ أوائل الربيع ، فأدركهم الليل ، فنزلوا على شعب الجبال بالضرورة ، ونصبوا خيمة ، فجاء المطر بعد صلاة المغرب ، فقال حضرة[١] شيخنا : إنّ لي تردداً في طهارة تلك الخيمة ، فلا أقعد أنا فيها ، بل يقعد الأصحاب وبالغ في هذا الباب[٢] ولم تكن معهم خيمة أخرى

(١) يعني عبيد الله أحرار .

(٢) وفي نسخة : هذا الكتاب .

فقعد الأصحاب والفقراء في تلك الخيمة بموجب أمره ، وحضرة الشيخ خارجها ، واستمر المطر إلى الصبح ، وجرت السيول ، ولما طلع الفجر وصلينا صلاة الصبح ، قال ؛ حضرة شيخنا لطفاً وعناية ببعض أصحابه : استحييت أن أقعد أنا في الخيمة والأصحاب في المطر ؛ فعلم أن ما قاله في حقّ الخيمة كان سراً ولطفاً منه ليقعد فيها الأصحاب بلا تشويش وانقباض .

ونقل بعض الأصحاب أنه توجه شيخُنا مرةً إلى طرف مزرعة بزاورد في غاية شدة الحرارة من فصل الصيف ، ورافقه جمع من أصحابه وملازميه ، وكان لحارثي تلك المزرعة بيت صغير مصنوع من لبد فنصبوه لحضرة شيخنا ، فثقل على الأصحاب قعودهم معه في ذلك البيت الصغير ، ولم يكن مظلة غيره ، ولما شرعت الحرارة في الاشتداد طلب حضرة شيخنا فرسه ، وقال : أريد أن أتفرج بعض مواضع الصيد ؛ فركب وذهب إلى الصحراء ، وطاف في حرارة الشمس ، ولما بلغت حرارة الهواء غايتها انحدر إلى بعض مسيل الماء ومجرى السيول ، واستراح جاعلاً رأسه المبارك في ظل جانب ذلك المسيل وطرف المجاري ، فإن ظله لم يكن بحيث يستر تمام بدنه ، ولما اعتدل الهواء جاء البيت عند الأصحاب ، وكان ذلك شغله ومعاملته في كل يوم مدة إقامته في تلك المزرعة ، **فتيقّن الأصحاب أخيراً أنه إنما يختار ذلك لراحة الأصحاب وفراغهم** . انتهى .

وقال قدس سره : إن الخواجه يعقوب الجرخي قال : إن الخواجه بهاء الدين قدس سره قد أخذ بيده وقال : إنّ يدك يدي ، فمن أخذ بيدك فقد أخذ بيدي ، فخذ بيد خواجه بهاء الدين ، فأخذت بيده بلا توقّف ، ثم قال لي بعد تعليم طريقة خواجكان قدس الله أسرارهم بطريق النفي والإثبات الذي يقال له الوقوف العددي : إن هذا الطريق هو الذي وصل إليّ من خواجه بهاء الدين قدس سره ، فإن بدا لك أن تربّي الطالبين بطريق الجذبة فلك الخيار في ذلك .

قيل : قال بعض أصحاب مولانا يعقوب الچرخي : له لقنت الطريقة طالباً في هذا الوقت ، ثم قلت له عقب ذلك : فإن بدا لك أن تربي[1] إلخ ، فكيف يمكن الإجازة في هذه المدة اليسيرة ؟ فقال له مولانا يعقوب : **ينبغي للطالب أن يحضر هكذا : قد هيّأ جميع أموره ، وإنما كان موقوفاً على الإجازة فقط ، وله قوة لكل ما قيل .**

وكتب مولانا نور الدين عبد الرحمن الجامي قدس سره السامي في « النفحات » ، ووقع الاستماع لي هكذا : أنّ مولانا يعقوب قال : ينبغي لطالب يحضر عند مرشد أن يحضر مثل خواجه عبيد الله قد هيّأ المصباح وملأه بالزيت وأصلح فتيلته ، وإنما هو محتاج للتسريج .

قال حضرة شيخنا : قد أنصف مولانا يعقوب في قوله : إن ما وصل إلينا من خواجه بهاء الدين إنما هو طريق الذكر ، فمن قدر على تربية بطريق الجذبة فهو حسن ينبغي أن يفعل . وقال : لما استأذنت مولانا يعقوب بيّن لي طرق النقشبندية كلها ، ولما بلغ طريق الرابطة قال : لا تخف من تعليم هذا الطريق ، ولا تدهش منه ، بل بلّغه المستعدين . انتهى من « الباقيات الصالحات » باختصار من مواضع وتصرف في العبارات بتقديم وتأخير ليوافق المقام .

ومما قاله قدس سره كما في « الباقيات الصالحات » في معنى قوله تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ : **إن الشكور في الحقيقة هو من يشاهد المنعم في النعمة** ؛ وقال : قال الغزالي : إن التلذذ بالنعمة لا ينافي الشكر لو كان التلذّذ من جهة كونها سبباً للوصول . انتهى .

وقال في معنى قوله تعالى : ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا ﴾ : إن هذه الآية متضمنة لمعنيين ، **أحدهما** : ما يفهم من ظاهر الآية ، يعني : أعرض عن طائفة يعرضون عن ذكرنا وهم أهل الجحود والغفلة ؛ **وثانيهما ، وهو**

---

(١) الطالبين بطريق الجذبة ، فلك الخيار في ذلك ، أمين .

المعنى الباطني : أنه تعالى أمر رسوله ﷺ بالإعراض عن طائفة ارتفع عنهم وصف الذكر بكمال استغراقهم واستهلاكهم في شهود المذكور ، فإن كُلِّفوا بالذكر مثلاً يكون الذكر مانعاً إيّاهم عن شهود المذكور ، فأُمِرَ النبي ﷺ بالإعراض عنهم بمعنى الانتهاء عن تكليفهم بالذكر . انتهى .

قال في معنى قوله تعالى : ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ : إن للكينونة معنيين : كينونة بحسب الصورة ، وهي التزام مجالسة أهل الصدق ومصاحبتهم حتى ينوّر باطنه بأنوار صفاتهم وأخلاقهم بسبب دوام الصحبة معهم؛ وكينونة بحسب المعنى ، وهو أن يلتزم طريق الرابطة بحسب الباطن بطائفة يستحقون الوساطة .

ولا تنحصر الصحبة في المجالسة الصورية والنظر بالعين ، بل ينبغي أن يجعل الصحبة دائماً ، وأن يتجاوز عن الصورة إلى المعنى حتى تكون الواسطة في نظره دائماً ، **فإن رُوعي هذا المعنى على الدوام تحصل لسرّ الطالب مناسبة واتحاد بسرّ المرشد ، ويكون المقصود الأصلي الحاصل حقيقة بتلك الواسطة .**

وقال في معنى هذه الآية أيضاً : وما يفهم من هذا الأمر الواجبِ الامتثالِ لزومُ كون القلب مرتبطاً بواحد من الصادقين ، وهم طائفة قد ارتفع المسمى بالغير عن عيون بصيرتهم ، فإنه يقال : رمح صدوق لرمح يوجد فيه جميع ما يلزم الرمح من الاستقامة ، وأصالة الجوهر وغيرهما ، والذي يلزم الإنسان أن يتحلى به حتى يبلغ درجة الكمال ليس هو غير التوجه الصادق الخالص إلى الله تعالى على الدوام .

وأُنشد في هذا المعنى أيضاً شعر :

عـش عـاشقاً واقـعد مع العشاق   لا تـقـرب مـن ليس ذا الأشواق

غيره :

أن من يصحب شيخاً نحوياً   يكن في فَنّ نحو ماهراً
والذي مع شيخ محو جالس   كان منه سر محوٍ ظاهراً

ولما كان للإنسان استعداد تام للتأثر ممن يصحبه ويجالسه كان مأموراً بهذا الأمر ، **وأي عمل يعدل ويقابل جذبةً واردة من طرف الحق سبحانه ببركة صحبة الصادقين ، وجذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين مؤيد لهذا** . انتهى .

وقال في خبر : « التكبّر على المتكبر صدقة » : **إن التكبر على نوعين** ، أحدهما : مذموم ، والآخر : محبوب .

فالمذموم : هو التعظم على خلق الله تعالى ، والنظر إليهم بعين الحقارة ، وأن يرى نفسه فوق الناس .

والمحبوب : عدم الالتفات إلى ما سوى الله تعالى ، والتعظم على غير الحق ، بمعنى : أن يرى غير الحق سبحانه حقيراً عديم المقدار ، وقطع العلائقة عنهم . وهذا التكبر أصل موصل إلى مرتبة الفناء . انتهى .

ومما قاله قدس سره في تحقيق ما قاله بعض المحققين : لو أقبل صديق على الله تعالى ألف ألف سنة ، ثم أعرض عنه لحظةً ، فما فاته أكثر مما ناله : أن تلك الطائفة يصلون إلى مقام يكتسبون فيه في نفس واحد جميع كمالات اكتسبوها فيما قبل . انتهى .

قال قدس سره : إن لهذا تمثيلاً وهو أنه لو كان لشخص مائة دينار فاتجر به وسعى واجتهد حتى بلغ ربحه مائة ألف دينار ، فما يحصل له في هذا الوقت من ربح مائة ألف دينار يكون أزيد البتة ، مما حصل له قبل هذا من مائة دينار ، فلو امتنع عن الكسب والتجارة في هذا الحال يكون ما فاته أزيد مما ناله لا محالة .

وقال في معنى قول البعض : **من غمض عينه عن الله طرفة عين لم يهتد طول عمره** : إنه لا يهتدي لتدارك زمان فات وقت الإغماض ، يعني : لا يمكن تداركه لكونه فائتاً لا على عوض .

وقال في معنى قول البعض : (العرفاء أرباب الأحوال يتبرؤون من الأحوال) : إن الاستغراق والاستهلاك لَيْسا بموجبين للترقي ، فإنه قد تحقق وعلم باليقين أن الترقي منوط ومربوط بدوام العمل ، ولا شكّ أن زمان الاستغراق والاستهلاك زمان الامتناع والتعطل عن العمل في الحقيقة ، بل هما من أحكام موطن الآخرة ، وإنما ظهرا في هذا الموطن بطريق الاستعمال ، فإن لم يظهرا في موطن الدنيا يظهران في موطن الآخرة البتة بالطريق الأكمل ، فلا جرم يتبرأ أرباب الأحوال من الأحوال بناء على هذا التحقيق . انتهى .

وقال : إن أهل الإرادة في غاية القلة والندرة .

وقال في تأييد ذلك الكلام : كتب واحد من المشائخ إلى آخر من أكابر عصره : أن المريدين قليلون هنا جدّاً ، فإن أحست علامة من المريد الصادق أرسله إلي . فكتب في جوابه أن المريدين قليلون هنا أيضاً ، فإن أردت شيوخاً أرسلكهم مقدار ما تريد . انتهى .

ومما نقل عنه قدس سره أنه قال : لو نقشوا صورة درويش على جدار ينبغي أن يمرّ من تحت ذلك الجدار بالأدب .

وقال قدس سره : اشتغل سهل بن عبد الله التستري قدس سره بالرياضات الشاقة ، ودوام الذكر مدّةً مديدة ، **حتى تقاطر يوماً دَمٌّ من دماغه وكان يكتب نقش لفظة** (الله) **من كل قطرة قطرت في الأرض** ، ثم أمر شيخه بالمحافظة على نسبة الحضور بعد تلك الاشتغالات .

وقال قدس سره في بيان كون الصحبة مع الأجانب والأغيار موجبة لفتور النسبة : **وقع يوماً فتور على وقت الشيخ أبي يزيد البسطامي قدس سره ، فقال لأصاحبه : قد دخل في مجلسنا هذا أجنبي ، قد طرأ عليّ فتور بسببه فالتمسوه . فقال الأصحاب بعد تفتيش بليغ : ليس في المجلس أجنبي . فقال : التمسوه من بيت العصا . فالتمسوا منه فوجدوا عصا أجنبية فرموها بعيداً ، فكان الشيخ واجداً لوقته في الحال ، وتبدلت تفرقته بجمعية وانشراح البال .**

وقال : وقع الفتور أيضاً يوماً على خواجه أحمد اليسوي قدس سره ، فقال : إن في صحبتنا هذه أجنبيّاً قد انفلت حبل النسبة بواسطته . فوجدوا بعد تفحّص كثير في صف النعال نعلاً أجنبيةً فَرَمَوْها خارج البيت[1] فحصلت له الجمعية وصفاء الوقت في الحال ، وارتفعت عنه التفرقة وكدورة البال .

يقول المؤلف : قال بعض الأصحاب : لبس واحد من الأصحاب ثوباً أجنبيّاً وحضر في مجلس حضرة شيخنا وقت انعقاد الصحبة في السحر ، فقال حضرة شيخنا بعد لحظة : إنه تجيء في هذا المجلس رائحة الأجنبي ، ثمّ قال لصاحب ذلك الثوب : **إنّ هذه الرائحة تجيء منك** ولعلّك لبست ثوباً أجنبيّاً ، فقام من المجلس وخرج ونزع ثوبه ثم عاد إلى مجلسه .

مهم

وقال قدس سره : إن تأثُّر الجمادات من أعمال الناس وأخلاقهم أمر مقرّر عند أرباب التحقيق . وللشيخ محي الدين بن العربي قدس سره تحقيقات كثيرة في هذا الباب . ويبلغ تأثّر الجمادات حدّاً وغايةً إن أدّى

(١) وهكذا ، بل عينه في « ترصيع الجواهر » . (منه غفر الله ذنوبه) .

شخص مثلاً الصلاة التي هي أفضل العبادات في محل متأثر من قبائح أعمال الفساق وأخلاقهم الغير المرضيّة لا تساوي قيمتها وحالها حال عمل وقيمته كان أدْوَنَ منها رتبةً لكونه مؤدّى في موضع متأثر من جمعية أرباب الجمعية ، ولهذا تساوي الركعتان اللتان أُدِّيتا في حرم مكة – شرفها الله – مائة ألف ركعة أدِّيتْ في غيره .

وقال : قال الشيخ أبو طالب المكّيّ قدس سره : **اجتهد حتى لا يبقى فيك مقتضى ومتمنّى غير الحق سبحانه** ، فإن كنت كذلك فقد تمّ أمرك ، فإن لم يظهر فيك شيء من الأحوال والمواجيد والكرامات فلا غمّ ولا ضير . انتهى من « الباقيات الصالحات » باختصار .

فلنقتصر على هذا القدر ، فلو أطلنا الكلام في ذكر مناقب الخواجه عبيد الله ومعارفه ومقالاته التي أوردها صاحب « الرشحات » في كتابه ، لاحْتيجَ إلى جمع رسالة خاصة ، جعلنا الله تعالى من السالكين في سلك هؤلاء الأولياء الكرام آمين .

ثم إن العالم الشيخ محمد مراد بن عبد الله القزاني – سلمه الله تعالى عن مضرّة الكائنات وجعله في زمرة المقرّبين مع النبي صاحب المعجزات آمين – قد صنَّف كتاباً في ذكر مناقب المشائخ الذين لم يذكر صاحب « الرشحات » في « الرشحات » ، فنحن إن شاء الله ننتخب منه ما رأيناه من مناقبهم ومعارفهم وكلماتهم أحسن وأولى ، ونختصر منها على ما هو الأنفع والأصلح ، والله وليّ التوفيق .

واسِطَة فَيضَان الفُيوضات السُّبْحانيّة ، ورابِطَة سِلسلة النقْشبنديّة العليّة مَولانا محمّد المعروف بالزَّاهِد الوخشواريّ قدِّس سرّه

هو من أجلّ خلفاء خواجه عبيد الله أحرار قدِّس سره ، أصله من قرية وخشوار وهي قرية من قرى حصار .

قيل : إنه مع كونه متّصفاً بالكمالات المعنوية والقابلية الذاتية ، كان مشغولاً بكسب الكمالات عند واحد من أكابر هذه الطائفة العلية ، ثم جاء إلى سمرقند لتحصيل بركات صحبة خواجه عبيد الله أحرار قدس سره ، وأقام في قرية ورسين ، منتظراً لقدومه هناك ، ولما قدم ورأى فيها مولانا محمد الزاهد عظَّمه وأكرمه ، وبايعه مولانا محمد الزاهد ، وأحيَوْا ليلتهم هذه بالصحبة ، ولما كان فيه صفاء ذاتي وقابليّة تامّة نال مرتبة الكمال والتكميل في هذه الطريقة العلية ببركة صحبة خواجه عبيد الله أحرار قدس سره ، ورجع إلى موطنه من هذا المحلّ بأمر شيخه ممتازاً بالإجازة والخلافة ، واشتغل بتربية الطالبين هناك إلى آخر عمره . وقبره أيضاً هناك يُزارُ ويتبرك به ، وتوفّي بعد ألف من الهجرة ، كما في « التحفة » .

مَوْلانا دَرْويش مُحمّد الأمكنويّ قدِّس سرّه

هو من أجلّة أصحاب خاله مولانا محمد الزاهد الوخشواري وأكمل خلفائه ، وهو وإن كان ممّن بايع الخواجه عبيد الله أحرار قدس سره من غير واسطة ، لكن كانت تربيته وبلوغه إلى مرتبة الكمال والتكميل وإجازته بالخلافة من مولانا محمد الزاهد عليه الرحمة ، وسكن بقرية أمكنه وهو قرية في ولاية كش ، وقبره أيضاً هناك مشهور ومعروف يُزار ويُتَبَرَّك به .

وفي « التحفة » : أنه كان صاحب الولاية العظمى والمقام الأسنى قد اتفق أهل زمانه على ولايته وعلوّ شأنه . انتهى .

مَوْلانَا خواجه الأمكنويّ قدِّس سرّه

هو خليفة والده الماجد مولانا درويش محمد الأمكنوي قدس سره بطريق الوراثة الظاهرية والباطنية ، وبلغ رتبة الكمال والتكميل بحسن تربيته ويمن همّته وبركة صحبته ، وقد بايع مولانا محمد الزاهد الوخشواري قدس سره من غير واسطة .

واسمه :خواجه عبد الباقي ، اشتغل مدّةً بتحصيل العلوم الظاهرية عند علماء سمرقند وبخارا ، وطالع الكتب المتداولة ، ودرس في العلم الظاهري بعد بلوغه ذروة الكمال فيه ، وحصل رتبة المولوية بسبب التدريس وجعلها ستراً وحجاباً لأحواله الباطنيّة ، **فكان يأمر لمن يحضر عنده لطلب الطريقة بالاستخارة ، ولم يكن يقبل أحداً بدونها** ، وكان معاصراً لمولانا المخدوم الأعظم الدهبيدي خليفة مولانا القاضي محمد ، وكان في صحبته .

وأقام مدةً في دهبيد بعد رحلته إلى دار البقاء لتعزية أولاده وأحفاده وتسليتهم ، ثم رجع إلى وطنه ، وتوفي في شهور سنة عشرة بعد الألف ، وقبره في قرية أمكنة مشهور ومعروف يُزار ويتبرّك به .

مولانا خواجه محمد الباقي بالله قدِّس سرّه

ولد سنة إحدى أو اثني وسبعين وتسعمائة ببلدة كابل ، وكان أبوه القاضي عبد السلام رقيق القلب جدّاً ، كثير البكاء وافر الحظ من قوله تعالى : ﴿وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا﴾ . وأمّه كانت من بنات السادات ومن النساء الصالحات القانتات ، كانت كثيرة الاعتناء بخدمة الدراويش والفقراء بنفسها مع كثرة الجوار . قال لها ولدها خواجه محمد الباقي قدس سره : إن من يقوم بأمر الخدمة موجود ، فينبغي لك أن تقعدي وتستريحي .

فبكت وقالت : **أيّ جريمة صدرت عنّي حتى يمنعني الله سبحانه عن شرف خدمة طالبيه وعباده الخاصة . فتركها على حالها .**

وكانت آثار الجذبات الإلهية وأنوار الهداية السبحانية ظاهرة في جبينه في حالة صباه ، اشتغل أولاً بتحصيل العلوم الظاهرية عند أجلّة علماء عصره ، والتزم مولانا محمد صادق الحلوائي الذي هو علامة عصره بلا نزاع ، وقدم ما وراء النهر في رفاقته ، وفاق في ملازمته جميع أقرانه ، ثم بدا له في ذلك الأثناء داعية الدخول في طريق التصوف ، وانبعث من باطنه شوق صحبة أولياء الله الكرام الذين هم في مسارح المشاهدة يسرحون ، وتلى في سرّه : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴾ .

وصادف في بداية ترك تحصيل العلوم الرسمية إلى محفل واحد من أكابر أفاضل ذلك العصر ، فقال ذلك الفاضل بتقريب : ما أحسن لو كان خواجه محمد الباقي مداوماً على التحصيل والمطالعة أياماً حتى تبلغ مولويته وملكته في المطالعة إلى مرتبة الكمال والإكمال . فقال له الخواجه : أليس المراد من كمال المولوية والملكة أن تحصل قدرة مطالعة الكتب المتداولة على ما ينبغي ، فأتوني بكتاب لا يقدر على مطالعته إلا صاحب بصر حديد ، فعسى يحصل التشفي التام . **وبالجملة تطرقت إلى طريق تحصيله للعلوم فترة تامة ، وجذبته الجذبات الإلهية إلى محفل قوم أشرقت في ضميرهم شمس** ، « لي مع الله وقت » ، فطاف حول مجلس كثير من كبار مشائخ وقته في بلاد ما وراء النهر التي هي معدن هذه الطائفة العزيز الوجود ، وزف عند بعضهم بعروس التوبة والإنابة .

فأول من تاب على يده وأناب الشيخ خواجه عبيد خليفة مولانا لطف الله خليفة مولانا المخدوم الأعظم الدهبيدي خليفة مولانا القاضي محمد خليفة قطب الآفاق خواجه عبيد الله أحرار قدس سره .

ولما لم تظهر فيه آثار الاستقامة أناب ثانياً على يد الشيخ افتخار حين قدومه بسمرقند ، وكان من كبار مشائخ سلسلة خواجه أحمد اليسوي ، ثمّ طرأت الفترة على عزيمته هذه أيضاً ، وظهر فيه ما ينافي طريق الاستقامة ، ثمّ جدّد التوبة ثالثاً من غير صنع واختيار على يد الشيخ الأمير عبد الله البلخي ، فكان في مقام حفظ الحدود أياماً ، ثم هدم سدّ تلك التوبة أخيراً سيْلُ تأسير[1] اسمه تعالى المضل ، ثم انعقدت صورة التوبة في المنام في شرف ملازمة خواجه بهاء الدين النقشبند قدس سره ، وظهر فيه ميل إلى طريقة أهل الله ، فبحكم الغريق يتشبث بكل حشيش صار يتوجّه إلى كل طرف ويسير حتى وصل إلى ملازمة الشيخ باباً ولي الكبروي في بلدة كشمير ، وكان منظوراً بنظر عنايته .

ولما كان الشيخ المذكور مجازاً من مشائخ سلسلة النقشبندية أيضاً ، هبت في ملازمته النفحات الربانية من مشرق فيوضات هذه الطائفة العلية إلى روض استعداده ، وظهرت فيه الغيبة المعهودة عند هذه الطائفة بعد انتقال الشيخ المذكور إلى دار القرار ، حتى أخذت أرواح هؤلاء الأكابر في الظهور في المبشرات ، وشرّفوه بالتلقينات ، وظهرت قوّة في نسبته بيمن توجههم ، واتسعت دائرتها ، واتضح له الطريق ، ثم جذبته جذبة عنايتهم إلى خدمة مجمع الحقائق ومنبع الدقائق مولانا خواجكي الأمكنكي قدس سره ، فأظهر له التفات كثيرة وعنايات جزيلة .

ولما تفرّس مولانا علو فطرته وسموّ[2] استعداده ، وحدس[3] أحواله العالية ، ومواجيده السامية ، جلس معه في الخلوة للصحبة ثلاثة أيام متوالية ، وأطلعه في أثناء الصحبة على بعض الزوائد والفوائد ، ثم قال :

---

(١) كذا في الأصل ، تدبّر .
(٢) أي : رفعة .
(٣) حدس : إذا ظنّ ظنّاً مؤكداً ، وحدس في الأرض : ذهب على غير هداية ، وحدس في السير : أسرع . « مصباح » . (هامش الأصل) .

إن أمرك قد بلغ مرتبة الكمال والإكمال بعناية الله المتعالي وببركة تربية روحانية أكابر هذه السلسلة العلية ، فينبغي لك أن تعود إلى طرف بلاد الهند فإنه يظهر فيه رونق هذه السلسلة بواسطتك ، ويبلغ فيه كثير من المستفيدين على القدر كاملي الاستعداد إلى ذروة الكمال ، فاعتذر إليه بأعذار عديدة على طريق الانكسار ورؤية قصور الأحوال ، ولكن لم يترك مولانا إلحاحه وأمره بالاستخارة ، ولما نام رأى في منامه ببغاء ، فقال : إنها طير مخصوصة ببلاد الهند ، فإن كان السفر إلى بلاد الهند مباركاً فلتجئ هذه الببغاء عندي ولتقعد علي ، فجاءت عنده وقعدت على منكبه ، فرمى إلى فمها ببزاقه ، وصبت هي أيضاً سكراً من فمها في فمه ، فوجد منه لذة في دماغه ، فأخبر شيخه بذلك ، فبشّره بما هناك وقال : قم وبادر إلى طرف بلاد الهند فإنه سيحضر فيها صحبتك كامل الاستعداد ينتفع بك ، وتحصل لك منه أيضاً حلاوة ، وتظهر كمالاتك منه .

فتوجه بموجب إشارته إلى طرف بلاد الهند ، وأقام سنة في بلدة لاهور ، واغتنم صحبته فيها كثير من علماء تلك الديار وفضلائها ، ثم ارتحل منها إلى دار سلطنة بلاد الهند الدهلي ، واختار للإقامة القلعة الفيروزية التي هي مشتملة على نهر كبير ومسجد عظيم مزينة بأنواع الزينة ، وموصوفة بصفاء الهواء ، وأقام هناك إلى حين وفاته .

وكان قدس سره صاحب الأذواق والمواجيد العالية ، والأحوال السامية كثير التواضع والانكسار ، **وكان يجتهد في ستر أحواله وسيرته السنية عن نظر الأغيار ، بل عن محرم الأسرار بأنواع الحجب والأستار ، ولا يرى نفسه أهلاً لمقام الإرشاد ، فإذا جاءه شخص لطلب الطريقة كان يقول : ليس عندي شيء من ذلك ، ينبغي لك أن تطلبه من غيري ، فإذا لقيت أحداً من هذه الطائفة مقتدى في الطريقة فنبّهني على ما هنالك .**

وكان يبعد عن نفسه مطلق الدعوى ، بل كان يشتغل بخدمة الزوّار واستمالة قلوبهم ، ولا يتكلّم إلا عن ضرورة ، إلا في مسألة مشكلة من حقائق هذه الطائفة ، فكان يوضّحها حق الإيضاح لئلا يميل صاحبها بلا إدراكها عن النهج القويم ، **وكان يمنع أصحابه عن القيام تعظيماً له** ، ويعدّ نفسه كأحد منهم ، ويحبّ المساواة معهم في سائر حالاته ، وكان يقعد فوق التراب من غير حائل إظهاراً للتواضع والمسكنة ، وكان ذا كيفية عظيمة وتصرّفات عظيمة بحيث **إذا وقع نظره على شخص كان يتغير حاله ويؤول إلى الخير مآله** ، وكان الناس في باب مطروحين سكارى ودائرين حوله حَيَارَى .

قال الشيخ تاج الدين الهندي الذي كان من قدماء أصحابه وأجلّة خلفائه : وقد صحب بعده الإمام الرباني ، ثم جاور الحرمين الشريفين ، واشتهرت هناك صيته وشهرته ، وأخذ عنه أكابر أهل الحرمين الطريقة النقشبندية كابن علان .

وتوفي في الحرم المكي ، ودفن في جبل قعيقعان(١) ، وقبره مشهور معروف هناك .

كان شيخنا الخواجه محمد الباقي مرةً قاعداً على ساحل النهر ، فجئت عنده فقال لي : يا تاج الدين **يُفاض عليّ من الفيض السبحاني ما لو كان هذا النهر مداداً فأكتبه به لا ينفد أبداً ونفد النهر** . أرسل إليه الإمام الرباني مرةً في ليلة من ليالي رمضان فالوذجاً مع خادم له بدويّ غليظ الطبع ، فلما انتهى إليه كان الخدام والأصحاب كلهم في النوم فقام بنفسه وأخذه من يد الخادم وقال له : ما اسمك ؟ قال : باما ، فقال : لما كنت في خدمة الشيخ أحمدنا فأنت معنا فإن معنى باما بحسب الوضع

---

(١) وفي نسخة : قعيعان .

واللغة الفارسية معنا ؛ فبمجرد وصول هذا الكلام إلى سمع الخادم تغيّر حاله ورجع باكياً صائحاً كالسكران ، ولما رآه الإمام الرباني على هذا الحال سأله عمّا جرى عليه ، قال : لا أعرف شيئاً غير أني أرى نوراً لا لَوْنيّاً أخذ الدنيا كلها شرقها وغربها أشجارها وأحجارها سهلها وجبالها وأرضها وسماءها لا أقدر أن أبيّنه ، فقال : لعل حضرة شيخنا توجه إلى هذا الجانب وقابل هذه الذرة ، فأشرقت أشعة شمسه فيها ، وذلك النور من نوره ، ولما حضر في الغد صحبته نظر إليه وتبسم ، وأمثال ذلك كثيرة يطول ذكرها .

وبالجملة كان يحصل الذوق والشوق والكيفية المعهودة عند هذه الطائفة للطالبين في أول صحبته ، ويجري لطائفهم بالذكر في أول التلقين ، وكان ذلك للكلّ على سبيل التعميم ، وذلك من إلحاقاته ، قاله إمام الرباني .

لم يوقظ الهرّة التي نامت على فراشه

وكان شفقته على الخلق على وجه : قام ليلة في أيّام البرد عن فراشه ، فلما عاد رأى في لحافه هرة نائمة ، فلم يرض بإيقاظها وتحريكه إياها ، وقعد إلى الصبح متحمّلاً لنكد البرد .

ووقع الجدب والقحط مرةً في بلدة لاهور حين إقامته فيها فلم يأكل في تلك المدة شيئاً فإذا حضر عنده طعام كان يفرقه ويقسمه على الجائعين ويقنع بنفسه بالتناول من ميراث : « أبيت عند ربي . . . » الحديث ، ولما خرج من لاهور متوجهاً إلى دهلي رأى عاجزاً في الطريق ، فنزل عن دابته وأركبه عليها ، وصار يمشي متقنعاً(١) لئلا يعرفه أحد ، ولما قرب إلى المنزل أنزله وركب بنفسه لئلا يطلع عليه أحد .

---

(١) وقناع المرأة : جمعه قنع مثل كتاب وكتب ، وتقنعت : لبست القناع . « مصباح » .

وكان في رؤية قصور الأحوال واتهام النفس على غاية لا يميّز نفسه عن العامة فضلاً عن أصحابه الكملاء الفضلاء .

كان في جواره شاب يرتكب كل شيء من أنواع الفسق ، وكان يتحمله مع اطلاعه عليه ، فسعى خواجه حسام الدين في دفعه وتأديبه إلى الحكام فأخذوه وحبسوه ، ولما اطلع على ذلك غضب عليه وقال : لِمَ فعلت كذلك ؟ قال : يا سيدي ! إنّه فاسق لا يبالي يرتكب كل شيء ، واجب التأديب والحبس ؛ فقال : أوّاه ! لما كنتم من أهل الصلاح والصفاء والتقوى رأيتم فسقه ، وإلا فنحن لا نعرف الفرق بيننا وبينه ، فكيف نترك أنفسنا ونسعى به إلى الحكام . ثمّ سعى في تخليصه وإخراجه من الحبس ، فأخرجوه فتاب وصار من صلحاء الأنام .

وهكذا كان عادة الكرام . وقصة الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه مع جاره الإسكاف الذي كان يجيء كل ليلة إلى بيته سكران مشهورة معروفة .

وكان إذا صدرت زلّة من أصحابه يقول : إنّ هذا من زلاتنا ظهرت منهم بطريق الانعكاس ، فما ذا يصنع هؤلاء الفقراء فيما لا اختيار لهم ؟ !

وكان إذا أشكلت عليه مسألة فقهية يرجع إلى الفقهاء المتورعين ويستفتي منهم ما هو الحقّ والصواب .

وكان يختار الأحوط في العبادات والمعاملات ، ولهذا كان في ابتداء حاله يقرأ الفاتحة خلف الإمام مع كونه حنفي المذهب لكثرة الأحاديث الواردة في قراءتها وقوّة دليلها ، حتى قال صاحب البحر : اخترت الإمامة للعمل بالمذهبين ، فرأى يوماً الإمام أبا حنيفة في منامه ، فأنشد قصيدة مشتملة على مدحه ومشعرة بأنّ أكثر كبار الأولياء كانوا على مذهبه ، **فترك قراءة الفاتحة بعد ذلك** . وهذه المذكورة نبذة من شمائله ، وقطرة من بحر خصائصه .

ولما بلغ عمره الشريف أربعين سنة قال : قيل لي : قد حصل الغرض الذي كان مربوطاً بوجودك . فعرض له المرض في أواسط سنة اثنتين وعشرين بعد الألف ، وقال في ذلك الأثناء : رأيت في المنام ناصر الملة والدين والشريعة خواجه عبيد الله أحرار قدس سره ، فألبسني قميصاً ، فإن تيسرت العافية فذاك ، وإلا فالكفن أيضاً قميص .

قول عجيب في دفن الخواجه محمد الباقي قدس سره

فتوفي يوم الاثنين الخامس والعشرين من الشهر المذكور ، ولما غسلوه وكفنوه ، وحفروا قبره ، حمل نعشه الشريف جمع من مجاذيب أصحابه وتوجهوا به من غير شعور إلى خلاف جهة القبر ووضعوه في محل كان مروره قدس سره صادف في حياته مرة هذا المحل ، فاستحسنه ونزل فيه وصلى ركعتين وانتثر إلى زيله تراب من تلك البقعة ، فقال : إن تراب هذه البقعة يؤخذ بزيلنا ، فتذكر الأصحاب ذلك فحفروا قبره هنالك ودفنوه فيه . فعمل خواجه حسام الدين عليه الرحمة بساتين في أطرافه ، وأجرى عليها المياه والأنهار ، وذلك في قرب أثر قدم النبي ﷺ على ما هو المشهور فيما بينهم ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

غوث الواصلين وقطب العارفين برهان الولاية المحمدية وحجة الشريعة المصطفوية الإمام الرباني مجدد الألف الثاني أحمد الفاروقي قدس سره

يتصل نسبه بسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بثمان وعشرين واسطة ، وكان آباؤه الكرام وأجداده العظام كلهم من صلحاء الأنام وعلمائهم وفضلائهم ، كما ذكر أحوالهم بالتفصيل في « الروضة القيوميّة » و« الجواهر العلوية » ، فإن رمت الاستقصاء فعليك بهما ، وإنما نذكر هنا قطرة من ذلك البحر ، كان والده الماجد قدس سره صاحب أحوال عالية وأذواق سامية ، عالماً في العلوم العقلية والنقلية ، وكان في غاية من التفريد والتجريد ، وكان يجوب[1] البلاد مشتغلاً بإرشاد العباد ، ولما صادف مروره سكندرة – وهي قصبة[2] مشهورة في بلاد الهند – وأقام فيها مدّة رأته امرأة من أشراف قبائل تلك الديار صاحبة فراسة صادقة ، وتوسمت فيه أنواع الفضائل وأصناف الكمالات ، وكانت لها أخت موصوفة بالعفّة والقناعة والخصال الحميدة ، فعرضتها عليه ، ولما كان ذلك قدراً مقدوراً جاء إلى عرصة[3] الوجود مع إبائه عن ذلك لتفرده وتجرده عما هنالك ، فولد له منها الإمام الرباني ، منوّر الألف الثاني سنة إحدى وسبعين وتسعمائة في بلدة سرهند ولفظ (خاشع) تاريخ ولادته ، وكان في صباه منظوراً بنظر عناية الشيخ شاه كمال القادري الذي هو شيخ أبيه في السلسلة القادرية ، وعرض له المرض بعد أيام من ولادته ، **فجاء به والده عند شيخه المذكور ، فقال بكمال الجذبة : لا تخف ، فإنه يكون**

---

(١) وجاب الأرض ، يجوبها جوباً : قطعها . « مصباح » .

(٢) قصبة البلاد : مدينتها . « مختار » .

(٣) عرصة الدار : صاحتها ، وهي البقعة الواسعة التي ليس فيها بناء . « مصباح » .

عالماً عاملاً صاحب أحوال عالية ومعارف سامية ذا عمر طويل . وجعل الشيخ لسانه في فمه ، ففاضت عليه فيوضات النسبة القادرية من ريق الشيخ في تلك الحالة .

وكانت آثار الرشد والهداية واضحة من جبينه في صغر سنّه ، فإذا رآه صاحب فراسة كان يجري على لسانه في الحال من مشاهدة الآثار والأنوار يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، حفظ القرآن المجيد في مدة يسيرة ثمّ اشتغل بتحصيل العلوم المتداولة عن والده الماجد وتلمّذ أيضاً لمولانا محمد كمال الكشميري في ولاية سيالكوت ولمولانا يعقوب الكشميري الذي هو من أجلّة أصحاب مولانا الشيخ حسين الخوارزمي الكبروي ، ومن جملة خلفائه ، وحصل سند الحديث بأولياته من القاضي بهلول البدخشي وبرع[1] في العلوم كلها على أقرانه ، وأخذ النسبة الجستية والقادرية عن والده الماجد ، وشرف والده بالإجازة والخلافة فيهما ، وصار قائماً مقامه ، وفرغ من تحصيل العلوم الظاهرية والطريقة في سنّ سبع عشرة سنة ، واشتغل بإفادة العلوم الظاهرية للطالبين وتسليك السالكين طريق ربّ العالمين في تينك السلسلتين العليتين سنين ، وصنف في ذلك الأثناء بعض الرسائل ، كالرسالة التهليلية ، ورد الروافض مع كثرة قوّتهم وشوكتهم في تلك الديار في ذلك الوقت وغاية قربهم من سلطان الوقت من كونه ممن يبغض الدين والمسلمين ، ولكن لما كانت له حمية[2] تامة في أمر الدين ، ورأى طغيان هؤلاء الطائفة الباغية الطاغية وتكفيرهم أئمة الدين وأصحاب سيد المرسلين ، وإهانتهم الصديقة وتنقيصهم إياها رضي الله عنها وعن أبويها ، لم يقدر أن يصبر على ذلك ولم يخطر بباله ما يكاد يحصل له من ضررهم هنالك ، فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بهم سوء العذاب .

---

(١) برع الرجل إلخ : إذا فضل في علم أو شجاعة أو غير ذلك . « مصباح » .

(٢) وحميت المريض حمية ، وحميت القوم حماية : مضرّتهم . « مصباح » .

وكان قد أخذ حظّاً وافراً من طريقة أكابر النقشبندية - قدس الله أسرارهم - باستماع أوصافهم من والده الماجد وبمطالعة رسائلهم ، **وكان مشتاقاً إلى ملاقاتهم** ، ولم يزل عطشان الطلب مع وجود تلك الكمالات .

وكان وافر الاشتياق أيضاً إلى زيارة الحرمين الشريفين ، ولكن كان أبوه يمنعه عن ذلك لفرط محبته له ، ولما توفي أبوه سنة سبع بعد الألف ، خرج من وطنه بنية سفر الحجاز سنة ثمان وألف ، ولما دخل الدهلي جاء عنده الشيخ حسن الكشميري ، وكان من أحبابه وخلّص أصحابه ، وكان في ملازمة الخواجه محمد الباقي في ذلك الوقت فدلّه على صحبته ورؤيته ، **وقال : إنه قد قدم هنا في تلك الأيام شيخ كبير من أكابر السلسلة النقشبندية صاحب تصرفات عجيبة يحصل في صحبته في مدة يسيرة ما لا يحصل في أربعينيات كثيرة** ، فبادر إليه وحضر لديه ، ولما رآه الخواجه محمد الباقي أظهر له التفاتاً كثيراً وعظّمه وأكرمه ، ولما شاهد فيه قابلية واستعداداً صار مشغوفاً[1] به في أوّل رؤيته ، واستفسره عن منتهى سفره ، فأظهر له ما أضمر من سفر الحجاز ، فقال له : لو كنت في صحبة الدراويش ولو جمعة ثم توجهت إلى مقصودك مع أنه كان لا يقبل أحداً يحضر عنده لطلب الطريقة بدون الاستخارة النبوية ، فضلاً عمن يريد سفر الحجاز المبارك ، فقبل أن يكون في صحبته جمعةً واحدةً ، فظهرت فيه بعد يومين داعية البيعة في هذه الطريقة وزاد شوقه وذوقه ، فأبرز ذلك للخواجه في الخلوة ، **فقبله من غير تردّد وتوقّف ، وحصلت له في مدة يسيرة كيفيات عظيمة** ، ثم قصّ عليه شيخه في الخلوة ما رآه في منامه بعد الاستخارة حين أمره بها شيخه الخواجكي الإمكنكي قبل ذلك بسنين كما تقدّم ، وغيرها من الرؤيا مما يدل على علوّ شأنه وقطبيته وقال : أرى كل هذه الأوصاف فيك ، فكان كذلك ،

---

(١) وأشغفت هذا على هذا ، أي : فضلت . « مصباح » .

ثم اشتغل بالرياضات والمجاهدات ووظائف الأذكار والمراقبات في تلك الطريقة ، ففتح الله سبحانه له أبواب العلوم اللدنية والمعارف اليقينية وأسرار الولاية والمقامات السنية ، وأنوار الفيوضات والبركات الإلهية التي لا يسعها ظروف العقول ، ويعجز عن إدراكها فهوم الفحول ، في مدّة يسيرة وهي شهران وبضعة أيام .

وكان شيحه الخواجه محمد الباقي يقول مراراً : إنّه من المرادين والمحبوبين ، وسرعة سيره من تلك الحيثية ، فأجازه شيخه للإرشاد وأمره بالرجوع إلى بلاده لهداية العباد ، فرجع إلى وطنه بألوف من الفتوحات وأنواع الحالات والكشوفات ، منشداً بلسان حاله ما صرّح به في بعض مكاتيبه . شعر :

إليك يا منيتي حجي ومعتمري   إن حج قوم على ترب وأحجار

واشتغل بتربية الطالبين وإرشاد المسترشدين .

وهو وإن كان ابتداء طريقه وسلوكه من الطريقة النقشبندية ، ولكن ترقي منها أخيراً إلى مقامات كثيرة عالية جدّاً **حتى صار شيخه محمد الباقي يستفيد منه هذه الطريقة الخاصة به كأحد المسترشدين ، ويعامل معه معاملة المريد مع شيخه من غاية رعاية الآداب ونهاية التعظيم ، ويحث أصحابه على متابعته وملازمته .**

قال مولانا محمد هاشم البدخشي في مقاماته : قال سيدي المير محمد نعمان قدس سره : لما مرض شيخنا محمد الباقي وصى الأصحاب تعميماً وتخصيصاً بمتابعته ، ثم وصاني بذلك تخصيصاً ، فقلت برعونة المشاركة في شيخ واحد : إن قبلة توجه الفقير ليست إلا أنت ، فقال بالغلظة والخشونة : ما تظنّ أنت فيه ، فإنّ ألوفاً من النجوم أمثالنا تتلاشى في أشعة شمس الشيخ أحمد ، وما نال من جاء قبله من المشائخ الكبار من أحوال إلا مقدار الخال ، فلزمت بعد ذلك صحبته ونلت فيها ما نلت والحمد لله على ذلك .

والحاصل أنّه سلم إليه منصب الإرشاد في الطريقة النقشبندية والقادرية والجستية ، وإذا أراد منه أحد الطريقة القادرية كان يعلمها له والجستية كذلك **ولكن مع غاية الاجتناب من لوازم الجستية من الوجد والتواجد والرقص والسماع** وغيرها مما يخالف السنة ، وانتشر صيت إرشاده وفيوضاته وبركاته في جميع أقطار الأرض ، وسار بثنائه الجميل الركبان في الطول والعرض ، وألبس عليه خلعة قطب الأقطاب وأحيل الوصول إلى مدارج القرب ودرجات الولاية إلى التفاته ، وصارت رحلة الأبدال والأوتاد إليه ، وظهرت منه أنوار الهداية وأسرار الولاية ، وحقائق عالية ، ومعارف سامية يعجز عن تقريرها قلم اللسان ، ويفتر عن تحريرها لسان القلم ، فإن أردت الاطلاع على حقيقة الحال فعليك بمطالعة رسائله ، خصوصاً مكتوباته الشريفة تجد فوق ما تصفه ألسنة الأقلام مما قد عجز عن إدراكه ألباب ذوي الأفهام فضلاً عمن تستر بحجب الأوهام . شعر :

إن آثــارنـا تـدلّ عـلـيـنـا　　　فـانـظـروا بعدنا إلى الآثار

وإن كنت معذوراً في الاطلاع على ما حَوَتْه مكتوباته لعدم الذوق فيك فعليك بالتسليم ولوم نفسك قائلاً : كيف لا تشاهد نوراً قد ملأ الأرض شرقاً وغرباً ، وأنار الأنام عجماً وعرباً . شعر :

وإذا لـم ترى الهلال فسلم　　　لأنـاس رأوه بـالأبـصـــار

وهذا أدنى الإيمان لهذه الطائفة ، وإيّاك والاعتراض ، فإن أحست نبذة[1] **منه في نفسك فاحكم على نفسك بالشقاوة والحرمان والبعد والخذلان** والعياذ بالله من ذلك . شعر :

يـا نـاطـح الـجبل الـعالي ليـكلّمه　　　أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

---

(١) وجلس نبذة أي : ناحية . « مصباح » .

ولا تصغ إلى ما يقوله الجاهلون الغافلون ، وتفوه به الحاسدون الشامتون لقصور في عقولهم ومرض في قلوبهم ، فإن المرء عدوٌّ لما جهله ، قال الله تعالى – وهو أصدق القائلين – : ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ الآية ، وقال عزّ من قائل : ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ ، **فإذا قيل ذلك في كلام رب العالمين ، فكيف لا يقال في كلام المخلوقين** . شعر :

ومن ذا الذي ينجو من الناس سالماً　　وللناس قيل بالظنون وقال

قال الشيخ الأجل شاه ولي الله المحدث المفسر الدهلوي قدس سره في ديباجه « تعريب رسالة رد الروافض » للإمام الرباني قدس سره : ولقد جرت على الإمام قدس سره سنة الله تعالى في عادته في أنبيائه وأوليائه من قبل من الابتلاء بإيذاء الظلمة والمبتدعين ، وإنكار الفقهاء المتقشفين[1] ، وذلك ليزيد الله سبحانه في درجاته ، ويلحق به الحسنات من بعد وفاته .

ومنشأ **الإنكار في كلماته عدم الوقوف على مقاصده** العالية ومصطلحاته السامية ، فحمل المنكرون كلامه على غير محمله ، وبالغوا في الإنكار والتشنيع عليه قدس سره .

والحق أن أصول كلماته وأساس مقاماته مما توارد عليه محققوا أهل الذوق والكشف عن آخرهم ، غير أن له إشارات يستعظمها من يفهمها ، وهو أهلها ويبالغ في النكير عليها من لا يعرف ، وهو محروم من بركاتها ، فلا حاجة لنا إلى الذب والدفع عن الإمام الهمام ﷺ ، ولا إلى إقامة الدلائل العقلية والنقلية على جواز ما ادعاه ، ولله درّ القائل : شعر :

وعــيــرهـا الـواشـون أني أحبها　　وتـلـك شـكاة ظاهر عنك عارها

(١) قشف الرجل إلخ : لم يتعهد النظافة . « مصباح » .

وبالجملة قد بلغ أمره إلى أن لا يحبه إلا مؤمن تقي ، ولا يبغضه إلا فاجر شقي . انتهى .

ولقد قيض الله سبحانه وتعالى له قرناء وأصحاباً صلحاء علماء وفضلاء عرفاء كملاء ، **وبشر في المبشرات بالمجددية في هذا الألف الثاني ، وأمر بإفشائها وإبلاغها الناس ، واشتهر بلقب الإمام الرباني ، والمجدد للألف الثاني ، واعترف بكونه مجدداً أكابر العلماء والأولياء في زمانه وبعده قرناً بعد قرن من غير إنكار من أحد ، إلا شرذمة قليلة لا يعتد بهم** .

وكفى شاهداً على ولايته شهادة شيخه واستفادته منه ، ورعاية كمال الأدب معه ، وتحريض أصحابه على متابعته ، وغاية استقامته على الشريعة الغراء حتى أنه قال في بعض مكتوباته : **إن من طار في الهواء أو سار على الماء ، وترك شيئاً من المستحبات لا قدر له عند هذه الطائفة مقدار شعرة** ، ولكن نكتب هنا نبذة من تصرفاته للتبرك :

قصة غريبة

منها : أنه لما رجع إلى وطنه مأذوناً رأى في استغراقه أن حفيد الشيخ كمال القادري ألبسه خرقة جده ، ففتح عينيه فرآه قائماً بين يديه ، فقام إليه ورحب به وعظّمه ، فألبسه في حال الشعور خرقة جده الشيخ المذكور ، وقال : إن إخراج خرقة جدي من البيت وإن كان في غاية الصعوبة ، ولكن لما صدرت الإشارة بذلك مراراً لم أجد بداً منه ، فلبسها ودخل في حرمه ثم خرج بعد مدة .

وقال لبعض خواص أصحابه : إنّه وقع لي الآن أمر غريب ، وهو أني لما دخلت البيت بعد لبس الخرقة ظهرت أكابر القادرية من الشيخ الغوث الأعظم إلى الشيخ شاه كمال الكبتهلي وأحاطوا به ، فتفكرت

في نفسي أني كنت وجدت التربية ومرتبة الكمال والإكمال من أكابر النقشبندية ، وقد وقع الآن ما وقع ، فبينما أنا في هذا الفكر والتحيّر إذا ظهرت أكابر النقشبندية من لدن الخواجه بهاء الدين النقشبند إلى الخواجه محمد الباقي ، وقالوا لأكابر القادرية : **إنه مريدنا وجد التربية منا وبلغ مرتبة الكمال والإكمال بعنايتنا والتفاتنا وتوجهاتنا ، فقال لهم أكابر القادرية : نعم ، ولكنه كان أوّلاً منظوراً بنظراتنا وملحوظاً بالتفاتنا ، فبهذه الجهة هو منا ، فقام بينهما المشاجرة والمخاصمة ، فظهرت في ذلك الأثناء مشائخ الكبروية والجستية فأصلحوا بينهما .**

وهذا يدل على علوّ شأنه ويشتمل على أنواع من الكرامات كما لا يخفى على المتأمل فيه .

كتب إليه واحد من الدراويش أنّ هذه المقامات التي بيّنتها هل كانت حاصلة لأصحاب رسول الله ﷺ أم لا ؟ فإن حصلت فهل كانت تحصل دفعة أم تدريجاً ؟

فكتب إليه بأنّ جواب هذا السؤال موقوف على حضورك في الصحبة ، فجاء إلى صحبته ، فتوجه إليه ، وألقى إليه جميع نسبه ، ثم قال له : ما ذا رأيت ؟ فوضع رأسه على قدمه وقال : تيقنت أن جميع مراتب الولايات كانت تحصل للأصحاب في أوّل صحبتهم برسول الله ﷺ دخل جماعة من أصحابه بلدة من بلاد الكفار بعيدة من بلاد الإسلام ، ورأوا فيها كنيسة خالية عن الناس ، فكسروا الأصنام فيها ، فهجم عليهم الكفار من جميع الأطراف والجوانب مجردين سيوفهم ، فاستغاث المخلصون بحضرته ، فظهر في الحال وقال : لا تفزعوا يجيئكم المدد من الغيب . فظهرت في الحال طائفة من الفرسان لحمايتهم ، وخلصوهم من أيدي الكفار .

دعاه مرةً عشرة أنفار من أصحابه للإفطار ، فوعد كلهم ، فحضر وقت الإفطار بيت كل منهم في آن واحد .

ولما حبسه السلطان نور الدين جهانكير خان بسبب كلمة حقة عنده كان يخرج إلى صلاة الجمعة مع شدة الاحتراس ، فلما شاهدوا منه تلك الكرامات مرات اعتذروا إليه وتضرعوا بين يديه ، وأخذوا الطريقة وصاروا من المخلصين له والملازمين لديه .

وهذه نبذة من كراماته ، والقليل يدل على الكثير ، والقطرة تنبئ عن البحر الغزير[١] .

ولما أناف[٢] عمره الشريف إلى خمسين قال : قد ألهمت أنّ عمري يوافق عمر النبي ﷺ ، فلعله لا يتجاوز ثلاثاً وستين سنة ، ولما كانت سنة اثنتين وثلاثين وألف ذهب إلى مرقد الشيخ معين الدين الجستي قدس سره للزيارة ، فأعطاه متولي المرقد ستارة القبر برسم التبرك ، فأخذها وقال : إنّ الشيخ أعطاني هذه لأجل الكفن ، وفي تلك السنة قام ليلة للتهجد وبكى كثيراً مكرّراً هذا البيت لمولانا الجامي الفارسية : شعر :

ما أقصر الأعمال في عهد الهوى　　　يا حبذا لو عشت عمراً سرمداً

ثم عرض له ضيق النفس في أواسط ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين وألف ، ثم قال في محرم الحرام سنة أربع وثلاثين وألف : يقع الانتقال من هذا العالم في مدة أربعين أو خمسين يوماً ، وقد أريت موضع قبري ، وقال في الثاني والعشرين من صفر : قد بقي من عمري سبعة أو ثمانية أيام ، وقسم الخلعة في الثالث والعشرين للدراويش بيده ، وأوصى أولاده بأن يكفنوه من صداق زوجته الكريمة ، وأن يخفوا قبره . ولما شاهد ملالة أولاده الأمجاد من هذا الكمال وكراهيتهم له قال : ادفنوني عند قبر والدي الماجد ، وقال : اجعلوا بناء قبري من اللبن لينمحي أثره سريعاً .

(١) غزر الماء بالضمّ إلخ : كثر . « مصباح » .
(٢) وأنافت الدراهم على المائة : زادت . « مصباح » .

ثم استرضى من الخادم الذي أمرضه في السابع والعشرين من صفر ، وطلب الطست وقت الإشراق في ذلك اليوم لحاجة إنسانية ، ولما لم يحضر الرمل ردها خوفاً من انتشار قطرات البول وصبر وقال : ردوني إلى فراشي ، ولما ردوه اضطجع على شقه الأيمن جاعلاً يده اليمنى تحت خده على الطريق المسنون ، وشرع نفسه في التواتر ، وقال : صليت ركعتين وهما تكفيان لي الآن ، وختم كلامه بلفظ الصلاة التي هي نسبة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ثم غمض عينيه عن الدنيا ، وكان ذلك يوم الثلاثاء السابع والعشرين من صفر سنة أربع وثلاثين وألف ، وجعلوا تاريخ وفاته رفيع المراتب ١٠٣٤ ، نوّر الله مضجعه وقدس سره . ثم صلى عليه ولده الأكبر الشيخ محمد سعيد مع الخواص والعوام ، ودفنوه في قرب المسجد مما يلي قبر ولده الأرشد الأكبر الشيخ محمد صادق قدس سره . انتهى من « النفائس السانحات » منتخباً ومختصراً .

وذكر صاحب « البهجة السنية » من مناقب الإمام الرباني قدس سره ما يزيد به الاعتقاد فيه ، ونحن إن شاء الله تعالى نورد هنا بعضاً منها وإن طال الكلام ، والله ولي التوفيق .

وذكر الشيخ الكامل مير حسام الدين أحد خلفاء إمام العارفين الخواجه محمد الباقي أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام على المنبر وهو يثني على الشيخ أحمد السرهندي ويقول : إني أباهي وأفتخر بوجوده في أمته ، وإن الله تعالى جعله مجدداً في أمتي . وقد بشر بظهوره كبار الأولياء ، كما في « المناقب » .

فمن ذلك ما نقله الشيخ بدر الدين السرهندي عن الشيخ الأكمل السيد أحمد الجامي قدس سره أنه قال : يجيء من بعدي سبعة عشر رجلاً من أهل الله يسمون بأحمد ، آخرهم يخرج على رأس الألف هو أعلاهم ، وأجمع جمّ غفير من أهل الكشف على أنّ المراد به المجدّد قدس سره .

ومنه ما قاله مولانا الخواجكي الإمكنكي لخليفته الأكمل محمد الباقي قدس سره : أنه يخرج رجل من الهند يكون إمام عصره ، ويصير فتوحه على يديك ، فأسرع إليه فإنّ أهل الله منتظرون قدومه . فلما توجه من بخارا إلى الهند واجتمع به المجدد وأخذ عنه قدس سرهما قال له : أنت ذلك الرجل المبشّر به . وقال له أيضاً : لما وصلت إلى سرهند رأيت رجلاً قيل لي هو قطب زمانه ، فلما رأيتك عرفتك بتلك الحلية[١] والصورة .

وقال له أيضاً : لما دخلت سرهند رأيت هناك مشعلة أوقدت في غاية العظمة والرفعة ، حتى كأنها وصلت إلى السماء وقد امتلأ العالم من نورها شرقاً وغرباً والناس يستوقدون منها سراجاً سراجاً . قال : وهذا شأنك .

ومنه : أن قدوة الكاملين شاه كمال الكينلي قدس سره أودع الجبة المباركة التي قيل إنها مورثة من الغوث الأعظم عبد القادر الجيلي قدس سره عند حفيده العارف الرباني شاه سكندر ، وقال : احفظها حتى يظهر صاحبها ، فلما ظهر المجدد قدس سره أمره في الواقعة أن يوصلها إليه فإنه أهلها ، فلم يوصلها ، ثم خاطبه في سرّه فلم يفعل ، فعاتبه في المرة الثالثة ، فجاء بها إليه وألبسه إياها ، فترتبت على ذلك أمور عظيمة .

ومنه : أنّ تاجراً صدوقاً أميناً ، على وجهه أنوار الصلاح ، ذكر أنّه كان في بدايته عظيم المحبة والاعتقاد في غوث العالم عبد الخالق الجيلي قدس سره ، قال : وكان يظهر لي أحياناً ويبشّرني بأمور ويعينني بمهماتي فقال لي يوماً في الواقعة : إنك أخذت مدداً عظيماً ، ولكن لا بد من شيخ في الظاهر ، فقلت له : فإلى من أرجع ؟ فقال : إلى الشيخ أحمد السرهندي فإنه اليوم الجامع بين الظاهر والباطن ، وهو قطب زمانه ، فلما اجتمعت به رأيت منه عجائب الكرامات وغرائب الكملات .

---

(١) وفي نسخة : الحالة .

ودخل رجل من أكابر بلخ إلى سرهند فلما رأى المجدد قدس سره قال : إني كنت في بلخ ، فحضرت جنازة اجتمع عليها أولياء ما وراء النهر من السلف والخلف مثل القطب الرباني عبد الخالق الغجدواني ، والقطب الخواجه بهاء الدين نقشبند قدس سرهما ، وهم منتظرون لقدوم كبير ، فسألت رجلاً عن ذلك فقال : هذه جنازة قطب **وهم منتظرون قطب الأقطاب** ، فبينما نحن كذلك إذ جاء رجل نوراني فقدموه فأمّهم ، فسألت عنه **فقيل لي : إنه الشيخ أحمد السرهندي قدس سره** .

وكان قدس سره يقول : اعلم أن العناية الإلهيّة جذبتني جذب المرادين أوّلاً ثم يسرت لي طيّ منازل السلوك ثانياً ، فوجدت الله سبحانه أولاً عين الأشياء كما قاله أرباب التوحيد الوجودي من متأخري الصوفية ثم وجدت الله في الأشياء من غير حلول وسريان ، ثم وجدته سبحانه معها بمعية ذاتية ، ثم رأيته بعدها ثم قبلها ثم رأيته سبحانه ، وما رأيت شيئاً ، **وهو المعنى بالتوحيد الشهودي ، وهو المعبر عنه بالفناء ، وهو أوّل قدم في الولاية وأسبق كمال في البداية** .

وهذه الرؤية في أي مرتبة كانت من المراتب المذكورة تحصل أولاً في الآفاق ، ثم ثانياً في الأنفس ، ثم ترقيت إلى البقاء **وهو ثاني قدم في الولاية** ، فرأيت الأشياء ثانياً فوجدت الله تعالى عينها بل عين نفسي ، ثم وجدته تعالى في الأشياء بل في نفسي ثم مع الأشياء بل مع نفسي ، ثم قبل الأشياء بل قبل نفسي ، ثم بعد الأشياء بل بعد نفسي ، **ثم رأيت الأشياء وما رأيت الله تعالى أصلاً وهي النهاية التي هي الرجوع إلى البداية والعود إلى مرتبة العوام ، وهذا المقام هو أتم مقامات دعوة الخلق إلى الحق وأكمل منازل التكميل والإرشاد لتمام المناسبة إلى الخلق المقتضية لكمال الإفادة والاستفادة** .

وكان قدس سره يقول : بشّرني رسول الله ﷺ بأنك من المجتهدين في علم الكلام ، ويغفر الله بشفاعتك لألوف يوم القيامة ، وكتب لي خط الإرشاد بيده الشريفة ، وقال : لم أكتب قبل لأحد مثله .

وكان قدس سره يقول : كشف لي عن أسماء من يدخلون في سلسلتنا من الرجال والنساء إلى يوم القيامة .

وكان قدس سره يقول : روى أبو داود عنه ﷺ أنه قال : « إنّ الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدّد لهذه الأمة أمر دينها » ، لكن بين من يجدّد المائة ومن يجدد الألف فرق عظيم كالفرق بين المائة والألف ، بل أعظم من ذلك .

وكان يقول : **نسبتي هذه تبع بواسطة أولادي إلى يوم القيامة ، حتى أن الإمام المهدي يكون على هذه النسبة الشريفة .**

وكان يقول **طريق أكابر النقشبندية كبريت أحمر** مبني على متابعة السنة ، فالواجب أن يزين باطنه بنسبتهم ، ويزين ظاهره كله بمتابعة السنة المطهرة .

مطلب مهم

وكان يقول : الباطن متَمِّم للظاهر ومكمل له ليس بينهما مخالفة أصلاً ، فالأمور التي يشاهدها السالك في الطريق مخالفة للشريعة ، فمبناها سكر الوقت وغلبة الحال ، ولو ترقى السالك من هذا المقام إلى مقام الصحو لما رأى مخالفة أصلاً .

وكان قدس سره يقول : كنت مرةً في حلقة أصحابي ، فخطر لي أني في قصور ونقص ، فبينما أنا كذلك إذ ألقي في سري : **أني قد غفرت لك ولمن توسل بك إليّ بواسطة أو بغيرها إلى يوم القيامة .**

وكان قدس سره يقول : كثيراً ما يقع لي العروج في هذه الأيام فوق العرش المجيد ، ولقد عرج بي مرة ، فلما قطعت من المسافة مثل ما بين مركز الأرض إلى العرش رأيت مقام الإمام الخواجه نقشبند قدس سره ورأيت فوق ذلك قليلاً بعض المشائخ منهم الشيخ معروف الكرخي والشيخ أبو سعيد الخراز وبعض المشائخ في مقامه وتحته الشيخ نجم الدين الكبري والشيخ علاء الدين وسائر المشائخ دونه ، وفوق هذه الدرجات مقام أئمة أهل البيت ، والخلفاء الراشدين وسائر الأنبياء فوقهم على طرف من مقام نبيّنا عليه وعليهم الصلاة والسلام ، ومقامات الملائكة على طرف آخر ، ومقامه ﷺ أرفع وأعلى . وأعلم أني كلما أريد العروج يتيسر لي ، وربما يقع من غير قصد .

وكان قدس سره يقول : **كان تكويني من بقية طينة حبيبه ﷺ** .

وكان يقول : المقصود من الطريقة ازدياد علوم الشريعة حتى يتخلص عن البرهان إلى الكشف .

وكان يقول : **علم اليقين** عبارة عن شهود الدلائل ، **وعين اليقين** شهود الحق بعد كونه معلوماً بالدلائل ، وهو يستلزم الفناء ، **وحق اليقين** عبارة عن شهود الحق بعد ارتفاع اليقين واضمحلال المتيقّن ، وهذا البقاء بالله في مقام : « بي يسمع وبي يبصر . . . » إلخ ، انتهى .

وقال في القلب : **اعلم أن المدار على القلب ، فلا ينتج من مجرد الأعمال الصورية شيء ، وسلامة القلب إنما تكون بعدم التفاته إلى السوى** .

وقال في علاج القلب : أحسن المصاقل التي تصقّل عن القلب محبة السوى متابعة المصطفى ﷺ .

مطلب
الطريقة والحقيقة خادمان للشريعة

وقال في الشريعة : اعلم أن الشريعة متكفلة بجميع السعادات الدنيوية والأخروية ، ولا يوجد مطلب يحتاج في تحصيله إلى غير الشريعة ؛ **وأما الطريقة والحقيقة فهما خادمان للشريعة وتحصيلهما لتكميل الشريعة لا غير** ؛ وأما الأحوال والمواجيد والمعارف التي تظهر للصوفية في أثناء الطريق فليست من المقاصد ، بل هي أوهام وخيالات ، لأن تربى بها أطفال الطريقة ، فلا بد من العبور عنها في النهاية . انتهى كلام « البهجة » بانتخاب واختصار وتقديم وتأخير ، فمن أراد الزيادة فليراجعها ففيه البسط .

مولانا مُجدّد الدين محمّد مَعْصوم الملقَّب بالعُرْوة الوسقى
ابن الإمام الربانيّ قدَّس الله تعالى أسرارهما

لا يخفى أنه كان للإمام الرباني قدس سره أربعة بنين ، توفي **أكبرهم محمد** صادق قدس سره بعد وصوله إلى مرتبة الكمال والتكميل ، بل بعد ما بشره الإمام الرباني بقطبية سرهند ، ولكن اخترمته المنية حين شبابه في حياة والده الماجد عام الوباء العام ، فأسف عليه والده أسفاً كثيراً ، سقي ثراه صيب الرحمة والرضوان .

والثاني : الشيخ محمد سعيد قدس سره ، ولقبه في هذه السلسلة خازن الرحمة ، وبشره والده بقطبية ما وراء النهر ، فوقع وفق ما بشِّر به ، فإنّ أكثر أكابر ما وراء النهر كمولانا موسى خان الدهبيدي وخلفائه وخلفاء خلفائه منتسبون إليه ، وكان في ذروة الكمال في جميع العلوم الظاهرية والباطنية .

ورابعهم : الشيخ محمد يحيى قدس سره ، وكان وقت وفاة والده صغير السن ، فاستفاد العلوم والطريقة من أخويه أكبرين ، وبلغ مرتبة الكمال والتكميل .

وثالثهم : هو صاحب الترجمة ، وإليه تنتسب مشائخنا الكرام ، وتنتهي إليه سلسلتهم عند الانتظام ولادته في سنة تسع بعد الألف .

قال الإمام الرباني قدس سره : إن ولادة ولدي محمد معصوم أورثت بركات كثيرة حيث تشرفت سنة ولادته بملاقاة شيخنا الخواجه محمد الباقي بالله والمثول[1] بين يديه ، وظهرت هذه العلوم والمعارف بسبب تلك الملاقاة ، وبالغ الإمام الرباني قدس سره في مدحه بعلوّ الاستعداد ، وقال : إن لولدي هذا استعداداً ذاتيّاً للولاية المحمدية ، **وهو محمديّ المشرب ، ومن جملة المحبوبين أن حاله في تحصيل نسبتي كحال صدر الشريعة** صاحب شرح « الوقاية » **حيث كان يحفظ ما يؤلفه جده بلا تأخير** ، فإن بينت سرعة سيره وسلوكه وطيّه للمقامات وبلوغه أعلى الدرجات ، يكاد القريب يظنّ نفسه في البعد والحرمان ، ويزعم الواصل أنه في قطر الانقطاع والهجران ، **ومن غاية علوّ استعداده تكلم في التوحيد على مذاق الصوفية وهو ابن ثلاث سنين** ، وقال : أنا الأرض وأنا السماء وأنا هذا وأنا ذاك ، وهذا الجدار حق ، وتلك الأشجار حق ، **حفظ القرآن المجيد في مدة ثلاثة أشهر ، وفرغ من تحصيل العلوم العقلية والنقلية وهو ابن ست عشرة سنة** ، ثم اشتغل بإفادة الطالبين ، ولقّنه والده الطريقة في أثناء التحصيل حين بلغ عمره إحدى عشرة سنة وأمره بالذكر والمراقبة ، فواظب عليها ، وجمع بين القال والحال بكمال الاستقامة والورع والتقوى في جميع الأحوال .

---

(١) ومثلت بين يديه مثولاً من باب قعد : انتصبت قائماً . « مصباح » .

ولما بلغ ذروة الكمالات ونهاية المقامات ، وتشرَّف في الأحوال والواردات شرفه والده الإمام الرباني قدس سره بإجازة الإرشاد ، وألبسه خلعة الخلافة ، وأمره بهداية العباد ، وبشره بالقيُّومية وقطبيَّة الشام والروم وما وَالاَها من البلاد ، فوقع الأمر وفق بشارته ، حيث انتشرت خلفاؤه في تلك البلاد بين العباد ، واشتهر صيته وطريقته فيها اشتهاراً تاماً ، وإن عميت أبناؤها عن خفافيش المنكرين ؛ فماذا تقول في مولانا الشيخ أبي سعيد وأولاده الكرام ، وما ذا تظن في مولانا خالد وخلفائه وخلفاء خلفائه قدس الله أرواحهم وأيّد أركانهم وشيد بنيانهم إلى يوم القيامة . شعر :

لقد ظهرت فلا تخفى على أحد إلا على أكمه لا يبصر القمرا

نعم ، فما ذنب النجوم إن استصغرتها الغيوم . شعر :

على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له منها نصيب ولا سهم

والحقُّ أنه كان آيةً من آيات الله مثل والده الماجد ، قد نوّر العالم من ظلمات الجهل والبدع بيمن توجهاته العلية ، وأحواله السنية ، وصار ألوف من الرجال محرماً للأسرار الخفية ، وتحققوا بالحالات السنية بشرف صحبته العلية حتى قيل : **إنَّ جميع من بايعه في الطريقة بلغت تسعمائة آلاف ، وعدد خلفائه سبعة آلاف** منهم الشيخ حبيب الله البخاري ، كان أعظم مشائخ خراسان وما وراء النهر في زمانه ، قد نوّر بخارا بنور السنة والطريقة بعد ما غشيتها ظلمة البدعة والهوى .

وشرف بالخلافة والإجازة أربعة آلاف من مريديه بعد إيصالهم إلى رتبة الكمال والتكميل . وله خوارق مشهورة .

ومن خلافائه : الصوفي الله يار صاحب « مسلك المتقين » و« مراد العارفين » و« مخزن المطيعين » بالفارسية ، و« ثبات العاجزين » بالتركية ترجمة « مراد العارفين » .

ولصاحب الترجمة مكاتيب في ثلاث مجلدات ضخمة مثل مكاتيب والده الماجد متضمنة لغوامض الأسرار واللطائف ومبينة لدقائق الآثار والمعارف ، أكثرها في حل مغلقات معارف والده الماجد ، ولننقل من جملتها هذا المكتوب من رسالة سيدنا الشيخ محمد مظهر ، برَّد الله مضجعه للتبرك والاسترشاد :

أما بعد ؛ فإن هذا تذكار من هذا العبد ضعيف الأفكار[١] للأحباب أولي الأبصار : اعلموا أيها الإخوان **المقصود من خلق الإنسان تحصيل معرفة الحق سبحانه الواضح البرهان** ، والناس فيها متفاوتة الأقدام على حسب تفاوت الاستعدادات والأفهام بعضها فوق بعض ، وقد تكلم الكبراء فيها على قدر عرفانهم ، ولكن القدر المشترك بين هذه الطائفة وما أجمعوا عليه الذي لا بد منه في مدارج القرب **أنَّ المعرفة لا تتصور بدون الفناء في المعروف** . شعر :

من لم يكن من نفسه متفانياً　　لا يهتدي لحقيقة التوحيد

فينبغي للعاقل أن يتأمَّل في حاصل أمره وأفعاله ومآل اشتغاله وأحواله تأملاً جيداً بإمعان النظر ، فمن حصلت له المعرفة المذكورة ، فطوبى له وبشرى ، وينبغي أن لا يصرف هذا الحاصل إلى أمور ليس منها طائل ، بل اللازم أن يجتهد في التجاوز عن الأصل كتجاوزه عن الظلّ ، ومن لم يفتح له باب المعرفة وليس فيه ألم الطلب وحزن فقدان هذه الدولة العظمى فالويل له كل الويل حيث لم يخرج عن عهدة ما خلق لأجله ، ولم يؤد ما طولب به في هذه النشأة الدنيا ، بل اشتغل بشيء آخر وعمّر ما أُمِر بتخريبه ، وصرف جواهر أعماره ويواقيت مواقيته في هوى نفسه وما لا يعنيه ، وعطل أرض استعداده مع حصول أسبابه ، فوا

(١) وفي نسخة : ضيق الأذكار .

عجباً ممن شدّ رحله من هذه الدار التي هي محل الدعوة والتبليغ إلى دار القرار من غير تحصيل المطلوب في تلك المهلة اليسيرة مع وجود الدعوة به ، فبأي وجه يذهب إلى حضرة صمديته تعالى في الآخرة ، وبأي حيلة يبسط لسان العذر ، فالانفعال عليه كل الانفعال ، **فإنَّ عذاب البعد والحرمان أشدّ من عذاب الجحيم والنيران ، كما أن لذة القرب والوصال ألذّ من لذة النعيم في دار النوال** ، فيا ويلتا على من أعرض عن الله ، ويا حسرتا على من فرّط في جنب الله ، ولا مجيء إلى الدنيا ثانياً ، ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾ .

شعر :

أني علـى خوف من البعد والهجر   فيبقى لــنـا غـم إلـى غاية الحشر

انتهى .

وله قدس سره خوارق كثيرة وكرامات عديدة ليس هذا محل إيرادها ، وقد أغنى العيان عن البيان .

توفي قدس سره في اليوم التاسع من ربيع الأول سنة تسع وسبعين وألف .

قدوة أرباب الكشف واليقين وسلطان الأولياء والمتقين

مولانا الشيخ سيف الدين قدس سره

هو خامس أولاد الشيخ محمد معصوم ، ولادته سنة خمس وخمسين وألف ، كان متصفاً بالعلم والعمل ، معرضاً عما سوى الله عز وجلّ ، معروفاً بالأخلاق الحسنة ، موصوفاً بالأوصاف الحميدة ، أخذ الطريقة النقشبندية المجددية عن والده بعد فراغه من تحصيل العلوم المتداولة ، وحصل الكمالات المعنوية ، وبلغ إلى أقصى غاية القرب ، ونهاية المقامات الأحمدية ، **وكان له جذب قويّ وتصرف عال بحيث كان الناس يضطربون من قوة توجهاته ، ويبقون بلا اختيار في يده** .

وبالجملة كان ذا حالات عزيزة ، وواردات سنية ، ولما تمّ أمره وكمل بدره ، اختار للإقامة بلدة دهلي بأمر والده بعد ما صدرت بها إشارة غيبية ، فصار هنا مرجعاً للطالبين ، ومجمعاً للسالكين ، وكان مقبولاً عند الخاص والعام ، حتى انسلك في سلك إرادته سلطان بلاد الهند محمد أورنك ذيب عالمكير خان مع أولاده الكرام وأمرائه الفخام ، واستفادوا منه علم الباطن ، وعرض هو أحوال السلطان وترقياته الباطنية على والده الماجد .

وقال : إنَّ آثار ولاية لطيفة الأخفى غالبة فيه جدّاً ، فصحَّح ولده ذلك بنظر الكشف وصدَّقه ، **وكتب والده إليه : إن نزولك يظهر أتم وأكمل وقوة إرشادك وكثرة وصول أثر الفيض إلى خلق الله منك أثر ذلك النزول** .

وقد كتبت أنَّ السلطان وجد مبدأ تعينه صفة العلم ، فاحتظيت من مطالعته فوق الغاية حتى كدت أرقص من غاية الفرح والسرور ، رزقه الله سبحانه حظّاً وافراً من بركات هذه الصفة العالية الشأن ، إنه قريب مجيب . انتهى .

وكان في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على رتبة لم يكن شيخ من المشائخ مثله ، حتى كادت البدع ترتفع عن بلاد الهند في زمنه وتستأصل ، ولذلك لقبه والده بمحتسب الأمة ، ودعاه السلطان مرةً إلى قصره ، فأجابه اتباعاً للسنة ، ولما رأى في جدار القلعة صوراً منحوتةً في الأحجار توقف عن الدخول في القلعة ، فأمر السلطان بكسرها فكسروها بأسرها ، ثم دخل فيها ، وشمّر السلطان ذيله لترويج الشريعة الشريفة وقمع البدعة الشنيعة بيمن صحبته العلية ، واجتهد في اتباع السنة السنية حتى حفظ القرآن في كبر السن ، وكان يحيي الليالي .

وكانت لمولانا سيف الدين قدس سره شوكة ظاهرة أيضاً ، حتى كان السلاطين والأمراء يقومون على أرجلهم بالأدب التام بين يديه ، ولم يكن لهم مجال القعود لديه . انتهى .

وقع مرةً على قلب بعض أنَّ له كِبْراً ، فأشرف عليه وقال : إنَّ كبري من ظلِّ كبرياء الحق عز وجل . وكان يأكل من مطبخه كل يوم أربعمائة رجل وألف رجل مرةً مما يوافق طبعه ، وترغب فيه نفسه ، وانتفع بفيضه الظاهري والباطني ألوف من الناس من الملوك والصعلوك ، وبلغ جمع كثير مرتبة الكمال والتكميل ، جزاه الله خير الجزاء .

توفي سنة خمس وتسعين وألف ، ودفن في بلدة سرهند .

مولانا سيد السادات السيد نور محمد البداواني قدس سره

كان جامعاً بين علوم الظاهر والباطن ، أخذ النسبة النقشبندية المجددية عن الشيخ سيف الدين ، وبلغ عنده آخر المقامات الأحمدية ، ثم اشتغل بتحصيل الفيوض عند الشيخ الحافظ محمد محسن وصحبه سنين ، وهو من خلفاء الشيخ محمد معصوم قدس سره ومن أولاد الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي ، فتشرَّف بحالات عالية وواردات سامية ، **وطرأ عليه استغراق قوي في أواسط أحواله ، ولم يصح منه إلى خمس عشرة سنة إلا في أوقات أداء الفرائض** ، وكان يحصل له تخفيف في ذلك الوقت ثم يصير مغلوب الحال كالأوّل ، ثم حصلت له أخيراً إفاقة تامة وصحو أكمل ، وكان ممتازاً بكمال الورع والتقوى واتباع السنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام ، وكان له اهتمام تام في تتبع آثار النبي ﷺ ، والتأدب بآدابه ، ورعاية طريقته ، وكان لا يفارق كتب السير والأخلاق دائماً ليعمل بما فيها .

مطالب مهمات ومنافع جليلات

وضع مرةً قدمه اليمنى في بيت الخلاء على خلاف السنة خطأً ، فطرأ على أحواله الباطنة قبض عظيم ، وامتد إلى ثلاثة أيام ، ثم تبدّل حاله إلى البسط بعد تضرع كثير .

وكان يحتاط في اللقمة احتياطاً بليغاً ، وكان يخبز بيده أقراصاً ويطبخها ويجعلها قوت نفسه أيّاماً ، ويأكل منها عند اشتداد الجوع ، ثم يشتغل بالمراقبة ، وقد احْدَودَب ظهره من كثرة مراقبته .

وكان يقول : ما بقي في الطبيعة تعلق بكيفية الأغذية منذ ثلاثين سنة ، بل آكل وقت الجوع كلما تيسّر .

وكان لا يجمع بين الأدمين من كمال تورعه ، **وكان لا يأكل من طعام الأغنياء أصلاً لعدم خلو أكثره من ظلمة الشبهة .**

جاء طعام من بيت واحد من أهل الدنيا فقال : تظهر منه ظلمة ، ثم قال لمولانا مرزا جان جان قدس سره على وجه الالتفات : أمعن النظر في هذا الطعام ، فتوجه إليه امْتثالاً لأمره ، ثمَّ قال : إنَّ الطعام من وجه الحلال تطرقت إليه الظلمة والعفونة بسبب الرياء فيه .

وإذا استعار كتاباً من أبناء الدنيا كان لا يطالعه إلى ثلاثة أيام قائلاً بأنَّ ظلمة صحبة الأغنياء غشيت غلافه وجلده ، فإذا زالت ظلمته ببركة صحبته كان يطالعه حينئذ .

وكان مولانا مرزا جان جانان قدس سره يقول : يا أسفا على أكابر الزمان حيث لم يزوروا حضرة السيد ، فإنهم إن رأوه تزد قوة يقينهم بالقدرة الإليهة بمعاينة قدرته على خلق صاحب كمال مثله .

وكان عيناه تذرفان[١] بالدموع عند ذكره ، ويقول : إن مكشوفاته كانت في غاية الصحة ومطابقة الواقع ، بل يمكن أن نقول : ليس لأمثالنا أن نرى بعين الرأس مثل ما يراه بعين القلب .

وقال : **إنَّ نفسه القدسية كانت خالية عن التغير من مدح الناس وذمهم .**

وكان الرضى والتسليم إلى القضاء من صفته ، سألني مرة الشيخ كلشن خليفة الشيخ عبد الأحد قدس سرهما أنَّ شيخك بأيّ مقام بشَّرك ، وإلى أين بلغ سيرك وسلوكك ، فأظهرت له ما بشر به السيد وما وجدت في نفسي من حالات ذلك المقام وارداته ، فقال على سبيل التعجب والإنكار : إن شيخك يدعي دعاوى كبيرة ، فإن تلك النسبة لا تشاهد في

---

(١) ذرفت العين : دمعت ، وذرف الدمع : سال ، وذرفت العين الدمع . « مصباح » .

مقابر مشهورة ، فشكوت إنكاره إلى السيد ، فقال : لم يضيق به صدرك ، فإنّ علمه ليس بعلم الله حتى يكون محيطاً بكل شيء ، وأنا لست نبيّاً حتى يكون الإنكار عليّ كفراً ، ولا ندعي الولاية حتى ينجرَّ الإنكار إلى الفسق . ومع قوله هذا تركت ملاقاة الشيخ كلشن .

مهم

يقول شيخ الإسلام الشيخ عبد الله الأنصاري الهروي قدس سره : إذا أحببت من يبغض شيخك واختلطت به فإنَّ الكلب أفضل منك . فوقعت الملاقاة بيننا بعد سنة اتفاقاً ، فقال : لعلك هجرتني لإنكاري على شيخك ؟ فقلت : نعم . فقال : **قد أظهر الله لي كمال شيخك** ، فإني كنت مرةً قاعداً في السوق فجاءت جماعة الركبان فقالوا : إن هذا شيخ مرزاً جان جانان ، فدخلت البيت من خلفه ، فوجدت بيته ملآن من النور والصفاء كأنه بيت الله يظهر من كل حجر ومدر منه كيفيات إلهية لا يظهر مثله في أكثر قبور الأولياء . فذهبت عند السيد وعرضت عليه مدح الشيخ كلشن ، **فكما أنّ ذمّه لم يؤثر فيه كذلك مدحه لم يكن موجباً لانبساطه** .

توفي قدس سره يوم الحادي عشر من ذي القعدة سنة خمس وثلاثين ومائة بعد ألف . روح الله روحه ونور ضريحه وأفاض علينا من بركاته .

قيّوم الطريقة الأحمديّة محْي السنة النبوية فريد عصره
شمس الدين حبيب الله مرزا جان جنان قدس سره

هو من السادات العلوية ، ويتَّصل نسبه بسيدنا علي كرم الله وجهه بثمان وعشرين واسطة بتوسط محمد بن الحنفية .

ولادته سنة إحدى عشرة بعد المائة وألف ، وقيل : سنة ثلاث عشرة ومائة وألف يوم الجمعة الحادي عشر من رمضان ، وكانت آثار الرشد والهداية ظاهرة في جبينه ، وأنوار الدراية والولاية لائحة من حركاته وسكونه .

وكان آباؤه الكرام وأجداده العظام من الأمراء الفخام ذوي الاحتشام ، وكانوا موصوفين بالأخلاق الحميدة والأوصاف الجميلة ، ومعروفين بالمروءة والعدالة والشجاعة والسخاوة وكمال الديانة .

ثم لما بلغت النوبة والده الماجد ترك الجاه والمنصب باختياره واختار دولة الفقر والقناعة ، وقسم أسباب المنصب والجاه على الفقراء والمساكين لرضاء مولاه ، واهتم في تربية ولده مولانا مرزا جان جنان اهتماماً تامّاً وأكد عليه في تقسيم أوقاته لكسب الكمالات في صغر سنِّه لئلا يضيع عمره الشريف الذي لا بُدَّ له فيما لا يعنيه ، وعلَّمه الآداب السلطانية ، والفنون العسكرية ، وسائر الصنائع الضرورية والمعارف اللازمة ،

من لم يعرف شيئاً لا يعرف قدر أربابه

وكان يقول له : لو كنت أميراً كما هو دأب آبائك وأجدادك تعرف قدر أرباب الصنائع والمعارف ، فإن من لم يعرف شيئاً لا يعرف قدر أربابه ، كما قيل . شعر :

لا يعرف الوجد إلا من يكابده   ولا الصبابة إلا من يعانيها

وإن اخترت الفقر والتجرُّد كما هو مرضاي وظني فيك ، فلا تقع حاجتك على أهل المعارف والصنائع .

فصار ماهراً كاملاً في جميع الفنون بحيث إذا التقاه صاحب صنعة من الصنائع كان يعترف بمهارته وكماله فيها ، وكان يعرف خمسين نوعاً من تقطيع السراويل .

وكان يقول : **إذا حمل عليّ عشرون رجلاً مجردين سيوفهم وفي يديّ عصا صغيرة لا يقدر واحد منهم أن ينال مني** .

وقال : رأيت مرةً في المنام سيدنا إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، فأظهر لي ألطافاً وعناية كثيرة ، وكنت وقتئذ ابن تسع سنين ، وإذا جرى ذكر أبي بكر الصديق رضي الله عنه في تلك الأوقات كانت صورته المباركة تظهر لي في الحال ، **وقد رأيته بعين الرأس مراراً** وقال : إنَّ الله سبحانه جعل طبيعتي في غاية الاعتدال وأودع في طينتي حظاً وافراً من رغبة اتباع السنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام .

ذهبت مرةً في صغر سني لزيارة الشيخ عبد الرحمن القادري عليه الرحمة مع والدي الماجد ، وكان هو شيخه ، وقد ظهرت منه كرامات وتصرفات ، ولكن كان يتساهل في أفعال الصلاة ، وكانت في قلبي نفرة منه من تلك الحيثية ، وكنت خائفاً من تكليف والدي بالبيعة إياه ، **فإنَّ تارك السنة المصطفوية لا يصلح للاقتداء** ، فسألت والدي يوماً : ما سبب مساهلته في أفعال الصلاة ؟ فقال : لغلبة السكر عليه فهو معذور في ذلك ، فقلت : أيصير مغلوب السكر والحال في أوقات الصلاة ويصحو في سائر الأفعال والأوقات ؟ فقال متحيِّراً : إن الحق سبحانه رزقك الفهم والذكاوة للاعتراض على شيخي ، فكان هذا السؤال سبباً لامتناعه مما خفت منه .

وكان العشق والوله مركوزاً في طبيعته ، وآثار الهيام[١] والغرام[٢] ظاهرة من سجيته في صغر سنه حتى اشتهر بين الناس بصفة العشق وسمة الوله[٣] وهو ابن خمس .

وكان يقول : **الحسن ما حسنه الشرع ، والقبح ما قبحه الشرع** ، فإن كان في طريق الورع والتقوى أنوار وصفاء ، ولكن في طريق المحبة والهوى من لوعة الغرام أذواق وصهباء ، وبالجملة أنه قدس سره ما ترك مسلكاً من مسالك الكمالات إلا سلكها ، وما سلك مسلكاً يطلب فيه الفضائل إلا ملكها حتى فرغ من كسب الكمالات الظاهرية من العلوم النقلية والفنون العقلية بأسرها فروعها وأصولها في سن ثمان عشرة سنة ، ثم مع جميع هذه الكمالات لم يسكن قلبه إليها أصلاً ، بل صرف باز همته إلى طرف الصيد المقصود الأصلي .

وسمع في ذلك الأثناء أوصاف سيد السادات السيد نور محمد البدواني قدس سره الكاملة ، فبمجرَّد سماع أوصافه اشتاق قلبه إلى لقائه ، فوصل إلى صحبته ، فوجده فوق ما سمعه في كمال التشرُّع واتباع السنن النبوية والتخلق بالأخلاق الإلهية ، واستغرق في أنوار صحبته المباركة للورثة لصفاء القلوب الموجبة لجلاء الكروب وقرة عين يقينه من معاينة الشاهد المقصود فيه ، واطمأن قلبه هناك لما بان له أن شهود الحق إنما يتيسر بملازمة عتبة العلية .

فسأله السيد عن سبب مجيئه ، فعرض عليه غرضه من استفادة نسبة الأكابر ، فقبله ولقّنه الطريقة ، وتوجَّه إليه بلا توقُّف مع أنه كان لا يقبل أحداً من غير استخارة ، **فجرت لطائفه الخمس بالذكر في أول**[٤]

---

(١) والهيام بالكسر : الإبل العطاش . « مصباح » .

(٢) وأغرم بالشيء بالبناء للمفعول : أولع به . « مصباح » .

(٣) وَلَهَ . . إلخ : إذا ذهب عقله من فرح أو حزن . « مصباح » .

(٤) وقد رأينا واحداً من مريدي شيخنا العسلي قدس سره من تحركت لطائفه كلها بالذكر في أول التوجه أيضاً ، ولله الحمد والمنّة . (منه) .

التوجه ، وذلك من خصائصه قدس سره . وكان مشرفاً بالتجلي الصفاتي **وتأثر باطنه تأثُّراً تامّاً حتى رأى نفسه في المرآة في صورة شيخه وهيئته** ، وظهرت فيه محبة تامة وعقيدة راسخة ولوعة وهيام ، حتى ترك الطعام والمنام واختلاط الأنام بيمن صحبته ، وصار يدور حول الخرابات حافياً حاسراً رأسه ، **وكان يقنع بأكل قليل من أوراق الشجر عند اشتداد الجوع** .

وكان ملازماً له إلى أربع سنين ، ثم شرفه بإجازة تعليم الطريقة ، وإلباس خرقة الصوفية ، ولما توفي السيد اقتبس الأنوار من مرقده إلى ست سنين حتى ترقى حاله بتوجهات روحانيته من السير في الصفات والشؤونات وأصولها ، ووقعت المعاملة في تجليات اسم الباطن ، ووقعت الكيفيات الغريبة والحالات العجيبة في نسبته .

ثم رأى السيد مرة في منامه فقال له : إن الكمالات الإلهية غير متناهية ، واللازم على الطالب الصادق أن يصرف عمره المتناهي في طريق طلب شيء لا يتناهى ، والاستفادة من القبور غير واقع ، فينبغي الرجوع لتحصيل مقامات القرب الإلهي إلى واحد من أكابر الأحياء .

وصدر عنه هذا الأمر غير مرة ، فجاء عند الشيخ شاه كلشن المار ذكره وأظهر له إرادة كونه في صحبته ، فقال : أنا رجل غير مقيد بآداب الطريقة مثل الملامتي أستمع السماع في بعض الأوقات ، وأصلي أحياناً منفرداً ، وأنت كامل التشبث بالسنة النبوية ، والموافقة من شرط الاستفادة ، فعليك بالرجوع إلى محل آخر ، فرجع إلى الشيخ قطب عصره محمد زبير حفيد الشيخ حجة الله النقشبند ، وخليفته ابن الشيخ محمد معصوم قدس سرهم ، فأظهر له التفاتاً كثيراً ، وقال لأولاده : إنَّ ملاقاة أمثال هذه الأعزَّة المتصفين بالآداب الظاهرية والباطنية ، ينبغي أن تعد لازماً ، فقبَّل مولانا قدمه وأظهر له إرادته ، فقال : أنت منا ، ومن شرط هذه الطريقة

دوام الصحبة ، ومحل إقامتكم بعيد ، فلا يمكن حضور الصحبة في كل يوم ، والنسبة التي حصلت لك من السيد أصيلة وغزيرة ، فإن اجتهدت في محافظتها تكفيك .

ثم رجع إلى الشيخ الحاج محمد أفضل قدس سره والتمس منه التوجهات ، فقال له : **إن سلوكك كان على وجه البصيرة ، وحصل لك كشف المقامات ، وليس لنا كثير كشف وعلم بالمقامات ، فلا تكون الاستفادة على أحسن الوجوه** ، ومع قوله هذا اختار الاستفادة منه وأقام عنده مدة عشرين سنة ، وحصل منه فوائد جمة في ضمن تحصيله علم الحديث ، وظهرت قوة في عرض نسبته .

قال قدس سره : كان له استغراق في نسبة رسول الله ﷺ عند ذكر الحديث ، وربما كانت تظهر منه الأنوار والبركات في تلك الحالة ، وكان صحبة النبي ﷺ حصلت معنى ، فإنه كان يشاهد توجه النبي ﷺ في ذلك الأثناء ، وظهر نسبة كمالات النبوة في غاية الوسعة وكثرة الأنوار ، واتضح معنى قوله ﷺ : « العلماء ورثة الأنبياء » ، فكان الشيخ المذكور شيخه في الحديث وشيخه في الصحبة .

ثم رجع إلى الشيخ الحافظ سعد الله رحمه الله خليفة الشيخ محمد صديق ، فاختار فيه خدمة حمل نعليه ، وصحبه اثنتي عشرة سنة ، وحاز فيها فوائد جمة ، وحصلت وسعة في نسبته ، وقد توجه إليه في تلك المدة مرة واحدة لعدم طاقته وقوَّته على توجُّه لضعفه وكبر سنِّه .

فرجع إلى حضرة شيخ الشيوخ محمد عابد السنامي قدس سره فاستفاد منه إلى ثمان سنين ، وقال : استفدت الولاية الثلاثة مع كيفياتها وعلومها وارداتها من السيد قدس سره ، واكتسب الكمالات الثلاثة والحقائق السبعة وغيرها بتوجهات الشيخ عابد رحمه الله في مدة سبع

سنين ، ثم توجه إليَّ من جميع المقامات من أولها إلى آخرها في سنة واحدة ، وسلك بي فيها بالسير المرادي ، فحصلت فيَّ كيفيات جميع المقامات وحالاتها قوة أخرى ، فأجاز له الشيخ عابد في الطريقة القادرية والجستية والسهرودية أيضاً ، وبشَّره بضمنيته المعروفة عند هذه الطائفة الموروثة ممن قال له النبي عليه الصلاة والسلام : « ما صب الله في صدري شيئاً إلا وصببته في صدر أبي بكر »[(١)] ، وقال : « ما فضلكم أبو بكر بفضل صوم ولا صلاة ، وإنما هو بشيء وقر في نفسه » .

وقال مرة في حقه حين كونه قاعداً في مقابلته : إن شمسين قد تقابلتا لا يمكن تمييز إحديهما عن الأخرى من غاية تشعشع أنوارهما ، فإن توجهتا لتربية الطالبين لنوَّرتا العالمين .

وقال شيخه الحافظ سعد الله في حقه : أنت بمنزلة والدي . وسوى السيد يوماً نعله وقال : إن لك قبولاً تامّاً عند الله . وقام له شيخه محمد أفضل وقال : قمت تعظيماً لنسبتك .

مهم

وقال الشيخ ولي الله المحدث الدهلوي : إنَّ جميع وجه الأرض عندنا كخطوط الكف لا يخفى علينا شيء من أحوالها ، وليس في هذا الوقت مثل مرزا جانجانان أحد في إقليم من الأقاليم ولا في بلدة من البلاد .

وبالجملة استقر في مسند الإرشاد والخلافة بأنواع الكشوف والتصرفات بعد شيوخه الأربعة ، وتزين مسند الخلافة بوجوده المسعود وتعلق ترويج الطريقة بذاته المحمود ، فرجع إليه الطالبون من كل الجهات

(١) والحديث وإن عدَّه ابن حجر من الموضوعات فقد أثبته أكابر السادات في كثير من كتبهم ، ولعلهم علموا عدم كونه من الموضوعات ، وإلا لما جازهم أن يذكروه في كتبهم ، والله أعلم . (هامش الأصل) .

والجوانب ، وشاع ذكره بين الأصحاب والأجانب ، وجلس في مسند الإرشاد ودعوة العباد إلى ثلاثين سنة بكمال الاتباع للسنة النبوية ، وغاية الاستقامة في الطريقة الأحمدية ، ونوّر العالم بفيوضاته الباطنية الأسْعَدية ومن أنفاسه القدسية ، **إنَّ الاشتغال بالطريقة إنما هو لحصول المحبة الإلهية ، ويكون فرط المحبة أحياناً من المواهب ، ولكن المداومة على الذكر من فرائض طريق أولياء الله تعالى ، فينبغي الإكثار من الذكر بترك جميع مرادات النفس ، فإن القلب لا ينجلي من غير ذكر كثير ، فإن ظهرت غيبوبة أو كيفية أخرى في أثناء الذكر ينبغي أن يجتهد في حفظها ، فإن اختفت ينبغي أن يجتهد في الذكر ثانياً بتمام التضرع وكمال الانكسار ، وليداوم السالك على الذكر بهذا الوجه حتى يحصل له دوام الكيفية والحضور .**

مهم : الإيمان الإجمالي كاف في النجاة

وقال : إن الإيمان الإجمالي بأن يقول : آمنت بالله وبرسوله وبما جاء به النبي ﷺ واجب ، وحبُّ ما يحبُّه الله ورسوله وبغض ما يبغضه الله ورسوله كاف في النجاة ، وإثبات كل مقدمة بدليل إنما هو شأن العلماء المتبحِّرين ، وليس عامة المسلمين مكلفين بذلك .

وقال : إنّ تعظيم أولياء الله تعالى ومحبة عامة المشائخ الكرام لازم ، ومن اعتقد في شيخه أفضلية على غيره من فرط محبته له لانتفاعه به واستفادته منه لا يستبعد ذلك منه . وقال : إن العمل بالعزيمة وتحرِّي طريق التقوى في غاية التعذر في هذا الوقت لفساد المعاملات ، وكأنَّ العمل بموافقة الشرع الشريف صار موقوفاً ، فإن تيسر العمل بموافقة الرواية الفقهية وطبق ظاهر الفتوى مع اجتناب محدثات الأمور والبدع ، فهو غنيمة في هذا الزمان .

مهم

وقال : ينبغي للسالك أن يعمر أوقاته ويستغرقها بالذكر والعبادة وحفظ مدركته عن الالتفات إلى السوى ، وصون سره وهمته عن التوجه إلى غير مفهوم لفظ الجلالة حتى تكون ملكة حضوره راسخة .

وقال : إن حاصل هذه التكلفات هو تهذيب الأخلاق على وفق مكارم صفات النبي ﷺ ، فإنه لعلى خلق عظيم . وقد ورد في الحديث : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، وتنقص الصفات البشرية من تكرار النفي والإثبات ، وطريقته أن ينفي كل صفة من الأوصاف الذميمة على حدة بكلمة (لا) عند تكرار الكلمة الطيبة أياماً ، وأن يثبت مكانها حب الله تعالى حتى تزول عنه تلك الصفة الذميمة .

وينبغي كسب المقامات على خلاف هوى النفس ، فعسى أن تبدل الذمائم بالمحامد عند رعاية ذلك .

وقال : إن الحق أن الصفات الرذيلة تنكسر قوتها بعد التصفية والتزكية ، وأما استئصالها بالكلية فليس ذلك بممكن ، فكيف وقد ورد في الحديث : « إذا سمعتم أن جبلاً انقلع عن مكانه فصدقوه ، وإذا سمعتم أن جبلة أحد زالت عنه فلا تصدقوه ، لا تبديل لخلق الله » ، وقال سيدنا عمر بن خطاب رضي الله عنه : (إن غضبي لم يزل عني ، ولكن كان أولاً في كفر صرف ، والآن يظهر في حماية الإسلام) .

وقال : إن دوام المراقبة يورث القوة في نسبة الباطن وإشراف الملك والملكوت بنظر الموهبة ، وكثرة ذكر تهليل يورث فناء الصفات البشرية ، والإكثار من الصلوات على النبي ﷺ يورث الواقعات الحسنة ، ويحصل الانكسار والتواضع من كثرة النوافل ، ويزيد النور والصفاء من كثرة التلاوة ، وذكر التهليل مفيد في الطريقة بشرط ملاحظة المعنى ، **وأما مجرد تكرار اللفظ فهو من بضائع ثواب الآخرة .**

وقال : إن التكثير من تكرار اسم الذات مثمر لنسبة الجذبة الإلهية ، ويفيد النفي والإثبات في السير والسلوك وقطع مسافة الطريق .

وقال : إن إدراك كيفيات الحالات الباطنية يرى محفوظاً في مرتبة الولايات ، وأما في مرتبة كمالات النبوة فلا شيء يوجد من أوصاف الباطن غير النكارة والجهالة ؛ وأما فيما فوق كمالات النبوة وإن كانت اللطافة واللا لونية لازمة فيه ، لكن يمكن فيه إدراك كيفيات الأحوال في الجملة .

وقال : إن لطافة النسبة المجددية ولا لونيتها سبب لإنكار الناس عليها ، ولذلك إذا وصل سير السالك إلى الكمالات يحصل لي شكٌّ وتردُّد أنه هل ترك الطريقة وانقطع عن السير والسلوك ، فإن وفى العمر أوصل السالكين إن شاء الله تعالى في المقامات السافلة إلى المقامات العالية .

وقال : ومن أجلة النعماء الإلهية في حق الفقير سوقه عبده هذا نحو المشائخ المكرمين ، وإثبات محبتهم ورسوخ عقيدتهم في قلبي خصوصاً السيد والشيخ عابد رحمهما الله ، **وإن لم أجد شرف صحبته ﷺ ولكن أشكر الله سبحانه ألف ألف مرة على حصول سعادة صحبة هؤلاء الأكابر نائبي رسول الله ﷺ وقد حصل بذلك ثمرة الحياة** .

وكان قدس سره موصوفاً بكمال الزهد والتوكل ، وكان له استغناء تام عن الدنيا وأهلها ، **وكان لا يقبل هداياهم إلا قليلاً** ، وكان يقول : وإن ورد المنع عن رد الهدية ، ولكن لم يرد الأمر بوجوب أخذها أيضاً ، وما هو يقين الحلية فآخذه بركة ، فإن جاء أحد من أصحابي بشيء من الهدايا على وجه الإخلاص والاحتياط ، فأقبله ؛ وأما هدايا الأمراء والأغنياء فلا يخلو أكثرها عن شبهة تعلق حقوق الناس ؛

مهم أيّ مهم

وما هو كذلك يعسر الخروج عن عهدة حساب يوم الحساب ، لما ورد في سنن الترمذي : « لا يزول يوم القيامة قدما ابن آدم حتى يسأل عن خمس : عن عمره في ما أفناه ، وعن شبابه في ما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وماذا عمل فيما علم » ، فالتأمَّل في أخذ الهدايا ضروري .

قيل : كان مرة في أيام شدة البرد مرتدياً برداء خلق فقط ، وكان النواب خان فيروزجنك حاضراً فيه ، ففاضت عيناه بالدموع من مشاهدة هذا الحال ، فقال لواحد من مصاحبيه : **ما أسوأ إقبالنا وما أبعدنا عن السعادة حيث إنَّ وليّاً من أولياء الله قد ثبت انتسابنا إليه ومع ذلك لا يقبل هديتنا ، فقال له حضرة مولانا : إني نويت الصوم من قبول هدية الأغنياء ، وقد حان الآن وقت غروب شمس العمر ، فإن أفسدت صومي يلزم عليَّ لكفارته عشرة لكوك من الروبية .**

وكان يقلّ أيضاً من أكل طعامهم قائلاً : بأنّ ظلمة طعامهم تكدِّر نسبة الباطن . ولهذا قيل : شر الطعام طعام الأغنياء .

وكان قدس سره ذا كشف صحيح وفراسة صادقة ، قال : إني أعرف الناس من نظرهم أنه ما جوهره الإنساني ، وكيف استعداده ، وذلك بيمن تربية والدي الماجد وأقرأ بنور الطريقة حرف السعادة والشقاوة من جبينهم ، فأميز بذلك الجنتيّ عن الجهنميّ .

وكان بيانه من الكشف الكوني والكشف القلبي وكشف القبور وكشف المقامات يطابق الواقع ، وتفصيله ينجر إلى التطويل ، وفي ذلك كفاية للمكتفي .

ولما انتفع به ألوف من الرجال ، وتشرَّف زهاء[١] مائتين بالإجازة والخلافة ، وبلغ من جملتهم خمسون رجلاً نهاية المقامات الأحمدية ، وصاروا أدلاء أرباب الطريقة العلية ، وحان له من هذا الحضيض الرحيل نودي إلى جوار الملك الجليل ، وقرع مقرعة[٢] التحويل ، فتوفي شهيداً ليلة السبت العاشر من محرم بعد المغرب سنة خمس وتسعين ومائة بعد الألف رحمه الله رحمة واسعة وقدس سره ونور ضريحه . وأرخوا سنة وفاته بهذه الكمالات : عاش حميداً ومات شهيداً ، وأيضاً بقوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم ﴾ . ودفن في بلدة دهلي ، يزار[٣] ويتبرك به .

قطب فلك الإرشاد وغوث الأبدال والأوتاد ومجدّد المائة الثلاثة عشر نائب خير البشر عبد الله المشتهر بشاه غلام علي الدهلويّ قدس سره

ولادته سنة ثمان وخمسين وألف في قصبة[٤] تباله من نواحي ينجاب ، يتصل نسبه بسيدنا علي كرم الله وجهه ، وكان والده الماجد الشيخ عبد اللطيف رجلاً مرتاضاً كثير المجاهدة ، رأى قبل ولادة الشيخ عبد الله سيدنا عليّاً كرم الله وجهه في منامه يقول : سمّ ولدك باسمي ، ولما ولد سماه عليّاً ، فلما بلغ سن التمييز سمى نفسه بغلام علي تأدباً ، واشتهر به ، وكان له عمٌّ جليل القدر ، حفظ القرآن الكريم في شهر واحد ، فسماه بعبد الله بأمر رسول الله ﷺ ، ولعله في المنام ، أو في المبشرات .

(١) أي : قدر مائتين ، راجع .
(٢) وقرعته بالمقرعة : ضربته بها . « مصباح » .
(٣) لعله وقبره فيها يزار . .إلخ . (هامش الأصل) .
(٤) وقصبة البلاد : مدينتها . « مصباح » .

طلبه والده عن وطنه الأصلي لأخذ البيعة عن شيخه ناصر الدين القادري ، **وكان ممن صحب الخضر عليه السلام** ، فتوفي هذا الشيخ ليلة وصوله إليه بقضاء الله سبحانه وتعالى ، فقال له والده : كنت طلبتك للبيعة فلم تتيسّر ، فخذ الطريقة الآن ممن تشم منه رائحة الرجال ؛ فتردَّد إلى مشائخ دهلي الموجودين في ذلك الوقت ، ولكن لم يطمئنّ قلبه إلى واحد منهم ، ولما وصل إلى خانقاه مولانا مظهر(١) الشهيد سنة سبعين ومائة وألف ، وكان عمره إذ ذاك قد بلغ اثنتين وعشرين ؛ أنشد لسان حاله على حسب حاله . شعر :

وجـــدت لـــسجدات المحبة سدّة ... وحين قصدت الأرض ألفيت أفلاكا

فالتمس منه الطريقة ، فقال له : اذهب إلى محل فيه ذوق وشوق ، فإن هنا لحس(٢) حجر بلا ملح ؛ فقال : هو هذا المنظور لديّ ؛ فقال له السيد : إذاً يبارك لك .

فبايعه في حينه ، وواظب على حلقة الذكر والمراقبات إلى خمس عشر سنة بكمال الرياضات والمجاهدات الشاقة ، والصبر على الفقر والفاقة مع الإكثار من الأذكار والمداومة على الاستغفار ، **وكانت وظيفته اليومية من النفي والإثبات عشرة آلاف ، وتلاوة القرآن عشرة أجزاء ، غير التهليل اللساني واسم الذات وسائر الأوراد والصلوات** .

وقد قاسى الشدائد في بداية حاله ، وكان له أولاً شيء من وجه المعاش ، فتركه واختار التجريد والتوكُّل ، **ولم يترك في حجرته شيئاً غير حصير بال ولبنة يضع رأسه عليها** .

---

(١) وهو حبيب الله المار ذكره . (منه) .

(٢) لحس القصعة وغيرها : أخذ ما عليها بلسانه أو إصبعه . « معجم لغة الفقهاء » .

قيل : أغلق باب حجرته مرة من داخل وقال : إن مت في هذه الحجرة ، فوصل إليه تأييد إلهي ، وجاء شخص وقال : افتح الباب ، فلم يفتح ، ثم قال : افتح الباب فإن لي معك شغلاً ، فلم يفتح ، فرمى روبيات من شق الباب ومضى ، ففتح له باب الفتوح من هذا اليوم .

وكان يعمل على وفق الحديث النبوي ، وأخذ السند في الحديث من أولاد الشيخ ولي الله المحدث الدهلوي ، وحفظ القرآن عند مرشده ، ولكن كان يخفيه عن الناس ولا يطلع أحداً عليه .

وكان قليل المنام وقليل الطعام ، فإذا رأى أحداً من أصحابه في نوم الغفلة وقت التهجد كان يوقظه ، **وكان الأغنياء يرسلون إليه أطعمة مطبوخة بالتكلفات ، فلم يكن يأكل منها ، بل كان يكره أكلها للطالبين أيضاً ، وكان يقسمها على جيرانه** ، وكان يحيي أكثر الليالي بالذكر والمراقبة ، وكان نومه قعوداً على هيئة الاحتباء ، ولم يكن يمد رجليه من غاية الحياء إلا قليلاً ، حتى كان موته على هيئة الاحتباء ، وكانت غلبة الحياء عليه على وجه لم ينظر إلى وجهه في المرآة فضلاً عن النظر إلى وجوه الناس .

وكان بعض أرباب الحاجة يأخذ شيئاً من أملاكه من غير إذنه ، فإذا رآه كان يقلب وجهه إلى جهة أخرى تغافلاً عنه .

وكان بعضهم يأخذ كتابه ثم يجيئون بذلك الكتاب للبيع عنده ، فيعطي قيمته ويأخذه ؛ فإذا قال له شخص أحياناً : إن هذا الكتاب من كتبكم والعلامة موجودة فيه كان يمنعه بالعنف ويقول : إن كاتباً واحداً يكتب كتباً متعددة فيجوز أن يكون مثله لا عينه ، وكان يلبس الثياب الخشنة ، فإذا أرسله شخص ثوباً نفيساً كان يبيعه ، وكان ذلك عادته الكريمة في سائر الأشياء ، فيشتري بثمنه ثياباً متعددة ويتصدق بها ويقول : إن انتفاع أشخاص أفضل من انتفاع واحد .

ولم يكن يذكر شيء من الدنيا في مجلسه الشريف ، وكان مجلسه مثل مجلس سفيان الثوري ، فإن تكلم فيه أحد بغيبة شخص كان يقول : **إن أحق الناس بالذكر بالسوء أنا** .

ذكر شخص مرة السلطان شاه عالم بسوء ، وكان هو قدس سره صائماً ، فقال : يا أسفا ! قد ذهب الصوم ، فقال له أحد الحاضرين : إنكم ما ذكرتم أحداً بسوء ، فقال : نعم ما قلت شيئاً ولا ذكرت أحداً بسوء ، ولكني استمعت والمستمع شريك القائل .

وكان عادته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان لا يأخذه في ذلك لومة لائم ، وكان الملوك والصعلوك سواسية عنده في ذلك ، وكان تركه وتجريده على وجه كان سلطان الوقت وسائر الأمراء كثيراً ما يتمنون تعيين شيء لخرج الخانقاه ، فلم يقبل ذلك منهم أصلاً .

وكثيراً ما كان يقول : إن مطمعنا ومطمح نظرنا المواعيد الإلهية . قال الله تعالى : ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ ، فكفى الله جميع مهماته الدنيوية والدينية ، وأرسل مصارف رباطه من الغيب حتى كان يأكل من رباطه زهاء مائتين تقريباً ، وكان معاشهم يتهيأ على الوجه الأحسن ، وكان يقول : **إنَّ في الفقر فاء الفاقة ، وقاف القناعة ، وراء الرياضة ، فمن أعطى كلاً منها حقها فقد نال فاء الفضل الإلهي ، وقاف قربه تعالى ، وراء رحمته سبحانه ، وإلا فقد حصل له فاء الفضيحة ، وقاف القهر ، وراء الرذالة .**

مهم

وقال : لا بد في هذه الطريقة من أربعة أشياء : اليد المكسورة ، والرجل المكسورة ، والدين الصحيح ، واليقين الصريح ، فاليد المكسورة أن لا تمدها إلى الأغيار بالسؤال ، والرجل المكسورة أن لا تذهب بها إلى باب الأغنياء تاركاً باب المولى المتعالي ، والدين الصحيح ما لا ينقص من آدابه شيء ، واليقين الصريح ما لا يعتريه شكّ .

وقال : إنَّ طالب ذوق وشوق وكشوف وكرامات ليس بطالب الله .

وقال : **إنَّ الصوفي** من جعل الدنيا والآخرة وراءه وأقبل بكليته إلى مولاه .

وقال : إنّ البيعة على ثلاثة أقسام : بيعة للتوسل بالمشائخ الكرام ، وبيعة للتوبة عن المعاصي والذنوب العظام ، وبيعة لكسبة النسبة والوصول إلى مرتبة الرجال الفخام .

وقال : الناس على أربعة أقسام : عديم المروءة ، وصاحب المروءة ، وصاحب الجود ، والفرد ؛ فعديم المروءة هو طالب الدنيا ، وصاحب المروءة هو طالب العقبى ، وصاحب الجود هو طالب العقبى والمولى ، والفرد هو طالب المولى فقط . وقال : **إنّ الأولياء على ثلاثة أقسام** : أرباب الكشف والعرفان ، وأرباب الإدراك والوجدان ، وأرباب الجهل والنكران ، يعني بالأحوال الحاصلة والعرفان .

وقال : إن العقل النوراني ما يدل على المقصود من غير دلالة أحد ، والظلماني ما يسلك الطريق بمصباح هداية المرشد .

وقال : ينبغي للطالب أن لا يغفل عن المطلوب لمحةً . شعر :

هذا شرب محبة يا خسروا   من غير بذل الروح كيف تذوقه

وقال : حب الدنيا رأس كل خطيئة ، ورأس كل خطيئة كفر ، فينتج من هاتين المقدِّمتين أنّ حبَّ الدنيا كفر .

وقال : إنَّ علامة زوال العين أن لا يقدر السالك على أن يقول : أنا ، كما قال الخواجه عبيد الله أحرار قدس سره : **ما أيسر أن يقول أنا الحق ، وما أعسر إزالة أنا وما أشكلها** .

وقال : إن في الطريقة المجددية أربعة أنهار جارية : النقشبندية ، والقادرية ، والجستية ، والسهروردية ، لكن الأولى غالبة .

وقد بلغ قدس سره مرتبة التعشُّق برسول الله ﷺ ، **فإذا ذكر اسمه الشريف عنده كان يضطرب من شدة وجده به** . وكان له نهاية الذوق من أسرار القرآن العظيم ، وكان يستمعه في صلاة الأوابين والتهجد من الشيخ أبي سعيد قدس سرهما ، **فإذا استمعه كثيراً في أوقات الشوق كان يمرض من الوجد** ويقول : يكفي ، لا طاقة لي على الاستماع أزيد من ذلك .

وكان يستمع أحياناً أشعار الأشواق ويعرض له الوجد من ذلك ، ولكن لما كان كالجبل في التمكين كان يضبط نفسه عن إظهاره ، ويقول : إن أبا الحسين النوري كان مرةً يرقص وسيد الطائفة الجنيد قاعد فيه ، فقرأ النوري : ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ ، فقرأ الجنيد : ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ ، **فإن الجنيد كان في نهاية الاستقامة ، ولذلك ضبط نفسه عما يخالف السنة ؛ وكان تواضعه وانكساره مع وجود هذه الكمالات على مرتبة إذا دخل كلب بيته كان يقول : إلهي من أنا حتى أتوسل إليك بأوليائك ، فارحمني بحق مخلوقك هذا . وكذلك إذا جاءه شخص لطلب الحاجة كان يتقرب به إلى الله تعالى .**

فجلس بهذه الكمالات في محلّ شيخه على مسند الإرشاد لهداية العباد ، وتوجه إليه الطالبون من جميع البلاد من الأقطاب والأوتاد ، بعضهم بأمر النبي ﷺ في المنام ، مثل السيد إسماعيل المدني ، والشيخ أحمد الكردي ، وبعضهم بدلالة أكابر الأنام مثل مولانا الشيخ خالد الرومي ، والشيخ محمد جان الباجوري وغيرهم قدس سرهم .

والحاصل أنّ خوارق عاداته وكشوفه وكراماته وكثرة إرشاده خارجة عن حد البيان ومستغنية عن التبيان ، وقد انتشر خلفاؤه وخلفاء خلفائه في جميع أقطار الأرض شرقاً وغرباً ، عجماً وعرباً ، ولا يزالون

متزايدين على مرور الأزمان والأيام ، ولا يخفى ذلك على من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، وما انفكَّ ينتسب إليه من الخواص والعوام من أدركه اللطف الإلهي وهو عند الله سعيد على رغم من أنكر فضلهم لخبث باطنه وهو عن السعادة بعيد .

توفي قدس سره يوم السبت الثاني والعشرين من صفر بعد الإشراق سنة أربعين ومائتين وألف ، وهو قاعد على هيئة الاحتباء ، مستغرقاً في مشاهدة جمال المولى ، رحمة الله عليه رحمةً واسعة . انتهى من « النفائس السانحات » باختصار ، رزق الله تعالى مؤلفه ما فيه صلاحه في الدارين ، ورفعه بمحض فضله إلى أعلى مقامات المقرَّبين ، آمين اللهم آمين .

الشيخ المشهور خالد شاه أبو البهاء ذو الجناحين
ضياء الدين الشهرزوريّ

الأشعري عقيدة ، الشافعي مذهباً ، النقشبندي المجددي طريقة ومشرباً ، القادري السهروردي الكبروي الجستي إجازة ، ابن أحمد بن حسين العثماني نسباً .

وكان قدس سره عالماً متبحِّراً في جميع العلوم ، وصاحب أخلاق حميدة ومناقب سديدة ، وبارعاً[١] في النثر والنظم قبل بلوغ الحلم ، مع تدريب[٢] لنفسه على الزهد والجوع والسهر والعفة والتجريد والانقطاع على قدم أهل الصفة .

---

(١) برع : إذا فضل في علم أو . .إلخ . « مصباح » .
(٢) درب الرجل . .إلخ : والاسم الدربة وهي الضراوة والجراءة . « مصباح » .
الدارب : الحاذق في صناعته . « مصباح » .

وكان قدس سره يدرس في العلوم ، وينشر المنطوق منها والمفهوم غير راكن إلى الدنيا ولا إلى أهلها مقبلاً على الله تعالى ، متبتِّلاً إليه بأصناف العبادات فرضها ونفلها ، لا يتردد إلى الحكام ، ولا يحابي أحد[1] في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتبليغ الأحكام لا تأخذه في الله لوم لائم ، وكان نافذ الكلمة ، محمود السيرة ، يأخذ بالعزائم حتى صار محسودَ صِنْفِه عزيزاً في وصفه مع الصبر على الفقر والقناعة واستغراق الأوقات بالإفادة والطاعة ، وحيث حل من المدارس كان فيها الأتقى الأورع السابق في ميادين التحقيق كلَّ فارس ، لا يسأل عن مسألة من العلوم الرسمية إلا ويجيب بأحسن جواب ، ولا يمتحن بغويصة من « تحفة » ابن حجر أو « تفسير البيضاوي » إلا ويكشف عن وجوه خرائد الفوائد النقاب وهو يستفيد ويفيد ، ويقرِّر ويحرِّر ، فيجيد إلى إنصاف وذكاء خارق وقوة حافظة ، بذهن حاذق ، ومهما وقف في درسه على ما يريد يعجز أساتذته عن إرضاء ذهنه القائل لسان حاله : هل من مزيد ، وطالما ألقى السؤال واستشكل الإشكال فلم يكن المجيب إلا هو بأبدع منوال ، هذا مع تصاغره لدى الأساتذة والأقران وتجاهله عن كثير من المسائل مع العرفان ، حتى إنه يقرأ من الكتب الصعبة ما لم يصل إذ ذاك إلى قراءته بتحقيق يتحير فيه أهل مادته ، فاشتهر خارق علمه ، وطار إلى الأقطار حيث تقواه وذكاؤه وفهمه .

مهم

وكل من اجتمع به من العلماء وجدوه بحراً لا ساحل له وأقر الكل بالفضل له ، وكان قدس سره يحل لهم ما أشكل عليهم من المسائل بأبلغ مقال .

---

(١) وفي نسخة : ولا يحابي أحداً .

وكان قدس سره يباشر تدريسه بعد رجوعه من سفر الحج بزيادة على زهده الأول ، وعده الحسنات الأول سيئات ، مستقيماً على أحسن الأحوال ، متشوقاً إلى مرشد يسلك عنده طريق فحول الرجال إلى أن أتى السليمانية شخص هندي من مريدي شيخه الآتي وصفه ، فاجتمع به وأظهر احترامه واشتياقه لمرشد كامل يسعفه ، فقال الهندي : إنَّ لي شيخاً كاملاً مرشداً عالماً عاملاً ، عارفاً بمنازل السائر إلى ملك الملوك ، خبيراً بدقائق الإرشاد والسلوك ، نقشبندي الطريقة ، محمدي الأخلاق ، علماً في علم الحقيقة ، فسِرْ معي حتى نرحل إلى خدمته في جهان آباد ، وقد سمعت إشارة بوصول مثلك هناك إلى المراد .

فانتقش القول في قلبه ، وأخذ بمجامع لبّه ، وعزم على المسير بالتجريد تاركاً منصب التدريس والوظائف ، فرحل سنة ألف ومائتين وأربعة وعشرين إلى أن وصل دار السلطنة الهندية دهلي المعروفة بجهان آباد ، **وبعد الوصول تجرد ثانياً عما عنده من حوائج السفر ، وأنفق كله على المستحقين ممن حضر ، فأخذ الطريقة العلية النقشبندية** بعمومها وخصوصها ومفهومها ومنصوصها على شيخ مشائخ الديار الهندية ، ووارث المعارف الإلهية والأسرار المجددية ، قطب الطرائق وغوث الخلائق ، العالم النحرير الفاضل والعَلم الفرد ، المكمَّل الكامل ، حضرة الشيخ عبد الله الدهلوي قدس سره ، واشتغل بخدمة الزاوية مع الذكر الملقَّن مع المجاهدة ، فلم يمض عليه نحو خمسة أشهر حتى صار من أهل الحضور والمشاهدة ، وبشره شيخه بِبَشَارات كشفية قد تحققت بالعيان ، وحل منه محلّ إنسان العين من الإنسان مع كثرة تصاغره بالخدم ، وكسره لدعاوى النفس بالرياضات الشاقة ، وتكليفها خطط[1] العدم ، فلم

(١) الخطة المكان : المختط لعمارة ، والجمع خطط . « مصباح » . والخطة بالضم : الحالة والخصلة . « مصباح » .

ورمدته رمدا ، من باب ضرب : أهلكته وأتيت عليه ، والاسم الرمادة بالفتح ، ومنه عام الرمادة الذي هلك الناس فيه زمن عمر من الجدب ، سمي بذلك لأنّ الأرض صارت كالرماد من المحل . « مصباح » .

تكمل عليه السنة حتى صار الفرد الكامل العلم ، والله يؤتي ملكه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وأجازه شيخه المذكور بالإرشاد وخلفه الخلافة التامة في الطرائق الخمسة : النقشبندية والقادرية والسهروردية والكبروية والجستية ، وأجاز له جميع ما يجوز له روايته من حديث وتفسير وتصوف وأحزاب وأوراد ، واجتمع بإشارة من شيخه قدس سره بالعالم الفاضل المدرِّس الواعظ الصوفي الكامل صاحب التآليف النفيسة في التفسير ورد الروافض بأبلغ تحرير ، الشيخ المعمر المولى عبد العزيز الحنفي النقشبندي ابن العالم العامل المولى الكامل ولي الله الحنفي النقشبندي رحمه الله تعالى ، فأجاز له روايات الصحاح الستة وبعض الأحزاب ، وكتب له إجازة لطيفة وصفه فيها بقوله : صاحب الهمة العلية في طلب الحق ، ثم أرسله بعد ملازمته سنة بأمر مؤكَّد لم يمكنه التخلف عنه إلى هذه الأقطار والبلاد ليرشد المسترشدين ، ويربِّي السالكين بأتقن إرشاد ، وشيّعه بنفسه نحو أربعة أميال ليأتي أوطانه ممتثلاً للأمر الواجب الامتثال سائراً في طريقه برّاً مدة ، وبحراً نحو خمسين يوماً لم يطعم طعاماً فيه ولم يشرب الماء ، متغذياً متروياً بالعبادة والذكر والمشاهدة والزهادة ، حتى خرج من بندر مسقط إلى نواحي شيراز ويزد وأصفهان يعلن الحق أينما كان ، وكم مرة تجمع بعض الروافض لضربه وقتله بعد عجزهم عن أجوبة أدلة عقله ونقله ، فهجم عليهم بسيفه البتار ، فنكصوا على أعقابهم وولوا الأدبار .

ثم أتى هَمْدَان وسنندج ، فوصل السليمانية سنة ألف ومائتين وستة وعشرين باستقبال أعيان وطنه معزّزاً مكرَّماً ، فقدم في تلك السنة بإشارة من شيخه بلدتنا الزوراء ليزور الأولياء ، فنزل في زاوية الغوث الأعظم سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلي قدس سره الأقوم ، وابتدأ هناك بإرشاد الناس على أحكم أساس ، فمكث نحو خمسة أشهر ثم رجع إلى وطنه بشعار الصوفية الأكابر مرشداً في علمي الباطن والظاهر .

مطلب مهم

كل من تفرّد بالفضل والكمال يكون محسوداً

ولما اطردت سنة الله في الذين خلوا من قبل أن يجعل حساد الكل من تفرد بالفضل ، **وكلما كان الكمال والمحبوبية الإلهية أشد كان الإنكار والحسد أشد ، هاج عليه بعض معاصريه ومواطنيه بالحسد والعداوة والبهتان ، ووشوا عليه** عند حاكم كردستان بأشياء تنبو عن سماعها الآذان ، وهو بريء من كلها بشهادة البداهة والعيان ، فلم يقابل صنيعهم الشنيع إلا بالدعاء لهم وحسن الصنيع ، فلم تخب نارهم وما زاد إلا شرهم وعوارهم ، وقد قيل :

كـل الـعـداوات قد ترجى إزالتها ... إلا عـــداوة مـن عـاداك من حسد

فخلاهم وشأنهم في السليمانية ، ورحل إلى بغداد سنة ألف ومائتين وثمانية وعشرين مرةً ثانية ، فألف الذي تولى كبر البهتان من المنكرين رسالة عاطلة من الصدق والصواب ، ومهرها بمهور إخوانه المنكرين مشحونة بتضليل الشيخ المترجم وتكفيره ، ولم يخشوا مقت المنتقم الشديد العقاب ، وأرسلها إلى والي بغداد سعيد باشا يحرضه على إهانته وإخراجه من بغداد بسعايته ، **فبصره**(١) **الله تعالى بدسائسهم الناشئة من الحسد والعناد ، وأمر بعض العلماء بردها على وجه السداد** ، فانتدب له

---

(١) وفي « النفائس السانحات » : فلما اطلع الوالي على ما حَوَتْهُ الرسالة من الكلام الخالي كالخشف البالي **رماها من يده ولم يبال ، وقال : إن لم يكن حضرة الشيخ مسلماً فمن المسلم** ، سبحان الله ما صاحب هذه الرسالة إلا مجنون أو أعمى الله بصيرته من شدة حسده ، نعوذ بالله نعوذ بالله ، هذا بعينه كلام الوالي ، ثم أمر الوالي العلماء بردّ تلك الرسالة وإرسالها إلى المعاند . فألّف العلماء رسائل عديدة مفيدة وختموها بخواتم العلماء وأرسلوها إلى الحساد ، فلم تروج أباطيلهم ولم تؤثر تضاليلهم ، بل انطمست آثارهم وانمحت أخبارهم . انتهى ، فراجعه . (منه غفر الله ذنوبه ، آمين) .

العالم النحرير الدارج إلى رحمة الله القدير محمد أمين أفندي مفتي الحلة سابقاً ، وكان مدرس المدرسة العلوية لاحقاً بتأليف رسالة طعن بأسنة أدلتها إعجازهم ، فولتهم الأدبار ثم لا ينصرون ، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ ، ومهرت بمهور علماء بغداد ، وأرسلت إلى المنكرين فسلقتهم[1] بألسنة حداد ، فخبت نارهم وانطمست آثارهم ، ورجع بعد هذه الأمور إلى السليمانية محفوفاً بالكمالات الإحسانية .

وبالجملة انتفع به خلق كثيرون من الأكراد وأهل كركوك وإربل والموصل والعمادية وعينتاب وحلب والشام والمدينة المنورة ومكة المعظمة وبغداد ، وهو كريم النفس ، حميد الأخلاق ، باذل الندى ، حامل الأذى ، حلو المفاكهة والمحاضرة ، رقيق الحاشية والمسامرة ، ثبت الجنان ، بديع البيان ، طلق اللسان لا تأخذه في الله لومة لائم يأخذ بالأحوط والعزائم ، يتكفَّل الأرامل والأيتام ، شديد الحرص على نفع أهل الإسلام ، ورحل إليه كثير من الأقطار الشرقية والغربية ، وبابه محطّ رجال الأفاضل ، ومخيم أهل الحاجات والمسائل .

ومن خوارقه : **أنّ من جالسه ولازمه وراعى الآداب ظاهراً وباطناً معه انتفع من لحظه ، واسترزق من رزقه المكنون في لفظه من الأنوار والأسرار ، ووجد تأثير ذلك في الحال ، وزهد قلبه عن حب الدنيا والجاه والمال ، واستيقظ من نومه وأفاق متفكراً في المآل وكان أن يهجر الأهل والعيال ، وهذه الخاصية لا توجد إلا عند الكمل من الرجال .**

ثم ارتحل قدس سره من بغداد إلى الشام بأهله وعياله ، واستوطن دمشق واشترى داراً رفيعة بالمحلة المشهورة بالقنوات ، ووقف بعضها مسجداً لله تعالى ، وأقام فيه صلاة الجماعة في الأوقات الخمسة ، وعمّر

---

(١) وسلقه بلسانه : خاطبه بما يكره . « مصباح » .

فيها كثيراً من المساجد الخربة ، وأحيا فيها كثيراً من الجوامع المندرسة ، وذلك عام ثمان وثلاثين ومائتين وألف ، ولم يزل متردياً برداء الجود والكرم ناشراً للعلم والفضائل والحكم .

ولما قرب ارتحاله قدس سره من دار الفناء إلى دار البقاء ، وآن أوان إجابة روحه الزكية لأمر ربها راضيةً مرضيةً ، **كان الله تعالى كشف له عن ذلك ، فأمر بحفر القبر المبارك** ، وعيّن مكانه في الصالحية خارج دمشق الشام في تل تحت جبل قاسيون مقابل مقام الأربعين ، فاستقاموا في حفره ثلاثة أيام ، فبعد أن تمّ الحفر بيَوْم أو يومين ابتدأه المرض يوم الثلاثاء حادي عشر لشهر ذي القعدة سنة ألف ومائتين واثنتين وأربعين ، وتوفي ليلة الجمعة رابع عشر بالطاعون ، **فجمع الله له بين شهادات متعددة** : الطاعون والجمعة والغربة وطلب العلم ، لأنه قدس سره كان دائماً ناشراً للعلوم الدينية الشرعية ناصراً للملة الحنيفية ، قامعاً للبدعة الردية .

وأقام قبل وفاته وصيّاً على أولاده وعلى طريقته قائماً مقامه ونائباً منابه سيدنا ومولانا الشيخ[1] بن عبد اللهالكردي قدس سره ، وقال قدس سره : **أحب أن لا يخرج خلفائي من رأي إسماعيل .**

وقال قدس سره : أنا ما مت حيث تركت لكم الشيخ إسماعيل .
وقال : أنا أضمن لكل من يلازم خدمته وامتثال أمره - يعني الشيخ إسماعيل - أن ينال ما لا يحيط به عقل العقلاء ، ويقصر عنه علم العلماء ، فجزاه الله عنا وعن سائر الأمة المحمدية خير الجزاء .

اللهم يا حي يا قيوم ، يا بديع السماوات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، وفقنا للطاعة ، ومنَّ علينا بالاستقامة وانفعنا به وبعلومه الباطنة والظاهرة ، وأمدنا بأمداده في الدنيا والآخرة ، وزدنا من بركات أنفاسه

---

(١) لعله إسماعيل بن عبد الله ، والله أعلم . (هامش الأصل) .

الطاهرة ، واحشرنا مع سائر الإخوان في زمرته ، وثبتنا على طريقته ومحبته ، واجعلنا من أخص أحبته باتباع هديه وسيرته ، آمين . انتهى من « السنية » باختصار من مواضع عديدة ، وانتخاب من عبارات كثيرة ، اللهم لا تؤاخذنا بما ارتكبناه من ذلك الاختصار ، واغفر لنا يا مولانا ما تصرفناه في العبارات ليطابق الكلام بالكلام ، آمين .

مهم

ومن كلماته النفيسة في وصاياه هذه الكلمات :

قال ﷺ : ولا تحقر أحداً ولا تعتقد نفسك فوق أحد ، وابذل جهدك في العبادات القلبية ، واحسب أنك ما عملت خيراً ، إذ النية روح العبادات ولا نية بلا إخلاص ، ولا إخلاص لأكبر منك فضلاً عنك ، وأنا والله لا أعتقد أني عملت خيراً منذ ولدتني أمي ، وأنت تعتقدني خيراً منك .

فإن لم تجدك مفلساً عن كل خير فهو غاية الجهل ، فإذا وجدتك مفلساً فلا تقنط ، لأنَّ فضل الباري تعالى خير للعبد من أن يكون له عمل الثقلين ، ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : أي يكسبون .

ولا تجعل فضله تعالى سبباً لترك العبادات ، كمن لعب بعقولهم الشيطان . إلى آخر ما قال قدس سره .

ومن بعض وصاياه هذه العبارات : **الإخوان لا ينزلون إلا على إخوانهم في السفر ، فإن لم يكن فيتعذر له** .

وله قدس سره وصايا كثيرة تركناها خوف الإطالة ، وإن كان الكل نافعاً ، والله غفور رحيم . ومن أراد الزيادة من كراماته ومناقبه فعليه الرجوع إلى « البهجة السنية » ، و« النفائس السانحات » ، فلعله يجني من ثمار المنافع رطباً جنياً .

ومن أعظم كراماته قدس سره كما في « النفائس السانحات » ، و« الحدائق الوردية » : انقياد أكابر علماء عصره فيه ، وانقيادهم له وكونهم من جملة مريديه وخدامه ، كما قال بعض الأكابر : **إنّ انقياد علماء الظاهر لواحد من المشائخ من أعظم الكرمات** . انتهى .

حتى قيل : **إنه كان يقف قدامه زهاء خمسمائة نفس من العلماء على أقدامهم ، فقس على ذلك غيرهم من أقوامهم** . انتهى .

وأوصى بثلث ماله يخرج منه ألف غرش لإسقاط الصلاة ، ويصرف الباقي على حوائج المريدين ، وكرر هذه الوصية عند خلفائه مراراً وقال في بعضها بعد ذكر الإسقاط : على أني والله منذ فرضت عليّ الصلاة ما فاتتني الصلاة ولا صلاة الضحى والتهجد . انتهى من « النفائس » .

قيل : لما حان حمامه وقرب من عمره ختامه رأى العلامة ابن العابدين في منامه كأنه يصلي على سيدنا عثمان بن عفان ﵁ في الجامع الأموي ، فلما أصبح وحضر صحبة مولانا قدس سره قصَّ عليه رؤياه ، فتبسَّم مولانا وقال : إنّ تعبير رؤياك أني أموت قريباً ، وأنت تصلي علي في الجامع الأموي ، لأني من أولاد عثمان ﵁ .

فتوفي مولانا بعد أيام قلائل بالطاعون ، وصلى عليه العلامة ابن العابدين في الجامع الأموي كما ذكر ، ودفن هناك في الصالحية . انتهى منه .

غوث خلائق الزمان مولانا الشيخ إسماعيل الشرواني الكردميري قدس سره ونور ضريحه

فقد لازم حضرة مولانا خالد قدس سره في السليمانية ، وسلك علي يديه وحاز الحظوة لديه ، وأحسن السلوك إلى ملك الملوك ، ثم خلفه خلافةً مطلقة وأذن له بالإرشاد ونشر العلوم على وجه السداد ، فانتفع به كثير من الناس ، وخلّف الخلفاء وأرسلهم إلى الأطراف والأنحاء .

ولم يزل متمسكاً بأزيال حضرة مولانا خالد قدس سره ، **بيد أنه سبقت له ذلة**[1] **حيث أمر المريدين أن يرابطوا به ، فلما بلغ ذلك مسامع السيد خالد قدس سره أرسل إليه أمراً مشدداً زاجراً له وبَّخه فيه وهدَّده ، فرجع عن قصده وتبيَّن له غيه من رشده** ؛ ونصه :

من العبد الذليل الأقل من كل قليل إلى خادم بابه وقدوة أحبابه الشيخ إسماعيل عصمه الله تعالى عما وصمه وصانه عما شانه آمين ، أما بعد ، فقد قال كثير من نجوم الاهتداء ومصابيح الاهتداء بأن الكفران هو نسيان المنعم بسبب اشتغاله بنعمته ، **وصرح محققوا طريقتنا** بأنّ رابطة من لم يفن عن وجوده لا يورث الفناء للسالك ، بل قد يورطه المهالك ، وأنتم ما كان المأمول منكم أن تقطعوا السلام والكلام عنا ، بل كمال المروءة والوفاء كان مقتضياً أن تواجهونا أحياناً بأنفسكم ، وإلا فتراجعونا في النقير والقطمير ، وتذكرونا دائماً بالتحرير مع السفير ، ومن خدامنا من هو أبعد مشقة منكم وأقدم صحبة وأكثر خدمةً لا يتحرك بدون استشارتنا ، ولا تقس هذه الطريقة بخزعبلات متشيخي العصر وترهات أرباع[2] الخدع والمكر ، **فالشيخ المحقق واسطة بين المريد وربّه ، والإعراض عنه**

---

(١) علّه زلّة . (هامش الأصل) .

(٢) بمعنى الجمع من الناس .

إعراض عنه ، فلا تعلّموا رابطة صورتكم لأحد ، ولو ظهرت له فإنَّه من تلبيس إبليس ، ولا تستخلفوا أحداً إلا بأمري فضلاً عن مزاحمتكم لخلفاء الأطراف من نحو أرزنجان وبدليس ، ولئن تماديتم في هذا التغافل الذي تستعملونه لنعرضن عنكم بالكلية ، وخرط القتاد دونه ، ومن أنذر فقد أعذر ، والسلام ، ختام . انتهى . كذا ذكره شيخنا الحافظ شعيب الباكني في « طبقات الخواجكان » ، فراجعه .

بعد ذلك ترك الشيخ إسماعيل ما كان يفعله قبلُ من أمره برابطة نفسه وامتثل أمر الشيخ خالد قدس سره ، فانتفع به خلق كثير .

وقد غفل في ذلك الأمر عبد الوهاب السوسي وأمر أيضاً برابطة صورته ، **ولم ينزجر بزجر الشيخ خالد قدس سره ، ولذا صار مطروداً عن بابه** .

كذا ذكر أسعد صاحب في حاشيته على « حديقة الندية » ، فراجعه .

ومما وقع للشيخ إسماعيل قدس سره أنه كان داخلاً في الخلوة بأمر الشيخ خالد ، ولم يعلّمه شيئاً ما من أحواله ، ثم إذا خرج من الخلوة أمره بحمل الروث من خلائه وتطهيره ، فامتثل أمره وحمل الغائط بيده ، وظنَّ أنه لا أحد عنده أحقر منه ولا أرذل ، بل ظن الناس بأن ليس عنده أدنى منه ، ثم بعد ذلك توجه إليه الشيخ خالد وعلَّمه جميع الأحوال ، وأراه المقامات كلها ذوقاً ، ثم أذن له وقال : كن هكذا ، يعني : كن حقيراً ورذيلاً ولا تر نفسك فوق أحد .

هكذا سمعت العارف العالم أدرة العرادي قدس سره يحكي هذه الحكاية بعينها .

ومما أوصى به الشيخ محمد اليراغي[1] قدس سره :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أوصيك بالتمسك بالكتاب والسنة ، والأمر بتصحيح العقائد بمقتضى آراء أهل السنة الذين هم الفرقة الناجية على ما أطبق عليه أئمة الكشف والوجدان ، وأوصيك بتوقير حملة القرآن والفقهاء والفقراء ، وبسلامة الصدر ، وبسماحة النفس ، وسخاوة اليد ، وبشاشة الوجه ، وبذل الندى ، وكف الأذى ، والصفح عن عثرات الإخوان ، وترك الطمع ، **وبالاعتماد في قضاء الحوائج إلى الله تعالى جل جلاله** ، **فإنه لا يضيع من عوّل عليه** ، وأن لا ترجو النجاة إلا في الصدق ، ولا الوصول إلى الله تعالى إلا في اتباع محمد ﷺ ، **وأن لا تظن أنك أفضل من أحد** ، **بل لا ترى لنفسك وجوداً** ، وكل من يتطاول عليك بالنميمة والحسد فوِّض أمره إلى الله تعالى ، والسلام .

كذا في « طبقات الخواجكان » للشيخ شعيب قدس سره من خطه .

الشيخ الفرد الواصل المرشد الكامل
محمد صالح الشرواني قدس سره

كان من كبار الخلفاء الإسماعيلية ، لكن لم نعلم من مناقبه وفضائله شيئاً ، ولم نقف زمان ولادته ووفاته ، ولم نجد من بيَّنَ حقيقته وأحواله من مشائخنا رزقه الله سبحانه وإيانا الزيادة والحسنى فوق المأمول والمنى ، آمين .

---

(١) وهو مريد حليفته الشيخ خاص محمد قدس سره . (منه) .

شيخ الواصلين عمدة الكاملين سيد المهاجرين الشيخ الحاج إبراهيم أفندي القدقاشني قدس سره

ولد في ١٢٣٧ في قريته قدقشين من قرى محال شكي ، وهو من نسل سلالة سيد المرسلين وإمام المتقين محمد المصطفى ﷺ ، ثمّ هاجر ١٢٦٠ إلى الولاية الدولة العثمانية حين هاجر دانيال سلطان لدى الشيخ الإمام شمويل في تلك السنة وتوطَّن فيها ، وربى في حجر أبيه المرشد الكامل الحاج يحي بيك القدقاشني ، وورث منه الإرث في العلوم الظاهرة والباطنة ، ووصل إلى الكمال والتكميل بحيث يحصل به تربية المريدين وإهداء المسترشدين . انتهى من خط شيخنا شعيب الباكني قدس سره .

وقال في « طبقات الخواجكان » : ولقد رأيت في إجازة الشيخ الواصل الشيخ يونس أفندي اللالي ما نصه هذا بخطه رضي الله عنه :

خادم الفقراء الخالص شيخ المشائخ كهف الحجاج إبراهيم أفندي بن المرحوم المغفور حاج بلابك بن السلطان أحمد القوت قاشيني من محال داغستان من المهاجرين في سبيل الله القادري النقشبندي قدس الله تعالى أرواحهم . انتهى من عين إجازته قدس سره .

وقد أجازه في سنة ١٢٦٧ ، ولكن ما حققه العلامة العالم الولي المرشد الكامل محمد أفندي المنزلوي قدس سره فيما مرَّ وقرَّره يخالفه من أنه نقل عن خط الشيخ محمد ذاكر أفندي الجسطاوي قدس سره أنَّ الشيخ يونس أفندي أخذ النسبة عن الشيخ عبد الله المكي الأرزنجاني قدس سره الفاني ، وما سمع من الشيخ خليل فاشا أن الشيخ يونس أفندي أخذها من الشيخ يحي بك وما لقي الشيخ عبد الله . انتهى ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ويجمع بين القولين بأنّ الكمالة للشيخ يونس أفندي وإن كانت من الشيخ حاجي يحيى بيك صدورُ الإذن من الحاج إبراهيم أفندي بإذن والده حاج يحي بيك أو بلا إذنه ، والله أعلم .

وقد علم كل أناس مشربهم ، وما كتبناه من أنّ الحاج إبراهيم أفندي شيخ الحاج يونس أفندي قدس سرهما هو ما قرَّره شيخنا شيخ الزمان بدر الأوان الشيخ حاج أحمد أفندي التلالي قدس سره العالي ، وبه وبالنظر إلى إجازة جعلناه صاحب الترجمة دون أبيه يحي بيك ، وكذلك ما قرر شيخنا المذكور أن أستاذ الحاج إبراهيم أفندي هو الشيخ محمد صالح أفندي الشرواني قدس سره النوراني .

والاعتماد على قول المشائخ واجب إن كانوا كاملين ، كأستاذنا المذكور فإنّهم يرون ما لا يراه الناظرون ، ويدركون ما لا يدركه العلماء المدرسون .

ومن المعلوم أن صاحب الترجمة هو ابن الشيخ يحي بيك أفندي القوت قاشيني ثم المهاجر المكي ، وكتابة اسمه في إجازة الشيخ الحاج يونس أفندي قدس سره ببلابيك لكونه لقباً له إن شاء الله تعالى . انتهى .

معدن رموز الحقائق مفتاح العلوم الرقائق المرشد الكامل والفرد الواصل الشيخ حاج يونس أفندي اللالي الداغستاني قدس سره

ولد رضي الله عنه في ١٢١٩ في قريته اللالية ، ونشأ نشأةً نظيفةً وتربية لطيفة ، ولازم العلوم الظاهرة وحاز المراتب الزاهرة ، ثم لما كمل نصيبه الدنيوي وشوقه الأخروي اشتاق إلى المرشد الكامل ، واجتهد لوصول الإنسان الكامل الواصل لتقرُّبه إلى الله تعالى ووصوله إلى الله تعالى ، واجتمع مع شيخه الكامل المذكور ، وكان يطوف كثيراً إلى أبوابه ويجول دهوراً إلى أعتابه ، وترك جميع نعم الدنيا لأجلها ، وزهد مما سوى المولى باجتنابها .

فبه وصل إلى الله تعالى ، فأجازه شيخه بالإجازة التامة والإنابة العامة ، وجلس في دياره على بساط الإرشاد بهداية أهل الضلالة بالإمداد مدة سنين لا ينازعه أهل أرضين ، **وناهيك لجلالته** وعلوّ مرتبته كون سلطان العارفين محمود أفندي الألمالي تحت تربيته ومقام خدمته ، وكان ذا همة عظيمة وأحوال جسيمة ، وهيبة عند الناس كبيرة ، وجسم ولحية وفيرة ، وكان صاحب الخوارق للعادات ، وذا العبادات والكرامات ، فمنها :

ما تواتر من أخبار الثقات ، وتكلمات الرواة أنّ الشيخ محمود أفندي مع رفيقه الحاج بيرام الألمالي كانا يرافقان كثيراً إلى زيارته وأخذ فيوضه ، وكان الشيخ محمود أفندي وقتئذ يجرّ التتون ، وحين وصل إلى حافة نهر غَافُجَيْ يستره هناك في مخفي ، وكان يوضِّئ ويمضمض ولا يغتسل ، وأما حاج بيرام المذكور فكان يغتسل في كل وقت في تلك النهر ويتطهر تطهراً تامّاً ، وكانا يذهبان على هذه الكيفية إلى زيارة الشيخ حاج يونس أفندي وذهب أزمان هكذا .

ففي يوم ذهبا هكذا إلى زيارته ، فقال حاج بيرام : يا شيخ افندي حضرتلر ، إن أخانا ملا محمود يجر التتون ولا يتركه ولكن يريد تركه ولا يقدره . فأجاب له الشيخ : **يا ولدي حاج بيرام ، إن ملا محمود في مقام لا نرى مقامه بسبب علوه فاحترمه واتركه على حاله ، فإنه وإن كان في تربيتي ظاهراً ، ونحن في تربيته باطناً . وكان الأمر كما قال قدس سره .**

ومنها : أنه كانت له صاحبة كاملة وزوجة عفيفة زاهدة ، وكانت تعينه بلا نهاية ، وتطهر طعامه وشرابه فوق الغاية ، وبسببه بلغ الغاية القصوى والدرجة القوي .

وكان من كراماته مروره على نهر غانق الذي هو قبالة قريته كما على البر ، وكان يمر عليها إذا ذهب إلى خدمائه الذين يحرثون ويزرعون مزارعه الكائنة على طرف ذلك النهر الآخر ، وعرض النهر من شط إلى شط ثلاثمائة ذراع ، وفي أكثر المواضع أكثر من ذلك ، مع زادهم من الخبز والأدم وغيرها من حوائج الحراثة ، فيوماً وقعت المكالمة بينه وبين زوجته العفيفة المذكورة وقالت : إنّ الذي أوصلك إلى تلك الدرجة الله تعالى أولاً بإعانتي وتطهُّر طعامك بعدم فعلي إياه على غير وضوء وعلى غفلة ثانياً ، ولولا أنا ما وصلت إلى ما وصلت . فقال في جوابها : لست معينة لي في شيء ما ، إنما وصلت إليه تعالى بتوفيقه وبذكري إياه . فأضمرت هذه المقالة في قلبها ثم لما كان يوم ذهابه بعد صدور تلك الواقعة طبخت طعامه بلا وضوء وطهارة وعلى غفلة وغباوة ، وأرسلته مع ذلك الطعام إلى الحارثين والزارعين ، وذهب على عادته الماضية إلى الفلاحين ، ومرت خلفه لتنظر ما يفعله وترى ما يصنعه ، ثم لما وضع قدمه المبارك على وجه النهر راس وانغمس فيه وجاس ، ولكن بفضل الله تعالى خرج إلى حافته ، وأعانت له وأخذت يده حين خروجه ، وابتلّ جميع ثيابه وبدنه ، وحملته إلى بيته وقالت : يا شيخ يونس أفندي ، ما الذي أصابك اليوم ولِمَ لمْ تذهب إلى الحارثين كما في عادتك الماضية وسيرتك الخالية ؟ فقال : لا أعلم ولم يصل حقيقته إليَّ ولا أفهم . فقالت : بسبب قولك وتنازعك التي نازعت بها إليّ في اليوم الفلاني والحين الأواني ، فإن كنت وصلت إلى ما وصلت بقوتك فقط لا بإعانتي لم لمْ تذهب اليوم بقوتك وكرامتك ، وكنت طبخت لك الطعام اليوم بلا وضوء ولا ذكر له تعالى .

فأقرّ الشيخ لها يومئذ وتاب وإليه تعالى أناب ، ثم عاد حاله وأقبل إقباله ، وطهرت طعامه ، وعادت كرامته . وله من أمثال ذلك ما لا

تحصى ، ومن العجائب ما لا تستقصى ، رزقنا الله تعالى من فيوضاتهم ومن بركات حياضهم بمنه وكرمه .

ومات رحمه الله تعالى في سنة ١٢٧٧ في قريته الللالية في طرف النهر الكبير المذكور قبالة القرية ، ونحن ذهبنا إلى زيارته مرات فوجدنا على قبره ما يليق بمقامه ، ورزقنا الله تعالى زيارته وبركاته بعد اليوم كثيراً ، اللهم آمين يا مجيب الدعوات ويا مقيل العثرات بحق سيد السادات . انتهى من « طبقات الخواجكان » من خط مؤلفه قدس سره .

شمس فلك الإرشاد مركز دائرة الإسعاد قطب الهداية والإمداد غوث الأوان شيخ الزمان سلطان العارفين وعمدة الواصلين ذو الجناحين الشيخ محمود أفندي الألمالي الداغستاني ثم الحاج الترخاني قدس الله سره ونور ضريحه ورزقنا فتوحه

ولد رضي الله عنه تخميناً في ١٢٢٥ في قريته الألمالية ونشأ في صغره وصباه نشأةً غريبةً وتربيةً عجيبةً ، كان في شبابه من أعجب الزمان ونادرة الأوان في الفهم والحفظ وتحرير الكتابة وتنظيف الخطابة ، كان محرراً لسلطان زمانه دانيال سلطان وقريبه حاج آغابيك الإيلي سُوِيِّين ، وكان يحرر أمرهما غاية تحرير ويقررهما في نهاية تقرير ، وكانا يتعجبان من وفور عقله وكمال قوله ، وكان حينئذ يعلم علم الكيمياء فبسببه أرسله أكابر الحكماء إلى ولاية سبير وغربوه إليها ، وأقام هناك مدة سنين .

ولما تجلى عليه تجلي الإرادة ، وظهر كونه من الرجال المرادة خدم الحاج يونس أفندي اللللاي قدس سرهما ، ووصل إلى مقام الولاية الصغرى ، وحال الفناء في الله والبقاء بالله ، ولكن بقي مقامه المقدر في

العلم الأزلي بلا وصول إليه ورجوع عليه لعدم قوة شيخه المذكور لذلك ، ثم لما أرسل بقدر الله تعالى وحكمته إلى ولاية قزان وبلاد الروس ، صادفه هناك شيخ عظيم ووليّ كريم أظنه هاشم أفندي اليمشاني كما قاله محمد أفندي بن عبد الله القزاني المنزلوي ، وبخدمته وصل إلى مقامه المقدر ومنزله المقرر .

ومما شافهنا في حقه نقلاً عن فم الشيخ محمود أفندي أخونا الكبير وصديقنا الوفير الشيخ الحاج شرين[1] أفندي الكُلّوكي أنه قال له الشيخ محمود أفندي قدس سره : إنّه لما وصل إلى ديار قزان ناداه الشيخ هاشم أفندي اليمشاني للضيافة من مسافة ستة مراحل للكرامة ، ولما وصل

---

(١) بالنون : شعيب أفندي . (هامش الأصل) .

* والسيد أبو عبيدة نقله من خط الشيخ محمود الفعال الداغستاني النقشبندي رحمه الله ، وهو أخذ الطريقة عن مولانا يونس أفندي ، وهو أخذ من هاشم اليمشاني ، وهو أخذ من إسماعيل الشرواني ، وهو أخذ عن مولانا خالد قدس سره . .إلخ .

وتلّمذ محمود الفعال رحمه الله تعالى ليحي وهو أخذ عن إسماعيل القريمي ، وهو أخذ عن عبد الله الأرزنجاني المكي ، وهو أخذ عن مولانا خالد قدس سره .

رسمت هذه الأسطر من خط سيف الله قدس سره ، وقال : رسمت الأسطر الأربعة من خطّ شيخنا بالله زين الله النقشبندي أي : من قوله (وهو أخذ الطريقة . .إلخ) ، فافهم .

مطلب مهم

قوله تعالى ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ وقوله تعالى ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ ﴾ إلخ إشارة أخرى وهي أنّه لو كان لطالب صادق ومريد حاذق شيخ يقتدى به وله شأن مع الله عز وجل ، ثم استسعد بخدمة شيخ كامل هو أهدى إلى الله عز وجلّ منه وجب عليه اتباعه والتمسك بزيل إرادته حتى يتمّ أمره ولو تجرّد له في أثناء السلوك هذا الاستسعاد بخدمة شيخ آخر أكمل من الأول والثاني ، وهلم جراً يجب عليه اتباعه إلى أن يظفر بالمقصود الحقيقي ، وهو الوصول إلى الحضرة بلا اتصال ولا انفصال . .إلخ . (من خط سيف الله قدس سره من ملتقاطاته) .

لديه حفظني عنده في حجرته وأكرمني في خلوته ، ثم حمل عليه بعض مريده وأخص محبيه طعاماً مستوراً وشيئاً مبروراً ، ثم وضعه قبالتهما ، ثم قال الشيخ هاشم أفندي : يا ملا محمود ، انظر إلى ما في السفرة وتأمل بالعبرة لعلك تدرك ؛ قال : فتأملتها بالبصيرة تأمل اعتبارات ، فرأيت كل مرّات بحراً يدور عليه إوَزٌّ كل مرات ؛ فقال : يا ملا محمود ، ألم تنته وألم تدرك ؟ قال : فقلت له : تأملت لكن لا أرى شيئاً ما إليه استندت لأقول لك بحاله أدركت ؛ فقال : قل ما وصل إليه إدراكك ؛ فقلت : إني أرى بحراً كبيراً وإوزّاً يضرب جناحه يسير عليه كثيراً ؛ فقال : بارك الله فيك ، أدركت حقيقتها وكوشفت سريرتها ؛ فكشف السفرة ، فوجد فيها بهتةً وعليها بيض الإوزّ ، ثم أكلا حتى شبعا .

ثم قال الشيخ : يا ملا محمود ، إنك لم تصل إلى المقام وإلى ما قرره الله تعالى لك من المرام ، وإن خدمتنا ووقفت في تربيتنا تصل إليه إن شاء الله تعالى ؛ فقلت : سمعاً وطاعةً حبّاً وكرامةً ؛ ثم ردني الشيخ إلى المكان الأول الذي كنت فيه ، وأعطاني أربعين تمرةً بيده المباركة فقال : اسكن في خلوة حجرتك التي كنت فيها وكُلْ كلّ يوم وقت الفطر تمرةً واحدةً بعد أن تقرأ الصلاة للرسول عليها مائة مرةً ، فبعد تمام أربعين يوماً نحضر إليكم إن شاء الله تعالى .

قف على ما وقع للغوث محمود أفندي من العجائب

ثم قال : فبعد تمام العدة وانتهاء المدة جاء الشيخ وتوجه توجهاً بليغاً ، وقال قبل التوجه : إذا جاء عليك حالة عظيمة ورفعة جسيمة ، لا تخف ولا تفرق عن رسول الله ﷺ وعن الشيخ بالرابطة ؛ ثم بما توجه الشيخ ، وكان حينئذ في حجرتي وأقامني خارجها في طاقة ، وصرت في حال الفناء في الله جاء صوت هائل وكلام غائل مع زمرة الملائكة وفئة الروحانية ، وأجلسوني على سرير عظيم نوراني أخضر وارْفعوني

إلى السماء الدنيا ، ثم منه إلى الثاني ، ثم إلى الثالث حتى انتهيت بهم إلى السماء السابعة ، ثم رفعت بهم إلى العلى **حتى ارتقيت إلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى** وخفت وسألت منهم الرجوع ، فرجعوني ووضعوني على المكان الذي كنت فيه .

وأما العجائب التي رأيتها لا يدركها إلا الله تعالى ، ولكن لم ألتفت إليها ولم يسكن في قلبي إلا الله ، فسبحان الله القادر المقتدر . انتهى ما حكاه الشيخ الحاج شرين أفندي عن فمه رحمهما الله تعالى ورزقنا من بركاته .

فبعد ذلك أجاز له الشيخ هاشم أفندي اليمشاني إجازة تامة ، وزوَّجه بنته وأكرمه غاية الإكرام ونهاية الاحترام ، وكان بعد ذلك ذا تصرف عظيم وخوف من الله تعالى جسيم ، **حتى إذا نظر إلى أحد ما من المسلمين أو سلطان من الكافرين بالهيبة كان يصير مطروحاً ، وكل أعضائه مجروحاً ، وإذا تنفس على من ينكره أو أحد يكرهه كان يغشى عليه ، كان الموت يرمي إليه ، وإذا جرّ نفسه إليه كان كل واحد منهما يعقد كالميت القائم من قبره يرتعد بحيث صار جميع أعضائه متفرقة وأعصابه متمزقة . وصدور مثل هذه التصرفات منه كثيرة ، وأخباره شهيرة ، وبه أخبرنا كثير من الثقاة من رجال قريته الرواة** . كذا في « طبقات الخواجكان » .

مهم

وفي بعض مكاتبه قدس سره ما يصرِّح أنه اجتمع مع الخضر عليه السلام وأمره بالصلاة على النبي عليه السلام وبكلمة التوحيد .

وأنه اجتمع مع النبيّ عليه السلام ورآه بعيْن رأسه ولقنه الكلمة الطيّبة ، وأنه وجد الحقائق واليقين بواسطة الخضر عليه السلام ؛ وأنّ تربيته الخاص من النبي عليه الصلاة والسلام بعد وساطة شيخه يونس حيّاً

وميتاً ، لأنه كان سبباً للفناء ؛ وأنه رباه الشيخ مجدد الألف الثاني الإمام الرباني قدس سره ، ثم ابنه الإمام المعصوم قدس سره ، ثم الغوث الأعظم عبد القادر الكيلاني قدس سره ، ثم الغوث ذو الجناحين خالد البغدادي قدس سره بعد تربيته في أول السلوك ، ثم غوث الواصلين الإمام النقشبند قدس سره بعد تربيته في أوائل السلوك ، فانظر إلى مقامه ، واعتبر برفعة مربّيه وكثرتهم رزقنا الله نصيباً من فيوضاته ، آمين .

وقال في بعض مكاتبه : إن مما شاهدناه في أنفسنا أني رأيت في ابتداء أحوالي يوماً من الأيام في حالة اليقظة وأنا قاعد متذكِّراً ومتفكِّراً ومتوجّهاً إلى المطلوب شخصين كريمين كالملائكة المقدسة الموكلة لنظام عالم الملك ، ولكنّهما على هيئتي وعلى صورتي شخصين معروفين عندي وأنا محسن الظن عليهما ، أحدهما قائم حذاء كتفي الأيمن والآخر داخل في جوفي يجري ويسري من لطيفة إلى لطيفة ، ومن جوف إلى جوف ، ومن عظم إلى عظم ، كذلك في جميع أجزاء البدن ، لكنه في بطنه كأنه يريد التخلية والتصفية ، ويهيىء منزلاً أو مقاماً لنزول شخص كريم ، كلما يأخذ من بطني شيئاً من الرذائل يعطيه إلى القائم منهما الذي مرّ ذكره ، حتى وصل إلى تحت الروح الذي يقابله الروح ، ولكنه خارج عن دائرة لطيفة الروح كان فيهما جوف معنوي أو مقام ينتهي إلى العصب المتصل إلى عظم الفخذ الأيمن من مفاصلي مخزن المقتضيات والشهوات ، فأخذ من ذلك المقام مكاتب مفتوحة منتشرة وهو يطويها كطيّ السجل الطويل .

ورأيت إلى المكاتب رأيت ما كتب ما فيها ولم أقدر على قراءته ، بل لم أقدر أن أفرِّق حرفاً من حرف ، فجاء بها من بين الروح والقلب إلى فوق السر فأخرجها مطوية من جوف كتفي الأيسر الواقع بين العنق والكتف فأعطاها إلى الشخص القائم ، ثم غاب عن النظر ، فوجدت في

نفسي حالة مغايرة لأحوال البشر كاني لا عاقل ولا مجنون ، ولا حي ولا ميت ، ولا نائم ولا يقظان ، ولم أكن محتاجاً إلى ما يحتاج إليه البشر كالأكل والشرب والنوم والراحة وغيرها ، ولم يصدر مني شيء منهم ، ولم نباشر إليه ولم يقع بالاقتضاء والاعتناء إلى سبعة أيام .

وفي ذلك الأيام وجدت صورتي مغايراً عن صورة البشر ومن صورتي الأصلي وأوضاعاً شتى وأوصافاً لا يوصف بها البشر ، كأن كلّ الحوادث يحدث مني وبإحداثي ويفنى مني بإفنائي ، ولكن لا بإرادتي ولا اختياري ، ثم بعد سبعة أيام وجدت في نفسي بعض أوصاف البشر وأيضاً وجدت فيها علوماً ومعاني ملء سعة الخيال كأنها يتموج كالبحر ، ولكن لا أقدر لإظهارها وإخراجها ، كالصبي الذي يريد التكلم ولا يقدر ، وكمن بحت نطقه مع أنه يقتضي التكلم ولا يقدر ، وما لقيت في تلك الأوقات شيئاً حيّاً كان أو جماداً ، مؤمناً كان أو كافراً ، إلا رأيته عز وجل معه ، ولكنه بلا كيف .

ولم يطلع أحد على حالي من الناس ولم أظهره إلى أحد أيضاً ، **غير أن شخصاً من المرخصين في هذه الطريقة مع أنه متهم بين الناس ببعض الكبائر لما رآني خاطب إلي وقال : لِمَ لا تقول : أنا الحق** وأنا كنت مغلوباً بحالي لم أطلع عليه ولم آجل[1] في ذلك الحال ؟ ثم فهمت أنه أدرك مني شيئاً من الأحوال ، وأنطقه الله تعالى بالاتفاق .

ولم أجد في تلك الأوقات في نفسي وجداً ولذة سواء في السلوك والأحوال لا في الأعمال الظاهرة ، ولكنني عليها بالاستقامة بلا شوق ولا لذة ولا مشقة كحركة الجماد .

---

(١) من جال يجول . (من خط شعيب قدس سره) .

ثم بعد سنة أو أقل منها رجعت إلى أحوالنا القديمة بتمام صفات البشرية ولوازمها ، وزال عني هذه الحال ، يعني ولم يستعل عليّ ، ولكنّه باقتداري وأنا استعليت عليه كلما لزم وطلبته وجدته بلا تخلف بذكر الحق ثلاث مرات ، لكن لا باختيار ، بل يجري أولاً على قلبي ، ثم يظهر في لساني جهراً بلا فاصلة **كأني صرت اثنين ، واحد مني بين الخلق وواحد في عالم بيضاء بلا شمس ولا قمر كأنه عالم الهواء** بسيط من جهاته الستة ، ولكنّي قائم فيه على صورتي غير أنها مهيبة بهيبة الرحمانية المحبوبة للقلوب المشوقة إليها دون هيبة الرعبة ، مع أني في الصورة في قعر بيتي قاعد ، وفي آن الميل إليها وإلى المعنى في ذلك العراء قائم وقاعد والقاعد واحد يذكر اسم الحق ، والقائم يجيء حال قيامه بلا حركة ، والقاعد يذهب حال قعوده بلا حركة ، كأني أنا ذاهب إليّ ، وجاءٍ إليّ حتى يتحد ، والمسافة التي بيني وبين بيني المعنوي كبير كَبَيْنَ السماء والأرض ، لكنه يقطع بثلاث خطوات ، وكل خطوة تقطع بذكر مرة من ثلاث مرات ذكر من اسم الحق .

فلما اتحد الأمران زالت الصورة الصورية ، فبقيت على صورتي القائم في ذلك العالم ، **ووجدت الناس على صور شتى** ، منهم ملك ، ومنهم إنسان ، ومنهم طيور بأصنافها ، ومنهم حيوان كالقردة والخنازير والكلاب ، لكنه في صورة البشر حتى إذا تم الحاجة من ذلك الحال والإقبال إليه تعالى وقضي الأمر وجدت نفسي كسائر الناس والناس على حالهم وصورهم التي في الأعيان إلى مدة ثلاث سنين .

ثم وجدت فيّ تسليماً وتفويضاً تامّاً إلى قضاء الله تعالى وقدره ، ولم نحتج إليه ولكن كلما خطر ببالي رجاء شيء انتزع مني شخص وأنا بعينه أو هو عيني ليهيئ ذلك المرجو وأسبابه ، بلا قصد وإرادة مني إليه ، ثم وثم وثم إلى[1] هنا ، فالحمد لله على كل حال سوى الكفر والضلال .

---

(١) أي : إلى هذا الزمان ، والله أعلم . (شعيب ، خطه) . (هامش الأصل) .

ووجدت ذلة واحتياجاً وفقراً ودناءة ، كأني أرذل كل شيء وأخبثه وأكثرهم ذنباً ومعصيةً وفساداً كأني ممزوج به ، ولكن أعلم أنه أقبح ولا نرغب إليه لعدم الرغبة ، مع أنه تعالى على كل شيء قدير .

مطلب

فاعتبر أيها الأخ والحال ركعة مقبولة من الأوقات الخمسة أحبّ إليّ من جميع ما ذكرنا إن يسرها الله تعالى ، ولكنها كالعنقاء ، ولم أجد غير اسمه نظراً إلى ما علمناه ، ولكن فضله تعالى رجاء كل قانط وعماد كل ساقط .انتهى من « طبقات الخواجكان » من خط مؤلفه قدس سره .

وفيه : أنه قدس سره رجع إلى قريته الألمالية بعد وقوع أمثال هذه المذكورات من ولاية سيبر من نواحي الروس المنحوس في سنة ١٢٧٩ وصار حينئذ قطباً للإرشاد وكهفاً للاستمداد ، وتعلق بزيله ألوف من الناس ، وذهب بسببه عنهم جميع الوسواس الخناس ، وظهر عنه الخوارق العجيبة والكرامات الغريبة . انتهى مع اختصار .

وفيه أيضاً : أنه كان صاحب تصرُّف تام وتفرُّس عام ، **ومن أعجب كمال تصرفاته فيما تواتر إلينا من رجال قريته الحاضرين في مجلسه أنه إذا قصد إلى مجلس منكر ورآه يحضر من بعيد كان ينظر إليه ويرمي نفسه المبارك من أنفه ، وكان ذلك المنكر يسقط حينئذ كالمغشي عليه ، وكان يتركه بقدر ساعة على تلك الهيئة ثم كان يجر نفسه من أنفه إلى الخلف فيقوم المغشي عليه من غشيانه ثم يحضره إلى مجلسه ويقعده قبالته ويخبره بما كان في قلبه ويوبّخه غاية توبيخ .**

فإنه كان في غاية من الشجاعة ونهاية من القناعة ، كان لا يهيب من الأمراء ولا يخضع للأغنياء ، وكان لا يخاف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

ومنها : ما أخبرنا به مريده الثقة المأمون الحافظ يوسف أفندي الألمالي وغيره : أن الشيخ محمود أفندي قدس سره كان إذا جاء إلى فمه نخامة كان يقف ساعة بلا رميها إلى الخارج ، وكنا قد تعجَّبنا من ذلك مع أن ذلك عار عظيم عندهم ، ونقول : يا شيخ أفندي حَضْرَتْلَرْ ! ما حكمة توقُّفك بعدم رمي نخامتك ، وكان ﷺ يقول : **أيها الإخوان! إني لا أجد مكاناً لرميها** ولذلك أتوقف في طردها لأن في قبالتي روحانية رسول الله ﷺ ، وفي جهة يميني روحانية الشيخ خالد قدس سره ، وفي يساري روحانية الشيخ شاه نقشبند بهاء الدين محمد البخاري ، وكذا في حولي جماعات روحانية الأولياء قدس الله أسرارهم . ثم بعد ذلك كان رضي الله عنه يرفع قدمه اليسرى قليلاً ويرمي بانحنائه قربها تحتها ، ويضع قدمه على تلك النخامة ، وكان هذا دأبه رضي الله عنه في كل وقت ، فبذلك الأدب وصل إلى منصبه ، وبحفظه ارتقى إلى حسبه ونسبه ، رزقنا الله تعالى حفظ الأدب ووصول الحسب والنسب ، آمين يا إله العالمين ويا أرحم الراحمين .

ومنها : ما أخبرنا به الرجال الثقاة من حضار مجلسه رضي الله تعالى عنه مع بعض أمنائه دُعِي للضيافة إلى بلدة قم نُخُو ، فلما قربوا إليها نزلوا في أيكة قريبة إليها ، وكان بعض رفقائه يجني ثمراً من شجر هناك يسمى بلسان الترك : يَمِشَان ، فضحك الشيخ راكباً على فرسه وقال : يا هذا ! **إن ملا أحمد التلالي الكائن في قرية قَاخْ في سلوكه يضحك عنك ويقول : انظر إلى ترك تأدب هذا الفلان بين يدي شيخه يجني الثمر وأكله** . فتعجب ذلك الجاني وقال : يا شيخ أفندي ! هل يراني ملا أحمد الآن وبيني وبينه مسافة ثلاث ساعات للفرس الجواد ؟ وقال الشيخ : هل أري لك تصديقه ؟ قال : نعم يا أفندي ، قال : أعطني حبةً واحدة من تلك الثمرة ؛ فأعطى ، ثم رمى الشيخ تلك الحبة وقال : يا ملا أحمد ! خذ ما رميتك ، ثم قال الشيخ : والله وصلت الحبة أنف ملا أحمد وأحمرّ موضع وصوله .

وقال بعض رفقائه : ثم لما رجعنا من تلك الضيافة وصرنا سائرين في الطريق عطشنا كلنا عطشاً ، فوصلنا إلى عين في الطريق ، فقال الشيخ لرفقائه : أليس عندكم إناء لأخذ الماء من العين للشرب حال كوننا راكبين بلا نزول من الأفراس ؟ فقالوا : لا ، فنظر إليهم فرأى منخلاً ينخل به الدقيق مربوطاً خلف فرس واحد منهم ، فقال : خذ يا هذا ماءاً بهذا المنخل واملأه ؛ فقال : يا أفندي ! هل يمسك المنخل ماء ؟ فقال : يمسك إن شاء الله تعالى ، واملأه ببسم الله والبركة ؛ فملأ صاحب المنخل ذلك المنخل بالماء من العين ولم يقطر منه قطرة حتى روى الجميع من الرفقاء مبتدأ من الشيخ ، ولما تم النوبة ورووا انصب الماء بغتة وما بقي في المنخل لحظة ولو شيئاً قطرة .

وكان صاحب تلك الحبة المرمية إلى ملا أحمد عاشقاً إلى وصوله ليستخبره عن حقيقته وحقيقته ، فقال : لما رجعنا من الضيافة : وما كان مقصودي غير السلامة ، وصلت إلى قرية قاخ فأسرعت في الوصول إلى حجرة ملا أحمد ، ثم لما اطلعت عليه من كوة حجرته ومكان خلوته ناداني قبل أن أتكلم : يا دنيء الهمة ، ويا منكر المشائخ والحجة ، ألا تعلم أن كرامات الأولياء حق ؟ فنظرته فرأيت موضع وصول تلك الحبة من الأنف محمراً ، ووجدت تلك الحبة محفوظاً في يده مستقراً ، وقال : يا هذا ! إن الحبة التي رماني الشيخ هذه الحبة ؛ فصرت مدهوشاً متحيراً ، ومن كرامات الشيخ ومريده مقهوراً ومنكسراً ، فرحمهما الله تعالى ورزقنا من فيوضاتهما ، آمين .

ومنها : أنّ الشيخ قدس سره **كان لا ينقص عنده في كثير الأوقات من مائة سالك ومريد** ، وكان دأبه في ساعات الليل والنهار التوجه إليهم ، وكان إذا صلى صلاة العصر ، وكان له حاجة لذهابه إلى البيت يقول لمريديه جميعاً حين كانوا في المسجد قاعداً[1] هو في المحراب : اقعدوا

---

(١) حال من فاعل يقول . (شعيب خطه) .

بالحضور مع الله ورسوله وأوليائه ، وإنّي أتوجه إليكم الآن في الساعة بالنوبة ؛ وقال لنا : من كان في تلك المجالس كثيراً كل من وصلت إليه النوبة من المريد يخرج منه الصوت العظيم المزيد بعدم طاقته على توجهه لشدته وقوة تأثّره وتصرفه في ألطافه ، وكان يتوجه في ساعة واحدة أكثر من مائة مريد ومراد ، فانظر إلى قوته وشوكة وسرعة خِبْرَته ؛ **وإنّ أشد شيء وآكده عند الأولياء : التوجه إلى المريد ، واستخبار حاله** ، خاصةً إذا كان المريد قليل المحبة كدير اللبّة .

ومنها أيضاً : أن الرجال الكثير والجم الغفير من الإخوان الكرام والأصدقاء العظام أخبروا أن الشيخ قدس سره لما توجه في السنة التي ذهب فيها إلى الحاج ترخان إلى زيارة الشيخ بَابَارَتْمَا ذهب معه ألف فارس ومائتا دارس سوى الرجالة ، وقرءوا عنده في ليلة الجمعة الصلوات المقروءة لهم في الخلوات ، ثم لما فرغوا منها قال الشيخ ، وكان كل أهالي الزيارة حلقة في حوالي ضريح الشيخ بَابَارَتْمَا جملة : اسكتوا فإني أريد التكلم مع بَابَارَتْمَا حَضْرَتْلَري ؛ فسكتوا كلهم ، ثم جرّ نفسه المبارك إلى الداخل والخارج ، فخرج من داخل قبر الشيخ بابا صوت عظيم مثل كُوكُوكُو ، فصار نصف الناس الكائنين هناك مغشيين من الخوف والهيبة من هول تلك الصوت الخارج كميِّتين ، فبعد ساعة جرَّ الشيخ محمود أفندي نَفَسه كذلك ، فسكت الصوت ، فقام الناس كلهم كنفس واحدة .

ثم قال الشيخ : إن بابارتما حضرتلري يقول لِكلِّكم : مرحباً مرحباً ، أهلاً وسهلاً ! وأنه قد رضي عنكم ، وأخبرني برضائه منكم .

ثم ذهب الشيخ إلى الحجر المشهور بأنه ممسوخ من الحية ، ثم لما وصل لديه قال : انصتوا حتى أسأل عن هذا الحجر حاله وشأنه ، وهل هو ممسوخ كما قيل أو مكذوب ؟ فضرب عصاه عليه واستخبر عن باطنه لديه ، فتحرك حركةً عنيفة هائلةً ، وخرج دخان مع رائحة كريهة ،

ثم قال الشيخ قدس سره : **إن هذا الحجر يخبرني أنه كان حيةً عظيمةً ، وكانت تأكل أغنام بابارتما ، وكان يقول لي وقتاً فوقتاً : يا حيوان الله! لا تأكل أغنامي وإنّ معيشتي عنهم وأنستي معهم** ؛ ومع قوله لي هذه الأقوال اللينة كنت لا أترك أغنامه وأختلس منهم كل يوم واحدةً ، ففي يوم من الأيام كنت على هذا التلّ أترصد أغنامه للاختلاس ، وكان في ذلك الوادي ، ولكن لم أعلمه ، ورماني قوسه ، فوصل إلى جَنْبِي وخرج من الجنب الأخرى ، ثم جاء عندي وَعَلاَ عليّ بمكعبه ودعى عليّ وقال : كن حجراً بإذن الله تعالى ، فصرت حجراً كما ترى . انتهى ما ذكره الشيخ الحافظ سيدنا الحاج شعيب الباكني في « طبقات الخواجكان » من خطه .

واقعة عجيبة

وقد أخبرنا أخونا المرحوم الحاج محمد الهؤري نوّر الله ضريحه آمين : أنّ واحداً من الثقاة من رجال أشترخان أخبره بأنَّ الشيخ محمود أفندي كان يلبس لباساً حسناً ، وكان يدور على هيئة أهل الفخر والخيلاء ستراً لحاله ، وكان في جوار رجل ذهب ولده إلى الحج ، ففي يوم دعا ذلك الرجل أناساً إلى بيته ليتصدق عن ولده قائلاً : إن هذه الأيام أيام ركوب الحجاج على البحر مع السفينة ، ودعا الشيخ محمود أفندي قدس سره معهم إلى الدعوة ؛ ثم لما رجع ذلك الولد دعا أبوه الناس إلى أكل الطعام ودعا الشيخ معهم ، فلما رأى الولد الشيخ محمود أفندي أسرع إليه وعانقه وقبّله ، ولم يكن ذلك الرجل رأى محمود أفندي قبل ذلك ، فتعجَّب الناس وقالوا له : ما بالك تعانق هذا الرجل المجهول عندك ؟ فخرج وقتئذ ورقةً كتب فيها ما رآه في سفر الحج من الأعاجيب ، فوجد فيه هذه الواقعة مكتوبة : إنا كنا في يوم كذا من شهر كذا في الساعة الفلانية راكبين على السفينة ، وكانت السفينة تجري على البحر ، فخرج من البحر تمساح عظيم فأخذ السفينة ومنعها من الجريان ، فكنا متعجبين

متحيرين خائفين لا ندري ما نفعل ، فوقتئذ جاء رجل كذا صورته كذا ولباسه كذا وعلى رجليه مكاعب من الخشب ، وهو يمشي على الماء فوق البحر ، فطرد التمساح ومنعه ، فجرى السفينة على حالها ولم أر شيئاً أعجب من هذا .

فقال ذلك الرجل : إن هذا الشيخ هو هذا ، وأشار إلى مكاعبه المصنوعة من الخشب بأصبعه ، وقال : كانت هذه المكاعب - أي القبقاب - على رجليه في تلك الحالة المذكورة ، فإذا نظروا اتفق وقوع تلك الواقعة المذكورة في الساعة المذكورة من اليوم الذي دعا والد الرجل الناس إلى الدعوة في المرة الأولى ، فتعجَّب الناس على ذلك ، فصارت الواقعة سبباً لظهور ولايته في بلدة أشترخان . انتهى .

وأخبرنا الحاج حبيب الله القحي قدسر سره : أن رجلاً من أشترخان أخبره بأنّ عالماً كبيراً كان ينكر الشيخ محمود أفندي كثيراً ويتكبر عليه كثيراً ، ففي ليلة نام ذلك العالم ، فجاء الشيخ لديه في منامه وضربه بعصاه ، فاستيقظ العالم ونام ثانياً ، فجاء الشيخ ثانياً فضربه عصاه كذلك ، ثم نام ثالثاً ورابعاً وخامساً وسابعاً ، ففي كل نومة ضربه الشيخ بالعصا ولم يترك العالم[1] ليستريح في تلك الليلة . فتفكر العالم بعد ذلك وندم على إنكاره على الشيخ وتنبه وعلم أن الشيخ صادق في دعواه ، فارتحل صبيحة ذلك اليوم لدى الشيخ ووصل لديه ووقف عند الباب بُعَيْد من الشيخ ولم يتكلم ، فإذا وقع بصر الشيخ إليه ناداه وقال : أي حمار الذي لا يتنبه إلا بالضرب سبع مرات . وبعد ذلك لم يطق ذلك العالم أن يتكلم في مجلسه بكلام . انتهى .

---

(١) أي وقع له مثل ذلك سبع مرات . (منه) .

وفي « طبقات الخواجكان » : أن الشيخ محمود أفندي مرض في يوم الأحد ومات في يوم الأحد الخامس من محرم الحرام سنة ١٢٩٤ . انتهى مع اختصار .

وقبره في مكان بعيد من أشترخان بقدر ساعتين ، وزرناه مرّات ، فللّه الحمد ، وقد كنت أنا وأخونا الحاج محمد الهؤري والشيخ العارف سيف الله الحسيني قدس سره والحاج عبد الهادي الأشترخاني واقفين قبالة قبره الشريف مستفيضين من فيضه العالي متوجهين إليه ، فصرت أنا وقتئذ - ولله الحمد والمنة - في حضور وجمعية ، وزال من قلبي التفرقة بالكلية ، ورأيت بركة صاحب القبر بلا شك ولا مرية رزقنا الله سبحانه الزيارة إليه بعد الآن ، آمين .

وذكر شيخنا الحاج شعيب الباكني في « الطبقات » في ١٨٥ ما حاصله : أن إسماعيل أفندي السواكلي قدس سره كان قد هاجر إلى ديار الإمام شمويل قدس سره ، وكان في تربية الشيخ جمال الدين الغموقي قدس سره ، وكان مأذوناً منه للإرشاد ، ثم إذا وقع ديار داغستان في يد الكفار فارق شيخه جمال الدين ، لأنه مع العيال ذهب مع الشمويل إلى ولاية الروس ورجع الشيخ إسماعيل إلى وطنه الأصلي إلى قريته سَوَاكِل ، فبعد ذلك دخل في تربية محمود أفندي قدس سره ، وسبب ذلك أن الشيخ جمال الدين قال له عند مفارقته منه : يا بني ملا إسماعيل ! أنا القطب الآخر في ديار داغستان فلا يكون بعدي قطب إلى آخر الزمان ، وإن وصلت لمرشد وصل إلى مقام القطبية الكبرى يمكن لك الذهاب لديه للاستفادة ، وإلا لا حاجة لك للإياب إلى غيره ؛ فرسخ مقالته في قلبي .

ثم سمع أن في قرية ألمالُ رجل عظيم يدعي المشيخة ، لكنه كان لا يلتفت إلى أقوال الناس بالنظر إلى ما قال الشيخ جمال الدين قدس سره

وقت المفارقة ، وكان متيقّناً أنه لا يكون أحد في ديارنا أكبر من الشيخ جمال الدين أفندي ؛ ففي يوم جاءت إليه رسالة من الشيخ محمود أفندي بطلب حضوره عنده فلم يلتفت إليه ، ثم بعد مدة جاءت ثانية هكذا فلم ينظر أيضاً ، ثم جاءت ثالثة : إن كنت تجيء تعال وإلا أجيء عندك ، فإني لا أستنكف عن زيارتك وإن استنكفت عن زيارتي . فتأثَّر هذا القول في قلبه وقال : فماذا يفعل إن ذهبت لديه فهل لا يحصل لي أجر زيارة الأولياء وإن لم يفدني بشيء .

ثم ركب الفرس الأبيض وارتحل ، فوجد عنده جماعة كثيرة ناكسين رؤوسهم من رهبته ساكتين من هيبته كأنّ على رؤوسهم الطير ، ثم لما اطلع على زمرته الكريمة رفع رأسه المبارك من أعلى ركبته وقال : اقعد يا أخي ، فلما قعد قال : يا ولدي حاج إسماعيل أفندي ! إن قول شيخك جمال الدين أفندي الغموقي : أنا آخر القطب في الداغستان الفاروقي حق عندنا وصادق لدينا ، ولكن نحن الأول منه في القطبانية والأفضل في الجيلانية ، ثم لما خرج هذا القول منه صار مغشيّاً عليه باستيلاء حاله لديه ولم يقدر لرفعه ولم يملك لمنعه ، فحين كان في الحال علقه وأدلاه من إبهام قدميه بلا مجال مربوطاً بهما من أعلى شاهق كبير عال لا يدرك قعره بالفكر والمقال ، فوقف الشيخ محمود أفندي على رأسه ناظراً إلى ضيق حاله وسُدَّة بأسه فخاف ونادى شيخه جمال الدين ، فجاء كالبرق الخاطف ووقف عن بعيد منه ، ونادى ثانياً وثالثاً ، فاستغاث له بإخلاصه مما وقع فيه ، فلم يقدر ولم يحضر لديه من هيبة الشيخ محمود أفندي ، فعلم أن الشيخ محمود أفندي أعلى منه ، فناداه واستغاث به ، فمد يده إليه وخلصه ، فبعد ذلك ذهب عنه الحال ووجد نفسه كالطير المذبوح المرمي بين الحلقة ، ووجد جميع أعضائه متألمة متمزقة ، فقعد على هيئته وأدبه .

فقال الشيخ محمود أفندي : يا حاج إسماعيل أفندي ! ما أصابك يا ولدي ؟ قد وقعتَ في حرج عظيم وضيق جسيم ؟ فقال : لا قول لي ولا جواب ، وأنت تعلم كله .

ثم قال : يا بني ! قد وجب عليك دخولك في تربيتنا ولا نكلفك كبيراً في خدمتنا . فلقن له ذكر القلب وما معه من الآداب ، وأرسله إلى بيته ، وكلما حضر لديه كان يجدّد درسه ويكثر ذكره ، ثم في آخر الأمر أجاز له وأذن له ، وبالوصول بشّره . انتهى حاصل ما في « الطبقات » مع اختصار وتغير في العبارات .

وسمعت شيخنا المرحوم العسلي يحكي هذه الحكاية بعينه ، لكنه قال : إن إسماعيل أفندي كان لا ينقطع الحب من جمال الدين ، فحين وقع له هذه الواقعة واستيقظ منها وعاد إلى إحساسه ، أمره[1] بالوضوء ثم سأله عما رآه في واقعته ، وقال له : يا ولدي ! إن فيّ تصرفات هكذا ، فاقطع المحبة من جمال الدين ؛ فبعد ذلك انقطع عنه تلك المحبة وردت إلى محمود أفندي بالكلية وصار من أهل دائرته ، وبذا صار من أهل الكمالة . انتهى .

وروى الشيخ الحافظ شعيب أفندي هذه الحكاية عن فم شيخه قصي أفندي مأذون الشيخ إسماعيل أفندي السواكلي المذكور عن فمه . راجع « طبقات الخواجكان » .

والشيخ قصي أفندي كان مأذوناً من الشيخ خليل أفندي الجنيغي الذي هو مأذون الشيخ جمال الدين الغموقي ، كما كان مأذوناً من الشيخ إسماعيل أفندي المذكور رضي الله عن الجميع آمين .

---

(١) يعني الشيخ محمود أفندي . (هامش الأصل) .

الشيخ الإمام الكامل والفرد الواصل العالم العلم مربي المريدين وضياء السلكين الشيخ الحاج جبرائيل أفندي الزاخوري ثم اللكتي قدس سره

ذكر الشيخ الحافظ مولانا شعيب الباكني قدس سره في « طبقات الخواجكان » أنه كان بسيط الوجه والكلام ، نشيط النطق والمرام ، كل من رآه يحبّه ، ومن جميع الخبائث يجبّه ، كان جسيماً عظيماً وقوراً حليماً ، كما هو دأب المشائخ كالجبال الشوامخ ، ذا خوارق كثيرة وكرامات عجيبة ، وكان يرحم لمريديه كالأب الرحيم لأولاده .

وكان أولاً مريداً للشيخ الأعظم والدرويش الأكرم الشيخ الحاج أحمد أفندي الألمالي ، ثم لما وصل شيخ الزمان محمود أفندي إلى القرية الألمالية من ولاية الروس تسلم ذلك الشيخ وجميع مريديه ، وكانوا ثلاثمائة لمحمود أفندي ، وكان كأصغر مريدي محمود أفندي لديه ، وكان محمود أفندي يحبه حبّاً عظيماً ويحترمه احتراماً جسيماً ، وكان يثنيه قبالة الناس ، وكان من أعاجيب الزمان في تصغير أمور الدنيا وزينتها والزهد فيها وفي ترك حطامها ، وقصصه عجيبة وحكايته شهيرة . ومات قبل[1] ارتحال محمود أفندي إلى الحاج ترخان ، وقبره هناك يزار ويتبرك ، فرحمه الله تعالى ورضي عنه وعنا وعن جميع الإخوان والمسلمين .

ثم وقع الحاج جبرائيل أفندي في تربية محمود أفندي ، واجتهد اجتهاداً بليغاً ، وجاهد للنفس والشيطان جهداً منيعاً في مدة سبعة أشهر مع رفقائه الخلفاء ، فرفع حجاب البين ووصل الأين إلى الأين ، وأُجيز إجازة تامة ، وأذن لإرشاد الخلق عامة ؛ وكان رحمه الله تعالى من غريب آخر الزمان في جاسوس القلوب واتطلاع الأحوال والريوب .

---

(١) في ١٢٨١ . (هامش الأصل) .

من جملة اطلاعه عليها ما وقع لي معه حين كوني إماماً في قرية زاخور في سنة ١٣٠٧ ، جاء هو والشيخ الحاج حمزة أفندي وشيخنا الحاج قصي أفندي إلى قرية زاخور لزيارة ضريح الشيخ محمود المدفون هناك في قبل الزمان ، وكنت معهم أدور أينما داروا وأذهب حيثما ساروا .

وكان جماعة زاخور يحترمونهم احتراماً عظيماً ، وكانوا يضيفونهم في يوم واحد أكثر من خمس مرات ، وكانوا ينادوني معهم للضيافة ، وللأرض من كأس الكرام نصيب .

وكان الحاج جبرائيل أفندي يقعدني عنده في خوان واحد متصلاً ركبتي بركبته ، وكنت أجر إلى الخلف خوفاً من ترك الحرمة ، ولكن كان لا يتركني إلا متصلاً ، وكان شيخنا الحاج قصي أفندي الجنيغي ينظر إلينا ويتبسَّم ، وكنت هكذا معهم دائراً كالكلب المحبوب الدائر خلف صاحبه .

وفي اليوم السابع ناداه[1] معي مَخْصُوصَيْنِ خاله الشيخ الهرم بابا سعيد الزاخوري للضيافة ، وكنت معه سائراً مستوياً ، ولا أقدر أن أفرق بصري من وجهه ، وإن كان ترك أدب لشدة محبتي له ورسوخ مودتي له ، ثم قال : يا بنيّ شعيب أفندي ! إني أريد أن أذهب غداً إلى قريتي لَكِتِبْ وأستحي من قرابتي وأهل قريتي في هذه القرية الزاخورية لكثرة حرمتهم إلينا وازدحامهم بها لنا ، فوثب في قلبي حينئذ : هل أرى هذا الشيخ بعد اليوم بعد مفارقته منا أم لا ؟ **فبلا مهلة عكس ما في قلبي إلى قلبه ، وضمّني إليه وإلى صدره** ، وكنت في جهة يمنيه ، وبكى وبكيت ، ثم قال : يا بني شعيب أفندي ! إن أعطى الله تعالى لنا مهلة في الأجل نرى إن شاء الله تعالى ، وإلا فلا .

وكنت أخاف بعد ذلك في حقه ، وفي فوته عن يدي لكوني قاصداً قصداً مصمماً لدخولي في تربيته ، ولكن لا يكون إلا ما أراده ، ولم أره

---

(١) حاجي جبرائيل أفندي . (شعيب أفندي ، خطه) . (هامش الأصل) .

بعد ذلك ، ومات في ذلك الشتاء في شهر جمادى الأخير في سنة ١٣٠٧ ألف وثلاثمائة وسبعة ، رحمه الله تعالى آمين . انتهى .

ومما أخبرني العالم العارف أدرة العرادي الهدلي قدس سره : أنه كان في ليلة مع الشيخ عبد الرحمن العسلي قدس سره يتكلم في حق الشيخ جبرائيل أفندي قدس سره ، ووقع في المجلس كلام كثير ، وأسئلة عديدة ، ووقع في قلبه محبة الشيخ جبرائيل أفندي ، ثم ذهب الحاج عبد الرحمن لديه ، فحين وصل لديه قال له : ما كان ذلك الرجل الهرم يقول لك في تلك الليلة الفلانية ؟ فأخبره ما وقع بينه وبين أدرة من المكالمة ، ثم في هذه الليلة التي سأله الحاج جبرائيل هذه الواقعة رأى أدرة في المنام كأنّ رجلين جاءا إلى داره ، فكان في داره شيء من تَنْباك ، فقصد لستره منهما ، فأخذه وفر منهما ، فأخذاه وقالا له : تنباك[1] هذا وهذا ، فأهالاه وخوّفاه وحرّكاه وقالا له : لا بأس ، فإنّ هذا ذنب بينك وبين الله ، لكن لا بدّ لك من أن تجيء خلفنا إلى مكاننا لتلقين الذكر ؛ فسار معهما وجلس بين يديهما ، **ولقن واحد منهما الذكر القلبي له ، فاستيقظ ، فوجد قلبه يتحرَّك بحركات عجيبة ويرتعش بالذكر بكيفية غير معهودة قبل ذلك .**

وسمعت شيخنا الحاج عبد الرحمن قدس سره يقول : إني كنت ذهبت لدى جبرائيل أفندي ، فحين وصلت لديه قال لي : لِمَ لَمْ تذهب لدى ذلك العالم أدرة لسلب حرارة قلبه وأخذ حاله ؟ فقلت له : إن الجُدْري قد عمّ في ريفه ، وخفت من تعديته[2] ، ولذا لم أذهب لديْه ؛ فقال ما معناه : أما أني لو كنت أنا مكانك لما تركته على تلك الحرارة ، ولو كان في محلته طاعون . انتهى .

وقال : هل يمكن لي أن أذهب لديه داخلاً من باب كوّته لسلب حرارته . انتهى .

---

(١) أيْ هَصُلْ تَنْبَاكُكِ هَوْكِ (عجم) . (هامش الأصل) .

(٢) وكان قدس سره لم يمرد بمرض الجدري . (منه) .

وسمعته ﷺ يقول : إن العالم محمد بن شعبان العسلي كان يسير خلفي إلى طرف النهر حين أذهب إلى ولاية ژيْر ، فإذا وصلت لدى الشيخ جبرائيل قال : إن الرجل الذي كان يسير معك وقت خروجك من القرية الأسود[1] لحيته أيّ رجل هو ؟ فقلت له : إنه قريبي ؛ فقال : إنه رجل يحبّك وسيصير مريداً لك . انتهى .

وأخبرني الحاج قُرَ محمد العسوي : أنه كان واقفاً قبالة الشيخ جبرائيل أفندي قدس سره بالحضور والوقوف ؛ فقال للحاج عبد الرحمن : لِمَ لا تقول لهذا : كن على الحضور كما هو في الحال ؟ فقال الحاج عبد الرحمن قدس سره : إنه رجل غافل لا يكون على الحضور يا أستاذي ! فقال : **لعله يكون غافلاً لظنه أنه يتركني في مكاني هذا**[2] **مع أني أراه أين كان كما أراه في هذه الحالة** . انتهى .

وسمعت الشيخ عبد الرحمن قدس سره يقول : إني كنت أذهب في طريق فصادفتني نساء وبنات ، ونظرت إليهم لا بالشهوة بل لأرى كثرة الفضة الكائنة عليهن[3] ، فحين وصلت لدى الشيخ المذكور قدس سره وضع بين يديّ كتاب « منهاج العابدين » ، فقال لي : انظر إلى هذا الموضع من هذا الكتاب ، فنظرت فإذاً وجدت فيه[4] ما حاصله : إنَّ واحداً انقطع فيضه في مدة أربعين يوماً وسلب حاله لمجرد نظره إلى ثوب امرأة ، ثم قال : ما لك يا ولدي من رؤية فضتهن وكثرتها ، فما لك بكثرتها أو بقلتها ؟ !

---

(١) الأسْوَدِ لِحْيَتُهُ : صفة الرجل . (هامش الأصل) .
(٢) أي : فلا أراه . .إلخ .
(٣) تعجباً . (هامش الأصل) .
(٤) لعله في هامشه . (هامش الأصل) .

قال الشيخ عبد الرحمن قدس سره : إنّي قلت له : فإذا لم يجز أن ينظر إليهنّ ولو بلا شهوة فماذا نفعل في ديارنا الجبلية التي تلقى نساءنا في الطريق بحيث تدفع[١] كتفهن على كتف الرجال ؟ فقال : يا ولدي ! افعل الرابطة للشيخ محمود أفندي قدس سره فعساك لا تحب حينئذ أن تنظر إليهنَّ كما لا تريد أن تنظر إلى السلدات الكافر .

قال : إنه لم يبدّل الذكر في هذه المرة ، ثم قال ﵁ : إنه وقع في ليلة بين البنات والنساء واجتمعن لديَّ ينظرن إلى وجهي بوضع مرافقهن فوق ركبتي ويطلبن كتابة التعاويذ لهن ؛ فاجتهدت في الحضور[٢] ولازمت الوقوف القلبي ، فبعد ذلك وصلت لدى الشيخ جبرائيل قدس سره ، فتوجّه إليّ وبدّل الذكر من لطيفة إلى لطيفة ، وقال : **انظر يا ولدي الآن ، لم يحصل لك الضرر مع كونك في مجمع من تلك البنات والنساء لأجل كونك حاضراً**[٣] . انتهى حاصل ما قال قدس سره .

وقال العالم محمد بن شعبان العسوي رحمه الله تعالى : إنه كان يصلي مأموماً خلف الحاج جبرائيل ، وكان معي الشيخ الحاج عبد الرحمن قدس سره ، فإذا سلم قال لي : إن القسوة التي حصلت لي مما خطر في بالك في الصلاة لم تذهب الآن يا ولدي ، ولو كنت على الحضور كما كنت في الركعتين القبليتين لصرتك في المقام . انتهى .

فما أعظم اطلاعه على الخواطر ، وما أصدق فراسته قدس سره ورزقنا فيضه وبركته .

---

(١) تُنْ كُلِبْ (عجم) . (هامش الأصل) .
(٢) أي : بالرابطة . (هامش الأصل) .
(٣) أي : على الحضور ووقوف . .إلخ . (هامش الأصل) .

ومما سمعناه من أفواه الناس : أنّ واحداً من العلماء ذهب لديه ليمتحنه ، فأمّ ذلك العالم له في الصلاة مع كونه قد طرح في كسائه بَعْر الحمار وصلى الشيخ مع من كان في المجلس خلفه ولم يتكلم بشيء بل ألآن له الكلام وداراه مع علمه ما يفعله العالم معه ، فبعد ذلك قال له ذلك العالم : هل صح لنا هذه الصلاة أمْ لا ؟ فقال قدس سره : **إن صلاتي صحت لعدم اقتدائي بك ، وصلوات هؤلاء قد صحت لعدم علمهم ما طرح في كيسك من بعر الحمار ، وأما صلاتك وأنت تعلم حقيقتها يا ولدي** . انتهى حاصل ما سمعته .

وقد كان شيخنا المرحوم قدس سره يخبرنا من مناقبه وأحواله كثيراً ، وكان يقول : إنه كان قطباً رزقنا الله تعالى من ميامن معارفه ولو قليلاً آمين .

العالم الواصل والفاضل الكامل القطب الحقيقي
الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره

كان قائماً بإذن شيخه المذكور على تربية المريدين وتسليك السالكين وإفاضة المستفيضين وإفادة المسترشدين ، ولم يسمع إلى الآن في ديارنا أكثر منه إرشاداً وأعلى منه مقاماً ، كان في هذه الطريقة مستقيماً ، وفي حفظ الآداب ملازماً ، قد خدم الشيخ الكامل جبرائيل أفندي في سنين عديدة ، وأتمّ السلوك عنده في مدة مديدة ، ولازم الخلوة واجتهد في الرياضة والمجاهدة ، ولم يقع بينه وبين الحضور والوقوف حجاب ، وصار كائناً بائناً عرشيّاً فرشيّاً ، ووصل إلى مقام لا يشغله الخلق عن الحق ، والحق عن الخلق ، وترقى من ملاحظة الأكوان إلى مراتب الشهود ومراتب التوحيد والتجريد ، فأجاز له شيخه المذكور بالإجازة

المطلقة ، واجتهد بعد ذلك في إرشاد الخلق إلى طريق الحق ، وتحمل مشقة التصرُّف والتوجُّه حتى صار قطب البلاء .

وقد قال لي مرةً : **إن أهل البلدة الكبيرة لا يحملون ما أحمله** .

بل قال لي مرةً أخرى : إني كدت أن أموت بكثرة التوجهات وكثرة تردد الناس لديّ ، وظننت أن الموت يكون خيراً لي من أن أكون حيّاً مع هذه الحالة الشقة ، ولهذا اجتهدت في تلك الساعة في التوجه إلى المريدين رجاء أن يموت بذلك ، لكن الروح كان يخرج إلى الصدر ويدخل في الوقت إلى البدن . انتهى .

فقال : إن رأسه يكون كأنّه يُضْرَبُ بالعصا ، وكان لا يفارق نفسه عن الأمراض ولو ساعة ، فجزاه الله على ذلك وجعله سالكاً في سلك المقرَّبين في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

وقد كان قدس سره عجيباً في اطلاع خواطر القلوب ولا يخفى عليه شيء من الأحوال .

وقد كنت أصلي جماعةً مع امرأتي في حجرة ضيقة بحيث لا يجوز بها أن تقف خلفي وفق ما في الكتب ، بل كانت تقف في جنبي الأيمن كالرجل لضيق الحجرة ، فحين وصلت أنا وتلك المرأة لديه قال قدس سره : إن المرأة لا يجوز لها أن تقف في الصلاة إلا خلف الرجل ؛ فتعجبنا في اطلاعه على أحوالنا مع كون قريتنا بعيدة من قريته .

وأيضاً كنت أنا والحاج محمد الهؤري واقفين في غرفة رجل والشيخ قدس سره في بيت يعطي الإنابة لأناس كثيرين ، فقال لي محمد الهؤري رحمه الله تعالى سرّاً : إن توجهت إلى النساء بالذهاب إلى بيت آخر يكون خيراً ؛ فوقتئذ جاء واحد من عنده قائلاً : إنَّ الشيخ يقول لك بأن تتوجه إلى النساء الكائنات هناك بالذهاب إلى ذلك البيت .

وكنت يوماً أذهب لزيارته ، وكان معي واحد من المريدين ، فوقع بيني وبينه كلام كثير في معنى قولهم : حسنات الأبرار سيئات المقربين ؛ فحين وصلنا لديه تكلم بمعنى ذلك القول بما يحل عنا الإشكال مع كوننا لم نسأله ولم نكلم في حقه ولو بكلمة . انتهى .

وأيضاً كنت أنا والحاج حديث وشعبان العوري نذهب لديه ، فوقع بيننا كلام في حق من يتشيخ بدعوى باطل وفيما يفعله ، فقلت لهما : نحن نمتحن الشيخ في اليوم ، فانظروا ماذا يقول لنا في حق كلامنا هذا ؛ فحين وقفنا قبالته قال لي : لِمَ لَم تذهب لدى ذلك المتشيخ ؟ وقال في حقه كلمات كما كنا نتكلم في الطريق فعلمنا أنه يطلع الأحوال ولو كنا بعيدين عنه .

وأيضاً قلت لرفيق لي حين نذهب لدى الشيخ قدس سره : لِمَ لا تقول للفلان بعدم مجيئه إلى مجلس الختم والصلوات وأنا أكون خائفاً من وقوع الضرر لنا بسببه[1] ؛ فبعد وصولنا لدى الشيخ قال : لا يجوز أن يقول لأحد : لا تجئ إلى مجلس الختم والصلوات . انتهى .

وأيضاً كنت أقف أذكر الله تعالى في مكان مبنيّ في التراب ، فحين زرته قدس سره قال لي : هل تكون في تلك المكان مع أنه لم يصل إلى قريتنا منذ زمان ولم يرَ مكاننا قط ؟ فقلت له : نعم يا أستاذي ، وصرت متحيراً .

وأخبرني العالم أدرة العرادي قدس سره : أنه كان في خلوة ، ففي صبيحة يوم فعلت الرابطة فلم أقدر عليها ، ثم صرت أذكر الله تعالى فلم أطق أن أذكره تعالى ، ووقعت في فتور وقبض ، فقصدت أن أنام ونمت مادّاً رجلاي ، ففي ذلك اليوم اجتمت مع الشيخ قدس سره ، وقال لي : أيَّ شيء كنت تفعله في صبيحة هذا اليوم ؟ فقلت له : لا أدري يا أستاذي ، فأي شيء فعلته ؟ فقال لي : إنّك قصدت لفعل الرابطة فلم

(١) أي : لكون ذلك الرجل رئيس القرية محسوداً لا يحبُّه كثير من الحاسدين . (منه) .

تقدر عليها ، ثم دخلت في ذكر الله تعالى فلم تطق عليه أيضاً فنمت بعد ذلك قبالتي بمدّ الرجلين . انتهى .

وقد سمعت أخانا في الله العارف بالله أبْدلو القحي يحكي : أنّ امرأة صالحة عجوزة كانت تذهب لدى الشيخ قدس سره ، فرافق[١] معها رجل وحمل فروتها على فرسه في مدة ثم لقيت برجل آخر فأركبها على فرسه في مدة ثم كانت تسير في الطريق ، فلقيها رجل آخر فأركبها على فرسه في مدة ثم كانت تسير في الطريق ، فلقيها رجل آخر راكباً على فرسه ، فخاف فرسه منها وشرد وتحرك فألقى الرجل من الفرس على الأرض وغضب عليها وقال لها : هل تكوني كالذئب ؟ ! وكانت المرأة مُنْحِيَةً[٢] لا تطيق أن تسير إلا منحيةً ، فبعد وصولها لدى الشيخ قال لها : ليس لك منفعة ما من أحد إلا مني في الدنيا ولا في الآخرة ، فإني أكون معك حين يقبض روحك لطرد الشيطان عنك ، وأكون في قبرك لأجيب المنكر والنكير والحال أنت ساكتة ، وأكون معك إذا تسيرين لدي وحين ترجعين من عندي ، أما حمل فروتك رجل كذا من موضع كذا ؟ وأما أركبك رجل آخر على فرسه في مكان كذا ؟ وأما ألقي رجل آخر من فوق الفرس على الأرض بشرده خوفاً منكِ في بقعة كذا في الطريق ؟ فقالت : نعم يا أستاذي . انتهى .

وأخبرتني زوجتي غفر الله ذنبها أنّ هذه المرأة أخبرتها[٣] بعينها مشافهة ، وكانت هذه المرأة امرأة صالحة عابدة تذكر الله كثيراً ، وكان الشيخ يلاحظها ويأمرني بذهابي لديها للتوجه إليها ، واسمها : فاطمة ، ولقبها : عِسَلَيْ الطليقة رحمها الله تعالى ، وماتت في غزانش ، ودفنت عند قبر محمد رسول ولد الشيخ المذكور نور الله مرقده ، آمين .

---

(١) وهي في الطريق . (منه) .
(٢) وفي نسخة : منحنية .
(٣) أي هذه القصة .

وأخبرني العالم حجيو البقاچي رزقه الله التوفيق : أنه كان يذهب لزيارته قدس سره ، وكان معه رجل آخر من مريديه ، فسرنا نتكلم بكلمات كثيرة مما لا طائل فيها ، وغسلنا أبداننا في نهر تحت السماء بلا حاجز ولا حجاب ، فبعد وصولنا لدى الشيخ قدس سره قال لنا : لا يجوز للزائر أن يتكلم في الطريق مما لا فائدة فيه ، ولا يجوز أن يغتسل تحت السماء بكشف العورة بل يغتسل في البيت ، ثم يسير على الوقوف والحضور ، فإذا كان الزائر يسير على الحضور لو سقط من شاهق وقتئذ فاللوم على الشيخ لو لم يأخذه ، يعني لو لم يمنعه من السقوط . انتهى . وقال لي أخونا العالم دبر محمد القحي : إني كنت ناظراً إلى امرأة أجنبية تذهب إلى بيته ظنّاً مني أنها تذهب خائنة لزوجتي ، فكنت مترقباً في مدة ، فحين وصلت لدى الشيخ توجه إليّ الشيخ قدس سره ، فقال لي الشيخ : إلى أي امرأة كنت نظرت ؟ فقلت له : إنّ امرأة ضيفي كانت لقيت بي في الطريق ، فكنت تكلّمتها يا أستاذ ؛ فقال : ليست تلك المنظورة من نساء قريتنا ، بل هي من نساء قريتكم ، فتذكرت واقعتي وعلمت أن الشيخ اطلع على أحوالي . انتهى .

وأمثال هذه الحكايات وقعت في نفسي كثيراً ، ويخبر المريدون أنه قدس سره كان يخبرنا كثيراً أن في قلبك صورة شيء كذا مما كنت رأيته وتفكرته ، ولأجل انطباع الصور في القلب الصافي يجب على السالك الذاكر لله كثيراً أن لا ينظر إلا إلى قدميه عند المشي وأن لا ينظر إلى الأشياء المحسوسة ، فإنّ الحجاب بين الله تعالى وبين العبد هو انتقاش الصور الكونية في القلب ويزيد هذا الانتقاش بسبب الصحبة مع أرباب التفرقة والتفرجات المتشتتة ورؤية الأكوان والأشكال المتنوعة ويستقر في القلب ، فينبغي نفيه بمحنة ومشقة شديدة ؛ وأيضاً تزيد تلك النقوش من مطالعة الكتب والتكلم بكلام رسمي وكلمات شتى وسماعه ،

وتتحرك هذه النقوش وتتموج بمشاهدة الصور الجميلة واستماع الغناء والنغمات المطربة ، وهذه المذكورات كلها موجبات للبعد والغفلة عن الله تعالى ، فنفيها واجب على الطالب ، فينبغي له أن يجتنب عن كل ما يزيد الخيالات الفارغة ليتوجه إلى الله تعالى بقلب صاف كما هو مذكور في « الرشحات » .

وقد كان قدس سره يمنعني عن المطالعة إلى الكتب وقراءة الدرس ولو للولد وقت سلوكي ، وكان يقول : لا شيء أضرّ للسالك من مطالعة الكتب ، وهذا القول حق صادق ، لما أنّ الحضور يفوت لو نظر إلى الكتاب بالتدبر والتفكر ولا يفهم من الكتاب شيئاً لو جمع بين الحضور والمطالعة ، فتوجه القلب بالكلية إلى تدبر الألفاظ والمعاني يصرفه عن الحضور بالله بلا شكٍّ ولا مِرْيَة .

ولا يخفى أن المقصود[1] من السلوك في هذا الطريق كون القلب حاضراً بالله ، ومن أراد حصول هذه النسبة ينبغي له أن يجتنب كل الاجتناب من كل ما يورث الخطرات ، والله وليُّ التوفيق .

وكان قدس سره ذا خوف شديد من الله ، وقد قال لي واحد من أخصّ أصحابه أنه قال : إن قلبه يكاد أن ينشق إذا تفكر في الموت . انتهى .

وقال لي أيضاً : إنه قدس سره قال ما معناه هذا : إني أكون أريد أن أكون مريداً والمريدون يريدون أن يكونوا شيخاً مثلي . انتهى .

وسمعته رضي الله عنه يقول : إني أكون خائفاً من أن أكون من الذين قال الله تعالى في حقهم : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ الآية ؛ وكان يقول إذا اشتد عليه الأمراض والأثقال بكثرة التوجهات والتصرفات ما معناه : أرجو الله تعالى أن يكون هذا لي بدل العذاب في القبر . انتهى .

(١) راجع « الرشحات » . (هامش الأصل) .

وكان يقول : إني لا أنام في الليل ولا أقدر أن آكل . انتهى .

وقال أيضاً : إنه كان يقدر أن يأكل في مدة من شهر رمضان في سنة ذهابه إلى سفر الحجّ أدرفتين وفي مدّة أدرفة وفي مدَّة نصف أدرفة وفي مدّة ربع أدرفة ، فانظر إلى قلة أكله ، لكنَّه قال لي مرة : إني أجوع جوعاً شديداً ، وإن بقيت حيّاً إلى وصول شهر رمضان من السنة الآتية لما وجب عليَّ الصوم . انتهى .

وكان نحيفاً ليس على بدنه لحم ، ضعيفاً لا يقدر السير في الطريق إلا راكباً ذهاباً وإياباً ، وكان به مرض الخفقان ، وكان ذلك المرض من أصعب الأمراض الكائنة في جسده .

وحين أذن لي لتلقين أذكار السلوك وجدت الأمر صعباً وخفت من ذلك فقلت له : إني لا أرى نفسي أهلاً لذلك ولي خوف من عدم إطاقتي على الاستقامة ؛ فقال ﷺ مرة وهو حزين نادمٌ : أيّ شيء أفعله يا أخي لو لم تفعل ذلك والحال أني لا أقدر عليه ، يعني لشدة ضعفه وعدم إطاقته حمل أثقال المريدين .

وقال مرةً أخرى حين رددت ذلك القول : ألست يا أخي تعلمهم الطريقة الحقة وتلقنهم التوبة ، والحال أن طائفة أخرى من المتشيخين يعلمون الناس ما لا أصل له . انتهى .

ثم بعد مدة قلت له : يا أستاذي ! إني أقول لو تأخذ مني الإذن والإجازة لأريد أن أكون في كهف خال عن الناس مع العيال بترك العقار والمنقول ؛ بيد أنه أكَّد عليّ الأمر ، ولا بدّ لي من الامتثال ، رزقنا الله الاستقامة والتوفيق وهدانا إلى أقوم طريق بمنّه وفضله إنّه وليُّ التوفيق والموصل إلى مقام التحقيق .

وقد كان ﷺ ساتراً لأحواله لا يترك أحداً يطلع على أسراره ، وكان أكثر كلامه بالإشارة ؛ وكان لا يقول قولاً ما ينكسر به قلب أحد من المريدين ، بل كان إذا رأى في أحد شيئاً من الذمائم يشير إليه من مكان بعيد ؛ فقد كان إذا رأى في أحد حبّ الدنيا يقول : إن رجلاً كذا يحب الدنيا ولولاه لكان عالماً ذا أحوال . .إلخ إلخ .

وإذا رأى في مريد آخر بخلاً يذكر ذلك الرجل المذكور ويقول : إنه رجل حسن لولا بخله ، وهكذا وهكذا كان يشير كثيراً بما لا يفهم المشار إليه أنه[1] في حقه .

وكان إذا توجه إليَّ يأمرني بالوقوف وبتوجه القلب إلى قلبه مع ملاحظة روحانية الشيخ بينه وبيني وتحصل الحرارة الشديدة في الألطافه بحيث لا يطاق حملها ، وقد أمرت مرةً زوجتي بوضع الثوم المطحون[2] على ظهري لظني[3] أن الحرارة من أثر المرض الحادث ، هكذا كان أثر توجهه ﷺ .

وكنت مرات يحصل لي حرارة القلب حين غاب عنه ، وكنت أتعجب من ذلك ، فإذا وصلت لديه قال قدس سره : إن تلك الحرارة من أثر توجه الشيخ ، يعني ولو كان غائباً .

وفقال له العالم العارف الحاج عيسى القحي رحمه الله : هل ينظر الشيخ إلى المريد حين غاب هو يا أستاذي ؟ فقال ﷺ : نعم ينظر إليه ، فإن وجده على الحضور يلاحظه وينفعه ، وإلا فلا يلاحظه ويتركه على حاله . انتهى .

---

(١) أي : الإشارة . (منه) .

(٢) وفي نسخة : المدقوق .

(٣) مما يلي القلب . (هامشا لأصل) .

وكنت في حالة كون ذكري على لطيفة النفس والجسد أسمع أصوات الذكر حين ذهبت إلى الإصطبل لقضاء الحاجة ولا أسمعه في المسجد ، فكنت أتعجب كثيراً من ذلك ، فحين وقفت بين يديه قال لي : إن سماع[1] أصوات الذكر في وقت قضاء الحاجة لكونه حالة تركنا إياه . وكنت لا أفهم المراد من كلامه هذا حتى وجدت في « الرشحات » ما حاصله : أن نفس التوجه إلى الشغل يكون سبباً لستر النسة . انتهى . فجزاه الله عنّا خيراً وغشي قبره نوراً آمين .

وقلت له مرةً : إن الناس يقولون بأنّ في قبورنا قبر وليّ في مكان كذا لكنهم لا يعرفون تعيينه ، فهلا يجوز إظهاره ليكون مزاراً ؟ فقال غيظاً : لا يكون أمثال ذلك حسناً ؛ فندمت على ذلك ، وحصل لي بذلك قبض ، ثم إذا علم انقباضي وانكساري انبسط الكلام وقال : كان الشيخ الحاج جبرائيل والشيخ الحاج أحمد التلالي قدس سرهما يذهبان في بريّة ، وكنت أسير خلفهما ، وكان في موضع من البرية قبر وليّ ليس عليه علامة ولا نصاب ، فحين وصلنا إلى ذلك القبر سار الشيخ جبرائيل أفندي على حاله ، وأما الشيخ أحمد التفت وقال متعجباً : ما هذه الرائحة وما هذا الفيض الكائن ههنا ؟ فقلت له : سِر ، وأَنَا كُنْتُ فَسَقْتُ ، يعني أخرجتُ الريحَ من دبري ، فالتفت إليّ الشيخ الحاج جبرائيل قدس سره وقال لي : قل هكذا ، قل هكذا يا ولدي ، ينبغي أن تقول هكذا ، واستبشر من قولي . انتهى .

وسمعت أن واحداً من أهل الكشف قال له : لِمَ لا تظهر هذا القبر الكائن في هذا المسجد[2] لئلا يصلي عليه الناس ويقف عليه أرجلهم ؟ فقال رضي الله عنه : إن من يعرف القبر لا يصلي عليه ولا يطأ رجله عليه ، وأما من لا يعرفه لا حرج عليه . انتهى .

---

(١) يعني ذكر الجمادات . (هامش الأصل) .

(٢) أي : في مسجد قريته العسوية .

وسمعته قدس سره يقول : إنه كان لا يعرف كيفية النفي والإثبات بحبس النفس على شروطه ، ثم إذا كان في السلوك جاء لديه روحانية الغوث محمود أفندي قدس سره فأمرّ إصبعه من السرة إلى الدماغ ومنه إلى الكتف الأيمن ومنه إلى القلب فصار في الحال خطاً نورانيّاً على صورة لا المعكوسة ، فبعد ذلك سهل لي ذلك وعلّمت المريدين كيفيته بعد ذلك . انتهى .

وسمعت المريد الصادق الحاج قربان العسوي يحكي عن رجل قراخي أنه قال : إن المريدين الكائنين في تربية الشيخ الحاج جبرائيل أفندي قدس سره كان فيهم سوء الظن في حقه لإعطائه الإجازة للحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره ، وكانوا يقولون : هل يعطي الجبلي[١] الإذن إلا للجبلي ؟ فحين ذهب هو وإياه في بقعة من الجبل المزار وعظ للناس وعظاً ، فبكوا كلهم بكاءً كثيراً إلا واحداً من الأبساريّين فكان واقفاً وناظراً إلى الشيخ ، فطرأ عليه حال يحركه وبكى بكاءً شديداً ، وعلق[٢] على الشيخ جبرائيل وعانقه ، ثم قال الشيخ : أيها الناس ! إنكم تظنون أني أعطيت الإذن لرجل جبلي ولم أعطه رجلاً منكم ، فهل يجوز لي عدم إجازتي إياه مع أني لو نظرت إلى العرش أو إلى الكُرسي أراه هنالك ، وإن نظرت إلى السماء اراه هنالك ، وإن نظرت إلى الأرض أراه هنالك ، وإن نظرت إلى الجنة أجده هنالك ولو كان لي اختيار لإعطاء الإذن لمن أردته لأجيز لفلان وفلان ، يعني من أولاده أوْ أقاربه . انتهى .

وقد أخبر تلك القصة بين يدي الشيخ الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره .

---

(١) ويفهم منِ هذا الكلام أنّ أصل جبرائيل أفندي كان من الجبليّ وإن كان هجرة أبائه في قرية لَكِةْ . .إلخ ، فتدبر . (هامش الأصل) .

(٢) وفي نسخة :وتعلّقَ . (هامش الأصل) .

وسمعت لشيخنا الحافظ العارف شعيب الباكني يحكي عن الشيخ جبرائيل أنه قال : لو كان لي اختيار لأذنت لِمَلَّل محمد . انتهى . ولعله أنه قريبه . والله أعلم .

وسمعت الشيخ العسوي يقول : **إنّ الحاج جبرائيل قال : يا ولدي! إني لم أعط لك الإجازة إلا بعد إيراد الإذن من الله ورسوله** . انتهى .

وسمعت واحداً يحكي عن واحد من مريدي الحافظ شعيب أفندي قدس سره : أنه ذهب لدى ولد الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره للتعزية حين مات هو في قرية جده ، وكان واضعاً[1] في البيت قبل الدفن ، فقام الرجال الكائنون في البيت إكراماً له وألحّوا له بالقعود كثيراً ، ولم يقعد ، ولو أمروا به وتضرعوا ، بل قام طويلاً ، ثم سأله رفيقه من مريديه : لِمَ لَمْ تقعد يا أستاذي مع كونهم يطلبون منك القعود بالتضرع والإلحاح ؟ فقال : **لم يكن في البيت مكان أقعد فيه** ، ولم يزد فوق ذلك ؛ قال ذلك المريد : ولم أطق أن أسأله هل كان في ذلك البيت ملائكة أو أرواح . انتهى .

وسمعت واحداً يحكي عن واحدٍ من مريدي الشيخ الحاج مصطفى أفندي الغدبري قدس سره أنه قال : إن رفقاء الحاج عبد الرحمن قدس سره أمره بدخوله إلى القبر ليُلْحده ، وألّحوا له إلحاحاً فلم يدخل لوضعه في اللحد ، ثم سأله ذلك المريد : لِمَ لَمْ تدخل أيها الأستاذ مع ذلك الإلحاح والتضرع ، فقال له : **كان في القبر روحانية الإمام النقشبند وروحانية القطب خالد شاه وروحانية الغوث محمود أفندي قدس الله أسرارهم ، ومن يطيق أن يقف بينهم** . انتهى .

ومما أخبره القاضي أحمد الطليقي الذي كان يُدخِل الشيخ في القبر أنه ظن وقت دفنه لو كان كتف الشيخ مائلاً هكذا فوقتئذ **مال الشيخ كتفه**

---

(١) مكفّناً . (هامش الأصل) .

بنفسه وهو ناظر كما أراد ، وكان ذلك العالم المذكور يعتقده بعد ذلك ويخبر مناقبه ودخل بعد رجوعه[1] في دائرة مأذون الشيخ قدس سره .

ورأيت الشيخ شعيب الباكني يبكي كثيراً حين يذكر عنده الشيخ المذكور ويثنيه ثناءً كثيراً ويقول : إنه كان من أحبابنا . انتهى ، فجزاهما الله عني خيراً آمين .

وكان يقول : إنه ذهب لديه[2] - أي : سلك في سلكه بعد موت شيخه أحمد التلاني - وقد كان الشيخ العسوي أخبرني قبل موته أنه جاء لديه وطلب توجهه إليه قائلاً : دِدَ شِوْ بَلَهِلِوْ هَنْجِ مُنْ بَلَهَنِ كُرُكُ . انتهى .

وقد سلكتُ في هذه الطريقة النقشبندية على يد ذلك الشيخ المذكور ذي الجناحين العسوي قدس سره ، ولقنني الذكر بلفظ الجلالة بترتيب اللطائف وعلمني رسوم التفريد بالكلمة الطيّبة ، وأظهر لي مراتب التوحيد بتلقين النفي والإثبات مع حبس النفس على ما هو مقرَّر في كتبهم ، وبعد ذلك لقَّنني المراقبات على الترتيب المعلوم ، وربّاني إلى أن صرت بحمد الله وفضله ومنّه موسويّ المشرب ، وأذن لي للتلقين والتعليم ، وكتب لي مكتوب الإجازة للتصديق والتصويب ، وذهب هو مع ولده محمد رسول إلى الحرمين الشريفين وزيارة بيت الله الحرام .

فمات قدس سره في جدة ، ودُفِن هناك في مكان قريب إلى قبر أُمّنا حوّاء عليها السلام ، ومات ولده أيضاً في قرية غزانش الأعلى ، ودُفِن في مقبرة تلك القرية قبل أن يصل إلى قريته ووطنه ، فغفر الله لهما ونوَّر لحْدَهما ووسَّع قبرهما وأعلى درجتهما آمين .

---

(١) من سفر الحج . (هامش الأصل) .

(٢) أي : لدى الشيخ العسليّ قدس سره . (هامش الأصل) .

وقد كان قدس سره أخبرني بأنّ الشيخ الحافظ شعيب الباكني قدس سره رجل قد أتم المراقبات ، فحين جاء ذلك الشيخ إلى ناحية هيد ذهبت لديه مع جمع من أحبابنا العلماء السالكين ، فوجدته كما وصف شيخي القبلي ، واعتقدت فيه بأنه الكامل المكمّل ، فطلبت منه الإذن لسلوكي في دائرته وتلقين المراقبات المعلومة عنده فأمرني بالاستخارة ، وفارقت منه ، ومضى من ذلك زمان ، ثم في السنة الآتية جاء هو إلى تلك الناحية ، فزرته ثانياً فطلبت منه ما كنت طلبته من قبل بالتضرع والإلحاح ، فسلكني في سلك إرشاده وقبلني ولداً معنويّاً رُوحيّاً له ، وتوجّه إليّ ولقَّن لي مراقبة فوق مراقبتي ، وبعد ذلك رباني بالجمال ونظر إليّ في الغيبة وفي الحضور وعلمني جميع المراقبات التي علمها له أشياخه ، وقال بعد ذلك : إن الشيخ أحمد التلالي قدس سره كان يقول : إن القطب محمود أفندي لم يعلّم أحداً من خلفائه مراقبة فوق هذه المراقبة ، وبهذا صار الشيخ المذكور أستاذاً لي من هذه الجهة ، ولأجل ذلك أردت أن أذكر ترجمته في أثناء التراجم ، والله ولي التوفيق .

الشيخ الكامل المكمل قطب دائرة الإرشاد في هذه الإقليم وموصل العباد إلى الملك العليم حافظ كلام الله المجيد ومزيل الشبهات في ملّة الإسلام والدين مصنّف علم السير والسلوك الفقيه المتصوّف العالم الرباني والعارف الصمدانيّ الحاج شعيب أفندي الباكنيّ القصرخيّ قدس الله سره

قد قرأ العلم على العالم المتورّع والده المحترم إدريس أفندي ، وعلمه القرآن في قرية قنداخ حين بلغ عمره إلى سبع سنين ، ولم يحتج للتعليم بتوفيق الله من فوق سورة الإخلاص ، وهذا من أعجب ما سمع ، وكان والده المذكور يتعجب من سرعة فهمه وغلبة حصول ذهنه إلى حقيقة قرائته ، وكان يحلف كثيراً : إنك لست بابني ، لأنه كان بطيء الفهم ، وكان يؤدّبه تأديباً بليغاً وبذا كان الشيخ قدس سره لا يذهب إلى مكان فيه وليمة ولَغْوٌ ولهْوٌ ، وصار كونه مع العلماء والعقلاء ملكةً طبيعية من زمن صِباه ، فقرأ العلوم المتداولة على العلماء الأعلام ، وصار متبحراً في كل فن من فنون العلوم ، حتى صار مصنفاً يحل المشكلات ويؤلف الكتب العجيبة النفيسة ، وأقرّ له فحول العلماء وانتشر صيت علومه في الأطراف .

وفي ١٣٠٧ ارتحل إلى قرية ژاخور من قرى سمبور ، وكان مدرساً لتلامذتهم ، ثم في أثناء تلك السنة اجتمع في صيفها المشائخ الثلاثة الكمل : الشيخ الحاج جبرائيل أفندي ، والشيخ الحاج حمزة أفندي مأذونيْ الشيخ محمود أفندي والشيخ الحاج قصي أفندي مأذون الشيخ إسماعيل أفندي السواكلي ، فصحب معهم أسبوعاً ، فصادوه عن الدنيا والآخرة ، فما رأى الدنيا إلا كظِلِّ الشخص ، وربط محبته معهم بحيث لا تفارق معهم أبداً .

وعزم لدخوله في تربية الحاج جبرائيل أفندي ، لأنَّ محبته كانت معه أشدّ ، فحين كان على ذلك العزم المصمم مات ﷺ ، وحزن عليه حزناً كثيراً .

ثم ولّى قاضياً بالتكليف في قرية جنيع ، بيد أنه وإن وقع في أمر القضاء كان لا يرى رسائل الحكام إلا كفحم لمفارقته من حب الرياسة ، ثم استخار الله تعالى في شتاء تلك السنة ليوصله إلى شيخ مرشد كامل ، فوقع استخارته للشيخ الأكمل أحمد أفندي التلالي قدس سره ، ولكن وقع خدمته أوّلاً بلا اختيار منه عند الحاج قصي أفندي ، فربّاه أحسن تربية وجعله في خلوة تسعة أشهر متوالية في قرية مُسْروخ ، وفي تلك الحالة صار حاله مطمئنّة ، وأجازه إجازة تامة ، وكان ذلك في سنة ١٣٠١ ، تم توفي الشيخ قصي أفندي بعد إتمام جميع المراقبات في سنة ١٣١٤ ، ولكنَّه لم يظهر إجازته لأحد لاستحيائه وخوفه من الله تعالى .

ووقف في ذلك الخمول والخفاء سبع سنين ، ثم دخل في سلسلة الشيخ الحاج أحمد أفندي التلالي ، وبعد ثلاث سنين أجازه للتلقين والإرشاد وجعله خليفة يرشد العباد إلى سبيل الملك المجيد ، وأعطى إلى يده كاغذ الإجازة ، فظهر رحمه الله تعالى اضطراراً بين العباد ، وارتحل إليه كل من أراد السلوك ، فصاروا ألوفاً ، ولم يسمع إلى الآن في ديارنا أكثر نفعاً وإرشاداً منه ومن شيخنا القبلي الحاج عبد الرحمن العسلي قدس الله أسرارهما ، وبهما صار أقطار ديار داغستان مملوءة من الفيض والإمداد ، وبتصرفهما حصلت التصفية والتزكية لكثير من الناس ، فجزاهما الله عنا خيراً .

وذكر قدس سره في « طبقات الخواجكان » : أن الشيخ قصي أفندي كان يقول له : يا شعيب أفندي ! إنما نظري إليك وفكري عندك ، فلا تنظر إلى غيرك من الإخوان في تساهلهم في أورادهم وآدابهم ، وإن الله تعالى أراني إياك في أداء حقوق الإرشاد والإقامة في مقامي للاستمداد ، وكنت

استخرت الله تعالى قبل هذا بيسير بسنين قبل اجتماع الأجساد بأن أقول : إلهي يا ربي ! هل تهب لي مقيماً يقوم مقامي ويؤدي مرامي ؟ ثم نوديت في سرّي : إني أعطيتك ووهبتك رجلاً داغستانياً شموليّاً ، ووصفني بصفتك ، ولا أريد غيرك .

وكان يقول : يا ولدي شعيب أفندي ! إن شيخي وروحي حاج إسماعيل أفندي قد جعلك ولداً له في عالم الأرواح ، وقال في حجلة الأنس : إلهي يا ربي إني اتخذت هذا ولداً لي فعلمه الكتاب واجعله حافظاً وعرّفه تأويل القرآن ومعالم العرفان ، واجعله من أوليائك وزمرة أصفيائك . انتهى .

وكان الشيخ المترجم رحمه الله محتاطاً في كل الأمور خاصة في حق الإذن والإجازة ، وقد كتب إليّ مرة ما حاصله : إنّ لي من الإخوان عشراً أو أكثر يجتمع النبي عليه السلام في اليقظة ، ومنهم من وضع الشيخ محمود أفندي تاجاً على رأسه ، ومع ذلك لم أعلّمهم ولم أجز أحداً منهم للتلقين خوفاً من أن يكون ذلك مكراً واستدراجاً ؛ وقد قال لي مثله بفمه[(١)] .

وذكر في « طبقاته » أيضاً عند بيان من منّ الله تعالى به عليه من النعم التي يستحق الشكر عليها ، وذكرها مع الاعتراف كما ذكر السادة مِنَنَهمْ : أن مما منّ الله تعالى عليّ شدة حيائي من أوّل نشأتي ووقت صباي ، حتى أكثر من البكر العذراء ، وكنت في كمالة شبابي لا أقدر أن أنظر إلى وجه رجل فضلاً عن امرأة ، وكنت حين كنت متعلماً في القرى أسأل رفقائي أن لا يرسلوني في حوائج المتعلمين إلى خارج المسجد ، وكنت ألتزم جميع خدمة المسجد ، والتلاميذات تركوني ، « وإن الحياء

(١) وقال : إنّ الذي وضع عليه التاج هو الحاج إبراهيم القشري ، وقبل فراقه من الدنيا أذن له ، رزقه الله التوفيق ، آمين . (منه) .

من الإيمان » ، وإنّي إلى الآن بحمد الله لا أقدر بشدة حيائي أن أنظر إلى وجه امرأة ولو من أخواتي ومن كانت تحت تربيتي ، وما رأيت وجه واحدة منهن إلا ثلاثة وهنّ بفضل الله تعالى أكثر في تربيتنا من ألف .

وهذه الخصلة نادر في مشائخ هذا الزمان بل غير موجود ولا فخر .

ومما أنعم الله تعالى تبارك وتعالى عليّ أيضاً عدم بغضي وحقدي وحسدي لأحد ما من أبناء العصر إلا في حق الله تعالى وحق حدود الله تعالى ، فلو غصب أحد جميع مملوكي المجازى من أهل قريتي مثلاً لا أبغض عليه ولا أترك النطق معه ولا أهجره إلا ما ألقاه الملعون الشيطان وسوسة قليلة ، وإني بحول الله تعالى وقوته أقدر على دفعها ، ومشائخ العصر على العكس ، فلله الحمد ولا فخر .

ومما أكرمني به تبارك وتعالى ما وهبه لي بفضله وكرمه ومنّه لا بحولي وقوتي تماماً وكمالاً من العلوم الظاهرة والباطنة ، وحظاً من العلم اللدني الخضري ، وحفظ كلامه الكريم من ظهر قلبي .

وحين كنت في خدمة شيخي وروحي وريحاني الشيخ حاج قصي أفندي الجينغي قدس سره في الذكر السلطاني توجه إلي وقال : يا شعيب أفندي ! هلا تجيء عندك جنود الجن وهلا لا يضرونك بضرب وعنف ؟ فقلت : لا بحق حرمتك يا أستاذي . فتوجه ثانياً وطال وتأوّه وتنفّس طويلاً ﷺ ، وقال : لا أعجب يا ولدي ، والله إني أرى القرآن كله مكتوباً على قلبك ومنقوشاً على جميع بدنك وبين لحمك ودمك .

واجتماع هذه المراتب الثلاثة في وليّ واحد أمر نادر جدّاً إلا في الأئمة الأربعة والأقطاب الخمسة ، فضلاً في المشائخ الداغستانية ولا فخر .

وجميع المشائخ والمتشيخة والدجالة المضلة في هذا العصر خال عن ذلك ، وليس واحد منها على وجه الكمال فيهم ، والحمد لله رب العالمين .

ومما أنعم الله تبارك وتعالى عليّ محبتي لكل وليّ ونبيّ على وجه الأرض ، حتى من صباي إلى يومنا هذا وإلقاء محبتي في قلوبهم ، وكل وليّ رآني أحبني وأحبه سواء كان من الأحياء والأموات ولا أحقد عليهم ولا أنكرهم فضلاً دراويشهم الذين تركوا الدنيا والعقبى وأخذوا المولى ، وإني أخاف منهم خوف الأسد ، حتى إذا كنت في المدينة المنورة كنت أذهب يوماً إلى المسجد النبوي لصلاة العصر مع رفقائي الحجاج الداغستانيين قد أقبل إلينا العالم العلاة شيخ الزمان الشيخ يس المصري المدني ، فأخذ بيده المباركة يدي وقام متفكراً وقال : بشرى لكم ! قبلكم رسول الله تعالى ؛ فكدت أن أموت بشدة الفرح في ذلك الطريق الواسع بين الجمع العظيم ، فأكرمني الله تعالى بالنظر إلى وجهه ورزقنا الملاقاة له عز وجل ببركته وبركة أمثاله آمين .

ومما منّ الله تعالى به عليّ أيضاً نظر مشائخي إليّ حين كانوا أحياء وأمواتاً ، وكل شيخ وأستاذ رضوان عنّي ، خاصةً شيخي الحاج قصي أفندي والحاج أحمد أفندي ، وأخذ جدي الغوث الأعظم والقطب محمود أفندي الأكرم إيايَّ حفيداً له ، وكونه راضياً عني في كل الحالات وإن كنت غير متأدب معه ومع غيره ، وسببه أني في كل وقت على إنجاز طريقته العلية النقشبندية الخالدية ، وأمري على جميع إخواننا بالدعاء له برفع الدرجات له ولمأذونيه وجميع المشائخ ، وبفضل الله تعالى وتوفيقه وشفاعة رسوله وبركة أوليائه ندبر لإجراء هذه الطريقة العلية ، وقد وصلت بحمد الله تعالى لجميع أقطار داغستان بسببنا وكذا بإخواننا المأذونين من طرف الحاج أحمد أفندي والحاج جبرائيل أفندي رحمهم الله تعالى وقدس الله تعالى أسرارهم العلية ورزقنا الله من فيوضاتهم .
شعيب أفندي قدس سره ، من خطه ، ولله الحمد .

مهم

ورضاء المشائخ عن المريد أمر عظيم وفضل جسيم لا يوزن به شيء ، وقد حصل لي ذلك ولله الحمد ، وهذه الخصلة نادرة في مشائخنا ولا فخر .

ومما أنعم الله تعالى عليّ به أيضاً كون سيري إلى الله وتقرّبي إليه من طريق النبوة لا الولاية ، ومعلوم أن الطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق وإن طريق النبوة والرسالة أسهل للمريد وأكمل وأفضل ، والفرق بينهما كالفرق بين الرسول والنبي .

وسبب كون سيري سير النبوة لأمرين ، **أحدهما** : إرادة الله تعالى ومشيئته وهو السبب الحقيقي ، **وثانيهما** : كون القرآن في حفظي ، وأن الحافظ نبيّ لا يوحى إليه ، وكأنه أدرجت النبوة بين جنبيه ، كما في الحديث الشريف النبوي ، ولا فخر . انتهى من خطه قدس سره .

ويكفي لمعرفة كمالة هذا الشيخ المحترم كتابه : « الفريدة المخمسة » ، وكتاب « طبقات الخواجكان النقشبندية » ، فإنهما كتابان عجيبان قلّ من يصنِّف مثلهما في هذا الزمان .

ومن شدة زهده في الدنيا أنه كان يشرب الماء الحار[(١)] وحده ولا يستعمل السكر معه ، فإن الدنيا وإن كان في يده لم يكن في قلبه ؛ وكان ذا مروءة وغيرة ، يتكلم كلَّ من يدعي المشيخة بدعوى باطل ويبين غيّه وضلاله صريحاً ولا يخاف لومة لائم ؛ فالحاصل أن أهل الدعوى نكسوا رؤوسهم بسببه وأطفأ نارهم بقوة علمه وشدة تمسكه بالسنة السنية .

وكان قطب الإرشاد في هذا الإقليم في هذا الوقت على التحقيق ، واجتهد في إرشاد الناس إلى سبيل الملك القدوس ، وجدّ في ليله ونهره

---

(١) أي : چَايْ . (عجم) .

لإخراجهم من أخلاق الشيطان الخناس ، وصفت قلوب أكثرهم من خطرات الوسواس ، ونالوا إلى مرتبة الحضور وفازوا بالغيبة والذهول وتحقُّق كماله وتكميله ، لكن لا بد حينئذ من نقص للكمال ، وذا عادة جارية في أمثاله من السادات والأبرار .

فمات قدس سره في ١٣٣٠ في شهر الله المبارك جمادى الأخير ، ودفن في قريته الباكنية نوّر الله تعالى مرقده وأعلى درجته ورزقنا فيضه وفيوض أمثاله آمين يا مجيب . انتهى في ١٤ من رجب سنة ١٣٣٠ ، الحمد لله أولاً وآخيراً ، والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه بعدد معلومات الله دائماً بدوام ملك الله ، آمين .

وبعد انتقاله من الدنيا قصدت أن أتمسك بزيل قطب الإرشاد الشيخ المستور العالم العارف السيد سيف الله قدس سره ، لما أني كنت أعرف أحواله وعلوّ مقاماته ، حتى إنه كان مجدّديّاً يعلم مراقبات الإمام الرباني قدس سره فوق ما كان الإمام النقشبندي قدس سره فصلها من المراقبات المشهورة في طريقته ، فإن المراقبات المجدِّدية وإن كانت داخلة في مراقبات الإمام النقشبندي بالإجمال لكنها خرجت إلى التفصيل على يد الإمام الرباني مجدد الألف الثاني رضي الله عنه .

وقد سمعت الشيخ العسوي قدس سره يقول : إن شيخه الحاج جبرائيل أفندي قدس سره قال له : يا ولدي ! إني لقنتك جميع المراقبات التي أعلمها ، فإن لاقيت أحداً من المشائخ من يعلم المراقبات المجددية ، فلك مني إذن لتذهب لديه وتأخذ منه . انتهى . فهكذا يجب أن يقول كل شيخ ولا يتحجر على المريد إلا المتشيخ الكذاب .

وقد كتبت من خط الشيخ سيف الله قدس سره من ملتقاته ما نصه : وفي قوله تعالى : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

مهم

إشارة أخرى ، وهو أنه لو كان لطالب صادق ومريد حاذق شيخ يقتدي به وله شأن مع الله عز وجل ، ثم استسعد بخدمة شيخ كامل هو أهدى إلى الله عز وجل منه وجب عليه اتباعه والتمسك بزيل إرادته حتى يتم أمره ولو تجدد له في أثناء السلوك هذا الاستعداد بخدمة شيخ آخر أكمل من الأوّل والثاني وهلمّ جرّا ، يجب عليه اتباعه إلى أن يظفر بالمقصود الحقيقي ، وهو الوصول إلى الحضرة بلا اتصال ولا انفصال . . إلخ . من خطه قدس سره ورزقنا فيضه .

وسمعت شيخنا العسلي قدس سره يقول : إنه طلب في سفر الحج من يعلم تلك المراقبات المجددية في استنبول ، فلم يجد فيه من يعلمها ، وشكى لدى واحد من المشائخ المنتسبين إلى القطب أحمد ضياء الدين قدس سره ، لكنه قال له : نحن على تلك المراقبات التي أنت عليها فلا نجد من يعلم ما فوقها .

وقال قدس سره : إنّه طلب في مكة من يعلم تلك المراقبات ، فلم يجده فيها ، لكنه قال : إنه وجد في المدينة من يعلمها بيد أنه كان فيها مريضاً ولم يمكن له الذهاب لديه ولا السلوك على يديه . انتهى .

فالحاصل أن المراقبات التي كان سيف الله يعلمها فوق ما كان الشيخ العسلي والباكني رحمهما الله ، قد وجدتها حين عددتها إحدى وعشرين مراقبةً على ما كتبه في بعض مكاتبه المرسلة لدى هذا الحقير ، وعلى ما ذكره في « كنز المعارف في أسرار اللطائف » ، فإذا كان الأمر كذلك سلكت على يد هذا الشيخ وصحبته مراراً ، ورباني كالولد وأظهر محبَّته ورضاءه عني وإن كنت مقصراً .

وعندي من مكتوباته ما لا تحصى ، وجمعتها في مجلد ضخم .

وأذن لي بالإذن المطلق العام في جميع ما أجازه أشياخه في الطرق الشاذلية والقادرية والنقشبندية ، والثبات العلمية والحديثية ، والأحزاب الشاذلية ، وحزب الإمام النووي ، وحزب محي الدين العربي ، و« دلائل الخيرات » ، و« قصيدة البردة » وغيرها مما يعسر عدها .

ثم انتقل من الدنيا في شهر صفر سنة ١٣٣٨ ، ودفن في غزانش الأعلى ، وقبره فيه يزار ويتبرك .

ولكونه قدس سره آخر مشائخي ذكرته في آخر التراجم ، فقلت :

الشيخ الكامل والقطب الحقيقي ذو الجناحين خالد سيف الله النژبكري الغازي الغموقيّ الحسينيّ النقشبنديّ القادريّ الشاذليّ المجدديّ المحموديّ الأويسيّ قدس سره

قد قرأ العلم الظاهريّ عن علماء أجلة ، فصار متبحِّراً في العلوم العقلية والنقلية ، وكان طبيباً حاذقاً قد شفي بسبب يده الميمونة كثير من المرضى .

وسلك أولاً في الطريقة على يد الشيخ محمّد ذاكر الچسطاوي خليفة محمود أفندي قدس سره ، وبعد موته دار في إستنبول وحلب ودمشق يطلب شيخاً يربِّيه ، فلم يصادف شيخاً ينشرح به صدره ، ثم ذهب لدى قطب الوقت زين الله الشريفي التروسكي وسلك على يده في النقشبندية ، وأجازه بعْد كماله فيها ، ثم سلك في الشاذلية على يد الشيخ محمد صالح وأجاز له فيها ، وكان مجازاً في القادرية وأجاز له زين الله أيضاً في علوم الأحاديث وسائر العلوم النقلية والعقلية والأحزاب

والمسلسلات التي جمعها محمد علي ظاهر الوتري وغيرها ، وكان قدس سره حليماً وقوراً ذا فهم وإدراك يبيّن من العلوم غوامضها ويحلّ من الغوامض مشكلاتها ، ويجيب لكل مسألة بما يتحير العقول والفهوم عن إدراكها ، فكم وكم أجاب لمسائل الحقير بأجوبة مرضية يعلم ناظرها بأن المجيب صاحب نفس راضية وأحوال ذوقية ومقامات عالية ، فجزاه الله عنا خيراً آمين .

مهم

وأنا إن شاء الله أذكر هنا نبذة من كراماته وكشوفاته متفرقة بفصول ، رجاء أن تكون سبباً باعثاً لدعاء الإخوان ، ومن المعلوم أنّ ذكر كرامات الأولياء لا يخلو عن منفعة ، ويزيد به الاعتقاد ويحرك الشوق ، وعند ذكر الصلحاء تنزل البركات وتنبعث الرغبات .

ومن الكرامات الدالة على علوّ مقامه قدس سره التقاؤه بأرواح الأنبياء عليهم السلام في عالم الأرواح ، ورؤيته في الوقائع المنامية أكابر الصحابة والأزواج الطاهرات أمهات المؤمنين ، وخاصةً رؤيته في المنام رب العزة والجلال سبحانه ، ليس كمثله شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ، ورؤيته أكابر السادات الأقطاب القادات رضي الله عنهم .

فمن ذلك ما كتبه قدس سره بهذه العبارات : ومما من الله تعالى على هذا المذنب الفقير إلى إعانة مولاه القدير سيف الله بن حسين بن الحاج موسى بن المجاهد صاحب المزار شيخ باشلار النثبكري رؤية السادات هؤلاء أهل السعادات ، مع ما عليّ من أثقال الذنوب والمعاصي التي ليست ما يساويها من كل شيء سوى رحمة الله تعالى وغفرانه ، وفقنا الله تعالى لرؤيتهم ببصر العين كما وفقني بالبصيرة والمنام .

رأيت مرةً رب العرش سبحانه وتعالى جل جلاله وتقدست أسماؤه تجلى في موضع ، فزجْتُ في النور ووقعت[1] على الدعاء بالإلحاح والتضرع ، فناداني من وراء الحجاب من بين النور : التمس واطلب الدعاء من معروفك الحاج موسى القكني فدعاؤه مستجاب عندي الساعة ، فتمنّيتُه هناك في تلك الحالة ، فحضر وطلبت منه ذلك وأظهرت له هذه البشارة في النوم ودعا لي وأرجو منه أن لا يتركني في دعائه في اليقظة .

ورأيته سبحانه وتعالى مرةً أخرى ولا أقدر أن أصف وأتكلم .

ورأيت الملائكة المقرّبين ، ووقع الحجاب الساعة على قلبي عن المكالمة في حقهم ولا أطيق . والحمد لله رب العالمين .

ورأيت أبانا آدم وأمّنا حواء ، ونجيّه نوح عليهم السلام ، وإبراهيم الخليل ، ويوسف غير مرة ، وموسى الكليم ، وعيسى الروح الأمين غير مرة عليهم وعلى سيدنا الصلاة والسلام .

ورأيت مرات كثيرة سيدنا ومولانا وشفيعنا سيد الكائنات علم الأنبياء والمرسلين في يوم العرصات محمداً ﷺ بكيفيات متفرقات ، فمن بينها رؤيته عليه الصلاة والسلام في مقبرة بين جمع كثير يتضرَّعون ويستسقون وأنا من جملتهم ، فحضر لديَّ عليه الصلاة والسلام وحملني من بينهم معه وسار وأنا خلفه ، ففي أثناء الطريق أعطى لي بيده المباركة قدحاً كبيراً من اللبن وأسقاني مشربته وذهبنا طريقنا ، فلما وصلنا إلى دار دخل هو في بيت معروف عندي وأدخلني معه ، وصليت النافلة وهو أيضاً ، وأمرني بالصلاة خلفه مأموماً بيد أنه أقام ، أي ألقى بيني وبين ذاته الشريفة المنزهة المقدسة حجاباً أبيض رقيقاً أرقّ ما يكون ، فصار يصلي وأنا أيضاً أصلى خلف الحجاب ، والحمد لله أولاً وآخراً وأشكره شكراً دائماً على ما أولاني ربي بهذه النعمة الكاملة والكرامة الوافية .

---

(١) أي : شرعت . (قحي) . (هامش الأصل) .

ورأيته مرةً أخرى بكيفية أخرى : يأمرني وينهاني ؛ ورأيت مرة أخرى على غير صفة ، ونسيت الحقيقة ؛ ورأيت مرةً أخرى أنّ نفراً من الرجال ، وظنّي أنهم كانوا حجاباً ، فأروا لي في شيء شيئاً مربوطاً كبيراً جدّاً ، فسألتهم عن ذلك فأجابوا بأنّ في هذه جسم سيدنا محمد ﷺ ، ففتحوا الأثواب المربوطة فإذاً فيها جسد إنسان ميت ، بيد أنه كأنّه حيّ يتحرَّك ، فتغيَّر برئيته مزاجي ، ونظرته غير مرة ، ففي المرة الأخيرة رأيته مسودة الجسم ، فتحيّرت وانتبهت ، فأوَّلت هذه الحالة لنفسي لكونه ﷺ كالمرآة وأعلى منها لكون نفسي مسودة بالآثام مغشاة بالقساوات والران ، وفَّقنا الله لصالح الأمور .

ورأيت مرةً أخرى ﷺ وعظّم وكرّم في بيت مع نسوته أمهات المؤمنين ، والتي منهن في ظني عائشة وسودة وصفية والباقيات لا أعلم أيهنّ كنّ ونسيتهنّ ، وتكلم ﷺ عن الحلم وعن إثم الغيبة وكبيرة البهتان ، وفي أثناء ذلك أنه ﷺ حين تكلمه مدح عن أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وقال : كانت كذا وكذا ، فتكلمت عائشة رضي الله عنها غيرةً لها كما هي عادة النساء ، وقالت : تمدح يا رسول الله عن القصيرة الحمراء ، فاغتاظ النبيّ عليه الصلاة والسلام ، وكأنّه ولّى عنها لغيبتها بذلك .

ثم إنه أعطى لي خلعته الزرقاء ، وقال : قيمته كذا وكذا ولبستها ، فحضر هنالك رجال وتحجبت النساء عنهم ، ولم يرد النبي حضورهم ، فنظراً إلى إرادته خرجت لكي يخرجوا معي ؛ وأعلم أنّ النبي ﷺ يريد رجوعي لديه ، فرجعت بعد الخروج وقلت : إني أبرد ، وألبس فروة الرسول ﷺ . وهنالك كلام طويل اقتصرتها احتياطاً من الخطأ سهواً ، والحمد لله رب العالمين . انتهى من خطه قدس سره .

ومن ذلك ما كتبه قدس سره بهذه العبارات : ففي اليوم العشرين من شوال سنة ١٣٣١ يوم السبت ساعة ضحوة الأولى من النهار لما غفوت غفوة الطائر بعد صلاة الضحى رأيت أني في طريق الحج ، فصاحبني سيد الكائنات عليه التسليمات والصلوات ، فلما وصلت إلى موضع نسيت اسم الموضع يقيناً ، وأظن أنه ذو الحليفة ، أمرني بالإحرام ، فلبست الإحرام ، أي النبي بيده ﷺ ، وعمّم بي بعمامة بيضاء بيده ﷺ وأنا في حالة عجيبة من أثر الرسول ﷺ ، وصرت أقول : لبيك اللهم لبيك ، ففي أثناء ذلك لبّى ﷺ معي ، أي مشى معي قائلاً : لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك الخ ، ثم انتبهت وحرمت باليقظة من اللذة التي لا يساويها شيء ، والحمد لله رب العالمين . انتهى من خطه رضي الله عنه .
ومن ذلك ما وجدته مكتوباً في مجموعة بخطه قدس سره بهذه العبارات : ورأيت ليلة السبت ٣٠ من رجب سنة ١٣٢٥ ، ٢٥ أوغست ١٩٠٧ وأني قتلت بالحجر السبط حسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجههما ورضي الله عنهما عمداً لا خطأ ، وأردت قتل علي رضي الله عنه وتذكرت حديث رسول الله ﷺ : « إن أشقى الأخرين قاتل علي كرم الله وجهه » ، فكففت عن القتل ، لكن أظن جرحته ؛ ثم إني خفت من قتلي قصاصاً ، فصرت أتحصّن وفق طاقتي ، فحضر رسول الله ﷺ فخجلت منه ﷺ بكيف لا مزيد عليه ، وصرت أعتذر قتلته خطأ أو بعروض حال عليّ ، وصار رسول الله ﷺ يلاطفني وهو على صفة شيخي زين الله قدس سره ، وقال : دعوا سيف الله وألينوا له في الفراش والطعام ، فانتبهت ، وإني خفت من هذه الواقعة ، والعلم عند الله . انتهى من خطه قدس سره .

ومن ذلك ما كتبه رضي الله عنه بهذه العبارات ، ففي ليلة الثلاثاء ١٦ من صفر الخير سنة ١٣٢٩ رأيت نفسي عند قبر النبي ﷺ ، ففي النظر إلى القبر حلّ علي أثر ذلك ، وصرت لا أقدر من شدة البكاء كلاماً ، وشاهدت أمراً عجيباً بحيث فنيت فيه ﷺ من نفسي فناء كليّاً ، والحمد لله . انتهى من خطه .

ورأيت أن نبينا ﷺ كان بين جماعة في موضع ، فحملني من بينهم ، فحين وصلنا في موضع أسقاني ﷺ لبناً من إناء مملوءة ومرمراً ودخل في بيت وأنا معه ، فصار يصلي وأنا خلفه وبيني وبينه حجاب أرق ما يكون بيضاء وهو يخاطبني ويأمرني بالضيافة للزوار عليه ويأمرني بالنافلة بركعتين ، وأنا أمتثل أمره ، والحمد لله .

ثم رأيته عليه الصلاة والسلام وأنا معه يأمر لسبطيه بالأذان من فوق المسجد ، وكان معي علي كرم الله وجهه . انتهى من خطه رضي الله عنه .

ففي ٧ فورال سنة ١٨٨٥ إني رافقت النبي ﷺ وسرنا في الطريق ، فوجدنا في الطريق النبي داود عليه السلام ميتاً ملقى ثم إن[1] وصلنا هنالك ظننت قولاً وقلت في نفسي : إن الملائكة والأنبياء كانوا يرحّبون النبي ﷺ ليلة الإسراء ويستبشرون برؤيته ، فكيف هذا داود عليه السلام لا يلتفت لقدوم النبي ﷺ ، فالتفت داود نحو جنابه ﷺ وتكلم مع النبي ﷺ ولم أعلم مكالمتهما سوى أن النبي ﷺ سأل من داود عليه السلام الدعاء لي ، فصار داود يدعو لي بالخير والنبي ﷺ يؤمن لدعائه الذي دعا لي ، فارتحلنا من هنالك ، ولا أعلم ما بعد ذلك ، رزقنا الله تعالى رؤيته ، آمين .

ومن ذلك ما كتبه رضي الله عنه بما هذا لفظه : ورأيت في ٧ ليلة الاثنين مارت لعله ٣٠ محرم روحانية رسول الله ﷺ وتكلمت معه ما شاء الله

---

(١) علّه إذا . (هامش الأصل) .

وكان مولانا صاحب الكرامات والكيمياء محمود الفعال الألمالي المدفون بحاجي ترخان ممن رآه وصافحه يقظة ، وقصّته مشهورة قدس الله سره . وأما الذين اجتمعوا معه في الواقعة والمنام فكثيرة لا تحصى ، وقد اجتمعته في الواقعات والمنام بضعاً وثلاثين مرة ، ورأيته أيضاً مرات على حاله منكسرة الرباعية ، والحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافيء مزيده . « كنز المعارف » عبارته ٤٣٨ لسيف الله قدس سره ، خطه .

يعرفنا من كان من جنسنا وسائر الناس لنا ينكرون

« نفحات » ٣٩٧ (من خط سيف الله قدس سره) .

تعالى ، ففي أثناء كلامنا حضر المرحوم الحاج موسى النقشبندي القكني عامله الله بلطفه الرباني ، وكأنه حزين وسلم ليدي عرض حال للإرائة لرسول الله ﷺ فسلمته وطالع في رسالته وكتب ﷺ عليها الجواب بيده المباركة ، ثم إني تحيّرت على كتبة رسول الله ﷺ مع كونه أميّاً ، فطالع ﷺ سري وقال : كتبته بيد القدرة لا بيدي من العلم اللدني ، ونظرت ما في رسالة الحاج موسى وجواب رسول الله ﷺ ورسمه ، لكن نسيت ذلك بحيلولة يوم من الرؤية إلى الكتبة ، وشكرت الله سبحانه وتعالى على التفات رسول الله إليه وقبول عريضته ، وتيقّنّا أن له رحمه الله يداً عند الله وعناية ، والحمد لله رب العالمين ، انتهى من خطه قدس الله سره عن الالتفات إلى سواه تعالى آمين .

ومن ذلك : ما كتبه ﷺ بهذه الألفاظ الآتية : ففي يوم الأربعاء وقت الإشراق ٦ من صفر الخير سنة ١٣٣١ ، ٧ ينوار ١٩١٣ ، غفوت حين كنت جالساً ، فرأيت رسول الله ﷺ كأنه متكئ ، ونسيت جميع ما وقع بيننا من المكالمة والأحوال سوى أني صرت أقول لواحد من الصلحاء الذي يدعو الله : ادع بالتوسل بهذا السيد النبيل ، وأشيره بإصبعي إلى رسول الله ﷺ ، وانتبهت ، والحمد لله . من خطه .

ومن ذلك : ما كتبه رضي الله عنه بخطه بما لفظه : ففي الليلة التاسعة والعشرين ليلة الثلاثاء من رمضان رأيت رسول الله ﷺ وسألت عن معنى بيت العارف الصفدي :

وافهم إشارات تحقيق الخطاب . . إلخ .

فقلت : فما الخطاب والإشارات ؟ فأجاب ﷺ : ذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ ؛ وزادت مكالمات كثيرة نسيتها . انتهى .

ومن ذلك : ما كتبه أيضاً بما نصه : ففي ليلة الأربعاء ١ أكتوبر ٢٥ ذي القعدة سنة ١٩١٤ رأيت كأنّ هرجاً عظيماً وهولاً في الناس ، وكان فيهم رسول الله ﷺ ، وصرت بعده قائماً مقامه والناس كلهم يتبعون آثاري قائلين : أنت في مقام محمد ﷺ ، وكأنهم يستمدّون الشفاعة منّي ، وأنا حزين كئيب أتمنى الموت الحقيقي وكأني أقول : الموت أهون من القيام في البدع والناس لا يسرّون إلا بالبدع ، بيد أنّ تتابع الناس خلفي يزيد ، وأنا أريد العزلة منهم وهم مستمرون قائلين : أنت محمد ﷺ ، أنت في مقامه ، وأنا أكره سماع ذلك منهم ، وبعضهم يكفون يقبِّلون يدي ، فصرت محتضر الموت وكأني أطلبها ، ففي أثناء ذلك خرج كالأمواج من اللبن وكأنّ الطوفان قد قام ، وصارت اللبن كاللبن الرائب ، فعمّ ذلك على الناس وعلى خيولهم ، وصارت غرقى وكأنّ اللبن صار في قوام كالجمد عليهم ، والناس في هول من ذلك ولم أقع فيها وأنا أنظرهم غرقي فيه فاعتزلت مع قليل من الرجال إلى بيت نظيف قائلاً : أموت الساعة ، فمت لا بالكلية ، ثم حييت وخرجت من هنالك إلى فضاء ومعي عدة وأنا مغتم من جهة حسن النقشبندي القحيّ قائلاً : إلى أين يؤول أمره مع هؤلاء المبتدعين ؟ فحضر هنالك حسن المذكور مع واحد لعله خليفته الحاج حبيب الله وقبّلا يدي وفرحَا بي شديداً ، ثم حضر آخر هنالك ، ففي أثنائه أخرجت من جيبي كواغذ مربوطة ، فنظر حسن وقال : أسماء أولياء الله مكتوب فيه ، وكان طولانياً ، وقال الرجل الآخر : أين الأولياء ؟ كأنه أنكر على الأولياء ، فغضب حسن أفندي وخليفته غضباً ، وردّا قوله ردّاً عنيفاً وعابا عليه ، ثم بعد ذلك رأيت أنّ جبلاً انصدع وخرج ماء كثير جدّاً والبقعة من أراضي الروس ، وأقول : طوفان يهلك الناس ، ثم تخلصت من هنالك ورجعت وكأني في ولايتنا ، فرأيت جبل قُنْزُنْدٌ انصدع بالماء وشق الجبل وخرج ماء مهولاً عظيماً جدّاً ، وكان بعضها وصلت

إلى بعض أطراف قرية كربكره ، وأنا أقول : هذا طوفان يخرب الدنيا به ، وكان ولدي أرسلان حسين في قرية كربكره ، وأخاف من جهته لئلا يعمّ الطوفان عليه ، بَيْدَ أني أظن أنه تخلّص أيضاً ؛ وانتبهت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . انتهى من خطه قدس سره .

وسألته ﷺ ونفعنا بمعارفه آمين : إنّ ورثة الشيخ الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره أهدى إليّ عمامته وعباءه بعد موته ، فهل يجوز لي أن ألبسه أحياناً أم لا ؟ وأيّ أدب يليق بهما ؟

فكتب في الجواب هذه العبارات : الأدب التام أن تلبسها بقصد إكرام شيخكم ، وبقصد التبرك منها ، وأنت تعلم بالقرينة هل يرضى شيخكم بلبسكم إياها بفرض كون الشيخ حيّاً أو يسخط ، وأظن أن رضاه يكون في لبسك من بيعهم إياها لغيرك ؛ ويحتمل أن الشيخ أمر بتسليمها لكم أو أراد وإن لم يقدر تبليغ الأمر ، فهي تكون حينئذ بحسب الخرقة المتداولة بين السادات ، وقد كتب الإمام الرباني قدس سره حين إرساله الخرقة إلى الملا عبد الغفور السمرقندي بعد التسليمات والنصائح : وقد أرسلت إليكم الثوب الذي تكرر لبسه في الأوقات الطيبة ينبغي أن تلبسه . جعل الله عواقب الأمور خيراً .

تزييل

أذكر هنا كلاماً غير لائق ليكون اطمئناناً وسعة ، ولعلك تحفظها لا مباهاة ولا عجباً : أن السيد سيد الكائنات ﷺ وشرف وكرم روحانيته دعا الفقير وحمله معه وأدخله في بيته ﷺ وأجلسه بين حريمه أمهات المؤمنين ، ووقعت هنالك كلام لا نقدر كشفه ، فأعطاني ﷺ خرقته الأزرق أحب ثيابه له وأخبرني خبر الخرقة من أين حصلت له ﷺ ، فتحيّرت في حقه : هل يمكن لبسه أم لا ؟ .إلخ . ثم بعد شهور رأيت روحانيته ﷺ ، ودعاني وأدخلني بيته بين الحريم أمهات المؤمنين رضي الله عنهنّ ، وأعطاني خرقته الأسود الكبير وأمرني بلبسه ، ثم في المرة الثالثة بعد أيام من ذلك رأيته في الواقعة ﷺ وأعطاني خرقته الأبيض ، فلبس عليه أولاً ثم ألبسني ﷺ بيده المباركة ، ثم بعد مدة رأيت شيخنا ونفسي فداه في الواقعة حضر لدي مع رسول الله ﷺ ، وكان له صفّ من مريديه كأنه من المشرق إلى المغرب ، وأنا في أعلى الطرف منهم وهم مضطجعون وأنا قائم ، فقام الشيخ أمامي وفي يمينه رسول الله ﷺ ، فقال الشيخ : إني أعطيك الخرقة قميصي لتلبسك ، فقلت : لا أريدها لِللُّبْسِ ، فلما تكرر منه القول قلت : آخذها للتبرك لا لِللّبس ، قال : بل تلبسها ، فأشار النبي بالقبول ﷺ ، فقبلت منه ذلك ، فألبسني بيده ؛ وهذه الخرقة وصلت لديّ بعينها من يد الشيخ وأمرني بلبسها في بعض الأحوال[1] ، فالحمد لله على نعمه سبحانه وتعالى ، ولك أيها الأخ سعة وبركة في لبسها ، لكن بحرمة وحسن نية ألبسك الله لباس التقوى بأيدي الأقطاب . انتهى من خطه بارك الله في عمره ، آمين .

وذكر الشيخ رحمه الله في « كنز المعارف » ما نصه : وقد اجتمعته - يعني النبي عليه السلام - في الواقعات والمنام بضعاً

---

(١) وهذه الواقعة مكتوبة في المكتوب التاسع من مكتوباته ، فراجعه . (منه) .

وثلاثين مرةً ، ورأيته أيضاً مرات على حاله منكسرة الرباعية ، والحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده . انتهى من خطه قدس سره ورزقنا الله فيضه وبركته ، آمين .

وسألته ﷺ أشياء ، فأجاب لبعض وأمسك عن بعض ، فكنت أتعجب عن ذلك ، لكن ورد إليّ من طرفه مكتوب كتبه بيده الشريفة ببيان الجواب عما كان أمسكه منذ زمان ، وقال في آخر المكتوب : واعلم أيها المحبوب السبحاني ، لقد طال زمن هذا الجواب بوقوع أعذار غير لائقة لذكرها مع ما عليّ من الضعف والوهن في كل شيء ، وعلي فتور عظيم ما كنت أعهده من قبل من جهة الدين خاصة ، ولقد هممت أن أقتصر للجواب بلا أدري ، وهو الحق الحقيق ، بيد أني كتبت مختصر ما في كتابنا موافق السادات العجمية ، ولعلك تنظر في المكتوب بدقة فهمكم الثاقب ، فإن وقع في حيزكم بالقبول فهو المطلوب والمقصود الأصلي ، وإلا فتشير ثانياً لنكتب ما بدى لنا بعد الآن ، والله الموفق ، ولولا حق المحبة الإلهية معكم لما تجاسرت لكتبة الجواب ، لما أن هذا فهمها من المرشد أسرع وأولى من الرسم والرقم .

ففي الليلة العاشرة من شعبان المبارك تفكرت في حق كتبة الجواب وعدمه ، ففي تلك الليلة في أثناء ذكره غفوت فالتقيت مع روحانية فخر الكائنات ﷺ ، فذهبت أكثر الليلة مع المكالمة معه ﷺ ، ففي آخر الأمر نزع خاتمه وأعطى لي ، ثم إن عليّاً كرم الله وجهه التمس الخاتم للنظر للتبرك فأعطيت ليده فقرأ خطه : محمد بن عبد الله رسول الله ، ورده إلي ، وقرأت مثل ما قرأ ، لكن لم أر اسم عبد الله ، بل رأيت محمد رسول الله ، ثم نزع عمامته البيضاء وأعطى لي أيضاً ، فأخذ صحابي لعله تلك العمامة من يدي ، وأخذ من رأسي القلنسوة وعممها عليها ، ووضع عليّ ، فصلى رسول الله ﷺ صلاة الفريضة إماماً ، وصليت بتلك العمامة خلفه مأموماً ،

وقرأ في الصلاة من طوال المفصلات ، لكنِ وقعِ الحجاب ونسيت أي صلاة كانت ، وأي سورة ، والحمد لله حمداً دائماً كثيراً . فانشرح القلب قليلاً صبيحة الليلة ، فكتبت ما كتبت[١] توكلاً على الله ، لعلك تقبلها . انتهى من خطه ﷺ .

وسألته ﷺ بعدما أجازني لتلقين الطريقة الشاذلية مع أني لم أكن في ظني أهلاً لذلك : ما حكمة هذه الإجازة لهذا الحقير ذي الغواية الخائف المقصر في أداء أمور الطريقة النقشبندية التي أجازه فيها أربابها ؟

وسألته أيضاً بهل يجوز لي أن أجيز أخانا الحاج حبيب الله القحي في هذه الطريقة الشاذلية كما هو مأذون ومجاز في الطريقة النقشبندية من شيخ الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره ؟ فأجاب ﷺ بهذه العبارات : إن من كان أميناً ومستحقاً في النقشبندية الصديقية فبالأولى في الشاذلية بعد أن رأيته أهلاً لذلك ، لما أنّ لسادات هذه الطريقة وسعة نبوية حصلت من شجرة النبوية جعلنا الله في بركاتهم آمين ، فيدك يدي وقبولك قبولي ، والحق دليلي ودليلك ، فامض ما رأيت فأنت أمين الطريقة إن شاء الله تعالى أبيض العقيدة والعزة مبارك الناصية سعيد الطلعة إلخ .

أيها المخلص! إن الإجازة والتلقين أمر عظيم بل خطر جسيم محتاج إلى الإنصاف مع الاستقامة ليكون أقرب إلى الحق بالحق ، وأبعد من البدعة ، ولا يجوز ذلك إلا بعد تهذيب النفس بخدمة شيخ ومرشد كامل ورث الخلافة من الكمل ، بَيْدَ أني لما حسن ظنّ الفقير فيك ، وكنت مجازاً ومأموناً من مرشد كامل ائتمنتك على أسراري وإجازتي ، وجعلتك خازن أماناتي لعلم علّمني ربي بإذن رسول الله ﷺ ، حتى لك وله[٢] ، كما قال ذو المعارف السنية الفاني في الحضرة النبوية سيدي محمد البوصيري قدس الله سره :

---

(١) وهو صك الإجازة لهذا الحقير القحي . (هامش الأصل) .

(٢) أي : للحاج حبيب الله . (هامش الأصل) .

أما الإمـام الشاذلـي طـريـقـه   في الفضل واضحة لعين المهتدي
فانقـل ولـو قـدمـاً عـلـى آثـاره   فـإذا فعلت فـذاك أخـذ بـالـيـد

وقد سألت من شيخنا وروحي فداه ، فأجاب : الأمين أمين في فعله لا غبار في أمره ونهيه ، فامض سبيلك لمصلحة الدين ، وإياك والغش فقد قال سيد الكائنات : « من غشنا فليس منا » ، وحين أن كنت متردداً في حق الإجازة مع حسن ظني فيكم رعاية لاصطلاحات السادات .

رؤيته نبينا عليه السلام يعطيه خاتمه

ففي تلك الليلة حضر روحانية رسول الله ﷺ وكرم وعظم ، وأقامني مقامه وأنا مستحي منه ﷺ ، ووقعت هنالك مكالمات لا أقدر إفشاء سر النبوة مع بشاشة الوجه . . إلخ .

فتبع جمع كثير خلفي قائلين : أنت المحمد أنت خليفته . . إلخ .

فلم أقنع بذلك ، ووقعت في حياء عظيم وتفكُّر ، فحضر ثانياً ﷺ وسلّمني خاتمه ، وكان معه علي كرم الله وجهه ، ونظر إلى خط الخاتم أخذاً من يدي بمحضره ﷺ ثم رده إلى يدي بعد القراءة بأمره ، وملّكني عليه فسررت ، **وحكمت على رضائه** ﷺ **على إجازتي** ، والحمد لله . ففي ذلك الحال حضرتما لديّ مستبشرَيْن بملاقاتي ودخل معكم عليّ واحد من المبتدعين المنكرين ، فأغلظتما عليه القول وأفحمتما ، وأرجو الله عن قريب تفوزون إن شاء الله تعالى بدولة رؤيته ، فاستعدوا لذلك ، والله ولي المتقين ، بارك الله لكم وله ولسائر صلحاء المسلمين الخ . انتهى من خطه رضي الله عنه اختصاراً من مواضع .

رؤيته نبينا عليه السلام أودعه فاطمة رضي الله عنها

ووجدت في أثناء ما كتبه في بيان وقائعه هذه العبارات : ورأيت حين كنت في نَزْرَان أن النبي ﷺ أودع ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها

عليّ ووصاني بها ، فصرتُ معها ذاهباً ولا أعلم المذهب وكانت أمامي ، ثم إنها قالت : فكم أمور على الحق وكم على الباطل ، فدخلت في بركة ماء إلى أن يجوز الماء ساقها وأنا خلفها ، وقالت : هذا على غير الحق ، ثم بعد ذلك دخلت أيضاً في البركة قائلة : هذا على الحق ، وغاصت مع ثوبها في الماء وأنا معها ، بيد أني آخذ إياها بيدي لئلا تغرق والأمواج تضرب يميناً وشمالاً ، وانتبهت والحمد لله ، انتهى من خطه .

ورأيت فاطمة الزهراء مرات وبشرتني بولد فولدت لي بنت زبيدة أم الفضل ، والحمد لله .

ورأيت مرة أخرى وهي تكلمني بكلام تبشرني بأمر وسلمت ليدي سراجاً منيراً مسرّجاً ، وفي هذا الموضع نسيت بعض النوم ، وهذا النوم بعين ما رأيت مكتوباً في موضع آخر ، والحمد لله .

رؤيته نبينا عليه السلام يريه مهدي الزمان

ففي ٢٠ شوال سنة ١٣١٦ رأيت النبي ﷺ وكان حسن الصورة ، ورأيت سنه المكسور في وقعة أحد ، أي رأيته مكسور سنه كأحسن ما يكون من بني آدم ، وأراني مثله بلا فرق مهدي الزمان ، وقال : هذا المولود مهدي اسمه اسمي وأسم أمه أمي ، ولم يقل اسم أبيه كما في الكتب ، وكان حسناً أبيض جدّاً ، والشكر لله حيث أنعمني به .

ورأيت في ٢٢ شوال المبارك المذكور فاطمة البتول على كيفية عجيبة ، وكأنها زمن زفافها لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، ورأيت وجهها برفع حجابها وكأنها ناظرة أمامها ، وقد تكلمت وتكلمت ، ونسيت الكلام ، والحمد لله . انتهى من خطه قدس سره .

رؤيته النبي عليه السلام على صورة شبابته

واقعة أخرى : ففي الليلة الثامنة عشر من شهر رمضان سنة ١٣١٨ رأيت النبي ﷺ ، فتمنيت أن أراه في صورة شبابته ، فرأيته كما تمنيت ،

وكان معتدل القامة مائلاً إلى الطول أسود الشعر بين السمن والهزال ، مائلاً الهزال ، فرأيته والله أبيض من الكاغذ ، ونظرت إلى ذراعه فرأيت كما صبغ من العاج من شدة البياض ، وما بعد ذلك من الكلام معه نسيته ، والحمد لله على كل حال . انتهى من خطه ﵁ .

رؤيته النبي عليه السلام يسأله عن معنى دين العجوز

واقعة أخرى : ففي الليلة الخامسة عشر من مارت سنة ١٩٠٧ سألت في الواقعة عنه ﷺ عن معنى دين العجوز ، فقال ﷺ : لا حاجة لك في معناه بل المراد أن ما التزم فعلها من النوافل تصير عندك كالواجب ، ويجب مراعاة فعلها بلا ترك بفعلها مرةً وبتركها أخرى . وقد فهمت من قوله ﷺ أن التهجد والضحى وأمثالها لا يليق تفويتها أصلاً بل يجب مراعاة فعلها . ثم انتبهت ، فلله الحمد من خطه قدس سره .

رؤيته خاتم النبي ﷺ قد سقط بين أثوابه أوْ فى جوفه

واقعة أخرى : ورأيت ليلة العاشر من ربيع الأول سنة ١٣٢٥ جمعاً من الناس يتشرفون بواحد من آل بيت النبوة ﷺ ، فنظرتهم ثم سمعت من الجهة الأخرى أصواتاً بوجد وبكاء وخشوع من الناس وهم أيضاً مجتمعون كأن أصواتهم تؤثر القلوب الوجلة ، فقلت : من هؤلاء ؟ فأجابوا بأنهم المحترمون لواحد من أهل البيت وهم على الحق على كونه ولد ابنته ، فحضر والدي ، فإذاً ذلك خاتم رسول الله ﷺ ، فأخذته بيدي ، فذهب من يدي ساقطاً ولم أعلم مَسْقَطَهُ : هل ذهب إلى جوفي كما هو الظن الغالب أو سقط بين أثوابي ، فقال واحد من الناس ، أي من بين المذكورين : ذهب الخاتم في جوفك ، وبقيت واحدة في حسرة وبكاء خلفه لما أنها كانت مودوعة عندها ، وكانت تسر بها وتأنس برؤيتها . ثم انتبهت ولله الحمد أولاً وآخراً .

فصل

في ذكر جملة من الوقائع التي رآها شيخنا أبو المواهب خالد سيف الله ﷺ ، وبيان اجتماعه بأبعاض من الأنبياء العظام عليهم الصلاة والسلام .

رؤيته النبي سليمان عليه السلام

منها : ما كتبه قدس سره في مجموعة بهذه العبارات : ففي ليلة الثلاثاء التاسع عشر من شوال سنة ١٣٢٢ رأيت في المنام سليمان بن داود عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام ، ورأيت زوجته ووالدتها ونسيت اسمها ، وتكلمت معه في حق أمور كثيرة ، وملكه مع النبوة بملك لا ينبغي لأحد ، فلم يظهر من ذلك سروراً وأفهمني بأنه وإن كان ملك المشرقين فلا آخذ منها ولو قليلاً لنفسي ، ففي أثناء ذلك طلب واحد من النبي عليه السلام دَيْنه من عباس واحد ، فأجاب بعدم النقد بيده ، وأفهمني أنه لا يأخذ من الملك شيئاً وقد يتعسر عن مثل هذا القدر ، والحمد لله . انتهى من خطه .

رؤيته عيسى عليه السلام

ومنها : ما كتبه قدس سره بخطه بما نصه : ورأيت بعد الفجر يوم السادس والعشرين سنة ١٨٨٢ من شهر ماي أني أذهب من سوق فلانيّ وفي يدي عصا قاصداً زيارة ورؤية عيسى بن مريم عليه السلام ، فقمت على باب دار هو فيها ، فاستأذنت منه للدخول إليه ، فسمعت صوته قائلاً : أتدخل عليّ رسولاً من الله أو وحياً منه تعالى ، أو من جهتك ؟ فأجبته : وحياً من الله ومن جهتي ، وظننت أنّ سؤاله بذلك ظنّاً منه أني من الله لقبض روحه ، فوصلت لديه فسلمت عليه فردّ عليّ السلام بأحسن ردّ وقام وعانقني مرات ، وظني ثلاث مرات ، وهو فرح مسرور وأنا مستبشر به ، واستشفعت وهو يجيبني كما أريد ويصافحني بالبشارة ، ثم أشكل الرؤيا بعد ذلك ، والحمد لله .

ومنها : ما كتبه أيضاً بما لفظه قدس سره : ورأيت أني في الليلة ٢٧ من ماي في السماء السابعة ، وعلمت كونها سابعة بأمارات علمتها هنالك وبخبر صدّيق جاء لدي هنالك ، والتقيت مع النبي عيسى روح الله عليه السلام ، وصافحته وعانقته وقد وقعت بيننا مكالمة شهيّة ما شاء الله تعالى ، فسألني هنالك واحد عن عدد الأفلاك ؟ فأجبته بتسعة أفلاك ، فأنكر السائل على قولي وقال : هي سبعة ، فقلت : بل تسعة ، فقال : أيّ الثِنْتين عديْتُهما ؟ فقلت : الثامنة العرش التاسعة فلك الأفلاك ، فرضي السائل على الجواب ، وانتبهت . انتهى من خطه قدس سره .

فصل

في بيان اجتماعه قدس سره بأرواح الصحابة رضي الله عنهم وبيان الوقائع التي وقعت بينه وبينهم في عالم الأرواح .

رؤيته ابن عباس ﵁

منها : ما كتبه قدس سره بهذه الكلمات : ورأيت عبد الله بن عباس عم النبي ﷺ رضي الله عنهما ليلة الجمعة ٢٦ من إيول سنة ١٨٩٦ وصافحته بأحسن مصافحة مع بشاشة وجه وقبلته ثم جلسنا نتحادث وهو طلق الوجه ، وسألته عن عدة مسائل ، فمن بينها مسألة الفاحك والنبيذ ماذا يقول فيها ؟ **فأجاب بأنه حرام بالنص والحديث ، وقال : إثمهما أكبر من نفعهما** ، وفصل الحديث . لكن اشتبه أكثر ما رأيت ، فلذلك تركْتُ ، والحمد لله رب العالمين . انتهى من خطه .

رؤيته ابن الزبير ﵁

ومنها : ما كتبه قدس سره بهذه العبارات : ورأيت بيت الله الحرام والمدينة المنورة والروضة الشريفة أزيد من عشرين مرةً ، فمن بينها ما أذكر الساعة : رأيت هنالك عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما حواري

رسول الله ﷺ ، ويزيد بن معاوية ، ثم لما تدبرت علمت أنه الحجاج وكان في مقام يزيد ، وكان بين الحجاج وعبد الله بن الزبير مشاحنة وعداوة ، فسعيت بينهما سفيراً في الواقعة المعلومة لكلّ أحد ، ورأيت الزبير ﷺ كأنه ينصح ابنه عبد الله وكأنه يريد الموافقة مع الحجاج دفعاً لضرره ، فقال عبد الله ﷺ : إن ذلك الرجل أي حجاج ظلوم غشوم لا يوافقني أصلاً ولا تقع الموافقة وإن ذهبت إليه ؛ فذهبت لدى الحجاج فوجدته مهاباً فصيح اللسان مليحاً في الكلام ، فتكلم معي في حق ابن الزبير وقال : إني أتركه إن أطاع لي وإلا فلا ؛ ثم بعد مكالمات أرى لي يديه وهي مملوءة بالقروح الخبيثة وقال : إنه مبتلى بهذه القروح بسبب ابن الزبير ، لكن أخفى ذلك عن الناس وإن كانت القروح بسبب تلك الواقعة ، وكأن الحجاج قال هذا القول - أي أخفاه - لئلا يميل الناس إليه . وهنالك مكالمات كثيرة اقتصرت بالأحوط صوناً من وقوع خطأ في الرؤيا . فانتبهت والحمد لله .

رؤيته أكابر الصحابة رضي الله عنهم

ومنها : ما كتبه قدس سره بخطه بهذه الألفاظ : ورأيت أبا بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذو النورين وعلي المرتضى مرات كثيرة ، والحسن والحسين وعبد الرحمن بن عوف وحمزة وعباس ابني عبد المطلب أعمام النبي ﷺ وعليهم الصلوات والتسليمات ملء الأرضين والسماوات ، لكن تفاصيل هذه المنامات كتبتها مع بيان الأوقات التي رأيتها في غير هذا المجموع ، وكتبتها أيضاً هنا مقتصراً لتجديد حمدي وشكري على الله كلما ذكرتها ونظرتها ، وتحديثاً للنعمة التي أنعمني به سبحانه وتعالى ، والله الهادي إلى أقوم طريق .

رؤيته الحسن أو الحسين رضي الله عنهما

ومنها : ما كتبه بيده قدس سر ه بالعبارات الآتية : ففي ليلة الجمعة ٢٧ من سنطابر سنة ١٩١٣ إني دخلت في بيت فاجتمع هنالك جمّ غفير ،

وأكثرهم شيعيّون ، وبينهم أخي حج موسى ، فحضر هنالك خلق مع جنازة حسن ، بل أظن حسين عليهما السلام ، ووضعوا على لوح كأنه مغتسل ، وكأنّ عليه قميص ، ورأيت بياض عنقه وعليه جروح من الضرب بالسيوف ، والناس يبكون عليه بكاء شفقة وحسرة وعلى كونه مقتولاً ، وبعض يترحمون ويقبلونه للتبرك ، وقام أخي حج موسى وقبل ناصيته ، ثم قمت لأقبّله فقبلت بين عينيْه ، ثم لما نظرت بعد التقبيل رأيته مفتوح العينين ينظرني ، فتعجب الناس من ذلك : ما هذه العلامة ؟ ينظر كالحي ، فنظر إليّ نظر مودّة مع تبسُّم ، ثم قام وعانقني وقبلني مرات وصار ينظر إلي جوف قميص مع بشاشة الحال ، وقال : رأيت قُمُص بعض الناس مملوءة من القمل والناس يتعجّبون من ذلك ويحسبون أنّ ذلك كرامة عظيمة وحسن حالي . فانتبهت ، ولله الحمد أولاً وآخراً .

ومنها : ما كتبه أيضاً بخطه قدس سره بهذه الكلمات : ففي ليلة الثلاثاء ٢٦ ماي سنة ١٩٠٧ رأيت في كربلاء جثة الشهداء من آل بيت الرسول ﷺ الذين شهدوا مع السبط عليه السلام وهم ملفوفون بين أثواب ، بيد أن جثّهم - أي أجسادهم - مسودة كجسد الأعراب وصارت كالخشب الجافة ، وعلى البعض شعور غير ساقطة إلا من مواضع قليلة ، وأنا أندب وأبكي عليهم ، ورأيت فيها أجساد الأطفال والرجال والنساء ، وجثة امرأة هرمة ، فقلت : من هذه ؟ فأجاب : واحدة هذه كانت خادمة لأولاد الأسباط ، أي الناظرة إليها . فانتبهت وأنا متأسف على ما رأيت حَرَقان القلب .

رؤيته عثمان وعلي رضي الله عنهما

ومنها : ما كتبه بيده أيضاً بما لفظه : ورأيت مرةً أن الخليفة الثالث ذا النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وأكرمني وأدناني وقال لي : أسأل منك أن تكون معي في الأمور ، ففهمت من كلامه شيئاً كان بينه

وبين علي المرتضى كرم الله وجهه شيئاً من المهاجرة؛ فقلت له: إني أتفكَّر في ذلك وأرجع إليك؛ وأظهر إرادته لرجوعي، فخرجت، فدعاني علي المرتضى كرم الله وجهه وقال: يا ولدي! تكون معي ولا تفارقني، إني كنت أجبت لعثمان كذا وكذا، والآن إنك تطلبني، ولا أعلم بماذا أجيب، بيد إني أريد المشاورة في حق ما طلبتما منّي من سيّديْ كهولي أهل الجنة أهل الجنة أبي بكر الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهما، فذهبت لديهما، فوجتهما في موضع فأدنياني وفرحا بحضوري، ثم حدثت لهما الحادثة الواقعة بين علي وعثمان رضي الله عنهما وما أجبت لهما، وقلت: وقّفت الأمر بينهما حتى أشاوركما؛

فرضيا على ذلك رضاءً وقالا: كن يا سيف الله مع عليّ، فعليّ على الحق والحق يدور مع علي حيث دار؛ فرجعت وأخبرته عليّاً رضي الله عنه ورضي على ذلك وخاصةً على متابعتي له وأظهر سروره.

ثم رأيت عثمان وكأنّ في قلبه من ذلك شيئاً. فانتبهت ولله الحمد. انتهى من خطه.

رؤيته جعفر الصادق رضي الله عنه

وفي الليلة الثالثة عشر من شعبان سنة ١٩٠٨ رأيت الإمام جعفر الصادق، ثم موضع دفنه، والحمد لله. انتهى من خطه.

رؤيته خالد بن وليد رضي الله عنه

ومنها: ما كتبه بخطه بما يأتي: فحين كنت في كفكي رأيت في المنام أنّ جيش المنافقين من الكفار حضروا إلى موضع قريب إلى دارنا العتيقة معسكرين، ووثبوا للإغارة بقصد نهب ما في داري، وعلمت أن قصدهم لنهب قلنسوة أبي سليمان سيف الله خالد بن وليد ابن مغيرة المخزومي الصحابي رضي الله عنه التي فيها ذوابة رسول الله ﷺ وكان يغزو الكفار

في جميع الغزوات بتلك القلنسوة وهي التي قال ﷺ : « خالد سيف الله الذي لا يغمد ، لا ينهزم جيش كان فيه خالد وعليه تلك القلنسوة » ، وهذا الحديث ما كنت سمعت قبل فتبادرت للوصول لدى القلنسوة قبل المنافقين ، ووصلت إليها وأخذتها ووضعت على رأسي ، وجاهدت بها الكفار جهاداً في الله ، وقتلت منهم جمعاً وهرب الباقون فتبعت أثرهم ، فحينئذ رأيت خالد ﵁ أمامي ، ففرحت فرحاً برؤيته ، وعلم الكفار حضوره فخافوا وهربوا ، لكن أنهم كانوا يتشجعون قلوبهم ، والقلنسوة حينئذ على رأسي ، ثم حضر هنالك حج موسى ، فأوصيت له هنالك وقلت : إن قتلت في سبيل الله فهذي قلنسوة خالد سلمها ليده ولا تمسها إلا متطهراً ، وذهبت خلف الكفار . وانتبهت ، والحمد لله .

رؤيته عمر بن عبد العزيز ﵁

ومن ذلك ما كتبه بخطه قدس سره بهذه الكلمات : رأيت في ليلة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز الأموي ﵁ ومعه آخر ، وقد صافحنا وطال الكلام ثم بعد سويعة رأيت في يده عوداً ، فقلت : يا أمير المؤمنين وخليفة حق ! لي من العمر نحو خمسين سنة وما برحت أتمنّى رؤيتكم في النوم لأفوز بذلك ، والآن رأيت في يدك آلة اللهو ، فما هذه ؟ فقال لي : هذا القول منك عدل ولازم أن تنهى لكل واحد كذلك . وانتهبت ، وله الحمد . انتهى .

رؤيته سهل التستري ﵁

ورأيت ليلة جمعة أني حين كنت في بلدة خَرْكُو سيدنا سهل بن عبد الله التستري ﵁ وكان مريضاً وتكلم ، ونسيت كلامه ، بيد أنه رأيت مكتوباً في موضع على باب داره بأنّه ألف كتاباً فيه منفعة للناس . فانتبهت في هذه الحالة ، والحمد لله رب العالمين . انتهى .

فصل

في بيان وقائعه التي رأى فيها أكابر الأولياء العارفين رزقنا الله نصيباً من بركاتهم آمين .

رؤيته قضيب البان وشيبان الراعي رضي الله عنهما

ومنها : ما كتبه ﵁ في مجموعة بهذه العبارات : ورأيت مرةً أني فوق جبل أذهب من موضع وعر وأنا خائف من السقوط ، فوصل هنالك قضيب البان وشيبان الراعي رضي الله عنهما وسلّما عليّ وأخرجاني إلى موضع حسن ، وتَمَّ كلامه . والحمد لله . انتهى .

رؤيته عبد القادر الكيلني قدس سرّه

وفي ليلة حضر لدي قطب الشيوخ الأكابر الشيخ عبد القادر الجيلاني ومعه الشيخ المشهور دمدان المحي رضي الله عنهما ونفعنا من بركات أنفاسهم ، وكانت امرأتي وقتئذ حبلى ، وصافحاني وتكلما معي في الأسرار ، وبشراني بولد صالح . وباقي الرؤيا نسيته وانتبهت ، فلله الحمد أوّلاً وآخراً .

فبقيت بعد ذلك أياماً قلائل أرجو الولد ، فولد لي ولد سميته أرسلان حسين ولقبته بنظام الدين وكنيته بأبي الهدى ، وأرجو الله تعالى أن يكون من صالح عباده المتقين ، وأن يكون بارّاً لوالديه ، إنه الكريم الجواد . انتهى من خطه .

ورأيت مرةً الشيخ الأعظم والقطب الأكرم من انطوى العالم الأكبر الشيخ عبد القادر الجيلاني ، ووقع لي معه محاورات لا أقدر أن أصف هنا ، وسقاني بيده المباركة قدحاً من ماء أحلى من العسل ، وأبيض من اللبن الخ . وكتبت بيانه في موضع آخر ، والحمد لله والشكر على ذلك . انتهى من خطه قدس سره .

رأيت في الليلة الثانية من ربيع الأول سنة ١٩٠٣ - سنة ١٣٢١ وأنا في صحراء قِرْغِز لدى الغني تُرْش رؤيا ، وذلك أني رأيت معي الغوث الشيخ عبد القادر الكيلاني في مجلس الذكر ، فأدخلني بأمره في حلق الذكر مع خواص مريديه ، ففي أثناء ذلك حصل لي وجد ، وصرت أطير من مجلس إلى مجلس من الوجد والعشق في محضره قدس سره ، وأنا على حال عجيب لم أكن أعهده ، والغوث راض عني ، والشكر لله على كل حال .

ثم في الليلة الرابعة من ذلك الشهر صرت في ذلك المجلس وأنا أتكلم في حق حياة خضر عليه السلام ومماته ، فحضر لدينا هنالك ولي من أولياء الله تعالى ، فسألته أيضاً عن حياة الخضر ومماته ، فأجاب بأنه حي باق على حياته ، وقال : وكم لله من ولي لقيه وصافحه ، فقلت : نعم إنه صافحه عدة أولياء كأبي العباس المرسي وأضرابه ، والحمد لله على نعمة الإسلام .

ثم في الليلة الخامسة من ربيع الآخر رأيت عبد الله بن الحاج مَمَ القوبي وقال : رأيت روحانية شيخكم الشيخ الشهير زين الله المعموري ، ورأيته رجلاً وأي رجل ، بيدَ أنه قال لي : أتمنى رؤية سيف الله ؛ وقال لي عبد الله : يا سيف الله ! شيخك يطلب حضورك ويقول : ليس لي مريد لم أره إلا سيف الله هذا . ثم انتبهت ، والحمد لله على كل حال .

ثم سافرت لدى الشيخ وخدمته ، ونالني ما نلت ، وفزت بصحبته ، والحمد لله على كل حال . انتهى خطه .

واقعة أخرى : ففي يوم الأربعاء من ربيع الأول ١١ ماي سنة ١٣٢٣ بعد صلاة الضحى لما غفوت رأيت القطب الغوث الحقيقي الشيخ عبد القارد الجيلاني قدس سره النوراني ، ووقع هنالك أمور ومكالمات ، فلما

أردت كتبة الواقعة وقع الحجاب وتهت كأني لا أقدر المكالمة . . إلخ . وكان عليه عباء سرتيّاً ، وكان مقابل وجهه الشيخ عمر العندي ، ووقع الكلام عليه كراهة شطحاته وقوة حرصه بجمع الدنيا بغير سبيل ، ثم إنّ الشيخ قال : أريد عباء الشيخ للتبرك ، ونهيت له عن إظهار هذا القول للقطب ، وقلت بضحك : من حرصتك في كل شيء ، وقال برفع الصوت : إن الملائكة يأمرونني أن أسأله من القطب للتبرك وهذا القول قال مرتين فلم ألتفت إليه ، وتمنيت عباءه أيضاً ، لكن انتبهت . والحمد لله على كل حال . انتهى خطه .

رؤيته الإمام شمويل قدس سره

واقعة أخرى : ففي ليلة الخميس الثالث والعشرين من ينوار سنة ١٩١٤ رأيت أني مع الإمام شمويل قدس سره الجليل وكان مباسطاً معي ببشاشة ، وكان جسيماً - أي طويلاً - حسناً ، وكنت عنده قصيراً نظراً إليه ، ثم إنّي صرت جسيماً مهاباً حسناً جدّاً طويلاً ، وكان عندي شمويل قصيراً نظراً لطولي ، وصار يتعجّب من جسامتي مع الهيبة الحسنة ، وتكلم في ذلك معي ، ثم انتبهت ، ولله الحمد . انتهى خطه .

رؤيته ذهابه إلى الجهاد ومعه خلق كثير وأمامهم حسن القحي رحم الله إفلاسه

واقعة أخرى : وفي ليلة الأربعاء الثانية عشر من ربيع الأول سنة ١٣٣٦ رأيت أني أذهب إلى جهة وكأني أذهب بقصد الجهاد ، وخلفي خلق كثير ، وأمامهم الشيخ حسن أفندي الحقي رحمه الله رحمة واسعة ، وهو خلفي أيضاً ، وابتدأنا للذكر الجهري ، فحينئذ عرض علي الوجد ، فصرت أرتفع من الأرض بمقدار رمح وأذهب في الهواء وأسعى معهم - أي أمامهم - بلا وصول إلى الأرض ، ثم بعد الفراغ اعتزلت مع حسن

أفندي وقلت : ماذا رأيت ؟ فأجاب : رأيتك مرتفعاً جسيماً ، ولم أعلم هل كنت تسعى أو تطير ، وانتبهت ، ولله الحمد . انتهى خطه .

رؤيته يصلي الجمعة ويتمّها ومريدي محمد الككني يتركونها

واقعة أخرى : وفي ليلة السبت ١٧ أكتابر رأيت أني في مسجد أصلّي مع الناس صلاة الجمعة ، فحين كنت في الجلوس على التحيات إن الناس تركوا الجمعة وقاموا ، ووقع هنالك هرج ، وأفسدوا صلاتهم ولم أفسد ، بل أتممت الصلاة وسمعت قائلاً : تقبل الله منكم ببركة سيف الله ، فنظرت ما هذه الغوغاء ؟ فإذاً قالوا : إنّ شيخنا محمد حاجي الككني حضر ولأجله قاموا ، فعلمت أنهم جهلوا في دينهم حيث تركوا الفرض بلا ضرورة ، ورأيت محمد حاج جالساً ، فصافحني ببشاشة عظيمة وعانقني ، ووقع هنالك كلام كثير ، وعلمته أنّ صدور هذه الأمور من مريديكم غير جائز ، فلم ينكر على قولي ، بل وافقني ، وانتبهت ، ولله الحمد .

رؤيته شيخه محمد ذاكر قدس سره

واقعة أخرى : ففي ليلة الأربعاء ٢١ رمضان سنة ١٣٣٤ رأيت جامع القطبتين مولانا محمد ذاكر قدس سره على أمر عجيب من الحال والمهابة ، فأدناني لديه وقربني ونصحني بعدة نصائح وأقامني خليفة مقامه وأجازني للإرشاد التام وسلّم لديّ صكّ الإجازة ، وفعل معي أموراً كثيرة وأودع لديّ وديعة ، ونسيت أكثر الرؤيا ، ونسيت عبارة الصك وقد كنت حفظته ، والحمد لله رب العالمين . انتهى من خطه .

واقعة أخرى : رأيت في الليلة الخامسة من شهر صفر الخير سنة ١٣٢٥ الشيخ الكامل المكمَّل جامع القطبتين شيخنا أبا عبد الرحمن محمد ذاكر النقشبندي الجسطاوي قدس الله سره ، وتوجه بي ، ونظر إلى

جميع اللطائف ، ثم نظر إلى قلبي وقالبي ، ثم بعد كمال نظره أجازني للإرشاد والتلقين ، وأمرني باستكتاب صكّ الإجازة من واحد ، وأظن أن المستكتب أحمد ولي القزاني ، وقال : إن لم يمكن الاستكتاب له فستكتب من مجاور الروضة الشيخ عبد الكريم الغازي غموقي ولقنني بعبارة الكتاب ، لكن نسيتها ؛ وقال بعد الكتابة : ائتني بها لأمضيها ، ولولا الضعف لكتبت بيدي هكذا ، ثم في أثناء ذلك بعد كلام طويل انتبهت ، ولله الحمد . انتهى من خطه ﷺ .

رؤيته شيخه زين الله قدس سره

واقعة أخرى : ورأيت ليلة الخميس ٦ من جمادى الأولى هذه السنة ١٣٠٨ وأنا في اشترخان الشيخ الشهير زين الله المعموري في جهة من البحر وأنا في جهة ، وقد اجتمعنا ولا أقدر أن أقول كيف اجتمعنا ، ثم رأيت أن مريديهم كلهم مضطجعون على القفاء صفوفاً ، ولم أرَ الحد من جهة ، وكان الشيخ يصلح أمورهم ، فوصل لدي وقال : أثبت ركبتيك ولا تبسطها بالكلية فامتثلت ، ثم حضر رجل كان معه دونه في العمر ، وقال : لِمَ أثبتت الركبة بلا بسط ؟ فقلت : الشيخ بذلك أمرني ، ثم أراني كيفية دون البسط والقبض ، الشيخ هكذا يأمر ، فحينئذ حضر ونظر إليّ ورأى قميصي الأبيض وقال : إنّ قميصك غير نظيف وأعْطي لك قميصاً ، فقلت : افعل قمصاناً كثيرة ، وليس هذا وَسِخاً يحتمل أنّ عليه أثر عرق ، فقال رفيقه : هذا قميص قبليّ ليس بوسخ ، فقال الشيخ : إنّ لي قميصاً منسوجاً بالخيوط أعطيه لك ، فقلت : لا أريد لألبس بل أريد ذلك لأحفظ للبركة ، فقال الشيخ : أعطي لك لتلبس مع الشيوخ قبل أن تنتقل من هذه الدار وإلى أنْ يخلق ، لا أبقى في الدنيا ، وألبسنيها ، فانتبهت مرعوباً ، وتوضأتُ وجلستُ ، ثم بعد ذلك لما غفلت في السنة رأيته على سرير وعليها - أي قدامه - نعمة من الطعام وأجلسني على السرير وهو طليق

الوجه مستبشراً قائلاً : هات رؤياك ؛ فصرت أقص عليه رؤياي ، ثم قال وهو ضاحك : كيف كان اسم رفيقي ؟ فقلت : نعم كان اسمه محمد الأمين أو محمد المأمون ، ولا أقدر التبيين بين هذين ، فانتبهت ، ثم بعد ساعة غفلت عيني ، ورأيته في دار مرتفع وقدام الدار تلّ صغير مُعْشَوْشب وأنا على التل ، فجذبني إليه ولا أعلم كيف جذبني ، ثم رجعت فرأيت كلباً لعل أسود ، وقال الكلب بلسان فصيح : أنا أستاذك أيضاً ، أنا مرادك وأنا أتباعد منه خوْفاً من مسّه على ثيابي وقال بي أنا إمدادك وقبل عليّ ، ثم ثانياً يلتمس منّي التمكين للتقبيل وكأنه في تلك الساعة على صورة عجوزة سوداء قبيحة وقالت : إني عاشقة لك ، فقبلت علي ، ثم انتبهت ، وهنالك كثير من الكلام ، انتهى من خطه قدس سره عن الالتفات إلى سواه تعالى آمين .

رويته عبد الكريم المجاور

واقعة أخرى : ففي سنة ١٩٠٠ في نزران رأيت في المنام أني والشيخ عبد الكريم الداغستاني مجاور الحرم الشريف ذهبنا في مكة المكرمة في الحرم المبارك الأمين ، فدخلنا فيها وصلينا النافلة ، ثم دخلنا في بيت الله الحرام ونظرنا حوالي بيت الله تعالى وصورتها وأنا قائل : عجباً إن هذا البيت ليس على الكيفية التي رأيتها في المنام ، وصورة البيت وسعتها وسمتها فكأني أراها يقظةً ، رزقنا الله الدخول يقظة وأداء حقوقها آمين يا معين .

رؤيته أنه في مدرسة الحاج موسى

واقعة أخرى : ورأيت في ليلة السبت الثالث والعشرين من إيول سنة ١٩١١ لعله الليلة التاسع من شعبان سنة ١٣٢٩ أني في جوار مدرسة الحاج موسى ، وفي موضعه ، وكان رحمه الله في أحسن حال ، وكان يأمر وينهى ، وكان مطاعاً في أمره ، وصرت أمتثل أمره ونهيه ، لكن حين

كوني في إتمام أمره صرت حفيّاً ، فطلبت نعلاً ، فوجدت نعاله ولبستها ، لكن لم يكن النعال طاهراً ، ولم يكن الرجل أيضاً طاهرة ، بل كانت ملوثة بالروث ، وعلى النعال أيضاً روث ، ولبستها للضرورة مع كراهة عدم طهارتها ، والحمد لله أولاً وآخراً . انتهى .

رؤيته والده المرحوم

واقعة أخرى : في ليلة من ليال شعبان هذه السنة ، وبالرومية إيول سنة ١٩١٢ رأيت عجباً : أخبرني واحد ، ولا أعلم كونه ملكي أو بشري ، قال : إن والدنا الماجد - روح الله روحه - في حالة عجيبة عند الله تعالى ، وقال : والدك الماجد حي في قبره حتى أن شعره لم يسقط ، وعيَّن موضعه ، وفي هذه الساعة هو في برزخ بين السماء والأرض وينتقل الآن إلى موضع كذا وكذا ، وله تطوّر ، ثم رأيت لحيته وجثته وكأنه لم يتغير ولا شعرة مع موته ثم وثم ، والحمد لله رب العالمين على ما أنعم علي برؤية والدي حسين على ما يليق لحاله قدس الله سره وجعله وإيانا في زمرة الصالحين . انتهى من خطه .

رؤيته يدعو الله ويدعو له واحد بالتوسل بأويس القراني رضي الله عنه

واقعة أخرى : ورأيت ليلة السبت ٢٧ ذو القعدة سنة ١٣٣٠ أني أدعو الله تعالى وأتضرع وواحد يدعو لي أيضاً ، وتوسل بالولي الصالح أويس القرني رضي الله عنه ، فحصل لي الاضطراب والاضطرار بذكر اسمه رضي الله عنه وشد علي الوجد والبكاء حتى انتبهت من شدة ما رأيت وشدة بكائي ، ووجدت حلاوة أثر ذلك بعد اليقظة ، والحمد لله رب العالمين . انتهى من خطه قدس سره .

رؤيته أنه يحج ويعمر مع ولده

واقعة أخرى : ففي الليلة الثاني عشر من شوال سنة[1] رأيت في المنام أني ذهبت مع ولدي أرسلان حسين وأتممت الحج والعمرة بجميع فرائضها وسننها واحداً بعد واحد ، فبعد إتمام المناسك أردنا استصناع العباءات لنا ، واتفقنا كون لونها لون الورد ، فأتممناها ثم بعد الرجوع من الحرم إلى موضع هناك صلينا الصلاة وصرنا ندعو ، فعرض علي حال حسن مع بكاء وخشوع وأنا أقول : أتعبت بالحج ولا أعلم قبوله أو عدمه ، ثم زاد علي الحال والخشوع ، فحينئذ قال واحد : قبل الله حجكم ، فانتبهت ولله الحمد . انتهى من خطه قدس سره .

رؤيته شيخه زين الله وقلنسوته

واقعة أخرى : ففي الليلة السابعة والعشرين من رمضان رأيت أنا في دار ، وعرجت إلى المرتبة الثانية من السلم - أي المرقاة - فوجدت في الدار شيخنا وروحي فداه وهو مضطجع كأنه مريض ، وتكلمته ، ثم رجعت من عنده ونزلت إلى التحت ، فوجدت قلنسوة شيخنا زين الله مع العمامة البيضاء عليها ساقطة إلى الأرض بلا حرمة ، فكرهت ذلك ، ورفعت القلنسوة وارتقيت بها لدى الشيخ ووضعته قدامه ؛ ووقعت هنالك مكالمة ، هذا انتهى من خطه قدس سر ه .

رؤيته القطب محمد نقشبند قدس سره

واقعة أخرى : ورأيت في ليلة الأربعاء الخامس من أوغست سنة ١٩٠٩ في الواقعة بعد التهجد في الثلث الأخير مولانا شيخ نقشبند بهاء الحق والدين محمد الأويسي البخاري قدس سره النوري ، فرأيته معتدل القامة جميل الصورة مدوّر الوجه أبيض اللون ، مع سواد الشعر معتدل

---

(١) هكذا في الأصل .

اللحية أسود ، وكأنه الساعة إمامي ، فأجلسني في جهة يمينه قريباً منه وأدناني ، وكان عندنا واحد من الأولياء ، لكن نسيت اسمه ، فتكلم معي ببشاشة وسرور ، وصرت في سرور عظيم من جهته ومن رؤيته وكأني أريد منه الإجازة في الطريقة القادرية ، ثم في أثناء ذلك وقع الكلام في الطريقة النقشبندية ، فقال : إن كلام الإمام الرباني كلامي .

وقال : قد أطنب الشيخ محمد مراد المنزلوي في آخر تعريبه على « الرشحات » بكلامي وسماه : كلام فلان ، لكن نسيت اسم هذا الفلاني ، فهو كلامي ، ثم إني قمت وعانقته وقبّلت فمه وشفتيه ورأسه وصرت أمسّ وجهي لوجهه ورأسي برأسه وأنا أقول في ضمن ذلك : أرجو أن لا يمسّ النار موضعاً مسه القطب ، وقال الشيخ الذي عندنا : بخ بخ ، هذا ساعة التقائه فعل هذا وفاز ولم نظن في هذه المدة ذلك ، ثم إن القطب قال : أعطي لك كلامي ، فأعطاني مكتوباته ، فصرت أتصفح صفحة صفحة وأنظر إلى خطه وغرائب كلامه ، فخرجت من هنالك وأنا أقول : من يريد حرمة الشيخ فليؤدب معي ، فقد خالط ريقي بريقه ، ولحمي بلحمه ، ودمي بدمه ، وذلك سألت أن يتفل في فمي ليتنوّر باطني ويأمن من النار والكلام كثير اختصرت والحمد لله . انتهى من خطه قدس سره .

فصل

رؤيته الجنان والنار

في رؤيته ﵁ الجنة والنار ، ورؤيته أهلهما في الوقائع المنامية ، فمنها : ما كتبه قدس سره بخطه بهذه العبارات : وأما الجنة فقد رأيت مرات ، ودخلتها ورأيت أهلها رزقنا الله الدخول فيها ؛ ودخلت النار ورأيت أهلها أعاذنا الله تعالى .

فمما رأيت من الجنان : رأيتها مرةً ودخلتها ورأيت قصورها وسررها ، ورأيت المرحوم الحاج أبكر بن زخي والد حليلتي على سرير في الجنة ، وسألت عنه عن وصوله هذه الدرجة مع مسامحته في أمور الدين ؟ فأجاب بأجوبة ، فمنها : محبته العلماء العاملين ؛ والأجوبة الباقية نسيت الآن ، وانتبهت . انتهى من خطه .

رؤيته عائشة الخوتية في الجنة

ورأيت عائشة الخوتية المعلومة في الجنة بسيمة عجيبة عليها خلق الجنة مع عدة نساء مزينات محسنات كأنّهن الأقمار ، فتعجبت حين رأيتها ، وقلت : يا عائشة ! ما هذا الجمال ؟ فقالت : خجلت حين رأيتك ، فلو علمت التقاءك لما لبست هذه ، وقلت : فما هذه النسوة ؟ قالت : أصيحباتي ، فقالت الواحدة من بينهن : نحن الحوراء نحن الخالدات ورثنا هذا الجمال لأجل هذه عائشة ، ورأيت فيهن دُشُ ابنة مِرْضَى بُدَّ خالتي . وانتبهت ، والحمد لله على كل حال . انتهى من خطه .

واقعة أخرى : ورأيت مرةً أني دخلت الجنة ومعي خلق ، وأنا على سرير من سررها ، ولعل من كان عندي نحو بضع عشر ، وكأني عليهم رئيساً ، ونظرت في جهنم وعذابها وأهلها يستشفعون بي وأنا أجيبهم ؛ ورأيت أقرأ سورة « يوسف » ثم سورة « يس » ثم سورة « هل أتي » ثم سورة « الواقعة » ثم السور الصغار ثم آخر سورة « القتال » ، كأني أريد النجاة من المهالك بآيتين من آخر سورة « القتال » . من خطه قدس سره .

فصل

رؤيته ظهور نور من جسده قدس سره

في جملة من وقائعه قدس سره : قد كتب في مجموعته بما لفظه هذا : ففي الليلة السادسة من شهر رمضان ليلة الخميس سنة ١٣١٨ رأيت أني في مجلس جالس وعليّ حال ما كنت أعهده ، ففي أثناء ذلك إذ

ظهر من جانب اليمين نور من جسدي ، وبدا ذلك النور للحاضرين قبل علمي ، ثم عمّ النور إلى الجهة اليسرى ، فتغير حالي وكدت للغَيْبة عن الوجود ، ثم إن الناس مالوا نحوي يتبركون وأنا أنهيهم عن إشاعة الأمر كراهة ظهور سر الله ، فانتبهت ، ولله الحمد . انتهى من خطه .

رؤيته الكواكب الدرية في النهار

واقعة أخرى : ورأيت مرةً أني بين الصبيان في موضع بيدرة أي جَرْكلّخ ، فرأيت الناس مجتمعين ينظرون السماء قائلين : عجباً من كواكب درية ترى نهاراً بأضوأ ما تكون ، فقلت : إنها مطيعة مترقبة إليّ ، ونظرت فإذاً أربع كواكب ، فرحلت من هنالك ووصلت إلى قرية خونه وهي تسير موافقة لسيري ، ودخلت مسجد خونه ، واجتمع الناس ينظرونها ويتمنونها ، فقلت : هي لي : ورأيت معها أربعة أخرى ، فمددت يدي إليها ، فوصل واحد في يدي وارتفعت الأخرى ، وانتبهت ، والحمد لله . انتهى من خطه قدس سره .

رؤيته تنيناً عظيماً أسود في السحاب

واقعة أخرى : رأيت في شهر رمضان سنة ١٣٢٧ أنّ في السحاب تنيناً أسود عظيماً طوله نحو نصف ميل ، وكأنه في بعض الأوصاف كالبغل ، وأسنانه عظيمة جدّاً كأن فمه فم عقرب ، وذنبه طويل جدّاً كالحية ، فاضطرب في السحاب سرعة ثم نزل إلى الأرض في محلة قرية ، فخفت من داهيتها مستعيذاً من شره ، ثم خرج إلى الجهة التي كنت هنالك ، فوطأ على جمع من الرجال فقتلوا ، ثم صرت في مخافة من رجوعه نحوي ، ولم يكن علي سلاح سوا سكين ، فقلت : إن حضر نحوي فماذا أفعل ولا يمكن دفعه بالسلاح لكبره ؟ فهمّ نحوي ورجع إليّ ، فلما قرب إليّ قلت له مع ثبات القلب : لا تقرب إليّ فوا الله أحرقك بأن أقول مرة : الله الله ! فرجع بلا إضرار خوفاً من ذلك القول ، فانتبهت .

ثم بعد ساعة من ذلك رأيت كأني أذهب من طريق جادة ، ووافق معي رجلان ولم أعلم أسمهما ، فرأينا في موضع مالاً مجموعاً ، فقال أحدهما للآخر : انظر هذا مال عثمان الفلاني جمعه من غير حله وبقي المال هكذا وبقي على رقبته عقوبته ؛ فأجاب الآخر : إن الإنسان كنود أحمق ، يجمع المال لغيره ويلتزم على نفسه العقوبة وقد قدّر الله له الرزق ولا يزيد ولا ينقص ولو مثقال ذرة مما قسمه وإن اجتهد ، ومع ذلك لا يزال في تعب ؛ ففارقت منهما وذهبت من طريق آخر وأنا أقول : يكون للإنسان ما قسم الله ولا يزيد ولا ينقص ، فوصلت في موضع مخضرة ، فقيل : إن ترك شيئاً لله عوّضه الله خيراً منه فجُعْتُ جائعاً وتمنيت شيئاً فلقي لي شجرة دليك - أي شوك وعليها دليك حمراء - ففرحت وأخذت واحداً أو اثنين وقلت : أترك هذا لله ؛ فسعيت قليلاً فوجدت شجرةً صغيرةً وعليها تين كثيرة أكثرها بلا نضج ، وأخذت منها قليلاً من النضج[1] ، ثم سعيت قليلاً فوجدت شجرةً مملوءة من الثمار الحسنة الشبيهة بالتين وفي اللون بالتمر ، فأخذت قليلاً فوجدت شجرةً بأحسن ما يكون غير شبيهة بأشجار الدنيا وعليها ثمرة عجيبة الشكل والطعم ، وقائل : من ترك شيئاً لله عوّضه الله خيراً منها ؛ فأكلت منها ما شاء الله ، وانتبهت . انتهى من خطه بارك الله في عمره وعمله آمين .

رؤيته أسد أسود مطاعاً له قدس سره

ففي ليلة الأربعاء ليلة الثاني عشر من مارت سنة ١٩١٤ وأنا في بلدة سراتو أسيراً رأيت أسداً أسود اللون مطاعاً لي في كل ما آمره ، ويتذلل لكل أمر بالسمع والطاعة . انتهى من خطه .

---

(١) أي : المنضوج . (القحي) .

رؤيته الصاعقة

واقعة أخرى: ففي ليلة رأيت صاعقة وقعد قدام دار عمر بد المرحوم، فصار الناس يقولون: إن حج موسى أحرقته الصاعقة وأحرقته في الأرض، فتبادرت هنالك بكيف لا أقدر المشي من شدة الخوف، فرأيت حاج موسى وعليه قلنسوة أي فاس ينظر إلى جهة قدام داره ويقول: وقعت هنالك صاعقة، ونظرت إلى الموضع فرأيت الموضع منها كأنها حفرة، وانتبهت، انتهى من خطه قدس سره.

رؤيته كأنّ الشمس سقطت إلى الأرض

واقعة أخرى: ورأيت ليلة من سنطابر ١٩١٦ أني في موضع من قرية مجهولة وأنا في موضع كأني أنظر الناس، وصار الوقت متكدرة كأنه مغيّمة أو كسوف، ونظرت إلى السماء فرأيت الشمس تسقط من السماء إلى الأرض مسلوب النور، وقلت: تقع إلى الأرض وتنخسف بها ويقع الهلكة، فسقطت على الأرض وانغمست في الأرض، لكن النهار صار بضوء وأنا أدعو الناس إلى الجهاد وكأن لي موضعاً أدعو إليه الناس. انتهى من خطه.

رؤيته جمعاً من الناس في موضع مزار الولي موسى الكري

واقعة أخرى: ورأيت مرةً أني في قلعة يَلْدَّار، فرأيت جمعاً مجتمعين في موضع مزار الولي لله تعالى موسى الكري، ولم أعلم سبب اجتماعهم، وكان الوقت وقت دخولي في خدمة الروس، ففي أثناء ذلك حضرت لدي من بين أولئك الجماعة زلْمُل أَطَه الغمقية، فسألت منها عن سبب اجتماع الناس هنالك، فأخبرتني للزيارة، فقلت لها: أنا أحق لذلك، فذهبت ولم أجد أحداً برجوعهم من هنالك، فصبرت وتدبّرت، ثم رأيت من الخارج كوةً عريضة مشرفة إلى جهة قرية كور على البيت الذي

على القبر وعليه محجلات حديدية ، فبقيت أتدبر فيها قائلاً : سمعت أنّ على الروضة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام محجلة كذا ؛ فحينئذ ظهر قدامي أثر قبر ، فتعين القبر وعلمت أنه قبر شيخ ، وصرت واقفاً في جانب القبر أدعو الله وأطلب بركته ، فتحرك القبر تحركاً ، وقلت في نفسي ثَمَّ وحشة ، ثم رجعت إلى عقلي ، وقلت : من يتدبر في هول المحشر لا يكون وحشة ، فانشق القبر وطلع أولاً الرجل اليسري ، ثم قام من القبر وإنه ينفض التراب ، وجلس وأنا أدعو الله حينئذ ، وأعلم ذلك الدعاء الساعة ، ثم سألت عنه : من أنت ؟ فأجاب بأنه ولي عبد الله الأُري وأنه هنالك في موضع قدام موسى الكري ، ولما سألته عن سكونه في موضع شيخ موسى بأن لنا التصرف للتنقل إلى أي موضع شئْنا . . إلخ .

ثم لما دعوت قال : آمين ، ثم ثانياً أيضاً وأنا أدعو الله ولم يقل آمين في المرة الثالثة ، فظننت لو أمّن ثالثاً لتمّ المراد ، ثم سألت الله تعالى التأمين لدعائي ، فقال : آمين آمين آمين ثلاثاً ، ثم رجعت بالمصافحة والتقبيل على يديه ، فساعة الانصراف ظننت أني في الخدمة ، فرجعت وهو على حالته الأولى . . .[1] عن خدمتي ، فقال : اخرج من الخدمة ، فلم أرد ذلك وتعلّلت ، وقال : إذا صرت كالثور لا ينفعك الموعظة ولا تقبل المعروف ، وانتبهت ، وهنالك كلام اقتصرت . انتهى من خطه قدس سره .

رؤيته الأحجار العجيبة التي فيها كيمياء السعاد

واقعة أخرى : ورأيت ليلة السبت السادس من شوال سنة ١٣١٥ أني اطلعت على آثار قديمة عجيبة ، وكان بينها رسوم قبور قديمة ، وهنالك أحجار عجيبة ، فأخذت من هنالك حجراً طولانيّاً غير كبير أبيض ، وقال لي الآمر بأخذه : في هذه كيمياء السعادة ، ثم وضعت ذلك الحجر في

(١) لعله : وسألته . (قحي) . (هامش الأصل) .

موضع ملقى وذهبت ، فرجعت ثانياً ، وسبق رجال لدى الحجر وقلت : هذه كيمياء السعادة ، فقلبوه فلم يظهر منها شيء ، ثم أخذته معي ثانياً ، فظهر منها موضع يفتح ، وقيل لي : إنّ ما في هذه إكسير الكيمياء إن ألقي على أي معدن شئت ولو أثراً قليلاً فيرجع ذلك المعدن إلى أيّ شيء تريده ، فذهبت به وأنا مسرور بذلك ، ثم وصلت إلى موضع ، فلقيت ولدي أرسلان حسين ومعه آخر ، وفي إبطه خريطة ، وقال لي : في هذه أيضاً كيمياء السعادة إلى أي شيء مست ما في هذه تصير ذهباً خالصاً ، فمسّ جانباً من الخريطة إلى نبات خضراء فرجعت ذهباً خالصاً بلمسه ، وصار ولدي أيضاً مثلي مسروراً بها . ووقع هنالك مكالمة . ثم رجعت إلى دار لنا ، وصليت هنالك ، وأظن صلاة الظهر ، ثم انتبهت ، ولله الحمد أولاً وآخراً . انتهى من خطه قدس سره .

رؤيته في حالة الفناء أن النصرة للعثمانيين

واقعة أخرى : ففي يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من سنة ١٣٣٣ بعيد الظهر كنت متوجهاً إلى الله تعالى صرت أني[(١)] بين قوم خيار من أهل الله تعالى ، أي في وسطهم ، فعرض عليّ الوارد الإلهي بالتجلي ، فحصل لي حال ما كنت عاهدت بفناء الفناء الذي عين البقاء ، فغبت عن الوجود ، فحين أن كنت في أثناء ذلك الحال خطر في باطني أن كل أمر أريده يكون ، ومسؤولي يتمّ في ذلك الحال ، فبه أردت ظهور أمر خارق للعادة كظهور حيوان يشهد لصحة حالي لتصح به اعتقاد الحاضرين ، فحينئذ نوديت في سرّي أن النصرة العظيمة حاصلة للعثمانيّين وتبلغ سلطنتهم مبلغاً لم تبلغ قبل ، وقال ترجمان الهاتف : اكتب تاريخ الأمر ليتحقّق لك الأمر ؛ فقلت : اكتبوا تاريخ هذا اليوم بعد الظهر أن النصرة للعثمانيين ؛

---

(١) كأني . (قحي) . (هامش الأصل) .

ثم توجهت ثانياً مع ما علي من الحال ، فحصل الفناء التام ، ثم البقاء ، وزاد الحال من الأول ، ورجعت إلى حالي الأول وأنا أقول : اكتبوا تاريخ اليوم ، والحمد لله على كل حال .

مما هتفه الهاتف بأن فلاناً مات

واقعة أخرى : ومن الهواتف ما هتف بي في ليلة انتقال أخينا في الدين العالم المتورّع والناسك الموفق في الدين الحقيقي الحاج إبراهيم بن الحاج مرزى النزوكري ، فتأسفت على ذلك تأسفاً أكيداً ، وإن كان الأسف على القضاء عبثاً ، وصليت فيه ، وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا من بعض الأضغاث وأن يعمره . هذا في محرم سنة ١٣٣٠ ، ثم تيقن الأمر بموته رحمه الله تعالى . انتهى من خطه قدس سره .

واقعة أخرى[(١)] : ففي الليلة السادسة من شهر رمضان ليلة الخميس سنة ١٣١٨ رأيت أني في مجلس جالس وعليّ حال ما كنت أعهده ، ففي أثناء ذلك إذ ظهر من جانب اليمين نور من جسدي ، وبدى ذلك النور الحاضرين قبل علمي ، ثم عمّ النور إلى الجهة اليسرى ، فتغير حالي وكدت الغيبة عن الوجود ، ثم إنّ الناس مالوا نحوي يتبرّكون وأنا أنهيهم عن إشاعة الأمر كراهة ظهور سر الله . وانتبهت ولله الحمد . انتهى من خطه قدس سره .

واقعة أخرى : ورأيت ليلة الأحد ٢٦ إيول سنة ١٩٠٩ أني في إستنبول ومعي رجالنا ، واجتمعت مع السلطان سلطان محمد رشاد ، وقرّبني وتكلم معي وأحبّني ، ودخلت في الدار معه وهي دار السلطنة ، ودخلت أخرى ، وجلس على سرير ، وكان هنالك المعزول سلطان عبد الحميد ، وكان هو مغموماً محزوناً ، وكان لا يتكلم مع سلطان محمد

---

(١) هذا تكرار مر هذا بقلب ورق . (هامش الأصل) .

رشاد ، ورشاد أيضاً كأنه غير صافي القلب معه ، ورأيت الناس ينظرون للسلطان عبد الحميد كنظر من يكرهونه ، وصرت مع سلطان رشاد في مشاورته ، ثم بعد ساعة لما نظرت إلى مجلسه صرت أهيّئ أشياءه وأكنس داره ، ورأيته غير بشاشة الوجه والسلطنة غير محكمة وغير متقوية ، ورأيت المرحوم سلطان مراد أيضاً ، ووقع الكلام مع عبد الحميد قائلاً : الجزاء من جنس العمل ، ما فعلت لإخوانك رجع عليك ؛ ووقعت هنالك مكالمة كثيرة . انتهى من خطه قدس سره .

واقعة أخرى : ورأيت ليلة الأربعاء ٩ إيول سنة ١٩٠٨ أني قتلت أسداً بالعنف بعد أن خفت منه ، ثم بعد ذلك قتلت أسداً آخر . انتهى من خطه قدس سره .

فصل

في بيان ما رآه واحد من أهل الكشف من الوقائع في حق هذا السيد الشريف قدس سره التي تدل بأنه ﷺ من أهل العناية الربانية .

قال سيدو الخلقري[1] نجاه الله تعالى من الاستدراج آمين : أني كنت في شعبان هذه السنة ١٣٣٧ في الليلة الثلاثين منه ، وكانت ليلة الخميس بعد الرابطة بالشيخ محمود أفندي قدس سره ، منتظراً إلى القلب ملازماً على الحضور ، فحضر لدي سيف الله قدس سره فتوجه إلى سري بالمراقبة السرية مع أني كنت لم يلقن الأستاذ تلك المراقبة قبل ذلك ، فحين كنت أنا وسيف الله على الحضور اجتمعنا مع النبي عليه الصلاة والسلام ، فوقتئذ قال عليه السلام لسيف الله : سر معي لترى القصور التي

(١) وهو رجل له كشف وله وقائع عجيبة صحيحة ، وقد كان في تربية شيخنا العسلي قدس سره وبعد مماته تعلّق بزيل هذا المقصّر الحقير ، وهو الآن في دائرة أتباعه ، فافهم . (منه رحم الله إفلاسه) .

تهيأت ذلك ؛ فسرنا معه عليه السلام إلى تحت العرش ، فرأيت العجائب والغرائب ولا أطيق أن أصف تلك القصور ، فأراه النبي عليه السلام بنياناً عجيبة ، وقال له : أنت ستنزل في هذه البيوت ، وكان هنالك خلق كثير بحيث لا يحصى عددهم فجاءوا لدى سيف الله لتهنئة قصوره ، فسأل سيف الله حينئذ النبي عليه السلام : أين بيوت حسن أفندي يا رسول الله ؟ وكان عند بيوته ميدان واسع ، فأشار ﷺ إلى ذلك الميدان فقال : إن بيوته تبنى هاهنا ، وكان ذلك الموضع مكاناً حسناً جميلاً ، بيد أني رأيت في بيوت سيف الله موضعاً قليلاً لم يتم بناؤه ، وقد كان الصانعون يبنون الجدار في ذلك ، وكانت الأحجار تجيء إلى الحائط بأنفسها وذاتها من غير حامل والصناع يضعونها في الجدار ، ثم ذهب النبي عليه السلام وتفرقنا منه ، ثم قرأ سيف الله قدس سره هذه الآية : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ ﴾ الآية .

واقعة أخرى : وكتب هذا المريد المذكور رزقه الله التوفيق وأعاذه من المكر والاستدراج آمين ، وكان في السلوك على نية إتمام الأربعينية : إني رأيت في الليلة الثانية عشر من رمضان ١٣٣٧ وكانت الاثنين ، كأنّ القمر قد كسف ، وكان الناس ينظرون إلى القمر المكسوف ، وذهبت لأنظرها وقلت : هل تكسف القمر إلا في ليلة النصف ، فوجدت الخلق ناظرين إلى القمر يبكون قائلين : ليست القمر مكسوفة بل هي باكية لأجل كون سيف الله في مرض شديد[1] ، وكانت السماء والأرض كأنهما نحاسين في اللون ، فحين كون القمر تبكي استيقظت من النوم ثم قمت وغسلت جسدي ، وتُبْتُ إلى الله وصليت ركعتي صلاة التوبة ثم اشتغلت بالمراقبة والحضور ، وفكرت قليلاً في الأساتيذ ، أي رابطت قلبي بهم قبل المراقبة ، وحين كنت في المراقبة قد دخل لدي الحاج حبيب الله وحسن

---

(١) وقد كان قدس سره وقتئذ مريضاً بحيث ينقطع عنه الرجاء . (منه) .

أفندي القحيين ، فقالا : سر إلى رؤية بنيان سيف الله ودؤوره ، فسرنا فوصلنا إلى تلك الدؤور ، فوجدت في البيت سيف الله ومحمود أفندي وأبا الحسن الشاذلي وعبد القادر الكيلاني قدس الله أسرارهم ، وشاب وشابتين وبنتين صغيرتين كأنّ سنهما خمس سنين ، وقال سيف الله : إني كنت جئت هنا لإيصال هذه البنات إلى هنا ، وقال سيف الله للحاج حبيب الله وحسن أفندي : لو وصلتما قبل ذهاب النبي عليه السلام لكان خيراً ، وكان هنا وذهب الساعة ، فقالا نادمين : هل يحصل لنا هذه الدولة العظمى ؟

وقال سيدو المذكور : وقع هنا كلام بين سيف الله وبينهما ، لكن نسيت الكل ، فذهبا وبقيت أنا وسيف الله وتلك البنات المذكورة ، وكانت خارج البيت صبيان كثيرون يلعبون ويتفرجون ، وكان هنالك ميدان ملآن بالأزهار ، وكانت بينهم ابنة ولدي الميتة في هذه السنة ، وطلبت حينئذ الإذن من سيف الله أن أحضر هذه البنت لدى البنتين كانتا في الدار ، فقال سيف الله : إن واحدة من هاتين البنتين هي بنت حسن أفندي ، فنظرت إلى وجه تلك البنت فوجدتها جميلةً جدّاً ، وكانت في خدها نقطة صغيرة سوداء ، فذهبت لدى بنت ولدي وناديتها فجاءت لدي ، فقصدت مصافحتها فمنعت ولم تسلم يدها ، وقالت : إني أشم منك رائحة الدنيا وهذه الصبيان يكرهون تلك الرائحة ولا يتركون أن أقربهم بعد ذلك ، وقد كنت مرةً دخلت إلى زيل أمي ولأجل ذلك منع الصبيان زماناً كثيراً أن أدنوهم ، وقال : سكتو إني لا أقدر أن أكتب جميع ما قالت البنت المذكورة ، وبعد إيصالها لدى تلك البنتين ، خرجت أنا وسيف الله من الدار ، وانتبهت . انتهى مرجماً من خط سيدو بالعرب .

واقعة أخرى : وكتب أيضاً أني كنت في ليلة الاثنين الخامس والعشرين من رمضان تلك السنة المذكورة واقفاً على الحضور بعد قراءة الختم ، فاجتمعت أنا مع النبي عليه السلام ، وسيف الله ومحمود أفندي

قدس الله أسرارهم تحت العرش في قصور سيف الله ، وكانوا يتكلمون بينهم ولم يكلموني ولم أفهم كلامهم ، لكن سيف الله جاء لديّ وقال : ستقع الحروب بعد انتهاء شهر رمضان فقل للأستاذ حسن أفندي : لا تخرج من البيت إلى أن يصل لديه أمر منا ، وبعد ذلك فارقوا مني ، وكانت في القصر حينئذ البنات الصغار التي كانت هنالك ، ورأيتها في الواقعة المذكورة آنفاً ، ولم تتكلم واحدة منهنّ . انتهى مرجماً من خطه .

واقعة أخرى : قال المريد المذكور : وكتب بخطه ما حاصله : أني كنت بعد قراءة الختم وافقاً على الحضور في ليلة الاثنين ، فاجتمعت مع النبي عليه السلام ومع الشيخ محمود أفندي والحاج جبرائيل أفندي والسيّد الأمير سيف الله فأذن محمود أفندي وأقام سيف الله وصلينا خلف النبي عليه السلام بالجماعة ، ودعا وسأل الله تعالى الحاج جبرائيل أفندي ، وكانت الصلاة صلاة الفجر ، وكان الدعاء الذي يدعو به جبرائيل أفندي للإسلام ونصرة أهله ، ثم قال لي سيف الله : قل لحسن أفندي لا تخرج إلى الحروب إلا بعد وصول الإشارة لديه من جهتي ولا تفش ما في قلبه لأحد ، وخاصة لرجال أوارستان وباعد منهم ، ثم تفرّق مني . انتهى .

واقعة أخرى : رآها هذا المريد المذكور : كتب بخطه ما معناه : إني كنت في ليلة الجمعة في شهر ذي الحجة ١٣٣٧ بعد الغسل ولبس اللباس الطاهر أقرأ الصلوات الشريفة ، وكنت بعد ذلك ناظراً إلى القلب بالحضور ، فناديت الله تعالى وناجيته ، فقلت : يا رب ! أنت أعطيتني من الدنيا ما يكفي ولم تتركني محتاجاً إلى أحد وأرحتني وربّيتني بأحسن تربية ، لكنّي أخاف أن يكون مكراً لي واستدراجاً وأن تميتني قبل رؤية بيتك ورؤية الأرض التي خلقت فيها نبيك عليه السلام والأرض التي دفن فيها ، فإن متُّ قبل ذلك ، فكيف أقف بين يديك وبماذا أعتذر لديك . فحينئذ ناداني الهاتف : اخرج إلى الخارج فإنّ الأستاذ حسن أفندي والحاج حبيب الله

وسيف الله يذهبون إلى الحج ، فخرجت فجأة إلى الخارج فوجدت الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره ، منتظراً إلى قدومي ، وسرنا خلفهم فوجدناهم واقفين في الميدان الذي فيه أزهار حسنة منتظرين إلى قدومنا ، وبعد وصولنا لديهم قاموا وعانقوا بالشيخ عبد الرحمن قدس سره وكان معهم الحاج أذن السلطي رحمه الله تعالى ، فسرنا مع جميعهم إلى مكة المكرّمة ، فأتممنا الحج والعمرمة ، فسرنا إلى العرفة على قصد ذبح الأضحية وذبحناها هنالك ، فوقتئذ صرنا في الروضة الشريفة في المدينة المنورة فوجدنا هنالك خلقاً كثيراً ، ثم سلم النبي عليه السلام كاغذاً مكتوباً قائلاً : سلّم هذا إلى يد حسن أفندي وقل له ليعظ الناس بقراءة ما في هذا ، ثم قام حسن أفندي على درجة من دُرُج المَرْمر ، وكان في جهة اليمني الحاج حبيب الله القحي ، فوعظ للناس وقرأ ما في ذلك الكاغذ ، فبكى الخلق كلهم واندهشوا وطرحوا على الأرض وتحيروا ، وكان يقرأ آيات كثيرة من القرآن ، بيد أني نسيتها إلا هذه الآية : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا ﴾ إلى ﴿ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ . انتهى من خط الرائي حفظه الله من المكر آمين .

واقعة أخرى : كتب المريد المذكور زاده الله توفيق آمين : أني كنت في نصف الليل على الحضور نادماً حزيناً ، فجاء لدي شعبان العوري وشمس الدين الطليقي مع إناء فيه لبن فأخذته من يدهما وضربته بهما بذكر اسم القطب محمود أفندي ، فهربا وقتئذ ، فساعتئذ وصل لدي محمود أفندي والحاج عبد الرحمن العسلي والنبي موسى عليه الصلاة والسلام ، فحمّلوني معهم إلى بحر يسمى ببحر النفوس في السماء ، فاضطجعني موسى عليه السلام في طرف ذلك البحر ، فجاء عليه السلام بكأس فيه ماء أبيض كاللبن ودلك به على جسدي ، وصبّ ما بقي منه في فمي ، وسلم عليه السلام إلى يدي هذه الآية : ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ

﴿وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ إلى ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ، وقالوا : إنك تجتمع بالنبي عليه السلام في الليلة الأولى من شهر رمضان إن شاء الله تعالى ، فذهبوا بعد ذلك ، وكانت الليلة ليلة اثني عشر من شعبان وكانت ليلة الخميس . انتهى .

وكتب السالك المذكور غفر الله ذنبه آمين ما حاصله : إن الحاج عبد الرحمن العسلي كان قائلاً : في الليلة التي اجتمعت معه ومع موسى ﷺ : إنك تجتمع بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام في أوّل ليلة من رمضان ، فكنت في تلك الليلة على الحضور والمراقبة ناظراً إلى القلب بين المغرب والعشاء ، فناداني الهاتف ثلاث مرات : كن متطهراً وأنت تجتمع بالنبي عليه السلام ، فقمت وغسلت جسدي ولبست لباساً نظيفاً وصليت العشاء وقرأت : صلوات الله وملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد عليه وعليهم السلام ورحمة الله وبركاته مائة مرة ، فوقفت على المراقبة المعية بالحضور ، فاجتمعت بالنبي عليه السلام في سدرة المنتهى ، وكان هنالك القطب محمود أفندي والصديق الأكبر أبو بكر رضي الله عنه ، فسلم النبي عليه السلام إلى يدي خلعتين أخضرين وقال : أعط واحداً منهما لسيف الله والآخر لحسن أفندي ، وسلمني النبي عليه السلام الإحرام الأبيض ، **وقال لي الصديق أبو بكر عليه السلام : نحن لا نجتمع بمجلس يقرأ فيه الصلوات تقسيماً** ، ثم قرأ النبي عليه السلام هاتين الآيتين : ﴿لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٤ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ۝٥﴾ وقال بعد ذلك : نجتمع وقتاً فوقتاً ، ثم تفرقوا مني ، فغشي علي بشدة الندم على الفراق منهم ، واحتلمت في وقت الغشيان ، فانتبهت . انتهى .

واقعة أخرى رآها ذلك السالك المذكور حفظه الله من السلب والطرد ورؤية النفس والغش آمين ، كتب رحمه الله تعالى : إني كنت في ليلة الاثنين بعد قراءة الختم واقفاً على الحضور القلبي ، فاجتمت في غار ثوْر مع الأستاذ حسن أفندي ، والحاج حبيب الله ، والشيخ الحافظ شعيب أفندي الباكني ، والسيّد خالد سيف الله ، والحاج عبد الرحمن العسلي قدس الله أسرارهم ، وكان هنالك خلق كثير لا يحصى عددهم ، وكان الجميع منتظرين ومترقّبين بمجيء النبي عليه السلام قائلين : يفعل الديوان بعد مجيئه ﷺ ، فحضر النبي عليه السلام ساعتئذ وكان معه خلق كثير ، فساعة حضوره عليه السلام دعا لديه سيف الله قدس سره أولا وقال له : اذهب إلى داغستان مع الخلق الذين يحضرون معك لاتحاد أهل الإسلام ، ثم دعا سيف الله الحاج أُذُن ، ونسيت ما وقع بعد ذلك . انتهى .

واقعة أخرى : كتب المريد المذكور سامحه الله من فرطاته آمين : رأيت في ليلة الخميس السيد سيف الله والحاج عبد الرحمن العسلي والحاج أذن السلطي وقالوا : هؤلاء القزاق الذين علوا علينا هم أعمالنا السيئة أطلقهم الله تعالى علينا حين غضب ؛ وسألتهم : أليس لنا إمكان ما لخلوصنا منهم ؟ فقال الحاج عبد الرحمن : نعم يمكن أن نتخلص منهم لو قرأ الختم بالتضرّع والإلحاح مع التوبة بالندم والانكسار ، فبعد ذلك قد جاء الجنود الكثيرة وبيدهم رايات بيضاء وسلموا إلى يد سيف الله كاغداً ، ثم قال سيف الله : إن النبي عليه السلام يصل لدينا مع عساكر الترك فهيئوا للقائه ، فذهبوا وقتئذ للقائه ، وانتبهت . انتهى .

واقعة أخرى رآها المريد المذكور أيّده الله بمدد مشائخه آمين قال : كنت في ليلة الاثنين بعد قراءة الختم واقفاً على الحضور القلبي ، فاجتمعت بالشيخ محمود أفندي والإمام الرباني وسيف الله قدس الله أسرارهم والنبي عليه السلام ، فقالوا لي : سر للقاء الجنود ، وكان فرس

النبي عليه السلام أبيض ولون أفراسهم كان مختلطاً بالبياض[١] والخضراء ، وكان لي بغلتي ، وكان الكفار يهربون منّا ، وحين كنّا كذلك لقينا الأستاذ حسن أفندي والحاج أذن حج مع جنود كثيرة قوية ، فوقتئذ عانقنا حسن أفندي وأذن حج ، ثم قال أذن حج للنبي عليه السلام : قد قتل فلان[٢] ، وسماه باسمه ، فأذن لي أن أقتل فلان[٣] وسماه باسمه ، فقرأ النبي عليه السلام آيات طويلة من القرآن ، ولم يجب للحاج أذن بنعم أو بلا ، ونسيت تلك الآيات المقروءة إلا هذه : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ ، وانتبهت .

واقعة رآها المريد المذكور رزقه الله الاستقامة التي هي من أجل الكرامات : إني رأيت في الواقعة فرساً أسود قد ظهر في السماء من جهة المغرب ، ثم انتفخ الفرس وكبر وكاد أن ينتشر في السماء كالسحاب الأسود ، وكان الناس ناظرين إليه باكين صائحين خائفين ، ثم ظهر فرس أبيض من جهة المشرق فانتفخ وكبر وانتشر في جو السماء حتى كاد يملأ الهوى ، فوقف ذلك الفرس الأسود في مكانه . انتهى .

وهذا الحقير كتب الواقعة بعينه ، وأراه سيف الله حين ذهب لعيادته إذا مرض في رمضان الماضي سنة ١٣٣٧ فتهلل وجهه بالفرح والسرور ، **وأول الواقعة إلى النجاة من الأعداء ووقوف شوكتهم**[٤] ، فلله الحمد والمنة .

واقعة أخرى : قال المريد المذكور غفر الله ذنبه آمين : إني كنت في جيش مع الأستاذ حسن أفندي والحاج حبيب الله ، فكنا نحارب الأعداء ،

---

(١) أي : ژَحِلَبْ . (عجم) . (هامش الأصل) .
(٢) هو نجم الدين ، فافهم . (هامش الأصل) .
(٣) هو غيتمار ، فافهم . (هامش الأصل) .
(٤) وكان الوقت حين وصل إلينا شوكة القزاق . (منه) .

وكانوا يقاتلون ، فانفصل مني عضدي في حالة القتال ، وأخذها حسن أفندي بيده ، ثم وصل لدينا سيف الله وقال له : لِمَ خرجتم بغير إذن مني ومشاورة معي ، ثم أخذ سيف الله عضدي من يد حسن أفندي فوضعها مكانها فألصقها كما كانت قبل الانفصال ، ثم حاربنا الأعداء فألجأناهم إلى البحر الأسود وكان على البحر دخان أسود . انتهى . وقد صدق الله تعالى رؤياه ، ولله الحمد .

فصل

في بيان الوقائع التي رآها المريد المذكور قبل موت السيد الأمير قدس سره التي تدل على موته والتي رآها في ليلة موته والتي رآها بعد موته .

قال الرائي : رأيت في الليلة التاسعة من محرم سنة ١٣٣٨ خلقاً كثراً ، وكانت هنالك صدقات تقسم ، وكنت أنا وسيف الله هنالك ، فجاء رجل وقال يا سيف الله : إن النبي عليه السلام يدعوك لديه ، فذهب لديه عليه السلام ، وكنت معه ، وتعانق سيف الله بالنبي عليه السلام ، وكنت أنا بعيداً منهما ، ثم قال عليه السلام لسيف الله : أتى أمر الله برجوعك إلى الدار الباقي منتقلاً من الدار الفاني إلى الديار المتهيئة لك وقد تمت بناؤها ، فقال سيف الله جهراً : الحمد لله الذي خلق الخلق لأجلك وخلقك رحمة للخلق ، أنا راض على ذلك وأنا عاشق إلى المجيء إلى تلك الديار ؛ ثم قرأ النبي عليه السلام آية من القرآن ، ونسيتها . انتهى .

واقعة أخرى : قال ذلك المريد هداه الله إلى ما فيه صلاحه : رأيت في ليلة الاثنين ١ من صفر سنة ١٣٣٨ ميداناً فيه أزهار ، ووجدت فيه جنازة سيف الله قدس سره ، وتعلقت بالجنازة وناديت :

وَيْ دِرْ أَستَارَصُــلْ مُـغْ چَلِبْ قُـرُ   دُيْـكِ شَـرَبِـشْخَ قُعَبْ خَـلِلْ پَـــرْ

فقال سيف الله : اضطجع هاهنا عندي ، ففي هذه الساعة يجيء لدي النبي عليه السلام مع جنود من أصحابه ليصلوا عليّ صلاة الجنازة ، فجاء النبي عليه السلام مع جنود كثيرة بحيث يملأ بهم الميدان ، فقبّل النبي عليه السلام على وسط جبهته ، فصلى هو والجنود عليه ، ثم قرأ النبي عليه السلام آية : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ﴾ ، وأطال في القراءة ، فرجع النبي عليه السلام ، ثم قال لي سيف الله : الآن يجيء لدي جبرائيل مع جنود من الملائكة ليصلوا علي صلاة الجنازة ، فجاء جبريل عليه السلام ، وقبّل على جبهته وصلى هو ومن معه عليه صلاة الجنازة ، فحين يرجع جبريل عليه السلام قرأ آية لكن لم أفهمها ونسيتها ، ثم قال سيف الله : الآن يجيء لديّ محمود أفندي مع أهل الطريقة النقشبندية ليصلوا علي ، فجاء وقتئذ مع جنود من المشائخ ، فقبّل على جبهته سيف الله ، ثم صلى هو ومن معه ، ورجع من كانوا معه ، ثم قال سيف الله قدس سره : إن القطب عبد القادر الكيلاني يجيء لدي مع أهل طريقتين ليصلوا عليّ ، فجاء الكيلاني وقبل على جبهته ، وصلى هو ومن معه عليه ورجعوا ، ثم قال سيف الله : إن القطب أبا الحسن الشاذلي قدس سره يصل لدي مع محمد صالح مع جميع الشاذليين ، فجاء حينئذ وقبل بوسط جبهته ، وصلى هو ومن معه ، فحين يرجعون قال محمد صالح لسيف الله : إني كنت خائفاً من عدم وجدانك من تعطيه الخرقة ، ثم قال : الحمد لله الذي أوجدك من تعطيه الخرقة وأوصلك لدينا . ثم قال سيف الله : إنّ أصحاب النوبة يصلون لدي مع البدلاء ليصلوا علي ، فجاء وقتئذ سبعة من أصحاب النوبة وكان قبلهم رجل له لحية طويلة عريضة بيضاء ، فقبل جبهته وصلى هو ومن معه عليه ، لكن وقف البدلاء خلف أصحاب النوبة وصلوا عليه مأمومين ثم رجعوا . ثم قال سيف الله : نحن نفارق الآن وتحملني الحور العين ، فقل لحسن أفندي : كل ما قلت لي فقد أتممته وسيصل إليك ، **فجاءت الحور العين ساعتئذ فحملت الجنازة وذهب هو معهن** ، وانتهت . انتهى .

أقول والله أعلم : إن هذا الرائي كان بعد ما رأى هذه الواقعة يبكي كثيراً ويقول : إني أخاف من انتقال سيف الله من الدنيا ، فبعد أيام وصل الخبر بموته قدس سره ، **فصادف ليلة موته ليلة رؤية الواقعة ، فقد مات قدس سره وقت فجر تلك الليلة التي رأى فيها الواقعة وهي الليلة الأولى من صفر**(١) ، فما أصدق هذه الرؤيا .

واقعة أخرى : قال المريد المذكور : إني رأيت في الليلة الخامسة عشر من محرم سنة ١٣٣٨ كأني اجتمعت أنا وحسن أفندي والحاج حبيب الله أفندي في البيوت التي كنت رأيتها في الواقعة المذكورة المعدة لسيف الله تحت العرش ، ثم تعانق النبي ﷺ بهم وبي وصافحهم ، وكانوا قاعدين وكنت قاعداً بعيداً منهم ، ثم سألني سيف الله : هل لهذه البيوت شيء متهييء فوق ما كنت رأيته من قبل ؟ فقلت له : نعم إنّ البيوت لم تكن هكذا من قبل ، والآن كانت البيوت من الجهات يرى الشخص كما يرى في المرآة ، وكانت في سقف البيوت خط القرآن مكتواباً بخط حسن جيد بمداد الذهب ؛ وقال سيف الله لحسن والحاج حبيب الله أفندي : إني أختم القرآن متكئاً على التخت هكذا خمسة عشر مرة في الملوين ، وهل يكون نعمة ما في الدنيا أكبر من هذه . انتهى .

واقعة أخرى رآها المريد المذكور قال : رأيت في الواقعة كأنّ سيف الله يقول لي : إن حسن أفندي يظن هل يصلى على الحي الذي لم يمت صلاة الجنازة ، فقل له : إنه كان لي أرواح كثيرة قد ابتدأ لخروجها منذ شهر رمضان ، وقد كان بقي في أثر قليل من الروح فخرج ذلك في الأخير . انتهى .

أقول : وقد كنت أخطر ببالي : كيف رأى هذا الرائي أن جمعاً من هؤلاء المذكورين يصلون عليه صلاة الجنازة في تلك الليلة التي مات هو

---

(١) من تلك السنة المذكورة . (هامش الأصل) .

في فجرها ، والله أعلم ، وهذا المريد صاحب الوقائع قد كان حين رأى هذه الوقائع في السلوك بنية الأربعينية ، وقد أريت وقائعه لسيف الله حين كان حيّاً ، فنظر إليها وقال : يا ولدي ! يجوز ذلك أن تكتب منها ما رآه في حقي في أثناء ترجمتي ، ولأجل هذه الإشارة الميمونة كتبتها هاهنا ، رزقنا الله تعالى ولو قطرة من فيوضاته ورشحة من بركاته ، آمين .

ومما رآه المريد المذكور حالة سلوكه أنه قال ما معناه : إني كنت في ليلة الاثنين بعد قراءة الختم واقفاً على الحضور القلبي ، فاجتمعت مع الشاه نقشبند محمد البخاري والإمام الرباني ومحمود أفندي الألمالي قدس الله أسرارهم آمين ، فقالوا لي : قل لحسن أفندي : علّم المريدين بقراءة الختم والصلوات في هذا الشهر ذي الحجة ، وفي الخامسة عشر من محرم سنة ١٣٣٨ وبالاجتهاد لقراءتهما لأن في جهة الإسلام خوف شديد ، والمريدون من جهة المغرب ومن جهة الشمال منها في قصور وفتور في تلاوتهما وهم مشغولون بالحرف ، وفي هذه الساعة قد ظهر فرس أسود من جهة المغرب ، فحينئذ قد اجتمع خلق كثير وهم يصيحون ، فذهبوا لملاقاته وبشدة إسراعهم وشدة أصواتهم ، انتبهت . انتهى .

ومن وقائع هذا المريد رحمه الله أنه قال : رأيت في حالة السلوك في ليلة الجمعة بعد قراءة الصلاة المشهورة واقفاً على الحضور القلبي أتفكر في الظلم الذي هو منتشر على الخلق ، فاجتمعت بالقطب محمود أفندي وخليفته الحاج جبرائيل أفندي وخليفته الحاج عبد الرحمن نفعنا الله بهم آمين ، فقالوا لي : سِر إلى أُحُد لزيارة حمزة ﵁ لنسأل الله تعالى عنده برفع هذه البلايا التي على الخلق ، فذهبنا فوجدنا هنالك مسجداً كأنه مسجد حمزة ﵁ ، ودخلنا فيه وكان المسجد صغيراً ، وحين كنا هنالك نسأل الله تعالى وندعو إذ جاء النبي عليه السلام ومعه أبو بكر وحمزة وعباس ، فقال النبي عليه السلام لمحمود أفندي :

تقبل الله دعاءكم إلا أنّ الدماء قد تسفك وإنّ الضرر للخلق قد يحصل وغضب الله عليهم لعدم اتحاد أهل الإسلام ، وبعد ذلك فرق منا النبي عليه السلام وفارقنا . انتهى .

ولهذا السالك وقائع عجيبة جدّاً ، وقد ذكرت هاتين الواقعتين هنا وإن لم تكونا مرئية في حق سيف الله لكونهما من المبشرات ، وقد أوّلناهما على حفظ أهل الإسلام من ضرر الأعداء ، فإنّ الوقائع وإن لم يجز العمل بها لإمكان وقوع الخطأ فيها ولعدم العصمة بخواطر غير المعصوم ، لكنها لا تكون خالية عن المنفعة بالكلية ، وفي الحديث : « ما منكم من أحد يصيبه شيء إلا ويراه قبل ذلك حفظه من حفظه ونسيه من نسيه » . انتهى .

وقد كان خالد سيف الله يخبرنا بالمشافهة ويكتب إلينا بقلمه كثيراً مما سيقع في هذا الخلق وقد وقع الكل كما قال ، وذكر ذلك مما يطول ، وكثير من الناس قد رأى ما قاله عياناً ، فلله الحمد على ذلك .

ثم اعلم أيها السعيد : إني سألت شيخنا سيف الله قدس سره بالرسالة عن مشائخه وعن مشربه ، فأجاب بقلمه بهذه العبارات الأتية : هلا تركت هذا السؤال ، ولو تركته بالكلية لسررْتُ ولكن لا بد لك الآن من الجواب ، إن الشيخ المشهور العالم العلامة الحاج خصبولات أفندي الكستاكي لما لقيته ووقعت بيننا محبة عظيمة جدّاً وأقامني عنده وقرأت عليه كتاب « سلك العين » ، ثم إني أظهرت له قدس سره إرادتي في حق أخذ العهد منه ، وكان هو من خلفاء شيخنا محمود الفعال قدس سره ، فقال : أخبرني روحانية شيخي أن رضاعك يكون من الشيخ العارف محمد ذاكر قدس سره وأمْره في مقام عال وتكون عنده في الربيع ، فتحيرت من ذلك وقال لي ثانياً : كنت تمنيت أن تكون ابني ، بيد أن الأمر لله ، فاشتقت لرؤية محمد ذاكر قدس سره ، فمرضت وبقيت مدة

أربعة أشهر ، وخرجت بالوداع منه في الربيع قصداً إلى العارف محمد ذاكر الچسطاوي ، وأخبرني الشيخ العارف السيد أبو عبيدة الحسيني بأنّ الشيخ أخبره بوصولي في وقت معين ، فوافق حضوري لديه كما قال ، ووصلته بفضل الله تعالى وعنايته ، فوجدته بحراً لا ساحل له والبركة واليمن يفوح من جوانبه والفرح يلوح من جبينه ، وكان عارفاً بالله لا يأخذه في الله لومة لائم ، وما رأيته يتكلم بكلام الدنيا القط ، وكان يفني أوقاته بالمراقبة ، ففرح بحضوري فرحاً ، وكان هنالك من المريدين أزيد من ألف وخمسمائة ، وأنزلني في موضع حسن وما جلس في مجلس قط ما دمت في جواره إلا ودعاني لديه ، وكان من هيبته ما تتحير به العقول ، فبقيت مدة ، وأقامني على سلطان الذكر أربعين يوماً ، ثم بعد أن لقنني النفي والإثبات إن قريبنا سيد أبو عبيدة الحسيني قدس سره خليفته قصد الرجوع بأمره إلى الوطن وأمرني بالقيام لديه ، فكتب إليه السيد عبيدة كتاباً بأنّ والدة سيف الله في قلق فاستطلقني منه ، ولم يكن لي من ذلك خبر ، فكتب إلي : لَكَ الرخصة ، ثم ذهبت لديه فقلت : إني أرجع ثانياً لديك ، فتبسَّم قدس سره وقال : إذاً لا تراني ، فبعد المفارقة منه ندمت ندامة الكسعى حين لا ينفع ، ثم ذهب سيد عبيدة لديه راجعاً ، ومات الشيخ ، فكان رسالته تتوالى لدي كل وقت وقد وصى بأن أكون على ما لقنه برهة حتى يقيِّض لي من يقبلني ، والوصية على ما قال سيد عبيدة ، فبقيت كالحية الملقاة بموت الشيخ لا أدري ما أفعل ، وسعيت لدى من سمعته شيخاً ، فلم يطب قلبي من أحد بعد أن رأيت ذلك الولي العارف ، وبقيت كذلك ، ثم وصلت الإشارة من روحانيته بذهابي لدى الشيخ زين الله المعموري الشريفي الكائن في ولاية سِبِير جهة الشرق فتحيرت ، فوصلت في أثناء ذلك رسالة من سيد عبيدة بكونه لدى القطب العلامة زين الله الشريفي التريسكي ، والتمس مني ملاقاته وفصّل فيه مناقبه وعلو

درجته ، فبقيت بعد ذلك أكتب إليه وهو يأمرني وينهاني ، ووصل إليّ رسالة بإجازة مقيدة ، فبقيت مدة لا أعلم ما أفعل ، ثم في ليلة أتاني روحانية العابد الكبير والوليّ الوفير عبد الله القوبي وقال لي : لازم عليك الذهاب إلى زين الله وهو منتظر لقدومك ، ورأيت روحانية الشيخ محمد الذاكر قدس سره ، ونظر إلى جميع اللطائف وامتحن أموراً ، فأجازني بالإجازة المطلقة وسماني أويسيّاً ، فحين ذلك تهيج أوصالي للذهاب إلى زين الله ، فخرجت توكلاً بالله في السنة الماضية ، فلما وصلت إلى أطراف سِبِير لقي لي واحد وتكلم بالعربية والموضع ليس هنالك أحد من المسلمين ، وقال : إن هنا رجلاً وأي رجل ، فإن لقيته تفرح ، فذهبت لديه وهو على المَشنة ، ووجدته رجلاً لا يريد المكالمة ، فذهبت لديه مرتين ، وساء قليلاً ظني قائلاً : ما أثقله ، ففي المرة الثالثة قال لي : كأنك تريد مجلس الشيخ زين الله ؟ فقلت : اللهم نعم بالله ، فانشرح من قوله صدري ورافقته فوجدته عالماً متورعاً ومرشداً كاملاً أميناً بارعاً من خلفاء زين الله وهو أيضاً يذهب للزيارة لديه ، فوقع البسط بيننا ورافقنا إلى أن وصلنا إلى بلدة التريسكي ، ونزلنا في مسافرخانه ، وذهب المذكور صديقي لدى الشيخ ورجع مباسط البشارة : يا ولدي ، ولم أعلم مراده وما سألته ، ثم في الصبيحة لاقيت للشيخ زين الله بن حبيب الله خليفة أحمد ضياء الدين الكمشخانوي ، فوجدته قطب زمانه وعلامة عصره خارجاً عن حدّ الوصف والمزاحمة عليه من كثرة الناس فمما لم يسمع قط ، فأدناني وقرّبني وجعل لي من بين الخلفاء مجلساً خاصّاً ، ثم أقامني بعد انتهاء المراقبات في الأربعينيات ، ثم بعد أيام جمع من الأطراف خلفاءه ، وكان المزاحمة بكيف لا يمكن التوسل لدى الشيخ فجعل قرى عظيماً وصرّف نقداً كثيراً في مجلس الضيافة وتصدق بصدقة عظيمة للناس ، وأمر الناس بالدعاء لي وللمسلمين كافةً ، وألبسني خرقة بيضاء تبرُّكاً التي

توارثها من ساداته وأجازني في بعض أمور ، وسلم ليدي أسانيد العلوم بعد الامتحان وسنده أعلى سند الآن في الدنيا في الحديث ، ثم أقامني مدة ويختلي معي بالتوجه والتلقين ، ورأيت خلفاء من العلماء الكمل ، فوا الله ما رأيت فيهم أحداً ولو أدناهم برأيي ممن يليق أن أجلس معهم لعلو مقاماتهم ، وكنت أحسب نفسي كالكلب عندهم ، **ومع ذلك كانوا لا يتجاسرون للجلوس إليّ حين كنت مع الشيخ ، ولم يكن بيني وبين الشيخ أحد ، ولم يكن الكلام والمصلحة إلا معي** ، وأظن أنّ ذلك لبعد مكاني وكوني غريباً .

تذييل

وقبل أن أصل إلى الشيخ كان يتردد في قلبي الشيخ محمد مراد المنزلوي ، ثم المكي مصنف « المكتوبات » وتعريبها ومعرب « الرشحات » وأمثالها فائق الزمان ، فأخبرني الشيخ في مجلس أنّ محمد مراد يصل عن قريب ، فلم أفهم من قوله مراداً ولم أتفطن ولم أقدر أن أرجع بالسؤال مَنْ محمد مراد ؟ ثم في يوم بشرني الشيخ بوصول محمد مراد وقال : إنّ محمد مراد كما كان اسمه مراداً وجسمه أيضاً مراد ، فوقعت المصاحبة معه والمحبّة ، وكان حضر لزيارة الشيخ زين الله وحضر أيضاً للزيارة حفيد سيد علي المحدّث المدني ، وإنّ المذكور مراد أفندي كان جبلاً في العلم ، **فتشرفت بالطريقة القادرية** قدس الله أسرار أهاليها ، وكان المذكور ممن أخذ الطريقة الصديقية من عدة مواضع كسيد حسين جمال الليل وعبد الحميد الشرواني ومحمد مظهر وشيخ صالح الزواوي قدس الله أسرارهم ، وكذا باقي الطرق ، وكان عند شيخنا في موضع القبول تماماً ، ثم إن شيخنا زين الله متع الله بطول بقائه مسلمين جمع جميع خلفائه والعلماء الأئمة والمشائخ ، وفعل لهم ضيافةً عظيمة يحتمل أن

يكون المجتمعون أزيد من خمسمائة ، فسلمني صك الخلافة في الطريقة المجددية مختوماً بخاتمه ووعظهم بكيف يهيج الأوصال ، ووقعت بينهم بكاء ووجد ، وقال : **هذا مير سيف الله خليفتي وحامل أمانتي وهو ولدي ويده يدي وقبوله قبولي والله وليّي عليه في الدنيا والآخرة ، وأرجو منكم أن تحفظوا حرمتي فيه ورعاية آدابي به** ، ثم دعاني والناس كلهم يؤمنون ، ثم أمر بالدعاء لي للشيخ محمد مراد ، وكذا أمر لعدة من الصلحاء فقاموا كلهم وصاروا يقبّلون يدي ، فكان نفسي كأنها تذوب من شدَّة الحياء منه ومنهم لكوني بمنزلة الكلب في أبوابهم ثم ألبسني الخرقة المذكورة وأجلسني عنده وأمرني بالقيام على الإرشاد ، فاستعفيته غير مرة ، فقال : هذا أمري بالله لله فافعل ما أنت له ؛ فبعد قيل وقال رجعت من عند الشيخ والمراد والقلب في حرقة من المفارقة ، فبعد وصولي هنا كتبت رسالة بالاستعفاء عن توغّلي في التربية نظراً لحال المريدين والمرادين ، ومع ذلك وصل الأمر في هذه الأيام وكأنه كان يريد أن أذهب إلى جهة بخارا وما وراء النهر لتربية المريدين لكثرة مريديه في تلك الناحية ، وإني أيها الأخ في شغل عظيم في حيرة وأرى صون نفسي في قعر بيتي والعلم عند الله ، والقصور علي لازم كل وقت ، وعلي ضعف ووهن في القوة . **هذا حالي ، وبينت لك قصتي ، وما نطقت بحرف من هذا مع أحد ، ولولا الثقة لما أخبرتك** ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وإنّ شيخنا المذكور أورع خلفاء أحمد ضياء الدين الكمشخانوي وهو أخذ الطريقة من القطب الفرد صاحب المقامات والأحوال الخارقة السيد أحمد بن سليمان الطرابلسي الحسيني وهو من القطب شيخ خالد الشهرزوري قدس الله أسرارهم ، وإنّ الشيخ زين الله المذكور أخذ أيضاً الإجازة من عدة مشائخ كرام ، ولعلك تفوز بمناقبه ، وفي مناقبه تأليفات ، والله أعلم خير الأمور ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . انتهى من خطه قدس سره .

وقد أجاز ﷺ هذا الحقير المدعوّ ببَلُوهَان حسن بجميع ما أجازه أشياخه قبل فراقه من الدنيا وألبسه بيده خرقته التي ألبسها عليه شيخه زين الله وأوصى بتسليم خرقته التي ألبسها عليها شيخه في الشاذلية ، وانتقل من الدنيا والحال أنه يذكر الحقير إلى آخر نَفَسِهِ كما أخبرني من كان في حضرته وقت الاحتضار[1] فجزاه الله عني وعن أهلي خيراً ونوَّر قبره ووسَّع لحده ورزقنا فيضه وبركته ، ولا حرمنا من رشحات ميامن روحانيته آمين .

فليكن هذا آخر الكلام ، وأرجو من الناظر والناسخ أن يدعو لمؤلفه بالاستقامة والمغفرة والعافية .

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته ، ورضي الله تعالى عن ساداتنا ومشائخنا وحشرنا معهم ورزقنا حسن الخاتمة بمنه وفضله آمين .

فرغ المؤلف في ٢ من شعبان سنة ١٣٣٨ ، فرغه الله وأولاده وأحبابه من هموم الدارين وجعله من ورثة الأولياء والصلحاء آمين يا مجيب السائلين ويا أرحم الراحمين . ومما أنشأه صاحب الترجمة هذه الأبيات الآتية ، وكتبتها في آخر الكتاب للتبرك .

قال رضي الله عنه وعنّا به آمين :

شكرتك ربّي شكر من فاز بالحمد   برقم يفوح المسك من نشره -ندي

إذا هو من شيخي حياتي وسيّدي   ومَنْ ذِكْرُهُ في القلب ينمو إلى اللحد

---

(١) ويفرط محبته الكائنة فينا ، كان قد أوصى بحمل نعشه وجنازته للدفن في قريتنا القحيّة ، بيد أنّ العلماء وولده منع من ذلك ، ولعلّ الخير فيما وقع ، وقد كان قدس سره أخبرني بموضع دفنه قبل مرض موته فوقع الأمر كما قال رضي الله عنه وعنا ببركته آمين . (منه رحم الله إفلاسه) . (هامش الأصل) .

فريد زمــان لا يبالــي مــن النوى ولــو طوّحته في حَزُونٍ من الجهدِ
لباب قلــوب العارفين وتــاجـهــم أمينٌ سليم الصدر من سورة الحقد
شـفـاء صـدور الأوليـاء وزبدهـم فـمـا هـو يوماً بالمزيغ عن الرُشْدِ
هو القطب زيـن الله زَيْنُ ضـيـائه يعمّ الورى طراً من القرب والبُعْدِ
فاسعدني ربّي بـرسـم لــه انتمـي بــكف حباه الله بـالجود والمَجْدِ
فكــيـف ولا لـمـا نـظـرت لرَقْمِه تـهيّج أوصـالـي بذكر هوى النجّد
لعل الصبا تندى على القلـب ندْوَة تـبـلّ زفيري أو تنفّس من وجْدي
تلاقي إلينـا حبّه كــلّ مـذهـــب وإن كان أقصى الأرض مأواه والسدّ
وما الجــود إلا هـمّـه إن تـمثلت لــه الهمّة القســعاء رائدة القصْدِ
فمن شاء أنْ يُولِي السعادة فليــرم إلـيـــه يفُزْ بالفيض أعلا من الندّ
يصير لـه الـتـقـوى شعاراً ومذهباً ويـحـظـى بـأمر الله بالسرّ والورْد
سقى الله من بحر الولاية أنـفـسـاً سـرائـرهـــم مقرونة لسما السعْد
وويل لمن قد عاش جـهـلاً بقدره يسيء ظنوناً مثل دأب الفتى الوغْد[1]
وهل يخطب الحسناء مَنْ ليس قادِراً على مهرها ما ذاك من عادة الجعْدِ[2]
يلين بنظـر منـه فـاقـد همّـة وإن كـان قسواه أشـدّ من الصلْدِ
وإنّي لأقسى القلب طَبْعاً ومـذْهـباً فـبـدّلني خـوفـاً ومنه بــه عَهْدي
فمنه قبلـت الـسر طوعاً فهاجني لواعج في الإحساء من قبس الوجْدِ

---

(١) الوغد : الدنيء من الرجال . « مصباح » . (هامش الأصل) .
(٢) جعد الشعر ، بضم العين وكسرها جعوداً إذا كان فيه التواء وتقبض فهو جعد ، وذلك خلاف المسترسل . « مصباح » .

ومـنـه وسعت الفضل لفظاً وغاية وما ضقت من خال وأرجو إلى اللحْدِ
فكيف أضيق اليوم من وصف عارف وكـلّ خصال منه تنمي إلى الزُهْدِ
أيهجرنـي قـومــي عفى الله عَنْهُمُ بما رُمْتُ من مدحي كمنشورة العقْدِ
أرى لرجـال الغــرب عِزّاً ورُفْعَةً لـفـضـل أتـاهــم بـالواحد الفرْدِ
بلى فيه والرحمن مـا زلــت فانيا ولا زلت مداحاً وإن عاب ذوالحقدِ
فلو كنت فــي هذا الوجود مـخيّراً وفـي عـدمي لاخترته آثِراً مفقدي
وغاية جهـدي فـيـه إنـي عـلمته لمورد رضــوان تــفــرّد بـالـجدّ
فمَنْ رُمْتَ أن تحي برغد من المنى بــدنياك والأخرى مطيراً من الرفْدِ
فجدّ لخير واجهد النــفــس قُرْبَه مع الحبّ تَبْلُغْ منتهى شَقَفِ الحمْدِ
مَدَحْـــتُ بـهـذا لا أعـدّ كمـالـه ومن مَدْحه أرجو الكمال إلى الفَدِ
ســقى الله سيف الله قطرة سيلكم ومـن بـحـركم ما زال يفرق باليَدِ
سلا به سيف الله عن كل ما سوى وصار السوى سمّاً

انتهى من خطه رضي الله عنه وعنّا به آمين .

ومما رثى به الحقير المؤلف رحم الله إفلاسه حين سمع وفاة الشيخ المرحوم المغفور هذه الأبيات ، وقد كتبتها ههنا ليتسلى بها الإخوان والمحبون :

يا إخوان الحــب إذا مات شيخي ضــقــت ذرعاً[1] مذ سمعت نعيه
طاش عــقلي واندهشت بعــد ذا وضـاقت بي الأرض مع وسعته[2]

(١) وضاق بالأمر ذرعاً : عجز عن احتماله . « مصباح » . (هامش الأصل) .
(٢) أي : وسعتها . (منه) .

كان سرّ روح لـــي ومذهباً   للكرب كدت أغشى بصعبه
كان لي كالأم التي عطفت   ابنـها تـرضـع الشــدي فمه
كم وعظاً وكم نصحاً قد كتبا   بـاسمي مع كونه في ضعفه
هكـــذا كــان اعتناؤه بـــي   وإن كنت كـلباً بَابَ[1] داره
وبذا كنت أبـاهـي مـع مـا   بي من الخوف سطوة[2] طرده
فلله الحـــمد ولـــه الشكـر   عـلـى مـــا عـلـمني مقامه
حشـــرنـــا الله مـــع زمرته   وأدخـــلـنـا الـجـنـان معه
صرت بعد موته في قبضـة   غير مـــمدوحة وفي سكرة
سار جزعي في حواسّي وسري   كدت موتي وزدت في دهشة
ولوأنزل ما بي من حـــرقة   بجبال تـذوب فـي ســاعة
بيد أن القلب يحـمـل مـــا   لا يـحمله الجبال مـن شدة
لا أصيب[3] أحد ما حلّ بي   مـن أسـف وحـزن و حيرة
حين فـكـرت أنوار وجـهه   قد تسيل الدموع على خدي
وإذا رأيـت حسـن خـطـه   يخطر البال كأني في لحدي
أشبه وجهه بوجـه القـــمر   بعد مـــا رأيته زاد جـهدي
لكن لما مات عني صار لي   كـــل طـعـم مـرّاً ولذائذي
كـــان لـي مـحسناً ومستنداً   ومزيلاً للغش في لواذي[4]

---

(١) أي : على باب . .إلخ .(هامش الأصل) .
(٢) أي : من سطوة . (هامش الأصل) .
(٣) دعاء . (هامش الأصل) .
(٤) لاذ الرجل بالجبل ، يلوذ لواذاً بكسر اللام ، وحكي التثليث وهو الالتجاء ، ولاذ بالقوم وهي المداناة . « مصباح » .

كان أمري بيني بينه شورى دام لي سوراً حرزاً لمعازي
خفت خوفاً من طرده بابه تبت إلى الله من سوء الأدب
ولعلي صدر مني الأذى ومع ذا حمل سوء الأدب
لكن أرجو الله عفوه عني وأن لا يقسي قلبي كالجدب
يا مرشد الخلق بعد فقدك لا يطيب لمحبك عيش
منذ صاحَبْتك قد نصَحْتَ لي ما رأيت منك قط غشٌّ
وقد أحسنْتَ لنا كل وقت وبك قد أزيل عنا عمش
فطوبى لِتُرْبٍ دُفِنْتَ فيه ولعله يباهي كل أرض
ولو أني مدفوناً من عنده لأعطيت فرحاً بِذا كُلَّ عِرْض
أغْبِطُ شَخْصاً قريباً قبْرَهُ ويُصَلّي بقربه كل فرض
ومعلوم أنّ قرب ذاته يذهب به القصور والفتور
فكيف لا وبمحض التخيل يورث للقلب صفوة الحضور
ويذوق بربط القلب كل ذوق ومرتبة الشعور
كم كلام قد أبان من علم وكم كشف كشّف لي بالمقال
وكم خُلُق حميد كان فيه كان فان باقٍ بالله ذا الحال
وحضور وشعور وشهود حائزاً كل مقام وفعال
فطوبى لعين رأت وجهه ولي عين قبلها بالسلام
وبشرى لي ولي فم مَسَّه فم هذا العارف ذا من كرم
ولي عنق قد عانق به حدّثته شكراً بفضل النعم
وبه أباهي أبناء عصري لا أرى فوق ذاك من العظم

كيف لا حَكَّ وَجْهَهُ بوَجْهِي ولله الحمـد ولا فـخْرَ لــي

وعندي مكــاتـب عـديـدة قـد كـتـبـها وَهْيَ كُنُوزٌ لي

آوي إليها حين ضاق قلبـي وعـنـد رؤيـتها سال دمعي

أتذكــــــــر أوان صحبتــي ولدى ذا ضاقت مني ضِلَعِي

حيـن فكّرْتُ وقــت مَعِيّتي زاد مني الشوق وعاد جِزْعي

يا أب الروح وقد نِلْتَ المنى فهنيئاً لـك الحور والغلمان

فزت بكل عَلِيَّ الدرجــات صرتَ من أصحاب أهالي الجنان

جعلك الله لــنــا شـفـيـعاً رزقـك قصور أهل العرفان

وأنــا الآن قـد رفعت القلم ومـنـي إلـى ولـده السلام

وأرجـوه أن يجمّل صـبـراً ويـسلك مسلك أولي العزم

وقــد أعـزّيـه بـسـن القلم لـمـا أني في أعذارٍ لا أُلام

غفـر الله للوالـد الـجـلـيـل وجـعـل مـأواه دار السلام

آمين

يا خفي اللطف أدركني بلطفك الخفي

يا معطي من يشاء ما يشاء

أعطني معرفتك يا الله .

جهد المقل في رد شطحات

المنكر المضل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاتان على سيد الأوّلين والآخرين ، إلى ذلك الأخ الحاج نور محمد العكندي السلام الشامل شموس الشمس على الورى ، والوصية العامّة لديكم بأخذ الحقّ والعروة الوثقى .

بعد حمد الله سبحانه وتعالى ، نسأل لكم العافية وحسن الخاتمة .

ثم لما وقعت المكالمة بيننا في حق المشيخة ، وتحقّق عندنا خلوّك من أحوال الطائفة ، ووَجَدْناك عليم اللسان جاهل القلب غرّار الخلق بالحيل الباطلة والدعاوي الكاذبة ، وسمعنا منك أقوالاً تخرق بها إجماع الفقهاء الأبرار ، واصطلاحات الأئمة الأخيار لم نجدْ بدّاً من كتبة الأجوبة بردّ جميع أقوالك المزخرفة خروجاً من وعيد المداهنة ، وعملاً بحديث « من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس » . نبّهك الله سبحانه على ما فيك من النقص والفقد وأرشدَك إلى ما لا بدّ لك من الحقّ[1] .

فقولك أيها الأخ : إنّ تلقين الذكر القلبيّ لا يجوز إلا بعد الرسوخ في الشريعة ، وتلقينك للمريدين سورة الإخلاص والذكر اللساني بدعوى أنهما من الشريعة وذا من الطريقة قول عجيب ، وحكم برأي . ويترتّب على ذلك أمور ومفاسد :

منها : عدم كون الذكر القلبيّ من الشريعة وتخصيصه بالطريقة ، وتخصيص ذكر اللسان بالشريعة وعدم شموله على الطريقة مع أن مبدأ أكثر الطرق ذكر اللسان .

---

(١) **وقال إبراهيم الخواص** : العلم كلّه في كلمتين : لا تتكلّف ما كُفيت ، ولا تضيّع ما اُستكفيت .

وقال بعضهم : إنّ الله ضمن لنا الدنيا ، وطلب منّا الآخرة ، فليت ضمن لنا الآخرة وطلب منّا الدنيا . من « عين شرح متن الحكم » . عبارته .

ومنها : عدم إدراكك بأحوال أهل الطريقة وعدم خروجهم عن الشريعة . فكيف ؟! والشريعة والطريقة كالروح والجسد لا يقوم أحدهما إلاّ بالآخر . كذا في « مجموعة الرسائل » لسليمان الزهدي فراجعه . لكن لما كانت العصمة من خصائص النبوّة لا من خصائص الولاية لم يطرد العاصي لعصيانه ، والفاسق لفسقه من تلقين الأذكار القلبيّة أو اللسانيّة مع أنّ الأمر بالذكر في قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ الآية عامّ للقلبيّ واللسانيّ ، ومع أنّ في المؤمنين صالح وطالح ، ومع أن القلب واللسان جارحتان من جوارح الإنسان . فما العلّة لجواز الذكر اللساني لأهل الشريعة ولتخصيص الذكر القلبي لأهل الطريقة ؟! ويلزم على ذلك عدم تسمية الطرق المشتملة للذكر اللساني بالطريقة .

ولقد قال الإمام الرباني في « مكتوباته » : إنّ تعليم الطريقة بعد الإستخارة والتوجهات أيّاً من كان يعني سواء كان صالحاً أو طالحاً مناسب بل لازم .

وقال جامع القطبتين الشيخ الفاني محمد ذاكر قدس سره : ثم يلقّن باسم الذات من غير فرق بين مريد ومريد على ما اختاره الإمام الرباني الخ .

وقال سيف الله الحسيني في رسالته : وقال خالد شاه قدس سره في بعض مكاتيبه مجيباً لمن شكى إليه من عدم استقامة الطالبين وتبرّدهم في هذا الطريق : وأكثر الطالبين كذلك وأنّى يوجد الصادقون !! ينبغي إذا طلبوا تعليمهم الطريق بعد الاستخارة من أرواح السادات الأعيان وحصول الاطمئنان ، فإن استقاموا فازوا وإلا فالضرر راجع عليهم لا إليكم . انتهى . حتى قال في « البهجة السنية » :إن تلقين التوبة يقتصر فيها بالإجمال لا بالتفصيل لئلا ينفر الطالب ويستصعب . راجعه .

ومنها : عدم جواز الذكر القلبي للفساق مع انهم مأمورون بالرجوع إلى الله والتوبة من المعاصي والفسق بالكتاب والسنة ، فهل يرجع فاسق إلى الله من فسقه إلا بعد التزكية والتذكير بالله ومواعيده بقلبه حتى أن الكافر لو قال : (لا إله إلا الله) بلسانه لا يكون مسلماً حقيقة إلا بعد موافقة القلب مع اللسان ، ولو صدّق وأذعن بالقلب المجرد فهو مؤمن .فتعريف ذكر القلب هو : تفكر اللفظ في القلب لا غير كما في مرآة الحامدين و الفتاوى العمرية » .

ولا يجوز للعاصي أن يتوب ولا للكافر أن يسلم إلا بتذكّر الله بقلبه . فافهم وراجع كتب القوم كـ « لطائف المنن » و « فتاوى ابن حجر من الخاتمة و« البهجة »و « عوارف المعارف و« جامع الأصول و المتممات و« الدرة البيضاء » و« الجوهرة النفيسة » و« إحياء علوم الدّين يتحقّق لك صدق ما قلناه ، وترجع عن الإنكار ، وتتنبّهُ عن رقدتك .

أيها الأخ العكندي ـ هداك الله ولا معنى للإرشاد لمن كان في الرشاد ، وليت شعري هل وضع الإرشاد إلا للمعوّج الضالّ ؟ وهل يلزم أن يكون جميع الملقَّنين بالذكر أهلا للتبرّك والتجريد والاستقامة ، بل منهم الواصل ومنهم المخلط المتوسل ومنهم المتبرك المتخلّف الساقط ، وإن تلقين الذكر لأهل المناصب والأشراف والمكاسب أمر ثابت من السلف والخلف من مجتهدي الطرق . كذا في « المتممات » . وقال الشاذلي : ينبغي للشيخ أن لا يأمر المريد برمي الدنيا الخ .

وفي « المنن » الكامل من يسلك الناس وهم في حرفهم . راجعه .

وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام ـ لما أنف من مجالسة الفساق ونهاهم عن مجلس وعظه ـ : يا داود إنّ المستقيم لا يحتاج إليك والمعوّج إذا لم تقوّمه فلما أرسلتَ ؟ ! فأدخلهم في سلك جلسائه ، وجماعة إفادته .

فليت شعري هل من قائل بكفر الظلمة والفساق حتى يطردوا بالتيائس من علاج أمراضهم القلبية ؟! انتهى . كلها من « المتممات » ولا نعلم دليلاً ما لمنع تلقين الذكر القلبي ، بل نجد في الكتب جوازه بل لزومه لمن لم يكن على الحالة المرضيّة ، لأن الأخلاق المذمومات نجاسات معنويّة والأذكار القلبيّة أو اللسانيّة كالماء وإنها أمراض غير محسوسة والأذكار علاجها كما هو مذكور في الجواهر » و« الأجوبة المرضيّة »

ولقد أجمع القوم على وجوب اتخاذ الشيخ على كل من ليس له قلب سليم كما هو مبسوط في غير كتاب ولم يحكموا بوجوبه على المستقيم المهتدي . فتدبره .

ومنها : تنزيل الناس من الثواب الأسنى والمقام الأعلى إلى المقام الأسفل والأدنى بظنهم أنّ ما قلته إنّ ذكرالقلبي مما لا يجوز . **فإنّ ذكر القلبي يضاعف على الذكر اللساني سبعين ضعفاً** كما دلّ عليه خبر البيهقيّ « الذكر الذي لا تسمعه الحفظة يزيد على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفاً »

وقد عمّ المحقق ابن حجر في خاتمة « فتاواه » التفكر في حديث فكر ساعة أفضل من عبادة ستين سنة » إلى ذكر القلب . فراجعه . وهكذا قال في « تحفتـــ »ه من صلاة النفل : العمل القلبي لعدم تصور الرياء فيه أفضل من غيره .انتهى .

وكتب عليه ابن قاسم : ظاهره وإن قلّ كتفكر ساعة بالنسبة إلى ألف ركعة . انتهى . وراجع « الإحياء » و« الحدائق الوردية » و« البهجة » و« المتممات » وغيرها .

ولا تكن شيطاناً في الباطن مع أنك في زيّ شيخ وخَفْ من الله تعالى واستح رسوله .

وقولك أيها الأخ ـ سامحك الله ـ : إنّ الكتب لا يعمل بها إلا العوام ، وإنها بدعة ، وأمّا أهل الكشف فإنهم يعملون بما كشف لهم وألهمهم فهو قول قلتَه إذا قطعنا كلامك بالدلائل والنصوصات وخفت من الفضيحة بين الناس . ففي ذلك الكلام رائحة استهزاء علوم الشريعة وبغضها ، ولا شك أن بغض العلم والعلماء وكذا الاستهزاء كفر كما هو مذكور في « البريقة » و« مغني المحتاج شرح المنهاج » وغيرهما من كتب الفقه والكلام .

وفي « الطريقة المحمدية » وقال سيّد الطائفة الصوفية وإمام أرباب الطريقة جنيد البغدادي عليه رحمة الهادي : الطرق كلها مسدودة إلا على من اقْتَفَى إثر الرسول عليه السلام ، وقال من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر لأن علمنا ومذهبنا مقيّدٌ بالكتاب والسنة . انتهى عبارته . فدلّ كلامه رحمه الله ردّاً عليه وفي حَصْرِهم الوصول في رفض العلم الظاهر والشرع اللذين أخذا من الكتاب والسنة وفي دعوى رؤية الأنوار وتنبيه الحلّ والحرمة بالرؤيا . انتهى « بريقة » عبارته .

وقال أبو سعيد الخراز : كلّ باطن يخالفه ظاهر علم الشريعة المأخوذ من الكتاب والسنة فهو باطل .

وأما الكشوفات فهي محلّ الفتنة وبها انقطع الأكثرون من الأولياء عن باب الله ، فكيف يجوز أن يعمل بها مع أنّ أكثرها شيطانيّة ولا خلاص من الشيطان للأولياء ولو ارتقوا إلى المقام الأعلى لأنّهم ليسوا معصومين ؟! .

ولا يخفى لديكم ما وقع للغوث الأعظم عبد القادر الكيلاني قدس سره في مقام الكشف . قال الخادمى في شرحه على « النصائح

الولدية » للغزالي : إنّ جماعة هربوا من عبد الواحد لقوة تكليفه إيّاهم بالمجاهدة فرأى أحدهم بعد مدة فقال : أين كنت ؟ فقال : نحن كل ليلة ندخل الجنة ونأكل من نعيمها ، فقال : خذوني الليلة معكم . فأخرجوه معهم إلى الفضاء فلما جنّ الليل إذاً بقوم عليهم ثياب خضر وإذاً بساتين وفواكه ، فلما أرادوا أن يتفرقن قال لهم : أين تذهبون ؟ ، أليس الجنة دار خلود كإدريس عليه السلام ؟ . فلمّا أصبحوا إذا هم على مزبلة بين روث الدواب ، فتابوا كلّهم .انتهى عبارته .

وظهر عليه اللعنة لآخرين قائلاً : أنا الربّ .

وفي « الخادمي » أيضاً إنّ واحداً من السالكين رأى في طريق مصر الشيطان على عرش بين السماء والأرض فسجد له فظنّ أنه الرب تعالى ، ثم حكاه لجماعة من المشائخ ، فقالوا : هو الشيطان لحديث « إن للشيطان عرشاً بين السماء والأرض » الحديث . فالرجل أعاد صلواته وجدّد إيمانه . انتهى عبارته .

ومعلوم لديك **أيها الأخ** أنّ للشيطان كشفات وخوارق ومع ذلك فليس هو بمكان عند الله تعالى بل هو أبغض الخلق عنده تعالى وأبعدهم من بابه سبحانه

وفي « الإبريز » إنّ أوّل ما يفتح به العبد فحيم الشيطان ومحل فتنتهم لبني آدم فيصير مشهده ومشهد الشيطان واحداً فيصيرون معهم يداً بيد . انتهى . اختصاراً .

وفي « المتممات » للغوث الأعظم أحمد ضياء الدين شيخ الخنكار الأفخم ـ أيّده الله تعالى بنصره ـ : إنّ الكشف قد يخطئ ويتلوّن فلا يعمل به عند القوم . راجعه . وقد عدّ القوم الكشف من حيض الرجال ولم يجعلوه شرطا للولاية ، بل قالوا : إنّ كل من كانت ولايته أتمّ كانت خوارقه أقلّ ، ولم يظهر الكشف على كثير من الصحابة والتابعين

حتى أنّ أفضل الأمة أبا بكر رضي الله عنه لم يظهر على يده كرامة ، بل الذي يعتبرونه الاستقامة وقوة اليقين والله أعلم . راجع « الحدائق الوردية » من ترجمة الامام الرباني قدس سره و« البهجة » و« الفتاوى العمرية » و« الإبريز » .

وقولك أيها الأخ : لا يكون الوليّ وليّاً إلا إن رأى الله سبحانه وكلّمه في كلّ ليلة ، ورأى النبي ﷺ في كل لحظة فرأينا هذا القول منك لمجرّد الناس ليعتقدوك ويصدّقوك ، وإلا فكيف ترى الله ولن يراه أحد حتى الأنبياء ، فما معنى قول الله لموسى عليه السلام : ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ ؟ فإن جاز ذلك يثبت عليه تفضيل الولي على النبي ولا يخفى فساده على كل عالم وعاقل ، بل يخرق بذلك إجماع الأمة . نعم يجوز أن يقول الشيطان من عرشه : أنا الله ، ويكلّمك ، وإلا فالرؤية ممنوع .

ورأيت في « حواشي الطريقة المحمدية » : أنّ من قال : إني رأيت الله في المنام كفر . راجعه . ومن شاء حقيقة رؤيته تعالى لبصائر الأولياء فعليه الرجوع إلى « اليواقيت » للشعراني .

وأمّا قول هذا القائل فهو بمعزل عما فيه ، فكيف لا يكون لأنّا وجدناه لما توجهنا إليه لا يعلم ما الطريقة وما أحوال أهلها ووجدناه كالوعاء الخالي عن مقامات أدنى المريدين ولا يقبل القول الحق سوى وساوس الخنّاس حتى كدنا في حقه اليأس وخفنا من أن يهدم من إيمانه الأساس ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ثم إنك قلت يا أخي إنك رأيت النبي عليه السلام في المنام ولذلك صِرْت شيخاً كاملاً ، واعترفت بين الناس بأنّك لم تأخذ من أحد مّا إلا أنك أخبرت رؤياك للشيخ العبودي قدس سره فاعتنقك وقبّلك ولذا نسبت سلسلتك إليه . فنقول والله أعلم : قال الخطيب الشربيني في « مغني

المحتاج شرح المنهاج » للنووي في فصل الأذان : رؤيا المنام لا يثبت بها حكم . انتهى عبارته صحيفة ٢٣٤ .

وقال الإمام معصوم في « المكتوبات » : إن الخلافة أمر عظيم لا تثبت بالواقعة .انتهى .

وفي "رسالة" الحاج كُنْتَ قدس سره ما معناه : **لا يجوز الأستاذ**[١] **الميّت أستاذاً ولو كان جائزاً لاتخذ النبي عليه السلام كل واحد** . راجعه .

وفي « المنن » : وقد سمعت علياً المرصفي رحمه الله يقول : بين الفقير وبين مقام الأخذ من رسول الله ﷺ بلا واسطة مئتا ألف مقام وسبعة وأربعون ألف مقام وتسعمائة وتسعة وتسعون مقاماً ، وأمهاتها مائة ألف مقام ، وخاصتها ألف مقام ، فمن لم يقطع هذه المقامات كلها فلا يصحّ له الأخذ المذكور . انتهى .

فإن كنت يا أخي صادقاً في ذلك الدعوى فاخبر لي من تلك المقامات ولو عشر معشارها ؟ ! **وأما ما قلت** حين سألناك ما المقام الأوّل منها : إنه الجذبة ، فهي أوّل شيء يحصل للمريد النقشبنديّ فتدبره .

ورأيت في عين الكتاب : أنّه لا مانع من أن يقول الشيطان للإنسان : أنا النبي ، لكن لم أصادف عينه في هذه الكرّة . وفي « الفتاوى الحديثية » لابن حجر : رؤيته عليه السلام في اليقظة باب ضيّق ، وقلّ من يقع له ذلك إلا . . . إلخ . راجعه .

وفي « اليواقيت » للشعراني بسط سديد في ذلك .

ثم إن كنت على قصد الركوب بعد الآن على ذلك الدعوى مع عدم اعتبار بالرؤيا فبيّن لي كيفيّته عليه السلام حين رؤيته[٢] وكيف لاقيته ، وأيّ ذكر علّمك ، نبحثك بحثاً طويلاً ، ونردّ قولك ردّاً بليغاً .

---

(١) علّه اتخاذ .

(٢) علّه رأيته .

قال الإمام البركوي رحمه الله في « الطريقة المحمدية » : وقد صرّح العلماء بأنّ الإلهام ليس من أسباب المعرفة بالأحكام وكذلك الرؤيا في المنام . انتهى عبارته .

فالواجب عليك أن تخاف من الدخول في هذا الحديث « من كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار » **ثم إنّك أيّها الأخ** تنسب سلسلتك إلى الشيخ العبودي لمجرّد رؤيتك إيّاه من غير أخذ منه ومن غير سلوك على يده إلى أن يحصل لك الفطام ويأذن لك وهذا مما لا يقبله العقل ولا النقل لأنه لا يكون الشافعيّ مثلاً حَنَفيّاً إلا باستعمال مذهبه ودخوله فيه ، فهكذا لا يكون الشيخ شيخاً نقشبنديّاً ولو انتسب إليه إلا باستعماله ما استعمله في طريقته ، ومعلوم مشهور أنّ طريقة الشيخ العبودي كانت نقشبندية ، ومشائخه نقشبنديون .

وأنت يا أخي تدخل في قوله عليه السلام « لعن الله من انتسب إلى غير أبيه » . قال الشعراني في « المدارج » : وأجمعوا كلّهم على أنّ من لا يصحّ له نسب القوم فهو لقيط في الطريق لا أب له ، ولا يجوز له التصدّر والجلوس لإرشاد المريدين إلا بعد أخذه آداب الطريق من شيخ كامل مجمع على جلالته وخبرته بالطريق ثم يأذن له صريحاً بأن يرشد ويلقن والخ . راجعه . وراجع « جامع الأصول » و« المتممات » تجدْ فيها البسط في هذا المهمّ ، ويأتي في هذه الأَلُوكَةِ[1] ما له تعلّق بهذا المذكور إن شاء الله تعالى .

ثم إنك أشرت كرات ومرات في مجمع من الخلق أنك بكشفك ترى عالم اللاهوت وعالم الجبروت ،فإن كنت صادقاً فأجب لنا هل هما فوق العرش أم تحته ، وكذا أشرت أنّك ترى العرش والجنّة واللوح المحفوظ فأجب لنا هل العرش واحد أم أكثر ، وما العرش الأعظم ، وما العالم

---

(١) الرسالة.تسمّى ألوكة « المكتبة الشاملة » .

الأكبر ، وما بيت الله الأعظم ، وما عدد عوالم الكبار ، وما عدد العرش في كل عالم الأكبر ، وهل يكشف لأهل الكشف سموات غير هذه السموات السبع أم لا ، وما عدد عوالم الصغار في ضبط كل عرش ، وبأيّ صفة استوى الحق على العرش ، وبأيّ ملك نزل القرآن إلى عالم العرش ، وهل الجنّة التي تكشف لأهل الكشف هي الجنة الكبرى أم جنّة غيرها ، وبأيّ صفة ينظر أهل الكشف إلى بحر التوحيد ، وبأيّ لطيفة تنظر إلى العرش ؟

فهذه المذكورات مما لا يخفى على من اطّلع العوالم العليا بالكشف الصحيح ، فإن أجبت الكلّ فأنت صادق في دعواك ، وإلا فالعياذ بالله تعالى مع **أن كشف الكلّ لا يثبت الكمال للوليّ** ، ولا يجوز لأحد أن يقوم على منصب الإرشاد ولو كشف العوالم السفلى والعليا إلا إن كان قد سلك الطريق وقطع منازلها بالتفصيل ثم أذن له ولا مدخل للمجذوب المجرّد في هذا المنصب وإن علا ولايته كما هو مبسوط في « جامع الأصول » وغيره .

وأمّا قولك يا أخي ـ سامحك الله ـ : ليس على وجه الأرض أسبق منّي في المشيخة ، وأعلى مني رتبة في مقام الولاية ، ولو وجد فليجئ لديّ ، **وكذا قولك** : إنّ لي مريدين وأتباعاً كثيرين ، وأنا شيخ كذا وناحية كذا ، وأنا أبارز الأشياخ سوى القريشيّين فهو قول ساقط عن درجة الاعتبار لدى أهل الإدراك والأبصار ، وينبئ نقصك ، ويشعر دناءة همّتك وخسارتك عن مقام المشيخة والولاية ، وهو كلام [من] لا يعرف حضرة الإطلاق في دائرة قوله تعالى ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ ، و﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وكذا في دائرة قوله تعالى في الحديث القدسيّ « هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي » و قوله عليه السلام « لن ينجي أحد بعمله »

الحديث . فأيّ أمان وصل لديك من الله لأن تَلجَئَ إلى هذه الأقوال المخوفة التي لم يقلها أحد من الأولياء ولو علا مقامهم عند الله ؟ ! بل هم كانوا خائفين كلّما دنوا حضرة الله ولم يروا أحداً مّا أشرّ منهم ولا أقبح في خلق الله .

ولقد شبّه مشهدك هذا مشهد الشيطان فإنه عليه اللعنة طُرّد عن باب الله بقوله : أنا خير منه . مع عبادة ثمانين ألف سنة . ولو خفت أن يخطر ببالك هذا القول لكان خيراً لك .

ولا شكّ أنّ أكثر الأشخاص أتباعاً هو الإبليس ـ أبلسه الله ـ ولا تابع لأحد حتى الأنبياء إلا واحداً من ألف كما هو معلوم من الأحاديث

ولم يكن لنوح عليه السلام مع شدّة دعوته وزيادة عمره من التابعين إلا أشخاص قليلون . وتأييد المشيخة بكثرة الأتباع هو التشبيه بالشيطان . قال سيد الطائفة غوث الخلائق خالد شاهْ في أثناء وصاياه : واعلموا أنّ أحبّكم إليّ أقلّكم أتباعاً وعلاقة بأهل الدنيا ، وأخفّكم مؤنة وأشغلكم بالفقه والحديث .

وقد ورد في الحديث « ما زاد رجل من الشيطان قرباً إلا ازداد من الله بعداً ولا كثرت أتباعه إلا كثرت شياطينه ولا كثر ماله إلا اشتدّ حسابه » . انتهى . « بهجة » عبارته .

وقال أيضاً في وصية أخرى : ولا تحقر أحداً ولا تعتقد نفسك فوق أحد ، وابذل جهدك في العبادات القلبيّة والبدنيّة ، واحسب أنّك ما عملت خيراً إذ النيّة روح العبادة ولا نية بلا إخلاص ولا إخلاص لأكبر منك فضلاً عنك ، وأنا والله لا أعتقد أنّي عملت خيراً منذ ولدتني أمّي وأنت تعتقد أني خيراً منك . فإن لم تجدك مفلساً عن كل خير فهو غاية الجهل . انتهى منه .

ومن وصايا الخواجه محمد نقشبندي قدس سره:للسالك هاتان الوصيتان : **أحدهما** : لو وصل إلى أيّ محلّ وصل لا يرى نفسه إلا في أوّل قَدَم من الطريق ، **وثانيهما** : لو نال من السلوك أعلى المراتب لا يرى نفسه إلاّ أقلّ من فرعون بمائة مرة . انتهى « بهجة » ملتقطاً .

وفي « المنن الكبرى » : ومن شرط الفقير أن يتواضع لإخوانه المسلمين ويرى نفسه دون كل فاسق على وجه الأرض . انتهى عبارته .

وفي « شرح شعب الإيمان » للقعري : لا يكمل العارف حتى يرى مرتبته تحت مرتبة الأرضين السفليات انتهى عبارته . وفيه : فحال العارفين كحال العصاة . انتهى عبارته .

فهذه أقوال الأقطاب من أئمة الشريعة والطريقة .

المتكبّر لا يكون داعيا إلى الله

فما بالك أن تقول ذلك القول وتتكبّر على عباد الله مع أنك لم تَضَعْ قدمك في الطريق وليس لك مرشد رفيق ؟ !

ولا يخفى عليك أنك تكبّرت ، وعلى الحقّ أنكرت ، وبالإخوان حسدْت ، **ومن رأى نفسه خيراً من فرعون فهو متكبّر ، والمتكبّر لا يكون داعياً إلى الله** .

فعليك أيها الأخ أن تتذكّر قوله عليه السلام « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من الكبر » الحديث . وقيل للشيطان : هل في الأرض أشرّ منك ؟ قال : الحاسد . ولقد رأيناك ترائي الناس بالأقوال المزخرفة والأفعال المموّهة ، وأدنى الرياء شرك كما ورد به الخبر ، وكلّ هذه المذكورات ليست من نتائج العبادات الصحيحة ، بل الظاهر – والله أعلم – أنّ شيخك هو الشيطان على وفق ما قيل : **من لا شيخ له فشيخه الشيطان** ، وإلا فثَمَرات الطاعات الفناء عن رؤية النفس ومَحْوُ البشريّة بتحقيق مقام البقاء ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

ثم اعلم أيها الأخ ـ رحم الله إفلاسَك ـ قد يظهر لأهل الجوع والسهر كشوفات ولو كانوا على الباطل ، ونحن وجدناك قليلَ الأكل كثير الجهد نحيف الجسد فلا بدّ من أن يظهر لك شيء منها ، لكن لا يجوز لك أن تعتمِدَ عليها لأن أكثرها شيطانية ولا خلاصَ منها ولا أمان إلا لمن تشبّث بزيل الشيخ الكامل وأنت أيّها الأخ لست من أهل الطريق وليس لك شيخ كامل ، والرياضة بلا شيخ لا تورث إلا الوسوسة كما في « الخواجكان » وتصدّرك للإرشاد بنفسك بدعوى رؤية النبي عليه السلام في المنام .

وقد مرّ أنّ الحكم لا تثبت بالمنام ، فلا شكّ أن شيخك هو الشيطان دائماً ولا يغوي الإنسان إلا بما ظاهره مقبول وفي باطنه مكر وخديعة . فيجب عليك التنبّه والتيقّظ لهذا المطلب إن كنت منصفاً ولا يليق بك أن تتعصّب وتتعسّف لو قبلت نصحاً .

وإن دمت على هذا الاعتراض والإنكار على ما كان عليه الطائفة النقشبندية فالخوف من سلب الإيمان وسوء الخاتمة لازم .

وإن تلمّذت بعد الآن فأنت لنفسك ناصح وإلا طرّدتها في وسط جهنّم ، وأنت نادم .

ولقد صرّحتَ مراراً أيّها الأخ أن الوليّ يترك المذاهب الأربعة وإنّما عمله بالكشوفات لا غير ، فلِمَ لا تتدبّر هل فوق ترك المذاهب إلا الاعتزال ؟ ! وهل بعد المذاهب شرع جديد ؟ ! فالأحاديث مشرّحة للكتاب ، والكتب مشرّحة للكلّ . فلا شكّ أن القائل : لا أعمل بالكتب الشرعية يؤول أمره إلى إنكار الشارع .

قال الخطيب الشربينيّ في « مغني المحتاج شرح المنهاج » للنووي في كتاب الردّة :فقد صرّح البغويّ في تعليقه بتكفير من أنكر مجمعاً على مشروعيّته الخ . راجعه .

وليت شعري هل يسقط الأمر والنهي عن الأولياء مع أنه لم يسقط ولو من الأنبياء ؟ !

قال الخاني في « بهجته » : وقد كان الجنيد قدس سره يقول : لا تلتفتوا قط لشخص ولو تربّع في الهواء إلا إن رأيتموه تقيّد بالشرع أمراً ونهياً

وقال غوث الثقلين قطب الوجود عبد القادر الكلاني قدس سره في فتوح العرفان » إن خرم فيك شيء من الحدود فاعلم أنّك مفتون مثلاً لعبت بك الشيطان ، وارجع إلى حكم الشرع ودع عنك رأي الهوى لأنّ كل حقيقة لم تشهد لها الشريعة فهي زندقة . انتهى عبارته .

وفي « قلائد الجواهر » : قال سيدي الشيخ موسى ابن سيدنا الشيخ عبد القادر رضي الله عنهما : سمعت والدي يقول : خرجت في بعض سياحتي إلى البريّة ومكثت أياماً لا أجد ماء ، فاشتدّ بي العطش فظللتني سحابة ونزل عليّ منها شيء يشبه الندى فتروّيت به ، ثم رأيت نوراً أضاء به الأفق وبدت صورة ونُوديتُ منه : يا عبد القادر أنا ربك وقد أحللت لك المحرّمات ، أو قال :

ما حرّمت على غيرك فقلت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إخسأ يا لعين ، وإذاً ذلك النور ظلام وتلك الصورة دخان ، ثم خاطبني وقال : يا عبد القادر نجوت منّي بعلمك وبحكم ربك وفقهك في أحوال منازلاتك ، ولقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريقة ، فقلت : لربّي الفضل والمنة .

فقيل له : كيف علمت أنه شيطان ؟ فقال : بقوله : أحللت لك المحرّمات . فعلمت أن الله لا يأمر بالفحشاء . انتهى عبارته .

وقد ظننتُ يا أخي نظراً إلى قولك المذكور الخارق لإجماع الأئمة أنك في يد إبليس أسير، وفي تصرّفه محبوس، ولعلك لم تذق من حضرة مقام الإحسان شيئاً، فإن من دخلها لو قرب إليه الشيطان احترق ساعتئذ، ومن خرج منها يركبه الشيطان كما يركب الحمار، كما هو معلوم من كتب الشعراني.

فكيف لا تكون مسخّراً للشيطان مع أنك نبذت أحكام الشرع وأقوال الفقهاء وأئمة الطرق وراء ظهرك قائلاً: إنّ الكتب بدعات ولا يعمل بها أهل الكشف، قال الله تعالى ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ وبهذه الآية يعلم بأنّ ديننا قد كملت كضوء الشمس فالزيادة ليست بمرضية هكذا في «المناوي» و«البريقة المحمدية». وقال تعالى ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾، وقال ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، وقال عليه السلام «من رغب عن سنتي فليس مني»، وقال أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»، فالأئمة نقلة السنة، وهم في كلّ ما أتوا به صادقون، والمخالفون لما هم عليه غير معدودين من أهل الإسلام، نعوذ بالله من الافتراء، ونسأله الحفظ من الاستهزاء وهو خير وأبقى.

ثم اعلم يا أخي أنّ هذه نصيحتي وكلامي ووصيّتي لك ولكل من ألقى السمع وهو شهيد، قال الله تعالى ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾. قال البيضاوي في تفسيره: لأن مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف. انتهى عبارته. وقال عليه السلام «مروا بالمعروف.. ألخ».

وقال «ما جميع أعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجيّ» الحديث.

التنبيه للنجم الغزي على رواية أبي هريرة: «ما أتى الله عالماً علماً إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ من النبيين، من علم علماً فكتمه،

ألجم يوم القيامة بلجام من النار » . وقد قال الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ .

وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه « إن الله لا يعذّب العامة بعمل الخاصة ، ولكن إذا ظهرت المعاصي فلم ينكروا فقد استحق القوم جميعاً العقوبة » .

فأيّ معصية أكبر من الافتراء على الله ورسوله ؟ ! وأيّ فتنة على الخلق أشدّ من الوقوف في صورة شيخ مع عدم الأهلية ؟ ! وأيّ بليّة تنزل على هذه الأمّة من ظهور قطّاع طريق الله ؟ ! قائلين : لا يجوز الدخول في الطريقة لمجرّد جلب الناس إلى جوانبهم حبّاً للرياسة أو طمعاً في الشهرة فهل لأحد من المسلمين أن يداهن ولا ينكر ؟ ! بل الواجب على العالم أن يعلّم ما علّمه الله ، ويميّز الحقّ من الباطل رجاء لثواب الله . وفي « كنز الدرر » للعارف العُبُودِي قدس سره : **المتوالي على الناس قبل المقام أشدّ فتنة على الناس من الشيطان** . وفي « المكتوبات » للغوث محمود الفعال قدس سره : إن من ليس بيده تصرّف وتأثير في المريد فهم كالعوام ، بل أَضَلّ من الأنعام ليس فيهم من المشيخة إلا اسمه ورسمه . وقال خالد شاه : ويجب الاعتراض على حالهم والإنكار عليهم لأنهم ضاعوا وأضاعوا الناس لحبس الناس عن ذهاب باب أهل الكمال ، ومنعهم عنه ، ولكونه سبب حرمانهم عن الكمال ، وفيهم الوعيد خصوصاً إذا كانوا جاهلين لأمر الدين . انتهى عبارته .

وفي « البهجة » : قال الرزي رحمه الله تعالى : ولا يخفى أن من تصدّر للمشيخة من غير إذن فما يفسده أكثر مما يصلحه ، وعليه إثم قاطع الطريق . انتهى عبارته .

وفي « روح البيان » : من سورة الفرقان : إن المشائخ المدّعون هم الأصنام المعنوية والدجالة المتصنّعون ، فالتابعون لهم في حكم عابد الأوثان . انتهى عبارته اختصاراً على المراد .

وفيه أيضاً في سورة (آل عمران) : قال الشيخ الصفي قدس سره : إن الذين يدّعون المعرفة وتمكينهم في مقام الإرشاد ويراؤون جلباً لحطام الدنيا عذابهم أشدّ من عذاب النساء الزانيات ولدن أولاداً من الزنا مع وجود أزواجهنّ وأولادهنّ سبعين مرة . انتهى عبارته .

وفيه أيضاً : إن من لم يتصل نسبته المعنوية بواحد من أهل النفس الرحماني ، وادعى لنفسه الكمال والتكميل فهو زان في الحقيقة ، ومن هو تحت تربيته هالك لإنه ولد الزنا . انتهى عبارته .

فيلزم عليك أيها الأخ أن لا تطرح من يدك ميزان الشرع بدعوى أنك كاشف ، وحسبنا أنك خفت الفضيحة بين المريدين ، ولأجله قلت تلك الكلمات الباردة لئلا ينصرف عنك اعتقادهم . واعلم أن الفضيحة بين يدي الربّ يوم القيامة لدى جميع الخلق من أولهم إلى آخرهم أشدّ وآكد : ومن تحلّى بما ليس فيه ستفضحه مجرّبات الزمان ، وذا سنّة الله في عباده فنحن وجدناك لم تضع قدمك في أوّل موضع من مواضع أهل الطريق ولم نجد فيك حالاً مّا ، ولا مقاماً من أحوال ومقامات أهل التحقيق سوى أنك حفظت كلمات من كتب أهل التصوّف وترددتها بلسانك في المحافل والمجامع ، وظننت أنك صرت من أخيار سالكي الطريق ، كلاّ كلاّ ! بل لا يصير المرء متّصفاً بالوصف إلا بعد رسوخ الوصف في نفسه ، فافهم .

ولو دمت على ما أنت عليه من الدعوى قائلاً : أن ليس على وجه الأرض أعلى منك مقاماً في المشيخة ، لعلّ أصحاب النوبة يتصرفون فيك ويتأدّبونك فتموت بلا دنيا ولا آخرة ؛ فنعوذ بالله .

فإنّك يا أخي تحقّقت الآن حقيقة الأمر ، ولم يبق لك إشكال ما في هذا البحث ، وليس الحال قبل العلم كما هو بعده .

ولقد أجمع القوم على أنه لا يجوز لأحد ولو بلغ من العلم والعبادة ما بلغ أن يتصدّر للإرشاد والتلقين إلا كان مجازاً ومأذوناً من شيخ كامل وهو كذلك إلى رسول الله ﷺ ، فإن كنت في شكّ فارجع إلى « الأجوبة المرضية » و« جامع الأصول » و« المتممات » و« المدارج » و« درر الغواص » و« الإبريز » و« البهجة » و« الحديقة الوردية » و« الخادمي » وغيرها من كتب أهل الكشف .

وأعظم ما [تفعل] أنت أيها الأخ : أن تدخل في حارة فيها شيخ سبق إليها منك ، وتطلب من أهاليها سلوكهم في عهدك الشيطاني ، وذلك لا يجوز عند الله حتى كان سيد الطائفة وغوث الخليفة خالد قدس سره لا يلقّن ذكراً لأحد ولا يأخذ عهداً في بلدة فيها مأذونه ، وكان يؤول[1] أمرهم إليه ، راجعه « مجموعة الرسائل » و« الأجوبة المرضية » ، وهذا من أصولهم ومن غيّر أصولهم فليس منهم ، ومن خالفهم فهو مطرود ومطروح من نظراتهم ؛ والسقوط من السماء السابعة إلى الأرض السافلة خير من الوقوع من قلب أرباب الباطن عياذاً بالله .

وفي « الخالدية » : ومعلوم مشهور أنّ من تشيّخ على الناس بدعواه وجرّهم إلى جانبه بهواه محضاً للتعصّب بهواه فتسميته باسم الشيطانة أحقّ من تسميته باسم المشيخة ، ويدخل كلّ من لم يعترضه في وعيد المداهنة ، ولا يجوز لأحد أن يصاحبه بالمدارات إلاّ إن قصده من المصاحبة أن يجرّه تدريجاً إلى الحقّ بالمسارقة ويخرجه عما هو فيه بالمناصحة ؛ عفاهم الله تعالى مما لا يليق بشأن الربوبية ، ولا يخفى أن للصحبة تأثيراً عظيماً بلا مرية ، والتابعون لهؤلاء يوقعونهم في المهلكة

---

(١) علّه يعوّل .

مع أنهم ظانون أنهم على حالة مرضية لأنهم بصحبتهم يسارقون أحوالهم السيئة ويتعدى منهم إليهم ما في بواطنهم من [حبّ] الرياسة والشهرة إلى الاتصاف بالأنانية والارتساخ في السلطنة الهوائية ، وحينئذ يتصرف الشيطان فيهم كما يتصرف الصبيان بالكرة مع أنه ليس معهم نور إلهي بلا مرية ، لأن تلقينهم لهم صار خالياً عن نور النسبة والمعرفة فلذا يتسبّب الشيطان في إهلاكهم بقوة الغضبة .

وقد هداهم إلى رؤية نفوسهم الأمارة قائلاً : إنكم على شيء عظيم من العبودية وغيركم أدنى مقاماً منكم ، وأنتم الأعلون بالخصوصية ، حاشا ذلك وكلاّ ! ! بل أرداهم في مهلكة العجب والأنانية بحيث لا رجاء للخلاص ولو بشيء من الحيلة ، ولعلهم صاروا بكثرة صلاتهم وأذكارهم المأخوذة من شيخهم في زعمهم معجبين مدلّين .

والحال أنهم قد جهلوا ما ورد في الخبر « إن صلاة المدلّ لا ترفع فوق رأسه ولأن تضحك وأنت معترف بذنبك خير من أن تبكي وأنت مدل بعملك » ولقد كانوا قبل الأخذ منهم خائفين من الله منكسري القلوب ظانّين [أنّهم] من المستحقّين لعذاب الله نادمين على ما فعلوا من مخالفة الله ولا يخفى أن هذا خير لعباد الله من أن يعبدوه عبادة الثقلين معتقدين أنهم بمكان عند الله كيف لا ؟ !

وقد قال التاج ابن عطاء الله في « حكمه » : **ربّ معصية أورثت ذلاً وانكساراً خير من طاعة أورثت عزّاً واستكباراً .**

ولا شكّ أن شيخهم في زعمهم هو السبب الظاهر لوقوعهم في هذه الورطات لأنهم استكبروا به استكباراً وظنوا أنهم بتعلقهم به وبعبادتهم المخلوطة بالشوائب المحبطة عدّوا من خواص الخواص من أهل الله ، كلاّ ثم كلاّ بل شيخهم أرداهم في المهالك وسلّمهم إلى أيدي الأباليس وجرّهم الشيطان إلى أن يقول كل منهم : أنا خير منهم ، **وهو الذنب الذي**

طرّده من رحمة الله وأيّ ذنب أعظم من هذا ؟! والعياذ بالله ولم يبالوا بعد ذلك سوى كثرة صور العبادات ولم يشعروا أن الإخلاص هو الخلاص من المحبطات ، ولا يتخلّص إنسان من الشيطان إلا به كما هو معلوم كلام الله تعالى اعتقدوا في نفوسهم أنهم خير عباد الله مع أنهم في الحقيقة عبدة الحظوظات وأحسن أحوالهم أن يعبدوه لنيل الثواب والحرز من العقاب . وقال الغزالي : العامل لأجل الجنة عامل لبطنه وفرجه . انتهى « إحياء » . وقال تعالى : ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ الآية . ولعلّ الغزالي اقتبس قوله المذكور من قوله تعالى شيئاً .

فلينظر العاقل إلى ما يؤول إليه أحسن أحواله ، وليتفكر فيما قلناه في هذه الألُوكة وفيما نقلناه من كتب الأئمة ، فإنهم عظماء مشائخ علماء الطريقة وكبراء أرباب السلوك إلى الله والحقيقة وكلهم يعظمون الشريعة ويبنون علومهم الباطنة على السيرة الأحمدية . فلا يغرنّك طامات الجهّال المتنسّكين الفاسدين المفسدين الضالّين المضلّين للغير بعد أن كانوا زائغين من الشرع القويم ومائلين عن الصراط المستقيم خارجين عن مناهيج علماء الشريعة ومارقين عن مسالك مشائخ الطريقة . فالويل لهم كلّ الويل ولمن تبعهم أو حسّن أمرهم فهم قطّاع الطريق إلى الله تعالى على العابدين يلبّسون الحقّ بالباطل ويكتمون الحقّ وهم يعلمون .

ولقد قال المحقّق ابن حجر في خاتمة « فتاويه » : إنّ الطريقة السالمة من كدورات جهلة الصوفيّة هي الطريقة النقشبندية . انتهى .

وهكذا قال أهل الطرق : إنها سلطان الطرق . وقال آخرون : إنها أمّ الطرق . وقالوا أيضاً : إنها الأقرب الأسهل الأفضل والمُعْرِض عنها على خطر من دينه وهي طريقة الصحابة الموافقة للكتاب والسنة والمذاهب الأربعة كذا في « المتممات » وغيرِه من كتب النقشبندية . ومع هذا أنكرت أيها الأخ الحاج نور محمد العكندي رحم الله إفلاسك

على من تمسّك بذيل هذه الطريقة الصديقية ، وظننت أن ليس على وجه الأرض من يجوز له تلقين الأذكار القلبية ، وأبعدت كون من ذاق ما لم تذقه من أحوال هذه الطائفة . وقلت مرّات وكرّات : إن الدخول فيها ممّا لا يجوز ، بل خرجت على المنبر في قرية فلانية ووعظتهم بما ذكر فهل هذا إلا الاعتراض على الأولياء ؟ !

ثم إنك طلبت التحدّي أي : بإقامة الصلاة في الهواء . أما علمت يا أخي إن الله تعالى قد كان سخّر لي الهواء حين كنت شابّاً فهل أنت ظننت أني نسيت كيفية السعي في الهوى ؟ ! فلو طلبت التحدي بغير ذلك لكان أنجح لك من انتساب العلماء إليك الحماقة ، أي أخي أليس [لك] فطانة مّا بإظهار الكشف مع أنّ ذلك ممّا لا يجوز كما هو معلوم من كتب الكلاميّة مع أنّ ذلك الطلب لمجرّد رؤية الناس ظنّاً منك أنهم يثقونك ويصدّقونك ولعلّهم لو اطّلعوا على ما في ضميرك كما اطّلعنا لمقتوك ولم يكلّموك بعد ذلك أبداً . ولو كنا في موضع يجوز لنا أن نتكلم معك بكلّ ما علمنا من أحوالك من أنك لست من أهل الطريقة والحقيقة ، وليس فيك من المشيخة إلا اسمه ومن الإرادة إلا رسمه سوى إنك تلبست لتلبيس إبليس لنظهرنك بين الخلق على رؤس الأشهاد .

ويجوز لك يا أخي أن تأمر على الناس بالبرّ والتقوى وتنهاهم عن المنكر والفحشاء كما هو واجب على كل مسلم ، والتمسّك بالشريعة الغرّاء ، والاستقامة بالملّة الحنيفيّة البيضاء .

وأما أمر التلقين فهو مخصوص في اصطلاح أهل الطريق بأفراد من الرجال ليس لغيرهم فيه سبيل . **فالحاصل** أن السير إلى الله في اصطلاح أهل الطريق أربعة : سير أنفسي ، وسير آفاقي ، وسير رجوعي ، وسير في الأشياء . **فأنت يا أخي** لم تسلك الطريق ولو بخطوة واحدة ولا تعلم ما السير ولا السلوك وما حدودهما ، ولم تذق من طعام الوصول شيئاً .

فكيف أنت تدّعي أنك من فرسان هذا الميدان والحال أنك في حضرات الشيطان تظن أنك في أحسن حال عند الرحمن؟! فاللازم عليك أن تخاف من أن تكون في دائرة قوله عليه السلام «أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان جاهل القلب» .الخ .

وفي الأثر: لا تقوم الساعة حتى تجلس الشياطين على الكراسي ويعظوا الناس ولا يشعروا أن ذلك الواعظ شيطان، وراجع «المنن الكبرى» من الجزء الأوّل . وفي تفسير سُلمِي في قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ الآية، أشدّ الناس عذابا يوم القيامة من أظهر في الله ما لم يكن له ذلك، وأظهر من أحواله ما هو خال عنها . انتهى عبارته .

ولقد سمعتك تقول: إن تلقينك سورة الإخلاص بألفين للمريد يدخله في سلسلة القوم، حاشا فحاشاه بل يخرجك من سلسلتهم لأنك غيّرت أصولهم، وصرّفت قواعدهم، وأردت رياسة الناس وارتكبت بتلك التزينات والتلبيسات على الحاسد بهذه التفتّشات قوله عليه السلام «من غشّنا فليس منا» .

وقد قال رئيس هذه الطائفة النقشبندية خالد شاه قدس سره العزيز: من غيّر أصول طريقتنا فليس منّا

وفي «مجموعة الرسائل» ما حاصله: إن المخالفين لأصول الطريقة خارجون منها بل يُعدّون من المبعودين . انتهى عبارته .

وفيه أيضاً: إنهم يحسبون أن الطريقة وضع رسم وتصاوير وأن المشيخة تصنّع وتدابر بكمال جهلهم عن أسرار المشيخة وحكم الإله وقلة عقلهم بما يُعينهم إلى الصلاح وهم قطاع طريق الأوّاب ومفرّق جمع الأحباب، بل هم أضرّ على الإخوان من المنكر المغتاب ووقع شباكهم بعض الحدأة والغراب .

عن ابن عمر رضي الله عنهما إنما أهلك من كان قبلكم الفرق » .
عن عرفجة بن شريح ستكون هنّات وهنّات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهو جمع فاضربوه بالسيف كائناً من كان » . انتهى عبارته .

وفي هديّة الذاكرين : ليس لأحدنا تبديل طريقتهم . انتهى عبارته .

وقال إمام الطريقة بهاء الدين محمد نقشبندي قدس سره : المعرض عن طريقتنا فهو على خطر من دينه ، انتهى عبارته .

فحاسبْ نفسك يا أخي ولاحظْ بين عينيك هذه المواعيد ، ولا تمنع الناس من الذهاب لدى أهل الله ، باعلاق نفسك بواحد منهم لئلا تموت وأنت على هذا الحال وتحشر أنت في زمرة قطاع طريق الله .

قال الإمام الرباني أحمد الفاروقي قدس سره : **ألقي في سرّي أني قد غفرت لمن توسّل بك بواسطة أو بغيرها إلى يوم القيامة** . انتهى عبارته . فليتدبّر المنصف هذه المنفعة وليعتبر كيف يكون حال من طرد الناس من التوسّل بهذ الإمام الأعظم رضي الله عنه .

وفي « الدرر المكنونات » ما حاصله : إن التوجّه الواحد من شيخ نقشبندي يعمل عمل مائة من أربعين انتهى . فوالله إني غبطت أحوالك وزهدك في الأكل والشرب فيا ليتك تدخل الطريق وتترك الدعوى فلعلك تصل إلى الله بتوجّه واحد فها إنا نصحناك محضاً لوجه الله تعالي ولم نداهنك خوفاً من طرد الله بيد أنه ليس طاقة علي التكليف ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾ الآية ، ﴿ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ ﴿ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ الآية .

ثم إنك يا أخي إن كان لك إشكال مّا فيما كتبته في حقّك فعليك إرساله لدينا فلعلّنا نحلّه من العقد المتين ونرجوا من الله أن يكون علمنا مأخوذاً من دائرة قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمًا ﴾ مع شدّة التمسّك بميزان الشريعة .

---

(١) وهم جمع . نسخة

فالحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والصلاة والسلام على محمد وآله أجمعين .

ولقد طالت هذه الكراسة[1] فاحببت أن أسمّيه « بجهد المقلّ في ردّ شطحات المنكر المضلّ » جعله الله سبحانه سبباً للاعتبار لمن ليس له في الحقيقة افتكار ، آمين . فهذا : والسلام من هذا الراجى لدعاء إخوانه حسن القحي رحمه الله إفلاسه آمين . ١٣٢٣ من الهجرة المصطفوية .

تذنيب

وجميع الأقوال التي رددتها في هذه الرسالة وقعت بين يدي جماعة من الناس ، وكان في ذلك المجمعْ أخونا العالم المرشد الحاج حبيب الله القحي النقشبندي والعالم الأوحدي إبراهيم الخُشادي فلا مجال بعد ذلك لتكذيبه . منه رحمه الله .

ومرّ في هذه الرسالة : إن الرياضة بلا شيخ لا تورث إلا الوسوسة . قال في « حاشية زاده للبردة » للبوصري : ولا تظنّ أن تزكية النفس تتيسّر بطريق العقل كما ظنت الفلاسفة والبراهمة وغيرهم من الجهال وشرعوا في تزكية نفوسهم بالرياضات والمجاهدات على العمياء ، فوقعوا في الآفات والشبهات والضلالات ، فإن تزكية النفوس كمعالجة الأبدان فكما لا يجوز للمريض استعمال الأدوية إلا بنظر طبيب حاذق ذي تجربة في المعالجة ، كذلك تزكية النفس لا تتيسّر إلا بنظر نبي أو وليّ ذي تجربة في هذا الشأن . انتهى عبارته ٣٨ صحيفة .

وفي « الخربوتي » ما حاصله : إن للمرشد إرشاد كل من استغرق في الهوى ولا يعلم ذلك إلا النبي أو الولي ، وبه يكون أكثر الفاسقين صالحاً ، وأوفر العاصين زاهداً ، بل كلّ رجل يلزم عليه أن ينيب إلى

---

(١) الكراسة : الجمع حطباً كان أو كتباً أو تصنيفاً أو غير ذلك مما صح جمعه . مصباح المنير » .

مرشد كامل ، ولهذا قال أبو يزيد البسطامي : **من لم يكن له شيخ فشيخه شيطان** .

وقال غيره : لو أن الرجل [كان] يوحى إليه ولم يكن له شيخ لا يجيء منه شيء . انتهى ٣٨ صحيفة .

ويؤخذ من هذه المذكورات ومما مر في هذه الأُلُوكة جواز بل لزوم الدخول في الطريقة للفساق والعصاة فتدبّر ، ومثله في « الرملي » و« ابن حجر » في كتاب السير ، راجعهما .

وأمّا الذي كثر تردّده في لسانك يا أخي من أنه لا يجوز أن يدخل في الطريقة إلا كل من كمل في الشريعة هو دليل جهلك معنى الشريعة والطريقة فكل شريعة بلا طريقة كصورة بلا روح ، وكل طريقة بلا شريعة عاطلة لا يعتد بها ، وكلاهما كالروح والجسد كما مر والجمع بينهما هو الكمال الذي لا بد منه لكل أحد .

ولا شكّ أن الآباء والأمهات يعلّمون أولادهم حين بلوغهم بل قبل البلوغ أحكام الشريعة الغرّاء من الصلاة والصيام والزكاة والحج ويعلمونهم أيضاً ما يجب عليهم من أحكام العقائد مع أن إيمان المقلّد صحيح ، فما الذي يمنع من جواز دخولهم في الطريقة ، أليسوا مؤمنين ، وما الفرق بينك وبين القضاة لتقوم أنت على منصب الإرشاد بدعوى أنك شيخ رشيد قائلاً : إني معلم الشريعة لمجرد تلقينك سورة الإخلاص للمريدين ، أكانوا جاهلين سورة الإخلاص إلا بتلقينك ؟ !

يا أخي لو كنت تعلم في أيّ مهلكة أنت ، وفي أيّ بلية وقعتَ ، وعلى أيّ مركب ركبت ، لما ترددتَ تلك الكلمات [التي] لم تسمع قائلها إلى الآن من أهل الشريعة والطريقة ، فتدبّر ما سبق وعالج نفسك وقلبك ، ولا ترض بعد الآن إلا بصحبة كامل مكمّل الذي يبصرك من عيوبك ما خفي ومن أخلاقك ما كتم وما طوى ، ويعرّفك نفسك فتعرف ربك . والله الموفّق لكلّ مجاهد وهو الهادي إلى طريق الإرشاد . (منه رحمه الله إفلاسه آمين) .

مَجْمُوعَةُ فَتَاوَى أَهْلِ التَّحقِيق

في مسألة جمع الثلاث من التطليق
وفي بيان عدم جواز التقليد لغير المذاهب الأربعة

شَكرَ الله سَعي أَئمَّتِها ومقلِّديهَا آمين

تأليف

العَلامةِ الرَّبّانيّ المرشدِ الكاملِ
حسن حِلمي بن محمّدِ القَحيِّ
الشَّاذليِّ النَّقشبَنديِّ الدَّاغستَانيِّ
رَحمه الله تَعالى
المتوفَّى سنةَ (١٣٥٦هـ)

شَرُفَ بخدمتِه
تاج الدِّين الإرهاني

إهداء

- إلى مؤلِّفِ هذا الكتابِ العالم الجليلِ حسن حلمي قَدّسَ الله سرَّه.

- إلى مشايخي وأساتذتي الَّذين لهم عليَّ ممّا لا أستطيعُ مقابلتَه بقيّةَ حياتي، رضي الله عنهم وأرضاهم.

حينما انتهى أخونا الفاضل المحقق تاج الدين الإرْهانِي من تحقيق هذا الكتاب.. قد انتقل بغتة إلى رحمة الله في (١٦) من ذي القعدة سنة: (١٤٤٣ هـ).

نسأل الله تعالى أن يجعله ذخراً له يوم لا ينفع مال ولا بنون، وأن يغفر له ولنا وللمسلمين جميعاً.

بين يدي الكتاب

بسمِ الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين وحدَه، والصلاةُ والسلامُ علَى سيّدِنا محمّدٍ خاتمِ النَّبيِّينَ من لا نبيَّ بعدَه، وعلَى آله وصحبِه الَّذين حَفظُوا للإسلامِ عزَّه ومجدَه، وعلى حملةِ العلمِ الَّذين يَنفون عنه تحريفَ الغالين وتأويلَ الجاهلين.

أما بعد:

فهذا ما دَعتْ إليه حاجةُ أمثالي - من القاصرينَ من جمعِ ما للأَئمّةِ الأَعلام من متفرّقِ الكلامِ - في مسألةِ جمعِ الثَّلاثِ من التَّطليقِ، والتَّقليدِ غير المذاهبِ الأَربعةِ.

وقد قال الله تعالى في محكمِ التَّنزيل: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[1]، فالاختلافُ سنّةُ الله في خلقِه.

ودرجاتُ المعرفةِ، وسعةُ الصَّدرِ، والتَّحلّي بالصَّبرِ، وقوّةُ الاحتمالِ وغيرُ ذلك متفاوتةٌ بينَ الناسِ، ويَجبُ علينا أن نَتمسَّك بما عليه جمهورُ الأَئمّةِ الأعلامِ، كما قال المؤلِّفُ قُدّسَ سرُّه فيما يأتي: (ولا ريبَ أنّه يَجبُ اتِّباعُ السّوادِ الأَعظمِ عندَ وقوعِ الخلافِ، كما وَردَ ذلك عن الشارعِ صلى الله عليه وسلم، ويكونُ الحقُّ معهم لا مع تلك الشِّرذمةِ القليلةِ).

---

(١) سورة هود: (١١٨-١١٩).

فقد قالَ يوسف الدِّجوي رحمه الله تعالى: (وقَد كنتُ مع الأستاذِ الشَّيخ عبد الباقي سرور - عليه رحمة الله - وكانَ مفتتناً بابنِ تيميةَ كثيراً مُعجباً بآرائِه إلّا أنه كانَ رجلاً عاقلاً - وقد لَطّفنا من افتتانِه وقَلّلنا من إعجابِه - فقالَ: «إنّ ابنَ تيميةَ إمامٌ كبيرٌ ولا أَدرِي لماذا لا يتبعُه الناسُ، ولا يقولُ بقولِه الجمهورُ؟!» فقلتُ له ببساطةٍ: إنّي لا أَتبعُ ابنَ تيميةَ مطلقاً؛ لأني إن كنتُ بلغتُ درجةَ الاجتهادِ.. فلا أَتبعُ غيرِي، وإن لم أَبلغْ درجةَ الاجتهادِ.. كنتُ مع الجمهورِ لا مع مَن شَذَّ عنهم، فذلك أَحوطُ في الدِّين وأقربُ إلى العقلِ والنَّقلِ، فاقْتنَعَ رحمه الله بتلك الكلماتِ البسيطةِ وأَعجبَ بها)[1].

اللهمَّ؛ أيّدنا بالحقِّ، وأرنا الحقَّ حقّاً وارْزُقنا اتِّباعَه، وأَرنا الباطلَ باطلاً وارْزُقنا اجتنابَه.

وصلى الله تعالى وسلم على سيدِنا محمّدٍ وعلى آله، وجميعِ أصحابِه إلى يومِ الدِّين.

---

(١) «كلمة في السلفية الحاضرة» (ص ٢٨).

ترجمة

الشيخِ حسن حلمي بنِ محمدِ الداغستانِيِّ

رحمه الله تعالى

(١٢٦٨- ١٣٥٦هـ)

هو العلّامةُ الرَّبّاني قطبُ الإرشادِ، وشيخُ مشايخنا حسن حلمي بنْ محمدِ بنِ حسين القَحِيُّ النَّقشبَنديُّ الخالديُّ الشّاذليُّ الدَّاغستانيُّ، قَدس الله سرَّه وأفاض علينا من فيوضاتِه، آمين.

مولدُه:

وُلدَ في قريةِ «قَحِبْ» من قُرى مِنْطقةِ شمويل لجمهوريّةِ داغستان، سنةَ ثمانٍ أو تسعٍ وستّينَ ومائتَينِ وأَلفٍ (٩-١٢٦٨هـ).

نشأتُه:

وكانَ ابناً مسعوداً، وطفلاً محموداً، مباركاً ميموناً، ذا أَحوالٍ حميدةٍ، وشمائلَ جميلةٍ، ذا عقلٍ وفطنةٍ مريحةٍ، يَغبطُه كلُّ مَن رَآه، ويُحبُّه كلُّ مَن لَاقَاه، وكانَ ذا أَدبٍ بلا تَأديبٍ ولا مؤدّبٍ، وإنّ أباه الحاج محمد كانَ رجلاً فاضلاً، وعالماً تَقيّاً عاملا، وقد ماتَ وهو في المهدِ في سفرِ الحجِّ في بلدةِ جِدّة وقتَ الإيابِ، ودُفنَ فيها قربَ قبرِ أُمّنا وأُم بَني آدم حوّاء رضي الله عنها، وصارَ رحمه الله تعالى يَتيماً في تربيةِ الوالدةِ التي - جَزاها الله تعالى خيراً - رَبّته بأكمل تربيةٍ، وتَرعرَعَ في نظرتِها الحسنةِ.

تَلقّيه العلوم:

فلَمّا بَلَغَ سبعَ سنينَ.. ابتدأ بقراءةِ القرآنِ بنفسِه بلا داعٍ ولا موجّه إليها، فبعدَ إتمامِ فرائضِها وتصحيحِها ابتَدأ بطلبِ العلمِ، واختارَ للتَّدريسِ العالمَ الورعَ المخلصَ والدَ صاحبتِه القاضي حسن بيك، وكانَ يقرأُ الدَّرسَ معه صَبيحةَ كلِّ يومٍ، ويَذهبُ إلى الفضاءِ راعياً لأَنعامِهم، ويَأخذُ الكتابَ معه، ثمَّ إذا رَجعَ إلى البيتِ لا يَخرجُ مع أَقرانِه إلى الأَسواقِ، ولا يضيعُ أوقاتَه بالتَّعطيلِ مع الصِّبيانِ، وكانَ لا ينامُ إلّا قليلاً، ويَسهَرُ اللَّيالي كثيراً، وكانَ لا ينامُ تحتَ اللّحافِ واللّفافِ، بل يَضطجعُ في حالةٍ يكونُ نصفُ جسدِه عارياً؛ كي يسهلَ له القيامُ في السَّحرِ.

وإنّه أَيضاً طَلبَ العلمَ من العلماءِ الأَجلّةِ المخلصينَ، فصارَ ماهراً حاذقاً؛ بحيثُ يَعترفُ له فحولُ العلماءِ والعقلاءِ لذكاءِ فهمِه وعلمِه وعقلِه.

طريقُ سلوكِه:

ثمَّ بَدا له داعيةُ الدُّخولِ في سلكِ ساداتِ الصّوفيّةِ، وانْبعثَ من باطنِه شوقُ صحبةِ الأَولياءِ الكرامِ والمشايخِ العظامِ؛ أَهلِ الطريقةِ المحمّديّةِ ذَوي الاحترامِ، ففي يومٍ ذَهبَ لَدى واحدٍ من مريدِي الشّيخِ المرشد الحاج عبدِ الرَّحمن العَسَليِّ لتعليمِ الدَّرسِ، فوَجدَه يَذكرُ الله تعالى بالذِّكرِ الخفيِّ القلبيِّ، وقالَ له: إن شئتَ أَدلُّك إلى مَن يُرشدُك إلى هذه المرتبةِ، فاشتاقَ بفضلِه تعالى إلى لقائِه وقَصدَ الترحّلَ إلى حضرتِه، ففي تلك اللَّيلةِ استخارَ الله تعالى في حقِّ ذَهابِه لديه، فبعدَ صبحِ ذلك اليومِ خَرَجَ باكراً زائراً إلى جنابِ حضرةِ الخليفةِ من ساداتِ الصُّوفيّةِ قطبِ الإرشادِ الحاج عبدِ الرَّحمن العَسلي، ولَاقاه بالفرحِ والمباشرةِ ببَسطِ الوجهِ، وقالَ الشّيخُ

قُدّسَ سرُّه: لم أَفرحْ في عمرِي أَزيدَ من هذا اليوم؛ لاطِّلاعِه على أحوالِه الباطنيّة والظَّاهريّةِ، إنّ الله يُعطي الحكمةَ مَن يشاءُ، وما أَحسنَ وأَعجبَ فراسةَ الشّيخ؟! قد عَلِمَ من أَوّلِ رُؤيتِه قَدْرَه وجلالتَه، وعَلّمَ الرَّابطةَ الشَّريفةَ والاستغفارَ والصّلاةَ علَى كيفيّةِ النّقشبنديِّينَ، فبعدَ أيّام قلائلَ ذَهبَ ثانياً لدى حضرةِ الشّيخِ، ولَقّنَه الذِّكرَ القلبيَّ، وكانَ المرشدُ العَسلي قُدِّسَ سرُّه يُربّيه أَحسنَ تربيةٍ ويُلاطفُه.

فبعدَ مدّةٍ أَجازَه بالإجازةِ المطلقةِ في الطَّريقةِ النَّقشبنديَّةِ الصِّدّيقيّةِ في مجمعٍ للعلماءِ والعارفينَ من مريدِيه، وأَظهرَ علوَّ مقامِه وكرامتَه في هذا المجلسِ مع كونِه علَى خَجلٍ ووَجلٍ، وكانَ خائفاً كارهاً أمرَ الإرشادِ والخلافة، لكونِه رَأى فيه عدمَ الأهليّةِ لذلك المنصبِ العظيم، وكانَ يقولُ: فلولا أنّ أَمرَ الشَّيخ من واجبِ الاقتداءِ.. لما أَجبتُه لذلك، ولا قبلتُه، بيدَ أنه لم يصحَّ ردّ ما أَلزمَه الشَّيخُ، فقَبلَه علَى استحياءٍ شديدٍ، فأَمضى من بعدِه زمناً مديداً نحوَ سبعِ سنينَ بإخفاءِ هذا التَّصدّرِ عن الناسِ، وتَزهّدَ في ذلك الزمنِ ولم يَطلبْ من الدُّنيا إلا قدراً يسيراً؛ بحيثُ يسدُّ الرَّمق، ونَهى النفسَ عن الهوى، وانعزلَ عن الناسِ ولازمَ البيتَ، وكانَ هو فقيراً ذا عيالٍ، وعَلِمَ الشيخُ حقيقتَه ودَعاه لديه فقالَ: إني جَعلتُك خليفتِي وخليفةَ الرسولِ صلى الله عليه وسلم، وسلطانَ السّلاطين وأَميرَ الأُمراءِ، وأَعطيتُك الدُّنيا والآخرةَ، فأَمرَ بالإرشادِ وأَكّدَ الأَمرَ به، واسْتعفى كرَّاتٍ ومرّاتٍ وكانَ يردُّه، وقالَ: يا أُستاذي لو رَددتَ عنّي هذا الأَمرَ العظيمَ.. لكنتُ في كهفٍ خالٍ عن الناسِ مع العيالِ بتركِ العقارِ والمنقولِ، وأَكّدَ الأمرَ ثانياً؛ بحيثُ لا يكون له بدٌّ لردِّه، وامْتثلَ أَمرَه، وقَبلَ ذلك المنصبَ العظيمَ، فبعدَ ذلك ابتدأَ بإرشادِ الخلقِ، وقَعدَ علَى سجّادةِ الخلافةِ مستعيناً بالله العظيم، ومستفيضاً من الرسولِ الكريمِ، ومتوسِّلاً بالسّاداتِ الكرامِ، أَهلِ الطَّريقةِ ذَوي الاحترامِ.

واشتهرَ أَمرُه، وارْتحلَ إليه كلُّ مَن أَرادَ السلوكَ إلى سبيلِ الحقِّ حتَّى من أقصى البلادِ، فبعدَ ذلك قد كَثرَ المريدونَ الوافدونَ، وسَعى إليه الطَّالبون من كلِّ جانبٍ، وجاؤُوا من القُرى البعيدةِ والبلادِ الشَّاسعةِ حتى صارَ الوافدونَ في كلِّ يوم جمّاً غفيراً، واجتهدَ لهدايةِ مَن لاقَاه من الطَّالبينَ السّالكين وتربيتِه لله تعالى ولأجل رسولِه صلى الله عليه وسلم امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾[1].

فبعدَ تَرصُّدِه علَى هذا المنصبِ العظيم ذَهبَ الشّيخُ الحاج عبدُ الرَّحمن العَسلي قُدّسَ سرُّه إلى الحجِّ، وفَوَّضَ أَمرَ الإرشادِ إليه، ومات هو رحمه الله في جدة بعدَ تمامِ الحجِّ، ودُفنَ فيها عندَ قبرِ حوّاء رضي الله تعالى عنها.

ثمَّ بعدَ انتقالِه إلى جوارِ ربِّ البريةِ ذَهبَ لدى الشّيخِ الحاج شعيب أَفندي الباكِني قُدّسَ سرُّه، وقَبلَه بالتَّحيّةِ والإكرامِ، ورَبّاه بأحسن تَربيةٍ، وأَذنَ له بالإذنِ الصَّحيحِ، وأَجازهُ بالإجازة المطلقةِ، وكَتبَ له صكَّ الإجازةِ في الطَّريقة النَّقشبَنديَّةِ العليّةِ، ثُمّ بعدَ انتقالِ الشّيخِ الباكني إلى جوارِ ربِّ العزّةِ العزيزِ ذَهبَ لدى حضرةِ القطبِ المستور مِير سيف الله النَّقشبَندي الشَّاذلي القادري الأُويسي الحسينيّ النَّزْبكري الغازي غُمُوقي قُدّسَ سرُّه العزيز، وقَبلَه قبولاً حسناً، وصبَّ ذلك القطبُ الأَعظمُ والشّيخُ الأَكبرُ ما في صدرِه إلى صدرِ الشّيخِ حسن حلمي أَفندي، وقالَ: صَببتُ ما في صدرِي إلى صدرِك، وأَجازَ له في الطَّريقةِ الصدّيقيّةِ العليّةِ، والشَّاذليّةِ السنيّةِ، والقادريّةِ الجليّةِ.

---

(١) سورة الأنفال: (٧٢).

فبعدَ انتقالِ الشَّيخِ الأَكبرِ سيف الله قُدّسَ سرُّه من هذه الفانيةِ إلى الدّارِ الأبديّةِ الباقيةِ.. تَفرّدَ في ديارِ داغستانَ في المشيخةِ الصّادقةِ الصِّديقيّةِ، وتَوحّدَ في الطَّريقةِ الشَّاذليّةِ الحسنيّةِ العليّةِ، ولكن لم يُظهرِ الطَّريقةَ القادريّةَ الجيليّةَ؛ لعدمِ وصولِ صكِّ الإجازةِ من الشّيخِ المذكورِ المرحومِ المغفور له وإن كانَ مجازاً فيها بالإجازةِ الصَّحيحةِ المطلقةِ، وذلك لشدّةِ إنصافِه وصفائِه في الطَّريقةِ النَّبويّةِ، وإنّ الوثيقةَ وصكَّ الإجازةِ ولُبسَ الخرقةِ ممّا جَرتْ به عاداتُ ساداتِ الصّوفيّةِ.

أَخلاقُه:

وكانَ يَتكلّمُ مع مَن جاء لديه بالمداراةِ، ويُحسنُ أَخلاقَه؛ بحيثُ يُوافقُ حالَه ومآلَه، وكان وَرِعاً لم يُرَ منه ما يُخالفُ الشَّريعةَ ولو أَدنى شيءٍ، وكانَ ذا أَخلاقٍ حميدةٍ ومناقبَ سديدةٍ، وطبع حليم وحياءٍ جسيم، بارعاً حاذقاً في جميعِ العلوم نثراً ونظماً، عربيّاً وعجميّاً، وكانَ بسيطَ الوجهِ نشيطَ النّطقِ، يُحبُّه كلُّ من رآه، وقوراً حليماً، سخيّاً جواداً، مطابقاً مسمّاه باسمِه، معرضاً عن حبِّ الدُّنيا وحبِّ الجاهِ.

وكانَ شديدَ المنَّةِ، كثيرَ العفّةِ، وكانَ يزجرُ الأَولادَ والأحبابَ عن قبولِ الهدايا والإحسانات، ويقولُ لهم: إنّي أُريد أَن أَكونَ كالتّيسِ ولا أُريد أن أَكونَ كالمعزِ، الإنسانُ عبدُ الإحسانِ[1].

وأَثنَى عليه سيفُ الله النزبكريُّ قَدّسَ الله سرَّه بهذه الأبيات:

يا حبيبَ القلبِ بالي في الخطوبِ — في أُمورٍ ليس لي غيرُ الصُّعوبِ
يا أَنِيسَ الروحِ ما لي مؤنسٌ — غيرُكَ المرجوّ في خطبِ الكروبِ

(١) مقدمة كتاب «السفر الأسنى» (ص١١-١٩).

طيفُك الميمونُ في قَلبي سَرَى سيرك المحمود علّامُ الغيوبِ
أَنتَ نعمَ الخِلُّ يا نجمَ الهدى أَنت سري أَنتَ مفتاحُ القلوبِ
كيف لا أنت سرورُ الفقرَا يا وصيَّ القطبِ مفتاح الشُّعوبِ
عجباً كيف أَتَى تاريخُكم جاء فيَّاضاً لإحياءِ القلوبِ
سيفُك المفلولُ ساهٍ بالضّنى يا حبيبَ القلبِ بالي في الخطوبِ[1].

مؤلَّفاتُه:

وقد تَرَكَ مؤلَّفاتٍ عديدةً، منها:

١) «تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين» بالعربيّة والعجميّة، منظوماً ومنثوراً

٢) «تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف».

٣) «خلاصة الآداب لمن أراد فتح الأبواب» بالعجميّة منظوماً.

٤) «البروج المشيدة بالنصوص المؤيدة».

٥) «السفر الأسنى في الرابطة الحسنى».

٦) «سراج السعادات في سير السادات».

٧) «الدرة البيضاء في رد البدع والأهواء».

٨) «جهد المقل في رد شطحات المنكر المضل».

٩) «فيض الرحمن في كلام عبد الرحمن».

(١) «مكتوبات خالد سيف الله» (ص٥٠).

١٠) «مجموعة فتاوى أهل التحقيق في مسألة جمع الثلاث من التطليق»، وهو كتابنا هذا.

١١) «وسائل المريد في رسائل الأستاذ الفريد».

١٢) «الجوهرة النفيسة في إعانة الطريقة النقشبندية».

١٣) «الأجوبة القحية لأسئلة الإهلي».

١٤) «زبدة فضائل صلاة الفاتح».

١٥) «الملتقطات القحية من رشحات عين الحياة».

وصف النسخة الخطية

اعْتمَدنا في إخراجِ هذا الكتابِ علَى نسختين خطيتين.

الأولى: نسخة المؤلِّفِ قُدّسَ سرُّه، وهي نسخةٌ كاملةٌ مع بعضِ تعليقاتِ المؤلِّفِ، عدد صَفحاتِها (٤٦) صفحةً، ومتوسط عدد أَسطرِ الصفحةِ الواحدةِ (٢٨) سطراً.

ورمزنا لها بـ(أ).

الثانية: نسخة كاملة، عدد صَفحاتِها (٥٦) صفحةً، ومتوسط عدد أَسطرِ الصفحةِ الواحدةِ (٢٤) سطراً، وهي بخط شمس الدين محمد القحي، فرغ من نسخها سنة (١٣٧٦هـ) في شهر محرم.

ورمزنا لها بـ(ب).

منهج العمل في الكتاب

- حصرُ الآيات القرآنيّةِ الكريمةِ بينَ قوسَينِ مزهرَينِ: ﴿ ﴾ برسمِ المصحف الشَّريف من روايةِ حفصٍ عن عاصمٍ رحمهما الله تعالى.

- تخريجُ الأحاديثِ والآثارِ، وعَزوُ الأقوالِ والنقولاتِ لمصادرِها قدرَ الوسعِ، وحسبما توفّر بينَ يديّ من مصادر.

- التعليق على بعضِ المواضع؛ لشرح غامضٍ، أو بيان مشكلٍ، أو ذكر فائدةٍ مما له تعلّقٌ بالموضوع.

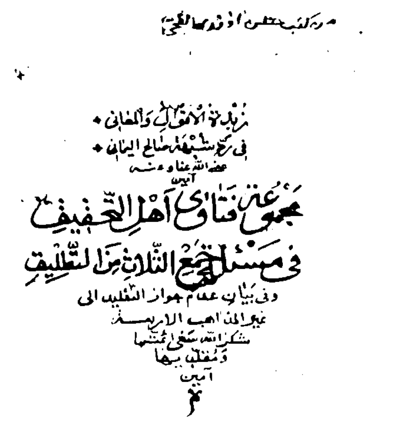
- وضعُ ما لا تَستقيمُ العبارةُ إلا به في النصوص بالمراجعةِ إلى الأصل، وحَصرناه بينَ معقوفَينِ [ ].

- تصويبُ بعض الكلماتِ بالمراجعةِ إلى الأصل، وحَصرناه كذلك بينَ معقوفَينِ [ ]، وقد أثبتنا الأعلام وأسماء الكتب كما أثبته المؤلف غالبا.

- وضعُ التَّعليقاتِ - التي كانت في الأوراقِ بخطِّ المؤلف بينَ الكتاب - في الهامشِ، ورَمزنا لها بـ(ق)، وما أشرنا إليه بـ(منه) فهو من المؤلف رحمه الله تعالى.

والله نَسألُ أن ينفع به، وأن يَجعله خالصاً لوجهِه، إنه سميعٌ مجيبٌ.

صور من المخطوطات المعتمدة



راموز ورقة العنوان للنسخة (أ)

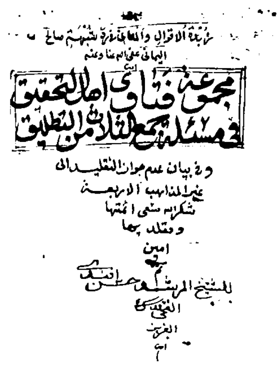




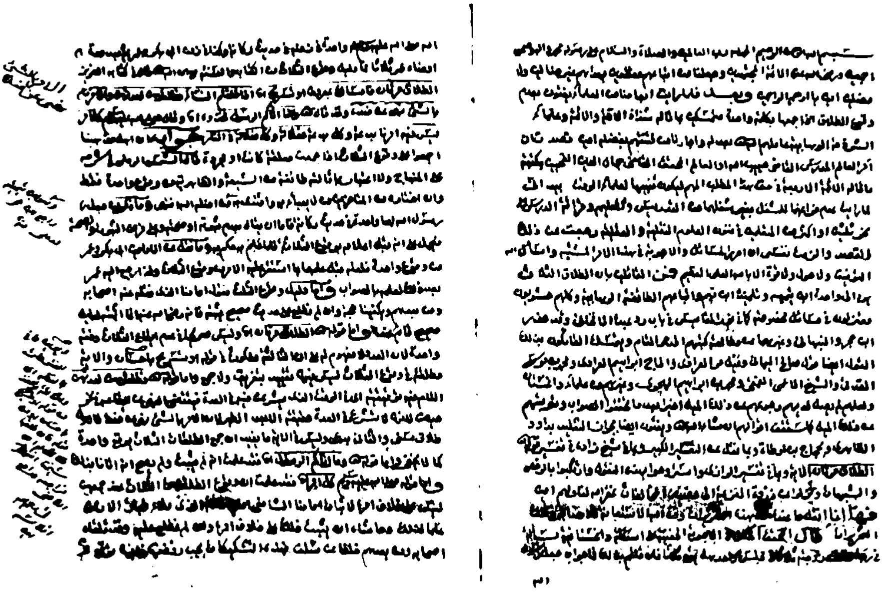
راموز الورقة الأولى للنسخة (أ)



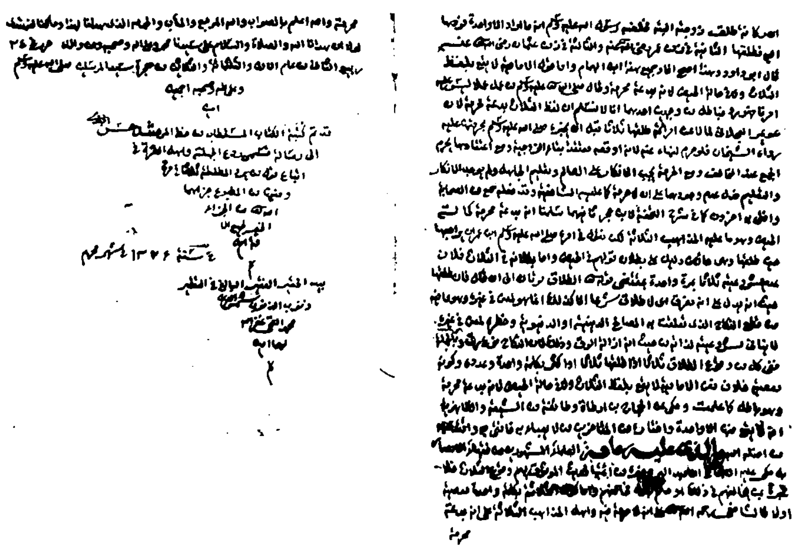
راموز الورقة الأخيرة للنسخة (أ)



راموز ورقة العنوان للنسخة (ب)



راموز الورقة الأولى للنسخة (ب)



راموز الورقة الأخيرة للنسخة (ب)

مجموعة فتاوى أهل التحقيق

في مسألة جمع الثلاث من التطليق
وفي بيان عدم جواز التقليد لغير المذاهب الأربعة

شَكرَ الله سَعي أَئمّتِها ومقلِّديهَا آمين

تأليف

العَلّامةِ الرَّبّانيّ المرشدِ الكاملِ
حسن حِلمي بنِ محمّدٍ القحيِّ
الشّاذليِّ النّقشبَنديِّ الدّاغستانيِّ
رَحمه الله تَعالى
المتوفّى سنةَ (١٣٥٦هـ)

شُرِّفَ بخِدمتِه
تاج الدّين الإرهاني

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ، والصّلاةُ والسّلامُ علَى رسولِه محمّدٍ وآلِه وصحبِه أجمعينَ، ورضي الله عن الأئمّةِ المجتهدينَ، وجَعلَنا من أتباعِهم مقتدينَ بهدَاهم، غير ضالِّينَ ولا مضلِّينَ، آمين يا أرحمَ الرَّاحمينَ.

وبعدُ: فلمَّا رأيتُ أبعاضاً من العلماءِ يُفتونَ بعدمِ وقوعِ الطّلاقِ إذا جَمعَها بكلمةٍ واحدةٍ، متمسّكينَ بما قالَه شُذّاذُ الأُمّةِ والأَئمّةِ، وعلماءُ الشِّرذمةِ الوهّابيّةِ، عَاملَهم الله تعالى بعَدلِه، وأجارَنا من فِتَنِهم[٢] بفضلِه، آمين.. قصدتُ أن آمرَ العالمَ المدرِّسَ القاضيَ حبيبَ الله، أو العالمَ المحقّقَ القاضيَ جمالَ الدِّين القَحيَّيْنِ بكتبةِ ما قالَه الأَئمّةُ الأربعةُ في حقِّ هذا المطلبِ المهمِّ ليكونَ تنبيهاً لعلماءِ الوقتِ.

بيدَ أني لَمَّا رأيتُ عدمَ فَراغِهما للشّغلِ بغيرِ شغلِهما؛ من التَّدريسِ والتَّعليمِ وقراءةِ الدَّرسِ علَى نحوِ ثلاثينَ أو أكثرَ من المتعلِّمينَ في فنونِ العلومِ النَّقليّةِ والعَقليّةِ.. رجعتُ عن ذلك القصدِ، وأَلزمتُ نفسِي أن أُحرِّرَ المسائلَ والأجوبةَ في هذا الأمرِ المشتبهِ، وأسألُ الله التَّوفيقَ، ولا حولَ ولا قوّةَ إلَّا بالله العليِّ العظيمِ.

فمن القائلينَ بأن الطلاقَ الثلاثَ يُردُّ إلى واحدةٍ ابنُ تيميةَ وتلميذُه ابنُ [القيّم] وأتباعُهم الطَّائفةُ الوهّابيّةُ، وكلُّهم حَشويُّونَ معتزلونَ في مسائلَ مَخصوصةٍ، كما في «نور المقابس» في باب ردِّ عَبْدُه [و] الأفغاني، وقد حَذّرَ ابنُ حجرٍ والنَّبهانيُّ وغيرُهما عن مطالعةِ كتبِهم الحذرَ التّامَّ.

---

(١) في هامش (أ): زوج.

(٢) في (ب): فتنتهم.

ويتمسّكُ القائلونَ بذلك القولِ أيضاً قولَ صالح اليَمانِيِّ، ومَيْلَ مُر العُراديِّ[1]، والحاجّ إبراهيم العُراديِّ، ومحمّدِ بنِ موسى القُدُقيِّ، والشّيخِ الأَعمَى الغُمْقيِّ، ومحمّدِ بنِ إبراهيم الهُـجُويِّ وغيرِهم من علماءِ داغستانَ، ولَعلهم لم يَصلْ لَديهِم رجوعُهم عن ذلك الميلِ أخيراً بعدَما تَحقّقوا الصّوابَ، وتَوبتُهم عن ذلك الميلِ، كما ستَقِفُ أَقوالَهم إن شاء الله تعالى.

ويُفتونَ أَيضاً بجوازِ التَّقليدِ بداودَ الظّاهريِّ وبحجّاجِ بنِ أَرطأةَ، وبما نُقلَ عن «التفسير الكبير»، وبما في «شيخ زاده» في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾[2] الآيةَ، وبما في «تفسير الرازي»، واسْتروَحُوا بهذه النقولِ، وارْتكَبُوا بالرُّخصِ والشُّبهاتِ، ونَزلُوا عن ذروةِ العزيمةِ إلى حضيضِ المخالفاتِ، غَفرَ الله لنا ولَهم آمين.

فها أنا أَنقلُ ما عندي من هذه التَّقريراتِ، ومن الله الاستعانةُ للإصابةِ في تلك التَّحريراتِ.

[فتوى المحقّقِ الحِفني رحمه الله تعالى]

قالَ المحقِّقُ الحِفْنِيُّ في «الأجوبة الحِفنيَّة على أَسئلة داغستانيّةٍ»:

(مسألةٌ: في رجلٍ طَلّقَ زوجتَه ثلاثاً في مجلس واحدٍ هل يَقعُ ثلاثاً، فإن قلتُم بذلك فما جوابُ جَعْلِ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسَلّمَ له واحدةً في زمنِه في حديثِ رُكانةَ، وكذا في زمنِ أبي بكرٍ وعمرَ، ثُمَّ بعدَ مدّةٍ أَمضاه عمرُ ثلاثاً، فما دليلُ وقوعِ الثّلاثِ من الكتابِ والسُّنّةِ مع أنّ الله تعالى قال في كتابه العزيزِ: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾.. إلخ[3]، ﴿إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[4].

---

(١) أي: مُرتضى علي العُرادي.
(٢) سورة البقرة: (٢٢٩).
(٣) سورة البقرة: (٢٢٩).
(٤) سورة الطلاق: (١).

والأَمرُ بالشّيءِ نهيٌ عن ضدِّه، وقد قالَ تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾[1]، وقالَ صلَّى الله عليه وسَلّمَ: «كُلُّ أَمْرٍ لَيْسَ فِيهِ أَمْرُنَا بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلُّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ»؟[2].

جوابُه: أَنّ أَهلَ مذهبِنا أَجمعُوا علَى وقوعِ الثّلاثِ إذا جمعتْ معلّقةً كانتْ أو [منجّزةً][3]، قالَ الشَّمسُ الرَّمليُّ في شرحِه على «المنهاج»: (ولا اعتبارَ بما قالتْه طائفةٌ من الشِّيعةِ والظّاهريّةِ؛ من وقوعِ واحدةٍ فقط وإن اختارَه من المتأَخِّرينَ مَن لا يُعبأُ به، واقتدَى به مَن[4] أَضلَّه الله تعالى). انتهى[5].

وما ذُكر؛ من جعلِ رسولِ الله صلى الله تعالى عليه وسلم لها واحدةً في حديثِ رُكانةَ فإمّا أَن يقالَ بعدم ثبوتِه أو صحّتِه، وعلَى فرضِ الثُّبوتِ والصِّحّةِ فيُحملُ على أنه قبلَ إعلامِه صلى الله تعالى عليه وسلم بوقوعِ الثّلاثةِ، فلمّا عَلِمَ به.. حَكمَ به.

وما نُقلَ عن الإمامَيْنِ أبي بكرٍ وعمرَ؛ من وقوعِ واحدةٍ فلعلَّه قبلَ علمِهما بما استقرَّ عليه الأمرُ؛ من وقوعِ الثّلاثِ، ولذا رَجعَ إليه عمرُ بعدَ ذلك لعلمِه بالصّوابِ.

وأمّا دليلُ وقوعِ الثّلاثِ.. فقولُ إمامِنا الَّذي نَقلَه عنه أَصحابُه ومَن بعدَهم ويكفينا حجّةً وإن لم نَطَّلعْ علَى حديثٍ صحيحٍ يُثْبِتُه، فإنه رضي الله عنه إنما أَثبتَه لدليلٍ صحيحٍ قائمٍ عندَه.

---

(١) سورة الحشر: (٧).

(٢) حديث بالمعنى، ولفظُه عندَ مسلم (٤٤٩٣): «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»، وعندَ النَّسائي (١٥٧٨): «مَنْ يَهْدِهِ اللهُ.. فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْهُ.. فَلَا هَادِيَ لَهُ، إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ».

(٣) في (أ) و(ب): «مجردة»، والمثبت ما في «فتاوى الإمام محمد بن سالم الحفناوي».

(٤) وهو ابن تيميةَ، راجع «رملي» و«ابن حجر». (منه). هامش (أ).

(٥) «نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج» (٧/ ٨).

وأمّا قولُه تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾[1].. [فليس] صريحاً في عدمِ إيقاع الثلاث دفعةً واحدةً؛ لأَنّ العددَ لا مفهومَ له علَى أَنّ الثالثةَ مذكورةٌ في قوله: ﴿أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾[2] والآيةُ مطلقةٌ في وقوعِ الثلاثِ ليس فيها تقييدٌ بتفريقٍ ولا جمعٍ.

وأَمّا قولُه تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[3].. اللّامُ فيه توقيتيّةٌ، أي: في الوقت الَّذي يَشرَعنَ فيه في العدَّةِ، فيَقتضِي النّهيَ عن إيقاعِه في نحوِ حيضٍ؛ لأنها لا تشرعْ في العدّةِ حقيقةً إلّا بعدَ الطُّهرِ؛ لأَنّ الأَمرَ بالشَّيءِ نهيٌ عن ضدِّه، فالأوّلْ طلاقٌ سُنيّ والثّاني بدعيٌّ، وليس في الآيةِ ما يُفيدُ أَنّ جمعَ الطَّلقاتِ الثّلاثِ يُوقعُ واحدةً كما لا يخفَى، وأمّا قولُه تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾[4].. إلخ.. فقد علمتَ أنه لم يَثبتْ ولم يَصحَّ أنه أَتانا بذلك.

وأما قولُه صلى الله عليه وسلم: «**كُلُّ أَمْرٍ**».. إلخ.. فقدْ علمتَ أَنّ وقوعَ الطَّلقاتِ الثّلاثِ عندَ جَمعهنَّ ليس علَى خلافِ أَمرِه؛ لإثباتِ إمامِنا الشّافعيّ إمامِ الأئمّةِ الَّذي مَلأَ طباقَ الأَرضِ علماً لذلك، وحاشاه أن يُثبتَ ذلك على خلافِ أمرِه وإن لم نَطَّلعْ عليه، وقد تَلقّاه أصحابُه ومَن بعدَهم خلفاً عن سلفٍ، فهذه التَّشكيكاتُ يَجبُ رفضُها، فإنّها تُوقِعُ في خرقِ الإجماعِ الَّذي هو ضلالةٌ). انتهى[5].

---

(١) سورة البقرة: (٢٢٩).

(٢) ويُؤيِّده ما في «الفتوحات» بما لفظُه: أي: والثالثة تُؤخذ من قولِه: ﴿أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾ أو من قولِه: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا﴾.. انتهى. شيخنا. انتهى. فراجعْه وراجع القاضي قحي رحم الله إفلاسه، آمين. هامش (أ) و(ب).

(٣) سورة الطلاق: (١).

(٤) سورة الحشر: (٧).

(٥) «فتاوى الإمام محمد بن سالم الحفناوي» (ص٤٣).

[مكتوبُ دَمدان إلى سلمان رَحمهما الله تَعالى]

وقد كَتَبَ أَبونا المرحومُ نَوّرَ الله مَرقدَه آمين[1] ما نَصُّه: وبعدَ إبلاغ السّلامِ من جناب الفقيرِ إلى الله دَمدان إلى جناب المحقِّقِ المدقِّقِ سلمان سَلَّمَه الله تعالى، إنِّي أَرسلتُ إليك أَحكاماً صحيحةً ثابتةً من «فتح الباري شرح البخاري» للإمام ابنِ حجرٍ العَسقلانِيِّ، فاجتَهِدْ علَى إشاعتِها، فإنّ الجهلَ قد عَمَّ علَى القضاةِ:

(قالَ النوويُّ: شَذَّ بعضُ أَهلِ الظّاهرِ فقالَ: إذا طُلِّقَ الحائضُ.. لم يَقعْ؛ لأنه غيرُ مأذونٍ فيه، وحَكاه الخَطَّابيُّ عن الخوارجِ والرَّوافضِ.

وقالَ ابنُ عبدِ البرِّ: لا يُخالِفُ في ذلك إلَّا أَهلُ البدعِ والضّلالِ، يعني: الآنَ، قالَ: ورُوي مثلُه عن بعضِ التّابعينَ وهو شُذوذٌ، وحَكاه ابنُ العربي عن ابنِ عُليَّةَ، وهو الّذي قالَ الشّافعيُّ في حقِّه: ضالٌّ جلسَ في بابِ [الضُّوّال][2] يُضلُّ الناسَ، وكانَ بمصرَ وله مسائلُ يَنفردُ بها، وكانَ من فقهاءِ المعتزلةِ، وكأنّ النّوويَّ أرادَ ببعضِ الظَّاهريّةِ ابنَ حزمٍ، فإنّه ممّن جَزمَ القولَ بذلك، وانتَصرَ له من المتأخِّرينَ ابنُ تيميةَ، وله كلامٌ طويلٌ في تقريرِ ذلك.

وأعظمُ ما احْتجُّوا به ما في روايةِ أبي الزبيرِ في قصّةِ ابنِ عمرَ عن مسلم، وأَبي داودَ والنَّسائيِّ: «فرَدَّها عليَّ»[3] زادَ أبو داودَ: «ولم يَرَها شيئاً»[4]، وإسنادُه على

---

(١) كما كتب كلام الحِفني. هامش (أ).

(٢) في (أ) و(ب): «الضَّلال»، والتصويبُ من «فتح الباري» (٩/ ٤٣٨)، و«سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٢٤)، و«مناقب الشافعي» للبيهقي (١/ ٤٥٧)، و«لسان الميزان» للعسقلاني (١/ ٢٤٣) وفيه: قلت: باب الضوال موضع كان بجامع مصر.

(٣) أي: النبي عليه السلام، أي: الزوجة. هامش (أ) و(ب). «سنن النسائي» (٣٣٩٢).

(٤) أي: لم يرَ النبيُّ صلَّى الله عليه وسَلّمَ مطلقةً. (أ) و(ب). «سنن أبي داود» (٢١٨٥).

شرطِ الصّحيحِ. قالَ أبو داودَ: رَوى هذا الحديثَ عن ابنِ عمرَ جماعةٌ، وأحاديثُهم كلُّها علَى خلافِ ما قالَه أبو [الزبيرِ]. قالَ ابنُ عبدِ البرِّ: قولُه: «ولم يَرَها شيئاً» منكرٌ لم يَقلْ[1] غيرُ أبي الزبيرِ، وليس بحُجّةٍ فيما خالفَ فيه مثله، فكيف بمن هو أثبتُ منه، ولو صَحَّ.. فمعناه: لم يَرَها شيئاً مستقيماً؛ لكونِها[2] لم تَقعْ علَى السُّنّةِ.

قالَ الخَطّابيُّ: قالَ أَهلُ الحديثِ: لم يَروِ أَبو الزبيرِ حديثاً أَنكرَ من هذا. قالَ البيهقيُّ: بَسطَ الشّافعيُّ القولَ في ذلك، وحَملَ قولَه: «ولم يَرَها شيئاً» علَى أَنّه لم يَعدَّها شيئاً صواباً غيرَ خطأٍ، بل يُؤمَرُ صاحبُه أن لا يُقيمَ عليه، ولهذا أمرَه بالمراجعةِ، ولو طَلّقَها طاهراً.. لم يُؤمرْ بذلك.

وأَمّا معنى روايةِ الشّعبيِّ: «إذا طَلّقَ الرّجلُ امرأتَه حائضاً لم [يعتدَّ] بها».. فهو: لم يعتدَّ تلك الحيضةُ في العدّةِ، كما رُوي ذلك عنه منصوصاً.

ورَوى سعيدُ بنُ منصورٍ من طريقِ عبدِ الله بنِ مالكٍ عن ابنِ عمرَ: أنه طَلّقَ امرأتَه وهي حائضٌ، فقالَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسَلّمَ: «لَيْسَ ذَلِكَ بِشَيءٍ»[3]، وهذا ونحوُه من مُتابعاتِ أبي الزبيرِ تَقبلُ التّأويلَ، وهو أَولَى من الإلغاءِ الصّريحِ في قولِ ابنِ عمرَ: إنَّها حُسِبتْ بتطليقةٍ. وهو أَولَى من تغليطِ بعضِ الثقاتِ، والجمعُ ذَكرَه ابنُ عبدِ البرِّ وغيرُه.

فإنّ قولَ ابنِ عمرَ: «إنَّها حُسِبَتْ عَلَيْهِ» مع قولِه: «لَم يعتدَّ بها» أَو «لم يَرَها شيئاً» متناقضانِ؛ لأنه إن جُعلَ الضّميرُ للنبيِّ صلَّى الله عليه وسَلّمَ.. [لَزمَ منه] أنّ ابنَ عمرَ

(١) في «فتح الباري» (٩/ ٤٣٨): يَقلْه.

(٢) طلقة. هامش (أ).

(٣) «سنن سعيد بن منصور» (١٥٥٢).

خالفَ النبيَّ صلَّى الله عليه وسَلّمَ، وكيف يُظَنُّ به ذلك مع اهتمامِه واهتمام أَبيه بسؤالِ النبيِّ صلَّى الله عليه وسَلّمَ، وإن جُعل لابنِ عمرَ.. لَزِمَ التَّناقضُ في القصّة الواحدةِ، فيَفتقرُ إلى التَّرجيحِ، ولا شكَّ أَنّ الأَخذَ بما رَواه الأَكثرُ والأَحفظُ أَولَى من مقابلِه عندَ تَعذّرِ الجمعِ.

واحتَجَّ ابنُ القيّمِ لترجيحِ ما ذَهبَ إليه شيخُه[1] بأَقيسَةٍ تَرجِعُ إلى مسألةِ: أَنّ النَّهيَ يَقتضِي الفسادَ، قالَ: فكما أن النَّهي يَقتضِي التَّحريمَ.. يَقتضِي الفسادَ، وأَطالَ بمعارضاتٍ كثيرةٍ لا تَنهضُ مع التَّنصيصِ علَى صريحِ الأمرِ بالرَّجعةِ، فإنَّها فرعُ وقوعِ الطلاقِ وعلَى تصريحِ صاحبِ القصّةِ؛ بأَنَّها حُسِبتْ عليه تطليقةً، والقياسُ في معارضةِ النّصِّ فاسدٌ، وقد عارضَ [ابنُ] عبدِ البرِّ بقياسٍ أَحسنَ من قياسِه.

قالَ ابنُ القيّمِ: لم يَردِ التصريحُ بأنّ ابنَ عمرَ احْتسَبَ بتلك التَّطليقةِ إلّا في روايةِ سعيدِ بنِ جُبيرٍ عندَ البخاريِّ، قلتُ: وغَفلَ عمّا في «صحيح مسلم» عن ابنِ سيرينَ: «سألتُ ابنَ عمرَ عن امرأتِه الَّتي طَلّقَها»، وساقَ الحديثَ إلى أن قالَ: «فراجَعها ثُمّ طَلّقَها لطهرِها[2]»، قلتُ: فاعْتَددْتَ بتلك التَّطليقةِ وهي حائضٌ؟ قالَ: ما لي لا أَعتَدُّ بها؟ وإن كنتُ عَجَزتُ واسْتَحمَقْتُ»[3]، وفي روايةٍ له عن سالمٍ: «فحُسبَتْ مِن طلاقِها»[4]، وله عن ابنِ شهابٍ: «فَراجَعْتُها، وحَسَبْتُ لَها التَّطليقَةَ»[5]، وفي روايةِ

(١) ابن تيمية. هامش (أ) و(ب).

(٢) وفي «صحيح مسلم» (٣٦٦٦)، و«فتح الباري» (٩/ ٤٤٠): «فرَاجَعتُها ثُمّ طَلّقْتُها لطُهرِها» بدلَ «فرَاجَعها ثُمّ طَلّقَها لطُهرِها».

(٣) «صحيح مسلم» (٣٦٦٦).

(٤) «صحيح مسلم» (٣٦٥٧). قال بدرُ الدين العيني في «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٢٠/ ٣٢٤): وقال القاضي: أَي: إن عَجزَ عن الرَّجعةِ، وفَعلَ فعلَ الأحمقِ.

(٥) «صحيح مسلم» (٣٦٥٨).

الشّافعيِّ: «أنهم أَرسلُوا إلى نافعٍ يَسألُونه؛ هل حسبت تطليقة ابنِ عمرَ على عهدِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم؟ فقال: نعم»[1]، وفي سياقِ هذه الأحاديثِ إشعارٌ بأنه إنَّما رَاجعَها في زمنِ النبيِّ صلَّى الله عليه وسَلّمَ.

وقالتِ الشِّيعةُ وبعضُ أَهلِ الظاهرِ: لا يَقعُ إذا أَوقعَها مجموعةً؛ للنَّهي، وطَرّدَ بعضُهم ذلك في كلِّ طلاقٍ مَنهيٍّ؛ كطلاقِ الحائضِ، وهو شُذوذٌ.

وذَهبَ كثيرٌ من السَّلفِ[2] إلى وقوعِه مع منعِ جوازِه، واحتَجَّ له بعضُهم بحديثِ محمودِ بنِ لَبيدٍ قالَ: «[أُخبِرَ] النّبيُّ صلَّى الله عليه وسَلّمَ عن رجلٍ طَلّقَ امرأتَه ثلاثَ تطليقاتٍ جميعاً، فقامَ مُبغضاً؛ **أَيُلْعَبُ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟**»، أَخرجَه النَّسائيُّ[3] ورجالُه ثقاتٌ، لكنَّه وُلدَ في عهدِ النبيِّ صلَّى الله عليه وسَلّمَ، ولم يَثبتْ له سَماعٌ، وقالَ بعدَ تخريجِه: لا أَعلمُ أَحداً رَواه غيرَ ابنِ الأَشجِّ عن أَبيهِ.

وأَخرجَ سعيدُ بنُ منصورٍ عن أَنسٍ بسندٍ صحيحٍ: «أَنّ عمرَ كانَ إذا أُتيَ برجلٍ طَلّقَ امرأتَه ثلاثاً أَوجعَ ظهرَه»[4].

ومن القائلينَ بالتَّحريمِ واللُّزومِ مَن قالَ: إذا طَلّقَ ثلاثاً مجموعةً وَقعتْ واحدة، وهو قولُ محمّدِ بنِ إسحاقَ صاحبِ «المغازي»، واحتجَّ بما رَواه عن ابنِ عبّاسٍ قالَ: «طَلّقَ رُكانةُ بنُ عبدِ يَزيدَ امرأتَه ثلاثاً في مجلسٍ واحدٍ، فقالَ النبيُّ صلَّى الله عليه وسَلّمَ: **إِنَّمَا تِلْكَ وَاحِدَةٌ فَارْتَجِعْهَا إِنْ شِئْتَ**»[5]، وأَخرجَه أَحمدُ وأَبو يَعلى

---

(١) «مسند الإمام الشافعي» (ص١٩٣).

(٢) في «فتح الباري» (٩/ ٤٤٩): «منهم» بدلَ «السّلف».

(٣) «سنن النسائي» (٣٤٠١).

(٤) «سنن سعيد بن منصور» (١٠٧٣).

(٥) أخرجه أبو داود (٢١٩٦) باختلاف يسير.

وصَحّحَه من طريقِ محمّدِ بنِ إسحاقَ. وهذا الحديثُ نَصٌّ في المسأَلةِ، لا يَقبلُ التَّأويلَ الَّذي في غيرِه من الرِّواياتِ.

وأَجابُوا عنه بأربعةِ أَشياء:

أَحدُها: أَنّ محمّدَ بنَ إسحاقَ وشيخَه مختلفٌ فيه(١).

والثّاني: معارضتُه بفَتوى ابنِ عبّاسٍ بوقوعِ الثلاثِ، فلا يُظنُّ [بابنِ] عباسٍ أنّه كانَ عندَه هذا الحكمُ عن النبيِّ صلّى الله عليه وسَلّمَ، ثمَّ يُفتِي بخلافِه إلّا بمُرجِحٍ ظَهرَ له(٢)، وراوي الخبرِ أَعلمُ من غيرِه بما رَوى.

أَخرجَ أَبو داودَ بسندٍ صحيحٍ من طريقِ مُجاهدٍ قالَ: «كنتُ عندَ ابنِ عبّاس، فجاءَ رجلٌ فقالَ: إنّه طَلّقَ امرأتَه ثلاثاً، فسَكتَ حتّى ظَننْتُ أَنّه يَردُّها إليه، فقالَ: يَنطَلقُ أَحدُكم فيَركَبُ أُحموقةً، ثمَّ يقولُ: يا ابنَ عبّاسٍ يا ابنَ عبّاس، إنَّ الله سبحانَه وتعالى قالَ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾(٣) وإنَّك لم تَتّقِ الله، فلا أَجدُ لك مَخرَجاً، عَصَيتَ رَبَّك وبانتْ منكَ امرَأَتُك»(٤).

وأَخرجَ لها أبو داودَ متابعةً نحوَه عن ابنِ عبّاسٍ.

وأَخرجَ الدّارَقطنيُّ عن طريقِ سعيدِ بنِ عبدِ الرّحمنِ الجُمَحيِّ عن عُبيدِ الله بنِ عمرَ عن نافعٍ عن ابنِ عمرَ: «أَنّ رجلاً قالَ: إنّي طَلّقتُ امرأَتِي البَتّةَ وهي حائضٌ،

---

(١) في «فتح الباري» (٩/ ٤٥٠): «فيهما» بدلَ «فيه».

(٢) قالتِ الحنفيّةُ: لا يَجبُ العملُ بخبرِ الواحدِ إذا خالفَه لدليل، قُلنا في ظنِّه وليس لغيرِه اتِّباعُه؛ لأَنّ المجتهدَ لا يُقلِّدُ مجتهداً.. إلخ. «شرح جمع الجوامع». هامش (أ) و(ب).

(٣) سورة الطلاق: (٢).

(٤) «سنن أبي داود» (٢١٩٧).

فقالَ: عَصَيتَ رَبَّك وفارَقتَ امرأتَك، قالَ: فإنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسَلّمَ أَمرَ ابنَ عمرَ أَن يُراجِعَ امرأتَه، قالَ: إنّه أَمرَ ابنَ عمرَ أَن يُراجعَها بطلاقٍ بَقيَ له، وأَنتَ لم تُبقِ ما تَرجعُ إليه امرأتك»(١).

وفي هذا السِّياقِ ردٌّ علَى مَن حَملَ الرَّجعةَ في قصّةِ ابنِ عمرَ علَى المعنَى اللُّغويِّ(٢).

وأَخرجَ مسلمٌ من طريقِ محمّدِ بنِ سِيرينَ قالَ: «مَكثتُ عشرينَ سنةً يُحدِّثُني مَن لا أَتّهِمُ أَنّ ابنَ عمرَ طَلّقَ امرأتَه [ثلاثاً] وهي حائضٌ، فأُمِرَ أَن يُراجعَها، فكنتُ لا أَتّهِمُهم، ولا أَعرِفُ وجهَ الحديثِ، حتّى لَقيتُ أَبا غَلّابٍ يُونسَ بنَ [جُبيرٍ] وكانَ ذا ثَبَتٍ، فحَدَّثَني أَنّه سَألَ ابنَ عمرَ، فحَدَّثَه أَنّه طَلّقَ امرأتَه تَطْليقةً وهي حائضٌ»(٣).

وأَخرجَه الدّارَقطنيُّ والبيهقيُّ من طريقِ الشَّعبيِّ قالَ: «طَلّقَ ابنُ عمرَ امرأتَه وهي حائضٌ واحدةً»(٤)، ومن طريقِ عطاء الخراسانِيِّ: «أَنّ ابنَ عمرَ طَلّقَ امرأتَه تطليقةً وهي حائضٌ»(٥).

وأَخرجَ مسلمٌ عن اللَّيثِ عن نافعٍ: «..تطليقةً واحدةً»، وقالَ: جَوَّدَ اللَّيثُ في قولِه: تطليقةً واحدةً(٦).

(١) «سنن الدارقطني» (٣٩٠٥).

(٢) أي: الرجوع المطلق. سلمان. هامش (أ) و(ب).

(٣) «صحيح مسلم» (٣٦٦١).

(٤) «سنن الدارقطني» (٣٩١٨)، و«سنن الكبرى» (١٤٩٢٦).

(٥) «سنن الدارقطني» (٣٩٧٤)، و«سنن الكبرى» (١٤٩٣٩).

(٦) «صحيح مسلم» (٣٦٥٣). قال النووي رحمه الله تعالى في «المنهاج في شرح صحيح مسلم» (٤/ ٧٢): يَعني: أَنّه حَفِظَ وأَتقنَ قدرَ الطَّلاقِ الّذي لم يتقنه غيرُه، ولم يُهمله كما أَهملَه غيرُه، ولا غَلِطَ فيه، وجَعلَه ثلاثاً كما غَلِطَ فيه غيره، وقد تَظاهرتْ رواياتُ مسلم بأَنّها طلقةٌ واحدةٌ.

ولحديثِ ابنِ عمرَ أَلفاظٌ أُخرَى [عندَ] عبد الرّزّاقِ وغيره نحو قولِه: «عَصيتَ رَبَّك وبَانتْ منكَ امرَأَتُك»[1].

والثَّالثُ: أَنّ أَبا داودَ رَجّحَ أَنّ رُكانةَ إنّما طَلّقَ امرأتَه البتّةَ كما أَخرجَه من طريقِ آل بيتِ رُكانةَ، وهو تعليلٌ قويٌّ لجوازِ أَن يكونَ بعضُ رُواتِه حَملَ البَتّةَ علَى الثلاثِ، فقالَ: طَلّقَها ثلاثاً، [فبهذِه النُّكتةِ يَقفُ][2] الاسْتدلالُ بحديثِ ابنِ عبّاسٍ.

والرَّابعُ: أَنّه مذهبٌ شاذٌّ، فلا يُعملُ به.

واحتجَّ بما أَخرجَه مسلمٌ من طريقِ عبدِ الرَّزّاقِ عن طاوسٍ عن ابنِ عبّاسٍ قالَ: «كانَ الطّلاقُ في عهدِ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسَلّمَ وأبي بكرٍ وسنتَيْنِ من خلافةِ عمرَ، طلاقُ الثلاثةِ واحدةً، فقالَ عمرُ: إنّ الناسَ قدِ اسْتَعجلُوا في أَمرٍ كانتْ لهم فيه أَنَاةٌ[3]، فلَو أَمْضَيناه عليهم، فأَمضَاه عليهم»[4].

ومن طريقِ عبدِ الرَّزّاقِ عن طاوسٍ: «أَنّ أَبا الصَّهْبَاءِ قالَ لابنِ عبّاسٍ: أَتَعلَمُ أنما كانتِ الثلاثُ [تُجعَلُ] واحدةً علَى عهدِ رسولِ الله صلَّى الله عليهِ وسلم وأبي بكرٍ، وثلاثاً من إمارةِ عمرَ؟ قالَ: نَعمْ»[5].

ومن طريقِ حَمّادٍ عن طاوس: «أَنّ أَبا الصَّهْبَاءِ قالَ لابنِ عباسٍ: أَلم يكنْ طلاقُ الثلاثِ علَى عهدِ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسَلّمَ واحدةً؟ قالَ: قد كانَ ذلك، فلَمّا

---

(١) «مصنف عبد الرزاق» (١٠٩٦٤).

(٢) في (أ) و(ب): (فهذه النكتة يقوي)، والمثبت ما في «فتح الباري».

(٣) قال النوويُّ رحمه الله تعالى في «المنهاج في شرح صحيح مسلم» (٤/ ٨٢): هو بفتح الهمزة، أَي: مهلةٌ، وبقيةُ استمتاع لانتظار المراجعة.

(٤) «صحيح مسلم» (٣٦٧٣).

(٥) «صحيح مسلم» (٣٦٧٤).

كانَ في عهدِ عمرَ.. تَتابَعَ الناسُ في الطلاقِ، فأَجازَه عليهم»[1]. وهذه الطّريقةُ الأخيرةُ أَخرجَها أبو داودَ أَيضاً، لكن قالَ بدلَ إبراهيمَ: «عن غيرِ واحدٍ».

وأجابوا أيضاً عن هذا الحديثِ بأجوبةٍ عديدةٍ:

أَحدهَا: جوابُ إسحاقَ بنِ راهويه وجماعةٍ، وبه جَزمَ زكريَّا السَّاجي من الشَّافعيّةِ؛ أَنّه في غيرِ المدخولِ بها، واسْتَنَدُوا علَى ما في «البخاري»[2]: «أَما عَلِمتَ أَنّ الرّجلَ كانَ إذا طَلّقَ امرأتَه ثلاثاً قبلَ أَن يَدخُلَ بها جَعلُوها واحدةً»[3]. ووَجَّهُوه؛ بأَنّ غيرَ المدخولِ بها تبينُ إذا قالَ لها زوجُها: أَنتِ طالقٌ، فإذا قالَ: ثلاثاً.. أَلغى العدد؛ لوقوعِه بعدَ البينونةِ.

وثانيها: دَعوى شُذوذِ روايةِ طاوسٍ، وهي طريقةُ البيهقيِّ، فإنه ساقَ الرِّواياتِ عن ابنِ عبّاسٍ بلُزومِ الثلاثِ، ثمَّ نَقلَ [عن] ابنِ مُنذرٍ: أنه لا يُظَنُّ [بابنِ] عباسٍ أنه يَحفظُ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسَلّمَ شيئاً ويُفتِي بخلافِه، فيَتعيّنُ المصيرُ إلى التَّرجيحِ، والأَخذُ بقولِ الأَكثرِ أَولَى من الأَخذِ بقولِ واحدٍ إذا خالفَهم.

وقالَ ابنُ العربي: هذا حديثٌ مختلفٌ في صحّتِه، فكيف يُقدّمُ علَى الإجماعِ؟ قالَ: ويُعارضُه حديثُ محمودِ بنِ لَبيدٍ، أَي: الَّذي أَخرجَه النَّسائيُّ، فإنّ فيه [التَّصريحَ] بأنّ الرجلَ طَلّقَ ثلاثاً ولم يَردَّه النبيُّ صلَّى الله عليه وسَلّمَ بل أَمضَاه.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٦٧٥). وفيه «تَتايَعَ» بدل «تَتابعَ».

(٢) لعلّه أبو داود.

(٣) أَخرجه أَبو داود (٢١٩٩). ولفظُه: «أَنّ رجلاً يقالُ له: أَبو الصَّهْباءِ كانَ كثيرَ السُّؤالِ لابنِ عباسٍ، قالَ: أَمَا عَلِمتَ أَنَّ الرَّجلَ إذا طَلّقَ امرأتَه ثلاثاً قبلَ أَن يَدخلَ بها جَعلُوها وَاحدَةً علَى عهدِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكرٍ وصَدْراً من إمارةِ عمرَ؟ قالَ ابنُ عباسٍ: بلى، كانَ الرجلُ إذا طَلّقَ امرأتَه ثلاثاً قبلَ أَن يَدخلَ بها، جَعلُوها واحدةً علَى عهدِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكرٍ وصَدْراً من إمارةِ عمرَ، فلمَّا رَأى الناسَ قد تَتايَعُوا فيها.. قالَ: أَجِيزُوهُنَّ عليهم».

وثالثُها: دَعوى النسخِ، فنَقلَ البيهقيُّ عن الشافعيِّ أَنّه قالَ: يُشبهُ أَن يكونَ ابنُ عباسٍ عَلِمَ شيئاً نَسخَ ذلك[1]، قالَ البيهقيُّ: ويُقوِّيه ما أَخرجَه أَبو داودَ من طريقِ يزيدَ عن ابنِ عبّاسٍ قال: «كانَ الرَّجلُ إذا طَلّقَ امرأتَه فهو أَحقُّ برجعتِها وإن طَلّقَها ثلاثاً، فنُسخَ ذلك»[2].

وما ذَكرَه المازِريُّ؛ من أَنّ دَعوى النَّسخِ غَلطٌ، فإنّ عمرَ لا يَنسخُ، وإن أَرادَ أَنّه نُسخَ في زمنِ النبيِّ صلَّى الله عليه وسَلّمَ.. يَخرجُ عن ظاهرِ الحديثِ؛ لأَنَّه حينئذٍ لا يَجوزُ للرَّاوي أَن يُخبرَ ببقاءِ الحكمِ في خلافةِ أَبي بكرٍ وبعضِ خلافةِ عمرَ. والقولُ بأَنّ النّسخَ إنَّما ظَهرَ من عمرَ غَلطٌ أَيضاً؛ لأنه يكونُ حَصلَ الإجماعُ علَى الخطأِ في زمنِ أَبي بكرٍ، وليس انقراضُ العصرِ شرطاً في صحّةِ الإجماعِ. انتهى كلامُه.. **مُتعقّبٌ**؛ **بأَنّ** الَّذي ادَّعى النَّسخَ لم يَقلْ: إنَّ عمرَ نَسخَ، وقد سَلّمَ المازريُّ في أَثناءِ كلامِه أَنّ إجماعَهم يَدلُّ علَى ناسخٍ، وهو مرادُ مَن ادَّعى النّسخَ.

وبأَنّ إنكارَه الخروجَ عن ظاهرِ الحديثِ عجيبٌ، فإنّ الَّذي يُحاولُ الجمعَ بالتَّأويلِ يَرتكِبُ خلافَ الظَّاهرِ حتماً.

وبأَنَّ تغليطَ مَن قالَ: المرادُ ظهورُ النسخِ، عجيبٌ أَيضاً؛ لأَنَّ المرادَ بظُهورِه: انتشارُه، وكلامُ ابنِ عبّاسٍ أَنّه كانَ يُفعلُ في زمنِ أَبي بكرٍ محمولٌ علَى أَنَّ الَّذي كانَ يَفعلُه مَن لم يَبلغْه النّسخُ، فلا يَلزمُ ما ذُكرَ؛ من إجماعِهم علَى الخطأِ، وما أَشارَ إليه من مسألةِ انقراضِ العصرِ لا يَجيءُ هنا؛ لأَنّ عصرَ الصَّحابةِ لم يَنقرِضْ في زمنِ أَبي بكرٍ وعمرَ، فإنَّ المرادَ بالعصرِ: الطَّبقَةُ من المجتهدينَ، وهم في زمنِ أَبي بكرٍ وعمرَ بل وبعدَهما طبقةٌ واحدةٌ.

(١) وبذلك أَفتى بوقوعِ الثلاثِ، (سلمان). هامش (أ) و(ب).

(٢) «سنن أَبي داود» (٢١٩٥).

ورابعُها: دَعوى الاضطرابِ، قالَ القرطبيُّ في «المفهم»: وَقعَ فيه من الاختلافِ علَى ابنِ عبّاسٍ الاضطرابُ في لفظِه، وظاهرُ سياقِه يَقتضِي النّقلَ عن جميعِهم أَنّ معظمَهم كانوا يَروْنَ ذلك، والعادةُ في مثلِ هذا أَن يَفشوَ الحكم ويَنتشرَ، فكيف يَنفردُ به واحدٌ[1] عن واحدٍ[2]؟ قالَ: فهذا الوجهُ يَقتضِي التّوقّفَ من العملِ بظاهرِه إن لم يَقتضِ القطعَ ببطلانِه.

وخامسُها: دَعوى أَنّه وَردَ في صورةٍ خاصّةٍ، فقالَ ابنُ [سُريج][3] وغيرُه: يُشبِهُ أَن يكونَ وَردَ في تكريرِ اللّفظِ، كأَن يقولَ: أَنتِ طالقٌ، أَنتِ طالقٌ، أَنتِ طالقٌ. وكانوا أَوّلاً علَى سلامةِ صُدورِهم يُقبلُ منهم أَنّهم أَرادُوا التّأكيدَ، فلَمّا كَثرَ النّاسُ في زمنِ عمرَ وكَثرَ فيهم [الخِداعُ] ونَحوُه ممّا يَمنَعُ قبولَ مَن ادّعى التّأكيدَ.. حَملَ اللّفظَ علَى ظاهرِ التّكرارِ فأَمضاه عليهم.

وهذا الجوابُ أَيضاً ارْتضَاه القرطبيُّ وقَوّاه بقولِ عمرَ: «إنّ النّاسَ اسْتعجَلُوا في أَمرٍ كانتْ لهم فيه أَناةٌ»، وكذا قالَ النّوويُّ: إنّه أَصحُّ الأَجوبةِ.

وسادسُها: هو أَنّ معنى قولِه: «كانَ الثّلاثُ واحدةً»: أَنّ النّاسَ في زمنِ النبيِّ صلَّى الله عليه وسَلّمَ كانوا يُطلِّقونَ واحدةً، فلمّا كانَ زمنُ عمرَ.. كانوا يُطلّقونَ ثلاثاً، ومحصّلُه: أَنّ المعنى: أَنّ الطّلاقَ الموقعَ في عهدِ عمرَ ثلاثاً كانَ يُوقعُ قبلَ ذلك واحدةً؛ لأَنّهم كانوا لا يَستعملُونَ الثّلاثَ أَصلاً، أَو كانوا يَستعمِلُونها نادراً، وأَمّا في عصرِ عمرَ.. فكَثرَ استعمالُهم لها، فمعنى قولِه: فأَمضَاه عليهم، أَو أَجازَه ونحوه: أَنّه صَنعَ فيه من الحكمِ بإيقاعِ الثّلاثِ ما كانَ يَصْنعُه قبلُ، ورَجّحَ هذا التّأويلَ ابنُ العربي

(١) طاوس. هامش (أ) و(ب).

(٢) ابن عباس. هامش (أ) و(ب).

(٣) في (أ) و(ب): شريح، والمثبت ما في «فتح الباري».

ونَسبَه إلى أَبي زُرعةَ الرَّازي، وكذا أَوْرَدَه البيهقيُّ بإسنادِه الصّحيح إلى أبي زُرعةَ أَنّه قالَ: معنى هذا الحديثِ عندي: [أَنَّ ما تُطلِّقونَ أَنتُم ثلاثاً] كانوا يُطلِّقونَ واحدةً.

قالَ النَّوويُّ: وعلَى هذا فيكونُ الخبرُ وَقعَ علَى اختلاف عادةٍ خاصّةٍ، لا عن تَغيّرِ الحكمِ في الواحدةِ.

وسابعُها: دَعوى وَقفِه، فقالَ بعضُهم: ليس في هذا السِّياقِ أَنّ ذلك كانَ يَبلُغُ النبيَّ صلَّى الله عليه وسَلّمَ فيُقرُّه، والحجّةُ في تقريرِه. وتُعقِّبَ؛ بأَنّ قولَ الصَّحابيِّ: كنَّا نَفعلُ في عهدِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم كذا في حكمِ الرَّفعِ علَى الرَّاجحِ، حَملاً علَى أنه اطَّلعَ علَى ذلك فأَقرَّه؛ لتوفّرِ دَواعِيهم علَى السؤالِ عن جَليلِ الأحكامِ وحَقيرِها.

وثامنُها: حملُ قولِه: «ثلاثاً» علَى أَنّ المرادَ: لفظُ البَتّةِ[1] كما تَقدّمَ في حديثِ رُكانةَ سواءً، وفي روايةِ ابنِ عبّاس أَيضاً، وهذا جوابٌ قويٌّ، ويُؤيِّدُه إدخالُ البخاريِّ في هذا البابِ الآثارَ الَّتي فيها البَتَّةُ، والأَحاديثَ الَّتي فيها التَّصريحُ بالثّلاثِ، كأنه يُشيرُ إلى عدمِ الفرقِ بينهما، وأَنّ البتّةَ إذا أُطلقَ حُملَ علَى الثّلاثِ، إلّا إذا أَرادَ المطلِّقُ واحدةً فيُقبلُ، فكأَنّ بعضَ الرُّواةِ حَملَ لفظَ البَتّةِ علَى الثّلاثِ لاشتهارِ التَّسويةِ بينهما فرَواها بلفظِ الثّلاثِ، وإنَّما المرادُ: لفظُ البَتّةِ، وكانوا في العصرِ الأَوّلِ يَقبلُونَ ممّنْ قالَ: أَردْتُ بالبتَّةِ الواحدةَ، فلمّا كانَ عهدُ عمرَ رضي الله عنه.. أَمضَى الثّلاثَ في ظاهرِ الحكمِ.

قالَ القرطبيُّ: وحجّةُ الجمهورِ في اللُّزومِ من حيثُ النَّظرُ [ظاهرةٌ] جدّاً، وهو أَنّ المطلَّقةَ ثلاثاً لا تَحلُّ للمُطلِّقِ حتَّى تَنكحَ زوجاً غيرَه، فلا فرقَ بينَ مجموعِها ومُفرّقِها لغةً وشرعاً، وما يتخيَّلُ من الفرقِ الصُّوريِّ أَلغَاه الشَّرعُ اتِّفاقاً في النكاحِ والعتقِ والأَقاريرِ.

---

(١) يُريد: المنجّزة. هامش (أ).

واحْتجَّ مَن حَملَ الثّلاثَ علَى الواحدةِ؛ بأَنّ مَن قالَ: أَحلِفُ بالله ثلاثاً لا يُعدُّ حلفُه إلّا يَميناً [واحدةً] فلْيَكنِ المطلِّقُ مثلَه، وتُعقِّبَ؛ بأَنَّه قياسٌ مع الفارقِ، فإنّ للطّلاقِ [أَمداً]، فإذا قالَ: أَنتِ طالقٌ ثلاثاً.. فكأَنَّه قالَ: أَنتِ طالقٌ جميعَ الطّلاقِ، وأَمّا الحالفُ.. فلا أَمدَ لعددِ أَيمانِه.

وفي الجملةِ: فالَّذي وَقعَ في هذه المسألةِ نظيرُ ما وَقعَ في مسألةِ المتْعَةِ سواءً، أَعنِي: قولَ جابرٍ: إنّها كانتْ تُفعلُ في عهدِ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسَلّمَ وأبي بكرٍ وصدراً من خلافةِ عمرَ، قالَ: ثُمّ نَهانا عمرُ عنها فانْتهَينا، فالرّاجحُ في الموضعَينِ تحريمُ المتْعَةِ وإيقاعُ الثّلاثِ؛ للإجماعِ [الَّذي] انْعقَدَ في عهدِ [عمرَ] علَى ذلك، فإنّه لا يُحفظُ أَنّ أَحداً في عهدِ عمرَ خالفَه في واحدةٍ منهما، وقد دَلَّ إجماعُهم علَى وجودِ ناسخٍ كما تَقدّمَ، وحديثُ أَبي داودَ عن ابنِ عبّاسٍ التَّصريحُ به وإن كانَ خَفِيَ عن بعضِهم قبلَ ذلك حتّى ظَهرَ لجميعِهم في عهدِ عمرَ، فالمخالفُ بعدَ هذا الإجماعِ مُنابِذٌ له، والجمهورُ علَى عدمِ اعتبارِ مَن أَحدَثَ الاختلافَ بعدَ الاتِّفاقِ، والله أعلمُ.

ثُمّ اسْتدَلَّ المصنِّفُ علَى ما تَرجمَ به؛ من تَجويزِ الطّلاقِ الثّلاثِ بقولِه تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾[1] وبأَحاديثَ ثلاثةٍ، وقدِ اسْتُشكِلَ وجهُ الاسْتدلالِ بالآيةِ، فقالَ الكِرمانيُّ فيه: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ يدلُّ علَى جوازِ جمعِ [الثِّنتَينِ]، وإذا جازَ جمعُ الثِّنتَينِ.. جازَ جمعُ الثّلاثِ دفعةً، وهو قياسٌ مع وضوحِ الفارقِ، وعندِي أَنّ مرادَه بالآيةِ: دَفعُ دليلِ المخالفِ، لا الاحتجاجُ بها لتجويزِ الثّلاثِ، يَعني: أَنّ الآيةَ ما احتجَّ بها المخالفُ للمنعِ من الوقوعِ؛ لأَنّ ظاهرَها أَنّ الطّلاقَ المشروعَ لا يكونُ بالثّلاثِ دفعةً، بل علَى التّرتيبِ، فأَشارَ إلى أَنَّ الاستدلالَ بذلك علَى منعِ جمعِ

(١) سورة البقرة: (٢٢٩).

الثّلاثِ غيرُ مُتّجهٍ؛ إذ ليس في السّياقِ المنعُ من غيرِ الكَيفيّةِ المذكورةِ، فإنّ معناه فيما ذكرَ أَهلُ العلمِ بالتّفسيرِ: أنّ أكثرَ الطّلاقِ الّذي يكونُ بعدَه الإمساكُ أَو التّسريحُ مَرّتانِ، بل انْعقدَ الإجماعُ علَى أنّ إيقاعَ المرّتينِ ليس شرطاً ولا راجحاً، بل اتّفقُوا علَى أنّ إيقاعَ الواحدةِ أَرجَحُ من إيقاعِ الثّنتَينِ، كما تَقدّمَ تقريرُه في الكلامِ على حديثِ ابنِ عمرَ.

فكأَنّه أَرادَ بالتّرجمةِ مُطلَقَ وجودِ الثّلاثِ مفرّقةً أَو مجموعةً، أَو أَرادَ تجويزَ الثّلاثِ مجموعةً، وهو الأَظهرُ.

ووجهُ الاستدلالِ بالحديثِ الأَوّلِ - وهو حديثُ سَهلِ بنِ سعدٍ في المتلاعنَينِ - أَنّه صلَّى الله عليه وسَلّمَ لم يُنكرْ عليهِ إيقاعَ الثّلاثِ مجموعةً، [فلو] كانَ ممنوعاً.. لأَنكرَه وإن كانتِ الفُرقةُ وَقعَت باللّعانِ.

والحديث الثّاني حديثُ عائشةَ في قصّةِ رِفاعةَ القُرَظيِّ وامرأتِه، وشاهدُ التّرجمةِ هو قولُه: «فبَتَّ طَلاقِي».

والحديث الثّالث حديثُ عائشةَ أَيضاً: «أَنَّ رجلاً طَلّقَ امرأَتَه ثلاثاً، فسُئلَ النبيُّ صلَّى الله عليه وسَلّمَ أَتحلُّ للأَوّلِ؟ قالَ: [لَا]»[1]، فالتّمسّكُ بظاهرِ قولِه: «طَلّقَها ثلاثاً»)[2].

«فتح الباري شرح البخاري» للحافظِ ابنِ حجرٍ العَسقلانِيِّ من المجلّدِ الخامسِ من كتابِ الطّلاقِ[3].

---

(١) فيه كلامٌ كثيرٌ في موضعِه. هامش (أ) و(ب).

(٢) قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٩/ ٤٥٥): فإنّه ظاهرٌ في كونِها مجموعةً.

(٣) «فتح الباري» (٩/ ٤٣٨-٤٥٥) بتصرُّفٍ يَسيرٍ.

وفي «التحفة» علَى قولِ «المنهاج»: «ولا يَحرمُ جمعُ الطّلَقاتِ»: (الثّلاثِ؛ لأَنّ عُوَيمِرَ العَجْلَانِيّ لَمّا لَاعَنَ امرأتَه.. طَلّقَها ثلاثاً قبلَ أن يُخبِرَه صلّى الله عليه وسَلّمَ بحُرمتِها عليه. رَواه الشّيخانِ[1].

فلو حرم.. لَنهاه عنه؛ لأَنّه أَوقَعَه معتقداً بقاءَ الزَّوجيّةِ، ومع اعتقادِه يَحرُمُ الجمعُ عندَ المخالفِ، ومع الحرمةِ يَجبُ الإنكارُ علَى العالمِ وتَعليمُ الجاهلِ، ولم يُوجَدَا، فدَلَّ علَى أَن لا حرمةَ، وقد فَعلَه جمعٌ من الصَّحابةِ، وأَفتَى به آخَرونَ، وقيلَ يَحرمُ ذلك.

أَمّا وُقوعُهنَّ[2] معلّقةً كانتْ أَو منجّزةً.. فلا خلافَ فيه يُعتدُّ به.

وقد شَنّعَ أَئمّةُ المذاهبِ علَى مَن خالفَ فيه وقالُوا: اختارَه من المتأخّرينَ مَن لا يُعبأُ به، فأَفْتَى به واقْتدَى به مَن أَضَلَّه الله تعالى وخَذَلَه).. إلخ[3].

وفي «الرملي»: (فهو[4] ما اقْتَصرَ عليه الأَئمّةُ، ولا اعتبارَ بما قالَه طائفةٌ من الشّيعةِ والظَّاهريَّةِ؛ من وقوعِ واحدةٍ فقط وإن اختارَه من المتأخّرينَ مَن لا يُعبأُ به واقتدَى به مَن أَضلَّه الله.

قالَ السُّبْكيُّ: وابتدعَ بعضُ أَهلِ زمنِنا، أَي: ابنُ تيميةَ، ومن ثَمّ قالَ العزُّ بنُ جماعةَ: إنّه ضالٌّ مُضلٌّ).. إلخ[5].

---

(١) «صحيح البخاري» (٥٢٥٩)، و«صحيح مسلم» (٣٧٤٣).

(٢) أَي: الثلاث، «رملي». هامش الأَصل.

(٣) «تحفة المحتاج بشرح المنهاج» (٨/ ١٦٣).

(٤) أَي: وقوع الثلاث فافهم. هامش (أ) و(ب).

(٥) «نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج» (٧/ ٨).

وفي «التحفة» لابنِ حجرٍ أيضاً: (والأَحسنُ عندِي أَن يُجابَ: بأَنّ عمرَ رضي الله عنه لَمَّا استشارَ النّاسَ.. عَلِمَ أَنّ فيه ناسخاً لِمَا وَقعَ قَبلُ، فعَمِلَ بقَضيَّتِه، وذلك النّاسخُ: إمّا خبرٌ بَلغَه أَو إجماعٌ، وهو لا يكونُ إلّا عن نصٍّ، ومن ثَمّ أَطبَقَ علماءُ الأُمّةِ [عليه]، وإخبارُ ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنه لبيانِ أَنّ النّاسخَ إنّما عُرفَ بعدَ مضيِّ مُدّةٍ من وفاتِه صلَّى الله عليه وسَلّمَ).. إلخ[1].

وقد تكلّمَ القُدقيُّ علَى قولِ «التحفة»: «وقَد شَنّعَ أَئمّةُ المذاهبِ علَى مَن خالفَ فيه».. إلخ، وعلَى قولِه: «إنّ فيه ناسخاً إنّما عُرفَ بعدَ مضيِّ مُدّةٍ من وفاتِه».. إلخ، بكَلماتٍ تُشعِرُ أَنّ مرادَه منها نُصرَتُه لشَيخِه اليمنيِّ، وتَعقَّبَ علَى كلامِه العَيمَكيُّ بما يَردُّ كلامَه.

وأَيضاً تكلّمَ القُدُقيُّ رحمه الله أَيضاً علَى ما كَتبَه سلمانُ رحمه الله على كلامِ اليَمنيِّ شيخِ القُدُقيِّ بما يُؤيِّدُ كلامَه ويَردُّ كلامَ سلمانَ.

وكَتبَ القُدُقيُّ تَقريراتٍ كثيرةً، وكلُّها تُبيِّنُ أَنّه يُوافِقُ أُستاذَه المذكورَ في هذه المسألةِ، وقد قالَ الحاج إبراهيم العُراديُّ رحمه الله بأَنّه أَي: القُدُقيَّ فَارقَ ربقَةَ التَّقليدِ لأَحدٍ حتَّى أَبي الحسنِ الأَشعريِّ إمامِ الأَئمّةِ الأَربعةِ في العقيدةِ، بأَن قالَ: لا نَقتدِي به في كذا وكذا، كما قَرّرَه في موضعٍ من علمِ الأُصولِ. انتهى.

وكانَ مَيلُ الحاج إبراهيم العُراديِّ أَيضاً إلى قولِ اليَمنيِّ في هذه المسألةِ، لكنَّه تابَ عنه ورَجعَ، وتابَ القُدُقيُّ أَيضاً[2] ورَجعَ كما سَيأتي إن شاء الله تعالى، وكذا كانَ مَيلُ مر العُراديِّ إلى ما مالَ إليه اليَمنيُّ.

---

(١) «تحفة المحتاج بشرح المنهاج» (٨/ ١٦٥).

(٢) راجع «فتاوى الچوخي». هامش (أ) و(ب).

وهكذَا كانَ بينَ علماءِ داغستانَ اضطرابٌ في مسألةِ الطّلاقِ الثّلاث دفعةً[1] قبلَ أَن يُدركُوا حقيقةَ الأَمرِ ويظهرُوا الصَّواب من الخطأِ، فلَو كَتبْنا جميعَ تقريراتِهم.. لَاحْتَجنا إلى جمعِ كتابٍ ضَخمٍ، بيدَ أَنّي أكتبُ هنا شيئاً قليلاً من تقريراتِ علماءِ عصرِنا هذا اقتصاراً علَى ما هو الأَهمُّ المطلوبُ منها.

[جوابُ ابن حجر الهنوخي لمسألةٍ أتت من خَليلٍ القُرُوشِيّ]

فمنها مسألةٌ أَتتْ من العالمِ المشهورِ خَليلِ القُروشيِّ القَراخيِّ إلى العالمِ ابن حجر الهُنوخِيِّ نَوَّرَ الله مَرقدَهما آمينَ، ولفظُه هذا:

(فهلْ يَجوزُ الإفتاءُ بقولِ صالح اليَمنيِّ والعَملُ به في حقِّ أَنفسِنا، وهل هو مجتهدٌ أَم لا؟ فلَعَلَّك تَكتبُ ما بَدَا لك بنقلٍ معتبرٍ من أَئمّةِ الدِّين، ومعلومٌ أَنّا مَحصورونَ تَحتَ ذَيلِ التَّقليدِ، ولا حاجةَ لنا إلى الآراءِ، فهذا والصّواب.

الجوابُ: والله أَعلمُ أَنّ الصالح اليَمنيّ رحمه الله تعالى عالمٌ ماهرٌ، ولكن لم يَبلغْ مرتبةَ الاجتهادِ المطلَقِ، وأَنّ دَعواه باقيةٌ علَى دَعواه، فلا يَجوزُ الإفتاءُ بقولِه، ولا العملُ به في حقِّ أَنفسِنا، ومَن تَأَمّلَ في النُّقولِ الآتيةِ وفَهِمَ مضمونَها.. لا يُنكرُه.

قالَ ابنُ حجرٍ الهيتميُّ في «شرح الأَربعين»: ما لفظُه: (قالَ بعضُ العلماءِ: يُقدّمُ ما أَجمَعَ عليه الأَربعةُ[2]، ثُمّ ما أَجمعَ عليه أَبو بكرٍ وعمرُ؛ للخبرِ الصّحيحِ: «**اقْتَدُوا**

---

(١) حتّى إنّهم بشدَّة الاضطرابِ أَرسلُوا المسأَلةَ إلى علماءِ المكة المكرّمةِ والمدينةِ المنوّرةِ، وسيأتي ما أَجابَه إبراهيمُ السَّقا لسؤالِ مر العرادي. (منه). هامش (أ) و(ب).

(٢) أَي: أَبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم. (منه). هامش (أ) و(ب).

بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ»[1] وهذا في حقِّ المقلِّدِ الصِّرفِ في تلك الأَزمنةِ القريبةِ من زمنِ الصَّحابةِ.

أَمّا في زَمنِنا.. فقالَ بعضُ أَئمّتِنا: لا يَجوزُ تقليدُ غيرِ الأَئمّةِ الأَربعةِ: الشّافعيِّ ومالكٍ وأبي حنيفةَ وأَحمدَ رضوان الله تعالى عليهم؛ لأن هؤلاءِ عُرفتْ قواعدُ مذاهبِهم، واستقرَّتْ أَحكامُها، وخَدمَها تابعُوهم وحَرَّرُوها فرعاً فرعاً، وحكماً حكماً، فعَزَّ أَن يُوجدَ حكمٌ إلّا وهو منصوصٌ لهم إجمالاً [أو] تفصيلاً، بخلافِ غيرِهم، فإِنَّ مذاهبَهم لم تُحرَّرْ ولم تُدوَّنْ كذلك، فلا [تُعرفُ] لها قواعدُ تتخرَّجُ عليها أحكامُها، فلَم يَجزْ تقليدُهم فيما حفظ عنهم منها[2]؛ لأَنَّه قد يكونُ مشترطاً

(١) أَخرجه الترمذي (٣٩٩١)، وغيره.

(٢) مسألة «ش»: نَقلَ ابنُ الصّلاحِ الإجماعَ علَى أَنّه لا يَجوزُ تقليدُ غيرِ الأَئمّةِ الأَربعةِ، أَي: حتّى العملِ لنفسِه، فضلاً عن القضاءِ والفَتوى؛ لعدمِ الثّقةِ بنسبتِها لأَربابِها بأَسانيدَ تمنعُ التَّحريفَ والتّبديلَ، كمذهبِ الزّيديّةِ المنسوبينَ إلى الإمامِ زيدِ بنِ عليِّ بنِ الحسينِ السِّبْطِ رضوانُ الله عليهم وإن كانَ هو إماماً من أَئمّةِ الدِّين وعَلَماً صالحاً للمُسترشِدِينَ، غيرَ أن أصحابَه نَسبوه إلى التّساهلِ في كثيرٍ؛ لعدمِ اعتنائِهم بتحريرِ مذهبِه، بخلافِ الأَئمّةِ الأَربعةِ، فإنَّ أَئمّتَها جزاهُم الله خيراً بَذلُوا نُفوسَهم في تحريرِ أَقوالِها، وبيانِ ما ثَبتَ عن قائلِها، وما لم يثبتْ؛ فأَمِنَ أَهلُها التَّحريفَ، وعَلموا الصّحيحَ من الضّعيفِ.

ولا يَجوزُ للمقلِّدِ لأَحدٍ من الأَئمّةِ الأَربعةِ أَن يعملَ أو يفتيَ في المسأَلةِ ذاتِ القولَينِ أَو الوجهَينِ بما شاءَ منهما، بل بالمتأَخّرِ من القولَينِ إن عُلمَ؛ لأَنَّه في حكمِ النَّاسخِ منهما، فإن لم يُعلمْ.. فبما رَجَّحَه إمامُه، فإنْ لم يعلمْه.. بَحثَ عن أُصولِه إن كانَ ذا اجتهادٍ، وإلّا.. عَمِلَ بما نَقلَه بعضُ أئمةِ التَّرجيحِ إن وُجدَ، وإلّا تَوقَّفَ، ولا نظرَ في الأَوجهِ إلى تَقدّمٍ أو تأَخُّرٍ، بل يَجبُ البحثُ عن الرَّاجحِ.

والمنصوصُ عليه مقدّمٌ على المخرَّجِ ما لم يَخرجْ عن نصٍّ آخرَ، كما يقدّمُ [ما عليه] الأَكثرُ، ثمّ الأَعلمُ، ثمّ الأَورعُ، فإن لم يجدْ.. اعتبرَ أوصاف ناقلي القولَينِ.

ومَن أَفتَى بكلِّ قولٍ أَو وجهٍ من غيرِ نَظرٍ إلى ترجيحٍ.. فهو جاهلٌ خارقٌ للإجماعِ.

والمعتمدُ جوازُ العملِ بذلك للمتبحِّرِ المتأَهِّلِ؛ للمشقّةِ الَّتي لا تحتملُ عادةً، بشرطِ أَن لا يتتبَّعَ الرُّخصَ في [المذاهبِ] بأن يأخذَ منها [بالأَهون] بل يفسُقُ بذلك، وأَن لا يَجتمعَ على بُطلانِه إمامَاه الأَوّل والثّاني. انتهى.

بشُروطٍ وَكلُوها إلى فَهمِها من قواعدِهم، فقَلَّتِ الثِّقةُ بخُلوِّ ما حفظ عنهم عن قَيدٍ أَو شَرطٍ، فلَم يَجزِ التَّقليدُ حينئذٍ). انتهى[1].

وعَلّقَ به المحشّي المدابغيُّ ما نَصُّه: (**لا يَجوزُ تقليدُ غيرِ الأئمّةِ [الأربعةِ]** حتَّى أَكابر الصّحابةِ؛ كما[2] قاله؛ من أن مذاهبَهم لم تُدوَّنْ ولم تضبط، لكن حَملَه السُّبكيُّ وغيرُه علَى الإفتاءِ والقضاءِ، أَمّا في عَملِ الإنسانِ لنفسِه فما عُلمتْ نسبتُه لذلك المجتهدِ إذا جمع شروطه عندَه.. فجائزٌ. «المناوي»). انتهى[3].

وكَتبَ القُدُقيُّ علَى ذلك: فإنْ فُرضَ الاطّلاعُ علَى جميعِ مُعتبراتِهم في مسألة مّا.. جازَ تقليدُهم في العملِ لا في الفَتوى. انتهى.

وفي «الطريقة المحمديّة» ما لفظُه: (وأَمّا التَّقليدُ في الأَعمالِ.. فجائزٌ لمن كانَ عدلاً مجتهداً، ولكنْ لَمَّا انْقطَعَ الاجتهادُ مذ زمانٍ طويلٍ.. انْحصَرَ طريقُ معرفةِ مذهبِ المجتهدِ المقلَّدِ في نَقلِ كتابٍ مُعتبرٍ مُتداولٍ بينَ العلماءِ، مُصَحَّحٍ لمن قَدرَ

وعبارةُ «ب»: تَقليدُ مذهبِ الغيرِ يصعبُ على علماءِ الوقتِ فضلاً عن عوامِّهم، خصوصاً ما لم يخالطْ [علماءَ] ذلك المذهبِ؛ إذ لا بدَّ من استيفاءِ شُروطِه، وهي كما في «التحفة» وغيرها خمسةٌ: علمُه بالمسألةِ علَى مذهبِ مَن يُقلِّدُه بسائرِ شروطِها ومعتبراتِها، وأَن لا يكونَ المقلَّدُ فيه ممّا يُنقضُ قضاءُ القاضي به، وهو ما خالفَ النّصَّ أو الإجماعَ أو القواعدَ أو القياسَ الجليَّ، وأَن لا يتتبَّعَ الرُّخص بأن يأخذَ الأَهونَ عليه، وأَن لا يُلفِّقَ بينَ قولَين تتولَّدُ منهما حقيقةٌ لا يقولُ بها كلٌّ من القائلين، كأَن تَوضَّأَ ولم يدلكْ تقليداً للشافعيِّ، ومسَّ بلا شهوةٍ تقليداً لمالكٍ، ثُمّ صلَّى، فصلاتُه حينئذٍ باطلةٌ باتِّفاقِهما، وأَن لا يعملَ بقولِ إمامٍ في المسألةِ ثمَّ يعمل بضدِّه، وهذا مختلفٌ فيه عندَنا.

والمشهورُ جوازُ تقليدِ المفضولِ مع وجودِ الفاضلِ، وفي قولٍ يُشترطُ اعتقادُ الأرجحيةِ أَو المساواةِ. انتهت. «بغية» [١/ ٦٦-٧١]. (ق).

(١) «فتح المبين» (ص٤٧٤).

(٢) في «حاشية المدابغي على فتح المبين» (ص٥٢٧): «لما» بدل «كما».

(٣) «حاشية المدابغي على فتح المبين» (ص٥٢٧).

علَى مطالعتِه واستخراجِه، وإخبارِ عَدلٍ موثوقٍ به في علمِه وعَملِه، فلا يَجوزُ بكلِّ كتابٍ ولا بقولِ كلِّ مَن تَزيَّى بزِيِّ العلماءِ). انتهى[١].

قالَ الباجوريُّ: (والاجتهادُ في الأَصلِ: بذلُ المجهودِ في طلبِ المقصودِ.. إلخ، ثُمّ اسْتُعملَ في استنباطِ الأَحكام من الكتابِ والسُّنّةِ، وقد انْقطَعَ من نحوِ الثَّلاثمائةِ، وادَّعَى الجلالُ السُّيوطيُّ بَقاءَه إلى آخرِ الزَّمانِ، واسْتَدلَّ بقوله صلَّى الله عليهِ وسَلَّمَ: «**يَبْعَثُ اللهُ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ [سَنَةٍ] مَنْ يُجَدِّدُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ أَمْرَ دِينِهَا**»[٢].

ومنع الاستدلال؛ بأَنّ المرادَ بـ(مَن يُجدِّدُ أَمرَ الدِّين): مَن يُقرِّرُ الشَّرائعَ والأَحكامَ، لا المجتهدُ المطلقُ). انتهى[٣].

وقالَ المناوي ما نَصُّه: (قالَ العلّامةُ الشّهابُ ابنُ حجرٍ الهيتميُّ: لَمَّا ادَّعَى الجلالُ ذلك.. قامَ عليه معاصرُوه، ورَمَوْه [عن] قوسٍ واحدٍ، وكَتبُوا سؤالاً فيه مسائلُ أَطلَقَ الأَصحابُ فيها وجهَيْنِ، وطَلبُوا منه إن كانَ عندَه أَدنَى مراتبِ الاجتهادِ وهو اجتهادُ الفَتوى.. فلْيَتكلَّمْ علَى الرَّاجحِ من تلك الأَوجهِ، وعلَى الدَّليلِ علَى قواعدِ المجتهدِينَ، فرَدَّ السؤالَ من غيرِ كتابةٍ، واعْتذَرَ؛ بأَنّ له [أَشغالاً] تَمنعُه من النَّظرِ في ذلك.

وقالَ الشِّهابُ الرَّملي: فتَأَمَّلْ صعوبةَ هذه المرتبةِ، أَعني: اجتهادَ الفَتوى الَّذي هو أَدنَى مراتبِ الاجتهادِ يَظهر لك أَنّ مُدّعيها فضلاً عن مُدّعي الاجتهادِ المطلَقِ في حيرةٍ من أَمرِه وفسادِ فكرِه، ومَن تَصوَّرَ مرتبةَ الاجتهادِ المطلَقِ.. يَستحي من الله تعالى أن ينسبَها لأحدٍ من هذه الأَزمنةِ.. إلخ.

---

(١) «البريقة المحمودية في شرح الطريقة المحمدية» (٢/ ٢٤٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٩١)، والحاكم (٨٥٩٢).

(٣) «حاشية الباجوري على فتح القريب» (١/ ١٤٦).

فإذا لم يَتأهَّلْ هؤلاءِ الأكابرُ [لمرتبةِ] الاجتهادِ المذهبيِّ.. فكيفَ يَسوغُ لمن لم يَفهمْ أكثرَ عباراتِهم علَى وجهِها أَن يَدّعيَ ما هو أَعلَى من ذلك، وهو الاجتهادُ المطلَقُ، سبحانَك هذا بهتانٌ عظيمٌ). انتهى[1].

وقالَ الشَّعرانِيُّ في «الطبقات الكبرى»: (وقَد كانَ الشّيخُ جلالُ الدِّين السُّيوطيُّ رحمه الله تعالى يقولُ: قد شاعَ عَنّي أَنّي ادَّعيتُ الاجتهادَ المطلَقَ كأحدِ الأَئمّةِ الأَربعةِ، وذلك باطلٌ عَنّي، إنَّما مرادِي بذلك: المجتهدُ المنتسبُ، والمجتهدُ المستقلُّ فقدِ انْقطَعَ من القرنِ الرَّابعِ، ولا يُتصوَّرُ وجودُه الآنَ.. إلخ، وأَمَّا المجتهدُ المنتسبُ.. هو [المستمرُّ] إلى أَن تَقومَ السّاعةُ)[2].

---

(١) «فيض القدير» (١/ ١١-١٢).

(٢) انظر «طبقات الوسطى» (٢/ ١٠٩٧) بتصرّفٍ يسيرٍ.

وفي «الآيات البيّنات» ما نَصُّه: (لَو ادَّعى إنسانٌ وقوعَ الخلوِّ عن المجتهدِ.. يَجبُ أَن [لا] يُخالفَه أَحدٌ؛ لأَنَّ مثلَ إمامِ الحرمَينِ والغزاليِّ لم [يُعدَّا] من أَصحابِ الوجوهِ، فضلاً عن مرتبةِ الاجتهادِ المطلَقِ[1]، ومَن بعدَهما لا يَلحقُ غُبارَهما). انتهى[2].

وعبارةُ «الكوكب السّاطعِ على شرح جمعِ الجوامع»: (قد تَيسّرَ لنا بحمدِ الله تعالى كلُّ آلاتِ الاجتهادِ إلَّا معرفة الإجماعِ، فليس في شروطِ الاجتهادِ أَصعبُ منه، وبعيدٌ أَن يحصلَ لأَحدٍ في هذه الأَزمانِ). انتهت[3].

---

(١) مسألة (ك): شخصٌ طَلبَ العلمَ وأَكثرَ من مطالعةِ الكتبِ المؤلَّفةِ من التفسيرِ والحديثِ والفقهِ، وكانَ ذا فهمٍ وذكاءٍ، فتَحكَّمَ في رأيِه أَنّ جملةَ هذه الأُمّةِ ضلُّوا وأَضلُّوا عن أَصلِ الدِّين وطريقِ سيّدِ المرسلينَ صلّى الله عليه وسَلّمَ، فرَفضَ جميعَ مؤلَّفاتِ أَهلِ العلم ولم يَلتزمْ مذهباً، بل عَدلَ إلى الاجتهادِ، وادَّعى الاستنباطَ من الكتابِ والسُّنّةِ بزعمِه، وليس فيه شروطُ الاجتهادِ المعتبرةُ عندَ أَهلِ العلمِ، ومع ذلك يُلزِمُ الأُمّةَ الأَخذَ بقولِه، ويوجبُ متابعتَه.

فهذا الشخصُ المذكورُ المدَّعي الاجتهادَ يَجبُ عليه الرجوعُ إلى الحقِّ، ورفضُ الدَّعاوي الباطلةِ.

وإذَا طَرحَ مؤلَّفاتِ أَهلِ الشَّرعِ.. فلَيتَ شِعري بماذا يتَمسّكُ؟!

فإنَّه لم يدركِ النبيَّ صلَّى الله عليه وسَلَّمَ، ولا أَحداً من أَصحابِه رضوانُ الله عليهم، فإن كان عندَه شيءٌ من العلمِ.. فهو من مؤلَّفاتِ أَهلِ الشرعِ.

وحيثُ كانتْ علَى ضلالةٍ فمن أَين وَقعَ على الهدَى؟! فلْيُبيِّنْه لنا، فإنّ كتبَ الأَئمّةِ الأَربعةِ رضوانُ الله عليهم ومقلّديهم جُلُّ مأخذِها من الكتابِ والسُّنّةِ، وكيفَ أخذَ هو ما يُخالفُها؟

ودعواه الاجتهادَ اليومَ في غايةِ البعدِ، كيف وقد قالَ الشَّيخانِ وسَبقَهما الفخرُ الرَّازي: النّاسُ اليومَ كالمجمعينَ علَى أَنّه لا مجتهدَ؟!

ونَقلَ ابنُ حجرٍ عن بعضِ الأُصوليّينَ: أَنّه لم يُوجدْ بعدَ عصرِ الشّافعيِّ مجتهدٌ، أَي: مستقلٌّ.

وهذا الإمامُ السيوطيُّ مع سعةِ اطِّلاعه وباعِه في العلومِ وتفنُّنِه بما لم يُسبقْ إليه ادَّعَى الاجتهادَ النِّسبيَّ لا الاستقلاليَّ، فلَم يُسلَّمْ له، وقد نافتْ مؤلَّفاتُه على الخمسمائةِ. وأَمّا حملُ النّاسِ علَى مذهبِه.. فغيرُ جائزٍ وإن فُرِضَ أَنّه مجتهدٌ مستقلٌّ ككلِّ مجتهدٍ. «بغية». [١/ ٥٦-٥٨]. (ق).

(٢) «الآيات البينات على شرح جمع الجوامع» (٤/ ٣٧٨).

(٣) «شرح الكوكب الساطع نظم جمع الجوامع» (٢/ ٤٢٧).

وقالَ ابنُ حجرٍ في «التحفة» ما نَصُّه: (ولا إشكالَ في أَنّ خرقَ الإجماعِ ولو فعليّاً محرَّمٌ علَى مُفتِي زمانِنا وحاكمِه؛ لانتفاءِ الاجتهادِ عنهما، فإن فُرِض وجودُ مجتهدٍ.. فظاهرُ كلامِهم: أَنّه يَحرُمُ، أي: الخرقُ في الإجماعِ الفعليِّ كالقوليِّ، وهو الوجهُ). انتهى[1].

وقالَ في موضعٍ آخرَ ما عبارتُه: (وخَرقُ الإجماعِ إنَّما يَحرُمُ علَى مَن لم يكنْ موجوداً عندَه، كما يَأتي). انتهى[2].

وأَنتُم تَعلمونَ أَنّ الإجماعَ وَقعَ علَى إمضاءِ الطَّلقاتِ الثَّلاثِ ثلاثاً، وما خالفَ الإجماعَ يُنقضُ ولا يُقلّدُ[3]، وأَنّ الصّالحَ اليَمنيَّ لو فُرِضَ كونه مجتهداً.. لم يكنْ موجوداً عندَ الإجماعِ، فكيفَ يَجوزُ له خَرقُه، وهل هذا إلَّا شيءٌ عجابٌ؟ **فالحاصِلُ: أَنّ مَن أَفتَى بقولِه.. فقدْ هَلكَ وأَهلَكَ النّاسَ**، يَجبُ عليه التَّوبةُ ونقضُ ما أَفتاه؛ لئَلَّا يُؤاخذَ يومَ العرضِ علَى الملكِ القادرِ.

وأَمّا خبرُ رُكانةَ: «كانَ الطّلاقُ الثّلاثُ علَى عهدِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسَلّمَ وأَبي بكرٍ وسنتَينِ من خلافةِ عمرَ واحدةً».. فقدْ قالَ المفتِي الإمامُ المصريُّ: إنّه

(١) «تحفة المحتاج بشرح المنهاج» (٦/ ٣٦٢).

(٢) «تحفة المحتاج بشرح المنهاج» (٦/ ٧٦٤).

(٣) قالَ السبكيُّ: وما خالفَ المذاهب الأَربعة كمخالفِ الإجماعِ. «فتاوى الكبرى» (٢/ ٢١١).

قالَ ابنُ الصلاح: لا يَجوزُ أَن يحكمَ في هذا الزَّمانِ بغيرِ مذهبِه، فإن فعلَ.. نُقضَ لفقدِ الاجتهادِ من أَهلِ هذا الزَّمانِ. «فتاوى الكبرى» (٢/ ٢١٣).

قالَ السبكي: يَجوزُ للشَّخصِ التّقليدُ للعملِ في حقِّ نفسِه، وأَمّا في الفَتوى والحكم.. فقد نَقلَ ابنُ الصلاحِ الإجماعَ علَى أَنّه لا يَجوزُ، يَعني: تقليدَ غير الأَئمّةِ الأَربعةِ انتهى. وهذا كلُّه إذا حكمَ بمذهبٍ من المذاهبِ الأَربعةِ غير مذهبِ إمامِه، أَمّا لو حكم بقولٍ أَو وجهٍ مرجوح في مذهبِ إمامِه.. [فقالَ] ابنُ عبدِ السَّلام: لا يَجوزُ مطلقاً، وفَصلَ السبكيُّ فقالَ: إن كان له أَهليّةُ التَّرجيحِ ورَجّحَه بدليلٍ جيّدٍ.. جازَ ونفذ حكمه، وليس لَه أَن يحكمَ بشاذٍّ أَو غريبٍ في مذهبِه وإن ترجح عندَه؛ لأَنّه كالخارجِ عن مذهبِه. «فتاوى الكبرى» (٢/ ٢١٢). (ق).

منسوخٌ بالأَحاديثِ الَّتي وَردَتْ عن مُجاهدٍ عن ابنِ عبّاسٍ: «أنه سُئلَ عن رجلٍ طَلّقَ امرأتَه مائةً، قالَ: عَصيْتَ ربَّكَ وفارقْتَ امْرأَتَك»[1]، وعن سعيدِ بنِ جُبيرٍ: «سُئلَ عن رجلٍ طَلّقَ امرأتَه عَددَ النُّجومِ، فقالَ: أَخطأْتَ السُّنّةَ وحَرمَتْ عَليك امرأتُك» رواه الدّارقطني[2]. انتهى.

وهذا موافقٌ لقولِ ابنِ حجرٍ من الطّلاقِ: (والأَحسنُ عندِي أَن يُجابَ: بأَنّ عمرَ لَمّا استشارَ النّاسَ.. عَلِمَ أَنّ فيه ناسخاً لِمَا وَقعَ قبلُ، فعَمِلَ بقَضيّتِه، وذلك النّاسخُ: إمّا خبرٌ بَلغَه أَو إجماعٌ، وهو لا يكونُ إلّا عن نصٍّ، ومِن ثَمّ أَطبَقَ الأُمّةُ عليه). انتهى[3].

وأَمّا ما يقولُه بعضُ العلماءِ؛ من أَنّ الصّالحَ اليمنيَّ يَدخلُ في قولِ ابنِ حجرٍ: «يَجوزُ تقليدُ كلٍّ مِن الأَئمّةِ الأَربعةِ، وكذا مَن عَداهُم».. فبعيدٌ؛ إذ المرادُ به: مَن ثَبتَ أَنَّه مجتهدٌ موثوقٌ به، لا مَن بَقيتْ دَعواه علَى دَعواه.

قالَ البُجيرميُّ قُبيلَ كتابِ النكاحِ ما عبارتُه: [قولُه: وكذا من عَداهُم كالقفالِ وتلميذِه القاضي حسين كما أَفصحَه الشارحُ آنفاً]، وكالأَذرَعيِّ والسُّبكيِّ والإسنويِّ علَى المعتمدِ. انتهى[4].

وعَلّقَ الفقيهُ مر العُراديُّ علَى قولِ ابنِ حجرٍ ما لفظُه: وراجِعْ مسألةَ التقليدِ من «جمع الجوامع» من الكتابِ السابعِ، ولا تَغترّ بقولِ نحوِ اليمنيِّ رحمه الله تعالى.

---

(١) أخرجه الدّارقطني (٣٩٢٦).

(٢) «سنن الدارقطني» (٣٩٤٧). ولفظُه: «أَنّه سُئِلَ عن رجلٍ طَلّقَ امرأتَه عَددَ النُّجومِ، فقالَ: أَخطأَ السُّنّةَ حَرُمَتْ عليه امرَأتُه».

(٣) «تحفة المحتاج بشرح المنهاج» (٨/ ١٦٥).

(٤) «حاشية البجيرمي على شرح منهج الطلاب» (٣/ ٣٧١). لم أعثر فيه على ما بين المعقوفين.

فمع هذه النُّقولِ كيف يُفتى بقولِ اليَمنيِّ رحمه الله تعالى؟ فسبحانَ الله العلّامِ الغيوبِ، والمزيّنِ لكلِّ إنسانٍ رَأيَ القلوبِ). الحاج الحرمَينِ الحاج ابن حجر الهُنوخيّ رحمه الله تعالى.

يقولُ الحقيرُ القَحِيُّ المرشدُ المجازيُّ كالقاضي الضَّروريِّ: إنّ قولَ مر العُراديِّ: «ولا تَغترّ بقولِ نحوِ اليَمنيِّ» صَريحٌ يُشعرُ رجوعَه عن مَيلِه السابقِ إلى قولِ اليمنيِّ، كما رَجعَ القُدُقيُّ والحاج إبراهيم العُراديُّ رَحمهم الله تعالى عن الميلِ إليه[1]، وتابا إلى الله عن ذلك بعدَما كَتبَا التَّقريراتِ الكثيرةَ بتأييدِ مقولِه، فللَّه الحمدُ علَى ذلك.

وفي «بغية المسترشدين» ما لفظُه: (**مسألة** «ب»: طَلّقَها ثلاثاً في مجلسٍ واحدٍ وأَرادَ تقليدَ القائلِ - وهو ابنُ تيميةَ - بأَنّها تُحسَبُ واحدةً.. لم يَجُزْ له ذلك، وقد غَلَّطَه العلماءُ، وأَجمعُوا علَى عدمِ جوازِه، وهو من تَجرُّؤِ جَهلَةِ العوامِّ. انتهى.

وعبارةُ «ش»: طَلّقَ ثلاثاً فسُئِلَ عن مذهبِه فقالَ: شافعيٌّ، ثُمَّ غابَ أَيّاماً وعادَ. وقالَ: «قد راجعتُها وأَنا إسماعيليٌّ».. لم يُقبلْ قولُه مطلقاً؛ لتكذيبِه نفسَه، بل وإن صُدّقَ في دَعواه الثَّانيةِ، وحَكمَ له حاكمٌ بذلك.

وهذا كما لو طَلَّقَها ثلاثاً ثُمّ ثلاثاً ثُمّ ثلاثاً، وادَّعَى أَنَّه زيديٌّ، فاستفتَى الزيديةَ، فقالُوا: تَقعُ بالثّلاثِ واحدة؛ لأَنَّه بكلِّ ثلاثٍ تقعُ واحدة، بل لو فُرِضَ أَنَّ الكلَّ بمجلسٍ واحدٍ فتقعُ الثّلاثُ أَيضاً، ولا عبرةَ بقولِ الزَّيديةِ؛ لخرقهمُ الإجماعَ الفعليَّ من البينونةِ الكبرَى بالثّلاثِ مطلقاً، فيَجبُ نقضُ الحكمِ في هذه كالّتي قبلَها على

(١) كذا في «فتاوى الجوخي» فراجعه. (منه). هامش (أ).

كلِّ مَن قَدَرَ عليه، بل مَن قَدَرَ علَى نقضِه وردِّه فلَم يَفعلْ.. فهو فاسقٌ [باعتقادِه المنكرَ] معروفاً، لا سيَّما والزَّوجانِ شافعيَّانِ.

ولو ثَبتَ تَلفّظُه بالثَّلاثِ، ثُمَّ ادَّعَى أنَّه لم يشعرْ بذلك.. لم يُلتفتْ إليه؛ لثبوتِه بالبيّنةِ، وهو الآنَ ناسٍ أو مُتناسٍ، ويَبعُدُ أن يَزولَ حِسُّه أو ينامَ بعدَ تَلفّظِه بالطَّلاقِ قبلَ الثّلاثِ)[1]. انتهى في ٢٢٤.

[مكتوبُ خَليل القُروشي إلى محمّدٍ الهنوخي رحمهما الله تَعالى]

وكَتبَ العالمُ المشهورُ الفقيهُ المحقّقُ خَليلٌ القُرُوشيُّ بهذه العباراتِ:

(من الكاتبِ خليلٍ القُرُوشيِّ إلى العالمِ الفاضلِ محمّدٍ الهُنوخيِّ، السّلامُ عليكم، وكان الله معكم، آمين.

أَمّا بعدُ: فهل يَجوزُ لأَحدٍ الإفتاءُ بقولِ صالح اليمنيِّ، والعملُ في حقِّ نفسِه، وهل هو مجتهدٌ أم لا؟ أفتونا لذلكم مأجورينَ، بنقلٍ معتبرٍ من أَئمّةِ الدِّين، والسّلام إلى يومِ القيامِ).

فكَتبَ الهُنوخيُّ بما لفظُه:

(وعليكم السَّلام وبَلغتُم المرام، أَمّا بعدُ: فكونُ الشَّيخِ الصالح اليمنيِّ مجتهدَ العصرِ علَى الإطلاقِ فنارٌ علَى عَلَمٍ لمن طالعَ كُتبَه، ولاحَظَ قولَه في بعضِ القصيدةِ:

أَلم تَعلما أنّي تَركتُ التّمذهبَا ... وجانَبتُ أَن أُعزى إليهم وأُنتسبا
فلا شافعي لا مالكي ولا حنبَلي ولا ... حنفِي دَع عنك ما كانَ أغربا

(١) «بغية المسترشدين» (٢/ ٥١٥).

إلى قولِه:

وإن كنت تَدري ما يَقولون فانظرن   تَجد ما يقول الله أَحلى وأَطيبا
كذلك قولُ المصطفَى فتلقَّه   بقلبٍ سليمٍ لم يكن قد تقلبا
لعَمري [هُما] أَولَى وأَدنى تَناولا...

إلى آخر الأَبياتِ[1].

وأَمّا جوازُه في حقِّ نفسِه والإفتاءُ به للمصلحةِ.. فمُصرّحٌ في «ابن حجر» مع الحواشي غيرَ مرّةٍ، وهو عندَكم كنارِ القُرى، ولفظُه في فروعِ التَّقليدِ: (وكذا مَن عَداهُم مِمّن حُفِظَ مذهبُه ودُوِّنَ في تلك المسأَلةِ حتّى عُرِفَتْ شروطُه وسائرُ معتبراتِه). انتهى[2].

لاحِظْه مع الحواشي، ومعلومٌ أَنّ المشايخَ العظامَ كالقُدُقيِّ والعُراديِّ ومحمّدٍ الهُجُويِّ وغيرِهم من فحولِ الزّمانِ يُقدِّمُونَه من الأَئمّةِ الأَربعةِ، كما هو معلومٌ من تقريراتِهم، فالسّلامُ من محمّدٍ الهُنوخيِّ). انتهى.

وتَعقّبَه العالمُ المذكورُ القُروشيُّ بهذه العباراتِ، والحالُ أَنّه غيرُ راضٍ بجوابِ الهُنوخيِّ: (قولُكم: «فكون الشّيخِ» إلى قولِكم: «أَلم تَعلما».. إلخ هذا عَجيبٌ عن أَمثالِكم؛ إذ ما هو نارٌ علَى عَلَمٍ لمنْ طالعَ كُتبَه ولاحَظَ قصائدَه، كقصيدتِه الَّتي نَقلتُم وقصيدتِه الَّتي أَوّلُها:

بَرئتُ مِن التَّمذهب طُولَ عُمري   وآثرتُ الكتابَ على الصَّحاب[3]

(١) «العلم الشامخ» (ص٣٦٢).
(٢) «تحفة المحتاج بشرح المنهاج» (١٠/ ٢٠٩).
(٣) «العلم الشامخ» (ص٣٤٩).

إلى آخرِها، وقصيدتِه الَّتي أَوّلُها:

إنّ القومَ طرا تَحزّبوا علَى　　فرق كل بما عندَه فرح

إلى آخرِه من كلامِه نظماً ونثراً، **إنّما هُو دَعواه بالاجتهادِ علَى الإطلاقِ، لا كونه مجتهداً كما هو المسؤولُ، وهل يثبتُ مُدَّعى الإنسانِ بمجرَّدِ دَعواه؟!** بل منكرٌ محالٌ، أَفلا تَرى أَنَّه ادَّعَى هذا المقامَ أَقوامٌ، منهم ترجمانُ القرآنِ علّامةُ عصرِه الحافظُ المحدِّثُ الإمامُ السّيوطيُّ، **ولم يُسلِّمُوا له ذلك؟!** وهكذا رَدُّوا عليه فخفي أَمره، ولو كان قولُ: أَنا مجتهدٌ، واستقلالُه يَكفي فيُتّبَعُ.. فما جلالة السّيوطيِّ ومنصبه؟!، ولا يمكنُ لأَمثالِنا معرفةُ بلوغِ شخصٍ إلى هذا المقامِ بملاحظةِ دَعواه المنقوشةِ في سُطورِ كُرّاسةٍ، وهو ظاهرٌ لمنْ له أَدنَى تَعلّقٍ بالأُصولِ والفروعِ.

وقولُكم: «وأَمّا جوازُ العملِ في حقِّ نفسِه والإفتاء للمصلحةِ.. فمُصرّحٌ في (ابن حجر)».. إلخ المصرّحُ فيه جوازُ العملِ بقولِ مَن ثَبتَ أَنّه مجتهدٌ موثوقٌ به كالسبكيِّ والأَذْرَعيِّ وغيرِهما، **لا بقولِ مَن بَقيَتْ دَعواه علَى دَعواه**، وإنّ المصلحةَ هناك مقيَّدةٌ بالدِّينيّةِ لا بالدُّنيويّةِ ولا مطلقةٌ.

فقد ظَهرَ من هذا - والحمدُ لله - ما هو المقصودُ؛ من عدم صحّةِ الإفتاءِ لمن أَبانَ حليلتَه بثلاثِ طلقاتٍ دفعةً بقولِ مَن يَجعلُها واحدةً، كالشّيخِ المذكورِ؛ إذ ظاهر أَن لا مصلحةَ دينيّة، ولا أَثرها في جمعِ الزّوجَينِ بعدَ حصولِ البينونةِ الكبرَى بينهما بلا تَحليلٍ وإن فُرِضَ أَنّ ذلك الشّيخَ ثَبتَ اجتهادُه بطريقةٍ، وأَنَّه مُتّبَعٌ موثوقٌ به في قولِ ذلك، علَى أَنّ المصرّحَ هناك اشتراطُ أَن يكونَ المقلَّدُ به من قولِ المجتهدِ الموثوقِ به ممّا لا يُنقضُ فيه قضاءُ القاضي، وقد نَقلَ أَئمّةُ الشّرعِ الإجماعَ علَى

إمضاءِ الطَّلقاتِ الثّلاثِ ثلاثاً كما ترى، وما خالفَ الإجماعَ يُنقضُ، وما يُنقضْ لا يُقلَّدُ لا عملاً ولا إفتاءً، فقدْ سَدَّ هذا الفاضلُ علَى نفسِه طريقَ الإفتاءِ بقولِ اليمنيِّ المذكورِ، ونادَى عليه وجوب نقضِ ما أَفتاه إلى الآنَ، والتَّوبة عن ذلك.

وأَمّا قولُكم: «إنّ المشايخَ العظامَ كالقُدُقيِّ والعُراديِّ».. إلخ.. سبحانَك هذا بهتانٌ عليهم! **وحاشَاك أَن تنسبَهم إلى هذا البهتانِ، وحاشَاهم أَن يُقدّمُوا اليمنيَّ علَى أولئكَ الأَئمّةِ الأَعلامِ**، ولو فُرِضَ أَو ثَبتَ.. كان ذلك سفهاً منهم وضلالاً وابتداعاً، ولا يُتَّبعُونَ، ومعلومٌ أَنّا شافعيّةٌ لا قُدُقيّةٌ ولا هُجُويّةٌ ولا مبتدعونَ ولا مخترعونَ، ولا يكونُ لنا فعلُ أولئكَ المشايخِ حجّة.

وقد نَقلَ الشّيخُ سعيد سُنبل المكيُّ عن علماءِ زمانِه الاتِّفاقَ علَى أَنّ الرّجلَ الَّذي يقالُ له: صالح اليمني ضالٌّ مضلٌّ مبتدعٌ(١).

---

(١) ولو طَلّقَ زوجتَه ثلاثاً ثُمّ نَدمَ قبلَ انقضاءِ العدّةِ، ونَدمَتِ الزّوجةُ علَى فراقِها منه.. أَيكونُ لهم الرَّجعةُ من غيرِ نكاحِ زوجٍ آخرَ أَم لا، فهذا ممّا يَعمُّ به البلوى في ديارِنا، فإنّ علماءَنا يَحكمُونَ بحُكمِ اليمانِيِّ، وله رسالةٌ وفيها: أَنّ الرّجلَ إذا طَلّقَ زوجتَه في يومٍ واحدٍ.. لا يقع إلّا طلقة واحدة ولو طَلّقَ أَلفَ مرّةٍ، ودليلُه قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١] الآية؟

الحمدُ لله الجواب: إنّه متَى طَلّقَ ثلاثاً ولو بلفظٍ واحدٍ كقولِه: أَنتِ طالقٌ ثلاثاً، أَو مفرقاً في مجلسٍ أَو في مجالسَ حَصلَ بينهما رجعة أَم لا.. فالأَئمّةُ الأَربعةُ مجمعونَ علَى أَنّها تطلقُ ثلاثاً، ولا تَحلُّ له حتّى تَنقضيَ عدّتُها منه، وتَنكحَ غيرَه نكاحاً صحيحاً، وتَغيبَ حشفتُه بقُبلِها بشرطِ انتشارِه بالفعلِ، وكونِه ممّا يُمكنُ جماعُه، لا طفلاً وإن انْتشرَ ذَكرُه ولو لم يَحصلِ الإنزالُ، ولا بدَّ من مفارقتِه أَي: الناكح الثّاني وانْقضاءِ عدّتِها منه، فلو وَطئَها بعدُ في عدّتِها أَو بعدَ ذلك.. فهو زانٍ، هذا ما عليه الأَئمّةُ الأَربعةُ، فأَمّا صالح اليماني.. فهو رجلٌ معروفٌ عندَنا بأَنّه مبتدعٌ ضالٌّ مضلٌّ، وقرأَ عليه بعضُ علماءِ داغستانَ غافلينَ عنه ظانِّينَ أَنّه شافعيٌّ، مؤلّف كتابٍ عندَكم وذلك على مذهبِ الشافعيِّ، بل هو خارجٌ عن مذاهبِ الأَئمّةِ الأَربعةِ، وقد نَصَّ أَئمّتُنا أَنّه من بعد الأَربعمائةِ لا يَجوزُ أَن يُقلّدَ أحدٌ غيرَ الأَئمّةِ الأَربعةِ بانقطاعِ المجتهدينَ، يا إخوانَنا لا تَتبعُوا صالحاً اليمانِيَّ فتكونُوا مبتدعينَ لا متّبعينَ.

جوابُ شيخ سعيد المكيِّ لسؤالِ الحاج إبراهِيم العرادي. (ق).

ونَقلَ مُفتي الأَنام عبدُ الوهّاب المصريُّ: أَنّ مَن عَملَ وأَفتَى بقولِه يكادُ الكفر[1]، وأَنّه يَجبُ التَّوبةُ عن فَتواه. وهكذا نُقلَ عن غيرِ واحدٍ من علماءِ الإسلامِ).

من خليلِ القُرُوشيِّ رحمه الله تعالى من خطِّ خطِّ العالمِ مسلم العُراديِّ نَوّرَ الله مَرقدَه.

[ما كتبه نورُ الله القَراخِي في حقِّ هذه المسألةِ رحمه الله تَعالى]

وقَد سَألَ العالمُ المرحومُ نورُ الله القَراخيُّ الزُّلديُّ نَوّرَ الله مَرقدَه، [واحداً] من العلماءِ المذكور بأَلسنةِ الخلقِ أَنّه يَميلُ إلى مذهبِ ابنِ تيميةَ في مسائلَ معلومةٍ؛ كمَنعِ الشَّفاعةِ، وعدمِ وقوعِ الطّلاقِ الثّلاثِ إذا جمعها بلفظٍ واحدٍ و.. إلخ، عن هذه المسألةِ.

فأَجابَ المسؤولُ عَفا الله عنه آمين بجميعِ ما يُشعِرُ مَيلَه إلى مذهبِ اليمنيِّ، لكنْ تَعقَّبَ علَى أَثناءِ كلماتِه عبدُ الحميد الزّنيُّ ونورُ الله الزُّلديُّ بما يَردُّ ما أَجابَه، و[كَسِلْتُ] عن كتبةِ ذلك وقَصرتُ، فإنّ الكلامَ نظيرُ كلامِ اليمنيِّ وقد مَرَّ ما يَردُّه مراراً، لكنِّي أَردتُ أَن أُوردَ هنا ما كَتبَه نورُ الله المذكورُ في حقِّ هذه المسألةِ وهذه عباراتُه:

سلامٌ علَى مَن اسْتَمعَ الحقَّ فاتَّبعَه، وتَركَ تَتبُّعَ الرُّخصِ والتَّهاونَ في دينِه. اعلمْ أَسعَدكَ الله تعالى: أَنّ النوويَّ قالَ في «شرح مسلم»: (قد اخْتَلفَ العلماءُ فيمَنْ قالَ: أَنتِ طالقٌ ثلاثاً، فقالَ الشافعيُّ ومالكٌ وأَبو حنيفةَ وأَحمدُ وجماهيرُ العلماءِ من السلفِ والخلفِ: يَقعُ الثّلاثُ. وقالَ طاوسٌ وبعضُ الظّاهريَّةِ: لا يَقعُ بذلك إلّا واحدة.

(١) لعلَّه: يكاد يكفر.

واحتجَّ الجمهورُ بقولِه تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾[1]، قالُوا: معناه: أَنّ المطلِّقَ قد يَحدُثُ له ندامةٌ، فلا يُمكنُه تدارِكُه لوقوعِ البينونةِ، فلو كانتِ الثّلاثُ لا تقعُ.. لم يَقعْ [طلاقُه هذا إلّا رجعيّاً] فلا يَندمُ.

واحتجُّوا أَيضاً بحديثِ رُكانةَ: «أنّه طَلّقَ امرأتَه البتّةَ، فقالَ له النبيُّ صلّى الله عليه وسَلّمَ: **مَا أَرَدْتَ إِلَّا وَاحِدَةً؟** قالَ: والله ما أَردتُ إلا واحدةً»[2] فهذا دليلٌ علَى أَنّه لو أَرادَ الثّلاثَ.. لَوقعْنَ، وإلّا فلم يكنْ لتحليفِه معنىً.

وأَمّا الرِّوايةُ الّتي رَواها المخالفُونَ: أَنّ رُكانةَ طَلّقَ ثلاثةً، فجَعلَها واحدةً.. فروايةٌ ضعيفةٌ عن قومٍ مجهولينَ، وإنَّما الصّحيحُ فيها ما قَرّرناه). انتهى[3].

وذكر الرّواية الأُولى في «المصابيح» من الحِسانِ، وقالَ في خطبتِه: (أَعنِي بـ«الحِسان»: ما أَوردَه أَبو داودَ والتّرمذيُّ وغيرُهما من الأَئمّةِ في تصانيفِهم، وأَكثرُها صحاحٌ بنقلِ العدلِ عن العدلِ)[4]. فلا تَمِلْ إلى تضعيفِها الغُمُقيُّ.

قالَ جامعُ «المصابيح» في بابِ المطلَّقةِ ثلاثاً: (من الصِّحاح: «عن عائشةَ رضي الله عنها قالتْ: جاءت امرأةُ رِفاعةَ القُرظيِّ إلى رسولِ الله صلَّى الله عليه وسَلّمَ فقالتْ: إنِّي كنتُ عندَ رِفاعةَ فَطَلّقنِي فبَتَّ طلاقِي، فتَزوَّجتُ بعدَه عبدَ الرَّحمنِ بنَ

---

(١) سورة الطلاق: (١).

(٢) أَخرجه التّرمذي (١٢١١)، وأَبو داود (٢٢٠٦)، وابنُ ماجه (٢٠٥١).

(٣) «المنهاج شرح صحيح مسلم» (٤/ ٨٠).

(٤) «مصابيح السنة» (١/ ١١٠).

الزَّبِيرِ، وما به إلَّا مثل هُدْبَةِ الثَّوبِ[١]، فقالَ: **أَتُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى رِفَاعَةَ؟ [لَا] حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ وَ[يَذُوقَ] عُسَيْلَتَكِ**»). انتهى[٢].

وهذا الحديثُ كالَّذي قبلَه صريحٌ في وقوعِ الثَّلاثِ دفعةً.

ثُمَّ قالَ النوويُّ فيه: (وأَمَّا حديثُ ابنِ عمرَ.. فالرِّواياتُ الصّحيحةُ الَّتي ذكرَها [مسلمٌ] وغيرُه أَنَّه طَلَّقَها واحدةً.

وأَمَّا حديثُ ابنِ عبّاسٍ.. فاخْتلَفَ العلماءُ في جوابِه وتأويلِه، فالأَصحُّ أَنَّ معناه: أَنَّه كانَ في أَوّلِ الأَمرِ إذا قالَ لها: أَنتِ طالقٌ أَنتِ طالقٌ أَنتِ طالقٌ، ولم يَنوِ تأكيداً ولا استئنافاً يحكمُ بوقوعِ طلقةٍ؛ لقلَّةِ إرادتِهم الاستئنافَ بذلك، فحُملَ علَى الغالبِ الَّذي هو إرادةُ التَّأكيدِ، فلمَّا كانَ في زمنِ عمرَ رضي الله عنه وكَثُرَ استعمالُ النّاسِ بهذه الصِّيغةِ، وغَلَبَ منهم إرادةُ الاستئنافِ، حُملت عندَ الإطلاقِ علَى الثّلاثِ عملاً بالغالبِ السّابقِ إلى الفهمِ منها في ذلك العصرِ.

وقيلَ: إنّ المعتادَ في الزَّمنِ الأَوّلِ كانَ طلقةً واحدةً، وصارَ النّاسُ في زمنِ عمرَ يُوقعونَ الثّلاثَ دفعةً، فنَفّذَه عمرُ، فعلَى هذا يكونُ إخباراً من اختلافِ حالةِ النّاسِ، لا عن تغييرِ حكمٍ في مسألةٍ واحدةٍ)[٣].

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٩/ ٥٧٦): قوله وإنّه ليس معه إلا مثل هدبة، بضمِّ الهاءِ وسكونِ المهملةِ بعدَها موحّدةٌ مفتوحةٌ، هو طَرفُ الثَّوبِ الَّذي لم يُنسجْ، مأخوذٌ من هُدبِ العينِ، وهو شعرُ الجَفنِ، وأَرادتْ: أَنّ ذَكرَه يُشبِهُ الهُدْبَةَ في الاسترخاءِ وعدمِ الانتشارِ، واسْتُدلَّ به علَى أَنّ وطءَ الزّوجِ الثّاني لا يكونُ مُحلِّلاً ارتجاعَ الزّوجِ الأوّلِ للمرأَةِ إلّا إن كان حال وطئِه منتشراً، فلو كانَ ذَكرُه أَشَلَّ، أَو كانَ هو عِنِّيناً أَو طفلاً.. لم يكفِ علَى أَصحِّ قولَي العلماءِ، وهو الأَصحُّ عندَ الشّافعيّةِ أَيضاً.

(٢) «مصابيح السّنة» (٢٤٥٨)، أخرجه البخاري (٢٦٣٩)، ومسلم (٣٥٢٦). وفيها «معه» بدلَ «به».

(٣) «المنهاج شرح صحيح مسلم» (٤/ ٨١).

وقالَ الشيخُ خليلٌ القُرُوشيُّ رحمه الله تعالى: فقد كَشفَ الأئمّةُ السّلفُ والخلفُ عنه الحجابَ، وأَجابُوا بنحوِ أَربعةِ أَجوبةٍ، أَحسنُها كما ذَكرَه الخطيبُ ما اعْتمَدَه الشَّيخُ علاءُ الدِّين البخاريُّ الحنفيُّ؛ من أَنّ معنى الحديثِ: كان الطلاقُ الثلاثُ الّذي يُوقعونَه الآنَ دفعةً في الزَّمنِ الأَوّلِ يُوقعونَه واحدةً واحدةً.

وقالَ: إنّ النّصَّ مشيرٌ إلى هذا أَي[1] لفظ الاستعجالِ، يعني: أَنّه كانَ للنَّاسِ أَناةٌ، أَي: مهلةٌ في الطلاقِ، فلا يُوقعونَه إلّا واحدةً واحدةً، فاستَعجَلَ النّاسُ وصارُوا يُوقعونَ الثّلاثَ دفعةً واحدةً. انتهى[2].

ثُمّ قالَ ذلك الشّيخُ: وقد ذَكرُوا أَنّ هذا الجوابَ سالمٌ عن جميعِ الوارداتِ علَى سائرِ الأجوبةِ فراجِعْ. انتهى.

وقالَ مُفتي الأَنام الشيخُ عبدُ الوهّابِ المصريُّ بعدَ كلامِه: ولأَنّ قولَه: ﴿أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾ متناولٌ لإيقاعِ الثلاثِ دفعةً، وعليه الأَئمّةُ الأَربعةُ والنوويُّ، خلافاً للظّاهريَّةِ حيثُ [قالَت]: لا يقعُ به إلّا واحدة. وقال شارحُ التراجم: معنى الآيةِ ومرادُها: إيقاعُ الثَّلاثِ دفعةً.

وأَيضاً الأَحاديثُ الّتي وَرَدتْ عن مُجاهدٍ عن ابنِ عبّاسٍ: «أَنّه سُئلَ عن رجلٍ طَلّقَ امرأَته مائةَ مرّةٍ، قالَ: عصيتَ ربَّك وفارَقتَ امرأَتك»، وعن سعيدِ بنِ جُبيرٍ عن ابنِ عبّاسٍ: «أَنّه سُئلَ عن رجلٍ طَلّقَ امرأَته عددَ النُّجوم، فقالَ: أَخطَأت السُّنّةَ وحَرُمتْ عليه امرأَتُه» رَواه الدّارَقطنيّ[3].. تَدلُّ علَى إجماعِهم علَى صحّةِ وقوعِ

(١) في «مغني المحتاج» (٤/ ٥٣٩): «مِن» بدلَ «أَي».

(٢) «مغني المحتاج» (٤/ ٥٣٩).

(٣) «سنن الدارقطني» (٣٩٤٧)، ولفظُه: «أَنّهُ سُئِلَ عن رجلٍ طَلّقَ امرأَته عددَ النُّجومِ، فقالَ: أَخطَأَ السُّنّةَ حَرُمَتْ عليهِ امرأَتُه».

الثّلاثِ دفعةً واحدةً، وليس في تلك الأحاديثِ ما يَدلُّ علَى اشتراطِ التَّعدُّدِ في وقوعِ الثلاثِ دفعةً. انتهى.

قالَ القاضي البيضاويُّ في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾: (أَي: التَّطليقُ الرَّجعيُّ اثنتانِ). انتهى[1].

وكَتبَ عليه شيخ زاده: (إشارة أَن ليس المرادُ جنسَ الطَّلاقِ المتناول لكلِّ طلاقٍ، بل المرادُ المتقدّم ذِكرُه الَّذي قالَ فيه: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾[2]، وأَنّ الآيةَ لَيستْ كلاماً مبتدأً نازلاً لبيانِ أَنّ حكمَ الطّلاقِ لا يَزيدُ علَى ثلاثٍ، وإنَّما هو مرّتانِ ومرّةٌ ثالثةٌ، بل هذه الآيةُ متعلّقةٌ بما قَبلَها.

وذلك؛ لأَنَّه تعالى بَيَّنَ في الآيةِ الأُولى أَنّ حقَّ المراجعةِ للزَّوجِ ثابتٌ، ولم يَذكرْ أَنّ ذلك الحقَّ ثابتٌ دائماً إلى غايةٍ معيّنةٍ، فكانتِ الآيةُ المتقدّمةُ كالمجملِ المفتقرِ إلى المبيِّنِ، أَو كالعامِّ المفتقرِ إلى المخصِّصِ. فبيّنَ في هذه الآيةِ أَنّ ذلك الطّلاقَ الَّذي يَثبُتُ فيه للزّوج حقُّ المراجعةِ هو أَن يُوجدَ طلقتانِ فقط، وأَمّا بعدَ الطَّلقتَيْنِ.. فلا يَثبتُ للزّوج حقُّ الرَّجعةِ البتّةَ. فالأَلفُ واللَّامُ في الطَّلاقِ للمعهودِ السّابقِ)[3].. إلى آخر ما أَطالَ به.

وقَيّدَ الجلالُ السيوطيُّ الطلاقَ بالرَّجعيِّ.

وقالَ شيخِي عبدُ اللَّطيف الحُزِيُّ رحمه الله تعالى: يا أَخي الكريم إنِّي طالعتُ بحمدِ الله تعالى سيرَ الأَئمّةِ الكرامِ؛ الفخر الرَّازي، والنّاصر البيضاوي، وأبي السعود

---

(١) «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» (١/ ١٩٦).

(٢) سورة البقرة: (٢٢٨).

(٣) «حاشية محيي الدين شيخ زاده» (٢/ ٥٥١).

العمادي، والشّمس الشِّربيني، وإسماعيل البروسي الأُسكوبي، نَوّرَ الله تعالى أَضرحتَهم، فوَجدْتُهم ذَكرُوا في تفسيرِ قولِه سبحانَه وتعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾[1] قولَيْنِ:

أَحدُهما: أَنَّه ليس كلاماً ابتدائيّاً، بل هو متعلّقٌ بما قبلَه، فيكونُ المعنى: الطلاقُ الرجعيُّ مرّتانِ، وذَكرَ الفخرُ في أَولَويّةِ هذا الوجهِ وجوهاً عديدةً.

والآخرُ: أَنَّه كلامٌ ابتدائيٌّ، ومعناه: أَنّ التطليقَ الشرعيَّ يَجبُ أَن يكونَ تطليقةً بعدَ تطليقةٍ علَى التَّفريقِ دونَ الجمعِ، هذا مُجملُ ما فَصّلُوه.

ولا يَخفى علَى الأَخ الكريمِ أَنّ الأَئمّةَ الأَربعةَ علَى أَنّ الطّلاقَ الثّلاثَ تَقعُ دفعةً، لكنْ يَحرمُ الجمعُ عندَ الإمامِ سيّدي أَبي حنيفةَ رَحمَ الله تعالى عنه، ومع ذلك يقول بوقوعِ الثّلاثِ دفعةً.

وأَمّا الَّذين قالُوا: إنّه لو طَلّقَها اثنَينِ أَو ثلاثاً.. لا يقعُ إلّا واحدة.. فهم طائفةٌ من علماءِ الدّينِ كما قالَه الفخرُ.

ولا يَخفى علَى الأَخ الكريمِ أَنّ مَن عدا الأَئمّة الأَربعة يُشترطُ لجوازِ تقليدِه كونُه [ممّن] حُفِظَ مذهبُه في تلك المسأَلةِ، ودُوّنَ حتَّى عُرفتْ شروطُه وسائرُ معتبراتِه، كما صَرّحَه الشّيخُ شهابُ الدِّين ابنُ حجر في فروعِ التَّقليدِ من «التحفة»[2].

وقالَ أَيضاً: (هذا بالنِّسبةِ لعملِ نفسِه، لا لإفتاءٍ أَو قضاءٍ، فيَمتنعُ تقليدُ غيرِ [الأَربعةِ] فيه إجماعاً؛ لأَنَّه مَحضُ تشَهٍّ وغُرورٍ)[3].

---

(١) سورة البقرة: (٢٢٩).

(٢) «تحفة المحتاج بشرح المنهاج» (١٠/ ٢٠٩).

(٣) «تحفة المحتاج بشرح المنهاج» (١٠/ ٢١٠).

ولا يَخفى علَى الأخ الكريمِ أنه قالَ في بابِ الطّلاقِ: (وأمّا وقوعهنّ.. فلا خلافَ فيه يُعتدُّ به.

وقد شَنّعَ أئمّةُ المذاهبِ علَى مَن خالفَ فيه، وقالُوا: اختارَه من المتأخّرينَ مَن لا يُعبأُ به، فأفتَى واقتدَى به مَن أضَلَّه الله تعالى وخَذَلَه.

وأمَّا خبرُ مسلمٍ عن ابنِ عبّاسٍ: «كانَ الطَّلاقُ الثَّلاثُ»..). انتهى «حجر»(١).

ولا يَخفى علَى الأَخِ الكريمِ أَنَّ الشهابَ ابنَ حجرٍ قد اتَّفقَت كلمةُ عامّةِ المشايخِ علَى أَنَّه من جملةِ أُمناءِ الشَّريعةِ الَّذين اشْتهرُوا بمَزيدِ التَّحرّي والدِّيانةِ، وعلَى(٢) ذلك نَادى علَى رُؤوس الأَشهادِ: [أَنّ](٣) **القائلَ بعدمِ وقوعِ الطَّلاقِ لا يُعبأُ به، ومَن اقتدَى بهِ مضلٌّ مخذولٌ**، وكذلك مَن حَذَوا حَذوَه من أَصحابِ المتونِ والشّروحِ، فكيفَ نُفتِي بهذا المذهبِ؟! وقد قالَ في «الفتاوى الصّغرى»: (قالَ القَرافي: لا يحلُّ للمجتهدِ والمقلِّدِ الحكمُ والإفتاءُ بغيرِ الرَّاجحِ؛ لأَنَّه اتِّباعُ الهوَى، وهو حرامٌ إجماعاً). انتهى(٤). انتهى كلامُ الحُرْثِيِّ.

---

(١) راجعْه. (منه). هامش (أ).

وعبارتُه: وأَمّا خبرُ مسلم عن ابنِ عبّاس: «كانَ الطّلاقُ الثّلاثُ علَى عهدِ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسَلّمَ وأَبي بكرٍ وسَنتَينِ من خلافةِ عمرَ وَاحدةً، ثُمّ قالَ: قالَ عمرُ: إنّ النّاسَ قد اسْتعجَلُوا ما كانُوا فيه علَى أَناةٍ، فلو أَمضَيناه عليهم، فأَمضَاه عليهم».. فجوابُه: أَنَّه فيمَن يفرقُ اللّفظَ، فكانُوا أَوّلاً يُصدَّقونَ في إرادةِ التَّأكيدِ لديانَتِهم، فلمَّا كَثُرتِ الأَخلاطُ فيهم.. اقْتضَتِ المصلَحةُ عدمَ تَصديقِهم، وإيقاعَ الثَّلاثِ عليهم.

قالَ السُّبكيُّ كالمصنّفِ: هذا أَحسنُ الأَجوبة. انتهى. «تحفة المحتاج بشرح المنهاج» (٨/ ١٦٤).

(٢) في «فتاوى مسلم العرادي»: «مع» بدل «على».

(٣) في (أ) و(ب): «على» بدل «أَن»، والمثبت ما في نسختَينِ من «فتاوى مسلم العرادي».

(٤) انظر «الفتاوى الكبرى الفقهية» (٤/ ٣٠٤).

وقالَ ابنُ حجرٍ عن السبكيِّ: (وابْتَدعَ بعضُ أَهلِ زمانِنا، أَي: ابنُ تيميةَ، ومن ثَمّ قالَ العزُّ بنُ جماعةَ: إنَّه ضالٌّ مضلٌّ). انتهى(١).

وقالَ الشّيخُ القُرُوشيُّ: وعبارةُ «النهاية» و«المغني»: (فهو ما اقْتصَرَ عليه الأَئمّةُ، ولا اعتبارَ بما قالَه طائفةٌ من الشِّيعةِ والظّاهريَّةِ؛ من وقوعِ واحدةٍ فقط وإن اختارَه من المتأَخّرينَ مَن لا يُعبأُ به). انتهى(٢).

ثُمّ قالَ ذلك الشّيخُ: قولُهم: «بلا خلاف فيه يُعتدُّ به».. إلخ، و«لا اعتبارَ بما قالَه طائفةٌ من الشِّيعةِ».. إلخ، مع قولِهم: «مَن لا يُعبأُ به».. إلخ.. يُشيرُ إلى أَنّ المسأَلةَ إجماعيّةٌ بينَ مَن يُعتدُّ بإجماعِه.

وقد صَرَّحوا أَيضاً في غيرِ موضعٍ من المواضعِ، وذُكِرَ في مبحثِ الانتقاضاتِ وشرائطِ التَّقليدِ: أَنّ ما خالفَ الإجماعَ يُنقضُ، وما يُنقضُ لا يُعتدُّ به، ولو لعملِ نفسهِ، فضلاً عن الإفتاءِ والقضاءِ، فلا تَغفل عن ذلك.

وقولُهم: «مَن أَضلَّهُ الله تعالى وخَذَلَه» فانظُرْ هذا التّهويلَ العظيمَ منهم كيف نَسبُوا المفتيَ بذلك والمقتدِي به إلى الضّلالِ والخِذلانِ، أَعاذَنا الله تعالى من ذلك، والخوضِ في هذه المهالكِ. انتهى.

وصَرّحَ صاحبُ «البغية» بوقوعِ الإجماعِ الفعليِّ علَى حصولِ البينونةِ الكبرَى بالثّلاثِ دفعةً، ونسبَ مَن لم يُنكرِ المخالفَ إلى [الفسقِ](٣).

---

(١) «تحفة المحتاج بشرح المنهاج» (٨/ ١٦٥).

(٢) «نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج» (٧/ ٨)، و«المغني المحتاج» (٤/ ٥٣٩).

(٣) في (أ) و(ب): الضعف، والتصويبُ من «بغية المسترشدين» (٢/ ٥١٥)، و«فتاوى مسلم العرادي».

وقالَ مفتي المصر: والمفتِي به - أَي: بعَدِّ الثّلاثِ واحدةً - يكادُ الكفر[1]، ويَجبُ علَى عالمٍ مؤمنٍ بالله ورسولِه واليومِ الآخرِ الاجتنابُ عنه والاحترازُ منه. انتهى.

ثُمّ قالَ: وإيقاعُ الثّلاثِ للإجماعِ في عهدِ عمرَ علَى ذلك، فالمخالفُ بعدَ الإجماعِ منافقٌ، وأَيضاً الجمهورُ علَى عدمِ اعتدادِ مَن أَحدثَ الاختلافاتِ بعدَ الاتِّفاقِ. انتهى.

ثُمّ قالَ ذلك المفتِي: فيا أَيُّها العلماءُ الحاكمونَ بشرعِ المعتزليِّ المشهور فسادُه في المكّة المكرّمةِ وسائرِ بلادِ العربِ حتّى وَصلَ شَرُّه إلينا، فتُوبُوا إلى الله تعالى، واحْكمُوا بما اتَّفقَ عليه الفقهاءُ والأَئمّةُ و[بما] عليهِ الأَحاديثُ الصَّحيحةُ. انتهى.

وقالَ إبراهيمُ السَّقا الشافعيُّ الأَزهريُّ: وكلامُ اليَمنيِّ في جمعِ الطّلقاتِ لا يُعوَّلُ عليه كابنِ تيميةَ الحنبليِّ. انتهى.

وقالَ الشّيخُ سعيدٌ المكيُّ بعدَ كلامٍ: وقد بَلغَنا أَنّ بعضَ علمائِكم يا معشرَ الداغستان لا يحكمُونَ بوقوعِ الثّلاثِ إذا طَلّقَ واحدٌ ثلاثاً إلَّا واحداً، وليس واحدٌ من الأَئمّةِ الأَربعةِ المشهورةِ يقولُ بهذا القولِ، ومَن خَرجَ من بين كلِّ واحدٍ من الأَئمّةِ الأَربعةِ.. فقد خَرجَ عن الحقِّ، فماذَا بعدَ الحقِّ إلَّا الضّلال المبين؟!.. إلى أَن قالَ: ومَن قَلّدَ اليَمانِيَّ.. فليحشرْ في زمرتِه. انتهى.

وقالَ في تقريرٍ آخرَ: [فأَمّا] الصّالحُ اليمانيُّ فهو رجلٌ معروفٌ عندَنا بأَنّه مبتدعٌ ضالٌّ مضلٌّ. انتهى.

(١) لعلَّه: يكاد يكفر.

قالَ صاحبُ «البغية»: (صَرّحَ أئمّتُنا أنّه لا يَجوزُ العملُ - فضلاً عن القضاءِ والإفتاءِ - بخلافِ ما رَجّحَه الأئمّةُ الأربعةُ، بل نَقلَ ابنُ الصَّلاح الإجماعَ علَى ذلك). انتهى[1].

قالَ صاحبُ «البريقة المحموديّة شرح طريقةِ محمّديّة»: (دليلُ المقلِّدِ هو قولُ المجتهدِ لا النُّصوصُ؛ إذ استخراجُ الأَحكامِ منها ليس إلَّا منصب [المجتهدِ]، وقد قالُوا: إذا تعارضَ النّصُّ وقولُ الفقهاءِ.. يُؤخَذُ بقولِ الفقهاءِ؛ إذ يحتملُ كونُ النّصِّ اجتهاديّاً وله معارضٌ قويٌّ وتأويلٌ وتخصيصٌ وناسخٌ وغيرُها ممَّا يختصُّ بمعرفتِه المجتهدُ). انتهي[2].

ثُمّ قالَ: (وحجَّتُنا هي أَقوالُ الفقهاءِ، وكلُّ ما خالفَ [النصِّ] أَقوالِهم فنَحنُ نَتمسَّكُ [بها] لا به، ولا جائزَ أَنّ هذا النّصَّ لم يَصلْ إليهِم، كما لا [جوازَ] في الحملِ علَى عدمِ اطِّلاعِ معانيه). انتهى[3].

وقالَ ابنُ حجرٍ في «الفتح المبين» في الحديثِ الثّامنِ والعشرينَ عَقبَ قولِه صلَّى الله عليه وسَلَّمَ: «**مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ.. فَسَيَرَى اخْتِلَافاً كَثِيراً، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ**»[4]: (وهم: أَبو بكرٍ فعمرُ فعثمانُ فعليٌّ فالحسنُ رضي الله عنهم وعن بقيّةِ الصّحابةِ، فإنّ ما عُرفَ عن هؤلاءِ أَو عن بعضِهم أَولى بالاتِّباعِ من بقيّةِ الصّحابةِ إذا وَقعَ بَينهُم الخلافُ فيه.

---

(١) «بغية المسترشدين» (٢/ ٧٣٢).

(٢) «البريقة المحمودية» (١/ ١٣١).

(٣) «البريقة المحمودية» (٢/ ٨٥).

(٤) أَخرجه أَبو دَاود (٤٦٠٧)، والتّرمذي (٢٨٧٠).

ومن ثَمّ قالَ بعضُ العلماءِ: يُقدَّمُ ما أَجمعَ عليه الأَربعةُ، ثُمّ ما أَجمعَ عليه أَبو بكرٍ وعمرُ؛ للخبرِ الصَّحيح: «اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ» وهذا في حقِّ المقلِّدِ الصِّرفِ في تلك الأزمنةِ القريبةِ من زمنِ الصّحابةِ.

أَمَّا في زمانِنا.. فقالَ بعضُ أَئمّتنا: لا يَجوزُ تقليدُ غيرِ الأَئمّةِ الأَربعةِ: الشّافعيِّ ومالكٍ وأَبي حنيفةَ وأَحمدَ رضوانُ الله تعالى عليهم؛ لأَنَّ هؤلاءِ قد عُرفتْ قواعدُ مذاهبِهم، واستقرَّتْ أَحكامُها، وخَدَمَها تابعُوهم وحَرّرُوها فرعاً فرعاً، وحكماً حكماً، فعزَّ أَن يُوجدَ حكمٌ إلَّا وهو منصوصٌ لهم إجمالاً أَو تفصيلًا، بخلافِ غيرِهم، فإنّ مذاهبَهم لم تُحرّرْ ولم [تُدوَّن] كذلك، فلا [تُعرفُ] لها قواعدُ تتخرَّجُ عليها أَحكامها، فلم يَجزْ تقليدُهم فيما حفظ منهم فيها؛ لأَنَّه قد يكونُ مشروطاً بشروطٍ أُخرَى وَكلُوها إلى فهمِها من قواعِدهم، فَقلَّتِ الثقةُ بخلوِّ ما حفظ عنهم عن قيدٍ أَو شرطٍ، فلَم يَجُزِ التّقليدُ حينئذٍ). انتهى[1].

ولا يَخفى علَى من طالعَ كُتبَ المتأخّرينَ أَنّ المذاهبَ نقلٌ، والمنقولُ مقبولٌ ولو مع الإشكالِ، والخوضَ في الدَّلائلِ من الكتابِ والسُّنّةِ مع مخالفةِ نصوصِ الأَئمّةِ المجتهدينَ الأَربعة ممَّا يَجبُ أَن يَستحي مَن شَمّ مِن الأَدبيين، ويَقود إلى القولِ بالاجتهادِ مع أَنَّهم قالُوا: إنّ مَن عَرفَ معنى الاجتهادِ وصفات المجتهدِ وشرائطَه.. يَجبُ أَن يَستحي الادِّعاءَ ببُلوغِه مرتبةَ الاجتهادِ. وكيف لا؟! وقد نَسبُوا مَن ادَّعاه إلى السّفهِ والجنونِ حتَّى ترجمان القرآنِ علّامة عصرِه حافظ نحوِ مائتَيْ أَلفِ حديثٍ الإمام السّيوطي، وإنّ شيخ سعيد المكّي قد نَقلَ من علماءِ عصرِه الاتِّفاقَ علَى أَنّ صالحاً اليمانيَّ ضالٌّ مضلٌّ، وإنّ مُفتي الأَنامِ الشَّيخ عبدَ الوهّابِ المصريَّ صَرّحَ أَنَّ مَن اقْتدَى به يكادُ الكفر، إلى غيرِ ذلك.

(١) «فتح المبين بشرح الأربعين» (ص٤٧٣).

وصَرّحُوا أيضاً بانقطاع الاجتهادِ من قريبِ عصرِ الشافعيِّ رضي الله تعالى عنه، ومخالفةُ ما أَجمعَ عليه الأئمّةُ [الأربعةُ] ممَّا لا سبيلَ إليه، غيرَ أنِّي نَقلتُ التَّفاسيرَ والأَحاديثَ وغيرَها ما يُؤيِّدُ لكلامِ الفقهاءِ مداراةً للغُمُقيِّ، ثُمّ بكلامِ الطَّاعِنينَ علَى مَن قالَ بقولِ اليمنيِّ؛ لينْزجِرَ مَن نَحا نحوَه.

وإنَّما أَنا من المقلِّدينَ الَّذينَ هم شافعيّ المذهبِ سُنيّ العقيدةِ، لا من اليمنيِّينَ الشِّيعيِّينَ، هذا والسلام.

من أَحقرِ خلقِ الله نور الله القَراخِيِّ الزُّلديِّ إلى كلِّ ناظرٍ غير مكابرٍ.

يقولُ الحقيرُ كاتبُ النُّقولِ: فحينَ كنتُ أَكتبُ هذا التَّقريرَ المذكورَ جاءَ لديَّ ولدِي محمّد حَجِيَوْ مع ما نَقلَه من «تلخيص المراد»، فأَردْتُ أَن أَكتبَه في هذا الموضعِ ولفظُه:

(**مسألة**: طَلّقَ زوجتَه ثلاثاً بلفظٍ واحدٍ، ثُمّ ادَّعَى أَنَّه زَيديُّ المذهبِ؛ لتحلَّ له بلا محلِّلٍ.. لم يُقبلْ، بل لو حَكمَ حاكمٌ بذلك.. نُقضَ حكمُه علَى الصّحيحِ؛ لأَنَّ المسألةَ إجماعٌ، ولا اعتبارَ بالخلافِ الحادثِ، وعلَى النَّقضِ لو وَطئَها.. لَزمَه الحدُّ ولم يَثبتْ به نَسبٌ ولا عدّة، قالَه الرّويانيُّ). انتهى[1]. فراجِعْه في (٢٩٥) من هامشِ «البغية»، فإنّا لله وإنّا إليه راجعونَ.

فما أَعظَمَ ما يَتطرَّأُ علَى فَتوى بعضِ القضاةِ بهذه المسأَلةِ المشكلةِ والمردودةِ؟! ولا حولَ ولا قوّةَ إلَّا بالله العليِّ العظيمِ.

(١) «غاية تلخيص المراد مِن فتاوى ابن زياد» (ص٣٨١).

[ما كتبه عبدُ الحميد الـزِنيُّ رحمه الله في حقِّ هذه المسألةِ]

وأَحبَبْتُ أَن أُوردَ هنا ما كَتبَه العالمُ المتورّعُ الفقيهُ الصوفِيُّ عبدُ الحميدِ الـزِنيُّ في تأييدِ هذه المسألةِ المهمّةِ، أَبلَّ الله مَرقدَه بلُطفِه الخفيِّ آمين، ولفظُه:

(بحمدِ مَن حَمدَ له الكونُ والصُّخورُ، وسَبّحَت له المياهُ والبحورُ، مع الصّلاةِ والسّلامِ علَى سيّدِ الإنسِ والجانِّ، والآلِ والأَصحابِ ذواتِ الفضلِ والإحسانِ، فللَّه الملكِ الجليلِ دَرُّ ذلك العالمِ النَّبيلِ نور الله القَراخِي، وَقاه الله تعالى عن الدَّواهِي حيثُ دارَ مع أَخينا العالمِ الشَّهيرِ المرفوعِ باعتدادِه دَعوى هذا الأَخِ العالمِ المعانقِ علَى عمدةِ الشَّوكِ المقلوعِ من أُسطوانةِ الشَّريعةِ الغَرّاءِ، زاعماً أَنّه من الياقوتةِ الحمراءِ مع كونِه من أَسبقِ علماءِ الزَّمانِ، وأَجمعِهم [علوماً] خلا عنها قُطرُ داغستانَ.

ثُمّ بعدَ أَن كنّا في فرحٍ وسرورٍ راجياً في عمومِ بركاتِ علمِه للقاصِي وللدَّاني، إذا سَمعْنا أَنّ له زَعْمَ الاجتهادِ والفَتوى، خلافاً للأئمّةِ العظمَى، كما كنّا علَى ذلك الدَّعوَى في عُنفُوانِ[1] الصِّبا، وإحياءَ مذهبٍ[2] انْدرَسَ آثارُه تَحتَ أَقدامِ علماءِ الإسلامِ والإيمانِ؛ لكونِه[3] خارجاً عن أَئمّةِ السُّنّةِ والجماعةِ، وعَدِّه علماءُ الزَّمانِ من الشِّيعةِ المشيّعةِ وأَهلِ الهوى والطُّغيانِ، بشهادةِ العُدولِ من العلماءِ المعاصرينَ والحادثينَ بعدَهم؛ بأَنّ مُقلّدَكم اليمنيَّ ليس من المجتهدينَ، ولا من أَهلِ السُّنّةِ والجماعةِ الّتي أَمَرَنا النبيُّ صلَّى الله عليه وسَلّمَ باتِّباعِنا عليها، وكونِنا علَى سُنّتِها، كما صرّح في «المختصر» وغيرِه.

---

(١) عُنفُوانُ الشَّيءِ بالضَّم، وعُنفُوُّه، مُشدّدَة: أَوّلُه، أَو أَوَّلُ بَهجَتِه. «القاموس» (ص٨٣٩).

(٢) أَي: مذهب صالح اليمني. هامش (أ) و(ب).

(٣) الضمير راجع إلى «مذهب».

ومن البَديهيِّ أَنّ مُجرّدَ الزَّعمِ لا يُفيدُ، والقول بلا دليلٍ غيرُ مُفيدٍ، فالواجبُ علينا في الدِّين التَّيقّظُ والاحتياطُ والحذرُ كلَّ الحذرِ عن اللّقطِ والإنقاطِ، فكَمْ من متبحّرٍ سابح في الفنونِ كما يسبحُ في البحارِ النُّونُ زَعمَ له رتبةَ الفَتوى والاجتهادِ، ولكنْ لم يُجَبْ له بالتَّسليم والاعتقادِ، بل لم يُسلَّمْ له ذلك المقامُ، وبَقيَ فريداً خالياً من الأَتباعِ وقبولِ الأَحكامِ؟

فالحاصلُ: لم يَثبتْ كونُ اليمنيِّ من المجتهدينَ الَّذين يَجوزُ التَّمسّكُ والتَّقليدُ، فإن فَرضْنا كونَه منهم علَى ما تريدُ.. ما الَّذي حَملَكم إِلى تَمسّكِ مذهبِه والتَّقليدِ والاعتقادِ بتَركِ مذهبِ عمرَ الفاروقِ رضي الله عنه؟

أَنزلَ الله تعالى الكتابَ علَى ما قالَ في بضعةَ عَشرَ موضعاً، وطَلبَ الرَّسولُ صلَّى الله عليه وسَلّمَ من الله تعالى تأييدَ الإسلام بإسلامِه، وأَمرَ الخلائقَ بالانقيادِ له واقتدائِه، واتَّفقَ علَى حكمِه هذا جميعُ الصّحابةِ ومَن بعدَهم من التّابعينَ والأَئمّةِ الأَربعةِ وغيرِهم من سائرِ الأَئمّةِ من أَهلِ السُّنّةِ والجماعةِ، حتَّى صارَ هذا الحكمُ مجمعاً عليه بلا خلافِ مَن يُعبأُ به، فثَبتَ بالإجماعِ نفوذُ طلاقِ المطلِّقِ الجامعِ للثَّلاثةِ دفعةً واحدةً.

ومن البديهيِّ [حرمةُ] خرقِ الإجماعِ كما صَرّحُوا بالاتِّفاقِ، ووجوبُ العملِ بما ثَبتَ بالإجماعِ والتَّواترِ.

ومن خلافةِ عمرَ رضي الله عنه جَرَى حكمُه هذا بينَ أَهلِ السُّنّةِ والجماعةِ إِلى أَن حَدثَ ذلك العالمُ الَّذي تَعلمونَ وصفَه وتضليلَه بعضَ الأَتباعِ متمسِّكاً بالأَحاديثِ

الَّتي لا تَعلَمُ[1] أَصلَها وفرعَها ومنطوقَها ومضمونَها ومرفوعَها، ولا يَجوزُ له ولنا أَخذُ الحكمِ والفَتوى إلَّا إن فَسّرَ لنا المجتهدُ المقصودَ والمبْنَى.

ثُمّ العَجبُ منه ومن أَتباعِه؛ كيفَ لا يَخافونَ من الله تعالى أَن يَأخذُوا من الكتابِ والسُّنّةِ والحديثِ الحكمَ والفَتوى خلافَ حكمِ الصَّحابةِ الَّذينَ كانُوا مع النبيِّ صلَّى الله عليه وسَلّمَ ليلاً ونَهاراً، ويَعلمونَ سرَّه وجهرَه، خصوصاً في الأَحكامِ الَّتي كَثرَ وقوعُها، والتّابعينَ[2] والأَئمّةِ الكَملَةِ والمجتهدينَ، ولا يَستحيُونَ من النّاسِ لأَنْ يُخالفُوا ما أَجمعَ عليه الأَئمّةُ وتَواترَ بينَ أَهلِ السُّنّةِ والجماعةِ مع كونِهما[3] دليلَيْنِ قطعيَّيْنِ اللّذَيْنِ لا [يُعارِضُهما] دليلٌ آخر لا قَطعيٌّ ولا ظَنّيٌّ.

فرَحِمَ الله تعالى علَى السبكيِّ حيثُ قالَ في كتابِه «جمع الجوامع»:

(«وأَنّه» أَي: الإجماعَ «لا يُعارِضُه دليلٌ» قطعيٌّ ولا ظَنّيٌّ؛ «إذ لا تَعارُضَ بينَ قاطعَيْنِ ولا بينَ قاطعٍ ومظنونٍ»).. إلخ[4].

وأَيضاً قالَ: («فإن خالفَ» الحكمُ «نصّاً أَو ظاهراً جَليّاً ولو قياساً، أَو حَكَمَ» حاكمٌ «بخلافِ اجتهادِه، أَو حَكَمَ» حاكمٌ «بخلافِ نصِّ إمامِه.. «نُقِضَ» حكمُه؛ لمخالفتِه لنصِّ إمامِه).. إلخ. «جوامع»[5].

---

(١) في «فتاوى مسلم العرادي»: «لا يَعلَمُ ولا نَعلَمُ» بدل «لا تَعلمُ».

(٢) عطف علَى «الصَّحابةِ».

(٣) أَي: الإجماع والتَّواتر.

(٤) «البدر الطالع في حل جمع الجوامع» (ص١٦٢).

(٥) «البدر الطالع في حل جمع الجوامع» (ص٣٩٠).

وأَيضاً قالَ عليه السّلام: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ»[1] «[اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ] مِنْ بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ» رواهُ التِّرمذيُّ[2] وغيرُه، وحَسّنَه.

وقالَ أَيضاً: «إِنَّ أُمَّتِي لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ».. إلخ، رَواه ابنُ ماجه[3] وغيرُه.

وإنّ أَهلَ الإجماعِ معصومونَ عن الخطأِ.

وجوامعُ من «الجوامع»:

(«و» الصّحيحُ «أَنَّه» أَي: الإجماعَ بعدَ حُجيّتِه «قطعيٌّ» فيها «حيثُ اتّفقَ المعتبرُونَ» علَى أَنّه إجماعٌ.. إلخ.

«وخرقُه» بالمخالفةِ «حرامٌ، فعُلمَ تحريمُ إحداثِ» قولٍ «ثالثٍ» من مسألةٍ اخْتَلفَ أَهلُ عصرٍ فيها علَى قولَين، «و» إحداثِ «التَّفصيلِ» بين المسألتَينِ «إنْ خرَقَاه» أَي: إن خَرقَ الثالثُ والتَّفصيلُ الإجماعَ [بأَن خالفَا] ما اتَّفقَ عليه أَهلُ العصرِ). «جوامع»[4].

(وأَيضاً من المرجِّحاتِ «علوُّ الإسنادِ» أَي: قلّةُ الوسائطِ بينَ الرَّاوِي المجتهدِ وبينَ النبيِّ صلَّى الله عليه وسَلّمَ «وسَماعُه من غيرِ حجابٍ، وكونُه من أَكابرِ الصَّحابةِ»، فيُقدَّمُ خبرُ أَحدِهم علَى خبرِ غيرِه؛ لشدَّةِ ديانتِهم، «وكذا» الموافقُ «مرسَلاً أَو صحابيّاً، أَو أَهلَ المدينةِ، أَو الأَكثرَ» من العلماءِ، «وثالثها في [موافِقِ]

(١) أَخرجه أَبو داود (٤٦٠٧)، والتِّرمذي (٢٨٧٠).

(٢) «سنن الترمذي» (٣٩٩١)، وما بينَ المعقوفين منه.

(٣) «سنن ابن ماجه» (٣٩٥٠).

(٤) «البدر الطالع في حل جمع الجوامع» (ص١٥٦).

الصَّحابيِّ: إن كانَ» الصَّحابي «حيثُ ميَّزهُ النَّصُّ كزيدٍ في الفرائِضِ، ورابعها: إن كانَ أَحدَ الشَّيخَينِ»: أَبي بكرٍ وعمرَ رضي الله تعالى عنهما «مطلقاً».

«والإجماعُ علَى النصِّ»؛ لأَنَّه يُؤمَنُ من النَّسخِ بخلافِ النصِّ «وإجماعُ الصَّحابةِ علَى» إجماع «غيرِهم».. إلخ[1].

فأَمثالُ هذه كثيرةٌ لرجحانِ ما علينا، لكن تَركْنَاها خوفَ الإملالِ، وكفايةُ المذكوراتِ للرِّجالِ[2] فزُبدةُ الكلامِ المكفيِّ للأَنامِ سَطرتُ من «تحفة المحتاج» بضمٍّ ما في «المنهاج»، ولكن لَمَّا حَدثَ مرّةً أُخرَى من العلماءِ المتبحّرينَ مَن يُؤيِّدُ هذا المذهبَ وإن كانَ المطويُّ الأَكثر لتأييدِ هذا المقامِ، فالواجبُ لمنْ وَفّقَ الله تعالى أَن يَعتبرَ هذه المسألةَ اليمنيّةَ، وأَن لا يحشرَها إلى أن يحشر الناسُ، لأَنّ مَن تَفكَّرَها وتَفكَّرَ مقابلتَها.. اسْتَحى من الله تعالى أَن يُظهرَها في المجامعِ والمجالسِ، ويَجعلها في المحابرِ والمحابسِ.

فالآنَ حسبِي الله ونعمَ الوكيل، ولا حولَ ولا قوّةَ إلّا بالربِّ الملكِ الجليلِ، وصلَّى الله تعالى علَى النبيِّ السيّدِ الأَصيل، مع الآلِ والأَصحابِ أَصحابِ الفضلِ والتَّبجيلِ.

ظَنُّ الكاتبِ الفقير حليفِ الجنايةِ والتَّقصيرِ، فإن [كان] صواباً.. فمن الله، وإلَّا.. فمن مفاسدِ عبدِ الحميدِ الزّنيِّ وَلدِ الحاج محمَّد أَفندِي السّيدي رحمهما الله آمين).

---

(١) «البدر الطالع في حل جمع الجوامع» (ص ٣٤٨-٣٦٧) بتصرّفٍ يسيرٍ.

(٢) خبر لـ«كفاية»، كما أَشارَ إليه المصنِّفُ قَدّسَ الله سرَّه.

[ما كَتبه مسلم العُرادي رحمه الله في حقِّ هذه المسألةِ]

وكَتبَ العالمُ المتورّعُ المشهورُ بالورعِ وحسنِ الخلقِ مسلمٌ العُراديُّ نَوّرَ الله مَرقدَه آمين، بعدَما رَأى ما وَقعَ بينَ نورِ الله وبينَ عليٍّ الغُمُقيِّ ما هذه عباراتُه:

بسمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ

ولا حولَ ولا قوّةَ إلّا بالله العليِّ العظيمِ.

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلامُ علَى رسولِ الله، أمّا بعدُ: [فاعلم]: أَنّ هذا الفقيرَ مسلم العُرادي رحمه الربُّ الهادِي، لَمّا تَفكَّرَ ونَظرَ إلى كلام [هذَيْنِ] العالميْنِ المحقّقَينِ الكريمَينِ؛ عليٍّ الغُمُوقيِّ ونورِ الله الزُّلْديِّ.. وَجدَ مثلَهما كمثلِ رجلَينِ يُضاربان البيضةَ بالحجرِ، ويَدّعِي كلٌّ بغلبةِ ما في يدِه علَى ما في يدِ الآخرِ، والغالبُ منهما غيرُ خفيٍّ علَى أَحدٍ؛ لأَنَّه بعدَ أَن اتَّفقَتْ أُمناءُ الشّارعِ علَى شريعتِه من الأَئمّةِ الأَربعةِ العظامِ و[أَصحابهم] وسائرِ الفقهاءِ الكرامِ، مبتدأً من أَصحابِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسَلّمَ، والتّابعينَ بهم علَى الدَّوامِ، وكلُّ مَن هم أَهلُ السُّنّةِ والجماعةِ من أَهلِ الإسلامِ علَى وقوعِ طلاقِ مَن طَلّقَ امرأَته ثلاثاً دفعةً واحدةً، ولم يُخالِفْهم من المتأخّرينَ مَن يُعبأُ به.

وأَجابُوا عمَّا يُتوهّمُ مخالفتُه لإجماعِهم من حديثِ مثلِ ابنِ عبّاسٍ علَى اجتهادِ عمرَ رضي الله عنهما في إمضائِه طلاقَ مَن طَلّقَ الثّلاثَ دفعةً من غيرِ إنكارٍ عليه بعدَ أَن قالَ ما قالَ.

وقالُوا: إنّه لا يَجوزُ تقليدُ غيرِ الأئمّةِ الأَربعةِ إجماعاً، ولو كانَ الغيرُ صحابيّاً عظيمَ القدرِ؛ لتَقرُّرِ مذاهبِهم بالتَّدوينِ دونَ مذاهب غيرِهم.

وإنّ الإجماعَ مقدّمٌ علَى النصِّ إذا تَعارَضَ[1] في الأُصولِ، وإنّه بعدَ إجماعِهم علَى شيءٍ يَحرمُ خرقُه بمخالفتِهم، لا وجهَ للإفتاءِ بما يُخالِفُهم، ولا العمل لنفسِه فيما يُناقضُهم، بل يخافُ الكفر على مَن يَدّعِيه باعتقاد خطئهم؛ لأَنَّه إنكارُ ما عُلِمَ بالضَّرورةِ، وأَجمعَ عليه الأئمّةُ.

كيف لا؟ مع أَنّ الأَئمّةَ الأَربعةَ الَّذين هم أَوتادُ الأَرضِ وأَركانُ الدّينِ وأُمناءُ الشّارعِ علَى شريعتِه أَخذُوا وقَرّرُوا مذاهبَهم، مع اطِّلاعِهم علَى مرادِ أَقوالِهم من الكتابِ والسُّنّةِ وأَقوالِ الصَّحابةِ، ومع الكشفِ الصّحيحِ، ومع اجتماعِ روحِ أَحدِهم بروح رسولِ الله صلّى الله عليه وسَلّمَ، [وسؤالِهم] عن كلِّ شيءٍ تَوَقَّفُوا عليه من الأَدلَّةِ؛ هل هذا من قولِك يا رسولَ الله أَم لا؟ يَقظةً ومشافهةً، بالشُّروطِ المعروفةِ بينَ أَهلِ الكشفِ، وكذلك كانُوا يَسأَلونَه عن كلِّ شيءٍ فَهِمُوه من الكتابِ والسُّنّةِ قبلَ أَن يُدوِّنُوه في كتبِهم و[يدينوا] الله به، ويقولون: يا رسولَ الله قد فَهِمْنا كذا من آيةٍ كذا، وفَهِمْنا من قولِك في الحديثِ الفلانيِّ كذا، فهلْ تَرتَضِيه أَم لا؟ ويَعملونَ بمقتضَى قولِه وإِشارتِه، وهذا من جملةِ كراماتِ الأَولياءِ بيَقينٍ، وإن لم تكنِ الأَئمّةُ المجتهدونَ أَولياء.. فما علَى وجهِ الأَرضِ وليٌّ أَبداً!. انتهى من أَوائلِ «ميزان» وليِّ الله الشَّعراني، فراجِعْه[2].

ومع هذا كيف يُوجدُ السَّبيلُ لدَعوى مَن نَشأَ في هذا الزّمانِ الأَخيرِ بما يُخالِفُ مذاهبَهم، وكيف يُقبلُ دعواه بما لم يُسلَّمْ لمثلِ الحافظِ جلالِ الدِّين السيوطيِّ الَّذي اجْتمَعَ مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم خمساً وسبعينَ مرّةً يقظةً ومشافهةً، وحَفظَ مائتَي ألفِ حديثٍ، وزادَتْ مؤلَّفاتُه علَى خمسمائةٍ، كما قالَه العارفُ الشعرانِيُّ وغيرُه؟

---

(١) لعله: تعارضا.

(٢) «الميزان الكبرى» (ص٣١).

فهل لم يَقفُوا علَى مثلِ حديثِ ابنِ عبّاسٍ، أَو لم يَفهمُوا مضمونَه، أَم تكلّمُوا بما يُخالفُه عالمينَ به؟ لا! بل وَجدُوه لا يُخالفُ لما قرّرُوه، فحَذراً حَذراً عن مخالفتِهم، وخاصّةً عن مخالفةِ الإمامِ الشّافعيِّ الَّذي هو قطبُ الوجودِ، وإليه أشارَ بقولِه عليه السّلام: «**عَالِمُ قُرَيْشٍ يَمْلَأُ طِبَاقَ الْأَرْضِ عِلْماً**»(١)؛ لئَلَّا تُحرَمَ من بركاتِهم، وتَندَمَ عندَ [شفاعتِهم]؛ لأَنَّ جميعَ الأَئمّةِ المجتهدِينَ يَشفعونَ في أَتباعِهم، ويلاحِظُونَهم

(١) قال الإمامُ العجلوني رحمه الله تعالى في «كشف الخفاء» (٢/ ٦١): (رَواه أَحمدُ بصيغة التَّمريضِ، ورَواه الطّيالسي في «مسنده» عن ابن مسعودٍ مرفوعاً بلفظ: «لَا تَسُبُّوا قُرَيْشاً، فَإِنَّ عَالِمَهَا يَمْلَأُ الْأَرْضَ عِلْماً، اللهمَّ إِنَّكَ أَذَقْتَ أَوَّلَهَا عَذَاباً وَوَبَالاً، فَأَذِقْ آخِرَهَا نَوَالاً». وفي سندِه الجارود مجهول، والرَّاوي عنه مختلفٌ فيه.

لكن له شواهد منها: ما في «تاريخ بغداد» للخطيب عن أَبي هريرة رفعه: «اللهمَّ اهْدِ قُرَيْشاً، فَإِنَّ عَالِمَهَا يَمْلَأُ طِبَاقَ الْأَرْضِ عِلْماً، اللهمَّ كَمَا أَذَقْتَهُمْ عَذَاباً فَأَذِقْهُمْ نَوَالاً»، دَعا بها ثلاثَ مرّاتٍ، وفي سندِه راوٍ ضعيفٌ، ورواه أَيضاً البيهقي في «المدخل» عن ابن عبّاسٍ، ورواه التّرمذي، وقالَ: حسن، والإمام أَحمدُ بلفظ: «اللهمَّ اهْدِ قُرَيْشاً، فَإِنَّ عِلْمَ الْعَالِمِ مِنْهُمْ يَسَعُ طِبَاقَ الْأَرْضِ»، وهو منطبق كما قالَ أَحمد وغيرُه على إمامنا الشافعي، ويُؤيّدُه قولُه في «المدخل»: إذا سُئلتُ عن مسأَلةٍ لا أَعرفُ فيها خبراً.. أَخذتُ فيها بقولِ الشافعي؛ لأَنّه إمام عالم من قريشٍ، ورُوي عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسَلّمَ أَنّه قالَ: «عَالِمِ قُرَيشٍ يَمْلَأُ الْأَرضَ عِلماً». انتهى.

قالَ الحافظُ العراقي: وليس بموضوعٍ كما زَعمَ الصغاني؛ إذ كيف يذكرُ الإمامُ أَحمدُ حديثاً موضوعاً يحتجّ به، أَو يستأنسُ به للأَخذ في الأَحكامِ بقولِ شيخِه الإمام الشَّافعي؟! وإنّما أَوردَه بصيغةِ التَّمريضِ احتياطاً للشكِّ في ضعفِه، فإنّ إسنادَه لا يَخلو عن ضعفٍ، وقد جمعَ الحافظُ ابن حجرٍ طرقَه في كتاب سَمّاه: «لذة العيش في طرق حديث الأَئمة من قريش»، وبه يُعلم أَنّه حسن، وصَرّحَ بذلك التّرمذي، ونقله النجم عن «المدخل» للبيهقي عندَ أَحمد بلفظ: «عَالِمُ قُرَيشٍ يُطْبِقُ الْأَرْضَ عِلْماً»، ثمّ قالَ: ورواه الحاكمُ والأبدي كلاهما في المناقب عن علي بلفظ: «لَا تَؤُمُّوا قُرَيْشاً، وَأْتَمُّوا بِهَا، وَلَا تَقَدَّمُوا عَلَى قُرَيْشٍ وَقَدِّمُوهَا، وَلَا تُعَلِّمُوا قُرَيْشاً وَتَعَلَّمُوا مِنْهَا، فَإِنَّ أَمَانَةَ الْأَمِينِ مِنْ قُرَيْشٍ تَعْدِلُ أَمَانَةَ اثْنَيْنِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَإِنَّ عِلْمَ عَالِمِ قُرَيْشٍ يَسَعُ طِبَاقَ الْأَرْضِ»، وفي رواية الأبدي: «فَإِنَّ عِلْمَ عَالِمِ قُرَيْشٍ مَبْسُوطٌ عَلَى الْأَرْضِ»، ورواه القضاعي عن ابنِ عبّاس بلفظ: «اللهمَّ اهْدِ قُرَيْشاً، فَإِنَّ عِلْمَ الْعَالِمِ مِنْهُمْ يَسَعُ طِبَاقَ الْأَرْضِ، اللهمَّ أَذَقْتَ أَوَّلَهَا نَكَالاً، فَأَذِقْ آخِرَهَا نَوَالاً»، ورجاله رجال الصَّحيح إلّا إسماعيل بن مسلم ففيه مقال.

قالَ البيهقي وابنُ حجرٍ: طرق هذا الحديثِ إذا ضمّت بعضها إلى بعضٍ.. أَفادت قوة، وعُلمَ أَن للحديثِ أَصلاً). انتهى.

في جميعِ شدائدِهم في الدُّنيا والبرزخِ ويومَ القيامةِ، حتّى يُجاوزُوا الصِّراطَ كما قالَه الشَّعرانِيُّ أيضاً في أوائلِ «الميزان»[١].

ولذلك قالَ أيضاً: (فيا سعادةَ مَن أطلَعَه الله تعالى علَى عينِ الشريعةِ الأُولَى كما أطلعنَا، ورَأَى أنّ كلَّ مجتهدٍ مصيبٌ، ويا فَوزه ويا كثرةَ سرورِه إذا رَآه جميعُ العلماءِ يومَ القيامةِ، وأَخذُوا بيدِه، وتَبسّمُوا في وجهِه، وصارَ كلُّ واحدٍ يُبادرُ إلى الشّفاعةِ فيه، ويُزاحمُ غيرَه علَى ذلك يقولُ: ما يشفعُ به إلا أنا، ويا ندامةَ مَن قَصّرَ في السّلوكِ، ولم يَصلْ إلى شهودِ العينِ الأُولى من الشّريعةِ، ويا ندامةَ مَن قالَ: إنّ المصيبَ واحدٌ والباقي مُخطئٌ، فإنّ جميعَ من خَطّأَهُم [يَعبِسُونَ] في وجهِه؛ لتخطئتِه لهم وتَجريحِهم بالجهلِ وسوءِ الأَدبِ وفهمِه السَّقيمِ). انتهى منه[٢].

فكيف يكونُ ندامةُ مَن يقولُ: إنّ الكلَّ مخطؤونَ؟ أَعاذَنا الله منه، فتَأَمَّلْ أَيّها الأَخ الغُمُوقيُّ، ولا تسرعنَّ إلى تَخطئةِ الأَئمّةِ العظامِ، فإنّا لا نَصلُ إلى غبارِ نعالِهم، فكيف نَجترئُ علَى مخالفةِ مذاهبِهم؟ هذا!

ثُمّ نَسردُ ونَجمعُ أَقوالَ الفقهاءِ العظامِ هنا؛ ليُقتدَى به والعمل بما فيها وإن آلَ الأَمرُ إلى الإطالةِ والسَّآمةِ؛ **لأَنَّ سَبيلَ الإفتاءِ في العُصُرِ المتَأخّرةِ النَّقلُ والرِّوايةُ؛ لانقطاعِ الاجتهادِ منذ أَزمنةٍ كما صَرَّحُوه**، لكنَّ هذه المسأَلَةَ الطَّلاقيّةَ خفيتْ علَى بعضِ أَكابرِ علماءِ داغستانَ تَبعاً بالصالح اليَمنيِّ الَّذي أَسّسَ لابتداعِ مخالفةِ الأَئمّةِ في حقِّ الطَّلاقِ وغيرِه، نظراً إلى ظواهرِ أَحاديث مثل ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنه، مع أَنّ لها محاملَ وتأويلاتٍ مقبولةً لا تخفَى، كما حَرّرَها المحَقّقُ نورُ الله الزُلديُّ نقلاً من كلام شيخِنا القُرُوشيِّ وغيرِه، وهي غيرُ مخفيّةٍ علَى الأئمّةِ الأَربعةِ أَيضاً.

(١) «الميزان الكبرى» (ص ٨).

(٢) «الميزان الكبرى» (ص ٢١).

ولذلك[1] اتَّفقُوا حتَّى أَهل السُّنةِ والجماعة مبتدأً من زمنِ خلافةِ عمرَ بنِ الخطّابِ رضي الله عنه إلى هذا الأَوانِ علَى وقوعِ طلاقِ مَن طَلّقَ ثلاثاً في مجلسٍ مرّةً واحدةً وقوعاً بائناً لا رجعةَ فيه.

فعبارةُ «النهاية» و«المغني»: (فهو - أَي: وقوعُ الطلاقِ الثلاث مرّة - ما اقْتصرَ عليه الأَئمّةُ، ولا اعتبارَ بما قالَه طائفةٌ من الشِّيعةِ والظاهريّةِ؛ من وقوعِ واحدةٍ فقط وإن اختارَه من المتأَخّرينَ مَن لا يُعبأُ به). انتهى[2].

وعبارةُ ابنِ حجرٍ في شرح «المنهاج»: (وأَمّا وقوعهنَّ معلّقةً كانتْ أَو منجّزةً.. فلا خلافَ فيه يُعتدُّ به.

وقد شَنّعَ أَئمّةُ المذاهبِ علَى مَن خالفَ فيه، وقالُوا: اختارَه من المتأَخّرينَ مَن لا يُعبأُ به، فأَفتَى به واقتدَى به مَن أَضلَّه الله وخَذَلَه.

وأَمّا خبرُ مسلم عن ابنِ عبّاس رضي الله عنهما: «كان الطلاقُ الثلاثُ علَى عهدِ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسَلّمَ وأَبي بكرٍ وسنتَيْنِ من خلافةِ عمرَ واحدةً».. فجوابُه: أَنّه).. إلخ. انتهى[3].

وعبارةُ «بغية المسترشدين»: (لو فُرِضَ أَنّ الكلَّ بمجلسٍ واحدٍ.. فتقعُ الثلاثُ أَيضاً، ولا عبرةَ بقولِ الزَّيديّةِ؛ لخرقِهمُ الإجماعَ الفعليَّ من البينونةِ الكبرَى بالثَّلاثِ مطلقاً، فيَجبُ نقضُ الحكمِ في هذه كالَّتي قبلَها علَى كلِّ مَن قَدَرَ عليه، بل مَن قَدرَ

(١) أَي: لأَن لها محاملَ وتَأويلاتٍ مقبولةً.

(٢) «نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج» (٧/ ٨)، و«مغني المحتاج» (٤/ ٥٣٩).

(٣) فجوابُه: أَنّه فيمَن يفرقُ اللّفظَ، فكانُوا أَوّلاً يُصدَّقونَ في إرادةِ التّأكيدِ؛ لديانتِهم، فلمّا كَثُرتِ الأَخلاطُ فيهم.. اقْتضَتِ المصلَحةُ عدمَ تصديقهم، وإيقاعَ الثلاثِ عليهم. «تحفة المحتاج بشرح المنهاج» (٨/ ١٦٤).

علَى نَقضِه وردِّه فلَمْ يَفعلْ.. فهو فاسقٌ باعتقادِه المنكرَ معروفاً، لا سيّما والزّوجانِ شافعيّانِ). انتهى[1].

فتأمَّلْ أَيّها المحقّقُ الغُمُوقيُّ هذا التَّهويلَ العظيمَ، كيف نَسبُوا المفتيَ بذلك والمقتدِيَ به إلى الضّلالةِ والخِذلانِ، وجَعلُوا عدمَ الإنكارِ عليه من الفسقِ والعصيانِ، وقد قالُوا - وسَيأتي -: إنّه يُنقضُ حكمُ مقلّدٍ بما يُخالِفُ نصَّ إمامِه، وما يُنقضُ القضاءُ فيه لا يَجوزُ تقليدُه، فتَأمّلْ.

وإذا ثَبتَ إجماعُ الأَئمّةِ علَى وقوعِ الثلاثِ إذا طَلّقَ ثلاثاً مرّةً واحدةً.. فلا يَجوزُ الفَتوى بما يُخالفُهم، ولا العملُ ولو لنفسِه تقليداً لغيرِهم ولو كانَ المقلَّدُ صحابيّاً لهذه النُّقولِ الآتيةِ.

فعبارةُ «شرح جمع الجوامع» قُبيلَ الكتابِ السّادسِ: («وفي تقليدِه» أَي: الصّحابي «قولانِ» المحقّقونُ علَى المنعِ؛ «لارتفاعِ الثقةِ بمذهبِه [إذ] لم يُدوَّنْ» بخلافِ كلٍّ من الأَئمّةِ الأَربعةِ لا لنقصِ اجتهادِه عن اجتهادِهم). انتهى[2].

وعبارةُ «ابن حجر»: (قالَ ابنُ الصّلاح: ولا يَجوزُ إجماعاً تقليدُ غيرِ الأئمّةِ الأَربعةِ في قضاءٍ ولا إفتاءٍ، بخلافِ غيرِهما). انتهى[3].

وعبارتُه في «الفتح المبين شرح الأربعين» من الحديثِ الثّامنِ والعشرينَ: (قالَ بعضُ أئمّتِنا: لا يَجوزُ تقليدُ غيرِ الأئمّةِ الأَربعةِ رضوان الله عليهم؛ لأَنَّ هؤلاءِ قد

(١) «بغية المسترشدين» (٢/ ٥١٥).

(٢) «البدر الطالع في حل جمع الجوامع» (ص ٣٣١).

(٣) «تحفة المحتاج بشرح المنهاج» (١٠/ ٢٧٩).

عُرفتْ قواعدُ مذاهبِهم، واستَقرَّتْ أَحكامُها، وخَدمَها تابعوهُم، بخلافِ غيرِهم، فإنّ مذاهبَهم لم تُدوَّنْ ولم تُحرَّرْ). انتهى[١].

وعبارةُ «القول السّديد في أَحكام التّقليد»: (قد ذَكرَ بعضُ أَولياءِ الله تعالى الصّالحينَ أَنّه كشفَ له أَنّ الله لا يُعذِّبُ مَن عَملَ في المسألةِ بقولِ إمامٍ مجتهدٍ من الَّذين يَجوزُ تقليدُهم، وهم الأَئمّةُ الأَربعةُ المدوَّنة مذاهبُهم.

وأَمّا المجتهدونَ السّابقونَ.. فلا؛ للجهلِ بضوابطِ الأَحكامِ عندَهم، لفقدانِ التَّدوينِ لتطاولِ السّنينَ). انتهى[٢].

وعبارةُ «المناوي الكبير على الجامع الصغير»: (لا يَجوزُ تقليدُ الصّحابةِ، وكذا التابعينَ من كلِّ مَن لم يُدوَّنْ مذهبُه، فيَمتنعُ تقليدُ غيرِ الأئمةِ الأربعةِ في القضاءِ والإفتاءِ؛ لأَنّ مذاهبَ الأربعةِ انْتشرَتْ وتحرّرَتْ حتى [ظَهرَ] تقييدُ مطلقها).. إلخ. انتهى[٣].

وعبارةُ السَّمهوديِّ في «عقد الفريد في أَحكام التّقليد»: (قالَ محقّقُ الحنفيّةِ الكمالُ بنُ الهمام: نَقلَ الإمامُ الفخرُ الرَّازي إجماعَ المحقّقينَ علَى منعِ العوامِّ من تقليدِ أَعيانِ الصّحابةِ، بل يُقلِّدُونَ مَن بعدَهم، الَّذين سَبرُوا ووَضعُوا ودَوّنُوا.

وعلَى هذا ما ذَكرَ بعضُ المتأَخّرينَ؛ من منعِ تقليدِ غيرِ الأَربعةِ؛ لانضباطِ مذاهبِهم، وتقييدِ مسائِلهم، وتخصيصِ عمومِها، ولا يُدرى مثلها في غيرِهم؛ لانقراضِ أَتباعِهم، وهو صحيحٌ). انتهى[٤].

(١) «فتح المبين بشرح الأربعين» (ص ٤٧٤).

(٢) «القول السديد في بعض مسائل الاجتهاد والتقليد» (ص ٥٧).

(٣) «فيض القدير» (١/ ٢١٠).

(٤) «العقد الفريد في أحكام التقليد» (ص ١٣٩).

فإن كنتَ أَيّها الغُمُوقيُّ لم تَبلُغْ مرتبةَ الاجتهادِ.. يَجبُ عليك التَّقليدُ لأَحدِ الأَئمّةِ الأَربعةِ.

فعبارةُ «الإقناع على أَبي شجاع»: (أَمّا المقلِّدُ لمذهبِ إمامٍ خاصٍّ.. فليس عليه غيرُ معرفةِ قواعدِ إمامِه، ولْيُراعِ فيها ما يُراعِي المطلَقُ في قوانينِ الشرعِ، فإنَّه مع المجتهدِ كالمجتهدِ مع نصوصِ الشرعِ، ولهذا ليس له أَن يَعدلَ عن نصِّ إمامِه، كما لا يسوغُ الاجتهادُ مع النصِّ). انتهى[1].

وعبارةُ السَّمهُوديِّ في أَوّلِ «عقد الفريد»: (ويَجبُ التّقليدُ علَى من لم يَبلغْ درجةَ الاجتهادِ المطلَقِ عامِّيّاً محضاً أَو غيرَه.

ولو بَلغَ رتبةَ الاجتهادِ في بعضِ مسائلِ الفقهِ، أَو بعضِ أَبوابِه كالفرائضِ.. فيُقلِّدُ فيما لا يَقدرُ علَى الاجتهادِ، بناءً علَى القولِ بتَجزُّؤِ الاجتهادِ، وهو الرَّاجحُ). انتهى[2].

وعبارةُ «ابن حجر» في فصل «ليَكتُب الإمامُ»: (ونَقلَ القَرافِيُّ وابنُ الصّلاحِ الإجماعَ علَى أَنّه لا يَجوزُ الحكمُ بخلافِ الرّاجحِ في المذهبِ، وبعدمِ الجوازِ صَرَّحَ السبكيُّ في مواضعَ من «فتاواه» في الوقفِ وأَطالَ، وجَعلَ ذلك من الحكم بخلافِ ما أَنزلَ الله؛ لأَنَّ الله تعالى أَوجبَ علَى المجتهدينَ أَن يَأخذُوا بالراجحِ، وأَوجبَ علَى غيرِهم تقليدَهم فيما يَجبُ عليهم العَملُ). انتهى[3].

(١) «الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع» (٢/ ٦٠٦).

(٢) «العقد الفريد في أحكام التقليد» (ص ٥٤).

(٣) «تحفة المحتاج بشرح المنهاج» (١٠/ ٢٧٨).

وعبارتُه من الطَّلاقِ في مسألَةِ الدّورِ: (ولو حَكَمَ به حاكمٌ مقلّدٌ للشافعيِّ لم يَبلُغْ رتبةَ الاجتهادِ.. فحكمُه كالعدمِ. ويُؤيّدُه قولُ السبكيِّ: الحكمُ بخلافِ الصّحيحِ في المذهبِ مندرجٌ [في الحكمِ] بخلافِ ما أَنزَلَ الله تعالى). انتهى[1].

وكَتبَ عليه القُدُقيُّ: وهذا صريحٌ في ترجيحِ ما يَأتي عن القَرافِيِّ أَنّ ما خالفَ القواعدَ مثلُ ما خالفَ النّصَّ في نقضِ حكمِ الحاكمِ به، كما يَأتي به في القضاءِ، فراجِعْه. انتهى.

ومن هنا قالُوا: دليلُ المقلِّدِ قولُ المجتهدِ، ودليلُ العامّيِّ قولُ المفتِي.

وعبارتُه من القضاءِ: (المقلِّدُ مع المجتهدِ كالمجتهدِ مع نصوصِ الشّرعِ؛ ومن ثَمّ لم يكنْ له العدولُ عن نصِّ إمامِه كما لا يَجوزُ الاجتهادُ مع النصِّ). انتهى[2].

ومثلُه فيه في بيانِ شروطِ القاضي، وعبارتُه من ذلك الفصلِ: (و[يُنقضُ] أَيضاً حكمُ مقلِّدٍ بما يُخالِفُ نصَّ إمامِه؛ لأَنّه بالنِّسبةِ إليه كنصِّ الشارعِ بالنِّسبةِ للمجتهدِ، كما في «أَصل الرّوضةِ» واعتَمدَه المتأَخّرونَ.

وأَلحقَ به الزَّركشيُّ حكمَ غيرِ متبحّرٍ بخلافِ المعتمدِ عندَ أَهلِ المذهبِ، أَي: لأَنّه لم يَرْتَقِ عن [رتبةِ] التَّقليدِ). انتهى[3].

وعبارتُه أَيضاً من كتابِ القضاءِ: (ونَقلَ ابنُ الرِّفعةِ عن الأَصحابِ؛ أَنّ الحاكمَ المقلِّدَ إذا بانَ حكمُه علَى خلافِ نصِّ مقلَّدِه.. نُقِضَ حكمُه. وصَرّحَ ابنُ الصّلاحِ

---

(١) «تحفة المحتاج بشرح المنهاج» (٨/ ٢٢٤).

(٢) «تحفة المحتاج بشرح المنهاج» (١٠/ ٢٠٧).

(٣) «تحفة المحتاج بشرح المنهاج» (١٠/ ٢٧٨).

كما مرَّ بأَنّ نصَّ إمامِ المقلّدِ في حقِّه كنصِّ الشَّارعِ في حقِّ المقلَّد، ووَافقَه في «الروضة»). انتهى[١].

وهكذَا في «بغية المسترشدين» في مواضعَ، فراجِعْه.

وإن كنتَ تَدّعي مرتبةَ الاجتهادِ لك.. يقالُ لك مثلُ ما قالَ «بغية المسترشدين» وغيرُه لمثلِك، وهو هذا:

(فهذا الشخصُ المذكورُ المدَّعي [الاجتهادَ] يَجبُ عليه الرُّجوعُ إلى الحقِّ، ورفضُ الدَّعاوي الباطلةِ.

وإذا طَرحَ مؤلَّفاتِ أَهلِ الشّرعِ.. فلَيتَ شِعري بماذا يَتمسّكُ؟!

فإنَّه لم يدركِ النبيَّ صلَّى الله عليه وسَلّمَ، ولا أَحداً من أَصحابِه رضوانُ الله عليهم، فإن كان عندَه شيءٌ من العلمِ.. فهو من مؤلَّفاتِ أَهلِ الشرعِ.

وحيثُ كانتْ علَى ضلالةٍ.. فمِن أَين وقعَ علَى الهدَى؟! فلْيُبيِّنْه لنا، فإنّ كتبَ الأَئمّةِ الأَربعةِ رضوانُ الله عليهم ومقلّديهم جُلُّ مأخذِها من الكتابِ والسُّنّةِ، وكيف أخذَ هو ما يُخالِفُها؟

ودَعواه الاجتهادَ اليومَ في غايةِ البعدِ، كيف وقد قالَ الشيخانِ وسَبقَهما الفخرُ الرَّازي: الناسُ اليومَ كالمجمعينَ علَى أنَّه لا مجتهدَ؟!

ونَقلَ ابنُ حجرٍ عن بعضِ الأُصوليّينَ: أَنّه لم يُوجدْ بعدَ عصرِ الشافعيِّ مجتهدٌ، أَي: مستقلٌّ.

---

(١) «تحفة المحتاج بشرح المنهاج» (١٠/ ٢٢٣).

وهذا الإمامُ السيوطيُّ مع سعةِ اطِّلاعِه وباعِه في العلومِ وتَفنّنِه بما لم يُسبقْ إليه ادَّعَى الاجتهادَ النِّسبيَّ لا الاستقلاليَّ، فلَم يُسلَّمْ له، وقد زادتْ مؤلَّفاتُه على الخمسمائةِ). انتهى[1].

وعبارةُ «المناوي الكبير» [بعدَ] كلامٍ طويلٍ في حقِّ ادِّعاءِ السيوطيِّ مرتبةَ الاجتهادِ له وإنكارهم عليه:

(قالَ الشّهابُ: فتَأمَّلْ صعوبةَ هذه المرتبةِ، أَعني: اجتهادَ الفتوَى، الَّذي [هو] أَدنى مراتبِ [الاجتهادِ] يظهر لك أَنّ مدّعِيها فضلاً عن مدّعِي الاجتهادِ المطلَقِ في حيرةٍ من أَمرِه، وفسادٍ في فكرِه، فإنّه ممَّنْ رَكِبَ متنَ عَمياء، وخَبَطَ خَبْطَ عشواءَ.

قالَ: ومَن تَصوّرَ مرتبةَ الاجتهادِ المطلَقِ.. اسْتَحى من الله تعالى أَن ينسبَها لأَحدٍ من أَهلِ هذه الأَزمنةِ، بل قالَ ابنُ الصّلاحِ ومَن تَبعَه: إنَّها انْقطَعتْ من نحوِ ثلاثمائةِ سنةٍ، بل نَقلَ ابنُ الصلاحِ عن بعضِ الأُصوليِّينَ؛ أَنّه لم يُوجَدْ في عصرِ الشافعيِّ مجتهدٌ مستقلٌّ. إلى هنا كلامُ الشهابِ.

ثُمّ قالَ: وإذا كانَ بينَ الأَئمّةِ نزاعٌ طويلٌ في أَنّ إمامَ الحرمَينِ وحجّةَ الإسلامِ الغزاليَّ وناهيكَ بهما؛ هل هما من أصحابِ الوجوهِ أَم لا؟.. فما ظَنُّك بغيرِهما؟! بل قالَ الأَئمّةُ في الرّويانيِّ صاحب «البحر»: إنّه لم يكنْ من أَصحابِ الوجوهِ، هذا مع قولِه: لو ضاعَتْ نصوصُ الشافعيِّ.. لأَمليتُها من صدرِي.

فإذا لم يَتأَهَّلْ هؤلاءِ الأَكابرُ لمرتبةِ الاجتهادِ المذهبيِّ.. فكيف يسوغُ لمنْ لم يَفهَمْ أَكثرَ عباراتِهم علَى وجهِها أَن يَدَّعي أَعلَى من ذلك؟ وهو الاجتهادُ المطلَقُ، سبحانَك هذا بهتانٌ عظيمٌ). انتهى[2].

(١) «بغية المسترشدين» (١/ ٥٦).
(٢) «فيض القدير» (١/ ١١).

وفي «الأنوار» عن الإمامِ الرافعيِّ: (الشافعيّةُ اليومَ كالمجمعِينَ علَى أنَّه لا مجتهِدَ اليومَ). انتهى[1].

وإن لم تَرجِعْ أيُّها الغُمُقيُّ عن دَعواك، ودُمتَ علَى الإفتاءِ بما يُخالفُ المذاهبَ الأَربعةَ مع أنّ ما خالفَ الأَربعةَ كالمخالفِ للإجماعِ، كما قالُوا.. يستحقّ أَن يقالَ في حقِّك - وإن لم نَقلْ - ما قالَ ابنُ حجرٍ الهيتميُّ في حقِّ ابنِ تيميةَ الَّذي قالَ: إنّ الطلاقَ الثلاثَ يُردُّ إلى واحدةٍ، وكانَ هو[2] قبلَ ادِّعائِه نَقَلَ إجماعَ المسلمينَ علَى خلافِه.

وهو[3]: (إنّه عبدٌ خَذلَه الله تعالى وأَضلَّه وأَعماه وأَصمَّه وأَذلَّه؛ إذ لم يَقصرْ اعتراضُه علَى متأخرِّي الصوفيّةِ، بل اعْترَضَ علَى مثلِ عمرَ بنِ الخطّابِ وعليِّ بنِ أَبي طالبٍ رضي الله عنهما، فلا يُقام لكلامِه وَزنٌ، بل يُرمَى في كلِّ وَعْرٍ وحَزَنٍ، ويعتقدُ فيه أَنّه مبتدعٌ ضالٌّ، فيا ليتَ شِعري من أَينَ يَحصلُ لك الصَّوابُ إذا أَخطأَ عليٌّ بزَعمِك كَرَّمَ الله وجهَه، وعمرُ بنُ الخطّابِ رضي الله عنه؟!

فممّا خَرقَ فيه الإجماعَ قولُه في «عليَّ الطّلاق»؛ بأَنّه لا يَقعُ عليه، بل عليه كفّارةُ يَمينٍ، ولم يَقلْ بالكفّارةِ أَحدٌ من المسلمينَ قبلَه، وأَنّ طلاقَ الحائضِ لا يَقعُ، وكذا الطّلاق في طهرٍ جامعَ فيه، وأَنّ الطّلاقَ الثّلاثَ يُردُّ إلى واحدةٍ، وكانَ هو قبلَ ادِّعائِه ذلك نَقلَ إجماعَ المسلمينَ علَى خلافِه).. إلخ. انتهى[4] من «الفتاوى الحديثيّة» لابنِ حجر الهيتميِّ بالاختصارِ، فراجِعْه في (٨٤).

---

(١) «الأنوار لأعمال الأبرار» (٢/ ٦٠٦).

(٢) أَي: ابن تيمية.

(٣) أَي: ما قاله ابن حجر.

(٤) «الفتاوى الحديثية» (ص٢٠١-٢٠٤).

تتمّةٌ:

فإن قُلتَ: ما معنى الطلاقِ، وما معنى تثليثِها، وما معنى قولِه تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾[1]، وهل لا يكفِي لحَلِّ عقدِ النكاحِ الطَّلقةُ الأُولَى، فما الحاجةُ إلى الثّانيةِ والثّالثةِ، وكيف يَحصلُ التّثليثُ بقولِ المطلِّقِ: طَلَّقتُ امرأَتي ثلاثاً مرّةً واحدةً، وهل هو مثلُ قولِ الرجلِ: أَحلفُ بالله ثلاثاً، وبعتُ هذا بهذا [ثلاثاً في] لَغويّةِ قولِه: ثلاثاً، والحلف والبيع مرّة واحدة، كما قالَه الغُمُقيُّ عن بعضِ الأَفاضيلِ؟

قلتُ والله أعلمُ: معنى الطّلاقِ [لغةً]: حَلُّ القيدِ، وشرعاً حَلُّ قيدِ النكاحِ بلفظِ الطّلاقِ ونحوِه، صرّح به في كتبِ الفقهِ من أَوّلِ كتابِ الطَّلاقِ.

ومعنى تثليثِ الطّلاقِ: تفريقُها علَى الحِلِّ الثلاثِ الحاصل [بالنكاحِ] والرَّجعةِ؛ إمّا بتفريقِها علَى الأَقراءِ الثلاثِ أَو أَقلَّ منها، أَو جمعِها مرّةً واحدةً بإرادةِ رفعِ جميعِها بتعجيلِ ما بعدَ الأُولى معها؛ لتَقدُّمِ أَحدِ سببي الحِلِّ - وهو النكاحُ الأُولى - علَى الآخرِ وهو الرَّجعةُ.

فإنّ حِلَّ الزَّوجةِ لزوجِها ثلاثةٌ كالطلاقِ، [الحِلُّ بالنكاحِ الأَوّلِ، فإذا رَفعَ بالطَّلقةِ الأُولى مرّةً ثُمّ رَاجعَ أَو جَدّدَ النكاحَ.. حَصلَ الحلُّ الثّاني][2] فإذا رَفعَ هذا الحِلَّ الثّاني بالطَّلقةِ الثَّانيةِ، ورَاجعَ أَو جَدّدَ النكاحَ.. حَصلَ الحلُّ الثالثُ، فإذا رَفعَ هذا الحِلَّ الثالثَ بالطَّلقةِ الثَّالثةِ.. لا تحلُّ له حتَّى تَنكحَ زوجاً غيرَه، وهذا معنى تثليثِ الطلاقِ.

---

(١) سورة البقرة: (٢٢٩).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ب)، والمثبت ما في «فتاوى مسلم العرادي».

وإذا طَلّقَها الزوجُ ثلاثاً مرّةً واحدةً، وأَرادَ قطعَ جميعِ علائقِ النكاحِ من الحِلَّيْنِ المشروطَيْنِ بالرَّجعةِ، وذَكرَ لفظاً دالًّا علَى رَفعِه.. فقد عَجّلَ في استئصالِهما[1] كما قالَه العراديُّ وسيأْتِي التَّفصيلُ.

ومعنى قولِه تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ الآيَةَ، مُبيّنٌ في كتبِ التَّفسيرِ، فعبارةُ القاضي والجلالِ السيوطيِّ في تفسيرِ سورةِ البقرة: (﴿ٱلطَّلَٰقُ﴾ أَي: التَّطليقُ الَّذي يُراجِعُ بعدَه ﴿مَرَّتَانِ﴾ أَي: اثنتانِ ﴿فَإِمۡسَاكُۢ﴾ أَي: فعليكُم إمساكهنَّ بعدَه؛ بأَن تُراجعُوهنَّ ﴿بِمَعۡرُوفٍ﴾ من غيرِ ضررٍ ﴿أَوۡ تَسۡرِيحُۢ﴾ بإرسالهنَّ ﴿بِإِحۡسَٰنٍ﴾). انتهى[2].

وكَتبَ عليه المحشّي شيخ زاده: (وقولُه: «التَّطليقُ الرَّجعي اثنتانِ» يَتناولُ الطّلقتَيْنِ اللَّتَينِ يُوقعُهما الزّوجُ علَى سبيلِ التّفريقِ، وما يُوقعُهما دفعةً واحدةً علَى سبيلِ الجمعِ، فإنّ الجمعَ بينَ الطلقتَينِ أَو الثلاث وإن لم يكنْ مسنوناً لكنَّه مباحٌ عندَ الشافعيِّ رضي الله عنه خلافاً لأَبي حنيفةَ رضي الله عنه؛ لأَنَّ الجمعَ في الإيقاعِ حرامٌ عندَه إلَّا أَنَّ الطَّلاقَ يَقعُ؛ لأَنّه وإن لم يكنْ سُنّيَّ الإيقاعِ سُنّيّ الوقوعِ). انتهى[3].

وعبارةُ «الفتوحات الإلهية»: (قولُه: «أَي: اثنتانِ» هذا اللّفظُ [يَصدقُ] بإيقاعِهما معاً أو مرتّباً، بل المتبادرُ منه المعيّةُ بخلافِ لفظِ «مرّتانِ»، فإنَّه ظاهرٌ في التَّعاقبِ وعدمِ المعيّةِ، فهو أَوضحُ في المرادِ، وذلك لأَنّ الأَولَى للمطلِّقِ أَن لا يُوقعَ الطّلقتَيْنِ دفعةً واحدةً، بل يُوقع كلَّ واحدةٍ في طُهرٍ). انتهى[4].

(١) الضمير راجع إلى «الحلين».

(٢) «تفسير الجلالين» (ص ٣٧).

(٣) «حاشية محيي الدين شيخ زاده» (٢/ ٥٥١).

(٤) «الفتوحات الإلهية» (١/ ٢٧٦).

وعبارةُ «تفسير الخازن»: (ومعنى الآيةِ: أَنّ الطلاقَ الرَّجعيَّ مرّتانِ، ولا رجعةَ بعدَ الثالثةِ إلّا أَن تَنكحَ زوجاً آخرَ، وهذا التفسيرُ هو قولُ مَن جَوّزَ الجمعَ بينَ الطَّلاقِ الثّلاثِ في دفعةٍ واحدةٍ وهو الشافعيُّ.

وقيلَ في معنى الآيةِ: التَّطليقُ الشّرعيُّ يَجبُ أَن يكونَ تطليقةً بعدَ تطليقةٍ علَى التَّفريقِ دونَ الجمعِ والإرسالِ دفعةً واحدةً، وهذا التَّفسيرُ هو قولُ مَن قالَ: إنَّ الجمعَ بينَ الثَّلاثةِ حرامٌ، إلّا أَنّ أَبا حنيفةَ قالَ: يَقعُ الثلاثُ وإن كان حراماً.

وقيلَ: إنّ الآيَةَ دالّةٌ علَى عددِ الطَّلاقِ الَّذي يكونُ للرجلِ فيه الرَّجعةُ علَى زوجتِه، والعددِ الَّذي تبينُ به زوجته منه). انتهى[1].

وعبارتُه من أَوّلِ سورةِ «الطَّلاق»: (ولا بدعةَ في الجمعِ بينَ الطَّلقاتِ الثَّلاثِ عندَ بعضِ أَهلِ العلم، فلَو طَلّقَ امرأتَه حالَ الطُّهرِ ثلاثاً.. لا يكونُ بدعيّاً، وهو قولُ الشافعيِّ وأَحمدَ، وذَهبَ بعضُهم إلى أَنَّه بدعةٌ، وهو قولُ مالكٍ وأَصحابِ الرَّأي). انتهى[2].

وهل لا يكفي لحَلِّ عقدةِ النكاحِ الطَّلقةُ الأُولى.. إلخ؟

أَقولُ: الطَّلقةُ الأُولى وإن كانتْ كافيةً لحَلِّ عقدةِ النكاحِ بعدَه [إلّا أَنّ الله تعالى مَنَّ علَى عبادِه بالرخصةِ للرَّجعةِ بعدَ الطَّلقةِ الأُولى أَو الثانية قبلَ انقضاءِ العدّةِ، وتجديد النكاحِ بعدَه][3]؛ ليمكنَ تدارك ندمِه إن وَقعَ برجعةٍ أَو تجديدِ نكاحٍ.

---

(١) «لباب التأويل في معاني التنزيل» (١/ ١٦١).

(٢) «لباب التأويل في معاني التنزيل» (٤/ ٣٠٦).

(٣) ما بينَ المعقوفين ساقط من (أ) و(ب)، والمثبت ما في «فتاوى مسلم العرادي».

ولذلك قالَ النوويُّ وابنُ حجرٍ: (ولا يَحرمُ جمعُ الطلقاتِ، ومع عدمِ حرمتِه هو خلافُ الأَولى من التفريقِ علَى الأقراءِ أَو الأَشهرِ؛ ليمكنَ تداركُ ندمِه إن وَقعَ برجعةٍ أو تجديدٍ). انتهى[1].

وعبارةُ «شيخ زاده» علَى الآية المذكورةِ: ثُمّ إنّه تعالى بَيّنَ أَنّ من الطَّلاقِ نوعاً يثبتُ للزَّوجِ بعدَه حقُّ المراجعةِ، ويكونُ هو بعدَه أَحقّ بردِّهنَّ بقولِه: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ ولم يَذكرْ أَنّ ذلك الحقَّ هل هو ثابتٌ له بعدَ ذلك النَّوعِ من الطَّلاقِ في جميعِ [مرّاتِ][2] وقوعِه، وإنّما يَثبتُ ذلك الحقُّ المذكورُ إذا بَلغَ الطَّلاق حدّاً معيّناً من المرّاتِ، فقالَ: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ بيّنَ به أَنّ الحقَّ المذكورَ إنّما يَثبتُ للزَّوجِ في ذلك النَّوعِ من الطَّلاقِ بشرطِ أَن لا يتَجاوزَ عن المرّتَينِ، وأَمّا إذا وَقعَ أَكثر من المرّتَينِ.. فلا يَثبتُ للزَّوجِ بعدَه حقُّ المراجعةِ. انتهى.

وعبارةُ «فتاوى الـجُوخيّ»: (**مسأَلة**: كيفَ يكونُ عقدُ النكاحِ واحداً والطلاقُ ثلاثاً، وما معنى الطلقاتِ، وكيف تَحصلُ تلك الثّلاثُ بالنكاحِ الواحدِ؟

فالجوابُ: أَقولُ: كما أَنّ الطَّلاقَ ثلاثةٌ [فالنكاحُ] أَيضاً ثلاثةٌ، ولا فرقَ بينهما في التَّثليثِ.

وبيانُه: أَنّه لو نكحَ واحدةً فطَلّقَها واحدةً.. فله أَن يُراجِعَها قبلَ انقضاءِ العدّةِ، وأَن يُجدِّدَ نكاحَها بعدَه بلا تَحليلٍ، فإذا جَدّدَ النكاحَ.. حَصلَ له نكاحانِ، ثُمّ إن طَلّقَها طلقةً ثانيةً.. فله أَيضاً إمّا المراجعةُ أَو التجديدُ، فإذا جَدّدَ النكاحَ.. حَصلَ له ثلاثُ نكاحاتٍ، فإذا طَلّقَ بعدَ هذا النكاحِ.. فلا تحلُّ له حتّى تَنكحَ زوجاً غيرَه،

(١) «تحفة المحتاج بشرح المنهاج» (٨/ ١٦٥).

(٢) في (أ) و(ب): مراعات، والمثبت ما في «فتاوى مسلم العرادي».

وبهذا ظَهرَ أَنَّ النكاحَ ثلاثةٌ كما أَنّ الطّلاقَ كذلك، كما [نُقلَ][1] من «العمدة» و«الروضة» وغيرِهما.

ثُمّ إنّهم اخْتلفُوا؛ هل يُمكنُ إيقاعُ الطلقاتِ الثلاثِ مرّةً واحدةً بلفظٍ واحدٍ أَم لا؟ فالأَئمّةُ الأَربعةُ علَى إمكانِه، وخالفَهم الصالحُ اليمنيُّ المكيُّ، وقالَ بامتناعِ ما زادَ علَى واحدةٍ حتّى تَتوسَّطَ رجعةٌ كما صَرّحَ به في مؤلَّفاتِه كـ«المنار» و«العَلم الشامخ».

وعبارةُ ما نُقلَ من «شرح الإرشاد»: الطلاقُ الثلاثُ عبارةٌ عن التَّعليقاتِ الثلاثةِ الَّتي تَتعلّقُ المواضعَ الثلاثة، وهي: الروحُ والفؤادُ والبَدنُ، فإذا طَلّقَ واحدةً.. ذَهبَ ثُلثُ محبّتِه، وإذا طَلّقَ ثنتَيْنِ.. ذَهبَ ثُلثاها، وإذا طَلّقَ ثلاثاً.. ذَهبَ كلُّها، وإذا ذَهبَ كلُّها.. حَرُمتْ عليه، وحَرُمَ هو عليها، فإذا نَوى المطلِّقُ هذا المعنى.. صَحَّ طلاقُه، وإلّا.. فلا). انتهى[2].

قولُه: وكيف يَحصلُ التثليثُ بقولِ المطلِّقِ: طَلّقتُ امرأَتي ثلاثاً مرّةً واحدةً، وهل هو.. إلخ؟

أَقولُ: وهذا من أَقوَى شبهِ مَن يَمنعُ الطلاقَ مرّةً، ويقولُ: لا يَقعُ به إلّا واحدة؛ لأَنَّ الطلقتَيْنِ اللّتَيْنِ أَوقعَهما الزّوجُ دفعةً واحدةً لا يقالُ: [إنّه] طَلّقَها مرّتَينِ، بل مرّة واحدة.

وسَبقَ إلى الاستشكالِ بهذا أَفضلُ علماءِ داغستانَ محمّدٌ القُدقيُّ تَبعاً لشيخِه صالح اليمنيِّ بقولِه: فإن قيلَ: حقيقةُ الطّلاقِ تَقتضِي رفعَ الحِلِّ الثابتِ بعقدِ النكاحِ أَو بالمراجعةِ، والطَّلقةُ الأُولى كافيةٌ في رفعِ الحلِّ الحاصلِ بالعقدِ، ثُمّ إن رَجعَ

---

(١) في (أ) و(ب): نقله، والمثبت ما في «فتاوى الچوخي».

(٢) «فتاوى الچوخي» (ص ٥٢٠).

فطَلّقَ يَرفعُ الطلقةُ الثانيةُ الحلَّ الحاصلَ بالرجعةِ، فكذا الثالثة، فلو طَلّقَ ثلاثاً دفعةً.. يَلزمُه إلغاءُ الثانيةِ والثالثةِ، وإلّا لزمَ تقدّمُ رفع الحِلِّ علَى حصوله وهو محالٌ بديهةً، ولذلك كان خيرُ القرونِ يَردُّونَ الثلاثَ إلى الواحدةِ، فالجواب. انتهى.

وأَجابَ [عنه] أَفقهُ علماءِ داغستانَ الحاج إبراهيم العرادي بعدَ أَن تَبعَهما أَوّلاً، فقالَ: **الجواب** جَمعَنا الله تعالى وإيّاكم في دارِ الكرامةِ؛ الطَّلقةُ الأُولى وإن كانتْ كافيةً لرفعِ الحلِّ الحاصلِ بالعقدِ من وجهٍ، لكنَّها ليستْ رافعةً من كلِّ وجهٍ؛ لأَنَّ من الحاصل بالعقدِ بالاتِّفاقِ الحلَّ المسبّبَ من الرَّجعةِ، فإنّ أَحدَ سببي الحلِّ المنسوب إلى الرَّجعةِ عقدُ النكاحِ، ولم يرفعْ بالطَّلقةِ الأُولى لعدمِ كمالِ حصولِه؛ لانتفاءِ أَحدِ سببَيْه، وهو الرّجعةُ، وعدمِ لفظٍ دالٍّ علَى إرادةِ رفعِه.

وأَمّا إذا أَرادَ المطلِّقُ التَّعجيلَ وأَوردَ لفظاً يَدلُّ علَى إرادةِ رفعِه كالمطلّقِ ثلاثاً.. فَرفْعُه به غيرُ محالٍ؛ لأَنّ قاعدةَ ذِي السّببَيْنِ جوازُ [تقديمِه] علَى أَحدِهما لا عليهما، كما في الكفّارةِ والزّكاةِ وطلاقِ الرّجعيّةِ.

والحاصلُ: أَنّ أَصلَ النكاحِ كما أَنّه أَفادَ الحِلَّ الّذي يَرفعُه الطَّلقةُ الأُولى أَسّسَ للحِلَّيْنِ المشروطَيْنِ بالرَّجعةِ بشُروطِها، فمَنْ طَلّقَ الثّلاثَ مرّةً مريداً لقطعِ جميعِ علائقِ النكاحِ.. فقد عَجّلَ في استئصالِهما بتَقديمِ الطّلقتَيْنِ علَى أَحدِ سببي الحلَّيْنِ، وهو الرَّجعةُ، فهو داخلٌ في تلك القاعدةِ الكُلّيّةِ الَّتي مَشى عليها الأَئمّةُ الأَربعةُ، وعَدُّوها من محاسنِ الشّريعةِ.

هذا علَى تقديرِ تسليمِ وجودِ أَفرادِ الحلِّ والطلاقِ، وأَمّا علَى ما قالَه شيخُ الإسلام نقلاً عن السبكيِّ؛ من أَنّ الطلاقَ حقيقةٌ واحدةٌ ليس له أَفرادٌ، لكن له

مراتب تُشعَّبُ الثّالثةُ النكاحَ تشعّباً أَكثرَ من الثّانيةِ، والثّانية أَكثرَ من الأُولى. انتهى..

فلا غبارَ في وقوعِ الثلاثِ مرّةً وإن كَثرَ فيه حِوارُ القضاةِ. انتهى.

ورضي عليه مُفتي الشافعيّةِ الشيخ الغزِّي وإن تكلَّمَ عليه مر العُرادي بما رَدَّه المحقّقُ السّيد عمر علَى «ابن حجر».

ثُمّ قالَ الحاج إبراهيم العُرادي: إنّ هذا الفقيرَ ابنَ الحاج العُرادي نَبّهَه الله تعالى علَى معنى وقوعِ الطّلقاتِ الثّلاثِ في مرّةٍ، ورَجعَ عن هذا الكلامِ، أَي: عدمِ الوقوعِ فيها، وبَلغَ إليه أَنّ محمّدَ بنَ موسى القُدقيَّ رَجعَ عن ترجيحِ هذا القولِ، وتابَ عنه، ربّنا تَجاوَزْ عنّا ما سبقَ من الخطأِ، واغفِرْ لنا وارْحَمنا وأنتَ خيرُ الرّاحمينَ. انتهى.

ورأَيتُ للمحقّقِ القُدُقيِّ في[1] تقريراتٍ أَفتَى فيها بوقوعِ طلاقِ مَن قالَ: «طَلّقْتُ امرأتِي ثلاثاً»، أَو قالَ: «دُرْ لَيبَكْ زَرْ طَمُنَ»، فهي تَدلُّ علَى رجوعِه أَيضاً عن مذهبِ شيخِه[2]، فتَأَمّلْ وحَرِّرْ.

فعُلمَ ممّا مرَّ فرقٌ أَيُّ فرقٍ بينَ قولِ الشّخصِ: «طَلّقْتُ امرأَتي ثلاثاً» وقولِه: «أَحلفُ بالله ثلاثاً، وبعتُ هذا بهذا ثلاثاً»؛ إذ الشارع رَبطَ الطلاقَ بعددٍ معيّنٍ داخلٍ في حقيقتِه الشَّرعيّةِ، أَو لازمٍ لها علَى اختلافٍ فيه، فجازَ إرادةُ التّعدُّدِ فيه، ويَقعُ ما نَواه لاحتمالِ لفظِه له، بخلافِ نحوِ البيعِ والحلفِ بالله، فإنّ التّعدُّدَ غيرُ معتبرٍ فيه، فلا يحتملُ لفظه، فقياسُ أَحدِهما علَى الآخرِ قياسٌ مع الفارقِ.

وعبارةُ «ابن حجر» في فصلٍ في تعدّدِ الطلاقِ بنيّةِ العددِ فيه: (إذا قالَ: طَلَّقتُكِ، أَو أَنتِ طالقٌ، ونَوَى [عدداً ثِنتَينِ] أَو ثلاثاً.. وَقعَ ما نَواه ولو في غيرِ موطوءةٍ؛ لأَنّ

---

(١) ساقطٌ من «فتاوى مسلم العرادي».

(٢) اليمني. هامش (أ).

اللّفظَ لمّا احْتَملَه بدليلِ جوازِ تفسيرِه به[1].. كانَ كنايةً فيه فوَقعَ قطعاً. واسْتُشكِلَ؛ بأَنَّه لو نَذرَ الاعتكافَ ونَوى أيّاماً.. ففي وجوبِها وجهانِ.

والَّذي يتَّجه في الفرقِ أَنّ التَّعدّدَ في الأَيّامِ خارجٌ عن حقيقةِ الاعتكافِ الشرعيّةِ؛ لأَنّ الشارعَ لم يَربِطْها بعددٍ معيَّنٍ، بخلافِ التَّعدّدِ في الطلاقِ فإنّه غيرُ خارجٍ عن حقيقتِه الشرعيّةِ، فكانَ المنويُّ هنا داخلاً في لفظِه؛ لاحتمالِه شرعاً، بخلافِه ثَمّ، فإنّه خارجٌ عن لفظِه، والنيّةُ وحدَها لا تُؤَثِّرُ في النّذرِ). انتهى[2].

وقالُوا أَيضاً: النيّةُ إنَّما تُؤثِّرُ فيما يَحتملُه لفظه دونَ غيرِه، هذا فراجِعْه.

وإذا كانَ الأَمرُ هكذَا، وأُجيبَ عن كلِّ ما استشكلَ علَى قولِ مَن قالَ بوقوعِ الطلاقِ الثلاثِ إذا طَلّقَها مرّةً واحدةً؛ من أَحاديث مثل ابنِ عبّاسٍ وشبهاتِ علماءِ داغستانَ، ولم يَبقَ مخالفةُ أَحدِهما بالآخرِ حقيقةً.. فما الحاجةُ إلى العدولِ عمّا اتَّفقَ عليه الأَئمّةُ الأَربعةُ، وأَجمعَ عليه أَهلُ السُّنّةِ والجماعةِ؟

وأَمّا نحنُ.. فلا نَجتَرئُ علَى مخالفتِهم، ونَقتدي بمذاهبِهم لنَتعلّقَ بذَيلِهم يومَ نَقومُ بينَ يَدي ربِّ العزَّةِ والكبرياءِ، اللهمَّ أَرنا الحقَّ حقّاً وارْزُقنا اتِّباعَه، وأَرنا الباطلَ باطلاً وارْزُقنا اجتنابَه، والله تعالى أَعلمُ وعِلمُه أَتمُّ وأَحكمُ.

حرّر في (٢٨) من صفر (١٣٢٩)[3] في حجرة طِنوسال، حفظه عن الفتنِ والأَهوالِ. مسلم العرادي رحمه الربُّ الهادي، آمين.

---

(١) أَي: تفسير اللَّفظ بالعددِ، أَي: بالمصدرِ العددي، كأَن يقال: أَنت طالقٌ ثلاثَ تطليقاتٍ، فإنَّ ثلاثَ تطليقاتٍ تَفسيرٌ لطالق. كردي. (ش: ٨/ ٥٩).

(٢) «تحفة المحتاج بشرح المنهاج» (٨/ ٩٩).

(٣) في «فتاوى مسلم العرادي»: ١٣٢٨.

[ما كتبه خَلِ أَحمدِلَوْ العُرادي في تصديقِ هذه التَّقريراتِ]

وقَد كَتبَ العالمُ المشهورُ الفقيهُ الصوفِيُّ خَلِ أَحمدِلَوْ العُرادي نَوّرَ الله مَرقدَه آمين، تصديقاً لهذه التّقريراتِ المذكوراتِ، هذه العباراتِ الآتيةَ:

بسمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيم

الحمدُ لله الواحدِ في ذاتِه وصفاتِه، وأُصلِّي علَى محمّدٍ الَّذي سَبّحَ الحصى في كفِّه.

أَمّا بعدُ: فإنّي نَظرتُ إلى هذه المنقولاتِ المزيّناتِ بنصوصِ الكتبِ مرّةً بعدَ مرّةٍ، وفَهمْتُ مضموناتِها، فتَعجَّبتُ من حسنِ استنباطاتِ هذه العلماءِ الثلاثةِ: نورِ الله وعبدِ الحميدِ ومسلم أَفندي أَحكاماً شرعيّةً ومسائلَ دينيّةً تَعمُّ بها البلوى في الدُّروسِ والفتاوى، وتمسُّ إليه الحاجةُ في العملِ والتَّقوَى[1]، وإدراكاتِهم[2] نصوصَ الكتبِ المعتمدةِ، وأَقوالَ الأَئمّةِ الأَربعةِ أَقطاب علماءِ الإسلامِ، جَزى الله سَعيَهم بجنّةِ عَدْنٍ، وأَنالهم من رضا الربِّ فوقَ ما يَتمنَّاهم، وأَدامَ الله بقاءَهم لإفاضةِ العلمِ علَى المستفيدِينَ، وتَحقيقِ الفتاوى علَى الخلائقِ آمين بحرمةِ «الفاتحةِ».

ثُمّ حَمدْتُ الله أَبلغَ حمدٍ إيجادَ أَمثالِ هذه العلماءِ في أَراضي داغستانَ في هذا الزّمانِ الَّذي خَبَتْ نارُ العلمِ، وماهتْ مركبُه، وتقامتْ أَرجلُه، ووَقعَ خريفُ العلمِ فتَناثَرتْ أَوراقُه، هذا!

فلَو تَذكَّرَ العالمُ الأَلمعِيُّ عليٌّ الغُمُوقيُّ وَصيّةً نفيسةً نَقلَها الشيخُ يوسف الأَردَبيليُّ في كتابِ «الأَنوار»: (عليكُم بالتعلّمِ ثُمّ التكلُّمِ)[3].. لمَّا اسْتعجَلَ الجوابَ،

(١) في (ب): «الفتوى» بدل «التقوى».

(٢) عطفٌ على «استنباطات».

(٣) «الأنوار لأعمال الأبرار» (٢/ ٦٨). وفيه: «عليك» بدل «عليكم».

خُلقَ الإنسانُ من عَجَلٍ، غَفرَ الله لنا وله، ورَزقَنا الهدايةَ والإصابةَ، آمين يا مجيبَ السّائلينَ.

وأَنا الكاتبُ الحاج خَلِ أَحمدِلَو العرادي، والسلامُ عليكُم، وأُوصي بالدُّعاءِ على كلِّ ناظرٍ. انتهى.

[مكتوبُ عليٍّ الغُمقيّ إلى المؤلِّفِ رَحمهما الله تَعالى]

وهذا الفقيرُ القَحيُّ رَحمَ الله إفلاسَه آمين لا يسيءُ ظنَّه بهذا الأَخ العالمِ المشهورِ عليٍّ الغُمُقيِّ رَزقَه الله الإنابةَ والاستقامةَ، بعدَما وَصلَ لديَّ من لَدنه هذه السّطراتُ الآتيةُ، وعبارتُه بعدَ السَّلامِ:

(وبعد: فقَد قَرأَ عليَّ سلامَكم صديقُنا حَجِعَلي، وأَدَّى إليَّ أَمانتَكم، فوَقعَ منِّي مَوقعَ الباردِ العذبِ من الظَّمآنِ، وإن كنتُ عَلمتُ برَحيلِه إليكم.. لكنتُ أَنا السّابقَ إلى التَّسليمِ عليكُم.

وأَمّا ما أَوصَيتُمونِي به؛ من ملازمةِ السُّنّةِ وأَهلِها.. فذلك هو الَّذي أوجبَ علَى المسلمينَ التواصي به في كتابِه[1] العزيزِ، وَفَّقَنا الله تعالى لامتثالِ أَوامره والاجتنابِ عن نَواهيه، والله يَعلمُ أَنّه ليس لي غرضٌ ولا مقصودٌ سوى الحقِّ واتِّباعِه، وسوى الكتابِ والسُّنّةِ واتِّباعِهما، مع تعظيمِ أَهلِهما والاعترافِ بمراتبِهم العاليةِ، وأَرجُو منكم أَن تُشيرُوا إليَّ بما تَعلمُونَ أَنَّني خالفتُ فيه السُّنّةَ والشَّريعةَ، فإنّ الإنسانَ لا يَرى عيبَ نفسِه، والمؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والنّصيحةُ واجبةٌ علَى المسلمينَ، والظنُّ أَنّه بَلغَكم عَنّي بعضُ ما تكرهُونَه، وأَنّي أُخالِفُ أَهلَ السُّنّةِ وأتبعُ المبتدعةَ، ولكن الَّذي أَعتقدُه أَنّ الَّذي سَلكتُه من الطُّرقِ هو طريقُ السلفِ الصالحينَ والأَئمّةِ

(١) علّه: كما في. هامش (ب).

المجتهدينَ أَعلَى الله درجاتِهم، ولا أَعرِفُ لنفسِي قولاً ولا عملاً إلّا وكبار أَئمَةِ السّلفِ والخلفِ كانُوا يَقولونَ به ويَعملونَ به، وتَشهَدُ لي بذلك ما عندِي من كُتبِهم رَحمَهم الله تعالى). انتهى من خطِّه مع بعضِ اختصارٍ.

وبعدَ هذا زالَ منِّي ما كانَ فِيَّ ممَّا كنتُ سَمعتُ من ذلك العالمِ المذكورِ؛ أَنَّه يَدّعِي الاجتهادَ لنفسِه، ويُقلِّدُ مذهبَ الوهّابيّةِ الَّذينَ اعْتزَلُوا عن مذاهبِ الأَئمَةِ في عدَّةِ مسائلَ، ولم يَظهرْ في الإسلامِ والمسلمينَ ضررٌ أَعظمُ من ضررِهم وفتنِهم[1]، كما هو مذكورٌ في «الدرر السنية» و«شواهد الحقّ» وغيرِهما، ولعلَّه تابَ ورَجعَ عمّا أَفتَاه في مسأَلةِ الطّلاقِ الثّلاثِ[2]، كما رَجعَ القُدُقيُّ والعراديُّ وغيرُهما، وتابُوا إلى الله، وصَرَّحُوا بقَلمِهم ذلك، كما عُلمَ ممَّا مرَّ، فإنّ الكلامَ قد وَقعَ بَينَه وبَينَ القُرُوشيِّ والزِنيِّ والعراديِّ في (١٣٢٩) وما كَتبَه من خطِّه وَقعَ في (١٣٤٤) فذا صريحٌ يُشعرُ أَنّه لا يُخالِفُ الأَئمّةَ المجتهدينَ ولا السّلف الصّالحينَ.

وأَمّا الوهّابيّةُ.. فلا يقالُ لهم: الأَئمّةُ المجتهدونَ، ولا السلفُ الصالحونَ، بل يقالُ: إنَّهم خوارجُ معتزلونَ، كما هو مذكورٌ في «نور المقابس» و«المدائح النبويّة» وغيرِهما من كتب أَهلِ السُّنةِ والجماعةِ، فلِلَّه الحمدُ والمنّةُ، وله الشّكرُ علَى هذه النِّعمةِ، فجَزى اللهُ الجميعَ بجنّةِ عَدْنٍ حيثُ اعْترَفُوا بعدَما عَرَفُوا الحقَّ، وهذا يُشعرُ علوَّ مراتبِهم، نَوّرَ الله مَراقدَهم، آمين.

ثُمّ اعلمْ أَيّها الأَخ الكريمُ: أَنّي لم أَجدْ واحداً من هؤلاءِ العلماءِ المذكورينَ نَقلُوا في تقريراتِهم شيئاً ممَّا في «كشف الغمة» للشَّعراني، مع أَنّ نقلَه أَليقُ وأَولَى،

---

(١) في (ب): (فتنتهم) بدل (فتنهم).

(٢) وقد صَرّحَ بخطِّه وقَلمِه في مكتوبٍ آخرَ كَتبَه في (١٣٤٥) بأَنّه لا يقولُ ولا يعملُ بقولِ اليمنيِّ، ولا بما رَواه ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنه، وهذا صريحٌ في رجوعِه ولله الحمدُ. (منه). هامش (أ) و(ب).

فإنَّه - رضي الله عنه وعنَّا بشفاعتِه وبركتِه آمين - معروفٌ لَدى علماءِ المذاهبِ الأَربعةِ بكثرةِ مناقبِه وفضائلِه، ولم يَشذَّ أَحدٌ منهم عن ذكرِ علوِّ مراتبِه وكراماتِه، وهو مشهورٌ عندَهم في معرفةِ استنباطاتِ المذاهبِ كلِّها صحيحِها وسقيمِها راجحِها ومرجوحِها، فقد قالَ رحمه الله بعدَ ذكرِ أَحاديثَ كثيرةٍ ما نَصُّه: (قالَ العلماءُ رضي الله عنهم: وهذا كلُّه يَدلُّ علَى إجماعِهم علَى صحّةِ وقوعِ الثّلاثِ بالكلمةِ الواحدةِ). انتهى[1].

ثُمّ ذَكرَ ما قالَه ابنُ عبّاسٍ وعمرُ رضي الله عنهما، وقالَ بعدَ ذلك: (وتَقدّمَ حديثُ أَنسٍ رضي الله عنه في غضبِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسَلّمَ علَى مَن جَمعَ الثّلاثَ تطليقاتٍ، ولَعلَّ ابنَ عبّاسٍ رضي الله عنه لم يَبلغْه هذا الحديث، فإنّه صلّى الله عليه وسَلّمَ جَعلَها ثلاثاً لا واحدةً). انتهى[2]. (٨١ ج٢).

والحديثُ المتقدّمُ هذا: (وقالَ أَنسٌ رضي الله عنه: «أُخبرَ رسول الله صلّى الله عليه وسَلّمَ من رجلٍ[3] طَلّقَ امرأتَه ثلاثَ تطليقاتٍ جميعاً، فقامَ غضبانَ، ثُمّ قالَ: **أَيُلْعَبُ بكِتَابِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ وأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ** حتَّى قامَ رجلٌ فقالَ: يا رسولَ الله أَلا أَقتلُه؟!»). انتهى[4]. فراجعْه في (٨٠ج٢).

ويكفِي لكلِّ مَن له ديانةٌ هذا القولُ من هذا العارفِ الموثوقِ به، ويكفِي له أَيضاً قولُ النوويِّ في «المنهاج» بالوقوعِ إذا جمعتْ في لفظةٍ، وناهيكَ بهما أَيّها الأَخ الكريمُ معرفةً بالحديثِ وطُرقِه.

---

(١) «كشف الغمة» (ص١٢٢).

(٢) «كشف الغمة» (ص١٢٢).

(٣) في «كشف الغمة» (ص١٢١)، وفي «سنن النسائي» (٣٤٠١): عن رجلٍ.

(٤) «كشف الغمة» (ص١٢١). أَخرجه النسائي (٣٤٠١).

قالَ ابنُ حجرٍ في «الصواعق» نقلاً عن بعضِ مُحقِّقي المحدِّثينَ بما لفظُه: (لم يأتِ بعدَ النوويِّ مَن يُدانيه في علمِ الحديثِ فضلاً عمَّن يُساويه). انتهى[1]، فراجعْه من أَوائلِ البابِ التّاسعِ قُدّامَ الحديثِ العاشرِ.

ولا يَخفى علَى عاقلٍ أَنّ الشُّذوذَ عن المذاهب الأَربعةِ وعلمائِها، والأَخذَ بمذهبِ ابنِ تيميةَ ومذهبِ اليمنيِّ وغيرِهما ممَّن مالُوا إلى ما مالَا إليه من بعضِ الظّاهريّةِ[2] والزَّيديّةِ[3] والمالكيّةِ[4] لا أَراه من الورعِ، بل ليس ذلك إلّا التهاون في الدِّيانةِ.

وفضائلُ الأَئمّةِ الأَربعةِ ومناقبُهم غنيةٌ عن البيانِ، فمَنِ اقْتدَى بهم.. اهْتدَى بلا ريبٍ، ومَن تَعدَّى عنهم.. فقد تَردَّى، والله وليُّ التَّوفيقِ والهدايةِ.

وفي «شواهد الحقّ»: (فقد ثَبتَ وتَحقّقَ وظَهرَ ظهورَ الشّمسِ في رابعةِ النّهارِ أَنّ علماءَ المذاهبِ الأَربعةِ قد اتَّفقُوا علَى ردِّ بدعةِ ابنِ تيميةَ، ومنهم مَن طَعنُوا في نَقلِه كما طَعنُوا بكمالِ عقلِه، فضلاً عن شدّةِ تشنيعِهم عليه في خطئِه الفاحشِ في تلك المسائلِ الّتي شَذَّ بها في الدِّينِ، وخالفَ فيها إجماعَ المسلمينَ). انتهى[5].

---

(١) «الصواعق المحرقة» (ص١٥٤).

(٢) ابن حزم. هامش هامش (أ) و(ب).

(٣) وهم المنسوبون إلى زيدِ بنِ علي، كما في «شرح المواقف»، وهم يُوافقون المعتزلةَ في أُصولهم كلِّها إلّا في مسألةِ الإمامةِ.. إلخ، كما في «خبيثة الأكوان». وفي «البغية»: (المبتدعةُ قسمانِ: قسمٌ يُكفَّرُ ببدعتِه.. إلخ، وقسمٌ لا يُكفَّرُونَ كالمعتزلةِ والقَدريّةِ والزَّيديَّة). انتهى. (٢٣٩) راجعْه، والسلام. هامش (أ) و(ب).

(٤) وهو أشهب. هامش (أ) و(ب).

(٥) «شواهد الحق» (ص١٤٢).

ومن بدَعِه هذه المسألةُ الَّتي كلامُنا فيها، ولأَجلِ عدمِ خلوِّ كُتبِه من الحشوِ قال النَّبهانِيُّ: (يَجبُ عليك الحذرُ التَّامُّ من كتبِ الإمامِ ابنِ تيميةَ وجماعتِه)[1]، وقالَ: (وبدعةُ ابنِ تيميةَ هذه من جملةِ البدعِ الشَّنيعةِ) انتهى[2].

وقالَ: (أَمّا من جهةِ منزلتِه [في الفقهِ] عندَ أَهلِ مذهبِه علماءِ الحنابلةِ.. فإنّا لا نَجدُها مثلَ منزلةِ ابنِ حجرٍ في الفقهِ عندَ علماءِ مذهبِه [الشَّوافعة]، بل كثيرٌ من أَئمّةِ الحنابلةِ مقدَّمُونَ عليه في الفقهِ، وإذا خالفَهم.. لا يُعوَّلُ علَى كلامِه ولا يُعتمدُ علَى ترجيحاتِه واختياراتِه عندَهم.

وكثيرٌ من أَقوالِه مرفوضةٌ بالكُلّيَّةِ في مذهبِ الإمامِ أَحمدَ، كقولِه بعدمِ وقوعِ الطّلاقِ الثّلاثِ بلفظٍ واحدٍ، وله مسائلُ شذَّ بها في مذهبِ الإمامِ أَحمدَ وخالفَ بها الصّحيح منه، رَدَّ عليهِ علماءُ المذهبِ ومنهم الحافظُ ابنُ رجبٍ الحنبليُّ.

والحاصلُ: أَنّ الحنابلةَ مع تعظيمِهم إيّاه غايةَ التَّعظيم لا يَعتبرُونَ آراءَه في الفقهِ، واختياراتِه في المذهبِ، ويَرفضُونَ كلَّ ما خالفَ به أَئمّةَ مذهبِهم من الأَقوالِ الَّتي نزعَ بها مَنزعَ الاجتهادِ، وخالفَ بها عندَهم سبيل السّدادِ.

وقد علمتَ أَنّ أَعرَفَ النّاسِ بالعالمِ علماءُ مذهبِه لكَثرةِ تدقيقِهم في أَقوالِه وأَحوالِه، وقد طَعنَ فيه أَيضاً كثيرٌ من علماءِ المذاهبِ الأُخرى، ونَفّرُوا النّاسَ منه خوفاً عليهم من الاقتداءِ به فيما اعترضُوا به عليه ممَّا خالفَ به أَئمّةَ الدّينِ وجمهورَ المسلمينَ في مسائلِه المعلومةِ وآرائِه الشَّاذّةِ المذمومةِ الَّتي استبدَّ بها مخالفاً مذهبَ أَئمّةِ الإسلامِ.

---

(١) «شواهد الحق» (ص١٥٣).

(٢) «شواهد الحق» (ص٢٠١).

وقد علمتَ ما لابنِ حجرٍ من الاعتبارِ في الدّرجةِ الأولَى عندَ أهلِ مذهبِه وغيرِهم، ولم ينسبْه أَحدٌ إلى ضلالةٍ أو بدعةٍ ابتدَعها ودَعا النّاسَ إليها، كما وَقعَ لابنِ تيميةَ، وإنّما هو إمامٌ مُتّبَعٌ لا مبتدِعٌ لم يَخرُجْ عن سيرةِ السّلفِ الصّالحينَ وأَئمّةِ الدّينِ.

إذا تقرّر ذلك.. فقد ظَهرَ ظهورَ الشّمسِ لكلِّ مَن عندَه أَدنَى إنصافٍ أَنّ ابنَ حجرٍ هو أَجلُّ من ابنِ تيميةَ في الدِّين قدراً، وأَحسنُ منه بينَ العلماءِ ذكراً، وأَعظمُ منه عندَ جمهورِ المسلمينَ فخراً، وأَنفعُ منه للأُمّةِ علماً، وأَصحُّ منه في الشَّريعةِ فهماً، وأَعرفُ منه وأَدركُ لحقائقِ الأَحكامِ المتعلّقةِ بدينِ الإسلامِ، وأَبعدُ منه عن الابتداعِ في الدِّينِ، وأَوثَقُ منه عندَ جمهورِ المسلمينَ.

فإذا اختلفَا.. فهو بلا شكٍّ أَولَى من ابنِ تيميةَ بأَن يَتبعَه مَن أَرادَ الاهتداءَ؛ لأَنّ ذلك فيه خلافٌ وهو[1] بالاتِّفاقِ إمام هُدى، فضلاً عن الأَوصافِ الجميلةِ الأُخرى الَّتي تَقضي بأَنّه بالاتِّباعِ أَولى وأَحرَى، ومَن خالفَ في ذلك بعدَ معرفتِه بما بيَّنتُه من الفرقِ بينَ هذَيْنِ الإمامَيْنِ.. فهو من أَهلِ العصبيّةِ والحميّةِ الجاهليّةِ.

ومثلُه[2] الإمامانِ؛ تقيُّ الدِّين السُّبْكيُّ وابنُه تاجُ الدّين، ولم نَسمَعْ قطُّ بأَحدٍ طَعنَ بصحّةِ نقلِ ابنِ حجرٍ، وكذا السُّبكي وابنه، فقد اتَّفقتِ الأُمّةُ على توثيقِهم كما اتَّفقتْ علَى كثرةِ علمِهم وتحقيقِهم، أَمّا ابنُ تيميةَ.. فقد طَعنَ بعضُ أَكابرِ العلماءِ من المذاهبِ الثَّلاثةِ بصحّةِ نقلِه، كما طَعنُوا بكمالِ عقلِه، كما تَقدّمَ في البابِ السّابقِ)[3]. «شواهد الحق» (١٥٧).

---

(١) ابن حجر. هامش (أ).

(٢) ابن حجر. هامش (أ).

(٣) «شواهد الحق» (ص٢١٩).

وفيه: (واعلمْ: أنّ استشهادَ صاحب «جلاء العينين» لتأييدِ زَلّاتِ ابنِ تيميةَ بكلامِ بعضِ العلماءِ من أَهلِ مذهبِه، أَو من شُذّاذِ المذاهبِ الأُخرَى، أَو ممَّن يَدّعُونَ الاجتهادَ ولا يَتقيَّدُونَ بمذهب مخصوصٍ، كعلماءِ الوهّابيّةِ.. لا يُفيده شيئاً؛ لأَنَّ الخطأَ إذا انضمَّ إلى الخطأِ لا يَجعلُه صواباً، والباطلَ إذا انضمَّ إلى الباطلِ لا يَجعلُه حقّاً، وليس من شرطِ ردِّ خطأِ المخطئِ أَن لا يُوافقَه علَى خطئِه أَحدٌ، [بل] متى نابذَ الحقَّ الظّاهرَ وحالَ عن الصّوابِ الباهرِ كابنِ تيميةَ في مسائلِه المعلومةِ.. كانَ مخطئاً، ومَن وَافقَه علَى ذلك.. هو أَيضاً مخطئٌ، وأَنت إذا قابلتَ بينَ من وَافقُوه ومن خالفُوه.. تَجد في مقابلةِ الأُلوفِ ممَّن خالفُوه واحداً ممَّن وَافقُوه، ولم [يَكتسبْ] بمُوافقتِهم له قوّةً علَى المخالفينَ، واكْتسبَ مَن وَافقَه السُّقوطَ عندَ جمهورِ المسلمينَ، وصار مجرّدَ العلمِ؛ بأَنّ العالمَ الفلانيَّ هو من شيعةِ ابنِ تيميةَ، أَو علَى رأيِهِ في تلك المسائلِ، مسقطاً له عندَ الأُمّةِ إلى الحضيضِ الأَسفلِ وإن كان هو من العلم في المحلِّ الأَكمَلِ، ويَقلُّ الانتفاعُ بعدَ ذلك بعلمِه، وينفر النّاسُ من كتبِه، ويدخلُ عليهم الشكُّ في صحّةِ كلِّ ما اشْتملَت عليه من العلمِ بسببِ ما ذَكرَه فيها؛ من الانتصارِ لابنِ تيميةَ وموافقتِه على زَلّاتِه المعلومةِ المذمومةِ.

والغالبُ أَنّ الموافقينَ له هم مثلُه من المدَّعينَ الاجتهادَ المتحكِّمينَ بآرائِهم في المسائلِ الشّرعيّةِ بالانفرادِ والاستبدادِ، الحائدِينَ في ذلك عن سبيلِ السَّدادِ، المخالِفِينَ لجمهورِ أَئمّةِ المسلمينَ في كثيرٍ من أَحكامِ الدِّين؛ إذ لم يُدركُوا من دقائقِ الشّريعةِ ما أَدركَه أَكابرُ الأَئمّةِ المجتهدينَ، فغَلطُوا فيها و[خَلطُوا] وتَهوّرُوا في بعضِ المسائلِ حتَّى سَقطُوا، وجُلُّهم من شُذّاذِ الحنابلةِ والوهّابيّةِ ومَن كان علَى شاكلتِهم، فموافقةُ هؤلاءِ لابنِ تيميةَ تَضرُّهم ولا تَنفعُه وتَخفضُهم ولا تَرفعُه، فلا

يُلتفتُ إليهم فيما خالفُوا فيه جمهورَ الأُمّةِ كما لا يُلتفتُ إليه، ولا يُعوّلُ عليهم في ذلك كما لا يُعوّلُ [عليه] لا سيّما في مسألةِ الزِّيارةِ والاستغاثةِ بخيرِ الأَنام عليه الصّلاةُ والسّلامُ، والله يُجازي كلًّا منهم علَى نيّتِه، ويَغفر لنا وإيّاهم جميعَ الذُّنوبِ والآثامِ). انتهى[1]. (١٥٨).

(وقد صَرفَ الله سبحانَه وتعالى القلوبَ عن كتب ابنِ تيمية مع أَنّ كتبَه كلَّها تَدلُّ علَى أَنّه من أَكابرِ أَئمّةِ الإسلام، إلّا أَنّه قَلّما يَخلُو كتابٌ منها من شُذوذٍ في مسائلَ يُخالفُ بها مذاهبَ المسلمينَ، ويشنّعُ علَى علماءِ الدِّين، ولا سيّما الأَولياء العارفين؛ كالشّيخ الأَكبرِ سيّدِي محيي الدِّين، فقد كَفّرَه وأَخرجَه من الدّينِ، مع أَنّ جمهورَ الأُمّةِ اتّفقُوا علَى أَنّه من أَكابرِ الأَولياءِ، وسَمَّوه سلطانَ العارفينَ.

وأَظنُّ بل أَتيقّنُ أَنّ السّببَ الوحيدَ لعدمِ انتفاع النّاسِ بكتبِ ابنِ تيميةَ وعلمِه، مع جلالةِ قدرِه شُذوذُه في تلك المسائلِ، واعتراضُه علَى هؤلاءِ الأكابرِ). انتهى[2] «شواهد» باختصارٍ وتصرّفٍ قليلٍ (١٥٧).

وقالَ ابنُ حجرٍ في «الفتاوى الحديثية»: (وإيّاكَ أَن تُصغِي إلى ما في كتبِ ابنِ تيميةَ وتلميذِه ابنِ قيّمِ الجوزيّةِ ممَّن اتَّخذَ إلهه هواه، وأَضلَّه [الله] علَى علمٍ، وخَتمَ علَى سمعِه وقلبِه، وجَعلَ علَى بصرِه غِشاوةً، فمَن يَهديه من بعدِ الله؟!). انتهى[3]. (١٤٨).

وفي «الشواهد»: (يَجبُ عليك الحذرُ التّامُّ من كتبِ الإمامِ ابنِ تيميةَ وجماعتِه). انتهى[4]. (١٠٥).

---

(١) «شواهد الحق» (ص٢١٩).

(٢) «شواهد الحق» (ص٢١٨).

(٣) «الفتاوى الحديثية» (ص٣٦٥).

(٤) «شواهد الحق» (ص١٥٣).

وفيه: (فالَّذي أَصابَ فيه فهو الأَكثرُ يُستفادُ منه، ويترحّمُ عليه بسببِه، والَّذي أَخطأَ فيه لا يُقلَّدُ فيه، أَي: كمسأَلةِ الزِّيارةِ والطَّلاقِ). انتهى[1]. (٩٨). نَقلَه من كلامِ الحافظ ابنِ حجرٍ.

وفيه ما حاصلُه: (أَنَّ ابنَ القيّمِ كانَ يقولُ بقولِ الشّيخِ ابنِ تيميةَ في مسألةِ الطّلاقِ، فأُوذيَ بسببِه). انتهى[2]. (١٣). نَقلَه من «القول الجلي».

وفيه: (أَمّا كونُهما من المبتدعةِ.. فمُسلّمٌ). انتهى[3]. نَقلَه من «شرح الشّمائل» للمناوي.

وقالَ النَّبهانِيُّ في «شواهد الحق» بعدَ نقلِه كلاماً: (وهذا من ملا علي القاري غايةُ الذّمِّ لابنِ تيميةَ). انتهى[4]. (٩٦).

وفيه بعدَ كلامٍ أَيضاً: (وإنّما ذَكرتُ عبارةَ المناوي؛ لأَنّها مصرّحةٌ بأَنَّ [كونَ] ابنِ القيّمِ وابن تيميةَ من المبتدعةِ أَمرٌ مسلّمٌ). انتهى[5]. (٩٦).

وفيه: (وهو - يعني: ابنَ حجرٍ - أَشدُّهم ردّاً علَى ابنِ تيميةَ، محاماةً عن الدّينِ، وشَفقةً علَى المسلمينَ من أَن يَسري إليهم شيءٌ من غلطاتِه الفاحشةِ). انتهى[6]. (٩٧).

---

(١) «شواهد الحق» (ص١٣٥).

(٢) «شواهد الحق» (ص١٣٦).

(٣) «شواهد الحق» (ص١٤١).

(٤) «شواهد الحق» (ص١٤١).

(٥) «شواهد الحق» (ص١٤١).

(٦) «شواهد الحق» (ص١٤٢).

وقالَ النَّبهانيُّ فيه بعدَ ذكرِه ما يَردُّ قولَ ابنِ تيميةَ في منع الزِّيارةِ: (وكلُّ المخالفينَ لو جمعُوا في سالفِ الأعصارِ.. لا يَجتمعُ منهم إلّا شِرذمةٌ في غايةِ القلّةِ، لو نَسبناها إلى ذلك الجمهورِ الأَعظمِ من علماءِ الأُمّةِ علَى اختلافِ المذاهبِ والمشاربِ.. لوَجدْنا في مقابلةِ كلِّ واحدٍ من المخالفينَ أُلوفَ أُلوفٍ من أُولئكَ الأَعلامِ، فضلاً عمَّن سواهُم من الخواصِّ والعوامِّ، وهذا وحدَه كافٍ لظُهورِ أَنّ الحقَّ مع السَّوادِ الأَعظمِ الَّذي يَجبُ اتِّباعُه عندَ وقوعِ الخلافِ، كما وَردَ عن الشّارعِ صلّى الله عليه وسَلّمَ، لا مع تلك الشِّرذمةِ القليلةِ). انتهى[1]. (٧٠).

وقالَ: (الفصلُ الثّالثُ في الكلامِ علَى كتابِ «جلاء العينَين في محاكمةِ الأَحمدَين»، وبيانِ أَنّ مؤلِّفَه نعمان أَفندي الآلُوسيَّ حَكمَ لابنِ تيميةَ بالميلِ وعلَى ابنِ حجرٍ بالمينِ.

وقد جاوزَ به الحدَّ في تَعصّبِه الشّديدِ ضِدَّ جماعةٍ من أَئمّةِ الإسلامِ وأَفرادِ العلماءِ الأَعلامِ، لا سيّما ابن حجرٍ الهيتمي والتَّقي السُّبكي وابنه تاج الدِّين، مؤيّداً ما شَذَّ به ابنُ تيميةَ في مسألتِه المعلومةِ الَّتي خالفَ بها الأُمّةَ المحمّديّةَ، وكانتْ أَصلاً لمذهبِ الوهّابيّةِ، ومَقتَه لأَجلِها جمهورُ أَئمّةِ الدِّين من أَهلِ المذاهبِ الأَربعةِ السَّنيّةِ، وهذا الكتابُ من أَضرِّ الكتب علَى من اطَّلعَ عليه من عوامِّ المسلمينَ والطَّلَبةِ القاصرينَ، فيَجبُ عليهم أَن يُعاملُوه معاملةَ الكتبِ المخالفةِ لمذاهبِهم، المكدّرةِ لمشاربِهم بالإعراضِ التّامِّ عنه وعدمِ مطالعةِ شيءٍ منه؛ لئلّا تضرَّ شكوكه بيقينِهم ويُوقعَ الخلل في أُمورِ دينِهم.

أَمّا العلماءُ.. فهو لا يخشى عليهم منه كلُّ ذلك الضّررِ؛ لتمييزِهم بينَ خطأِ ابنِ تيميةَ وطائفتِه الوهّابيّةِ وصوابِ السُّبكيِّ وابنِ حجرٍ وجمهورِ الأُمّةِ

---

(١) «شواهد الحق» (ص١٠٧).

المحمّديّةِ، وتفريقِهم بينَ ما خَلطَ فيه مؤلِّفُه من الحقِّ والباطلِ والمحلَّى [والعاطل]، فلا يَنخدِعُونَ بما جَمعَه فيه من زخارفِ الكلام وبَهارجِ الأوهام الَّتي زَعمَ بها أَنَّ زَلّات ابن تيميةَ هي ما كانَ عليه السّلفُ الصّالح من أَئمّةِ الإسلامِ، ومع ذلك فالأَولى بل الصّوابُ للعلماءِ أيضاً الإعراضُ عنه وعدمُ مطالعةِ شيءٍ منه إلّا للردِّ عليه وبيانِ ما حَواه؛ من الخطأِ الفاحشِ والتَّعصّبِ الشّديدِ ضدَّ العلماءِ العاملينَ هداةِ الأُمّةِ ومصابيحِ الملَّةِ، كالأَئمّةِ الثّلاثةِ؛ ابنِ حجرٍ والسُّبكيِّ وابنِه تاج الدِّين، وترجيحه كثيراً ممَّا يُخالفُ عقائدَ جمهورِ المسلمينَ أَهلِ السّنةِ والجماعةِ؛ من مسألةِ الاستغاثةِ والزِّيارةِ والقولِ في جانبِ الله بالجهةِ وغير ذلك ممَّا خَلطَه فيه.

ولا يَقدرُ علَى تَمييزِه إلّا العلماءُ الأَعلامُ، ويخشى من مطالعتِه وقوع الخللِ في عقائدِ الطَّلبةِ القاصرينَ والعوامِّ، وأَنا والله في حيرةٍ من أَمرِه، إن قلتُ: إنّ ذلك اعتقاده.. يُعارضُني أَنّي أَعرفُه حنفيَّ المذهبِ من عائلةِ علم وسيادةٍ في بغداد، كلّهم من أَهلِ السُّنةِ والجماعةِ، وأَنّ ما اعتمدَه في هذا الكتابِ ممَّا أَيّدَ به زَلّات ابنِ تيميةَ هو مذهبُ الوهّابيّةِ لا مذهبُ الحنفيّةِ ولا مذهبُ آبائِه وأَجدادِه السّاداتِ الشّافعيّةِ، وإن قلتُ: إنّ ذلك ليس اعتقادَه الحقيقيَّ، وإنّما تَظاهرَ به خدمةً لصديق حسن خان الوهابيِّ الشّهير ملكِ «بَهوبال» في الهندِ صاحبِ التّآليفِ المشهورةِ.. فهذا لا يَليقُ بمثلِه وإن كانَ هو الظّاهر من مكاتيبه ومراسلاتِه لصديق حسن خان المطبوعة في أَوّل كتابه المذكورِ «جلاء العينين»).. إلخ. انتهى[1]. (١٥٤).

---

(١) «شواهد الحق» (ص٢١٥).

وفيه[1] بُعيدَه ما حاصلُه: (أنّه[2] شَنّعَ علَى ابنِ حجرٍ بألفاظٍ لا يحسنُ استعمالُها في حقِّ بعضِ طلبةِ العلمِ فضلاً عن إمامٍ كبيرٍ من أئمّةِ الدِّين، يَنتفعُ بعلمِه وكتبِه أُممٌ [كثيرةٌ] من المسلمينَ منذ مئاتٍ من السِّنينَ، وكذلك عامَلَ بسُوءِ هذا الصَّنيعِ من قبيحِ التَّشنيعِ والتَّقريعِ مع الإمامِ تقيِّ الدِّين السُّبكيِّ مؤلِّفِ «شفاء السقام في زيارةِ خير الأَنام» عليه الصَّلاةُ والسّلام).. إلخ. انتهى[3]. (١٥٥).

(وهو - يعني ابنَ تيميةَ - مطعونٌ في عقيدتِه باعتقادِ الجهةِ، فضلاً عن بدعتِه المتعلّقةِ بالزِّيارةِ والاستغاثةِ، والسُّبكيُّ من أئمّةِ أَهلِ السُّنّةِ والجماعةِ، ومن أَفضلِ أئمّةِ الإسلامِ، وابنُه تاجُ الدِّين هو الإمامُ ابنُ الإمامِ باتِّفاقِ العلماءِ الأَعلامِ، فما الَّذي حَملَ نعمان أَفندي علَى معاملتِهما أَسوأَ المعاملةِ مع ابنِ حجرٍ، والميلِ كلَّ الميلِ مع ابنِ تيميةَ والحالة هذه؟ أَيَدلُّ ذلك علَى أَنَّ نعمان أَفندي هو من أَهلِ السُّنّةِ والجماعةِ؟ لا واللهِ! بل هو من أَهلِ البدعةِ، والأَرواحُ جنودٌ مجنّدةٌ، فروحُه من أَجنادِ روحِ ابنِ تيميةَ، فلا [تَأتلفُ] مع هؤلاءِ الأَئمّةِ الأَعلامِ، ولذلك كانَ منه في حقِّهم ما كانَ مع كونِهم في جانب تعظيمِ جدِّه الأَعظَم صلّى الله عليه وسَلّمَ، وإمامُه ابنُ تيميةَ بعكسِ ذلك، ولكنَّ الشَّرفَ والحسبَ لا يُغنِي عن العلمِ والأَدبِ). انتهى[4] «شواهد» (١٥٥).

وفيه: (وأنَّه - يعني: نعمان أَفندي - لَوّثَ نفسَه بأَقذارِ البدع الوهّابيّةِ الَّتي لا يَغسلُها عنه بحارُ الدُّنيا إلى يومِ القيامةِ، وكما آذَى نفسَه بذلك أَشدَّ الأَذى.. آذَى

---

(١) أَي: في «شواهد الحق». هامش (أ) و(ب).

(٢) أَي: نعمان أفندي في «جلاء العينين». هامش (أ) و(ب).

(٣) «شواهد الحق» (ص٢١٦).

(٤) «شواهد الحق» (ص٢١٦).

كلَّ مَن اطَّلعَ علَى كتابِه من المسلمين أَهلِ المذاهب الأَربعة، حتّى المنصفينَ من الحنابلةِ بذَمِّهم إيّاه وخوضِهم في عِرضِه ما بَقيتِ الدُّنيا وبَقي فيها هذا الكتابُ.

نعم قد [استعاضَ] عن ذلك برضا صديق حسن خان عنه وطائفتِه الوهّابيّةِ، فهذا هو ربحُ نعمان أَفندي من تلبيسِه علَى المسلمينَ بهذا الكتابِ وتوهيمِهم أَنّ ما عليه ابنُ تيميةَ وطائفةُ الوهّابيّةِ - من البدع الشَّنيعةِ في مسألةِ الزِّيارةِ والاستغاثةِ وغيرِهما ممَّا خالفُوا فيه أَهلَ السُّنةِ - هو الحقُّ، وتَطاولِه علَى أَئمّةِ المسلمينَ المجمعِ علَى جلالتِهم مثل السُّبكيِّ وابنِه وابنِ حجرٍ، يا نعمَ ما باعَ وبئسَ ما اشْترَى وبئسَ ذلك من ربح هو عينُ الخسرانِ استفاد [به] عداوة أَهلِ الإيمانِ في سائرِ الأَقطارِ والأَزمانِ).. إلخ. انتهى[1]. (١٥٥) راجعْه.

ففيه البسطُ في الكلامِ علَى «جلاء العينَينِ» ومؤلِّفه عَفا الله عنه، وقد وَقعَ نعمان أَفندي وصديق حسن خان ومراسلتُهما سبباً في إيقاعِ الشُّبهةِ في الرَّابطةِ المستحسنةِ في الطَّريقةِ النَّقشبنْديَّةِ بينَ[2] أَربابِها، وبذا أَلّفُوا تأليفاتٍ كثيرةً، وأَثبتُوا فيها حُججاً ودلائلَ من الكتابِ والسُّنّةِ والإِجماعِ والقياسِ للرَّابطةِ المعروفةِ، وأَكثرُوا فيها القيلَ والقالَ، وقد كانَ والدُ[3] نعمان أَفندي خاتمةَ المفسِّرينَ، معاصراً للقطبِ خالد شاه، وقالَ: إنّه قَرأَ عليه «الخيالي». ورَدَّ محمّد أَسعد مؤلِّفُ «نور الهداية» قولَ نعمان أَفندي بكلامِ وَالدِه في استحسانِ الرَّابطةِ كما عليه علماءُ الأَئمّةِ الأَربعةِ، حتَّى أَثبتَها رشيد رضا في «مناره» مع كونِه من رؤساءِ الوهّابيّةِ، فللَّه الحمدُ علَى ذلك، ولا حولَ ولا قوّةَ إلّا بالله العليِّ العظيمِ.

---

(١) «شواهد الحق» (ص٢١٦).

(٢) متعلّق بـ«إيقاع» كما أَشار إليه المؤلّفُ قُدّسَ سرُّه.

(٣) محمود الآلوسي قُدّسَ سرّه. هامش (أ) و(ب).

ولو رَجعَ نعمان أَفندي إلى أَقوالِ وَالدِه قُدّسَ سرُّه.. لكانَ في غِنى عن السّؤالِ والجوابِ، ولعلَّه لم يَعلمْ ما قالَه والدُه في حقِّ الرّابطةِ، وأغربْ منه صدورُ ذلك السّؤالِ بهذا التَّعبيرِ من مثلِه إلى أَميرِ بَهوبال حسن خان الَّذي شَذّ عن مذهبِ الأئمّةِ، ومَن أَرادَ حقيقةَ كونِه من رُؤساءِ الوهّابيّةِ.. فلْيَنظُرْ إلى «شواهد الحق» و«تذكرة الراشد» و«نور الهداية»، وأَلّفَ بعضُ الوهّابيّةِ كتاباً يُسمَّى بـ«الصارم المبكي» وقالَ النَّبهانيُّ: (فيا لَيته لم يُؤلِّفْه) انتهى[1]. راجع «شواهد الحقّ» في (٢٧).

وفيه: (اعلم: أَيّها المسلمُ السُّنّيُّ من الشّافعيّةِ أَو الحنفيّةِ أَو المالكيّةِ أَو المنصفينَ من الحنابلةِ: أَنَّ الإمامَ ابنَ تيميةَ لم يَختصَّ فرقةً دونَ فرقةٍ من هذه المذاهبِ الإسلاميّةِ باعتراضاتِه وتشنيعاتِه، وإنَّما هو يُضلِّلُ المسلمينَ من الأَشاعرةِ والماتريديّةِ الَّذينَ هم معظمُ الأُمّةِ المحمّديّةِ، ويُبالِغُ في ذمِّ أَئمّتِهم وتضليلِهم وتجهيلِهم، كالإمام أَبي الحسن الأَشعريِّ الَّذي هو إمامُ الشّافعيّةِ والمالكيّةِ علَى الإطلاقِ، من عهدِه إلى الآنَ وإلى ما شاءَ الله، وكإمامِ الحرمَينِ، والفخر الرَّازي، والإمام الغزالي وغيرِهم من أَكابرِ أَئمّةِ الإسلام الَّذين وَقعَ الاتّفاقُ علَى إمامتِهم وجلالةِ أَقدارِهم، وكما أَنَّهم أَئمّةُ الأَشاعرةِ الشّافعيَّة والمالكيَّة هم أَيضاً أَئمّةُ الحنفيّةِ الماتريديَّة؛ لأَنّ المذهبَينِ في العقائدِ في حكم مذهبٍ واحدٍ، وهو مذهبُ أَهلِ السُّنّةِ والجماعةِ لا يَختلفونَ في شيءٍ مهمٍّ، ولا يُضلِّلُ بعضُهم بعضاً، فاعتراضاتُ ابنِ تيميةَ علَى عقائدِهم وتَشنيعاتُه علَى أَئمّتِهم شاملةٌ لجميعِهم، ويَزيدُ علَى ذلك تكفيرُ كثيرٍ من أَئمّةِ الصّوفيّةِ الَّذين هم ساداتُ الأُمّةِ وعُبّادُها وأَولياؤُها وزُهّادُها ومَحلُّ اعتقاداتِها وبركاتِها.

فهو رحمه الله وعَفا عنه قد أَقامَ نفسَه مقامَ إمامِ الأُمّةِ بأَسرِها من عهدِ النبيِّ صلّى الله عليه وسَلّمَ إلى عصرِه، ونَظرَ إلى أَئمّتِها نظرَ المحتَقرِ لهم المنتقدِ [عليهم]

(١) «شواهد الحق» (ص٥٣).

المعتقدِ في نفسِه أنّه أكملُ وأفضلُ وأورعُ وأتقَى وأعلمُ وأفهمُ وأعرفُ بكلامِ الله ورسولِه وسيرةِ السّلفِ الصّالح منهم أجمعينَ.

وكلّما كانَ الإمامُ منهم أكثرَ شهرةً بالعلمِ والعملِ والتّحقيقِ وسعةِ الفضلِ؛ بحيثُ تَصيرُ له عندَ الأُمّةِ وبينَ علمائِها المزيّةُ الكبرَى والمقامُ العالي.. يكونُ أشدَّ عداوةً إليه وأقبحَ تشنيعاً عليه، كإمام الأئمّةِ أبي الحسن الأشعريِّ ومَن عطفَ عليه. ومَن تَتبّعَ كلامَه، ورأَى شدّةَ عداوتِه لأُولئك الأئمّةِ الأعلام، وما رَماهم به من أنواعِ المذامِّ.. يَظنُّ أو يَتيقَّنُ أنّ مرادَه بذلك إسقاطُ أُولئك الأئمّةِ ليكونَ وحدَه إمامَ جميعِ الأُمّةِ).. إلخ. انتهى[1]. (٢٩).

وفي «المقالات الزّينية»: (وأمّا ابنُ تيميةَ وتلميذُه ابنُ القيّمِ الجوزيّة من الحشويّةِ، أمّا ابنُ الجوزيِّ ليس من الحشويّةِ.

كذا ذَكرَ السيدُ مرتضى الزبيديُّ في شرح «الإحياء» في الجلدِ الثّاني، والحشويّةُ من أهلِ السُّنّةِ والجماعةِ، لكن خطأُهُم كثيرةٌ). انتهى[2]. (٩).

وفيه قُبيلَ هذا في الكلامِ علَى الخضرِ عليه السّلامُ: (وذَكرَ ابنُ الجوزي عن البخاري وعن موسى الرِّضا: أنّ الخضرَ عليه السّلامُ ماتَ، وهو غيرُ مقبولٍ؛ لأنّه لم يَذكرْ سندَه، ولم أَجدْ في مصنّفاتِ البخاري، لكن ابن الجوزي تابَ واعتذرَ من الشّيخِ عبدِ القادرِ الجيلاني قُدّسَ سرُّه.

وسمعتُ في وقتِ الشّبابِ عن بعضِ العلماءِ أنّ ابنَ الجوزي صَنّفَ كتاباً في ردِّ الصّوفيّةِ، وسَمعَ الشّيخُ عبد القادرِ الجيلاني قُدّسَ سرُّه وقالَ: يقولُ في وقتِ الشّبابِ

(١) «شواهد الحق» (ص٥٥).

(٢) «مقالات زينية» (ص٩).

ويَتوبُ إن شاءَ الله، ثُمّ تابَ ابنُ الجوزي، واعتذرَ من الشّيخِ عبدِ القادرِ الجيلاني قُدّسَ سرُّه وقَبِلَ عذرَه الحمدُ لله علَى ذلك، ورأيتُ في «شرح المشكاة» في ترجمةِ ابنِ الجوزي لمولانا عبدِ الحقّ الدّهلَويِّ الفارسي أَنّه تابَ). انتهى[1]. (٧).

ولابنِ تيميةَ كتابانِ «منهاج السنة» وكتابُ «المعقول والمنقول» يَجبُ علَى أَهلِ السُّنّةِ والجماعةِ أَن يُحذّروا العوامَّ وضِعافَ الطَّلبَةِ من مطالعةِ هذَيْنِ الكتابَيْنِ؛ لكثرةِ ما فيهما؛ من خلطِ الحقِّ بالباطلِ، والرّدِّ علَى أَهلِ السّنةِ والجماعةِ بحُججِ مزخرفاتٍ، رُبّما لا يَهتدِي لدَفعِها القاصرونَ من طَلبَةِ العلمِ فضلاً عن العوامِّ، كما قالَه النَّبهانيُّ في «شواهده»[2].

ولابنِ تيميةَ كتابٌ مسمّى بـ«الجواب الصَّحيح في الردِّ على من بدل دينَ المسيح»، قالَ في «شواهد الحقّ»: (وهو في غايةِ النَّفاسةِ لو خلا من التَّعرّضِ لبدعِه الَّتي انْفرَدَ بها وشَذَّ عن المسلمينَ؛ من منعِه الاستغاثةَ به صلَّى الله عليه وسَلّمَ كسائرِ الأَنبياءِ والصّالحينَ، وكتَعرّضِه لأَكابرِ أَولياءِ الله تعالى بالتَّشنيعِ والتكفيرِ فضلاً عن التَّبديعِ، كسيّدِي محيي الدِّين بنِ العربي، وسيّدِي عمرَ بنِ الفارض رضي الله عنهما وغيرهما ممَّن ذَكرَ بعضَهم في كتابِه «الفرقان» وشَنّعَ عليهم وجَعلَهم أَولياءَ الشَّيطانِ، وهذا دأبُه عَفا الله عنه في كتبِه، ولذلك قَلّلَ الله النَّفعَ بها، كما جَرتْ عادتُه تعالى فيمَن يَتعرَّضُ لأَوليائه بالسُّوءِ؛ إذ قد وَردَ في الحديثِ القدسيِّ: «**مَنْ آذَى لِي وَلِيّاً.. فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ**»، وأَيُّ أَذيَّةٍ أَعْظمُ من تكفيرِهم وإِخراجِهم من دائرةِ الإسلامِ؟). انتهى[3]. (١٠٠).

---

(١) «مقالات زينية» (ص٩).

(٢) انظر «شواهد الحق» (ص١٤٦).

(٣) «شواهد الحق» (ص١٤٥).

وفيه: (أمَّا ابنُ عبدِ الهادي.. فلَم أطلعْ له على كتابٍ غيرِ «الصارم المبكي»، ويا ليته لم يُؤلِّفْه، وأَمّا ابنُ القيّم.. فمِن أَحسنِ كُتبِه «جلاء الأفهام في فضلِ الصلاة على سيّدِ الأَنام».. إلخ، وكتابُه «زاد المعاد»، وهو من أجلِّ وأنفعِ الكتبِ الدِّينيّةِ). انتهى[1] باختصارٍ. (٢٧).

وفيه: (وقد بَلغنِي أَنّ ابنَ الجوزي عَفا الله تعالى عَنّا وعنه صَنّفَ كتاباً سَمّاه «تلبيس إبليس»[2] تكلّمَ فيه علَى شيوخِ الصّوفيّةِ وطريقتِهم، وزَعمَ أَنّ إبليسَ لَبّسَ عليهم، ولم يَدرِ أَنَّه هو الَّذي لَبّسَ عليه في كلامِه هذا واعتقادِه فيهم وهو لا يشعرُ، والعجبُ كلَّ العجبِ منه في إنكارِه علَى ساداتٍ بينَ أَوتادٍ وأَبدالٍ وصدِّيقينَ عارفينَ بالله تعالى محقّقينَ، مَلؤُوا الوجودَ كراماتٍ وأَنواراً ومعارفَ وحِكماً وأَسراراً).. إلى آخرِ ما فيه. انتهى[3]. (١٠٢).

لكنْ قد مرَّ ما نَقلتُه من «المقالات الزَّينية» أَنّ ابنَ الجوزي تابَ عن ذلك، والحمدُ لله ربِّ العالمينَ.

ولابنِ القيّمِ كتبٌ في منعِ التَّقليدِ، وقد صَدرَ العالمُ المحَقّقُ نوح المرتُوقي لردِّ مقولاتِه في كتابِه «نور المقابس»، وكذا في ردِّ أَقوالِ الوهّابيّةِ، فنعمَ ما صَنعَ! فلَم يَترِكْ كلامَهم إلَّا رَدَّه بجوابٍ مقبولٍ، فجَزاه الله عن جميعِ أَهلِ السُّنّةِ والجماعةِ خيراً، ونَوّرَ الله مَرقدَه، آمين.

وإنّما ذَكرتُ الكلامَ علَى كتبِ الحشويّةِ؛ لتكونَ علَى بصيرةٍ وحَذرٍ من مطالعتِها، فإنّها مَحشوّةٌ بما يُخالِفُ مذاهبَ المسلمينَ، وإن كانَ مؤلِّفُوها من أكابرِ

(١) «شواهد الحق» (ص٥٣).

(٢) وقد رَدَّه الإمامُ اليافعيُّ بأَحسن رَدٍّ في «نشر المحاسن» فراجعْه. (منه). هامش (أ) و(ب).

(٣) «شواهد الحق» (ص١٤٨).

العلماءِ، فالعاقلُ مَن اكْتفَى بكتب الأئمّةِ الأَربعةِ، ففي تَمسّكِها نجاةٌ أيُّ نجاةٍ، وفي الميل إلى كتبِ الوهّابيّةِ وشُذّاذِ الأُمّةِ مَظنّةُ زَلّةٍ، بل هو عينُ الهلاكِ، فالله خيرٌ حافظاً وهو أَرحمُ الرّاحمينَ.

وأَمّا الحشويّةُ كما نَقلَه النَّبهانِيُّ في «شواهده» عن شارحِ «الإحياء».. (فهي طائفةٌ رَذيلةٌ جُهّالٌ، ينتسبونَ إلى أَحمدَ، وأَحمدُ مبرأٌ منهم، وسببُ نسبتِهم [إليه] أَنّه قامَ في دفع المعتزلةِ وثَبتَ في المحنةِ رضي الله عنه، ونُقلتْ عنه كلماتٌ ما فَهِمَها هؤلاءِ الجهّالُ فاعتقدُوا هذا الاعتقادَ السَّيِّءَ، وصارَ المتأخّرُ منهم يَتبعُ المتقدّمَ إلّا مَن عَصمَه الله تعالى، وما زالُوا من حين نبغُوا مستذلِّينَ ليس لهم رأسٌ ولا مَن يُناظرُ، وإنَّما في كلِّ وقتٍ لهم تَوارثٌ، ويَتعلَّقُونَ ببعضِ أَتباعِ الدّولِ، ويكفِي الله تعالى شَرَّهم، وما تَعلّقُوا بأَحدٍ إلّا وكانتْ عاقبتُه إلى سوءٍ، وأَفسدُوا اعتقادَ جماعة شُذوذٍ من الشَّافعيّةِ وغيرِهم، ولا سيّما من بعضِ المحدّثينَ الَّذين نَقصتْ عقولُهم، أَو غَلبَ عليها مَن أَضلَّهم، فاعْتقَدُوا أَنّهُم يَقولونَ بالحديثِ. ولَقد كانَ أَفضلُ المحدِّثينَ بزمانِه بدمشق ابنُ عساكر يَمتَنعُ من تحديثِهم ولا يُمكنُهم يَحضرونَ بمجلسِه، وكانَ ذلك أَيّامَ نورِ الدِّين الشهيد، وكانُوا مستذلِّينَ غايةَ الذِّلّةِ.

ثُمّ جاءَ في أَواخرِ المائةِ السّابعةِ رجلٌ له فضلُ ذكاءٍ واطِّلاعٍ، يعني: ابنَ تيميةَ، ولم يَجدْ شيخاً يهديه، وهو علَى مذهبِهم، وهو جَسورٌ متجرّدٌ لتقريرِ مذهبِه ويَجد أُموراً بعيدةً فبجسارتِه يَلتزمُها، فقالَ بقيام الحوادثِ بذاتِ الرّبِّ سبحانَه وتعالى، وأَنّ الله سبحانَه وتعالى ما زالَ فاعلاً، وأَنّ التّسلسلَ ليس بمُحالٍ فيما مَضى كما هو فيما سيأتِي، وشقَّ العصا وشَوّشَ عقائدَ المسلمينَ وأَغرَى بينَهم، ولم [يَقتصرْ] علَى العقائدِ في علمِ الكلامِ حتَّى تَعدّى وقالَ: إنّ السّفرَ لزيارةِ قبرِ النبيِّ صلّى الله

عليه وسَلّمَ معصيةٌ، وقالَ: إنّ الطّلاقَ الثّلاثَ لا يَقعُ، وإنّ مَن حَلَفَ بطلاقِ امرأتِه وحَنِثَ.. لا يَقعُ عليه طلاقٌ.

واتَّفقَ العلماءُ علَى حبسِه الحبسَ الطّويلَ، فحَبسَه السلطانُ ومَنعَه من الكتابةِ في الحبسِ، وأَن لا يدخلَ عليه بدواةٍ، وماتَ في الحبسِ، ثُمّ حَدثَ من أَصحابِه مَن يُشيعُ عقائدَه، ويُعلِّمُ مسائلَه، ويُلقِي ذلك إلى النّاسِ سرّاً ويَكتمُه جهراً، فعَمَّ الضَّررُ بذلك).. إلخ. انتهى[1]. (١٠٥).

ثُمّ قالَ بعدَ نقلِه ذلك الكلامَ المذكورَ: (إذا عَلمْتَ ذلك أَيّها المسلمُ الشّافعيُّ أَو الحنفيُّ أَو المالكيُّ أَو الحنبليُّ الصّالح الموفّقُ.. تَعلمُ أَنَّه يَجبُ عليك الحذرُ التّامُّ من كتبِ الإمامِ ابنِ تيميةَ وجماعتِه المتعلّقةِ بالعقائدِ؛ لئَلّا تَهوي في مَهواةِ الضّلالِ، ولا يَنفعكَ النَّدمُ بعدَ ذلك بحالٍ من الأَحوالِ.

وإيَّاك أَن تَغترَّ بكلامِ السّيد نعمان أَفندي الآلُوسي البغدادي في كتابِه «جلاء العينَينِ»، وتَظنَّ أَنّه حنفيٌّ من أَهلِ السّنّةِ والجماعةِ، فهو بهذا الكتابِ قد خَرجَ عن حنفيّتِه وسُنّيّتِه، وصارَ من [جماعةِ] ابنِ تيميةَ ناصراً لمذهبِه مذهبِ الوهّابيّةِ، عَفا الله عنه وعنهم أَجمعينَ، فإنَّهم بلا شكٍّ من جملةِ المسلمينَ وإن كانُوا فيما خالفُوا فيه أَهلَ السُّنّةِ مبتدعينَ). انتهى[2]. «شواهد الحق» (١٠٥).

وفيه: (العلماءُ الّذين أَثنوا علَى ابنِ تيميةَ ذَكرُوا خطأَه الفاحشَ في مسائلِه الّتي خالفَ فيها الإجماعَ). انتهى[3]. (٩٢).

---

(١) «شواهد الحق» (ص١٥٢)، و«إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين» (٢/ ١٥).

(٢) «شواهد الحق» (ص١٥٣).

(٣) «شواهد الحق» (ص١٣٦).

وأَثنَى عليه السُّيوطيُّ وقالَ بعدَ كلام كما هو عينُ ما في «الشواهد»: (وقد رأيتُ ما آل إليه أَمرُه - يعني ابنَ تيميةَ - من الحطِّ عليه والهَجوِ والتَّضليلِ والتَّكفيرِ بحقٍّ وبباطلٍ، فقد كانَ قبلَ أن يَدخلَ في هذه الصِّناعةِ مُنوّراً مُضيئاً علَى مُحيّاهْ سيما السّلفِ، ثُمّ صارَ[1] مظلماً مكسوفاً عليه [قتمةٌ] عندَ خلائقَ من النّاسِ، ودَجّالاً أَفّاكاً كافراً عندَ أَعدائِه، ومبتدِعاً فاضلاً محقّقاً بارعاً عندَ طوائفَ من عقلاءِ الفُضلاءِ، وحامِلَ رايةِ الإسلامِ وحامي حَوزةِ الدِّينِ ومُحيي السّنّةِ عندَ عمومِ أَصحابِه، هو ما أَقولُ لك، انْتهَت عبارةُ السُّيوطيِّ[2].

قالَ كاتبُها صديق حسن خان البَهوبالي: فأَنتَ تَرى كلامَه في الشَّيخِ فزِنْه بعقلِك فإنَّه ظاهرُ التّناقضِ، والله أَعلمُ بالسَّرائرِ.

وقد وَزنتُ كلامَ السّيوطيِّ بعَقلِي فلَم أَجِدْ فيه تَناقضاً، ولكنَّه حَكَى ما يَعلَمُه من أَحوالِ ابنِ تيميةَ، فمَدحَه تارةً وذَمَّه أُخرَى بحَسبِ أَوصافِه الَّتي تَقتضِي المدحَ والذَّمَّ، وليس في ذلك شيءٌ من التَّناقضِ، رحمهما الله تعالى). انتهى[3]. (٩٤) باختصارٍ.

ولا يَخفى علَى عاقلٍ أَنّي إنَّما تكلَّمتُ علَى كتبِ ابنِ تيميةَ وأَتباعِه الوهّابيّةِ تنبيهاً للإخوانِ على الحذرِ من الأضرارِ العظيمةِ الَّتي تَرتَّبتْ على أقوالِ ابنِ تيميةَ، من فرقتِه الوهّابيّةِ الَّتي هو أَصلُ اعتقادِها، وأَساسُ فسادِها، ومَن طَالعَ على

---

(١) فينبغِي أَن يُلاحظَ هذا الكلام مع ما ذُكرَ في «الفتاوى الحديثية» من ترجمةِ السّيوطي لابنِ تيميةَ. (منه). هامش (أ) و(ب).

(٢) وقد نَظَّرَ في نسبةِ هذه الأَقوال إلى الإمام السُّيوطي محمّد زاهد الكَوثريُّ، بل عَزاه إلى الإمام الذَّهبي في كتابه «زغل العلم». انظر «مقالات الكوثري» (ص ٢٥٦).

(٣) «شواهد الحق» (ص١٣٧).

«الدرر السنية».. يظهر ما حَصلَ منهم من الأَضرارِ [العظيمةِ] في حقِّ المسلمينَ والإسلام، ولا سيّما في الحرمَينِ الشَّريفَينِ وجزيرةِ العربِ عَصمَنا الله تعالى عمّا حَدثَ من هذه الفرقةِ الوهّابيّةِ؛ من المضارِّ العظيمةِ علَى الشَّريعةِ المحمّديّةِ والملَّةِ الإسلاميّةِ، وجَعَلنا وجميعَ المسلمينَ من أَتباعِ الأَئمّةِ المجتهدينَ، لا من أَتباعِ الضّالِّينَ المضلِّينَ، ومقلِّدي الشّيخِ النَّجديِّ والأَفغانِيِّ واليمنيِّ ومَن نَحا نحوَهم؛ من المعتزلينَ المنحرفينَ، آمين يا مجيبَ السائلينَ ويا أرحمَ الراحمينَ.

فهؤلاءِ شرذمةٌ قليلةٌ مطعونةٌ، والأَئمّةُ الأَربعةُ وتابعوهُم هم الطَّائفةُ النَّاجيةُ الممدوحةُ، ولا ريبَ أَنَّه يَجبُ اتِّباعُ السّوادِ الأَعظمِ عندَ وقوعِ الخلافِ، كما وَردَ ذلك عن الشّارعِ صلّى الله عليه وسَلّمَ، ويكونُ الحقُّ معهم لا مع تلك الشِّرذمةِ القليلةِ.

وقد عُلمَ ممَّا مَرّ في هذه الأُرجوزةِ مراراً عدمُ جوازِ التَّقليدِ لغيرِ الأَئمّةِ الأَربعةِ؛ لما مَرَّ هناكَ، فهذا والسّلام، وأُوصي النّاظرَ بالدّعاءِ لهذا النّاقلِ الفقيرِ حسن حلمي سامَحَه الله من فرطاتِه، آمين.

انتهى في (٢٣) من رجب سنةَ (١٣٤٤)، فَلِلَّهِ الحمدُ والثَّناءُ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِه محمّدٍ وآلِه وصحبه أجمعينَ، آمين.

ولو قَصدْنا أَن نكتبَ جميعَ ما عندَنا في حقِّ وقوعِ الثَّلاثِ إذا [طَلّقَ] الزَّوجةَ دفعةً.. لكادتْ أَن تكونَ أَكثرَ ممَّا كُتبَ، ومَن أَرادَ الزِّيادةَ.. فلْيَرجِعْ إلى «البخاري» مع ما في هامشِه من بابِ من أَجازَ الطّلاقَ الثّلاثَ لقولِ الله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾[1]،

(١) سورة البقرة: (٢٢٩).

وإلى «المفاتيح شرح المصابيح» من بابِ من قالَ لامرأتِه: أَنتِ حرامٌ عليَّ، و«إقناع» في (٤٣٤)، و«بجيرمي» في (٤٣٥)، و«باجوري» في (٢٥٨)، و«حميديّة على ابن حجر»، و«أبي شجاع» في (٢٧٣)، و«باجوري» أيضاً في (٢٧٢)، و«غرائب القرآن» في (٣٤٤)، وفي (٣٤٠)، و«جامع البيان» في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾، وفي القولِ في تأويلِ قولِه تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ في (١٥٨)، وفي (٦٨)، و«عطاري» في (٤٥٣)، و«ثعلبي»، و«ترشيح المستفيدين» من الطّلاقِ، وتقرير سلمان علَى ما كَتبَه اليمنيُّ في «المنار»، فهو مهمٌّ أَيُّ مهمٍّ، فجَزاه الله عن المسلمينَ خيراً، لكن القُدُقي كَتبَ عليه نُصرةً لشيخِه اليمنيِّ، بَيدَ أَنَّه رَجعَ وتابَ عن الميلِ إلى مذهبِه كما تَقدّمَ.

وآه وآه وآه من الكتبِ الَّتي يعسرُ تعدادُها، فبمُطالعةِ الجميعِ يُعلمُ صحةُ أَقوالِ الأَئمّةِ الأَربعةِ في أَمرِ الطّلاقِ، ويتيقّنُ عدمُ جوازِ التّقليدِ علَى مذهبِ غيرِهم ممَّن لم يُتدوَّنْ ولم يُحرَّرْ مذهبُهم، حتَّى إنّ القاضيَ المقلِّدَ لو حَكمَ بمرجوحِ مذهبِه فضلاً عن الخارجِ عنه.. نُقضَ، كما قالَه صاحبُ «العباب» والسّبكيُّ، بل جَعلَه من الحكمِ بغيرِ ما أَنزلَ الله تعالى به، يَستحقُّ فاعلُه أَن يكونَ أَحدَ القاضيَيْنِ الهالكَيْنِ المتوعّدَيْنِ بالنّارِ في الحديثِ الصّحيحِ.. إلخ.

(وقالَ ابنُ الصّلاحِ: لا يَجوزُ لأَحدٍ في هذا الزّمانِ أَن يحكمَ بغيرِ مذهبِه وإن لم يَخرجْ عن المذاهبِ الأَربعةِ، فإن فعلَ.. نُقِضَ؛ لفقدِ الاجتهادِ في أَهلِ هذا الزَّمانِ. وهذا في زمنِه، فما ظنُّك بهذا الزَّمانِ الَّذي لم يَقمْ أَهلُه بحقِّ التَّقليدِ فضلاً عن الاجتهادِ؟) «بغية»[1]. (٢٨٤).

---

(١) «بغية المسترشدين» (٢/ ٧٣٢).

[ما كتبه إبراهيمُ الهُؤُرِي رَحمه الله تَعالى]

وقد أَفادني أَخونا في الله العالمُ الفقيهُ إبراهيمُ الهُؤرِيُّ بكتبةِ ما عندَه ممَّا يُؤيِّدُ هذا الكلامَ بما هذا نصُّه:

(ولا يَجوزُ التّقليدُ ما عدا المذاهبَ الأَربعةَ ولو وَافقَ قولَ الصّحابةِ والحديثَ الصّحيحَ والآيةَ، فالخارجُ عن المذاهبِ الأَربعةِ ضالٌّ مضلٌّ، وربَّما أَدّاه ذلك إلى الكفرِ؛ لأَنَّ الأَخذَ بظواهرِ الكتابِ والسُّنّةِ من أُصولِ الكفرِ).

«صاوي على تفسير الجلال» من سورة الكهف[1].

(فلو فُرضَ أَنّ داودَ قائلٌ بحلِّ ذلك.. لم يُلتفتْ إليه، علَى أَنّ كثيرينَ من أَصحابِنا مَنعُوا من تقليدِه كسائرِ الظّاهريّةِ؛ لأَنَّهم لإنكارِهم القياسَ الجليَّ يَرتكبونَ التسفسافَ من الآراءِ، فلَم يعتدَّ بآرائِهم).

من «الفتاوى الكبرى» لابنِ حجرٍ من النكاحِ[2].

(وإنَّه لا بدَّ وأَن يكونَ التّقليدُ والتَّتبّعُ في المسائلِ المدوّنةِ للمجتهدينَ الَّذين استقرَّ الإجماعُ عليهم، وهم الأَربعةُ دونَ من عَداهم؛ لأنه بموتِ أَصحابِهم انْقرَضتْ مذاهبُهم، وقد كانُوا كثيرينَ أَوّلاً) «حسن العطاري»[3].

(١) «حاشية الصاوي على تفسير الجلالين» (٢/ ٣٦٤).

(٢) «الفتاوى الكبرى الفقهية» (٤/ ٣٦).

(٣) «حاشية العطار على شرح الجلال المحلي» (٢/ ٦٨٥).

(ولا يَجوزُ تقليدُ غيرِهم[1] ولو كانَ من أَكابرِ الصّحابةِ؛ لأَنَّ مذاهبَهم لم تُدوَّنْ ولم تُضبَطْ كمذاهبِ هؤلاءِ، لكن جَوّزَ بعضُهم ذلك في غيرِ الإفتاءِ).

«تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد»[2]. (٨٢).

(أَمّا الوطءُ في نكاحٍ بلا وليٍّ ولا شهودٍ.. فلا حدَّ فيه كما أَفتَى به الوالدُ. «رم».

قولُه: «فلا حدَّ فيه» أَي: ويَأثمُ «كما أَفتى به الوالدُ» أَي: لقولِ داودَ بصحّتِه وإن حَرمَ تقليدُه؛ لعدمِ العلمِ بشروطِه عندَه). «ح رم»[3].

لكن انْقرَضَ مذهبُه في القرنِ الخامسِ. حديث المجدي.

هذا استدراكٌ علَى مدحِه البليغِ في «شرح جمع الجوامع». مر العرادي.

(وكلامُ صالح اليماني في جمع الطَّلقاتِ لا يُعوَّلُ كابنِ تيميةَ، وما في «الصحيح» لمسلمٍ من حديثِ: «كانَ الطّلاقُ في عهدِ النبيِّ عليه السّلامُ واحدةً، وكذلك في زمنِ أبي بكرٍ وصدراً من خلافةِ عمرَ»[4].. فمعناه: النَّهيُ عن جمعِ الطَّلقاتِ، والإرشادُ إلى التَّفريقِ، وليس معناه: أَنّ المجموعَ واحدةٌ). إبراهيم [السّقا] الشّافعي الأَزهري مجيباً لسؤالي؛ هل يَجوزُ تقليدُ صالح اليمني في مسألةِ جمعِ الطّلاقِ. مر العرادي.

---

(١) أَي: الأَئمّة الأَربعة. هامش (أ).

(٢) «تحفة المريد على جوهرة التوحيد» (ص٢٥٠).

(٣) «حاشية الشبراملسي على نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج» (٦/ ٢٢٦).

(٤) «صحيح مسلم» (٣٦٧٣)، ولفظُه: «كانَ الطّلاقُ على عهدِ رسولِ الله صلَّى الله عليهِ وسَلّمَ وأَبي بكرٍ وسنتَينِ من خلافةِ عمرَ، طلاقُ الثّلاثةِ واحدةً، فقالَ عمرُ: إنّ النّاسَ قد استَعجلُوا في أَمرٍ كانتْ لهم فيه أَناةٌ، فلو أَمْضيناه عليهم، فأَمضَاه عليهم».

(فالفقيرُ المـَجـدِيُّ لا يُفتِي على خلاف ما عليه الأئمّةُ الأربعةُ؛ لقوله صلّى الله عليه وسَلّمَ: «لَا [تَجْتَمِعُ] أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ»[1]، ويَختارُ الخروجَ من شبهة اختلافِ العلماءِ؛ لقولِه صلّى الله عليه وسَلّمَ: «مَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ»[2] الحديثَ، ويقولُ للسّائلِ عن الوقوعِ: الأئمّةُ الأربعةُ علَى وقوعِ الثّلاثِ، ابنُ حجرٍ عليه و[النووي] عليه، والله أعلمُ). حديث المـَجـدِيّ.

انتهى ما أَفادَني به الأخُ المذكورُ جَزاه الله عنّا خيراً، وكَتبَ في آخرِه بهذه العبارةِ: أَيّها الأُستاذ.. إلخ، بعدَ الفحصِ الأَكيدِ والنَّظرِ السَّديدِ نقلتُ هذه المنقولاتِ الغيرِ الموجودة في تصنيفِكم؛ لنظرِكم إِليها، وأَعرَضتُ عمّا كنتُ نَقلتُه قبلُ في حقِّ الطَّلاقِ المعلومِ، وتبتُ عنه وعن مثلِه ممَّا يُخالِفُ أَقوالَ الأَربعةِ الخيارِ، عَصمَنا الله تعالى من شرورِ أَنفسِنا، ومن سيّئاتِ أَعمالِنا وأَقوالِنا، وتَجاوزَ عنّا فيما أَخطَأْنا أَو نَسينا.. إلخ. انتهى من خطِّه رحمه الله تعالى.

ولمَّا مَنَّ الله تعالى عليَّ بالتَّوفيقِ لجمعِ هذه الكُرّاسةِ، من أَماكنَ بعيدةٍ وأَقاصي متفرّقةٍ، المتعلّقةِ بوقوعِ الطلقاتِ الثلاثةِ علَى زوجةِ مَن طَلّقَها ثلاثاً مرّةً واحدةً[3] في دفعةٍ واحدةٍ، وحصولِ بَينونتِها بلا بقاء شيء مّا من العلاقةِ، وأَردتُ كمالَ نفعِها وانتفاعها لكلِّ مَن يُريدُ الوقوفَ علَى حَذافيرِها وشَوارِدِها.. عَلّقتُ بآخرِها هذه الرِّسالةَ البديعةَ الكريمةَ، الَّتي تُسمّى بـ«ردع الجهلةِ وأَهل الغرّةِ في اتّباع قولِ من يردّ

---

(١) أخرجه ابنُ ماجه (٣٩٥٠) بلفظ: «إِنَّ أُمَّتِي لَنْ تَجْتَمِعَ عَلَى ضَلَالَةٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمُ الْاخْتِلَافَ فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ»، والتِّرمذيُّ (٢٣٠٥) بلفظِ: «إِنَّ اللهَ لا يَجْمَعُ أُمَّتِي - أَو قالَ: أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صلّى الله عليه وسَلّمَ - عَلَى ضَلَالَةٍ، وَيَدُ اللهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَذَّ.. شَذَّ فِي النَّارِ».

(٢) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (٤٠٩٤)، والبيهقي في «الآداب» (١٠٠٨).

(٣) في (ب): ثلاث مرات مرة واحدة.

المطلّقة ثلاثاً [في] مرّةٍ»؛ ليكونَ تصديقاً لفتاوى العلماءِ المعاصرينَ المذكورينَ، والفضلاءِ الأَخيارِ المتقدّمينَ الَّذين هم هداةُ أَهلِ العلمِ وأَزمّةُ أَهلِ الإسلامِ رضوانُ الله تعالى عليهم وعلينا أجمعينَ.

[ردع الجهلة وأهل الغرّة عن اتِّباع قولِ مَن يردّ المطلقة ثلاثاً في مرّةٍ]

بسمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ

الحمدُ لله الَّذي جَعلَ الإجماعَ من المجتهدينَ حجّةً قاطعةً للنِّزاعِ، وموجبةً للاتِّباعِ في مناهجِ الارتفاعِ، والصلاةُ والسلامُ علَى سيّدِ المرسلينَ، المبعوثِ بالهدى ودينِ الحقِّ المبينِ، وعلَى آلِه المطهّرِينَ، وأَصحابِه الهادينَ المهتدينَ.

أَمّا بعدُ: فيقولُ ترابُ أَقدامِ علماءِ الحرمِ المكّي العبدُ الحقيرُ محمّدُ ابنُ المرحومِ الشّيخ حسين المالكيُّ: قد رُفعَ إليَّ سؤالٌ عن حكم طلاقِ الرّجلِ زوجتَه ثلاثاً أو تسعاً أَو أَلفاً بكلمةٍ واحدةٍ بما لفظُه: ما قولُكم أَدامَ الله فضلَكم، وباركَ في عمرِكم في رجلٍ عالم داغستانِيٍّ اسمُه الحاج إسرائيل، اعتَمدَ علَى مذهبِ ابنِ تيميةَ في مسألةِ الطّلاقِ، وأَفتَى بعدمِ وقوعِه ثلاثاً إذا قالَ المطَلِّقُ لزوجتِه: طَلّقتُكِ بتسعِ طلقاتٍ أَو أَلفٍ، دفعةً واحدةً في مجلسٍ واحدٍ، وزَعمَ أَنّه لا يَقعُ علَى المطلّقِ بذلك إلّا طلقة واحدة، وجَمعَ عندَه من كتبِ ابنِ تيميةَ وكتبِ أَتباعِه، كابنِ القيّم وغيرِه؟ فوَقعَ بسببِ فَتواه بذلك في بلادِ الداغستان خَللٌ عظيمٌ، فنَرجُو من بركاتِ علومِكم أَن تُجيبُوا بما هو الحقُّ الثّابتُ في هذه المسأَلةِ بالنُّصوصِ الشَّرعيّةِ الَّتي بها الفَتوى في المذاهبِ الأَربعةِ، ولَكم من الله جزيلُ الثَّوابِ. حرّر في (١٩) من ذي الحجّةِ (١٣٢٩) من هجرتِه صلّى الله عليه وسَلّمَ بمكّةَ المحميّةِ.

فأَجبتُ بهذه الرِّسالَةِ المسمّاةِ: «ردع الجهلة وأهل الغرّة عن اتّباع قولِ مَن يردّ المطلّقة ثلاثاً في مرّة» وقلتُ وبالله الإعانةُ في توضيحِ نهجِ الإبانةِ:

اعلمْ نَوّرَ الله قلبِي وقلبَك، وضاعفَ في النبيِّ صلَّى الله عليه وسلّمَ حُبِّي وحُبَّك: أَنّ مذهبَ جمهورِ الصّحابةِ والتّابعينَ ومَن بعدَهم من أَئمّةِ المسلمينَ لزومُ الطلاقِ الثلاثِ في طلاقِ الرجلِ زوجتَه ثلاثاً أَو تسعاً أَو أَلفاً أَو نحوَ ذلك بكلمةٍ واحدةٍ، وعليه إجماعُ أَهلِ المذاهبِ الأَربعةِ.

ففي «الدسوقي على شرح الدردير على خليل» من المالكيّةِ ما نصُّه: (ونَقَلَ ابنُ عبدِ البرِّ الإجماعَ علَى لزومِ الثّلاثِ في حقِّ مَن أَوقَعَها، وحُكيَ في «الارتشاف» عن بعضِ المبتدعةِ أَنّه إنّما يَلزمُه واحدةٌ. ونَقَلَ أَبو الحسنِ عن ابنِ العربي أَنّه قالَ: ما ذَبحْتُ بيَدي ديكاً قطُّ، ولو وجدتُ مَن يَردُّ المطلَّقةَ ثلاثاً.. لَذبَحتُه بيَدي. وهذا منه مبالغة في الزّجرِ عنه. انتهى «بناني».

وقد اشْتهرَ هذا القولُ عن ابنِ تيميةَ، قالَ بعضُ أَئمّةِ الشافعيّةِ: ابنُ تيميةَ ضالٌّ مضلٌّ؛ لأَنّه خَرقَ الإجماعَ وسَلكَ مسلكَ الابتداعِ). انتهى[1].

وفي «فتاوى الشيخ عليش»: (وأَمّا الطلاقُ الثلاثُ.. فإنْ أَوقَعَه طلقةً بعدَ أُخرَى مفرّقاً.. فلا تَحلُّ له حتَّى تَنكحَ زوجاً غيرَه بإجماعٍ، وإِن جَمعَ الثّلاثَ.. فلا تَحلُّ له مِن بعدُ حتّى تَنكحَ زوجاً غيرَه في قولِ مالكٍ، وعليه جمهورُ فقهاءِ الأَمصارِ، وجُلُّ العلماءِ.

وسُئلَ ابنُ رشدٍ عن وثيقةٍ برجعةٍ من الطلاقِ المذكورِ دونَ زوجٍ، فقالَ: هو رجلٌ جاهلٌ ضعيفُ الدّينِ، فَعلَ ما لا يَسوغُ له بإجماعٍ من أَهلِ العلمِ؛ إذ ليس من

(١) «حاشية الدسوقي على الشرح الكبير» (٢/ ٥٧٠).

أَهلِ الاجتهادِ فيسوغ له مخالفةُ ما أَجمعَ عليه فقهاءُ الأَمصارِ، وإنّما يَجبُ عليه تقليدُ العلماءِ في وقتِه، ولا يسوغُ له أَن يخالفَهم برأيه، فالواجبُ أَن يُنهَى عن ذلك، فإنْ لم يَنتهِ.. أُدِّبَ، وكانتْ جُرحةً فيه تُسقِطُ إمامتَه وشهادتَه. انتهى. ابن سَلمُون.

قالَ: وسُئلَ أَبو محمّد الأَمير عن رجلٍ قالَ لزوجتِه: أَنتِ طالقٌ ثلاثاً وكلّما حَللْتِ حَرُمتِ، فأَرادَ شخصٌ أَن يَردَّها له قبلَ زوجٍ؛ لأَنَّ المرأَةَ كانتْ غائبةً، ولقولِه تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ﴾[1] فماذَا يَجبُ عليه من التَّعزيرِ؟

فأَجابَ بما نَصُّه: الحمدُ لله، لا يَجوزُ نكاحُ هذه المرأَةِ لزوجِها المذكورِ قبلَ زوجٍ غيره بشروطِ الإحلالِ الشَّرعيّةِ، وهذا الشّخصُ جاهلٌ كاذبٌ يُعلَّمُ ويُزجَرُ، فإنْ لم يَرجِعْ عن ضلالِه.. يُخشَى عليه الكفرُ، والعياذُ بالله تعالى؛ لتغييرِه الأَحكامَ الشَّرعيّةَ، ومعانيَ القرآنِ). انتهى[2].

وفي «تحفة» العلّامةِ ابنِ حجرٍ من الشّافعيّةِ: (ولا خلافَ يُعتَدُّ به في وقوعهنَّ، أَي: الطَّلقات الثّلاث إذا جَمعهُنَّ بكلمةٍ واحدةٍ معلّقةً كانتْ أَو منجّزةً، وقد شَنّعَ أَئمّةُ المذاهبِ علَى من خالفَ فيه، وقالُوا: اختارَه من المتأَخّرِينَ مَن لا يُعبأُ به، فأَفتَى به واقْتدَى به مَن أَضلَّه الله وخَذَلَه). انتهى[3].

وفي «نهاية» الرَّمْلي من الشافعيّةِ أَيضاً كـ«المغني»: (أَمّا وقوعهنَّ معلّقةً كانتْ أَو منجّزةً.. فهو ما اقْتصرَ عليه الأَئمّةُ، ولا اعتبارَ بما قالَه طائفةٌ من الشّيعةِ والظّاهريّةِ؛ من وقوعِ واحدةٍ فقط وإن اختارَه من المتأَخّرينَ مَن لا يُعبأُ به، واقتدَى به مَن أَضلَّه الله.

(١) سورة البقرة: (٢٣٠).

(٢) «فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك» (٢/ ٤).

(٣) «تحفة المحتاج بشرح المنهاج» (٨/ ١٦٣). بتصرّفٍ يسير.

قالَ السبكيُّ: وابْتدَعَ بعضُ أَهلِ زمانِنا، أَي: ابنُ تيمية، ومن ثمّ قالَ العزُّ بنُ جماعةَ: إنّه ضالٌّ مضلٌّ، فقالَ: إن كانَ التَّعليقُ للطّلاقِ على وجهِ اليمينِ.. لم يَجبْ به إلّا كفّارةُ يمينٍ، ولم يَقلْ بذلك أَحدٌ من الأَئمّةِ). انتهى[1].

(**وسُئلَ** - خيرُ الدِّين الرَّملي من الأَحنافِ - في شخصٍ طَلّقَ زوجتَه ثلاثاً مجتمعاً في كلمةٍ واحدةٍ، فهل يَقعْنَ أَم لا، وهل إذا رفع إلى حاكمٍ حنفيِّ المذهبِ يَجوزُ له تنفيذُ الحكمِ بعدمِ الوقوعِ أَصلاً، أَو بوقوعِ واحدةٍ، أَو يَجبُ عليه أَن يُبطلَه، وهل إذا نَفّذَه ينفذُ أم لا؟

فأَجابَ: نعم يَقعْنَ، أَعني: الثلاثَ في قولِ عامّةِ العلماءِ المشهورينَ من فقهاءِ الأَمصارِ، ولا عبرةَ بمَن خالفَهم في ذلك، وحَكمَ بقولِ مخالفِهم، والرّدُّ علَى المخالفِ القائلِ بعدمِ وقوعِ شيءٍ أَو وقوعِ واحدةٍ فقط مشهورٌ، وإذا حَكمَ حاكمٌ بعدمِ وقوعِ الطّلاقِ المذكورِ.. لا ينفذُ حكمُه، كما هو مقرّرٌ مسطورٌ، ففي «الخلاصة» وكثيرٍ من كتبِ علمائِنا الّتي لا تُعدُّ: لو قَضى القاضي - فيمَن طَلّقَ امرأَتَه ثلاثاً جملةً - أَنّها واحدةٌ، أَو بأَن لا يَقعَ شيءٌ.. لا ينفذُ. وفي «التبيين» وغيرِه في كتابِ القضاءِ: أَن القضاءَ بمثلِ ذلك لا ينفذُ بتَنفيذِ قاضٍ آخرَ، ولو رفع إلى أَلفِ حاكمٍ ونَفّذَه؛ لأَنّ القضاءَ وَقعَ باطلاً لمخالفتِه الكتابَ والسُّنّةَ والإجماعَ، فلا يَعودُ صحيحاً بالتّنفيذِ). انتهى[2]. المراد.

(**وسُئلَ** - خيرُ الدِّين الرَّملي أَيضاً - في رجلٍ طَلّقَ زوجتَه ثلاثاً مجتمعاً في كلمةٍ واحدةٍ، فأَفتاه حنبليُّ المذهبِ بعدمِ الوقوعِ، فاستَمرَّ معاشراً لزوجتِه بسببِ الفَتوى

(١) «نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج» (٧/ ٨).

(٢) «الفتاوى الخيرية لنفع البرية» (ص٤٣).

[المذكورةِ] مدّةَ سنينَ، فهل يعملُ بإفتاءِ الحنبليِّ المذكورِ أم لا، ولو اتَّصلَ به حكم منه كيفَ الحالُ؟

فأَجابَ: لا عبرةَ بالفَتوى المذكورةِ، ولا ينفذُ قضاءُ القاضي بذلك ولو نَفذَه أَلفُ قاضٍ ويَفترضُ علَى حُكّامِ المسلمينَ أَن يفرقُوا بينهما.

قالَ بعضُ العلماءِ: وحُكيَ عن الحجّاج بنِ أرطأةَ وطائفةٍ من الشِّيعةِ والظّاهريّةِ أَنّه لا يَقعُ منها إلّا واحدةٌ، واختارَه من المتأَخّرِينَ مَن لا يُعبأُ به، فأَفتَى به واقْتدَى به مَن أَضلَّه الله، والله أَعلمُ). انتهى[1].

وقالَ الشّيخُ منصورُ بنُ يونسَ البهوتِيُّ الحنبليُّ رحمه الله تعالى في «شرح المنتهى» مع المتن: («وإيقاعُ» طلقات «ثلاثٍ ولو بكلماتٍ» ولو في طهرٍ لم يُصبْها زوجُها «فيه فأَكثَرَ» من طهرٍ «لا بعدَ رجعةٍ، أَو» بعدَ «عقدٍ، مُحرّمٌ»، رُوي عن عمرَ وعليٍّ وابنِ مسعودٍ وابنِ عبّاسٍ؛ لقولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ إلى قولِه تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ... وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾[2].

ومَن جَمعَ الثّلاثَ.. لم يَبقَ له أَمرٌ يَحدُثُ، ولم يَجعلِ الله له مخرجاً، ولا من أَمرِه يُسراً، وفي حديثِ ابن عمرَ رضي الله عنهما: «قالَ: قلتُ: يا رسولَ الله أَرأَيتَ لو أَنّي طَلّقتُها ثلاثاً كانَ يَحلُّ لي أَن أُراجِعَها؟ قالَ: **إذَنْ عَصَيْتَ، وبَانَتْ مِنْكَ امْرَأَتُكَ**»، رواه الدّارقطني[3].

---

(١) «الفتاوى الخيرية لنفع البرية» (ص٤٤).

(٢) سورة الطلاق: (١-٤).

(٣) قال الحافظُ ابن حجر في «الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف» (ص١٧٣): هو في آخر الحديث الثاني عندَ الدارقطني ولفظُه: «فقلتُ: يا رسولَ الله، أفرأيتَ لو طلّقتُها ثلاثاً أكان يحل لي أن أُراجعَها؟ قال: لا، كَانتْ تبين منكَ وكَانتْ مَعصيَةً» واللفظُ الذي في الكتاب موقوفٌ في الصحيح على ابن عمر رضي الله عنهما.

وعن محمودِ بنِ لَبيدٍ قالَ: «أُخبرَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّمَ عن رجلٍ طَلّقَ امرأتَه ثلاثَ تطليقاتٍ جَميعاً، فغَضِبَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسَلّمَ، ثُمّ قالَ: **أَيُلْعَبُ بِكِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟** حتَّى قامَ رجلٌ فقالَ: يا رسولَ الله ألا أَقتلُه»[1].

وعن مالكِ بنِ الحارثِ قالَ: «جاءَ رجلٌ إلى ابنِ عبّاسٍ، فقالَ: إنّ عمِّي طَلّقَ امرأتَه ثلاثاً، فقالَ: إنَّ عمَّك عَصَى الله، وأَطاعَ الشَّيطانَ لم يَجعلِ الله له مَخرجاً»[2]، وسواءٌ في الوقوعِ ما قَبلَ الدُّخولِ أَو بعدَه). انتهى[3].

وفي «شرح الإقناع» للشَّيخ منصور ابنِ إدريسَ الحنبليِّ مع المتن: («وإنْ طَلّقَها» أَي: طَلّقَ رجلٌ زوجتَه «ثلاثاً بكلمةٍ».. حرمتْ نصّاً ووَقعَتْ، ويُروَى ذلك عن عمرَ وعليٍّ وابنِ مسعودٍ وابنِ عبّاسٍ وابنِ عمرَ وعن مالكِ بنِ الحارثِ قالَ: «جاءَ رجلٌ إلى ابنِ عبّاسٍ فقالَ: إنّ عمِّي طَلّقَ امرأتَه ثلاثاً، فقالَ: إنّ عمَّك عَصَى الله وأَطاعَ الشّيطانَ، فلَم يَجعلِ الله له مَخرجاً».

ووَجهُ ذلك قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ إلى قولِه: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾، ثُمّ قالَ بعدَ ذلك: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ... وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾[4]، ومَن جَمعَ الثّلاثَ.. لم يَبقَ له أَمرٌ يَحدثُ، ولم يَجعلِ الله له مخرجاً ولا من أَمرِه يُسراً.

(١) أَخرجه النسائي (٣٤٠١).

(٢) أَخرجَه البيهقي في «سنن الكبرى» (١٤٩٨١).

(٣) «شرح منتهى الإرادات» (٥/ ٣٧٤).

(٤) سورة الطلاق: (١-٤).

وروى النَّسائيُّ بإسنادِه عن محمودِ بنِ لَبيدٍ قالَ: «أُخبرَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسَلّمَ عن رجلٍ..» الحديثَ المذكور.

وفِي حديثِ ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قالَ: «قلتُ: يا رسولَ الله أرأيتَ لو أَنّي طَلّقْتُها ثلاثاً قالَ: **إِذَنْ عَصَيْتَ، وَبَانَتْ مِنْكَ امْرَأَتُكَ**».

ولأَنَّ ذلك تحريمٌ للبُضعِ بالقولِ، فأَشْبَه الظِّهارَ، بل أَولَى؛ لأَنَّ الظِّهارَ يرتفعُ بالتَّكفيرِ وهذا لا سبيلَ للزّوجِ إلى رفعِه بحالٍ، ولا فرقَ فِي ذلك بينَ ما قبلَ الدُّخولِ أَو بعدَه، رُوي ذلك عن ابنِ عبّاسٍ وأبي هريرةَ وعمرَ وعبدِ الله بنِ عمرَ وابنِ مسعودٍ وأَنسٍ، وهو قولُ أكثرِ أهلِ العلمِ من التّابعينَ والأئمّةِ بعدَهم). انتهى[1].

وقالَ الإمامُ كمالُ الدِّين محمّدُ بنُ عبدِ الواحدِ بنِ عبدِ الحميدِ بنِ مسعودٍ السّيواسي المعروفُ بابنِ الهمامِ في «فتح القدير على شرح البداية» للمَرغيناني: (ومِن الأَدلّةِ في ذلك ما في «مصنّف ابنِ أَبي شيبةَ» والدّارَقطنيّ في حديثِ ابنِ عمرَ: «قلتُ يا رسولَ الله صلّى الله عليه وسَلّمَ أَرأيتَ..»، الحديثَ.

وفي «سنن أَبي داود» عن مجاهدٍ قالَ «كنتُ عندَ ابنِ عبّاسٍ فجاءَ رجلٌ فقالَ: إنّه طَلّقَ امرأتَه ثلاثاً، قالَ: فسَكَتَ حتّى ظننتُ أَنّه رَادُّها إليه، ثُمّ قالَ يَنْطَلِقُ أَحدُكم فيَركَبُ الحُموقَةَ، ثُمّ يقولُ يا ابنَ عبّاسٍ يا ابنَ عبّاس، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ قالَ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ عصيتَ ربّكَ وبانتْ منكَ امرأَتُك»[2].

(١) «كشاف القناع عن متن الإقناع» (٥/ ٢٤١).

(٢) «سنن أبي داود» (٢١٩٧).

وفي «موطّأ» مالكٍ: «بَلَغَه أَنّ رجلاً قالَ لعبدِ الله بن عبّاسٍ: إنّي طَلّقْتُ امرأتِي مائةَ تطليقةٍ، فماذا تَرَى عليَّ؟ فقالَ ابنُ عبّاسٍ: طَلُقَتْ منكَ ثلاثاً، وسبعٌ وتسعونَ اتَّخذْتَ بها آياتِ الله هُزُواً»[1].

وفي «الموطّأ» أيضاً: «بَلَغَه أَنّ رجلاً جاءَ إلى ابنِ مسعودٍ فقالَ: إنّي طَلّقْتُ امرأَتِي ثمانيَ تطليقاتٍ، فقالَ: ما قيلَ لك؟ فقالَ: [قيلَ] لي: بانتْ منكَ، قالَ: صَدَقُوا»[2]. هو مثلُ ما يَقولونَ، وظاهرُه الإجماعُ على هذا الجوابِ). انتهى[3].

ويُؤَيِّدُه قولُ الشّيخ منصورِ [ابنِ] إدريسَ الحنبليِّ في «شرح الإقناع»: (وأَمّا ما رَوى طاوسٌ عن ابنِ عبّاسٍ قالَ: «كانَ الطّلاقُ علَى عهدِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسَلّمَ وأَبي بكرٍ وسنتَيْنِ من خلافةِ عمرَ طلاقُ الثّلاثِ واحدةً» رَواه أَبو داودَ.. فقدْ قالَ الأَثْرمُ: سَأَلتُ أبا عبدِ الله عن حديثِ ابنِ عبّاسٍ بأَيِّ شيءٍ تَدفَعُه؟ قالَ أَدْفَعُه بروايةِ النّاسِ عن ابنِ عبّاسٍ من وجوهٍ خلافَه، ثُمّ ذَكرَ عن عِدّةٍ عن ابنِ عبّاسٍ من وجوهٍ خلافَه أَنّها ثلاثٌ.

وقيلَ: معنى حديثِ ابنِ عبّاسٍ: أَنَّ النّاسَ كانُوا يُطَلّقُونَ واحدةً علَى عهدِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسَلّمَ وأبي بكرٍ، وإلّا فلا يَجوزُ أَن يُخالِفَ عمرُ فيما كانَ علَى عهدِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسَلّمَ وعهدِ أَبي بكرٍ، ولا يكونُ لابنِ عبّاسٍ أَن يَروِيَ هذا عن رسولِ الله صلّى الله عليه وسَلّمَ ويُفتِي بخلافِه). انتهى[4].

---

(١) «الموطأ» (١١٩٧).

(٢) «الموطأ» (١١٩٨). وما بين المعقوفين منه.

(٣) «شرح فتح القدير على الهداية شرح بداية المبتدي» (٣/ ٢٥).

(٤) «كشاف القناع عن متن الإقناع» (٥/ ٢٤٠).

قالَ ابنُ الهمام أَيضاً: (وفي «سنن أَبي داود» و«موطّأ» مالكٍ عن محمّدِ بنِ إياسِ بنِ البُكَيرِ قالَ: «طَلّقَ رجلٌ امرأتَه ثلاثاً قبلَ أَن يَدخلَ بها، ثُمّ بَدَا له أن يَنكِحَها، فجاءَ يَستَفتِي، فذَهبَتْ معه، فسَأَلَ عبدَ الله بنَ عبّاسٍ وأَبا هريرةَ عن ذلك، [فقالَا]: لا نَرَى أَن تَنكِحَها حتّى تَنكِحَ زوجاً غيرَك، قالَ: فإنّما كانَ طلاقِي إيّاها واحدةً، فقالَ ابنُ عبّاسٍ: إنّكَ أَرسَلْتَ من يَدِك ما كانَ لك من فضلٍ»)[1].

وهذا يُعارِضُ ما في «مسلم» و«أَبي داود» و«النَّسائي»: «أَنَّ أَبا الصَّهْباءِ كانَ كثيرَ السّؤالِ لابنِ عبّاسٍ، قالَ: أَما عَلِمْتَ أَنَّ الرَّجلَ إذا طَلّقَ امرأتَه ثلاثاً قبلَ أَن يَدخلَ بها، جَعلُوها واحدةً..» الحديثَ. «قالَ ابنُ عبّاسٍ: [بلى]، كان الرّجلُ إذا طَلّقَ امرأَتَه ثلاثاً قبلَ أَن يَدخلَ بها، جَعلُوها واحدةً علَى عهدِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسَلّمَ وأَبي بكرٍ وصَدْراً من إمارةِ عمرَ، فلَمّا رَأَى النّاسَ قد تَتابعُوا فيها.. قالَ: أَجِيزُوهُنَّ عليهم»[2]، هذا لفظُ أَبي داودَ.

وجَميعُها يُعارِضُ ما عن ابنِ عبّاسٍ؛ من أَنّ الثّلاثَ كانتْ تُجعلُ واحدةً علَى عهدِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسَلّمَ وأبي بكرٍ وصَدْراً من إمارةِ عمرَ، بل يَشهَدُ لنسخِ جميعِ ما رُوي؛ من أَنّ طلاقَ الثّلاثِ واحدةٌ، أَو لانتفاءِ ما أُنيطَ به من المعاني في الزّمنِ المتأخّرِ إمضاءُ الثّلاثِ عليهم، كما في روايةِ مسلمٍ: أَنّ ابنَ عبّاسٍ قالَ: «كانَ الطّلاقُ علَى عهدِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسَلّمَ وأَبي بكرٍ وسنتَيْنِ من خلافةِ عمرَ طلاقُ الثّلاثِ واحدةً، فقالَ عمرُ: إنّ النّاسَ قد استَعجَلُوا في أمرٍ كانَ لهم فيه أَناةٌ، فلَو أَمضَيناه عليهم، فأَمضَاه عليهم». حيثُ حمل الحديث علَى ظاهرِه.

---

(١) «شرح فتح القدير على الهداية شرح بداية المبتدي» (٣/ ٤٥٢)، و«الموطأ» (١٢٣٩).

(٢) «سنن أبي داود» (٢١٩٩)، و«صحيح مسلم» (٣٦٧٥).

قالَ ابنُ الهمام: (إذ لا يُمكنُ مع عدم مخالفةِ الصحابة لعمر في إمضائِه الثلاثَ عليهم مع علمِه بأنَّها كانتْ واحدةً، إلّا وقد اطَّلعُوا في الزّمنِ المتأخّرِ علَى وجودِ ناسخٍ، أو لعلمِهم بانتهاءِ الحكم كذلك لعلمِهم بإناطتِه بمعانٍ عَلِمُوا انتفاءَها في الزَّمنِ المتأَخّرِ، فإنَّا نَرى الصحابةَ تَتابَعُوا علَى هذا الأَمرِ، ولا يمكنُ وجودُ ذلك منهم مع اشتهارِ كونِ حكمِ الشَّرعِ المتقرّرِ كذلك أَبداً، فمنْ ذلك ما أَوجَدْنَاك عن عمرَ وابنِ مسعودٍ وأَبي هريرةَ، ورُوي أَيضاً عن عبدِ الله بنِ عمرِو بنِ العاصِ، وأَسْنَدَ عبدُ الرَّزّاقِ عن علقمةَ قالَ: «جاءَ رجلٌ إلى ابنِ مسعودٍ فقالَ: إنّي طَلّقْتُ امرأَتي تسعاً وتسعينَ، فقالَ له ابنُ مسعودٍ: ثلاثٌ تبينُها وسائرُهنَّ عُدوانٌ»[1].

ورَوى وَكيعٌ عن الأَعمشِ عن حَبيبِ بنِ ثابتٍ قالَ: «جاءَ رجلٌ إلى عليٍّ بنِ أَبي طالبٍ فقالَ: إنّي طَلّقْتُ امرأَتِي أَلفاً، فقالَ له عليٌّ: بانتْ منكَ بثلاثٍ، واقْسِمْ سائرَهنَّ علَى نسائِك»[2].

ورَوى وَكيعٌ أَيضاً عن معاويةَ بنِ يَحيَى قالَ: «جاءَ رجلٌ إلى عثمانَ بنِ عفّانَ فقالَ: طَلّقْتُ امرأَتي أَلفاً، فقالَ: بانتْ منكَ بثلاثٍ».

وأَسنَدَ عبدُ الرَّزّاقِ عن عُبادةَ بنِ الصَّامتِ: «أَنّ أَباه طَلّقَ امرأتَه أَلفَ تطليقةٍ، فانْطَلَقَ عُبادةُ فسَأَلَه صلّى الله عليه وسَلّمَ، فقالَ صلّى الله عليه وسَلّمَ: **بَانَتْ بثَلَاثٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالى وَ[بَقِيَ] تِسْعُمائَةٍ وسَبْعٌ وَتِسْعُونَ عُدْوَاناً وظُلْماً، إنْ شَاءَ.. عَذَّبَهُ اللهُ، وَإنْ شَاءَ.. غَفَرَ لَهُ**»[3].

---

(١) «مصنف عبد الرزاق» (١١٣٤٣).

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٧٩٨٤).

(٣) «مصنف عبد الرزاق» (١١٣٣٩). في (أ) و(ب): «يبقى» بدل «بقي» والمثبت ما في «مصنف عبد الرزاق».

وممَّا يُبطِلُ قولَ بعضِ الحنابلةِ القائلينَ بهذا المذهبِ: «تُوفِّيَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسَلّمَ عن مائةِ أَلفِ عينٍ رَأَتْه، فهلْ صَحَّ لكم عن هؤلاءِ أو عن عُشرِ عُشرِ عُشرِهم القولُ بلُزومِ الثّلاثِ بفَمٍ واحدٍ؟ بل لو جَهدْتُم.. لم تُطيقُوا نقلَه عن عشرينَ نفساً».. **أَمرَانِ**: أَحدُهما: ما هو ظاهرٌ في إجماعِ الصّحابةِ؛ من أنَّه لم يُنقَلْ عن أحدٍ منهم أنّه خالَفَ عمرَ رضي الله عنه حينَ أَمضَى الثّلاثَ، وليس يَلزمُ في نقلِ الحكمِ الإجماعِيِّ عن مائةِ أَلفٍ أَن يُسمَّى كلٌّ لِيَلزمَ في مجلَّدٍ كبيرٍ حكمٌ واحدٌ علَى أَنّه إجماعٌ سكوتِيٌّ.

وثانيهما: أَنّ العبرةَ في نقلِ الإجماعِ نقلُ ما عن المجتهدينَ لا العوامِّ، والمائةُ الأَلف الَّذينَ تُوفِّيَ عنهم رسولُ الله صلى الله عليه وسَلّمَ لا تَبلُغُ عِدّةُ المجتهدينَ الفقهاءِ منهم أَكثَرَ من عشرينَ، كالخلفاءِ والعَبادلةِ وزيدِ بنِ ثابتٍ ومعاذِ بنِ جبلٍ وأَنسٍ وأَبي هريرةَ رضي الله تعالى عنهم، والباقونَ يَرجعُونَ إليهم ويَستَفتُونَ منهم، وقد أَثبتْنا النّقلَ عن أَكثرِهم صريحاً بإيقاعِ الثّلاثِ، ولم يَظهَرْ لهم مخالِفٌ، فماذا بعدَ الحقِّ إلّا الضَّلالُ؟!.

وعن هذَا قُلنا: لو حَكَمَ حاكمٌ بأَنّ الثّلاثَ بفَمٍ واحدٍ واحدةٌ.. لم ينفذْ حكمُه؛ لأَنّه لا يَسوغُ الاجتهادُ فيه، فهو خلافٌ لا اختلافٌ، والرِّوايةُ عن أَنسٍ بأَنّها ثلاثٌ أَسنَدها الطَّحاوِيُّ وغيرُه.

وغايةُ الأَمرِ أَن يَصيرَ كبَيعِ أُمَّهاتِ الأَولادِ أُجمعَ علَى نَفيِه، وكُنَّ في الزَّمنِ الأَوّلِ يُبْعَنَ، وبعدَ ثُبوتِ إجماعِ الصَّحابةِ رضي الله تعالى عنهم لا حاجةَ إلى الاشتغالِ بالجواب عن قياسِهم علَى الوكيلِ بالطّلاقِ واحدةً إذا طَلّقَ ثلاثاً مع ظهورِ الفرقِ بأَنَّ مخالفتَه لا تَحتمِلُ مخرجاً عن الإبطالِ لمخالفتِه الإذنَ، والمكلَّفونَ وإن كانُوا

أَيضاً إنّما يَتصرَّفُونَ بإذنِ الشَّرعِ، لكنْ إذا أجمعُوا علَى خلافِ بعضِ الظَّواهِرِ والإجماعُ حجّةٌ قَطعيّةٌ.. كانَ مقدّماً بأَمرِ الشّرعِ علَى ذلك الظّاهرِ، فلَنا أَن لا نَشتغِلَ معه بتَأويلٍ، وقد يُجمَعُ بما ذَكرْنا؛ من الاطِّلاعِ علَى النّاسخِ أَو العلمِ بانتهاءِ الحكمِ لانتهاءِ علَّتِه، وأَمّا إن حُملَ حديثُ ابنِ عبّاسٍ: «كانَ الطّلاقُ علَى عهدِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسَلّمَ».. إلخ علَى خلافِ ظاهرِه دَفعاً لمعارضتِه إجماعَ الصَّحابةِ رضي الله عنهم علَى ما أَوجَدْناك من النَّقلِ عنهم واحداً واحداً، وعدمِ المخالفِ لعمرَ رضي الله عنه في إمضائِه، وظاهرِ حديثِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه.. فتَأويلُه أَنَّ قولَ الرّجلِ: أَنتِ طالقٌ أَنتِ طالقٌ أَنتِ طالقٌ كانَ واحدةً في الزَّمنِ الأَوّلِ لقَصدِهم التَّأكيدَ في ذلك الزَّمانِ، ثُمّ صارُوا يَقصِدونَ التَّجديدَ، فأَلزَمَهم عمرُ رضي الله عنه ذلك لعلمِه بقَصْدِهم.

وأَمّا حديثُ رُكانةَ الّذي رَواه الإمامُ أَحمدُ؛ قالَ: «حَدّثَنا سعيدُ بنُ إبراهيمَ قالَ أَنبأَنا أَبي عن محمّدِ بنِ إسحاق قالَ حَدثَّني داودُ بنُ الحصينِ عن عِكرمةَ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله تعالى عنهما قالَ: طَلّقَ رُكانةُ بنُ عبدِ يَزيدَ زوجتَه ثلاثاً في مجلسٍ واحدٍ، فحَزنَ عليها حزناً شديداً، فسَأَله النبيُّ صلَّى الله عليه وسَلّمَ **كَيْفَ طَلَّقْتَهَا**؟ فقالَ: طَلّقْتُها ثلاثاً في مجلسٍ واحدٍ، قالَ: «**إِنَّمَا تِلْكَ طَلْقَةٌ فارْتَجِعْهَا**».. فمُنكَرٌ، والأَصحُّ ما رَواه أَبو داودَ والتِّرمذيُّ وابنُ ماجه: «أَنّ رُكانةَ طَلّقَ زوجتَه البَتّةَ، فحَلّفَه رسولُ الله صلّى الله عليه وسَلّمَ أَنّه ما أَرادَ إلّا واحدةً، فرَدَّها إليه، فطَلّقَها الثَّانيةَ في زمنِ عمرَ رضي الله عنه، والثَّالثةَ في زمنِ عثمانَ رضي الله عنه»، قالَ أَبو داودَ: وهذا أَصحُّ). أَفادَ جميعَ هذا ابنُ الهمامِ[1].

---

(١) انظر «شرح فتح القدير على الهداية شرح بداية المبتدي» (٣/ ٤٥٢).

وأمّا قولُ الإماميّةِ: لا يَقعُ بلَفظِ الثّلاثِ ولا في حالةِ الحيضِ؛ لأَنَّه بدعةٌ محرّمةٌ، وقالَ صلّى الله عليه وسَلّمَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا.. فَهُوَ رَدٌّ»(١).. فباطلٌ من وجهَيْنِ: أَحدُهما: لا نُسلِّمُ أَنّ لفظَ الثّلاثِ بدعةٌ محرّمَةٌ؛ لأَنَّ عُوَيْمِرَ العَجْلانِيَّ لَمَّا لَاعَنَ امرأتَه.. طَلّقَها ثلاثاً قبلَ أَن يُخبِرَه صلَّى الله عليه وسَلّمَ بحُرمتِها عليه. رَواه الشّيخان(٢).

فلو حرم.. لَنهاه عنه؛ لأَنّه أَوقَعه معتقداً بَقاءَ الزَّوجيّةِ، ومع اعتقادِها يَحرُمُ الجمعُ عندَ المخالفِ، ومع الحرمةِ يَجبُ الإنكارُ علَى العالمِ وتعليمُ الجاهلِ، ولم يُوجَدِ الإنكارُ والتَّعليمُ، فدَلَّ عدمُ وجودِهما علَى أَن لا حرمةَ، كما عليه الشافعيّةُ، وقد فَعلَه جمعٌ من الصحابةِ وأَفتَى بها آخرُونَ، كما في «شرح التحفة» لابنِ حجرٍ(٣).

ثانيهما: سَلّمْنا أَنّه بدعةٌ محرّمَةٌ كحالةِ الحيضِ، وهو ما عليه المذاهبُ الثلاثةُ لكنْ نقولُ: في أَمرِه صلَّى الله عليه وسَلّمَ ابنَ عمرَ أَن يُراجِعَها حينَ طَلّقَها وهي حائضٌ دليلٌ علَى بطلانِ قولِهم في الحيضِ، وأَمّا بطلانُه في الثلاثِ.. فلأَنَّ عدمَ مشروعيّتِه ثلاثاً بمرّةٍ واحدةٍ بمقتضَى قولِه تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ إلى أَن قالَ: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ حيثُ إنّه يَدلُّ علَى أَنّه مفرقٌ، أَي: لا طلاق شرعاً إلّا كذلك إنّما هو لمعنى في غيرِه، وهو ما فيه من قَطعِ النكاحِ الَّذي تَعلَّقتْ به المصالحُ الدِّينيّةُ أَو الدُّنيويّةُ، وحَظرُه لمعنى في غيرِه لا يُنافي مشروعيّتَه لذاتِه من حيثُ إنّه إزالةُ الرّقِّ، وذلك؛ لأَنَّ النكاحَ نوعُ رقٍّ.

(١) «صحيح مسلم» (٤٤٩٣).

(٢) «صحيح البخاري» (٥٢٥٩)، و«صحيح مسلم» (٣٧٤٣).

(٣) انظر «تحفة المحتاج بشرح المنهاج» (٨/ ١٦٣).

وبالجملةِ: ففي كلٍّ من وقوعِ الطلاقِ ثلاثاً إذا طَلّقَها ثلاثاً أَو أَكثرَ بكلمةٍ واحدةٍ، وعددِه، وكونِه معصيةً خلافٌ، فعن الإماميّةِ لا يَقعُ بلفظِ الثّلاثِ، ولا في حالةِ الحيضِ؛ لأَنّه بدعةٌ مُحرّمةٌ وهو باطلٌ كما علمتَ، وحُكي عن الحجّاج ابنِ أرطأةَ وطائفةٍ من الشّيعةِ والظّاهريّةِ أَنّه لا يَقعُ منها إلّا واحدة، واختارَه من المتأخّرينَ مَن لا يُعبأُ به، فأَفتَى به واقتدَى به مَن أَضلّه الله، والّذي عليه عامّةُ العلماءِ المشهورينَ من فقهاءِ الأَمصارِ - بل حَكى عليه الإجماعَ ابنُ عبدِ البرِّ وغيرُه من أَئمّةِ الحديثِ الموثوق بهم - وقوعُ الثّلاثِ، فلا عبرةَ بمَن خالفَهم في ذلك، أَو حَكمَ بقولِ مخالفِهم.

وأَمّا كونُ الثّلاثةِ بكلمةٍ واحدةٍ معصيةً أَو لا، فالشّافعيُّ رحمه الله تعالى علَى أَنّه لا حرمةَ فيه، وأَهلُ المذاهبِ الثّلاثةِ علَى أَنّه بدعةٌ مُحرّمةٌ.

والله أَعلمُ بالصّوابِ، وإليه المرجعُ والمآبُ، والحمدُ لله الّذي هدانا لهذا، وما كُنّا لنَهتديَ لولا أَن هدانا الله، والصّلاةُ والسّلامُ علَى سيّدِنا محمّدٍ وعلَى آله وصحبِه ومَن والاه.

حرّر في ٢٤ ربيع الثّاني من عام الأَلفِ والثّلاثمائةِ والثّلاثينَ من هجرةِ سيّدِ المرسلينَ صلّى الله تعالى وسَلّمَ عليه وعلَى آله وصحبِه أجمعينَ. انتهى.

[مكتوبُ محمّد العَسلي إلى حسن حِلمي قَدّسَ الله سِرَّهما]

من الأَحقرِ المقصّرِ العاقِّ محمّدٍ العَسلي إلى شيخِنا وسندِنا سيّدِي وروحِي حسن حلمي أَفندِي، السّلامُ عليكُم، وزادكُم درجةً ورِفعةً عندَ الله، آمين.

وبعد: [فلمّا] سمعتُ كونَ رجلِنا أرسلَ حكمَ طلاقِ زوجتِه إلى هَركَاني لَدى الوهّابيِّ عبد رشيدِ الْمحمَّد.. طلبتُ منه النّسخةَ الَّتي [وَردَت] منه، فحينَ رَأيتُه ممَّا لا بدَّ من وضعِها في ضمنِ كتابِكم الَّتي تصنّفُه أَرسلتُها إليكم، فانظرُوا إليها لكي تبصرُوا اعتزالَ كاتبِه من مذهبِ أَهلِ السُّنّةِ والجماعةِ، انتهى والسّلام.

(إلى عبدِ رشدِ الْمحمَّد؛ السّلامُ عليكُم: دُنْ دِبرَصْ چُـجُ يَـلْپـلْ ژَرْ طَمِزِ أَحِدَلْ دُنْكِ أَنَا شَرْعَلْدَ رِقَرَوْ كِـكُ نُعْكِ وَچُـنْ، هَنْجِ دِدَ أَبُنَ دِبرَصْ: ژَرْ طَم أَبُنْ، دِرْ چُـجُ يَلْپُـلْ ژَرْ طَمُنَ إنْ شاءَ الله لْدَلْپُـنْ كِيَوْكُ نُعَصْدَ رَعِزكِ هَبُنْ، هَنْجِكِ أَبُنَ دِبرَصْ: هِدِنْ بِهُلَرُ ژُژُ كُنْ طَم أَبُنْ، ژِنْكِ دِصَ ژُژُ كُنْ لِـبْژُ لْكُ بَطَ بَطَ طَمُنَ إنْ شاءَ الله لْدَلْپُـنْ كُرُكُ طَمُلِ هِـچُ أَبُنْ كِيَوْكُ نُعصْدَكِ أَبُنْ، هَدِنْ طَمُرَبْ ژَرَ لْدَلْپُـنْ ژَرْ كَلِشْ؟ خِخْكُ جَوَابْ بِطِ). انتهى.

[الجواب]

(ولو ادَّعَى الاستثناءَ أَو المشيئةَ.. صُدّقَ، إلّا إن كَذّبَتْه الزّوجةُ بأَنْ قالتَ: لم تَستثْنِ، أَو لم تَأتِ بالمشيئةِ، فإنّها المصدّقةُ، فإنْ قالتْ: لم أَسمَعْ.. لم يُلتفَتْ إلى قولِها)[1]. «سليمان الجمل» (٣٥١).

(لو ادَّعى الاستثناءَ وأَنكرَتْه الزّوجةُ.. صُدّقَتْ، فتحلفُ علَى نَفيِهِ، بخلافِ ما لو أَنكرَتْ سَماعَها إياه.. فيُصدَّقُ هو؛ لأَنّه لا يَلزمُ من [عدمِ] سَماعِها إيّاه عدمُ إتيانِه به، فلا أَثرَ لإنكارِها له). «بيجوري»[2]. (١٥٠).

(١) «حاشية الجمل على شرح المنهج» (٧/ ٥٤).

(٢) «حاشية الباجوري» (٣/ ٤٩٨).

(قالَ م ر: ولو ادَّعى الاستثناءَ فادَّعتِ الزّوجةُ عدمه.. فالقولُ قولُها، أَو أَنّها لم تَسمَعْه.. فالقولُ قولُه، وكذا الشُّهود. انتهى)[1]. «ابن قاسم» (٦١).

وعدمُ وقوعِ الطَّلاقِ المعلّقة المشيئة بشرطٍ فالكتبُ الفقهيّةُ مشحونةٌ به، فطالعُوها.

وإن وَردتُم إلى كتابِ الله الكريم، وحَكمتُم بما أَنزلَ الله.. فالطلاقُ المذكورُ فيه هذا: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾[2] هذا هو الطّلاقُ المشروعُ في كتابِ الله تعالى وهو الطّلاقُ الرّجعيُّ علَى هذه الصِّفةِ وبهذا العددِ، وأَمّا الطَّلاقُ الباتُّ البائنُ.. فلَم يَردْ في كتابِ الله تعالى، والفقهاءُ والمحدِّثونَ متّفقُونَ على أَنّ حكمَ الطَّلاقِ البائنِ بلفظِ الثّلاثِ، أَو تكرارِ اللّفظِ لا يُؤخَذُ من هذه الآيةِ ولا من آيةٍ أُخرى من القرآنِ، ولذلك وَقعَ فيه الخلافُ.

ورَوى النَّسائيُّ من حديثِ محمودِ بنِ لَبيدٍ قالَ: «أُخبرَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسَلّمَ عن رجلٍ طَلّقَ امرأَتَه ثلاثَ تطليقاتٍ جمعيّاً، فقامَ غَضبان[3] ثُمّ قالَ: **أَيُلْعَبُ بكِتَابِ اللهِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟** حتّى قامَ رجلٌ فقالَ: يا رسولَ الله أَلا أَقتلُه؟»[4]. قالَ ابنُ كثيرٍ: إسنادُه جيّدٌ، وقالَ الحافظُ ابنُ حجرٍ في «بلوغ المرام»: رواتُه موثوقونَ.

---

(١) «حاشية ابن القاسم العبادي على تحفة المحتاج» (١٠/ ١٠٩).

(٢) سورة البقرة (٢٢٩).

(٣) أَلا يكفي غضبُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسَلّمَ حجّةً واضحةً في وقوعِ الطَّلاقِ!، فتَدبّرْ وراجعْ «كشف الغمة». (قحي).

(٤) «سنن النسائي» (٣٤٠١)

وقد صَرّحَ جماهيرُ العلماءِ ومنهم الحنفيّةُ؛ بأَنّ الطّلاقَ الشّرعيَّ هو ما كانَ مرّةً بعدَ مرّةٍ - أَي: في ٣ أَقراء - وأَنّ جمعَ الثّنتَيْنِ أَو الثلاثِ بدعةٌ، وأَنّه حرامٌ ولا يَقعْ به الطلاقُ إلّا رجعيّاً[١].

ورَوى أَحمدُ ومسلمٌ من حديثِ طاوسٍ عن ابنِ عبّاسٍ قالَ: «كانَ الطلاقُ علَى عهدِ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسَلَّمَ وأَبي بكرٍ وسنتَيْنِ من خلافةِ عمرَ طلاقُ الثَّلاثِ واحدةً، فقالَ عمرُ بنُ الخطّابِ: إنّ الناسَ قد اسْتعجَلُوا في أَمرٍ كانتْ لهم فيه أَناةٌ، فلو أَمضَيناه عليهم، فأَمضَاه عليهم»[٢].

وفي روايةٍ لمسلمٍ عن طاوسٍ: «أَنّ أَبا الصَّهبَاءِ قالَ لابنِ عبّاسٍ: هاتِ من هَنَاتِكَ[٣]، أَلم يكن طلاقُ الثلاثِ علَى عهدِ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسَلَّمَ وأَبي بكرٍ واحدةً؟ قالَ: قد كانَ ذلك»[٤].

فلمّا كانَ في عهدِ عمرَ تَتايَعَ الناسُ في الطلاقِ - التَّتايعُ بالمثنّاةِ التَّحتيَّةِ: الوقوعُ في الشَّرِّ من غيرِ تماسكٍ ولا تَوقّفٍ - فأَجازَه عليهم.. إلخ. فلم يَبقَ لمن يَحكمُونَ بوقوعِ الطّلاقِ بائناً باتّاً بالطلاقِ الثلاثِ جمعاً أَو بتكريرِ اللَّفظِ إلّا الأَخذ بعملِ عمرَ رضي الله عنه[٥]، ومَن لم يَحتجَّ بعملِ الصّحابةِ.. قالَ: إنّه

(١) هذا بهتانٌ عظيمٌ، فإنَّ جمعَ الطلاقِ الثلاثِ وإن كان حراماً عندَ أَبي حنيفةَ لكن يَقعُ الطلاقُ عندَه، كما هو مذكورٌ في كتبٍ عديدةٍ. [قحي].

(٢) «صحيح مسلم» (٣٦٧٣)، و«مسند أَحمد» (٢٨٧٥).

(٣) قال النووي رحمه الله تعالى في «المنهاج شرح صحيح مسلم» (٤/ ٨٢): والمراد بهناتك: أَخبارك وأُمورك المستغربة، والله أَعلم.

(٤) «صحيح مسلم» (٣٦٧٥).

(٥) وعَملُ عمرَ هو عينُ ما في حديثِ أَنسٍ، فراجِعْ «كشف الغمة». (قحي).

لا بدَّ له من دليلٍ. ومذهبُ أَحمدَ العملُ بروايةِ الصّحابيِّ دونَ رأيِه إذا اخْتلفَا وذَكرَ لذلك شواهدَ.

وإنّ إجازةَ عمرَ الثلاثَ لَمّا تَتايَعَ النّاسُ في الطَّلاقِ تَأديبٌ لهم علَى مخالفةِ ما شَرعَه الله في الطلاقِ؛ من كونِه يُوقع المرّة بعدَ المرّةِ؛ ليَرجعُوا إلى السُّنّةِ، ووَجهُ ذلك بالنِّسبةِ إلى ذلك الوقتِ، وذكر الرّوايات في تَأييدِه، وأَمّا الآنَ.. فالمصلحةُ تَقضِي بالرُّجوعِ إلى الكتابِ وما مَضتْ به السُّنةُ في عهدِ النبيِّ صلَّى الله عليه وسَلّمَ والخليفةِ الأَوّلِ، فراراً من مفاسدِ التَّحليلِ الَّتي هي من أَكبرِ العارِ علَى المسلمينَ علَى أَنّها مخالفةٌ لدينِهم، وهذا قليلٌ من الكثيرِ، وله تفصيلٌ فراجعُوا، وعلَى هذا المحقّقونَ من العلماءِ[1]، والسلام.

قالَ حاملُ هذا الكتابِ: كَتبَه فخرُ الدِّين الهركانِيُّ وكَتبتُه من خطِّه.

---

(١) وأَمّا الأَئمّةُ الأَربعةُ.. فعَلى وقوعِ الطّلاقِ بالطّلاقِ الثّلاثِ جمعاً، فلا أَدرِي مَن أَرادَه هذا الكاتبُ من المحقّقينَ فوقَ الأَئمّةِ الأَربعةِ، فقولُه هذا يُشعِرُ كونَه مائلاً إلى مذهبِ الوهّابيّةِ المعتزلةِ الشّاذّةِ، والله يَعلمُ حقائقَ الأُمورِ، فراجِع: «فتح الباري شرح البخاري» و«الرملي» و«الترشيح» و«البغية» وتقريراتِ العلماءِ الفقهاءِ المنقولة من كتبِ المذاهبِ، فإيّاكُم ثُمّ إيّاكُم أَن تَعمَلُوا هذا المذهبَ اليمانِيَّ والوهّابيَّ، والسَّلام. (قحي).

فهرس المصادر والمراجع

فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفيحاء، الطبعة الثالثة (١٤٢١ هـ).

صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، مؤسسة الرسالة ناشرون، الطبعة الأولى (١٤٣٤هـ).

تحفة المحتاج بشرح المنهاج، تأليف العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، دار الضياء، الطبعة الأولى (١٤٤١هـ).

حواشي الشرواني وابن قاسم العبادي على تحفة المحتاج بشرح المنهاج، للإمام العلامة الشيخ عبد الحميد الشرواني والعلامة الشيخ أحمد بن قاسم العبادي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ).

نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، للإمام شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة ابن شهاب الدين الرملي، دار الفكر (١٤٢٤هـ).

الفتح المبين بشرح الأربعين، للإمام العلامة الفقيه المحقق شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي الشافعي، دار المنهاج، الطبعة الأولى (١٤٢٨هـ).

الفتح المبين بشرح الأربعين، مع حاشية حسن بن علي المدابغي، دار الكتب العلمية.

سنن الترمذي، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، مؤسسة الرسالة ناشرون، الطبعة الأولى (١٤٣٢هـ).

البريقة المحمودية في شرح الطريقة المحمدية، تأليف أبي سعيد محمد بن مصطفى الخادمي، دار الكتب العلمية.

حاشية الباجوري على شرح العلامة ابن قاسم الغزي على متن أبي شجاع، للإمام إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري، دار المنهاج، الطبعة الأولى (١٤٣٧هـ).

فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، للإمام محمد عبد الرؤوف المناوي، دار المعرفة، الطبعة الثانية (١٣٩١هـ).

الطبقات الوسطى المسمى لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية، للإمام عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني، دار الإحسان، الطبعة الأولى (٢٠١٧م).

الآيات البينات على شرح جمع الجوامع، للإمام أحمد بن قاسم العبادي الشافعي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية (١٤٣٣هـ).

بغية المسترشدين، للإمام الفقيه الحبيب عبد الرحمن بن محمد المشهور، دار المنهاج، الطبعة الأولى (١٤٣٩هـ).

الفتاوى الكبرى الفقهية، للإمام شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد بن علي ابن حجر المكي الهيتمي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية (٢٠٠٨م).

سنن الدارقطني، للإمام الحافظ علي بن عمر الدارقطني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ).

المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار الفيحاء ودار المنهل ناشرون، الطبعة الأولى (١٤٣١هـ).

سنن ابن ماجه، للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، مؤسسة الرسالة ناشرون، الطبعة الأولى (١٤٤٠هـ).

سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، مؤسسة الرسالة ناشرون، الطبعة الأولى (١٤٣٤هـ).

السنن الكبرى، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، دار الكتب العلمية.

مصابيح السنة، للإمام ركن الدين أبي محمد الحسين بن مسعود ابن محمد الفراء البغوي، دار المعرفة، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ).

أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للإمام ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، دار الرشيد ومؤسسة الإيمان، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ).

حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي، للإمام محمد بن مصلح الدين القوجوي الحنفي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ).

غاية تلخيص المراد من فتاوى ابن زياد، للإمام عبد الرحمن بن زياد الزبيدي، بهامش بغية المسترشدين، دار الفكر (١٤١٤هـ).

القاموس المحيط، للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة (١٤٢٤هـ).

البدر الطالع في حل جمع الجوامع، للإمام جلال الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد المحلي، مؤسسة الرسالة ناشرون، الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ).

القول السديد في بعض مسائل الاجتهاد والتقليد، للإمام محمد بن عبد العظيم بن ملا فروخ المكي الموروي الحنفي، دار الكتب العلمية.

الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية (١٤٢٥هـ).

العقد الفريد في أحكام التقليد، للإمام نور الدين علي بن عبد الله بن أحمد السمهودي، دار المنهاج، الطبعة الثانية (١٤٣٢).

الفتاوى الحديثية، للإمام أحمد شهاب الدين بن حجر الهيتمي، دار التقوى، الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ).

تفسير الجلالين، للإمام جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار المنار.

الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، للإمام سليمان بن عمر العجيلي الشافعي، دار الكتب العلمية، الطبعة الخامسة (١٤٣٩هـ).

لباب التأويل في معاني التنزيل، للإمام علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ).

فتاوى الچوخي، للإمام محمد علي بن محمد مرزا بن محمد علي الداغستاني الچوخي، طبع في المطبعة الإسلامية لمحمد مرزا مورايو في بلدة تمرخان شوره (١٩٠٨م).

كشف الغمة عن جميع الأمة، للإمام أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني، دار الكتب العلمية.

الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، تأليف العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، دار الرسالة.

شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق، للإمام الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني، دار الكتب العلمية.

مقالات زينية، للشيخ زين الله بن حبيب الله الرسولي النقشبندي، مطبعة شرف قزان (١٣٢٦هـ).

حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، للإمام الشيخ أحمد بن محمد الصاوي المصري المالكي، دار الكتب العلمية.

حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، للإمام محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي، دار الفكر.

فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك، للإمام أبي عبد الله الشيخ أحمد عليش، دار المعرفة.

الفتاوى الخيرية لنفع البرية، للإمام خير الدين بن أحمد الرملي الحنفي، الطبعة الثانية بالمطبعة الكبرى الميرية ببولاق مصر المحمية (١٣٠٠هـ).

شرح منتهى الإرادات، للإمام الشيخ منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي.

كشاف القناع عن متن الإقناع، للإمام منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، عالم الكتب بيروت (١٤٠٣هـ).

فتح القدير على الهداية شرح بداية المبتدي، للإمام كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية، الطبعة الأولى (١٣١٥هـ).

فتاوى الإمام الحفناوي، للإمام محمد بن سالم الحفناوي الأزهري، طبع في ضمن الرسائل الداغستانية، الناشر: الإدارة الدينية لمسلمي داغستان.

سنن النسائي، للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، مؤسسة الرسالة ناشرون، الطبعة الأولى (١٤٤٠هـ).

سنن سعيد بن منصور، للإمام سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني، دار السلفية، الطبعة الأولى (١٤٠٣).

العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ، لصالح بن مهدي المقبلي اليمني، الطبعة الأولى بمصر سنة (١٣٢٨هـ).

الميزان الكبرى، للإمام أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني، دار الفكر (١٤٢١هـ).

كشف الخفاء ومزيل الإلباس، للإمام إسماعيل بن محمد العجلوني الجواحي، مكتبة علم الحديث.

مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، للإمام شمس الدين محمد بن محمد الخطيب الشربيني، دار الفيحاء، الطبعة الأولى (١٤٣٠هـ).

الأنوار لأعمال الأبرار، للإمام يوسف الأردبيلي، مؤسسة الحلبي، الطبعة الأخيرة (١٣٩٠هـ).

إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، للإمام السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي، دار الكتب العلمية.

حاشية العطار على شرح الجلال المحلي، للإمام الشيخ حسن بن محمد بن محمود العطار، دار الكتب العلمية.

تحفة المريد على جوهرة التوحيد، للإمام إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري، دار السلام، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ).

حاشية الجمل على شرح المنهج، للإمام سليمان بن عمر بن منصور العجيلي، دار الكتب العلمية.

كلمة في السلفية الحاضرة، رسالة بعث بها العلامة يوسف الدجوي إلى الإمام الكوثري، دار المصطفى، الطبعة الأولى (١٤٢٨هـ).

مصنف عبد الرزاق، للإمام أبي بكر عبد الرزاق بن هشام الصنعاني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ).

مقالات الكوثري، للإمام محمد زاهد الكوثري، دار السلام، الطبعة الرابعة (١٤٣٦هـ).

شرح الكوكب الساطع نظم جمع الجوامع، للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مكتبة الإيمان (١٤٢٠هـ).

حاشية البجيرمي على شرح منهج الطلاب، للإمام سليمان بن محمد بن عمر البجيرمي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للإمام بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ).

مصنف ابن أبي شيبة، للإمام أبي بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم ابن أبي شيبة، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ).

الآداب، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ).

مسند الإمام الشافعي، للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، دار الكتب العلمية.

سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٤٠٢هـ).

مناقب الشافعي، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار التراث، الطبعة الأولى (١٣٩٠هـ).

لسان الميزان، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مكتبة المطبوعات الإسلامية، الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ).

محتوى الكتاب

مجموعة فتاوى أهل التحقيق

خلاصة الآداب

لمن أراد فتح الأبواب

تأليف

العلامة الجليل المرشد الكامل

حسن حلمي بن محمد القحي الشاذلي النقشبندي الداغستاني

رحمه الله تعالى

المتوفى سنة ١٣٥٦ هـ

الإدارة الدينية لمسلمي داغستان

طبع تحت إشراف مفتي جمهورية داغستان الشيخ أحمد أفندي قدس سره
بالتحقيق والمقابلة على مخطوطة المؤلف رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

خُلاصَةُ الآدابِ

لِمَنْ أرادَ فتحَ الأبوابِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الآداب وسيلةً للوُصُول إلى درجة القرب والولاية وسبباً لأخذ الفيض من أهل النّظر والعناية وطرّد من أساء الأدب عن بساط الحضرة إلى وادِي الحرمان والضلالة ، والصّلاة والسّلام على رسوله محمَّد منبع العلم والحكمة وعلى آله وأصحابه المتأدِّبين بآدابه حتَّى وَصَلُوا إلى النهاية ، آمين .

أما بعد : فلما كان التصوف كلّه أدباً ولم يصل أحدٌ إلا بالأدب وكان غالب أهل الطّريق جاهلين شيئاً ممّا أجمل من الآداب فضلاً ممّا فصّل وكان شيخنا قطب الإرشاد الحاج عبد الرحمن العسوي قدّس سره يَأْمُرُني كثيراً بتعليم الآداب للمريدين أردتُ أن أكتب منْظُومَة عجميّة على كيفية ما رتّبه قطب الأنام خالد البغدادي في « رسالته » مع زيادة أمور مهمّة مذكورة في كتب الطّائفة الصّوفية وسميتها بـ « **خلاصة الآداب لمن أراد فتح الأبواب** » جعلها الله تعالى نافعة للعباد ولا جعلها سبباً للعناد إنه ولي التوفيق . وأَرْجُو ممّن اطَّلع عليها وعلّمها أو سمعها وعمل بها أن يستغفر لهذا الفقير المسكين حسن ابن العالم الحاج محمد القحيّ رزقه الله تعالى والمسلمين متابعة النبي عليه السلام في الأقوال والأفعال وهداه وإيّاهم إلى سبيل الهداية والاستقامة ، آمين .

فأقول متمسّكاً بحَبْل التوفيق :

دَعْـــوٰى أَهْــلُ عِـمِـرْ لُِـنْ عَـــدَدَ خَــرَبْ طَرِيقْ

اِحْــيَـــاءْ(١) هَـبِـزِ هَـنْـجِ طَـلُِــنْ كَّــنَ لَِـلِـزْدَ

دَعْـــوٰى چِـيَـزْ بِـــثْرَلْ مَـرْهَــبِ أُيِـلَــنْ كُّــنْ

هَــبْ طَـرِيـقَـلْـدَ اِنْـكَـارْ هَـبُـنْ رُكِـــنْ عِـمِـرَلْ

هِــــبْ قِّـــزِ بِــــهُـلَـرِنْ ژُيَـــلَـــصَّ(٢) أَبُـــلَ

قُّـــلِـــوْ چِ كِـصَّـيِـلَـنْ ژُكِــــــدَزْكِ بِـــژُنَ

اِزْ اَبُـلِــبْ جُـيَـلٍ نَـــقْـــلُ(٣) كُـــدُبْ شُـلَـرُ

تَــمَـشَ لِ عَـــلاٰمَـــةْ اِزُلْ كَـنْـطِ هِـچُـلٍ

طَـرِيـقَـةْ(٤) قِّـزِ كُـرِشْ شَـيِـخَـصْ(٥) إِذْنُ قُّلِبْ

شَـرِيـعَـةْ مَـلِْـزِ كُــرِشْ دِبِـــــرْزَبِ تُـــنْ رُكِـــلْ

---

(١) چَكُ هَبِز .

(٢) واعلم أن ملخص باب المشيخة هو نصح المسلمين ومحبة الخير لهم والترقي لهم إلى مقامات الحضور والجمعية بعدما كانوا في الغفلة المحضة عن حضور رب البريّة في قلوبهم القاسية ، فالتارك لهذه الأمور بعدما كان عارفاً بالطريق ومأذوناً بالإرشاد عاصٍ لله تعالى ، والله أعلم وإليه يرجع الأمر كله ، ونظير ما ذكرته في « الحديقة الندية » في ١٠٣ من هامش « أصفى الموارد » ، فراجعه . (منه) . وأما إذا كان جاهلاً بالطّريق فلا تفاضل بينه وبين جهلة العوام ، راجع « الحديقة الندية » أيضاً في ١٠٣ . (منه) .

(٣) طِـكَّـلْـدَصَ بُسَرَبْ بَكْ .

(٤) هذا الكلام ردٌّ على من يقول من المتصدّرين حين قيل لهم : لم لا تلقنون أذكار السلوك والطّريقة ؟ لا يجوز إعطاء الطريقة في هذا الزمان الفاسد ، و**فَسَاد** هذا القول ظاهرٌ . (منه) .

(٥) وقال من دعا إلى الله بغير ما دعا به رسول الله ﷺ فهو بدعة . « جامع أصول الأولياء » ٢٥ .

شَرْعِيَلْ جَلْ مَلِزِ شَيْخَصْدِ حٰاجَةْ هِچُ

اِبِلْ اِنْصُدْكُ كُرِشْ شَرِيعَةْ مَلِݒُنْ بُكِبْ

شَيِخْزَبِ[1] كِصَّيَنْ اَبِزِكُ بِهِلِشْ

شَيِخْ طَعَنِ[2] دُنْيٰالْ فَسٰادْ ݒُنْ اُنَرِبِشْ

مُرْشِدْكِ طَعُنْ هِچِوْ هَلْ عَدَمَزْدَ جَنِوْ

دَعْوَى چِ عِمِرْݒِيَلْ ݒَلَرُكُ كُرُنِي

نَقْشُبَنْدِ طَرِيقَةْ بِطُنْ جُدُصَ قُّلِلْ

صَحِيحَبْ[3] اِجٰازَةْ قُّنْ اِذْنُ بُكِنْ يَقِنَلْ

مُحَمَّدْ نَقْشُبَنْدِلْ طَرِيقَةْ ݒُعِزِعَنْ

سُلُوكْ هَبُرَلْ[4] چَعِ رُكِلْ نِݒِدَ جَنِرْ

---

(١) فهو موجود إلى يوم القيامة ولا تخلو البلاد عنه ، « بريقة » ، لكن وجوده نادرٌ ، راجعه . فلا بدّ أن يكون في كل عصرٍ مائة ألف ولي وأربعة وعشرون ألف ولي ولا يزيدون ولا ينقصون ، لكل نبيّ وليّ على قدمه . (منه) .

(٢) وسئل بعض العارفين عن عدد الأولياء : أينقصون في زمان ، فقال : لو نقص منهم واحد ما أرسلت السماء قطرها ولا أبرزت الأرض نباتها ، « شرح سلك العين » . وفي « نور الهداية » في ٥٦ ما حاصله : إنهم موجودون إلى يوم القيامة لعموم قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » . (منه) .

(٣) قُّچَبْ .

(٤) طَرِيقَةْ حَلْطِزَبُرَلْ .

طُــلْــكُ اِبْ طَـرِيــقَـلْپُـلْ مَـقٰـامَـتَـلْ مَـلِّـزِ
اِذْنُـــكِ مُطْلَقْ هَـبُـنْ مُــرْشِــدْزَبِ لِّـنْ تَــرَلْ[١]
كٰــامِــلَــلْ هِــچُـنِـكِ كٰــامِــلَـصْ اِذْنُ قُّـرَلْ
نٰــاقِـصَـلْ رُكُـنِـكِ مَـــأْذُونْ ذَبِـــكِ رُكِــلْ
عَــصِــلِّ تُــلَــرِلَــنْ تُــكِ طَـرِيــقَــةْ دُصَّ
غٰـاصِـي[٢] فٰـاسِـقَ صِـيِـنْ[٣] طَرِيقْكُ حَجَلِّبْ
شَـــرْعْ ژِنْ كُّـلَـرِوْ دِي سُـلُـوكْ شَـيَـنْ اَبُــكِ
شَـــرْعْ كٰـامِـلْ هَـبِـزِيِـنْ[٤] طَـرِيـقَـةْ قَـرَعُـلِـبْ
نَــفْــسٌ[٥] اَمَّـــارَتَـــلِّـــلْ[٦] اَخْـــلاٰقَـــلْ چِـرَزِيِــنْ
شَـيِـخْ زَبَـــزْ اَذْكٰـــــارَلْ مُـرِيــدَ صْــدَ مَـلِّـلِـلْ

---

(١) كالشيخ الفاني في الله الحاج عبد الرحمن العسلي والشيخ العالم الحاج الحافظ شعيب أفندي الباكني والشيخ العالم الحاج مصطفى الغدبري قدس الله أسرارهم . (منه) .

(٢) فكيف لا وقد قال الشعراني في « مختصر تذكرة القرطبي » في صحيفة ٦٤ : قلت قد أجمع القوم على أنه لا بد لمن يريد ترك الشهوات وارتكاب الشدائد من السلوك على يد شيخ صادق يلطف كثافته ويرقق حجابه حتى يشهد الجنة والنار كأنهما رأي عين وإلّا فصاحب الحجاب لا يقدر على ترك الشهوات ولا ارتكاب المكروهات ، والله تعالى أعلم ، فراجعه من باب « حُفَّت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » . (منه رحم الله إفلاسه) .

(٣) أخذ مما في « ابن حجر » في كتاب « السير » وكذا مما في « روح البيان » . (منه) .

(٤) أخذ مما في « البهجة » في ٧٦ . (منه) .

(٥) راجع « مسيرة الحكم » و« الأنهار الأربعة » .

(٦) كٰـوِشَـلْـدَلِّـنْ اَمْـرُ هَـبُـلِبْ نَـفْـسْ .

اَمّٰارَةْ هِچوَصِ شَيْخَصُلْ حٰاجَةْ هِچِنْ[١]

جِوْكُ وِطُنْ اُنِصِ دَلِيلْ حَجَپُلَرِنْ

چَحْ[٢] هِچِبْ خُرْ چَرَزِ جَنِوْ شِ لُهُنَرِنْ

شُرْخُلْ اُنْتِ هِچِصِ دَرُ قَرَعُلَرِنْ

صٰافُنْ حَلْطِزِ كُلِّبْ غِزْ چَرَبْ فَرْتَلَلُپْ

بَژَدَبْ جُ چُرِزِ چِيَصْدِ حَجَتْ هِچِنْ

مَشٰائِخَزُلْ مِثٰالْ كُنْكَزْدَ رِپُنْ بُكُ

بَحْرُ النُّبُوَّةَ لُپْ[٣] فَيِضْ چَخِزِ غُرَلْ[٤]

لِمْ شُلَرِبْ خُرَلْدَ جَنِبْ جُ بِجُلَرِبْ

فَيِضْ شُلَرِبْ رِكِلْ اَخْلاٰقَلْ[٥] لِكْپُلَرِلْ

كُنْكِدَ غُرْقْ چِچِصْدِ كُنْكِلْ لِمْ چَخُلَرِبْ

شَيِخْ هِچِوْ چِيَصُلْ رَكَلْدِ نُورْ شُلَرِبْ

شَيْخَصْ مَلِچِبْ ذِكْرِ نُورْ هِچِبْكِ بُكُنِبْ

نُورْ هِچِبْ ذِكْرُ يَپُلْ هُقُّبْ شَيْطٰانْ حَلْطُلِبْ[٦]

(١) راجع « لواقح الأنوار » .

(٢) راجع « الخادمي على الولدية » . (منه) .

(٣) اَوَرَكْپِيَپُلْ رَپَدْ .

(٤) راجع « الفتاوى العمرية » . (منه) .

(٥) طَبعَتَلْ .

(٦) كذا في « الإبريز » .

شَـيـخْ هِـچِـصُـلْ شَـيِـخْ شَـيْـطَـانْ بُكُلِـبِلَنْ
چَـنْـكِ طِـكَّـلْـدَ بُـكِـبْ أَئِـمَّـةَ صَ[1] بِـسُـنْ

اَللهَ صْـــدِ مُـــنْ شِـــزِ نَـــخِّ چَـلِـلْ حُـجُـبَـلْ
نَـــخِّ اِنْـــزِ هَـــرِزِ ذِكْـــرِ عَـــدَبْ جُ هِـــچُ[2]

شَيْخَصْ تَلْقِينْ هَـبُـرَبْ ذِكْـرِ يَـلْدَصَنْ لِكَبْ
دَرُ هِـــچُ رَكَـــلُِـــلْ أَخْـــلاَقَـــلْ رَذَلِــــــزِي[3]

تَـلْـقِـيـنْ هَـبِـچِـبْ ذِكْـــرِ رَكَـــلْــدِكِ كُّـلَـرِبْ
اِلْ كُـــرُكُ شَـيْـطَـادُلْ وَسْـــوَاسْ نَـخِّ اُنَـــرِبْ[4]

شَــرْعِـيَـلْ[5] اُمُـــــورَزُلْ وِطَـــنْ چُـــنْ كُطِـيَـلِي
سَـبَـبْ اَمَّـــارَتَـــلِـــلْ اَخْـــلاَقَـــلْ رَتِ بُـكْ

---

(١) اِمَـامْـزَبَـزْ .

(٢) كذا في « الآداب المرضية » .

وقد جرّب جميع أشياخ الطريق رضي الله عنهم فما وجدوا عملاً أسرع في تنظيف القلب مما سوى الله من التوحيد ، فعليكم أيها الإخوان بكثرة ذكركم لربكم لتصيروا من أهل مجالسته فإنه لا يصطفي أحداً لحضرته وفيه شهوة من الشهوات أو علّة من العلل أو بقية من المجاهدات ، « منن كبرى » من ٧٧ الجزء الأول .

وفيه أيضاً في ٧٦ ما معناه : إن بكثرة ذكر الله وتوحيده يحصل تنظيف القلب مما سواه تعالى من الشهوات التي تحجب العبد عن ربه جل وعلا ، اهـ ، راجعه (منه) ، وراجع « السير والسلوك » قبيل الباب الأول (منه) .

(٣) راجع « الأجوبة المرضية » و« المواهب البريقة » . (منه) .

(٤) كذا في « مزكي النفوس » . (منه) .

(٥) كذا في « البهجة » في ٧٧ .

حَـقِـيـقِـيَـبْ[١] اِيـمَـانْ ژَنْ بَـتُـلَـرِبْ رَكَـزُلْ
نَـفْـسُ اَمَّـارَتَـپُـلْ اَمْـرَاضَـلْ[٢] طَعِنْچُكْ
هِـلِـپِـيْ عُـلُـيِـنْ دُيِ اُسْـتَـارْ كِّـزِ طَـپُـلِـبْ
اِصْ هَـبُـرَبْ عِلَاجَـلْ[٣] سَـغْـلُـنْ اِنْـزِ دُرْكُ رَكْ[٤]
ذِكْـرِ عِـمِـرْ هَـبُـنِ اَللّٰهْ وُقِّ ژِّكُّـنِـبْ
وُقَّـرَصْ مَـلِـپَـرَبْ جُ مَـلُـخِّـنْـكِ هَـبُـلِـبْ[٥]
اَللّٰهْ وُقُّـلَـرِوْ چِ وِطُـنْـكِ كَّـدُلَـرِوْ
وِطُـنْ چِّـيَـلِ سَـبَـبْ اُسْـتَـارْ كِّـيْـكِ بُكُلِبْ
قَلْبُ سَلِيمْ[٦] بُكِوْ شِ هِـوِنْ شَيِخْ كُـنْ وَلِي
شَـرِيـعَـةْ كِـنْ طَـرِيـقَـةْ طُـبَـنْ بُـكُـنِـبْ اِصُـلْ
شَرِيعَـةْ كِنْ طَرِيقَـةْ رُوحْكِ شِرْخْكِ عَـدَبْ جُ[٧]
كِـيَـبْـكُ دَنْـدِلِـچِـبْ عَـمَـلْ خَـلْ هَـبُـلَـرِبْ

---

(١) كذا في « البهجة » في ٧٧ .

(٢) اُنْـتَـبِ .

(٣) دَرُ .

(٤) راجع « روح البيان » (منه) .

(٥) كذا في « مكتوبات الإمام الرباني » . (منه) .

(٦)بَژَدَبْ رَكْ .

(٧) راجع « مجموعة الرسائل » للزهدي . (منه) .

هَبْ دِصَ بِژَنْشِنَبْ طَكَّزْدَ بَتِلِبِنْ
بَلَهَنِ نُجُدَ يَقِينْ لُكْ بِكِّلِبِنْ
هِلُِلْ خِلاٰفْ لِكِ بِژُنْ كَرْكَدُلِوْ شِيَصُلْ
كُدِيَبْ حِنْقِ بُكْ اِيمٰانْ چُّكُنْ خِيَلْدَ
ژُ فُلاٰنَصْ خَنْ بُكُ سُ عَجَمْ كِتٰابَلْدَ
طَرِيقَةْ لُكْ بُسِزِ نَخِّ چَلِلْ اَلْفٰاظَلْ
چُخَّ عَبْدُ اللهِ صَ اُمُّ الْبَيٰانَلْدَنِي
طَكَّزْ بِژَرَبْ كُژَلْ رِخْصُنْ بُكْ حَقِيقَةْ .

فلقد نطق رحمه الله تعالى ورزقه الاستقامة فيه في حق الطريقة موافقاً على ما في كتب الطّائفة الصّوفية فلم نجد فيه شيئاً يخالف كلام العلماء العارفين فجزاه الله تعالى عنا خير الجزاء .

وأمّا مٰا في « بستان أوارستان »[1] في موضع فيخدشه أقوال الأولياء العارفين فلعلَّ مؤلّفه ـ غفر الله ذنبه وهداه إلى جميع ما يَرْضاه ـ تكلّم بالاسترواح ولم يفهم حقيقة كلام فقهاء الصّوفية بل أظنّ ـ والله أعلم ـ أنَّ كلامه هذا مُتَرَشِّحٌ من كلمات أهل الدّعوى الذين ليس بيدهم إجازةٌ صحيحة لتلقين أذكار السلوك ومع ذلك تصدَّروا للتلقين قائلين إنّ ما يعطونه هو الشريعة لا الطريقة ولا يجوز إعطاء الطّريقة لأهل هذا الزمان

(١) وهو كتابٌ مجموع بالعجم بلغة أوار هو المشار إليه آنفاً . (منه) .

الفاسد ، لكن وَجَدْتُ في موضع آخر من « بُسْتان أوارستان » مٰا يؤيّد ما ذكرته آنفاً من عدم حصول الإيمان الحقيقيّ إلّا بعد إزالة الأمراض القلبيّة فَلْيَتَنَبَّهْهُ الواقف بذلك الكتاب والله وليّ التوفيق والهداية .

عَبْدُ الرَّحْمٰنْ حَجِيَصْ قُدِّسَ سِرُّهُ اَمْرُ هَبُنِنْ دِدَ
مُرِيدْ زَبَزْدَ اَدَبْ لِكَبْ كُثِلْپْ مَلِيَنْ
اِصُلْ اَمْرُ يَلْدِخُنْ اِمْتِثٰالْ[1] دِرْ بُكِنْزِي
بُقَّنَ دِي هَنْجِ ژُ عَجَمْ كِتٰابْ خَّزِي
عٰالِمَوْ جٰاهِلَصِ فَيْدَ عَمَّبْ بُكِنْزِي
اَدَبَزُلْ حَقَلُپْلْ هَبُنِنْ نَظْمُ دَنْدِي
خٰالِدِيَّةْ اَبُرَبْ طِكَّلُپْلْ تَرْتِيبَلْدَ
طَدِ فَوٰائِدَلْكِ[2] ژِكُّنْ رُكِلْ نُجِي
اَدَبَلْدَ چِّچِصْدِ[3] فَيِضْ بَچُلَرِبِنْ
لِپَزِ هَرِ نُجُصَ بِژَرَبْ كُسَلْپْ اَدَبْ
دُرْكُ عِلْمُ عِبٰادَةْ بُكِوْلُپْنْكِ وُكُنْكِ
عِلْمُ عَمَلْ بِكَّرَوْ فَيْضْ شِچُكُ خُطُلِنْ

---

(١) نَخّْ وِلِنْ .

(٢) فَيْدَبِ .

(٣) وفي « الحديقة الندية » في ٨٢ إن من خاصّية سوء الأدب زوال البركة وتبدل النور بالظلمة والحجاب والبعد المعنوي والضرر تغير طبع الشيخ أم لم يتغير ، اهـ ، ومثله في « البهجة » ، راجعهما . (منه) .

فُيُوضٰاتَزُلْ[١] مِثٰالْ لِمَلْدَ رِلُِنْ بُكُ[٢]
اِخِبِ خُنْ كُرُكُ لِمْ بِلُِنْ اُنَرِبِنْ
مُفْلِسْ[٣] عَدِنْ چَرَصْدِ چَخُلِلِنْ بَرْكَتَلْ
اَدَبَلْ هَرُلِوْكِ شُلِونْ حَضْرَتَلْدِي[٤]
اَهْلُ[٥] الْبٰاطِنَزْدَصَنْ فَيِضْ بُسِزِ كَّنِ
لَِبْكُ اَمْرُيَلْدَ چُنْ بُكِلَنْ اَبُنْ بُكُ
بِشُنْ صِبِصِبْ اِخْلٰاصْ[٦] كِئَبِلِبْكِ اَدَبْ
لَِبْ اَبِلِبْ اِلْ رُقِّّ بِشُنْ ژَقَبْ اِبْ بُكُ
اِخْلٰاصْ هِچِوْ مُرٰاآءِ[٧] اَدَبْ كِشَوْ حَلِكَّتْ
اِصْدِ شَيِخْ زَبَزُلْ كِنْكُ رَكْ هِطُلَرُ
رَكَلْدَصَنْ كُرُنِ فَيِضْ بَچُلَرِلُِلْ
رَكْ هِطِزِ اَدَبْكُنْ اِخْلٰاصْ بُكِنْزِ كُّلَ

---

(١) فَيْضَلْ .
(٢) كذا في « المنن » و« تاج العروس » . (منه) .
(٣) چُوُكُيَوْ .
(٤) اَللهَ صْدِ .
(٥) لأخذ الفيض من أهل الباطن أمور ثلاثة .
(٦) اَللهَ صِ عُلُ بَژَدْكُ عَمَلْ هَبِ .
(٧) رِكّْدَيِ جُ هَبُلِوْ .

اُنْـكُـيَـبْ رُقِّ بَـچُـنْ مُـرْشِـدْ وُقَّـرَوَصْـدِي
مُـرْشِـدَصُـلْ رِكِـلِـنْ كِـنَـبْـكُ حَـالْ بَـچُـنَ
مَـحَـبَّـةْ[١] طُـبَـنْ كَّـنِ اَدَبْ اِخْـلاَصْ بُكُنَ
رُقِّ كَـامِـلْـلِـنَـنِ شَـيْـخَـصُـلْ فَـنَـلِـلَ
شَـيْخَصُلْ فَـنَـلِنِ اِصُـلْ اَحْـوَالْ عَكْسِلُلَ
اَخْـلاَقُ مَـحْـمُـودَتَـلْ[٢] رَچُـنْ رَكَـلْـدَ چُـلَ
رُقِّ اِخْـلاَصْ اَبُـنِ اللهَ صْ قُّـنْ شُـلِـبْ جُ
عِـزَّبْ جِنْـصَكُ زُبْ لِّنْ نَسِبْ هَبِـكِ نِـلِـيْ .

فهرسة

هَـبْ طِـكَّـلْـدَ رِخْـصَـرَلْ اَدَبَـلِـنْ اَبُـنِ
مِـقُّـكُ اَدَابَـلْ رُكِـنْ لِـيْ دُدَكُ رِزْنْـزِي
نِـيَّـةَلُـلْ اَدَبْ زُ رَابِـطَـةَلُـلْ كِـكُ
أَصْـكُ چِـيَـلِـلْ لِـبْـكُ كَـلِـيَـلِـلْ اُنْـقَـبْـكُ
خِـدْمَـةَلُـلْ[٣] شُـيَـبْـكُ اَنْـلِ اَبِـلِـبْ اَبُـنِ
فَـيِـضْ طَـلَـبْ هَـبِـزِ رَكْ حَـضُـورْ هَبِـيَـلِـلْ

(١) رُقِّ .
(٢) لِكَلْ طَبِيعَتَلْ .
(٣) خُّلُخْ هَبِ .

وِرْدْ هَـــبِ خَـتْـمُ ژَلِ زِيٰــارَتَــپُــلْ اَنْــقّْــكُ
خَـــدُبْ سُــلُـوكَ پُـلْـكِ مِــقّْ اَبِـلِــبْ اِبْ بُـكُ

اِسْـتِـغْـفٰـارْ كِـمُ ذِكْـــرُ صَـــلَــوٰاتْ بِـطِـيَـپُـلْ
خِـــرَپَــبِ رِژَرَبْ خٰـــاتِـــمَـــةْكِ[١] بُـكِـبِـنْ

هَـــبْ كُـــژَلْـدَ رِژُخِّـــنْ رِخْـصَـــنْ شِـنَـلْ اَدَبَـــلْ
تَرْتِيبَلْدَ خَّـــنْ رُكِـــنْ خَـــلْ هَـــبِ دُدَ پَـــزِي .

فَأَمَّا الأَدَبُ الأَوَّلُ فَأَدَبُ النيَّة

نِـيَّـتْ صَحِـيحَـبْ هَـــبِ دِنَــپُـــلْ اَصْـــلُ بُـكُ
نِـيَّـتْ هِـچِـبْ عَـمَـلْـكُ قُّــچّْ بِـطِـچِـبْ رِهْ بُـكُ

كِـنَـلْـنِـكِ اَعْـمٰـــالَـــلْ نِـيَّـتَـلْـدَ رَنْ رُكُ
مُـــؤْمِــنْ چِـيَـصُـلْ نِـيَّـتْ عَـمَـلَـلْـدَصَ پِـكَـبْ

نِـيَّـــتْ اَللّٰهْ وُكِـــصِ بِـچَـصُـلْ كِــرِ شُـلِـبْ
عِــوَضْ[٢] غَــرَضْ[٣] جُبُرَوْ اِصْـدَصَـنْ بَطَـپُـلِوْ

اِخْــلٰاصَـــلْـــدَ هَـبِـچِـبْ عِـبٰـادَتَـپُـلْ مِـثٰـالْ
رُوحْ هِـچِـبْ جَـسَـدَلْـدَ رِپُـــنْ بُـكِـنْ خَـلْ هَبِي

---

(١) خَدُرَعِ .

(٢) دَنْدِ جُ .

(٣) مُرَادْ .

هَـنْـجِ هِــدِنْ بُـكِـلْـپُـلْ شَـيْـخَ صْـدَ أَصْــكُ اُنِـوْ
اِصُــــلْ نِـيَّـــتْ بُــكِـــنَ اَللّٰهَ صِ عُــلُــلْـپُـنْ
دُنْــــيَـــالْ اَخِــرَتَـــلْـپُـــلْ فَـــيْـــدَ خَــــلْ هَـــبِـلَـــرُ
بٰــاطِـنِـيَـلْ اَحْـــوٰالَـــلْ مَــقْــصُــوْدْ پُـــنْ هَــرِلَــرُ
قُـــرْبَـــةْ[1] حَـصُـلْـلْـپِـزِيَـنْ وَلِـــي وُكِــنْـزِيِـلَـنْ
تَـأْثِـيـرْ[2] اِرْشٰـادْ[3] مَـعْـرِفَـةْ[4] هِـلْ ژِنْ طَـلَـبْ هَـرُكِ
يٰـا اَلْـجَـنْ شِــيْ اِدِنْـــكُ ژَدَوْ كُّـنْـكُـطِ نِـكِ
شِـبْـكُ خِـيَـلْ هَـبُـكِ لَـغْـلِ هَـــبِ كُـرُنِـي
كِـنَـبْـكُ اَللّٰهْ كُـــرِبْ نَـــفْـــيُ[5] هَـــبِ رِكِـلْـپَـنْ
حَتَّى صِفٰاتَلْ[6] ژِنِ خَـلْ هَـرُكِ ذٰاتْ كُـرِبْ[7]
شِــبْـكُ جِـنْـدَ رِلْـپِــــرَبْ هِـچِـوْ ژُكُـيَـوْ اَللّٰهْ
اِمَـــنْ پُــرَبْ كُـژَلْـدَ ذٰاتُ اللّٰهْ هَـــبِ مَقْصُودْ

---

(١) اَللّٰهَ صْدِ عَكَرْلِپِ .

(٢) اَثَرْ شْوِيْ .

(٣) طُوطِ .

(٤) اَللّٰهْ لِپَيْ .

(٥) نَخِّ هَبِ .

(٦) اَللّٰهَ صُلْ صِفَاتَلْ .

(٧) أي لا يلاحظ أنّه منعم ورازق فيعبده لكونه منعماً ورازقاً أو أنه منتقم وقهار فيعبده لكونه منتقماً وقهارا بل يعبده ملاحظاً أنه اللائق بالعبادة على كلّ حالٍ ، فافهم وراجع . (منه) .

شَيْخَصُلْ حَلْ بِكِّزِ دُڠَ خِيَلْ هَبُكِ
حَلْ بِكِّزِ وَچَرَوْ مَلْعُونْ اَبُنْ بُكِبِنْ
كَشْفُ كَرٰامَةْ بِكِّ دُڠَ طَلَبْ هَبُكِ
كَشْفُ وِلٰايَةَڸُلْ شَرْطْ هِچِبِلَنْ بُكِنْ
كَشْفُ هِچِوْ جِكِك خِرِيَوْ وُكُنِو نْ
اَصْحٰابَزُلْ عِمِرَلْ كَشْفُ هِچِلْ رُكَنِنْ
كَشْفُ ظٰاهِرْ هَبِزِ اِذْنُ هِچِلْ رُكُنِنْ
اِذْنُ بُكِلَصَكِ نَفْعُ(١) هِچُنِ تُلِنْ(٢) .

فالكشف إنما هو للناقصين والكامل لا كشف له أي لأنه مشغول بأداء أوامر ربّه عز وجلّ التي عليه في كل نَفَس فلا تدعه الأوامر المتوجهة إليه يتفرّغ لغيرها .

وأيضاً إن كشف حقائق الأمور إنما هو من صفات الحق جل وعلا والكامل لا يزاحِم أوصافَ الربوبية بخلاف الناقص فإنه يتعشّق للاطلاع على المغيبات فيعطيه الحق تعالى ما تعشقه مداواة له لضعف يقينه لاسيما اطلاعه على عورات الخلق ولو أن الكامل اطلع على عورة أحد من الخلق لكاد أن يذوب حياء من ذلك لأنه كشف شيطانيّ ، هذا حاصل ما في « لطائف المنن » في ٩٣ من الجزء الثاني ، فراجعه ، وفي « البهجة السنية » في ٥٦ .

(١) مُنْفَعَةْ .

(٢) أي بلا إظهار .

قال العارفون : أكثر من انقطع من المريدين بسبب وقوعهم في باب الكرامات بل الكرامات العظمى الوقوف على حدود الشريعة الغراء واتباع السنة الواضحة البيضاء . اهى عب .

شَيْخَصُلْ حَالْ بِكَّرَوْ اِصْدَ اِنْكٰارْ هَبُرَوْ
بَلَهَزُلْ هِرَزْدَ غُرْقِّ كُّنْ هَلَكْ پُلِنْ
هِلْ اَوْلِيَاءَ زْدِخُنْ اِعْتِرَاضْ[1] هَبُلِلْ چِ
اِيمَانْ اِسْلَامْ كِ چُّكُنْ خُنْ اُنِلِنْ كَافُرْپُلِنْ[2] .

وفي « لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية » : وسمعتُ سيدي أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول : لا تدخلوا لزيارة عالم أو صالح إلّا وميزان إنكاركم مكسرة خوفاً عليكم من المقت فإنه أعلم منكم بيقين ، والجاهلون لأهل العلم أعداء لعدم وصولهم إلى مراتبهم ، وكم ممن دخل على عالم أو صالح بدِينٍ فخرج بلا دِينٍ ، فحرِّروا نيتكم قبل الدخول فإن لم تصح لكم إخلاص فارجعوا . اهـ ٧٧ من هامش « لطائف المنن » من الجزء الثاني .

وفيه أيضاً في ٧٨ : وسمعت سيدي الشيخ عبد الحليم بن مصلح رحمه الله يقول : ما خرج أحدٌ لزيارة عالم أوصالح ليستفيد علماً أو

(١) دَنْدِ چِيْ .

(٢) أعاذنا الله تعالى .

أدباً إلّا ورجع بما كان فوق أمله من ذلك ، وما خرج أحد لإنكارٍ أو انتقاد إلّا ورجع محمَّلاً بالأوزار ، لأنّ العلماء بالله تعالى جارون على الأخلاق الإلهية في نحو حديث « أنا عند ظنّ عبدي بي » وفي نحو حديث « المسجد بيتي فمن دخل المسجد لشيء فهو حظه » .

واعلم أن الزيارة مأخوذة من الزَّور أي الميل يقال زار فلان فلانا إذا مال إليه ومن شرط صحة الميل لشخص أن يعمى عن مساويه وقد بلغنا عن السلف أنهم كانوا إذا خرجوا إلى زيارة عالم أو صالح تصدَّقوا بصدقة وطلبوا بذلك أن الله يعميهم عن مساوي ذلك المزور فكانوا لا يخرجون من عنده إلّا بفائدة ولو لم يكن هو من أهلها أجراها الله تعالى على لسانه لموضع صدق الزائر . اهـ عب .

وفي « طبقات الشعراني » في ترجمة محمد بن عبد الوهاب الثقفي ما نصه : وكان رضي الله عنه يقول : مَنْ صَحِبَ الأكابر من غير طريق الحرمة حرم فوائدهم وبركات نظرهم ولم يظهر عليهم من أنوارهم شيء . انتهى من صحيفة ١٧٣ .

وَأَمَّا الأَدَبُ الثاني فأَدَبُ الرِّابِطَة

رٰابِطَيَپُلْ[1] كَمٰالْ مُنْ بَلَهُنْ چِيْ بُكُ
كِيَبْكُ بِرْ هُرْقُّصَنْ مُرْشِدَصُلْ كُڗَلْدِي
اِصُلْ رُوحٰانِيَپُلْ كِيَبْكُ بِرْهُرْقُّصَنْ
اِنِبْ حٰاضُرْپُنْ بُكِبْ فَيِضْ طَلَبْ هَبِزِي
دُدَكُ بِرْهُرْقُّبِ بَچُنِبْ پُنْ خَلْ هَبِ
اِنِصَنْكِ رَكَلْدِ رِشْطُنِبْ پُنْ رَكْ چَ دُرْ
هِبْ كُڗَلْدَ طَطَلَ خِيَلْ هَبُنْ وُكَ مُنْ
غَيْبَةْ اَثَرُ الْجَذْبَةْ[2] دُيِ حَصُلْ پِزِعَنْ
رَكَلْدِ بَلَهِكِ قُطِزِ تُكِ دُڗَ
خِخْكُ دُيِ بَرْكَةْ شُنْ دُيْكُ خِرَپِ شِزِي
اَللّٰهْ وُكُ دُرْ مَقْصُودْ رٰابِطَه وَسِيلَتِنْ[3]
اِصْدِ مُنْ عَكَرْپِزِ وٰاسِطَيِنْ دُيِ اِبْ
رٰابِطَيَپِ دَلِيلْ قُرْآنْ ڗِنِكِ بُكِنْ
﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ يَنْ اَبُرَبْ

(١) والرابطة تخيل صورة الشيخ الكامل بين يديه . (منه) .

إنّ علامة وصول محمود أفندي قدس سره قبالة المريد ارتعاش القلب وحركته أو حصول الحرارة للقلب أو شمّ رائحة طيّبة .

(٢) اَللّٰهْ كُرِبْ شِنَبْ جُ كُچُنْ .

(٣) هِلْدِ نُخْ .

رٰابِطَيَنْ اَبُنِ وَسٰائِلَزُلْ لِكَبْ
جِبْكُ جِنْدَكُ چَرَبْ طَرِيقْ بُكِنْ اِبْ خَصَّبْ
رٰابِطَه هِچِبْ ذِكْرِ كِعَنْ هَبُنَنِكِ
اِلْدَلُِنْ وُصُولْ[1] هِچِنْ بُكِبِنْ كُتُبَزْدَ[2]
ذِكْرُكُ هِچُنِكِ رٰابِطَ هَبُرَوْ چِ
اَللهَ صْدِ شُلِلَنْ بِڗُنْ بُكِبِنْ دُيِ[3]
ذِكْرُ هَبُلِبْ[4] مِخَلِْ هَرُلِلْ اَدَبَزُلْ
بِشُنْ مُؤَكَّدَبِنْ[5] بِڗُنْ بُكُ عِمِرَبْ
سُنَّتْكِ بُكِنْ جِكِ رٰابِطَيَلِ دَلِيلْ
قِيٰاسْكِ بُكِنْ اِلِيْ وُصَ مُنْ كُتُبَزْدِي
تَبْصِرَةُ الْفٰاصِلِينْ اَبُرَبْ كِتٰابَلْدَ
بَيٰانْ بَسْطَلْدَ[6] بُكِنْ بَلَهِ كَحْ هِچُكُ

(١) اَللهَ صْدِ شْوِيْ .

(٢) راجع « جامع الأصول » .

(٣) راجع « جامع الأصول » .

(٤) راجع « البهجة السنية » وفي « كفاية الأتقياء » : استحضر شيخك في الذكر ليكون رفيقك في السير إلى الله تعالى . اهى . (منه) . راجع أيضا « نور الهداية والعرفان » ففيه البسط في حق هذا المطلب المفيد . (منه) .

(٥) كُوَرْ بُكِبْ .

(٦) عَطِدْكُ .

نُـــورُ الْـــهِـــدٰايَـــةَ لْـــدِ وَكَّـــــنِ دُيْ بَـتِـلَ
تَـمَـشَـيَـبْ كُـــژَلْـــدَ رٰابِـــطَـــه يَـــپُـــلْ بِــــژِنْ
هِـــبْ كِـتٰــابْ بِـكَّـچُـكْ اِپُـــلْ بَـيَــانْ پَـلَـرُ
اِلْـــدَعَـــدِنْ بِـــــژَرَبْ ژُكِ طِـــكّْ بَـتِـلَـرُ .

وَأمّا آدابُ الإتيان إلى خِدمَة المرشد فهو أمور

شَـيْـخَـصِ خُّـلُّـخَّـلِ اُنِـــبْ مِـخَـلْـدَ مُـرِيـدْ
كٰـامِـلَـبْ كُـــژَلْ كَـكِـيْ شُـــرُنْ وُكِـنْـزِ كِّـلَ
اَنْـــــژِلَ شُـــژُلْ نِـــكِ يَ جِـــكِ ژِكُّـــنْ نِـكِ
اَسْـتَـغْـفِـرُ اللهْ اَبُـــنْ تَـــوْبُ هَـبِـزِ كِّـلَ
اِلْـــدَ خَـــدُبْـــكِ اَلْــحَــمْ قُـلْـهُ ژَلِـــزِ كِّـلَ
مُـرْشِـدَ صُـلْ رُوحَـــلِ هَـدِيَّـةْ پُـــنْ[1] جِـبْ قِّـزِي
نُـخْـطَ وِپُـنِـبْ مِـخَـلْ رٰابِـطَـةْ هَـبُـنْ وِلَ
فَـيِـضْ طَلَبْ هَـبِـزِ حِلْ حِلْ هَـبُـنْ رَكْ بِـكُـنْ[2]
اِخْـــلٰاصْ[3] كِـمُ مَحَـبَّـةْ كٰامِلَبْ كُـژَلْ هَـبُـنْ
بَـرْكَـتْ شِـيْ طَلَبْ هَبُنْ هِـدِنْ وِلَ مُـنْ نُخْطَ

---

(١) سَيْغَتْ .

(٢) أي بأن يتخيَّل أن روحانيته حاضر معه . (منه) .

(٣) أي بأن يقصد بخدمته له وجه الله جل وعلا مع المحبة التامة له . (منه) .

جِــوْكُ كِــوْ وُكُــنِــكِ مُـرْشِــدَ صُــلْ بَلَهِي
دُدَ سَــــدَخٌّ بُـكُـلِـنْ لِــنْ وُكَ شَـكْـلِـچُـكُ
رُوحٰـانِـيَـلِ هِـچِـنْ شِـبْـكُ جُيِّلْ حِـجٰـابْ[1]
قُــرْبُ رِچَـلِ هِچِنْ مٰـادَّةْ[2] مُــدَّةْكِ[3] هِچِنْ[4]
مُـرِيـدَ صُـلْ رَكَـلْـدِ مُـرْشِـدْ كَّـرَبْ سٰاعَـتَـلِ
بِـرْ قَـنْشِيَـلْدَصَ خِـخْ عَـصْكُ شُـلِـبْ رُوحَانِـي
حَـــتّٰى جِـــكِ اِلِـــي بَــطَــلِ بُـكُـــلَـرِنْ
قَـبُـلَـوْ مُــرِيــدَصْــدَ ثَدَخٌّ چُـلِــنْ كِــدَكُ
سُــحُ لَـحْـظَـتَـلْـدَثِنْ مُــرْشِــدَصُــلْ بَـلَـهِ
نَــخٌّ بُـسَـنِ مُـرِيـدْ مُـرِيـدْ لُــنْ وُكُــنَــرِنْ[5]
رٰابِــطَــه دٰائِـــمْ هَــبِ دُيْــكُ فَـنٰـاءْ بَـچِـنْـزِي
مُــرْشِــدَصُـــلْ فَـنَـلُـنْ دُيْــكُ خِــرَلِ شِــزِي
اَوَركَــــصُـــــلْ فَــنٰــاءْ حَـصُـلْـلِـزِ كَّـنَـنِـي
اُسْـــتٰــارَصُـــلْ فَــنَــلِ سَـبَـبْ بُــكُ اِلِـيِــي

(١) فَرْدَوْ .

(٢) مَنْزِلْ .

(٣) زَمَنْ .

(٤) راجع « نور الهداية والعرفان » . (منه) .

(٥) والشيخ لا يكون غائباً من نظر الطالب أبداً . « مقصد الطالبين » .

حَـبِـيـبَـصُـلْ فَـنَـلِ بِـچَـصُـلْ فَـنٰـاءَلِـي
مُـقَـدِّمَـةْ[١] اِبْ بُـكِـنْ خَّـنْ بَـتَـكِ نـلِـپْـكِ .

ومن هذا قال بعض أرباب الفقر : لو احتجب عنَّا رسول الله ﷺ طرفة عين لما عَدَدْنا أنفسنا من جملة المسلمين . « خالدية » عـــ .

وَأمّا الأدَبُ الثّالِثُ فأدَبُ الحضور مَعَ المرشد[٢]

مُـرْشِـدَصْـدَ صَـنْ فَـيِـضْ بَـرْكَـتْ بُـسِـزِ اَدَبْ
ظٰـاهِـرَبْـكِـنْ بٰـاطِـنَـبْ كِـيَـبْـكُ بُـكِـنْ اِلِـيْ
ظٰـاهِـرِيَـبْ اَدَبْـكُ دُژَ هَـبِـزِ كُّـلِـبْ
اِصُـلْ هُـمِـرَلْـدِ مُـنْ بَـلَـهُـنْ كُـطِ بُـكُ[٣]
عُـدُبِ بِـطِـرْ قُـلُـنْ حِـلُـنْ وُكِـنْـكِ بُـكُ
خَـنَـصُـخِّ وَشَـرَوْ لُـتَـرَوْ لَـغْ كِـنِّـكِ
أَمْـرُ هَـبُـنْ كُـرُنِ عُـدُوْ چُـنْـكُـطِ بُـكُ
كَـلاٰمْ كَـلِـيْ هَـبِـزِ بَـيْ بِـكُّـنْ كُـطِ بُـكُ
اِشْـكٰـالْ لِـرَبْ هِـقِـزِ بِـهِـلِـلَـنْ كِ بُـكُ
مُـرْشِـدَصِ مَـصْـلِـحَـةْ بُـكُ نِـكِ اِدِنْـكُ

(١) بَـيْـبِكِّ .

(٢) وهو الموقوف عليه للفيض . « خالدية » .

(٣) أي إلّا مُسارقة . (منه) .

يَـلِٰـنَـنِ اِدِنْـــــكُ شَـــرْعَــلِٰ هَــــرِزِ كُّـلِـلْ
هِـــدِنَـــلْ كَـــلاٰمَـــلْـــنِ هَـــرِزِ نَـــخّْ چَـلَـرُ
اُسْـــتـٰـــارَصْـــدَ عَـصْـكُ مُـــنْ لِٰـــدَكُ كَـلِٰـلَـرُ
كِـعَـنْ كُـدِيَـوْ شَـيِـخْ عَـصْـكُ وُكُـنَـنِـكِ
لِٰـــدِكُ بَـلَـهُـكِ لِٰـــدِ خُـنْـكُ وُصُـنْـكِ
مَعْشُوقَةَ لْـــدَ[١] عَـصْـكُ عٰـاشِـقْ[٢] كِـنِّـكِ وُكَ
مُـــرْشِـــدَ صْـــدِ عَـشِـقْـلِٰ مُـــرْشِـــدْ كُـــدُ هَـــوِكِ
اَللهَ صْـــدِ عَـشِـقْـلِٰ اَللهْ كُـــدُ هَـــوِيِـــنْ
اِصْدَ عَـصْـكُ وُزُنْ چَ قَـنْـشُـنْ بِـرَلْـكُـنْ وُكَ
رَكَـلْـدِ رَكْ كِ بِـطُـنْ حِـلُـنْ چَ بَـرْكَـتْ شِـزِي
اَوَرَكَـــصُـــلْ نٰـائِـبْ اِوِلَـــنْ دُرْ رَكْـــكِ چَ
اَوَرَكَـــصْـــدَ عَـصْـكُـبْ هَـبُـلِـبْ اِصِـــيْ هَـبِ
شَـــيِـــخْ كِـــمُ عٰـــالِـــمْ چِ وُكُـــنِـــوِلَـــنْ بُـــكُ
جِـــنْـــدِرْكُ اُمَّـــتَـلِٰـلْ اَوَرَكَـــصْـــدَ رِلِٰـــنْ
عُـــلَـــمٰـــآءَلْ اَبُـــلَ اَللهْ لِٰـــلِـــلْ چِـــيَـــزْدَ
عِـلْـمُ يَـلْـدَ رِقَـــرَبْ عَـمَـلْ هَـبُـنْ كَّـدُ لِـلْ

(١) رُقِّ كَّرَيْ .
(٢) رُقِّ كَّرَوْ چِ .

بِـچَـصْـدَ صَـكِ حِـنْـقُـنْ حَـرَمَـبْ رِخُـنْ تُلِلْ
اَمْـرُ هَـبُـرَبْ هَـبُـنْ هَـوَى رِكَّـدْ هَـبُـلِلْ

عِـلْـمُ ژَّلَـرَوْ شِـنَـوْ عٰـالِـمْ چِ وُكُـنَـرِوْ
عِـلْـمُ يَـلْپ بِـژَرَ لْـدَ عَـمَـلْ ژَدَخْ هِـچُـنِ

حَـبِـيبَـصُـلْ اِرْثَـلْـدَ اَللهَ صْ تَـرَوْ عٰـامِـلْ
شَيْخُ عٰـارِفْ وُكُـلِـنْ لِـپيْ دُدَ اِبْ يَـقِـينْ كُ

بٰـاطِـنِـيَـبْ اَدَبْـكِ دُژَ هَـبِـزِ كُّـلِـبْ
غَـفْـلَـتَـلْـدَ رَكْ بُـكُـنْ عَـصْـكُ اُنْـكُـطِ بُـكُ

رَكَـلْـدَ خَـطْـرُ[١] بُكُنْ اِعْـتِـرٰاضْ اِنْـكٰـارْ بُكُنْ
اِمْـتِـحٰـانْ[٢] كُـرْهُ[٣] بُـكُـنْ وُكُـنْ كُـطِـكِ بُكُ

هِـبْ كُـسَـلْپ مُـنْ اَنَـنِ اُسْـتٰـارَصْـدَ أَصْـكُـوِ
اُسْـتٰـارَصُـلْ دُدَصَـنْ رَكْ نَـخِ بَـطَ پُلَـلَ

مُـرْشِـدَصُـلْ رِكِـپلَـنْ وَخُّـنْ اَنَـنِ مُـرِيـدْ
اَللهْ بَـلَـيَـلْـدَصَـنْ كُّـنْ اُنِـوْ اِوْ عُـدُوِي

اَنْـقَّـبْـكُ زُبَـلْـدَصَـنْ غُـرْقِـيَـبْ رَقَّـلْـدِ كِّـيْ
شَـيْـخَـصُلْ رَكَـلْـدَصَنْ كِّـيَـلْـدَصَنْ لِـپكْ بُـكُ

---

(١) كُوشَبْ فِكْرُ .
(٢) حَلْبِكِّ .
(٣) رِخِنْ .

رَكَــلْــدِ فِــكْــرِ هَــبُــنْ غَــفُــلْــلِ اِنْــــزِ هَــبُــنْ

بَــرَكَــةْ طَــلَــبْ هَــبُــنْ رٰابِــطَــه كٰــامِــلْ هَــبُــنْ

مُــرْشِــدْ وُقُّــنْ حِــلْ حِــدُنْ تَــوَجُّــهَ لْــدِ بَلَنْ

اِوْ دُدِكْ وُصِــنْــزِ اَدَبَــلْــدَ چَ عَــصْــكُ(١)

مُـرْشِـدَصُلْ فَـيْـضَـپُـلْ دُنْـيَـلْـكُ ژُنْ بُـكُـنِـبْ

رَكْ چُــنْ طَــلَــبْ هَــبُــنِ شِــچُــكُ بُــكُــنَــرِبْ

كِــعَــنْ لَــچُــنَــنِــكِ رَكْ پِــكْ لَــنِ جِــبْ شُــلِــبْ

شِــيَــلْــدَ يَــقِــيــنْ بُــكِــلْ مَــحْــرُومْ كُ خُــطُــلَــرِلْ

دُنْـــيَـــالْ بِـــژُنْ كَــلَــنِ اِلُـــلْ ژَخْ هَــبُــنِــكِ

مُــرْشِــدَ صِ اِلْ ضَـــرَرْ هَــبُــلَــرِنْ لَـــيْ دُدَ

شِـــبِـــژُنْ كَــلَــنِــكِ اِصُـــلْ حُــضُــورْ خُــلَــرِنْ

حُــضُــورْ هَــبُــنْ عِــنِــكُّــنْ وُقُــوفَ لْــدَ چُــنْ وُكَ

اِصُــلْ كَــلٰامْ كِــنْ حُــكَّــلْ وِكِّ ژِنِــكِ(٢) دُي

دَرُ بُــكُــلِــنْ اَبُـــنْ بُـــكُ مَــكْــتُــوبٰــاتَــزْدَ(٣)

(١) فخالط يا أخي مشائخك بالأدب وإلا كانت صحبتك لهم سماً قاتلاً لك . « المنن الكبرى » ١٣٩ ج ١عب .

(٢) مهم : وفي « المنن » : النظر في وجه الولي على جهة التعظيم ساعة واحدة خير للمريد من عبادته وحده خمسين سنة ، راجعه في ١٣٩ من الجزء الأول . (منه رحم الله إفلاسه) .

(٣) للإمام الرباني قدس سره .

اِصْدَ أَصْكُ عِمِرَوْ خَلَ لُِنْ كِ چُكِ مُنْ
اِذْنُكِ طَلَبْ هَبُنْ دَهَلْ چُنْ وِلَ نَخِّ
ظٰاهِرَ لْدَ مَشْغُولْ لُِنْ رَكَلُِلْ بَلَيْ تُكِ
رَكَلْدَ صَنْ بَچُلِبْ فَيِضْ قُطُلِنْ دُيِ
ظٰاهِرَبْ اَهْلُ يَلِ ظٰاهِرْ قُّلِبْ مُرْشِدَ صْ
بٰاطِنَبْ اَهْلُ يَلِ بٰاطِنْكِ قُّلِبِنْ اِصْ
دِدَ اِوْ كَلَِلَرِنْ ڗُكِ يَصْدَ كُرُكُ
دِصَ اِصْدَ صَنْ بَرْكَةْ كِنْ بُسِلِبْ اَبُكِ
خَلْقَلْدَصَنْ اَللهَ صْ اَللهَ صْدَصَنْ خَلْقَلْ
اِوْ مَشْغُولْ هَوُ لَرِنْ شَكْ لُِكِ بِڗَرَلْدَ
كِنَلْكُ مُرِيدْ زَبِ مُرْشِدَ صُلْ رَكَلُِلْ
خَّتِقُّ خَرْدَلَةْ[1] عَدِنْ رُكُنِنْ اَبُنْ بُكُ
جِنْدِخُنْ مُطِعَوْ چِ هُمِرْ بُصُنْ وِكُلِوْ
مَلَِرَبْ هَبُلَرِوْ مُغْ صِرُنْكِ وِكُلِوْ
اِصْدِ خُنْ اِخْلاٰصْ هَبِ لِِدِكُ رَكْ بِچَكِ
اِوْ هِچُنِ بِشَصْدِ شِلَرِلَنْ دُرْ رَكْ چَ
اِصْدَصَنْ مُنْ ڗَقْ حِنْتَ كُّلْ قُطُنْكِ وُكُنْكِ
اِصْدِخُنْ رَكْ لِِكْ هَبِ رَجٰاءْ طَمْعَ لْدَ وُكَ

(١) مُهَلْ .

دُرْكُ نَفْسَلْدَ صَكِ دُرْ لِمَلَزْدَ صَكِ
كِنَبْكُ جُيَلْدَصَ صِوِ هَوِ اِوْ دُژَ
اِوْ دُدَصَنْ رَضِلٍ سَعْادَةْ[1] بُكِنْ دُيِ
اِصْ مُنْ رَدَّ هَوُنَنِ شَقْاوَةْ[2] بُكِنْ دُيِ
اِصُلْ شَيْخَ صْدَصَكِ صِوِ هَوِ اِوْ دُژَ
اِصْ مُنْ نَخِّ چَنَنِ نَخِ چَلِنْ كِنَزْكُ .

فكيف لا وقد قال الشعراني في « المنن » : وما أخرج الأكابرُ من الأولياء فضلاً عن الأنبياء أحداً مطروداً وأفلح أبداً ، لأنهم لا يطردون أحداً وفيه رائحة خير أبداً . اهـ عب من ١٨٢ من الجزء الأول .

واعلم أن طردهم لا يكون باللسان بل إنما يطردون بمجرد القلب وذلك لحكمة علموها فينبغي للسالك أن يتفطّن لهذا المطلب والله ولي التوفيق ، وراجع « المنن » في الصحيفة المذكورة تجد ما قلناه فيها .

مُرْشِدْ رَضِلٍ دُيِ اَللّٰهْ رَضِلٍ بُكِنْ
اِصْ وَچَخِّ اِدِنْكُ بِچَصْ وَشَخِّ بُكِنْ
عَصْكُ وُكِبْ مِخَلْكِ رِكَّدْ وُكِبْ مِخَلْكِ
اِصُلْ سَطْوَتَلْدَ صَنْ[3] ژُنُنْ وُكَ كِدَكُ

(١) تَلِخْ .
(٢) تَلِخْ قِنْ .
(٣) ژِمْ بخِّنْ .

مُرِيدْ زَبَزُلْ فِشَ اِزُلْ خَواطِرَلْكِ
اِصْدَ بَلْكُ يَلْ هِچِنْ ظٰاهِرْ[1] هَرِچُنِكِ

وُرِ كُكِّزِ چُكِ اِصُلْ وِلِپ وُخِيَلْپ
ظَاهِرَ لْدَ هَبُلِبْ حَالْ طَبِعَتْ رِقِيَلْپ

ظٰاهِرْ قُطِينْ دُيِ بَرَكَتْ شُلِبْ جُكُ
ظٰاهِرْ قُّرَصُلْ بَاطِنْ مَحْرُومْ كُ خُطُلِبْنْ

اِصْ مُنْ كُدُ هَوُنِ حِنْقَ عِمِرْكُ ژَقْ مُنْ
هِبِنْ دُيِ مُنْ چَزِ قُّلِبْ زَهْرُ كِنْ زَقُومْ

مُنْ حَقِيرْ هَوُنَنِ وُخَ اِلْدَ صَنْ عِمِرْ
حَقِيرْ هَوِينْ دُيِ بَرَكَتْ شُلِبْ جُكُ

مُرْشِدَ صْ دُرْ حَلْ بِكِّ كِنْ كِنِّكِ هَبُلِبْ
اِصْ هَبُرَبْ جُيَلْدَ اِنْكٰارْ هَبُكِ دُژَ

خَطَرَتَلْ اِعْتِراٰضْ[2] دُرْ اِصْدِ خُنْ كَّنَ
تَوْبُ هَبِ كُطُنْكُ دُدِ بَلَهْ شِلَلْدِ

---

(١) وفي « الباقيات الصالحات » في تعريب « الرشحات » ما نصه : ويلزم أن يكون اعتقاد المريد في شيخه بأن جميع أحواله ظاهرة لديه غير خافية عليه وإنما لا يظهر له بعض أحواله لعدم المصلحة في إظهاره بل يجد المريد جواباً من غير وساطة القول واللسان . انتهى عب .

وفيه أيضا : كيف يكون الشيخ شيخاً هو مثلاً في المشرق وله مريد في المغرب ولا يكون له خبر عن جميع أحوال مريديه . انتهى عب من صحيفة ٢٥٠ ، راجعه . (منه رحم الله إفلاسه) .

(٢) وفي « الحديقة الندية » في ٨٢ أن الاعتراض أقبح من كل قبيح والمعترض لا يكون معذوراً فالحجاب الذي ينشأ من الاعتراض ليس له علاج ورفعه متعذّر ومن خواصه سدّ مجاري الفيض فاجتنب يا أخي هذا الدآء العضال . اهى ، راجعه . (منه) .

حَلْ بِكُّنْ لِرَبْ بُكِنْ كَشْفُ بُكِزْدَ عَصْكُبْ
اِعْتِراٰضْ هَبُرَلْ چِ كُفْرُ يَلْدَ جَلْ خِيِ(١)
شَرْعَلْدَ خِلِفَبْ جُ شَيْخَ صْدَصَنْ بِكَّنِ
مُوسٰى لْ خِضْرِلْ لُِهَرَبْ رَكَلْدِ شِزِ هَبِ
ژُ حِكْمَتَلٍ عُلُ يَ حَلْ بِكِّزِ عُلُ
ظَاهِرَلْدَ عَصِلٍ هَبُلِبِنْ مُرْشِدَصْ(٢)
عِصْيٰانَلْدَصَنْ وَلِي ژُنَرَوْ وُكُنَرِنْ
كُدَلْ مُنَهَلْ ژِنِ لُِهُنِلْ وَلِيَصُلْ
اَنْبِيَاءَ زُلْ(٣) خَاصَّ مُنَهَزْدَصَ ژُنِ
اَوْلِيٰاءَلْ اَبُنِ كُّلِلْ اِلْ مُنَهَزُلٍ
تَوْبُ خِخْكُ هَبُلِبْ حِنْقِ حِلْ حِلْ بُكُنِبْ
رَكْ بِكِكُنْ فَشْمَنْلٍ بَچُنِبِنْ اِزْدِكِ
اِلْدَ لُِنْ اِزُلْ مَقٰامْ دَرَجَبِ ژِكِنْزِ
اَللّٰهَ صُلْ حِكْمَتَلٍ كُّلِلْ اِلْ فِسْقُ يَلْدِ

---

(١) أعاذنا الله تعالى .

(٢) مع أن ذلك ليس بعصيان عنده في الباطن ، راجع « الابريز » .
مهم : « إذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب » ، الحديث ، راجع « روح العارفين » لتعلم معنى الحديث .

(٣) اَوَرَكْزَبِ .

مُـنَـهْ هَـبُـلِـزْدَ صَـنْ جَـلْـكُ چُـحُـنْ كُـطِـزِ
« أَنَـا »[1] يَـنْ اَبِ تِـزِ لُِهُنِبْ اِزُلْ عِصْيَانْ
رَكْ بِـكَـرَبْ عَـصِـلِ لِـكَـبِـنْ[2] دُيْ عِـمِـرْ
مُـنْـكُ دُيْ كُـدِيَـبْ عِـبَـادَةَلْـدَصَـكِ
تَـوْبُ هَـبُـرَوْ وَلِـي خِـرِيَـوِلَـنْ بُـكُ
مُـنَـهَـلْـكُ لُِهِـنْـچِـوْ وَلِـي يَـصْـدَصَـنْ عِـمِـرْ .

إذا تساويا في الصّفة والأعمال لما في قلبه من شدة التضرع والندامة ودوام الانفعال ، وفي زماننا هذا لو رأى أحد أكل لذيذ أو شرب بارد أو لبس حسن في أحد من أصحاب الطّريقة ـ مع كون كلّ ذلك مُباحاً شرعيّا والمباح لا يضرّ ـ لَأَنْكَرَ واعترض على حاله ولو كان له التصرُّف والآثار كالشمس في وسط النهار ، وكل ذلك من الاعتماد على رأيه واختراع الولي بعقله مع أن لهم أحوالاً خارقة للعادة وهذا لا يضرُّه بل لو اقتصر على الفرائض مع ترك المناهي لا ينافي ولايته أيضاً لما روي في حديث نعمان بن نوفل حيث سأل عن رسول الله ﷺ أنه لو اجتنب المنهيّات واقتصر على الفرائض هل يدخل الجنة ؟ فقال عليه الصلاة

(١) دُنْ .

(٢) لقوله تعالى ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ ولقول النبي ﷺ « خياركم كل مفتَّنٍ توّابٍ » أي كثير الابتلاء بالذنب كثير التوبة منه ، راجع « منهاج العابدين » . اهى .

والسلام « نَعَمْ » برواية مسلم . وقد قال ﷺ « إنّما أنا بشر مثلكم أغضب كما يغضب البشر » وقد قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ الآية وقد قال بعض الأولياء المراد من القبآء فيما قال الله تعالى « أوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيري » ليس إلّا صفة البشريّة فيهم ، والاعتراض بترك سنة من السنن أو بالإتيان بمباح شرعي بعد رؤية التصرّف والتأثير من فرط الجهل ، لأنه لما رأى التأثير منه فكأنه حمل مع نفسه شاهداً يشهَدُ على ولايته كلّ حين فلا يحتاج إلى شاهد خارجيّ بل الاعتراض على المباح من عادة الجاهلية كما قال الله تعالى : ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ ، « خالدية » .

سُنَّةَبْ جُ تُنِلَنْ[١] مُبَاحَبْ[٢] هَبُنِلَنْ
لِكَبْ كَنَنْ هِقُنِنْ لِكَبْ رِطِلْ رِطَنِنْ

(١) وفي « لواقح الأنوار » للشعراني رحمه الله تعالى : واعلم أن للفقراء والصالحين مكراً خفياً بالزائرين لهم لغير الله ، فربّما طردوهم بتعاطيهم كلمة مباحة حتى لا يكادون يرجعون إليهم كما وقع لسيدي أبي السعود الجارحي مع شخص من العلمآء الكبار دخل عليه بميزان الامتحان ، فقال الشيخ أبو السعُود : يظن الناس بي خيرا وإني أشرّ الناس إن لم تعف عنّي (بنصب الناس وأشر) ، فقال العالم : هذا لا يعرف الفاعل من المفعول فكيف يكون صالحاً ؟ ! وفارقه ذامّا له فلقيه الشيخُ بعد أشهر فكاشفه وقال : يظن الناسُ (بضم السين) ، فنزل العالم واستغفر الله تعالى ، فقال له الشيخ : نَصْبَةٌ راحتْ بك وَرَفْعَةٌ جاءتْ بك هكذا يزور الناسُ الفقراءَ وما يضرُّنا الّلحْنُ إلا اللحن في القرآن أو الحديث . اهـ .
فحرِّرْ يا أخي النية الصالحة لكلّ من طلبت زيارته ثم زُرْ . اهى عب ٧٦ من هامش « المنن » من الجزء الثاني . (منه رحمه الله تعالى) .
(٢) حَلَلَبْ .

شَيْخَصْدَ اِنْكٰارْ هَبِ جٰاهِلَصُلْ جُ بُكُ
تَأْثِيرْ بِكَّرَبْ عِلَ شٰاهِدْ[١] وِلٰايَتِلٍ
مُرْشِدَ صْدَ عَصْكُ مُنْ كَنَكِ يِلَنْ بُكُ
اِصُلْ رِطِلْ رِطِنِ بِهِلَرِنْ كِ بُكُ
اِصُلْ خَصَّبْ فَرْچِيَلْ اِدِنْكُ اِسْتَكَنِلْ
لِمْ هِقِيْ كَكِي چُرِ بِهِلَرُ هَبِزِي
اِوْ چَرَلْ عُدُچِيْ اِصُلْ چُيَلْدَ رِكِنْ
اِبْكِ اَدَبْ تِيْ بُكِنْ وُرِ دُثَ هَبُكِ
اَمّٰا اَمْرُ هَبُنِ كِنَبْكُكِ هَبِلَ[٢]
اَدَبْ تِيْ بُكَنِكِ اَمْرُ طَصَ بِشِلَ
مُرْشِدَصْدَ نَخٌّ وِلُنْ مَلِچِبْكِ هَبُكِ
مَلِچُكُ هَبُنِ هَلَكْ لِيَلْدِ اُنِنْ .

مهم : لما قال المحققون من قلّد مرشده في جميع أفعاله تَزَنْدَق لأن لهم أفعالاً ناشئة عن محض القدرة وبحسب السكر والمغلوبيّة وأفعالاً مبنية على الحِكَم والمصالح . « خالدية » عــ .

اِصُلْ تَعْزِيرْ حِنْقِ قِّيْ كُرْحِلْلُنْ بِكِّ دُدَ
دُيْكُ لِكْلِ مَصْلِحَةْ بُكِنْزِ هَبُلِبْ جُ

(١) نُعْ .

(٢) مهم : وفي « المنن » : امتثال الأمر أولى من سلوك الأدب ، راجعه .

اِبْ دُدَ رِخَـنَـنِ دُرْكُ حَـلْ نُـقْـصٰـانْ پُلِبْ
دُيِ تَـنَـزُّلْ[1] بَـچُـنْ تَـوْبُ هَـبِـزِ كُّـلِـنْ
اِوْ خُـنْ خَـدُبْ وِرِكِ اِصُـلْ چُـجُ يَـچُـنْـكِ
يَـسْ يَـچِـنِ بِـهِـلَ عَـلِـيِ بَـتُـولْ عَـدِنْ[2]
اِوْ رِكِـنَـلْـدِ ژِوِ چُـيَـلْـدَ مُـنْ رِكُـنْـكِ
رِشْـطِـنِ صِـوِ رِشْـطِـنْ اَدَبَـزْدَصَ بُـكُ
خُّـلُـخُّ چِ پُـنْ وُكُـنِ اِوْ قِّـجْـچُـكُ قِّـجُـكِ
شُـرِ بِـخْـزِ اِوْ اَنِ عَـكَـرْدَكِ مُـنْ چُّـكِ
اَلَـخَـلْـدَ رُكُـنِ وِكُّـلِ پُـوْ كِ چُـكِ
اِصْ چُـرِ بِـخَـرَپُـبْ دُژَ چُـرِ بِـخُـكِ
حٰاصِلْ دُيِ قُقَبْ جُ اِصْ حَلْطَرَبْ حَلْطُكِ
اِبْـكِ اِوْكِ كِـيَـلْـكُ كُـدُ هَـرِ كِـدَكُ

(١) نُقْصَنْلِ .

(٢) راجع « شرح تائية السلوك » و« كفاية المريد » وغيرهما .

والبتول – كرسول – العذراء المنقطعة عن الأزواج ويقال هي المنقطعة عن الدنيا ، والبتول فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قيل سميت بذلك للانقطاعها إلى الله وعن نساء زمانها ونساء الأمة فعلا وحسبا ودينا ، وفي رواية وقد سئل صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله تقول إن مريم بتول وإن فاطمة بتول ، ما البتول ؟ فقال : « البتول التي لم تر حمرة قطّ » .

هِـــقَـــرَبْ بَـــپْـــكُ تُـــكِ حَـــتّٰـــى مُـــنَـــهْـــژِنِـــكِ
رَكَـــپُـــلْ خَـــطَـــرَةْكِ[١] خِـــخْـــكُ بِـــژِنِ كِّـــلَ[٢]
مُـــرْشِـــدَ صُـــلْ حَـــقَـــپُـــلْ يَ اِصُـــلْ طَـــرِيـــقَـــپُـــلْ
خَـــطْـــرُپَـــرَلْ جَـــلْ رِژِ[٣] دُدَصَـــنْ نَـــخِّ رُسِ
رَكَـــلْـــدَ اِلْ تَـــنَـــنِ اِزْ فَـــيْـــضْ شِـــزِ هُـــقُـــلِـــنْ
فَـــيِـــضْ بَـــچِـــنِـــبْ نُـــخْـــطَ بُـــژُرْ عَـــدِنْ اِلْ چُـــلِـــنْ
بٰـــاطِـــنِـــيَـــبْ دُرْ اَحْـــوَالْ بَـــپْـــكُ هَـــرِزِ كِّـــلَ
مُـــرْشِـــدْ كُـــرِوْ شِـــيَـــصْـــدَ بِـــژِنْـــزِ بِـــهِـــلَـــرُ
مُـــرْشِـــدَ صْـــدَ اَبُـــنِ خِـــخْـــكُ بِـــژِنْـــزِ كِّـــلَ
اِصْـــدَصَـــنْ بَـــپْـــكُ تَـــنِ خِـــيٰـــانَـــةْ پُـــنْ بُـــكُـــنَ .

ففي « تصديق المعارف » في سورة « يوسف » ما حاصله هذا يجب على المريد إخفاء واقعاته وارداته عن جميع النّاس غير شيخه فإن

(١) رَكَلْدِ كَّرَبْ جُ .

(٢) أي لو كان له خطرة متمكنة دائمة ، راجع وحرر .

(٣) وذكر في « الحديقة الندية » أن العلاَّمة محمد أمين السويدي قال في « السهم الصّائب » : ولقد جرى لي مع حضرة مولانا خالد قدس سره بحث في الإلهام ، فقال : الإلهام عندنا معاشر النقشبندية غير معتبر في الأحكام الدينية لعدم جواز العمل به ، فقلت له : إن علماء الكلام والأصول يقولون باعتباره إذا كان موافقاً للكتاب والسنة ، فقال لي قدس سره : إذا كان الإلهام موافقاً للكتاب والسنة فالعمل حينئذ ليس بمقتضى الإلهام نفسه بل بما دلّ عليه الكتاب والسنة الموافق لهما الإلهام . اهـ راجعه من صحيفة ٨٥ من هامش « أصْفى الموارد » . (منه رحم الله إفلاسه ، آمين) .

يعقوب أمر يوسف بإخفاء رؤياه عن إخوته وإذا وجب الإخفآء عن الإخوة الّذين هم كانوا إخوته دينا ونسباً وكانوا أنبيآء وأولاد أنبيآء فلأن يجب إخفاؤه عن الأجانب أولى . اهى من عب .

وفيه أيضاً : وقال بعض المشائخ إن المريد الضعيف إذا حكى واردة لغيره من أصحابه السّالكين في طريقه سلبوه عنه وتركوه محروماً عن ذلك النوع وهذا صحيح مجرب عندي .

مطلب : ورأيت أنه لو كان الحال قوياً أقوى من السامع يستفيدُ منه السامع من غير أن ينتقص عن الحال شيء ولو حكى الضعيف للقويّ شيئاً من واقعاته ربّما ينسلب من الضعيف ذلك إلى القوي فينضم إلى جنسه من غير قصد القوي ومن غير أن يزيد له شيء بذلك المنسلب إليه وما ثمرة ذلك إلّا أن يبقى الضعيف محروما ولهذا وجب أن يكون الشيخ الراسخ في العلم القائم بالتربية والاقتدآء مأذونا بالقيام ومأمُوراً من الحضرة فإنه مَهْما كانَ مأذُوناً بذلك فاطّلاعه على منامات المريد وواقعات السالك لا يغيّر المريد في حاله ولا يسلب منه أحواله الصالحة بل يمدّها ويسوقها إلى الزّيادة ويسلب عنه أحواله الخبيثة الذميمة ويرميها بعيداً ، ولو كان الشيخ والعياذ بالله غير مأذون يكتسبُ من المريد أوصافاً ذميمة من غير أن ينتقص من المريد شيء من أوصافه الذميمة ويسلبُ أوصافه الشريفة ويقدمها إلى الضياع والتلاشي ، وهذا مجرب ، فافهم . انتهى عب ، راجعه من تفسير قوله تعالى ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ الآية .

اِصِـــــيْ وُقَّـــــرَوْ وُقَّ اِصْـــــدَ رِخَـــــرَوْ رِخَ
بِــــدْعَ يَــلِّــلْ اَهْـــلُ تِــي غَــفُــلَــلْ چَــعِــكِ تِي
خَـصْـكُ اِنْـكٰـارْ هَـبُـلِـلْ هِـزْدَصَـنْ ژَقْ رِكَّـلِ
ژِدِعَـــــنْ عَـكَـرْلِّـكِ بَـطَـيَـلْ چِـيَـــزْدِ[1] مُــنْ
عَــكَــرْلِّــنِ دُدِكُ اِزُلْ قَـــسٰـــاوَةْ[2] بَــچُــنْ
حُـضُـورَلِّـلْ نُورْكِ صُنْ غَـفُـلْـلِ حَـصُـلْـلُّـلِنْ
ذِكْـــرِ هَــبِـيَـلْـدَصَـنْ دُرْكُ غِـــرَ بُـصُـلِـنْ
ذِكْـــرِ يَــلْـدَصَـنْ ژِنِ نَــخِّ چَـنْـكِ خُـطُـلِـنْ
اِنْـكٰـارْ چِـيَـصُلْ طَـعٰـامْ كَـنَـنِ فَـيْـضَـلِّـلْ بٰابْ
كِــقُــكُ سُــــرْدُ قُـيَــلِ قَـــنْ خُـطُـلِـبِـنْ بُــكُ
شُـبْـهَ حَـرٰامَــلْـدَ صَــنْ بَــــژَدَبْ كِـنْـكِ كَـنَـيْ
كِـنَـلْـدَ صَـنِـنْ شِـبْـكُ طَـبِـيـعَـتَـلْ رِجُـلِـلْ .

(١) وهم الأغيار الذين لا يعتقدون في مشائخ الطّريقة . (منه) .
(٢) رَكْ بِژَلِ .

وفي « الرشحات » في ٢٦٣ أن مدار الأمر على الغذآء والاحتياط فيه من آكد الواجبات فإن كلّ ما يرد إلى البدن فلا بدّ من أن يظهر أثره في الظاهر وما تجدونه من التفرقة وعدم الذوق أكثره من أكل لقمة غير محتاط فيها . انتهى عب .

وفي « البحر المورود » في ١٨٣ : أخذ علينا العهود أن نتعفّف عن أطعمة الناس جُهْدَنا فإن اللقمة تؤثر في كلّ آكل بحسب درجته فأثرها في المؤمنين أعمال مذمومة لم يكن لهم بها عادة وأثرها في الكاملين كثرة الخواطر التي لا منفعة فيها وأثرها فيمن هو أعلى من ذلك لا يعرفه إلّا صاحب تلك الرتبة . اهى من عب .

كَكِيْ شُرِ كٰامِلَوْ حُضُورْ جِنْدِلْ دٰائِمَوْ
مُخْلِصَصْ جِبْ هَبُرَبْ طَعٰامْ كَنَزِ شَنِ
شُلِبِنْ دُيِ اَحْوٰالْ بَچِنِبِنْ دُيْ حُضُورْ
حُضُورَ لْدَ كَرَبْ جُ دَرُ بُكُنِبِنْ دُيْ
كَنَيْ كُنْ هِقِيَلْپِلْ اِسْرٰافْ دُڎَ هَبُكِ
كُلْ ڎَقْ پُنْكِ كَنَكِ غَفُلْپُنْكِ كَنَكِ
حُضُورَلْدَ كَنَنِ حُضُورْ جَمْعِيَّةْ شُلِبْ
غَفُلْكُ دُڎَ كَرَلْ غَفْلَةْ حَصُلْ هَبُلِبْ .

قال الشيخ الصّافي رحمه الله تعالى : إذا قال في ابتداء أكله : « **بِسْمِ الله ، اَللَّهُمَّ اجْعَلْ هَذَا الطَّعَامَ قُوَّةً لِلْعِبَادَةِ** » وفي آخره : « **اَلْحَمْدَ لِله** » يبدّل ذلك الطّعام نوراً ، وإن أكل لأجل حَظّ النفس ـ ولو كان المأكول قليلا ـ يُبدّل الله ذلك الطّعام ظلمات ، كذا في « مزكي النفوس » في ١٨٧ راجعه .

وفي « النفائس السانحات » أن السيد نور محمد البدواني رحمه الله تعالى كان لا يأكل من طعام الأغنياء أصلاً لعدم خلو أكثره من ظلمة الشبهة . اهى من عب .

وفي « الرشحات » أن الاحتياط في اللقمة من اللوازم حتى ينبغي كون من يطبخ الطعام على طهارة كاملة وأن يوقد النار بالحضور والشعور . اهى . وفيه ما حاصله : أنه ينبغي أن يحضر على القلب وقت تسخين الماء للتوضؤ وطبخ الطّعام وأن يحفظ اللسان عما لا يعني من فضول الكلام حتى يظهر نور الحضور في قلب من توضأ بهذا المآء أو أكل من ذلك الطعام .

فإن الماء المسخَّن بالغفلة والطعام المطبوخ بالفترة تحصل منهما ظلمة في الباطن وغفلة . اهى راجعه .

وفي « الحدائق الوردية » ما حاصله أنّ بهاء الدين النقشبند قدس سره كان يصنع الطعام للفقراء بيده المباركة ويخدم مائدتهم بنفسه الشريفة وإذا اجتمعوا للطّعام يوصيهم بالمحافظة على الحضور ويؤكد عليهم في

ذلك أشد التأكيد ، وكلما أراد أحدهم أن يتناول لقمة مع الغفلة ينبّهه من طريق الكشف عليها ويمنعه من أكلها ويقول : صدور الأعمال الصالحة إنما هو من الطعام الحلال إذا أكل مع الحضور ولا يحصّل العبد الحضور في جميع الأوقات ـ لا سيّما أوقات الصلوات ـ إلّا بهذا .

وكان إذا قدم إليه طَعامٌ صُنع في حال غضب أو كراهية أو حصل فيه أدنى مشقة بل لو كان وضع فيه أحد ملعقة على هذه الحالة لا يمد يده إليه ولا يدع أَحَداً ممّن معه أن يتناول منه شيئا .

روي أنّه ذهَبَ مرّة إلى غزيوت فقدم إليه أحَد مريديه طعاما فقال له : كان صانعه منذ عجن إلى أن تمّ طبخه في حال غضب ، فلا يليق بنا أن نأكل .

فإن كل ما يرد في مثل هذه الأحوال لا خير فيه ولا بركة بل يجد الشيطان فيه سبيلا فكيف ينتج . انتهى من عب ٨٣٥ ، راجعه .

واعلم يا أخي أنه ما واظب أحد على الحضور مع الله تبارك وتعالى حال أكله وشربه إلّا أورثه الله تبارك وتعالى القناعة والزهد في الدنيا وكفاه شر نفسه . انتهى ، « لطائف المنن » عب ١٨٤ من الجزء الأول .

وفيه : ما أدمن أحد الحضور مع الله تبارك وتعالى إلّا قلّ أكله وصار تكفيه اللقمة واللّقمتان . اهـ ، راجعه .

طَعَامْ كَنَنْ خَدُصَ طَعَامْ بِئِنِ هَبِ
كَكَلْ رَنْ ذِكْرِ هَبُنْ قِّجِلَلْدِ صِبِ كُّنْ
هِدِنَنْ هَبِچُكُ قِّچِنِ كَنَنْ خَدُبْ
رَكَلْ قُسُنِنْ اَبُنْ حَدِيثْ بُكِنْ اِلِي
كَكِلْ بِشُنْ دَهَبْكِ اُنْقُ رَكَعَتْ هَبِ
ذِكْرِيَلُپلْ دَهَبْكِ ژُ نُسْكُ تَسْبِيحْ هَبِ
يَلُپِنِ قُرْآنَلُپلْ ژُ عَكِ جُزْءُ ژَلِي
رِخْصَرَبْ كُثَلْ بُكُ غَزَالِلْ اِحْيَاءَلْدَ[١] .

ولقد كان شيخنا قدس سره يقول : إني لو قلت لا إله إلّا الله بحبس النفس ثلاثين مرّة لذاب الطعام في بطني ولو كان مملوء به . اهـ .

وسمعت واحداً من مريديه أنه قدس سره قال له : إني أطيق أن أذيب كل طعام بالذكر إلّا اللحم العتيق والسمسم المطحون . اهـ .

وفي « الفتاوى الحديثية » لابن حجر في ١٢٢ وسئل ـ نفع الله بعلمه ـ عن معنى قول نجم الدين الكبرى « إن الذكر يقطع لقيمات الحرام » فأجاب بقوله هو محمول على لقيمات يسيرة كما أفاده التصغير يأكلها الإنسان في وقت غلبة الحرام على أهل الدنيا كما في زماننا هذا ، فإن ذلك يباح له شرعاً وقد قال ابن عبد السلام : لو عمّ الحرام الدنيا جاز

(١) وكذا في « عوارف المعارف » . (منه) .

للمسلم أن يأكل منه قدر القوت كما يباح للمضطر أكل الميتة ، وفي معناه قيل لو كانت الدنيا دماً عبيطا لكان قوت المؤمن منها حلالاً ومع إباحته شرعاً لا يخلو عن إظلامه القلب فالذكر ينوّره بمحو تلك الظلمة كما أن الدوآء يذهب الأخلاط المتولّدة من الغذاء المذموم ويقطعها إنّ الحسنات يذهبن السيئات . اهى عب . ولا شك أن الكثير من الطعام الحلال كالقليل من الحرام في إظلامه القلب ولذلك ينبغي أن يُذابَ قبل أن يتأثر والله ولي التوفيق[١] .

وِلِ كِـــمُ صِّـــنْ بَـخِــنْ ژُنِ كِـيَـلْـدَصَـكُ

اِبْ كِـيَـلْـكُ رَكَـلُـلْ نُــورْ صِـنْـزِ هَـبُـلِـبِـنْ[٢]

دُنْــيَـــالْ اٰخِـــرَ تَـلُـلْ خَـيِـرْ هِـچِـبْ هَـبُـكِ

عَـــزِيـــزَبْ[٣] دُرْكُ عُـمْـرُ عَـــدَدَ اِنْـــزَبُـــكِ

ذِكْــرُ حُـضُـورْ ژَقْ هَـبُـنْ حُـكَّـلْ غَـفُـلْ بِچَكِ

بُرْچُنْ اَرَبْ دُرْ حُكَّلْ نَـخٌّ بُصُنْ دُيْ شِـلَرِنْ

خِــلْ دُدَ طَـدِ شَـــرَوْ مُـحْـتَـضَـرْ عَـــدِنْ وُكَ

كُــطُــنْ خِــلِــونْ اَبُـــنْ ژَقْ بَــخِّ طَـعَـتَـلِ

(١) راجع « المنن الكبرى » و« منهاج العابدين » . (منه) .

(٢) ويميتانه ، كذا في « الخالدية » . (منه) .

(٣) قِمَتَبْ .

وَأمّا الأدَبُ الرّابعُ فأدَبُ المكالمةِ مَعَهُ

مُـرْشِـدَ صْـدِخُـنْ كَـلامْ اِذْنُـكِ هَـرُنْ هَـبِ
هِـطِـنْ هَـبُـنْ هَـرَقّْ كُـنْ رِخَـرَلْـدَصَ ژُنُـنْ
كَـلَـلْ بِـژُنِـبْ جُـكِ رَكْ رِقِـچِـبْ بِـژُنْـكِ
شَـيْ هِـچُـيَـنْ اَبُـنْـژِنْ اِصْـدَ دَنْـدِ اَبُـكِ[1]
شِـبْـكُ اِصْ اَبُـرَلْـدَ اُيِـلَـنْ اَبُـنْ وُكَ
اِعْـتِـرٰاضْ[2] بُـكِـبْ كَـلٰامْ دُژَ دَنْـدِ هَـبُـكِ
اِشْـكٰالْ هِـقِ حَلْ بِـژِنْ كُـرِبْ جُـيَـلْـطَـلِْـنْ مُـنْ
مُـرْشِـدَصْـدَ كَـلِـكِ دُيْـكُ فَـيِـضْ قُـطُـلِـنْ .

وفي الرائيَّة :

مُـرْشِـدَصْـدَ عَـصْـكُ مُـنْ وِلِـنْ هَـرَقّْ بُـرْخُـكِ
إِلْـدَصَـنْ قَـبِـحَـبْ جُ هِـچِـبِـنْ دُيِ شِـبْـكُ[3]
مَـقُّ كَـشْـفُ بِـكَّـنِ بِـژِنْـزِ كِّـلَ دُژَ
مَـقُّ قُـطِ اِصْـدَصَـنْ دُژَ طَـلَـبْ هَـبُـكِ
دُژَكُـكِ اِصْـدِخُـنْ مَـقِّـلْ تَعْبِيرْ هَـبُـكِ[4]
بَـلِْـكُـيَـلْ جَـلْ كِـدَكُ دُژَ اِصْـدَ هِـقُـكِ

(١) مطلب مهم : ومن قال لأستاذه لمَ لا ؟ لا يفلح أبداً ، كذا في « الخالدية » وغيره . (منه) .

(٢) شَغْ هَبِ .

(٣) راجع « الإبريز » في ٢٠٧ .

(٤) مَقُّ قُطُكِ .

كَــرٰامَــةْ بِــكِّ دُرَ كِـنْـكُ طَـلَـبْ هَـبُـكِ
كَــرٰامَــةْ سَـبَـبْ كُـــرِنْ وَلِـــي خِــرَلِـيَــلِ
كَــرٰامَــتَــلْ رُكُــنِــلْ زُهَّـــادْ مُـحِـبِّـيـنَـزِ[1]
عٰــارِفُــونَــزْنِ اِلْـــدِ حَـيْـضُ الـــرِّجٰــالْ[2] اَبُـلِـبْ
كِـنَـبْـنِـكِ جُـيَـلُـلْ اِذْنُ هَـــرِ اِصْــدَصَـــنْ
هَـــبْ هَـبِـلِـشَـنْ اَبُـــنْ هِـقُـنْ هَـــبِ كِـنَـبْـكُ
اِصْ اِذْنُ قُّــرَبَـلُـلْ بَـــرْكَـــةْ بُـكُـلِـنْ بُـكُ
دُيِـــكُ بَــرْكَــةْ شِــزِ اُرْغُـــنْ هَـــبِ شِـبْـكُ جُ .

وقد قال الشيخ الشبلنجي المدعوّ بمؤمن رحمه الله تعالى في كتابه « نور الأبصار في مناقب القطب إبراهيم الدسوقيّ القرشيّ الهاشميّ رحمه الله تعالى » ما نصّه : ومن كلامه كما في « طبقات الشعراني » يجب على المريد أن لا يتكلم قطّ إلا بدُسْتور شيخه إن كان جسمه حاضراً وإن كان غائباً يستأذنه بالقلب وذلك حتى يترقى إلى الوصول إلى هذا المقام في حق ربه عز وجل ، فإن الشيخ إذا رأى المريد يراعيه هذه المراعاة رباه بلطيف الشراب وأسقاه من ماء التّرْبية ولاحظه بالسر المعنويّ الأوّلي فيا سعادة من أحسن الأدب مع مربيه ويا شقاوة من أسآء . انتهى من عب من صحيفة ٢١٤ ، فراجعه .

(١) دُنْيالْ تَرَلْ اَللهْ وُقَّرَلْ شِ .
(٢) بِكِّنَلْ .

چُـرُلـصْـدَ صِـو چُـنْ خَـــرَوْ چِ عَـــدِنْ وُكَ
اِصُـــلْ اَمْــرُيَـلْـدِخُــنْ مُـطِـيعْ لُِـــنْ چَ كِــدَكُ
رَعِـــنِـــكِ حٰــــالْ نِــكِ حَـتّٰـى جِــكِ بُـــثِكِ
كِـنَـبْـكُ جُ اِصْــدَصَـــنْ دُژَ بَـلِْـكُ هَـبُـكِ
سَــفَــرَلْــدَ اُنِـــلُِـــلْ اِذْنُ هَـــرُنْ مُـــنْ وَخَّ
نَــخَّ وُصُـنِـبْ حٰـالَـلِْكِ اِذْنُ يَـلْـدَلُِـنْ وُصَ[١]
مُـرْشِـدْ عَصْكُ وَچَـنِ نَـخَّ وُصُـنْ اُنِـبْ مِـخَـلِْ
نَـــخَّ وُصَ اَبِــزِعَـــنْ خَـــدُ نُــخ بِـطُـنْ وِلَِ
نَـــخَّ وُصُـــنْ مُــنْ اُنِـلُِـــلْ كِـرَلْـدَ اَبَـــچْ هَـبُـنْ
اِوْ شِـنْـكُـنْ اِنْـزِعَـنْـجُ فَـيِـضْ طَـلَـبْ هَـبُـنْ چَ
حٰــاصِـــلْ دُژَ اِوْ مُــرْشِـــدْ كُــدُ هَـــوِ كِــدَكُ
خَـــنْــزَبِ سَـلاٰطِـنَـلْ خُـدَمٰـائَـزْ[٢] عَـدِنَـــنْ[٣] .

وَأمّا الأدَبُ الخامِسُ فأدَبُ خِدْمته

مُـــرْشِـــــدَصِ هَـبُـلِـبْ خُّـــلُّـــخِّـلَـنْ اَبُـــنِ
بُـــژِكُــنْ شِـــرْخَــلْــدَ لُِـــنْ بُـكُـنِـنْ اَبُـــنْ بُـكُ

(١) وينزل عند الرجوع في باب الخانقاه وبإذنه يرجع إلى أهله . « خالدية » عب .
(٢) خُّلُخّ چِعَزْ .
(٣) ولو لم يبصر السلاطين فليسأل الأدب من الواقفين بهم . « خالدية » عب .

اِصِـــيْ هَـبُـلِـبْ خِـدْمَـةْ اَللّٰهْ اَوَرَكَـصْـدِ
بُـصُـنِـبِـنْ دُژَ اِبْ كُـدَبْ نِـعْـمَـةْلِـُنْ هَـبِ
دُژَ هَـبُـرَبْ جُـكِ كُـدِيَـبْـلِـُنْ بِـكُّـكِ
اِدِنْ بِـكَّـنِ دُيْـكُ زَهْـرُلِـُنْ بُـكُـلِـنْ اِبْ
اَللّٰهَ صِ رِصَّ هَـبُـنْ وُكَ كِـدَكُـكِ مُـنْ
هِـصِـيِ خُـلُّـخَّـلِ اَهْـلُ لِـُنْ مُـنْ هَـوُرَوْ
رِخْـصَـرَبْ صُـرَتَـلْـدَ اِعْـتِـقَادْ كُـنْ[1] هَـبُـرَبْ
خِـدْمَـتَـلِـُلْ بَـرَكَـةْ شِـجُـكُ خُـطِـلَـرِنْ[2]
دُدَ[3] اَمْـرُ هَـبُـرَبْ خِـخْـكُ هَـبِـيَـنْ بُـكُ
بِـطِـرْ قُـطِـيَـنْ اَبُـنْ دُدَ اِصْ اَبُـنِـكِ
شَـرْعِـيَـبْ عِـلَّ كُـرِبْ دُژَ اِلِـيْ بَـچُـنْـكِ
هَـبُـرَبْ قُـطُـدِكِ خِـلِـفْ لِـُكِ مُـنْ اِصِـيْ
مُـنْ خُـلِ وُكُـنِـكِ دُرْكُ شِـرْخَـلْـدَصَـكِ
اِصُـلْ اُمُـورَلْ[4] دُژَ صِـرِ هَـرِ كِـدَكُ
ژُ بِـرْ قَـزِعَـنْ ژِنِ نَـخُّ بَـخُّـنْ تُـكِ اَمْـرُ
جِـبْ مُـعَـيَّـنْ هَـبُـرَبْ عُـجَـلْـدَ هَـبِ دُژَ .

(١) رَكْ چُنْ .

(٢) إن شاء الله تعالى .

(٣) راجع « الحديقة الندية » في ٨٦ . (منه) .

(٤) اِشَلْ .

قصة نفيسة

كان لبعض المشائخ مريد صادق فأراد أن يمتحن صدقه يوماً فقال له : يا فلان أتحبّني ؟ قال : نعم يا سيدي ، فقال له : مَنْ تحبّ أكثر أنا أو أباك ؟ فقال : أنت يا سيدي ، فقال : أفرأيت إِنْ أَمَرْتُكَ أن تأتيني برأس أبيك أتطِيعُنِي ؟ فقال : يا سيدي فكيف لا أطيعك ولكنك السّاعة ترى ، فذهب من حينه وكان ذلك بعد أن رقد الناس فتسوّر جدار دارهم وعلا فوق السطح ثم دخل على أبيه وأمّه في منزلهما فوجد أباه يقضي حاجته من أمه فلم يمهله حتى يفرغ من حاجته ولكن بَرَكَ عليه وهو فوق أمه فقطع رأسه وأتى به إلى الشيخ وطرحه بين يديه فقال له : ويحك أتيتني برأس أبيك ؟ فقال : يا سيدي نعم أما هو هذا ، فقال له : ويحك إنما كنتُ مٰازحاً ، فقال له المريد : أما أنا فكل كلامك عندي لا هزل فيه ، فقال له الشيخ رضي الله عنه : انظر هل هو رأس أبيك ، فنظر المريد فإذا هو ليس برأس أبيه فقال له الشيخ : رأس مَنْ هُوَ ؟ فقال له : رأس فلان العلج ، قال وكان أهل مدينتهم يتخذون العليج كثيرا بمنزلة العبيد السودانية ، قال وكان أبُوه غاب تلك الليلة فخانته زوجته في الفراش ووعدت علجاً كافرا ومكّنته من نفسها وكوشف الشيخ رضي الله عنه بذلك فأرسل المريد ليقتله على الصفة السابقة ليمتحن صدقه فعلم أنه جبل من الجبال ، **فكان وارث سره والمستولي بعده على فتحه** والله الموفق . انتهى « إبريز » عب ١٨٦ ، فليتدبره السالك الصادق ليجني منه ثِماراً من المنافع فإنه مهم جداً .

مُــرْشِــدَصِ هَـبُـلِـبْ خُـلُـخٌّ خِــدْمَــةَ لْــدَصَــنْ
شِـبْـنِـكِ عِـــوَضْ غَـــرَضْ طَـلَـبْ هَـبُـكِ دُرَ
قُـــرْبُ[١] فُـتُـوحْ[٢] وِلٰايَـــةْ[٣] شِبْكُ اِلْ كُرِلْنِكِ
دُرْ شِـــرْخَـــلِ مُـنْـفَـعَـةْ خَـــلْ هَـبُـكِـيَـنْ بُـكِـنْ
نَـكَـهْ غَـــرَضْ بَـتَـنِ تَـــوْبُ هَـــبِ خِـــخْ هَـبُـنْ
خِــدْمَـتَــلِ عُـلُـلُّـنْ وِجَــرَوْلُّـنْ رَكْ چَ دُرْ
اِوْ چَـــرَلُ مُـــنْ چُـكِ اِوْكُــــنْ كَـنَ هِـقُـكِ
اِصْــدَ بِـكُّـلِبْ بَـكَـلْ بِـطِـرْ صِــبِ رِخُـــكِ[٤] .

وفي الرائية :

ولا تــــقـــعـــدن قــــدامــــه مُـــتـــربّـــعـــاً
ولا بـــاديـــاً رجْـــــلاً فـــبـــادر إلـــى الستر
ولا بـــــاســــطـــاً ســــجـــــادة بـحـضـوره
فـــلا قـصـد إلا الـسـعـي لـلـخـادم الــبَــرّ
وســـــجـــــادة الــصــوفــي بـيـت سـكـونـه
ولا وكـــــر إلّا أن يـطـيـر عـــن الــوكــر .

(١) اَللهَ صْدِ عَكَرْلِ .

(٢) رَهِ .

(٣) وَلِلِ .

(٤) ومنها أن لا يتحمّل أمانة تبليغ سلام الغير إلى الشيخ لأنه من سوء الأدب . « الحديقة الندية » ، عب في ٨٥ .

أي إلّا أن يكمل أمره ويطير عن شيخه ويستقلّ بنفسه كالفرخ الذي كملت تربيته وقدر على الطّيران فإنه يستقلّ بأمره ولا يحتاج إلى أبيه . اهـ « إبريز » عب ٢٠٧ .

اِصْدَ عَصْكُ عُدُ چِيْ تَرْبِيعَلْدَ[١] هَبُكِ
حَطَلْ رَخْچُنْ كُرُنِ وُكُنْكِ اِصْدَ أَصْكُ
اِصُلْ غَطٰاءَ پُلْكِ[٢] يَ اِصْدَ عَصْكُنِكِ
وِكِ قِّجِ هَبُكِ هِبْكِ اَدَبْ تِيْ بُكِنْ
اِصُلْ بُسَدَنِكِ[٣] يَ اِصْدَ عَصْكُبْ نِكِ
كَكَلْكِ رَكِ دُثَ اِصْكِ رَلِلْ هِچُنِ
يَپُلِنِ مَسْجِدَ لْدَ رُكُنَنِ كُرُنِ
يَ شَرْعِيَبْ ضَرُورَةْ[٤] بَتَنَنِ كُرُنِ
اِصِيِ خُّلُخَّلِ رِقِچوْپُلْنِكِ وِكِّ
كِدَكُ هَبُلِپُلْ تَقْصِيرْ[٥] بُكِوْپُلْنْ وِكِّ

(١) ثُرَپْ حَطَلِ رِچَنْ .
(٢) طَدْ بَلِبْ جُ .
(٣) وذكر صاحب « الحديقة الندية » من الآداب أن لا يتوضأ بمرأى الشيخ وأن لا يرمي البزاقة والمخاطة في مجلسه ولا يصلي النوافل في حضوره ولا معه . اهى ، راجعه من صحيفة ٨٦ من هامش « أصفى الموارد » . (منه) .
(٤) چَرَ هِچُلِ .
(٥) كَّرْچَنْلِ .

مُـــرْشِـــدَصِ مَـصْـلِـحَـةْ بُـكِـلْ جَـلَـزْدِ بَـلَـيْ
اَمْـــــرُ هَـبِـچُـنِـكِ كُـطُـنْ دُرْكُ هَـرِ
اِدِنْ دُرَ هَـبُـنِ اِصُـلْ رِكِـلْ مُـنْ لِـهُـنْ
جِنْـدِرْ رَكَلْـدَ بُكِـبْ دُدَ عَكْسْـلُـنْ بَـچُـنَ .

ويدوم فيضه وَيُؤَدّي الخدمة بغاية البشاشة والطّلاقة والاستبشار ، « **خالدية** » **عب** . وفي « الباقيات الصالحات في تعريب الرشحات » في ١٧٤ : ينبغي أن يبذل الهمة وأن يصرف الخاطر في الطّريقة النقشبندية إلى مقتضى الوقت **فوقت الذكر والمراقبة عند عدم خدمة تحصل منها راحة لمسلم فإن الخدمة التي تكون سببا لقبول القلوب مقدمة على الذكر والمراقبة .**

وزعم البعض أن الاشتغال بعبادة النوافل أفضل من الخدمة وليس كذلك فإنّ ثمرة الخدمة المحبة والتمكين في القلوب وما قيل : جبلت القلوب على حب من أحسن إليها – مبينٌ لهذا ولا مساواة بين ثمرات الخدمة التي هي محبة المؤمنين أصلاً . اهى من عب ، راجعه .

وفي « الحدائق الوردية » في ١٦٠ يقول حضرة الشاه نقشبند رضي الله عنه : ما أخذت هذا الطريق من الكتب بل من الخدمة ، وهذا فائدتها ويقول : كل أحد يدخل من باب وأنا دخلت من باب الخدمة فمن أحبّه أمره بالخدمة ، وأنشد بالفارسية بيتاً معربه :

إلــى شــرفــات الــعــرش يــوصــلــك الــخــدم
فأسلم منها مــا رقــت ســلّــمــاً قــدم . اهـــ .

قوله **بل من الخدمة** أي من خدمة رجال لا أني أخذتها عنهم بالتعلم بل للخدمة تلك الخاصية ، كذا في « الرشحات » في ١٧٥ ، راجعه .

وفي « لواقح الأنوار » في ٢٢٧ من هامش « المنن » من الجزء الثاني ما نصّه : لا يقدر مريد يُجٰازي شيخه على تعليمه أدباً واحداً في الطريق ولو خدمه ليلاً ونهاراً إلى أن يموت . اهـ .

وَأَمّا أَدَبُ الخدمة بالمالِ

كِـنَـبْـنِـكِ دُيْ قُّـــرَبْ بُـــثِرِكِ لِـمَـلْـنِـكِ
أُسْـتٰـارَ صُـلْ بَرْكَتَلْٖ شَـرَلْ لُٖـنْ رَكْ چِـزَبِـي
عٰـالَـمُ الْاَزَلَـلْـدَ(١) اِصُـلْ رُوحٰـانِـيَـلُٖـلْ
بَـرْكَـتَـلْٖ حَـصُـلْ لَٖـرَلْ جَـلَـنْ اِعْـتِـقٰـادْ هَـبِ
كِـنَـبْـكُـكِ دُخّْ بُـكِـبْ اِصُـلْ مِـلْـكِـلَـنْ وُكَ
كُـنِـبْ هِـقُـلِـبْ بُـكَ رِطُـنِـبْ رِطِـلْ نِـكِ
شَـيْـخَـصُـلْ نِـچْ بُـكُـنِـبْ بَـكَـلْـدِ بُـثِرِ قُّـكِ
قُّـــرَبْ(٢) قَـبُـلْ هَـبِـيَـنْ كَـنْـثِ مُـنْ اَللهَ صْـدِ

---

(١) اَزَلَـلْـدَ .

(٢) أي لو أعطيت شيئا من مالك على قصد الصدقة والمبرة ، والله أعلم .(منه) .

اِدِنْــــــكُ[١] مُــرْشِــدَصْــكِ قَـبُـلْ هَـبِـكِ اَبُـنْ
اِلْـتِـجَـاءْ[٢] صَحِيحْ هَـبِ تَضَرُّعْ حِـلْ حِـلْ هَبِ
اِصِــــي قُّــلِـبْ بُــثِ يَ اِصُـــلْ شُـيُـوخَـزِي
نَـــذْرُ هَــبُــنْ قُّــنَــنِ اِبْ ثَّقْ قَـبُـلَـبُـكُ
عُــجْـبُ[٣] رِيَـــاءْ هِـچِـبْـكِ بُــكُ نَـــذْرُ هَـبُـرَبْ
بِــشُــنْ بُــقَّــرَلْـدَصَــنْ قِّـيْـكِ لِـكَـبِـنْ بُـكُ
اِصْ اِبْ قَـبُـلْ هَـبُـنِ نِـعْـمَـةْ لُّـنْ بِــكِّ دُدَ
شُـكْـرُ رِصٌّ عِمِرْ هَـبِ دُرْكُ بِـطِـرْهَـنَـصْـدِ .

وحكي أن شيخاً من المشائخ قال في وقت من أوقات الاقتضاء : يلزمني ألف دينار ، فسمع بذلك مريد من مريديه وذهب إلى بيته وسأل أمه عما خلف له أبوه من المنقولات فقالت له : أورثك بألف دينارٍ وقد وضعت في المحلّ الفلاني ، فأخذ الدّنانير وذهب إلى خلوة شيخه وقبّل يده وتضرّع والتجأ للقبول فقبل منه وبعد ذلك لما اجتمع في مجلسه أظهر

(١) أي لو أعطيت له شيئاً من مالك على وجه الصدقة أو الهدية بناء على أن إعطاء الهدية له من آداب المحبة كما هو مذكور في « سلسلة الخواجكان » ، والله أعلم .
وفي « لواقح الأنوار » في ٧٧ من هامش الجزء الثاني من « المنن » ما ملخصه : لا ينبغي لفقير أن يزور أحداً من إخوانه إلا بشيء من القوت ولو رغيفاً فإن لم يجد شيئاً فليدع له بظهر الغيب فإنه هدية في صحيفته يوم القيامة وهي أنفع من رغيف يعني بيقين . اهـ عب . (منه) .

(٢) اَحِ بَيْ .

(٣) جِوْكُ جِنْدَكُ بِرْثِنْ وِكِّ .

الشيخ ما صنع الشاب لأهل المجلس استحساناً لهمّته فلما سمع الشاب ذلك قام من مقامه وقبل يد الشيخ وقال : لم ترض أمّي بما أعطيتكَها وأريد أن تردّها عليّ ، فقام الشيخ وذهب وردّ ما أعطى من الذهب وجلس مكانه فتعجّب أهل المجلس من صُنْعَةِ الشّاب فلما صار الليل ذهب بها إلى خلوته فقال : يا شيخي أنا ما أتيت بها أوّلاً لِأَنْ تَمْدَحَني بها ولاَ لِأَنْ تصيرَ ممنوناً في أعين النّاس بذلك ومنعماً عليه في نظرهم فلذلك قبحت نفسي بها بحَضْرَتهم ثم أتيت بها ثانياً ، **فاستحسن الشيخ صنعة ذلك المريد وجعله من أفضل المقبولين .** « خالدية » عب .

وأمّا الأدَبُ السّادس

ففي الإخلاص والطّلب وكيفيّة استحضار القلب للاستفاضة

مُرِيدَصُلْ اِخْلَاصْ كُنْ اِعْتِقَادْ طَدَبْ بُكُ
رَسُولَصُلْ نَائِبِنْ رَكْ چُنْ بُكِنْزِ كِّلَ
اِصْ قَبُلْ هَوِ جِنْدِيْ اَللهْ كُنْ اَوَرَكَصْ
قَبُلْ هَوِ بُكُلِبْ شَكْ لُِكِ بِژَرَلْدَ
شَيْخَصْ نَخِّ چَنَنِ اِصُلْ شَيْخَصْكِ چَلِوْ
رَسُولَ صْدِ شِزِعَنْ كِنَزْكُ وَچَخُلِوْ
مُرْشِدَصُلْ رُوحَانِي نَخِ بَطَلُِلَرِبْ
كِنَبْكُكِ حَلَلُِلْ مُرِيدْكُنْ عَصْكُبْ چُلِبْ

اِصُــلْ رُوحٰـانِـي دَائِــمْ عَـصْكُبْ بِكُّنْ ژُژُيَــزْ
اِخِ حِـــطِ بِـــطِــزِ كُــلَــــرِنْ قِّـجُـلِـپُـلْ
وِكُّـــلَـــرِلْ چِـيَـصَّ عَـصْـكُ اِوْ خَـــلْ هَـــوُنِ
وِكُّـــلِــزِ عَـــدِنْــكُ فَــيِــضْ شُــلِــبْ رَكْ چَــنِ
رُوحْ بَـخُّـلِبْ عُـجَـلْـكِ[1] عَصْكُ شُـلِـبْ رُوحٰانِـي
خَــبَــلْپِ سُـــــؤَالَ لِــكِ كِــرْ بَــقِــزِ وَچُــنِــوْ
جَـــوٰابَــــلِپ اِعٰـــانَــــةْ اِصِـــــيْ تَـسْـلِـيَـتَـلِپ[2]
شَـيْـطٰـانْ نَــخِّ لُـتِــزِ شُــلِــوِنْ اِوْ خَـبَـلِپ
رُوحٰــانِـيَــلِپ حِـجٰـابْ مٰـــادَّةْ مُـــدَّةْ هِـچِـبِـنْ
هِـــدِنْ اَبُـــنْ صِـبِـكِ بِــــژَرَبِــنْ بَــلَــهِ .

وقد توجّه بعض إخواننا إلى بعض المريدين من المقبوضين فرأى الروحانية كشفاً في قبره ممداً له ومسلياً له ومسكنا لروعه ودهشته وذلك راجع إلى قدرة الله تعالى ومن أركان الإيمان الإيمان بالقدرة فلا تصرّف للعقل في مثل ذلك اللازم الإيمان والاعتقاد بذلك . « خالدية » عب .

وقال القطب الأعظم والغوث الأفخم سيدي إبراهيم الدسوقي قدس الله سره : يا أولادي إن صحّ عهدكم معي فأنا قريب منكم فإن أخذتم عهدي

(١) وفي « العهود المحمدية » للشعراني ما حاصله : إن كل من كان متعلقا بنبي أو رسول أو ولي فلا بد أن يحضره ويأخذ بيده في الشدائد . فراجعه من صحيفة ٢٥٥ .
(٢) رَكْ عُدُبِ بِچَزِ .

وعملتم بوصيتي وسمعتم كلامي فلو كان أحدكم بالمشرق وأنا بالمغرب وورد عليكم من المشكلات تستخيرون به ربكم فوجهوا وجوهكم إلي وأطبقوا أعين حسّكم وافتحوا عين قلبكم فإنكم ترونني جهاراً وتستشيرونني في جميع أموركم فمهما قلته لكم فاقبلوه وامتثلوه وليس هذا خاصاً بي هو لكل شيخ صدقتم في محبته قد يعلم ذلك شيخكم وقد لا يعلمه هكذا جرت سنة الله تعالى مع أوليائه . اهـ . نقله الشيخ حسين الدوسري في « الرحمة الهابطة » وأقره الشعراني في « الطبقات الكبرى » ، انتهى ، « نور الهداية » عب ٣٨ .

وقد كان شيخنا الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره يقول مراراً : إذا أردتم أن تفعلوا شيئاً لا تعلمون عاقبته خيراً أو شراً فرابطوا قلوبكم بالشيخ محمود أفندي ثم انظروا إلى قلوبكم فما انشرح به القلب فافعلوه وما تردد فيه القلب فلا تفعلوه . اهى .

هِـدِنَـنْـكُ رَكْ چَ دُرْ دُرْكُ مُـرْشِـدَصْـدِخُـنْ
اِصِـــــي بُـكِـبِـلَـنْ رَعِـــزِ عِـــنْ بِـــكّْـــزِ بِـرْ
كِـــوْكُ مُـــنْ وُكُـنِـكِ دُرْ حَــلْ اِصْـــدَ پَـلِـبِـنْ
كِـعَــنْ دُدَ اِصْ شِـبْـكُ ظٰـاهِـرْ هَـبِـچُـنِـكِ
مَشْرِقْ كِمُ مَغْرِبْ ژُنْ بُـكُـنِـبْ اِصُـلْ فَـيِـضْ
دُنْـيَـالَـلْـدَ بَـــقْ عَـــدِنْ طِـبِـطُـنْ بُـكُـنِـبِـنْ

اِصُـــلْ فَـيْـضَـلْـدَ جَـنِـوْ لِـهُـنْ وُكُـنِـوِنْ مُـنْ
رَكْ چُـنْ طَـلَـبْ هَـبُـنِ شُـلِـبِـنْ شَـكْ لِچُكْ
كَشْفُ بُـكِـزْدَ اِبْ فَيْضْ اِبْ كُـژَلْـدَ بِـكُّـلِـبْ
كَـشْـفُ ضَـعِـيـفَـزْدَنِ مُـقْـسَـنْـكُـكِ بِـكُّـلِـبْ .

وقد يرى أهل الكشف والرؤية نور مرشده محيطاً من المشرق إلى المغرب والذي يرى أنقص من ذلك فالضعف في كشفه لا في نسبة مرشده . « خالدية » عب .

اِصُـــلْ قِّـجِ خِـرِيَـبْ سُـــرْدُ بُـرْچِـيَـلْـدَ صَـنْ
اِصُلْ كَـنَـيْـكِ لِـكَبْ كَـلْ كُّـنْ وُكِـيَـلْـدَ صَنْ
ژُ ژُ لَـحْـظَـتَـلْـدَ اِوْ مَـقٰـامَـلْـدِ وَخُـلِـوْ
عُـمْـرُيَـلْكُ حَـلْـطَـرَوْ سٰالِـكْ شُـلِـبْ بَـكَـلْـدِ
رَكْ چَ اِدِنْـــكُ اِصْــدَ اِصِــيْ نَـظَـرْ(١) بُـكِـبِـنْ
اُنْـــكُ اُنْـــكُ بَــلَــنِ كِـعَــنْ فَـسِـقَـصْـدِكِ
جُـنَـيْـدْكُـنْ طَـيْـفُورَصُلْ مَـقٰامَـلْـدِ جِوْ شُلِبْ
هِــبْ نَـظْـرَةْ دُيْــكُ شِــزِ حِـلُـنْ طَـلَـبْ هَـبِـزِ .

(١) بَلَهِ .

وأما كيفية الطلب

هِصُلْ بَلَهِ بَرْكَةْ طَلَبْ هَبِ رَكْ رَكَلٍ
اَللهَ صْدِ ژَقْ قِچُنْ اِوْ وُقِّ مُحْكَنْ هَبُنْ
جِوْ فَنَپُلِبْ كُژَلْ جِوْ بَلَهِيَلْدَ صَنْ
جِنْدِرْ طَلٍ دَرَجَ بُثِ اَهْلُ يَلْدِخُنْ
كِنَبْكُ مِلْكَلْدَصَنْ[١] حَتَّى وُجُودَ لْدَ صَنْ[٢]
جِوْ وَتِ ژِنْ جِنْدِصَّ خَلْ هَبُكِ كِدَكُ
جِنْدِرْ طَلَبَلْدِكِ اِعْتِمٰادْ[٣] هَبُنْ چُكِ
بِچَصُلْ ژُبْ كُرِلْدِ مُغْ چَنْكِ مُنْ وُكُنْكِ
عَمَلَلْدَ مُغْ چَرَوْ چُوُكُ خُطُلِوْنْ
دُرْ ژُبْ كُرِبْ هِچِلَنْ هَرْدِ بِطِرْهَنَصْدِ
بِطِرْهَنْ طَلَبْ هَوِ تُكِ لَحْظَتَلْدَكِ
ژُكِ جُيَلْدِ وُصُنْ چُكِ سَاعَتَلْدَژِنْ
كِنَبْكُ دُيْ بُقُّكِ اَللهْ كُرِبْ شِبْكُ جُ
شِرْكَةْ مَحَبَّةَ پُلْ[٤] قَبُلْ پُلَرِنْ اِصِيْ

---

(١) بُكِپِيَلْدَصَنْ .

(٢) وِجُنْ وَتِ .

(٣) مُغْ چَيْ .

(٤) رُقِّيَپُلْ عَكَّلْلِ هَبِ .

طٰاعَتَلِ ژَقْ بَخُّنْ طَلَبْ هَبِ زِيٰادَةْ[1]
زِيٰادَتَلُِپْ هِچوْ نُقْصٰانَلُِپْ كُّلِونْ
سُنْ قُيَلْدَصَ جَقَدْ ژِكُّنْ هَبِ عِبٰادَةْ
طُبَنْ خَدُبْ نُقْصَنْلِپ كَكُنْ بُكِنْ طَكَّصَّ
نُقْصٰانْ لِپيَلِ سَبَبْ شِبْدَيِلَنْ خَلْ هَبُنْ
عَصِلِپ كُّنْ بَتَنِ تَوْبُ هَبُنْ ژَقْ بَخِّ
يَ سُكِ مَطْلَبَلْدِ[2] دُرْ رَكْ بُصُنْ بَتَنِ
اِلْدَصَنْكِ فَشْمَنْلُِپْ وُصَ مُنْ اَللّٰهَ صْدِ .

وأمَّا كَيْفيّةُ استحْضار القلب للاستفاضة

فَيِضْ طَلَبْ هَبِزِ رَكْ حَضُورْ هَبِ دُژَ
خِيَلْ حَوٰاسَّلْ قُطِ دُنْيٰا أُخْرٰى يَلْدَصَنْ
بٰاطِنِيَبْ أَحْوٰالْ ژِنْ دُرْكُ وُجُودْ وَتِكِ
اَللّٰهْ كُرِبْ كُچُنْ تُنْ بَلَهُنْ چَ رَكَلْدِ
ژَقْكُ قِچُنْ حِلْ حِدُنْ عِمِرْكُ اَللّٰهْ وُقُّنْ
مُرْشِدَ صُلْ رِكِلَنْ بِچَصُلْ فَيِضْ هَرُنْ

(١) ژِكِّنْ .
(٢) مُرَادْ .

رَكَــلْــدَ رَكْــكِ بِــطُــنْ دُدِكُ فَــيِــضْ ژَزِ
غَـفُـلْـلِـزِ چِـچُـكُ ژَقْ بَـخُّـنْ طَـلَـبْ هَـبِ
رِكِـــلْ رَهُ رَهَـــنِ بَـلَـهِ كٰـامِـلْ لِّـنِ
رَلِّـــدْ عَـــدِنْ رَكَـلْـدِ فُـيُـوضَـلْ شَـخُـلِـلِـنْ
كِـعَـنْـكُ لَّـچُـنِـكِ شِـچُـكُ خُـطُ لَـرِنْ
اِعْـتِـقٰـادْ دُرْ بُـكُـنِ بَـرْكَـةْ حَـصُـلْ لُّـلِـبِـنْ .

والإدراك ليس بشرط للوصول بل الشرط الطلب والإيقان بالوصول في ساعته ، كذا في « الخالدية » .

كِـنَـبْـكُ دُنْـيَـالَـلْـدَ طِـبِـطَـرَبْ بَـقُـلْ نُـورْ
كُـرْدُ هِـچِـبْ رُقُـبِ جِـبْ شُـلَـرِبِـنْ كِـنْـكُ
كُـرْدُ رَهَـرَبْ رُقُـبْ بَـقَـلُّـلْ نُـورْ كِـنِّـكِ
حُـضُـورْ بُكِبْ رَكَـلْـدِ شُلِبْ بِشَصُلْ مَـدَدْ[1]
فَـيِـضْ كِـنَـبْـكُ عُـجَـلِّ ژَدَلْ عَـدِنْ شَخُلِلْ
غَـفُـلْ لِّـچِـبْ رَكَـلْـدِ بُـطَ شُـلِـبْ رَكْ چَـنِ[2] .

(١) كُمِكْ . كذا في « الرشحات » .

(٢) راجع « النفائس السانحات » .

وأمَّا الأدَبُ السّابع فَأَدَبُ الورْد وَالخَتم وَالزّيارة

وِرْدْ هَـبُـلِـبْ مِـخَـلْـدَ كَـكِـيْ چُـــرُنْ وُكَ مُـنْ

چِ هِـچِـبْ مَـكٰـانَـلْـدَ[1] رَكَــلِ فَـــراغْ هَـبُـنْ

عَـكْـسُ الـتَّـــوَرُّكَـلْـدَ[2] قِـبْـلَـه يَـلْـدِكِ وُصُــنْ

عُـــدُكِ چُـنْ شُـغْـلُ تُـنْ عِـنْـطَـمِ بِـرْبَـلَـيْ تُـنْ

زِنْــكِ شُـــزُلْ اِسْـتِـغْـفـارْ يَ اَنْـــزِلَ شُـزُلْـصَ

يَـلِّـنِ قُــلُ شُـــزُلْ هَـــبِ كٰـامِـلَـبْ كُـــزَلْ

اِبْ قَـبُــلْ هَـبِـيلَـنْ بِـچَـصْـدِ هَـــرِ هَـبِ

ذِكْـــرِيَـــلِ تَـوْفِـيـقْـكِ سُـنَّـةَ لْــدَ نَـــخّْ وِلِـــنْ

رُحْ بَـــخِّ بِـطُـنْ كِّـيْـكِ هَـــرِ بِـطِـرْهَـنَـصْـدَ

مُـــرْشِـــدَصِـــكِ هَـــبِ هِـــدِنْــكُ دُزَ دُعَ

اِصُـــــلْ مَــقٰــامْ دَرَجَ طَــدِعَـــنْ هَـبِـكِـيَـنْ

شَـرِيـعَـةْ كِـنْ طَـرِيـقَـهْ زِّكِّـنْـزِ تَـوْفِـيـقْ قِّـيَـنْ

سُنَنَلْ اِحْـيٰـاءْ هَـرِ حُـسْـنُ الْـخٰـاتِـمَـةْ نِـكِ[3]

حِـلُـنْ هَـــرِ رَكْ بِـكُـنْ هِـدِنْـكُ مُـرْشِـدَصِ

---

(١) بَكَّلْدَ .

(٢) كما في الصلاة .

(٣) اَخِرْ بِطُنْ كِّيْ .

ژِنْـــكِ اَلْـحَـمْ كِـنْ قُـلْ هُـو ژَلُــنْ قِّ دُژَ كِـرِ
طَـرِيـقَـتَـپِّـلْ اِمٰـــامْ مُـحَـمَّـدْ نَـقْـشُـبَـنْـدِيْ[١]
يَـلِّـپِـنِ[٢] سِـنْ اَلْـحَـمْ كِـ لِّـبْـكُ قُـلْ هُـكِ ژَلُـنْ
اِلِّـــلْ كِـــرِ قِّ دُصَ صِـــبِ اَوَرَكَـــــصِ
ژِنْـــكِ اِصُـــلْ اُنْـــقَـوْكُ اَصْـحٰـابْ زَبَـــزِكِ قِّ
خَـــدُبْ نَـقْـشُـبَـنْـدِيَـلْ شَـيِـخْ زَبَـــــزِكِ قِّ
خَـصْـكُ شَـيِـخْ مُـحَـمَّـدْ نَـقْشُـبَـنْـدِيـكِ قِّ
اِمَـــــامْ رَبّٰـــانِـــلْـــكِ خِـــرَبْ رُحَـــپِـــكِ قِّ
خٰـالِـدْ شٰـهَـصِـكِ قِّ مَـحْـمُـودْ أَفَـنْـدِيْـكِ قِّ
هِـــزُلْ أَرْوٰاحَــــــزْدَ صَـــنْ هَـدِيَّـةْ لِّـــنْ بُكِنْزِ
جَبْرٰائِيلْ أَفَـنْـدِيْـكِ عَـبْـدُ الـرَّحْـمٰـنْ حَجِيْكِ
اِزْدَ اِنْـتِـسٰـابْ[٣] بُـكِـزْ اِزُلْ رُحَـــزِكِ قِّ
ژِنْـــكِ قَـنْـشُـنْ بِـرَلْـكِـنْ خَـرَوْلِّـنْ خِـيَـلْ هَـبِ
چُـــرُنْ مُـسْـرُكِ جِـمُـنْ خَـبَـلِّ جَـنِـوْ وُقَـــرَوْ
عَـدَمَـلْـكِ نَـخِّ اَنْ وَحِـيـداً فَـرِيـداً لِّــنْ[٤]
كِـنَـبْـكُ جُـيَـلْـدَصَـنْ بَـطَـلِّـنْ خُـطَـرَوْلِّــنْ

(١) كذا في « الخالدية » .

(٢) كذا في « تبصرة المرشدين » ، فراجعه . (منه) .

(٣) سِلْسِلَيِّلْ خُرْخِنْ .

(٤) جِوْكُ ژُحَ .

اَللّٰهْ كُــــرِبْ جُـيَـلِـپْـلْ دُيْ مُـنْـفَـعَـةْ هِـچُـكْ
لَـحْـدُيَـلِـپْـوْ سُـكُ مُـنْ وُكِـوْ عَـدِنْ خَـلْ هَـبِ[1]
ژِنْـــكِ مُــرْشِــدَ صْــدِخُــنْ دُثَ رٰابِــطَــه هَـبِ
بِچَصْدِ سَـفَـرْ بُـكُّـنْ وٰاسِـطَـه لُـــنْ[2] اِوْ هَـوِي
اِصُــــلْ بِــــرَلْ هُـرْقُّـصَــنْ فَـيِـضْ دُدِكُ شِـزِ
اِصُــــلْ خِــرِيَــبْ هُـمِـرْ صِــبِ بَـچِـنْـزِ هَــبِ .

ثم يتوسل إلى مرشده بتخيله مواجهاً بجبهته إلى جبهته الشريفة بل إلى ما بين عينيه لأنه محل الفيض ولا يقطع النظر عنه إما بالرؤية[3] أو بالوُجْدان والإيقان إن لم يكن من أهل الرؤية ثم لو لاحظ دُخول الرابطة إلى نفس الخزانة وحفظ هنالك كربع ساعة لكان أقوى **ولو لاحظ وجهه الشريف محاذياً إلى قلبه ونفسه ناظراً إلى نفسه في وقت الذكر لكان أجمع وأبعد عن التفرقة . « خالدية » عب .**

ونقل الشيخ محمد أسعد صاحب زاده في « نور الهداية » من « الفوائد الضابطة في إثبات الرابطة » ما نصه : اعلم أن التصوير في الشريعة المحمدية ممنوع والتصوّر محمود والمنع من التصوّر ما وجدناه في كتاب قط بل حصول العلوم بأسرها موقوف على التصور كما لا يخفى

(١) ويلاحظ ذلك كربع ساعة . « خالدية » عب .
(٢) هُرْقُّخَّنْ .
(٣) أي إن كان من أهل الرؤية . (منه) .

على الأذكياء وفي حفظ صورة الشيخ في حال الذكر عين حكمة التذكير لأن المذكر واقف لديه لا يتركه غافلاً عن الله سبحانه و تعالى لمحة إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا . اهـ .

وقال المحقق الشيخ عبد الحق الدهلوي في رسالته : **الرابع** أن يستمد بقلبه عند شروعه في الذكر بهمة شيخه ولو نادى شيخاً بلسانه في الاستعانة جاز . اهـ .

قال الشيخ جبرائيل الحزب أبادي : إذا ابتدأ بالذكر يحضر صورة شيخه في قلبه ويستمد منه إذ قلب شيخه يحاذي قلب شيخ الشيخ إلى الحضرة النبوية وقلب النبي ﷺ دائم التوجه إلى الحضرة الإلهية فالذاكر إذا صور صورة شيخه في قلبه تفيض الإمداد من الحضرة الإلهية على قلب سيد المرسلين ومن قلب سيد المرسلين على قلوب المشايخ على الترتيب حتى ينتهي إلى شيخه ومن قلب شيخه إلى قلبه فيقوى على قلبه استعمال الآلة إذ هو في البداية على مثال الطفل ليس له قوة استعمال الآلة على الوجه الذي يؤثر ويقع محصلاً للغرض وإن كان بيده سيف الله وهو الذكر قال ﷺ « الذكر سيف الله » ولكن ليس للسيف ضارب إلا لقوة مستفادة من حضرة بني السيف فإذا استمد من شيخه جاءه المدد لقوله تعالى ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾ .

الخامس : أن يرى استمداده من شيخه هو استمداده من النبي ﷺ لأنه نائبه . اهـ من عينه من صحيفة ٤٢ .

ذِكْــــرِ هَـبُـلِــبْ عُــجَــلْ رٰابِـــطَـــه هَـبُـنَــنِ
خِـيَـلْ وَسْـــوٰاسْ قُـطِـنْـزِ عِــمِــرْكُ لِـكَـبْ بُـكُ
رِكِـــلْ فِـكْـرِ بَـكْ بَـكِـخٌّ بِــقٌّ بِـقُّـنْ اُنْـكُـطِـزِ
شَـيِـخْ أَصْــكُ خَــلْ هَــوِ حُـضُـورْ جَمْعِيَّةْ شِزِ
رٰابِـــطَـــيَـــنْ اَبُـــنِ رُكْـــنٌ اَعْـــظَـــمُ[١] بُـكُ
نَـفْـسَـلُِـلْ كِـشَـلْ طَـبْـعَـلْ نَــخِّ اِنْــزِ هَـــرِزِي
شَـيْـطٰـانْ نَــخِّ لُِـتِـزِ بِـچَـصُـلْ فَـيْـضْ بَچِنْزِ
اَللّٰهَ صْـــدِ شِـــيَـــلٍ وٰاسِـــــطَ يِـــلَـــنْ بُـــكُ
حَـتّٰـى جِــكِ رٰابِــطَــه لِـــكَ بِــلَــنْ كِ بُـكُ
ذِكْـــرِ يَــلْــدَصَ ژِنِ بَــيْ بِــكٌّ لِــلْ چِـيَــزِ[٢] .

وفي « جامع أصول الأولياء » في ٥٦ **أن الرابطة هي أقرب الطرق ومنشأ ظهور العجائب والغرائب فالذكر وحده بلا رابطة وبلا فناء في الشيخ ليس موصلاً وأما الرابطة وحدها مع رعاية آداب الصحبة فكافية في الإيصال** ، فراجعه . اهـ .

رَكْ چِـيْ ژَقْ هَـبِ دُژَ دُرْكُ مُـرْشِـدَ صْدِخُنْ
اِصْ قَـبُـلْ هَــوِ دُي بِـچَـصْ قَـبُـلْ هَـوِيَـنْ

---

(١) كُدِيَبْ .

(٢) ومن الوقوف ، كذا في « تحفة الأحباب » ، فراجعه .

اِدِنْـــــكُ اِصْ نَـــخِّ چَـــيْ بِـــچَـــصْ نَـــخِّ چَيِلَنْ
اِصْ قَـبُـلْ هَـــوِچُـــنِ دُيْ خَـــصَـــرْلِ هِچِبِنْ .

ولابدّ أيضاً من دوام التضرع والالتجاء للإمداد والقبول ولو أنزل الرابطة إلى قلبه لجاز أيضاً كما مر . « خالدية » عب .

رٰابِـــطَـــيَـــلُـــلْ كُـــــسَـــــلْ اَنْـــلِـــكُ بَـــطَـــيَـــلْ رُكُ
بَـــهْـــجَـــتَـــلْـــدَ بَـــسْـــطَـــلْـــدَ رِزُنْ رُكِـــــنْ بَـــلَـــهِ .

واعلم أن استحضار الرابطة على أقسام :

الأول : أن يتصوّر المريد صورة شيخه الكامل بين عينيه ثم يتوجه إلى روحانيّته في تلك الصورة ولا يزول عن التوجّه إليها حتى يحصل له الغيبة أوأثر الجذبة .

الثاني : أن يتصوّر صورته بين جنبيه ثم يتوجه إلى رُوحانيّته في تلك الصورة كذلك حتى يحصل له الغيبة أو أثر الجذبة فبعد حصول الأمرين في الوجهين يترك الرابطة **ويشتغل بذلك الأمر الحاصل بالغيبة أو بالجذبة وكلما يزول عنه ذلك الحاصل من الرابطة يَعُودُ إليها حتى يرجع إليه ذلك الحال** فهكذا يدوم على الرابطة حتى يفنى عن ذاته وصفاته في صورة الشيخ فعند ذلك يشاهد روحانية الشيخ مع كمالاته في صورته لأن الكمالات لا تفارق الروحانيّة فتربّيه روحانية الشيخ بعد ذلك إلى أن

يوصله إلى الله تعالى فيكون من الواصلين الكاملين فبالرابطة يتربّى المريد من الشيخ ولو كان أحدهما في المشرق والآخر في المغرب .

الثالث : أن يتخيل صورة شيخه في جبهته ويقرّرها وسط الجبهة وهو أقوى لدفع المخيلات من القسمين اللذين قبله .

الرابع : أن يستحضر صورة شيخه في وسط قلبه وهو أعون على دفع الخطرات القلبية .

الخامس : أن يتخيل الصورة في جبهته وينزل بها إلى وسط قلبه ويقدر أنّ القلب دهليز واسع ويقطع الخواطر جملة واحدة وهذا القسم أنفع الأقسام التي قبله وأصعبها .

السادس : أن ينفي نفسه ويثبت شيخه وهو أقوى لرفع البليّات . انتهى ، « البهجة السنية » عب في ٤١ .

وفيه أيضاً في ٤٢ أن المراد بالمرشد الكامل الذي يصلح أن يجعل رابطة للمتوسّلين به هو الذي حصل له مقام البقآء بعد الفناء في الله تعالى الأتمّين ولكن هنا مزلة الأقدام لأن هذه الطّريقة العلية مندرجة بدايتها في نهايتها ونهايتها في بدايتها فربّما يحصل للمريد بعض أحوال قبل فنائه فضلاً عن حصول بقائه فيظنّ كمال نفسه ويأذن للمريدين في أن يجعلوه رابطة فيخسر هو ومَنْ رابَطَهُ فلا بد أن يشهَدَ له بحصول الكمال وأنه بلغ مبلغ الرّجال أَهْلُ الفضل والعرفان كشيخه ومرشده الكامل ويأمره بذلك . انتهى عب .

وفيه أيضاً في ٤٣ أن الشيخ خالد قدس سره لم يأمر المريدين أن يرابطوا بصُورَته المباركة إلّا بَعْدَ أمر شيخه له بذلك وشهادته له بالكمال والوصول إلى الفنآء والبقآء الأتمّين ومن كان كذلك فيسُوغ له ذلك . اهـ عب ، ومثله في « نور الهداية » في ٣٩ .

مُرْشِدْ شِنَوْ شِيَصْدِ رٰابِطَه بِهُلَرِبْ
رٰابِطَه هَبُلِوْ چِ كٰامِلَوْ وُكْزِ كُلِّوْ
كٰامِلَوْ وُكِنْ اَبُنْ جِنْدِيْ نُعْلٍ هَبُرَوْ
كٰامِلَبْ اَهْلُ يَپُلْ شَهٰادَةْ[1] صَحِيحْ پَرَوْ
خٰالِدْ شَهْ عَدَوْنِك مَحْمُودْ أَفَنْدِ عَدَوْ
هِدِنَلْ چِ كُرِزْدِ رٰابِطَه بِهُلَرِبْ .

ولقد كان شيخنا الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره يُهَدِّدُنا عن فعل الرابطة إلى نفسه مع كونه مشهوداً له من شيخه بالكمال وَمُلقباً بذي الجناحَيْنِ فجزاه الله تعالى عنا خير الجزاء . ولقد رأيت في واقعة أن الشياطين قد اجتمعُوا حَوْلي فناديت كبار المشائخ بذكر أسمائهم فلم يزالوا عن مكانهم بل قصَدُوا أن يقربوا منّي ثم إذا نادَيْتُ شيخنا المذكور قدس سره تفرّقوا منّي سريعاً . اهـ .

(١) نُعْلِ .

وهكذا[١] وقع لي في واقعة أخرى . وأخبَرَني أخونا الصّالح العالم محمود بن محمّد الطّليقي أنّ شَخْصاً قبيحاً ظهر له في حال سلوكه فظنّ أنه شَيْطانٌ فنادى الشيخ المذكور بذكر اسمه فغاب عنه وقتئذٍ . اهـ .

وسمعْتُ واحِداً من الثقات يَقول أنه كان في السلوك فظهر له اثنان مِنَ مَعارفه فنادى المشائخ بذكر أسمائهم المذكورة في السلسلة النقشبنديّة فلمّا وصَلَ إلى اسم محمود أفندي قدس سره تحرّكا واضطَرَبا لكن لم يذهبا من مكانهما ثم إذا ذكر اسم شيخه المذكور العسلي رضي الله عنه ذهبا سريعاً من الكوّاة المفتوحة من طرف السقف . اهـ . ومع كَوْنه مُتصرّفاً مَشْهُوراً كما ذكرنا لم يأذن لمريديه أنْ يُرابطوا بنفسه الشريفة قائلاً إن الشيطان يقدر أن يتمثّل بصُورَته ، اهـ . لكن سَمِعْتُه يَقول : يجوز للمريد أن يُرابطنا حين حضر عِنْدَنا لأنّ الشيْطانَ لا يقدرُ أن يَدْخُلَ في مَوْضع حُضورنا وأمّا إذا غابَ عَنّا فلا يَجُوزُ أَنْ يُرابِطَنا لأنّ الشيْطان يقدر أن يتصوّر بصُورتنا حينَ غابَ وبعد عنا . اهـ .

وسمعته رضي الله عنه يحكي عن شيخه الحاج جبرائيل قدس سره أنه قال : كان الشيخ محمود أفندي رحمه الله يقول : لو رابط إليّ واحِدٌ مُتوجّهاً إلى المشرق أو إلى المغرب لا يقدر الشيطان أن يقف ما بينهما وبينه بل يحترق . اهـ .

(١) فإذا أخبرته تلك الواقعة قال إنما ذلك لأجل كونك فانيا فيّ . (منه) .

وكان قدس سره يقول إنه كان مرّة قد خرج من الخلوة ليتوضأ فَوَجَدَ شيْئاً يَشْبَهُ الكاموش[1] فظنّ أنه قَدْ بَقي في الخارج فهوى لفتح الباب لإدْخاله إلى الدّاخل فصار شيئاً عظيماً طويلاً كأنّ قرونه ترتفع إلى السماء فَعَلم أنه شيْطانٌ فرابط الشيخ محمود أفندي قدس سره في الحال فغاب وقتئذ ثم ذهب إلى الخلآء وبعد قضآء الحاجة قعَدَ ليتوضّأ فقام قدامَهُ شيء عظيم ذو سواد شديدٍ مُرْتفع إلى السماء كأنه مِنْبرٌ عظيم فتوجّه في الحال إلى محمود أفندي قدس سره فغاب عنه سريعاً . قال رحمه الله تعالى : إنّ الخوف الحاصل من رؤية ذلك الشيء قد بقي عليه إلى الغد . انتهى .

فهذه المذكورات من فوائد الرّابطة وهي طريقة مستقلّة كافية في الاستفاضة والمدار على قوة الرابطة فمن داوم عليها حصل له جميع أحوال الطّريقة وكمالات الحقيقة ومن اختلّت رابطته انقطعت استفاضته ولم تحصل له أحوال السلوك ولم تظهر له أسرار الوصُول ولا يترك الرابطة عند حُصُول بعض الأحوال قبل أن يتمكّن فيه ذلك الحال لأنه إن ترك الرابطة تزول عنه ذلك الحال لأنه من أحوال الشيخ كالعارية عنده ، كذا في « البهجة » في ٤١ ، راجعه .

(١) جاموس .

وفي « الخالدية » وهو (أي الرابطة) الركن الأعظم وَمُهذّبٌ للنفس ومهرب للشيطان ومنبع للفيض الإلهيّ من الفياض الحقيقي وواسطة للوصول إلى ربّه جلّ شأنه . وقد قال بعض المحققين : الرابطة خير من الذكر أي بالنسبة إلى حال بعض المبتدئين . انتهى من عب .

رٰابِـطَـيَـلْـدَ خَـــدُبْ اَبِ دُرْ رَكْ رِقُـــنْ
« إِلٰـهِـي أَنْــتَ مَـقْـصُـودِي » اَبُـــنْ لُِـعِـزِعَـنْ[1]
مَـقْـصُـودْ اَللّٰهْ مُـنِـلَـنْ رَضِــــلِ مَـطْـلُـوبِـلَـنْ
مَـعْـنَ تَـصَــوُّرْ[2] هَـبُـنْ اَبِ اِدِنْ كَمِلْكُ
كِــــذْبُ[3] بُـكُـنْ كُـطِـزِ رَكْ رِقُـــنْ اَبِ عِمِرْ
اَللّٰهْ كُــــرِلْ كِـنَـلْـكُ مَـقٰـاصِـدَلْ لُِـعِــزِ[4]
زِنْــــكِ رَكَــلْــدِ بَـلَـيْ كِـنَـبْـكُ شُـغْـلُـكِ تُـنْ
خَـوٰاطِـرَ لْكِ قُـطُـنْ اِدْرٰاكْ[5] عُـمْـقَـلْـدِ[6] رِخِ[7]

(١) ورضاك مطلوبي (ثلاثاً) . « خالدية » عب .

(٢) زِبِ چِزَبِ .

(٣) هِرسِ .

(٤) مطلب : فإن لهذه الكلمة خاصية تنفي عن قائلها جميع المقاصد ، راجع إلى « الرشحات » في ٣٠ وحرر . (منه) .

(٥) نَخٌّ عُنْطِ .

(٦) غْوَرِلِ .

(٧) أي إلى عمق القلب . (منه) .

رَكْ دَنْدِ هَبِ دُژَ اَللهَ صُلْ ذٰاتَلْدِ

سٰاعَةَ پُلْ رُبُعَلْ[1] هِبْ كُژَلْ وُقُوفْ هَبِ[2]

حَتّٰى جِكِ هِبْ حٰالَلْ كِدَكُ مُنْ وُكَنِ

رِكُّنْ ذِكْرِ هَبِژِنْ طَصَ كُّلِبْ دُدَصَنْ

ذِكْرِ يَلْدَصَنْ مَقْصُودْ مَذْكُورْ[3] رَكَلْدَ وَتِ

اِبْ حَصُولْپُنْ خَدُصَ ذِكْرِ حَجَپُلَرِنْ

رَكَلْدِ بَلَهُنْ چِيْ طَرِيقَپُلْ رُكْنُ يِنْ

اِپُلْ مَبْنٰى قُّچْكِ اِبْ بِشُنْ بَرْكَةْ شُلِبْكِ

كِنَبْكُ طٰاعَةَ پُلْ وُقُوفْ طَدَبِنْ بُكُ

اِبْ هِچِبْ عِبٰادَتْكِ رُوحْ هِچِبْ جَسَدْ بُكُ

بُژَ لَبْكُ حٰالَپُلْ خَلاٰءَلْدَ[4] ژِنِكِ

وَقْتُ الْقِرْبٰانَ لْدَكِ[5] رَكَلْدِ بَلَيْ تُكِ

---

(١) اُنْقِلْ بُطَ .

(٢) وُقُوفْ – رَكَلْدِ بَلَهُنْ چِيْ .

مهم : والوقوف القلبي عبارة عن وقوف السالك على قلبه بدون الذكر وتوجّهه على بٰالِهِ وكونه ناظرا إليه حتى ينسدّ عليه خطور ما سوى الله تعالى ولا يكون للتفرقة سبيلا إلى القلب فيحدث في القلب توجّها إلى المطلوب الحقيقي ، من مكتوبات العروة الوثقى ، ح عبد الرحمن العسلي قدس سره .

(٣) الله .

(٤) حَجَتْخَنَ .

(٥) چُجُيَلْدَ اَصْكُ وِكِدَلْ .

بِشُـنْ حُضُورْ كِنْ وُقُـوفْ ژَقْ هَـبِ جِمٰاعَـلِپْـلْ
نَـكَـهْ لِـمِـرْ لُـهَـنِ ضٰـالِـحَـبْـلِـپُـنْ بُـكِـنْـزِي .

ففي « جواهر القرآن » للغزاليّ رحمه الله تعالى **أن الله تعالى يفيض مَبادئ الصلاح على الروح التي يخلقها** عند إلقاء البذر في محلّ الحرث بواسطة الصلاح الحاصل على قلب الحارث كما يفيض الله نور المرآة المحاذية للشمس على بعض الأجسام المحاذية للمرآة . انتهى من عب .

وفي « الشّرعة » ويمثّل[1] بين عينيه صورة رَجُل على أحسن خلقة وأقوم جثة ثم يطأ . اهـ ، وراجع شرحه .

وفي « الجواهر » أيضاً أنه قد عرف بالتجربة أن المجامع في حال مباشرته لَوْ أَدْمَنَ النّظْرَ الى بياضٍ مشرق أو حمرة قافية[2] حتى غلبت تلك الصورة على نفسه مال لون المولود إلى ذلك اللّوْن الذي غلب عليه . اهـ من عب .

وفي « المنن » أنّ الولد يكونه الله تعالى بقدرته على صورة الحال التي كان عليها والده حال الجماع من باب ربط الأسباب بالمسببات . اهـ .

(١) أي المجامع .

(٢) أي صافية قانية ، علّه .

وفي « شرح[١] الفصوص[٢] » : والصور التي تشهدها المرأة أوتتخيلها حال المواقعة لها تأثير عظيم في صورة الولد .

وقيل إن امرأة ولدت ولداً صورته صورة البشر وجسمه جسم الحيّة ولما سئلت عنها أخبرت بأنها حين المواقعة رأت حيّة . انتهى .

رِخْصَرَبْ صُورَتَلْدَ وُقُوفْ كٰامِلْ هَبُنْ تُنْ
اَللّٰهْ اَللّٰهَ نْ اَبُنْ رَكَپُلْ ذِكْرِ هَبِ
كِبِكُ رَكْ بِچَكِ لُكْبِكِ چِزِ هَرِ
كِنَبْكُ اِدْرٰاكْ دُژَ رِكِلْ عُمْقَلْدِ رِخِ
خَرَوْ عَدِنْ چُنْ وُكَ حَرَكَةْ وَغَرِ تُنْ
رِكّنْ حِسٰابْ كُرِلْدِ خِيَلْ اِنْزِكِ تُكِ
هِبْ كُژَلْدَ بِچَنْ تِ[٣] رَكَلْ ذِكْرِ هَبِزِ
ذٰاتَپُلْ مَشْغُولْپَنِ ذِكْرِ تُنْ ذٰاتْ خَلْ هَبِ
ذٰاتَلْدِ رَكْ بَكَرُنْ مُنْ وُكِبْ زَمَنَكُ
ذِكْرِ يَلْدَصَ ژِنِ پِكَبْ بُكُنِنْ دُيِ .

(١) لعبد الرحمن الجامي قدس سره .
(٢) اي « الفصوص » لمحيي الدين العربي .
(٣) حضوراً لا عدداً حبّاً لا تكلّفاً كما في « الخادمي » . (منه) .

لما قلنا المراد من الذكر هو المذكور فقط فلا يجوز حينئذ إيقاظ القلب وإرجاعه إلى الذكر لأنّ الذكر أيضاً غَيْرٌ **ولو امتدّ له ذلك بقدر ما يأخذ ورده يتأدّى ورده .**

ومن جهلة المريدين مَنْ يُلْقي لفظة الجلالة على قلبه بكرهه[١] ولا يطلق بين القلب وذكره ليشتغل القلب بنفسه ولا في المذكور حتى يحصل له الغيبة عن جميع ما سوى الله تعالى جل شأنه **فهو لو اشتغل خمسين ألف سنة لا يوصل ولا يؤديه إلى حال** لما قال علي رضي الله عنه وكرّم وجهه « **القلب إذا أكره عمي** » . « خالدية » عب .

ذٰاتْ حَضُورْ هَبِيَـلِْـلْ فُـتُـورْ[٢] خِـيٰالْ بَـچَـنِ
ذِكْـــرِ يَـلْـدِكُ وُصَ اِبْــكُ حٰــالْ بَـچِـنْـزِعَـنْ[٣]
كِـــنَـــبْــنِـــكِ نُـــسِـــدَ بَـــيْ بِـــكّـلَـــلْـــدِنِـــكِ
يَ وَسْـــوَسْ خَـطَـرٰاتَـلْ رَچَـــرَبْ مِـخَـلْـپْ نِـكِ
اَبِ دُژَ « إِلٰــهِـــي أَنْـــتَ مَـقْـصُـودِي » أَبُــنْ
آخِـــرَلْـــدِ[٤] شِـــزِعَـــنْ مَـــژَلْـــدَ رَكْـــكِ رِقُـــنْ

(١) بصفة . (نسخة) .

(٢) وِچَـيْ ، سْوِنْ .

(٣) ثم لو حصل له التوغل وآثار الغيبة ثانياً فليسلّم إليها ويخلي الذكر ثانياً وهلمّ جرّا . « خالدية » عب .

(٤) وهو لفظة : « ورضاك مطلوبي » .

خِيَلْ كِمُ وَسْوَسَةْ نَخِّ اِنْچُنِ كِنْكُ
رَكَلْدَ حِطِكِ چُنْ شَيْخْ وُكِوْلُِنْ خَلْ هَوِ .

لدفع تلك الوسوسة فيشتغل بالذكر على تلك الملاحظة أو يستغفر الله تعالى مراراً مع لحاظه المعنى ولحاظه الرابطة موجهاً وجهه إلى قلبه إلى أن يندفع من قلبه تلك الوسوسة . « خالدية » عب .

فُتُورْ[(١)] غَفَلٰاتْ خَطْرَةْ قَبْضْ غٰالِبْلُِنْ بَچَنِ
ذِكْرِ هَبِيَلْدَصَنْ رَكْ غَفُلْلُِنْ كَّنَنِ
حَلْ كَنَنِ ژُرُرَبْ كِچُنِ بُحَرَبْ لِدْ
چِرْخِكِ چُرُنْ كٰامِلْكُ اِسْتِغْفٰارْ هَبِ دُژَ
غَفْلَةْ خَطْرَتَلْدَصَنْ طُلْكُ ذُلّٰاتَذْدَصَنْ
اَللهْ كُنْ مُرْشِدَصُلْ اَدٰابَلْ تِيَلْدَصَنْ
قُلُ شُكُ اِسْتِغْفٰارْ هَبُنْ خَدُصَ دُژَ
تَوْبُ يَلُِلْ كَكَلُِلْ كِكُ رَكَعَةْ بَلَ
هِبْ خَطَرَةْ بِچُصُلْ مِرْاٰةْ مَظٰاهِرْ[(٢)] بُكِنْ
هِدِنْ اِعْتِقٰادْ كِ كُّنْ اَحْدِ مُنْ اَللهَ صْدِ

(١) نسخة : چَلْعِنْ غَفُلْلِ خِيٰالْ حٰالْ طَصَ اِنْ ژِكَنِ . إلخ .
(٢) أي يعتقد أن تلك الخطرة من مظاهر الله تعالى أظهره فيه فحينئذ تصير تلك الخطرة والتفرقة عين الحضور والجمعيّة ، فتدبره . (منه) .

يٰـا فَـعّْـالْ اَبُــنْ مَـدَّ تَـشْـدِيـدْ كِ مُحْكَنْ هَبُنْ
مَعْنَكِ خَـلْ هَـبُـمْ خُـشُـوعْ خُـضُـوعَ لْطَلُِنْ[1]
يَـلُِـنِ اَبِ دُثَ هَـبْ خَـدُبْ رِخْـصَـرَبْ جُ
شٰـاذُلِـيَـصْ بِــثَرَبْ قَـبْـضْ نَـخِّ بُـسُـلِـبْ جُ .

وهو أن يقول : سُبْحٰانَ الله الملك الخلاق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز . انتهى . وقد جرّبه الفقير وَوَجَدَهُ إِكْسِيراً لذلك المضرّة في لحظة . « خالدية » عب .

شَـخُـلِـبْ لِـمَـلْـدِكِـنْ هُــرُلْ سَـسَـلْـدِ عِــنْ چَـيْ
هِـبْـكِ عِـمِـرْكُ لِـكَـبْ رَكَـلُِـلْ حٰـالْ بَچِنْزِي
هُـبُـيَـلُِـلْ صَـوْتَـلْـدِ عِـنِـكِّ يَــنْ اَبُــنِ
بِـشُــنْ ثَقَــبْ هِـبْ بُـكُ رَكْ حَـلْـطِـزِ هَـبِـزِي
بُـرْخَـتَـبْ مَـعَـرْدِ اِنْ رَكْ بِـكُـنْ بِــرَلْ عُـدِي
هِـبْـكِ هِـدِنْـكُ لِـكَـبْ اَحْــوٰالْ خَــرَوْ چِيَصِ
ذِكْــرِ يِـلَــنْ اَبُــنِ سَـبَـبُ الْــوُصُــولْ بُـكُ
صِّــنْ بَـخِّـنْـچِـصْـدَصَ اِبْ نَـخِّـكُ بُـسُـلَـرُ
حِـنْـقُـنْ حِــلْ حِــلْ هَـبُـنِ بُـصِـنِ بِــنْ دُدِ اِبْ
اِنْـكِسٰارْ[2] دُلِْ بَـتَـنِ شِولِـبِـنْ دُيْ نَـخْـكُ جِـبْ .

(١) اَللهَ صْدَصَ حِنْقُنْ رَكْ حِلِ لُكْبَلْ حِلِ .
(٢) رَكْ بِكِ .

فيعود بذلك الانكسار حاله كما قال الله تعالى : « أنا عند المنكسرة قلوبهم لأجلي » . « خالدية » عب .

ينبغي للسالك أن لا يتطلّع على الأحوال وأن لا يغترّ عند ظهُورها ، فإن من تطلع على شيء يسكن إليه قلبه عند حصوله البتة فإنّ المقصود ليس هذه الأحوال بل هو وراءها فإن ظهر منها شيء ينبغي أَنْ يغتنمَهٰا ويشكر الله تعالى فإنه علامة صحّة سيره وسلوكه ثم ينبغي أَنْ يترقّى منه ، **وإن لم يظهر منها شيء ينبغي أن لا يغتمّ لذلك لعدم كونها مقصُوداً بل قال المشائخ إن عدم ظهُورها أسلم للسالك** لما مرّ آنفاً .

وقالوا إن هذه الأحوال بمثابة السكّر والزبيب يعطاها أطفال الطّريقة ليتسلّوا بها فكما أن الأطفال لا يعطون السكر والزبيب إلّا عند بكائهم كذلك أطفال الطّريقة لا يعطون الأحوالَ غالباً إلا ضعاف القلوب منهم دون الأقوياّء فإن مطمح نظرهم ورآء الأحوال وقد مرّ في ترجمة الشيخ عبد الله الدهلوي **أن طالب الأحوال ليس بطالب الحق عز وجل** . اهـ ، « النفائس السانحات » عب .

وكتب الإمام الرباني رحمه الله تعالى مجيباً لمن شكى إليه بأنه قد طرأ الفتور في المشغولية منذ شهرين ولم يبق شيء من الذوق والحلاوة اللذين كانا مِنْ قَبْلُ : أيّها المحبّ لا غمّ إذا لم يطرأ الفتور على شيئين أحدهما متابعة صاحب الشريعة عليه وعلى آله الصلاة والسلام والتحية

الثاني الإخلاص والمحبة لشيخه فلو طرأ ألوف من الظلمة مع وجود هذين الأمرين لا يضر ولا يخاف عليه من الضياع ولو ظَهَرَ النقصان عياذاً بالله سبحانه في واحد من هذين الأمرين فخسران في خسران وإن كان في حضور وجمعية فإنه استدراج وله سوء العاقبة ينبغي أن يطلب من الحق سبحانه بالتضرع والابتهال الثبات على هذين الأمرين وأن يسأله سبحانه الاستقامة عليهما فإنهما ملاك الأمر ومدار النجاة ، كذا في « الدرر المكنونات » في ص ٤١ من الجزء الثاني .

نَفْسَلْدِخُنْ كَلِّيْ مُنْ مَطْلُوبْ عَزِيزَبْ بُكِنْ
مَقْصُودْ نَفِيسَبْ[١] بُكِنْ دِيِ اِبْ كِبْ شِلِبَنْ
كِنِّك دُنْ خُرْخِنِنْ طَلَبْ هَبُلِزْدِخُنْ
شَيْخَ صْدَ نَخُّكِ وِلُّنْ اِزْدَ رِلِّنْ دِيْ عِلِنْ
هِبْكِ دِيْ دَوْلَ بُكِنْ سَعٰادَةْ هِبْ بُكِلَنْ
هِدِنْ اَبِيَنْ[٢] اَبُنْ كِ بُكِبِنْ طِكَّلْدَ
وُقَّرَصْ هَبُرَبْ جُ بُقَّرَبْلُنْ بُكُنِبْ
دُرْ مُرٰادْ كُرُكْ دِرْ مُرٰادْ هِجُ كِدَكُ

(١) بَهَ طَدِعَنَبْ .

(٢) أي للنفس . (منه) .

دِدَصَــــنْ دُيْ بُــقَّــرَبْ دِرْكِ مُـــرَادْ اِبِـلَــنْ

اَللهَ صْــدَ اَبُـــنِ قَـبْـــضْ اِنِـــلَـنْـكِ بُـــكُ[1]

بُـــقَـــرُلِـــبْ مَـــشِـــنَ عِـــمِـــرْكُ ژَقَـــبْ بُـــكُ

اِلْ عَـــنْ لَـــذَّةْ قُّـلِـبْ جُ بُـكِـنْـزِ رِسْـــكُ هِـجُ

اِلْـــدَ دَنْـــدِ رَكْ حَـلْـطِ حَـــلْ بِـكَّـرَبْ جُ بُـكُ

اِلْـــدِ عِـــنْ چَـيْ مِـخْ مِـخَـلْ مُـرِيـدَصِ لِـكْ بُكُ

كِـنَـبْكُ سَـسَـلْـدِخُـنْ رَكَـــلْ ذِكْـــرِ خَـــلْ هَـبِ

هِـــدِنْ كُـــژَنِ دُدَ كِـنَـبْـكُـكِ هَـــرَقَّـــلْ

اَللهْ اَللهْ اَبُـــــلِـــــبْ كُـــــرُنِ بِـــــچِلَـرُ

حَـتُّـى بُـرْتُـلِـبْ هِـــدُلْ هَـــرَقَّـــلْـدَصَ ژِنِ .

وهذا مما تيقّن عند مريدي شيخنا الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره بالتّواتر فلا ينبغي إنكاره فكيف وقد قال صاحب « الرشحات » في ١٧١ أن منتسب طريقة خواجه عبد الخالق الغجدواني روّح الله روحه يسمعون الذكر من كل أصوات حين يمشون في الأسواق ولا يسمعون شيئاً غير الذكر أصلاً . انتهى من عب .

وفيه أيضاً في ٢٩ : يصل السالك بسبب الاشتغال بالذكر بالجد والاهتمام في مدة خمسة أو ستة أيام إلى مرتبة يخيل له جميع أقوال

(١) في ساعته وهذان الأخيران من سنوحات الفقير . « خالدية » عب .

الناس وأصوات المخلوقات ذكراً بل يخيل له كلام نفسه أيضاً ذكرا لكن لا يحصل ذلك بدون سعي واهتمام . اهـ من عب .

ولقد ذقت شيئاً من هذا المقام حتى كنت في حالة كون الذكر على الألطاف لا أفهم من جميع الأصوات من الأعواد والمزامير والدفوف والطّبول وأصوات المياه والرّياح وغيرها بل من أصوات أفواه الناس وقت مكالمتهم إلا الذكر وهو عند غيري مشهُورٌ مَعْلوم ، فالحمد لله على ذلك .

استماع المزمار جائز للنقشبنديين

وفي « الرشحات » في ٢٠٨ أنّ سرّ اختيار بعض الصّوفية استماع أصوات المزامير هو أن نظر هؤلاء الأكابر كان إلى أصل المقصُود وَوَجَدُوا بصفآء الفطرة أن المقصُودَ الأصليّ تخلّص الحقيقة الانسانيّة عن قيود البشريّة وحصل لهم هذا المعنى في استماع أصوات المزامير فاختاروه لذلك ، و**حكمة** عدم تجويز بعض الأئمة ذلك يحتمل ان تكون لاختيار أرباب الهوى وأصحاب البدع ذلك وجعلهم إياه شعارهم ودثارهم[١] فامتنع هؤلاء الأئمة عن استماعه ومنعوا عنه العامة لدفع عار المشاركة بهم عنهم وقطعوا نظرهم عن المقصود وتمسّكُوا في تحصيل نسبة الجمعية[٢] بأسباب أخرى . اهـ عب .

(١) الذى هو فوق الشعار .

(٢) أي جمعية القلب مع الله سبحانه . (منه رحمه الله تعالى) .

مهمّةٌ : في « الباقيات الصالحات في تعريب الرشحات » في ٢٨ : **إنّ الذكر الجاري على نُفوس الحَيَوانات هو أنفاسها الضّروريّة** فإنّ حرف الهاء التي هي إشارة إلى غيب[1] هُويّة الحق سبحانه وتعالى تحصل عند كل أوقاتِ خروجِ النَّفَس وَدُخُوله أرادوا ذلك أو لا وحرف الهآء في لفظة الجلالة هو هذا الهآء والألف واللام إنّما هو للتعريف وتشديد اللام للمبالغة في التعريف **فينبغي للطّالب العاقل أن يكون في نسبة الحضور مع الله سبحانه على وجه تكون هُوِيَّةُ الحق سبحانه ملحوظة وقت التلفظ بهذا الحرف الشريف وأن يكون حاضراً وقت خروج النَّفَس وَدُخوله حتى لا يقع الفتور في نسبة الحضور مع الله** وأن يجتهد في حفظ هذه النسبة ليكون واقفاً لقلبه دائماً من غير تكلف وتعمّل بل ربما لا يستطيع أن يزيل هذه النسبة عن قلبه . انتهى من عب .

شعر :

يـشـيـر إلـــى غـيـب الـهـويّـة هـــآء هو
وأنــفــاس مـخـلـوق لـــذا الـحـرف حـامـلُ
فـكـن صـاحـبـاً فــي كــل حـــال لحفظها
لقد قلت حـرف الـصـدق إِنْ أنـت عـامـلُ .

اهـ (منه) ، عــ ٢٨ .

(١) مطلب : غيب الهوية عبارة عن ذات الحق تعالى ، كذا في « الرشحات » في ٢٨ ، راجعه . (منه) .

مهمّة أخرى غفل عنها أكثر المريدين

وينبغي لكلّ طالب أن يعلمها ويعمل بها لِكَيْ يجني من ثمراتها فلقد ذُكِرَتْ في « ترصيع الجواهر » و« البهجة » و« المتممات » هذه الآداب الآتية المُأتى بها بَعْدَ الفراغ من الذكر .

وقالوا : إن نتيجة الذكر إنما تَظْهَرُ بها وهي مَضْمُونُ هذه الأَبْيٰات العجمية :

ذِكْـــرِ هَـبُـنْ خَـــدُصَ هَـرُلِــلْ لِـبْـكُ أَدٰابْ
طَــكَّـــزْدَ بُـكِــبْ كُــــژَلْ بِـــژِنْـــزِيـــنْ نُـجُـدَ
ذِكْـــرِ يَـلِـلْ فٰـــائِـــدَةْ ظَــهِــرْ لِـلِـبْـكُ دُيِ
اِلْ لِـبَـلْـكُ اَدٰابَـــــلْ ژُنِــيَــلْـدَلِـنْ بُـكُ
طُـصِـبِ صِـيَـبْ اَدٰابْ دُژَ هَـبِـزِ كُّـلِـبْ
ذِكْـرِ تُـــنْ[1] چَـرَبْ مِـخَـلْ حِـلُـنْ رَكَـلْـدِ بَلَيْ
ذِكْـــرِ يَـلْـدَ خَـــدُصَ بَـچُـنِـبْ وٰارِدَلْــــدِ
بَـلَـهُـنْ وُكِـــنْ بُـكُ اِبْ مُـحْـكَـنْ لُـنْ عِـزِعَـنْ
مَـــثَـــلٰا بَـچُـنِـبْ جُ زُهْـــدُ بُـكُـنَـنِ مُـنْ
زٰاهِـــدْ لُـهُـنْ دُنْـيٰـالْ تُـــنْ اَللهَ صْـدِ وُصِـنَ

(١) أي بعد الفراغ من الذكر . (منه) .

يَــلُِــنِ صَــبْــرُ دُدِ بَــچَــنِ هِـــبْ عُـجَـلْـدَ
طُـلْـكُ خَـلْـقَـلُِـلْ ضَـــرَزْ بَـرْشُّـلِـوْ لُِـنْ لُِـهِـنَ
اِزْدَ رِلُِـــنْ كِـنَـلْـكُ قَـوْمَـلُِـلْ اَخْـلاٰقَـلْـكِ
رَچُـنِـلِـنْ اِلْ دُدِ رَكَـلْـدِ بَـلَـنْ چَـنِ
ذِكْـــرِ هَـبُـنْ خَـــدُصَ خِـخْـكُ نَـخِّ وَخَّـنِ
رَكَـلْـدِ بَـلَـيْـكِ تُـنْ وٰارِدْ بَـچِـنْـكُـنْ اِنَ
ژِكُّــنْ رَكَـلْـدِ بَـلَـيْ دُژَ هَـبُـنْ مُـنْ چَـنِ
طَـدِ بَـچَـرَبْ وٰارِدْ مُـحْـكَـنْـكُ رِكِـلِْ چِـلَ
هِمِخَلْدَ كُّـــلْ[1] بُـكِـنْ دُرْ وٰارِدْ ژُ حَلِلَنْ
لِـبِـرَبْـكُ لَِـعِـلَـلِْ رِيٰـاضَـيَـلِْ[2] شُـلَـرِبْ
كِـئَـبِـلِـبْـكِ اَدَبْ حُـكَّـلْ كُّـنْ شِـرْخْ قَـنْ وُكِـنْ
عُـنْـكُّـخْ بَـلَـهُـنْ چَـرَبْ كِـتُ عَـدِنْ قُّـرْچُـكُ[3]
حُـكَّـلْ كُّـنْ دُدَ كِـعَـنْ مِـخَـلِْ چِـزِ كَـنِـكِ
هِـــدِنْ چِـلَ اَنْـقُّـژُلْـكُ بَـطَ بَـطَ طَـطَـلَ

(١) أي فلعلّه يرد عليه وارد فيعمر وجوده في لحظة أكثر مما تعمر الرياضة والمجاهدة في نحو ثلاثين سنة ، كذا في « البهجة السنية » في ٤٨ ، راجعه . (منه) .

(٢) نَفْسْ كِوغُنْ عِبَادَةَلْدَ طَدْ چُّنْ .

(٣) أي بلا حركة ولو شعرة منه وهذا السكون كالمجمع على وجوبه عندهم لأنه أسرع في تنوير البصيرة وكشف الحجب وقطع خواطر النفس والشيطان . قالوا : وأكثر مقدار المرار سبعة أنفاس كل نفس أطول ما يحتمل صاحبه ، كذا في « البهجة » في ٤٨ (منه) .

يَ(١) لِـبْـژُلْ شُــژُلْ نِـكِ حُكَّلْ كُّـنْ چُـنْ وُكِـنَ
رَكَـلْـدِ فِـكْـرِ هَـبُـنْ حُـضُـوزْكِ كٰـامِـلْ هَبُنْ
هِـبْ كُـژَلْـدَ مُـنْ چَـنِ رَكَـلْـدَ نُـورْ ژَق بَلِبْ
حُـجُـبَـلْـكِ نَــخّ أُنْ خَـــوٰاطِـــرَلْ قُـطُـلِـلْ
لِـــبْ اَبِـلِـــبْ اَدَبْـــكِ لِـمْ هِـقُـنْ كُـطِ بُـكُ
ذِكْـــرُ يَـلْـدَ خَـــدُصَ زَمَـــنْ بَـــنْ تُـــنْ كُـرُكُ
شَـــيْ اَبُـــنِ ذِكْـــرِيَـــلْپ رَكْ بُـحِـزِ هَـبُـلِـبْ
اَللّٰهَ صْـدِ عَشِقْ لُِـنْ تَهَيُّجْ(٢) حَصُلْ لُِـلِـبْ
هِـبْ لِـدَلْ بِشُنْ لِكَبْ مَطْلُوبُ اَعْـظَـمْ بُكِبْ
لِـمْ هِـقَـنِ اِلْپ بُـحِ كُـنْ شَـــوْقْ صِـنْـزِ هَبُلِبْ .

أي فإن الذِكْرَ يُورث حرقة وشوقاً وتهيّجاً إلى المذكور وذلك هو المطلوب الأعظم من الذكر وشرب الماء عقبه يطفئ ذلك ، كذا في « البهجة السنية » في ٤٨ .

وفي « المنن الكبرى » في ٢٦٢ من الجزء الأول ما حاصله : إن شرب الماء عقب الذكر يضعف القلب ويميت الجسد فإن من شأن الذكر الخالص أن يجد به العبد حلاوة في قلبه ومزيدا في نفسه وقوة في بدنه وحرارة في جسده ومن الأدب عدم إطفاء ذلك بالماء . اهى عب .

(١) وراجع « ترصيع الجواهر » . (منه) .
(٢) أي تهيج القلب وقالبه إلى الله تعالى . (منه) . تَهَيُّجْ – شَوْقْ ، رُقٍّ .

رَكَــــلِ ذِكْــــرِ عُــنْ تُــنْ رَكَــلِــلْ نُـــورْ بَخُلِبْ
يَــلِــنِ اِبْ رَكَــلِــلْ اِخْــتِــلَاجْ[1] حَــصُــلْ لِلِبْ
اِلُـــلْ حَــقِــيــقَــةْ لِــلِــبْ مُــرْشِــدَ صْــدَ بَــلَــهُــنْ
هِــلْــدَ خَــــدُبْ رُحَــلْــدَ مَــلِــلَ اِدِنْ ذِكْـــرِ[2]
رَكْ بُــكُــلِــبْ كِــعَــبَــبْ كَــكَــيَــلْــدَ دَهَـــبْ غُـــرْقْ
رُوحْ بُــكُــلِــبْ كَــرَنَــبْ كَــكَــيَــلْــدَ دَهَــبْ غُــرْقْ
رُوحَــلْــدَ ذِكْـــرِ هَــبِ وُقُـــوفْ[3] رَكَــلْــدِ هَــبِ
حُــضُــورْ هَــبُــنْ هِــبْ كُـــزَلْ اَللّٰهُ اَبِ رُوحَــلْــكِ
رُوحَــلْــدَكِ حَــرَكَــةْ[4] طُــرْكِ حَصُلْ لُــنْ خَــدُبْ
كِــعَــبْ كَــكَــيَــلْــدَ طَــدْ سِـــرَّ لْـــدَ مَـــلِ ذِكْـــرِ
كَـــرَنَـــبْ[5] كَــكَــلْــدَ طَــدْ خَــفِــي يَــلْــدَكِ مَــلِ
كِـــرِنْ بَــقُّــلْ اِدِنْـــكُ اَخْــفٰــى يَــلْــدَكِ مَــلِ
كِــيَــبْــكُــكِ بِــرْهُــقُّــبْ لَــطِــيــفَــةُ الــنَّــفْــسَ لْــدَ
اِدِنْـــكُ جَــسَــدَ لْـــدَ مَـــلِ اِبْ كُـــزَلْ ذِكْــرِ

(١) طُرْكِ .

(٢) أي بلفظة الجلالة . (منه) .

(٣) أي بَلَهِ رَكَلْدِ هَبِ .

(٤) بَغَرِ .

(٥) أي بعد ما حصل للسر نتيجته وهكذا في البواقي . (منه) .

كِـنَـزُ لْـكُ نَـتِـيـجَـةْ[١] طُـبَـنْ خَـــدُبْ ژُژُ كُّـنْ
تَـرْتِـيـبَـلْـدَ مَـلِـپـلَ مُـــرْشِـــدَ صْ اِزْدَ اَللّٰهْ[٢]
ذِكْــــرِ لَـطِـيـفَـيَـلْـدَ هَـبُـلِـبْ عُـجَـلْپْ دُصَّ
رَكَـــلْـــدِ بَـلَــهِــكِ بَـطَـلِپــزِ بِـــشَـــكِ[٣]
ژُژُ لَـطِـيـفَـيَـلْـدَ شُ اَزَرْ ذِكْـــرِ هَـــبِ
تَـرْتِـيـبَـلْـدَ اَلْـطٰـافَـلْ لُـعْـزِ عَـنْ سُـــرْدُ قُـيَـلْپْ
كِـنَـبْـكُـكِ شِـرْخَـلُپـلْپْ ذِكْـــرِ طِـبِـطِـزِعَـنْ
خِـيَـالَـلُپـلْ لِـسَـانَـلْپْ[٤] اَللّٰهَ نْ اَبِـــزِ عَـنْ
سُـلْطٰـانُ الـذِّكْـرِ[٥] شُـمُ لُـكْـبِ طُـرْطَـدِ زِعَـنْ
لِـــبِـــرْ اَزَرْكُ ذِكْـــرِ كَـــمِـــزِ تُـــكِ دُژَ
ژِكُّـــنْ هَـبُـلِـبْ ذِكْــرِ بَـشَـدْ هَـبُـنْـكِ هَـبِ
هِـــدِنْ نِـجِـرْ مُـــرْشِـــدَصْ اَمْـــرُ هَـبُـنِـنْ دِدَ .

---

(١) حَصِلْ .

(٢) أي لفظه .

(٣) كذا في « جامع أصول الأولياء » .

(٤) مَزَّلْپْ .

(٥) طُلَبْكُ چِرْخَلْپْ ذِكْرِ هَبِ .

وهكذا أخبرني أخونا الصالح العالم العارف الحاج حبيب الله المأذون النقشبندي أنه نور الله ضريحه ورفع مقامه ودرجته قال ما مَعْناهُ هذا البَيْتُ الآتي :

ژُيَـــبْ لَطِيفَيُلْ حَـلْـطِ نُـقْـصَـنْ لُِـنْ كَّـنِ
هِـلْ ذِكْـرِ عِمرْ هَـبِ بَشَدْ هِـبْ حَلْطِزِعَنْ[1]
شُ اَزَرَبْـــــكُ[2] ذِكْـــرِ بِـشُـنْ دَهَـــبْ جُ بُـكُ
عِــمِــرَلِ اَبُـــنِ حَـــصْرُ عَــــــدَدْكُ هِـــجُ
اَهْـــلُ الـسُّـلُـوكَـصَـنِ قُـــلُ شُ اَزَرْ ذِكْـــرِ
سُـــرْدُ قُـيَـلْـدَ جَـنِـبْ هَـــبِ عِـمِـرَ بُـــكُ[3]
شُ اَزَرْ ذِكْـــرِ دُژَ سِـــنْ عُـــدُ چُـــنْ هَـبُـنِ
اَثَـــرْ ژَقَـــبْ بُـكُـنِـنْ ژَدَخّْـــــكُ هَـــبِ دُژَ
لِـــبْـــژُلْ بَـــطَ عُـــدُ چُـــنْ بِـــقّْ بِـقُّـنْ هَـبِـزِكِ
بِـهِـلِـلَـنْـكِ بُـكِـنْ بِـهُـخِّـنْ هَـــبِ دُژَ
ژِنْـــكِ خَـــدُبْ مُـرْشِـدَ صْ مَـلِـلَ رَكَـــلْ اِدِنْ
« لَا إِلٰـــهَ إِلَّا اللهْ » اَبَـــرُبْ رِكِـــلْ ذِكْـــرِ

---

(١) انتهى .

(٢) أي في كل لطيفة . (منه) .

(٣) مهم : وأقلها للسالكين خمسة وعشرون ألفاً في مدة يوم وليلة . « جامع أصول الأولياء » ع ــ ١٧ .

إِلُـــــلْ كٰـــامِــلَـــبْ كُـــــــڗْكِ دُدَ لِـــــزِ بُـــقَّـــنِ
كِـنَـبْـكُ لِـيْـكُـنْ اِدْرٰاكْ[1] رَكَــلْــدِ رِخِ بُـكُ
كٰــامِـلَـبْ وُقُـــــوفْ هَـبُـنْ رَكْ بَـقُّـلِ بَلَـهُـنْ
خَـطَـرَةْ اِنْــزِ هَـبُـنْ خَــرَوْ عَــدِنْ چِــيْ بُـكُ
ڗِنْـــكِ حُـكَّـلْ بِـشَّــلَ مَـعَـزُخَّـنْ كُـتَـكَـلِ
خَـــوٰاطِـــرَلْ رِكِـــلِـــنْ رَخِّ يَـــلُـــلْ قَـصْـدَلْـدَ
هِـــدِنْ هِـــبْ حُـكَّـلْ بِـشَّـيْ كِـنَـبْـكُـكِ عُجَلِلْ
خَـــوٰاطِـــرَلْ نَـــخِّ چَـــزِ بِـشُـــنْ ڗَقَـــبِـــنْ بُـكُ
ڗِنْـــكِ حُـكَّـلْ كُّـــنْ چِـلَ ڗِنَـلْـدَ غُــرْقُّ بَـكَـرُنْ
ڗِنَـــلْــدَصَـــنْ بَــيْ بِـكُّـنْ « لاٰ » ڗَلَ بِـطِـرَلْـدِ
هِـــچُ اَبُـــــرَبْ مَـعْـنَـى ڗَدَخَّ خَـــلْ هَـبِـلَ
اِدِنْـــكُ لَفْظَلِلْـكِ مُـلاٰحَـــظَـــــه[2] هَـبِـلَ
« إِلٰــــهَ » ڗَنْ بَـشِـنَ كَــرَنَــبْ غِـجَـلْـدِخُـنْ
مَـعْـبُـودْ هِـچِـنْ سُـكِـيَـنْ مَعْنَـى كِ رَكَـلْـدِ شُـنْ
مُـبْـتَـدِئْ لُـنْ وَتَــنِ اِدِنْ[3] خَـلْ هَــبِ مَعْنٰى
مُتَوَسِّـطْ وُكُـنِ جِنْـسُ الْمَقْصُـودْ خَـلْ هَـبِ[4]

(١) نَخُّ عُنْطِ .

(٢) خَلْ هَبِلَ .

(٣) لأن مقتضاه العبادات . « جامع الأصول » ع ــ ١٦ .

(٤) أي للنفي (منه) ، لأن مقتضاه الطلب . « جامع الأصول » ع ــ ١٦ .

مُنْتَهِى يَــصْ[١] اَبُـــنِ مَـوْجُـودْ هِـجُ يَـنْ اَبُـنْ
هِــبْ كُـژَلْـدَ خَـلْ هَــبِ هِـلِپُـلْ مَـعْـنَـبِ دُژَ
كَـرَنَـبْ غِـجَـلْـدَ صَــنْ ژَّنْ بَـجِ دُصَ « إِلَّا »
لَـطَـائِـفَـزْدَ طَـصَــنْ رَكَـلِپُـلْ فَــمُّ يَـلْـدِي[٢]
نَـفْـيُ هَــبُـرَزْدَصَــنْ غُــرْلِپَ وَخِّ خَـلْ هَبُـنْ
اِسْـتِـثْـنَـاءَ پُـلْ مَـعْـنَـى رِكِــلْپِ تَـصَــوُّرْ هَـبُـنْ
« اَللّٰهْ » اَبُـــرَبْ لَفْـظَـةْ رِكِـــلْ غَـرِلِپَـلْـدَ
شِــدَّ تَـلْـدَ رَكَـلْـدَ قَّـبِ مَعْنٰى خَـلْ هَـبُـنْ[٣]
حُـكَّـلْ بِـشَـلِـبْ مِـخَـلِپْ وَتْـــرُ يَـلْـدَكِ هَـبِ
« مُحَمَّدْ رَسُــولُ اللّٰهْ » خَـدُبْ اِبِـكُـنْ سَـدَخِّ .

وفي « تبصرة المرشدين » :

رُوحَــلْـدَصَــنْ رَكَـلْـدِ خَـطْ هَـبُـنْ اَب اِبْـكِ
مَحْمُودْ أَفَنْدِيَصْ جِـبْ طَـصَ بِشَرَبْ كُـژَلْپ[٤]

(١) لأن مقتضاه الفناء لما سوى الله والبقاء لله . « جامع أصول الأولياء » ١٦ .

(٢) كَلَلْدِ .

(٣) أي يلقى لفظة الله بعظمته إلى قعر القلب بشدة وبغاية القوة ، كذا في « الخالدية »وغيره . (منه) .

(٤) وإلا ففيه خلاف . « تبصرة المرشدين » عب .

ژِنْكِ « إِلٰهِي أَنْتَ مَقْصُودِي » يَنْكِ(١) اَبِ
اِلُلْ اَخِرْكُنْ سَدَخّْ مَعْنَى تَصَوُّرْ هَبُنْ
حُكَّلْ صِبِ بِچَّلِبْ نَخِّ ژَلِبْ مِخَلْپِكِ
وُقُوفْ ضَبْطَلْدَ(٢) هَبِ غَفُلْپِزِ(٣) چِچُكُ
نَخُّ نَخُّكِ هِدِنْ شُرُوطَلْ طُبَزَرُنْ
هِبْ كُژَلْدَ كٰامِلْكُ اَبِ دُژَ اِبْ ذِكْرِ
وَتْرُيَلْدَ دَهْ دَهْ كُّنْ اَبِ دُژَ اِدِنْكُ
قُلُ ژُيَلْدِ شَرَبْ ژُ حُكَّلَلْپِ كِزِعَنْ
هِبْ مِخَلْدَ اِسْتِهْلٰاكْ اِنْمِحٰاآءْ ظَهِرْپِلَنِ
پِلِكْ بُكِنْ اِبْ حَلْ كَنِ ژِكُّنْ هَبِ اِخِدِ
هِبْ اَثَرْ دُيْ شِچُنِ نَخّْ وُصَ اَوَّلْدِ
اِبْ نَتِيجَةْ قِّزِعَنْ بَيْ بِكُّنْ بَچِ اِدِنْ
حُضُورَ پُلْ تَشْوِيشَلْ(٤) كِّلِدُخّْ حُكَّلْ كُّكِ
عِمِرْپِ شَرْطْ هِچِبِنْ نَتِيجَةْ حَصُلْپِزِ

(١) في حالة إطلاق النفس . « خالدية » عب .

(٢) مُحْكَنْكُ .

(٣) لكن الوقوف في جميع الجزئيات لازم . « خالدية » عب .

(٤) كَوَلْكَوَلْ .

خَـصَبْ مَـقْـصُودْ[١] كِنْ مَـحْـبُـوبْ[٢] دُرْ رَكَـلْـدَ بَـتَـنِ
نَـفْـيُ يَـلْپِـلْ اِبْ دُژَ خَـص هَـبُـنْ خِـيَـلْ هَـبِ
بُـقَّـرَبْ خَـطَـرَتَـلْ فَـيْـضَـلْپُـلْ رَهُ قَـلِـبْ
كَـرْ هِـچِـلْـدَ رِلْپُـمُ اِبْ دُيِ بُـكُـنَـرِبْ
اِبْ نَـفْـيُ اِثْـبَـاتَـلِ[٣] اَنْـقُّـكُ رُكْـنُ بُكِبِنْ
ژُ رَكَـلْـدِ[٤] بَـلَـهِ اَلْـفَـاظَـلْ[٥] خَـلْ هَـرِكِـي
مَعْنٰى بِ خَـلْ هَـرِكِ نُـقُـوشَـلْ خَـلْ هَـرِكِ
« مُـحَـمَّـدْ رَسُـولُ اللهْ » اَخِـرَلْـدَ اَبِـكِ
« إِلٰـهِـي أَنْـتَ مَـقْـصُـودِي » يَـنْ اَبِـكِ بُـكُ
عَـدَدُ الْـوَتْـرِيَـلْـدَ اَبِ اَنْـقَّـبْـكُ بُـكُ .

وزاد بعض ركناً ثامناً وهو وجدان النقوش فيحصل منها صورة « لا » المعكوسة . « خالدية » عب .

وتنقص الصفات البشرية من تكرار النفي والإثبات وطريقته أن ينفي كل صفة من الأوصاف الذميمة على حدة على حدة بكلمة « لا »

(١) مُرَادْ .
(٢) بُقَّرَبْ جُ .
(٣) « لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ » هَلِ .
(٤) مع جميع شروط النفي والإثبات كما في « البهجة » . (منه) .
(٥) رَعَبِ .

عند تكرار الكلمة الطيبة أياماً وأن يثبت مكانها حب الله تعالى حتى تزول عنه تلك الصفة الذميمة وينبغي كسب المقامات على خلاف هوى النفس فعسى أن تبدل الذمائم بالمحامد عند رعاية ذلك ، كذا في « النفائس السانحات » في ٦٨ من هامش « رشحات » ، فراجعه .

اِلِيْ كِرْ بَقُلِبْ جُ چِكّْ بَقُنْ بُكِنْ بُكُ
ذَقْ كُتَكَبْ كُڽَلْدَ وَقُنْكِ هِچِبْ حَلَلْ[1]
خُطُوطَلْ ذَزِيِلَنْ رَكَلْدَ حَلْ هَبُكِ
وُقُوفْ حُضُورْ ذَقْپِلَنِ جَلْكُ ذَلِنْ خُطُوطَلْ
نَفْيُ كُنْ اِثْبٰاتَلِ اَبْحٰاثَلْ عِمِرْ رُكُ
رَسٰائِلَزْدَ اِزُلْ بَيٰانْ بَسْطَلْدَ بُكُ
كَلاٰمْ خَلَتْ هَبِيَلْ هَبِزِ شِبْكُ هِچُ
طَكَّزْدَ صَنْ بُسَرَلْ فَيْدَكِ هَبُلَرُ
شَيْخَصْدَصَنْ بُسِچِلْ مُنْفَعَةْكِ قُلَرُ
طَرِيقَتَپُلْ مَقٰامْ بِكِّ چِصْدَ پَلَرُ
طٰالِبَصْدَ طَپُلَ شَيْخُ كٰامِلْ وَلِزِ
مَشْرِقْ مَغْرِبَلْدِ اُنْ عٰالِمْ چِ وُكُنِك[2]

(١) ومانعه الشبع . « خالدية » عب .

(٢) كذا في « الخالدية » وغيره . (منه) .

چَـمْـكِ عٰـالـمْ چِ وُكِــوْ عُـمْـرُ عَــدَدَ اَرَوْ

اَهْــلُ الـتَّـصَـوُّفَـپُـلْ[1] حَــلْ پَـچُـكُ خُـطَـرَوْ

كُـتُبَـزْدَ صَــنْ[2] دُي كِـيـمِـيٰــآءْكِ[3] شِلَرُ

شَــيِـخْ كِّـچُـكُ دُي مَــقٰـامْ حَـصُـلْ پِـلَـرُ

حَـجَـپُـلْ سَـفَـرَلْـدَ خُـلِـبْ عَــرَزْ خِـزَبُـنْ

هِــدِنْ سَـفَـرْ هَـبُـنْـكِ وَلِــزِ كُّـلِـوْ شَـيِـخْ[4]

اِمٰــامْ غَــزٰالِــي ژِنِ[5] حَـجَـلِـرَوْ شَيْخَصْدِ

شَيْخْ كِّچُكُ اِصُـپْـكِ بَتِچِبْ شِبْكُ اِخْـلاٰصْ

طُـلْـكُ عٰـالِـمْ زَبَــزُلْ عِـلْـمُ كِـمُ عِـبٰـادَةْ

نَـفْـسَـپُـلْ حَــظُّ[6] جُـبَـرَبْ بَـتُـلِـبِـنْ عِـمِـرَبْ

---

(١) طَرِيقَةْ اَهْلُيَپُلْ .

(٢) طَكَّزْدَصَ .

(٣) خِمِيَ .

(٤) كذا في « الفتاوى » لمحمد علي الچوخي رحمه الله تعالى . (منه) .

(٥) وفي « الحديقة الندية » : فقد بان لك أنه يجب على كل من غلب عليه مرض من الأمراض الباطنة من عجب أو كبر أو رياء أو غير ذلك أن يطلب له شيخاً يخرجه من تلك الورطة وإن لم يجده في بلده أو إقليمه وجب عليه السفر وأن من رزقه الله تعالى سلامة الباطن من الأمراض كالأئمة المجتهدين وكمَّل أتباعهم لا يحتاج إلى شيخ لأن هذا قد عمل بما علم على وجه الإخلاص وذلك هو حقيقة الصوفي ، انتهى من عب ٢٤ من هامش « أصفى الموارد » ، فراجعه ، ففيه البسط الزائد في حق هذا المطلب النفيس . (منه رحم الله إفلاسه) .

(٦) بُطَ ، مُرَادْ .

شِـــرْكُ خَــفِــي[١] پِـلَـرِبْ عِـمِـرَلْ عُـبَّـادَزْدَ
اُسْـتَـرْ كُّـنْ تُـنْ كُـرُكْ رَكُّـلَـرِلْ اِلْ اِلْـــدِي[٢]
عِـلْـمُ خِـرِيَـبْ جُـيِـنْ عَـمَـلْ اِخْــلاٰصْ بُكُنِ
اِخْــلاٰصْ عَـمَـلْ هِـچُـنِ اِبْــكِ عَـذَابِــنْ دُيِ[٣]
عِـلْـمُ يَـپُـلْ[٤] دُيْ عِـلَ عَـمَـلْ هَـبِ بُـقَّـنِ
كُــنْ مَـشْـغُـولاً بِـــالله[٥] اَبُـــرَبْ زُحُّ كَـــلاٰمْ[٦]
عَــمَــلْ هَــبُـلَـرِلَـنْ عِـلْـمُ تُـنْـكِ وُكُـنْـكِ
عِــلْـمُ يَـپُـلْ مُـنْـفَـعَـةْ طَـعُـنَـرِنْ كِـحِـنْـكُ .

فكيف لا يكون العلم نافعاً على كل حال وقد قال الشعراني في « لواقح الأنوار » : وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول :

(١) بَپْكُيَبْ شِرْكْ .

(٢) ولا تصل يا أخي إلى معرفة تمييز حظ النفس مما هو لله تعالى إلا بعد السلوك على يد شيخ مرشد يخرجك من حضرات التلبيس . « لواقح الأنوار » ع ــ ١٦٦ ج٢ من « المنن » .

(٣) وفي الحديث : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » ، كذا في « تنبيه المغترين » في ١٠ ، راجعه . (منه) .

(٤) كذا في « الرشحات » في ٩٨ .

(٥) مُنْ اَللهَ صْدَ مَـشْغُلْپُنْ وُكَ (أَيْ كِدَكُ) .

(٦) أي لو كنت تطلب العلم لتعمل به وإلا فهو عقوبة ولا يأخذ العلم المجرد يد صاحبه ، كذا قال الغزالي في « النصائح الولدية » :

شعر :

فعالمٌ بعلمهِ لم يَعملنْ ... مُعَذّبٌ من قبل عابدِ الوَثَنْ

اهى . (منه) .

يتعين على كل من لم يعمل بعلمه أن يعلّمه الناس ولمن يرجو عمله به ، وسمعته مرة أخرى يقول : ما ثمّ عالم إلا وهو يعمل بعلمه ولو بوجه من الوجوه ما دام عقله حاضراً وذلك أنه إن عمل بالمأمورات الشرعية واجتنب المنهيات فقد عمل بعلمه بيقين إذا رزقه الله الإخلاص فيه وإن لم يعمل بعلمه كما ذكرنا فيعرف بالعلم أنه خالف أمر الله فيتوب ويندم فقد عمل أيضا بعلمه لأنه لولا العلم ما اهتدى لكون ترك العمل بالعلم معصية فالعلم نافع على كل حال ويحمل ما ورد في عقوبة من لم يعمل بعلمه على من لم يتب من ذنبه . اهـ .

وهو كلام نفيس وملخص ذلك أنه لا يشترط في كون الانسان عاملاً بعلمه عدم وقوعه في معصية كما يتبادر إلى الأذهان وإنما الشرط عدم إصراره على الذنب أو عدم إصراره على الإصرار . انتهى ع ــ راجعه من ٣٧ .

ثم بعدما حصل له الحضور مع الله تعالى بلا تخلل خطور خطرة مما سوى الله تعالى مدة ساعة أو أكثر يلقن المراقبة الأحدية ثم بعد ظهور أثرها وعلائم يعرفها أصحاب التكميل يلقن بالمراقبة المعيّة فإذا ظهر للمريد آثار المعية المقدّسة عن الكمية الناشئة عن الغفلة والوهمية فقد يتم للمريد الولاية الصغرى وبعد تلك الولاية الولاية الكبرى وبعدها الولاية العليا ولها رجال خصهم الله تعالى بذلك عن محض فضله إذ ليس

المنقطع إلا النبوة على أن هذه الولاية سراج مقتبس من مشكاة نبوة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بسبب اتباعه واقتفاء آثاره . « خالدية » عب .

نَفْيُ إِثْبٰاتَلْدَ صَنْ نَتِيجَةْ حَصُلْ لُِنْ تُنْ
سٰاعَتَلْ ژِكُّنْ نِكِ حُضُورْ كٰامِلْ لُِنْ خَدُبْ
مُرٰاقَبَةْ مَلِلْ أَحَدِيَّةْ أَبُلِبْ
اِلُِلْ اَثَرْ شِزِعَنْ اِبْ هَبُلِوْ وُكِنَ
اِلُِلْ نَتِيجَةْ قُّنْ تُنْ مَلِلَ اِلْدَ رِلُِنْ
مَعِيَّتَنْ اَبُلِبْ مُرٰاقَبَةْ نَخُّكِ
مَعِيَّتَلُِلْ اَثَرْ مُرِيدَصِ لُِهُنْ تُنْ
طُبَلِبِنْ جِنْدِي وِلٰايَةُ صُغْرٰىكِ
اِبْ وِلٰايَةَ لُِلِْكِ مُرٰاقَبَتَلْ رُكِلْ
شُكُ لَطِيفَةَ لْدَ جِبْ جِبَلْدَ هَرُ لِلْ
تَبْصِرَةُ الْمُرْشِدِينْ اَبُرَبْ كِتٰابَلْدَ
بِژُنْ بُكِبِنْ بَيٰانْ بَلَهِ دُدَ لِزِي
ژِنْكِ خَدُرْكِ رُكِلْ ژُكِكِ مُرٰاقَبَلْ
كُبْرٰى وِلٰايَةَ لُِلْ طٰالِبَصْدَ مَلُِلِلْ
وِلٰايَةُ عُلْيٰاكِ بُكِبْ اِلْدَكِ خَدُبْ
اِلِي خَصْ هَرُرَلْ رِجٰالَزِ[1] جِبْ شُلِبْ

(١) عَدَمَزِ .

اَوَرَكْلِ كُرُكُ قُطَرَبْ جُ هِچِبِنْ
وِلاٰيَتَلْ شُلِلْكِ اَوَرَكَصْٰدَصَ يِنْ
أَنْهٰارُ الأَرْبَعَتِنْ اَبُرَبْ كِتٰابَلْدَ
كِنَلْكُ مُرٰاقَبَلْ بَسْطَلْدَ[1] رِڗُنْ رُكِلْ
هَنِرْ صَرِيحْ هَرِچِنْ[2] ڤُقْلِيَلْدِ قَصْدْ هَبُنْ
اَسْرٰارَلْ اَسْفٰارَزْدَ خَّنْ ڤَلِلْ جَلْكِ كُرِنْ
طَكَّزْدَ صَنْ رُسُلِلْ جَلْ كُرِنْ مُرٰاقَبَلْ
مَشٰائِخَزْ مَڤْچُكْ ڤَلَرِنْ اِلْ ڤِدَكُ
هَبْ كِتٰابَنْ اَبُنِ مُبْتَدِئَصُلْ جُيِنْ
اِلْدَ اِلْ رِسَنَنِ مُرِيدَ صُلْ كُّلْ ڤُلِنْ
اِلْ حَصُلْڤِ مَقْصُودْ ڤُنْ ڤُهَنِ مُرِيدَصِ
اَصْحٰابُ التَّحْقِيقَ صَ اِبْ قَبُلْ هَبُلَرِنْ
يَڤُنِ اِلْ مُرِيدَصْ رِكِلْڤِ خَلْ هَرُنَنِ
جِنْدِي حَصُلْ ڤَنِنْ خِيَلْ وَهْمُ بَچَنِ
مُرِيدْ هَلَكْ ڤِلَلُ رِڗِنْ چُكُ تَنِنْ اِلْ
اِصِيْ ضَرَرْ كِّيَلْدَ حِنْقِ ڗِكَنِنْ عِمِرْ

---

(١) عَطِدْكُ .

(٢) بيَانْ هَرِچِنْ .

نَـقْـشُـبَـنْـدِ[١] طَـرِيـقَـةْ قُّـلِـوْ مُـرْشِـدْ اَبُـنِ
وِلٰايَـــةُ كُـبْـرٰى يَـنْ اَبُـلِـبْ مَـقٰـامَـلْـدِي
وَخَـــرَوْ هِـچُـكُ جِـوْ وُكِـنْـزِ وِهُـلَـرِوْ
تَـوَجُّـهَـلْپِ تَـصَـرُّفْ هَـبِـزِ جِـنْـدَ كِـزِي[٢]
رَكَـلْپِ رَكَـلْـدِ طُـلِـبْ أَحْـوٰالْ اِلُـلْ بُكِلُلْ
تَـأْثِـيرْ[٣] هَـبِـزِ كُـلِوْ وُكِـنْـزِ كُّـلِـوِنْ جِـوْ
نَقْشُبَنْدِيَوْ اَبُنْ اَبُرَبْكِ عُلَرِبْ
اِبْ وِلٰايَـةْ[٤] اِصِي حَـصُـلْـپِـزِكِ كُّـلِـبْ
اِزُلْ طَـرِيـقَـلْـدَ جِـبْ رِخْـصَـرَبْ صُـرَتَـلْـدَ
خِـسِـچُـكُ أَذْكٰـارَلْ مَـپِـزِكِ كُّـلِـلْ اِصْ
شٰـافِـعِـيَـصُـلْ مَـذْهَـبْ حَـنَـفِـيَـصْ كِّـچُـكُ
شٰـافِـعِـيَـوْ اَبُـنِـنْ شٰـافِـعِـيَـوْ لُِـهِـنِـشْ

(١) هذا حاصل ما في « المواهب البريقة » فراجعه . (منه رحم الله إفلاسه) .
(٢) لأنه شرط فيها ، كذا في « المواهب البريقة » . (منه) .
(٣) اَثَرْ هَبِزِ .
(٤) وَلِـپِـيَـلُـلْ مَقَامْ .

مُـرِيـدَصُـلْ[1] مَـقٰـامْ ژِنْ پِـلَـرِلْ عَـدَمَـصَ
شَـيِـخْـلِ هَـبُـنْ كُـرِشْ طَـرِيـقَـةْ چُـنْـتُـنْ بُكِبْ
لِـكْ بِـكَّـرَصْ بُـقَّـرَبْ طَـرِيـقَـتِـلَـنْ مَـلُـنْ
شَـيْـطَـبَـزُخِّ هَـبْ خَـلْـقْ قُّـلِـلْ رُكْ عِـمِـرَلْ[2]
لِـكْـلِ هَـبُلِـلَـنْ رَكَـلْـدَ جُـدِدَ كُّـنْ
بِـچَـصُـلْ نُـخَـلْـدَ صَـنْ خَـلْـقْ رَچَـخُّـلِـلْ رُكْ
بُـجَـرَلْ عَـدَمَـصَ بِـژُنَ اِزْ اَبُـلِـنْ
طَـرِيـقَـةْ قِّـزِ كِـصَ بِـهُـلِـبْ هَـنْـجِ يِـلَـنْ
هَـلْ عَـدَمَـلْ هَـبْ عُـجَلْ كَفُرْ لُـنْـدَيْ لِ رُكِـلْ
هِـزْدَ طَـرِيـقْ مَـلِـزِ نَـخِّ چَـزِ[3] بُـكِـنْـزِي
كَـفُـرَزْدَكِ اَللّٰهْ رِخْـصِـيِـلَـنْ اَبِـزِي
كُـرِشْ بِـچَـصْ اَوَرَكْ اِلْـچِ لُـنْ وِطُـنْ وُكِـوْ

---

(١) ولقد قال أخونا في الله ودليلنا إلى الله الأخ الصالح العالم العارف الشريف سيف الله الحسيني الغازي الغموقي رحمه الله في رسالته : وكل من لقيت من شيوخ الزمان إذا تكلمت معه في أمر أشكل على الفقير لا يجد من فتح له باب النفي والإثبات حاشا عن الحضور والمشاهدة والفناء والبقاء فضلاً عن العدم فكأني بكثرة الأفكار مختل العقل ولم يصف لي الوقت للشغل بالشغل وقل من يرجع إليهم في الشدائد ولم يبق سوى القال والقيل وكلهم خلف المستحيل . انتهى بعبارته من خطه . فجزاه الله تعالى عنا خيرا ، فما أصدق قوله وما أصوبه . (منه) .

(٢) فكيف لا وقد يكون الذكر الملقن من غير عارفه خاليا عن النور الحاجب من الشيطان كما يأتي بيانه آنفاً . (منه) .

(٣) راجع « الحديقة الندية » في ١١٠ من هامش « أصفى الموارد » . (منه) .

وِطُـــنْ[١] كَّـدُلَـرِصِ كُــرِشْ اِرْشٰـــادْ لُِـنْ بُكِبْ
عٰـاصِـي فٰـاسِـقَـصِـيِـنْ تَـرْبِـيَـةْ حَـجَـلُِـلِـبْ
اِذْنُ هِــچِبْ بَتَـنِ شَيِـخْلِ تِــزِ كِّـلَ
شَـيْـخَـصْ اَبُـــنِ طَـرِيـقْ بِـطُـنْ مَـلِـزِ كِّـلَ[٢]
طَـرِيـقَـــتَـــلُِـلْ اَصْـــلُ خِـسَــــرَوْ چِ اَبُــنِ
نِـجِـدَصَـنْ كُـرِلَـنْ اَبُـــرَبْ خٰـالِـدْ شَـهَـصْ[٣]
طَـرِيـقَـتَـلُِـلْ[٤] مَـقٰـامْ سُـلُـوكْ هَـبُـنْ بِـكّْ چُكُ
اِلْــدَ خَـدُبْـكِ شَيْخَصْ اِذْنُ جِـنْـدِيْ قِّچُكُ
شَـيِـخْـلِ هَـبُـلِـوْ چِ ژُنِــكِــخَ اِصْــدَصَــنْ
شَـيْـــطٰـــانْ اَبِـــزِ اِصْـــدَ بِـطُـنْ رِقَــرَ بُـكُ
اِصِـيْ بُـكِـبْ حَـقَـلُِـلْ حِـسَبْ مِـيزٰانْ كُ هِـچُ
اِبْ لَِــزِ دُدَ رُوحُ الْـبَـيٰـانَـلْـدِ بَـلَـهِــي[٥] .

(١) وقد قال أخونا المعنوي سيف الله رحمه الله تعالى في رسالته : وعلى ذلك الأسلوب كان أمر مرشدنا جامع الكمالات الشيخ زين الله النوري الشريفي وأنه يقبل كل من حضر حتى رأيت يقبل من لا يصلي قَبْلُ . انتهى من خطه . (منه) .

(٢) وفي « المنن » في ٧١٧ من الجزء الأول : وسمعت سيدي علي الخواص رضي الله عنه يقول : إياك ان تبتدع لك ورداً فإن الحق تبارك وتعالى لا يجالس عبده إلا فيما شرعه نبيه ﷺ . اهـ ، راجعه ، وراجع « تحفة الأحباب » ، « جامع أصول الأولياء » في ٢٥ . (منه) .

(٣) بهذه العبارة : من غيّر أصول طريقتنا فليس منا ، راجع وحرر ولاحظ ما عليه أكثر الخلق . (منه) .

(٤) لا بد من المراجعة إلى « لواقح الأنوار » في صحيفة ٩٢ من هامش « المنن » من الجزء الثاني . (منه) .

(٥) وكذا إلى « مزكي النفوس » من صحيفة ٢٥٤ . (منه) .

ففيه في سورة آل عمران أن الذين يدّعون المعرفة وتمكينهم في مقام الإرشاد ويراؤون جلباً لحطام الدنيا عذابهم أشد من عذاب النساء الزانيات ولدن أولاداً من الزنا مع وجود أزواجهن وأولادهن سبعين مرة . انتهى .

وفيه أيضاً في سورة الفرقان وفي الآية إشارة إلى الأصنام المعنوية وهم المشائخ المدعون والدجالة المتصنعون فإنهم ليسوا بقادرين على إحياء القلوب وإماتة النفوس فالتابعون لهم في حكم عابد الأوثان . انتهى .

وفي « الأنهار الأربعة » أن أخذ الطريق من الناقص مضر للطالب ، فراجعه .

فلو نظرت يا أخي إلى شيوخ الزمان وجدت أكثرهم مدّعين ما لم يتحققوا به يضلون الناس بأكاذيب ظانين أنهم يحسنون صنعا جميلا وأنهم يرشدون إلى الله ليلاً ونهارا كلا وكلا بل هم يطردون الناس عن الطريق السليم بل يَصْرفونهم بأقوالهم وإشاراتهم . (منه) .

ولقد يكون الذكر المأخوذ من أهل الدّعوى سبباً للهَلاك كما هو مبسوط في « الذهب الإبريز » فعلى العاقل أن لا يغترّ بظاهرهم ولا يخرج عن المنهاج مقتفياً بآثارهم بل يجتهد إلى أن يميّز بين الحق والباطل والعارف والجاهل .

فإن قيل الذكر خير والأمْرُ به حَسَنٌ فكيف لا يجوز لكل أحد أن يأمر به ويلقنه ؟ فاعلم أن الذكر على نوعين تعليميّ وتلقينيّ فالتعليمي هو الذي يذكره العوام بلسانهم ويعلّمه الآبآء أولادهم ولا مانع منه أصلا وهو خير وحسن لكنه لا يقع إلى القلب ولا إلى الرّوح كما هو مذكور في كتابنا « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » نقلاً من « مزكي النفوس » .

وأما التلقينيّ فهو الذي كلامنا فيه وفيه دقيقة تفْهَمُهُ ممّا يأتي إن وَعَيْتَهُ وتأمّلته **فإن للأذكار أنواراً فإن كان معها أنوارها تكون نافعة ومؤثرة ولا يقرب الشيطان إلى ذلك الذكر بل يكون حجاباً بينه وبين الذاكر وإن لم يكن معها أنوارها لا تكون نافعة ومؤثرة بل تكون مظلمة وتقرب الشيطان منها لأن الظلمة مسكنه وتصير تلك الأسماء حينئذ سبباً لهلاك من يذكرها .**

فمثال نور الذكر كنور الشمس المنتشر فى جميع أقطار الأرض فإن من قام في نورها بلا واسطة شيء ما كثيفا كان أو لطيفا يصل إليه منه حرارة ولو أراد أن يصل إليه من حرارته أثر خاص وحرارة تامة يجعل بينه وبين نورها عين الزجاج اللطيف واسطة فيكاد حينئذ أن يحترق بشدة حرارته ويصل إليه منه الأثر الخاص وأما إن جعل شيئاً كثيفاً واسطة بينه وبينها فلا يحصل له أثر ما من الحرارة بل ينقطع عنه ما

كان يصل إليه قبل وساطته من أثرها[١] ولو كان قليلا ويصير حينئذ في الظلمة المحضة ويبقى بلا نور .

فهكذا الأذكار الواردة في القرآن المجيد يجوز لكل واحد أن يذكرها بغير تلقين من الشيخ وينتفع بها ولا يهلك الذاكر بها فإن النبي ﷺ شيخ لكل من بلغه القرآن إلى يوم القيامة وإن أخذها من شيخ عارف مأذون قد صار قلبه منوراً بنور النسبة المقتبسة من مشكاة النبوة تكون تلك الأسماء نافعة بالنفع التام وتكون معها أنوار خاصة مؤثرة في دفع الشيطان وأما إن أخذها من غير مأذون وغير عارف الذي لم تتلطف كثافة قلبه ولم يصل إليه شيء ما من نور النسبة فيعطيه الأسماء خالية عن الأنوار فلا تكون حجبا ولا يدفع بها الشيطان بل تصير سبباً للهلاك[٢] .

فعلم من هذا البيان أن من تشيّخ على الناس مع عدم الإذن والإجازة ولقن الأذكار قائلاً إنه آمرٌ بالمعروف ولا مانع منه على كل حال كما هو شأن أهل الدعوى في هذه الديار الداغستانية قد صار سبباً لقطع النفع الذي كان للذاكر لو كان يذكر الله بنفسه بلا تلقين منه بل صار أيضاً سبباً لهلاك ذلك الذاكر والعياذ بالله من تسويلات الشيطان وغروره **فإنه عليه اللعنة قد يدعو الإنسان إلى الخير ليوقعه بسببه إلى الشر**[٣] كما هو

(١) بيان « ما » .

(٢) كذا في « الإبريز » . (منه) .

(٣) أي دعوته إلى الخير إلخ .

مبسوط في « منهاج العابدين » والله يعلم حقائق الأمور ولا يخفى عليه ما في الصدور فلنرجع إلى المقصود .

وأما ختم خواجكان قدس الله أسرارهم
وروحي فداهم

خَتْمُ خَواجَكٰانَپُلْ ژَلُلِلْ جَلْ رِژِنْ
دُدَكُ پَنْ رُكِنْزِ بَيٰانْ هَرُنْ خَزِينْ

طُصِبِ ژَلِ اَلْحَمْ اَنْقُّژُلْ صَكُ كٰامِلْكُ
حَلْقَةْ كُدُ بَتَنِ كَرَنِخَنْ رُكِلَزْ

ژِنْكِ نُسْكُ صَلَوَةْ بِطِ كٰامِلَبْ حٰالَلْ
اَنْقُّژَلِيَلْدَ اِچْژُلْ « أَلَمْ نَشْرَحْ » كِ ژَلِ

اَزَرَلْدَ ژِنْ ژَلِ « قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدْ »
اِلْدَ خَدُبْكِ ژَلِ اَنْقُّژُلْ نَخُّكِ اَلْحَمْ

هَنْجِ ژَلُلِبْ اَلْحَمْ كِعَبْ رَخَلْ رُكِلَزْ
ژَلِزِ پِكَبْ بُكُ حَلْقَةْ كُدُ بَتَنِ

ژِنْكِ نَخُّكِ نُسْكُ صَلَوَتْ كِ بِطِلَ
نَقْشُبَنْدِيُّونَزِ كِرِكِ قِّلَ خَدُبْ

كٰـامِلَـبْ كُـــژَلْپْ دُعٰـــا تَــضَــرُّعَــلْــدَ(١) هَبُنْ

مَــقٰــاصِــدَزْدِ(٢) شِــزِ اِلْ وَسِــيـلَــةْ(٣) پُــنْ هَــرِي

هَــنْــجِ خَـــــدُبْ بُــكُــنِ هُــئِـنَــبْ جُ كَــنَــزِي

اِبْــــكِ اَدَبْــــكُـــــنْ كَــنَــيْ صَــدَقَــپُــنْ بُــكِــنْــزِي

خَــتْــمُ يَــپُــلْ اَدٰابَــــلْ بِـــرَلْ قَــنْــشُــنْ چِـــيْ بُــكُ

شُــــژُلْ اَنْــــژِلَ شُــــژُلْ يَ قُـــلُ شُــــژُلْ نِــكِ

اَسْــتَــغْـــفِــرُ اللهْ اَبُـــنْ رٰابِــطَــه هَــــبِ(٤) بُــكُ

پُــعِــزِ عَـــنْ رَكَـــلْــدِ بَــلَــهُــنْ چِـــيْــكِ(٥) بُــكُ

هِــدِنْــكُ قُــــرْاَنَــپُــــلْ خَــتْــمُ هَــبُــلِـــبْ بَــكِــلْ

وُقُـــوفْ هَـــبِ لٰازِمَـــــبْ(٦) بُــكِــلَــنْ اَبُـــنْ بُــكُ

---

(١) حِلُنْ .

(٢) مُرَادَلْ .

(٣) نُخْ .

(٤) أي قبل قرائته . (منه) .

(٥) والمراد منه أي من الوقوف القلبي هاهنا اليقظة وحضور القلب بذكر الرب جلت عظمته بحيث أن لا يكون التفاته إلى ما سواه تعالى وأن يتوجه المريد إلى دائرة قلبه بعد فراغه من عدد نوع من الورد المذكور وأن يلاحظ أن بدنه في وسط تلك الدائرة كالكرة ويستغرق في تلك الملاحظة إلى أن يستأنف فإذا استأنف القراءة وانتهى من العدد فليرجع إلى الوقوف المشار إليه لظهور اللمعان النوراني ، كذا في « نور الهداية والعرفان » في صحيفة ٥ ، راجعه . (منه) .

(٦) طَدَبْ .

عَـوٰامَـزُلْ قِـراٰءَةْ اَلْـفـاظَـلْ ژَلِ بُـكُ

خَـوٰاصَّـزُلْ[1] قِـراٰءَةْ مَعْنٰى خَـلْ هَـبِ بُـكُ

اَخَـصُّ الْـخَـوٰاصَّ زُلْ[2] رَكْ بُـرْچُـنْ ژَلِ بُكُ

صٰاحِـبُ الْـكَـلاٰمَ صْـدِ[3] رَكْ بُصُنْ ژَلِ بُكُ

اَللّٰهَ صُـلْ ذٰاتَـلْـدِ تَـوَجُّـهْ كٰـامِـلْ هَـبُـنْ

فَـيِـضْ رَكَـلْـدِ بَـچِـنْ لُعِـزِ عَـنْ خَـلْ هَـبُـنْ

خَـتْـمُ لُـعَـرَبْ مِـخَـلْ تَـوَجُّـهْ هَـبِ بُـكُ

فَـيِـضْ طَـلَـبْ هَـبِـزِ اِزُلْ اَرْوٰاحَـزْدَصَـنْ

شَـيِـخْـزَبِ رَچُـنِـلْ خَـتْـمُ ژَلُـلِـبْ بَـكِـخُّ

اِلْ رَچِـنَـلْـدَكِ رَكْ چُـنْ بُـكِـنْـزِكِ كُّـلِـبْ

خَـتْـمُ يَـلْـلْ مَـجْـلِـسْـكِ كِـكُ بِـهْـلَـرُ رُسُـلْ

دَنْـدِلِـزِ ژُ بَـكِـخْ زَحْـمَـلَـنِ كُـرُكُ[4]

خَـتْـمُ يَـلْـدِ وَچَـرَوْ خِـرَلِ شُـنْ وُصُـنِـوْ

لِـكَـبْ بَـكَـلْـدَصَ چِ مُـنَـهَـلْ چُـرُنْ اُنِـوْ .

---

(١) خَصَلْ .

(٢) خَصَزُلْكِ خَصَلْ .

(٣) كَلاَمَلْ بِطِرْهَنْ أَيْ اَللّٰهْ .

(٤) بأن يكون البلدة كبيرة ، كذا قال الزهدي قدس سره . (منه) .

قال ﷺ : « المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي الف مجلس من مجالس السوء » ، « إحياء » ع ــ . وفي الحديث : « إن أهل الذكر ليجلسون إلى ذكر الله تعالى وإن عليهم من الآثام مثل الجبال وإنهم ليقومون ما عليهم منها شيء » ، رواه أحمد في « الزهد » عن ثابت البناني . وقال عليه السلام : « ما اجتمع قوم على ذكر إلا حفَّتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة » ، اهى . وأمثالها كثيرة وفي ذكر جميعها عسيرة .

ژُحُ لِـكَـبْ مَـجْـلِـسَـلْٖ مُـؤْمِـنَـصْـدَصَـنْ اُنِـبْ
كِـئَـزَرَلْـدَ اَزَرْ كِـشَـبْ بَـكَـلُٖـلْ مُـنَـهْ
مِـعِـرْ عَـنَـلْ مُـنَـهْـكُـنْ ذِكْـرِ يَـلْـدَ چَـرَلْ چِ
طُـلْـكُ مُـنَـهَـلْ چُـرُنْ رَخُّـنْ اُنِـلْ اِلْ طَـدِ
اَللّٰهْ رِخْـصُـلِـزْدَ طَـدْ مَـلَـيْـكَـلْ صِـرُنْ چُـلِـلْ
اِزْدَ بِـچَـصُـلْ رَحْمَةْ طَـدِ رِشْـطُـنْ طِـرْكُّـنِـلْ .

وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه « أن حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وشهود ألف جنازة وعيادة ألف مريض » اهى من « مراقي العبودية » ع ــ .

ثم ختم الإمام الرباني وهو **لا حول ولا قوة إلا بالله** خمسمائة مرة ويزاد في رأس كل مائة **العلي العظيم** والصلاة في أوله وآخره مائة مائة ثم يهدي ثوابه إليه .

ثم ختم سيدي محمد مظهر وهو المعوذتين وبينهما الاستغفار بهذه الصيغة « **أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه** » ثلثمائة وعشرين مرة ثم يهدي ثوابه إليه وهذه الختمات تستعمل عندنا في حلقة المغرب .

ثم ختم الغوث الجيلاني وهو **حسبنا الله ونعم الوكيل** خمسمائة مرة والصلاة في أوله وآخره مائة مرة ثم يهدي ثوابه إليه .

ثم ختم الخواجه النقشبند وهو **يا خفي اللطف أدركني بلطفك الخفي** خمسمائة مرة والصلاة أولاً وآخراً مائة مرة ثم يهدي ثوابه إليه .

ثم ختم محمد معصوم وهو **لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين** خمسمائة مرة والصلاة والسلام أولاً وآخراً وهذه الختمات الثلاث تستعمل عندنا في حلقة الصبح ، اهى من « النفائس السانحات » .

وكان شيخنا الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره يقول : إن قراءة الختم بالجمعية لا يجوز إلا إن كان هناك من لقن له النفي والإثبات بحبس النفس وأما في الانفراد فيجوز لكل مريد . اهى .

وقال الشيخ سليمان الزهدي في كتابه « صحيفة الصّفآ » : **ومن المهمات** ختم خواجكان قدس الله أسرارهم ويكون محله مسدود الباب ومستوراً عن الناس وشرطه بعد الرابطة والوقوف مراعاة الأعداد المعينة

وإذا ذكر اسم السادات في الدعاء يستمد منهم بحصول المقصود من الأعمال والآداب ، اهى ع ــ . وقال في هامشه : ولا بدّ من مراعاة[1] الأعداد المعيّنة لنيل المقصود فإنها أسنان مفاتح خزائن الغيب .

وإن كان في محل خمسة إخوان فلا يتركوها وإن كان أقل منهم فمخير فيها ولا يتعدّد محل الختم في بلدة واحدة كيلا يفتن إلا إذا كانت البلدة كبيرة بحيث لا يمكن الاجتماع في محل واحد فلا بأس به .

ومبدأ[2] مشائخ الخواجكانية من عبد الخالق الغجدواني قدس سرهم **فإنهم يجتمعون على قراءة هذه الختمة الشريفة لفتح المهمات ودفع البليات** فإن أهم المهمات فتح الوجودات الظلمانية الحيوانية ودفع ظلماتها وصيرورتها إلى نوراني الإنسان الحقيقي المرآة الذاتية وتوفيق الرضا .

وإذا شرع ينوي بذلك بإمداد السادات الكرام وبشفاعة سيد الأنام ولا يترك في أول السورة البسملة الشريفة وهي مشتملة على أسرار عجيبة ومحاسن غريبة ومحتوية لمعان لطيفة في ترتيبها ليس هذا محل التفصيل والبيان .

---

(١) ومن مراعاة الترتيب كما في الخواجكان . (منه) .

(٢) ومبدأ مشائخ ، اهى . هكذا في النسخة التي بيدنا ولعل الصواب ومبدأ ختم مشائخ إلى آخره ، فتدبره . (منه) .

وهي ضيافة الأرواح الفاضلة وحلقة البررة الكرام وممر الكروبيّين ومنظر القدسيين من ذاق ما تركها ومن كسل ذهلها اللهم اجعلنا مستقيماً ولا تجعلنا سقيماً على الحق آمين . انتهى عبارته ع ــ .

وذكر صاحب « سلسلة الخواجكان » من شروط قراءته أن يكون قارؤه من أهل هذه الطريقة أو مأذونا[1] منهم بقرائته وأن يكون متوضأ على ركبتيه في مكان طاهر متوجهاً إلى القبلة . اهى ع ــ .

وأن يستحضر روحانية الخواجكان قبل الشروع فيه ويقرأ هذا الدعاء : « اللهم يا مفتح الأبواب ويا مقلب القلوب والأبصار ويا خالق الليل والنهار ويا دليل المتحيّرين ويا غياث المستغيثين توكلت عليك يا رب العالمين وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين » ، ثم يقرأ إلخ . اهى (منه) عبارته ع ــ .

وأما آدابُ زيارة المشائخ مِن الأحيآء والأمْوات فَأمور

مَـشٰـائِـخْ زَبَـــزُخٍّ زِيٰـــارَتَـلْـــدِ اُنِـــصْ
هَــــرُلِــــلْ اَدٰابَـلْــــكُ أَنْـقّْــــكُ رُكِـلَــنْ بُـكُ

---

(١) وفي « نور الهداية » أن من أراد قبول الإجابة عند تلاوته فلا بد أن يكون مأذوناً من أحد رجال هذه الطريقة العلية ليلاحظوه بالإمدادات الباطنية ويسعفوه بالفيوضات الخواجكانية . اهـ ملخصاً ، راجعه من ٥ . (منه) .

خَرَلْنِكِ چَكُيَلْ بَطَ هِچِنْ إِلِپي
كِنَزُلْكُ هَبِزِ كُلِّنْ نِلِپَصَ اَدَبْ
طُصِبِصِيَبْ **اَدَبْ** نِيَّةْ بَڽِلِ بُكُ
شَكْلِ شُبْهَ هِچُكُ وَلِيَنْ رَكْ چِيْ بُكُ
اَللهْ رَضِلِ كُرِبْ غَرَضْ هِچُلِ بُكُ
دُنْيَالْ اَخِرَتِلُلْ جِنْصَ طَلَبْ هَبُلِبْ
حَلْ بِكِّزِيَنْ اَبُنْ تَفَرُّجَلِ[1] اَبُنْ
كَرٰامَةْ بِكِّ بُقُّنْ هِدِنْ اُنْكُطِ بُكُ
أَبُو عَبْدِ اللهْ كِمُ اِبْنُ السَّقَّا كُنْ ژَدَخْ
حَلْ بِكِّ زِيَنْ اِنْدَلْ هَلَكْ لِرَلْ كِيَوْكُ
اِبْنُ حَجَرَصْ اِزُلْ لُهَرَبْ قِصَّ خَبَرْ
فَتٰاوِيَلْدَ جَنِبْ بَيَانْ هَبُنْ بُكِبِنْ .

قصة عجيبة

فقد ذكر رحمه الله تعالى في خاتمة « فتاويه » قصة ما وقع لهما بهذه العبارات : وحكى إمام الشافعية في زمنه أبو سعيد عبد الله بن أبي عصرون قال دخلت بغداد في طلب العلم فوافقت ابن السقا وَرافَقْتُهُ في طلب العلم بالنظامية وكنا نزور الصالحين وكان ببغداد رجل يقال له

---

(١) رَكْ غِيَلِ .

الغوث[١] يظهر إذا شاء ويختفي إذا شاء فقصدنا زيارته أنا وابن السقا والشيخ عبد القادر[٢] وهو يومئذ شاب فقال ابن السقا ونحن سائرون لَأَسْأَلَنَّهُ مَسْألة لا يدري لها جواباً وقلت لأسألنه مسألة وأنظر ما يقول فيها وقال الشيخ عبد القادر معاذ الله أن أسأله شيئاً أنا بَيْن يديه أنتظر بركة رؤيته فدخلنا عليه فلم نَرَهُ إلّا بعد ساعة فنظر الشيخ إلى ابن السقا مُغْضَباً وقال ويحك يا ابن السقا تسألني مسألة لا أدري لها جواباً هي كذا وجوابها كذا إني أرى نار الكفر تَلْتَهِبُ مِنْكَ ثم نظر إليّ وقال يا عبد الله أتسألني عن مسألة لتنظر ما أقول فيها ؟ ! هي كذا وجوابها كذا لَتَخْزِنُ الدنيا عليك إلى شحمة أذنيك بإساءة أدبك ثم نظر إلى الشيخ عبد القادر ودنا منه وأكرمه وقال يا عبد القادر لقد أَرْضَيْتَ الله ورسوله بحسن أدبك كأني أَراكَ ببغداد وقد صعدت الكرسي متكلماً على الملأ وقُلْتَ قدمي هذه على رقبة كل ولي لله وكأني أرى الأولياء في وقتك وقد حنوا رقابهم إِجْلالاً لك ثم غاب عنا فلم نَرَهُ قال وأما الشيخ عبد القادر فقد ظهرت أمارات قُرْبه من الله وأجمع عليه الخاص والعام وقال قدمي إلخ وأقرّت الأولياء في وقته له بذلك وأما ابن السقا فإنه اشتغل بالعلوم الشرعية حتى برع فيها وفاق فيها كثيرا من أهل زمانه واشتهر بقطع مَنْ يُناظره في جميع العلوم وكان ذا لسان فصيح وسمْتٍ بهيّ فأَدْناهُ الخليفة منه وبَعَثَهُ رَسُولاً إلى ملك الروم فرأى ذا فنون وفصاحة وسمت

(١) وهو يوسف الهمداني رحمه الله تعالى كذا في « الحدائق الوردية » . (منه) .

(٢) أي الكيلاني رحمه الله تعالى . (منه) .

فأعجب به وجمع له القسيسين والعلماء بالنّصْرانيّة فناظرهم وأَفْحَمَهُمْ وعجزوا فعظم الملك فزادت فتنته فَتَراءَتْ له بنت الملك فَأَعْجَبَتْهُ وفتن بها فسأله أن يزوّجها له فقال لا إلّا إنْ تنصّر فتنصّر وتزوّجها ثم مرض فألْقَوْهُ بالسوق يسأل القوت فلا يُجابُ وعلّته كآبة وسواد حتى مرّ عليه من يعرفه فقال له ما هذا ؟ فقال فتنة حلت بي سببها ما ترى قال له هل تحفظ شيئاً من القرآن ؟ قال لا إلا قوله ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ قال ثم جزت عليه يوماً فرأَيْتُهُ قد حرق وهو في النّزْع فقلبته[1] إلى القبلة فاستدار إلى الشرق فعُدْتُ فعادَ وهكذا إلى ان خرجت رُوحُهُ ووجهه إلى الشرق وكان يذكر كلام الغوث ويعلم أنه أُصِيبَ بسببه .

قال ابن أبي عصرون وأما أنا فجئت إلى دمشق فأحضرني السلطان الصالح نور الدين الشهيد وأكرهني على ولاية الأوقاف فَوَلّيتها وأقبلَتْ عليّ الدنيا إقبالاً كثيراً فقد صدق قول الغوث فينا . اهـ من عب .

قال ابن حجر رحمه الله تعالى وفي هذه الحكاية التي كادت أن تتواتر في المعنى لكثرة ناقليها وعدالتهم فيها أبلغ زجر وآكد رَدْع عن الإنكار على أولياء الله تعالى خوفاً من أن يقع المنكر فيما وقع فيه ابن السقا من تلك الفتنة المهلكة التي لا أقبح منها ولا أعظم منها نعوذ بالله من ذلك ونسأله بوجهه الكريم وحبيبه الرؤوف الرحيم أن يؤمننا من ذلك ومن كل فتنة ومحنة بمنه وكرمه .

---

(١) وفي نسخة : فأقبلته والمعنى فجعلته مستقبلاً القبلة .

وفيها أيضاً أَتَمُّ حِثٍّ على اعتقادهم والأدب معهم وحسن الظن بهم ما أمكن . اهـ من عب .

وقال أيضاً قبل هذه الحكاية : ويكفي في عقوبة المنكر على الأولياء قوله ﷺ « من آذى وليًّا لي فقد آذَنْتُهُ بالحرب » أي أَعْلَمْتُهُ أني محارب له ، ومن حارب الله لا يفلح أبداً .

وقد قال العلماء لم يحارب الله عاصياً إلا المنكر على الأولياء وآكل الربا وكل منهما يخشى عليه خشية قريبة جداً من سوء الخاتمة إذ لا يحارب الله إلا كافراً . اهـ من عب .

وفيه أيضاً : وقال الإمام أبو القاسم القشيري قبول قلوب المشائخ للمريد أصدق شاهد لسعادته ومن رده قلب شيخ من الشيوخ فلا محالة يرى غب ذلك ولو بعد حين ومن خذل بترك حرمة المشائخ فقد أظهر رقم شقاوته وذلك لا يخطئ . اهـ عب .

وفي « الباقيات الصالحات في تعريب الرشحات » قال الأكابر : إذا حان زمان قطع رأس البقرة فأرسلوها في مزرعة هذه الطائفة وإذا آن أَوانُ إحراق السُّلَّمِ فَضَعُوهُ على جُدْرَان هذه الطائفة وإذا أردتم صَرْعَ أحد فَأَلْقُوهُ إلى هذه الطائفة يعني أوقعوه في طَعْنِهم وَمُلامَتهم عياذا بالله من ذلك . انتهى من عب .

كَـرٰامَـةْ شَـرْطْ كُـرِبِـنْ وَلِـي خِـرَلِـپِـيَـلِـپِ
عِـرْفٰـانْ[1] يَـقِـيـنْ ژَقْـلِـپِـيِـنْ خِـرَلِـپِـيَـلِـپِ سَبَبْ
بَـخْـچِ يَـنْ اَمْـرُ هَـبُـنْ بُـكُـنِـبِـنْ كَـرٰامَـةْ
ظٰـاهِـرْ هَـبِـزِ اِذْنُ هِـچِـلْـكِ رُكُـلِـنْ اِلْ
مُـرِيدَصُلْ[2] حَلْ بِكُّزِ مِخْ مِـخَـلْـدَكِ شَـيِـخْ
شِبْـكُ جُ پَـلَـرِوْپُـنْ پُـهُـنْـكِ وُكُـنِـونْ .

وقد يتجاهل الشيخ كثيرا لامتحان اعتقاد المريد ويقينه بل الشيخ لا يخلو عن امتحان المريدين ساعة . « خالدية » عب .

كِئَبِلِبْ اَدَبْـكِ كُـٰامِلَـبْ كَـكِـيْ چُـرِ
پَـبْ اَبِلِـبْـكِ اَلـحَـمْ قُـلْ هُـوَ اللهُ ژَلِ
مُـرْشِـدَصُـلْ رُوحَـلِـپِ كِـرِ اِپُـلْـكِ قُّـمُ
رٰابِـطَـه اِصْـدِ هَـبُـنْ بَـرْكَـةْ طَـلَـبْ هَـبِـزِ
مُـرْشِـدْ كُـرِوْ وُكُـنِ زِيٰـارَتَـلْـدِ اُنِـوْ[3]
اِدِنْـكُ اِلْـكِ[4] ژَلُـنْ مُـرْشِـدَصِ كِـرِ قِّـي

(١) اَللهْ پِيَيْ .

(٢) ومر قبيل الأدب الثاني . (منه) .

(٣) أي الولي المزور . (منه) .

(٤) أي الفاتحة والإخلاص . (منه) .

زِنْكِ اِصُلْ رُوحٰانِي وَسِيلَةْ لٍنْكِ هَبِ

زِيٰارَةْ هَبُلِصُلْ[١] حَضْرَتَلْدِخُنْ دُڎَ

عٰاصِيَصِ شَفٰاعَةْ طَلَبْ هَبِزِ عَدِنْ

صِوِ مُرْشِدْكِ[٢]هَوُنْ اُنِوْ عَدِنَنْ وِلٍ

نُسْڎُلْنِك اِسْتِغْفٰارْ هَبِ مُنَهَزْدَصَنْ

دُرْكُ عَمَلْ زُهْدُڎِنْ دُدَ بِكِّيَلْدَصَنْ

عَمَلْ هِچِوْ مُفْلِسْ لٍنْ عِلْمُ هِچِوْ جٰاهِلْ لٍنْ

وِشُنْ عَصِيَوْ عَدِنْ وِكِّ دُدَكُ مُنْكُ

زُهْدُ[٣] تَقْوٰى[٤] فَضْلُ[٥] ڎِنْ بَرْچُكِ دُڎَ ڎَدَخّْ

عَقْلُ بُكِوْلٍنْ ڎِنِ وِكُّكِ اِصْدَ أَصْكُوْ

شِبْكُ دُرْ فَضٰائِلَلْ وُجُودْ دُدَ بَتَنِ

شَيْخَ صْدَصَنْ دُيْ كِنْكُ فَيِضْ بَرْكَةْ شُلَرِنْ

نُخْطَ كَّرَبْ زَحْمَتْكِ نِعْمَتْلٍنْ بِكِّ دُدَ

دُرْ مَقْصُودْ اَللّٰهْ لٍدلْ مَشَقَّةْ[٦] ڎُبْلٍنْ بِكِّ .

(١) أي المزور . (منه) .

(٢) أي اِمْشِ متخيلا بأن روح مرشدك قبالتك . (منه) .

(٣) دُنْيَالْ رِخُنْ تِيْ .

(٤) اَللّٰهَ صْدَصَ حِنْقِ .

(٥) ڎُكِدَزْدَصَ طُكْلٍ .

(٦) زَحْمَلٍ .

فكيف لا يرى الزائر مشقة زيارته منة وفضلاً وقد هتف لواحد : زيارةُ أخ في الله أفضل عند الله من مائة حجة نافلة ، كذا في « درة الناصحين »[(١)] ويشيعه سبعون ألف ملك كما في الحديث[(٢)] .

وفي « الخالدية » ولا يتأذى بخطرات الطريق ومشاقه بل يعدّها فضلاً ونعمة من الله تعالى لأن قاصد المرشد قاصد الله تعالى وعلامته صدق المحبة وعدم التأذي في طريق يوصل إلى حبيبه . اهـ ع ــ .

ظٰاهِرْ طَلَبْ هَبُكِ دُژَ مُرْشِدَ صْدَصَنْ
بٰاطِنِيَبْ حٰالْ كُرِبْ اِصْدَصَنْ خَلْ هَبُكِ
كَلاٰمْ كَلِّيْ هَبُنِ ظٰاهِرْ قُّنْ تُلِبِنْ اِصْ
جِنْدِي وُقَّرَصْدِ رَكْ بَلَهُلِبِنْ اِصْ
اِعْتِقٰادْ كٰامِلْ هَبِ اِصُلْ بٰاطِنَلْدِ خُنْ
ظٰاهِرَبْ حِسَبَلْدَ عِلْمُ عَمَلَ پُلْكِ[(٣)]
حِكْمَةْ مَصْلِحَتَلْدِ اِدنْكُ تَأْوِيلَلْدِ[(٤)]
حَمْلُ[(٥)] هَبُنْ تِ دُژَ ظٰاهِرَلْدَ رِقِجِبْ

---

(١) راجعه .

(٢) راجع « كشف الغمة » .

(٣) ومرّ قبيل الأدب الثاني ما ينبغي ملاحظته هنا . (منه) .

(٤) پِكَلْدِ بَجُنْ .

(٥) بَجُنْ .

نَكَهْ اِصُلْ حَقَلُپْ شِبْكُ خَطَرٰاتْ كَّنِ

خِخْكُ اِسْتِغْفٰارْ هَبِ رَكْ رِقُنْ تَوْبُ هَبِ

اُنْقْ اَبِلِبْ اَدَبْكِ رَكَلْپْ رٰابِطَهْ هَبِ

مَزُورَصُلْ[1] رَكَلْدِ رَكْ بَلَهُنْ فَيْضْ شِزِ

خَرَوْنِكْ چَكُيَوْ بَطَ هِچِونْ دُيِ

هَنِ شِزِعَنْ اَرَلْ اَدٰابَلْ هَرِيَلُپْ

شُئَبِلِبْ اَدَبْكِ سَلاٰمْ قِّيْ بُكُ اِصِيْ

اَلْحَمْ قُلْ هُكِ ڗَلُنْ كِنَبْكُ رَهُ رِكُّنْ[2]

اَنْپْأَبِلِبْ اَدَبْكِ مُنْ چُنْ وُكِنْكِ بُكُ

مَيِّتَصْدِخُنْ[3] وُصُنْ اِصُلْ حَطَزْدَ أَصْكُ

شَفِيعْ پُنْ مُرْشِدْ هَوُنْ اِصْدِ رٰابِطَهْ هَبُنْ

اِصْطَپُنْ مَيِّتَصْدِ تَوَسُّلْ طَلَبْ هَبُنْ

هِمِخَلْپْ مَيِّتَصِ سَلاٰمْ قُّنْ دُڗَ ڗَلِ

اَلْحَمْ قُلْهُكِ ڗَلِ طَدِ وَخُّنْ وُكَدْكُ

ڗِنْكِ خَدُ عُدُوْ چُنْ اَنْڗْكُ آيَةْ ڗَلَنِ

هِبْكِ خِرِيَبْ بُكُ اِصُلْ رُوحَلِپْ قِّزِي

(١) جِنْدِ زِيَارَةْ هَبُرَصُلْ .

(٢) بأن يقول : السلام عليكم تحيةً مني إليكم ، الفاتحة . « خالدية » ع ـــ .

(٣) خُورَصْدِخُنْ .

زِنْــــكِ دُژَ اِصْــدَصَـــنْ فَـيِـضْ طَـلَـبْ هَـبِـلَ
رَكَـلْـدَ رَكْـكِ خُـرْخُـنْ وُقُــوفْ كِ هَـبُـنْ زَدَخْ
كِـنِّـكِ دُژَ دُرْ رَكْ دَهَــبْ عُــدُبْ خَـلْ هَـبِ
دُصُلْ رَكَـلْـدَصَ غُرْقْ بُـكِـبْلُـنْ خِـيَـلْ هَبِ
اِصُـــلْ بَــرْكَــةْ شِـيَـلْـدَ ظَــنٌّ[1] لِـكْ هَـبِ دُژَ
رَكْ بِـكُـنْ حِـلْ حِـلَـلْـدَ طَـلَـبْ كِ هَــبِ دُژَ
رَكْ لِـكْـلِـنِ رَكْ جَـنِ اِعْـتِـقَـادْ كَـامِـلْ لِـنِ
لِـجُـنِـكِ دُي فَـيْـضْ شِـجُـكُ خُـطُـلَـرِنْ[2]
زِنْــــكِ دُرْكُ نَـفْـسَـلِ دُرْكُ مُـرْشِـدَصِـكِ
طُـــلْــكُ مُــؤْمِـــنَـزِكِ دُعَـــا هَــرِكِ هَـبِ
صِــوِ اِصْــدِ شَفِيعْ لُـنْ مُـرْشِــدْ هَــوُرَوْ عَـدِنْ
هَـنْـجِ مَـيِّـتْ دَصْـــدِكِ شَـافِـعْ لُــنْ هَـوِ دُژَ
مُـرْشِـدَصُـلْ دُدِخُـــنْ لُـطْـفُ[3] كُـرْحِـلْ بُـكِـنْـزِ
اِصُـــلْ دُدِكُ نَــظْــرَةْ[4] زِكَّـرَبْـلُـنْ بُـكِـنْـزِ
خَـبَـلْ وُكِـــصْ اَبُـلِـــنْ آمِـيــنْ اَبُـــنْ دُعَــدِ
بِـجَـصُـلْ زُبَـلْـطَـلُـنْ جَــوَابْ هَـبُـلِـنْ اِصِـــيْ

(١) فِكْرُ .

(٢) ومدة تلك الاستفاضة على قدر ذوقه وجمعيته . « خالدية » ع ــ .

(٣) كُرْحِلْ .

(٤) بَلَهِ .

اَنْـقّْ اَبِـلِـبْـكِ اَدَبْ دُثَ ثَلُـنْ قِّـيْ بُـكُ

اَلْـحَـمْ كِـنْ قُـلْ هُـوَ اللّٰهْ أَنْـثْكُ آيَـةْ كُـنْ ثَدَخْ[1]

طَـدِكِ وَخُّـنْ سَـلاٰمْ قُّـنْ اَبِ هَـنْـجِ دُثَ

اِصْـدَ دُطَـپُـنْ تَـوَ سُّـلْ هَـبُـلِـنْ دِثَيَـنْ

دُنْـيٰـالْ اَخِـرَتَـپُـلْ اُمُـورَلْ فِـهَـپِزِ

وَسِـيلَـةْ پُـنْ اِوْ هَـوُنْ هَـرِ حِـلْ حِـلْـكِ هَبِ

كِـنَـبْـنِكِ بْـابْ رِكُّـنْ سَـلاٰمْ قُّـنْ ثَلِ دُثَ

اَلْـحَـمْ كِـنْ قُـلْ هُـوَ اللّٰهْ صِـبِ ثَلَـرَبْ كُـثَلْپ

ثِنْـكِ دُرْكُ بَـكَـلْـدِ وُصَ مُـنْ حُـضُـورَلْـدَ

مَـخْـسَـرَ خُـچْ خَـبَـرْ تِ اُنِـپُـلْ وُصُـنِ پُـلْ

رِثَنْ شِـنَـلْ اَدَبَـلْ تَـوٰاضُـعَـلْـدَ هَـرُنْ

هِـبْ كُـثَلْـدَ مُـنْ چَـنِ شِـلِـبِنْ دُيِ بَـرْكَـةْ .

قال الشيخ محمد علاء الدين العطار قدس سره : النفع في زيارة قبور المشائخ على قدر معرفتهم بك . وقال قدس سره : القرب من قبور الصالحين له تأثير كثير ومع ذلك فالتوجه إلى أرواحهم المقدسة أولى إذ لا يتوقف تأثيره على القرب والبعد بدليل قوله ﷺ : « صلوا عليَّ حَيْثما كنتم » وشهود صور أهل القبور المثالية عند زيارتهم لا يوازن معرفة صفاتهم فإن معرفتها أقوى فائدة . اهـ « الحدائق الوردية » عب ١٤٦ .

(١) كما في أول الزيارة . « خالدية » عب .

وفيه في ١٤٧ : ثم الأدب في زيارة القبور أن تتوجه إلى الله تعالى وتجعل أرواح أصحابها وسيلة إليه تعالى . اهـ (منه) ع .

وفي « نور الأبصار في كشف ظلمة الخلاف » في ٧ : قالوا : في زيارة القبور الأولى أن يأتي الزائر من قبل رجلي المتوفى لا من قبل بصره فإنه أتعب لبصر الميت بخلاف الأول لأنه يكون مُقابلاً لبَصَره لأن بَصَرَهُ ناظرٌ إلى جِهَة قدَمَيْه إذا كان على جنبه . اهـ عب .

فائدة : ينبغي للمزور أن يتلقى الفقير الزائر كما يتلقى الأمير الكبير وإن كان عنده شيء من الطعام يقدم له ذلك كما يقدم لمن دخل عليه من أكابر السلاطين ومتى قصّر المزور عن ذلك فقد أساء الأدب مع الفقير لأن تعظيم الخلق إنما يكون بحسب مقامهم عند الله تعالى ولا شك أن صفة الافتقار أقرب إلى الله تعالى من صفة الكبرياء والغنى والزائر إنما زار لمكان افتقاره إلى ذلك المزور لاستفادة علم أو طلب معرفة أو استرشاد إلى طريق فتلقيه بالبشاشة والترحيب وإكرامه بإعطاء ما عنده من بعض المأكولات كالعنب والزبيب لائق بالمزور كما كان ذلك دأب شيخنا المرحوم ذي الجناحين الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره وقد كانت عادته دائماً أن لا يترك زائراً قط يرجع من مكانه إلّا بشيء ممّا عنده من أنواع الأطعمة وقد ذكر الشعراني قدس سره في « لواقح الأنوار » ما يؤيّد ما ذكرته آنفاً ، فراجعه من صحيفة ٧٨ من هامش « المنن » من الجزء الثاني .

وفيه أيضاً في ٧٩ وكان سيدي محمد بن عنان إذا زاره أحد لا يدعه يذهب حتى يقدم له طعاماً فإن لم يجد أسقاه الماء وكان يقول : أحيوا هذه السنة فإن بها تأتلف القلوب ويقوى شعار الدين وتتعاضد القلوب ببعضها بعضاً ، اهى عب . وفيه أيضاً : وسمعت سيدي محمد بن عنان يقول بلغنا عن الإمام أحمد أن السلف كانوا إذا اجتمع أحدهم بأخيه لا يفترقان إلا على قراءة سورة ﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر﴾ إلى آخرها فينبغي المواظبة على ذلك . اهى عب .

وَأمّا الأدب الثّامن

ففي آداب السّلوك والمجاهدة وهي أنواع

سُلُوكْ كِنْ مُجٰاهَدَةْ[1] هَبِزِ بُقَّرَصِ
خَلْوَتَلْدَ وُكِنْزِ قَصْدْ هَبُرَوْ چِيَصِ

قُلُ ژُيَبْكُ أَدٰابْ بُكِ لَنْ اَبُنْ بُكُ
خٰالِدَيَّةْ اَبُرَبْ رِسٰالَةَ لْدَ بِژُنْ

طُصِبِصِيَبْ اَدَبْ نِيَّتْ بَژَّپِ بُكُ
عِلَّ غَرَضْ هِچُكُ لَغْلِ هَبِ كُرُنِ

دُنْيٰالْ اَخِرَتَپُلْ عِوَضْ أَغْرٰاضَلْ نِكِ
بٰاطِنِيَبْ أَحْوٰالْ ژِنْ خَلْ هَبُنْ بِهِلَرُ

---

(١) عِبَادَتَلْدَ طَدْ چِيْ .

وَلِــى وُكِـــنْـزِ يِلَـــنْ فَـتْـحُ بَـــچِنْـزِ يِلَنْ
قُــرْبَــةْ حَـصُــلْ لِــزِيَــنْ قَـصْـدْ كِّــزِ بِـهِـلَـرُ
اَللهَ صُـــلْ ذٰاتْ كُـــرِبْ مَـقْـصُـودْلُِـنْ هَبِلَرُ
ذٰاتْ كِ ذٰاتَـــلِ عُـلُ بُـقِّـزِ كِّـــلَ غَــرَضْ تُـنْ
شِـبْـنِـكِ عِــوَضْ غَــرَضْ نَـكَـهْ بَـتَـنِ مَقْصُودْ
خِـخْـكُ اِسْتِـغْـفٰـارْ هَـبُـنْ اِنْـزِ هَـبِ هِبْ طَـصَ
كِـئَبِلِبْ اَدَبْــــكِ تَـوْبُـيَـلُِـلْ چِــرْخْ چُـرِ
خُـــنْ چُـرُ لِـوْ عَـدِنَـــنْ رَكَـــلِ خِـيَـلْـكِ هَـبُـنْ
تَـــــوْبُ يَـلُِـلْ كَــكَ لُِـــلْ كِــكُ رَكَـعَــتْ بَـلَ
كٰـــامِلَـبْ تَـــوْبُ هَـبُـنْ لُِـــهِـنَ خَـلْـوَتَـلْـدِ
نَــخّْــكُ دُنْـيَـالَـلْـدِ وَخِّـيَـلْـدَصَـنْ كُّـلْ قُـطُـنْ
كِـنَـبْـكُـكِ حُـكَّـلْـكِ اَخِــرَبْـلُِـنْ خَـــلْ هَــبِ
غَـفْـلَـتَـلْـدَ رُحْ بَـخِّ طَدِ شِـيَـلْـدَ حِـنْـقُـنْ
حُـضُـورْ كُـنْ بِـچَـيْ حُـكَّـلْ صِـبِ نَـخِّ ژَلِـلُِـلْ
دُنْـيَـالَــلْــدِ وَخِّــنْــزِ قَـصْــــدْ هَـبُـنَـنِ دُژَ
خَــــلْـوَتَـلْـدَ چَـنِـكِ قَــــطِ وُكَـــنِــونْ مُـنْ
قَــطِـكُ وُكَــنِــكِ خَـــلْـــوَةْكِ بُـكُـنِـبْ دُيْ
رَكَــلُِــلْ حُـضُـورْ ژُنُـــنْ مُــنْ چَــرَبْ زَمَـنَـيَـلِْ

پَبْئَبِلبْ اَدَبْكِ كَكِيْ شُرِ دٰائِمْ لِ[1]

اُنْقْ اَبِلبْ اِدِنْكُ ذِكْرِيَلْدَ دٰائِمْ لِ

قَصِنِكِ قَدْنِكِ رَكْ بِكُنْ حِلْ حِلْ هَبُنْ

اَللّٰهْ رِخِصِيَلْدَصَنْ غَفُلْلِچُكُ وُكِنْ

شُئَبِلبْ رَكَلْدِ بَلَهِ دٰائِمْ هَبِ

خَلاٰءَلْدَ ژِنِكِ قُطْچُكُ وُقُوفْ هَبِ

اَنْلِ اَبِلبْ اَدَبْكِ خَوٰاطِرَلْ نَخِّ چَيْ

اَخِرَتَپُلْ ژِنِ خِيٰالَلْ نَفْيُ هَرِ

اَنْقّْ اَبِلبْ دٰائِمْ كُ رٰابِطَه هَبُنْ وُكِنْ

فَيِضْ طَلَبْ هَبِزِ شَيْخَصْدَ رَكْ بُكُّنْ چِيْ

اِچْ اَبِلبْ كَلاٰمْ تِيْ كَلِنْ كُطِ پِدَكُ

شَرْعَلِ جِبْ طَدْ هَبُرَبْ كُرِبْ ژُكِ جُ بِژُنْ

اَنْژْ اَبِلبْ دَهْ كَنَيْ طَعٰامْ مُقْسَنَبْ هَبِ

حَيْوٰانِيَبْ هِچِلِ هِبْكِ رِقَرَبُكُ

(١) قال الخادمي رحمه الله في « البريقة المحمودة » وعن بعض من داوم على وضوء أكرمه الله تعالى بسبع خصال ١ـ ترغيب الملائكة في صحبته ٢ـ لا يزال القلم رطباً من كتابة ثوابه ٣ـ تسبيح أعضائه وجوارحه ٤ـ لا يفوته التكبيرة الأولى ٥ـ إذا نام بعث الله ملكاً يحفظه من شر الثقلين ٦ـ يسهل الله عليه سكرات الموت ٧ـ وأن يكون في أمان الله تعالى ما دام على الوضوء . انتهى ع ـــ ٦٣٠ من الجزء الثاني . (منه رحمه الله تعالى) .

اَنْـــــزِلَ زُ اَبِـلِــــبْ مَــــقُّ دَهْ هَــــبِ بُـكُ
اِخِـــــرِ حَـــــطَـلْ رِطُــــنْ قِّــجُــنْ كُــطِــكِ بُــكُ
اَنْـــــزِلَ كِ اَبِـلِــبْ خَـلْـقَـلْـــدَصَـــــنْ بَـطَـلِ
غٰـافُـلَـوْ مُـــرِيـــدْكُـــنْ زِنْ دَنْــــدِ لِـنْـكُـطِ بُـكُ
غَـفُـلَـصُـلْ غَـفُـلْ لِ رَكَـــلْـــدِ بَــجُــنْ جُـلِـبْ
وَسْـــــوَسْ غَـفْـلَـةْ تَـفْـرِقَـةْ[(١)] شِــزِ هَـبُـلِـبْ دُدِ
اَنْـــزِلَ لِـبْ اَبِـلِـبْ حَـلاٰلَــــبْ كِــنْ كَنَيْـكِ
مُخْلِصَــصْ جِــبْ هَبُــرَبْ يَ وَزَدَوْ مُرِيــدَصْ
جِــنْــدِدِ حُـكَّـلْ فُـجِـبْ طَــدِ جِ بَـلَـهِـجِـبْ[(٢)]
حَـيِـضْ نِفٰــاسْ[(٣)] بُكِــصَ جِنْـدِدَ كِــرْ خَطِجِــبْ[(٤)]
كِنَبْـــكُ لُـقْمَـــــةْ رِكُّـــنْ بِسْـــــمِ اللهْ كِ اَبُـــنِ
اِبْ كِنَلُــلْ حِسٰــابْ زِنْ هَبُلَــرِنْ دُيْ بِجَــصْ .

---

(١) أي تفرقة القلب إلى ما سوى الله تعالى . (منه) . أي : اَللهَ صْدَصَ زُكِ جُيَلْدِ رَكْ بِقِّ .

(٢) كان ﷺ ينهى عن أكل الطعام المعيون ، « كشف الغمة » ع ــ ٢٥٨ الجزء الأول ، لأن من العيون ما فيه سم ينفصل في كل شيء قابله لا سيما في الشمس ، « البحر المورود » في ١٨١ ع ــ .

(٣) كذا في « جامع الأصول » .

(٤) ورأيت في « تسهيل المنافع » ما حاصله أن المرأة الطافث ـ يعني الحائض ـ تدنو من إناء اللبن تسوطه (يقال سطت اللبن إذا ضربت بعضه بعضا) فيفسد وما ذلك إلا لشيء فصل عنها فوصل إلى اللبن وقد تدخل البستان فتضر كثيرا من الغرس من غير أن تمسه . اهى ، راجعه من صحيفة ١٧٤ . (منه) .

وفي خبر الديلمي : إذا أكلت طعاماً أو شربت فقل بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء يا حي يا قيوم ، لم يصبك منه داء وإن كان فيه سم . اهـ من « البريقة » ٥٣٥ الجزء الثاني .

كَـنَـيْـكِ حُـضُـورَلْـدَ هَـبِ غَـفُـلْ لِـچُـكُ
حُـضُـورَلْـدَ كَـنَـرَلْ حُـضُـورْ بَـچُـنِـنْ دُدِ
غَـفُـلْ كُ دُژَ كَـرَلْ غَـفُـلْ لِـكِ بَـچُـنِـبْ
كُّـلْ ژَقْ لُـنْ دُژَ كَـرَلْ كُـلْ كِّـزِكِ هَبُلِبْ .

وفي « لواقح الأنوار » أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن نسمي الله تعالى عند الطعام والشراب وذلك لأن كل شيء فعل مع الغفلة عن الله فهو كالميتة وفي القرآن ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فافهم . اهى ع ــ ٤٦ من « هامش المنن » من الجزء الثاني . **وفيه أيضاً** : وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لا يكمل الفقير حتى يحضر مع الله تعالى في حال الأكل والشرب وفي حال الجماع كما يحضر في حال الصلاة ويجمع بين لذة الأكل ولذة المناجاة في آن واحد لا تحجبه إحدى اللذتين عن الأخرى فيشكر الله تعالى من وجهين في آن واحد . اهى عب .

ونقل صاحب « خزينة الأسرار » ما نصه : فإذا أكل أو شرب على الوضوء يذكر الطعام والشراب في بطنه ويستغفران له ما داما في بطنه كذا في « تنبيه الغافلين » . اهـ عب ٤٥ .

ولقد قال شيخنا العسلي قدس سره : إن كيفية الحضور لمن هو على مقام المراقبة أن يأكل كأنه بين يديه تعالى ويراه ويأكل من مائدته وأما من ليس على مقام المراقبة فهو يأكل كأنه بين يدي شيخه يأكل معه أي مع الرابطة . اهـ [(١)] .

رٰابِطَكِ هَبُنِ سِلْسِلَةْ لِكِ ژَلَنِ
هِبْ كِنَلْپ دُرْ رَكَلْدَ نُورْ ژَقْ بَزِ هَبُلِبْ
كِنَبْنِكِ سُرْدُيَلْپ سِلْسِلَةْ ژَلِ دُي
مُسْتَحَبَّبْ بُكِلَنْ اَبُنْكِ بُكِبِنْ دُيْ
دُرْكُ نَفْسُ أَمَّٰارَةْ چُكُنْ اِنْزِ دُدَصَنْ
تَوَسُّلْ كُنْ اِسْتِمْدٰادْ هَبِ دُژَ اِزْطَپلُنْ
اَنْژِلَ اُنْقْ اَبِلِبْ مُرٰادَتَلْ[(٢)] تِيْ بُكُ
مَنٰافِعَلْ[(٣)] حَصُلْ لِپ ضَرَزْ نَخِّ چَيْ ژِنِ
بُقَّرَبْ هَبِ يِلَنْ بِچَصْدِ تَسْلِيمْ[(٤)] هَبُنْ
عِبٰادَةْ هَبُنْ وُكَ مَقٰاصِدَلْ رِخُنْ تُنْ

---

(١) يعني أن الشيخ هو المذكر لا يترك من رٰابَطَهُ يغفل عن الله تعالى ، وفي الحديث : « خياركم الذين إذا رأوا ذكر الله » . اهـ ، فافهم . (منه) .

(٢) مُرٰادَلْ .

(٣) مُنْفَعَتَلْ .

(٤) طَمُنْ تُنْ .

اَنْزِلَ شُ اَبِلَبْ كِنَبْكُ هَبُلِلُپْ
اَوَرَكَصْدَ خَدُ وِلُپْنْ هَبِ كِدَكُ

مُبٰاحَبْ[١] بُكَنِكِ وٰاجِبَبْ[٢] بُكَنِكِ
مَنْدُوبَبْ[٣] بُكَنِكِ اِصْ هَبُدُخِّنْ هَبِ[٤]

بُكُلْ بَقَنِلْ هُقُّبْ رُهُنْ خَدُبْ عُجَلْكِ
ذِكْرِ عِبٰادَةْ هَبُنْ چَكُ هَرِكِ طَدَبْ[٥]

تَهُجُّدْ ضُحٰى اِشْرٰاقْ أَوّٰابِينَلْ رَزِكِ
قِّجِلِلْدِ كَكِي چُرِ ثِ هَبِزِكِ

چَرَ هِچِلْ جَلِلَنْ اَبُنْ بُكِبِنْ دُيِ
نَفْسْ كُثِزِ هَبُنِ فِهَ بُكُلِبِنْ دُيْ[٦]

اَنْزِلَ اَنْلِپْ اَبِلَبْ مُنْكُ هِچِوْ لُپْنْ هَوِ
دُرْكُ وُجُودَلْ دَصَنْ[٧] مُنْكُ وَخِّزِهَوِي

---

(١) حَلَلَبْ .

(٢) طَدَبْ .

(٣) سُنَّتَبْ .

(٤) أي يفعل المذكورات كما كان عليه السلام يفعله . (منه) .

(٥) أي إحياء هذه الأوقات لازم ، وراجع « المتممات » في ١٨٠ . (منه) .

(٦) وفي « الإحياء » : النفس ما عوّدتها تتعوّد . اهـ . (منه) .

(٧) وَتِ .

خَلِدِ دُرْ كُّلْكِ لُِنْ كِنَبْكُ حُكَّلَلُِلْ
قَطِ وَخِّيَلْدَ صَنْ خِيَلْ قُطِزِ هَبِ

دُنْيَالْ بُقِّ رِكِلَِنْ طَصَ اِنْزِكِ هَبُنْ
اَللهْ كُرِبْ جُيَلْدِ مَشْغُولْ لِزِ وُكُنْكِ[١]

اَنْزِلَ اَنْقُّ اَبِلِبْ سٰالِكْ لُِنْ وِكُّنْ كُطِ
جَنِبْ طَمِزِ كَّرَبْ هُيْ لُِنْ وِكِّكِ بُكُ

عَدَمَزِ دُدَصَنْ ضَرَرْ كِّيَلْدَ حِنْقُنْ
قَطِ بَخُّزِ هُقَرَبْ كَلْبُ عَقُورْ لُِنْ[٢] وِكِّ

اَنْزِلَ مِقُّ اَبِلِبْ كُّلْ قُطُنْ وُكِنْ بُكُ
نَفْسْ كِنْ أَعْمٰالَ زْدَصَنْ ثُكِ فِشَ بَزْدَصَنْ

اَنْزِلَ اِجْ اَبِلِبْ بِچَصُلْ فَضْلُ[٣] كُّنْ چِيْ
اِصْدِخُنْ رَكْ لِكْ هَبُنْ رَجَاءْ كُّلَلْدَ وُكِنْ

قُ اَبِلِبْ اَدَبْكِ حِنْقُنْ وُكِنْكِ بُكُ
بِچَصُلْ مَكْرُ يَلُِلْ كِّيَلْدَصَنْ عِمِرْكُ

قُلُ ثُ اَبِلِبْكِ مُرْشِدْ ثَقْ وُقِّ بُكُ
اِصْدِخُنْ اِخْلاٰصْ هَبُنْ شَرِيكْ هِچُكُ وُكِنْ

---

(١) وفي نسخة : چُنْ كُطِي .

(٢) طَدْ رِچُلِبْ هُيْ .

(٣) ثُبْ .

اِصْـدِخُـنْ رَكْ چُـنْ وُكِنْ كِـنَبْـكُـكِ عُـجَـلِّـلْ
اِوْ كُــرِصْــدَلُّــنْ دُيِ وُصُـــولْ هِـچِـبِـنْ اَبُـــنْ
اِوْ رَضِ لِـيَـلُّـلِّـنْ اَللّٰهْ رَضِ لِ بُـكِـــبْ
اِصْ نَـــخِّ چَـــنِ بِـچَـــصْ نَـــخِّ چَـلِـوِنْ اَبُـــنْ
اِصُـــــلْ شَـيْـخَـصْـدَصَـكِ صِـــوِ هَـــوِ اِوْ دُژَ
اِصْ قَـبُــــلْ هَـــوِ دُيِ كِــنَــزْكُ قَـبُـلْ هَـــوِي
اِدِنْـــــكُ نَـــخِّ چَـيْــكِ اِلْــــدَ رِلُّـــنْ بُكُنِبْ
رَسُـــولَـصْــدِ شِـــزِعَـــنْ اِبْ كُــژَلْــدَ بِـلُّـنِـبْ
جِــكِ اِعْــتِـقٰـادْ هَـــبِ اِصِـــيْ نَـظْـرَةْ بُكِبِنْ
اُنْـــكُ اُنْـــكُ بَـلَـنِ اِلْـــدَلُّـــنْ مُـرِيــدْ شُـلِـبْ
بَـسْـطٰـامِـي كِـــمُ جُـنَـيْـدْ شَـــرَبْ دَرَجَـيَـلْـدِ
هِـــبْ بَـلَـهِـكِ دُيْـــكُ حِـلُـنْ شِـيَـلْـدَ كُّــلْ لِّي
شَـيْـخَـصْـدَ رَكْ چِـچُـنِ فَـيْـدَ حَـصُـلْ لُّـلَـرِبْ
ژُكِـــيَـــوْ عَـــكَّـلْـلَّـنِ فَـيِــــضْ لِ بَـچُـنَـرِبْ
مُــرِيــدَصِ شَـيْـخْ وُقِّ كٰـامِـلْـكُ بُـكْـزِ كُّلِبْ
اِدِنْ وُقُّـچُـنِ اِصِـــيْ اِصُـــلْ بَـرْكَـةْ شُـلَـرِبْ
وُقِّـــكِ بُـكْـزِ كُّـلِـبْ عِـــلَّ غَـــرَضْ هِـچُكُ
اِصُــلْ ذَاتْ بُقْزِ كُّـلِـبْ[١] صِفٰاتْ خَـلْ هَبِچُكُ

---

(١) مهم : عنه غافلون .

شَـيْـخَـصْـدَخُـنْ اِعْـتِـقَٰـادْ بُـكِـنْ چُـكُ عُـلَـرِبْ
كِـنَـبْـنِـكِ جُـيَـلُٖـلْ كَٰامِـلْ لُٖنْ وِكّْـزِ كُّـلِـوْ .

فلقد ذكر في « الإبريز » في ١٨٣ ما حاصله هذا أن المحب لا ينتفع بمحبة الكبير له ولو كان الكبير نبياً حتى يكون الصغير هو الذي يحب الكبير فحينئذ ينتفع بمحبته إلا الله تعالى فإنه تعالى إذا أحب عبداً نفعته محبته ولو كان في غاية الإعراض . اهـ عب .

وفيه أيضاً أن المريد إذا أحب الشيخ المحبة الكاملة سكن الشيخ معه في ذاته ويكون بمنزلة الحبلى التي تحمل بولدها فإن حملها تارة يتم صلاحه فيبقى على حالة مستقيمة إلى أن تضعه وتارة يسقط ولا يجيء منه شيء وتارة يحصل له رقاد ثم يفيق والإفاقة تختلف فقد يفيق بعد شهر وقد يفيق بعد عام وقد يفيق لأكثر من ذلك فهكذا حالة المريد إذا حمل بشيخه فتارة تكون محبته خالصة تامة دائمة فلا يزال أمر الشيخ يظهر في ذاته إلى أن يفتح الله عليه وتارة تكون محبته منقطعة بعد أن كانت صادقة وانقطاعها بسبب عروض مانع نسأل الله السلامة منه فتتبدّل نيّته في الشيخ وتنقطع أسرار الشيخ عن ذاته بعد أن كانت ساطعة عليها وتارة تقف محبته في سيرها ثم تعود إلى سيرها لمدة قريبة أو متوسطة أو طويلة فتقف أسرار ذات الشيخ عن ذاته فإذا رجعت المحبة رجعت الأسرار فليختبر المريد نفسه من أي قسم هو من هذه الأقسام

الثلاثة وليسأل الله العفو والعافية والتوفيق والهداية إنه سميع قريب قلت وهذه الأقسام موجودة في المريدين فليتحفظ المريد على هذا الكلام فإنه نفيس في بابه ، والله أعلم .

وسمعته رضي الله عنه يقول لا ينتفع المريد بمحبة شيخه إذا أحبه لسرّه أو ولايته أو لعلمه أو كرمه أو لنحو ذلك من العلل حتى تكون محبته متعلقة بذات الشيخ متوجهة إليها لا لعلة ولا لغرض مثل المحبة التي تكون بين الصبيان فإن بعضهم يحب بعضاً من غير أغراض باعثة على المحبة بل مجرد الألفة لا غير فهذه المحبة ينبغي أن تكون بين المريد والشيخ حتى لا تزهق محبة المريد إلى الأغراض والعلل فإنها متى زهقت إلى ذلك دخلها الشيطان وأكثر فيها من الوساوس فربما تنقطع وربما تقف كما سبق في القسمين الأخيرين ، والله أعلم . اهـ عب .

وفيه أيضاً فى ١٨٤ وسمعته رضي الله عنه يقول إن طالب السرّ من المريد هو ذاته الترابية ومعطي السرّ من الشيخ هو ذاته الترابية فإذا كانت الذات الترابية من المريد تحب الذات الترابية من الشيخ محبة مقصورة عليها أمدّتها بأسرارها ومعارفها وإذا كانت ذات المريد تحب أسرار ذات الشيخ وزهقت المحبة إليها وإلى معارفها منعتها الذات الترابية من مطلوبها ثم لا تقدر لها الروح ولا غيرها على شيء فليجهد المريد جهده في محبة ذات شيخه معرضاً عن النفع مطلقاً ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وسألته رضي الله عنه عن المحبة هل لها من أمارة وعلامة ؟ فقال رضي الله عنه لها أمارتان : **الأمارة الأولى** ان تكون راحة المريد في ذات شيخه ولا يتفكر إلا فيها ولا يجري إلا لها ولا يهيم إلا بها ولا يفرح إلا بها ولا يحزن إلا عليها حتى تكون حركاته وسكناته سرا وعلانية حضوراً وغيبة في مصالح ذات الشيخ وما يليق بها ولا يبالي بذاته ولا بمصالحها .

الأمارة الثانية الأدب والتعظيم لجانب شيخه حتى لو قدر أن شيخه في بئر وهو في صومعة لرأى بعين رأسه أنه هو الذي في البئر وأن شيخه هو الذي في الصومعة لكثرة استيلاء تعظيم الشيخ على قلبه بل هو على عقله .

وقال رضي الله عنه : إن الناس يظنون أن الجميل للشيخ على المريد والجميل في الحقيقة للمريد على الشيخ لأنه سبق أن محبة الكبير لا تنفع ومحبة المريد هي الجاذبة فلولا طهارة ذات المريد وصفاء عقله وقبول نفسه للخير ومحبته الجاذبة ما قدر الشيخ على شيء ولو كانت محبة الشيخ هي النافعة لكان كل من تلمّذ له يصل ويبلغ ما بلغت الرجال .

وسمعته رضي الله عنه يقول : علامة كون المريد يحب الشيخ المحبة الصادقة النافعة أن تقدر زوال الأسرار والخيرات التي في ذات الشيخ حتى تكون ذات الشيخ مجردة من ذلك كله وتكون كذوات سائر العوام فإن بقيت المحبة على حالها فهي محبة صادقة وإن تزحزحت المحبة وزالت بزوال الأسرار فهي محبة كاذبة ، والله أعلم .

وسمعته رضي الله عنه يقول : علامة المحبة الصادقة سقوط الميزان من المريد على الشيخ حتى تكون أفعال الشيخ وأقواله وجميع أحواله كلها موفقة مسددة في نظر المريد فما فهم له وجهاً فذاك وما لم يفهم له سراً وكله إلى الله تعالى مع جزمه بأن الشيخ على صواب ومتى جوّز أن الشيخ على غير صواب فيما ظهر له خلاف الصواب فيه فقد سقط على أم رأسه ودخل في زمرة الكاذبين .

قال رضي الله عنه **والشيخ لا يطلب من مريده خدمة ظاهرية ولا دنيا ينفقها عليه ولا شيئاً من الأعمال البدنية وإنما يطلب منه هذا الحَرْف لا غَيْرُ وَهوَ أن يعتقد في الشيخ الكمال** والتوفيق والمعرفة والبصيرة والقرب من الله تعالى عز وجل ويدوم على هذا الاعتقاد اليوم على أخيه والشهر على أخيه والسنة على أختها فإن وجد هذا الاعتقاد انتفع المريد به ثم بكل ما يخدم به الشيخ بعد ذلك وإن لم يوجد هذا الاعتقاد أو وجد ولم يدم فإن عرضت فيه الوساوس فالمريد على غير شيء . اهـ عب ، راجعه من الباب الخامس .

وِرِكِ ذِكْــــرِ خِـــــسِ(١) طَـلَــبْ هَــبُــكِ دُثَ
مَـــقِّـلْ تَـعْـبِيرْ هَـبِيَنْ وِرِ اَبُــــكِ اِصْــدَ
جِـنْـدَ پَـلِـبْ حَــلْ نِــكِ مَـقِّـلْ بِــكَّــرَبْ نِـكِ
اِبْـــكِ بَـپْـلُكْ هَـبُـكِ حِـلُـنْ چَ اِصْــدَ صِّــوِي

(١) أي من الشيخ . (منه) .

اِصْـــدَ رِخَـــرَبْ عُـجَـلْ كِ اُنْـــكِ اِصْـــدَ طَـدِ
مُـرْشِـدْ كُـرِصْـدَ دُرْكُ أَحْـــوَالْ ظَـاهِـرْ هَبُكِ
اَحْـــوَالْ پِـلَـرِنْ اَبُـــنْ چِـلْـعُـنْـكِ مُـــنْ وُكُـنْـكِ
اَحْـوَالْ دُرْ مَقْصُودْ كُـرِنْ اَللهْ وُكِـنْ دُرْ مَقْصُودْ
حَـلْ خِسِيَـلْـدَصَـكِ زَقْـــكُ حِـنْـقُـنْ وُكَ مُـنْ
طُـبَـنْ خَـــدُبْ نُـقْـصَـانْـلِ پِـكَـبْ هِـچِـنْ لِيِكُ
اَحْـــوَالْ دُيْ ظَـاهِـرْ پَـنِ شُـكْـرُ هَـبِ بِچِصْدِ
اَللهَ صُـلْ زُبَـلْـدِ دَلاَلَـــــةْ[١] بُـكِـنْ دُيْ اِبْ
هَـــبْ رِخْـصَـــرَبْ كُـزَلْـدَ كِـنَـلْـكُ هَـلْ اَدَابَـــلْ
خَـــالِـدِيَّـــةْ اَبُـــــرَبْ رِسَـــالَـــةَلْـــدَ رُكِـــلْ
زُزُ دَهَــــــلْ زُكِــــدَلْ كُـتُـبَـزْدَ رُكِـلْـكِ
اَهَــمَّـــلْ عَـدِنَـلْ جَـلْ جُـرُنْـكِ رُكِـــلْ اِزُلْ
اِشَـــــارَةْ هَـــبُـنْ بُـكِـــبْ بَـــطَ هَـــــرِزِ پَـزِ
نَـقْـلُ پَـــزِ بُـقَّـرَصْ بَـلَـــهُـنْ خَـــلْ هَـــرِزِي
هَـبْ كِـتَـابْ دُيْ بُـكِـبِـنْ شَـرْحَـلِـپُـلْ مَنْزِلَلْدَ
خَـالِـدِيَّـةْ بِـچِـزِ كِـرْ بَـقِـلِـبِـنْ دُيْ اِلْ
عَـــرَبْ پَـلِـصِـكِ اِلْ فَـيْـدَ عِـمِـرْ هَـبِـلِـبْ
بِـــچِـزِ كَـطَـرَلِ كُـمَـكْ پُـــنْ بَـــتِـلِـنْ اِبْ .

*****

---

(١) طُوطِ .

خاتمة

ولقد أردنا الآن بحمد الله تعالى أن نورد هنا ثلاثة فصول نافعة فعسى الله سبحانه أن يجعله سبباً لذكره وأن يرجع إلينا حظاً من ثوابه وقد ورد : « الدال على الخير كفاعله » ، والله ولي التوفيق والهداية .

الفصل الأول في الاستغفار

قال ابن مسعود : كان بنو إسرائيل إذا أذنبوا أصبح مكتوباً على باب أحدهم الذنب وكفارته فيفتضح فأعطينا خيراً من ذلك وهو الاستغفار وذكر الله ، ويقرأ ﴿ **وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ** ﴾ الآية .

وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول كان رسول الله ﷺ يقول : « يقول الله عز وجل : يا بني آدم كلكم مذنب إلا من عافيت فاستغفروني أغفر لكم ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة » .

وكان ﷺ يقول : « **قال إبليس : وعزّتك لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم ، فقال الله تبارك وتعالى : وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني** » .

وكان ﷺ يقول : « ألا أدلكم على دوائكم من الذنوب ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله : قال : « دواؤكم الاستغفار » .

مهم : وكان ﷺ يقول : « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل همّ فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب » .

وكان ﷺ يقول : « طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيرا فمن أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار » .

وكان ﷺ يقول : « من استغفر للمؤمنين والمؤمنات في كل يوم سبعاً وعشرين مرة أو خمسا وعشرين مرة كان من الذين يستجاب لهم ويرزق به أهل الأرض ومن استغفر عند الغروب سبعين مرة كل يوم لم يكتب من الكاذبين ومن استغفر في ليلة سبعين مرة لم يكتب من الغافلين » .

وكان ﷺ يقول : « ما من مسلم يعمل ذنباً إلا وقف الملك ثلاث ساعات فإن استغفر من ذنوبه لم يوقفه عليه ولم يعذبه يوم القيامة » .

وكان ﷺ يقول : « إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء فإن هو نزع واستغفر صقلت فإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه فذلك الران الذي ذكره الله تعالى ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ، وكان ﷺ يقول : « إن للقلوب صداء كصداء الحديد وجلاؤه الاستغفار » .

وكان ﷺ يقول « من قال : أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ، غفر له وإن كان قد فرّ من الزحف ، ومن قالها في دبر كل صلاة غفرت له ذنوبه كلها ومن استغفر الله تعالى سبعين مرة في دبر كل صلاة غفر الله له ما اكتسب من الذنوب ولم يخرج من الدنيا حتى يرى أزواجه ومساكنه من الجنة » .

وكان ﷺ يقول : « ما من عبد ولا أمة يستغفر الله في يوم سبعين مرة إلا غفر الله له سبعمائة ذنب وقد خاب عبد أو أمة عمل في يوم وليلة أكثر من سبعمائة ذنب » .

الأحاديث كلها من « كشف الغمة » ، راجعه في آخر الجزء الأول[1] (منه) ، وهي كثيرة وفي هذا القدر كفاية والله ولي العصمة .

روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أن رجلاً لم يعمل خيراً قط إلا التوحيد فلما حضر له الموت قال لأهله : إذا أَنا مُتُّ فأَحْرِقُوني بالنار حتى تدعوني رِماداً ثم ذروني في البحر في يوم ريح ، ففعلوا فإذا هو في قبضة الله تعالى قال الله ما حملك على ما فعلت ؟ قال : مخافتك ، فغفر له بها وهو لم يعمل خيرا قط . اهـ من الحديث الأربعين ع ـــ ٣ .

(١) ٢٨٨ .

هق[١] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » في مجرد الخلو عن الإثم لا في المرتبة ، ولكن في « الزينة » عن جابر : « التائب عند الله بمنزلة الشهيد » ، اهـ « بريقة » ع ــ ٢٣١ من الجزء الثاني . وكان ﷺ يقول : « إذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله حفظته ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض حتى يلقى الله يوم القيامة وليس عليه من الله شاهد بذنب » . « كشف الغمة » ع ــ .

الفصل الثاني في الإكثار من ذكر الله تعالى سراً وجهراً

كان رسول الله ﷺ يقول : « يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وإن تقرّب إلي شبراً تقرّبت إليه ذراعاً وإن تقرّب إليّ ذراعاً تقرّبت إليه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة وأنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحرّكت بي شفتاه » . اهـ .

وكان ﷺ يقول : « إن لكل شيء سقالة وإن سقالة القلوب ذكر الله وما من شيء أنجى من عذاب القبر من ذكر الله قالوا ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع » ، وفي رواية : « ولو أن يضرب بسيفه حتى ينقطع » .

(١) « سنن البيهقي » .

وفي رواية : « ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله ، قال : ذكر الله » .

وكان ﷺ يقول : « من عجز منكم عن الليل أن يكابده وبخل عن الماء أن ينفقه وجبن عن العدو أن يجاهده فليكثر ذكر الله فإن العبد لا ينجو من الشيطان إلا بذكر الله » .

وكان ﷺ يقول : « ثلاث لا يردّ الله تعالى دعائهم الذّاكر الله كثيرا والمظلوم والإمام العادل » .

وكان ﷺ يقول : « من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً وبدنا صابرا وزوجة لا تبغيه خونا في نفسها وماله » .

وكان ﷺ يقول : « ليذكرن اللهَ أقوام على الفرش الممهدة يدخلهم الله الدرجات العلى » .

وكان ﷺ يقول : « مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت » . اهـ .

وكان ﷺ يقول : « الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فإن ذكر الله خنس وإن نسي التقم قلبه » ، والخطم الفم .

وكان ﷺ يقول : « علامة حب الله ذكر الله وعلامة بغض الله بغض ذكر الله » .

وكان ﷺ يقول : « ما من يوم وليلة إلا ولله عز وجل فيه صدقة يمنّ بها على من يشاء من عباده وما منّ الله على عبد بأفضل من أن يلهمه ذكره » .

وكان ﷺ يقول : « أعظم المجاهدين أجراً أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكراً » .

وكذلك كان ﷺ يقول إذا سئل عن الصلاة والزكاة والحج والصدقة فقال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما : يا أبا حفص ذهب الذاكرون بكل خير ، فقال رسول الله ﷺ : « أجل يا أبا بكر » .

وكان ﷺ يقول : « حضر ملك الموت رجلاً فشق أعضاءه فلم يجده عمل خيرا قط ثم شق قلبه فلم يجد فيه خيرا فَفَكَّ لِحْيَيْهِ فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا إله إلا الله فغفر له » .

وكان ﷺ يقول : « لو أن رَجُلاً في حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله لكان الذاكر لله أفضل » .

وكانت أم سليم رضي الله عنها تقول قال لي رسول الله ﷺ : « أكثري من ذكر الله فإنك لا تأتين الله تعالى بشيء أحب إليه من كثرة ذكره » .

وكان ﷺ يقول : « ليس يتحسّر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله تعالى فيها » .

وكان ﷺ يقول : « من لم يكثر من ذكر الله فقد برئ من الإيمان » .

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول : ذكر الله تعالى بالغداة والعشي أعظم من حطم السيوف في سبيل الله .

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول : أكثروا من ذكر الله ولا تصاحبوا إلّا مَنْ يُعينكم على ذكر الله .

وكان ﷺ يقول : « إن الله عز وجل يقول يا ابن آدم إنك إذا ذكرتني شكرتني وإذا نسيتني كَفَرْتَني » .

وكان ﷺ يقول : « ما من ساعة تمر بابن آدم لم يذكر الله تعالى فيها بخير إلا تحسر عليها يوم القيامة » . اهـ .

كان رسول الله ﷺ يقول : « من قال : لا إله إلا الله وَحْدَهُ لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير – عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل وما قالها عبد قط مخلصاً بها روحه ومصدقا بها قلبه ناطقاً بها لسانه إلا فتق الله له في السماء فتقاً حتى ينظر إلى قائلها من الأرض وحق لعبد نظر الله إليه ان يعطيه سؤله » .

وفي رواية : « من قالها لم يسبقها عمل ولم يبق معها سيّئة » .

وكان ﷺ يقول : « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له أحدا صمدا لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد كتب الله له أَلْفَيْ أَلْفِ حسنة » . اهـ .

وكان ﷺ يقول : « ما قال عبد قط لا إله إلا الله مخلصاً إلا فتحت له أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش ما اجتنبت الكبائر » ، وفي رواية : قيل : يا رسول الله وما إخلاصها ؟ قال : « أن تحجزه عما حرم الله عليه » .

وكان ﷺ يقول : « من قال : لا إله إلا الله ومدّها هدمَتْ أربعة آلاف ذنب من الكبائر » .

وكان ﷺ يقول : « قال موسى عليه السلام : يا رب علّمني شيئاً أذكرك به وأدعوك به ، قال : قل : لا إله إلا الله ، قال : يا رب كل عبادك يقولون لا إله إلا الله ، قال : قل : لا إله إلا الله ، قال : يارب إنّما أريد شيئاً تخصّني به ، قال : يا موسى لو أن السموات السبع والأرضين السبع في كفّة ولا إله إلا الله في كفّة مالت بهم لا إله إلا الله » .

وكان ﷺ يقول : « أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله » . اهـ .

وكان ﷺ يقول : « ما من عبد قال لا إله إلا الله في ساعة من ليل أو نهار إلا طمست ما في الصحيفة من السيئات حتى تسكن إلى مثلها من الحسنات » ، اهـ .

مهم : وكان ﷺ يقول : « يستخلف الله تعالى رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًّا كل سجلّ مثل مدّ البصر حتى إذا ظنّ أنه هالك أحضرت له بطاقة فيها لا إله إلا الله محمد رسول الله فتوضع في كفّة والسجلات في كفّة فتطيش السجلّات وتثقل البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء » .

وكان ﷺ يقول : « لا إله إلا الله لا يسبقها عمل ولا تترك ذنبا » .

وكان كعب الأحبار رضي الله عنه يقول : إذا كان الذي يكفر بالله طول عمره إذا قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله آخر عمره يكفر عنه جميع سيئاته فكيف بالعبد المسلم الذي يقولها طول عمره . والله سبحانه وتعالى أعلم ، الأحاديث من « كشف الغمة »[١] ملخصة .

فائدة مهمة : اعلم أن ذكر لا إله إلا الله أفضل من لفظة الجلالة مطلقا[٢] بلسان أئمة الظاهر وأما عند أهل الباطن فالحال يختلف باختلاف أحوال السالك فمن هو في ابتداء أمره ومقاساته لشهود الأغيار وعدم انفكاكه عن التعلّق بها وعن إراداته وشهواته وإبقائه مع نفسه يحتاج إلى إدمان الإثبات بعد النفي حتى يستولي عليه سلطان الذكر وجواذب الحق المرتبة على ذلك فإذا استولت عليه تلك الجواذب

(١) للشعراني .

(٢) يعني سواء كان باللسان أو بالقلب ، والله أعلم . (منه) .

حتى أخرجته عن شهواته وإراداته وحظوظه وجميع أغراض نفسه صار بعيداً عن شهود الأغيار واستولى عليه مراقبة الحق وشهوده فحينئذ يكون مستغرقا في حقائق الجمع الأحدي والشهود السّرْمَدي الفردي فالأَنْسَبُ بحاله الإعراض عمّا يذكره بالأغيار واستغراقه فيما يناسب حاله من ذكر الجلالة فقط لأن ذلك فيه تمام لذته ودوام مسرته ونعمته ومنتهى أربه ومحبته .

وكذا يقال في الذكر باللسان والقلب أو بالقلب فقط فبلسان أهل الظاهر ذكر اللسان والقلب أفضل مطلقاً [١] وعند أهل الطريق في ذلك تفصيل تفهمه مما قبله إِنْ وَعَيْتَهُ وتأمّلته .

وأما قول من قال لا ثواب في ذكر القلب وَحْده ولا مع اللسان حيث لم يسمع نفسه مَحْمُولٌ على أنه لا ثواب عليه من حيث الذكر المخصوص أما اشتغال القلب بذلك وتأمّل معانيه واستغراقه في شهودها فلا شك أنه بمقتضى الأدلة يثاب عليه من هذه الحيثية الثواب الجزيل ويؤيده خبر البيهقي : « الذكر الذي لا تسمعه الحفظة يزيد على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفاً » . كذا في « الفتاوى الحديثية » لابن حجر الهيتمي المكي رحمه الله .

(١) أي سواء كان لا إله إلا الله أو لفظة الله أو آه ، والله أعلم . (منه) .

ونقل الشيخ مم دبر الرّوشي في كتابه « إظهار الحق » من شرح « المشكاة » لابن حجر وقال : ونفي الثواب فيه أي في الذكر القلبي المحض من حيث الذكر أي من حيث الذكر الذي ورد الشرع بذكره باللسان لا ينافي حصوله من حيث المراقبة وحضور القلب فيه ثواب أي ثواب[1] . انتهى عب .

وقال ابن حجر أيضاً في « الفتاوى » : وقولهم ذكر القلب لا ثواب فيه فمن نفى عنه الثواب أراد من حيث لفظه ومن أثبت فيه ثواباً أراد من حيث حضوره بقلبه كما ذكرناه فتأمّل ذلك فإنه مهمٌ . اهـ عب .

فالحاصل أنّ الاختلاف في مجرّد الذكر بالقلب تَسْبيحاً وتهليلاً وشبههما الذي ورد به الشرع بذكره باللسان متعبّداً بلفظه وأمّا الذكر الخفي الذي هو مشتهر بين الطائفة الصوفية فذلك لا يقاربه ذكر اللسان فكيف يفاضله . راجع « شرح مسلم » .

مع أنه لا مجال لوقوع الاختلاف بين مَنْ ذاقوا حقيقة ذكر القلب فإنه ذكر محقّق مَسْمُوعٌ من الباطن كما هو مشهورٌ لدى الطائفة النقشبندية قدس الله أسرارهم عن الالتفات إلى ما سواه تعالى ، آمين .

(١) مطلب : وقول بعضهم الذكر لا بد أن يكون باللسان أو بجملة اسمية أو فعلية حتى يثاب عليه وإلا فلا ممنوع ، كذا في « الحدائق الوردية » في ٢٩٥ ، فراجعه . (منه) .

وفي « الجامع الصغير » : خير الذّكر الخفيّ وخَيْر الرّزق ما يكفي ، والأحاديث في ذلك كثيرة وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى : ذكر الله تعالى ضربان ذكر بالقلب وذكر باللسان وذكر القلب نوعان أحدهما **وهو أرفع الأذكار وأجلها التفكر في عظمة الله تعالى وجبروته وملكوته وآياته في أرضه وسمواته ، وفي كتاب « الأذكار » للإمام النووي قدس سره : الذكر يكون بالقلب واللسان والأفضل ما كان بهما فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل** . اهى .

قال العلامة السيد محمود الألوسي البغدادي في كتابه « الفيض الوارد على روض مرثية مولانا خالد » بعد نقل هذا الكلام ما ملخصه : والقلب موضع الإيمان ومعدن العرفان ومهبط الأنوار الإلهية ومعترك الأسرار الربانية فكيف وقد خصَّه الله تعالى بالإيمان والخشية والإنابة والذكرى والتقوى والسلامة فينبغي تطهيره بكثرة الأذكار وتجريده بالمداومة عليها عن الأغْيار **إما بالذكر اللساني وإِما بالذكر الجناني** ، فأما الذكر اللساني فهو قليل الجدوى وكثيرا ما لا يسلم من البلوى بل إذا تأمّلت وتحقّقت وأنصفت علمت أن الذكر بمجرّد اللسان لا فائدة فيه بالكلية ولا يوجب القرب من الحضرة القدسيّة فقول الإمام النووي فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل ليس فيه أفعل التفضيل على بابه وهو من قبيل قوله تعالى حكاية عن لوط عليه السلام ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡ﴾ وقوله تعالى ﴿مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٌ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ﴾ نعم الذكر بالقلب واللسان أفضل من

الذكر بالقلب وحده إذ الأجر على قدر النصب وهذا إِنْ أمن[١] من السمعة والرياء ولكن المريد في حال البداية لا يمكنه الجمع بين الذكرين **فكان الأولى بشأنه الذكر القلبي بلا امتراء ولا مين** وإذا امتلأ القلب طفح على اللسان بل على سائر الجوارح والأركان فاعتن بهذا التحقيق فإنه بالاعتناء حقيق وفي كلام كثير ما يؤزره ويؤيده وينصره ، فافهم ولا تغفل . اهى .

وقد أطلت الكلام في هذا المطلب في كتابنا « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » فمن أراد الزيادة فعليه أن يطلع إليه[٢] .

فائدة أخرى : ينبغي لكل من اعتاد بفعل الأوراد أن يحافظ عليها وأن لا يتركها إلا عند الضرورة لأن تارك الورد مَلْعُونٌ لأنه قد أعرض عن الله ومن أعرض عن الله أعرض الله عنه ، كذا في « سلسلة الخوجكان » .

وقال الغزالي في « الإحياء » : من كان له وِرْدٌ فَعاقَهُ عَنْ ذلك عُذْرٌ فينبغي أن لا يرخص لنفسه في تركه بل يتداركه في وقت آخر حتى لا تميل نفسه إلى الدعة والرفاهية وتَدَارُكُهُ حَسَنٌ على سبيل مجاهدة النفس ولأنه ﷺ قال : « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ » فيقصد به أن لا يفتر في دوام عمله .

(١) ولا يأمن منهما ومن سائر المهلكات إلا إذا وصل المريد إلى مقام المراقبة مراقبة الروح كذا من « تبصرة المرشدين » وغيره ، راجع وحرر . (منه .)

(٢) وراجع « البهجة السنية » في ٣٦ و« الحدائق الوردية » في ٢٩٣ ففيهما البسط . (منه) .

وروت عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال : « من عبد الله عز وجل بعبادة ثم تركها ملالة مقته الله عز وجل » .

فليحذر أن يدخل تحت الوعيد وتحقيق هذا الخبر أنه مقته الله تعالى بتركها ملالة فلولا المقت والإبعاد لما سلطت الملالة . انتهى من عب ١٦١ من الجزء الأول .

قال صاحب « مزكي النفوس » قدس سره نَقْضُ التوبة وترك صحبة الصلحاء بعد الاستتابة أمام الشيخ كالهَرْبِ من الزحْف وإِنْكارُهُمْ كالهرب إلى الكفار والرجوع إلى التوبة بالذهاب إلى الشيخ كرجوع المنافق إلى الإسلام وأهله بالتوبة ومن جلس مع الصلحاء بالاعتقاد كتب الله له ثواب الحاج والغازي . انتهى عب .

وفي « طبقات الشعراني » في ترجمة أبي عبد الله محمد بن حنيف ما نصه : وكان رضي الله عنه يقول رأيت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول مَنْ عرَف طريقاً إلى الله تعالى فسلكه ثم رجع عنه عذبه الله عذابا لم يُعذّبه أحدا من العالمين . انتهى من ع ــ ١٩٧ .

الفصل الثالث

في بيان فضيلة الصلاة على النبي عليه الصلاة والتحيّة

كان أبو هريرة رضي الله عنه يقول كان رسول الله ﷺ يقول : « صَلُّوا عليّ فإن الله عز وجل يصلي عليكم » وفي رواية : « صلوا علي فإنّ صلاتكم عليّ زكاة لكم وإنها أضعافا مضاعفة » . اهـ .

مهم : وكان ﷺ يقول : « إن الله تعالى لينظر إلى مَنْ يصلي علي ومَنْ نظر الله تعالى إليه لا يعذّبه أبداً » . اهـ .

وكان ﷺ يقول : « من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرا » ، وزاد في رواية : « وكتبَ الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات » ، وفي رواية : « من صلى علي عشرا صلى الله عليه مائة ومن صلى علي مائة صلى الله عليه ألفا » .

وفي رواية : « من صلى علي واحدة صلى الله عليه وملائكته سبعين صلاة » .

وفي رواية : « من صلى علي مائة كتب الله له بين عينيه براءة من النفاق وبراءة من النار وأسكنه الله يوم القيامة مع الشهداء فأكثروا من الصلاة علي كلّما ذُكِرْتُ فإنها كفارة لسيّئاتكم » .

وكان ﷺ يقول : « ما من عبد مؤمن يذكرني فيصلّي عليّ إلّا بلغتني صَلاته وصليت عليه وكتب له سوى ذلك عشر حسنات » . اهـ .

وكان ﷺ يقول : « مَنْ صلى علي واحدة كانت له عدل عشر رقاب » .

وكان ﷺ يقول : « إن لله تعالى ملكاً أعطاه أسماع الخلائق قائم على قبري إذا مُتّ فليس أحد يصلي عليّ صلاة صادقا من قلبه إلا قال يا محمد صلى عليك فلان بن فلان قال فيصلي الرب تبارك وتعالى على ذلك الرجل بكل واحدة عشرا وتصلي عليه الملائكة ما دام يصلي عليّ » .

وكان ﷺ يقول : « من صلى علي تعظيماً لحقي جعل الله عز وجل من تلك الكلمة ملكاً له جناح في المشرق وجناح بالمغرب ورجلاه في تخوم الأرض وعنقه ملتو تحت العرش يقول الله عز وجل له صَلّ على عبدي كما صلى على نبيي ، فهو يصلي عليه إلى يوم القيامة » .

وفي رواية : « فما من عبد يصلي علي حُباًّ لي إلا انغمس ذلك الملك في الماء ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل قطرة تقطر منه ملكاً يستغفر لذلك المصلي عليّ إلى يوم القيامة » .

وكان ﷺ يقول : « إن الله تعالى جعل لأمتي في الصلاة عليّ أفضل الدّرَجات » . اهـ .

وكان ﷺ يقول : « من صلى عليّ كل يوم ثلاث مرات وكل ليلة ثلاث مرات كان حقاً على الله أن يغفر له ذنوبه تلك الليلة وذلك اليوم » . اهـ .

وكان ﷺ يقول : « الصلاة عليّ أمحق للخطايا من الماء للنار والسلام عليّ أفضل من عتق الرقاب وحبي أفضل من مهج الأنفس ، أو قال : من ضرب السيف في سبيل الله عز وجل ومن صلى عليّ واحدة حُبّاً لي وشوقاً إليّ أمر الله حافظيه أن لا يكتبا عليه ذنباً ثلاثة أيام » .

وكان ﷺ يقول : « إنّ أنجاكم يوم القيامة من أهوالها أكثركم عليّ صلاة في دار الدنيا إنه قد كان في الله وملائكته كفاية وإنما أمر بذلك المؤمنين ليثيبهم عليه » .

قال بعض العلماء رضي الله عنهم : وأقل الإكثار سبعمائة مرة كل يوم وسبعمائة مرة كل ليلة ، وقال غيره : أقل الإكثار ثلاث مائة وخمسون كل يوم وثلاث مائة وخمسون كل ليلة .

وكان ﷺ يقول : « مَنْ سرّه أن يلقى الله تعالى وهو عنه راض فليكثر من الصلاة عليّ » .

وكان ﷺ يقول : « ليردن الحوض عليّ أقوام لا أعرفهم إلا بكثرة الصلاة علي » .

وكان ﷺ يقول : « رأيت البارحة عجباً رجلاً من أمتي يزحف على الصلاة[1] مرة ويحبو مرة ويخر مرة ويتعلق مرة فجاءته صلاته علي فأخذت بيده فأقامته على الصراط حتى جاوزه » وكان ﷺ يقول « من صلى علي في يوم ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعَدَه من الجنة » وكان ﷺ يقول « أكثركم أزواجاً في الجنة أكثركم صلاة عليّ » . اهـ .

وكان ﷺ يقول : « من صلى علي في كل يوم مائة مرة قضى الله له مائة حاجة أيسرُها عتقه من النار » .

وكان ﷺ يقول : « زيّنوا مجالسكم بالصلاة عليّ فإنّ صلاتكم علي نور لكم يوم القيامة » ، وكان ﷺ يقول : « أقرب ما يكون أحدكم منّي إذا ذكرني وصلى علي » .

وكان ﷺ يقول : « من صلى عليّ طهر قلبه من النفاق كما يطهر الثوبَ الماءُ » .

وكان ﷺ يقول : « مَنْ قال صلى الله على محمد فقد فتح على نفسه سبعين باباً من الرحمة وألقى الله محبته في قلوب الناس فلا يبغضه إلّا مَنْ في قلبه نفاق » . انتهى ، كلها من « كشف الغمة » من الجزء الأول .

(١) لعل المراد على الصراط ، تشهد له روايات الحديث من طرق عدّة .

وفي « الباجوري »[١] على « سُلَّم المنطق » أنها[٢] تقوم مقام شيخ الطريقة في تنوير البصيرة ونقله المحقق العالم محمد علي الچوخي نور الله ضريحه وجعله في أعلى درجات القرب آمين في « فتاويه » ومثله في « مطالع المسرات ومناهج السعادات » فراجعهما .

وهٰهنا أمسكنا عنان القلم واسترحنا من نكدة تحريك اليد بالرقم جعله الله الملك المتعال نافعاً لعباده وهاديا لخلقه إلى سبييله إنه هو البرّ الجوّاد والموفق للسّدادِ وهو أرحم الراحمين ، والمرجو من الناظر إليه أن يصلح منه ما خطأت وسهَوْتُ وأن يستغفر لي وَيَدْعُوَ لي بالاستقامة ولله الحمد والمنّة .

حرّر في رجب من سنة ١٣٢٦

(١) في ١٤ .

(٢) أي الصلاة .

تقريظ الحافظ قطب الإرشاد الشيخ شعيب البَاكنِّي قدّس سره

ها نحن أفقر خلق الله تعالى وأحوجهم إلى مراحم الله تعالى فقير الله شعيب بن إدريس الباكنيّ النقشبنديّ الخالديّ المحموديّ الأحمديّ أناله الله تعالى إلى معرفة مولاه السرمديّ قد اطلعنا بهذا الكتاب المنقوش المستطاب فوجدناه ورأيناه درّة بيضاء وجوهرة حسناء فمن أخذه أخذ بالعروة الوثقى ونال إلى مناهج مسالك الوصول والتقى فالواجب على كافّة السّالكين الذين يرجون الوصول إلى أحكم الحاكمين أن ينظروه ويأخذوه وأن يعملوا بما فيه ويعضّوه ولكونه على هذا المنوال حرّرنا هذه الخطوط بفضل الملك المتعال والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم . اهى في ٢٨ من جماد الاولى سنة ١٣٢٥ .

فهرسة

فيض الرحمن في ذكر كلام عبد الرحمن

لقطب زمانه ومرشد أوانه الشيخ حسن حلمي أفندي
القحي الداغستاني النقشبندي الشاذلي القادري
ملتقطاً من كلام شيخه الحاج عبد الرحمن العسوي
ليكون نافعاً لمريديه ومحبيه وسائر من اتبع هداه
وإرشاده من إخوان الدين من المسلمين
نفعنا الله تعالى بهم وبآثارهم
آمين آمين آمين

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وأصحابه أجمعين .

أما بعد؛ فيقول الفقير حسن حلمي ولد محمد القحي سامحه الله من فرطاته آمين .

لما صحبت مع شيخنا ذي الجناحين الحاج عبد الرحمن العسلي في سنين عديدة ، وسمعت منه كلمات فيها حكمة إلهية ، **أردت** أن أقيّدها في أرجوزة ، لتكون لمن خلفي من المريدين تذكرة نافعة ، وموعظة حسنة ، وسميتها :

« بفيض الرحمن فى ذكر كلام عبد الرحمن »

جعلنا الله تعالى وأحبابنا من الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه ، ولا جعلنا من الواعظين الغير المتّعظين بما وعظوه آمين .

سمعته رضي الله عنه يقول : إني لم أر قط محاسن امرأة ، وإن كانت جميلة ، فإني كنت أرى فيها عيباً . انتهى . **وسمعته** رضي الله عنه يقول أيضاً : إني كنت أمشي في الطريق ، فلاقتني البنات المتهيّئة بتعليق الفضة الكثيرة ، بحيث يخرج منها الأصوات والزرزير ، فنظرت إليهنّ معجباً بكثرة فضّتهن ، وكنَّ مملوءة بالفضة من فوق السرّة من قبلهنّ ومن خلفهنّ ، فحين وصلت لدى شيخنا الحاج جبرائيل أفندي قدس سره ، وضع بين يديّ كتاب « منهاج العابدين » فقال لي : انظر إلى هذا يا ولدي ، فعيّن موضعاً . فنظرتُ فوجدتُ فيه ما معناه : **إن واحداً قد سلب حاله ، وانقبض كذا وكذا يوماً لأجل نظره إلى كمّ قميص امرأة** . فإذا رأيته قال لي لأيّ شيء

تنظر إلى البنات ؟ فما لك من كون فضّتهنّ كثيرة أو قليلة ؟ فقلت له : أيّ شيء نفعل يا أستاذى إذا لم يجز النظر إليهنّ بلا شهوة ؟ إن نساء ديارنا يلقين الرجال بحيث تزدحم أكتافهنّ أكتاف الرجال . فقال قدس سره : افعل الرابطة بالشيخ محمود أفندى رحمه الله يا ولدى ، فإنك لا تريد أن تنظر إليهنّ كما لا تريد أن تنظر إلى السلدات . ثم قال ﵁ : إني أمشي في الطريق والحال أنّي أفعل الرابطة بالشيخ محمود أفندي فيضللن من قبلي وينفين من نظري . انتهى .

وسمعته ﵁ يقول : إني كنت في مكان بعيد من الشيخ الحاج جبرائيل قدس سره ، فاجتمعت بي البنات الكثيرة فى ليلة يطلبن كتبة الأسباب والرقيّات لهنّ ، فكنّ يضعن مرافقهنّ على ركبتي وقت الكتابة ، فاجتهدت حينئذ في الحضور ، ورابطت القلب بالشيخ محمود أفندي قدس سره فحين وصلت لدى الشيخ جبرائيل قدس سره توجّه إليّ وبدل الذكر من لطيفة إلى لطيفة . وقال : يا ولدي ما حصل لك الضرر وإن كنت في تلك الليلة بين تلك البنات ؛ لكونك في تلك الحالة مع الحضور والرابطة . انتهى .

وسمعته ﵁ يقول : إن النساء يردن أن يكنّ آكلات ومضطجعات مع الأزواج دائماً .

وسمعته ﵁ يقول لواحد يريد أن تكون زوجته مريدة مثله : يا أخي إنها لا تحصل لها المنفعة إلا إن أرادت أن تكون مريدة بنفسها .

وسمعته ﵁ يقول لزوجتي : كوني مرابطة بالشيخ محمود أفندي دائماً بالوضوء أو بغير الوضوء .

وسمعته ﵁ يقول حين كنت أنا وزوجتي في مجلسه : إني أتوجّه لكلّ من الحاضرين في حالة توجهي لواحد ، فإن كنتم على الحضور وقت توجّهي تذهب من قلوبكم الحجب ذهاباً ذهاباً .

وسمعته ﵁ وعنا به يقول لزوجتي حين سلكت في دائرة طريقته : الآن يا أختي تحصل البركة لأهل بَيْتكم ، ولا يقع الضرر والنقصان في دنياكم . وقد كنت أردت أن يسلك ولدي محمد حجيو في سلك مريديه ، فرأيت في المنام كأن بقرة وعجلها وقعتا في حوض ماء كبير ويغرقان ، فدخلت فيه فخرَّجت البقرة وطرحتها إلى جانب البَرّ بسهولة وخلّصتها من الغرق ، وقصدت إلى العجلة فأخذته ولكن صعب عليّ إخراجه إلى البَرّ . فأخبرته هذا الرؤيا ، فقال ﵁ : إنك أخرجت الزوجة من الدنيا ؛ أي : بسلوكها فى الطريقة ونحن ندخل ولدها فيها ، ولو بتعليم الرابطة ، فأدخل ذلك الولد في دائرته بعد ذلك ، ولله الحمد . انتهى .

وسمعته ﵁ يقول : إن امرأة فلانيّة تطلب مني مراراً تلقين ذكر القلبي لها ، مع أنها لا تفعل الرابطة لإحياء قلبها بسببها .

أقول : ومن هذا الكلام يعلم **أن تلقين الذكر القلبي لا يكون إلاّ بعد حصول الحياة للقلب** .

وقد سمعته ﵁ يقول : إنما يحيى القلب بقلب حيّ ، وقال : ألا يكون (إنما) للحصر . **وسمعته** ﵁ يقول أيضاً : **إن القلب المقابل بقلب الشيخ محمود أفندي قدس سره لا بدّ من حياته** . **وسمعته** ﵁ يقول : إن عدم علم المريد حياة قلبه إنما هو لعدم صبره على الرابطة إلى أن تحصل له الغيبة . انتهى .

وسمعته ﵁ يقول : إذا سئل : أيّ اسم يسمي بنتي حين ولدت ؟ قال : أليس لكم من تسمي اسمها من الأموات ؟ **فإن الميّت يفرح إذا سمي باسمه** .

وقد سئلته مرة : أيّ اسم أسمّي بنتي ؟ فقال : سمّها بكريمة ، للتفاءل ، فسميتها بهذا الاسم ، وقد قرّ عيني بهذه البنت ببركة الامتثال بأمره .

وحين ولدت زوجتي ولداً ، سألته ﷺ : أيّ اسم أسمّيه ؟ فقال : سمّه بمحمّد عارف للتفاءل .

وقد كان للشيخ محمود أفندي ولد صالح اسمه محمّد عارف ، وقال : أليس في سلسلتنا شيخ يقال له عارف ؟ انتهى . فسميته بهذا الاسم المذكور ، وقرّ عيني به أيضاً ، ولله الحمد والمنّة . وأسئله تعالى أن يثبت أولادنا على حدّ الاستقامة بحرمة ساداتنا النقشبنديّة والقادريّة والشاذليّة قدس الله أسرارهم .آمين .

وسمعته ﷺ يقول : إن أمي لا تفعل ما أمرتها به من المعروف إذا كانت خالية من الناس ، قائلة : هل أفعل ما أمر بَوْلي ! وأما إذا كنت آمر بالمعروف للنساء وسمعتْها ، فكانت تفعلها . انتهى . لعله ﷺ قال ذلك إشارة إلى **أنّ الوعظ للإنسان بخصوصه يكون قليل المنفعة** . وقد كان ﷺ يقول إذا علم في شخص ما يكرهه : ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا إذا كان في مجمع من الناس ، بحيث لا يعرف أنه هو المراد بالوعظ بخصوصه ، كما هو مذكور في شمائله ﷺ .

وأخبرني واحد من العلماء أنه قدس سره قال : إني إذا قمت في الصباح يحصل لي الثقل فكنت لا أعرف سبب ذلك ، لكن وجدت سببه عدم أمْر أُمِّي بغسل وجهي إذا أصبحت في حالة صبايَ(١) ، والله أعلم .

وسمعته ﷺ يقول : إن زوجته تقوم للطاعة في السحر معي لكنها لا تطيع أمري ، ولو كانت تطيع لأرقيتها إلى مقام . انتهى .

أقول : ويعلم من ذلك أن الوصول إلى مقام لا يكون للمريد إلا بطاعة أوامر شيخه ، وإن لازم الطاعة وقيام الليل . انتهى .

---

(١) أقول : وبه يعلم **أن الإنسان يكون في حالة الكبر على ما نشأ عليه في حالة صباه ، والله أعلم** .

وسمعته ﷺ وعنا به آمين يقول إذا سئل : هل يجوز أن أتزوّج لولدي فلانة ؟ : كيف حال أمّها ، فإنّ أمّها كثيرة الكلام والبنت حالها كحال أمّها . انتهى .

أقول : وفي المَثَل : إنّ ولد المعز يَثِب إلى ما وثب إليه المعز . وفي المَثَل أيضاً : تزوّج البنت بالنظر إلى أمّها ، وللصحبة تأثير عظيم ، والأحوال سارية ، والطبيعة سارقة . وفي كلام الشيخ حكمة عظيمة فجزاه الله عنا خيرالجزاء . آمين .

وسمعته ﷺ يقول : الزوجة الفطنة العاقلة لا تكون خيراً للزوج ، فإنها قليلة الامتثال بأمره . انتهى .

وسمعته ﷺ يقول : الخِطبة للبنت ، ووعد تزويجها ينبغي أن يكون كلّ منهما وقت النكاح لا قبله ، يعنى لما أن المخالفة فى الوعد توقع العداوة فى الطرفين ، وقد تقع المخالفة كثيراً كما هو مشاهد . انتهى .

وسمعته ﷺ وعنا بحرمته آمين يقول : الناس يظنون أن البنت الصغيرة لا تحبّ الزوج الكبير في السن ، وليس كذلك ، بل هي تحبّ شديداً . قال ذلك إذا سئل : هل يكون الخير في تزويج البنت لواحد من العلماء ؟ وكانت أمّ البنت تظنّ أن البنت لا تحبّه لكونه أكبر منها عمراً . انتهى .

وسمعته ﷺ وعنا به يقول : احترق قلبي على تلقين النساء ما سوى الرابطة ، لكثرة شواغلهن وحِرَفهنَّ . انتهى .

وسمعته ﷺ وعنا به يقول : إني لا أحبّ أحداً من رجال ناحية ، وذكر اسمها ، عالماً كان أو جاهلاً ، يعني : والله أعلم ، لكون رجال تلك الناحية متكبرين والله لا يحبّ المتكبرين ، **ومن رأى نفسه خيراً من فرعون فهو متكبّر** .

وقال واحد من الإخوان أنه قدس سره قال مرة : لو كان جهنّم على الأرض لكان في تلك الناحية ، فالعياذ بالله من التكبّر .

وقد أخبرني واحد من علماء تلك الناحية بأنه قال لواحد من أكابر علمائها : إنا نجد في الكتب بأنّ اتخاذ الشيخ واجب ، وأرى الخير لنا في اتّخاذه . فقال له : إنا نجد في الكتب بوجوب التواضع للشيخ ، وأنا لا أريد أن أتواضع لمن هو أدنى مني علماً . فهذا القول من هذا العالم - عفى الله عنه - عين العجب والتكبر ، ولو كان من علماء الآخرة لتواضع لجاهل عامي فضلاً لشيخ وعالم دونه ؛

فالتواضع بساط تحت الأرضين السبع ، ومن جلس عليه يترقى إلى أعلى العليّين ؛ والتكبّر بساط فوق السماوات السبع ، ومن جلس عليه يقع إلى أسفل السافلين كما هو معنى ما فى الكتب . **وكان** ﷺ يثني لعالم فيه تواضع وخلق حسن . انتهى .

وسمعته يثني لمسلم العرادي - أبلّ الله مرقده بلطفه الخفي آمين - بأن فيه طبع يليق أن يكون في العالم ، ألا وهو الرفق ، وعدم رؤية النفس على أحد من خلق الله ، والتواضع والخلق المحمود ، والله تعالى أعلم .

وسمعته ﷺ يقول : إن جمعاً من المريدين لم يقضوا حقوق الناس التي عليهم سوى محمد بن عثمان الرقوي ، فإنه قضى جميع ما عليه من التبعات . انتهى . **وذلك منه** ﷺ **إشارة إلى وجوب قضاء الحقوق خاصة على من سلك في الطريقة ، فإن أهلها قد تزكوا نفوسهم من حق الله وحق الخلق ، فينبغي لمن يصحب الزكي أن يزكي نفسه** ، والله الموفق .

وسمعته ﷺ يقول : إن واحداً من الناس جاء لديه لأخذ الطريقة ، فأخذ أورادها وذهب ، ثم وجد في وادٍ معزاً لرجل عسوي ، فذبحه وحمل لحمه ، وذهب إلى قريته . وكان قدس سره يتبسَّم حين يخبر القصة . وقد

كان قدس سره أخبرني اسمه ، وتركه يتردد إليه ظناً منه أن الشيخ لا يعلم حاله ، وكان الشيخ يداريه ويلاطفه ، ولا يعلم أنه يطلع على أحواله ، فآل أمر السارق بعد حين إلى أنه يختار الشيخ عما سواه ، ويلازم الذكر ويحفظ ما عهده عليه شيخه . وهكذا كان حال الشيخ رحمه الله تعالى ، ولم أسمعه قط يقول لواحد ما يكرهه قلبه ؛ ولو كان من أفسق الناس .

وقد قال لي يوماً : إني كنت في مجلس الشيخ جبرائيل أفندي قدس سره ، وكان عنده مريدوه ، فكشف لي أنهم صاروا خنازير ، ثم قال لي : أليس هاهنا قلة ؟ لأذهب لغسل الجسد ، فقلت له : نعم ، ثم ذهبت أنا معه إلى القلة ، وغسل الشيخ جسده ، فقلت له : يا أستاذي إن المريدين صاروا خنازير ، فما الحكمة في ذلك ؟ فقال لي : أكشفت حالهم كذلك ؟ فقلت له : نعم ، فقال : إنهم كانوا كلهم تاركين الصلاة . انتهى .

قال رضي الله عنه : إن الشيخ قدس سره كان في تلك الحين يمتحنني حين قصد لإعطاء الإذن والإجازة لي ، ثم قال لي : يا ولدي **لا تقل لأحد من المريدين قولاً يضيق قلبه ويكرهه ؛ ولو كشف لك أن رجلاً قد ركب على امرأة يزنيها** ، وبعد ذكره هذه القصة المذكورة ، وتفهيمه بأنّ **الشيخ يجب عليه أن يخفي ما كشف له من عورات المريدين** أجاز لهذا الحقير - رحم الله إفلاسه - بالتلقين والتعليم والإرشاد في مجمع من الناس ، فجزاه الله عنّا خيراً حيث أشار بكلامه بما هو كالصريح آمين .

وسمعته قدس سره يقول : إني توجهت في يوم على أحوال كثير من المريدين ، فحصل لي بذلك ثقل عظيم وحمل ثقيل ، فكنت مع ذلك أتوجه إليهم رجاء أن أموت ، ظنّاً مني أن الموت خير لي من أن أكون على هذه الحالة الشديدة ، بيد أن الروح كان يخرج إلى أن يصل إلى السرة ثم يدخل مواضعه . انتهى . ومن هذا الكلام يفهم **أن الشيخ يحمل الأثقال الشديدة بسبب التوجه** . وكذا قال شيخنا شعيب أفندي الباكني قدس سره في « طبقاته » : **التوجه أشد شيء على المشائخ** أو ما هذا معناه .

وسمعته رضي الله عنه يقول : أن الشيخ جبرائيل أفندي قال لي : يا ولدي لا تتوجه أكثر من ستة مريد في اليوم ، فإنك ضعيف . انتهى . وكان رضي الله عنه يقول : إني أصير مريضاً لو توجهت أكثر من ستة مريد .

وحملني قدس سره مرة معه في سنة ذهابه إلى سفر الحج ، ودرت معه في القرى ، وكان يأمرني بالتوجه إلى الناس في كل قرية ، ويأمرهم بذهابهم لديّ ، وكنت أتوجه إليهم امتثالاً بأمره ، فقال : لعلك توجهت في هذا اليوم إلى مائة مريد ، ولم يحصل لي صداع ولا مرض مّا ، مع كثرة التوجهات ببركة صحبته رضي الله عنه . وكنت في يوم في صحبة مريد له وأتوجه إليه بغير علمه ، فينعكس إليّ أثر حياة قلبه من الحركة والارتعاش ، فحين قصدت أن أتوجه إليه مع علمه سلب منه الحالة المذكورة وانعكس إليّ القبض ، فتعجبت بذلك ، ولم أدر ما السبب ، وخفت من أن يكون سلب حاله بشؤم توجهي . فذكرت عند الشيخ ما وقع لي من القصة وأخبرته خوفي ، وقلت له ما الحكمة في ذلك ؟ فأجاب : بأن ذلك المريد حصل له القبضة لخوفه وشدة صعوبته للوقوف بين يديك ، ولذا زال عنه ما به من الحال . انتهى .

وسمعت من واحد أن الشيخ قدس سره اضطجع على الفراش كذا وكذا شهراً ، وأظن أنه قال : ثلاثة أشهر ، بصعوبة توجهه إلى امرأة .

وأخبرني الحاج المؤذن محمد الهؤري - نوّر الله قبره آمين - أنه كان معه يدور في طرق مكة ، فلقي في بعض الطريق رجل شاب عليه سيما الخير ، فصاح الشيخ وقتئذ ، وقصد أن يذهب خلفه ، فقلت له : لا تذهب يا أستاذي ، لئلا يصعب ملاقاتنا بعد ذلك ، فترك ذهابه ، وقال : إن الحال الذي كان سلب مني منذ سنين ، وأظن أنه قال : منذ إحدى عشرة سنة ، قد حصل لي حين لاقيت هذا الشاب ولعله كان من أكابر الأولياء فانعكس إليه حاله وردّ إليه بسطه ببركته ، والله أعلم .

وسمعته رضي الله عنه يقول : إنه كان يعلم وقت توجه شيخه الحاج جبرائيل قدس سره ، ويحصل للطائفه الحرارة . وقد كان قبل ذلك توجه إلى لطائفي بغير علم مني ، وحصل للطائفي أثر توجهه ، ورأيت حينئذ النور الأخضر كالغمامة وقف بيني وبينه بعيني رأسي ، فقال لي : إني توجهت إليك الآن ، فهل علمت ؟ ذلك فقلت له : نعم ، علمت ذلك ، وتوجه إليّ مرة ووقف زمناً كثيراً ، وكنت على الحضور التام ، وكان الوقت بعد الظهر ، وظننت أن طول توجهه ليمتحن دوام حضوري ، فخطر في قلبي ؛ ولو توجهت إلى وقت العصر أقدر بعون الله أن أقف على الحضور هكذا ، فتنفس وقتئذ ، وقال لي : يا أخي إن هذا الأمر عظيم عند المشائخ ، أو ما هذا معناه . انتهى .

وسمعته رضي الله عنه يقول حين يتوجه وجهت قلبي إلى قلب شيخي محمود أفندي ، وقصدت إزالة الظلمة من قلبه .

وسمعته رضي الله عنه يقول : إن الحاج جبرائيل أفندي رضي الله عنه قال لي : إني كنت قصدت أن أذهب لدى الشيخ محمود أفندي رضي الله عنه لو يتركني لقراءة العقائد و« الجوامع » ، فذهبت لديه ووجدته في مجلس مع الأكابر ، فدخلت عليه فحين رآني قرأ قوله تعالى ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ الآية ، فقلت في نفسي : يكفي لي منه هذا[1] ، فرجعت من عنده وكنت نازلاً في موضع بإطلاق فرسي للأكل ، فجاء محمود أفندي رضي الله عنه وناداني يا ولدي ، خذ العقائد و« الجوامع » وجِئْ لديَّ متى شئت ، يعني اطلع قدس سره إلى ما كان مضمراً في قلبه ، والله أعلم .

وسمعته رضي الله عنه يقول : إن الشيخ جبرائيل أفندي قدس سره قال له بعد تلقين الذكر القلبي : يا ولدي **إنّي غرست في قلبك شجرة لفظة الجلالة**

---

(١) أي : من علو شأنه بإطلاعه على حاله ، فافهم (هامش الأصل) .

(الله) فأنبتها بالاستغفار والصلاة علي النبي ﷺ . يعني **أنهما بمثابة الماء والشمس لانبات الشجرة** ، والله أعلم .

وسمعته رضي الله عنه يقول : إني كنت خرجت من القرية بقصد الزيارة لدى شيخي الحاج جبرائيل أفندي قدس سره ، وكان العالم شعبانل محمد شايعني إلى طرف النهر ، فلما وصلت لديه قال لي : من الرجل الذي له لحية سوداء ، وجسمه طويل ، الذي كان معك يشايعك وقت خروجك من البيت ؟ فقلت له : أنه قريبي ، فقال : سيكون من مريدك وهو رجل يحبك . قال الشيخ رضي الله عنه : أنه كان لا يظن أنه يكون شيخاً ، فحاشا ذلك وكلاّ ! أي : ويكون ذلك القريب مريداً له ، بيد أنه صار الأمر كما قال قدس سره .

وسمعته رضي الله عنه يقول : إني كنت ذهبت لدى أدرة العرادي رحمه الله للزيارة قبل ذهابي لزيارة الشيخ ، فسألني أدرة أشياء في حق الطريقة ، فلما وصلت لدى الشيخ قال لي : ماذا كان يسألك ذلك الرجل الذى له لحية بيضاء في تلك الليلة ؟ فقلت له بكذا وكذا . انتهى . يعني اطلع قدس سره بكشفه إلى ما وقع له مع ذلك العالم ، مع بعد المسافة ، والله أعلم .

وكان رضي الله عنه يقول : إني كنت أظن أن أحوالي لا يعلمها الشيخ ، وكان لا يكشفها[1] وإن كان يعلمها ويعلم ما أظنه ، ولكنه قدس سره قد كان يظهرها بعد ما لقنني المراقبة في وقت من الأوقات ، وكثيراً ما يخفيها .

وسمعته رضي الله عنه يقول : إني كنت في خلوة ، وكنت خرجت في ليلة بعد المغرب لقضاء الحاجة ، فرأيت كأن الجاموش وقف قبلي ، وظننت أنها جاموش ضيفي قد بقي خالفاً ، وقصدت أن أسوقه إلى مكانه ، فلما هويت وجدتها شيئاً عظيماً كأن قرونه مرتفعة إلى السماء ، فعلمت أنه

---

(١) أي : لا يظهرها .

شيطان . فرابطت الشيخ محمود أفندي قدس سره ، فزال عن عيني وغاب كأنه لم يكن ، ثم لما قضيت الحاجة وقعدت للوضوء وقف قبالتي شيء أسود ، عظيم مرتفع إلى السماء كالمنبر . فرابطت الشيخ أيضاً فغاب عني في الساعة . قال ﷺ : إن الخوف الذي حصل برؤية ذلك بقي فيّ إلى الغد ، وقلت له إني رأيت كأن الجان وقفوا حولي ، وكأن بأيديهم هريسة البر ، وكانوا يقربون مني فقرأت السلسلة ، لكن كانوا وقت قرائتها يقربون هويناً إلى أن أذكر اسمك ، فلما ذكرته غابوا عني وصاروا كأنهم لم يكونوا حولي . فقال ﷺ : ذلك لكونك فانياً فيّ ولم يزد على ذلك .

وسمعته ﷺ يقول في حق مريدي المتشيخين : لو أنهم دخلوا الخلوة لكنا ننظر إليهم ماذا يفعل بهم الشياطين ، يعني ليس لهم شيخ يرابطونه ويهرب به الشيطان ، والله أعلم . **فإن الشياطين لو دنوا إلى من فَنِيَ في الذات يحترقون بنوره** ، والله وليُّ التوفيق .

وسمعته ﷺ يقول : إن الحاج جبرائيل أفندي كان يقول لي : إني جعلتك سلطان السلاطين ، فكن أنت متهيّئاً باللباس الحسن والسمت المزين .

وكان ﷺ يقول : يجوز للمريد أن يرابط بنا حين كان معنا ، لأن الشيطان لا يقدر أن يقرب إلى مجلسنا ، وأما إذا غابوا عنا فلا يجوز لهم أن يفعلوا الرابطة بذاتنا ، لأن الشيطان يقدر أن يتصوّر بصورتنا . **وأما التصور بصورة محمود أفندي قدس سره فمما لا طاقة له به** .

وأنه كان يقول : لو فعل المريد الرابطة بي متوجهاً إلى المشرق أو إلى المغرب لا يقدر الشيطان أن يقف ما بينهما ، فإن وقف يحترق بنوري . وقال ﷺ : أن الحاج جبرائيل أفندي قال لي كرات ، بل قال عشر مرات : لا تسلط الشياطين إلى المريد بأمرك عليهم برابطة ذاتك . انتهى .

وقد كان ﷺ ينكر بعضاً من الشيوخ عند سماعه أنه يأمر المريد برابطة نفسه ، وأمرني قبل ذهابه إلى الحج بكتبة الكتاب إلى الشيخ موسى القراني عفى الله عنه بعدم جواز الرابطة بنفسه ، فإن شك فلينظر إلى « البهجة السنية » . فكتبته كما قال ، وأرسلته لديه ، ولم أدر هل قبل أم لا .

وسمعته ﷺ يقول : إني كنت لا أعرف كيفية إتيان النفي والإثبات بعد تلقينه ، وكان الشيخ لم يعلّمه بالتفصيل إلاّ بطرح السبحة على كيفية (لا) المعكوسة . فكنت أسأل المريدين ، فبعضهم يصيب وبعضهم يخطأ . فحين كنت في الخلوة جاء لديّ روحانية الشيخ محمود أفندي قدس سره فأمرّ إصبعه من السرة إلى رأس الدماغ ، ومنه إلى الكتف الأيمن ، ومنه إلى القلب . فصار فيه خط نورانيّ على صورة (لا) المعكوسة ، وبعد ذلك كنت أقول للمريدين : من لا يدري كيفيته ، فليأت لديَّ لأُعلّمه . انتهى . وكان ﷺ يكتب صورته بيده الشريفة مع بيان شروطه ، فجزاه الله عنا خيراً آمين .

وحين كنت في مجلسه ظننت أن شيخه لقبه بذي الجناحين الذى **يلقب به في اصطلاح الصوفية على من رَقِيَ إلى الولاية العليا** التي هي ولاية الملائكة ، وكان هذا لقباً على القطب خالد شاه ﷺ ، **وأنه أوصل بتصرفه وتوجهه الواحد كذا وكذا مريداً إلى درجة الإرشاد والولاية ،** فكيف لا يوصل الشيخ المريدين إلى المقامات مثل الشيخ خالد شاه قدس سره ، فساعة خطور هذا في القلب نظر إليَّ متوجهاً وقال : يا أخي ، إن الشيخ خالد إنما أوصلهم إلى ذلك المقام لكونهم مستعدين ، ألا ترى أن الاستعداد لا يحصل للمريدين في هذا الزمان مع ملازمتهم على الأذكار وأسباب الاستعداد ؟ ! فانظر في كون المرشدين كثيراً في الزمان الماضي ، وقلتهم في زماننا ، وقلة الاستعداد في أهل عصرنا . انتهى . فهكذا كان عادة الشيخ ﷺ يجيب أحياناً إذا خطر بالقلب شيئاً .

وكان ﵁ يقول لي إذا سألته شيئاً مشكلاً (هِقِزِ كُلَرِلَنْ بُكُخَ لِ) . يعني أنه يجيب للخاطر وإن لم يسأله باللسان فافهم .

ولكن كان ﵁ يقول لي : أحياناً اسأل يا أخي ، ما أشكل عليك واكتبه إليّ ، لئلا تبقى في الإشكال بموتي ، وقد بقيت بموت شيخي الحاج جبرائيل أفندي قدس سره ، والحال أن لي إشكالات كثيرة . انتهى . وكنت أسأله أموراً كثيرة ويجيبها ، وكنت في وقت حياته أظن أنه لم يبق لي في أمور الطريقة إشكال مّا ، فحين انتقل إلى رحمة الله تعالى واشتغلت بالتعليم والتلقين ظهر لي إشكال في إشكال ، ووجدت الأمر صعباً في صعب ، أصلح الله عاقبة أمرنا وجعلنا مهتدين هادين ، لا ضالين ولا مضلين آمين .

وسمعته ﵁ وعنا به آمين يقول : إني كنت أسير في الفلاة ، وكان معي شيخي الحاجي جبرائيل أفندي ، والشيخ الحاج أحمد أفندي التلالي رحمهما الله تعالى . فحين وصلنا إلى موضع ، شمّ الشيخ أحمد رائحة الفيض من قبر ولي الله كان هنالك ، ولا أثر له يعلم ، فحوّل وجهه وقال : ما هذا الفيض ، ما هذا ؟ وأما الحاج جبرائيل أفندي كان يسير على حالته لم يتكلم بكلمة ، مع كونه يعلم ما هنالك من القبر ، وشمّ رائحة الفيض ، فقلت للشيخ أحمد : سِرْ ، وأنا كنت فست أي قال : وِلِّنْ وُكَ وَچُرَوْ ، دُنْ تُصُنْ وُكَنِنْ ، فافهم . فحول إليَّ وجهه الشيخ جبرائيل فرحاً مسروراً بقوْلي وقال : قل هكذا يا ولدي ، يجب أن يقال هكذا يا ولدي .

وأخبرني واحد أنّ واحداً من أهل الكشف قال له أي : لشيخنا العسلي قدس سره إذا كشف القبر الكائن في مسجد « عَسَبْ » ، فقال له : لم لا تظهر الناس هذا القبر ؟ فإنهم يطؤون عليه أرجلهم ويصلون عليه ، فقال له : لا بأس بوطئ الرجل لمن لا يعلمه ولا يكشفه ، وأما الكاشف فلا يطأ عليه رجله . انتهى .

وقد قلت له مرة يا أستاذي إن الناس يخبرون بأن في مقبرتنا قبر وليّ في موضع فلاني ، بيد أنهم لا يعلمون تعيينه ، ألا يجوز تعيينه فانقبض وجهه وقال : لا خير في أمثال ذلك . انتهى . يعني : في إظهار الكشوفات .

وقلت له مرة يا أستاذي : إن أموراً ترى في الوقائع وتقرأ الآيات المتفرقة لكنها تنسى سريعاً فما الحكمة في ذلك ؟ فقال : إن فيها ترى عذاب القبر ، فلو لم تنس الوقائع هل يفعل الدنيا ؟ ! يعني إذا رأى الأمور الفظيعة ، كعذاب الأموات في القبور وأمثالها ، لا يقدر أن يفعل شيئاً من الدنيا وضروريّاتها . ففى النسيان حكمة إلهية .

وقد سمعته رضي الله عنه يقول لبعض المريدين حين يتوجه إليه : هل يكون الدنيا مشرقاً ، كما إذا طلع الشمس ؟ فقال المريد : نعم فقال له الشيخ : إذا نظرت إلى الأموات حين وصلت إلى المقبرة تراهم مضطجعين كالأغنام ، وحين سألت ذلك المريد هل تراهم أم لا ؟ قال : لا ، بيد إني سمعت أنه قال حين مرض بمرض الموت : إن الشيخ قال لي ذلك القول المذكور ، وأنا أظنّ لو أن لي قدرة للذهاب إلى المقابر لأنظر إلي أحوال الموتى . فإني أرى الآن سرعة أرجل الحشرات الكائنة تحت تلك اللبنة ، وأشار إلى لبنة كانت في طرف الغرفة ، ومات ذلك المريد بذلك المرض ، عفى الله عنه آمين .

وأخبرني واحد من المريدين أنه قال للشيخ رضي الله عنه : بأنّ واحداً جاء لديه حين كان في مقبرة الشيخ في « هُلُوقْ » ، وادعى أنه يعلم أحوال الموتى ، فقال له رضي الله عنه : إذا جاء لديك مثله فاحمله إلى قبر كذا[1] ، وقل له : هذا قبر ولي كبير ، ثم انظر ما ذا يقول ، ثم قال قدس سره : اَمَنْ اَللّٰه خَ تَرْهِنِك يَنْ عُرُلِي رِخِز ، ولم يزد على ذلك . انتهى . ويفهم منه أن فيه كانت امرأة معذبة ، وكان كشف له حالها ، والله أعلم .

---

(١) وعيّنه . (هامش الأصل) .

وكان ﷺ يغضب من يخبر الكشوفات ولا يرضاه ، وكان يقول **المسقط عن المقام والمانع عن الوصول إليه هو قول** (أَنَا) ، **يعني إن الكشوفات لا يظهرها إلاّ من أراد علوّ درجته عند الناس** . وأما من زكى نفسه ، وخلص عمله ، فلا يتفوّه بالكشف أصلاً ، بل يرى ظهوره حجاباً عظيماً يقطعه عن الوصول إلى الله تعالى . **فالمطلب الأعلى والمقصد الأسنى الاستقامة ، فإنها أرفع وأفضل من ألوف من الكرامات** ، جعلنا الله تعالى وأحبابنا من أهل التقوى والاستقامة ، وخلصنا من ملاحظة حظ هذه النفس الأمارة التي هي الصنم الأكبر على التحقيق ، أنه على ذلك قدير .

وسمعته ﷺ يقول ما هذا معناه : لا يكون الشيخ شيخاً بالكشف ؛ ولو رأى العرش والكرسي والسمَاوات والأرض وما فيها ، بل **الشيخ من يعلم أحوال المريد** ، وحكاه عن عين كتاب .

وكنت مراراً تحصل لي حرارة القلب ولا أدري سببها ، فحين كنت عنده ظننت ذلك ، وخطر في قلبي ما كان قبله مضمراً ، فنظر إليّ بوجهه الشريف فقال : إن تلك الحرارة من علامات توجه الشيخ . فقال له العالم عيسى القحيّ عفى الله عنه : هل ينظر الشيخ إلى المريد حين كان غائباً ؟ فقال قدس سره : نعم ينظر إليه ويلاحظه ، ويحصل له البركة إذا كان في الحضور وقتئذ . وأما إن وجده غافلاً فيتركه كما كان . انتهى .

وكان وعظه قدس سره بالإشارة وبالرفق لا بالعنف . كان إذا أراد أن ينبه أحداً يذكر واحداً ويذم طبعه وعمله ، ليفهم بذلك قبح عمل غيره . فقد كنت عنده في يوم فقال : يا أخي ، إن أدرة العرادي كان عالماً عاقلاً يليق أن يؤذن له للإرشاد ، بيد أنه لم يقدر أن يترك أخلاقه كالغضب وغيره . انتهى . فعلمت أن ذكره هذا الكلام لتنبيهي على عدم جواز كون الغضب في المرشد .

وكان قدس سره يذكره[1] أي : العالم أدرة ، ويذمّ حب الدنيا أو البخل لدى من يحب الدنيا أو يبخل به . وقد قيل : **لا بدّ للمرشد من ممدوح أو مذموم** أو ما هذا معناه .

وكان ﷺ لا يأمر باللسان أحداً بترك شيء منهيّ عنه ، بل كان إذا قيل له : قل لي بترك المسكر أو الحشيش أو غيرهما ، يقول : إنك تتركه إن حصل لك البركة لا يزيد على ذلك ، بل كان يخبر ما قاله شيخه بما هذا معناه : لا تقل يا ولدي لأحد ما يكرهه وإن كشف لك أنه يزني بامرأة ويعلوها ، بل ادعو الله تعالى بتوفيقه ، لتركه إياه ، وتوسل لذلك بالشيخ محمود أفندي ، وناده . انتهى .

وأخبرني واحد أنه قال له : إني لا أطيق أن أترك المسكر ، فقال له : لا بأس لكن لا تترك ما أمرتك به من الأوراد ، وافعلها ولو بعد الصحو من المسكر ، فقال المريد أنه لم يترك أوراده قط إلاّ مرة حين كان في قلعة أنْجِه . فالحكمة أن تغيير المنكر يكون للعارف بالقلب لا باليد ولا باللسان وذلك أضعف[2] الإيمان ، كما هو مذكور في « لواقح الأنوار » .

وسمعته ﷺ وعنا بحرمته آمين يقول : كم من بلاء نزل بمن ترك ما ألزمته من الأوراد في الدنيا ، فكيف يكون في الآخرة .

وأخبرني واحد من الإخوان أنه قال : كم لي من مريد يريد موتي ! ليترك ما عاهدته عليه من الأوراد بعد وفاتي . انتهى .

أقول : **الإعراض عن الورد إعراض عن الله ، ومن أعرض عن الله أعرض الله عنه ، ومن أعرض الله عنه فالبليات نصب عينيه** . ولهذا يكون **مرتد الطريقة أسوأ حالاً من مرتد الشريعة** . فمثال مرتد الشريعة ،

---

(١)لا لكون تلك الذمائم فيه ، بل لتفهيم الغير . فافهم .

(٢) من المضاعفة ، تدبّر .

كمن طرد السلطان من خدمته خارج البيت ، ومثال من طرد من الطريقة كمن طرد من مجلسه الخاص ، فقد ورد في الحديث القدسي « أنا جليس من ذكرني » . وقال تعالى ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ . ولا يخفى أن الطرد من المجالسة ومحل المذاكرة والمؤانسة يكون أعظم من الطرد عن الخدمة ، فافهم ذلك فإنه مهمٌّ .

ورأيت عياناً أن من أعرض عما وضعه عليه من الورد ، أو عارضه وأنكره أصابت عليه المصائب والبلايا ، وصار حاله إلى الذل والهوان ، وضاق عليه أمر المعاش بعد ما كان في سعة من العيش ، وبذكره يطول الكلام ويحصل السآم .

وقد قال الإمام بهاء الدين النقشبند ﷺ وعنا بحرمته آمين : من أعرض عن طريقتنا هذا فهو على خطر من دينه . انتهى . **فخطر الدنيا قليل والخطر في الدين من أعظم البلايا** ، فالعياذ بالله من الحور بعد الكور ومن الذل بعد العز ، آمين .

وسمعته ﷺ يقول : إنّ فلاناً كان مريداً ، ولكنه لا يفعل ما وضعته عليه من الورد ، بيد أنه يظن أني لا أعلمه ، ويسعى كمن يفعله . انتهى .

وسمعته ﷺ يقول : إن واحداً من أهل الغرور جاء لديّ ، فطلب مني سلوكه في الطريقة ، فقلت له : إني لا أطرح الحبوب قبالة الدجاجة التي لا يلتقطها . وقال : إنه ذهب بعد ذلك إلى قرية عَسَبْ ، ولبس عليه فروة واحد ، وذهب إلى المسجد ، فصاح هناك كالمجذوب وقال : الله ! محمد ! الله ! محمد ! فأبكى الجماعة تظن أنه من أهل الأحوال ، وأنه مجذوب ، ولم يعلموا أنه سارق يغرّ الناس بأمثال هذه المموهات ، لكن كان هناك من يعلم حاله ، فذهب لديه وصافحه . فلما وجد هناك من يعلم حاله فرّ سرّاً مع ما لبس عليه من فروة الضيق . انتهى .

وسمعته ﷺ يقول : كان واحد من أهل الدعوى نزل بقرية ، وكانت عادته أنه كان يجلس في حجرة فيها كوّة إلى دار أخرى تسكن فيه امرأته . وكان الزائر يجيء لدى زوجته ، وكانت تسأله اسمه واسم قريته ، وهل هو عالم أو جاهل ، وبأيِّ حاجة جاءه ، وكانت تقول للزائر قف هنا زماناً حتى يفرغ من ورده ، ثم كانت المرأة تذهب لديه ، وتخبره حقيقة الزائر ، بفتح الكوة والحال أن الزائر لا يعلم ما تفعله معه ، ثم كان ذلك الغرار يخرج من الحجرة ، ويصافح الزائر ، ويخبره بأحواله وحاجته ، كما أخبرته زوجته ، وكان الزائر يعجب ذلك ، ويظن أن حاله قد علمه بكشفه ، وكان يخبره الناس بما وقع له معه ، والناس يعتقدونه . انتهى . وقد زاره واحد من مريديه فامتحنه ، فوجده غراراً يغرّ الخلق بأمثال هذه الأمور . وظهر منه أمور عند الناس ، فهرب من تلك القرية إذا علم أن حاله قد ظهر ، فالعياذ بالله من أمثال هذه المذكورات ، آمين .

وسمعته ﷺ يقول : **إن حصول الحال خير من علم الحال** . انتهى . قاله ذلك إذا قلت له : إني أكتب لك تصديق المعارف لو أردته يا أستاذ ، وقال : هل الكتب قليلة ؟ ! انتهى . يعني إن الكتب كثيرة ، والنظر إليها لا يوصل الحال ، والموصل إليه ملازمة الأوراد ، والمداومة على الأذكار ليلاً ونهاراً ، قياماً وقعوداً ، وعلى كل حال ، كما قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾ الآية .

وكان قدس سره يأمرني بملازمة الذكر ، وكان لا يتركني لقراءة « دلائل الخيرات » ، ولا لقراءة القرآن ، بل كان مراده الاشتغال بالذكر إلى أن تحصل ملكة الحضور ، بحيث يصير المريد لا يغفل عن الله ، فحينئذ كان يرخص لقراءة القرآن . وحكمة ذلك أن المريد عليل بمرض الغفلة ، فالطبيب لا يرخص للمريض أن يأكل نفائس الأطعمة ولذائذها إلى أن يحصل له الشفاء والصحة ، فعند ذلك يتركه ليأكل ما شاء ، فهكذا

المريد لا يحصل له الحضور إلاّ بمداومة الذكر إلى أن يصير قلبه يقدر على حفظ الحضور على كل حال وفي كل حين ، فافهم ذلك فإنه مهمّ .

وكان ﷺ يقول : **التخيل مع الأصوات بالذكر لا يحصل إلاّ لمن حصل له حياة القلب** . وكان يسلم ساعته إلى يدي ويقول : هل يقع تخيل القلب بلفظة الله موافقاً بصوت هذه الساعة أم لا ؟ فإذا قيل له نعم ، قال : لا تقع إلاّ بحياة القلب . انتهى .

وسمعته ﷺ يقول : إن مجنون ليلى كان يذكر اسمها دائماً ويقول : ليلى ! ليلى ! فصار راسخاً في جميع أجزاء بدنه ، بحيث يصير كل جزء منه يقول : ليلى ! ليلى ! بسبب كثرة ذكره ذلك الاسم . وهكذا **ينبغي للمريد أن يداوم ذكر الله حتى يصير راسخاً في أجزاء بدنه ، ويحصل له سلطان الذكر** . انتهى .

وقال لي : هل تعرف حركة القلب وارتعاشه بالذكر أم لا ؟ . فقال : في أي قدر من الوقت تفعل الورد بالذكر القلبي ؟ فقلت بقدر نصف ساعة . فقال : أنت تفعله بضرب إصبعك السبابة علي القلب بلا طرح سبحة بقدر ذلك الوقت في مدة ثلاثة أيام ، ففعلت ما أمرني به في تلك المدة ، فحالة تمام الورد شممت رائحة طيّبة ، وطرأ عليّ حال ، فوقتئذ علمت حركة القلب وذكره ، والحمد لله رب العالمين .

وبعض الأكابر كان يأمر المريد بدوام وقوف القلب في أيام[1] ، ثم يتأثر ويعلم حاله ، ولكن **غياب الحال أسلم للمريد من علمه ، فالعدم المحض أسنى الأحوال** ، ومن المريدين من يعلم ، ومنهم من لا يعلم والله أعلم . فمنهم من يحصل له الحرارة ، ومنهم من يحصل الحركة ، ومنهم من يحصل الصفاء ، ولا يحصل له غيره على حسب العناصر

---

(١) وفي نسخة زيادة : بغير ذكر .

الأربعة وغلبتها . فافهم فإنه نفيس ، وبسط الكلام في ذلك لا يحتمل هذه الأرجوزة .

وسمعته ﷺ يقول : **يكفي لأهل داغستان الذكر القلبي** ، ولكني أرقيت أبعاضاً منهم إلى الولاية الصغرى ، **أقول** : حكي عن القطب محمود أفندى أنه قال : **قلامة ظفر من حي قلبه خير من الدنيا وما فيها** ومن فيها . انتهى .

ونقل شيخنا سيف الله قدس سره من « الرسالة المدنية » في « كنزه » أن الذكر القلبي لا يعدل عليه شيء . وكتب في بعض مكاتبه أن الحضور القلبي لا يساويه الدنيا والآخرة .

ورأيت في شرح « تائية السلوك » : فرب ذاكر لله لحظة مع حضور القلب خير ممن ذكره ألف سنة بلا حضور القلب .

ورأيت في « الإبريز » : أن وجهة القلوب إلى الله هي صلاتها ، وإنما شرعت جميع العبادات لتحصيل هذه الوجهة ، والذكر القلبي هو الذى يلقنه النقشبنديون في الابتداء وهو نهاية غيرهم ، ومن هنا قالوا : بداية طريقتنا نهاية غيرهم . انتهى . فيا سعادة من استعسد بحصول هذه الدولة العظمى .

وقد قيل : إنّ الذي عنى به رسول الله ﷺ بقوله « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صوم ، بل بشيء وقر في قلبه » هو الذكر القلبي ، ومن هنا قالوا نسبتنا هذه فوق جميع النسب ، يعني أن هذه النسبة متصلة بأفضل البشر بعد النبيين أبي بكر الصديق ﷺ ، فافهم فإنه نفيس .

فإذا كان الأمر كذلك ينبغي للسالك أن يحفظ قلبه من الخطرات ، ويجتهد لتحصيل الحضور ، فيحفظه في عدة سنين ، كما قال الجنيد ﷺ حرست قلبي عشرين ليلة ، فحرسني قلبي عشرين سنة . وقد قال الإمام

الرباني بما هذا حاصله : **أن الذكر القلبي مؤيّد لإتيان الأحكام الشرعية ، ودافع لعناد النفس الأمارة** . انتهى . فالقلب هو الذي قيل فيه : إنّه بيت الله وعرش الله ومنظر الله ، فينبغي أن يطهر ما هذا صفاته من خطور الأغيار ، وأن ينجلي بأنوار الذكر ، حتى يصير يشرق العالم بأنواره ، كما يشرق الشمس ما بين السماء والأرض ، والله ولي التوفيق .

وكان ﵁ يقول ما حاصله : إن سبب عدم تبحره في العلم حياة القلب الذكر ، فإني كنت أقرأ الامتحان ، فسلكت حينئذ في الطريقة ، فبعد تلقين الذكر صار القلب حيّاً بذكر الله دائماً ، فلم يسع بعد ذلك لغيره . انتهى .

أقول : **إنّ القلب إذا رسخ فيه الذكر** – حتى يصير ملكة – **لا ينام ولا يموت** . ومن كان هذا حاله فكل من رأى وجهه ذكر الله كما ورد « خياركم الذين اذا رؤوا ذكر الله » .

وقد أخبرنا أبعاض من الثقات أنهم وجدوا حركة قلب الميت بعد موته ، وأقروا بعدم موت القلب الذي هو محل معرفة الله ، وإن مات الجسد : والله على كل شيء قدير . وأخبروا بأنّ أبعاضاً من المريدين ماتوا وهم يحركون السبابة كما يحركونها بطرح حبات السبحة .

وكان ﵁ يقول : إني كنت في شتاء أضطجع مع واحد في فراش واحد ، وأذكر الله تعالى في كل ليلة مائة ألف مرة سرّاً منه ، بحيث لا يعرف ذلك مني . انتهى . يعني أنه قدس سره كان يذكر الله تعالى إذا نام رفيقه ، **لأن الإخفاء في العبادة أربى من العلانية بدرجات** . وفي الحديث « خير الذكر الخفي » . وقال تعالى ﴿ **وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً** ﴾ الآية .

وقد ورد في الذكر القلبي خاصة ما يصرح بفضله على غيره ؛ روى البيهقي عن عائشة رضي الله عنهما « الذكر الذى لا تسمعه الحفظة

يزيد على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفاً » وذلك لخفائه وعدم اطلاعه غير الله .

وقد قال ابن حجر رحمه الله تعالى : العمل القلبي لعدم تصور الرياء فيه أفضل من غيره . ظاهره وإن قلّ ، كتفكر ساعة بالنسبة إلى ألف ركعة راجع ابن ق .

وسمعته ﵁ يقول : إن واحداً جاء لديَّ وقال : إني كنت أعرف حركة اللطائف ، فسكنت بعد ذلك ، فقلت له : ألا تسكن والحال أنك تأكل اللحم ، فقال : إنها سكنت بعد ما أكلت اللحم حين دعيت إلى بيت شخص في يوم ذبح فيه ثوره . انتهى ، ثم قال ﵁ : إن لطائفه ليست بساكنة ، بيد أن حركاتها خافية عنده . انتهى . يعني لأكله لحم الثور .

وقد أخبرني العالم دِبِرْ محمد القحي – أبلَّ الله مرقده بلطفه الخفي آمين – أنه كان يعلم حركة اللطائف ، حتى إذا أكل قطعة لحم سكنت بالكلية . ومن هذا يعلم خيرية الاجتناب عن أكل لحم الحيوان ، وما صدر منه . وقد يأمر المشائخ أحياناً بتركه ، ولكن الشيخ ﵁ كان يرخص لأكل شيء من الحيواني بعد مدة عشرين يوماً منذ ما دخل المريد في السلوك والعزلة . وكان ﵁ يرخص أكل العسل لكونه نباتيّاً .

ومما ينبغي أن يجتنب المريد أكل ما مست به يد الحائضة ، فضرر ذلك عظيم . فقد كنت أعرف حركة اللطائف وذكرها ، وكانت ترتعش وتتحرك بحركات عجيبة ، وكنت حينئذ لا أفهم من كلام الناس وأصواتهم إلاّ الذكر ، حتى كنت يدور خيالي مع كل حركة من حركات ألفاظهم بكلمة الله ، الله ، الله ، ولا أفهم غيرها ، ففي ليلة من الليالي زال عني ما كان بي من البسط ، فطرأ عليَّ قبض شديد ، وسكنت اللطائف بالكلية ، فحصل لي الندامة بكيف لا توصف ، ثم بعد أيام زرت لدى الشيخ قدس

سره ، فتوجه إلى أحوالي ، وقال : قد طرأ قبض عظيم ، فقلت له : نعم ، يا أستاذي ، فأخبرته ما وقع لي ، فقال لي : هل كنت أكلت ما جاء به المتعلمون في ليلة الجمعة من صدقات الناس ؟ فقلت له نعم ، كنت أكلته . فقال : لعلك أكلت ما صنعته الحائضة . انتهى .

فها أنا لم يطرأ عليَّ تلك الحالة المحمودة منذ ما زالت ومضى من ذلك عدة سنين ، إلاّ في أوقاة نادرة ، فعلم من ذلك **أن ما زال من الأحوال ، لا يعود إلاّ نادراً . فينبغي أن يحفظ المريد من زوال حاله ، بالاجتناب عما يكون سبباً لسلبه وزواله .**

وأيضا كنت أعرف حركة القلب والروح بعد ما لقن الذكر لروحي ، فدعاني شخص إلى طعامه ، فأكلت أدرفة واحدة من طعامه ، والحال أني كنت أشم منها رائحة الجيفة المنتنة ، فحصل لي القبض العظيم بسبب ذلك وزال عني ما كان بي .

وقد سمعت الشيخ رضي الله عنه يقول : إني كنت أكلت شيئاً قليلاً من العسل إذا دعيت إلى بيت واحد بقدر ما مست به الإصبع ، فمرضت بسبب ذلك . انتهى . ولعل العسل كان مما مست به يد الحائضة أو كان مما لا يحله الشرع .

ومن أضر الأشياء أكل طعام المنكر . فإنه يسد باب الفيض أربعين يوماً ، وأكل ما فعله الغضبان يورث الظلمة ، حتى أن الطعام الذي وضع عليه ملعقة مسته يد الغضبان يظلم قلب آكله : وطعام البخيل داء ، وفي معناه طعام المتكلّف .

وسمعته رضي الله عنه يقول لمريده : كل يا أخي من طعامي هذا ، فإني سخي فيداوي أمراضك الكثيرة . انتهى . وحكمة ذلك **أن طعام السخي دواء ، لأنه يعطي بطيب نفس** . والبخيل[1] والمتكلف داء ، لأنهما لا يعطيان طعامهما إلا بثقل وعدم طيب نفس والله أعلم .

---

(١)وطعام البخيل . عله

وسمعته ﵁ يقول : اترك الطعام أي : أكله ، إذا ظننت أنك بقي لك موضع أكل ربع خبز أو أدرفة واحدة . انتهى . يعني أنقص من طعامك قدر ذلك .

وسمعته ﵁ يقول لواحد من مريديه يصوم دهراً : يا أخي ، إن عيالنا يتعلقون بصدورنا يوم القيامة ، فإن صمت تعجز عن القيام بحقوقهم ! فلم يقبل المريد قوله ، بل آثر ما أراده على مراده ، فتغير حاله بعد ذلك ، فالعياذ بالله سبحانه .

وكان ﵁ يقول : إني كنت أقدر أن آكل أدرفتين قبل وصول شهر رمضان ، وكنت أقدر بعد نصفه أن آكل أدرفة واحدة ، وكنت بعد ذلك أقدر أن آكل نصف أدرفة ، والآن لا أقدر أن آكل إلا ربع أدرفة . انتهى . ولعله ﵁ أشار بذلك إلى أن نقصان الطعام يكون بالتدريج ، بترك شيء قليل منه في كل يوم ، فإذا فعل ذلك يقدر الإنسان أن يقلّل الطعام ، أي : **ويكفيه القدر القليل ، ويقوم مقام الكثير في القوة** .

وكان ﵁ يجوع جوعاً شديداً ويقول بعد حكايته[1] : حقيقة شدة جوعه على كيفية المُزاحَة والملاعبة ، كما هي عادته ، إني لا يجب عليّ الصوم لو بقيت بلا موت إلى السنة الآتية . انتهى . ولعل جوعه ﵁ كان بقلة ما يأكله وسرعة هظمه بكمال حضوره وقت أكله ، فإن **الحضور** - أي : حضور القلب - **وقت الأكل سبب عظيم في هظم الطعام ، وحصول الحضور في سائر الأوقات** . وقد قيل : **لقمة الحضور تورث الحضور ، ولقمة الغفلة تورث الغفلة** .

وحكى الأخ المرحوم الحاج المؤذن محمد الهؤوري جزاه الله عنا خيراً آمين : أن الشيخ قدس سره أخبره أنه كان في قرية عورية ،

(١) وفي نسخة : بعد مكابدة حقيقة شدّة جوعه .

ودعاه الناس إلى طعامهم في يوم ، مرة بعد مرة ، كما هي عادتهم ، فبقيت جائعاً في ذلك اليوم بملازمة الحضور وقت الأكل ، لأجل هظم الطعام . انتهى .

وكان ﷺ يحث أن يذكر الله بحبس النفس بعد أكل الطعام ، ويقول : أنه يهظمه . وكان يقول : إن الجُشاء علامة هظم الطعام . وكان يقول : لو ذكرت الله بحبس النفس ثلاثين مرة يهضم طعامي وان كان بطني مملوء من الطعام . انتهى . وكان يقول : **لو حصل للذاكر أثر الذكر لا حترق به الطعام بالكلية** . انتهى .

ومن عجيب ما بدا لي من هظم الطعام إذا داوم على الذكر ، إني كنت متعلّماً في هُؤور ، حالة كوني في سلطان الذكر ، وكان المتعلمون يأكلون في الغداة والعشي أربعة أدارف كبيرة ، وكنت أنا آكلها مثلهم . فمضى مني أسبوع ، والحال أني لم أتغوط فيه مقدار ما كنت آكله فى غداة ، فخفت من صيرورة الطعام في البطن جافاً ، ولم أدر أنه قد هظم واحترق ، فطلبت من الطبيب محمد الهؤوري دواء للإسهال ، فشربته وحصل لي الإسهال ، لكن كان الخارج مائعاً كالماء ليس شيء من المأكول إلاّ القليل ، وبعد ما سمعت الشيخ يقول : إن الذكر يهظم الطعام ، علمت سر ما حصل لي فيما ذكر ، والله أعلم .

وكان ﷺ لا يحسن أن ينام إلاّ بعد هظم الطعام ، وإذا قيل ألا تنام يا أستاذي ؟ ! يقول : أصبر إلى هظم الطعام . وورد « أذيبوا طعامكم بالذكر ولا تناموا عليه فتقسوا قلوبكم » . وأقل ما يذيب به أربع ركعات أو مائة تسبيحة أو قراءة جزء من القرآن ، فالزم بأيهما شئت ، والله المستعان وعليه التكلان .

وقد يشم الذاكر إذا أكثر الذكر رائحة كرائحة الجلد المحروق ، أو الخبز المحروق ، كما شاهدناه ذلك مرارا .

وسمعته ﷺ يقول : إن رجلاً إذا رأى آخر ميتاً في المنام ، فذلك علامة كونه نائماً وقد ملئ بطنه بالطعام ، قاله إذا أخبر عنده الرؤيا . ثم قال ﷺ : هو الموت ! هو الموت[1] ! يعني **إن ملئ البطن بالطعام كأنه هو عين الموت** ، والله أعلم . وقال بعد ذلك : أما إذا رأى المريد كأنه مات فتأويله خير . انتهى .

وقلت له مرة : إني رأيت في المنام أنك تضربني بعصا ضخم ، فقال : إن شاء يحصل لك مني الضرب الحقيقي ، ولم يزد على ذلك . وحين قلته إني أرى في المنام الكلاب ، فقال : إني كلما رأيت الكلب يحصل لي ضرراً ، وقال شيء من العرفاء .

وقلت له : إني رأيت كلباً يثب إلي ولا يرجع عني وإن ضرب ، ولكن كان فمه منطبقاً غير منفتح ، ومع ذلك كان ينوح ، وذهب من بين رجليّ وفخذيّ ، لكن لم يحصل لي منه ضرر مّا . فقال : إن ما رأيته من مَسْكَ هِي رجل يتكلم ولا يقبل الناس كلامه ولا يسمعه ، فعجبت بشدة كشفه وعلمه بأن ما رأيته كان مَسْكَ هِى مع أني لم أكن قلته كذلك . وقد كنت قبل رأيت رجل يتكلم ولا يقبل قوله ، كما قال الأستاذ رحمه الله .

وكنت رأيت كأن جماعة من الجن قد داروا حولي ، فقرأت السلسلة ، فلما وصلت إلى ذكر اسمه ﷺ تفرقوا عني سريعاً . فأخبرته هذا الرأيا . فقال : ذلك لكونك فانياً فِيَّ ، ولم يزد .

ولما أخبرته بأني رأيت كأنّ الناس قائمون في مزرعة عند طريق إلى طرف جبل ، فكان النبي ﷺ قائماً على سور تلك المزرعة من طرف الطريق ، فجاء لديَّ رجل مجهول ، وأقامني في السور مع النبي ﷺ مع أني

---

(١) وعين ما قاله : خِلْكِ خِلْ بُكُوخَ لِي إِبْ . وأكثر كلامي حاصل ما قاله لا عينه ، فافهم (منه) .

كرهت القيام عنده أدباً معه ﷺ ، وأنا أقول يا ربِّ هذه أمة قليلة ، وهذا نبيك ، وهذا خليفته ، فارحمهم . فأجاب ﵁ هذه الرأيا حسنة ، وستكون إن شاء الله خليفته ﷺ وقال : يحصل لك المراقبة .

وكان ﵁ يقول إذا أخبرته رؤياي : عجباً عليك إنك لا ترى إلاّ رؤيا فيها تأويل ، وأنا لم أر منذ ما دخلت في الطريقة إلاّ عين ما يقع . انتهى .

وسمعته ﵁ يقول : إني رأيت أن القتال قد وقعت بين طائفتين ، وأظن أنه يكون كذلك لأني لا أرى رؤياً فيه تأويل . انتهى . وقد وقع بعد ذلك القتال الشديد بين طائفتي الروس واليفون . ثم بعد ذلك كنت في مجلسه ، فكتب بيده هذا الخط (اضمحلال روس) ، فسلم إلى يدي كتاباً في علم الحرف ، فأمرني بجمع أعداد حروفه على حسب أبجد هوز ، فلم أقدر جمعها . فأخذ الكتاب من يدي فجمعها في أقرب وقت . فقال : غُلِبَ الرُّوسُ ، فَغُلِبُوا ، كما قال ﵁ .

وقلت له : إني رأيت كأني أذهب إلى المسجد لإقامة صلاة الجمعة ، فوقعت في سوق فضاق بي الطريق ولم أقدر أن أمشي منه . فقال ﵁ والله يا أخي ، لا أعلم هل تبقى في تلك المراقبة . انتهى . فبقيت عليها ومات ، نور الله مرقده ، آمين .

وكان ﵁ يقول : لو رأيتم إياي في المنام على الحقيقة ، تجدون قلوبكم تتحرك بالذكر وقت الانتباه . وأما إذا رأيتم إياي بتصوير الشيطان صورتي ، فلا . انتهى .

وقال : **إن الشيطان لا يقدر أن يتصور بصورة محمود أفندي قدس سره** .

مرشد ، قطب ، غوث

وسمعته ﷺ يقول : يجوز فعل الرابطة **بالمرشد** ، وهو الذي فني في صفة من صفاته تعالى ، ولا ينفع بها بالتمام إلا برابطة **القطب** . وهو الذى فني في جميع صفاته تعالى . ولا ينفع بها أيضاً بالتمام إلاّ برابطة **الغوث** ، وهو الذى فني في ذاته سبحانه وتعالى .

وكان يقول ﷺ : يجوز الرابطة بأنفسنا حين كانوا أي : مريدون معنا . لأن الشيطان لا يقدر أن يحضر بمجلسنا . وأما إذا غابوا عنا فلا ، لأن الشيطان يقدر أن يتمثل بصورتنا . انتهى .

تم الكتاب بعون الرحمن ، الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافي مزيده والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه ومشائخنا أجمعين .

آمين اللهم آمين .

مُهِمٌّ

أسباب القبض

وإكثار لا إله إلا الله بحبس النَفَسِ نافع لذهاب القبض والفتور ، والرابطة الشريفة نافعة له أيضاً . وسبب طروّ الفتور أكل أطعمة الناس ، والسكون لديهم ، والنظر إلى وجوههم ، وكثرة المجالسة مع أهل السوق وأهل الغفلة ، والمباسطة معهم . فينبغي الحذر منهم ومن كل ما يوجب القبض فافهم . والرؤيا خير وحسن إن شاء الله ، وهو مبارك ميمون .

والسلام وأوصيكم بالدعاء . من خط الشيخ حسن حلمي قدس سره .

تذنيب

هذه مكتوب .يعسوبنا العسوي إلى أبيه المعنوي الحلمي قدس الله أسرارهما : وسمعت شيخنا قطب الإرشاد الحاجي عبد الرحمن العسوي رضي الله عنه يقول حين سئل ؛

وكان شتمه بالتأويل ، ويقول لزوجته حين غضب عليها : غسلك بالماء البارد .

وسمعته قدس سره يقول : يجب أن يكون في المريد اعتقاد في الشيخ ، وبقدر اعتقاده يستفيض من الشيخ ، حتى أنّ واحداً خرج من بيته لطلب المرشد ، فرأى نوعاً من البقل والحشيش المسمى بلساننا بـ(رُصْ هِچِبْ خِرْ) يتحرك بالريح ، وظن أنه شيخه ، وعدّ كذلك مدة طويلة ، ثم أخرجه الريح من أصله ، وحمله الريح من فوق النهر الكبير ، وسرع خلفه قائلاً ونادياً : يا أستاذ ! يا أستاذ ! وذهب ذلك الرجل من فوق النهر خلفه ولم يمس الرجل على الماء بشدة اعتقاده في نوع الحشيش ، وكيف حال المريد الذي يعتقد في شيخه . انتهى .

و **سمعته** قدس سره يقول مراراً للمريدين الحاضرين عنده وقت كوني لديه : إن هذا الولد يكون عالماً ، مشيراً إليّ ، ولأجله وقفت له كتبي . وتارة كان يقول : إن والد هذا الولد القاضي نور محمد وهو صديقي من قديم الزمان ، ولأجله وقفت كتبي له ، إن لم يقرأ ولدي محمد وإنه أيضاً وقف كتبه لابنه الصغير محمد ، إنه سيكون عالماً ، وأنا في هذ الوقت ولد صغير دون البلوغ . انتهى .

وسمعته كثيراً من ثقاته : أن عادته كانت في الأكل هكذا ، أنه يسئل عن زوجته وقت الضحوة بِهَلْ أكلت في هذا اليوم ؟ فإن قالت الزوجة بأنه أكل ، كان لا يأكل ، وإن قالت لم تأكل ، كان يأكل قدراً قليلاً من المؤكول .

وكان قدس سره قليل الأكل ، سريع الأكل ، سريع الجوع . انتهى . هكذا أخبرني الحاجي شَرَزَ المحمد ومثله .

وكنت أذهب مع ولده محمد رسول ، ونحن وقتئذ صبيان دون عشرة سنين على قصد طلب بيوض الطيور على عادة الصبيان ، وسألنا عن مذهبنا وقال : أين تذهبون ؟ وهو متبسم ، ولم نخبر مذهبنا ، وقال قدس سره وهو يضحك : أنه يعلم وُكَرَ الطيور الذي فيه بيوض كثيرة ، فإن شئتم أعلم لكم مكانه . وكان قدس سره كثير المضاح مثله .

وكنت متعلما مرة في هُلُوقْ وقت زمن قرائتي « سعد » ، فحضر الشيخ الحاجي عبد الرحمن إلى هلوق للتوجه إلى المريدين ، وذهبت لديه لطلب استعارة كتابه « سعد الدين » ، وكان له ذلك الكتاب مزيّن أطرافه بالحواشي والشروح مكتوب بخط حسن ، فلم أقدر لإظهار مرامي لديه ، وقصدت الخروج من عنده ، ثم قال قدس سره : إن كتابه « سعد الدين » في بيت رجل هُلُوقِيّ ، فأخذه من بيته ، وعلمت اطلاعه في ظني وقت كوني صبيّاً . انتهى .

تم ولله الحمد .

الأجوبة القحيّة

لأسئلة الإهليّ

الأجوبة القحيّة لأسئلة الإهليّ

تأليف :

المرشد العالم حسن القحي

قدّس الله سرّه

بسم الله خير الأسماء ، ولله الحمد والثناء ، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله أجمعين ، آمين .

إلى ذلك الأخ معلومِ الاسمِ ومجهولِ الذاتِ إبراهيم الإهليّ«١» ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، آمين .

أما بعد : فلقد وصل لديَّ من طَرَفِكم رسالةٌ واندرج فيها أسئلة على قصْد التجربةِ والامتحانِ ، وكنتُ طرحتُ تلك الرسالة بلا مبالٍ نظرًا إلى ما نَشُمُّ منها من روائح الإنكارِ والاعتراضِ .

ثمّ إنّه لّما تكرّر منكم السؤالُ وطال من جهتكم الكلمةُ والكلامُ ، قصدت أن أكتب إليكم ما بدا لي من الجواب ممّا فتح الله لنا بفضله ، إنّه تعالى هو الوهّاب ، وإن كان شرحُ أمثال هذه الكلمات بطريق التحرير بالتقرير غيرَ مناسبٍ ، لأنّه لا يدرى ماذا

«١» وفي الهامش : وهو الفقير المفلس عن الخيرات إبراهيم الكاتب .

يحصل في فهم الإنسان وماذا يأخذ منها ؛ لأنها من الذوقيات لا يعرف حقيقتها ولو كُتِبَتْ ببَنَان البيان مع أنّ ترك الجواب كان لائقا ؛ لما أنّ أهل الذوق لا يحتاجون إلى طلب الجواب ، والجواب مع غيرهم معدود مما لا يعني . وقد قال عليه السلام : « من حسن إسلام المرء تركُه ما لا يعنيه »«١» . ولكن بحكم لكلّ سؤال جوابٌ أظهرت هذا القدر ، فعليك بالاستماع بحُسْنِ القبولِ وإيَّاكَ ثم إيَّاكَ والامتحان ، فإنّه وإن نقلت عن بعض العارفين قدّس سرّه جوازُ الامتحان إلا أنّهم قالوا : إنّ الممتحن ملعونٌ ولعلّه قُدِّسَ سِرُّه أَمَرَ به نظرا إلى كثرة أهل الدعوى في هذه الديار مع كونهم لم يَضَعُوا في الطريق قَدَمًا ولم يَذُوقُوا من شراب المعرفةِ طَمْعًا وقد سُلِبَ أحوالُ أبعاض من العلماء بأدنى امتحان واعتراض على أهل الصدق والصفاء وبذا هَلَكَ ابن السقا كما هو مذكور في « الفتاوى الحديثية » لابن حجر«٢» ،

« ١ » أخرج ابن ماجه في « السنن » « ٦٧٩٣ » ، الترمذي في « السنن » « ٧١٣٢ » ، الطبراني في « المعجم الصغير » « ٤٨٨ » وغيرهم .

« ٢ » أحمد بن محمّد بن محمّد بن علي بن حجر الهيتمي ، الأزهريّ ، الأنصاريّ المكيّ الشافعيّ ، ولد « ٩٠٩هـ » . أخذ عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاريّ ، والشهاب الرمليّ ، والإمام زين الدين عبد الحق بن محمّد السنباطيّ . قال الشّعراني عنه : « الشيخ الإمام العالم العلّامة المحقق النّاسك الشيخ شهاب الدين بن حجر الشافعيّ ، نزيل الحرم المكة . . . » . من مصنفاته : « تحفة المحتاج بشرح المنهاج » ، و« الفتح المبين بشرح الأربعين » ، و« المنح المكية في شرح الهمزية » وغيرها ، توفي « ٩٧٤هـ » رحمه الله تعالى . نقلا عن « نفائس الدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر » ، و« الطبقات الصغرى » .

ورأينا عَيَانًا أن كل من اعترض شيخَنا العسليَّ« ١ » قدّس سرّه جاءتهم الآفاتُ عن قريب وابتلوا فجأةً وصاروا من المسلوبين ، وكان قدّس سرّه بلا ريب « كنيل مصر » رحمة للمطيعين وعذابا للمحجوبين والمعترضين هذا ، فلو كنتَ تطلبُ معرفةَ الُمحِقِّ وتمييزه من المبطل فانظر أيّها الأخ إلى الكتب فمن وافق طريقتُه بما فيها فذا مُحقّ ، ومن لا فإنّه مفترٍ كذّاب وهو والدجال سواء« ٢ » .

« ١ » هوالعالم الواصل والفاضل الكامل القطب الحقيقي الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره . ولد في سنة ٤٣٨١ م في قرية عَسَبْ بناحية شمويل لجمهورية داغستان . كان مأذونا لشيخ جبرائيل أفندي قدس سره . يقول عنه الشيخ حسن أفندي القحي قدس سره : « كان قائماً بإذن شيخه المذكور على تربية المريدين وتسليك السالكين وإفاضة المستفيضين وإفادة المسترشدين ، ولم يسمع إلى الآن في ديارنا أكثر منه إرشاداً وأعلى منه مقاماً ، كان في هذه الطريقة مستقيماً ، وفي حفظ الآداب ملازماً ، قد خدم الشيخ الكامل جبرائيل أفندي قدس سره في سنين عديدة ، وأتمّ السلوك عنده في مدة مديدة ، ولازم الخلوة واجتهد في الرياضة والمجاهدة ، ولم يقع بينه وبين الحضور والوقوف حجاب ، وصار كائناً بائناً عرشيًّا فرشيًّا ، ووصل إلى مقام لا يشغله الخلق عن الحق ، والحق عن الخلق ، وترقى من ملاحظة الأكوان إلى مراتب الشهود ومراتب التوحيد والتجريد ، فأجاز له شيخه المذكور بالإجازة المطلقة ، واجتهد بعد ذلك في إرشاد الخلق إلى طريق الحق ، وتحمل مشقة التصرُّف والتوجُّه حتى صار قطب البلاء » .

وذهب الشيخ عبد الرحمن العسوي مع ولده محمد رسول إلى الحرمين الشريفين وزيارة بيت الله الحرام . فمات « في سنة ٥٢٣١ هـ \ ٥٠٩١م » قدس سره في جدة ، ودُفِن هناك في مكان قريب إلى قبر أمّنا حوّاء عليها السلام ، ومات ولده أيضاً في قرية غزانش الأعلى ، ودُفِن في مقبرة تلك القرية قبل أن يصل إلى قريته ووطنه ، فغفر الله لهما ونوَّر لَحْدَهما ووسَّع قبرهما وأعلى درجتهما آمين . نقلا عن « سراج السعادات في سِيَر السادات » للشيخ حسن أفندي القحي قدس سره وسائر المصادر .

« ٢ » وفي الهَامش : قد ورد في الحديث أنّ « في أمتي الدجالون » إلخ وهم الذين يقولون إنهم مشائخ وليسوا بمشائخ في الحقيقة . راجع « الهداية » من آخره ، والله أعلم « منه » .

وقد وجدنا أكثرَهم في ديارنا يقولون إنَّهم نقشبنديون مع أنّهم لا يستعملون ولو شيئا واحدا من أصولهِم ، فكما لا يصير الشافعيُّ حنفيًّا إلا باستعمالِه مذهبَ الحنفي فكذا لا يكون«١» أحدُهم نقشبنديّا إلا باستعماله مذهبَ الإمام النقشبنديّ«٢» ، فكلُّ ذكر يُستعملُ باللّسانِ يستعمله المبتدؤُون في هذا الطريق بالقلب كما هو مذكور في كتبِهم . والذكرُ«٣» القلبيُّ من أصول طريقتهم .

«١» راجع «الدرر المكنونات» «منه» .

«٢» هو الغوث الأعظم ، سيد الطريقة النقشبندية ، وأعظم من سرى إليه سرُّ هذه النسبة المطهّرة فأحياها وزاد عزَّها وشرفَها وعُلاها ، سيدنا الشيخ محمد بهاء الدين نقشبند الأويسي البخاري قدّس الله سرّه العزيز . كانت ولادته في محرم سنة ٧١٧ هـ في قصر العارفان – قرية من قرى بخارى . تلقّى هذه الطريقة العليّة في الظاهر من سيدنا الشيخ محمد بابا السماسي ، ثم من بعده صحب السيد أمير كُلال ، وفي الحقيقة كان أُوَيسيًّا ربَّته روحانية مولانا الشيخ عبد الخالق الَغجدواني . وكان لا يذكر علانية ويعتذر في ذلك ويقول : «أمرني عبد الخالق في الواقعة فأوصاني بالعمل بالعزيمة» . ولم يكن له غلام ولا جارية ، وكان يقول : «العبد لا يليق أن يكون سيدًا» . وكان يوصي بمعرفة مكائد النفس ، وكان يقول : «لا يصل أحد إلى هذه الطريقة إلا بمعرفته» . وقال : «طريقتنا هي العروة الوثقى لأنها مبنية على المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم» . وله رسائل في التصوف . توفي ليلة الاثنين ثالثَ شهر ربيع الأول سنة ١٩٧ هـ . نقلا عن «المواهب السرمدية» و«سلم الوصول إلى طبقات الفحول» .

«٣» راجع «جامع الأصول» «منه» .

وقد قال رئيس الطائفة خالد شاه البغدادي«١» : « من غيّر أصول طريقتنا«٢» فليس منا » . وقال بهاء الدين النقشبندي قدّس سرّه حين سئل : « هل في طريقتك ذكر الجهر ؟ لا » كما هو مذكورٌ في « الحدائق الوردية » . وكان قدّس سرّه إذا شرع أصحابُ الأمير كُلال«٣» في الذّكر الجهريِّ يخرُجُ من بينهم ، كذا في « البهجة » و« الرّشحات » .

« ١ » هو العالم الذي فاقَ علماءَ الآفاق ، وشهد بفضله العالَم على الإطلاق ، عالم الأولياء الكاملين ، وولي العلماء العاملين ، انتهى إليه في المعقول والمنقول علم الفروع والأصول ، سيدنا ومولانا أبو البهاء ضياء الدين الشيخ خالد شاه البغدادي قدّس الله سرّه . كان من خلفاء سيدنا عبد الله الدهلوي قدّس الله سرّه . ينتهي نسبه إلى سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ويتصل نسب والدته بالعارف حضر المنسوب إلى السيدة فاطمة رضي الله عنها . ولد ٣٩١١ هـ في قصبة قره داغ – بلدة من السليمانية في العراق . وظهرت منذ بدأ إشارات أنه قطب أولياء الزمان . لحق بربّه ليلة الجمعة ٤١ ذي القعدة ٢٤٢١ هـ وسنه خمسون سوى شهر ونصف . نقلا عن « المواهب السرمدية » وموقع « نسيم الشام » .

« ٢ » يعني الطريقة النقشبندية . انتهى ، ج ١\٨٤١ « منه » .

« ٣ » السيد أمير كُلال بن السيد حمزة البخاري النقشبندي خليفة الشيخ خواجه محمد بابا السيماسي وأفضل أصحابه . ولد سنة ٧١٧ هـ في سوخار– قرية من قرى بخارى . وكان في شبابه مصارعاً ، فمر خواجه محمد بابا يوماً من الأيام ومكث ساعة في مجمعه ، فتعجب أصحابه وسألوا عنه ، فقال : « ههنا رجل سيبلغ مبلغ الكمال » ، فغلب على الأمير جذبته واتصل بخدمته وأخذ عنه الطريقة ، فلازمه عشرين سنة . وكان يجيئ إليه من سوخار في كل أسبوع مرتين وكان محمد بابا بسيماس وكان بينهما خمسة فراسخ وكان الشيخ قد تبناه ، ثم جلس مجلس الإرشاد وكان الشيخ بهاء الدين من خلفائه أخذ عنه الطريقة بوصية من خواجه محمد بابا . ومات سنة ٨٠٨ هـ في سوخار . نقلا عن « المواهب السرمدية » و« سلم الوصول إلى طبقات الفحول » .

ومن المعلوم أنه قد صارت هذه النسبةُ الشريفةُ[1] في هذا الأوان كعنقاء المغرب وتوجّهتْ نحو الاستتار تحت الحُجُبِ حتى سَلَكَ جماعةٌ من هذه الطبقةِ من عدم وُجْدان هذه الدّولة العظمى وفقدان تلك النّعمة القُصْوى كلّ مسلكٍ ، وفرِحوا بنيْلِ قطعات من الخزف بدلًا من الجواهر النفيسة واطمأنّت قلوبُهم بالجوز والموز مثل الأطفال حتى إنّهم من غاية الاضطرار والتحيّر تركُوا طريقةَ أكابرهم وصاروا يطلبون التسلّى أحيانا بذكر الجهر وآونةً يدومُون الاطمأنان بالرقص والسّماع والدّور ، ولمّا لم تتيسّر لهم الخلوة في الجلوة اختاروا الأربعينيّات ، وأعجبُ من ذلك زعمُهم هذه البدعات الشّنيعة متمّمة ومكمّلة لهذه النسبة الشريفة وعدّهم هذا التخريب عين التعمير . أعطاهم الله سبحانه الإنصاف ، فما بَالُهُم إنهم يتركُون هذه الطريقة التي أثنى عليها المحقّق ابن حجر بأنّها الطّريقة السّالمة من كُدُورَاتِ جَهَلَةِ الصوفية كما هو مذكور في « الفتاوى الحديثية » ونقله الخانِيُّ[2] في « البهجة » . وقد قالوا

« ١ » راجع « مجموعة الرسائل » ، الزهدي « منه » .

« ٢ » الشيخ محمد بن عبد الله بن مصطفى الخاني الخالدي النقشبندي « ٣١٢١ – ٩٧٢١ هـ = ١٧٩٨ – ١٨٦٢ م » : فاضل متصوف . ولد في خان شيخون « بين حماة وحلب » ونشأ بحماة . وانتقل إلى دمشق سنة ١٢٤١ فاستقر ، وتوفي بها . له « البهجة السنية في آداب الطريقة العلية الخالدية النقشبندية – ط » و« السعادة الأبدية فيما جاء به النقشبندية – ط » . نقلا عن « الأعلام » « ٢٤٢\٦ » للزركلي .

إنها أمّ الطرق«١» وسلطانُ الطرق ، وإنها طريقة«٢» بقي على أصلها لم يزيدوا فيها ولم ينقصوا ، وإنّ فيها«٣» ما في جميع الطرق بل زائدًا . وقالواأيضا إنها أقرب الطرق وأسهلُها ، وكلّ من دخل فيها يتشرّف بالوصول«٤» ، وإنّ استعمالَ أورادِها يجوزُ في كلِّ مكان وفي كلِّ حال«٥» ومع كلّ شخصٍ ، وإنّهم يطلبون تخريبَها ويقولون إنّ أخذ هذه الطريقة لا يقدر عليه العوام مع أنّ أخذ الطريقة فرض عين فرضٌ على كلّ من ليس له قلبٌ سليمٌ كما هو مذكورٌ في غير كتابٍ ، ولا أَرَى أن هؤلاء المدَّعِين يأمرُون بالسّنن ويمنعون من الفرض ، ولم نَلْق قطُّ واحدًا منهم حصل له حياة القلب ، فكيف بما وراءه ، هداهم الله وإيَّانا إلى سواء الصراط وهو ولي التوفيق .

وقد تفرّقت هذه الأمة واختلفت على وفق ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلّم في قوله : « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النار إلا واحدة »«٦» ، انتهى .

«١» راجع « المتممات » « منه » .
«٢» راجع « تحفة الأحباب » « منه » .
«٣» راجع « المناقب الأحمدية » « منه » .
«٤» راجع « البهجة » « منه » .
«٥» راجع « الرشحات » « منه » .
«٦» أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم بلفظ آخر .

اعلَمْ أيّها الأخ من الرّضاع المعنويّ أن مقام الإرشاد أعلى وأرفعُ من أن يكون من يَعْلَم تحريرَ معاني هذه الأشياءِ التي سألتني عن تفسيرها مرشدًا كاملًا بيد أنّ العبوديّ[1] قدّس سرّه قد حرَّرَ هذه الأشياء نظرًا إلى أهل الزعم والدعوى في زمنه كما في زماننا هذا ، لا يقدرون أن يعرفوا تفسير هذه الأشياء لا أنّ مقامَ الإرشاد محصورٌ في معرفتِها ، فإنّها من الأشياء اللّواتي هي عند من له أدنى ذوقٍ من أهل الإرادة أظهرُ من نور الشمس في وسط السماءِ .

وقد كتبتَ هذه العبارات : وتلك المسائلُ المشروطةُ جوابُها في المأذونِ الشرعيِّ ومرشد الحقِّ أن يعلم معنى الشريعةِ ، والطريقةِ ، والحقيقةِ ، والمعرفةِ ، والوصولِ ، وسُلَّمِ العروج من السُّفْلية إلى العُلْويةِ ، وكم درجتُه ، وما معنى العروجِ ، وما حدّ المعراجِ ، وكم درجتُه ، وما معنى الاتّصالِ والانفصالِ ، وما معنى الغَيْبةِ والحضورِ ، وما معنى التلوينِ والتمكينِ ، وما معنى المشاهدةِ والاستغراقِ ، وما معنى المراقبةِ والطمأنينةِ ، وما معنى الإيمانِ وما ضروريتُه وما قدرُه الشرعيُّ وما منتهاه ؟ فالجواب إلخ ، ربّ هب لي من لدنك علما :

« ١ » هو الحاج محمد العبودي الداغستاني . هاجر إلى الديار العثمانية ، والبلدان الدولة العلية ، فتوطّن في المدنية المنورة مدَّة ، ثم ارتحل منها إلى مكة المكرمة قائلا : « إني أريد أن أموت في مكة دون المدينة ، لأنها أفضل منها » . فسكن في مكة ، ثم ارتحل إلى رحمة الله تعالى ، ودفن في المعَلّا في ٧٠٣١ من الهجرة النبوية .

الشريعة : أن تعبُد« ١ » الله تعالى بما شرع على لسان نبيه عليه السلام من الدين .

« ١ » أو نقول : الشريعة إجراء الأحكام على ظواهرها ، والطريقة تعمّل وتكلّف في جمعية الباطن ، والحقيقة رسوخ تلك الجمعية ، والمعرفة شهود تلك الجمعية أنها منه تعالى ليس له في ذلك شيء إلا النسبة .

أو نقول المعرفة وهي الإحاطة بعين الحقيقة بالحقيقة على ما هي عليه وصورتها في البدايات معرفة الحق بالنعوت والصفات على ما ورد في الكتاب والسنة . وظهرت آياته في الصفات بنور البصيرة المفيدة للاعتقاد المطابق .

وفي الأبواب وجدان ذلك المعتقد بقوة اليقين وصفاء العقل وطلب حياته بجودة الفكر وإصابته وفي المعاملات بنائها على اليقين العلمي القريب من العينيّ المصحح للتوكل والتفويض وفي الأخلاق معرفة النعوت الكمالية والأخلاق الإلهية الموجبة لحسن الخلق مع الحق والخلق وإكمال الفتوة وفي الأصول تنوّر السر بمعرفة صحة الطريق الباعث على الجد في السلوك وفي الأدوية حصول العلم اللدني والحكمة الإلهية بالبصيرة والإلهام وفي الأحوال العيان الموجب للذوق والعشق وفي الولايات التمكن من شهود الذات وراء أنوار الصفات وفي الحقائق شهود الحق بالحق مع بقية الخفاء المنوّر بنور الذات وشعاع شمس الوجه الأبدي ، انتهى . والله تعالى أعلم ومنه العون والمدد .

أو نقول : وأما حقيقة المعرفة ففي اللغة بمعنى العلم ، وفي اصطلاح أهل الحقيقة هي العلم بأسماء الله تعالى وصفاته مع الصدق لله تعالى في معاملته وجميع أحواله ودوام مناجاته في السر والرجوع إليه في كل شيء والتطهر من الأخلاق والأوصاف الرديئة . وبالجملة فبمقدار أجنبيته عن نفسه تحصل معرفته بربه . انتهى .

أو نقول : المعرفة معرفتان : معرفة حق ومعرفة حقيقية ، فمعرفة الحق معرفة وحدانيته تعالى بما أبرز للخلق من أسمائه وصفاته ، ومعرفة الحقيقية لا سبيل إليها لامتناع الإحاطة به علما لقوله تعالى :﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ ، [سورة طه] ، الآية ١١٠ .

واعلم أن الكُمَّل من أهل الحقيقة لم يتكلموا في المعرفة بأكثر من الاعتراف بالعجز عنها . فأما من دونهم فقد تكلم فيها . ولههذا قال بعضهم : الحق لا يعرفه سواه ومن عرفه فبه . ويؤيّد هذا قول أبي بكر الصديق : « الحمد لله الذي لم يجعل للخلق سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته »] « إحياء علوم الدين » ١١ \ ١٠١[، انتهى . هذا ما أحاط الله علمنا به ، وفوق كل ذي علم عليم « منه رحم الله إفلاسه » .

والطريقة : أن تحضره تعالى في تلك العبادات المشروعات .

والحقيقة : أن تشهده عزّ وجلّ كأنّه ناظر إليك وحاضر معك وأنّه يعلم متقلّبَك ومثواك لا يخفى عليه شيء من أمرك .

والمعرفة : أن تَشْهَدَ« ١ » أن كلّ فعلٍ من أفعالك وحركاتك وسكناتك فِعْلُ الله ولا ترى لنفسك دَخْلًا مّا فيها سوى النسبة .

الشريعة أمر بالتزام العبودية والحقيقة مشاهدةُ الربوبية ، وكلّ شريعةٍ غير مؤيّدة بالحقيقة فغيرُ مقبولٍ وكلّ حقيقةٍ غير مقيّدة بالشريعة فغير محصولٍ ، فالشريعة جاءت بتكليف الخلق والحقيقة إنباءٌ عن تصريفِ الحق ، فالشريعة أن تعبدَه والحقيقة أن تشهدَه« ٢ » ، والشريعة قيامٌ بما أمر والحقيقة شهودٌ لما قضى وقدّر وأخفى ، قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾« ٣ » حِفْظٌ للشريعةِ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾« ٤ » إقرار بالحقيقةِ ، ويجوز أن ينطق في تفسيرها بعباراتٍ مختلفةٍ ، وقد يعبّر عن ذلك بأن الشريعةَ معرفةُ السلوكِ إلى الله تعالى والحقيقةَ دوامُ النظر إليه والطريقةَ سلوكُ طريق الشريعة أي : العمل بمقتضاها ، وبعضهم لم يفرّق بينها وبين الشريعة ،

« ١ » أي أن ترى بباطنك ، انتهى « من هامش » .
« ٢ » أي أن ترى بباطنك ، انتهى « من هامش » .
« ٣ » سورة الفاتحة ، الآية ٥ .
« ٤ » سورة الفاتحة ، الآية ٥ .

والشريعةُ ظاهرُ الحقيقةِ والحقيقةُ باطنُ الشريعةِ وهما مُتَلازِمَان لا يتمُّ أحدُهما إلا بالآخرِ .

وقد نقل« ١ » الخاني في « البهجة السّنية » عن الإمام الربّاني أنه قال : « اعلم أنّ الشّريعة متكفّلةٌ بجميع السعاداتِ الدنيوية والأُخروية ولا يُوجَدُ مطلبٌ يحتاج في تحصيله إلى غير الشريعة ، وأما الطريقةُ والحقيقةُ . . فهما خادمان للشريعةِ وتحصيلِهما لتكميل الشريعة لا غير ، وأما الأحوالُ والمواجيد والمعارف التي تظهر للصوفية في أثناء الطريق . . فليست من المقاصد » . انتهى من عينه .

وقال الإمام الربّاني« ٢ » قدّس سرّه : « المقصودُ من الطريقة ازديادُ علوم الشريعة » . كذا في « البهجة » ، راجعه في ٦٧ .

وقال الإمام الربّاني أيضا في مكتوباته في ٠٩١ من الجلد الأوّل : « المقصودُ من سلوك طريق الصوفية حصولُ ازديادِ اليقينِ بحقيّة المعتقداتِ الشرعية الذي هو حقيقةُ الإيمانِ وحصولُ اليُسْر في أداء الأحكام الشرعية لا أمرٌ آخرُ وراء ذلك » . انتهى .

« ١ » راجعه في ٦٧ « منه » .

« ٢ » والإمام الرباني هو أحمد الفاروقي من أكابر النقشبندية وهو الذي قيل فيه : « لا أرى في هذه الأمّة مثل الإمام الرباني » ، راجع « المناقب الأحمدية » و« البهجة السنية » ترى العجب في مناقبه قدّس سرّه . « منه ، رحم الله إفلاسه » .

وقال أيضا في مكتوبٍ آخرَ في ٠١١ من الجزء الأوّل : « قد تقرّرّ عند الحكماءِ أنّ المريضَ ما دام مريضًا لا ينفعُه غذاءٌ أصلًا ولو كان من أعزِّ الأكل وأحسنِه بل هو مقوٍّ لمرضِه » من عينه . ألا كلّ ما نال العليلَ عليل فيشتغلون أوّلًا في إزالة مرضِه ثمّ يجتهدون في تحصيل القوّةِ بأغذيةٍ مناسبةٍ لِمزاجه وحالِه بالتدريج . فكذلك الإنسان ما دام مُبتلًى بمرضِ القلبِ كما قال تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾[١] ، لا تنفعُه عبادةٌ وطاعةٌ أصلًا بل هي مضرّةٌ له ، « رُبَّ تالٍ للقرآنِ والقرآنُ يلعنُه »[٢] حديثٌ معروفٌ ، و« رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ مِنْ صيامِهِ إِلّا الْجُوعُ وَالظَّمأُ »[٣] خبرٌ صحيحٌ ، فأطبّاءُ القلوبِ أيضا يأمرُون أوّلًا بإزالة المرضِ ، وذلك المرضُ عبارةٌ عن تعلُّق القلبِ بغير الحقّ سبحانه وتعالى ، بل هو تعلُّق القلبِ بنفسه ، فإن الإنسانَ كلَّما يحبُّه ويطلبُه إنّما يحبُّه ويطلبُه لنفسِه ، فإنّ أحبّ أولادِه يحبُّهم لنفسه ، وكذلك الأموالُ والرياسةُ والجاهُ ، فمعبوده في الحقيقة هو نفسه ، فما دام الإنسان لم يتخلَّصْ من هذا التعلُّق

« ١ » سورة البقرة ، الآية ٠١ .

« ٢ » أورده النيسابوري في تفسيره « غرائب القرآن ورغائب الفرقان » « ٤٧\١١ » ، ونسبه الإمام الغزالي في « الإحياء » « ٤٧٢\١١ » لأنس بن مالك .

« ٣ » أخرجه ابن خزيمة في صحيحه « ٧٩٩١ » ، وأبو يعلى في مسنده « ١٥٥٦ » ، والبغوي في « شرح السنة » « ٧٤٧١ » ، الإمام أحمد في مسنده « ٦٥٨٨ » عن أبي هريرة بلفظ : « رُبَّ صَائِمٍ حَظُّه مِنْ صيامِهِ الْجُوعُ وَالعطش ، ورُبَّ قائم حَظُّه مِنْ قِيامِه السَّهرُ » .

والارتباطِ لا وجْه لرجاء النجاة ، ففكرُ إزالة هذا المرضِ لازمٌ للعلماءِ إلخ » ، انتهى من عينه .

وقال أيضا في ٧٦ من الجزء الثاني من المكتوبات « إنّ المقصودَ من السلوكِ والجذبةِ تطهيرُ النفسِ من الأخلاقِ الرّديّةِ والأوصافِ الرذيلةِ ، ورأسُ جميعِ تلك الذمائمِ التّعلّقُ بالنفسِ وتحصيلُ مراداتِها وهواها فحينئذ لا يكونُ بدٌّ من السَّيرِ الأنفسي ولا مندوحةَ من الانتقالِ من الصفات الذميمة إلى الأخلاق الحميدة » ، انتهى من عينه .

وقال في ٠٨ من الجزء الأوّل من المكتوبات ما حاصلُه : إنّ الذكرّ عبارةٌ عن طَرْدِ الغفلةِ بأيّ وجه تيسَّر لا أنّ الذكرَ مقصورٌ على تكرار كلمة النفيِ والإثباتِ أو على تكرار اسم الذاتِ ، فكلّ ما هو من امتثال الأمر والانتهاء عن النواهي كلّه داخلٌ في الذكر ، ولكن الذكرَ الذي باسم المذكور وصفتِه سريعُ التأثيرِ وموثر لمحبة المذكور وقريبُ الإيصال ووسيلةٌ للذكر الذي يحصُل بمراعات الحدود الشرعية ، فإن مراعات الأحكام الشرعية في جميع الأمور غير ميسرة بدون محبة تامة لناصب الشرع وهذه المحبةُ التامّةُ مربوطةٌ بذكر اسمه وصفتِه تعالى فلا بدّ أوّلا من ذلك الذكر .

وفيه أيضا في ٨٣ من الجزء الثّالث : « لا بدّ لمبتدئ طلبة هذا الطريق من الذكر فإن ترقّيه مربوطٌ بتكرار الذكرِ بشرط أن يأخذَه من الشيخ الكامل المكمّل » ، انتهى من عينه . وفيه في ٤٢ من الجزء الثالث : « إنّ المقصودَ الأصليَّ من الذكر زوالُ التعلّقِ بما دون الحق سبحانه الذي المرض القلبي عبارة عنه ، وما لم يحصل هذا الزوال لا يكون نصيب من حقيقة الإيمان ولا يتيسّر اليسر والسهولة في أداء الأحكام الشرعية » ، انتهى من عينه .

وفيه أيضا في ٧٩٢ من الجزء الأوّل ما حاصلُه : إنّ الذكرَ القلبيَّ مؤيّدٌ لإتيان الأحكامِ الشرعيةِ ودافعٌ لعِناد النفْسِ فينبغي إجراءُ هذا الطريق ، انتهى من عينه .

وقال الإمام الربّاني«١» قدّس سرّه مُجيبًا لمن سأله : إنّ بعض الرجال والنساء يلتمسون الطريقةَ مع أنّ أكلَهم ولبسَهم من مالٍ لا يَخْلُو عن رِبًا ويظهرون أنّ هذه الحيلة منهم ليس إلا بالحيلة الشرعية هل يتأهّلون لتعليم الطريقة ؟ : « لَقِّنُوهم الذِّكْر وعلّموهم ورغّبوهم في الاجتناب عن المحرّم ولعلّهم يتخلّصون من ذلك الاشتباه ببركة الطريقة » ، انتهى ، كذا في « الدرر المكنونات » في ١٣١ من الجزء الثاني ومثله في « البهجة » في ٧٣ .

« ١ » الرباني المتأله العارف بالله تعالى ، « مختار » . هو من أفيضت عليه المعارف الإلهية فعرف بها ربّه وربّى الناس بعلمه ، « فتح المبين » في ص ٨٣ .

وقال أحمد ضياء الدين النقشبنديّ« ١ » في متمماته : « إن تلقينَ الذكرِ لبعض أهلِ المناصبِ والأشرافِ والمكاسبِ والصنائع والملاح والتجار والراعي والقرويّ على طريق التبرّك وطرْد الغفلةِ عن القلبِ القاسِي وتكفير الذنوبِ وتخليصِ البلايا والنجاة من أنواع المكارهِ والسوءِ والنقمةِ حتى يتصقّل فيخشع ويُنِيبَ إلى دار

« ١ » هو الإمام أحمد ضياء الدين بن مصطفى بن عبد الرحمن الكمشخانوى رضى الله تعالى عنه ، العالم الإسلامي المشهور ، العابد الزاهد الحقيقي ، المجاهد ، شيخ الشيوخ ، العارف الكامل ، المرشد الكامل والمكمل الذى ربّى أكثر من المائة مربياً وخليفةً ، المؤلف الولود الذى ألّف كم من كتاب فى الحديث والكلام والفقه والتصوف ، المحدث المتكلم الفقيه قطب الأقطاب غوث الواصلين ملاذ السالكين . ولد الكمشخانوى رضى الله عنه فى عام « ١٢٢٨هـ ١٨١٣ » بحى أميرلر من أحياء كمشخانة . تقع هذه البلدة الآن في شمال شرقى بتركيا .

وقد قضى الإمام العشر الأول من عمره بكمشخانة . وكان يُشار إليه بالبنان ويَجْلب أنظار الناس وأصحاب النظر والفراسة إلى ذاته بمزاياه العجيبة وخصاله الفاضلة من ذكاء وفهم وخلق حسن ورجاحة فى العقل وثبات فى الأمر ونهامة فى العلم ومن سائر ميزات سامية . . . وابتدأ بتعلمه فى بيئة صوفية وقرأ القرآن الكريم وهو ابن خمس سنين . وأما أساتذته الذين أخذ منهم العلم بكمشخانة فمنهم الشيخ سالم والشيخ علىّ الوفائى والشيخ علىّ والشيخ عمر البغدادى الذى يقول الإمام فى حقه « . . . إن أحدهم الشيخ عمر البغدادى الذى ربّانى مع أننى كنت ببلدتى وكان الشيخ بمصر . . . » .

وقد أخذ العلم فى إستانبول من الأساتذة الكبار والعلماء الراسخين الربانيين لا يحصى عددهم من أشهرهم مفتى طرابلس الشام الشيخ أحمد بن سليمان الأروادى رضى الله عنه . قد أخذ منه إجازات فى شتى العلوم والتصوف .توفي الشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانوى سنة ١٣١١ هـ ١٨٩٤ م في إستنبول ودفن فى مقبرة السلطان سليمان . وله مؤلفات جليلة تبلغ الخمسين . على الرغم من كثرة مؤلفاته فى العلوم العديدة قد اشتهر فى الحديث خاصة حتى لقب بخاتمة المحدثين ومحدث الروم . منها « راموز الأحاديث » و« لطائف الحِكَم » و« نجاة الغافلين » و« روح العارفين » و« جامع المتون » و« جامع الأصول في الأولياء » و« المتممات » وإلخ .

الخلودِ ويتجافى عن دار الغرور فيترقّى بالتدريجِ إلى التوبة فما فوقها وليسارق الشيخُ نفسَه الأمارة الآبية بالتدريب«١» والتوطين لئلا تنفرّ وتملّ وتيأس من الإصلاح وتقطعَ الرجاء فتُصِرَّ على المعاصي . . أمر«٢» حسن وهومن سياسات الإرشاد » ، انتهى من عينه ، فراجعه .

ومثله في « الحديقة الندية » وفي « الدرر المكنونات » . في تعريب المكتوبات في ٧٤١ من الجزء الثالث : « إن تعليم الطريقة بعد الاستخارات والتوجهات أيًّا من كان مناسبٌ بل لازمٌ » ، انتهى من عينه .

ونقل صاحب « البهجة » عن الإمام الرباني أنه قال : « ينبغي إذا طلبوا تعليمهم الطريق بعد الاستخارة من أرواح السادات الأعيان وحصول الاطمئنان فإن استقاموا فازوا وإلا فالضررُ راجعٌ إليهم لا إليكم » انتهى من عينه ، فراجعه في ٨٣ .

وفي « الفتاوى العمرية » : « قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١﴾«٣» ولم يقلْ يا أيها الصالحون وكذا

« ١ » وقد درب بالشيء بالكسر اعتاده ، انتهى . وقد دربته الشدائد حتى قوى ومرن عليها ، « مختار » . مرن على الشيء من باب دخل ومرانة أيضا تعوّده واستمر عليه والمرانة اللين والتمرين التليين ، « مختار » .
« ٢ » خبر « أن تلقين » « من هامش » .
« ٣ » سورة الأحزاب ، الآية ١٤ .

الخطاب : ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾[١] ولا يترك أفعال الخير لأجلِ كثرةِ الذنوب فربّما يحصل له أجرٌ جزيلٌ .

وفي الحديث : « إن أهلَ ذكر الله ليجلسون إلى ذكر الله وإن عليهم من الآثام مِثْلُ الجبال ، وإنهم ليقومون وما عليهم منها شيءٌ » رواه أحمد بن حنبل في « الزهد » ، انتهى من عينه .

وفي « السير والسلوك » أنه كان يأتي لدى الشيخ عبد القادر الكيلاني[٢] الرجلُ فيشكو ترك الصلاة ويأتي آخر فيشكو له الزنا أو شرب الخمر أو غيرهما من القبائح فيأمر بالذكر . انتهى من عينه اختصارا فراجعه .

وفي « السير والسلوك » أيضا ما حاصله : إذا داوم على الذكر يوقد في قلبه مصباحا ملكوتيا فتزول به ظلمة الباطن فيظهر ما فيه من النجاسات والآفات القاطعة عن نيل السعادات فيحصل الندم الذي هو التوبة . انتهى من عينه اختصارا أيضا .

« ١ » سورة المزمل ، الآية ٢٠ .

« ٢ » الشيخ عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني ، أبو محمد ، محيي الدين الجيلاني ، أو الكيلاني ، أو الجيلي « ١٧٤ – ١٦٥ هـ = ٨٧٠١ – ٦٦١١ م » ، إمام الطريقة القادرية . من كبار الزهاد والمتصوفين . ولد في جيلان « وراء طبرستان » وانتقل إلى بغداد شابا ، سنة ٨٨٤ هـ فاتصل بشيوخ العلم والتصوف ، وبرع في أساليب الوعظ ، وتفقه ، وسمع الحديث ، وقرأ الأدب ، واشتهر . وكان يأكل من عمل يده . وتصدر للتدريس والإفتاء في بغداد سنة ٨٢٥ هـ وتوفي بها . له كتب ، منها : « الغنية لطالب طريق الحق – ط » ، « الفتح الرباني – ط » ، « فتوح الغيب – ط » ، « الفيوضات الربانية – ط » . نقلا عن « الأعلام » للزركلي .

وقد كتبت هذه العبارات المنقولات من كتب السادات لتكون أجوبةً عمّا كَمَنَ في باطنك من الإشكالات« ١ » فلعلّك لا تظنُّ السوء بعد الآن بمن يُلَقِّنُ أذكارَ السلوك للعوام من المشائخ النقشبندية فلهم دلائلُ يتمسكون بها فكيف لا والحال أن العوام هم الذين يجب عليهم اتّخاذ الشيخ لأنّهم أصحابُ الأمراض الباطنية ، ويجب تعلّم أدوية أمراض القلب من الشيخ المرشد على كل من ليس له قلبٌ سليمٌ كما ذكره ابن حجر في « التحفة » في كتاب « السير » وفي « الفتاوى الحديثية » فراجعهما .

وقد قال الشعراني« ٢ » في « اليواقيت » : « وقد كان سيّدي إبراهيم الدسوقي رحمه الله يقول : لو أن الفقيه أتى العبادات

« ١ » وإن لم تبدوها بل تخفوها ، منه قدّس سرّه .

« ٢ » الشيخ عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحَنَفي ، نسبه إلى محمد ابن الحنفية ، الشَّعْراني ، أبو محمد « ٨٩٨ – ٣٧٩ هـ = ٣٩٤١ – ٥٦٥١ م » : من علماء المتصوفين . ولد في قلقشندة « بمصر » ونشأ بساقية أبي شعرة « من قرى المنوفية » وإليها نسبته : « الشعراني ، ويقال الشعراوي » وتوفي في القاهرة . له تصانيف عديدة قيمة ، منها « الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية – خ » و« الأنوار القدسية في معرفة آداب العبوديّة – ط » و« البدر المنير – ط » في الحديث ، و « تنبيه المغترين في آداب الدين – ط » و« حقوق أخوة الإسلام – خ » مواعظ ، و« القواعد الكشفية – خ » في الصفات الإلهية ، و« لطائف المنن – ط » يعرف بالمنن الكبرى ، و« لوافح الأنوار في طبقات الأخيار – ط » مجلدان ، يعرف بطبقات الشعراني الكبرى ، و« مختصر تذكرة السويدي – ط » في الطب ، رسالة ، و « مختصر تذكرة القرطبي – ط » مواعظ ، و« مدارك السالكين إلى رسوم طريق العارفين – ط » و « مشارق الأنوار – ط » و « المنح السنية – ط » شرح وصية المتبولي ، و« الميزان الكبرى – ط » و « اليواقت والجواهر في عقائد الأكابر – ط » . نقلا عن « الأعلام » للزركلي .

والمأمورات الشرعية بغير علّةٍ كما أمره الله تعالى لاستغنَى عن الشيخ ، ولكنّه أتى العبادات بعللٍ وأمراضٍ ، فلذلك احتاجَ إلى طبيبٍ يُدَاوِيه حتّى يحصُل له الشفاءُ » ، انتهى من عينه ٤٠١ .

وقال الشعراني في « لواقح الأنوار » : « واعلم أنّ كل من رَزَقَه اللهُ تعالى السلامةَ من الأمراضِ الباطنةِ كالسلف الصالح والأئمة المجتهدين فلا يحتاج إلى شيخٍ » ، انتهى فراجعه في ١١ .

فإن قيل هل يجوز للمريد أن ينقطع عن شيخه ويأخذ من الآخر ؟

أقول : قد قال الإمام الربّاني قدس سره في مكتوباته : « اعلم أن المقصودَ هو الحقّ سبحانه والشيخُ وسيلةُ الوصول إلى جناب الحقّ تعالى ، فإن رأى الطالبُ رشدَه عند شيخٍ آخرَ ووجد قلبَه في صحبتِه حاضرًا مع الحقّ يجوز أن يحضرَ عنده في حياة شيخِه الأوّل بلا إذنِه ويطلب منه رشدَه » انتهى من عينه ٧٠١ من الجلد الثاني .

وفي « البريقة » في ٢٢ من الجلد الثاني ، وفي « الفيض » : « إذا ظهر للمريد أنّ الشيخ الآخر كاملٌ ممن يقتدى به فله ذلك » انتهى من عينه . وفي « الرشحات » : « إذا وجد المريدُ الصادقُ

شيخًا أكملَ من شيخِه يجوز له أن ينقطع عن الشيخِ الكاملِ ويتّصلُ بالشيخِ الأكملِ » انتهى من عينه ٤٩١ .

وفي « المتممات » : « وقال الشيخ الأكبر قدّس سرّه : يجب على الشيخ إذا رأى شيخًا آخرَ فوقه أن ينصح نفسَه ويلزمَ خدمة ذلك الشيخ الآخر هو وتلامذتُه فإنه صلاحٌ وسعادةٌ في حقّه وحقّ أصحابه ومتى لم يفعل هذا فليس بمُنْصِفٍ وناصح نفسه ولا صاحب همّة بل هو ساقط الهمّة وضعيفها بل ربما يكون محبًّا للرياسة والتقدّم وهذا في طريق الله نقصٌ » انتهى من عينه ٢١١ .

وقال الشعراني قدّس سرّه : « ثمّ إذا رأيتُ أحدَهم أعرفَ منّي بالطريق تلمّذتُ له ولو كنتُ مأذونًا لي قبل ذلك من شيخ آخرَ لأن المقاماتِ ليس لها حدٌّ يَقف عليها العبدُ » انتهى .

وقال الشيخ أحمد ضياء الدين بعد نقله هذا الكلام : « قلت فإذا وجب على الشيخ لزوم الشيخ الأكمل منه وكان حال الشيوخ التلمّذ لمن هو أعرف منهم بالطريق ولو كانوا مأذونين من شيخ آخر كحال موسى مع الخضر عليهما السلام فما تقول فيمن لم يشُمّ رائحةً من أسرار الطريق أو شمَّ وهو ناقصٌ عن ذروة التحقيق ، فتبصَّرْ وأنصِفْ » ، انتهى من عينه ، راجعه من الصحيفة ٢١١ .

وسمعتُ شيخَنا ذا الجناحين الحاج عبد الرحمن العسليّ قدّس سرّه يقول : « العلمُ علمان علمُ الظاهر وعلمُ الباطن فكما يجوز تعلّم العلم الظاهر من أستاذٍ آخرَ فكذلك يجوز أخذُ الطريقة وعلم الباطن من شيخٍ آخرَ » ، انتهى .

وقال الشيخ سليمان الزهدي« ١ » : « اعلم أنّ الطريقة الموصلة المشهورة المعنعنة من السلف إلى الخلف كالمذاهبِ الأربعةِ المقبولةِ يجوز الانتقالُ من مذهبٍ إلى مذهبٍ آخرَ مطلقًا من غير تلفيقٍ للعامّيِّ وكذلك الانتقالُ من طريقةٍ إلى طريقةٍ أُخْرى بشرْطِ الوفاء فيما دَخَلَ فيه والاستقامة بآدابه ولكن يجب على الإنسان دخولُ طريقةٍ سالمةٍ عن البدع المنكرة » ، انتهى ، كذا في « مجموعة الرسائل » فراجعه .

قلتُ ، والله أعلمُ ، إنّ تلك الطريقة السالمة عن البدع هي الطريقة النقشبندية كما قال نظيره المحقّقُ ابن حجر في آخر

« ١ » هو الشيخ سليمان الزهدي ابن حسن النقشبندي الخالدي المجاور ببلد الله الحرام ، شيخ نقشبندي عاش في القرن الثالث عشر من الهجرة النبوية ، خليفة الشيخ سليمان القرمي « ت ٥٧٢١ هـ » . يعتبر من أهم الرجال الذي كان له دور مهم بتطور الطريقة النقشبندية الخالدية في إندونيسيا . وكان الشيخ سليمان الزهدي يدير الزاوية في جبل أبي قبيس بمكة المكرمة لمدة ٧٣ سنة وبايع فيها عددا كبيرا من الطلاب وخصوصا من جنوب الشرق آسيا . الشيخ سليمان الزهدي معروف أيضا باسم سليمان أفندي . له مجموعة الرسائل في التصوف .

فتاواه ونقله الخاني[1] في بهجته . وقد قال الإمام الرباني قدس سره : « إنّ اختيارّ الطريقة النقشبندية من سائر الطرق أوْلى وأنسبُ للطالب كما هو مذكور في « الدرر المكنونات » فراجعه .

وقد ذكرنا في كتابنا « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين »[2] أن الممنوعَ أنْ يتردّد المريد لدى هذا ويأخذ منه ولدى هذا فيأخذ منه ويتّخذ له كِلَيْهما شيخين معًا لأن الأمر في وصول الفيض تابع لاعتقاد المريد لا للمشائخ فالتردد إلى الشيخين معا من علامة تردد الاعتقاد في الطرفين وعدم توفّره في أحد من الجانبين وتفريدُ الاعتقاد في الشيخ واجبٌ ، انتهى . وأما الانقطاع من شيخ والاتصال بالآخر . . فهذا ممّا لا مانع منه .

وقد ذكر في « النفائس السائحات » و« البهجة » أنّ الإمام الربّاني قال : « إنّ الطالب إذا رأى رشده عند شيخ آخر يسوغ له ذلك » وأيّد ذلك بنقل من خواجه بهاء الدين قدّس سرّه وقال إنه أخذ في ذلك فتوى من علماء بخارى ، انتهى اختصارا فراجعه .

فإن قيل فهل في ولايتنا من يعلّم الطريقة النقشبندية من غير تبديل ولا تحريف فنقول إنّه نادر والنادر مستورٌ وأمّا الأكثرون فإنما

« ١ » كما مرّ « من هامش » .
« ٢ » أخذا ممّا في المنن « منه » .

يعلّمون ما لا أصل له ولو في طريق من الطرق المأثورة . وانظر إلى « البهجة السنية » ، و« الحدائق الوردية » ، و« الرسالة الخالدية » ، و« تبصرة المرشدين » ، و« الرشحات » ، و« النفائس السائحات » ، و« مجموعة الرسائل » ، و« صحيفة الصفا » ، و« نهجة السالكين » ، و« نور الهداية » ، و« الدرر المكنونات » ، و« جامع أصول الأولياء » ، و« المتممات » ، و« الآداب المرضية » لجمال الدين الغُمُوقي ، و« سلسلة الذهب » ، و« تحفة الأحباب » ، و« سلسلة الخواجكان » ، و« طبقات الخواجكان النقشبندية » ، و« المناقب الأحمدية » ، و« كنز الهداية » وغيرها من كتب النقشبندية .

وإنّما ذكرتُ لك هذه الكتب لتنظر إليها وتتفكّر بما فيها من أوضاع طريقتهم وأصولهم ثم تقابله بما عليه الأكثرون من مشائخ ديارنا فلعلّك حينئذ تدرك الحقّ بالحقّ ، والله يهدي من يشاء وهو وليّ المتّقين .

فإن قيل : فما يكون حالُ من أَخَذَ هذه الأورادَ التي لم يَرِدْ بها نصٌّ ولا أَثَرَ من هؤلاء المتشيّخين الذين لم يأخذُوا هذه الطريقة من الشيخ النقشبندي ولم يكونوا مأذونين من الشيخ النقشبندي ، فنقول : قد قال الإمام الربّاني قدّس سرّه : « إنّ أخْذَ الطريق من الشيخ الناقص مُضِرٌّ للطالب » ، انتهى ، كما هو مذكور في « الأنهار

الأربعة » . وقال الغوث الأعظم عبد العزيز الدباغ[١] : « إن أخذوها يعني الأسماءَ الإلهيةَ عن شيخ عارف لم تضرّهم وإن أخذوها عن غير عارف ضَرَّتْهم » ، انتهى . قال صاحب[٢] « الإبريز » : « فقلتُ : فما السببُ في ذلك ؟ فقال رضي الله عنه : « الأسماء الحسنى لها أنوارٌ من أنوار الحقّ سبحانه وتعالى ، فإذا أردتَ أن تذكر الاسمّ فإن كان مع الاسم نوره وأنت تذكره لم تضرّه ، وإن لم يكن مع الاسم نوره الذي يحجُب العبد من الشيطان حضر الشيطانُ وتسبّب في ضرر العبدِ . والشيخ إذا كان عارفًا وهو في حضرة الحقّ دائمًا وإذا أراد أن يعطي اسمًا من أسماءِ الله الحسنى لمريده أعطاه ذلك النّور الذي يحجُبه فيذكرُه المريدُ ولا يضرُّه إلخ . وأمّا إذا كان الشيخ الذي يلقّن الاسم محجوبًا . . فإنّه يُعْطِي مريدَه مجرَّدَ الاسم من غيرِ نورٍ حاجبٍ فيهلك المريدُ ، نسأل الله العافية ، انتهى فراجعه .

« ١ » هو الولي الكامل ، الغوث الخافل ، الصوفي الباهر ، عبد العزيز بن مسعود ، أبو الفوارس ، الدَّبَّاغ : متصوف من الأشراف الحسنيين . مولده سنة ٥٩٠١ هـ ٤٨٦١ م بفاس ، ووفاته بها أيضًا سنة ٢٣١١ هـ ٠٢٧١ م . كان أميًّا لا يقرأ ولا يكتب . وصنف أحمد بن مبارك اللمطي كتاب « الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز – ط » في شمائله وما دار بينهما من محاورات ، في جزأين . نقلا عن « الأعلام » للزركلي و« طبقات الشاذلية الكبرى » لأبي علي الحسن .

« ٢ » هو تلميذ الشيخ الدباغ أحمد بن مبارك اللمطي ، صاحب كتاب « الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز – ط » في شمائله ، والفقيه المالكي والمدرس بفاس . توفي في ٦٥١١ هـ . وله مؤلفات قيمة أخرى .

وأيضا قد ذكر صاحب « تصديق المعارف » في سورة « يوسف » إنّه لو كان الشيخُ ، والعياذ بالله ، غيرَ مأذونٍ يكتسب من المريد أوصافًا ذميمةً من غير أن ينتقص من المريد شيءٌ من أوصافه الذميمة ويسلب أوصافه الشريفة ويقدمها إلى الضياعِ والتلاشِ ، وهذا مجرّبٌ ، انتهى من عينه .

فإن قالوا : إن مشائخنا مأذونون من شيوخهم وإنهم عارفون ، نقول : إن الشيوخ إنما يأذنون لمن سَلَكَ في مَسَالِكِ الطريقة ومشى على عقباتها بالتفصيل ووَصَلَ بالسلوك إلى درجة من درجة الولاية وحصل له الفناءُ وصار يقدر على التصرّف في بواطن المريدين بالتوجّه ، ولا يخفى أنّ الإجازة تكون لتعليم الطريقةِ لا لتعليم ما ليس بطريقٍ . فإن كانوا على هذه الحالة فليعلّموا الطريقة من غير تبديل ولا تغيير وإلا فإنّهم من الذين يخالفون الأصول ومن خالف الأصول فإنّهم هم المطرودون بل هم مبعَّدُون كما بيّنه الشيخُ سليمان الزهدي في « مجموعة الرسائل » .

وقد قال الإمام الربّاني : « ونورُ هدايتِه المذكورُ « ١ » يسري إلى مريديه بلا واسطةٍ أو بواسطةٍ أو بوسائطَ ما لم تلوّث طريقتُه المخصوصةُ بلَوْثِ التغييرات والتبديلات ولم تخرب بإلحاق

« ١ » أي هداية قطب الإرشاد « منه » .

المخترعاتِ والمبتدعاتِ » ، كذا في « الدرر المكنونات » في ٣٠٢ من الجلد الأوّل . وفيه ١٨٢ من ذلك الجلد : « إنّ إحداثَ شيءٍ في الطريقة ليس هو عند الفقير بأقلّ من إحداث بدعةٍ في الدين وبركاتُ الطريقة إنما تُفاضُ وتعود على أهلها ما لم يحدث فيها مُحْدَثٌ فإذا أحدث فيه مُحْدَثٌ ينسدّ طريق الفيوضِ والبركاتِ فحفظُ الطريقةِ من المُحْدَثَاتِ من أهمّ المهمّاتِ والاجتنابُ من مخالفة الطريقةِ من الضروريات فكلّ موضع رأيتَ فيه مخالفةَ الطريقة ينبغي زجرُه ومنعُه بالمبالغةِ والاجتهادِ في ترويج الطريقةِ وتقويتها » ، انتهى من عينه .

وفي « جامع أصول الأولياء » : « إنّه يلزم على مَنْ انتُسِبَ إلى وليٍّ من أولياء اللهِ تعالى أن يتشبّه في أصول طريقتِه وفروعِه المهمّة » انتهى فراجعه .

وفي « المتممات » ما حاصلُه : إنّ العملَ على طريقة البدعة مُبعّدةٌ عن الجذبة ولذا قُبِحَت البدعةُ وزاد قبحُها على فعلِ المعصيةِ ، انتهى من عينه .

ومن المعلوم أنّ الذكرَ الجهريَّ في الطريقة النقشبندية ورفع الأصوات والتحرّك بحركاتٍ من البدع التي لم ترد في أصولها .

فقد قال الإمام الربّاني في مكتوباته : « إنّ ذكرّ الجهرِ في هذا الطريق ممنوعٌ » ، انتهى .

وقال أيضا : « اعلم أنّ الطريق الذي هو أقربُ وأسبقُ وأوفقُ وأوثقُ وأسلمُ وأحكمُ وأصدقُ وأدلّ وأعلَى وأجلّ وأرفعُ وأكملُ هو الطريقة النقشبندية العلية قدّس الله أرواح أهاليها وأسرار معاليها . وكلُّ عظمة هذا الطريق وعلوّ شأن هؤلاء الأكابر بواسطة التزام متابعة السنة السنية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية واجتنابُ البدعة الغير المرضية » ، انتهى ، كذا في « الدرر » في ٣٣٣ من الجلد الأوّل . وفيه أيضا ما حاصله : إنّ النقشبنديين اعتقدُوا ذكرَ الجهرِ[١] بدعةً ومنعوا أصحابهم عنه ولم يلتفتوا إلى ثمرات تترتّب عليه ، انتهى فراجعه من الجلد الأوّل . وفيه أيضا في موضع بيان سبب المنع عن ذكر الجهر بعلة البدعة ، فراجعه . فإن صدر منك في هذه المذكورات شبهة مّا فاكتبه إلينا لنزيله إن شاء الله تعالى .

فإن قيل : فهل يجوز أَخْذُ هذه الطريقة لمن لا يقدِر أن يعملَ بالعزيمة ؟ فنقولُ ، والله أعلم : نعم ، يجوز . فقد قال الغوثُ الأعظمُ أحمد ضياء الدين في متمّماته في ٦٧١ : « وإن لم يمكن

« ١ » أي إنّ الذكر الجهري لم يرد في سلسلة النقشبندية عن الصديق الأكبر ولذا صار بدعة في هذا الطريق ، فافهم « منه » . أعني لا كلام في وروده في سلاسل أخرى ، فتدبّر « منه » .

العملُ بالعزيمة بأن يكون[١] من أهل التجارة أو الحرفة أو الخدمة أو الزراعة أو صاحب عيال فليَعْمَلْ بالرخصة » ، انتهى من عينه . وهكذا في « ماهية التصوّف » للخادمي[٢] و« الآداب المرضية » للشيخ جمال الدين الغموقي[٣] قدّس سرّه .

وفي « البهجة » : « ينبغي للشيخ أن يرفق بضعفاء الطريق فإذا رأى الشيخ في باطن المريد ضعفا لا يقدر على عمل العزيمة ومخالفة النفس وترك المألوفات فيسامحه ولا يردّه عن الطريق » انتهى من عينه ٠٣ . وفي « قلائد الجواهر » في ٥٤١ و« ترصيع الجواهر » في ١٢ نظير ما مرّ .

« ١ » أي المريد « من هامش » .

« ٢ » محمد بن مصطفى بن عثمان الحسيني المفتي الخادمي أبو سعيد النقشبندي الحنفي « ١١١٣ – ١١٧٦ هـ = ١٧٠١ – ١٧٦٣ م » ، فقيه أصولي ، من علماء الحنفية . جده عثمان قدم من البلخ وتوطن بلدة خادم . هو ولد وتوفي بها سنة ١١٧٦ . له من التصنيف : « البريقة شرح الطريقة المحمدية » ، « حاشية على الدرر والغرر » لمنلا خسرو ، « خزائن الجواهر ومخازن الزواهر » ، « كشف الحذر عن حال الخضر » ، « سراج الظلمات » شرح رسالة « أيها الولد » للإمام الغزالي . نقلا عن « هدية العارفين » للباباني .

« ٣ » هو الشيخ جمال الدين بن عبد الرّحمن الغازى قموقي حصّل علومه عن علماء عصره وكان عالما فاضلا ومحرّرًا بالغا كاملا ، ولما سمع خبر الشيخ محمد اليراغى الكورىّ رحل إليه وسلك الطريقة النقشبنديّة لديه ، ثم أجاز له الشيخ محمد اليراغى لإرشاد الناس وتسليك الطريقة . ثم إن الشيخ جمال الدين كان لا يفتر عن خدمة الامام شمويل ومعاونته فى شؤونه ومغازيه ، ولما استسلم الامام إلى الرّوسية رحل الشيخ جمال الدين إلى الدولة العثمانية فوصل إلى إستانبول ومكث فيه مدّة ثم توفي سنة ١٢٨٣ فى اسكدار رضى الله عنه . وله آثار مهمّة وقصائد بليغة ومن تأليفه « الآداب المرضية ، فى آداب الطريقة النقشبنديّة » . نقلا عن « نزهة الأذهان فى تراجم علماء داغستان » لنذير الدركلي .

وفي « المتممات » ما حاصله : إنّ الاشتغالَ بالرخص أو بالكتب بعد الحضور لا يضرّ عند النقشبندية ، انتهى فراجعه في ٦٩١ .

وفي « الحدائق الوردية » : « إنّ العملَ بالعزيمة في هذا الزمان صعبٌ لفساد المعاملات وعدم إمكان تطبيقه إلا على قواعد الشريعةِ فالأَخْذُ بظاهرِ التقوى مع اجتنابِ البدعة غنيمةٌ » ، انتهى فراجعه في ٣٠٢ . حتى أنّي رأيت في « البهجة » أن الشيخ لا يلقّن التوبة للمريد بالتفصيل بل يكتفي فيها بالإجمال من غير تفصيلِ الذنوب فالأولى إمهالُ ذلك إلى مرورِ أيامٍ » ، فراجعه في ٧٣ تجد البسط[١] الزائد .

وفي « لطائف المنن » : « وكان سيدي علي الخوّاص[٢] رحمه الله تعالى يقول : « الكاملُ من يسلِّكُ الناسَ وهُمْ في

« ١ » ومثله في رسالة « المبدأ والمعاد » للإمام الرباني ، فراجعه في ٥٢ من هامش الجزء الثاني من « الدرر » « منه » .

« ٢ » الشيخ نور الدين علي الخواص البرلسي قدس سره ، عالم مسلم ، معدن التقى والإخلاص ، صفوة الأولياء الخواص ، وأحد أعلام التصوف الإسلامي في القرن العاشر الهجري . أخذ التصوف عن القطب المحمدي إبراهيم المتبولي بشكل أساسي وعن الشيخ بركات الخياط . كان عالماً أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، فجمع تلميذه الإمام العارف وترجمان التصوف عبد الوهّاب الشعراني ما كان يقوله في كتاب سماه « درر الغوّاص في فتاوى سيدي علي الخواص » ، الذي قال عنه في المقدمة : « فهذه نبذة صالحة من فتاوى شيخنا وقدوتنا ، وولي الله الكامل الراسخ الأمّي المحمدي ، سيدي علي الخواصّ ، أعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاته وبركات علومه في الدنيا والآخرة » . توفي في القاهرة في آخر جمادى الآخرة سنة ٩٤٩ هـ ودفن في زاوية الشيخ بركات الخياط . نقلا عن « بحر الولاية المحمدية في مناقب اعلام الصوفية » للاستاذ جودة محمد أبو اليزيد .

حِرَفِهم » ، انتهى من عينه ، فالواجب على الشيخ أن يرفق ويلطف بمن كثُرت معاصيه وقسى قلبُه وغلِب وقوعُه في المخالفاتِ إلخ » انتهى من عينه . ومن السياسةِ الحسنةِ : أن لا يعاهد الشيخُ المريدَ بأنه لا يعود إلى عصيان الله تعالى وإن يُوفي ما لقّنه له من الأوراد بل يأمره بفعل الأوامرِ واجتناب النواهِي من غير معاهدةٍ كذا ذكره الشعراني في « درر الغواص » وكتاب « الجواهر والدرر » فراجعهما .

وقد اقتصرْنا على هذا القدر ؛ لأنه لو قصدنا أن نكتُب جوابَ كلِّ مسألةٍ تختلجُ في صدوركم لصار مجلّدًا ونحن لا نتفرّغ لذلك ولنرجع إلى تفسير الأشياء الباقية المذكورة في الأسئلة .

والوصولُ : اعلم أنّ الاتصال والمواصَلة أشار إليهما الشيوخُ وكلُّ مَنْ وَصَلَ إلى صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان فهو رتبةٌ في الوصولِ ، ثم يتفاوتُون ، فمنهم من يجد الله بطريق الأفعال وهو رتبة التَّجلي فيفنى فعلَه وفعلَ غيره لوقوفه مع فعل الله تعالى ويخرج في هذه الحالةِ عن تدبيرٍ واختيارٍ وهذه رتبةٌ في الوصول ، ومنهم من يقِفُ في مقام الهيبة والأنس بما يكاشِفه قلبُه من مطالعة الجلالِ والجمالِ وهذا تجلٍّ بطريق الصفات وهو رتبةٌ في الوصولِ ، ومنهم من يرتقي إلى مقام الفناء مشتملا على

باطنه نور اليقين والمشاهدة معمى في شهوده عن وجوده وهذا الضَّرب من تجلّي الذات لخواص المقرّبين وهذه رتبةٌ في الوصول وفوق هذه رتبة حقِّ اليقينِ ، ويكون من ذلك في الدنيا لَمْحٌ وهي : سريان نور المشاهدة في كلية العبد حتى تَحْظَى به روحُ العبد وقلبُه ونفسُه حتى قالبُه وهذا من أعلى مراتب الوصول فإذا تحققت الحقائقُ يعلم العبدُ من هذه الأحوال الشريفة أنّه في أوّل المنزل فأين الوصولُ وهيهات منازل طريقِ الوصولِ لا تنقطع أبد الآباد في العمر الأخرويّ الأبديّ فكيف بالعمر القصير الدنيوي .

والحاصل : أنّ الوصول إلى الله هو الوصول إلى العلم به أي مشاهدته بعين البصيرةِ مشاهدةً تغني عن الدليلِ والبرهانِ ويعبّر عن ذلك العلم بالمشاهدة وبعلم اليقين وبالتجلّي وبالفيض الرحماني والتعرّف العَياني والذوق والوجدان .

فالوصولُ تنقسِم إلى ثلاث مراتب كلُّها ذاتُ تجلٍّ وشهودٍ لكنّها اختلفت باختلاف التجلّي :

فالأولى : تجلّي الفعلِ بأن ينكشفَ لصاحبِها عن صدورِ الأفعالِ كلِّها من الله تعالى فلا يمكنُه رؤيةُ الفعلِ من غيره مع ذلك وإنّما ينكشف ذلك لبصيرتِه فمهما رأى فعْلا من الأفعال أو نظر أثرًا

من الآثار من حيث أنّه صُنْعُ الواحد الحقّ ، فلا يرى السماءَ والأرضَ والحيوانَ والشجرَ من حيث أنّها أرضٌ وسماءٌ وحيوانٌ وشجرٌ بل من حيث أنّها صُنْع اللهِ تعالى ، فمن نَظَرَها من هذه الحيثيةِ . . كان ناظرًا إلى الله تعالى ، وهو الذي يقال فيه إنه فنى في التوحيد وفني عن نفسه وإليه الإشارةُ بقول بعضهم : « كنّا بنا فَغِبْنَا عنّا فبقينا بالله » ، وفي هذا المقام يسقطُ التدبيرُ والاختيارُ وذلك أساسُ الطريق وعمدتُه ، وصاحبُ هذا المقام صاحبُ مقام عِلْم اليقينِ .

والثّاني : تجلّي الصفاتِ الجماليّةِ من كَرم وحِلْم ورِفْقٍ وإحسانٍ ورحمةٍ ولُطْفٍ وعَطْفٍ وفَضْلٍ وامتنانٍ التي هي منشأ الأنس والجلاليةِ من بطشٍ وسطوةٍ وعزّةٍ ونقمةٍ التي هي منشأ الهيبةِ ، وهذا صاحبُ تجريدٍ وتفريدٍ أي لا يفعل الطّاعةَ ؛ لأجل الأغراضِ الدُّنيوية أو الأُخرويّة بل ما كُوشف به من العظمةِ يقتضي أنّه يؤدّيها عبوديةً وانقيادًا فهو مجبولٌ على قصد الأغراضِ ولا يرى نفسَه فيما يأتي بل يَرَى نعمة الله عليه فهو صاحبُ فناء لفنائه عن السِّوَى وبقاءٍ لشهوده صفات الحقّ ولفناء صفاته المذمومة وبقاء صفاتِه المحمودةِ ، وصاحبُ هذا المقام صاحب عين اليقينِ له شُكْرٌ بما فَاجَأَه تجلّي نورِ الجمالِ والجلالِ يزيدُ على سكر صاحبِ علمِ اليقينِ .

والثالث تجلّي الذاتِ المقدّسةِ بما يتكامَلُ من تشعشع أنوارِ قلبِه في اليقينِ فيستولي على قلبِه أنوارُ الحقّ حتّى لا يَبْقَى له هاجسٌ ولا وسواسٌ وليس من ضرورتِه الفناءُ بل الكاملُ في ذلك هو الذي يكون في غاية الصّحو يجمع بين الحقّ والخَلْق هذا وقد يجوزُ أن يفسَّر للوصل والوصول بأنّهما حصولُ نسبة الحضورِ بالله للقلبِ على سبيل الذَوْقِ والذهول عما سواه تعالى ، فإن كانت تلك النسبةُ متّصلةً فقد تشرَّف صاحبُها بدوام الوصل فافهم ما مرّ إن كنت ذا ذوق ووجدان وإلا فلا ينفعك ذاك وتصير كالحيوان .

وسُلَّم العروج من السفلية إلى العلوية : هو ، عند أهل السلوكِ الأذكارُ التي يستعملونَها في طُرُقِهم فإذا استعملَها السّالكُ وكرَّرها وكثَّرها يُوقَدُ في باطنِه مصباحًا ملكوتيًا فيرى قبائحَ أعمالِه التي تجرُّه إلى أسفل سافلين فيتشمّر لإزالتها ، فإن القلب إذا انجلى بالذّكر الكثير يصير مهبطا للملائكةِ ويصير مضيئا منيرا بأنوار الذّكر فيتّصف حينئذٍ بالصّفاتِ الملكيّةِ المحمودةِ التي هو سبب العروجِ إلى مدارج الوصولِ والترقّي فعلى قدر الجذبةِ تحصُل الوُصْلةُ .

واعلم : أنّ هذا الطريقَ«١» الذي نَحْنُ بصدد قَطْعِه ، كُلّه سبعُ أقدامٍ بعد اللّطائف السبعِ الإنسانيةِ ، قدمان منها في عالم

«١» أي الطريقة النقشبندية «منه» .

الخَلْقِ يتعلّقان بالقالب أعني البدنَ العُنْصُرِيَّ والنّفسَ وخَمسةٌ منها في عالمِ الأمر مربوطةٌ بالقلب والرّوح والسّرّ والخفيّ والأَخْفَى ، وفي قدم من هذه الأقدام السّبْعِ ترتفعُ عشرة ألاف حجابٍ نورانيةٍ كانت تلك الحُجُبُ أو ظلمانيةٍ ، إن لله سبعين ألف حجابٍ من نورٍ وظلمةٍ ، ففي القدم الأولى التي توضع في عالم الأمرِ يظهر التّجلّي الأفعالي ، و في الثّانية التّجلّي الصّفاتي ويقع الشّروعُ في التّجليّاتِ الذاتية في الثّالثة ثمّ وثمّ على تفاوُت درجاتِها كما لا يخفى على أربابِها وفي كلّ خطوةٍ من الخطوات السبع يبعُدُ السّالكُ عن نفسِه ويقرب من ربّه سبحانه حتّى يتمّ القرب بتمام هذه الأقدامِ فحينئذ يتشرّفُ بالفناءِ والبقاءِ ويبلغ درجةَ الولايةِ الخاصّة فافهم .

وأوّل قدم يضعونه في الذّكر القلبُ ثم الرّوح ثمّ إلخ إلخ .

وقد مرّ أنّ كلّ ذكرٍ يُسْتعملُ باللّسانِ يستعمله النّقشبنديُّونَ في الابتداءِ بالقلبِ ، فتذكّره والله أعلم .

وكم درجته ؟ درجته عند النّقشبنديّة هي الأقدامُ السبعُ المذكورةُ بَيْدَ أنّ درجاتِ العروج متفاوتة ، منهم من حَصَل له العروجُ والترقّي بطريق الرياضة ، ومنهم من حصل له بكثرة الأذكار والتسبيحات ، ومنهم من حصل له التّرقّي بكثْرةِ الصومِ والصلواتِ ، ومنهم من حصل له العروجُ بمجرّد الفضلِ والمنّةِ .

وما معنى العروجِ ؟ هو الخروجُ من الأوصافِ الذّميمةِ النّفسانيّةِ إلى الأوصافِ الحميدةِ الملكيةِ التي هو دِهْلِيزُ الوصولِ إلى ذروة المعرفة اليقينيّة ، أو نقولُ هو الصعودُ من هبوطِ الخطراتِ الشّيطانيّةِ إلى رفعة الحضورِ والمشاهدةِ ، أو نقول هو عروجُ الرّوح إلى وطنِهِ الأصليِّ الذي هو فوق العرش ، فإنّ الرّوحَ من لطائف عالَم الأمرِ لا من عالَم الخلقِ ولمّا كان تعلُّقُه بعالم الخلقِ الذي هو النفسُ والقالبُ حَصَلَ له النّسيان عن عالمه الأصلي الذي رأى فيه ربّه بلا كيفٍ ولا مثالٍ ، فإذا أكثرَ العبد ذكرَ ربِّه ولازَم العبادةَ لخالقِه يترقى الروح إلى عالمِه ، فإنّ الأذكار قوةُ الأرواحِ كما أنّ أكلَ الطعامِ قوّةُ الأشباحِ .

فالحاصلُ : أنّ أمرَ العروجِ يرجِعُ إلى ترك النّفسِ وتزكيتِها وتصفيةِ القلبِ عمّا سوى خالقِها وقد قيل لأبي يزيد : « اترك نفسَك وتَعَالَ » فرفعُ الحجبِ الظلمانيةِ هي السّببُ الحاملُ إلى الترقّي والله ولي التوفيق .

وما حدّ المعراج ؟ المعراج هو العروج عمّا سواه تعالى والأُنْسُ بلقائِه .

وكم درجتُه ؟ المعراجُ على نوعينِ صُوريّ ومعنويّ . والمعنويّ أيضا على نوعينِ أحدُهما الانتقالُ من الصّفات الذّميمة إلى الخصالِ الحميدةِ ، وثانيهما الانتقالُ إلى الله عمّا سوى اللهِ ،

ففي الحديث القدسي : « يا ابن آدم من أراد أن يدخلَ حضور حضرتي فلا يلتفتْ بالملك والملكوت والجبروت ، فمن رضي بواحد منها فهو من المَطْرودين عن حضور حضرتي ؛ لأنّ المعراجَ « ١ » فهو العروج عمّا سوائي والأنس بلقائي » ، أو نقول : المعراج على أنواعٍ بحسب تنوّع أحوال السّالكين معراج التّوّابين ومعراج المحبّين ومعراج العارفين ، فإذا أردتَ الخلاصَ من النفسِ والمِحَنِ والمكرِ فالزم التوبةَ دائمًا بالنّيّةِ الخالصةِ من جميع الكبائر والصغائر وهفوات الخواطرِ واعرُجْ منها في معراج عالم القلب الذي هو معراج التّوّابين ، ثمّ جُزْ هذا المقامّ بالترقّي إلى عالَم الرّوح الذي هو معراج المحبّين ثم اسلُكْ في عالم السّرِّ الذي هو معراج العارفين فمهما لم ترقّ من حضيض طَبْعِك وبشريّتك ونفسك لا تصلُ إلى هذه العوالم الثّلاثة ، انتهى .

فالطُّرُقُ إلى اللهِ بعدد أنفاسِ الخلائقِ ، وقيل الطُّرق إلى الله بعدد ذرّات الوُجودِ ، فافهم .

وما معنى الاتصال والانفصال ؟ معنى الاتصال الاتصاف بصفات الحق والتخلق بأخلاقه تعالى ومعنى الانفصال : هو

« ١ » فالعروج والمعراج مترادفان فافهم « منه » ، أي يجوز أن يفسّر العروج بما فسّر به المعراج ، فتدبّر « منه « الرشحات » ٢١١ » .

الاتّصاف بالصّفات الحيوانية فالاتّصال هو مقام التمكين ، والانفصال« ١ » يكون في مقام التلوين وإذا أبدل اسمُ مِن اسم في مقام الفناءِ في الذّات فيترقّى من اسم العبدِ إلى اسم الربِّ حين تستولي عليه أنوارُ الحقائق فيغيب العبدُ في وجود الربّ وهو مقام الوصال والاتّصال يغطّي وصف عبده بوصفه .

ومعنى التّخلّق بأخلاق اللهِ أن السالك إذا أحيى سُنَّةً من السّنن الميتة يتّصف باسمه الحيّ وإذا اجتهَد في إماتة البدعة الشنيعة يتّصف باسمه المُمِيتُ وهكذا ، فافهم .

إذا تجلّى الله سبحانه للعبد بذاتِه . . يجد جميعَ ذوات الموجودات وصفاتهم وأفعالهم متلاشيةً في أشعّة ذاتِه تعالى وصفاتِه وأفعالِه ويجد نفسه بالنّسبة إلى جميعِ الموجوداتِ كأنّه مُدَبِّرُها وتجدها بالنّسبة إليه كالأعضاءِ إلى البدنِ ولا يكون شيء

« ١ » أو نقول الانفصال هو الانفصال عن الكونين الذي هو شرط الاتصال وعن رؤية الانفصال لكونها في شهوده لا شيئا محضا وصورته في البدايات الانفصال عن المرادات النفسانية والعادات ، وفي الأبواب الانفصال عن الفضول الزائدة على الضروريات ، وفي المعاملات الانفصال عن أفعال كل ما سوى الحق والتأثيرات ، وفي الأخلاق الانفصال عن ملكات النفس والهيئات ، وفي الأصول الانفصال عن التلفق والجهالات ، وفي الأحوال الانفصال عن السلوّ والقرار بدون المحبوب ، وفي الولايات الانفصال عن الاسماء والصفات ودرجة في الأحوال الانفصال عن شهود مزاحمة الاتصال والانفصال عين الأحدية الأزلية فإنهما في العلو سيان وحينئذ ينتقل إلى غيب الذات وعين الأحدية التي هي غيب الغيوب ويسير في مقامقات « وأولها المعرفة والله أعلم » قسم النهايات والله أعلم « منه رحم الله إفلاسه » .

من الموجودات قريبا إلى بعض آخر منها إلا أنه يراه أقربَ إليه من الكلّ ويرى ذاته وذات الحقّ سبحانه وتعالى وصفات الحقّ مع أفعال الحقّ متّحدة لكونه مستهلكًا في عين التّوحيد والاستهلاكُ فيه مستلزمٌ لأن يجد ما نُسِبَ إلى الحقّ سبحانه منسوبًا إلى نفسه وليس للعارفين مقامٌ في التّوحيد أعلى من هذه المرتبة فإذا انجذبت البصيرةُ بمشاهدةِ جمال الذات يختفي نورُ العقل الفارق بين الأشياء والمميّز بين الواجب والممكن بغلبة نور الذاتِ القديم ويرتفع التمييزُ بين الحادث والقديم لكون الباطل لا شيئا محضًا غير ظاهرٍ عند ظهور الحقّ ويقال لتلك الحالة عند هذه الطائفة : « جمعًا » ، انتهى .

ليس معنى الفناء المطلق أن لا يكون لصاحب الفناء شعورٌ بأوصافه وأفعاله أصلًا بل معناه نفي إسناد الأوصاف والأفعال إلى نفسه بطريق الذوق وإثباتُه للفاعل الحقيقي جلّ ذكره وما قاله الصوفية : إنّ النفي لا ينافي الإثبات هو بهذا المعنى ، انتهى .

وما معنى الغيبة والحضور ؟ الغيبة : غيبةُ القلبِ عن علم ما يجري من أحوال الخلقِ لشغل الحسّ بما ورد عليه . والحضورُ حضورُ القلبِ بالحقِّ عند الغيبةِ عن الخلق .

إذا كان الذكرُ ملكةً على وجه يكون القلب حاضرًا دائمًا ويكون الذاكر متلذّذًا به فهو من الأبرار ، ويُمْكِنُ أن يقال إنّه حاضرٌ بالله ولا يُطْلَقُ عليه واصِلٌ إلى الله ، فإنّ الواصلَ من ينتفي عنه إسنادُ الحضور إليه ويعتقد أنّ الحاضرَ إنّما هو الحقَ بذاته كما يؤخذ ممّا مرّ آنفا . فمعنى الحضور : هو التوجُّهُ الدائميُّ إلى الحقّ تعالى .

وما معنى التلوين والتمكين ؟ التلوين : تنقّلُ العبد في أحواله وهو عند الأكثرين مقامٌ ناقصٌ . وأمّا عند الشيخ الأكبر« ١ » هو أكملُ المقاماتِ وحالُ العبد فيه حالُ قوله تعالى : « كلّ يوم هو في شأن » . والتمكينُ عنده هو : التمكين في التلوين ، وقيل : حال أهل السلوك وهو مقام الرسوخِ والاستقرارِ على الاستقامة وما دام العبدُ في الطّريق فهو صاحبُ تلوينٍ ؛ لأنّه يرتقي من حال إلى حال وينتقل من وصف إلى وصف فإذا وصل واتّصل فقد حَصَلَ التمكينُ .

« ١ » الشيخ ، العارف ، الكامل ، المحقّق ، المدقّق ، أحد أكابر العارفين بالله السيّد محيي الدين ابن العربي رضي الله عنه . أجمع المحقّقون من أهل الله عزّ وجلّ على جلالته في سائر العلوم كما يشهد لذلك كتبه ، وما أنكر من أنكر عليه إلا لدقّة كلامه لا غيرُ ، فأنكروا على من يطالع كلامه من غير سلوك طريق الرياضة خوفاً من حصول شبهة في معتقده يموت عليها لا يهتدى لتأويلها على مراد الشيخ . وكان الشيخ عزّ الدين بن عبد السّلام شيخ الإسلام بمصر المحروسة يحط عليه كثيراً ، فلما صحب الشيخ أبا الحسن الشاذلي رضي الله عنه ، وعرف أحوال القوم صار يترجمه بالولاية ، والعرفان ، والقطبية . مات رضي الله عنه سنة ٨٣٦ . « طبقات الكبرى » للشعراني ، ص ٠٧٢ .

فالحاصلُ : أنّ التلوينَ عند مشائخ الطريقة قدّس الله تعالى أرواحَهم عبارةٌ عن تقلّبِ قلبِ السالكِ وتنقّلِه في الأحوال الواردة إلى القلب . وقال البعضُ إنّه عبارةٌ عن تقلّب القلبِ بين الكشفِ والحجابِ بسبب غيوبة صفات النّفسِ تارةً وظهورها أخرى فلا جَرَم يَمكن معرفةُ السالك في هذا المقام من جهة تلوين أحواله بين الصفتين المتقابلتين كالقبضِ والبسطِ والسكرِ والصحوِ وأمثالها . والتمكينُ : عبارة في اصطلاحِهم عن دوام كشفِ الحقيقةِ بواسطةِ اطمئنانِ النفسِ في موطن القُرْبِ فلا جَرَمَ لا يمكن معرفةُ السالكِ في هذا المقامِ فإنّ صاحب التمكينّ قد وصل إلى مرتبةِ سعة العلم فهو مماثلٌ ومشابهٌ لأهل الظاهر في الأكل والشرب والبيع والشراء والنوم واليقظة وسائرِ الصفاتِ البشريةِ . والتقليدُ لأهل التمكين في الأمور الطبيعية وتركُ الرياضاتِ والمجاهداتِ موجبٌ لخطرِ الزَّنْدَقَةِ .

وما معنى المشاهدة ؟ المشاهدة : تُطْلَقُ على رؤيةِ الأشياءِ بدلائلِ التّوحيدِ وتُطْلَقُ بإزاء رؤيةِ الحقِّ والأشياء وتطلق بإزاء حقيقة اليقين من غير شكّ . فالمحاضرةُ حضورُ القلبِ وقد يكون بتواترِ البرهانِ وهو بعدٌ وراء الستر وإن كان حاضرًا باستيلاءِ سلطانِ الذكرِ .

ثمّ بعده المكاشفةُ وهو : حضورٌ بنعْتِ البيان غير مُفْتَقِرٍ في هذه الحالة إلى تأمّلِ الدليلِ وتطلّبِ السبيلِ ولا مستجيرَ من دواعي

الرَّيْبِ ولا محجوبَ عن نعتِ الغيبِ . ثمّ المشاهدةُ وهي حضور الحقّ من غير بقاء تُهْمَةٍ فإذا صَحَتْ سماءُ السّرِّ عن غيوم الستر فشمس الشهود مُشْرِقَةٌ عن بُرْجِ الشَّرَفِ .

ومعنى الشاهد : الحاضرُ فكلّ ما هو حاضرُ قلبِك فهو شاهدُك ويريدون بلفظ الشاهد : ما يكون حاضر قلبِ الإنسانِ وهو ما كان الغالبُ عليه ذكره حتى كأنّه يَرَاه ويُبصره وإن كان غائبًا فكلّما يستولي على قلبِ صاحبِه ذِكرُه فهو يشاهدُه . للشهود معنين[١] أحدهما : شهود الذات المبرأة عن الظهور في لباس المظاهر ، وثانيهما شهود الذات المقدسة من لباس المظاهر من غير وصف الكثرة بل بنعت الوحدة ويقال لهذا الشهود عند الصوفية شهود الأحدية في الكثرة وكان النبي صلى الله عليه وسلم على هذا الشهود بعد البعثة .

والاستغراقُ هو : الشمولُ لجميع الأشياء أو الأفراد بحيث لا يخرج عنه شيءٌ وأما عند أهل السلوك . . فهو حضور الحقِّ بكلية السالك واستغراقه في أنواره .

وما معنى المراقبةِ ؟ المراقبة : ملاحظةُ العبدِ نظرَ اللهِ إليه ومعيّته معه وقربه إليه ولها أنواع ذكروها فأول مراقبة في الطريقة

« ١ » معنيان ، علّه « من هامش » .

النقشبندية مراقبة الأحدية ثمّ المراقبة المعيّة وفيها خمس مراقبات : مراقبة القلب ومراقبة الروح ومراقبة السر ومراقبة الخفي ومراقبة الأَخْفَى ، فهذه المراقبات يستعملونها في الولاية الصغرى« ١ » .

ثمّ بعد ذلك يعلّمون السالك سيرَ الولاية الكُبْرَى فدائرة الولاية الكبرى متضمِّنةٌ على ما قالوا : الدوائر الثلاثة وقوس الأولى : دائرة الأقربيةِ ويأمرون فيها بمراقبة الأقربية ويعلّمونها ، والثانية : دائرة المحبّة ، والثالثة : دائرة المحبوبية والقوس نصف دائرة هو دائرة قاب قوسين ويعلّم الشيخ في هذه الثلاثة مراقبة المحبة على نهج ما قرّرتُ ثمّ بعد تمام الولاية الكبرى يعلّم الشيخ مراقبات الولاية العليا وذكرُها يطوّل الكلام كتبة الجميع يصعب على هذا الحقير المستهام . وقد وضعنا الكلّ في كتابنا « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين »بالتّمام والله المستعان وهو مولى الأنام .

والطمأنينة : هو مقامُ النفسِ وصفاتُها التي تمّ تنوّرُها بنور القلبِ حتى انخلعت عن صفاتها الذميمة وتخلّقت بالأخلاق الحميدة فإذا أسكنت النّفسُ تحت الأمر وزَايَلَها الاضطرابُ بسبب مُعَارَضَةِ الشّهوات سُمِّيَتْ مُطْمَئِنَّةً .

« ١ » فلو وجدت أيّها الأخ ولو واحدا من مشائخ دياركم لقّن له شيخه أوّل مراقبة من هذه المراقبات فاشكره وأرجوك لا تجده فامتحن كما امتحنتَ الحقير الفقير الأقلّ من كل قليل « منه » . سامح الله من فرطاته آمين .

فائدة : قد تَكلَّم معنا واحدٌ من أهل الزَّعْمِ والدَّعْوَى مع أنّه يدورُ في القُرَى باسم المشيخةِ ويُوهم أنّه يُعلِّم الأورادَ والطريقةَ بأنّ الطريقةَ النقشبندية لا يجوز للشيخ النقشبنديِّ تلقينُها للمريد إلَّا إذا صارت نفسُ المريد مُطْمَئِنَّةً فَصِرْتُ حيرانَ من هذا القولِ وعلمت أنه ليس من أهل الذَّوقِ والوُجدانِ وتيقَّنتُ أنّه مدّعٍ كذّاب ليس له معرفة في اصطلاح هذا الفنِّ .

بيد أنَّه لمّا كان قوله هذا مما يُوهم أهلَ الإرادة كونه صادقًا أجبتُ لقوله ورددتُ كلامَه بما قال الإمام الربّاني في مكتوباته بهذه العبارات : « لا بدّ لمبتدئ طلبة هذا الطريق من الذكر فإنّ ترقّيَه مربوطٌ بتكرار الذكر بشرطٍ أن يأخذَه من الشيخ الكامل المكمّل فإنّ لم يكن بهذا الشرطِ فكثيرًا ما يكون من قبيل أوراد الأبرار التي نتيجتها الثواب لا درجة القرب التي تتعلّق بالمقرّبين ، فإذا تمّت المعاملة التي كانت مربوطة بالذكر بفضل الله سبحانه وتيسّر الخلاص من التعلُّقِ بآلهةِ الهَوَى وصارت الأمّارةُ مطمئنةً فحينئذ لا يحصل الترقِّي من الذكر ويكون حكمُ الذكرِ حكمَ أورادِ الأبرارِ .

وقطع مراتب القرب في ذلك الموطن مربوطٌ بتلاوة القرآن وأداء الصلاة بطول القنوت ولكلّ مقام مَوْسِمٌ فإن أدّى في موسمِه يكون له حسنٌ وملاحةٌ وإلّا فكثيرًا يكون خطأً وإن كان حسنةً

في ذاتِه . ألا ترى أنّ قراءةَ الفاتحةِ في التشهُّدِ خطأٌ وإن كانت أمَّ القرآن ، فكان الشيخُ في هذا الطريق من الضروريات وتعليمُه من أهمِّ المهماتِ وبدونه خَرْطُ القتادِ . قال واحد من الأعزَّةِ شعر« ١ » :

من أجل كَوْنِك في البداية أحولا ** لا بدّ من شيخ يقودك أوَّلًا ، انتهى كذا في « الدرر المكنونات » في ٨٣ من الجزء الثّالث .

وقد قال بعضُ العارفين : إنّ معنى الإرشادِ إرشادُ الضالِّ إلى السدادِ لا إرشاد المرشدين ولا المرادين ولا القائمين على حدّ الرَّشاد ولا معنى للإرشادِ لمن كان في الرَّشاد فهو تحصيلُ الحاصلِ فحينئذ يكون مرادُ الإرشادِ إخراجَ طالبِ السلوكِ عن رعونةِ الأمَّارةِ وحضيضها إلى سبيلِ الهدايةِ بواسطةِ تربيتِه بتزكيةِ اللطائفِ حتَّى تصير الأمّارةُ لوّامةً ثمّ وثمّ إلى أن تترقَّى إلى المطمئنّةِ ويصير المريدُ مرادًا ويذهب عن النفسانية حتى يبقى العبد في الفناءِ المحضِ بلا نفسٍ غيبةً عن الوجودِ ، انتهى اختصارًا وهو كلامٌ نفيسٌ في غاية التّحقيق .

ومعلومٌ أنّ السالكَ إذا صارت نفسُه مطمئنّةً يستعدُّ لتربيةِ الطالبين وللتوجّه ويجوز للشيخ أن يأذنَ له للتلقين لكن لا يصل السالكُ إلى هذه المرتبةِ إلّا بعد الصُّحبةِ الصادقةِ مع الشّيخ الكاملِ كذا في « الرسالة المدنية » وراجع « السير والسلوك » و« ترصيع الجواهر » تَجِدُ فيهما ما يُؤَيِّدُ هذا الكلامَ .

« ١ » لعلّه : شعرا .

ونقل صاحبُ « البهجة » عن الإمام الربّاني أنه قال : « لا تحصُل حقيقةَ الإيمانِ إلّا بعد تزكية النّفس والاطمئنانِ » ، فراجعه في ٦٧ وفي ٧٧ . ولا تحصلُ تزكيةُ النفسِ إلّا بعد تصفيةِ اللّطائف بالأذكار السّلوكية المأخوذةِ من الشيخ كما هو مفهوم ما في « مسيرة الحكم » للزهدي و« المكتوبات » للإمام الرباني مجدِّد الألف الثاني أحمد الفاروق فتدبَّره .

فائدة أخرى : قد قال بعضُ المتصدّرين أيضا أن الذكرَ القلبيَّ لا يجوز للشيخ تلقينُها للمريد إلّا بعد وصوله إلى درجةِ الحضورِ التامِّ ، فرددت كلامَه بما في « المتممات » : إنّ أوّلَ قدم يضعونه في الذكرِ القلبيِّ ، انتهى ، وبما قال اللإمام الربّاني في مكتوباته بأن الحضورَ الدائميَّ لا يكون إلّا للمنتهي ، انتهى .

وكتب إليّ واحدٌ منهم أنّ أعباءَ الطريقةِ لا يحمل إلّا من صارت نفسُه راضيةً ، وقال أيضا إنّ أكثرَ العارفين لم يبلغوا إلى مقامِ الطريقة .

فأجبتُه بأنّ الأذكارَ وسيلةٌ إلى الوصولِ إلى درجاتِ القربِ والمعرفةِ وأنّها موضوعةٌ لتزكية النفس الأمّارة الآبية عن كل خير

بطبعها وقد قرّروا في كتبهم أذكارًا خاصةً يذكرونها في عقبة كلّ نفسٍ من النفوس السبعة .

فالقول بعدم جوازِ اتّخاذِ الوسيلة إلّا بعد الوصول إلى المقصودِ الذي هو الوصول إلى درجة النفس الراضية والترقّي إلى مقام العرفان والمعرفة من علامة كون قائلِه على الجهل المركَّب وقد يردّ كلامَه بما في رسالة « المبدأ والمعاد » للإمام الربّاني ويخالفه بجميع ما في سائر الكتب فراجع وحرّر والله المستعان فوا عجبا كيف لا يأتُون لإثباتِ مدّعاهم ولو بكلمةٍ واحدةٍ من النّصّ والأثر ، عافاهم الله أَنَّى يؤفكون .

وما معنى الإيمان ؟ هو في اللغة : التصديقُ بالقلب وفي الشرع هو الاعتقادُ بالقلبِ والإقرارُ باللّسانِ . قيل من شهِد وعمل ولم يعتقد فهو مُنافِقٌ ، ومن شهد ولم يعمل واعتقد فهو فاسقٌ ، ومن أخلّ بالشهادة فهو كافر . الإيمان على خمسة أوجه : إيمانٌ مطبوعٌ وإيمانٌ معصومٌ وإيمانٌ مقبولٌ وإيمانٌ موقوفٌ وإيمانٌ مردودٌ . فالإيمانُ المطبوعُ هو إيمانُ الملائكةِ ، والإيمانُ المعصومُ هو إيمانُ الأنبياءِ ، والإيمان المقبول هو إيمان المؤمنين ، والإيمان الموقوف هو إيمان المبتدعين ، والإيمان المردود هو إيمان المنافقين .

وما قدرُه الشرعيُّ ؟ هو معلومٌ لدى كلِّ من قرأ « المختصر » وهو أن تعتقد بأن الله تعالى وحدَه لا شريك له إلخ وأن الملائكةَ عبادُ الله إلخ إلخ وإلخ .

وما منتهاه ؟ هو الخروجُ من الدليلِ بحصولِ العيانِ والمشاهدة بنورٍ يَقْذِفُ الله تعالى في قلبِ من يشاء من عبادِه . أو نقول إنّ منتهى الإيمان الخروجُ من صورته إلى حقيقته وكما أن المقصودَ من خلق الإنسان أداءُ العبادة المأمور بها كذلك المقصودُ من أداء العبادة تحصيلُ اليقين الذي هو حقيقة الإيمان ويمكن أن يكون في قوله تعالى : ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾[1] رمز إلى هذا المعنى ، فإن كلمة « حتَّى » كما أنّها تكون للغايةِ تكون للعلَّةِ أيضا أي : « لِأَجْلِ أَنْ يَأْتِيَكَ » ، انتهى . وكأنّ الإيمانَ المتقدّمَ على أداء العبادةِ صورةُ الإيمان لا حقيقتُه التي عبّر عنها باليقين ، قال الله عزّ شأنه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ ﴾ أي الذين أمَنوا صورةً آمِنوا حقيقةً بأداء وظائف العبادة ، انتهى .

هذا ما عندي فإنْ يَكُ صوابًا فللَّه الحمدُ وإلّا فأستغفرُ اللهَ . ولو لا تكرارُ السؤالِ من طَرَفِكم . . لما اجترأت إلى كتبةِ هذه الأجوبة لما أنّ أكثرَها من الأمورِ الذوقيةِ ولا يعرف كُنْهَها إلّا من

« ١ » سورة الحجر ، الآية ٩٩ .

ذَاقَ والعبارةُ عنها لا تزيد لمن لم يذُقْها إلّا غموضا وانغلاقًا لأنّ الأمورَ الذوقيةَ يستحيل إدراكُ حقائقِها بالعباراتِ النطقيةِ فيُؤَدِّي ذلك إلى الإنكارِ والقدح في علومِ الساداتِ الأخيارِ . وقد قالوا إنّ من أنكرَ شيئًا من أحوال القوم حرم من ذوقِها عقوبةً عليه .

خاتمة مهمّة

قد تصدَّر الأكثرون من مشائخ ديارِنا للإرشادِ وتلقينِ الأذكارِ التي لم تَرِدْ في أصول السادات النقشبندية أو القادرية أو غيرِهما من أصولِ سائرِ الطرق العلية ، وسببُ ذلك أنّ أهلَ هذه الطريقةِ وقعوا في هذه الديار غرباءَ ولم يَبْقَ بين الناس من يعرف اصطلاحَ الساداتَ ويُلَقِّنُ كيفيةَ التلقين على ما ورد في سلسلة المشائخ القادات ، فمن ذلك اخترع أبعاضٌ منهم بواسطة قصور نظرهم بِدَعَاتٍ ، وجذبوا قلوبَ الناس إلى جوانبهم بعلاقات ارتكاب تلك البدعاتِ ، وظَنُّوا هذا العملَ منهم تكميلا لهذه الطريقة ، حاشا ذلك وكلّا بل صاروا سببًا لتخريب أساسِها وتضييع أصولِها وفروعِها ، ولم يدركوا معاملةَ أكابرِ أهلِها ، فضلّوا وأضلّوا وضاعوا وأضاعوا بل صاروا قُطاع الطريقِ الأوّاب وسببًا لتفرقة جمع الأحباب ، فالعياذ بالله ، إنه هو المُنعم الوهّاب .

وقد وردَ من الأئمةِ العارفين في حقّ هؤلاء القوم مواعدُ وصرّحوا بأنّه لا يحصل من أمثالهم لغيرهم فوائد من ذلك ما قاله صاحب[١] « روح البيان » في سورة الفرقان وفي الآية إشارةٌ إلى الأصنام المعنوية وهم المشائخُ المدّعون والدجّالة المتصنّعون ، فإنّهم ليسوا بقادرين على إحياءِ القلوب وإماتةِ النفوس فالتابعون لهم في حكم عابد الأوثان ، انتهى فراجعه .

ومن ذلك ما قاله أيضا في سورة آل عمران ، قال الشيخ الصفي قدّس سرّه : إنّ الذين يدّعون المعرفة وتمكينَهم في مقام الإرشاد ويراؤون جلبًا لحطام الدنيا عذابُهم أشدُّ من عذاب النساء الزانيات وَلَدْنَ أولادًا من الزنا مع وجود أزواجهنّ وأولادهنّ سبعين مرةً ، فلو نظرت إلى شيوخ الزمان وجدت أكثرَهم مُدَّعين ما لم يتحقّقوا به يضلّون الناس بأكاذيبَ ويرون أساليبَ ليس فيها أثرُ المعاني والحقيقةِ فعلى العاقل أن لا يغترَّ بظاهرهم ولا يخرجَ عن المنهاج مقتفيًا بآثارهم بل يجتهد أن يميّز بين الحق والباطل والعارف والجاهل ، عصمنا الله تعالى وإيّاكم من الزيغ وسيّئات الأعمال ، انتهى .

« ١ » الشيخ إسماعيل حَقِّي بن مصطفى الإسلامبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء « ٠٠٠ – ١١٢٧ هـ = ٠٠٠ – ١٧١٥ م » : متصوف مفسر . تركي مستعرب . ولد في آيدوس وسكن القسطنطينية ، وانتقل إلى بروسة ، وكان من أتباع الطريقة « الخلوتية » فنفي إلى تكفور طاغ ، وأوذي . وعاد إلى بروسة فمات فيها . له كتب عربية وتركية . فمن العربية « روح البيان في تفسير القرآن – ط » أربعة أجزاء ، يعرف بتفسير حقي ، و « الرسالة الخليلية – ط » تصوف ، و « الأربعون حديثا – ط » . نقلا عن « الأعلام » للزركلي .

وقد لقينا واحدًا منهم أيّها الأخُ الأمينُ يدّعي أن ليس على وجه الأرض أعلى منه مقاما في المشيخة فعند التّجربة وجدناه لم يضع في الطريق قدمًا واحدًا فضلًا عن غيرِه بل صرّح أنّ ذكرَ القلبِ مما لا يكون أصلًا . ولقينا أيضا واحدًا منهم يزعم أنّ له إذنَا من طرف أربعة من المشائخ فألنّا له الكلام وجرّبناه بالمداراة فأقرَّ آخرًا أنّه لا يعلم كيفيةَ أذكارِ النقشبنديةِ واعترف ووعد لمجيئه لدى الشيخ العسلي قدّس سرّه .

فالحاصلُ : أنّا لم نَلْقَ منهم ولو واحدًا حصل له الحياةُ القلبيُّ الذي هو أوّل مقاماتِ السالكين في هذه الطريقة . ولم نَجِدْ منهم من يعرف ذكرَ القلب فضلًا عمّا بعده من ذكر اللطائف اللّاتي قرّره النقشبنديون في كتبِهم . وقد مرَّ في هذه الرسالة أن الأخذَ من أمثالِ هؤلاء يضرُّ المريدَ .

وكتب واحدٌ منهم مكتوبًا بأنّه لا يثاب على فاعل أذكار النقشبندية« ١ » مع أنّ تلقينَ الذكر على منهاج النقشبنديين خيرٌ من ألفِ سنةٍ ابتدعوها كما قال به بعضُ العارفين في رسالته . والكلام في هذا كثيرٌ ونكتفي بهذا القدر .

« ١ » والحال أنه قد ورد في الحديث : الذكر الذي لا تسمعه الحفظة يزيد على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفا « منه » .

ولا ينبغي أن يفهَم ممّا مرَّ أنّا ندّعي الكمالَ فالعياذُ بالله ثمّ العياذُ بالله لكنّا مأذونون من شيخ كامل كما أجاز محمد النقشبندي ليعقوت الچَرْخِي «١» قبل الكمال . ونحن نُلقِّن الأذكارَ الواردةَ في سلسلتِنا كما ورد بلا زيادةٍ ولا نقصانٍ مع كونِنا خائفين من الله ولو لم يكن الأمرُ بذلك مؤكَّدًا من شيخِنا المرحوم قدّس سرّه لما أَطَقْنَا أن نتصدَّر لهذا الأمر المخُوفِ فنرجُو منكم الدعاء لأخيكم الكاتب الغريب الغريق في بحار العيوب والذنوب .

وإن وقع فيك شبهة مّا فيما كتبتُه فعليك بكتبتِه إلينا ثانيًا لننظرَ إليه ونُجيبَ متدبّرًا إن شاء الله تعالى . فلو كتبتُ شيئًا مع بيان النقل يقول المنكرون ليس ممّا استقلّ بمعرفته ، وإن كتبتُ بما فَتَحَ الله عليّ فسيقولون إنّه من نفسه ليس فيه شيءٌ من النقل مع أنّه لا يخالف شيئًا من الكتاب والسنة ولا أجد ملجأً للخلاص من عيبهم ، هداهم الله وإيّانا إلى طريق الاستقامة والإنابة ، آمين .

فهذا والسلام من هذا الكاتبِ حَسَن القحيّ .

«١» الشيخ يعقوب الجرخي ، من أحيى الحقيقة بالشريعة ، والشريعة بالحقيقة ، وسلك في طريقة القوم أقوم طريقة ، وورث علوم الغيوب . ولد قدس الله سره في چرخ – وهي بلدة من بلاد ما وراء النهر ، ورحل لتحصيل العلوم إلى هَراة ثم إلى مصر ، وتلقّى العلوم الشرعية والعقلية عن علمائها ، ثم عاد إلى وطنه وصحب سيدنا شاه نقشبند قدس سره لإرادة تحصيل علم الباطن . توفّي قدس الله سره في قرية هُلْغَتُو وله خلفاء عظماء ، وأصحاب بلا حساب . وأعظم من سَرى سرُّ هذه النسبة المطهرة إليه سيدنا الشيخ عبيد الله الأحرار قدس سره .

حرّر في ٨١ من ربيع الأخير سنة ٣٣٣١ وأوصيكم بالدعاء .

ثمّ المراد منك أن تردّ إلينا هذه الأوراقَ بعد النسخ بيد هذا الرجل لما أنّ الناس يسألونني عن أمثالها فأَحْتاج إلى كتبة الجواب ولا أتفرَّغُ لذلك إلّا نادرًا[١] ، فإن شِئْتَ تُرْسِلْها ، وإن شِئْتَ تَتْرُكْها لديك وترسل ما نسختَ منها لديَّ ، ولعلّه يكون في ذلك[٢] مصلحةُ التذكرةِ للدعاء من الطرفين لي منكم ولكم منّي ، فافهم ، فالامتحان منّي وتركُه من غيري ليس من الإنصاف ، فافهم ، وإلّا فللكلّ دلائلُ من الآيات والأخبار ، والله وليّ الهداية والتوفيق وهو أرحم الراحمين .

وقد تمّ كتبةُ هذه السطور بيد أحقر الأنام الهرچلي من أحقر الحقير في ٦ من الشهر المبارك رمضان من يوم الجمعة في سنة ٤٧٣١/ ٥٥٩١ أفريل في ٩٢ . اللهمّ اغفر لهم وارحمهم وارزقنا شفاعتَهم ، آمين .

« ١ » ولم يجز لي أن أنسخ شيئا من هذه بل تركته على هذه المسوّدة لضيق الوقت فترك اللّوم من أخلاق الكرام « منه قدس سره » .
« ٢ » أي في إرسال ما كتبتَ لديَّ وترك ما كتبته لديك « منه قدس سره » .

تلخيص الكلام الحسن من مقالات حسن أفندي القحي قدس سره العزيز

الذي جمعه ولده المحبوب ومريده الصادق الأديب

عليزل محمد القرودي

بسم الله الرحمن الرحيم و به نستعين و عليه التكلان

الحمد لله الذي لم يجعل في بابه بوابا و هدانا الى سبيله بارشاد ذوي البصائر واولى الألباب و الصلاة و السلام على رسوله محمد سيد الأنام و على آله و أصحابه الكرام .

اما بعد : فلقد سألني بعض الإخوان الأحبة و الخلان الأجلة ان اكتب مقالات شيخ المشايخ العظام الشيخ الأعظم حسن القحي اعلى الله درجته في دار الجنان لان كلام السادات سادات الكلام .

فقصدت ان اكتبها مجيبا له و مستعينا بالله الملك العلام و ان لم اكن اهلا لذلك لان من منع المستوجبين فقد ظلم ، و من كتم العلم ألجم بلجام النار .

و سميته « **بتلخيص الكلام الحسن من مقالات حسن** » فاول ما لقيته قال لي : ان الشيخ مم دبر الروجي قال جاء لديه اربعة رجال فقال لهم يا اولادي اني اعلم ما فيكم كما بين عيني فلقن اثنين ذكر القلب و لم يلقن الآخرين . ثم قال لي اي الطريقين تريد ان القنك من الطريقة النقشبندية و الشاذلية فقلت لا اختار منهما شيئا فلقن ما بدا لك خيرا فأعاد ذلك ثانيا و ثالثا فلم اقل الا مثل ما قلت اولا انتهى .

ثم بعد ذلك قال لي في يوم آخر ان الشيخ يقدر ان يوصل المريد الى مقامه في قدر أسبوع فتعجبت ثم قال فان قلت ان كان يقدر فلم لا يوصله كذلك اقول ان اوصله كذلك يظن المريد ان هذا المقام امر سهل يصل اليه بسهولة بلا مشقة فلا يباليه فيتركه فينحسر اعاذنا الله فان لم يوصله الا باستغفار و صلاة كثيرة و اذكار عديدة و مراقبات عظيمة يكون وصوله اليه بمشقة شديدة و يكون عنده اعز ، فلا يتركه و يأخذه بالأسنان مع شفاه .

ثم قال لي في يوم آخر حصل لي تصور نفسي في زمان مثل الشيخ عبد الرحمان العسوي قدس سره بلا فرق في صورة و صفة و حركة و سكون و قيام و قعود و قول و فعل كأني هو بلا فرق فذكرته له فقال لي يا ولدي لعلك فنيت في ولو فنيت في الشيخ محمود افندي بلا فناء في لكان خيرا لك انتهى .

ثم قال لي في يوم آخر كنت في زمان في قرية عسب عند الشيخ الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره في مسجدهم معتزلا من المتعلمين وكنت لا اسمع و لا افهم من كل الأصوات و من كل كلام الناس من كل حرف الا لفظة الجلالة « الله » ، فاذا جأت ليلة الجمعة اجتمعت مع المتعلمين في المسجد و كان بين ايدينا ما جاء من القرية بسؤال المتعلمين كما كان عادتهم في ليلة الجمعة

من كسرات الخبز و الأدارف و سائر المأكولات و كانوا يأكلون و كنت آكل ما تركوا افتخارا . فذهب مني ذلك الحال فصرت كالحجر الصلب فذكرت الحال للحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره فقال يا ولدي قد طرأ اليك قبض شديد لعلك اكلت ما صنعته الحائضة فلم يرجع ذلك الحال الي الى زمان كثير انتهى .

فقال في يوم آخر : كان الشيخ الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره«١» اذا صارت حرارة المريد لا تقدر حملها عليك فانقل ذكره اذا كان المريد يعلم حرارته ولو شيئا قليلا فقلت له اذا كان الحرارة لا تقدر حملها فكيف لا يعلم المريد الا شيْأ قليلا فقال ان الحرارة التي تصل الى المريد يكون وصوله تدريجا فلذلك لا يعلم و من المريد الينا تنقل دفعة فلذلك يثقل علينا حمله انتهى .

اني كنت ذهبت الى قرية رقب للتجارة و كنت اسمع ان في تلك القرية مريدا صالحا يقال له بدن حجيو فنزلت عنده ضيفا و قبلني و مضى عنده ثلاثة ايام بلياليها لشدة البرد مع الثلج . فخرجت و معي رفيق و فرس و حمار فوصلنا الى طريق ضيق و تحته نهر فوقف الفرس فلم يسر و ان جزبت قدامه ولم يسر الى خلفه وان دفعت وهو مشرف على السقوط الى النهر ، فلم نجد ما

«١» لعله يقول لي

نفعله من الحيلة فتذكرت قرأة السلسلة فقرأتها فاذا وصلت القرأة الى اسم حسن افندي قدس سره جاء الفرس سائرا كما يسري من الطريق الواسع بلا جر فمنه سرت الى قرية عسب واجتمعت مع الشيخ دبرصل محمد العسوي رحمه الله تعالى فقال اين كنت فقلت كنت في قرية رقب و قال عند من كنت ضيفا فقلت كنت ضيفا عند بدن حجيو و قال هو رجل صالح و كان هو مريدا للحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره فاذا مات طرأ على المريدين كلهم تنزل الا بدن حجيو لان اعتقاد بدن حجيو رجع الى حسن افندي قدس سره و سائر المريدين لم يرجع اعتقادهم الى حسن افندي قدس سره كما كان للحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره فلذلك وقع الامر كذلك فظننت ان هذه القصة تليق ان تكتب على جبهات المريدين و أخبرتها لكثير من المريدين . ثم رجعت و سرت الى قرية قحب في هذا السفر و اجتمعت مع الشيخ حسن افندي قدس سره و لم اخبر ما وقع في الطريق في حق الفرس فقال اني كنت قلت للحاج عبد الرحمن العسوي ان المريدين يقولون وقع في الطريق كذا و كذا من المكروه فقرأنا السلسلة فذهب المكروه و رأيت شيأ مخوفا فناديت الشيخ فغاب فكيف يكون هكذا فقال ان الروحانية تدور بلا علم منا فهي تتصرف لمثل هذه الأمور فظننت ان هذا الخبر اشارة الى ما وقع في الطريق و ان لم اذكره انتهى .

وكنت ذهبت لديه حين كنت في سلطان الذكر و امرني بذكر النفي و الإثبات جهرا الى ان يبلغ العدد سبعين الفا كل يوم الفا . ثم بعد الصلاة كنت خلف العمود قريبا الى موضع النعال وهو في جانب المسجد و كنت اتفكر اني لم استقر على سبعين الفا اني اذكر كثيرا جدا فجاء على قصد الخروج فاذا وصل امامي نظر الي و تبسم وقال ان ذكرت هذا الذكر كثيرا يحصل بهذا الذكر نتيجة حبس النفس انتهى . و قال لي رحمه الله تعالى في يوم اني اتوجه[١] الي الشيخ عبد الرحمن العسوي قدس سره في يوم و كنت واقفا على الحضور بقدر الطاقة فسكن زمنا طويلا متوجها الي فظننت انه يمتحن لي و اقدر ان اسكن هكذا الي ما شئت فاذا خطر في قلبي كذلك تنفس و قال ان قدرت ان تكون كذلك فهو شيئ عظيم عند الاولياء انتهى .

وقال في يوم اني كنت قعدت في المسجد في آخره بعد صلاة الصبح الى ما شئت ، فقال الشيخ عبد الرحمن قدس سره لى هل تسمع اقوال الناس حين كنت في الحضور قلت اسمع ولا افهم ففهمت و اخذت منه انه يجيئ حال لا أسمع الأصوات فبعد ذلك اذا جلست في المسجد كذلك اكون لا اعلم شيأ فاذا انتبهت

« ١ » لعله توجهت

وجدت نفسي وحده بلا انسان في المسجد . و قد طلعت الشمس واخبرته كذلك للأستاذ فلقنني المراقبة المعية انتهى .

وفي يوم جاء جي عند وصولي اليه لنشرب فوضع الإستكان في قصعة كبيرة بين يديه و في قصعة صغيرة بين يدي فخطر في قلبي الخبيث ان القصعة الكبيرة وضع بين يديه ففي تلك الحالة نقل ما بين يديه الي و ما بين يدي اليه فخجلت حينئذ شديدا و لم اتكلم انتهى .

وكان بعض السنين قليل المأكول فقلت له ففي هذه السنة اظن انه لا بد لي من الخروج لطلب المعيشة او من بيع الرمكة ايهما يكون خيرا فقال انه لا يكون في بيع الرمكة خيرا فقال ان تذهب الى زر ففيه يسهل طلب المعيشة فقلت له لا احب ان ابعد عنكم فقال ما لك بأس في البعد لكون الروحانية معك لكن اذا اتفقت الفرصة يكون عدم الذهاب خيرا فتخلفت و لم اذهب فرجع الأمر الى بيع الرمكة فبعتها بمقابلة عشرين تومانا و بقرة وهي تعدل بقيمة عشرين فلم يمض الا نحو عشرة ايام ماتت البقرة فتذكرت ما قال اولا و تحيرت في فراسته انتهى .

ففي زمن عرض الي امر مهم اريد ان أسأله و ظننت ان عادته في غالب الأمر تكون بالإشارة و الإشارة قد لا يفهم لو يقول لي اذا سألته بصريح يفهمه كل احد يكون الخير فيما اسأله

او عدم كونه ثم اذا اجتمعته و سألته قال ليس لك في هذا الأمر خير بحيث يفهمه كل احد فتركته و ظهر لي بعد ذلك عدم كون الخير فيه انتهى .

ففي يوم قلت له يا استاذي ان المريدين يقولون ان الشيخ محمود أفندي قدس سره لعدم رؤيتنا لا نقدر ان نتصور صورته لو يأذن لنا استاذنا ان نرابط الى نفسه لكان خيرا فقال يا ولدي كيف يجوز ان يرابط لمثلي لا تصل المنفعة من رابطة من لم يفن ولو في صفة واحدة من صفات الله تعالى . ولا يصل كبير منفعة ممن فنى في صفة واحدة ان لم يفن في جميع صفات الله تعالى ولا يصل تمام المنفعة ممن فنى في جميع صفات الله تعالى الا اذا فنى في ذات الله تعالى و الشيخ محمود أفندي قدس سره كان فانيا في ذات الله تعالى انتهى .

وقال مرة الم تصل الى دبرصل محمد العسلي قدس سره فقلت له لم اصل فقال لم لا تذهب اليه لتراه و ذلك بعد اذنه له فقلت له اني اخاف ان اذهب اليه فقال لم تخاف فقلت له لاني كالحمار بلا تأدب معكم و انت تحمل عدم التادب و ان كان لا يقدر تحمل عدم التأدب اخاف حصول الضرر فضحك و قال يكفينا حب التأدب وان لم تتأدب انتهى .

وكان يقول قي مجلس كنت فيه ان الشيخ عبد الرحمن العسلي قد سره كان يقول اذا لقنني حبس النفس القى الى قدامي الشيخ جبرائيل أفندي قدس سره السبحة على صورة « لا » المعكوسة و قال لي افعل هكذا و لم يقل شيأ و كنت لا اعلم كيفية نقشه على اللطائف فجاء محمود أفندي قدس سره و امر اصبعه على لطائفي فتصور على لطائفي صورة اخضر على كيفية نقش حبس النفس فعلمته حينئذ و قلت لسائر المريدين الذين على حبس النفس الآن اعلمكم كيفيته انتهى .

وكنت قلت له في يوم كيف افعل حبس النفس سرعة او بطأ فقال لي اضرب السوط على الفرس مشيرا الى اسراعه انتهى .

وقال لي مرة ان خطرات المريدين تكون للشيوخ كما كانت بين اعينهم ثم قال هل تعلم مسلم افندي العرادي فقلت له لعلي كنت رأيته مرة ثم قال كان هو عالم صالح ماهر و كان هو ضيف جبرائيل افندي قدس سره ففي يوم نزل عند جبرائيل افندي قدس سره ضيفا كعادته فاذا نزل الى فراش نومه بعد الأكل و صلاة العشاء تفكر مسلم أفندي اني شيخ هرم يمكن ان اكون قريبا الى الموت ، و هذا جبرائيل أفندي قدس سره ضيفي مثل ابي لو أخذت الطريقة عنه و رجعت الى الذكر و العبادة يكون خيرا لي

فاذا اجتمعا صباحا قال جبرائيل أفندي قدس سره يا ولدي مسلم أفندي انت رجل عالم ماهر تدرس المتعلمين ويحصل من علمك علماء كثير فان لقنتك الطريقة ، فاذا اجتمعت مع النبي صلى الله عليه و سلم يوم القيامة ان قال لي النبي صلى الله عليه و سلم لم فترت علمه بتلقين الطريقة ماذا افعل يا ولدي .

قال ذلك الشيخ جبرائيل افندي باكيا انتهى .

ففي يوم قلت له اريد ان اطلق زوجتي لكونها غير مطيعة لي فقال لي لا تطلق واصبر يمكن ان يكون في عدم طاعتها خير .

ثم قال لي : ان واحدا من المريدين زار في زمن الى شيخه فاذا وصل الى بيته لم يجده في بيته و وجد زوجته فقال للزوجة اين ذهب فقالت الزوجة ذهب الى الايكة لحمل الحطب لا رجعه الله ، فسبّت عليه سبّا كثيرا فذهب المريد خلفه الى الايكة فلقيه في الطريق راجعا ومعه اسد عظيم عليه حطب كثير فاذا نزلا قضي حاجة المريد فرجع ثم بعد زمان زار ذلك المريد الى ذلك الشيخ فإذا وصل الى البيت لم يجده ووجد زوجته أخرى غير الأولى فسال زوجته اين ذهب فقالت ذهب الى الايكة لحمل الحطب اعلى الله درجته فدعت له دعاء كثيرا فيه منفعة له فذهب المريد خلف شيخه الى الايكة فلقيه في الطريق راجعا وعلى ظهره حمل

حطب وهو يقطر من وجهه العرق فإذ نزلا في البيت قال المريد لشيخه اني وجدتك كذلك من قبل والآن وجدتك هكذا فما الحكمة في ذلك فقال الشيخ كانت لى زوجة غير صالحة تسبني وتتكلم بكلام غير لائق وسيئة الفم وكنت اصبر عليها فبذلك كنت اعطاني الله تلك الكرامة ثم ماتت تلك الزوجة وتزوجت زوجة صالحة فبصلاح الزوجة ذهبت مني تلك الكرامة انتهى .

ففي يوم قال كان لبعض المريدين حصل له سلطان الذكر وكان يقول انه لا يعلم شيأ ما ولو قليلا . ثم ارسلت الرسالة الى زر الى الحاج عبد الرحمن العسلي بذلك الخبر فلم يجئ الجواب ثم سئلته بعد الرجوع من زر ، فقال لي لو اقيم في الخلواة في عشرة ايام ليعلم انتهى . وقال إني كنت في تميرخان شوراه عند سيف الله قدس سره فتركني في البيت وخرج وقال لا تخرج إلى السوق ففي يوم ظننت انه لا يكون لي ضرر ولو كنت في أي مكان و خرجت الى السوق و قال لي بعد الرجوع الآن ما ذهب منك من الحال لا يرجع اليك ولو بعد سنة انتهى .

وقال لي في يوم آخر كنت ذاهبا اسيرا الى سبر ورجعت منه ولم يقع حرج ولا ضيق في أي مكان ان الله تعالى لا يتصرف في بالصفات الجلالية بل بالصفات الجمالية .

ثم جأت من زوجته الرسالة ان سيف الله قدس سره ذهب ثانيا الى صبر اسيرا فقلت له ان تصرف الله تعالى بجميع الصفات الجمالية والجلا لية هل يكون خيرا لنا فقال نعم يكون خيرا فهل يكفي كون العبد عبد المنعم لا عبد المنتقم انتهى .

ففي يوم اعطي الى جلد معز لاصنع له منه نطاعا ففرحت به فرحا شديدا ثم بعد ذلك ذهبت اليه بنطاع له فدفعت اليه فلم يقبل الا نصفه وان قلت له كثيرا و سألته مرارا فقال لي بعد ذلك فان فعل عندي احد سيئة انساها سريعا وان فعل عندي احد حسنة لا انساها فبعدم نسيانها يكون لي ضرر فلذلك لم اقبل انتهى .

ففي يوم قلت اني لاجد في فروتي بعد زمان روث فاي شيئ افعل فقال لي ان الشيخ مم دبر الروجي قدس سره خرج يوما الى حافة نهر مع عالم آخر فوجدا في ومصلاهما بعرات الاغنام والأمعاز فكان هذا العالم يلتقطها و يرميها بعيدا و لم يبال مم دبر قدس سره ، فقال العالم له هل يجوز الصلاة معها فقال مم دبر قدس سره هي روث المأكول لا بأس بها و انا لا افرق بين الأئمة و اراهم كلهم على الصواب ، فعند الإمام مالك روث المأكول طاهر انتهى .

ففي يوم قلت له و كان الزمن مخوفا لا يذهب الى الأستاذ و لا يقبل من جاء اليه دخوله فقلت له لو تركت المجيئ اليك في هذا الزمن المخوف الا يكون خيرا فقال لي لست من يجئ الى الاستاذ فوقع في قلبي شائبة كره فظننت انه كيف قال هذا القول ولم قال فقال انك لا يقول لك الناس انك تجئ الى الاستاذ ولا يعلمون لانه تكون معك تجارة وسبب فاذا وصلت الى هنا لا ترجع بلا رؤيتي و ظننت ان ما قاله اولا لامتحان قلبي انتهى .

ففي يوم جاء الي طعام في بيته فقال كل حتى تشبع فان لم تأكل احرم لك ما اكلت انتهى .

وفي يوم آخر حضر الطعام وجلس معي ليأكل وقال اذا أكل مع الضيف يغفر ذنوبه كيوم ولدته امه انتهى .

وقال لي رحمه الله مرة اني رأيت الشيخ محمود أفندي قدس سره في زمن في المنام على صورة المرأة فعجبت من ذلك و قال لي اليس في القرآن قوله تعالى : « رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله » الآية فقلت له بلى فقال ان من ليس على تلك الصفة لا يقال رجل بل يقال له امرأة و انا لم اكن على تلك الصفة في ذلك الزمن فلذلك رأيته على صورة المرأة موافقا لحالي انتهى .

ففي يوم وقعت المكالمة و المخاصمة و المجادلة بين زوجتي و زوجة جاري و قالت كل واحدة منهما على الأخرى اقوالا غير لائقة تسوء بها الظنون و تتأسف بها القلوب فبسوء الظن ضرب زوج المرأة الاخرى زوجتي و لم اكن في هذا الحال في البيت فاذا وصلت الى البيت أخبرت الواقعة فصرت مملوأ بالغضب فخرجت من بيتي قاصدا الى زوج تلك المرأة مع الة الحرب لاقاومه و اقابله ففي الطريق تصور لي صورة الشيخ حسن افندي القحي رحمه الله كأنه يقول ماذا تفعل فوقع ذلك القول في قلبي فرجعت الى بيتي لعلي رجعت بهمته قهرا و كنت غضبانا فبعيد هذا زرته فاذا وصلت اليه رأيته كالغضبان فظننت ان حالي انتقل اليه فقال مالك في هذا الحال اخبرني سريعا فأخبرته القصة فقال لي : وقع شييء شر وقال فاعف عنه ولا تقابله لانه اذا كان العيب علينا لا يجوز ولا يليق ان نقابله فذكرني قصة وقعت لهم قبل ذلك تشير الى كون العيب على زوجتي فقال لي ان قال لك احد شيأ في حق تلك الواقعة فقل له ان زوج تلك المرأة لم يفعل شيأ و لكن فعله شيطان تعلق برقبته . ثم قال كأن غضبان ان لم تفعل ما امرتك فاعلم انه لا يجيئ عليك يوم خير بعد هذا مشيرا الي باصبعه السبابة فقلت له يا استاذي افعل ما امرتني و اصبر وان شق علي

ولكن زوجتي على حالة لا تقدر ان تقف الا بتجديد فتنة ثانية فقال اصبر و قل لها اصبري فدعا على خبزين و اعطاني اياهما . وقال كل هذا واطعم الزوجة فاذا وصلت الى البيت أكلناهما فذهب منا الغضب و استراحت القلوب و طابت النفوس و صالحنا لهم فما اعظم كرامته و اوفر فراسته و اسرع إجابة دعوته .

وفي يوم قلت له اني اظن لو طلبت بذرا حلالا خالصا انتقل من يد الى يد من ايادي الصلحاء و حرثته في مزرعة خاصة ورثتها من ابائي و انتقلت من اب الى اب من قديم الزمان و اختصصت بأكل غلتها بلا أكل شيئ من غيرها ليكون ذلك خيرا فقال يا ولدي من اين يصل و اين نجد حلالا خالصا غير مخلوط بشبهة واني كنت بعت قطعة بعض مزرعتي لجار مزرعتي بكيل بر ، و كان يقول الناس في حقه ان الزكاة لا يعطى الى مستحقيها بل يعطى الى ما يريد و الى مقابلة ما يريد و اظن ان ما اعطاني من البر من الزكاة و ما بيدي في هذا الحال من بذر غلته و لكني كنت في ذلك الزمان من مستحقي الزكاة .

وكنت ذهبت الى قرية قحب مع نطع مصنوعة من جلود الأغنام و الأمعاز لبيعها فحين كنت في بيت الضيف جاء الى حاكم القرية مع الشرط على قصد اخراج ما بيدي و جلسوا معي في

البيت و نظروا الى ما معي من الأمتعة و سألوني قيمتها فاذا طلع علينا من باب البيت الشيخ حسن افندي القحي رحمه الله فقاموا كلهم اكراما ولم اقم له كما قاموا وكنت قاعدا ثم قمت حياء منهم وقال لهم هل عندكم ضيف قالوا نعم فقال لي خش كلد هبل شن وجن كر و تكلم كما يتكلم لمن لا يعلم وكلمته كمن اتكلم لمن لا اعلم ولم اذهب اليه لاخذ اليد فغاب عنا وقاموا كلهم من عندي بلا اخذ شيئ مني فظننت انه جاء ليتسبب لعدم اخذهم مني شيأ . ثم اذا اجتمعت معه رضي مني رضاء شديدا من عدم قيامي له وعدم مجيئ اليه حينئذ لاخذ اليد انتهى .

ففي **ليلة** من ليالي رمضان كنت نائما فرايت في المنام كأن زوجتي توقظني للاكل في السحر فقعدت على الفراش وفي ظني ان الاستاذ حسن افندي نائم في البيت الاخرمن الدارفقلت لها اني اذهب الى الاستاذ لاوقظه لياكل في السحر و انه يريد التوضأ فاعطني اليّ كوزا فيه ماء سخن لاحمله اليه فاعطته اليّ وذهبت مع كوز فاعطيته اليه بعد اليقظة فاخذه مني فارسل يده في الكوز واخرج قطعة بعض ودك الغنم واعطاني اياه ففي الليلة الآتية ذهبت الى المسجد لاصلى المغرب ، فاعطاني قاسم صدقات المسجد قطعة بعض ودك الغنم مثل ما اعطاني الاستاذ في

المنام . ثم بعد ذلك قصصته تلك الرؤيا بعد الاجتماع فضحك وقال لعلك رايت رؤيا لاتاويل له بل عينه ثم قال ان الشيخ عبد الرحمن العسلي قدس سره كان يقول انه لم يرالرؤيا له تاويل الاعينه من منذ دخلت في الطريقة ثم قال لا يكون كشفه صحيحا ان لم ير الا عين الرؤيا انتهى .

ففي يوم زرته حين كان ذكري في لطيفة السروكنت في ذلك الحال في فتور بلا حضور متساهلا في الورد فعند الاجتماع نظر اليّ بعين السخط مائلا الى جنبه وقال لي الا تفعل الحضور صباحا و مساء كانه غضبان عليّ ، فقلت له اني اكون في اكثر الزمان في بيت كمسلار مع الحكام محبوسا عندهم لكوني بعض شرطهم واكون مغشيا في دخانهم الخارج من افواههم ، فاذا خرجت منه اكون ادور في اسواق القرية لقضاء مأموراتهم فكيف افعل الحضور فقال الا يجوز ان تفعل الحضور ولو كنت في اي مكان . فقرع ذلك القول فاذا رجعت طلبت انفصالي وخلاصي منهم بذهابي الى حكماء الريؤن مع العريضة فقبلوا عريضتي وخلصوني منهم برحمة الله تعالى و اجتهدت قدر الطاقة نحو قدر شهر ثم زرته فاذا طلعت عليه من بابه علمت رضائه مني بطلاقة و بشاشة وجهه قبل التكلم انتهى .

ففي يوم قلت له اني لفي فتور و ضعف و غفلة و اظن لو دخلت الخلوة ليشتد الحضور و الرجوع الى الله تعالى ليكون خيرا لي ، فقال قدس سره يا ولدي انك لا تحتاج الى الخلوة و الخلوة امر صعب يثقل حمله على النفس لا يجوز النوم الا بالغلبة و الإضطجاع و لا الإعتماد على شيئ ، بل يجب ان يجلس على الركبتين مستقبل القبلة . و لها شروط صعبة كذا و كذا و يظهر لمن دخل الخلوة كشف وهو شيئ يجب اخفاؤه و لا يقدر اخفاء كل شيئ ظهر بالكشف و الكشف شيئ لا خير فيه بل فيه ضرر لان الأمور المرئية بالكشف كاموات و غيرها سبب للغفلة عن الله تعالى كالامور المرئية بعين الرأس . و اني كنت ذهبت الى الشيخ شعيب أفندي الباكني قدس سره بعد موت شيخي عبد الرحمن العسوي قدس سره لتلقين مراقبتين . فاذا توجه الي ظهر لي كذا و كذا من الأحوال فاذا خرجت من بيته وجدته خارج الباب ابراهيم حجيو القجري ، فلم اقدر اخفاء ما ظهر لي منه فأخبرته و قال لي عرشي فرشي . ثم قلت له هل كان ابراهيم حجيو وقتئذ في ذلك المقام فقال نعم كان ابراهيم حجيو في ذلك المقام وقتئذ انتهى .

وكان يقول قدس سره انظر الى القلب فقلت له انك تقول انظر الى القلب فكيف انظر الى ما لا يرى فقال اصرف عين خيالك

الى موضع القلب وان لم ير و اما ان رأى القلب فيسهل كل شيئ . ثم قال و للقلب باب اذا نظر اليه يفتح بابه فيصل الفيض اليه و اذا لم ينظر اليه فلا يفتح بابه فلا يصل الفيض اليه انتهى .

وقال لي عبد الغفور القرودي رحمه الله اني كنت احب قرائة آخر سورة الحشر و كنت لا اعلم من اي موضع يبتدأ قرائته فاذا وصلت الى بيت الشيخ حسن حلمي أفندي القحي قدس سره قال لي بلا سؤال مني ان آخر سورة الحشر يبتدأ قرائته من قوله تعالى : « ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله » الآية انتهى .

وقال لي ايضا انه قال القول الفلاني في الصلاة المشيشية يكرر ثلاثا و كرر هذا القول ثانيا و ثالثا و كنت اتفكر لاي شيئ يقول كذلك ، فاذا وصلت الى بيتي نظرت الى الصلاة المشيشية في موضع ذلك القول فلم اجد بعد ذلك القول قول ثلاثا فظننت انه اطلع على فقدان قول ثلاثا بعد ذلك القول و غلطه انتهى .

ففي يوم قلت له ان قبالة حديقتي رحى يباع لو اشتريته كيف يكون فقال لي ان اهل قريتنا يقولون ان مهيئ الرحى و حارث البيدر لا يصيران غنيين لكن لو اشتريته لا تأخذ الأجرة من المطحون بل من غير المطحون انتهى .

وقال لي عشرل عمر الخنزخي وهو ضيفه اني كنت ذهبت الى قرية قحب لشراء الأثورة للذبح فبعد شراء ثورين وجدت ثورا سمينا ذا حسن و جمال فشاورت الشيخ حسن القحي قدس سره في حقه فقال لي لا تشتر انه ثور تكلم في حقه الناس كثيرا فلم ينفصل قلبي منه . ثم شاورت ثانيا فقال لي اذا اوصلته الى المرعى مع الأثورة ان مات في موضع جلوسه فماذا تفعل ، فلم يستقر قلبي الا باشترائه فاشتريته بثمن غال و رجعت الى داري مع الأثورة فاوصلت الأثورة الى المرعى ففي زمن ذهبت الى الأثورة لإرجاعها الى الدار فاذا وجدت ذلك الثور ميتا في موضع جلوسه انتهى .

ففي يوم حين كنت جالسا وقع خبر حميد الهندخي قدس سره في المجلس فقلت له انا سمعنا انك اجزت له لتلقين الطريقة و رضينا به فقال لي كأنه غاضب من قال لك هذا القول فقلت قال امن علي الطليقي و صلاح الدين الحبشي . ثم قال ومن قال لهما فلم اقل قال لهما محمد عارف و ان كانا قالا لي ان محمد عارف قدس سره قال لنا كذلك خوفا على توبيخه محمد عارف بل سكت . ثم قال ارسل اليه كتابا ان ظهر منك مثل ذلك فاعلم انك لا تستريح و لا تستقر في بلدك .

واما حميد قدس سره ليس ممن له اهلية الإجازة بل له قوة التصرف و اهلية الإجازة وان كان كذلك تكون للإجازة شروط كثيرة واذا اردت الإجازة لدبرصل محمد العسلي قدس سره ارسلت رجلين الى ابراهيم حجيو القجري مع الرسالة للمشاورة ولا تكون الإجازة الا باستحكام و استقامة انتهى .

حكاية

كان لشعيب أفندي الباكني قدس سره مريدا صالحا مشهورا بين اهالي قرى قرلل وقنصر بالعبادة والصلاح ، وكان يقول ابعاض الناس : ان الشيخ شعيب أفندي قدس سره أجاز له لتلقين الطريقة .

ففي زمن حين ذهبت الى ريؤن جرد اجتمعت مع رجل باكني فوقع ذكر مناقب شعيب أفندي قدس سره فحينئذ وقع ذكر ذلك المريد في أثنائه وقال : انه كان يحب النساء ويجمع مجلس النساء ، ويكون بينهن وكان الشيخ شعيب أفندي قدس سره ينهى عنه فلم ينتهي وان نهى عنه مرارا ومرارا فلذلك طرده عن بابه . وكان ذلك المريد يقول : وان طردني شعيب أفندي قدس سره يقبلني محمود أفندي قدس سره .

وكان الشيخ شعيب أفندي قدس سره يقول : اني رأيت

الشيخ محمود أفندي قدس سره يسلب عمامته ويرميها في البحر وكان يقول : ان في ذلك المريد نورا يحب به النساء ويجب سلبه ولا اقدر سلبه لكن يمكن ان يقدر سلبه حسن القحي رحمه الله .

وكان الشيخ حسن القحي قدس سره يقول : ان لحصول نفع الورد و ظهور اثر الذكر ستة شروط :

تقليل المنام والأكل والكلام ، وترك مخالطة الناس ، وكثرة زيارة الأستاذ ، وتكثير الذكر .

لكن لا بد من طلب المعيشة على قدر الحاجة و طلب المعيشة يحتاج الى زيادة الأكل و مخالطة الناس فبكثرة الأكل يكثر النوم و بمخالطة الناس يكثر الكلام و تكثير زيارة الأستاذ لا يقدر في مثل هذا الزمان المخوف خاصة ممن كان وطنه بعيدا عن وطن الأستاذ ، فبقي من الستة تكثير الذكر فاجتهد لتكثير الذكر انتهى .

و سألته رضي الله عنه عن قرائة القرآن على القبر بأجرة . فقال قدس سره اني حين كنت في قرية عسب عند الشيخ عبد الرحمن العسلي قدس سره تركني رجل من قريتهم على قبر قريبه لقرأة القرآن اسبوعا بمقابلة قروش واحد . ففي ليلة رأيت في المنام ادس القرآن برجلي فقصصت لعبد الرحمن قدس سره .

فقال لي اترك القرأة و لا تذهب اليه فتركت القرأة و لم اذهب اليه بعد . فجاء ذلك الرجل الى الحاج عبد الرحمن قدس سره ليسأل ارسالي للقرأة ، فقال لي الشيخ عبد الرحمن قدس سره اذهب الى القبر و اقرأ القرآن لاجل الله بلا أجرة فذهبت و قرأت ، و قال لذلك الرجل اعط له ذلك القروش صدقة عن الميت لاجل الله انتهى .

وقال لي الشيخ حسن القحي قدس سره مرة : ان الشيخ حبيب الله القحي كان قد توجه الى رجل من قرية غوغول فبعد ثلاثة ايام جاء الي من شدة الحرارة بحيث لا يقدر حمل الحرارة فبعد النظر وجدته قد توجه اليه لإلقاء الحال اليه مكان التوجه لطرد الغفلة فسلبت الحرارة و استرحته انتهى .

تم بعون الله المعين في محرم سنة ١٤٠٢